سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه
د. محمد بن صامل السلمي

الكتاب كامل في ملف واحد

سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه
د. محمد بن صامل السلمي

المجلد الأول

الخلفاء الراشدون

بسم الله الرحمن الرحیم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المتقين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

فإن تاريخ الإمام الحافظ ابن كثير الموسوم كتاب «البداية والنهاية» من كتب التاريخ الجامعة، وهو صورة عن ثقافة مؤلفه، الحافظ، المحدث، المفسر، المؤرخ، وقد جمع في هذا الكتاب علوما كثيرة، وبحث مسائل متعددة، ودخل في تخصصات مختلفة، فحقق وناقش، واعترض، واستدل بنفس العالم الذي ينشد الحق ويجمع الأدلة ويوازن بينها.

وإني بحكم التخصص أرجع إلى هذا الكتاب كثيرا، وأطلب من طلابي الرجوع له وخاصة في تاريخ صدر الإسلام، لكن شكا البعض منهم طول الكتاب واستطراده، وتجزئة الموضوعات والحوادث فيه بحسب وقوعها، فإنه قد سار في ترتيب الكتاب على النظام الحولي بحسب السنوات الهجرية مما يجعل بعض الحوادث التاريخية مجزأة بحسب سنين وقوعها، وطلاب هذا الزمان ضعفت همم الكثير منهم، وقل صبرهم على العلم والبحث في مسائله، يريدون كل شيء جاهزا قريب التناول.

ورغبة في تيسير الاستفادة من هذه الموسوعة وتقريب فوائدها استخرت الله في ترتيب وتهذيب كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

والتهذيب والترتيب منهج سلكه أهل العلم، وهو أحد أغراض التأليف التي نصوا عليها، ورأيت أن أبدأ بعصر الخلفاء الراشدين لمسيس الحاجة إليه خاصة في التدريس الجامعي، ولربط طلاب الجامعة مكتب السلف وتعويدهم على أساليبها[١].

(١) سبق نشرها في أربعة أجزاء، وصدرت تباعا ابتداء من عام ١٤١٨ه، ثم رأيت جمع الأجزاء الأربعة في مجلد واحد في هذه الطبعة.

وقـد قدمت بين يدي ذلك ببيان منهجي في التهذيب، ثم ترجمة موجزة للحافظ ابن كثير، وبيان منهجه ومصادره في كتاب «البداية والنهاية» على سبيل الإجمال.

والله أسأل أن ينفع بهذا التهذيب كما نفع بأصله والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة

منهج الترتيب والتهذيب وعملي فيه

المنهج الذي سلكه الحافظ ابن كثير في ترتيب كتابه ابتداء من السنة الأولى من الهجرة النبوية، هو الترتيب الحولي للحوادث التاريخية، وهو منهج سلكه قبله خليفة بن خياط، والإمام الطبري، والمؤرخ ابن الأثير مع تعديل يسير[(١)]، والإمام ابن الجوزي وغيرهم وهو منهج في الترتيب له فوائد، كما أن له سلبيات.

وقد سلكت في تهذيب كتاب «البداية والنهاية» الأمور التالية:

١- الترتيب الموضوعي، فقد جعلت خلافة كل واحد من الخلفاء الراشدين في عدد من الفصول بحسب الموضوعات الجامعة لكل فصل، فعقدت فصلا في ترجمته وفضائله، وآخر في استخلافه، وثالثا في الفتوحات في عصره.. وهكذا.

وبهذا جمعت الموضوعات المتشابهة إلى بعض من مواطن متفرقة من الكتاب، وجعلت لها عناوين وأحلت في الهامش إلى مواضعها في الأصل؛ وذلك لتيسير مراجعة الأصل.

٢- حذفت الاستطرادات، والأحاديث الضعيفة، والروايات والقصص التي في متونها شذوذ أو ألفاظ منكرة، كما حذفت التراجم للأعلام التي يذكرها في نهاية كل سنة لكون ذلك ألصق بكتب الطبقات والتراجم والرجال.

٣- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، وقابلتها مع تلك المصادر لتصحيحها وضبطها.

٤- ضبطت الأعلام والألفاظ المحتاجة إلى ضبط وعرفت الأماكن من كتب البلدان وضبطتها، وشرحت الغريب من كتب اللغة.

---

(١) وهو أنه جمع أخبار الحادثة الواحدة إذا كانت في أكثر من سنة في مكان واحد، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه الكامل في التاريخ (١/ ٤).

٥- حافظت على عبارة المصنف ولم أغير منها شيئا، سوى مواطن يسيرة جدا لغرض ربط العبارات والجمل بعد حذف الاستطرادات، أو جمع المتشابه في موضع واحد.

٦- جميع طبعات الكتاب - وهي كثيرة - مصورة عن الطبعة الأولى الصادرة سنة (١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢م) عن المطبعة السلفية، ومطبعة السعادة، ومكتبة الخانجي بمصر، أو مطبوعة عنها، ولم يرجع الناشرون للطبعات التالية إلى مخطوطات الكتاب، ولذلك وقع فيها جميعا تصحيف وسقط كثير[(١)]، وقد اتضح لي ذلك من خلال مقارنة النصوص بمصادرها، ولهذا ألزمت نفسي بمراجعة جميع نصوص الكتاب على مصادر المصنف وصححتها على ذلك، ولم أشأ أن أثقل حواشي الكتاب ببيان التصحيف في كل موطن واكتفيت بذكر نماذج يسيرة.

٧- إذا قلت في الأصل كذا...، فالمراد كتاب البداية والنهاية» مطبعة دار الفكر في بيروت، ما عدا خلافة علي وابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد اعتمدت الطبعة المحققة الصادرة عن دار هجر.

٨- بالنسبة لفضائل الخلفاء فإن الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ قد ذكر جملة صالحة منها، بعضها في الصحيحين، وبعضها في السنن والمسانيد والمصنفات، وفيها الصحيح والحسن والضعيف.

وقد رأيت في هذا التهذيب من باب الاختصار الاكتفاء بما في صحيح البخاري سواء ذكره المصنف أو لم يذكره. وقد أشرت إلى ذلك في مواطنه.

٩ - وضعت عناوين للفصول والمباحث والفقرات، جامعة لمعانيها ومقربة لها.

---

(١) صدر في عام ١٤١٨ه الموافق (١٩٩٨م) طبعة محققه عن دار هجر بالقاهرة، وبإشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ولم أطلع عليها إلا بعد إصدار الأجزاء الثلاثة الأولى. وقد رجعت لها في خلافة علي وابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخلافة علي واقعة فيها من ص (٤١١) من الجزء العاشر وحتى ص (١٤٢) من الجزء الحادي عشر، وترجمة الحسن واقعة من ص (١٨١- ٢١٢) من الجزء الحادي عشر.

١٠- جعلت هذا التهذيب في أربعة أبواب:

الباب الأول: عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والباب الثاني: عن الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والباب الثالث: عن خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقد جاء في صورة مرضية - إن شاء الله - جلت موضوع الفتنة وما صاحبها من أهواء وعلل ونوازع لنوابت الضلال وأهل الإفساد، الذين سعوا مبكرين في تشويه الحوادث التاريخية، والتزيد في الأخبار، واختراع أمور لا واقع لها، حتى تشوه تاريخ الصحابة، وصعب على الكثير من القراء، بل والباحثين إدراك الصورة الحقيقية للوقائع والأحداث.

والإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء الثقات، والأئمة المتيقظين الذين لا يقبلون كلما وجدوا في المصنفات السابقة، ولا يكتفون بمحاكاتها كما يفعل البعض، ولكنه يوجه سهام النقد، ويوازن بين الأخبار، ويعدد المصادر وينوعها، مصادر تاريخية، ومصادر من السنة، وأخرى من كتب العقيدة، وهكذا حتى يستطيع أن يصل إلى الحقيقة كاملة.

ونظرا لأهمية وحساسية موضوعات هذا الباب، فقد بذلت جهدا مضاعفا في تحقيق النصوص وتخريجها والتعليق عليها، وكذا في التبويب والترتيب مما يسهل على القارئ إدارك الصورة الواقعية لأحداث هذه الفترة ومجرياتها، وتتضح له براءة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وجميع الصحابة من المشاركة في الأحداث والوقائع التي أدت إلى الفتنة، وتجلية موقف عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبطولته وفدائيته الفذة في وقاية الأمة وصيانتها عن سفك الدماء، وتقديم روحه الطاهرة دون دماء الأمة وأرواحها، مع ما تقدم من أعماله الصالحة، في الجهاد، والبذل في سبيل الله، وحفظ كتاب الله من التبديل والتحريف يوم أن كتب المصاحف العثمانية، بمشورة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فرحم الله الخليفة عثمان بن عفان ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما جازى وليا من أوليائه.

هـذا وقد ألحقت بآخر الباب نصا طويلا من كتاب الشـريعة للإمام الآجري يفسـر أسباب ظهور الفتنة وموقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من ترك قتال الثائرين على عثمان.

وملحقا آخر عن نتائج دراسـة علمية (أكاديمية) متخصصة في موضوع الفتنة ومقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سـلك الباحث في دراسـته تلك منهج المحدثيـن في نقد الروايات المتعلقة بموضوعه، ووصل إلى نتائج جيدة ومطمئنة.

والبـاب الرابع: مخصـص لخلافة الخليفة الرابع علي بـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ألحقت أيام ابنة الحسـن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى اصطلح مع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أوائل عام (٤١هـ) والمسـمى عام الجماعة الأول، حيث فرحت الأمة بهذا الاجتماع وتحقق للحسـن منقبـة عظيمة في جمـع الأمة والإصـلاح بينها، وهـو ما أخبر عنه رسـول الله ﷺ ومدح الحسـن بن علي به، وأيام الحسـن متممة لمدة الخلافة الراشـدة الواردة في الحديث: "خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء"[(١)].

وقـد تولى علي بـن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة بمبايعة الأمة لـه، بعد مقتل الخليفة الراشـد الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في ذي الحجة سنة (٣٥هـ)، ظلما وعدوانا من أهـل الزيغ والفسـاد، وقد نشـأ عن فعلهم هـذا وترتب عليه عدد من المشـكلات التي واجهت الخليفة الجديد، حتى توقف جهاد الكفار، وشـغلت الأمة بنفسـها سـنوات، ووقع القتال بينها، وهي فتنة عظيمة، وبلية ابتليت بها الأمة، ولكنها ولله الحمد خرجت منهـا قوية متماسـكة، وعادت إلى سـيرتها الأولـى في الجهاد والدعوة، والانسـياح في أرض الله؛ لهداية الخلق، ودعوتهم إلى دين الحق.

لقـد كان لتلـك الفتنة آثارا عميقة لا تزال أنواع منهـا باقية إلى اليوم، فخروج الفرق - الخوارج والشـيعة والمرجئة والمعتزلة... إلخ - كان من توابع تلك الفتنة، فلم تعد الوحـدة الفكرية شـاملة لكل الأمـة كما كانت قبل وقـوع الفتنة، ثم بعـد زمن انعكس

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقد صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم (٤٦٠).

هـذا على الوحدة السياسـية والجغرافيـة في الواقع، فظهرت في العصر العباسـي الثاني الدويلات الطائفية ذات الاتجاهات الفكرية.

ولهذا فإن موضوعات هذا الباب تتسـم بكثير من المشـكلات التي تحتاج إلى بيان ومعالجـة، حيـث كثـرت الروايات المدسوسـة والتي تشـوه الواقـع التاريخي للجيل الأول، مسـتغلة مثل تلك الأحداث المؤسـفة، والفتن التي يقودها الرعاع والسـفهاء، ولا يحكمها أهل العلم العقلاء، ولا يتضح الموقف فيها إلا بعد انقضائها.

وقـد ذكر الحافـظ ابن كثير روايات عدة يسـندها إلى مصادرها، وقـد ينقد بعضها، ويترك البعض الآخر اكتفاء بالإسناد، أو متابعة لما ذكره من قبله من أئمة التاريخ، أمثال ابـن جرير الطبري، وابن الجـوزي، وهما إمامان جليلان غيـر أن منهجهما في التأليف يقوم على التقميش[١].

ومـع هذا فإن ابن كثير قد بذل جهدا مشـكورا في نقد الأخبار والروايات، والرجوع إلـى مصادر أوثق في المنهـج من كتب المؤرخين، وهي كتب السـنة من أمثال: الكتب السـتة، ومسـند الإمام أحمد، والسـنن الكبرى للبيهقـي، ودلائل النبوة لـه، مما جعل لكتابه شمولا في المصادر، وميزة في النقد على طريقة المحدثين.

وقـد أخذ مني إعداد هذا الباب وقتا طويلا، وجهدا كبيرا، حتى خرج بهذه الصورة، التـي أرجو أن تكون معينة للدارسـين والباحثين في تجليـة واقع تلك الفترة من تاريخنا الإسـلامي المجيـد، وبيـان المواقف الصحيحـة لذلك الجيـل الفريـد في التاريخ من أصحاب رسـول الله ﷺ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وحمل رسـالته، ونشـرها في الخافقيـن، وقـد رباهم أعظم مـرب في التاريخ، محمد بن عبد الله خاتم رسـل الله ﷺ علـى قول الحق والعمل به، وعلى الصبر والثبـات في المحن، وتعاقب الفتن، فأعادوا الأمـة إلى وحدتها واسـتقامتها، وأبانوا بأقوالهم وأعمالهم منهـج التعامل في مثل تلك

(١) التقميش: هو الذي يقوم على جمع الأقوال والروايات من غير تمييز لصحيحها من سقيمها.

المشكلات والفتن، التي تقع بين المسلمين، وكيف السبيل إلى حلها ومعالجة آثارها، مقتبسين ذلك من نور النبوة، ورحمة الإسلام وعدله حتى مع المخالفين والمعادين.

وهؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم فضل على الأمة، ولهم حق واجب الرعاية، واحترامهم والترضي عنهم هو من رعاية حق النبي ﷺ، الذي أثنى عليهم، ونهى عن سبهم، وأمر بحفظه في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلابد من العناية بتاريخهم، ورد عادية المعتدين عليهم، والواقعين فيهم، أو في بعضهم، وحمل ما ثبت وقوعه من بعضهم على أحسن المحامل، والاعتقاد بأنهم أفضل الناس بعد النبيين، والاقتداء بهديهم، ونشر فضائلهم، والكف عما شجر بينهم، مع اعتقاد أنهم ليسوا معصومين من الخطأ، لكنهم أسرع الناس أوبة للحق وتذكرا لله، ورغبة فيما عنده، وبعدا عن زخارف الدنيا وشهواتها، كما أن لهم من السوابق مع رسول الله ﷺ، والمشاهد العظيمة، وفضل الصحبة لخير الرسل ﷺ، ما يكون مكفرا لما قد يقع من أحدهم من خطأ محض، أما الخطأ في الاجتهاد فأمر معفو عنه لهم ولغيرهم، بل يثاب المجتهد على اجتهاده.

❁ ❁ ❁

الإمام الحافظ ابن كثير وكتابه «البداية والنهاية»

هو الإمام الحافظ الحجة المؤرخ الثقة، عماد الدين أبو الفداء:

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصروي، الدمشقي، الشافعي.

ولد بقرية «مجدل» من أعمال بصرى سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي والده وهو ابن ثلاث سنين، وكان والده خطيب القرية، وإسماعيل بن كثير هو أصغر ولد أبيه، وسمي على اسم أخيه الأكبر إسماعيل الذي توفي وهو يطلب العلم بدمشق قبل ولادة مؤرخنا، وقد انتقل ابن كثير إلى دمشق سنة (٧٠٧هـ)، وبدأ طلب العلم على يدي شقيقه عبدالوهاب[١]، وقد حفظ القرآن، واعتني بالحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، ولازمه وأحبه، وكانت له به خصوصية واتباع ودفاع عنه حتى أوذي وامتحن بسبب ذلك[٢]. وأفادته تلك الصحبة أعظم الفوائد، في علمه، وتقوية خلقه، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة، ولذلك كان مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار، لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره، وكتبه العظيمة شاهدة بذلك[٣] فهو داعية إلى السنة والعمل بها، ومحارب للبدعة والتعصب المذهبي.

ومن شيوخه الكبار غير ابن تيمية: علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (ت: ٧٣٩هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، وشمس الدين أحمد بن محمد الذهبي (ت: ٧٤٨).

وقد أثنى عليه أهل العلم في عصره وبعد عصره. فقال الذهبي: الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارع، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقال[٤].

---

(١) البداية والنهاية: (١٤٢/٣١).

(٢) «شذرات الذهب» (٦/ ٢٣٣).

(٣) أحمد شاكر، «مقدمة عمدة التفسير» (١/ ٢٨).

(٤) المعجم المختص ص (٧٤).

وقال تلميذه ابن حجي: «كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان يستحضر كثيرا من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، جيد الفهم صحيح الدين»[١].

وقال العلامة العيني: «انتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير»[٢].

وقال ابن حبيب: "واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير".[٣].

ومن أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والسنن به والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، وقد جمع فيه بين كتابي تهذيب الكمال للمزي، و ميزان الاعتدال للذهبي، مع زيادات في الجرح والتعديل، وكتاب «البداية والنهاية»، وهو موسوعة شاملة في التاريخ، وقد جعله في أقسام عدة:

القسم الأول: عن المخلوقات، «العرش والكرسي، والسموات والأرض وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين» ثم عن خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ووصل ذلك بالحديث عن الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى زمن عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكر من عاصرهم من الأمم، ومواقف من بعثوا إليه منهم، وبيان نهاية كل أمة من تلك الأمم.

وبهذا ينتهي القسم الأول من الكتاب.

والقسم الثاني: كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم يبدأ من (٢/ ١٠٢) حسبا النسخة المطبوعة بدار الفكر في بيروت سنة (١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م).

والقسم الثالث: كتاب أخبار العرب، يبدأ من (٢/ ١٥٦) وينتهي بزواج عبدالله بن عبدالمطلب من آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.

---

(١) النعيمي، والدارس في أخبار المدارس (١/ ٣٦-٣٧)

(٢) «النجوم الزاهرة» (١١/ ١٢٣).

(٣) «شذرات الذهب» (٦/ ٢٣١).

والقسم الرابع: كتاب سيرة رسول الله ﷺ، يبدأ (٢/ ٢٥٢) وقد فصل في موضوعات السيرة النبوية، وأطال النفس فيها، وجعلها في أقسام هي:

١- المبتدأ من ولادة رسول الله ﷺ حتى مبعثه.

٢- المبعث حتى الهجرة.

٣- الغزوات والسرايا والوفود وحجة الوداع حتى مرضه ووفاته، واتبع الترتيب الحولي اعتبارا من السنة الأولى من الهجرة، ثم ترجمة موجزة للنبي ﷺ وبيان زوجاته، وكتابه، وحرسه، وملابسه... إلخ، ثم ختم الحديث عن سيرة النبي ﷺ بموضوعات من متعلقات السيرة النبوية هي: كتاب الشمائل (٦/ ١١)، ثم كتاب دلائل النبوة (٦/ ٦٥)، ثم تحدث عن الفضائل والخصائص (٦/ ٢٥٧).

والقسم الخامس: كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان.

وقد رتبه على السنين، وابتدأ بالسنة الحادية عشرة من الهجرة (٦/ ٣٠١)، وطريقته في هذا القسم أنه يورد الحوادث والوقائع في كل سنة، ثم يختم ذلك بذكر وفيات المشاهير والأعيان في تلك السنة، ويترجم لأكثرهم، وبعضهم يذكر وفاته فقط، وقد سار على هذا المنهج إلى آخر الكتاب و وقف عند سنة (٧٦٨هـ) أي قبل وفاته بست سنوات.

والقسم السادس: كتاب الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان، وأشراط الساعة، والبعث والنشور، وصفة النار والجنة.

ولم يطبع هذا القسم مع الكتاب، وإنما طبع مستقلا باسم: النهاية في الفتن والملاحم، مع أنه قد نص عليه في مقدمة الكتاب[(١)]، وأعاد ذكره بعد نهاية حديثه عن السيرة النبوية[(٢)]، وإليه الإشارة في اسم الكتاب... والنهاية».

(١) البداية والنهاية» (٦/ ١). لكن في طبعة دار هجر بالقاهرة تحقيق د. عبد الله التركي طبع هذا القسم مع الكتاب.

(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٠٠).

○ **منهجه ومصادره:**

لقد اعتمد الحافظ ابن كثير في كتابه: ما ورد في الكتاب والسنة والآثار والأخبار المقبولة عند العلماء ورثة الأنبياء الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية[١].

قال: «ولسنا نذكر من الإسرائيليات، إلا ما أذن الشرع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط المختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله، وما صح نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه[٢]. هذا منهجه في السيرة النبوية وما قبلها من أخبار الأنبياء، وكذلك في القسم الأخير «الفتن والملاحم» وهو الاعتماد على القرآن الكريم وما ورد في تفسيره مرفوعا أو موقوفا، وما وردت به السنة الصحيحة والحسنة، ويذكر ما فيه ضعف، ولكنه ينبه عليه غالبا، ويتميز منهجه بأنه يسوق الأحاديث والآثار بأسانيدها، ليتضح للقارئ والباحث أمرها، ويقرب عليه نقدها، ولا يذكر من الإسرائيليات إلا النوع المأذون في روايته، وما عداه فلا يذكره إلا على سبيل الإنكار له.

وقد انتقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يستوعب نقل الإسرائيليات من علماء الأمة فقال: «أولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبين ما فيه من حق، مما وافق ما عندنا، وما خالفه فوقع فيه الإنكار».[٣]

فمصادره في القسم الأول هي:

- القرآن الكريم، وكتب التفسير بالمأثور، وأسباب النزول.
- السنة المروية عن النبي ﷺ في الصحاح والسنن والمسانيد، والجوامع.

(١) المصدر السابق (٦/ ١).
(٢) المصدر السابق (٦/ ١).
(٣) المصدر السابق (٦/ ١).

- الآثار المروية عن الصحابة والتابعين.

- الكتب السابقة مثل: التوراة والإنجيل، لكنه ينتقي من تلك الكتب - كما ذكر غير مرة - ما أذن لنا في روايته على لسان رسول الله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(١).

ومن مصادره في قسم السيرة النبوية: كتب المغازي والدلائل، خاصة مغازي ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي.

ونظرا لسعة اطلاعه، وكثرة محفوظه من السنة النبوية فإنه قد استوعب أكثر ما في الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات، وكتب التفسير بالمأثور مما له علاقة بموضوعات السيرة النبوية.

أما مصادره في تاريخ الحوادث والوفيات فهي كتب التواريخ السابقة له، وخاصة كتاب تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ)، والمنتظم ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، وكتاب الكامل لابن الأثير (٦٣٠هـ). واعتمد في العصرين الأيوبي والمملوكي على المؤرخين المعاصرين لهما مثل: كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)، وكتاب الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن أنجب المعروف بابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ)، وكتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، وكتاب قطب الدين اليونيني (ت: ٧٣٦هـ) الذي ذيل به على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وكتاب المقتفى في التاريخ وهو ذيل على تاريخ أبي شامة لعلم الدين القاسم البرزالي (ت: ٧٣٩هـ)(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء (٦/ ٤٩٦ مع فتح الباري).
(٢) انظر: مسعود الرحمن الندوي، «ابن كثير كمؤرخ»، ص (١١٦- ١٢١) و(١٣٦- ١٣٩).

كما أنه استفاد من كتاب تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) خاصة في الوفيات والتراجم، واستفاد في تاريخ الفترة التي عاشها من مشاهداته، ومن مشايخه، ومن الوثائق التي اطلع عليها، وقد كانت له عناية خاصة بأخبار شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ومناظراته وجهاده ومواقفه.

وثقافة ابن كثير الواسعة في العلوم الشرعية، واستقامة عقيدته وفكره ووجهته السنية، واضحة المعالم من خلال كتابه.

وهو نقادة لا مجرد نقال، يتخير النصوص والمواد التاريخية بعناية، ويلخص ويرتب، وينقد الأسانيد والمتون، ويعترض على الأقوال الخاطئة، ويذكر رأيه بكل وضوح، وقد ينساق أحيانا وراء من سبقه من المؤلفين فيذكر ما قالوا مع عدم قناعته بكثير منه"[١].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية» (٢٠٢-٨).

الباب الأول

خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١١ ـ ١٣هـ)

الفصل الأول:
ترجمته

الفصل الأول: ترجمته[١]

○ نسبه:

أبو بكر الصديق اسمه: عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر[٢] القرشي التيمي، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب بن لؤي.

وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم[٣] فهو تيمي الأب والأم.

يكنى والده بأبي قحافة، وكان الصديق يسمى في الجاهلية عتيقا. وذكر الطبري[٤] من طريق ابن لهيعة أن أولاد أبي قحافة ثلاثة هم: عتيق، أبو بكر، ومعتق، و عتيق «مصغرا».

○ صفته:

كان رجلا نحيفا، خفيف اللحم أبيض[٥]، وقالت عائشة في وصفه: رجل أبيض، نحيف، خفيف العارضين، أجنأ «لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتىء الجبهة، عاري الأشاجع، وكان يخضب لحيته بالحناء والكتم[٦]. هذه صفة خلقه، أما خلقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كان كريما، شجاعا، ثابتا، ذا رأي

(١) لم يترجم ابن كثير للصديق وإنما أحال في كتاب البداية والنهاية (١٨ / ٧) على كتاب ألفه في ترجمته وسيرته وأيامه ما روي عن الحديث وما روي عنه من الأحكام، ولم أقف على ذلك الكتاب، فجمعت موجزا في ترجمته من "طبقات ابن سعد"، وتاريخ الطبري، وصحيح البخاري، وهي من مصادر ابن كثير.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣-١٦٩)، و التاريخ الطبري، (٣/ ٤٢٥).

(٣) المصدران السابقان.

(٤) التاريخ الطبري (٤٥/ ٣).

(٥) طبقات ابن سعد (١٨٨-٣).

(٦) المصدر السابق (١٨٨-١)، وقريبا منه ما في الطبري (٣/ ٥٢٤).

سـديد في المواقـف العظام، سـمحا، صبـورا، قوي العزيمـة، فقيها، عالما بالأنسـاب والأخبار، شـديد التوكل على الله والثقة بوعده، ورعا متباعدا عن الشـبهات، زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله، إلفًا مؤلفًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. وسيأتي في فضائله ما يدل على هذه الأخلاق الكريمة.

○ إسلامه:

كان أبو بكر الصديق أول الرجال إسـلاما، وسبقته خديجة، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول الصبيان إسـلاما، وكذا زيد بن حارثة أول الموالي إسلاما، وكان إسلام أبي بكر أعظم منفعة للإسـلام والمسـلمين من إسـلام غيره، لمكانته وجده في الدعوة[1] حيث أسلم بإسـلامه عدد كثير من المشـاهير مثل: عبدالرحمن بن عوف، وسـعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله.

وقد كان يوم أسلم عنده أربعون ألف درهم أنفقها في سبيل الله[2].

وأعتـق عـددا من العبيد المسـتضعفين الذين كانـوا يعذبون في سـبيل الله مثل بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقـد لازم رسـول الله ﷺ في مكة، وكان صاحبه في الغـار، وفي الهجرة، ثم في المدينة، وحضر مشاهده كلها بدرا وأحدا والخندق والفتح وحنين وتبوك.

○ زوجاته وأولاده[3]:

⊙ تـزوج أبوبكـر في الجاهلية قتيلة بنت عبـد العزى بن عبد بن أسـعد؛ فولدت له: عبد الله، وأسماء.

⊙ وتـزوج أم رومان بنت عامر بن عويمر بن ذهل بن دهمان، من كنانة؛ فولدت له: عبد الرحمن، وعائشة.

---

(١) راجع: «البداية والنهاية» (٣/٢٦ - ٣٢).

(٢) طبقات ابن سعد، (٣/ ١٧٢).

(٣) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/١٦٩، ١٧٤)، وتاريخ الطبري، (٣/ ٤٢٦).

- وتـزوج أسـماء بنت عميس بن معد بن تيم الخثعميـة، وكانت قبله عند جعفر بن أبـي طالب؛ فولدت بن أبي بكر: محمد بن أبي بكـر، وكان ذلك في حجة الوداع في ميقات ذي الحليفة.
- وتزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير، من بني الحارث بن الخزرج.

وكان أبـو بكـر قد نزل على خارجة لما قـدم المدينة مهاجرا فتـزوج ابنته، ولم يزل فيهـم بالسـنح(١) حتـى توفي رسـول الله ﷺ وولي الخلافـة؛ فولدت لـه: أم كلثوم بعد وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ ❁ ❁

(١) اسم موضع بعوالي المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج «معجم البلدان» (٣-٢٦٥).

بعض فضائله ومناقبه

فضائل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة وقد روت كتب السنة، وكتب التراجم والتواريخ، الجم الغفير منها، ولكن سأقتصر هنا على ما ذكره الإمام الحافظ أبو عبدالله البخاري في صحيحه من مناقب الصديق في كتاب فضائل الصحابة(١).

○ صاحب رسول الله في الغار، وفي الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

قالت عائشة، وأبوسعيد، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار.

١ - عن البراء بن عازب قال: «اشتري أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلي رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: إرتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ

ثم انطلقت أنظر ما حولي: هل أرى من الطلب أحدا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردناه، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت له: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل

(١) انظر: صحيح البخاري (٤/ ١٨٩-١٩٧)، طبعة استانبول، سنة (١٩٧٩ م).

أنت حالب لنا؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، قال: بلى، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا».

٢- عن أنس عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبابكر باثنين الله ثالثهما!!.

○ أبو بكر أعلم الصحابة:

٣- عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ في الناس وقال: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خيرًا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبوبكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذا خلية غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته».

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ: أن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل: يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبوبكر فكشف عن رسول الله له فقبله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا. ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر. فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[الزمر] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾[آل عمران:١٤٤]. قال: فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت إلا أني قد هيأت كلاما أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبوبكر. ثم تكلم أبوبكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكن الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أباعبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس».

٤- عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: في الرفيق الأعلى «ثلاثا» وقص الحديث. قالت: فما كان من خطبتهما خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى: ﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾».

○ أبو بكر أفضل الصحابة:

٥- عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فتخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٦- وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبوبكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

○ منزلته عند رسول الله:

٧- وعـن ابـن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «لـو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر، ولكن أخي وصاحبي».

٨- وعن عبدالله بن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد[1] فقال: أما الذي قال فيه رسـول الله ﷺ: "لو كنت متخـذا من هذه الأمة خليلا لاتخذته" أنزله أبا. يعني أبابكر.

٩- عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر».

١٠- عـن محمـد بن جبير بـن معطم عن أبيه قـال: أتت امرأة النبـي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول: الموت - قال ﷺ: «إن لم تجديني فأتى أبابكر».

١١- عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبوبكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى ركبته، فقال النبي ﷺ: "أما صاحبكم فقد غامر، فسـلم وقال: يا رسـول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شـيء، فأسـرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى على، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر؟ "ثلاثا"، ثم إن عمر ندم، فأتـى منزل أبي بكر فسـأل: أثم أبـو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى النبـي، فجعل وجه النبي ﷺ أنه يتمعر، حتى أشـفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسـول الله، والله أنا كنت أظلم "مرتيـن"، فقـال النبـي ﷺ: إن الله بعثني إليكـم، فقلتم: كذبت، وقـال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ «مرتين»، فما أوذي بعدها».

○ قدم إسلامه وملازمته رسول الله:

١٢- عن وبرة بن عبد الرحمن عن همام قال سمعت عمارا يقول: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر».

---

(١) يعني ميراثه.

❍ أحب الناس إلى رسول الله:

١٣- عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعد رجالا».

❍ قوة إيمان أبي بكر وصدقه:

١٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله، قال النبي ﷺ: «فإني أو من بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

١٥- عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله: إنك لست تصنع ذلك خيلاء».

❍ همة الصديق العالية:

١٦- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».

○ بركة الصديق وآل بيته:

١٧- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء – أو بذات الجيش – انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبا بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ بالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فجاء أبوبكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني و قال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ [النساء: ٤٣]، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته».

○ تبشيره بالجنة:

١٨- عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ها هنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ، فجاء أبوبكر فدفع الباب، فقلت من هذا؟ فقال: أبوبكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه.... الحديث.

١٩- عن قتادة أن أنس بن مالك رضي الله حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإن عليك نبي وصديق وشهيدان».

○ مدافعته عن رسول الله:

٢٠- عن عروة بن الزبير قال: سألت عبدالله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه بها خنقا شديدا، فجاء أبوبكر حتى دفعه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٢٨].

○ أعماله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

كان الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول الرجال إسلاما، ثم لازم رسول الله ﷺ طيلة حياته في مكة والمدينة فهو صاحبه و مستشاره ووزيره، وقد أسلم على يد الصديق عدد من كبار الصحابة أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله(١).

ووقف إلى جانب رسول الله في كل موقف، ودافع عنه بنفسه وأعتق عددا من العبيد الذين كانوا يعذبون على إسلامهم، مثل: بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني مؤمل(٢).

وصحب رسول الله في الهجرة، وحضر كافة المشاهد معه: بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، والفتح، وحنين، وتبوك وغيرها من المشاهد العظام.

وبعد توليه الخلافة تحمل كامل مسؤوليات الدولة الإسلامية والخلافة بعد رسول الله ﷺ فكان أبرز أعماله:

١- الأمر بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه.

٢ - تنفيذ جيش أسامة الذي جهزه رسول الله ﷺ قبل وفاته كما سيأتي تفصيله.

٣- جمع الصحابة على رأي واحد في مواجهة الردة، والاستعداد لذلك بكل الوسائل، ثم إرسال الجيوش لقتال المرتدين في عقر دارهم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣١٧).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٩٣).

٤- جمع القرآن الكريم:

قال ابن كثير[١]: وفي سنة (١٢هـ) أمر الصديق زيد بن ثابت، أن يجمع القرآن من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، وذلك بعدما استحر القتل في القراء يوم اليمامة، كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري. قال البخاري: باب جمع القرآن ثم ساق إسناده إلى ابن شهاب عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أرسل إلى أبوبكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[٢].

ثم قال البخاري: قال ابن شهاب، وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ

(١) البداية والنهاية (٦/٣٥٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث ٤٩٨٦.

يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (آية ٢٣) فألحقناها في سورتها في المصحف[١].

هـ- بعث الجيوش لنشر دين الله إلى من يليهم من أهل فارس والشام تنفيذا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣] كما سيأتي تفصيله في الفصل الرابع.

○ قضاته وكتابه وعماله على الصدقات:

لما استخلف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان رجلا يكسب من تجارته ذهب إلى السوق كما كان يفعل قبل الخلافة، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة فقالا له: إن هذا أمر لا يصلح وقد تحملت ما تحملت، فقال الصديق: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نفرض لك شيئا فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن، وقال عمر: إلي القضاء. وقال أبو عبيدة: وإلي الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي علي الشهر ما يختصم إلي فيه اثنان[٢].

وكان يكتب له زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، ويكتب له من حضر.

وكان عامله على مكة: عتاب بن أسيد، وعلى الطائف: عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء: المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت: زياد بن لبيد، وعلى خولان: يعلى بن أمية، وعلى زبيد ورمع[٣]: أبو موسى الأشعري، وعلى الجند[٤]: معاذ بن جبل، وعلى البحرين: العلاء بن الحضرمي، وبعث جرير بن عبدالله البجلي إلى نجران، وبعث

---

(١) المصدر نفسه ح رقم ٤٩٨٨. قال ابن حجر في الفتح ١٢/ ٩، وأبو خزيمة الأنصاري المذكور في الحديث الأول هو غير خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٣/ ١٨٤) بإسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وذكر روايات أخرى تشهد له. وقول عمر: إلى القضاء، وأبو عبيدة: إلي الفيء، له شاهد، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى» (١/ ٨٧). وقال الحافظ في "الفتح" (١٢٩/ ١٣) سنده قوي. ومعنى ماكسوه أي فاوضوه.

(٣) رمع: بكسر أوله وفتح ثانيه اسم، واد في اليمن بجوار وادي زبيد، و في أسفل ومع موضع الماء الذي كان يسمي غسان. معجم البلدان» (٣/ ٦٨).

(٤) الجند: بالتحريك، هو أحد مخاليف اليمن وكان مقر الوالي به. معجم البلدان (١٦٩/ ٢).

عبدالله بن ثور أحد بني الغوث إلى ناحية جرش[١]، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل، وكان بالشام أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص كل رجل منهم على جند، وعليهم خالد بن الوليد[٢].

ولم يتخذ بيت مال مستقل وإنما كان حجرة في منزله بالسنح، ولما قال له الصحابة، ألا تتخذ حارسا؟ قال: لا يخاف عليه إن عليه قفلا. ثم لما انتقل إلى داره التي بجوار المسجد النبوي نقل بيت المال معه، ولما توفي جاء عمر بالأمناء ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا[٣].

○ وفاته وعمره:

قال الحافظ ابن كثير[٤]: «كانت وفاة الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في يوم الإثنين عشية، وقيل: بعد المغرب ليلة الثلاثاء، ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، بعد أن مرض خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا[٥].

فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر[٦]، وكان عمره يوم توفي ثلاثا وستين سنة[٧]، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في الثرية، كما جمع بينهما في الحياة فرَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه». اهـ.

(١) جرش: بضم أوله وفتح ثانيه، من مخاليف اليمن من جهة مكة وكانت مليئة عظيمة وولاية واسعة. معجم البلدان (٢/١٢٦).
(٢) انظر: تاريخ الطبري» (٣/٤٢٩) وما بعدها.
(٣) طبقات ابن سعد، (٣/٢٠٣).
(٤) «البداية والنهاية» (٧/١٨).
(٥) طبقات ابن سعد، (٣/٢٠٢)، وتاريخ الطبري (٣/ ٤٢٠).
(٦) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/٢٠٢)، وتاريخ الطبري (٣/ ٣٢٠)، وقد زاد في مدة خلافته عشر ليال، وكان ابن كثير حذف الليالي. وقد ذكر ابن سعد أقوالا أخرى.
(٧) قال ابن سعد: وهو مجمع عليه (٣/٢٠٢).

وقد أوصى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخمس ماله وقال: آخذ من مالي ما أخذه الله من فيء المسلمين[١].

ولما اشتد به المرض قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني فقال: إني فعال لما أريد[٢].

وكان سبب مرضه ووفاته، أنه أكل هو والحارث - الطبيب المشهور - من خزيرة[٣] أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة فرفع يده، ولم يزالا عليلين حتى ماتا بعد سنة[٤].

وقيل: اغتسل في يوم بارد فأصابته حمى مات منها.

وكان في مرضه يتمثل بهذا البيت:

لا تزال تنعي حبيبا حتى تكونه ... وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه[٥]

وفي نزع الموت قالت ابنته عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا متمثلة بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان وقال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾[٦] (سورة ق).

وقال في وصيته لعائشة: إني لا أعلم عند أبي بكر من هذا المال شيئا غير هذه اللقحة، وغير هذا الغلام الصيقل، كان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا، فإذا مت فادفعيه إلى عمر فلما دفعته إلى عمر قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده[٧].

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩٤).
(٢) المصدر السابق (٣/ ١٩٨).
(٣) هي اللحم الغاب، الذي مضى عليه يوم، يخلط مع الدقيق بعد أن يمات طبخا اللسان (٤/ ٢٣٧).
(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٩٨).
(٥) المصدر نفسه (٣/ ١٩٨).
(٦) المصدر نفسه (٣/ ١٩٦).
(٧) المصدر نفسه (٣/ ١٩٢) بإسناد صحيح.

ودخل عليه سلمان الفارسي فقال: «يا خليفة رسول الله: اعهد إلي فإني لا أراك تعهد إلي بعد يومي هذا، قال: أجل. يا سلمان: إنها ستكون فتوح فلا أعرفن ما كان من حظك منها ما جعلت في بطنك أو ألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبك الله على وجهك في النار»(١).

وذكر ابن سعد بإسناده عن القاسم بن محمد قال: كفن أبوبكر في ريطتين، ريطة بيضاء، وريطة ممطرة، وقال: الحي أحوج إلى الكسوة من الميت، إنما هو لما يخرج من أنفه وفيه(٢).

ودفن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ في الحجرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وكان قد أمره النبي ﷺ على الحج سنة تسع من الهجرة وكانت أول حجة في الإسلام، ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع، ولما استخلف أبوبكر استعمل عمر على الحج سنة أحد عشر ثم حج من قابل(٣).

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (٣/ ١٩٣) بإسناد لا بأس به.
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٢٠٤) بإسناد صحيح، وذكر روايات أخرى حول ذلك.
(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٧٧).

الفصل الثاني

استخلافه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

خطبة رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام[١]

خطب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في يوم الخميس قبل أن يقبض عَلَيْهِ السَّلَامُ بخمسة أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم، ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عَلَيْهِ السَّلَامُ بين يدي هذه الخطبة الكريمة ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم.

فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم. ثم قال: يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون، والأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم». ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أيها الناس إن عبدا من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله، ففهمها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بين الناس فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبابكر؟ انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر فإني لا أعلم أحدا عندي أفضل في الصحبة[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا فليح عن سالم أبي النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله الناس فقال: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله قال: فبكى أبوبكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخير وكان أبوبكر أعلمنا به.

---

(١) البداية والنهاية (٢٢٨/ ٥ - ٢٣٠) طبعة دار الفكر.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٧٧/ ٧) من حديث يونس بن بكير عن أبي إسحاق عن أيوب بن بشير، وقال عقبة: وهذا وإن كان مرسلا ففيه ما في حديث ابن عباس من تاريخ هذه الخطبة وأنها كانت بعدما اغتسل، ليعهد إلى الناس، وينعي نفسه إليهم، وقال ابن كثير (٢٢٩/ ٥): هذا مرسل وله شواهد كثيرة.

فقــال رســول الله: إن من أمن الناس علي في صحبته ومالــه أبوبكر، لو كنت متخذا خليــلا غيــر ربــي لاتخذت أبابكــر خليلا، ولكــن خلة الإســلام ومودتــه، لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[١]، وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العقدي به[٢].

وقد رواه البخاري أيضا من حديث عبدالرحمن بن سـليمان بن حنظلة بن الغسيل عن عكرمة عن ابن عباس: أن رســول الله خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأســه بعصابة دســماء ملتحفــا بملحفة على منكبيه فجلس على المنــبر فذكر الخطبة، وذكر فيهــا الوصاة بالأنصــار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رســول الله ﷺ حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣].

ذكــر أمــره عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا بكــر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يصلــي بالصحابــة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عَلَيْهِ السَّلَامُ فصلى وراءه مقتديا به في بعض الصلوات[٤].

قــال الإمــام أحمد: حدثنا يعقــوب ثنا أبي عن ابن إســحاق قال: وقال ابن شــهاب الزهري: حدثني عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشــام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأســود بن المطلب بن أســد قال: لما استعز[٥] برسول الله وأنا عنــده في نفر من المســلمين، دعــا بلالا للصلاة، فقــال: مروا من يصلــي بالناس، قال: فخرجــت فإذا عمر في الناس، وكان أبوبكر غائبا فقلت: قم يا عمر فصل بالناس، قال: فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله: فأيــن أبوبكــر؟ يأبى الله ذلــك والمســلمون، يأبى الله ذلك والمســلمون. قــال: فبعث

(١) مسند أحمد (١٨/ ٣).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب: سد الأبواب... (٧- ١٢ من فتح الباري).
(٣) صحيح البخارى، كتاب المناقب، ٦-٦٢٨باب علامات النبوة (٦- ٦٢٨من فتح الباري).
(٤) البداية والنهاية (٢٣١/ ٥ - ٢٣٦).
(٥) استعز: أي غلبه المرض حتى عجز عن القيام.

إلى أبي بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلي بالناس. وقال: عبدالله بن زمعة. قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت يابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرني بذلك، ولولا ذلك ما صليت. قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة[١]. وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق حدثني الزهري[٢]. ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن عبدالله بن زمعة فذكره[٣].

وقال أبوداود: حدثنا أحمد بن صالح ثنا ابن أبي فديك حدثني موسى ابن يعقوب عن عبدالرحمن بن إسحاق عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبدالله بن زمعة أخبره بهذا الخبر. قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر، قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال: لا، لا، لا، يصلي للناس ابن أبي قحافة، يقول ذلك مغضبا[٤].

وقال البخاري: ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم. قال الأسود كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها. قالت: لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: إنكن صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصل بالناس. فخرج أبوبكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبوبكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي و أن مكانك. ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه.

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٢٢)، وهو في سيرة ابن هشام ٣٠٣/ ٤.
(٢) أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب: في استخلاف أبي بكر (٤٧/ ٥) حديث رقم (٤٦٦٠).
(٣) السيرة النبوية، (٢-٦٥٢).
(٤) السنن» (٤٨/ ٥) حديث رقم (٤٦٦١).

قيل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي وأبوبكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر. فقال برأسه: نعم[(١)].

وفي الصحيحين من حديث عبدالملك بن عمير عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه، قال: مرض رسول الله ﷺ فقال: «مروا أبابكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقم مقامك لا يستطيع يصلي بالناس. قال: فقال: مروا أبا بكر يصل بالناس فإنكن صواحب يوسف» قال: فصلى أبوبكر حياة الرسول ﷺ[(٢)].

وقال الإمام أحمد: ثنا عبدالرحمن بن مهدي أنبأنا زائدة عن موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبدالله، قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ فقالت: بلى، أثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: صبوا لي ماء في المخضب[(٣)]، ففعلنا، قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: أصلي الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء فأرسل رسول الله إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، وكان أبوبكر رجلا رقيقا. فقال: يا عمر صل بالناس، فقال: أنت أحق بذلك، فصلى بهم تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه فجعل أبوبكر يصلي قائما و رسول الله قاعدا، قال عبيدالله: فدخلت على ابن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (١٦١/ ١)، طبعة تركيا.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (١٦٤/ ٢ من فتح الباري)، وصحيح مسلم برقم (١٠١) من كتاب الصلاة (٣١٦/ ١).
(٣) المخضب: الإناء الذي يغتسل فيه.

رسـول الله، قال: هات، فحدثته فما أنكر منه شـيئا غير أنه قال: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي[(١)].

قال البخاري في صحيحه: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شـعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالـك - وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبـه - أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجـرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، تبسـم يضحك، فهممنا أن نفتتن مـن الفرح برؤية النبـي ﷺ، ونكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا ﷺ: أن أتموا صلاتكم وأرخي الستر، فتوفي من يومه[(٢)]».

ثم قال البخاري: ثنا أبو معمر ثنا عبدالوارث ثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك، قال: لـم يخرج النبي ﷺ: ثلاثـا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال: نبي الله عليكم بالحجـاب فرفعـه، فلما وضح وجه النبي ﷺ ما رأينا منظـرا كان أعجب إلينا من وجه النبـي ﷺ حيـن وضح لنا. فأوما النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجـاب فلـم يقدر عليه حتى مات ﷺ[(٣)]، ورواه مسـلم[(٤)] من حديث عبد الصمد بن عبدالوارث عن أبيه به.

فهـذا أوضح دليل على أنـه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يصل يوم الاثنين صـلاة الصبح مع الناس، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثا، فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر من يوم الخميس، كما جاء مصرحًا به في حديث عائشـة المتقدم، لا يوم السبت،

(١) مسـند أحمـد (٢٢٩/ ٢١) مـن «الفتـح الرباني»، وانظر: صحيح مسـلم برقم (٩٠) مـن كتاب الصلاة (١/٣١١)، وصحيح البخاري، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (١/١٦١)، طبعة تركيا.

(٢) صحيـح البخاري، كتـاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة حديث رقم (٦٨٠) كما أخرج في مواضع أخرى.

(٣) صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة حديث رقم (٦٨١).

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٠) من كتاب الصلاة (١/ ٣١٥).

ولا يـوم الأحـد، كما حكاه البيهقي عن مغازى موسـى بن عقبة وهـو ضعيف[١]، ولما قدمنا من خطبته بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة والسـبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل. فيكون مجموع ما صلى بهم أبوبكر قبل وفاة النبي ﷺ تسع عشرة صلاة.

وقال الزهري عن أبي بكر بن أبي سـبرة[٢] أن أبابكر صلى بهم سـبع عشـرة صلاة. وقـال غيره: عشـرين صلاة فالله أعلـم، ثم بدا لهـم وجهه الكريم صبيحـة يوم الإثنين فودعهـم بنظـرة كادوا يفتنون بها، ثم كان ذلك آخر عهـد جمهورهم به، والمقصود أن رسـول الله قـدم أبا بكـر الصديق إماما للصحابـة كلهم في الصلاة التي هـي أكبر أركان الإسلام العملية.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: «وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة أقرؤهم، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سـواء فأعلمهم بالسـنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سنا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مسلما»[٣].

قال ابن كثير: وهذا من كلام الأشـعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعـض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايـات الصحيحة لا ينافي ما روي في الصحيح أن أبا بكر ائتم به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٤] لأن ذلك في صلاة أخرى كما نص على ذلك الشـافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) انظر: دلائل النبوة (٧/ ١٩٣).
(٢) أبو بكر بن أبي سبرة متروك.
(٣) انظر: رسـالة الإبانة ص (٦٧) فقد ذكر نحو هذا الكلام. والحديث أخرجه مسـلم و في صحيحه، كتاب المسـاجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم (٦٧٢)، وله شاهد في صحيح البخاري من حديث مالك بن الحويرث، كتاب الأذان، باب إذا اسـتووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم (٢/ ١٧٠ من فتح الباري).
(٤) انظر ما تقدم قريبا ص (٤٤).

○ شبهة وردها[١]:

قال البخاري: ثنا قتيبة ثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد ابن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه.

فقال: أئتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا – ولا ينبغي عند نبي تنازع – فقالوا: ما شأنه يهجر استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها[٢]»، ورواه البخاري في موضع آخر، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة[٣]، وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به[٤].

وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمتشابه، وترك المحكم، وأهل السنة يأخذون بالمحكم، ويردون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وهذا الموضع مما ترك فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، فإنه قد قال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل ثنا نافع يعني ابن عمر ثنا ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه قال: «ادعو لي أبا بكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٢٧ – ٢٢٨).

(٢) صحيح البخارى، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته (٨/ ١٣٢ من الفتح).

(٣) صحيح البخارى، كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد (٦/ ١٧٠ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الوصية حديث رقم (١٦٣٧).

(٤) انظر: صحيح البخارى، كتاب العلم، باب كتابة العلم (١/ ٢٠٨ من الفتح)، وكتاب المغازي، باب مرض رسول الله (٨/ ١٣٢ من الفتح).

طامع، ولا يتمناه متمن. ثم قال: يأبى الله ذلك والمؤمنون» مرتين. قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون «إلا أن يكون أبي، فكان أبي» انفرد به أحمد من هذا الوجه[(١)].

وروى البخاري عن يحيى بن يحيى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنون، فقال: يأبى الله - أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»[(٢)].

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول: الموت - قال: «إن لم تجديني فأتي أبابكر»[(٣)]. والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه.

○ وفاة رسول الله ﷺ وأثر ذلك على المؤمنين[(٤)]:

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز ثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبوعمران الجوني عن يزيد بن بابنوس. قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب، فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العراك؟ قالت: وما العراك؟ فضربت منكب صاحبي، قالت: مه، أذيت أخاك. ثم قالت: ما العراك؟

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل (٥/ ٢٢٨) واستدرك من مسند أحمد (٦/ ١٠٦) » وأخرجه من وجه آخر (٦/ ٤٧).

(٢) صحيح البخارى، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر (٧/ ١٧ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/ ٢٠٥ من الفتح)، وهو في مسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة به نحوه برقم (٢٣٨٧).

(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٤١ - ٢٤٢).

المحيض! قولوا ما قال الله في المحيض. ثم قالت: كان رسول الله يتوشحني وينال من رأسي وبيني وبينه ثوب وأنا حائض، ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مر ببابى مما يلقي الكلمة ينفعني الله بها، فمر ذات يوم فلم يقل شيئا، ثم مر فلم يقل شيئا، مرتين أو ثلاثا، فقلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب، وعصبت رأسي فمر بي. فقال: يا عائشة ما شأنك؟ فقلت: أشتكي رأسي. فقال: أنا وار أساه، فذهب فلم يلبث إلا يسيرا حتى جيء به محمولا في كساء فدخل علي وبعث إلى النساء فقال: إني قد اشتكيت وإني لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لي فلأكن عند عائشة، فكنت أمرضه ولم أمرض أحدا قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة فوقعت على نقرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أن غشي عليه، فسجيته ثوبا. فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا، فأذنت لهما، وجذبت إلى الحجاب فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ ثم قام، فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ، فقال: كذبت، بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر، فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه، فحدر فاه فقبل جبهته، ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته، وقال: واخليلاه، مات رسول الله، وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى ينفي الله المنافقين.

فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر] حتى فرغ من الآية، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران:١٤٤] حتى فرغ من الآية ثم قال: فمن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات. فقال عمر: أو أنها في كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله، ثم قال عمر: يا أيها الناس

هذا أبو بكر، وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعوه»[١]، وقد روى أبو داود، والترمذي في الشمائل من حديث مرحوم ابن عبدالعزيز العطار عن أبي عمران الجوني به ببعضه[٢].

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبوعبدالله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته: أن أبابكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله، ثم بكى. ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها[٣].

قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس. فقال: اجلس يا عمر فأبي عمر أن يجلس، فقال: اجلس يا عمر فأبي عمر أن يجلس. فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤]. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها[٤].

---

(١) انظر: «الفتح الرباني» (٢٢٣/ ٢١).

(٢) «سنن أبي داود» برقم (٣١٣٧) (٦٠٢/ ٢) بإسناده عن مرحوم العطار عن أبي عمران الجوني به مختصرا، و"مختصر الشمائل المحمدية" للترمذي ص (١٩٦) حديث رقم (٣٢٨) ببعضه، وقال الشيخ الألباني: "حديث حسن". وانظر: "الطبقات الكبرى" (٢/ ٢٦٧).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من طريق يحيى بن بكير به (٨/ ١٤٥ من الفتح) حديث رقم ٤٤٥٢. وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢١٥/ ٧).

(٤) صحيح البخاري (٨/ ١٤٥ من الفتح) حديث رقم ٤٤٥٤. وانظر: دلائل النبوة الللبيهقي (٢١٦/ ٧).

○ **تنبيه**[١]:

ذكر الواقدي عن شيوخه قالوا: ولما شك في موت النبي ﷺ فقال بعضهم: مات، وقال بعضهم: لم يمت، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول ﷺ. فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان هذا الذي عرف به موته، هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه «دلائل النبوة»[٢] من طريق الواقدي، وهو ضعيف، وشيوخه لم يسمون، ثم هو منقطع بكل حال، ومخالف لما صح، وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم.

وقد ذكر الواقدي و غيره في الوفاة أخبارا كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة أضربنا عن أكثرها صفحا لضعف أسانيدها ونكارة متونها ولاسيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده.

○ **ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته وقبل دفنه»**[٣]:

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما مات كان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ: إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع، وكشف ستر الحجرة، ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبوبكر أن يتأخر ليصل الصيف، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة، وكان آخر العهد به عَلَيْهِ السَّلَامُ. فلما انصرف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصلاة دخل عليه، وقال لعائشة: ما أرى رسول الله ﷺ إلا أقلع

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٤٣).
(٢) انظر: (٧/ ٢١٩).
(٣) البداية والنهاية، (٥/ ٢٤٤).

عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة، يعني إحدى زوجتيه وكانت ساكنة بالسنح شرقي المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم، فمن قائل يقول: مات رسول الله ﷺ، ومن قائل يقول: لم يمت، فذهب سالم بن عبيد[١] وراء الصديق إلى السنح فأعلمه بموت رسول الله ﷺ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ في منزله، وكشف الغطاء عن وجهه وقبله وتحقق أنه قد مات، وخرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبين لهم وفاة رسول الله ﷺ كما قدمنا، وأزاح الجدل، وأزال الإشكال، ورجع الناس كلهم إليه.

○ مسألة مهمة:

وقعت شبهة لبعض الأنصار، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار، وتوسط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار، حتى بين لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبينه وننبه عليه.

○ قصة سقيفة بني ساعدة وحديث عمر الصحيح في بيانها[٢]:

قال الإمام أحمد: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ثنا مالك بن أنس حدثني ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عبدالرحمن بن عوف رجع إلى رحله. قال ابن عباس: وكنت أقرىء عبدالرحمن بن عوف فوجدني وأنا أنتظره - وذلك بمنى في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب فقال عبدالرحمن بن عوف: إن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلانا يقول لو قد مات عمر بايعت فلانا،

(١) سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفة. انظر ترجمته في الإصابة (١٠/ ٣).
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٤٥ - ٢٤٧).

فقال عمر: إني قائم العشية إن شاء الله في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم. قال عبدالرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وأنهم يغلبون على مجلسك إن قمت في الناس، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك، فلا يعوها ولا يضعوها مواضعها، ولكن حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكنا، فيعون مقالتك، ويضعوها مواضعها، قال عمر: لئن قدمت المدينة صالحا لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه، فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، وكان يوم الجمعة عجلت الرواح صكة الأعمى - قلت لمالك: وما صكة الأعمى؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج، لا يعرف الحر والبرد أو نحو هذا - فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني فجلست حذاءه تحك ركبتي ركبته فلم أنشب أن طلع عمر، فلما رأيته قلت: ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله. قال: فأنكر سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإني قائل مقالة وقد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن وعاها وعقلها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن لم يعها فلا أحل له أن يكذب علي، إن الله بعث محمدا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ. فالرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحبل[(١)] أو الاعتراف، ألا وإنا قد كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا وإن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم، فإنما أنا عبدالله فقولوا: عبدالله ورسوله».

(١) الحبل، بفتح المهملة والموحدة، أي: حبلي من الزنا، وفي رواية معمر: الحمل فتح الباري (١٤٨/ ١٢).

وقد بلغني أن قائلا منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلانا، فلا يغتر امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت. ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وأنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلفت عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلي أبي بكر، فقلت له: يا أبابكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل. فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثني على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا وقد دفت دافة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحضنوننا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد كنت زورت مقالة أعجبتني، أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، وهو كان أحلم مني وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، وكان أعلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل، حتى سكت. فقال: أما بعد، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى أثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحك، وعذيقها المرجب، منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش. فقلت لمالك: ما يعني أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب؟ قال:

كأنـه يقول: أنا داهيتها، قال: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشـينا الاختلاف، فقلـت: ابسـط يدك يا أبكر، فبسـط يده فبايعتـه، وبايعه المهاجرون ثـم بايعه الأنصار، ونزونـا على سـعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سـعدا، فقلت: قتل الله سـعدا. قال عمـر: أمـا والله ما وجدنا فيمـا حضرنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر شـيئا إن فارقنا القـوم ولم تكن بيعـه أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهـم على ما لا ترضى، وإما أن نخالفهم فيكون فسـاد، فمن بايع أميرا عن غير مشـورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه، تغرة أن يقتلا».

قال مالك: فأخبرني ابن شـهاب عـن عروة: أن الرجلين اللذيـن القياهما: عويم بن مساعدة، ومعن بن عدي. قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب أن الذي قال: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب هو الحباب بن المنذر[١] وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم[٢] من طرق عن مالك وغيره عن الزهري به.

وقـال الإمـام أحمـد: حدثنـا معاويـة عن عمـرو ثنـا زائدة ثنـا عاصـم ح وحدثني حسـين بن علي عن زائـدة عن عاصم عن زر عن عبدالله – هو ابن مسـعود – قال: لما قبض رسـول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشـر الأنصار ألسـتم تعلمون أن رسـول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يـؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر[٣]. ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وهناد بن السري عن حسين بن علي الجعفي عن زائدة به[٤].

(١) المسند (٣٢٣/ ١) تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) انظـر: صحيـح البخارى، كتاب الحدود، باب رجم الحبلي في الزنا إذا أحصنت. من حديث ابن عباس، حديـث رقم ٦٨٣٠، وانظر: فتح الباري (١٤٤/ ١٢)، و مسـلم، كتاب الحدود، حديث رقم (١٦٩١) مختصرا، و "السـنن الكبرى" للنسـائي، كتاب الرجم، باب رقم (٤) حديث رقم (٧١٥٣ حتى ١٧٦٠ /٤) (٢٧٣-٢٧٥).

(٣) المسند (٢١٣/ ١) تحقيق: أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح.

(٤) «السنن الكبرى»، كتاب الإمامة والجماعة، باب رقم (١) حديث رقم (٨٥٣) (٢٧٩/ ١).

وقد روي عن عمر بن الخطاب من طريق محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمر أنه قال: قلت: يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، أبوبكر السباق المسن، ثم أخذت بيده و بدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتتابع الناس[(١)]».

وقد روى محمد بن سعد[(٢)] عن القاسم بن محمد فذكر نحوا من هذه القصة، وسمى هذا الرجل الذي بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب. فقال: هو بشير بن سعد والد النعمان.

اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة[(٣)]:

قال الإمام أحمد: ثنا عفان حدثنا أبوعوانة عن داود بن عبدالله الأودي عن حميد بن عبدالرحمن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طائفة من المدينة. قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبله، وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث. فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبوبكر فلم يترك شيئا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شانهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال - وأنت قاعد -: «قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم، فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[(٤)].

(١) راجع: سيرة ابن هشام، (٤١٢/ ٤).

(٢) الطبقات الكبرى، (٣/ ١٨٢) لكنه مرسل.

(٣) البداية والنهاية (٥٤٧-٥).

(٤) انظر: الفتح الرباني، (٦٢/ ٢٣) وهو مرسل حسن كما قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (١/ ٥٣٦)، وصححه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة، برقم (١١٥٦).

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عياش ثنا الوليد بن مسلم أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي عضوان العنسي، عن عبدالملك بن عمير اللخمي، عن رافع الطائي - رفيق أبي بكر الصديق في غزوة السلاسـل - قال: وسألته عما قيل من بيعتهم. فقال، وهو يحدثه عما تناولـت بـه الأنصار وما كلمهم به وكلم به عمر بـن الخطاب الأنصار، وذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسـول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة»[١]. وهذا إسناد جيد قوي.

ومعنـى هـذا أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما قبـل الإمامة تخوفـا أن تقع فتنة أربي مـن تركه قبولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضـاه. وكان هذا في بقية يوم الاثنين، فلمـا كان الغد صبيحة الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ تسليما.

○ بيعة الصديق في المسجد[٢]:

قال البخاري: أنبأنا إبراهيم بن موسـى، ثنا هشـام، عن معمر، عن الزهري، أخبرني أنـس بن مالك أنه سـمع خطبـة عمر الآخرة حيـن جلس على المنبـر، وذلك الغد من يوم توفي رسـول الله ﷺ فتشـهد وأبوبكر صامت لا يتكلم، قـال: كنت أرجو أن يعيش رسـول الله ﷺ حتـى يدبرنا - يريد بذلـك أن يكون آخرهم - فإن يـك محمد قد مات فـإن الله قـد جعل بين أظهركم نـورا تهتدون به بمـا هدى الله محمـدا ﷺ، وإن أبا بكر صاحـب رسـول الله ﷺ وثاني اثنين، وأنه أولى المسـلمين بأموركـم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سـقيفة بني سـاعدة، وكانت بيعة العامة على المنـبر، قـال الزهري عـن أنس بن مالك: سـمعت عمر يقوله يومئذ لأبـي بكر: اصعد المنبر! فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة[٣]».

(١) «المسند (٨/ ١) برقم (٤٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٤٨).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٢٠٦/ ١٣ من فتح الباري) حديث رقم ٧٢١٩.

○ خطبة أبي بكر[١]:

قال محمد بن إسحاق: حدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبوبكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فبايع الناس أبابكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[٢]، وهذا إسناد صحيح.

وقوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وليت عليكم ولست بخيركم، من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

○ بيعة الزبير وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٣]:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الإسفراييني، حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وإبراهيم بن أبي طالب، قالا: حدثنا بندار بن بشار[٤]، حدثنا أبوهشام المخزومي، حدثنا وهيب، حدثنا داود بن أبي هند، حدثنا أبونضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبوبكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله كان من المهاجرين وخليفته من

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤٨).
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/ ٤١٣ - ٤١٤) تحقيق: همام سعيد ومحمد أبو صعيليك.
(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤٨) و(٦/٣٠٢).
(٤) وقع في الأصل (٥ /٢٤٨) تصحيف في الأسماء، وجرى إصلاحه من "سنن البيهقي".

المهاجرين، ونحن أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبوبكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه. هذا أو معناه.

وقال: أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج، فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه، فقال: هذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة؟! بل هو يسوى بدرة[1]!

○ فائدة جليلة[2]:

وفي هذا الخبر فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة، ولكن لما حصل من فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم

(١) السنن الكبرى، (٨/ ١٤٣)، كتاب قتال أهل البغي، باب الأئمة من قريش. وانظر: «تاريخ دمشق» (٩/ ٩٦٩). وقد جاءت العبارة عند ابن كثير (٥/ ٢٤٩) هكذا: وهذا حديث يسوى بدنة بل يسوى بدرة»، وجرى تصحيحه حسب الرواية في سنن البيهقي، والبدنة الواحدة من الإبل، والبدرة إناء تحفظ به النقود من الذهب والفضة.

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٤٩).

تعلم بما أخبر به الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال: لا نورث ما تركنا فهو صدقة، فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك، فلم يجبها إلى ذلك، لأنه رأى أن حقا عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ وهو الصادق، البار، الراشد، التابع للحق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحصل لها وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت، واحتاج على أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ. ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، حدثني أبي، قال: ثم خطب أبوبكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة، ولا سألتها في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي. إسناد جيد ولله الحمد والمنة.

❁ ❁ ❁

إجماع الصحابة على اختيار الصديق وبيعته بالخلافة من غير نص

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبـي بكـر، وظهر برهان قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يأبـى الله والمؤمنون إلا أبا بكـر». وظهر له أن رسـول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد مـن الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السـنة ولا لعلي كما يقوله طائفة من الرافضة، ولكن أشـار إشـارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق.

الأدلة على أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا بعينه(١):

١- ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر: أن عمر بن الخطـاب لمـا طعن قيل له ألا تسـتخلف يـا أمير المؤمنيـن؟ فقال: إن أسـتخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله - قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف(٢).

٢- وقـال سـفيان الثوري، عن الأسـود بن قيس، عـن عمرو بن سـفيان. قال: لما ظهر علي على الناس يوم الجمل قال: يا أيها الناس إن رسـول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شـيئا، حتى رأينا من الرأي أن نسـتخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسـبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يسـتخلف عمر، فأقام، واسـتقام، حتى مضى لسبيله - أو قال: حتى ضرب الدين بجرانه - إلى آخره(٣).

٣- وقـال الحافظ البيهقـي، أنبأنا أبو عبدالله الحافظ، أنبأنـا أبو بكر محمد بن أحمد المزكي بمرو، ثنا عبدالله بن روح المدائني، ثنا شـبابة بن سـوار، ثنا شعيب بن ميمون، عن حصين بن عبد الرحمن، عن الشـعبي، عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب،

---

(١) ذكر هذه الأدلة الحافظ البيهقي في دلائل النبوة» (٧/ ٢٢١ - ٢٣٠). وانظر: البداية (٥/ ٢٥٠)

(٢) صحيـح البخـاري، كتاب الأحكام، باب الاسـتخلاف (٢٠٥/ ١٣ من الفتح)، ومسـلم كتاب الإمارة، باب الاستخلاف (٣/ ١٤٥٤).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٢٢٣).

ألا نستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[(١)]. إسناد جيد ولم يخرجوه.

٤- ما ذكره البخاري من حديث الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس: أن عباسا وعليا لما خرجا من عند رسول الله ﷺ فقال رجل: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: علي: أصبح بحمد الله بارئا. فقال العباس: إنك والله عبد العصا بعد ثلاث، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت، فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا. فقال علي: إني لا أسأله ذلك، والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدا[(٢)]. وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهري به فذكره. وقال فيه: فدخلا عليه يوم قبض ﷺ فذكره. وقال في آخره: فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم[(٣)].

قال ابن كثير: فهذا يكون في يوم الإثنين يوم الوفاة، فدل على أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ توفي عن غير وصية في الإمارة.

٥- وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه. قال: خطبنا علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في قراب سيفه، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات - فقد كذب[(٤)].

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٢٣) وقال عقبة: شاهده في الحديث الثابت عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ثم ساق الحديث الآتي بسنده.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته (٨/١٤٢ من الفتح).

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٥٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين (٦/٢٧٣ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم (١٣٧٠)، وأبو داود في المناسك (٢/ ٢١٦)، ومسند أحمد (٢/ ٤٤) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

○ الرد على الرافضة[١]:

وهـذا الحديث الثابـت في الصحيحيـن وغيرهما عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يـرد على فرقة الرافضة، في زعمهم أن رسـول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لمـا رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسـوله في حياته وبعد وفاته من أن يقتاتـوا عليـه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشـا وكلا، ومن ظن بالصحابـة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسـبهم بإجمعهم إلـى الفجور والتواطىء على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم في حكمه ونصه.

ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نص فلم لم يحتج به على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وحاشاه من ذلك كله.

○ الرد على الطرقية والقصاص[٢]:

وفي هـذا الحديـث الثابت في الصحيحين عن علي الذي قدمنـاه رد على مقولة كثير مـن الطرقيـة والقصاص الجهلة في دعواهم أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بأشـياء كثيرة يسـوقونها مطولـة، يا علي: افعل كذا، يا علي: لا تفعـل كذا، يا علي: من فعل كذا وكذا كان كـذا وكـذا، بألفاظ ركيكة ومعـاني أكثرها سـخيفة وكثير منها صحيفة لا تسـاوي تسويد الصحيفة والله أعلم[٣].

ما حصل من فاطمة وزوجها علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بسبب ميراث النبي[٤]:

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).
(٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).
(٣) أشـار الحافـظ البيهقـي في (دلائل النبـوة) (٧/ ٢٢٩) إلى بعضها وقال: «إنـه حديث موضوع وهو من رواية حماد بن عمرو النصيبي، وهو كذاب يضع الحديث".
(٤) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٥).

قال البخاري: باب قول رسـول الله: «**لا نـورث، ما تركنا صدقة**» حدثنا عبد الله بن محمـد، ثنا هشـام، أنبأنا معمر عن الزهـري عن عروة عن عائشـة: أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلتمسـان ميراثهما من رسـول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خيبر. فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله يقول ﷺ: «**لا تورث، ما تركنـا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هـذا المال**». قال أبو بكر: والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت[(١)].

وقد روى البخاري هذا الحديث مطولا في كتاب المغازي من صحيحه[(٢)]:

○ استرضاء أبي بكر فاطمة قبل وفاتها[(٣)]:

روى الحافـظ البيهقي عن الشـعبي قال: لمـا مرضت فاطمة أتاهـا أبوبكر الصديق فاسـتأذن عليها، فقـال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يسـتأذن عليـك؟ فقالت: أتحب أن آذن لـه؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليهـا يترضاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشـيرة إلا ابتغـاء مرضاة الله، ومرضاة رسـوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[(٤)]، وهذا إسـناد جيد قوي، والظاهر أن عامر الشـعبي سـمعه من علي، أو ممن سمعه من علي.

○ تجديد على البيعة لأبي بكر بعد موت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(٥)]:

روى البخاري ومسـلم وأبو داود والنسـائي من طرق متعددة عن الزهري عن عروة عن عائشة مبايعة علي لأبي بكر بعد وفاة زوجته فاطمة فهذه البيعة التي وقعت من علي،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض (١٢/ ٥ من الفتح).
وفدك: قرية بجوار خيبر أفاءها الله على رسول من غير قتال. «معجم البلدان» (٤/ ٢٣٨).
(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٧/ ٤٩٣ من الفتح).
حديث رقم ٤٢٤٠ – ٤٢٤١
(٣) البداية والنهاية (٥–٢٨٩).
(٤) (دلائل النبوة) (٧/ ٢٨١).
(٥) البداية والنهاية (٢٨٩/ ٥).

لأبـي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد وفاة فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، بيعة مؤكـدة للصلح الذي وقع بينهما – في موضوع التركة – وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولا يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة، وصححه مسـلم بن الحجاج، ولم يكن علي مجانبا لأبي بكر هذه السـتة الأشـهر، بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة، وركب معه إلى ذي القصة كما سيأتي.

وفي صحيح البخاري أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، ثم خرج من المسـجد فوجد الحسـن بن علي يلعب مع الغلمان، فاحتمله على كاهله وجعل يقول: بأبي شبه النبي، ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك[(١)].

ولكـن لما وقعت هذه البيعـة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لـم يبايع قبلها فنفي ذلك، والمثبت مقدم على النافي كما هو مقرر، والله أعلم. وأما تغضب فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وأرضاهـا علـى أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فما أدري ما وجهه؟ فإن كان لمنعه إياها ما سـألته من الميـراث، فقد اعتذر إليهـا بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسـول الله ﷺ أنه قـال: «**لا نورث، مـا تركنا صدقـة**»، وهي ممن تنقاد لنص الشـارع الـذي خفي عليها قبـل سـؤالها الميـراث كما خفي علـى أزواج النبـي ﷺ حتى أخبرتهن عائشـة بذلك، ووافقنها عليه، وليس يظن بفاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها اتهمت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمـان بن عفان، وعلي بن أبي طالـب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عـوف، وطلحـة بن عبيـد الله، والزبير بن العوام، وسـعد بن أبي وقـاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. ولو تفرد بروايته الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخارى، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٧٥٠).

الفصل الثالث

حركة الردة والقضاء عليها

خطبة للصديق بعد البيعة ودفن رسول الله ﷺ[1]

قال سيف بن عمر التميمي، عن أبي ضمرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي قال: نادى منادي أبي بكر من الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتمم بعث أسامة، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف[1]، وأقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست مبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة، ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطانا يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، وإن استطعتم أن لا يمضي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم بعدهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد، النجاة النجاة، فإن وراءكم طالبا حثيثا، أجلا مره سريع، إحذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات[2].

○ تنفيذ جيش أسامة[3]:

كان رسول الله ﷺ قد أمر أسامة بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به، وكان بينهم

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. ياقوت، معجم البلدان (١٢٨/ ٢).
(٢) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٤).
(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٤).

عمـر بن الخطـاب[١]، ويقال أبو بكر الصديق، فاسـتثناه رسـول الله ﷺ منهم للصلاة، فلمـا ثقل رسـول الله ﷺ أقامـوا هنالك، فلما مات رسـول الله عظم الخطب، واشـتد الحـال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد مـن أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سـوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري[٢].

وقـد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسـلام، لم يغيـروا، ولا ارتدوا، والمقصود أنـه لما وقعت هذه الأمور أشـار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسـامة لاحتياجـه إليـه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسـببه في حال السـلامة، وكان من جملة من أشـار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشـد الإباء، إلا أن ينفذ جيـش أسـامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسـول الله ﷺ ولـو أن الطير تخطفنا، والسـباع مـن حول المدينة، ولـو أن الكلاب جرت بأرجل أمهـات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة»، وأمر الحرس يكونون حول المدينة.

روى سـيف بـن عمر عن أبي ضمـرة وأبي عمر وغيرهما عن الحسـن البصري: أن أبـا بكـر لما صمـم على تجهيز جيش أسـامة قال بعـض الأنصار لعمر: قـل له فليؤمر

(١) ذكـر الحافـظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٥٢) أن ابن تيمية في كتابه "الرد على ابن المطهرة" قد أنكر أن يكـون أبوبكـر و عمر قد اكتتبا في جيش أسـامة. وعند مراجعة "منهاج السـنة" لابن تيمية، عند كلامه على هذه المسـالة (٤/ ٢٧٦) وما بعدها وجدته يسـتثني الصديق فقط، ويقول: بأنه لم يكتب في جيش أسامة؛ لأن النبي عقد الراية لأسامة بعد مرضه ﷺ، وقبل وفاته بأيام وهو قد أمره بالصلاة في مسجده. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية» (٥/ ٢٢٢) وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال إن أبا بكر فيهم فقد غلط فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمر النبي ﷺ وأبا بكر أن يصلي بالناس، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن رسول رب العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٢/ ٣٧٩ من الفتح).

علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يابن الخطاب، أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشيا، وأسامة راكبا، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لست بنازل ولست براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب - وكان مكتتبا في جيشه - فأطلقه له، فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير[(١)].

فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فغابوا أربعين يوما ويقال سبعين يوما، ثم أتوا سالمين غانمين.

○ تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة[(٢)]:

عن القاسم بن محمد وعمرة عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة باردة، بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها[(٣)].

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم، أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد،

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢٢٦/ ٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٢٨٩/ ٥) و (٣١١/ ٦) وما بعدها.
(٣) المصنف لابن أبي شيبة (١٤/ ٥٧٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي عون عن القاسم بن محمد، بنحوه.

فتوارى، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس، وكفوا عما هموا به، فظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب - يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الأسارى يوم بدر - إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمنه[١].

وانحاز إلى مسيلمة الكذاب، بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة. واجتمعت على طليحة الأسدي، بنو أسد، وطيء، وبشر كثير، وادعي النبوة، كما ادعاها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا على أمراء الحرس الذين جعلهم الصديق على أنقاب المدينة، وهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود. وجعلت وفود العرب تقدم المدينة، يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من أقر بها ولكن امتنع من دفعها إلى الصديق، وذكر أن منهم احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا. وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فواعجبا ما بال ملك أبي بكر[٢]

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم. ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (٦٤٩/ ٢)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٣٢) الطبقة الرابعة.
(٢) البيت في تاريخ الطبري، (٢٤٦/ ٣) منسوبا لعبد الله الليثي ضمن أبيات أخرى، وفيه اختلاف يسير.

يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقا، وفي رواية: عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[(١)]. قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبت في الصحيحين: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»[(٢)].

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة بن سوار: ثنا عيسى بن يزيد المديني، حدثني صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، وإن الله بعث محمدا ﷺ، والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرا لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدهم عيشا، وأضلهم دينا، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب؛ فجمعهم الله بمحمد، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض (١٢/ ٢٧٥ من الفتح) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي بني الإسلام على خمس، من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (١/ ٤٩ من فتح الباري، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، حديث رقم (١٦).

﴿قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عمران:١٤٤] إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ وقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالا فهداه، وعائلا فأغناه ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾ [آل عمران:١٠٣]، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيدا من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] ثم نزل[١].

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة:٥٤]، قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه، في قتالهم المرتدين، ومانعي الزكاة[٢].

○ إنتشار الردة:

وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة والمدينة، وارتدت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب بن قيس العنسي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت بنو حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدت سليم مع الفجاءة، واسمه إياس[٣] بن عبدالله بن عبدياليل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة[٤].

(١) تاريخ دمشق (٩/ ٦٩٢).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٨٢- ٢٨٣).
(٣) في الأصل: «أنس»، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤).
(٤) انظر نحوه في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤).

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدي، وبعثوا وفودا إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقالا لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم، فأخبروا بقلة أهل المدينة، وطمعوهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلا يأتون أم نهارا، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم، فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوا إلا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة، وخلفوا نصفهم بذي حسي ليكونوا ردءً لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكانكم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانقشع العدو، وأتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردء فالتقوا مع الجمع فكان الفتح[1].

○ غزو الصديق للمرتدين حول المدينة[2]:

وفي جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عبس، وبني مرة، وذبيان، ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بابن أخيه[3] حبال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء[4] فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئا إلى الليل، وحتى رجعت إلى

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٤).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣١٣).
(٣) في الأصل: بابنه، والتصحيح من تاريخ الطبري (١٨٦/ ٣، ٢٤٤).
(٤) النحي: هو الزق ينفح بالهواء ثم يدهده فيحدث صوتا تنفر منه الإبل. انظر: اللسان (٣١١/ ١٥).

المدينـة، فلمـا وقع ما وقع ظـن القوم بالمسـلمين الوهن، وبعثوا إلى عشـائرهم من نواحـي أخر، فاجتمعوا، وبات أبوبكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائما ليله يعبىء الناس، ثم خرج على تعبئـة من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى الميسـرة أخوه عبدالله بن مقـرن، وعلى السـاقة أخوهما سـويد بن مقرن، فمـا طلع الفجر إلا وهـم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حسا ولا همسا، حتى وضعوا فيهم سيوفهم، فما طلعت الشـمس حتى ولوهم الأدبار، وغلبوهم على عامـة ظهرهم، واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة[١]، وكان أول الفتح، وذل بها المشـركون، وعز بها المسـلمون، وكانـت بنوذبيان وعبـس قد وثبوا على مـن فيهم من المسـلمين فقتلوهم، وفعل من وراءهم كفعلهم، فحلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عز المسلمون في كل قبيلة، وذل الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيدا منصورا، سالما غانما[٢].

وبعد عودة الصديق للمدينة جاءته في ليلة واحدة صدقات عدي بن حاتم، وصفوان، والزبرقان بن بدر، إحداها في أول الليل، والثانية في أوسطه، والثالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشـير من أمراء الأنقاب، فكان الذي بشر بصفوان، سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبرقان، عبد الرحمن بن عوف، والذي بشر بعدي بن حاتم، عبدالله بن مسـعود، ويقال: أبو قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك على رأس سـتين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ[٣].

(١) ذو القصة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد، خرج إليه الصديق فعقد الألوية وقطع الجنود القتال المرتدين، ياقوت، المعجم البلدان (٤ /٣٦٦).
(٢) تاريخ الطبري (٣ /٢٤٦).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٤٧)، وصفوان المذكور هنا: هو صفوان بن صفوان بن أسيد التميمي، كان عامل النبي ﷺ على بني عمرو بطن من تميم، وانظر ترجمته في: الإصابة (٣ /٤٣٥).

○ رجوع جيش أسامة وخروج الصديق مرة أخرى[١]:

قدم أسامة بن زيد بعد تلك الأحداث بليال، فاستخلفه أبوبكر على المدينة، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه، في الوقعة المتقدمة، فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلا، فقال: والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبئته، والنعمان، وعبد الله، وسويد، بنو مقرن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الزبذة بالأبرق، وهناك جماعة من بني عبس وذبيان، وطائفة من بني كنانة، فاقتتلوا فهزم الله المشركين، وأخذ الشاعر الحطيئة أسيرا، فطارت بنوعبس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق[٢] أياما وقد غلب بنو ذبيان على البلاد، وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد، إذ غنمانها الله، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة للناس، وقد قال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شهدنا ... على ذبيان يلتهب التهابا
أتيناهم بداهية نسوف ... مع الصديق إذ ترك العتابا[٣]

○ خروج الصديق إلى ذي القصة وعقد ألوية الأمراء لقتال المرتدين[٤]:

بعد ما جم جيش أسامة واستراحوا، ركب الصديق في الجيوش الإسلامية شاهرا سيفه مسلولا، من المدينة إلى ذي القصة، وهي من المدينة على مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فسأله الصحابة، منهم علي وغيره، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقد الألوية لأحد عشر أميرا هم:

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٤).
(٢) الأبرق: موضع في الربذة، وهو من منازل بني ذبيان. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٦٨).
(٣) راجع: تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٧- ٢٤٨) والخبر عن طريق سيف بن عمر عن شيوخه.
(٤) البداية والنهاية (٣١٤-٩).

١- خالـد بـن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سـار إلـى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له.

٢- عكرمة بن أبي جهل، وأمره بمسيلمة الكذاب وبني حنيفة.

٣- شرحبيل بن حسنة أرسله في إثر عكرمة إلى مسيلمة الكذاب.

٤- المهاجـر بن أبـي أمية، وأمـره بجنود العنسـي، ومعونة الأبنـاء على قيس بن مكشوح، وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة.

٥- خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.

٦- عمرو بن العاص إلى قضاعة، ووديعة، والحارث، شمال غربي المدينة.

٧- حذيفة بن محصن الغلفاني(١)، وأمره بأهل دبا(٢) من عمان.

٨- عرفجة بن هرثمه(٣)، وأمره بمهرة(٤) جهة حضرموت.

٩- طريفة بن حاجز السلمي(٥)، وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.

١٠- سويد بن مقرن، وأمره بتهامة اليمن.

١١- العلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين.

---

(١) في الأصل: الغطفاني، والتصحيح من تاريخ الطبري (٢٤٩/ ٣).

(٢) دبا: بفتح أوله مع القصر، سوق من أسواق العرب بعمان. ياقوت، مصدر سابق (٤٣٥ / ٢).

(٣) في الأصـل: وبعرفجة وهرثمـة وغير ذلك، والتصحيح من تاريخ الطـبري (٢٤٩/ ٣) راجع ترجمته في الإصابة، لابن حجر (٤٨٥/ ٤).

(٤) مهرة: بالفتح ثم السكون، قبيلة باليمن تنتسب إليها الإبل المهرية، ولهم مخلاف بين عمان وحضرموت، انظر: ياقوت، مصدر سابق (٢٣٤-٥).

(٥) في الأصـل: طرفة بن حاجب، والتصحيح مـن التاريخ الطبري، (٢٤٩/ ٣). وانظر ترجمته في الإصابة، لابن حجر (٥١٨/ ٣).

○ المنشور الموجه إلى المرتدين[١]:

كتب الصديق لكل أمير كتاب عهده على حدته، وفصل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتابا عاما إلى المرتدة وهذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا، من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهديإلى الضلالة والهوى، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده. أما بعد، فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها[٢]، ثم توفى الله رسوله، وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤]، فمن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، وإني

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٥).

(٢) أن من قبل الحق بانشراح صدر، أو خضع لحكم الإسلام العام وهوكاره ولم يسلم.

أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعنه الله مخذول، ومن هداه غير الله كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ⑰﴾ [الكهف:١٧]، ولن يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله وجهلا بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ⑳﴾ [الكهف:٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ⑥﴾ [فاطر:٦]، وإني بعثت إليكم (فلانًا) في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحا قبل منه، وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل وحملهم على ما ينبغي لهم[(١)].

(١) أخرجه الطبري في تاريخه» من طريق سيف بن عمر (٣/ ٢٥٠). وانظر: نحوه في تاريخ الردة المستخرج من كتاب "الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء" لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي، اقتباس وتهذيب، خورشيد أحمد فاروق ص (٢٧)، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

○ خروج الأسود العنسي في اليمن في حياة رسول الله ﷺ[١]:

خرج الأسود العنسي، واسمه: عبهلة بن كعب بن غوث - من بلد يقال لها: كهف خبان[٢] - في أواخر أيام النبي ﷺ ومعه سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عمال النبي ﷺ: "أيها المورودون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه"، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من مخرجه، ثم قصد إلى صنعاء، فخرج إليه شهر بن باذام فتقاتلا، فغلبه الأسود وقتله، وكسر جيشه من الأبناء واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه، ففر معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري، فذهبا إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر بن أبي هالة، ورجع عمرو بن حزم[٣]، وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة، وكان جيشه يوم لقي شهرا سبعمائة فارس، وأمراؤه: قيس بن عبد يغوث بن مكشوح، ومعاوية بن قيس، ويزيد بن محرم، ويزيد بن حصين الحارثي[٤]، ويزيد بن الأفكل الأزدي، واشتد ملكه، واستغلظ أمره، وارتد خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية، وكان خليفته على مذحج، عمرو بن معدي كرب، وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي، وداذويه، وتزوج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنة عم فيروز الديلمي، واسمها أزاذ، وكانت امرأة حسناء جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمدا ﷺ، ومن الصالحات.

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٠٧ - ٣١١) ثم ص (٣٠٥).

(٢) خبان: بضم أوله وتشديد ثانيه: قرية باليمن في واد يقال له: وادي خبان قرب نجران. ياقوت، مصدر سابق (٣/٣٤٣) ذكره المصنف في (٦/٣٠٧) وما بعدها.

(٣) في الأصل عمر بن حرام، وهو تصحيف، والصواب: عمرو بن حزم كما في: تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٨).

(٤) في الأصل: يزيد بن محرم بن حصين. والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٢٣٠).

○ مواجهة الأسود العنسي وقتله:

قال سيف بن عمر التميمي: بعث رسول الله ﷺ كتابه، حيث بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له: وبر بن يحنس الديلمي. يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته، وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها: رملة، فحزبت عليه السكون لصهره فيهم، وقاموا معه في ذلك، وبلغوا هذا الكتاب إلى عمال فحدبت النبي ﷺ، ومن قدروا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجند - وكان قد غضب عليه الأسود، واستخف به، وهم بقتله - وكذلك كان أمر فيروز الديلمي، قد ضعف عنده أيضا، وكذا داذويه، فلما أعلم وبر بن يحنس قيس بن مكشوح، كان كأنما نزلوا عليه من السماء، ووافقهم على الفتك بالأسود، وتوافق المسلمون على ذلك، وتعاقدوا عليه، وأطلع شيطان الأسود الأسود على شيء من ذلك، فدعا قيس بن مكشوح، فقال له: يا قيس ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار في العز مثلك، مال ميل عدوك، وحاول ملكك، وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا سوآه، قطف قنته وخذ من قيس أعلاه، وإلا سلبك وقطف قنتك. فقال قيس وحلف به: كذب وذي الخمار لأنت أعظم في نفسي وأجل عندي من أن أحدث بك نفسي، فقال له الأسود: ما أجفاك! تكذب الملك، فقد صدق الملك، وعرفت الآن أنك تائب مما اطلع عليه منك.

ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه، فيروز، وداذويه، وأخبرهم بما قال له، وما رد عليه، فقالوا: إنا كلنا على حذر، فما الرأي، فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرفكم على قومكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا: أقلنا مرتنا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقيلكم، قال: فخرجنا من عنده ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر، أمير همدان، وذي ظليم، وذي كلاع، وغيرهم من

أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة الأسود العنسي، فكتبنا إليهم أن لا يحدثوا شيئا حتى نبرم الأمر، قال قيس: فدخلت على امرأته أزاذ، فقلت: قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك ممالأة عليه؟ فقالت: على أي أمر؟ قلت: إخراجه، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصا هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر، قال: فأخرج فإذا فيروز وداذويه، ينتظراني يريدان أن يناهضاه، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود، فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقول: يا سوآة، يا سوآة، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا، حتى ظن قيس أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك[(١)] وأنت رسول الله، فقتلي أحب إلي من موتات أموتها كل يوم، فرق له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه، فقال: اعملوا عملكم، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون، إذ خرج عليهم الأسود وقد جمع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطا وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فنحرها، غير محبسة ولا معقلة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن زهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيت أمرا كان أفظع منه، ولا يوما أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممت أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة، وأبدى له الحربة، فقال له فيروز: اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبيا ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدنيا؟! فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك، فإنا بحيث تحب، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنعام، ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فإذا رجل يحرضه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز، فإذا الأسود يقول: أنا قاتله غدا وأصحابه، فاغد علي به، ثم التفت فإذا فيروز، فقال: مه، فأخبره فيروز بما صنع من قسم

---

(١) في الأصل: أهلك، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٣).

ذلك اللحم، فدخل الأسـود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سـمع، وبما قـال وقيـل له، فاجتمع رأيهم على أن عاودوا المرأة في أمره، فدخل أحدهم وهو فيروز – إليهـا فقالـت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس محيطـون به، غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من دون الحرس، وليس من دون قتله شـيء، وإني سـأضع في البيت سراجا وسلاحا، فلما خرج من عندها تلقاه الأسـود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسـه، وكان الأسود شديدا، فصاحت المرأة فأدهشـته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرا، فقال: اسـكتي، لا أبالـك، قد وهبتـه لك، فخرج فيروز علـى أصحابه فقال: النجـاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تنثنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فأسـتثبت منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا مـن داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس فيروز عندها جهرة كالزائر، فدخـل الأسـود، فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي مـن الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهره وأخرجـه، فرجع إلى أصحابـه، فلما كان الليل، نقبوا ذلك البيـت فدخلوا فوجدوا فيه سـراجا تحت جفنة، فتقدم إليه فيروز الديلمي والأسـود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسـه في جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسـة عنده، فلما قام فيروز بالباب أجلسـه شيطانه وتكلم على لسـانه – وهو مع ذلك يغط. فقال: مالي ومالك يا فيروز؟ فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ رأسه فـدق عنقه، ووضـع ركبتيه في ظهره حتـى قتله، ثم قام ليخرج إلـى أصحابه ليخبرهم، فأخذت المرأة بذيلة وقالت: أين تذهب عن حرمتك؟ فظنت أنه لم يقتله، فقال: أخرج لأعلمهـم بقتله، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسـه، فحركه شـيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره، وأخذت المرأة بشـعره، وجعل يربرب بلسـانه، فاحتز الآخر رقبته، فخار كأشد خوار ثور سمع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه، فرجعوا.

○ إعلان قتله:

جلس قيس بن مكشوح، وداذوية، وفيروز، يأتمرون كيف يعلمون أشياعهم فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم، وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس ويقال: وبر بن يحنس، بالأذان: أشهد أن محمدا رسول الله، وأن عبهلة كذاب، وألقى إليهم رأسه، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازع أولئك الثلاثة (قيس وداذويه وفيروز) في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلي بالناس، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، فقال: (قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن؟ قال: فيروز، فاز فيروزه)[١].

وروى سيف بن عمر بسنده عن فيروز: قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان إلا أنا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه، فكان يصلي بنا في صنعاء، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور، وأنكرنا كثيرا مما كنا نعرف، واضطربت الأرض، وقد جاء خبر مقتل الأسود العنسي إلى الصديق في أواخر ربيع الأول[٢] بعد ما جهز جيش أسامة، وقيل: بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ والأول أشهر.

قال أبو جعفر بن جرير: أمضى أبوبكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل الأسود بعد مخرج أسامة، فكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة[٣].

(١) ذكر هذا الخبر الحافظ ابن حجر في ترجمة فيروز في كتاب «الإصابة» (٥/ ٥٨١)، ونسبه إلى سيف في الفتوح، وسيف بن عمر التميمي ضعيف في الحديث.
(٢) كان أول خروجه في بداية سنة إحدى عشرة من الهجرة.
(٣) تاريخ الطبري (٣-٢٤٠).

○ ردة أهل اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ[1]:

لما نبغ الأسود العنسي باليمن، أضل خلقا كثيرا من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، وقد قتله الأمراء الثلاثة، قيس بن مكشوح، وفيروز الديلمي، وداذويه، ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ ازداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك - أجارنا الله من ذلك -، وطمع قيس بن مكشوح في الإمرة باليمن، فعمل لذلك، وارتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عونًا إلى فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح، حتى تأتيهم جنوده سريعا، وحرص قيس على قتل الأميرين الآخرين، فلم يقدر إلا على داذويه، واحترز منه فيروز الديلمي، وذلك أنه عمل طعاما وأرسل إلى داذويه أولا، فلما جاءه عجل عليه فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى: وهذا أيضا والله مقتول كما قتل صاحبه، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه، وخرج إلى أخواله خولان فتحصن عندهم، وساعدته عقيل، وعك، وعمد قيس إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر، فاحتد فيروز فخرج في خلق كثير، فتصادف هو و قيس فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم قيسا وجنده من العوام، وبقية جند الأسود العنسي، في كل وجه، وأسر قيس، وعمرو بن معدي كرب، وكان عمرو قد ارتد وبايع الأسود العنسي، وقد بعث المهاجر بن أبي أمية بهما إلى أبي بكر أسيرين، فعنفهما وأنبهما، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما، ووكل سرائرهما إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأطلق سراحهما وردهما إلى قومهما.

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٣١).

❍ مسير خالد بن الوليد من ذي القصة لقتال المرتدين[(١)]:

روى الإمام أحمد من طريق وحشى بن حرب، أن أبا بكر لما عقد الخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله على الكفار والمنافقين»[(٢)].

ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق، واعده أن سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولا إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنوعبس وذبيان، وبعث إلى بني جديلة والغوث من طيء يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواما منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سريعا، وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني طيء فأمرهم أن يبايعوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل[(٣)] أبدا - يعنون أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: والله ليأتينكم جيشه فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا.

وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه: ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه طليعة هما: ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن، فتلقاهما حبال - ابن أخي طليحة، فقتلاه - فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة، فلما وجدا ثابتا وعكاشة تبارزوا، وحمل طليحة على عكاشة فقتله، وقتل سلمة ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فشق ذلك على المسلمين. ومال خالد إلى بني طيء فقدم عليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من

---

(١) البداية (٦-٣١٦).

(٢) مسند أحمد (١/ ١٧٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) في الأصل: بابا الفضل، من تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٥). والفصيل هو ولد الناقة.

تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد، وقصد خالد بني جديلة، فقال له عدي: يا خالد، أجلني أياما حتى آتيهم، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ الغوث[١]، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ معركة بزاخة والقضاء على بني أسد[٢]:

ثم سار خالد حتى نزل بأجا وسلمى، وعبى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي في مكان يقال له: بزاخة[٣]، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة في من معه من قومه، ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عيينة بن حصن، في سبعمائة من قومه بني فزارة، واصطف الناس، وجلس طليحة ملتفا في كساء له يتنبأ لهم، ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك، ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحا كرحاه، وحديثا لا تنساه. قال عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديثا لن تنساه، ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم. وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه[٤].

---

(١) الأصل: «طيئا»، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٢٥٤). وجديلة والغوث فرعان من طيء. راجع: ابن حزم، "جمهرة أنساب العرب ص (٣٩٨ - ٤٠٠).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣١٧).

(٣) ماء بأرض نجد لبني أسد.

(٤) أخرج الخبر الطبري في تاريخه (٣/ ٢٥٥) من طريق محمد بن إسحاق.

وقد كان طليحة ارتد في حياة النبي ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن بن بدر، وارتد عن الإسلام، وقال لقومه: والله لنبي من بني أسد أحب إلي من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك، فلما كسرهما خالد. هرب طليحة بامرأته إلى الشام، فنزل على بني كلب، وأسر عيينة بن حصن، وبعث به خالد إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك، فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك.

وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك، وذهب إلى مكة معتمرا أيام الصديق، واستحي أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمره - يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن - وهذا من فقه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصرد الشام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغن ملكنا العراق والشام[١]، وإلى أمثال ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة.

○ كتاب الصديق إلى خالد بعد هزيمة طليحة بن خويلد[٢]:

وقد كتب أبوبكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره: ليزدك ما أنعم الله به عليك خيرا، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جد في أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به.

فأقام خالد ببزاخة شهرا يصعد عنها ويصوب، ويرجع إليها في طلب الذين وصاه الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرا يأخذ بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا

(١) أخرج قول طليحة، الطبري في تاريخه (٣/٢٦٠) من طريق سيف بن عمر.
(٢) البداية والنهاية (٦/٣١٨).

بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من ضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب[١].

○ حكم الصديق على المرتدين:

قال سفيان الثوري: عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: لما قدم وفد بزاخة – أسد وغطفان – على أبي بكر يسألونه الصلح، خيرهم أبو بكر بين حرب مجلية أو خطة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع، وتتركون أقواما تتبعون أذناب الإبل، حتى يري الله خليفة نبيه والمؤمنين أمرا يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا تؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا، ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: أما قولك تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، وقال في الثاني: نعم ما رأيت. ورواه البخاري[٢] من حديث الثوري بسنده مختصرا.

○ قصة أم زمل[٣]:

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال من أصحاب طليحة – من بنى غطفان – فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زمل – سلمى بنت مالك بن حذيفة – في مكان يسمى ظفر[٤]، وكانت من سيدات العرب، كأمها أم قرفة[٥]، وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها، وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وتأشب إليهم

(١) المصدر نفسه (٣/ ٢٦٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/ ٢٠٦ من فتح الباري)، وقد أورد الحافظ ابن حجر الخبر مطولا نقلا عن كتاب الحميدي "الجمع بين الصحيحين" وقال: وقال أورده أبوبكر البرقاني في مستخرجه. وانظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٤/ ٥٧١).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣١٩).

(٤) اسم موضع قرب الحواب في طريق البصرة إلى المدينة، اجتمع عليه فلال طليحة يوم بزاخة، ياقوت، مصدر سابق (٤-٦٠).

(٥) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٢٦٣).

آخرون من بني سليم، وطيء، وهوازن، وأسد، فصاروا جيشا كثيفا، واستفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالا شديدا، وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال عنه: من نخس جملها فله مائة من الإبل، وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

○ قصة الفجاءة[2]:

واسمه إياس بن عبدالله بن عبدياليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم، قدم على أبي بكر الصديق فزعم أنه أسلم، وطلب منه أن يجهز معه جيشا يقاتل به أهل الردة، فجهز معه جيشا، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بذلك بعث وراءه جيشا فرده، فلما أمكنه الله منه، بعث به إلى البقيع[3]، فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار، فحرقه وهو ممقوط[4].

○ سجاح وبنو تميم[5]:

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر في أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها، مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلف آخرون منهم عنها، واصطلحوا على أن لا حرب

---

(١) قارن بـ تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤).
(٢) البداية والنهاية (٦/٣١٩).
(٣) في تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٤) أوقد له نارا في مصلى المدينة.
(٤) أي: شدت يداه ورجلاه كهيئة المهاد للطفل. مختار الصحاح، ص (٥٥١).
(٥) البداية والنهاية (٦/٣١٩) وما بعدها.

بينهـم، غير أن مالك بن نويـرة لما وادعها وثناها عن عزمهـا، حرضها على بني يربوع، واتفـق الجميـع على قتال النـاس غيرهم، فقالـوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسـجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب[١]، فليس دونهم حجاب.

ثم استطاع بنو تميم إقناعها بقصد اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابه قومها وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة دفوا دفيف الحمامة فإنها غزوة صرامة لا تلحقكم بعدها ملامة.

قال: فعمدوا لحرب مسـيلمة، فلما سـمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشـغول بمقاتلة ثمامة بن أثال[٢]، وقد سـاعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين، وهـم نازلـون ببعض بلاده ينتظرون قـدوم خالد، فبعث إليها يسـتأمنها ويضمن لها أن يعطيهـا نصـف الأرض الـذي كان لقريش لـو عدلت، فقـد رده الله عليـك فحباك به، وراسـلها ليجتمـع بها في طائفة من قومه، فركـب إليها في أربعين من قومـه، وجاء إليها فاجتمعـا في خيمـة، فلما خلا بها وعـرض عليها ما عرض من نصـف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع.

ثم قال لها: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، وأقامت عنـده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شـيئا، فقالـوا: إنـه قبيح على مثلـك أن تتزوج بغير صـداق، فبعثت إليه تسـأله صداقا، فقال: أرسلي إلى مؤذنك، فبعثته إليه، وهو شبث بن ربعي الرياحي - فقال: ناد في قومك: أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما آتاكم به محمد - يعني صلاة

(١) الرباب: فرع من بني تميم وتنقسم إلى قسمين: بنو ضبة، وبنو عبد مناة. تاريخ الطبري، (٢٧٠/ ٣).

(٢) هو ثمامة بن أثال بن النعمان، أبو أمامة اليمامي، جيء به أسـيرا إلى المدينة فربط في سـارية المسـجد، فأطلقه رسـول الله ﷺ فأسـلم وحسن إسلامه. ثم ثبته على ذلك وقاوم الردة في بني حنيفة، ثم انضم إلى العلاء بن الحضرمي في البحرين وجاهد معه المرتدين، انظر ترجمته في: ابن حجر، الإصابة (٤١٠/ ١).

الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه، ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرت راجعة إلى الجزيرة بعدما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت في قومها بني تغلب، إلى زمان معاوية، فأجلاهم منها عام الجماعة.

وقال عطارد بن حاجب التميمي:

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

○ خبر مالك بن نويرة وقومه[١]:

كان مالك قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة ثم ترحلت إلى بلادها، ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البطاح[٢] فقصده خالد بجنوده، وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لابد من فعله، وفرصة لابد من انتهازها، وإن لم يأتني فيها كتاب، وأنا الأمير، وإلي ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البطاح، فسار خالد يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، بث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة، فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، وبات الأسارى في كبولهم في ليلة شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن ادفنوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور[٣] مالك بن نويرة، فلما سمع خالد الواعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه.

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢١).

(٢) البطاح: بضم أوله، ماء في ديار بني أسد بأرض نجد. ياقوت، مصدر سابق (١/٤٤٥).

(٣) هو: ضرار بن الأزور بن مالك بن جذيمة من بني أسد بن خزيمة، صحابي مشهور. انظر ترجمته عند ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٨١).

ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة، فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار: اضرب عنقه، فضربت عنقه.

وقد تكلم أبو قتادة الأنصاري مع خالد فيما صنع حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر بن الخطاب مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رهقا، فقال أبو بكر: لا أشيم سيفا سله الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة، فجعل يشكو إلى الصديق خالدا فوداه الصديق من عنده.

واستمر أبوبكر بخالد على الإمرة، وإن كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة وأخطأ في قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بني جذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صبأنا، صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى ترد إليهم ميلغة الكلب، ورفع يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد[١]، ومع هذا لم يعزل خالدا عن الإمرة.

○ بعث خالد إلى اليمامة[٢]:

بعث الصديق خالدا إلى قتال بني حنيفة باليمامة وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالدا بسرية لتكون ردءا له من ورائه، وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة، عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنه، فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم في نحو أربعين ألفا من المقاتلة، فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل، فناجزهم فنكب.

---

(١) انظر: خبر سرية خالد إلى بني جذيمة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، (٨/ ٥٧ مع فتح الباري).
وميلغة الكلب: هي الإناء الذي يلغ فيه بلسانه. أنظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٦).
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٣) وما بعدها.

معركة عقرباء ومقتل مسيلمة الكذاب:

فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقرباء[١] في طرف اليمامة، والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرجال[٢] بن عنفوة بن نهشل، وكان الرجال هذا قد شهد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، وكان بشهادته الكاذبة من أكبر من أفضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، وقد كان الرجال وفد إلى النبي ﷺ وقرأ سورة البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، ثم فتن فارتد مع مسيلمة وشهد له زورا بالنبوة.

قال سيف بن عمر عن طليحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يوما عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عنفوة، فقال: «إن فيكم لرجلا ضرسه في النار أعظم من أحد» فهلك القوم وبقيت أنا والرجال وكنت متخوفا لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة.

ورواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة[٣].

ولما قرب خالد من اليمامة جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيدا وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين فارسا، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه، فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فأمر بقتلهم، فقال له أحدهم: أيها الرجل: إن كنت تريد غدا بعدوك هذا خيرا أو شرا فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة - فاستبقاه خالد

(١) عقرباء: منزل من أرض اليمامة على طرفها وهو من أعمال العارض. ياقوت، مصدر سابق (١٣٥-٤).
(٢) ضبطه ابن الأثير بالجيم المعجمة، وبالحاء المهملة، قال: والأول أشهر.
(٣) رواية ابن إسحاق في حكم المرسل لجهالة الواسطة بينه وبين أبي هريرة، والرواية الأولى ضعيفة بسيف بن عمر التميمي، وشيخه.

مقيدا. وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة، فاصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة، وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد، وقد قتل الرجال بن عنفوة في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد، فخصلت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن معرور - وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء[1]؛ فيجلس على ظهر الرحال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد.

وقال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

فقاتلت بنو حنيفة قتالا لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا. وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدما، ثم قال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وقصد لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا إلى المبارزة، وقال: أنا

(١) العرواء: هي من الحمى والعدة التي تصيب المحموم. ابن منظور، لسان العرب (٤٥/ ١٥).

ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه، وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله.

وقد ميز خالد المهاجرين، من الأنصار، من الأعراب، وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبرا لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة ابن الطفيل بدخولها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة، وأدرك عبدالرحمن بن أبي بكر، محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة.

وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فحملوه فوق الجحف[1]، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها، يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة الكذاب، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة قبل أن يسلم - فرماه بحربته، فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وآ أمير الوضاءة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس.

(١) الجحف: هي الدرق والتروس التي يلبسها المقاتل للحماية من السيوف.

ثـم بعـث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسـبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعـة فقال: إنها ملأى رجالا ومقاتلـة، فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسـلمين من الجهد وقـد كلوا من كثرة الحروب والقتـال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسـار إليهم مجاعة فأمر النسـاء أن يلبسـن الحديـد ويبرزن على رؤوس الحصـون، فنظر خالد فإذا الشـرفات ممتلئة من رؤوس النـاس فظنهـم كما قال مجاعة، فانتظم الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسـلام فأسـلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق، ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السـبي، وسـاق الباقين إلى الصديق، وقد تسـري علي بن أبي طالـب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد بن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

❍ تاريخ الموقعة[2]:

قـال خليفة بن خياط، ومحمد بن جرير، وخلق من السـلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، في آخرها.

وقال الواقدي وآخرون: كانت سنة ثنتي عشرة، والجمع بين الأقوال، أن ابتداؤها في سنة إحدى عشرة، والفراغ منها في سنة ثنتي عشرة.

❍ ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام[3]:

كان مـن خبرهـم أن رسـول الله ﷺ قـد بعـث العـلاء بـن الحضرمي إلـى ملكها، المنذر بـن سـاوى العبدي، وأسـلم على يديه وأقام فيهم الإسـلام والعـدل، وقد توفي المنذر بعد وفاة النبي ﷺ بقليل، وكان قد حضر عنده في مرضه الذي مات فيه عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو هل كان رسـول الله ﷺ يجعل للمريض شـيئا من ماله؟ قال:

(١) انظر خبر المعركة في تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٧- ٢٩٨)، وتاريخ خليفة بن خياط ص (١٠٧-١١٥).
(٢) البداية والنهاية (٦/٣٢٦).
(٣) البداية والنهاية» (٦/٣٢٧ - ٣٢٨).

نعم، الثلث، قال: ماذا أصنع به؟ قال: إن شئت تصدقت به على أقربائك، وإن شئت على المحاويج، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبسا محرما، فقال: إني أكره أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام(١)، ولكني أتصدق به، ففعل، ومات، فكان عمرو بن العاص يتعجب منه، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين وملكوا عليهم الغرور وهو المنذر بن النعمان بن المنذر. وقال قائلهم: لو كان محمدا نبيا ما مات، ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها: جواثا - كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس(٢).

وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، ومنعوا عنهم الأقوات وجاعوا جوعا شديدا حتى فرج الله عنهم، وقد قال رجل منهم يقال له: عبدالله ابن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج ... شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

وقد قام فيهم رجل من أشرافهم، وهو الجارود بن المعلي - وكان ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ خطيبا وقد جمعهم وقال: يا معشر عبد القيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتموه، ولا تجيبوني إن لم تعلموه، فقالوا: سل، قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه، قال: فما

(١) أراد قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة:١٠٣]. وراجع: تفسير الآيات في «تفسير القرآن العظيم»، للحافظ ابن كثير (١٠٧/٢).

(٢) سبق تخريج الحديث وجواثا: بضم أوله ويمد ويقصر، حصن لعبد القيس بالبحرين، وقال ابن الأعرابي: «جواثا، مدينة الخط. والمشقر، مدينة هجر». ياقوت، مصدر سابق (١٧٤/٢).

فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمدا مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على إسلامهم، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه.

○ بعث العلاء ابن الحضرمي لقتالهم:

وبعث الصديق إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثمامة بن أثال في محفل كبير من مسلمي أهل اليمامة، وجاء كل أمراء تلك النواحي فانضافوا إلى جيش العلاء ابن الحضرمي، فأكرمهم العلاء ورحب بهم وأحسن إليهم، ثم سار بهم نحو البحرين.

○ كرامة للعلاء بن الحضرمي[١]:

وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة، اتفق له في هذه الغزوة أنه نزل منزلا[٢]، فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم - وذلك ليلا - ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهم والغم ما لا يحد ولا يوصف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى العلاء، فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا، فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم، ونودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه، وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله، حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى، وهو يجتهد في الدعاء ويكرره، فلما بلغ الثالثة إذ قد خلق الله إلى جانبهم غديرا عظيما من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سلكا، فسقوا

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٨).

(٢) في «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٦٣) حدد منزلة بالدهناء، وهي صحراء رملية بين نجد والأحساء.

الإبل عللا بعد نهل[١]. فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية[٢].

○ هزيمة المرتدين:

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة، وقد حشدوا وجمعوا خلقا عظيما، وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتا عالية في جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبدالله بن حذف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه، فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلا عظيما، وقل من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة، وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة العبدي من سادات القوم نائما، فقام دهشا حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز علي، فقال: لا أفعل، فوقع صريعا كلما مر به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مر به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحطم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله، وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، وذهب من فر منهم أو أكثرهم في البحر إلى دارين[٣]، ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونفل الأنفال.

○ كرامة أخرى:

ولما فرغ من ذلك، قال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعا، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى

(١) العَلَل: الشربة الثانية، والنهل: شرب الإبل أول ما ترد. ابن منظور، لسان العرب، (١١/ ٤٦٧).
(٢) ذكر ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى، (٤/ ٣٦٣) من طريق المدائني بإسناده إلى عامر الشعبي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وذكر الطبري في تاريخها (٣/ ٣٠٦) من طريق سيف بن عمر.
(٣) دارين: بكسر الراء: هي فرضة بالبحرين. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٢/ ٣٢).

أنهم لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه، وهو يقول: يا أرحم الراحمين يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبرا، واستاق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئا سوى عُليقة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم الغنائم فيهم، فأصاب الفارس ستة الآف، والراجل ألفان، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر، وهو عفيف بن المنذر[(١)]:

ألم تر أن الله ذلل بحره ... وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا ... بأعجب من فلق البحار الأوائل

○ ردة أهل عمان[(٢)]:

كان أهل عمان قد استجابوا لدعوة الإسلام وبعث إليهم رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، ثم بعد وفاته ﷺ نبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجلندى ملك عمان[(٣)]، فادعى النبوة، وتابعه الجهلة من

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٥/ ١٣٠)، والخبر أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٣١١)، وقال ابن حجر في ترجمة العملاء في كتاب الإصابة (٤/ ٥٤١): وخاض البحر بكلمات قالهن وذلك مشهور في كتب الفتوح.

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٢٩).

(٣) انظر ترجمته في: الإصابة، لابن حجر العسقلاني (١/ ٥٣٨).

أهـل عمان، فتغلب عليها وقهر جيفرا وعبادا ابني الجلندى[١]، وألجأهما إلى أطرافها من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشـه، فبعث إليـه الصديق بأميرين هما: حذيفة بن محصن الغلفـاني من حمير، وعرفجة بن هرثمة البارقـي مـن الأزد، حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهـرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعمان، وحذيفة هو الأمير في عمان، فإذا سـاروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير، ثـم ألحقهـم بعكرمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسـاروا فلما اقتربـوا من عمان راسـلوا جيفـرا، وبلغ لقيـط بن مالك الأزدي مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسـكر بمكان يقال له: دبا - وهي مضر تلك البلاد وسـوقها العظمى - وجعل الـذراري وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صحار، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق ثم قدموا بمن معهم من المسلمين إلى قادة الصديق، وتحركوا جميعا إلى دبا لقتـال المرتدين، وتقاتلوا قتالا شـديدا، وابتلي المسـلمون وكادوا أن يولوا، فمن الله بكرمـه ولطفـه أن بعث إليهـم مددا في السـاعة الراهنة من بني ناجيـة وعبد القيس، في جماعـة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشـركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل، وسبوا الذراري، وأخذوا الأمـوال والسـوق بحذافيرها، وبعثوا بالخمـس إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مـع عرفجة بن هرثمة[٢].

○ بلاد مهرة[٣]:

لما فرغوا من عمان، تولى عكرمة بن أبي جهل قيادة الجيش وسار بالناس إلى بلاد مهـرة، بمن معه مـن الجيوش، حتى اقتحم على مهرة بلادهـا، فوجدهم جندين على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصبح، أحد بني محارب، وعلى الجند الآخر

(١) انظر ترجمتها في: المصدر نفسه (١/٥٤٢) و (٥/١١١) على التوالي.
(٢) قارن بـ تاريخ الطبرى، (٣/ ٣١٤) وما بعدها.
(٣) البداية والنهاية (٦/٣٣٠).

أمير يقال له: شخريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين، فراسل عكرمة شخريتا فأجابه وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصبح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغتر بكثرة من معه، ومخالفة لشخريت، فتمادي على طغيانه فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصبح أشد من قتال دبا في عمان، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففر المشركون وقتل المصبح، وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفا نجيبة من الإبل، فخمس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصديق مع شخريت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب من بني عابد من مخزوم[1].

○ ملخص حروب الردة[2]:

ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردة لبعض الناس، وثبت آخرون، فبعث الصديق إليهم جيوشا وأمراء يكونون عونا لمن في تلك الناحية من المؤمنين، فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصديق من هناك من المرتدين - ولله الحمد والمنة - وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة، فيتقوون بذلك على من هنالك، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوة ويستعينون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، على ما سيأتي تفصيله.

ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة الله ورسوله، أو أهل ذمة، كأهل نجران وما جرى مجراهم. وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة.

(١) قارن بالمصدر السابق (٣/ ٣١٦) وما بعدها.
(٢) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣١، ٣٤٢).

فقد استهلت السنة الثانية عشرة وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة، جوالون في البلاد يمينا وشمالا، لتمهيد قواعد الإسلام وقتال الطغاة من الأنام، حتى رد شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع
الفتوحات في عهده

أ. الفتوحات في بلاد العراق

المرحلة الأولى:

تمثل جهود الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في فتوحات بلاد العراق المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في بلاد المشرق في عهد الخلفاء الراشدين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وقد تولى قيادة هذه المرحلة خالد بن الوليد، وهذا تفصيلها.

بعث خالد إلى العراق[١]:

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأبلة[٢]، ويأتي العراق من أسفلها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحدا من جنده على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب[٣] كل امرىء مر به من المسلمين، وشرع أبوبكر في تجهيز السرايا والبعوث إمدادا لخالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تاريخ بعث خالد إلى العراق:

ذكر المدائني بإسناده أن خالدا توجه إلى العراق في المحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة وانضم إليه قطبة بن قتادة السدوسي، والمثنى بن حاثرة الشيباني.

وقال محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها: بانقيا،

---

(١) البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٢).

(٢) الأبلة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام، بلدة على شط العرب في زواية الخليج الذي يدخل في مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، وكانت بها مسالح لكسرى. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٧٧).

(٣) أي: يطلب صحبته دون إلزام.

وبار وسما، وصاحبها من الفرس: جابان، فصالحه أهلها، وكان الصلح على ألف درهم، وقيل ألف دينار، وكان ذلك في شهر رجب.

○ فتح الأبلة فرج الهند، وتسمى المعركة، ذات السلاسل[١]:

كانت الأبلة تسمى فرج أهل السند والهند، وهي أعظم فروج فارس بأسا وأشدها شوكة، وكان صاحبها يحارب العرب في البر ويحارب الهند في البحر، وهو هرمز، فكتب إليه خالد، فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شيرى ابن كسرى، وأردشير بن شيرى، وجمع هرمز، وهو نائب كسرى جموعا كثيرة سار بهم إلى كاظمة[٢]، وعلى مجنبتيه قباذ، وأنوشجان - وهما من بيت الملك. وقد تقرن الجيش في السلاسل لئلا يفروا، وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفرا، وكان شريفا في الفرس، وكان الرجل كلما ازداد شرفا زاد في حليته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفا فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحا شديدا، فلما تواجه الصفان، وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغلته عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وأفلت قباذ وأنوشجان، ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة، وبعث بالفتح والبشارة

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٤).

(٢) كاظمة: بلدة تقع على سيف البحر في الطريق بين البصرة والبحرين، بينها وبين البصرة مرحلتان، ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٣١).

والخمس، مع زر بن كليب، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعل ضعيفات النساء يقلن: أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فرده الصديق مع زر، وبعث أبوبكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنفله سلب هزمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجواهر، وبعث خالد الأمراء يمينا وشمالا يحاصرون حصونا هنالك ففتحوها عنوة وصلحا، وأخذوا منها أموالا جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين الذين لم يقاتلوا ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس[(١)].

○ وقعة المذار «الثني»[(٢)]:

ثم كانت وقعة المذار[(٣)] في صفر من السنة الثانية عشرة، ويقال لها: وقعة الثني - وهو النهر.

قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار[(٤)].

وكان سببها أن هرمزا كان قد كتب إلى أردشير وشيرى، بقدوم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد من أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرار الفرس، فتلقى قارن المنهزمين فالتقوا عليه، فتذامروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى جنبتي قارن: قباذ وأنوشجان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة

(١) علق الطبري في تاريخه (٣/ ٣٥٠) بعد ذكر هذا السياق بقوله: "وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح، وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة.
قلت: والجمع بين القولين أن هذا الفتح لم يكن مستقرا فقد انتقضت بعض البلدان عندما خرج خالد إلى الشام، ثم أعيد الفتح مرة أخرى في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٤).
(٣) المذار: بالفتح، وآخره راء، تقع بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٨٨).
(٤) التاريخ الرسل والملوك (٣/ ٣٥١).

ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئة، فاقتتلوا قتال حنق وحفيظة، وخرج قارن يدعو إلى البراز، فبرز إليه خالد، وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل معقل بن الأعشى بن النباش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قباذا، وقتل عاصم أنوشجان، وفرت الفرس وركبهم المسلمون على ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفا، و غرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس، وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق، وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس، وسبى ذراري من حضره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنهم أقرهم بالجزية، وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري - وكان نصرانيا - ومافنه مولى عثمان، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة، ثم أمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن، وأمره أن ينزل الحفير ليجبي إليه الأموال وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء[١].

○ معركة الولجة[٢]:

كان أمر الولجة[٣] في صفر من السنة الثانية عشرة، فيما ذكره ابن جرير، وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمذار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير، وهو ملك الفرس يومئذ، بعث أميرا شجاعا يقال له الأندر زغر، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها، وأمده بجيش آخر مع أمير يقال له: بهمن جاذوية، فساروا حتى بلغوا مكانا يقال له: الولجة، فسمع بهم خالد، فسار بمن معه من الجنود، ووصى من استخلفه، هناك بالحذر وقلة الغفلة، فنازل أندرزغر ومن تأشب معه واجتمع عنده بالولجة، فاقتتلوا

(١) قارن بالمصدر السابق (٣/ ٣٥١-٣٥٢).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٢).

(٣) الولجة: بأرض كسكر، موضع مما يلي البر، واقع فيه خالد جيش الفرس فهزمهم. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٣٨٣).

قتالا شـديدا هو أشـد مما قبلـه، حتى ظن الفريقـان أن الصبر قد فرغ، واسـتبطأ كمينه الذي كان أرصده وراءه في موضعين، فما كان إلا يسـيرا حتى خرج الكمينان من هاهنا ومـن هاهنا، نفرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزغر من الواقعة فمات عطشـا، وقام خالـد في النـاس خطيبا، فرغبهم في بـلاد الأعاجم وزهدهم في بـلاد العرب، وقال: ألا تـرون ما هاهنـا من الأطعمات؟ وبـالله لو لم يلزمنـا الجهاد في سـبيل الله والدعاء إلى الإسـلام ولم يكن إلا المعاش لكان الـرأي أن نقاتل على هذا الريف حتي نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه.

ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماس بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية[١].

○ وقعة أليس[٢]:

كانت وقعة أليس في صفر سنة اثنتي عشرة، وذلك أن خالدا كان قد قتل يوم الولجة طائفة من بكر بن وائل – من نصارى العرب ممن كان مع الفرس – فاجتمع عشـائرهم وأشـدهم حنقا عبدالأسـود العجلـي، وكان قد قتل لـه ابن في معركة الولجـة، فكاتبوا الأعاجم فأرسـل إليهم أردشير جيشـا فاجتمعوا بمكان يقال له: أليس[٣]، فبينما هم قد نصبوا لهم سـماطا فيه طعام يريدون أكله، إذ فاجأهم خالد بجيشه، فلما رأوه أشار من أشـار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسـرى: بل ننهض إليه، فلم يسمعوا منه.

فلمـا نزل خالد تقدم بين يدي جيشـه ونادى بأعلى صوته الشـجعان من هنالك من

(١) الطبري، المصدر السابق (٣/ ٣٥٣- ٣٥٤).

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٤٦).

(٣) أليس: مصغر بوزن فليس: قرية من قرى الأنبار وهي في أول أرض العراق من من ناحية البادية. ياقوت، مصدر سابق (١/٢٤٨)، وقال الطبري في تاريخه (٣/٣٥٥) تقع على صلب الفرات.

الأعراب: أين فلان، أين فلان؟ فكلهم تلكأوا عنه إلا رجلا يقال له مالك بن قيس، من بني جدرة، فإنه برز إليه، فقال له خالد: يابن الخبيثة ما جزاك علي من بينهم وليس فيك وفاء[1]؟ فضربه فقتله. ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالا شديدا جدا، والمشركون يرقبون قدوم بهمن جاذويه مددا من جهة الملك إليهم، وصبر المسلمون صبرا بليغا، وقال خالد: اللهم لك علي إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحدا أقدر عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ منح المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجا يساقون سوقا، وقد وكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوما وليلة، ويطلبهم من الغد ومن بعد الغد، وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه في النهر، وقد صرف ماء النهار إلى موضع آخر فقال له بعض الأمراء: إن النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجري معه فتبر بيمينك، فأرسله فسال عبيطا، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم.

وبلغ عدد القتلى سبعين ألفا، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فانزلوا فأكلوا، فنزل الناس فأكلوه عشاء.

وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققا كثيرا فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقول: ما هذه الرقع؟ يحسبونها ثيابا، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم رقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رقاقا، وإنما كانت العرب تسميه القري.

وقد روى سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، عمن حدث عن خالد، أن رسول الله ﷺ نفَّل الناس يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء وما أكلوا، غير

(١) أي: غناء وكفاية.

متأثليه[١]. وكان كل من قتل بهذه الوقعة يوم أليس من بلدة يقال لها أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها، واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنما عظيما فقسم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفا وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله.

وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له: جندل من بني عجل، وكان دليلا صارما، فلما بلغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية مع السبي. وقال الصديق: يا معشر قريش إن أسد كم قد عدا على الأسد فغلبه على خراذيله[٢]، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد[٣].

○ صلح الحيرة[٤]:

بعد انتصار خالد في معركة أليس، أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمره عليها كسرى، بعد النعمان بن المنذر، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية.

فقال له خالد: تبا لكم، إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها.

ثم صالحهم على تسعين ألفا، وفي رواية مائتي ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق، وحملت إلى المدينة هي والقريات قبلها باروسما وبانقيا.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، (٣/ ٣٥٧) وقد جاءت العبارة عند ابن كثير: الخبز والبطيخ والشواء، وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر أنه قال: كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه (٦/٢٥٥ من الفتح) باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب.
(٢) الخراذيل: بالذال المعجمة والمهملة اللحم المقطع. اللسان (١١/ ٢٠٣).
(٣) قارن بتاريخ الطبري (٣/ ٣٥٧) وما بعدها.
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣، ٣٤٧).

وقد كتب لهم كتابا بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة، ولم يكن صالحهم حتى سلموا، كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له: شويل، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شرف قصورها أنياب الكلاب، فقال له: يا رسول الله، هب لي ابنة بقيلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاها شويل، وشهد له اثنان من الصحابة، فامتنعوا من تسليمها إليه، وقالوا: ما تريد من امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت لقومها: ادفعوني إليه، سأفتدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابة، فسلمت إليه فلما خلا بها قالت: ما تريد من امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منك، فاحكم بما أردت. فقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة، فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم، ولامه الناس بعد ذلك، وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة[(١)]؟! وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمرا وأراد الله غيره، وإنا نحكم بظاهر قولك، ونيتك عند الله.

وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد في بلاد فارس هنا، وهاهنا، ويوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة، ما يبهر الأبصار لمن شاهد ذلك، ويشنف أسماع من بلغه ذلك، ويحير العقول لمن تدبره.

وكان الذي فاوضه على الصلح عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة، ووجد خالد معه كيسا، فقال: ما في هذا؟ - وفتحه خالد فوجد فيه شيئا، فقال ابن بقيلة: هو سم ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟

فقال: حتى إذا رأيت مكروها في قومي أكلته، فالموت أحب إلي من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير

(١) ذكر الحديث والقصة البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٢٦)، وهي في التاريخ للطبري، (٣/ ٣٦٦)، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص (٢٩٨) أن الذي سأل النبي ﷺ بنت بقيلة هو: خريم بن أوس الطائي. قال: وهذا أثبت.

الأسـماء، رب الأرض والسـماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه، فبادرهم فابتلعه[١]، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالا من هذا.

○ كتاب خالد إلى مرازبة أهل فارس:

ثم بعث خالد بن الوليد كتابا إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه.

مـن خالـد بن الوليد إلـى مرازبة أهل فارس، سـلام على من اتبع الهـدى، أما بعد: فالحمد لله الذي فض خدمكم، وسلب ملككم، ووهن كيدكم، وأن من صلى صلاتنا، واسـتقبل قبلتنـا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسـلم، الـذي له ما لنا، وعليه مـا علينا، فإذا جاءكـم كتابـي فابعثوا إلي بالرهن، واعتقدوا مني الذمـة، وإلا فوالله لا إله غيره لأبعثن إليكم قوما يحبون الموت كما تحبون الحياة.

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون.

○ فتح خالد للأنبار[٢]:

ركب خالد جيوشـه فسـار حتى انتهى إلى الأنبار[٣]، وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له: شيرزاد، فأحاط بها خالد، وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معه أهل أرضهم، فمانعوا خالدا أن يصل إلى الخندق،

(١) القصـة أخرجهـا ابن سـعد في الطبقات في ترجمة خالد (٩٢/ ٦ / أ) أخبرنا عبـدالله بن الزبير الحميدي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أتي بسـم فقال: ما هذا؟ قالوا: سـم، فقال: بسـم الله وشـربه. وقـال ابن حجر في الإصابـة، (٢٥٤/ ٢): أخرجه ابن سعد من وجهين، ورواه أبو يعلى. قلت: وهذا الإسناد صحيح.

(٢) البداية والنهاية (٣٤٨/ ٦)

(٣) مدينـة علـى نهر الفرات غربـي بغداد، كانت تجمع بها أنابير الحنطة والشـعير فسـميت الأنبار. ياقوت، مصدر سابق (٢٧٥/ ١).

فضرب معهم رأسا، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال، حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاد خالدا في الصلح، فاشترط خالد أمورا تمنع شيرزاد من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا[١] الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاد ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفي له خالد بذلك، وخرج شيرزاد من الأنبار وتسلمها خالد فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن كان بها من العرب الكتابة العربية[٢]، وكان أولئك العرب وهم بنو إياد سكنوا الأنبار من أيام بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالدا قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد لو أنهم أمم ... أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ... ساروا جميعا واللوح والقلم

ثم صالح خالد أهل البوازيج[٣]، وكلواذى[٤]، قال: ثم نقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الأحوال، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقيا.

○ وقعة عين التمر[٥]:

لما فتح خالد الأنبار، استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين التمر[٦]، وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من الأعراب، طوائف من التمر، وتغلب،

(١) الرذايا: الإبل المهزولة من السير.
(٢) عن الخط العربي وأول من كتب به. انظر: البلاذري، فتوح البلدان ص (٥٧٩)، وابن النديم، الفهرست ص (٧- ٩).
(٣) بوازيج الأنبار هي غير البوازيج التي قرب تكريت، ويقال لها: بوازيج الملك، وقد فتح بوازيج الأنبار جرير بن عبدالله البجلي، وكان له فيها موالي. ياقوت، مصدر و سايق (٥٠٣/ ١).
(٤) كلواذي: بالفتح ثم السكون والذال المعجمة، من أرض السواد بين الكوفة وواسط. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٧٧).
(٥) البداية والنهاية (٦/٣٤٩).
(٦) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، والتمر بها كثير جدا. ياقوت، مصدر سابق.(٦١٧/ ٤).

وإياد، ومن لافهم[١]، وعليهم عقة بن أبي عقة، فلما دنا خالد، قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالدا، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالدا فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالدا وقد ضعف ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد، وتلقاه عقة، فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه، وحمل على عقة، وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره، وانهزم جيشه من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن، فوجدوه، مفتوحا، فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه، فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن، ثم أمر فضربت عنق عقة، وكان أسر معهم، كما ضربت أعناق الباقين، وغنم جميع ما في الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، وعليهم باب مغلق فكسره خالد، وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان منهم حمران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين، أخذه مالك بن أنس. وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد الله بهم خيرا[٢].

○ خبر دومة الجندل[٣]:

كان أبو بكر لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق، أمره أن يبدأه من أسفله، وأمر عياض بن غنم أن يبدأ العراق من أعلاه ويلتقيا عند الحيرة وأيهما سبق إليها يكون أميرا

(١) أي: تحالف معهم، وفي الأصل: لاقاهم، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣-٣٧٦).
(٢) انظر: التاريخ الطبري (٣٧٦/ ٣ - ٣٧٧)، من طريق سيف بن عمر.
(٣) البداية والنهاية (٣٥٠-٦).

على صاحبه، غير أن عياضا لما مر بدومة الجندل[١] حاصرها، ولم يستطع اجتيازها، فلما جاء الوليد بن عقبة إلى أبي بكر وافدا من عند خالد رده الصديق إلى عياض بن غنم مددا له، وهو محاصر دومة الجندل، فلما قدم عليه وجده في ناحية يحاصر قوما، وهم قد أخذوا عليه الطرق، فهو محصور أيضا، فقال عياض اللوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لبث قليلا تأتك الحلائب
يحمل آسادا عليها القاشب
كتائب تتبعها كتائب

واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسير خالد إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء، وتوخ، وكلب، وغسان، والضجاعم، فأقبلوا إليهم وعلى غسان، وتنوخ ابن الأيم، وعلى الضجاعم ابن الحدرجان، وجماع الناس بدومة إلى رجلين: أكيدر بن عبدالملك، والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقال أكيدز: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرا منه ولا أحد في حرب، ولا يرى وجه خالد قوم قلوا أم كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم، فأبوا عليه فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، وفارقهم، فبعث إليه خالد، عاصم بن عمرو، فعارضه فأخذه، فلما أتي به إلى خالد أمر فضربت عنقه وأخذ ما كان معه.

ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة، وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب، وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب

(١) دومة الجندل: بضم الدال وفتحها، والضم أفصح، سميت باسم رجل من ولد إسماعيل، بني حصنا هناك وسقفه بالجندل، ولا تزال تعرف باسمها القديم، وهي تقع الآن في شمال المملكة في منطقة الجوف. انظر: ياقوت، مصدر سابق (٢/ ٤٨٧).

فرقتين، فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على من قبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالد الجودي، وأسر الأقرع بن حابس وديعة، وفرت الأعراب إلى الحصن فملأوه، وبقي منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن، فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد فضرب أعناق من وجده خارج الحصن، وأمر بضرب عنق الجودي ومن كان معه من الأسارى إلا أسارى بني كلب، فإن عاصم بن عمرو، والأقرع بن حابس، وبني تميم أجاروهم، فقال لهم خالد: ما لي ولكم، أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: أتحسدونهم العافية وتحوزونهم الشيطان؟ ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة، وسبوا الذراري، فبايعوهم بينهم فيمن يزيد، واشترى خالد يومئذ ابنة الجودي، وكانت مرصوفة بالجمال. وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الأنبار، ثم رجع خالد إلى الحيرة، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس[(١)]، فسمع رجلا منهم يقول لصاحبه: مر بنا، فهذا يوم فرح الشر.

○ خبر وقعتي الحصيد والمصيخ[(٢)]:

كان خالد بن الوليد أقام بدومة الجندل بعد فتحها فظن الأعاجم به، وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد[(٣)]، وبعث عروة بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس[(٤)]، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله

(١) التقليس: استقبال الولاة بأصناف اللهو. اللسان (٦/ ١٨٠)، وهو من عادات أهل تلك البلاد.
(٢) البداية والنهاية» (٦/ ٣٥١).
(٣) الحصيد - مصغرا - واد بين الكوفة والشام. ياقوت، مصدر سابق (٢/٢٦٦).
(٤) الخنافس: ارض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار، تقام فيه سوق. المصدر نفسه (٢/ ٣٩٠).

ما قد اجمع من جيوش الأعاجم مع نصاري الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمـرو أميرا على النـاس، فالتقوا بمكان يقال له الصيد، وعلى العجم رجل منهم، يقال لـه: روزبه، وأمده أمير آخر يقال له: روزمهر، فاقتتلوا قتالا شـديدا، وهزم المشـركون فقتل منهم المسـلمون خلقـا كثيرا، وقتل القعقـاع بيده، روزمهر، وقتـل رجل يقال له عصمة بن عبدالله الضبي، روزبه.

وغنم المسـلمون شـيئا كثيرا، وهرب من هرب من العجـم، فلجأوا إلى مكان يقال لـه: خنافس، فسـار إليهم أبوليلى بن فدكي السـعدي، فلما أحسـوا بذلك سـاروا إلى المصيـخ[١]، فلما اسـتقروا بها بمن معهـم من الأعاجم والأعـارب، قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسـم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلا وهم نائمون فأنامهم، ولـم يفلت منهم إلا اليسير فما شبهوا إلا بغنم مصرعة[٢].

○ وقعة الثني والزميل[٣]:

ثم كانت وقعة الثني[٤] والزميل[٥]، وقد بيتوهم، فقتلوا من كان هنالك من الأعراب والأعاجـم، ثـم بعث خالـد بالخمس من الأموال والسـبي إلى الصديق، وقد اشـترى علي بن أبي طالب من هذا السـبب جارية من العرب وهي ابنة ربيعة بن بجير التغلبي، فاستولدها عمر، ورقية، رضي الله عنهم أجمعين[٦].

---

(١) المصيخ: بضم الميم وفتح الصاد المهملة، وياء مشـددة، وخاء معجمة - يقال له: مصيخ بني البرشـاء، بين حوران والقلت. المصدر نفسه (٤/ ١٤٤).

(٢) انظر الخبر بتفصيل أكثر عند الطبري (٣/ ٣٨٠- ٣٨٢).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٥٢).

(٤) الثني: بالفتح، ثم الكسر، وياء مشددة: علم لموضع بالجزيرة، تجمعت فيه بنو تغلب، وبنوبجير لحرب خالد، فأوقع بهم سنة (١٢ هـ). المصدر نفسه (٢ /٨٦).

(٥) الزميل: تصغير زمل، موضع بالجزيرة عند البشر شرقي الرصافة، أوقع فيه خالد ببني تغلب وغيرهم سنة (١٢هـ). المصدر نفسه (٣/ ١٥١).

(٦) قارن بتاريخ الطبري (٣/ ٣٨٢).

○ وقعة الفراض[١]:

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفراض[٢]، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطرا لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعا كثيرة، واستمدوا تغلب، وإياد، والنمر، ثم ناهدوا خالدا فحالت الفرات بينهم، فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم، فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالا عظيما بليغا، ثم هزم الله جموع الروم، وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقتل في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفاض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة، وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة[٣].

○ توجه خالد للحج سنة (١٢هـ)[٤]:

سار خالد في عدة من أصحابه، وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يسلك قبله قط، وتأتي له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفا على غير جادة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة، ولم يعلم أحد بحج خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كانوا معه، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك إلا بعد ما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش.

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٥٢).

(٢) الفراض: بكسر أوله، وآخره ضاد معجمة، جمع الفرضية، وهي المشروعة، وهو موضع في تخوم الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات. المصدر نفسه (٢٤٣/ ٤).

(٣) راجع الخبر في تاريخ الطبري، من طريق سيف بن عمر (٣/ ٣٨٣).

(٤) البداية والنهاية (١٦/ ٣٥٢).

وكانت عقوبته عنده أنه صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه: وإن الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء[١].

○ أمر العراق بعد مجيء خالد إلى الشام[٢]:

بعد انتقال خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام استغنم الفرس غيبة خالد عنهم، فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشا كثيفا، نحوا من عشرة آلاف عليهم هرمز بن جاذويه، وكتب ملكهم شهريار إلى المثنى: إني بعثت إليك جندا من وحش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم.

فكتب إليه المثنى: من المثنى إلى شهريار، إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير.

فجزع أهل فارس من هذا الكتاب، ولاموا شهريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه.

سار المثنى من الحيرة إلى بابل، ولما التقى بجيشهم بمكان عدوة الصراة الأولى[٣]، اقتتلوا قتالا شديدا جدا، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلا ذريعا، وغنموا منهم مالا عظيما،

(١) أورده الطبري في تاريخه (٣/ ٣٨٤) ولم يذكر له إسنادا.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٦).
(٣) الصراة: بالفتح، وهو نهر يستمد من الفرات، بنى عليه الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل، ياقوت، مصدر سابق ص (٤٠٠).

وفـرت الفـرس حتى انتهوا إلى المدائن في شـر حالة، ووجد الملـك قد مات، فملكوا عليهم «بوران بنت أبرويز» فأقامت العدل، وأحسنت السيرة، ثم ماتت، فملكوا عليهم أختهـا «آزر ميدخت زنـان» فلم ينتظم لهم أمر، فملكوا عليهم «سـايوز بن شـهريار»، وجعلـوا أمره إلـى الفرخزاد بن النـدوان، فزوجه سـابور بابنة كسـرى «آزر ميدخت» فكرهت ذلك وقالت: إنما هذا عبد من عبيدنا، فلما كان ليلة عرسها عليه هجموا عليه فقتلوه، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضا، وملكوا عليهم هذه المرأة مرة أخرى.

ولعبـت فارس بملكها لعبا كثيرا، وآخر ما اسـتقر أمرهم عليـه أن ملكوا امرأة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[(١)].

○ قدوم المثنى بن حارثة إلى المدينة[(٢)]:

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام، وما فيه من حرب اليرموك، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق، واستناب على العراق بشير بن الخصوصية، وعلى المسـالح سـعيد بن مرة العجلـي، فلما انتهى المثنى إلـى المدينة وجد الصديق في آخـر مرض الموت، وقد عهد إلـى عمر بن الخطاب، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمـر: إذا أنا مت فلا تمسـين حتى تنـدب الناس لحرب أهل العراق مـع المثنى، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجـه البخـاري في صحيحـه، كتاب المغـازي، باب كتـاب النبي ﷺ إلى كسـرى وقيصر من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي (١٢٦/٨ من فتح الباري). وانظر: مسند أحمد (٥/ ٥٠).
(٢) «البداية والنهاية» (١٧/ ٧).

ب ـ الفتوحات في بلاد الشام

○ المرحلة الأولى:

تمثل جهود الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فتح بلاد الشام المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في الجبهة الغربية «بلاد الشام ومصر وأفريقية» في عهد الخلفاء الراشدين، وهذا تفصيلها:

○ دوافع الفتوحات[1]:

استهلت السنة الثالثة عشرة والصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج عملا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة:١٢٣]، وبقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة:٢٩]، واقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه جمع المسلمين لغزو الشام - وذلك عام تبوك - حتى وصلها في حر شديد وجهد، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام.

ولهذا لما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق، فبعث إليها خالد بن الوليد، ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق، فشرع في جمع الأمراء من أماكن متفرقة من جزيرة العرب.

وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة، ومعه الوليد بن عقبة فيهم، فكتب إليه يستنفره إلى الشام: «إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاكه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة، وسماه لك أخرى، وقد أحببت أبا عبدالله أن أفرغك لما هو خير في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك».

(١) البداية والنهاية (٢/٧).

فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها فارم بي فيها.

وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل ذلك ورد عليه مثله[١]، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما، إلى المدينة.

○ خطبة للصديق في الحث على الجهاد[٢]:

ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد، فقال: ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، إذ تجي بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة[٣].

○ بعث خالد بن سعيد[٤]:

كان خالد بن سعيد بن العاص قد قدم على الصديق من اليمن، فولاه الصديق جيشا وبعثه إلى تيماء.

قال ابن جرير: ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب، من بهراء، وتنوخ، وبني كلب، وسليح، ولخم وجذام، وغسان، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ثم دخل كثير منهم

(١) انظر: تاريخ الملوك والرسل، (٣/ ٣٨٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣).
(٣) انظر: تاريخ الملوك والرسل، (٣/ ٣٩٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٤).

في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمده بالوليد بن عقبة، وعكرمة بن أبي جهل وجماعة، فسار إلى قريب من إيلياء (بيت المقدس) فالتقى هو وأمير من الروم يقال له: باهان فكسره، ولجأ باهان إلى دمشق، فلحقه خالد بن سعيد إلى دمشق، فلما وصل إلى مرج الصفر[١] انطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق، وزحف باهان من دمشق ففر خالد بن سعيد، حتى انتهى إلى ذي المروة، واستحوذ الروم على جيشه إلا من فر على الخيل، وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريبا، وبقي ردءا لمن فر إليه[٢].

فغضب الصديق من فعل خالد وأمره بالبقاء في ذي المروة حتى يرى رأيه.

○ عقد الألوية وتسمية الأمراء[٣]:

شرع الصديق في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات:

١- فعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان، ومعه جمهور الناس، وفيهم سهيل بن عمرو، وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه ماشيا يوصيه بما يعتمده في حربه و بمن معه من المسلمين، وجعل له دمشق.

٢- وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر، وخرج معه ماشيا يوصيه، وجعل له نيابة حمص.

٣- وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين.

٤- وقدم شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد، فأمره على جيش وبعثه إلى الشام ووجهته الأردن، فلما مر بخالد بن سعيد في ذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة.

(١) مرج الصفر: بالضم وتشديد الفاء، من مروج دمشق. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ١٠١).
(٢) انظر: تاريخ الملوك والرسل (٣/ ٣٨٩).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣).

٥- ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان، وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان، ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بذي المروة إلى الشام.

ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة.

فكان طريق يزيد بن أبي سفيان على تبوك، وكذا أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة.

وخرج عمرو بن العاص على طريق المعرفة[١] حتى نزل بغمز العربات[٢]. ونزل أبو عبيدة بالجابية[٣].

وجعل الصديق يمدهم بالجيوش، وأمر كل مدد أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء.

○ أول المعارك في بلاد الشام[٤]:

يقال إن أول حرب وقع بالشام، هو مواجهة الروم الذين اجتمعوا بمكان يقال له العربة من أرض فلسطين، فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقا عظيما[٥].

ويقال إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه، وكان أول صلح وقع بالشام.

❁ ❁ ❁

(١) المعرفة، بالضم، ثم السكون، وكسر الراء، هي الطريق التي كانت قريش تسلكها في تجارتها إلى الشام، وهي طريق تأخذ على ساحل البحر الأحمر. ياقوت، مصدر سابق (١٥٥/ ٥).

(٢) الغمر: هو الأرض المنخفضة، والعربة: موضع بفلسطين. ياقوت، مصدر سابق (٩٨ / ٤).

(٣) الجابية: قرية جنوب دمشق.

(٤) البداية والنهاية، (٤ / ٧).

(٥) راجع: تاريخ الملوك والرسل، (٣/ ٤٠٦).

وقعة اليرموك[١]

○ تاريخ الموقعة:

كانت وقعة اليرموك في السنة الثالثة عشرة قبل فتح دمشق، على ما ذكره سيف بن عمر، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

وأما الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة، والوليد بن مسلم، وابن لهيعة، والليث بن سعد، وأبي معشر، أنها كانت في سنة خمس عشرة[٣] بعد فتح دمشق.

وقال محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط: كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة[٤].

قال ابن عساكر: وهذا هو المحفوظ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه[٥].

○ اجتماع الروم واستعدادهم للمعركة:

قال ابن كثير: وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره.

قال: لما توجهت الجيوش الإسلامية نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفا شديدا، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر، فيقال: إنه كان يومئذ بحمص، وكان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر قال لهم: ويحكم إن

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧-١٤).

(٢) ابن جرير، تاريخ الملوك والرسل (٣/ ٤٤١).

(٣) تاريخ دمشق (١/ ٢٤٥ خط).

(٤) تاريخ خليفة ص (١٣٠).

(٥) قلت: المشهور رواية سيف، وقد اعتمدها الطبري، وسار عليها، وتابعه ابن الأثير، وقدمها الحافظ ابن كثير.

هؤلاء أهل دين جديد، وإنه لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام، وضيقوا عليكم جبال الروم. فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش، كما هي عاداتهم، فعند ذلك سار إلى حمص، وأمر بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه تذارق في تسعين ألفا من المقاتلة، وبعث جرجة بن توذرا إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفا أو ستين ألفا، وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار ويقال القيقلان بن نسطوس - وهو خصي هرقل - في ستين ألفا إلى أبي عبيدة بن الجراح.

وقالت الروم: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيل إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفا سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل - وكان واقفا في طرف الشام ردءا للناس - في ستة آلاف، فكتب الأمراء إلى أبي بكر يعلمونه بما وقع من الأمر العظيم فكتب إليهم: أن اجتمعوا وكونوا جندا واحدا والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتي مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه[١].

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع، بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضا وأن ينزلوا بالجيش منزلا واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس أخوه تذارق، وعلى المقدمة جرَجَه، وعلى المجنبتين باهان، والدراقص، وعلى الحرب الفيقار[٢].

قال سيف: فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريبا من اليرموك، وصار الوادي خندقا عليهم.

(١) تاريخ الملوك والرسل (٣/٣٩٣) من رواية سيف بن عمر.

(٢) المصدر نفسه.

○ مسير خالد من العراق إلى الشام:

وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه، ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم، فاستناب المثنى بن حارثة على العراق، وسار خالد مسرعا في تسعة الآف وخمسمائة، ودليله رافع بن عميرة الطائي، فأخذ به على السماوة[١] حتى انتهى إلى قراقر[٢]، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد، فاجتاب البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصعد على الجبال، وسار في غير مهيع، وجعل رافع يدلهم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة[٣]، وكان عطش النوق، وسقاها الماء عللا بعد نهل[٤]، وقطع مشافرها وكعمها حتى لا تجتر، واستاقها معه، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا ما في أجوافها من الماء، ويقال: بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها، ووصل - ولله الحمد والمنة - إلى سوى[٥] في خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تدمر[٦] فصالح أهل تدمر وأركه[٧]، ولما مر بعذراء[٨] أباحها وغنم لغسان أموالا عظيمة،

(١) صحراء معروفة، وهي أرض مستوية لا شجر فيها ولا حجر، تقع بين الكوفة والشام. ياقوت، مصدر سابق (٣/٢٤٩).

(٢) قراقر: واد لكلب بأرض السماوة من ناحية العراق. المصدر السابق (٤/٣١٨).

(٣) معطشة: أي ليس بها ماء.

(٤) النهل: الشربة الأولى، والعلل: الشربة الثانية.

(٥) سوى: بضم أوله والقصر، اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة، مر به خالد في طريقه من العراق إلى الشام. ياقوت، مصدر سابق (٣/٢٧١).

(٦) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام. المصدر السابق (٢/١٧).

(٧) أركة: مدينة صغيرة في طرف برية حلب، قرب تدمر. المصدر السابق (١/١٥٣).

(٨) عذراء: بالفتح ثم السكون، والمد، قرية بغوطة دمشق، وإليها ينسب أحد المروج، فيقال: مرج عذراء، المصدر السابق (٤/٩١).

وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى[١]، فصالحه صاحبها وسلمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام.

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق.

وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد:

الله عَيْنا رافع أني اهتدى فوز[٢] ... من قراقر إلى سوى

خمسا[٣] إذا ما ساره الجيش بكى ... ما سارها قبلك إنسي يرى

وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير: إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك. فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة فأصبحوا عندها، فقال خالد: عند الصباح يحمد القوم السرى، فأرسلها مثلا، وهو أول من قالها[٤].

○ اجتماع الجيوش الإسلامية والاستعداد للمعركة:

الآن اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة[٥]، وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه فنزلوا قريبا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره، فقال عمرو بن العاص: أبشروا أيها الناس، فقد حصرت - والله - الروم، وقلما جاء محصور بخير[٦].

(١) بصرى: بالضم والقصر، من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران. المصدر السابق (١/ ٤٤١).

(٢) في الأصل: قرفون، وهو تصحيف.

(٣) خمسا: بكسر الخاء، من أظماء الإبل، وهو أن ترعى ثلاثة أيام، وترد اليوم الرابع، ابن منظور، لسان العرب (٦/ ٦٩).

(٤) انظر: الميداني، مجمع الأمثال (٢/ ٦)، وهو مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة.

(٥) الواقوصة: واد بجوار نهر اليرموك، منخفض ذو أهوية، سقط فيه المسلسلون من جيش الروم، ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٣٥٥).

(٦) تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٣).

ويقال: إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبوسفيان فقال: ما كنت أظن أني أعمر حتى أدرك قوما يجتمعون لحرب ولا أحضرهم. ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد، فامتثلوا ما أشار، ونعم الرأي هو.

وأقبل باهان مددا للروم ومعه القساوسة والشمامسة، والرهبان، يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف، ثمانون ألف مسلسل بالحديد والحبال، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل[١].

ولما تصافوا مع عدوهم في أول جمادى الآخرة، قام خالد بن الوليد في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا تزال تردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدا[٢].

○ التعبئة العسكرية:

خرجت الروم في تعبئة لم ير مثلها قبلها، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوسا، كل كردوس ألف رجل، وجعل أبا عبيدة في القلب وعلى الميمنة عمرو بن العاص، ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

وأمر على كل كردوس أميرا، وعلى الطلائع قباث[٣] بن أشيم، وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود، والقاضي يومئذ أبو الدرداء، وقاصهم الذي يعظهم ويحثهم على

(١) قارن بتاريخ الطبري (٣/ ٣٩٤)
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٥).
(٣) في الأصل: قباب، وهو تصحيف.

القتال أبو سفيان بن حرب، وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال و آيات الجهاد المقداد بن الأسود[١].

ولما أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء، يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال، ساق خالد بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أمر الله أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لابد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإني أخشى على الميمنة والميسرة، وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين، وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم ردء فنأتيهم من ورائهم. فقال له: نعم ما رأيت. فكان خالد في أحد الخيلين من رواء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله، حتى إذا رآه المنهزم استحي منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب، سعيد بن زيد، أحد العشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن الخناجر والعمد، فقال لهن: من رأيتنه موليا فاقتلنه، ثم رجع إلى موقفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

○ التعبئة الإيمانية:

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطو إليهم خطوة، ولا تبدؤهم بالقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٣٩٧)

(٢) انظر: الأزدي، فتوح الشام ص(٢٢٠-٢٢١).

وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعل يذكرهم ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [النور:٥٥]. فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضي الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحسانا، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا، وقصرا قصرا، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشدة تطايروا تطاير أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن خليفة المؤمنين وأعداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم، وأموالهم وديارهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هي الحصون.

ثم ذهب إلى النساء فوصاهن[(١)].

وقد وعظ الناس أبو هريرة فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجاوروا ربكم في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم[(٢)].

(١) ذكر هذه الأقوال أبو إسماعيل الأزدي في فتوح الشام» ص(٢١٨- ٢٢٠). ومعنى كفرا كفرا وقصرا قصرا. أي بلدة بلدة كبيرة أو صغيرة.
(٢) المصدر نفسه ص (٢٢٥).

قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه: كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر[١].

وجعل أبو سـفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسـلام، وإنهـم ذادة الروم وأنصار الشـرك، اللهم إن هذا يوم مـن أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك[٢].

قـال رجـل من نصارى العـرب لخالد بن الوليد: مـا أكثر الروم وأقل المسـلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني الروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجيه، وأنهم أضعفوا في العدد. وكان فرسه قد حفى واشتكي في مجيئه من العراق[٣].

○ المفاوضات قبل القتال:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان نحو جيش الروم، ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل ابن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذارق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير.

فقـال الصحابة: لا نسـتحل دخولها، فأمر لهم بفرش بسـط من حريـر، فقالوا: ولا نجلـس علـى هذه، فجلس معهـم حيث أحبـوا وتفاوضوا على الصلـح، ورجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يتم ذلك[٤].

وذكر الوليد بن مسـلم، أن باهان طلب خالدا ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعان في مصلحـة لهم. فقال باهـان: إنا قد علمنا أنما أخرجكم مـن بلادكم الجهد والجوع،

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٧).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٧).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٩٨، ٤٠٢)، وابن الأثير، والكامل في التاريخ (٢/ ٤١٢).
(٤) الطبري، المصدر السابق (٣/ ٤٠٣).

فهلموا إلي أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان العام المقبل بعثنا لكم بمثلها.

فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. فقال أصحاب باهان: هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب[(١)].

○ إنشاب القتال:

لما تكامل الاستعداد، ولم تنجح المفاوضات، تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتي القلب - أن ينشبا القتال، فبادرا يرتجزان ودعوا إلى البراز، فتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق.

هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير.

○ إسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة:

وخرج جرجه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجه: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: فيم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين[(٢)]. ودعا لي بالنصر،

(١) ذكر المحاورة بأطول مما هنا أبو إسماعيل الأزدي، فتوح الشام، ص (١٩٩-٢٠٧).

(٢) سماه بذلك رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، حديث رقم

فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

فقال جرجه: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: فمن لم يجيبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا. قال جرجه: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية، كان أفضل منا؟ فقال جرجه: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجه الترمس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء، ثم صلى به ركعتين، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام(١).

○ صور من التضحية والبطولة:

(١) كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام -وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة- وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه

(٤٢٦٠) (٧/ ٥١٠ وفتح الباري).

(١) القصة في تاريخ الطبري (٣/ ٣٩٨)، من رواية سيف عن شيوخه. وذكرها الأزدي في فتوح الشام» ص(١٩٥) من وجه آخر. ومعنى سن عيه قربة، أي صب عليه ماء القربة ليغتسل به.

جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا الصفوف أحجموا، وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه.

ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين في كتفه. وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في صحيحه[(١)]».

(٢) وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، ورضنا بالقضاء[(٢)].

(٣) وخرج باهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان - وكان عدو الله متنسكا فيهم - فحمل على الميمنة وفيها الأزد، ومذحج، وحضرموت، وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صور (أي صف) من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم، وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة، فتراجع الناس إلى مواقفهم[(٣)].

(٤) قال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، حديث رقم (٣٧٢١) (٧/ ٨٠ فتح الباري).
(٢) الأزدي، فتوح الشام ص (٢٢٢).
(٣) الأزدي، المصدر نفسه (٢٢٢).

جراحا، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وقد ذكر الواقدي و غيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا، ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) ويقال: إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني السلام، وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رَحِمَهُ اللَّهُ.

وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تر يوم اليرموك إلا مخًّا ساقطا، ومعصما نادرا، وكفا طائرة.

(٦) حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين، فأزالوهم إلى القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف، ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم[٢].

○ كيف انتهت المعركة؟

ركب خالد ومعه جرجه، - والروم خلال المسلمين - فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف،

(١) ابن جرير، تاريخ الأمم والرسل (٣/ ٤٠١).
(٢) الأزدي، المصدر السابق ص (٢٢٦).

فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلى المسلمون صلاة الظهر، وصلاة العصر إيماء[١]، وأصيب جرجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وضعضعت الروم عند ذلك.

ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج لهم المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا.

وعمد خالد إلى قلب الروم، وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم، ثم تبعوا من فر من الخيالة، واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل الذين تسلسلوا و قيدوا بعضهم ببعض إذا سقط منهم الواحد سقط الذين معه.

قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفا سوى من قتل في المعركة[٢]. وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلن خلقا كثيرا من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: تذهبون، وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال: وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا: إذا لم تقدر على نصر دين النصرانية فنمت على دينهم.

فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم[٣].

قالوا: وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى

(١) أي من غير تمكن من الركوع والسجود.
(٢) الطبري، المصدر السابق (٣/ ٤٠٠)، ويقدرهم الأزدي في «فتوح الشام» ص (٢٣٠) بمائة ألف، وفي رواية: أنهم أحصوا فوجدوا أكثر من ثمانين ألفا.
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٤٠٠).

أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة[١].

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان، وقاتل قتالا شديدا، وذلك أن أباه مر به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محقوقا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا المسلمين؟! أولئك أحق بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالا شديدا، وكان من ناحية القلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين. قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[٣].

وأخر الناس صلاتي العشاء حتى استقر الفتح[٤].

وأكمل خالد ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ[٥] وهرب فيمن هرب، وباتت الخيول تجول حول خيمة خالد، يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا، وقتل تذارق وكان له ثلاثون سرادقا، وثلاثون رواقا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حازوا ما هنالك من الغنائم، وما فرحوا

(١) المصدر نفسه (٣/٤٠٢). وانظر: عن رؤيا الطفيل ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٢٩).
(٢) الأزدي، المصدر السابق ص (٢٢٨).
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات (١/٩٠)، بإسناد صحيح في ترجمة أبي سفيان من الطبقة الرابعة من الصحابة، بتحقيق: د. عبدالعزيز السلوسي، وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة» (٣/ ٣٠٠) من طريق ابن سعد، وقال ابن حجر في الإصابة» (٥/١٢٩): إسناده صحيح.
(٤) الطبري، المصدر السابق (٣/ ٤٠٠). والمراد المغرب والعشاء.
(٥) المصدر نفسه (٣/٤٠١).

بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن الله عوضهم بالفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قدوم البريد بوفاة الصديق:

بينما هم في جولة الحرب، وحومة الوغى، والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز، فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له - فيما بينه وبينه -: إن الصديق قد توفي واستخلف عمر، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح، فأسرها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، وقال له والناس يسمعون: أحسنت، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنانته، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب - وهو محمية بن زنيم[١]- إلى جانبه. كذا ذكره ابن جرير بأسانيده.

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصديق: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه[٢].

سر هزيمة الروم وسؤال هرقل عن ذلك[٣]:

قال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك، فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه. فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن

(١) في الأصل: «منجمة»، والتصحيح من تاريخ الطبري» (٣/ ٣٩٨). وانظر ترجمته في: الإصابة (٦/ ٢٨٠).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٢)، من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٥).

هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا، فلبث مليا ثم جاءه فقال: جئتك من عند رجال دقاقا، يركبون خيولا عتاقا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به[(١)].

روى أحمد بن مروان المالكي[(٢)] في المجالسة: ثنا أبو إسماعيل الترمذي، ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق. قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق[(٣)] ناقة عند اللقاء، فقال هرقل -وهو على أنطاكية- لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرا مثلكم، قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون بالليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني[(٤)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرج نحوه الأزدي في فتوح الشام ص (٢١١).

(٢) ترجمته في: الديباج المذهب (١/ ١٥٢)، وفي سير أعلام النبلاء» (٤٢٧/ ١٥)، ولسان الميزان (١/١٣٠٩).

(٣) فواق الناقة: قدر ما بين الحلبتين من الوقت. مختار الصحاح مادة (فوق).

(٤) أخرج أبو إسماعيل الأزدي في فتوح الشام، ص(١٤٩- ١٥١) من طريق أبي جهضم عن عبدالملك بن السليك عن عبدالله بن قرط الشمالي، وكان قد شهد فتوح الشام.

الباب الثاني

خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(١٣ ـ ٢٣هـ)

الفصل الأول:
ترجمته

الفصل الأول: ترجمته

○ نسبه[١]:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عـدي بن كعب بن لؤي، أبو حفص العدوي، الملقب بالفـاروق، قيل: لقبه بذلك أهل الكتاب[٢].

وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل بن هشام[٣].

○ صفته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤]:

كان رجلا طوالا، أصلع، أعسـر يسرا، أحور العينين، آدم اللون[٥]، وقيل: كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة، أشنب الأسنان، وكان يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء[٦].

---

(١) البداية والنهاية، (٧/ ١٣٣).

(٢) ذكر ذلك الطبري (٤/ ١٩٥) من طريق ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري بلاغا. وانظر: الطبقات الكبرى» (٣/٢٧٠)، وذكـر بإسـناده مـن طريق الواقدي، عن عائشـة: أن النبي ﷺ هو الذي سـمى عمـر الفاروق، والواقدي متروك عند المحدثين، وأخرج ابن سـعد بإسـناد مرسـل أن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق. «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٠). وانظر: افتح الباري (٧/ ٤٤).

(٣) هكذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ والذي ذكره علماء النسب و كتاب التراجم أن أم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، أخو هشـام بن المغيرة، فيكون أبوجهل ابن عمها، انظر: نسب قريش، للزبيري (٣٠١، ٣٤٧)، وطبقـات ابـن سـعد (٣/٢٦٥)، وجمهرة أنسـاب العرب لابن حـزم ص (٤٤)، والاسـتيعاب، لابن عبدالبر ص(١١٤٤)، وقد نبه على خطأ من قال إنها بنت هشام.

(٤) البداية والنهاية» (١٣٤/٧، ١٣٨).

(٥) نقل ابن سعد في الطبقات (٣/٣٢٤) عن الواقدي أنه قال: هذا لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم، إلا أن يكون رآه - يعنى الواصف له - عام الرمادة، فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت. وقد رد ابن عبدالبر قول الواقدي، وقال: «هذا منكر من القول». الاستيعاب، (١١٤٦).

(٦) راجع الطبقات لابن سعد» (٣/ ٣٣٤)، وتاريخ الطبري (٤/١٩٦). وأعسر يسرا: هو الذي يعمل بكلتا يديه كما في لسـان العرب (٤/ ٥٦٥)، وأشـنب الأسـنان: أي شـديد بياضها، وبريقها. المصدر السابق (١/٥٠٧).

وكان متواضعا في الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديدا في ذات الله، يرقع الثوب بالأديم، ويحمل القربة على كتفيه، مع عظم هيبته، ويركب الحمار عريا، والبعير مخطوما بالليف، وكان قليل الضحك لا يمازح أحدا.

وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظا يا عمر.

○ زوجاته وأبناؤه وبناته[١]:

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما: تزوج عمر في الجاهلية: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون، فولدت له: عبيد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وتزوج مليكة بنت جرول، فولدت له: عبيد الله، وزيدا الأصغر[٢].

قال المدائني: وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي، ففارقها في الهدنة - صلح الحديبية -، فتزوجها من بعده عبدالرحمن بن أبي بكر.

وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها عكرمة بن أبي جهل حين قتل في الشام[٣]، فولدت له: فاطمة، ثم طلقها.

قال المدائني: وقيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة بنت[٤] عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح من الأوس.

وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قبله عند عبدالله ابن أبي بكر[٥]، ولما قتل عمر، تزوجها بعده الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقال: هي أم ابنه عياض، فالله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٣٩).

(٢) انظر: نسب قريش ص (٣٤٩).

(٣) انظر: ابن حجر، الإصابة، (٨/ ١٩٣).

(٤) في تاريخ الطبري، (٤/ ١٩٩) أخت عاصم وهو الصواب. وانظر أيضا: نسب قريش للزبيري ص (٣٤٩). قال: وولد له منها، ابنه عاصم، وانظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٥).

(٥) في الأصل: «ابن أبي مليكة»، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١٩٩)، وراجع عن زواج عمر منها حوادث سنة (١٢هـ) في البداية والنهاية، (٦/ ٣٥٣).

قال المدائني: وكان قد خطب أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه، فقالت عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص، فصده عنها ودله على أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله، وقال: تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ فخطبها من علي فزوجه إياها - فأصدقها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربعين ألفا، فولدت له: زيدا، ورقية.

قالوا: وتزوج لهية - بضم اللام وسكون الهاء - امرأة من اليمن فولدت له: عبدالرحمن الأصغر، وقيل: الأوسط. وقال الواقدي: هي أم ولد وليست بزوجة[1]، قالوا: وكانت عنده فكيهة أم ولد، فولدت له: زينب. قال الواقدي: وهي أصغر ولده.

قال ابن كثير: فجملة أولاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ثلاثة عشر ولدا، وهم زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبدالله، وعبدالرحمن الأكبر، وعبدالرحمن الأوسط، وقال الزبير بن بكار: وهو أبوشحمة[2]، وعبدالرحمن الأصغر، وعبيد الله، وعياض، وحفصة، ورقية، وزينب، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن: سبع.

○ إسلامه وأولياته[3]:

أسلم عمر وعمره سبعا وعشرين سنة، وشهد بدرا، وأحدا، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وخرج في عدة سرايا، وكان أميرا على بعضها[4]. وهو أول من دعي أمير المؤمنين،

(١) وقال ذلك أيضا الزبيري في نسب قريش ص (٣٤٩).
(٢) انظر: نسب قريش (٣٤٩).
(٣) «البداية والنهاية» (١٣٣-٧).
(٤) كان أميرا على سرية تربة إلى عجز هوازن، سيرة ابن هشام، (٤/ ٣٤١).

وأول مـن كتب التاريخ، وجمـع الناس على التراويح، وأول من عس بالمدينة، وحمل الـدرة[١] وأدب بها، وجلـد في الخمر ثمانين، وفتح الفتـوح[٢]، ومصر الأمصار، وجند الأجناد، ووضع الخراج، ودون الدواوين، وفرض الأعطية، واستقضي القضاة، وكور الكور، مثل: السواد، والأهواز، والجبال، وفارس وغيرها.

○ من فضائله:

قـال الإمـام البخـاري - بـاب مناقـب عمـر بـن الخطـاب[٣] أبي حفص القرشـي العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

○ عمر من أهل الجنة:

١- عن سـعيد بن المسـيب أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: "بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هـذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبـرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

٢- عـن أنـس بن مالـك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعـد النبي ﷺ أحـدا ومعه أبـو بكر وعمر وعثمـان، فرجـف بهم، فضربه برجلـه وقال: "اثبت أحد، فما عليـك إلا نبي أو صديق أو شهيد".

٣- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلا سـأل النبي ﷺ عن السـاعة فقال: متى الساعة؟ قال:

---

(١) الدرة: بالكسر، السوط، ودرة السلطان: التي يضرب بها. لسان العرب (٤/ ٢٨٢).

(٢) أي: كثرت في عهده الفتوح.

(٣) النصوص من (١ - ١٥) إضافة ليسـت في الأصل، وهي من صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر (٤٠/ ٧ - ٤٣ من فتح الباري) ونقلتها هنا لأهميتها واعتمادا على ما صح من الفضائل، ولم يذكر الحافظ ابن كثير إلا النصوص الأخيرة التي بعد الخامس عشر -، وقد أحال على كتابه الخاص بترجمة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما روي عنه من الأحاديث، وهو في مجلدين كما قال.

«وماذا أعددت لها؟» قال: لا شـيء، إلا أني أحب الله ورسـوله ﷺ. فقال: "أنت مع من أحببت" قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت.

قـال أنس: فأنا أحب النبـي ﷺ وأبابكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

٤- عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاسـتفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشـره بالجنة، ففتحت له، فإذا هو أبو بكر، فبشـرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح لـه وبشـره بالجنـة، ففتحت له فإذا هو عمـر فأخبرته بما قال النبـي ﷺ، فحمد الله. ثم اسـتفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشـره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

❍ فضل علم عمر:

٥- عن الزهري قال: قال أخبرني حمزة[١] عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري - أو أظفاري - ثم ناولت عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله، قال: العلم.

❍ سعة انتشار الإسلام في عهد عمر:

٦- عـن عبـدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبـي ﷺ قال: رأيت في المنـام أني أنزع بدلو بكـرة علـى قليب، فجـاء أبوبكرة فنـزع ذنوبا أو ذنوبيـن نزعا ضعيفـا والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاسـتحالت غربا، فلم أر عبقريا[٢] يفري فرِيَّه، حتى روى الناس وضربوا بعطن.

---

(١) هو: حمزة بن أسيد بن مالك بن ربيعة الأنصاري الساعدي، له ترجمة في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٦).
(٢) الغرب: بسكون الراء، الدلو الكبيرة العظيمة. وعبقري القوم: سيدهم وكبيرهم =

○ عزة المسلمين بإسلام عمر:

٧- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

○ قرب عمر من رسول الله ﷺ وكثرة ملازمته إياه:

٨- عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره، فتكتفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع - وأنا فيهم - فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك. وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول: "ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر".

٩- عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس -وكأنه يجزعه-: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبابكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذلك من منّ الله تعالى من به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من من الله جل ذكره من به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك. والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ قبل أن أراه.

١٠- عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب.

○ جد عمر وجوده بالأموال:

١١- عن ابن عمر قال: ما رأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب[1].

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٤٩) هذا القول من ابن عمر محمول على وقت مخصوص

○ عمر رجل ملهم:

١٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر".

زاد زكريا ابن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: "لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر".

○ قوة إيمانه ويقينه:

١٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما راع في غنمه، عدا الذئب فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله، فقال النبي ﷺ: فإني أومن به، وأبو بكر وعمر. وما ثم أبو بكر وعمر».

١٤- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين.

○ هيبة عمر وفرار الشيطان من طريقه:

١٥- عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواته على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب». قال عمر: فأنت

وهو مدة خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحق أن يهبن يارسول الله، ثم قال عمر: ياعدوات أنفسهن، أتهبني ولا تهبن رسول الله ﷺ، فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيها يابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك».

١٦- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يفرق من عمر»[(١)].

١٧- وقال ﷺ: "أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر"[(٢)].

○ من أقواله وأحواله[(٣)]:

قال عمر: لا يحل لي من مال الله إلا حلتان، حلة للشتاء وحلة للصيف، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين»[(٤)].

وكان عمر إذا استعمل عاملا؟ كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين، واشترط عليه أن لا يركب برذونا، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل شيئا من ذلك حلت عليه العقوبة[(٥)].

---

(١) ذكر ابن كثير قبل هذا حديثا عن ابن عباس: إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض... إلخ. قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٥١): أخرجه الطبراني من حديث أم سلمة وفيه محمد بن مجيب الثقفي وهو كذاب، أما رواية ابن عباس فقد أخرجها الحكيم الترمذي كما في ضعيف الجامع الصغير. وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وأحال على سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٣٠٥٩) أما حديث إن الشيطان يفرق من عمر فقد مر في الحديث الخامس عشر ما يشهد له، وروي موقوفا من كلام ابن مسعود بإسناد حسن كما في فضائل الصحابة للإمام أحمد برقم (٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب حديث رقم (٣٧٩١) من حديث أبي قلابة عن أنس، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٨٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٩٠٨)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٣٤).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٧٥) بإسناد صحيح.

(٥) أخرج نحوه مختصرا ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٧) من طريق الواقدي، وأخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ٢٠٧) بإسناد لا بأس به.

وكان إذا حدثـه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر: احبس هذه، احبس هذه، فيقول الرجل: والله كلما حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبسه.

وقـال معاوية بن أبي سـفيان: أما أبوبكر فلم يرد الدنيا ولـم ترده، وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمر غنا فيها ظهرا لبطن.

وعوتـب عمـر فقيل له: لو أكلـت طعاما طيبا كان أقوى لك علـى الحق؟ فقال: إني تركت صاحبي على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل[١].

وكان يلبـس وهـو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم، ويطوف بالأسـواق على عاتقـه الدرة يؤدب بها الناس، وإذا مر بالنـوى وغيره يلتقطه ويرمي به. في منازل الناس ينتفعون به"[٢].

وقال أنـس: كان بين كتفي عمر أربع رقاع، وإزاره مرقوع بأدم، وخطب على المنبر وعليـه إزار فيه اثنتي عشـر رقعة[٣]. وأنفق في حجته سـتة عشـر دينارا، وقـال لابنه: قد أسـرفنا. وكان لا يسـتظل بشـيء غير أنه كان يلقي كساءه على الشـجر ويستظل تحته، وليس له خيمة ولا فسطاط[٤].

ولما قدم الشـام لفتح بيـت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشـمس، ليـس عليـه قلنسـوة ولا عمامة قد طبق رجليه بين شـعبتي الرحل بـلا ركاب، ووطاؤه كيـس مـن صوف، وهو فراشـه إذا نزل، فلما نزل قـال: ادعوا لـي رأس القرية، فدعوه فقـال: اغسـلوا قميصي وخطوه وأعيـروني قميصا، فأتي بقميص كتـان، فقال: ما هذا؟ فقيـل: كتان. فقال: ما الكتان؟ فأخبروه. فنزع قميصه فغسـلوه وخاطه ثم لبسـه، فقال

(١) الطبقـات الكـبرى» (٣/ ٢٧٧) بنحـوه عـن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وانظـر: تاريخ الطـبري (٣/ ٦١٧)، وابن الجوزي المنتظم، (٤/ ١٩٨).
(٢) المصدر السابق بنحوه (٣/ ٣٣٠).
(٣) أخرجه ابن سعد من طرق صحيحة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الطبقات الكبرى (٣٢٨ / ٣).
(٤) أخرج نحوه ابن سعد في الطبقات، (٣/ ٢٧٩).

لـه رأس القرية: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل، فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فلما سار جعل البرذون يهملج به فقال لمن معه: احبسوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل[(١)].

وعـن أنس قال: كنت مع عمر فدخل حائطا لحاجته فسـمعته يقـول - و بيني وبينه جـدار الحائـط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بـخ، والله لتتقين الله بُني الخطاب أو ليعذبنك[(٢)].

وقيـل: إنه حمل قربة علـى عاتقه فقيل له في ذلك فقال: إن نفسـي أعجبتني فأردت أن أذلهـا. وكان يصلي بالناس العشـاء ثم يدخل بيته فلا يـزال يصلي إلى الفجر. وكان في عـام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسـود جلده، ويقول: بئس الوالي أنا إن شـبعت والناس جياع. وكان في وجهه خطان أسـودان من البكاء. وكان يسمع الآية من القرآن فيغشي عليه فيحمل صريعا إلى منزله فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف»[(٣)].

وقال طلحة بن عبيد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتا، فلما أصبح ذهبت إلـى ذلـك البيت فإذا عجوزا عمياء مقعدة فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك. فقالت: إنـه يتعاهـدني مدة كذا وكـذا يأتيني بما يصلحنـي ويخرج عني الأذى. فقلت لنفسـي: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟!.

وقـال أسـلم مولى عمـر: قـدم المدينة رفقة مـن تجار، فنزلـوا المصلـى، فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهم ويصليان، فسـمع عمر بكاء صبـي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسـني إلـى صبيك. ثم عاد مكانـه، فسـمع بكاءه فعاد إلى أمه فقـال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانـه، فلما كان آخر

(١) انظر: ابن الجوزي، مناقب عمر ص(١٥١).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٩٢) بإسناد صحيح.
(٣) انظـر: تفسـير القرآن العظيـم، لابن كثير (٧/٤٠٧) عند تفسـير قوله تعالـى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾.
وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٦/١١٨).

الليل سمع بكاء الصبي فأتي إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبدالله إني أشغله عن الفطام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهر، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام. فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤسا لعمر. كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق[(١)].

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة، فلاح لنا بيت شعر فقصدناه، فإذا امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة عربية وليس عندي شيء، فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طلب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقا وشحما، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة، وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلاما فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم وصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار[(٢)] إذا بنار، فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام. قال: أأدنو. قالت: ادن أو دع، فدنا، فقال: ما بالكم؟ فقالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبينك يا عمر. فبكى عمر، ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق و جوراب

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٠١) بإسناده عن عبدالله بن عمر.
(٢) صرار: بئر على ثلاثة أميال من المدينة تلقاء حرة واقم. معجم المعالم الجغرافية (١٥٧).

شـحم، وقال: يا أسـلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة، فألقاه عن ظهره، وأخرج من الدقيـق ووضعه في القدر، وألقى عليه من الشـحم، وجعـل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته سـاعة، ثـم أنزلها عن النار، وقال: ائتيني بصحفـة، فأتي بها فغرف فيها ثم تركها بين يدي الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، - والمرأة تدعو له ولا تعرفه - فلـم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم وصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم[١].

○ مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]:

وملخص ذلك أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عَزَّوَجَلَّ، وشـكا إليه أنه كبرت سـنه، وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه[٣]، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ. وثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتا في بلد رسولك[٤]. فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين، الشهادة والموت في المدينة النبوية، وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف بما يشاء تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة المجوسي الأصل، والرومي الدار[٥]، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من سـنة ثلاث وعشـرين بخنجر ذات طرفين،

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٣٨٢). وقال محققه: إسـناده حسن وانظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١٣٧-٧).

(٣) أخرج نحو هذا ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجـه البخاري في صحيحـه، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي أن تُعرى المدينة (٤/ ١٠٠ من فتح الباري).

(٥) قال الطبري (٤ /١٩٠): كان نصرانيا. وقال في (٤/ ١٣٦) كان أبو لؤلؤة من أهل نهاوند فأسرته الروم، ثم أسره المسلمون بعد.

فضربه ثلاث ضربات، وقيل: ست ضربات، وإحداهن تحت سرته وقطعت الصفاق[١] فخر من قامته، واستخلف عبدالرحمن بن عوف - على الصلاة، ورجع العلج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة[٢]، فألقى عليه عبدالله بن عوف[٣] برنسا فنحر نفسه لعنه الله. وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه. وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة، فيفيق، ويقول: نعم، ولاحظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلي في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان، ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفا - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين، ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فإنه نجار نقاش حداد، فزاد في خراجه إلى مائة درهم في كل شهر - وقال له: لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة: وأما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة. وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم، لكونه من قبيلته، خشية أن يراعي في الإمارة بسببه، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيرا على طبقاتهم ومراتبهم، ومات

(١) في الأصل: السفاق بالسين وهو خطأ. والصفاق: هو ما حول السرة من الجلد الرقيق الذي تحت الجلد الأعلى و فوق اللحم. (لسان العرب ٢٠٣/ ١٠).

(٢) في طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣٧) من رواية حصين عن عمرو بن ميمون تسعة، ولعله تصحيف والذي في صحيح البخاري كما سيأتي قريبا سبعة وقد ساقه من رواية حصين عن عمرو بن ميمون.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦٣/ ٧) وقع في ذيل الاستيعاب لابن فتحون من طريق سعيد بن يحيى الأموي وساق سنده قال: فلما رأى ذلك رجل من المهاجرين يقال له حطان التميمي اليربوعي طرح عليه برنسا وهذا أصح مما رواه ابن سعد بإسناد ضعيف منقطع أن ذلك الرجل عبدالله بن عوف، وأنه احتز رأسه. قال: فإن ثبت هذا حمل على أن الكل اشتركوا في ذلك.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ثلاث، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ودفن بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ذلك.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضين من المحرم.

قال: فذكرت ذلك لعثمان الأخنس فقال: ما أراك إلا وهلت.

توفي عمر لأربع ليال بقين من ذي الحجة وبويع لعثمان لليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين[(١)].

وقال أبو معشر: قتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان بن عفان[(٢)].

وقال ابن جرير: حدثت عن هشام بن محمد قال: قتل عمر لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام[(٣)].

○ رواية البخاري لمقتل عمر[(٤)]:

قال الإمام البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، ووقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمرا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل. قال:

---

(١) الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٦٥)، و«تاريخ الطبري» (٤/ ١٩٣).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ١٩٤).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) هذا النص إضافة على الأصل، وأوردناه لأهميته وكونه في الصحيح.

انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا. قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب - وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللًا» تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس - فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني - أو أكلني - الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله. فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقا، فقال: إن شئت فعلت - أي: إن شئت قتلنا - قال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ: فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه. وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام، قال: يابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفي له مال

آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبدالله بن عمر جاء. قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل.

فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، وأن يقبل من محسنهم، وأن يعفي عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا

إلا طاقتهم». فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبدالله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه[(١)].

○ عمره يوم مات[(٢)]:

اختلف في مقدار سنه يوم مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أقوال عدتها - عشرة -، ثم ذكر تسعة منها - وبدأ بالقول الذي قدمه ابن جرير في تاريخه.

قال ابن جرير[(٣)]: حدثنا زيد بن أخزم ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

ورواه من طريق الدار وردي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر.

ومن طريق عبدالرزاق عن ابن جريج عن الزهري.

ثم ذكر قولا آخر عن هشام الكلبي، أنه توفي وله ثلاث وخمسون سنة[(٤)].

وروي عن عامر الشعبي، أنه توفي وله ثلاث وستون سنة[(٥)].

قال ابن كثير: وهذا القول هو المشهور.

وذكر قول المدائني: أنه توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة[(٦)].

---

(١) كتاب فضائل الصحابة »، باب قصة البيعة (٧/ ٥٩) من فتح الباري.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٣٨). (٣) تاريخ الطبري (١٩٧/ ٤).

(٤) المصدر نفسه (١٩٧/ ٤).

(٥) المصدر نفسه (١٩٨/ ٤) وقد ذكر هذا القول ابن سعد في الطبقات (٣٦٥/ ٣) من طريقين عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر بن سعد عن حريز أنه سمع معاوية يقول: توفي عمر وهو ابن ثلاث وستين. قال الواقدي: ولا يعرف هذا الحديث عندنا بالمدينة، وأثبت الأقاويل عندنا أنه توفي وهو ابن ستين سنة. قلت: وإسناد ابن سعد ضعيف فيه حريز مولى معاوية قال عنه في "التقريب" برقم (١١٩٥): مجهول من الثالثة.

(٦) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ١٩٨).

قلت: قول المدائني موافق لما ذكر المصنف من أن عمره سبعا وعشرين سنة عند إسلامه، وكان ذلك في السنة السادسة من البعثة، (٢٧+ ٧ + ٢٣ = ٥٧).

الفصل الثاني:
استخلافه وموجز أعماله:

الفصل الثاني: استخلافه وموجز أعماله:

استخلافه[١]:

لما مرض الصديق كان عمر بن الخطاب هو الذي يصلي عنه بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرىء على المسلمين فأقروا به، وسمعوا له وأطاعوا.

فلما مات الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الاثنين، وقيل بعد المغرب، ودفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، قام بالأمر بعده أتم القيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفاروق، وهو أول من سمي أمير المؤمنين، وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة، وقيل غيره[٢].

ذكر ما وقع في سنة ثلاث عشرة من الحوادث إجمالا[٣]:

وفيها ولي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها، فولى قضاء المدينة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستناب على الشام أباعبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح الفهري، وعزل عنها خالد بن الوليد المخزومي، وأبقاه على شورى الحرب وقد روى البخاري في التاريخ، وغيره من طريق علي بن رباح، عن ناشرة بن سمي اليزني، قال: سمعت عمر بن الخطاب يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة[٤].

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٨).
(٢) راجع طبقات ابن سعد (٣/ ٢٨١).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١).
(٤) «التاريخ الكبير» كتاب الكنى ص (٥٤)، وقد رواه أحمد في مسنده» (٣/ ٤٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٩٨) بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٠) رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

- وفيها فتحت بصرى صلحا، وهي أول مدينة فتحت من الشام.

- وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره، واستنيب فيها يزيد بن أبي سفيان، فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب في قول بعضهم وقيل: بل حج عبد الرحمن بن عوف[١].

- وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق والشام، فأقبلوا من كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق.

○ جملة حوادث سنة أربع عشرة[٢]:

- وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه، وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب مرات، وضرب معه ربيعة بن أمية بن خلف[٣] وكان ولاته سنة (١٤هـ) هم: بمكة: عتاب بن أسيد، وبالشام أبو عبيدة، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل: العلاء بن الحضرمي، وعلى العراق سعد، وعلى عمان حذيفة بن محصن[٤].

○ جملة أحداث في سنة ست عشرة[٥]:

قال الواقدي: وفي هذه السنة حمَى عمر الربذة لخيل المسلمين، وفيها غرب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع[٦].

(١) قلت: وهو المشهور أن عمر استخلفه على الحج سنة (١٣ هـ) ثم حج عشر سنين متوالية آخرها سنة (٢٣هـ).
(٢) البداية والنهاية، (٧/ ٤٨ - ٥٠).
(٣) ذكر نحوه الطبري في تاريخه (٣/ ٥٩٧) من غير إسناد.
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٥٩٧).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٧٣).
(٦) باضع جزيرة في بحر اليمن. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٣٢٤).

- وفيها تزوج عبدالله بن عمر صفية بنت أبي عبيد[١]، وهو الذي قتل يوم الجسر، وكان أمير السرية، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد، وكانت امرأة صالحة، وكان أخوها فاجرا.

- وفيها حج عمر بالناس، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت[٢].

قال: وكان نائبه على مكة عتاب، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى العراق، سعد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى ابن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة، وعلى الموصل ربعي بن الأفكل، وعلى الجزيرة عياض بن عمرو[٣] الأشعري.

قال الواقدي: وفي ربيع الأول من السنة السادسة عشرة كتب عمر بن الخطاب التاريخ، وهو أول من كتبه، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه في شعبان، فقال: أي شعبان؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها، أم التي بعدها؟ ثم جمع الناس فقال: ضعوا شيئا يعرفون فيه حلول ديونهم، فيقال: أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده، فكرهوا ذلك، ومنهم من قال: أرخوا بتاريخ الروم من زمان الأسكندر فكرهوا ذلك، وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله ﷺ، وقال آخرون: من مبعثه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث، فاستحسن ذلك عمر والصحابة، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها[٤]،

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري (٤/ ٣٨).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٣٩).
(٣) في الأصل: عياض بن غنم، وهو خطأ. والتصحيح من التاريخ الطبري (٤/ ٣٩).
(٤) حول وضع التاريخ الهجري. راجع: تاريخ الطبري (٤/ ٣٨)، والبداية والنهاية (٣/ ٢٠٦)، والسخاوي "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، ص(٧٨). وللإمام السيوطي رسالة بعنوان: الشماريخ في علم التاريخ.

وعند مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فيما حكاه عنه السهيلي وغيره - أن أول السنة من ربيع الأول لقدومه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى المدينة فيه. والجمهور على أن أول السنة من المحرم؛ لأنه أضبط لئلا تختلف الشهور، فإن المحرم أول السنة الهلالية العربية.

- وفي هذه السنة توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن جرير وغير واحد[(١)]، وصلى عليها عمر بن الخطاب، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها، وهي مارية القبطية، أهداها صاحب الإسكندرية «جريج بن مينا» في جملة تحف وهدايا لرسول الله ﷺ فقبل ذلك منه، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان. وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدلدل، وأهدى حلة حرير من عمل الإسكندرية. وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان، فحملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فعاش عشرين شهرا، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ بسنة سواء. وقد حزن عليه رسول الله ﷺ وبكي عليه وقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[(٢)]. وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان، وقد حظيت عند رسول الله ﷺ وأعجب بها، وهي تشابه هاجر سرية الخليل، فإن كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم، وخليل جليل، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

○ تخطيط الكوفة سنة سبع عشرة[(٣)]:

في المحرم انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة، وذلك أن الصحابة استوخموا المدائن، وتغيرت ألوانهم، وضعفت أبدانهم، لكثرة ذبابها وغبارها،

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي: «إنا بك لمحزونون» (٣/ ١٧٢ من فتح الباري)، وانظر: ترجمة مارية عند ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/٢١٢).
(٣) البداية والنهاية، (٧/ ٧٤).

فكتب سعد إلى عمر في ذلك فكتب عمر: إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها. فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد يرتادان للمسلمين منزلا مناسبا يصلح لإقامتهم، فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء، فأعجبتهما، ثم كتبا إلى سعد بالخبر، فأمر سعد باختطاط الكوفة، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها، فكان أول بناء وضع فيه المسجد، وأمر سعد رجلا راميا شديد الرمي فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم، وعمر قصرا تلقاء محراب المسجد للإمارة و بيت المال، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب، فاحترقت في أثناء السنة، فبنوها باللبن عن أمر عمر، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد، وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه، فأنزلهم الكوفة، وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعا، ولما دون ذلك ثلاثين، وعشرين ذراعا، وللأزقة سبعة أذرع. وبنى لسعد قصر قريب من السوق، فكانت غوغاء الناس[١] تمنع سعدا من الحديث، فكان يغلق بابه ويقول: سكن الصوت، فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطبا ويحرق القصر، ثم يرجع من فوره، فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر، وأمر سعدا ألا يغلق بابه عن الناس، ولا يجعل على بابه أحدا يمنع الناس عنه[٢]، فامتثل ذلك سعد، وعرض على محمد بن مسلمة شيئا من المال، فامتنع من قبوله، ورجع إلى المدينة[٣]، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف، حتى عزله عنها عمر، من غير عجز ولا خيانة.

(١) أي: أصواتهم.

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة» (٦/ ٣٥) ونسبه لابن المبارك في كتاب الزهد، وأخرج أحمد في المسند (١/ ٥٤) برقم (٣٩٠) من تحقيق: أحمد شاكر، خبر إرسال محمد بن مسلمة، وتحريقه باب القصر، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف.

(٣) انظر تفاصيل أكثر عن بناء الكوفة وتخطيطها في تاريخ الطبري (٤/ ٤٠- ٤٧).

○ **قدوم عمر إلى الشام سنة سبع عشرة**[١]:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام غازيا فوصل إلى سرغ[٢]»، في قول محمد بن إسحاق. وقال سيف: وصل إلى الجابية. قال ابن كثير: والأشهر أنه وصل سرغ. فأخبره الأمراء أن الوباء قد وقع بالشام، فاستشار المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه فمن قائل يقول: أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه. ومن قائل يقول: لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوباء، فيقال: إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ قال: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو هبطت واديا ذا عدوتين إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة، فإن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، ثم قال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، وكان عبد الرحمن بن عوف غائبا في بعض شأنه، فلما قدم، قال: إن عندي من ذلك علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه»[٣] فحمد الله عمر - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس[٤].

○ **طاعون عمواس**[٥]:

المشهور الذي عليه الجمهور أن طاعون عمواس كان سنة ثمان عشرة، ولكن تبعنا قول سيف، وابن جرير، في إيراده في السنة السابعة عشرة، وهذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس[٦]

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٦).

(٢) سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة، وهو أول الحجاز من جهة الشام بين المغيثة وتبوك، وقال الإمام مالك: هي قرية بوادي تبوك. معجم البلدان (٣/ ٣١١).

(٣) الحديث والقصة في صحيح البخاري بأبسط من هذا، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (١٠/ ١٧٩ من فتح الباري).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٥٧ -٥٨)

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٧٨، ٩٣).

(٦) انظر: ياقوت، معجم البلدان، (٤/ ١٥٧) وقد ضبطها بفتح الأول والثاني وآخرها سين مهملة، ونقل عن الزمخشري في ضبطها بكسر الأول.

- وهي بين القدس والرملة -؛ لأنه كان أول ما نجم الوباء بها ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها. قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المخارق[(١)] بن عبدالله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدث عنده فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تختفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونَزِهها، حتى يرتفع هذا البلاء، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن ذلك المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه:

أن سلام عليك أما بعد: فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك بها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلي.

قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء. فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم كتب إليه:

يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه، فحلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي.

فلما قرأ عمر الكتاب بكي، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد. قال: ثم كتب إليه:

سلام عليك أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضا غَمِقَة فارفعهم إلى أرض مترفعة نزهة.

(١) في الأصل: المختار، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٦٠) وانظر الخبر فيه.

قال أبو موسى: فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت، فرجعت إليه وقلت: والله لقد كان في أهلي حدث. فقال: لعل صاحبتك قد أصيبت؟ قلت: نعم، فأمر ببعيره فرحل له، فلما وضع رجله في غرزة طعن فقال: والله لقد أصبت، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية، ورفع عن الناس الوباء.

○ المتوفون في طاعون عمواس[١]:

قال الواقدي: مات في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفا، وقال غيره: ثلاثون ألفا.

ومن أعيانهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح، والحارث بن هشام، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو، وأبو مالك الأشعري.

○ إصلاحات عمرانية[٢]:

قال الواقدي: وفي سنة سبع عشرة اعتمر عمر في رجب منها عمر في المسجد الحرام، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، أمر بذلك مخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد عوف، وحويطب بن عبدالعزى، وسعيد بن يربوع[٣].

قال الواقدي: وحدثني كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال: قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة، فمر في الطريق فكلمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩٣-٩٦)
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٨١-٩٣).
(٣) الفاكهي، «أخبار مكة» (٢/ ٢٧٣). وانظر: تاريخ الطبري (٦٩/ ٤).
(٤) انظر: تاريخ الطبري (٦٩-٤).

قال الواقدي وغيره: وفي سنة سبع عشرة في ذي الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقا بجدار الكعبة - فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين[(١)]. قال ابن كثير: وقد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر ولله الحمد والمنة.

○ زواج عمر بأم كلثوم[(٢)]:

ما قال الواقدي: وفي سنة (١٧ هـ) تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، ومن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة. وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفًا، وقال: إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ: «كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[(٣)].

○ عزل خالد عن قنسري سنة (١٧هـ)[(٤)]:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد، وعياض بن غنم - أي: سلكا درب الروم - وأغارا عليهم، فغنموا أموالا عظيمة وسبيا كثيرا. ثم روى من طريق سيف عن أبي عثمان، وأبي حارثة، والربيع، وأبي المجالد. قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٧-٥) من عدة طرق وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٣٢٤) برقم (٤٥٥) وقال محققه: إسناده صحيح إلى عطاء وذكر له شواهدا. انظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١/ ٤٥٤)، وتاريخ الطبري (٤/ ١٠١)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٧٠)، وفي أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٣٣) بأسانيد صحيحة كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٩٩-١) بيان بأن عمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا كان بعد ذهاب السيل الذي يسمى سيل أم نهشل - في خلافة عمر - بالمقام فوجد في أسفل مكة ثم ربط بجدار الكعبة حتى قدم عمر مكة فوضعه في مكانه الذي هو فيه الآن، وهو مكانه القديم زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر، واستدل عمر على ذلك مع معرفته بما كان قد حفظه المطلب بن أبي وداعة من قياس مكانه، ورجح بعض الباحثين هذا القول على ما سواه، وأن فعل عمر هو وضع للحجر في موضعه الأصلي. انظر: سائد بكداش فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم ص (١٠٦-١١٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٨١).

(٣) انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٤٤٠٣)، وهو من حديث ابن عباس والمسور بن مخرمة وعزاه إلى الطبراني والحاكم والبيهقي، وأحال الشيخ الألباني على سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٠٣٦).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٨١-٨٠).

جزيلة من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفده ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالدا ويكشف عمامته وينزع قلنسوته ويقيده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة، ثم اعزله عن عمله. فطلب أبوعبيدة خالدا وصعد أبوعبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب - وهو البريد الذي قدم بالكتاب - هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك، ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضا وودعهم وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد علي عمر أنشد عمر قول الشاعر:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع   وما يصنع الأقوام فالله يصنع

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف؟ فقال: من الأنفال والسهمان، قال: ما زاد على الستين ألف فلك، ثم قوم عمر أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفا ثم قال: والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء[١].

وقال سيف بن عبدالله، عن المستورد، عن أبيه، عن عدي بن سهل قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة[٢].

(١) تفاصيل هذا الخبر أخرجها الطبري في تاريخه ها (٤/ ٦٧) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه، وفيه ألفاظ منكرة، وسيف ضعيف وشيوخه مجاهيل. وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى ما في هذا الخبر من الغرابة والنكارة بقوله في عنوان الخبر: كائنة غريبة...»، وأصل حادثة عزل خالد صحيحة وسببها صرح به عمر في اعتذاره الذي كتب به إلى الأمصار، وفي خطبته في الجابية عندما التقى بأمراء الأجناد في الشام، أما هذه الصياغة القصصية لكيفية العزل فليس لها سند يعتمد عليه.

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٦٨)، وله شاهد صحيح عند ابن سعد في الطبقات و (٣/ ٢٨٤).

ولما مات خالد بن الوليد قال عمر: رحم الله أبا سليمان لقد كنا نظن به أمورا ما كانت[١].

وروى جويرية بن أسماء عن نافع قال: لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه و غلامه وسلاحه[٢].

○ قدوم عمر الشام سنة ثمان عشرة[٣]:

و كان أمير المؤمنين عمر قد عزم على أن يطوف البلدان، ويزور الأمراء، وينظر فيما اعتمدوه وما أثروا من الخير، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول: ابدأ بالعراق، ومن قائل يقول: ابدأ بالشام، فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك وخرج حتى قدم الشام، فقسم الأرزاق، وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها، ثم قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرىء، وذلك أن المواريث قد أشكل قسمتها نظرا لكثرة الموتى بعضهم بعد بعض قبل قسمة التركات[٤].

قال سيف: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إني قد وليت عليكم، وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجندنا لكم الجنود، وهيأنا لكم الفروج، وبوأنا لكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قاتلتم

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٩٤ من مخطوطة أحمد الثالث) عن عبدالله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت قيس بن أبي حازم يقول: وهذا إسناد صحيح.
(٢) أخرجه ابن سعد في المصدر السابق (٦/ ١٩٥).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٧٧ و ٧٩) وقدم عمر الشام في خلافته ثلاث مرات، الأولي عند فتح بيت المقدس، والثانية غازيا لكنه رجع من سيرغ بسبب الطاعون، وهذه الثالثة.
(٤) انظر: تاريخ الطبري (٤-٦٤).

عليه من شامكم، وسمينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئا ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[١].

قال: وحضرت الصلاة فقال الناس: لو أمرت بلالا فأذن؟ قال: فأمره فأذن، فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله و بلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره ﷺ[٢].

○ عام الرمادة سنة (١٨هـ)[٣]:

وسمي عام الرمادة؛ لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيها بالرماد، وقيل: لأنها تسفي الرياح ترابا كالرماد، ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم.

وقد أجدب الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين، فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمنا ولا سمينا حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل، وكان لا يستمرىء الزيت، وكان لا يشبع من ذلك، فاسود لون عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف، واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم[٤].

قال الشافعي: بلغني أن رجلا من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة: لقد انجلت عنك وإنك لابن حرة، قد واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم.

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٦٦)

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٩٠ - ٩٢).

(٤) انظر خبر عام الرمادة في الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣١٠-٣١٧)، وابن شبة، أخبار المدينة (٢/ ٧٣٦- ٧٤٥).

وقـد روينـا أن عمر عس بالمدينـة ذات ليلة عام الرمادة فلـم يجد أحدا يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلا يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق، فهم لا يتحدثون ولا يضحكون، فكتب عمر ألى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد.

وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر: أن يا غوثاه لأمة محمد.

فبعـث إليـه كل واحد منهما قافلـة عظيمة تحمل البر وسـائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة[١].

وهـذا الأثر جيد الإسـناد. لكن ذكر عمرو بـن العاص في عام الرمادة مشـكل، فإن مصـر لـم تكن فتحت في سـنة ثماني عشـرة، فإما أن يكـون عام الرمادة بعد سـنة ثماني عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم، والله أعلم.

وذكر سـيف عن شـيوخه أن أبا عبيدة قـدم المدينة ومعه أربعـة آلاف راحلة تحمل طعامـا، فأمره عمر بتفريقهـا في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ مـن ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فألح عليه عمر حتى قبلها[٢].

قال الطبراني: حدثنا أبو مسـلم الكشي، حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري، ثنا أبي، عـن ثمامة بن عبـدالله بن أنس، عن أنس أن عمر خرج يستسـقي وخـرج بالعباس معه يستسـقي يقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسـلنا إليك بنبينا، وإنا نتوسـل إليك بعم نبينا ﷺ.

وقد رواه البخاري عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله الأنصاري به، ولفظه

(١) أخـرج نحـوه ابن شـبة في أخبـار المدينة من طريـق الهيثم بن عـدي (٢ /٧٤٣)، كما أخـرج من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن عمر أذن لعمرو بن العاص في حمـل الطعام والميرة من مصر إلى المدينة في بحر أيلة عام الرمادة (٢/ ٧٤٥)، وعبدالرحمن بن زيد ضعيف كما في التقريب ترجمة رقم (٣٨٩٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤ /١٠٠).

عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقي بالعباس بن عبدالملطلب فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون[(١)].

○ مواقف من حياة عمر[(٢)]:

ذكر ابن جرير في حوادث سنة (١٨ هـ) من طريق سيف بن عمر بإسناده إلى الشعبي قال: كتب أبوعبيدة إلى عمر بن الخطاب، أن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبوجندل بن سهيل، فسألناهم فقالوا: خيرنا فاخترنا قال: فهل أنتم منتهون[(٣)]؟ ولم يعزم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٤٩٤/ ٢ من فتح الباري). وقد ذكر ابن كثير قبل هذا قصة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه الاستسقاء لأمته فرآه في المنام يأمره أن يأتي عمر بن الخطاب ويبشره أنهم مسقون... إلخ. نقلا عن البيهقي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، وصحح إسناده. وهذه القصة أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف (٣١/ ١٢) من هذا الطريق وقال عنها الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٩٥): إسنادها صحيح، وقد أعرضت عن ذكرها لما في متنها من النكارة، وكذا إسنادها في تصحيحه نظر؛ فإن الأعمش مدلس وقد عنعن، ومالك الدار لم يترجمه إلا ابن سعد في الطبقات (١٢/ ٥) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. وقال العلامة عبدالعزيز بن باز في تعليقه على فتح الباري في الموضع أعلاه: هذا الأثر على فرض صحته كما قال الشارح ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته لأن السائل مجهول، وعمل الصحابة على خلافه وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها بل عدل عمر لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة فيعلم أن ذلك هو الحق.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٩٢، ٩٦).

(٣) هذا طرف من الآية رقم (٩١) من سورة المائدة ونصها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة:٩١]. وانظر: الدر المنثور للسيوطي (١٧٤/ ٣) فقد ذكر القصة ونسبها إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، من طريق عطاء بن السائب عن محارب بن دثار أن ناسا - ولم يسمهم - وذكر أن الذي كتب في ذلك إلى عمر يزيد بن أبي سفيان، وأن عمر طلب قدومهم المدينة ثم أقيم عليهم الحد بالمدينة، وأنهم قد تأولوا الآية التي بعدها ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾ [المائدة:٩٣].

قلت: وإسناد ابن جرير ضعيف جدا، انظر: تاريخ الطبري (٩٦/ ٤) وفيه من النكارة أن الذي كتب إلى عمر أبوعبيدة وأبو عبيدة مات في طاعون عمواس، وهو في السنة السابعة عشرة على رأي سيف بن عمر فناقض نفسه، كما أن ذكر أبوجندل في الخبر منكر، فقد استشهد أبو جندل في اليمامة كما في ترجمته في الإصابة » لابن حجر (٧٠-٧).

فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم، وأن المعنى: فهل أنتم منتهون؟ أي: انتهوا. وأجمعوا على جلدهم ثمانين، ثمانين، وأن من تأول هذا التأول وأصر عليه يقتل، فكتب عمر إلى أبي عبيدة، أن ادعهم فسلهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم، وإن قالوا: هي حرام فاجلدهم. فاعترف القوم بتحريمها، فجلدوا الحد، وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه، حتى وسوس أبو جندل في نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكره، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك:

من عمر إلى أبي جندل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، وكتب عمر إلى الناس: عليكم أنفسكم، ومن غير فغيروا عليه، ولا تعيروا أحدا فيفشوا فيكم البلاء.

قال الواقدي: وفي سنة تسع عشرة ظهرت نار من حرة ليلى بالمدينة فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت ولله الحمد[١].

○ ما في سنة عشرين من الحوادث[٢]:

قال الواقدي: وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين، وحده في الشراب[٣]، وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة الدوسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

- وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات[٤] وغيرها، وأجلى يهود نجران منها إلى الكوفة، وقسم خيبر، ووادي القرى، ونجران بين المسلمين.

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ١٠٢)، وحرة ليلى شمال المدينة. ياقوت، مصدر سابق (٢/ ٢٤٧).
(٢) «البداية والنهاية» (١٠١/٧).
(٣) أخرج قصة إقامة الحد ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٩/ ١٠) وعمر بن شبة في أخبار المدينة» (٣/ ٨٤٢)، وإسناد ابن شبة صحيح.
(٤) بلد في أطراف الشام يجوار أرض البلقاء وعمان. المعجم البلدان (١/ ١٣٠).

- وفيها دون عمر الدواوين، وزعم غير الواقدي أنه دونها قبل ذلك[١]، فالله أعلم.

○ شكوى أهل الكوفة سعدا وعزله[٢]:

ثار أهل الكوفة على سعد بن أبي وقاص في الوقت الذي كان يستعد فيه المسلمون لمنازلة الفرس في نهاوند، فشكوه في كل شيء حتى قالوا: لا يحسن يصلي. وكان الذي نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه[٣]، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذه الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم، ومع هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم، ثم بعث محمد بن مسلمة - وكان رسوله إلى العمال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة، طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة، فكل يثني على سعد خيرا إلا ناحية الجراح بن سنان فإنهم سكتوا فلم يذموا ولم يشكروا، حتى انتهى إلى بني عبس، فقام رجل يقال له: أبو سعدة أسامة بن قتادة[٤]، فقال: أما إذا ناشدتنا فإن سعدا لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. فدعا عليه سعد فقال: اللهم إن كان قالها كذبا ورياء وسمعة فأعم بصره، وكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن» - فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عثر عليه قال: دعوة سعد الرجل المبارك -، ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته قارعة في جسده، ومصيبة في ماله بعد ذلك، واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب، ثم سار سعد، ومحمد بن مسلمة، والجراح وأصحابه، حتى جاءوا عمر، فسأله عمر: كيف تصلي؟ فأخبره أنه يطول في الأوليين ويخفف في الأخريين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ. فقال له

---

(١) انظر: الأخبار السابقة في تاريخ الطبري (٤/ ١١٢).

(٢) البداية والنهاية (٧/١٠٥).

(٣) قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ٢٣٧) سمي منهم عند سيف والطبراني، الجراح بن سنان، وقبيصة، وأربد، الأسديون.

(٤) ترجمه في الإصابة (١/١٩٥). وقال: «له إدراك»، أي: لزمن بعثة النبي ﷺ.

عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق[١]. وقال سعد في هذه القصة: لقد أسلمت خامس خمسة، ولقد كنا وما لنا طعام إلا ورق الحبلة حتى تقرحت أشداقنا، وإني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه[٢] وما جمعهما لأحد قبلي، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلي، وفي رواية تعزرني على الإسلام، لقد خبت إذا وضل عملي[٣]. ثم قال عمر لسعد: من استخلفت على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخا كبيرا من أشراف الصحابة حليفا لبني الحبلى من الأنصار - واستمر سعد معزولا عن غير عجز ولا خيانة، وتهدد من أولئك النفر، وكاد يوقع بهم بأسا، ثم ترك ذلك خوفا من أن لا يشكو أحد أميرا.

وقد قال عمر في وصيته - وذكره في الستة أهل الشورى - فإن أصابت الإمرة سعدا فذاك وإلا فليستعن به أيكم ولي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة[٤].

○ بعض حوادث سنة ثلاث وعشرين[٥]:

قال الطبري: كان على قضاء الكوفة في هذه السنة شريح، وعلى قضاء البصرة كعب بن سور، قال: وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روي عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض[٦].

وقال: وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي ﷺ وهي آخر حجة حجها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٧].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم ا (٢٣٦/ ٢ من فتح الباري).
(٢) أي قال: فداك أبي وأمي.
(٣) المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص (٧/ ٨٣ من فتح الباري)، وكذا الطبقات الكبرى، (١٤٠/ ٣).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان (٦١/ ٧ من فتح الباري).
(٥) البداية والنهاية (١٤١/ ٧، ١٣٣).
(٦) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٢٤١).
(٧) المصدر نفسه (١٩٠/ ٤).

الفصل الثالث:
الفتوحات في عهده

أ ـ الفتوحات في الشام:

○ المرحلة الثانية:

تمثل الفتوحات في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب المرحلة الثانية من الفتوحات في هذه الجهة، أما المرحلة الأولى فكانت في عهد الصديق، وفيما يلي تفصيلها:

○ عزل خالد عن القيادة[(١)]:

كتب عمر بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، ومحمية بن زنيم[(٢)]، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك، وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين تولى الخلافة وعزل خالد بن الوليد.

وذكر سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالدا لكلام بلغه عنه، ولما كان من أمر مالك بن نويرة، وما كان يعتمده في حربه، فلما ولي عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالد[(٣)].

○ وصية عمر لأبي عبيدة[(٤)]:

وقد روى ابن جرير، عن صالح بن كيسان أنه قال: كان أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالدا أن قال:

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٨).
(٢) في الأصل: «محمد بن جريج»، وهو تصحيف.
(٣) سيأتي مزيد تفصيل عن أسباب عزله عقب وقعة قنسرين. وخبر ابن إسحاق ذكره «الطبري في تاريخه» (٣/ ٤٣٦) عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل بن محمد بن إسحاق ولم يسنده بن إسحاق فهو منقطع، وانظر: ما سبق ص (٢٠٧) هامش (١).
(٤) البداية والنهاية، (٧/ ١٩).

أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم، وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغض بصرك عن الدنيا، وأله قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم[١].

ثم أمرهم بالمسير إلى دمشق، وكان ذلك بعد ما بلغه الخبر بفتح اليرموك، وجاءته البشارة، وحمل إليه الخمس.

○ فتح دمشق[٢]:

قال سيف بن عمر: ارتحل أبو عبيدة من اليرموك، فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق أتاه الخبر بقدوم مددهم من حمص، وجاءه الخبر بأنه اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل[٣] من أرض فلسطين، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ، فكتب إلى عمر في ذلك، فجاء الجواب أن ابدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، فانْهد لها، وأشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمرا وشرحبيل على الأردن وفلسطين.

قال: فسرح أبوعبيدة إلى فحل عشرة أمراء، مع كل أمير خمسة أمراء، وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي، فساروا من مرج الصفر إلى فحل، فوجدوا

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٤). وهي وصية مهمة جمعت مبادئ عظيمة.
(٢) البداية والنهاية (٧/١٩).
(٣) فحل: بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام، اسم موضع بالشام قرب بيسان وهو يوم مشهور في فتوح الشام، ويسمى يوم الردغة، ويوم بيسان. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٢٣٧).

الروم هنالك قريبا من ثمانين ألفا، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الردغة[١].

وبعث أبو عبيدة جيشا يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص، ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل.

ثم سار أبوعبيدة من مرج الصفر قاصدا دمشق، وقد جعل خالد ابن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي، وإليه باب كيسان أيضا، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير، ونزل عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد، ونصبوا المجانيق والدبابات، وقد أرصد أبوعبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة[٢] يكونون ردءا له، وحاصروها حصارا شديدا سبعين ليلة[٣]، وقيل: أربعة أشهر[٤]، وقيل: ستة أشهر[٥]، وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بحمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكلاع، الذي قد أرصده أبو عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بين دمشق وبين حمص، فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا، وقوي المسلمون واشتد حصارهم، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال، وعسر القتال، فقدر الله الكبير المتعال، ذو العزة والجلال، أن ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاما وسقاهم بعده

(١) الردغة: الوحل تغوص فيه الخيل.
(٢) برزة: بتاء التأنيث قرية من غوطة دمشق. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٣٨٢).
(٣) في رواية سيف بن عمر، انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٨).
(٤) ذكرها خليفة بن خياط، التاريخ الطبري ص (١٢٦).
(٥) رواية الواقدي، تاريخ الطبري (٣/ ٤٤١).

شرابا، وباتوا عنده في وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا، فناموا عن مواقفهم، واشتغلوا عن أماكنهم، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد؛ فإنه كان لا ينام ولا يترك أحدا ينام، بل مراصدا لهم ليلا ونهارا، وله عيون وقصاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحا ومساء، فلما رأى خمدة تلك الليلة، وأنه لا يقاتل على السور أحد، وكان قد أعد سلاليم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال، وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فارقوا إلينا، ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب في أعناقهم، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات، وأكدوا أسافلها خارج الخندق، وصعدوا فيها، فلما استووا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة، فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي، ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور، ولا يدرون ما الخبر، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد، ودخل البلد عنوة فقتل من وجده، وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم - فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم، ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد، ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالدا وهو يقتل من وجده فقالوا له: إنا قد أمناهم، فقال: إني فتحتها عنوة. والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان اليوم، هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره[(١)]، وهو المشهور، أن خالدا فتح الباب قسرا وقال آخرون: بل الذي فتحها عنوة أبو عبيدة، وقيل: يزيد بن أبي سفيان، وخالد صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف.

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٣٦-٤٣٧-٤٤٠).

○ هل كان الفتح صلحا أم عنوة[١]:

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون: هي صلح - يعني على ما صالحهم الأمير في نفس الأمر وهو أبو عبيدة -. وقال آخرون: بل هي عنوة، لأن خالدا افتتحها بالسيف أولا كما ذكرنا، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم. فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحا، ونصفها عنوة، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه، واستقرت يد الصحابة على النصف، ويقوي هذا ما ذكره سيف بن عمر، من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه، فبادروا إلى إجابتهم، ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم.

وقد اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحا أو عنوة تبعا لذلك، فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر، أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة؟ أو فتحت صلحا، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسرا؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحا احتياطا.

وقيل بل جعل نصفها صلحا، ونصفها عنوة، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا نصفها.

○ الأقوال في تاريخ فتح دمشق[٢]:

قال ابن كثير: وظاهر سياق سيف بن عمر، يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة، ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة، كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن عثمان بن حصن[٣] بن علاق، عن يزيد بن عبيدة.

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٣).

(٢) البداية والنهاية (٢٢/ ٧).

(٣) في الأصل: حصين، والتصحيح من تهذيب التهذيب (١١٠/ ٧).

وهكذا قال سعيد بن عبدالعزيز، وأبومعشر، ومحمد بن إسحاق ومعمر، والأموي، وحكاه عن مشايخه، وابن الكلبي، وخليفة بن خياط، وأبو عبيد القاسم بن سلام، إن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة.

وقال بعضهم: بل كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة[١].

وقال خليفة: حاصرهم أبوعبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة[٢].

وذكر أبوحذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفي قبل فتح دمشق، وأن عمر كتب إلى أبي عبيدة يعزيه والمسلمين في الصديق، وأنه قد استنابه على من بالشام، وأمره أن يستشير خالدا في الحرب، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتمه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان، وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه[٣].

○ تمهيد الفتح بعد دمشق[٤]:

بعد فتح دمشق أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع[٥] ففتحه بالسيف. وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل يقال له: «سنان» تحذر على المسلمين من عقبة بيروت، فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون «عين ميسنون» عين الشهداء.

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٢٤٠/١).
(٢) تاريخ خليفة ص (١٢٦).
(٣) أخرجه ابن عساكر مطولا في تاريخ دمشق، (٢٤٦- ٢٤٧ خط) عن إسحاق بن بشر.
(٤) البداية والنهاية» (٢٤/٧).
(٥) البقاع: جمع بقعة، أرض واسعة سهلة كثيرة القرى بين بعلبك، وحمص ودمشق، وسهل البقاع اليوم من لبنان. ياقوت، مصدر سابق (٤٧٠/١).

واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق، وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهدوا أمرها.

وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثنية[١]، وحوران[٢]، فصالح أهلها.

وقال خليفة بن خياط: حدثني عبد الله بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه. وهكذا قال ابن الكلبي، وقالا: بعث أبو عبيدة خالدا فغلب على أرض البقاع، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتابا[٣]، وقال ابن المغيرة، عن أبيه: صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم، ووضع الخراج على أرضهم. وقال ابن إسحاق وغيره، وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص، وبعلبك، صلحا على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة.

○ وقعة فِحل سنة (١٤هـ)[٤]:

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق، وذكرها الإمام أبوجعفر ابن جرير بعد فتح دمشق، وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر[٥].

فقد خلف أبو عبيدة، يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق، وسار نحو فحل، وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة، وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد، وهو على الميمنة، وعمرو بن العاص على الميسرة، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وقد انحاز الروم إلى بيسان[٦]، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على

(١) البثنية – بالفتح ثم السكون –، ونون، اسم ناحية من نواحي دمشق بينها وبين أذرعات. المصدر السابق (١/٣٣٨).

(٢) خوران: بالفتح، كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة. المصدر السابق (٢/٣١٧).

(٣) تاريخ خليفة ص (١٢٩).

(٤) البداية والنهاية (٢٥٧).

(٥) وقد تبعه المصنف كما ترى.

(٦) بيسان: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة ونون، مدينة بالأردن بالغور بين حوران وفلسطين، ياقوت، مصدر سابق (١/٥٢٧).

ما هنالك فحالت بينهم وبين المسلمين، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم، وما صنعه الروم من تلك المكيدة، إلا أن المسلمين في عيش رغيد، ومدد كبير، وهم على أهبة من أمرهم، وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة، وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، وأراد الروم أخذ المسلمين على غرة، فركبوا في بعض الليالي ليبيتوهم، وعلى الروم «سقلاب بن مخراق»، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد؛ لأنهم على أهبة دائما، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل، فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب، وركب المسلمون أكتافهم، وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين فغرقهم الله فيه، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفا، ولم ينج منهم إلا الشريد، وغنموا منهم شيئا كثيرا ومالا جزيلا.

○ فتح بيسان وطبرية[١]:

استخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص، فحاصر بيسان، فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق، وضرب عليهم الجزية، والخراج على أراضيهم، وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية[٢] سواء[٣].

○ وقعة حفص الأولى سنة (١٥هـ)[٤]:

سار أبوعبيدة وخالد بن الوليد نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين ولما وصل أبو عبيدة إلى حمص، نزل حولها يحاصرها، ولحقه خالد بن الوليد، فحاصروها

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٥).
(٢) طبرية: من أعمال الأردن، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية. المصدر السابق (١٧ - ٤).
(٣) قارن بالتاريخ الطبري» (٣/ ٤٤٢- ٤٤٤).
(٤) البداية والنهاية (٥٢/٧).

حصارا شـديدا، وذلك في زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شـدة الـبرد، وصبر الصحابة صـبرا عظيما بحيث إنـه ذكر غير واحد أن مـن الروم من كان يرجع وقد سـقطت رجله وهي في الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شـيء سوى النعـال، ومع هذا لـم يصب منهم قدم ولا أصبع، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشـتاء، فاشـتد الحصار، وأشـار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلـك وقالـوا: أنصالـح والملك منـا قريب؟ فيقـال إن الصحابة كـبروا في بعض الأيام تكبيـرة ارتجت منهـا المدينة ووقعـت زلزلة تفطـرت منها بعض الجـدران، ثم كبروا تكبيرة أخرى فسـقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا: ألا تنظرون إلـى ما نـزل بنا، وما نحن فيـه؟ ألا تصالحون عنا؟ قال: فصالحوهـم على ما صالحوا عليه أهل دمشـق، على نصف المنازل، وضـرب الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسـب الغنى والفقر، وبعث أبوعبيدة بالأخماس والبشـارة إلى عمر مع عبدالله بن مسعود، وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشا كثيفا يكون بها مع جماعة من الأمراء، منهـم بلال، والمقداد، وكتب أبو عبيدة إلى عمـر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء[١] إلى الجزيرة، وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى، فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلدة حمص[٢].

○ وقعة قنسرين سنة (١٥هـ)[٣]:

لمـا فتـح أبوعبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قنسـرين[٤]، فلما جاءها ثار إليه أهلهـا ومـن عندهم من نصـارى العرب، فقاتلهـم خالد فيها قتالا شـديدا، وقتل منهم خلقـا كثيرا، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهـم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتـذروا إليـه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا فقبـل خالد منهم وكف عنهم، ثم خلص

(١) أي: اجتاز نهر الفرات.
(٢) قارن بـ تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٩- ٦٠١).
(٣) البداية والنهاية (٧-٥٢).
(٤) بكسر أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة، بلد بالشام بجوار حمص، ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٠٣).

إلى البلد فتحصنوا فيه، فقال لهم خالد: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا، ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه[١] ولله الحمد.

○ ثناء عمر على خالد[٢]:

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الموقعة قال: يرحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مني، والله إني لم أعزله عن ريبة؛ ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه[٣].

○ وقعة قيسارية سنة (١٠هـ)[٤]:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية[٥]، وكتب إليه:

أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا و مولانا فنعم المولى ونعم النصير، فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها أن قاتلوا قتالا عظيما، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحوا من ثمانين ألفا، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٦].

---

(١) قارن بـ تاريخ الطبري (٦٠١/ ٣).

(٢) البداية والنهاية (٥٣/ ٧).

(٣) ذكره الطبري في تاريخه، (٦٠١/ ٣) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه، وأخرج ابن سعد في الطبقات (٢٨٤/ ٣) بإسناد صحيح إلى محمد بن سيرين عن عمر بن الخطاب أنه قال: لأعزلن خالد بن الوليد، والمثنى مثنى بن شيبان، حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عباده وليس إياهما كان ينصره"، وأخرج أحمد في المسند خطبة عمر في الجابية واعتذاره عن عزل خالد وذكر سببا آخر لعزله، وهو إعطاء المال ذا البأس والشرف دون الرجوع للخليفة. الفتح الرباني (٨٦/ ٢٣).

(٤) البداية والنهاية (٥٣/ ٧).

(٥) قيسارية: بلد على ساحل البحر الأبيض المتوسط تعد من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٢١).

(٦) تاريخ الطبري، (٣/ ٦٠٤).

○ وقعة أجنادين سنة (١٥هـ)[١]:

قال ابن جرير: وفيها كتب عمر بن الخطاب، إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ومناجزة صاحبها، فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت وقعة أجنادين[٢]، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبدالله بن عمرو، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة[٣] وجد عندها جمعا من الروم عليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدها غورا، وأنكأها فعلا، وقد كان وضع بالرملة جندا عظيما، وبإيلياء[٤] جندا عظيما آخر، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر، فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج»، وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفاسي، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا، وأبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قدم عليه أمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل، فأراد أن يليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد، وقال الأرطبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٤).

(٢) أجنادين: بالفتح، ثم السكون، ونون وألف، وتفتح الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع، موضع في بلاد الشام في فلسطين من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة بين المسلمين والروم. ياقوت مصدر سابق (١٠٣/ ١).

(٣) الرملة: واحدة الرمل، مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشرة فرسخا، وكانت دار ملك داود وسليمان عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وعمرت في عهد الدولة الأموية وبقيت إلى زمن صلاح الدين حيث استنقذها من الإفرنج سنة ٥٨٣ هـ. (ياقوت، مصدر سابق، ٦٩/ ٣).

(٤) اسم من أسماء بيت المقدس.

هو أعظم من قتله، ففطن عمرو بن العاص فقال للأرطبون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد. من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت، فقال الأرطبون: نعم!. فاذهب فأتني بهم، وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب، وبلغت عمر بن الخطاب فقال: غلبه عمرو، لله در عمرو! ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالا عظيما، كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد، وكثر جيشه، فكتب الأرطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري، أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع ولا تغر فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلا يتكلم الرومية فبعثه إلى أرطبون، وقال: اسمع ما يقول ثم ارجع حتى تخبرني.

وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد، واقرأ كتابي هذا بمحضر أصحابك ووزرائك، فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب، فقالوا للأرطبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد؟ فقال: صاحبها رجل اسمه ثلاثة أحرف وصفته كذا وكذا، فذكر صفة عمر بن الخطاب، فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال، فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له: إني أعالج حربا كؤدا صدوما، وبلادا قد ادخرت لك، فرأيك».

فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمرا لم يقل ذلك إلا لأمر علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس[١].

(١) قارن ابن جرير تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦٠٥).

○ ارتحال هرقل عن بلاد الشام[١]:

وفي السنة الخامسة عشر ارتحل هرقل عن الشام إلى بلاد الروم[٢].

وقال سيف: كان ذلك في سنة ست عشرة[٣].

قالوا: وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: «عليك السلام يا سورية، تسليم مودع لم يقض منك وطرا وهو عائد»، فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها[٤]، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم، فقالوا: إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك، فتركهم، فلما وصل إلى شمشاط[٥] وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده[٦].

ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلا كان قد أسره المسلمون فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار، ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين[٧].

قال ابن كثير: وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية، فلم يملكوها، ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب «الملاحم»، وذلك قبل

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٣)

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٣/ ٦٠٢)، والكامل، لابن الأثير (٢/ ٥٠٠).

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٣/ ٦٠٢)، والكامل، لابن الأثير (٢/ ٥٠٠).

(٤) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. ياقوت، مصدر سابق (٣/ ١٠٦).

(٥) مدينة على شط الفرات، في طرف أرمينية، بينها وبين الشام، ياقوت، مصدر سابق (٣/ ٣٦٢).

(٦) ابن جرير، المصدر السابق (٣/ ٦٠٣).

(٧) ذكر ذلك الطبري في تاريخه من رواية سيف بن عمر عن شيوخه (٣/ ٦٠٢).

خروج الدجال بقليل[١] على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم[٢] وغيره من الأئمة، ولله الحمد والمنة.

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ»[٣]

وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت، وسيكون ما أخبر به جزما لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبدا لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم. فهذا لا يعود لهم أبدا[٤].

❁ ❁ ❁

(١) هكذا كان يتوقع الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تم فتحها ولله الحمد، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م)، محمد فريد بك، التاريخ الدولة العلية العثمانية» ص (١٦٣). وسيملكونها مرة أخرى إن شاء الله كما أخبرت الأحاديث.

(٢) الذي أخرجه مسلم في الأحاديث التي فيها ذكر الدجال ومبعثه. انظر: الفتن وأشراط الساعة في صحيحه، أما حديث البشارة بفتح روما والقسطنطينية، فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٧٩). وانظر تصحيحه ومن رواه في سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني حديث رقم (٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٦٢٥ من فتح الباري).

(٤) وما حصل من ملكهم بعض البلدان زمن الحروب الصليبية لا ينقض هذا النص فهم لم يملكوا الشام كله، وإنما كانت لهم مستعمرات في الأطراف وبيت المقدس ثم خرجوا مدحورين.

فتح بيت المقدس

○ مسير عمر بن الخطاب إلى الشام سنة (١٥هـ)[١]:

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة، عن رواية سيف بن عمر[٢].

وملخص ما ذكره هو وغيره، أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية، أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم لهم، فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان[٣].

وذكر سيف في سياقه: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار حتى قدم الجابية، وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليحصبهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم، فسكت عنهم، واجتمع الأمراء كلهم

(١) البداية والنهاية (٧/ ٥٦-٥٥).

(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦٠٧، ٦١٠) فقد أورد فتح بيت المقدس في حوادث سنة (١٥هـ)، وذكر رواية أخرى من طريق سيف بن عمر عن أبي عثمان وأبي حارثة أن ذلك كان في ربيع الآخر سنة ست عشرة (٣-٦١٠).

(٣) انظر: الأزدي، فتوح الشام ص (٢٤٩).

بعد ما استخلفوا على أعمالهم، سوى عمرو بن العاص، وشرحبيل، فإنهما موافقان الأرطبون بأجنادين[١].

فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون.

فساروا نحوهم فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر إلى ما سألوا[٢].

○ خطبة عمر بالجابية[٣]:

وخطب عمر بالجابية خطبة طويلة بليغة منها:

أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي ولا بينه وبين الله هوادة، فمن أراد لحب (طريق) الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن». وهي خطبة طويلة اختصرناها[٤].

○ كتابة الصلح وتسلم بيت المقدس[٥]:

ثم سار عمر بن الخطاب حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم خلال ثلاث ليال، ثم دخلها، ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه الرسول ﷺ ليلة الإسراء. ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد

(١) الطبري، تاريخ الأمم والرسل، (٣/ ٦٠٧).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٦٠٨).
(٣) البداية والنهاية» (٧/ ٥٦).
(٤) انظرها في مسند الإمام أحمد (٢٣/ ٨٠ من الفتح الرباني. وفيه: فمن أراد بحبوحة الجنة.
(٥) البداية والنهاية» (٧/ ٥٧).

بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغدوة، فقرأ في الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل[١].

وكتب لأهل بيت المقدس كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطا ذكرها ابن جرير[٢]، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمس عشرة.

ثم كتب لأهل لد[٣] ومن هنالك من الناس كتابا آخر، وضرب عليهم الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفر الأرطبون إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص، ثم فر إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك[٤]:

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها ... فإن فيها بحمد الله منتفعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها ... فقد تركت بها أوصاله قطعا

○ أعمال عمر في بيت المقدس[٥]:

قال ابن كثير:

وقد روينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأحبار، عن مكان الصخرة فقال: يا أمير المؤمنين أذرع من وادي جهنم كذا وكذا ذراعا فهي ثم، فذرعوا فوجدوها، وقد اتخذها النصارى مزبلة كما فعلت اليهود بمكان القمامة، وهو المكان الذي طلب

(١) هي سورة الإسراء.
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٣/٦٠٩).
(٣) لد: قرية قرب بيت المقدس، وعند بابها يدرك عيسى بن مريم عليه السلام الدجال فيقتله، ياقوت، مصدر سابق (١-١٥).
(٤) انظر: ابن الأثير، بالكامل في التاريخ (٢/٥٠٢).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٥٨).

فيه المصلوب الذي شبه بعيسى، فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح، وقد كذبوا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم في ذلك[١].

والمقصود أن النصارى لما حكموا بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلاثمائة سنة، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة إليه، واسم أمه هيلانة الفندقانية[٢]، وأمرت ابنها فبني للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد، وبنت هي على موضع القبر فيما يزعمون، والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة، في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه. فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل: إنه كنسها بردائه، ثم استشار كعبا أين يضع المسجد؟ فأشار عليه بأن يجعله من وراء الصخرة، فضرب في صدره وقال: يابن أم كعب، ضارعت اليهودية، وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس.

قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، ثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عبيد بن آدم، وأبي مريم، وأبي شعيب، أن عمر بن الخطاب كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس، قال: قال ابن سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك، فقال: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط ردائه وكنس الناس.

وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج[٣]، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر وما رواه من الأحاديث المرفوعة، وما روي عنه من الآثار الموقوفة مبوبا على أبواب الفقه، ولله الحمد والمنة.

(١) قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ ﴾ [النساء:١٥٨].

(٢) نسبة إلى بلدة الفندق، موضع بالثغر قرب المصيصة. (معجم البلدان ٢٧٧/ ٤).

(٣) اسمه: «الأحاديث المختارة». وانظر: مسند أحمد (١/ ٢٦٨) برقم (٣٦١) وقال أحمد شاكر: إسناده حسن.

○ حصر الروم لأبي عبيدة بحمص سنة (١٧هـ)[1]:

وذلك أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص، واستجاشوا بأهل الجزيرة وخلق ممن هنالك، وقصدوا أبا عبيدة، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين، وكتب إلى عمر بذلك، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر، فكلهم أشار بالتحصن، إلا خالدا فإنه أشار بمناجزتهم، فعصاه وأطاعهم، وتحصن بحمص وأحاط به الروم، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لانخرم النظام في الشام كله.

وكتب عمر إلى سعد بالعراق أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب، نجدة لأبي عبيدة فإنه محصور، وأن يجهز جيشا آخر إلى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبي عبيدة، ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم.

فخرج الجيشان معا من الكوفة لنجدة أبي عبيدة، وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة، فبلغ الجابية وقيل: إنما بلغ سرغ. قاله ابن إسحاق، وهو أشبه والله أعلم.

فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم، انشمروا إلى بلادهم، وفارقوا الروم، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جدا. وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم، ففعل ذلك أبو عبيدة، ففتح الله عليه ونصره، وهزمت الروم هزيمة فظيعة، وذلك قبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليال، فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال، وسأله: هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم؟

---

(١) «البداية والنهاية» (٧-٧٥).

فجاء الجواب: بأن يدخلهم معهم في الغنيمة، فإن العدو إنما ضعف وإنما انشمر عند ما بلغه خبر المدد فخافوا منهم، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة.

وقال عمر: جزى الله أهل الكوفة خيرا يحمون حوزتهم ويمدون الأمصار[١].

○ فتح الجزيرة الفراتية[٢]:

وفي سنة سبع عشرة فتحت الجزيرة فيما قاله سيف بن عمر، وتبعه ابن جرير.

وقال ابن إسحاق: كان ذلك في سنة تسع عشرة.

سار إليها عياض بن غنم وفي صحبته أبو موسى الأشعري، و عثمان بن أبي العاص، فنزل الرها فصالحه أهلها على الجزية، وصالحت حران على ذلك. ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، وعمر بن سعد إلى رأس العين[٣]، وسار بنفسه إلى دارى[٤]، فافتتحت هذه البلدان، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى إرمينية[٥]، فكان عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي[٦] شهيدا، ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية، على كل أهل بيت دينار[٧].

---

(١) انظر: الخبر بكامله عند الطبري، تاريخ الرسل والملوك» (٤/ ٥٠- ٥٢).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٧٦).

(٣) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين. ياقوت، قال مصدر سابق (٣-١٤).

(٤) دارى: بالألف اللينة، بلدة في الحق جبل بين نصيبين وساردين، وعندها كان معسكر دارى بن دارى الملك الفارسي لما لقي الإسكندر المقدوني، فقتله الإسكندر، وبنى في موضع بمعسكره هذه البلدة وسماها باسمه. وبفتح، مصدر سابق (٢/ ٤١٨).

(٥) إرمينية: بكسر أوله وبفتح وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة، اسم لصقع واسع في جهة الشمال، وهي أربعة أقسام، ومن مدنها: خلاط، وتفليس، وجرزان، وأران، وشمشاط. (ياقوت، مصدر سابق (١-١٦٠).

(٦) انظر: ترجمته في: «البداية والنهاية» (٧/ ٩٦)، وفي الإصابة، (٣/ ٤٤٠).

(٧) الخبر بكامله عند الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٥٣).

○ **غزو الروم**[١]:

قال ابن جرير: وفي سنة عشرين غزا أرض الروم أبو بحرية عبدالله بن قيس الكندي[٢] وهو أول من دخلها. فيما قيل - فَسَلِم وغنم، وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي[٣].

○ **غزو الحبشة**[٤]:

وفي سنة عشرين بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر فأصيبوا، فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشا في البحر بعدها.

وقد خالف الواقدي في هذه أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان[٥].

○ **غزو معاوية بالصائفة**[٦]:

وقال ابن جرير: وفي سنة ثلاث وعشرين غزا معاوية بالصائفة حتى بلغ عمورية[٧]، ومعه الصحابة، عبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبوذر، وشداد بن أوس[٨].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (٧/١٠١).
(٢) في الأصل: «العبدي»، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ١١٢). وانظر: تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/٣٣٠).
(٣) انظر ترجمته في: «الإصابة» لابن حجر (٦/٢٣٩)، والخبر في تاريخ الطبري (٤-١١٢).
(٤) البداية والنهاية (٧/١٠١).
(٥) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١١٢).
(٦) البداية والنهاية (٧/١٤١).
(٧) عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانية، بلدة مشهورة في بلاد الروم، وقد فتحها المعتصم سنة (٢٢٣هـ). ياقوت، مصدر سابق (٤/ ١٥٨).
(٨) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٤١).

فتح مصر

المرحلة الثالثة من الفتوحات:

يمثل فتح مصر المرحلة الثالثة لخطة الفتح في عهد الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

تاريخ فتحها[١]:

قال محمد بن إسحاق: في سنة عشرين كان فتح مصر، وكذا قال الواقدي: أنها فتحت هي والإسكندرية في هذه السنة.

وقال أبو معشر: فتحت مصر سنة عشرين، والإسكندرية سنة خمس وعشرين.

وقال سيف: فتحت مصر والإسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها[٢]. ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير في الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة[٣]، وهو معذور فيما رجحه.

فتح بابليون:

لما استكمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمسلمون فتح الشام، بعث عمرو بن العاص إلى مصر، وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس، وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطأة، وخارجة بن حذافة العدوي، وعمير بن وهب الجمحي. فاجتمعا على باب مصر[٤]، فلقيهم أبي مريم (جاثليق مصر)، ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات، بعثه المقوقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذر، ليبرز إلي أبو مريم، وأبو مريام - راهبا هذه البلاد - فبرزا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمدا بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما

(١) البداية والنهاية، (٧/ ٩٧).
(٢) انظر هذه الأقوال عند ابن جرير تاريخ الرسل والملوك (٤-١٠٤).
(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» (٢/ ٥٦٤). وعام الرمادة سنة (١٨ هـ).
(٤) المراد بابليون، وهي الفسطاط. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٣١١).

أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المتعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة، ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيرا، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرا، لأن لهم رحما وذمة[١].

فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف[٢] والملك فيهم، فأديل عليهم أهل عين شمس، فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مرحبا به وأهلا. أمنا حتى نرجع إليك، فقال عمرو: إن مثلي لا يخدع ولكني أؤجلكما ثلاثا لتنظروا ولتناظرا قومكم، وإلا ناجزتكم. قالا: زدنا، فزادهم يوما، فقالا: زدنا، فزادهم يوما. فرجعا إلى المقوقس فهم بالصلح، فأبي أرطبون[٣] أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام.

وأشار عليهم الأرطبون بأن يبيتوا المسلمين فأبوا، فألح الأرطبون في أن يبيتوا المسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة، ثم قصد عمرو، والزبير إلى عين شمس وبها جمعهم[٤].

○ حصار عين شمس ونزولها على الصلح[٥]:

حاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع - من أيام المهلة التي أعطاها عمرو لهم -، فقال أهل مصر لملكهم ما تريدون من قوم قاتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم

(١) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٤- ١٩٧٠) حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما"، أو قال: "ذمة وصهرا". والمراد بالرحم، أن أم إسماعيل منهم، والمراد بالصهر: أن مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.

(٢) منف: بالفتح ثم السكون وفاء، اسم مدينة فرعون بمصر، وهي بين الفسطاط، وعين شمس، ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٢١٣).

(٣) الأرطبون: هو الحاكم الروماني الذي كان في بيت المقدس فهرب إلى مصر.

(٤) انظر: ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ١٠٦- ١٠٧).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٩٨).

على بلادهم، صالح القوم ولا تعرضنا لهم، فأبى، فقاتلوهم وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا من الباب الآخر فصالحوه، واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو، فأمضوا الجميع على الصلح، وكتب لهم عمرو كتاب أمان:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوبة، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم، خمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوصهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة، فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر[١].

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول، ومَصَّر عمرو الفسطاط، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمرا في السبايا التي أصيبت بعد المعركة. فأبي عمرو أن يردها عليهما، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه[٢]، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمنوا فيها أن يرد عليهم، وكل سبي أخذ ممن قاتل فلا يرد عليهم. وقيل: إنه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله، فمن اختار الإسلام فلا يردوه

(١) انظر نص الكتاب عند ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ١٠٩).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٩).

إليهم، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما، فإنه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به. ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم[١].

○ فتح الإسكندرية[٢]:

أرسل عمرو جيشا إلى الإسكندرية - وكان المقوقس صاحب الإسكندرية يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم - فلما حاصره جيش المسلمين جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم، والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم. ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول: إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلي منكم، ثم صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

○ غزو النوبة[٤]:

وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة[٥] فنالهم جراحات كثيرة، وأصيبت أعين كثيرة، لجودة رمي أهل النوبة فسموهم جند الحق، ثم فتحها الله بعد ذلك[٦] وله الحمد والمنة.

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٠٥).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٩٩).
(٣) ذكر ابن جرير الاختلاف في تاريخ فتح الإسكندرية. قيل: سنة (٢١هـ)، وقيل: (٢٢هـ)، وقيل: (٢٥هـ). المصدر السابق (٤/ ١٠٥). وفي تاريخ ولاة مصر اللكندي ص (١٦-١٧) ذكر أنها فتحت مرتين الأولى سنة (٢٠ هـ). ويقال: بل مستهل سنة (٢١ هـ)، والثانية: سنة (٢٥هـ). وانظر: فتوح مصر لابن عبدالحكم ص (١١٧، ٢٣٩).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٠٠).
(٥) النوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة، بلاد واسعة عريضة جنوب مصر بعد أسوان، وهم أهل بأس وشدة. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٣٠٨).
(٦) أي: صلحا، وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: البلاذري، فتوح البلدان (٢٨٠- ٢٨٢)، وابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب » ص (٢٥٢).

❍ قصة نيل مصر[١]:

روينـا من طريـق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتـى أهلها عمرو بن العاص – حين دخل بؤنة من أشـهر العجـم – فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سـنة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشـرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل». فقال لهم عمرو: «إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله». قال: فأقاموا بؤنة، وأبيب، ومسرى[٢]، والنيل لا يجـري قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيـل، فلما قـدم كتابه أخذ عمرو البطاقـة فإذا فيها: من عبدالله عمـر أمير المؤمنين إلـى نيـل أهل مصر، أما بعد، فإن كنـت إنما تجري بأمر الله الواحـد القهار، وهو الذي يجريك، فنسأل الله تعالى أن يجريك».

قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السـبت وقد أجراه الله سـتة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم[٣].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (٧/١٠٠).

(٢) بؤنة وأبيب، ومسـرى، من أسـماء شهور القبط، وهي الأشهر العاشـر والحادي عشر والثاني عشر على التوالي. انظر: فتوح مصر، (٢٠٣ في الهامش).

(٣) أخرجه ابن عبد الحكم في مفتوح مصر ص (٢٠٣) من طريق ابن لهيعة، وأخرجه اللالكائي في كرامات الأوليـاء» ص(١٢٦) من طريقه أيضا، وانظر: مناقب عمره الابن الجوزي ص (١٧٣)، وتفسـير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٤٦٤) والأثر فيه انقطاع.

ب ـ الفتوحات في العراق والمشرق

○ المرحلة الثانية:

تمثـل الفتوحات في عهد الصديـق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في العراق بقيادة خالد بن الوليد المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت نحو المشرق في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله استكملت الخطة على أربع مراحل، هذه إحداها:

○ تأمير أبي عبيد الثقفي على الحرب في العراق[(١)]:

لـما مات الصديـق ودفن ليلة الثلاثاء الثاني والعشـرين من شـهر جمـادى الآخرة سـنة ثلاث عشـرة، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق، وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يقم أحد، وتكلم المثنى بن حارثة فأحسـن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يـدي خالد من معظم أرض العراق، مـا لهـم هنالك من الأمـوال والأملاك والأمتعة والـزاد، فلم يقم أحـد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسـلمين أبو عبيد بن مسـعود الثقفي ثم تتابـع الناس في الإجابة، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة بالاكتتاب وأمر على الجميع أبا عبيد ولـم يكن صحابيا فقيل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من اسـتجاب، إنكم إنما سـبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي اسـتجاب قبلكم، ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسـه بتقوى الله، وبمن معه من المسـلمين خيرا، وأمره أن يستشـير أصحاب رسـول الله ﷺ وأن يستشـير سـليط بن قيس[(٢)] فإنه رجل باشر الحروب.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦).

(٢) سـليط بن قيس بن عمرو الأنصاري من بني النجار، شـهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. انظر: ابن حجر، والإصابة (٣/ ١٦٣).

فسار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق، فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة، وأرسل عمر، جرير بن عبدالله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة[١]، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعدما قتلوا التي كانت قبلها أزرميدخت، وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك.. وكان رستم هذا منجما يعرف النجوم وعلمها جيدا، فقيل له: ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف[٢]

○ وقعة النمارق سنة (١٣هـ)[٣]:

بعث رستم أميرا يقال له: جابان وعلى مجنبتيه رجلان أحدهما جشنس، والآخر: مرد انشاه، فالتقوا مع أبي عبيدة بمكان يقال له النمارق[٤] - بين الحيرة والقادسية، وعلى الخيل المثنى بن حارثة، وعلى الميمنة والق بن جيدارة، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم السلمي، فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا هزم الله الفرس وأسر جابان، ومردانشاه، فأما مردانشاه فإنه قتله الذي أسره، وأما جابان فإنه خدع الذي أسره حتى أطلقه، فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه، وقالوا: إن هذا الأمير، وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا: اقتله فإنه الأمير، فقال: وإن كان الأمير فإني لا أقتله. وقد أمنه رجل من المسلمين[٥].

(١) المقصود المكان الذي بنيت فيه مدينة الكوفة بعد ذلك.

(٢) ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٣/٤٤٩).

(٣) البداية والنهاية (٧/٢٧).

(٤) النمارق، موضع قرب الكوفة، ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٣٠٤).

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (٣/٤٤٩).

○ وقعة جسر أبي عبيد[١]:

لما رجع الجالينوس هاربا مما لقي من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشا كثيفا عليهم ذا الحجاب بهمن جادويه، وأعطاه راية كسرى وتسمى درفش كابيان (الراية العظمى)، وكانت الفرس تتيمن بها، وكانت من جلود النمور وعرضها ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعا. فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا إلينا، فقال: ما هم بأجرأ على الموت منا. ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو من عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة، ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها إلا القليل على قسر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة، ورشقتهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقا كثيرا، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف، وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولا، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها، وقدم قدمت الفرس بين أيديهم فيلا عظيما أبيض، فتقدم إليه أبوعبيد فضربه بالسيف فقطع مشفرة فحمي الفيل، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخبطه برجليه، فقتله، فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميرا بعده فقتل، ثم آخر ثم آخر، حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحدا بعد واحد، ثم صارت إلى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضا، فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا ولم يكن بقي إلا الظفر لو صبروا، فضعف أمرهم، وذهب ريحهم، وولوا مدبرين، وساقت الفرس خلفهم فقتلوا بشرا كثيرا، وانكشف الناس فكان أمرا بليغا، وجاؤا إلى الجسر فمر بعض الناس، ثم انكسر الجسر[٢] فتحكم فيمن

(١) البداية والنهاية (٢٧-٧).

(٢) ذكر الطبري في تاريخه، (٣/ ٤٥٥) من طريق سيف أن الذي قطع الجسر رجل من ثقيف وسماه في =

وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحو من أربعة آلاف، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

○ **المثنى وإنقاذ الموقف:**

وسار المثنى فوقف عند الجسر الذي جاءوا منه، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق، فنادى المثنى: أيها الناس على هيئتكم فإني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فنزل بهم أول منزل، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا، ومن الناس من ذهب في البرية لا يدرى أين ذهب، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعورا[1]، وذهب بالخبر عبدالله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر، فقال له عمر: ما وراءك يا عبد الله بن زيد؟ فقال: أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين، ثم صعد إليه فأخبره الخبر سرا، ويقال: كان أول من قدم بخبر الناس عبدالله بن يزيد بن الحصين الخطمي[2]، فالله أعلم.

○ **وقعة البويب سنة (١٢هـ)[3]:**

لما سمع أمراء الفرس بخبر هزيمة المسلمين يوم الجسر، وبكثرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشا آخر مع رجل يقال له: مهران، فتوافوا هم وإياهم بمكان يقال له: البويب - قريب من مكان الكوفة اليوم - وبينهما الفرات، فقالوا: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فقال المسلمون: بل اعبروا إلينا. فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا، وذلك في

= (٣/٤٥٧) بأنه عبدالله بن مرثد الثقفي وقال: قاتلوا عن أمير كم. وأخرج ابن سعد (٢/ ٢٥٧ من الطبقة الخامسة من الصحابة بتحقيقي) عن الواقدي، أن الذي قطع الجسر عبدالله بن يزيد الخطمي. ولكن الصواب ما أخرجه ابن أبي شيبة، في مصنفه (١/٥٥٦) بإسناد صحيح عن قيس بن أبي حازم أن المشركين هم الذين قطعوا الجسر، وذكر ذلك أيضا البلاذري، في فتوح البلدان ص (٢٥٣).

(١) الخبر بكامله في تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٤ - ٤٥٩) من طريق سيف بن عمر، ومن طريق ابن إسحاق.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق كما في تاريخ الطبري (٣/٤٥٨). وهي عند ابن سعد، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢/٢٥٧) من رواية الواقدي وسماه عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين، وقد نسبه ابن جرير إلى جده.

(٣) البداية والنهاية (٧/٢٩).

شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة، فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وعبى الجيش، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل، ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت، وفي القوم جرير بن عبدالله البجلي في بجيلة، وجماعة من سادات المسلمين.

وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا، فإذا كبرت الرابعة؛ فاحملوا. فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى خالطوهم واقتتلوا قتالا شديدا، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللا، فبعث إليهم رجلا يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا: نعم، فاعتدلوا، فلما رأى ذلك منهم أعجبه وضحك، وبعث إليهم يقول: يا معشر المسلمين عاداتكم، انصروا الله ينصركم، وجعل المثنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر، فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة، وحمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعنه، واحتز رأسه جرير بن عبدالله البجلي، واختصما في سلبه، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقته.

وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلا، وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون. فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، فيقال: إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف، وغنم المسلمون مالًا جزيلًا وطعاما كثيرا، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير أيضا. وذلت لهذه الواقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة، فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره[١].

(١) انظر خبر المعركة عند الطبري، تاريخ الرسل والملوك» (٣/ ٤٦١- ٤٧٢) بتفصيل أكثر.

وجـرت أمور يطـول ذكرها بعد يوم البويـب[١]، وكانت هذه الواقعـة بالعراق نظير اليرموك بالشام.

○ ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد[٢]:

كان شيرى بن كسرى آبرويز قد جمع آل كسرى في القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرانهم كلهم، وكان عددهم (١٥) نفسـا، وكانت أم يزدجـرد قد أخفت ابنها، وواعدت أخواله فجاؤا وأخذوه منها سرا وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ما وقع يوم البويب وقتل منهم كمـا ذكرنا، وركب المسـلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخـذ بلدانهم ومحالهم وأقاليمهـم، اجتمعـوا فيمـا بينهـم وأحضـروا الأميرين الكبيريـن فيهم وهما: رسـتم، والفيـرزان، فتذمروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهمـا: لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لنقتلكمـا ونشـتفي بكمـا، ثـم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نسـاء كسـرى من كل فج ومـن كل بقعـة، فمن كان لها ولد من آل كسـرى ملكوه عليهم، فدلـوا على أم يزدجرد، فأحضروهـا وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشـرين سـنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى وعزلوا بوران، واستوسقت الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام، واستفحل أمره فيهم وقويت شوكتهم به.

ثـم بعثـوا إلـى الأقاليـم والرسـاتيق فخلعوا الطاعـة للصحابـة ونقضـوا عهودهم وذممهـم، وبعث الصحابة إلى عمر بالخـبر، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم ويكونـوا على أطراف البلاد حولهم على المياه، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيـث إذا حـدث حدث علـى قبيلة لا يخفـى أمرها على جيرانهـم، وكان ذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر تفصيل ذلك في المصدر السابق (٣/ ٤٧٣ - ٤٧٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٠).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٤٧٧ - ٤٧٨).

الفتوحات في العراق والمشرق

المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة بتأمير سعد بن أبي وقاص على الجهاد في العراق سنة (١٤هـ).

تأمير سعد بن أبي وقاص على العراق[١]:

استهلت السنة الرابعة عشرة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك.

قال ابن جرير: وركب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول يوم من المحرم هذه السنة (١٤هـ) في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له: صرار[٢]، فعسكر به عازما على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان و سادات الصحابة، ثم عقد مجلسا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودي الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق، إلا عبدالرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلا وترجع أنت إلى المدينة، فاستصوب عمر والناس عند ذلك رأي ابن عوف.

فقال عمر: فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟

فقال: قد وجدته.

قال: ومن هو؟

قال: الأسد في براثنه، سعد بن مالك الزهري.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٥).

(٢) صرار: بكسر أوله، موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. ياقوت، مصدر سابق (٣/ ٣٩٨).

فاستجاد قوله، وأرسل إلى سعد، فأقره على العراق[١].

○ وصايا عمر لسعد[٢]:

ثم أوصاه فقال له: يا سعد، سعد بن وهيب، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فألزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك.

ولما أراد فراقه قال له: إنك ستقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وإنما عصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء، منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد في التحبب إلى الناس فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبدا حببه، وإذا أبغض عبدا بغضه، فأعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس[٣].

فسار سعد نحو العراق في أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من أهل اليمن، وألف من سائر الناس، وقيل في ستة آلاف، وشيعهم عمر من صرار إلى الأعوص[٤].

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٤٨٢).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٥).

(٣) انظر الوصية في تاريخ الطبريه (٣/ ٤٨٣) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

(٤) الأعوص: على طريق العراق، وهو واد في صدر قناة من الشمال وفيه مطار المدينة اليوم، معجم المعالم الجغرافية، لعاتق البلادي ص (٣١).

○ خطبة عمر[١]:

وقام عمر في الناس خطيبا هنالك فقال: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول ليحي به القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحبها الله، من علم شيئا فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابا، ويسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء. إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع[٢].

○ وصول سعد إلى العراق ووفاة المثنى[٣]:

ثم سار سعد إلى العراق، ولما انتهى إلى زرود[٤]، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلا اليسير، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه، واستخلف على الجبيش بشير بن الخصاصية، ولما بلغ سعد موته ترحم عليه، ثم تزوج بعد زوجته سلمى؛ ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره، وأمده عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفا، وقيل ستة وثلاثين. وقال عمر: والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٦).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٥) من طريق سيف بن عمر.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٦).

(٤) زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، كانت فيه بركة وقصر وحوض لخدمة الحجاج. ياقوت. مصدر سابق (٣/ ١٣٩).

(٥) انظر تفاصيل أكثر في تاريخ الطبرى، (٣/ ٤٨٦ – ٤٨٧، و(٤٩٠).

○ ترتيب الجيش[(١)]:

كتب عمر إلى سعد أن يجعل الأمراء على الأجناد، والعرفاء على كل عشرة. فعين سعد الأمراء على القبائل، وولي على الطلائع، والمقدمات، والمجنبات، والساقات، والرجالة، والركبان، كما أمر أمير المؤمنين[(٢)].

○ المراسلات بين عمر وسعد[(٣)]:

وبعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية - وأن يكون بين الحجر والمدر، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس، وأن يبدرهم بالضرب والشد، ولا يهولنك كثرة عددهم وعددهم، فإنهم قوم خدعة مكرة، وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبدا، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وارءكم حتى تصلوا إلى الحجر فإنكم عليه أجرأ، وإنهم عنه أجبن وبه أجهل، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة[(٤)].

وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه، وأمرهم بالنية والخشية والصبر، فإن النصر يأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وسلوا الله العافية، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[(٥)].

ولما بلغ سعد العذيب[(٦)]، اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاذ بن أزاذبه، فغنموا مما معه شيئا ووقع منهم موقعا كبيرا، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها بين الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا، وتفاءلوا، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن

(١) البداية والنهاية» (٧/ ٣٦).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٤٨٨).
(٣) المصدر نفسه (٣/ ٤٨٨)
(٤) المصدر نفسه (٣/ ٤٩٠).
(٥) المصدر نفسه (٣/ ٤٩١)
(٦) العذيب: تصغير العذب، وهو: الماء الطيب، وهو ماء على حد السواد بين القادسية والمغيثة. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٩٢).

معهم من الحريم، وجعل على هذه السرية غالب بن عبدالله الليثي[١].

○ مقدمات معركة القادسية:

ثم سار فنزل القادسية، وبث سراياه، وأقام بها شهرا لم ير أحدا من الفرس، فكتب إلى عمر بذلك، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان، فعجت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد من الذي يلقون من المسلمين. وقالوا: إن لم تنجدونا وإلا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون، واجتمع رأي الفرس على إرسال رستم إليهم، فبعث إليه يزدجرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك، وقال: إن هذا ليس برأي في الحرب، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشا كثيفا مرة واحدة، فأبى الملك إلا ذلك، فتجهز رستم للخروج، وكان سعد قد بعث كاشفا إلى الحيرة وإلى صلوبا، فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاد الأرمني، وأمره بالعسكرة، فكتب سعد إلى عمر بذلك. فكتب إليه عمر:

لا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالا من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم، واكتب إلي في كل يوم.

ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط[٢] كتب سعد إلى عمر يقول: إن رستم قد عسكر بساباط، وجرد الخيول والفيول، وزحف علينا بها، وليس شيء أهم عندي ولا أكثر ذكرا مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل[٣].

وعبأ رستم جيشه فجعل على المقدمة - وهي أربعون ألفا - الجالوس، وعلى الميمنة - وهي ثلاثون ألفا - الهمزان، وعلى الميسرة - وهي ثلاثون ألفا - مهران بن بهرام، وعلى الساعة البيرزان في عشرين ألفا، فالجيش كله مائة وعشرين ألفا.

(١) المصدر نفسه (٣/ ٤٩٤)، وغالب بن عبدالله الليثي، صحابي. انظر ترجمته في: الإصابة » (٥-٣١٥).
(٢) ساباط: يقال له: ساباط كسرى، وهو موضع بالمدائن. ياقوت، مصدر سابق (٣-١٦٦).
(٣) المصدر نفسه (٣/٤٩٥).

وفي روايـة: كان رسـتم في مائة وعشـرين ألفا، يتبعهـا ثمانون ألفـا، وكان معه ثلاثة وثلاثين فيلا[١].

○ بعث الرسل إلى رستم ودعوته للإسلام[٢]:

بعث سعد جماعة من السادات منهم: النعمان بن مقرن، وفرات ابن حيان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعطارد بن حاجب، والأشعث ابن قيس، والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معدي كرب، يدعون رسـتم إلى الله عَزَّوَجَلَّ. فقال لهم رسـتم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعـود الله إيانا، أخذ بلادكم وسـبي نسـائكم وأبنائكم، وأخـذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك[٣].

ولما دنا جيش رسـتم من سـعد أحب سـعد أن يطلـع على أخبارهم علـى الجلية، فبعث رجالا سـرية لتأتيه برجل من الفرس، وكان في السرية طليحة الأسدي الذي كان ادعى النبوة وتاب.

فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف، وتخطى الألوف، وقتل جماعة من أبطال الفرس حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئا، فسأله سعد عن القوم، فجعل يصف شجاعة طليحة، فقال: دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم، فقال: هو في مائة وعشرين ألفا، ويتبعها مثلها[٤]. وأسلم الرجل من فوره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○ بعث المغيرة بن شعبة:

ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) المصدر نفسه بنحوه (٥٠٥/٣). وانظر: ٣/ ٥١٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٨).
(٣) تاريخ الطبري (٣٩٦/ ٣).
(٤) المصدر نفسه (٥١٤/٣).

فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم، ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز، فقال له رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا! وأي شيء أيضا؟. قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، قال: وحسن أيضا! وأي شيء أيضا؟. قال: والناس بنو آدم، فهم أخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضا، ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه[(١)].

○ بعث ربعي بن عامر:

ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه، وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآليء الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة، وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى

(١) المصدر نفسه (٣/ ٥١٧ - ٥١٨، ٥٢١ _ ٥٢٣).

عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقي، فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم! كم أحب إليكم؟ يوما أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب[(١)].

○ بعث حذيفة بن محصن:

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثالث رجلا فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي[(٢)].

○ بعث وفد لمقابلة كسرى ودعوته إلى الإسلام[(٣)]:

وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة، فاستأذنوا على كسرى، فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخبطها

(١) المصدر نفسه (٣/ ٥١٩-٥٢١).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ٥٢١)، وابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤-١٦٨).
(٣) البداية والنهاية: (٧/ ٤١).

الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعددها!!

ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم، وأجلسهم بين يديه - وكان متكبرا قليل الأدب - ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها؟ عن الأردية، والنعال، والسياط، ثم كلما قالوا له شيئا من ذلك تفاءل فرد الله فأله على رأسه، ثم قال لهم: ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟

فقال له النعمان بن مقرن: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين: فرقة تقاربه، وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعا على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع إياه فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم، فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام حسن الحسن و قبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزاء[1]، فإن أبيتم فالمناجزة، وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم، وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم، وإن كان الجهد دعاكم، فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم.

(١) المراد: الجزية.

فأسكت القوم، ثم أجابه المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي بما أسكته، ودعاه إلى دفع الجزية إذا لم يسلم وهو صاغر[(١)].

○ بدء القتال[(٢)]:

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة، لم يكن بالعراق أعجب منها، ولما تواجه الصفان كان سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد أصابه عرق النساء، ودمامل في جسده، فهو لا يستطيع الركوب، وإنما هو في القصر متكيء على صدره فوق وسادة، وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة، وجعل على الميمنة جرير بن عبدالله البجلي، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدتها من عند أبي عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك[(٣)]. فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]، وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره، ثم كبر سعد أربعا، ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا، وقد قتل من الفرقتين بشر كثير، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم، فاقتتلوا حتى أمسوا، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك حتى أمسوا، وهذه الليلة تسمى ليلة الهرير، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديدا، وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمرا بليغا، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام مثل طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبدالله البجلي، و ضرار بن الخطاب، وخالد بن عرفطة، وأشكالهم

(١) انظر: المصدر نفسه (٣/ ٤٩٨-٥٠١) وكذا ابن الجوزي، المصدر نفسه (٤/ ١٦٣).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٤٣).

(٣) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٣/ ٥٣٠ - ٥٧٥).

وأضرابهم، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية[١]، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة على ما قاله سيف بن عمر التميمي، وقد هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها، وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع الفارسية، وانهزمت الفرس عن بكرة أبيهم، ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقتلوا منهم ثلاثين ألفا وقتل في المعركة قبل ذلك عشرة آلاف، وقتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي.

وكان الذي قتل رستما هلال بن علفة[٢] التيمي، والذي قتل الجالينوس زهرة بن حوية السعدي.

وقد كان سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسبب ما به من القروح وعرق النسا، لم يباشر القتال، لكنه جالس في رأس القصر لشجاعته، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضا باليد، لا يمتنع منهم، وعنده امرأته سلمى بنت حفصة[٣] التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة، فلما فر بعض الخيل يومئذ فزعت وقالت: وامثنياه ولا مثنى لي اليوم، فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها، فقالت: أغيرة وجبنا)[٤] - يعني أنها تعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها، فإنها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك.

---

(١) كان قبله ثلاثة أيام ولكل يوم اسم، يوم أرماث، ويوم أغواث، ويوم عماس، وتمسي الليلة التي بعد اليوم الأول: ليلة الهدأة، والليلة التي بعد اليوم الثاني: ليلة السواد، والليلة التي بعد اليوم الثالث: ليلة الهرير، وقد استمر القتال طوال هذه الليلة وسكت الناس فلا يسمع إلا صوت السلاح ثم استمر في اليوم الرابع يوم القادسية، وفيه حاقت الهزيمة المنكرة بالفرس. الطبري (٣/ ٥٤٧).

(٢) في الأصل: علقمة، والتصحيح من التاريخ الطبري، (٣/ ٥٧٦)، وقد أورد الطبري خبر القادسية مفصلا مطولا.

(٣) في الأصل: حفص، والتصحيح من تاريخ الطبري (٣/ ٥٤٨، ٥٧٠).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٥٧٥).

○ شجاعة أبي محجن[١]:

كان أبو محجن في القصر مسجونا على الشراب كان قد حد فيه مرات، فأمر به سعد فقيد وأودع في القصر، فلما رأى الخيول تجول حول القصر حمي، وكان من الشجعان الأبطال فقال:

كفى حزنا أن تدحم[٢] الخيل بالقنا وأترك مشدودا علي وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة وقد تركوني مفردا لا أخا ليا

ثم سأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد، وحلف لها أن يرجع آخر النهار فيضع رجله في القيد فأطلقته، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالا شديدا، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها، ونزل سعد فوجد فرسه يعرق. فقال: ما هذا؟ فذكروا له قصة أبي محجن، فرضي عنه وأطلقه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[٣].

○ كتاب سعد إلى عمر يخبره بالفتح[٤]:

وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح، وبعدة من قتلوا من المشركين، وبعدة من قبل من المسلمين، وبعث بالكتاب مع سعد بن ميلة الفزاري وصورته:

أما بعد، فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم، سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل

(١) البداية والنهاية (٧/ ٤٤).
(٢) في تاريخ الطبري، (٣/ ٥٤٨، ٥٧٥): تردي.
(٣) هذه رواية ابن إسحاق كما في تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٠) وذكر رواية أخرى عن سيف (٣/ ٥٤٨) أن الذي فك قيده سلمى بنت خصفة امرأة سعد. وقال البلاذري في الفتوح البلدان، ص (٣١٧)، والأول - أي: رواية ابن إسحاق - أصح وأثبت.
(٤) البداية والنهاية» (٧/ ٤٧).

زهائها، فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وعلى طفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم[١].

فيقال: إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر. ثم قال عمر للناس: إني حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددتها، ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل، إني والله لست بملك فاستعبدكم، ولكني عبدالله عرض علي الأمانة فإن أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت، وإن أنا حملتها واستتبعتها إلى بيتي شقيت، ففرحت قليلا وحزنت طويلا، فبقيت لا أقال ولا أرد فاستعتب[٢].

وقال سيف عن شيوخه: وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين[٣]، ومن الأبلة إلى إيليا يتربصون وقعة القادسية هذه، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها، وقد بعث أهل كل بلدة قاصدا يكشف ما يكون من خبرهم[٤].

وقد كانت بلاد العراق بكمالها التي فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالدا، سوى أهل بانقيا و بارسما، وأهل أليس الآخرة، ثم عاد الجميع بعد هذه الوقعة.

(١) المصدر السابق (٣/ ٥٨٣) من طريق سيف بن عمر.

(٢) المصدر نفسه (٥٨٤/ ٣).

(٣) عدن أبين: المراد مدينة عدن المشهورة في اليمن، وأبين – بوزن أحمر –: مخلاف باليمن فيه مدينة عدن، وقيل: اسم موضع في جبل عدن، وقيل: اسم لمدينة عدن. ياقوت، مصدر سابق (٨٦/ ١)، وابن الأثير، والنهاية في غريب الحديث (٢٠/ ١)، وإيليا هي: مدينة بيت المقدس.

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٣٣/ ٥٨٣).

○ بعث عتبة بن غزوان إلى البصرة[١]:

قال ابن جرير: وفي سنة أربع عشرة بعث عمر بن الخطاب، عتبة ابن غزوان إلى البصرة، وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها[٢].

قال: وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة[٣]، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت، وجهه إليها سعد بأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم[٤].

وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة، فنزلها، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة، وجعل يرتاد لهم منزلا حتى جاءوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه حلفاء وقصب نابت، فنزلوا[٥].

فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف من الأساورة فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس، وأمر أصحابه فحملوا عليه فقتلوا الفرس عن آخرهم، وأسروا صاحب الفرات، وقام عتبة خطيبا فقال في خطبته: إن الدنيا قد آذنت بصرم[٦]، وولت حذاء[٧]، ولم يبق منها إلا صبابة الإناء[٨]، وإنكم منتقلون منها إلى دار

(١) البداية والنهاية، (٧/ ٤٧).

(٢) الرواية التي اعتمدها الطبري هي رواية المدائني عن أبي مخنف (٣/ ٥٩٠)، وتابعه على ذلك الحافظ ابن كثير كما ترى.

(٣) قد رجح الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى في رسالته العلمية، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص(١٥٨) رواية سيف بن عمر، وذكر خمسة مرجحات لذلك فراجعها إن شئت.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٥٩٠).

(٥) المصدر السابق (٣/٥٩١).

(٦) المصدر: الانقطاع والذهاب.

(٧) حذاء: مسرعة.

(٨) صبابة الإناء: البقية اليسيرة.

القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأنه، أو عجبتم؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ[(١)] من الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السمر، حتى تقرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار، وستجربون الناس بعدنا. وهذا الحديث في صحيح مسلم[(٢)] بنحو من هذا السياق.

وروى علي بن محمد المدائني: أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يعينك عليها، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي يمدك بعرفجة بن هرثمة. فإذا قدم عليك فاستشره وقربه، وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هوادة، واتق الله فيما وليتك، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك[(٣)]، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت بعد الذلة، وقويت بعد الضعف، حتى صرت أميرا مسلطا، وملكا مطاعا، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيالها نعمة، إن لم ترفعك فوق قدرك، وتبطرك على من دونك، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم

(١) كظيظ: ممتلىء.

(٢) الخبر ونص الخطبة عند الطبري (٣/ ٥٩١ - ٥٩٢)، وساقه بإسناده عن طريق شيخه محمد بن بشار، والخطبة في صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق حديث رقم (٢٩٦٧) بنحو هذا السياق كما قال المصنف.

(٣) عند الطبري: إخوتك.

الدنيا، فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين[١].

وقد فتح عتبة الأبلة في رجب أو شعبان من السنة الرابعة عشر[٢].

ولما مات عتبة بن غزوان[٣] في هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة سنتين، ثم عزله وولي عليها أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ التمهيد لفتح المدائن[٤]:

قال ابن جرير: وفي سنة خمس عشرة كانت بين المسلمين وفارس وقعات كثيرة في قول سيف بن عمر[٥].

وقد بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق[٦] في خيل كثيرة كثيفة[٧]. فلما فرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية، ثم أتبعه بالأمراء واحدا بعد واحد، ثم سار في الجيوش، وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته، مكان خالد بن عرفطة، وجعل خالدا هذا على الساقة، فساروا في خيول عظيمة، وسلاح كثير، وذلك لأيام بقين من

(١) الخبر في المصدر السابق (٣/ ٥٩٣).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٥٩٤) وهذا هو الفتح الثاني بعد فتح خالد لها، حيث انتقضت فأعيد فتحها.

(٣) وردت عدة روايات في تاريخ وفاة عتبة بن غزوان أكثرها على أنها سنة سبع عشرة وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: خمسة عشر، وقيل: عشرين، وقال الخطيب البغدادي: والأشبه بالصواب أن عتبة مات سنة سبع عشرة لأن المدائن فتحت سنة ست عشرة، ثم مصرت البصرة بعد ذلك ونزلها المسلمون. (تاريخ بغداد ١/١٥٦ - ١٥٧).

قلت: على هذا يترجح القول بأن تمصير البصرة كان سنة ست عشرة.

(٤) البداية والنهاية (٧/٦٠).

(٥) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦١٨).

(٦) في الأصل: العقيق، والتصحيح من التاريخ الطبري (٣/ ٦١٨). وهو اسم مكان.

(٧) انظر: الطبري، المصدر السابق (٣/ ٦١٨).

شـوال من هذه السـنة، فنزلوا الكوفة، وارتحـل زهرة بين أيديهم نحـو المدائن، فلقيه بصبهرى في جيش من فارس فهزمهم زهرة[١].

○ وقعة بابل[٢]:

بعـث زهرة بن حوية إلى سـعد فأعلمه باجتماع المنهزمين من الفرس ببابل، فسـار سعد بالجيوش إلى بابل، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفِّه الرداء، وانهزموا بين يديه فرقتين، فرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سـارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أياما[٣].

○ وقعة كوثى[٤]:

سـار سـعد بالجيوش نحو المدائن، فلقوا جمعا أخر من الفرس عند مكان يقال له كوثـى[٥] فاقتتلوا قتالا شـديدا وبارزوا أمير الفرس، وهو شـهريار، فـبرز إليه رجل من المسـلمين يقـال لـه: نائـل الأعرجي أبو نباتـة من شـجعان بني تميم، فتجاولا سـاعة بالرمـاح، ثم ألقياها، فانتضيا سـيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسـقطا عن فرسـيهما إلى الأرض، فوقع شـهريار على صـدر أبي نباتة، وأخرج خنجـرا ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شـغله عن نفسـه، وأخذالخنجر فذبح شـهريار بها وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فهزموا، فأقسم سعد على نائل ليلبسن سوارى شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك. قالوا: وكان أول من تسور بالعراق[٦].

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٦١٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٦٠).
(٣) تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦٢٠).
(٤) البداية والنهاية (٣/ ٦٢٠).
(٥) كوثي: موضع بسواد العراق بأرض بابل، وهي: سرة السواد. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٨٧).
(٦) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦٢١).

○ وقعة بهرسير سنة (١٦هـ)[١]:

استهلت السنة السادسة عشرة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة بهرسير[٢]، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها، وامتنعت بهرسير من سعد أشد الامتناع، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ أو الجزية أو المقاتلة، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان، ونصبوا المجانيق والدبابات، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرين منجنيقا، ونصبت على بهرسير، واشتد الحصار وكان أهل بهرسير يخرجون فيقاتلون قتالا شديدا ويحلفون أن لا يفروا أبدا، فأكذبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم، وقتل بعد مصابه كثيرا من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير، فرحلوا من البلد إلى المدائن، ثم أمر سعد الناس بالرحيل من هنالك إلى المدائن، فجازوا في السفن وبينهما دجلة، وهي قريبة منها جدا، ولما دخل المسلمون بر سير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن، وهو قصر الملك الذي ذكر الرسول ﷺ أن سيفتحه الله على أمته[٣]، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب[٤]، فقال: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله، ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٦٣/ ٧).

(٢) في الأصل: نهر شير، والتصحيح من تاريخ الرسل والملوك» (٣/ ٦٢٢)، ومعجم البلدان (١/ ٥١٥)، وقد ضبطها ياقوت: بالفتح ثم الضم، وفتح الراء وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء وقال: هي من نواحي سواد بغداد، قرب المدائن في غربي نهر دجلة.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين كنز آل كسري الذي في الأبيض. أصحيح مسلم (٤/ ٢٣٧) برقم (٢٩١٩).

(٤) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري، له صحبة وكان فارسا شاعرا. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٣/ ٤٨٣).

(٥) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٦٢٢)، و(٤/ ٥- ٨).

○ فتح المدائن سنة ١٦هـ[١]:

لما فتح سعد بهرسير واستقر بها، وذلك في صفر سنة ست عشرة لم يجد فيها أحدا ولا شيئا مما يغنم، بل قد تحولوا بكمالهم إلى المدائن، وركبوا السفن وضموها إليهم، ولم يجد سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئا من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وأنك إن لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفارط الأمر[٢].

○ عبور المسلمين نهر دجلة من غير سفن[٣]:

خطب سعد المسلمين على شاطىء دجلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه، وهم يخصلون إليكم إذا شاؤوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراء كم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعا: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل[٤].

○ عبور كتيبة الأهوال:

ندب سعد الناس إلى العبور وقال: من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين، فانتدب عاصم بن عمرو، وذووا البأس قريب من ستمائة، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة، فقال عاصم: من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فنحمي

(١) البداية والنهاية (٧/ ٦٤).
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤، ٨/ ١٠).
(٣) البداية والنهاية: (٧/ ٦٤).
(٤) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٩).

الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين، والأعاجم وقوفا صفوفا من الجانب الآخر، فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة، فقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ آل عمران: ١٤٥]، ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين، أصحاب الخيل الذكور وأصحاب الخيل الإناث. فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: ديوانا، ديوانا، يقولون: مجانين[١]. ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا. ثم أرسلوا فرسانا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم، ووقفوا على حافة الدجلة مكانهم، ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم فقاتلوا معهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب، وكانوا يسمون هذه الكتيبة كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو[٢].

○ عبور بقية الجيش:

نزل سعد إلى نهر دجلة ببقية الجيش، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم اقتحم بفرسه واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على

(١) في تاريخ الرسل والملوك» (١٤-٤) جعلوا يقولون بالفارسية: ديوان آمد، وفسرها في الهامش يعني: «قد جاء الشيطان».

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٩- ١٤).

وجـه الأرض، حتى ملؤوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسـان والرجالة، وجعـل الناس يتحدثون علـى وجه الماء كما يتحدثون على وجـه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، ودعا له، فقال: اللهم أجب دعوته، وسدد رميته»[١].

والمقطـوع به أن سـعدا دعا لجيشـه في هذا اليوم بالسـلامة والنصـر، وقد رمى بهم في هـذا اليم فسـددهم الله وسـلمهم، فلم يفقد من المسـلمين رجل واحـد، ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له: مالك بن عامر، كانت علاقتـه رثـة فأخذه الموج، فدعـا صاحبه الله عَزَّوَجَلَّ، وقال: اللهـم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي.

فرده الموج إلى الجانب الآخر على مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها.

وكان يومـا عظيما وأمرا هائـلا، وخطبا جليلا، وخارقا باهرا، ومعجزة لرسـول الله ﷺ خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها في تلك البلاد، ولا في بقعة من البقاع، سـوى قضية العلاء بن الحضرمي، بل هذا أجل وأعظم، فإن هذا الجيش كان أضعاف ذلك.

وكان الذي يسـاير سـعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي فجعل سعد يقول: حسـبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه وليظهـرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لـم يكـن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسـنات. فقال له سـلمان: إن الإسـلام جديد، ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منـه أفواجا كما دخلوا أفواجا، فخرجوا منه كما قال سـلمان لـم يغرق منهم أحد، ولم يفقدوا شيئا.

(١) انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد» (٢/ ٧٥٠) حديث رقم (١٣٠٨، ١٣٠٩).

وقد قال أبو بجيد نافع بن الأسود[١] في ذلك:

وأملنا على المدائن خيلا ... بحرها مثل برهن أريضا
فانتثلنا خزائن المرء كسرى ... يوم ولوا وحاص منا جريضا

○ دخول المسلمين المدائن وفرار الفرس[٢]:

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن، فلم يجدوا بها أحدا؛ بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام، والثياب، والمتاع، والآنية، والألطاف، والأدهان ما لا يدري قيمته، وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار[٣]، فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه.

فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأموال، ثم الكتيبة الخرساء، فأخذوا في سككها لا يلقون أحدا، ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففيه مقاتلة وهو محصن.

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه، وسكنه سعد واتخذ الإيوان مصلى، وحين دخله تلا قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان:٢٥-٢٨] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح[٤]، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة، وأنه

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٦/٤٨٩)، والشعر في تاريخ الرسل والملوك (٤/١٠)، ومعنى خاص: أي أفلت، والجريض: المفلت بعد شر والذي يغص بريقه.

(٢) البداية والنهاية: (٧/٦٦).

(٣) أي ثلاثة آلاف بليون دينار، وفي تاريخ الرسل والملوك (٤/ ١٠، ١١)، ثلاثة آلاف الف الف مرتين وذكر محقق الكتاب أن في بعض النسخ المخطوطة ثلاث مرات، ويرى أن الثالثة مقحمة.

(٤) ثبت أن رسول الله ﷺ صلى يوم فتح مكة ثمان ركعات في بيت أم هانيء كما في البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب أمان النساء وجوارهن (٦/ ٢٧٣ من فتح الباري)، وانظر: زاد المعاد لابن القيم (٣/٤١٠)، وترجيحه بأنها صلاة الفتح وليست صلاة الضحى.

جمع بالإيوان في صفر من هذه السنة، فكانت أول جمعة أقيمت بالعراق[١]، وذلك لأن سعدا نوى الإقامة بها.

وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها، حتى فتحوا جلولاء، وتكريت، والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك[٢].

وقد أرسل سعد السرايا في إثر كسرى يزدجرد فلحقوا طائفة منهم، فقتلوهم وشردوهم، واستلبوا منهم أموالا عظيمة، وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه.

○ تحصيل الغنائم[٣]:

وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف، مما لا يقوم، ولا يحد، ولا يوصف كثرة وعظمة. وقد روينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان، فقال سعد: إن هذا لم يوضع هكذا سدى، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزا عظيما من كنوز الأكاسرة الأوائل، فأخرجوا منه أموالا عظيمة جزيلة وحواصل باهرة، وتحفا فاخرة، واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه[٤].

○ وصف تاج كسرى:

وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار، ومنطقته، وسيفه، وسواره، وقباؤه، وبساط إيوانه، وكان مربعا ستون ذراعا في مثلها من كل جانب، وهو منسوج بالذهب واللآلىء والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، بلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكنوزها، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده. فكان إذا جلس على كرسي مملكته ودخل تحت تاجه، وتاجه معلق

(١) راجع: تاريخ الرسل والملوك (١٦/ ٤).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢١).
(٣) البداية والنهاية (٦٦/ ٧).
(٤) تاريخ الرسل والملوك (١٦/ ٤).

بسلاسل من الذهب؛ لأنه لا يستطيع أن يقله على رأسه لثقله؛ بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج وسلاسل الذهب تحمله عنه، وهو يستره حال لبسه، فإذا رفع الحجاب عنه خرت له الأمراء سجودا، وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر، فينظر في البلدان واحدة، واحدة، فيسأل عنها ومن فيها من النواب، وهل حدث فيها شيء من الأحداث؟ فيخبره بذلك ولاة الأمور بين يديه، ثم ينتقل إلى الأخرى، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكارا له بشأن الممالك. وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسية.

فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والأراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسرا، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية، ولله الحمد والمنة.

وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن أبي عمرو المزني[١]، فكان أول ماحصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى، وسائر دور المدائن، وما كان بالإيوان مما ذكرنا، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغضبه من الفرس، وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم، وقال: إن لهذا لشأنا، فرده إلى الأقباض، وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحلية ولبسه الذي كان يلبسه على السرير، وبغل آخر عليه تاجه في سفطين ردا من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة، وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته، والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم، ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم، ولا حمل كل الأموال لكثرتها، فقد كان المسلمون يجيئون بعض الدور فيجدون البيت ملآنا إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة، ويجدون من الكافور شيئا كثيرا، فيحسبونه ملحا،

(١) انظر ترجمته في الإصابة (٦٦٤-٤).

وربما استعمله بعضهم في العجين فوجده مرا حتى تبينوا أمره، فتحصل من الفيء على أمر عظيم من الأموال[١].

وشرع سعد فمسه وأمر سلمان الفارسي[٢] فقسم الأربعة الأخماس بين الغانمين، فحصل لكل واحد من الفرسان اثني عشر ألفا وكانوا كلهم فرسانا، ومع بعضهم جنائب[٣].

○ بعث الخمس وبعض التحف إلى عمر:

واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين، ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه، فبعثه سعد إلى عمر مع الخمس مع بشير بن الخصاصية، وكان الذي بشر بالفتح قبله خنيس بن فلان الأسدي[٤]، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال: إن قوما أدوا هذا لأمناء، فقال له علي بن أبي طالب: إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت[٥].

ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب عليا قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفا[٦].

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبه ونصبها أمامه ليرى ما في هذه الزينة من العجب، وما عليها من زهرة الحياة الفانية[٧].

وقد روينا أن عمر ألبس سواري كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بني مدلج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد ذكر الحافظ أبوبكر البيهقي في دلائل النبوة: أن عمر بن الخطاب أتي بفروة كسري فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم، قال: فألقى إليه

(١) الطبري، المصدر السابق (٤/ ١٧-١٩).
(٢) في تاريخ الرسل والملوك (٢٠/ ٤) أن الذي تولى قسم الغنائم سلمان بن ربيعة الباهلي.
(٣) الجنائب: الإبل.
(٤) المصدر نفسه (٢٢/ ٤).
(٥) المصدر نفسه (٢٠/ ٤).
(٦) المصدر نفسه (٢٢-٤).
(٧) المصدر نفسه (٤/ ٢٣).

سـواري كسـرى بن هرمز فجعلهما في يده، فبلغا منكبيه فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله الذي جعل سـواري كسـرى بن هرمز، في يدي سـراقة بن مالك بن جعشـم، أعرابي من بني مدلج. وذكر الحديث. هكذا ساقه البيهقي[١].

ثم حكى عن الشافعي أنه قال: وإنما ألبسهما سراقة لأن رسول الله ﷺ قال لسراقة - ونظر في ذراعيه -: «كأني بك وقد ألبست سواري كسرى»، قال الشافعي: وقد قال عمر لسـراقة حين ألبسه سواري كسـرى: قل الله أكبر. فقال: الله أكبر. ثم قال: قل الحمد لله الذي سـلبهما كسـرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك، أعرابي من بني مدلج[٢] ثم قال عمر: اللهم إنك منعت هذا رسـولك ونبيك، وكان أحب إليك. مني وأكرم عليك مني، ومنعتـه أبابكر وكان أحب إليك مني، وأكرم عليك مني، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكـون أعطيتنيـه لتمكر بي. ثم بكى حتى رحمه من كان عنـده. ثم قال لعبدالرحمن بن عوف: أقسمت عليك أما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي.

○ وقعة جلولاء سنة (١٦هـ)[٣]:

لما سـار كسـرى يزدجرد بن شـهريار من المدائن هاربا من حلوان[٤]، شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود، من البلدان التي هنالك، فاجتمع إليه خلق كثير من الفرس، وأمر على الجميع مهران، وسـار كسـرى إلى حلـوان، فأقام الجمع الذي جمعـه بينه وبين المسـلمين في جلولاء[٥]، فكتب سـعد إلى عمر يخـبره بذلك، فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشـم بن عتبة أميرا على الجيش الذي

(١) دلائل النبوة (٦/٣٢٥) عن الحسن البصري.

(٢) المصدر السابق (٦/٣٢٥)، وذكره في الإصابة (٣/ ٤٢)، من طريق ابن عيينة عن الحسن البصري مرسلا.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٦٩).

(٤) حلوان: بالضم ثم السـكون، وهي مدينة عامرة في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ياقوت، مصدر سابق (٢/ ٢٩٠).

(٥) جلولاء: طسـوج من طساسيج السـواد في طريق خراسان، سميت جلولاء بعد هزيمة الفرس فيها وكثرة القتلي حتي جللوا وجه الأرض. المصدر نفسه (٢/ ١٥٦).

يبعثه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو، وعلى الميمنة سعر[١] بن مالك، وعلى الميسرة أخوه، عمرو بن مالك، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني، ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشا كثيفا يقارب اثني عشر ألفا من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار، ورؤوس العرب، وذلك في صفر سنة ست عشرة، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم، فحاصرهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالا لم يسمع بمثله، وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه، مرة بعد أخرى، وحمي القتال، واشتد النزال، واضطرمت نار الحرب، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة، فحرضهم على القتال والتوكل على الله.

فشد القعقاع الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان، حتى انتهى إلى باب الخندق، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحاجز من أجل إقبال الليل، وفي الأبطال يومئذ: طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وقيس بن مكشوح، وحجر بن عدي. ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل، ولم يشعروا بذلك، لولا مناديه ينادي: أيها المسلمون، هذا أميركم على باب خندقهم[٢].

فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فإذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم، وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهم كل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك سميت جلولاء، وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة قريبا مما غنموا من المدائن قبلها[٣].

---

(١) في الأصل: سعد، والتصحيح من التاريخ الطبري (٤/ ٣٤). وانظر ترجمته في: «الإصابة» (٣/ ٢٥٧).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٦، ٢٧).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٩).

فتح حلوان[١]:

ولما انقضت الوقعة أقام هاشم بن عتبة بجلولاء، وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان، عن أمر عمر ليكون رِدءٍ للمسلمين هنالك، و مرابطا لكسرى، فسار حتى أدرك مهران الرازي، فقتله وهرب منه الفيرزان، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء، وما جرى على الفرس بعده، وكيف قتل منهم مائة ألف، وأدرك مهران فقتل، فهرب كسرى من حلوان إلى الري، واستناب على حلوان أميرا يقال له: خسروشنوم، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو، وبرز إليه خسروشنوم إلى مكان خارج من حلوان، فاقتتلوا هنالك قتالا شديدا ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خسروشنوم، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا، وأقاموا بها، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم، بعد ما دعوا إلى الدخول في الإسلام فأبوا إلا الجزية، فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة[٢].

فتح تكريت[٣]:

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت[٤] على رجل من الكفرة يقال له: الأنطاق، فكتب إلى عمر يخبره بأمر أهل الموصل، فأمره أن يعين جيشا لحربهم، ويؤمر عليه عبدالله بن المعتم، وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلي، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلي، وعلى الساقة هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، ففصل عبدالله بن المعتم في خمسة آلاف من المدائن، فسار في أربع ليال حتى نزل بتكريت على الأنطاق، وقد اجتمع إليه جماعة من الروم، ومن الشهارجة، ومن نصارى

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧١).
(٢) الطبري، المصدر السابق (٤/ ٣٤).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٧١).
(٤) تكريت: بفتح التاء، والعامة يكسرونها، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، لها قلعة حصينة على نهر دجلة. ياقوت، مصدر سابق (٢/ ٣٨).

العـرب، من إياد وتغلـب والنمر. وقد أحدقوا بتكريت، فحاصرهـم عبدالله بن المعتم أربعيـن يومـا. وزاحفـوه في هذه المدة أربعة عشـرة مرة، ما من مـرة إلا وينتصر عليهم ويفـل جموعهـم، فضعف جانبهم، وعزمـت الروم على الذهاب في السـفن بأموالهم، وراسل عبدالله بن المعتم من هنالك من الأعراب، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة علـى أهل البلـد، فجاءت القصاد إليه عنهم بالإجابة إلى ذلك، فأرسـل إليهم: إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله ﷺ وأقروا بما جاء مـن عند الله، فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسـلموا فبعـث إليهم: إن كنتم صادقين فإذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسـكوا علينا أبواب السفن، وامنعوهم أن يركبوا فيها، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله. ثم شد عبدالله وأصحابه، وكبروا تكبيرة رجل واحد، وحملـوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخـرى فحار أهل البلد، وأخذوا في الخروج من الأبواب التي تلي دجلة، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب، فقتلوهم قتلا ذريعا، وجاء عبدالله بن المعتم بأصحابه من الأبواب الأخر فتمكن من النصر عليهم[(١)].

○ فتح الموصل[(٢)]:

وقـد كان عمر عهد في كتابه إذا نصـروا على تكريت أن يبعثوا ربعي ابن الأفكل إلى الموصل سريعا، فسـار إليها ومعه سرية كثيرة، وجماعة من الأبطال، حتى فاجأها قبل وصـول الأخبار إليها، فمـا كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلـى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون، ثم قسـمت الأموال التي تحصلت من تكريت، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألف درهم. وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حبان، وبالفتـح مع الحارث بن حسـان، وولي إمرة حرب الموصل ربعـي بن الأفكل، وولي الخراج بها عرفجة بن هرثمة[(٣)].

(١) انظر تفصيل الخبر في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣٥).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٧٢).
(٣) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣٤).

○ فتح قرقيسيا وهيت في سنة (١٦هـ)[١]:

قال ابن جرير وغيره: كان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد - لما كان هرقل بقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت[٢]، وكتب سعد إلى عمر في ذلك، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشا، وأن يؤمر عليهم عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت، فوجدهم قد خندقوا عليهم، فحاصرهم حيئا فلم يظفر بهم، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد، فراح عمرو بن مالك إلى قرقيسيا[٣] فأخذها عنوة، وكتب إلى نائبه على هيت: إن لم يصالحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقا، ويجعل له أبواب من ناحيته، فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة[٤].

○ فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى[٥]:

قال ابن جرير: وفي سنة سبع عشرة، وقيل: في سنة ست عشرة. تغلب الهرمزان على بعض الأقاليم مثل: الأهواز[٦]، ومناذر[٧]، ونهر تيرى[٨]، - وكان ممن فر يوم القادسية

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣).

(٢) هيت: بالكسر وآخره تاء مثناة، سميت بذلك لأنها في هوة من الأرض، وهي بلدة على الفرات، فوق الأنبار ذات نخل كثير وهي مجاورة للبرية. ياقوت، مصدر سابق (٤٢١/ ٥).

(٣) قرقيسيا: بالفتح ثم السكون، وقاف أخرى وياء ساكنة، بلد على نهر الخابور عند مصبه في الفرات. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٣٢٨).

(٤) تاريخ الرسل والملوك (٣٨/ ٤).

(٥) البداية والنهاية (٨٢/ ٧).

(٦) الأهواز: جمع هوز، وأصله خوز؛ لكنه عرب بالاستعمال ويسمي الإقليم خوزستان، وهي سبع كور بين البصرة وفارس، والاسم يطلق على سوق الأهواز. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٢٨٤).

(٧) مناذر: بالفتح، والذال معجمة مكسورة، بلدتان بنواحي خوزستان، مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى. المصدر نفسه (١٩٩/ ٥).

(٨) نهر تيرى: بكسر التاء المثناة من فوقها، وياء ساكنة، وراء مفتوحة، مقصور: بلد من نواحي الأهواز. المصدر نفسه (٣١٩-٥).

من الفرس - فجهز عتبة بن غزوان من البصرة جيشا لقتاله واستمد سعد بن أبي وقاص فأمده بنعيم بن مسعود، ونعيم بن مقرن، فنصرهم الله على الهرمزان وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل[١]، وغنموا من جيشه ما أرادوا، ثم صانعهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده، فشاوروا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه، وبعث الأخماس والبشارة إلى عمر، وبعث وفدا فيهم الأحنف بن قيس، فأعجب به وحظي عنده. وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته، والاستعانة برأيه[٢].

ثم نقض الهرمزان العهد والصلح، واستعان بطائفة من الأكراد، وغرته نفسه، وحسن له الشيطان عمله في ذلك، فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جما غفيرا، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تستر[٣]، فتحصن بها، وبعثوا إلى عمر بذلك[٤].

○ صلح تستر ورامهرمز وجندي سابور[٥]:

قال ابن جرير: كان ذلك في سنة (١٧هـ) في قول سيف وروايته.

وقال غيره: في سنة ست عشرة، وذلك أنه لما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز، فر الهرمزان بين يديه، فبعث في إثره جزء بن معاوية حتى انتهى إلى رامهرمز فتحصن الهرمزان بها، وأعجز جزء تطلبه، واستحوذ جزء على البلاد والأقاليم التي تركها الهرمزان، فضرب الجزية على أهلها، وعمر عامرها، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها، فصارت في غاية العمارة والجودة، ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه

(١) دجيل: مصغرا، نهر بالأهواز، حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس، مخرجه من أرض أصبهان ومصبه في الخليج قرب عباذان. المصدر نفسه (٢/ ٤٤٣).

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٤٧ - ٧٢).

(٣) تستر: بالضم ثم السكون، وفتح الياء الأخرى، أصلها: شوشتر فعربت، وهي مدينة بخوزستان. ياقوت، مصدر سابق (٢/ ٢٩).

(٤) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٧٦).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٨٣).

المجاورة المسلمين، طلب من جزء بن معاوية المصالحة فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر في ذلك، فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهرمز[(١)]، وتشتر، وجندي سابور[(٢)]، ومدائن أخر مع ذلك، فوقع الصلح كما أمر به عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

○ غزو بلاد فارس من ناحية البحرين[(٤)]:

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين في أيام الصديق، فلما كان عمر عزله عنها، وولاها لقدامة بن مظعون، ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها، فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، أحب العلاء أن يفعل فعلا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم، فندب الناس إلى حربهم، فاستجاب لـه أهل بلاده، فجزأهم أجزاء، فعلى فرقة الجارود بن المعلى، وعلى الأخرى السوار بن همام، وعلى الثالثة خليد بن المنذر بن ساوي، وخليد هو أمير الجماعة.

فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر وكان عمر يكره. ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ وأبا بكر ما أغزيا في البحر أحدا من المسلمين، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر[(٥)]، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خليد ابن المنذر فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن

---

(١) رامهرمز: معناها، مقصود هرمز؛ لأن معنى رام بالفارسية، المراد والمقصود، وهي مدينة في أقليم خوزستان يكثر بها النخل والجوز والأترج. ياقوت، مصدر و سابق (١٧/ ٣).

(٢) جندي سابور: بضم أوله، وتسكين ثانيه، وفتح الدال، وياء ساكنة: مدينة بخوزستان، بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه، وهي مدينة خصبة واسعة الخير، بها النخيل والزروع والمياه. المصدر نفسه (٢/ ١٧٠).

(٣) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٧٨).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٨٣).

(٥) إصطخر: بكسر أوله وسكون الخاء المعجمة من فوق، مدينة في إقليم فارس، كانت عاصمة لملوك الفرس الأوائل. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٢١١).

لمن غلب، ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾، فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا في مكان من الأرض يدعى طاوس[(١)]، ثم أمر خليد المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا فقتلوا من فارس مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها، ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلا، ووجدوا شهرك[(٢)] في أهل إصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو، ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبه عليه، وبعث إليه فعزله وتوعده، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم إلى أهل فارس وعصاني، فخشيت عليهم ألا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا[(٣)].

فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك، فانتدب اثني عشر ألفا، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم. فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعا، فساروا على الساحل إلى المكان المسمى بطاوس، وإذا خليد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب، ولم يبق إلا القتال. فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأسا، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جدا، وأخذ منهم أموالا جزيلة باهرة، واستنقذ خليدا ومن معه من المسلمين من أيديهم، ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان في البصرة.

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم، واجتمع بعمر في الموسم، وسأله أن يقيله من الإمارة فلم يفعل، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله. فدعا عتبة الله عَزَّوَجَلَّ، فمات

(١) طاوس: موضع بنواحي بحر فارس. المصدر نفسه (٤/ ٨).
(٢) أحد ملوك تلك النواحي من الفرس.
(٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٨١).

ببطن نخلة[١]، وهو منصرف من الحج، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيرا، وولى بعده البصرة المغيرة بن شعبة، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها، ولم يقع في زمانه حدث، وكان مرزوق السلامة في عمله[٢].

○ فتح رامهرمز بعد نقض الصلح سنة (١٧هـ)[٣]:

قال ابن جرير: كان فتح رامهرمز والسوس وتستر، وأمر الهرمزان في هذه السنة (١٧هـ) في رواية سيف بن عمر[٤].

وكان سبب ذلك أن يزدجرد كتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين، وأن يقصدوا البصرة. وبلغ الخبر إلى عمر، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشا كثيفا إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بإزاء الهرمزان، وسمي رجالا من الشجعان يكونون في هذا الجيش، منهم: جرير بن عبدالله البجلي، وجرير بن عبدالله الحميري، وسويد بن مقرن، وعبدالله بن ذي السهمين، وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا، وأمر عليهم سهل بن عدي، وليكن معه البراء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سور[٥]، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، وعبد الرحمن بن سهل، والحصين بن معبد، وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعا أبو سبرة بن أبي رهم، وعلى كل من أتاه من المدد. فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز، وبها الهرمزان في جنده وقد نقض العهد بينه وبين

---

(١) ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٥٦٦) نقلا عن ابن سعد في الطبقات الكبرى » (٣/ ٩٩) أن مكان وفاته في معدن بني سليم، كما نقل عن المدائني أنه مات بالربذة، وأنه استخلف على البصرة مجاشع بن مسعود على الحرب، والمغيرة بن شعبة على الصلاة.

(٢) الطبري: المصدر السابق (٤/ ٨٢).

(٣) البداية والنهاية، (٧- ٨٥)

(٤) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٨٣).

(٥) في الأصل: ثور، والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٨٤). وانظر ترجمته في: الإصابة (٥/ ٦٤٥).

المسلمين، فبادره الهرمزان طمعا أن يقتطعه قبل مجيء أصحابه من أهل البصرة - وقد طمع أن ينصره أهل فارس - فالتقى معه النعمان بن مقرن، فاقتتلا قتالا شديدا، فهزم الهرمزان و فر إلى تستر، وترك رامهرمز، فتسلمها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح[٦].

○ فتح تستر عنوة سنة (١٧هـ)[٧]:

و لما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعا، وعلى الجميع أبوسبرة، فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقا كثيرا، وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدهم، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم، فسار إليهم - وكان أمير أهل البصرة - واستمر أبوسبرة على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة، فحاصرهم شهرا وكثر القتل من الفريقين، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك، وكذلك فعل كعب بن سور، ومجزأة بن ثور، وغيرهم من أهل البصرة، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارز كحبيب بن قرة، وربعي بن عامر، وعامر بن عبدالأسود. وقد تزاحفوا أياما متعددة، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة -: يا براء أقسم على ربك ليهز منهم لنا.

فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني، قال: فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم، ولجا المشركون إلى البلد فتحصنوا به، وقد ضاقت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمنه، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد، وهو من مدخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال، وجاءوا فدخلوا إلى البوابين من قناة الماء

(٦) المصدر نفسه (٤/ ٨٣- ٨٤).
(٧) البداية والنهاية (٧/ ٨٥).

فأنا موهم وفتحوا الأبواب، وكبر المسلمين فدخلوا البلد[١]، وذلك وقت الفجر، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس، كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال: شهدت، فتح تستر، وذلك عند صلاة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد ارتفاع النهار فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم[٢].

○ أسر الهرمزان وإرساله إلى المدينة[٣]:

لما فتحت البلد لجأ الهرمزان إلى القلعة، فتبعه جماعة من الأبطال وحصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: إن معي جعبة فيها مائة سهم، وإنه لا يتقدم إلي منكم أحد إلا رميته بسهم يقتله، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلت منكم مائة رجل. قالوا: فماذا تريد؟ قال: تؤمنوني حتى أسلمكم يدي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم في بما يشاء. فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسروه فشدوه وثاقا، وتسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم[٤].

ثم بعث أبوسبرة بالخمس وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، فلما اقتربوا من المدينة هيأوا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللآلىء، ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتيمموا به منزل أمير المؤمنين، فسألوا عنه فقالوا: إنه ذهب إلى المسجد، فجاءوا المسجد فإذا هو متوسد برنسا له ونام، وليس في المسجد غيره، والدرة معلقة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا. وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه، وجعل الهرمزان يقول: وأين حجابه؟ أين

---

(١) انظر تفصيل الخبر في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب صلاة الخوف، باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو (٢/ ٤٣٤ من فتح الباري).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٨٦، ٨٨).

(٤) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٨٦).

حرسه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا حرس، فقال: ينبغي أن يكون نبيا، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسا، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فتأمله وتأمل ما عليه، ثم قال: أعوذ بالله من النار وأستعين بالله، ثم قال: الحمد الله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم، ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غدارة. فقال له الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حليته شيء، ففعلوا ذلك وألبسوه ثوبا صفيقا، فقال عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا. ثم قال: ما عذرك وماحجتك في إنقاضك العهد، مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، فاستسقى الهرمزان ماء، فأتي به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب في هذا فأتي به في قدح آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفاه. فقال عمر: أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به. فقال له عمر: إني قاتلك، فقال: إنك أمنتني. قال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ويحك يا أنس أنا أؤمن من قتل مجزأة والبراء؟ لتأتيني بمخرج وإلا عاقبتك، قال: قلت: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك[١]. فأقبل على الهرمزان فقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة[٢].

قال ابن كثير: وقد حسن إسلام الهرمزان، وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر، فاتهمه

(١) قصة تأمينه وشهادة أنس بذلك ذكرها ابن سعد في الطبقات الكبرى» (٩٠/ ٥)، والبلاذري في فتوح البلدان، ص(٤٦٩) من طريق مروان بن معاوية عن حميد الطويل من أنس.

(٢) أخرج الخبر بطوله الطبري في تاريخه (٨٦/ ٤ -٨٨) من طريق سيف بن عمر.

بعض الناس بممالأة أبي لؤلؤة جفينة، فقتل عبيدالله بن عمر الهرمزان وجفينة[١].

وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيدالله بالسيف قال: لا إله إلا الله، وأما جفينة فصلب على وجهه[٢].

○ حال كسرى وبعض أصحابه[٣]:

هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد، حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريبا من ثلاث مائة من العظماء عليهم رجل يقال له: سياه، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر وأصطخر، فقال سياه لأصحابه: إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين، ولا يلقون جندا إلا كسروه والله ما هذا عن باطل - ودخل في قلبه الإسلام وعظمته - فقالوا له: نحن تبع لك، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري بإسلامهم، وكتب فيهم إلى عمر في ذلك، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين، وفرض الستة منهم في ألفين وخمسمائة، وحسن إسلامهم، وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصنا فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم، ففتحوا باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن، وقتلوا من فيه من المجوس[٤].

---

(١) أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٤٩) بإسناد صحيح أن عبدالرحمن بن عوف لما رأى السكين التي قتل بها عمر قال: رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجفينة... إلخ، وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف ص (٣٥٧) حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير - بمثل إسناد ابن سعد.. وانظر طريقا آخر عند ابن سعد (٣/ ٣٥٥).

(٢) أخرج ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٥٥) بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب أن عبدالرحمن بن أبي بكر قال حين بل عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٩٠).

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٩٠).

○ وقعة نهاوند وفتحها سنة (٢١هـ)[(١)]:

تبدأ المرحلة الرابعة من الفتوحات في المشرق بمعركة نهاوند وهي وقعة عظيمة جدا لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح[(٢)].

قال ابن إسحاق والواقدي: كانت وقعة نهاوند[(٣)] في سنة إحدى وعشرين[(٤)].

وقال سيف: كانت في سنة سبع عشرة[(٥)]. وقيل: في سنة تسع عشرة[(٦)].

وقد ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في سنة إحدى وعشرين فتبعناه في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقا واحدا، حتى دخل سياق بعضهم في بعض.

○ سبب الموقعة:

وكان الذي أهاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز واستولوا على إصطخر، وهي دار مملكتهم القديمة، حمي الفرس واستجاشهم يزدجرد الذي تقهقر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعدا طريدا، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان فاجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند، حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفيرزان ويقال: بندار، وتذامروا فيما بينهم، وقالوا: إن محمدا الذي جاء العرب لم يتعرض لبلادنا، ولا أبوبكر الذي قام بعده،

---

(١) البداية والنهاية (٧/١٠٥).

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان ص (٣٧٤).

(٣) نهاوند: بفتح النون الأولى، وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، مدينة كبيرة في الهضبة الإيرانية. ياقوت، مصدر سابق (٥/٣١٣).

(٤) الطبري، المصدر السابق (٤/١١٤)، والبلاذري، المصدر السابق ص(٣٧٤).

(٥) في تاريخ الطبري (٤/١١٤) نقل عن سيف أنه قال: في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمرة عمر. ولعل ما ذكره ابن كثير سبق قلم أو تصحيف. وذكر الطبري في موطن آخر (٤/١٢٩، ١٣٦) عن سيف أنها كانت في أول سنة تسع عشرة.

(٦) هذه رواية ابن الكلبي، عن أبي مخنف. انظر: المصدر السابق ص (٣٧٤).

وإن عمـر بن الخطاب هذا الما طـال ملكه انتهك حرمتنا و أخذ بلادنا، ولـم يكفه ذلك حتـى أغزانا في عقر دارنا، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم، فتعاهـدوا وتعاقدوا علـى أن يقصدوا البصرة والكوفة، ثم يشـغلوا عمـر عن بلادهم، وتواثقـوا من أنفسـهم وكتبوا بذل عليهم كتابا. فكتب سـعد بذلك إلى عمر، ثم شـافه سعد عمر يوم قدم المدينة بما تمالوا عليه، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفا[١].

○ استعداد المسلمين:

وجـاء كتـاب عبدالله بن عبـدالله بن عتبان مـن الكوفة إلى عمر مـع قريب بن ظفر العبـدي بأنهم قد اجتمعوا وهـم متحرقون متذامرون على الإسـلام وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا.

فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسـمك؟ قال: قريب. قـال: ابن من؟ قال: ابن ظفر. فتفاءل عمر بذلك وقال: ظفر قريب إن شاء الله، ثم أمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع النـاس وكان أول من دخل المسـجد لذلك سـعد بـن أبي وقاص، فتفـاءل عمر أيضا بسعد، فصعد عمر المنبر حتي اجتمع الناس فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين[٢]، فاستنفر الناس، ثم أكون لهم ردء حتى يفتح الله عليهم.

فقـام عثمان، وعلي، وطلحـة، والزبير، وعبدالرحمن بن عـوف في رجال من أهل الـرأي، فتكلـم كل منهم بانفراده فأحسـن وأجـاد، واتفق رأيهم على أن لا يسـير من المدينـة، ولكن يبعث البعوث ويحضرهـم برأيه ودعائه، وكان من كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قال:

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٣٠، ١٢٢) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.
(٢) يقصد الكوفة والبصرة.

يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين: مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه، فإذا انحل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالإسلام، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضا[١].

فأعجب عمر بقول علي وسر به - وكان عمر إذا استشار أحدا لا يبرم أمرا حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المجال، عرضه على العباس، فقال: يا أمير المؤمنين خفض عليك، فإنما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم[٢].

ثم قال عمر: أشيروا علي بمن أوليه أمر الحرب وليكن عراقيا، فقالوا: أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين. فقال: أما والله لأولين رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدا، قالوا: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن. فقالوا: هو لها. وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو على كسكر[٣] وسأله أن يعزله عنها ويوليه قتال أهل نهاوند، فلهذا أجابه إلى ذلك[٤]، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة[٥].

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٢٣) من طريق سيف.
(٢) في التاريخ الطبري (٤/ ١٢٤) نسب هذا القول لسعد بن أبي وقاص.
(٣) كسكر: بالفتح ثم السكون، وكاف أخرى، وراء، معناه عامل الزرع، وهي كورة واسعة، وقصبتها واسط التي بناها الحجاج، بين البصرة والكوفة، ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٦١).
(٤) ابن جرير: المصدر السابق (٤/ ١٢٦)، والبلاذرى، فتوح البلدان ص (٣٧١).
(٥) البلاذري، المصدر السابق ص (٣٧١).

❍ تولية النعمان قيادة الجيش:

وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة - أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن، فإذا قتل فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبدالله، فإن قتل فقيس بن مكشوح، فإن قتل قيس، ففلان ثم فلان، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة[(١)]، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم.

❍ وصورة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى النعمان بن مقرن سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة، فإن رجلا من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار، فسر في وجهك ذلك حتى تأتي ماه[(٢)] فإني كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا، وأكثروا من «لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٣)].

(١) هذه رواية ابن إسحاق كما ذكرها الطبري (٤/ ١١٥) ورواية سيف بن عمر تخالفها فقد ذكر بعد حذيفة، نعيم بن مقرن فقط انظر: (٤/ ١٢٧ من المصدر نفسه)، وعند البلاذري في فتوح البلدان ص (٣٧١) ترتيب القادة هكذا: النعمان، فإن أصيب فحذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجرير بن عبدالله البجلي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة، فإن أصيب فالأشعث بن قيس. وفي رواية ابن إسحاق، ورواية صاحب فتوح البلدان، نكارة، وهي ذكر قيس بن مكشوح، والأشعث بن قيس، فإنهما ممن ارتدا، ولم يكن من سياسية الصديق وعمر تولية القيادة من ارتد عن الإسلام.

(٢) بلدة بأرض فارس. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٤٩).

(٣) انظر النص عند الطبري (٤/ ١١٤) بنحوه

وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبدالله بن عبدالله بن عتبان - أن يعين جيشا ويبعثهم إلى نهاوند، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن، وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم، فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان بن مقرن ليوافوه ببلدة ساه، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق، وقد أرصد في كل كورة ما يكفيها من المقاتلة، وجعل الحرس في كل ناحية، واحتاطوا احتياطا عظيما، ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في هذه الوقعة، فكمل جيش المسلمين ثلاثين ألفا من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي، ومنهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلق كثير، منهم: عبدالله بن عمر، وجرير بن عبدالله البجلي، وحذيفة بن اليمان، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي، فسار الناس نحو نهاوند[١].

○ إرسال النعمان طليعة أمامه:

وبعث النعمان بن مقرن بين يديه طليعة، ثلاثة وهم: طليحة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمة، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه. فسارت الطليعة يوما وليلة فرجع عمرو بن أبي سلمة فقيل له: ما رجعك؟ فقال: كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها. ثم رجع بعده عمرو بن معدي كرب وقال: لم نر أحدا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق. ونفذ طليحة ولم يحفل برجوعهما، فسار بعد ذلك نحو من بضعة عشر فرسا حتى انتهى إلى نهاوند، ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحب، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه و بين نهاوند شيء يكرهه[٢].

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٢٧).
(٢) المصدر نفسه (١٢٨-٤).

❍ تحرك الجيش الإسلامي نحو نهاوند[١]:

سار النعمان على تعبئته وجعل على المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المجردة (الخيل) القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان، ومعه الجيش مائة وخمسين ألفا، فلما تراءا الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعبا شديدا، ثم أمر النعمان بحط الأثقال وهو واقف، فحط الناس أثقالهم، وتركوا رحالهم، وضربوا خيامهم وقبابهم، وضربت خيمة للنعمان عظيمة، فأمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا[٢].

❍ بعث المغيرة رسولا إلى أمير الفرس:

وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلا من المسلمين ليكلمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبة، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من كلام في احتقار العرب واستهانته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعا، وأقلهم دارا وقدرا.

قال: فتشهدت وحمدت الله وقلت: لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والخير في الآخرة، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم، أو نقتل بأرضكم، فقال: أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه.

(١) البداية والنهاية (٧/١٠٩).
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٤/١٢٩).

❍ مشاورة النعمان أهل الرأي في جيشه:

فلما طال على المسلمين هذا الحال، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش، وتشاوروا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد.

فتكلم عمرو بن أبي سلمة أولا - وهو أسن من كان هناك - فقال: إن بقاءهم على ما هم عليه أضر عليهم من الذي نطلبه منهم وأبقى على المسلمين، فرد الجميع عليه وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا، وإنجاز موعود الله لنا.

وتكلم عمرو بن معديكرب، فقال: ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم. فردوا جميعا عليه وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران أعوان لهم علينا.

وتكلم طليحة الأسدي فقال: إنهما لم يصيبا، وإني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرابا، فإذا استطردوا وراءهم ووصلوا إلينا أظهرنا الفرار كلنا، فإنهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي الله بيننا. فاستجاد الناس هذا الرأي[١].

وأمر النعمان القعقاع بن عمرو قائد المجردة أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم، ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه، ثم نكص، فاغتنمها الأعاجم ففعلوا ما ظن طليحة، وقالوا: هي، هي، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب، حتى انتهوا إلى الجيش، والنعمان بن مقرن على تعبئته، وذلك في صدر نهار جمعة، فعزم الناس على مصادمتهم، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا تقاتلوا حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠).

- وكان رجلا ثابتا - فلما حان الزوال صلى بالمسلين ثم ركب برذونا له أحوى قريبا من الأرض، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة. ثم رجع إلى موقفه، وتعبأت الفرس تعبئة عظيمة واصطفوا صفوفا هائلة في عدد وعدد لم ير مثلها، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض، وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار، ولا التحيز[١].

○ التحام المعركة[٢]:

ثم إن النعمان بن مقرن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضا، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين، وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة، حتى تصافحوا بالسيوف، فاقتتلوا قتالا لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام ما طبق وجه الأرض دما، بحيث إن الدواب كانت تقع فيه، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر أحد سوى أخيه سويد، وقيل: نعيم، فغطاه بثوبه وأخفى موته، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة نعيما مكانه، وأمر بكتم موته حتى لا ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس. فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفا بالسلاسل، وحفروا حولهم خندقا، فلما انهزموا وقعوا في الخندق، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة، ولم يفلت منهم إلا الشريد[٣].

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠ - ١٣٢) وفيه تفاصيل أكثر.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١١٠).

(٣) ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ١٣٢).

○ حال عمر وقت المعركة:

وأما أمير المؤمنين عمر فإنه كان يدعو الله ليلا ونهارا لهم، دعاء الحوامل المقربات، وابتهال ذوي الضرورات، وقد استبطأ الخبر عنهم، فبينا رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل؟ فقال: من نهاوند. فقال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله عليهم وقتل الأمير، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، وعاد الرجل إلى المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمن أخبره، فقال: راكب. فقال: إنه لم يجئني، وإنما هو رجل من الجن وهو بريدهم[(١)].

○ قدوم الخبر بالفتح:

وأرسل حذيفة بالفتح مع طريف بن سهم. ثم قدم طريف بخبر الفتح، فسأله عمن قتل من المسلمين فلم يكن معه علم حتى قدم السائب بن الأقرع بالأخماس فأخبر بالأمر على جليته.

ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عمن قتل من المسلمين، فقال: فلان وفلان وفلان، لأعيان المسلمين وأشرافهم، ثم قال: وآخرون من أفناء الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين، فجعل يبكي ويقول: وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر. ثم أمر بقسمة الخمس على عادته[(٢)].

قال ابن عساكر: ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي[(٣)].

قال سيف عن الشعبي قال: لما قدم سبى نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٣٤) بنحوه.

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٣٥).

(٣) تاريخ دمشق (٨/ ٦٠٣ خط).

- غلام المغيرة بن شعبة - لا يلقى منهم صغيرا إلا مسح رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي. وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند[١].

○ فتح همذان سنة (٢١هـ)[٢]:

كان الفيرزان قد صرع في نهاوند فانفلت وانهزم، واتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع بين يديه، فقصد الفيرزان همذان فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همذان[٣]، وقد أقبلت منها بغال كثير وحمر تحمل عسلا، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم - وذلك لحينه وهلاكه - فترجل وتعلق في الجبل فاتبعه القعقاع حتى قتله، وقال المسلمون يومئذ: إن لله جنودا من عسل. ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال، وسميت تلك الثنية ثنية العسل. ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همذان، وحاصرهم وحوى ما حولها، فنزل إليها صاحبها - خسرو شنوم - فصالحه عليها. ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين، وقد دخلوا بعد الوقعة نهاوند عنوة[٤].

❁ ❁ ❁

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٣٦).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١١١).
(٣) همذان: بالتحريك، والذال معجمة، وآخره نون، تقع في إقليم الجبال في الهضبة الإيرانية، وهي شديدة البرد في الشتاء. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ٤١٠).
(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٣٤).

الانسياح في بلاد الأعاجم[١]

○ (المرحلة الخامسة للفتوحات في المشرق):

بعد انتصار المسلمين في وقعة نهاوند لم يقم للفرس أمر، وانساح المسلمون في بلاد الأعاجم، وأذن لهم عمر في ذلك فافتتح المسلمون بعد نهاوند مدينة جي - وهي مدينة أصبهان[٢] بعد قتال كثير وأمور طويلة، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبدالله بن عبدالله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرا إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين، وفي سنة إحدى وعشرين افتتح أبوموسى قم وقاشان[٣]، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان[٤].

○ فتح همذان ثانية سنة (٢٢هـ)[٥]:

تقدم أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند فتحوا حلوان وهمذان، ثم إن أهل همذان نقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همذان، فسار حتى نزل على ثنية العسل، ثم نزل على همذان، واستولى على بلادها، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها، فبينما هو فيها ومعه اثني عشر ألفا من المسلمين إذ تكاتب الديلم، وأهل الري، وأهل أذربيجان، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له: واج الروذ[٦]، فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت وقعة عظيمة تعدل

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١٢).

(٢) أصبهان: بفتح الهمزة، ومنهم من يكسرها، مدينة عظيمة من أعلام المدن في بلاد فارس، وهي من إقليم الجبل. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٢٠٦).

(٣) قم: بالضم وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية، مدينة قريبة من قاشان، ويذكران جميعا وأهلهما شيعة إمامية، وهما يقعان بالقرب من أصبهان. المصدر السابق (٤ /٣٩٧، ٣٩٦) على التوالي.

(٤) كرمان: بالفتح ثم السكون، وهي ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس و مكران وسجستان و خراسان. المصدر السابق (٤ / ٤٥٤).

(٥) البداية والنهاية: (٧/ ١٢١).

(٦) واج روذ: موضع بين همذان وقزوين. المصدر السابق (٥ /٣٤١).

نهاوند ولم تك دونها، فقتلوا من المشركين جما غفيرا لا يحصون كثرة، وقتل ملك الديلم وتمزق شملهم، وانهزموا بأجمعهم، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين، وقد كتب نعيم إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمه ذلك واغتم له، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه، وأمر بالكتاب فقرىء على الناس، ففرحوا وحمدوا الله عَزَّوَجَلَّ[١].

○ فتح الري سنة (٢٢هـ)[٢]:

استخلف نعيم بن مقرن على همذان يزيد بن قيس الهمداني، وسار هو بالجيوش حتى لحق بالري[٣]، فلقي هناك جمعا كثيرا من المشركين، فاقتتلوا عند سفح جبل الري، فصبروا صبرا عظيما، ثم انهزموا فقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب[٤]، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريبا مما غنم المسلمون من المدائن، وصالح أبا الفرخان الملقب بالزينبي على الري، وكتب له أمانا بذلك، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ولله الحمد والمنة[٥].

○ فتح قومس وجرجان وطبرستان سنة (٢٢هـ)[٦]:

لما ورد البشير بفتح الري وأخماسها، كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس[٧]. فسار إليها سويد، فلم يقم له شيء حتى أخذها سلما

---

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤-١٤٨).

(٢) البداية والنهاية (١٢١/٧).

(٣) الري: بفتح أوله وتشديد ثانيه، مدينة مشهورة، تعتبر قصبة بلاد الجبال بينها وبين قزوين سبعة وعشرون فرسخا، ياقوت، مصدر سابق (١١٦/٣).

(٤) لكثرة القتلي يستخدمون القصب في إحصائهم بأن يلقوا على كل قتيل قصبة، وبهذا ينضبط الإحصاء؛ لأن القصب معدود قبل ذلك.

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٥٠).

(٦) «البداية والنهاية» (٧/ ١٢٢).

(٧) قومس: بالضم ثم السكون وكسر الميم و مين مهملة، كورة واسعة تقع في نهاية جبال طبرستان، وهي بين الري ونيسابور، ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤١٤).

وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح[١].

ولما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى منها: جرجان[٢]، وطبرستان[٣]، وغيرها يسألونه الصلح على الجزية، فصالح الجميع، وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح[٤]، وحكى المدائني أن جرجان فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان[٥]، فالله أعلم.

○ فتح أذربيجان سنة (٢٣هـ)[٦]:

اتفق الواقدي وأبا معشر على أن أذربيجان فتحت في سنة اثنتين وعشرين، وتبعهما ابن جرير وغيره[٧].

لما افتتح نعيم بن مقرن همذان ثانية، ثم الري، بعث بين يديه بكير بن عبدالله من همذان إلى أذربيجان[٨]، وأردفه بسماك بن خرشة - وليس بأبي دجانة[٩] - وذلك عن أمر عمر بن الخطاب. فلقي أسفندياذ بن الفرخزاد بكيرا و أصحابه، قبل أن يقدم عليهم سماك، فاقتتلوا فهزم الله المشركين، وأسر بكير أسفندياذ، فقال له أسفندياذ:

---

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٥١).

(٢) جرجان: بالضم وأخره نون. وهي مدينة عظيمة بين طبرستان و خراسان. ياقوت، مصدر سابق (٢/ ١١٩).

(٣) طبرستان: بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، بلد واسع والغالب عليها الجبال، وخرج منها ما لا يحصى من أهل العلم والأدب، والنسبة إليها: طبري. المصدر نفسه (٤-١٣).

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٥٢).

(٥) المصدر نفسه (٤/ ١٥٣).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ١٢٠ - ١٢٢).

(٧) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٤٦).

(٨) أذربيجان: بالفتح ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، إقليم واسع، الغالب عليه الجبال وتحدها بلاد الديلم من الشمال، ومن مدنها المراغة وتبريزى وأردبيل وغيرها. ياقوت، مصدر سابق (١/ ١٢٨).

(٩) أبو دجانة: الصحابي المشهور، اسمه: سماك بن أوس بن خرشة، وفي الأنصار صحابي أخر اسمه: سماك بن خرشة، وهو هذا. انظر: ابن حجر، الإصابة (٣/ ١٧٤).

الصلح أحب إليك أم الحرب؟ فقال: بل الصلح. قال: فأمسكني عندك، فأمسكه ثم جعل يفتح أذربيجان بلدا بلدا، وعتبة بن فرقد في مقابله في الجانب الآخر من أذربيجان يفتحها بلدا بلدا.

ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بكير إلى الباب، وجعل سماكا موضعه - نائبا لعتبة بن فرقد وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد، وسلم إليه بكير أسفندياذ، وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاد لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام، فلما بلغ ذلك أسفندياذ قال: الآن تم الصلح وطفئت الحرب. فصالحه وعادت أذربيجان سلما، وكتب بذلك عتبة، وبكير إلى عمر، وبعثوا بالأخماس إليه، وكتب عتبة حين انتهت إليه إمرة أذربيجان كتاب أمان وصلح لأهلها[١].

○ فتح الباب سنة (٢٢هـ)[٢]:

قال ابن جرير: وزعم سيف أنه في هذه السنة (سنة ٢٢ هـ) كتب عمر بن الخطاب كتابا بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب ذي النور - فسار كما أمر عمر وهو على تعبئته، فلما انتهى مقدم العساكر - وهو عبد الرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب[٣]، وهو: شهر براز، ملك أرمينية - وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان - فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه، فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة، فقدم عليه الملك، فأنهى إليه صغوه[٤] إلى المسلمين، وأنه مناصح للمسلمين. فقال له: إن فوقي رجلا فاذهب إليه، فبعث إلى سراقة بن عمرو أمير الجيش، فسأل من سراقة الأمان، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٥٣).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢٢ - ١٢٣).
(٣) الباب: ويقال لها: باب الأبواب، وهي مدينة عظيمة على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر، وهي فرضة على ذلك البحر، وحولها أمم شتى من الخزر، والسرير، والكرج، والديلم، وغيرهم. ياقوت، مصدر سابق (١/ ٣٠٣).
(٤) صغوه، أي: ميله.

من الأمان، واستحسنه، فكتب له سراقة كتابا بذلك. ثم بعث سراقة بكير بن عبدالله الليثي، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، جبال اللآن، وتفليس، وموقان، فافتتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان، ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك، سراقة بن عمرو، واستخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقره وأمره بغزو الترك[١].

○ أول غزو الترك[٢]:

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك، سار حتى قطع الباب قاصدا لما أمره، فقال له شهربراز: أين تريد؟ قال: أريد ملك الترك بلنجر، فقال له شهربراز: إنا لنرضى منهم بالموادعة نحن من وراء الباب. فقال له عبدالرحمن: إن الله بعث إلينا رسولا، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر، ونحن لا نزال منصورين. فقاتل الترك، وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ، وغزا مرات متعددة. ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وهذا تصديق الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة، وعمرو بن تغلب، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما عراض الوجوه، ذلف الأنوف، حمر الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة» وفي رواية: ينتعلون الشعر[٤]

○ غزو خراسان سنة (٢٢هـ)[٥]:

كان الأحنف بن قيس قد أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم، ويضيقوا على كسرى ويزدجرد، فإنه هو الذي يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين، فأذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه، وأمر الأحنف، وأمره بغزو

(١) الطبري، المصدر السابق (٤/ ١٥٥-١٥٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢٣).
(٣) الطبري، المصدر السابق (٤/ ١٥٨).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الذين ينتعلون الشعر (٦/ ١٠٤ من فتح الباري).
(٥) البداية والنهاية (٧/١٢٧).

بلاد خراسـان، فركـب الأحنف في جيش كثيف إلى خراسـان قاصدا حـرب يزدجرد، فدخل خراسـان، فافتتح هراة[١] عنوة، واسـتخلف عليها صحار بـن فلان العبدي، ثم سار إلى مرو الشاهجان[٢] وفيها يزدجرد، وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبدالله بن الشير إلى نيسابور[٣]، والحارث بن حسان إلى سرخس[٤].

ولما اقترب الأحنف من مروالشاهجان، خرج منها يزدجرد إلى مروالروذ[٥] فافتتح الأحنف مرو الشـاهجان، فنزلها. وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمده، وكتب إلى ملك الغد يستمده، وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ، وقد اسـتخلف على مرو الشـاهجان حارثة بن النعمان، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد مـن أهل الكوفـة مع أربعة أمراء، فلما بلغ ذلك يزدجرد ترحـل إلى بلخ[٦]، فالتقى معه ببلخ فهزمه الله عَزَّوَجَلَّ، وهرب هو ومن بقي معه من جيشـه فعبر نهر جيحون، واسـتوثق ملـك خراسـان على يدي الأحـنـف ابن قيـس، واسـتخلف في كل بلدة أميـرا، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكمالها.

وكتـب عمـر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى مـا وراء النهر. وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان[٧].

(١) هـراة: بالفتح، مدينة مشـهورة من أمهات مدن خراسـان، ينسـب إليهـا جمع من أهـل العلم والفضل. ياقوت، مصدر سابق (٣٩٦/ ٥).

(٢) مروالشاهجان، في مدينة مرو العظمى، و هي قصبة خراسان. المصدر نفسه (١١٢/ ٥).

(٣) نيسابور: بفتح أوله، مدينة مشهورة في هذا الإقليم. المصدر نفسه (٣٣١/ ٥).

(٤) سـرخس: بفتـح أوله وسـكون ثانيه وفتـح الخاء المعجمة، مدينة بين نيسـابور و مرو في وسـط الطريق المصدر نفسه (٢٠٨/ ٣).

(٥) مرو الروذ: المرو، الحجارة البيض التي تقدح بها النار، والروذ بالفارسية، معناها: النهر، وهي مدينة تقع على نهر عظيم؛ ولكنها أصغر من مرر الأخرى. المصدر نفسه (١١٢/ ٥).

(٦) بلخ: بفتح أوله وسـكون اللام وآخره خاء معجمة من فوق، مدينة من أجمل مدن خراسـان تقع بالقرب من نهر جيحون بينها وبينه عشرة فراسخ، ياقوت، مصدر سابق (٤٧٩/ ١).

(٧) الطبري، المصدر السابق (١٦٦/ ٤ -١٦٧).

ولما وصل رسولا يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما الملك الترك، وملك الصغده لم يحتفلا بأمره، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل في بلادهما تعين عليهم إنجاده في شرع الملوك، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان، فوصل إلى بلخ واسترجعها، وفر عمال الأحنف إليه إلى مرو الروذ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ، فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة والكوفة والجميع عشرون ألفا فسمع رجلا يقول لآخر: إن كان الأمير ذا رأي فإنه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره، ويبقى هذا النهر خندقا حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة. فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه، وكان أمارة النصر والرشد، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج، فقام الأحنف في الناس خطيبا فقال: إنكم قليل وعدوكم كثير، فلا يهولنكم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾ [البقرة:٢٤٩]، فكان الترك يقاتلون بالنهار، ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل، فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إلى الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

إن على كل رئيس حقا   أن يخضب الصعدة أو تندقا
إن لها شيخا بها ملقى   سيف أبي حفص الذي تبقى

قال: ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه، فخرج آخر عليه طوق. ومعه طبل فجعل يضرب بطبله، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضا واستلبه طوقه ووقف موضعه، فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه، ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية، وكان من عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله، ثم الثاني، ثم الثالث. فلما خرجت الترك وجدوا فرسانهم مقتلين فتشاءم بذلك الملك خاقان وتطير، وقال لعسكره: قد طال

مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فرجعوا إلى بلادهم[(١)].

وقد قال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. وقد أصاب الأحنف في ذلك، فقد جاء في الحديث: «اتركوا الترك ما تركوكم»[(٢)] ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب:٢٥] ورجع كسرى خاسرا الصفقة لم يشف له غليل، ولا حصل على خير، ولا انتصر كما كان في زعمه، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه، وبقي مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء:٨٨] وتحير في أمره ماذا يصنع؟ وإلى أين يذهب؟ ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد، وظهروا على الملوك، فجعل يخبره عن صفتهم، وكيف يركبون الخيل والإبل، وماذا يصنعون؟ وكيف يصلون؟ فكتب معه إلى يزدجرد: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخر بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك، فسالمهم وارض منهم بالمسالمة. فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين، ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه (٦٨/ ٤ - ١٧٠).

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا كما في مجمع الزوائد اللهيثمي (٣١٢/ ٧) وله تكملة وهي قوله: فإن أول من يسلب من أمتي ملكهم وما خولهم الله عَزَّوَجَلَّ بنو قنطوراء. قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٠٥): موضوع، وكذا قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم (١٧٤٧) وذكر أن القسم الأول منه لا يكون موضوعا لما له من شواهد تمنع من ذلك. قلت: لكنه يبقى في دائرة الضعيف.

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٧٢).

○ خطبة عمر لما وصله كتاب الفتح:

لما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وأنهم قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا، قام عمر على المنبر وقرىء الكتاب بين يديه، ثم قال عمر: إن الله بعث محمدا بالهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٢٨﴾ [الفتح:٢٨] فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر جنده ألا وإن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضير بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فقوموا في أمره على وجل، يوف لكم بعهده، ويؤتكم وعده، ولا تغيروا فيستبدل قوما غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتي إلا من قبلكم[١].

○ فتح أصطخر سنة (٢٣هـ)[٢]:

افتتح المسلمون أصطخر – للمرة الثانية – في سنة ثلاث وعشرين وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر – من أرض البحرين – والتقوا هم والفرس في مكان يقال له: طاوس، ثم صالحه الهربذ على الجزية، وأن يضرب لهم الذمة. ثم إن شهرك خلع العهد، ونقض الذمة، ونشط الفرس، فنقضوا العهد، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص – والي البحرين –، ابنه وأخاه الحكم، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين، وقتل الحكم بن أبي العاص شهر[٣].

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٧٣).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٣٠).
(٣) انظر تفاصيل أكثر في تاريخ الطبري (٤/ ١٧٥ – ١٧٧) وذكر رواية عن أبي معشر أن فتح اصطخر الثاني كان سنة تسع وعشرين.

❍ فتح فساودارا بجرد سنة (٢٣هـ[١]):

ذكر سيف عن مشايخه: أن سارية بن زنيم قصد فساو دارا بجرد[٢]، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكراد - عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم، وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فنادى في الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأي، ثم قال: يا سارية: الجبل، الجبل. ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم. قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد[٣].

وقال عبدالله بن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر وجه جيشا ورأس عليهم رجلا يقال له: سارية، قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي: يا سارية، الجبل، يا سارية، الجبل، ثلاثا، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر: فقال: يا أمير المؤمنين، هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديا يا سارية الجبل - ثلاثا - فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله. قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك[٤].

قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد حسن.

---

(١) البداية والنهاية (١٣٠-٧).

(٢) فساو دار بجرد: فسا: بالفتح والقصر، كلمة أعجمية، وهم ينطقونها بالباء: بسا، وهي مدينة في فارس، وهي أكبر مدن كورة داربجرد بينها وبين شيراز أربع مراحل، وقد نسب إليها جمع من أهل العلم من أشهرهم يعقوب بن سفيان الفسوي، صاحب كتاب المعرفة والتاريخ. ياقوت، مصدر سابق (٢٦٠/ ٤).

(٣) القصة أخرجها الطبري في تاريخه (٤/ ١٧٨) من طريق سيف بن عمر.

(٤) ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦/ ٣) وقال: أخرجها البيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر، قال: وهكذا ذكره حرملة في حديث ابن وهب، وهو إسناد حسن.

قلت: أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣٧٠/ ٦) من هذا الطريق، وأخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة» من هذا الطريق (حديث رقم (٢٥٣٧)، وبرقم (٣٥٣٨) من طريق أخرى. وانظر: كرامات الأولياء لأبي إلقاسم اللالكائي (١٢٧) وحسن إسنادها الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٧٨) وبرقم (٥٩٥٤).

فتح كرمان وسجستان سنة (٢٢هـ)[١]:

ذكر ابن جرير من طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان[٢] في هذه السنة على يدي سهيل بن عدي وأمده عبدالله بن عبدالله بن عتبان. وقيل: كان الفتح على يدي عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي[٣].

وذكر فتح سجستان[٤] على يدي عاصم بن عمرو، بعد قتال شديد، وكانت ثغورها متسعة، وبلادها متنائية، ما بين السند إلى نهر بلخ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها و فروجها[٥].

فتح مكران سنة (٢٣هـ)[٦]:

وذكر ابن جرير، فتح مكران[٧] في السنة الثالثة والعشرين على يدي الحكم بن عمرو، وأمده شهاب بن المخارق بن شهاب، ولحق به سهيل بن عدي، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان واقتتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع حار العبدي، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مران فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل[٨]، وتمرها

(١) البداية والنهاية (٧/١٣٢).

(٢) كرمان: بالفتح ثم السكون، بلاد واسعة بين فارس و مكران، وشمالها مفازة خراسان، وجنوبها بحر فارس. ياقوت، مصدر سابق (٤/ ٤٥٤).

(٣) هذه رواية المدائني عن علي بن مجاهد. ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ١٨٠).

(٤) سجستان: بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة، وهي إقليم واسع، أرضه سيخه ورمال حارة لا تسكن بها الريح، وأرضها سهلة لا يرى فيها جبل، وهي من أقليم خراسان. ياقوت، مصدر سابق (٣/ ١٩٠).

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (١٨٠-٤).

(٦) البداية والنهاية (٧/١٣٢).

(٧) مكران: بالضم ثم السكون، وراء وآخره نون. كلمة أعجمية معناها: سيف البحر، وهي ولاية واسعة تشمل على مدن وقرى، وتقع بين كرمان من غربيها والهند في شرقيها، وسجستان شمالها، والبحر العربي جنوبها. ياقوت، مصدر سابق (٥/ ١٧٩).

(٨) الوشل: القليل.

دقـل[١]، وعدوهـا بطل، وخيرها قليل، وشـرها طويـل، والكثير بها قليـل، والقليل بها ضائـع، وما وراءها شـر منها. فقال عمر: أسـجاع أنت أم مخبر؟ فقـال: لا؛ بل مخبر. فكتـب عمر إلـى الحكم بن عمـرو، أن لا يجوزون مكـران، وليقتصـروا على ما دون النهر[٢].

○ غزوة الأكراد[٣]:

ذكر ابن جرير بسـنده عن سـيف عن شـيوخه: أن جماعة من الأكـراد والتف إليهم طائفـة من الفـرس، اجتمعوا فلقيهم أبو موسـى بمكان من أرض بيـروذ قريب من نهر تيرى[٤]، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد - بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد - فتسـلم الحرب وحنق عليهم، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة، كما هي عادته المسـتمرة وسـنته المسـتقرة، في عباده المؤمنين، وحزبه المفلحين، من أتباع سـيد المرسلين، ثم خمسـت الغنيمة وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

❁ ❁ ❁

(١) الدقل: رديء التمر.

(٢) الطبري، المصدر السـابق (٤/ ١٨١)، وقد نسـب ياقوت في المعجم البلدان (٥/ ١٨٠) هذا القول إلى حكيم بن جبلة العبدي، وأنه قال ذلك بين يدي عثمان في خلافته.

(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٣٢).

(٤) بيروذ، ونهر تيرى، بلدان من نواحي الأهواز.

(٥) انظر الطبري، المصدر السايق (٤/ ١٨٣) وفيه تفصيل أوسع.

الباب الثالث

خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٢٣ـ ٣٥هـ)

الفصل الأول:

ترجمته

○ نسبه ومكانته[(١)]:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف[(٢)].

أبوعمرو، وأبوعبدالله[(٣)]، القرشـي، الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين.

وأمـه أروى بنـت كريز بـن ربيعة بـن حبيب بن عبدشـمس. وأمهـا أم حكيم وهي البيضاء بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ.

وهـو أحد العشـرة المشـهود لهم بالجنـة، وأحد السـتة أصحاب الشـورى، وأحد الثلاثـة الذيـن خلصـت لهـم الخلافة من السـتة، ثـم تعينت فيـه بإجمـاع المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

○ صفاته الخلقية والخلقية[(٤)]:

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حسن الوجه رقيق البشرة، كبير اللحية، معتدل القامة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شـعر الرأس، حسـن الثغر، فيه سـمرة، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٥)].

وقـد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كريـم الأخلاق، ذا حيـاء كثير، وكـرم غزير، يؤثر أهلـه وأقاربه في الله، تأليفـا لقلوبهـم من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما

---

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٩٨

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣/ ٥٣)، وابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٤٢٠).

(٣) لـه عـدة كنى واقتصر البخـاري في الصحيح (٧/ ٥٢ مـن الفتح) على أبي عمر، وقـال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٤) هي التي اسـتقر عليها الأمر، قال: وكان بعض من ينتقصه يكنيه أبا ليلى، يشـير إلى لين جانبه، حكاه ابن قتيبة، وأشهر ألقابه: ذو النورين.

(٤) البداية والنهاية: ٧-١٩٢، ٢٠٠، ٢٥١.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق (٣/ ٥٨)، وابن جرير المصدر السابق (٤/ ٤١٩) والكراديس: عظام المفاصل.

يفنـى، كمـا كان النبي ﷺ يعطي أقواما ويدع آخرين، يعطي أقواما خشـية أن يكبهم الله علـى وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى مـا جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد تعنت عليه بسـبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج على رسـول الله ﷺ في الإيثار في غزوة حنين حين قسم غنائمها.

قـال الإمام أحمد: حدثنا إسـماعيل بن إبراهيم ثنا يونـس - يعني ابن عبيد. حدثني عطـاء ابـن فروخ مولى القرشـيين، أن عثمان إشـترى من رجل أرضا فأبطـأ عليه فلقيه فقـال: مـا منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتنى، فمـا ألقى من الناس أحدا إلا وهو يلومنـي، قـال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم. قال: فاختر بين أرضـك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا[(١)]».

وروى ابـن جرير أن طلحة لقى عثمان وهو خارج إلى المسـجد فقال له طلحة: إن الخمسـين ألفا التي لك عندي قد حصلت فأرسـل من يقبضها، فقـال له عثمان: إنا قد وهبناكها لمروءتك.

وقـال الأصمعي: اسـتعمل ابـن عامر، قطن بن عـوف الهلالي علـى كرمان، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف. وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطن الفـوت فقال: من جـاز الوادي فله ألف درهم، فحملوا أنفسـهم على العظم، فكان إذا جـاز الرجل منهم قال قطن: أعطوه جائزته، حتى جـازوا جميعا وأعطاهم أربعة آلاف ألـف درهم، فأبي ابن عامر أن يحسـبها لـه، فكتب بذلك إلى عثمـان بن عفان، فكتب عثمان: أن أحسـبها له، فإنه إنما أعان المسـلمين في سـبيل الله، فمن ذلك اليوم سميت الجوائز لإجازة الوادي[(٢)].

(١) المسـند (٥٨/ ١) وصححه أحمد شـاكر (٤١٠) وأخرجه النسـائي في المجتبي من سـننه (٧/ ٣١٨)، كتـاب البيـوع باب حسـن المعاملـة والرفق في المطالبـة بدون القصـة»، وابن ماجه في التجـارات، باب السماحة في البيع، (٧٤٢/ ٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٦٥/ ١١ خط).

○ **إسلامه وجهاده[١]:**

أسلم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قديما على يدي أبي بكر الصديق، وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة، وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها. فلما توفيت زوجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا في صحبته، وشهد أحدا، وشهد الخندق، والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر، وعمرة القضاء، وحضر الفتح، وهوازن، والطائف، وغزوة تبوك، وجهز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها.

وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين»[٢].

وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خيرهم.

فولي الخلافة بعد عمر، ففتح الله على يديه كثيرا من الأقاليم والأمصار، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور:٥٥].

---

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٦٣)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٥ /٦٢٦) (ح/ ٣٧٠١).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف:٩].

وقوله ﷺ: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[١] وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال الإمام البخاري في صحيحه[٢]: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمر القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

○ تبشيره بالجنة:

١ – قال النبي ﷺ: «من يحفر بئر رومة فله الجنة. فحفرها عثمان».

٢ – وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه عثمان».

٣ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دخل حائطا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: أئذن له وبشره بالجنة، فإذا أبو بكر. ثم جاء آخر يستأذن فقال: أئذن له وبشره بالجنة، فإذا عمر. ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه، فإذا عثمان بن عفان».

○ عثمان ممن استجاب لله ولرسوله وهاجر الهجرتين:

٤ – عن ابن شهاب، أخبرني عروة، أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره، أن المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلم

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٤/ ٢٢٣٧) (ح/ ٢٩١٨-٢٩١٩) من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قتل كسرى يزدجر آخر ملوك الأكاسرة بمرو، سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سيأتي.

(٢) من هنا إلى نهاية النص السابع إضافة ليست في الأصل، أوردتها لأهميتها وجرا على المنهج الذي سلكته في ذكر فضائل الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: صحيح البخاري – فتح الباري (٧/ ٥٢_٥٤). وقد جعلت عناوين للأحاديث تبرز المقصد منها.

عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت إن لـي إليك حاجـة، وهي نصيحة لك. قال: يـا أيها المرء منك. قـال معمر: أراه قال: أعـوذ بالله منـك - فانصرفت فرجعت إليهما، إذ جاء رسـول عثمـان؛ فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن اسـتجاب لله ولرسـوله ﷺ فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديـة. وقد أكثر الناس في شـأن الوليد. قال: أدركت رسـول الله ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها.

قال: أما بعد: فإن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، فكنت ممن اسـتجاب لله ولرسـوله، وآمنـت بما بعث به وهاجر الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسـول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله. ثم أبو بكر مثله. ثم عمر مثله. ثم استخلفت، أفليـس لـي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فمـا هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شـأن الوليد فسـتأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا عليا فأمره أن يجلده، فجلده ثمانين.

○ تبشيره بالشهادة:

٥- عن قتادة أن أنسا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صعد النبي ﷺ أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان».

○ ترتيبه في الفضل:

٦- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

○ شهادة ابن عمر بفضائل عثمان ودفاعه عنه:

٧- عن عثمان بن وهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن

عمـر. قال: يا ابن عمر إني سـائلك عن شـيء فحدثني عنه: هل تعلـم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشـهد؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلـم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشـهدها؟ قال: نعم. قال الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كانـت تحته بنت رسـول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسـول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شـهد بدرا وسـهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان - فلو كان أحد أعز ببطن مكـة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسـول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

○ حياء عثمان[١]:

٨- قـال الإمـام أحمـد: حدثنا حجـاج، ثنا ليث، حدثنـي عقيل عن ابن شـهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ، وعثمان، حدثاه: أن أبا بكر اسـتأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشـه لا بس مرط عائشة، فـأذن لـه وهو على تلك الحالـة فقضى إليه حاجته ثـم انصرف، فاسـتأذن عمر، فأذن له وهـو علـى تلك الحالة، فقضـى إليه حاجته ثم انصـرف. قال عثمان: ثم اسـتأذنت عليه فجلس وقال: اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي، ثم انصرف، فقالت عائشـة: يا رسول الله! ما لي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته".

قال الليث: وقال جماعة الناس: إن رسـول الله ﷺ قال لعائشـة: «ألا اسـتحي ممن تستحي منه الملائكة؟»[٢].

(١) من هذا النص إلى اجتهاده في العيادة من البداية والنهاية: ٢٠٢٠٢/ ٧، ٢٠٧-٢١١-٢١٤.
(٢) المسند (٧١/ ١)، وقال أحمد شاكر، (٥١٤) إسناده صحيح.

ورواه مسلم[(١)] من حديث محمد بن أبي حرملة، عن عطاء وسليمان ابني يسار، وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة. ورواه أبويعلي الموصلي من حديث سهيل، عن أبيه، عن عائشة. ورواه جبير بن نفير، وعائشة بنت طلحة عنها.

٩-وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبوبكر، وأشدها في دين الله عمر، وأشدها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح[(٢)] ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث خالد الحذاء، وقال الترمذي: حسن صحيح[(٣)].

○ منزلة عثمان في الأمة:

١٠- قال الإمام أحمد: حدثنا أبوداود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان، عن عبيد الله بن مروان، عن أبي عائشة، عن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال: "رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي يوزن بها، فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فوزنت بهم فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن، فوزن بهم، ثم جيء بعمر فوزن، فوزن بهم، ثم جيء بعثمان فوزن، فوزن بهم، ثم رفعت» تفرد به أحمد[(٤)].

١١- قال يعقوب بن سفيان: حدثنا هشام بن عمار، ثنا عمرو بن واقد، ثنا يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس، عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول ﷺ: «إني رأيت أني وضعت

(١) الصحيح، كتاب الفضائل (٢٤٠٢) من طريق عقيل عن ابن شهاب به، كما أخرجه من الطريق التي أشار لها المصنف (٢٤٠١).

(٢) المسند (٣/ ١٨٤، ٢٨١)، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٩٠٨)، وقد سبق في فضائل عمر.

(٣) انظر لتخريجه: المزي: تحفة الأشراف (٢٠٧/ ١)، (ح/ ٩٥٢).

(٤) المسند (٧٦-٢)، وقال أحمدشاكر: (٥٤٦٩) إسناده صحيح.

في كفـة وأمتي في كفة فعدلتها، ثم وضـع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها، ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها، ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها»[١].

وصية النبي لعثمان بالصبر وعدم الاستجابة لطلب خلعه:

١٢- قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، ثنا الوليد بن سليمان[٢] حدثني ربيعة بن يزيـد، عن عبـدالله بن عامر، عن النعمان بن بشـير، عن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسـل رسول الله ﷺ إلى عثمان ابن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ علـى عثمـان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقـال: يا عثمان إن الله عسـى أن يلبسـك قميصا فـإن أرادك المنافقـون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثا. فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسـيته والله فما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين: أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابا»[٣].

وقد رواه أبو عبدالله الجسري[٤] عن عائشة وحفصة، بنحوما تقدم[٥] ورواه قيس بن أبي حازم[٦]، وأبوسهلة عنها[٧].

ورواه أبوسهلة عن عثمان: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا فأنا صابر نفسي عليه»[٨]

(١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٥٧). وهو شاهد للحديث السابق.
(٢) في الأصل الوليد بن مسلم والتصحيح من مسند أحمد (٦/ ٨٦).
(٣) المسند (٦/ ٨٦)، وله طريق أخرى أخرجها أيضا في (٦/ ١٤٩)، وأخرجه الترمذي مختصرا في مناقب عثمان (٥/ ٦٢٨)، قال هذا حديث حسـن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجه في سـننه، المقدمة، (باب (١١) (١، ٤١) من طريق الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد.
(٤) في الأصل (الجرى) والتصحيح من مسند أحمد (٦/ ٢٦٣).
(٥) المسند (٦/ ٢٦٣).
(٦) المسند (٦/ ٢١٤).
(٧) المسند (٦/ ٥٢).
(٨) المسند (١/ ٥٨)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه (٤٠٧) إسناده صحيح.

ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، فذكره[١].

قال الدراقطني: تفرد به الفرج بن فضالة[٢].

○ شهادة عائشة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٣- قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثتني فاطمة بنت عبدالرحمن قالت: حدثتني أمي، أنها سألت عائشة، وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان فإن الناس قد شتموه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدا عند رسول الله ﷺ، وإن رسول الله لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول له: اكتب يا عثيم، قالت عائشة: فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله[٣].

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس، عن عمر بن إبراهيم اليشكري، عن أمه، عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله[٤]

○ إخبار النبي بوقوع الفتنة التي قتل فيها عثمان وأنه على الحق:

١٤- قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، ثنا سنان بن هارون، ثنا كليب بن وائل، عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان[٥]. ورواه الترمذي، عن إبراهيم بن سعد، عن شاذان به، وقال: حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عمر[٦].

---

(١) رواية الفرج بن فضالة أخرجها ابن ماجه (١/ ٤١) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.
(٢) لم يتفرد به الفرج بن فضالة، بل رواه معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، كما من عند الترمذي، ورواه الوليد بن سليمان عن ربيعة كما في هذا الحديث.
(٣) المسند (٦/ ٢٥٠).
(٤) المسند (٦/ ٢٦١).
(٥) صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٨/ ١٧١).
(٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب (٥/ ٦٣٠) (ح/٣٧٠٨).

١٥- قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا موسى بن عقبة، حدثني جدي أبو أمي - أبو حبيبة[١]، أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلاقا أو قال اختلافا وفتنة - فقال له قائل من الناس: فمن لنا يارسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك[٢]». قال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

١٦- وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة[٣]، ثنا كهمس بن الحسن، عن عبدالله بن شقيق، حدثني حرمي بن الحارث، وأسامة بن خريم - وكانا يغازيان - فحدثاني حديثا ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه، عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال: كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟ قالوا: نصنع ماذا يارسول الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه - أو اتبعوا هذا وأصحابه - قال: فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا، فإذا هو عثمان بن عفان. فقال: هذا و أصحابه فذكره[٤].

١٧- وقال الترمذي في جامعه: حدثنا محمد بن بشار، ثنا عبد الوهاب الثقفي، ثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، أن خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ فقام أخرهم رجل يقال له مرة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقر بها، فمر رجل مقنع في ثوب،

(١) في الأصل: حدثني أبو أمي حبيبة، والتصحيح من المسند.

(٢) المسند (٢/ ٣٤٥)، ومثله سندا ومتنا في فضائل الصحابة له (١/ ٤٥٠)، (٧٢٣) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) في الأصل: حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة، والتصحيح من المسند.

(٤) المسند (٣٥/ ٥)، بإسناد صحيح وله طرق أخرى في المسند (٣٣/ ٥) حدثنا بهز، وعبد الصمد قالا حدثنا أبو هلال عن قتادة عن عبدالله بن شقيق عن مرة البهزي. هكذ بدون واسطة - وانظر فضائل الصحابة (٤٤٩/ ١). وطريق ثالثة في المسند (٢٣٥/ ٤). ويشهد له الحديث الآتي.

فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا عثمان بن عفان. قال: فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال نعم. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(١)].

○ اجتهاده في العبادة:

وقد روي من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩] قال: هو عثمان بن عفان[(٣)].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل:٧٦] قال: هو عثمان[(٤)].

○ وقال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

○ ذكر زوجاته وبنيه وبناته[(٥)]:

- تزوج رقية بنت رسول الله ﷺ فولد له منها، عبدالله، وبه كان يكنى.
- ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم، ثم توفيت.
- وتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر، فولد له منها عبدالله الأصغر.

(١) سنن الترمذي كتاب المناقب حديث (٣٧٠٤)، قال: وفي الباب عن ابن عمر، وعبدالله بن حوالة، وكعب بن عجرة.
(٢) أخرج ذلك البيهقي في السنن الكبري (٣/ ٢٤) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٧٦) وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٤٧٦) وانظر مزيدا من الروايات في ذلك في طبقات ابن سعد (٣/ ٧٥-٧٦).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ٥٧٩).
(٥) البداية والنهاية: ٢١٨-٧.

- وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية، فولدت له عمرا، وبه كان يكنى، وخالدا، وأبان، وعمر، ومريم.

- وتـزوج بفاطمة بنـت الوليد بن عبد شـمس بن المغيرة المخزوميـة، فولدت له، الوليد، وسعيدا، وأم عثمان.

- وتـزوج أم البنين بنت عيينة بـن حضن الفزارية، فولدت لـه، عبدالملك، ويقال: وعتبة.

- وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، فولدت له عائشة، وأم أبان، وأم عمرو، بنات عثمان.

- وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب، فولدت له، مريم، ويقال: وعنبسة[(١)].

وقتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنده أربع: نائلة، ورملة، وأم البنين، وفاختة.

ويقال: إنه طلق أم البنين وهو محصور[(٢)].

○ وصيته[(٣)]:

قال هشام بن عروة عن أبيه: إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى إلى الزبير[(٤)].

وقال الأصمعي، عن العلاء بن الفضل، عن أبيه. قال: لما قتل عثمان فتشـوا خزائنه فوجـدوا فيهـا صندوقا مقفـلا ففتحوه، فوجدوا فيهـا ورقة مكتوب فيهـا: «هذه وصية

(١) انظر عـن زوجاتـه وأولاده: مصعـب الزبيري. نسـب قريـش (١٠٤-١٠٥) لكنه خالـف في ولده من نائلـة فقال: أم خالـد، وأروى، وأم أبان الصغرى، بنات عثمان، أمهم نائلة بنـت الفراقصه. وانظر: أيضا ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٤٢٠)، مع اختلاف يسير في أسماء الأولاد.

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٤٢١)، وابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤/ ٣٣٦).

(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٨٣-١٨٤.

(٤) مصعب الزبيري. المصدر السابق (١٠٦).

عثمـان. بسـم الله الرحمـن الرحيم، عثمـان بن عفان يشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك لـه، وأن محمدا عبده ورسـوله، وأن الجنة حق، وأن النار حـق، وأن الله يبعث مـن في القبـور، اليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعـاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى.

○ مدة خلافته وعمره[١]:

كانت خلافته اثنتي عشـرة سـنة إلا اثني عشـر يوما، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين، وقتل يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[٢].

أمـا عمـره فقد جـاوز ثنتين وثمانين سـنة، قـال صالح بن كيسـان: توفي عـن ثنتين وثمانين سـنة وأشـهر، وقيل: أربع وثمانون سـنة، وقال قتادة: توفي عـن ثمان وثمانين سنة أو تسعين سنة[٣].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٩٠.

(٢) هذه رواية جمهور المؤرخين كما ذكر الطبري (٤/ ٤١٥).

(٣) انظر هذه الأقوال عند الطبري، المصدر السـابق (٤/ ٤١٧- ٤١٨). وصحح الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين (٤٨١) القول بأن عمره اثنتين وثمانين سنة.

الفصل الثاني:
استخلافه

قصة الشورى والاتفاق على بيعته[١]

كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين[٢]، وقال: لا أتحمل أمركم حيا وميتا، وإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خير هؤلاء كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ. ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشي أن يراعى فيولي لكونه ابن عمه، فلذلك تركه - وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة - بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه، أنه استثناه من بينهم، وقال: لست مدخله فيهم[٣]. وقال لأهل الشورى: يحضركم عبدالله - يعني ابنه - وليس له من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئا. وأوصى أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى، وأن يجتمع أهل الشورى حتى ينبرم الأمر. فخلص القوم في بيت يتشاورون في أمرهم، ثم صار الأمر إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبدالرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقال عبدالرحمن لعلي وعثمان: أيما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه، والله عليه و الإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين، فأسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبدالرحمن: إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن أجتهد فأولي

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٤ -١٤٧.

(٢) لأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظر في فعل رسول الله ﷺ وفعل الصديق قبله، فوجد رسول الله ﷺ قد ترك التعيين، ووجد الصديق قد عين واستخلف، فأراد أن يجمع بين الطريقتين فجعل الأمر شورى في ستة عينهم بأسمائهم، وهذه صورة ثالثه من صور الشوري.

(٣) أخرجها ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٢٨).

أولا كما بالحق، فقالا: نعم! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن، فقال كل منهما: نعم! ثم تفرقوا[١]. فسعى في ذلك عبدالرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة، وسؤالا من ذوي الرأي عنهم، فلم يجد أحدا يعدل بعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة فقال: أنائم يا مسور؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث، اذهب فادع لي عليا وعثمان، قال المسور: فقلت بأيهما أبدأ؟ فقال بأيهما شئت، قال فذهبت إلى علي فقلت أجب خالى، فقال أمرك أن تدعو معي أحدا؟ قلت: نعم! قال: من؟ قلت: عثمان بن عفان، قال: بأينا بدأ؟ قلت لم يأمرني بذلك، بل قال ادعو لي أيهما شئت أولا، فجئت إليك، قال: فخرج معي، فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس على حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر، فقال لي كما قال لي علي سواء، ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي، فلما انصرف أقبل على علي وعثمان فقال: إني قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضا لئن ولاه ليعدلن، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبدالرحمن العمامة التي عممه بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقلد سيفا، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ونودي في الناس عامة، الصلاة جامعة، فامتلأ المسجد حتى غص بالناس، وتراص الناس حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا في أخريات الناس - وكان رجلا حييا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم صعد عبدالرحمن بن عوف منبر رسول الله، فوقف وقوفا طويلا، ودعى دعاء طويلا لم يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرا وجهرا بأمانيكم فلم أجد كم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علي، وإما عثمان، فقم إلى يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر

(١) هذا مضمون رواية البخاري لخبر الشورى وبيعة عثمان وسوف أوردها بعد.

فأخـذ عبدالرحمن بيـده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسـنة نبيه ﷺ وفعل أبـي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسـل يده[١] وقال: قم إلي يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم اسـمع واشـهد، اللهم اسـمع واشـهد، اللهم اسـمع واشـهد، اللهـم إني قد خلعـت ما في رقبتي من ذلـك في رقبة عثمان، قـال: وازدحم النـاس يبايعون عثمان حتى غشـوه تحت المنبر، قال فقعـد عبدالرحمن مقعد النبي ﷺ، وأجلـس عثمـان تحته على الدرجة الثانيـة، وجاء إليه النـاس يبايعونه، وبايعه علي بن أبي طالب أولا، ويقال آخرا[٢].

ومـا يذكره كثير من المؤرخين، كابن جريـر[٣]، وغيره، عن رجال لا يعرفون، أن عليا قال لعبدالرحمن خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشـاورك كل يوم في شـأنه، وأنه تلـكأ – أي بالبيعة – حتى قـال عبدالرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [سـورة الفتـح]. إلـى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها.

والمظنون بالصحابة خلاف مـا يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييـز عندهم بيـن صحيح الأخبـار وضعيفها، ومسـتقيمها وسـقيمها، ومبادها وقويمها.

(١) ذكـر الحافـظ ابن حجر في فتـح الباري (١٣/ ١٩٧) أن عرض عبدالرحمـن البيعة لعلي على كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر، قد أخرجها عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، من طريق سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. قلت: والأصح في ذلك هو سياق الإمام البخاري لخبر البيعة – كما سيأتي – وليس فيه هذا العرض.

(٢) الذي ذكره ابن كثير هو مضمون رواية المسور بن مخرمة التي أخرجها ابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٣٧) وسيأتي في أخر خبر البيعة في صحيح البخاري التصريح أن عليا كان أول من بايع.

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٣٩-٢٣٨).

○ تكملة لخبر بيعة عثمان من صحيح البخاري[١]:

قالـوا - أي لعمر بن الخطـاب -: أوص يا أمير المؤمنين، اسـتخلف. قال: ما أجد أحـق بهـذا الأمر من هؤلاء النفـر - أو الرهط - الذين توفى رسـول الله ﷺ و هو عنهم راض: فسـمى عليـا وعثمان والزبيـر وطلحة وسـعدا وعبدالرحمن، وقال: يشـهدكم عبـد الله ابـن عمر، وليس له من الأمر شـيء - كهيئـة التعزية له - فـإن أصابت الإمرة سـعدا فهـو ذاك، وإلا فليسـتعن به أيكـم ما أمر - فإني لـم أعزله عن عجـز ولا خيانة. وقـال: أوصـى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوليـن، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهـم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يوخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم.

وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشى أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسـوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشـي[٢]، فسـلم عبدالله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت: ادخلوه فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه.

فلمـا فـرغ من دفنه اجتمـع هؤلاء الرهـط، فقـال عبدالرحمن: اجعلـوا أمركم إلى ثلاثـة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمـان، وقال سـعد: قد جعلت أمـري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقـال عبدالرحمن: أيكمـا تـبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسـلام لينظرن أفضلهم في نفسـه؟ فسـكت الشيخان. فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا ألو عن أفضلكم؟

---

(١) إضافة ليست في الأصل، انظر: صحيح البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٧/٦١ من الفتح) من حديث عمرو بن ميمون وفي أوله قصة مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي بجنازة عمر، فسلم عبدالله على عائشة أم المؤمنين واستأذنها ثانية كما أمره عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمع ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

○ تاريخ بيعته[١]:

وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين[٢] وهذا غريب جدا.

وقد روى الواقدي أيضا عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال: بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال[٣] وهذا أغرب من الذي قبله.

وروى سيف بن عمر عن عمر بن شبة عن عامر الشعبي أنه قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بهم العصر[٤]. وزاد الناس - يعني في أعطياتهم - مائة، ووفد أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك[٥].

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٧.

(٢) انظر: تاريخ ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٤٢) وطبقات ابن سعد (٣/ ٦٣) وقول المصنف: وهذا غريب جدا، لم يتضح لي وجه غرابته، وهذا القول موافق لما قرر المصنف في مدة خلافته وما ذكر أيضا في تاريخ مقتل عمر - رضي الله = خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انظر: خلافة عمر (ص ٢٢)، من هذا التهذيب. والخلاف بين رواية الواقدي وبين رواية الشعبي التي ذكرها المصنف وسكت عليها يسيره.

(٣) المصدر السابق (٤ / ٢٤٢).

(٤) قلت: ظاهر رواية البخاري في صحيحه (١٣/ ١٩٤) أن البيعة لعثمان تمت بعد صلاة الصبح.

(٥) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٤٢).

قال ابن كثير: ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال وكأنه لم تتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر، كما ذكره الشعبي وغيره.

○ خطبة عثمان عند بيعته[(١)]:

أول خطبة خطبها بالمسلمين كما رواه سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتي منبر النبي ﷺ فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قلعة[(٢)] وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؛ ألم تلفظهم!! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلا، بالذي هو خير، فقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٥-٤٦] قال: وأقبل الناس يبايعونه[(٣)].

قال ابن كثير: وهذه الخطبة: أما بعد صلاة العصر يومئذ، أو قبل الزوال، وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر، وهو الأشبه. والله أعلم.

وقد كان أبوبكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله

---

(١) البداية والنهاية: ١٤٧/ ٧.

(٢) أي: ارتحال وتحول.

(٣) أورد الخطبة بنصها ابن جرير، المصدر السابق (٢٤٣/ ٤)، من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

ﷺ يقف عليها، فلما ولي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فلما ولي عثمان قال: إن هذا يطول، فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ.

○ تنبيه[١]:

وما يذكره بعض الناس من أن عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول، حتى قال: أيها الناس، إن أول مركب صعب، وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها. فهو شيء يذكره صاحب العقد[٢] وغيره، ممن يذكر طرف الفوائد، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه. والله أعلم.

○ كتبه إلى أهل الأمصار بعد بيعته[٣]:

كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار، وأمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال، والعامة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع[٤].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٨.

(٢) المراد ابن عبدربه الأندلسي، صاحب كتاب العقد الفريد، وهو كتاب في طرف الأخبار والحكايات والنوادر، ولا يهتم بسند الخبر أو صحته. والنص الذي يشير إليه أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٢) من طريق الواقدي وهو متروك.

(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٩.

(٤) أورد ابن جرير نص كتبه إلى عمال الولايات، وأمراء الأجناد، وعمال الخراج والعامة. انظر تاريخ الرسل والملوك (٤-٢٤٤-٢٤٥).

الفصل الثالث:

أعماله والأحداث في عصره

○ أول قضية نظر فيها[(١)]:

أول حكومة حكم فيها قضية عبيدالله بن عمر، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها، وضرب رجلا نصرانيا يقال له جفينة بالسيف فقتله، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تستر فقتله، وكان قد قيل إنهما مالأ أبا لؤلؤة على قتل عمر[(٢)].

وكان عمر قد أمر بسجن عبيد الله ليحكم فيه الخليفة من بعده، فلما ولي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبيد الله.

فقال علي: ما من العدل تركه، وأشار بقتله، وقال بعض المهاجرين: أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك، قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك[(٣)].

فودى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أولئك القتلى من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلى سبيل عبيد الله.

○ حوادث سنة أربع وعشرين[(٤)]:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة (سنة ٢٤هـ) عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولي عليها سعد بن أبي وقاص، فكان أول عامل ولاه، لأن عمر قال: فإن أصابت الإمرة سعدا فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ولي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

(١) البداية والنهاية: ٧-١٤٨-١٤٩.

(٢) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٤٠) وراجع ما سبق في خلافة عمر (١٤٤) هامش (٢، ٣) من النصوص الصحيحه الدالة على المؤامرة على قتله.

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٣٩) من طريق عبد الله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة، وهذا إسناد ضعيف فيه راوى مجهول هو جعفر بن عبدالرحمن بن المسور، والقول المنسوب لعمرو بن العاص غير مقبول من الناحية الشرعية، وقد وردت رواية عند ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٤٣) من طريق سيف بن عمر أن عثمان دفع عبيدالله بن عمر إلى ابن الهرمزان ليقتله فعفى عنه.
وتفسير ابن كثير لتصرف الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفسير مقبول و موافق للأصول الشرعية إذ لم يكن لهم ورثة.

(٤) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٩.

فاستعمل سعدا عليها سنة وبعض أخرى[١]. وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة، فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله، واستعمل سعدا ثم عزله وولي الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢].

○ حوادث سنة ست وعشرين[٣]:

- قال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، ووسع المسجد الحرام[٤].

وفيها عزل سعدا عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا، وجرت بينهما خصومة، فغضب عليهما عثمان، فعزل سعدا واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملا لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها، فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب، وكان فيه رفق برعيته[٥].

○ عزل عمرو بن العاص عن مصر سنة سبع وعشرين[٦]:

- قال الواقدي وأبو معشر: وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولي عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخو عثمان لأمه[٧] - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله ﷺ دمه[٨].

(١) تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٢٤٤).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٤٤).
(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٥١.
(٤) المصدر نفسه (٤/ ٢٥١).
(٥) المصدر نفسه (٤/ ٢٥٢) عن طريق سيف بن عمر، وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين (٣١٥).
(٦) البداية والنهاية: ٧/ ١٥١.
(٧) تاريخ خليفة (١٥٩). وعند مصعب الزبيري في نسب قريش (٤٣٣) أخوه من الرضاعة.
(٨) ابن هشام، السيرة النبوية (٤/ ٤٩)، وابن القيم، زاد المعاد (٣/ ٤١١)، وعبدالله ابن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي. انظر: مصعب الزبيري، نسب قريش (٤٣٣).

○ حوادث سنة ثمان وعشرين[١]:

قال الواقدي: وفي هذه السنة تزوج عثمان نائلة بنت الفرافضة الكلبية - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها.

- وفيها بني عثمان داره بالمدينة الزوراء.

- وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

○ كتابة المصاحف[٣]:

ومن مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء. وجماعة من أهل العراق، ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى إختلاف شديد، وانتشار في الكلام الشيء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٣.
(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٦٣).
(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٦٢-٢١٧.

الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبدالله بن الزبير الأسـدي وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش[١].

فكتـب لأهل الشـام مصحفا، ولأهل مصـر آخر، وبعث إلى البصـرة مصحفا وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفا وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفا.

ويقـال لهذه المصاحف، الأئمة، والعثمانية، وليسـت بخط عثمان، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية، نسبة إلى أمره، وزمانه، وإمارته، كما يقال دينار هرقلى، أي ضرب في زمانه ودولته.

ثـم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف[٢].

قـال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن بشـار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا: ثنا شـعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سـويد بن غفلة قال: قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته[٣]. وهكذا رواه أبو داود الطيالسـي، وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله.

وقـد رواه البيهقـي وغيـره، من حديث محمد بـن أبان - زوج أخت حسـين - عن علقمة بن مرثد قال: سـمعت العيزار بن حريث سـمعت سويد بن غفلة قال: قال علي: أيهـا النـاس إياكم والغلو في عثمان، تقولون. حـرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل[٤].

(١) انظر: ذلك في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (١١/ ٩ و من فتح الباري).
(٢) انظر: خبر ذلك في صحيح البخارى، كتاب فضائل القرآن (١١/ ٩ من فتح الباري).
(٣) كتاب المصاحف ص (١٢).
(٤) المصدر السابق (٢٣-٢٣) وقد صحح الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨/ ٩) إسناده.
قلت: والرجل المبهم في رواية ابن أبي داود سماه في هذه الرواية، وهو العيزار بن حريث.

وقـد روي عن ابن مسـعود أنه تعتب لمـا أخذ منه مصحفه فحـرق، وتكلم في تقدم إسـلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٦١][(١)].

فكتب إليه عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة -رضي الله عنهم أجمعين[(٢)].

وقد قال أبو إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، أن عبدالله بن مسعود، دخل مسجد منى فقـال: كم صلى أميـر المؤمنين الظهـر؟ قالوا: أربعـا، فصلى ابن مسـعود أربعا، فقالـوا: ألـم تحدثنا أن رسـول الله ﷺ وأبابكر وعمـر صلوا ركعتين؟ فقـال: نعم وأنا أحدثكموه الآن، ولكني أكره الاختلاف. وفي رواية الخلاف شر. وقال: ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين[(٣)].

فـإذا كان هذا متابعة من ابن مسـعود إلى عثمان في هـذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤا بها لا بغيرها!!.

○ حوادث سنة تسع وعشرين[(٤)]:

- فيها عزل عثمان بن عفان أبا موسـى الأشعري عن البصرة، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث، وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس، وهو

(١) المصدر السابق (١٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٩/ ٩) والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله (أي نسـخ المصاحف) بالمدينة، وعبدالله بالكوفة، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضا فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفا واحدا، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمني بنحوه (٢/ ٥٦٣) من فتح الباري وكذا أبو داود في سننه كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى (٤٩١/ ٢).

(٤) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٣-١٥٤.

ابن خال عثمان بن عفان، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص[(١)]، وله من العمر خمس وعشرين سنة فأقام بها ست سنين.

- وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي ﷺ، وبناه بالقصة -وهي الكلس[(٢)]- كان يؤتي به من بطن نخل[(٣)] والحجارة المنقوشة، وجعل عمده حجارة مرصعة، وسقفه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب، وابتدأ بناءه في ربيع الأول منها[(٤)].

- وفيها حج بالناس عثمان بن عفان، وضرب له بمنى فسطاطا، وأتم الصلاة عامه هذا، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة، علي، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، حتى قال ابن مسعود: ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان[(٥)].

وقد ناظره عبدالرحمن بن عوف فيما فعله، فروى ابن جرير أنه قال: تأهلت بمكة، فقال له: ولك أهل بالمدينة، وإنك تقيم حيث أهلك بالمدينة. قال: وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر، قال: إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث، فقال: وإن طائفة من أهل اليمن قالوا: إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي، فقال له: قد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل، وكان يصلي هاهنا ركعتين، وكان أبو بكر يصلي هاهنا ركعتين، وكذلك

(١) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٢٦٤،٢٦٦) وعثمان بن أبي العاص كان واليا على البحرين وعمان.
(٢) القصة: بفتح القاف و كسرها - الجص، لغة حجازية، وقيل الحجارة من الجص لسان العرب ٧٦/ ٧).
(٣) نخل: ذكر ياقوت الحموي عدة مواضع بهذا الاسم. منها منزل لبني ثعلبة، ومنزل لبني مرة بن عوف وكلاهما على مرحلتين من المدينة فلعل أحدهما هو المقصود.
(انظر معجم البلدان ٥/ ٢٧٦).
(٤) ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٢٦٧) وتجديد عثمان لبناء مسجد النبي ﷺ وتوسعته أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد (٥٤٠/ ١ من فتح الباري).
(٥) أخرج قول ابن مسعود البخاري في صحيحه، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى (٢/ ٥٦٣ من فتح الباري).

عمر بن الخطاب، وصليت أنت ركعتين صدرا من إمارتك، قال: فسكت عثمان ثم قال: إنما هو رأي رأيته(١).

○ حوادث سنة ثلاثين(٢):

- وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان، الوليد بن عقبة، عن الكوفة، وولي عليها سعيد بن العاص، وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعا ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقال قائل: مازلنا منك منذ اليوم في زيادة. ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شنآن، فشكوه إلى عثمان، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر

(١) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٦٨) من طريق الواقدي وهو متروك. والصواب: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تاول في فعله هذا وهو إمام راشد من أهل الإجتهاد - ولهذا قال عروة كما في صحيح البخاري (٣/ ٥٦٩ هـ من فتح الباري) لما أتمت أم المؤمنين عائشة الصلاة في السفر: تأولت ما تأول عثمان. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/ ٥٧٠) عند شرح قول عروة بن الزبير: أن عائشة تاولت ما تأول عثمان: هذا فيه رد على من زعم أن عثمان إنما أتم لكونه تأمل بمكة، أو لأنه أمير المؤمنين وكل موضع له دار، أو لأنه عزم على الإقامة بمكة، أو لأنه استجد له أرضا بمنى أو لأنه كان يسبق الناس إلى مكة، قال: لأن جميع ذلك منتف في حق عائشة، وأكثره لا دليل عليه، بل هي ظنون ممن قالها ويرد الأول أن النبي ﷺ كان يسافر بزوجاته وقصر، والثاني: أن النبي كان أولى بذلك، والثالث: أن المقام بمكة حرام على المهاجرين، والرابع والخامس: لم ينقلا فلا يكفي التخرص في ذلك،.. ثم قال: والمنقول أن سبب إتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصا بمن كان شاخصا سائرا، وأما من أقام في مكان في أثناء سفره فله حكم المقيم فيتم. والحجة في هذا ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عباد بن عبدالله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجا صلى بنا الظهر ركعتين بمكة، ثم انصرف إلى دار الندوة، فدخل عليه مروان، وعمرو بن عثمان، فقالا: لقد عبت أمر ابن عمك لأنه كان قد أتم الصلاة. قال: وكان عثمان حيث أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء أربعا أربعا، ثم إذا خرج إلى منى وعرفة قصر الصلاة، فإذا فرغ الحج وأقام بمنى أتم الصلاة، ثم ذكر ترجيح ابن بطال و من تبعه لوجه قصر عثمان، وأنه أخذ بالأيسر، ثم تعقبه بقوله: لكن الوجه الذي قبله أولى لتصريح الراوي بالسبب، ثم ذكر رواية الطحاوي عن الزهري قال: إنما صلى عثمان بمني أربعا لأن الأعراب كانوا كثروا ذلك العام فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع اهـ.

قلت: على كل حال فإن عثمان مجتهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فعله هذا وهو أهل للاجتهاد، قال محمد بن سيرين: كان أعلمهم بالمناسك ابن عفان وبعده ابن عمر. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٦٠) وإسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٥- ١٥٦.

أنـه رآه يتقيأها، فأمر عثمان بإحضاره، وأمر بجلـده، فيقال: إن عليا نزع عنه حلته، وأن سـعيد بـن العاص جلده بيـن يدي عثمان بن عفـان[١]. وعزله عثمان وأمـر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص.

– وفي هذه السنة سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في بئر أريس[٢]، وهي على ميلين مـن المدينـة، وهي من أقل الآبار ماء، فلم يدرك خبره بعـد بذل مال جزيل، والاجتهاد في طلبه[٣]، حتى السـاعة، فاستخلف عثمان بعده خاتما من فضة، ونقش عليه: محمد رسول الله فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه[٤].

– وفي هذه السـنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشـام ما وقع، وذلك أن أباذر أنكر على معاويـة بعض الأمور[٥] وكان ينكر على من يقتنـى مالا من الأغنياء ويمنع أن يذر فوق القـوت، ويوجـب أن يتصـدق بالفضـل، ويتأول قـول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة:٣٤] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك، فلا يمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان،

(١) قصة إقامة الحد على الوليد بن عقبة ثابتة في الصحيحين، البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان من حديث علي بن الخيار (٥٣/ ٧، ٨٧، من فتح الباري) و صحيح مسـلم، كتاب الحدود حديث رقم (١٧٠٧) وفيـه أنـه صلى الصبح ركعتين ثـم قال: أزيدكم، وأن الذي جلده هو عبدالله بن جعفـر، بأمر علي، وأنه جلده أربعين. وما في الصحيح أصح، وسياق هذا الخبر عند ابن جرير الطبري (٢٧٦/ ٤) من طريق سيف بن عمر.

(٢) بئر أريس: بفتح الهمزة، وكسـر الراء وسـكون الباء آخر الحروف، وسين مهملة. بئر بقباء مقابل مسجدها كان فيهـا مال لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.. ونسـبت إلى رجل من يهود المدينة يسـمى: أريـس، والأريس في لغة أهل الشام: الفلاح (معجم البلدان ٢٩٨/ ١).

(٣) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٢٨٢).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ٢٨٣).

(٥) أورد ابن جرير الطبري خبر ذلك وقال: وقد يمر في سـبب إشـخاص أبي ذر من الشـام إلى المدينة أمور كثيـرة، كرهـت ذكر أكثرها – أي لما فيها من الغرابة والنكارة – وقال أيضا بعد إيراده بعض أخبار أبي ذر في الربذة من طريق سـيف بن عمر: وأما الأخرون – أي من الرواة – فإنهم رووا لي في سـبب ذلك أشـياء كثيرة وأمورا شنيعة كرهت ذكرها. تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٨٣– ٢٨٦).

فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة، فقدمها، فلامه عثمان على بعض ما صدر منه، واسترجعه فلم يرجع[١]، فأمره بالمقام بالربذة[٢] - وهي شرقي المدينة - ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها[٣].

وقال: إن رسول الله قال لي: إذا سلعا البناء لا فاخرج منها[٤].

وقد بلغ البناء سلعا، فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان، حتى لا يرقد أعربيا بعد هجرته، ففعل فلم يزل مقيما بها حتى مات.

- وفيها زاد عثمان الأذان الأول يوم الجمعة وجعله على الزوراء[٥].

(١) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز (٣/ ٢٧١ من فتح الباري عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر، فقلت له: ما أنزلك هذا، قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾... الآية. قال معاوية: أنزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا و فيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشكوني، فكتب إلى عثمان: أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت. فهذا الحديث واضح الدلالة على أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما غشيه الناس وكثروا عليه استشار عثمان فأشار عليه بالتنحي عن المدينة فاختار هو الربذة.

(٢) الربذة: قرية على ثلاثة أيام من المدينة على طريق الحاج العراقي، بين فيد، وذات عرق. وهي جنوب شرق بلدة الحناكية الواقعة على طريق السيارات اليوم الواصل بين المدينة والقصيم، انظر: معجم البلدان (٢٤/ ٣).

(٣) قلت: هذا هو الصواب وهو الذي دلت عليه النصوص من أقوال التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، منهم الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأشار له الحديث السابق، وكان قد أمره النبي ﷺ بالخروج من المدينة عندما يبلغ البنيان سلعا.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٤٤) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٧٤/ ٣) أخرجه أبويعلي. وسلغ: جبل صغير في المدينة وقد غشاه البنيان من جميع جوانبه.

(٥) الزوراء: مكان مرتفع كالمنارة عند سوق المدينة. (معجم البلدان ٣/ ١٥٦) وهذا الخبر أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة (٣٩٢/ ٢ من فتح الباري).

○ أحوال الناس في عصر عثمان[١]:

قال البخاري في التاريخ: ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل. الأعطيات جارية، والأرزاق دارة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا، ومن لقيه فهو أخوه، وقد كان من نصيحته ومودته ﷺ أنه قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصابرها، فوالله ما وتردوا وما سلموا، والأخرى كان السيف مغمدا عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله مازال مسلولا إلى يوم الناس هذا، وأيم الله إني لأراه سيفا مسلولا إلى يوم القيامة[٢].

○ من سيرته في الرعية[٣]:

مما كان يعتمده عثمان بن عفان، أنه كان يلزم عماله بحضور الموسم كل عام. ويكتب إلى الرعايا: من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليواف إلى الموسم، فإني آخذ له حقه من عامله[٤].

وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاءوا من البلاد، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك، حتى في الغزو، ويقول: إني أخاف أن تروا الدنيا وأن

(١) البداية والنهاية: ٢١٣/ ٧.
(٢) أخرج الطبراني نحوه بإسناد حسن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٩٤).
(٣) البداية والنهاية: ٢١٨/ ٧.
(٤) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٣٤٢) عن طريق سيف بن عمر.

يراكم أبناؤها[١] فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس، وصار لكل واحد أصحـاب، وطمع كل قـوم في تولية صاحبهم الإمارة العامة بعد عثمان، فاسـتعجلوا موته، واسـتطالوا حياتـه، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصـار، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (٤/ ٣٩٧) من طريق سيف بن عمر.

الفصل الرابع:
الفتوحات في عصره

أولا: الفتوحات في المشرق

○ غزوة أذربيجان وأرمينية[١]:

قال ابن جرير: وفي سنة أربع وعشرين غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام عمر بن الخطاب، وهذا في رواية أبي مخنف، وأما في رواية غيره، فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين، وقد سار الوليد بن عقبة بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية، حين نقضوا العهد فوطيء بلادهم، وغنم وسبى وأخذ أموالا جزيلة، فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين، ثمان مائة ألف درهم كل سنة، فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالما غانما إلى الكوفة[٢].

○ فتح الري ثانية سنة أربع وعشرين[٣]:

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعد ما نقضوا العهد الذي كان واثقهم عليه حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤].

○ فتح اصطخر ثانية سنة سبع وعشرين[٥]:

قال الواقدي: وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدي عثمان بن أبي العاص[٦].

(١) البداية والنهاية: ٧/١٤٩.
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٤٦) وعند خليفة بن خياط (١٦٠) أن فتح أذربيجان سنة ثمان وعشرين.
(٣) البداية والنهاية: ٧/١٥٠.
(٤) خليفة بن خياط، التاريخ (١٥٧) والبلاذري فتوح البلدان (٣٩١).
(٥) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٢.
(٦) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/٢٥٧).

○ فتح طبرستان سنة ثلاثين[١]:

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان، في قول الواقدي، وأبي معشر، والمدائني، وقال: هو أول من غزاها. وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها على مال بذله له اصبهبذها، فالله أعلم. فذكر المدائني: أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن، والحسين، والعبادلة الأربعة، وحذيفة بن اليمان، في خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى بلدان شتي يصالحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى بلد في ناحية جرجان، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف فسأل حذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلى كما أخبره، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلا واحدا، وحوى ما كان في الحصن[٢].

○ قتل كسرى يزجرد ملك الفرس سنة إحدى وثلاثين[٣]:

قال ابن إسحاق: هرب يزدجر من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالًا فمنعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه، وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية[٤] على شط المرغاب[٥]، فأوي إليه ليلا، فلما نام قتله[٦].

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٤.
(٢) انظر: تاريخ خليفة (١٦٥-١٦١) وقد أخرج قصة صلاة الخوف وسؤال سعيد بن العاص حذيفة بن اليمان عن كيفية صلاة الخوف بإسناد صحيح. وانظر: ابن جرير، مصدر سابق (٢٦٩/ ٤).
(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٨ - ١٥٩.
(٤) الأرحية: جمع رحى.
(٥) المرغاب: اسم نهر بمرو الشاهجان. (ياقوت، معجم البلدان ١٠٨/ ٤).
(٦) ابن جرير الطبري، المصدر السابق (٤/ ٢٩٣) والبلاذري المصدر السابق (٣٨٧).

وقال المدائني: لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشيا عليه تاجه ومنطقته وسيفه، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية، فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه، وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته، وأخذوا ما كان مع كسرى، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى إصطخر[١].

وكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة، وباقي ذلك هاربا من بلد إلى آخر، خوفا من الإسلام وأهله، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق، قال رسول الله ﷺ: «إذ هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[٢].

وثبت في الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبي ﷺ مزقه كسرى، فدعا عليه النبي أن يمزق ملكه كل ممزق، فوقع الأمر كذلك[٣].

○ فتوحات ابن عامر سنة إحدى وثلاثين[٤]:

وفي هذه السنة فتح عبدالله بن عامر فتوحات كثيرة، كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح، فمن ذلك ما فتح عنوة، ومن ذلك ما فتح صلحا، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي: مرو، على ألفي ألف ومائتي ألف، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتي ألف، وطوس، وأبرشهر، وبيورد، ونسا، وسار حتى بلغ سرخس[٥].

(١) المصدر نفسه (٤/ ٢٩٣) وقد ذكر روايات أخرى في كيفية هروبه ثم قتله انظر: (٤/ ٢٩٤-٣٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦٣٥/ ٦ من فتح الباري) ومسلم في الفتن برقم (٢٩١٩-٢٩١٨).

(٣) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر. (١٢٦/ ٨ من فتح الباري).

(٤) البداية والنهاية: ١٥٩/ ٧.

(٥) انظر تفصيل ذلك في: تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣٠٠-٣٠٣).

○ غزو الباب وبلنجر سنة اثنتين وثلاثين[١]:

وفيها استعمل سعيد بن العاص[٢]، سلمان بن ربيعة الباهلي على جيش وأمره أن يغزو الباب، وكتب إلى عبدالرحمن بن ربيعة[٣] نائب تلك الناحية بمساعدته، فسار سلمان حتى بلغ بلنجر فحصروها ونصب عليها المجانيق والعرادات، ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالا شديدا، وكانت الترك تهاب قتال المسلمين، ويظنون أنهم لا يموتون، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا، فقتل يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النور[٤]- وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين؛ فرقة ذهبت إلى بلاد الخزر، وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي. وأخذت الترك جسد عبدالرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستقون عنده إلى اليوم[٥]، ولما قتل عبدالرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة، فتنازع حبيب وسلمان في الإمرة حتى اختلفا، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام[٦].

○ فتوحات ابن عامر سنة اثنتين وثلاثين[٧]:

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ، والطالقان، والفارياب، والجوزجان، وطخارستان.

فأما مرو الروذ، فبعث إليها ابن عامر، الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرهم إلى حصنهم، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٩ - ١٦٠
(٢) والي الكوفة.
(٣) أخو سلمان الباهلي، وهو أسن منه، انظر ترجمته في الإصابة (٤/ ٣٠٤).
(٤) في الأصل: ذو النون والتصحيح من تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣٠٤) والإصابة لابن حجر.
(٥) أي إلى وقت المصنف في القرن الثامن الهجري وهذ العمل منهم غير مشروع، بل هو من التبرك الممنوع شرعا.
(٦) انظر: تفصيلا أوسع في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣٠٤-٣٠٧).
(٧) البداية والنهاية: ٧/ ١٦٠.

أن يضـرب على أراضي الرعية الخراج، ويدع الأرض التي كان اقتطعها كسـرى لوالد المرزبان، صاحب مرو، فصالحهم الأحنف، وكتب لهم كتاب صلح بذلك[١].

ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم، قتل فيه خلق من شـجعان المسـلمين، ثم نصـروا فقال في ذلك أبو كثير النهشـلي[٢] قصيدة طويلة فيها:

سـقى مزن السـحاب إذا استهلت ... مـصـارع فـتـيـة بـالـجـوزجـان
إلـى القصريـن من رشـتـاق خوط ... أبـــادهـــم هــنــاك الأقــرعـــان

ثم سـار الأحـنـف من مرو الروذ إلى بلـخ فحاصرهم حتى صالحـوه على أربعمائة ألف، واستناب ابن عمه أسيد بن المتشمس على قبض المال، ثم ارتحل يريد الجهاد، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه: ما تشاءون؟ فقالوا: قد قال عمرو بن معد يكرب:

إذا لــم تـسـتـطـع شـيـئـا فـدعـه ... وجـــاوزه إلـــى مـــا تـسـتـطـيـع

فأمـر الأحـنـف بالرحيـل إلـى بلخ فاقام بهـا مدة الشـتاء، ثم عـاد إلى ابـن عامر في نيسابور[٣].

فقيل لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك: فارس، و كرمان، وسجستان وعامة خراسان، فقال: لا جرم، لأجعلن شكرى الله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفي هذا، فأحرم بعمرة من نيسابور[٤] فلما قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسان[٥].

---

(١) انظر: تفصيلا أوسع في المصدر السابق (٤/ ٣١١-٣١٢).
(٢) في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٣١٣) فقال: كثير.
(٣) انظر: المصدر السابق (٤/ ٣١٣) وما بعدها.
(٤) نيسابور: من مدن خراسان.
(٥) لامه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه خالف السنة في الإحرام بالعمرة قبل الميقات بمراحل، وهذا فيه مشقة وتكلف، والسـنة الإحرام بالحج أو العمرة من الميقات ما الذي حدده الشـارع، انظر: الخبر في المصدر السـابق (٤/ ٣١٤).

○ هزيمة قارن في خراسان[١]:

لمـا رجـع ابن عامر مـن الغزو اسـتخلف قيس بن الهيثـم[٢] على خراسـان، فأقبل قـارن في جمـع مـن الترك، أربعيـن ألفا، فالتقـاه عبدالله بن خـازم السـلمي[٣] في أربعة آلاف، وجعـل لهـم مقدمة سـتمائة رجل، وأمـر كلا منهم أن يجعل علـى رأس رمحه نارا، وأقبلوا إليهم في وسـط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم، فناوشـتهم المقدمة، فاشتغلوا بهـم، وأقبل عبدالله بـن خازم بمن معه من المسـلمين فأحاطوا بهم، فولى المشـركون مدبرين، واتبعهم المسـلمون يقتلون من شـاؤوا، وقتل قارن في من قتل، وغنموا سـبيا كثيـرا وأموالا جزيلة، ثم بعث عبـدالله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه وأقره على خراسان، وذلك أنه كان قد احتال على الوالي السابق قيس بن الهيثم السلمي حتى أخرجه من خراسـان، ثم تولى حرب قارن، فلما هزمه وغنم معسـكره، رضي عليه ابن عامر، وأقره على ولاية خراسان[٤].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ٧/١٦١.

(٢) قيـس بن الهيثم السـلمي، له ترجمـه في التاريخ الكبير للبخاري (٧/١٤٥) والذهبي في تجريد أسـماء الصحابة (٢/٢٦) والإصابة لابن حجر (٥/٥٠٨).

(٣) عبدالله بن خازم بن أسماء السلمي، أبو صالح، الأمير المشهور، انظر: ترجمته عند ابن حجر في الإصابة (٤/٦٩).

(٤) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٤/٣١٤-٣١٦).

ثانيا: الفتوحات في الشام والمغرب

○ غزو الروم سنة أربع وعشرين[(١)]:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة جاءت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستمدونه، فكتب إلى الوليد بن عقبة: أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلا أمينا كريما شجاعا في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام. فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيبا حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين، وندب الناس وحثهم على الجهاد، ومعاونة معاوية وأهل الشام، وأمر سلمان بن ربيعة الباهلي على الناس الذين يخرجون إلى الشام، فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم، فغنموا وسبوا شيئا كثيرا وفتحوا حصونا كثيرة[(٢)] ولله الحمد.

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فبعث سعيد بن العاص، سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفا من الروم والترك، وكان حبيب بن مسلمة شجاعا شهما صاحب كيد، فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له: فأين موعدي معك - تعني أين أجتمع بك غدا - فقال لها: موعدك سرادق الموريان أو الجنة، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق[(٣)].

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٠

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٤٧).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٤٨) وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٣/ ٨٤) وقد جعلها في حوادث سنة ٢٥ هـ.

فتح الإسكندرية بعد نقضهم الصلح سنة خمس وعشرين[(١)]:

وفيها نقض أهل الإسكندرية العهد، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم منويل[(٢)] الخصي في مراكب من البحر فطمعوا في النصرة ونقضوا ذمتهم، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحا.

غزو أفريقية سنة سبع وعشرين[(٣)]:

أمر عثمان، عبدالله بن سعد بن أبي سرح، أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحسن إسلامهم، وأخذ عبدالله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، وقسم أربعة أخماس الغنمية بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار[(٤)].

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين[(٥)]:

قصد المسلمون وهم عشرون ألفا إفريقية، وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وفي جيشه عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير. وصمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل في مائتى ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، قال عبدالله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس، فذهبت إلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان،

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٥١.
(٢) في الأصل: معويل والتصويب من فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (٢٣٥) وانظر: تفعيل ذلك عنده.
(٣) البداية والنهاية: ١٥١/ ٧.
(٤) ابن عبد الحكم، المصدر السابق (٢٤٦-٢٤٧) وانظر: ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٥٣)
(٥) البداية والنهاية: ١٥٢-٧.

قال فأمر بهم، فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك، فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته فطعنته برمحي، وذففت عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسبيا عظيما، وذلك ببلد يقال له سبيطلة – على يومين من القيروان – فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وعن أبيه[١].

○ غزو الأندلس سنة سبع وعشرين[٢]:

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبدالله بن نافع بن قيس، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين أن يسيرا من فورهما إلى الأندلس، فيأتيانها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان، والسلام. فساروا فافتتحوها[٣].

○ فتح قبرس سنة ثمان وعشرين[٤]:

ذكر ابن جرير فتح قبرس في هذه السنة تبعا للواقدي[٥] وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر، مخلصة وحدها، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل مما يلي

(١) ابن عبد الحكم المصدر السابق (٢٤٨) وما بعدها بسياق مختلف.

(٢) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٢.

(٣) ذكر ذلك الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٥٥) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه وانظر: الدكتور عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (ص٤٤) وقد استقصى المراجع التي ذكرت ذلك وخاصة الأندلسية، وهذه الغزوة، كانت لاكتشاف جزيرة الأندلس، فدخلوها وغنموا ورجعوا سالمين، ولم تكن فتحا مستقرا، وإنما كانت محاولة مبكرة، ولم تتبعها محاولات أخرى إلا في العصر الأموي، ولعل للأحداث الداخلية في الدولة الإسلامية أثر على تأخر ذلك.

(٤) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٣.

(٥) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٢٥٨) ونقل عن أبي معشر أنها سنة ثلاث وثلاثين. وقال: وقال بعضهم: كانت قبرس سنة سبع وعشرين.

دمشـق، وغربيها أعرضهـا، وفيها فواكه كثيرة، ومعادن، وهي بلـد جيد، وكان فتحها علـى يدي معاويـة بن أبي سـفيان، ركب إليها في جيـش كثيف من المسـلمين ومعه عبـادة بـن الصامت، وزوجته أم حـرام بنت ملحان، التي نام رسـول الله ﷺ في بيتها، ثم اسـتيقظ وهـو يضحك فقالت: ما أضحكك يارسـول الله؟ فقـال: «ناس من أمتي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسـرة. فقالت: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم، ثم نام فاسـتيقظ وهو يضحك، فقال: مثل ذلك، فقالت ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين[(١)]، فكانت في هذه الغزوة وماتت بها.

والمقصـود أن معاوية ركـب البحر في مراكـب فقصد الجزيـرة المعروفة بقبرس ومعه جيش عظيم من المسـلمين، وذلك بأمر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له بعد سـؤاله إيـاه، وقد كان سـأل في ذلك عمر بن الخطـاب، فأبي أن يمكنه من حمل المسـلمين علـى هذا الخلـق العظيم، الذي لـو اضطرب لهلكـوا عن آخرهم، فلمـا كان عثمان ألـح معاوية عليه في ذلك فأذن له، فركـب في المراكب فانتهى إليها، ووافاه عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقا كثيرا وسبوا سبايا كثيرة، وغنموا مالا جزيلا جيدا[(٢)].

ولما جيء بالأسـارى جعل أبو الدرداء يبكي، فقـال له جبير بن نفير: أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة، ثم قال: ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره[(٣)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزو المرأة في البحر (٦/ ٧٦ من فتح الباري).
(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٦١) بسياق مقارب.
(٣) أخـرج قول أبي الدرداء أبو إسـحاق الفزاري في كتابه السـير (١٤٢) بإسـناد صحيح. وكـذا ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٦٢).

ثم صالحهم على سبعة آلاف دينار في كل سنة، وهادنهم، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لأم حرام بغلة لتركبها، فسقطت عنها فاندقت عنقها، فماتت فقبرها هنالك(١).

○ غزوة ذات الصواري سنة إحدى وثلاثين(٢):

في هذه السنة كانت غزوة الصواري في البحر فيما ذكره الواقدي. وقال أبومعشر: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين(٣).

وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي، وسيف، وغيرهما أنه لما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح، من أصاب من الفرنج والبربر، ببلاد إفريقية والأندلس، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام، وخرجوا في خمسمائة مركب، وقصدوا عبدالله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون، وبات المسلمون يقرؤون ويصلون، فلما أصبحوا صف عبدالله بن سعد أصحابه صفوفا في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن، قال بعض من حضر ذلك: فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب، فقلنا لهم: إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الأعجل منا ومنكم، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا: الماء الماء، قال: فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم، وغلب الدم على الماء، وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط، وقتل منهم بشر كثير، ومن الروم أضعاف ذلك، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه.

(١) أشار حديث البخاري إلى وفاتها في قبرص وانظر ترجمتها في الإصابة (١٨٩/٨) وانظر: تاريخ الطبري (٢٦٢/٤).

(٢) البداية والنهاية: ١٥٧/٧.

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٨٨).

وقـد قلوا جدا. وبه جراحات شـديدة مكث حينـا يداوي منها، وأقام عبدالله بن سـعد بذات الصواري أياما، ثم رجع مؤيدا منصورا مظفرا[١].

❍ غزو بلاد الروم سنة اثنتين وثلاثين[٢]:

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ويقال فاختة[٣] بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. قاله أبو معشـر، والواقدي.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (٤/ ٢٩٠) وانظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب (٢٢٥).

(٢) البداية والنهاية: ٧/ ١٥٩.

(٣) في الأصـل فاطمـة والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٣٠٤)، وانظر: جمهرة أنسـاب العرب لابن حزم (١١٦).

الفصل الخامس:
الفتنة ومقتل عثمان

○ **سبب تألب الثائرين على عثمان وولاته**[١]:

ذكر سيف بن عمر[٢]، أن سبب تألب الأحزاب على عثمان، أن رجلا يقال له عبدالله بن سبأ، كان يهوديا فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: نعم! فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالئوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان. وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه، من توليته أقربائه وذوي[٣] رحمه، وعزله كبار الصحابة، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس[٤].

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٦٧-١٦٨.

(٢) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٣٤٠) وما بعدها.

(٣) هذه دعوى من أهل الفتنة يثيرون بها الناس، وقد بلغ عدد الولاة في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرابة أربعين واليا، (راجع الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، للدكتور عبدالعزيز السمري، الفصل الثالث) ولم يكن منهم من أقارب عثمان سوى خمسة فقط، أي بنسبة ١٢,٥ (أما ٨٧,٥) فهم من غير أقاربه، وقد عزل بعض أقاربه من الولاية كما عزل غيرهم.

(٤) ذكر المصنف بعد هذا (٧/ ١٦٨-١٧٠) روايات عن الواقدي، وسيف بن عمر، أعرضت عنها لما فيها من النكارة.

قلت: و أثر عبدالله بن سبأ في إثارة الفتنة أمر بين لا مرية فيه، وقد تواردت النصوص الكثيرة على ذلك وليس هو وحده، وإنما كان من الرؤوس المحركة للفتنة، وهو يعمل في نطاق جماعة وحزب مضاد للشريعة الإسلامية، ويسعى لإفسادها، وفك وحدة الأمة الإسلامية، وهم اليهود والنصارى، والمجوس، والمنافقون، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وسعوا إلى إيقاع الفتنة والعدواة بين المسلمين، ولم =

إخراج جماعة من أهل الكوفة إلى الشام سنة ثلاث وثلاثين[١]:

وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن العاص[٢]،فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام، أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة، فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم.

فلما قدموا، أنزلهم معاوية وأكرمهم، واجتمع بهم، ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدون من اتباع الجماعة، وترك الانفراد والابتعاد فأجابه متكلمهم بكلام فيه بشاعة وشناعة، فاحتملهم معاوية لحلمه، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ والثناء عليه[٣].

ثم بذل لهم النصح مرة أخرى، فإذا هم يتمادون في غيهم، ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم، فعند ذلك أخرجهم ونفاهم عن الشام، لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريش، وكونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه من نصرة الدين، وقمع المفسدين؛ وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب، وكانوا يشتمون عثمان، وسعيد بن العاص[٤].

= ينفرد سيف بن عمر بذكر ابن سبأ وبيان أثره في الأحداث، بل ذكر ذلك عدد من المؤرخين والرواة، انظر مزيدا من التفصيل في بحث الدكتور سليمان العوده، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام (٥٣، ١٠٤)، ومحمد عبدالله الغبان، الفتنة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، القسم التاسع من الملاحق. وخالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووقعة الجمل (٧٥-٨٦)، (٢٢٥-٢٣٠).

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٦٥-١٦٦.

(٢) في الأصل: سعيد بن عامر، وهو تصحيف، وسعيد بن العاص هو والي الكوفة من قبل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أخرج خبر نزاعهم في مجلس الوالي، ابن شبة: تاريخ المدينة (١١٤١/ ٣)، وابن جرير، متصدر سابق (٣١٨/ ٤) من طريقى سيف بن عمر، وفي (٤/ ٣٢٣) من طريق الواقدي.

(٣) ابن جرير، مصدرسابق (٤/ ٣٢٠).

(٤) المصدر نفسه (٣٢٠/ ٤، ٣٢٥)

وكانـوا عشـرة، وقيل تسـعة وهو الأشـبه وهـم: كميل بـن زياد، والأشـتر مالك بن الحارث النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان العبدي، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمـرو بـن الحمـق الخزاعي[١]. فلمـا خرجوا من دمشـق آووا إلى الجزيـرة فاجتمع بهـم عبدالرحمـن بن خالد بن الوليـد، وكان نائبا على الجزيـرة[٢] فهددهم وتوعدهم، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فسـير الأشـتر النخعي إلى عثمان بن عفـان ليعتذر عن أصحابه بين يديه، فقبل عثمان منهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاختـاروا أن يكونوا في معاملـة عبدالرحمن بن خالد بن الوليـد، فقدموا عليه حمص، فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرزق[٣].

ويقـال بل لما مقتهم معاويـة كتب فيهم إلى عثمان، فجاءه كتـاب عثمان أن يردهم إلى سـعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أذلق ألسـنة، وأكثر شرا، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان، فأمره أن يسيرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وأن يلزموا الدروب[٤].

○ تسيير جماعة من أهل البصرة سنة ثلاث وثلاثين[٥]:

وفي هذه السـنة سـير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشـام، وإلى مصر بأسباب مسـوغة لما فعلـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان هـؤلاء ممن يؤلب عليـه ويمالىء الأعـداء في الحط والكلام فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البار الراشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦].

(١) في روايـة الواقـدي عنـد ابـن جرير (٤/ ٣٢٦) سـمي ثمانيـة ولم يذكـر علقمة بن قيـس وجعل مكان صعصعة، أخوه زيد بن صوحان.

(٢) ثم ولي حمص بعد ذلك.

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٢٢، ٣٢٦).

(٤) المـراد: المسـالك والطـرق التـي بين المسـلمين والروم ومـي أمكنة ربـاط للجهاد، والذي أشـار إليه المصنف هو رواية الواقدي (ابن جرير ٤/ ٣٢٥).

(٥) البداية والنهاية: ٧/ ١٦٦.

(٦) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤-٣٢٦).

○ طلب أهل الكوفة عزل واليهم سعيد بن العاص[(١)]:

وفي سنة أربع وثلاثين تكاتب المنحرفون عن عثمان - وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة - وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظرة فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة[(٢)] وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله و يستبدل بهم غيرهم، حتى شق ذلك عليه جدا[(٣)].

○ طريقة مواجهة عثمان للفتنة[(٤)]:

بعث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب، وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وعبدالله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دبر[(٥)] دابته، وحمل فروته، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم، وأشار معاوية

(١) البداية والنهاية: ١٦٦/ ٧- ١٦٧.

(٢) غالب ولاة عثمان من الصحابة، والذين عزلهم من الولاية عدد قليل لأسباب موجبة لذلك، وفي بعضها تحقيق لمطالب أهل المصر الذي هو والي عليه، وقد عزل قبله عمر بن الخطاب، سعد بن أبي وقاص، لما شكاه أهل الكوفة، ثم اعتذر بأنه لم يعزله بسبب عجز أو خيانة، وإنما تحقيقا لمطلب أهل البلد عسى أن يكون في ذلك صلاحهم وقطع حجتهم، ثم أدخله في الشورى والولاية العامة.

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٣٣٢-٣٣٣) من طرق ضعيفة لكن ورد في صحيح مسلم الإشارة إلى منعهم سعيد بن العاص من دخول الكوفة بعد عودته من المدينة يوم الجرعه (٢٢١٩/ ٤) (ح/ ٢٨٩٣).

(٤) البداية والنهاية: ١٦٧/ ٧.

(٥) دبر الدابة: مؤخرتها وقيل هو قرحة تصيب الدواب، وكني بذلك عن اتباع الدواب التي يجاهد عليها ومعالجة ما بها من قروح. (لسان العرب ٢٧٣/ ٤).

بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر، فإنهم أقل وأضعف جندا، وأشار عبدالله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكف به شرهم، ويأمن غائلتهم، ويعطف به قلوبهم إليه[١].

فعنـد ذلك قرر عثمان عماله علـى ما كانوا عليه، وتألف قلوب أولئك بالمال، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو في الثغور، فجمع بين المصالح كلها[٢]. وقد امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سـعيد بن العاص ولبسـوا السلاح وحلفوا لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان، ويولي عليهم أبا موسـى الأشـعري، فكر سـعيد راجعا إلى المدينة وكسر الفتنة، فأعجب ذلك أهل الكوفة، وكتبوا إلى عثمان فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم، وإزالة لشبههم، وقطعا لعللهم[٣].

○ تكملة لطريقة مواجهة عثمان للفتنة[٤]:

مـن خلال النصوص التاريخية في العديد مـن المصادر يتضح أن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد واجه الفتنة بعدد من الأساليب[٥] وهي:

١- جمع أهل الشـورى من الصحابة وشـاورهم فيما يتخذه من أسـاليب لمواجهة شغب الثائرين في بعض الأمصار، ثم عمل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بما أشاروا به عليه.

٢- بعـث رجالا مـن قبله إلى الأمصار للتحقيق في القضايا مثار الشـكوى، فرجعوا ولـم يجدوا أسبابا حقيقية، وإنما هي إثارات لا حقيقة لها في الواقع.

(١) أورد المصنف كلاما منسوبا لعمرو بن العاص، انظره في البداية والنهاية (٧/ ١٦٧) لا أرى أنه يصح لما فيه من الألفاظ المنكرة، ولم يسنده وفي سنده، عند ابن جرير (٤/ ٣٣٣) من لا يعرف.
(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٣٣٥، ٣٤٢).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٣٣٦).
(٤) إضافة ليست في الأصل.
(٥) أشـار إلى بعض هذه الأسـاليب، د. سـليمان بن حمد العودة، في كتابه: عبدالله بن سـبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، الفصل الثالث (١٢٣-١٦٧).

٣- طلب قدوم الولاة عليه في المدينة، ثم ناقشهم عن أسباب الشكاوى، ووجههم إلى الإحسان إلى الناس، وتلافي أي سبب يدعو للإثارة أو الشكوى.

٤- منع الولاة من التنكيل بمثيري الشغب - حبسهم أو قتلهم - عسى أن يكون في المعاملة بالحسنى ما يهدىء من ثورتهم.

٥- إقامة الحجة على الثائرين، وذلك بمناقشتهم والرد على دعاويهم وكشف زيفها في مسجد رسول الله ﷺ وأمام جمع من الصحابة وأهل المدينة، ثم ذكرهم بالله، ونصحهم بلزوم الجماعة واتباع الحق حتى أظهروا التراجع والتوبة.

٦- الاستجابة لبعض مطالبهم في خلع بعض الولاة، وتولية من طلبوا توليته.

وهذه الأساليب كافية في المعالجة وإقامة الحق والعدل، لو كانت الأمور تسير في وضعها الطبيعي، لكن الواقع أن وراء هذه الشكاوى والإثارات أمور خفية، وأحقاد جاهلية، تسعى لإثارة الفتنة بين المسلمين وتفريق وحدتهم، حتى وقع ما أخبر به النبي ﷺ من استشهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله ظلما، وما تبع ذلك من الفتن والتفرق، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

○ قدوم وفد من مصر في رجب سنة خمس وثلاثين[1]:

كان الخوارج من المصريين محصورين من عمرو بن العاص، فجعلوا يعملون عليه، حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم، ويولي عليهم من هو ألين منه، فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمرا عن الحرب وتركه على الصلاة، وولي على الحرب والخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة حتى كان بينهما كلام، فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر - خراجها وحربها وصلاتها - وبعث إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فاقدم إلي، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة.

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٧٠.

وقد اشتغل عبدالله بن سعد بقتال أهل المغرب، وفتح بلاد البربر، وإفريقية، ونشأ بمصر طائفة يؤلبون الناس على حرب عثمان والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مسندا إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد ابن حذيفة، حتى استنفرا نحوا من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، لينكروا على عثمان.

وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين، فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة[١].

ويقال: بل ندب الناس إليهم، فانتدب علي لذلك فبعثه، وخرج معه جماعة من الأشراف، فلقيهم وهم بالجحفة[٢]، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره، فردهم وأنبهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم بالملامة، وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه، وتحتجون عليه به. ويقال: إنه ناظر هم في عثمان، وسألهم ماذا ينقمون عليه، فذكروا أشياء، منها: أنه حمى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولى الأحداث، وأنه أعطى بني أمية أكثر من الناس. فأجاب علي عن ذلك:

أما الحمى، فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر قبله.

(١) تشير رواية ابن أبي داود في كتاب المصاحف (٣٦) أن عثمان أمر عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمقابلة وفد المصريين في الجحفة، لكنها ضعيفة فيها عثمان بن هشام بن دلهم، مجهول. والصحيح أن وفد المصريين لما قرب من المدينة علم أن عثمان خارج المدينة في قرية له، فقدموا عليه فيها، وناظروه وناظرهم حتى عادوا مقتنعين. أخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٥) بإسناد صحيح. انظر: محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان (١٢٣-١٢٥).

(٢) الجحفة: بالضم ثم السكون وفتح الفاء الموحدة، كانت قرية عامرة، وهي ميقات أهل مصر والشام ثم اندثرت، وهي تقع قرب مدينة رابغ على بعد (٢٢) كيلا (انظر معجم البلدان (١١١/ ٢) والمعالم الجغرافية في السيرة، لعاتق بن غيث البلادي ٨٠). وهذه الرواية ضعيفة، كما سبق بيانه في الهامش السابق.

وأمـا المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختـلاف، وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة.

وأما إتمامه الصلاة بمكة، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها[١].

وأمـا توليتـه الأحـداث، فلـم يول إلا رجلا سـويا عـدلا، وقد ولى رسـول الله ﷺ عتاب بن أسـيد على مكة وهو ابن عشـرين سـنة، وولى أسـامة بن زيد بن حارثة، وهو شاب حتى طعن بعض الناس في إمارته.

وأما إيثاره قومه بني أمية، فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس.

ويـروى أنهم بعثـوا طائفة منهم فشـهدوا خطبة عثمان في هذا الشـأن، فلما تمهدت الأعـذار وانزاحت عليهم ولم يبق لهم شـبهة، أشـار جماعة مـن الصحابة على عثمان بتأديبهـم، فصفـح عنهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وردهم إلى قومهم فرجعـوا خائبين من حيث أتوا، ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا وراموا، ورجع علي إلى عثمان، فأخبره برجوعهم عنه، وسماعهم منه[٢].

○ مجيء الأحزاب من مصر وغيرها في شوال سنة خمس وثلاثين[٣]:

تكاتـب أهـل مصر، وأهـل الكوفة، وأهل البصـرة، وتراسـلوا، وزورت كتب على لسـان الصحابة الذيـن بالمدينة، علي، وطلحة، والزبير، وعائشـة، يدعـون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم[٤].

(١) راجع ما سبق بيانه عن سبب إتمامه الصلاة بمنى، في حوادث سنة تسع وعشرين في الفصل الثالث.

(٢) ذكـر المصنـف بعـد هـذا (٧/ ١٧١-١٧٣) كلامـا طويـلا أعرضت عنه لمـا فيه من الألفـاظ المنكرة والشذوذ والمخالفة.

(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) تزويـر الكتب علـى كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحد وسـائلهم في إثارة الناس على الخليفـة، وقد ثبت ذلك بأسـانيد صحيحـة كما في تاريخ خليفـة (١٦٩، ١٧٦)، كما أنهم قد اتخذوا إثارة الشـعب على الولاة في الأمصـار، وتضخيم الأخطاء وإشـاعتها بين الناس أسـلوبا أخر، وكذا إكثار الشـكاوى إلى الخليفة من ولاتهم، وطلب عزلهم وتولية أخرين غيرهم.

ذكر سيف بن عمر التميمي عن محمد، وطلحة، وأبي حارثة، وأبي عثمان، وقاله غيرهم أيضا، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل لهم يقول ستمائة، والمكثر يقول: ألف، وعلى الرفاق عبدالرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني وقتيرة السكوني، وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا - فيما يظهرون للناس حجاجا -، ومعهم ابن السوداء، وكان أصله يهوديا فأظهر الإسلام وأحدث بدعا قولية وفعلية، قبحه الله.

وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضا، وأمراؤهم: زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضا في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وذريح بن عباد العبدي، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة، لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة، كما تواعدوا في كتبهم، في شهر شوال سنة خمس وثلاثين، فنزل طائفة منهم بذي خشب[(١)]، وطائفة بالأعوص[(٢)]، والجمهور بذي المروة[(٣)]، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصادا وعيونا بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاءوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض

(١) خشب: بضم أوله وثانيه، واد على مسيرة ليلة من المدينة (ياقوت، معجم البلدان ٢/ ٣٧٢).

(٢) الأعوص: موضع على أميال من المدينة، ويقع إلى الشمال الشرقي، وفيه مطار المدينة اليوم (ياقوت، المصدر السابق ١/ ٢٢٣ و معجم المعالم الجغرافية ٣١).

(٣) ذو المروة: موضع مشهور بوادي القرى يبعد عن المدينة بثلاث مائة كيلو (ياقوت، المصدر السابق ٥/ ١١٦ والبلادي، المصدر السابق ٢٩٠).

عمالـه، مـا جئنا إلا لذلك، واسـتأذنوا للدخـول، فكل الناس أبـي دخولهم ونهى عنه، فتجاسـروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسـكر عند أحجار الزيت[(١)]، عليه حلة أفواف[(٢)]، معتم بشـقيقة حمراء يمانية، متقلدا السيف، فسـلم عليه المصريون، فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي شـب ملعونون على لسـان محمـد ﷺ، فارجعوا لا صبحكـم الله، قالوا: نعم! وانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتـى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي - وقد أرسـل بنيه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر.

وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة[(٣)].

○ إظهار أهل الأحزاب أنهم راجعون إلى بلدانهم[(٤)]:

لقد رجع كل فريق من أهل الأحزاب إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياما راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فلم يفجأ أهل المدينة إلا التكبيـر في نواحيهـا، وإذا القوم قد زحفوا على المدينـة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمـان بن عفان، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن، فكف الناس ولزموا بيوتهم،

(١) أحجـار الزيت موضع عند سـوق المدينة (الزوراء) اسـتقى عنده النبـي ﷺ وكانت هذه الأحجار بارزة ويضع عليها الزياتون زيتهم، وقد علاها الطريق واندفنت، انظر: السمهودي: وفاء الوفاء (١١٢١/ ٤).

(٢) حلـة أفـواف: هي ضرب مـن الحلال والبرد بيضاء اللون تنسـج مـن القطن رقيقة، قال ابـن الأعرابي: الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة (لسان العرب ٩/ ٢٧٤).

(٣) ذكر ذلك ابن جرير في تاريخ الرسـل والملوك (٤/ ٣٤٨-٣٥٠) من طريق سـيف بن عمر عن شيوخه، وما ورد من لعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لتلك الفئة الخارجة كان اسـتدلالًا منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بحديث رسـول الله ﷺ الـذي أخرجـه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٧ من فتح البـاري) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(٤) البداية والنهاية: ١٧٤-٧.

وأقام الناس على ذلك أياما. هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس، فيصلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم على رجوعهم، حتى قال علي لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا. وكذلك قال طلحة للبصريين، وكذا قال الزبير للكوفيين. فقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننصر أصحابنا. فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا، ونحن نعتزله، يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا[١].

❍ قصة الراكب والكتاب المزور[٢]:

وكان المصريون - فيما ذكروا - لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بريدا يسير، فأخذوه ففتشوه، فإذا معه في إداوة كتابا على لسان عثمان، فيه الأمر بقتل طائفة منهم، وبصلب آخرين، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب وداروا به على الناس، فكلم الناس أمير المؤمنين في ذلك، فقال: بينه علي بذلك، وإلا فوالله لا كتبت، ولا أمليت، ولا دريت بشيء من ذلك، والخاتم قد يزور على الخاتم، فصدقه الصادقون في ذلك، وكذبه الكاذبون[٣].

---

(١) انظر: نحوه عند ابن جرير، مصدر سابق (٣٥٠/ ٤).

(٢) البداية والنهاية: ٧/ ١٧٤-١٧٥.

(٣) أخرج خبر الكتاب المزور خليفة بن خياط في تاريخه (١٦٩) بإسناد رجاله ثقات. والذي يظهر أن الثوار أنفسهم هم الذين زوروا الكتاب، ابن سبأ أو أحد أعوانه، ولا مصلحة لأحد غيرهم في تزويره، لا مروان - الذي اتهم به - ولا غيره. وتزوير الكتب - كما عرفنا - هو أحد وسائلهم في الإثارة ومحاولة إقناع الأخرين بمشروعية مطالبهم.

ويقال: إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح، ويولي محمد بن أبي بكر، فأجابهم إلى ذلك، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر، وآخرين معه، رجعوا، وقد حنقوا عليه حنقا شديدا، وطافوا بالكتاب على الناس، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس.

وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق، عن عمه عبدالرحمن بن يسار، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي[(١)] على جمل لعثمان[(٢)].

وذكر ابن جرير من هذا الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه[(٣)].

قال ابن كثير: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، كما كتبوا من جهة علي، وطلحة، والزبير، إلى الخوارج كتبا مزورة عليهم أنكروها، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضا، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به.

○ عودة الأحزاب وحصار الخليفة في داره[(٤)]:

ذكر سيف بن عمر، أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم فقال في خطبته: يا هؤلاء الغرباء! الله الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السيء إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة[(٥)] فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: إنه في الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى رجل وقال: يانطع، وثار

(١) اسمه عمرو بن سفيان مشهور بكنيته، صحابي، له ترجمة في الإصابة (٤/ ٦٤١).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٣٦٧)، والسند ضعيف لإرساله و عنعنة ابن إسحاق.
(٣) المصدر نفسه، والسند ضعيف، والمتن منكر.
(٤) البداية والنهاية: ٧/ ١٧٦-١٧٧.
(٥) الأنصاري صحابي مشهوره ترجمته في الإصابة (٦/ ٣٣).

القـوم بأجمعهم، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسـجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشيا عليه، فاحتمل وأدخل داره[١]. وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلا في أول الأمر، ثم انقطع بالكلية في آخره، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب. وقد استمر الحصر أكثر من شـهر. وقيـل أربعين يوما، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والذي ذكره ابن جرير أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور، طلحة بن عبيدالله[٢].

وروي عـن الواقـدي أن عليـا صلى بهـم، وصلى أبو أيـوب، وصلى بهم سـهل بن حنيف[٣]، وكان يجمع بهم علي وهو الذي صلى بهم العيد.

○ نصوص في بيان دفاع عثمان عن نفسه بالحجة والبيان[٤]:

قـال الإمام أحمد: حدثنا بهـز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمـر بن جاوان قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسـجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسـجد، قال: فتخللتهـم حتـى قمت عليهم، فـإذا علي بن أبي طالـب، والزبير، وطلحة، وسـعد بن

(١) هذه رواية سيف بن عمر كما أخرجها ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٣٥٣)، ويشهد لها ما أخرجه في موضع آخر (٤/ ٣٦٧) أن جهجاه الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسـرها على ركبته، فرمي في ذلك المكان بأكلة. وإسناده صحيح.

(٢) لم يذكر ابن جرير طلحة بن عبيد الله في من صلى بالناس وعثمان محصور، وإنما اكتفي برواية الواقدي (٤/ ٤٢٣) وهـي التـي ذكرهـا المصنـف، وذكـر في (٤/ ٣٥٤) أن الذي صلـى بالناس أميـر الثائرين الغافقي، وهذه الرواية من طريق سيف بن عمر.

(٣) هذا يخالف ما رواه البخارى، كتاب الصلاة، باب إمامة المفتون والمبتدع، (٢/ ١٨٨ من فتح الباري). من سـؤال عبيدالله بن علي بن الخيار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقت الحصار بقوله: إنك إمام عامة ونزل بك ما تـرى، ويصلـي للناس إمام فتنة ونتحرج، فقال له: الصلاة أحسـن ما يعمل النـاس... الحديث. فلو كان الذي يصلي بهم أحد هؤلاء الصحابة لما سـماه إمام فتنة، فالذي يصلي بهم علة الحصار بعد منع عثمان من الخروج من داره، هو أحد الثوار وسماه في رواية سيف بن عمر، الغافقي بن حرب.

(٤) البداية والنهاية: ٧ ١٧٧-١٧٩.

أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: هاهنا علي؟ قالوا: نعم! قال: هاهنا الزبير؟ قالوا نعم! قال: هاهنا طلحة؟ قالوا: نعم! قال: هاهنا سعد بن أبي وقاص؟ قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له» فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعته، فقال: «اجعله في مسجدنا وأجره لك». قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يبتاع بئر رومة؟» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال: «اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها». قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له؟» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما ولا عقالا؟ قالوا: اللهم نعم! فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف(١). ورواه النسائي من حديث حصين، وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاءة صفراء(٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة، يذكر عن مطر، عن نافع، عن ابن عمر، أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور، فقال: علام تقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمدا فعليه القود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحدا فأقيد نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. ورواه النسائي عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به(٣).

---

(١) المسند (تحقيق أحمد شاكر ١/ ٣٨٠ برقم: ٥١١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سنن النسائي، كتاب الأحباس (٦/ ٢٣٤).

(٣) المسند (١/ ٦٣) وقال أحمد شاكر (٤٥٣) إسناده صحيح، وسنن النسائي باب الحكم في المرتد (٧- ١٠٣)، وكان الإسناد في الأصل هكذا: حدثنا إسحاق بن سليمان بن مسلم أنا سلمة يذكر عن مطرف... وهو تصحيف ظاهر والتصحيح من المسند.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن زيد، ثنا يحيى بن سعيد، عن أبي أمامة بن سـهل بن حنيف، قال: كنت مع عثمان في الدار وهو محصور، قال: وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سـمعنا كلام من على البلاط[١]، قال: فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتفعـا لونه، فقال، إنهم ليتوعدوني بالقتل آنفا. قال: قلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟ فإني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء مسـلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسـلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسـا بغير نفس». فـوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسـلام قط، ولا تمنيـت بدلا بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفا، فبم يقتلونني؟[٢]. وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد، عن يحيى بن سـعيد، حدثني أبو أمامة. زاد النسـائي - وعبدالله بن عامر بن ربيعة قالا: كنا مـع عثمـان، فذكره[٣]. وقال الترمذي: حسـن. وقد رواه حماد بن سـلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو قطن، ثنا يونس - يعني ابن أبي إسـحاق - عن أبيه، عن أبي سـلمة بن عبدالرحمن. قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسكن حراء ليس عليـك إلا نبـي أو صديق أو شـهيد، وأنا معه»، فانتشـد له رجال. ثم قال: أنشـد الله من شـهد رسـول الله يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشـركين إلى أهـل مكة فقال: «هذه يدي وهذه يد عثمان. فبايع لي»، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله قال: «من يوسـع لنا بهذا البيت في المسـجد ببيت له في الجنة». فابتعته من مالي فوسعت به المسـجد، فانتشـد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رسـول الله يوم جيش العسرة قال: من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشـد له رجال. ثم

(١) البلاط: ساحة بين المسجد النبوي ودار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) المسند (٦٥/ ١) وقال أحمد شاكر (٤٦٨) إسناده صحيح
(٣) سنن النسائي، باب ما يحل به دم المسلم، (٩٢/ ٧).

قال: أنشد الله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل قال: فانتشد له رجال[١]. ورواه النسائي عن عمران بن بكار، عن خطاب بن عثمان، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن جده أبي إسحاق السبيعي، به[٢].

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسماعيل، ثنا قيس، عن أبي سهلة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي»، قلت: أبوبكر؟ قال: «لا» قلت: عمر؟ قال: «لا». قلت: ابن عمك علي؟ قال: «لا». قلت: عثمان؟ قال: نعم. فلما جاء قال: تنحي فجعل يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا وإني صابر نفسي عليه. تفرد به أحمد[٣].

وقال محمد بن عائد الدمشقي: حدثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبدالله بن لهيعة، عن يزيد بن عمرو، أنه سمع أبا ثور الفهمي يقول: قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟ فقلت: رأيت في وجوههم الشر، وعليهم ابن عديس البلوي، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرت، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته، ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيمني منذ بايعت بها رسول الله له ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ،

(١) المسند (١/ ٥٩)، وقال أحمد شاكر (٤٢٠) إسناده صحيح.
(٢) سنن النسائي، كتاب الأحباس (٦/٢٣٦).
(٣) المسند (٦/ ٥٢)، وقال أحمد شاكر صحيح الإسناد (ح/ ٤٠٧) وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة، (ح/ ١١٣) من حديث قيس بن أبي حازم عن عائشة به، وقال في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن (٥٤٠)، (ح/ ٢٢٨٧) من حديث قيس عن عائشة. وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٦٦) من حديث قيس بن أبي حازم عن أبي سهلة مرسلا.

ولا أتت علي جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية[١].

ورواه. يعقوب بن سفيان[٢] عن يحيى بن عبدالله بن بكير عن ابن لهيعة، قال: لقد اختبأت عند ربي عشرا، فذكرهن.

قال ابن كثير: وقد كان هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة، ظلمة مفترون، ولهذا صمموا على حصره والتضييق عليه بعد ما خاطبهم بهذا الخطاب الذي يوضح فيه مناقبه وأنه لا يستحق ما فعلوا معه، حتى منعوه الميرة والماء، والخروج إلى المسجد، وتهددوه بالقتل، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده.

○ موقف عثمان بعد اشتداد الحصار[٣]:

كان الحصار مستمرا من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر[٤] من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك بيوم، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائة - فيهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، والحسن والحسين، ومروان، وأبو هريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله، وكان عنده من

(١) فيه ابن لهيعة مختلف في توثيقه قال ابن حجر في التقريب (٣١٩) صدوق اختلط، يزيد بن عمرو المعافري، صدوق (التقريب ٦٠٤) وأبو ثور الفهمي - وليس القيمي كما ورد في الأصل - ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/٣٥١)، وقال: مصري سمع النبي ﷺ، وقال أبوزرعه: له صحبة، وذكره يعقوب بن سفيان في ثقات التابعين من أهل مصر (المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٨٧).

(٢) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٨٨) وقد تصحف في طبعة البداية والنهاية، يحيى بن بن عبدالله بن بكير، إلى عبدالله بن أبي بكر.

(٣) البداية والنهاية: ٧/ ١٨١-١٨٣.

(٤) هذا قول جمهور المؤرخين، ولكن الذي صح إسنادا ووافق فلكيا، هو أنه قتل يوم الجمعة الثاني عشر من ذي الحجة، الطبقات الكبرى (٣/٧٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٣٠) و مسند أحمد (٢/١٠) تحقيق أحمد شاكر وصححه، وانظر مزيدا من الأقوال الأخرى في فتنة مقتل عثمان، د/ محمد عبدالله الغبان (١٨٩ وما بعدها).

أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير، وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر[١]. فبرد القتال من داخل، وحمى من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده، وشوقا إلى رسول الله ﷺ، وليكون خير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة:٢٩]وكان آخر من خرج من عند عثمان من الدار، بعد أن عزم عليهم في الخروج، الحسن بن علي، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبدالله بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢].

وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار ويوم نجدة الحروري[٣].

قال أبو جعفر الرازي[٤]، عن أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: ياعثمان افطر عندنا فأصبح صائما، وقتل من يومه[٥] وقال سيف بن عمر، عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم،

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٧٠-٧١) بأسانيد صحيحه.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣/٧٠) بإسناد صحيح.

(٣) نجدة بن عامر الحنفي من رؤوس الخوارج الحرورية، خرج باليمامة بعد موت يزيد بن معاوية، وقدم على ابن الزبير مكة، وقد وقف بأصحابه يوم عرفة منفردا، وقد خاف الناس من وقوع فتنة وقتال في الحج ولكن الله يسلم (تاريخ الطبري ١٣٩-٦/١٣٨)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٢٦٠)، ولسان الميزان (٦/١٤٨) وانظر النص في نسب قريش للزبيري (١٠٢).

(٤) في الأصل «الدراي» والتصحيح من مصادر تخريج النص.

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٥٤) من هذا الطريق والحاكم في المستدرك (٣/١٠٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١١/٣٥٣ خط).

قلت: لهذا الأثر شواهد أخرى تقويه، منها حديث كثير بن الصلت، أخرجه اللالكائي في المصدر السابق (٧/١٣٥٥) وابن سعد في الطبقات (٣/٧٥)، وانظر المسند (١/ ٧٢-٧٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٩٦)، وانظر محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان (١٦٩).

عن رجل، قال: دخل عليه كثير بن الصلت فقال: يا أمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فإنك إن فعلت ارتدعوا. فضحك وقال: يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعنده أبوبكر وعمر، فقال: ارجع فإنك مفطر عندي غدا. ثم قال عثمان: ولن تغيب الشمس والله غدا - أو كذا وكذا - إلا وأنا من أهل الآخرة[(١)].

وقال موسى بن عقبة: حدثني أبوعلقمة - مولى لعبدالرحمن بن عوف - حدثني ابن الصلت قال: أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم. قال: قلنا أصلحك الله، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال إنك شاهد معنا الجمعة[(٢)].

وقال أبويعلي الموصلي، وعبدالله بن الإمام أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا يونس بن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن مسلم أبي سعيد، مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكا، ودعا بسراويل نشدها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأبابكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه[(٣)].

قال ابن كثير: إنما لبس السراويل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل فإنه كان شديد الحياء، كانت تستحي منه ملائكة السماء، كما نطق بذلك النبي ﷺ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله عَزَّوَجَلَّ، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا.

---

(١) خبر كثير بن الصلت أخرجه ابن عساكر (٣٥٣/ ١١) من هذا الطريق، وأخرجه ابن سعد، في الطبقات الكبرى (٧٥/ ٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٣٥٥/ ٧) من غير هذا الطريق.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (٣٥٢/ ١١ خط).

(٣) مسند أحمد (٥٢٦) وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.

○ مدة الحصار وتاريخ قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]:

كانت مدة حصار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في داره أربعين يوما على المشهور، وقيل كانت بضعا وأربعين يوما.

وقال الشعبي: كانت ثنتين وعشرين ليلة[٢]. ثم كان قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الجمعة بلا خلاف[٣] قال سيف بن عمر عن مشايخه: في آخر ساعة منها[٤]، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون[٥].

وقال آخرون: ضحوة نهارها، وهذا أشبه، وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة - على المشهور - سنة خمس وثلاثين[٦] وموضع قبره بلا خلاف في حش كوكب[٧] شرقي البقيع.

وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان، وأزال الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله.

قال ابن عبدالبر: دفنوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحش كوكب، وكان قد اشتراه وزاده في البقيع[٨].

---

(١) البداية والنهاية:٧/ ١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٤١٦).

(٣) الذي ذكره المصنف هو قول الجمهور، وذكر ابن عساكر قولين آخرين عن ابن إسحاق، يوم الاثنين، ويوم الأربعاء وقول الجمهور هو الراجح (انظر محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان ١٩٥).

(٤) ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٤١٦).

(٥) الزبيرى، نسب قريش (١٠١).

(٦) ابن جرير، مصدر سابق (٤/ ٤١٦)، ورواه عن الشعبي، وأخرين، وهذا هو الراجح في ساعة مقتله أما تاريخه من الشهر فالراجح أنه يوم ١٢/ ١٢ / ٣٥هـ كما سبق بيانه.

(٧) الحش: البستان، و كوكب، رجل من الأنصار، اشترى منه عثمان هذا الحش وزاده في البقيع، فنسب إليه. قاله ابن عبدالبر (الاستيعاب ٣/ ١٠٤٨) وانظر: الإصابة.(٦٢٦/ ٥).

(٨) الاستيعاب (٣/ ١٠٤٨).

○ **صفة قتله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]:

لقد عزم عثمان على الناس أن ينصرفوا إلى بيوتهم فانصرفوا، فلم يبق عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجدران، وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه. وكان سريع القراءة - فقرأها، والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل الحريق إلي بيت المال، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس و بين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران:١٧٣] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له: الموت الأسود، فخنقه خنقا شديدا حتى غشي عليه، وجعلت نفسه تتردد في حلقه، فتركه وهو يظن أنه قد قتله.

ودخل ابن أبي بكر، فمسك بلحيته ثم ندم وخرج.

ثم دخل عليه آخر، ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها، فقيل: إنه أبانها، وقيل: بل قطعها ولم يبنها، إلا أن عثمان قال: والله إنها أول يد كتبت المفصل[٢].

ثم جاء آخر شاهرا سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها، وتقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ويقال: إنه سودان بن حمران، فجاء غلام لعثمان فضرب سودان فقتله، فضرب الغلام رجل يقال له قتيرة فقتله.

ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه، وذلك أنه نادى مناد منهم: أيحل لنا دمه ولا يحل لنا ماله؟ فانتهبوه، ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله، وجعلوا لا يمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له: كلثوم التجيبي، ملاءة نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وقتل الغلام أيضا.

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٨٤-١٨٦، ١٨٩-١٨٨

(٢) أخرج هذا المقطع خليفة في تاريخه (١٧٤) بإسناد صحيح.

ثـم تنـادى القوم: أن ادركوا بيت المال لا تسـبقوا إليه، فسـمعهم حفظة بيت المال فقالـوا: ياقوم النجاء النجاء، فإن القوم إنما يحاولـون الدنيا، فانهزموا، وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال، وكان فيه شيء كثير جدا(١).

قال خليفة بن خياط: حدثنا ابن علية، نا ابن عون، عن الحسـن، قال أنبأني وثاب(٢)، قال: بعثني عثمان فدعوت له الأشتر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بـد، قال: مـا هن؟ قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك. قال: ما من إحداهن بد؟ قال: لا، ما من إحداهن بد.

فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سـربالا سـربلنيه الله، وأما أن أقتص لهـم من نفسـي، فوالله لئن قتلتموني لا تتحابون بعـدي، ولا تصلون بعدي جميعا، ولا تقاتلون بعدي جميعا عدوا أبدا(٣).

قـال: وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ثـم رجع. وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشـر رجلا، فأخذ بلحيته فمال بها حتى سـمعت وقع أضراسـه، فقـال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك، قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي قال: فأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه - يعني أشار إليه. فقام إليه بمشقص فوجأ به رأسه. قلت: ثم مه؟ قال: ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه(٤).

وروى ابن عساكر، عن ابن عون، أن كنانة بن بشر ضرب جبينه و مقدم رأسه بعمود

---

(١) هـذا السـياق ذكره ابن جريـر (٤/ ٣٨٩ - ٣٩١) باختلاف يسـير، وقـد لخصه الحافظ ابـن كثير وانظر نصوصا بهذا المعنى ساقها ابن عساكر في تاريخه (١١/ ٣٦٢-٣٦٨خط).

(٢) وثاب مولى عثمان، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٤٨)، وقال روى عنه الحسن البصري، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

(٣) تاريخ خليفة (١٧٠).

(٤) تاريخ خليفة (١٤٧) بالإسناد السابق، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٧٢).

حديد فخر لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجنبه فقتله، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن فلله، وست لما كان في صدري عليه[١].

وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[٢] (سورة البقرة) ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة حين دخلوا عليه، وليس ببعيد، فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

○ أثر مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣]:

ولما وقع هذا الأمر العظيم، الفظيع الشنيع، أسقط في أيدي الناس، فأعظموه جدا، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج على ما صنعوا، أشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز، من الذين عبدوا العجل، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف:١٤٩].

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم ترحم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال: تبا لهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩، ٥٠].

وبلغ عليا قتله فترحم عليه، وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر:١٦].

---

(١) تاريخ دمشق (٣٦٥/ ١١) من طريق الواقدي، وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٧٤).
(٢) انظر تاريخ خليفة (١٧٥) فقد أخرج ذلك من طريقين، أحدها إسناده صحيح.
(٣) البداية والنهاية: ١٨٩/ ٧.

ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤]، ثم قال سعد: اللهم أندمهم ثم خذهم(١).

وقد أقسم بعض السلف بالله، أنه ما مات أحد منهم حتى جن(٢).

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه: منها دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح(٣).

○ من أقوال الصحابة والتابعين في مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤):

روى الحافظ ابن عساكر من طريق شبابة بن سوار، عن حفص بن مروان الباهلي، عن حجاج بن أبي عثمان الصواف، عن زيد بن وهب، عن حذيفة. قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره(٥).

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره: أنا محمد بن سعد، أنا عمرو بن عاصم الكلابي، ثنا أبو الأشهب، حدثني عوف، عن محمد بن سيرين، أن حذيفة بن اليمان قال: اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيرا فليس لي فيه نصيب، وإن كان قتله شرا فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيرا ليحلبنه لبنا، وإن كان قتله شرا ليمتصن به دما(٦) وقد ذكره البخاري في صحيحه(٧).

(١) انظر هذه الأقوال في تاريخ ابن جرير (٤/ ٣٩٢) من رواية سيف بن عمر عن شيوخه.
(٢) الآجري: كتاب الشريعة (٤/ ١٩٩٧).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص (٥-٦٤٩).
(٤) البداية والنهاية: ٧/ ١٩٢-١٩٦.
(٥) تاريخ دمشق (١١/ ٣٨٧ خط) وتصحفت الأسماء في السند هكذا، من طريق سياه عن حفص بن مورق عن حجاج بن أبي عمار، والتصحيح من تاريخ دمشق.
(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ٨٣).
(٧) هكذا قال المصنف، ولم أقف عليه في صحيح البخاري.

وقال الحسن بن عرفة: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي موسى الأشعري، قال: لو كان قتل عثمان هدى لا حتلبت به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما[١]. وهذا منقطع.

وقال محمد بن سعد: أنا عارم بن الفضل، أنا الصعق بن حزن، ثنا قتادة، عن زهدم الجرمي. قال: خطب ابن عباس فقال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء[٢]. وقد روي من غير هذا الوجه عنه[٣].

وقال الأعمش وغيره: عن ثابت بن عبيد، عن أبي جعفر الأنصاري، قال: لما قتل عثمان جئت عليا وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء، فقلت له: قتل عثمان، فقال: تبا لهم آخر الدهر. وفي رواية: خيبة لهم[٤].

وقال أبو القاسم البغوي: أنبأنا على بن الجعد، أنا شريك، عن عبدالله بن عيسى، عن ابن أبي ليلى، قال: سمعت عليا وهو بباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعا صوته يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان[٥].

وقال أبو هلال، عن قتادة، عن الحسن، قال: قتل عثمان وعلي غائب في أرض له، فلما بلغه قال: اللهم إني لم أرض ولم أمالئ[٦].

وقال الثوري، وغيره: عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قال علي يوم قتل عثمان: والله ما قتلت، ولا أمرت، ولكني غلبت[٧].

وقد روي من غير وجه عن علي بنحوه.

---

(١) جزء الحسن بن عرفة (٤٥) (ح/ ٧). والانقطاع بين قتادة و أبي موسى.
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٨٠).
(٣) المصدر نفسه.
(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق (١١/٣٨٨ خط).
(٥) المصدر نفسه (١١/٣٨٨ خط) وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٨٢).
(٦) المصدر نفسه (١١/٣٩٠ خط) من طرق كثيرة.
(٧) المصدر نفسه (١١/٣٨٩ خط). وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٨٢).

وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالأ، ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه. ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[1].

وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر] وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة المائدة). وفي رواية أنه قال: كان عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خيرنا وأوصلنا للرحم، وأشدنا حياء، وأحسننا طهورا، وأتقانا للرب عَزَّوَجَلَّ[2].

وروى يعقوب بن سفيان، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن مجالد، عن عمير بن روذي أبي كثيرة، قال: خطب علي فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال: إن مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة: أحمر، وأبيض، وأسود، ومعهم في أجمة أسد، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخرون، فقال للأسود والأحمر: إن هذا الأبيض قد فضحنا في هذه الأجمة فخليا عنه حتى آكله، فخليا عنه فأكله. ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر، فقال للأحمر: إن هذا الأسود قد فضحنا في هذه الأجمة، وإن لوني على لونك فلو خليت عنه أكلته فخلى عنه الأحمر فأكله ثم قال للأحمر: إني آكلك، فقال: دعني حتى أصيح ثلاث صيحات فقال: دونك، فقال: ألا إني إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ثلاثا. ثم قال علي: وإنما أنا وهنت يوم قتل عثمان، قالها ثلاثا[3].

وقال محمد بن سعد، أنا عبدالله بن إدريس، أنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن

---

(١) انظر هذه الطرق في تاريخ دمشق (٣٨٧/ ١١ ٣٩٤) (نسخة المكتبة الظاهرية).

(٢) المصدر نفسه (٣٩٥/ ١١ ٣٩٧).

(٣) المعرفة والتاريخ (١١٨/ ٣) باختلاف يسير، و عمير بن روذي أبو كثيرة، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٧٦/ ٦) وقال: روى عن علي وروى عنه مجالد بن سعيد. وانظر تاريخ دمشق (٤٠٠/ ١١).

أبـي حازم، عن سـعيد بـن زيد بن عمرو بـن نفيل، قال: لقـد رأيتنـي وأن عمر موثقي وأخته على الإسلام، ولو ارفض أحد فيما صنعتم بابن عفان لكان حقيقا. وهكذا رواه البخاري في صحيحه[(١)].

وروى محمد بـن عائـذ، عـن إسـماعيل بن عيـاش، عن صفـوان بن عمـرو، عن عبدالرحمـن بن جبير، قال: سـمع عبدالله بن سـلام رجلا يقول لآخـر: قتل عثمان بن عفـان فلم ينتطح فيـه عنزان. فقال ابن سـلام: أجل! إن البقر والمعـز لا تنتطح في قتل الخليفـة، ولكـن ينتطح فيه الرجال بالسـلاح، والله ليقتلن به أقوامـا إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد[(٢)].

وقال محمد بن سيرين: قالت عائشة: مصتموه موص الإناء ثم قتلتموه[(٣)].

وقال خليفة بن خياط: ثنا أبو قتيبة، ثنا يونس بن أبي إسحاق، عن عون بن عبدالله بن عتبـة. قـال: قالت عائشـة: غضبت لكم من السـوط ولا أغضب لعثمان من السـيف؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصفى قتلتموه[(٤)].

وقـال أبو معاوية: عن الأعمش، عن خيثمة، عن مسـروق، قال: قالت عائشـة حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس. ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والـذي آمـن بـه المؤمنون وكفر بـه الكافرون؛ مـا كتبت لهم سـوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[(٥)].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٧٩) وصحيح البخاري، كتاب المناقب باب إسـلام سـعيد بن زيد (٧/ ١٧٦ من فتح الباري).

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق (١١/ ٤٠٤).

(٣) تاريخ خليفة (١٧٦) والطبقات الكبرى (٣/ ٨٢). بإسـنادين صحيحين ومعنى مصتموه: أي غسلتموه غسل الإناء.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٨٢).

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[١]. وهذا إسناد صحيح إليها.

وفي هـذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله، زوروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان، كما قدمنا بيانه.

وكلام أئمة التابعين في هـذا المعنى كثير جدا يطول ذكرنا له، فمن ذلك: قول أبي مسلم الخولاني[٢] حين رأى الوفد الذين قدموا من قبله: أما مررتم ببلاد ثمود؟ قالوا: نعم. قال: فأشهد أنكم مثلهم، لخليفة الله أكرم عليه من ناقتة[٣].

قال ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: لو كان قتل عثمان هدى لا حتلبت به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما[٤].

وقال أبو جعفر الباقر: كان قتل عثمان على غير وجه الحق[٥].

وقد أحسن بعض السلف إذ يقول، وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة، مخذول من خذله منصور من نصره.

وقال شيخنا أبو عبدالله الذهبي في آخر ترجمة عثمان: الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنغص عيشهم، وكان الملك بعده في نائبة معاوية وبنيه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير.

---

(١) المصدر نفسه بإسناد رجاله ثقات وانظر: تاريخ خليفة (١٧٦).

(٢) أبو مسلم الخولاني، من سادة التابعين الزهاد، له ترجمة حافلة في سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٤)، وكان قد سكن الشام.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٤٠٩/ ١١).

(٤) المصدر نفسه (٤٠٩/ ١١).

(٥) المصدر نفسه (٤١٠/ ١١).

بعض ما رثى به من الشعر[(١)]:

قال مجالد عن الشعبي: ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك:

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ... العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار النعام الجوافل[(٢)]

وقال حسان بن ثابت:

ماذا أردتم من أخي الدين باركت ... يد الله في ذاك الأديم المقدد
قتلتم ولي الله في جوف داره ... وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فهلا رعيتم ذمة الله بينكم ... وأوفيتم بالعهد عهد محمد
ألم يك فيكم ذا بلاء مصدق ... وأوفاكم عهدا لدي كل مشهد
فلا ظفرت أيمان قوم تبايعوا ... على قتل عثمان الرشيد المسدد[(٣)]

○ تفسير موقف الصحابة في ترك قتال الثائرين على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]:

إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ فجوابه من وجوه:

أحدها: أن كثيرا منهم، بل أكثرهم أو كلهم، لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، أو يقتلوه. فكانوا يرجون أن يلم إلى الناس مروان، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة.

(١) البداية والنهاية: ٧/١٩٦.
(٢) ابن عساكر، المصدر السابق (١١/٤٣٣).
(٣) المصدر نفسه (١١/٤٣١).
(٤) البداية والنهاية: ٧/١٩٧-١٩٨.

وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع، ولا أن هؤلاء يجترؤن عليه إلى ما هذا حده، حتى وقع ما وقع.

الثاني: أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع التضييق الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم. ففعلوا، فتمكن أولئك مما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية.

الثالث: أن هؤلاء الخوارج اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، فانتهزوا فرصتهم قبحهم الله، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

الرابع: أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة، لأن الناس كانوا في الثغور، وفي الأقاليم في كل جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجون عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فما فجيء الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى قتلوه.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل كلهم كرهه، ومقته، وسب من فعله.

❁ ❁ ❁

الملاحـق

الملحق الأول: من كتاب الشريعة.

للإمام أبي بكر الآجري (ت ٣٦٠هـ)

الملحق الثاني: من رسالة ماجستير

مقدمة إلى الجامعة الإسلامية، شعبة التاريخ والسيرة

من الباحث/ محمد بن عبدالله الغبان

بعنوان: فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الملحق الأول

من كتاب الشريعة للإمام أبي بكر الأجرى (ت: ٣٦٠هـ)[١]

○ سبب قتل عثمان، ما السبب الذي قتل به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: قد ذكرت عن النبي ﷺ أنه ذكر فتنة تكون من بعده ثم قال في عثمان: فاتبعوا هذا وأصحابه، فإنهم يومئذ على هدى، فأخبرنا عن أصحابه من هم؟

قيل له: أصحابه، أصحاب رسول الله ﷺ المشهود لهم بالجنة، المذكور نعتهم في التوراة والإنجيل، الذين من أحبهم سعد، ومن أبغضهم شقي.

فإن قال قائل: فاذكرهم؟

قيل له: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسائر الصحابة في وقتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم كانوا على هدى، كما قال النبي ﷺ وكلهم أنكر قتله، وكلهم استعظم ما جرى على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهدوا على قتلته أنهم في النار.

فإن قال قائل: فمن الذي قتله؟

ما قيل له: طوائف أشقاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بقتله حسدا منهم له، وبغيا، وأرادوا الفتنة، وأن يوقعوا الضغائن بين أمة محمد ﷺ لما سبق عليهم من الشقوة في الدنيا، وما لهم في الآخرة أعظم.

فإن قال: فمن أين اجتمعوا على قتله؟

قيل له: أول ذلك وبدو شأنه أن بعض اليهود يقال له: ابن السوداء ويعرف بعبدالله بن سبأ، لعنة الله عليه، زعم أنه أسلم فأقام بالمدينة فحمله الحسد للنبي ﷺ

(١) الجزء الرابع (١٩٧٨، ١٩٨٣)، تحقيق د- عبدالله بن عمر الدميجي.

ولصحابته وللإسلام، فانغمس في المسلمين كما انغمس ملك اليهود بولس بن شاؤل في النصاري حتى أضلهم وفرقهم فرقا، وصاروا أحزابا، فلما تمكن فيهم البلاء والكفر تركهم، وقصته تطول، ثم عادوا إلى التهود بعد ذلك.

فهكذا عبدالله بن سبأ أظهر الإسلام، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار له أصحاب في الأمصار، ثم أظهر الطعن على الأمراء، ثم أظهر الطعن على عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثم طعن على أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثم أظهر أنه يتولى عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد أعاذ الله الكريم علي بن أبي طالب وولده وذريته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من مذهب ابن سبأ وأصحابه السبائية.

فلما تمكنت الفتنة والضلال في ابن سبأ وأصحابه صار إلى الكوفة فصار له بها أصحاب، ثم ورد إلى البصرة فصار له بها أصحاب، ثم ورد إلى مصر فصار له بها أصحاب، كلهم أهل ضلالة، ثم تواعدو الوقت وتكاتبوا ليجتمعوا في موضع، ثم يصيروا كلهم إلى المدينة، ليفتنوا المدينة وأهلها ففعلوا، ثم ساروا إلى المدينة فقتلوا عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومع ذلك فأهل المدينة لا يعلمون حتى وردوا عليهم.

فإن قال قائل: فلم لم يقاتل عنه أصحاب رسول الله ﷺ؟

قيل له: إن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصحابته لم يعلموا حتى فاجأهم الأمر، ولم يكن بالمدينة جيش قد أعد للحرب، فلما فاجأهم ذلك اجتهدوا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في نصرته والذب عنه، فما أطاقوا ذلك، وقد عرضوا أنفسهم على نصرته ولو تلفت أنفسهم فأبى عليهم، وقال: أنتم في حل من بيعتي، وفي حرج من نصرتي، وإني لأرجو أن ألقى الله عَزَّوَجَلَّ سالما مظلوما.

وقد خاطب علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وكثير من الصحابة هؤلاء القوم بمخاطبة شديدة، وغلظوا له في القول، فلما أحسوا أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أنكروا عليهم أظهرت كل فرقة منهم أنهم يتولون الصحابة، فلزمت فرقة منهم

باب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزعمت أنها تتولاه، وقد برأه الله عَزَّوَجَلَّ منهم، ومنعوه الخروج، ولزمت فرقة منهم باب طلحة، وزعموا أنهم يتولونه وقد برأه الله عَزَّوَجَلَّ منهم، ولزمت فرقة منهم باب الزبير، وزعموا أنهم يتولونه، وقد برأه الله عَزَّوَجَلَّ منهم، وإنما أرادوا أن يشغلوا الصحابة عن الانتصار لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولبسوا على أهل المدينة أمرهم للمقدور الذي قدره الله عَزَّوَجَلَّ أن عثمان يقتل مظلوما، فورد على الصحابة أمر لا طاقة لهم به، ومع ذلك فقد عرضوا أنفسهم على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليأذن لهم بنصرته، مع قلة عددهم، فأبي عليهم، ولو أذن لهم لقاتلوا.

١٤٥٧)[١] حدثنا العباس بن أحمد الختلي المعروف بابن أبي شحمة، قال: حدثنا دهثم بن الفضل أبو سعيد الرملي، قال: حدثنا المؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، وهشام، عن محمد بن سيرين، قال: لقد كان في الدار جماعة من المهاجرين والأنصار وأبناؤهم منهم عبدالله بن عمر، والحسن والحسين، وعبدالله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، الرجل منهم خير من كذا وكذا، يقولون: يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين هؤلاء القوم، فقال: أعزم على كل رجل منكم، وإن لي عليه حقا أن لا يهريق في دما، وأحرج على كل رجل منكم لما كفاني اليوم نفسه.

فإن قال قائل: فقد علموا أنه مظلوم، وقد أشرف على القتل، فكان ينبغي لهم أن يقاتلوا عنه، وإن كان قد منعهم.

---

(١) إسناده: فيه ضعف.

● فيه دهثم بن الفضل أبو سعيد الرملي. ذكره الخطيب في تاريخه (٨/ ٣٨٦)، وساق عنه أثرا غريبا، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

● وفيه المؤمل بن إسماعيل: صدوق. سيىء الحفظ. تقدم في (ح/ ١٩٢). وبقية رجاله ثقات.

تخريجه: أورده البلاذري في أنساب الأشراف (٥/ ٧٣)، وذكره خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٤).

وأخرج ابن سعد في الطبقات (٣/ ٧١)، والخلال في السنة (ح/ ٤٣٢)، (٣٣٣)، من حديث ابن عون عن ابن سيرين، قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم: ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير.

قيل له: ما أحسنت القول، لأنك تكلمت بغير تمييز.

فإن قال: ولم؟

قيل: لأن القوم كانوا أصحاب طاعة، وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل، فقد فعلوا ما يجب عليهم من الإنكار بقلوبهم وألسنتهم، وعرضوا أنفسهم لنصرته على حسب طاقتهم، فلما منعهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نصرته علموا أن الواجب عليهم السمع والطاعة له، وأنهم إن خالفوه لم يسعهم ذلك، وكان الحق عندهم في ما رآه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن قال: فلم منعهم عثمان من نصرته وهو مظلوم، وقد علم أن قتالهم عنه نهي عن منكر، وإقامة حق يقيمونه؟.

قيل له: وهذا أيضا غفلة منك.

فإن قال: وكيف؟

قيل له: منعه إياهم عن نصرته يحتمل وجوها كلها محمودة:

أحدها: علمه بأنه مقتول مظلوم لا شك فيه، لأن النبي ﷺ قد أعلمه أنك تقتل مظلوما فاصبر، فقال: أصبر. فلما أحاطوا به علم أنه مقتول، وأن الذي قاله النبي ﷺ له حق كما قال، لابد من أن يكون، ثم علم أنه قد وعده من نفسه الصبر، فصبر كما وعد، وكان عنده أن من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فليس هذا بصابر، إذ وعد من نفسه الصبر، فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أنه قد علم أن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قلة عدد، وأن الذين يريدون قتله كثير عددهم، فلو أذن لهم بالحرب لم يأمن أن يتلف من صحابة نبيه بسببه، فوقاهم بنفسه، إشفاقا منه عليهم؛ لأنه راع، والراعي واجب عليه أن يحيط رعيته بكل ما أمكنه، ومع ذلك فقد علم أنه مقتول فصانهم بنفسه، وهذا وجه.

ووجـه آخـر: وهو أنه لمـا علم أنها فتنة، وأن الفتنة إذا سـل فيها السـيف لم يؤمن أن يقتـل فيهـا من لا يسـتحق، فلم يختر لأصحابه أن يسـلوا في الفتنة السـيف، وهذا أيضا إشفاق منه عليهم، نعم؛ وتذهب فيها الأموال، ويهتك فيها الحريم، فصانهم عن جميع هذا.

ووجـه آخر: يحتمل أن يصبر عن الانتصار ليكون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ شـهودا على مـن ظلمه، وخالف أمره، وسـفك دمه بغيـر حق، لأن المؤمنين شـهداء الله عَزَّوَجَلَّ في أرضه، ومع ذلك فلم يحب أن يهراق بسـببه دم مسـلم، ولا يخلف النبي ﷺ في أمته بإهراقه دم مسـلم، وكذا قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فـكان عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بهذا الفعل موفقا معذورا رشيدا، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في عذر، وشقي قاتله.

❁ ❁ ❁

الملحق الثاني:

من رسالة الماجستير المقدمة إلى الجامعة الإسلامية، شعبة التاريخ والسيرة من الباحث/ محمد بن عبد الله الغبان

بعنوان فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)

إن أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، هي كما يلي:

أولا: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ إخباره بوقوع فتنة يقتل فيها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه دعا الناس إلى أن يكونوا معه عند اشتعالها، وأنه حدد زمن وقوعها، وأن عثمان وأصحابه على الحق والهدى فيها.

ثانيا: أنه أشار إلى عظم هذه الفتنة، حتى قرنها بموته ﷺ وبفتنة الدجال، وأن من نجا منها فقد نجا، وأنه سيستشهد فيها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على الحق صابرا على القتل معطيا له، شهيدا، ينتقل بعد شهادته هذه إلى جنة الخلد إن شاء الله.

ثالثا: أنه أخبر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوقوع هذه الفتنة، وأنه سيطلب منه خلع الخلافة، وأمره بأن لا يفعل.

رابعا: أن النبي ﷺ بين عظم هذه الفتنة وأن من نجا منها فقد نجا، وأن ذلك يشمل من عاصرها، ومن لم يعاصرها، ونجاة من لم يعاصرها تكون بترك الخوض فيها بالباطل.

خامسا: أن ما تناقلته المصادر من معايب ألصقت بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: منها ما صح صدوره من الخارجين عليه، ومنها: ما لم يصح، ومنها: ما اشتهر ولم أقف على إسناد له.

وأن هذه المعايب بأقسامها الثلاثة، إنما هي في الحقيقة إما مناقب له، وإما مفتراة عليه، وإما اجتهاد منه مأجور عليه.

---

(١) من ص٢٢٩-٢٣٣.

سادسا: أن شخصية ابن سبأ: شخصية حقيقية دلت على وجودها الروايات الصحيحة، ولم تنفرد بإثباتها روايات سيف بن عمر التميمي بل رواها غيره بأسانيد صحيحة وضعيفة.

سابعا: وجوب الحذر عند الحديث عن مواقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفتنة، فإن النبي ﷺ أرشده إلى مواقف يقفها عند حدوث هذه الفتنة لم يصلنا منها إلا اليسير.

ثامنا: أن عقيدة السلف في الصحابة هي: عدم الخوض فيما شجر بينهم إلا عند ظهور مبتدع يقدح فيهم بالباطل، فيجب عندئذ الدفاع عنهم بالحق والعدل.

تاسعا: أن الله لا يرضى عن أحد من خلقه إلا وهو يعلم - سبحانه - أنه سيوافيه على مرضاته، وبما أن الصحابة قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن خاتمتهم حتما ستكون على خير، وهذا ما وقع فعلا.

عاشرا: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذل ما بوسعه في سبيل إخماد الفتنة منذ قدوم أهل الأمصار، وإلى فتحه الباب ودخول القاتل عليه و قتله له.

حادي عشر: أن الصحابة - رضوان الله عليهم - بذلوا ما بوسعهم للدفاع عن عثمان يوم الدار، إلا أنه منعهم، بل شدد في منعهم، فحال بينهم وبين ما يريدون من الدفاع عنه، وبما أنه أميرهم، وتجب عليهم طاعته نفذوا أمره ولم يقاتلوا الخارجين عليه بعد يأسهم من إذنه لهم بالدفاع عنه.

ثاني عشر: أن من أسباب رفض عثمان القتال ما يلي:

أ- علمه بأن هذه الفتنة ستنتهي بقتله لإخبار النبي ﷺ له بذلك.

ب- عدم رغبته بأن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء.

ج - ظنه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه.

د- عملا بمشورة عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له بالكف عن القتال.

ثالث عشر: أنه لم يقع يوم الدار قتال عنيف، بل وقع اشتباك خفيف، أدى إلى جرح الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحمله من الدار على إثر هذا الجرح.

رابع عشر: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى - في النوم - في آخر يوم من حياته النبي ﷺ، ومعه أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول له: «يا عثمان أفطر عندنا»، فأصبح صائما، وأخرج من كان معه في الدار ممن يريدون الدفاع عنه، ثم وضع المصحف بين يديه، وأمر بفتح الباب، وأخذ يقرأ القرآن فدخل عليه رجل أسود من أهل مصر يلقب بجبلة. لسواد بشرته، ولا أستبعد أن يكون عبدالله بن سبأ اليهودي.

خامس عشر: أنه لم يشترك في التحريض على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضلا عن قتله أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وأن كل ما روي في ذلك ضعيف الإسناد.

سادس عشر: أن روايات محمد بن عمر الواقدي عن فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها دس كثير، وتخالف الروايات الصحيحة - في أكثر الحقائق -، وأنها تعكس صورة مشوهة عن الفتنة، وتبرز مواقف غير صحيحة للصحابة، وتظهر فيها ملامح التشيع.

سابع عشر: أن روايات سيف بن عمر التميمي عن فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبارة عن مجموعة روايات مسندة يحذف سيف أسانيدها، ثم يرويها من طريق عدد من شيوخه يصلون - أحيانا - إلى أربعة شيوخ، وأن روايات سيف هذه لا تخلو من القدح في بعض الصحابة واتهامهم بما هم منه براء، وتعتدل أحيانا فتظهر الصورة الصحيحة لمواقفهم.

❁ ❁ ❁

الباب الرابع

خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣٦ ـ ٤٠ هـ)

الفصل الأول

ترجمته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

○ نسبه ومكانته

هو علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة. أبو الحسن والحسين، ويكني بأبي تراب[١]، ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويقال: إنها أول هاشمية ولدت هاشميا[٢]. وكان له من الأخوة، طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله أختان: أم هانيء، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت[٣].

وأبوه أبوطالب هو العم الشقيق الرفيق برسول الله ﷺ، واسمه عبدمناف، كذا نص عليه الإمام أحمد، وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس، وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب: عمران، وأنه المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣] وقد أخطئوا في ذلك خطأ كبيرا، ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له، فإنه تعالى قد ذكر بعدها قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران:٣٥] فذكر بعدها ميلاد مريم بنت عمران عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ، وهو ظاهر ولله الحمد.

وقد كان أبوطالب كثير المحبة للرسول ﷺ ولم يؤمن به، بل مات على الكفر كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[٤].

---

(١) كنيته المشهورة: أبو الحسن، وقد كناه النبي ﷺ بأبي تراب، في قصة مشهورة ذكرها البخاري في صحيحه حديث رقم: (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠) ومسلم في صحيحه برقم: (٢٤٠٩).

(٢) قال ذلك الزبير بن بكار كما في سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٩) والنص عند ابن حجر في الإصابة: هي أول هاشمية ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة الزهراء.

قلت: ولعل هذا هو الصواب.

(٣) انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى (٨/ ٢٢) الإصابة (٨/ ٦٠).

(٤) الصحيح برقم: (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب.

وعلي هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، وكان رابع الخلفاء الراشدين.

○ صفته:

كان رجلا آدم شديد الأدمة أشكل[(١)] العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، قد ملأت صدره ومنكبيه، أبيضها، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض[(٢)].

○ إسلامه ومشاركاته قبل الخلافة:

أسلم علي قديما وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان، وقبل عشر[(٣)]. ويقال: إنه أول من أسلم. والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وكان سبب إسلام على صغيرا أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ؛ لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة، فأخذه من أبيه، فكان عنده، فلما بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد ورد عن علي أنه قال: أنا أول من أسلم، ولا يصح إسناده إليه.

وهاجر علي بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة، وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه، ثم يلحق به، فامتثل ما أمره به، ثم هاجر، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف.

وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي: أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها، ورقة بعض

---

(١) أشكل العينين: هي الحمرة في بياض العين، لسان العرب، مادة: شكل (٣٥٨/ ١١).
(٢) انظر صفته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٥/ ٣، ٢٧)، وتاريخ الطبري (١٥٣-٥).
(٣) رجح هذا ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٧١).

متونها، فإن في بعضها «أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أمر بعدي» وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما.

وقد شهد بدرا وكانت له اليد البيضاء فيها، وشهد أحدا وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير، وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير، عمرو بن عبد ود العامري، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبرا، وكانت له بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، ففتح الله على يديه، وقتل مرحبا اليهودي.

وشهد عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: «أنت مني، وأنا منك[(١)]»، وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم[(٢)]- وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به.

وشهد الفتح وحنينا والطائف، وقاتل في هذه المشاهد قتالا كثيرا، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة، قال له: يارسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[(٣)]. وبعثه رسول الله ﷺ: أميرا وحاكما على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع إلى مكة، وساق معه هديا، وأهل كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه[(٤)]، واستمر على إحرامه، ونحوا هديهما بعد فراغ نسكهما. ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدا[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٤٢٥١) في قصة النزاع في حضانة ابنة حمزة حيث حكم النبي بحضانتها لخالتها امرأة جعفر، وقال لعلي هذا القول ولجعفر أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد بن حارثة: أنت أخونا ومولانا.

(٢) لم أقف على من ذكرها.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠٦)، ومسلم برقم: (٢٤٠٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٥٥٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٤٤٤٧).

والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسـول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوح بذكر الصديق، وأشـار إشارة مفهمة ظاهرة جدا إليه، كما قدمنا ذلك ولله الحمد[١].

وأمـا مـا يفتريه كثير مـن جهلة الشـيعة والقصاص الأغبيـاء، من أنه أوصـى إلى علي بالخلافـة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطـأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعـده على ترك إنفـاذ وصيته وإيصالها إلى مـن أوصى إليه، وصرفهم إياهـا إلى غيره، لا لمعنى ولا السبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هـذا افـتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهـم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم في الدنيا والآخرة بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، ولله الحمد.

ثم لما مات رسـول الله ﷺ: كان علي من جملة من غسـله وكفنه وولي دفنه، ولما بويع الصديق يوم السـقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسـجد كمـا قدمنا[٢]. وكان علي بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض الشيء على أبي بكر بسـبب الميراث الذي فاتها من أبيها عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولـم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبيـاء وأنهـم لا يورثون، فلما بلغها سـألت أبا بكر أن يكـون زوجها ناظرا على هذه الصدقـة، فأبى ذلك عليها، فبقي في نفسـها شـيء كما قدمنا، واحتاج علـي أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلمـا تـوفي أبو بكـر وقام عمر في الخلافـة بوصية أبي بكر إليه بذلـك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، ويقال: إنه استقضاه في أيام خلافته، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام، وشهد خطبته بالجابية.

(١) انظر: خلافة الصديق من البداية والنهاية ص (٦٤) وما بعدها، بتهذيبنا.
(٢) انظر: خلافة الصديق من البداية والنهاية ص (٦١) بتهذيبنا.

فلما طعن عمر وجعل الأمر شوري في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي، فقدم عثمان على علي، فسمع وأطاع.

○ فضائله:

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبوعلي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[١].

قال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة ردا على من خالفه فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله فكثر الناقل لذلك وإلا فالذي في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلا[٢].

قال ابن كثير[٣]: ومن فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسبا إلى رسول الله ﷺ.

ومن فضائله خطبته ﷺ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع في مكان يقال له «غدير خم» فقال في خطبته: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٤]، وفي بعض الروايات: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأخذل من خذله».

قال: والمحفوظ الأول.

(١) فتح الباري (٧/ ٧١).
(٢) المصدر نفسه، والمراد أن ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة.
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٩).
(٤) مروي بأسانيد وطرق كثيرة حتى قال الذهبي: صدر الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه متواتر نجزم أن رسول الله ﷺ قاله، البداية والنهاية (٧/ ٦٨١) لكن فيه زيادات منكرة نبه عليها الحافظ الذهبي وابن كثير، وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم: (١٧٥٠).

وقد شـهد علي بدرا، وقد قال رسول الله ﷺ لعمر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(١)].

وشـهد على بيعة الرضوان، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار»[(٢)] اهـ.

وفيما يلي نسوق بقية فضائل علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من الصحيحين على حسب المنهج الذي سلكناه في فضائل الخلفاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم.

قال الإمام البخاري في صحيحه[(٣)]:

باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقال النبي ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك»[(٤)].

وقال عمر: «توفي عنه رسول الله ﷺ وهو عنه راض»[(٥)].

○ على ممن يحب الله ورسوله:

عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسـول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يشـتكي عينيه يا رسـول الله، قال: فأرسـلوا إليه فأتوني به، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ

---

(١) متفق عليه البخاري رقم: (٣٩٨٣) ومسلم رقم: (٢٤٩٤).
(٢) متفق عليه البخاري رقم: (٤٨٤٠) ومسلم برقم: (١٨٥٦).
(٣) الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي (٧/ ٧٠، ٧١ من فتح الباري).
(٤) قـال الحافظ ابن حجـر في الفتح (٧/ ٧٢) وصله المصنف في الصلـح، وفي عمرة القضاء مطولا. وهذا ليس من خصائصه كما ادعى بعض الناس، فإنه ﷺ قال للأشعريين: هم مني وأنا منهم، وقال لجليبيب: هو مني وأنا منه..
(٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٧) في باب مناقب عثمان.

حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم[(١)].

○ ملاطفة النبي لعلي وتكنيته:

عن سهل بن سعد قال: دخل علي على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب، مرتين[(٢)].

○ ابن عمر يوضح فضائل علي:

عن سعد بن عبيدة قال: «جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله، قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي، فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل.

قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فالجهد علي جهدك».

○ منزلته من رسول الله:

عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال: سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[(٣)].

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة برقم: (٤٢٠٥) ومن حديث سهل بن سعد برقم: (٤٢٠٦).
(٢) وأخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٤٠٩).
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة تبوك حديث رقم: (٤٤١٦) بأتم مما هنا وفيه قوله: إلا أنه ليس نبي بعدي، وأخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٤). =

○ كراهة على الاختلاف:

عن عبيدة بن عمرو السلماني عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة؛ أو أموت كما مات أصحابي» فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي الكذب(١).

○ الوصية بكتاب الله وأهل البيت:

قال الإمام مسلم(٢) حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعا عن ابن غلية، قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان، حدثني يزيدبن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر ابن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت، يا زيد! خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه،

= قال القاضي عياض: هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة، في أن الخلافة كانت حقا لعلي، وأنه وصي له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا لأنه لم يقم في طلب حقه، بزعمه، وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد على قولهم أو يناظروا.

قال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا، لا من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، حتما استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أثر هارون، المشبه به، لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة. على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة.

قلت: فاستخلاف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة كان خلافة خاصة في أهله للرعاية والحفظ أثناء غياب النبي ﷺ أما الاستخلاف العام في المدينة فكان في هذه الغزوة لمحمد بن مسلمة الأنصاري كما ذكر ذلك علماء السير.

(١) قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٧٣)، المراد بذلك ما ترويه الرافضة من علي من الأقوال المشتملة على مخالفة الشيخين ولم يرد ما يتعلق بالأحكام الشرعية فقد روى ابن سعد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لم نتجاوزها.

(٢) الصحيح برقم: (٢٤٠٨).

وصليت خلفه لقد لقيت، يا زيد! خيرا كثيرا، حدثنا يا زيدُ ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي! والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما[(١)] بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم، آل علي، وآل عقيل، وآك جعفر. وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم"[(٢)].

○ حب علي إيمان وبغضه نفاق:

عن زر بن حبيش عن علي قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[(٣)].

○ ذكر زوجاته وبنيه وبناته:

أول زوجة تزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، بنى بها بعد وقعة بدر، فولدت له الحسن وسيئا، ويقال: ومحسنا، ومات وهو صغير، وولدت له زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، وهي التي تزوج بها عمر بن الخطاب، ولم يتزوج علي على

(١) خم: اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة بها، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال: غدير خم، معجم البلدان (٢/ ٣٨٩).

(٢) قلت: هؤلاء هم بنو هاشم، وأدخل معهم النبي ﷺ بنو المطلب بن عبد مناف في سهم ذوي القربي دون بقية بني عبدمناف، لأنهم كانوا حلفاء لبني هاشم ولم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام، انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٣، ٦٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم: (٧٨) و فضائل الصحابة للنسائي رقم: (٥٠).

فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة؛ منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها، وتوفي عن أربع.

○ فمن زوجاته[١]:

أم البنين بنت حزام وهو أبو المحل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب، فولدت له العباس وجعفرا وعبدالله وعثمان، وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكربلاء؛ ولا عقب لهم سوى العباس.

- وليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم، فولدت له عبيد الله وأبا بكر، قال هشام بن الكلبي: وقد قتلا بكربلاء أيضا، وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم المذار[٢].

- وأسماء بنت عميس الخثعمية، فولدت له يحيى ومحمدا الأصغر قاله ابن الكلبي.

وقال الواقدي: ولدت له يحيى وعونا، فأما محمد الأصغر فمن أم ولد.

وأم[٣] حبيب بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة، وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد بن الوليد من بني تغلب حين أغار على عين التمر، فولدت له عمر - وقد عمر خمسا وثمانين سنة - ورقية.

- وأم سعيد بن عروة بن مسعود بن متعب بن مالك الثقفي، فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.

- وابنه امريء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية، فولدت له جارية، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها: من أخوالك؟ فتقول: وه وه، تعني بني كلب.

(١) الطبقات الكبري (١٩/ ٣، ٢٠)، وتاريخ الطبري (١٥٣/ ٥، ١٥٥).
(٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٩)، والمذار: بلدة بين واسط والبصرة، معجم البلدان (٤٦٨ / ٤).
(٣) اسمها الصهباء كما في الطبقات (٣/ ٢٠) ونسب قريش للزبيري ص (٤٢).

- وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأنها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي التي كان رسول الله يحملها وهو في الصلاة؛ إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، فولدت له محمدا الأوسط.

- خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ابن ثعلبة، سباها خالد في خلافة الصديق أيام الردة، من بني حنيفة، فصارت لعلي بن أبي طالب، فولدت له محمدا الأكبر (ابن الحنفية)، ومن الشيعة من يدعي فيه الإمامة والعصمة، وقد كان من سادات المسلمين، ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم، بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبلة ليسوا بواجبي العصمة، والله أعلم.

وقد كان لعلي أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى، فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمن أولاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم:

أم هانيء، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغر وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم جعفر، وأم سلمة، وجمانة، ونفيسة.

قال ابن جرير: فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكرا، وسبع عشرة أنثى[(١)].

قال الواقدي: كان النسل من ولد علي لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية[(٢)].

○ ذكر شيء من سيرته ومواعظه وخطبه ووصيته

قال عبد الوارث[(٣)] عن أبي عمرو بن العلاء، عن أبيه قال: خطب علي فقال: "أيها الناس والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه، وأخرج

(١) عند ابن سعد (٣/ ٢٠) وتسع عشرة امرأة وهو موافق لما ذكر هنا مفصلا، وابن كثير نقله عن الطبري في تاريخه (٥/ ١٥٠)، لعل قوله: سبع عشرة، تصحيف.

(٢) في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠) بعده، قال محمد بن سعد: لم يصح لنا من ولد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير هؤلاء.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٣٧٣، ٣٧٤) مخطوط، من طريق عبدالوارث به.

قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلى الدهقان.

وعن عبدالله بن زرير الغافقي قال: دخلنا مع علي يوم الأضحى، فقرب إلينا خزيرة[١]، فقلنا: أصلحك الله، لو قدمت إلينا هذا البط والإوز، فإن الله قد أكثر الخير. فقال: يابن زرير، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان؛ قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها الناس»[٢].

وقال أبو عبيد[٣] ثنا عباد بن العوام، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئا، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي أو قال: من المدينة.

وقال يعقوب بن سفيان[٤] ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا أبو حيان، عن مجمع بن سمعان التيمي، قال: خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مني سيفي هذا فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزارا ما بعته.

وروى الإمام أحمد عن عباد بن العوام، عن هلال بن خباب عن مولى لأبي عصيفير قال: رأيت عليا خرج فأتى رجلا من أصحاب الكرابيس فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصا فلبسه، فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله،

(١) الخزيرة: لحم يقطع قطعا صغارا ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذر عليه الدقيق، وقصد به ثم أدم بإدام ما، وهي أيضا: الحساء من الدسم والدقيق، انظر: الوسيط (خ ز ر).

(٢) المسند (٧٨/ ١) وإسناده صحيح، كما أخرجه بن عساكر في تاريخ دمشق و (١٢/ ٣٧٤) مخطوط، من طريق الإمام أحمد به.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٢/ ١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٤/ ١٢) مخطوط، كلاهما من طريق أبي عبيد به.

(٤) المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٨٣) كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٥/ ١٢) مخطوط، من طريق يعقوب بن سفيان به.

فقال: ما أرى إلا قدرا حسنا، بكم هو؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلها من إزاره فدفعها إليه، ثم انطلق[١].

وقال محمد بن سعد[٢] أنا الفضل بن دكين، أنا الحر بن جرمور، عن أبيه قال: رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان[٣] إزار إلى نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق، ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان.

○ ومن كلامه الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

قال ابن أبي الدنيا[٤] حدثنا علي بن الجعد، أنا عمرو بن شمر، حدثني إسماعيل السدي، سمعت أبا أراكة يقول: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده، فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

ثم نهض، فما رئي بعد ذلك مفترا يضحك، حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق.

وقال وكيع[٥] عن عمرو بن منبه، عن أوفى بن دلهم، عن علي بن أبي طالب أنه قال: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٣٧٥) مخطوط، من طريق الإمام أحمد.
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٨).
(٣) القطرية: ضرب من البرود حمر تأتي من قبل البحرين، اللسان مادة: «قطر».
(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢/ ٣٨٠) مخطوط، من طريق ابن أبي الدنيا به.
(٥) المصدر السابق (١٢/ ٣٨٠، ٣٨١) من طريق وكيع به.

ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل نومة منبت الداء[١]، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعجل المذاييع البذر[٢]. ثم قال: إلى الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا، والتراب فراشا، والماء طيبا، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ألا إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم: ربنا ربنا. يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حلماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرض، وما بالقوم من مرض.

○ نص وصية علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب؛ أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، أوصيك ياحسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».

(١) النومة هنا: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء اللسان (ن و م).

(٢) المذاييع: جمع مذياع؛ من أذاع الشيء إذا أفشاه والبذر: جمع بذور، وهو الذي يذيع الأسرار، ولا يكتم سرا، اللسان (ب ذ ر)، (ذ ي ع).

انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام؛ فلا تعفوا[١] أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم ﷺ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن؛ فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم، فلا يخلون منكم ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في شهر رمضان؛ فإن صيامه جُنة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة؛ فإنها تطفي غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم؛ لا تظلمن بين ظهرانيكم، والله الله في أصحاب نبيكم؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أوصيكم بالضعيفين؛ نسائكم وما ملكت أيمانكم». الصلاة الصلاة، لا تخافين في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغي عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقو الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله[٢].

○ مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

كان أمير المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد انتقضت عليه الأمور، واضطربت عليه الأحوال، وخالفه جيشه من أهل العراق وغيرهم، و نكلوا عن القيام معه، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، فهو أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم الله، عَزَّوَجَلَّ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه وقد كان يعطيهم العطاء الكثير والمال الجزيل، فلا زال هذا دأبهم معه حتى كره الحياة وتمنى الموت؛ وذلك لكثرة

(١) في تاريخ الطبري: «تعنوا» ولا تعفوا أفواههم: أي لا تخلوا أفواههم من الطعام.
(٢) البداية والنهاية (١٦/ ١١، ١٧).

الفتن وظهور المحن، فكان يكثر أن يقول: ماذا يحبس أشقاها - أي ما ينتظر - ما له لا يقتل؟ ثم يقول: والله لنخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته[(١)].

○ صفة مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس[(٢)] أن ثلاثة من الخوارج؛ وهم عبدالرحمن بن عمرو، المعروف بـ «ابن ملجم» الحميري ثم الكندي، حليف بني جبلة من كندة، المصري. والبر بن عبدالله التميمي. وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا[(٣)] فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان، فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟! فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب وقال البرك بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسموها، واتعدوا لسبع عشرة من رمضان سنة أربعين أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها، وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هو جالس في قوم من بني تيم الرباب وهم يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها: قطام بنت الشجنة قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله، ونسي حاجته التي جاء لها، وخطبها إلى

(١) أخبر رسول الله ﷺ عليا بأنه يموت مقتولا كما في مسند أحمد (١٠٢/ ١، ١٣٠، ١٥٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٩/ ٦٣٨) وإسناده صحيح كما قال أحمد شاكر.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١٤٣/ ٥، ١٤٩)، والطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦، ٣٧)، والمنتظم (٥/ ١٧٢، ١٧٣)، والكامل (٣/ ٣٨٨، ٣٨٩)، وتاريخ الإسلام، جزء الخلفاء الراشدين (٦٠٧، ٦٠٨).

(٣) في طبقات ابن سعد، اجتمعوا في مكة.

نفسها، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة، وأن يقتل لها علي بن أبي طالب، قال: فهو لك، ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي، فتزوجها ودخل بها، ثم شرعت تحرضه على ذلك، وندبت له رجلا من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان. ليكون معه ردءا واستمال ابن ملجم رجلا آخر يقال له: شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري. قال له ابن ملجم: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ فقال: وما ذاك؟ قال: قتل علي فقال: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر عليه؟ قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا، فقال: ويحك! لو غير علي لكان أهون علي، قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله، فما أجدني أنشرح صدرا لقتله، فقال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟ فقال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لأي. ودخل شهر رمضان، فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت، وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي أن يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه، فجاء الثلاثة؛ وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مقابل السدة[١] التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ويقول: الصلاة الصلاة. فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه[٢] فسال دمه على لحيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله، ليس لك يا علي ولا لأصحابك. وجعل يتلوا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة:٢٠٧]، ونادى علي عليكم به. وهرب وردان، فأدركه رجل من حضر موت فقتله، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس، ومسك ابن ملجم، وقدم علي جعدة بن هبيرة بن أبي وهب[٣]

(١) السدة: باب الدار، والظلة باب الدار، والساحة بين يدي الدار. الوسيط (س د د).

(٢) القرن من الإنسان: الجانب الأعلى من الرأس، انظر: المحيط (ق ر ن).

(٣) ترجمه ابن حجر في الإصابة (١/ ٤٨٤، ٥٢٧) مختلف في صحبته وأمه هي أم هانيء بنت أبي طالب فيكون علي خاله.

فصلى بالناس صلاة الفجر، وحمل علي إلى منزله، وحمل إليه ابن ملجم، فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا، وسأل الله أن يقتل به شر خلقه، فقال له علي: لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلقه، ثم قال: إن مت فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

○ دفنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما مات علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غسله ابناه الحسن والحسين ومعهم عبد الله بن جعفر، وصلى عليه ابنه الحسن، فكبر عليه تسع تكبيرات[١]، ودفن بدار الإمارة بالكوفة؛ خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، وهذا هو المشهور، ومن قال: إنه محمل على راحلته، فذهبت به فلا يدرى أين ذهبت فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به، ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف، فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة.

روى الخطيب البغدادي[٢] عن أبي نعيم الحافظ، عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبدالله الحضرمي الحافظ مطين، أنه قال: لو علمت الشيعة قبر من هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: صلي على علي ليلا، ودفن بالكوفة، وعمي موضع قبره، ولكنه عند قصر الإمارة[٣].

○ تاريخ مقتله وعمره:

طعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة الجمعة سحرا، وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين. فقيل: مات من يومه وقيل: يوم الأحد التاسع عشر منه.

---

(١) ورد في روايات أخرى مسندة أربع تكبيرات ولعلها أقرب إلى الصواب، انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٣٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٣٨/ ١).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، جزء الخلفاء الراشدين ص (٦٥٠).

قال الفلاس: وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين، ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو ثمان وخمسين سنة[١]. وقيل: عن ثلاث وستين سنة[٢] وهو المشهور. قاله محمد بن الحنفية، وأبو جعفر الباقر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بكر بن عياش.

وكانت خلافته خمس سـنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل: أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوما، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٥١-٥).

(٢) نقل ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٨١) عن الواقدي أنه قال: وهو الثابت عندنا.

قلت: وهذا موافق للقول بأن ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنين.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (١٥٢/ ٥، ١٥٣) وكذا تاريخ دمشـق (٤٢٣/ ١٢، ٤٢٨) مخطوط، وهذه الأقوال متقاربة والخلاف بين القولين الأولين والقول الثالث مبني على الخلاف في تاريخ بيعته، وفي تاريخ وفاته بعد طعنه.

الفصل الثاني

استخلافه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

○ **بيعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة:**

لما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه قبل أن يدفن عثمان، وقيل: بعد دفنه. وقد امتنع علي من مبايعتهم أول الأمر، وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذولي من الأنصار، وأغلق بابه، وامتنع من قبول الإمارة حتى تكرر قولهم، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاءوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

فيقال: إن أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد لما وقى بها رسول الله ﷺ، فقال بعض القوم: والله إن هذا الأمر لا يتم[1]. وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار و عمامه خز، ونعلاه في يده، يتوكأ على قوسه، فبايعه عامة الناس، وذلك يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[2] ويقال: إن طلحة والزبير إما بايعاه بعد أن طلبهما.

وقال الواقدي[3]: بايع الناس عليا بالمدينة، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا منهم ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

(١) لا يجوز التطير ولا التشاؤم، وهذه اليد الشلاء من أسعد الأيدي لأنها إنما شلت في سبيل الله وفي الدفاع عن رسول الله ﷺ، ولا أظن أن يصح هذا القول، ولا يصدر إلا من منافق، أو أعرابي لم يستقر الإيمان في قلبه ولا زالت تنزعه نزعة جاهلية.

(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٨) والرواية من طريق المدائني، عن أبي بكر الهذلي، وهو إخباري ضعيف.

(٣) والصواب أن المذكورين بايعوا لكنهم اعتزلوا بعد ذلك ولم يشاركوا في الأحداث، وأخر الخبر ينقض أوله، فهؤلاء ثلاثة منهم من الأنصار.

❍ تكملة لموضوع البيعة[١]:

هـذه النصـوص التي نقلها الإمام ابن كثير عن الطـبري وغيره من المؤرخين تؤكد صحة بيعة الخليفة الراشـد الرابع علي بن أبـي طالب، وأن بيعته كانت عن اختيار من أهل الحل والعقد في المدينة، ثم بايعت له بقية الأمصار الإسـلامية ما عدا أهل الشـام الذين انتظروا ببيعتهم القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد روى الإمام أحمد بسند صحيـح[٢] عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي - وعثمان محصور - فأتاه رجل فقـال: إن أميـر المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول السـاعة. قال: فقام علي، فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال: خل لا أم لك، قال: فأتي على الدار وقـد قتـل الرجل، فأتى داره فدخلهـا وأغلق عليه الباب[٣]، فأتـاه الناس فضربوا عليه البـاب فدخلـوا عليه، فقالوا: إن هـذا الرجل قد قتـل، ولا بد للناس مـن خليفة، ولا نعلـم أحـدا أحق بها منـك، فقال لهم علي: لا تريـدوني فإني لكم وزيـر خير مني لكم أميـر، فقالـوا: لا والله مـا نعلم أحدا أحق بها منـك، قال: فإن أبيتم علـي فإن بيعتي لا تكون سـرا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شـاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسـجد فبايعـه الناس. وقد احتج أهل السـنة والجماعة على إثبـات خلافة الخلفاء الأربعة بحديث سفينة: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء» رواه أبو داود والترمذي وأحمد[٤] في مسـنده قال سـعيد بن جهمان الراوي عن سـفينة: ثم قال لي سـفينة: أمسـك، خلافة أبي بكر سـنتين، وخلافة عمر عشـر سـنين، وخلافة عثمان اثني عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين.

---

(١) إضافة ليست في الأصل.

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٥٧٣) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) يمكن الجمع بينه وبين الرواية السابقة أنه دخل حائطا للأنصار، بالحمل على تعدد مرات مجيئهم له.

(٤) أبـوداود برقـم (٤٦٤٦)، والترمذي برقم (٢٢٢٦)، والمسـند (٢٢٠/ ٥)، وقد صححه الشـيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٦٠).

وأخرج ابن عساكر[١] بإسناده إلى الميموني قال: سمعت أحمد بن حنبل، وقيل له: إلام تذهب في الخلافة؟ قال: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قال: فقيل له: كأنك تذهب إلى حديث سفينة، قال: أذهب إلى حديث سفينة وإلى شيء آخر، رأيت عليا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان لم يتسم أمير المؤمنين، ولم يقم الجمعة والحدود، ثم رأيته بعد قتل عثمان قد فعل ذلك، فقلت: إنه وجب له في ذلك الوقت ما لم يكن له قبل ذلك. فانظر - رحمك الله - كيف رتب الإمام أحمد الخلفاء الراشدين بموجب هذا الحديث وبموجب ما حدث في الواقع، كما رد على الذين يقولون بخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتداء أي بعد النبي ﷺ بلا فصل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: واعتمد على هذا الحديث الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد، واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله. ونهي عن مناكحته، وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف وهو مذهب العامة، وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام ونحوهم، كالرافضة الطاعنين في خلافة الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين عثمان وعلي، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي، أو بعض الجهال من المتسننه الواقفين في خلافته.

وقال في موطن آخر[٣] المنصوص عليه عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي.

ويقول أبو المعالي الجويني كما في الصواعق المحرقة[٤]: ولا اكتراث بقول من قال:

---

(١) تاريخ دمشق (٣٥٤/ ١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩-١٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٨).

(٤) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة ص (١٨٤).

لا إجماع على إمامة علي، فإن الإمامة لم تجحد له، وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرى.

قلت: فالذين لم يشاركوا معه في القتال من الصحابة لم يرفضوا إمامته، وإنما تركوا القتال معه لأهل القبلة، لأن النصوص دلت على أن القاعد عن الفتنة خير من القائم فيها.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن حامد أنه قال: لا يختلف أصحابنا أن فعود علي عن القتال كان أفضل له لو قعد، وهذا ظاهر من حاله في تلومه في القتال، وتبرمه به، ومراجعة ابنه الحسن له في ذلك، وقوله: لله در مقام قامه سعد بن مالك، وعبدالله بن عمر إن كان برا إن أجره لعظيم، وإن كان إنما إن خطأ ليسير[١].

ومع هذا لم يسترب أئمة السنة وعلماء الحديث أن عليا أولى بالحق، وأقرب إليه كما دل عليه النص[٢].

وأختم هذا المبحث بفائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] قال: ومما ينبغي أن يعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعا وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهدا متأولا كالعلماء، بل فيهم المذنب والمسيء، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة، وأهل السنة تحسن القول فيهم وتترحم عليهم وتستغفر لهم، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب، وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ﷺ ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب، والخطأ، لكن هم كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الأحقاف:١٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٩).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٣٩).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٤٣٤).

○ **خطبة الخلافة:**

وكان أول خطبة خطبها أنه حمدالله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله تعالى أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، إن الله حرم حرما مجملة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم، فتخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1] [الأنفال:٢٦-٢٧].

❁ ❁ ❁

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٦)، والكامل لابن الأثير (٣/ ١٩٤).

الفصل الثالث
أعماله والأحداث في عصره

○ الولاة عند مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

و كان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى الخراج جابر بن عمرو المزني، وعلى البصرة عبدالله بن عامر، وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، ونوابه على حمص؛ عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين؛ حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن؛ أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين؛ علقمة ابن حكيم[١]. والوالي على أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى قرقيسياء؛ جرير بن عبدالله البجلي، وعلى حلوان؛ عتيبة بن النهاس، وعلى ماه؛ مالك بن حبيب، وعلى همذان النسير؛ وعلى الري؛ سعيد ابن قيس، وعلى أصبهان؛ السائب بن الأقرع، وعلى ماسبذان؛ حبيش. هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار، وكان على بيت المال في المدينة عقبة بن عمرو، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت[٢].

○ تعيين على الولاة على الأقاليم:

استهلت سنة ست وثلاثين وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة، وولى على الأمصار نوابا، فولى عبيدالله بن عباس على اليمن، وولي عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار سهل حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية، فقالوا: من أنت؟ فقال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان غيره فارجع. فقال: أو ماسمعتم الذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي.

(١) في الأصل: حكيم علقمة، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/ ٤٢١)، وانظر ترجمته في الإصابة: (٥/ ١٢٦).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢١ - ٤٢٢).

وأمـا قيس بن سـعد فاختلف عليه أهل مصـر فبايع له الجمهـور، وقالت طائفة: لا نبايـع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصـرة امتنعت منهم طائفة، وأما غمارة بن شـهاب المبعوث أميرا على الكوفة فصده عنها طليحة بن خويلد غضبا لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره، وانتشـرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وكتب أبو موسـى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم[(١)].

وبعث علي إلى معاوية كتبا كثيرة فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارا إلى الشهر الثالـث من مقتل عثمان في صفـر، ثم بعث معاوية طومارا مع رجل فدخل به على علي فقـال لـه علي: ما وراءك؟ قال جئتـك من عند قوم لا يريدون إلا القـود، كلهم موتور، تركـت سـتين ألف شـيخ يبكـون تحت قميـص عثمان، وهـو على منبر دمشـق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ثم خرج رسـول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[(٢)].

○ المطالبة بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لمـا قتـل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام في النـاس معاوية بن أبي سـفيان وجماعة من الصحابة معه يحرضـون النـاس علـى المطالبـة بـدم عثمان، ممـن قتله مـن أولئـك الخوارج،

---

(١) انظـر: تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٢) وأورده من طريق سـيف بن عمر عن شـيوخه، قلت: وذكر طليحة بن خويلد شـاذ؛ حيث ذكر جمع من المؤرخين أن طليحة قتل شـهيدا في نهاوند، سـنة ٢١هـ (ابن عسـاكر، تاريـخ دمشـق ٨/٦٠٣، الذهبي، العبر (١/ ٢٦)، وابـن كثير، البداية والنهايـة (٧/ ١١٩)، وابن حجر، الإصابة (٣/ ٥٤٣).

(٢) هـذا ملخص من رواية الطبري من طريق سـيف بن عمر عن شـيوخه (انظر تاريـخ الطبري ٤/ ٤٤٣ - ٤٤٦) وفي بعـض ممـا ذكره نظر، ومعاويـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن منازعا لعلي في الخلافـة وإنما يطالب بإقامة الحـدود علـى قتلة عثمان مـن غير تأجيل كما يـرى الخليفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أخرج يحيى بن سـليمان الجعفـي بإسـناد جيد كما قال الحافـظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٩٢) عن أبي مسـلم الخـولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألسـتم تعلمـون أن عثمان قتل مظلومـا وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فليدفع إلى قتلة عثمان وأسـلم له، فقال علي: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي... إلخ.

منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عبسة[١] وغيرهم من الصحابة.

ومن التابعين شريك بن خباشة[٢]، وأبو مسلم الخولاني، وعبدالرحمن بن غنم، وغيرهم[٣].

ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان[٤]، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم أعوان، ولا يمكنه ذلك الآن.

وقد أشار ابن عباس على علي باستمرار نواب عثمان في البلاد، إلى حين يتمكن الأمر، وأن يقر معاوية خصوصا على الشام، وقال له: اكتب إلى معاوية فمنه وعده، فقال علي: والله إن هذا ما لا يكون أبدا، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، الحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ[٥]، فوالله لئن أطعتني لأوردنهم بعد صدرهم، ونهى ابن عباس عليا فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسنون له الدخول إلى العراق، ومفارقة المدينة، فأبى عليه ذلك كله[٦].

(١) عمرو بن عبسة السلمي ترجمته في الطبقات (١٥٧/ ٤) والإصابة (٤/ ٦٥٨).
(٢) في الأصل حباشة وهو تصحيف وانظر ترجمته في الإصابة (٣/ ٣٨٤).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٣٥٢).
(٤) ذكر المصنف بعد هذا أن المغيرة بن شعبة قد نصح عليا أن يبقى ولاة عثمان ثم جاء يوما آخر فنصحه بعزلهم. وهي رواية ساقطة. أخرجها الطبري من طريق سيف بن عمر عن شيوخه المجاهيل. تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٨).
قلت: طلب الزبير إمرة البصرة، لا يصح، وخروج عائشة والزبير وطلحة إلى البصرة كان للإصلاح والسعي في جمع كلمة المسلمين بعد وقوع الخلاف وانتشار الفتنة، ولم يخرجوا رفضا لخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ثبت من حديث الأحنف بن قيس أنه استشارهم عندما كان عثمان محصورا لمن يبايع بعد عثمان، فأشاروا عليه ببيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: فتح الباري. (٣٨ / ١٣).
(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم: (٢٨٦١).
(٦) أخرجه الطبري (٤/ ٤٣٩) من طريق الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبدالمجيد بن سهيل، وهذا إسناد ضعيف جدا.

○ خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة:

كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في سنة خمس وثلاثين من الهجرة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، وذلك بعد صدورهن من الحج رجعن إلى مكة وأقمن بها، ينتظرن ما يصنع الناس، فلما بويع لعلي وصار أحظى الناس عنده - بحكم الحال وغلبة الرأي لاعن اختيار منه لذلك - رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن عليا في نفس الأمر يكرههم، ولكنه يتربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه علية الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلق كثير، وقدم إلى مكة يعلى بن أمية من اليمن - وكان عاملا عليها لعثمان - ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، كما قدمها عبدالله بن عامر من البصرة، وكان نائبها لعثمان، فاجتمع بمكة خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين، فاجتمع ملاؤهم على المطالبة بدم عثمان، فقال قائل: نذهب إلى الشام. فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها، ولو قدموها لغلبوا، واجتمع الأمر كله لهم، لأن أكابر الصحابة بها معهم.

وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا.

وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك بالخيل والرجال[(١)]، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرأي على ذلك.

وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبدالله بن الزبير[(٢)]، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات، وقد مروا في

(١) هذا من الألفاظ المنكرة في النص، لأنهم إنما خرجوا للإصلاح واختاروا البصرة لقربها من مركز الأحداث.
(٢) وفي رواية سيف بن عمر عند الطبري (٤/ ٤٥٤) أن الذي يصلي بهم عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، والتي ذكرها المصنف هي رواية عمر بن شبة انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٥).

مسيرهم ليلا بماء يقال له الحواب[١]

فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت ما اسم هذا الماء؟ قالوا: الحوأب. فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: «ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب»، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني، ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة[٢]. فأناخ الناس حولها يوما وليلة، وقال لها عبدالله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا الماء ماء الحوأب قد كذب[٣]. فارتحلوا نحو البصرة، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس، أنها قد قدمت. فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له، فذكرت لهما أن الذي جاءت له هو القيام بطلب دم عثمان؛ لأنه قتل مظلوما في شهر حرام وبلد حرام. وتلت قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان،

(١) الحوأب: معناه الوادي الوسيع، وهو من المياه في طريق البصرة في ديار بني عامر ابن كلاب، به حصن لعبدالعزيز بن زرارة الكلبي (معجم البلدان: ٢/ ٣١٤).

(٢) البداية والنهاية (١٨٦/ ٩)، وهو في مسند الإمام أحمد (٦/ ٥٢و ٩٧)، وقال ابن كثير: هذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ثم ذكر له طريقا أخرى عند البزار، انظر: كشف الأستار (٤/ ٩٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٤): رواه البزار، ورجاله ثقات.

(٣) هكذا قال. والذي في تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٧)، فجاءها ابن الزبير فقال: و النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي. والرواية من طريق سيف عن شيوخه، وهذه الألفاظ منكرة والذي في المسند: قال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمين، وفي الرواية الأخرى في المسند: قال لها الزبير. وهي روايات صحيحة ولله الحمد.

فقالا: أما بايعت عليا؟ قال: بلى والسيف على عنقي، ولا أستقيله[1] إن هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان. فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك. قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف فأخبراه. فقال عثمان بن حنيف: «إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحا الإسلام ورب الكعبة»[2]، فانظروا بأي زيفان نزيف. فقال عمران: إي والله لتعركنكم عركا طويلا. ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين: أشر علي، فقال: اعتزل فإني قاعد في منزلي، أو قال قاعد على بعيري[3].

فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز.

فقام رجل وعثمان بن حنيف على المنبر فقال: يا أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقد جاؤا من بلد يأمن فيها الطير؛ وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته؛ فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا.

فقام الأسود بن سريع السعدي[4] فقال: إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا. فحصبة الناس، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصارا، فكره ذلك. وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس، فنزلوا المربد[5] من أعلاه قريبا

(١) تصحفت في المطبوعة إلى: ولا أستقبله بالباء الموحدة بعد القاف، وهو تحريف، وفي الخبر ألفاظ منكرة وهي الزعم بأن طلحة والزبير بايعا مكرهين وهذا خلاف الواقع كما سبق بيانه.

(٢) يشير إلى حديث ابن مسعود مرفوعا: تدور رحا الإسلام الخمس وثلاثين أو ست وثلاثين... الحديث، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم حديث رقم (٤٢٥٤)، وأحمد في المسند (١/ ٣٩٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢١)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٦) وذكر طرقه.

(٣) كناية عن الخروج عن موطن الفتنة.

(٤) انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٧٤).

(٥) المربد: محلة عظيمة من محال البصرة، كانت سوقا للإبل، وبه كانت مناظرات الشعراء ومجالس الخطباء، معجم البلدان (٥/ ٩٨).

مـن البصـرة، وخرج إليها مـن أهل البصرة مـن أراد أن يكون معها، وخـرج عثمان بن حنيـف بالجيـش فاجتموا بالمربـد، فتكلم طلحـة - وكان على الميمنـة - فندب إلى الأخـذ بثأر عثمـان، والطلب بدمه، وتابعـه الزبير فتكلم بمثل مقالته فـرد عليهما ناس مـن جيـش عثمان بن حنيف، فتثـاور طوائف من أطراف الجيشـين فتراموا بالحجارة، ثـم تحاجز الناس، ورجع كل فريق إلى حوزته، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا.

وجاء جارية بن قدامة السـعدي[١] فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسـلاح، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس في الرجوع.

❍ وقوع القتال بينهم وبين والي علي على البصرة:

كان حكيم بن جبلة[٢] - على خيل عثمان بن حنيف فأنشب القتال، وجعل أصحاب أم المؤمنيـن يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال، وجعل حكيم يقتحم عليهم، فاقتتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال، فاقتتلوا قتالا شديدا، إلى أن زال النهار، وقتـل خلق كثير من أصحاب ابـن حنيف، وكثرت الجـراح في الفريقين، فلما عضتهم الحـرب تداعـوا إلى الصلح، غير أن جماعة ممن شـارك في قتل عثمان وأنصارهم، قد ركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدمهم حكيم بن جبلة - وهو أحد من باشـر قتل عثمـان - فبـارزوا وقاتلوا، فضـرب رجل رجل حكيم بن جبلـة فقطعها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله، ومات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان

(١) في الأصـل المطبوع حارثة والتصحيح من تاريـخ الطبري (٤/ ٤٦٥)، وانظر ترجمة جارية بن قدامة في الإصابة (١/ ٤٥ ٤).

(٢) ترجمه ابن حجر في الإصابة (٢/ ١٧٨) في القسـم الثالث وهو فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره، ونقل عن ابن عبدالبر قوله: ولا أعلم له رواية ولا خبرا يدل على صحبته.

وأنصارهم، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسم موقعة الجمل الصغرى[١].

○ مسير علي بن أبي طالب من المدينة إلى العراق:

كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تجهز قاصدا الشام، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة، خطب الناس وحثهم على المسير إلى العراق فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم.

وذكر ابن جرير وغيره: أن ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان، وأبو قتادة الأنصاري، وزياد بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: وليس بذي الشهادتين، ذاك مات في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

وسار على من المدينة إلى الربذة[٣] واستخلف على المدينة تمام ابن عباس، وعلى مكة قثم بن عباس، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل.

وقد لقي عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليا وهو بالربذة، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا، فسبه بعض الناس، فقال علي: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤].

---

(١) من أول الموضوع إلى هنا ملخص لما ذكره الطبري من عدة روايات عن سيف، وعن أبي مخنف، وابن شبة، وغيرهم ٤/ ٤٦١ - ٤٧٧).

(٢) استدرك الخطيب البغدادي على ذلك في كتابه الموضح لأوهام الجمع والتفريق (٢٧٥/ ١) بقوله: هذا خطأ لا مرية فيه وذلك أن خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين شهد مع علي صفين، أجمع علماء السير على ذلك، وليس سيف بن عمر حجة فيما يرويه إذا خالف ذلك قول أهل العلم، ثم ساق الأدلة المثبتة لقوله. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ ٢٨٠): لا ذنب لسيف، بل الآفة من شيخه، وانظر ترجمة خزيمة في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٧٨).

(٣) من منازل طريق الحاج العراقي، وقد سكنها أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و ومات بها سنة: ٣٢هـ، وهي تقع إلى شرقي المدينة على مسافة مائة ميل تقريبا، معجم البلدان (٢٤/ ٢) وكتاب المناسك ص(٣٣٠).

(٤) ذكره الطبري (٤/ ٤٥٥) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه وله شاهد أخرجه أبويعلى والبزار، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨-٩): رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون.

وجاء الحسن بن علي إلى أبيه فقال: لقد نهيتك فعصيتني، تقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك. فقال له علي: إنك لا تزال تخن علي خنين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك ألا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله؟

فقال له علي: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به.

وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهت أن يضيع هذا الأمر.

وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ماذهبوا إليه، فتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب ليست هاهنا، حتى كل عرقوبها فتخرج. فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعينني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يابني[(١)].

ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وانهضوا إلينا، فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا. فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب.

○ خطبة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الناس خطيبا فقال: إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجري الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ٤٥٦) من طريق سيف بن عمر وذكر طريقا أخرى (٤/ ٤٥٨) وله شاهد في طبقات ابن سعد (ترجمة الحسن) من طريق الواقدي (الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٧٤).

القـوم الذين نزغهم الشـيطان لينزغ بين هذه الأمـة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن، وإنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم، حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما[(١)].

قالوا: فسار علي من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا، فلما كان بفيد[(٢)] جاءه جماعة من أسد وطيء، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: في من معي كفاية. وجـاء رجـل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشـيباني، فقال لـه علي: ما وراءك؟ فأخبره الخبر، فسـأله عن أبي موسـى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه، فقال علي: والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا.

لما انتهى إلى ذي قار[(٣)]، أتاه عثمان بن حنيف والي البصرة، وشـكا له حاله، فقال: أصبت خيرا وأجرا.

وأقام على بذي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفـر - وكانـا قد قدما بكتابه على أبي موسـى، وقامـا في الناس بأمره فلـم يجابا إلى شـيء، فلما أمسـوا دخل ناس من ذوي الحجا على أبي موسـى يعرضون عليه الطاعة لعلي في النفير. فقال: كان الرأي بالأمس وما بقي إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروج سـبيل الدنيا، فاختاروا، فلم ينفر أحد. فغضب محمد ومحمد، فأرسل علي

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٧٨).

(٢) فيـد: من محطات طريـق الحجاج العراقي، وهي بلدة عامرة اليوم، وتقـع إلى جنوب حائل. (البلادي، معجم المعالم الجغرافية)، ص (٢٣٩).

(٣) ذو قـار: ماء لبكر بن وائل، وعنده كانت الوقعة المشـهورة بين بكـر ومن معها من العرب وبين الفرس، وقد انتصر فيه العرب، وكان ذلك يوم مولد رسول الله ﷺ (معجم البلدان ٢٩٣/ ٤).

الحسن وعمار بن ياسر فانطلقا حتى دخلا المسجد، وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمه، فقال الحسن بن علي لأبي موسى: لم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت النبي يقول ﷺ: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب»(١). وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا. وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت تبينت.

فقام القعقاع بن عمرو فقال: الحق ما قاله الأمير(٢)؛ ولكن لابد للناس من أمير يودع الظالم ويعدي المظلوم، وينتظم به شمل الناس، وأمير المؤمنين علي بلي بما ولي، وقد أنصف بالدعاء، وإنما يريد الإصلاح، فانفروا إليه.

ثم تراسل الناس في الكلام فقام عمار والحسن بن علي على المنبر. يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين، فإنه إنما يريد الإصلاح بين الناس. وسمع عمار رجلا يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحا منبوحا، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة؛ ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها. رواه البخاري(٣). وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس، سيروا إلى أمير المؤمنين ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة:٤١].

واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي نهر دجلة، ويقال سار معه اثني عشر ألف رجل، وقدموا على أمير المؤمنين فتلقاهم بذي قار إلى أثناء الطريق في جماعة، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال: يا أهل الكوفة! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: فتح الباري (٣٠/ ١٣).
(٢) يقصد أبا موسى الأشعري.
(٣) صحيح البخارى، كتاب الفتن، حديث رقم (٧١٠٠، ٧١٠١)، انظر فتح الباري (١٣-٥٣).

يرجعـوا فذاك الذي نريده، وإن أبو داويناهم بالرفـق حتى يبدؤنا بالظلم، ولم ندع أمرا فيـه صـلاح إلا آثرناه على ما فيه الفسـاد إن شـاء الله تعالى. فاجتمعوا عنـده بذي قار، وكان من المشـهورين من رؤساء من انضاف إلى علي، القعقاع بن عمرو، وسعر[1] بن مالـك، وهند بـن عمرو، والهيثم بن شـهاب، وزيد بن صوحان، والأشـتر، وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي وأمثالهم، وكانت عبدالقيس بكمالها بين علي و بين البصرة ينتظرونه وهم ألوف.

❍ السفارة بين علي وطلحة والزبير واتفاقهم على الصلح:

بعث علي القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقـال: أي أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني! الاصلاح بين الناس، فسـألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا، فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلح، ولئن أنكرناه لا نصطلحن. قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن. فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الـذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم ممـا أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الـذي تريدونـه من قتل قتلة عثمـان مصلحة؛ ولكنه يترتب عليه مفسـدة هي أربي منها، وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه مـن يريـد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمـان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة عليه.

---

(١) في الأصل سعد والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/ ٤٨٨).

ثـم أعلمهـم أن خلقا مـن ربيعة ومضر قـد اجتمعوا لحربهم بسـبب هـذا الأمر الذي وقـع. فقالـت له أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقـول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسـكين، فإذا سـكن اختلجوا، فإن أنتم وافقتمونا فعلامة خير، وتباشـير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه؛ كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم هذا حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قـد حـدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجـل الرجل، ولا النفر الرجـل، ولا القبيلة الرجل، فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر.

قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك.

وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح. ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام علي في الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشـقاءها وأعمالها، وذكر الإسـلام وسعادة أهله بالألفـة والجماعـة، وأن الله جمعهـم بعد نبيـه ﷺ على الخليفة أبي بكـر الصديق، ثم بعـده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حـدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره.

ثـم قـال: ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحل معـي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس.

○ خوف قتلة عثمان من الصلح والعمل على إفساده:

لمـا اجتمـع الصحابة على الصلح، وسـمع المشـاركون في قتل عثمـان خطبة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكلامه، خافوا على أنفسـهم فاجتمع من رؤوسـهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفي، وعبدالله بن سبأ المعروف بـ «ابن السوداء»، وسالم بن ثعلبة، وعلباء بن الهيثـم، وغيرهم في ألفين وخمسـمائة، وليس فيهم صحابـي، فقالوا: ما الرأي؟ وعلي

والله أبصر بكتاب الله وهو ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلا اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان، فتعود فتنة ويرضى القوم منا بالسكوت.

فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا، فإنا يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، ولا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال علياء بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها. فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذًا والله كان يتخطفكم الناس.

ثم قال ابن السوداء – قبحه الله – يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون. فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون، وأصبح علي مرتحلا ومر بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه، فاجتمعوا عند قصر عبيدالله بن زياد(١)، ونزل الناس كل في ناحية. وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وقد أشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة من قتلة عثمان. فقالا: إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك.

وقام علي في الناس خطيبا، فقام إليه الأعور بن بنان المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء النائرة؛ ليجتمع الناس على الخير، ويلتم شمل

(١) يقصد المكان الذي بني فيه نصر ابن زياد أيام ولايته البصرة في العصر الأموي.

هـذه الأمـة، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونـا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم.

وقـام إليه أبو سـلامة الدالاني فقال: هـل لهؤلاء القوم من حجة فيمـا طلبوا من هذا الـدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم. قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قـال: نعم. قال فما حالنا وحالهـم إن ابتلينا غدا؟ قال: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد في قلبه الله إلا أدخله الله الجنة.

وقال علي في خطبته: أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم وإياكم أن تسبقونا، فإن المخصوم غدا[١] من خصم اليوم.

وجـاء الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علـي، وكان قد بايع عليا بالمدينة، وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير: إن قتل عثمان من أبايـع؟ فقالـوا: بايع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا. قـال: ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظع، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان، فحرت في أمري لمن أتبع، فمنعني الله بحديث سـمعته من أبي بكرة[٢]، قال: قال رسـول الله ﷺ وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري[٣].

والمقصـود أن الأحنـف لما انحـاز إلى علي ومعه سـتة آلاف قوس. فقـال لعلي: إن شـئت قاتلت معك. وإن شـئت كففت عنك عشـرة آلاف سـيف، فقال: اكفف عنا عشرة آلاف سيف. ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسـلا إليه في جواب رسـالته: إنـا علـى ما فارقنـا عليه القعقاع بـن عمرو من الصلـح بين النـاس. فاطمأنت النفوس

(١) أي في اليوم الآخر.
(٢) في الأصل: من أبي بكر التصحيح من البخاري (٩٢/ ٨) كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمين بسيفيهما.
(٣) انظر: صحيح البخاري (٥٣/ ١٣) من فتح الباري.

وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبدالله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد، وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح. فقالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا، بيتونا وغدروا بنا.

وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي، فبلغ الأمر عليا فقال: ما للناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحهم ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس[1] الأمر وكان أمر الله قدرا مقدورا.

❍ وقوع القتال يوم الجمل:

وقامت الحرب على ساق، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفا، والتف على عائشة ومن معها نحوا من ثلاثين ألفا، والسبائية أصحاب ابن السوداء - قبحه الله - لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سور قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس في معركتهم.

(١) هذا النص يدل على أن وقوع القتال بينهما عن غير اختيار وإنما نتيجة الدسيسة ومؤامرة من السبائية وأهل الزيغ، وقد ذكر ذلك جمع من العلماء منهم: الباقلاني في التمهيد ص (٢٣٣) والقاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة (٢٩٩/ ١)، وإمام الحرمين في الغبائي ص (١١٤)، والقاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم ص(١٥٦) وابن حزم في الفصل والملل (١٥٧/ ٤) وشارح العقيدة الطحاوية ص (٥٤٦)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٦/ ٤٦٠)، ثم إن القتلة أحسوا باتفاق الأكابر، فأثاروا الفتنة، وبدأوا بالحملة على عسكر طلحة والزبير وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفعا عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا طلحة والزبير غرض في القتال أصلا، وإنما كان الشر من قتلة عثمان.

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو عاصم، عن عبدالله بن محمد بن عبدالملك بن مسلم الرقاشي، عن جده عبدالملك، عن أبي جرو المازني. قال: شهدت عليا والزبير حين توافقا - يعني يوم الجمل -، فقال له علي: يا زبير، أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تقاتلني وأنت ظالم؟» قال: نعم، ولم أذكره إلا في موقفي هذا، ثم انصرف. وقد رواه البيهقي[1] عن الحاكم من طريق عبدالله بن محمد بن عبدالملك بن مسلم الرقاشي عن جده عن أبي جرو المازني عن علي والزبير به.

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله بن الزبير، فقال: مالك؟ فقال: ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال: أو للقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله، وقد قيل إنه إما رجع عن القتال لما رأى عمارا مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[2]. فخشي أن يقتل عمار في هذا اليوم.

قال ابن كثير: وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجعه سواه[3].

○ مقتل الزبير وطلحة:

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل نزل واديا يقال له وادي السباع، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة، وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب. فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: إلى عباد الله، إلى

(١) دلائل النبوة (٦/ ٤١٥) وقال العقيلي: الأسانيد في هذا لينة، الضعفاء الكبير (٢/ ٣٠٠).

(٢) الحديث متواتر، نص على ذلك ابن عبدالبر في الاستيعاب (٣/ ١١٤٠) وانظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لجعفر الحسيني الكتاني، ص (١٢٦) حديث رقم (٢٣٧)، وانظر صحيح البخاري (١/ ٥٤١) مع فتح الباري وصحيح مسلم رقم (٢٩١٥ و ٢٩١٦).

(٣) الحديث في إسناده كلام، عبدالملك بن مسلم الرقاشي قال عنه البخاري: لم يصح حديثه، تهذيب الكمال (٢/ ٨٦٣) و قال ابن حجر في التقريب (١/ ٥٢٣) لين الحديث.

عباد الله، فاتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: ويحك، اعدل بي إلى البيوت، وامتلأ خفه دما فقال لغلامه: اردفني. وذلك أنه نزفه الدم وضعف، فركب الغلام وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] وقيل مات في ميدان المعركة، وقد وقف عليّ على جثته وتوجع لذلك[٢].

○ القتال حول الجمل:

وتقدمت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هودجها، وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفا وقالت: ادعهم إليه، فلما تقدم كعب بن سور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله بن سبأ وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، لا يتوقفون في أحد، فلما رأو كعب بن سور رافعا المصحف رشقوه بنبالهمم رشقة رجل واحد فقتلوه[٣]، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فجعلت تنادي: الله، الله، يابني اذكروا يوم الحساب، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى وصلت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان[٤]. وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم، فطردوهم حتى وصلت الحملة

---

(١) قال المصنف: ويقال رماه به مروان بن الحكم، وقال في ترجمة طلحة: وقد قيل إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهورا.

قلت: وقد وردت ثلاث روايات في تاريخ خليفة، ص (١٨٥) نصح بأن الذي رماه هرو مروان بن الحكم ولكنها كلها مرسلة. كما وردت رواية عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٥٩)، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال أخبرنا قيس: قال: رمي مروان يوم الجمل طلحة.. إلخ» وهذا إسناد صحيح ورجاله ثقات، والله أعلم.

(٢) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧٢).

(٣) تاريخ خليفة، ص (١٨٥)، وطبقات ابن سعد (٧/ ٩٢).

(٤) انظر المصنف لابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨، ٢٧٧).

إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لابنه محمد بن الحنفية: ويحك! تقدم بالراية، فلم يستطع، فأخذها علي من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي، فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، وقتل خلق كثير، وجه غفير، ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان.

وخطام الجمل في يد عميرة بن يثربي، وكان من الشجعان المشهورين، فصمد حتى قتل.

وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك، وقد فقأ بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم، وقد جرح عبدالله بن الزبير يوم الجمل سبعا وثلاثين جراحة[1]، وجرح مروان بن الحكم، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، ويقال إن الذي أشار بعقر الجمل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقيل القعقاع بن عمرو، لئلا تصاب أم المؤمنين، فإنها صارت غرضا للرماة، ولينفصل هذا الموقف الذي قد تفاني فيه الناس، ولما سقط الجمل إلى الأرض انهزم من حوله، وحمل هودج عائشة وإنه لكالقنفذ من السهام، وأمر علي نفرا أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعارا أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح، فقالت: لا. وما أنت وذاك يا ابن الخثعمية. وسلم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أم؟ فقالت: لست لك بأم. قال: بلى! وإن كرهت[2]، وجاء إليها على بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلما فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. قالت: ولك.

وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) في ترجمة عبدالله بن الزبير من تاريخ دمشق، ص (٤٢٧) أنه حمل وبه بضع وأربعون طعنة وضربة وقال د/ أكرم العمري في عصر الخلافة الراشدة، ص (٤١١) إسناده صحيح.

(٢) من المعلوم أن الإنسان قد يقول في حال الغضب ما لا يقوله بعد ذهاب الغضب فإذا ثبت صدور هذا من أم المؤمنين فهذا وجه تفسيره.

فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبدالله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة.

وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر ولا يدخلوا الدور[١]، وقد قتل مع هذا خلق كثير، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن: يابني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٢].

فقال له: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا.

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن، ليت أباك مات منذ عشرين سنة. فقال له: يا أبة قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا. وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة: لما اشتد القتال يوم الجمل، ورأى علي الرؤوس تندر أخذ علي ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال: إنا لله يا حسن! أي خير يرجى بعد هذا؟

○ نهاية المعركة:

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثا وصلى على القتلى من الفريقين، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئا هو له فليأخذه، إلا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف[٣]، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله

(١) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٣/ ١٥) باسناده عن عبد خير عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يوم الجمل، لا تتبعوا مدبرا؛ ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، وانظر: طريقا أخرى في (١٥/ ٢٦٧) وثالثه في (٢٨٢/ ١٥).

(٢) انظر نحوه في: مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٢، ٢٨٨).

(٣) هذا الرقم مبالغ فيه، خاصة إذا علمنا الطبيعة الدفاعية للقتال في هذه المعركة، وتعليمات الخليفة في ترك المدبر وعدم الإجهاز على الجريح، وكذا قصر مدة القتال بعد الظهر إلى غروب الشمس، وقد أورد خليفة بن خياط في تاريخه ص (١٨٧-١٩٠) قائمة بأسماء من قتل يوم الجمل فكانوا قريبا من المائة، ولو فرضنا أن مائة أخرى أو مئتين لم يعرفوا فيكون القتلى في حدود الثلاثمائة. والله أعلم. وانظر: خالد الغيث، استشهاد عثمان وموقعة الجمل ص(٢١٤-٢١٥).

ورضي عن الصحابة منهم. وقد سأل بعض أصحاب علي أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟ فبلغ ذلك عليا. فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم[١]، ولما دخل البصرة فرق في أصحابه أموال بيت المال، فنال كل رجل منهم خمسمائة[٢]، وقال: لكم مثلها من الشام في أعطياتكم، فتكلم فيه السبائية أيضا، ونالوا منه من وراء وراء.

○ موقف علي من أهل البصرة:

دخل على البصرة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، فبايعه أهلها على راياتهم، حتى الجرحى والمستأمنة، وجاءه عبدالرحمن بن أبي بكرة الثقفي فبايعه فقال له على: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال له: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي. فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبوبكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: ول رجلا من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه علي البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج و بيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد، وكان زياد معتزلا فلم يشهد القتال.

ثم جاء على إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحبت به، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة[٣]، وقد سألت عائشة عمن قتل معها، ومن قتل من عسكر علي، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له.

(١) انظر نحوه في مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٣).
(٢) انظر: المصدر نفسه (١٥/ ٢٦٣).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٠) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه. وإذا صح هذا فهو من باب التعزير ليردعهما عن ذلك. والله أعلم.

ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس معه، وخرجت من الدار في الهودج، فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: يابني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي له لمن الأخيار. فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وسار علي معها مودعا ومشيعا أميالا، وكان ذلك يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين، وقصدت في مسيرها إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت في عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير[(١)] رَحِمَهُٱللَّهُ عن أئمة هذا الشأن[(٢)]، وليس فيه ما يذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقه على الصحابة، والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنحن حينئذ نقول لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٠٦-٥٤٤).

(٢) قلت: وفي بعض ما ذكره ابن جرير رَحِمَهُٱللَّهُ نظر، وليس الأمر منه ولكن من الرواة الذين نقل عنهم وأسند إليهم حسب المنهج الذي ارتضاه، وفي بعض ما لخصه المصف نظر وألفاظ منكرة، بعضها نبه عليه والبعض الآخر اكتفى بالإشارة إلى إسناده، وقد تركت في تهذيبي هذا الألفاظ والأقوال المنكرة، والحمدلله على توفيقه.

وقعة صفين

○ مقدمة:

روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين. أنه قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة: إن أبا شيبة[(٢)] روى عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، فقال: كذب أبوشيبة، والله لقد ذاكرنا الحكم، في ذلك فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت[(٣)].

روى ابن بطة بإسناده عن بكير الأشج أنه قال: أما إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[(٤)].

(١) أخرج عبدالرزاق في المصنف (٣٥٧/ ١١) نحوه وانظر منهاج السنة (٦/ ٢٣٦).
وقال: هذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل.

(٢) أبوشيبة: هو إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي، أبوشيبة الكبير، قاضي واسط، روى عن خاله الحكم بن عتيبة، وأبي إسحاق السبيعي، وروي عنه شعبة، وجرير بن عبد الحميد، والوليد بن مسلم، قال أحمد ويحيى وأبوداود: ضعيف وقال البخاري: سكتوا عنه، قال الحافظ في التقريب: متروك الحديث. توفي سنة (١٦٩ هـ) تهذيب التهذيب (١/ ١٤٤، والتقريب ص ١١٢).

(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٣٧) وقال: هذا النص يدل على قلة من حضرها، وقد قيل إنه حضرها سهل بن حنيف، وأبو أيوب، وكلام ابن سيرين مقارب فما يكاد يذكر مائة واحد.
قلت: روى ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٣٠٣) وخليفة بن خياط في التاريخ ص (١٩٦) عن شعبة عن الحكم أن أبا أيوب لم يشهد صفين وإنما شهد مع علي يوم النهروان.

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (٥٩٦/ ٢) تحقيق: د/ رضا نعسان.

○ المراسلة بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لما أراد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبعث إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبدالله: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين. فإن بيني وبينه ودا، فأخذ لك منه البيعة فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه فقال علي: دعه.

وبعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب، وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا[1].

○ خروج علي إلى صفين:

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الكوفة عازما على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة[2]، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري، وكان أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود، وأشار عليه آخرون أن يخرج فيهم بنفسه.

وبلغ معاوية أن عليا قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له: اخرج أنت أيضا بنفسك، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال: إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل، ولم يبق مع علي إلا شرذمة قليلة، ممن قتل الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تطلوه، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا، وعقدت الألوية والرايات للأمراء، وتهيأ أهل الشام

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٦١ - ٥٦٢).

(٢) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشام. معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).

وتأهبوا، وخرجوا إلى نحو الفرات من ناحية صفين. وسار علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدا أرض الشام[١].

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، ومعه شريح بن هانىء، في أربعة آلاف، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه، وجاء علي فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلقى أمير المؤمنين عليا، فهموا بلقائه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عانات[٢] فمنعهم أهل عانات، فساروا فعبروا من هيت[٣] ثم لحقوا عليا - وقد سبقهم - فقال علي: مقدمتي تأتي من ورائي؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق إلى البيعة فلم يجيبوه بشيء، فكتب إلى علي بذلك، فبعث إليهم على الأشتر النخعي أميرا، وعلي ميمنته زياد، وعلى ميسرته شريح، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدؤوه بالقتال، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه، ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب، ولا يبعد منهم إبعاد من يهاب الرجال؛ ولكن صابرهم حتى آتيك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله.

وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جمهان الجعفي، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به علي، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبوالأعور السلمي فلم يزالوا متواقفين يومهم ذلك، فلما كان أخر النهار حمل عليهم

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/ ٥٦٣) من طريق أبي بكر الهذلي، وهو إخباري ضعيف.

(٢) بلد مشهور بين الرقة وهيت وهي مشرفة على الفرات، وبها قلعة حصينة، وتعد من أعمال الجزيرة. معجم البلدان (٤/ ٧٢).

(٣) سميت بهذا لأنها في هوة من الأرض، والأصل فيها موت فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهي بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وهي مجاورة للبرية. معجم البلدان (٥/ ٤٢٠).

أبو الأعور فثبتوا له، واقتتلوا ساعة، ثم انصرف أهل الشام عند المساء، فلما كان الغد تواقفوا أيضا وتصابروا فحمل الأشتر، فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه، فتقدموا إليهم، وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك، وكأنه رآه غير كفء له في ذلك - والله أعلم - ثم تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني. فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جيوشه، وجاء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جنوده، فتواجه الفريقان وتقابل الجمعان، وذلك بمكان يقال له: صفين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام، وذلك في أوائل ذي الحجة سنة ست وثلاثين، ثم عدل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فارتاد لجيشه منزلا، وقد كان معاوية سبق بجيشه فنزلوا على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه وجاء سرعان أهل العراق ليردوا الماء، فمنعهم أهل الشام، ووقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك، وأمد كل طائفة أهلها[١]، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحدا، ولا يؤذي إنسان إنسانا.

وأقام علي يومين لا يكاتب معاوية ولا يكاتبه معاوية، ثم أرسل علي وفدا من قبله إلى معاوية ولم يحصل بينهما اتفاق، وصمم معاوية على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوما، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم، وجعل علي يؤمر على كل يوم من الحرب أميرا، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميرا، وربما اقتتل الناس في اليوم

(١) لخص ابن كثير فيما يبدو روايات الطبري، وهي من طريق أبي مخنف. ولوقوع القتال على شريعة الماء شاهد عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٩٤) بإسناد حسن، وهناك رواية أخرى تنفي وقوع القتال أخرجها ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٢) ونصها: حدثنا معاوية بن هشام قال حدثنا ابن أبي ذئب عن حدثه عن علي قال: لما قاتل معاوية سبق إلى الماء فقال: دعوهم، فإن الماء لا يمنع، وهذه الرواية فيها من لم يسم. ولكن لها شاهد أخرجه ابن عساكر في ترجمة الأشعث من تاريخ دمشق (٤/ ٤٥ خ) وهي أولى وأقرب إلى الواقع، ويمكن الجمع بينها وبين الرواية المثبتة للقتال، بأن القتال حصل دون علم معاوية ثم لما علم نهاهم عن ذلك.

مرتين، وذلك في شهر ذي الحجة بكماله، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم من السنة السابعة والثلاثين تداعى الناس للمتاركة، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم[١].

ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كافون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح، فأمر علي بن أبي طالب، مرثد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استأنيتكم لتراجعوا الحق، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا، وإني قد أعذرت إليكم ونبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي به، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فعبيا الجيش ميمنة وميسرة، وبات علي يعبىء جيشه من ليلته، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة، وعلى قرائهم مسعر بن فدكي التميمي، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدأوا أحدا بقتال حتى يبدأهم ويعتدي عليهم، وأنه لا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر، ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم.

وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس[٢].

---

(١) ذكر المصنف بعد هذا رواية نقلها عن الطبري من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف، وهي مليئة بالغرائب والمنكرات، ولهذا قال بعد سياقها، وهذا عندي لا يصح عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. البداية والنهاية (١٠/ ٥٠٢، ٥٠٦)، ثم ذكر رواية أخرى من طريق ابن ديزيل عن عمر بن سعد، وهو شيخ قديم من عتق الشيعة، متروك، كما قال ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٦/ ١١٢) وهي مليئة بالغرائب والمبالغات.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ١١ – ١٢).

قال جابر الجعفي[١] عن أبي جعفر الباقر وزيد بن الحسن وغيرهما قالوا: سار علي إلى الشام في مائة وخمسين ألفا من أهل العراق، وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام. وقال غيرهم: أقبل علي في مائة ألف أو يزيدون، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفا.

وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم، وكان هؤلاء خمسة صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين، وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفا أيضا فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان ذلك يوم الأربعاء، وكان أمير الحرب على العراقيين الأشتر النخعي، وأمير الحرب يومئذ على الشاميين حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا ثم تراجعوا من آخر يومهم، وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافئوا في القتال.

ثم أصبحوا من الغد - يوم الخميس - وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة، وأمير الشاميين يومئذ أبو الأعور السلمي، فاقتتلوا قتالا شديدا، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال، ثم تراجعوا من آخر يومهم، وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا.

ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالا شديدا وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه، وبارز زياد بن النضر الحارثي رجلا، فلما تواقفا تعارفا، فإذا هما أخوان من أم، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه، واستمر القتال على هذه الصفة سبعة أيام، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه، ولم يغلب أحد أحدا في هذه الأيام كلها[٢].

(١) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبوعبدالله الكوفي، ضعيف، رافضي، مات سنة (١٢٧ هـ). انظر التقريب لابن حجر (١/ ١٢٣)، وانظر الخبر في وقعة صفين النصر بن مزاحم ص (١٥٦، ١٥٧).

(٢) ذكر المصنف تفاصيل أخرى، وخطب منسوبة لعلي من طريق أبي مخنف، ومن من طريق عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، وانظر الصفحات (٥١٥ - ٥٢٦/ ١٠).

○ مقتل عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كان عمار مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقتل في هذه المعركة، قتله أهل الشام وبذلك بان وظهر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ عليه، وما في ذلك من دلائل النبوة.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، سمعت عبدالله بن سلمة يقول: رأيت عمارا يوم صفين شيخا كبيرا آدم طوالا، آخذ الحربة بيده ويده ترعد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر، لعرفت أن مصلحينا على الحق، وأنهم على الضلالة[١].

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة وحجاج، قال حدثني شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة، قال حجاج: سمعت أبانضرة، عن قيس بن عباد قال: قلت لعمار بن ياسر: أرأيت قتالكم رأيا رأيتموه، فإن الرأي يخطىء ويصيب، أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة[٢]. وقد رواه مسلم[٣] من حديث شعبة.

وقال أحمد: حدثنا وكيع، ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، قال: قال عمار يوم صفين: ايتوني بشربة لبن، فإن رسول الله ﷺ قال: «آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»[٤].

---

(١) المسند (٤/ ٣١٩)، وإسناده صحيح، والقيد الذي ذكره عمار لعرفت أن مصلحينا على الحق، مهم وهو يخرج الغوغاء وأصحاب الأهواء. انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٣٦٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣١٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المنافقين وصفاتهم، حديث رقم (٢٧٧٩).

(٤) المسند (٤/ ٣١٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٢١)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٤٣) رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه منقطع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي البختري أن عمارا أتى بشربة لبن فضحك وقال: إنه رسول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شراب أشربه لبن حين أموت»[١].

قال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: ثنا يحيى، ثنا نصر، ثنا عمرو ابن شمر، عن جابر الجعفي، قال: سمعت الشعبي، عن الأحنف بن قيس قال: ثم حمل عمار بن ياسر عليهم، فحمل عليه ابن جون الكوني، وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن جون فاحتز رأسه[٢].

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى، ثنا عيسى بن عمر، ثنا هشيم، ثنا العوام بن حوشب، عن الأسود بن مسعود، عن حنظلة بن خويلد قال: بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار، فقال لهما عبدالله بن عمرو: ليطب كل واحد منكما نفسا لصاحبه بقتل عمار، فإني سمعت رسول الله يقول: «تقتله الفئة الباغية».

فقال معاوية لعمرو: ألا تنهى عنا مجنونك هذا؟!

ثم أقبل معاوية على عبدالله فقال له: فلم تقاتل معنا؟

فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والدي ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل[٣].

قال ابن ديزيل: حدثنا يحيى، ثنا نصر حدثني حفص بن عمران البرجمي، حدثني نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، أن عبدالله ابن عمرو قال لأبيه: لولا أن

---

(١) المصدر السابق (٣١٩/ ٤).

(٢) هذا الخبر ضعيف جدا، فيه عمرو بن شمر الجعفي أبو عبد الله. قال ابن معين ليس بثقة، وقال أبو حاتم، منكر الحديث جدا، ضعيف الحديث، لا يشتغل به، تركوه. الجرح والتعديل (٦/٢٣٩). وجابر بن يزيد الجعفي، ضعيف رافضي كما في التقريب (١٢٣/ ١). وقد ذكر الطبري (٤١/ ٥) قتل عمار ولم يذكر أن أحدا احتز رأسه. وإسناده لا بأس به. وللخبر تكملة ذكرها المصنف تركتها لما فيها من النكارة الشديدة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠٦،١٦٤) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح. انظر طبعة أحمد شاكر، حديث رقم (٦٥٣٨) ورقم (٦٩٢٩).

رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»[(١)].

قال: وحدثنا يحيى، ثنا عبد الرحمن بن زياد، ثنا هشيم، عن مجالد، عن الشعبي قال: جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال: ائذن له وبشره بالنار. فقال الرجل: أو ماتسمع ما يقول عمرو؟ قال معاوية: صدق؟ إنما قتله الذين جاؤا به[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ثنا، الأعمش، عن عبدالرحمن بن زياد، عن عبد الله بن الحارث، قال: إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص. فقال عبد الله بن عمرو: يا أبت أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»؟. قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة، أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به[(٣)].

ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن الأعمش به نحوه[(٤)]، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه.

وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعيد، ثم لم ينفرد عبدالله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روي من وجوه أخر[(٥)].

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن خالد، عن عكرمة، عن

---

(١) له شاهد في المسند (١/ ٨٦) سيأتي.
(٢) أخرج أحمد نحوه في مسنده (٤-١٩٩)، بإسناد صحيح.
(٣) المسند (٢/ ١٦١) و(٣/ ٢٠٦) من طريق الفضل بن دكين عن سفيان عن الأعمش به وقال أحمد شاكر إسناده صحيح انظر طبعة أحمد شاكر للمسند حديث رقم (٦٤٩٩) و(٦٩٢٦). وأخرجه النسائي في خصائص علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي ص (٩٢). قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٩/ ٣١٠): قول النبي ﷺ متواتر لا شك في تواتره عند أهل العلم.
(٤) المصدر السابق (٢/ ١٦١) وصححه أحمد شاكر حديث رقم (٦٥٠٠).
(٥) انظر: البخاري رقم: (٤٤٧، ٢٨١٢) ومسلم برقم: (٢٩١٥، ٢٩١٦).

أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية»[١].

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبدالعزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «يا ويح عمار يدعوهم[٢] إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٣].

وفي بعض نسخ البخاري: ياويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[٤].

وقال أحمد: حدثنا سليمان بن داود، ثنا شعبة عن عمرو بن دينار، عن هشام، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[٥].

وروى مسلم من حديث أبي سعيد قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة -

(١) المسند (٢٢/ ٣، ٢٨).

(٢) قال الحافظ في فتح الباري (٥٤٢/ ١) أعاد الضمير في قوله: يدعوهم إلى غير مذكور، والمراد قتلته كما ثبت من وجه آخر: تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلخ. فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، والمراد بالدعاء إلى الجنة، الدعاء إلى سبيلها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم.

(٣) صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب التعاون على بناء المساجد من طريق عبدالعزيز بن المختار ومن طريق عبدالوهاب الثقفي في كتاب الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله. وانظر المسند (٣/ ٩٠، ٩١).

(٤) نبه الحافظ ابن حجر في الفتح (١/٥٦٢) على أن قوله: تقتله الفئة الباغية، ليست في أصل الصحيح، وتعمد البخاري حذفها لنكتة خفية وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي، فدل على أنها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرطه. وقد سبقه إلى التنبيه على ذلك. المزي في تحفة الأشراف (٣/ ٤٢٧).

(٥) المسند (٢٨/ ٣).

أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[١].

ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن ابن علية، عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، به[٢]. وفي رواية: وقاتله في النار[٣].

وروى البيهقي عن الحاكم وغيره، عن الأصم، عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني، عن أبي الجواب، عن عمار بن زريق، عن عمار الدهني، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق»[٤].

وقال أحمد: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فتترب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»[٥] تفرد به أحمد.

وما زاده بعض الرواة في هذا الحديث بعد قوله الباغية: «لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة» كذب وبهت على رسول الله ﷺ، فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه بتسمية الفريقين مسلمين[٦]، كما سنورده إن شاء الله.

قال ابن جرير: لما قتل عمار حمل علي وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (٢٩١٥).
(٢) المصدر نفسه حديث رقم: (٢٩١٦).
(٣) هذه الرواية ليست في صحيح مسلم بل نبه الحافظ ابن كثير كما سيأتي قريبا أن مثل هذه الزيادة لم تثبت.
(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٢٢).
(٥) المسند (٥/ ٣) وإسناده صحيح.
(٦) يقول الإمام النووي: الروايات عن النبي ﷺ صريحة في أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون، شرح صحيح مسلم (٧/ ١٦٨).

لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه»[(١)].

ثم قدم علي ابنه محمدا في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم تبعه علي في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله، وطارت أكف ومعاصم ورؤوس عن كواهلها، - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى الناس إلا إيماء صلاتي العشاء، واستمر القتال في هذه الليلة كلها.

فذكر غير واحد من علماء السير[(٢)] أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى نفذت، وبالسيوف حتى تحطمت، ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي، والرمي بالحجارة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال عبدالرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين -: كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية، فالتقوا في الإسلام، فتصابروا واستحيوا من الفرار، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم.

قال الشعبي: هم أهل الجنة، لقي بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد.

○ إرسال أهل الشام بمصحف والدعوة إلى تحكيمه:

قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان، فيما استجابوا له وفيما فارقوه، وفيم استحل قتالهم؟ فقال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤١).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٤٧) والمنتظم (٥/ ١٢٠).

﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران:٢٣].

فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله. قال: فجاءته الخوارج - ونحن ندعوهم يومئذ القراء - وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تنتظر بهؤلاء القوم الذين على التل، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ وذكر تمام الحديث(١). أي قصة الحديبية.

فلما دعا أهل الشام إلى تحكيم كتاب الله، قال أهل العراق: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه(٢).

وكان ممن دعا إلى المصالحة من سادات الشاميين عبدالله بن عمرو بن العاص، قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما في القرآن، وذلك عن أمر معاوية بذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث ابن قيس الكندي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة، لعله يتفق أمر يكون فيه حقن دماء المسلمين، فإن الناس تفانوا في هذا القتال، ولا سيما في الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي التي سميت ليلة الهرير.

وكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله، ولهذا لم

(١) المسند (٣/ ٤٨٥) وهو في صحيح البخاري بالإسناد نفسه؛ لكنه اختصره، (كتاب التفسير، باب إذ يبايعوتك تحت الشجرة. وانظر فتح الباري (٨/ ٥٨٧).
(٢) ذكر المصنف هنا (١٠/ ٥٤٥) رواية منكرة عن أبي مخنف أعرضت عن ذكرها.
(٣) ذكر المصنف (١٠/ ٥٤٧) بعد هذا رواية من طريق أبي مخنف مخالفة لما رواه الثقات من قبول على التحكيم ورضاه به والاستجابة الدعاء أهل الشام عندما طلبوا ذلك، كما في حديث أحمد المتقدم.

يفر أحد من أحد، بل صبروا حتى قتل من الفريقين خلق كثير.

هذا كله ملخص من كلام ابن جرير، وابن الجوزي في كتابه المنتظم[١].

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان، عن أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو قال: كان أهل الشام ستين ألفا، فقتل منهم عشرون ألفا، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا، فقتل منهم أربعون ألفا[٢].

وحمل البيهقي هذه الوقعة على الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة[٣]، ورواه البخاري من حديث شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة[٤]، ومن حديث شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة[٥]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة».

وقد روى الإمام أحمد، عن ابن مهدي وإسحاق، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن البراء بن ناجية الكاهلي، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رحى الإسلام ستدور بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما، فقال: عمر يارسول الله أمما مضى أم مما بقي؟ قال: بل مما بقي»[٦].

(١) تاريخ الطبري (٥٤٣/١٠ - ٥٥٠) والمنتظم (٥/ ١١٧، ١٢٣).
(٢) دلائل النبوة (٤١٩/٦). وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦١٦/٦) المراد بهما من كان مع علي ومعاوية لما تحاربا بصفين.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب، علامات النبوة في الإسلام. انظر فتح الباري (٦١٦/٦) حديث رقم (٣٦٠٩) و صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (١٥٧).
(٤) صحيح البخاري، الموطن السابق، حديث رقم (٣٦٠٨).
(٥) المصدر السابق، كتاب استتابة المرتدين (٨٨)، باب (٨)، وكتاب الفتن (٩٢) باب (٢٥).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٣/١) و (١/ ٣٩٥) عن حاج عن سفيان به و (٣٩٠/١) من طريق = القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن جده عبدالله بن مسعود به. وصحح العلامة أحمد شاكر كل هذه

○ الاتفاق على التحكيم:

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات على التحكيم، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين - علي ومعاوية - رجلا من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين. فوكل معاوية عمرو بن العاص، وأراد علي أن يوكل عبدالله بن عباس ولكنه منعه القراء، وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري[(١)]، وكتبوا بينهم كتابا هذه صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه، ونحيي ما أحيا الله، ونميت ما أمات الله، فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله، فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة».

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة، وأجل - أي وقت. القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراضي منهما، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين،

الطرق. انظر الأحاديث رقم (٣٧٠٧)، (٣٧٣٠)، (٣٧٣١)، (٧٠٨)، والطيالسي في مسنده، ص (٥٠) من طريق شيبان عن منصور عن ربعي بن حراش به.، وأبو داود في سننه، كتاب الفتن (٤/ ٤٥٣) حديث رقم (٤٢٥٤) من طريق سفيان الثوري. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢١) من طريق أبي داود الطيالسي عن شيبان به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) لم يثبت في ذلك رواية صحيحة، واختيار أبي موسى للتحكيم المميزات فيه؛ منها: علمه، وممارسته للقضاء، واعتزاله للفتنة مما يجعله قادرا على الفصل في القضية، والصواب أنه لم يكن مفروضا على علي؛ لأن القراء كانوا معارضين أصلا للتحكيم واستمروا في المعارضة بعد ذلك.

على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل[١] في رمضان، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه. فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح[٢]، وشهد على الكتاب عشرة من جيش علي، وعشرة من جيش معاوية.

○ اجتماع الحكمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بدومة الجندل:

اجتمع الحكمان في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت كتابة التحكيم بصفين، وذلك أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كان مجيء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانيء[٣]، ومعهم أبو موسى، وعبدالله بن عباس، وإليه الصلاة، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام، فيهم عبدالله بن عمرو، فتوافوا بدومة الجندل - وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس، كعبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[٤]، وعبدالرحمن بن عبد يغوث الزهري[٥]، وأبي جهم بن حذيفة[٦]. وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم[٧] أيضا، وأنكر حضوره آخرون[٨].

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد، ثنا بكير بن

(١) دومة الجندل، بلدة معروفة بمنطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية.

(٢) آذرح: من قرى الأردن اليوم.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٦-١٢٨).

(٤) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٥) وهو والد أبي بكر بن عبدالرحمن أحد الفقهاء السبعة في المدينة.

(٥) هو. عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، مختلف في صحبته. الطبقات الكبرى (٥/ ٧) والإصابة (٢٨٦/ ٤).

(٦) أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوي، أسلم عند فتح مكة، وهو من المعمرين، وقد شهد بناء البيت مرتين. انظر طبقات ابن سعد الطبقة الرابعة من الصحابة (١/ ٣٧٤) والإصابة (٧/ ٧١).

(٧) قاله الواقدي كما في تاريخ الطبري (٦٦/ ٥).

(٨) وهو الصحيح. وسيذكر المصف ما يدل على ذلك.

مسـمار، عن عامر بن سـعد أن أخاه عمر انطلق إلى سـعد في غنم له خارجا من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الركب، فلما أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابيا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سـعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»(٩).

وهكذا رواه مسلم في صحيحه(١٠).

وقـال أحمـد أيضا: حدثنـا عبد الملك بـن عمرو، ثنـا كثير بن زيد الأسـلمي، عن المطلب عن عمر بن سعد، عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال: يا أبة، الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا؟ فقال: يابني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسا؟ لا والله حتى أعطي سيفا إن ضربـت بـه مؤمنا نبا عنه، وإن ضربت به كافرا قتله، سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «إن الله يحـب الغنـي الخفـي التقي»(١١) وهذا السـياق كأنه عكـس الأول، والظاهر أن عمر بن سـعد اسـتعان بأخيه عامر على أبيه ليشـير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه، فامتنع سـعد من ذلك وأباه أشـد الإباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: لقد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه»(١٢). وكان عمر بن سعد هذا يحب الدنيا والإمارة، فلـم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السـرية التي قتلت الحسـين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١٣)، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك.

والمقصود أن سـعدا لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به، وإنما حضره من ذكرنا.

(٩) المسند (١٦٨/ ١) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح (٢٦/ ٣).

(١٠) مسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٧).

(١١) المسند (١/ ١٧٧) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح (٣/ ٦٥).

(١٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة (٢/ ٧٣٠) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(١٣) كان ذلك سنة (٦١هـ) بأمر عبيدالله بن زياد.

فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين، بعلم ونظر في تقدير أمور، ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية[١]، ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما، وقد أشار أبوموسى بتولية عبدالله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: فول ابني عبدالله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد. فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في الفتن معك، وهو مع ذلك رجل صدق[٢].

○ خروج الخوارج:

تفرق الناس إلى بلادهم من صفين، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة فلما دخل على الكوفة سمع رجلا يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء. فقال علي: للذين فارقناهم خير من هؤلاء[٣] - يعني أهل الشام - ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة ولما قرب من دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفا[٤] وهم الخوارج وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له: حروراء. وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبدالله بن عباس فناظرهم، فرجع أكثرهم، وبقي بقيتهم.

وهؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من الناس» وفي رواية: «من المسلمين» وفي رواية: (من

(١) من المعلوم أن موضوع النزاع بين علي ومعاوية هو في طريقة القصاص من قتلة عثمان، معاوية يطلب القصاص ناجزا، وعلي يعتذر بعدم التمكن ويرى التأجيل حتى تستقر الأمور، وليس النزاع في الإمارة والخلافة حتى يقوما بالعزل كما تذكر الرواية، والصواب في نتيجة التحكيم أنهما لم يتفقا على شيء ولم يهتديا إلى طريقة تحل الإشكال فتركا الأمر.

(٢) ما ذكره المصنف هو رواية أبي مخنف عند الطبري (٦٨/ ٥) وحاله معلومة من الضعف والتشيع المنحرف. وانظر لنقد هذه الرواية، بحث الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (٤٠١، ٤١٨)، فقد أبطلها من تسعة أوجه، ونبه على ما فيها من المنكرات والغرائب.

(٣) وقعة صفين (٥٣٢)، وتاريخ الطبري (٥/ ٦٣)

(٤) وفي رواية ستة عشر ألفا.

أمتي)، فيقتلها أولى الطائفتين بالحق»[١].

وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة[٢].

فهذا الحديث من دلائل النبوة؛ لأنه قد وقع الأمر طبق ما أخبر به الرسول ﷺ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين؛ أهل الشام وأهل العراق، إلا كما تزعمه فرقة الرافضة، أهل الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن عليا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدا في قتاله له وقد أخطأ، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليا هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى، فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري[٣] من حديث عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

ويقال: إن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه، حتى استرجعهم عما كانوا عليه، ودخلوا معه الكوفة. ثم إنهم[٤] عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه، وتعاقدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - زعموا-، والقيام على الناس في ذلك، وتحيزوا مرة أخرى إلى موضع يقال له: النهروان، وفيه قاتلهم علي.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٠٦٤)، والبخاري أو بمعناه رقم: (٣٦١٠) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) انظر: المسند (٥/ ٣، ٣٢، ٤٥، ٧٩، ٩٥) وصحيح مسلم برقم: (١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٠٦٤) وهذا أحد طرقه قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي، عن سليمان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحليق، هم شر الخلق، أو من شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق، قال أبوسعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

(٣) انظر: صحيح البخاري رقم: (٧٣٥٢).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٩١)

قال الإمام أحمد[١]: حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، حدثني يحيى بن سليم عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن عبدالله بن عياض بن عمرو القارىء قال: جاء عبدالله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: مالي لا أصدقك. قالت: فحدثني عن قصتهم. قال: فإن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله، فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر مؤذن فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلا قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في كتابه في امرأة ورجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥]، فأمة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا على أن كاتبت معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال؛ سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف تكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله قريشا. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم علي

---

(١) المسند (٨٦/ ١) وإسناده صحيح.

عبـدالله بـن عباس فخرجت معه حتى إذا توسـطنا عسـكرهم فقام ابـن الكواء فخطب النـاس، فقال: ياحملـة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكـن يعرفه فأنا أعرفه من كتـاب الله مـا يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومـه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ (الزخرف) فردوه إلـى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقال بعضهم: والله لنواضعه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهـم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على على الكوفة، فبعث على إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شـئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ. بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ [الأنفـال] فقالت له عائشـة: يابن شـداد فقتلهـم؟ فقال: والله ما بعـث إليهم حتى قطعوا السـبيل وسفكوا الدماء واسـتحلوا أهل الذمة. فقالت: الله، قال: الله الذي لا إله إلا هو لقـد كان ذلك. قالت: فما شـيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونـه، يقولون: ذو الثدي وذو الثديـة؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليـه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسـجد بني فلان، ورأيته في مسـجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا. قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله عليا إنه كان من كلامه لا يـرى شـيئا يعجبه إلا قـال: صدق الله ورسـوله، فيذهب أهل العـراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث. تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء.

ففـي هذا السـياق ما يقتضي أن عدتهم كانت ثمانيـة آلاف، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا اثني عشر ألفا أو ستة عشر ألفا.

ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف، وبقي بقيتهم على ما هم عليه.

وقد رواه يعقوب عن سفيان[١] عن موسى بن مسعود، عن عكرمة ابن عمار، عن سماك أبي زميل، عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكم الرجال، وأنه محى اسمه من الإمرة، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام، ولم يقسم الأموال والسبي، فأجاب عن الأولتين بما تقدم، وعن الثالثة بأن قال: قد كان في السبي أم المؤمنين فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم، وإن استحللتم سبي أمكم فقد كفرتم.

○ الأحاديث الواردة في الخوارج:

اعتنى الحافظ ابن كثير بذكر الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ في شأن الخوارج وصفتهم، وأوردها عن ثلاثة عشر صحابيا: وابتدأها بحديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: (١٠/ ٦٠٨)، وقد قدمنا حديث علي بطرقه، لأنه أحد الخلفاء الأربعة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى، وصاحب القصة، ثم ساق الحديث عن أربعة عشر راويا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم:

١- زيد بن وهب الجهني وحديثه أخرجه مسلم في الصحيح برقم: (١٥٦، ١٠٦٦)، وأحمد في المسند (١/ ٩١)، وأبو داود في سننه، حديث رقم: (٤٧٦٨).

٢- سويد بن غفله الجعفي، أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٣١)، وهو في الصحيحين البخاري رقم: (٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم برقم: (١٠ ١٥٤،٦٦).

٣- طارق بن زياد الكوفي، أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٠٧، ١٤٧).

٤- عبدالله بن شداد الليثي، أخرجه أحمد في المسند(١/ ٨٦)، قال ابن كثير: (١٠/ ٥٦٨)، تفرد به أحمد وإسناده صحيح، واختاره الضياء في المختارة من الأحاديث الصحيحة.

٥- عبيدالله بن أبي رافع المدني، أخرجه مسلم في الصحيح برقم:.(١٠٦٦،١٥٧).

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ٥٢٢، ٥٢٤).

٦- عبيدة بن عمرو السلماني، أخرجه أحمد في المسند من عدة طرق عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي (٨٣/ ١، ٩٥، ١٤٤، ١٥٥)، ومسلم في الصحيح برقم: (١٥٥، ١٠٦٦)، ثم قال ابن كثير: (٥٩٩/ ١٠) بعد سياقه لرواية مسلم: وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين و قد حلف أنه سمعه من عبيدة، وحلف عبيدة أنه سمعه من علي، وحلف علي أنه سمعه من رسول الله ﷺ وقد قال علي: لئن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب على رسول الله ﷺ.

٧- كليب بن شهاب الجرمي، أخرجه أحمد في المسند (١٦٠/ ١)، من طريقين، ثم قال ابن كثير: وإسناده جيد ولم يخرجوه.

٨- أبو جحيفة وهب بن عبد الله الشوائي، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٩٩/ ١).

٩- أبو كثير مولى الأنصار، أخرجه أحمد في المسند (٨٨/ ١).

١٠- أبو مريم الثقفي المدائني واسمه قيس، أخرجه أحمد في المسند (١٥١/ ١) وأبو داود في سننه برقم: (٤٧٧٠).

١١- أبو موسى أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٣٣).

١٢- أبو المؤمن الوابلي الكوفي، أخرجه البزار في مسنده و قال: لا نعلم روى أبوالمؤمن عن علي غير هذا الحديث.

١٣- أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، أخرجه البزار في مسنده وقال: لا نعلم روى حبيب بن ثابت عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث.

١٤- أبوالوضيء عباد بن نسيب، أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٣٩، ١٤٠، ١٤١)، وأبو داود في سننه برقم: (٤٧٦٩).

وهذا سياق رواية زيد بن وهب الجهني عن علي من صحيح مسلم.

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا عبد بن حميد، ثنا عبدالرزاق بن همام، ثنا عبد الملك بن أبي سليمان، ثنا سلمة بن كهيل، حدثني زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا على العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم. فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله.

قال سلمة فنزلني زيد بن وهب منزلا منزلا[١] حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم[٢]، وسلوا السيوف، فشجرهم الناس برماحهم[٣] قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ التمسوا فيهم

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٢/٧) في معظم النسخ مرة واحدة، وفي نادر منها: "منزلا منزلا" مرتين، وهو وجه الكلام؛ أي: ذكر لي مراحلهم بالجيش منزلا منزلا حتى بلغ القنطرة التي كان القتال عندها وهي قنطرة الدبرجان.

(٢) أي: رموا بها عن بعد.

(٣) «فشجرهم الناس برماحهم» أي: مدوها إليهم وطاعنوهم بها، والمراد بالناس أصحاب علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ انظر: المصدر السابق.

المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، فقال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيد السلماني فقال: يا أمير المؤمنين، آلله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، فاستحلفه[1] ثلاثا وهو يحلف له.

ثم قال ابن كثير: (٦٠٧/ ١٠) والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي، إذ قد روي من طرق متعددة عن جماعة متباينة، لا يمكن تواطئوهم على الكذب، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة، ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه، عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبره عن صفة الخوارج، وصفة ذي الثدية الذي هو علامة عليهم.

ثم قال: والحديث في الخوارج رواه جماعة من الصحابة غير علي بن أبي طالب، منهم:

١- عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديثه أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٤) والترمذي في سننه برقم: (٢١٨٨) وابن ماجه برقم: (١٦٨)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني كما في صحيح سنن الترمذي رقم: (١٧٧٩) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، أحداث، أو قال: حدثاء الأسنان، يقولون من خير قول الناس يقرءون القرآن بألسنتهم، لايعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن أدركهم فليقتلهم، فإن في قتلهم أجرا عظيما عندالله لمن قتلهم" هذا لفظ رواية أحمد في المسند.

(١) إنما استحلفه ليسمع الحاضرين ويؤكد ذلك عندهم ويظهر لهم المعجزة التي أخبر بها رسول الله ﷺ ويظهر لهم أن عليا وأصحابه أولى الطائفتين بالحق وأنهم محقون في قتالهم، مسلم بشرح النووي (٧/ ١٧٣).

قال ابن كثير بعد سياق حديث ابن مسعود: وابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين، فحديثه في ذلك من أقوى الاعتضاد.

٢- أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديثه أخرجه أحمد في المسند(١٨٩/ ٣، ٢٢٤)، وأبو داود في سننه من طريقين برقم: (٤٧٦٥، ٤٧٦٦)، وابن ماجه برقم: (١٧٥).

٣- جابر بن عبدالله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديثه أخرجه أحمد في المسند من ثلاث طرق (٣/ ٣٥٤، ٣٥٥) ومسلم في الصحيح برقم: (١٠٦٣) والنسائي في السنن الكبرى برقم: (٨٠٨٧، ٨٠٨٨).

٤- سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديثه أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٣/ ٤٠٦) ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٣٣) كما أخرجه أحمد في المسند (١٧٩/ ١).

٥- أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله طرق عنه أخرجها أحمد في المسند (٣/ ١٥، ٣٣، ٣٤، ٤٨، ٥٦، ٥٢، ٦٨، ٦٠، ٧٢، ٧٣، ٨٢)، وكذا في البخاري برقم: (٤٣٥١، ٥٠٥٨، ٧٥٦٢)، وفي مسلم (١٤٤، ١٤٧، ١٠٦٤، ١٤٨).

٦- سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديثه أخرجه الهيثم بن عدي كما ذكر ابن كثير (٦٢٣/ ١٠).

٧- سهل بن حنيف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٨٦)، وهو في الصحيحين البخاري برقم: (٦٩٣٤) ومسلم (١٠٦٨، ١٦٠، ١٥٩).

٨- عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه ابن ماجه في سننه برقم: (١٧١) وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم: (١٤١).

٩- عبدالله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٨٤). ١٠- عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه أحمد في المسند (١٩٨/ ٢، ١٩٩).

١١- أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٨؛١٠٦٧).

١٢- رافع بن عمرو الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مسلم مع حديث أبي ذر السابق.

○ معركة النهروان:

قال أبو مخنف عن عبدالملك بن أبي حرة أن عليا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة، اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة. ثم قام حرقوص بن زهير فقال: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل].

فقال سنان بن حمزة الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها.

فبعثوا إلى زيد بن حصين الطائي، وكان من رؤسهم فعرضوا عليه الإمارة عليهم، فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم عرضوها على حمزة بن سنان، فأبى، ثم عرضوها على شريح بن أوفي العبسي فأبى، ثم عرضوها على عبدالله بن وهب الراسبي، فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت.

واجتمعوا أيضا في بيت زيد بن حصين الطائي السبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص:٢٦] وقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة] والتي بعدها: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾، ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ المائدة ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى، ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم، آتاكم الله ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن قتلتم فأي شيء أفضل من الصبر والمصير إلى الله ورضوانه وجنته؟.

قال ابن كثير: وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن؛ ليملكوها ويتحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم، ممن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخا[1]، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانا لئلا يشعروا بكم فكتبوا كتابا عاما إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر، ليكونوا يدا واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانا؛ لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأعمام والعمات وفارقوا

(١) جوخا، بالضم والقصر، وقد يفتح: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، معجم البلدان (١٤٣/ ٢).

سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم الخطيئات، وأنه مما يزينه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات، وقد تدارك جماعة بعض أولادهم وقراباتهم وإخوانهم، فردوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج، واجتمع الجميع بالنهروان، وصارت لهم شوكة ومنعة، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وثبات وصبر، وعندهم أنهم متقربون بذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهم قوم لا يصطلى لهم بنار، ولا يطمع أحد في أن يأخذ منهم بثأر.

وبينما كان علي يتجهز لقتال أهل الشام، إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فسادا وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب[1] صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روعتموني فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»[2] فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيرا لبعض أهل الذمة، فضربه بعضهم بسيفه فشق جلده، فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي، فذهب إلى ذلك الأمي فاستحله وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدموا عبدالله بن خباب فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته، فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عَزَّوَجَلَّ! فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم، خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بالقتال أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم

(١) عبدالله بن خباب بن الأرت التميمي، صحابي صغير، وأبوه صحابي مشهور، انظر: ترجمته في الإصابة (٤/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠١، ٣٦٠٢) ومسلم برقم (٢٨٨٦).

وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على علي بأن يبدأ بهم، ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام والناس آمنون من شرهم، فاجتمع الرأي على هذا، وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضا؛ إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقا وشاما، ولم يتركوا طفلا ولا طفلة ولا رجلا ولا امرأة؛ لأن الناس عندهم قد فسدوا فسادا لا يصلحهم إلا القتل جملة فأرسل علي إليهم الحارث بن مرة العبدي وقال له: أخبر لي خبرهم واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية، فلما قدم عليهم الحارث قتلوه ولم ينظروه، فلما بلغ ذلك عليا سار إليهم وترك أهل الشام.

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذه الأحداث في سنة سبع وثلاثين نقلا عن أبي مخنف، واتباعا للإمام الطبري، لكن نقل عن ابن جرير أنه قال: وأكثر أهل السير على أثر ذلك كان سنة ثمان وثلاثين، وصححه، ثم قال ابن كثير: (١٠/ ٦٤٧) وهو الأشبه، كما سننبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

قال: وسلك علي ناحية الأنبار، وبعث بين يديه قيس بن سعد، وأمره أن يأتي المدائن وأن يلقاه بنائبها سعد بن مسعود الثقفي، في جيش المدائن، فاجتمع الناس هنالك على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتلهم بهم، ثم إنا تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام، ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه، فبعثوا إليه يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فوعظهم فيما هم مرتكبوه من الأمر العظيم، والخطب الجسيم، فلم ينفع ذلك فيهم، وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري، أنبهم ووبخهم فلم ينجع فيهم، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم، فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتهددهم وتوعدهم فلم يكن لهم جواب إلا أن تبادروا وتنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الرب، عَزَّوَجَلَّ، الرواح الرواح إلى الجنة! وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال، فجعلوا على ميمنهم زيد بن حصين الطائي السنبسي، وعلى الميسرة شريح بن أوفي، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان،

وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، ووقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه.

وجعل علي على ميمنته حجر بن عدي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، أو معقل بن قيس الرياحي، وعلى خيالته أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة، وكانوا سبعمائة قيس بن سعد بن عبادة.

❍ علي يرفع راية أمان للخوارج:

وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا في دمائكم إلا في من قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبدالله بن وهب الراسبي.

❍ وقوع القتال:

فزحفوا إلى علي فقدم على بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة، وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدءوكم. وأقبل الخوارج وهم يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة! فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطف عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم؛ عبدالله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبدالله بن شجرة السلمي ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر.

وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول: بؤسا لكم، لقد ضركم من غركم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ومن غرهم؟ قال: الشيطان، وأنفسٌ بالسوء أمارة، غرتهم بالأماني، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون. ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وقال الهيثم بن عدي: إن عليا لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان، ولكن رده إلى أهليهم كله، حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده[١].

وقال الهيثم بن عدي: ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: سئل علي عن أهل النهروان: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا. قيل: أفمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا[٢].

○ شأن الخوارج بعد معركة النهروان:

قال ابن كثير (١٠/ ٦٤٣) ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قتله الخوارج رجل من أهل البصرة من بني ناجية يقال له: الحارث بن راشد[٣] واتبعه بشر

(١) قلت: هذا هو المعروف من سيرة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الذي بين بفعله منهج التعامل مع البغاة إذ يختلف عن التعامل مع الكفار، فالبغاة لا يجهز على جريحهم ولا يتبع مدبر هم ولا تسبى نساؤهم وأولادهم ولا تغنم أموالهم، وأقره على ذلك الصحابة في عصره فصار إجماعا منهم. قال ابن تيمية في منهاج السنة (٥/ ٢٤١)، ولما تحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ولا حقكم من الفيء ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع ذلك لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم ما، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، ولم ينكر أحد على علي ذلك.

(٢) عند عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٩٠) وابن أبي شيبة (١٠/ ٣٣٢) بسند صحيح نحوه لكن ليس فيه لفظ: إخواننا. قيل له فما هم؟ قال قوم: بغو علينا فقاتلناهم وفي رواية: قوم بغوا علينا فصرنا عليهم، وفي أخرى، قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٥/ ٢٤٣) وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء فإنهم بغاة على جميع المسلمين، سوى من وافقهم على مذهبهم، وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يندفع شرهم إلا بالقتال، فكانوا أضر على المسلمين من قطاع الطريق، فإن أولئك إنما مقصودهم من المال، فلو أعطوه لم يقاتلوا، وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم بالباطل وفهمهم الفاسد للقرآن، ومع هذا فقد صرح علي بأنهم مؤمنون ليسوا كفارا ولا منافقين.

(٣) في تاريخ الطبري (٥/ ١١٣)، سماه الخريت بن راشد الناجي، وذكر تفاصيل كثيرة من طريق أبي مخنف.

من قومه بني ناحية وغيرهم، وتحيزو ناحية، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرياحي في جيش كثيف، فقتلهم قتلا ذريعا.

وقال الهيثم كما في البداية والنهاية (٦٤٦/ ١٠)، ثم خرج رجل آخر من أهل البصرة، فقتل، فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني فقتل هو وأصحابه.

ثم خرج الأشهب بن بشر البجلي ثم العرني من أهل الكوفة، فقتل هو وأصحابه.

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي؛ تيم ثعلبة، من أهل الكوفة أيضا فقتل بقنطرة درزيجان قريبا من المدائن.

قال الشعبي: لما قتل علي أهل النهروان خالفه قوم كثيرون وانتقضت أطرافه، وخالفه بنوناجية وانتقض أهل الجبال، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا عامل علي على فارس سهل بن حنيف، فأشار ابن عباس على علي أن يولي فارس زياد بن أبيه فولاه إياها فسار إليها سنة تسع وثلاثين في جمع كثير، فوطئهم حتى أدوا الخراج ورجعوا إلى الطاعة.

○ النزاع على ولاية مصر:

كان على نيابة مصر في أيام عثمان عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان ليقتلوه كان الذي جهزهم إليه - مع عبدالله بن سبأ، المعروف بابن السوداء - محمد بن أبي حذيفة بن عتبة، وكان لما قتل أبوه باليمامة قد أوصى به إلى عثمان، فكفله ورباه في حجره ومنزله، وأحسن إليه إحسانا كثيرا، ونشأ في عبادة وزهادة، وسأل عثمان أن يوليه عملا، فقال له عثمان: متى ما صرت لذلك أهلا وليتك، فتعتب في نفسه على عثمان، فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له، فقصد الديار المصرية، وحضر مع أميرها عبدالله بن سعد بن أبي سرح غزوة الصواري، وشرع يتنقض عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وساعده على ذلك محمد بن أبي بكر الصديق، فكتب بذلك ابن أبي سرح إلى عثمان يشكوهما إليه، فلم يعبأ بهما عثمان

شيئا، ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان، فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان، تغلب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح، وصلى بالناس فيها، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل عثمان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وبلغه أن عليا قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة، فشمت بمحمد بن أبي حذيفة إذ لم يمتع بملك الديار المصرية سنة، وسار عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى الشام فأخبر معاوية بما كان من أمره بديار مصر، وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها، فبعث معاوية عمرو بن العاص إليه ليخرجه منها؛ لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان، مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه، فحاول عمرو دخول مصر فلم يقدر عليه أول الأمر، فلم يزل يكايده حتى خرج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش، وجاءه عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا. ذكره محمد بن جرير[(١)].

وفي سنة ست وثلاثين، ولى علي بن أبي طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فسار إليها ودخلها في سبعة نفر، فرقى المنبر، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بولايته على مصر[(٢)]، قال: ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلي، فقام الناس فبايعوه، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها: خربتا[(٣)] فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان، وكانوا سادة الناس ووجوههم، وهم في نحو من عشرة آلاف - منهم بسر بن أبي أرطأة، ومسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج، وجماعة من الأكابر - وعليهم رجل يقال له: يزيد بن الحارث المدلجي. وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم[(٤)].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٦).
(٢) ذكر نص كتاب علي، وفيه ألفاظ منكرة لا تصح عنه، والخبر أخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ٥٤٨)، وفي إسناده هشام بن محمد الكلبي، وهو رافضي متروك غير ثقة، وفيه أبو مخنف لوط بن يحيى وهو كسابقه أخباري شيعي غير ثقة. (ميزان الاعتدال ٣٠٤/ ٣، ٤١٩/ ٣).
(٣) خربتا: موضع في مصر قرب الإسكندرية، معجم البلدان (٤١٦/ ٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥٤٩/ ٤)، من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف.

ثم كتب معاوية بن أبي سفيان بعد أن استوسق له أمر الشام كلها إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان، وأن يكون مؤازرا له على ما هو بصدده من القيام في ذلك.

فلما بلغه الكتاب – وكان قيس رجلا حازما – لم يخالفه ولم يوافقه، بل بعث يلاطف معه الأمر؛ وذلك لبعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود، فسالمه قيس وتاركه، فكتب معاوية إليه: إنه لا يسعك معي تسويفك بي، وخديعتك لي، ولا بد أن أعلم أنك سلم لي أو عدو. وكان معاوية حازما أيضا. فكتب إليه قيس – لما صمم عليه: إني مع علي؛ إذ هو أحق بالأمر منك، فلما بلغ ذلك معاوية، يئس منه، ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيسا يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق.

وروى ابن جرير[(١)] أنه جاء إلى علي كتاب بمبايعة قيس معاوية، فلما جاء الكتاب إلى علي أراد أن يختبره ويتحقق من صدق ذلك، فكتب إليه أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة، فبعث يعتذر إليه بأنهم كثيرة عددهم، وهم وجوه الناس، وقال في كتابه: إن كنت إما أمرتني بهذا لتختبرني؛ لأنك اتهمتني في طاعتك فابعث على عملك بمصر غيري. فبعث على الأشتر النخعي، فسار إليها، فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه، فبلغ ذلك أهل الشام، فقالوا: إن لله جندا من عسل، فلما بلغ عليا مهلك الأشتر، بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر، فارتحل قيس إلى المدينة، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد، فعذره علي وشهد معه صفين. فلم يزل محمد بن أبي بكر قائم الأمر مهنيا بالديار المصرية، حتى كانت وقعة صفين والاتفاق على التحكيم، فعند ذلك طمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر، واجترءوا عليه وبارزوه بالعداوة فلما فرغ علي من صفين، وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر – وكان شابا ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك – عزم

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٣)، والذي يظهر أنه مزور.

علي على رد قيس بن سعد إليها، وكان على قد جعله على شرطته، ولكن لم يتهيأ بعثه حيث جدت أمور في مصر والعراق. وعن معاوية نيابتها لعمرو بن العاص إذا فتحها، ثم كتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وإلى معاوية بن حديج السكوني وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر، يخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعا، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن حديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيش، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، وخرج معه مودعا وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك.

فسار عمرو فلما دخل مصر، اجتمعت عليه العثمانية فقادهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أما بعد، فتنح عني بدمك، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر؛ فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا[(١)] البطان، فاخرج منها فإني لك لمن الناصحين، والسلام[(٢)].

وكتب محمد بن أبي بكر إلى علي يعلمه بقدوم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية؛ فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلي بأموال ورجال، والسلام، فكتب إليه علي يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال، ويمده بالجيوش.

وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام.

---

(١) البطان هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا بلغ الشة غايته، وهو مثل يضرب في تناهي الشر، مجمع الأمثال (٣/ ١٠٢).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٠١).

وتقدم عمرو بن العاص إلى مصر في جيوشه، ومن لحق به من أهل مصر والجميع في قريب من ستة عشر ألفا، وركب محمد بن أبي بكر في قريب من ألفي فارس، وهم الذين انتدبوا معه من أهل مصر، وقدم بين يدي جيشه كنانة بن بشر، فجعل لا يلقى أحدا من الشاميين إلا قاتلهم، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن ديج، فجاءه من ورائه، وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب؛ فترجل كأنه وهو يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم قاتل حتى قتل، وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه، ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها، ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر، وذهب معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر، فمر بعلوج في الطريق فقال لهم: هل مر بكم أحد تستنكرونه؟ قالوا: لا. فقال رجل منهم: إني رأيت رجلا جالسا في هذه الخربة. فقال: هو ورب الكعبة فأخذ ثم قدم فقتل فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا، وضمت عياله إليها، وكان فيهم ابنه القاسم.

قال أبو مخنف بإسناده[1] ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر، وما كان من الأمر، وتملك عمرو مصر واجتماع الناس عليه وعلى معاوية، قام في الناس خطيبا فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة، فلما كان الغد خرج يمشي إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه منهم أحد فلما كان العشي بعث إلى أشرافهم، فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فعاتبهم فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي، فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له، فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا، فسار بهم خمسا، ثم قدم على علي جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر، وكيف قتل محمد بن أبي بكر، وكيف استقر أمر عمرو بها، فبعث إلى مالك بن كعب فرده من الطريق؛ وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر.

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٠٦).

○ حال علي مع أهل العراق:

واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه والخروج عليه، وانتقاد أحكامه، ورد أقواله، وحل إبرامه لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم. ثم كتب علي إلى ابن عباس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من الناس، من المخالفة ويقول: إلي دعوتهم إلى غوث إخوانهم؛ فمنهم من أتى كارها، ومنهم المعتذر كاذبا، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا ومخرجا وأن يريحني منهم عاجلا ولولا ما أحاول من الشهادة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا، عزم الله لنا ولكم على تقواه وهداه، إله على كل شيء قدير، والسلام، فرد عليه ابن عباس يسليه عن الناس، ويعزيه في محمد بن أبي بكر، ويحثه على ملاطفة الناس والصبر على مسيئهم، فإن ثواب الله خير وأبقى، وقال له: إن الناس ربما تثاقلوا ثم نشطوا، فارفق بهم يا أمير المؤمنين. ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي، وهو بالكوفة، واستخلفت ابن عباس على البصرة زيادا.

○ محاولة معاوية انتزاع البصرة:

وفي هذا العام (٣٨هـ) بعث معاوية بن أبي سفيان عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعوهم إلى مناصرته فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه، فنهض إليه زياد وبعث إليه علي بن أبي طالب أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس، فثاروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين ابن ضبيعة أمير السرية التي بعثها علي فكتب نائب ابن عباس زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة من المخالفة بعد خروج ابن عباس منها، فبعث عند ذلك علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلا إلى قومه بني تميم وكتب معه كتابا إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي.

○ محاولة انتزاع الحجاز واليمن:

قال ابن جرير[١]: فما كان في هذه السنة (٤٠هـ) من الأمور الجليلة، توجيه معاوية بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فدخل المدينة ثم مكة ثم مضى بسر إلى اليمن، وعليها عبيدالله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فلما دخل بسر اليمن قتله، وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيدالله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فقتلهما، ويقال: إن بسرا قتل في مسيره هذا خلقا من شيعة علي.

وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير، وفي صحته عندي نظر[٢].

○ الهدنة بين علي ومعاوية:

قال ابن جرير[٣]: وفي السنة (٤٠ هـ) جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها، على وضع الحرب بينهما، وأن يكون ملك العراق لعلي، ولمعاوية ملك الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة.

○ ولاية الحج والأمصار:

حج بالناس في سنة ست وثلاثين عبدالله بن عباس عن أمر على له بذلك[٤].

قال ابن جرير[٥] وحج بالناس في سنة سبع وثلاثين عبيدالله بن عباس؛ نائب علي على اليمن ومخاليفها، وكان نائب مكة قثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل: سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبدالله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود

---

(١) تاريخ الطبري (١٤٠-٥).
(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٦٨٣).
(٣) تاريخ الطبري (١٤٠/ ٥).
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٥٧٦)، والبداية والنهاية (٥٠١/ ١٠).
(٥) تاريخ الطبري (٩٢/ ٥).

الدئلـي، وعلـى مصر محمد بن أبي بكر الصديق، وأميـر المؤمنين علي مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان بالشام مستحوذ عليها.

قـال ابن جرير وغيره[١]: وحج بالناس في سـنة ثمان وثلاثيـن قثم بن العباس، نائب علـي علـى مكـة، وكان أخوه عبيـد الله بن عبـاس نائب اليمـن، وأخوهمـا عبدالله بن عبـاس نائب البصـرة، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة، وعلى خرسـان خالد بن قـرة اليربوعـي، وقيل: ابن أبزى، واسـتقت مصر بيد معاوية فاسـتناب عليها عمرو بن العاص. والله أعلم.

قال الواقدي[٢]: وفي سـنة تسـع وثلاثين بعث علي بن أبي طالب عبيدالله بن عباس على الموسـم، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الزهاوي ليقيم للناس الحج، فلما اجتمعا بمكة تنازعا، وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي فحج بالناس، وصلى بهم في أيام الموسم.

قال أبو الحسـن المدائني[٣] لم يشـهد عبدالله بن عباس الموسم في أيام علي حتى قتل والذي نازعه يزيد بن شجرة، إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٢).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٣٦).

الفصل الرابع
الجهاد والفتوحات في عهده

الفصل الرابع: الجهاد والفتوحات في عهده

لقد واجه الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظروفا صعبة وأحوالا متغيرة، فلم تستقر له الأمور، ووقع القتال بين المسلمين، وظهرت الخوارج، فانشغل الخليفة في مواجهة تلك الأحداث الداخلية ومعالجة الفتن التي أعقبت قتل الخليفة الشهيد المظلوم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان من شؤم الفتن وأثارها السيئة توقف حركة الجهاد والفتوحات التي كانت سمة بارزة لعصر من سبقه من الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم تسجل كتب التاريخ فتوحات جديدة في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكن رغم تلك الأحداث الداخلية المؤلمة فإنه قد تمت المحافظة على ما تم فتحه، وكان ولاة الأطراف متيقظون لمواجهة العدو، وكذا المرابطون في الثغور يقومون بواجب الحراسة والحماية لها.

وقد ذكر الإمام الطبري والحافظ ابن كثير[١] أن قسطنطين بن هرقل قصد في سنة خمس وثلاثين بلاد المسلمين في ألف مركب، فأرسل الله عليه قاصها من الريح فغرقه الله ومن معه، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شرذمة قليلة من قومه، فلما دخل صقلية ثاروا عليه فقتلوه وقالوا: أنت قتلت رجالنا»، وقد كفى الله المسلمين شره. كما يذكر ابن كثير[٢] أنه في سنة تسع وثلاثين امتنع أهل فارس والجبال من الخراج والطاعة وتمردوا على عاملهم سهل بن حنيف، فولى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زياد بن أبيه وكان صليب الرأي عالما بالسياسة على بلادنا فارس وكرمان، فسار إليها في أربعة آلاف فارس فأخضعها حتى استقاموا وأدوا الخراج ورجعوا إلى السمع والطاعة، وسار فيهم بالعدل والأمانة، وبنى قلعة هناك تعرف بقلعة زياد.

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤١)، والبداية والنهاية (١٠/ ٤٢٧).
(٢) البداية والنهاية (١٠/٦٧٨).

وبعث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد صفين جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان، وكان بعض بلدانها قد امتنعوا من الطاعة فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، كما صالحه أهل مرو[١].

○ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوضح أحكام البغاة:

لئن فات علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التوسع والإضافة في الفتوحات الإسلامية كما صنع أصحابه من قبل إلا أنه قد وضح بسيرته العادلة أحكام البغاة، وأحكام قتال الفتنة الذي يقع بين المسلمين، وهو نوع من الجهاد لاستقرار الجبهة الداخلية وتوحدها ومواجهة الانقسام فيها، وبيان الأحكام المتعلقة بذلك.

فقد فرق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين قتال الفتنة، وقتال البغاة الخارجين عن الطاعة، وقتال الخوارج الذين خرجوا عن بعض شرائع الإسلام بتأويل.

فالقتال في معركة الجمل وقع عن غير اختيار وهو قتال فتنة. والقتال في صفين هو لإرغام الخارجين عن الطاعة الممتنعين عن البيعة فقصد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قتالهم بعد الدعاء إلى التسليم والبيعة، وكان مجتهدا في ذلك، وبعض الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، لم يشاركوا في هذا القتال ولم يروه، وكان رأيهم أصوب، وقد حمدهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بآخره، وتمنى لو أنه لم يقاتل.

أما الخوارج فقد فرح علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتولي قتالهم بعد أن أفسدوا وقطعوا السبيل، وكان قد أقام عليهم الحجة، وناظرهم وأرسل من يناظرهم حتى يعذر فيهم. وقتاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج معه فيه نص من رسول الله ﷺ.

وقد مدح رسول الله ﷺ من يقاتلهم وأمر بقتالهم، ومع هذا فقد كانت سيرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع جميع هذه الأصناف أنه لا تسبى ذراريهم ونساءهم، ولا تغنم أموالهم، ولا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم.

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٤).

ومن جهوده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قاتل المرتدين والغلاة من السبائية الذين ادعوا فيه الألوهية فاستتابهم فلما لم يرجعوا أمر بإحراقهم بالنار[١]. وقد خالفه ابن عباس وغيره في وسيلة القتل وهي الإحراق لكنهم موافقون له في وجوب قتلهم ردة.

كما أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد حارب البدع والظواهر الأول للغلو عند الشيعة، فقد خطب على منبر الجامع بالكوفة وبين أن أفضل الأمة بعد رسولها أبي بكر وعمر، وقال: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٢] ومنع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. من سب الصحابة جميعا، وتوعد من فعله بالعقوبة.

وقال في خطبة له موضحا أن رسول الله ﷺ لم يخصهم بشيء لم يبينه للناس فقال: من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة، ويشير إلى صحيفة معلقة في قراب سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحة فقد كذب[٣].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: ابن حزم، الفصل (١٨٦/ ٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤).

(٣) البخاري (٦/ ٢٧٣) من الفتح، ومسلم برقم (١٣٧٠).

الفصل الخامس

خلافة الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

الفصل الخامس: خلافة الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

○ بيعته بالخلافة:

لما ضرب ابن ملجم عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالوا له: استخلف يا أمير المؤمنين، فقال: لا، ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ يعني بغير استخلاف. فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم، كما جمعكم على خيركم[1] بعد رسول الله ﷺ، فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن، لأنه أكبر بنيه، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ودفن، كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قيس بن سعد بن عبادة، فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن، فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان ذلك يوم مات علي في شهر رمضان سنة أربعين.

وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل قد بايعوا عليا على الموت، فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، فعزل قيسا عن إمرة أذربيجان، وولى عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحدا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسمع بمثله، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا بين يديه، وسار هو بالجيوش في إثره قاصدا بلاد الشام ليقاتل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه، فبينما هو في المدائن معسكر بظاهرها، إذ صارخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل. فثار الناس فانتهب بعضهم بعضا، حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أشوته[2]، فكرههم الحسن كراهية شديدة، ثم ركب فدخل القصر الأبيض من المدائن، فنزله وهو جريح، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، أخو

(١) هذه شهادة من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ باجتماع الأمة على خيرها. أبي بكر الصديق - بعد وفاة النبي ﷺ.

(٢) أشوته: لم تصب مقتله، انظر: النهاية (٢/ ٥١١).

أبي عبيدصاحب يوم الجسر، فلما استقر الحسن بالقصر قال المختار بن أبي عبيد، قبحه الله، لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: وما ذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعث به إلى معاوية. فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به! أأغدر بابن بنت رسول الله؟![١].

○ الصلح بين الحسن ومعاوية:

ولما رأى الحسين بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم، وكتب عند ذلك إلى معاوية – وكان قد ركب في أهل الشام، فنزل مسكن[٢] يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وأن يكون خراج دار ابجرد له، وأن لا يسب علي وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية، ويحقن الدماء بين المسلمين، فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية، وقد لام الحسين أخاه الحسن على هذا الرأي، فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم بعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع لمعاوية.

والمشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له: عام الجماعة. لاجتماع الكلمة فيه على معاوية. والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين[٣].

قال ابن كثير: والحسن هو سيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم، والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه[٤] في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٨٦)، بإسناد ضعيف.
(٢) مسكن: موضع بالعراق على نهر دجيل. معجم البلدان (٥/ ١٢٧).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ١٦٢).
(٤) البداية والنهاية (٩/ ١٥٣، ١٦٩، ٢١٠).

بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا»، و إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة، وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا، وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد، كما في حديث أبي بكرة الثقفي، أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوما، وجلس الحسن بن علي إلى جانبه، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى، ثم قال: أيها الناس إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[(١)]. وكان الحس لما بايع أهل العراق يشترط عليهم: إنكم سامعون مطيعون، مسالمون من سالمت، محاربو من حاربت[(٢)] فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشووه، فازداد لهم بغضا، وازداد منهم ذعرا، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه، وكتب إلى معاوية يسالمه ويراسله في الصلح بينه وبينه على ما يختاران.

وقال البخاري في كتاب الصلح[(٣)] حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا سفيان، عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحس بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خير الرجلين -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟ من لي بضيعتهم؟ من لي بنسائهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبدشمس؛ عبدالرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عامر، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلما، وقالا له، وطلبا

(١) رواه البخاري وغيره كما سيأتي.

(٢) انظر: الطبقة الخامسة من الصحابة لابن سعد (١/ ٣١٧) بإسناد حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم: (٢٧٠٤).

إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به. فصالحه. قال الحسن البصري: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». قال البخاري: قال لي علي بن المديني: إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكرة بهذا الحديث.

قلت: وقد روي هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن[(١)] عن علي بن عبدالله، وهو ابن المديني، وفي فضائل الحسن[(٢)]، عن صدقة بن الفضل، ثلاثتهم عن سفيان. ورواه أحمد عن سفيان، وهو ابن عيينة، عن إسرائيل بن موسى البصري به[(٣)]، ورواه البخاري في دلائل النبوة عن عبدالله بن محمد، وهو ابن أبي شيبة، ويحيى بن آدم، كلاهما عن حسين بن علي الجعفي، عن إسرائيل، عن الحسن، وهو البصري، به[(٤)]، وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن الحسن البصري به[(٥)].

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني[(٦)]: كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية في الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقال غيره: في ربيع الآخر.

ولا تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، وحصل على بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق، ترحل الحسن بن على، ومعه أخوه الحسين وبقية إخوتهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق

(١) صحيح البخاري برقم: (٧١٠٩)
(٢) صحيح البخاري برقم: (٣٧٤٦).
(٣) المسند (٣٧/ ٥، ٣٨).
(٤) صحيح البخاري برقم: (٣٦٢٩).
(٥) المسند (٤٩/ ٥)، وأبو داود برقم: (٤٦٦٢)، والسنن الكبرى للنسائي برقم: (١٠٠٨٠).
(٦) أخرجه الطبري في تاريخه (٥/ ١٦٣).

إلى أرض المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهو في ذلك مصيب بار راشد ممدوح، وليس يجد في صدره حرجا ولا تلوما ولا ندما، بل هو راض بذاك مستبشر به[١] وإن كان قد ساء هذا خلقا من ذويه وأهله وشيعته، ولاسيما بعد ذلك بمدد، وهلم جرا إلى يومنا هذا. والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ، كما تقدم في الحديث الصحيح، ولله الحمد والمنة.

○ ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب[٢]

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، ابن ابنته فاطمة الزهراء، وريحانته، وأشبه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فحنكه رسول الله ﷺ بريقه، وسماه حسنا، وهو أكبر ولد أبويه، وقد كان رسول الله لا يحبه حبا شديدا، وربما مص لسانه وهو صغير، واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة فيركب على ظهره، فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر.

وقد ثبت في الحديث[٣] أنه، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين، فنزل إليهما فاحتضنهما، وأخذهما معه إلى المنبر، وقال: صدق الله: ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ إني رأيت هذين يمشيان ويعثران، فلم أملك أن نزلت

---

(١) أخرج ابن سعد بإسناد صحيح في ترجمة الحسن في الطبقة الخامسة من الصحابة (٣١٧/ ١): أن الحسين خطب أصحابه بعد وفاة علي فقال: إن كل ما هو آت قريب وإن أمر الله واقع وإن كره الناس وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن حبة خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرني مما ينفعني فألحقوا بطيتكم. الطية: الحاجة والعمل.

(٢) انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٢٥/ ١) والاستيعاب (٣٨٣/ ١)، وأسد الغابة (٩/ ٢)، والإصابة (٦٨/ ٢)، وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٤١، ٦٠ ص٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٤٥/ ٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي (١٥٨٤)، كلهم من حديث بريدة، صحيح سنن أبي داود ٩٨١).

إليهما، ثم قال: «إنكم لمن روح الله، وإنكم لتبخلون وتجبنون»[١].

وقد ثبت في صحيح البخاري[٢] أن أبابكر صلى بهم العصر - بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال - ثم خرج هو وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه، وجعل يقول: بأبي شبه النبي، ليس شبيها بعلي. قال: وعلي يضحك.

وعن أبي جحيفة قال: رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه، رواه البخاري ومسلم[٣].

وقال أحمد[٤]، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا زمعة، عن ابن أبي مليكة قال: كانت فاطمة تنفر الحسن[٥] بن علي؛ وتقول:

يا بأبي شبه النبي ليس شبيها بعلي

وقال عبدالرزاق وغيره[٦]، وعن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجها برسول الله ﷺ.

وقال أحمد[٧] ثنا حجاج، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانيء، عن علي قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما أسفل من ذلك.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٠٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٠٠) كلاهما من حديث خولة بنت حكيم بنحوه.
(٢) حديث رقم: (٣٧٥٠).
(٣) البخاري (٣٥٤٣، ٣٥٤٤)، ومسلم (٣٣٤٣).
(٤) المسند (٦/ ٢٨٣).
(٥) تنقز الحسن، أي تقفزه وتوثبه. انظر: النهاية (٥/ ١٠٥).
(٦) المصنف (٢٠٩٨٤) كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ١٧٨، ١٧٩)، من طريق عبدالرزاق وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وعبدالله بن المبارك، ثلاثتهم عن معمر به، والإمام أحمد في المسند (٣/ ١٩٩)، من طريق عبد الأعلى عن معمر به.
(٧) المسند (١/ ٩٩) إسناده صحيح.

وقال أبو داود الطيالسي[١] ثنا قيس، عن أبي إسحاق، عن هاني بن هاني، عن علي قال: كان الحسن بن علي أشبه الناس برسول الله ﷺ من وجهه إلى سرته، وكان الحسين أشبه الناس به ما أسفل من ذلك. وقد روي عن ابن عباس وابن الزبير، أن الحسن بن على كان يشبه النبي ﷺ[٢].

○ من فضائله:

عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي ﷺ والحسين بن علي على عاتقه، وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه» أخرجاه من حديث شعبة[٣].

وروى أحمد[٤] عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئا على يدي، فطاف فيها، ثم رجع فاحتبى في المسجد، وقال: «أين لكاع؟ ادعوا لي لكاع» فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته، فأدخل فمه في فمه، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه» ثلاثا قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني، أو قال: دمعت عيني، أو: بكيت. وهذا على شرط مسلم، ولم يخرجوه.

وجاء من حديث علي، وأبي سعيد، وبريدة[٥]، وحذيفة، أن رسول الله ﷺ، قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما».

وفي حديث عبدالله بن شداد[٦]، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ صلى بهم إحدى صلاتي

(١) مسند الطيالسي (١٣٠).
(٢) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ١٨٣، ١٨٤) أثر ابن عباس، وأخرج في (١٣/ ١٧٧، ١٧٨)، أثر ابن الزبير.
(٣) البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢).
(٤) المسند (٢/ ٥٣٢).
(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٠٨، ٢١٢)، من طرق عن علي وأبي سعيد وبريدة وحذيفة. السلسلة الصحيحة ٣٩٦.
(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٩٣، ٤٩٤)، والنسائي في المجتبى (١١٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢١٥، ٢١٦).

العشـي، فسـجد سجدة أطال فيها السـجود، فلما سـلم قال الناس له في ذلك، قال: إن ابني - يعني الحسن - ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وقـال أحمد(١): ثنا هاشـم بن القاسـم، عن جريـر، عن عبدالرحمن بـن أبي عوف الجرشـي، عـن معاوية قال: رأيت رسـول الله ﷺ يمص لسـانه، أو قال: شـفته. يعني الحسن بن علي، وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ. تفرد به أحمد.

○ إكرام الخلفاء والصحابة له:

وقـد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه، وكذلك عمر ابن الخطاب؛ فروى الواقدي(٢) عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسـن والحسـين مع أهل بدر في خمسـة آلاف. وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار - وعثمان بن عفان محصور - عنده ومعه السيف متقلدا به يجاحف(٣) عن عثمان، فخشي عثمان عليه، فأقسم عليه ليرجع إلى منزلهم تطييبا لقلب علي، وخوفا عليه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من نعم الله عليه. وكانا إذا طاف بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عليهما، - رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان معاويـة يكرمـه ويجله ويبعـث له جائزة كل سـنة مائة ألف درهـم، وقد وفد الحسن عليه فأجازه بأربعمائة ألف(٤).

وكان ابن الزبير يقول:(٥) والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.

(١) المسند (٩٣/ ٤).

(٢) أخرجـه ابن سـعد في الطبقات الكبرى (٢٩٦/ ٣)، و(١/ ٢٨٤) من الطبقة الخامسـة، وابن عسـاكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٣٨)، من طريق الواقدي به.

(٣) يجاحف: يدافع، اللسان (ج ح ف).

(٤) تاريخ دمشق (١٦٦/ ١٣).

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٩/ ١٣، ٢٤٠).

○ عبادته وكرمه:

روى ابن سـعد قال:[١] كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصـلاه يذكـر الله حتى ترتفع الشـمس، ويجلس إليه من يجلس من سـادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله.

وقاسم الله ماله ثلاث مرات، وخرج من ماله مرتين، وحج خمسا وعشرين مرة ماشيا وإن الجنائب لتقاد بين يديه، روى ذلك البيهقي[٢]، وقد علق البخاري في صحيحه»[٣]، أنه حج ماشيا.

وقد كان من الكرم على جانب عظيم، قال محمد بن سـيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف[٤].

قالوا:[٥] وكان كثير الزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقا مصداقا.

وقـد كان على يقول لأهل الكوفة[٦]: لا تزوجوه فإنه مطلاق. فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شـاء؛ ابتغاء في شـهر رسـول الله ﷺ. وذكروا[٧] أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزاري - وقيل: هند بنت سـهيل - فوق سطح ليس له جدار، فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خفت أن تقوم من وسـن النوم[٨] فتسقط، فأكون أشأم سخلة

(١) الطبقة الخامسة من الصحابة (١/ ٢٩٧)، والمصدر السابق (١٣/ ٢٤١).
(٢) السنن الكبرى (٤/ ٣٣١)، وانظر: الطبقة الخامسة (١/ ٣٠٠).
(٣) لم نجده في صحيح البخاري، ولم يذكره الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق.
(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٥)، بإسناده عن ابن سيرين.
(٥) انظر: تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٩)، وانظر الطبقة الخامسة (١/ ٣٠٠).
(٦) المصدر السابق، وانظر: الطبقة الخامسة (١/ ٣٠٢).
(٧) المصدر السابق (١٣/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وانظر الطبقة الخامسية (١/ ٣٠٧).
(٨) وسن النوم: أوله.

على العرب، فأعجبه ذلك منها، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك.

وقال أبو جعفر الباقر[١]: جاء رجل إلى الحسين بن علي، فاستعان به في حاجة، فوجده معتكفا، فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن فاستعان به، فقضى حاجته وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر.

○ من أقواله ومواقفه:

قال الإمام أحمد: حدثنا مطلب بن زياد أبو محمد، ثنا محمد بن أبان قال: قال الحسن بن علي لبنيه وبني أخيه: تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، وتكونون كبارهم غدا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب. رواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه[٢].

وقال محمد بن سعد[٣] ثنا الحسن بن موسى وأحمد بن يونس قالا: ثنا زهير بن معاوية، ثنا أبو إسحاق، عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة.

قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله.

وقال صالح بن أحمد[٤]: سمعت أبي يقول: بايع الحسن تسعون ألفا، فزهد في الخلافة و صالح معاوية، ولم يسفك في أيامه محجمة من دم. وقال محمد بن سعد[٥]: ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة، عن يزيد بن خمير قال: سمعت عبدالرحمن بن جبير بن

(١) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٧).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (٢٩٢/ ١) بإسناد حسن، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٩)، من طريق البيهقي به.
(٣) الطبقة الخامسية من الصحابة (٣١٦/ ١)، وابن عساكر (١٣/ ٢٦٠)، من طريق محمد بن سعد به.
(٤) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٧٣)، من طريق صالح بن أحمد به.
(٥) الطبقة الخامسة من الصحابة (٣١٨/ ١)، بإسناد حسن، والحاكم في المستدرك (١٧٠-٣).

نفير الحضرمي يحدث عن أبيه، قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها بأتياس[١] أهل الحجاز؟!

○ وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال سفيان بن عيينة[٢]، عن رقبة بن مصقلة قال: لما حضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصحن حتى أنظر في ملكوت السماوات. فأخرجوا فراشه، فرفع رأسه، فنظر فقال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي. قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده.

وقال الواقدي[٣]: ثنا إبراهيم بن الفضل، عن أبي عتيق قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: شهدنا حسن بن علي يوم مات، فكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي، ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ، حيث استأذن عائشة في ذلك، فأذن له، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسلح بنو أمية، وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله ﷺ، أيدفن عثمان بالبقيع، ويدفن الحسن بن علي في الحجرة؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر و ابن عمر على الحسين أن لا يقاتل، فامتثل ودفن أخاه قريبا من قبر أمه بالبقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤].

وقال سفيان ابن عيينة[٥]، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي حازم قال: رأيت

---

(١) الأتياس: جمع تيس، وفي بعض النسخ باتئاس من اليأس.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٣٨٥)، من طريق سفيان بن عيينة به.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (١/ ٣٤٦)، بإسناد ضعيف، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ٥٤٠) من طريق ابن سعد به.

(٤) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٨٩، ٣٩٣).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (١/ ٣٤٨)، بإسناد حسن والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨)، وانظر المصنف لعبدالرزاق (٣/ ٤٧١)، كتاب الجنائز، باب من أحق بالصلاة على الميت.

الحسين بن علي قدم يومئذ سعيد بن العاص (أمير المدينة) فصلى على الحسن وقال: لولا أنها سنة ما قدمته.

وقال محمد بن إسحاق[١] حدثني مساور مولى بني سعد بن بكر قال: رأيت أبا هريرة قائما على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس، مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا.

وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام، وقد بكاه الرجال والنساء والصبيان.

وقال ابن علية[٢]، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين، وكذا قال غير واحد، وهو أصح.

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين وقال آخرون: مات سنة خمسين.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٩٥)، من طريق ابن إسحاق به.
(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٩٩، ٣٠٢).

فهرس الموضوعات

سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه
د. محمد بن صامل السلمي

المجلد الثاني

العصر الأموي الأول

(٤١ ـ ٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **وبعد:**

فقد كنت منذ زمن أصحب كتاب البداية والنهاية للحافظ الثبت العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، قراءة ومراجعة ومدارسة مع بعض الطلبة، وأدركت أهمية الكتاب وفضله وكثرة فوائده، ومكانته بين كتب التاريخ، مما دعاني إلى الإسهام في خدمة الكتاب، ومحاولة تقريبه للقراء وطلبة الجامعات بصفة خاصة.

وحيث أن الكتاب مرتب في قسمه الخاص بالتاريخ الإسلامي على السنين الهجرية، وهي طريقة تساعد على حصر الحوادث والوقائع التي تحدث في كل سنة، وكذا وفيات الأعلام على حسب السنين، فيدرك القارئ النظرة الجزئية للتاريخ وسير وقائعه، لكنه يحتاج إلى جهد مضاعف حتى يحيط بالنظرة الكلية لعصر من العصور، ويربط حوادثه بعضها ببعض، ويفسر اتجاهاتها، ويدرك بواعثها، خاصة وأن الكتاب كبير الحجم متسع الزمن والبلدان التي أرخ لها، خلال ثمانية قرون في امتداد جغرافية العالم الإسلامي، من الأندلس غربا إلى الصين شرقا.

ولهذا رأيت أن ترتيب الكتاب على الموضوعات واختصار الاستطرادات والتراجم مما يقربه للقارئ المعاصر، ويساعد على إدراك النظرة الكلية للحوادث والعصور.

وقد بدأت بترتيب الكتاب وتهذيبه عن عصر الخلافة الراشدة وخرجت في أربعة أجزاء متتابعة من عام (١٤١٨-١٤٢٢)، ثم رأيت أن أجمعها في مجلد واحد فتم ذلك ولله الحمد.

وقد تجاوزت في التهذيب قصص الأنبياء والسيرة النبوية حيث قد خدمها كثير من الباحثين اختصارا وإفرادا عن الأصل؛ ثم شغلت عن الاستمرار في تهذيب بقية الكتاب حتى عام (١٤٤١)، وهاأنا ذا أنشط لإكمال العمل ونسأل الله التوفيق وحسن الختام.

وهذا الجزء من العصر الأموي (٤١ - ٨٦) يشمل خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابنه يزيد وحفيده معاوية بن يزيد ثم خلافة عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وما صاحبها من الأحداث حتى استقرت خلافة عبدالملك بن مروان.

وقد سرت فيه على المنهج الذي سلكته في خلافة الخلفاء الراشدين وذكرته في الجزء الأول.

وسيتلو هذا بقية أحداث العصر الأموي في جزء آخر إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن صامل السلمي
جامعة أم القرى
شهر رجب الفرد ١٤٤١هـ.

خلافة

مُعَاوِيَة بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

(٤١-٦٠)

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

○ نسبه وأسرته:[١]

هُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ يَوْمَ الْفَتْحِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ أَسْلَمْتُ يَوْمَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَلَكِنْ كَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ أَبِي وَأُمِّي إِلَى يَوْمِ الْفَتْحِ. وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَآلَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ قُرَيْشٍ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ فَكَانَ هُوَ أَمِيرَ الْحُرُوبِ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، وَكَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا ذَا مَالٍ جَزِيلٍ، وَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ. قَالَ: «نَعَمْ».

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مُعَاوِيَةَ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

○ زوجاته وأولاده:

تزوج **فَاخِتَةُ بِنْتُ قَرَظَةَ** بْنِ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وله منها عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى، قال الطبري مات صغيرا[٢] وَعَبْدُ اللهِ، وَكَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ. وهند تزوجها عبد الله بن عامر بن كريز.

وَتَزَوَّجَ **كنود** بنت قرظة أُخْتَهَا مُنْفَرِدَةً عَنْهَا بَعْدَهَا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ حِينَ افْتَتَحَ قُبْرُسَ.[٣]

---

(١) من مصادر ترجمته، طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢، ١/ ١٠٤ من الطبقة الرابعة، نسب قريش ١٢٤، أحمد بن حنبل فضائل الصحابة ٢/ ٩١٣، الاستيعاب ١٠/ ١٣٤، أسد الغابة ٥/ ٢٠٩، سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٩، البداية والنهاية ١١/ ٣٩٦، والإصابة ٩/ ٢٣١،

(٢) عند ابن سعد أنه (درج) أي مات صغيرا.

(٣) سماها الطبري ٥/ ٣٢٩ كتوة وماتت في قبرص.

وَتَزَوَّجَ **نَائِلَةَ بِنْتَ عُمَارَةَ** الْكَلْبِيَّةَ فأعجبته.

وتزوج **مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ** بْنِ أُنَيْفِ بْنِ دُلْجَةَ بْنِ قُنَافَةَ الْكَلْبِيِّ، وَكَانَتْ حَازِمَةً عَظِيمَةَ الشَّأْنِ جَمَالًا وَرِيَاسَةً وَعَقْلًا وَدِينًا، وأنجب منها أشهر أولاده يَزِيدُ، وَرَمْلَةُ [(١)] التي تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،

○ إسلامه وفضائله:

أسلم معاوية عام الفتح وروي عنه انه قال: أسلمت يوم القضية (صلح الحديبية) ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا اخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه. فقلت له: لم آل نفسي جهدا.

قال معاوية: ولقد دخل رسو الله ﷺ مكة في عمرة القضاء، وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي، فجئته فرحب بي وكتبت بين يديه.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَشَهِدَ مَعَهُ حُنَيْنًا، وَأَعْطَاهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ، [(٢)] وَصَحِبَ مُعَاوِيَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَتَبَ الْوَحْيَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ الْكُتَّابِ، وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَغَيْرِهِمَا مِنَ «السُّنَنِ» وَ «الْمَسَانِيدِ»، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ الْوَضَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْيَشْكُرِيِّ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كُنْتُ أَلْعَبُ

---

(١) عند ابن سعد الطبقة الرابعة ص١/ ١٠٥ أن أمها كنود بنت قرظة، ويضيف ابن سعد في أولاد معاوية صفية تزوجها محمد بن زياد بن أبي سفيان وأمها أم ولد، وفي نسب قريش للزبيري ص١٢٨ أن اسمها عائشة، وعند ابن قتيبة في المعارف ص ٣٥٠ بنتا أخرى سماها عاتكة.

(٢) علق الذهبي في السير ٣/ ١٢٢ قلت: الواقدي لا يعي ما يقول ،فإن كان معاوية كما نقل قديم الإسلام، فلماذا يتألفه النبي ﷺ؟ ولو كان أعطاه، لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس، أما معاوية فصعلوك لا مال له.

مَـعَ الْغِلْمَانِ، فَإِذَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَدْ جَـاءَ فَقُلْتُ: مَا جَاءَ إِلَّا إِلَـيَّ. فَاخْتَبَأْتُ عَلَى بَابٍ، فَجَاءَنِـي فَحَطَأَنِـي حَطْأَةً (١) ثم قَـالَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِـي مُعَاوِيَـةَ». وَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ. قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ. فَأَتَيْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّهُ يَأْكُلُ. فَقَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ». فَأَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَأْكُلُ.

فَأَتَيْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لَا أَشْـبَعَ اللهُ بَطْنَهُ». قَالَ: فَمَا شَـبِعَ بَعْدَهَا» (٢).

قلت: وَقَدِ انْتَفَعَ مُعَاوِيَةُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.

أَمَّـا فِـي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَمَّا صَارَ فِي الشَّـامِ أَمِيـرًا، كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَـبْعَ مَرَّاتٍ، يُجَاءُ بِقَصْعَـةٍ فِيهَـا لَحْمٌ كَثِيرٌ وَبَصَـلٌ فَيَأْكُلُ مِنْهَا، وَيَـأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَـبْعَ أَكَلَاتٍ بِلَحْمٍ، وَمِنَ الْحَلْـوَى وَالْفَاكِهَةِ شَـيْئًا كَثِيرًا، وَيَقُولُ: وَاللهِ مَا أَشْـبَعُ، وَإِنَّمَا أَعْيَى. **وَهَـذِهِ نِعْمَةٌ وَمَعِدَةٌ يَرْغَبُ فِيهَا كُلُّ الْمُلُوكِ.**

وَأَمَّـا فِي الْآخِرَةِ فَقَدِ أَتْبَعَ مُسْـلِمٌ هَـذَا الْحَدِيثَ بِالْحَدِيثِ الَّـذِي رَوَاهُ هُوَ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَـا، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، «أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَـرٌ، فَأَيُّمَا عَبْدٍ سَـبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ دَعَـوْتُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَهْـلًا، فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّـارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُـهُ بِهَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».» (٣) فَرَكَّبَ مُسْـلِمٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَهَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةً لِمُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يُورِدْ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقَد أورد أَبُو الْقَاسِـمِ الطَّبَرَانِيُّ وابْنُ عَسَاكِرَ أحاديث كثيرة موضوعة وَالْعَجَبُ مِنْهُ مَعَ حِفْظِهِ وَاطِّلَاعِهِ كَيْفَ لَا يُنَبِّهُ عَلَيْهَا وَعَلَى نَكَارَتِهَا وَضَعْفِ رِجَالِهَا. وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

(١) أي ضربني بيده بين كتفي، انظر شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٥٦.
(٢) المسـند ١/ ١٢٩، ٣٣٥، ومسـلم برقم (٢٦٠٤) ولكن من طريق شعبة عن أبي حمزة به، وقال محققوا البداية والنهاية أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن الحاكم. ولم يخرجه الحاكم في مستدركه.
(٣) صحيح مسلم (٢٦٠١) والبخاري (٦٣٦١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (١) حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ سَيْفٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي رُهْمٍ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا إِلَى السَّحُورِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: «هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ». ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَهْدِيٍّ،

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ، ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ الْأَزْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ». وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، (٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي مُسْهِرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَقَدِ اعْتَنَى ابْنُ عَسَاكِرَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَطْنَبَ فِيهِ وَأَطْيَبَ وَأَطْرَبَ، وَأَفَادَ وَأَجَادَ، وَأَحْسَنَ الِانْتِقَادَ، فَرَحِمَهُ اللهُ، كَمْ لَهُ مِنْ مَوْطِنٍ قَدْ بَرَّزَ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحُفَّاظِ وَالنُّقَّادِ. (٤) ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ فِي فَضْلِ مُعَاوِيَةَ حَدِيثُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، «أَنَّهُ كَانَ كَاتِبَ النَّبِيِّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ». وَبَعْدَهُ حَدِيثُ الْعِرْبَاضِ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ».

وَبَعْدَهُ حَدِيثُ ابْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا».

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ (٥) : ذِكْرُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: **حَدَّثَنَا** الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ، ثَنَا الْمُعَافَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْعَشَاءِ بِرَكْعَةٍ، وَعِنْدَهُ مَوْلًى لِابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

---

(١) المسند ٤/ ١٢٧

(٢) المسند ٤/ ٢١٦

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣٠١٨)

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٤٠٨

(٥) فتح الباري ٧/ ١٠٣ ومابعدها

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، ثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، ثَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: هَلْ لَكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ؟ مَا أَوْتَرَ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ! قَالَ: أَصَابَ، إِنَّهُ فَقِيهٌ.

عن حُمْرَانَ بن أَبَانٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلَاةً لَقَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيهِمَا، وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا. يَعْنِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ (١): ذِكْرُ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: «جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ. فَقَالَ: «وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ، فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ أَنْ أُطْعِمَ مِنَ الَّذِي لَهُ عِيَالَنَا؟ قَالَ: «لَا، بِالْمَعْرُوفِ».

فَالْمِدْحَةُ فِي قَوْلِهِ: «وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ». وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَوَدُّ أَنَّ هِنْدَ وَأَهْلَهَا وَكُلَّ كَافِرٍ يَذِلُّوا فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعِزُّوا، فَأَعَزَّهُمُ اللهُ» يَعْنِي أَهْلَ خِبَائِهَا.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، (٢) عَنْ جَدِّهِ قَالَ: دَخَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الصَّحَابَةُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ وَثَبَ إِلَيْهِ بِالدِّرَّةِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِهَا، وَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اللهَ اللهَ فِيَّ. فَرَجَعَ عُمَرُ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: لِمَ ضَرَبْتَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا فِي قَوْمِكَ مِثْلُهُ؟! فَقَالَ: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا بَلَغَنِي إِلَّا خَيْرٌ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ - فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ مِنْهُ ما شمخ.

وروى أَبُو دَاوُدَ: (٣) أن أَبَا مَرْيَمَ الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فُلَانٍ؟ - وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ تعبيرا عن الفرح بالقادم - فَقُلْتُ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ - عَزَّوَجَلَّ - شَيْئًا

(١) المصدر نفسه ٧/ ١٤١
(٢) ابن عساكر ١٦/ ٧٠١
(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني ح ٢٥٥٥

مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ».» قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [(١)] وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ، ثَنَا حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى النَّاسِ، فَقَامُوا لَهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». [(٢)]

وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» [(٣)] مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».» وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: [(٤)] حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ الْحَجَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَكَلَّمَهَا خَالِيَيْنِ لَمْ يَشْهَدْ كَلَامَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا ذَكْوَانُ أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: أَمِنْتَ أَنْ أُخَبِّئَ لَكَ رَجُلًا يَقْتُلُكَ بِقَتْلِكَ أَخِي مُحَمَّدًا؟ فَقَالَ: صَدَقْتِ. فَكَلَّمَهَا مُعَاوِيَةُ، فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ مَعَهَا تَشَهَّدَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ ذَكَرَتْ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالَّذِي سَنَّ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ، وَحَضَّتْ مُعَاوِيَةَ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِمْ، فَقَالَتْ فِي ذَلِكَ فَلَمْ تَتْرُكْ، فَلَمَّا قَضَتْ مَقَالَتَهَا قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: أَنْتِ وَاللهِ الْعَالِمَةُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، النَّاصِحَةُ الْمُشْفِقَةُ الْبَلِيغَةُ الْمَوْعِظَةِ، حَضَضْتِ عَلَى الْخَيْرِ وَأَمَرْتِ بِهِ، وَلَمْ تَأْمُرِينَا إِلَّا بِالَّذِي هُوَ لَنَا، وَأَنْتِ أَهْلٌ أَنْ تُطَاعِي. وَتَكَلَّمَتْ هِيَ وَمُعَاوِيَةُ كَلَامًا كَثِيرًا. فَلَمَّا قَامَ مُعَاوِيَةُ اتَّكَأَ عَلَى ذَكْوَانَ وَقَالَ: وَاللهِ مَا سَمِعْتُ خَطِيبًا لَيْسَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْلَغَ مِنْ عَائِشَةَ.

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني (١٠٧١)

(٢) المسند ٤/ ١٠٠ بنحوه و السلسلة الصحيحة (٣٥٧)

(٣) البخاري في عدة مواضع ٧١، ٣١١٦ ومسلم (١٠٠، ١٠٣٧)

(٤) ابن عساكر ١٦/ ٧٢٠ من طريق الزهري به.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (١) حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُخَلَّدٍ الْبَجَلِيُّ، ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْمَدِينَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيَّ بِأَنْبِجَانِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَعْرِهِ، فَأَرْسَلَتْ بِهِ مَعِي أَحْمِلُهُ، حَتَّى دَخَلْتُ بِهِ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ الْأَنْبِجَانِيَّةَ، فَلَبِسَهَا، وَأَخَذَ شَعْرَهُ فَدَعَا بِمَاءٍ، فَغَسَلَهُ وَشَرِبَهُ، وَأَفَاضَ عَلَى جِلْدِهِ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِي: اسْمَعْ يَا زُهْرِيُّ، مَنْ مَاتَ مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَشَهِدَ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ، وَتَرَحَّمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُنَاقِشَهُ الْحِسَابَ. (٢)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». فَقَالَ خَلْفَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ؟! فَقِيلَ لَهُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ؟ هُوَ أَمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَ: لَتُرَابٌ فِي مَنْخَرَيْ مُعَاوِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. (٣)

وَقَالَ غَيْرُهُ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: مُعَاوِيَةُ عِنْدَنَا مِحْنَةٌ فَمَنْ رَأَيْنَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ شَزْرًا اتَّهَمْنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ. يَعْنِي الصَّحَابَةَ. (٤)

وَقَالَ أَبُو تَوْبَةَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ الْحَلَبِيُّ: مُعَاوِيَةُ سِتْرٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا كَشَفَ الرَّجُلُ السِّتْرَ اجْتَرَأَ عَلَى مَا وَرَاءَهُ. (٥)

وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ بِسُوءٍ فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ. (٦)

(١) المصدر السابق ١٦/ ٧٢١من طريق محمد سعد به.
(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٥
(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٦
(٤) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٦
(٥) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٧
(٦) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٧

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَنَقَّصَ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ: أَيُقَالُ لَهُ رَافِضِيٌّ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجْتَرِ عَلَيْهِمَا إِلَّا وَلَهُ خَبِيئَةُ سُوءٍ، مَا انْتَقَصَ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا وَلَهُ دَاخِلَةُ سُوءٍ. (١)

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَقَلَ وَحَلُمَ؛ مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ، وَإِذَا قَدَرَ غَفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ. (٢)

وَقَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهُ إِلَّا زَوَالُهَا. (٣)

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي بَحْرِيَّةَ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: الْمُرُوءَةُ فِي أَرْبَعٍ؛ الْعَفَافِ فِي الْإِسْلَامِ، وَاسْتِصْلَاحِ الْمَالِ، وَحِفْظِ الْإِخْوَانِ، وعون الْجَارِ. (٤)

○ صفاته وحلمه

كَانَ أَبْيَضَ طَوِيلًا، أَجْلَحَ أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، يُخَضِّبُهُمَا بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ لَقْوَةٌ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَ يَسْتُرُ وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا دَعَا لِي بِالْعَافِيَةِ، فَقَدْ رُمِيتُ فِي أَحْسَنِي وَمَا يَبْدُو مِنِّي، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا رَئِيسًا سَيِّدًا فِي النَّاسِ، كَرِيمًا عَادِلًا شَهْمًا.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ، (٥) عَنْ صَالِحِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: رَأَى بَعْضُ مُتَفَرِّسِي الْعَرَبِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَظُنُّ هَذَا الْغُلَامَ سَيَسُودُ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ: ثَكِلْتُهُ إِنْ كَانَ لَا يَسُودُ إِلَّا قَوْمَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (٦) أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ قَالَ: نَظَرَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمًا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ، فَقَالَ لِهِنْدَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا لَعَظِيمُ الرَّأْسِ، وَإِنَّهُ

(١) المصدر السابق ١٦/ ٧٤٧
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٢
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٤٢
(٤) المصدر نفسه ١٦/ ٧٤٣
(٥) المصدر نفسه ١٦/ ٦٧٦
(٦) المصدر نفسه ١٦/ ٦٦٧من طريق محمد بن سعد

لَخَلِيقٌ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ. فَقَالَتْ هِنْدُ: قَوْمَهُ فَقَطْ؟! ثَكِلْتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً. وَكَانَتْ هِنْدُ تَحْمِلُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ،

وَتَقُولُ:

إِنَّ بُنَيَّ مُعْرِقٌ كَرِيمُ   مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمُ
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَئِيمُ   وَلَا بِطُخْرُورٍ وَلَا سَئُومُ
صَخْرُ بَنِي فِهْرٍ بِهِ زَعِيمُ   لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيمُ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: (١) حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثَنَا الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: سَلَّمْتُ عَلَيْهِ - فَقَالَ: مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الْأَئِمَّةِ يَا مِسْوَرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ارْفُضْنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِنْ فِيمَا قَدِمْنَا لَهُ. فَقَالَ: لَتُكَلِّمَنِّي بِذَاتِ نَفْسِكَ. قَالَ: فَلَمْ أَدَعْ شَيْئًا أَعِيبُهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِهِ. فَقَالَ: لَا بَرَاءَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَهَلْ لَكَ مِنْ ذُنُوبٍ تَخَافُ أَنْ تُهْلِكَكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرْهَا اللهُ لَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا يَجْعَلُكَ أَحَقَّ بِأَنْ تَرْجُوَ الْمَغْفِرَةَ مِنِّي، فَوَاللهِ لَمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي نُحْصِيهَا وَالَّتِي لَا نُحْصِيهَا أَكْثَرُ مِمَّا تَلِي، وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يَقْبَلُ اللهُ فِيهِ الْحَسَنَاتِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَوَاللهُ عَلَى ذَلِكَ مَا كُنْتُ لِأُخَيَّرَ بَيْنَ اللهِ وَغَيْرِهِ إِلَّا اخْتَرْتُ اللهَ عَلَى مَا سِوَاهُ. قَالَ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ لِي مَا قَالَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ خَصَمَنِي. قَالَ: فَكَانَ الْمِسْوَرُ إِذَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. وَقَدْ رَوَاهُ شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ بِنَحْوِهِ. (٢)

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَخْلَقَ بِالْمُلْكِ مِنْ مُعَاوِيَةَ. (٣)

---

(١) المصنف ٢٠٧١٧

(٢) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٤

(٣) المصنف ٢٠٩٨٥

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا، وَذَكَرَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَكَرَمِهِ. (١)

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ: (٢) مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ حِلْمًا، وَلَا أَكْثَرَ سُؤْدُدًا، وَلَا أَبْعَدَ أَنَاةً، وَلَا أَلْيَنَ مَخْرَجًا، وَلَا أَرْحَبَ بَاعًا بِالْمَعْرُوفِ مِنْ مُعَاوِيَةَ.

وَقَالَ ابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِمُعَاوِيَةَ: (٣) إِنَّ فُلَانًا يَشْتُمُنِي. فَقَالَ لَهُ: تَطَأْطَأْ لَهَا تَمُرَّ فَتُجَاوِزَكَ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: (٤) قَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: مَا رَأَيْتُ أَنْذَلَ مِنْكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَى، مَنْ وَاجَهَ الرِّجَالَ بِمِثْلِ هَذَا.

○ كرمه وإحسانه

قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، (٥) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَفَرَّقَتْهَا مِنْ يَوْمِهَا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا دِرْهَمٌ، فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتُهَا: هَلَّا أَبْقَيْتِ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِي بِهِ لَحْمًا. فَقَالَتْ: لَوْ أَذْكَرْتِنِي لَفَعَلْتُ.

وَوَفَدَ إِلَيْهِ مَرَّةً الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَأَجَازَهُمَا عَلَى الْفَوْرِ بِمِائَتَيْ أَلْفٍ، وَقَالَ لَهُمَا: مَا أَجَازَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي. فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: وَلَمْ تُعْطِ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنَّا. (٦)

وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: وَفَدَ الْحَسَنُ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ. (٧)

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٢
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ١٦/ ٧٣٤
(٤) المصدر نفسه.
(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٨
(٦) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٩
(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٩، البداية والنهاية ط هجر ١١/ ٤٤٤

○ حسن سياسته وإدارته

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَنَا بِخَيْرِكُمْ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي؛ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَغَيْرُهُمَا مَنَ الْأَفَاضِلِ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ أَكُونَ أَنْفَعَكُمْ وِلَايَةً، وَأَنْكَاكُمْ فِي عَدُوِّكُمْ، وَأَدَرَّكُمْ حَلْبًا. (١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ بِمَ غَلَبَ مُعَاوِيَةُ النَّاسَ، كَانُوا إِذَا طَارُوا وَقَعَ، وَإِذَا وَقَعُوا طَارَ. (٢)

و **كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى نَائِبِهِ زِيَادٍ:** إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَسُوسَ النَّاسَ سِيَاسَةً وَاحِدَةً؛ بِاللِّينِ فَيَمْرَحُوا، وَلَا بِالشِّدَّةِ فَنَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ كُنْ أَنْتَ لِلشِّدَّةِ وَالْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، أَكُونُ أَنَا لِلِّينِ وَالْأُلْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَافَ خَائِفٌ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُهُ. (٣)

وقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَبِي بَكْرَةَ: هَلْ مِنْ عَهْدٍ تَعْهَدُهُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، أَعْهَدُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَنْظُرَ لِنَفْسِكَ وَرَعِيَّتِكَ وَتَعْمَلَ صَالِحًا، فَإِنَّكَ قَدْ تَقَلَّدْتَ عَظِيمًا، خِلَافَةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، فَاتَّقِ اللهَ، فَإِنَّ لَكَ غَايَةً لَا تَعْدُوهَا، وَمِنْ وَرَائِكَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، وَأَوْشَكَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى، فَيَلْحَقَ الطَّالِبُ، فَتَصِيرَ إِلَى مَنْ يَسْأَلُكَ عَمَّا كُنْتَ فِيهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمَا هِيَ مُحَاسَبَةٌ وَتَوْقِيفٌ، فَلَا تُؤْثِرَنَّ عَلَى رِضَا اللهِ شَيْئًا.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ (٤) مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ الْمُقْرَائِيِّ الْحِمْصِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكَ إِنْ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ. أَوْ: كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ». قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ نَفَعَهُ اللهُ بِهَا. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ. يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ السِّيرَةِ، حَسَنَ التَّجَاوُزِ، جَمِيلَ الْعَفْوِ، كَثِيرَ السِّتْرِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

---

(١) المصدر السابق ١٦/ ٧٢٥
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٤٣٩
(٣) المصدر السابق ١٦/ ٧٣٧بنحوه.
(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٨)

وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ، (١) عَنْ سُوَيْدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ ضِمَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يَبْعَثُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجَيْشِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَيَدُورُ عَلَى الْمَجَالِسِ يَسْأَلُ هَلْ وُلِدَ لِأَحَدٍ مَوْلُودٌ، أَوْ قَدِمَ أَحَدٌ مِنَ الْوُفُودِ، فَإِذَا أُخْبِرَ بِذَلِكَ أَثْبَتَ فِي الدِّيوَانِ. يَعْنِي لِيُجْرِيَ عَلَيْهِ الرِّزْقَ.

○ وصيته

قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: (٢) فَحِينَ حَضَرَتْ مُعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ كَانَ يَزِيدُ فِي الصَّيْدِ، فَاسْتَدْعَى مُعَاوِيَةُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّ - وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ دِمَشْقَ - وَمُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ فَأَوْصَى إِلَيْهِمَا أَنْ يُبَلِّغَا يَزِيدَ السَّلَامَ وَيَقُولَا لَهُ يَتَوَصَّى بِأَهْلِ الْحِجَازِ، وَإِنْ سَأَلَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْ يَعْزِلَ عَنْهُمْ عَامِلًا وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ آخَرَ فَلْيَفْعَلْ، فَعَزْلُ وَاحِدٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يُسَلَّ عَلَيْكَ مِائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ، وَأَنْ يَتَوَصَّى بِأَهْلِ الشَّامِ خَيْرًا، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ أَنْصَارَهُ، وَأَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (٣) أَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا احْتُضِرَ أَوْصَى بِنِصْفِ مَالِهِ أَنْ يُرَدَّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُطَيِّبَ لَهُ؛ لِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَاسَمَ عُمَّالَهُ.

○ وفاته

كَتَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ... وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ نَعَى إِلَيَّ نَفْسِي. (٤)

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٢٦
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٣والمنتظم٥/ ٣٢١
(٣) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٥٢من طريق محمد سعد به.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٣٣٦.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ:[1] لَمَّا نَزَلَ بِمُعَاوِيَةَ الْمَوْتَ قَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ بِذِي طُوًى وَلَمْ أَلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا.

وَقَالَ أَبُو السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ:[2] لَمَّا حَضَرَتْ مُعَاوِيَةَ الْوَفَاةُ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِنْ تُنَاقِشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَا رَبِّ ... عَذَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تُجَاوِزْ تَجَاوُزَ الْعَفْوِ فَاصْفَحْ ... عَنْ مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالتُّرَابِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ:[3] جَعَلَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا احْتُضِرَ يَضَعُ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ، وَيَضَعُ الْخَدَّ الْآخَرَ، وَيَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتَابِكَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].اللَّهُمَّ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَشَاءُ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ.

وَقَالَ الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ:[4] تَمَثَّلَ مُعَاوِيَةُ عِنْدَ مَوْتِهِ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ:

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي ... نُحَاذِرُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَدْهَى وَأَفْظَعُ

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَقِلِ الْعَثْرَةَ، وَاعْفُ عَنِ الزَّلَّةِ، وَتَجَاوَزْ بِحِلْمِكَ عَنْ جَهْلِ مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، لَيْسَ لِذِي خَطِيئَةٍ مِنْ خَطِيئَتِهِ مَهْرَبٌ إِلَّا إِلَيْكَ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ، وصَلَّى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ، ثُمَّ دُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ. وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ وقد جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ اسْتِقْلَالًا مِنْ جُمَادَى سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ حِينَ بَايَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِأَذْرُحَ، فَذَلِكَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَكَانَ نَائِبًا فِي الشَّامِ عِشْرِينَ سَنَةً.

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٥٣.
(٢) تاريخ دمشق (١٦/ ٧٥٤).
(٣) نفس المصدر السابق
(٤) المصدر السابق (١٦/ ٧٥٥).

خلافته

○ عزل معاوية عن ولاية الشام

لَمَّا وَلِيَ **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** الْخِلَافَةَ أَشَارَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَائِهِ، أَنْ يَعْزِلَ مُعَاوِيَةَ عَنِ الشَّامِ، وَيُوَلِّيَ عَلَيْهَا سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ، فَعَزَلَهُ فَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ عَزْلُهُ، وَالْتَفَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ أَهْلِ الشَّامِ وَمَانَعَ عَلِيًّا عَنْهَا، وَقَدْ قَالَ: لَا أُبَايِعُهُ حَتَّى يُسَلِّمَنِي قَتَلَةَ عُثْمَانَ، فَإِنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. (١)

وَرَوَى **الطَّبَرَانِيُّ** (٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: مَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَيَلِي الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. فَلَمَّا امْتَنَعَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ حَتَّى يُسَلِّمَهُ الْقَتَلَةَ، كَانَ مِنْ أَمْرِ صِفِّينِ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ (٣)

ثُمَّ آلَ الْأَمْرُ إِلَى التَّحْكِيمِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى مَا أَسْلَفْنَاهُ مِنْ قُوَّةِ جَانِبِ أَهْلِ الشَّامِ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ مُعَاوِيَةَ جِدًّا، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ عَلِيٍّ فِي اخْتِلَافٍ مَعَ أَصْحَابِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجِمٍ كَمَا تَقَدَّمَ. (٤)

○ تنازل الحسن وبيعة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

بَايَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَبَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ **مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ**، ثُمَّ رَكِبَ الْحَسَنُ فِي جُنُودِ الْعِرَاقِ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْهُ، وَرَكِبَ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ وَتَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ، سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا فِي الصُّلْحِ، فَانْتَهَى الْحَالُ إِلَى أَنْ خَلَعَ الْحَسَنُ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَسَلَّمَ الْمُلْكَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْكُوفَةِ فَخَطَبَ النَّاسَ بِهَا خُطْبَةً بَلِيغَةً بَعْدَ مَا بَايَعَهُ النَّاسُ، وَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَبُعْدًا وَقُرْبًا، وَسُمِّيَ هَذَا الْعَامُ **عَامُ**

(١) انظر: تاريخ دمشق ١٦/ ٦٧١ وتفسير ابن كثير ٥/ ٧٣.
(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٣٢٠ رقم ١٠٦١٣
(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٥٠٩ ومابعدها.
(٤) انظر: البداية والنهاية ١١/ ١٢ ومابعدها.

الْجَمَاعَةِ؛ لِاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ فِيهِ عَلَى أَمِيرٍ وَاحِدٍ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وأجمعت الرعايا على بيعته.[(١)]

فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَقِلًّا بِالْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى وَفَاتِه، وَالْجِهَادُ فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ قَائِمٌ، وَكَلِمَةُ اللهِ عَالِيَةٌ، وَالْغَنَائِمُ تَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فِي رَاحَةٍ وَعَدْلٍ وَصَفْحٍ وَعَفْوٍ.

ورد فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا، وَقَدِ انْقَضَتِ الثَّلَاثُونَ سَنَةً بِخِلَافَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَيَّامُ مُعَاوِيَةَ أَوَّلُ الْمُلْكِ، فَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَخِيَارِهِمْ.[(٢)]

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ:[(٣)] حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، ثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ لَيْثٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنُبُوَّةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكًا عَضُوضًا، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ، وَيُرْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُنْصَرُونَ حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ عَزَّوَجَلَّ». إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ الْحَدِيثَ الْوَارِدَ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ - وَفِيهِ ضَعْفٌ - عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَاللهِ مَا حَمَلَنِي عَلَى الْخِلَافَةِ إِلَّا «قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِي: «يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، عَنِ الْحَاكِمِ، عَنِ الْأَصَمِّ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَابِقٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ.

ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ:[(٤)] وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْ وُجُوهٍ أُخَرَ، مِنْهَا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، ١٤٧.
(٢) المصدر نفسه ١١/ ٤٠٠.
(٣) المعجم الكبير ١/ ١١٩ وقال الهيثمي في المجمع: ٥/ ١٨٩ فيه ليث ابن أبي سليم وهو ثقة لكنه مدلس وبقية رجاله ثقات.
(٤) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٦

سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، عَنْ جَدِّهِ سَعِيدٍ «أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَخَذَ الْإِدَاوَةَ فَتَبِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَاوِيَةَ، إِنْ وَلِيتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللهَ وَاعْدِلْ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا زِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلًى بِعَمَلٍ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

وَمِنْهَا حَدِيثُ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ».

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَفَعَهُ اللهُ بِهَا». [(١)]

وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ [(٢)] عَنْ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ السُّلَمِيِّ الْحِمْصِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «رَأَيْتُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعًا حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ».

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، [(٣)] عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ صِفِّينِ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَهْلَ الشَّامِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَا تَسُبَّ أَهْلَ الشَّامِ جَمًّا غَفِيرًا؛ فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ. وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَرْفُوعًا.

ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، عَلَى سَبِيلِ الِاجْتِهَادِ وَالرَّأْيِ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا قِتَالٌ عَظِيمٌ، وَكَانَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ مَعَ عَلِيٍّ، وَمُعَاوِيَةُ مَعْذُورٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ سَلَفًا وَخَلَفًا، وَقَدْ شَهِدَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالْإِسْلَامِ لِلْفَرِيقَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ؛ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ.

كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ [(٤)]: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقْتُلُهَا أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ». فَكَانَتِ الْمَارِقَةُ الْخَوَارِجَ، وَقَتَلَهُمْ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قُتِلَ عَلِيٌّ،

---

(١) أبو داود (٤٨٨٨) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٠).

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/ ٢١١

(٣) المصنف ٢٠٤٥٥

(٤) صحيح مسلم ١٠٦٥

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ [(١)] وَجَمَاعَةً مَعَهُ دَخَلُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالُوا لَهُ: **أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيًّا أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟** فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي وَأَفْضَلُ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُ بِدَمِهِ، وَأَمْرُهُ إِلَيَّ؟ فَقُولُوا لَهُ فَلْيُسَلِّمْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، وَأَنَا أُسَلِّمُ لَهُ أَمْرَهُ. فَأَتَوْا عَلِيًّا، فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ أَحَدًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مُعَاوِيَةَ.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ، [(٢)] عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنِّي أُبْغِضُ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ قَاتَلَ عَلِيًّا. فَقَالَ لَهُ أَبُو زُرْعَةَ: وَيْحَكَ! إِنَّ رَبَّ مُعَاوِيَةَ رَبٌّ رَحِيمٌ، وَخَصْمُ مُعَاوِيَةَ خَصْمٌ كَرِيمٌ، فَأَيْشِ دُخُولُكَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا؟! رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَمَّا جَرَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، فَقَرَأَ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤]. **وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ.** [(٣)]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْجُمْهُورُ: [(٤)] بُويِعَ لِمعاوية بِإِيلِيَاءَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، حِينَ بَلَغَ أَهْلَ الشَّامِ مَقْتَلُ عَلِيٍّ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا دَخَلَ الْكُوفَةَ بَعْدَ مُصَالَحَةِ الْحَسَنِ لَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَهُوَ عَامُ الْجَمَاعَةِ، وَذَلِكَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: مَسْكِنَ. مِنْ أَرْضِ سَوَادِ الْعِرَاقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَنْبَارِ، فَاسْتَقَلَّ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: [(٥)] حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ: **أَنَا أَوَّلُ الْمُلُوكِ وَآخِرُ خَلِيفَةٍ.**

قال ابن كثير: وَالسُّنَّةُ أَنْ يُقَالَ لِمُعَاوِيَةَ: مَلِكٌ. وَلَا يُقَالُ لَهُ: خَلِيفَةٌ. لِحَدِيثِ سَفِينَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا». [(٦)]

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٧١٠
(٢) المصدر نفسه ١٦/ ٧١٥
(٣) المصدر نفسه
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ١٦١ وتاريخ دمشق ١٦/ ٧١٧
(٥) تاريخ دمشق ١٦/ ٧٣٢
(٦) المسند ٥/ ٢٢١

الفصل الثاني:
أعماله والأحداث في عهده

○ ولايته الشام

لَمَّا فُتِحَتِ الشَّـامُ وَلَّاهُ عُمَرُ نِيَابَةَ دِمَشْـقَ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، ثم أَقَرَّهُ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَزَادَهُ بِلَادًا أُخْرَى.

وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ بِدِمَشْقَ، وَسَكَنَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَهُ الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ.

وَلَمَّا وَلَّاه عُمَرُ بن الخطاب الشام بعد أخيه يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سَـبَقُونَا وَتَأَخَّرْنَا، فَرَفَعَهُمْ سَـبْقُهُمْ، وَقَصَّرَ بِنَا تَأَخُّرُنَا، فَصَارُوا قَادَةً وسادة، وَصِرْنَا أَتْبَاعًا، وَقَدْ وَلَّوْكَ جَسِيمًا مِنْ أُمُورِهِمْ فَلَا تُخَالِفْهُمْ.

فَلَمْ يَزَلْ مُعَاوِيَةُ نَائِبًا عَلَى الشَّامِ فِي الدَّوْلَةِ الْعُمَرِيَّةِ، وَفِي الدولة الْعُثْمَانِيَّةِ مُدَّةَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ.

○ خُرُوجُ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ

وَسَـبَبَ ذَلِكَ أَنْ مُعَاوِيَةَ لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ سـنة (٤١) هـ وَخَرَجَ الْحَسَـنُ وَأَهْلُهُ مِنْهَا قَاصِدِيـنَ إِلَى الْحِجَازِ، قَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِـمِائَةٍ: جَاءَ مَا لَا يُشَـكُّ فِيهِ، فَسِـيرُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَجَاهِدُوهُ. فَسَـارُوا حَتَّـى قَرُبُوا مِنَ الْكُوفَـةِ وَعَلَيْهِمْ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ خَيْلًا مِنَ أَهْلِ الشَّـامِ، فَطَرَدُوا الشَّامِيِّينَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَهْلِ الْكُوفَـةِ: لَا أَمَـانَ لَكُمْ عِنْـدِي حَتَّى تَكُفُّوا بَوَائِقَكُـمْ. فَخَرَجُوا إِلَى الْخَـوَارِجِ، فاقتتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم.[1]

○ عودة الخوارج

وفي سـنة (٤٣هـ) كانت وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَجُنْـدِ الْكُوفَةِ[2] وذَلِكَ أَنَّهُمْ صَمَّمُـوا، عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّاسِ فِي هَذَا الْحِينِ، فَاجْتَمَعُوا فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ،

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٦٥

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥/ ١٨١-٢٠٩ والكامل لابن الأثير ٣/ ٤٢٥ ومابعدها

عَلَيْهِمُ الْمُسْتَوْرِدُ بْنُ عُلَّفَةَ، فَجَهَّزَ إِلَيهِمُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ جُنْدًا عَلَيْهِمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبَا الرَّوَّاغِ فِي طَلِيعَةٍ، هِيَ ثَلَاثُمِائَةٌ عَلَى عِدَّةِ الْخَوَارِجِ، فَلَقِيَهُمْ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْمَذَارُ. فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ، فَهَزَمَتْهُمُ الْخَوَارِجُ، ثُمَّ كَرُّوا عَلَيْهِمْ، فَهَزَمَتْهُمُ الْخَوَارِجُ مرة ثانية، فَلَزِمُوا مَكَانَهُمْ فِي مُقَابَلَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ أَمِيرِ الْجَيْشِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ عَلَيْهِمْ، فلما قدم حَمَلَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى مَعْقِلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَانْجَفَلَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، فَتَرَجَّلَ عِنْدَ ذَلِكَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ. فَتَرَجَّلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالشُّجْعَانِ فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَعْقِلٍ وَهُوَ يُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِمَنْ مَعَهُ قِتَالًا شَدِيدًا، وَالنَّاسُ يَتَرَاجَعُونَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، فَصَفَّهُمْ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَرَتَّبَهُمْ وَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا عَلَى مَصَافِّكُمْ حَتَّى نُصْبِحَ، فَالْتَقَوْا بِهِمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَثَارَ إِلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ، فَتَبَارَزُوا سَاعَةً، ثُمَّ حَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَصَبَرَ لَهُمْ أَبُو الرَّوَّاغِ بِمَنْ مَعَهُ، وَجَعَلَ يُذَمِّرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْفِرَارِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ، فَصَبَرُوا وَصَدَقُوا فِي الثَّبَاتِ، حَتَّى رَدُّوا الْخَوَارِجَ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ، فَلَمَّا رَأَتِ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ هَرَبُوا حَتَّى قَطَعُوا دِجْلَةَ، وَوَقَعُوا فِي أَرْضِ بَهُرَسِيرَ، وَوَصَلَتِ الْخَوَارِجُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْعَتِيقَةِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ سِمَاكُ بْنُ عُبَيْدٍ نَائِبُ الْمَدَائِنِ، وَلَحِقَهُمْ أَبُو الرَّوَّاغِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَدِّمَةِ فانهزمت الخوارج وتبدد أمرهم ولم ينج منهم غير خمسة، وهدأ أمرهم بعد هذا، إلى سنة ٥٨هـ. (١)

ثم في سَنَة (٥٨هـ) عاد الخوارج إلى الظهور وجرى بينهم وبَيْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فُصُولا طَوِيلَة، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمْعًا غَفِيرًا، وَحَبَسَ مِنْهُمْ آخَرِينَ، وَكَانَ صَارِمًا كَأَبِيهِ، مِقْدَامًا فِي أَمْرِهِمْ. (٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٢٠٥

(٢) ابن الجوزي، المنتظم ٥/ ٢٩٥ ومابعدها.

○ تغلب حمران على البصرة

وَفِـي (٤١هـــ) وَثَبَ حُمْرَانِ بْنُ أَبَانَ عَلَى الْبَصْرَةَ[١] فَأَخَذَهَـا وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا، فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَيْهِ جَيْشًا لِيَقْتُلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ فِي الصَّفْحِ عَنْهُمْ وَالْعَفْوِ، فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَوَلَّى عَلَى الْبَصْرَةِ بُسْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاةَ.

○ قدوم زياد على معاوية

وَفِـي سـنة (٤٢هــ) قَدِمَ زِيَادُ بْـنُ أَبِيهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ،[٢] وَكَانَ قَدِ امْتَنَـعَ عَلَيْهِ قَرِيبًا مِنْ سَـنَةٍ فِي قَلْعَةِ زِيَـادٍ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: مَـا يَحْمِلُكَ عَلَى أَنْ تُهْلِكَ نَفْسَـكَ؟ أَقْدِمْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِـي بِمَا صَـارَ إِلَيْكَ مِنْ أَمْوَالِ فَارِسَ وَمَـا صَرَفْتَ مِنْهَا وَمَا بَقِيَ عِنْـدَكَ، فَائْتِنِي بِهِ وَأَنْتَ آمِنٌ، فَإِنْ شِـئْتَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَعَلْتَ، وَإِلَّا ذَهَبْتَ حَيْثُمَا شِـئْتَ مِنَ الْأَرْضِ فَأَنْتَ آمِنٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَزْمَعَ زِيَادٌ السَّيْرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَ مُعَاوِيَةُ زِيَادًا، وَقَبَضَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَصَدَّقَهُ فِيمَا صَرَفَهُ وَمَا بَقِيَ عِنْدَهُ.

○ انتساب زياد بن أبيه إلى أبي سفيان

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[٣] وَفِي سنة (٤٤هــ) **اسْتَلْحَقَ مُعَاوِيَةُ زِيَادَ ابْنِ أَبِيهِ فَأَلْحَقَهُ بِأَبِي سُفْيَانَ.** وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا شَـهِدَ عَلَى إِقْرَارِ أَبِي سُـفْيَانَ أَنَّهُ عَاهَرَ بِسُمَيَّةَ أُمِّ زِيَادٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَّهَا حَمَلَتْ بِزِيَادٍ هَذَا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ قِيلَ لَهُ: زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُنْكِرُ هَذَا الِاسْتِلْحَاقَ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ».[٤]

تعليـق: هذه القصة ذكرهـا الطبري مجملة وليس لها أسـانيد صحيحة، لكن فصّل فيها ابن الاثير في الكامل ٣/ ٤٤٣ وهي من متعلقات وآثار أنكحة الجاهلية التي أبطلها

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥/ ١٦٧ ومابعدها. (٢) انظر: تاريخ الطبري ٥/ ١٧٦

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٢١٤

(٤) مسند أحمد ١٦/ ٢٤٨ رقم ١٠٣٨٦ و١٠٣٨٧ من حديث أبي هريرة والحسن البصري.

الإسلام يقول ابن الاثير ٣/ ٤٤٥ فلما جاء الإسلام أقر كل ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شيء منها.

وهذه القضية لم تثر في العهد النبوي، ولا في عهد الخلفاء الراشدين وإنما في خلافة معاوية، والذي يتهم بها هو زياد نفسه أما معاوية فغير ممكن أن يطلب من زياد ذلك ويستلحقه لمعرفته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالحكم الشرعي وهو أحد رواة حديث «الولد للفراش وللعاهر الحجر» كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح ١٢/ ٣٩

وفي صحيح مسلم (شرح النووي ٢/ ٥١-٥٢) ما يدعم أن الذي ادعى ذلك هو زياد بن سميه « عن أبي عثمان قال: لما ادعى زياد لقيت أبا بكرة فقلت له: ما هذا الذي صنعتم..الخ وأبو بكرة هو أخ لزياد وقد هجره بسبب هذا.

فزياد بن سمية أراد أن يقوي مكانته ويستفيد من هذه الدعوى بالتقرب للخليفة وحصل له ما أراد من الولاية، ومعاوية لم يعارض ذلك لما رأى من المصلحة من استمالة زياد والاستفادة من قدراته خاصة مع أهل العراق. [١]

○ بيعة يزيد بولاية العهد

في سنة (٥٦هـ) شَرَعَ مُعَاوِيَةُ فِي نَظْمِ الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ [٢] وَالدُّعَاءِ إِلَيْهَا، وَعَقَدَ له الْبَيْعَةَ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ بِذَلِكَ، فَبَايَعَ لَهُ النَّاسُ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وَالْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، فَرَكِبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، فَلَمَّا اجْتَازَ بِالْمَدِينَةِ مَرْجِعَهُ مِنْ مَكَّةَ اسْتَدْعَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ بِانْفِرَادِهِ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَيْهِ رَدًّا وَأَجْلَدِهِمْ فِي الْكَلَامِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ أَلْيَنَهُمْ كَلَامًا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ وَهَؤُلَاءِ حُضُورٌ تَحْتَ مِنْبَرِهِ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ وَهُمْ قُعُودٌ، وَلَمْ يُوَافِقُوا وَلَمْ يُظْهِرُوا

---

(١) انظر: خالد الغيث، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري ٣٧١-٣٧٩

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٠١-٣٠٤

خِلَافًا، فَاتَّسَقَتِ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ، وَوَفَدَتِ الْوُفُودُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ إِلَى يَزِيدَ.

فَكَانَ فِيمَنْ قَدِمَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ،[(١)] فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُحَادِثَ يَزِيدَ، فَجَلَسَا ثُمَّ خَرَجَ الْأَحْنَفُ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَاذَا رَأَيْتَ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّا نَخَافُ اللهَ إِنْ كَذَبْنَا وَنَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْنَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ بِمَا أَرَدْتَ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْمَعَ وَنُطِيعَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَنْصَحَ لِلْأُمَّةِ.

قال ابن كثير:[(٢)] وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ لَمَّا صَالَحَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَهِدَ لِلْحَسَنِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ قَوِيَ أَمْرُ يَزِيدَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، وَرَأَى أَنَّهُ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَذَاكَ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَلِمَا كَانَ يَتَوَسَّمُ فِيهِ مِنَ النَّجَابَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَسِيَّمَا أَوْلَادِ الْمُلُوكِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْحُرُوبِ وَتَرْتِيبِ الْمُلْكِ وَالْقِيَامِ بِأُبَّهَتِهِ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ فِي الْمُلْكِ مَقَامَهُ، وَلِهَذَا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِيمَا خَاطَبَهُ بِهِ: إِنِّي خِفْتُ أَنْ أَذَرَ الرَّعِيَّةَ مِنْ بَعْدِي كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِذَا بَايَعَهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَايَعْتُهُ، وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٢٧

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٣٠٨

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

○ فتح قيسارية

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ فَتَحَ مُعَاوِيَةُ قَيْسَارِيَّةَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ فِي دَوْلَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

○ فتح قبرص

افْتَتَحَ فِي ولايته الشام سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ جَزِيرَةَ قُبْرُسَ، (١) وَسَكَنَهَا الْمُسْلِمُونَ قَرِيبًا مِنْ سِتِّينَ سَنَةً فِي أَيَّامِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ، وَلَمْ تَزَلِ الْفُتُوحَاتُ وَالْجِهَادُ قَائِمًا عَلَى سَاقِهِ فِي بِلَادِ الـرُّومِ وَالْفِرِنْجِ وَغَيْرِهَا، فَلَمَّـا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ مَا كَانَ، لَمْ يَقَعْ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَتْحٌ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا عَلَى يَدَيْهِ وَلَا عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ، وَطَمِعَ فِي مُعَاوِيَةَ مَلِكُ الرُّومِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَخْسَأَهُ وَأَذَلَّهُ، وَقَهَرَ جُنْدَهُ وَدَحَاهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ الرُّومِ اشْتِغَالَ مُعَاوِيَةَ بِحَـرْبِ عَلِيٍّ تَدَانَـى إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ، وَطَمِعَ فِيـهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ وَتَرْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ يَا لَعِينُ لَأَصْطَلِحَنَّ أَنَا وَابْنُ عَمِّي عَلَيْكَ وَلَأُخْرِجَنَّكَ مِـنْ جَمِيعِ بِلَادِكَ، وَلَأُضَيِّقَنَّ عَلَيْـكَ الْأَرْضَ بِمَا رَحُبَتْ. فَعِنْدَ ذَلِـكَ خَافَ مَلِكُ الرُّومِ وَانْكَفَّ، وَبَعَثَ يَطْلُبُ الْهُدْنَةَ. (٢)

وَقَـالَ مُحَمَّـدُ بْنُ عَائِذٍ، عَـنِ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْـنِ لَهِيعَةَ، عَنْ يُونُسَ، عَـنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عُمَرُ الْجَابِيَةَ، وَأَمَّرَ عَمْرو بْنَ الْعَاصِ بِالْمَسِـيرِ إِلَى مِصْرَ، وَبَقِيَ الشَّـامُ عَلَى أَمِيرَيْنِ؛ أَبِي عُبَيْدَةَ وَيَزِيدَ بن أبي سفيان، ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَاسْتَخْلَفَ عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ ثُمَّ تُوُفِّيَ يَزِيدُ، فَأَمَّرَ مُعَاوِيَةَ مَكَانَهُ، ثُمَّ نَعَاهُ عُمَرُ لِأَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، احْتَسِبْ يَزِيدَ بْنَ أَبِـي سُـفْيَانَ. قَالَ: مَنْ أَمَّـرْتَ مَكَانَهُ؟ قَـالَ: مُعَاوِيَةَ. فَقَـالَ: وَصَلَتْكَ يَا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٩٩

(٢) قلت وهذا من آثار الخلاف وانقسام السلطة، حيث وقف الجهاد، وطمع العدو في المسلمين لكن هدده معاوية فانكف شره وطلب الهدنة.

رَحِمٌ. [١] فَكَانَ عَلَى الشَّامِ مُعَاوِيَةُ، وَعُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

○ غزو الْقُسْطَنْطِينِيَّة

وفِي أَيَّامِ عُثْمَانَ كان عَامَ غَزْوَةِ الْمَضِيقِ - يَعْنِي مَضِيقَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ.

وكان معاوية هو الْأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَئِذٍ، وَجَمَعَ عُثْمَانُ لِمُعَاوِيَةَ جَمِيعَ الشَّامِ، [٢] وقيل إن عمر هو الذي جمعها له، والصحيح عثمان.

فَاسْتَقَلَّ مُعَاوِيَةُ بِالْأَمْرِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ يَغْزُو الرُّومَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً فِي الصَّيْفِ، وَمَرَّةً فِي الشِّتَاءِ،

وفِي سنة (٤٢هـ) غَزَا الْمُسْلِمُونَ اللَّانَ وَالرُّومَ، فَقَتَلُوا مِنْ أُمَرَائِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمُوا وَسَلِمُوا.

وفِي سنة (٤٣هـ) غَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ بِلَادَ الرُّومِ، فَوَغَلَ فِيهَا حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، [٣]

وفِي سنة (٤٤هـ) غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَشَتُّوا هُنَالِكَ. [٤] وَفِيهَا غَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ فِي الْبَحْرِ. [٥]

○ غزو خراسان

وَفِي سنة (٤٥هـ) غَزَا الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو نَائِبُ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ جَبَلَ الْأَشَلِّ، [٦] عَنْ أَمْرِ زِيَادٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَمَّةً، فَكَتَبَ إِلَيْهِ زِيَادٌ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٥٧٦
(٢) المصدر نفسه ١٦/ ٧٠٢
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٨١
(٤) المصدر نفسه٥/ ٢١٢ والكامل ٣/ ٤٤٠.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) جبل الأشل من جانب الترك الواقعة على ثغور خراسان في جنوب تركستان. دولة صادق أطلس العالم الإسلامي، ٧٢-٧٣.

قَدْ جَاءَ كِتَابُهُ أَنَّ يُصْطَفَى لَهُ كُلُّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ - يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ - يُجْمَعُ كُلُّهُ مِنْ هَـذِهِ الْغَنِيمَةِ لِبَيْتِ الْمَالِ. فَكَتَبَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو إِلَيْـهِ: إِنَّ كِتَابَ اللهِ مُقَدَّمٌ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ وَاللهِ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عَلَى عَبْدٍ فَاتَّقَى اللهَ، لَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا. ثُمَّ نَادَى فِي النَّاسِ أَنِ اغْدُوا عَلَى قَسْمِ غَنِيمَتِكُمْ. فَقَسَّمَهَا بَيْنَهُمْ، وَخَالَفَ زِيَادًا فِيمَا كَتَبَ إِلَيْهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ، وَعَزَلَ الْخُمُسَ كَمَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ،

ثُمَّ قَالَ الْحَكَمُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ. فَمَاتَ بِمَرْوَ مِنْ خُرَاسَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[(١)]

وفِي سنة (٤٦هـ) و (٤٧هـ) شَتَّى الْمُسْلِمُونَ بِبِلَادِ الرُّومِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

وفِي سَنَةِ (٤٨هـ) شَتَّى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَيْنِيُّ بِالْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ أَنْطَاكِيَةَ.

وَفِيهَا غَزَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بِأَهْلِ مِصْرَ الْبَحْرَ.

○ غزو القسطنطينة في عهد معاوية

وفِي سَنَةِ (٤٩هـ) غَزَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى بَلَغَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ؛ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ» فَكَانَ هَذَا الْجَيْشُ أَوَّلَ مَنْ غَزَاهَا، وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَلَغُوا الْجَهْدَ.

وَفِيهَا شَتَّى مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَفِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَشَتَّى هُنَالِكَ، فَفَتَحَ الْبَلَدَ وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَفِيهَا كَانَتْ صَائِفَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كُرْزٍ الْبَجَلِيِّ.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٦٩ وعند الطبري ٥/ ٢٥٠ ذكرها سنة ٥٠

وهـذا الخبـر أورده غالب المؤرخين من غير إسناد، وطريقة تقسيم الغنائم لا يخفى على مثل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فضله وخبرته ولا يتصور أنه يخالف الشرع في ذلك، ولعل الخبر فيه نقص ولمعاوية فيه تأويل إذا صح، وانظر مزيدا من ذلك، الغيث، مرويات الطبري عن خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص٣٥٢.

○ فتح أفريقية

وفِـي سَّـنَة (٥٠هــ) افْتَتَـحَ عُقْبَةُ بْـنُ نَافِعٍ الْفِهْـرِيُّ عَنْ أَمْـرِ مُعَاوِيَةَ، بِـلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ، وَاخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ [(١)] وَكَانَ مَكَانُهَا غَيْضَةً تَأْوِي إِلَيْهَا السِّبَاعُ وَالْوُحُوشُ وَالْحَيَّاتُ الْعِظَامُ - فَدَعَـا اللهَ تَعَالَـى، فَلَـمْ يَبْقَ فِيهَا شَـيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنِ السِّـبَاعَ صَـارَتْ تَخْرُجُ مِنْهَا تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا، وَالْحَيَّاتُ يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ هَوَارِبَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْـلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ وَسُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ أَرْضَ الرُّومِ،

وَفِيهَا غَزَا فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبَحْرَ.

○ فتح بلخ

وَفِي سـنة (٥١هــ) وَلَّى زِيَادٌ عَلَى خُرَاسَـانَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو، الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ، فَفَتَحَ بَلْخَ صُلْحًا، وَكَانُوا قَدْ أَغْلَقُوهَا بَعْدَمَا صَالَحَهُمُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَفَتَحَ قُوهِسْتَانَ عَنْوَةً، وَكَانَ عِنْدَهَا أَتْرَاكٌ فَقَتَلَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَيْزَكُ طَرْخَانَ، فَقَتَلَهُ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بَعْدَ ذَلِكَ.

وفي سـنة (٥١هـ) أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا أَغْزَاى معاوية ابنه يزيد بِلَادَ الرُّومِ، فَسَـارَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ كُبَرَاءِ الصَّحَابَةِ حَتَّى حَاصَرَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، [(٢)] وَقَدْ ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحِ»[(٣)]: «أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مَغْفُورٌ لَهُمْ».

(١) تاريـخ الطـبري ٥/ ٢٤٠ وابن عبدالحكـم، فتوح مصـر ١٩٦، وفي الخبر كرامة لعقبـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: حيث استجابت الدواب لدعائه، وقد أورد خبرها بسند حسن عند خليفة بن خياط كماقال: الحافظ ابن حجر، انظر تاريخ خليفة ٢١٠ والإصابة ٥/ ٦٤ وانظر مزيدا من ذلك في مرويات خلافة معاوية لخالد الغيث.ص٣٤٤.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٤٢١ وانظر أيضا ٩/ ٢١٦ وسيأتي في خلافة يزيد أن ذلك سنة ٤٩هـ في قول يعقوب القسوي أو سنة ٥٠هـ في خليفة بن خياط.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ماقيل في قتال الروم ص (٢٩٢٤)

فِي سـنَة (٥٢هـ) غزَا بِلَادَ الرُّومِ وَشَتَّى بِهَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ، فَمَاتَ هُنَالِكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ بَعْدَهُ عَبْدَ اللهِ بْنِ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيَّ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ الْغَزْوِ بِبِلَادِ الرُّومِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ، وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ.

وَفيها غَزَا الصَّائِفَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ.

○ فتح جزيرة رودس

وفي سنة (٥٣هـ) غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ بِلَادَ الرُّومِ وَشَتَّى بِهَا.

وَفِيهَا افْتَتَحَ الْمُسْـلِمُونَ - وَعَلَيْهِمْ جُنَادَةُ بْنُ أَبِـي أُمَيَّةَ - جَزِيرَةَ رُودِسَ،[١] فَأَقَامَ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ كَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَى الْكُفَّارِ، يَعْتَرِضُونَ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَيَقْطَعُونَ سَـبِيلَهُمْ، وَكَانَ مُعَاوِيَـةُ يُدِرُّ عَلَيْهِـمُ الْأَرْزَاقَ وَالْأُعْطِيَـاتِ الْجَزِيلَةَ، وَكَانُـوا عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنَ الْفِرِنْجِ، يَبِيتُونَ فِي حِصْنٍ عَظِيمٍ عِنْدَهُمْ فِيهِ حَوَائِجُهُمْ وَدَوَابُّهُمْ وَحَوَاصِلُهُمْ، وَلَهُمْ نَوَاطِيرُ[٢] عَلَى الْبَحْرِ يُنْذِرُونَهُمْ إِنْ قَدِمَ عَدُوٌّ أَوْ كَادَهُمْ أَحَدٌ وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى كَانَتْ إِمَارَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَبِيهِ، فَأَقْفَلَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ، وَقَدْ كَانَتْ لِلْمُسْـلِمِينَ بِهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَزِرَاعَاتٌ غَزِيرَةٌ.[٣]

وفِي سَـنَة (٥٤هـ) شَـتَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَالِكٍ بِأَرْضِ الرُّومِ، وَغَزَا الصَّائِفَةَ مَعْنُ بْنُ يَزِيدَ السُّلَمِيُّ.

○ فتح بيكند

وَقَدِمَ فِي سـنة (٥٤هـ) عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَكْرَمَهُ وَسَـأَلَهُ عَنْ نُوَّابِ أَبِيهِ عَلَى الْبِلَادِ، فَأَخْبَرَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ وَلَّاهُ **إِمْرَةَ خُرَاسَانَ** وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَتَجَهَّزَ

---

(١) جزيرة في البحر الأبيض المتوسط وهي حاليا إحدى الجزر اليونانية.

(٢) الناطور: الحارس والمراقب.

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٢٨٨

مِـنْ فَوْرِهِ غَادِيًـا إِلَيْهَا، فَقَطَعَ النَّهْـرَ إِلَى جِبَالِ بُخَـارَى، فَفَتَحَ رَامِيثَنَ وَنِصْـفَ بَيْكَنْدَ [١] -وَهُمَا مِـنْ مُعَامَلَةِ بُخَارَى- وَلَقِيَ التُّرْكَ هُنَاكَ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَـدِيدًا، وَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً فَظِيعَـةً، بِحَيْثُ إِنَّ الْمُسْـلِمِينَ أَعْجَلُوا امْـرَأَةَ الْمَلِـكِ أَنَّ تَلْبَسَ خُفَّيْهَا، فَلَبِسَـتْ وَاحِدَةً وَتَرَكَتِ الْأُخْرَى، فَأَخَذَهَا الْمُسْـلِمُونَ فَقَوَّمُوا جَوْرَبَهَا بِمِائَتَـيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَغَنِمُوا مَعَ ذَلِكَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، [٢] وَأَقَامَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ بِخُرَاسَانَ سَنَتَيْنِ.

وفي سنة (٥٦هـ) شَتَّى جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِأَرْضِ الرُّومِ، وفِيهَا غَزَا فِي الْبَحْرِ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ، وَفِي الْبَرِّ عِيَاضُ بْنُ الْحَارِثِ.

وفِي سنة (٥٧سنة) كَانَ مَشْتَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِأَرْضِ الرُّومِ.

وفِي سَنَةَ (٥٩هـ) شَتَّى عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ الْجُهَنِيُّ فِي أَرْضِ الرُّومِ فِي الْبَرِّ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا غَزْوٌ فِي الْبَحْرِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلْ غَزَا فِي الْبَحْرِ عَامَئِذٍ جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ.

قَـالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي سَـنَةَ (٦٠هـ) دَخَـلَ جُنَادَةُ بْنُ أَبِـي أُمَيَّةَ جَزِيـرَةَ رُودِسَ وَهَدَمَ مَدِينَتَهَا. [٣]

❁ ❁ ❁

(١) رَامِيثَنَ وَبَيْكَنْدَ من مدن بخارى
(٢) انظر: تاريخ الطبري ٥/ ٢٩٨وفي تاريخ بخارى للفرشخي تفاصيل أكثر ص٦٤.
(٣) المصدر السابق وكان ذلك بأمر يزيد بعد ولايته.

ولاته على البلدان

○ ولاية الشام

كانَ عَلَى قَضاءِ مُعَاوِيَةَ في ولايته الشام قبل الخلافة فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، إلى أن مَاتَ، ثم وَلَّى أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ.

وَكَانَ عَلَى حَرَسِهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: الْمُخْتَارُ. وَيُكَنَّى أَبَا الْمُخَارِقِ، مَوْلًى لِحِمْيَرَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الْحَرَسَ، وَكَانَ عَلَى حُجَّابِهِ سَعْدٌ مَوْلَاهُ، وَعَلَى الشُّرْطَةِ قَيْسُ بْنُ حَمْزَةَ، ثُمَّ زِمْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعُذْرِيُّ، ثُمَّ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفِهْرِيُّ، وَكَانَ صَاحِبَ أَمْرِهِ [(١)] سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورٍ الرُّومِيُّ. وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ دِيوَانَ الْخَاتَمِ وخزم الْكُتُبِ.

○ ولاية المدينة:

في سنة (٤٢هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَقْضَى مَرْوَانُ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَلَى مَكَّةَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ.

وفِي سنة (٤٩هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَاسْتَقْضَى سَعِيدٌ عَلَيْهَا أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

وفي سَنَةُ (٥٤هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَرَدَّ إِلَيْهَا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَهْدِمَ دَارَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَيَصْطَفِي أَمْوَالَهُ الَّتِي بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَجَاءَ مَرْوَانُ إِلَى دَارِ سَعِيدٍ لِيَهْدِمَهَا فَقَالَ سَعِيدٌ: مَا كُنْتَ لِتَفْعَلَ ذَلِكَ. فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَيَّ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْكَ فِي دَارِي لَفَعَلْتَهُ. فَقَامَ سَعِيدٌ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ الْمَدِينَةَ أَنْ يَهْدِمَ دَارَ مَرْوَانَ وَيَصْطَفِي أَمْوَالَهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُجَاحِفُ دُونَهُ حَتَّى صَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَأَى مَرْوَانُ الْكُتُبَ إِلَى سَعِيدٍ بِذَلِكَ، ثَنَاهُ ذَلِكَ عَنْ دَارِ سَعِيدٍ،

(١) صاحب أمره: أي وكيله في الشوى الخاصة.

وَعَنْ أَخْذِ مَالِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُ عَنْهُ حَتَّى تَرَكَهُ مُعَاوِيَةُ فِي دَارِهِ وَأَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْوَالَهُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِي شَوَّالِ سنة (٥٧سنة) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ الَّذِي حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ؛ لِأَنَّهُ صَارَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الْمَدِينَةِ.

○ ولاية البصرة:

ولى معاوية في سنة (٤٠هـ) البصرة لعبد الله بن عامر ثم عزله عنها سنة (٤٤هـ).

وَكان عَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ عُمَيْرَةُ بْنُ يَثْرِبِيٍّ.

وفي سنة (٤٥هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْبَصْرَةَ لِلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيِّ، ثُمَّ عَزَلَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ،

وَوَلَّى زِيَادًا عليها ومايتبعها من الأقاليم (خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ)، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ الْهِنْدَ وَالْبَحْرَيْنَ وَعُمَانَ. وَدَخَلَ زِيَادٌ الْبَصْرَةَ فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْأُولَى، فَقَامَ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، وَقَدْ وَجَدَ الْفِسْقَ ظَاهِرًا فِي الْبَصْرَةِ، فَقَالَ فِيهَا: أَيُّهَا النَّاسُ، كَأَنَّكُمْ لَمْ تُسْمِعُوا مَا أَعَدَّ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَالْعَذَابِ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ فَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ. ثُمَّ مَا زَالَ يُقِيمُ أَمْرَ السُّلْطَانِ وَيُجَرِّدُ السَّيْفَ حَتَّى خَافَهُ النَّاسُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَتَرَكُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ، وَاسْتَعَانَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَلَّى عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ، وَوَلَّى الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ نِيَابَةَ خُرَاسَانَ، وَوَلَّى سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ.

وَكَانَ زِيَادٌ حَازِمَ الرَّأْيِ، ذَا هَيْبَةَ، دَاهِيَةً، وَكَانَ مُفَوَّهًا فَصِيحًا بَلِيغًا؛ قَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا قَطُّ تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْكُتَ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُسِيءَ إِلَّا زِيَادًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ كُلَّمَا أَكْثَرَ كَانَ أَجْوَدَ كَلَامًا. وَقَدْ كَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.[1]

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٢٢٢-٢٢٤.

وَفِي سنة ٥٤هـ عَزَلَ مُعَاوِيَةُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ عَنِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ زِيَادٌ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا، فَأَقَرَّهُ مُعَاوِيَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غَيْلَانَ.

فِي سنة (٥٥هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ غَيْلَانَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ فَاسْتَخْلَفَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَى خُرَاسَانَ أَسْلَمَ بْنَ زُرْعَةَ، فَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يَفْتَحْ شَيْئًا، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ لِزُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى ابْنَ أُذَيْنَةَ الْعَبْدِيَّ، وَوَلَّى شُرْطَتَهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ حِصْنٍ.

○ وفود عبيدالله على معاوية مع أشراف أهل العراق

فِي سَنَة (٥٩هـ) وَفَدَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَمَعَهُ أَشْرَافُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْعِرَاقِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ عُبَيْدُ اللهِ عَلَيْهِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْهُ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَدْخَلَهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَلَمْ يَكُنْ عُبَيْدُ اللهِ يُجِلُّهُ، فَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةُ الْأَحْنَفَ رَحَّبَ بِهِ وَعَظَّمَهُ وَأَجَلَّهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ فَأَثْنَوْا عَلَى عُبَيْدِ اللهِ، وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا لَكَ يَا أَبَا بَحْرٍ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمْتُ خَالَفْتُ الْقَوْمَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: انْهَضُوا فَقَدْ عَزَلْتُهُ عَنْكُمْ، فَاطْلُبُوا وَالِيًا تَرْضَوْنَهُ. فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ.

قَالَ الْأَحْنَفُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ وَلَّيْتَ عَلَيْنَا أحداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَإِنَّا لَا نَعْدِلُ بِعُبَيْدِ اللهِ أَحَدًا، وَإِنَّ وَلَّيْتَ عَلَيْنَا مِنْ غَيْرِهِمْ فَانْظُرْ لَنَا فِي ذَلِكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ أَعَدْتُهُ إِلَيْكُمْ. ثُمَّ إِنَّ مُعَاوِيَةَ أَوْصَى عُبَيْدَ اللهِ بِالْأَحْنَفِ خَيْرًا، وَقَبَّحَ رَأْيَهُ فِي مُبَاعَدَتِهِ، فَكَانَ الْأَحْنَفُ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَصَّ أَصْحَابِ عُبَيْدِ اللهِ، وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ [١] لَمْ يَفِ لِعُبَيْدِ اللهِ غَيْرُ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ.

○ ولاية الكوفة:

فِي سنة (٤٢هـ) وَلّى عَلَى الْكُوفَةِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَلَى قَضَائِهَا شُرَيْحٌ الْقَاضِي.

وفِي سنة (٤٩هـ) جَمَعَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادٍ الْكُوفَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مِنْ جُمِعَ لَهُ

(١) يقصد بها ثورة أهل الكوفة على عبيدالله بن زياد.

بَيْنَهُمَا، فكَانَ زِيَادٌ يُقِيمُ فِي هَذِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَفِي هَذِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ يَسْتَخْلِفُ عَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ.

وَفِي سنة (٥٤هـ) أَقَرَّ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ عَلَى نِيَابَةِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ زِيَادٌ قَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا.

وفِي سنة (٥٥هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ عَنِ الْكُوفَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الْفِهْرِيَّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِي سَنَة (٥٨هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ، وَهُوَ ابْن أُخْت مُعَاوِيَةَ، وَعَزَلَ عَنْهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ، فَوَلَّى عبدالرحمن عَلَى شُرْطَتِهِ زَائِدَةَ بْنَ قُدَامَةَ، ثُمَّ إِنَّه أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ طَرِيدًا، فَرَجَعَ إِلَى خَالِهِ مُعَاوِيَةَ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَأُوَلِّيَنَّكَ مِصْرًا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فعزله عن الكوفة وولّى عليها النعمان بن بشير سنة ٥٩هـ.

○ ولاية خراسان:

فِي سنة (٤٢هـ) وَلّى عَلَى خُرَاسَانَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ.

وفي سنة (٥٦هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بن عفان بِلَادَ خُرَاسَانَ [1] وَعَزَلَ عَنْهَا عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ، فَسَارَ سَعِيدٌ إِلَى خُرَاسَانَ، وَالْتَقَى مَعَ التُّرْكِ عِنْدَ صُغْدِ سَمَرْقَنْدَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، واستشهد معه جماعة منهم قثم بن العباس بن عبدالمطلب.

وَفِي سَنَة (٥٩هـ) وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زِيَادٍ وِلَايَةَ خُرَاسَانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

○ ولاية مصر:

كان والي مصر عمرو بن العاص إلى وفاته ٤٣هـ، ثم وليها عبدالله بن عمرو بن العاص.

(١) البداية والنهاية ١١/ ٣٠٥، وانظر: تاريخ الطبري ٥/ ٣٠٤.

وَفِي (٤٧هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ.

وَفِي سنَةِ (٥٠هـ) عَزَلَ مُعَاوِيَةُ عَنْ مِصْرَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَوَلَّى عَلَيْهَا وَعلى إِفْرِيقِيَةَ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ.

وفي سنة (٥٨هـ) ولى ابن أخت عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي مصر، فَلَمَّاسَارَ إِلَيْهَا تَلَقَّاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مِصْرَ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى خَالِكَ مُعَاوِيَةَ، فَلَعَمْرِي لَا تَسِيرُ فِينَا سِيرَتَكَ فِي إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ. فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ.

○ ولاية الحج

يحرص ابن كثير كغيره من المؤرخين الذين ساروا على الترتيب الحولي مثل الطبري وابن الجوزي وابن الأثير أن يسجل في نهاية كل سنة من تولى إمارة الحج في تلك السنة، وهي سنة نبوية حيث كان أول أمير للحج بعد فتح مكة سنة تسع من الهجرة أبو بكر الصديق بأمر رسول الله ﷺ، أما سنة ثمان فحج المشركون كما كانوا وحج والي مكة من قبل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بالمسلمين، ولا يحفظ أن رسول الله ﷺ أمره بشيء في ذلك، وفي السنة العاشرة قاد الحج رسول الله ﷺ في حجة الوداع ثم سار الخلفاء الراشدون ومن بعدهم على هذا المنهج في إمارة الحج إما الخليفة إذا حضر أو يعين أميرا من قبله.

والذي سار عليه معاوية طوال خلافته أن والي المدينة أو مكة هو الذي يتولى إمارة الحج،

وحج معاوية في خلافته سنة ٤٤هـ و ٥٠هـ كما ذكر ابن كثير، وفي سنة ٥١هـ ولّى ابنه يزيد بن معاوية.

وحج بالناس في سنة (٤٠هـ) عتبة بن أبي سفيان، وزعم ابن جرير [(١)] أن المغيرة بن شعبة افتعل كتابا على لسان معاوية، بولايته الحج وبادر عتبة فوقف في اليوم الثامن.

---

(١) تاريخ ابن جرير الطبري ٥/ ١٦٠

قال ابن كثير معلقا على ذلك[(١)]: وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ولا يظن بالمغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل، والله أعلم.

فإن الصحابة أجل قدرا من هذا، ولكن هذه نزعة شيعية.

وحج بالناس في سنة (٤١هـ) عتبة بن أبي سفيان وقال الواقدي: عنبسة بن أبي سفيان.

ولم يذكر ابن كثير من حج بالناس سنة (٤٢هـ)، وذكر الطبري[(٢)] أن الذي حج بالناس هذه السنة هو عنبسة بن أبي سفيان، وأسند ذلك عن أبي معشر.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٣هـ) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٤هـ) مُعَاوِيَةُ. وَفِيهَا عَمِلَ مُعَاوِيَةُ الْمَقْصُورَةَ بِالشَّامِ، وَعَمِلَ مَرْوَانُ مَثَلَهَا بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٥هـ) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَكَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٦هـ) عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَخُو مُعَاوِيَةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧هـ) عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَقِيلَ: أَخُوهُ عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٨هـ) مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٩هـ) سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ.

وفِي سنة (٥٠هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مُعَاوِيَةُ، وَقِيلَ: ابْنُهُ يَزِيدُ.

وفِي سنة (٥١هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فِيمَا قَالَهُ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيُّ.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ١٣٣

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٨٠

وفِي سنة (٥٢هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وفي سنة (٥٣هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَالِي الْمَدِينَةِ.

وَفِي سنة (٥٤هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وفِي سنة (٥٥هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس سنة (٥٦هـ) وإنما ذكر عمرة معاوية في رجب ومروره المدينة وأخذ البيعة منهم لابنه يزيد، وقد ذكر الطبري: [(١)] أن الذي أقام الحج للناس في هذه السنة هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وذكر الواقدي: أن الذي حج بالناس سنة (٥٧هـ) هو والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيُّ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةَ (٥٨هـ) الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ وَالْوَاقِدِيُّ: حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٩هـ) عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

○ مشاهير من توفي في خلافته:

أدرك خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدد كبير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد أدركها اثنان من العشرة المبشرين بالجنة وهما: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي توفي سنة ٥١هـ. وسعد بن أبي وقاص الزهري توفى سنة ٥٥ هـ.

وست من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

١- أم حبيبة رمله بنت أبي سفيان، اخت معاوية توفيت سنة ٤٤هـ.

٢- حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوي أمير المؤمنين توفيت ٤٥هـ.

٣- ميمونة بنت الحارث الهلالية توفيت سنة ٥١ هـ.

(١) المصدر نفسه ٥/ ٣٠١.

٤- سودة بنت زمعة القرشية العامرية توفيت سنه ٥٤ هـ.

٥- عائشة بنت أبي بكر الصديق توفيت سنة ٥٨هـ

٦- أم سلمة توفيت سنة ٦١ في خلافة يزيد.

ومن مشاهير من أدرك خلافته ومات فيها، عثمان بن طلحة الحجبي، وعمرو بن العاص السهمي، ومحمد بن مسلمة الانصاري، وعبدالله بن سلام أبو يوسف الاسرائيلي من أحبار اليهود وعلمائهم، وزيد بن ثابت الأنصاري من كتاب الوحي على عهد رسول الله ﷺ، وكتب المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واطلع عليه ابن كثير وقال: وهو خط جيد قوي جدا فيما رأيته.

○ فائدة:

قال ناسخ مخطوطة البداية والنهاية: كان المصحف المذكور موجوداً في زمن المؤلف (ابن كثير) وبعده إلى زماننا ثم عُدِم في فتنة تيمورلنك إما حريقا وإما آخذا له من مكانه الذي كان بالجامع الأموي في مشاريق المقصورة. [١]

وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، وقيس بن عاصم المنقري، وجرير بن عبدالله البجلي، وخالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري، وأبو موسى الأشعري، وأسامه بن زيد بن حارثة الكلبي، وحكيم بن حزام القرشي الأسدي، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وسعيد بن العاص الأموي أحد كتاب المصحف في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، ومعقل بن يسار المزني، وأبو هريرة الدوسي راوية الإسلام وصفون بن المعطل بن رحضة السلمي رضي الله عنهم جميعا.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: البداية والنهاية طبعة دار هجر ١١/ ١٧٠.

خلافة يَزِيد بن مُعَاوِيَة بْنِ أَبَى سُفْيَان

٦٠ ـ ٦٤

الفصل الأول
ترجمته وخلافته

○ نسبه وأسرته:

هُوَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، أَبُو خَالِدٍ الْأُمَوِيُّ. وَأُمُّهُ مَيْسُونُ بِنْتُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيِّ. وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ طَلَّقَ أُمَّهُ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ

رَوَى عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». وَحَدِيثًا آخَرَ فِي الْوُضُوءِ. وَعَنْهُ ابْنُهُ خَالِدٌ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الَّتِي تَلِي الصَّحَابَةَ، وَقَالَ: لَهُ أَحَادِيثُ.

وليزيد من الولد معاوية بن يزيد يُكْنى أبا ليلى وهو الذي تولى الخلافة بعد أبيه.

وخالد بن يزيد، يكنى أبا هاشم، وقد اشتغل بعلم الكيمياء.

وأبو سفيان، وأمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعبدالله بن يزيد ويقال له: الأُسوار، وكان من أرمى العرب، وامه أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر،

وعبدالله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبدالرحمن، والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شتى. [1]

○ صفاته:

كَانَ كَثِيرَ اللَّحْمِ، عَظِيمَ الْجِسْمِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، جَمِيلًا طَوِيلًا، ضَخْمَ الْهَامَةِ، مُحَدَّدَ الْأَصَابِعِ غَلِيظَهَا، مُجَدَّرًا. [2]

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَغَيْرِهِ [3] قَالَ: غَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ابْنِهِ يَزِيدَ فَهَجَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا، وَعِمَادُ ظُهُورِنَا، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ، إِنْ غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ، وَإِنْ طَلَبُوا فَأَعْطِهِمْ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/ ٦٦١
(٢) أي فيه مرض أثر الجدري.
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩٤

ثِقْلًا فَيَمَلُّوا حَيَاتَكَ وَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لِلَّهِ دَرُّكَ يَا أَبَا بَحْرٍ، يَا غُلَامُ، ائْتِ يَزِيدَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ. فَقَالَ يَزِيدُ: مَنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الْأَحْنَفُ. فَقَالَ يَزِيدُ: لَا جَرَمَ، لَأُقَاسِمَنَّهُ. فَبَعَثَ إِلَى الْأَحْنَفِ بِخَمْسِينَ أَلْفًا وَخَمْسِينَ ثَوْبًا.

وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ أَوَّلُ مَنْ غَزَا مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ، فِي قَوْلِ يَعْقُوبَ بْنِ سُفْيَانَ. وَقَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: سَنَةَ خَمْسِينَ. (١) ثُمَّ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ (٢) «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَوَّلُ جَيْشٍ يَغْزُو مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ.

قال ابن كثير: (٣) وَهُوَ الْجَيْشُ الثَّانِي الَّذِينَ رَآهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ عِنْدَ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ، فَقَالَتْ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ» يَعْنِي مِنَ الْجَيْشِ الْأَوَّلِ الَّذِينَ رَآهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ الْبَحْرِ، فَكَانَ أَمِيرَ الْأُولَى أَبُوهُ مُعَاوِيَةُ. حِينَ غَزَا قُبْرُسَ، فَفَتَحَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ أَيَّامَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ أُمُّ حَرَامٍ، فَمَاتَتْ هُنَالِكَ بِقُبْرُسَ، ثُمَّ كَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ الثَّانِي ابْنُهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ تُدْرِكْ أُمُّ حَرَامٍ جَيْشَ يَزِيدَ هَذَا. وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ.

○ وصية معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه يزيد:

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: (٤) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ لِيَزِيدَ وَهُوَ يُوصِيهِ: يَا يَزِيدُ، اتَّقِ اللهَ فَقَدْ وَطَّأْتُ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ،

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/ ١٨٠.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ماقيل في قتال الروم (٢٩٢٤)

(٣) البداية النهاية ١١/ ٦٤٣، قال الذهبي في السير ٤/ ٣٦ وله على هناته -حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦، وانظر: البداية والنهاية ١١/ ٦٤٤.

وَوُلِّيتَ مِنْ ذَلِكَ مَا وُلِّيتَ، فَإِنْ يَكُ خَيْرًا فَأَنَا أَسْعَدُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ شَقِيتَ بِهِ، فَارْفُقْ بِالنَّاسِ، وَأَغْمِضْ عَمَّا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلٍ تُؤْذَى بِهِ يَهْنِكَ عَيْشُكَ، وَتَصْلُحُ لَكَ رَعِيَّتُكَ، وَإِيَّاكَ وَالْمُنَاقَشَةَ وَحَمْلَ الْغَضَبِ، فَإِنَّكَ تُهْلِكُ نَفْسَكَ وَرَعِيَّتَكَ، وَإِيَّاكَ وَجَفْوَةَ أَهْلِ الشَّرَفِ،

وَلَا تُهِنْهُمْ وَلَا تَسْتَخِفَّ بِحَقِّهِمْ فَيُهِينُوكَ وَيَسْتَخِفُّوا بِحَقِّكَ وَيَقَعُوا فِيكَ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَادْعُ أَهْلَ السِّنِّ وَالتَّجْرِبَةِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمَشَايِخِ وَأَهْلِ التَّقْوَى، فَشَاوِرْهُمْ وَلَا تُخَالِفْهُمْ، وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِبْدَادَ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ، وَصَدِّقْ مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ إِذَا حَمَلَكَ عَلَى مَا تَعْرِفُ، وَاخْزُنْ ذَلِكَ عَنْ نِسَائِكَ وَخَدَمِكَ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ، وَاحْضُرِ الصَّلَاةَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ عَرَفَ النَّاسُ لَكَ حَقَّكَ، وَاعْرِفْ شَرَفَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ؛ فَإِنَّهُمْ أَصْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ، وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الشَّامِ شَرَفَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَنْصَارُكَ وَحُمَاتُكَ وَجُنْدُكَ الَّذِينَ بِهِمْ تَصُولُ، وَاكْتُبْ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِكِتَابٍ تَعِدُهُمْ فِيهِ مِنْكَ الْمَعْرُوفَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُنَشِّطُ آمَالَهُمْ، وَإِنْ وَفَدَ عَلَيْكَ وَافِدٌ مِنَ الْكُوَرِ كُلِّهَا فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَأَكْرِمْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لِمَنْ وَرَاءَهُمْ. (١)

قال ابن كثير: وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ فِيهِ خِصَالٌ مَحْمُودَةٌ مِنَ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالشِّعْرِ وَالشَّجَاعَةِ وَحُسْنِ الرَّأْيِ فِي الْمُلْكِ، وَكَانَ ذَا جَمَالٍ، حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ، وَكَانَ فِيهِ أَيْضًا إِقْبَالٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ والتهاون بالصلوات وإماتتها في غالب الأوقات.

○ رأي ابن كثير في الأخبار الواردة عن إمارة يزيد:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي بَشِيرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيُّ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ

(١) وهذه الوصية ذات معان عميقة في سياسة الناس والعدل بينهم، صدرت من رجل حكيم ومجرب.

(٢) المسند ٣/ ٣٨ وقال ابن كثير تفرد به أحمد، وانظر: إبراهيم الأقصم، أثر الأحاديث الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية، ص٣٥٣-٣٦٥.

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: (١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، ثَنَا كَامِلٌ أَبُو الْعَلَاءِ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ سَنَةِ سَبْعِينَ، وَمِنْ إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ».

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ عَسَاكِرَ أَحَادِيثَ فِي ذَمِّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، كُلُّهَا مَوْضُوعَةٌ، لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا، وَأَجْوَدُ مَا وَرَدَ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ عَلَى ضَعْفِ أَسَانِيدِهِ وَانْقِطَاعِ بَعْضِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. (٢)

قال ابن كثير: (٣) يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَكْثَرُ مَا نُقِمَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ شُرْبُ الْخَمْرِ وَإِتْيَانُ بَعْضِ الْفَوَاحِشِ، فَأَمَّا قَتْلُ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهُ - كَمَا قَالَ جَدُّهُ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ أُحُدٍ - لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَسُؤْهُ. وَلَمَّا خَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ طَاعَتِهِ وَخَلَعُوهُ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمُ ابْنَ مُطِيعٍ وَابْنَ حَنْظَلَةَ لَمْ يَذْكُرُوا عَنْهُ - وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَهُ - إِلَّا مَا ذَكَرُوهُ عَنْهُ مِنْ شُرْبِهِ الْخَمْرَ وَإِتْيَانِهِ بَعْضَ الْقَاذُورَاتِ، لَمْ يَتَّهِمُوهُ بِزَنْدَقَةٍ كَمَا يَقْذِفُهُ بِذَلِكَ بَعْضُ الرَّوَافِضِ، بَلْ قَدْ كَانَ فَاسِقًا، وَالْفَاسِقُ لَا يَجُوزُ خَلْعُهُ؛ لِمَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَوُقُوعِ الْهَرْجِ، كَمَا وَقَعَ زَمَنَ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَرُدُّهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، وَأَنْظَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا لَمْ يَرْجِعُوا قَاتَلَهُمْ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا كِفَايَةٌ، وَلَكِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي أَمْرِهِ أَمِيرَ الْحَرْبِ أَنْ يُبِيحَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى وَقَعَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَطَأٌ كَبِيرٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ. (٤)

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَجَمَاعَاتُ أَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَنْقُضِ الْعَهْدَ، وَلَا بَايَعَ أَحَدًا بَعْدَ بَيْعَتِهِ لِيَزِيدَ.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد٧/ ٢٢٠ وعزاه إلى أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح، وانظر المسند ٦/ ٣٢٦.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٦٤٩

(٣) المصدر نفسه ١١/ ٦٥٠

(٤) المصدر نفسه ١١/ ٦٥٢

○ وفاته:

مَاتَ يَزِيدُ بِحُوَّارِينَ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ فِي رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. وَقَدْ حُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الْبَابِ الصَّغِيرِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي مَذْعُورٍ: [١] حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا لَمْ أُحِبَّهُ، وَلَمْ أُرِدْهُ، وَاحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ. وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: آمَنْتُ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

○ بيعته

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتِّينَ، فَكَانَ يَوْمَ بُويِعَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَقَرَّ نُوَّابُ أَبِيهِ عَلَى الْأَقَالِيمِ، لَمْ يَعْزِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَهَذَا مِنْ ذَكَائِهِ. [٢]

○ طلبه البيعة من أهل المدينة:

وكَتَبَ يزيد إِلَى نَائِبِ الْمَدِينَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ يَزِيدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَكْرَمَهُ اللهُ وَاسْتَخْلَفَهُ وَخَوَّلَهُ وَمَكَّنَ لَهُ، فَعَاشَ بِقَدَرٍ، وَمَاتَ بِأَجَلٍ، فَرَحِمَهُ اللهُ، فَقَدْ عَاشَ مَحْمُودًا، وَمَاتَ بَرًّا تَقِيًّا، وَالسَّلَامُ.ثم أمره أن يأخذ البيعة من حُسَيْن بن علي، وَعَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَبَعَثَ الوليد إِلَى مَرْوَانَ، فقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَاسْتَشَارَهُ فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ تَدْعُوَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَوْتِ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْرِهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَجِيبَا الْأَمِيرَ. فَقَالَا: انْصَرِفْ، الْآنَ نَأْتِيهِ. ثُمَّ نَهَضَ حُسَيْنٌ فَأَخَذَ مَعَهُ مَوَالِيَهُ، وَجَاءَ بَابَ الْأَمِيرِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٤٦٦

لَـهُ، وَمَرْوَانُ عِنْدَهُ، فَنَاوَلَـهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ الْكِتَابَ، وَنَعَى إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ، فَاسْـتَرْجَعَ وَقَالَ: رَحِمَ اللهُ مُعَاوِيَةَ، وَعَظَّمَ لَكَ الْأَجْرَ. فَدَعَاهُ الْأَمِيرُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: إِنَّ مِثْلِي لَا يُبَايِعُ سِـرًّا، وَلَكِـنْ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ دَعَوْتَنَا مَعَهُمْ، فَكَانَ أَمْـرًا وَاحِدًا. فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ وَكَانَ يُحِبُّ الْعَافِيَةَ، فَانْصَرِفْ عَلَى اسْـمِ اللهِ حَتَّى تَأْتِيَنَا فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ، أما ابن الزبير فلـم يأتـه ثم اتفقا على الخروج إلـى مكة، ولَمْ يَكُنِ ابْـنُ عُمَرَ بِالْمَدِينَـةِ، وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ وَابْنُ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَلَقِيَهُمَا وَهُمَا مُقْبِلَانِ مِنْهَا، الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: مَا وَرَاءَكُمَا؟ قَـالَا: مَوْتُ مُعَاوِيَةَ وَالْبَيْعَـةُ لِيَزِيدَ. فَقَالَ لَهُمَا ابْنُ عُمَرَ: اتَّقِيَـا اللهَ، وَلَا تُفَرِّقَا بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدِمَ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْبَيْعَةُ مِنَ الْأَمْصَارِ بَايَعَا مَـعَ النَّاسِ، وَأَمَّا الْحُسَـيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُمَا قَدِمَا مَكَّـةَ فَوَجَدَا بِهَا والي مكة عَمْرَو بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَخَافَاهُ وَقَالَا: إِنَّا جِئْنَا عُوَّاذًا بِهَذَا الْبَيْتِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
الأحداث في عهده

دعوة أهل العراق الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومقتله

لما تُوُفِّيَ الْحَسَنُ كَانَ الْحُسَيْنُ يَفِدُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي كُلِّ عَامٍ فَيُعْطِيهِ وَيُكْرِمُهُ، وَقَدْ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ غَزَوُا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ مَعَ يزيد بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ.

وَلَمَّا أُخذَتِ الْبَيْعَةُ لِيَزِيدَ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ، كَانَ الْحُسَيْنُ مِمَّنِ امْتَنَعَ مِنْ مُبَايَعَتِهِ، فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ سَنَةَ سِتِّينَ وَبُويِعَ لِيَزِيدَ، بَايَعَ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَصَمَّمَ عَلَى الْمُخَالَفَةِ الْحُسَيْنُ وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَخَرَجَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَارِّينَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَا بِهَا، فَعَكَفَ النَّاسُ عَلَى الْحُسَيْنِ يَفِدُونَ إِلَيْهِ وَيَقْدَمُونَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَثُرَ وُرُودُ الْكُتُبِ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ يَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ،

وفيها: أَمَّا بَعْدُ: فَقَدِ اخْضَرَّ الْجَنَابُ وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ فَإِذَا شِئْتَ فَاقْدَمْ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

فَاجْتَمَعَتِ الرُّسُلُ كُلُّهَا بِكُتُبِهَا عِنْدَ الْحُسَيْنِ، وَجَعَلُوا يَسْتَحِثُّونَهُ وَيَسْتَقْدِمُونَهُ عَلَيْهِمْ، لِيُبَايِعُوهُ عِوَضًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ وَيَتَكَلَّمُونَ فِي دَوْلَتِهِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوا أَحَدًا إِلَى الْآنَ، وَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَكَ إِلَيهِمْ لِيُقَدِّمُوكَ عَلَيْهِمْ.

○ بعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة:

بَعَثَ الحسين ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْعِرَاقِ، لِيَكْشِفَ لَهُ حَقِيقَةَ هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا دَخَلَ مسلم الْكُوفَةَ نَزَلَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ. فَتَسَامَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِقُدُومِهِ فَجَاءُوا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ عَلَى إِمْرَةِ الْحُسَيْنِ، وَحَلَفُوا لَهُ لَيَنْصُرُنَّهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَاجْتَمَعَ عَلَى بَيْعَتِهِ مِنْ أَهْلِهَا اثنَا عَشَرَ أَلْفًا، ثُمَّ تَكَاثَرُوا حَتَّى بَلَغُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَكَتَبَ مُسْلِمٌ إِلَى الْحُسَيْنِ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ تَمَهَّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ وَالْأُمُورُ، وَانْتَشَرَ خَبَرُهُمْ حَتَّى بَلَغَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا

وَلَا يَعْبَأُ بِهِ وَلَكِنَّهُ خطَبَ النَّاسَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ الِاخْتِلَافِ وَالْفِتْنَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِالِائْتِلَافِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالَ: إِنِّي لَا أُقَاتِلُ مَنْ لَا يُقَاتِلُنِي، وَلَا آخُذُكُمْ بِالظِّنَّةِ، وَلَكِنْ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَئِنْ فَارَقْتُمْ إِمَامَكُمْ وَنَكَثْتُمْ بَيْعَتَهُ، لَأُقَاتِلَنَّكُمْ مَا دَامَ فِي يَدِي مِنْ سَيْفِي قَائِمَتُهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَضْرَمِيُّ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْغَشْمِ، وَإِنَّ الَّذِي سَلَكْتَهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَسْلَكُ الْمُسْتَضْعَفِينَ. فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: لِأَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي طَاعَةِ اللهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْأَعَزِّينَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ. ثُمَّ نَزَلَ،

○ عزل النعمان وتولية ابن زياد الكوفة:

كَتَبَ عبدالله بن مسلم الحضرمي إِلَى يَزِيدَ يُعْلِمُهُ بالأحداث في الكوفة، فَبَعَثَ يَزِيدُ، بعزل النُّعْمَانَ عَنِ الْكُوفَةِ وَضَمَّهَا إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ مَعَ الْبَصْرَةِ.

ثُمَّ كَتَبَ يَزِيدُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: إِذَا قَدِمْتَ الْكُوفَةَ فَتَطَلَّبْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ أَوِ انْفِهِ، فَسَارَ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا دَخَلَهَا مُتَلَثِّمًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَيَقُولُونَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، مَرْحَبًا يَابْنَ رَسُولِ اللهِ. يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ، وَقَدْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ، فلما علموا أنه عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَتْهُمْ كَآبَةٌ وَحُزْنٌ شَدِيدٌ، فَتَحَقَّقَ عُبَيْدُ اللهِ الْخَبَرَ، وَنَزَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ مِنَ الْكُوفَةِ.

وَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى أَنِ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ؛** فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَصْلَحَهُ اللهُ، وَلَّانِي مِصْرَكُمْ وَثَغْرَكُمْ وَفَيْئَكُمْ، وَأَمَرَنِي بِإِنْصَافِ مَظْلُومِكُمْ، وَإِعْطَاءِ مَحْرُومِكُمْ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى سَامِعِكُمْ وَمُطِيعِكُمْ، وَبِالشِّدَّةِ عَلَى مُرِيبِكُمْ وَعَاصِيكُمْ، وَأَنَا مُمْتَثِلٌ فِيكُمْ أَمْرَهُ وَمُنَفِّذٌ عَهْدَهُ. ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ الْعُرَفَاءَ أَنْ يَكْتُبُوا مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَرُورِيَّةِ وَأَهْلِ الرِّيَبِ وَالْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ، **وَأَيُّمَا عَرِيفٍ لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ صُلِبَ وَنُفِيَ وَأُسْقِطَتْ عِرَافَتُهُ مِنَ الدِّيوَانِ.**

○ عبيد الله بن زياد يحتال لكشف أمر مسلم

لما اسْتَقَرَّ أَمْرُ عبيدالله بن زياد أَرْسَلَ مَوْلًى لَهُ اسْمُهُ مَعْقِلٌ - وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي صُورَةِ قَاصِدٍ مِنْ بِلَادِ حِمْصَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ وَيَسْتَدِلُّ عَلَى الدَّارِ الَّتِي يُبَايِعُونَ بِهَا مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، حَتَّى دَخَلَهَا، **وَهِيَ دَارُ هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ**، فَبَايَعَ وَأَدْخَلُوهُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَلَزِمَهُمْ أَيَّامًا حَتَّى اطَّلَعَ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِمْ، فَدَفَعَ الْمَالَ إِلَى **أَبِي ثُمَامَةَ الصَّائِدِيِّ** بِأَمْرِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَقْبِضُ مَا يُؤْتَى بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيَشْتَرِي السِّلَاحَ وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ - فَرَجَعَ ذَلِكَ الْمَوْلَى، وَأَعْلَمَ عُبَيْدَ اللهِ بِالدَّارِ وَصَاحِبِهَا.

وكَانَ هَانِئٌ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ مُنْذُ قَدِمَ الكوفة وَتَمَارَضَ، فَذَكَرَهُ عُبَيْدُ اللهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ هَانِئٍ لَمْ يَأْتِنِي مَعَ الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالُوا: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّهُ يَشْتَكِي. فَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى بَابِ دَارِهِ.

فَجَاءَ الْأُمَرَاءُ إِلَى هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَالْتَفَتَ عُبَيْدُ اللهِ إِلَى الْقَاضِي شُرَيْحٍ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

فَلَمَّا سَلَّمَ هَانِئٌ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: يَا هَانِئُ، أَيْنَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. فَقَامَ ذَلِكَ الْمَوْلَى - الَّذِي دَخَلَ دَارَ هَانِئٍ فِي صُورَةِ قَاصِدٍ مِنْ حِمْصَ - فَقَالَ: أَتَعْرِفُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا رَآهُ هَانِئٌ قُطِعَ بِهِ وَأُسْقِطَ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ، وَاللهِ مَا دَعَوْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي، وَلَكِنَّهُ جَاءَ فَطَرَحَ نَفْسَهُ عَلَيَّ. فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَأْتِنِي بِهِ. فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ. فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي. فَأَدْنَوْهُ فَضَرَبَهُ بِحَرْبَةٍ عَلَى وَجْهِهِ، فَشَجَّهُ عَلَى حَاجِبِهِ، وَكَسَرَ أَنْفَهُ، وَتَنَاوَلَ هَانِئٌ سَيْفَ شُرْطِيٍّ لِيَسُلَّهُ، فَدُفِعَ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: قَدْ أَحَلَّ اللهُ لِي دَمَكَ؛ لِأَنَّكَ حَرُورِيٌّ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَحَبَسَهُ فِي جَانِبِ الدَّارِ.

مسلم بن عقيل يعلن الثورة:

وَلما سَمِعَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ما صار على هانئ بن عروة ركِبَ وَنَادَى بِشِعَارِهِ: يَا مَنْصُورُ أَمِتْ.

فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مَعَهُ **الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ**، وَمَعَهُ رَايَةٌ خَضْرَاءُ، **وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ** بِرَايَةٍ حَمْرَاءَ، فَرَتَّبَهُمْ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً، وَسَارَ هُوَ فِي الْقَلْبِ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي أَمْرِ هَانِئٍ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَأُمَرَاؤُهُمْ تَحْتَ مِنْبَرِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ النَّظَّارَةُ يَقُولُونَ: جَاءَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ. فَبَادَرَ عُبَيْدُ اللهِ فَدَخَلَ الْقَصْرَ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا انْتَهَى مُسْلِمٌ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ وَقَفَ بِجَيْشِهِ هُنَاكَ، فَأَشْرَفَ أُمَرَاءُ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللهِ فِي الْقَصْرِ، فَأَشَارُوا إِلَى قَوْمِهِمُ الَّذِينَ مَعَ مُسْلِمٍ بِالِانْصِرَافِ وَتَهَدَّدُوهُمْ وَوَعَدُوهُمْ وَتَوَعَّدُوهُمْ،

وَأَخْرَجَ عُبَيْدُ اللهِ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا فِي الْكُوفَةِ يُخَذِّلُونَ النَّاسَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَجِيءُ إِلَى ابْنِهَا وَأَخِيهَا فَتَقُولُ: ارْجِعْ، النَّاسُ يَكْفُونَكَ. وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِابْنِهِ وَأَخِيهِ: كَأَنَّكَ غَدًا بِجُنُودِ الشَّامِ قَدْ أَقْبَلَتْ، فَمَاذَا تَصْنَعُ مَعَهُمْ؟ فَتَخَاذَلَ النَّاسُ وَقَصَّرُوا وَتَصَرَّمُوا وَانْصَرَفُوا عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ حتى بَقِيَ وَحْدَهُ، لَيْسَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَلَا مَنْ يُوَاسِيهِ بِنَفْسِهِ، **فآوى إلى بيت امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: طَوْعَةُ**، فخاف ابنها عقوبة ذلك، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَهَبَ إِلَى **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ**، فَأَعْلَمَهُ بِأَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فِي دَارِهِمْ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَسَارَّ أَبَاهُ بِذَلِكَ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: مَا سَارَّكَ بِهِ؟ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَّ مُسْلِمًا فِي بَعْضِ دُورِنَا. فَنَخَسَ بِقَضِيبٍ فِي جَنْبِهِ، وَقَالَ: قُمْ فَأْتِنِي بِهِ السَّاعَةَ.

وَبَعَثَ ابْنُ زِيَادٍ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِي سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ فَارِسًا، فَلَمْ يَشْعُرْ مُسْلِمٌ إِلَّا وَقَدْ أُحِيطَ بِالدَّارِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقَاتَلَهُمْ، فَأَعْطَاهُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَمَانَ، فَأَمْكَنَهُ مِنْ يَدِهِ، وَجَاءُوا بِبَغْلَةٍ، فَأَرْكَبُوهُ عَلَيْهَا، وَسَلَبُوا مِنْهُ سَيْفَهُ، فَلَمْ يَبْقَ يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا، وَلَمَّا انْتَهَى مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ أُدْخِلَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِيهِ يَا ابْنَ عَقِيلٍ، أَتَيْتَ النَّاسَ وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ وَكَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ؛ لِتُشَتِّتَهُمْ، وَتُفَرِّقَ كَلِمَتَهُمْ، وَتَحْمِلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ؟! قَالَ: كَلَّا لَسْتُ لِذَلِكَ أَتَيْتُ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْمِصْرِ زَعَمُوا أَنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ، وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَعَمِلَ فِيهِمْ أَعْمَالَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، فَأَتَيْنَاهُمْ لِنَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَدْعُوَ إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ.

❍ وصية مسلم بن عقيل

لما قَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: إِنِّي قَاتِلُكَ. قَالَ: فَدَعْنِي أُوصِي إِلَى بَعْضِ قَوْمِي. قَالَ: أَوْصِ. فَنَظَرَ فِي جُلَسَائِهِ وَفِيهِمْ **عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ**. فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَرَابَةٌ، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، وَهُوَ سِرٌّ. فَأَبَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ حَتَّى أَذِنَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ، فَقَامَ فَتَنَحَّى قَرِيبًا مِنِ ابْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: إِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فِي الْكُوفَةِ؛ سَبْعَمِائَةِ دِرْهَمٍ فَاقْضِهَا عَنِّي، وَاسْتَوْهِبْ جُثَّتِي مِنِ ابْنِ زِيَادٍ فَوَارِهَا، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أُعْلِمُهُ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا. فَقَامَ عُمَرُ فَعَرَضَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ مَا قَالَ لَهُ، فَأَجَازَ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

❍ قتل مسلم بن عقيل

أَمَرَ ابْنُ زِيَادٍ بِمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، فَأُصْعِدَ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، وَهُوَ يُكَبِّرُ وَيَسْتَغْفِرُ وَيُصَلِّي عَلَى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ غَرُّونَا وَخَذَلُونَا. ثُمَّ ضَرَبَ عُنُقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بُكَيْرُ بْنُ حُمْرَانَ. ثُمَّ أَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى أَسْفَلِ الْقَصْرِ، وَأَتْبَعَ رَأْسَهُ بِجَسَدِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ **بِهَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ الْمَذْحِجِيِّ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ** بِسُوقِ الْغَنَمِ، وَصُلِبَ بِمَكَانٍ مِنَ الْكُوفَةِ يُقَالُ لَهُ: الْكُنَاسَةُ. فَقَالَ أحدالشعراء فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً، وَيُقَالُ: إِنَّهَا لِلْفَرَزْدَقِ:

فَإِنْ كُنْتِ لَا تَدْرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي إِلَـى هَانِئٍ فِـي السُّـوقِ وَابْـنِ عَقِيلِ
أَصَابَهُمَـا أَمْـرُ الإِمَـامِ فَأَصْبَحَـا أَحَادِيـثَ مَـنْ يَسْـعَى بِـكُلِّ سَـبِيلِ
إِلَـى بَطَلٍ قَـدْ هَشَّـمَ السَّـيْفُ وَجْهَهُ وَآخَـرُ يَهْـوَى فِـي طَمَـارِ قَتِيـلِ
تَـرَيْ جَسَـدًا قَـدْ غَيَّـرَ الْمَـوْتُ لَوْنَهُ وَنَضْـحَ دَمٍ قَـدْ سَـالَ كُلَّ مَسِـيلِ

○ عزم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمسير إلى العراق:

لَمَّا تَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ إِلَى الْحُسَيْنِ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَجَـاءَهُ كِتَابُ مُسْـلِمِ بْنِ عَقِيلٍ بِالْقُدُومِ عَلَيْـهِ بِأَهْلِهِ، ثُمَّ وَقَعَ فِي غُبُـونِ ذَلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ مَقْتَلِ مُسْـلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَالْحُسَـيْنُ لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ وَالْقُـدُومِ عَلَيْهِـمْ، فَاتَّفَقَ خُرُوجُهُ مِـنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ قَبْلَ مَقْتَلِ مُسْـلِمِ بْـنِ عَقِيلٍ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ - فَإِنَّ مُسْلِمًا قُتِلَ يَوْمَ عَرَفَةَ

❁ ❁ ❁

نصائح الصحابة لحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بترك الخروج للعراق

وَلَمَّا اسْتَشْعَرَ النَّاسُ خُرُوجَهُ أَشْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَحَذَّرُوهُ مِنْهُ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَمَرُوهُ بِالْمُقَامِ بِمَكَّةَ، وَذَكَّرُوهُ مَا جَرَى لِأَبِيهِ وَأَخِيهِ مَعَهُمْ.

○ نصيحة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ،[(١)] عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اسْتَشَارَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي الْخُرُوجِ فَقُلْتُ: لَوْلَا أَنْ يُزْرَى بِي وَبِكَ لَشَبَثْتُ يَدِي فِي رَأْسِكَ. فَكَانَ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: لَأَنْ أُقْتَلَ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِمَكَّةَ. قَالَ: فَكَانَ هَذَا الَّذِي سَلَا نَفْسِي عَنْهُ.

وَرَوَى أَبُو مِخْنَفٍ،[(٢)] عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ الْوَالِبِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ، أَنَّ حُسَيْنًا لَمَّا أَجْمَعَ الْمَسِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ أَتَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ، إِنَّهُ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسُ أَنَّكَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَبَيِّنْ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمَيَّ هَذَيْنِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبِرْنِي إِنْ كَانَ قَدْ دَعَوْكَ بَعْدَ مَا قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ، فَسِرْ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ قَاهِرًا لَهُمْ، وَعُمَّالُهُ تَجْبِي بِلَادَهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَعَوْكَ لِلْفِتْنَةِ وَالْقِتَالِ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يَسْتَنْفِرُوا إِلَيْكَ النَّاسَ، فَيَكُونُ الَّذِينَ دَعَوْكَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ. فَقَالَ الْحُسَيْنُ: إِنِّي أَسْتَخِيرُ اللهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٥٩) وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٩٢ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٣

○ نصيحة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ شَبَابَةَ بْنِ سَوَّارٍ قَالَ: (١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَالِمٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ بِمال لَهُ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ: الْعِرَاقَ. وَإِذَا مَعَهُ طَوَامِيرُ وَكُتُبٌ. فَقَالَ: هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ. فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ. فَأَبَى، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا؛ إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا، وَإِنَّكَ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاللهِ لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَدًا، وَمَا صَرَفَهَا اللهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ. قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَبَكَى وَقَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ مِنْ قَتِيلٍ.

○ نصيحة عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: (٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ، ثَنَا سُفْيَانُ، ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ شَرِيكٍ، عَنْ بِشْرِ بْنِ غَالِبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِلْحُسَيْنِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟! إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَطَعَنُوا أَخَاكَ؟ فَقَالَ: لَأَنْ أُقْتَلَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُسْتَحَلَّ بِي. يَعْنِي مَكَّةَ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: (٣) حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ هِشَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَحْلِفُونَ بِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: أَتَخْرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَأَخْرَجُوا أَخَاكَ؟

قَالَ هِشَامٌ: فَسَأَلْتُ مَعْمَرًا عَنِ الرَّجُلِ فَقَالَ: هُوَ ثِقَةٌ.

---

(١) البيهقي، ودلائل النبوة٦/ ٤٧٠

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٥٣

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٣ وانظر نسب قريش لمصعب الزبيري ص٢٣٩

○ نصيحة محمدبن الحنفية:

وَكَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَكْتُبُونَ إِلَى حُسَيْنٍ يَدْعُونَهُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَقَدِمَ مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ، فَأَبَى وَجَاءَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا بِنَا، وَيُشِيطُوا دِمَاءَنَا. (١)

○ نصيحة أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

جَاءَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ (٢) فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، وَإِنِّي عَلَيْكُمْ مُشْفِقٌ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ كَاتَبَكَ قَوْمٌ مِنْ شِيعَتِكُمْ بِالْكُوفَةِ يَدْعُونَكَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، فَلَا تَخْرُجْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ بِالْكُوفَةِ: وَاللهِ لَقَدْ مَلِلْتُهُمْ وَأَبْغَضْتُهُمْ، وَمَلُّونِي وَأَبْغَضُونِي، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُمْ وَفَاءً، وَمَنْ فَازَ بِهِمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَاللهِ مَا لَهُمْ ثَبَاتٌ وَلَا عَزْمٌ عَلَى أَمْرٍ، وَلَا صَبْرٌ عَلَى السَّيْفِ.

○ نصيحة أبي وَاقِدِ اللَّيْثِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَالَ أَبُو وَاقِدٍ اللِّيْثِيُّ: بَلَغَنِي خُرُوجُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَأَدْرَكْتُهُ بِمَلَلٍ، فَنَاشَدْتُهُ اللهَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي غَيْرِ وَجْهِ خُرُوجٍ، إِنَّمَا خَرَجَ يَقْتُلُ نَفْسَهُ. فَقَالَ: لَا أَرْجِعُ. (٣)

○ نصيحة جابر بْن عَبْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: كَلَّمْتُ حُسَيْنًا فَقُلْتُ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَضْرِبِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، فَوَاللهِ **مَا حُمِدْتُمْ** مَا صَنَعْتُمْ. فَعَصَانِي. (٤)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لَوْ أَنَّ حُسَيْنًا لَمْ يَخْرُجْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ. (٥)

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق وانظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٩٤.

(٣) ابن سعد الطبقة الخامسة من الصحابة ١/ ٤٤٥

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٤٦

○ نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن

وَأَتَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ [١] فَقَالَ: يا ابْنَ عَمٍّ، إِنَّ الرَّحِمَ تَظْأَرُنِي عَلَيْكَ، وَمَا أَدْرِي كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ فِي النَّصِيحَةِ لَكَ؟ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَغَشُّ وَلَا يُتَّهَمُ، فَقُلْ. قَالَ: قَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِأَبِيكَ وَأَخِيكَ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا، فَيُقَاتِلُكَ مَنْ قَدْ وَعَدَكَ أَنْ يَنْصُرَكَ، وَيَخْذُلُكَ مَنْ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَنْصُرُهُ، فَأُذَكِّرُكَ اللهَ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ يا ابْنَ عَمٍّ خَيْرًا، وَمَهْمَا يَقْضِ اللهُ مِنْ أَمْرٍ يَكُنْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ أَبَا عَبْدِ اللهِ.

○ توجه الحسين للعراق

قَالَ ابن سعد: وَبَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَنْ خَفَّ مَعَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ مِنْ إِخْوَانِهِ وَبَنَاتِهِ وَنِسَائِهِمْ، وَتَبِعَهُمْ **مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ** فَأَدْرَكَ حُسَيْنًا بِمَكَّةَ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْخُرُوجَ لَيْسَ لَهُ بِرَأْيٍ يَوْمِهِ هَذَا، فَأَبَى الْحُسَيْنُ أَنْ يَقْبَلَ، فَمنع مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَلَدَهُ، فَلَمْ يَبْعَثْ مَعَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى وَجَدَ الْحُسَيْنُ فِي نَفْسِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: تَرْغَبُ بِوَلَدِكَ عَنْ مَوْضِعٍ أُصَابُ فِيهِ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا حَاجَتِي أَنْ تُصَابَ، وَيُصَابُونَ مَعَكَ؟ وَإِنْ كَانَتْ مُصِيبَتُكَ أَعْظَمَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ. [٢] فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعِرَاقِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِّينَ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتِّينَ. [٣]

وكَتَبَ يزيد إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: [٤] قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعِرَاقِ، فَضَعِ الْمَنَاظِرَ وَالْمَسَالِحَ، وَاحْتَرِسْ وَاحْبِسْ عَلَى الظِّنَّةِ وَخُذْ عَلَى التُّهْمَةِ، غَيْرَ أَنْ لَا تَقْتُلَ إِلَّا

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٤٧

(٢) ابن سعد الطبقة الخامسة ١/ ٤٥١

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٤-٢١٢والبداية والنهاية ١١/ ٥٠٧.

(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٢١٤

مَنْ قَاتَلَكَ، وَاكْتُبْ إِلَيَّ فِي كُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ خَبَرٍ، وَالسَّلَامُ. لَقِيَ الْحُسَيْنَ فِي الطَّرِيقِ **الْفَرَزْدَقُ**، [١] فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أَعْطَاكَ اللهُ سُؤْلَكَ وَأَمَلَكَ فِيمَا تُحِبُّ. فَسَأَلَهُ الْحُسَيْنُ عَنْ أَمْرِ النَّاسِ وَمَا وَرَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلُوبُ النَّاسِ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْقَضَاءُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنٍ، إِنْ نَزَلَ الْقَضَاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى نَعْمَائِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حَالَ الْقَضَاءُ دُونَ الرَّجَاءِ، فَلَمْ يَعْتَدِ مَنْ كَانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ، وَالتَّقْوَى سَرِيرَتَهُ، **وَكَانَ الْحُسَيْنُ لَا يَمُرُّ بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعُوهُ.**

وَقَدْ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَسَأَله عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَمْ أَخْرُجْ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ وَهَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ، وَرَأَيْتُهُمَا يجران بِأَرْجُلِهِمَا فِي السُّوقِ. فَجَعَلَ الحسين يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مِرَارًا.

فَقُلْنَا لَهُ: اللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ: لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمَا. فَقُلْنَا: خَارَ اللهُ لَكَ.

فَقَالَ الحسين: قَدْ خَذَلَتْنَا شِيعَتُنَا، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ. قَالَ: فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ أَيَادِيَ سَبَا يَمِينًا وَشِمَالًا، حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَلَدًا قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهَا، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وَهُمْ يَعْلَمُونَ عَلَامَ يُقْدِمُونَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا بَيَّنَ لَهُمُ الْأَمْرَ لَمْ يَصْحَبْهُ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ مُوَاسَاتَهُ فِي الْمَوْتِ مَعَهُ. [٢]

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٣٨٦ من طريق أبي مخنف.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٣٩٧، ٣٩٨

مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَـالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِـمُ بْنُ سَـلَّامٍ:[١] حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي مَعْشَـرٍ، عَنْ بَعْضِ مَشْيَخَتِهِ قَالَ: قَالَ الْحُسَيْنُ حِينَ نَزَلُوا كَرْبَلَاءَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْأَرْضِ؟ قَالُوا: كَرْبَلَاءُ.

قَالَ: كَرْبٌ وَبَلَاءٌ.

وَبَعَثَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ يُقَاتِلُهُمْ، **فَقَالَ الْحُسَيْنُ**: يَا عُمَرُ؛

اخْتَرْ مِنِّي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ:

- إِمَّا أَنْ تَتْرُكَنِي أَرْجِعُ كَمَا جِئْتُ.
- فَإِنْ أَبَيْتَ هَذِهِ فَسَيِّرْنِي إِلَى يَزِيدَ فَأَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَيَحْكُمَ فِيَّ مَا رَأَى.
- فَإِنْ أَبَيْتَ هَذِهِ فَسَيِّرْنِي إِلَى التُّرْكِ فَأُقَاتِلَهُمْ حَتَّى أَمُوتَ.

فَأَرْسَـلَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ بِذَلِكَ، فَهَمَّ أَنْ يُسَـيِّرَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَقَالَ شَـمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَـنِ: لَا، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِكَ. فَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْحُسَـيْنُ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ. وَأَبْطَأَ عُمَرُ عَنْ قِتَالِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ شَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ لَهُ: إِنْ تَقَدَّمَ عُمَرُ فَقَاتَلَ، وَإِلَّا فَاقْتُلْـهُ وَكُـنْ أَنْتَ مَكَانَهُ. وَكَانَ مَـعَ عُمَرَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِـنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ: يَعْرِضُ عَلَيْكُمُ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ خِصَالٍ، فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهَا شَيْئًا؟! فَتَحَوَّلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ.

وَلَمَّا قَدِمَ شَـمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ[٢] عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِكِتَابِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ لَهُ عُمَرُ: أَبْعَدَ اللهُ دَارَكَ، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ، وَاللهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ الَّذِي صَرَفْتَهُ عَنِ الَّذِي عَرَضْتُ عَلَيْـهِ مِـنَ الْأُمُـورِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي طَلَبَهَا الْحُسَـيْنُ. فَقَالَ لَهُ شَـمِرٌ: فَأَخْبِرْنِي مَـا أَنْتَ صَانِعٌ؛

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٢٠
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٣-٤٢٠ من طريق أبي مخنف وغيره.

أَتُقَاتِلُهُمْ أَنْتَ أَوْ تَارِكِي وَإِيَّاهُمْ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَا، وَلَا كَرَامَةَ لَكَ، أَنَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ. وَجَعَلَهُ عَلَى الرَّجَّالَةِ، وَنَهَضُوا إِلَيْهِمْ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَقَامَ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو أُخْتِنَا؟ فَقَامَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ وَعَبْدُ اللهِ وَجَعْفَرٌ وَعُثْمَانُ بَنُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، [(١)] فَقَالَ: أَنْتُمْ آمِنُونَ. فَقَالُوا: إِنْ أَمَّنْتَنَا وَابْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمَانِكَ. قَالَ: ثُمَّ نَادَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي الْجَيْشِ: يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي. فَرَكِبُوا وَزَحَفُوا إِلَيْهِمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِئِذٍ، هَذَا وَحُسَيْنٌ جَالِسٌ أَمَامَ خَيْمَتِهِ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِهِ، وَنَعَسَ فَخَفَقَ بِرَأْسِهِ، وَسَمِعَتْ أُخْتُهُ زَيْنَبُ الضَّجَّةَ فَدَنَتْ مِنْهُ فَأَيْقَظَتْهُ، فَرَجَعَ بِرَأْسِهِ كَمَا هُوَ، وَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: «إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَيْنَا».

قَالَ لَهُ أَخُوهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ: يَا أَخِي، جَاءَكَ الْقَوْمُ. فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ مَا بَدَا لَهُمْ. فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ فِي نَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ فَارِسًا فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: جَاءَ أَمْرُ الْأَمِيرِ؛ إِمَّا أَنْ تَأْتُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَإِمَّا أَنْ نُقَاتِلَكُمْ. فَقَالَ: مَكَانَكُمْ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ فَأُعْلِمَهُ.

ثُمَّ رَجَعَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ عِنْدِ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: يَقُولُ لَكُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ: ارْجِعْ فَارْدُدْهُمْ هَذِهِ الْعَشِيَّةَ، لَعَلَّنَا نُصَلِّي لِرَبِّنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَقَدْ عَلِمَ اللهُ مِنِّي أَنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ لَهُ، وَتِلَاوَةَ كِتَابِهِ، وَالِاسْتِغْفَارَ وَالدُّعَاءَ.

وَأَوْصَى الْحُسَيْنُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى أَهْلِهِ، وَخَطَبَ أَصْحَابَهُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَقَالَ لهم: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى أَهْلِهِ فِي لَيْلَتِهِ هَذِهِ، فَقَدْ أَذِنْتُ لَهُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يُرِيدُونَنِي.

فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ: لَا بَقَاءَ لَنَا بَعْدَكَ.

وَتَكَلَّمَ جَمَاعَةُ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَقَالُوا: وَاللهِ لَا نُفَارِقُكَ، وَأَنْفُسُنَا الْفِدَاءُ لَكَ، نَقِيكَ بِنُحُورِنَا وَجِبَاهِنَا، وَأَيْدِينَا وَأَبْدَانِنَا، فَإِذَا نَحْنُ قُتِلْنَا وَفَّيْنَا وَقَضَيْنَا مَا

(١) أمهم من بني كلاب واسمها فاطمة بنت حزام أم البنين.

عَلَيْنَا. وَبَاتَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابُهُ طُولَ لَيْلِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَدْعُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، وَخُيُولُ حَرَسِ عَدُوِّهِمْ تَدُورُ مِنْ وَرَائِهِمْ.

فَلَمَّا صَلَّى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الصُّبْحَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ انْتَصَبَ لِلْقِتَالِ، وَصَلَّى الْحُسَيْنُ أَيْضًا بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ شَرَعَ يَذْكُرُ لِلنَّاسِ فَضْلَهُ ونَسَبِهِ، وَعُلُوَّ قَدْرِهِ، وَشَرَفَهُ، وَيَقُولُ: رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قِتَالُ مِثْلِي، وَأَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ ﷺ؟

فَأَخَذُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ. قَالَ: فَنَادَى: يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، يَا حَجَّارُ بْنَ أَبْجَرَ، يَا قَيْسُ بْنَ الْأَشْعَثِ، يَا زَيْدُ بْنَ الْحَارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَاخْضَرَّ الْجَنَابُ، فَاقْدَمْ عَلَيْنَا، فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ مُجَنَّدٍ. فَقَالُوا لَهُ: لَمْ نَفْعَلْ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ، وَأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَهُ، وَقَدْ تَحَيَّزَ إِلَى جَيْشِ الْحُسَيْنِ مِنْ أُولَئِكَ طَائِفَةٌ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ فَارِسًا وَقَالَ لِمَوْلَاهُ: يَا ذُوَيْدُ، أَدْنِ رَايَتَكَ. فَأَدْنَاهَا، ثُمَّ شَمَّرَ عُمَرُ عَنْ سَاعِدِهِ، وَرَمَى بِسَهْمٍ، وَقَالَ: اشْهَدُوا أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى الْقَوْمَ. قَالَ: فَتَرَامَى النَّاسُ بِالنِّبَالِ، وَكَثُرَتِ الْمُبَارَزَةُ يَوْمَئِذٍ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَالنَّصْرُ فِي ذَلِكَ لِأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ؛ لِقُوَّةِ بَأْسِهِمْ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَمِيتُونَ، لَا عَاصِمَ لَهُمْ إِلَّا سُيُوفُهُمْ، فَأَشَارَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِعَدَمِ الْمُبَارَزَةِ، وَحَمَلَ عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ أَمِيرَ الْمَيْمَنَةِ، ثُمَّ حَمَلَ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِالْمَيْسَرَةِ، وَقَصَدُوا نَحْوَ الْحُسَيْنِ، فَدَافَعَتْ عَنْهُ الْفُرْسَانُ مِنْ أَصْحَابِهِ دِفَاعًا عَظِيمًا، وَكَافَحُوا دُونَهُ مُكَافَحَةً بَلِيغَةً، وَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنْ بَنِي أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَلِيٌّ الْأَكْبَرُ ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ،

قَالُوا: [1] **وَمَكَثَ الْحُسَيْنُ نَهَارًا طَوِيلًا لَا يَأْتِي إِلَيْهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَعَ عَنْهُ**؛ لَا يُحِبُّ أَنْ يَلِيَ قَتْلَهُ، حَتَّى جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَدَّاءَ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ النُّسَيْرِ. فَضَرَبَ الْحُسَيْنَ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فَجَرَحَهُ، ثُمَّ جَاءَ شَمِرٌ [2] وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّجْعَانِ حَتَّى أَحَاطُوا

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٤٤٨

(٢) المصدر نفسه ٥/ ٤٥٠

بِالْحُسَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ فُسْطَاطِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ أَحَدٌ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَحَمَلَتِ الرِّجَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَى الْحُسَيْنِ، **ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ سِنَانُ بْنُ أَنَسِ بْنِ عَمْرٍو النَّخَعِيُّ، فَطَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فَوَقَعَ، ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ وَحَزَّ رَأْسَهُ**، ثُمَّ دَفَعَ رَأْسَهُ **إِلَى خَوَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ. وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ نَفْسًا.**

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: [(١)] حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، ثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أُتِيَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ عَلَيْهِ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ: إِنَّهُ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ بَعْدَ هَذَا فِي الرَّأْسِ هَلْ سَيَّرَهُ ابْنُ زِيَادٍ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى يَزِيدَ بِالشَّامِ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ كَثِيرَةٌ. فَاللهُ أَعْلَمُ. [(٢)]

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِهِ وَنِسَاؤُهُ وَحَرَمُهُ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَكَلَ بِهِمْ مَنْ يَحْرُسُهُمْ وَيَكْلَؤُهُمْ، فَأَرْكَبُوهُمْ عَلَى الرَّوَاحِلِ فِي الْهَوَادِجِ، ثُمَّ سَارُوا بِهِمْ مِنْ كَرْبَلَاءَ حَتَّى دَخَلُوا الْكُوفَةَ، فَأَكْرَمَهُمْ، عبيدالله ابْنُ زِيَادٍ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النَّفَقَاتَ وَالْكَسَاوِيَ وَالصِّلَاتِ، ثُمَّ سَيَّرَهُمْ عُبَيْدُ اللهِ إِلَى الشَّامِ مَعَ شَمِرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ، وَمَعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: يَا عَلِيُّ، أَبُوكَ الَّذِي قَطَعَ رَحِمِي، وَجَهِلَ حَقِّي، وَنَازَعَنِي سُلْطَانِي، فَصَنَعَ اللهُ بِهِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. [(٣)]

---

(١) المسند ٣/ ٢٦١ وانظر صحيح البخاري (٣٧٤٨)

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٥٥٨ والذي رجحه ابن تيمية أن الرأس لم ينقل إلى الشام، لكن ما رجحه ابن كثير، هو أن الرأس وصل إلى يزيد، ثم بعثه إلى المدينة ودفن في البقيع بجوار أمه انظر للتوسع: الشيباني، مواقف المعارضة من خلافة يزيد ص٣٠٦-٣٢٥

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٦١

ثُمَّ أَنْزَلَ النِّسَاءَ عِنْدَ حَرَمِهِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُنَّ نِسَاءُ آلِ مُعَاوِيَةَ يَبْكِينَ وَيَنُحْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ يَزِيدُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ رَجُلًا أَمِينًا، مَعَهُ رِجَالٌ وَخَيْلٌ، وَيَكُونُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَعَهُمْ.

وَلَمَّا وَدَّعَهُمْ يَزِيدُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: قَبَّحَ اللهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ، أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُهُ، مَا سَأَلَنِي خَصْلَةً إِلَّا أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، وَلَدَفَعْتُ الْحَتْفَ عَنْهُ بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُ، وَلَوْ بِهَلَاكِ بَعْضِ وَلَدِي، وَلَكِنَّ اللهَ قَضَى مَا رَأَيْتَ. ثُمَّ جَهَّزَهُ وَأَعْطَاهُ مَالًا جَزِيلًا، وَقَالَ لَهُ: كَاتِبْنِي بِكُلِّ حَاجَةٍ تَكُونُ لَكَ، وَكَسَاهُمْ وَأَوْصَى بِهِمْ ذَلِكَ الرَّسُولَ. (١)

قال ابن كثير: (٢) وَهَذَا يَرُدُّ قَوْلَ الرَّافِضَةِ: إِنَّهُمْ حُمِلُوا عَلَى جَنَائِبِ الْإِبِلِ سَبَايَا عَرَايَا. حَتَّى كَذَبَ مَنْ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّ الْإِبِلَ الْبَخَاتِيَّ إِنَّمَا نَبَتَتْ لَهَا الْأَسْنِمَةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِتَسْتُرَ عَوْرَاتِهِنَّ.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٥٦٤

ذكر شيءٍ من فضائل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

رَوَى الْبُخَارِيُّ، (١) مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ وَمَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَنِ الْمُحْرِمِ يَقْتُلُ الذُّبَابَ، فَقَالَ: أَهْلُ الْعِرَاقِ يَسْأَلُونَ عَنْ قَتْلِ الذُّبَابِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ! وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الْجَحَّافِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي». يَعْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: (٣) حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ، ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْصَرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا». ثُمَّ قَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، (٤) عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، وَأَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا، فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ: «﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥] » فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا» «وهذا لفظ الترمذي.

---

(١) البخاري (٣٧٥٣، ٧٩٩٤)

(٢) المسند برقم (٧٨٧٦)

(٣) سنن الترمذي (٣٧٨٢) وصحيح سنن الترمذي (٢٩٧٦)

(٤) المسند ٥/ ٣٥٤ وصحيح سنن أبي داود (٩٨١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (١) حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢) مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُحِبُّهُمَا وَيُكْرِمُهُمَا وَيَحْمِلُهُمَا وَيُعْطِيهِمَا فِي الدِّيوَانِ كَمَا يُعْطِي أَبَاهُمَا، وَجِيءَ مَرَّةً بِحُلَلٍ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يُعْطِهِمَا مِنْهَا شَيْئًا، وَقَالَ: لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ يَصْلُحُ لَهُمَا. ثُمَّ بَعَثَ إِلَى نَائِبِ الْيَمَنِ، فَاسْتَعْمَلَ لَهُمَا حُلَّتَيْنِ تُنَاسِبُهُمَا. (٣)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: (٤) أَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، ثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: حَجَّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِيًا، وَنَجَائِبُهُ تُقَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ

قال ابن كثير (٥) : وَالصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْحَسَنُ أَخُوهُ، كَمَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ

وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ، (٦) عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، أَنَّ الْحَسَنَ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ يَعِيبُ عَلَيْهِ إِعْطَاءَ الشُّعَرَاءِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا وَقَى الْعِرْضَ.

○ الأخبار المُنْبِئَةُ عن مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أورد الحافظ ابن كثير عددا من الأخبار والآثار المنبئة عن مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم علق في آخرها.

(١) المسند ٣/ ٦٢
(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٩٦٥)
(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ١٧٧
(٤) الطبقة الخامسة من الصحابة ١/ ٤٠٠ برقم (٣٧١) والطبراني في الكبير (٢٨٤٤) من طريق الزبير بن بكار.
(٥) البداية والنهاية ١١/ ٥٩٠
(٦) تاريخ دمشق ١٤/ ١٨١ من طريق الأصمعي به.

قَـالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: [١] حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حَسَّـانَ، ثَنَا عُمَـارَةُ، يَعْنِي ابْنَ زَاذَانَ، عَنْ ثَابِـتٍ، عَـنْ أَنَسٍ قَالَ «اسْـتَأْذَنَ مَلَكُ الْقَطْرِ أَنْ يَأْتِـيَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لِأُمِّ سَـلَمَةَ: «احْفَظِـي عَلَيْنَا الْبَابَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ». فَجَاءَ الْحُسَـيْنُ بْنُ عَلِـيٍّ فَوَثَبَ حَتَّى دَخَلَ، فَجَعَلَ يَصْعَـدُ عَلَى مَنْكِبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَـالَ لَهُ الْمَلَكُ: أَتُحِبُّهُ؟ قَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ: فَإِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ. قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ، فَأَرَاهُ تُرَابًا أَحْمَرَ، فَأَخَذَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ذَلِكَ التُّرَابَ، فَصَرَّتْهُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهَا. قَالَ: فَكُنَّا نَسْمَعُ: يُقْتَلُ بِكَرْبَلَاءَ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: [٢] حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَوْ أُمِّ سَـلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِإِحْدَاهُمَا: «لَقَدْ دَخَلَ عَلِيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَـيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِـئْتَ أَرَيْتُكَ الْأَرْضَ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا». قَالَ: «فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ».

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ.

قال ابن كثير: [٣] وَلَقَدْ بَالَغَ الشِّـيعَةُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَوَضَعُوا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً وَكَذِبًا فَاحِشًـا؛ مِنْ كَوْنِ الشَّـمْسِ كَسَـفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتِ النُّجُومُ، وَمَا رُفِعَ يَوْمَئِذٍ حَجَرٌ إِلَّا وُجِدَ تَحْتَهُ دَمٌ، وَأَنَّ أَرْجَاءَ السَّـمَاءِ احْمَرَّتْ، وَأَنَّ الشَّـمْسَ كَانَتْ تَطْلُعُ وَشُـعَاعُهَا كَأَنَّهُ دَمٌ، وَصَارَتِ السَّـمَاءُ كَأَنَّهَا عَلَقَةٌ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ صَـارَ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا أَحْمَرَ، وَأَنَّ الْحُمْرَةَ لَمْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ. وَرَوَى ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ الْمُعَافِرِيِّ، أَنَّ الشَّـمْسَ كَسَـفَتْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتِ النُّجُـومُ وَقْتَ الظُّهْرِ. وَأَنَّ رَأْسَ الْحُسَـيْنِ لَمَّا دَخَلُوا بِهِ قَصْرَ الْإِمَارَةِ جَعَلَتِ الْحِيطَانُ تَسِـيلُ دَمًـا. وَأَنَّ الْأَرْضَ أَظْلَمَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

---

(١) المسند ٣/ ٢٦٥

(٢) المسند ٦/ ٢٩٤ وانظر: السلسلة الصحيحة (٨٢٢).

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٥٧٦

وَلَـمْ يُمَـسَّ زَعْفَرَانٌ وَلَا وَرْسٌ مِمَّـا كَانَ مَعَهُ يَوْمَئِـذٍ إِلَّا احْتَرَقَ مَنْ مَسَّـهُ. وَلَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا ظَهَرَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ. وَأَنَّ الإِبِلَ الَّتِي غَنِمُوهَا مِنْ إِبِلِ الْحُسَيْنِ حِينَ طَبَخُوهَا صَارَ لَحْمُهَا مِثْلَ الْعَلْقَمِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ. (١)

وَأَمَّـا مَا رُوِيَ مِـنَ الْأُمُورِ وَالْفِتَنِ الَّتِي أَصَابَتْ مَنْ قَتَلَـهُ فَأَكْثَرُهَا صَحِيحٌ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أُصِيبَ بِمَرَضٍ، وَأَكْثَرُهُمْ أَصَابَهُ الْجُنُونُ.

قال ابن كثير: (٢) وَلِلشِّـيعَةِ وَالرَّافِضَةِ فِي صِفَةِ مَصْرَعِ الْحُسَـيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَذِبٌ كَثِيرٌ وَأَخْبَارٌ باطلة، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ، وَفِي بَعْضِ مَا أَوْرَدْنَاهُ نَظَرٌ، وَلَوْلَا أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ وَغَيْرَهُ مِـنَ الْحُفَّاظِ الْأَئِمَّةِ ذَكَرُوهُ مَا سُـقْتُهُ، وَأَكْثَرُهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مِخْنَـفٍ لُوطِ بْنِ يَحْيَى، وَقَدْ كَانَ شِـيعِيًّا، وَهُوَ ضَعِيـفُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْأَئِمَّـةِ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَارِيٌّ حَافِـظٌ، عِنْدَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَلِهَذَا يَتَرَامَى عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ بَعْدَهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَـدْ أَسْـرَفَ الرَّافِضَةُ فِي دَوْلَـةِ بَنِي بُوَيْهٍ فِي حُـدُودِ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَمَـا حَوْلَهَا، فَكَانَتِ الدَّبَـادِبُ (الطبـول) تُضْرَبُ بِبَغْدَادَ وَنَحْوِهَا مِـنَ الْبِلَادِ فِي يَوْمِ عَاشُـورَاءَ، وَيُذَرُّ الرَّمَادُ وَالتِّبْـنُ فِـي الطُّرُقَـاتِ وَالْأَسْـوَاقِ، وَتُعَلَّقُ الْمُسُـوحُ عَلَـى الدَّكَاكِيـنِ، وَيُظْهِـرُ النَّاسُ الْحُزْنَ وَالْبُكَاءَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَشْـرَبُ الْمَاءَ لَيْلَتَئِذٍ مُوَافَقَةً لِلْحُسَـيْنِ، لِأَنَّهُ قُتِلَ عَطْشَـانَ (فيمـا زعموا)، ثُمَّ تَخْرُجُ النِّسَـاءُ حَاسِـرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِـنَّ يَنُحْنَ وَيَلْطِمْـنَ وُجُوهَهُنَّ وَصُدُورَهُـنَّ، (٣) حَافِيَـاتٍ فِي الْأَسْـوَاقِ، إِلَـى غَيْرِ ذَلِكَ مِـنَ الْبِدَعِ الشَّـنِيعَةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْفَظِيعَـةِ، وَالْهَتَائِكِ الْمُخْتَرَعَةِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهَذَا وَأَشْـبَاهِهِ أَنْ يُشَـنِّعُوا عَلَى دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ فِي أَيَّامِهِمْ.

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٦-٢٣١
(٢) البداية والنهاية ١١/ ٥٧٦
(٣) وهـذا الذي ذكره ابن كثير لايزال الروافض يعملونه وأكثر وقد كشـفتهم الفضائيات ووسـائل التواصل فنقلت هذه المظاهر التي لا يقبلها عقل سليم صحيح.

وَقَدْ عَاكَسَ الرَّافِضَةَ وَالشِّيعَةَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ النَّوَاصِبُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَكَانُوا فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَطْبُخُونَ الْحُبُوبَ وَيَغْتَسِلُونَ وَيَتَطَيَّبُونَ وَيَلْبَسُونَ أَفْخَرَ ثِيَابِهِمْ، وَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، يَصْنَعُونَ فِيهِ أَنْوَاعَ الْأَطْعِمَةِ، وَيُظْهِرُونَ السُّرُورَ وَالْفَرَحَ؛ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ عِنَادَ الرَّوَافِضِ وَمُعَاكَسَتَهُمْ.[١]

❁ ❁ ❁

(١) لم يعد لهذه المظاهر من وجود في بلاد أهل السنة ولله الحمد.

رأي ابن كثير في مقتل الحسين:[(١)]

قال ابن كثير: وَقَدْ تَأَوَّلَ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ أَنَّهُ جَاءَ لِيُفَرِّقَ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا، وَلِيَخْلَعَ مَنْ بَايَعَهُ النَّاسُ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[(٢)] الْحَدِيثُ بِالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالتَّوَعُّدِ عَلَيْهِ.

وَبِتَقْدِيرِ أَنْ تَكُونَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَهَلَةِ قَدْ تَأَوَّلُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَتْلُهُ، بَلْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ إِجَابَتُهُ إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا.

فَإِذَا ذُمَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَبَّارِينَ لَمْ تُذَمَّ الْأُمَّةُ بِكَمَالِهَا وَتُتَّهَمْ عَلَى نَبِيِّهَا ﷺ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَلَا كَمَا سَلَكُوهُ، بَلْ أَكْثَرُ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا كَارِهٌ مَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ سِوَى شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَبَّحَهُمُ اللهُ، وَأَكْثَرُهُمْ كَانُوا قَدْ كَاتَبُوهُ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ ابْنُ زِيَادٍ مِنْهُمْ بَلَّغَهُمْ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَخَذَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فَانْكَفُّوا عَنِ الْحُسَيْنِ وَخَذَلُوهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ، وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ الْجَيْشِ كَانَ رَاضِيًا بِمَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ، بَلْ وَلَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ بِذَلِكَ - وَاللهُ أَعْلَمُ - وَلَا كَرِهَهُ، **وَالَّذِي يَكَادُ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ يَزِيدَ لَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ لَعَفَا عَنْهُ**، كَمَا أَوْصَاهُ بِذَلِكَ أَبُوهُ، وَكَمَا صَرَّحَ هُوَ بِهِ مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ.

وَقَدْ لَعَنَ ابْنَ زِيَادٍ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَشَتَمَهُ فِيمَا يَظْهَرُ وَيَبْدُو، وَلَكِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا عَاقَبَهُ وَلَا أَرْسَلَ يَعِيبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) البداية والنهاية ١١/ ٥٧٨وذكر ذلك على سبيل العرض والمناقشة وليس على سبيل التقرير.

(٢) صحيح مسلم، كتب الإمارة، باب: حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ونص الحديث «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»

فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْزِنَهُ هَذَا الَّذِي وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، وَابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ بَنَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ عَابِدًا وَشُجَاعًا وَسَخِيًّا. وَلَكِنْ لَا يَحْسُنُ مَا يَفْعَلُهُ الشِّيعَةُ مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ وَالْحُزْنِ الَّذِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُ تَصَنُّعٌ وَرِيَاءٌ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَهُمْ لَا يَتَّخِذُونَ مَقْتَلَهُ مَأْتَمًا كَيَوْمِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ، فَإِنَّ أَبَاهُ قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ خَارِجٌ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي دَارِهِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ ذُبِحَ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ يَوْمَ مَقْتَلِهِ مَأْتَمًا، وَكَذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، قُتِلَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ يَوْمَ قَتْلِهِ مَأْتَمًا، وَكَذَلِكَ الصِّدِّيقُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّاسُ يَوْمَ وَفَاتِهِ مَأْتَمًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ كَمَا مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَتَّخِذْ أَحَدٌ يَوْمَ مَوْتِهِ مَأْتَمًا يَفْعَلُونَ فِيهِ مَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنَ الرَّافِضَةِ يَوْمَ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ، وَلَا ذَكَرَ أَحَدٌ أَنَّهُ ظَهَرَ يَوْمَ مَوْتِهِمْ وَقَبْلَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا ادَّعَاهُ هَؤُلَاءِ يَوْمَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَقَدِّمَةِ، مِثْلَ كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْحُمْرَةِ الَّتِي تَطْلُعُ فِي السَّمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ وَأَمْثَالِهَا: مَا رَوَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَتَذَكَّرُهَا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، فَيُحْدِثُ لَهَا اسْتِرْجَاعًا، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ يَوْمِ أُصِيبَ بِهَا». رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ. (١)

❁ ❁ ❁

(١) المسند ١/ ٢٠١ وقال الألباني ضعيف جدا كما في ضعيف ابن ماجه (٣٤٩)

قَبْرُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَأَمَّا قَبْرُ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدِ اشْتُهِرَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ فِي مَشْهَدِ عَلِيٍّ بِمَكَانٍ مِنَ الطَّفِّ عِنْدَ نَهْرِ كَرْبَلَاءَ، فَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ مَوْضِعَ مَقْتَلِهِ عَفَا أَثَرُهُ، حَتَّى لَمْ يَطَّلِعْ أَحَدٌ عَلَى تَعْيِينِهِ بِخَبَرٍ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)

وَأَمَّا رَأْسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَالْمَشْهُورُ بَيْنَ أَهْلِ التَّارِيخِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ أَنَّهُ بَعَثَ بِهِ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْأَوَّلَ أَشْهَرُ.(٢) وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ الرَّأْسُ؛ فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ يَزِيدَ بَعَثَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ نَائِبِ الْمَدِينَةِ فَدَفَنَهُ عِنْدَ أُمِّهِ بِالْبَقِيعِ.

وَادَّعَتِ الطَّائِفَةُ الْمُسَمَّوْنَ بِالْفَاطِمِيِّينَ، الَّذِينَ مَلَكُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَبْلَ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ سِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، أَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَدَفَنُوهُ بِهَا وَبَنُوا عَلَيْهِ الْمَشْهَدَ الْمَشْهُورَ بِهِ بِمِصْرَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: تَاجُ الْحُسَيْنِ (المشهد الحسيني). بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ. وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا أَصْلَ لِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُرَوِّجُوا بِذَلِكَ بُطْلَانَ مَا ادَّعَوْهُ مِنَ النَّسَبِ الشَّرِيفِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَبَةٌ خَوَنَةٌ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْقَاضِي الْبَاقِلَانِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ فِي دَوْلَتِهِمْ فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٤٣

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٥٨٠، وسبق ذكر رأي ابن تيمية.

علاقة أهل الحجاز بيزيد:

في (سنة ٦٢ هـ) عزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد عن الحجاز وولّاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ احْتَاطَ عَلَى الْأَمْوَالِ، وَأَخَذَ الْعَبِيدَ الَّذِينَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فَحَبَسَهُمْ، فَتَجَهَّزَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ إِلَى يَزِيدَ وَبَعَثَ إِلَى عَبِيدِهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ السِّجْنِ وَيَلْحَقُوا بِهِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ على يزيد أَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ عَاتَبَهُ فِي تَقْصِيرِهِ فِي شَأْنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، **الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ**، وَإِنَّ جُلَّ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ مَالَئُوهُ عَلَيْنَا وَأَحَبُّوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِي جُنْدٌ أَقْوَى بِهِمْ عَلَيْهِ لَوْ نَاهَضْتُهُ، وَقَدْ كَانَ يَحْذَرُنِي وَيَحْتَرِسُ مِنِّي، وَكُنْتُ أَرْفُقُ بِهِ كَثِيرًا، وَأُدَارِيهِ لِأَسْتَمْكِنَ مِنْهُ فَأَثِبُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنِّي قَدْ ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ وَمَنَعْتُهُ مِنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَجَعَلْتُ عَلَى مَكَّةَ وَطُرُقِهَا وَشِعَابِهَا رِجَالًا لَا يَدَعُونَ أَحَدًا يَدْخُلُهَا حَتَّى يَكْتُبُوا إِلَيَّ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ بِلَادِ اللهِ هُوَ وَمَا جَاءَ لَهُ، وَمَاذَا يُرِيدُ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ مِمَّنْ أَرَى أَنَّهُ يُرِيدُهُ رَدَدْتُهُ صَاغِرًا، وَإِلَّا خَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، وَقَدْ وَلَّيْتَ الْوَلِيدَ، وَسَيَأْتِيكَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَمْرِهِ مَا لَعَلَّكَ تَعْرِفُ بِهِ فَضْلَ مُبَالَغَتِي فِي أَمْرِكَ وَمُنَاصَحَتِي لَكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ. (١)

وَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَإِنَّهُ أَقَامَ بِالْحِجَازِ، وَقَدْ هَمَّ مِرَارًا أَنْ يَبْطِشَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَا يَجِدُهُ إِلَّا مُتَحَذِّرًا مُمْتَنِعًا، وَثَارَ بِالْيَمَامَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنَفِيُّ. حِينَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ، وَخَالَفَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَلَمْ يُخَالِفِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، لَهُ أَصْحَابٌ يَتَّبِعُونَهُ.

وقد اجتمعوا في حج سنة (٦٢ هـ)، فلما كَانَ يوم عَرَفَةَ دَفَعَ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بِالْجُمْهُورِ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَصْحَابُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابُ نَجْدَةَ، ثُمَّ دفَعَ كُلُّ فَرِيقٍ وَحْدَهُمْ.

(١) البداية والنهاية ١١/ ٦٠٨

وكَتَبَ ابن الزبير [(١)] **إِلَى يَزِيدَ**: إِنَّكَ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا أَخْرَقَ، لَا يَتَّجِهُ لِأَمْرِ رُشْدٍ وَلَا يَرْعَوِي لِعِظَةِ الْحَكِيمِ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَجُلًا سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْكَنَفِ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْهُلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهَا، وَأَنْ يَجْتَمِعَ مَا تَفَرَّقَ، فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ فِيهِ صَلَاحَ خَوَاصِّنَا وَعَوَامِّنَا، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. قَالُوا: **فَعَزَلَ يَزِيدُ الْوَلِيدَ، وَوَلَّى عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ**،

فَسَارَ إِلَى الْحِجَازِ، وَإِذَا هُوَ فَتًى غِرٌّ حَدَثٌ غُمْرٌ، لَمْ يُمَارِسِ الْأُمُورَ، فَطَمِعُوا فِيهِ، وَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى يَزِيدَ مِنْهَا وَفْدًا، فِيهِمْ **عَبْدُ اللهِ بْنُ حَنْظَلَةَ** الْغَسِيلُ الْأَنْصَارِيُّ، **وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي عَمْرِو** بْنِ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، **وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ**، وَرِجَالٌ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَّا الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُ سَارَ إِلَى صَاحِبِهِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ أَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ نَظِيرَ أَصْحَابِهِ مِنْ أُولَئِكَ الْوَفْدِ.

○ خلع أهل المدينة ليزيد:

وَلَمَّا رَجَعَ وَفْدُ الْمَدِينَةِ إِلَيْهَا أَظْهَرُوا شَتْمَ يَزِيدَ وَعَيْبَهُ، وَقَالُوا: إِنَّا نُشْهِدُكُمْ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ. فَتَابَعَهُمُ النَّاسُ عَلَى خَلْعِهِ، وَبَايَعُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلَ عَلَى الْمَوْتِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَافَقَ أُولَئِكَ عَلَى خَلْعِ يَزِيدَ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ يَزِيدَ بَعَثَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَنْهَاهُمْ عَمَّا صَنَعُوا، وَيُحَذِّرُهُمْ غِبَّ ذَلِكَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ يَزِيدُ وَخَوَّفَهُمُ الْفِتْنَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْفِتْنَةَ وَخِيمَةٌ. وَقَالَ: لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِأَهْلِ الشَّامِ، فَعَصَاهُ النَّاسُ، فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ الْأَمْرُ وَاللهِ كَمَا قَالَ سَوَاءً [(٢)]

---

(١) في البداية والنهاية وكتب نجدة، والتصويب ماذكره الطبري في تاريخه ٥/ ٤٨٠ وابن الأثير في الكامل.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٦١٠.

○ وقعة الحرة سنة (٦٣هـ):

فِي سنة (٦٣ هـ) كَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ، وَكَانَ سَبَبَهَا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا خَلَعُوا يَزِيدَ، وَوَلَّوْا عَلَى قُرَيْشٍ **عَبْدَ اللهِ بْنَ مُطِيعٍ**، وَعَلَى الْأَنْصَارِ **عَبْدَ اللهِ بْنَ حَنْظَلَةَ** بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَعَلَى قَبَائِلِ الْمُهَاجِرِينَ **مَعْقِلَ بْنَ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيَّ**، فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ أَظْهَرُوا ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَ الْمِنْبَرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: قَدْ خَلَعْتُ يَزِيدَ كَمَا خَلَعْتُ عِمَامَتِي هَذِهِ. وَيُلْقِيهَا عَنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى إِخْرَاجِ عَامِلِ يَزِيدَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَهُوَ **عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ابْنُ عَمِّ يَزِيدَ**، وَعَلَى **إِجْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ**، وَاعْتَزَلَ النَّاسَ **عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ** زَيْنُ الْعَابِدِينَ، وَكَذَلِكَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ** بْنِ الْخَطَّابِ لَمْ يَخْلَعْ يَزِيدَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِأَهْلِهِ: لَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ فَيَكُونَ الْفَيْصَلُ - وَيُرْوَى: الصَّيْلَمُ - بَيْنِي وَبَيْنَهُ. (١)

وَأَنْكَرَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مُبَايَعَتِهِمْ لِابْنِ مُطِيعٍ وَابْنِ حَنْظَلَةَ عَلَى الْمَوْتِ، وَقَالَ: إِنَّمَا كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَخْلَعْ يَزِيدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ سُئِلَ **مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ** فِي ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ، وَنَاظَرَهُمْ وَجَادَلَهُمْ فِي يَزِيدَ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا اتَّهَمُوهُ بِهِ.

وَكَتَبَ بَنُو أُمَيَّةَ إِلَى يَزِيدَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَصْرِ وَالْإِهَانَةِ، وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

وَبَعَثُوا ذَلِكَ مَعَ الْبَرِيدِ، فَلَمَّا قَدِمَ بِذَلِكَ عَلَى يَزِيدَ وقرأ الكتاب فانْزَعَجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى **عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ**، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَاسْتَشَارَهُ فِيمَنْ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَأَبَى وَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَزَلَنِي عَنْهَا وَهِيَ مَضْبُوطَةٌ، وَأُمُورُهَا مُحْكَمَةٌ، فَأَمَّا الْآنَ فَإِنَّمَا هِيَ دِمَاءُ قُرَيْشٍ تُرَاقُ بِالصَّعِيدِ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُمْ مِنِّي.

(١) البخاري، كتاب الفتن حديث رقم ٧١١١.

○ إرسال يزيد الجيش لقتال أهل المدينة:

ولّى يزيد مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ عَشَرَةَ آلَافِ فَارِسٍ وَقِيلَ: اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَنَادَى مُنَادِي يَزِيدَ بِدِمَشْقَ أَنْ سِيرُوا عَلَى أَخْذِ أَعْطِيَاتِكُمْ كَامِلًا وَمَعُونَةِ أَرْبَعِينَ دِينَارًا.

وَقَالَ يَزِيدُ لِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ: إِذَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ وَلَمْ تُصَدَّ عَنْهَا، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا فَلَا تَتَعَرَّضْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَامْضِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَإِنْ صَدُّوكَ عَنِ الْمَدِينَةِ فَادْعُهُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِلَّا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَانْظُرْ إِلَى **عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَاكْفُفْ عَنْهُ** وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، وَأَدْنِ مَجْلِسَهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا دَخَلُوا فِيهِ. وَقَالَ لَهُ: إِنْ حَدَثَ بِكَ أَمْرٌ فَعَلَى النَّاسِ **حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ السَّكُونِيُّ**.

وَسَارَ مُسْلِمٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا جَاءَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ النَّصْرَ فَانْزِلْ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْكَ كَانَتِ الشَّمْسُ فِي أَقْفِيَتِكُمْ وَفِي وُجُوهِهِمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ خَالَفُوا الْإِمَامَ، وَخَرَجُوا مِنَ الطَّاعَةِ. فَشَكَرَهُ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَامْتَثَلَ مَا أَشَارَ بِهِ، فَنَزَلَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، وَدَعَا أَهْلَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَوْنَ إِلَّا الْمُحَارَبَةَ وَالْمُقَاتَلَةَ، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ قَالَ لَهُمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ - وَهُوَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ - قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، مَضَتِ الثَّلَاثُ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِي: إِنَّكُمْ أَصْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ، وَإِنَّهُ يَكْرَهُ إِرَاقَةَ دِمَائِكُمْ، وَإِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُؤَجِّلَكُمْ ثَلَاثًا، فَقَدْ مَضَتْ فَمَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ؟ أَتُسَالِمُونَ أَمْ تُحَارِبُونَ؟

فَقَالُوا: بَلْ نُحَارِبُ، ثُمَّ تَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ، وَقَدْ كَانُوا اتَّخَذُوا خَنْدَقًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ

وَجَعَلُوا جَيْشَهُمْ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ، عَلَى كُلِّ رُبْعٍ أَمِيرٌ، وَجَعَلُوا أَجَلَّ الْأَرْبَاعِ الرُّبُعَ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ مِنَ السَّادَاتِ وَالْأَعْيَانِ، مِنْهُمْ؛ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ، وَبَنُونَ لَهُ سَبْعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلُ، وَأَخُوهُ لِأُمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ.

ثُمَّ أَبَاحَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ السَّلَفُ: مُسْرِفُ بْنُ عُقْبَةَ -قَبَّحَهُ اللهُ- الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَهُ يَزِيدُ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَشْرَافِهَا وَقُرَّائِهَا، وَانْتَهَبَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِنْهَا. (١)

وَقَدِ اخْتَفَى جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُ انْتَضَيْتُ سَيْفِي فَقَصَدَنِي، فَلَمَّا رَآنِي صَمَّمَ عَلَى قَتْلِي، فَشِمْتُ سَيْفِي، ثُمَّ قُلْتُ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [المائدة: ٢٩].

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَمَضَى وَتَرَكَنِي. (٢)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَأَبُو مَعْشَرٍ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ.

وَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِمَا حَصَلَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ مُسْتَهَلِّ الْمُحَرَّمِ، مَعَ سَعِيدٍ مَوْلَى الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، فَحَزِنُوا حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَأَهَّبُوا لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ.

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقة الخامسة ٢/ ٦٥ بإسناد جمعي وهو عند الطبري ٥/ ٤٨٤-٤٩٥ بتفصيل أكثر من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف؛ وما يذكر في بعض المصادر من المبالغة في عدد القتلى والإجهاز على الجرحى وانتهاك المحارم والوقوع على النساء غير صحيح، بل هو من وضع رواة الشيعة وأهل الأهواء، ولا يحتمله حال المجتمع، ولم يسبق له مثيل حتى مع غير المسلمين مما ينفي وقوعه على الصورة التي تذكرها الروايات وتبالغ فيها. انظر: الطبقة الخامسة من الصحابة ٢/ ٦٥-٦٦ في الهامش.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٧/ ٢٨ عن يحيي بن عباد بإسناد حسن.

○ رأي ابن كثير في يزيد بن معاوية:

قال ابن كثير: وَقَدْ أَخْطَأَ يَزِيدُ خطأً فَاحِشًا فِي قَوْلِهِ لِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ أَنْ يُبِيحَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّام، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

وَقَدْ أَرَادَ بِإِرْسَالِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ تَوْطِيدَ سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ، وَدَوَامَ أَيَّامِهِ، فَعَاقَبَهُ اللهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ، فَقَصَمَهُ اللهُ قَاصِمُ الْجَبَابِرَةِ، وَأَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. (١)

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، ثَنَا الْجُعَيْدُ، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ». (٢)

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْقَرَّاظِ الْمَدَنِيِّ - وَاسْمُهُ دِينَارٌ - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ» أَوْ: «ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ». (٣)

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». (٤)

قال ابن كثير: وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّرْخِيصِ فِي لَعْنَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ اخْتَارَهَا الْخَلَّالُ، وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى، وَابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ، وَانْتَصَرَ لِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ وَجَوَّزَ لَعْنَهُ، وَمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ - وَصَنَّفُوا فِيهِ أَيْضًا -

(١) قال الذهبي في السير ٤/ ٣٦ كانت دولته أقل من أربع سنين، ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعوه.

(٢) البخاري (١٨٧٧)

(٣) مسلم ح (١٣٦٣و١٣٨٧)

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (٦٦٣٢)

لِئَلَّا يُجْعَلَ لَعْنُهُ وَسِيلَةً إِلَى أَبِيهِ أَوْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَحَمَلُوا مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفَاتِ عَلَى أَنَّهُ تَأَوَّلَ وَأَخْطَأَ. (١)

وَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ مَعَ ذَلِكَ إِمَامًا فَاسِقًا، وَالْإِمَامُ إِذَا فَسَقَ لَا يُعْزَلُ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، عَلَى أَصَحِّ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِثَارَةِ الْفِتْنَةِ، وَوُقُوعِ الْهَرْجِ، كَمَا جَرَى.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْحَرَّةِ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ وَجَيْشِهِ، **فَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا،** فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُ الْإِمَامُ، وَقَدْ خَرَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ، فَلَهُ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا أَنْذَرَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ وَمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ». (٢)

○ الحِصَارُ الأول لعبدالله ابْنِ الزُّبَيْرِ في مَكَّةَ

فِي سنة (٦٤هـ) فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا سَارَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ إِلَى مَكَّةَ قَاصِدًا قِتَالَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمَنِ معه، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المدينة رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ثَنِيَّةَ هَرْشَى (٣) بَعَثَ إِلَى رُءُوسِ الْأَجْنَادِ فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهِدَ إِلَيَّ إِنْ حَدَثَ بِي

---

(١) قال الذهبي في السير ٤/ ٣٦ ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه، وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك في ملوك النواحي.بل فيهم من هو شر منه، وإنما عظم الخطب لكونه ولّي بعد وفاة النبي بتسع وأربعين سنة والعهد قريب والصحابة موجودون، وقال ابن تيمية في الفتاوى ٤/ ٤٨٣ وبلغني أن جدنا أبا عبدالله بن تيمية سئل عن يزيد فقل: لا تنقص ولا تزيد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها.

(٢) مسلم (١٨٥٢)

(٣) ثنية هرشى: قال في معجم البلدان: هرشى بالفتح ثم السكون وشين معجمة وألف مقصورة في طريق مكة قريبة من الجحفة ويرى منها البحر.

حَدَثُ الْمَوْتِ أَنْ أَسْتَخْلِفَ عَلَيْكُمْ حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ السَّكُونِيَّ، وَوَاللهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لِي مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ دَعَا بِهِ فَقَالَ: انْظُرْ يَابْنَ بَرْدَعَةِ الْحِمَارِ فَاحْفَظْ مَا أُوصِيكَ بِهِ. ثُمَّ أَمَرَهُ إِذَا وَصَلَ مَكَّةَ أَنْ يُنَاجِزَ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَبْلَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَعْمَلْ عَمَلًا قَطُّ بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ مَاتَ، قَبَّحَهُ اللهُ، وَدُفِنَ بِالْمُشَلَّلِ.(١)

وَسَارَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِالْجَيْشِ نَحْوَ مَكَّةَ، فَانْتَهَى إِلَيْهَا لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ فِيمَا قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ. وَقَدْ تَلَاحَقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَاتٌ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَانْضَافَ إِلَيْهِ أَيْضًا نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَنَفِيُّ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِهَا؛ لِيَمْنَعُوا الْبَيْتَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَنَزَلَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ ظَاهِرَ مَكَّةَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنِ الْتَفَّ مَعَهُ، فَاقْتَتَلُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا. ثُمَّ اقْتَتَلُوا فِي بَقِيَّةِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ وَصَفَرًا بِكَمَالِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ ثَالِثُ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، نَصَبُوا الْمَجَانِيقَ عَلَى الْكَعْبَةِ، وَرَمَوْهَا حَتَّى بِالنَّارِ، فَاحْتَرَقَ جِدَارُ الْبَيْتِ في يوم السبت هكذا قال الواقدي.

وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ إِلَى مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَجَاءَ النَّاسَ نَعْيُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، فَحِينَئِذٍ خَمَدَتِ الْحَرْبُ وَطَفِئَتْ نَارُ الْفِتْنَةِ.(٢)

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ(٣) أَنَّ حُصَيْنًا وَابْنَ الزُّبَيْرِ اتَّعَدَا لَيْلَةً أَنْ يَجْتَمِعَا، فَاجْتَمَعَا بِظَاهِرِ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: إِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ هَلَكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ بَعْدَهُ، فَهَلُمَّ فَارْحَلْ مَعِي إِلَى الشَّامِ، فَوَاللهِ لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ. فَيُقَالُ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمْ يَثِقْ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالِ، فَنَفَرَ مِنْهُ ابْنُ نُمَيْرٍ، ثُمَّ كَرَّ بِالْجَيْشِ رَاجِعًا إِلَى الشَّامِ.

وَارْتَحَلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ مَعَ الْجَيْشِ إِلَى الشَّامِ.

(١) المشلل، آخر حرة القديدية من جهة البحر في طرف وادي قديد الشمالي كان عليها صنم مناة.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ٦٣٥ (٣) تاريخ الرسل والأمم ٥/ ٥٠١

ولما انصرف أهل الشام عن مكة أمن الناس ودعا ابن الزبير من يومه ذلك إلى نفسه، وسمي أمير المؤمنين، وترك الشعار الذي كان يدعى به عائذ البيت.

وفارقته الخوارج، وبايعه أهل مكة في رجب من هذه السنة (٦٤هـ)

○ مقاتلة ابن الزبير

جَعَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الوالي الأموي على المدينة يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ لِحَرْبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » [1] أَنَّ أَبَا شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيَّ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ؛ إِنَّهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهَا لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ». فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ لَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: نَحْنُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ، إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ، وَلَا فَارًّا بِخَرْبَةٍ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَلَّى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ شُرْطَةَ الْمَدِينَةِ عَمْرَو بْنَ الزُّبَيْرِ؛ فَتَتَبَّعَ أَصْحَابَ أَخِيهِ وَمَنْ يَهْوَى هَوَاهُ، فَضَرَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا، حَتَّى ضَرَبَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ ضَرَبَ أَخَاهُ الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَجَمَاعَةً مِنَ الْأَعْيَانِ **ثُمَّ جَاءَ الْعَزْمُ مِنْ يَزِيدَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ فِي تَطَلُّبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ وَإِنْ بَايَعَ، حَتَّى يُؤْتَى بِهِ إِلَيَّ فِي جَامِعَةٍ** [2]، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ

(١) البخاري رقم (١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

(٢) الجامعة: الغل الذي يجمع فيه اليدان إلى بعض وتربط بالعنق.

قَـدْ مَنَعَ الْحَارِثَ بْنَ خَالِدٍ الْمَخْزُومِـيَّ نائب والي مكة مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ بِأَهْلِ مَكَّةَ، فَحِينَئِذٍ صَمَّمَ عَمْرٌو عَلَى تَجْهِيزِ سَـرِيَّةٍ إِلَى مَكَّةَ لقتال ابْنِ الزُّبَيْرِ، بقيادة عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ وَجَعَلَ عَلَـى مَقْدُمَتِهِ أُنَيْسَ بْنَ عَمْرٍو الْأَسْـلَمِيَّ فِي سَـبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ. فَعَسْـكَرَ أُنَيْـسٌ بِالْجُرْفِ، وَأَشَارَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ أَنْ لَا يَغْزُوَ مَكَّةَ، وَأَنْ يَتْرُكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِهَا، فَإِنَّهُ عَمَّا قَلِيلٍ إِنْ لَمْ يُقْتَلْ يَمُتْ، فَقَالَ أَخُوهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ وَاللهِ لَنَغْزُوَنَّهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ.

فَسَارَ أُنَيْسٌ وَاتَّبَعَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَكَانُوا أَلْفَيْنِ، حَتَّى نَزَلَ بِالْأَبْطَحِ، وَنَـزَلَ أُنَيْـسٌ بِذِي طَـوًى، فَكَانَ عَمْرُو بْـنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّـي بِالنَّاسِ، وَيُصَلِّـي وَرَاءَهُ أَخُوهُ عَبْـدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَرْسَـلَ عَمْرٌو إِلَى أَخِيهِ يَقُولُ لَهُ: بَرَّ يَمِيـنَ الْخَلِيفَةِ، وَأْتِهِ وَفِي عُنُقِكَ جَامِعَـةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَلَا تَدَعِ النَّاسَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاتَّقِ اللهَ فَإِنَّكَ فِي بَلَدٍ حَـرَامٍ، فأبـى عبدالله بن الزبير ذلك، وقال: ماعندي خـلاف وها أنا أصلي خلفك، فلم يسـتجب عمرو بن الزبير وأهل الشام، فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ لعمرو: مَوْعِدُكَ الْمَسْجِدُ. وَبَعَـثَ عَبْـدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَبْـدَ اللهِ بْنَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي سَـرِيَّةٍ، فَاقْتَتَلُوا مَـعَ أُنَيْسِ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْـلَمِيِّ، فَهَزَمُوا أُنَيْسًـا هَزِيمَـةً قَبِيحَةً، وَتَفَـرَّقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الزُّبَيْـرِ أَصْحَابُهُ، وَهَرَبَ عَمْرٌو إِلَى دَارِ ابْنِ عَلْقَمَةَ، فَأَجَارَهُ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَلَامَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْـرِ، وَقَـالَ: تُجِيرُ مَنْ فِي عُنُقِهِ حُقُـوقُ النَّاسِ! ثُمَّ ضَرَبَهُ بِكُلِّ مَنْ ضَرَبَـهُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنْذِرَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَابْنَهُ؛ فَإِنَّهُمَا أَبَيَا أَنْ يَسْتَقِيدَا مِنْ عَمْرٍو، وَسَجَنَهُ فِي سِجْنِ عَارِمٍ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

○ غزو بلاد الترك

في سـنة (٦١هـ) ولّى يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ سَـلْمَ بْنَ زِيَادٍ **سِجِسْـتَانَ وَخُرَاسَـانَ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ**، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَعَزَلَ عَنْهَا أَخَوَيْهِ عَبَّادًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَارَ سَـلْمٌ إِلَى عَمَلِهِ، فَجَعَلَ يَنْتَخِبُ الْوُجُوهَ وَالْفُرْسَـانَ، وَيُحَرِّضُ النَّـاسَ عَلَى الْجِهَادِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ لِيَغْزُوَ بِلَادَ التُّرْكِ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ مُحَمَّدٍ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَـاصِ، فَكَانَـتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَـرَبِ قُطِعَ بِهَا النَّهْرُ، وَوَلَدَتْ هُنَاكَ وَلَدًا أَسْـمَوْهُ صُغْدِيًّـا، وَبَعَثَتْ إِلَيْهَا امْرَأَةُ صَاحِبِ الصُّغْدِ بِتَاجِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَلَآلِئَ، وَكَانَ الْمُسْـلِمُونَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يُشَتُّونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، فَشَتَّى بِهَا سَلْمُ بْنُ زِيَادٍ.

○ غزو خوارزم

وَبَعَـثَ سـلم بن زيـاد الْمُهَلَّبَ بْـنَ أَبِـي صُفْرَةَ إلـى مدينة الـترك، **وَهِيَ خُـوَارَزْمُ**، فَحَاصَرَهُـمْ حَتَّى صَالَحُوهُ عَلَى نَيِّفٍ وَعِشْـرِينَ أَلْـفَ أَلْفٍ، وَكَانَ يَأْخُـذُ مِنْهُمْ عُرُوضًا عِوَضًـا، فَيَأْخُذُ الشَّـيْءَ بِنِصْفِ قِيمَتِـهِ، فَبَلَغَتْ قِيمَةُ مَـا أَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسِـينَ أَلْفَ أَلْفٍ، فَحَظِيَ بِذَلِكَ الْمُهَلَّبُ عِنْدَ سَـلْمِ بْنِ زِيَادٍ ثُمَّ بَعَثَ مِـنْ ذَلِكَ مَا اصْطَفَاهُ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ مَرْزُبَانٍ، وَمَعَهُ وَفْدٌ، وَصَالَحَ سَلْمٌ أَهْلَ سَمَرْقَنْدَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَى مَالٍ جَزِيلٍ.

❁ ❁ ❁

ولاته على البلدان

○ ولاية الحجاز:

فِي سَنَةِ (٦٠هـ) فِي رَمَضَانَ، عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَأَضَافَهَا إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ والي مَكَّةَ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي رَمَضَانَ.

وَفِي سنة (٦١هـ) عَزَلَ يَزِيدُ عَنْ إِمْرَةِ الْحَرَمَيْنِ عَمْرَو بْنَ سَعِيدٍ، وَأَعَادَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَوَلَّاهُ الْمَدِينَةَ.

ولم يذكر ابن كثير تغييرا في عهد يزيد للولاة في بقية البلدان.

○ ولاية الحج

حج بالناس سنة ٦٠هـ عمرو بن سعيد حيث ولاه يزيد مكة في شهر رمضان.

قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ: لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة ٦١هـ وَهُوَ أَمِيرُ الْحَرَمَيْنِ، وحج بالناس أيضا سنة ٦٢هـ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ عَوْفٍ قَالَ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٦٣هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ الْعَائِذَ، وَيَرَوْنَ الْأَمْرَ شُورَى. وكذلك سنة ٦٤هـ

قال أبو بكر بن عياش: حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين وثنتين وخمسين وثلاث وخمسين في خلافة والده.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في خلافته

١-الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد مضت أخباره وترجمته.

٢- جَابِرُ بْنُ عَتِيكِ بْنِ قَيْسٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، وَكَانَ حَامِلَ رَايَةِ بَنِي مُعَاوِيَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ.

٣- حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلُ الْقَدْرِ، ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «سَأَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَمْرٍو رَسُولَ اللهِ ﷺ

فَقَالَ: إِنِّي كَثِيرُ الصِّيَامِ، أَفَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ لَهُ "إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ».

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَهُوَ الَّذِي بَشَّرَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْهِ، فَأَعْطَاهُ ثَوْبَيْهِ.

٤- شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ الْحَجَبِيُّ صَاحِبُ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ، وَأَظْهَرَ شَيْبَةُ الْإِسْلَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَشَهِدَ حُنَيْنًا وَفِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، وَقَدْ هَمَّ بِالْفَتْكِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ رَسُولَهُ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا هَمَّ بِهِ، فَأَسْلَمَ بَاطِنًا، وَجَادَ إِسْلَامُهُ، وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ وَصَبَرَ فِيمَنْ صَبَرَ.

وَلِيَ الْحِجَابَةَ بَعْدَ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، وَاسْتَقَرَّتِ الْحِجَابَةُ فِي بَنِيهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ بَنُو شَيْبَةَ، وَهُمْ حَجَبَةُ الْكَعْبَةِ.

٥- أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ الْقُرَشِيَّةُ الْمَخْزُومِيَّةُ، كَانَتْ أَوَّلًا تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ، فَمَاتَ عَنْهَا، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ. وَكَانَتْ مِنْ حِسَانِ النِّسَاءِ وَعَابِدَاتِهِنَّ، وتوفيت في سنة (٦١ هـ).

٦- بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ، كَانَ إِسْلَامُهُ حِينَ اجْتَازَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُهَاجِرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، وقد تَلَقَّاهُ بُرَيْدَةُ فِي ثَمَانِينَ نَفْسًا مِنْ أَهْلِهِ، فَأَسْلَمُوا، وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، وَعَلَّمَهُ لَيْلَتَئِذٍ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ "مَرْيَمَ"، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ بَعْدَ أُحُدٍ، فَشَهِدَ بَقِيَّةَ الْمُشَاهِدِ كُلَّهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى غَزْوِ خُرَاسَانَ، فَمَاتَ بِمَرْوَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

٧- الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ أَبُو يَزِيدَ الثَّوْرِيُّ الْكُوفِيُّ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا رَأَيْتُكَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْمُخْبِتِينَ، وَلَوْ رَآكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَأَحَبَّكَ.

٨-عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ أَبُو شِبْلٍ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعُلَمَائِهِمْ، وَكَانَ يُشَبَّهُ بِابْنِ مَسْعُودٍ. وَقَدْ رَوَى عَلْقَمَةُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

٩- عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفِهْرِيُّ بَعَثَهُ مُعَاوِيَةُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، فَافْتَتَحَهَا، وَاخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا غَيْضَةً لَا تُرَامُ؛ مِنَ السِّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ وَالْحَشَرَاتِ، فَدَعَا اللهَ تَعَالَى، فَجَعَلْنَ يَخْرُجْنَ بِأَوْلَادِهِنَّ مِنَ الْأَوْكَارِ وَالْجِحَارِ، فَبَنَاهَا، قتل شهيدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٠- عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَجْرَانَ وَعُمْرُهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَأَدْرَكَ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

١١- مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الزُّرَقِيُّ وُلِدَ عَامَ الْهِجْرَةِ، وَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَوَلِيَ الْجُنْدَ بِهَا لِمُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ، وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة ٦٢ هـ

١٢- نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُسْلِمِينَ نِكَايَةٌ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَشَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ وَحُنَيْنًا، وَحَجَّ مَعَ أَبِي بَكْرٍ سَنَةَ تِسْعٍ، وَشَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَعُمِّرَ سِتِّينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمِثْلَهَا فِي الْإِسْلَامِ. قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ.

إِمَارَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ [١]

هُــو أَبُــو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَيُقَـالُ: أَبُو لَيْلَى الْقُرَشِـيُّ الْأُمَوِيُّ. وَأُمُّهُ أُمُّ هَاشِـمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِـمِ بْـنِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، بُويِعَ لَـهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيـهِ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْـدِهِ فِي رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا نَاسِكًا، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ. قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ مَرِيضًا، لَمْ يَخْرُجْ إِلَى النَّاسِ، **وَكَانَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ** هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيَسُدُّ الْأُمُورَ.

وَمَـاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ هَذَا عَنْ إِحْدَى وَعِشْـرِينَ سَـنَةً وَقِيلَ: ثَلَاثٍ وَعِشْـرِينَ سَـنَةً وَثَمَانِيَـةَ عَشَـرَ يَوْمًا. وَصَلَّـى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْـنُ عُتْبَةَ فَإِنَّهُ أَوْصَـى إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَشَـهِدَ دَفْنَهُ مَـرْوَانُ بْـنُ الْحَكَمِ، وَكَانَ الضَّحَّاكُ بْـنُ قَيْسٍ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ بَعْدَهُ حَتَّى اسْـتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمَرْوَانَ بِالشَّامِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ بِدِمَشْقَ. وَلِمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ: أَلَا تُوصِي؟ فَقَالَ: لَا أَتَزَوَّدُ مَرَارَتَهَا وَأَتْرُكُ حَلَاوَتَهَا لِبَنِي أُمَيَّةَ. وترك الأمر شورى،

وقال ابن حزم: لا عقب لمعاوية بن يزيد [٢]

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أبيض شـديد البياض، كثير الشـعر، كبير العينين، أقنى الأنف، جميل الوجه، حسن الجسم،

قـال أبو زرعة الدمشـقي [٣]: معاوية وعبدالرحمن وخالد أخوة أشـقاء، وكانوا من صالحي القوم.

❁ ❁ ❁

(١) من مصادر ترجمته، المعارف لابن قتيبة ص٣٥٢، تاريخ دمشق ١٦/ ٣٩٥، تاريخ الإسلام ٣/ ٨٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٩، والعبر ١/ ٦٩، والبداية والنهاية ١١/ ٦٦٢.
(٢) جمهرة أنساب العرب ص١١٢.
(٣) تاريخ أبي زرعة ١/ ٣٥٨

إِمَارَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

٦٤ـ ٧٣

الفصل الأول
ترجمته وخلافته

تَرْجَمَته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [١]

○ نسبه:

هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَبُو بَكْرٍ، وَيُقَالُ لَهُ: أَبُو خُبَيْبٍ، الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، هَاجَرَتْ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءَ أَوَّلَ مَقْدِمِهِمِ الْمَدِينَةَ. [٢]

○ أسرته:

وكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ: خُبَيْبٌ وَحَمْزَةُ وَعَبَّادٌ وَثَابِتٌ، وَأُمُّهُمْ تُمَاضِرُ بِنْتُ مَنْظُورٍ الْفَزَارِيِّ، وَهَاشِمٌ وَقَيْسٌ وَعُرْوَةُ - قُتِلَ مَعَ أَبِيهِ - وَالزُّبَيْرُ، وَأُمُّهُمْ أُمُّ هَاشِمٍ زُجْلَةُ بْنِ مَنْظُورٍ، أخت تماضر. وَعَامِرٌ وَمُوسَى وَأُمُّ حَكِيمٍ وَفَاطِمَةُ وَفَاخِتَةُ، وَأُمُّهُمْ حنتمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بن المغيرة، وَبَكْرٌ وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّهما عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَبْدُ اللهِ وَمُصْعَبٌ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ، وأبابكر، وأمه ريطة بنت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة. [٣]

○ صفاته:

وَكَانَ آدَمَ نَحِيفًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَكَانَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، مُجْتَهِدًا، شَهْمًا، فَصِيحًا، صَوَّامًا قَوَّامًا، شَدِيدَ الْبَأْسِ، ذَا أَنَفَةٍ، لَهُ نَفْسٌ شَرِيفَةٌ وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَكَانَ خَفِيفَ اللِّحْيَةِ، لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِنَ الشَّعْرِ إِلَّا قَلِيلًا، وَكَانَتْ لَهُ جُمَّةٌ، وَكَانَ لَهُ لِحْيَةٌ صَفْرَاءُ.

(١) من مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة ٢/ ٣٠)، الاستيعاب ٣/ ٩٠٥، أسد الغابة ٣/ ٢٤٢، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣، تاريخ الإسلام ٣/ ١٦٧ والعقد الثمين للفاسي ٥/ ١٤١ وغيرها.

(٢) انظر نسب قريش للزبيري ٢٣٧.

(٣) انظر عن أولاده نسب قريش (٢٤٠-٢٤٣) والطبقة الخامسة من الصحابة ٢/ ٣٠-٣١.

قَالَ مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ: كَانَ عَارِضَا عَبْدِ اللهِ خَفِيفَيْنِ، وَمَا اتَّصَلَتْ لِحْيَتُهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً.

○ **فضائله:**

ثَبَتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، (١) عَنْ هِشَامِ بن عروة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّهَا خَرَجَتْ بِعَبْدِ اللهِ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرَةً وَهِيَ حُبْلَى بِهِ، فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءَ أَوَّلَ مَقْدِمِهِم الْمَدِينَةَ، فَأَتَتْ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَحَنَّكَهُ، (٢) وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ، وَدَعَا لَهُ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ سَحَرُوا الْمُهَاجِرِينَ؛ فَلَا يُولَدُ لَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا وُلِدَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَدْ سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ جَيْشَ الشَّامِ حِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ قَتْلِهِ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَلَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ مَوْلِدِهِ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَبَّرُوا عِنْدَ قَتْلِهِ. وَأَذَّنَ الصِّدِّيقُ فِي أُذُنَيْهِ حِينَ وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعَيْنِ، وَشَهِدَ الْجَمَلَ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَحَضَرَ خُطْبَةَ عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ، وَرَوَاهَا عَنْهُ بِطُولِهَا، وقيل أسند ثلاثة وثلاثين حديثا عن رسول الله ﷺ (٣)

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ شَرِبَ مِنْ دَمِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدِ احْتَجَمَ فِي طَسْتٍ، فَأَعْطَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لِيُرِيقَهُ فَشَرِبَهُ، فَقَالَ لَهُ: «لَا تَمَسُّكَ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ» (٤) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللهِ، اذْهَبْ بِهَذَا الدَّمِ فَأَهْرِقْهُ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فَلَمَّا بَعُدَ عَمَدَ إِلَى ذَلِكَ الدَّمِ فَشَرِبَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ؟ قَالَ: عَمَدْتُ إِلَى أَخْفَى مَوْضِعٍ عَلِمْتُ فَجَعَلْتُهُ فِيهِ.

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٥ (ح٣٦١٩) وأحمد في المسند ٦/ ٣٤٧.
(٢) تحنيك الصبي: هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به وأولاه التمر والرطب أوالعسل.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣.
(٤) المستدرك ٣/ ٥٥٤ تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٢، الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٠.

قَالَ: فَلَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: لَا تَمَسُّكَ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ، وَوَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ» [١] فَكَانَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي بِهِ مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ.

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يُصَلِّي خَلْفَ الْمَقَامِ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوبَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ. [٢]

عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ، تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ لَا تَرَاهُ إِلَّا جِذْمَ حَائِطٍ. [٣]

وَقَالَ أَحْمَدُ: [٤] تَعَلَّمَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّلَاةَ مِنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ مِنْ عَطَاءٍ، وَعَطَاءٌ مِنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الصِّدِّيقِ، وَالصِّدِّيقُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: [٥] كَانَ قَارِئًا لِكِتَابِ اللهِ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، قَانِتًا لِلَّهِ، صَائِمًا فِي الْهَوَاجِرِ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ، ابْنُ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللهِ، وَأُمُّهُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ، فَلَا يَجْهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مَنْ أَعْمَاهُ اللهُ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيُّ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَنْ لَا أُحْصِي كَثْرَةً مِنْ أَصْحَابِنَا، أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ سَبْعًا؛ يَصُومُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ الْأُخْرَى، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي مَكَّةَ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَوَّلُ مَا يُفْطِرُ عَلَى لَبَنِ لِقْحَةٍ، وَسَمْنٍ، وَصَبِرٍ. [٦]

وَلَقَدْ جَاءَ سَيْلٌ مَرَّةً فَطَبَّقَ الْبَيْتَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَطُوفُ سِبَاحَةً [٧].

---

(١) تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٣
(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٩
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ دمشق ١١/ ٦٣٦ من طريق عبدالرزاق به.
(٥) صحيح البخاري بمعناه موقوفا على ابن عباس (٤٦٦٤-٤٦٦٦).
(٦) تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٥
(٧) المصدر السابق ٢٨/ ١٧٨

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يُنَازَعُ فِي ثَلَاثٍ**: فِي الْعِبَادَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالْفَصَاحَةِ، (١)

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عُثْمَانَ جَعَلَهُ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ نَسَخُوا الْمَصَاحِفَ مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ. (٢)

وشَهِدَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ **قِتَالَ الْبَرْبَرِ** (٣)؛ وَكَانُوا فِي عِشْرِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، وَالْمُسْلِمُونَ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَأَحَاطُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَا زَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَحْتَالُ حَتَّى رَكِبَ فِي ثَلَاثِينَ فَارِسًا، وَسَارَ نَحْوَ مَلِكِ الْبَرْبَرِ، وَهُوَ مُنْفَرِدٌ وَرَاءَ الْجَيْشِ، وَجَوَارِيهِ يُظَلِّلْنَهُ بِرِيشِ النَّعَامِ، فَسَاقَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ ذَاهِبٌ فِي رِسَالَةٍ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَهِمَهُ الْمَلِكُ وَلَّى مُدْبِرًا، فَلَحِقَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَتَلَهُ، وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَجَعَلَهُ فَوْقَ رُمْحِهِ، وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، وَحَمَلُوا عَلَى الْبَرْبَرِ فَهَزَمُوهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمُوا مَغَانِمَ كَثِيرَةً،

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مِمَّنْ **دافع عَنْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ**، (٤) وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ بِضْعَ عَشْرَةَ جِرَاحَةً،

وَكَانَ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ جِرَاحَةً أَيْضًا، وَقَدْ تَبَارَزَ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَمَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْأَشْتَرِ فَاتَّحَدَا فَصَرَعَ الْأَشْتَرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمْ يَتَمَكَّنِ الْأَشْتَرُ مِنَ الْقِيَامِ عَنْهُ، بَلِ احْتَضَنَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَجَعَلَ يُنَادِي، وَيَقُولُ:

اقْتُلُونِي وَمَالِكًا وَاقْتُلُوا مَالِكًا مَعِي

فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا، ثُمَّ تَفَرَّقَا، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ الْأَشْتَرُ، (٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٠
(٢) المصدر السابق.
(٣) تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٠-١٨٢
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧.

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فِي «صَحِيحِهِ[(١)]»: ثَنَا عقبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ، أَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي نَوْفَلٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عقبَةِ الْمَدِينَةِ، [(٢)] قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ، حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا خُبَيْبٍ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا وَصُولًا لِلرَّحِمِ، أَمَا وَاللهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ شَرُّهَا لَأُمَّةُ خَيْرٍ. ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، فَبَلَغَ الْحَجَّاجُ وُقُوفُ ابْنِ عُمَرَ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ: لِتَأْتِيَنِّي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ. فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: وَاللهِ لَا آتِيهِ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي. قَالَ: فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَرُونِي سِبْتَيَّ. فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ: يَابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، أَنَا وَاللهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، حديث ٢٥٤٥/ ٢٢٩

(٢) هكذا في الصحيح والمراد العقبة التي في جهة المدينة (الحجون)

بيعته بالخلافة:

❍ بيعته:

لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بن معاوية أَقْلَعَ الْجَيْشُ الأموي الَّذِينَ كَانُوا يُحَاصِرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عن مكة وَهُوَ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، ورجعوا مَعَ أَمِيرِهِمْ حُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ السَّكُونِيِّ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِالْحِجَازِ وَمَا وَالَاهَا، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَ موت يَزِيدَ بَيْعَةً عَامَّةً هُنَاكَ، ثم انتشرت بيعته في العراق ومصر وغيرها.

وَاسْتَنَابَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَخَاهُ عُبَيْدَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ بِإِجْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَأَجْلَاهُمْ فَرَحَلُوا إِلَى الشَّامِ، وَفِيهِمْ مَرْوَانُ وَابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ.

ثُمَّ بَعَثَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ حُرُوبٍ جَرَتْ بَيْنَهُمْ وَفِتَنٍ كَثِيرَةٍ يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهَا، يَجْلِبُونَهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ.

وَبَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَلَى الْخَرَاجِ، وَاسْتَوسق لَهُ الْمِصْرَانِ جَمِيعًا، وَأَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ فَبَايَعُوهُ. وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جَحْدَمٍ، وَأَطَاعَتْ لَهُ الْجَزِيرَةُ الفراتية.

وَبَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى خُرَاسَانَ فَبَايَعُوهُ، وَإِلَى الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بِالشَّامِ فَبَايَعَ، ولم يبايع أَهْلَ دِمَشْقَ وَأَعْمَالَهَا مِنْ بِلَادِ الْأُرْدُنِّ؛ فقد بَايَعُوا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ لَمَّا رَجَعَ الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ.

وَالحاصل أنه بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ عند موت يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وبايعته الأمصار الإسلامية الْحِجَازُ وَالْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَمِصْرُ وَخُرَاسَانُ وَسَائِرُ بِلَادِ الشَّامِ إِلَّا دِمَشْقَ، وَتَمَّتِ الْبَيْعَةُ لَهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَكَانَ النَّاسُ بِخَيْرٍ فِي زَمَانِهِ.

وكانت ولاية ابن الزبير من سنة (٦٤هـ) حتى قتل يوم الثلاثاء ١٧/ جمادى الأولى سنة ٧٣هـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانٍ الْوَرَّاقُ، ثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنِ ابْنِ أَبْزَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حِينَ حُصِرَ: إِنَّ عِنْدِي نَجَائِبَ قَدْ أَعْدَدْتُهَا لَكَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيكَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَكَ؟ قَالَ: لَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُلْحِدُ بِمَكَّةَ كَبْشٌ مِنْ قُرَيْشٍ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِ النَّاسِ**» **وَهَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ جِدًّا**، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ، وَيَعْقُوبُ هَذَا هُوَ الْقُمِّيُّ، وَفِيهِ تَشَيُّعٌ وَضَعْفٌ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقْبَلُ تَفَرُّدُهُ بِهِ، وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ فَلَيْسَ هُوَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى صِفَاتٍ حَمِيدَةٍ، وَقِيَامُهُ فِي الْإِمَارَةِ إِنَّمَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ هُوَ كَانَ له الْأَمْرُ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ أَرْشَدُ مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، حَيْثُ نَازَعَهُ بَعْدَ أَنِ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ فِي الْآفَاقِ، وَانْتَظَمَ لَهُ الْأَمْرُ.

❁ ❁ ❁

تعليق:

لقد اجتمع عليه الناس، ماعدا طائفة يسيرة من أهل الشام، وبويع لمروان في الشام بعد عقد البيعة لابن الزبير، وكان مروان قد عزم على المبايعة لابن الزبير، ولكن صده عن ذلك بعض أنصار بني أمية.

قال ابن حزم في جوامع السيرة (ص ٣٥٩) : عبدالله ابن الزبير هو أمير المؤمنين في هذا الحين

ونقل ابن عبد البر في ترجمة مروان في كتاب الاستيعاب (ص٩١٠) عن الإمام مالك أنه قال: ابن الزبير كان أفضل من مروان، وكان أولى بالأمر من مروان ومن ابنه عبدالملك.

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٩) : ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوما وأن الحجاج ورفقته كانوا خارجين عليه.

كما نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص ٢١٢) عن الذهبي أنه قال: إن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين، بل هو باغ خارج على ابن الزبير، ولا عهده لابنه بصحيح، وإنما صحت خلافة عبدالملك من حين قتل ابن الزبير سنة (٧٣هـ). قال السيوطي وهو الأصح.

ولما وقع النزاع بينه وبين عبدالملك بن مروان امتنع بعض الصحابة والتابعين من البيعة له، أو لعبدالملك ورأوا ألا يبايعوا حتى تجتمع الأمة على واحد، ومن أبرزهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، ومحمد بن الحنفية. [١]

---

(١) انظر لتفصيل مواقفهم: عبدالله الخراشي، عبدالله بن الزبير والأمويون (١١٩-١٣٢) رسالة ماجستير جامعة الملك سعود.

الفصل الثاني
الأحداث في عهده

معارضة مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وبيعته بالشام

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ لَمَّا رَجَعَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَارْتَحَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ، وَانْتَقَلَتْ بَنُو أُمَيَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ، اجْتَمَعُوا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَعْدَ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُبَايِعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ بَايَعَ أَهْلُهَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ عَلَى أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمْ وَيُقِيمَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَلَمْ يَزَلْ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ وَالْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، حَتَّى ثَنَوْهُ عَنْ رَأْيِهِ، وَحَذَّرُوهُ مِنْ دُخُولِ سُلْطَانِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَمُلْكِهِ إِلَى الشَّامِ

وَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ شَيْخُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا، فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ، فرجع مروان عن البيعة لابن الزبير، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَعَ قَوْمِهِ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَعَ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَوَافَقَهُمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا فَاتَ شَيْءٌ.

○ معركة مرج راهط

كانت القبائل القيسية قد اتفقت مع الضحاك على إعلان البيعة لابن الزبير، فَأَقَامَ بدمشق ومن مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ مِنْ قَيْسٍ وَمَنْ لَفَّ لَفِيفَهَا، وَبَعَثَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فَذَكَرَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَشَكَرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِنِيَابَةِ الشَّامِ.

وقد بويع لمروان بِالْجَابِيَةِ[1] فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، **ومن بعده لخالد بن يزيد بن معاوية.**

فَلَمَّا تَمَهَّدَ لمروان الْأَمْرُ سَارَ بِمَنْ مَعَهُ نَحْوَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، فَالْتَقَيَا بِمَرْجِ رَاهِطٍ،

(١) هذه وقعت بعد البيعة لعبدالله بن الزبير.

فَغَلَبَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَقَتَلَهُ وَقتَل مِنْ قَيْسٍ مَقْتَلَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا [١].

وَقَالَ اللَّيْثُ بن سعد: وَكَانَتْ وَقْعَةُ مَرْجِ رَاهِطٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ، مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ عِيدِ النَّحْرِ بِيَوْمَيْنِ. [٢]

وَرُوِيَ أَنَّهُ بَكَى عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ، فَقَالَ:

أَبَعْدَ مَا كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ صِرْتُ إِلَى أَنْ أَقْتُلَ النَّاسَ بِالسُّيُوفِ عَلَى الْمُلْكِ؟!.

○ استقلال مروان بالشام ومصر

وَبعد أن اسْتَقَرَّ مُلْكُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بالشَّامِ أراد انتزاع مصر من ولاية ابن الزبير فدَخَلَها فِي سنة (٦٥هـ) مع عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقُ، فَأَخَذَاهَا مِنْ يَدِ نَائِبِهَا الَّذِي كَانَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَحْدَمٍ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ مَرْوَانَ قَصَدَهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نَائِبُهَا ابْنُ جَحْدَمٍ، فَقَابَلَهُ مَرْوَانُ لِيُقَاتِلَهُ، فَاشْتَغَلَ بِهِ، وَخَلَصَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ مِنْ وَرَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَحْدَمٍ، فَدَخَلَ مِصْر، وَهَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَدَخَلَ مَرْوَانُ إِلَى مِصْرَ، فَمَلَكَهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ. [٣].

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُهُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بَايَعَ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَالِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَتَرَكَ الْبَيْعَةَ لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَرَاهُ أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ، وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ، وَإِنْ كَانَ خَالًا لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِأَعْبَاءِ بَيْعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ إِنَّ أُمَّ خَالِدٍ دَبَّرَتْ أَمْرَ مَرْوَانَ فَسَمَّتْهُ، وَيُقَالُ: بَلْ وَضَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ نَائِمٌ وِسَادَةً، فَمَاتَ مَخْنُوقًا في شهر رمضان سنة (٦٥هـ)، ثُمَّ إِنَّهَا أَعْلَنَتِ الصُّرَاخَ هِيَ وَجَوَارِيهَا وَصِحْنَ: مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَجْأَةً.

---

(١) انظر التفصيل في البداية والنهاية ١١/ ٦٧٦ ومابعدها.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٧١٢

(٣) المصدر السابق ١١/ ٧٠٤

الفتنة في المشرق

فِـي سَّـنَةِ (٦٤هـ) بعد موت يزيـد وابنه معاوية جَرَتْ حُـرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَفِتَنٌ مُنْتَشِـرَةٌ بِبِلَادِ الْمَشْـرِقِ، وَاسْـتَحْوَذَ عَلَى بِلَادِ خُرَاسَـانَ رَجُلٌ يُقَـالُ لَهُ **عَبْدُ اللهِ بْنُ خَـازِمٍ**. وَقَهَرَ عُمَّالَهَا وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ يَسْـتَقِرَّ مُلْكُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي، وَجَرَتْ بَيْنَ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ خَازِمٍ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ وغيره من ولاة المشـرق حُـرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَتَفْصِيلُهَـا، اكْتَفَيْنَا بِذِكْرِهَا إِجْمَـالًا؛ إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِتَفْصِيلِهَا كَبِيرُ فَائِدَةٍ، وَهِيَ حُرُوبُ فِتْنَةٍ وَقِتَالُ بُغَاةٍ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانِ.[(١)]

بناء الْكَعْبَةِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ في سنَةِ (٦٤هــ)

قَـالَ الْوَاقِـدِيُّ: لَمَّا أَرَادَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هَدْمَ الْبَيْتِ شَـاوَرَ النَّاسَ فِي هَدْمِهَا، فَأَشَـارَ عَلَيْهِ جَابِـرُ بْنُ عَبْـدِ اللهِ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ بِذَلِـكَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْشَـى أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَكَ مَنْ يَهْدِمُهَـا، فَـلَا تَزَالُ تُهْدَمُ حَتَّـى يَتَهَاوَنَ النَّـاسُ بِحُرْمَتِهَا، **وَلَكِـنْ أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهَا**. فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: لَـوِ احْتَرَقَ بَيْـتُ أَحَدِكُمْ مَا رَضِيَ حَتَّى يُجَـدِّدَهُ، فَكَيْفَ بِبَيْتِ رَبِّكُمْ؟! ثُـمَّ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ اسْـتَخَارَ اللهَ ثَلَاثَـةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ غَدَا فِي الْيَـوْمِ الرَّابِعِ، فَبَدَأَ يَنْقُضُ الرُّكْنَ إِلَى الْأَسَـاسِ، فَلَمَّا وَصَلُـوا إِلَى الْأَسَـاسِ **وَجَدُوا أَصْـلًا بِالْحَجرِ مُشَـبَّكًا كَأَصَابِعِ الْيَدَيْنِ**، فَدَعَـا ابْنُ الزُّبَيْرِ خَمْسِـينَ رَجُلًا وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ بَنَى الْبَيْتَ وَأَدْخَلَ الْحِجرَ فِيهِ، وَجَعَلَ لِلْكَعْبَةِ بَابَيْـنِ مَوْضُوعَيْنِ بِالْأَرْضِ؛ بَـابٌ يُدْخَلُ مِنْهُ وَبَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْـوَدَ بِيَدِهِ، وَشَدَّهُ بِفِضَّةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَصَدَّعَ، **وَجَعَلَ طُولَ الْكَعْبَةِ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا**، وَكَانَ طُولُهَا سَـبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فَاسْتَقْصَرَهُ، **وَزَادَ فِي وُسْعِ الْكَعْبَةِ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ، وَلَطَّخَ جُدْرَانَهَا بِالْمِسْكِ، وَسَتَرَهَا بِالدِّيبَاجِ**، وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ قَدْ وَهَتْ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيقِ، وَاسْوَدَّ الرُّكْنُ، وَانْصَدَعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ.

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٦٨٣

وَكَانَ سَبَبُ تَجْدِيدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَهَا مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[(١)] وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، مِنْ طُرُقٍ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ، فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا، يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْآخَرِ، وَلَأَلْصَقْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّ قَوْمَكِ رَفَعُوا بَابَهَا لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا».

فَبَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَتْهُ بِهِ خَالَتُهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا. ثُمَّ لَمَّا غَلَبَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، هَدَمَ الْحَائِطَ الشَّمَالِيَّ وَأَخْرَجَ الْحِجْرَ كَمَا كَانَ أَوَّلًا، وَأَدْخَلَ الْحِجَارَةَ الَّتِي هَدَمَهَا إِلَى جَوْفِ الْكَعْبَةِ فَرَضَّهَا فِيهَا، فَارْتَفَعَ الْبَابُ، وَسَدَّ الْغَرْبِيَّ، وَتِلْكَ آثَارُهُ إِلَى الْآنَ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ بَلَغَهُ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: وَدِدْنَا أَنَّا تَرَكْنَاهُ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ هَمَّ الْمَهْدِيُّ بْنُ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيُّ أَنْ يُعِيدَهَا عَلَى مَا بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَاسْتَشَارَ الْإِمَامَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ مَلْعَبَةً. يَعْنِي يَتَلَاعَبُونَ فِي بِنَائِهَا بِحَسْبِ آرَائِهِمْ، فَهَذَا يَرَى رَأْيَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهَذَا يَرَى رَأْيَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

اجتماع الشيعة على سليمان بن صرد وانقسامهم

وَفِي سنة (٦٥هـ) اجْتَمَعَ مَلَأُ الشِّيعَةِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ بِالْكُوفَةِ، وَتَوَاعَدُوا النَّخِيلَةَ؛ لِيَأْخُذُوا بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا زَالُوا فِي ذَلِكَ مُجِدِّينَ، وَعَلَيْهِ عَازِمِينَ، مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ،

فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ بَعْدَ خُطَبٍ وَمَوَاعِظَ عَلَى تَأْمِيرِ **سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ** عَلَيْهِمْ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا، **وَتَوَاعَدُوا النُّخَيْلَةَ؛ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ**، ثُمَّ جَمَعُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ

---

(١) البخاري في عدة مواضع (١٢٦، ١٥٨٣-١٥٨٦، ٤٤٨٤) وكذا مسلم (٣٩٨=٤٠٦/ ١٣٣٣).

شَيْئًا كَثِيرًا وَأَعَدُّوهُ لِذَلِكَ.، وقد طَمِعُوا فِي الْأَمْر بعد موت يزيد وابنه معاويةِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ أَهْـلَ الشَّـامِ قَدْ ضَعُفُوا، فَغَدَوْا إِلَى سُـلَيْمَانَ، وَاسْتَشَـارُوهُ فِي الظُّهُـورِ قَبْلَ الْأَجَلِ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُسْـلِمِ بْنِ عَقِيلٍ مَا كَانَ، وَقَتَلَـهُ ابْنُ زِيَادٍ، كَانَ الْمُخْتَارُ بن أبي عبيد يَوْمَئِذٍ بِالْكُوفَةِ، فَبَلَغَ ابْنَ زِيَادٍ أَنَّهُ يَقُولُ: لَأَقُومَنَّ بِنُصْرَةِ مُسْـلِمٍ، وَلَآخُذَنَّ بِثَأْرِهِ. فَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَضَربه وَأَمَرَ بِسِجْنِهِ، فَكَتَبَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ فِي إِخْرَاجِ الْمُخْتَارِ مِنَ السِّـجْنِ، فَبَعَثَ يَزِيدُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يأمره بإخراجه من السجن، فَأَخْرَجَهُ ابن زيـاد ونفاه، فَخَـرَجَ الْمُخْتَارُ إِلَى الْحِجَازِ وَهُـوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَأَقْطَعَنَّ أَنَامِـلَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَـادٍ وَلَأَقْتُلَنَّ بِالْحُسَـيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَدَدَ مَنْ قُتِلَ عَلَـى دَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ يَزِيـدَ بْـنِ مُعَاوِيَةَ وَاضْطِـرَابُ أَهْلِ الْعِـرَاقِ، خَرَجَ مِنَ الْحِجَـازِ، فَقَصَـدَ الْكُوفَةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى إِلَى سَارِيَةٍ هُنَالِكَ، حَتَّى أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ صَلَّى مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَسَـلَّمَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ وَعَظَّمُوهُ، وَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى **إِمَامِـهِ الْمَهْدِيِّ** مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَيُظْهِرُ الِانْتِصَـارَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَقُولَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى سُـلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ مِنَ الشِّـيعَةِ، وَقَدْ خَشِـيَ أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ سُـلَيْمَانَ: إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ قِبَلِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَمَعْدِنِ الْفَضْلِ، وَوَصِيِّ الْوَصِيِّ، وَالْإِمَامِ الْمَهْـدِيِّ، فَالْتَـفَّ عَلَيْهِ خَلْـقٌ كَثِيرٌ مِنَ الشِّـيعَةِ، وَلَكِـنَّ الْجُمْهُورَ مِنْهُمْ مَعَ سُـلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ. (١)

○ الْمُطَالَبَةُ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ مِمَّنْ قَتَلَهُ

في سنة (٦٥هـ) اجْتَمَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ نَحْوٌ مِنْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، كُلُّهُمْ يَطْلُبُونَ الْأَخْذَ بِثَأْرِ الْحُسَـيْنِ مِمَّنْ قَتَلَهُ، وَقَدْ خَطَبَهُمْ سُـلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ حِينَ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِـي رَبِيـعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّـنَةِ بِالنُّخَيْلَـةِ، فَحَرَّضَهُمْ عَلَـى الْجِهَادِ فِي ذَلِكَ، ويسـمى

(١) البداية والنهاية ١١/ ٦٨٩

هو لاء بِجَيْشِ التَّوَّابِينَ، فقد كان الشـيعة يجتمعون في دار سليمان بن صرد أيام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم الذين كتبوا إليه يطلبون منه القدوم عليهم، فلما قدم خذلوه، فندموا على فعلتهـم وتابـوا، ورأوا أن من توبتهـم أن يقتلوا من قَتَله ومن أمـر بقتله، ولهذا خرجوا قاصدين الشام لقتال عبيدالله بن زياد.

قـال ابن كثير: لَوْ كَانَ هَـذَا الْعَزْمُ وَالِاجْتِمَاعُ قَبْلَ وُصُولِ الْحُسَـيْنِ إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ لَكَانَ أَنْفَعَ لَهُ وَأَنْصَرَ مِنِ اجْتِمَاعِهِمْ لِنُصْرَتِهِ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ. (١)

○ وقْعَةُ عيْنِ ورْدَةَ

وسار سـليمان بن صرد بأصحابه نحو الشام حتى وصلوا مكانا يسمى عين الوردة، فالتقوا مع جيش اهل الشـام، فَدَعَا الشَّامِيُّونَ أَصْحَابَ سُـلَيْمَانَ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَدَعَا أَصْحَابُ سُـلَيْمَانَ الشَّـامِيِّينَ إِلَى أَنْ يُسَـلِّمُوا إِلَيْهِمْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَـادٍ فَيَقْتُلُوهُ عَنِ الْحُسَـيْنِ، وَامْتَنَعَ كُلٌّ مِـنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يُجِيبَ إِلَى مَا دَعَـا إِلَيْهِ الْآخَرَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا في أيام متعددة، فقُتِلَ فيها سليمان بن صرد وعامة أصحابه، (٢)

وَكَتَبَ أُمَرَاءُ الشَّـامِيِّينَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِمَـا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَظْفَرَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِـمْ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْـرِ الْجُنُودِ وَمَنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَقَـدْ قَـالَ: أَهْلَـكَ اللهُ رُءُوسَ الضُّلَّالِ؛ سُـلَيْمَانَ بْنَ صُـرَدٍ وَأَصْحَابَهُ. وَعَلَّـقَ الرُّءُوسَ بِدِمَشْقَ. (٣)

فلما عاد فلُّ جيش التوابين إلى العراق، كتب المختار بن أبي عبيد إلى رفاعة بن شداد رأس التوابيـن بعد سـليمان بن صرد، يعزيه فيمن قتل منهم وَيَتَرَحَّـمُ عَلَيْهِمْ، وَيَغْبِطُهُمْ بِمَا نَالُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِالَّذِينَ أَعْظَمَ اللهُ أُجُورَهُمْ، وَرَضِيَ

(١) البداية والنهاية ١١/ ٦٩٣
(٢) المصدر السابق ١١/ ٧٠٢
(٣) المصدر السابق ١١/ ٧٠٣

عَنْهُمْ، وَاللهِ مَا خَطَا مِنْهُمْ أَحَدٌ خُطْوَةً إِلَّا كَانَ ثَوَابُ اللهِ لَهُ فِيهَا أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَتَوَفَّاهُ اللهُ وَجَعَلَ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، **وَبَعْدُ فَأَنَا الْأَمِيرُ الْمَأْمُور، والأمين المأمون، قَاتِلُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُفْسِدِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ،** فَأَعِدُّوا وَاسْتَعَدُّوا وَأَبْشِرُوا، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَقَدْ كَانَ قَبْلَ قُدُومِهِمْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِهَلَاكِهِمْ عَنْ رَئِيِّهِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ يَأْتِيهِ شَيْطَانٌ فَيُوحِي إِلَيْهِ قَرِيبًا مِمَّا كَانَ يُوحِي شَيْطَانُ مُسَيْلِمَةَ إِلَيْهِ. (١)

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق ١١/ ٧٠٢

وُثوبُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقفيِّ الْكَذَّابِ بِالْكوفة

لَمَّا كَانَ الْمُحَرَّمُ مِنْ سنة (٦٦هـ) **عَزَمَ الْمُخْتَارُ عَلَى الْخُرُوجِ لِطَلَبِ** ثَأْرِ الْحُسَيْنِ -فِيمَا يَزْعُمُ- فَلَمَّا صَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الشِّيعَةُ وَثَبَّطُوهُ عَنِ الْخُرُوجِ الْآنَ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ، ثُمَّ أَنْفَذُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى **مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ** يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَمْرِ الْمُخْتَارِ وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا بِهِ كَانَ مُلَخَّصُ مَا قَالَ لَهُمْ: **إِنَّا لَا نَكْرَهُ أَنْ يَنْصُرَنَا اللهُ بِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ**. وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بَلَغَهُ مَخْرَجُهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَخَشِيَ أَنْ يُكَذِّبَهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِإِذْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَوِيَ أَمْرُ الشِّيعَةِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ. **وَقَدْ بَلَغَ أمير الكوفة عبدالله ابْنَ مُطِيعٍ** أَمْرَ الْقَوْمِ وَمَا اشْتَوَرُوا عَلَيْهِ، فَبَعَثَ الشُّرَطَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْكُوفَةِ، وَأَلْزَمَ كُلَّ أَمِيرٍ بِحِفْظِ نَاحِيَتِهِ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا كَانَ الموعد **خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ قَاصِدًا** إِلَى دَارِ الْمُخْتَارِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَلَيْهِمُ الدُّرُوعُ تَحْتَ الْأَقْبِيَةِ، فَلَقِيَهُ إِيَاسُ بْنُ مُضَارِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ إِنَّ أَمْرَكَ لَمُرِيبٌ، فَوَاللهِ لَا أَدَعُكَ حَتَّى أُحْضِرَكَ إِلَى الْأَمِيرِ فَيَرَى فِيكَ رَأْيَهُ. فَتَنَاوَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ رُمْحًا مِنْ يَدِ رَجُلٍ فَطَعَنَهُ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ، فَسَقَطَ وَأَمَرَ رَجُلًا فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ بَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا طَائِرٌ صَالِحٌ.

ثُمَّ طَلَبَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْمُخْتَارِ أَنْ يَخْرُجَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَأَمَرَ الْمُخْتَارُ بِالنَّارِ أَنْ تُرْفَعَ، وَأَنْ يُنَادَى بِشِعَارِ أَصْحَابِهِ: **يَا مَنْصُورُ أَمِتْ، يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ**. ثُمَّ نَهَضَ الْمُخْتَارُ فَجَعَلَ يَلْبَسُ دِرْعَهُ وَسِلَاحَهُ، وَخَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ، فَجَعَلَ يَتَقَصَّدُ الْأُمَرَاءَ الْمُوَكَّلِينَ بِنَوَاحِي الْبَلَدِ، فَيَطْرُدُهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيُنَادِي بِشِعَارِ الْمُخْتَارِ.

فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَجَاءَتِ الشِّيعَةُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ إِلَى الْمُخْتَارِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ عَبَّى جَيْشَهُ وَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، وَقَدْ جَهَّزَ ابْنُ مُطِيعٍ جَيْشًا؛ ثَلَاثَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أُخْرَى مَعَ رَاشِدِ بْنِ إِيَاسِ بْنِ مُضَارِبٍ، فاقتتلوا حتى تمكن المختار من دار الإمارة.

ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ بَعَثَ الْأُمَرَاءَ إِلَى النَّوَاحِي وَالْبُلْدَانِ وَالْأَقَالِيمِ وَالرَّسَاتِيقِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، وَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ. وَقَرَّرَ الْإِمَارَةَ وَالْوِلَايَاتِ، وَجَعَلَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ اسْتَقْضَى القضاة[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٣-١٥

تَتَبُّعُ الْمُخْتَارِ لِقَتَلَةِ الْحُسَيْنِ

وقد شَرَعَ الْمُخْتَارُ يَتَتَبَّعُ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ مِنْ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ فَيَقْتُلُهُ، فَأَرْجَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِالْمُخْتَارِ، وَقَالُوا: هُوَ كَذَّابٌ، وقَدْ قَدَّمَ مَوَالِيَنَا عَلَى أَشْرَافِنَا، وزَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ قَدْ أَمَرَهُ بِالْأَخذِ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ، وَهُوَ لَمْ يَأْمُرْهُ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُتَقَوِّلٌ عَلَيْهِ. وَانْتَظَرُوا بِخُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْكُوفَةِ **إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ** فَإِنَّهُ قَدْ عَيَّنَهُ الْمُخْتَارُ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ لِلِقَاءِ ابْنِ زِيَادٍ فَلَمَّا خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ النَّاسِ فِي دَارِ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ، ثُمَّ وَثَبُوا فَرَكِبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ مَعَ أَمِيرِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ وَقَصَدُوا قَصْرَ الْإِمَارَةِ، وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ **عَمْرو بْنَ تَوْبَةَ بَرِيدًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ** بْنِ الْأَشْتَرِ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ سَرِيعًا، وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى أُولَئِكَ يَقُولُ لَهُمْ: مَاذَا تَنْقِمُونَ؟ فَإِنِّي أُجِيبُكُمْ إِلَى جَمِيعِ مَا تَطْلُبُونَ، وَلَمْ يَزَلْ يُطَاوِلُهُمْ حَتَّى قَدِمَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ اقْتَتَلَ النَّاسُ فِي نَوَاحِي الْكُوفَةِ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَجَرَتْ فُصُولٌ وَأَحْوَالٌ حَرْبِيَّةٌ يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهَا،

وَيُعَرَفُ هَذَا الْيَوْمُ بِجَبَّانَةِ السَّبِيعِ. وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِستٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ ثُمَّ كَانَتِ النُّصْرَةُ لِلْمُخْتَارِ عَلَيْهِمْ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةِ أَسِيرٍ، وَهَرَبَ أَشْرَافُ الْكُوفَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ مِمَّنْ هَرَبَ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ - قَبَّحَهُ اللهُ - فَبَعَثَ الْمُخْتَارُ فِي طلبه فتمكنوا من قتله.

قَالُوا: ثُمَّ خَطَبَ الْمُخْتَارُ أَصْحَابَهُ فَحَرَّضَهُمْ على تَتَبُّعِ مَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْمُقِيمِينَ بِهَا، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِهِمْ حَتَّى يُوقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْقِتْلَاتِ، فمِنْهُمْ مَنْ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ أَطْرَافَهُ وَتَرَكَهُ حَتَّى مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرْمَى بِالنِّبَالِ حَتَّى يَمُوتَ.[١]

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٢٤ ومابعدها.

مَقْتَلُ خَوْلِيِّ الَّذِي احْتَزَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ

بَعْثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ أَبَا عَمْرَةَ صَاحِبَ حَرَسِهِ، فَكَبَسَ بَيْتَهُ، فَحَمَلُوهُ إِلَى الْمُخْتَارِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِ وَأَنْ يُحَرَّقَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَبَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى **حَكِيمِ بْنِ فُضَيْلٍ السِّنْبِسِيِّ** فقتل، وكذا **عُمَرَ بْنِ سَعْدِ** بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيرِ الْجَيْشِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وابنه فقتلا.[١]

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق ١٢/ ٢٨.

كتاب المختار إلى محمد ابن الحنفية

بَعَثَ الْمُخْتَارُ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِي ذَلِكَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهَ بَعَثَنِي نِقْمَةً عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَهُمْ بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَطَرِيدٍ وَشَرِيدٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ قَاتِلَكُمْ وَنَصَرَ مُؤَازِرَكُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِرَأْسِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وَابْنِهِ، وَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ شَرَكَ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كُلَّ مَنْ قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَلَنْ يُعْجِزَ اللهَ مَنْ بَقِيَ، وَلَسْتُ بِمُنْحَجِمٍ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَبْلُغَنِي أَنَّ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ إِرْمِيًّا فَاكْتُبْ إِلَيَّ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ بِرَأْيِكَ أَتَّبِعْهُ وَأَكُنْ عَلَيْهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. (١)

قال ابن كثير (٢): وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ مُحَمَّدًا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ رَدَّ جَوَابَهُ، مَعَ أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ قَدْ تَقَصَّى هَذَا الْفَصْلَ وَأَطَالَ شَرْحَهُ، وَلِهَذَا تَوَسَّعَ فِي إِيرَادِهِ بِرِوَايَاتِ أَبِي مِخْنَفٍ لُوطِ بْنِ يَحْيَى، **وَهُوَ مُتَّهَمٌ فِيمَا يَرْوِيهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي بَابِ التَّشَيُّعِ**، وَهَذَا الْمَقَامُ لِلشِّيعَةِ فِيهِ غَرَامٌ وَأَيُّ غَرَامٍ، إِذْ فِيهِ الْأَخْذُ بِثَأْرِ الْحُسَيْنِ وَأَهْلِهِ مِنْ قَتَلَتِهِمْ وَالِانْتِقَامُ مِنْهُمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّ قَتْلَ قَتَلَتِهِ كَانَ مُتَحَتِّمًا، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَيْهِ كَانَ مَغْنَمًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَى يَدِ الْمُخْتَارِ الْكَذَّابِ الَّذِي صَارَ بِدَعْوَاهُ إِتْيَانَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ كَافِرًا، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» (٣) وَقَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مَا يَكْتُبُهُ الْكَاتِبُونَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩]

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

---

(١) المصدر السابق ١٢/ ٢٨.
(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٨.
(٣) صحيح البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم برقم (١١١/ ١٧٨)

وَسَيَأْتِي فِي تَرْجَمَةِ الْمُخْتَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِ وَافْتِرَائِهِ، وَادِّعَائِهِ نُصْرَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مُتَسَتِّرٌ بِذَلِكَ لِيَجْمَعَ عَلَيْهِ رَعَاعًا مِنَ الشِّيعَةِ الَّذِينَ بِالْكُوفَةِ؛ لِيُقِيمَ لَهُمْ دَوْلَةً وَيَصُولَ بِهِمْ وَيَجُولَ عَلَى مُخَالِفِيهِ صَوْلَةً. ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِ مَنِ انْتَقَمَ مِنْهُ،

وَهَذَا هُوَ الْكَذَّابُ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» (١) فَهَذَا هُوَ الْكَذَّابُ، وَهُوَ يُظْهِرُ التَّشَيُّعَ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم، باب كذاب ثقيف ومبيرها برقم (٢٥٤٥/ ٢٢٩).

مُصانعةُ المُخْتَارِ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُرِيدُ خِدَاعَهُ

وَلَمَّا عَلِمَ الْمُخْتَارُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَا يَنَامُ عَنْهُمْ، وَأَنَّ جَيْشَ الشَّامِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَقْصِدُونَهُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ لَا يُرَامُ، شَرَعَ يُصَانِعُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يُرِيدُ خِدَاعَهُ وَالْمَكْرَ بِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنِّي كُنْتُ بَايَعْتُكَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لَكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ أَعْرَضْتَ عَنِّي تَبَاعَدْتُ عَنْكَ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى مَا أَعْهَدُ مِنْكَ فَأَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَكَ. وَالْمُخْتَارُ يُخْفِي هَذَا كُلَّ الْإِخْفَاءِ عَنِ الشِّيعَةِ، [1]

فَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ أَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ كَتَبَ المختار إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ مَعَ صَالِحِ بْنِ مَسْعُودٍ الْخَثْعَمِيِّ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَيْشًا لِنُصْرَتِهِ فَغَدَرَ بِهِمْ جَيْشُ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ أَبْعَثَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبْعَثُ مِنْ قِبَلِكَ رُسُلًا إِلَيْهِمْ فَافْعَلْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيَّ مَا أُطِيعُ اللهَ فِيهِ، فَأَطِعِ اللهَ فِيمَا أَسْرَرْتَ وَأَعْلَنْتَ، وَاعْلَمْ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ الْقِتَالَ لَوَجَدْتُ النَّاسَ إِلَيَّ سِرَاعًا، وَالْأَعْوَانَ لِي كَثِيرَةً، وَلَكِنِّي أَعْتَزِلُهُمْ وَأَصْبِرُ، وَقَالَ لِصَالِحِ بْنِ مَسْعُودٍ: قُلْ لِلْمُخْتَارِ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَكْفُفْ عَنِ الدِّمَاءِ. [2]

○ خرافة كرسي المختار

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ الْمُخْتَارَ طَلَبَ مِنْ آلِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ [3] الْكُرْسِيَّ الَّذِي كَانَ عَلِيٌّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُ الْأَمِيرُ. فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ جَاءُوا بِأَيِّ كُرْسِيٍّ كَانَ لَقَبِلَهُ مِنْهُمْ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ كُرْسِيًّا مِنْ بَعْضِ الدُّورِ، فَقَالُوا: هَذَا هُوَ، فَخَرَجَتْ شِبَامٌ وَشَاكِرٌ [4] وَسَائِرُ رُءُوسِ الْمُخْتَارِ بِهِ، وَقَدْ عَصَّبُوهُ بِالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ.

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٣٢.
(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٣٤.
(٣) جعدة بن هبيرة المخزومي أمه أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أسندوا هذه الخرافة إليه لقرابته من علي بن أبي طالب.
(٤) شبام وشاكر: قبائل التفت على المختار وصدقوه.

وَيُـرْوَى أَنَّ الْمُخْتَـارَ كَانَ يُظْهِـرُ أَنَّـهُ لَا يَعْلَـمُ بِمَـا يُعَظِّـمُ أَصْحَابُـهُ هَـذَا الْكُرْسِـيَّ.
وَقَدْ قَالَ فِي هَذَا الْكُرْسِيِّ أَعْشَى هَمْدَانَ: (١)

شَـهِـدْتُ عَـلَـيْـكُـمْ أَنَّـكُـمْ سَبَئِيَّةٌ ... وَإِنِّـي بِكُمْ يَا شُـرْطَةَ الشِّـرْكِ عَارِفُ
وَأُقْـسِـمُ مَـا كُـرْسِـيُّـكُـمْ بِسَكِينَةٍ ... وَإِنْ كَانَ قَـدْ لُفَّـتْ عَلَيْـهِ اللَّفَائِـفُ
وَأَنْ لَيْـسَ كَالتَّابُوتِ فِينَا وَإِنْ سَـعَتْ ... شِـبَـامٌ حَـوَالَـيْـهِ وَنَـهْـدٌ وَخَـارِفُ
وَإِنِّـي امْـرُؤٌ أَحْبَبْـتُ آلَ مُحَمَّدٍ ... وَتَابَعْـتُ وَحْيًـا ضُمِّنَتْـهُ الْمَصَاحِفُ
وَتَـابَـعْـتُ عَـبْـدَ اللهِ لَـمَّـا تَـتَـابَـعَـتْ ... عَلَيْـهِ قُرَيْـشٌ شُـمْطُهَا وَالْغَطَـارِفُ

قال ابن كثير: (٢)

هَـذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ عَقْلِ الْمُخْتَارِ وَأَتْبَاعِهِ وَضَعْفِهِ وَقِلَّةِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ جَهْلِهِ وَرَدَاءَةِ فَهْمِـهِ وَتَرْوِيجِـهِ الْبَاطِـلَ عَلَـى أَتْبَاعِهِ وَتَشْـبِيهِهِ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ لِيُضِـلَّ بِهِ الطَّغَامَ وَيَجْمَعَ عَلَيْهِ جُهَّالَ الْعَوَامِّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) اسمه عبدالرحمن بن عبدالله من شقراء العصر الأموي، وفاته سنة ٨٣هـ.
(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٤٠.

مَقْتَلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

فِي سَنَةِ (٦٧ هـ) كَانَ مَقْتَلُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ سَائِرٌ لِقَصْدِ ابْنِ زِيَادٍ فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمَا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْخَازِرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ خَمْسَةُ فَرَاسِخَ. فَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَكَتَّبَ كَتَائِبَهُ، وَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ، ثُمَّ رَكِبَ فَنَاهَضَ جَيْشَ ابْنِ زِيَادٍ وَزَحَفَ بِجَيْشِهِ رُوَيْدًا وَهُوَ مَاشٍ فِي الرَّجَّالَةِ حَتَّى أَشْرَفَ مِنْ فَوْقِ تَلٍّ عَلَى جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ، فَإِذَا هُمْ لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ نَهَضُوا إِلَى خَيْلِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ مَذْهُوشِينَ، فَرَكِبَ ابْنُ الْأَشْتَرِ فَرَسَهُ وَجَعَلَ يَقِفُ عَلَى رَايَاتِ الْقَبَائِلِ فَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى قِتَالِ ابْنِ زِيَادٍ وَيَقُولُ: هَذَا قَاتِلُ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَدْ جَاءَكُمُ اللهُ بِهِ وَأَمْكَنَكُمُ اللهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، فَعَلَيْكُمْ بِهِ.

وَأَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ قَدْ جَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ عُمَيْرَ بْنَ الْحُبَابِ السُّلَمِيَّ، وَعَلَى الخَيْلِ شُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَاعِ، وَابْنُ زِيَادٍ فِي الرَّجَّالَةِ يَمْشِي مَعَهُمْ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ تَوَاقَفَ الْفَرِيقَانِ حَتَّى حَمَلَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِالْمَيْمَنَةِ عَلَى مَيْسَرَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَهَزَمَهَا، وَقُتِلَ أَمِيرُهَا، ثُمَّ حَمَلَ ابْنُ الْأَشْتَرِ بِمَنْ مَعَهُ وَجَعَلَ يَقُولُ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ: ادْخُلْ بِرَايَتِكَ فِيهِمْ. وَقَاتَلَ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَانَ لَا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ رَجُلًا إِلَّا صَرَعَهُ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ.فَانْهَزَمَ جَيْشُ الشَّامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَثَبَتَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ فِي مَوْقِفِهِ حَتَّى اجْتَازَ بِهِ ابْنُ الْأَشْتَرِ فَقَتَلَهُ، **وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ**، لَكِنْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: الْتَمِسُوا فِي الْقَتْلَى رَجُلًا ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَنَفَحَنِي مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ، فَالْتَمَسُوهُ فَإِذَا هُوَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ، فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ وَبَعَثُوهُ إِلَى الْمُخْتَارِ بِالْكُوفَةِ مَعَ

الْبِشَـارَةِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِأَهْلِ الشَّـامِ. وَقُتِلَ مِـنْ رُءُوسِ أَهْلِ الشَّـامِ أَيْضًا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ ذِي الْكَلَاعِ، وَأَتْبَعَ الْكُوفِيُّونَ أَهْلَ الشَّامِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَغَرِقَ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ قُتِلَ، وَاحْتَازُوا مَا كَانَ فِي مُعَسْكَرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْخُيُولِ.[(١)]

وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بَشَّـرَ أَصْحَابَهُ بِالنَّصْرِ قَبْـلَ أَنْ يَجِيءَ الْخَبَرُ فَمَا نَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ تَفَـاؤُلًا مِنْهُ أَوِ اتِّفَاقًا وَقَعَ لَـهُ أَوْ كِهَانَةً - وَأَمَّا عَلَى مَا كَانَ يَزْعُمُ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فَلَا، فَإِنَّ مَنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ كَفَرَ، وَمَنْ أَقَرَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ كَفَرَ - لَكِنْ قَالَ: إِنَّ الْوَقْعَةَ كَانَتْ بِنَصِيبِينَ. فَأَخْطَأَ مَكَانَهَا، فَإِنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ.[(٢)]

وَقَـالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: [(٣)] كَانَ مَقْتَلُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ يَوْمَ عَاشُـورَاءَ سَـنة سَـبْعٍ وَسِتِّينَ.[(٤)]

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٤٧

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٤٧

(٣) تاريخ دمشق ٤٤/ ٢١٣

(٤) وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٦١هـ)

مَقْتَلُ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ الْكَذَّابِ

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ عَزَلَ فِي سنة (٦٧هـ) عَنْ نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْقُبَاعِ، وَوَلَّاهَا لِأَخِيهِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ لِيَكُون قِرنًا وَكُفُؤًا لِلْمُخْتَارِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَفرِحُوا بِهِ، ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ لِتَلَقِّي ابْنِ الْأَشْتَرِ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّهُ قَتَلَ ابْنَ زِيَادٍ، اغْتَنَمَ مَنْ بَقِيَ بِالْكُوفَةِ مِنْ أَعْدَاءِ الْمُخْتَارِ غَيْبَتَهُ، فَذَهَبُوا إِلَى الْبَصْرَةِ فِرَارًا مِنَ الْمُخْتَارِ؛ **لِقِلَّةِ دِينِهِ وَكُفْرِهِ وَدَعْوَاهُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ**، وَاتَّفَقَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْتَرِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ زِيَادٍ استقل بِتِلْكَ النَّوَاحِي لِنَفْسِهِ، وَاسْتَهَانَ بِالْمُخْتَارِ، فَطَمِعَ مُصْعَبٌ فِيهِ، وَبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَهُوَ نَائِبُهُمْ عَلَى خُرَاسَانَ، فَقَدِمَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ وَمَالٍ وَرِجَالٍ وَعَدَدٍ وَعُدَدٍ وَجَيْشٍ كَثِيفٍ، فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَتَقَوَّى بِهِ مُصْعَبٌ، فَرَكِبَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَرَكِبُوا قَاصِدِينَ الْكُوفَةَ.

وَقَدَّمَ مُصْعَبٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبَّادَ بْنَ الْحُصَيْنِ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ، وَرَتَّبَ الْأُمَرَاءَ عَلَى رَايَاتِهَا وَقَبَائِلِهَا،

وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ بِعَسْكَرِهِ فَنَزَلَ الْمَذَارَ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْجُيُوشَ، وَرَكِبَ هُوَ وَخَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يُبَشِّرُهُمْ بِالنَّصْرِ. فَلَمَّا انْتَهَى مُصْعَبٌ إِلَى قَرِيبِ الْكُوفَةِ لَقِيَتْهُمُ الْكَتَائِبُ الْمُخْتَارِيَّةُ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسَانُ الزُّبَيْرِيَّةُ، فَمَا لَبِثَ الْمُخْتَارِيَّةُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى هَرَبُوا وانهزموا، ثُمَّ انْتَهَتِ الْهَزِيمَةُ إِلَى الْمُخْتَارِ.(١)

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: لَمَّا انْتَهَتْ مُقَدِّمَةُ الْمُخْتَارِ إِلَيْهِ، جَاءَ مُصْعَبٌ فَقَطَعَ الدِّجْلَةَ إِلَى الْكُوفَةِ وَقَدْ حَصَّنَ الْمُخْتَارُ الْقَصْرَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ شَدَّادٍ، وَخَرَجَ الْمُخْتَارُ بِمَنْ بَقِيَ

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٦٠

مَعَـهُ فَنَزَلَ حَـرُوراءَ، فَلَمَّا قَرُبَ جَيْشُ مُصْعَـبٍ مِنْهُ جَهَّزَ إِلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ كُرْدُوسًـا، فَبَعَثَ إِلَـى بَكْـرِ بْنِ وَائِلٍ سَـعِيدَ بْنَ مُنْقِـذٍ، وَإِلَى عَبْـدِ الْقَيْسِ مَالِكَ بْـنَ الْمُنْذِرِ، وَإِلَـى الْعَالِيَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْدَةَ، وَإِلَى الْأَزْدِ مُسَـافِرَ بْنَ سَـعِيدٍ، وَإِلَى بَنِي تَمِيمٍ سُلَيْمَ بْنَ يَزِيدَ الْكِنْدِيَّ، وَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْـعَثِ السَّـائِبَ بْنَ مَالِكٍ، وَوَقَفَ الْمُخْتَارُ فِي بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ؛

فَقُتِـلَ أَعْيَانُ أَصْحَابِ الْمُخْتَـارِ وَقُتِلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْـعَثِ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَتَفَرَّقَ عَنِ الْمُخْتَارِ أَصْحَابه فَقِيلَ لَهُ: الْقَصْرَ الْقَصْرَ. فَقَالَ: وَاللهِ مَا خَرَجْتُ مِنْهُ وَأَنَا أُرِيـدُ أَنَّ أَعُـودَ إِلَيْهِ، وَلَكِـنَّ هَذَا حُكْمُ اللهِ. ثُمَّ سَـارَ إِلَى الْقَصْرِ فَدَخَلَـهُ، وَجَاءَهُ مُصْعَبٌ فَفَـرَّقَ الْقَبَائِلَ فِـي نَوَاحِي الْكُوفَةِ، وَقَـدْ مَنَعُوا الْمُخْتَـارَ الْمَادَّةَ وَالْمَـاءَ، وَكَانَ الْمُخْتَارُ يَخْرُجُ فَيُقَاتِلُهُمْ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْقَصْرِ، وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحِصَارُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **إِنَّ الْحِصَارَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا ضَعْفًا، فَانْزِلُوا بِنَا حَتَّى نُقَاتِلَ، فَقَاتَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلُوا، وقتله رَجُلَانِ شَقِيقَانِ أَخَوَانِ، وَهُمَا طَرَفَةُ، وطَرَّافُ ابْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ دَجَاجَةَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، قَتَلَاهُ بِمَكَانِ الزَّيَّاتِينَ مِنَ الْكُوفَةِ وَاحْتَزَّا رَأْسَهُ** وَأَتَيَا بِهِ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَدْ دَخَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، **فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا وُضِعَ رَأْسُ ابْنِ زِيَادٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخْتَارِ، وَكَمَا وُضِعَ رَأْسُ الْحُسَـيْنِ بَيْنَ يَدِي ابْنِ زِيَادٍ - وَكَمَا سَيُوضَعُ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - فَلَمَّا** وُضِعَ رَأْسُ الْمُخْتَارِ بَيْنَ يَدَيْ مُصْعَبٍ أَمَرَ لَهُمَا بِثَلَاثِينَ أَلْفًا.

وَقَـدْ قَتَـلَ مُصْعَـبٌ جَمَاعَةً مِـنَ الْمُخْتَارِيَّةِ وَأَسَـرَ مِنْهُمْ خَمْسَـمِائَةِ أَسِيرٍ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُصْعَبٍ فِي الْوَقْعَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ.[١]

(١) انظر تفصيلا أكثر في البداية والنهاية ١٢/ ٥٨-٦٣

ثُمَّ زَالَتْ دَوْلَةُ الْمُخْتَارِ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الدُّوَلِ، **وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِزَوَالِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ صَادِقًا، بَلْ كَانَ كَاذِبًا وَكَاهِنًا، وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ عَلَى يَدِ جِبْرِيلَ يَأْتِي إِلَيْهِ.** (١)

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ عَلَى رَأْسِ الْمُخْتَارِ، فَلَمَّا عَرَفْتُ كَذِبَهُ هَمَمْتُ أَنْ أَسُلَّ سَيْفِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثْنَاهُ عُمَرُ بْنُ الْحَمِقِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ بِهِ. (٣)

وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: (٤) إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيهِ. فَقَالَ: صَدَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْكَذَّابَ هُوَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَكَانَ يُظْهِرُ التَّشَيُّعَ وَيُبْطِنُ الْكَهَانَةَ، وَيُسِرُّ إِلَى أَخِصَّائِهِ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، وَلَكِنْ مَا أَدْرِي هَلْ كَانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ أَمْ لَا؟ وَكَانَ قَدْ وُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ يُعَظَّمُ، وَيُحَفُّ بِالرِّجَالِ وَيُسْتَرُ بِالْحَرِيرِ، وَيُحْمَلُ عَلَى الْبِغَالِ، وَكَانَ يُضَاهِي بِهِ تَابُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَذْكُورَ فِي الْقُرْآنِ، **وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ ضَالًّا مُضِلًّا، أَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ بَعْدَمَا انْتَقَمَ بِهِ مِنْ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ**، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْقَتَّالُ وَهُوَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، نَائِبُ الْعِرَاقِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، الَّذِي انْتَزَعَ الْعِرَاقَ مِنْ يَدِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. (٥)

(١) المصدر السابق ١٢/ ٦٨
(٢) المسند ٥/ ٢٢٤
(٣) النسائي في الكبرى (٨٧٣٩، ٨٧٤٠) وابن ماجه (٢٦٨٨) وصححه الألباني.
(٤) البداية والنهاية ١٢/ ٦٩
(٥) المصدر السابق ١٢/ ٧١

شأن الخوارج في دولة ابن الزبير

موقف الخوارج من بيعة ابن الزبير

وَكَانَ قَدِ الْتَفَّ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ؛ مِنْهُمْ **نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ إِبَاضٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ**، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ فِي الْخِلَافَةِ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ؛ لِأَنَّكُمْ قَاتَلْتُمْ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَمْ تَعْلَمُوا رَأْيَهُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

وَكَانُوا يَنْتَقِصُونَ عُثْمَانَ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَأَجَابَهُمْ فِيهِ بِمَا يَسُوءُهُمْ، وَذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالسِّيرَةِ الْحَسَنَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ نَفَرُوا عَنْهُ، وَفَارَقُوهُ، وَقَصَدُوا بِلَادَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا بِأَبْدَانِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَمَسَالِكِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنْتَشِرَةِ، الَّتِي لَا تَنْضَبِطُ وَلَا تَنْحَصِرُ؛ لِأَنَّهَا مُفَرَّعَةٌ عَلَى الْجَهْلِ وَقُوَّةِ النُّفُوسِ، وَالِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَحْوَذُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْكُوَرِ، حَتَّى انْتُزِعَتْ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.[١]

ثورة الأزارقة بفارس

فِي **(سنة ٦٨هـ)** كَانَتْ ثورة الْأَزَارِقَةِ بناحية فارس، وَذَلِكَ أَنَّ مُصْعَبًا كَانَ قَدْ عَزَلَ عَنْها **الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ**، وَكَانَ قَاهِرًا لَهُمْ، وَوَلَّى عَلَى فَارِسَ **عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ** فَثَارُوا عَلَيْهِ فَقَاتَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ فَقَهَرَهُمْ وَكَسَرَهُمْ، وَكَانُوا مَعَ أَمِيرِهِم الزُّبَيْرِ بْنِ **الْمَاحُوزِ**، فَفَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى إِصْطَخْرَ، فَاتَّبَعَهُمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، **وَقَتَلُوا ابْنَهُ**.

ثُمَّ ظَفِرَ بِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ هَرَبُوا إِلَى بِلَادِ أَصْبَهَانَ، وَنَوَاحِيهَا فَتَقَوَّوْا هُنَالِكَ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَعُدَدُهُمْ.

---

(١) البداية والنهاية ١١/ ٦٦٦ ومابعدها.

○ قصدهم البصرة

ثُـمَّ أَقْبَلَ الخوارج يُرِيدُونَ الْبَصْرَةَ، فَمَرُّوا بِبَعْضِ بِـلَادِ فَارِسَ، وَتَرَكُوا عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ مُصْعَبٌ بِقُدُومِهِمْ رَكِبَ فِي النَّاسِ، وَجَعَلَ يَلُومُ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بِتَرْكِهِ هَؤُلَاءِ يَجْتَازُونَ بِبِلَادِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ رَكِبَ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَـرٍ فِي آثَارِهِمْ، فَبَلَغَ الْخَـوَارِجَ أَنَّ مُصْعَبًا أَمَامَهُمْ وَعُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ وَرَاءَهُمْ، فَعَدَلُوا إِلَى الْمَدَائِنِ فَجَعَلُوا **يَقْتُلُونَ النِّسَـاءَ وَالْوِلْدَانَ، وَيَبْقُرُونَ بُطُونَ الْحَبَالَى، وَيَفْعَلُونَ أَفْعَالًا لَـمْ يَفْعَلْهَا غَيْرُهُمْ**؛ فَقَصَدَهُمْ **نَائِبُ الْكُوفَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَمَعَهُ أَهْلُهَا وَجَمَاعَاتٌ مِنْ أَشْـرَافِهَا، مِنْهُمُ ابْنُ الْأَشْـتَرِ، وَشَـبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، فَلَمَّا وَصَلُـوا إِلَيْهِمْ عِنْدَ جِسْـرِ الصَّـرَاةِ، قَطَعَهُ الْخَوَارِجُ بَيْنَهُمْ وَبَيْـنَ النَّاسِ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِإِعَادَتِـهِ، فَأُعِيدَ، فَفَرَّتِ الْخَـوَارِجُ هَارِبِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِخْنَفٍ فِي سِـتَّةِ آلَافٍ **فَمَرُّوا عَلَى الْكُوفَةِ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى أَرْضِ أَصْبَهَانَ**، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ.

ثُـمَّ أَقْبَلُوا فَحَاصَـرُوا **عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ** شَـهْرًا، **بِمَدِينَةِ جُبًّا** حَتَّى ضَيَّقُـوا عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلُـوا إِلَيْهِـمْ فَقَاتَلُوهُمْ فَكَشَـفُوهُمْ وَقَتَلُوا **أَمِيرَهُـمِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْمَاحُـوزِ**، وَغَنِمُوا مَا فِي مُعَسْكَرِهِمْ.

○ تولية المهلب قتال الخوارج

وَأَمَّـرَتِ الْخَـوَارِجُ عَلَيْهِمْ قَطَـرِيَّ بْنَ الْفُجَاءَةِ، ثُمَّ سَـارُوا إِلَى بِلَادِ الْأَهْـوَازِ، فَكَتَبَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ - وَهُوَ عَلَى الْمَوْصِلِ - أَنْ يَسِـيرَ إِلَى قِتَالِ الْخَـوَارِجِ، وَكَانَ أَبْصَـرَ النَّاسَ بِقِتَالِهِـمْ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْـتَرِ فَانْصَرَفَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْأَهْوَازِ فَقَاتَلَ فِيهَا الْخَوَارِجَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ قِتَالًا لَـمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.[١]

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٧٤-٧٥

ثورة عبيد الله بن الحر (سنة ٦٨هـ)

كَانَ ابن الحر رَجُلًا شُجَاعًا تَقَلَّبت بِهِ الْأَحْوَالُ وَالْأَيَّامُ وَالْآرَاءُ، حَتَّى صَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ لَا يَرى لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَا لِآلِ الزُّبَيْرِ طاعة، وقال لأصحابه هذا الأمر لايصلح إلا لمثل خلفاءكم الماضين، ومانرى لهم فينا ندا ولاشبيها، فنلقي إليه أزمتنا ونمحضه نصيحتنا، فإن كان إنما هو: **من عَزّ بَزّ**، فعلام نعقد لهم في أعناقنا بيعة، وليسوا بأشجع منا ولاأعظم منا غناء وقد عهد إلينا رسول الله ﷺ ألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وما رأينا بعد الأربعة الماضين إماما صالحا، ولا وزيرا تقيا [1].

وَكَانَ يَمُرُّ عَلَى عَامِلِ الْكُورَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِ مَالِهِ مِنَ الْحَوَاصِلِ قَهْرًا، وَيَكْتُبُ لَهُ بَرَاءَةً، وَيَذْهَبُ فَيُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَكَانَ الْأُمَرَاءُ يَبْعَثُونَ إِلَيْهِ الْجُيُوشَ فَيَطْرُدُهَا وَيَكْسِرُهَا، قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ حَتَّى حصره مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعُمَّالُهُ بِبِلَادِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِنَّهُ وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَبَعْثَهُ فِي عَشَرَةِ نَفَرٍ، إلى الْكُوفَةَ. فَعلم به أَمِيرَ الْكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا، فَقَتَلُوهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْكُوفَةِ، ثُمَّ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْهُ. [2]

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري ٦/ ١٢٨

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٧٦

إدارة مصعب لشؤون العراق:

لَمَّا اسْتَقَرَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ بعد هزيمة المختار وقتله، بَعَثَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ وكان قد استقل بأمر الموصل بعد قتله لعبيدالله بن زياد.

وَبعَثَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ إليه أيضا لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَحَارَ ابْنُ الْأَشْتَرِ فِي أَمْرِهِ، وَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ إِلَى أَيِّهِمَا يَذْهَبُ، ثُمَّ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بَلَدِهِمُ الْكُوفَةِ، فَقَدِمَ ابْنُ الْأَشْتَرَ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ كَثِيرًا. (١)

وَبَعَثَ مُصْعَبٌ الولاة على الأقاليم، فبعث الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَذْرَبِيجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ.

وَكَانَ قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَر، وَأَقَامَ هُوَ بِالْكُوفَةِ. (٢)

وولى على فارس عمر بن عبيدالله بن معمر.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٧٢

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٧٢

ولاية حمزة بن عبدالله على البصرة:

في آخر سنة (٦٧هـ) عَزَلَ عبدالله بن الزبير، أخاه مصعب بن الزبير عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ شُجَاعًا جَوَادًا مُخَلِّطًا، يُعْطِي أَحْيَانًا حَتَّى لَا يَدَعَ شَيْئًا، وَيَمْنَعُ أَحْيَانًا مَا لَا يُمْنَعُ مِثْلُهُ، وَظَهَرَتْ خِفَّتُهُ وَطَيْشٌ فِي عَقْلِهِ وَسُرْعَةٌ فِي أَمْرِهِ، فَبَعَثَ الْأَحْنَفُ بشأنه إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَعَزَلَهُ، وَأَعَادَ إِلَى وِلَايَتِهَا أَخَاهُ مُصْعَبًا مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ وِلَايَةِ الْكُوفَةِ، قَالُوا: وَخَرَجَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ بِمَالٍ كَثِيرٍ مِنْ بَيْتِ مَالِهَا، فَعَرَضَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ، فَقَالَ: لَا نَدَعُكَ تَذْهَبُ بِأَعْطِيَاتِنَا. فَضَمِنَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ الْعَطَاءَ، فَكَفَّ عَنْهُ. (١)

○ وقوع الوباء بمصر:

فِي سنة (٧٠هـ) وَقع الْوَبَاءُ بِمِصْرَ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الشَّرْقِيَّةِ، فَنَزَلَ حُلْوَانَ وَهِيَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَاتَّخَذَهَا مَنْزِلًا وَاشْتَرَاهَا مِنَ الْقِبْطِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَبَنَى بِهَا دَارًا لِلْإِمَارَةِ، وَجَامِعًا، وَأَنْزَلَهَا الْجُنْدَ. (٢)

○ طمع الروم في بلاد الشام:

فِي سنة (٧٠هـ) ثَارَتِ الرُّومُ وَاسْتَجَاشُوا عَلَى مَنْ بِالشَّامِ، وَاسْتَضْعَفُوهُمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الِاخْتِلَافِ الْوَاقِعِ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَصَالَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، مَلِكَ الرُّومِ، وَهَادَنَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ خَوْفًا مِنْهُ عَلَى الشَّامِ. (٣)

(١) المصدر السابق ١٢/ ٧٢
(٢) المصدر السابق ١٢/ ١٣٠
(٣) البداية والنهاية ١٢/ ١٣٠

○ زيارة مصعب لمكة:

فِي سنة (٧٠هـ) رَكِبَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ فَأَعْطَى وَفَرَّق، وَنَحرَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ أَلْفَ بَدَنَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَغْنَى سَاكِنِي مَكَّةَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَنْعَمَ وَأَطْلَقَ لِجَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّاسِ بِالْحِجَازِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً. (١).

○ المواجهة بين مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وعبدالملك

فِي سنة (٧١ هـ) كَانَ مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَذَلِكَ أَنْ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ سَارَ فِي جُنُودٍ هَائِلَةٍ مِنَ الشَّامِ قَاصِدًا مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ بِالْعِرَاقِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ السَّرَايَا، وَدَخَلَ بَعْضُ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فِي السِّرِّ، فَاسْتَجَابَ لَهُ بَعْضُهُمْ، وَوَصَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مَسْكِنٍ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَرْوَانِيَّةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِمَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَأَجَابُوهُ، وَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ يُوَلِّيَهُمْ أَصْبَهَانَ، فَقَالَ: نَعَمْ. وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَقَدْ جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ،

وَخَرَجَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ، وَخَذَلُوهُ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُ مَنْ مَعَهُ فَلَا يَجِدُهُمْ يُقَاوِمُونَ أَعْدَاءَهُ، فَاسْتَقْتَلَ وَطَمَّنَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أُمَرَائِهِ أَنْ يُقِيمَ بِالشَّامِ، وَأَنْ يَبْعَثَ إِلَى مُصْعَبٍ جَيْشًا فَأَبَى، وَقَالَ: **لَعَلِّي أَبْعَثُ رَجُلًا شُجَاعًا لَا رَأْيَ لَهُ، أَوْ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَلَا شَجَاعَةَ لَهُ، وَإِنِّي أَجِدُ مِنْ نَفْسِي بَصَرًا بِالْحَرْبِ وَشَجَاعَةً**، وَإِنَّ مُصْعَبًا فِي بَيْتِ شَجَاعَةٍ، أَبُوهُ أَشْجَعُ قُرَيْشٍ، وَأَخُوهُ لَا تُجْهَلُ شَجَاعَتُهُ، **وَهُوَ شُجَاعٌ، لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَعَهُ مَنْ يُخَالِفُهُ**، وَمَعِي مَنْ يَنْصَحُ لِي. فَسَارَ بِنَفْسِهِ.

(١) المصدر السابق ١٢/ ١٣٠

○ عبدالملك يستميل أمراء مصعب:

فَلَمَّا تَقَارَبَ الْجَيْشَانِ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أُمَرَاءِ مُصْعَبٍ بِكُتُبٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَفْسِهِ وَيَعِدُهُمُ الْوِلَايَاتِ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ إِلَى مُصْعَبٍ فَأَلْقَى إِلَيْهِ كِتَابًا مَخْتُومًا، وَقَالَ: هَذَا جَاءَنِي مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَفَتَحَهُ فَإِذَا هُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِتْيَانِ إِلَيْهِ، وَلَهُ نِيَابَةُ الْعِرَاقِ. وَقَالَ لِمُصْعَبٍ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أُمَرَائِكَ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ كِتَابٌ مِثْلُ هَذَا فَإِنْ أَطَعْتَنِي ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ فلم يوافقه مصعب، وقال: رَحِمَ اللهُ أَبَا بَحْرٍ - يَعْنِي الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ - إِنْ كَانَ لَيُحَذِّرُنِي غَدْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ الْآنَ.

○ معركة دير الجاثليق بمسكن

ثُمَّ تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ بِدَيْرِ الْجَاثَلِيقِ مِنْ مَسْكِنٍ، فَحَمَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَزَالَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَأَرْدَفَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَحَمَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ، وَمَنْ مَعَهُ فَطَحَنُوهُمْ، وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَعَفَا عَنْهُ، وَقُتِلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَكَانَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ عَلَى خَيْلِ مُصْعَبٍ فَهَرَبَ أَيْضًا وَلَجَأَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَجَعَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي الْقَلْبِ يُنْهِضُ أَصْحَابَ الرَّايَاتِ، وَيَحُثُّ الشُّجْعَانَ وَالْأَبْطَالَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى أَمَامِ الْقَوْمِ، فَلَا يَتَحَرَّكُ أَحَدٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ وَلَا إِبْرَاهِيمَ لِي الْيَوْمَ! وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَتَخَاذَلَتِ الرِّجَالُ، وَضَاقَ الْحَالُ، وَكَثُرَ النِّزَالُ.

وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى مُصْعَبٍ يُعْطِيهِ الْأَمَانَ فَأَبَى، وَقَالَ: إِنَّ مِثْلِي لَا يَنْصَرِفُ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَّا غَالِبًا أَوْ مَغْلُوبًا. ثم قاتل حتى قتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقتل بين يديه ابنه عيسى بن مصعب واحتسبه عندالله، واحتز رجل رأس مصعب وجاء به إلى عبدالملك، فسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار.

قَالَ: وَلَمَّا وُضِعَ رَأْسُ مُصْعَبٍ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بَكَى وَقَالَ: **وَاللهِ مَا كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَيْهِ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ حُبِّي لَهُ حَتَّى دَخَلَ السَّيْفُ بَيْنَنَا، وَلَكِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ!** وَلَقَدْ

كَانَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْحُرْمَةُ بَيْنَنَا قَدِيمَةً، مَتَى تَلِدُ النِّسَاءُ مِثْلَ مُصْعَبٍ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِمُوَارَاتِهِ، وَدَفَنَهُ هُوَ وَابْنَهُ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ فِي قُبُورٍ بِمَسْكِنٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكُوفَةِ.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَكَانَ مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ في قول الجمهور.(١)

○ استيلاء عبدالملك على العراق:

وَلَمَّا قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ مُصْعَبًا ارْتَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ فَنَزَلَ النُّخَيْلَةَ فَوَفَدَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ بِهَا مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَسَادَاتِ الْعَرَبِ، وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَاسْتِشْهَادٍ بِأَشْعَارٍ حَسَنَةٍ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَفَرَّقَ الْعِمَالَاتِ فِي النَّاسِ، وَخَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا بِالْكُوفَةِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ فَآسَى بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَغْرِزْ ذَنَبَهُ فِي الْحَرَمِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدِ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ، وَبِالشِّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا.

قَالُوا: وَقَدْ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِطَعَامٍ كَثِيرٍ فَعُمِلَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَكَلُوا مِنْ سِمَاطِهِ، وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى السَّرِيرِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَلَذَّ عَيْشَنَا لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَدُومُ، وَلَكِنْ نَحْنُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وَكُلُّ جَدِيدٍ يَا أُمَيْمَ إِلَى بِلًى ... وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانْ

وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ وَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ، ثم رجع إلى الشام.

○ حصار الحجاج لمكة

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٧٢هـ) بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ لِيُحَاصِرَهُ بِمَكَّةَ، قَالَ: وَكَانَ السَّبَبُ فِي بَعْثِهِ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٤٠

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِهِ مُصْعَبًا وَأَخْذِهِ الْعِرَاقَ، نَدَبَ النَّاسَ إِلَى قِتَالِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ، فَقَامَ الْحَجَّاجُ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا لَهُ. وَقَصَّ الْحَجَّاجُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَنَامًا زَعَمَ أَنَّهُ رَآهُ؛ قَالَ: رَأَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنِّي أَخَذْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَسَلَخْتُهُ، فَابْعَثْ بِي إِلَيْهِ فَإِنِّي قَاتِلُهُ. فَبَعَثَهُ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَتَبَ مَعَهُ أَمَانًا لِأَهْلِ مَكَّةَ إِنْ هُمْ أَطَاعُوا.

قَالُوا: فَخَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي جُمَادَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَمَعَهُ أَلْفَا فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَسَلَكَ طَرِيقَ الْعِرَاقِ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى عَرَفَةَ، وَيُرْسِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْخُيُولَ فَيَلْتَقِيَانِ، فَتُهْزَمُ خَيْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَتَظْفَرُ خَيْلُ الْحَجَّاجِ، ثُمَّ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دُخُولِ الْحَرَمِ، وَمُحَاصَرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَلَّتْ شَوْكَتُهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُمِدَّهُ بِرِجَالٍ أَيْضًا، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى طَارِقِ بْنِ عَمْرٍو يَأْمُرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِمَنْ مَعَهُ بِالْحَجَّاجِ، وَكَانَ طَارِقٌ يَتَوَلَّى الْمَدِينَةَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ مُقِيمًا بِوَادِي الْقُرَى بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جَيْشِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ فِي نَحْوِ خَمْسَةِ آلَافٍ، وَارْتَحَلَ الْحَجَّاجُ مِنَ الطَّائِفِ، **فَنَزَلَ بِئْرَ مَيْمُونٍ** (١)، وَحَصَرَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِالْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ ذُو الْحِجَّةِ حَجَّ بِالنَّاسِ الْحَجَّاجُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ السِّلَاحُ، وَهُمْ وُقُوفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَكَذَا فِيمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ مَحْصُورٌ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةَ، بَلْ نَحَرَ بُدْنًا يَوْمَ النَّحْرِ، وَهَكَذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ مِنَ الْحَجِّ، وَكَذَا لَمْ يَتَمَكَّنْ كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَ الْحَجَّاجِ وَطَارِقِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ، فَبَقُوا عَلَى إِحْرَامِهِمْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمُ التَّحَلُّلُ الثَّانِي، وَالْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ نُزُولٌ بَيْنَ الْحَجُونِ وَبِئْرِ مَيْمُونٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٢).

(١) منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، وقيل: هو أخو العلاء بن الحضرمي، بئر بأعلى مكة بين أذاخر والحجون. ياقوت الحموي، معجم البلدان ١/ ٣٠٢.

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥

○ إحكام الحصار ومَقْتَلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اسْتَهَلَّتْ سنة ٧٣هـ وَأَهْلُ الشَّامِ مُحَاصِرُونَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَدْ نَصَبَ الْحَجَّاجُ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى مَكَّةَ؛ لِيَحْصُرَ أَهْلَهَا، حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى الْأَمَانِ وَالطَّاعَةِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ مَعَ الْحَجَّاجِ خَلْقٌ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ بِالْمَنْجَنِيقِ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ مَعَهُ خَمْسُ مَجَانِيقَ، فَأَلَحَّ عَلَيْهَا بِالرَّمْيِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَحَبَسَ عَنْهُمُ الْمِيرَةَ فَجَاعُوا، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَجَعَلَتِ الْحِجَارَةُ تَقَعُ فِي الْكَعْبَةِ، وَالْحَجَّاجُ يَصِيحُ بِأَصْحَابِهِ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، اللهَ اللهَ فِي الطَّاعَةِ! فَكَانُوا يَحْمِلُونَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُمْ آخِذُوهُ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ، فَيَشُدُّ عَلَيْهِمُ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى يُخْرِجَهُمْ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ، ثُمَّ يَكُرُّونَ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ؛ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً مِنْهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ. وَقِيلَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ: أَلَا تُكَلِّمُهُمْ فِي الصُّلْحِ؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ وَجَدُوكُمْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ لَذَبَحُوكُمْ جَمِيعًا، وَاللهِ لَا أَسْأَلُهُمْ صُلْحًا أَبَدًا.

وَمَا زَالَ أَهْلُ مَكَّةَ يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِالْأَمَانِ، وَيَتْرُكُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، فَأَمَّنَهُمْ، وَقَلَّ أَصْحَابُ ابْنِ الزُّبَيْرِ جِدًّا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْحَجَّاجِ حَمْزَةُ وَخُبَيْبٌ ابْنَا عَبْدِ اللهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَخَذَا لِأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا مِنَ الْحَجَّاجِ فَأَمَّنَهُمَا، وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ فَشَكَا إِلَيْهَا خِذْلَانَ النَّاسِ لَهُ، وَخُرُوجَهُمْ إِلَى الْحَجَّاجِ حَتَّى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ صَبْرُ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا شِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَا رَأْيُكِ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَتَدْعُو إِلَى حَقٍّ فَاصْبِرْ عَلَيْهِ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ، يَلْعَبْ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَلَبِئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ؛ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكْتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى حَقٍّ فَمَا وَهَنَ الدِّينُ، وَإِلَى كَمْ خُلُودُكُمْ فِي الدُّنْيَا؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ. فَدَنَا مِنْهَا، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا، وَقَالَ: هَذَا وَاللهِ رَأْيِي.

ثُـمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا رَكَنْتُ إِلَـى الدُّنْيَا وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا، وَمَـا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا الْغَضَـبُ لِلَّهِ أَنْ تُسْـتَحَلَّ حُرْمَتُهُ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَـمَ رَأْيَكِ، فَزِدْتِينِي بَصِيرَةً مَعَ بَصِيرَتِـي، فَانْظُرِي يَا أُمَّاهُ، فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا، فَلَا يَشْـتَدُّ حُزْنُكِ، وَسَـلِّمِي لِأَمْرِ اللهِ، فَإِنَّ ابْنَكِ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانَ مُنْكَرٍ، وَلَا عَمِلَ بِفَاحِشَـةٍ قَطُّ، وَلَمْ يَجُرْ فِي حُكْمِ اللهِ، وَلَمْ يَغْدُرْ فِي أَمَانٍ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْـلِمٍ وَلَا مُعَاهِدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عَنْ عَامِلٍ فَرَضِيتُهُ؛ بَلْ أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي آثَرُ مِنْ رِضَا رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَقُولُ هَذَا تَزْكِيَةً لِنَفْسِي، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنِّي وَمِنْ غَيْرِي، وَلَكِنِّي أَقُولُ ذَلِكَ تَعْزِيَةً لِأُمِّي لِتَسْلُوَ عَنِّي. فَقَالَتْ أُمُّهُ: إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يَكُونَ عَزَائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي، أَوْ تَقَدَّمْتُكَ فَفِي نَفْسِي، اخْـرُجْ يَـا بُنَيَّ حَتَّـى أَنْظُرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْـهِ أَمْرُكَ. فَقَالَ: جَـزَاكِ اللهُ يَا أُمَّهْ خَيْـرًا، فَلَا تَدَعِي الدُّعَاءَ قَبْلُ وَبَعْدُ لِي. فَقَالَتْ: لَا أَدَعُهُ أَبَدًا، فَمَنْ قُتِلَ عَلَى بَاطِلٍ فَلَقَدْ قُتِلْتَ عَلَى حَقٍّ.

ثُـمَّ قَالَـتْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ طُولَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيـلِ، وَذَلِكَ النَّحِيبِ، وَالظَّمَأَ فِـي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَبِـرَّهُ بِأَبِيهِ وَبِي، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَـلَّمْتُهُ لِأَمْرِكَ فِيهِ، وَرَضِيتُ بِمَا قَضَيْـتَ، فَقَابِلْنِي فِـي عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِثَوَابِ الصَّابِرِينَ الشَّـاكِرِينَ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعْـكَ. فَدَنَا مِنْهَا فَقَبَّلَتْهُ، ثُمَّ أَخَذَتْـهُ إِلَيْهَا فَاحْتَضَنَتْهُ لِتُوَدِّعَـهُ، وَاعْتَنَقَهَا لِيُوَدِّعَهَا، وَكَانَتْ قَـدْ أَضَرَّتْ فِي آخِرِ عُمْرِهَا، فَوَجَدَتْهُ لَابِسًـا دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَـتْ: يَا بُنَيَّ، مَا هَذَا لِبَاسُ مَنْ يُرِيدُ مَا تُرِيدُ مِنَ الشَّـهَادَةِ. فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ، إِنَّمَا لَبِسْتُهُ لِأُطَيِّبَ خَاطِرَكِ، وَأُسَكِّنَ قَلْبَكِ بِهِ. فَقَالَتْ: لَا يَا بُنَيَّ، وَلَكِنِ انْزِعْهُ. فَنَزَعَهُ، وَجَعَلَ يَلْبَسُ بَقِيَّةَ ثِيَابِهِ وَيَتَشَـدَّدُ، وَهِيَ تَقُولُ: شَمِّرْ ثِيَابَكَ. وَجَعَلَ يَتَحَفَّظُ مِنْ أَسْفَلِ ثِيَابِهِ؛ لِئَلَّا تَبْدُو عَوْرَتُهُ إِذَا قُتِلَ، وَجَعَلَتْ تُذَكِّرُهُ بِأَبِيهِ الزُّبَيْرِ، وَجَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَجَدَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَخَالَتِهِ عَائِشَـةَ زَوْجِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَتُرَجِّيهِ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ إِذَا هُوَ قُتِلَ شَـهِيدًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْ أَبِيهِ وَأَبِيهَا، ثُمَّ قَالَتْ: امْضِ عَلَى بَصِيرَةٍ. فَوَدَّعَهَا، وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَـسْـتُ بِـمُـبْـتَـاعِ الْـحَـيَـاةِ بِـسُـبَّـةٍ ... وَلَا مُرْتَـقٍ مِنْ خَشْـيَةِ الْمَوْتِ سُـلَّمَا

وَكَانَتْ أَبْوَابُ الْحَرَمِ قَدْ قَلَّ مَنْ يَحْرُسُهَا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ لِأَهْلِ حِمْصَ حِصَارُ الْبَابِ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَلِأَهْلِ الْأُرْدُنِ بَابُ الصَّفَا، وَلِأَهْلِ فِلَسْطِينَ بَابُ بَنِي جُمَحَ، وَلِأَهْلِ قِنَّسْرِينَ بَابُ بَنِي سَهْمٍ، وَعَلَى كُلِّ بَابٍ قَائِدٌ، وَمَعَهُ أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو فِي نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ.

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَا يَخْرُجُ عَلَى أَهْلِ بَابٍ إِلَّا فَرَّقَهُمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ، حَتَّى يُخْرِجَهُمْ إِلَى الْأَبْطَحِ، ثُمَّ يَصِيحُ: **لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ**

وَلَقَدْ كَانَ حَجَرُ الْمَنْجَنِيقِ يَقَعُ عَلَى طَرَفِ ثَوْبِهِ فَلَا يَنْزَعِجُ بِذَلِكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، فَيُقَاتِلُهُمْ كَأَنَّهُ أَسَدٌ ضَارٍ، حَتَّى جَعَلَ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ إِقْدَامِهِ وَشَجَاعَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَاتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي طُولَ لَيْلَتِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَاحْتَبَى بِحَمِيلَةِ سَيْفِهِ، فَأَغْفَى ثُمَّ انْتَبَهَ مَعَ الْفَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذِّنْ يَا سَعْدُ. فَأَذَّنَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَتَوَضَّأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتِي الْفَجْرِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ « ن » حَرْفًا حَرْفًا، ثُمَّ سَلَّمَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَا أُرَانِي الْيَوْمَ إِلَّا مَقْتُولًا؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّ السَّمَاءَ فُرِجَتْ لِي، فَدَخَلْتُهَا، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ مَلِلْتُ الْحَيَاةَ، وَجَاوَزَتْ سِنِّي **اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً**، اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّ لِقَاءَكَ، فَأَحِبَّ لِقَائِي. ثُمَّ قَالَ: اكْشِفُوا وُجُوهَكُمْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكُمْ، فَكَشَفُوا عَنْ وُجُوهِهِمْ وَعَلَيْهِمُ الْمَغَافِرُ، فَحَرَّضَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَالصَّبْرِ، ثُمَّ نَهَضَ بِهِمْ، فَحَمَلَ وَحَمَلُوا حَتَّى كَشَفُوهُمْ إِلَى الْحَجُونِ، فَجَاءَتْهُ آجُرَّةٌ فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ، فَارْتَعَشَ لَهَا، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

ثُمَّ رَجَعَ، فَجَاءَهُ حَجَرُ مَنْجَنِيقٍ مِنْ وَرَائِهِ فَأَصَابَهُ فِي قَفَاهُ فَوَقَذَهُ، ثُمَّ وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ انْتَهَضَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ، وَابْتَدَرَهُ النَّاسُ، فَشَدَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

الشَّـامِ، فَضَرَبَ الرَّجُـلَ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ، وَهُـوَ مُتَّكِئٌ عَلَى مِرْفَقِهِ الْأَيْسَـرِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ وَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَنْتَهِضَ حَتَّى كَثُرُوا عَلَيْهِ، فَابْتَدَرُوهُ بِالسُّـيُوفِ، فَقَتَلُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَاءُوا إِلَى الْحَجَّـاجِ فَأَخْبَـرُوهُ، فَخَرَّ سَـاجِدًا - قَبَّحَهُ اللهُ - ثُمَّ قَامَ هُوَ وَطَارِقُ بْـنُ عَمْرٍو حَتَّى وَقَفَا عَلَيْـهِ، وَهُوَ صَرِيعٌ، فَقَالَ طَارِقٌ: مَا وَلَدَتِ النِّسَـاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَـذَا. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: تَمْدَحُ مَـنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ أَعْـذَرُ لَنَا؛ إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَلَيْسَ هُوَ فِي حِصْـنٍ وَلَا خَنْدَقٍ وَلَا مَنَعَةٍ يَنْتَصِـفُ مِنَّا، بَلْ يُفَضَّلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَوْقِفٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ صَوَّبَ طَارِقًا.

وَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا وَقَعَ، وَبَعَثَ بِرَأْسِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ رَأْسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ، وَعُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا مَرُّوا بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَنْصِبُوا الرُّءُوسَ بِهَا، ثُمَّ يَسِيرُوا بِهَا إِلَى الشَّامِ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ الْحَجَّاجُ بِجُثَّةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَصُلِبَتْ عَلَى ثَنِيَّةٍ كَدَاءٍ عِنْدَ الْحَجُونِ - يُقَالُ: مُنَكَّسَةً - فَمَـا زَالَـتْ مَصْلُوبَةً حَتَّى مَـرَّ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: رَحْمَـةُ اللهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا خُبَيْبٍ، أَمَـا وَاللهِ لَقَـدْ كُنْتَ صَوَّامًا قَوَّامًا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا آنَ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ؟ فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ، فَأُنْزِلَ عَنِ الْجِذْعِ، وَدُفِنَ هُنَاكَ.

وَدَخَـلَ الْحَجَّـاجُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَخَـذَ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِهَـا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْـدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلَمْ يَزَلِ الْحَجَّاجُ مُقِيمًا بِمَكَّةَ حَتَّى أَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ عَامَهُ هَذَا أَيْضًا، وَهُوَ عَلَى مَكَّةَ وَالْيَمَامَةِ وَالْيَمَنِ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: **حُصِرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ** لَيْلَةَ هِلَالِ ذِي الْحِجَّةِ سِنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَقُتِلَ لِسَبْعَ عَشْـرَةَ لَيْلَـةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سَـنَةَ ثَلَاثٍ وَسَـبْعِينَ، فَكَانَ حَصْـرُ الْحَجَّاجِ لَهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، وَسَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

ولاية البلدان والحج

○ ولاية المدينة

كان عَامِلهُ سنة (٦٤هـ) عَلَى الْمَدِينَةِ أَخُوهُ عُبَيْدَةُ بن الزبير.

وَفِي سنة (٦٥هـ) ولّى عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ.

وفي سنة (٦٨هـ) اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ الزُّهْرِيَّ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ؛ لِكَوْنِهِ ضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ سِتِّينَ سَوْطًا، فَإِنَّهُ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يُبَايِعَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَضَرَبَهُ فَعَزَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ.

وَفِي سنة (٧١هـ) عَزَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ هُوَ آخِرَ أُمَرَائِهِ عَلَيْهَا، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهَا طَارِقُ بْنُ عَمْرٍو مَوْلَى عُثْمَانَ، مِنْ جِهَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

○ ولاية الكوفة

فِي سنة (٦٤هـ) وَلّى عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا سَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ، وَامْتَنَعَ شُرَيْحٌ أَنْ يَحْكُمَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ.

وفي سنة (٦٥هـ) ولّى عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعٍ،

وفي سنة (٦٨هـ) اسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّ؛ (قُبَّاع).

○ ولاية البصرة

فِي سنة (٦٤هـ) وَلّى عَلَى الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرٍ التَّيْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامُ بْنُ هُبَيْرَةَ،

وفي سنة (٦٥هـ) ولّى عَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ.

وفي آخر سنة (٦٧هـ) عزل ابن الزبير أخاه مصعبًا عن البصرة، وولى عليها ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير، لكن لم يحسن السيرة، فعزله سنة (٦٨هـ).

وفي سنة (٦٨هـ) رَدَّ عَبْدُ اللهِ أَخَاهُ مُصْعَبًا إِلَى إِمْرَةِ الْبَصْرَةِ، فَأَتَاهَا فَأَقَامَ بِهَا

○ **ولاية خراسان**

في سنة (٦٤هـ) وَلّى عَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ خَازِمٍ.

○ **ولاية الحج**

ذكر ابْنُ جَرِيرٍ: أن عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٦٤هـ) وما بعدها.

وَفِي سنة (٦٨هـ) شَهِدَ مَوْقِفَ عَرَفَةَ أَرْبَعُ رَايَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَا تَأْتَمُّ بِالْأُخْرَى، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَفَعَ رَايَةَ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، ثُمَّ نَجْدَةُ، ثُمَّ بَنُو أُمَيَّةَ، ثُمَّ دَفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَدَفَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

تعليق:

في تاريخ خليفة بن خياط (ص ٢٦٩) أن ابن الزبير أقام الحج للناس من سنة ٦٤هـ إلى أن حضر موسم ٧٢هـ، فحج ابن الزبير بالناس في هذه السنة ولكنه بسبب حصار الحجاج لمكة لم يستطع أهل مكة الوقوف بعرفة، وحُجّاج أهل الشام والعراق لم يتمكنوا من الطواف بالبيت، فيكون مجموع السنوات تسع.

وعند ابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة ٢/ ٤٩) أن ابن الزبير حج بالناس عشر سنين متتالية أولها سنة (٦٢هـ)، وآخرها سنة (٧١هـ).

وعند الطبري: (٥/ ٤٨١) أن الذي حج بالناس سنة (٦٢هـ) هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

○ **خطبة ابن الزبير في اليوم السابع** [١]

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا السَّاجِيُّ، ثَنَا حَوْثَرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ أَبُو سَعِيدٍ الْعَبْسِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ قَالَ: شَهِدْتُ خُطْبَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ

---

(١) قلت: وهي من الخطب المأثورة عن النبي ﷺ، ولم تحدد الرواية السنة التي سمع فيها الراوي هذه الخطبة من ابن الزبير..

بِالْمَوْسِمِ، خَرَجَ عَلَيْنَا قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَلَبَّى بِأَحْسَنِ تَلْبِيَةٍ سَمِعْتُهَا قَطُّ، ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ آفَاقٍ شَتَّى وُفُودًا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَطْلُبُ مَا عِنْدَ اللهِ فَإِنَّ طَالِبَ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يَخِيبُ، فَصَدِّقُوا قَوْلَكُمْ بِفِعْلٍ، فَإِنَّ مَلَاكَ الْقَوْلِ الْفِعْلُ، وَالنِّيَّةَ النِّيَّةَ، وَالْقُلُوبَ الْقُلُوبَ، اللهَ اللهَ فِي أَيَّامِكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّهَا أَيَّامٌ تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ، جِئْتُمْ مِنْ آفَاقٍ شَتَّى فِي غَيْرِ تِجَارَةٍ، وَلَا طَلَبِ مَالٍ، وَلَا دُنْيَا تَرْجُونَهَا هَاهُنَا. ثُمَّ لَبَّى وَلَبَّى النَّاسُ، فَمَا رَأَيْتُ بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمِئِذٍ.

○ مشاهير من توفي في إمارة عبدالله بن الزبير.

١ - **الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ** أَبُو أُنَيْسٍ الْفِهْرِيُّ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقَدْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيثَ عِدَّةً، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَهُوَ أَخُو فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ وَكَانَتْ أَكْبَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ عَمَّهُ.

وَقَدْ شَهِدَ فَتْحَ دِمَشْقَ.

ثُمَّ اسْتَنَابَهُ مُعَاوِيَةُ عِنْدَهُ عَلَى دِمَشْقَ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ مُعَاوِيَةُ، وَتَوَلَّى ابْنُهُ يَزِيدُ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ كَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ الْهَيْثَمِ حِينَ مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتَنًا كَقِطَعِ الدُّخَانِ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ». وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ قَدْ مَاتَ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَأَشِقَّاؤُنَا فَلَا تَسْبِقُونَا حَتَّى نَخْتَارَ لِأَنْفُسِنَا.[1] قُتِلَ الضَّحَّاكُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ، وَذَلِكَ لِلنِّصْفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ.

---

(١) المسند ٣/ ٤٥٣ وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٣٠٨ رواه أحمد والطبراني من طريق فيها علي بن زيد وهو سيئ الحفظ وقد وثق وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

٢- **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ** وَأُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ لِلْأَنْصَارِ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثِنْتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، «فَأَتَتْ بِهِ أُمُّهُ تَحْمِلُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَنَّكَهُ وَبَشَّرَهَا بِأَنَّهُ يَعِيشُ حَمِيدًا، وَيُقْتَلُ شَهِيدًا، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ» (١)

فَعَاشَ فِي خَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَوَلِيَ نِيَابَةَ الْكُوفَةِ لِمُعَاوِيَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ سَكَنَ الشَّامَ، وَوَلِيَ قَضَاءَهَا بَعْدَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَمِنْ أَحَادِيثِهِ الصِّحَاحِ الْحِسَانِ مَا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبَهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (٢)

ولما تحولت حمص إلى بني مروان خرج منها فتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة (٦٤هـ).

٣- **الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الزهري**، صَحَابِيٌّ صَغِيرٌ، أَصَابَهُ حَجَرُ الْمَنْجَنِيقِ بِمَكَّةَ، سنة (٦٤هـ) وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحِجْرِ. وهو من أعيان من قُتل في حصار مكة الأول،

وله صحبة ورواية، ووفد على معاوية، وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب، أمه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين.

٤- **مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ** بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، **أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ عِنْدَ طَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ**؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى البخاري حَدِيثِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ عن مروان والمسور.

وَذَكَرَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ. وَقَدْ كَانَ مَرْوَانُ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ وَفُضَلَائِهَا. (٣)

---

(١) لفظة (يعيش حميدا ويقتل شهيدا) لم نعثر عليها في كتب السنن في حق النعمان.
(٢) صحيح البخاري (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩).
(٣) البداية والنهاية ١١/٧٠٦.

وَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَكَانَ كَاتِبَ الْحُكْمِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كَانَ عَلِيٌّ يَوْمَ الْجَمَلِ حِينَ انْهَزَمَ النَّاسُ يُكْثِرُ السُّؤَالَ عَنْ مَرْوَانَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّهُ تَعْطِفُنِي عَلَيْهِ رَحِمٌ مَاسَّةٌ،[1]

وَقَدِ اسْتَنَابَهُ معاوية عَلَى الْمَدِينَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ، يَعْزِلُهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِلَيْهَا، وَأَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ فِي سِنِينَ مُتَعَدِّدَةٍ. وَقَالَ حَنْبَلٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ عِنْدَ مَرْوَانَ قَضَاءٌ، وَكَانَ يَتَّبِعُ قَضَاءَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

وَلَمَّا كَانَ نَائِبًا بِالْمَدِينَةِ كَانَ إِذَا وَقَعَتْ مُعْضِلَةٌ جَمَعَ مَنْ عِنْدِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِيهَا. قَالُوا: **وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ الصِّيعَانَ،** فَأَخَذَ بِأَعْدَلِهَا، فَنُسِبَ إِلَيْهِ الصَّاعُ، فَقِيلَ: صَاعُ مَرْوَانَ.

مَاتَ مَرْوَانُ بِدِمَشْقَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: عَشَرَةَ أَشْهُرٍ.

٥- **عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَوْسِيُّ** شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ، وتُوُفِّيَ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ)

٦- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ** بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ ابْنِ أَخِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ) عَنْ نَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً.

٧- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ** بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، شاعر كأبيه، وتُوُفِّيَ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ).

٨- **زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ زَيْدٍ،** صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، وتُوُفِّيَ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ).

٩- **أَبُو شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيُّ الْعَدَوِيُّ** الْكَعْبِيُّ، وتُوُفِّيَ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ).

١٠- **أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ،** وتُوُفِّيَ فِي سَّنَةِ (٦٨هـ).

(١) المصدر السابق ١١/ ٧٠٧

١١-**عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسِ** بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ أَبُو الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ بْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمُفَسِّرُ كِتَابِ اللهِ وَتُرْجُمَانُهُ، كَانَ يُقَالُ لَهُ: الْحَبْرُ وَالْبَحْرُ، رَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا كَثِيرًا، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأُمَمٌ مِنَ التَّابِعِيْنِ، وَلَهُ مُفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِاتِّسَاعِ عِلْمِهِ وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ وَكَمَالِ عَقْلِهِ وَسِعَةِ فَضْلِهِ وَنُبْلِ أَصْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَثَبَتَ عَنْهُ فِي « الصَّحِيحِ » أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ؛ كَانَتْ أُمِّي مِنَ النِّسَاءِ وَكُنْتُ أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ. وَهَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ قَبْلَ الْفَتْحِ،

وَصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ حِينَئِذٍ وَلَزِمَهُ وَأَخَذَ عَنْهُ وَحَفِظَ، وَضَبَطَ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ وَالْأَحْوَالَ، وَأَخَذَ عَنِ الصَّحَابَةِ عِلْمًا عَظِيمًا مَعَ الْفَهْمِ الثَّاقِبِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْجَمَالِ وَالْمَلَاحَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْبَيَانِ، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ الرَّحْمَنِ ﷺ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، ثَنَا وَرْقَاءُ، سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ أَبِي يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وُضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: مَنْ وَضَعَ ذَا؟ فَقِيلَ: ابْنُ عَبَّاسٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» (١) وَقَدْ أَسْنَدَ أَلْفًا وَسِتَّمِائَةٍ وَسَبْعِينَ حَدِيثًا. (٢)

وكانت وفاته بالطائف سنة (٦٨هـ) وصلى عليه محمد ابن الحنفية.

١٢-**عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٠هـ).

وَأُمُّهُ: جَمِيلَةُ بِنْتُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ. وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَرْوِ إِلَّا عَنْ أَبِيهِ حَدِيثًا وَاحِدًا، « إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا » الْحَدِيثَ.

---

(١) المسند ١/ ٣٢٧، ٤/ ٢٢٥، ٥/ ١٥٩، ٢١٥، والبخاري (١٤٣) ومسلم (٢٤٧٧) وعلمه التأويل ليست في الصحيحين.

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ١١٢.

١٣- **قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرِ** بْنِ وَهْبٍ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ، مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، شَهِدَ خُطْبَةَ عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ، وَكَانَ أَخَا مُعَاوِيَةَ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَكَانَ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٠ هـ).

١٤- **قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ**، أَبُو يَزِيدَ، اللَّيْثِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٠ هـ).

١٥- **يَزِيدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحِمْيَرِيُّ** الشَّاعِرُ، كَانَ كَثِيرَ الشِّرِّ وَالْهَجْوِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٠هـ).

١٦- **بَشِيرُ بْنُ النَّضْرِ قَاضِي** مِصْرَ، كَانَ رِزْقُهُ فِي الْعَامِ أَلْفَ دِينَارٍ. تُوُفِّيَ بِمِصْرَ، سنة (٧٠هـ).

١٧- **مَالِكُ بْنُ يَخَامِرَ السَّكْسَكِيُّ** الْأَلْهَانِيُّ الْحِمْصِيُّ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ. وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٠هـ).

١٨- **مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ** بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَصَيِّ بْنِ كِلَابٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ - وَيُقَالُ لَهُ: أَبُو عِيسَى - الْأَسَدِيُّ. وَأُمُّهُ الرَّبَابُ بِنْتُ أُنَيْفٍ الْكَلْبِيَّةُ. كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَشْجَعِهِمْ قَلْبًا، وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

١٩- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ**، كَانَ أَبُوهُ الْأَشْتَرَ مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ عَلِيٍّ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ مِمَّنْ قَامَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَلَهُ شَرَفٌ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

٢٠- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى الْخُزَاعِيُّ** لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ عَلَى خُرَاسَانَ، وَسَكَنَ الْكُوفَةَ وَوَلِيَهَا مَرَّةً. وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ) بِالْكُوفَةِ.

٢١- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْلَةَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمُرَادِيُّ الصُّنَابِحِيُّ**، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا مِنَ الصُّلَحَاءِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ) بِدِمَشْقَ.

٢٢- **عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ** الْمَدَنِيُّ رَبِيبُ النَّبِيِّ ﷺ، وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ عِنْدَ أُمِّهِ؛ أُمِّ سَلَمَةَ. وَلَهُ رِوَايَاتٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

٢٣- **سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ** ﷺ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ عَبْدًا لِأُمِّ سَلَمَةَ فَأَعْتَقَتْهُ وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْدِمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنَا لَا أَزَالُ أَخْدِمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَوْ لَمْ تُعْتِقِينِي مَا عِشْتُ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

٢٤- **عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَعْرَجُ** غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ»[1]، فَبَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ وَلَمْ يَبْيَضَّ شَعْرُهُ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ) بِالْبَصْرَةِ.

٢٥- **غُضَيْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ زُنَيْمٍ** السَّكُونِيُّ مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، لَهُ رِوَايَاتٌ عَنِ الصَّحَابَةِ. سَكَنَ حِمْصَ، وَكَانَ يَتَوَلَّى صَلَاةَ الْجُمْعَةِ نِيَابَةً عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

٢٦- **يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ السَّكُونِيُّ** كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا صَالِحًا، سَكَنَ الشَّامَ. وَقَدِ اسْتَسْقَى بِهِ مُعَاوِيَةُ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ).

٢٧- **عَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ، أَبُو عِيَاضٍ**، الْعَنْسِيُّ الْحِمْصِيُّ، مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِالشَّامِ، صَاحِبُ زُهْدٍ وَعِبَادَةٍ وَاجْتِهَادٍ، قَلِيلُ التَّشَيُّعِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧١هـ) بِحِمْصَ.

٢٨- **عَبْدُ اللهِ بْنُ خَازِمِ** بْنِ أَسْمَاءَ السُّلَمِيُّ، أَبُو صَالِحٍ الْبَصْرِيُّ، أَمِيرُ خُرَاسَانَ، أَحَدُ الشُّجْعَانِ الْمَذْكُورِينَ، وَالْفُرْسَانِ الْمَشْكُورِينَ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ).

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٠٧٣٣) و (٢٢٨٨١) و (٢٢٨٨٣)

٢٩- **الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسِ** بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ، أَبُو بَحْرٍ الْبَصْرِيُّ وكَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا مُؤْمِنًا، عَلِيمَ اللِّسَانِ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَلُ، تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ فِي سنة (٧٢هـ).

٣٠- **الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبِ** بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، وَأَبُوهُ أَيْضًا صَحَابِيٌّ، رَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ) بِالْكُوفَةِ.

٣١- **عَبِيْدَةُ بْنُ عَمْرٍو السَّلْمَانِيُّ** الْمُرَادِيُّ الْقَاضِي، وَرَوَى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيٍّ وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ يُوَازِي شُرَيْحًا فِي الْقَضَاءِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ).

٣٢- **عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ** بْنِ صَيْفِيٍّ الْمَخْزُومِيِّ، قَارِئُ أَهْلِ مَكَّةَ، لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَقَرَأَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ).

٣٣- **عَطِيَّةُ بْنُ بُسْرٍ الْمَازِنِيُّ** لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ) بِالْمَدِينَةِ.

٣٤- **عُبَيْدُ بْنُ نَضْلَةَ**، أَبُو مُعَاوِيَةَ، الْخُزَاعِيُّ الْكُوفِيُّ مُقْرِئُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، مَشْهُورٌ بِالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ) بِالْكُوفَةِ.

٣٥- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ**، الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ).

٣٦- **عَبْدُ اللهِ بْنُ هَمَّامٍ**، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّاعِرُ، السَّلُولِيُّ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ الْفُصَحَاءِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٢هـ).

٣٧- **عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ** بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ، و كَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ صَبَرَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ حَصَرَهُ الْحَجَّاجُ، حتى قتل سنة (٧٣هـ).

٣٨- **عَبْدُ اللهِ بْنُ مُطِيعِ** بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ الْمَدَنِيُّ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَنَّكَهُ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٣هـ).

٣٩- **عَوْفُ بْنُ مَالِكِ** بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْأَشْـجَعِيُّ الْغَطَفَانِيُّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، شَهِدَ مُؤْتَةَ، وَشَهِدَ الْفَتْحَ، وَكَانَتْ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ يَوْمَئِذٍ، وَشَهِدَ فَتْحَ الشَّامِ، وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيث، وتُوُفِّيَ في سنة (٧٣هـ).

٤٠- **أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ** الصِّدِّيقِ، وَالِدَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، وَإِنَّمَا سُـمِّيَتْ بِذَلِكَ عَامَ الْهِجْرَةِ حِينَ شَقَّتْ نِطَاقَهَا، وَرَبَطَتْ بِهِ سُفْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ خَرَجَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ لِلْهِجْرَةِ. وَأُمُّهَا قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

أَسْلَمَتْ أَسْمَاءُ قَدِيمًا، وَهُمْ بِمَكَّةَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا الزُّبَيْرُ، وَقَدْ عُمِّرَتْ أَسْـمَاءُ دَهْرًا صَالِحًا وَأَضَرَّتْ فِي آخِرِ عُمُرِهَا، وَأَدْرَكَتْ قَتْلَ وَلَدِهَا سـنة (٧٣هـ)، ثُمَّ عَاشَتْ بَعْدَهُ مِائَةَ يَوْمٍ. وَهُوَ الْأَشْهَرُ، وَبَلَغَتْ مِنَ الْعُمُرِ مِائَةَ سَنَةٍ.

٤١- **زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَـلَمَةَ** الْمَخْزُومِيَّـةُ رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَدَتْهَا أُمُّهَا بِالْحَبَشَـةِ، وَلَهَا رِوَايَةٌ وَصُحْبَةٌ، وتُوُفِّيَت في سنة (٧٣هـ).

❁ ❁ ❁

خلافة
عبدالملك بن مروان

٧٣-٨٦

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

نسبه وأسرته

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، أَبُو الْوَلِيدِ الْأُمَوِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، **وَأُمُّهُ عَائِشَةُ** بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ.

كَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ.

○ أَوْلاده وأَزْوَاجه

الْوَلِيدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَمَرْوَانُ الْأَكْبَرُ - دَرَجَ - وَعَائِشَةُ، **وَأُمُّهُمْ** وَلَّادَةُ بِنْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَزْءِ بْنِ الْحَارِثِ العبسي.

وَيَزِيدُ، وَمَرْوَانُ الْأَصْغَرُ، وَمُعَاوِيَةُ - دَرَجَ - وَأُمُّ كُلْثُومٍ، **وَأُمُّهُمْ** عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَهِشَامٌ، **وَأُمُّهُ** عَائِشَةُ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ.

وَأَبُو بَكْرٍ، وَاسْمُهُ بَكَّارٌ، **وَأُمُّهُ** عَائِشَةُ بِنْتُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ،

وَالْحَكَمُ - دَرَجَ - **وَأُمُّهُ** أُمُّ أَيُّوبَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْأُمَوِيِّ،

وَفَاطِمَةُ، **وَأُمُّهَا** أم الْمُغِيرَةُ بِنْتُ الْمُغِيرَةِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ. وَعَبْدُ اللهِ، وَمَسْلَمَةُ، وَالْمُنْذِرُ، وَعَنْبَسَةُ، وَمُحَمَّدٌ، وَسَعِيدُ الْخَيْرِ، وَالْحَجَّاجُ **لِأُمَّهَاتِ** أَوْلَادٍ شَتَّى.

فَكَانَ جُمْلَةُ أَوْلَادِهِ تِسْعَةَ عَشَرَ؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

○ صفاته

كانَ أَبْيَضَ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ أَقْرَبَ إِلَى الْقِصَرِ، لَيْسَ بِالنَّحِيفِ وَلَا الْبَادِنِ، كَانَ مَقْرُونَ الْحَاجِبَيْنِ، أَشْهَلَ كَبِيرَ الْعَيْنَيْنِ، دَقِيقَ الْأَنْفِ، مُشْرِقَ الْوَجْهِ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ يَخْضِبْ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ خَضَبَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَكَانَتْ أَسْنَانُهُ مُشَبَّكَةً بِالذَّهَبِ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ مِنَ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ الْفُقَهَاءِ، الْمُلَازِمِينَ لِلْمَسْجِدِ، التَّالِينَ لِلْقُرْآنِ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ: كَانَ فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةً: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةُ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ؛ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِمَارَةِ.

سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَشَهِدَ الدَّارَ مَعَ أَبِيهِ، وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَلَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَلَّاهُ إِيَّاهَا مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ يُجَالِسُ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالْعُبَّادَ وَالصُّلَحَاءَ.

وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُعَاوِيَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَبَرِيرَةَ مَوْلَاةِ عَائِشَةَ.

وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ، وَعُرْوَةُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، وَرَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ، وَجَرِيرُ بْنُ عُثْمَانَ.

قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سُمِّيَ فِي الْإِسْلَامِ بِعَبْدِ الْمَلِكِ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا جَالَسْتُ أَحَدًا إِلَّا وَجَدْتُ لِي الْفَضْلَ عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ؛ فَإِنِّي مَا ذَاكَرْتُهُ حَدِيثًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ، وَلَا شِعْرًا إِلَّا زَادَنِي فِيهِ.

قال ابن كثير:

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ إِقْدَامٌ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَكَانَ عُمَّالُهُ عَلَى مَذْهَبِهِ؛ مِنْهُمُ الْحَجَّاجُ وَالْمُهَلَّبُ وَغَيْرُهُمْ، وَكَانَ حَازِمًا فَهِمًا فَطِنًا، سَائِسًا لِأُمُورِ الدُّنْيَا، لَا يَكِلُ أَمْرَ دُنْيَاهُ إِلَى غَيْرِهِ.

○ بيعته بالخلافة

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، فِي خِلَافَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَبَقِيَ عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ مُدَّةَ سَبْعِ سِنِينَ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى بَاقِي الْبِلَادِ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْخِلَافَةِ

واجتمع الناس عليه بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ.

فَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْهَا تِسْعُ سِنِينَ مُشَارِكًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَنِصفٌ مُسْتَقِلًّا بِالْخِلَافَةِ وَحْدَهُ.

وكَانَ **قَاضِيَهُ** أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، و**كَاتِبُهُ** رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ، و**حَاجِبُهُ** يُوسُفُ مَوْلَاهُ، **وَصَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ وَالْخَاتَمِ** قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، **وَعَلَى شُرْطَتِهِ** أَبُو الزُّعَيْزِعَةِ.

○ بيعة ابن عمر له

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمَّا بُويِعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخِلَافَةِ بعد مقتل ابن الزبير، كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّكَ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧]؟ لَا أَحَدَ، وَالسَّلَامُ.

وَبَعَثَ بِهِ مَعَ سَالِمٍ، فَوَجَدُوا عَلَيْهِ؛ إِذْ قَدَّمَ اسْمَهُ عَلَى اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ نَظَرُوا فِي كُتُبِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَوَجَدُوهَا كَذَلِكَ، فَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ.

○ مناقبه وأقواله:

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: ثَنَا عَبَّادُ بْنُ سَلْمِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَكِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَكْرًا، فَأَنْشَأَ قَائِدُهُ يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا الْبَكْرُ الَّذِي أَرَاكَا ... عَلَيْكَ سَهْلُ الْأَرْضِ فِي مَمْشَاكَا
وَيْحَكَ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلَاكَا ... خَلِيفَةُ اللهِ الَّذِي امْتَطَاكَا
لَمْ يَحْبُ بَكْرًا مِثْلَ مَا حَبَاكَا

فَلَمَّا سَمِعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ: إِيْهًا يَا هَنَاهُ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ. فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا وَأَنَا أَعْرِضُ

عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ!

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: إِنَّ الْعِلْمَ سَيُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيُظْهِرْهُ، غَيْرَ غَالٍ فِيهِ وَلَا جَافٍّ عَنْهُ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشْكُو الْحَجَّاجَ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ عِيسَى لَيْلَةً وَاحِدَةً، أَوْ رآه فَعَرَفَتْهُ النَّصَارَى لَنَزَلَ عِنْدَهُمْ منزلة، وَلَعَرَفُوا لَهُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَدَمَ مُوسَى أَوْ رَآهُ فَعَرَفَتْهُ الْيَهُودُ فَذَكَرَ نَحْوَهُ، **وَإِنِّي خَادِمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ**، وَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَفَعَلَ وَفَعَلَ. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ عَبْدَ الْمَلِكِ يَقْرَأُ الْكِتَابَ وَهُوَ يَبْكِي، وَبَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِكِتَابٍ غَلِيظٍ، فَجَاءَ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَقَرَأَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ إِلَى حَامِلِ الْكِتَابِ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَتَرَضَّاهُ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْلُوَ بِهِ، فَأَمَرَ مَنْ عِنْدِهِ بِالِانْصِرَافِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ، أَوْ تَكْذِبَنِي؛ فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ، أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ، وَإِنْ شِئْتَ أَقَلْتُكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَقِلْنِي. فَأَقَالَهُ.

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ، وَتَرَكَ النُّصْرَةَ عَنْ قُوَّةٍ.

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: (١) **قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِمُؤَدِّبِ أَوْلَادِهِ** - وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ -: عَلِّمْهُمُ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَجَنِّبْهُمُ السَّفِلَةَ؛ فَإِنَّهُمْ أَسْوَأُ النَّاسِ رِعَةً، وَأَقَلُّهُمْ أَدَبًا، وَجَنِّبْهُمُ الْحَشَمَ؛ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَفْسَدَةٌ، وَأَحْفِ شُعُورَهُمْ، تَغْلُظْ رِقَابُهُمْ، وَأَطْعِمْهُمُ اللَّحْمَ يَقْوُوا، وَعَلِّمْهُمُ الشِّعْرَ يَمْجُدُوا وَيُنْجُدُوا، وَمُرْهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عَرْضًا، وَيَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا، وَلَا يَعُبُّوا عَبًّا، وَإِذَا احْتَجْتَ أَنْ تَتَنَاوَلَهُمْ بِأَدَبٍ؛ فَلْيَكُنْ

---

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٤

ذَلِكَ فِي سِرٍّ لَا يَعْلَمُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْغَاشِيَةِ، فَيَهُونُوا عَلَيْهِمْ.

وَكَتَبَ زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كِتَابًا،[١] وَفِي آخِرِهِ: وَلَا يُطْمِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طُولِ الْبَقَاءِ مَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ صِحَّتِكَ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، وَاذْكُرْ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَوَّلُونَ:

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا ... وَبَلِيَتْ مِنْ كِبَرٍ أَجْسَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... تِلْكَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

فَلَمَّا قَرَأَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بَكَى حَتَّى بَلَّ طَرَفَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ زِرٌّ، وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِغَيْرِ هَذَا كَانَ أَرْفَقَ.

وَسَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يَذْكُرُونَ سِيرَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِيهًا عَنْ ذِكْرِ عُمَرَ؛ فَإِنَّهُ إِزْرَاءٌ عَلَى الْوُلَاةِ، مَفْسَدَةٌ لِلرَّعِيَّةِ.[٢]

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمًا خُطْبَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَطَعَهَا وَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ، وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا، اللَّهُمَّ فَامْحُ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ ذُنُوبِي. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَبَكَى، وَقَالَ: لَوْ كَانَ كَلَامٌ يُكْتَبُ بِالذَّهَبِ لَكُتِبَ هَذَا الْكَلَامُ.[٣] وَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ نَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو مُسْهِرٍ:[٤] قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: أَجِدُنِي كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] الْآيَةَ.

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا، العمر والشيب ٤/ ٢٢٧
(٢) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٧
(٣) المصدر السابق ٤٣/ ٢٧٨
(٤) المصدر السابق ٤٣/ ٢٨٠

وَقَالَ سَـعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: [(١)] لَمَّا احْتُضِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمَرَ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ مِنْ قَصْرِهِ، فَسَمِعَ قَصَّارًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قَصَّارٌ. فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتَ قَصَّارًا. فَلَمَّا بَلَغَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَوْلُهُ، قَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَفِرُّونَ إِلَيْنَا وَلَا نَفِرُّ إِلَيْهِمْ.**

وَيُـرْوَى أَنَّـهُ قَالَ: ارْفَعُونِي، فَرَفَعُوهُ حَتَّى شَـمَّ الْهَـوَاءَ، وَقَالَ: **يَا دُنْيَا، مَـا أَطْيَبَكِ! إِنَّ طَوِيلَكِ لَقَصِيرٌ، وَإِنَّ كَثِيرَكِ لَحَقِيرٌ، وَإِنْ كُنَّا بِكِ لَفِي غُرُورٍ.**

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْـقَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْوَلِيدُ وَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ سِـتِّينَ سَـنَةً، قَالَهُ: أَبُو مَعْشَـرٍ، وَصَحَّحَهُ الْوَاقِدِيُّ، وَدُفِنَ بِبَابِ الْجَابِيَةِ الصَّغِيرِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) المصدر السابق ٤٣/ ٢٨٢

الفصل الثاني
الأحداث في عهده

○ بناء قبة الصخرة في بيت المقدس

قَالَ صَاحِبُ مِرْآةَ الزَّمَانِ[(١)]: وَفِي سنة (٦٦هـ) ابْتَدَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِبِنَاءِ الْقُبَّةِ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَعِمَارَةِ الْجَامِعِ الْأَقْصَى، وَكَمَلَتْ عِمَارَتُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ

وَلَمَّا أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنَاءَهَا سَارَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَعَهُ الْأَمْوَالُ وَالْعُمَّالُ، وَوَكَّلَ بِالْعَمَلِ رَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ، وَيَزِيدَ بْنَ سَلَّامٍ مَوْلَاهُ، وَجَمَعَ الصُّنَّاعَ وَالْمُهَنْدِسِينَ فَأَمَرَهُمْ فَصَوَّرُوا لَهُ الْقُبَّةَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ فَأَعْجَبَهُ، **وَأَمَرَ رَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ، وَيَزِيدَ أَنْ يُفْرِغَا الْأَمْوَالَ إِفْرَاغًا**، وَلَا يَتَوَقَّفَا فِيهِ، وَلَمَّا تَمَّ بِنَاءُ الْقُبَّةِ عَمِلَ لَهَا جَلَّالَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا لِلشِّتَاءِ، وَالْآخَرُ لِلصَّيْفِ، وَحَفَّ الصَّخْرَةَ بِدَرَابِزِينَ مِنَ السَّاجِ الْمُطَعَّمِ بِالأحجار الكريمة، وَخَلْفَ الدَّرَابِزِينِ سُتُورٌ مِنَ الدِّيبَاجِ مُرْخَاةً بَيْنَ الْعُمُدِ. وَجعل لها أربعة أَبْوَابُ.

○ ثورة عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ الْأُمَوِيِّ في دمشق ومقتله.

في سنة (٦٩هـ) ثار عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ الْأَشْدَقِ، في دمشق بعد خروج عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ منها، لتوسيع ولايته، فاضطر عبدالملك للرجوع من فوره إلى دمشق، فَوَجَدَ الْأَشْدَقَ قَدْ حَصَّنَ دِمَشْقَ وَعَلَّقَ عَلَيْهَا السَّتَائِرَ وَالْمُسُوحَ، وَانْحَازَ إِلَى حِصْنٍ رُومِيٍّ مَنِيعٍ كَانَ بِدِمَشْقَ فَنَزَلَهُ، فَحَاصَرَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَاتَلَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقُ مُدَّةَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَرَاسَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ أَنْ تُفْسِدَ أَمْرَ بَيْتِكَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنِ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَإِنَّ فِيمَا صَنَعْتَ قُوَّةً لِابْنِ الزُّبَيْرِ، فَارْجِعْ إِلَى بَيْعَتِكَ، **وَلَكَ عَلَيَّ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ. أَنَّكَ وَلِيُّ عُهْدِي مِنْ بَعْدِي، وَكَتَبَا بَيْنَهُمَا كِتَابًا، فَانْخَدَعَ لَهُ عَمْرٌو** وَفَتَحَ أَبْوَابَ دِمَشْقَ، ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَامِلٌ لَهُ.

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٩/ ٤٠)

وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عشية يوم الخميس إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ عَلَى عَادَتِهِ، وَبَعَثَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدَقِ يَقُولُ لَهُ: رُدَّ عَلَى النَّاسِ أَعْطِيَاتِهِمُ الَّتِي أَخَذْتَهَا لَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرٌو يَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَلَدُ لَكَ، فَاخْرُجْ مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ يَأْمُرُهُ بِالْإِتْيَانِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِدَارِ الْإِمَارَةِ الْخَضْرَاءِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ، **قَالَ له عَمْرُو** بْنُ سَعِيدٍ: أَبْلِغْهُ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: أَنَا رَائِحٌ إِلَيْكَ الْعَشِيَّةَ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ لَبِسَ عَمْرٌو دِرْعًا بَيْنَ ثِيَابِهِ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَمَضَى فِي مِائَةٍ مِنْ مَوَالِيهِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ أَمَرَ بَنِي مَرْوَانَ فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْتَهَى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ إِلَى الْبَابِ أَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَدْخُلَ وَأَنْ يُحْبَسَ مَنْ مَعَهُ، عِنْدَ كُلِّ بَابٍ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ كَذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ مَوَالِيهِ سِوَى وَصِيفٍ وَاحِدٍ، فَرَمَى بِبَصَرِهِ فَإِذَا بَنُو مَرْوَانَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَحَسَّ بِالشَّرِّ، وَكَانَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَحْدَلٍ، وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، فَأَذِنَ لَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ بِالِانْصِرَافِ، فَلَمَّا خَرَجَا غُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ وَاقْتَرَبَ عَمْرٌو مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُحَدِّثُهُ طَوِيلًا. ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ: يَا غُلَامُ، خُذِ السَّيْفَ عَنْهُ. فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّا لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! **فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ**: أَوَتَطْمَعُ أَنْ تَتَحَدَّثَ مَعِي مُتَقَلِّدًا سَيْفَكَ؟ فَأَخَذَ الْغُلَامُ السَّيْفَ عَنْهُ، ثُمَّ تَحَدَّثَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَنِي آلَيْتُ بِيَمِينِي إِنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكٌ لَكَ أَنْ أَجْمَعَكَ فِي جَامِعَةٍ. فَقَالَتْ بَنُو مَرْوَانَ: ثُمَّ تُطْلِقُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: ثُمَّ أُطْلِقُهُ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِأَبِي أُمَيَّةَ؟ فَقَالَ بَنُو مَرْوَانَ: أَبَرَّ قَسَمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عَمْرٌو: فَأَبَرَّ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَأَخْرَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ تَحْتِ فِرَاشِهِ جَامِعَةً فَطَرَحَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا. فَقَامَ الْغُلَامُ فَجَمَعَهُ فِيهَا، فَقَالَ عَمْرٌو: أُذَكِّرُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ:

أَمَكْرًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ لَاهَا اللهِ إِذًا، مَا كُنَّا لِنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَلَمَّا نُخْرِجْهَا مِنْكَ إِلَّا صَعدًا. ثُمَّ اجْتَبَذَهُ اجْتِبَاذَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَرَ ثَنِيَّتَهُ، فَقَالَ عَمْرٌو: أُذَكِّرُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ كَسْرُ عَظْمِي إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا بَقِيتَ تَفِي لِي وَتَصْلُحُ قُرَيْشٌ لَأَطْلَقْتُكَ، **وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي بَلَدٍ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ثم أمر بقتله.**

○ استيلاء عبدالملك على خراسان:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٧٢هـ) **كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ خَازِمٍ أَمِيرِ خُرَاسَانَ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ، وَيُقْطِعُهُ خُرَاسَانَ سَبْعَ سِنِينَ، فلم يستجب، فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ** إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وِشَاحٍ نَائِبَ ابْنِ خَازِمٍ **عَلَى مَرْوٍ يَعِدُهُ بِإِمْرَةِ خُرَاسَانَ إِنْ هُوَ خَلَعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ خَازِمٍ، فَخَلَعَهُ، فَجَاءَهُ ابْنُ خَازِمٍ فَقَاتَلَهُ فَقُتِلَ** فِي الْمَعْرَكَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ خَازِمٍ، وأخذ رأسه وأرسله إلى عبدالملك بن مروان، **وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَمَقْتَلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَازِمٍ، فَسُرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا كَثِيرًا، وَكَتَبَ إِلَى بُكَيْرِ بْنِ وِشَاحٍ فَأَقَرَّهُ عَلَى نِيَابَةِ خُرَاسَانَ.** (١)

○ استيلاء عبدالملك على المدينة:

وَفِي سنة (٧٢هـ) أُخِذَتِ الْمَدِينَةُ مِنْ نُوَّابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وولّى عليها عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ طَارِقَ بْنَ عَمْرٍو الَّذِي كَانَ بَعَثَهُ مَدَدًا لِلْحَجَّاجِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ (٢)

○ نقض الحجاج زيادة ابن الزبير في الكعبة (٣)

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٧٤هـ) نَقَضَ الْحَجَّاجُ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ الَّذِي كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهُ، وَأَعَادَهَا عَلَى بُنْيَانِهَا الْأَوَّلِ.

---

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٦٦ (٢) نفس المصدر ١٢/ ١٦٧

(٣) انظر: عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المشرفة، ص١٢٤ ومابعدها

قال ابن كثير: الْحَجَّاجُ لَمْ يَنْقُضْ بُنْيَانَ الْكَعْبَةِ جَمِيعَهُ؛ بَلْ إِنَّمَا هَدَمَ الْحَائِطَ الشَّامِيَّ، حَتَّى أَخْرَجَ الْحِجْرَ مِنَ الْبَيْتِ، ثُمَّ سَدَّهُ، وَأَدْخَلَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ مَا فَضَلَ مِنَ الْأَحْجَارِ، وسَدَّ باب الْغَرْبِيَّ بِالْكُلِّيَّةِ، وَرَدَمَ أَسْفَلَ باب الشَّرْقِيِّ، حَتَّى جَعَلَهُ مُرْتَفِعًا كَمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وكان مستند ابن الزبير فيما فعل ما أَخْبَرَتْهُ بِهِ خَالَتُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ - وَفِي رِوَايَةٍ: بِجَاهِلِيَّةٍ - لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، وَأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَلَأَلْصَقْتُهُمَا بِالْأَرْضِ، فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصُرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، فَلَمْ يُدْخِلُوا فِيهَا الْحِجْرَ، وَلَمْ يُتَمِّمُوهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَرَفَعُوا بَابَهَا لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا» فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَنَاهَا كَذَلِكَ، وَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثُ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: وَدِدْنَا أَنَا تَرَكْنَاهُ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ.

○ ثورة أهل البصرة على الحجاج

في سنة (٧٥هـ) وَثَبَ النَّاسُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الْحَجَّاجِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَ مِنَ الْكُوفَةِ، قَامَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِخُطْبَةٍ نَظِيرَ مَا قَامَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ الْأَكِيدِ، **فَفَزِعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَخَرَجُوا حَتَّى اجْتَمَعُوا عِنْدَ قَنْطَرَةِ رَامَهُرْمُزَ**، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْجَارُودِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ - وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - فِي أُمَرَاءِ الْجَيْشِ مِنَ الْمِصْرَيْنِ، فَاقْتَتَلُوا هُنَاكَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَهُمُ الْحَجَّاجُ، وَقَتَلَ أَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْجَارُودِ فِي رُءُوسٍ مِنَ الْقَبَائِلِ مَعَهُ، وَأَمَرَ بِرُءُوسِهِمْ فَنُصِبَتْ عِنْدَ الْجِسْرِ مِنْ رَامْهُرْمُزَ.

○ إصلاح النقد

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وفي سنة (٧٦هـ) نَقَشَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَقَشَهَا.

وَقَالَ الْقَاضِي الْمَاوَرْدِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ»: [(١)] اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَنْ ضَرَبَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ الْمَنْقُوشَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَكَانَتِ الدَّنَانِيرُ رُومِيَّةٌ، وَالدَّرَاهِمُ كِسْرَوِيَّةٌ. قَالَ أَبُو الزِّنَادِ وَكَانَ نَقْشُهُ لَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ. وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ: خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. وَضُرِبَتْ فِي الْآفَاقِ سَنَةَ سِتَّةٍ وَسَبْعِينَ. وَذَكَرَ أَنَّهُ **ضُرِبَ عَلَى الْجَانِبِ الْوَاحِدِ مِنْهَا « اللهُ أَحَدٌ»، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ « اللهُ الصَّمَدُ»**، قَالَ: وَحَكَى يَحْيَى بْنُ النُّعْمَانِ الْغِفَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ الدَّرَاهِمَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، سَنَةَ سَبْعِينَ، عَلَى ضَرْبِ الْأَكَاسِرَةِ، **وَعَلَيْهَا « بَرَكَةٌ « مِنْ جَانِبٍ، وَ «الله» مِنْ جَانِبٍ، ثُمَّ غَيَّرَهَا الْحَجَّاجُ**، وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَيْهَا مِنْ جَانِبٍ، ثُمَّ خَلَّصَهَا بَعْدَهُ يُوسُفُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي أَيَّامِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ خَلَّصَهَا أَجْوَدَ مِنْهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ فِي أَيَّامِ هِشَامٍ، ثُمَّ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ أَجْوَدَ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ. **وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَنْصُورُ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا إِلَّا الْهُبَيْرِيَّةَ وَالْخَالِدِيَّةَ وَالْيُوسُفِيَّةَ**.

وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِلنَّاسِ نُقُودٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْهَا الدِّرْهَمُ **الْبَغْلِيُّ**، وَكَانَ ثَمَانِيَةَ دَوَانِقَ، **وَالطَّبَرِيُّ** وَكَانَ أَرْبَعَةَ دَوَانِقَ، **وَالْمِصْرِيُّ** ثَلَاثَةَ دَوَانِقَ، **وَالْيَمَنِيُّ** دَانِقًا، فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَيْنَ الْبَغْلِيِّ وَالطَّبَرِيِّ، ثُمَّ أَخَذَ نِصْفَهَا فَجَعَلَهُ الدِّرْهَمَ الشَّرْعِيَّ، وَهُوَ نِصْفُ مِثْقَالٍ وَخُمْسُ مِثْقَالٍ، وَذَكَرُوا أَنَّ الْمِثْقَالَ لَمْ يُغَيِّرُوا وَزْنَهُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ قتل مدعي النبوة

فِي سنة (٧٩هـ) قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ **الْحَارِثَ بْنَ سَعِيدٍ الْمُتَنَبِّئَ الْكَذَّابَ**، مَوْلَى أَبِي الْجُلَاسِ الْعَبْدَرِيِّ، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْحُولَةِ، فَنَزَلَ دِمَشْقَ، وَتَعَبَّدَ بِهَا، وَتَنَسَّكَ وَتَزَهَّدَ، ثُمَّ مُكِرَ بِهِ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى عَلَى عَقِبِهِ، وَانْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَفَارَقَ

(١) ص: ٢٣٧

حِزْبَ اللهِ الْمُفْلِحِينَ، وَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْطَانُ يَزُخُّ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْسَرَهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، وَأَخْزَاهُ وَأَشْقَاهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

كَانَ الْحَارِثُ الْكَذَّابُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ وَكَانَ يُرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ؛ كَانَ يَأْتِي إِلَى رُخَامَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَيَنْقُرُهَا بِيَدِهِ فَتُسَبِّحُ تَسْبِيحًا بَلِيغًا، حَتَّى يَضِجَّ مِنْ ذَلِكَ الْحَاضِرُونَ. قُلْتُ: وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يَقُولُ: كَانَ يَنْقُرُ هَذِهِ الرُّخَامَةَ الْحَمْرَاءَ الَّتِي فِي الْمَقْصُورَةِ فَتُسَبِّحُ، وَكَانَ زِنْدِيقًا، فرفع أمره إلى عبدالملك بن مروان، فهرب إلى فلسطين فأمر بإحضاره، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ بِصَلْبِهِ عَلَى خَشَبَةٍ، وَأَمَرَ رَجُلًا فَطَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ، فَانْثَنَتْ فِي ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَيْحَكَ، أَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ حِينَ طَعَنْتَهُ؟ فَقَالَ: نَسِيتُ. فَقَالَ: وَيْحَكَ، سَمِّ اللهَ، ثُمَّ اطْعَنْهُ. قَالَ: فَذَكَرَ اسْمَ اللهِ ثُمَّ طَعَنَهُ فَأَنْفَذَهُ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَبَسَهُ قَبْلَ صَلْبِهِ، وَأَمَرَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ أَنْ يَعِظُوهُ وَيُعْلِمُوهُ أَنَّ هَذَا الَّذِي بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ، فَصَلَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَدْلِ وَالدِّينِ.

○ انتشار الطاعون في الشام

فِي سنة (٧٩هـ) وَقَعَ طَاعُونٌ عَظِيمٌ بِالشَّامِ، حَتَّى كَادُوا يَفْنُونَ مِنْ شِدَّتِهِ، وَلَمْ يَغْزُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ لِضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، وَوَصَلَتِ الرُّومُ فِيهَا أَنْطَاكِيَّةَ، فَأَصَابُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا؛ لِعِلْمِهِمْ بِضَعْفِ الْجُنُودِ وَالْمُقَاتِلَةِ.

○ سيل الجحاف بمكة

فِي سنة (٨٠هـ) كَانَ السَّيْلُ الْجُحَافُ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ جَحفَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَرَّ بِهِ، وَحَمَلَ الْحُجَّاجَ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَالْجِمَالَ بِمَا عَلَيْهَا، وَالرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْهُ، وَبَلَغَ الْمَاءُ إِلَى الْحَجُونِ وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُ ارْتَفَعَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُغَطِّيَ الْبَيْتَ.

○ الطاعون الجارف

في سـنة (٨٠هـ) كَانَ بِالْبَصْرَةِ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ. فَاللهُ أَعْلَمُ. وَالْمَشْـهُورُ أَنَّهُ كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ.

○ فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ [١]

سَاقَهَا ابْنُ جَرِيرٍ فِي حوادث سنة (٨١هـ) وتابعه في ابن كثير على ذلك.

وَكَانَ سَبَبَهَا أَنَّ الْحَجَّاجُ كان يُبْغِضُ ابْنَ الْأَشْعَثِ، وابن الأشعث يفهم ذلك وَيُضْمِرُ لَهُ السُّوءَ، فَلَمَّا ولّاه الْحَجَّاجُ عَلَى الجيش، أَمَرَهُ بِدُخُولِ بِلَادِ رُتْبِيلَ مَلِكِ التُّرْكِ، ومَضَى حتى اسـتولى على بَعْضَ بِلَادِ التُّرْكِ، ثُـمَّ رَأَى لِأَصْحَابِهِ أَنْ يكتفوا بذلك حَتَّى يتمكنوا ويَتَقَـوَّوْا إِلَـى الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ إِلَـى الْحَجَّاجِ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْـتَهْجِنُ رَأْيَهُ وَيَسْتَضْعِفُ عَقْلَهُ، وَيسمه بِالْجُبْنِ وَالنُّكُولِ عَنِ الْحَرْبِ، وَيَأْمُرُهُ حَتْمًا بِدُخُولِ بِلَادِ رُتْبِيـلَ، ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِكِتَابٍ ثَانٍ ثُمَّ ثَالِثٍ، فَلَمَّا تَوَارَدَتْ كُتُبُ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ يَحُثُّهُ عَلَى التَّوَغُّـلِ فِي بِـلَادِ رُتْبِيلَ، جَمَعَ مَنْ مَعَهُ، وَقَامَ فِيهِمْ، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ رَأَى مِنَ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ، وَبِمَا كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ مِنَ الْأَمْرِ بِمُعَاجَلَةِ رُتْبِيلَ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَقَالُوا: لَا، بَلْ نَأْبَى عَلَى عَدُوِّ اللهِ الْحَجَّاجِ، وَلَا نَسْمَعُ لَهُ وَلَا نُطِيعُ.

وكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مُطَرِّفُ بْنُ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ الْكِنَانِيُّ، وَكَانَ شَاعِرًا خَطِيبًا، فقَـالَ: إِنَّ مَثَـلَ الْحَجَّاجِ فِي هَذَا الرَّأْيِ وَمَثَلَنَا كَمَا قَـالَ الْأَوَّلُ لِأَخِيهِ: **احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَـرَسِ، فَإِنْ هَلَكَ هَلَـكَ، وَإِنْ نَجَا فَلَكَ.** إِنَّكُمْ إِنْ ظَفِرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُـلْطَانِهِ، وَإِنْ هَلَكْتُـمْ كُنْتُمُ الْأَعْدَاءَ الْبُغَضَاءَ. ثُمَّ قَالَ: اخْلَعُـوا عَدُوَّ اللهِ الْحَجَّاجَ وَبَايِعُوا لِأَمِيرِكُمْ

---

(١) وهذه الفتنة العظيمة لها أسـباب سياسـية وأسـباب دينية، لكن طغت الأسباب السياسية، وسلك قائدها مبدأ الخروج المسـلح مما أدّى إلى إجماع أهل السنة على تحريمه لما يحدث من سفك الدماء وافتراق النـاس ولـم تحقـق مأمّله من ايد ابن الأشـعث من القـراء والصلحاء، ولهذا اسـتقر إجماع أهل السـنة والجماعـة على تحريم هذا الخروج، انظـر لتفصيل ذلك: التمهيد لابن عبدالـبر، ٢٣/ ٢٧٩، والنووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٢٩، ومنهاج السنة لابن تيمية ٤/ ٤١٠.

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِعٍ لِلْحَجَّاجِ. فَقَالَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ: خَلَعْنَا عَدُوَّ اللهِ. وبَايَعُوهُ، وَلَمْ يَذْكُرُوا خَلْعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فبَعَثَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى رُتْبِيلَ، فَصَالَحَهُ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِالْجُنُودِ الَّذِينَ مَعَهُ مُقْبِلًا مِنْ سِجِسْتَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ؛ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الْعِرَاقَ، وكانت بيعتهم لابن الأشعث عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسنةِ رَسُولِهِ، وَخَلْعِ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَجِهَادِ **الْمُحِلِّينَ**.

فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَّاجَ مَا صَنَعُوا مِنْ خَلْعِهِ، كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَعْجِلُهُ فِي بَعْثِهِ الْجُنُودَ إِلَيْهِ.

○ دعوة ابن الأشعث للمهلب

وكَتَبَ ابن الأشعث إلى المهلب بن أبي صفرة يَدْعُوهُ إِلَى خلع الحجاج، فبَعَثَ المهلب بِكِتَابِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَكَتَب إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ يَا ابْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ وَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي رِكَابٍ طَوِيلٍ، أَبْقِ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، اللهَ اللهَ، انْظُرْ لِنَفْسِكَ فَلَا تُهْلِكْهَا، وَدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْفِكْهَا، وَالْجَمَاعَةِ فَلَا تُفَرِّقْهَا، وَالْبَيْعَةِ فَلَا تَنْكُثْهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَخَافُ النَّاسَ عَلَى نَفْسِي، فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تُعَرِّضْهَا لِلَّهِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، أَوِ اسْتِحْلَالِ مُحَرَّمٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

○ رأي ابن المهلب في مواجهة ابن الأشعث

وَكَتَبَ الْمُهَلَّبُ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْكَ مِثْلَ السَّيْلِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ عَلٍ، لَيْسَ شَيْءٌ يَرُدُّهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَرَارِهِ، وَإِنَّ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ شِرَّةً فِي أَوَّلِ مَخْرَجِهِمْ وَصَبَابَةً إِلَى أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَلَيْسَ شَيْءٌ يَرُدُّهُمْ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَيَشَمُّوا أَوْلَادَهُمْ،

ثُمَّ وَاقِعْهُمْ عِنْدَهَا، فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَلَمَّا وَصل كِتَابُ الْحَجَّاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ هَالَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَجْهِيزِ الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ فِي نُصْرَةِ الْحَجَّاجِ.

وَتجهـز الْحَجَّـاج لِلْخُرُوج إِلَى ابْنِ الْأَشْـعَثِ، **وَعَصَـى رَأْيَ الْمُهَلَّبِ فِيمَا أَشَـارَ بِهِ عَلَيْـهِ، وَكَانَ فِيـهِ النُّصْـحُ وَالصِّدْقُ**، وَجُعِلَتْ كُتُـبُ الْحَجَّاج لَا تَنْقَطِعُ عَـنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِخَبَرِ ابْنِ الْأَشْـعَثِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؛ **أَيْنَ نَزَلَ؟ وَمِنْ أَيْنَ ارْتَحَلَ؟** وَأَيُّ النَّاسِ إِلَيْهِ أَسْرَعُ؟ وَجَعَـلَ النَّـاسُ يَلْتَفُّونَ عَلَى ابْنِ الْأَشْـعَثِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ سَـارَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَمِائَةٌ وَعِشْـرُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَخَرَجَ الْحَجَّاجُ فِي جُنُودِ الشَّام مِنَ الْبَصْرَةِ نَحْوَ ابْنِ الْأَشْـعَثِ، فَنَزَلَ تُسْـتَرَ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُطَهَّرَ بْنَ حَيٍّ الْعَكِّيَّ أَمِيرًا عَلَى الْمُقَدِّمَةِ، وَمَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ زُمَيْتٍ أَمِيرًا آخَرَ، فَانْتَهَوْا إِلَى دُجَيْلٍ، فَإِذَا مُقَدِّمَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِـي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ عَلَيْهَـا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبَانٍ الْحَارِثِيُّ، فَالْتَقَوْا فِي يَـوْمِ الْأَضْحَى عِنْدَ نَهْرِ دُجَيْـلٍ، فَهُزِمَتْ مُقَدِّمَةُ الْحَجَّاجِ، وَقَتَلَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْـعَثِ مِنْهُـمْ خَلْقًا كَثِيرًا، نَحْوَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَاحْتَازُوا مَا فِي مُعَسْكَرِهِمْ مِنْ خُيُولٍ وَقُمَاشٍ وَأَمْوَالٍ.

وَجَـاءَ الْخَبَرُ إِلَى الْحَجَّاجِ بِهَزِيمَةِ أَصْحَابِهِ، فَقَـالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْجِعُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَإِنَّهُ أَرْفَقُ بِالْجُنْدِ، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ، وَاتَّبَعَتْهُمْ خُيُولُ ابْنِ الْأَشْـعَثِ لَا يُدْرِكُونَ مِنْهُمْ شَـاذًّا إِلَّا قَتَلُـوهُ، وَلَا فَـاذًّا إِلَّا أَهْلَكُـوهُ، وَمَضَى الْحَجَّاجُ هَارِبًا لَا يَلْوِي عَلَى شَـيْءٍ، حَتَّى أَتَى الزَّاوِيَةَ [١]، فَعَسْـكَرَ عِنْدَهَا، وَجَعَلَ يَقُولُ: **لِلَّهِ دَرُّ الْمُهَلَّبِ! أَيُّ صَاحِبِ حَرْبٍ هُوَ؟! قَدْ أَشَارَ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ، وَلَكِنَّا لَمْ نَقْبَلْ.**

وَأَنْفَقَ الْحَجَّاجُ عَلَى جَيْشِـهِ مِائَةً وَخَمْسِـينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَخَنْدَقَ حَوْلَ جَيْشِـهِ خَنْدَقًـا، وَجَاءَ أَهْـلُ الْعِـرَاقِ فَدَخَلُوا الْبَصْـرَةَ، وَاجْتَمَعُـوا بِأَهَالِيهِمْ وَشَـمُّوا أَوْلَادَهُمْ، وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْبَصْرَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ بِهَا، وَبَايَعَهُمْ **وَبَايَعُوهُ عَلَى خَلْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَنَائِبِهِ الْحَجَّاجِ** بْنِ يُوسُـفَ، ووافقه على خلعهما جميع من بالبصرة من الفقهاء والقراء والشـيوخ والشـباب، ثم أمر ابن الأشعث بحفر خندق حول البصرة فعُمل، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

(١) موضع قرب البصرة، ياقوت معجم البدان ٣/ ١٢٨

○ وَقْعَةُ الزَّاوِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ

فِي الْمُحَرَّمِ من سنة (٨٢هـ) كَانَتْ وَقْعَةُ الزَّاوِيَةِ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَالْحَجَّاجِ، وَكَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ تَوَاقَعُوا يَوْمًا آخَرَ، فَحَمَلَ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ - أَحَدُ أُمَرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ - عَلَى مَيْمَنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَهَزَمَهَا، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَخَرَّ الْحَجَّاجُ لِلَّهِ سَاجِدًا بَعْدَمَا كَانَ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَسَلَّ شَيْئًا مِنْ سَيْفِهِ.

وَلَمَّا فَرَّ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ رَجَعَ الحجاج بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، **فَعَمَدَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** فَبَايَعُوهُ، فَقَاتَلَ الْحَجَّاجَ خَمْسَ لَيَالٍ أَشَدَّ الْقِتَالِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، **فَاسْتَنَابَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْبَصْرَةِ أَيُّوبَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ**، وَدَخَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ الْكُوفَةَ، فَبَايَعَهُ أهلها، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَكَثُرَ مُتَابِعُو ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى ذَلِكَ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَتَفَرَّقَتِ الْكَلِمَةُ جِدًّا، وَعَظُمَ الْخَطْبُ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ.

○ وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ

ثُمَّ كَانَتْ وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ (١) فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٨٢هـ). قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ.

وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا قَصَدَ الْكُوفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا، فَتَلَقَّوْهُ، وَحَفُّوا بِهِ، وَمشوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَوْثَقَ لِابْنِ الْأَشْعَثِ أَمْرُ الْكُوفَةِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ مَنْ جَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَمَرَ بِالْمَسَالِحِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَحُفِظَتِ الثُّغُورُ وَالطُّرُقُ وَالْمَسَالِكُ.

(١) الدير: هو البيت الذي يتعبد فيه الرهبان ويكون في الصحاري، ودير الجماجم مكان بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ، وسمي بذلك لأنه قتل قوم عند الدير ونصبت جماجمهم كالبناء. انظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ٢/ ٥٠٣.

ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ رَكِبَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي الْبَرِّ، **حَتَّى مَرَّ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَالْعُذَيْبِ**، وَبَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْعَبَّاسِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمِصْرَيْنِ (البصرة والكوفة)، فَمَنَعُوا الْحَجَّاجَ مِنْ نُزُولِ الْقَادِسِيَّةِ، فَسَارَ الْحَجَّاجُ حَتَّى نَزَلَ **دَيْرَ قُرَّةَ**، وَجَاءَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ الْبَصْرِيَّةِ وَالْكُوفِيَّةِ حَتَّى نَزَلَ **دَيْرَ الْجَمَاجِمِ**، وَمَعَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ، وَفِيهِمُ الْقُرَّاءُ مِنَ الْمِصْرَيْنِ، وَخَلْقٌ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَنِ اجْتَمَعَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ **مِائَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ**، مِمَّنْ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ، **وَمَعَهُمْ مِثْلُهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ**، وَقَدِمَ عَلَى الْحَجَّاجِ فِي غُبُونِ ذَلِكَ أَمْدَادٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الشَّامِ، وَخَنْدَقَ كُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى نَفْسِهِ وَحَوْلَ جَيْشِهِ خَنْدَقًا، يُمْتَنَعُ بِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ كَانَ يَبْرُزُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيَقْتَتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا فِي كُلِّ يَوْمٍ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْ رُءُوسِ النَّاسِ خَلْقٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ مُدَّةً طَوِيلَةً،

عرض عبدالملك الصلح على ابن الأشعث

وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالُوا لَهُ: **إِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يُرْضِيهِمْ مِنْكَ أَنْ تَعْزِلَ عَنْهُمُ الْحَجَّاجَ فَهُوَ أَيْسَرُ مِنْ قِتَالِهِمْ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ**، فبعث عَبْدُ الْمَلِكِ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ، وَابْنَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَمَعَهُمَا جُنُودٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ يَقُولُ لَهُمْ: **إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ مِنِّي عَزْلُ الْحَجَّاجِ عَنْكُمْ عَزَلْتُهُ**، وَأَبْقَيْتُ عَلَيْكُمْ أُعْطِيَّاتِكُمْ مِثْلَ أَهْلِ الشَّامِ، **وَلْيَخْتَرِ ابْنُ الْأَشْعَثِ أَيَّ بَلَدٍ شَاءَ** يَكُونُ عَلَيْهِ أَمِيرًا مَا عَاشَ وَعِشْتُ، وَتَكُونُ إِمْرَةُ الْعِرَاقِ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ.

فَعرض عَبْدُ اللهِ وَمُحَمَّدٌ كتاب عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عليهم، فَقَالُوا: نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا غَدًا، وَنَرُدُّ عَلَيْكُمُ الْخَبَرَ عَشِيَّةً، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ، فعرض عليهم ذلك. فقَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَقْبَلُ ذَلِكَ؛ **نَحْنُ أَكْثَرُ عَدَدًا وَعُدَدًا، وَهُمْ فِي ضِيقٍ مِنَ الْحَالِ**، وَقَدْ حَكَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَذَلُّوا لَنَا، وَاللهِ لَا نُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ أَبَدًا. ثُمَّ جَدَّدُوا خَلْعَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ثَانِيَةً، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ كُلُّهُمْ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ بَرَزَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْقِتَالِ وَالْحَرْبِ، وَجعَلُوا يَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ تَأْتِيهِمُ الْمِيرَةُ مِنَ الرَّسَاتِيقِ وَالْأَقَالِيمِ، مِنَ الْعَلَفِ وَالطَّعَامِ وَغَيْرِهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ الَّذِينَ مَعَ الْحَجَّاجِ فَفِي ضِيقٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ، وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا، حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَالدَّائِرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ.

○ هزيمة ابن الأشعث وفراره

واسْتُهِلَّتْ سنة (٨٣هـ) وَالنَّاسُ مُتَوَاقِفُونَ فِي القتال، وَفِي غَالِبِ الْأَيَّامِ تَكُونُ النُّصْرَةُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ أَصْحَابَ ابْنِ الْأَشْعَثِ كَسَرُوا أَصْحَابُ الْحَجَّاجِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ مَرَّةً يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهِمْ. وَمَعَ هَذَا فَالْحَجَّاجُ ثَابِتٌ فِي مَكَانِهِ صَابِرٌ وَمُصَابِرٌ، لَا يَتَزَحْزَحُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لَهُ ظَفَرٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يَتَقَدَّمُ بِجَيْشِهِ إِلَى نَحْرِ عَدُوِّهِ، وَكَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَرْبِ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ وَدَأْبَهُمْ حَتَّى أَمَرَ بِالْحَمْلَةِ عَلَى كَتِيبَةِ الْقُرَّاءِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا تَبَعًا لَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَصَبَرَ الْقُرَّاءُ لِحَمْلَةِ جَيْشِهِ، ثُمَّ جَمَعَ الرُّمَاةَ مِنْ جَيْشِهِ وَحَمَلَ بِهِمْ، وَمَا انْفَكَّ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَذَهَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَهَرَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَمَعَهُ فَلٌّ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فَأَتْبَعَهُ الْحَجَّاجُ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ عِمَارَةَ بْنِ تَمِيمٍ اللَّخْمِيِّ، وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَالْإِمْرَةُ لِعِمَارَةَ، فَسَاقُوا وَرَاءَهُمْ يَطْرُدُونَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ قَتْلًا أَوْ أَسْرًا، فَمَا زَالَ يَسُوقُ وَيَخْتَرِقُ الْأَقَالِيمَ وَالْكُورَ وَالرَّسَاتِيقَ، وَهُمْ فِي أَثَرِهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى كَرْمَانَ.

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ دَخَلَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفَلِّ إِلَى بِلَادِ رُتْبِيلَ مَلِكِ التُّرْكِ، فَأَكْرَمَهُ رُتْبِيلُ، وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ، وَأَمَّنَهُ وَعَظَّمَه، وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ هُنَالِكَ فِي بِلَادِ رُتْبِيلَ، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفَلِّ الَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ الْحَجَّاجِ اجْتَمَعُوا وَسَارُوا وَرَاءَ ابْنِ الْأَشْعَثِ؛

لِيُدْرِكُوهُ فَيَكُونُوا مَعَهُ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سِتِّينَ أَلْفًا، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى سِجِسْتَانَ وَجَدُوا ابْنَ الْأَشْعَثِ قَدْ دَخَلَ إِلَى عِنْدِ رُتْبِيلَ فَتَغَلَّبُوا عَلَى سِجِسْتَانَ. ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ: أَنِ اخْرُجْ إِلَيْنَا حَتَّى نَكُونَ مَعَكَ؛ نَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ يُخَالِفُكَ، وَنَأْخُذُ بِلَادَ خُرَاسَانَ، فَإِنَّ بِهَا جُنْدًا عَظِيمًا مِنَّا، فَنَكُونُ بِهَا حَتَّى يُهْلِكَ اللهُ الْحَجَّاجَ أَوْ عَبْدَ الْمَلِكِ، فَنَرَى بَعْدَ ذَلِكَ رَأْيَنَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ ابْنُ الْأَشْعَثِ، وَسَارَ بِهِمْ قَلِيلًا إِلَى نَحْوِ خُرَاسَانَ، فَاعْتَزَلَهُ شِرْذِمَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، فَقَامَ فِيهِمُ ابْنُ الْأَشْعَثِ خَطِيبًا، فَذَكَرَ غَدْرَهُمْ وَنُكُولَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ، **وَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِكُمْ**، وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى صَاحِبِي رُتْبِيلَ فَأَكُونُ عِنْدَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ مُعْظَمُ الْجَيْشِ، فَلَمَّا انْفَصَلَ عَنْهُمُ ابْنُ الْأَشْعَثِ **بَايَعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ الْهَاشِمِيَّ**، وَسَارُوا مَعَهُ إِلَى خُرَاسَانَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ؛ لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ بِلَادِهِ، وَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ فِي الْبِلَادِ مُتَّسَعًا، **فَاذْهَبْ إِلَى أَرْضٍ لَيْسَ لِي بِهَا سُلْطَانٌ**، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَالًا بَعَثْتُ إِلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا جِئْنَا نَسْتَرِيحُ وَنُرِيحُ خَيْلَنَا، ثُمَّ نَذْهَبُ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى ما عَرَضْتَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى أَخْذِ الْخَرَاجِ مِمَّا حَوْلَهُ مِنَ الْبِلَادِ مِنْ كُورِ خُرَاسَانَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَمَعَهُ أَخُوهُ الْمُفَضَّلُ فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، فَلَمَّا صَادَفُوهُمُ اقْتَتَلُوا غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَلَ يَزِيدُ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَسَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى كَثِيرَةً، وَاحْتَازَ مَا فِي مُعَسْكَرِهِمْ، وَبَعَثَ بِالْأُسَارَى إِلَى الْحَجَّاجِ.

○ مصير الأسارى والمنهزمين

وَلَمَّا قَدِمَتِ الْأُسَارَى عَلَى الْحَجَّاجِ قَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَعَفَا عَنْ بَعْضِهِمْ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ يَوْمَ ظَهَرَ عَلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ بِدَيْرِ الْجَمَاجِمِ نَادَى مُنَادِيهِ فِي النَّاسِ: مَنْ رَجَعَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ لَحِقَ بِقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بِالرَّيِّ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَحِقَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَأَمَّنَهُمُ الْحَجَّاجُ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِ شَرَعَ الْحَجَّاجُ فِي تَتَبُّعِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَكَانَ الشَّـعْبِيُّ مِـنْ جُمْلَةِ مَنْ صَارَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْـلِمٍ، فَذَكَرَهُ يَوْمًـا الْحَجَّاجُ، فَقِيلَ لَـهُ: إِنَّهُ سَـارَ إِلَى قُتَيْبَـةَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ بِالشَّـعْبِيِّ. قَالَ الشَّـعْبِيُّ: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ سَـلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ، ثُـمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ النَّاسَ قَـدْ أَمَرُونِي أَنْ أَعْتَذِرَ إِلَيْكَ بِغَيْـرِ مَـا يَعْلَمُ اللهُ أَنَّـهُ الْحَقُّ، **وَايْمُ اللهِ لَا أَقُولُ فِـي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا الْحَقَّ، قَـدْ وَاللهِ تَمَرَّدْنَا عَلَيْـكَ، وَحَرَّضْنَـا وَجَهَدْنَـا كُلَّ الْجَهْـدِ، فَمَا آلَوْنَـا، وَلَقَدْ نَصَـرَكَ اللهُ عَلَيْنَـا، وَأَظْفَرَكَ بِنَـا**، فَإِنْ سَـطَوْتَ فَبِذُنُوبِنَا، وَمَا جَـرَّتْ إِلَيْكَ أَيْدِينَـا، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنَّـا فَبِحِلْمِكَ، وَبَعْدُ فَالْحُجَّـةُ لَـكَ عَلَيْنَا. فَقَـالَ الْحَجَّاجُ: أَنْتَ وَاللهِ يَا شَـعْبِيُّ أَحَـبُّ إِلَيَّ مِمَّـنْ يَدْخُلُ عَلَيْنَا يَقْطُـرُ سَـيْفُهُ مِـنْ دِمَائِنَـا، ثُمَّ يَقُولُ: مَـا فَعَلْتُ وَلَا شَـهِدْتُ. قَـدْ أَمِنْتَ عِنْدَنَا يَا شَـعْبِيُّ.

وقد سَـارَ الحجاج إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا، فَجَعَلَ لَا يُبَايِعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا قَالَ: أَتَشْـهَدُ عَلَى نَفْسِكَ أَنَّكَ قَدْ كَفَرْتَ. فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ. بَايَعَهُ، وَإِنْ أَبَى قَتَلَهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، مِمَّنْ أَبَى أَنْ يَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكُفْرِ.

ثُمَّ شَـرَعَ الْحَجَّاجُ فِي تَتَبُّعِ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْـعَثِ، فَقَتَلَهُمْ مَثْنَى وَفُرَادَى، حَتَّى قِيلَ: **إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا مِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا**. قَالَهُ النَّضْرُ بْنُ شُـمَيْلٍ، عَنْ هِشَـامِ بْنِ حَسَّانَ. مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَجَمَاعَاتٌ مِنَ السَّادَاتِ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ رَحِمَهُمُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

○ مصير ابن الأشعث

فِي سـنة (٨٤هـ) كان مَهْلِكُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْـعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ، وَقِيلَ: فِي الَّتِي بَعْدَهَا فَاللهُ أَعْلَمُ؛

وَذَلِـكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَتَـبَ إِلَى رُتْبِيلَ مَلِكِ التُّـرْكِ الَّذِي لَجَأَ ابْنُ الْأَشْـعَثِ إِلَيْهِ يَقُولُ لَـهُ: وَاللهِ الَّـذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَئِـنْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِابْنِ الْأَشْـعَثِ لَأَبْعَثَنَّ إِلَـى بِلَادِكَ أَلْفَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَلَأُخَرِّبَنَّهَا. فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْوَعِيدُ مِنَ الْحَجَّاجِ اسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُخَرِّبَ الْحَجَّاجُ دِيَارَهُ، وَيَأْخُذَ عَامَّةَ أَمْصَارِهِ،

فَأَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّاجِ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقَاتِلَ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ لَا يُؤَدِّيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْهَا إِلَّا مِائَةَ أَلْفٍ مِنَ الْخَرَاجِ، فَأَجَابَهُ الْحَجَّاجُ إِلَى ذَلِكَ.

فَغَدَرَ رُتْبِيلُ بِابْنِ الْأَشْعَثِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى ثَلَاثِينَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ فَقَيَّدَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ، وَبَعَثَ بِهِمْ مَعَ رُسُلِ الْحَجَّاجِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: **الرُّخَّجُ** [١]، صَعِدَ ابْنُ الْأَشْعَثِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِالْحَدِيدِ إِلَى سَطْحِ قَصْرٍ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مُوكَّلٌ بِهِ؛ لِئَلَّا يَفِرَّ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ، وَسَقَطَ مَعَهُ الْمُوكَّلُ بِهِ فَمَاتَا جَمِيعًا، فَعَمَدَ الرَّسُولُ إِلَى رَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَاحْتَزَّهُ، وَقَتَلَ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْحَجَّاجِ.

○ رأي ابن كثير في فتنة ابن الأشعث

قال ابن كثير: وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ بِالْإِمَارَةِ، وَلَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنَّمَا هُوَ كِنْدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، **وَقَدِ اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي قُرَيْشٍ**، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمُ الصِّدِّيقُ بِالْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ الْأَنْصَارَ سَأَلُوا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ مَعَ أَمِيرِ الْمُهَاجِرِينَ، فَأَبَى الصِّدِّيقُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَعْمِدُونَ إِلَى خَلِيفَةٍ قَدْ بُويِعَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ سِنِينَ، فَيَعْزِلُونَهُ وَهُوَ مِنْ صَلِيبَةِ قُرَيْشٍ، وَيُبَايِعُونَ لِرَجُلٍ كِنْدِيٍّ بَيْعَةً لَمْ يَتَّفِقْ عَلَيْهَا أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ؟ **وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ زَلَّةٌ وَفَلْتَةٌ نَشَأَ بِسَبَبِهَا شَرٌّ كَثِيرٌ هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ**، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ بِنَاءُ مدينة وَاسِطِ

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٨٣هـ) بَنَى الْحَجَّاجُ وَاسِطًا، وسميت بذلك لتوسطها بين المصرين البصرة والكوفة، وقد اختير موقعها بعناية، واستمر البناء فيها إلى سنة (٨٦هـ)، وأجرى الأنهار إليها وكثر فيها الغرس والزراعة [٢].

(١) الرخج: كورة ومدينة من نواحي كابل، معجم البلدان (٣/ ٣٨)

(٢) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٣٤٧)

❍ بَيْعَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِوَلَدِهِ الْوَلِيدِ

في (٨٥هـ) عين عبدالملك ابنه الوليد وليا للعهد، ومن بعده أخاه سليمان بن عبدالملك. فبُويعَ لَهُما بِدِمَشْقَ، ثُمَّ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، ثُمَّ لَمَّا انْتَهَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ **امْتَنَعَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنْ يُبَايِعَ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَحَدٍ**، فَأَمَرَ بِهِ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ، فَضُرِبَ سِتِّينَ سَوْطًا، وأَوْدَعُوهُ السِّجْنَ، وكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُهُ بِمُخَالَفَةِ سَعِيدٍ فِي ذَلِكَ، **فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَنِّفُهُ فِي ذَلِكَ، وَيَأْمُرُهُ بِإِخْرَاجِهِ**، وقال: **وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ سَعِيدًا لَيْسَ عِنْدَهُ شِقَاقٌ وَلَا خِلَافٌ**.

❍ وقوع الطاعون في بعض البلدان

فِي سنة (٨٦هـ) كَانَ طَاعُونٌ بِالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطٍ، وَيُسَمَّى طَاعُونَ الْفَتَيَاتِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِالنِّسَاءِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ.

❍ الخوارج في عهد عبدالملك

بعد انتزاع عبد الملك بن مروان العراق من ابن الزبير ولّى أخاه بشر على الكوفة، وخالد القسري على البصرة، فولى خالد **الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ سنة (٧٢هـ) عَلَى الْأَهْوَازِ وَمَا مَعَهَا**، وَشَكَرَ سَعْيَهُ في قتال الخوارج، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً كَثِيرًا، ثُمَّ تَوَاقَعَ النَّاسُ مع الخوارج بِالْأَهْوَازِ، بقيادة عبدالعزيز القسري، فَكُسِرَ النَّاسُ كَسْرَةً عَظِيمَةً وَهَرَبُوا لَا يَلْوُونَ على أحد.

وَأَرْسَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى أَخِيهِ **بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ** أَنْ يُمِدَّهُمْ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم أَرْبَعَةَ آلَافٍ، عَلَيْهِمْ **عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ، فَطَرَدُوا الْخَوَارِجَ كُلَّ مَطْرَدٍ**، وَلَكِنْ لَقِيَ الْجَيْشُ جُهْدًا عَظِيمًا، وَمَاتَتْ خُيُولُهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا مُشَاةً إِلَى أَهْلِيهِمْ.

❍ خروج أبي فديك في البحرين:

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٧٢هـ) كَانَ خُرُوجُ أَبِي فُدَيْكٍ الْحَارِثِيِّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَغَلَبَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، **وَقَتَلَ نَجْدَةَ بْنَ عَامِرٍ الحروري**، فَبَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ

عَبْـدِ اللهِ أَمِيرُ الْبَصْـرَةِ أَخَاهُ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فِي جَيْشٍ كَثِيـفٍ، فَهَزَمَهُمْ أَبُو فُدَيْكٍ، وَأَخَذَ جَارِيَـةً لِأُمَيَّةَ، وَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِـهِ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَمِيـرُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعْلِمُـهُ بِمَـا وَقَعَ، وَاجْتَمَـعَ عَلَى خَالِدٍ حَرْبُ أَبِـي فُدَيْكٍ في البحرين، وَحَـرْبُ الْأَزَارِقَةِ أَصْحَابِ قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ بِالْأَهْوَازِ.

❍ تولية المهلب قتال الخوارج

وَفِي سنة (٧٤هـ) ولَّى عبدالملك الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ حَرْبَ الخوارج الْأَزَارِقَةِ، فَسَـارَ الْمُهَلَّبُ بِأَهْـلِ الْبَصْرَةِ، وَأُمَرَاءِ الْأَرْبَـاعِ مَعَهُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، حَتَّى نَـزَلَ بِرَامَهُرْمُزَ، فَلَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا إِلَّا عَشْـرًا حَتَّى جَاءَ نَعْيُ بِشْـرِ بْنِ مَرْوَانَ، وَأَنَّهُ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَارْفَضَّ بَعْضُ الْجَيْشِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبَعَثُوا فِي آثَارِهِمْ مَـنْ يَرُدُّهُـمْ، وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى الْفَارِّينَ يَتَوَعَّدُهُـمْ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ، وَيَتَوَعَّدُهُـمْ بِسَـطْوَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَعَدَلُوا عن المسـير إلى البصرة واسـتأذنوا عَمْرَو بْنَ حُرَيْـثٍ فِي الْمَصِيرِ إِلَـى الْكُوفَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِـمْ: **إِنَّكُمْ تَرَكْتُمْ أَمِيرَكُـمْ، وَأَقْبَلْتُمْ عَاصِينَ مُخَالِفِيـنَ، وَلَيْـسَ لَكُـمْ إِذْنٌ وَلَا إِمَامٌ وَلَا أَمانٌ**. فَلَمَّـا جَاءَهُمْ ذَلِكَ، أَقْبَلُـوا إِلَى رِحَالِهِمْ فَرَكِبُوهَا، ثُمَّ سَـارُوا إِلَى بَعْضِ الْبِـلَادِ، فَلَمْ يَزَالُوا مُخْتَفِينَ بِهَا حَتَّـى قَدِمَ الْحَجَّاجُ وَالِيًا عَلَى الْعِرَاقِ مَكَانَ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ.

❍ ضعف أمر الخوارج

أَرْسَـلَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ فَأَمَرَهُمَا بِمُنَاهَضَةِ الْأَزَارِقَةِ، فَنَهَضَـا بِمَنْ مَعَهُمَا إِلَى الْخَـوَارِجِ الْأَزَارِقَـةِ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ أَمَاكِنِهِمْ مِنْ رَامْهُرْمُزَ بِأَيْسَـرِ قِتَـالٍ، فَهَرَبُـوا إِلَى أَرْضِ كَازَرُونَ مِنْ إِقْلِيمِ سَـابُورَ، **وَسَـارَ النَّاسُ وَرَاءَهُـمْ، فَالْتَقَوْا فِي الْعَشْـرِ الْآخَـرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَمَّـا كَانَ اللَّيْلُ بَيَّتَ الْخَوَارِجُ الْمُهَلَّبَ مِـنَ اللَّيْلِ، فَوَجَدُوهُ قَـدْ تَحَصَّنَ بِخَنْدَقٍ حَوْلَ مُعَسْـكَرِهِ، فَجَاءُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْـنِ مِخْنَفٍ فَوَجَدُوهُ غَيْرَ مُحْتَرِزٍ - وَكَانَ الْمُهَلَّبُ قَدْ أَمَرَهُ بِالِاحْتِرَازِ بِخَنْدَقٍ حَوْلَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ** - فَاقْتَتَلُوا فِي اللَّيْلِ،

فَقَتَلَتِ الْخَوَارِجُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ وَطَائِفَةً مِنْ جَيْشِهِ، وَهَزَمُوهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً.

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ جَاءَ الْمُهَلَّبُ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِمَهْلِكِهِ، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَزِّيهِ فِيهِ، فَنَعَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى النَّاسِ بِمِنًى، وَأَمَّرَ الْحَجَّاجُ مَكَانَهُ **عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ**.

○ ثورة الخوارج بقيادة صالح بن مُسرّح

كَانَ فِي أَوَّلِ (**سنة ٧٦هـ**) فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ مِنْهَا لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ اجْتِمَاعُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ أَمِيرِ الصُّفْرِيَّةِ، وَشَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ أَحَدِ شُجْعَانِ الْخَوَارِجِ، فَقَامَ فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ، فَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، وَأَنْ لَا يُقَاتِلُوا أَحَدًا حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُمْ.

ثُمَّ مَالُوا إِلَى دَوَابِّ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، نَائِبِ الْجَزِيرَةِ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَخَذُوهَا فَتَقَوَّوْا بِهَا، وَأَقَامُوا بِأَرْضِ **دَارَا** ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَتَحَصَّنَ مِنْهُمْ أَهْلُ دَارَا **وَنَصِيبِينَ وَسِنْجَارَ**، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ، عَلَيْهِمْ عَدِيُّ بْنُ عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ، ثُمَّ زَادَهُ خَمْسَمِائَةٍ أُخْرَى، فَسَارَ فِي أَلْفٍ مِنْ حَرَّانَ إِلَيْهِمْ، وَكَأَنَّمَا يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ يَنْظُرُ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَلَدِ الْخَوَارِجِ وَقُوَّتِهِمْ وَشِدَّةِ بَأْسِهِمْ، فَلَمَّا الْتَقَى مَعَ الْخَوَارِجِ هَزَمُوهُ هَزِيمَةً شَنِيعَةً بَالِغَةً، وَاحْتَوَوْا عَلَى مَا فِي مُعَسْكَرِهِ، وَرَجَعَ فَلُّهُمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَغَضِبَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ جَعْوَنَةَ، وَأَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ مَعَ خَالِدِ بْنِ جَزْءٍ السُّلَمِيِّ، وَقَالَ لَهُمَا: أَيُّكُمَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ فَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى النَّاسِ. فَسَارُوا إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَالْخَوَارِجُ فِي نَحْوٍ مِنْ مِائَةِ نَفْسٍ، وَعَشَرَةِ أَنْفُسٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى آمِدَ تَوَجَّهَ صَالِحٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ جَزْءٍ فِي شَطْرِ النَّاسِ، وَوَجَّهَ شَبِيبًا إِلَى الْحَارِثِ بْنِ جَعْوَنَةَ فِي الْبَاقِينَ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ فِي هَذَا الْيَوْمِ قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ انْكَفَّ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوَ السَّبْعِينَ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَرْوَانَ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ، وَهَرَبَتِ الْخَوَارِجُ فِي اللَّيْلِ،

فَخَرَجُوا مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَأَخَذُوا فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ، وَمَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمِ الْحَجَّاجُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَعَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ، فَسَارَ نَحْوَهُمْ حَتَّى لَحِقَهُمْ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ، وَلَيْسَ مَعَ صَالِحٍ سِوَى تِسْعِينَ رَجُلًا، فَالْتَقَى مَعَهُمْ، وَقَدْ جَعَلَ صَالِحٌ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَةَ كَرَادِيسَ؛ فَهُوَ فِي كُرْدُوسٍ، وَشَبِيبٌ عَنْ يَمِينِهِ فِي كُرْدُوسٍ، وَسُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ يَسَارِهِ فِي كُرْدُوسٍ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرَةَ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ أَبُو الرَّوَّاغِ الشَّاكِرِيُّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْأَرْوَحِ التَّمِيمِيُّ، فَصَبَرَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى قِلَّتِهِمْ صَبْرًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْكَشَفَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، **ثُمَّ قُتِلَ صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحٍ أَمِيرُهُمْ، وَصُرِعَ شَبِيبٌ عَنْ فَرَسِهِ**، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ الْخَوَارِجِ حَتَّى احْتَمَلُوهُ، فَدَخَلُوا بِهِ حِصْنًا هُنَالِكَ، وَقَدْ بَقِيَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عُمَيْرَةَ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْرِقُوا الْبَابَ، فَفَعَلُوا، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ يَنْتَظِرُونَ حَرِيقَ الْبَابِ، فَيَأْخُذُونَ الْخَوَارِجَ قَهْرًا، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ وَاطْمَأَنُّوا خَرَجَتْ عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ مِنَ الْبَابِ عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ، فَبَيَّتُوا جَيْشَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَهَرَبَ النَّاسُ سِرَاعًا إِلَى الْمَدَائِنِ، وَاحْتَازَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ مَا فِي مُعَسْكَرِهِمْ، فَكَانَ جَيْشُ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرَةَ أَوَّلَ جَيْشٍ هَزَمَهُ شَبِيبٌ، وَكَانَ مَقْتَلُ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

○ ثورة شبيب بن يزيد الخارجي

فِي سنة (٧٦هـ) دَخَلَ شَبِيبٌ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ غَزَالَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ شَبِيبًا جَرَتْ لَهُ فُصُولٌ يَطُولُ تَفْصِيلُهَا بَعْدَ مَقْتَلِ صَالِحِ بْنِ مُسَرِّحٍ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْخَوَارِجُ وَبَايَعُوهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ جَيْشًا آخَرَ، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمُوهُ ثُمَّ هَزَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَارَ فَحَاصَرَ الْمَدَائِنَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهَا شَيْئًا، فَسَارَ فَأَخَذَ دَوَابَّ لِلْحَجَّاجِ مِنْ **كَلْوَاذَا**، واستطاع دخول الكوفة وَقَصَدَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَضَرَبَ بَابَهُ بِعَمُودِهِ الْحَدِيدِ، فَأَثَّرَتْ ضَرْبَتُهُ فِي الْبَابِ، فَكَانَتْ تُعْرَفُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ يُقَالُ: هَذِهِ ضَرْبَةُ شَبِيبٍ.

وَنَادَى الْحَجَّاجُ فِي النَّاسِ: يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي. فَخَرَجَ شَبِيبٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَجَهَّزَ الْحَجَّاجُ فِي أَثَرِهِ سِتَّةَ آلافِ مُقَاتِلٍ، فَسَارُوا وَرَاءَهُ.

وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ شَبِيبٍ، وَتَزَلْزَلَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، وَالْحَجَّاجُ، وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ، وَخَافَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا، فَبَعَثَ لَهُ جَيْشًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَدِمُوا في سنة (٧٧هـ) ولم يبق مع شبيب إلا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ، وَقَدْ مَلأَ قُلُوبَ النَّاسِ رُعْبًا.

وكان الحجاج أَخْرَجَ مُقَاتِلَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْصِدَ لِشَبِيبِ بْنِ يَزِيدَ أَيْنَ كَانَ، وَلَمَّا بَلَغَ شَبِيبًا مَا بَعَثَ بِهِ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنُودِ، قَامَ فِي أَصْحَابِهِ خَطِيبًا، فَوَعَظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَمُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ، ثُمَّ سَارَ شَبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ نَحْوَ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَالْتَقَيَا فِي آخِرِ النَّهَارِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا صَلَّى شَبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ الْمَغْرِبَ انْتَظَرَ حَتَّى طَلَعَ الْقَمَرُ وَأَضَاءَ، ثم حَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ رَايَاتِ عَتَّابٍ، وَهُوَ يَقُولُ: **أَنَا شَبِيبٌ أَبُو الْمُدَلَّهِ، لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ.** فَهَزَمَهُمْ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ، فَفَرَّقَ شَمْلَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا، ثُمَّ قَصَدَ الْقَلْبَ، فَمَا زَالَ حَتَّى **قُتِلَ الْأَمِيرُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ، وَزَهْرَةُ بْنُ حَوِيَّةَ،** وَوَلَّى عَامَّةُ الْجَيْشِ مُدْبِرِينَ، وَانْهَزَمَ جَيْشُ الْحَجَّاجِ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ رَاجِعِينَ إِلَى الْكُوفَةِ. ثُمَّ احْتَوَى عَلَى مَا فِي الْمُعَسْكَرِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، ثُمَّ قَصَدَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَعَزَمَ الْحَجَّاجُ عَلَى قِتَالِ شَبِيبٍ بِنَفْسِهِ، وَسَارَ شَبِيبٌ حَتَّى بَلَغَ **الصَّرَاةَ،**[1] وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الشَّامِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْفَرِيقَانِ نَظَرَ الْحَجَّاجُ إِلَى شَبِيبٍ وَهُوَ فِي سِتِّمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَخَطَبَ الْحَجَّاجُ أَهْلَ الشَّامِ وَقَالَ: **يَا أَهْلَ الشَّامِ، أَنْتُمْ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ،** لَا يَغْلِبَنَّ بَاطِلُ هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ حَقَّكُمْ، غُضُّوا الْأَبْصَارَ، وَاجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ، وَاسْتَقْبِلُوهم بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ.

---

(١) قال في معجم البلدان ٣/ ٤٠٠ صراة جاماسب، قناة تستمد من الفرات بناء عليها الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل.

وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ وَقَدْ عَبَّأَ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ؛ فقاتلوهم في جولات متعددة **قتل فيها مصاد أخو شبيب** وزوجته غزالة فخرج شبيب من الكوفة وأخذ يعيث في البلدان قتلا وفسادا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَوْتًا قَدَرًا مِنْ غَيْرِ صُنْعِهِمْ، وَلَا صُنْعِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

○ مَقْتَلِ شَبِيبِ

أمر الحجاج الحكم بن أيوب أن يجهز جيشا أربعة آلاف لقتال شبيب، فوقع القتال بينهم في أيام مختلفة، وَجَاءَ اللَّيْلُ بِظَلَامِهِ، فَكَفَّ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَبَاتَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُصِرًّا عَلَى مُنَاهَضَةِ الْآخَرِ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ عبرَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْجِسْرِ، فَبَيْنَمَا شَبِيبٌ عَلَى مَتْنِ الْجِسْرِ، وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ لَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ فَرَسٌ أُنْثَى، فَنَزَا فَرَسُهُ وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ: لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا. ثُمَّ انْغَمَرَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [فصلت: ١٢] فَغَرِقَ.

وَلَمَّا نُعِيَ شَبِيبٌ إِلَى أُمِّهِ، قَالَتْ: صَدَّقْتُمْ، إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا حَامِلٌ بِهِ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنِّي شِهَابٌ مِنْ نَارٍ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ.

وَكَانَتْ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا جهيزَةُ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً، وَكَانَتْ مِنْ أَشْجَعِ النِّسَاءِ، تُقَاتِلُ مَعَ ابْنِهَا فِي الْحُرُوبِ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ -وفيات الأعيان- [١] أَنَّهَا قُتِلَتْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، **وَكَذَلِكَ قُتِلَتْ زَوْجَتُهُ غَزَالَةُ**. وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْبَأْسِ خَارِجِيَّةً، وَكَانَ الْحَجَّاجُ مَعَ هَيْبَتِهِ يَخَافُ مِنْهَا أَشَدَّ خَوْفٍ، حَتَّى قَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ ... فَتْخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغَى ... بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ

(١) ٢/ ٤٥٤

قَالَ: **وَقَدْ كَانَ شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ الشيباني يَدَّعِي الْخِلَافَةَ**، وَيَتَسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَهَرَهُ بِمَا قَهَرَهُ بِهِ مِنَ الْغَرَقِ لَنَالَ الْخِلَافَةَ، وَلَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا قَهَرَهُ اللهُ عَلَى يَدَيِ الْحَجَّاجِ، لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِعَسَاكِرَ لِقِتَالِهِ، فَهَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَمَّا أَلْقَاهُ جَوَادُهُ عَلَى الْجِسْرِ فِي نَهْرِ دُجَيْلٍ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَغَرَقًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [فصلت: ١٢] قَالَ: ثُمَّ أُخْرِجَ، وَحُمِلَ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَأَمَرَ فَنُزِعَ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ الْحَجَرِ.

وَقَدْ كَانَ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ، لَمْ أَرَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِثْلَهُ، وَمِثْل **الْأَشْتَرِ وَابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَأَخِيهِ عَبْدِ اللهِ**.

○ ثورة الخوارج من الأزارقة

فِي سنة (٧٧هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا بَيْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ نَائِبِ الْحَجَّاجِ، وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ مِنَ الْأَزَارِقَةِ، وَأَمِيرِهِمْ قَطَرِيِّ بْنِ الْفُجَاءَةِ، وَكَانَ أَيْضًا مِنَ الْفُرْسَانِ الشُّجْعَانِ الْمَذْكُورِينَ الْمَشْهُورِينَ، وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَنَفَرُوا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَمَّا هُوَ فَشَرَدَ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَاتٌ وَمُجَاوَلَاتٌ يَطُولُ بَسْطُهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا، وَقَدْ بَالَغَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي ذِكْرِهَا.[١]

○ مقتل قَطَرِيّ بْن الْفُجَاءَة

وَفِي سنة (٧٩هـ) قُتِلَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ التَّمِيمِيُّ، أَبُو نَعَامَةَ الْخَارِجِيُّ،[٢] وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشَاهِيرِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَكَثَ عِشْرِينَ سَنَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ جَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ وَحُرُوبٌ مَعَ جَيْشِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ جِهَةِ الْحَجَّاجِ وَغَيْرِهِ.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٦/ ٣٠١-٣٠٨.

(٢) ذكر الطبري في تاريخه ٦/ ٣٠٩ وفاته ٧٧هـ.

وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي زَمَنِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَتَغَلَّبَ عَلَى قِلَاعٍ كَثِيرَةٍ وَأَقَالِيمَ وَغَيْرِهَا، وَوَقَائِعُهُ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ جُيُوشًا كَثِيرَةً فَهَزَمَهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُ بَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْحَرُورِيَّةِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ أَعْجَفَ، وَبِيَدِهِ عَمُودُ حَدِيدٍ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ كَشَفَ قَطَرِيٌّ عَنْ وَجْهِهِ، فَوَلَّى الرَّجُلُ هَارِبًا، فَقَالَ لَهُ قَطَرِيٌّ: إِلَى أَيْنَ؟ أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَفِرَّ وَلَمْ تَرَ طَعْنًا وَلَا ضَرْبًا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَفِرَّ مِنْ مِثْلِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ فِي جَيْشٍ، فَاقْتَتَلُوا بِطَبَرِسْتَانَ، فَعَثَرَ بِقَطَرِيٍّ فَرَسُهُ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ. وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ سَوْدَةُ بْنُ الْحُرِّ الدَّارِمِيُّ.

وَكَانَ قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ - مَعَ شَجَاعَتِهِ الْمُفْرِطَةِ وَإِقْدَامِهِ - مِنْ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَجَوْدَةِ الْكَلَامِ، وَالشِّعْرِ الْحَسَنِ، فَمِنْ مُسْتَجَادِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يُشَجِّعُ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ، وَمَنْ سَمِعَهَا انْتَفَعَ بِهَا:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا ... مِنَ الْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ ... عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا ... فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثَوْبُ الْحَيَاةِ بِثَوْبِ عِزٍّ ... فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْيَرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَمَنْ لَا يُغْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ ... وَتُسْلِمْهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ ... إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْحَمَاسَةِ، وَاسْتَحْسَنَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ فِي تَارِيخِهِ كَثِيرًا.(١)

❁ ❁ ❁

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٩٤)

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتوحات

○ غزو الروم

فِي سـنة (٧٣هـ) غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الصَّائِفَةَ، فَهَزَمَ الرُّومَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقْعَةُ عُثْمَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بِالرُّومِ، مِنْ نَاحِيَةِ **أَرْمِينِيَّةَ**، وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَالرُّومُ فِي سِتِّينَ أَلْفًا، فَهَزَمَهُمْ، وَأَكْثَرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ.

وفِي سـنة (٧٥هـ) غَزَا مُحَمَّدُ بْـنُ مَرْوَانَ - أَخُو عَبْـدِ الْمَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ، وَهُوَ وَالِدُ مَرْوَانَ الْحِمَارِ صَائِفَةَ الرُّومِ حِينَ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ **مَرْعَشٍ**.

وفِي سـنة (٧٨هـ) كَانَتْ غَزْوَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الرُّومِ، فَفَتَحُوا **إِرْقِيلِيَّةَ**، فَلَمَّا رَجَعُوا أَصَابَهُمْ مَطَرٌ عَظِيمٌ وَثَلْجٌ وَبَرَدٌ، فَأُصِيبَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وفِي سنة (٨٤هـ) افْتَتَحَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ **الْمِصِّيصَةَ**.

وفِي سنة (٨٦هـ) غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلِمَ، وَافْتَتَحَ **حِصْنَ بِوَلَقَ**، وَ**حِصْنَ الْأَخْرَمِ** مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

○ فتح قاليقلا

فِي سـنة (٨١هـ) فَتَـحَ عَبِيدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ مَدِينَةَ **قَالِيقَلَا** (ثغر أرمينية وأذربيجان)، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً.

○ غزو أرمينية

فِي سنة (٨٤هـ) غَزَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ **أَرْمِينِيَّةَ** فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

○ فتح بلاد المغرب

فِي سـنة (٧٨هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ غَزْوَ **بِلَادِ الْمَغْرِبِ جَمِيعِهِ**، فَسَارَ إِلَى طَنْجَةَ وَقَدَّمَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ طَارِقًا، فَقَتَلُوا مُلُوكَ تِلْكَ الْبِلَادِ.

وفي سنة (٨١هـ) **غَزَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ** أَمِيرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ **بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ**، فَافْتَتَحَ مُدُنًا كَثِيرَةً، وَأَرَاضِيَ عَامِرَةً، وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى **الزُّقَاقِ الْمُنْبَثِقِ** مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ.

وَفِي سنة (٨٣هـ) غزا عَطَاءُ بْن رَافِعٍ **صَقَلِّيَةَ**.

فِي سنة (٨٤هـ) افْتَتَحَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ طَائِفَةً مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ ذَلِكَ بَلَدُ **أَوْرَبَةَ**.

○ غزو الترك

فِي سنة (٧٩هـ) غَزَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ **رُتْبِيلَ مَلِكَ التُّرْكِ** حَتَّى أَوْغَلَ فِي بِلَادِهِ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

وفي سنة (٨٠هـ) قَطَعَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ **نَهْرَ بَلْخَ**، وَأَقَامَ **بِكَشَّ** سَنَتَيْنِ صَابِرًا مُصَابِرًا لِلْأَعْدَاءِ مِنَ الْأَتْرَاكِ، وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ هُنَاكَ فُصُولٌ يُطُولُ ذِكْرُهَا.

وجَهَّزَ الْحَجَّاجُ الْجُيُوشَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمَا؛ لِقِتَالِ رُتْبِيلَ مَلِكِ التُّرْكِ؛ لِيَقْتَصُّوا مِنْهُ مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ جَيْشِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، فَجَهَّزَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ كُلٍّ مِنَ الْمِصْرَيْنِ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَأَمَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ.

فَسَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ بِالْجُيُوشِ نَحْوَ أَرْضِ رُتْبِيلَ، فَلَمَّا بَلَغَ رُتْبِيلَ مَجِيءُ ابْنِ الْأَشْعَثِ بِالْجُنُودِ إِلَيْهِ كَتَبَ إِلَيْهِ رُتْبِيلَ يَعْتَذِرُ مِمَّا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِهِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ لِذَلِكَ كَارِهًا، وَأَنَّهُمْ أَلْجَئُوهُ إِلَى قِتَالِهِمْ، وَسَأَلَ مِنَ ابْنِ الْأَشْعَثِ أَنْ يُصَالِحَهُ، وَأَنْ يَبْذُلَ لِلْمُسْلِمِينَ الْخَرَاجَ، فَلَمْ يُجِبْهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى ذَلِكَ، وَصَمَّمَ عَلَى دُخُولِ بِلَادِهِ، وَجَمَعَ رُتْبِيلُ جُنُودَهُ، وَتَهَيَّأَ لَهُ وَلِحَرْبِهِ، **وَجَعَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ كُلَّمَا دَخَلَ بَلَدًا أَوْ مَدِينَةً، أَوْ أَخَذَ قَلْعَةً مِنْ بِلَادِ رُتْبِيلَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا نَائِبًا مِنْ جِهَتِهِ، وَجَعَلَ مَعَهُ مَنْ يَحْفَظُهَا، وَجَعَلَ الْمَسَالِحَ عَلَى كُلِّ أَرْضٍ وَمَكَانٍ مَخُوفٍ**، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادٍ وَمُدُنٍ

كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادِ رُتْبِيلَ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جَزِيلَةً، وَسَبَى خَلْقًا كَثِيرًا، **ثُمَّ حَبَسَ النَّاسَ عَنِ التَّوَغُّلِ فِي بِلَادِ رُتْبِيلَ حَتَّى يُصْلِحُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ، وَيَتَقَوَّوْا بِمَا فِيهَا مِنَ الْمُغَلَّاتِ وَالْحَوَاصِلِ**، ثُمَّ يَتَقَدَّمُوا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ إِلَى أَعْدَائِهِمْ، فَلَا يَزَالُونَ يجوزون الْأَرَاضِيَ وَالْأَقَالِيمَ حَتَّى يُحَاصِرُوهُمْ فِي مَدِينَتِهِمْ - **مَدِينَةِ الْعُظَمَاءِ** - عَلَى الْكُنُوزِ وَالْأَمْوَالِ وَالذَّرَارِي حَتَّى يَغْنَمُوهَا، ثُمَّ يَقْتُلُونَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَعَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ.

وَكَتَبَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى الْحَجَّاجِ يُخْبِرُهُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفَتْحِ، وَمَا صَنَعَ اللهُ لَهُمْ، وَبِهَذَا الرَّأْيِ الَّذِي رَآهُ لَهُمْ، وَمَاتَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، **فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ بِإِمْرَةِ سِجِسْتَانَ مَكَانَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ.**

❍ فتح مرو وخراسان

فِي سنة (٨٦هـ) غَزَا **قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ** والي **مَرْوٍ وَخُرَاسَانَ** بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ التُّرْكِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلِمَ وَتَسَلَّمَ قِلَاعًا وَحُصُونًا وَمَمَالِكَ.

وَكَانَ فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ امْرَأَةُ بَرْمَكَ - **وَالِدِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ** - فَأَعْطَاهَا قُتَيْبَةُ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُسْلِمٍ.

❁ ❁ ❁

ولاته على البلدان

○ ولاية البصرة

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (٧٣هـ) **عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ عَنِ الْبَصْرَةِ**، وَأَضَافَهَا إِلَى أَخِيهِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ مَعَ الْكُوفَةِ، فَارْتَحَلَ إِلَيْهَا بِشْرٌ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرَو بْنَ حُرَيْثٍ.

○ ولاية خراسان

فِي سَنَةِ (٧٤) عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ **بُكَيْرَ بْنَ وِشَاحٍ** التَّمِيمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، وَوَلَّاهَا أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ الْقُرَشِيَّ؛ لِيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَادَتِ الْفِتْنَةُ تَتَفَاقَمُ بِخُرَاسَانَ بَعْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَازِمٍ، فَلَمَّا قَدِمَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ خُرَاسَانَ عَرَضَ عَلَى بُكَيْرِ بْنِ وِشَاحٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى شُرْطَتِهِ، فَأَبَى، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ طُخَارِسْتَانَ، فَخَوَّفُوهُ مِنْهُ أَنْ يَخْلَعَهُ هُنَالِكَ، فَتَرَكَهُ مُقِيمًا عِنْدَهُ.

وفِي سنة (٨٥هـ) عَزَلَ الْحَجَّاجُ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَخَاهُ الْمُفَضَّلَ بْنَ الْمُهَلَّبِ.

○ ولاية العراق

في سنة (٧٥هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ **الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ** نِيَابَةَ الْعِرَاقِ؛ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ **بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ**، فَرَأَى عَبْدَ الْمَلِكِ أَنَّهُ لَا يَسُدُّ عَنْهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَيْرُ الْحَجَّاجِ؛ لِسَطْوَتِهِ وَقَهْرِهِ وَقَسْوَتِهِ وَشَهَامَتِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ بِوِلَايَةِ الْعِرَاقِ، فَسَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَنَزَلَ قَرِيبَ الْكُوفَةِ فَاغْتَسَلَ وَاخْتَضَبَ، وَلَبِسَ ثِيَابَهُ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَأَلْقَى عَذَبَةَ الْعِمَامَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ سَارَ فَنَزَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ، وَقَدْ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ الْأَوَّلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ،

فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ طَوِيلًا، وَقَدْ شَخَصُوا إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ، وَتَنَاوَلُوا الْحَصباء لِيَقْذِفُوهُ بِهَا، وَقَدْ كَانُوا حَصَبُوا الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، فَلَمَّا سَكَتَ أَبْهَتَهُمْ، وَأَحَبُّوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، يَا أَهْلَ الشِّقَاقِ، وَيَا أَهْلَ النِّفَاقِ وَمَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَاللهِ إِنْ كَانَ أَمْرُكُمْ لَيَهُمُّنِي قَبْلَ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللهَ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ بِي، فَأَجَابَ دَعْوَتِي، إِلَّا أَنِّي سِرْتُ الْبَارِحَةَ فَسَقَطَ مِنِّي سَوْطِي الَّذِي أُؤْذِيكُمْ بِهِ، فَاتَّخَذْتُ هَذَا مَكَانَهُ – وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ – ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَأَجُرَّنَّهُ فِيكُمْ جَرَّ الْمَرْأَةِ ذَيْلَهَا، وَلَأَفْعَلَنَّ بِكُمْ وَلَأَصْنَعَنَّ، فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ جَعَلَ الْحَصَى يَتَسَاقَطُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، ثم كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، **وَقَالَ:**

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي لَأَرَى رُءُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَتَرَقْرَقُ **بَيْنَ الْعَمَائِمِ وَاللِّحَى: قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمِّرِي**

ثُمَّ أَنْشَدَ أَيْضًا:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زِيَمْ ... قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ
لَيس بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ ... وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيِّ ... أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ

ثُمَّ قَالَ: إِنِّي يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أُغْمَزُ بِغِمَازٍ، وَلَا يُقَعْقَعُ لِي بِالشِّنَانِ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا عُودًا عُودًا، فَوَجَدَنِي أَمَرَّهَا عُودًا، وَأَصْلَبَهَا مَغْمِزًا، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ، فَإِنَّكُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي أَوْدِيَةِ الْفِتَنِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْغَيِّ، أَمَا وَاللهِ لَأَلْحُوَنَّكُمْ لَحْيَ الْعُودِ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ، إِنِّي وَاللهِ لَا أَعِدُ إِلَّا وَفَيْتُ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ. فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ بَلِيغٍ

غَرِيبٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى وَعِيدٍ شَدِيدٍ، لَيْسَ فِيهِ وَعْدٌ بِخَيْرٍ.

وَبَعَثَ **الْحَجَّاجُ الْحَكَمَ بْنَ أَيُّوبَ الثَّقَفِيَّ** نَائِبًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ جِهَتِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْتَدَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَقَرَّ عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحًا، ثُمَّ رَكِبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ أَبَا يَعْفُورَ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ لِزُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ.

وفِي سنة (٧٨هـ) كان أَمِيرُ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي كُلِّهَا الْحَجَّاجَ،

وفِي سنة (٨٤هـ) اسْتَعْمَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى فَارِسَ **مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيَّ** وَأَمَرَهُ بِجهاد الْأَكْرَادِ.

○ ولاية المدينة

فِي سنة (٧٤هـ) عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ طَارِقَ بْنَ عَمْرٍو عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَأَضَافَهَا إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، فَقَدِمَهَا الْحَجَّاجُ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا، ثُمَّ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَبَنَى فِي بَنِي سَلِمَةَ مَسْجِدًا، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ.

وفِي سنة (٧٥هـ) أسند عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ **لِيَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ** بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَهُوَ عَمُّهُ، وَعَزَلَ عَنْهَا الْحَجَّاجَ.

وَفِي سنة (٧٦هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ لَأَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا يَحْيَى بْنَ مَرْوَانَ عَمَّهُ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى الشَّامِ.

وفِي سنة (٧٨ه) كَانَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ،

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٨٢هـ) عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ.

○ **ولاية مصر:**

فِي سنة (٨٤هـ) وَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ **الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ** عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ التُّجَيْبِيَّ.

وفِي سـنة (٨٥هـ) عَزَمَ عَبْدُ الْمَلِـكِ عَلَى **عَزْلِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْـنِ مَرْوَانَ عَنْ إِمْرَةِ الدِّيَارِ** الْمِصْرِيَّةِ، وَحَسَّـنَ لَهُ ذَلِكَ رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْجُذَامِيُّ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى إِرَادَةِ عَزْلِهِ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْهَدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَوْلَادِهِ؛ **الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ ثُمَّ يَزِيدَ ثُمَّ هِشَامٍ**، وَذَلِكَ عَنْ رَأْيِ الْحَجَّـاجِ وَتَرْتِيبِهِ ذَلِكَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ أَبُوهُ مَرْوَانُ عَهِدَ بِالْأَمْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُـمَّ مِنْ بَعْـدِهِ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَرَادَ عَبْـدُ الْمَلِكِ أَنْ يُنَحِّيَهُ عَنِ الْإِمْرَةِ مِـنْ بَعْدِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَجْعَـلَ الْأَمْرَ فِي أَوْلَادِهِ وَعَقِبِـهِ، وَأَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ بَاقِيَـةً فِيهِمْ، فمات عبدالعزيز بن مروان في أثناء ذلك.

وفِي سـنة (٨٦هـ) عَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ **لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ عَلَى مِصْرَ**، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَدَخَلَهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

○ **ولاية الحج:**

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سـنة (٧٤هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ **الْحَجَّاجُ بن يوسـف**، وَهُوَ عَلَى إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٧٥هـ) **عَبْدُ الْمَلِكِ** بْنُ مَرْوَانَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سـنوات (٧٦هـ) و (٧٧هـ) و (٧٩هـ) (٨٠هـ) (٨٢هـ) **أَبَانُ بْنِ عُثْمَانَ** بْنِ عَفَّانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ النبوية.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٧٨هـ) **الْوَلِيدُ** بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ،

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٨١هـ) **سُلَيْمَانُ** بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ من سنة (٨٣هـ) إلى سنة (٨٦هـ) **هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** الْمَخْزُومِيُّ أمير المدينة.

مشاهير مَنْ تُوفِّيَ مِنَ الْأَعْيَانِ فِي خلافته

١- **رَافِعُ بْنُ خَدِيجِ** بْنِ رَافِعِ الْأَنْصَارِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، شَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا، وَصِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ، وَكَانَ يَتَعَانَى الْمَزَارِعَ وَالْفِلَاحَةَ، تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، **وَأَسْنَدَ ثَمَانِيَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثًا**، وتوفي في سنة (٧٤هـ).

٢- **أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ** سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ، الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، كَانَ أَوَّلَ مَشَاهِدِهِ الْخَنْدَقُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، كَانَ مِنْ نُجَبَاءِ الصَّحَابَةِ وَفُضَلَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفي في سنة (٧٤هـ).

٣- **عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ** بْنِ الْخَطَّابِ، الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَسْلَمَ قَدِيمًا مَعَ أَبِيهِ بمكة، وَهَاجَرَ وَعُمْرُهُ عَشْرُ سِنِينَ، وشهد الخندق وَمَا بَعْدَهَا، **وَهُوَ شَقِيقُ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أُمُّهُمَا زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُونٍ**، أُخْتُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، آدَمَ، لَهُ جُمَّةٌ تَضْرِبُ إِلَى مَنْكِبَيْهِ، جَسِيمًا، يَخْضِبُ بِالصُّفْرَةِ، وَيُحْفِي شَارِبَهُ، وَكَانَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَاخْتَطَّ بِهَا دَارًا، وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ وَشَهِدَ غَزْوَ فَارِسَ، وَوَرَدَ الْمَدَائِنَ مِرَارًا، **وَكَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللهِ** عَزَّوَجَلَّ؟

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ مَا مَاتَ حَتَّى أَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ، وَرُبَّمَا تَصَدَّقَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا. وَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَمَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، فَمَا رَزَقَنِي اللهُ فَلَا أَرُدُّهُ، وَكَانَ فِي مُدَّةِ الْفِتْنَةِ **لَا يَأْتِي أَمِيرٌ إِلَّا صَلَّى خَلْفَهُ، وَأَدَّى إِلَيْهِ زَكَاةَ مَالِهِ**، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِمَنَاسِكِ الْحَجِّ، وَمَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً يُفْتِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ.

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، **وَأَسْنَدَ أَلْفَيْنِ وَسِتَّمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا**.

تُوُفِّـيَ بِمَكَّـةَ بَعْدَ مُنْصَـرَفِ النَّاسِ مِـنَ الْحَجِّ فِي آخِرِ سـنة (٧٤هـ)، وَعُمْـرُهُ أَرْبَعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمَكَّةَ.

٤- **عُبَيْـدُ بْـنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتَـادَةَ اللَّيْثِيُّ**، أَبُو عَاصِـمٍ الْمَكِّيُّ قَاصُّ أَهْلِ مَكَّةَ. قَالَ مُسْـلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَتِهِ وَيَبْكِي، وَكَانَ يُعْجِبُهُ تَذْكِيرُهُ، وتوفي في سنة (٧٤هـ).

٥- **أَبُـو جُحَيْفَةَ وَهْبُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ السُّـوَائِيُّ صَحَابِيٌّ رَأَى النَّبِـيَّ ﷺ، وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ عِنْـدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، لَكِـنْ رَوَى عَنْهُ عِدَّةَ أَحَادِيثَ، وَعَنْ عَلِـيٍّ، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعَيْنِ، وتوفي في سنة (٧٤هـ).

٦- **سَـلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ** بْنِ عَمْرِو بْنِ سِـنَانٍ الْأَنْصَارِيُّ **وَهُوَ أَحَدُ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانِ الصَّحَابَةِ، وَمِنْ عُلَمَائِهِمْ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَلَهُ مَشَاهِدُ مَعْرُوفَةٌ، فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وبَعْدَهُ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، سنة (٧٤هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٧- **مَالِـكُ بْنُ أَبِـي عَامِرٍ**، الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِـيُّ وَهُوَ **جَدُّ الْإِمَامِ مَالِكِ** بْـنِ أَنَسٍ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سنة (٧٤هـ)..

٨- **أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَبِيبٍ السُّلَمِيُّ** مُقْرِئُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِلَا مُدَافَعَةٍ، قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَقْرَأَ النَّـاسَ الْقُرْآنَ بِالْكُوفَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ، قَرَأَ عَلَيْهِ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، وَخَلْقٌ غَيْرُهُ، تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ، سنة (٧٤هـ).

٩- **بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْأُمَوِيُّ** أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلِيَ إِمْرَةَ الْعِرَاقَيْنِ لِأَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ سَمْحًا جَوَادًا، وَكَانَ لَا تُغْلَقُ دُونَهُ الْأَبْوَابُ، وتوفي في سنة (٧٤هـ).

١٠- **الْعِرْبَاضُ بْنُ سَـارِيَةَ السُّلَمِيُّ** أَبُو نَجِيحٍ سَكَنَ حِمْصَ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، أَسْلَمَ قَدِيمًا هُوَ وَعَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَنَزَلَ الصُّفَّةَ، وَكَانَ مِنَ الْبَكَّائِينَ الْمَذْكُورِينَ

فِـي سُـورَةِ بَرَاءَةٍ، وَهُـوَ رَاوِي حَدِيثِ: خَطَبَنَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ خُطْبَـةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُـوبُ، وَذَرَفَـتْ مِنْهَا الْعُيُـونُ، حَتَّى قُلْنَـا: يَا رَسُـولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَـةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ:

«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِـيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَـهُ زَبِيبَةٌ، عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٥هـ)

١١- **أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَـنِيُّ (جرثوم بن ناشر) صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ**، شَـهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَغَزَا حُنَيْنًا، وَكَانَ مِمَّنْ نَزَلَ الشَّامَ **بِدَارَيَّا غَرْبِيِّ دِمَشْقَ**. وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٥هـ).

١٢- **الْأَسْـوَدُ بْـنُ يَزِيدَ النَّخَعِـيُّ صَاحِبُ ابْنِ مَسْـعُودٍ**، مِنْ كِبَـارِ التَّابِعِينَ، وَمِـنْ أَعْيَانِ أَصْحَـابِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ، وَمِنْ كِبَـارِ أَهْـلِ الْكُوفَةِ، **وَقَدْ حَـجَّ الْبَيْـتَ ثَمَانِينَ حَجَّةً وَعُمْرَةً**، تُوُفِّيَ فِي سنة (٧٥هـ).

١٣- **حُمْـرَانُ بْنُ أَبَانٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ** كَانَ مِنْ سَـبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ، اشْـتَرَاهُ عُثْمَانُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَأْذَنُ لِلنَّاسِ عَلَى عُثْمَانَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٥هـ)

١٤- **أَبُـو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ** الْقُضَاعِيُّ اسْـمُهُ عَبْـدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ، أَسْـلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَغَزَا جَلُولَاءَ وَالْقَادِسِـيَّةَ وَتُسْـتَرَ وَنَهَاوَنْـدَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَغَيْرَهَـا، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، زَاهِدًا عَالِمًا، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٦هـ) بِالْكُوفَةِ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

١٥- **صِلَـةُ بْنُ أَشْـيَمَ الْعَدَوِيُّ** مِنْ كِبَـارِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْـرَةِ، وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَوَرَعٍ وَعِبَادَةٍ وَزُهْدٍ، كُنْيَتُهُ أَبُو الصَّهْبَاءِ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٦هـ).

١٦- **زُهَيْرُ بْنُ قَيْسٍ الْبَلَوِيُّ** شَـهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَسَـكَنَهَا، لَهُ صُحْبَةٌ، قَتَلَتْـهُ الرُّومُ **بِبَرْقَةَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ**، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٦هـ).

١٧- **الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ** تَوَلَّى بَيْتَ الْمَالِ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٦هـ).

١٨- **مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ** كَانَتْ أُخْتُهُ تَحْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَوَلَّاهُ سِجِسْتَانَ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ شَبِيبًا فِي طَرِيقِكَ، وَقَدْ أَعْيَا النَّاسَ، فَاعْدِلْ إِلَيْهِ لَعَلَّكَ أَنْ تَقْتُلَهُ، فَيَكُونَ ذِكْرُ ذَلِكَ وَشُهْرَتُهُ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ. فَلَمَّا سَارَ لَقِيَهُ شَبِيبٌ فَاقْتَتَلَ مَعَهُ، فَقَتَلَهُ شَبِيبٌ فِي سنة (٧٧هـ).

١٩- **مُطَرِّفُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ**، وَقَدْ كَانَ هو وإخوته يَمِيلُونَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ، فَاسْتَعْمَلَهُمُ الْحَجَّاجُ عَلَى أَقَالِيمَ، فَاسْتَعْمَلَ **عُرْوَةَ** عَلَى الْكُوفَةِ، **وَمُطَرِّفًا** عَلَى الْمَدَائِنِ،، **وَحَمْزَةَ** عَلَى هَمْدَانَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٧هـ).

٢٠- **جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ** أَبُو عَبْدِ اللهِ، **الْأَنْصَارِيُّ** السَّلَمِيُّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يَشْهَدَ بَدْرًا فَمَنَعَهُ أَبُوهُ، وَخَلَّفَهُ عَلَى أَخَوَاتِهِ وَإِخْوَتِهِ، وَكَانُوا تِسْعَةً، وَقِيلَ: إِنَّهُ ذَهَبَ بَصَرُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

تُوُفِّيَ جَابِرٌ سنة (٧٨هـ) بِالْمَدِينَةِ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَأَسْنَدَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا.

٢١- **شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، أَبُو أُمَيَّةَ، الْكِنْدِيُّ** وَهُوَ قَاضِي الْكُوفَةِ، وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَلِيٌّ، ثُمَّ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ فِي الْقَضَاءِ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْكُوفَةِ سنة (٧٨هـ)، وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَثَمَانِ سِنِينَ.

٢٢- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ** نَزِيلُ فِلَسْطِينَ، قِيلَ: إِنَّ لَهُ صُحْبَةٌ. وَقَدْ بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ؛ لِيُفَقِّهَ أَهْلَهَا فِي الدِّينِ، وَكَانَ مِنَ الْعُبَّادِ الصَّالِحِينَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٧٨هـ).

٢٣- **جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَزْدِيُّ** شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى غَزْوِ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْخَيْرِ، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ سنة (٧٨هـ) وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

٢٤- **الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْبَصْرِيُّ** كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْعُبَّادِ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَوْفِ وَالْوَرَعِ، وَلَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ، فِي سنة (٧٨هـ)..

٢٥- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ**، وَهُوَ أَمِيرُ الْجَيْشِ الَّذِي دَخَلَ بِلَادَ التُّرْكِ، وَقَاتَلُوا رُتْبِيلَ - مَلِكَ التُّرْكِ -وَقَدْ قُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ وكانت وفاته **بِبُسْتَ** سنة (٧٩هـ).

٢٦- **أَسْلَمُ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**، أَصْلُهُ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ، اشْتَرَاهُ عُمَرُ بِمَكَّةَ لَمَّا حَجَّ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَتُوُفِّيَ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، سنة (٨٠هـ)،

٢٧- **جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرِ بْنِ مَالِكٍ الْحَضْرَمِيُّ** لَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ وَعُمْرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، سنة (٨٠هـ).

٢٨- **عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** وُلِدَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَأُمُّهُ **أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ** وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفَاةً، سَكَنَ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ «**بَايَعَ النَّبِيَّ** ﷺ **عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ**، وَعُمْرُهُمَا سَبْعُ سِنِينَ»، وَهَذَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِمَا.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ، يُعْطِي الْجَزِيلَ الْكَثِيرَ وَيَسْتَقِلُّهُ، وَقَدْ تَصَدَّقَ مَرَّةً بِأَلْفَيْ أَلْفٍ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٠هـ).

٢٩- **أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ** اسْمُهُ عَائِذُاللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، لَهُ أَحْوَالٌ وَمَنَاقِبُ، كَانَ يَقُولُ: قَلْبٌ نَقِيٌّ فِي ثِيَابٍ دَنِسَةٍ خَيْرٌ مِنْ قَلْبٍ دَنِسٍ فِي ثِيَابٍ نَقِيَّةٍ. وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٠هـ).

٣٠- **مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ الْقَدَرِيُّ** وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ: **سَوْسَنُ**. وَأَخَذَ **غَيْلَانُ** الْقَدَرَ مِنْ مَعْبَدٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِيَّاكُمْ وَمَعْبَدًا؛ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ: صَلَبَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ قَتَلَهُ في سنة (٨٠هـ)

٣١- **سُوِيدُ بْنُ غَفْلَةَ بْنِ عَوْسَجَةَ بْنِ عَامِرٍ** أَبُو أُمَيَّةَ الْجَعْفِيُّ الْكُوفِيُّ، شَهِدَ الْيَرْمُوكَ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُخَضْرَمِينَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨١هـ).

٣٢- **عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ** كَانَ مِنَ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ الْعُلَمَاءِ، وَلَهُ وَصَايَا وَكَلِمَاتٌ حِسَانٌ، وَقَدْ رَوَى عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨١هـ).

٣٣- **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ**، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً مِنْ سَبْيِ بَنِي حَنِيفَةَ، اسْمُهَا خَوْلَةُ، وُلِدَ مُحَمَّدٌ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَوَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، وَمِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَمِنَ الْأَقْوِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ. مَاتَ بالمدينة فِي سنة (٨١هـ) وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

قال ابن كثير: وَالرَّافِضَةُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بِجَبَلِ رَضْوَى، وَأَنَّهُ حَيٌّ يُرْزَقُ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ، وَقَدْ قَالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ فِي ذَلِكَ:

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وُلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبُلَاءُ
وَسِبْطٌ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ حَتَّى ... يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا لِوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا ... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ إِلَى إِمَامَتِهِ، وَأَنَّهُ يُنْتَظَرُ خُرُوجُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا يَنْتَظِرُ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمُ **الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيَّ**، الَّذِي يَخْرُجُ فِي زَعْمِهِمْ مِنْ سِرْدَابِ سَامُرَّا، **وَهَذَا مِنْ خُرَافَاتِهِمْ** وَضَلَالِهِمْ وَبُهْتَانِهِمْ.

٣٤- **الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ** أَبُو سَعِيدٍ **الْأَزْدِيُّ**، أَحَدُ أَشْرَافِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَوُجُوهِهِمْ وَدُهَاتِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ، وُلِدَ عَامَ الْفَتْحِ، **وَكَانُوا يَنْزِلُونَ فِيمَا بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ،**

ثُمَّ نَزَلَ الْمُهَلَّبُ الْبَصْرَةَ وَقَدْ غَزَا فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ **أَرْضَ الْهِنْدِ** سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَوَلِيَ الْجَزِيرَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، **ثُمَّ وَلِيَ حَرْبَ الْخَوَارِجِ** أَوَّلَ إمارة الْحَجَّاجِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي وَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانمِائَةٍ، فَعَظُمَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ. وَكَانَ فَاضِلًا شُجَاعًا كَرِيمًا، **وَلَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ**: يُعْجِبُنِي فِي الرَّجُلِ خَصْلَتَانِ: أَنْ أَرَى عَقْلَهُ زَائِدًا عَلَى لِسَانِهِ، وَلَا أَرَى لِسَانَهُ زَائِدًا عَلَى عَقْلِهِ.

تُوُفِّيَ الْمُهَلَّبُ سنة (٨٢هـ) غَازِيًا بِمَرْوِ الرُّوذِ، وَعُمْرُهُ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

٣٥- **الْمُغِيرَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ** كَانَ جَوَادًا مُمَدَّحًا شُجَاعًا، لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُورَةٌ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٢هـ).

٣٦- **الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ** الْمَعْرُوفُ بِقُبَاعٍ، وَلِيَ إِمْرَةَ الْبَصْرَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٢هـ).

٣٧- **مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ** كَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَعْقَلِهِمْ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سنة (٨٢هـ).، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

٣٨- **عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ** وَالِدُ الْفَقِيهِ إِسْحَاقَ، حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ لَيْلَةَ مَاتَ ابْنُهَا، فَأَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ فَأَعْلَمَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «أَعَرَسْتُمْ؟ بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا» وَلَمَّا وُلِدَ حَنَّكَهُ بِتَمَرَاتٍ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٢هـ).

٣٩- **عَبْدُ اللهِ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ** كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِيَ، لَهُ رِوَايَاتٌ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ فِي سنة (٨٢هـ).

٤٠- **جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ مَعْمَرِ القضاعي، أَبُو عَمْرٍو **الشَّاعِرُ صَاحِبُ بُثَيْنَةَ**، كَانَ قَدْ خَطَبَهَا فَمُنِعَتْ مِنْهُ، فَتَغَزَّلَ فِيهَا وَاشْتَهَرَ بِهَا، وَكَانَ أَحَدَ عُشَّاقِ الْعَرَبِ، كَانَتْ إِقَامَتُهُ **بِوَادِي الْقُرَى**، وَكَانَ عَفِيفًا صَيِّنًا، دَيِّنًا شَاعِرًا إِسْلَامِيًّا، مِنْ أَفْصَحِ الشُّعَرَاءِ فِي زَمَانِهِ.

قال ابن كثير: كَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ سنة (٨٢هـ)؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، فَأَكْرَمَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حُبِّهِ بُثَيْنَةَ، فَقَالَ: شَدِيدٌ، وَاسْتَنْشَدَهُ مِنْ أَشْعَارِهِ وَمَدَائِحِهِ فَأَنْشَدَهُ، فَوَعَدَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَعَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ آمِينَ.

٤١- **عُمَرُ بْنُ عَبِيدِ اللهِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ عُثْمَانَ، أَبُو حَفْصٍ الْقُرَشِيُّ التَّيمي**

أَحَدُ الْأَجْوَادِ، وَالْأُمَرَاءِ الْأَمْجَادِ، فُتِحَتْ عَلَى يَدَيْهِ بُلْدَانٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ نَائِبًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَدْ فَتَحَ كَابُلَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَازِمٍ، **وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ قَطَرِيَّ بْنَ الْفُجَاءَةِ.**

رَوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَغَيْرِهِمَا، وَعَنْهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَابْنُ عَوْنٍ. وَوَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَتُوُفِّيَ بالطاعون بِدِمَشْقَ سَنَةَ (٨٢هـ) وصلى عليه عبدالملك ومشى في جنازته.

٤٢- **زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ**، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨١هـ).

٤٣- **شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ أَبُو وَائِلٍ** أَدْرَكَ مِنْ زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَأَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٢هـ).

٤٤- **أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصُّغْرَى اسْمُهَا هُجَيْمَةُ**، وَيُقَالُ: جُهَيْمَةُ، تَابِعِيَّةٌ عَابِدَةٌ عَالِمَةٌ فَقِيهَةٌ، كَانَ الرِّجَالُ يَقْرَءُونَ عَلَيْهَا وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ بِجَامِعِ دِمَشْقَ **وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَتِهَا مَعَ الْمُتَفَقِّهَةِ، وَهُوَ خَلِيفَةٌ**، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتُوُفِّيَت فِي سنة (٨٢هـ).

٤٥- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حُجَيْرَةَ الْخَوْلَانِيُّ الْمِصْرِيُّ** رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرُ مِصْرَ **قَدْ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَصَصِ وَبَيْتِ الْمَالِ**، وَكَانَ رِزْقُهُ فِي الْعَامِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ لَا يَدَّخِرُ مِنْهَا شَيْئًا، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٣هـ).

٤٦- **طَارِقُ بْنُ شِهَابِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَحْمَسِيُّ** مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، وَغَزَا فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِضْعًا وَأَرْبَعِينَ غَزَاةً، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سنة (٨٣هـ).

٤٧- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ** أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ قُرَيْشٍ وَعُلَمَائِهِمْ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٣هـ).

٤٨- **عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ الْخَارِجِيُّ** كَانَ أَوَّلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْخَوَارِجِ حَسَنَةً جَمِيلَةً جِدًّا فَأَحَبَّهَا، وَكَانَ هُوَ دَمِيمَ الشَّكْلِ، فَأَرَادَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى السُّنَّةِ فَأَبَتْ، فتحول إِلَى مَذْهَبِهَا. وَقَدْ كَانَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمُطْبِقِينَ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي قَتْلِ عَلِيٍّ وَقَاتِلِهِ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي أَبْيَاتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَبْيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا وَوَزْنِهَا:

بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ خُسْرَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ ... أَشْقَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

وتوفي سنة (٨٤هـ).

٤٩- **عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ** بْنِ أَبِي الْعَاصِ **الْأُمَوِيُّ**، وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ الشَّامَ مَعَ أَبِيهِ مَرْوَانَ، وَوَلَّاهُ أَبُوهُ إِمْرَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ، فَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا إِلَى أن توفي في سنة (٨٥هـ).

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ.

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَلَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ هَذَا الْمَاءَ الْجَارِيَ، أَوْ نَبَاتَةً بِأَرْضِ الْحِجَازِ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، **وَهُوَ وَالِدُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ**، وَقَدِ اكْتَسَى عُمَرُ أَخْلَاقَ أَبِيهِ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ.

٥٠- **أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ**، كَانَ مِنْ **فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْعَشَرَةِ**. قَالَهُ يَحْيَى بْنُ الْقَطَّانِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً، وَكَانَ بِهِ صَمَمٌ، وَوَضَحٌ كَثِيرٌ، وَأَصَابَهُ الْفَالِجُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٥هـ).

٥١- **وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ** شَهِدَ تَبُوكَ، ثُمَّ شَهِدَ فَتْحَ دِمَشْقَ وَنَزَلَهَا، **وَهُوَ آخِرُ مَنْ تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ** مِنَ الصَّحَابَةِ سنة (٨٥هـ).

٥٢- **خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ** بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، كَانَ أَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِفُنُونِ الْعِلْمِ، وَلَهُ يَدٌ طُولَى فِي الطِّبِّ، وَكَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْكِيمْيَاءِ، وَكَانَ خَالِدٌ فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٥هـ).

٥٣- **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ** بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ وَسَكَنَهَا، **وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِمِصْرَ**، سنة (٨٦هـ)، وَلَهُ أَحَادِيثُ.

٥٤- **أَرْطَاةُ بْنُ زُفَرَ** بْنِ عَبْدِ اللهِ الغَطَفَانِي، أَبُو الْوَلِيدِ الْمُرِّيُّ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٦هـ)

وَقَدْ عُمِّرَ أَرْطَاةُ دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى جَاوَزَ الْمِائَةَ بِثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ سَيِّدًا شَرِيفًا مُطَاعًا مُمَدَّحًا شَاعِرًا مُطْبِقًا. وَقَدْ وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

٥٥- **يُونُسُ بْنُ عَطِيَّةَ الْحَضْرَمِيُّ**، قَاضِي مِصْرَ، وَصَاحِبُ الشُّرْطَةِ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وتُوُفِّيَ فِي سنة (٨٦هـ).

٥٦- **مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ**، كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَصْحَابِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ.

وَقَالَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَيَّ حَاجَةٌ، فَلَا تُكَلِّمْنِي فِيهَا؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْهَا فِي رُقْعَةٍ وَارْفَعْهَا. وَكَانَ يَسْكُنُ الْبَادِيَةَ، وَيَجِيءُ مِنْهَا إِلَى الْجُمْعَةِ مُبَكِّرًا. وتُوُفِّيَ مُطَرِّفٌ بِالْبَصْرَةِ سنة (٨٦هـ) وَكَانَ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ.

❁ ❁ ❁

العصر الأموي

الجزء الثاني

(٨٦ ـ ١٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثاني

هـذا الجزء الثاني من تهذيب وترتيـب كتاب البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، رَحِمَهُ ٱللَّهُ ت(٧٧٤) عن العصر الأموي، والذي يشمل السنوات: من ٨٦هـ-١٣٢هـ، وقد تداول الخلافة فيها تسعة خلفاء، أولهم الوليد.

وقد تميز عهده بالفتوحات الواسـعة، وجاء بعده سـليمان بن عبدالملك، ولم تطـل أيامه ولكن تميزت بإصلاحات حسـنة، حيث افتتـح خلافته بإحياء الصلاة وأدائها في أول وقتها، وكان من قبله يؤخرونها إلى آخر وقتها.

كما اختتمها باسـتخلاف عمر بن عبدالعزيز، الذي أحيا العدل، ورد المظالم، واقتفى سيرة الخلفاء الراشدين، ولذا سمي بخامس الخلفاء الراشدين، وجاء بعد عمـر بن عبدالعزيـز، يزيد بن عبدالملـك، وقد حاول في أول خلافته السـير على طريقة عمر بن عبدالعزيز، ولكن لم يستمر على ذلك.

ثم جاء هشـام بن عبدالملك وطالت أيامه، واسـتقرت الدولـة في عهده كثيراً، وهو آخر الخلفاء الأقوياء من بني مروان.

وقد ضعفت الدولة من بعده حتى سقطت، وهو يتحمل جزءاً من ذلك الضعف؛ حيـث ترك ولاية العهد على ما قرره الخليفة مـن قبله، يزيد بن عبدالملك، الذي جعل ابنه الوليد بن يزيد وليـاً للعهد بعد هشام بن عبدالملك، وتبين لهشام انحراف الوليد، وعدم صلاحيته لقيادة الدولة، وقد حاول اسـتصلاحه فلم يسـتجب، كما حاول إبعاده عن ولاية العهد، يقول ابن كثير: وليته فعل.

وبقي الأمر معلقـاً إلى وفاة هشـام، فتمت البيعة للوليد بن يزيد، سـيئ السـمعة والسـلوك، ثم إنه أسـاء لبني عمه، وصادرهم، وسجن بعضهم، وفتح باب الصراع الداخلي، بين أمراء البيت الأموي، فثار عليه يزيد بن الوليد بن عبدالملك (الناقص) فقتله.

وحاول يزيد أن يسـير بسـيرة عمر بن عبدالعزيز، في العدل ورد المظالم، لكنه لم يُمَتّع، حيث مات بعد ستة أشهر، ولذا يقال في المثل: (الأشج والناقص أعدلا بني مروان).

وخلـف يزيد هـذا أخاه إبراهيم، ولم يسـتقر لـه الأمر، حيث خالـف عليه والي أرمينية والجزيرة، مروان بن محمد الملقب بالحمار. فخُلع إبراهيم بعد سبعين ليلة.

وقـد أغرت هذه القلائـل المعارضين، فكثرت ثورات الخوارج التي أشـغلت مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية (١٢٧-١٣٢) عن الثورة الكبرى، والمخطط لها بدقة، منذ أكثر من ثلاثين سنة، وهي : **الدعوة العباسية** القادمة من المشرق.

فاجتث الدولة الأموية من جذروها، وطاردت آخر خلفاءها، مروان بن محمد، بعد هزيمتهم له في معركة الزاب الكبير، في جمادى الآخرة سـنة (١٣٢هـ)، حتى قبض عليه، وقتل في الديار المصرية، في شهر ذي الحجة (١٣٢هـ).

فأُسـقطت دولة، وقامت دولة، ولكن- مع الأسـف- على أشلاء وقتل، حيث سفكت الدماء، وارتكبت المآسي بكل قسوة، **فلله الأمر من قبل ومن بعد.**

وقد ختمتُ هذا الجزء ببيان كيفية سقوط الدولة الأموية، وعوامل ذلك .

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة-شهر الله المحرم ١٤٤٢هـ

❁ ❁ ❁

(٥)

خلافة
الوليد بن عبدالملك بن مروان

٨٦-٩٦

الفصل الأول
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُـوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْـنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعاصِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأُمَوِيُّ، بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ.

وَكَانَ أَكْبَـرَ وَلَـدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيَّ مِنْ بَعْدِهِ، وَأُمُّـهُ وَلَّادَةُ بِنْتُ الْعَبَّاسِ بْنِ جُزِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ الْعَبْسِـيِّ. ومَوْلِدُهُ سَـنَةَ خَمْسِـينَ، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُتْرِفَانِهِ، فَشَبَّ بِلَا أَدَبٍ، وَلَا يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ تِسْـعَةَ عَشَـرَ وَلَدًا ذَكَرًا؛ وَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَمُحَمَّدٌ، وأمهمـا أُمُّ الْبَنِيـنَ بِنْتُ عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَأَبُـو عُبَيْدَةَ وأمه فزارية، وَالْعَبَّاسُ، وَإِبْرَاهِيـمُ، وَتَمَّـامٌ، وَخَالِدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَمُبَشِّـرٌ، وَمَسْـرُورٌ، ، وَصَدَقَـةُ، وَمَنْصُورٌ، وَمَرْوَانُ، وَعَنْبَسَةُ، وَعُمَرُ، وَرَوْحٌ، وَبِشْرٌ، وَيَزِيدُ، وَيَحْيَى مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ شَتَّى.[١]

وَقَدْ رَأَى من الصحابة سَـهْلَ بْنَ سَعْدٍ وَسَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ؛ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ مَاذَا سَمِعَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةَ؟ وَسَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَحَكَى عَنِ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ.

○ صفاته

كان طَوِيلًا أَسْـمَرَ، بِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ، أَفْطَسَ الْأَنْفِ سَـائِلَهُ، وَكَانَ إِذَا مَشَـى يَتَوَكَّفُ فِي الْمِشْيَةِ أَيْ يَتَبَخْتَرُ، قَدْ شَابَ فِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِهِ.

○ مناقبه

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبْلَةَ: الْوَلِيد! وَأَيْنَ مِثْلُهُ؟ بَنَى مَسْجِدَ دِمَشْقَ، وَكَانَ يُعْطِينِي قِصَاعَ الْفِضَّةِ، فَأُقَسِّمُهَا عَلَى قُرَّاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

---

(١) في نسـب قريش للزبيري ص١٦٥ ذكر سبعة عشـر، ولم يذكر منصور ومروان وعنبسة وانفرد بذكر جزء بن الوليد.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ [(١)] حَدَّثَنِي عُمَرُ، حدثَنَا عَلِيٌّ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيَّ قَالَ:

كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ أَفْضَلَ خَلَائِفِهِمْ، بَنَى الْمَسَاجِدَ بِدِمَشْقَ، وَوَضَعَ الْمَنَارَ، وَأَعْطَى النَّاسَ، وَأَعْطَى الْمَجْذُومِينَ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا تَسْأَلُوا النَّاسَ، وَأَعْطَى كُلَّ مُقْعَدٍ خَادِمًا، وَكُلَّ ضَرِيرٍ قَائِدًا، وَفَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً عِظَامًا، فَفَتَحَ الْهِنْدَ وَالسِّنْدَ والأندلس وغير ذلك .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَبَرُّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيَقْضِي عَنْهُمْ دُيُونَهُمْ.

قال ابن كثير: [(٢)] بَنَى الْوَلِيدُ الْجَامِعَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ، وَبَنَى صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَقَدَ عَلَيْهَا الْقُبَّةَ، وَبَنَى مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَسَّعَهُ، حَتَّى دَخَلَتِ الْحُجْرَةُ الَّتِي فِيهَا الْقَبْرُ فِيهِ، وَلَهُ آثَارٌ حِسَانٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

○ مشاكلة الناس لحكامهم

قَالُوا: [(٣)] وَكَانَتْ هِمَّةُ الْوَلِيدِ فِي الْبِنَاءِ وَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: مَاذَا بَنَيْتَ؟ مَاذَا عَمَرْتَ؟

وَكَانَتْ هِمَّةُ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ فِي النِّسَاءِ، فَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: كَمْ تَزَوَّجْتَ؟ مَاذَا عِنْدَكَ مِنَ السَّرَارِيِّ؟

وَكَانَتْ هِمَّةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، فَكَانَ النَّاسُ كَذَلِكَ؛ يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: كَمْ وِرْدُكَ؟ كَمْ تَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ؟ مَاذَا صَلَّيْتَ الْبَارِحَةَ؟

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٦/ ٤٩٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٦١٠ .

(٣) نسبها الطبري في تاريخه ٥/ ٤٩٧ إلى علي بن محمد المدائني.

○ وَفَاتُهُ

كانـت وفاتـه فِي يَوْمِ السَّـبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَـادَى الْآخِرَةِ مِنْ سـنة (٩٦هـ) وَكَانَ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ لِأَنَّ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ كَانَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ.

وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

كَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: أُؤْمِنُ بِاللهِ مُخْلِصًا. وَقِيلَ: كَانَ نَقْشُهُ: يَا وَلِيدُ إِنَّكَ مَيِّتٌ. وَيُقَالُ: إِنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

❁ ❁ ❁

بيعته بالخلافة

بويع له بالخلافة يَوْمِ الْخَمِيسِ، لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٨٦هـ) فصَعِدَ الْمِنْبر فَخَطَبَ النَّاسَ، فكَانَ مِمَّا قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مُصِيبَتِنَا بِمَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْخِلَافَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَرْدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ أَبْدَى لَنَا ذَاتَ نَفْسِهِ ضَرَبْنَا الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ، وَمَنْ سَكَتَ مَاتَ بِدَائِه.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
الأعمال والأحداث في عهده

أعماله وإصلاحاته

١ بناء الجامع الأموي بدمشق

قـال ابن كثيـر: كانَ ابْتِدَاءُ عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْـقَ فِي أَوَاخِرَ سَـنَةِ سِـتٍّ وَثَمَانِينَ؛ فقد هُدِمَتِ الْكَنِيسَـةُ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْهَدْمِ، شَـرَعُوا فِـي الْبِنَاءِ، وَتَكَامَلَ فِي عَشْـرِ سِـنِينَ، فَكَانَ الْفَـرَاغُ مِنْهُ فِي (٩٦هـ) وقـد بقيت فيه بقايا فكمّلها أخوه سليمان بن عبدالملك .

وَكَانَ أَصْـلُ مَوْضِـعِ هَذَا الْجَامِـعِ قَدِيمًا مَعْبَدًا بَنَتْـهُ الْيُونَانُ الْكُلْدَانِيُّـونَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمُرُونَ دِمَشْـقَ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا، وَقَدْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّـبْعَةَ، وَبَنَوْا الْمَعْبَدَ إِلَـى جِهَةِ الْقُطْبِ، وَكَانُوا يُصَلُّونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّـمَالِيِّ، وَكَانَ بَـابُ مَعْبَدِهِمْ يُفْتَحُ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، خَلْفَ الْمِحْرَابِ الْيَوْمَ، كَمَا شَـاهَدْنَا ذَلِكَ عِيَانًا، وَرَأَيْنَا مَحَارِيبَهُمْ إِلَى جِهَةِ الْقُطْبِ، وَرَأَيْنَا الْبَابَ، وَهُوَ بَابٌ حَسَنٌ، مَبْنِيٌّ بِحِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ، وَعَلَيْهِ كِتَابٌ بِخَطِّهِمْ.

وَيُقَـالُ: إِنَّـهُ كَانَ مَعَ الْمَعْبَـدِ ثَـلَاثُ دُورٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُلُـوكِ؛ وَهُنَّ دَارُ الْمُطْبِـقِ، وَدَارُ الْخَيْـلِ، وَدَارٌ كَانَتْ مَكَانَ الْخَضْرَاءِ الَّتِي جدد بَنَاءَهَا مُعَاوِيَةُ، وسـكنها أربعين سـنة ثم بقيت معمورة حتى أُحْرِقَتْ فِي سَـنَةِ (٤٦١هـ) فَبَادَتْ وَصَارَتْ مَسَـاكِنَ ضُعَفَاءِ النَّاسِ فِي الْغَالِبِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

فَلَمَّا اسْـتَقَرَّتِ الْيَدُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى دمشـق، وَأَنْزَلَ اللهُ رَحْمَتَهُ فِيهَا، وَسَاقَ بِرَّهُ إِلَيْهَا، وَكَتَـبَ أَمِيـرُ الْحَرْبِ إِذْ ذَاكَ، وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ عامر بن الجراح لِأَهْلِ دِمَشْـقَ كِتَابَ أَمَانٍ، وَأَقَـرُّوا أَيْـدِيَ النَّصَارَى عَلَى أَرْبَعَ عَشْـرَةَ كَنِيسَـةً، وَأَخَـذُوا مِنْهُمْ نِصْفَ هَذِهِ الْكَنِيسَـةِ الَّتِي كَانُوا يُسَـمُّونَهَا كَنِيسَـةَ (مَرْيُوحَنَّا)، بِحُكْمِ أَنَّ الْبَلَدَ فَتَحَهُ خَالِدُ بن الوليد مِنَ الْبَابِ الشَّـرْقِيِّ بِالسَّـيْفِ، وَأَخَذَتِ النَّصَارَى الْأَمَانَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَكَانَ عَلَى بَابِ الْجَابِيَةِ، ثُمَّ

اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ جعَلُوا نِصْفَ الْبَلَدِ صُلْحًا، وَنِصْفَهُ عَنْوَةً، فَأَخَذُوا نِصْفَ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ الشَّرْقِيَّ، فَجَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ مَسْجِدًا.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى فِي هَذَا الْمَسْجِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ الصَّحَابَةُ بَعْدَهُ، وهو القسم الشرقي الذي يقال له: محراب الصَّحَابَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنِ الْجِدَارُ مَفْتُوحًا بِمِحْرَابٍ مَحْنِيٍّ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ عِنْدَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الَّذِي فَتَقَ الْمَحَارِيبَ فِي الْجِدَارِ الْقِبْلِيِّ.

وَقَدْ كَرِهَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّلَاةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَحَارِيبِ، وَجَعَلُوهُ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحْدَثَةِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ شَطْرَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، مِنْ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا.

وَلما صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَزَمَ الْوَلِيدُ عَلَى أَخْذِ بَقِيَّةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ وَإِضَافَتِهَا إِلَى مَا بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، وَجَعْلِ الْجَمِيعِ مَسْجِدًا وَاحِدًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يَتَأَذَّى بِسَمَاعِ قِرَاءَةِ النَّصَارَى لِلْإِنْجِيلِ، وَرَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فِي صَلَوَاتِهِمْ، فَأَحَبَّ أَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُضِيفَ ذَلِكَ الْمَكَانَ إِلَى المسجد، فيتسع بِهِ الْجَامِعَ، فَطَلَبَ النَّصَارَى، وَسَأَلَ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ، وَيُعَوِّضَهُمْ إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً، وَعَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، **وَأَنْ يُقِرَّ لَهُمْ أَرْبَعَ كَنَائِسَ** لَمْ تَدْخُلْ فِي الْعَهْدِ، فَأَبَوْا ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِبَاءِ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِعَهْدِكُمْ. فَأَتَوْا بِعَهْدِهِمُ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ مِنْ زَمَنِ الصَّحَابَةِ، فَقُرِئَ بِحَضْرَةِ الْوَلِيدِ، فَإِذَا كَنِيسَةُ تُومَا الَّتِي كَانَتْ خَارِجَ بَابِ تُومَا عِنْدَ النَّهْرِ لَمْ تَدْخُلْ فِي الْعَهْدِ، وَكَانَتْ فِيمَا يُقَالُ أَكْبَرَ مِنْ كَنِيسَةِ (مَرْيُوحَنَّا)، فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَنَا أَهْدِمُهَا وَأَجْعَلُهَا مَسْجِدًا. فَقَالُوا: بَلْ يَتْرُكُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا ذَكَرَ مِنَ الْكَنَائِسِ، وَنَحْنُ نَرْضَى بِأَخْذِك بَقِيَّةِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ، فَأَقَرَّهُمْ عَلَى تِلْكَ الْكَنَائِسِ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ بَقِيَّةَ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ.

ثُمَّ أَمَرَ الْوَلِيدُ بِإِحْضَارِ آلَاتِ الْهَدْمِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْكُبَرَاءُ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّاسِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ أَسَاقِفَةُ النَّصَارَى وَقَسَاوِسَتُهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِنَا أَنَّ مَنْ يَهْدِمُ هَذِهِ الْكَنِيسَةَ يُجَنُّ. فَقَالَ: أَنَا أُحِبُّ أَنْ أُجَنَّ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَوَاللهِ لَا يَهْدِمُ فِيهَا أَحَدٌ شَيْئًا قَبْلِي، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنَارَةَ الشَّرْقِيَّةَ فهدمها، فَتَبَادَرَ الْأُمَرَاءُ إِلَى الْهَدْمِ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، فهدمت حتى سويت بالأرض.

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ فِي بِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصُّنَّاعِ وَالْمُهَنْدِسِينَ وَالْفَعَلَةِ[1]، وَكَانَ الْمُسْتَحِثُّ عَلَى عِمَارَتِهِ أَخُوهُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ **سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ**، وقد أنفقت على بناء الجامع نفقات عظيمة وكان البناء جميلا متقنا.

○ جمال بناء الجامع

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْجَامِعَ الْأُمَوِيَّ لَمَّا كَمُلَ بِنَاؤُهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِنَاءٌ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَبْهَى وَلَا أَجَلَّ مِنْهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا نَظَرَ النَّاظِرُ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ مِنْهُ أَوْ إِلَى أَيِّ بُقْعَةٍ أَوْ مَكَانٍ مِنْهُ، تَحَيَّرَ فِيمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ لِحُسْنِهِ جَمِيعِهِ، وَلَا يَمَلُّ نَاظِرُهُ، بَلْ كُلَّمَا أَدْمَنَ النَّظَرَ، بَانَتْ لَهُ أُعْجُوبَةٌ لَيْسَتْ كَالْأُخْرَى.

وَمَا زَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْمَلُ فِي تَكْمِلَةِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ مُدَّةَ وِلَايَتِهِ، وَجُدِّدَتْ لَهُ فِيهِ الْمَقْصُورَةُ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَزَمَ عَلَى أَنْ يُجَرِّدَ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ، وَيَرُدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَيُطَيِّنَهُ مَكَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ، فقيل له :إن في هَذَا لَغَيْظٌ لِلْكُفَّارِ، فقال : دَعُوهُ.

وَقَدِ اشْتُهِرَ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ أَنَّ الزَّاوِيَةَ الْقِبْلِيَّةَ عِنْدَ بَابِ الْمِئْذَنَةِ الْغَرْبِيَّةِ تُسَمَّى زَاوِيَةَ الْخَضِرِ، وَمَا أَدْرِي مَا سَبَبُ ذَلِكَ، وَالَّذِي ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ صَلَاةُ الصَّحَابَةِ فِيهِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى فِيهِ إِمَامًا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ بِالشَّامِ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

---

(١) الفعلة : العمال.

وَصَلَّى فِيهِ خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُغَيِّرَهُ الْوَلِيدُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَأَمَّا بَعْدَ أَنْ غُيِّرَ إِلَى هَذَا الشَّكْلِ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ كَذَلِكَ إِلَّا **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**، فَإِنَّهُ وَرَدَ دِمَشْقَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ والْجَامِعِ يبنى ، فَصَلَّى فِيهِ أَنَسٌ وَرَاءَ الْوَلِيدِ، وَأَنْكَرَ نَسٌ عَلَى الْوَلِيدِ تَأْخِيرَ الصَّلَاةِ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا.

وَسَيُصَلِّي فِيهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ وَعَمَّتِ الْبَلْوَى بِهِ، وَانْحَصَرَ النَّاسُ مِنْهُ بِدِمَشْقَ، فَيَنْزِلُ مَسِيحُ الْهُدَى فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ، وَيَكُونُ نُزُولُهُ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ وَقْتَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَيَأْتِي وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ النَّاسِ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ. فَيَقُولُ: إِنَّمَا أُقِيمَتْ لَكَ. فَيُصَلِّي عِيسَى تِلْكَ الصَّلَاةَ خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. يُقَالُ إِنَّهُ الْمَهْدِيُّ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

❁ ❁ ❁

٢ تولية عمر بن عبدالعزيز المدينة

فَي سـنة (٨٧هـ) عَزَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هِشَـامَ بْنَ إِسْـمَاعِيلَ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّـى عَلَيْهَا ابْنَ عَمِّـهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَدَخَلَهَا فِي ثَلَاثِينَ بَعِيرًا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا، فَنَزَلَ دَارَ مَرْوَانَ وَجَاءَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ - وَعَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً - فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ دَعَا عَشَرَةً مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَهُمْ:

١ - عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بن العوام

٢ - أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ

٣ - عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ

٤ - أَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ

٥ - سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ

٦ - الْقاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بن أبي بكر الصديق

٧ - سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ

٨ - عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ

٩ - عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ

١٠ - خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

فَدَخَلُـوا عَلَيْـهِ فَجَلَسُـوا، فَحَمِـدَ اللهَ، وَأَثْنَـى عَلَيْهِ بِمَـا هُوَ أَهْلُـهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّـي إِنَّمَا دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ تُؤْجَرُونَ عَلَيْهِ، وَتَكُونُونَ فِيهِ أَعْوَانًا عَلَى الْحَقِّ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ أَمْرًا إِلَّا بِرَأْيِكُـمْ، أَوْ بِـرَأْيِ مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا يَتَعَـدَّى، أَوْ بَلَغَكُمْ عَنْ عَامِلٍ لِي ظُلَامَةٌ، فَأُحَرِّجُ عَلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَبْلَغَنِي، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ يَجْزُونَهُ خَيْرًا، وَافْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ.

وولى قضاء المدينة لأَبِي بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ.

❁ ❁ ❁

٣ توسعة المسجد النبوي

ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّه فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَة (٨٨هـ) قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْمَدِينَةِ، يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِ، وَأَنْ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ، حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ، فَمَنْ بَاعَكَ مِلْكَهُ فَاشْتَرِ مِنْهُ، وَإِلَّا فَقَوِّمْهُ لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ، ثُمَّ اهْدِمْ، وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ؛ عُمَرَ وَعُثْمَانَ.

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاسِ، وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْوَلِيدِ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَالُوا: هَذِهِ حُجَرٌ قَصِيرَةُ السُّقُوفِ، وَسُقُوفُهَا مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَحِيطَانُهَا مِنَ اللَّبِنِ، وَعَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ، وَتَرْكُهَا عَلَى حَالِهَا أَوْلَى؛ لِيَنْظُرَ الْحُجَّاجُ وَالزُّوَّارُ وَالْمُسَافِرُونَ إِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يُعَمِّرُونَ فِيهَا إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَهُوَ مَا يَسْتُرُ وَيُكِنُّ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْبُنْيَانَ الْعَالِيَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ الْفَرَاعِنَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ، وَكُلِّ طَوِيلِ الْأَمَلِ رَاغِبٍ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْخُلُودِ فِيهَا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ.

فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدًّا مِنْ هَدْمِهَا، وَمَنْ كان لَهُ مِلْكٌ مُتَاخِمٌ لِلْمَسْجِدِ اشْتَرَاه مِنْهُمْ عمر، وَشَرَعَ فِي بِنَائِهِ، وَشَمَّرَ عَنْ إِزَارِه، وَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ، وَجَاءَه عمال بناء كَثِيرون مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ، فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ، حُجْرَةَ عَائِشَةَ، فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ- وَكَانَتْ حَدَّهُ مِنَ الشَّرْقِ- وَسَائِرُ حُجَرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا أَمَرَ الْوَلِيدُ.

وَرُوِّينَا أَنَّهُمْ لَمَّا حفَرُوا الْحَائِطَ الشَّرْقِيَّ مِنْ حُجْرَةِ عَائِشَةَ بَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ، فَخَشُوا أَنْ تَكُونَ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تَحَقَّقُوا أَنَّهَا قَدَمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَيُحْكَى أَنَّ

سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فِي الْمَسْجِدِ، كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِدًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٤ إصلاحات أخرى في المدينة

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ فِي سَنَة (٨٨هـ) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَحْفِرَ الْفَوَّارَةَ[١] بِالْمَدِينَةِ، وَأَنْ يُجْرِيَ مَاءَهَا، فَفَعَلَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفِرَ الْآبَارَ، وَأَنْ يُسَهِّلَ الطُّرُقَ وَالثَّنَايَا، وَسَاقَ إِلَى الْفَوَّارَةِ الْمَاءَ مِنْ ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَالْفَوَّارَةُ بُنِيَتْ فِي ظَاهِرِ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بُقْعَةٍ رَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ.

❁ ❁ ❁

(١) الفوارة: شعبة من العين الزرقاء التي أجريت زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قباء إلى داخل المدينة، وهي ميضأة جوار المسجد النبوي.

الأحداث في عهده

○ هروب يزيد بن المهلب وأخواه

فِـي سـنة (٩٠هـ) هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّـبِ وَأَخَوَاهُ الْمُفَضَّلُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ سِـجْنِ الْحَجَّاجِ، فَلَحِقُوا بِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَمَّنَهُمْ مِنَ الْحَجَّاجِ وشفع فيهم عند الوليد،

وَكَتَـبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ: إِنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَى يَزِيـدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَعَ أَخِي سُـلَيْمَانَ، فَاكْفُفْ عَنْهُمْ، وَالْهَ[1] عَنِ الْكِتَابِ إِلَيَّ فِيهِمْ. فَكَفَّ الْحَجَّاجُ عَنْ آلِ الْمُهَلَّـبِ، وَتَرَكَ مَا كَانَ يُطَالِبُهُمْ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، حَتَّى تَرَكَ لِأَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، **وَلَـمْ يَزَلْ يَزِيـدُ** بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُـلَيْمَانَ بْنِ عَبْـدِ الْمَلِكِ حَتَّى هَلَكَ الْحَجَّاجُ فِي سَـنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ.

○ استقبال أهل المدينة للوليد بن عبدالملك

فِي سَـنَة (٩١هـ) قدم الوليد بن عبدالملك للحج فلَمَّا قَـرُبَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْـدِ الْعَزِيزِ نَائِبُ الْمَدِينَةِ أَشْـرَافَ الْمَدِينَةِ فَتَلَقَّوْهُ، فَرَحَّبَ بِهِمْ، وَأَحْسَـنَ إِلَيْهِمْ، **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ، فَأُخْلِيَ لَهُ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ، فَلَمْ يَبْقَ بِهِ أَحَدٌ سِوَى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ**، لَمْ يَتَجَاسَـرْ أَحَدٌ أَنْ يُخْرِجَهُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ ثِيَابٌ لَا تُسَـاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالُوا لَهُ: تَنَحَّ عَنِ الْمَسْجِدِ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَادِمٌ. فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَخْرُجُ مِنْهُ.

فَدَخَلَ الْوَلِيدُ الْمَسْجِدَ فَجَعَلَ يَدُورُ فِيهِ يُصَلِّي هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَيَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: فَحَانَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ أَهُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ؟ فَقُلْـتُ: نَعَـمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَوْ عَلِمَ بِمَكَانِكَ لَقَامَ إِلَيْكَ وَسَـلَّمَ عَلَيْكَ. فَقَالَ الْوَلِيدُ: قَدْ عَلِمْتُ حَالَهُ. وَجَعَلَ يَدُورُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَتَفَرَّجُ فِي عِمَارَتِهِ، وَيَسْأَلُنِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ وَإِنَّهُ، فَشَرَعَ الْوَلِيدُ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ.

---

(١) إلْهَ: أي أترك الأمر وانسه.

ثم قال: نَحْنُ أَحَقُّ بِالسَّعْيِ إِلَيْهِ. فَجَاءَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَقُمْ لَهُ سَعِيدٌ، ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ: كَيْفَ الشَّيْخُ؟ فَقَالَ: بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، كَيْفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ: بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ يَقُولُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: هَذَا بَقِيَّةُ النَّاسِ. فَقَالَ: أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَصَرَفَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَهَبًا كَثِيرًا وَفِضَّةً كَثِيرَةً، ثُمَّ كَسَا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ كُسْوَةً مِنْ كُسْوَةِ الْكَعْبَةِ الَّتِي مَعَهُ، وَهِيَ مِنْ دِيبَاجٍ غَلِيظٍ.

○ مَقْتَلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وفِي سنة (٩٤هـ) قَتَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ قَدْ جَعَلَهُ عَلَى نَفَقَاتِ الْجُنْدِ حِينَ بَعَثَهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ إِلَى قِتَالِ رُتْبِيلَ، فَلَمَّا خَلَعَهُ ابْنُ الْأَشْعَثِ خَلَعَهُ مَعَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الْأَشْعَثِ وَأَصْحَابِهِ هَرَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِلَى أَصْبَهَانَ، ثُمَّ إِنَّهُ لَجَأَ إِلَى مَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ وَلِيَهَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ، فَأَشَارَ مَنْ أَشَارَ عَلَى سَعِيدٍ بِالْهَرَبِ مِنْهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللهِ، مِمَّ أَفِرُّ وَلَا مَفَرَّ مِنْ قَدَرِهِ؟! فقبض عليه الوالي وعلى مُجَاهِدَ بْنَ جَبْرٍ، وَطَلْقَ بْنَ حَبِيبٍ. فبَعَثَ بهم إلى الحجاج، **فَأَمَّا طَلْقٌ فَمَاتَ** فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ، **وَأَمَّا مُجَاهِدٌ فَحُبِسَ** حَتَّى مَاتَ الْحَجَّاجُ.

وَأَمَّا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْحَجَّاجِ قَالَ لَهُ: يَا سَعِيدُ، أَلَمْ أُشْرِكْكَ فِي أَمَانَتِي؟ أَلَمْ أَسْتَعْمِلْكَ؟ أَلَمْ أَفْعَلْ، أَلَمْ أَفْعَلْ؟ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: نَعَمْ. حَتَّى ظَنَّ مَنْ عِنْدَهُ أَنَّهُ سَيُخْلِي سَبِيلَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ، وَخَلَعْتَ بَيْعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ أَخَذَ مِنِّي الْبَيْعَةَ عَلَى ذَلِكَ، وَعَزَمَ عَلَيَّ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ غَضَبًا شَدِيدًا، فقال: **يَا حَرَسِيُّ اضْرِبْ عُنُقَهُ**. قَالَ: فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ بِوَاسِطٍ، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُزَارُ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ هِشَامِ الْأَسَدِيُّ، مَوْلَى بَنِي وَالِبَةَ كُوفِيًّا، أَحَدَ الْأَعْلَامِ مِنَ التَّابِعِينَ.

وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قُتِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ أَوْ قَالَ: **مُفْتَقِرٌ إِلَى عِلْمِهِ**. وَيُقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ لَمْ يُسَلَّطْ بَعْدَهُ عَلَى أَحَدٍ.

قال ابن كثير: وَقَدْ رُوِيَتْ آثَارٌ غَرِيبَةٌ فِي صِفَةِ مَقْتَلِهِ، أَكْثَرُهَا لَا يَصِحُّ، وَقَدْ عُوقِبَ الْحَجَّاجُ بَعْدَهُ وَعُوجِلَ بِالْعُقُوبَةِ، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ أَخَذَهُ اللهُ أَخذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ[١].

❁ ❁ ❁

(١) **البداية والنهاية**، ١٢/ ٤٧٠.

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

اتساع الفتوحات في عهده

قال ابن كثير:[(١)] فِي دَوْلَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فُتُوحَاتٍ عَظِيمَةً، عَلَى يَدَيْ أَوْلَادِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَأُمَرَائِهِ، حَتَّى عَادَ الْجِهَادُ شَبِيهًا بِأَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الفتوحات في المشرق

○ غزو بلاد الترك

فِي سنة (٨٧هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الباهلي بِلَادَ التُّرْكِ، وَصَالَحَهُ مَلِكُهُمْ نَيْزَكُ عَلَى مَالٍ جَزِيلٍ، وَعَلَى أَنْ يُطْلِقَ كُلَّ مَنْ بِبِلَادِهِ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ.

○ فتح بيكند

فِي سنة (٨٧هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بيكَنْدَ فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ عِنْدَهَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ بُخَارَى فَلَمَّا نَزَلَ بِأَرْضِهِمُ اسْتَنْجَدُوا عَلَيْهِ بِأَهْلِ الصُّغْدِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَأَخَذُوا عَلَى قُتَيْبَةَ الطُّرُقَ وَالْمَضَايِقَ مدة شَهْرَيْنِ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، وَلَا يَأْتِيهُ مِنْ جِهَتِهِمْ رَسُولٌ.

وَأَبْطَأَ خَبَرُهُ عَلَى الْحَجَّاجِ حَتَّى خَافَ عَلَيْهِ، وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ التُّرْكِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ.

ثُمَّ نَهَضَ قُتَيْبَةُ فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الْحَرْبِ، وَوَقَفَ عَلَى أَصْحَابِ الرَّايَاتِ يُحَرِّضُهُمْ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا شَدِيدًا، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّبْرَ، فَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ حَتَّى

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٤٦٠ .

أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، فَهُزِمَتِ التُّرْكُ هَزِيمَةً عَظِيمَةً، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ فِيهِمْ، وَيَأْسِرُونَ مَا شَاءُوا، وَاعْتَصَمَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ قُتَيْبَةُ الْفَعَلَةَ بِهَدْمِهَا، فَسَأَلُوهُ الصُّلْحَ عَلَى مَالٍ عَظِيمٍ فَصَالَحَهُمْ، ثـم نقضو العهد فرجع إليهم وحاصرهم حتى فتح مدينتهم .

وَقَدْ غَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بيكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَصْنَامِ مِنَ الذَّهَبِ، وَكَانَ فِيهَا صَنَمٌ سُبِكَ فَخَرَجَ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَوَجَدُوا فِي خَزَائِنِ الْمَلِكِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً وَسِلَاحًا كَثِيرًا وَعِدَدًا مُتَنَوِّعَةً، وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً، وَأَخَذُوا مِنَ السَّبْيِ شَيْئًا كَثِيرًا.

فَكَتَبَ قُتَيْبَةُ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَنْ يُعْطِيَ ذَلِكَ لِلْجُنْدِ، فَأَذِنَ لَهُ فَتَمَوَّلَ الْمُسْلِمُونَ مَالًا كَثِيرًا جِدًّا، وَصَارَتْ لَهُمْ أَسْلِحَةٌ وَعِدَدٌ، وَتَقَوَّوْا عَلَى الْأَعْدَاءِ قُوَّةً عَظِيمَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ غزو ملك التُّرْكِ

فِي سَنة (٨٨هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مَلِكَ التُّرْكِ كُورْمَغَانُونَ، وَمَعَهُ مِائَتَا أَلْفِ مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الصُّغْدِ وَفَرْغَانَةَ وَغَيْرِهِمْ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَكَانَ مَعَ قُتَيْبَةَ **نَيْزَكُ** أحد ملوك التُّرْكِ مَأْسُورًا، فَكَسَرَهُمْ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَغَنِمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَسَبَى وَأَسَرَ.

○ غزو بِلَاد الصُغْدِ و بُخَارَى

فِي سَنة (٨٩هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِلَادَ الصُّغْدِ وَنَسَفَ وَكِسَّ، وَقَدْ لَقِيَهُ هُنَالِكَ خَلْقٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَظَفِرَ بِهِمْ فَقَتَلَهُمْ، وَسَارَ إِلَى بُخَارَى فَلَقِيَهُ دُونَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ التُّرْكِ، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ عِنْدَ مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: خَرْقَانُ. وَظَفِرَ بِهِمْ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ:

وَبَاتَتْ لَهُمْ مِنَّا بِخَرْقَانَ لَيْلَةٌ ... وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْقَانَ أَطْوَلَا

ثُـمَّ قَصَدَ قُتَيْبَةُ وَرْدَانَ خُـذَاهْ، مَلِكَ بُخَارَى، فَقَاتَلَهُ وَرْدَانُ قِتَالًا شَـدِيدًا، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ قُتَيْبَـةُ، فَرَجَعَ عَنْهُ إِلَى مَرْوَ، فَجَاءَهُ كِتَـابُ الْحَجَّاجِ يُعَنِّفُهُ عَلَى الْفِرَارِ وَالنُّكُولِ عَنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

○ غزو الباب

فِي سنة (٨٩هـ) غَزَا مَسْلَمَةُ بن عبدالملك التُّرْكَ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ، وَفَتَحَ حُصُونًا وَمَدَائِنَ هُنَالِكَ.

وفِي سـنة (٩١هـ) غَزَا مَسْلَمَةُ أيضـًا بِلَادَ التُّرْكِ حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ مِنْ نَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ، فَفَتَـحَ مَدَائِـنَ وَحُصُونًـا كَثِيرَةً أَيْضًـا، وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ عَـزَلَ عَمَّهُ مُحَمَّدَ بْـنَ مَرْوَانَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَأَذْرَبِيجَانَ، وَوَلَّاهُمَا أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ.



❁ ❁ ❁

الفتوحات العظمى لقتيبة بن مسلم الباهلي

○ فتح بخارى

فِي سـنة (٩٠هـ) فَتَحَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْـلِمٍ الباهلي مَدِينَةَ بُخَارَى، وَهَـزَمَ جَمْعَ الْعَدُوِّ مِنَ التُّرْكِ بِهَا، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ فُصُولٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَقَدْ تَقَصَّاهَا ابْنُ جَرِيرٍ فِي تاريخه[١].

○ مصالحة ملك الصغد

فِي سـنة (٩٠هـ) طَلَبَ طَرْخُونُ مَلِكُ الصُّغْدِ بَعْدَ فَتْحِ بُخَارَى مِنْ قُتَيْبَةَ بْنُ مُسْـلِمٍ أَنْ يُصَالِحَهُ عَلَى مَالٍ يَبْذُلُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، فَأَجَابَهُ قُتَيْبَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَخذ مِنْهُ رَهْنًا عَلَيْهِ.

○ تمهيد فتح بلاد الترك

فِي سـنة (٩١هـ) مَهَّدَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْـلِمٍ الباهلي فتح بِلَادَ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ نَقَضُوا مَا كَانُوا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُصَالَحَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ، وَحَرْبٍ يَشِيبُ لَهَا الْوَلِيدُ، وَذَلِـكَ أَنَّ مُلُوكَهُـمْ كَانُوا قَـدِ اتَّعَدُوا فِي الْعَـامِ الْمَاضِي فِـي أَوَانِ الرَّبِيـعِ أَنْ يَجْتَمِعُوا، وَيُقَاتِلُـوا قُتَيْبَـةَ، وَأَنْ لَا يُوَلُّوا عَنِ الْقِتَالِ حَتَّـى يُخْرِجُوا الْعَرَبَ مِـنْ بِلَادِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا اجْتِمَاعًا هَائِلًا لَمْ يَجْتَمِعُوا مِثْلَهُ فِي مَوْقِفٍ، فَكَسَرَهُمْ قُتَيْبَةُ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أُمَمًا كَثِيرَةً، وَرَدَّ الْأُمُورَ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.

حَتَّـى ذُكِرَ أَنَّـهُ صَلَبَ مِنْهُـمْ فِي بَعْـضِ الْمَوَاضِعِ مِنْ جُمْلَـةِ مَنْ أَخذَ مِنَ الْأُسَـارَى سِـمَاطَيْنِ طُولُهُمَا أَرْبَعَةُ فَرَاسِـخَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَاتَّبَعَ نَيْزَكَ خَانَ مَلِكَ التُّرْكِ الْأَعْظَمَ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، وَمِنْ كُورَةٍ إِلَى كُورَةٍ، وَمِنْ رُسْـتَاقٍ إِلَى رُسْتَاقٍ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى حَصَرَهُ فِي قَلْعَةٍ هُنَالِكَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَ نَيْزَكَ خَانَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ، وَأَشْرَفَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْهَلَاكِ.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥/ ٤٤٢-٤٤٤

فَبَعَثَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ مَنْ جَاءَ بِهِ مُسْتَأْمَنًا مَذْمُومًا مَخْذُولًا، فَسَجَنَهُ عِنْدَهُ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ فِي أَمْرِهِ، فَجَاءَ الْكِتَابُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِقَتْلِهِ، فَجَمَعَ قُتَيْبَةُ الْأُمَرَاءَ، فَاسْتَشَارَهُمْ فِيهِ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ؛ فَقَائِلٌ يَقُولُ: اقْتُلْهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا تَقْتُلْهُ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ: إِنَّكَ أَعْطَيْتَ اللهَ عَهْدًا أَنَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ لَتَقْتُلَنَّهُ، وَقَدْ أَمْكَنَكَ اللهُ مِنْهُ. فَقَالَ قُتَيْبَةُ: وَاللهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا مَا يَسَعُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ لَقَتَلْتُهُ. ثُمَّ قَالَ: اقْتُلُوهُ اقْتُلُوهُ اقْتُلُوهُ، فَقُتِلَ هُوَ وَسَبْعُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخَذَ قُتَيْبَةُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَخُيُولِهِمْ وَثِيَابِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَفَتَحَ فِي هَذَا الْعَامِ مُدُنًا كَثِيرَةً، وَقَرَّرَ مَمَالِكَ كَثِيرَةً.

○ فتح شُومَانَ وَكِسَّ وَنَسَفَ

فِي سنة (٩٢هـ) فَتَحَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ شُومَانَ وَكِسَّ، وَنَسَفَ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ فِرْيَابَ فَأَحْرَقَهَا، وَجَهَّزَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى الصُّغْدِ إِلَى طَرْخُونَ خَانَ مَلِكِ تِلْكَ الْبِلَادِ، فَصَالَحَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَعْطَاهُ طَرْخُونُ خَانَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَقَدِمَ عَلَى أَخِيهِ وَهُوَ بِبُخَارَى فَرَجَعَ إِلَى مَرْوَ، وَلَمَّا صَالَحَ طَرْخُونُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَرَحَلَ عَنْهُ، اجْتَمَعَتِ الصُّغْدُ وَقَالُوا لِطَرْخُونَ: إِنَّكَ قَدْ بُؤْتَ بِالذُّلِّ وَأَدَّيْتَ الْجِزْيَةَ، وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ، ثُمَّ عَزَلُوهُ وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ غَوْزَكَ خَانَ أَخَا طَرْخُونَ خَانَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَصَوْا وَنَقَضُوا الْعَهْدَ.

○ غزو سجستان

فِي سنة (٩٢هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ سِجِسْتَانَ يُرِيدُ رُتْبِيلَ مَلِكَ التُّرْكِ الْأَعْظَمَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى أَوَّلِ مَمْلَكَةِ رُتْبِيلَ تَلَقَّتْهُ رُسُلُهُ يُرِيدُونَ مِنْهُ الصُّلْحَ عَلَى أَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ؛ خُيُولٍ وَرَقِيقٍ وَنِسَاءٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ يُحْمَلُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَصَالَحَهُ.

فَتْحُ سَمَرْقَنْدَ

ثـم بَعَـثَ قُتَيْبَـةُ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَـنِ بْنَ مُسْـلِمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي عِشْـرِينَ أَلْفًا، فَسَـبَقَهُ إِلَى سَـمَرْقَنْدَ، وَلَحِقَهُ قُتَيْبَـةُ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، فَلَمَّا سَـمِعَتِ الْأَتْرَاكُ بِقُدُومِهِـمْ إِلَيْهِمُ انْتَخَبُوا مِنْ بَيْنِهِمْ كُلَّ شَدِيدِ السَّطْوَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى قُتَيْبَةَ فِي اللَّيْلِ، فَيَكْبِسُوا جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى قُتَيْبَةَ بِذَلِكَ، فَجَرَّدَ أَخَاهُ صَالِح بن مسلم فِي سِتِّمِائَةِ فَارِسٍ مِنَ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ لَا يُطَاقُونَ، وَقَالَ: خُذُوا عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ.

فَسَارُوا فَوَقَفُوا لَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَلَمَّا اجْتَازُوا بِهِمْ فِي اللَّيْلِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِأَمْرِهِمْ ثَارُوا عَلَيْهِمْ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَإِيَّاهُمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْ أُولَئِكَ الْأَتْرَاكِ إِلَّا النَّفَرُ الْيَسِيرُ، وَاحْتَزُّوا رُءُوسَهُمْ، وَغَنِمُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْلِحَةِ الْمُحَلَّاةِ بِالذَّهَبِ وَالْأَمْتِعَةِ، فَنَفَلَهُمْ قُتَيْبَةُ جَمِيعَ مَا غَنِمُوهُ مِنْهُمْ مِنْ ذَهَبٍ وَسِلَاحٍ.

وَاقْتَـرَبَ قُتَيْبَـةُ مِنَ الْمَدِينَـةِ الْعُظْمَى الَّتِـي بِالصُّغْدِ، وَهِيَ سَـمَرْقَنْدُ، فَنَصَـبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيـقَ، فَرَمَاهَـا بِهَا، وَهُوَ مَـعَ ذَلِكَ يُقَاتِلُهُـمْ لَا يُقْلِعُ عَنْهُمْ، وَزَحَـفَ بِالْأَبْطَالِ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَرَمَاهَا بِالْمَجَانِيقِ فَثَلَمَ فِيهَا ثُلْمَةً، فَسَدَّهَا التُّرْكُ بِغَرَائِرِ الدُّخْنِ، وَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَوْقَهَا، فَجَعَلَ يَشْـتُمُ قُتَيْبَةَ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسَهْمٍ فَقَلَعَ عَيْنَهُ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ قَفَاهُ، فَأَعْطَى قُتَيْبَةُ الَّذِي رَمَاهُ عَشَرَةَ آلَافٍ.

فَقَالَـتِ التُّـرْكُ لِقُتَيْبَةَ: ارْجِعْ عَنَّـا يَوْمَكَ هَذَا، وَنَحْـنُ نُصَالِحُكَ غَـدًا. فَرَجَعَ عَنْهُمْ، وَصَالَحُـوهُ مِنَ الْغَدِ عَلَـى أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْـفٍ يَحْمِلُونَهَا إِلَيْهِ فِـي كُلِّ عَامٍ، وَعَلَى أَنْ يُعْطُـوهُ فِـي هَذِهِ السَّـنَةِ ثَلَاثِينَ أَلْـفَ رَأْسٍ مِنَ الرَّقِيـقِ، لَيْسَ فِيهِمْ صَغِيرٌ وَلَا شَـيْخٌ وَلَا عَيْـبٌ، **وَعَلَـى أَنْ يَأْخُذَ حِلْيَةَ الْأَصْنَامِ**، وَمَا فِـي بُيُوتِ النِّيرَانِ، وَعَلَـى أَنْ يُخْلُوا الْمَدِينَةَ مِـنَ الْمُقَاتِلَةِ حَتَّـى يَبْنِيَ فِيهَا قُتَيْبَةُ مَسْـجِدًا، **وَيُوضَعُ لَهُ فِيهِ مِنْبَرٌ يَخْطُـبُ عَلَيْهِ**، وَيَتَغَدَّى وَيَخْرُجُ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا دَخَلَهَا قُتَيْبَةُ دَخَلَهَا وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بُنِيَ الْمَسْجِدُ، وَوُضِعَ فِيهِ الْمِنْبَرُ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ وَخَطَبَ وَتَغَدَّى، وَأُتِيَ بِالْأَصْنَامِ الَّتِي لَهُمْ فَسُلِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُلْقِيَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، حَتَّى صَارَتْ كَالْقَصْرِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَحْرِيقِهَا، وَقَالَ الْمَجُوسُ: إِنَّ فِيهَا أَصْنَامًا قَدِيمَةً مَنْ أَحْرَقَهَا هَلَكَ. فَقَالَ: أَنَا أُحَرِّقُهَا بِيَدِي، ثُمَّ أَخَذَ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، وَهُوَ يُكَبِّرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَأَلْقَى فِيهَا النَّارَ فَاحْتَرَقَتْ، فَوَجَدَ مِنْ بَقَايَا مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الذَّهَبِ خَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنْ ذَهَبٍ.

ثُمَّ اسْتَدْعَى قُتَيْبَةُ بِأَهْلِ سَمَرْقَنْدَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَا أُرِيدُ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا صَالَحْتُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ جُنْدٍ يُقِيمُونَ عِنْدَكُمْ مِنْ جِهَتِنَا. فَانْتَقَلَ عَنْهَا مَلِكُهَا غَوْزَكُ خَانَ فَتَلَا قُتَيْبَةُ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ الْآيَاتِ [النَّجْمِ: ٥٠، ٥١]

ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهَا قُتَيْبَةُ إِلَى بِلَادِ مَرْوَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُسْلِمٍ.

❁ ❁ ❁

○ غزو الشَّاش وكاشان.

وفِي سـنة (٩٤هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْـلِمٍ **الشَّـاشَ** وَفَرْغَانَةَ حَتَّى بَلَغَ خُجَنْدَةَ، **وَكَاشَانَ** مَدِينَتَيْ فَرْغَانَةَ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الصُّغْدِ، وَفَتْحِ سَمَرْقَنْدَ، ثُمَّ خَاضَ تِلْكَ الْبِلَادَ يَفْتَحُ فِيهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى **كاشَـانَ**، فَحَاصَرَهَا وَافْتَتَحَهَا، وَقَدْ لَقِيَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي جُمُوعٍ هَائِلَةٍ مِنَ التُّرْكِ فَقَاتَلَهُمْ قُتَيْبَةُ عِنْدَ خُجَنْدَةَ مِرَارًا،كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ الظَّفَرُ لَهُ.

○ غزو بلاد الشاش

فِي سـنة (٩٥هـ) غَزَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْـلِمٍ **بِلَادَ الشَّاشِ** فَفَتَحَ مُدُنًا وَأَقَالِيمَ كَثِيرَةً، فَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ جَاءَهُ الْخَبَرُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَقَمَعَهُ ذَلِكَ، وَرَجَعَ بِالنَّاسِ إِلَى مَدِينَةِ مَرْوَ.

○ فتح كاشغر

في سنة (٩٦هـ) فَتَحَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، **كَاشْغَرَ** مِنْ أَرْضِ الصِّينِ.

❁ ❁ ❁

○ دعوة ملك الصين إلى الإسلام

وَبَعَثَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى مَلِكِ الصِّينِ رُسُلًا يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ، وَيُقْسِمُ بِاللهِ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَطَأَ بِلَادَهُ، وَيَخْتِمَ مُلُوكَهُمْ وَأَشْرَافَهُمْ، وَيَأْخُذَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ، أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَدَخَلَ الرُّسُلُ إليها، ووَجَدُوا مَمْلَكَةً عَظِيمَةً، وَجُنْدًا كَثِيرًا، وَمَدِينَةً حَصِينَةً ذَاتَ أَنْهَارٍ وَأَسْوَاقٍ، وَحُسْنٍ وَبَهَاءٍ وكَانُوا ثَلَاثَمِائَةِ عَلَيْهِمْ هُبَيْرَةُ بن الْمُشَمْرَج الكلابي، وكان خطيبًا مفوهًا.

فَقَالَ الْمَلِكُ لِتُرْجُمَانِهِ: **قُلْ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ وَمَا تُرِيدُونَ؟** فَقَالُوا: نَحْنُ رُسُلُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ يَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَالْحَرْبُ. فَغَضِبَ الْمَلِكُ، وَأَمَرَ بِهِمْ إِلَى دَارٍ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: **كَيْفَ تَكُونُونَ فِي عِبَادَةِ إِلَهِكُمْ؟** فَصَلَّوُا الصَّلَاةَ عَلَى عَادَتِهِمْ، فَلَمَّا رَكَعُوا وَسَجَدُوا ضَحِكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: **كَيْفَ تَكُونُونَ فِي بُيُوتِكُمْ؟** فَلَبِسُوا ثِيَابَ مِهَنِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِالِانْصِرَافِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **كَيْفَ تَدْخُلُونَ عَلَى مُلُوكِكُمْ؟** فَلَبِسُوا الْوَشْيَ وَالْعَمَائِمَ وَالْمَطَارِفَ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا، فَرَجَعُوا.

فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ: **كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ؟** فَقَالُوا: هَذِهِ أَشْبَهُ بِهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَهُمْ أُولَئِكَ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: **كَيْفَ تَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ؟** فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ وَلَبِسُوا الْمَغَافِرَ وَالْبَيْضَ، وَتَقَلَّدُوا السُّيُوفَ، وَتَنَكَّبُوا الْقِسِيَّ، وَأَخَذُوا الرِّمَاحَ، وَرَكِبُوا خُيُولَهُمْ وَمَضَوْا، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ مَلِكُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُقْبِلَةً، فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْهُ رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ مُشَمِّرِينَ، فَقِيلَ لَهُمْ: ارْجِعُوا.

وَذَلِكَ لِمَا دَخَلَ قُلُوبَ أَهْلِ الصِّينِ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُمْ. فَانْصَرَفُوا فَرَكِبُوا خُيُولَهُمْ،

وَاخْتَلَجُوا رِمَاحَهُمْ، ثُمَّ سَاقُوا خُيُولَهُمْ، كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ بِهَا، **فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ؟** فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ.

فَلَمَّا أَمْسَوْا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ؛ أَنِ ابْعَثُوا إِلَيَّ زَعِيمَكُمْ وَأَفْضَلَكُمْ. فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ بن المشمرج الكلابي، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ: قَدْ رَأَيْتُمْ عِظَمَ مُلْكِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي وَأَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَفِّي، وَأَنَا سَائِلُكَ عَنْ أَمْرٍ فَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي قَتَلْتُكَ. فَقَالَ: سَلْ. **فَقَالَ الْمَلِكُ: لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنْ زِيٍّ أَوَّلَ يَوْمٍ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ؟**

فَقَالَ: أَمَّا زِيُّنَا أَوَّلَ يَوْمٍ فَهُوَ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَنِسَائِنَا، وَطِيبُنَا عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا مَا فَعَلْنَا ثَانِيَ يَوْمٍ فَهُوَ زِيُّنَا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى مُلُوكِنَا، وَأَمَّا زِيُّنَا ثَالِثَ يَوْمٍ فَهُوَ إِذَا لَقِينَا عَدُوَّنَا.

فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ! انْصَرِفُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ يَعْنِي قُتَيْبَةَ، **وَقُولُوا لَهُ: يَنْصَرِفُ رَاجِعًا عَنْ بِلَادِي؛** فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ، وَإِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ مَنْ يُهْلِكُكُمْ عَنْ آخِرِكُمْ.

فَقَالَ لَهُ هُبَيْرَةُ: تَقُولُ لِقُتَيْبَةَ هَذَا؟ فَكَيْفَ يَكُونُ قَلِيلَ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلُ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرُهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ؟! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مَنْ خَلَّفَ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا، وَغَزَاكَ فِي بِلَادِكَ؟! وَأَمَّا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا أَجَلًا إِذَا حَضَرَ، فَأَكْرَمُهَا عِنْدَنَا الْقَتْلُ فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: **فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكُمْ؟** فَقَالَ: قَدْ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَطَأَ أَرْضَكَ، وَيَخْتِمَ مُلُوكَكَ، وَيَجْبِيَ الْجِزْيَةَ مِنْ بِلَادِكَ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: **أَنَا أَبَرُّ يَمِينَهُ وَأُخْرِجُهُ مِنْهَا؛** أُرْسِلُ إِلَيْهِ بِتُرَابٍ مِنْ أَرْضِي، وَأَرْبَعِ غِلْمَانٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَأُرْسِلُ إِلَيْهِ ذَهَبًا كَثِيرًا، وَحَرِيرًا وَثِيَابًا صِينِيَّةً لَا تُقَوَّمُ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ قَدْرَهَا.

ثُمَّ جَرَتْ لَهُمْ مَعَهُ مُقَاوَلَاتٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ شَرَعَ يَتَهَدَّدُهُمْ فَتَهَدَّدُوهُ، وَيَتَوَعَّدُهُمْ فَتَوَعَّدُوهُ، **ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى** أَنْ بَعَثَ صِحَافًا مِنْ ذَهَبٍ مُتَّسِعَةً، فِيهَا تُرَابٌ مِنْ أَرْضِهِ لِيَطَأَهُ قُتَيْبَةُ، وَبَعَثَ

بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ الْمُلُوكِ لِيَخْتِمَ رِقَابَهُمْ، وَبَعَثَ بِمَالٍ جَزِيلٍ لِيَبَرَّ بِيَمِينِ قُتَيْبَةَ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قُتَيْبَةَ مَا أَرْسَلَهُ مَلِكُ الصِّينِ قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدِ انْتَهَى إِلَيْهِ خَبَرُ مَوْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَانْكَسَرَتْ هِمَّتُهُ لِذَلِكَ.

مقتل ملك السند

فِي سنة (٩٠هـ) قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيُّ مَلِكَ السِّنْدِ دَاهِرَ بْنَ صَصَّةَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ هَذَا عَلَى جَيْشٍ مِنْ جِهَةِ الْحَجَّاجِ.

فتح مدينة الديبل

وفِي سنة (٩٣هـ) افْتَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ مَدِينَةَ الدَّيْبُلِ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، وَكَانَ قَدْ وَلَّاهُ الْحَجَّاجُ غَزْوَ الْهِنْدِ، وَعُمْرُهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَسَارَ فِي الْجُيُوشِ فَلَقُوا الْمَلِكَ دَاهِرَ وَهُوَ مَلِكُ الْهِنْدِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، وَمَعَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ فِيلًا مُنْتَخَبَةً، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَهُمُ اللهُ، وَهَرَبَ الْمَلِكُ دَاهِرُ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَقْبَلَ الْمَلِكُ وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ جِدًّا، فَأَحَاطُوا بِالْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ الْمَلِكُ دَاهِرُ وَغَالِبُ مَنْ مَعَهُ، وَتَبِعَ الْمُسْلِمُونَ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الْهُنُودِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ سَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ فَافْتَتَحَ مَدِينَةَ **الْكَيْرَجِ** وَبَرَّهَا، وَرَجَعَ بِغَنَائِمَ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ لَا تُحْصَى كَثْرَةً؛ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فتح أرض الهند

وفِي سنة (٩٤هـ) افْتَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيُّ أَرْضَ الْهِنْدِ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا لَا تُعَدُّ وَلَا تُوصَفُ.

فتح المولتان

فِي سنة (٩٥هـ) افْتَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الثَّقَفِيُّ مَدِينَةَ الْمُولْتَانِ مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ، وَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

الفتوحات في بلاد الروم

○ غزو بلاد الروم

فِي سنة (٨٧هـ) غزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ فقتَل مِنهُم خَلْقًا كثِيرًا، وَفتح حُصُونًا كَثِيرَةً، وَغنِمَ غَنَائِم جَمَّةً.

وفِي سَنَة (٨٨هـ) غزَا الصَّائِفَةَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَافْتَتَحَا بِمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِصْنَ طُوَانَةَ، وَكَانَ حِصْنًا مَنِيعًا اقْتَتَلَ النَّاسُ عِنْدَهُ قِتَالًا عَظِيمًا، ثُمَّ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى النَّصَارَى، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمُ الْكَنِيسَةَ.

ثُمَّ خَرَجَتِ النَّصَارَى فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي مَوْقِفِهِ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَمَعَهُ ابْنُ مُحَيْرِيزٍ الْجُمَحِيُّ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِابْنِ مُحَيْرِيزٍ: أَيْنَ قُرَّاءُ الْقُرْآنِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ فَقَالَ: نَادِهِمْ يَأْتُوكَ. فَنَادَى: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ. فَتَرَاجَعَ النَّاسُ، فَحَمَلُوا عَلَى النَّصَارَى فَكَسَرُوهُمْ، وَلَجَأُوا إِلَى الْحِصْنِ، فَحَاصَرُوهُمْ حَتَّى فَتَحُوهُ.

وفِي سنة (٨٩هـ) غزَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبدِ الْمَلِكِ وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بِلَادَ الرُّومِ، وَفَتَحَا حُصُونًا كَثِيرَةً؛ مِنْهَا حِصْنُ سُورِيَّةَ وَعَمُّورِيَّةَ وَهِرَقْلَةَ وَقَمُودِيَّةَ، وَغنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَأَسَرَا جَمًّا غَفِيرًا.

○ أسر خالد بن كيسان

فِي سنة (٩٠هـ) أَسَرَتِ الرُّومُ خَالِدَ بْنَ كَيْسَانَ صَاحِبَ الْبَحْرِ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَأَهْدَاهُ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وفِي سنة (٩٢هـ) غزَا مَسْلَمَةُ، وَابْنُ أَخِيهِ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، فَفَتَحَا حُصُونًا

كَثِيرَةً، وَغَنِمَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَهَرَبَتْ مِنْهُمُ الرُّومُ إِلَى أَقْصَى بِلَادِهِمْ، وَكَانَ مِمَّا فَتَحَ مَسْلَمَةُ وَابْنُ أَخِيهِ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ حُصُونِ بِلَادِ الرُّومِ حِصْنُ سَوْسَنَةَ، وَبَلَغَا إِلَى خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.

وفِي سنة (٩٣هـ) افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الرُّومِ؛ مِنْهَا حِصْنُ الْحَدِيدِ، وَغَزَالَةُ، وَمَاسَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَفِيهَا غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ سَبَسْطِيَةَ، كما غَزَا مَرْوَانُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ حَتَّى بَلَغَ خَنْجَرَةَ.

وفِي سنة (٩٤هـ) غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ أَرْضَ الرُّومِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ فَتَحَ أَنْطَالِيَةَ.

وَفِيهَا افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنْدَرَةَ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ.

وفِي سنة (٩٥هـ) غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بِلَادَ الرُّومِ، وَافْتَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً.

وفِي سنة (٩٦هـ) غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ، فَفَتَحَ طُولَسَ وَالْمَرْزُبَانَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

❁ ❁ ❁

الفتوحات في المغرب

غزو بلاد المغرب الأقصى

فِي سنة (٩١هـ) غَزَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِلَادَ الْمَغْرِبِ، فَفَتَحَ مُدُنًا كَثِيرَةً، وَدَخَلَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَوَلَجَ فِيهَا حَتَّى دَخَلَ أَرَاضِيَ غَابِرَةً قَاصِيَةً، فِيهَا آثَارُ قُصُورٍ وَبُيُوتٍ لَيْسَ بِهَا سَاكِنٌ، وَوَجَدَ هُنَاكَ مِنْ آثَارِ نِعْمَةِ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ مَا يَلُوحُ عَلَى سِمَاتِهَا أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ أَمْوَالٍ وَنِعْمَةٍ دَارَّةٍ سَابِغَةٍ، فَبَادُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرَ بِهَا.

فتح بلاد الأندلس

فِي سنة (٩٢هـ) غَزَا طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُهَا أَذَرِينُوقُ (لذريق) فِي جَحَافِلِهِ، وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَمَعَهُ سَرِيرُ مُلْكِهِ، فَقَاتَلَهُ طَارِقٌ فَهَزَمَهُ، وَغَنِمَ مَا فِي مُعَسْكَرِهِ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ السَّرِيرُ، وَتَمَلَّكَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ بِكَمَالِهَا.

قَالَ الذَّهَبِيُّ: كَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ أَمِيرَ طَنْجَةَ، وَهِيَ أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ نَائِبًا لِمَوْلَاهُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ يَسْتَنْجِدُ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، فَدَخَلَ طَارِقٌ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ زُقَاقِ سَبْتَةَ، وَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ لِكَوْنِ الْفِرِنْجِ قَدِ اقْتَتَلُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَمْعَنَ طَارِقٌ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فَافْتَتَحَ قُرْطُبَةَ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا (لذريق).

وَكَتَبَ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِالْفَتْحِ، وَكَتَبَ موسى إِلَى الْوَلِيدِ بن عبدالملك يُبَشِّرُهُ بِالْفَتْحِ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقٍ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِ مُسْرِعًا بِجُيُوشِهِ، فَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ وَمَعَهُ حَبِيبُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ الْفِهْرِيُّ، فَأَقَامَ سِنِينَ يَفْتَحُ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ[1]، وَيَأْخُذُ الْمُدُنَ وَالْأَمْوَالَ، فَغَنِمَ شَيْئًا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْيَوَاقِيتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، والآنية وَالْأَثَاثِ وَالْخُيُولِ وَالْبِغَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفَتَحَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ وَالْمُدُنِ شَيْئًا كَثِيرًا.

(١) انظر تفصيل ذلك: في كتاب الكامل لابن الأثير ٤/ ٤١ ومابعدها .

الولاية على البلدان

○ ولاية المدينة

فِي سـنة (٩٣هـ) عَـزَلَ الْوَلِيدُ بن عبدالملك عُمَـرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِمْـرَةِ الْمَدِينَةِ، وولى عليها عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ.

○ ولاية مكة

فِي سـنة (٨٩هــ) وَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِـكِ إِمْرَةَ مَكَّةَ لِخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْـرِيِّ، فَحَفَـرَ بِئْرًا بِأَمْرِ الْوَلِيدِ عِنْـدَ ثَنِيَّةِ طُوًى، وأخرى عند ثَنِيَّةِ الْحَجُـونِ، فَجَاءَتْ عَذْبَةَ الْمَاءِ طَيِّبَةً، وَكَانَ يَسْتَقِي النَّاسُ مِنْهَا.

○ ولاية المشرق

في سـنة (٨٧هــ) كان الوالي عَلَـى الْعِـرَاقِ وَالْمَشْـرِقِ بِكَمَالِهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُـفَ الثَّقَفِـيُّ، وَنَائِبُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْـدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ، ونائبه بِالْكُوفَةِ زِيَادُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ، وَنَائِبُهُ عَلَى خُرَاسَانَ وَأَعْمَالِهَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ.

○ ولاية مصر

فِي سنة (٩٠هـ) عَزَلَ الْوَلِيدُ أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا قُرَّةَ بْنَ شَرِيكٍ .

❁ ❁ ❁

ولايــة الحــج

حج بالناس في سنة (٨٦هـ) هشام بن إسماعيل المخزومي أمير المدينة .

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٨٧هـ) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٨٨هـ) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز وَمَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا كَانَ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَخْبَرُوهُ عَنْ قِلَّةِ الْمَاءِ بِمَكَّةَ لِقِلَّةِ الْمَطَرِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا نَسْتَمْطِرُ؟

فَدَعَا وَدَعَا النَّاسُ، فَمَا زَالُوا يَدْعُونَ حَتَّى سُقُوا، وَدَخَلُوا مَكَّةَ وَمَعَهُمُ الْمَطَرُ، وَجَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ حَتَّى خَافَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ، وَمُطِرَتْ عَرَفَةُ وَمُزْدَلِفَةُ وَمِنًى، وَأَخْصَبَتِ الْأَرْضُ هَذِهِ السَّنَةَ خِصْبًا عَظِيمًا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٨٩هـ) وسنة (٩٠هـ) وسنة (٩٢هـ) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٩١هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٩٣هـ) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بن عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٩٤هـ) مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٩٥هـ) بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان في خلافته

١- عُتْبَةُ بْنُ عَبْدٍ السُّـلَمِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، نَزَلَ حِمْصَ، يُرْوَى أَنَّهُ شَهِدَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وهو من مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وتوفي سنة (٨٧هـ).

٢- الْمِقْـدَامُ بْنُ مَعْدِ يَكْـرِب صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، نَزَلَ حِمْصَ أَيْضًا، لَهُ أَحَادِيثُ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وتوفي سنة (٨٧هـ).

٣- أَبُـو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ وَاسْـمُهُ صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ، صَحَابِيٌّ جَلِيـلٌ، نَزَلَ حِمْصَ، وتوفي سنة (٨٧هـ).

٤- قَبِيصَـةُ بْـنُ ذُؤَيْبٍ أَبُو سُـفْيَانَ الْخُزَاعِيُّ الْمَدَنِيُّ وُلِدَ عَامَ الْفَتْـحِ، وَأُتِيَ بِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِيَدْعُـوَ لَهُ. رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيـرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَـوْمَ الْحَرَّةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَتُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ سنة (٨٧هـ).

٥- عُرْوَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُـعْبَةَ وَلِيَ إِمْرَةَ الْكُوفَةِ لِلْحَجَّاجِ، وَكَانَ شَـرِيفًا لَبِيبًا مُطَاعًا فِي النَّاسِ، وَكَانَ أَحْوَلَ، تُوُفِّيَ بِالْكُوفَةِ سنة (٨٧هـ).

٦- يَحْيَـى بْنُ يَعْمَرَ كَانَ قَاضِـيَ مَرْوَ، **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِـفَ**، وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ النَّـاسِ وَعُلَمَائِهِمْ، وَلَهُ أَحْوَالٌ وَمُعَامَلَاتٌ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُصَحَاءِ، أَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وتوفي سنة (٨٧هـ).

٧- شُـرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ الْقَاضِي اسْتَقْضَاهُ عُمَرُ عَلَى الْكُوفَةِ، فَمَكَثَ بِهَا قَاضِيًا خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ عَالِمًا عَادِلًا كَثِيرَ الْخَيْرِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فِيهِ دُعَابَةٌ كَثِيرَةٌ، وتوفي سنة (٨٧هـ).

٨- عَبْـدُ اللهِ بْنُ بُسْـرِ بْـنِ أَبِي بُسْـرٍ الْمَازِنِيُّ صَحَابِيٌّ كَأَبِيهِ، سَـكَنَ حِمْـصَ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: تُوُفِّيَ سَنَةَ (٨٨هـ)، عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، **وَهُوَ آخِرُ مَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالشَّامِ**.

٩- عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى عَلْقَمَةُ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ الْخُزَاعِيُّ ثُمَّ الْأَسْلَمِيُّ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، **وَهُوَ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْكُوفَةِ**، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِيمَا قَالَهُ الْبُخَارِيُّ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ.

١٠- هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ ولاه عبدالملك على المدينة، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَمَاتَ بِهَا سَنَةِ (٨٨هـ)، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ دِرَاسَةَ الْقُرْآنِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ.

١١- عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ الْعُذْرِيُّ الشَّاعِرُ، أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ. وَكَانَ الزُّهْرِيُّ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ النَّسَبَ، تُوُفِّيَ سنة(٨٩هـ)

١٢- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، تُوُفِّيَ سنة (٩٠هـ).

١٣-أَبُو الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيُّ، تُوُفِّيَ سنة (٩٠هـ).

١٤- سِنَانُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبَّقِ، أَحَدُ الشُّجْعَانِ الْمَذْكُورِينَ، أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَتَوَلَّى غَزْوَ الْهِنْدِ، وَطَالَ عُمْرُهُ، تُوُفِّيَ سنة (٩٠هـ)

١٥- عَبْدُ اللهِ بْنُ الزَّبِيرِ بْنِ سَلِيمٍ الْأَسَدِيُّ، **الشَّاعِرُ أَبُو كَثِيرٍ** وَيُقَالُ: أَبُو سَعْدٍ. وَهُوَ مَشْهُورٌ، وَفَدَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَامْتَدَحَهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا، تُوُفِّيَ سنة (٩٠هـ).

١٦- السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ ثُمَامَةَ وَقَدْ حَجَّ بِهِ أَبُوهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ عُمْرُ السَّائِبِ سَبْعَ سِنِينَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، تُوُفِّيَ سنة (٩١هـ)

١٧- سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، صَحَابِيٌّ مَدَنِيٌّ جَلِيلٌ، تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، تُوُفِّيَ سنة (٩١هـ) عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

١٨- مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ النَّصْرِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْمَدَنِيُّ، مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ،وَأَنْكَرَ ذَلِكَ ابْنُ مَعِينٍ وَالْبُخَارِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ وَقَالُوا: لَا تَصِحُّ لَهُ صُحْبَةٌ، تُوُفِّيَ سنة (٩٢هـ).

١٩- أَنَسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ من بني عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ أَبُو حَمْزَةَ، خَادِمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ، وَأُمُّهُ أُمُّ حَرَامٍ مُلَيْكَةُ بِنْتُ مِلْحَانَ زَوْجَةُ أَبِي طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ. رَوَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيث جَمَّةً، وَأَخْبَرَ بِعُلُوم مُهِمَّةٍ، وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ.

قَالَ أَنَسٌ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً. قِيلَ لِأَنَسٍ: أَشَهِدْتَ بَدْرًا؟ فَقَالَ: وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرٍ لَا أُمَّ لَكَ؟

قَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ: لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَغَازِي. قُلْتُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ إِنَّمَا شَهِدَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَغَازِي. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدِ انْتَقَلَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَكَانَ لَهُ بِهَا أَرْبَعُ دُورٍ، وَقَدْ نَالَهُ أَذًى مِنْ جِهَةِ الْحَجَّاجِ، وَذَلِكَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ؛ تَوَهَّمَ الْحَجَّاجُ مِنْهُ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ أَفْتَى فِيهِ، فَخَتَمَهُ الْحَجَّاجُ فِي عُنُقِهِ: هَذَا عَتِيقُ الْحَجَّاجِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا مَاتَ أَنَسٌ قَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ: ذَهَبَ الْيَوْمَ نِصْفُ الْعِلْمِ. قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، إِذَا خَالَفُونَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْنَا لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ. تُوُفِّيَ سنة (٩٣هـ).

٢٠- عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ المخزومي، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ بِالتَّغَزُّلِ الْمَلِيحِ الْبَلِيغِ، كَانَ يَتَغَزَّلُ فِي امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: الثُّرَيَّا بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأُمَوِيَّةُ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: المتوفى: سنة (٩٣هـ)

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلا ... عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ ... وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

⊙ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ يُقَالُ لسنة (٩٤هـ): سَنَةُ الْفُقَهَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ فِيهَا عَامَّةُ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ؛ مَاتَ فِي أَوَّلِهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، ثُمَّ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.[١]

٢١- عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، الْمَشْهُورُ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَد. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ[٢]: كَانَتْ أُمُّهُ سَلَّامَةَ بِنْتَ يَزْدَجِرْدَ آخِرِ مُلُوكِ الْفُرْسِ.

وَذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ[٣] فِي «رَبِيعِ الْأَبْرَارِ»: أَنَّ يَزْدَجِرْدَ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ سُبِينَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَحَصَلَتْ وَاحِدَةٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَأَوْلَدَهَا سَالِمًا، وَالْأُخْرَى لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَأَوْلَدَهَا الْقَاسِمَ، وَالْأُخْرَى لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَأَوْلَدَهَا عَلِيًّا زَيْنَ الْعَابِدِينَ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا، كَثِيرَ الْحَدِيثِ، عَالِيًا، رَفِيعًا وَرِعًا.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمْ يَكُنْ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَقِبٌ إِلَّا مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ نَسْلٌ إِلَّا مِنَ ابْنَةِ عَمِّهِ الْحَسَنِ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ: لَوِ اتَّخَذْتَ السَّرَارِيَّ حَتَّى يَكْثُرَ أَوْلَادُكُ. فَقَالَ: لَيْسَ لِي مَا أَتَسَرَّى بِهِ. فَأَقْرَضَهُ مِائَةَ أَلْفٍ، فَاشْتَرَى لَهُ السَّرَارِيَّ، فَوَلَدْنَ لَهُ، وَكَثُرَ نَسْلُهُ، فَجَمِيعُ الْحُسَيْنِيِّينَ مِنْ نَسْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طُرُقٍ ذَكَرَهَا الصُّولِيُّ وَالْجُرَيْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ (قبل توليه الخلافة) طَافَ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ لَمْ يَتَمَكَّنْ حَتَّى نُصِبَ لَهُ مِنْبَر، وَقَامَ أَهْلُ الشَّامِ حَوْلَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحَجَرِ؛ لِيَسْتَلِمَهُ تَنَحَّى عَنْهُ النَّاسُ إِجْلَالًا لَهُ وَهِيبَةً وَاحْتِرَامًا، وَهُوَ فِي بِزَّةٍ حَسَنَةٍ، وَشَكْلٍ مَلِيحٍ، فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ لِهِشَامٍ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ. لِئَلَّا يَرْغَبَ فِيهِ أَهْلُ الشَّامِ. فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَكَانَ حَاضِرًا: أَنَا أَعْرِفُهُ. فَقَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٤٩١
(٢) وفيات الأعيان، ٣/ ٢٦٧.
(٣) وفيات الأعيان، ٣/ ٢٦٧.

هَـذَا الَّـذِي تَعْـرِفُ الْبَطْحَـاءُ وَطْأَتَهُ وَالْبَيْـتُ يَعْرِفُـهُ وَالْحِـلُّ وَالْحَـرَمُ
هَـذَا ابْـنُ خَـيْرِ عِـبَـادِ اللهِ كُـلِّـهِـمُ هَـذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّـاهِرُ الْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْـــهُ قُـرَيْـشٌ قَـالَ قَـائِلُـهَا إِلَـى مَـكَـارِمِ هَـذَا يَـنْـتَـهِـي الْـكَـرَمُ

والْمَشْـهُورُ عند الْجُمْهُورِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سـنة (٩٤هـ) فِي أَوَّلِهَا عَنْ ثَمَانٍ وَخَمْسِـينَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْبَقِيعِ، وَدُفِنَ بِهِ.

٢٢- عُـرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، الْقُرَشِـيُّ الْأَسَـدِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَدَنِـيُّ، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَـنْ أَبِيهِ، وَعَـنِ الْعَبَادِلَـةِ، وَمُعَاوِيَةَ، وَالْمُغِيـرَةِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأُمِّهِ أَسْـمَاءَ، وَخَالَتِهِ عَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، وَخَلْقٌ مِمَّنْ سِوَاهُمْ.

وَقَالَ الْعِجْلِيُّ: مَدَنِيٌّ، تَابِعِيٌّ، رَجُلٌ صَالِحٌ، لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْمَغَازِيَ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ الْمَعْدُودِينَ.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ الْعَشَـرَةِ الَّذِينَ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِمْ فِي زَمَنِ وِلَايَتِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ. وتوفي سنة (٩٤هـ).

٢٣- سَـعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ بْنُ حَزْنٍ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، أبو محمد المدني سَيِّدُ التَّابِعِينَ، أَرْسَـلَ كَثِيرًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ عُمَرَ وروى عَنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَكَانَ زَوْجَ ابْنَتِـهِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِحَدِيثِـهِ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِـنَ التَّابِعِينَ، وَخَلْقٍ مِمَّنْ سِوَاهُمْ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَانَ سَعِيدٌ أَحَدَ الْمُفْتِينَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مِنْهُ. وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ كَتَبَ إِلَى سَـعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ. وَقَالَ غَيْرُهُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: فَقِيهُ الْفُقَهَاءِ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ الْفُقَهَاءِ، وَهِيَ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٤- أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَـامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ، أَحَدُ **الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ**، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ عَمَّارٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَسْـمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ: مِنْهُمْ بَنُوهُ **سَـلَمَةُ، وَعَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ، وَعُمَر**، وَعَامِرٌ الشَّـعْبِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالزُّهْرِيُّ.

وُلِدَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: رَاهِبُ قُرَيْشٍ. لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ، وَكَانَ مَكْفُوفًا، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَكَانَ مِنَ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالْفِقْهِ وَصِحَّةِ الرِّوَايَةِ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ، كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يُكْرِمُهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وله مناقب كثيرة ، وكانت وفاته سنة (٩٤هـ).

٢٥- سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ الْأَسَدِيُّ الْوَالِبِيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ، الْكُوفِيُّ الْمَكِّيُّ، مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ، كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْـلَامِ فِي التَّفْسِـيرِ وَالْفِقْهِ وَأَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَكَثْرَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ رَأَى خَلْقًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَوَى عَـنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ، وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ كثير القراءة للقرآن،كَانَ عُمْرُهُ حِينَ قُتِلَ سَبْعًا وَخَمْسِينَ سنة .[1] وتوفي سنة (٩٤هـ).

٢٦- طَلْـقُ بْنُ حَبِيبٍ الْعَنَـزِيُّ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ، وَجَابِـرٍ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَلَكِنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ.

وَقَدْ كَانَ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْـعَثِ، وَكَانَ يَقُولُ: اتَّقُوهَا بِالتَّقْوَى. فَقِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَـا التَّقْوَى. فَقَالَ: التَّقْوَى الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ، رَجَاءَ رَحْمَةِ اللهِ، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعَاصِي اللهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ؛ مَخَافَةَ عَذَابِ اللهِ. توفي سنة (٩٤هـ).

٢٧- **الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُـفَ بْنِ الْحَكَمِ أَبُو مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ**، سَـمِعَ ابْـنَ عَبَّاسٍ، وَرَوَى عَنْ أَنَـسٍ، وَسَـمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، وَعَبْـدِ الْمَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ، وَأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَـى.

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي،٤/ ٣٤١

وَرَوَى عَنْهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، وَحُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، قَالَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.

◉ وَذَكَرَ صَاحِبُ «الْعِقْدِ» أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ هُوَ وَأَبُوهُ يُعَلِّمَانِ الْغِلْمَانَ بِالطَّائِفِ.

◉ قَالَ: وَبَنَى وَاسِطَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، وَفَرَغَ مِنْهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ. وَقِيلَ قَبْلَ ذَلِكَ. قَالَ: وَفِي أَيَّامِهِ نُقِطَتِ الْمَصَاحِفُ.

◉ وَكَانَتْ فِيهِ شَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي سَيْفِهِ رَهَقٌ، وَكَانَ كَثِيرَ قَتْلِ النُّفُوسِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ، وَكَانَ يَغْضَبُ غَضَبَ الْمُلُوكِ.

◉ كان الْحَجَّاجَ مَعَ أَبِيهِ بِمِصْرَ فِي جَامِعِهَا، فَاجْتَازَ بِهِمَا **سُلَيْمُ بْنُ عِتْرٍ التجيبي قاضي مصر**، فَنَهَضَ إِلَيْهِ يوسف أَبُو الْحَجَّاجِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَسْأَلُهُ أَنْ يَعْزِلَنِي عَنِ الْقَضَاءِ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! وَاللهِ لَا أَعْلَمُ قَاضِيًا الْيَوْمَ خَيْرًا مِنْكَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ابْنِهِ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَهْ، أَتَقُومُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ تُجِيبَ وَأَنْتَ ثَقَفِيٌّ؟ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يُرْحَمُونَ بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: وَاللهِ مَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَضَرُّ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ. فَقَالَ: وَلِمَ يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: لِأَنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فَيُحَدِّثُونَهُمْ عَنْ سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَيُحَقِّرُ النَّاسُ سِيرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرَوْنَهَا شَيْئًا عِنْدَ سِيرَتِهِمَا، فَيَخْلَعُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَيْهِ، وَيَبْغَضُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ طَاعَتَهُ، وَاللهِ لَوْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.[1] فقال له أبوه: يابني، والله لأظن أن الله عزوجل خلقك شقيًا.

◉ **قال ابن كثير**: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ ذَا وَجَاهَةٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ ذَا فِرَاسَةٍ صَحِيحَةٍ؛ فَإِنَّهُ تَفَرَّسَ فِي ابْنِهِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

(١) وهذه الحكاية إن صحت فهي توضح شيئا من شخصية الحجاج بن يوسف، وتفسر بعض تصرفاته ومواقفه.

وَكَانَ مَوْلِدُ الْحَجَّاجِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ نَشَأَ شَابًّا لَبِيبًا فَصِيحًا بَلِيغًا حَافِظًا لِلْقُرْآنِ. وَوَلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْحِجَازَ، فَقَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا وَوَلَّاهُ الْعِرَاقَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ بِشْرِ بن مروان، فَأَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ عِشْرِينَ سَنَةً كَامِلَةً. وَفَتَحَت جيوشه فِيهَا فُتُوحَات كَثِيرَةً هَائِلَةً مُنْتَشِرَةً، حَتَّى وَصَلَتْ خُيُولُهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ، وإِلَى قَرِيبٍ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ، وَجَرَتْ لَهُ فُصُولٌ قَدْ ذَكَرْنَاهَا.

وَسنُورِدُ هُنَا أَشْيَاءَ أُخَرَ مِمَّا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ وَالْجَرَاءَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالتَّهَوُّرِ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ، مِمَّا يُمْدَحُ عَلَى مِثْلِهِ، وَمِمَّا يُذَمُّ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، مِمَّا سَاقَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُ:

◉ فَرَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ ابْنِ أَخِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَدِينِيِّ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ صَلَّى مَرَّةً بِجَنْبِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَرْفَعُ قَبْلَ الْإِمَامِ وَيَقَعُ قَبْلَهُ فِي السُّجُودِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخَذَ سَعِيدٌ بِطَرْفِ رِدَائِهِ وَكَانَ لَهُ ذِكْرٌ يَقُولُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَمَا زَالَ الْحَجَّاجُ يُنَازِعُهُ رِدَاءَهُ حَتَّى قَضَى سَعِيدٌ ذِكْرَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ سَعِيدٌ فَقَالَ لَهُ: يَا سَارِقُ يَا خَائِنُ، تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِهَذَا النَّعْلِ وَجْهَكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. ثُمَّ مَضَى الْحَجَّاجُ إِلَى الْحَجِّ، ثُمَّ رَجَعَ فَعَادَ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ جَاءَ نَائِبًا عَلَى الْحِجَازِ، فَلَمَّا قَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ نَائِبًا عَلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ إِذَا مَجْلِسُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ فَقَصَدَهُ الْحَجَّاجُ فَخَشِيَ النَّاسُ عَلَى سَعِيدٍ مِنْهُ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلِمَاتِ؟ فَضَرَبَ سَعِيدٌ صَدْرَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ مُعَلِّمٍ وَمُؤَدِّبٍ خَيْرًا، مَا صَلَّيْتُ بَعْدَكَ صَلَاةً إِلَّا وَأَنَا أَذْكُرُ قَوْلَكَ. ثُمَّ قَامَ وَمَضَى.

◉ وَرُوِيَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ وَغَيْرِهِ [1] أَنَّ الْحَجَّاجَ أَطَالَ الْخُطْبَةَ، فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، مِرَارًا، ثُمَّ قَامَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَقَامَ النَّاسُ، فَصَلَّى الْحَجَّاجُ

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٢١٣

بِالنَّـاسِ، فَلَمَّـا انْصَرَفَ قَالَ لِابْنِ عُمَـرَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَـالَ: إِنَّمَا نَجِيءُ لِلصَّلَاةِ، فَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، ثُمَّ بَقْبِقْ مَا شِئْتَ بَعْدُ مِنْ بَقْبَقَةٍ.

⊙ **وَقَـالَ الْهَيْثَـمُ بْـنُ عَدِيٍّ:** جَـاءَ رَجُلٌ إِلَـى الْحَجَّاجِ فَقَـالَ: إِنَّ أَخِي خَـرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْـعَثِ، فَضُرِبَ عَلَى اسْـمِي فِي الدِّيوَانِ، وَمُنِعْتُ الْعَطَاءَ، وَقَدْ هُدِمَتْ دَارِي. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

جَانِيـكَ مَـنْ يَجْنِـي عَلَيْـكَ وَقَـدْ ... تُعْدِي الصِّحَـاحَ مَبَـارِكُ الْجُرْبِ
وَلَـرُبَّ مَـأْخُـوذٍ بِـذَنْـبِ قَرِيبِـهِ ... وَنَجَـا الْمُقَارِفُ صَاحِـبُ الذَّنْبِ

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، **إِنِّي سَـمِعْتُ اللهَ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا، وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ مِنْ هَذَا.** قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ۝٧٩﴾ [يُوسُـفَ: ٧٨، ٧٩] قَالَ: يَا غُلَامُ، أَعِدِ اسْـمَهُ فِي **الدِّيوَانِ، وَابْـنِ دَارَهُ، وَأَعْطِهِ عَطَاءَهُ،** وَمُرْ مُنَادِيًا يُنَادِي: **صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ الشَّاعِرُ.**

⊙ **وَقَـدْ كَانَ الْحَجَّـاجُ مَعَ فَصَاحَتِـهِ وَبَلَاغَتِهِ** يَلْحَنُ فِـي حُرُوفٍ مِنَ الْقُـرْآنِ، أَنْكَرَهَا يَحْيَـى بْنُ يَعْمُرَ؛ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يُبْدِلُ «إِنِ» الْمَكْسُـورَةَ بِـ«أَنِ» الْمَفْتُوحَةِ، وَعَكْسُـهُ، وكَانَ يَقْـرَأُ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبـة: ٢٤] إِلَـى قَوْلِـهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ [التوبة: ٢٤] **فَيَقْرَؤُهَا بِرَفْعِ « أَحَبُّ».**

⊙ **وَأَنْكَـرَ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ الْحُسَـيْنُ مِنْ ذُرِّيَّةِ** رَسُـولِ اللهِ ﷺ؛ لِكَوْنِهِ ابْـنَ بِنْتِهِ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَـى بْنُ يَعْمُـرَ: كَذَبْتَ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَتَأْتِيَنِّي عَلَى مَا قُلْـتَ بِبَيِّنَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَقَالَ: قَالَ اللهُ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥] فَعِيسَـى مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ إِنَّمَا يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَالْحُسَيْنُ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. **فَقَالَ الْحَجَّاجُ: صَدَقْتَ.** وَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ.

⊙ **وَقَالَ أَبُو بَكْرِ** بْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ، عَنِ الْفَرَّاءِ قَالَ: تَغَدَّى الْحَجَّاجُ يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا انْقَضَى غَدَاؤُهُمَا دَعَاهُ الْوَلِيدُ إِلَى شُرْبِ النَّبِيذِ، فَقَالَ: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْحَلَالُ مَا أَحْلَلْتَ**، وَلَكِنِّي أَنْهَى عَنْهُ أَهْلَ عَمَلِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُخَالِفَ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

⊙ **قال ابن كثير**: وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ نِقْمَةً عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ بِمَا سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْخُرُوجِ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَخُذْلَانِهِمْ لَهُمْ، وَعِصْيَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ، وَالِافْتِيَاتِ عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ: «إِنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»، وَقَدْ ذَكَرْنَا شَأْنَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَهُوَ الْكَذَّابُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ كَانَ يُظْهِرُ الرَّفْضَ أَوَّلًا، وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ الْمَحْضَ، **وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَهُوَ الْحَجَّاجُ** بْنُ يُوسُفَ هَذَا، وَقَدْ كَانَ نَاصِبِيًّا يُبْغِضُ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ فِي هَوَى آلِ مَرْوَانَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا مِقْدَامًا عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَلْفَاظٌ بَشِعَةٌ شَنِيعَةٌ ظَاهِرُهَا الْكُفْرُ كَمَا قَدَّمْنَا،(١) فَإِنْ كَانَ قَدْ تَابَ مِنْهَا وَأَقْلَعَ عَنْهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَاقٍ فِي عُهْدَتِهَا، وَلَكِنْ قَدْ يُخْشَى أَنَّهَا رُوِيَتْ عَنْهُ بِنَوْعٍ مِنْ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الشِّيعَةَ كَانُوا يُبْغِضُونَهُ جِدًّا لِوُجُوهٍ، وَرُبَّمَا حَرَّفُوا عَلَيْهِ بَعْضَ الْكَلِمِ، وَزَادُوا فِيمَا يَحْكُونَهُ عَنْهُ بَشَاعَاتٍ وَشَنَاعَاتٍ.

وَقَدْ رُوِّينَا عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَتَدَيَّنُ بِتَرْكِ الْمُسْكِرِ، وَكَانَ يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَيَتَجَنَّبُ الْمَحَارِمَ، وَلَمْ يُشْتَهَرْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ التَّلَطُّخِ بِالْفُرُوجِ، وَإِنْ كَانَ مُتَسَرِّعًا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ. فَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَسَائِرِهَا، وَخَفِيَّاتِ الصُّدُورِ وَضَمَائِرِهَا.

---

(١) انظرها في الأصل: ١٢/ ٥٣٢-٥٣٥.

⦿ عن عَوَانَة بْن الْحَكَمِ الْكَلْبِيُّ، قَالَ: دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ فأغلظ له في الكلام وهدده ..فلما خَرَجَ أنس مِنْ عِنْدِ الْحَجَّاجِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، **أَمَّا بَعْدُ**: فَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِي هُجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلًا، فَخُذْ لِي عَلَى يَدَيْهِ، فَإِنِّي أَمُتُّ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ وَكَانَ مُصَادِقًا لِلْحَجَّاجِ فَقَالَ لَهُ: دُونَكَ كِتَابَيَّ هَذَيْنِ فَخُذْهُمَا، وَارْكَبِ الْبَرِيدَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَادْفَعْ كِتَابِي إِلَيْهِ، وَأَبْلِغْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ الْمَلْعُونِ كِتَابًا، إِذَا قَرَأَهُ كَانَ أَطْوَعَ لَكَ مِنْ أَمَتِكَ.

وَكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شِكَايَتِكَ الْحَجَّاجَ. وَمَا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكَ، وَلَا أَمَرْتُهُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا اكْتُبْ إِلَيَّ بِذَلِكَ أُنْزِلْ بِهِ عُقُوبَتِي، وَتَحْسُنْ لَكَ مَعُونَتِي، وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ أَنَسٌ كِتَابَهُ وَأُخْبِرَ بِرِسَالَتِهِ قَالَ: جَزَى اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي خَيْرًا، وَعَافَاهُ وَكَفَاهُ، وَكَافَأَهُ بِالْجَنَّةِ، فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ وَالرَّجَاءَ مِنْهُ

وكتب عبدالملك إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، أَمَّا بَعْدُ؛ **فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ بِكَ الْأُمُورُ** فَسَمَوْتَ فِيهَا، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ، وَجَاوَزْتَ قَدْرَكَ، وَرَكِبْتَ دَاهِيَةً إِدًّا، وَأَرَدْتَ أَنْ تَبُورَنِي، فَإِنْ سَوَّغْتُكَهَا مَضَيْتَ قُدُمًا،

وَإِنْ لَمْ أُسَوِّغْهَا رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى، وَثَبْتَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَلَمْ تَقْبَلْ لَهُ إِحْسَانَهُ، وَلَمْ تَجَاوَزْ لَهُ إِسَاءَتَهُ، جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وَاسْتِخْفَافًا مِنْكَ بِالْعَهْدِ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى رَأَتْ رَجُلًا خَدَمَ عُزَيْرَ بْنَ عِزْرَا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَعَظَّمَتْهُ وَشَرَّفَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ، فَكَيْفَ وَهَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَمَانِيَ سِنِينَ، يُطْلِعُهُ عَلَى سِرِّهِ، وَيُشَاوِرُهُ فِي أَمْرِهِ، ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا أَصْحَابِهِ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَكُنْ أَطْوَعَ لَهُ مِنْ خُفِّهِ وَنَعْلِهِ، وَإِلَّا أَتَاكَ مِنِّي سَهْمٌ مُثْكِلٌ بِحَتْفٍ قَاضٍ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

ورغم هذا فقد روى **الإمامُ أَحْمَدُ**: عَنِ الزُّبَيْرِ ابْنَ عَدِيٍّ قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ أَوْ يَوْمٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ».[1] وَهَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أيضا.[2]

مَاتَ الحجاج بوَاسِطٍ سنة (٩٥هـ) وعمره خمسًا وخمسين سنة، وَعُفِيَ قَبْرُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ الْمَاءُ لِكَيْلَا يُنْبَشَ وَيُحْرَقَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: زَعَمُوا أَنَّ الْحَجَّاجَ مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَمُصْحَفًا، وَسَيْفًا، وَسَرْجًا، وَرَحْلًا، وَمِائَةَ دِرْعٍ مَوْقُوفَةٍ.

٢٨-إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ، بَكَى عِنْدَ مَوْتِهِ فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: انْتِظَارُ مَلَكِ الْمَوْتِ، مَا أَدْرِي يُبَشِّرُنِي بِجَنَّةٍ، أَوْ بِنَارٍ. **ومن أقواله** :

قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالتَّكْبِيرَةِ الْأُولَى فَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنْ فَلَاحِهِ.

وَقَالَ أيضًا: إِنِّي لَأَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُعَابُ فَلَا يَمْنَعُنِي مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ أُبْتَلَى بِهِ.

وتُوُفِّيَ في سنة (٩٥هـ).

---

(١) المسند ٣/ ١٣٢-١٧٧.

(٢) رقم الحديث (٧٠٦٨).

٢٩- الْحَسَـنُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْـنِ الْحَنَفِيَّـةِ، كُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّـدٍ، كَانَ الْمُقَدَّمَ عَلَـى إِخْوَتِهِ فِي الْفَضْـلِ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّـاسِ بِالِاخْتِلَافِ وَالْفِقْهِ وَالتَّفْسِـيرِ، وَكَانَ مِـنْ ظُرَفَاءِ بَنِي هَاشِـمٍ وَعُقَلَائِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَقِبٌ. قَالَ أَيُّوبُ السِّـخْتِيَانِيُّ وَغَيْرُهُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْإِرْجَاءِ. وَكَتَبَ فِي ذَلِكَ رِسَالَةً ثُمَّ نَدِمَ عَلَيْهَا. وتُوُفِّيَ في سَنَةَ (٩٥هـ).

٣٠- حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَهِيَ أُخْتُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لِأُمِّهِ، وَكَانَ حُمَيْدٌ فَقِيهًا نَبِيلًا عَالِمًا، لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ. وتُوُفِّيَ في سَنَة (٩٥هـ).

٣١- زِيَادُ بْنُ جَارِيَةَ التَّمِيمِيُّ الدِّمَشْـقِيُّ، تَابِعِيٌّ، رَوَى عَنْ: حَبِيبِ بْنِ مَسْـلَمَةَ الْفِهْرِيِّ، ورَوَى عَنْـهُ: عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ، وَمَكْحُولٌ، وَيُونُسُ بْنُ مَيْسَـرَةَ بْـنِ حَلْبَسٍ، وَمَعَ هَذَا قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ: شَيْخٌ مَجْهُولٌ. وَوَثَّقَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ.

دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى مَسْـجِدِ دِمَشْـقَ وَقَدْ أُخِّرَتِ الصَّلَاةُ فَقَالَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ﷺ أَمَرَكُمْ بِهَـذِهِ الصَّلَاةِ هَذَا الْوَقْتَ. قَـالَ: فَأُخِذَ فَأُدْخِـلَ الْخَضْرَاءَ فَقُطِعَ رَأْسُهُ في سنة (٩٦هـ).

٣٢- عَبْـدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَبُـو مُحَمَّدٍ، كَانَ قَاضِيَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ شَـرِيفًا، كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ، جَوَادًا، مُمَدَّحًا، توفي في سنة (٩٦هـ).

❁ ❁ ❁

(٦)

خلافة
سليمان بن عبد الملك

٩٦ـ ٩٩

الفصل الأول
ترجمته وخلافته

ترجمــته

○ نسبه وأسرته

هُـوَ سُـلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعاصِ بْـنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ أَبُو أَيُّوبَ، أمه أم الوليد ولادة بنت العباس بن حزن العبسي .

كَانَ مَوْلِدُهُ بِالْمَدِينَةِ، وَنَشَأَ بِالشَّامِ عِنْدَ أَبِيهِ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جِدِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ.

إضافة:

لم يذكر ابن كثير أولاد سليمان بن عبدالملك، وذكرهم مصعب الزبيري في نسب قريش [(١)]

إثنا عشر ولداً ذكراً، وهم: أيوب رشحه أبوه لولاية العهد فمات في عهد أبيه، **وأمه** أم أبـان بنـت أبان بن الحكم بن أبي العاص، ويزيد بن سـليمان، والقاسـم، وسـعيد دَرَج، وأمهم أم يزيد بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية، ويحيي، وعبيدالله، أمهما عائشة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وعبدالواحد بن سليمان، كان والياً لمروان بن محمد على المدينة ومكة، والحارث بن سليمان، وعمرو، وعمر، وعبدالرحمن، وداود، لأمهات أولاد شتى.

قـال الحافظ ابن عسـاكر:[(٢)] بنى داراً كبيرة بدمشـق ممايلي بـاب الصغير موضع الدرب المعـروف بدرب مُحْرِزٍ، وَجَعَلَهَا دار الإمارة، وَعَمِلَ فِيهَا قُبَّةً صَفْرَاءَ تَشْـبِيهًا بِالْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ التي بناها معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) ص ١٦٥-١٦٦.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ١٧٠.

○ صفاته

وَكَانَ طَوِيــلًا جَمِيلًا أَبْيَضَ نَحِيفًا، حَسَــنَ الْوَجْهِ، مَقْرُونَ الْحَاجِبَيْــنِ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَخَيْرٍ وَمَحَبَّةٍ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَإِظْهَارِ الشَّرَائِعِ الْإِسْلَامِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَذَكَرُوا أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ نَهِمًا فِي الْأَكْلِ، وَقَدْ نَقَلُوا عَنْهُ أَشْيَاءَ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةً؛ وفيها مبالغة.

○ مناقبه

كانَ فَصِيحًا، مُؤْثِرًا لِلْعَدْلِ، مُحِبًّا لِلْغَزْوِ، وَقَدْ أَنْفَذَ الْجَيْشَ لِحِصَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ حَتَّى صَالَحُوهُمْ عَلَى بِنَاءِ الْجَامِعِ بِهَا. ولَمَّا مَاتَ أَبُوهُ سَــنَةَ سِــتٍّ وَثَمَانِينَ، وَصَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى أَخِيهِ الْوَلِيدِ، كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ، وَكَانَ هُوَ الْمُسْتَحِثَّ عَلَى عِمَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ.

وَفِي أَيَّامِهِ كمل عمارة الجامع الأموي وجُدِّدَتِ الْمَقْصُورَةُ، وَاتَّخَذَ ابْنَ عَمِّهِ عُمَرَ بْنَ عَبْــدِ الْعَزِيزِ مُسْتَشَــارًا وَوَزِيرًا، **وَقَالَ لَهُ**: إِنَّا قَدْ وُلِّينَا مَا تَــرَى، وَلَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِتَدْبِيرِهِ، فَمَا رَأَيْتَ مِنْ مَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ فَمُرْ بِهِ فَلْيُكْتَبْ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ عَزْلُ **نُوَّابِ الْحَجَّاجِ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِ السُّــجُونِ** مِنْهَا، وَإِطْلَاقُ الْأُسَــرَاءِ **وَبَــذْلُ الْأُعْطِيَةِ** بِالْعِرَاقِ **وَرَدُّ الصَّــلَاةِ إِلَى مِيقَاتِهَا** الْأَوَّلِ، مَعَ أُمُورٍ حَسَنَةٍ كَانَ يَسْمَعُهَا مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: يَرْحَمُ اللهُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، **افْتَتَحَ خِلَافَتَهُ بِخَيْرٍ، وَخَتَمَهَا بِخَيْرٍ**؛ افْتَتَحَهَا بِإِحْيَائِهِ الصَّلَاةَ لِمَوَاقِيتِهَا، وَخَتَمَهَا بِاسْتِخْلَافِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ لَيْلَةً صَوْتَ غِنَاءٍ فِي مُعَسْكَرِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْحَصُ حَتَّى أوتي بِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ لِيَخْصُوهُمْ. فَيُقَالُ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا مُثْلَةٌ، فَتَرَكَهُمْ.

قَــالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ الشَّــعْبِيُّ: حَجَّ سُــلَيْمَانُ بْــنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّــا رَأَى النَّاسَ بِالْمَوْسِمِ، قَالَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَلَا تَرَى هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ،

وَلَا يَسَعُ رِزْقَهُمْ غِيْرُهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَؤُلَاءِ رَعِيَّتُكَ الْيَوْمَ وَهُمْ غَدًا خُصَمَاؤُكَ. فَبَكَى سُلَيْمَانُ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ: بِاللهِ أَسْتَعِينُ.

وَكَانَ قَدْ أَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَبْرَحُ دَابِقًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ الْخَبَرُ بِفَتْحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَوْ يَمُوتَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَمَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

قال ابن كثير:[(١)] وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ آلَى عَلَى نَفْسِهِ حِينَ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مَرْجِ دَابِقٍ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى دِمَشْقَ حَتَّى تُفْتَحَ أَوْ يَمُوتَ، فَمَاتَ هُنَالِكَ فَحَصَلَ لَهُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ **أَجْرُ الرِّبَاطِ** فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِمَّنْ يُجْرَى لَهُ ثَوَابُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○ وفاته

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَت وَفَاةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدَابِقٍ مِنْ أَرْضِ قِنَّسْرِينَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَتْ مِنْ صَفَرٍ سنة (٩٩هـ). وَكَذَا قَالَ الْجُمْهُورُ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ، عَنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: عَنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ.

قال الذهبي:[(٢)] وقد كان سليمان ابن عبدالملك من أمثل الخلفاء، نشر عَلَمَ الجهاد، وجهز مائة ألف براً وبحراً، فنازلوا القسطنطينية، واشتد القتال والحصار عليها أكثر من سنة حتى صالحوا على بناء مسجدها. وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ نَقْشَ خَاتَمِهِ: آمَنْتُ بِاللهِ مُخْلِصًا.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٦٥٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٥.

خــلافـــته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ الوليد يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ، وَهو وَلِيُّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَخِيهِ عَنْ وَصِيَّةِ أَبِيهِمَا عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ قَدْ عَزَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ، وَأَنْ يَجْعَلَ وِلَايَةَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ طَاوَعَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمْ يَنْتَظِمْ ذَلِكَ لَهُ حَتَّى مَاتَ الوليد.

فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ كَانَ سُلَيْمَانُ بِالرَّمْلَةِ، وَعَزَمَ عَلَى الْإِقَامَةِ بِالْقُدْسِ، وَأَتَتْهُ الْوُفُودُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَمْ يَرَوْا وِفَادَةً هناك، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي قُبَّةٍ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ مِمَّا يَلِي الصَّخْرَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، وَتَجْلِسُ أَكَابِرُ النَّاسِ عَلَى الْكَرَاسِيِّ وَتُقَسَّمُ فِيهِمُ الْأَمْوَالُ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا .

○ خطبته حين ولي الخلافة

كان أَوَّلُ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَنْ قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ، وَمَا شَاءَ رَفَعَ، وَمَا شَاءَ وَضَعَ، وَمَنْ شَاءَ أَعْطَى، وَمَنْ شَاءَ مَنَعَ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ، وَمَنْزِلُ بَاطِلٍ، وَزِينَةُ تَقَلُّبٍ، تُضْحِكُ بَاكِيًا، وَتُبْكِي ضَاحِكًا، وَتُخِيفُ آمِنًا، وَتُؤَمِّنُ خَائِفًا، تُفْقِرُ مُثْرِيهَا، وَتُثْرِي فَقِيرَهَا، مَيَّالَةٌ لَاعِبَةٌ بِأَهْلِهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: اتَّخِذُوا كِتَابَ اللهِ إِمَامًا، وَارْضَوْا بِهِ حَكَمًا، وَاجْعَلُوهُ لَكُمْ قَائِدًا، فَإِنَّهُ نَاسِخٌ لِمَا قَبْلَهُ وَلَنْ يَنْسَخَهُ كِتَابٌ بَعْدَهُ، اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ؛ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَضَغَائِنَهُ كَمَا يَجْلُو ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِدْبَارَ اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ..

○ ولاية العهد لأيوب

قَـالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سـنة (٩٨هـ) أَخَذَ سُـلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَهْـدَ لِوَلَدِهِ أَيُّوبَ أَنْ يَكُـونَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ، فَعَدَلَ عَنْ وِلَايَـةِ أَخِيهِ يَزِيدَ إِلَى وِلَايَةِ وَلَدِهِ أَيُّوبَ، وَتَرَبَّصَ بِأَخِيهِ الدَّوَائِرَ فَمَاتَ أَيُّوبُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ.

○ ولاية العهد لعمر بن عبدالعزيز

وَرَوَى ابْـنُ جَرِيرٍ، عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْـوَةَ وَكَانَ وَزِيرَ صِدْقٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ قَالَ: اسْتَشَـارَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ أَنْ يُوَلِّيَ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ مِمَّا يَحْفَظُ الْخَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى الْمُسْـلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، ثُمَّ شَـاوَرَنِي فِـي وِلَايَةِ ابْنِـهِ دَاوُدَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّـهُ غَائِبٌ عَنْكَ بِالْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ، وَلَا تَـدْرِي أَحَيٌّ هُوَ أَمْ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَمَنْ تَرَى؟ فَقُلْتُ: رَأْيَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَـالَ: كَيْفَ تَرَى فِـي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيـزِ؟ فَقُلْتُ: أَعْلَمُهُ وَاللهِ خَيِّرًا فَاضِلًا مُسْـلِمًا. فَقَـالَ: هُـوَ وَاللهِ عَلَى ذَلِـكَ، وَلَكِنْ أَتَخَوَّفُ إِخْوَتِـي لَا يَرْضُونَ بِذَلِكَ. فَأَشَـارَ رَجَاءٌ أَنْ يَجْعَـلَ يَزِيـدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلِـيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيـزِ لِيُرْضِيَ بِذَلِكَ بَنِي مَرْوَانَ، فَكَتَبَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللهِ **سُلَيْمَانَ** أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ **لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيـزِ**، إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي، وَمِنْ بَعْدِهِ **يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ**، فَاسْـمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُطْمَعَ فِيكُمْ.

وأمـر صاحـب الشـرطة أن يجمع إليه أهـل بيته فأخـذ بيعتهم على مـن في الكتاب فبايعوه. وَلَنِعْمَ مَا فَعَلَ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

الأحداث و الفتوحات في عهده

مَقْتَلِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ

كَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ والي خراسان في خلافة الوليد بن عبدالملك، فلما بَلَغَهُ وِلَايَةُ سُلَيْمَانَ الْخِلَافَةَ خاف على نفسه، لأنه عمل مع الوليد والحجاج بن يوسف، على خلع سليمان من ولاية العهد فلم يحصل ذلك، فكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُعَزِّيهِ فِي أَخِيهِ، وَيُهَنِّئُهُ بِوِلَايَتِهِ، وَيَذْكُرُ فِيهِ بَلَاءَهُ، وَمَا فَتَحَ اللهُ مِنَ الْبِلَادِ وَالْمُدُنِ وَالْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لِلْوَلِيدِ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ، إِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَنْ خُرَاسَانَ، ثُمَّ كَتَبَ كِتَابًا ثَانِيًا يَذْكُرُ فِيهِ: مَا فَعَلَ مِنَ الْقِتَالِ، وَالْفُتُوحَاتِ، وَهَيْبَتَهُ فِي صُدُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَعَاجِمِ، وَيُقْسِمُ فِيهِ لَئِنْ عَزَلَهُ وَوَلَّى يَزِيدَ لَيَخْلَعَنَّ سُلَيْمَانَ عَنِ الْخِلَافَةِ.(١)

وَكَتَبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ: خَلْعُ سُلَيْمَانَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ الْبَرِيدِ، وَقَالَ لَهُ: ادْفَعْ إِلَيْهِ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ فَإِنْ قَرَأَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَادْفَعْ إِلَيْهِ الثَّانِيَ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ الثَّالِثَ، فَلَمَّا قَرَأَ سُلَيْمَانُ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ دَفَعَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَقَرَأَهُ، فَنَاوَلَهُ الْبَرِيدُ الْكِتَابَ الثَّانِيَ، فَقَرَأَهُ، وَدَفَعَهُ إِلَى يَزِيدَ، فَنَاوَلَهُ الْبَرِيدُ الْكِتَابَ الثَّالِثَ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ التَّصْرِيحُ بِعَزْلِهِ وَخَلْعِهِ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ خَتَمَهُ وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يَزِيدَ، وَأَمَرَ بِإِنْزَالِ الْبَرِيدِ فِي دَارِ الضِّيَافَةِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ بَعَثَ إِلَى الْبَرِيدِ فَأَحْضَرَهُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ ذَهَبًا وَكِتَابًا فِيهِ وِلَايَةُ قُتَيْبَةَ عَلَى خُرَاسَانَ، وَأَرْسَلَ مَعَ ذَلِكَ الْبَرِيدِ بَرِيدًا آخَرَ مِنْ جِهَتِهِ لِيُقَرِّرَهُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا وَصَلَا بِلَادَ خُرَاسَانَ بَلَغَهُمَا أَنَّ قُتَيْبَةَ قَدْ خَلَعَ الْخَلِيفَةَ، فَدَفَعَ بَرِيدُ سُلَيْمَانَ الْكِتَابَ الَّذِي مَعَهُ إِلَى بَرِيدِ قُتَيْبَةَ، ثُمَّ بَلَغَهُمَا مَقْتَلُ قُتَيْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ بَرِيدُ سُلَيْمَانَ.

---

(١) هذه الرواية التي تحكي كتابته ثلاثة كتب للخليفة، فيها تناقض واستبعاد، وربما يكون الكتاب الأول هو الأقرب والأنسب، وموقف قتيبة كان مضطرباً لخوفه من الخليفة، ومن والي العراق الجديد يزيد بن المهلب. وخراسان تابعة للعراق حسب التنظيم الإداري في ذلك الوقت. انظر: بحث نهاية الفاتح قتيبة بن مسلم في كتاب: القلم وما يسطرون، للدكتور أحمد السري، نشر المكتبة الأكاديمية بمصر. ٢٠٢٠م.

وَسبب ذلك: أَنَّـهُ جَمَعَ الْجُنْدَ وَالْجُيُـوشَ، وَعَزَمَ عَلَى خَلْعِ سُـلَيْمَانَ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ، وَذَكَـرَ لَهُـمْ هِمَّتَـهُ وَفُتُوحَهُ وَعَدْلَهُ فِيهِـمْ، وَدَفْعَهُ الْأَمْـوَالَ الْجَزِيلَةَ إِلَيْهِـمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِـهِ، لَـمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى مَقَالَتِهِ، فَشَـرَعَ فِي تَأْنِيبِهِمْ وَذَمِّهِمْ، قَبِيلَـةً قَبِيلَةً، وَطَائِفَةً طَائِفَـةً، فَغَضِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَنَفَرُوا عَنْهُ وَتَفَرَّقُوا، وَعَمِلُوا عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَسَـعَوْا فِي قَتْلِهِ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَعْبَاءِ ذَلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **وَكِيعُ بْنُ حسان بن أَبِي سُودٍ اليربوعي التميمي**، فَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً ثُمَّ نَاهَضَهُ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ **حَتَّى قَتَلَهُ**[(١)] فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٩٦هـ)، وَقَتَلَ مَعَهُ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَاءِ إِخْوَتِهِ.

قال ابن كثير: وَقَدْ كَانَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيّ، مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ وَخِيَارِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ النُّجَبَاءِ الْكُبَرَاءِ، وَالشُّـجْعَانِ وَذَوِي الْحُرُوبِ وَالْفُتُوحَاتِ السَّـعِيدَةِ، وَالْآرَاءِ الْحَمِيدَةِ، وَقَدْ هَدَى اللهُ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقًا لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ، فَأَسْـلَمُوا وَدَانُوا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفَتَحَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ الْكِبَارِ وَالْمُدُنِ الْعِظَامِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يُضِيعُ سَعْيَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ تَعَبَهُ وَجِهَادَهُ.

وَلَكِـنْ زَلَّ زَلَّةً كَانَ فِيهَا حَتْفُـهُ، وَفَعَلَ فَعْلَةً رَغِمَ فِيهَا أَنْفُهُ، وَخَلَعَ الطَّاعَةَ فَبَادَرَتْ إِلَيْهِ الْمَنِيَّـةُ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً،[(٢)] لَكِنْ سَـبَقَ لَهُ مِـنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا قَدْ يُكَفِّرُ اللهُ بِهَا عَنْهُ مِنْ سَـيِّئَاتِهِ، وَيَمْحُو بِهَا عَنْهُ مِنْ خَطِيَّاتِهِ، وَاللهُ يُسَـامِحُهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْهُ مَا كَانَ يُكَابِدُهُ مِنْ مُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ.[(٣)]

❁ ❁ ❁

(١) وصف قاتله بأنه فاتك أهوج.
(٢) هكذا قال، والذي يظهر من خلال الروايات التي أوردها المؤرخون أن قتله كان بسبب صراعات قبلية بين القبائل في خراسان.
(٣) البداية والنهاية ١٢/ ٦١٥ .

الفــتوحات

○ جهاد الروم

في سنة (٩٧هـ) جهَّزَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجُيُوشَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.

وأَمَّـرَ ابْنَـهُ دَاوُدَ عَلَى الصَّائِفَـةِ، فَفَتَحَ حِصْـنَ الْمَرْأَةِ، وغزَا مَسْـلَمَةُ بْنُ عَبْـدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الْوَضَّاحِيَّـةِ فَافْتَتَـحَ حِصْنَهَـا. كما غَزَا مَسْـلَمَةُ أَيْضًا بَرْجَمَةَ، فَفَتَـحَ حُصُونًا كثيرة بِأَرْضِ الرُّوم.

○ محاولة فتح الْقُسْطَنْطِينِيَّة

بعد تولي سـليمان بن عبدالملك الخلافة أَمَرَ بِغَزْوِ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ سـنة (٩٧) فَبَعَثَ إِلَيْهَـا مِنْ أَهْلِ الشَّـامِ وَالْجَزِيـرَةِ وَالْمَوْصِلِ فِي الْبَـرِّ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْـرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَبَعَثَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ أَلْفَ مَرْكَبٍ فِي الْبَحْرِ، عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ.

ثم في سنة (٩٨) جهَّزَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لِغَزْوِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ دَاوُدُ بْنُ سُـلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ مَشُـورَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَرَاءَ الْجَيْشِ الَّذِينَ هُمْ بِهَا.

فَسَـارَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ الْتَفَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْجَيْشُ الَّذِينَ هُمْ هُنَاكَ، وَقَدْ أَمَرَ مسلمة كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْجَيْشِ أَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ مُدَّيْنِ مِنْ طَعَامٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا جَمَعُوا ذَلِكَ، فَإِذَا هُوَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَقَالَ لَهُمْ مَسْلَمَةُ:

اتْرُكُوا هَذَا الطَّعَامَ وَكُلُوا مِمَّا تَجِدُونَهُ فِي بِلَادِهِمْ، وَازْرَعُوا فِي أَمَاكِنِ الزَّرْعِ وَاسْتَغِلُّوهُ، وَابْنُوا لَكُمْ بُيُوتًا مِنْ خَشَبٍ، فَإِنَّا لَا نَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الْبَلَدِ حَتَّى نَفْتَحَهَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَقَـدْ دَاخَلَ مَسْـلَمَةَ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى يُقَالُ لَهُ: إِلْيُونَ، وَوَاطَـأَهُ فِي الْبَاطِنِ لِيَأْخُذَ لَهُ بِلَادَ الرُّومِ، فَظَهَرَ مِنْهُ نُصْحٌ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ، ثُمَّ إِنَّهُ تُوُفِّيَ مَلِكُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَدَخَلَ إِلْيُونَ

بِرِسَالَةٍ مِنْ مَسْلَمَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِمْ إِلْيُونُ قَالُوا لَهُ: رُدَّهُ عَنَّا وَنَحْنُ نُمَلِّكُكَ عَلَيْنَا، فعاد إلى مسلمة وأَعْمَلَ

الْحِيلَةَ فِي الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ، وَلَمْ يَزَلْ قَبَّحَهُ اللهُ حَتَّى أَحْرَقَ ذَلِكَ الطَّعَامَ الَّذِي لِلْمُسْلِمِينَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِمَسْلَمَةَ: إِنَّهُمْ مَا دَامُوا يَرَوْنَ هَذَا الطَّعَامَ عِنْدَكَ يَظُنُّونَ أَنَّكَ تُطَاوِلُهُمْ فِي الْقِتَالِ، فَلَوْ أَحْرَقْتَهُ لَتَحَقَّقُوا مِنْكَ الْعَزْمَ، وَسَلَّمُوا لَكَ الْبَلَدَ سَرِيعًا، فَأَمَرَ مَسْلَمَةُ بِالطَّعَامِ فَأُحْرِقَ، ثُمَّ انْشَمَرَ إِلْيُونُ فِي السُّفُنِ وَأَخَذَ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ أَمْتِعَةِ الْجَيْشِ فِي اللَّيْلِ، وَأَصْبَحَ وَهُوَ بِالْبَلَدِ مُحَارِبًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَظْهَرَ الْعَدَاوَةَ الْأَكِيدَةَ، وَتَحَصَّنَ بِالْبَلَدِ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ، وَضَاقَ الْحَالُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى أَكَلُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا التُّرَابَ.

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ حَتَّى جَاءَتْهُمْ وَفَاةُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَتَوْلِيَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَكَرُّوا رَاجِعِينَ إِلَى الشَّامِ عن أمر عمر بن عبدالعزيز، وَقَدْ جُهِدُوا جَهْدًا شَدِيدًا، لَكِنْ لَمْ يَرْجِعْ مَسْلَمَةُ حَتَّى بَنَى مَسْجِدًا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ شَدِيدَ الْبِنَاءِ مُحْكَمًا، رَحْبَ الْفِنَاءِ، شَاهِقًا فِي السَّمَاءِ.

○ فتح دهستان وجرجان

فِي سَنَةِ (٩٨هـ) غَزَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ دِهِسْتَانَ مِنْ أَرْضِ الصِّينِ، فَحَاصَرَهَا وَقَاتَلَ عِنْدَهَا قِتَالًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى تَسَلَّمَهَا، وَقَتَلَ مِنَ التُّرْكِ الَّذِينَ بِهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ صَبْرًا، وَأَخَذَ مِنْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَثَاثِ وَالْأَمْتِعَةِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةً وَقِيمَةً وَحُسْنًا.

ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى جُرْجَانَ فَاسْتَعَانَ صَاحِبُهَا بِالدَّيْلَمِ، فَقَدِمُوا لِنَجْدَتِهِ، فَقَاتَلَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَقَاتَلُوهُ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ الْجُعْفِيُّ، وَكَانَ فَارِسًا شُجَاعًا بَاهِرًا عَلَى مَلِكِ الدَّيْلَمِ،فَقَتَلَهُ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ صَمَّمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ عَلَى مُحَاصَرَةِ جُرْجَانَ، وَمَا زَالَ يُضَيِّقُ عَلَى صَاحِبِهَا، حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِائَتَيْ أَلْفِ ثَوْبٍ، وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مُوَقَّرَةٍ زَعْفَرَانًا، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ، عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ تُرْسٌ، عَلَى التُّرْسِ طَيْلَسَانٌ، وَجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَسَرَقَةٌ مِنْ حَرِيرٍ.

ومدينة جرجان كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ[1] قَدِ افْتَتَحَهَا صُلْحًا عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا الْخَرَاجَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَكَانُوا ينقصونه كل سنة، ثم امْتَنَعُوا جُمْلَةً وَكَفَرُوا، فَغَزَاهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَرَدَّهَا صُلْحًا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَأَصَابَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ جُرْجَانَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جِدًّا.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يُقَالُ: إِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ كَانَ فِي غَزْوَةِ جُرْجَانَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، مِنْهُمْ سِتُّونَ أَلْفًا مِنْ جَيْشِ الشَّامِ، وَقَدْ تَمَهَّدَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ بِفَتْحِ جُرْجَانَ وَسَلَكَتِ الطُّرُقُ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَخُوفة جِدًّا.

○ مصالحة أهل طبرستان

عَزَمَ يَزِيدُ بن المهلب عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَقدّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيَّةٌ هِيَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ سُرَاةِ النَّاسِ، فَلَمَّا الْتَقَوْا اقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَعْرَكَةِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ عَزَمَ يَزِيدُ عَلَى فَتْحِ الْبِلَادِ لَا مَحَالَةَ، وَمَا زَالَ حَتَّى صَالَحَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ الْإِصْبَهْبَذُ بِمَالٍ كَثِيرٍ؛ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ فِي كُلِّ عَامٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالرَّقِيقِ.

❁ ❁ ❁

(١) افتتحها صلحًا سنة (٣٠هـ) في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .البداية والنهاية ١٠/ ٢٣٢ .

الفصل الثالث

ولاية البلدان والحج

الولاية على البلدان

○ ولاية المدينة

في شــهر رَمَضَانَ سنة (٩٦هـ) عَزَلَ سُلَيْمَانُ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَبَا بَكْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَكَانَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ .

○ ولاية مكة

في سنة (٩٦هـ)كان عَلَى ولاية مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيْدٍ.

○ ولاية الْعِرَاقِ

في سنة (٩٦هـ)كان عَلَى ولاية العراق يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ.

○ ولاية خراسان

في سنة (٩٦هـ)كان عَلَى ولاية خُرَاسَانَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ.

وفي ســنة (٩٧هـ) وَلَّى سُــلَيْمَانُ نِيَابَةَ خُرَاسَــانَ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ **إِمْرَةِ الْعِرَاقِ**، وعَزَلَ وَكِيع بن سود.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

في سنة (٩٦هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ والي المدينة.

وفي سنة (٩٧هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أمير المؤمنين سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير مَنْ تُوفِّيَ في خلافته

١- **الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، أُمُّهُ خَوْلَةَ بِنْتَ مَنْظُورٍ الْفَزَارِيِّ...رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، وَعَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ وَجَمَاعَةٌ.

وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَكْرَمَهُ وَنَصَرَهُ عَلَى الْحَجَّاجِ، وَأَقَرَّهُ وَحْدَهُ عَلَى وِلَايَةِ صَدَقَةِ عَلِيٍّ. وَقَدْ تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فَأَحْسَنَ، وَذَكَرَ عَنْهُ آثَارًا تَدُلُّ عَلَى سِيَادَتِهِ وَعِلْمِهِ وَتَسَنُّنِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سنة (٩٧هـ).

٢- **مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ** أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيُّ مَوْلَاهُمْ، وَقِيلَ: كَانَ مَوْلًى لِبَنِي أُمَيَّةَ. افْتَتَحَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ، وَغَنِمَ مِنْهَا أَمْوَالًا لَا تُعَدُّ وَلَا تُوصَفُ، وَلَهُ بِهَا مَقَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ هَائِلَةٌ .

رَوَى عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَيَزِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْيَحْصُبِيُّ. وَوَلِيَ غَزْوَ الْبَحْرِ لِمُعَاوِيَةَ، فَغَزَا قُبْرُصَ، وَبَنَى هُنَالِكَ حُصُونًا كَالْمَاغُوصَةِ وَحِصْنِ يَانِسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُصُونِ الَّتِي بَنَاهَا بِقُبْرُصَ وَكَانَ نَائِبَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهَا.

وَشَهِدَ مَرْجَ رَاهِطٍ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، فَلَمَّا قُتِلَ الضَّحَّاكُ لَجَأَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ لَمَّا أخذ مَرْوَانُ بِلَادَ مِصْرَ كَانَ مَعَه، فَتَرَكَهُ عِنْدَ ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِلَادَ الْعِرَاقِ جَعَلَهُ وَزِيرًا عِنْدَ أَخِيهِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ.

وَكَانَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ هَذَا ذَا رَأْيٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ وَخِبْرَةٍ بِالْحَرْبِ.

ثم وَلِيَ **مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ** إِمْرَةَ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ، فَافْتَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً. وَأَسْلَمَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَلَى يَدَيْهِ، وَبَثَّ فِيهِمُ الدِّينَ وَالْقُرْآنَ، وَكَانَ إِذَا سَارَ إِلَى مَكَانٍ تُحْمَلُ الْأَمْوَالُ مَعَهُ عَلَى الْعَجَلِ لِكَثْرَتِهَا وَعَجْزِ الدَّوَابِّ عَنْهَا. **وافْتَتَحَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ**، وَهِيَ بِلَادٌ

ذَاتُ مُدُنٍ وَقُرًى وَرِيفٍ، فَسَبَى مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

قال ابن كثير:[(١)] وَقَدْ كَانَ **مُوسَى** بْنُ نُصَيْرٍ يَفْتَحُ فِي **بِلَادِ الْمَغْرِبِ**، وَ**قُتَيْبَةُ** يَفْتَحُ فِي **بِلَادِ الْمَشْرِقِ**، فَجَزَاهُمَا اللهُ خَيْرًا، فَكِلَاهُمَا فَتَحَ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَكِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ حَظِيَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَحْظَ بِهَا قُتَيْبَةُ..

وَقَدْ جَرَتْ لَهُ عَجَائِبُ فِي فَتْحِهِ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ، وَقَالَ: لَوِ انْقَادَ النَّاسُ لِي لَقُدْتُهُمْ حَتَّى أَفْتَحَ بِهِمْ مَدِينَةَ رُومِيَّةَ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعُظْمَى فِي بِلَادِ الْفِرِنْجِ ثُمَّ لَيَفْتَحَنَّهَا اللهُ عَلَى يَدَيَّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وقد عُزِل فعاد إلى دمشق، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِها حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ بن عبدالملك وَتَوَلَّى سُلَيْمَانُ، وَكَانَ عَاتِبًا عَلَى مُوسَى فَحَبَسَهُ عِنْدَهُ، وَطَالَبَهُ بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ. وَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى حَجَّ سُلَيْمَانُ فِي سنة (٩٧هـ) وَأَخَذَهُ مَعَهُ فَمَاتَ بِوَادِي الْقُرَى،[(٢)] وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

٣- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ عُتْبَةَ أبوعبدالله الهذلي المدني، الإمام الفقيه مفتي المدينة وعالمها وأحد الفقهاء السبعة، جده عتبة أخو عبدالله بن مسعود .

قال الزهري: كان عبيد الله بن عبدالله بحراً من بحور العلم،[(٣)] وَكَانَ مُؤَدِّبَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ جَمَاعَاتٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، تُوُفِّيَ سنة (٩٨هـ) .

٤- **عبدالرحمن بن الأسود** بن يزيد بن قيس النَّخَعِيُّ، الفقيه الإمام ابن الإمام، لما احتضر عبدالرحمن بكى، فقيل له: فقال: أسفا على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلوا حتى مات، وقال الشعبي : أهل بيت خُلِقوا للجنّة : علقمة، والأسود، وعبدالرحمن،[(٤)] تُوُفِّيَ سنة (٩٨هـ).

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٦٢٦ .
(٢) في بلدة العلا شمال المدينة المنورة، وقبره في المقبرة القديمة، وهذا مشهور عند أهل العلا .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٤٧٥.
(٤) المصدر السابق ، ٥/ ١٢ .

٥- **عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ** الإمام أبو هاشم العلوي المدني، روى عن أبيه حديث تحريم المتعة، وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار .

قال مصعب الزبيري: كان أبو هاشم صاحب الشيعة **فأوصى إلى محمد بن علي** بن عبدالله بن العباس، ودفع إليه كتبه ومات عنده وانقرض عقبه ، وأمه أم ولد، تُوُفِّيَ سنة (٩٨هـ) .[1]

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق، ٤/ ١٢٩ .

(٧)

خلافة
عمر بن عبدالعزيز

٩٩-١٠١

الفصل الأول
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُـوَ عُمَـرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَـمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، أَبُو حَفْصٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ لَيْلَى بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَيُقَالُ لَهُ: أَشَجُّ بَنِي مَرْوَانَ (١).

كان مولده: سنة (٦١هـ) بمصر، قال محمد بن سعد ولد في سنة (٦٣) (٢).

وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْإِخْوَةِ، وَلَكِنِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَبَوَيْهِ؛ أَبُو بَكْرٍ، وَعَاصِمٌ، وَمُحَمَّدٌ (٣).

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ جَمَاعَةٌ، وَكَانَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ أَجَلَّهُمْ، فَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ(٤)

○ صفاته الخَلْقية

كانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَسْـمَرَ دَقِيقَ الْوَجْهِ حَسَـنَهُ، نَحِيفَ الْجِسْمِ حَسَـنَ اللِّحْيَةِ، غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ، بِجَبْهَتِهِ أَثَرُ شَجَّةٍ، وَكَانَ قَدْ شَابَ وَخَضَّبَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○ نشأته

نشأ بالمدينة النبوية وجَمَعَ الْقُرْآنَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ،(٥).

---

(١) دَخَـلَ عُمَـرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيـزِ إِلَى إِصْطَبْلِ أَبِيهِ بمصر وَهُوَ غُلَامٌ، فَضَرَبَهُ فَرَسٌ فَشَـجَّهُ، فَجَعَلَ أَبُوهُ يَمْسَـحُ عَنْهُ الدَّمَ، وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتَ أَشَـجَّ بَنِي أُمَيَّةَ إِنَّكَ إِذًا لَسَـعِيدٌ، البداية والنهاية ١٢/ ٦٧٨. وبقيت هذه الشجة في وجهـه علامـة فارقـة. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـد رأى في المنام أن رجلاً من ذريته أشـج يملأ الأرض عدلاً، وهذا الذي جعل والد عمر بن عبدالعزيز يقول هذا القول، ويتفاءل به. والله أعلم.

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٣٠

(٣) انظر: نسب قريش للزبيري ص ١٦٨.

(٤) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٠/ ٢٣٥. وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٧. ومعجم بني أمية للمنجد ص ١١٠.

(٥) أي قرأه نظراً.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ الْحِزَامِيُّ: كَانَ أَبُوهُ قَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ يُؤَدِّبُهُ، فَلَمَّا حَجَّ أَبُوهُ اجْتَازَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا خَبَرْتُ أَحَدًا اللهُ أَعْظَمُ فِي صَدْرِهِ مِنْ هَذَا الْغُلَامِ.

وَرَوَى يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَأَخَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ يَوْمًا، فَقَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ[1] مَا شَغَلَكَ؟ فَقَالَ: كَانَتْ مُرَجِّلَتِي[2] تُسَكِّنُ شَعْرِي. فَقَالَ لَهُ: أَقَدَّمْتَ ذَلِكَ عَلَى الصَّلَاةِ؟ وَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عَلَى مِصْرَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ أَبُوهُ رَسُولًا فَلَمْ يُكَلِّمْهُ حَتَّى حَلَقَ رَأْسَهُ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْتَلِفُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[3] يَسْمَعُ مِنْهُ، فَبَلَغَ عُبَيْدَ اللهِ أَنَّ عُمَرَ يَنْتَقِصُ عَلِيًّا، فَلَمَّا أَتَاهُ عُمَرُ أَعْرَضَ عُبَيْدُ اللهِ عَنْهُ، وَقَامَ يُصَلِّي فَجَلَسَ عُمَرُ يَنْتَظِرُهُ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ مُغْضَبًا، وَقَالَ لَهُ: مَتَى بَلَغَكَ أَنَّ اللهَ سَخِطَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ بَعْدَ أَنْ رَضِيَ عَنْهُمْ؟ قَالَ: فَفَهِمَهَا عُمَرُ، وَقَالَ: مَعْذِرَةً إِلَى اللهِ ثُمَّ إِلَيْكَ، وَاللهِ لَا أَعُودُ. قَالَ: فَمَا سُمِعَ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ.[4]

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا اسْتُبِينَ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِرْصُهُ عَلَى الْعِلْمِ وَرَغْبَتُهُ فِي الْأَدَبِ - أَنَّ أَبَاهُ وَلِيَ مِصْرَ وَهُوَ حَدِيثُ السِّنِّ، يُشَكُّ فِي بُلُوغِهِ، فَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ مَعَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَهْ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ أَنْفَعَ لِي وَلَكَ؟ تُرَحِّلُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَقْعُدُ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِهَا وَأَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِمْ. فَوَجَّهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَعَدَ مَعَ مَشَايِخِ قُرَيْشٍ، وَتَجَنَّبَ شَبَابَهُمْ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ ذِكْرُهُ.[5]

---

(١) من علماء الحديث، انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ١٦٧.

(٢) المرجلة: هي الخادمة التي تعتني بشعره وتصففه.

(٣) ابن عتبة ابن مسعود الهذلي، أحد فقهاء المدينة السبعة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٧٥.

(٤) كانت مناقشة الفقيه عبيدالله مقنعة وموجزة، إذ رده إلى أمر لاخلاف فيه، وهو رضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أهل بدر كما في الحديث الصحيح (إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) متفق عليه. وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن شهد بدراً وكانت له فيها مواقف عظيمة.

(٥) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦٨.

فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ أَخَذَهُ عَمُّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَخَلَطَهُ بِوَلَدِهِ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَزَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ:

بِنْـتُ الْخَلِيفَـةِ وَالْخَلِيفَـةُ جَدُّهَـا   أُخْتُ الْخَلَائِفِ وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

❁ ❁ ❁

فضائله

كَانَ عُمَرُ تَابِعِيًّا جَلِيلا، رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَالسَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، وَيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيُوسُفُ صَحَابِيٌّ صَغِيرٌ. وَرَوَى عَنْ خَلْقٍ مِنَ التَّابِعِينَ. وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:(١) لَا أَرَى قَوْلَ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ حُجَّةً إِلَّا قَوْلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَثَبَتَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (٢) قَالَ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ، قَالُوا: وَكَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَيُخَفِّفُ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: **مَا كَانَ بَدْءُ إِنَابَتِكَ؟** قَالَ: أَرَدْتُ ضَرْبَ غُلَامٍ لِي فَقَالَ لِي: اذْكُرْ لَيْلَةً صَبِيحَتُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ.(٣)

ولما اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ بِاسْمِهِ، انْقَلَبَ وَهُوَ مُغْتَمٌّ مَهْمُومٌ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: مَا لَكَ هَكَذَا مُغْتَمًّا مَهْمُومًا، وَلَيْسَ هَذَا بِوَقْتِ هَذَا؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ! وَمَا لِي لَا أَغْتَمُّ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا وَهُوَ يُطَالِبُنِي بِحَقِّهِ؛ أَنْ أُؤَدِّيَهُ إِلَيْهِ، كَتَبَ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَكْتُبْ، طَلَبَهُ مِنِّي أَوْ لَمْ يَطْلُبْ.(٤).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ١١٤

(٢) المسند ٣/ ١٤٤ و٢٢١، وصحيح سنن النسائي (٩٣٨).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣/ ٢٦٨ .وعبدالله بن كثير المكي هو إمام أهل مكة في القراءة، توفي سنة (١٢٠هـ) وموعظة الغلام صادفت قلبًا حيًا فوعاها وتيقنها فصارت سببا في توبته وإنابته لله.

(٤) الشعور بالمسؤولية واليقين بملاقاة الله وسؤاله ومحاسبته مع الفقع في الدين هي أظهر خصلة في عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي التي حجزته عن كثير من الأفعال والتصرفات، وضبطت سلوكه في الخلافة، حيث لا رقيب عليه من البشر.

قَالُوا: ثُمَّ إِنَّهُ خَيَّرَ امْرَأَتَهُ فَاطِمَةَ بَيْنَ أَنْ تُقِيمَ مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ لَا فَرَاغَ لَهُ إِلَيْهَا، وَبَيْنَ أَنْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا، فَبَكَتْ وَبَكَى جَوَارِيهَا لِبُكَائِهَا، فَسُمِعَتْ ضَجَّةٌ فِي دَارِهِ، ثُمَّ اخْتَارَتْ مُقَامَهَا مَعَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، رَحِمَهَا اللَّهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ:

إِنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَهْدِيٌّ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَنَحْوَ هَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.(١)

قال سفيان الثَّوْرِيَّ: **الْخُلَفَاءُ خَمْسَةٌ**؛ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ.(٢)

○ عمر بن عبدالعزيز أول المجددين

روى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا» (٣).

فَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَغَيْرُهُ: **إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى**.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ جَدَّدَ اللهُ بِهِ أَمْرَ الدِّينِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَوْلَى مَنْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ وَأَحَقَّ؛ لِإِمَامَتِهِ، وَعُمُومِ وِلَايَتِهِ، وَاجْتِهَادِهِ وَقِيَامِهِ فِي تَنْفِيذِ الْحَقِّ، فَقَدْ كَانَتْ سِيرَتُهُ شَبِيهَةً بِسِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَشَبَّهُ بِهِ. (٤)

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٧

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٩. وتوجد أقوال أخرى تعتبر الحسن بن علي خامس خلفاء الراشدين، لأنه مدته مكملة لمدة الخلافة الراشدة (خلافة النبوة ثلاثون عاما) أما عمر بن عبدالعزيز فشابه الخلفاء الراشدين في سيرتهم فوصف بهذا الوصف لأجل ذلك.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٢٩١) وصححه. وانظر: السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

(٤) صفة الصفوة ٢/ ١١٣

قال ابن كثير:(١) وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ، وَأَحَدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ.

○ مشاورة عمر للصالحين

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ:(٢) لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الخلافة بَعَثَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَرَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، وَسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ تَرَوْنَ مَا ابْتُلِيتُ بِهِ وَمَا قَدْ نَزَلَ بِي، فَمَا عِنْدَكُمْ؟

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: اجْعَلِ الشَّيْخَ أَبًا، وَالشَّابَّ أَخًا، وَالصَّغِيرَ وَلَدًا، فَبِرَّ أَبَاكَ، وَصِلْ أَخَاكَ، وَتَعَطَّفْ عَلَى وَلَدِكَ.

وَقَالَ رَجَاءٌ: ارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ تَمُوتُ.

وَقَالَ سَالِمٌ: اجْعَلِ الْأَمْرَ يَوْمًا وَاحِدًا صُمْ فِيهِ عَنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَاجْعَلْ آخِرَ فِطْرِكَ فِيهِ الْمَوْتَ، فَكَأَنْ قَدْ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٦٩٦ .

(٢) تاريخ دمشق، ١٣/ ٢٧٨ .اختار من يستشير فتطابقت نصائحهم وإن اختلفت ألفاظها، وهي تدور على العدل والرحمة ومراقبة الله واليقين بلقائه.

خُطَبُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ[١]: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ:

لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَعِدَ الْمِنبَرَ، وَكَانَ أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، حَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ صَحِبَنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِخَمْسٍ**، وَإِلَّا فَلْيُفَارِقْنَا:

١-يَرْفَعُ إِلَيْنَا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا.

٢-وَيُعِينُنَا عَلَى الْخَيْرِ بِجُهْدِهِ.

٣-وَيَدُلُّنَا مِنَ الْخَيْرِ عَلَى مَا لَا نَهْتَدِي إِلَيْهِ.

٤- وَلَا يَغْتَابَنَّ عِنْدَنَا الرَّعِيَّةَ.

٥-وَلَا يَعْرِضَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ.

فَانْقَشَعَ عَنْهُ الشُّعَرَاءُ وَالْخُطَبَاءُ، وَثَبَتَ مَعَهُ الْفُقَهَاءُ وَالزُّهَّادُ، وَقَالُوا: مَا يَسَعُنَا أَنْ نُفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ حَتَّى يُخَالِفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ[٢]، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُهَاجِرٍ، قَالَ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، **إِنَّهُ لَا كِتَابَ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ**، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَإِنِّي لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، إِنَّ الرَّجُلَ الْهَارِبَ مِنَ الْإِمَامِ الظَّالِمِ لَيْسَ بِظَالِمٍ، أَلَا إِنَّ الْإِمَامَ الظَّالِمَ هُوَ الْعَاصِي، أَلَا لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٧. كان خطيبا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفقيهاً، وفي هذه الخطبة قرر سمات جلسائه، فانقشع عنه أصحاب الأغراض والمداحون والشعراء.

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٩. قرر في هذه الخطبة مصدر الاستمداد لمنهجه وعمله .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ[١]: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحَلْوَانِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ، حَدَّثَنِي ابْنٌ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ:

كَانَ آخِرُ خُطْبَةً خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى، عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدًى، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللهُ فِيهِ لِلْحُكْمِ فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ، فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذِرَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَخَافَهُ، وَبَاعَ نَافِدًا بِبَاقٍ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ؟

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ، كَذَلِكَ حَتَّى نُرَدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ؟

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٩. مراقبة الله واليقين باليوم الآخر والحساب نجده حاضراً في خطبه وتصرفاته وهو عالم فقيه يعرف مواقع الكلام.

من محاسن أقواله

⊙ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ وَلَّانِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِمَالَةً، ثُمَّ قَالَ لِي: إِذَا جَاءَكَ كِتَابٌ مِنِّي عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَاضْرِبْ بِهِ الْأَرْضَ.

⊙ وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ: إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ عَلَى النَّاسِ إِلَى ظُلْمِهِمْ، فَاذْكُرْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْكَ، وَنَفَادَ مَا تَأْتِي إِلَيْهِمْ، وَبَقَاءَ مَا يَأْتُونَ إِلَيْكَ.

⊙ وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَى اللهِ الْقَصْدُ فِي الْجِدِّ، وَالْعَفْوُ فِي الْمَقْدِرَةِ، وَالرِّفْقُ فِي الْوِلَايَةِ، وَمَا رَفَقَ عَبْدٌ بِعَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا رَفَقَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

⊙ وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ سَمَرْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَعَشِيَ السِّرَاجُ فَقُلْتُ: أَلَا أُنَبِّهُ هَذَا الْغُلَامَ يُصْلِحُهُ؟ فَقَالَ: لَا، دَعْهُ يَنَامُ. فَقُلْتُ: أَفَلَا أَقُومُ أُصْلِحُهُ؟ فَقَالَ: لَا، لَيْسَ مِنْ مُرُوءَةِ الرَّجُلِ اسْتِخْدَامُ ضَيْفِهِ. ثُمَّ قَامَ بِنَفْسِهِ فَأَصْلَحَهُ وَصَبَّ فِيهِ زَيْتًا، ثُمَّ جَاءَ وَقَالَ: قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَجِئْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

⊙ **وَقَالَ**: أَكْثِرُوا ذِكْرَ النِّعَمِ فَإِنَّ ذِكْرَهَا شُكْرُهَا. وَقَالَ: إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي مِنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ مَخَافَةَ الْمُبَاهَاةِ.

⊙ **وَكَانَ يَقُولُ**: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ مَنْ كَانَ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحٌ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَهْلِكْ مَنْ كَانَ فِي هَلَاكِهِ صَلَاحُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

⊙ **وَقَالَ**: الدُّنْيَا عَدُوَّةُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، وَأَعْدَاءِ اللهِ، أَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَغَمَّتْهُمْ، وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَغَرَّتْهُمْ.

❁ ❁ ❁

عدله ورد المظالم

⦿ **وَقَدْ رَدَّ جَمِيعَ الْمَظَالِمِ**، فجمَعَ يَوْمًا رُءُوسَ النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: **إِنَّ فَدَكَ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَضَعُهَا حَيْثُ أَرَاهُ اللهُ**، ثُمَّ وَلِيَهَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ كَذَلِكَ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَمَا أَدْرِي مَا قَالَ فِي عُثْمَانَ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ أَقْطَعَهَا فَحَصَلَ لِي مِنْهَا نَصِيبٌ، وَوَهَبَنِي الْوَلِيدُ وَسُلَيْمَانُ نَصِيبَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَالِي شَيْءٌ أَرَدَّ عَلَيَّ مِنْهَا، وَقَدْ رَدَدْتُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَيَئِسَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَظَالِمِ.

⦿ ثُمَّ أَخَذَ **أَمْوَالَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ فَرَدَّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ**، وَسَمَّاهَا أَمْوَالُ الْمَظَالِمِ، فَاسْتَشْفَعُوا إِلَيْهِ بِالنَّاسِ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِعَمَّتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مَرْوَانَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِ وَلَمْ يَرُدَّهُ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ.(١)

⦿ **قال ابن كثير**: وَقَدِ اجْتَهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ مَعَ قِصَرِهَا **حَتَّى رَدَّ الْمَظَالِمَ، وَصَرَفَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**، وَكَانَ مُنَادِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِي: أَيْنَ الْغَارِمُونَ؟ أَيْنَ النَّاكِحُونَ؟ أَيْنَ الْمَسَاكِينُ؟ أَيْنَ الْيَتَامَى؟ حَتَّى أَغْنَى كُلًّا مِنْ هَؤُلَاءِ.(٢).

⦿ وَخَرَجَ ابْنٌ لَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَشَجَّهُ صَبِيٌّ مِنْهُمْ، فَاحْتَمَلُوا الصَّبِيَّ الَّذِي شَجَّ ابْنَهُ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى عُمَرَ، فَسَمِعَ الْجَلَبَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا مُرَيْئَةٌ تَقُولُ:

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨١

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٦٩٦. قال الذهبي في السير ٥/ ١٢٠: كان هذا الرجل حسن الخلق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أواهاً منيباً، قانتاً لله حنيفاً زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملّوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه اعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فمازالوا به حتى سقوه السم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُدّ عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين.

إِنَّـهُ ابْنِي، وَإِنَّهُ يَتِيمٌ. **فَقَالَ لَهَا عُمَرُ**: أَلَهُ عَطَاءٌ فِي الدِّيوَانِ؟ قَالَتْ: لَا، **قَالَ**: فَاكْتُبُوهُ فِي الذُّرِّيَّةِ. فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ وَفَعَلَ إِنْ لَمْ يَشُجَّ ابْنَكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ: وَيْحَكِ، إِنَّكُمْ أَفْزَعْتُمُوهُ.

- قَالُوا: وَكَانَ يُوَسِّـعُ عَلَى عُمَّالِهِ فِي النَّفَقَةِ؛ يُعْطِي الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِي الشَّـهْرِ مِائَةَ دِينَارٍ، وَمِائَتَيْ دِينَارٍ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا فِي كِفَايَةٍ تَفَرَّغُوا لِأَشْغَالِ الْمُسْلِمِينَ.

- وَقَـدْ كَانَ دَخْلُهُ فِي كُلِّ سَـنَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ أَرْبَعِينَ أَلْـفَ دِينَارٍ، فَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَتَّـى لَـمْ يَبْقَ لَهُ دَخْلٌ سِـوَى أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَـنَةٍ، وَكَانَ حَاصِلُـهُ فِي خِلَافَتِهِ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ.

❁ ❁ ❁

زهده وورعه

⦿ قَـالَ مَالِكُ بْـنُ دِينَارٍ: يَقُولُونَ: مَالِكٌ زَاهِدٌ. أَيُّ زُهْدٍ عِنْدِي! إِنَّمَا الزَّاهِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَتَتْهُ الدُّنْيَا فَاغِرَةً فَاهَا فَتَرَكَهَا.

⦿ وَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ يَوْمًا فَسَـأَلَهَا أَنْ تُقْرِضَهُ دِرْهَمًا أَوْ فُلُوسًـا يَشْـتَرِي لَهُ بِهَا عِنَبًا، فَلَمْ يَجِـدْ عِنْدَهَا شَـيْئًا، فَقَالَتْ لَـهُ: أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيـنَ وَلَيْسَ فِي خِزَانَتِكَ مَا تَشْـتَرِي بِهِ عِنَبًا؟ ! فَقَالَ: هَذَا أَيْسَرُ مِنْ مُعَالَجَةِ الْأَغْلَالِ وَالْأَنْكَالِ غَدًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.(١)

⦿ وَكَانَ لَـهُ سِـرَاجٌ يَكْتُـبُ عَلَيْـهِ حَوَائِجَهُ، وَسِـرَاجٌ لِبَيْتِ الْمَـالِ يَكْتُبُ عَلَيْـهِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَكْتُبُ عَلَى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفًا.

⦿ وَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ تُفَّاحًا فَاشْـتَمَّهُ ثُمَّ رَدَّهُ مَعَ الرَّسُـولِ، وَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ: قَدْ بَلَغَـتْ مَحِلَّهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَهَـذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِـكَ. فَقَالَ: إِنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَأَمَّا نَحْنُ فَهِيَ لَنَا رِشْوَةٌ.

⦿ وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَرَأَ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤] فَجَعَلَ يُكَرِّرُهَا وَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَاوِزَهَا.

⦿ وَلَمْ يَبْنِ شَـيْئًا فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ. وَكَانَ يَخْدِمُ نَفْسَـهُ بِنَفْسِـهِ، وَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَـيْئًا مِنَ الدُّنْيَـا إِلَّا عَوَّضَنِي اللهُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. وَكَانَ يَأْكُلُ الْغَلِيظَ مِنَ الطَّعَامِ أَيْضًا، وَلَا يُبَالِي بِشَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ، وَلَا يُتْبِعُهُ نَفْسَهُ وَلَا يَوَدُّهُ.

❁ ❁ ❁

(١) هـذه المراقبـة واسـتحضارها في كل موقف هي التي سـاعدته على ضبط سـلوكه على الزهـد في الدنيا والورع.

حاله مع الشعراء

⦿ قَالَ حَمَّادٌ الرَّاوِيَةُ، عَنْ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

وَفَدْتُ أَنَا وَالْأَحْوَصُ وَنُصَيْبٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَنَحْنُ نَمُتُّ إِلَيْهِ بِصُحْبَتِنَا إِيَّاهُ وَمُعَاشَرَتِنَا لَهُ لَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ، فَنَحْنُ نَسِيرُ وَنَخْتَالُ فِي رِحَالِنَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى خُنَاصِرَةَ وَلَاحَتْ لَنَا أَعْلَامُهَا، تَلَقَّانَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ: مَا أَقْدَمُكُمْ؟ أَوَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لَا يُحِبُّ الشِّعْرَ؟

قَالَ: فَوَجَمْنَا لِذَلِكَ، فَأَنْزَلَنَا مَسْلَمَةُ عِنْدَهُ، وَأَجْرَى عَلَيْنَا النَّفَقَاتِ وَعَلَفَ دَوَابَّنَا، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَنَا عَلَى عُمَرَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْجُمَعِ دَنَوْتُ مِنْهُ لِأَسْمَعَ خُطْبَتَهُ، فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَسَمِعْتُهُ **يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ:**

لِكُلِّ سَفَرٍ زَادٌ لَا مَحَالَةَ، فَتَزَوَّدُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنْ عَذَابِهِ وَثَوَابِهِ، فَتَرْغَبُوا وَتَرْهَبُوا، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ وَتَنْقَادُوا لِعَدُوِّكُمْ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا بُسِطَ أَمَلُ مَنْ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يُمْسِي بَعْدَ إِصْبَاحِهِ وَلَا يُصْبِحُ بَعْدَ إِمْسَائِهِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ لَهُ بَيْنَ ذَلِكَ خَطَرَاتُ الْمَنَايَا، وَإِنَّمَا يَطْمَئِنُّ مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ثُمَّ بَكَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَاضٍ نَحْبَهُ، وَارْتَجَّ الْمَسْجِدُ وَمَا حَوْلَهُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ.

قَالَ: فَانْصَرَفْتُ إِلَى صَاحِبَيَّ، فَقُلْتُ:.. إِنَّهُ رَجُلٌ آخِرِيٌّ، لَيْسَ بِرَجُلِ دُنْيَا. قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْذَنَ لَنَا مَسْلَمَةُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، طَالَ الثَّوَاءُ، وَقَلَّتِ الْفَائِدَةُ، وَتَحَدَّثَتْ بِجَفَائِكَ إِيَّانَا وُفُودُ الْعَرَبِ.

فَقَالَ:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]- وَقَرَأَ الْآيَةَ - فَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ أَعْطَيْتُكُمْ، وَإِلَّا فَلَا حَقَّ لَكُمْ فِيهَا.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي مِسْكِينٌ وَعَابِرُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ. فَقَالَ: أَلَسْتُمْ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ؟ يَعْنِي مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: إِنَّهُ لَا ثَوَاءَ عَلَى مَنْ هُوَ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ. فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِنْشَادِ. قَالَ: نَعَمْ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا.

فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً فِيهِ:

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتِمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخِفْ ... بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ إِشَارَةَ مُجْرِمِ
وَصَدَّقْتَ بِالْفِعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي ... أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
وَقَدْ لَبِسَتْ تَسْعَى إِلَيْكَ ثِيَابُهَا ... تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا ... سَقَتْكَ مَدُوفًا مِنْ سِمَامٍ وَعَلْقَمِ
وَمَا زِلْتَ تَوَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... بَلَغْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمُلْكُ عَفْوًا وَلَمْ تَكُنْ ... لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ فِي تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقًا ... وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ ... سِوَى اللهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمِ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا ... مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي ... بِأَخْذِكَ دِينَارِي وَلَا أَخْذِ دِرْهَمِي
وَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ لَقَسَّمُوا ... لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَالَ: إِنَّكَ تُسْأَلُ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ الْأَحْوَصُ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّكَ تُسْأَلُ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ نُصَيْبٌ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، وَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ دِرْهَمًا.(١)

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٥٣١-٥٣٣، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٥٠٤

⊙ وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ [١] قَالَ: **لَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَفَدَ إِلَيْهِ الشُّعَرَاءُ** فَمَكَثُوا بِبَابِهِ أَيَّامًا **لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِمْ**، فَسَاءَهُمْ ذَلِكَ وَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَمَرَّ بِهِمْ **رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ**:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ ... هَذَا زَمَانُكَ فَاسْتَأْذِنْ لَنَا عُمَرَا

فَدَخَلَ وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئًا.

فَمَرَّ بِهِمْ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ مُنْشِدًا:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ ... هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ ... أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ
لَا تَنْسَ حَاجَتَنَا لَاقَيْتَ مَغْفِرَةً ... قَدْ طَالَ مُكْثِي عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

فَدَخَلَ **عَدِيٌّ** عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ **فَقَالَ:**

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الشُّعَرَاءُ بِبَابِكَ، وَسِهَامُهُمْ مَسْمُومَةٌ، وَأَقْوَالُهُمْ نَافِذَةٌ. **فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَدِيُّ! مَالِي وَلِلشُّعَرَاءِ**. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ يَسْمَعُ الشِّعْرَ وَيَجْزِي عَلَيْهِ، وَقَدْ أَنْشَدَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ مَدْحَهُ، فَأَعْطَاهُ حُلَّةً. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَرْوِي مِنْهَا شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَنْشَدَهُ:[٢]

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... نَشَرْتَ كِتَابًا جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلَمَا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا

عَنِ الْحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الْحَقُّ مُظْلِمَا ... وَنَوَّرْتَ بِالْبُرْهَانِ أَمْرًا مُدَلَّسَا
وَأَطْفَأْتَ بِالْقُرْآنِ نَارًا تَضَرَّمَا ... فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٤٥-٤٨
(٢) العقد الفريد ٢/ ٩٢، وانظر: ثمرات الأوراق ص٧٩.

وَكُلُّ امْـرِئٍ يُجْزَى بِمَـا كَانَ قَدَّمَا ... أَقَمْتَ سَـبِيلَ الْحَقِّ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ
وَكَانَ قَدِيمًـا رُكْنُـهُ قَـدْ تَهَدَّمَـا ... تَعَالَـى عُلُـوًّا فَـوْقَ عَـرْشِ إِلَهُنَـا
وَكَانَ مَكَانُ اللهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

فَقَـالَ عُمَـرُ: **وَيْحَكَ يَا عَدِيُّ! مَنْ بِالْبَابِ مِنْهُمْ**؟ فَقَالَ: عُمَـرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وهَمَّامُ بْنُ غَالِـبٍ - يَعْنِـي الْفَرَزْدَقَ - والْأَخْطَلُ وجرير، فقال: **فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأْذَنْ لِجَرِيرٍ**، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنَّ الَّـذِي بَعَـثَ النَّبِـيَّ مُحَمَّـدًا ... جَعَـلَ الْخِلَافَـةَ لِلْإِمَـامِ الْعَـادِلِ
وَسِـعَ الْخَلَائِـقَ عَدْلُـهُ وَوَفَـاؤُهُ ... حَتَّـى ارْعَوى وَأَقَـامَ مَيْـلَ الْمَائِلِ
إِنِّـي لَأَرْجُـو مِنْـكَ خَيْـرًا عَاجِـلًا ... وَالنَّفْـسُ مُولَعَـةٌ بِحُـبِّ الْعَاجِـلِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: **وَيْحَكَ يَا جَرِيرُ! اتَّقِ اللهَ فِيمَا تَقُولُ**.

ثُمَّ إِنَّ جَرِيرًا اسْـتَأْذَنَ عُمَرَ فِي الْإِنْشَـادِ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ وَلَمْ يَنْهَهُ، فَأَنْشَـدَهُ قَصِيدَةً طَوِيلَةً يَمْدَحُـهُ بِهَا، **فَقَالَ لَـهُ: وَيْحَكَ يَا جَرِيرُ! لَا أَرَى لَكَ فِيهَا هَاهُنَا حَقًّا**. فَقَالَ: إِنِّي مِسْـكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. فَقَالَ: إِنَّا وُلِّينَا هَذَا الْأَمْرَ وَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ إِلَّا ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، أَخَذَتْ أُمُّ عَبْدِ اللهِ مِائَةً، وَابْنُهَا مِائَةً، وَقَدْ بَقِيَتْ مِائَةٌ. فَأَمَرَ لَهُ بِهَا.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الشُّـعَرَاءِ، **فَقَالُوا**: **مَا وَرَاءَكَ يَا جَرِيرُ**؟ فَقَالَ: مَا يَسُـوؤُكُمْ، خَرَجْتُ مِنْ عِنْـدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيـنَ، وَهُوَ يُعْطِي الْفُقَـرَاءَ، وَيَمْنَعُ الشُّـعَرَاءَ، وَإِنِّي عَنْهُ لَرَاضٍ. ثُمَّ أَنْشَـأَ يَقُولُ: (١)

رَأَيْـتُ رُقَـى الشَّـيْطَانِ لَا تَسْـتَفِزُّهُ ... وَقَدْ كَانَ شَـيْطَانِي مِـنَ الْجِنِّ رَاقِيَا

❁ ❁ ❁

(١) حاشية الأمير على مغني اللبيب ١/ ٦١.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

⊙ كَانَ سَـبَبُهَا السُّلَّ،[١] وَقِيلَ: سَـبَبُهَا أَنَّ مَوْلًى لَهُ سَـمَّهُ[٢] فِي طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، وَأُعْطِيَ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ.

فَحَصَـلَ لَهُ بِسَـبَبِ ذَلِكَ مَـرَضٌ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ مَسْـمُومٌ، فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ يَوْمَ سُـقِيتُ السُّـمَّ. ثُمَّ اسْـتَدْعَى مَوْلَاهُ الَّذِي سَـقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، مَا حَمَلَـكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَـالَ: أَلْفُ دِينَارٍ أُعْطِيتُهَا. فَقَـالَ: هَاتِهَا. فَأَحْضَرَهَا فَوَضَعَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فَتَهْلَكَ.[٣]

⊙ ولما اشـتد به المرض قِيلَ لَهُ: هَؤُلَاءِ بَنُوكَ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَـرَ أَلَا تُوصِي لَهُمْ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُـمْ فُقَـرَاءُ؟ فَقَـالَ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعـراف: ١٩٦] وَاللهِ لَا أُعْطِيهِـمْ حَقَّ أَحَـدٍ، وَهُمْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ؛ إِمَّا صَالِـحٌ فَاللهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَإِمَّا غَيْرُ صَالِحٍ فَمَا كُنْتُ لِأُعِينَهُ عَلَى فِسْقِهِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى بِأَوْلَادِهِ فَوَدَّعَهُمْ وَعَزَّاهُمْ بِهَذَا، وَأَوْصَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: انْصَرِفُوا عَصَمَكُمُ اللهُ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكُمْ.

⊙ قَالَ[٤]: فَلَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْمِلُ عَلَى ثَمَانِينَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَانَ بَعْضُ أَوْلَادِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ كَثْرَةِ مَا تَرَكَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ يَتَعَاطَى وَيَسْـأَلُ مِنْ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ لِأَنَّ عُمَرَ وَكَلَ وَلَدَهُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَسُـلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ إِنَّمَا يَكِلُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى مَا يَدَّعُونَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الْفَانِيَةِ، فَيَضِيعُونَ وَتَذْهَبُ أَمْوَالُهُمْ فِي شَهَوَاتِ أَوْلَادِهِمْ.

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٣٠.

(٢) تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٨.

(٣) عفى عن حقه الخاص، أما مال الرشـوة فأخذه منه ورده في بيت المال، ثم نصحه بالاختفاء حتى لا يراه أحد فيقتص منه بعد وفاته.

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي ٣٣٨.

⦿ قَالُـوا: وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بخناصرة[١] من دَيْرِ سَـمْعَانَ مِنْ أَرْضِ حِمْـصَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَقِيـلَ: الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ. وَقِيلَ: بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ. سَـنَةَ إِحْـدَى وَمِائَةٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مَرَضِهِ عِشْـرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ تِسْـعًا وَثَلَاثِينَ سَـنَةً وَأَشْهُرًا، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ.

⦿ وَلَمَّا احْتُضِرَ قَالَ: أَجْلِسُونِي. فَأَجْلَسُوهُ، فَقَالَ: إِلَهِي، أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقَصَّرْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَعَصَيْتُ ثَلَاثًا وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَحَدَّ النَّظَرَ، ثُمَّ قُبِضَ مِنْ سَاعَتِهِ.

⦿ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: آمَنْتُ بِاللهِ.

❁ ❁ ❁

(١) قال البلاذري: مرض بخناصرة ومات بدير سمعان وبينهما أربعون ميلًا، وخناصرة على تخوم قنسرين.
انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٦/ ٢٢.

خــلافــتــه

○ بيعته بالخلافة

بُويِـعَ لَـهُ بِالْخِلَافَـةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْـرٍ مَضَيْـنَ وَقِيلَ: بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَـنَةَ تِسْـعٍ وَتِسْعِينَ يَوْمَ مَاتَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، بوصية منه.

قال رجاء بن حيوة : وَقَرَأْتُ كتاب سـليمان على أمراء بني مروان، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، تَغَيَّرَتْ وُجُوهُ بَنِي مَرْوَانَ، فَلَمَّا قَرَأْتُ: وَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ، تَرَاجَعُوا بَعْضَ الشَّـيْءِ، وَنَهَضَ النَّاسُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا تَحقَّقَ ذَلِكَ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَلَمْ تَحْمِلْهُ رِجْلَاهُ حَتَّى أَخَذُوا بِضَبْعَيْهِ، فَأَصْعَدُوهُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَسَكَتَ حِينًا.

قَـالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: فقلـت: أَلَا تَقُومُونَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيـنَ فَتُبَايِعُوهُ! فَنَهَضَ الْقَوْمُ فَبَايَعُوهُ.

ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً بَلِيغَةً، فَكَانَ مِمَّا **قَالَ فِي خُطْبَتِهِ**:

أَيُّهَا النَّاسُ: لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَإِنَّ مَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ إِنْ هُمْ أَطَاعُـوا كَمَـا أَطَعْتُمْ فَأَنَا وَالِيكُمْ، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَلَسْـتُ لَكُمْ بِوَالٍ. ثُمَّ نَزَلَ . فَشَـرَعُوا فِي جِهَازِ سُلَيْمَانَ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهُ حَتَّى دَخَلَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ، فَصَلَّى عُمَرُ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثُمَّ صَلَّى عَلَى سُلَيْمَانَ وَدُفِنَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ عُمَرُ أُتِيَ بِمَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَرْكَبْهَا، وَرَكِبَ دَابَّتَهُ، ثُمَّ سَارَ مَعَ النَّاسِ حَتَّى أَتَوْا دِمَشْـقَ فَمَالُوا بِهِ نَحْوَ دَارِ الْخِلَافَةِ فَقَـالَ: لَا أَنْزِلُ إِلَّا فِي مَنْزِلِي حَتَّى تَفْرُغَ دَارُ أَبِي أَيُّوبَ، فَاسْتُحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ.

ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالْكَاتِبِ، فَجَعَلَ يُمْلِي عَلَيْهِ نُسْخَةَ الْكِتَابِ الَّذِي يُبَايِعُ عَلَيْهِ الْأَمْصَارَ، قَالَ رَجَاءٌ: فَمَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْهُ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْوَرَعِ وَالدِّينِ وَالتَّقَشُّفِ وَالصِّيَانَةِ وَالنَّزَاهَةِ مِنْ أَوَّلِ حَرَكَةٍ بَدَتْ مِنْهُ؛ حَيْثُ أَعْرَضَ عَنْ رُكُوبِ مَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ.

وقد خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ فِي **خُطْبَتِهِ**:

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَّاقَةً لَا تُعْطَى شَيْئًا إِلَّا تَاقَتْ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَإِنِّي لَمَّا أُعْطِيتُ الْخِلَافَةَ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا **وَهِيَ الْجَنَّةُ**؛ فَأَعِينُونِي عَلَيْهَا يَرْحَمْكُمُ اللهُ.[1]

❁ ❁ ❁

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٤. والنفس التواقة: هي التي تسعى إلى الارتقاء فإذا حصّلت منزلة تطلعت للتي تليها، وعمر رَحِمَهُ اللَّهُ لما وصل إلى منصب الخلافة وهو أعلى مناصب الدنيا، تطلع إلى ماهو أعلى من الدنيا كلها، وهو الجنة فطلب الإعانة عليها، والباعث للنفس التواقة هو علو الهمة.

الفصل الثاني
الأعمال والأحداث في عهده

١ أمره بعودة الجيوش المحاصرة للقُسْطَنْطِينِيَّة

وكَانَ مِمَّا بَادَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ فِي سنة (٩٩هـ) أَنْ بَعَثَ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ بِأَرْضِ الرُّومِ مُحَاصِرُو الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَالُ، وَضَاقَ عَلَيْهِمُ الْمَجَالُ؛ فكَتَبَ إِلَيْهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الشَّامِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وبَعَثَ إِلَيْهِم بِطَعَامٍ كَثِيرٍ وَخُيُولٍ كَثِيرَةٍ عِتَاقٍ يُقَالُ: خَمْسُمِائَةِ فَرَسٍ. فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

٢ صد عدوان الترك على أذربيجان

فِي سنة (٩٩هـ) أَغَارَتِ التُّرْكُ عَلَى أَذْرَبِيجَانَ فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَاتِمَ بْنَ النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيَّ، فَقَتَلَ أُولَئِكَ الْأَتْرَاكَ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَبَعَثَ مِنْهُمْ أُسَارَى إِلَى عُمَرَ وَهُوَ بِخُنَاصِرَةَ.[١]

٣ أمره بالصلاة على وقتها

رَوَى ابْنُ عَسَاكِرٍ[٢] فِي تَرْجَمَةِ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ الرَّحْبِيِّ الْحِمْصِيِّ قَالَ:

رَأَيْتُ مُؤَذِّنِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ فِي أمر الصَّلَاةِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، الصَّلَاةُ قَدْ قَارَبَتْ.

وقد كان من **حسنات** سليمان بن عبدالملك أنه أعاد الصلاة إلى أول وقتها، خلافًا لمن قبله، فمشى على ذلك عمر بن عبدالعزيز .

٤ خروج طائفة من الخوارج

في سنة (١٠٠هـ) خَرَجَتْ خَارِجَةٌ مِنَ الْحَرُورِيَّةِ بِالْعِرَاقِ، فَبَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب نَائِبِ الْكُوفَةِ، يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيَتَلَطَّفَ بِهِمْ، وَلَا يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، فَلَمَّا

(١) خُناصِرَةُ: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنّسرين نحو البادية، معجم البلدان (٢/ ٣٩٠) .
(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ٦٥٨ .

فَعَلُوا ذَلِكَ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فَكَسَرَهُمُ الْحَرُورِيَّةُ، فَبَعَثَ عُمَرُ إِلَيْهِ يَلُومُهُ عَلَى جَيْشِهِ، وَأَرْسَلَ عُمَرُ ابْنَ عَمِّهِ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الْجَزِيرَةِ(١) إِلَى حَرْبِهِمْ، فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ.

٥ مناظرة عمر للخوارج

أَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى كَبِيرِ الْخَوَارِجِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: بِسْطَامُ يَقُولُ لَهُ: مَا أَخْرَجَكَ عَلَيَّ؟ فَإِنْ كُنْتَ خَرَجْتَ غَضَبًا لِلَّهِ فَأَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، وَلَسْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنِّي، وَهَلُمَّ أُنَاظِرْكَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ حَقًّا اتَّبَعْتَهُ، وَإِنْ أَبْدَيْتَ حَقًّا نَظَرْنَا فِيهِ.

فَبَعَثَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ عُمَرُ رَجُلَيْنِ فَسَأَلَهُمَا: مَاذَا تَنْقِمُونَ؟ فَقَالَا: جَعْلَكَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ. فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْهُ أَبَدًا، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ غَيْرِي. قَالَا: فَكَيْفَ تَرْضَى بِهِ أَمِينًا لِلْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ: أَنْظِرْنِي ثَلَاثَةً. فَيُقَالُ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ دَسَّتْ إِلَيْهِ سُمًّا فَقَتَلُوهُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَخْرُجَ الْأَمْرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَمْنَعَهُمُ الْأَمْوَالَ. وَاللهُ أَعْلَمُ(٢).

(١) المراد الجزيرة الفراتية .

(٢) هذه الرواية بهذه الألفاظ أخرجها الطبري في تاريخه ٥/ ٥٥٥ من طريق أبي عبيدة معمر بن مثنى، قال عنه ابن حجر في التقريب ص ٥٤١: صدوق أخباري، وقد رُمي برأي الخوارج. لكن كتابة عمر بن عبدالعزيز لنصحهم ومناظرتهم ثابتة وصحيحة، أخرجها البلاذري في أنساب الأشراف٨/ ٢١١، وابن عبد الحكم في سيرة عمر ص ١١٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٦٥- ٩٦٧ بإسنادين، قال محقق الكتاب بأنهما لابأس بهما. **وقد بين لهم عمر جهلهم** بالكتاب والسنة، وأنهم لأجل ذلك يأمن عندهم من خاف عند رسول الله ﷺ ويخاف من يأمن عنده (...ويحك إنكم قوم جهال، أردتم أمراً فأخطأتموه، فأنتم تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله ﷺ، وتردون عليهم ما قبل منهم، ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده، ألا تعلمون أن رسو الله ﷺ بُعِث إلى الناس وهم عبدة الأوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك **حقن دمه وأمن عنده،** وكان أسوة المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده). فأقر الرجلان بذلك. قال عمر: أفلستم أنتم اليوم تبرؤون ممن يخلع الأوثان، وممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتلعنونه وتقتلونه وتستحلون دمه، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى فتحرمون دمه ويأمن عندكم؟. فقد ناقشهم رَحِمَهُ اللَّهُ بعلم وفقه فلم يدَعْ لهم حجة، وقد تأسى بطريقة من سبقه؛ الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وعبدالله بن العباس ترجمان القرآن وفقيه الأمة. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر مزيداً من ذلك في **بحث** :(الآثار الواردة عن عمر بن عبدالعزيز في العقيدة، **للباحث**: حياة بن محمد بن جبريل) الفصل الخامس :موقفه من الخوارج.

٦ غزو الصائفة

فِي سنة (١٠٠هـ) غَزَا عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ مِنْ أَهْلِ حِمْصَ الصَّائِفَةِ.

٧ حمل يزيد بن المهلب إلى عمر بن عبدالعزيز.

فِي سنة (١٠٠هـ) حُمِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْعِرَاقِ؛ أَرْسَلَهُ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ نَائِبُ الْبَصْرَةِ، وَقَدْ كَانَ أَظْهَرَ الِامْتِنَاعَ مَعَ مُوسَى بْنِ وَجِيهٍ، وَكَانَ عُمَرُ يُبْغِضُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَيَقُولُ: **هَؤُلَاءِ جَبَابِرَةٌ وَلَا أُحِبُّ مِثْلَهُمْ.**

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ طَالَبَهُ بِمَا قِبَلَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَنَّهَا حَاصِلَةٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ إِنَّمَا كَتَبْتُ ذَلِكَ لِأُرْهِبَ الْأَعْدَاءَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ شَيْءٌ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَكَانَتِي عِنْدَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَا أَسْمَعُ مِنْكَ هَذَا، وَلَسْتُ أُطْلِقُكَ حَتَّى تُؤَدِّيَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ.

وَقَدِمَ على عمر بن عبد العزيز وَلَدُ يَزِيدَ **مخلَّدُ** بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِوِلَايَتِكَ عَلَيْهَا، فَلَا نَكُونَنَّ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ، فَعَلَامَ تَحْبِسُ هَذَا الشَّيْخَ وَأَنَا أَقُومُ بِمَا تُصَالِحُنِي عَنْهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَا أُصَالِحُكَ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَقُومَ بِجَمِيعِ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنْ كَانَتْ لَكَ بَيِّنَةٌ عَلَيْهِ بِمَا تَقُولُ وَإِلَّا فَاقْبَلْ يَمِينَهُ، أَوْ فَصَالِحْنِي عَنْهُ. فَقَالَ: لَا آخُذُ مِنْهُ إِلَّا جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ، فَخَرَجَ مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ مَخْلَدٌ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ أَمَرَ بِأَنْ يُلْبَسَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ، وَيَرْكَبَ عَلَى بَعِيرٍ وَيَذْهَبُوا إِلَى جَزِيرَةِ دَهْلَكَ[1] الَّتِي كَانَ يُنْفَى إِلَيْهَا الْفُسَّاقُ، فَشَفَعُوا فِيهِ، فَرَدَّهُ إِلَى السِّجْنِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَرِضَ عُمَرُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ سنة (١٠١هـ)، فَهَرَبَ مِنَ السِّجْنِ، وَعَلِمَ

(١) دهلك بفتح أوله وسكون ثانيه ولام مفتوحة وآخره كاف، اسم أعجمي معرب، وهي جزيرة في بحر اليمن (البحر الأحمر) وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (معجم البلدان ٢/ ٤٩٢).

أَنَّ عمر يَمُوتُ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، وَأَظُنُّهُ كَانَ عَالِمًا أَنَّ عُمَرَ قَدْ سُقِيَ سُمًّا.

٨ عزل والي خراسان لأخذه الجزية ممن أسلم

فِي سنة (١٠٠هـ) فِي رَمَضَانَ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ بَعْدَ سَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ؛ وَإِنَّمَا عَزَلَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الْجِزْيَةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنَ الْكُفَّارِ وَيَقُولُ: أَنْتُمْ إِنَّمَا تُسْلِمُونَ فِرَارًا مِنْهَا. فَامْتَنَعُوا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَثَبَتُوا عَلَى دِينِهِمْ وَأَدَّوُا الْجِزْيَةَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ إِنَّمَا بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيًا وَلَمْ يَبْعَثْهُ جَابِيًا. وَعَزَلَهُ وَوَلَّى بَدَلَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ نُعَيْمٍ الْقُشَيْرِيَّ عَلَى الْحَرْبِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللهِ عَلَى الْخَرَاجِ.

٩ الإنفاق على طلبة العلم

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعْطِي مَنِ انْقَطَعَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، مِنْ بَلَدِهِ وَغَيْرِهَا، لِلْفِقْهِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِائَةَ دِينَارٍ.

وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ: أَنْ يَأْخُذُوا النَّاسَ بِالسُّنَّةِ، وَيَقُولَ: إِنْ لَمْ تُصْلِحْهُمُ السُّنَّةُ فَلَا أَصْلَحَهُمُ اللهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا: أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَعْمَالِ إِلَّا أَهْلُ الْقُرْآنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَهُ خَيْرٌ.

١٠ تنفيذ الشروط العمرية على أهل الذمة[1]

وَكَتَبَ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ: أَنْ لَا يَرْكَبَ ذِمِّيٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ عَلَى سَرْجٍ، وَلَا يَلْبَسُ قَبَاءً وَلَا طَيْلَسَانًا وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا يَمْشِيَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِزُنَّارٍ مِنْ جِلْدٍ، وَهُوَ مَقْرُونُ النَّاصِيَةِ، وَمَنْ وُجِدَ مِنْهُمْ فِي مَنْزِلِهِ سِلَاحٌ أُخِذَ مِنْهُ.

(١) هي شروط وضعها عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خلافته، واستمر تطبيقها في الدولة الإسلامية، وقد يقع التساهل في في تطبيقها، لذا جدد عمر بن عبدالعزيز العمل بها وطلب من عماله تنفيذها على كل أهل الذمة. وقد شرحها ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة).

مواعظه وكتبه لعماله

- وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ: اجْتَنِبُوا الْأَشْغَالَ عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَوَاتِ، فَإِنَّ مَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَشَدُّ تَضْيِيعًا.
- وَقَدْ كَانَ يَكْتُبُ الْمَوْعِظَةَ إِلَى الْعَامِلِ مِنْ عُمَّالِهِ فَيَنْخَلِعُ بِهَا قَلْبُهُ، وَرُبَّمَا عَزَلَ بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ عَنِ الْعِمَالَةِ مِنْ شِدَّةِ مَا تَقَعُ مَوْعِظَتُهُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ الْوَاعِظِ دَخَلَتْ قَلْبَ الْمَوْعُوظِ.
- **وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ**: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ لَيْلَةً تَمَخَّضُ بِالسَّاعَةِ فَصَبَاحُهَا الْقِيَامَةُ، فَيَا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَيَا لَهُ مِنْ صَبَاحٍ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا.
- **وَكَتَبَ إِلَى آخَرَ**: أُذَكِّرُكَ طُولَ سَهَرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَعَ خُلُودِ الْأَبَدِ، وَإِيَّاكَ أَنْ يُنْصَرَفَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ، وَانْقِطَاعَ الرَّجَاءِ مِنْكَ. قَالُوا: فَخَلَعَ هَذَا الْعَامِلُ نَفْسَهُ مِنَ الْعِمَالَةِ، وَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: خَلَعْتَ قَلْبِي بِكِتَابِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ لَا أَعُودُ إِلَى وِلَايَةٍ أَبَدًا.
- **وكتب فِي سنة (١٠٠هـ)** إِلَى عُمَّالِهِ يَأْمُرُهُمْ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الْحَقَّ، وَيُوَضِّحُهُ لَهُمْ، وَيَعِظُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ بَأْسَ اللهِ وَانْتِقَامَهُ.
- فَكَانَ فِيمَا كَتَبَ إِلَى والي خراسان عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ الْقُشَيْرِيِّ: **أَمَّا بَعْدُ**، فَكُنْ عَبْدًا لِلَّهِ نَاصِحًا لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِكَ مِنَ النَّاسِ وَحَقَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ، وَلَا تُوَلِّيَنَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا الْمَعْرُوفَ بِالنَّصِيحَةِ لَهُمْ، وَالتَّوْفِيرِ عَلَيْهِمْ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيمَا اسْتُرْعِيَ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَيْلُكَ مَيْلًا إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنِ اللهِ مَذْهَبًا؛ فَإِنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

⦿ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ [١]: إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، مَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ.[٢]

❁ ❁ ❁

(١) قال البخاري: عدي بن عدي سيد أهل الجزيرة، وقال ابن سعد كان ناسكًا فقيهًا، وهو صاحب عمر بن عبد العزيز، وولي الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لسليمان، وكان ثقة إن شاء الله، تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٨).

(٢) باب قول النبي (بني الإسلام على خمس)،كتاب الإيمان (١/ ١١) وانظر: تغليق التعليق (٢/ ١٩).

الفصل الثالث

ولاية البلدان والحج

تغييره لولاة الأقاليم

فِي سنة (٩٩هـ) عَزَلَ عُمَرُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَنْ إِمْرَةِ الْعِرَاقِ، وَبَعَثَ عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيَّ عَلَى إِمْرَةِ الْبَصْرَةِ. وَبَعَثَ عَلَى إِمْرَةِ الْكُوفَةِ وَأَرْضِهَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبَا الزِّنَادِ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَعَلَى خُرَاسَانَ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيَّ، وَعلى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ.

وَعَزَلَ عَنْ إِمْرَةِ مِصْرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ رِفَاعَةَ وَوَلَّى عَلَيْهَا أَيُّوبَ بْنَ شُرَحْبِيلَ.

وَجَعَلَ الْفُتْيَا فيها إِلَى جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَيَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ وَعُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُفْتُونَ النَّاسَ.

وَاسْتَعْمَلَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمَخْزُومِيَّ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ وَأَسْلَمَ فِي وِلَايَتِهِ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ.

وفِي سنة (١٠٠هـ) وَلَّى عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْجَزِيرَةَ، فَسَارَ إِلَيْهَا.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حج بالناس في سـنة (٩٩هـ) وسـنة (١٠٠هــ) أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْــنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ نَائِبُ الْمَدِينَةِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في خلافته

١-**عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَيْرِيزِ** بْنِ جُنَادَةَ بْنِ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ الْجُمَحِيُّ الْمَكِّيُّ، نَزِيلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ زَوْجِ أُمِّهِ أَبِي مَحْذُورَةَ الْمُؤَذِّنِ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وغيرهم. وَعَنْهُ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ وَمَكْحُولٌ وَآخَرُونَ. وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَكَانَ صَمُوتًا مُعْتَزِلًا لِلْفِتَنِ. وَكَانَ لَا يَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، تُوُفِّيَ سنة (٩٩هـ).

٢-**مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدِ** بْنِ عُقْبَةَ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَشْهَلِيُّ الْمَدَنِيُّ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَوَى عَنْهُ أَحَادِيث، لَكِنْ حُكْمُهَا الْإِرْسَالُ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: لَهُ صُحْبَةٌ. تُوُفِّيَ فِي سنة (٩٩هـ).

٣-**نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ** بْنِ مُطْعِمٍ ابْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ، الْقُرَشِيُّ النَّوْفَلِيُّ الْمَدَنِيُّ،رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَالْعَبَّاسِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ ثِقَةً عَابِدًا يَحُجُّ مَاشِيًا، وَمَرْكُوبُهُ يُقَادُ مَعَهُ، تُوُفِّيَ سنة (٩٩هـ).

٤-**كُرَيْبُ بْنُ مُسْلِمٍ** مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ عِنْدَهُ حِمْلُ كُتُبٍ، وَكَانَ مِنَ الثِّقَاتِ الْمَشْهُورِينَ بِالْخَيْرِ وَالدِّيَانَةِ، تُوُفِّيَ سنة (٩٩هـ).

٥-**مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ** بْنِ مُطْعِمٍ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهَا، وَلَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، تُوُفِّيَ فِي الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ سنة (٩٩هـ).

٦-**مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ**، أَبُو مُحَمَّدٍ لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ يَعْقِلُ مَجَّةً مَجَّهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعُ سِنِينَ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ سنة (٩٩هـ) وَعُمْرُهُ (٩٣) سَنَةً.

٧-**مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ** أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَصْرِيُّ، الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ، لَهُ رِوَايَاتٌ،كَانَ لَا يُفَضَّلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ عَابِدًا وَرِعًا زَاهِدًا كَثِيرَ الْخُشُوعِ، تُوُفِّيَ سنة (٩٩هـ).

٨-**حَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ عَمْرٍو الصَّنْعَانِيُّ كَانَ وَالِيَ إِفْرِيقِيَّةَ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. وتُوُفِّيَ غَازِيًا سنة (٩٩هـ).

٩-**خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنُ الضَّحَّاكِ**، الْأَنْصَارِيُّ الْمَدَنِيُّ الْفَقِيهُ، كَانَ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَائِهَا الْمَعْدُودِينَ، كَانَ عَالِمًا بِالْفَرَائِضِ وَتَقْسِيمِ الْمَوَارِيثِ، وَهُوَ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ مَدَارُ الْفَتْوَى عَلَى قَوْلِهِمْ، تُوُفِّيَ سنة (٩٩هـ).

١٠-**سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ الْأَشْجَعِيّ**، مَوْلَاهُمُ الْكُوفِيُّ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ رَوَى عَنْ ثَوْبَانَ، وَجَابِرٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَالنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ قَتَادَةُ، وَالْأَعْمَشُ، وَآخَرُونَ، وَكَانَ ثِقَةً نَبِيلًا جَلِيلًا، تُوُفِّيَ سنة (١٠٠هـ).

١١-**أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ** الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ الْمَدَنِيُّ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَآهُ وَحَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَمُعَاوِيَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَعَنْهُ الزُّهْرِيُّ، وَأَبُو حَازِمٍ، وَجَمَاعَةٌ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَانَ مِنْ عِلْيَةِ الْأَنْصَارِ وَعُلَمَائِهِمْ وَمِنْ أَبْنَاءِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا. تُوُفِّيَ سنة (١٠٠هـ).

١٢-**أَبُو الزَّاهِرِيَّةِ حُدَيْرُ بْنُ كُرَيْبٍ الْحِمْصِيُّ**، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، سَمِعَ أَبَا أُمَامَةَ صُدَي بنَ عَجْلَانَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ بُسْرٍ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، تُوُفِّيَ سنة (١٠٠هـ).

١٣-**أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ** بْنُ وَاثِلَةَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو اللَّيْثِيُّ الْكِنَانِيُّ، صَحَابِيٌّ، **وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَفَاةً** بِالْإِجْمَاعِ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَآهُ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ، وَذَكَرَ صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مُطْلَقًا وَمَاتَ سَنَةَ مِائَةٍ.

١٤-**أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ** وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلٍّ الْبَصْرِيُّ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَحَجَّ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَرَّتَيْنِ، وَأَسْلَمَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ، وَأَدَّى فِي زَمَانِهِ الزَّكَاةَ

ثَلَاثَ سِـنِينَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَمِثْلُ هَذَا يُسَـمِّيهِ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ مُخَضْرَمًا، تُوُفِّيَ سنة (١٠٠هـ).

١٥-**عَبْـدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،** وَكَانَ يَفْضُلُ عَلَى وَالِدِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ حِسَانٌ مَعَ أَبِيهِ وَوَعْظِهِ إِيَّاهُ. تُوُفِّيَ قبل والده بأشـهر في آخر سنة (١٠٠هـ).

❁ ❁ ❁

(٨)

خلافة
يزيد بن عبد الملك بن مروان

١٠١-١٠٥

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمــته

○ نسبه وأسرته

هُوَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

وله من الولد:(١) الوليد، تولى الخلافة وقتله يزيد بن الوليد بن عبدالملك، ويحيي، وعاتكة، وأمهم: أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، وعبدالله بن يزيد، وعائشة، وأمهما: سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، والغمر بن يزيد، وعبدالجبار، وسليمان، وأبا سفيان، وهشام، لابقية لهم، وداود، والعوام، لا عقب لهما، وأم كلثوم. لأمهات أولات شتى .

○ صفاته

كَانَ طَوِيلًا جَسِيمًا أَبْيَضَ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ، لَمْ يَشِبْ.

○ مناقبه

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ: حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ قَالَ: كَانَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، فَلَمَّا وَلِيَ مُعَاوِيَةُ وَرَّثَ الْمُسْلِمَ مِنَ الْكَافِرِ، وَلَمْ يُورِّثِ الْكَافِرَ مِنَ الْمُسْلِمِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَاجَعَ السُّنَّةَ الْأُولَى، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا قَامَ هِشَامٌ أَخَذَ بِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ. يَعْنِي أَنَّهُ وَرَّثَ الْمُسْلِمَ مِنَ الْكَافِرِ.(٢)

---

(١) لم يذكرهم ابن كثير، فجرى استكمالهم من نسب قريش للزبيري ص ١٦٦-١٦٧ .

(٢) تاريخ دمشق: ١٨/ ٣٣٨ (مخطوط). وهذه المسألة فيها خلاف (ضعيف) في ميراث المسلم من الكافر لا العكس، ولكن الراجح هو عدم التوارث كما هي السنة وكما رجع إليها عمر بن عبدالعزيز، لاختلاف الدين.

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ ابْنِ جَابِرٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ مَكْحُولٍ إِذْ أَقْبَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَهَمَمْنَا أَنْ نُوَسِّعَ لَهُ، فَقَالَ مَكْحُولٌ: دَعُوهُ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، يَتَعَلَّمُ التَّوَاضُعَ.(١)

قال ابن كثير:(٢) وَقَدْ كَانَ يَزِيدُ بن عبدالملك يُكْثِرُ مِنْ **مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ**، فَلَمَّا وَلِيَ عَزَمَ أَنْ يَتَأَسَّى بِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَمَا تَرَكَهُ قُرَنَاءُ السُّوءِ، وَحَسَّنُوا لَهُ الظُّلْمَ.

قَالَ حَرْمَلَةُ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: سِيرُوا بِسِيرَةِ عُمَرَ. فَمَكَثَ كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَأُتِيَ بِأَرْبَعِينَ شَيْخًا، فَشَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ مَا عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنْ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.(٣)

وَقَدِ اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ فِي الدِّينِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، إِنَّمَا ذَاكَ وَلَدُهُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ كَمَا سَيَأْتِي، أَمَّا هَذَا فَمَا كَانَ بِهِ بَأْسٌ.

○ وصية عمر له

وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: **أَمَّا بَعْدُ**، فَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا لِمَا بِي، وَمَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا سَيُفْضِي إِلَيْكَ، فَاللهَ اللهَ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّكَ عَمَّا قَلِيلٍ مَيِّتٌ، فَتَدَعُ الدُّنْيَا لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ، وَتُفْضِي إِلَى مَنْ لَا يَعْذِرُكَ، وَالسَّلَامُ.(٤)

○ خلافته

بُويِعَ لَهُ بِعَهْدٍ مِنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عُمَرُ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (١٠١هـ) بَايَعَهُ النَّاسُ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ، وكان ذلك يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. وفاته

(١) المصدر السابق ١٨/ ٣٣٩.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ١٣.
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٤٢.إذا صح هذا الخبر؛ فهؤلاء الذين شهدوا هم من غلاة المرجئة الذين لايرون تأثير العمل على الإيمان.
(٤) المصدر السابق ١٨/ ٣٤١

وَفِي سنة (١٠٥هـ) لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ تُوَفِّيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ **بِأَرْبِدَ** مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي الأردن، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ مَرَضُهُ بِالسُّـلِّ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَشَهْرًا عَلَى الْمَشْهُورِ.

وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ **الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ** وَعُمْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَقِيلَ: بَلْ صَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ، وَحُمِلَ عَلَى أَعْنَاقِ الرِّجَالِ، حَتَّى دُفِنَ بَيْنَ بَابِ الْجَابِيَةِ وَبَابِ الصَّغِيرِ بِدِمَشْقَ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
الأعمال والأحداث في عهده

ثورة الخوارج

فِي سنة (١٠١هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ أَصْحَاب بِسطَامٍ الْخَارِجِيِّ، وَبَيْنَ جُنْدِ الْكُوفَةِ، وَكَانَتِ الْخَوَارِجُ جَمَاعَةً قَلِيلَةً، وَكَانَ جَيْشُ الْكُوفَةِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَكَادَتِ الْخَوَارِجُ أَنْ تَكْسِرَهُمْ، فَتَذَامَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَطَحَنُوا الْخَوَارِجَ طَحْنًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُبْقُوا مِنْهُمْ ثَائِرًا.

خروج يزيد بن المهلب

وَفِي سنة (١٠١هـ) خَرَجَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فَخَلَعَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَقِتَالٍ طَوِيلٍ، فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهَا بَسَطَ الْعَدْلَ فِي أَهْلِهَا، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ.

وَحَبَسَ عَامِلَهَا عَدِيَّ بْنَ أَرْطَاةَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَبَسَ آلَ الْمُهَلَّبِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْبَصْرَةِ، حِينَ هَرَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ مَحْبَسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَلَمَّا ظَهَرَ عَلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ أَتَى بِعَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِنِّي لَأَتَعَجَّبُ مِنْ ضَحِكِكَ؛ لِأَنَّكَ هَرَبْتَ مِنَ الْقِتَالِ كَمَا تَهْرُبُ النِّسَاءُ، وَإِنَّكَ جِئْتَنِي وَأَنْتَ تُتَلُّ كَمَا يُتَلُّ الْعَبْدُ. **فَقَالَ عَدِيٌّ:** إِنِّي لَأَضْحَكُ لِأَنَّ بَقَائِي بَقَاءٌ لَكَ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِي طَالِبًا لَا يَتْرُكُنِي.

قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: جُنُودُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالشَّامِ لَا يَتْرُكُونَكَ، فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ إِلَيْكَ الْبَحْرُ بِأَمْوَاجِهِ، فَتَطْلُبَ الْإِقَالَةَ فَلَا تُقَالُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ يَزِيدُ جَوَابَ مَا قَالَ.

وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ، وَبَعَثَ نُوَّابَهُ فِي النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ، وَاسْتَنَابَ فِي الْأَهْوَازِ، وَأَرْسَلَ أَخَاهُ مُدْرِكَ بْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى نِيَابَةِ خُرَاسَانَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ.

فَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُهُ الْخَلِيفَةَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ جَهَّزَ ابْنَ أَخِيهِ **الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ** فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، مُقَدَّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ فِي جُنُودِ الشَّامِ قَاصِدِينَ الْبَصْرَةَ لِقِتَالِهِ.

وَلَمَّا بَلَغَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ مَخْرَجُ الْجُيُوشِ قَاصِدَةً إِلَيْهِ، خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا أَخَاهُ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ وَاسِطًا، وَاسْتَشَارَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي مَاذَا يَعْتَمِدُهُ؟ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فِي الرَّأْيِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ يَسِيرَ إِلَى الْأَهْوَازِ لِيَتَحَصَّنَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ فَقَالَ: إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُونِي طَائِرًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ.

وَأَشَارَ عَلَيْهِ رِجَالُ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ فَيَنْزِلَهَا، وَيَتَحَصَّنَ بِأَجْوَدِ حِصْنٍ فِيهَا، وَيُبَعِّضَ عَلَيْهِ رِجَالَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ فَيُقَاتِلُ بِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ.

وَانْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ نَازِلٌ بِوَاسِطٍ، وَجَيْشُ الشَّامِ قَاصِدُهُ.

وفي سنة (١٠٢هـ) التقى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، في مكان يُقَالُ لَهُ: الْعَقْرُ. فِي جُنُودٍ لَا قِبَلَ لِيَزِيدَ بِهَا، وَقَدِ الْتَقَتِ الْمُقَدَّمَتَانِ أَوَّلًا، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَهْلَ الشَّامِ، ثُمَّ تَذَامَرَ أَهْلُ الشَّامِ فَحَمَلُوا عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَكَشَفُوهُمْ، فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنَ الشُّجْعَانِ، مِنْهُمُ الْمَنْتُوفُ، وَكَانَ شُجَاعًا مَشْهُورًا.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مَسْلَمَةُ، وَابْنُ أَخِيهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ خَطَبَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ النَّاسَ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ مَعَ يَزِيدَ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَعَلَى كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَعَلَى أَنْ لَا تَطَأَ الْجُنُودُ بِلَادَهُمْ، وَعَلَى أَنْ لَا تُعَادَ عَلَيْهِمْ سِيرَةُ الْفَاسِقِ الْحَجَّاجِ، وَمَنْ بَايَعْنَا عَلَى ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ، وَمَنْ خَالَفَنَا قَاتَلْنَاهُ.

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الْكَفِّ **وَتَرْكِ الدُّخُولِ فِي الْفِتْنَةِ**، وَيَنْهَاهُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَذَلِكَ لِمَا وَقَعَ مِنَ الشَّرِّ الطَّوِيلِ فِي أَيَّامِ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَمَا قُتِلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ النُّفُوسِ الْعَدِيدَةِ، وَجَعَلَ الْحَسَنُ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَعِظُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى الْكَفِّ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ نَائِبَ الْبَصْرَةِ **مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ**، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْجِهَادِ وَالنَّفِيرِ إِلَى الْقِتَالِ، ثُمَّ قَالَ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَذَا الشَّيْخَ الضَّالَّ الْمُرَائِيَ وَلَمْ يُسَمِّهِ يُثَبِّطُ النَّاسَ عَنَّا، أَمَا وَاللهِ لَيَكُفَّنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ، وَتَوَعَّدَ الْحَسَنَ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنَ قَوْلُهُ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا أَكْرَهُ أَنْ يُكْرِمَنِي اللهُ بِهَوَانِهِ. فَسَلَّمَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْجُيُوشَ لَمَّا تَوَاجَهَتْ تَبَارَزَ النَّاسُ قَلِيلًا، وَلَمْ تَنْشَبِ الْحَرْبُ شَدِيدًا، فَلَمْ يَثْبُتْ أَهْلُ الْعِرَاقِ حَتَّى فَرُّوا سَرِيعًا، ثُمَّ رَامَ أَنْ يَرُدَّ الْمُنْهَزِمِينَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ، فَثَبَتَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَصَدَ نَحْوَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ، فَلَمَّا وَاجَهَهُ حَمَلَتْ عَلَيْهِ خُيُولُ الشَّامِ فَقَتَلُوهُ، وَقَتَلُوا مَعَهُ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ.

وَجَاءُوا بِرَأْسِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاسْتَحْوَذَ مَسْلَمَةُ عَلَى مَا فِي مُعَسْكَرِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ، وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ فِيهِمْ، فَجَاءَ كِتَابُ يَزِيدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِهِمْ.

وَلَمَّا انْتَهَتْ هَزِيمَةُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ إِلَى ابْنِهِ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ بِوَاسِطٍ، عَمَدَ إِلَى نَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِينَ أَسِيرًا فِي يَدِهِ فَقَتَلَهُمْ؛ **مِنْهُمْ** عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَابْنُهُ، وَمَالِكٌ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنَا مِسْمَعٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الْبَصْرَةَ وَمَعَهُ الْخَزَائِنُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَجَاءَ عَمُّهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، فَاجْتَمَعَ آلُ الْمُهَلَّبِ بِالْبَصْرَةِ، فَأَعَدُّوا السُّفُنَ، وَتَجَهَّزُوا أَتَمَّ الْجِهَازِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْهَرَبِ، فَسَارُوا بِعِيَالِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ، فَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ، حَتَّى أَتَوْا جِبَالَ **كَرْمَانَ** فَنَزَلُوهَا.

فَأَرْسَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ جَيْشًا، عَلَيْهِمْ هِلَالُ بْنُ أَحْوَزَ الْمَازِنِيُّ فِي طَلَبِ آلِ الْمُهَلَّبِ، فَلَحِقَهُمْ بِجِبَالِ كَرْمَانَ فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ قِتَالًا شَدِيدًا وانهزموا.

○ حصار الترك قصر الباهلي

وَذَلِكَ أَنَّ خَاقَانَ الْمَلِكَ الْأَعْظَمَ مَلِكَ التُّرْكِ، بَعَثَ جَيْشًا إِلَى الصُّغْدِ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي سنة (١٠٢هـ)، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: كُورْصُولُ. فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قَصْرِ الْبَاهِلِيِّ فَحَصَرَهُ وَفِيهِ خَلْقٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَصَالَحَهُمْ نَائِبُ سَمَرْقَنْدَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطَرِّفٍ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ سَبْعَةَ عَشَرَ دِهْقَانًا رَهَائِنَ عِنْدَهُمْ.

ثُمَّ نَدَبَ عُثْمَانُ النَّاسَ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْمُسَيَّبُ بْنُ بِشْرٍ الرِّيَاحِيُّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَسَارُوا نَحْوَ التُّرْكِ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ لِطَلَبِ الشَّهَادَةِ، فَرَجَعَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ يَخْطُبُهُمْ، وَيَرْجِعُ عَنْهُ بَعْضُهُمْ، حَتَّى بَقِيَ فِي سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ.

فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى واقف جَيْشَ الْأَتْرَاكِ، وَهُمْ مُحَاصِرُو ذَلِكَ الْقَصْرِ، وَقَدْ عَزَمَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ هُمْ فِيهِ عَلَى قَتْلِ نِسَائِهِمْ وَذَبْحِ أَوْلَادِهِمْ أَمَامَهُمْ، ثُمَّ يَنْزِلُونَ فَيُقَاتِلُونَ حَتَّى يُقْتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ الْمُسَيَّبُ يُثَبِّتُهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، فَثَبَتُوا وَمَكَثَ الْمُسَيَّبُ حَتَّى إِذَا كَانَ - وَقْتُ السَّحَرِ كَبَّرَ وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ، وَقَدْ جَعَلُوا شِعَارَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَى التُّرْكِ حَمْلَةً صَادِقَةً، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَعَقَرُوا دَوَابَّ كَثِيرَةً.

وَنَهَضَ إِلَيْهِمُ التُّرْكُ، فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، حَتَّى فَرَّ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ، وَضُرِبَتْ دَابَّةُ الْمُسَيَّبِ فِي عَجُزِهَا فَتَرَجَّلَ عَنْهَا، وَتَرَجَّلَ مَعَهُ الشُّجْعَانُ، فَقَاتَلُوا، وَهُمْ كَذَلِكَ قِتَالًا عَظِيمًا، وَالْتَفَّتِ الْجَمَاعَةُ بِالْمُسَيَّبِ، وَصَبَرُوا حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَفَرَّ الْمُشْرِكُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَارِبِينَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ.

وَقَدْ كَانَ الْأَتْرَاكُ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، فَنَادَى مُنَادِي الْمُسَيَّبِ: أَنْ لَا تَتْبَعُوا أَحَدًا مِنْهُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْرِ وَأَهْلِهِ. فَاحْتَمَلُوهُمْ وَحَازُوا مَا فِي مُعَسْكَرِ أُولَئِكَ الْأَتْرَاكِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ سَالِمِينَ بِمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَحْصُورِينَ، وَجَاءَتِ التُّرْكُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْقَصْرِ فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ دَاعِيًا وَلَا مُجِيبًا، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَقُونَا بِالْأَمْسِ لَمْ يَكُونُوا إِنْسًا، إِنَّمَا كَانُوا جِنًّا.

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتــوحــات

○ غزو بلاد الصغد

غَزَا سَـعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْحَرَشِيُّ أَمِيرُ خُرَاسَانَ سنة (١٠٣هـ) **بِلَادَ الصُّغْدِ**، وكانوا أهل صلح، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَعَانُوا الْكُفَّارَ عَلَى الْمُسْـلِمِينَ فِي حصار قصر الباهلي، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَـدِيدًا حَتَّى نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَلَّـوْا مُدْبِرِينَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَقَبَضَ مَا وَجَدَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ.

وفِي سـنة (١٠٤هـ) قَاتَلَ سَـعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْحَرَشِـيُّ نَائِبُ خُرَاسَـانَ أَهْـلَ الصُّغْدِ، وَحَاصَـرَ أَهْلَ خُجَنْدَةَ، وَقَتَـلَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَسَـرَ رَقِيقًا كَثِيرًا جِدًّا، وَكَتَـبَ بِذَلِـكَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَجَـدَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْعِرَاقِ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِذْ لَمْ يَكْتُبْ إِلَيْهِ .

○ فتح بلنجر

وَفِي سنة (١٠٤هـ) غَزَا الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ نَائِبُ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ أَرْضَ التُّرْكِ، فَفَتَحَ بَلَنْجَرَ وَهَزَمَ التُّرْكَ، وَغَرَّقَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ فِي الْمَاءِ، وَسَبَى مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَافْتَتَحَ عَامَّةَ الْحُصُونِ الَّتِي تَلِي بَلَنْجَرَ، وَأَجْلَى عَامَّةَ أَهْلِهَا.

○ غزو بِلَادَ اللَّانِ

فِـي سـنة (١٠٥هـ) غَزَا والي إِرْمِينِيَّـةَ وَأَذْرَبِيجَانَ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْـدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ بِلَادَ الـلَّانِ، وَفَتَـحَ حُصُونًا كَثِيرَةً، وَبِلَادًا مُتَّسِـعَةَ الْأَكْنَافِ مِـنْ وَرَاءِ بَلَنْجَـرَ، وَأَصَابَ غَنَائِمَ جَمَّةً، وَسَبَى خَلْقًا مِنْ أَوْلَادِ الْأَتْرَاكِ.

○ غزو بلاد الترك

فِي سـنة (١٠٥هـ) غَزَا مُسْـلِمُ بْنُ سَـعِيدٍ بِلَادَ التُّرْكِ، وَحَاصَرَ مَدِينَةً عَظِيمَةً مِنْ بِلَادِ الصُّغْدِ فَصَالَحَهُ مَلِكُهَا عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ.

○ غزو بلاد الروم

فِي سنة (١٠٥هـ) غَزَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِلَادَ الرُّومِ، فَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ سِرِّيَّةً أَلْفَ فَارِسٍ فَأُصِيبُوا جَمِيعًا

❁ ❁ ❁

ولاته على الأمصار

○ ولاية المدينة

عَـزَلَ يزيد بن عبدالملك فِي رَمَضَانَ سـنة (١٠١هـ) أَبَا بَكْـرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَـزْمٍ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَـةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْـدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْـسٍ، فَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ مُنَافَسَـاتٌ وَضَغَائِنُ، حَتَّى آلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنِ اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ حُكُومَةً فَحَدَّهُ حَدَّيْنِ فِيهَا.

○ ولاية مكة

في سنة (١٠١هـ)كان الوالي عَلَى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ.

○ ولاية الحرمين

فِي سنة (١٠٣هـ) جَمَعَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ بَيْنَ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَوَلَّى عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ اللهِ النَّضْرِيَّ نِيَابَةَ **الطَّائِفِ**.

وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (١٠٤هـ) عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ الْحَرَمَيْنِ، عَبْدَ الرَّحْمَـنِ بْـنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ، وولّـى عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّضْـرِيِّ نَائِبِ الطَّائِفِ الْمَدِينَةَ .

وَكَانَ **عبدالرحمـن بن الضحاك** قَدْ بَاشَـرَ نِيَابَةَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ سِـنِينَ وَأَشْـهُرًا، وَكَانَ **الزُّهْرِيُّ** قَدْ أَشَـارَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ سَدِيدٍ؛ وَهُوَ أَنْ يَسْأَلَ الْعُلَمَاءَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرٌ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَبْغَضَهُ النَّاسُ، وَذَمَّهُ الشُّعَرَاءُ، ثُمَّ كَانَ هَذَا آخِرَ أَمْرِهِ.

○ ولاية الكوفة

فِي سـنة (١٠١هـ) كان الوالـي عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْـدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ.

○ ولاية البصرة

وَأما البصرة فقد استولى عليها يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ سنة (١٠١هـ) وَخلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ.

○ وِلَايَةُ مَسْلَمَةَ عَلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ (١)

لَمَّا فَرَغَ مسلمة مِنْ حَرْبِ آلِ الْمُهَلَّبِ سنة (١٠٢هـ) كَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِوِلَايَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَخُرَاسَانَ، فَاسْتَنَابَ عَلَى الْكُوفَةِ وَعَلَى الْبَصْرَةِ، وَبَعَثَ عَلَى **خُرَاسَانَ سَعِيدَ** بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعاصِ، فَسَارَ إِلَيْهَا، فَحَرَّضَ أَهْلَهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ، وَعَاقَبَ عُمَّالًا مِمَّنْ كَانَ يَنُوبُ لِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَمَاتَ بَعْضُهُمْ تَحتَ الْعُقُوبَةِ.

وَفِي آخر سنة (١٠٢هـ) **عَزَلَ** أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ **أَخَاهُ مَسْلَمَةَ** عَنْ إِمْرَةِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَصْرِفُ أَمْوَالَ الْغَنِيمَةِ فِيمَا يُرِيدُ، وَلَمْ يَصْرِفْ إِلَى أَخِيهِ يَزِيدَ شَيْئًا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، فَعَزَلَهُ عَنْهَا، وَوَلَّى عَلَيْهَا بَدَلَهُ **عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ**.

○ ولاية خراسان

فِي سنة (١٠٣هـ) عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ والي خراسان، سَعِيدَ بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم، وَوَلَّى عَلَيْهَا سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ، بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ سَعِيد الحرشي مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ، انْزَعَجَ لَهُ التُّرْكُ، وَخَافُوهُ خَوْفًا شَدِيدًا، وَتَقَهْقَرُوا مِنْ بِلَادِ الصُّغْدِ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الصِّينِ وَغَيْرِهَا.

وَفِي سنة (١٠٤هـ) عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ، سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، فَلَمَّا عَزَلَهُ أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَاقَبَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَوَلَّى عَلَى خُرَاسَانَ **مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدِ** بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زُرْعَةَ الْكِلَابِيَّ، فَسَارَ إِلَيْهَا، فَاسْتَخْلَصَ أَمْوَالًا كَانَتْ مُنْكَسِرَةً فِي أَيَّامِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ.

(١) يلاحظ كثرة تبديل الولاة وعدم استقرارهم، ثم مؤاخذتهم بالمصادرة والسجن والتهديد بالقتل، ومثل هذا استغله الدعاة العباسيون لصالحهم.

ولايــة الحــج(١)

حَـجَّ بِالنَّاسِ فِي سـنة (١٠١هـ) وسـنة(١٠٢هـ) وسـنة (١٠٣هـ) عَبْـدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ.

وَحَـجَّ بالناس فِي سـنة (١٠٤هـ) عَبْـدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَبْـدِ اللهِ النَّضْرِيُّ أَمِيـرُ الْحَرَمَيْنِ وَالطَّائِفِ.

❁ ❁ ❁

(١) لم يحج الخليفة زمن ولايته .

مشاهير من توفي في خلافته

١-رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ، تُوُفِّي سنة (١٠١هـ) .

٢-مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ، تُوُفِّي سنة (١٠١هـ) .

٣- أَبُو صَالِح السَّمَّانُ وَكَانَ عَابِدًا صَادِقًا ثَبْتًا، تُوُفِّي سنة (١٠١هـ) . وَقَدْ تَرْجَمْنَاهُ فِي كِتَابِنَا «التَّكْمِيل».

٤- عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ الْفَزَارِيُّ، نَائِبُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَهُوَ الَّذِي قَبَضَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَبَعَثَ بِهِ مُقَيَّدًا إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وقد قتله سنة (١٠٢هـ) مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَقَتَلَ مَعَهُ جَمَاعَةً نَحْوَ ثَلَاثِينَ إِنْسَانًا.

٥- يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ كَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَهُ فُتُوحَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ جَوَادًا مُمَدَّحًا، لَهُ أَخْبَارٌ فِي الْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَآخِرُ أَمْرِهِ أَنَّهُ قُتِلَ سنة (١٠٢هـ)، وَقُتِلَ مِنْ إِخْوَتِهِ وَأَوْلَادِهِ جَمَاعَةٌ، وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ وَنِسَاؤُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَزَالَ مَا كَانَ فِيهِ، وَقَدْ كَانُوا نَحْوَ ثَمَانِينَ نَفْسًا.

وَقَدْ جَمَعُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ، فَمَا أَفَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا بَلْ سُلِبُوا ذَلِكَ جَمِيعَهُ.

٦- الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْهِلَالِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُرَاسَانِيُّ، سكن بَلْخ وَسَمَرْقَنْدَ وَنَيْسَابُورَ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَصِحَّ لَهُ سَمَاعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى وَلَا مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ جَاوَرَهُ سَبْعَ سِنِينَ.

وَكَانَ الضَّحَّاكُ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ، **قَالَ الثَّوْرِيُّ**: خُذُوا التَّفْسِيرَ عَنْ أَرْبَعَةٍ ؛ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: هُوَ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ. وَقَالَ

ابْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ: هُوَ ثِقَةٌ. وَكَانَ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ حِسْبَةً، توفي سنة (١٠٢هـ) وَقَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ.

٧- أَبُو الْمُتَوَكِّلِ عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ النَّاجِيُّ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، ثِقَةٌ، رَفِيعُ الْقَدْرِ، توفي سنة (١٠٢هـ).

٨- يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَدَنِيُّ، توفي سنة (١٠٣هـ).

٩- عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ الْهِلَالِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاصُّ الْمَدَنِيُّ، مَوْلَى مَيْمُونَةَ، وَهُوَ أَخُو سُلَيْمَانَ، وَعَبْدِ اللهِ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ تَابِعِيٌّ. وَرَوَى هَذَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، توفي سنة (١٠٣هـ) بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

١٠- مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ الْمَكِّيُّ، أَبُو الْحَجَّاجِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، مَوْلَى السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ، كَانَ مِنْ أَخِصَّاءِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالتَّفْسِيرِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَخَذَ ابْنُ عُمَرَ بِرِكَابِي وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ابْنِي سَالِمًا وَغُلَامِي نَافِعًا يَحْفَظَانِ حِفْظَكَ.

وَقَالَ أيضا: عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَرَّتَيْنِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا.

مَاتَ مُجَاهِدٌ وَهُوَ سَاجِدٌ، سنة (١٠٣هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

١١- مُصْعَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، تَابِعِيٌّ ثِقَةٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ، توفي سنة (١٠٣هـ).

١٢- مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ كَانَ يُلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ لِصَلَاحِهِ، كَانَ تَابِعِيًّا جَلِيلَ الْقَدْرِ، مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، توفي سنة (١٠٣هـ).

١٣- خَالِدُ بْنُ مَعْدَانِ الْكَلَاعِيُّ، كان تابعياً جليلاً ومن العلماء وأئمة الدين المعدودين، كان إمام أهل حمص توفي سنة (١٠٤هـ).

١٤- عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، ثِقَةٌ مَشْهُورٌ، توفي سنة (١٠٤هـ).

١٥- **عَامِرُ بْنُ شَـرَاحِيلَ** الشَّـعْبِيُّ، كان علّامة أهل الكوفة، وإمامـًا حافظـًا ذا فنون، قد أدرك خلقـًا من الصحابة، توفي سنة (١٠٤هـ) .

١٦- **أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَـى الْأَشْعَرِيُّ،** تَوَلَّى قَضَاءَ الْكُوفَةِ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ، ثُمَّ عَزَلَهُ الْحَجَّاجُ، وَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا بَكْرٍ بن أبي موسى، وَكَانَ أَبُو بُرْدَةَ فَقِيهًا حَافِظًا عَالِمًا، لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ، توفي سنة (١٠٤هـ) .

١٧- **أَبُـو قِلَابَةَ الْجَرْمِيُّ**، عبدالله بـن زيد البصري ، له روايات عن جماعة من الصحابة وغيرهـم، وكان من كبـار الأئمة والفقهـاء، وطُلِب للقضاء فهـرب منه وتغرب، فنزل داريّا بالشام وبها توفي سنة (١٠٤هـ) .

(٩)

خلافة
هشام بن عبد الملك بن مروان

١٠٥ـ١٢٥

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُوَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، أَبُو الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَأُمُّهُ أُمُّ هِشَامٍ بِنْتُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ.

تكملة:

لم يذكر ابن كثير شيئاً عن أسرته، وقد ذكر مصعب الزبيري في نسب قريش[١] ذلك كما يلي: **ولد هشام بن عبدالملك**: مسلمة، ويزيد، ومحمد، وأم يحيي، وأم هشام، **وأمهم** أم حكيم بنت يحيي بن الحكم بن أبي العاص . وعبدالله هشام، وعائشة بنت هشام، **وأمهما** عبدة بنت الأسوار بن يزيد بن معاوية.

ومروان بن هشام، **وأمه** أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

ومعاوية وسعيداً، **وأمهما** أم ولد . ومن ولد معاوية بن هشام أبان بن معاوية، وكان فارساً، وعبدالرحمن بن معاوية بن هشام، وهو الملقب بالداخل، والذي غلب على الأندلس بعد سقوط دولتهم في المشرق.

وسليمان بن هشام، **وأمه** أم ولد، قتلته المسوّدة، وكان خالف مروان بن محمد الجعدي .

وعبدالرحمن وقريشاً، **وأمهما** أم ولد. وزينب وأم سلمة، **وأمهما** أم ولد.

❁ ❁ ❁

---

(١) ص١٦٧.

صفاته

كَانَ جَمِيلًا، أَبْيَضَ، أَحْوَلَ، يُخَضِّبُ بِالسَّوَادِ، وَكَانَ فِي خِلَافَتِهِ حَازِمَ الرَّأْيِ، جَمَّاعًا لِلْأَمْوَالِ يُبَخَّلُ، وَكَانَ ذَكِيًّا، مُدَبِّرًا، لَهُ بَصَرٌ بِالْأُمُورِ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، **وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ وَأَنَاةٌ.**

⊙ دخل هشام بن عبدالملك مَكَّةَ في حجته سنة (١٠٦هـ) فعَرَضَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ محمد بن طَلْحَةَ التيمي أثناء طوافه، **فَتَظَلَّمَ إِلَيْهِ فِي دار لآل طلحة أخذها نافع بن علقمة** لماّ كان واليًا على مكة لعبدالملك، فَقَالَهُ لَهُ: أَيْنَ كُنْتَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ؟ قَالَ: ظَلَمَنِي. قَالَ: فَالْوَلِيدِ؟ قَالَ: ظَلَمَنِي. قَالَ: فَسُلَيْمَانَ؟ قَالَ: ظَلَمَنِي. قَالَ: فَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ قَالَ: رَدَّهَا عَلَيَّ. قَالَ: فَيَزِيدَ؟ قَالَ: انْتَزَعَهَا مِنْ يَدِي وَهِيَ الْآنَ فِي يَدِكَ. فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: **أَمَا لَوْ كَانَ فِيكَ مَضْرِبٌ لَضَرَبْتُكَ.** - وقد كان شيخًا كبيراً أعرج- فَقَالَ: بَلَى فِيَّ مَضْرِبٌ بِالسَّيْفِ وَالسَّوْطِ. فَانْصَرَفَ هِشَامٌ عَنْهُ، وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مَعَهُ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْ هَذَا.[(١)]

⊙ شَتَمَ مَرَّةً رَجُلًا مِنَ الْأَشْرَافِ، فَقَالَ: أَتَشْتُمُنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ؟ فَاسْتَحْيَا وَقَالَ: اقْتَصَّ مِنِّي بَدَلَهَا. أَوْ قَالَ: بِمِثْلِهَا. فَقَالَ: إِذَنْ أَكُونُ سَفِيهًا مِثْلَكَ. قَالَ: فَخُذْ عِوَضًا مِنْهَا. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: فَاتْرُكْهَا لِلَّهِ. قَالَ: هِيَ لِلَّهِ، ثُمَّ لَكَ. فَقَالَ هِشَامٌ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللهِ لَا أَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا.

⊙ وَكَانَ هِشَامٌ مِنْ **أَكْرَهِ النَّاسِ لِسَفْكِ الدِّمَاءِ.**

⊙ قَالَ: وَأَغْلَظَ لِهِشَامٍ رَجُلٌ يَوْمًا فِي الْكَلَامِ فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا لِإِمَامِكَ.[(٢)]

⊙ قَالَ: وَتَفَقَّدَ أَحَدَ وَلَدِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ: مَا لَكَ لَمْ تَشْهَدِ الْجُمُعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَغْلَتِي عَجَزَتْ عَنِّي. فَبَعَثَ إِلَيْهِ: أَمَا كَانَ يُمْكِنُكَ الْمَشْيُ. وَمَنَعَهُ أَنْ يَرْكَبَ سَنَةً.[(٣)]

(١) الزبيري، نسب قريش ص٢٨٣.
(٢) تاريخ الطبري، ٧/ ٢٠٤.
(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٠٤.

⊙ قَالُوا: وَرَأَى قَوْمًا يَفْرِطُونَ الزَّيْتُونَ، فَقَالَ: الْقُطُوهُ لَقْطًا، وَلَا تَنْفُضُوهُ نَفَضًا، فَتُفْقَأَ عُيُونُهُ وَتَنْكَسِرَ غُصُونُهُ.(١)

⊙ وَكَانَ يَقُولُ: **ثَلَاثَةٌ لَا يَضَعْنَ الشَّرِيفَ**؛ تَعَاهُدُ الضيعَةِ، وَإِصْلَاحُ الْمَعِيشَةِ، وَطَلَبُ الْحَقِّ وَإِنْ قَلَّ.(٢)

⊙ وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ،(٣) عَنْ وَسْنَانَ الْأَعْرَجِيِّ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي نُحَيْلَةَ، عَنْ عَقَّالِ بْنِ شَبَّةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى هِشَامٍ وَعَلَيْهِ قَبَاءُ فَنَكٍ أَخْضَرُ، فَوَجَّهَنِي إِلَى خُرَاسَانَ، ثُمَّ جَعَلَ يُوصِينِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْقَبَاءِ، فَفَطِنَ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: رَأَيْتُ عَلَيْكَ قَبَاءَ فَنَكٍ أَخْضَرَ قَبْلَ أَنْ تَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَجَعَلْتُ أَتَأَمَّلُ هَذَا؛ أَهْوَ ذَاكَ أَمْ غَيْرُهُ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ذَاكَ، مَا لِي قَبَاءٌ غَيْرُهُ، وَأَمَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ جَمْعِي لِهَذَا الْمَالِ وَصَوْنِهِ فَإِنَّهُ لَكُمْ. **قَالَ عَقَّالٌ: وَكَانَ هِشَامٌ مَحْشُوًّا عَقْلًا.**

⊙ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ عَمِّ السَّفَّاحِ:(٤) جَمَعْتُ دَوَاوِينَ بَنِي أُمَيَّةَ فَلَمْ أَرَ أَصْلَحَ لِلْعَامَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ دِيوَانِ هِشَامٍ.

⊙ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ غَيْلَانَ الْقَدَرِيَّ وَلَمَّا أُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ! قُلْ مَا عِنْدَكَ، إِنْ كَانَ حَقًّا اتَّبَعْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا رَجَعْتَ عَنْهُ. فَنَاظَرَهُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ فَقَالَ لِمَيْمُونٍ: أَشَاءَ اللهُ أَنْ يُعْصَى؟ فَقَالَ لَهُ مَيْمُونٌ: أَيُعْصَى اللهُ كَارِهًا؟ فَسَكَتَ غَيْلَانُ، فَقَيَّدَهُ حِينَئِذٍ هِشَامٌ وَقَتَلَهُ.(٥)

○ خلافته

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِعَهْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (١٠٥هـ)، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٨/ ٤١١.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٠١.
(٣) انظر: تاريخ الطبري ٧/ ٢٠١.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ٨/ ٣٩١.
(٥) تاريخ الطبري ٧/ ٢٠٣،وابن الأثير، الكامل ٧/ ٢٦٣.

وَهُوَ الرَّابِعُ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ لِصُلْبِهِ الَّذِينَ وُلُّوا الْخِلَافَةَ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّهُ بَالَ فِي الْمِحْرَابِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَدَسَّ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مَنْ سَأَلَهُ عَنْهَا، فَفَسَّرَهَا لَهُ بِأَنَّهُ يَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ وَلَدِهِ أَرْبَعَةٌ، فَوَقَعَ ذَلِكَ، فَكَانَ هِشَامٌ آخِرَهُمْ.

○ وفاته

كَانَتْ وَفَاتُهُ بِالرُّصَافَةِ[1] يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ **(١٢٥هـ)**، وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: إِنَّهُ جَاوَزَ السِّتِّينَ. وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، وَكَانَتْ خِلَافَةُ هِشَامٍ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقِيلَ: وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٌ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرُوا أَنَّ هِشَامًا نَظَرَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَهُمْ يَبْكُونَ حَوْلَهُ، فَقَالَ: جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ، وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ، وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا كَسَبَ، مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ.[2].

قال ابن كثير:[3] لَمَّا مَاتَ هِشَامٌ تَوَلَّى مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ وَاضْطَرَبَ أَمْرُهُمْ جِدًّا، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَأَخَّرَتْ أَيَّامُهُمْ بَعْدَهُ نَحْوًا مِنْ سَبْعِ سِنِينَ، وَلَكِنْ فِي اخْتِلَافٍ وَهَيْجٍ، وَمَا زَالُوا حَتَّى خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو الْعَبَّاسِ فَاسْتَلَبُوهُمْ نِعْمَتَهُمْ وَمُلْكَهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَسَلَبُوهُمُ الْخِلَافَةَ.

❁ ❁ ❁

---

(١) الرصافة: مدينة أنشأها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وهي على شط نهر الفرات، واتخذها مقراً له، وتسمى رصافة هشام تمييزاً لها عن غيرها. معجم البلدان (٣/ ٤٧).

(٢) مختصر تاريخ دمشق٢٧/ ١٠٤ .والمنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٤٦.

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ١٥٩ . قلت: وهشام يتحمل جزءاً من هذا، حيث اتضح له فسق يزيد بن الوليد، وعدم صلاحيته للخلافة، فترك الأمر ولم يحسمه، مما أوقف الخلاف بين أمراء البيت الأموي وأضعف وحدتهم.

الفصل الثاني

الأعمال والأحداث في عهده

○ خروج طائفة من الخوارج

⦿ فِي سنة (١٠٧هـ) خَرَجَ بِالْيَمَنِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبَّادٌ الرُّعَيْنِيُّ. فَدَعَا إِلَى مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، وَاتَّبَعَهُ فِرْقَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَحَكَمُوا، فَقَاتَلَهُمْ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ والي اليمن فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ، وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

⦿ وَفِي سنة (١١٩هـ) خَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بُهْلُولُ بْنُ بِشْرٍ. وَاتَّبَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْخَوَارِجِ دُونَ الْمِائَةِ، وَقَصَدُوا قَتْلَ **والي العراق خَالِدٍ** الْقَسْرِيِّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْبُعُوثَ، فَكَسَرُوا الْجُيُوشَ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ جِدًّا؛ لِشَجَاعَتِهِمْ وَجَلَدِهِمْ، وَقِلَّةِ نُصْحِ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ مِنَ الْجُيُوشِ، فَرَدُّوا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْأُلُوفِ الْمُؤَلَّفَةِ، الْمُوقَرَةِ بِالْأَسْلِحَةِ وَلَمْ يَبْلُغُوا الْمِائَةَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ رَامُوا قُدُومَ الشَّامِ لِقَتْلِ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ فَقَصَدُوا نَحْوَهَا، فَاعْتَرَضَهُمْ جَيْشٌ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا، فَقَتَلُوا عَامَّةَ أَصْحَابِ بُهْلُولٍ الْخَارِجِيِّ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ جَدِيلَةَ يُكَنَّى أَبَا الْمَوْتِ ضَرَبَ بُهْلُولًا ضَرْبَةً فَصَرَعَهُ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا جَمِيعُهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا.

⦿ ثُمَّ تَجَمَّعَ طَائِفَةٌ أخرى مِنْ الخوارج سنة (١١٩هـ) عَلَى بَعْضِ أُمَرَائِهِمْ، فَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا وَقَتَلُوا، وَجُهِّزَتْ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ الْقَسْرِيِّ، وَلَمْ يَزَلْ يقاتلهم حَتَّى أَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⦿ وَفِي سنة (١١٩هـ) خَرَجَ الصُّحَارِيُّ بْنُ شَبِيبٍ الْخَارِجِيُّ، وَاتَّبَعَهُ طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ خَالِدٌ الْقَسْرِيُّ جُنْدًا، فَقَتَلُوهُ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ، فَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْهُمْ رَجُلًا وَاحِدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ دعوة خداش الخرّميّ وقتله

فِي سنة (١١٨هـ) قَصَدَ شَخْصٌ يُقَالُ لَهُ: عَمَّارُ بْنُ يَزِيدَ. ثُمَّ تَسَمَّى بِخِدَاشٍ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى خِلَافَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَاسْتَجَابَ لَهُ

خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا الْتَفُّوا عَلَيْهِ دَعَاهُمْ إِلَى مَذْهَبِ الْخُرَّمِيَّةِ[(١)] الزَّنَادِقَةِ وَأَبَاحَ لَهُمْ نِسَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَزَعَمَ لَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ، فَأَظْهَرَ اللهُ عَلَيْهِ الدَّوْلَةَ، فَأُخِذَ فَجِيءَ بِهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ أَمِيرِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدُهُ وَسُلَّ لِسَانُهُ ثُمَّ صُلِبَ بَعْدَ ذَلِكَ.

○ تكرار وقوع الطاعون

وَقَعَ بِالشَّامِ طَاعُونٌ شَدِيدٌ فِي سنة (١٠٧هـ) ثم تكرر وقوعه في سنة (١١٥هـ).

وفي سنة (١١٦هـ) وَقَعَ طَاعُونٌ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَكَانَ مُعْظَمُ ذَلِكَ فِي وَاسِطَ.

○ قتل المغيرة بن سعيد الساحر

في سنة (١١٩هـ) قَتَلَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ، الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ وَجَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ تَابَعُوهُ عَلَى بَاطِلِهِ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ سَاحِرًا فَاجِرًا شِيعِيًّا خَبِيثًا.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[(٢)] ثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، ثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: لَوْ أَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يُحْيِيَ عَادًا وَثَمُودَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا لَأَحْيَاهُمْ.

قَالَ الْأَعْمَشُ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَيَتَكَلَّمُ، فَيُرَى مِثْلُ الْجَرَادِ عَلَى الْقُبُورِ.

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى سِحْرِهِ وَفُجُورِهِ.

وَلَمَّا بَلَغَ خَالِدًا أَمْرُهُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ، فَجِيءَ بِهِ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ أَوْ سَبْعَةِ نَفَرٍ، فَأَمَرَ خَالِدٌ فَأُبْرِزَ سَرِيرُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَطْنَانِ الْقَصَبِ، وَالنِّفْطِ فَصُبَّ فَوْقَهَا، وَأَمَرَ

---

(١) قال ابن حزم: في الفصل ١/ ٣٤ الخرمية: فرقة من فرق المزدكية وهم سر مذهب الإسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبني عبيد.
وقال السمعاني :في الأنساب ٢/ ٣٥٢ الخرمي: هذه النسبة إلى طائفة من الباطنية يدينون بمايريدون ويشتهون، وإنما لقبوا بذلك لإباحتهم المحرمات ونكاح ذوات المحارم.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ١٢٨ ومابعدها.

الْمُغِيرَةَ أَنْ يَحْتَضِنَ طُنًّا مِنْهَا، فَامْتَنَعَ فَضُرِبَ حَتَّى احْتَضَنَ مِنْهَا طُنًّا وَاحِدًا، وَصَبَّ فَوْقَ رَأْسِهِ النِّفْطَ، ثُمَّ أَضْرَمَ بِالنَّارِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِبَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ، قَبَّحَهُمُ اللهُ.

○ وفاة أمير خراسان أسد القسري

فِي سنة (١٢٠هـ) كَانَتْ وَفَاةُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ أَمِيرَ خُرَاسَانَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ **دُبَيْلَةٌ**[١] فِي جَوْفِهِ،

فَلَمَّا كَانَ مَهْرَجَانُ[٢] هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَتِ الدَّهَاقِينُ - وَهُمْ أُمَرَاءُ الْمُدُنِ الْكِبَارِ - مِنْ سَائِرِ الْبُلْدَانِ بِالْهَدَايَا وَالتُّحَفِ عَلَى أَسَدٍ، وَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ نَائِبُ هَرَاةَ وَدِهْقَانُهَا، فَقَدِمَ بِهَدَايَا عَظِيمَةٍ وَتُحَفٍ غَزِيرَةٍ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ (مجسم) قَصْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَصْرٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَأَبَارِيقُ مَنْ ذَهَبٍ، وَصِحَافٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَتَفَاصِيلُ مِنْ حَرِيرِ تِلْكَ الْبِلَادِ أَلْوَانٌ مُلَوَّنَةٌ، فَوَضَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ بَيْنَ يَدَيْ أَسَدٍ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَجْلِسُ.

ثُمَّ قَامَ الدِّهْقَانُ خَطِيبًا، فَامْتَدَحَ أَسَدًا بِخِصَالٍ حَسَنَةٍ؛ عَلَى عَقْلِهِ وَرِيَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَمَنْعِهِ أَهْلَهُ وَخَاصَّتَهُ أَنْ يَظْلِمُوا أَحَدًا مِنَ الرَّعَايَا بِشَيْءٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَأَنَّهُ قَهَرَ الْخَاقَانَ الْأَعْظَمَ، وَكَانَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ، فَكَسَرَهُ وَقَتَلَهُ، وَأَنَّهُ يَفْرَحُ بِمَا يَفِدُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَهُوَ بِمَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ أَفْرَحُ وَأَشَدُّ سُرُورًا.

فَأَثْنَى عَلَيْهِ أَسَدٌ وَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ فَرَّقَ أَسَدٌ جَمِيعَ تِلْكَ الْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ وَمَا هُنَالِكَ أَجْمَعُ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْأَكَابِرِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ.

ثُمَّ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَهُوَ عَلِيلٌ مِنْ تِلْكَ الدُّبَيْلَةِ، ثُمَّ أَفَاقَ إِفَاقَةً، وَجِيءَ بِهَدِيَّةٍ كُمَّثْرَى، فَجَعَلَ يُفَرِّقُهَا عَلَى الْحَاضِرِينَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، ثم **انْفَجَرَتْ دُبَيْلَتُهُ، فَكَانَ فِيهَا حَتْفُهُ.**

---

(١) الدبيلة: خُراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً، وكل شيء جمع فقد دبل. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٩٩.

(٢) المهرجان: عيد من أعياد العجم.

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَمَلِهِ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيُّ فَمَكَثَ أَمِيرًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى جَاءَ عَهْدُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي رَجَبٍ مِنْهَا.

○ عزل خالد القسري عن ولاية العراق

فِي سنة (١٢٠هـ) عَزَلَ هِشَامٌ بن عبدالملك خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ عَنْ نِيَابَةِ الْعِرَاقِ[١] وَذَلِكَ أَنَّهُ غضب مِنْهُ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ مِنْ إطْلَاقِ عِبَارَةٍ فِيهِ؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عَنْهُ: إِنَّهُ ابْنُ الْحَمْقَاءِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ غِلْظَةٌ، فَرَدَّ عَلَيْهِ هِشَامٌ رَدًّا عَنِيفًا.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ حَسَدَهُ[٢] عَلَى سَعَةِ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ وَالْغَلَّاتِ، **حَتَّى قِيلَ**: إِنَّهُ كَانَ دَخْلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ. وَقِيلَ: دِرْهَمٌ. وَلِوَلَدِهِ يَزِيدَ بْنِ خَالِدٍ عَشَرَةُ آلَافِ أَلْفٍ.

ثُمَّ إِنَّ هِشَامًا عَزَلَ خَالِدًا وَأَخْفَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ الْبَرِيدَ إِلَى نَائِبِهِ عَلَى الْيَمَنِ، وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَوَلَّاهُ إِمْرَةَ الْعِرَاقِ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهَا وَالْقُدُومِ عَلَيْهَا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَدِمُوا الْكُوفَةَ وَقْتَ السَّحَرِ، فَدَخَلُوهَا، فَلَمَّا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَمَرَهُ يُوسُفُ بِالْإِقَامَةِ، فَقَالَ: إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الْإِمَامُ - يَعْنِي خَالِدًا - فَانْتَهَرَهُ، وَأَمَرَهُ بِالْإِ
يُوسُفُ فَصَلَّى وَقَرَأَ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾.

ثُمَّ انْصَرَفَ فَبَعَثَ إِلَى خَالِدِ الْقَسْرِي وَأَصْحَابِهِ، فَأُحْضِرُوا فَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، صَادَرَ خَالِدًا بِمِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وكَانَتْ وِلَايَةُ خَالِدٍ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَةٍ، وَعُزِلَ عَنْهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَذَهَبَ جَمِيعُ مَا كَانَ اقْتَنَاهُ وَحَصَّلَهُ خَالِدٌ مِنَ الْعَقَارِ وَالْأَمْلَاكِ وَهْلَةً وَاحِدَةً.

وَقَدْ كَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لَمَّا بَلَغَهُمْ عَتْبُ هِشَام عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ يَعْرِضُ عَلَيْهِ بَعْضَ أَمْلَاكِهِ، فَمَا أَحَبَّ مِنْهَا أَخَذَهُ وَمَا شَاءَ تَرَكَ، وَقَالُوا لَهُ: لِأَنْ يَذْهَبَ الْبَعْضُ

(١) عن سبب عزل هشام لخالد القسري، انظر :تاريخ الطبري ٧/ ١٤٣-١٤٦.

(٢) هذا فساد مالي عند الوالي وحاشيته، فأراد الخليفة محاسبته عليه.

وَيَبْقَى الْبَعْضُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَذْهَبَ الْجَمِيعُ مَعَ الْعَزْلِ. فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَاغْتَرَّ بِالدُّنْيَا، وَعَزَّتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَذِلَّ، فَفَجَأَهُ الْعَزْلُ، وَذَهَبَ مَا كَانَ حَصَّلَهُ وَجَمَعَهُ وَمَنَعَهُ.

○ ثورة زيد بن علي ومقتله

ذكر الطبري: أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الشِّيعَةِ في سنة (١٢١هـ) الْتَفَّتْ عَلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَنَهَاهُ بَعْضُ النُّصَحَاءِ عَنِ الْخُرُوجِ، فقال له مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: **إِنَّ جَدَّكَ خَيْرٌ مِنْكَ**. وَقَدِ الْتَفَّتْ عَلَى بَيْعَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ثَمَانُونَ أَلْفًا، ثُمَّ خَانُوهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِمْ، وَإِنِّي أُحَذِّرُكَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

فَلَمْ يَقْبَلْ بَلِ اسْتَمَرَّ يُبَايِعُ النَّاسَ فِي الْبَاطِنِ بِالْكُوفَةِ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، حَتَّى اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ بِهَا فِي الْبَاطِنِ، وَهُوَ يَتَحَوَّلُ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ، ثم واعدهم الخروج في أول سنة (١٢٢هـ) وَالتَّأَهُّبِ لَهُ، فَشَرَعُوا فِي أَخْذِ الْأُهْبَةِ لِذَلِكَ.

فَانْطَلَقَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: سُلَيْمَانُ بْنُ سُرَاقَةَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ نَائِبِ الْعِرَاقِ فَأَخْبَرَهُ - وَهُوَ بِالْحِيرَةِ يَوْمَئِذٍ - خَبَرَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَبَعَثَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَطْلُبُهُ وَيُلِحُّ فِي طَلَبِهِ، فَلَمَّا عَلِمَتِ الشِّيعَةُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَقَالُوا لَهُ: مَا قَوْلُكَ يَرْحَمُكَ اللهُ، فِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ اللهُ لَهُمَا، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَتَبَرَّأُ مِنْهُمَا، وَأَنَا لَا أَقُولُ فِيهِمَا إِلَّا خَيْرًا.

قَالُوا: فَلِمَ تَطْلُبُ إِذًا بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَأْثَرُوا عَلَيْنَا بِهِ وَدَفَعُونَا عَنْهُ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِهِمْ كُفْرًا، وقَدْ وَلُوا فَعَدَلُوا، وَعَمِلُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالُوا: فَلِمَ تُقَاتِلُ هَؤُلَاءِ إِذًا؟ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا كَأُولَئِكَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ ظَلَمُوا النَّاسَ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنِّي أَدْعُو إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِمَاتَةِ الْبِدَعِ، فَإِنْ تَسْمَعُوا يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ وَلِي، وَإِنْ تَأْبَوْا فَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): فعند ذلك رَفَضُوا وَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَنَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَتَرَكُوهُ، فَلِهَذَا سُمُّوا الرَّافِضَةَ مِنْ يَوْمِئِذٍ، وَمَنْ تَابَعَهُ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَوْلِهِ سُمُّوا **الزَّيْدِيَّةِ. وقوله فِيهِ حَقٌّ** ؛ وَهُوَ تَعْدِيلُ الشَّيْخَيْنِ، **وَبَاطِلٌ** ؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا، **وَلَيْسَ عَلِيٌّ مُقَدَّمًا عَلَيْهِمَا، بَلْ وَلَا على عُثْمَانَ** عَلَى أَصَحِّ قَوْلَيْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ إِنَّ زَيْدًا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَوَاعَدَهُمْ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءَ مُسْتَهَلَّ صَفَرٍ مِنْ سنة (١٢٢هـ)، فَبَلَغَ ذَلِكَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ عَلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ: يَأْمُرُهُ بِجَمْعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَجَمَعَ النَّاسَ لِذَلِكَ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَلْخَ الْمُحَرَّمِ، قَبْلَ خُرُوجِ زَيْدٍ بِيَوْمٍ، وَخَرَجَ زَيْدٌ بِمَنْ مَعَهُ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ، وَرَفَعَ أَصْحَابُهُ النِّيرَانَ، وَجَعَلُوا يُنَادُونَ: يَا مَنْصُورُ يَا مَنْصُورُ. فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ إِذَا قَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ مِائَتَانِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَجَعَلَ زَيْدٌ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! أَيْنَ النَّاسُ؟ فَقِيلَ: هُمْ فِي الْمَسْجِدِ مَحْصُورُونَ.

وَكَتَبَ الْحَكَمُ بْنُ الصَّلْتِ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ يُعْلِمُهُ **بِخُرُوجِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ** فَبَعَثَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً إِلَى الْكُوفَةِ، وَرَكِبَتِ الْجُيُوشُ مَعَ نَائِبِ الْكُوفَةِ، وَجَاءَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فِي طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَالْتَقَى زَيْدٌ بِمَنْ مَعَهُ طائفة مِنْهُمْ فِيهِمْ خَمْسُمِائَةِ فَارِسٍ فَهَزَمَهُمْ ثُمَّ أَتَى الْكُنَاسَةَ، فَحَمَلَ عَلَى جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَهَزَمَهُمْ.

ثُمَّ اجْتَازَ بِيُوسُفَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ وَاقِفٌ فَوْقَ تَلٍّ، وَزَيْدٌ فِي مِائَتَيْ فَارِسٍ، وَلَوْ قَصَدَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ لَقَتَلَهُ، وَلَكِنْ أَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَكُلَّمَا الْتَقَى بِطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ هَزَمَهُمْ، **وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ يُنَادُونَ**: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ اخْرُجُوا إِلَى الدِّينِ وَالْعِزِّ وَالدُّنْيَا، فَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي دِينٍ وَلَا عِزٍّ وَلَا دُنْيَا.

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٠٧ .

ثُمَّ لَمَّا أَمْسَوْا انْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ قُتِلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي اقْتَتَلَ هُوَ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ بِشَرِّ حَالٍ، وَأَمْسَوْا فَعَبَّأَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ جَيْشَهُ جِدًّا، ثُمَّ أَصْبَحُوا فَالْتَقَوْا مَعَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَصْحَابِهِ، فَكَشَفَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّبْخَةِ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ تَبِعَهُمْ فِي خَيْلِهِ وَرَجِلِهِ حَتَّى أَخَذُوا عَلَى الْمُسَنَّاةِ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا هُنَاكَ قِتَالًا شَدِيدًا جِدًّا، حَتَّى كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ رُمِيَ زَيْدٌ بِسَهْمٍ، فَأَصَابَ جَانِبَ جَبْهَتَهُ الْيُسْرَى، فَوَصَلَ إِلَى دِمَاغِهِ، فَرَجَعَ وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ، وَلَا يَظُنُّ أَهْلُ الشَّامِ أَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَّا لِلْمَسَاءِ وَاللَّيْلِ.

وَأُدْخِلَ زَيْدٌ فِي دَارٍ فِي سِكَّةِ الْبَرِيدِ، وَجِيءَ بِطَبِيبٍ فَانْتَزَعَ ذَلِكَ السَّهْمَ مِنْ جَبْهَتِهِ، فَمَا عَدَا أَنِ انْتَزَعَهُ حَتَّى مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فدفَنُوهُ فِي الْحُفْرَةِ الَّتِي يُؤْخَذُ مِنْهَا الطِّينُ، وَأَجْرَوْا عَلَى قَبْرِهِ الْمَاءَ؛ لِئَلَّا يُعْرَفَ، وَانْفَتَلَ أَصْحَابُهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ رَأْسٌ يُقَاتِلُونَ بِهِ.

وَتَتَبَّعَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الْجَرْحَى هَلْ يَجِدُ زَيْدًا بَيْنَهُمْ، وَجَاءَ مَوْلَى لِزَيْدٍ سِنْدِيٌّ، قَدْ شَهِدَ دَفْنَهُ، فَدَلَّ عَلَى قَبْرِهِ، فَأُخِذَ مِنْ قَبْرِهِ، فَأَمَرَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بِصُلْبِهِ عَلَى خَشَبَةٍ بِالْكُنَاسَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ: أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَعْلَمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ حَتَّى كَتَبَ لَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ لَغَافِلٌ، وَإِنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ غَارِزٌ ذَنَبَهُ بِالْكُوفَةِ يُبَايَعُ لَهُ، فَأَلِحَّ فِي طَلَبِهِ وَأَعْطِهِ الْأَمَانَ، فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَقَاتِلْهُ. فَتَطَلَّبَهُ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَأَمَّا ابْنُهُ يَحْيَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَاسْتَجَارَ **بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بِشْرِ** بْنِ مَرْوَانَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ يَتَهَدَّدُهُ حَتَّى يُحْضِرَهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ بِشْرٍ: مَا كُنْتُ لِأُؤْوِيَ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَهُوَ عَدُوُّنَا وَابْنُ عَدُوِّنَا، فَصَدَّقَهُ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فِي ذَلِكَ.

وَلَمَّا هَدَأَ الطَّلَبُ عَنْهُ سَيَّرَهُ إِلَى خُرَاسَانَ، فَخَرَجَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ أنصاره إِلَى خُرَاسَانَ فَأَقَامُوا بِهَا.

الفصل الثالث

الفتوحات وولاية البلدان والحج

الفتــوحـــات

○ الصوائف في خلافة هشام

فَي سنة (١٠٦هـ) غزَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الصَّائِفَةَ.

وفِي سنة (١٠٧هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ، وَعَلَى جَيْشِ أَهْلِ الشَّامِ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ فَقَطَعُوا الْبَحْرَ إِلَى قُبْرُص. وَغزَا مَسْلَمَةُ فِي الْبَرِّ فِي جَيْشٍ آخَرَ.

وفي سَنَةَ (١١٠هـ) فتَحَ مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حِصْنَيْنِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَغَنِمَ غَنَائِمَ جَمَّةً.

وفي سنة (١١١هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى، وَغزَا سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى، حَتَّى بَلَغَ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

وفي سنة (١١٢هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ فَافْتَتَحَ حُصُونًا مِنْ نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ.

وفي سنة (١١٣هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ أَرْضَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ مَرْعَش.

وفِي سنة (١١٤هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى، وَعَلَى الْيُمْنَى سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وفِيها الْتَقَى عَبْدُ اللهِ الْبَطَّالُ وَمَلِكُ الرُّومِ الْمُسَمَّى: قُسْطَنْطِينَ، وَهُوَ ابْنُ هِرَقْلَ الْأَوَّلِ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَسَرهُ الْبَطَّالُ فَأَرْسَلَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامٍ فَسَارَ بِهِ إِلَى أَبِيهِ.

وفي سنة (١١٦هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ.

وفِي سنة (١١٧هـ)غَزَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُسْرَى وَسُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الصَّائِفَةَ الْيُمْنَى.

وفِي سنة (١١٨هـ) غَزَا مُعَاوِيَةُ، وَسُلَيْمَانُ ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ.

وفي سنة (١١٩هـ) غَزَا الْوَلِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ الْعَبْسِيُّ أَرْضَ الرُّومِ.

وفي سنة (١٢٠هـ) غَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ وَافْتَتَحَ فِيهَا حُصُونًا.

وفي سنة (١٢١هـ) غَزَا مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرُّومَ فَافْتَتَحَ بِهَا مَطَامِيرَ.

وفِي سنة (١٢٤هـ) غَزَا سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلَادَ الرُّومِ فَلَقِيَ مَلِكَ الرُّومِ أَلْيُونَ فَسَلِمَ سُلَيْمَانُ وَغَنِمَ.

وفي سنة (١٢٥هـ) غَزَا النُّعْمَانُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الصَّائِفَةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

❁ ❁ ❁

فتح قيسارية وبعض حصون الروم

فَي سنة (١٠٨هـ) افْتَتَحَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَفَتَحَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الرُّومِ أَيْضًا.

❁ ❁ ❁

جهاد أَبي يَحْيَى عبدالله البطال

◉ قَـالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سـنة (١٢٢هـ) قُتِلَ عَبْـدُ اللهِ الْبَطَّالُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ بِأَرْضِ الرُّومِ. وَلَمْ يَزِدِ على ذلك .

◉ وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الرَّجُلَ **الْحَافِظُ ابْنُ عَسَـاكِرَ** فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، فَقَالَ: عَبْدُ اللهِ أَبُو يَحْيَى الْمَعْـرُوفُ بِالْبَطَّـالِ. كَانَ يَنْـزِلُ أَنْطَاكِيَـةَ، حَكَى عَنْهُ أَبُو مَـرْوَانَ الْأَنْطَاكِـيُّ. ثُمَّ رَوَى بِإِسْـنَادِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ حِينَ عَقَدَ لِابْنِهِ مَسْـلَمَةَ عَلَـى غَزْوِ بِلَادِ الرُّومِ وَلَّى عَلَى رُؤَسَـاءِ أَهْـلِ الْجَزِيرَةِ وَالشَّـامِ عَبْد اللهِ الْبَطَّال وَقَـالَ لِابْنِهِ مَسْـلَمَةَ: صَيِّرْهُ عَلَى طَلَائِعِـكَ، وَأْمُـرْهُ فَلْيَعُسَّ بِاللَّيْلِ الْعَسْـكَرَ، فَإِنَّـهُ أَمِينٌ ثِقَةٌ مِقْدَامٌ شُـجَاعٌ. قَالَ: فَقَدَّمَ مَسْـلَمَةُ بن عبدالملك الْبَطَّالَ عَلَى عَشَـرَةِ آلَافٍ يَكُونُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ تُرْسًا مِنَ الرُّومِ أَنْ يَصِلُوا إِلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ.

◉ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ الدِّمَشْقِيُّ: ثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنِي أَبُو مَرْوَانَ - شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ - قَالَ: كُنْتُ أُغَازِي الْبَطَّالَ وَقَدْ أَوْطَأَ الرُّومَ ذُلًّا.

◉ قَالَ الْبَطَّالُ: فَسَـأَلَنِي بَعْضُ وُلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ عَـنْ أَعْجَبِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي فِيهِمْ، فَقُلْتُ لَهُ: خَرَجْتُ فِي سَـرِيَّةٍ لَيْلًا، فَدَفَعْنَا إِلَى قَرْيَةٍ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: أَرْخُوا لُجُمَ خُيُولِكُمْ وَلَا تُحَرِّكُوا أَحَدًا بِقَتْلٍ وَلَا بِسَبْيٍ حَتَّى تَشْحَنُوا الْقَرْيَةَ فَإِنَّهُمْ فِي نَوْمَةٍ. فَفَعَلُوا وَافْتَرَقُوا فِي أَزِقَّتِهَا، فَدَفَعْتُ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَى بَيْتٍ يَزْهَرُ سِـرَاجُهُ، وَإِذَا امْرَأَةٌ تُسَكِّتُ ابْنَهَا مِنْ بُكَائِهِ وَهِيَ تَقُولُ: **لَتَسْكُتَنَّ أَوْ لَأَدْفَعَنَّكَ** إِلَى الْبَطَّالِ يَذْهَبُ بِكَ. وَانْتَشَلَتْهُ مِنْ سَرِيرِهِ، **وَقَالَتْ**: أَمْسِكْ يَا بِطَّالُ. **قَالَ: فَأَخَذْتُهُ**.

◉ وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ عَنِ الْوَلِيدِ: سَـمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَاشِدٍ مَوْلَى خُزَاعَةَ يُخْبِرُ عَمَّنْ سَـمِعَهُ مِنَ الْبَطَّالِ، أَنَّ هِشَـامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا وَلَّاهُ الْمِصِّيصَةَ، بَعَثَ الْبَطَّالُ سَـرِيَّةً إِلَـى أَرْضِ الـرُّومِ، فَغَابَ عَنْهُ خَبَرُهَا، فَلَـمْ يَدْرِ مَا صَنَعُوا، فَرَكِبَ بِنَفْسِـهِ وَحْدَهُ عَلَى

فَرَسٍ لَهُ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَمُّورِيَّةَ، فَطَرَقَ بَابَهَا لَيْلًا، فَقَالَ لَهُ الْبَوَّابُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ الْبَطَّالُ: فَقُلْتُ: **أَنَا سَيَّافُ الْمَلِكِ وَرَسُولُهُ** إِلَى الْبِطْرِيقِ فَخُذْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ.

قال: فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ إِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ، فَجَلَسْتُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ فِي رِسَالَةٍ، فَمُرْ هَؤُلَاءِ فَلْيَنْصَرِفُوا. فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ فَذَهَبُوا. قَالَ: ثُمَّ قَامَ فَغَلَقَ بَابَ الْكَنِيسَةِ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ، فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، وَضَرَبْتُ بِهِ رَأْسَهُ صَفْحًا، وَقُلْتُ لَهُ: أَنَا الْبَطَّالُ، فَاصْدُقْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: السَّرِيَّةُ الَّتِي بَعَثْتُهَا مَا خَبَرُهَا؟ فَقَالَ: هُمْ فِي بِلَادِي يَنْتَهِبُونَ مَا تَهَيَّأَ لَهُمْ، وَهَذَا كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي، يُخْبِرُ أَنَّهُمْ فِي وَادِي كَذَا وَكَذَا، وَاللهِ لَقَدْ صَدَقْتُكَ. فَقُلْتُ: هَاتِ الْأَمَانَ. فَأَعْطَانِي الْأَمَانَ، فَقُلْتُ: ائْتِنِي بِطَعَامٍ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَجَاءُوا بِطَعَامٍ، فَوُضِعَ لِي، فَأَكَلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْصَرِفَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: اخْرُجُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الْمَلِكِ.

فَانْطَلَقُوا يَتَعَادُّونَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَانْطَلَقْتُ إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي الَّذِي ذُكِرَ، فَإِذَا أَصْحَابِي هُنَالِكَ، فَأَخَذْتُهُمْ وَرَجَعْتُ إِلَى الْمِصِّيصَةِ. فَهَذَا أَغْرَبُ مَا جَرَى.

⊙ قَالَ الْوَلِيدُ: وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ شُيُوخِنَا أَنَّهُ رَأَى الْبَطَّالَ وَهُوَ قَافِلٌ مِنْ حَجَّتِهِ، وَكَانَ قَدْ شُغِلَ بِالْجِهَادِ عَنِ الْحَجِّ، **وَكَانَ يَسْأَلُ اللهَ دَائِمًا الْحَجَّ ثُمَّ الشَّهَادَةَ**، فلما تَمَكَّنْ مِنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ عاد إلى الرباط والجهاد فاستشهد (١٢٢هـ).

⊙ **وَكَانَ سَبَبُ شَهَادَتِهِ**: أَنَّ لِيُونَ مَلِكَ الرُّومِ خَرَجَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ، وَدَهَمُوا جيْش المسلمين، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَالْبَطَّالُ يَجُولُ بَيْنَ يَدَي الْأَبْطَالِ، وَلَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ أَنْ يُنَوِّه بِاسْمِهِ؛ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الرُّومِ. فَاتَّفَقَ أَنْ نَادَاهُ بَعْضُهُمْ، وَذَكَرَ اسْمَهُ غَلَطًا مِنْهُ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ فُرْسَانُ الرُّومِ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمْلَةً وَاحِدَةً، فَاقْتَلَعُوهُ مِنْ سَرْجِهِ بِرِمَاحِهِمْ، فَأَلْقَوْهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَاقُوا وَرَاءَ النَّاسِ يَقْتُلُونَ فِيهِمْ وَيَأْسِرُونَ، وَقُتِلَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ مَالِكُ بْنُ شَبِيبٍ وَانْكَسَرَ الْمُسْلِمُونَ. فَوَقَفَ لِيُونُ عَلَى مَكَانِ الْمَعْرَكَةِ، فَإِذَا الْبَطَّالُ بِآخِرِ رَمَقٍ، فَقَالَ لَهُ لِيُونُ مَا هَذَا يَا أَبَا يَحْيَى؟ فَقَالَ: هَكَذَا تُقْتَلُ الْأَبْطَالُ.

فَاسْتَدْعَى لِيُونُ بِالْأَطِبَّاءِ لِيُدَاوُوهُ فَإِذَا جِرَاحُهُ قَدْ نَفَذَتْ إِلَى مَقَاتِلِهِ، فَقَالَ لَهُ لِيُونُ: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: تَأْمُرُ مَنْ مَعَكَ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَلُوا غَسْلِيَ وَالصَّلَاةَ عَلَيَّ وَدَفْنِي. فَفَعَلَ، وَأَطْلَقَ لِأَجْلِ ذَلِكَ أُولَئِكَ الْأُسَارَى. قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ: كَانَتْ وَفَاةُ الْبَطَّالِ وَمَقْتَلُهُ بِأَرْضِ الرُّومِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ.

⦿ قال ابن كثير:[1] **فَهَذَا مُلَخَّصُ** مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ الْبَطَّالِ مَعَ تَقَصِّيهِ لِلْأَخْبَارِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهَا، وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ الْعَامَّةُ عَنِ الْبَطَّالِ مِنَ السِّيرَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى **دَلْهَمَةَ، وَالْبَطَّالِ، وَالْأَمِيرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَالْقَاضِي عُقْبَةَ**، فَكَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ، وَوَضْعٌ بَارِدٌ، وَجَهْلٌ كَبِيرٌ، وَتَخْبِيطٌ فَاحِشٌ، لَا يَرُوجُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى غَبِيٍّ أَوْ جَاهِلٍ رَدِيٍّ، كَمَا يَرُوجُ عَلَيْهِمْ سِيرَةُ **عَنْتَرَةَ** الْعَبْسِيِّ الْمَكْذُوبَةُ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ **الْبَكْرِيِّ، وَالدَّنَفِ** وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْكَذِبُ الْمُفْتَعَلُ فِي سِيرَةِ الْبَكْرِيِّ أَشَدُّ إِثْمًا وَأَعْظَمُ جُرْمًا مِنْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ وَاضِعَهَا يَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

○ غزو بلاد الخزر

فِي سنة (١٠٦هـ) أَوْغَلَ الْجَرَّاحُ الْحَكَمِيُّ فِي أَرْضِ الْخَزْرِ فَصَالَحُوهُ وَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ وَالْخَرَاجَ.

○ غزو اللان

فِي سنة (١٠٦هـ) غَزَا الْحَجَّاجُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ اللَّانَ، فَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا وَغَنِمَ وَسَلِمَ.

وفِي سنة (١١٧هـ) بَعَثَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ عَلَى إِرْمِينِيَّةَ - بَعْثَيْنِ، فَفَتَحَ حُصُونًا مِنْ بِلَادِ اللَّانِ وَنَزَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَلَى الأمان.

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١١٥

○ غزو جبال نمرون

فِي سنة (١٠٧هـ) غَزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ جِبَالَ نَمْرُونَ مَلِكِ الْغِرْشِسْتَانِ مِمَّا يَلِي جِبَالَ الطَّالَقَانِ فَصَالَحَهُ نَمْرُونُ وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ.

○ غزو جبال هراة

فِي سنة (١٠٧هـ) غزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ الْغُورَ، وَهِيَ جِبَالُ هَرَاةَ، فَعَمَدَ أَهْلُهَا إِلَى حَوَاصِلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كَهْفٍ مَنِيعٍ، لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَقِلٌّ جدًّا، فَأَمَرَ أَسَدٌ بِالرِّجَالِ فَجُعِلُوا فِي تَوَابِيتَ وَدَلَّاهُمْ إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُمْ بِوَضْعِ مَا هُنَالِكَ فِي التَّوَابِيتِ، فَلَمَّا جَمَعُوا مَا هُنَالِكَ قَعَدَ الرِّجَالُ فِي التَّوَابِيتِ وَرَفَعُوهُمْ، فَسَلِمُوا وَغَنِمُوا. وَهَذَا رَأْيٌ سَدِيدٌ.

○ تحصين مدينة بلخ

فِي سنة (١٠٧هـ) أَمَرَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ بِجَمْعِ مَا حَوْلَ بَلْخَ إِلَيْهَا، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا بَرْمَكَ وَالِدَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ، وَبَنَاهَا بِنَاءً جَيِّدًا جَدِيدًا مُحْكَمًا، وَحَصَّنَهَا، وَجَعَلَهَا مَعْقِلًا لِلْمُسْلِمِينَ.

○ غزو الترك

فَي سنة (١٠٨هـ) غَزَا أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ خُرَاسَانَ، فَكَسَرَ الْأَتْرَاكَ كَسْرَةً فَاضِحَةً.

○ غزاة الطين مع الترك

فِي سَنَةَ (١١٠هـ) قَاتَلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَلِكَ التُّرْكِ الْأَعْظَمَ خَاقَانَ فِي جُمُوعٍ عَظِيمَةٍ، فَتَوَاقَفُوا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ هَزَمَ اللهُ خَاقَانَ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَرَجَعَ مَسْلَمَةُ سَالِمًا غَانِمًا، فَسَلَكَ عَلَى مَسْلَكِ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي رُجُوعِهِ إِلَى الشَّامِ، وَتُسَمَّى هَذِهِ الْغَزْوَةُ غُزَاةُ الطِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَلَكُوا عَلَى مَغَارِقَ وَمَوَاضِعَ غَرَقٍ فِيهَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ، وَتَوَحَّلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَمَا نَجَوْا حَتَّى قَاسَوْا شَدَائِدَ وَأَهْوَالًا صِعَابًا وَشِدَادًا عِظَامًا.

○ دعوة أهل سمرقند إلى الإسلام

فِي سَنَةَ (١١٠هـ) دَعَا أَشْرَسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ السُّلَمِيُّ نَائِبُ خُرَاسَانَ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِسَمَرْقَنْدَ وَمَنْ وَرَاءَ النَّهْرِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، عَلَى أَنْ يَضَعَ عَنْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَسْلَمَ غَالِبُهُمْ، ثُمَّ طَالَبَهُمْ بِالْجِزْيَةِ، فَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ وَقَاتَلُوهُ، ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّرْكِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ، أَطَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بَسْطَهَا وَشَرْحَهَا فَوْقَ الْحَاجَةِ.(١)

○ هجوم الترك على أذربيجان

فِي سنة (١١١هـ) قَصَدَتِ التُّرْكُ بِلَادَ أَذْرَبِيجَانَ فَلَقِيَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو فَهَزَمَهُمْ، وَلَمَّا وَصَلَ الْجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى خُرَاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا، تَلَقَّتْهُ خُيُولُ الْأَتْرَاكِ مُنْهَزِمِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ، فَتَصَافُّوا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَطَمِعُوا فِيهِ وَفِيمَنْ مَعَهُ لِقِلَّتِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَمَعَهُمْ مِلْكُهُمْ خَاقَانُ، فَكَادَ الْجُنَيْدُ أَنْ يَهْلَكَ، ثُمَّ أَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، فَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَأَسَرَ ابْنَ أَخِي مَلِكِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

○ مقاتلة الترك

فِي سنة (١١٢هـ) سَارَتِ التُّرْكُ مِنَ اللَّانِ فَلَقِيَهُمُ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيُّ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَذْرَبِيجَانَ، فَاقْتَتَلُوا قَبْلَ أَنْ يَتَكَامَلَ إِلَيْهِ جَيْشُهُ، فَاسْتُشْهِدَ الْجَرَّاحُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ بِمَرْجِ أَرْدَبِيلَ وَأَخَذَ الْعَدُوُّ أَرْدَبِيلَ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، بَعَثَ سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ فِي جَيْشٍ سَرِيعًا، فَلَحِقَ التُّرْكَ وَهُمْ يَسِيرُونَ بِأُسَارَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى نَحْوِ مِلْكِهِمْ خَاقَانَ، فَاسْتَنْقَذَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ أَيْضًا، وَقَتَلَ فِي التُّرْكِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا، وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا، وَشَفَى مَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ.

وَلَمْ يَكْتَفِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ حَتَّى أَرْسَلَ أَخَاهُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَثَرِ التُّرْكِ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ، وَشِتَاءٍ عَظِيمٍ، فَوَصَلَ إِلَى بَابِ الْأَبْوَابِ، وَاسْتَخْلَفَ

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٧/ ٥٤-٦٨.

عِنْدَهُ أَمِيرًا، وَسَارَ هُوَ بِمَنْ مَعَهُ فِي طَلَبِ الْأَتْرَاكِ وَمَلِكِهِمْ خَاقَانَ.

وَنَهَضَ أَمِيرُ خُرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْأَتْرَاكِ أَيْضًا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَوَصَلَ إِلَى نَهْرِ بَلْخَ وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ سِرِّيَّةً؛ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأُخْرَى عَشَرَةَ آلَافٍ يُمْنَةً وَيُسْرَةً،

وَجَاشَتِ التُّرْكُ فَأَتَوْا سَمَرْقَنْدَ، فَكَتَبَ أَمِيرُهُمْ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ بِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى صَوْنِ سَمَرْقَنْدَ مِنْهُمْ، وَمَعَهُمْ مَلِكُهُمُ الْأَعْظَمُ خَاقَانُ، فَالْغَوْثَ الْغَوْثَ.

فَسَارَ **الْجُنَيْدُ** مُسْرِعًا فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ نَحْوَ سَمَرْقَنْدَ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى شِعْبِ سَمَرْقَنْدَ، وَبَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، فَصَبَّحَهُ خَاقَانُ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَحَمَلَ خَاقَانُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْجُنَيْدِ فَانْحَازُوا إِلَى الْعَسْكَرِ، وَالتُّرْكُ تَتْبَعُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ وَالْمُسْلِمُونَ يَتَغَدَّوْنَ، وَلَا يَشْعُرُونَ بِانْهِزَامِ مُقَدِّمَتِهِمْ وَانْحِيَازِهَا إِلَيْهِمْ، فَنَهَضُوا إِلَى السِّلَاحِ، وَاصْطَفُّوا عَلَى مَنَازِلِهِمْ، وَذَلِكَ فِي مَجَالٍ وَاسِعٍ، وَمَكَانٍ بَارِزٍ فَالْتَقَوْا، فَحَمَلَتِ التُّرْكُ عَلَى الْمَيْمَنَةِ، وَفِيهَا بَنُو تَمِيمٍ وَالْأَزْدُ فَقُتِلَ مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ بِالشَّهَادَةِ.

وَقَدْ بَرَزَ بَعْضُ شُجْعَانِ الْمُسْلِمِينَ لِجَمَاعَةٍ مِنْ شُجْعَانِ التُّرْكِ فَقَتَلَهُمْ، فَنَادَاهُ تُرْجُمَانُ الْمَلِكِ: إِنْ صِرْتَ إِلَيْنَا جَعَلْنَاكَ فِيمَنْ يَرْفُضُ الصَّنَمَ الْأَعْظَمَ فَنَعْبُدُكَ. فَقَالَ: وَيْحَكُمْ! إِنَّمَا أُقَاتِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ تَنَاخَى الْمُسْلِمُونَ، وَتَدَاعَتِ الْأَبْطَالُ وَالشُّجْعَانُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَصَبَرُوا وَصَابَرُوا، وَحَمَلُوا عَلَى التُّرْكِ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ عَطَفَتِ التُّرْكُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقًا حَتَّى لَمْ يَبْقَ سِوَى أَلْفَيْنِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،

وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سَوْدَةُ بْنُ أَبْجَرَ وَاسْتَأْسَرُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، فَحَمَلُوهُمْ إِلَى الْمَلِكِ خَاقَانَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَهَذِهِ الْوَقْعَةُ يُقَالُ لَهَا: وَقْعَةُ الشِّعْبِ. وَقَدْ بَسَطَهَا ابْنُ جَرِيرٍ جِدًّا.

○ التوغل في بلاد الترك

في سنة (١١٣هـ) توَغَّلَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي بِلَادِ التُّرْكِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَأُمَمًا مُنْتَشِرَةً، حَتَّى قَتَلَ ابْنَ خَاقَانَ وَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَدَانَتْ لَهُ تِلْكَ الْمَمَالِكُ مِنْ نَاحِيَةِ بَلَنْجَرَ وَأَعْمَالِهَا.

○ مقاتلة الترك وقتل خاقان

في سنة (١١٩هـ) قَتَلَ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ مَلِكَ التُّرْكِ الْأَعْظَمَ خَاقَانَ، بعد مواجهات كثيرة ومدة طويلة، **وكان قتله في ذي الحجة** من هذه السنة، حيث التقت مُقَدِّمَتُهُ بِمُقَدَّمَةِ خَاقَانَ، فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرُوا أَمِيرَهُمْ وَسَبْعَةَ أُمَرَاءَ مَعَهُ، ثُمَّ سَاقَ أَسَدٌ فَانْتَهَى إِلَى أَغْنَامِهِمْ فَاسْتَاقَهَا، فَإِذَا هِيَ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ شَاةٍ، ثُمَّ الْتَقَى مَعَهُمْ، وَكَانَ خَاقَانُ فِي هَذَا الْيَوْمِ إِنَّمَا مَعَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَوْ نَحْوُهَا، **وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ** قَدْ خَامَرَ إِلَيْهِ، **يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ** فَهُوَ يَدُلُّهُ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسُ هَرَبَتِ الْأَتْرَاكُ فِي كُلِّ جَانِبٍ، وَانْهَزَمَ خَاقَانُ، وَمَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ الْمَذْكُورُ يَحْمِيهِ وَيُثَبِّتُهُ، فَتَبِعَهُمْ أَسَدٌ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ انْخَذَلَ خَاقَانُ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِمُ الْخَزُّ، وَمَعَهُمُ الْكُوسَاتُ (١).

فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْمُسْلِمُونَ أَمَرَ بِالْكُوسَاتِ فَضُرِبَتْ ضَرْبَ الِانْصِرَافِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الِانْصِرَافَ، فَتَقَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ، فَاحْتَاطُوا عَلَى مُعَسْكَرِهِمْ، فَاحْتَازُوهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَوَانِي مِنَ النَّقْدِ، وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْأُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمَاتِ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، لِكَثْرَتِهِ وَعِظَمِ قِيمَتِهِ وَحُسْنِهِ، غَيْرَ أَنَّ خَاقَانَ كَانَ قَدْ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ بِخِنْجَرٍ فَقَتَلَهَا، فَوَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَهِيَ فِي آخِرِ رَمَقٍ تَتَحَرَّكُ.

(١) الكوسات: الطبول

وَهَـرَبَ خَاقَانُ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ بَعْضَ الْمُـدُنِ، فَتَحَصَّنَ بِهَا، فَاتُّفِقَ أَنَّهُ لَعِبَ بِالنَّرْدِ مَعَ بَعْضِ أُمَرَائِهِ، فَغَلَبَهُ الْأَمِيرُ، فَتَوَعَّدَهُ خَاقَانُ بِقَطْعِ الْيَدِ، فَحَنِقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمِيرُ، ثُمَّ عَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ، وَتَفَرَّقَتِ الْأَتْرَاكُ فِرَقًا يَعْدُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَنْهَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَبَعَثَ أَسَـدٌ إِلَى أَخِيـهِ خَالِدٍ يُعْلِمُهُ بِمَا وَقَعَ مِـنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِخَاقَـانَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِطَوْقِ خَاقَانَ، وَشَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ حَوَاصِلِهِ وَأَمْتِعَتِهِ، فَوَفَّدَهَا خَالِدٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامٍ فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا جِدًّا، وَأَطْلَقَ لِلرُّسُلِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً كَثِيرَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي أَسَدٍ يَمْدَحُهُ عَلَى ذَلِكَ:

لَوْ سِرْتَ فِي الْأَرْضِ تَقِيسُ الْأَرْضَا ... تَقِيسُ مِنْهَا طُولَهَا وَالْعَرْضَا
لَمْ تَلْقَ خَيْرًا مَرَّةً وَنَقْضَا ... مِنَ الْأَمِيرِ أَسَدٍ وَأَمْضَى
أَفْضَى إِلَيْنَا الْخَيْرَ حِينَ أَفْضَى ... وَجَمَعَ الشَّمْلَ وَكَانَ رَفْضَا
مَا فَاتَهُ خَاقَانُ إِلَّا رَكْضَا ... قَدْ فَضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مَا فَضَّا
يَا بْنَ سُرَيْجٍ قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا ... حَمْضًا بِهِ يُشْفَى صُدَاعُ الْمَرْضَى

○ غزو بلاد الترك

وَفِي سَـنَة (١١٩هـ) غَزَا أَسَـدٌ الْقَسْـرِيُّ بِلَادَ التُّرْكِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَلِكُهُمْ **بَدْرُ طَرْخَانُ** أَلْفَ أَلْفٍ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَـيْئًا، وَأَخَذَهُ قَهْرًا، فَقَتَلَـهُ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ مَدِينَتَهُ وَقَلْعَتَهُ وَحَوَاصِلَهُ وَنِسَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ.

○ غزو قلاع تومان شاه

فِي سَـنَة (١٢٠هـ) غَزَا إِسْحَاقُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعُقَيْلِيُّ قِلَاعَ تُومَانْ شَاهْ، وَافْتَتَحَهَا وَخَرَّبَ أَرَاضِيَهُ.

○ غزو بلاد الترك

فِي سنة (١٢٠هـ) غَزَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِمَارُ بِلَادَ التُّرْكِ.

○ غزو بلاد صاحب سرير الذهب

في سنة (١٢١هـ) غزا مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِلَادَ صَاحِبِ سرير الذَّهَبِ، فَافْتَتَحَ قِلَاعَهُ، وَخَرَّبَ أَرْضَهُ، فَأَذْعَنَ لَهُ بِالْجِزْيَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِأَلْفِ رَأْسٍ يُؤَدِّيهَا إِلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ رَهْنًا عَلَى ذَلِكَ.

○ غزو بلاد الترك

في سنة (١٢١هـ) غَزَا نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الكناني أَمِيرُ خُرَاسَانَ، غَزَوَاتٍ مُتَعَدِّدَةً فِي التُّرْكِ، وَأَسَـرَ مَلِكَهُمْ **كُورْصُولَ** فِـي بَعْضِ تِلْكَ الْحُرُوبِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُـهُ، فَلَمَّا تَيَقَّنَهُ وَتَحَقَّقَهُ، سَأَلَ مِنْهُ كُورْصُولُ أَنْ يُطْلِقَهُ عَلَى أَنْ يُرْسِلَ لَهُ أَلْفَ بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ التُّرْكِ -وَهِيَ الْبَخَاتِيُّ- وَأَلْفَ بِرْذَوْنٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ جِدًّا.

فَشَـاوَرَ نَصْرٌ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَشَـارَ بِإِطْلَاقِهِ. ثُمَّ سَـأَلَهُ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ: كَمْ غَزَوْتَ مِنْ غَزْوَةٍ؟ **فَقَالَ: ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ غَزْوَةً**. فَقَالَ لَهُ نَصْرٌ: مَا مِثْلُكَ يُطْلَقُ، وَقَدْ شَهِدْتَ هَذَا كُلَّهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَصَلَبَهُ.

فَلَمَّـا أَصْبَحَ أَمَرَ **نَصْـرٌ** بِإِحْرَاقِهِ لِئَلَّا يَأْخُـذُوا جُثَّتَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشُـدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِهِ، وَانْصَرَفُوا خَائِبِينَ صَاغِرِينَ.

ثُـمَّ كَـرَّ نَصْرٌ بن سـيار الكناني عَلَى بِلَادِهِـمْ، فَقَتَلَ مِنْهُـمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَـرَ أُمَمًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

○ مصالحة أهل الصغد

في سنة (١٢٣هـ) سَأَلَ أَهْلُ الصُّغْدِ مِنْ أَمِيرِ خُرَاسَانَ نَصرِ بْنِ سَيَّارٍ الكناني، أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَسَـأَلُوهُ شُـرُوطًا أَنْكَرَهَا الْعُلَمَاءُ، **مِنْهَا**: أَنْ لَا يُعَاقَبُ مَنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا تُؤْخَذُ أَسَـرَاءُ الْمُسْـلِمِينَ مِنْهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَأَرَادَ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِشِدَّةِ نِكَايَتِهِمْ فِـي الْمُسْـلِمِينَ، فَعَابَ عَلَيْهِ النَّاسُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى هِشَـامٍ فِي ذَلِـكَ فَتَوَقَّفَ، ثُمَّ لَمَّا رَأَى أَنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى مُعَانَدَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ **كَانَ ضَرَرُهُمْ أَشَدَّ**، أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.[1]

(١) كانت الموافقة على تلك الشروط من باب الضرورة القصوى .

ولاته على الأقاليم

○ ولاية الحرمين

في سنة (١٠٦ هـ) عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ اللهِ النَّضْرِيَّ، وَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ خَالَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ.

وفي سنة (١١٤ هـ) عَزَلَ هِشَامٌ عَنْ إِمْرَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ **إِبْرَاهِيمَ** بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا **أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامِ بن إسماعيل** .

وفي سنة (١١٩ هـ)كَانَ أَمِيرَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ.

○ ولاية خراسان

في سنة (١٠٦ هـ) عَزَلَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، مُسْلِمَ بْنَ سَعِيدٍ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَخَاهُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ.

وفي سنة (١٠٩ هـ) عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، واستناب عليها أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ اللهِ السُّلَمِيَّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَاتِبَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ، والي العراق والمشرق، وَكَانَ أَشْرَسُ فَاضِلًا خَيِّرًا، وَكَانَ يُسَمَّى الْكَامِلَ لِذَلِكَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اتَّخَذَ الْمُرَابِطَةَ[1] بِخُرَاسَانَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ دِثَارٍ الْبَاهِلِيَّ، وَتَوَلَّى هُوَ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا، فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُهَا.

وفي سنة (١١١ هـ) عَزَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَشْرَسَ بْنَ عَبْدِ اللهِ السُّلَمِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ. وَوَلَّى عَلَيْهَا الْجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرِّيَّ. ثم عُزل في سنة (١١٦ هـ)، وولى عليها عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الهلالي.

(١) المقصود الرباط في سبيل الله على الحدود مع العدو.

○ إعادة ولاية خراسان إلى العراق

فِي سنة (١١٧هـ) عَزَلَ هِشَامٌ بن عبدالملك بن مروان، عَاصِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْهِلَالِيَّ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ، وَضَمَّهَا إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ مَعَ الْعِرَاقِ، جَرْيًا عَلَى مَا سَبَقَ لَهُ مِنَ الْعَادَةِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهِلَالِيِّ: إِنَّ وِلَايَةَ خُرَاسَانَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا مَعَ وِلَايَةِ الْعِرَاقِ. فَأَجَابَهُ هِشَامٌ إِلَى ذَلِكَ قَبُولًا لِنَصِيحَتِهِ.

○ ولاية العراق والمشرق

فِي سنة (١١٩هـ)كَانَ أَمِيرَ الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ بِكَمَالِهِ خَالِدُ الْقَسْرِيُّ، وَنَائِبُهُ عَلَى خُرَاسَانَ بِكَمَالِهَا أَخُوهُ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ.

وفي رجب سنة (١٢٠هـ) عزل هشام بن عبدالملك خالد القسري عن ولايته، وولى مكانه يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ الثقفي، وَاسْتَنَابَ عَلَى خُرَاسَانَ جُدَيْعَ بْنَ عَلِيٍّ الْكَرْمَانِيَّ، وَعَزَلَ جَعْفَرَ بْنَ حَنْظَلَةَ الَّذِي كَانَ اسْتَنَابَهُ أَسَدٌ، ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ عَزَلَ جُدَيْعًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خُرَاسَانَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ الكناني.

وَاسْتَقَرَّتْ وِلَايَةُ يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ عَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، وَاسْتَقَرَّتْ وِلَايَةُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ نَائِبًا عَلَى خُرَاسَانَ فَتَمَهَّدَتِ الْبِلَادُ وَأَمِنَ الْعِبَادُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدْ قَالَ سَوَّارُ بْنُ الْأَشْعَرِ فِي ذَلِكَ:

أَضْحَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَ الْخَوْفِ آمِنَةً ... مِنْ ظُلْمِ كُلِّ غَشُومِ الْحُكْمِ جَبَّارِ
لَمَّا أَتَى يُوسُفًا أَخْبَارُ مَا لَقِيَتْ ... اخْتَارَ نَصْرًا لَهَا نَصْرَ بْنَ سَيَّارِ

○ ولاية إرمينية وأذربيجان

فِي سنة (١١١هـ) وَلَّى هشامُ بن عبدالملك الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْحَكَمِيَّ إِرْمِينِيَّةَ.

وفي سنة (١١٩هـ)كَانَ نَائِبُ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَرْوَانُ بن محمد بن مروان.

○ ولاية إفريقية

فِي سَــنَةَ (١١٠هـ) أَرْسَــلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هِشَــامٌ، **عُبَيْدَةَ بن عبدالرحمن** الذكواني إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ مُتَوَلِّيًا عَلَيْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ جَهَّزَ ابْنَهُ وَأَخَاهُ فِي جَيْشٍ، فَالْتَقَوْا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرُوا بِطَرِيقَهُمْ، وَانْهَزَمَ بَاقِيهِمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا.

❁ ❁ ❁

ولايـــة الحـــج

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٠٥هـ) وسنة (١٠٧هـ) وسنة (١٠٨هـ) وسنة (١٠٩هـ) وسَنَةَ (١١٠هـ) وسنة (١١١هـ) وسنة (١١٢هـ) خال أمير المؤمنين، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، أمير الحرمين.

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٠٦هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الزِّنَادِ عبد الله بن ذكوان قَبْلَ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ لِيَتَلَقَّاهُ، وَيَكْتُبَ لَهُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، فَفعَلَ، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَفِيهِمْ أَبُو الزِّنَادِ قَدِ امْتَثَلَ مَا أُمِرَ به.

وَتَلَقَّاهُ فِيمَنْ تَلْقَّاهُ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الصَّالِحَةِ لَمْ يَزَالُوا يَلْعَنُونَ أَبَا تُرَابٍ، فَالْعَنْهُ أَنْتَ أَيْضًا.

قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى هِشَامٍ وَاسْتَثْقَلَهُ، وَقَالَ: مَا قَدِمْتُ لِشَتْمِ أَحَدٍ وَلَا لِلَعْنَةِ أَحَدٍ، إِنَّمَا قَدِمْنَا حُجَّاجًا. ثُمَّ قَطَعَ كَلَامَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي الزِّنَادِ يُحَادِثُهُ.

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١١٣هـ) سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ وَأَبُو مَعْشَرٍ.

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١١٤هـ) خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، قَالَه الْوَاقِدِيُّ، وَأَبُو مَعْشَرٍ.

⦿ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١١٥هـ)، وسنة (١١٨هـ)، وسنة(١٢٠هـ)، وسنة (١٢١هـ)، وسنة (١٢٢هـ) وسنة (١٢٤هـ) مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ نَائِبُ الْحَرَمَيْنِ وَالطَّائِفِ.

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١١٦هـ) الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَه الْوَاقِدِيُّ.

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سـنة (١١٧هـ) **خالد بن عبد الملك** بن مروان (لم يذكره ابن كثير واستدرك من تاريخ الطبري جزء ٧/ ١٠٧).

⦿ وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١١٩هـ) أَبُو شَاكِرٍ **مَسْلَمَةُ بْنُ هِشَامِ** بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَحَجَّ مَعَهُ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ؛ لِيُعَلِّمَهُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ.

⦿ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٢٣هـ) **يَزِيدُ بْنُ هِشَامِ** بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في خلافته

١- أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،كَانَ مِنْ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَعُلَمَائِهِمْ، وَعده يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ من فُقَهَاءُ الْمَدِينَةِ العَشْرَةٌ. وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ بِهِ صَمَمٌ وَوَضَحٌ، وَأَصَابَهُ الْفَالِجُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِسَنَةٍ، توفي سنة (١٠٥هـ).

٢- أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ أدرك الجاهلية، ولم ير النبي ﷺ ولم يسمع منه، وعمر دهراً طويلاً، توفي سنة (١٠٥هـ).

٣- سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ، توفي سنة (١٠٦هـ)

٤- طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ الْيَمَانِيُّ، مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَرْجَمْنَاهُمَا فِي كِتَابِنَا «التَّكْمِيلِ» وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، توفي سنة (١٠٦هـ)

٥- سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَحَدُ التَّابِعِينَ، أخو عطاء بن يسار، توفي سنة (١٠٧هـ).

٦- عِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَحَدُ التَّابِعِينَ، وَالْمُفَسِّرِينَ الْمُكْثِرِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَالرَّحَّالِينَ الْجَوَّالِينَ، توفي سنة (١٠٧هـ).

٧- الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ،كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ، توفي سنة (١٠٧هـ).

٨- كُثَيِّرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ، أَبُو صَخْرٍ الْخُزَاعِيُّ الْحِجَازِيُّ، وَعَزَّةُ: هِيَ أُمُّ عَمْرٍو عَزَّةُ بِنْتُ جَمِيلِ بْنِ حَفْصٍ مِنْ بَنِي حَاجِبِ بْنِ غِفَارٍ، وكَانَ دَمِيمَ الْخَلْقِ قَصِيرًا، طُولُهُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ.

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَقُولُ لَهُ: طَأْطِئْ رَأْسَكَ لَا يُؤْذِكَ السَّقْفُ. وَكَانَ يَضْحَكُ إِلَيْهِ، ويُقَالُ: إِنَّهُ أَشْعَرَ الْإِسْلَامِيِّينَ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِ تَشَيُّعٌ.

وَقَدِ اسْتَأْذَنَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ

خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ. فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، إِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِبَيَانٍ، وَإِنْ قَاتَلَ قَاتَلَ بِجَنَانٍ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرَ فَتَجْتَبِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
وَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهَا بِزَيْنٍ ... وَلَكِنْ زَيْنُهَا كَرَمٌ وَخِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا ... وَلَمْ تُطِلِ الْبُزَاةُ وَلَا الصُّقُورُ

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: كَانَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ شِيعِيًّا خَشَبِيًّا يَرَى الرَّجْعَةَ، وَكَانَ يَرَى التَّنَاسُخَ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨].

وَقَالَ كُثَيِّرُ عَزَّة، وَفِيهِ حِكْمَةٌ:[١]

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ: أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَ كُثَيِّرًا مِنْ عَزَّةَ فَأَبَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبَعْدَمَا فَضَحَنِي بَيْنَ النَّاسِ وَشَهَّرَنِي فِي الْعَرَبِ؟! وَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ كُلَّ الِامْتِنَاعِ. ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.[٢]

وَقَدْ مَاتَتْ عَزَّةُ بِمِصْرَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَزَارَ كُثَيِّرٌ قَبْرَهَا، وَرَثَاهَا، وَتَغَيَّرَ شِعْرُهُ بَعْدَهَا،[٣] وتوفي كثيّر سَنَةَ (١٠٧هـ).

٩- بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ، كان عالمـًا عابداً زاهداً قليل الكلام، توفي سَنَةَ (١٠٨هـ).

١٠- مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، لـه روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، توفي سَنَةَ (١٠٨هـ).

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٥٣٩، وانظر ديوان الكثير ص٩٧.
(٢) تاريخ دمشق، (مجلد تراجم النساء ص٢٤٣).
(٣) تاريخ دمشق، (مجلد تراجم النساء ص٢٤٨).

١١- **جَرِيـرٌ الشَّـاعِرُ**، وَهُوَ جَرِيـرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْـنِ الْخَطَفَى. وَاسْـمُ الْخَطَفَـى: حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ بْنِ سَـلَمَةَ التميمي، قَدِمَ دِمَشْـقَ مِرَارًا، وَامْتَدَحَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَالْخُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِهِ، وَوَفَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ فِي عَصْرِهِ مِنَ الشُّـعَرَاءِ الَّذِينَ يُقَارَنُونَ الْفَرَزْدَقُ، وَالْأَخْطَلُ، وَكَانَ جَرِيرٌ أَشْعَرَهُمْ وَأَخْيَرَهُمْ.

قَـالَ ابْـنُ دُرَيْدٍ، عَنْ عُثْمَـانَ الْبَتِّيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ جَرِيرًا وَمَا تُضَمُّ شَـفَتَاهُ مِنَ التَّسْـبِيحِ، فَقُلْتُ: وَمَا يَنْفَعُكَ هَذَا وَأَنْتَ تَقْذِفُ الْمُحْصَنَةَ؟ ! فَقَالَ: سُـبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَـهَ إِلَّا ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، وَعْدٌ مِنَ اللهِ حَقٌّ.

قَـالَ ابْـنُ خَلِّكَانَ: كَانَ جَرِيرٌ أَشْـعَرَ مِـنَ الْفَرَزْدَقِ عِنْـدَ الْجُمْهُورِ، وَأَفْخَـرُ بَيْتٍ قَالَهُ جَرِيرٌ: (١)

إِذَا غَضِبَـتْ عَلَيْـكَ بَنُـو تَمِيـمٍ ... حَسِـبْتَ النَّـاسَ كُلَّهُـمُ غِضَابَـا

وَقَدْ كَانَ بَيْنَ جَرِيرٍ، وَالْفَرَزْدَقِ مُقَاوَلَاتٌ وَمُهَاجَاةٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَقَدْ مَاتَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ. قَالَهُ خَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

١٢- **الْفَـرَزْدَقُ**: هو هَمَّامُ بْـنُ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبُو فِرَاسٍ التَّمِيمِيُّ الْبَصْرِيُّ الشَّـاعِرُ، وَجَدُّهُ صَعْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ صَحَابِيٌّ، وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ فِـي الْجَاهِلِيَّـةِ. حَدَّثَ الْفَرَزْدَقُ، عَنْ عَلِـيٍّ أَنَّهُ وَفَدَ مَعَ أَبِيهِ عَلَيْـهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: ابْنِي وَهُوَ شَاعِرٌ. قَالَ: عَلِّمْهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ:(٢) مَا رَأَيْتُ بَدَوِيًّا أَقَامَ بِالْحَضَرِ إِلَّا فَسَدَ لِسَانُهُ إِلَّا رُؤْبَةَ بْنَ الْعَجَّاجِ، وَالْفَرَزْدَقَ، فَإِنَّهُمَا زَادَا عَلَى طُولِ الْإِقَامَةِ جِدَّةً وَحِدَّةً.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٢١

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٢٦

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ:(١) لَمَّا مَاتَتِ امْرَأَةُ الْفَرَزْدَقِ، وَكَانَتْ قَدْ أَوْصَتْ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فَشَهِدَهَا أَعْيَانُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْحَسَنُ عَلَى بَغْلَتِهِ وَالْفَرَزْدَقُ عَلَى بَعِيرِهِ فَسَارَا، فَقَالَ الْحَسَنُ، لِلْفَرَزْدَقِ: **مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ**؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً. فَلَمَّا أَنْ صَلَّى عَلَيْهَا الْحَسَنُ مَالُوا إِلَى قَبْرِهَا لِدَفْنِهَا، فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:(٢)

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

قَالَ: فَبَكَى الْحَسَنُ حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ الْتَزَمَ الْفَرَزْدَقَ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وتوفي سنة (١١٠هـ).

١٣- **الْحَسَنُ بْنُ يَسَارٌ، أَبُو سَعِيدٍ الْبَصْرِيُّ**، مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَيُقَالُ: مَوْلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأُمُّهُ خَيْرَةُ مُوَلَّاةُ أُمِّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَخْدُمُهَا، وكَانَ وَهُوَ صَغِيرٌ تُخْرِجُهُ أُمُّهُ إِلَى الصَّحَابَةِ فَيَدْعُونَ لَهُ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ يَدْعُو لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَحَبِّبْهُ إِلَى النَّاسِ.(٣)

وَقَالَ قَتَادَةُ: مَا جَالَسْتُ رَجُلًا فَقِيهًا إِلَّا رَأَيْتُ فَضْلَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ. وَقَالَ أَيْضًا: مَا رَأَتْ عَيْنَايَ أَفْقَهَ مِنَ الْحَسَنِ.(٤)

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْحَسَنِ انْتَفَعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَهُ وَلَمْ يَرَ عَمَلَهُ.(٥)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: قَالُوا: كَانَ الْحَسَنُ جَامِعًا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، عَالِمًا رَفِيعًا فَقِيهًا، ثِقَةً مَأْمُونًا، عَابِدًا نَاسِكًا، كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَصِيحًا جَمِيلًا وَسِيمًا، وَقَدِمَ مَكَّةَ فَأُجْلِسَ

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ١٣١
(٢) ديوان الفرزدق ٢/ ٥٧٨
(٣) أخبار القضاة للوكيع ٢/ ٥.
(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ١٦٥.
(٥) المصدر السابق ٦/ ١٠٩.

عَلَى سَرِيرٍ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَحَدَّثَهُمْ. وَكَانَ فِيهِمْ مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَطَاوُسٌ، وَعَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ فَقَالُوا: لَمْ نَرَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ.(١)

مَاتَ الْحَسَنُ عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً عَامَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ، فِي مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ.

١٤- **مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ**، أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيُّ مَوْلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ النَّضْرِيِّ، كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ سَبْيِ عَيْنِ التَّمْرِ، أَسَرَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ، فَاشْتَرَاهُ أَنَسٌ ثُمَّ كَاتَبَهُ، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ الْأَخْيَارِ جَمَاعَةٌ؛ مُحَمَّدٌ هَذَا، وَأَنَسُ بْنُ سِيرِينَ، وَمَعْبَدٌ، وَيَحْيَى، وَحَفْصَةُ، وَكَرِيمَةُ وَكُلُّهُمْ تَابِعِيُّونَ ثِقَاةٌ أَجِلَّاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا، عَالِمًا رَفِيعًا، فَقِيهًا إِمَامًا، كَثِيرَ الْعِلْمِ وَرِعًا، وَكَانَ بِهِ صَمَمٌ.(٢)

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: لَمْ أَرَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ ثَلَاثَةٍ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ بِالْعِرَاقِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِالْحِجَازِ، وَرَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ بِالشَّامِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِالْحَدِيثِ عَلَى حُرُوفِهِ.(٣) وَقَالَ عُثْمَانُ الْبَتِّيُّ: لَمْ يَكُنْ بِالْبَصْرَةِ أَعْلَمُ بِالْقَضَاءِ مِنْهُ.(٤)

وَمَاتَ فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ مِنْ سنة (١١٠هـ) بَعْدَ الْحَسَنِ بِمِائَةِ يَوْمٍ.

١٥- **وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ الْيَمَانِيُّ** وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِكُتُبِ الْأَوَائِلِ، وَهُوَ يُشْبِهُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ وَكَانَ لَهُ صَلَاحٌ وَعِبَادَةٌ، وَيُرْوَى عَنْهُ أَقْوَالٌ حَسَنَةٌ وَحِكَمٌ وَمَوَاعِظُ.

وقَالَ الْوَاقِدِيُّ: تُوفِّيَ بِصَنْعَاءَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ.

١٦- **رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ** الْكِنْدِيُّ، أَبُو الْمِقْدَامِ، وَيُقَالُ: أَبُو نَصْرٍ. وَهُوَ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، كَبِيرُ الْقَدْرِ ثِقَةٌ فَاضِلٌ عَادِلٌ، وَزِيرُ صِدْقٍ لِخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَوَثَّقُوهُ فِي الرِّوَايَةِ، وَلَهُ رِوَايَاتٌ وَكَلَامٌ حَسَنٌ،(٥) وتوفي سنة (١١٢هـ).

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٧.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣.
(٣) تاريخ دمشق ١٨/ ١٠٦.
(٤) طبقات ابن سعد٧/ ١٩٦.
(٥) انظر مزيدا في ترجمته طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥٤،وتاريخ دمشق ١٨/ ٩٦-١١٦، وسير أعلام النبلاء٤/ ٥٥٧.

١٧- **الْأَمِيـر عَبْـدُ الْوَهَّابِ بْنُ بُخْتٍ**، أَبُو عُبَيْدَةَ وَيُقَالُ: أَبُو بَكْـرٍ. مَوْلَى آلِ مَرْوَانَ، مَكِّيٌّ سَـكَنَ الشَّـامَ ثُـمَّ تَحَوَّلَ إِلَـى الْمَدِينَـةِ، رَوَى عَنِ ابْـنِ عُمَـرَ، وَأَنَسٍ وَأَبِـي هُرَيْرَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ. وَعَنْهُ خَلْقٌ مِنْهُمْ أَيُّوبُ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَـعِيدٍ الْأَنْصَـارِيُّ، قَالَ مَالِـكٌ: كَانَ كَثِيرَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْغَزْوِ، وَلَـمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِمَا فِي رَحْلِهِ مِنْ رُفَقَائِهِ. وَكَانَ سَمْحًا جَوَادًا، اسْتُشْهِدَ سنة (١١٣هـ).

١٨- **مَكْحُولٌ الشَّامِيُّ**، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، كَبِيرُ الْقَدْرِ، إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ نُوبِيًّا. وَقِيلَ: مِنْ سَبْيِ كَابُلَ. وَقِيلَ: كَانَ مِنَ الْأَبْنَاءِ،[١] مِنْ سُلَالَةِ الْأَكَاسِرَةِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بِالْحِجَازِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِالْبَصْرَةِ، وَالشَّعْبِيُّ بِالْكُوفَةِ، وَمَكْحُولٌ بِالشَّامِ [٢]توفي سنة (١١٣هـ).

١٩- **عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ**، الْفِهْرِيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ، أَحَدُ كِبَارِ التَّابِعِينَ الثِّقَاتِ الرُّفَعَاءِ، يُقَالُ: إِنَّهُ أَدْرَكَ مِائَتَيْ صَحَابِيٍّ.

وَقَـالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ أَعْلَمَ بِالْمَنَاسِـكِ مِنْهُ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ: وَكَانَ قَدْ حَجَّ **سَبْعِينَ حِجَّةً**، وَعَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ.

وَكَانَ يُنَـادِي مُنَادِي بَنِي أُمَيَّةَ فِي أَيَّـامِ مِنًى: لَا يُفْتِي النَّاس فِي الْحَجِّ إِلَّا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ.[٣]مَاتَ فِي سنة (١١٤هـ).

٢٠- **أَبُـو جَعْفَـرٍ الْبَاقِرُ**، مُحَمَّـدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْنِ بْنِ عَلِـيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْقُرَشِـيُّ الْهَاشِـمِيُّ، وَأُمُّـهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بِنْتُ الْحُسَـيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ تَابِعِـيٌّ جَلِيلُ الْقَدْرِ، كَثِيرُ الْعِلْـمِ، أَحَدُ أَعْلَامِ هَـذِهِ الْأُمَّةِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَعِبَادَةً وَنَسَـبًا وَشَـرَفًا، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ تَدَّعِي فِيهِ طَائِفَةُ الشِّيعَةِ أَنَّهُ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الِاثْنَيْ عَشَرَ.

(١) يقال لأولاد الفرس الذين دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن: **الأبناء**.
(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ١٦٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٢.

وَلَـمْ يَكُنِ الرَّجُلُ عَلَـى طَرِيقِهِمْ وَلَا عَلَـى مِنْوَالِهِمْ، وَلَا يَدِينُ بِمَا وَقَـعَ فِي أَذْهَانِهِمْ وَأَوْهَامِهِمْ وَخَيَالِهِمْ، بَلْ كَانَ مِمَّنْ يُقَدِّمُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَذَلِكَ عِنْدَهُ صَحِيحٌ فِي الْأَثَرِ.

قَالَ: مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي إِلَّا وَهُوَ يَتَوَلَّاهُمَا. رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَنْهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَـعْدٍ: كَانَ ثِقَةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سـنة (١١٥هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٢١- **قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ**، أَبُو الْخَطَّابِ الْبَصْرِيُّ الْأَعْمَى، أَحَـدُ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّـةِ الْعَامِلِيـنَ، رَوَى عَنْ أَنَسِ بْـنِ مَالِكٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِيـنَ، وَحَدَّث عَنْهُ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْكِبَارِ كَأَيُّوبَ، وَحَمَّادِ.

قَـالَ أَحْمَـدُ بْنُ حَنْبَـلٍ: هُوَ أَحْفَظُ أَهْـلِ الْبَصْرَةِ، لَا يَسْـمَعُ شَـيْئًا إِلَّا حَفِظَـهُ، وَقُرِئَ عَلَيْـهِ صَحِيفَةُ جَابِرٍ مَرَّةً وَاحِـدَةً فَحَفِظَهَا. وَذُكِرَ يَوْمًا، فَأَثْنَى عَلَـى عِلْمِهِ وَفِقْهِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالِاخْتِلَافِ والتفسـير كانت وَفَاتُهُ بِوَاسِـطَ فِي الطَّاعُونِ سـنة (١١٧هـ) وَعُمْرُهُ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

٢٢- **نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَدَنِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَكَانَ مِـنَ الثِّقَاتِ النُّبَلَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَجِلَّاءِ. **قَالَ الْبُخَارِيُّ**: أَصَحُّ الْأَسَـانِيدِ مَالِكٌ، عَـنْ نَافِـعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ. وَكَانَ عُمَرُ بْـنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ بَعَثَهُ إِلَـى مِصْرَ يُعَلِّمُ النَّاسَ السُّنَنَ، وَتُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ.

٢٣- **ذُو الرُّمَّـةِ الشَّـاعِرُ**، وَاسْـمُهُ غَيْلَانُ بْـنُ عُقْبَةَ بْنِ بُهَيْشٍ مِـنْ بَنِي عَبْدِ مَنَـاةَ بْنِ أُدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرَ أَبُو الْحَارِثِ أَحَدُ فُحُولِ الشُّـعَرَاءِ، وَلَهُ دِيوَانٌ مَشْـهُورٌ، **وَكَانَ يَتَغَـزَّلُ فِي مَيَّةَ بِنْتِ مُقَاتِلِ الْمِنْقَرِيِّ وَكَانَـتْ جَمِيلَةً**، وَكَانَ هُوَ دَمِيمَ الْخَلْقِ، أَسْـوَدَ اللَّوْنَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فُحْشٌ وَلَا خنا، وَلَـمْ يَكُنْ رَآهَا قَطُّ وَلَا رَأَتْهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَسْمَعُ بِهِ وَيَسْمَعُ بِهَا.

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَان:(١) وَمِنْ شَعْرِهِ السَّائِرِ بَيْنَ النَّاسِ مَا أَنْشَدَهُ:

إِذَا هبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ   أَهْلُ مَيٍّ هَاجَ قَلْبِي هُبُوبُهَا
هَوًى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا   هَوَى كُلِّ نَفْسٍ أَيْنَ حَلَّ حَبِيبُهَا

وَأَنْشَدَ عِنْدَ الْمَوْتِ:(٢)

يَا قَابِضَ الرُّوحِ عَنْ نَفْسِي إِذَا احْتُضِرَتْ   وَغَافِرَ الذَّنْبِ زَحْزِحْنِي عَنِ النَّارِ

وتوفي سنة (١١٧هـ).

٢٤- **عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ** بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَأُمُّهُ زُرْعَةُ بِنْتُ مِشْرَحِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ الْكِنْدِيِّ، وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَسَأَلَهُ عَنِ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ وَلَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وُلِدَ لِي وَلَدٌ سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو مُحَمَّدٍ. وَأَجْزَلَ عَطِيَّتَهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. وَقَدْ كَانَ فِي غَايَةِ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ، وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَحُسْنِ الشَّكْلِ، وَالْعَدَالَةِ وَالثِّقَةِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ:(٣) كَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْحَمِيمَةِ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ سنة (١١٨هـ) وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ(٤): أَنَّهُ تَزَوَّجَ لُبَابَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَطَلَّقَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ.

فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ هَذَا نَقَمَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ذَلِكَ، فَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تُذِلَّ بَنِيهَا مِنَ الْخُلَفَاءِ وَضَرَبَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ؛ لِأَنَّهُ اشْتُهِرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْخِلَافَةَ صَائِرَةٌ إِلَى بَنِيهِ. فَوَقَعَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٣.
(٢) المصدر السابق ٤/ ١٦، وانظر: ديوان ذي الرمة بشرح الباهلي ٣/ ١٨٧٥.
(٣) تهذيب الكمال ٢١/ ٤٠
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٥

٢٥- **مَسْـلَمَةُ بْـنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْـنِ مَرْوَانَ** بْـنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِـي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِـيِّ الْأُمَوِيِّ، أَبُو سَـعِيدٍ وَأَبُو الْأَصْبَغِ الدِّمَشْـقِيُّ، وَلِيَ الْمَوْسِـمَ أَيَّامَ أَخِيهِ الْوَلِيدِ سـنة (٩٤هـ)، وَغَـزَا الرُّومَ غَـزَوَاتٍ، وَحَاصَـرَ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةَ، وَوَلَّاهُ أَخُوهُ يَزِيـدُ إِمْرَةَ الْعِرَاقَيْنِ ثُمَّ عَزَلَهُ. قُلْتُ: وَقَدْ فَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

وَلَمَّـا وَلِـيَ إِرْمِينِيَّةَ غَزَا التُّرْكَ فَبَلَغَ بَـابَ الْأَبْوَابِ، فَهَدَمَ الْمَدِينَةَ الَّتِـي عِنْدَهُ، ثُمَّ أَعَادَ بِنَاءَهَا بَعْدَ تِسْعِ سِنِينَ.

وَقَدْ لَقِيَ مَسْـلَمَةُ فِي حِصَارِهِ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةَ شِـدَّةً عَظِيمَةً، وَجَاعَ الْمُسْـلِمُونَ عِنْدَهَا جَوْعًا شَـدِيدًا، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْسَـلَ إِلَيْهِمُ الْبَرِيـدَ يَأْمُرُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الشَّامِ، فَحَلَفَ مَسْلَمَةُ أَنْ لَا يُقْلِعَ عَنْهُمْ حَتَّى يَبْنُوا لَهُ جَامِعًا كَبِيرًا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَبَنَوْا لَهُ جَامِعًا وَمَنَارَةً، فَهُوَ بِهَا إِلَى الْآنِ[١] يُصَلِّي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ.

قال ابن كثير: وَهِيَ آخِرُ مَا يَفْتَحُهُ الْمُسْـلِمُونَ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ[٢] فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا سَنُورِدُهُ فِي الْمَلَاحِمِ وَالْفِتَنِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَبِالْجُمْلَـةِ كَانَـتْ لِمَسْـلَمَةَ مَوَاقِفُ مَشْـهُورَةٌ وَمَسَـاعٍ مَشْـكُورَةٌ، وَغَـزَوَاتٌ مُتَتَالِيَةٌ وَمَنْثُـورَةٌ، وَقَدِ افْتَتَـحَ حُصُونًا وَقِلَاعًا، وَأَحْيَـا بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ قُصُـورًا وَبِقَاعًا، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ نَظِيرَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي أَيَّامِهِ، فِي كَثْرَةِ مَغَازِيهِ، وَكَثْرَةِ فُتُوحِهِ، وَقُوَّةِ عَزْمِهِ، وَشِـدَّةِ بَأْسِهِ، وَجَوْدَةِ تَصَرُّفِهِ فِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ، هَذَا مَعَ الْكَرَمِ وَالْفَصَاحَةِ، وَالرِّيَاسَةِ وَالسَّمَاحَةِ، وَالْأَصَالَةِ وَالرَّجَاحَةِ، وَالدِّينِ وَالْعِفَّةِ.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ مَضَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، سنة (١٢١هـ).

---

(١) يقع في مدينة اسطنبول ويسمى جامع العرب.

(٢) قـال ابـن كثير هذا القـول في زمانه وظن أنها لن تفتح إلا في آخر الزمان كمـا ورد في الأحاديث، ولكن في الواقع التاريخي أن القسطنطينية فتحت في العصر العثماني سنة (٨٥٧هـ) على يد السلطان محمد الفاتح. والفتح الآخر قادم.

٢٦- **نُمَيْرُ بْنُ أَوْسٍ الْأَشْعَرِيُّ**، قَاضِي دِمَشْقَ، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، **رَوَى عَنْ** حُذَيْفَةَ وَأَبِي مُوسَى مُرْسَلًا، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، **وَحَدَّثَ عَنْهُ** جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ، مِنْهُمُ الْأَوْزَاعِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَلَّاهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ **الْقَضَاءَ** بِدِمَشْقَ، ثُمَّ اسْتَعْفَى هِشَامًا فَأَعْفَاهُ.

وَكَانَ نُمَيْرٌ لَا يَحْكُمُ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ، وَكَانَ يَقُولُ: الْآدَابُ مِنَ الْآبَاءِ، وَالصَّلَاحُ مِنَ اللهِ، توفي سنة (١٢١هـ).

٢٧- **إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ بْنُ إِيَاسٍ**، أَبُو وَاثِلَةَ الْمُزَنِيُّ قَاضِي الْبَصْرَةِ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ، وَلِجَدِّهِ صُحْبَةٌ، **وَكَانَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذَكَائِهِ**.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، وَالْعِجْلِيُّ، وَابْنُ مَعِينٍ، وَالنَّسَائِيُّ:[1] ثِقَةٌ فَقِيهًا عَفِيفًا وَكَانَ عَاقِلًا مِنَ الرِّجَالِ فَطِنًا.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ:[2] تَحَاكَمَ إِيَاسٌ وَهُوَ صَبِيٌّ شَابٌّ، وَشَيْخٌ إِلَى قَاضِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: إِنَّهُ شَيْخٌ وَأَنْتَ شَابٌّ، فَلَا تُسَاوِهِ فِي الْكَلَامِ. **فَقَالَ إِيَاسٌ: إِنْ كَانَ كَبِيرًا فَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ**. فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: اسْكُتْ. فَقَالَ: وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِحُجَّتِي إِذَا سَكَتُّ؟ فَقَالَ الْقَاضِي: مَا أَحْسَبُكَ تَنْطِقُ بِحَقٍّ فِي مَجْلِسِي هَذَا حَتَّى تَقُومَ. فَقَالَ إِيَاسٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ الْقَاضِي: مَا أَظُنُّكَ إِلَّا ظَالِمًا لَهُ. فَقَالَ: مَا عَلَى ظَنِّ الْقَاضِي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي، فَقَامَ الْقَاضِي، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ فَقَالَ: اقْضِ حَاجَتَهُ وَأَخْرِجْهُ السَّاعَةَ مِنْ دِمَشْقَ، لَا يُفْسِدُ عَلَيَّ النَّاسَ.

وَقَالَ الْعِجْلِيُّ:[3] دَخَلَ عَلَى إِيَاسٍ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ، فَلَمَّا رَآهُنَّ قَالَ: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ فَمُرْضِعٌ، وَالْأُخْرَى بِكْرٌ، وَالْأُخْرَى ثَيِّبٌ. **فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَلِمْتَ هَذَا؟** فَقَالَ: أَمَّا الْمُرْضِعُ

---

(١) تهذيب الكمال ٣/ ٤١٠

(٢) تاريخ دمشق ١٠/ ٨-٩

(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ١٣.

فَلَمَّا قعدتْ أَمْسَكَتْ ثَدْيَهَا بِيَدِهَا، وَأَمَّا الْبِكْرُ فَلَمَّا دَخلَتْ لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى أَحَدٍ، وَأَمَّا الثَّيِّبُ فَلَمَّا دَخلَتْ نَظَرَتْ وَرَمَتْ بِعَيْنَيْهَا.

قَالَ بَعْضُهُمْ، عَنْ إِيَاسٍ[١] قَالَ: كُنْتُ فِي الْكُتَّابِ وَأَنَا صَبِيٌّ، فَجَعَلَ أَوْلَادُ النَّصَارَى يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا فَضْلَةَ لِطَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَقُلْتُ لِلْفَقِيهِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَنْصَرِفُ فِي غِذَاءِ الْبَدَنِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَمَا تُنْكِرُ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ طَعَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلَّهُ غِذَاءً لِأَبْدَانِهِمْ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَلِّمُهُ: مَا أَنْتَ إِلَّا شَيْطَانٌ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ إِيَاسٌ وَهُوَ صَغِيرٌ بِعَقْلِهِ، قَدْ وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،أَنَّ طَعَامَهُمْ يَنْصَرِفُ جُشَاءً وَعَرَقًا كَالْمِسْكِ، فَإِذَا الْبَطْنُ ضَامِرٌ.

وَمِنْ كَلَامِهِ الْحَسَنِ:[٢]

لَأَنْ يَكُونَ فِي فِعَالِ الرَّجُلِ فَضْلٌ عَنْ قَوْلِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ فَضْلٌ عَنْ فِعَالِهِ

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ:[٣] ذَكَرْتُ رَجُلًا بِسُوءٍ عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِي وَقَالَ: أَغَزَوْتَ الرُّومَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَالسِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالتُّرْكَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَفَسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالتُّرْكُ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ؟ ! قَالَ: فَلَمْ أَعُدْ بَعْدَهَا.

قَالُوا: لَمَّا تَوَلَّى إِيَاسٌ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ فَرِحَ بِهِ الْعُلَمَاءُ، حَتَّى قَالَ أَيُّوبُ: لَقَدْ رَمَوْهَا بِحَجَرِهَا. وَجَاءَهُ الْحَسَنُ، وَابْنُ سِيرِينَ فَسَلَّمَا عَلَيْهِ، فَبَكَى إِيَاسٌ وَذَكَرَ حَدِيثَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ؛ قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ» فَقَالَ الْحَسَنُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ١٤
(٢) أخبار القضاة لوكيع،١/ ٣٥٠.
(٣) تاريخ دمشق ١٠/ ١٨.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] قَالُوا: ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ لِلْخُصُومَاتِ، فَمَا قَامَ حَتَّى فَصَلَ سَبْعِينَ قَضِيَّةً، حَتَّى كَانَ يُشَبَّهُ بِشُرَيْحٍ الْقَاضِي.

قَالُوا: وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ اثْنَانِ قَدْ أَوْدَعَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ الْآخَرِ مَالًا، وَجَحَدَهُ الْآخَرُ، فَقَالَ إِيَاسٌ لِلْمُودِعِ: أَيْنَ أَوْدَعْتَهُ؟ قَالَ: عِنْدَ شَجَرَةٍ فِي بُسْتَانٍ. فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَيْهَا، فَقِفْ عِنْدَهَا لَعَلَّكَ تتذَكَّرُ. فَانْطَلَقَ.

وَجَلَسَ الْآخَرُ، فَجَعَلَ إِيَاسٌ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ وَيُلَاحِظُهُ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَوْصَلَ صَاحِبُكَ بَعْدُ إِلَيْهَا؟ فَقَالَ: لَا بَعْدُ، أَصْلَحَكَ اللهُ. فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَدُوَّ اللهِ فَأَدِّ إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَإِلَّا جَعَلْتُكَ نَكَالًا. وَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَامَ مَعَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ وَدِيعَتَهُ بِكَمَالِهَا.(١)

وقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ خَلِّكَانَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي تَرْجَمَتِهِ. وتُوفِّي بِوَاسِطَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ.

٢٨- **الزُّهْرِيُّ،** مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شِهَابٍ، أَبُو بَكْرٍ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، سَمِعَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ. وُلِدَ الزُّهْرِيُّ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ.

رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَارْتَحَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ، وَكَانَ عِنْدِي عِيَالٌ كَثِيرَةٌ، فَجِئْتُ جَامِعَهَا، فَجَلَسْتُ فِي أَعْظَمِ حَلْقَةٍ، فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَسْأَلَةٌ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِيهَا شَيْئًا - وَقَدْ شَذَّ عَنْهُ - فِي أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ يَرْوِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَقُلْتُ: إِنِّي أَحْفَظُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٨.

فَأَخَذَنِـي فَأَدْخَلَنِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ. فَسَـأَلَنِي: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَانْتَسَـبْتُ لَهُ، وَذَكَرْتُ لَهُ حَاجَتِي وَعِيَالِي، فَسَـأَلَنِي: هَلْ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَالْفَرَائِضَ وَالسُّـنَنَ. فَسَأَلَنِي عَـنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَأَجَبْتُهُ، فَقَضَى دَيْنِي، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ، وَقَالَ لِي: اطْلُبِ الْعِلْمَ، فَإِنِّي أَرَى لَكَ عَيْنًا حَافِظَةً وَقَلْبًا ذَكِيًّا. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ أَطْلُبُ الْعِلْمَ وَأَتَتَبَّعُهُ.

وَقَـالَ عَبْـدُ الـرَّزَّاقِ:[1] أَخْبَرَنَا مَعْمَـرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَـالَ: كُنَّا نَكْرَهُ كِتَـابَ الْعِلْمِ حَتَّى أَكْرَهَنَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءُ، فَرَأَيْنَا أَنْ لَا نَمْنَعَهُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وقد وَفَدَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقَ، فَأَكْرَمَهُ، وَفَرَضَ لَهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَـائِهِ، ثُمَّ كَانَ كَذَلِكَ عِنْدَ أَوْلَادِهِ مِنْ بَعْدِهِ الْوَلِيدِ، وَسُـلَيْمَانَ وَكَذَلِكَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثُمَّ عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاسْتَقْضَاهُ يَزِيدُ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ، ثُمَّ كَانَ حَظِيًّا عِنْدَ هِشَامٍ، وَحَجَّ مَعَهُ، وَجَعَلَهُ مُعَلِّمَ أَوْلَادِهِ إِلَى أَنْ تُوفِّي .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ سَوْقًا لِلْحَدِيثِ إِذَا حَدَّثَ مِنَ الزُّهْرِيِّ.

وَقَالَ سُـفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنَصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِيِّ وَلَا أَهْوَنَ مِنَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ عِنْدَهُ، وَمَا الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ عِنْدَ الزُّهْرِيِّ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْبَعْرِ.

وَقَـالَ عَبْدُ الـرَّزَّاقِ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَـةَ: مُحَدِّثُو أَهْلِ الْحِجَازِ ثَلَاثَةٌ: الزُّهْـرِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ.

وَقَالَ الشَّـافِعِيُّ:[2] عَتَبَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ عَلَى الزُّهْرِيِّ فِي الْإِسْـرَافِ، وَكَانَ يَسْتَدِينُ، فَقَـالَ لَهُ: لَا آمَنُ أَنْ يَحْبِسَ هَـؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ عَنْكَ فَتَكُونَ قَـدْ حُمِلْتَ عَلَى أَمَانَتِكَ. قَالَ: فَوَعَدَهُ الزُّهْرِيُّ أَنْ يُقْصِرَ، فَمَرَّ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ وَنَصَبَ مَوَائِدَ الْعَسَلِ،

(١) المصنف، رقم الحديث (٢٠٤٨٧).
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥/ ١٠٢٢ (مخطوط).

فَوَقَـفَ بِـهِ رَجاءٌ وَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا هَذَا بِالَّذِي فَارَقْتَنَا عَلَيْـهِ. فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّ: انْزِلْ فَإِنَّ السَّخِيَّ لَا تُؤَدِّبُهُ التَّجَارِبُ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ: تُوفِّيَ الزُّهْرِيُّ بِأَمْوَالِهِ بِشَـغْبٍ[1] لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِسَـبْعَ عَشْـرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، سَـنَةَ (١٢٤هـ)، عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسَـبْعِينَ سَـنَةً، وَدُفِنَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ لِيَدْعُوَ لَهُ الْمَارَّةُ.

٢٩- بِلَالُ بْنُ سَـعْدِ بْنِ تَمِيمٍ السَّـكُونِيُّ، إِمَامُ الْجَامِعِ بِدِمَشْـقَ أَيَّامَ هِشَامٍ، وَقَاصُّ أَهْلِ الشَّـامِ، كَانَ أَحَدَ الزُّهَّـادِ الْكِبَارِ وَالْعُبَّادِ الصُّوَّامِ الْقُـوَّامِ، رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ لَـهُ صُحْبَـةٌ، وَكَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَكْتُبُ عَنْـهُ مَا يَقُولُهُ مِنَ الْفَوَائِـدِ الْعَظِيمَةِ فِي قَصَصِهِ وَوَعْظِهِ، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ وَاعِظًا قَطُّ مِثْلَهُ.

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ:[2] خَرَجَ النَّاسُ بِدِمَشْـقَ يَسْتَسْـقُونَ، فَقَامَ فِيهِمْ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَـرَ مَنْ حَضَرْتُمْ، أَلَسْـتُمْ مُقِرِّينَ بِالْإِسَاءَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: ٩١] وَقَدْ أَقْرَرْنَا بِالْإِسَـاءَةِ، فَاعْفُ عَنَّا وَاسْـقِنَا. قَالَ: فَسُقُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ.

وَكَانَ مِـنْ دُعَائِهِ: اللَّهُـمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَيْغِ الْقُلُوبِ، وَمِـنْ تَبِعَاتِ الذُّنُوبِ، وَمِنْ مُرْدِيَاتِ الْأَعْمَالِ، وَمُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، وتوفي سنة (١٢٤هـ).

٣٠- الْجَعْـدُ بْـنُ دِرْهَمٍ، هُـوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُـرْآنِ، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَـبُ إِلَيْهِ مَرْوَانُ الْجَعْدِيُّ، آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ ابْنُ عَسَـاكِرَ وَغَيْـرُهُ: وَقَدْ أَخَذَ بِدْعَتَهُ عَنْ أبان بْنِ سَمْعَانَ وَأَخَذَهَا أبان عَنْ طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ، عَنْ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ السَّاحِرِ لَعَنَهُ اللهُ.

---

(١) شغب :بلدة من أرض فلسطين .

(٢) المصدر السابق ١٠/ ٥٠٦.

وَأَخَذَ عَنِ الْجَعْدِ **الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ** الْخَزَرِيُّ. وَقَدْ أَقَامَ بِبَلْخَ وَكَانَ يُصَلِّي مَعَ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ فِي مَسْجِدِهِ وَيَتَنَاظَرَانِ، حَتَّى نُفِيَ إِلَى تِرْمِذَ، ثُمَّ قُتِلَ الْجَهْمُ بِمَرْوَ، قَتَلَهُ نَائِبُهَا سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَجَزَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا.

وَأَخَذَ بِشْرُ الْمَرِيسِيُّ عَنِ **الْجَهْمِ**، وَأَخَذَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيّ.

وقد أَقَامَ الْجَعْدُ بِدِمَشْقَ حَتَّى أَظْهَرَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَتَطَلَّبَهُ بَنُو أُمَيَّةَ فَهَرَبَ مِنْهُمْ، فَسَكَنَ الْكُوفَةَ، فَلَقِيه بِهَا الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ فَتَقَلَّدَ هَذَا الْقَوْلَ.

ثُمَّ قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى بِالْكُوفَةِ سنة (١٢٤هـ)، حيث خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ تِلْكَ:

أَيُّهَا النَّاسُ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي **مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ** بْنِ دِرْهَمٍ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ بِيَدِهِ، أَثَابَهُ اللهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَ مِنْهُ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وبأمره .

وَقَدْ رَوَى قِصَّة الجعد مَعَ خَالِدٍ القسري، الْبُخَارِيُّ فِي كتاب «**خلق أَفْعَالِ الْعِبَادِ**»[1] وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُه، مِمَّنْ صَنَّفَ فِي السُّنَّةِ كَالطَّبَرَانِيِّ، وَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ .

❁ ❁ ❁

(١) انظر : ص٨.

(١٠)

خلافة
الوليد بن يزيد بن عبدالملك

١٢٥ـ١٢٦

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْأُمَوِيُّ الدِّمَشْقِيُّ بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ عَمِّهِ هشام، وَأُمُّهُ أُمُّ الْحَجَّاجِ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ.

له من الولد[1]: عثمان بن الوليد (المذبوح في السجن)، **وأمه** عاتكة بنت محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب ، ويزيد بن الوليد بن الوليد، والحكم (المذبوح في السجن)، والعباس، وبه كان يكنى، وفهراً، ولؤياً، والعاصي، وموسى، وقصياً، وواسطًا، وذؤابةً، وفتحًا، وأم الحجاج، كلهم لأمهات أولاد شتى ، وسعيد بن الوليد، **وأمه** أم عبدالملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

❁ ❁ ❁

(١) انظر نسب قريش للزبيري ١٦٧ .

خلافته

○ بيعته

كان والده الوليد بن عبدالملك قد رشحه لولاية العهد مع هشام بن عبدالملك .

ولَمَّا وَلِيَ هِشَامٌ أَكْرَمَ ابْنَ أَخِيهِ الْوَلِيدَ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِ أَمْرُ الشَّرَابِ، وَخُلَطَاءِ السُّوءِ وَمَجَالِسِ اللَّهْوِ، فَأَرَادَ هِشَامٌ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَأَمَّرَهُ عَلَى الْحَجِّ سَنَةَ (١١٦هـ) ولكنه لم يرعوي، واصطحب معه إلى الحج آلات اللهو والمحرمات، وأصحاب السوء.

حتى ذُكر أنه اصطنع قُبَّةً عَلَى قَدْرِ الْكَعْبَةِ، وعزم أَنْ يَنْصِبَ تِلْكَ الْقُبَّةَ فَوْقَ سَطْحِ الْكَعْبَةِ، وَيَجْلِسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ هُنَالِكَ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ هَابَ أَنْ يَفْعَلَ مَا كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُلُوسِ فَوْقَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ؛ خَوْفًا من إنكار الناس عليه.

وقد حاول هشام استصلاحه فَنَهَاهُ مِرَارًا، فَلَمْ يَنْتَهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى حَالِهِ الْقَبِيحِ، وَعَلَى فِعْلِهِ الرَّدِيءِ، فَعَزَمَ عَمُّهُ عَلَى خَلْعِهِ مِنَ الْخِلَافَةِ - وَلَيْتَهُ فَعَلَ - وَأَنْ يُوَلِّيَ بَعْدَهُ مَسْلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَمِنْ أَخْوَالِهِ، وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَيْتَ ذَلِكَ تَمَّ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْتَظِمْ أمر عزله.

وكرر هِشَامٌ نصحه له حَتَّى قَالَ يَوْمًا لِلْوَلِيدِ: **وَيْحَكَ!** وَاللهِ مَا أَدْرِي أَعَلَى الْإِسْلَامِ أَنْتَ أَمْ لا، فَإِنَّكَ مَا تَدَعُ شَيْئًا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ إِلَّا أَتَيْتَهُ غَيْرَ مُتَحَاشٍ وَلَا مُسْتَتِرٍ.

ووَقَعَتْ بسبب ذلك بَيْنَ هِشَامٍ وَبَيْنَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَحْشَةٌ عَظِيمَةٌ، فَتَنَكَّرَ لَهُ هِشَامٌ وَعَزَمَ عَلَى خَلْعِهِ، فَفَرَّ مِنْهُ الْوَلِيدُ إِلَى الصَّحْرَاءِ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ هِشَامٌ، وَالْوَلِيدُ فِي الْبَرِّيَّةِ.

ولما مات هشام، جَاؤوه وهو في البرية فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَبُهِتَ وَقَالَ: وَيْحَكُمْ!

أَمَاتَ هِشَامٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَنْ بَعَثَكُمْ؟ قَالُوا: سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ **صَاحِبُ دِيوَانِ الرَّسَائِلِ**. وَأَعْطَوْهُ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ، وَكَيْفَ مَاتَ عَمُّهُ هِشَامٌ فَأَخْبَرُوهُ، فَكَتَبَ مِنْ فَوْرِهِ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى أَمْوَالِ هِشَامٍ وَحَوَاصِلِهِ بِالرُّصَافَةِ.

فسَارَ الوليد إِلَى دِمَشْقَ، ووصلها يوم السبت التاسع من ربيع الآخر، وبويع له.

وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ،وَاسْتَعْمَلَ الْعُمَّالَ، وَجَاءَتْهُ الْبَيْعَةُ مِنَ الْآفَاقِ، وَجَاءَتْهُ الْوُفُودُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ **مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ** - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ نَائِبُ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ - يُبَارِكُ لَهُ فِي خِلَافَةِ اللهِ لَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَالتَّمْكِينِ فِي بِلَادِهِ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَنَّهُ جَدَّدَ الْبَيْعَةَ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَأَنَّهُمْ فَرِحُوا وَاسْتَبْشَرُوا بِذَلِكَ.

○ ولاية العهد لابنيه

ولما تمت بيعة الوليد عقد البيعة بولاية العهد لابنيه **الحكم ثم عثمان**، وَبَعَثَ الْبَيْعَةَ إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ، أَمِيرِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَأَرْسَلَهَا إِلَى نَائِبِ خُرَاسَانَ، نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ الكناني، فَخَطَبَ بِذَلِكَ نَصْرٌ خُطْبَةً عَظِيمَةً بَلِيغَةً طَوِيلَةً، سَاقَهَا ابْنُ جَرِيرٍ بِكَمَالِهَا. وَاسْتَوْسَقَ لِلْوَلِيدِ الْمَمَالِكُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، **وَأَخَذَتِ الْبَيْعَةُ لِوَلَدَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْآفَاقِ**.

○ سيرته في أول الأمر

ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ سَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةً حَسَنَةً بَادِيَ الرَّأْيِ، وَأَمَرَ بِإِعْطَاءِ الزَّمْنَى، وَالْمَجْذُومِينَ وَالْعُمْيَانَ، لِكُلِّ إِنْسَانٍ خَادِمًا، وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ الطِّيبَ وَالتُّحَفَ لِعِيَالَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَزَادَ فِي أَعْطِيَّاتِ النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلَ الشَّامِ وَالْوُفُودَ. وَكَانَ كَرِيمًا مُمَدَّحًا شَاعِرًا مُجِيدًا، لَا يُسْأَلُ شَيْئًا قَطُّ فَيَقُولُ: لَا.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده

○ ولاية خراسان

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ **بِالِاسْتِقْلَالِ** بِوِلَايَةِ خُرَاسَانَ عن العراق، ثُمَّ وَفَدَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ عَلَى الْوَلِيدِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ وِلَايَةَ خُرَاسَانَ، **فَرَدَّهَا إِلَيْهِ** كَمَا كَانَتْ فِي أَيَّامِ هِشَامٍ، وَأَنْ يَكُونَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ وَنُوَّابُهُ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ.

وَكَتَبَ الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه سَرِيعًا، وَأَنْ يُكْثِرَ مِنَ اسْتِصْحَابِ الْهَدَايَا وَالتُّحَفِ، فَحَمَلَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ أَلْفَ مَمْلُوكٍ عَلَى الْخَيْلِ، وَأَلْفَ وَصِيفَةٍ، وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَبَارِيقِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التُّحَفِ، وأَنْ يَحْمِلَ مَعَهُ مِنْ آلَاتِ الطَّرَبِ وَالْفِسْقِ، فَكَرِهَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ وَكَرِهُوهُ.

وَقِيلَ لِنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ الكناني: إِنَّ الْفِتْنَةَ قَرِيبًا سَتَقَعُ بِالشَّامِ، فَجَعَلَ يَتَثَاقَلُ فِي سَيْرِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ جَاءَتْهُ الْبُرُدُ، فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ الْوَلِيدَ **قَدْ قُتِلَ**، وَهَاجَتِ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ فِي النَّاسِ بِالشَّامِ، فَعَدَلَ بِمَا مَعَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُدُنِ، فَأَقَامَ بِهَا، وَبَلَغَهُ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ قَدْ هَرَبَ مِنَ الْعِرَاقِ، وَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ قَتْلِ الْخَلِيفَةِ.

○ ولاية الحرمين

وَفِي سنة (١٢٥هـ) وَلَّى الْوَلِيدُ بن يزيد يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ وِلَايَةَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدًا ابْنِي هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ بِالْمَدِينَةِ مُهَانَيْنِ لِكَوْنِهِمَا خَالَيْ هِشَامٍ ثُمَّ يَبْعَثُ بِهِمَا إِلَى يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ نَائِبِ الْعِرَاقِ فَبَعَثَهُمَا إِلَيْهِ، فَمَا زَالَ يُعَذِّبُهُمَا حَتَّى مَاتَا، وَأَخَذَ مِنْهُمَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً.

وولَّى قضاء المدينة يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ.

○ إخلاءِ قبرص من سكانها

فِي سنة (١٢٥هـ) بَعَثَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ إِلَى أَهْلِ قُبْرُسَ جَيْشًا مَعَ أَخِيهِ الغمر بن يزيد، وَقَالَ: خَيِّرْهُمْ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى الشَّامِ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى الرُّومِ. فَكَانَ مِنْهُمْ مَنِ اخْتَارَ جِوَارَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ، وَمِنْهُمْ مَنِ انْتَقَلَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٢٥هـ) يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ أَمِيرُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَة وَالطَّائِفِ.

❁ ❁ ❁

○ سبب الثورة عليه وزوال حكمه

وقد أورد الحافظ ابن كثير بعض الآثار والأحاديث، التي فيها وصف للوليد وفسقه، وهي لا تصح.[١]

قال ابن كثير: [٢] كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مُجَاهِرًا بِالْفَوَاحِشِ مُصِرًّا عَلَيْهَا، مُنْتَهِكًا مَحَارِمَ اللهِ، عَزَّوَجَلَّ، لَا يَتَحَاشَى مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَرُبَّمَا اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ بِالزَّنْدَقَةِ وَالِانْحِلَالِ مِنَ الدِّينِ[٣]. فَاللهُ أَعْلَمُ. لَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ عَاصِيًا شَاعِرًا مَاجِنًا، مُتَعَاطِيًا لِلْمَعَاصِي، لَا يَتَحَاشَى بِهَا مَنْ أَحَدٍ وَلَا يَسْتَحِي مَنْ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ وَبَعْدَ أَنْ وَلِيَ.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ:[٤] حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ فَذُكِرَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَانَ زِنْدِيقًا. **فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: خِلَافَةُ اللهِ عِنْدَهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي زِنْدِيقٍ.**

○ إساءته إلى بني عمه

- رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ،[٥] أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ضَرَبَ ابْنَ عَمِّهِ **سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامٍ** مِائَةَ سَوْطٍ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ، وَغَرَّبَهُ إِلَى عَمَّانَ، فَحَبَسَهُ بِهَا، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى قُتِلَ الْوَلِيدُ.
- وَأَخَذَ جَارِيَةً كَانَتْ لِآلِ عَمِّهِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا **عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ** فَقَالَ: لَا أَرُدُّهَا. فَقَالَ: إِذَنْ تَكْثُرَ الصَّوَاهِلُ حَوْلَ عَسْكَرِكَ.

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ١٦٨-١٧٠. وانظر: أثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية، دراسة تاريخية حديثية تحليلية مقارنة، للدكتور: إبراهيم بن يوسف الأقصم، طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٩هـ.

(٢) البداية والنهاية١٣/ ١٧٠.

(٣) انظر أنساب الأشراف ٩/ ١٦٥، تاريخ الطبري٧/ ٢٣٢.

(٤) تاريخ دمشق ١٧/ ٩٢٩.(مخطوط) من طريق الزبير به .

(٥) ٧/ ٢٣١.

- وَحَبَسَ الْأَفْقَمَ يَزِيدَ بْنَ هِشَامٍ.
- وَبَايَعَ لِوَلَدَيْهِ الْحَكَمِ وَعُثْمَانَ وَكَانَا دُونَ الْبُلُوغِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَنَصَحُوهُ فَلَمْ يَنْتَصِحْ، وَنَهَوْهُ فَلَمْ يَرْتَدِعْ وَلَمْ يَقْبَلْ.
- قَالَ الْمَدَائِنِيُّ فِي رِوَايَتِهِ: ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَرَمَاهُ بَنُو هِشَامٍ وَبَنُو الْوَلِيدِ بِالْكُفْرِ، وَغِشْيَانِ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ أَبِيهِ.

الثورة على الوليد

وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِيهِ قَوْلًا **يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ** وَكَانَ النَّاسُ إِلَى قَوْلِهِ أَمْيَلُ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ النُّسُكَ وَالتَّوَاضُعَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا يَسَعُنَا الرِّضَا بِالْوَلِيدِ.

وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الصَّلَاحِ وَالدِّينِ وَالْوَرَعِ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ أَخُوهُ **الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ** فَلَمْ يَقْبَلْ، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْوَلِيدَ لَقَيَّدْتُكَ وَأَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِ. وَاتَّفَقَ خُرُوجُ النَّاسِ مِنْ دِمَشْقَ مِنْ وَبَاءٍ وَقَعَ بِهَا، فَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ، وَبَايَعَهُ مَنْ بَايَعَهُ مِنَ النَّاسِ، قَصَدَ دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا فِي غَيْبَةِ الْوَلِيدِ فَبَايَعَهُ أَكْثَرُ أَهْلِهَا، وَبَعَثَ أخاه عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ لِيَأْتُوا بِهِ، وَرَكِبَ بَعْضُ مَوَالِي الْوَلِيدِ فَرَسًا سَابِقًا، فَسَاقَ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْلَاهُ مِنَ اللَّيْلِ وَقَدْ نَفَقَ الْفَرَسُ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَلَمْ يُصَدِّقْهُ، ثُمَّ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ،

فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَاكَ إِلَى حِمْصَ، فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ، وَقَالَ **الْأَبْرَشُ سَعِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكَلْبِيُّ**: انْزِلْ عَلَى قَوْمِي بِتَدْمُرَ. فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَاجْتَمَعَ أكثر أمراء بني أمية عَلَى حَرْبِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ اجْتِمَاعَهُمْ فَرُّوا مِنَ الْوَلِيدِ إِلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الْوَلِيدُ فِي ذُلٍّ وَقُلٍّ مِنَ النَّاسِ، فَلَجَأَ إِلَى الْحِصْنِ فَجَاءُوا إِلَيْهِ، وَأَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يُحَاصِرُونَهُ، فَدَنَا الْوَلِيدُ مِنْ بَابِ الْحِصْنِ فَنَادَى:

لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ شَرِيفٌ. فَكَلَّمَهُ يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيُّ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَلَمْ أَرْفَعِ الْمُؤَنَ عَنْكُمْ؟ أَلَمْ أُعْطِ فُقَرَاءَكُمْ؟ أَلَمْ أَخْدِمْ زَمْنَاكُمْ؟

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: **إِنَّمَا نَنْقِمُ عَلَيْكَ انْتِهَاكَ الْمَحَارِمِ، وَشُرْبَ الْخُمُورِ، وَنِكَاحَ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ أَبِيكَ، وَاسْتِخْفَافَكَ بِأَمْرِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ. فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَخَا السَّكَاسِكِ، وَرَجَعَ إِلَى الدَّارِ، فَجَلَسَ وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُصْحَفًا، فَنَشَرَهُ وَأَقْبَلَ يَقْرَأُ فِيهِ، وَقَالَ: يَوْمٌ كَيَوْمِ عُثْمَانَ.

وَاسْتَسْلَمَ وَتَسَوَّرَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الْحَائِطَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَزَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَإِلَى جَانِبِهِ سَيْفُهُ فَقَالَ: نَحِّهِ عَنْكَ. فَقَالَ الْوَلِيدُ: لَوْ أَرَدْتَ الْقِتَالَ بِهِ لَكَانَ غَيْرَ هَذَا. فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْبِسَهُ حَتَّى يَبْعَثَ بِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ فَبَادَرَهُ عَلَيْهِ عَشَرَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، **فَأَقْبَلُوا عَلَى الْوَلِيدِ يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ بِالسُّيُوفِ حَتَّى قَتَلُوهُ**، وذلك يوم الخميس لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (١٢٦هـ)، فكانت مدة خلافته: **سنة وثلاثة** أشهر وتسعة عشر يومـًا.

وَبَعَثُوا إِلَى يَزِيدَ بن الوليد بن عبدالملك، يُبَشِّرُونَهُ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ بن يزيد بن عبدالملك، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَأَطْلَقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنهم عَشَرَةَ آلَافٍ.

وَقَالَ لَهُ رَوْحُ بْنُ مُقْبِلٍ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ الْفَاسِقِ. فَسَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ، عَزَّوَجَلَّ، وَرَجَعَتِ الْجُيُوشُ إِلَى يَزِيدَ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ يَدَهُ لِلْمُبَايَعَةِ يَزِيدُ بْنُ عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيُّ فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا رِضًا لَكَ فَأَعِنِّي عَلَيْهِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١- **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، وَهُوَ أَبُو السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ. وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ (أبو هاشم) أَوْصَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالْأَخْبَارِ، فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ الْخِلَافَةَ سَتَكُونُ فِي وَلَدِهِ، فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُ يَتَزَايَدُ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي سنة (١٢٥هـ)، عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، فَأَوْصَى بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ فَمَا أُبْرِمَ الْأَمْرُ إِلَّا لِوَلَدِهِ السَّفَّاحُ، فَاسْتَلَبَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ الْأَمْرَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ.

٢- **يَحْيَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**، اختفى لَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ فِي خُرَاسَانَ، عِنْدَ الْحَرِيشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ دَاوُدَ بِبَلْخَ، حَتَّى مَاتَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلَكِ، فَكَتَبَ عِنْدَ ذَلِكَ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ يُخْبِرُهُ بِأَمْرِ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ فَكَتَبَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ إِلَى نَائِبِ بَلْخَ عَقِيلِ بْنِ مَعْقِلِ الْعِجْلِيِّ بطلب يحيي، فتمكن من القبض عليه وسجنه.

فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ مِنَ السِّجْنِ، وَإِرْسَالِهِ إِلَيْهِ صُحْبَةَ أَصْحَابِهِ، وَيُجَهِّزُهُمْ إِلَيْهِ فَأَطْلَقَهُمْ فَسَارُوا نحو دِمَشْقَ، فَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ تَوَسَّمَ نَصْرٌ مِنْهُ غَدْرًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا عَشَرَةَ آلَافٍ، فَكَسَرَهُمْ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ ، ثُمَّ جَاءَ جَيْشٌ آخَرُ، فَقَتَلُوهُ وَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ، وَقَتَلُوا جَمِيعَ أَصْحَابِهِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١١)

خلافة

يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان

سنة ١٢٦هـ (ستة أشهر)

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُوَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قَصِيٍّ، أَبُو خَالِدٍ الْأُمَوِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين.

وليزيد من الأولاد[1]: خالد، والوليد، وعبدالله، وعبدالرحمن، وأصبغ، وأبو بكر، وعبد المؤمن، وعلي.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأُمُّهُ شَاهْ آفْرِيْدَ بِنْتُ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ بْنِ شَهْرِيَارَ بْنِ كِسْرَى، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَنَا ابْنُ كِسْرَى وَأَبِي مَرْوَانُ ... وَقَيْصَرُ جَدِّي وَجَدِّي خَاقَانُ

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ جَدَّهُ فَيْرُوزُ، وَأُمُّ أُمِّهِ بِنْتُ قَيْصَرَ، وَأُمُّ شِيرَوَيْهِ: هِيَ بِنْتُ خَاقَانَ مَلِكُ التُّرْكِ، وَكَانَتْ قَدْ سَبَاهَا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ هِيَ وَأُخْتًا لَهَا، فَبَعَثَهُمَا إِلَى الْحَجَّاجِ، فَأَرْسَلَ بِهَذِهِ إِلَى الْوَلِيدِ وَاسْتَبْقَى عِنْدَهُ الْأُخْرَى. فَوَلَدَتْ هَذِهِ لِلْوَلِيدِ يَزِيدَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ، وَقِيلَ: فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ.

○ صفته

كَانَ أَسْمَرَ، نَحِيفًا، حَسَنَ الْجِسْمِ، حَسَنَ الْوَجْهِ. ولقبه بعضهم بِالنَّاقِصِ؛ لِنَقْصِهِ النَّاسَ الزِّيَادَةَ الَّتِي كَانَ زَادَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ، وَهِيَ: عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، وَرَدِّهِ إِيَّاهُمْ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي زَمَنِ هِشَامٍ.

وقيل لقبه بذلك: مروان بن محمد، لما بويع له بالخلافة، فوصفه بنقيض اسمه يزيد، ولم يرض خلافته.

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٧٦.

○ مناقبه

قال ابن كثير: وكَانَ عَادِلًا دَيِّنًا، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، مُبْغِضًا لِلشَّرِّ، قَاصِدًا لِلْحَقِّ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، ولهذا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: الْأَشَجُّ وَالنَّاقِصُ أَعْدَلَا بَنِي مَرْوَانَ. وَالْمُرَادُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ويزيد بن الوليد بن عبدالملك، وَلَكِنْ لَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي آخِرِ سنة (١٢٦هـ).

روى بْنُ أَبِي الدُّنْيَا:[١] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ اللَّيْثِيِّ قَالَ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ، فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْحَيَاءَ، وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ، وَيَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ، وَإِنَّهُ لَيَنُوبُ عَنِ الْخَمْرِ، وَيَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ الْمُسْكِرُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ فَإِنَّ الْغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزِّنَى.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ: وَاحَسْرَتَاهُ! وَاأَسَفَاهُ.

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: **الْعَظَمَةُ لِلَّهِ**.

قال الذهبي: وهو عند المعتزلة أفضل من عمر بن عبدالعزيز للمذهب.[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) سير أعلام النبلاء٥/ ٣٧٦.

(٢) المصدر نفسه .

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ أَوَّلَ مَا بُويعَ بِهَا فِي قَرْيَةِ الْمِزَّةِ[١]، ثُمَّ دَخَلَ دِمَشْقَ فَغَلَبَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ الْجُيُوشَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ فَقَتَلُوهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْخِلَافَةِ فِي أَوَاخِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (١٢٦هـ).

○ خطبة الخلافة

وَقَدْ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّاسَ بِدِمَشْقَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا بَعْدُ:**

أَيُّهَا النَّاسُ:[٢] أَنَا وَاللهِ مَا خَرَجْتُ أَشَرًا وَلَا بَطَرًا، وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ، وَمَا بِي إِطْرَاءُ نَفْسِي، إِنِّي لَظَلُومٌ لِنَفْسِي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي، وَلَكِنِّي خَرَجْتُ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِدِينِهِ، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ وَكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الدِّينِ، وَأُطْفِئَ نُورُ أَهْلِ التَّقْوَى، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ الْعَنِيدُ، الْمُسْتَحِلُّ لِكُلِّ حُرْمَةٍ، وَالرَّاكِبُ كُلَّ بِدْعَةٍ، مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ مَا كَانَ يُصَدِّقُ بِالْكِتَابِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.

وَإِنَّهُ لَابْنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ، وَكُفْئِي فِي الْحَسَبِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي أَمْرِهِ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَكِلَنِي إِلَى نَفْسِي، وَدَعَوْتُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِي، وَسَعَيْتُ فِيهِ حَتَّى أَرَاحَ اللهُ مِنْهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ أَنْ لَا أَضَعَ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، وَلَا أَكْرِي نَهْرًا، وَلَا أُكَثِّرُ مَالًا، وَلَا أُعْطِيَهُ زَوْجَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَا أَنْقُلُ مَالًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أَسُدَّ

---

(١) وهي قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، وبها فيما يقال قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ. معجم البلدان (٥/ ١٢٢).

(٢) ذكرها الذهبي في السير عن خليفة بن خياط ٥/ ٣٧٥.وهذه الخطبة ذكرتنا بخطب عمر بن عبدالعزيز، بل خطب الخلفاء الراشدين لما تضمنته من المعاني الجليلة، والسعي لإقرار العدل وإعطاء الحقوق، وتعليم الناس ما ينبغي أن يكون عليه الولاة .

ثَغْرَ ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَخَصَاصَةَ أَهْلِهِ بِمَا يُعِينُهُمْ، فَإِنْ فَضَلَ فَضْلٌ نَقَلْتُهُ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ مِمَّنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ.

وَلَا أُجَمِّرَكُمْ [١] فِي ثُغُورِكُمْ فَأَفْتِنَكُمْ وَأَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ، وَلَا أُغْلِقُ بَابِي دُونَكُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّكُمْ ضَعِيفَكُمْ، وَلَا أَحْمِلَ عَلَى أَهْلِ جِزْيَتِكُمْ مَا يُجْلِيهِمْ عَنْ بِلَادِهِمْ وَيَقْطَعُ نَسْلَهُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَعْطِيَاتِكُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَأَرْزَاقَكُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ، حَتَّى تَسْتَدِرَّ الْمَعِيشَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَكُونُ أَقْصَاهُمْ كَأَدْنَاهُمْ، فَإِنْ أَنَا وَفَّيْتُ لَكُمْ بِمَا قُلْتُ.

فَعَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَحُسْنُ الْمُؤَازَرَةِ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَفِ لَكُمْ، فَلَكُمْ أَنْ تَخْلَعُونِي إِلَّا أَنْ تَسْتَتِيبُونِي، فَإِنْ تُبْتُ قَبِلْتُمْ مِنِّي، وَإِنْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا مَنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتُكُمْ، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تُبَايِعُوهُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُهُ وَيَدْخُلُ فِي طَاعَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ طَاعَةُ اللهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ فَأَطِيعُوهُ بِطَاعَةِ اللهِ مَا أَطَاعَ، فَإِذَا عَصَى فَدَعَا إِلَى مَعْصِيَتِهِ فَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُعْصَى وَيُقْتَلَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

○ وفاته

وفِي شهر ذِي الْحِجَّةِ كَانَتْ وَفَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق **مِنْ طَاعُونٍ أَصَابَهُ**، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، **وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ** سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى الْأَشْهَرِ. وَقِيلَ: خَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٌ.

وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ **إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ** وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١) تَجْمِيرُ الْجَيْشِ: جَمْعُهم في الثُّغور وحَبْسُهم عَنِ الْعَوْدِ إلى أهليهم. لسان العرب (٤/ ١٤٦)

الفصل الثاني

الأحداث وولاية البلدان في عهده

الأحداث في عهده

○ اضطراب أمر الخلافة

اضْطَرَبَـتْ عَلَى أمير المؤمنين يزيد بـن الوليد الْأُمُورُ، وَانْتَشَـرَتِ الْفِتَنُ، وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَةُ بَنِي مَرْوَانَ، وانقسـموا أحزابـًا، فَنَهَضَ سُـلَيْمَانُ بْنُ هِشَـامِ الـذي كَانَ مُعْتَقَلًا فِي سِـجْنِ الْوَلِيدِ بِعَمَّانَ فَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْوَالِهَا وَحَوَاصِلِهَا، وَأَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقَ، فَجَعَلَ يَلْعَنُ الْوَلِيدَ (الفاسق) وَيَعِيبُهُ وَيَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ، فَأَكْرَمَهُ يَزِيدُ وَرَدَّ عَلَيْهِ أَمْوَالَهُ الَّتِي كَانَ أَخَذَهَا مِنْهُ الْوَلِيدُ، وَتَزَوَّجَ يَزِيدُ أُخْتَ سُلَيْمَانَ، وَهِيَ: أُمُّ هِشَامٍ بِنْتُ هِشَامٍ.

○ ثورة أهل حمص

أَظْهَـرَ أَهْلُ حِمْـصَ الْأَخْذَ بِدَمِ الْوَلِيـدِ بْنِ يَزِيدَ(المقتـول) ، وَأَغْلَقُوا أَبْـوَابَ الْبَلَدِ، وَأَقَامُـوا النَّوَائِحَ وَالْبَوَاكِيَ عَلَى الْوَلِيدِ وَكَاتَبُوا الْأَجْنَادَ فِي طَلَبِ ثَأْرِ الْوَلِيدِ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِـكَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْحَكَمُ بْـنُ الْوَلِيدِ بْنُ يَزِيدَ هُوَ الْخَلِيفَةُ، وَخَلَعُوا نَائِبَهُـمْ، وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ عَبْـدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ثُمَّ قَتَلُـوهُ وَقَتَلُوا ابْنَهُ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِـمْ مُعَاوِيَـةَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ حُصَيْنٍ فَلَمَّا انْتَهَى خَبَرُهُمْ إِلَـى الخليفة كَتَبَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا مَعَ يَعْقُوبَ بْنِ هَانِئٍ، وَمَضْمُونُ الْكِتَابِ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ شُورَى.

لكن وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ عَلَى رُسُـلِ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ فَطَرَدُوهُمْ عَنْهُمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ.

وَقَـالَ لَهُـمْ أَبُو مُحَمَّدٍ زياد بـن عبدالله بن يزيد بن معاوية السُّـفْيَانِيُّ : لَـوْ قَدْ قَدِمْتُ دِمَشْـقَ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيَّ مِنْهُمُ اثْنَانِ. فَرَكِبُوا مَعَهُ، وَسَارُوا نَحْوَ دِمَشْقَ، وَقَدْ أَمَّرُوا عَلَيْهِمُ السُّفْيَانِيَّ فَتَلَقَّاهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ قَدْ جَهَّزَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ قِتَالًا شَدِيدًا. فَقُتِلَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، فانهزم أهل حمص فَتَفَرَّقُوا وَاتَّبَعَهُمُ النَّـاسُ، ثُمَّ تَنَادَوْا بِالْكَـفِّ عَنْهُمْ عَلَى أَنْ يُبَايِعُوا لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَسَـرُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً،

مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ سُلَيْمَانُ بن هشام وَمَعَه أشراف أَهْلِ حِمْصَ مِنَ الْأُسَارَى، وَمَنِ اسْتَجَابَ مِنْ غَيْرِ أَسْرٍ، فَدَخَلُوا بِهِمْ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَصَفَحَ عَنْهُمْ، وَأَطْلَقَ الْأَعْطِيَاتِ لَهُمْ، لَا سِيَّمَا لِأَشْرَافِهِمْ، وَوَلَّى عَلَيْهِمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ، وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْحُصَيْنِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ بِدِمَشْقَ سَامِعِينَ لَهُ مُطِيعِينَ.

○ خلاف أهل فلسطين

لَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ - وَكَانَ رَئِيسَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ - إِلَى يَزِيدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَدْعُوهُ إِلَى الْمُبَايَعَةِ لَهُ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ لأَنَّ بَنِي سُلَيْمَانَ كَانَتْ لَهُمْ أَمْلَاكٌ بها، وَكَانُوا ينْزِلُونَهَا، ثم إنهم رجعوا إلى الطاعة لما أرسل الخليفة جيشاً إلى الأردن .

○ خلاف أهل الأردن

لَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ خَبَرُ مبايعة أهل فلسطين ليزيد بن سليمان سنة (١٢٦ هـ)، خرجوا عن الطاعة وبَايَعُوا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَمَّرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا انْتَهَى خَبَرُهُمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامٍ فِي أهل دمشق، وَأَهْلِ حِمْصَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ السُّفْيَانِيِّ، فَصَالَحَهُمْ أَهْلُ الْأُرْدُنِّ، وَرَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ.

وَكَتَبَ الخليفة يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بالوِلَايَة لأخيه إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ على الرَّمْلَةِ وَتِلْكَ النَّوَاحِي.

○ خلاف مروان بن محمد

كَتَبَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْحِمَارِ كِتَابًا إِلَى الْغَمْرِ بْنِ يَزِيدَ، أَخِي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، يَحُثُّهُ عَلَى الْقِيَامِ بِطَلَبِ دَمِ أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَانَ مَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرًا عَلَى أَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَّةَ.

ولاية البلدان

ولاية الحجاز

عندما تولى يزيد بن الوليد أمر الخلافة عَزَلَ يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيَّ عَنْ إِمْرَةِ الْحِجَازِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَدِمَهَا فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (١٢٦هـ).

ولاية إرمينية

وقد أَظْهَرَ مَرْوَانُ بن محمد والي إِرْمِينِيَّةَ[١] الْخِلَافَ لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ، وَخَرَجَ منها يُظْهِرُ أَنَّهُ يَطْلُبُ بِدَمِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ[٢]، أَظْهَرَ الْمُوَافَقَةَ، وَبَايَعَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ.

ولاية العراق والمشرق

وقد عَزَلَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ الثقفي، عَنْ إِمْرَةِ الْعِرَاقِ لِما ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ إثارة العصبية، والْحَنَقِ عَلَى الْيَمَانِيَةِ، حِينَ قُتِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ، وَجَعَلَ الْأَرْصَادَ عَلَى الثُّغُورِ؛ خَوْفًا مِنْ جُنْدِ الْخَلِيفَةِ، فَعَزَلَهُ عَنْهَا، وَوَلَّى عَلَيْهَا مَنْصُورَ بْنَ جُمْهُورٍ مَعَ بِلَادِ السِّنْدِ وَسِجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ.

وَقَدْ كَانَ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ أَعْرَابِيًّا جِلْفًا، وَكَانَ يُزَنُّ بِمَذْهَبِ الْغَيْلَانِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ وَلَكِنْ كَانَتْ لَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ، وَغَنَاءٌ كَثِيرٌ فِي مَقْتَلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ الفاسق، فَحَظِيَ بِذَلِكَ عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ.

---

(١) إِرْمِينِيَةُ: بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمنيّ على غير قياس. معجم البلدان ١/ ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) حرّان: هي مدينة عظيمة مشهورة، وهي قصبة ديار مضر، وبينها وبين الرّها يوم، وبينها وبين الرّقّة يومان. وهي على طريق الموصل، والشام، والروم. معجم البلدان ٢/ ٢٣٥ .

وَلَمَّا انْتَهَى مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ إِلَى الْعِرَاقِ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِمْ فِي كَيْفِيَّةِ مَقْتَلِ الْوَلِيدِ، وَأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَأَنَّهُ قَدْ وَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْصُورَ بْنَ جُمْهُورٍ، فَبَايَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ السِّنْدِ وَسِجِسْتَانَ.

وامْتَنَعَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الليثي الكناني نَائِبُ خُرَاسَانَ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْصُورِ بْنِ جُمْهُورٍ وَأَبَى أَنْ يَنْقَادَ لِأَوَامِرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ الخليفة يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَزَلَ مَنْصُورَ بْنَ جُمْهُورٍ عَنْ وِلَايَةِ الْعِرَاقِ وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ يُحِبُّونَ أَبَاكَ فَقَدْ وَلَّيْتُكَهَا. وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سنة (١٢٦هـ)، وَكَتَبَ لَهُ إِلَى أُمَرَاءِ الشَّامِ الَّذِينَ بِالْعِرَاقِ يُوصِيهِمْ بِهِ ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَمْتَنِعَ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ مِنْ تَسْلِيمِ الْبِلَادِ إِلَيْهِ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ.

○ ولاية خراسان

كَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ الكناني بِوِلَايَةِ خُرَاسَانَ مُسْتَقِلًّا بِهَا في سنة (١٢٦هـ)، فَخَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلٌ من أهل خراسان يُقَالُ لَهُ: الْكَرْمَانِيُّ :أَبُو عَلِيٍّ جَدِيعُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شَبِيبٍ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ يُسَلِّمُ عَلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَلَا يَجْلِسُ عِنْدَهُ، فَتَحَيَّرَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ وَأُمَرَاؤُهُ فِيمَا يَصْنَعُ بِهِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى سَجْنِهِ، فَسُجِنَ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ،[1] فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَرَكِبُوا مَعَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ نَصْرٌ مَنْ قَاتَلَهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَكَسَرَهُمْ.

○ اضطراب الأمر في خراسان

وَاسْتَخَفَّ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ بِنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وتجاهلوا أَمْرَهُ وَحُرْمَتَهُ، وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي أَعْطِيَاتِهِمْ، وَأَسْمَعَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ غَلِيظَ مَا يَكْرَهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ،

(١) الذي في تاريخ الطبري ٧/ ٢٨٩، والكامل ٥/ ٣٠٥ أن نصراً لم يطلقه بل هو هرب من السجن.

وَخَرَجَتِ الْبَاعَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ **وَهُوَ يَخْطُبُ**، وَانْفَضَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُمْ نَصْرٌ فِيمَا قَالَ:

وَاللهِ لَقَدْ نَشَرْتُكُمْ وَطَوَيْتُكُمْ، فَمَا عِنْدِي مِنْكُمْ عَشَرَةٌ عَلَى دِينٍ، فَاتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ لَئِنِ اخْتَلَفَ فِيكُمْ سَيْفَانِ لَيَتَمَنَّيَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَنْ يَنْخَلِعَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَلَمْ يَكُنْ رَآهَا. ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَإِنْ يَغْلِبْ شَقَاؤُكُمُ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي فِي صَلَاحِكُمُ سَعَيْتُ

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٢٦هـ) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ نَائِبُ الْحِجَازِ .

مشاهير من توفي في عهده

١ - **خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ يَزِيدَ بْنِ **أَسدِ الْقَسْرِيُّ**، أَبُو الْهَيْثَمِ الْبَجَلِيُّ الدِّمَشْقِيُّ.

أَمِيرُ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ لِأَخِيهِ سُلَيْمَانَ، وَأَمِيرُ الْعِرَاقَيْنِ لِأَخِيهِمَا هِشَامٍ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ:[١] **خَطَبَ خَالِدُ الْقَسْرِيُّ يَوْمًا** بِوَاسِطَ فَقَالَ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَنَافَسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ، وَاشْتَرُوا الْحَمْدَ بِالْجُودِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا، وَلَا تَعْتَدُّوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعَجِّلُوهُ، وَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ نِعْمَةٌ عِنْدَ أَحَدٍ لَمْ يَبْلُغْ شُكْرَهَا، فَاللهُ أَحْسَنُ لَهُ جَزَاءً، وَأَجْزَلُ عَطَاءً.

وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ نِعَمٌ فَلَا تَمَلُّوهَا فَتُحَوَّلَ نِقَمًا، فَإِنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أَكْسَبَ أَجْرًا وَأَوْرَثَ ذِكْرًا، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ لَرَأَيْتُمُوهُ رَجُلًا حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَيَفُوقُ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْبُخْلَ لَرَأَيْتُمُوهُ رَجُلًا مُشَوَّهًا قَبِيحًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُغَضُّ دُونَهُ الْأَبْصَارُ، إِنَّهُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ ذَلَّ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَمَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ.

وهو الذي قتل الجعد بن درهم وقال: ضحوا تقبل الله ضحاياكم. وكان له جهد في قتل أهل الزندقة.

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: أُتِيَ **خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بِرَجُلٍ تَنَبَّأَ بِالْكُوفَةِ فَقِيلَ لَهُ: مَا عَلَامَةُ نُبُوَّتِكَ؟ قَالَ: قَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ قُرْآنٌ. قِيلَ: مَا هُوَ؟ قَالَ:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرْ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَلَا تُجَاهِرْ. وَلَا تُطِعْ كُلَّ كَافِرٍ وَفَاجِرْ. فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ.

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ١٤١.

وكانت وفاته سنة (١٢٦هـ).

٢-**سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ** الْمُحَارِبِيُّ قَاضِي دِمَشْقَ، وتوفي سنة (١٢٦هـ).

٣- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ** شَيْخُ مَالِكٍ، وتوفي سنة (١٢٦هـ).

٤-**عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ**، وتوفي سنة (١٢٦هـ).

(١٢)

خلافة

إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك

ذي الحجة (١٢٦هـ) إلى صفر (١٢٧هـ)

ترجمته

○ نسبه

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو إسحاق القرشي الأموي . **وأمه** أم ولد كردية تسمى لبابة، وهو أخو مروان بن محمد لأمه .

○ صفته

كان طويلاً جسيمًا، أبيض جميلاً، مشربًا بالحمرة، ذا شقرة، خفيف مقدم اللحية وخفيف العارضين.

○ بيعته

أَخَذَ **الخليفة يزيد بن الوليد** الْبَيْعَةَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ **لِأَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ** بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ **ثُمَّ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيمَ، لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ** بْنِ مَرْوَانَ، حين مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (١٢٦هـ).

وَقَدْ حَرَّضَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَكَابِرِ وَالْوُزَرَاءِ، وتمت بيعته من جميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه، وكذلك مروان بن محمد نائب أذربيجان وإرمينية.

ومكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة، ثم خلع نفسه لما دخل مروان بن محمد دمشق [(١)].

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٥٣.

○ عزل الخليفة إبراهيم بن الوليد

لما بلغ مروان بن محمد موت الخليفة يزيد بن الوليد، في ذي الحجة سنة (١٢٦هـ)، أَقْبَلَ فِي أَهْلِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى وَصَلَ قِنَّسْرِينَ، فَحَاصَرَ أَهْلَهَا، فَنَزَلُوا عَلَى طَاعَتِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى حِمْصَ وكان يحاصرهم **عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْحَجَّاجِ** بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ جِهَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْوَلِيدِ، حَتَّى يُبَايِعُوا له، وَقَدْ أَصَرُّوا عَلَى عَدَمِ مُبَايَعَتِهِ. فَلَمَّا بَلَغَ عَبْد الْعَزِيزِ بْنُ الْحَجَّاجِ قُرْبُ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ منه، ترحّل عنها.

وَقَدِمَ مَرْوَانُ إلى حمص، فَبَايَعُوهُ وَسَارُوا مَعَهُ قَاصِدِينَ دِمَشْقَ، وَمَعَهُمْ جُنْدُ الْجَزِيرَةِ وَجُنْدُ قِنَّسْرِينَ، فَتَوَجَّهَ مَرْوَانُ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَقَدْ بَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا.

فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ عِنْدَ **عَيْنِ الْجَرِّ**(١) مِنَ الْبِقَاعِ، فَدَعَاهُمْ مَرْوَانُ إِلَى الْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ، وَأَنْ يُخَلُّوا عَنِ ابْنَي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ - وَهُمَا الْحَكَمُ، وَعُثْمَانُ - اللَّذَيْنِ كَانَا قَدْ أُخِذَ الْعَهْدُ لَهُمَا، وَكَانَ يَزِيدُ قَدْ سَجَنَهُمَا بِدِمَشْقَ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا مِنْ حِينِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فِي أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ بن هشام، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا قَرِيبًا مِنْ **سَبْعَةَ عَشَرَ أَلفًا، وَأُسِرَ** مِنْهُمْ **مِثْلُهُمْ**، وَاسْتُبِيحَ عَسْكَرُهُمْ.

وَأَمَّا **سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ** وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمُ اسْتَمَرُّوا مُنْهَزِمِينَ إلى دمشق، فَأَخْبَرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ بِمَا وَقَعَ، فَاجْتَمَعَ مَعَهُمْ رُءُوسُ الْأُمَرَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، عَلَى أَنْ يَعْمِدُوا إِلَى قَتْلِ ابْنَي الْوَلِيدِ الْحَكَمِ، وَعُثْمَانَ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَلِيَا الْخِلَافَةَ فَيُهْلِكَا مَنْ عَادَاهُمَا وَقَتَلَ أَبَاهُمَا، فَبَعَثُوا إِلَيْهِمَا يَزِيدَ بْنَ خَالِدٍ الْقَسْرِيَّ فَعَمَدَ إِلَى السِّجْنِ **فَشَدَخَهُمَا بِالْعُمُدِ**، وَقَتَلَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ الثقفي وَكَانَ مَسْجُونًا مَعَهُمَا.

---

(١) عين الجر: موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق. معجم البلدان - الفكر (٤/ ١٧٧).

ولَمَّا قرب **مَرْوَانُ بن محمد** من دمشق في شهر صفر سنة (١٢٧هـ) **هَرَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ** وَعَمَدَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، فَفَتَحَهُ وَأَنْفَقَ مَا فِيهِ عَلَى أَصْحَابِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ.

وَثَارَ مَوَالِي الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ إِلَى دَارِ ولي العهد **عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَجَّاجِ** بن عبدالملك، فَقَتَلُوهُ فِيهَا وَانْتَهَبُوهَا، وذلك في شهر صفر، وَنَبَشُوا قَبْرَ **يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ**، وَصَلَبُوهُ عَلَى بَابِ الْجَابِيَةِ.

○ وفاته

اختفى الخليفة إبراهيم بن الوليد لما دخل مروان دمشق، في شهر صفر سنة (١٢٧هـ)، ولما تمكن مروان أمّنه هو وسليمانَ بن هشام، وبقي حياً إلى أن قُتِل يوم وقعة **الزاب** سنة (١٣٢هـ).[١]

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٩. مخطوط.

(١٣)

خلافة
مروان بن محمد بن مروان

١٢٧هـ - ١٣٢هـ

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ المعروف بالحمار لصبره على مكاره الحرب وشدتها، وَأُمُّهُ أَمَةٌ كُرْدِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا: لُبَابَةَ.

ولد سنة (٧٣هـ) بالجزيرة الفراتية، وهو آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ.

وله من الأولاد: يزيد؛ ورملة، تزوجها عبد الله بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم، وأمها: بنت يزيد بن عبد الله بن شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعبد الرحمن بن محمد بن مروان، وأمه: أم جميل بنت عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب؛ ومروان بن محمد، قتله عبد الله بن علي؛ وعبد العزيز؛ ومنصوراً، وأم عبد الملك، لأم ولد.[١]

○ صفاته

كَانَ أَبْيَضَ مشربًا بحمرة، أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ، كَبِيرَ اللِّحْيَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُخَضِّبُ، ضَخْمَ الْهَامَةِ، رَبْعَةً، مشهوراً بالفروسية والإقدام والدهاء.

○ مناقبه

غزا سنة (١٠٥هـ) على الصائفة اليمنى، فافتتح قونيّة، من أرض الروم .

ووَلَّاهُ هِشَامٌ نِيَابَةَ أَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَّةَ وَالْجَزِيرَةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ، فَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً وَحُصُونًا مُتَعَدِّدَةً فِي سِنِينَ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْغَزْوَ، وقَاتَلَ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ: التَّرْكِ وَالْخَزَرِ وَاللَّانِ وَغَيْرِهِمْ، فَكَسَرَهُمْ وَقَهَرَهُمْ.

---

(١) نسب قريش للزبيري (ص: ١٦٩)

وَقَـدْ كَانَ شُـجَاعًا، بَطَلًا مِقْدَامًا، حَـازِمَ الرَّأْيِ، وَلَكِنْ مَنْ يَخْـذُلِ اللهُ يُخْذَلْ. وَقَدْ سَأَلَ الرَّشِيدُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ:[(١)] مَنْ خَيْرُ الْخُلَفَاءِ ؛ نَحْنُ أَمْ بَنُو أُمَيَّةَ؟ فَقَالَ: هُمْ كَانُوا أَنْفَعَ لِلنَّاسِ، وَأَنْتُمْ أَقْوَمُ بِالصَّلَاةِ. فَأَعْطَاهُ سِتَّةَ آلَافٍ.

○ بيعته

بُويِـعَ لَـهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَـوْتِ يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ وقدومه دمشـق، وَخَلَـعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَاسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ فِي النِّصْفِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ (١٢٧هـ). وقد بايعه رؤوس أهل الشام من دمشق وحمص .

○ مطاردته ومقتله

لَمَّا انْهَزَمَ مَرْوَانُ فِي مَعْرَكَةِ الزاب في أول سـنة (١٣٢هـ)، سَـارَ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ، وطارده عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ بمن معه من الجنود، وَذَلِكَ عَنْ أَمْرِ السَّفَّاحِ، فَلَمَّا مَرَّ مَرْوَانُ بِحَرَّانَ اجْتَازَ بِهَا، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَبَانَ بْنَ يَزِيدَ وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِهِ أُمِّ عُثْمَانَ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ حَرَّانَ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ مُسَـوِّدًا، فَأَمَّنَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَهَدَمَ الدَّارَ الَّتِي سُجِنَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِمَامُ.

وَاجْتَازَ مَرْوَانُ بِقِنَّسْرِينَ قَاصِدًا إِلَى حِمْصَ، فَلَمَّا جَاءَهَا خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا بِالْأَسْوَاقِ، فَأَقَامَ بِهَا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ شَخَصَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ وَعَلَى نِيَابَتِهَا مِنْ جِهَةِ مروان زَوْجُ ابْنَتِهِ الْوَلِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ مَرْوَانَ، فَتَرَكَهُ بِهَا، وَاجْتَازَ عَنْهَا قَاصِدًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَجَعَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ لَا يَمُرُّ بِبَلَدٍ إِلَّا خَرَجُوا وَقَدْ سَوَّدُوا، فَيُبَايِعُونَهُ وَيُعْطِيهِمُ الْأَمَانَ.

ثم سار عبدالله بن علي حتى أتى حمص، ثم سار منها إلى بعلبك، ثم جَاءَ دِمَشْقَ مِـنْ نَاحِيَـةِ الْمِزَّةِ فَنَـزَلَ بِهَا يَوْمَيْنِ، ثُـمَّ جَاءَهُ أَخُوهُ صَالِـحُ بْنُ عَلِيٍّ فِـي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ

---

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨٦.

مَـدَدًا مِنَ السَّـفَّاحِ فَنَزَلَ صَالِحٌ بِمَرْجِ عَـذْرَاءَ،[١] فحوصرت دِمَشْـقَ أَيَّامًا، ثُمَّ دخلها يَـوْمَ الْأَرْبعَاءِلِعَشْـرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سـنة (١٣٢هـ)، فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَـا خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَ سَـاعَاتٍ، وَهَدَمَ سُـورَهَا. وقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ بِهَا فِي هَـذِهِ الْمُدَّةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا.

قال ابن كثير: إن مما عجل سـقوط دمشـق هو اخْتَـلَاف أَهْلهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِسَـبَبِ العصبية بين الْيَمَانِيَةِ وَالْمُضَرِيَّةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَسْـجِدٍ مِحْرَابَيْنِ لِلْقِبْلَتَيْنِ، حَتَّـى فِي الْمَسْـجِدِ الْجَامِـعِ مِنْبَرَيْنِ وَإِمَامَيْـنِ يَخْطُبَانِ يَـوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَـى الْمِنْبَرَيْنِ، وَهَـذَا مِنْ عَجِيبِ مَا وَقَعَ، وَغَرِيـبِ مَا اتَّفَقَ، وَفَظِيعِ مَا أُحْدِثَ بِسَـبَبِ الْفِتْنَةِ وَالْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ. وَقَدْ بَسَطَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابن عساكر[٢].

قَـالَ: ثُمَّ تَتَبَّعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِـيٍّ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ **اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ** نَفْسًا عِنْدَ نَهْرٍ بِالرَّمْلَةِ[٣].

وَقَـدِ **اسْـتَدْعَى بِالْأَوْزَاعِيِّ** فَأُوقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَـا عَمْرٍو مَا تَقُولُ فِي هَذَا الَّـذِي صَنَعْنَا؟ قَالَ لَـهُ: لَا أَدْرِي، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَـعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ مُحَمَّـدِ بْـنِ إِبْرَاهِيمَ، عَـنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عُمَرَ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّـاتِ» فَذَكَـرَ الْحَدِيـثَ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: وَانْتَظَرْتُ رَأْسِـي يَسْـقُطُ بَيْـنَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ، وَبَعَثَ إِلَيَّ بِمِائَةِ دِينَارٍ.[٤]

وَأَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ خَمْسَـةَ عَشَـرَ يوْمًا بدمشق، **فجاءه كتاب السفاح، أن يوجه صالح بن علي في طلب مروان، ويقيم هو بالشام**

---

(١) عذراء: بالفتح ثم السكون والمد، وهي قرية بغوطة دمشق، معروفة وإليها ينسب مرج، فيقال: مرج عذراء.

(٢) تاريخ دمشق ٤٤/ ١٩٠-٢٠١.طبعة مجمع اللغة بدمشق.

(٣) تاريخ دمشق ١٥/ ٣٨٩.

(٤) تاريخ دمشق ٤١/ ٢٠١

فسار صالح حتى نَزَلَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَجَمَعَ مَا هُنَاكَ مِنَ السُّفُنِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مَرْوَانَ قَدْ نَزَلَ الْفَرْمَا،(١) فَجَعَلَ يَسِيرُ عَلَى السَّاحِلِ وَالسُّفُنُ تُقَادُ مَعَهُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى أَتَى الْعَرِيشَ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى النِّيلِ ثُمَّ سَارَ إِلَى الصَّعِيدِ، فَعَبَرَ مَرْوَانُ النِّيلَ، وَمَضَى صَالِحٌ فِي طَلَبِهِ، فَالْتَقَى بِخَيْلٍ لِمَرْوَانَ فَهَزَمَهُمْ، ثُمَّ جَعَلَ كُلَّمَا الْتَقَوْا مَعَ خَيْلٍ لِمَرْوَانَ يَهْزِمُونَهُمْ، حَتَّى سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ أَسَرُوا عَنْ مَرْوَانَ فَدَلُّوهُمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا بِهِ فِي كَنِيسَةِ بُوصِيرَ،(٢) فَوَافَوْهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَانْهَزَمَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانُ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى السَّفَّاحِ.

وَكَانَ مَقْتَلُ مَرْوَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (١٣٢ هـ)، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ، عَلَى الْمَشْهُورِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) قال أبو بكر محمد ابن موسى: الفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٢٥٥)

(٢) بوصير: بكسر الصاد وياء ساكنة وراء، اسم لأربع قرى بمصر، بوصير قوريدس، قال ابن زولاق: بها قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. معجم البلدان - الفكر (١/ ٥٠٩).

الفصل الثاني

الأحداث وولاية البلدان في عهده

الأحداث في عهده

○ انتقاض الأمر على مروان

لَمَّا اسْتَوْسَقَ الشَّامُ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ رَجَعَ إِلَى حَرَّانَ حيث اتخذها مقراً له، وقد طَلَبَ مِنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي كَانَ خَلِيفَةً، وَابْنُ عَمِّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ الْأَمَانَ، فَأَمَّنَهُمَا، فقَدِمَا عَلَيْهِ في حران فَبَايَعَاه.

وأقام مَرْوَانُ بِحَرَّانَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فَانْتَقَضَ عَلَيْهِ مَا تم لَهُ مِنْ مُبَايَعَةِ أَهْلِ الشَّامِ.

○ نقض أهل حمص بيعتهم

نَقَضَ أَهْلُ حِمْصَ بيعتهم، فَأَرْسَلَ إِليهم جَيْشًا، فَوَافَوْهُمْ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سنة (١٢٧ هـ) وَقَدِمَ مَرْوَانُ إِلَيْهَا بَعْدَ الْفِطْرِ بِيَوْمَيْنِ، فَنَازَلَهَا مَرْوَانُ فِي جُنُودٍ كَثِيرَةٍ، وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ إِبْرَاهِيمُ الْمَخْلُوعُ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ، وَهُمَا عِنْدَهُ مُكَرَّمَانِ حضيان لَا يَجْلِسُ إِلَّا بِهِمَا وَقْتَ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ، فَلَمَّا حَاصَرَ حِمْصَ نَادَوْهُ: إِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ. فَقَالَ: افْتَحُوا بَابَ الْبَلَدِ. فَفَتَحُوهُ، ثُمَّ كَانَ مِنْهُمْ بَعْضُ الْقِتَالِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ الْخَمْسِمِائَةِ أَوِ السِّتِّمِائَةِ. فَأَمَرَ بِهِمْ فَصُلِبُوا حَوْلَ الْبَلَدِ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ بَعْضِ سُورِهَا.

○ انتقاض أهل الغوطة

وَانتقض أَهْلُ الْغُوطَةِ من دِمَشْق فحَاصَرُوا أَمِيرَهُمْ زَامَلَ بْنَ عَمْرٍو سنة (١٢٧ هـ)، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ يَزِيدَ بْنَ خَالِدٍ الْقَسْرِيَّ وَثَبَتَ فِي مدينة دمشق نَائِبُهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَرْوَانُ بن محمد مِنْ حِمْصَ عَسْكَرًا نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ دِمَشْقَ خَرَجَ النَّائِبُ فِي مَنْ مَعَهُ، وَالْتَقَوْا هُمْ وَالْعَسْكَرُ بِأَهْلِ الْغُوطَةِ فَهَزَمُوهُمْ وَحَرَّقُوا الْمِزَّةَ وَقُرَى أُخْرَى مَعَهَا،

وَاسْتَجَارَ يَزِيدُ بْنُ خَالِدٍ الْقَسْرِيُّ، وَأَبُو عِلَاقَةَ الْكَلْبِيُّ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمِزَّةِ مِنْ لَخْمٍ،

فَدَلَّ عَلَيْهِمْ زَامِلُ بْنُ عَمْرٍو، فَأُتِيَ بِهِمَا فَقَتَلَهُمَا، وَبَعَثَ بِرَأْسَيْهِمَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَرْوَانَ وَهُوَ بِحِمْصَ.

○ ثورة ثابت بن نُعيم

وفي سنة (١٢٧هـ) خَرَجَ ثَابِتُ بْنُ نُعَيْمٍ فِي أَهْلِ فِلَسْطِينَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَأَتَوْا طَبَرِيَّةَ فَحَاصَرُوهَا، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، فَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ، وَفَرَّ ثَابِتُ بْنُ نُعَيْمٍ هَارِبًا إِلَى فِلَسْطِينَ، فَأَتْبَعَهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْوَرْدِ فَهَزَمَهُ ثَانِيَةً، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَأَسَرَ أَبُو الْوَرْدِ ثَلَاثَةً مِنْ أَوْلَادِهِ، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَهُمْ جَرْحَى، فَأَمَرَ بِمُدَاوَاتِهِمْ، ثُمَّ كَتَبَ مروان إِلَى نَائِبِ فِلَسْطِينَ، وَهُوَ الرُّمَاحِسُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيُّ يَأْمُرُهُ بِطَلَبِ ثَابِتِ بْنِ نُعَيْمٍ حَيْثُ كَانَ، فَمَا زَالَ يَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى أَخَذَهُ أَسِيرًا، وَذَلِكَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ، فَبَعَثَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَكَذَلِكَ جَمَاعَةٌ كَانُوا مَعَهُ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ، فَأُقِيمُوا عَلَى بَابِ مَسْجِدِهَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ دِمَشْقَ كَانُوا قَدْ أَرْجَفُوا بِأَنَّ ثَابِتَ بْنَ نُعَيْمٍ ذَهَبَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ نَائِبَ مَرْوَانَ فِيهَا، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِمْ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ؛ لِيَعْرِفُوا بُطْلَانَ مَا كَانُوا بِهِ أَرْجَفُوا.

○ عقد البيعة بولاية العهد لابني مروان

وفي هذه السنة (١٢٧هـ)، عقد مروانُ لِابْنَيْهِ عُبَيْدِ اللهِ ثُمَّ عَبْدِ اللهِ بولاية العهد، وَزَوَّجَهُمَا ابْنَتَيْ هِشَامِ بن عبدالملك، وَهُمَا: أُمُّ هِشَامٍ، وَعَائِشَةُ، وَكَانَ مَجْمَعًا حَافِلًا، وَعَقْدًا هَائِلًا، وَبَيْعَةً عَامَّةً، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ تَامَّةً.

○ مخالفة أهل تدمر

اسْتَوْسَقَ أَمْرُ الشَّامِ لِمَرْوَانَ فِي سنة (١٢٧هـ) مَا عَدَا تَدْمُرَ، فَسَارَ إليها مِنْ دِمَشْقَ فَنَزَلَ الْقَسْطَلَ مِنْ أَرْضِ حِمْصَ، وَبَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ تَدْمُرَ قَدْ غَوَّرُوا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمِيَاهِ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِمْ، وَمَعَهُ جَحَافِلُ مِنَ الْجُيُوشِ، فَتَكَلَّمَ الْأَبْرَشُ بْنُ الْوَلِيدِ - وَكَانُوا قَوْمَهُ - وَسَأَلَ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أَوَّلًا لِيُعْذِرَ فيهم، فَأَرْسَلَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْأَبْرَشُ

كَلَّمَهُمْ وَاسْتَمَالَهُمْ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَأَجَابَهُ أَكْثَرُهُمْ، وَامْتَنَعَ بَعْضُهُمْ، فَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمْهُ بِمَا وَقَعَ، فَأَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَهْدِمَ بَعْضَ سُورِهَا، وَأَنْ يُقْبِلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، فَفَعَلَ.

○ مخالفة سليمان بن هشام بن عبدالملك

في سنة (١٢٧هـ) سَارَ مروان بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ نَحْوَ الرُّصَافَةِ ، وَمَعَهُ مِنَ الرُّءُوسِ إِبْرَاهِيمُ الْمَخْلُوعُ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ، فَأَقَامَ بِالرُّصَافَةِ أَيَّامًا، ثُمَّ شَخَصَ إِلَى الرَّقَّةِ،[١] فَاسْتَأْذَنَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ بن عبدالملك أَنْ يُقِيمَ بالرصافة أَيَّامًا ؛ لِيَسْتَرِيحَ وَيُجِمَّ ظَهْرَهُ، فَأَذِنَ لَهُ.

ثُمَّ مَضَى مروان إِلَى قَرْقِيسِيَا[٢]، وَابْنُ هُبَيْرَةَ بِهَا؛ لِيَبْعَثَهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِمُحَارَبَةِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الشَّيْبَانِيِّ الْخَارِجِيِّ الْحَرُورِيِّ وَاشْتَغَلَ مَرْوَانُ بِهَذَا الْأَمْرِ.

وَأَقْبَلَ عَشَرَةُ آلَافِ فَارِسٍ مِمَّنْ كَانَ مَرْوَانُ قَدْ بَعَثَهُمْ فِي بَعْضِ السَّرَايَا، على سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ اسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي الْمُقَامِ بالرصافة لِلرَّاحَةِ، فَدَعَوْهُ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ، وَخَلْعِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُحَارَبَتِهِ، فَاسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَخَلَعَ مَرْوَانَ وَسَارَ بِالْجُيُوشِ إِلَى قِنَّسْرِينَ[٣]، وَكَاتَبَ أَهْلَ الشَّامِ، فَانْفَضُّوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

---

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديده وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. معجم البلدان ٣/ ٥٩ .

(٢) قرقيسياء: بالفتح ثم السكون وقاف أخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء أخرى وألف ممدود، مدينة صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات، فهي معدودة من الشام. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٣٢٨) .

(٣) قنسرين: بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة، وهي كورة بالشام، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٤٠٤) .

وَكَتَبَ سُلَيْمَانُ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ الَّذِي جَهَّزَهُ مَرْوَانُ لِقِتَالِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الْخَارِجِيِّ يَأْمُرُهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ نَحْوٌ مَنْ سَبْعِينَ أَلْفًا، ولما علم مروان بذلك بَعَثَ إِلَيْهِمْ عِيسَى بْنَ مُسْلِمٍ فِي نَحْوٍ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا أيضًا، فَالْتَقَوْا بِأَرْضِ قِنَّسْرِينَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فانهزم سليمان ومن معه إلى حمص فعسكر بهم فيها .

○ حصار حمص

فتقدم إليهم مروان بجيشه فَحَاصَرَهُمْ بِهَا، وَنَصَبَ عَلَيْهِمْ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ مَنْجَنِيقًا، فَمَكَث ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ يَرْمِيهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَيَخْرُجُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُقَاتِلُون، ثُمَّ يَرْجِعُونَ.

وَقَدْ ذَهَبَ سُلَيْمَانُ بن هشام وَطَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ مَعَهُ إِلَى تَدْمُرَ، وَقَدِ اعْتَرَضُوا جَيْشَ مَرْوَانَ فِي الطَّرِيقِ، وَهَمُّوا بِالْفَتْكِ بِهِ وَأَنْ يُبَيِّتُوهُ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ، وَتَهَيَّأَ لَهُمْ مَرْوَانُ فَقَاتَلَهُمْ، فقَتَلُوا مِنْ جَيْشِهِ قَرِيبًا مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ وَهُمْ تِسْعُمِائَةٍ، وَانْصَرَفُوا إِلَى تَدْمُرَ .

وَلَزِمَ مَرْوَانُ مُحَاصَرَةَ حِمْصَ كَمَالَ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ، من سنة (١٢٧هـ)، فَلَمَّا تَتَابَعَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، وَلَزِمَهُمُ الذُّلُّ، سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَمِّنَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

○ خروج عبدالله بن معاوية بالكوفة

خَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْكُوفَةِ فِي سنة (١٢٧هـ) فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَحَارَبَهُ أَمِيرُ الْعِرَاقِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، ثُمَّ أَجْلَاهُ عَنْهَا، فَلَحِقَ بِالْجِبَالِ،(١) .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (١٢٩هـ) تَغَلَّبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى فَارِسَ وَكُوَرِهَا، وَعَلَى حُلْوَانَ وَقُومِسَ وَأَصْبَهَانَ وَالرَّيِّ بَعْدَ حُرُوبٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَبَسْطُهَا،

---

(١) الجبال: جمع جبل اسم علم لبلاد كبيرة تقع ما بين أصبهان إلى زنجان، وقزوين، وهمذان، والدينور، وقرميسين، والريّ، وما بين ذلك من البلاد الجليلة، والكور العظيمة. معجم البلدان – الفكر (٢/ ٩٩).

ثُمَّ الْتَقَى عَامِرُ بْنُ ضُبَارَةَ[١] مَعَهُ بِإِصْطَخْرَ فَهَزَمَهُ ابْنُ ضُبَارَةَ وَأَسَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَكَانَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ[٢] فَنَسَبَهُ ابْنُ ضُبَارَةَ، وَقَالَ لَهُ:

مَا جَاءَ بِكَ مَعَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ عَلِمْتَ خِلَافَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَرْوَانَ؟ فَقَالَ: كَانَ عَلَيَّ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ قَطَنِ بْنِ وَهْبٍ الْكِنَانِيُّ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ، وَقَالَ: هُوَ ابْنُ أُخْتِنَا. فَوَهَبَهُ لَهُ، وَقَالَ بن ضبارة: مَا كُنْتُ لِأَقْدِمَ عَلَى قتل رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَحَمَلَ ابْنُ ضُبَارَةَ، عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ أمير العراق، فَبَعَثَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى مَرْوَانَ فِي أَجْنَادِ أَهْلِ الشَّامِ، فَأَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ.

وَقَدْ كَتَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ زَوَالَ مُلْكِ مَرْوَانَ يَكُونُ عَلَى يَدِ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَا يَشْعُرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِذَلِكَ.

○ خروج الحارث بن سريج ومقتله

كَانَ الْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ بن يزيد التميمي، قد ثار على الدولة الأموية بخراسان عدة مرات، أيام هشام بن عبدالملك، ويزعم أنه ينكر المظالم ويدعو إلى الكتاب والسنة، ثم إنه لحق ببلاد الترك ومالأهم على المسلمين، فكتب إليه يَزِيد بْن الْوَلِيدِ النَّاقِص، كِتَابَ أَمَانٍ فخَرَجَ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَصَارَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجَعَ عَنْ مُوَالَاةِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

لكن وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ الكناني نَائِبِ خُرَاسَانَ، وَحْشَةٌ وَمُنَافَسَاتٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا، فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، اسْتَوْحَشَ الْحَارِثُ بْنُ

---

(١) عامر بن ضبارة: الغطفانيّ ثم المري، قائد من الفرسان الشجعان. من أهل حوران بالشام. كان مع ابن هبيرة في العراق. انتدبه مروان بن محمد لقتال شيبان الخارجي، وجهز معه سبعة آلاف. فزحف بهم، فانهزم منه شيبان، ثم سار عامر لقتال عبد الله بن معاوية الطالبي. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥١).

(٢) هو: عم السفاح والمنصور، من رجال العالم، ودهاة قريش، كان بطلا، شجاعا، مهيبا، جبارا، عسوفا، سفاكا للدماء. به قامت الدولة العباسية. السير ٦/ ١٦١.

سُرَيْجٍ مِنْ ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا، وَتَكَلَّمَ فِي الخليفة مَرْوَانَ بن محمد.

وَجَاءَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ أَمِيرُ الشُّرْطَةِ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِ الْأَجْنَادِ وَالْأُمَرَاءِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَكُفَّ لِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَأَنْ لَا يُفَرِّقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَبَى وَبَرَزَ نَاحِيَةً عَنِ النَّاسِ، **وَدَعَا نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ** إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَامْتَنَعَ نَصْرٌ مِنْ مُوَافَقَتِهِ، وَاسْتَمَرَّ هُوَ عَلَى خُرُوجِهِ.

وَأَمَرَ الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ: أَنْ يَقْرَأَ كِتَابًا فِيهِ سِيرَةِ الْحَارِثِ بن سريج عَلَى النَّاسِ، وَكَانَ الْحَارِثُ يَقُولُ: أَنَا صَاحِبُ الرَّايَاتِ السُّودِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَصْرٌ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ ذَاكَ فَلَعَمْرِي إِنَّكُمُ الَّذِينَ تُخَرِّبُونَ سُورَ دِمَشْقَ وَتُزِيلُونَ بَنِي أُمَيَّةَ.[1]

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَارِثُ يَقُولُ: لَعَمْرِي إِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ. فَقَالَ لَهُ نَصْرٌ: فَابْدَأْ بِالْكَرْمَانِيِّ أَوَّلًا، ثُمَّ سِرْ إِلَى الرَّيِّ وَأَنَا فِي طَاعَتِكَ إِذَا وصَلْتَهَا.

ثُمَّ تَنَاظَرَ نَصْرٌ وَالْحَارِثُ وَرَضِيَا أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَالْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ فَحَكَمَا أَنْ يُعْزَلَ نَصْرٌ، وَيَكُونَ الْأَمْرُ شُورَى، فَامْتَنَعَ نَصْرٌ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ،[2] وَلَزِمَ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَغَيْرُهُ قِرَاءَةَ سِيرَةِ الْحَارِثِ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَجَامِعِ وَالطُّرُقِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمْعٌ غَفِيرٌ.

ثم قاتله نصر بن سيار الليثي الكناني، حتى قتل عدداً من أصحابه، فيهم: الجهم بن صفوان ، قتله سلم بن أحوز صاحب الشرطة.

فاتَّفَقَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ، وَالْكَرْمَانِيُّ،[3] عَلَى نَصْرٍ وَمُخَالَفَتِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْكِتَابِ

---

(١) هـذا يدل على مدى نجاح الدعاية التي نشـرها الدعاة العباسـيون، وأنه هذا مـن الأمور التي لابد كائنة، ووضعوا لها الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ حتى تقبل عند العامة .

(٢) لم يقبل نصر بن سيار الكناني حكمهم لأنه يترتب عليه الخروج على الدولة الأموية وعلى الخليفة، وأن يقيموا حكومة مستقلة في خراسان .

(٣) هو: جديع بن علي الأزدي، شـيخ خراسـان وفارسـها في عصره، وأحد الدهاة الرؤسـاء. ولد بكرمان. وإليها نسـبته، وأقام في خراسان إلى أن وليها نصر بن سيار، فخاف شرَّ الكرماني فسجنه، فغضبت الأزد، فأقسم لهم نصر أنه لا يناله منه سوء. الأعلام للزركلي (٢/ ١١٤) .

وَالسُّــنَّةِ، وَاتِّبَاعِ أَئِمَّةِ الْهُدَى، وَتَحْرِيمِ الْمُنْكِرَاتِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، ثُمَّ اخْتَلَفَا فِيمَا بَيْنَهُمَا، وَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا،(١) فَغَلَبَ الْكَرْمَانِيُّ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْحَارِثِ بن سريج، فَقُتَل الحارث يَوْمَ الْأَحَدِ لَستٍّ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (١٢٨هـ)، وَقُتِلَ مَعَهُ مِائَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَاحْتَـاطَ الْكَرْمَانِيُّ عَلَى حَوَاصِلِـهِ وَأَمْوَالِهِ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ مَنْ خَـرَجَ مَعَهُ أَيْضًا، وَأَمَرَ بِصَلْـبِ الْحَارِثِ بِلَا رَأْسٍ عَلَى بَابِ مَدِينَةِ مَرْوَ، وَلَمَّا بَلَغَ نَصْرَ بْنَ سَـيَّارٍ مَقْتَلُ الْحَارِثِ فرح بذلك.

❁ ❁ ❁

(١) كان- مع الأسف- للعصبية القبلية أثر في مثل هذا الاقتتال.

○ ثورة الْكَرْمَانِيِّ وأبو مسلم الخراساني

في سنة (١٢٩ هـ) نَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَبَيْنَ الْكَرْمَانِيِّ، وَهُوَ جَدِيعُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرْمَانِيُّ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَجَعَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الخراساني يُكَاتِبُ كُلًّا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَيَسْتَمِيلُهُمْ إِلَيْهِ، يَكْتُبُ إِلَى نَصْرٍ وَإِلَى الْكَرْمَانِيِّ: إِنَّ الْإِمَامَ قَدْ أَوْصَانِي بِكُمْ خَيْرًا، وَلَسْتُ أَعْدُو رَأْيَهُ فِيكُمْ.

وَكَتَبَ أَبُو مُسْلِمٍ الخراساني إِلَى الْكُوَرِ **يَدْعُو إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ**، فَاسْتَجَابَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَأَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ فَنَزَلَ بَيْنَ خَنْدَقِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ، وَخَنْدَقِ جُدَيْعٍ الْكَرْمَانِيِّ، فَهَابَهُ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا.

وَكَتَبَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ يُعْلِمُهُ بِأَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ، وَكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ، وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَكَتَبَ فِي كِتَابِهِ:

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... فَأَحْرِ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذْكَى ... وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدَؤُهَا الْكَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي ... أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ: الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ. فَقَالَ نَصْرٌ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ أَعْلَمَكُمْ أَنْ لَا نُصْرَةَ عِنْدَهُ.

وَكَتَبَ نَصْرٌ أيضًا: إِلَى نَائِبِ الْعِرَاقِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ يَسْتَمِدُّهُ، فَبَعَثَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بِكِتَابِ نَصْرٍ إِلَى مَرْوَانَ.(١)

---

(١) كان نصر بن سيار مدرك لخطر أبي مسلم الخراساني، وأنه ليس مجرد ثائر محلي، وإنما صاحب مشروع يستهدف اقتلاع الخلافة الأموية من أصلها، ولكن الأحوال التي تحيط بنصر بن سيار في ولاية خراسان من التفرق وانتشار العصبية، لا تمكنه وحده من مواجهة خطر الخراساني. ولذا كتب إلى الخليفة مروان، وإلى والي العراق يستنجدهما،

فأما والي العراق: يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ فيظهر أنه ليست له رغبة في امداد نصر. وأما الخليفة: فيظهر أنه غير مدرك للخطر مع انشغاله بقتال الخوارج وغيرهم. واكتفى بتكليف والي العراق بذلك .

وَاتَّفَقَ فِي وُصُولِهِ إِلَيْهِ أَنْ وَجَدُوا رَسُولًا مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْهُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، وَهُوَ يَشْتُمُهُ وَيَسُبُّهُ وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُنَاهِضَ نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ وَالْكَرْمَانِيَّ، وَلَا يَتْرُكُ هُنَاكَ مَنْ يُحْسِنُ الْكَلَامَ بِالْعَرَبِيَّةِ.

❍ مقتل الكرماني

كَتب أَبُو مُسْلِمٍ الخراساني إلى الْكَرْمَانِيَّ: إِنِّي مَعَكَ، فَمَالَ إِلَيْهِ الكرماني، فَكَتَبَ نَصْرٌ إِلَي الكرماني: وَيْحَكَ! لَا تَغْتَرَّ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ قَتْلَكَ وَقَتْلَ أَصْحَابِكَ مَعَكَ، فَهَلُمَّ حَتَّى نَكْتُبَ كِتَابًا بَيْنَنَا بِالْمُوَادَعَةِ. فَدَخَلَ الْكَرْمَانِيُّ دَارَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّحْبَةِ فِي مِائَةِ فَارِسٍ وَبَعَثَ إِلَى نَصرٍ أَنْ هَلُمَّ حَتَّى نَتَكَاتَبَ، فَأَبْصَرَ نَصْرٌ غِرَّةً مِنَ الْكَرْمَانِيِّ فَنَهَضَ إِلَيْهِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَقُتِلَ الْكَرْمَانِيُّ فِي الْمَعْرَكَةِ سنة (١٢٩هـ).

فانْضَافَ وَلَدُ الكرماني إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَمَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ، فَصَارُوا يداً وَاحِدَةً عَلَى نَصرِ بْنِ سَيَّارٍ.

❁ ❁ ❁

القبض على إبراهيم بن محمد الإمام

بَعَثَ مَرْوَانُ بن محمد في سنة (١٢٩هـ) إِلَى نَائِبِهِ: الْوَلِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْق، يَأْمُرُهُ أَنْ يُرْسَلَ إِلَى نَائِبِهِ بِالْبَلْقَاءِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْحُمَيْمَةِ، الْبَلْدَةِ الَّتِي فِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْإِمَامِ، فَيُقَيِّدُهُ وَيُرْسِلُهُ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ نَائِبُ دِمَشْقَ إِلَى نَائِبِ الْبَلْقَاءِ، فَذَهَبَ إِلَى مَسْجِدِ الْبَلْدَةِ، فَوَجَدَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ جَالِسًا فِيهِ، فَقَيَّدَهُ وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَبَعَثَهُ نَائِبُ دِمَشْقَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَ بِهِ فَسُجِنَ.

وَمَا زَالَ فِي السِّجْنِ إِلَى سنة (١٣٢هـ)، فَمَاتَ فِي صَفَرٍ مِنْهَا فِي السِّجْنِ، عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: إنه قتل في السجن .

وَقِيلَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ شَهِدَ الْمَوْسِمَ عَامَ (١٣١هـ)، وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ؛ لَأَنَّهُ وَقَفَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَنَجَائِبَ كَثِيرَةٍ، وَحُرْمَةٍ وَافِرَةٍ، فَأُنْهِي أَمْرُهُ إِلَى مَرْوَانَ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ إِنَّمَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى هَذَا، وَيُسَمُّونَهُ الْخَلِيفَةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ (١٣٢هـ)، وَقَتَلَهُ فِي شهر صَفَرٍ، وَهَذَا أَصَحُّ مِمَّا تَقَدَّمَ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، لَهُ فَضَائِلُ وَفَوَاضِلُ، رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ وَأَبِي هَاشِمٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَعَنْهُ: أَخَوَاهُ عَبْدُ اللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ الْمَنْصُورُ.

❁ ❁ ❁

○ خروج الضحاك الشيباني الخارجي

خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الشَّيْبَانِيُّ فِي سنَة (١٢٧هـ) بالعراق، وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: سَعِيدُ بْنُ بَهْدَلٍ - وَكَانَ خارِجِيًّا - اغْتَنَمَ غَفْلَةَ النَّاسِ وَاشْتِغَالَهُمْ بِمَقْتَلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ، فَثَارَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْعِرَاقِ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ - وَلَمْ تَجْتَمِعْ قَبْلَهُ لِخَارِجِيٍّ - فَقَصَدَتْهُمُ الْجُيُوشُ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ، فَتَارَةً يَكْسِرُونَ، وَتَارَةً يُكْسَرُونَ، ثُمَّ مَاتَ سَعِيدُ بْنُ بَهْدَلٍ فِي طَاعُونٍ أَصَابَهُ.

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْخَوَارِجِ مِنْ بَعْدِهِ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ الشَّيْبَانِيَّ، فَالْتَفَّ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ، فَغَلَبَتِ الْخَوَارِجُ وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، مِنْهُمْ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخُو أَمِيرِ الْعِرَاقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَرَثَاهُ بِأَشْعَارٍ.

ثُمَّ قَصَدَ الضَّحَّاكُ بِطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مَرْوَانَ، فَاجْتَازَ بِالْكُوفَةِ، فَنَهَضَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا، فَكَسَرَهُمْ وَدَخَلَ الْكُوفَةَ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (١٢٧هـ). وَسَارَ فِي طَلَبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَائِبِ الْعِرَاقِ فَالْتَقَوْا، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَتَفْصِيلُهَا.

○ مقتل الضحاك الشيباني الخارجي

قُتِلَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْخَارِجِيُّ فِي سنة (١٢٨هـ)، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الضَّحَّاكَ حَاصَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِوَاسِطَ، وَوَافَقَهُ عَلَى مُحَاصَرَتِهِ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ، فَكَتَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَكَ فِي مُحَاصَرَتِي، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَتَرَحَّلَ الضَّحَّاكُ عَنْهُ.

وَسَارَ قَاصِدًا إِلَى قِتَالِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا اجْتَازَ الضَّحَّاكُ بِالْمَوْصِلِ كَاتَبَهُ أَهْلُهَا، فَمَالَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلَهَا، وَقَتَلَ نَائِبَهَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، وَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ حِمْصَ، مَشْغُولٌ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْوَانَ - وَهُوَ نَائِبُهُ

عَلَى الْجَزِيرَةِ - يَأْمُرُهُ أَنْ يُقَاتِلَ الضَّحَّاكَ بِالْمَوْصِلِ فَسَارَ الضَّحَّاكُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ الضَّحَّاكُ قَدِ الْتَفَّ عَلَيْهِ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، فَحَاصَرُوا نَصِيبِينَ، وَسَارَ مَرْوَانُ فِي طَلَبِهِ، فَالْتَقَيَا هُنَالِكَ، فَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا جِدًّا، فَاقْتَحَمَ الضَّحَّاكُ عَنْ فَرَسِهِ، وَتَرَجَّلَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ كُبَرَاءِ الْأُمَرَاءِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ الضَّحَّاكُ فِي الْمَعْرَكَةِ.

❁ ❁ ❁

انضمام سليمان بن هشام إلى الخوارج

اسْتَخْلَفَ الضحاك مِنْ بَعْدِهِ عَلَى جَيْشِهِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: الْخَيْبَرِيُّ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ الْجَيْشِ. وَالْتَفَّ مَعَ الْخَيْبَرِيِّ سُلَيْمَانُ بْنُ هشام، وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَمَوَالِيهِ، وَالْجَيْشُ، الَّذِي كَانُوا قَدْ بَايَعُوهُ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ (١٢٧هـ) عَلَى الْخِلَافَةِ، وَخَلَعُوا مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْخِلَافَةِ لِأَجْلِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا اقْتَتَلُوا مَعَ مَرْوَانَ فَحَمَلَ الْخَيْبَرِيُّ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ شُجْعَانِ أَصْحَابِهِ عَلَى مَرْوَانَ وَهُوَ فِي الْقَلْبِ، فَكَرَّ مُنْهَزِمًا، وَاتَّبَعُوهُ حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنَ الْجَيْشِ، وَدَخَلُوا عَسْكَرَهُ، وَجَلَسَ الْخَيْبَرِيُّ عَلَى فراشه.

وَلَمَّا رَأَى عَبِيدَ الْعَسْكَرِ قِلَّةَ مَنْ مَعَ الْخَيْبَرِيِّ، وَأَنَّ الْمَيْمَنَةَ وَالْمَيْسَرَةَ مِنْ جَيْشِهِمْ بَاقِيَتَانِ طَمِعُوا فِيهِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ بِعُمُدِ الْخِيَامِ، فَقَتَلُوهُ بِهَا، وَبَلَغَ مَقْتَلُهُ مَرْوَانَ وَقَدْ سَارَ عَنِ الْجَيْشِ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ أَوْ سِتَّةٍ، فَرَجَعَ مَسْرُورًا، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْخَيْبَرِيِّ وَقَدْ وَلَّوْا عَلَيْهِمْ شَيْبَانَ بن الحليس، فَقَاتَلَهُمْ مَرْوَانُ بَعْدَ ذَلِكَ حتى هزمهم.

استمرار ثورة الخوارج

اجْتَمَعَتِ الْخَوَارِجُ بَعْدَ الْخَيْبَرِيِّ عَلَى: شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُلَيْسِ الْيَشْكُرِيِّ الْخَارِجِيِّ فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ أَنْ يَتَحَصَّنُوا بِالْمَوْصِلِ وَيَجْعَلُوهَا مَنْزِلًا لَهُمْ، فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهَا، وَتَبِعَهُمْ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَسْكَرُوا بِظَاهِرِهَا، وَخَنْدَقُوا عَلَيْهِمْ مِمَّا يَلِي جَيْشَ مَرْوَانَ وَقَدْ خَنْدَقَ مَرْوَانُ عَلَى جَيْشِهِ أَيْضًا مِنْ نَاحِيَتِهِمْ، وَأَقَامَ سَنَةً (١٢٩هـ) يُحَاصِرُهُمْ وَيَقْتَتِلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً.

وَظَفَرَ مَرْوَانُ بِابْنِ أَخٍ لِسُلَيْمَانَ بْنِ هِشَامٍ، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ، أَسَرَهُ بَعْضُ جَيْشِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ يَدَاهُ، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَعَمُّهُ سُلَيْمَانُ وَالْجَيْشُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

وَكَتَبَ مَرْوَانُ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْخَوَارِجِ الذين عنده أَنْ يُمِدَّهُ بِعَامِرِ بْنِ ضُبَارَةَ المري - وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ - وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَوْصِلِ، فَأَشَارَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ

عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَحِلُوا عَنِ الْمَوْصِلِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُمْكِنُهُمُ الْإِقَامَةُ بِهَا وَمَرْوَانُ مِنْ أَمَامِهِمْ وَابْنُ ضُبَارَةَ مِنْ وَرَائِهِمْ، قَدْ قَطَعَ عَنْهُمُ الْمِيرَةَ حَتَّى لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ، فَارْتَحَلُوا عَنْهَا، وَسَارُوا عَلَى حُلْوَانَ[1] إِلَى الْأَهْوَازِ فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ عامِر ابْنَ ضُبَارَةَ فِي آثَارِهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَاتَّبَعَهُمْ يَقْتُلُ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ، وَيَلْحَقُهُمْ فِي مُوَاطِنَ فَيُقَاتِلُهُمْ، وَمَا زَالَ وَرَاءَهُمْ حَتَّى فَرَّقَ شَمْلَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، وَهَلَكَ أَمِيرُهُمْ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْيَشْكُرِيُّ بِالْأَهْوَازِ فِي سنة (١٣٠هـ)، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَزْدِيُّ.

وَرَكِبَ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ فِي مَوَالِيهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ السُّفُنَ، وَسَارُوا إِلَى السِّنْدِ.

قال ابن كثير:[2] وَرَجَعَ مَرْوَانُ مِنَ الْمَوْصِلِ فَأَقَامَ بِمَنْزِلِهِ بِحَرَّانَ وَقَدْ وَجَدَ سُرُورًا بِزَوَالِ الْخَوَارِجِ وَلَكِنْ لَمْ يَتِمَّ سُرُورُهُ، بَلْ أَعْقَبَهُ الْقَدَرُ مَنْ هُوَ أَقْوَى شَوْكَةً، وَأَعْظَمُ أَتْبَاعًا، وَأَشَدُّ بَأْسًا مِنَ الْخَوَارِجِ، وَهُوَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ الدَّاعِيَةُ إِلَى دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ.

❁ ❁ ❁

(١) حلوان: بالضم ثم السكون، وحلوان عدة مواضع، منها حلوان العراق: وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال. معجم البلدان ٢/ ٢٩٠.

(٢) البداية والنهاية ط هجر (١٣/ ٢٢٤).

○ مقاتلة الخوارج في العراق

كَتَبَ مَرْوَانُ إِلَى نَائِبِهِ بِالْعِرَاقِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ يَأْمُرُهُ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ فِي بِلَادِهِ، فَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ وَقَعَاتٌ عَدِيدَةٌ، فَظَفِرَ بِهِمُ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، وَلَمْ يُبْقِ لَهُمْ بَقِيَّةً بِالْعِرَاقِ وَاسْتَنْقَذَ الْكُوفَةَ مَنْ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَ عَلَيْهَا الْمُثَنَّى بْنُ عِمْرَانَ الْعَائِذِيُّ - عَائِذَةُ قُرَيْشٍ - فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (١٢٩هـ).

○ الخوارج في موسم الحج

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (١٢٩هـ) وَافَى الْمَوْسِمَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ[(١)] فَأَظْهَرَ التَّحكِيمَ وَالْمُخَالَفَةَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، وَالتَّبَرُّؤَ مِنْهُ، فَرَاسَلَهُمْ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْحَجِيجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى الْأَمَانِ إِلَى يَوْمِ النَّفْرِ، فَوَقَفُوا عَلَى حَجْرَةٍ مِنَ النَّاسِ بِعَرَفَاتٍ، ثُمَّ تَحَيَّزُوا عَنْهُمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ تَعَجَّلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ، وَتَرَكَ مَكَّةَ فَدَخَلَهَا الْخَارِجِيُّ بِغَيْرِ قِتَالٍ، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي ذَلِكَ:

زَارَ الْحَجِيجَ عِصَابَةٌ قَدْ خَالَفُوا ... دِينَ الْإِلَهِ فَفَرَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ
تَرَكَ الْحَلَائِلَ وَالْإِمَارَةَ هَارِبًا ... وَمَضَى يُخَبِّطُ كَالْبَعِيرِ الشَّارِدِ
لَوْ كَانَ وَالِدُهُ تَنَصَّلَ[(٢)] عِرْقَهُ ... لَصَفَتْ مَشَارِبُهُ بِعِرْقِ الْوَالِدِ

وَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ الْوَاحِدِ إِلَى الْمَدِينَةِ شَرَعَ فِي تَجْهِيزِ السَّرَايَا إِلَى الْخَارِجِيِّ وَبَذَلَ النَّفَقَاتِ، وَزَادَ فِي أَعْطِيَةِ الْأَجْنَادِ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهِ سَرِيعًا.

---

(١) أبو حمزة الخارجي هو :المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي، ثائر فتاك، من الخطباء القادة. ولد بالبصرة، وأخذ بمذهب الإباضية. وكان في كل سنة يوافي مكة يدعو الناس إلى الخروج على (مروان بن محمد) ولم يزل على ذلك إلى أن التقى بطالب الحَقّ (عبد الله بن يحيى) سنة ١٢٨ هـ فذهب معه إلى حضرموت، وبايعه بالخلافة. الأعلام للزركلي (٧/ ١٩٢).

(٢) تخير .

○ معركة قديد مع الخوارج

قَـالَ ابْـنُ جَرِيرٍ: وَفِي سـنة (١٣٠هـ) كَانَـتْ وَقْعَةٌ بِقُدَيْـدٍ[١] مِـنْ أَرْضِ الْحِجَازِ بَيْنَ أَبِي حَمْـزَةَ الْخَارِجِـيِّ - الَّذِي كَانَ حَكَـمَ فِي أَيَّامِ الْمَوْسِـمِ - وَبَيْنَ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ فَقَتَلَ الْخَارِجِيُّ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ.

○ دخول أبي حمزة الخارجي المدينة

دَخَـلَ الْخَارِجِيُّ الْمَدِينَةَ وَهَـرَبَ نَائِبُهَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُـلَيْمَانَ فَقَتَلَ الْخَارِجِيُّ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا فِي سنة (١٣٠هـ) وَذَلِكَ لِتِسْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مَنْ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ خَطَبَ الْخَارِجِيُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ النَّبَوِيِّ فَوَبَّخَهُمْ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ:

يَـا أَهْـلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي مَـرَرْتُ بِكُمْ أَيَّامَ الْأَحْوَلِ -يَعْنِي هِشَـامَ بْنَ عَبْـدِ الْمَلِكِ- وَقَدْ أَصَابَتْكُمْ عَاهَةٌ فِي ثِمَارِكُمْ، فَكَتَبْتُمْ إِلَيْهِ تَسْـأَلُونَهُ أَنْ يَضَعَ الْخَرْصَ عَنْ ثِمَارِكُمْ، فَوَضَعَهُ عَنْكُمْ، فَزَادَ غَنِيَّكُمْ غِنًى، وَزَادَ فَقِيرَكُمْ فَقْرًا، فَكَتَبْتُمْ إِلَيْهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. فَلَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

فِـي كَلَامٍ طَوِيـلٍ غَيْرِ هَـذَا، وَقَدْ أَقَامَ أَبُو حَـمْـزَةَ فِي المدينة ثَلَاثَةَ أَشْـهُرٍ؛ -بَقِيَّةَ صَفَرٍ وَشَهْرَيْ رَبِيعٍ وَبَعْضَ جُمَادَى الْأُولَى-

رَوَى الْمَدَائِنِـيُّ عَنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ هَارُونَ عَنْ جَدِّهِ قَـالَ: كَانَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ قَدْ أَحْسَـنَ السِّيرَةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ واسْـتَمَالَ النَّاسَ حتى سَمِعُوهُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ:

بَـرِحَ الْخَفَـاءُ أَيْنَ مَا بِكَ يَذْهَبُ؟! مَنْ زَنَى فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ سَـرَقَ فَهُوَ كَافِرٌ. فَأَبْغَضَهُ النَّاسُ، وَرَجَعُوا عَنْ مَحَبَّتِهِ.

---

(١) قُدَيْدٌ، وَادٍ فَحْلٌ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ التِّهَامِيَّةِ، يَأْخُذُ أَعْلَى مَسَاقِطِ مِيَاهِهِ مِنْ حَرَّةِ «ذَرَة» فَيُسَمَّى أَعْلَاهُ سِتَارَةً، وَأَسْـفَلَهُ قُدَيْـدًا، يَقْطَعُهُ الطَّرِيقُ مِـنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى نَحْـوٍ مِنْ ١٢٥ كَيْلًا، ثُمَّ يَصُبُّ فِـي الْبَحْرِ عِنْدَ الْقَضِيمَةِ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي الحربي (ص: ٢٤٩).

وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى بَعَثَ مَرْوَانُ بن محمد، عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَحَدَ بَنِي سَعْدٍ فِي خُيُولِ أَهْلِ الشَّامِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، قَدِ انْتَخَبَهَا مِنْ جَيْشِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَهُ، وَلَوْ لَمْ يَلْحَقْهُ إِلَّا بِالْيَمَنِ فَلْيَتْبَعْهُ إِلَيْهَا، وَلِيُقَاتِلْ صاحب صنعاء عَبْدَ اللهِ بْنَ يَحْيَى الملقب بطالب الحق.

فَسَارَ ابْنُ عَطِيَّةَ حَتَّى بَلَغَ وَادِيَ الْقُرَى، فتَلَقَّاهُ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ قَاصِدًا مَرْوَانَ، فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ إِلَى اللَّيْلِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَدَخَلَ ابْنُ عَطِيَّةَ السعدي الْمَدِينَةَ، وَقَدِ انْهَزَمَ جَيْشُ أَبِي حَمْزَةَ عَنْهَا، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَقَامَ بِهَا شَهْرًا. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ خرج إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عليها، وَسَارَ إِلَى الْيَمَنِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى مِنْ صَنْعَاءَ، فَاقْتَتَلَا فقَتَلَ ابْنُ عَطِيَّةَ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَحْيَى.

○ مَقْتَلُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ الْحَرُورِيِّ

كان شَيْبَانُ الْحَرُورِيُّ مُمَالِئًا لنَصْر بْن سَيَّارٍ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ رُسُلًا، فَحَبَسَهُمْ شَيْبَانُ، فَأَرْسَلَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى بَسَّامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ مَوْلَى بَنِي لَيْثٍ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَى شَيْبَانَ فَيُقَاتِلُهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ، فَاقْتَتَلَا، فَهَزَمَهُ بَسَّامٌ وَقَتَلَهُ سنة (١٣٠هـ)، وَاتَّبَعَ أَصْحَابَهُ يَقْتُلُهُمْ وَيَأْسِرُهُمْ.

❁ ❁ ❁

ولاية البلدان في عهده

○ ولاية العراق

فِي سـنة (١٢٧هـ) كان أَمِيرُ الْعِرَاقِ النَّضْرُ بْنُ سَـعِيدٍ الْحَرَشِـيُّ السـعدي الهوازني، وكان الوالـي قبلـه عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْـنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وقد وقع بينهم منافسـة وقتال على العصبية .

وفِي سنة (١٢٨هـ) بَعَثَ مَرْوَانُ بن محمد، عَلَى إِمْرَةِ الْعِرَاقِ يَزِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ.

○ ولاية خراسان

فِي سنة (١٢٧هـ) كان أَمِيرُ خُرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الكناني، وَقَدْ خَرَجَ عَلَيْهِ الْكَرْمَانِيُّ، وَالْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ، وقاومهما، وفي سنة (١٢٩هـ) اسْتَحْوَذَ عَلَى بَعْضِ ولايته أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ .

○ ولاية الحجاز

كان الوالي فِي سنة (١٢٧هـ) و (١٢٨هـ) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وفِي سـنة (١٢٩هــ) عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُـلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ الذي فرّ من ولايته عندما دهمه أبو حمزة الخارجي.

واستخلف على الحجاز في سنة (١٣٠هـ) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

- قَالَ الْوَاقِدِيُّ، وَأَبُو مَعْشَرٍ: وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٢٧هـ) و (١٢٨هـ) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمِيرُ الْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ.

- وحج بالناس سنة (١٢٩هـ) عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ .

- وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٣٠هـ) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَقَدْ جُعِلَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

- وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٣١هـ)[١] الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، سعد هوازن. والي المدينة، وقد استخلفه عمه عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي الذي قتل أبا حمزة الخارجي.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤١٠.

كيف تم إسقاط الدولة الأموية

◉ فِـي سـنة (١٠٠هـ) كَانَـت البداية للدَعْوَة الْعَبَّاسِـية، وَذَلِـكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْـنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَانَ مُقِيمًا بِأَرْضِ الشَّـرَاةِ[١] بَعَثَ مِنْ جِهَتِهِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: مَيْسَـرَةُ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْسَلَ طَائِفَةً أُخْرَى إلى خراسان وَهُمْ:

١-مُحَمَّدُ بْنُ خُنَيْس   ٢- أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ   ٣-وَحَيَّانُ الْعَطَّارُ.

وذلك في شهر رَمَضَانَ وَأَمَرَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَلَقُوا مَنْ لَقُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا بِكُتُبِ مَنِ اسْتَجَابَ مِنْهُمْ إِلَى مَيْسَرَةَ، الَّذِي بِالْعِرَاقِ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَفَرِحَ بِهَا وَاسْتَبْشَرَ وَسَرَّهُ.

قال ابن كثير:[٢] وَكَانَ مَبَادِئَ أَمْرٍ قَدْ كَتَبَ اللهُ إِتْمَامَهُ وَأَوَّلَ رَأْيٍ قَدْ أَحْكَمَ اللهُ إِبْرَامَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ بَانَ عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وقد انتشـرت الدعوة سـراً حتى اسـتجاب لها عـدد غير قليـل، فرتبهمَ أَبُـو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، واختار اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَهُمْ:

١- سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ الْخُزَاعِيُّ
٢- لَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ التَّمِيمِيُّ
٣- وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ الطَّائِيُّ
٤- مُوسَى بْنُ كَعْبٍ التَّمِيمِيُّ
٥- خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ شَيْبَانَ
٦- الْقَاسِمُ بْنُ مُجَاشِعٍ التَّمِيمِيُّ
٧- عِمْرَانُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى لِآلِ أَبِي مُعَيْطٍ
٨- مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيُّ

(١) الشـراة: صقـع بالشـام بين دمشـق وأول الحجاز من جهة الشـام، ومـن بعض نواحيه القريـة المعروفة بالحميمـة، التي كان يسـكنها ولد علي ابن عبد الله بن عباس بـن عبد المطلب في أيام بني مروان. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٣٣٢)

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٦٦٩ .

٩- وَطَلْحَةُ بْنُ زُرَيْقٍ الْخُزَاعِيّ
١٠- وَعَمْرُو بْنُ أَعْيَنَ الخزاعي مَوْلاهم
١١- وَعِيسَى ابْنُ أَعْيَنَ الخزاعي مَوْلاهم
١٢- وَشِبْلُ بْنُ طَهْمَانَ الحنفي مولاهم

وَاخْتَارَ سَبْعِينَ رَجُلًا وعينهم دعاة إلى الرضا[١] من آل محمد ﷺ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ كِتَابًا يَكُونُ مِثَالًا وَسِيرَةً يَقْتَدُونَ بِهَا وَيَسِيرُونَ عليها.[٢]

⦿ وَفِي سنة (١٠٥هـ) قَوِيَ أَمْرُ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي السِّرِّ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ والمشرق، وَحَصَلَ لِدُعَاتِهِمْ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى أَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ بِصَدَدِهِ.

⦿ وفِي سنة (١٠٧هـ) ظَفَرَ والي العراق أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ بِجَمَاعَةٍ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَاسَانَ فَصَلَبَهُمْ وَأَشْهَرَهُمْ.

⦿ وفي سنة (١١٣هـ) صَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى خُرَاسَانَ وَانْتَشَرُوا فِيهَا، وَقَدْ أَخَذَ أَمِيرُ خراسان رَجُلًا مِنْهُمْ فقَتَلَهُ، وَتوَعَّدَ غَيْرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

⦿ وفي سنة (١٢٠هـ) عتب مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ على شِيعَته لاتِّبَاعِهِمْ الزِّنْدِيقَ الْمُلَقَّبَ بِخِدَاشٍ تَصْدِيقِهِمْ لَهُ وَاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ عَلَى الْبَاطِلِ وَكَانَ خُرَّمِيًّا، وَهُوَ الَّذِي أَحَلَّ لَهُمُ الْمُنْكَرَاتِ، وَدَنَّسَ الْمَحَارِمَ وَالْمُصَاهِرَاتِ، فَقَتَلَهُ والي العراق خَالِدُ الْقَسْرِيُّ، فلم يكتب لهم في تلك السنة، فلما استبطؤوه بَعَثُوا له رَسُولًا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُهُمْ أَعْلَمَهُ مُحَمَّدٌ بن علي بِمَاذَا عَتَبَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ الْخُرَّمِيِّ، قَبَّحَهُ اللهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ مَعَ الرَّسُولِ كِتَابًا مَخْتُومًا، فَلَمَّا فَتَحُوهُ إِذَا هُوَ لَيْسَ فِيهِ سِوَى:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا عَتَبْنَا عَلَيْكُمْ بِسَبَبِ الْخُرَّمِيِّ.

(١) اختاروا هذا المصطلح حتى يكسبوا تعاطف العلويين وأتباعهم .

(٢) رتب محمد بن علي لدعاته المنهج والطريقة التي يسيرون عليها، وكان التواصل بينه وبينهم خلال موسم الحج، حيث يأتي الدعاة والمكلفون بالعمل إلى مقره بالحميمة، ويخرجون في من بلادهم مع الحجاج بحيث لا يفطن لهم .

ثُـمَّ جاءَتْهُمْ مِنْ جِهَتِهِ عَصًـا مَلْوِيٌّ عَلَيْهَا حَدِيدٌ وَنُحَاسٌ، فَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا إِشَـارَةً لَهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ عُصَاةٌ، وَأَنَّهُمْ مُخْتَلِفُونَ كَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ.

⊙ وفِي سنة (١٢٤هـ) قَدِمَ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ قَاصِدِينَ إِلَـى مَكَّةَ، فَمَـرُّوا بِالْكُوفَةِ فَبَلَغَهُمْ أَنَّ فِي السِّـجْنِ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَـرَاءِ مِنْ نُوَّابِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ، قَدْ حَبَسَهُمْ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَاجْتَمَعُوا بِهِمْ فِي السِّجْنِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، فَقَبِلُوا مِنْهُمْ.

وَوَجَـدُوا عِنْدَهُمْ فِي السِّـجْنِ أَبَا مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَـانِيَّ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ غُـلَامٌ يَخْدِمُ عِيسَـى بْنَ مَعْقِـلٍ الْعِجْلِـيَّ وَكَانَ مَحْبُوسًـا، فَأَعْجَبَهُمْ شَـهَامَتُهُ وَقُوَّتُهُ وَاسْـتِجَابَتُهُ مَـعَ مَـوْلَاهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، فَاشْـتَرَاهُ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ مِنْهُ بِأَرْبَعِمِائَـةِ دِرْهَمٍ، وَخَرَجُوا بِـهِ مَعَهُـمْ، فندبـوه لِهَذَا الْأَمْرِ، فَكَانُـوا لَا يُوَجِّهُونَهُ إِلَـى مَكَانٍ إِلَّا ذَهَـبَ، وَنَتَجَ مَا يُوَجِّهُونَهُ إِلَيْهِ.

⊙ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[١] فِي سَـنة (١٢٥هـ) قَدِمَ أربعة من نقباء الدعوة العباسية، وهـم: سُـلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ، وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ مَكَّةَ فِي موسـم الحج ، فَلَقُوا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّةِ أَبِي مُسْـلِمٍ فَقَالَ: أَحُرٌّ هُوَ أَمْ عَبْدٌ؟ فَقَالُوا: أَمَّا هُوَ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ حُرٌّ، وَأَمَّا مَوْلَاهُ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ عَبْدٌ. فَاشْتَرَوْهُ وَأَعْتَقُوهُ.

ثم إنهم دَفَعُوا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكُسْوَةً بِثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَقَالَ لَهُـمْ: لَعَلَّكُمْ لَا تَلْقَوْنِي بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، فَـإِنْ مُتُّ فَإِنَّ صَاحِبَكُمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ -يَعْنِـي ابْنَهُ- فَأُوصِيكُمْ بِـهِ. وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي مُسْـتَهَلِّ ذِي الْقِعْدَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

⊙ وفي سـنة (١٢٧هـ) اجْتَمَعَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ وَمَعَهُمْ أَبُو مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَـانِيُّ، فَدَفَعُوا إِلَيْهِ نَفَقَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَعْطَوْهُ

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢٧.

خُمسَ أَمْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُمْ كبير أَمْرٍ فِي هَذِهِ السَّـنَةِ لِكَثْرَةِ الشُّرُورِ الْمُنْتَشِرَةِ، وَالْفِتَنِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ النَّاسِ.(١)

⊙ في سـنة (١٢٨هـ) بَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَبَا مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَـانِيَّ إِلَى خُرَاسَـانَ مسـؤولاً عن الدعوة، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى شِيعَتِهِمْ بِهَا: إِنَّ هَـذَا أَبُو مُسْـلِمٍ فَاسْـمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَقَـدْ وَلَيْتُهُ عَلَى مَا غَلَـبَ عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ.

فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو مُسْـلِمٍ خُرَاسَـانَ، وَقَـرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ هَـذَا الْكِتَابَ، لَـمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ. فَرَجَعَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَيَّامَ الْمَوْسِـمِ (موسم الحج)، فَاشْتَكَاهُمْ إِلَيْـهِ، وَأَخْبَـرَهُ بِمَا قَابَلُوهُ بِهِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَـا عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّكَ رَجُلٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْـتِ، ارْجِـعْ إِلَيْهِمْ وَعَلَيْـكَ بِهَذَا الْحَيِّ مِـنَ الْيَمَنِ فَالْزَمْهُـمْ، وَانْزِلْ بَيْـنَ أَظْهُرِهِـمْ، وَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ، فَلَا تَعْصِه.

⊙ وَفِي سنة (١٢٩هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَبَّاسِيِّ يطلب من أَبِي مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَـانِيِّ، أن يقدم عليه فِي سَبْعِينَ مِنَ النُّقَبَاءِ، فجاؤوا، فكانوا لَا يَمُرُّونَ بِبَلَدٍ إِلَّا سَـأَلُوهُمْ: إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ فَيَقُولُ أَبُو مُسْـلِمٍ: نُرِيدُ الْحَجَّ. وَإِذَا تَوَسَّمَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ بَعْضِهِمْ مَيْلًا إِلَيْهِ دَعَاهُ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ، فَيُجِيبُهُ بعضهم، فَلَمَّا كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ فِـي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ جَاءَ كِتَـابٌ ثَانٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ: إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ **بِرَايَةِ النَّصْرِ** فَارْجِعْ إِلَى خُرَاسَانَ وَأَظْهَرِ الدَّعْوَةَ. فَامْتَثَلَ أَبُو مُسْلِمٍ ذَلِكَ.

وَأَمَرَ قَحْطَبَةَ بْنَ شَـبِيبٍ أَنْ يَسِـيرَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتُّحَفِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ فَيُوَافِيهِ بِهَا فِي الْمَوْسِمِ.

(١) في هـذه السـنة وقعت الفتنة بيـن الأمويين، فخلع إبراهيم بن الوليد وتولىّ مـروان بن محمد، ففتح باب الفتن والثورات من الخوارج والخراسانيين وحتى بلاد الشام.

وَرَجَعَ أَبُو مُسْلِمٍ بكتاب الإمام، فَدَخَلَ خُرَاسَانَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سنة (١٢٩هـ)، فَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ، وَفِيهِ: أَنْ أَظْهِرْ دَعْوَتَكَ وَلَا تَتَرَبَّصْ.

فَبَثَّ أَبُو مُسْلِمٍ دُعَاتَهُ فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ وَنَوَاحِيهَا، وَأَمِيرُ خُرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ مَشْغُولٌ بِقِتَالِ الْكَرْمَانِيِّ، وَشَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ الْحَرُورِيِّ.

فَظَهَرَ أَمْرُ أَبِي مُسْلِمٍ وَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَكَانَ مِمَّنْ قَصَدَهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَهْلُ سِتِّينَ قَرْيَةٍ، وفُتُحَتْ عَلَيْهِ أَقَالِيمُ كَثِيرَةٌ.

وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي سنة (١٢٩هـ)، عَقَدَ أَبُو مُسْلِمٍ اللِّوَاءَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ الْإِمَامُ، وَكَانَ يُدْعَى **الظِّلَّ**،[(١)] عَلَى رُمْحٍ طُولُهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَعَقَدَ الرَّايَةَ الَّتِي بَعَثَ بِهَا الْإِمَامُ أَيْضًا، وَتُدْعَى **السَّحَابَ**،[(٢)] عَلَى رُمْحٍ طُولُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَهُمَا سَوْدَاوَانِ، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج: ٣٩] . وَلَبِسَ أَبُو مُسْلِمٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَمَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ السَّوَادَ وَصَارَتْ شِعَارَهُمْ. وَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَكَثُرَ جَيْشُهُ جِدًّا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ أَمَرَ أَبُو مُسْلِمٍ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَنَصَبَ لَهُ مِنْبَرًا، وَأَنْ يُخَالِفَ فِي ذَلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ، فَنُودِيَ لِلصَّلَاةِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً.

وَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، وَكَبَّرَ سَبْعًا فِي الْأُولَى قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، لَا أَرْبَعًا، وَخَمْسًا فِي الثَّانِيَةِ لَا ثَلَاثًا، خِلَافًا لَهُمْ. وَانْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ أَبُو مُسْلِمٍ طَعَامًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ.

---

(١) الظل: مَعْنَى تسميتها بِالظِّلِّ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنَ الظِّلِّ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ.(البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٥)

(٢) السحاب: مَعْنَى تسميتها بِالسَّحَابِ أَنَّ السَّحَابَ كَمَا يُطَبِّقُ جَمِيعَ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ تُطَبِّقُ دَعْوَتُهُمُ الْأَرْضَ. (البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٥)

وَكَتَبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ كِتَابًا بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، **أَمَّا بَعْدُ،** فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ عَيَّرَ أَقْوَامًا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطِر: ٤٢، ٤٣].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[١] ثُمَّ بَعَثَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ خَيْلًا عَظِيمَةً لِمُحَارَبَةِ أَبِي مُسْلِمٍ وَذَلِكَ بَعْدَ ظُهُورِهِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، (أي في آخر سنة ١٣٠ هـ) فَأَرْسَلَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَيْهِمْ مَالِكَ بْنَ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيَّ فَالْتَقَوْا هُنَالِكَ فَدَعَاهُمْ مَالِكٌ إِلَى الرِّضَا مِن آلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَتَصَافُّوا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ جَاءَهُ مَدَدٌ فَقَوِيَ مَالِكٌ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَظْهَرَ وَظَفِرَ بِهِمْ، **وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَوْقِفٍ اقْتَتَلَ فِيهِ** دُعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجُنْدُ بَنِي أُمَيَّةَ.

◉ وَكَثُرَ جُنْدُ أبي مسلم، وَعَظُمَ أمره، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الشُّرَطِ وَالْحَرَسِ وَالرَّسَائِلِ وَالدِّيوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلْكُ، وَجَعَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُجَاشِعٍ التَّمِيمِيَّ -وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ- عَلَى الْقَضَاءِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِأَبِي مُسْلِمٍ الصَّلَوَاتِ، وَيَقُصُّ بَعْدَ الْعَصْرِ، **فَيَذْكُرُ مَحَاسِنَ بَنِي هَاشِمٍ وَيَذُمُّ بَنِي أُمَيَّةَ.**

وتطور أمره فصار يستولي على البلدان واحدةً بعد الأخرى، حتى تم له الاستيلاء على كامل خراسان، وإخراج نصر بن سيار منها، فقد هرب إلى همذان، **ثم مات بساوة** في الثاني عشر من ربيع الأول سنة (١٣١ هـ)، وكان عمره خمساً وثمانين سنة.

◉ **كان مَرْوَان لَمَّا بَلَغَهُ** مَا جَرَى بِأَرْضِ خُرَاسَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ وَأَتْبَاعِهِ، **تَحَوَّلَ مِنْ حَرَّانَ، فَنَزَلَ** عَلَى نَهْرٍ **قَرِيبٍ مِنَ الْمَوْصِلِ** يُقَالُ لَهُ: **الزَّابُ**. مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ السَّفَّاحَ قَدْ بُويِعَ لَهُ بِالْكُوفَةِ وَالْتَفَّ عَلَيْهِ الْجُنُودُ، وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ، اشْتَدَّ

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٣٠٨.

عَلَيْهِ ذَلِكَ جِدًّا، وَجَمَعَ جُنُودَهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ **أَبُو عَوْنِ بْنُ يَزِيدَ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ من المسودة، فَنَازَلَهُ وَجَاءَتْهُ الْأَمْدَادُ مِنْ جِهَةِ السَّفَّاحِ، ثُمَّ نَدَبَ السَّفَّاحُ عَمَّهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ فَقَالَ: **سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ**. فَسَارَ فِي جُنُودٍ كَثِيرَةٍ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي عَوْنٍ فَتَحَوَّلَ لَهُ أَبُو عَوْنٍ عَنْ سُرَادِقِهِ وَخَلَّاهُ لَهُ وَمَا فِيهِ.

فَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى وَاجَهَ جَيْشَ مَرْوَانَ وَنَهَضَ مَرْوَانُ فِي جُنُودِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَتَصَافَّ الْفَرِيقَانِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وكان جيشه يَوْمَئِذٍ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا.. وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٢هـ)، فَقَالَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ، لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ: مُرِ النَّاسَ فَلْيَنْزِلُوا. فَنُودِيَ: الْأَرْضَ. فَنَزَلَ النَّاسُ وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ، وَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ وَقَاتَلُوهُمْ، وَجعَلَ أَهْلُ الشَّامِ يَتَأَخَّرُونَ كَأَنَّمَا يُدْفَعُونَ، **وَجَعَلَ عَبْدُ اللهِ يَمْشِي قُدُمًا**.

وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَ النَّاسِ جِدًّا، فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ إِلَى قُضَاعَةَ يَأْمُرُهُمْ بِالنُّزُولِ، فَقَالُوا: قُلْ لِبَنِي سُلَيْمٍ فَلْيَنْزِلُوا. وَأَرْسَلَ إِلَى السَّكَاسِكِ أَنِ احْمِلُوا. فَقَالُوا: قُلْ لِبَنِي عَامِرٍ فَلْيَحْمِلُوا، فَأَرْسَلَ إِلَى السَّكُونِ أَنِ احْمِلُوا. فَقَالُوا: قُلْ لِغَطَفَانَ فَلْيَحْمِلُوا، فتخاذل جيش مروان مع كثرته فانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ، وَاتَّبَعَهُمْ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي أَدْبَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، وَكَانَ مَنْ غَرِقَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ غَرِقَ **إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَخْلُوعُ**.

وَقَدْ أَمَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ بِعَقْدِ الْجِسْرِ، وَاسْتِخْرَاجِ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْغَرْقَى، وَجَعَلَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وَأَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ فِي مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، **وَاحْتَازَ عَبْدُ اللهِ مَا كَانَ فِي مُعَسْكَرِ مَرْوَانَ** مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْحَوَاصِلِ.

وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ يُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ فَصَلَّى السَّفَّاحُ رَكْعَتَيْنِ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَطْلَقَ لِكُلِّ مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ خَمْسَمِائَةٍ خَمْسَمِائَةٍ، وَرَفَعَ فِي أَرْزَاقِهِمْ إِلَى ثَمَانِينَ، وَجَعَلَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [الْبَقَرَة: ٢٤٩].

وهذه المعركة أنهت الدولة الأموية، والتي كانت مثقلة بالخلافات والمشكلات، فكثرت عليها الثورات، مما شتت أمرها، واضطر الخليفة للهرب، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، قال تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران:٢٦].

❁ ❁ ❁

تعليق على سقوط الدولة الأموية :

عقد الإمام ابن كثير مبحثًا في ذِكْر مَا وَرَدَ فِي انْقِضَاءِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَابْتِدَاءِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وأورد نصوصًا كثيرة ليس فيها حديث مرفوع، وإنما أقوال وتنبؤات عن أمور غيبية وفي أكثرها ألفاظ منكرة. ومن المعلوم أن للتشيع وللدولة العباسية وأنصارها أثر في إشاعة تلك الأخبار .[١]

والدولة الأموية لها حسناتها الكثيرة، من أعظمها الجهاد في سبيل الله واتساع الفتوحات الإسلامية في عصرهم، ونشر السنة وحمايتها، وقمع البدعة وأهلها.

قال الطبري: [٢]ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو، فمنهم من يغزو، ومنهم من يُخرج بدلاً. قَالَ: وكان لهشام بْن عبد الملك مولىً يقال له: يعقوب، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً، يفضل بدينار، فيأخذها يعقوب ويغزو، وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان، وفي بعض ما يجوز لهم المقام به، ويوضع به الغزو عنهم .

وقال ابن كثير: [فكانت سوق الجهاد قائمة في بنى أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبًا، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة، ينصر الله بهم دينه. فقتيبة ابن مسلم يفتح في بلاد الترك، يقتل ويسبى ويغنم، حتى وصل إلى تخوم الصين، وأرسل إلى ملكهم يدعوه، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفًا وأموالاً كثيرة هدية،

(١) انظر: إبراهيم الأقصم، أثر الأحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الأموية في الكتابة التاريخية، دراسة تاريخية حديثية تحليلية مقارنة، رسالة جامعية من طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٧/ ٢٠٢)

وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدى إليه الخراج خوفاً منه. ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاده][١].

فهذان النصان من الطبري وابن كثير دالان على عناية خلفاء بني أمية وأبناءهم بالمشاركة في الجهاد في سبيل الله .ومع هذا لا يخلو بعض خلفائها وولاتها من تجاوزات.

وسقوط دولة وقيام أخرى سنة من السنن الربانية، فإذا فقدت الدولة بعض عوامل قيامها واستقرارها من العدل، والاستقامة على المنهج الشرعي، تحيق بها سنة الاستبدال. كما أن فشو الظلم، والاستيلاء على المال العام، والشدة في التعامل مع الخصوم وسفك الدماء بغير حق، هي من عوامل السقوط.

○ ومن عوامل سقوط الدولة الأموية:

١ **الدعوة العباسية** التي سلكت التنظيم السري الدعوي المحكم، لكسب المؤيدين وإقناعهم دينياً، حيث وضعوا لهم الأحاديث والأخبار في مثالب بني أمية، وفي مناقب آل البيت، ومظلوميتهم، وأنهم أحق بالخلافة، واتخذت من الأطراف البعيدة عن نظر السلطة، والبعيدة أيضاً عن مراكز العلم والسنة، وخاصة الأعاجم، مكاناً لنشر الدعوة إلى الرضا من آل البيت.

وساعدهم في بناء الدعوة وتصديقها، المظالم التي تقع من بعض الولاة، مظالم مالية، سفك للدماء، استخدام الحلول العسكرية، والشدة المفرطة مع المشكلات والمعارضين.

٢ **كثرة المعارضات والثورات من الخوارج**، ومن الطالبيين، وغيرهم، مما أرهق الدولة وولاتها.

(١) البداية والنهاية ط الفكر (٩/ ٨٧) .

٣ **الغضب الشديد من الخلفاء على من يخالفهم**، أو يقع منهم أخطاء تجاههم، حتى ولاة الدولة إذا عُزلوا يصادرون، وقد يسجنون ويقتلون، وهذا السلوك يبني معارضة داخل المجتمع، ولهذا حصلت الثورات من ولاة سابقين، كانت لهم جهود محمودة في الفتوحات والإدارة.

٤ **جهل بعض الخلفاء بالشريعة، فيعملون بأهوائهم ورغباتهم**، ويعتمدون على البطانة التي تسير في هواهم ولا تخالفهم، حتى يكسبوا رضاهم، ولهذا نلاحظ أنه في خلافة عمر بن عبدالعزيز قلت الثورات والمشكلات، لأنه عالم عادل، واتخذ أسلوب الحوار مع المعارضين، واستطاع تحييدهم، بل الوصول إلى تصفير المشكلات، وتفرغ لنشر الإسلام ورد المظالم وإقامة العدل.

٥ **الخلاف داخل البيت الأموي** خاصة فيما بعد خلافة هشام بن عبدالملك، حيث استعر الصراع فقُتل الخليفة الوليد بن يزيد، ومات الخليفة الثائر عليه يزيد بن الوليد بعد ستة أشهر، وقام بالخلافة بعده أخوه: إبراهيم بن الوليد بن يزيد، فعُزل بعد سبعين يوماً من قبل ثائر آخر، وهو مروان بن محمد بن مروان والي إرمينية.

ومن الجدير بالذكر: أن سقوط الدول على نوعين:

١ سقوط ملة: وهو السقوط الكبير، وهذا لم يقع في التاريخ الإسلامي إلا نادراً كما وقع للمسلمين في الأندلس، حيث أن سقوطها سقوط ملة، إذ استولى عليها النصارى.

٢ سقوط أمة: أي جماعة من الناس، وهذا النوع كثير الوقوع، وسقوط الدولة الأموية من هذا القبيل، فلم تتغير الملة بسقوطها، وإنما تغيرت الأسرة الحاكمة.

تمجيد الله

فهرس المحتويات

العصر الأموي الجزء الثاني (٨٦ـ ١٣٢)

سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه

د. محمد بن صامل السلمي

المجلد الثالث

العصر العباسي الأول

(١٣٢ـ ٢٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

الدعوة لإسقاط الدولة الأموية كانت هدفًا سعى له العلويون، ومارسوه عمليًا في ثورات متعددة، لكنها غير منظمة ومستعجلة النتائج فلم تنجح.

وكان محمد بن علي (ابن الحنفية) من عقلاء الرجال، فاعتزل المشاركة في ثورات إسقاط الدولة الأموية، وخلفه ابنه عبدالله أبو هاشم، وقد كان يفكر ويخطط لذلك؛ لكن عاجلته الوفاة، فتحدث مع محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وأوكل له الأمر، ورأى أنه الجدير بهذا العمل.

فالتقط الفكرة محمد بن علي العباسي، فخطط لها وأحكم التخطيط مع توفيق الله وقدره كما يقول **الحافظ ابن كثير**: وَكَانَ مَبَادِئَ أَمْرٍ قَدْ كَتَبَ اللهُ إِتْمَامَهُ، وَأَوَّلَ رَأْيٍ قَدْ أَحْكَمَ اللهُ إِبْرَامَهُ. فقد اختار محمد بن علي الرجال وأسند المهمات، واختار المكان، ورتب المنهج الذي يسيرون عليه لكسب الأنصار، واستخدم الإقناع الديني، واتخذ شعاراً جامعًا (الدعوة للرضا من آل محمد) ولم يستعجل النتائج.

حيث بدأت الدعوة سنة (١٠٠هـ) فقضى نحبه قبل أن يتحقق الهدف، فقال في آخر لقاء له مع أنصاره: لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ولكن صاحبكم إبراهيم.

فلما مات **بايعوا ابنه إبراهيم ولقب بالإمام**، فقام بالمهمة، وحدد لهم وقت إعلان الثورة، فلما أعلنت اكتشف الأمويون أمره، فقبض عليه في بلدة **الحميمة** بالشام، وسجن حتى مات، وقد أوصى بالأمر بعده إلى أخيه أبي العباس عبدالله السفاح أول الخلفاء العباسيين.

وهـذا الجزء تضمن تاريخ قرن كامل، مائة سـنة،(١٣٢-٢٣٢) من تاريخ الدولة العباسـية، تولـى الخلافة فيه تسـعة خلفـاء من بني العبـاس، ويطلق عليـه (العصر العباسي الأول).

فقد كان الخلفاء في العموم على **درجة من النفوذ والتمكن من السلطة**، ويمارسون مهـام الخلافـة مباشـرة، ويشـاركون في الجهـاد، وفي التصدي للأحـداث الداخلية والثـورات، وكانـت الدولة في الأغلب موحدة، **والأمن سـائد** إلا في بعض الأحيان، حيث يصاحب الثورات والخلافات اختلال في الأمن.

والنظام المتبع في تولي منصب الخلافة هو: **الاسـتخلاف**، حيث أن الخليفة قبل وفاتـه يتخـذ وليـًا للعهـد، وفي بعض الأحيان اثنـان، وربما ثلاثة، كمـا فعل هارون الرشيد، **وقد تقسم أقاليم الدولة بينهم**.

وهذه السياسة أتت بنتائج وخيمة، وسببت صراعات، كما أن ولاية العهد لا تحترم عند التمكن من تغييرها، بدأها أبو جعفر المنصور حيث غير ولاية العهد من ابن عمه **عيسـى بن موسـى** إلى ابنه محمد المهدي ، ثم تبعه البقية، وقد يؤدي التغيير في ولاية العهد أو التولية لأكثر من واحد إلى الاقتتال، ويذهب جراء ذلك ضحايا أبرياء .

ويبـرز في العصـر العباسـي نفـوذ العناصر غيـر العربيـة، والطامحين مـن القادة والوزراء، وظهور الثراء في كثير منهم على حساب المال العام.

وظهرت المذاهب الفكرية والفلسـفية والنحل الوثنية التي حاولت السيطرة على الدولة كفتنة القول بخلق القرآن، وإنكار الصفات الإلـــــهية، وامتحان العلماء بها، أو محاولة الاستقلال عنها ببعض الأقاليم .

ويلاحظ أن **الجزيرة العربية** قد نالها إهمال في التنمية والأمن، مما مكن لكثير من الثائريـن العلويين، بل وقطـاع الطرق والباحثين عن المعيشـة من التحرك، وعادت

الجزيرة باستثناء الحرمين إلى الدخول في ظلام جديد، وعصبية جاهلية، واقتتال بين القبائل.

ومع هذا كان **الجهاد والمرابطة على الثغور** قائمًا، ويشارك فيها الخلفاء والأمراء، بل يقودون الحملات أحيانًا، وعمرت الحصون، وسورت المدن المواجهة للعدو.

وقد كان للخلفاء جهود في محاربة الزنادقة والملحدين، حيث خصص في الدولة ديوان لتتبع الزنادقة.

كما أن **الإعمار وبناء المدن**، وصيانة العيون والأنهار، وتيسير الطرق، وخاصة طرق الحج، وعمارة الحرمين، وتوفير الأمن للحجاج قد نال عناية كبيرة من الدولة في هذا العصر.

أما العلم وانتشاره فقد كانت عناية الأمة به ظاهرةً، والعلماء والمحدثون يرحلون من بلد إلى بلد لتلقي العلم ونشره، والوقوف في وجه البدع والأفكار الدخيلة والمذاهب الفلسفية والوثنية.

وقد كانت **عناية الحافظ ابن كثير** بأخبار الدولة الإسلامية في المشرق أكثر من عنايته بأخبار المغرب (ما بعد مصر) وهذا سبقه فيه الطبري، وابن الجوزي، وابن الأثير من مؤرخي المشرق.

د. محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة-شهر الله المحرم ١٤٤٢هـ

الدعوة العباسية وترتيبها

• فِي سنة (١٠٠هـ) كَانَت البداية للدَعْوَة الْعَبَّاسِية، وَذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَانَ مُقِيمًا بِأَرْضِ الشَّرَاةِ [١] بَعَثَ مِنْ جِهَتِهِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: مَيْسَرَةُ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْسَلَ طَائِفَةً أُخْرَى إلى خراسان وَهُمْ:

١- مُحَمَّدُ بْنُ خُنَيْس ٢- أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ٣- حَيَّانُ الْعَطَّارُ.

وذلك في شهر رَمَضَانَ وَأَمَرَهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، وَإِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَلَقُوا مَنْ لَقُوا ثُمَّ انْصَرَفُوا بِكُتُبِ مَنِ اسْتَجَابَ مِنْهُمْ إِلَى مَيْسَرَةَ، الَّذِي بِالْعِرَاقِ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَفَرِحَ بِهَا وَاسْتَبْشَرَ وَسَرَّهُ.

قال ابن كثير: [٢] وَكَانَ مَبَادِئَ أَمْرٍ قَدْ كَتَبَ اللهُ إِتْمَامَهُ وَأَوَّلَ رَأْيٍ قَدْ أَحْكَمَ اللهُ إِبْرَامَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ بَانَ عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وقد انتشرت الدعوة سراً حتى استجاب لها عدد غير قليل، فرتبهم أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، واختار اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَهُمْ؛

١- سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ الْخُزَاعِيُّ ٢- وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ التَّمِيمِيُّ

٣- وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ الطَّائِيُّ ٤- وَمُوسَى بْنُ كَعْبٍ التَّمِيمِيُّ

٥- وَخَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ شَيْبَانَ ٦- وَالْقَاسِمُ بْنُ مُجَاشِعٍ التَّمِيمِيُّ

---

(١) الشراة: صقع بالشام بين دمشق وأول الحجاز من جهة الشام، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة، التي كان يسكنها ولد علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيام بني مروان. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٣٣٢)

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٦٦٩.

٧- وَعِمْرَانُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى لِآلِ أَبِي مُعَيْطٍ ٨- وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيُّ
٩- وَطَلْحَةُ بْنُ زُرَيْقٍ الْخُزَاعِيّ ١٠- وَعَمْرُو بْنُ أَعْيَنَ الخزاعي مَوْلاهم
١١- وَعِيسَى ابْنُ أَعْيَنَ الخزاعي مَوْلاهم ١٢- وَشِبْلُ بْنُ طَهْمَانَ الحنفي مولاهم

وَاخْتَارَ سَبْعِينَ رَجُلًا وعينهم دعاة إلى الرضا [١] من آل محمد ﷺ، وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ كِتَابًا يَكُونُ مِثَالًا وَسِيرَةً يَقْتَدُونَ بِهَا وَيَسِيرُونَ عليها.[٢]

- وَفِي سنة (١٠٥هـ) قَوِيَ أَمْرُ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي السِّرِّ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ والمشرق، وَحَصَلَ لِدُعَاتِهِمْ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى أَمْرِهِمْ وَمَا هُمْ بِصَدَدِهِ.
- وفي سنة (١١٣هـ) صَارَ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى خُرَاسَانَ وَانْتَشَرُوا فِيهَا، وَقَدْ أَخَذَ أَمِيرُ خراسان رَجُلًا مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ، وَتَوَعَّدَ غَيْرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ.
- وفِي سنة (١٢٤هـ) قَدِمَ جَمَاعَةٌ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ قَاصِدِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرُّوا بِالْكُوفَةِ فَبَلَغَهُمْ أَنَّ فِي السِّجْنِ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ مِنْ نُوَّابِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ، قَدْ حَبَسَهُمْ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ فَاجْتَمَعُوا بِهِمْ فِي السِّجْنِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، فَقَبِلُوا مِنْهُمْ.

وَوَجَدُوا عِنْدَهُمْ فِي السِّجْنِ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ يخدم عِيسَى بْنَ مَعْقِلَ الْعِجْلِيَّ وَكَانَ مَحْبُوسًا، فَأَعْجَبَهُمْ شَهَامَتُهُ وَقُوَّتُهُ وَاسْتِجَابَتُهُ مَعَ مَوْلَاهُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، فَاشْتَرَاهُ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ مِنْهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ، فندبوه لِهَذَا الْأَمْرِ، فَكَانُوا لَا يُوَجِّهُونَهُ إِلَى مَكَانٍ إِلَّا ذَهَبَ، وَنَتَجَ مَا يُوَجِّهُونَهُ إِلَيْهِ.

(١) اختاروا هذا المصطلح حتى يكسبوا تعاطف العلويين وأتباعهم.

(٢) رتب محمد بن علي لدعاته المنهج والطريقة التي يسيرون عليها، وكان التواصل بينه وبينهم خلال موسم الحج، حيث يأتي الدعاة والمكلفون بالعمل إلى مقره بالحميمة، ويخرجون من بلادهم مع الحجاج بحيث لا يفطن لهم.

● قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[١] فِي سـنة (١٢٥هـ) قَدِمَ أربعة من نقباء الدعوة العباسـية، وهم: سُـلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وَلَاهِزُ بْنُ قُرَيْظٍ، وَقَحْطَبَةُ بْنُ شَـبِيبٍ مَكَّةَ فِي موسم الحج ، فَلَقُوا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَخْبَرُوهُ بِقِصَّةِ أَبِي مُسْلِمٍ.

ثم إنهم دَفَعُوا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكُسْوَةً بِثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَقَالَ لَهُمْ: لَعَلَّكُمْ لَا تَلْقَوْنِي بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، فَإِنْ مُتُّ فَإِنَّ صَاحِبَكُمْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ – يَعْنِي ابْنَهُ – فَأُوصِيكُمْ بِهِ. وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقِعْدَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

● فِي سـنة (١٢٨هـ) بَعَثَ إِبْرَاهِيمُ بْـنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَبَا مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَـانِيَّ إِلَى خُرَاسَانَ مسؤولاً عن الدعوة، وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى شِيعَتِهِمْ بِهَا: إِنَّ هَذَا أَبُو مُسْلِمٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَقَدْ وَلَّيْتُهُ عَلَى مَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ.

فَلَمَّـا قَـدِمَ أَبُو مُسْـلِمٍ خُرَاسَـانَ، وَقَرَأَ عَلَـى أَصْحَابِهِ هَذَا الْكِتَـابَ، لَمْ يَلْتَفِتُـوا إِلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ. فَرَجَعَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَيَّامَ الْمَوْسِـمِ (موسـم الحج)، فَاشْـتَكَاهُمْ إِلَيْـهِ، وَأَخْبَـرَهُ بِمَا قَابَلُوهُ بِهِ مِنَ الْمُخَالَفَـةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّـكَ رَجُلٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْيَمَنِ فَالْزَمْهُمْ، وَانْزِلْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ، فَلَا تَعْصِهِ.

○ الاستيلاء على خراسان

فِي سـنة (١٢٩هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَبَّاسِـيِّ يطْلب من أَبِي مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، أن يقدم عليه فِي سَـبْعِينَ مِنَ النُّقَبَاءِ، فجاؤوا، فكانوا لَا يَمُرُّونَ بِبَلَدٍ إِلَّا سَـأَلُوهُمْ: إِلَـى أَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ فَيَقُولُ أَبُو مُسْـلِمٍ: نُرِيدُ الْحَجَّ. وَإِذَا تَوَسَّـمَ أَبُو مُسْـلِمٍ مِـنْ بَعْضِهِـمْ مَيْلًا إِلَيْهِ دَعَاهُ إِلَى مَا هُمْ فِيهِ، فَيُجِيبُهُ بعضهم، فَلَمَّا كَانَ أَبُو مُسْـلِمٍ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيـقِ جَاءَ كِتَابٌ ثَانٍ مِـنْ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ: إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْـكَ **بِرَايَةِ النَّصْرِ** فَارْجِعْ إِلَى

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢٧.

خُرَاسَانَ وَأَظْهَرَ الدَّعْوَةَ. فَامْتَثَلَ أَبُو مُسْلِمٍ ذَلِكَ.

وَأَمَرَ قَحْطَبَةَ بْنَ شَبِيبٍ أَنْ يَسِيرَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتُّحَفِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ فَيُوَافِيهِ بِهَا فِي الْمَوْسِمِ.

وَرَجَعَ أَبُو مُسْلِمٍ بكتاب الإمام، فَدَخَلَ خُرَاسَانَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سنة (١٢٩هـ)، فَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ، وَفِيهِ: أَنْ أَظْهِرْ دَعْوَتَكَ وَلَا تَتَرَبَّصْ.

فَبَثَّ أَبُو مُسْلِمٍ دُعَاتَهُ فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ وَنَوَاحِيهَا، وَأَمِيرُ خُرَاسَانَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الكناني مَشْغُولٌ بِقِتَالِ الْكَرْمَانِيِّ، وَشَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ الْحَرُورِيِّ.

فَظَهَرَ أَمْرُ أَبِي مُسْلِمٍ وَقَصَدَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَكَانَ مِمَّنْ قَصَدَهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَهْلُ سِتِّينَ قَرْيَةٍ، وفَتُحَتْ عَلَيْهِ أَقَالِيمُ كَثِيرَةٌ.

وَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي سنة (١٢٩هـ)، عَقَدَ أَبُو مُسْلِمٍ **اللِّوَاءَ** الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ الْإِمَامُ، وَكَانَ يُدْعَى **الظِّلَّ**،[١] عَلَى رُمْحٍ طُولُهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَعَقَدَ **الرَّايَةَ** الَّتِي بَعَثَ بِهَا الْإِمَامُ أَيْضًا، وَتُدْعَى **السَّحَابَ**،[٢] عَلَى رُمْحٍ طُولُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَهُمَا سَوْدَاوَانِ، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] . وَلَبِسَ أَبُو مُسْلِمٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَمَنْ أَجَابَهُمْ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ السَّوَادَ وَصَارَتْ شِعَارَهُمْ. وَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَكَثُرَ جَيْشُهُ جِدًّا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ أَمَرَ أَبُو مُسْلِمٍ سُلَيْمَانَ بْنَ كَثِيرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَنَصَبَ لَهُ مِنْبَرًا، وَأَنْ يُخَالِفَ فِي ذَلِكَ بَنِي أُمَيَّةَ، فَنُودِيَ لِلصَّلَاةِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً.

(١) الظل : مَعْنَى تسميتها بالظِّلِّ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنَ الظِّلِّ أَبدًا، وَكَذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ.(البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٥)

(٢)السحاب: مَعْنَى تسميتها بِالسَّحَابِ أَنَّ السَّحَابَ كَمَا يُطَبِّقُ جَمِيعَ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ تُطَبِّقُ دَعْوَتُهُمُ الْأَرْضَ. (البداية والنهاية ١٣/ ٢٢٥)

وَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، وَكَبَّرَ سَبْعًا فِي الْأُولَى قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، لَا أَرْبَعًا، وَخَمْسًا فِي الثَّانِيَةِ لَا ثَلَاثًا، خِلَافًا لَهُمْ. وَانْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ أَبُو مُسْلِمٍ طَعَامًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ.

وَكَتَبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ كِتَابًا بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، **أَمَّا بَعْدُ**، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ عَيَّرَ أَقْوَامًا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣]

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[١] ثُمَّ بَعَثَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ الكناني خَيْلًا عَظِيمَةً لِمُحَارَبَةِ أَبِي مُسْلِمٍ وَذَلِكَ بَعْدَ ظُهُورِهِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، (أي في آخر سنة ١٣٠هـ) فَأَرْسَلَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَيْهِمْ مَالِكَ بْنَ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيَّ فَالْتَقَوْا هُنَالِكَ فَدَعَاهُمْ مَالِكٌ إِلَى الرِّضَا مِنَ آلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَتَصَافُّوا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ جَاءَهُ مَدَدٌ فَقَوِيَ مَالِكٌ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَظْهَرَ وَظَفِرَ بِهِمْ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَوْقِفٍ اقْتَتَلَ فِيهِ دُعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجُنْدُ بَنِي أُمَيَّةَ.

- وَكَثُرَ جُنْدُ أبي مسلم، وَعَظُمَ أمره، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الشُّرَطِ وَالْحَرَسِ وَالرَّسَائِلِ وَالدِّيوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلْكُ، وَجَعَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُجَاشِعٍ التَّمِيمِيَّ - وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ - عَلَى الْقَضَاءِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِأَبِي مُسْلِمٍ الصَّلَوَاتِ، وَيَقُصُّ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَيَذْكُرُ مَحَاسِنَ بَنِي هَاشِمٍ وَيَذُمُّ بَنِي أُمَيَّةَ.

وتطور أمره فصار يستولي على البلدان واحدةً بعد الأخرى، حتى تم له الاستيلاء على كامل خراسان، وإخراج نصر بن سيار منها، فقد هرب إلى همذان، **ثم مات** بساوة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة (١٣١هـ)، وكان عمره خمسًا وثمانين سنة.

(١) تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٣٠٨.

○ الاستيلاء على العراق

في سـنة (١٣١هـ) قَدم القائد العباسـي قَحْطَبَةُ بْن شَبِيبٍ من خراسان إلى العراق فِي جَيْـشٍ كَثِيـفٍ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ هرب أمير العراق لبني أمية، يَزِيـدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى أَنْ جَاوَزَ الْفُرَاتَ.

وفِي سـنة (١٣٢هـ) فِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا جَـازَ قَحْطَبَةُ **الْفُرَاتَ** وَمَعَهُ الْجُنُودُ وَالْفُرْسَـانُ، وَابْنُ هُبَيْرَةَ مُخَيِّمٌ عَلَى فَمِ الْفُرَاتِ مِمَّا يَلِي **الْفَلُّوجَةَ** فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ وَجَمٍّ غَفِيرٍ.

لكن قَحْطَبَةَ بن شـبيب عَـدَلَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَأْخُذَهَـا، فَاتَّبَعَهُ ابْنُ هُبَيْـرَةَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَرْبِعَاءِ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ اقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ، وَوَلَّى أَهْلُ الشَّامِ مُنْهَزِمِينَ، وَقُتِلَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ، منهم قَحْطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ .

وتولى بعده ولده الحسـن بن قحطبة وَسَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ، وَقَدْ خَرَجَ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ، وَدَعَا إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ **وَسَوَّدَ**، وَكَانَ خُرُوجُهُ لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ فِي الْمُحَرَّمِ.

وَأَخْرَجَ عَامِلَهَا مِنْ جِهَةِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، ودَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ الْكُوفَةَ.

وَكَانَ قَحْطَبَةُ قَدْ جَعَلَ فِي وَصِيَّتِهِ أَنْ تَكُونَ وِزَارَةُ الْخِلَافَةِ إِلَى أَبِي سَـلَمَةَ حَفْصِ بْنِ سُـلَيْمَانَ الْخَلَّالِ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ أَشَـارَ أَنْ يَذْهَبَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ فِي جَمَاعَـةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى قِتَالِ ابْنِ هُبَيْرَةَ بِوَاسِـطَ، وَأَنْ يَذْهَبَ أَخُوهُ حُمَيْدٌ بن قحطبة إِلَى **الْمَدَائِنِ**، وَبَعَثَ الْبُعُوثَ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي يَفْتَتِحُونَهَا.

وكان إبراهيم بن محمد الإمام (صاحب الدعوة العباسية) أَوْصَى إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّـفَّاحُ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَارْتَحَلُوا مِنْ فَوْرِهِمْ إِلَيْهَا، وَكَانُوا جَمَاعَةً، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكُوفَةَ أَنْزَلَهُمْ أَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ **دَارَ الْوَلِيدِ بْنِ سَـعْدٍ**، وكَتَمَ أَمْرَهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً عَـنِ الْقُوَّادِ وَالْأُمَرَاءِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ، حَتَّى فُتِحَتِ الْبِلَادُ، ثُمَّ بُويعَ لِلسَّفَّاحِ.

○ معركة الزاب

لما بلغ مروان بن محمد مَا جَرَى بِأَرْضِ خُرَاسَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ وَأَتْبَاعِهِ واختلال أمر العراق، تَحَوَّلَ مِنْ حَرَّانَ، فَنَزَلَ عَلَى نَهْرٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَوْصِلِ يُقَالُ لَهُ: **الزَّابُ**. مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ السَّفَّاحَ قَدْ بُويِعَ لَهُ بِالْكُوفَةِ وَالْتَفَّ عَلَيْهِ الْجُنُودُ، وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ جِدًّا، وَجَمَعَ جُنُودَهُ.

وقد نَدَبَ السَّفَّاحُ عَمَّهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ لقتال مروان فَقَالَ: سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ. فَسَارَ فِي جُنُودٍ كَثِيرَةٍ، وتَقَدَّمَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى وَاجَهَ جَيْشَ مَرْوَانَ، وَنَهَضَ مَرْوَانُ فِي جُنُودِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَتَصَافَّ الْفَرِيقَانِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وكان جيشه يَوْمَئِذٍ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا.. وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ فِي عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٢هـ)، فَقَالَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ، لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ: مُرِ النَّاسَ فَلْيَنْزِلُوا. فَنُودِيَ: الْأَرْضَ. فَنَزَلَ النَّاسُ وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ، وَجَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ وَقَاتَلُوهُمْ، وَجعَلَ أَهْلُ الشَّامِ يَتَأَخَّرُونَ كَأَنَّمَا يُدْفَعُونَ، وَجعَلَ عَبْدُ اللهِ يَمْشِي **قُدُمًا**.

وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَ النَّاسِ جِدًّا، فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ إِلَى قُضَاعَةَ يَأْمُرُهُمْ بِالنُّزُولِ، فَقَالُوا: قُلْ لِبَنِي سُلَيْمٍ فَلْيَنْزِلُوا. وَأَرْسَلَ إِلَى السَّكَاسِكِ أَنِ احْمِلُوا. فَقَالُوا: قُلْ لِبَنِي عَامِرٍ فَلْيَحْمِلُوا، فَأَرْسَلَ إِلَى السَّكُونِ أَنِ احْمِلُوا. فقَالُوا: قُلْ لِغَطَفَانَ فَلْيَحْمِلُوا، فتخاذل جيش مروان مع كثرته فانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ، وَاتَّبَعَهُمْ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي أَدْبَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، وَكَانَ مَنْ غَرِقَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ.

وَقَدْ أَمَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ بِعَقْدِ الْجِسْرِ، وَاسْتِخْرَاجِ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْغَرْقَى، وَأَقَامَ فِي مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ يُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ، وَمَا

حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ فَصَلَّى السَّفَّاحُ رَكْعَتَيْنِ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَطْلَقَ لِكُلِّ مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ خَمْسَمِائَةٍ، خَمْسَمِائَةٍ، وَرَفَعَ فِي أَرْزَاقِهِمْ إِلَى ثَمَانِينَ.

وهـذه المعركة أنهت الدولة الأموية، والتي كانت مثقلة بالخلافات والمشـكلات، فكثرت عليها الثورات، مما شـتت أمرها، واضطـر الخليفة للهرب، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، قال تعَالَـى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

❁ ❁ ❁

(١)

خِلَافَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ عبداللّه بن محمد السَّفَّاحِ

١٣٢هـ - ١٣٦هـ

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

هُوَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبدِ الْمُطَّلِبِ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الملقب بالسفاح أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَأُمُّهُ رَيْطَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيِّ.

وكَانَ مَوْلِدُ السَّفَّاحِ بِالْحُمَيْمَةِ مِنْ أَرْضِ الشَّرَاةِ بِالشَّامِ، وَنَشَأَ بِهَا حَتَّى طُلِبَ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ، فَقَتَلَهُ مَرْوَانُ الْحِمَارُ بِحَرَّانَ، فَانْتَقَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ.

○ صفاته

وَكَانَ أَبْيَضَ جَمِيلًا طَوِيلًا، أَقْنَى الْأَنْفِ، جَعْدَ الشَّعْرِ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، فَصِيحَ الْكَلَامِ، حَسَنَ الرَّأْيِ، جَيِّدَ الْبَدِيهَةِ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الْمُلْكُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَجَبَّارِ الْجَبَابِرَةِ. **وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ**: اللهُ ثِقَةُ عَبْدِ اللهِ.

○ وفاته

تُوُفِّيَ بِالْجُدَرِيِّ بِالْأَنْبَارِ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ (١٣٦هـ) وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعُ سِنِينَ وَتِسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَمُّهُ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ وَدُفِنَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْأَنْبَارِ.

خلافته

○ بيعته

أُخِذَتِ الْبَيْعَةُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمُلَقَّبِ بِالسَّفَّاحِ، فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، سنة (١٣٢هـ).

وكان أبو سلمة الخلال لَمَّا بَلَغَه مَقْتَلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَرَادَ أَنْ يُحَوِّلَ الْخِلَافَةَ إِلَى آلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَلَبَهُ بَقِيَّةُ النُّقَبَاءِ وَالْأُمَرَاءِ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَحْضَرُوا أَبَا الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بِالْكُوفَةِ وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ خَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ حَتَّى دَخَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ بالكوفة، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي أَعْلَاهُ، وَعَمُّهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَاقِفٌ دُونَهُ بِثَلَاثِ دَرَجٍ.

○ خطبة السفاح عند البيعة

خطب السَّفَّاحُ[١] عند بيعته فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى الْإِسْلَامَ لِنَفْسِهِ فَكَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ، وَاخْتَارَهُ لَنَا، وَأَيَّدَهُ بِنَا، وَجَعَلَنَا أَهْلَهُ وَكَهْفَهُ وَالْقُوَّامَ بِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالنَّاصِرِينَ لَهُ، وَأَلْزَمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى، وَجَعَلَنَا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، خَصَّنَا بِرَحِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَرَابَتِهِ، وَاشْتَقَّنَا مِنْ نَبْعَتِهِ، وَوَضَعَنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وَقَالَ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وَقَالَ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩.

وَقَالَ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [الحشر: ٧]

فَأَعْلَمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَضْلَنَا، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا، وَأَجْزَلَ مِنَ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبَنَا؛ تَكْرِمَةً لَنَا، وَفَضْلَةً عَلَيْنَا، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَزَعَمَتِ السَّبَئِيَّةُ الضُّلَّالُ أَنَّ غَيْرَنَا أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا[١]، فَشَاهَتْ وُجُوهُهُمْ، بِمَ وَلِمَ أَيُّهَا النَّاسُ؟!

وَبِنَا هَدَى اللهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ،[٢] وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ، وَأَنْقَذَهُمْ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ، وَأَظْهَرَ بِنَا الْحَقَّ، وَأَدْحَضَ بِنَا الْبَاطِلَ، وَأَصْلَحَ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا، وَرَفَعَ بِنَا الْخَسِيسَةَ، وَأَتَمَّ النَّقِيصَةَ، وَجَمَعَ الْفِرْقَةَ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ وَمُوَاسَاةٍ فِي دُنْيَاهُمْ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي أُخْرَاهُمْ، فَتَحَ اللهُ ذَلِكَ مِنَّةً وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، فَحَوَوْا مَوَارِيثَ الْأُمَمِ، فَعَدَلُوا فِيهَا، وَوَضَعُوهَا مَوَاضِعَهَا، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا، وَخَرَجُوا خِمَاصًا مِنْهَا،

ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانٍ فَابْتَزُّوهَا وَتَدَاوَلُوهَا، فَجَارُوا فِيهَا، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا،[٣] فَأَمْلَى اللهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ، فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا[٤]، وَتَدَارَكَ بِنَا أُمَّتَنَا، وَوَلِيَ نَصْرَنَا وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا؛ لِيَمُنَّ بِنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ، وَخَتَمَ بِنَا كَمَا افْتَتَحَ بِنَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمُ

---

(١) في قوله هذا رد مبطن على الشيعة الذين يزعمون أن الخلافة حق لعلي بن أبي طالب وآله.

(٢) هداية الناس هي بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، ومن سار على ذلك من عامة أهل الإسلام، وليست خاصة بآل البيت كما يظهر من خطبته.

(٣) خلفاء بني أمية مختلفون، فمنهم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب رسول الله ﷺ، ومنهم عمر بن عبدالعزيز، الذي سار بسيرة الخلفاء الراشدين، حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين، والسمة العامة لدولتهم إقامة الشريعة ونشر الإسلام، وكانت سوق الجهاد في زمنهم قائمة، والإسلام وأهله في عزة وأمن، ولم يكن عصر بني العباس أفضل من عصرهم.

(٤) الخلافة ليست حقًا لبني العباس خاصة ولا لغيرهم، وإنما هي شورى لاختيار الأصلح، كما وقع في عهد الخلفاء الراشدين، لكن من تغلب وأقام الشريعة والعدل فإنه يسمع له ويطاع .

الْخَيْرُ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمُ الصَّلَاحُ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللهِ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَنْتُمْ مَحَلُّ مَحَبَّتِنَا وَمَنْزِلُ مَوَدَّتِنَا، وَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِنَا وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْنَا، وَقَدْ زِدْتُكُمْ فِي أَعْطِيَاتِكُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ، فَاسْتَعِدُّوا، فَأَنَا السَّفَّاحُ الْهَائِجُ، وَالثَّائِرُ الْمُبِيرُ.

وَكَانَ السفاح بِهِ وَعْكٌ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ

○ خطبة داود بن علي

فنَهَضَ عَمُّهُ دَاوُدُ فخطب خطبة طويلة منها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا مِنْ نَبِيِّنَا.

أَيُّهَا النَّاسُ: الْآنَ انْقَشَعَتْ حَنَادِسُ الظُّلُمَاتِ، وَانْكَشَفَ غِطَاؤُهَا، وَأَشْرَقَتْ أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا، وَرَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ؛ أَهِلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِكُمْ وَالْعَطْفِ عَلَيْكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّا وَاللهِ مَا خَرَجْنَا فِي طَلَبِ هَذَا الْأَمْرِ لِنُكْثِرَ لُجَيْنًا وَلَا عِقْيَانًا، وَلَا لِنَبْنِيَ قَصْرًا، وَإِنَّمَا أَخْرَجَنَا سُوءُ سِيرَةِ بَنِي أُمَيَّةَ فِيكُمْ، وَاسْتِذْلَالُهُمْ لَكُمْ، وَاسْتِئْثَارُهُمْ بِفَيْئِكُمْ وَصَدَقَاتِكُمْ، فَلَكُمْ عَلَيْنَا ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْعَبَّاسِ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَنَعْمَلَ بِكِتَابِ اللهِ، وَنَسِيرَ فِي الْعَامَّةِ مِنْكُمْ وَالْخَاصَّةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ....

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - نَصَرَهُ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا - إِنَّمَا عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَخْلِطَ بِكَلَامِ الْجُمُعَةِ غَيْرَهُ.... ثم قال:

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِينَا لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَّا[1] حَتَّى نُسَلِّمَهُ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] هذه سنة الله وحكمه في مداولة الأيام بين الناس.
والقول بأن دولتهم ستستمر حتى نزول عيسى، هو من باب الدعاية السياسية.

ثُـمَّ إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ السـفاح خَرَجَ فَعَسْـكَرَ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ أشـهراً، وبدأ بإدارة الدولة، حتى بنيت له الْمَدِينَةَ الْهَاشِـمِيَّةَ، وَاسْـتَقَرَّتْ يَدُهُ عَلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَـانَ وَالْحِجَازِ وَالشَّـامِ وَالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّـةِ، لَكِنْ لَمْ يَحْكُمْ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُـسِ وَلَا عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَ مَنْ دَخَلَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهَا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا.

الفصل الثاني:
الأحداث وولاية البلدان والحج

الأحداث في عهده

❍ عصيان بعض البلدان:

وَقَدْ خَرَجَ عَلَى السَّفَّاحِ فِي أول خلافته سنة (١٣٢هـ) طَوَائِفُ، **فَمِنْهُمْ**:

⊙ أَهْلُ قِنَّسْرِينَ

بَعْدَمَا بَايَعُوا عَبْدَ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَقَرَّ عَلَيْهِمْ أَمِيرُهُم أَبُو الْوَرْدِ مَجْزَأَةُ بْنُ الْكَوْثَرِ الْكِلَابِيُّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مَرْوَانَ وَأُمَرَائِهِ، فَخَلَعَ السَّفَّاحَ وَلَبِسَ الْبَيَاضَ، وَحَمَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ عَلَى ذَلِكَ فَوَافَقُوهُ، فقدِم عليهم عبدالله بن علي، فحاصرهم ثم أَمَّنَهم وَسَوَّدُوا، وكان ذلك شعار السمع والطاعة، وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ.

⊙ عصيان أهل البلقاء وحوران

خلع أهل البقاء وحوران بيعة السفاح بقيادة حبيب بن مرة المري وبيّضوا، فحاصرهم عبدالله بن علي، وقد فك الحصار وصالحهم، لما بلغه عصيان أهل قنسرين.

⊙ عصيان أهل دمشق

نَهَضَ أَهْلُ دِمَشْقَ مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ سُرَاقَةَ. فَخَلَعُوا السَّفَّاحَ وَبَيَّضُوا، وَقَاتَلُوا الوالي فَهَزَمُوهُ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْتَهَبُوا ثِقَلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ وَحَوَاصِلِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِأَهْلِهِ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ قِنَّسْرِينَ تَرَاسَلُوا مَعَ أَهْلِ حِمْصَ وَتَدْمُرَ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيِّ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَبَايَعُوهُ عَلَيْهِمْ بِالْخِلَافَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَصَدَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ فَالْتَقَوْا بِمَرْجِ الْأَخْرَمِ، فَاقْتَتَلُوا مَعَ مُقَدِّمَةِ السُّفْيَانِيِّ، وَعَلَيْهَا أَبُو الْوَرْدِ قِتَالًا شَدِيدًا، وَهَزَمُوا عَبْدَ الصَّمَدِ بن علي، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أُلُوفٌ، وَهَرَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ السُّفْيَانِيُّ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى لَحِقُوا بِتَدْمُرَ.

فلمـا قدم عبدالله بن علي إلى دمشـق، أَمَّنَهُمْ وَدَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ وَسَـوَّدُوا؛ مُوَافَقَةً لِلْخَلِيفَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ شِعَارُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،

⦿ عصيان أهل الجزيرة

وَمِمَّـنْ خَلَعَ السَّـفَّاحَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ؛ حِيـنَ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ قِنَّسْـرِينَ خَلَعُوا وَبَيَّضُوا، وَرَكِبُـوا إِلَـى نَائِبِ حَرَّانَ مِنْ جِهَةِ السَّـفَّاحِ - وَهُوَ مُوسَـى بْنُ كَعْـبٍ - وَكَانَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ قَدِ اعْتَصَمَ بِالْبَلَدِ، فَحَاصَرُوهُ قَرِيبًا مِنْ شَهْرَيْنِ،

فَبَعَثَ السَّفَّاحُ أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ إلى حران، ومر بِقَرْقِيسِيَا وَقَدْ بَيَّضُوا، فَغَلَّقُوا أَبْوَابَهَا دُونَهُ، ثُمَّ مَرَّ بِالرَّقَّةِ وَهُمْ كَذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَ حَرَّانَ فخَرَجَ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ لاستقبال أبي جَعْفَرٍ وَدَخَلُوا فِي جَيْشِهِ، فقَصَدَ أَبُو جَعْفَرٍ أهل الرُّها فَحَاصَرَهم ، وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ وَقَعَاتٌ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا. ثم انتهى أمرهم إلى الصلح .

○ قتل أبي سلمة الخلال

وَفِي سـنة (١٣٢هـ) ذَهَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ السَّـفَّاحِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَهُوَ أَمِيرُهَا، لِيَسْتَطْلِعَ رَأْيَهُ فِي قَتْلِ أَبِي سَلَمَةَ حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرِ،

وَكَانَ سَـبَبُ ذَلِـكَ: أَنَّ أَبا سَـلَمَةَ أَرَادَ أَنْ يَصْـرِفَ الْخِلَافَةَ عَنْ بَنِـي الْعَبَّاسِ إلى آل علي بن أبي طالب، فَسَأَلَ سَائِلٌ: **هَلْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مُمَالَأَةِ أَبِي مُسْلِمٍ لَهُ أَمْ لَا؟**

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَقَالَ لِي أَخِي: مَا تَرَى؟ فَقُلْتُ: الرَّأْيُ رَأْيُكَ. فَقَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ أَخَصَّ بِأَبِي مُسْلِمٍ مِنْكَ، فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَاعْلَمْ عِلْمَهُ، فَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِهِ احْتَلْنَا لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَأْيِهِ طَابَتْ أَنْفُسُنَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ قَاصِدًا عَلَى وَجَلٍ، فَلَمَّا صِرْتُ مِنْ مَرْوَ عَلَى فَرْسَخَيْنِ، أَتَى يَتَلَقَّانِي وَمَعَهُ النَّاسُ، فَمَكَثَ ثَلَاثًا لَا يَسْـأَلُنِي عَنْ شَـيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ سَـأَلَنِي: مَـا أَقْدَمَكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: أَفَعَلَهَا أَبُو سَـلَمَةَ؟ ! أَنَا أَكْفِيكُمُـوهُ. فَدَعَا مَرَّارَ بْنَ

أَنسٍ الضَّبِّيَّ فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى الْكُوفَةِ فَحَيْثُ لَقِيتَ أَبَا سَلَمَةَ فَاقْتُلْهُ، وَانْتَهِ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ. فَقَدِمَ مَرَّارٌ الْهَاشِمِيَّةَ، **وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ يَسْمُرُ عِنْدَ السَّفَّاحِ**، فَلَمَّا خَرَجَ قَتَلَهُ مَرَّارٌ، وَشَاعَ أَنَّ الْخَوَارِجَ قَتَلُوهُ، وَغُلِّقَتِ الْبَلَدُ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُفِنَ بِالْهَاشِمِيَّةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: وَزِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ.

وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَالَ لِأَخِيهِ السَّفَّاحِ: لَسْتَ بِخَلِيفَةٍ مَا دَامَ أَبُو مُسْلِمٍ حَيًّا حَتَّى تَقْتُلَهُ. لَمَّا رَأَى مِنْ طَاعَةِ الْجَيْشِ وَالْأُمَرَاءِ لَهُ، فَقَالَ لَهُ السَّفَّاحُ: اكْتُمْهَا. فَسَكَتَ.

❍ ثورة ببخارى

وَفِي سنة (١٣٣هـ) خَرَجَ شَرِيكُ بْنُ شَيْخٍ الْمَهْرِيُّ بِبُخَارَى عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ، وَقَالَ: مَا عَلَى هَذَا بَايَعْنَا آلَ مُحَمَّدٍ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ! وَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ زِيَادَ بْنَ صَالِحٍ الْخُزَاعِيَّ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ.

❍ عصيان بسام بالمدائن

فِي سنة (١٣٤هـ) خَلَعَ بَسَّامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَّامٍ الطَّاعَةَ، وَخَرَجَ عَلَى السَّفَّاحِ في المدائن، فَبَعَثَ إِلَيْهِ خَازِمَ بْنَ خُزَيْمَةَ فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَ عَامَّةَ أَصْحَابِهِ، وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ.

❍ قتال خوارج عمان

وَرَجَعَ بسام بن خزيمة من المدائن فِي سنة (١٣٤هـ) فَمَرَّ بِمَلَأٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ أَخْوَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِثْلُهُمْ مِنْ مَوَالِيهِمْ، فَاسْتَعْدَى بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ عَلَى خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالُوا: قَتَلَ أَخْوَالَكَ بِلَا ذَنْبٍ. فَهَمَّ السَّفَّاحُ بِقَتْلِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ بِأَنْ لَا يَقْتُلَهُ، وَلَكِنْ لِيَبْعَثْهُ مَبْعَثًا صَعْبًا، فَإِنْ سَلِمَ فَذَلِكَ، وَإِنْ قُتِلَ فَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتَ. فَبَعَثَهُ إِلَى عُمَانَ - وَكَانَ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ قَدْ تَمَرَّدُوا - وَجَهَّزَ مَعَهُ سَبْعَمِائَةِ رَجُلٍ، وَكَتَبَ

إِلَـى عَمِّهِ سُـلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ نَائِبِ الْبَصْرَةِ بِحَمْلِهِمْ فِي السُّـفُنِ إِلَى عُمَـانَ فَفَعَلَ، فَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ فَكَسَـرَهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، وَقَتَلَ أَمِيرَ الْخَوَارِجِ الصُّفْرِيَّةِ وَهُوَ الْجُلُنْدَى وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبُعِثَ بِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ بَعْدَ أَشْهُرٍ كَتَبَ إِلَيْهِ السَّفَّاحُ أَنْ يَرْجِعَ، فَرَجَعَ سَالِمًا غَانِمًا مَنْصُورًا.

❍ نقل العاصمة إلى الأنبار

فِي سنة (١٣٤هـ) تَحَوَّلَ السَّفَّاحُ مِنَ الْحِيرَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ.

❍ خروج زياد بن صالح

فِي سَـنة (١٣٥هـ) خَرَجَ زِيَادُ بْنُ صَالِحٍ مِنْ وَرَاءِ نَهْرِ بَلْخَ عَلَى السـفاح، فقاتله أَبو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَـانِيِّ فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ، وَاسْتَأْصَلَ خَضْرَاءَهُمْ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بِتِلْكَ النَّوَاحِي

❍ قدوم أبي مسلم الخراساني

فِي سَـنة (١٣٦هـ) قَدِمَ أَبُو مُسْـلِمٍ مِنْ خُرَاسَـانَ عَلَى السَّـفَّاحِ بِالْعِرَاقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ اسْـتِئْذَانِهِ الْخَلِيفَـةَ فِي الْقُـدُومِ، فَقَدِمَ فِي ثَمَانِيَـةِ آلَافٍ فَرَّقَهُمْ، وَأَخَذَ مَعَـهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتُّحَفِ وَالْهَدَايَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَمَّا قَدِمَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَى أَلْفٍ مِنَ الْجُنْدِ، فَتَلَقَّاهُ الْقُوَّادُ الْكُبَـرَاءُ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى السَّـفَّاحِ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَـهُ وَاحْتَرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ قَرِيبًا مِنْهُ، **وَكَانَ يَأْتِي إِلَى الخليفة كُلَّ يَوْمٍ**، وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي الْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهُ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ عَيَّنْتُ إِمْرَةَ الْحَجِّ لِأَبِي جَعْفَرٍ لَأَمَّرْتُكَ.

وَكَانَ مَا بَيْنَ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي مُسْـلِمٍ **خَرَابًا**، وَحِينَ قَدِمَ حَرَّضَهُ عَلَى قَتْلِ أبي مسلم، فَقَالَ لَهُ السَّفَّاحُ: قَدْ عَلِمْتَ بَلَاءَهُ مَعَنَا وَخِدْمَتَهُ لَنَا. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا ذَلِكَ بِدَوْلَتِنَا، وأبى عليه ذلك .

❍ غزو الصائفة

وَفِـي سـنة (١٣٣هـ) وَلِـيَ الصَّائِفَةَ مِنْ جِهَةِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ والي الشـام، سَـعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَغَزَا وَرَاءَ الدُّرُوبِ.

❍ غزو بلاد الصغد

فِي سـنة (١٣٤هـ) غَزَا أَبُو مُسْـلِمٍ بِلَادَ الصُّغْدِ، وَغَزَا أَبُو دَاوُدَ أَحَدُ نُوَّابِ أَبِي مُسْـلِمٍ بِلَادَ كَشٍّ، فَقَتَلَ خَلْقًا، وَغَنِمَ مِنَ الْأَوَانِي الصِّينِيَّةِ الْمَنْقُوشَةِ بِالذَّهَبِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا.

❁ ❁ ❁

ولاية البلدان

○ ولاية الحرمين

وَوَلَّى السفاح في سنة (١٣٢هـ) عَمَّهُ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْيَمَنَ وَالْيَمَامَةَ.(١)

وَفِي سنة (١٣٣هـ) تُوُفِّيَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْضَ الْحِجَازِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وقتل في ولايته مَنْ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، واسْتَنَابَ السَّفَّاحَ عَلَى الْحِجَازِ خَالَهُ زِيَادَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيَّ.

○ وَلاية اليمن

وَلَّى السفاح في سنة (١٣٣هـ) الْيَمَنَ لِابْنِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ.

وفِي سنة (١٣٤هـ)مَاتَ عَامِلُ الْيَمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ فَاسْتَخْلَفَ السَّفَّاحُ عَلَيْهَا خاله زِيَادَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ.

○ ولاية الكوفة

وَوَلَّى السفاح في سنة (١٣٢هـ) على الْكُوفَةِ عِيسَى بْنَ مُوسَى، فَوَلَّى قَضَاءَهَا ابْنَ أَبِي لَيْلَى.

○ ولاية البصرة

كَانَ عَلَى نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ في سنة (١٣٢هـ) سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْمُهَلَّبِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ.

---

(١) اليمامة: منطقة واسعة في وسط بلاد نجد، كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب بها سنة (١٢هـ)في خلافة الصديق، وقاعدتها حِجْر (الرياض) وكانت قديماً تسمى جوّا، فسميت باسم اليمامة بنت سهل بن طسم. وفي شرقيها: تقع صحراء الدهناء، وفي غربيها: تقع صحراء النفود. معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ص٤٥٨. وكانت ولايتها تتبع مكة في بعض الأحيان، وأحياناً يكون واليها مستقلاً.

وفِي سـنة (١٣٣هـ) وَلَّى السَّـفَّاحُ عَمَّهُ سُـلَيْمَانَ بْنَ عَلِـيٍّ الْبَصْـرَةَ وَأَعْمَالَهَا، وَكُوَرَ دِجْلَةَ، وَالْبَحْرَيْنِ، وَعُمَانَ.

○ ولاية الموصل

وَفِي سنة (١٣٢هـ) وَلَّى السَّفَّاحُ أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا.

وَفِي سـنة (١٣٣هـ) عَزَلَ السَّـفَّاحُ أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمَوْصِلِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَمَّهُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلِيٍّ.

○ ولاية السند

وَلَّى السفاح في سنة (١٣٢هـ) عَلَى السِّنْدِ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ.

○ ولاية فارس

وَوَلَّى في سنة (١٣٢هـ) على فَارِسَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ.

○ ولاية الْجَزِيرَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَّةَ

وَوَلَّى في سـنة (١٣٢هـ) أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ المنصور الْجَزِيـرَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَّةَ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ.

○ ولاية خراسان

وَلَّى في سـنة (١٣٢هـ) عَلَى خُرَاسَانَ وَأَعْمَالِهَا أَبُو مُسْـلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ، وَعَلَى دِيوَانِ الْخَرَاجِ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكَ.

○ ولاية الشام

وَوَلَّى السفاح في سنة (١٣٢هـ) عَلَى الشَّامِ وَأَعْمَالِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ عَمُّ السَّفَّاحِ.

○ ولاية مصر

وَلَّى السفاح في سنة (١٣٢هـ) عَلَى مِصْرَ أَبُو عَوْنٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدَ.

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٢هـ) دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ والي مكة والمدينة.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٣هـ) خَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيُّ والي الحجاز.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٤هـ) نَائِبُ الْكُوفَةِ عِيسَى بْنُ مُوسَى.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٥هـ) نَائِبُ الْبَصْرَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٦هـ) أَبُو جَعْفرٍ الْمَنْصُورُ عَنْ وِلَايَةِ أَخِيهِ السَّفَّاحِ، وَسَارَ مَعَهُ إِلَى الْحِجَازِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ وَإِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١-عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ الْكَاتِبُ الْبَلِيغُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، فَيُقَالُ: فُتِحَتِ الرَّسَائِلُ بِعَبْدِ الْحَمِيدِ، وَخُتِمَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ. وَكَانَ إِمَامًا فِي الْكِتَابَةِ وَجَمِيعِ فُنُونِهَا، وَهُوَ الْقُدْوَةُ فِيهَا، وَلَهُ رَسَائِلُ فِي أَلْفِ وَرَقَةٍ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْأَنْبَارِ، ثُمَّ سَكَنَ الشَّامَ، وَتَعَلَّمَ هَذَا الشَّأْنَ مَنْ سَالِمٍ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَكَانَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ وَزِيرُ الْمَهْدِيِّ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ تَخَرَّجَ، وَكَانَ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ مَاهِرًا فِي الْكِتَابَةِ أَيْضًا.

وَقَدْ كَانَ أَوَّلًا يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ، ثُمَّ تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ حَتَّى وَزَرَ لِمَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ آخِرِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأُخِذَ بَعْدَهُ فَقَتَلَهُ السَّفَّاحُ سنة (١٣٢هـ) وَمَثَّلَ بِهِ، وَكَانَ اللَّائِقُ بِمِثْلِهِ الْعَفْوَ عَنْهُ.

وَمِنْ مُسْتَجَادِ كَلَامِهِ: الْعِلْمُ شَجَرَةٌ، ثَمَرَتُهَا الْأَلْفَاظُ، وَالْفِكْرُ بَحْرٌ لُؤْلُؤُهُ الْحِكْمَةُ.

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ:

إِذَا جَرَحَ الْكُتَّابُ كَانَتْ دُوِيُّهُمْ قِسِيًّا وَأَقْلَامُ الدُّوِيِّ لَهَا نَبْلا

٢- **أَبُو سَلَمَةَ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ** أَوَّلُ مَنْ وَزَرَ لِآلِ الْعَبَّاسِ، قَتَلَهُ أَبُو مُسْلِمٍ عَنْ أَمْرِ السَّفَّاحِ بَعْدَ وِلَايَتِهِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (١٣٢هـ) .

وَكَانَ دَاهِيَةً فَاضِلًا حَسَنَ الْمُفَاكَهَةِ، وَكَانَ السَّفَّاحُ يَأْنَسُ إِلَيْهِ وَيُحِبُّ مُسَامَرَتَهُ لِطِيبِ مُحَاضَرَتِهِ، وَلَكِنْ تَوَهَّمَ مَيْلَهُ لِآلِ عَلِيٍّ فَدَسَّ عَلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ مَنْ قَتَلَهُ غِيلَةً.

كَانَ يُقَالُ لَهُ: وَزِيرُ آلِ مُحَمَّدٍ. وَيُعْرَفُ بِالْخَلَّالِ؛ لِسُكْنَاهُ فِي دَرْبِ الْخَلَّالِينَ بِالْكُوفَةِ وَجُلُوسِهِ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بِالْوَزِيرِ.

(٢)

خلافة أبي جعفر
عبدالله المنصور

١٣٦ـ ١٥٨

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه وأسرته

هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ. وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ(١)، **وَأُمُّهُ** أُمُّ وَلَدٍ، اسْمُهَا سَلَّامَةُ البربرية.

وُلِدَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ عَلَى الْمَشْهُورِ فِي صَفَرٍ مِنْهَا بِالْحُمَيْمَةِ.

وله من الولد: مُحَمَّدٌ الْمَهْدِيُّ، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَجَعْفَرٌ الْأَكْبَرُ، مَاتَ فِي حَيَاتِهِ، **وَأُمُّهُمَا** أَرْوَى بِنْتُ مَنْصُورٍ، وَعِيسَى، وَيَعْقُوبُ، وَسُلَيْمَانُ، **وَأُمُّهُمْ** فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، مِنْ وَلَدِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، وَجَعْفَرٌ الْأَصْغَرُ مِنْ **أُمِّ وَلَدٍ** كُرْدِيَّةٍ، وَصَالِحٌ الْمِسْكِينُ مِنْ **أُمِّ وَلَدٍ** رُومِيَّةٍ، وَالْقَاسِمُ مِنْ **أُمِّ وَلَدٍ** أَيْضًا. وَالْعَالِيَةُ مِنِ **امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ**.

صفاته

وَكَانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ، مَوْفُورَ اللِّمَّةِ، خَفِيفَ اللِّحْيَةِ، رَحْبَ الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، أَعْيَنَ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ، تُخَالِطُهُ أُبَّهَةُ الْمُلْكِ بزيِّ النسّاك، وَتَقْبَلُهُ الْقُلُوبُ، وَتَتْبَعُهُ الْعُيُونُ، يُعْرَفُ الشَّرَفُ فِي تَوَاضُعِهِ، وَالْعِتْقُ (الكرم) فِي صُورَتِهِ، وَاللُّبُّ فِي مِشْيَتِهِ. هَكَذَا وَصَفَهُ بَعْضُ مَنْ رَآهُ.

قال الذهبي:(٢) وَكَانَ فَحْلَ بَنِي العَبَّاسِ هَيْبَةً، وَشَجَاعَةً، وَرَأْيًا، وَحَزْمًا، وَدَهَاءً، وَجَبَرُوتًا، وَكَانَ جَمَّاعًا لِلْمَالِ حَرِيْصًا، تَارِكًا لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ كَامِلَ العَقْلِ، بَعِيْدَ الغَورِ، حَسَنَ الْمُشَارِكَةِ فِي الفِقْهِ، وَالأَدَبِ، وَالعِلْمِ.

(١) قدم عليه السفاح في الخلافة لأن أم أبي جعفر أم ولد.
(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٨٣).

أَبَادَ جَمَاعَةً كِبَاراً حَتَّى توطَّدَ لَهُ المُلْكُ، وَدَانتْ لَهُ الأُمَمُ عَلَى ظُلْمٍ فِيْهِ، وَقُوَّةِ نَفْسٍ، وَلَكِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى صِحَّةِ إِسْلاَمٍ، وَتَدَيُّنٍ فِي الجُمْلَةِ، وَتَصَوُّنٍ، وَصَلاَةٍ، وَخَيْرٍ مَعَ فَصَاحَةٍ، وَبَلاَغَةٍ، وَجَلاَلَةٍ.

وَقِيْلَ:[(١)]إِنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ عَمَّهُ قَالَ: يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لقَدْ هَجَمْتَ بِالعُقُوْبَةِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِالعَفْوِ. قَالَ: لأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَمْ تَبْلَ رِمَمُهُم، وَآلَ عَلِيٍّ لَمْ تُغْمَدْ سُيُوْفُهُم، وَنَحْنُ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ رَأَوْنَا أَمْسِ سوقة، ولا تتمهد هيبتنا في صدورهم إِلَّا بِنِسْيَانِ العَفْوِ.

○ مناقبه

وَقَدْ حَجَّ الْمَنْصُورُ بِالنَّاسِ سنة (١٣٦هـ) وهو ولي العهد، ثم سَنَةَ (١٤٠هـ)، أَحْرَمَ مِنَ الْحِيرَةِ، وَفِي سَنَةِ (١٤٤هـ)، وَفِي سَنَةِ (١٤٧هـ)، وَفِي سَنَةِ (١٥٢هـ)، ثُمَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، سنة (١٥٨هـ) ولم يدرك الحج، حيث مات يوم ست من ذي الحجة، على مشارف مكة.

وَبَنَى مَدِينَةَ السَّلَامِ بَغْدَادَ، وَالرَّافِقَةَ، وَقَصْرَ الْخُلْدِ.

قَالَ مَالِكٌ: قَالَ لِي الْمَنْصُورُ: مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ. فَقَالَ: أَصَبْتَ، وَذَلِكَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَدَخَلَ بَعْضُ الزُّهَّادِ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا، وَاذْكُرْ لَيْلَةً تَبِيتُ فِي الْقَبْرِ لَمْ تَبِتْ قَبْلَهَا لَيْلَةً، وَاذْكُرْ لَيْلَةً تَمَخَّضُ عَنْ يَوْمٍ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: فَأَفْحَمَ الْمَنْصُورَ قَوْلُهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَقَالَ: لَوِ احْتَجْتُ إِلَى مَالِكَ لَمَا وَعَظْتُكَ.

وَقَدْ كَانَ الْمَنْصُورُ فِي شَبِيبَتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ، فَنَالَ مِنْ ذَلِكَ جَانِبًا جَيِّدًا، وَطَرَفًا صَالِحًا

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٥.

وَذَكَـرَ ابْنُ جَرِيرٍ[(١)] عَنِ الْهَيْثَـمِ، أَنَّ الْمَنْصُورَ أَطْلَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لِبَعْضِ أَعْمَامِهِ أَلْفَ أَلْـفِ دِرْهَمٍ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ فَرَّقَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ عَشَـرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَلَا يُعْلَمُ خَلِيفَةٌ فَرَّقَ مِثْلَ هَذَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

رَوَى عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ «كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ». أَوْرَدَهُ الْحَافِـظُ ابْنُ عَسَـاكِرَ[(٢)] مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السُّـلَمِيِّ عَـنِ الْمَأْمُونِ، عَنِ الرَّشِيدِ، عَنِ الْمَهْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ بِهِ.

○ من خطبه وأقواله

وَعَنْ إِسْـمَاعِيلَ الْفِهْرِيِّ[(٣)] قَالَ: سَـمِعْتُ الْمَنْصُورَ عَلَى مِنْبَرِ عَرَفَـةَ يَوْمَ عَرَفَةَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، أَسُوسُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَرُشْدِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى مَالِهِ، أُقَسِّـمُهُ بِإِرَادَتِهِ، وَأُعْطِيهِ بِإِذْنِهِ، وَقَدْ جَعَلَنِي اللهُ عَلَيْهِ قُفْلًا، إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسْـمِ أَرْزَاقِكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَـاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهِ أَقْفَلَنِي، فَارْغَبُوا إِلَى اللهِ أَيُّهَا النَّاسُ، وَسَـلُوهُ - فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَعْلَمَكُمْ بِهِ فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُـولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣] . أَنْ يُوَفِّقَنِي لِلصَّوَابِ، وَيُسَـدِّدَنِي لِلرَّشَـادِ، وَيُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ، وَيَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ، وَقَسْمِ أَرْزَاقِكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَقَدْ قَالَ الْمَنْصُورُ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ:[(٤)] إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا التَّقْوَى، وَالسُّـلْطَانَ لَا يُصْلِحُـهُ إِلَّا الطَّاعَةُ، وَالرَّعِيَّةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَـدْلُ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ، وَأَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ.

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٨٤.

(٢) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٠١.

(٣) تاريخ دمشق ٣٨/ ٢١٣، والعقد الفريد ٤/ ٩٩.

(٤) الوزراء والكتاب للجهشياري ١٣٦.

وَقَالَ أَيْضًا: يَا بُنَيَّ، اسْتَدِمِ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ، وَالطَّاعَةَ بِالتَّأْلِيفِ، وَالنَّصْرَ بِالتَّوَاضُعِ وَالرَّحْمَةِ لِلنَّاسِ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَنَصِيبَكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

وَقَالَ:[١] يَا بُنَيَّ، لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ الَّذِي غَشِيَهُ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ.

وَقَالَ:[٢] يَا بُنَيَّ، لَا تَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا وَعِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يُحَدِّثُكَ؛ فَإِنَّ الزُّهْرِيَّ قَالَ: عِلْمُ الْحَدِيثِ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا ذُكْرَانُ الرِّجَالِ، وَلَا يَكْرَهُهُ إِلَّا مُؤَنَّثُوهُمْ، وَصَدَقَ أَخُو زُهْرَةَ.

○ جِدُّه وإدارته

وَكَانَ الْمَنْصُورُ[٣] فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَتَصَدَّى لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْوِلَايَاتِ وَالْعَزْلِ، وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، فَإِذَا صَلَّى الظُّهْرَ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، وَاسْتَرَاحَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى الْعَصْرِ، فَإِذَا صَلَّاهَا جَلَسَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَصَالِحِهِمُ الْخَاصَّةِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ نَظَرَ فِي الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْآفَاقِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ مَنْ يُسَامِرُهُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَنَامُ فِي فِرَاشِهِ إِلَى الثُّلُثِ الْآخِرِ، فَيَقُومُ إِلَى وَضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ حَتَّى يَتَفَجَّرَ الصَّبَاحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيَجْلِسُ فِي إِيوَانِهِ.

وَقَدْ وَلَّى بَعْضَ الْعُمَّالِ عَلَى بَلَدٍ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ تَصَدَّى لِلصَّيْدِ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ الْكِلَابَ وَالْبُزَاةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَعَدِمَتْكَ عَشِيرَتُكَ، وَيْحَكَ! إِنَّا إِنَّمَا اسْتَكْفَيْنَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ نَسْتَكْفِكَ أُمُورَ الْوُحُوشِ، فَسَلِّمْ مَا كُنْتَ تَلِي مِنْ عَمَلِنَا إِلَى فُلَانٍ، وَالْحَقْ بِأَهْلِكَ مَلُومًا مَدْحُورًا.

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٧٢
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر السابق ٨/ ٧٠

○ وصيته لابنه المهدي

وَلَمَّا عَزَمَ الْمَنْصُورُ[(١)] عَلَى الْحَجِّ فِي سنة (١٥٨هـ) دَعَا وَلَدَهُ الْمَهْدِيَّ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَبِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ، وَيَسُدُّ الثُّغُورَ بِوَصَايَا يَطُولُ بَسْطُهَا، وَحَرَّجَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ خَزَائِنِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ وَفَاتَهُ؛ فَإِنَّ بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَكْفِي الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يُجْبَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَاجِ دِرْهَمٌ عَشْرَ سِنِينَ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، وَهُوَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرَ قَضَاءَهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَامْتَثَلَ الْمَهْدِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي وُلِدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَقَدْ وَقَعَ لِي أَنِّي أَمُوتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَدَانِي عَلَى الْحَجِّ عَامِي هَذَا. وَوَدَّعَهُ وَسَارَ.

○ بيعته

لما مات السَّفَّاحُ كان أَخُوهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْحِجَازِ، فَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ بِالْعِرَاقِ عَمُّهُ عِيسَى بْنُ عَلِيٍّ، وَبَلَغَهُ خَبَرُ مَوْتِ أَخِيهِ السَّفَّاحِ وَهُوَ رَاجِعٌ من الحج بِذَاتِ عِرْقٍ، فَعَجَّلَ السَّيْرَ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ، فَبَايَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ فِي الطَّرِيقِ وَعَزَّاهُ فِي أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّفَّاحِ.

ولَمَّا رَجَعَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ مِنَ الْحَجِّ دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَخَطَبَ بِأَهْلِهَا يَوْمَ الْجُمْعَةِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْهَا إِلَى الْأَنْبَارِ، وَقَدْ أُخِذَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَسَائِرِ الْبِلَادِ سِوَى الشَّامِ، وَقَدْ ضَبَطَ عِيسَى بْنُ مُوسَى بُيُوتَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلَ لِلْمَنْصُورِ حَتَّى قَدِمَ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ.

بُويِعَ لَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سنة (١٣٦هـ)، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري٨/ ١٠٤-١٠٧.

○ ولاية العهد

في سنة (١٤٧هـ) أراد أبو جعفر المنصورُ خلع عيسى بن موسى عَنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ ابْنَهُ محمد الْمَهْدِيَّ، فَكَانَ يُجْلِسُهُ فَوْقَ عِيسَى عَنْ يَمِينِهِ، ولَا يَلْتَفِتُ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى، وَيُهِينُهُ فِي الْإِذْنِ وَالْمَشُورَةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ مَا زَالَ يُقْصِيهِ وَيُبْعِدُهُ، حَتَّى خَلَعَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَبَايَعَ لِمُحَمَّدٍ المهدي ابْنِ الْمَنْصُورِ، وَأَعْطَاهُ الْمَنْصُورُ عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنَ اثَّنَى عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَسَارَتْ بَيْعَةُ الْمَهْدِيِّ فِي الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَفَرِحَ الْمَنْصُورُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا،

قال ابن كثير: وَاسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ فِي ذُرِّيَّتِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا[1]، فَلَمْ يَكُنْ خَلِيفَةٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَّا مِنْ سُلَالَتِهِ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

○ وفاته

أَحْرَمَ الْمَنْصُورُ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ مِنَ الرُّصَافَةِ سنة (١٥٨هـ)، وَسَاقَ بُدُنَهُ، وَاعْتَرَاهُ مَرَضُ الْمَوْتِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَمَا دَخَلَ مَكَّةَ إِلَّا وَهُوَ مُثْقَلٌ جِدًّا.

وَكَانَ قَدْ رَأَى قَبْلَ ذَلِكَ فِي **قَصْرِهِ الْخُلْدِ** الَّذِي بَنَاهُ وَتَأَنَّقَ فِيهِ، مَنَامًا أَفْزَعَهُ، فَقَالَ لِلرَّبِيعِ: وَيْحَكَ يَا رَبِيعُ! لَقَدْ رَأَيْتُ مَنَامًا هَالَنِي؛ رَأَيْتُ قَائِلًا وَقَفَ فِي بَابِ هَذَا الْقَصْرِ، وَهُوَ يَقُولُ:

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ آهِلُهُ ... وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وَصَارَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ ... إِلَى جَدَثٍ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

---

(١) العباسيون تولوا الخلافة من سنة (١٣٢هـ) إلى سقوط الخلافة في بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد التتار. ثم بعد ثلاث سنوات أي سنة (٦٥٩هـ) استؤنفت الخلافة في القاهرة، ولكنها في ظل سلاطين المماليك، واستمر ذلك إلى سنة (٩٢٣هـ) عندما دخل السلطان العثماني سليم الأول القاهرة فانتهت دولة المماليك والخلفاء العباسيين.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، عند بئر ميمون.(١)

وَكَانَ آخَرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ.

وقَالَ: يَا رَبِّ، إِنْ كُنْتُ عَصَيْتُكَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَقَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا. ثُمَّ مَاتَ، وَكَانَ **نَقْشُ خَاتَمِهِ**: اللهُ ثِقَةُ عَبْدِ اللهِ، وَبِهِ يُؤْمِنُ.

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ وَفَاتِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ؛ مِنْهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً فِي الْخِلَافَةِ.

وَقَدْ دُفِنَ الْمَنْصُورُ بِثَنِيَّةِ الْمُعَلَّى عِنْدَ بَابِ مَكَّةَ، وَلَا يُعْرَفُ قَبْرُهُ؛ لِأَنَّهُ عُمِّيَ قَبْرُهُ؛ فَإِنَّ الرَّبِيعَ حَفَرَ مِائَةَ قَبْرٍ، وَدَفَنَهُ فِي غَيْرِهَا لِئَلَّا يُعْرَفَ.

وَقَدْ كَتَمَ الرَّبِيعُ مَوْتَهُ حَتَّى أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْمَهْدِيِّ، مِنَ الْقُوَّادِ وَرُءُوسِ بَنِي هَاشِمٍ، وصَلَّى عَلَيْهِ:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.

---

(١) بئر ميمون: بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي، وكان حليفًا لحرب بن أمية بن عبد شمس، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية، وعندها قبر أبي جعفر المنصور. ويسمى اليوم بحي الجعفرية بين أذاخر والحُجُون. معجم البلدان - الفكر (١/ ٣٠٢). ومعالم مكة التأريخية والأثرية للبلادي (ص: ٣٧).

الفصل الثاني:
الجهاد والأعمال والأحداث

الجهاد في عهده

❍ دخول ملك الروم مَلَطِيَةَ

فِي سنة (١٣٨هـ) دَخَلَ قُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الرُّومِ مَلَطِيَةَ عَنْوَةً، فَهَدَمَ سُورَهَا، وَعَفَا عَمَّنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُقَاتِلِيهَا.

وفِي سنة (١٤١هـ) رَابَطَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ بِبِلَادِ مَلَطْيَةَ.

❍ الصلح مع ملك الروم

فِي سنة (١٥٥هـ) طَلَبَ مَلِكُ الرُّومِ الصُّلْحَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَى الْمَنْصُورِ الْجِزْيَةَ.

❍ غزو الصوائف

فِي سنة (١٣٨هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ نَائِبُ مِصْرَ، فَبَنَى مَا كَانَ هَدَمَهُ مَلِكُ الرُّومِ مِنْ سُوَرِ مَلَطْيَةَ.

وفِي سنة (١٣٩هـ) أَكْمَلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بِنَاءَ مَلَطْيَةَ، ثُمَّ غَزَا الصَّائِفَةَ عَلَى طَرِيقِ الْحَدَثِ، فَوَغَلَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَغَزَا مَعَهُ أُخْتَاهُ: أُمُّ عِيسَى، وَلُبَابَةُ، ابْنَتَا عَلِيٍّ، وَكَانَتَا نَذَرَتَا إِنْ زَالَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ تُجَاهِدَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وفِي سنة (١٤١هـ) اكتمل إعادة بِنَاءِ الْمِصِّيصَةِ عَلَى يَدَيْ جَبْرَئِيلَ بْنِ يَحْيَى الْخُرَاسَانِيِّ.

وفي سنة (١٤٦هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ جَعْفَرُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيُّ.

وَفِي سنة (١٤٩هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ فِي الطَّرِيقِ.

وَغَزَا الصَّائِفَةَ فِي سنة (١٥١هـ) عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ.

وَفِي سنة (١٥٣هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ مَعْيُوفُ بْنُ يَحْيَى الْحُجُورِيُّ، فَأَسَرَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ مَا يُنَيِّفُ عَلَى سِتَّةِ آلَافِ أَسِيرٍ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

وفِي سنة (١٥٤هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ زُفَرُ بْنُ عَاصِمٍ الْهِلَالِيُّ.

وَفِي سنة (١٥٥هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ السُّلَمِيُّ.

وفِي سنة (١٥٧هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدٍ السُّلَمِيُّ، فَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَبَعَثَ سِنَانًا مَوْلَى الْبَطَّالِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفَتَحَ بَعْضَ الْحُصُونِ وَسَبَى وَغَنِمَ.

○ فداء الأسرى

فِي سنة (١٣٩هـ) كَانَ الْفِدَاءُ الَّذِي حَصَلَ بَيْنَ الْمَنْصُورِ وَمَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَنْقَذَ بَعْضَ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ.

○ غزو طبرستان

لما اسْتَقَرَّ الْمَهْدِيُّ نَائِبًا بِخُرَاسَانَ أَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَغْزُوَ طَبَرِسْتَانَ سنة (١٤١هـ)، وَأَنْ يُحَارِبَ الْأَصْبَهْبَذَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ، وَأَمَدَّهُ بِجَيْشٍ عَلَيْهِمْ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَرْبِ طَبَرِسْتَانَ.

فَلَمَّا تَوَاقَفَتِ الْجُيُوشُ عَلَى طَبَرِسْتَانَ، فَتَحُوهَا وَحَصَرُوا الْأَصْبَهْبَذَ حَتَّى أَلْجَئُوهُ إِلَى قَلْعَتِهِ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الذَّخَائِرِ، وَكَتَبَ الْمَهْدِيُّ إِلَى أَبِيهِ بِذَلِكَ، وَدَخَلَ الْأَصْبَهْبَذُ بِلَادَ الدَّيْلَمِ، فَمَاتَ هُنَاكَ، وَكَسَرُوا أَيْضًا مَلِكَ التُّرْكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْمَصْمُغَانُ. وَأَسَرُوا أُمَمًا مِنَ الذَّرَارِي، فَهَذَا فَتْحُ طَبَرِسْتَانَ الْأَوَّلُ.

○ نقض أَصْبَهْبَذ العهد

فِي سنة (١٤٢هـ) نَكَثَ **أَصْبَهْبَذُ** طَبَرِسْتَانَ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ طَائِفَةً مِمَّنْ كَانَ بِطَبَرِسْتَانَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْجُيُوشَ صُحْبَةَ **خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ**، وَرَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ، وَمَعَهُمْ مَرْزُوقٌ أَبُو الْخَصِيبِ، مَوْلَى الْمَنْصُورِ، فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً طَوِيلَةً.

فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ فَتْحُ الْحِصْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ احْتَالُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْخَصِيبِ قَالَ لَهُمُ: اضْرِبُونِي وَاحْلِقُوا رَأْسِي وَلِحْيَتِي. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُغَاضِبٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَدَخَلَ الْحِصْنَ، فَفَرِحَ بِهِ الْأَصْبَهْبَذُ، وَأَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ، وَجَعَلَ أَبُو الْخَصِيبِ يُظْهِرُ لَهُ مِنَ النُّصْحِ وَالْخِدْمَةِ حَتَّى خَدَعَهُ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ جِدًّا، وَجَعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يَتَوَلَّى فَتْحَ الْحِصْنِ وَغَلْقَهُ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ عِنْدَهُ كَاتَبَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّيْلَةَ الْفُلَانِيَّةَ فِي حَرَسِهِ، فَاقْتَرِبُوا مِنَ الْبَابِ حَتَّى أَفْتَحَهُ لَكُمْ. فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ فَتَحَ لِلْمُسْلِمِينَ الْبَابَ، وَدَخَلُوا فَقَتَلُوا مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ، وَامْتَصَّ الْأَصْبَهْبَذُ خَاتَمًا مَسْمُومًا فَمَاتَ.

فَكَانَ مِمَّنْ أُسِرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ أُمُّ الْمَنْصُورِ، وأم إبراهيم ابناء الْمَهْدِيِّ.

○ غزو الديلم

فِي سنة (١٤٣هـ) نَدَبَ الْمَنْصُورُ النَّاسَ إِلَى غَزْوِ الدَّيْلَمِ؛ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقًا، وَأَمَرَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ فَصَاعِدًا، أَنْ يَذْهَبَ مَعَ الْجَيْشِ إِلَى الدَّيْلَمِ، فَانْتَدَبَ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ لِذَلِكَ.

وفِي سنة (١٤٤هـ) سَارَ مُحَمَّدٌ ابْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ عَنْ أَمْرِ عَمِّهِ الْمَنْصُورِ إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ، وَمَعَهُ الْجُيُوشُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ.

○ هجوم النصارى على تفليس

فِي سنة (١٤٧هـ) أَغَارَ إِسْتَرْخَانُ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي جَيْشٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ عَلَى نَاحِيَةِ أَرْمِينِيَّةَ، فَدَخَلُوا **تَفْلِيسَ**، وَقَتَلُوا خَلْقًا، وَأَسَرُوا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَمِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ حَرْبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّاوَنْدِيُّ الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ الْحَرْبِيَّةُ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْمَوْصِلِ فِي أَلْفَيْنِ لِمُقَابَلَةِ الْخَوَارِجِ، فَسَيَّرَهُ الْمَنْصُورُ لِمُسَاعِدَةِ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ.

○ غزو الترك

فِي سنة (١٤٨هـ) بَعَثَ الْمَنْصُورُ حُمَيْدَ بْنَ قَحْطَبَةَ لِغَزْوِ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَاثُوا بِبِلَادِ تَفْلِيسَ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُمُ انْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.

الأعمال في عهده

توسعة المسجد الحرام

فِي سنة (١٣٩هـ) وَسَّعَ الْمَنْصُورُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ خِصْبَةً جِدًّا، فَكَانَ يُقَالُ لَهَا: سَنَةُ الْخِصْبِ.

بناء مدينة السلام (بغداد)

في سنة (١٤٥هـ) بدأ أبو جعفر المنصور في بناء مدينة السلام وَقِيلَ: فِي سنة (١٤٤هـ). وفي سنة (١٤٦هـ) تكَامَلَ بِنَاءُ مَدِينَةِ السَّلَام (بَغْدَاد)، وَسَكَنَهَا الْمَنْصُورُ بَانِيهَا فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ مُقِيمًا قَبْلَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ الْمُتَاخِمَةِ لِلْكُوفَةِ.

وكَانَ السَّبَبَ الْبَاعِث لَهُ عَلَى بِنَائِهَا: أَنَّ الرَّاوِنْدِيَّةَ لَمَّا وَثَبُوا عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ، وَوَقَى اللهُ شَرَّهُمْ، بَقِيَتْ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ، فَخَشِيَ عَلَى جُنْدِهِ مِنْهُمْ، فَخَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ يَرْتَادُ لَهُمْ مَوْضِعًا لِبِنَاءِ مَدِينَةٍ، فَسَارَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَ الْجَزِيرَةَ، فَلَمْ يَرَ مَوْضِعًا أَحْسَنَ لِوَضْعِ الْمَدِينَةِ مِنْ مَوْضِعِ بَغْدَادَ.

ولفظ بغداد فيه أَرْبَعُ لُغَاتٍ: بَغْدَادُ، وَبَغْدَاذُ بِإِهْمَالِ الذَّالِ الثَّانِيَةِ وَإِعْجَامِهَا، وَبَغْدَانُ بِالنُّونِ آخِرَهُ، وَبِالْمِيمِ أَوَّلًا مَغْدَانُ.

وَهِيَ كَلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ، قِيلَ: إِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ بَغْ وَدَاذ، فَقِيلَ: بَغْ: بُسْتَانٌ، وَدَاذُ: اسْمُ رَجُلٍ. وَقِيلَ: بَغ: اسْمُ صَنَمٍ - وَقِيلَ: شَيْطَانٌ - وَدَاذُ: عَطِيَّةٌ. أَيْ عَطِيَّةُ الصَّنَمِ.

وَلِهَذَا كَرِهَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَالْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُمَا تَسْمِيَتَهَا بَغْدَاذَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا: مَدِينَةُ السَّلَامِ. وَكَذَا سَمَّاهَا بَانِيهَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؛ لِأَنَّ دِجْلَةَ كَانَ يُقَالُ لَهَا: وَادِي السَّلَامِ.

❍ ميزات موقع بغداد

⦿ مَوْضِعٌ وسط يُغْدَى إِلَيْهِ وَيُرَاحُ بِخَيِّرَاتِ مَا حَوْلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

⦿ وَمُحَصَّنٌ بِدِجْلَةَ وَالْفُرَاتِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى مَوْضِعِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ.

⦿ طيب الْهَوَاءِ فِي تِلْكَ الْمَحَلَّةِ، وَقَدْ بَاتَ بِهِ الْمَنْصُورُ قَبْلَ بِنَائِهِ، فَرَأَى الرِّيَاحَ لَيْلًا وَنَهَارًا.

❍ التخطيط والبناء

وَقد أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِاخْتِطَاطِهَا، فَرَسَمُوهَا لَهُ بِالرَّمَادِ،[(١)] فَمَشَى فِي طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَلَّمَ كُلَّ رُبْعٍ مِنْهَا لِأَمِيرٍ يَقُومُ عَلَى بِنَائِهِ، وَأَحْضَرَ مِنْ كُلِّ الْبِلَادِ فُعَّالًا وَصُنَّاعًا وَمُهَنْدِسِينَ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ أُلُوفٌ مِنْهُمْ

ثُمَّ كَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ لَبِنَةً فِيهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ قَالَ: ابْنُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ.

وَأَمَرَ بِبِنَائِهَا **مُدَوَّرَةً**، سُمْكُ سُورِهَا مِنْ أَسْفَلِهِ خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَمِنْ أَعْلَاهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَجَعَلَ لَهَا سورين، فِي السُّورِ الْبَرَّانِيِّ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَمِثْلَهَا فِي الْجَوَّانِيِّ، وَلَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ تُجَاهَ الْآخَرِ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ بَغْدَادُ الزَّوْرَاءَ لازورار أبوابها بعضها عن بعض.

وَبَنَى قَصْرَ الْإِمَارَةِ فِي وَسَطِ الْبَلَدِ لِيَكُونَ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَاخْتَطَّ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ إِلَى جَانِبِ الْقَصْرِ، وَكَانَ الَّذِي وَضَعَ قِبْلَتَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَيُقَالُ: إِنَّ فِي قِبْلَتِهِ انْحِرَافًا يَحْتَاجُ الْمُصَلِّي فِيهِ أَنْ يَنْحَرِفَ إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ الْبَصْرَةِ.

---

(١) أي عملوا لها ما يشبه المجسم في عصرنا، وكان على الأرض حتى استطاع الخليفة أن يسير في طرقها.

وذكـر ابْنُ جَرِيـرٍ:[(١)] أنَّ الْمَنْصُورَ عَرَضَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ الْقَضَاءَ وَالْمَظَالِمَ فَامْتَنَعَ، فَحَلَـفَ أَنْ لَا يُقْلِعَ عَنْهُ حَتَّـى يَعْمَلَ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَدَعَـا بِقَصَبَةٍ، فَعَدَّ اللَّبِنَ لِيُبِرَّ بِذَلِكَ يَمِينَ أَبِي جَعْفَرٍ.

وَذَكَـرَ ابـن جرير: أَنَّ خَالِدَ بْـنَ بَرْمَكَ هُوَ الَّذِي أَشَـارَ عَلَى الْمَنْصُـورِ بِبِنَائِهَا، وَأَنَّهُ كَانَ مُسْـتَحِثًّا فِيهَا، وَقَدْ شَـاوَرَ الْمَنْصُـورُ الْأُمَرَاءَ فِي نَقْلِ الْقَصْـرِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَـى بَغْدَادَ لِأَجْلِ قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِهَا، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُ آيَةٌ فِي الْعَالَمِ، وَفِيهِ مُصَلَّى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيـنَ عَلِيِّ بْـنِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَالَفَهُ وَنَقَلَ مِنْهُ شَـيْئًا كَثِيرًا، فَلَمْ يَـفِ مَا تَحَصَّلَ مِنْهُ بِأُجْرَةِ مَا يُصْرَفُ فِي حَمْلِهِ، فَتَرَكَهُ.

وَنَقَـلَ أَبْوَابَ وَاسِـطَ إِلَى أَبْوَابِ بَغْدَادَ، وَقَـدْ كَانَ الْحَجَّاجُ نَقَلَهَا مِـنْ مَدِينَةٍ هُنَاكَ، يقال: كَانَتْ مِنْ بِنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ.

وَقَـدْ كَانَتِ الْأَسْـوَاقُ قَرِيبًا مِنْ قَصْـرِ الْإِمَارَةِ، فَكَانَـتْ أَصْوَاتُ الْبَاعَةِ وَهَوْشَـاتُ الْأَسْـوَاقِ تُسْمَعُ مِنْهُ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ فِي سَنَةِ (١٥٧هـ) بِنَقْلِ الْأَسْوَاقِ إلى بَابِ الْكَرْخِ وَبَابِ الشَّعِيرِ وَبَابِ الْمُحَوَّلِ، وَأَمَرَ بِتَوْسِعَةِ الطُّرُقَاتِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَمَنْ بَنَى فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ هُدِمَ.

❍ نفقات البناء

وقيل: **أَنَّهُ أَنْفَقَ** عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَسْجِدِهَا الْجَامِعِ وَقَصْرِ الذَّهَبِ بِهَا وَالْأَسْوَاقِ وَالْفُصْـلَانِ وَالْخَنَادِقِ وَقِبَابِهَـا وَأَبْوَابِهَا أَرْبَعَـةَ آلَافِ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَـةٍ وَثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًـا،(٤,٨٣٣,٠٠٠) درهم، وَكَانَ أُجْرَةُ الْأُسْـتَاذِ مِنَ الْبَنَّائِينَ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَ فِضَّةٍ، وَأُجْرَةُ الصَّانِعِ مِنَ الْحَبَّتَيْنِ إِلَى الثَّلَاثِ.

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦١٩.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ:[١] وَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ. وَحَكَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: أَنْفَقَ عَلَيْهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ أيضًا [٢]: وَبَنَاهَا مُدَوَّرَةً، وَلَا يُعْرَفُ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا مَدِينَةٌ مُدَوَّرَةٌ سِوَاهَا.

وَنقل الْخَطِيبُ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ بَيْنَ كُلِّ بَابَيْنِ مِنْ أَبْوَابِهَا الثَّمَانِيَةِ مِيلًا، وَقِيلَ: أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ.

○ الأسعار في بغداد

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَنَّهُ كَانَ يُبَاعُ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بِبَغْدَادَ الْكَبْشُ بِدِرْهَمْ، وَالْحَمَلُ بِأَرْبَعَةِ دَوَانِقَ، وَيُنَادَى عَلَى لَحْمِ الْغَنَمِ كُلَّ سِتِّينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَلَحْمُ الْبَقَرِ كُلُّ تِسْعِينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالتَّمْرُ كُلُّ سِتِّينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالزَّيْتُ كُلُّ سِتَّةَ عَشَرَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، وَالسَّمْنُ كُلُّ ثَمَانِيَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ، وَالْعَسَلُ كُلُّ عَشَرَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ.

وَلِهَذَا الْأَمْنِ وَالرُّخْصِ كَثُرَ سَاكِنُوهَا، وَعَظُمَ أَهْلُوهَا، حَتَّى كَانَ الْمَارُّ فِيهَا لَا يَكَادُ يَجْتَازُ فِي الْأَسْوَاقِ؛ لِكَثْرَةِ أَهْلِهَا.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ بغداد١/ ٦٩.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦٧.

قصور مدينة السلام (بغداد)

○ قصر الإمارة

وَذَكَـرَ الْخَطِيبُ[١] صِفَةَ قَصْرِ الْإِمَـارَةِ، وَأَنَّ فِيهِ الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ طُولُهَا ثَمَانُونَ ذِرَاعًا، عَلَى رَأْسِهَا تِمْثَالُ فَرَسٍ عَلَيْهِ فَارِسٌ فِي يَدِهِ رُمْحٌ يَدُورُ بِهِ، فَإِلَى أَيِّ جِهَةٍ اسْتَقْبَلَهَا وَاسْتَمَرَّ مُسْـتَقْبِلَهَا، عُلِمَ أَنَّ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ قَدْ وَقَعَ حَدَثٌ، فَيَنْظُـرُ فِي أَمْرِهِ الْخَلِيفَةُ. وَهَذِهِ الْقُبَّةُ عَلَى مَجْلِسٍ فِي صَدْرِ إِيوَانِ الْمَحْكَمَةِ، وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا.

وَقَدْ سَـقَطَتْ هَذِهِ الْقُبَّةُ فِي لَيْلَةِ بَرْدٍ وَمَطَرٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ، لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٣٢٩هـ).

○ مصير دار الخلافة

فَأَمَّـا دَارُ الْخِلَافَـةِ الَّتِي كَانَـتْ بِبَغْدَادَ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا لِلْحَسَـنِ بْنِ سَـهْلٍ، فَانْتَقَلَتْ مِـنْ بَعْدِهِ إِلَى ابْنَتِـهِ بُورَانَ الَّتِي كَانَ تَزَوَّجَهَـا الْمَأْمُونُ، فَطَلَبَهَا مِنْهَـا الْمُعْتَضِدُ - وَقِيلَ: الْمُعْتَمِـدُ - فَأَنْعَمَتْ لَهُ بِهَا، وَاسْـتَنْظَرَتْهُ أَيَّامًا حَتَّى تَنْتَقِلَ مِنْهَا، ثُمَّ شَـرَعَتْ فِي تَرْمِيمِهَا وَتَبْيِيضِهَا وَتَحْسِـينِهَا، ثُمَّ فَرَشَتْهَا بِأَنْوَاعِ الْفُرُشِ، وَعَلَّقَتْ فِيهَا أَنْوَاعَ السُّتُورِ، وَأَرْصَدَتْ فِيهَا مَا يَنْبَغِي لِلْخَلِيفَةِ مِنَ الْجَوَارِي وَالْخَدَمِ، بِأَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ، وَجَعَلَتْ فِي الْخَزَائِنِ مَا يَنْبَغِـي مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَآكِلِ، ثُمَّ بَعَثَـتْ بِمَفَاتِيحِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَجَدَ فِيهَا مَا أَرْصَدَتْهُ بِهَا، فَهَالَهُ ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمَهُ جِدًّا.

○ قصر الخلد

في سنة (١٥٧هـ) شَرَعَ فِي بِنَاءِ قَصْرِهِ الْمُسَمَّى بِالْخُلْدِ، ولم يزل المنصور يزيد فيها، ويتأنق في بنائها، فَكَمُلَ سَنَةَ (١٥٨هـ)، وعند كماله توفي.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٧٣.

وَجَعَلَ أَمْرَ بنائه إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الْوَضَّاحُ، فَبَنَى قَصْرَ الْوَضَّاحِ، وَبَنِي لِلْعَامَّةِ جَامِعًا لِصَلَاةِ الْجُمْعَةِ؛ لَا يَدْخُلُونَ إِلَى جَامِعِ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ.

❍ بناء قصر التاج

وَأَمَّا التَّاجُ فَبَنَاهُ الْمُكْتَفِي عَلَى دِجْلَةَ، وَحَوْلَهُ الْقِبَابُ وَالْمَجَالِسُ وَالْمَيْدَانُ وَالثُّرَيَّا وَحَيْرُ الْوُحُوشِ.

❍ قصر دار الشجرة

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ صِفَةَ دَارِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْفُرُشِ وَالسُّتُورِ وَالْخَدَمِ وَالْمَمَالِيكِ، وَالْحِشْمَةِ الْبَاذِخَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ بِهَا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ طَوَاشِيٍّ،(١) وَسَبْعُمِائَةِ حَاجِبٍ، وَأَمَّا الْمَمَالِيكُ فَأُلُوفٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

❍ قصر دار الملك

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ دَارَ الْمُلْكِ الَّتِي بِالْمُخَرَّمِ.(٢)

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أيضًا: المساجد الْجَوَامِعَ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا الْجُمُعَاتُ، وَذَكَرَ الْأَنْهَارَ وَالْجُسُورَ الَّتِي بِهَا، وَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ فِي زَمَنِ الْمَنْصُورِ، وَمَا أُحْدِثَ بَعْدَهُ إِلَى زَمَانِهِ.

وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ فِي **جُسُورِ بَغْدَادَ** الَّتِي عَلَى دِجْلَةَ:

أَيَا حَبَّذَا جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ دِجْلَةٍ ... بِإِتْقَانِ تَأْسِيسٍ وَحُسْنٍ وَرَوْنَقِ

جَمَالٌ وَحَسَنٌ لِلْعِرَاقِ وَنُزْهَةٌ ... وَسَلْوَةُ مَنْ أَضْنَاهُ فَرْطُ التَّشَوُّقِ

---

(١) الطواشي: الْخصي. المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٠)

(٢) المخرم: هي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٧١)

○ وصف ما في مدينة السلام

وذَكَـرَ أَحْمَـدُ ابْـنُ أَبِي طَاهِـرٍ فِي كِتَـابِ « بَغْـدَادَ »[١]: أَنَّ ذَرْعَ بَغْـدَادَ مِـنَ الْجَانِبَيْنِ (٥٣٧٥٠) جريبـًا[٢]، وَأَنَّ الْجَانِـبَ الشَّـرْقِيَّ (٢٦٧٥٠) جَرِيبًـا، وَأَنَّ عَـدَدَ حَمَّامَاتِهَا سِـتُّونَ أَلْفَ حَمَّام، وَأَقَلُّ مَا فِي كُلِّ حَمَّامٍ مِنْهَا خَمْسَـةُ نَفَرٍ، حَمَّامِيٌّ وَقَيِّمٌ وَزَبَّالٌ وَوَقَّادٌ وَسَقَّاءٌ، وَأَنَّ بِإِزَاءِ كُلِّ حَمَّام خَمْسَةَ مَسَاجِدَ، فَذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ مَسْجِدٍ، وَأَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ خَمْسَةُ أَنْفُسٍ. يَعْنِي إِمَامًا وَقَيِّمًا وَمُؤَذِّنًا وَمَأْمُومَيْنِ.

ثُمَّ تَنَاقَصَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ دُثِرَتْ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا خَرِبَةٌ؛ صُورَةً وَمَعْنًى.

وَقَـالَ الْخَطِيـبُ:[٣] لَـمْ يَكُـنْ لِبَغْـدَادَ فِـي الدُّنْيَا نَظِيـرٌ فِي جَلَالَـةِ قَدْرِهَـا، وَفَخَامَةِ أَمْرِهَـا، وَكَثْـرَةِ عُلَمَائِهَـا وَأَعْلَامِهَا، وَتَمَيُّزِ خَوَاصِّهَـا وَعَوَامِّهَا، وَعِظَمِ أَقْطَارِهَا، وَسِـعَةِ أَطْرَارِهَا(أطرافها)، وَكَثْرَةِ دُورِهَا وَمَنَازِلِهَا، وَدُرُوبِهَا وَشَـوَارِعِهَا، وَمَحَالِّهَا وَأَسْـوَاقِهَا، وَسِـكَكِهَا وَأَزِقَّتِهَا، وَمَسَـاجِدِهَا، وَحَمَّامَاتِهَا، وَخَانَاتِهَا، وَطِيبِ هَوَائِهَا، وَعُذُوبَةِ مَائِهَا، وَبَـرْدِ ظِلَالِهَـا وَأَفْيَائِهَا، وَاعْتِـدَالِ صَيْفِهَا وَشِـتَائِهَا، وَصِحَّةِ رَبِيعِهَا وَخَرِيفِهَـا، وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ عِمَارَةً وَأَهْلًا فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَنَاقُصَ أَحْوَالِهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى زَمَانِهِ.

قال ابن كثير:[٤] وَكَذَا مِنْ بَعْدِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَلَا سِـيَّمَا فِي أَيَّامِ، هُولَاكُو بْنُ تَوْلَى بْـنِ جِنْكِزْ خَانَ التُّرْكِيِّ، الَّذِي وَضَعَ مَعَالِمَهَا، وَقَتَـلَ خَلِيفَتَهَا وَعَالِمَهَا، وَخَرَّبَ دُورَهَا، وَهَـدَمَ قُصُورَهَـا، وَأَبَادَ الْخَـوَاصَّ وَالْعَوَامَّ مِـنْ أَهْلِهَا فِي ذَلِكَ الْعَـامِ (٦٥٦هـ)، وَأَخَذَ الْأَمْـوَالَ وَالْحَوَاصِلَ، وَأَوْرَثَ بِهَا حُزْنًا يُعَدَّدُ بِهِ فِـي الْبُكُرَاتِ وَالْأَصَائِلِ، وَصَيَّرَهَا مُثْلَةً فِي الْأَقَالِيمِ، وَعِبْرَةً لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ عَلِيمٍ.

(١) انظر تاريخ بغداد ١/ ١١٧.
(٢) الجريب: وحدة يقاس بها مساحة الأرض، والجريب: يساوي (١٥٥٧) م٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١١٩.
(٤) البداية والنهاية ١٣/ ٣٩٧.

وَبُدِّلَتْ بَعْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، بِالنَّغَمَاتِ وَالْأَلْحَانِ، وَبَعْدَ سَمَاعِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، بِدَرْسِ الْفَلْسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ، وَالْمَنَاهِجِ الْكَلَامِيَّةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الْقُرْمَطِيَّةِ، وَبَعْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْحُكَمَاءِ، وَبَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، بِشَرِّ الْوُلَاةِ مِنَ الْأَنَاسِيِّ، وَبَعْدَ الِاشْتِغَالِ بِفُنُونِ الْعِلْمِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بِالزَّجَلِ وَالْمُوَشَّحِ وَمَوَالِيَا، وَمَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

○ محاسن مدينة السلام

ذكر الحافظ ابن كثير:[١] مَا وَرَدَ فِي ذِكْرِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ مِنَ الْآثَارِ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى ضَعْفِ مَا رُوِيَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ. ثم عقد فصلاً في **محاسنها**، **ومنها:**

- قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: هَلْ رَأَيْتَ بَغْدَادَ؟ قُلْتُ: لَا. فَقَالَ: لَمْ تَرَ الدُّنْيَا.
- وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ ثلاث: يَوْمُ الْجُمْعَةِ بِبَغْدَادَ، وَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِمَكَّةَ،[٢] وَيَوْمُ الْعِيدِ بِطَرَسُوسَ.
- قَالَ الْخَطِيبُ:[٣] مَنْ شَهِدَ الْجُمْعَةَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ عَظَّمَ اللهُ فِي قَلْبِهِ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ مَشَايِخَنَا كَانُوا يَقُولُونَ: يَوْمُ الْجُمْعَةِ بِبَغْدَادَ كَيَوْمِ الْعِيدِ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.
- وَعن سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى[٤] قَالَ: إِذَا كَانَ عِلْمُ الرَّجُلِ حِجَازِيًّا، وَخُلُقُهُ عِرَاقِيًّا، وَطَاعَتُهُ شَامِيَّةً فَقَدْ كَمُلَ.

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٩٨.
(٢) صلاة التراويح في الحرمين وكذا صلاة العيدين ويوم الجمعة فيهما، من المظاهر والمناظر التي يفخر بها في هذا الزمان. ولله الحمد.
(٣) تاريخ بغداد ١/ ٤٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٥١.

⦿ وَقَالَتْ زُبَيْدَةُ لِمَنْصُورٍ النَّمَرِيِّ: قُلْ شِعْرًا تُحَبِّبُ فِيهِ بَغْدَادَ إِلَى الرَّشِيدِ، فَقَدِ اخْتَارَ سُكْنَى الرَّافِقَةِ. فَقَالَ:

مَاذَا بِبَغْدَادَ مِنْ طِيبِ الْأَفَانِينِ ... وَمِنْ مَنَازِلَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
تُحْيِي الرِّيَاحُ بِهَا الْمَرْضَى إِذَا نَسَمَتْ ... وَجَوَّشَتْ بَيْنَ أَغْصَانِ الرَّيَاحِينِ

فَأَعْطَتْهُ أَلْفَيْ دِينَارٍ.

⦿ قال القاضي عبد الوهاب المالكي[1]: في وصف حاله لما كان ببغداد:

بغداد دارٌ لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها ... كأنني مصحفٌ في بيت زنديق

❍ بناء مدينة الرصافة

فِي سنة (١٥١هـ) شَرَعَ الْمَنْصُورُ فِي بِنَاءِ الرُّصَافَةِ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ بَعْدَ مَقْدِمِهِ مِنْ خُرَاسَانَ، وَالرُّصَافَةُ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ، وَجَعَلَ لَهَا سُورًا وَخَنْدَقًا، وَعَمِلَ عِنْدَهَا مَيْدَانًا وَبُسْتَانًا، وَأَجْرَى إِلَيْهَا الْمَاءَ مِنْ نَهْرِ الْمَهْدِيِّ.

❍ بناء الرافقة[2]

فِي سنة (١٥٥هـ) أَمَرَ الْمَنْصُورُ وَلَدَهُ الْمَهْدِيَّ بِبِنَاءِ الرَّافِقَةِ عَلَى مِنْوَالِ بِنَاءِ بَغْدَادَ.

❍ بناء سور الكوفة

فِي سنة (١٥٥هـ) أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِبِنَاءِ سُورٍ، وَعَمَلِ خَنْدَقٍ حَوْلَ الْكُوفَةِ، وَأَخَذَ مَا غَرِمَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِهَا؛ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.

---

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٢١). وهذا يدل على مستوى المعيشة والثراء في بغداد في زمنه. وكانت وفاته في سنة (٤٢٢هـ).

(٢) الرافقة بلد متصل البناء بالرقة، وهما على ضفة الفرات. معجم البلدان ٢/ ٧٣٤.

الأحداث في عهده

عصيان عبدالله بن علي

وَقَدْ كَانَ عمه عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ قَدِمَ عَلَى السَّفَّاحِ الْأَنْبَارَ، فَأَمَّرَهُ عَلَى الصَّائِفَةِ، فَرَكِبَ فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَلَغَهُ مَوْتُ السَّفَّاحِ في ذي الحجة سنة (١٣٦هـ)، فَكَرَّ رَاجِعًا، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَزَعَمَ أَنَّ السَّفَّاحَ كَانَ عَهِدَ إِلَيْهِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَشَهِدَ لَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ خُرَاسَانَ بِذَلِكَ، وَنَهَضُوا إِلَيْهِ فَبَايَعُوهُ، فَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ جُيُوشٌ عَظِيمَةٌ.

وَرَجَعَ إِلَى حَرَّانَ فَتَسَلَّمَهَا مِنْ نَائِبِ الْمَنْصُورِ بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَمِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ بَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فسَارَ أَبُو مُسْلِمٍ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيُّ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ قُدُومَ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَيْهِ خَشِيَ مِنْ جَيْشِ خُرَاسَانَ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ لَا يُنَاصِحُوهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأَرَادَ قَتْلَ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ.

فلما قدم أَبُو مُسْلِمٍ أَنْشَأَ الْقِتَالَ، فَحَارَبَهُمْ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ. وقد انْهَزَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ تَلَوُّمٍ، وَاحْتَازَ أَبُو مُسْلِمٍ مَا كَانَ فِي مُعَسْكَرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، وَأَمَّنَ أَبُو مُسْلِمٍ بَقِيَّةَ النَّاسِ فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَكَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ مَوْلَاهُ أَبَا الْخَصِيبِ لِيُحْصِيَ مَا وَجَدُوا فِي مُعَسْكَرِ عَبْدِ اللهِ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ، وَاسْتَوْسَقَتِ الْمَمَالِكُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ،

وَكان عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ قد ذَهَبَ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ زَمَانًا مُخْتَفِيًا، ثُمَّ عَلِمَ بِهِ الْمَنْصُورُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَسَجَنَهُ، فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ سَقَطَ عَلَيْهِ الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ فِيهِ فَمَاتَ.

○ مقتل أبي مسلم الخراساني

فِي سنة (١٣٧هـ) لَمَّا بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ مَوْلَاهُ أَبَا الْخَصِيبِ يَقْطِينَ؛ لِيَحْتَاطَ عَلَى مَا أُصِيبَ مِنْ مُعَسْكَرِ عَبْدِ اللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ وَغَيْرِهَا، غَضِبَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَشَتَمَ أَبَا جَعْفَرٍ، وَهَمَّ بِأَبِي الْخَصِيبِ أَنْ يَقْتُلَهُ، حَتَّى كُلِّمَ فِيهِ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ. فَتَرَكَهُ، وَرَجَعَ أَبُو الْخَصِيبِ، فَأَخْبَرَ الْمَنْصُورَ بِمَا كَانَ، وَبِمَا هَمَّ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ قَتْلِهِ، فَغَضِبَ الْمَنْصُورُ، وَخَشِيَ أَنْ يَذْهَبَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى خُرَاسَانَ فَيَشُقُّ عَلَيْهِ تَحْصِيلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ يَقْطِينَ: إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ الشَّامَ وَمِصْرَ، وَهُمَا خَيْرٌ مِنْ خُرَاسَانَ فَابْعَثْ إِلَى مِصْرَ مَنْ شِئْتَ، وَأَقِمْ أَنْتَ بِالشَّامِ؛ لِتَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادَ لِقَاءَكَ. فَغَضِبَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ ذَلِكَ، وَرَجَعَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنَ الشَّامِ قَاصِدًا خُرَاسَانَ، وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمَنْصُورِ. فَخَرَجَ الْمَنْصُورُ مِنَ الْأَنْبَارِ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى خُرَاسَانَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَدُوٌّ إِلَّا أَمْكَنَهُ اللهُ مِنْهُ، وَقَدْ كُنَّا نَرْوِي عَنْ مُلُوكِ آلِ سَاسَانَ أَنْ أَخْوَفَ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ، فَنَحْنُ نَافِرُونَ مِنْ قُرْبِكَ، حَرِيصُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ مَا وَفَّيْتَ، حَرِيُّونَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ بَعِيدٍ حَيْثُ تُقَارِنُهَا السَّلَامَةُ، فَإِنْ أَرْضَاكَ ذَلِكَ فَأَنَا كَأَحْسَنِ عَبِيدِكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُعْطِيَ نَفْسَكَ إِرَادَتَهَا نَقَضْتُ مَا أَبْرَمْتُ مِنْ عَهْدِكَ ضَنًّا بِنَفْسِي.

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْمَنْصُورِ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ:

قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ، وَلَيْسَتْ صِفَتُكَ صِفَةَ أُولَئِكَ الْوُزَرَاءِ الْغَشَشَةِ مُلُوكَهُمْ، وَقَدْ حَمَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى بْنَ مُوسَى رِسَالَةً لِتَسْكُنَ إِلَيْهَا إِنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهَا، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَبَيْنَكَ؛

وَبعَثَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهِ جَرِيرَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيَّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وقَالَ لَهُ: كَلِّمْ أَبَا مُسْلِمٍ بِأَلْيَنِ كَلَامٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّهُ يُرِيدُ رَفْعَكَ، وَعُلُوَّ قَدْرِكَ.

وإِنْ شَقَقْتَ الْعَصَا وَذَهَبْتَ عَلَى وَجْهِكَ هَذَا لَيُدْرِكَنَّكَ بِنَفْسِهِ، وَلَوْ خُضْتَ الْبَحْرَ حَتَّى يُدْرِكَكَ فَيَقْتُلَكَ أَوْ يَمُوتَ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ قَالُوا لَهُ ذَلِكَ الْكَلَامَ: الَّذِي كَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَهُمْ بِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ كَسَرَهُ جِدًّا ثم عَجَّلَ السَّيْرَ قادماً إلى الخليفة، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَدَائِنِ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْقُوَّادَ وَالْأُمَرَاءَ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ.

فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى الْمَنْصُورِ مِنَ الْعَشِيِّ، قَالَ: اذْهَبْ فَأَرِحْ نَفْسَكَ، وَادْخُلِ الْحَمَّامَ، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ فَأْتِنِي. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَجَاءَهُ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ.

وقد اخْتَارَ أبو جعفر مِنْ عُيُونِ الْحَرَسِ أَرْبَعَةً، فَحَرَّضَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَقَالَ: كُونُوا مِنْ وَرَاءِ الرِّوَاقِ، فَإِذَا صَفَّقْتُ فَاخْرُجُوا عَلَيْهِ فَاقْتُلُوهُ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ، فَأَقْبَلَ حتى دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ الْمَنْصُورُ يُعَاتِبُهُ فِي الَّذِي صَنَعَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَيَعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِيمَا كَانَ اعْتَمَدَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَسَرَّعَ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَفْسُكَ قَدْ طَابَتْ عَلَيَّ. فَقَالَ: وَاللهِ مَا زَادَنِي هَذَا إِلَّا غَضَبًا عَلَيْكَ. ثم صفق فخرج الحراس فَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَلَفُّوهُ فِي عَبَاءَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِلْقَائِهِ فِي دِجْلَةَ.

وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (١٣٧هـ).

وَقَدْ خَطَبَ الْمَنْصُورُ(١) النَّاسَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُنَفِّرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ، فَتَحِلَّ بِكُمُ النِّقْمَةُ، وَلَا تُسِرُّوا غِشَّ الْأَئِمَّةِ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يُسِرُّ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ، وَإِنَّا لَنْ نَجْهَلَ

---

(١) انظر: تاريخ دمشق ٤١/ ٤٠٤، البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٣.

حُقُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقَّنَا، وَلَا نَنْسَى الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا، وَمَنْ نَازَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوَطْأْنَا أُمَّ رَأْسِهِ خَبِيءَ هَذَا الْغِمْدِ، وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ بَايَعَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ نَكَثَ بَيْعَتَنَا وَأَظْهَرَ غِشَّنَا لَنَا فَقَدَ أَبَاحَنَا دَمَهُ، وَنَكَثَ، وَغَدَرَ، وَفَجَرَ، وَكَفَرَ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنْفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا، وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ أَحْسَنَ مُبْتَدِئًا وَأَسَاءَ مُعَقِّبًا، وَأَخَذَ مِنَ النَّاسِ بِنَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَانَا، وَرَجَحَ قَبِيحُ بَاطِنِهِ عَلَى حُسْنِ ظَاهِرِهِ، وَعَلِمْنَا مِنْ خُبْثِ سَرِيرَتِهِ وَفَسَادِ نِيَّتِهِ مَا لَوْ عَلِمَ اللَّائِمُ لَنَا فِيهِ، لَعَذَرَنَا فِي قَتْلِهِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ[1] شَرَعَ فِي تَأْلِيفِ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ بِالْأَعْطِيَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ. وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ وَمَا كَانَ يَتَعَاطَاهُ لِأَجْلِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ صَبْرًا.

وأَبو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ، أَبُو مُسْلِمٍ صَاحِبُ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَمِينُ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكَانَ اسمه إِبْرَاهِيمَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، وَيُكَنَّى أَبَا إِسْحَاقَ.

وَوُلِدَ بِأَصْبَهَانَ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ أَوْصَى إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى السَّرَّاجِ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، فَلَمَّا بَعَثَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى خُرَاسَانَ قَالَ لَهُ: غَيِّرِ اسْمَكَ وَكُنْيَتَكَ. فَتَسَمَّى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَاكْتَنَى بِأَبِي مُسْلِمٍ.

فَسَارَ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَعْطَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ نَفَقَةً مِنْ عِنْدِهِ، فَرَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ، ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ حَتَّى صَارَتْ لَهُ خُرَاسَانُ بِأَزِمَّتِهَا وَحَذَافِيرِهَا.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَصَابَهُ سِبَاءٌ فِي صِغَرِهِ، وَأَنَّهُ اشْتَرَاهُ بَعْضُ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْإِمَامَ اسْتَوْهَبَهُ أَوِ اشْتَرَاهُ، فَانْتَمَى إِلَيْهِ، وَزَوَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى خُرَاسَانَ، بِنْتَ أَبِي النَّجْمِ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الطَّائِيِّ،

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٩٢.

أَحَدِ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَوُلِدَ لِأَبِي مُسْلِمٍ بِنْتَانِ؛ إِحْدَاهُمَا أَسْمَاءُ، أَعْقَبَتْ، وَفَاطِمَةُ، وَلَمْ تُعْقِبْ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَكَانَ فَاتِكًا، شُجَاعًا، ذَا رَأْيٍ وَعَقْلٍ وَتَدْبِيرٍ وَحَزْمٍ.

وَقَدْ كَانَ ذَا هَيْبَةٍ وَصَرَامَةٍ وَإِقْدَامٍ وَتَسَرُّعٍ؛ **رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ** مِنْ طَرِيقِ مُصْعَبِ بْنِ بِشْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّوَادُ الَّذِي أَرَى عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.[١]» وَهَذِهِ ثِيَابُ الْهَيْبَةِ، وَثِيَابُ الدَّوْلَةِ[٢]. يَا غُلَامُ، اضْرِبْ عُنُقَهُ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ الصَّائِغُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ فِي زَمَنِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ يَعِدُهُ إِذَا ظَهَرَ أَنْ يُقِيمَ الْحُدُودَ وَالْعَدْلَ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَبُو مُسْلِمٍ مَا زَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ يُلِحُّ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامِ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ حَتَّى أَحْرَجَهُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بَعْدَمَا قَالَ لَهُ: هَلَّا كُنْتَ تُنْكِرُ عَلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَهُوَ يَعْمَلُ أَوَانِيَ الْخَمْرِ مِنَ الذَّهَبِ فَيَبْعَثُهَا إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ؟[٣]! فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُولَئِكَ لَمْ يَعِدُونِي مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَا وَعَدْتَنِي أَنْتَ.

وَقَدْ رَأَى بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ لِإِبْرَاهِيمَ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ؛ بِصَبْرِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ، بِسَنَدِهِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ سُئِلَ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ؛ أَكَانَ خَيْرًا أَمِ الْحَجَّاجُ؟ فَقَالَ: لَا أَقُولُ إِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ كَانَ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَكِنْ كَانَ الْحَجَّاجُ شَرًّا مِنْهُ.

---

(١) الحديث المرفوع أخرجه في صحيح مسلم (ط التأصيل) (٣/ ٦٠٣) برقم (٣٢٨٨).

(٢) الاستدلال بالحديث ليس صوابـًا، فلم يكن السواد شعاراً للدولة والسلطة وإلا لاتخذه الخلفاء الراشدون، ولكن صار شعاراً في الدولة العباسية .

(٣) هذه دعوى من أبي مسلم الخراساني، وهو متهم في قوله على نصر بن سيار وبني أمية .

قال ابن كثير:[1] وَقَدِ اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَرَمَوْهُ بِالزَّنْدَقَةِ، وَلَمْ أَرَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَخَافُ اللهَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَقَدِ ادَّعَى التَّوْبَةَ مِمَّا كَانَ سَفَكَ مِنَ الدِّمَاءِ فِي إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ.

○ المطالبة بدم أبي مسلم

خَرَجَ سُنْبَاذُ يَطْلُبُ بِدَمِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، بعد مقتله سنة (١٣٧هـ). وَقَدْ كَانَ سُنْبَاذُ مَجُوسِيًّا تَغَلَّبَ عَلَى قُومِسَ وَأَصْبَهَانَ وَالرَّيِّ، وَتُسَمَّى بِفَيْرُوزَ أَصْبَهْبَذَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ جَيْشًا هُمْ عَشَرَةُ آلَافِ فَارِسٍ عَلَيْهِمْ جَهْوَرُ بْنُ مَرَّارٍ الْعِجْلِيُّ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ هَمَذَانَ وَالرَّيِّ عَلَى طَرَفِ الْمَفَازَةِ، فَهَزَمَ جَهْوَرٌ سُنْبَاذاً، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سِتِّينَ أَلْفًا، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَقُتِلَ سُنْبَاذُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ أَيَّامُهُ سَبْعِينَ يَوْمًا. وَأُخِذَ مَا كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي مُسْلِمٍ الَّتِي كَانَتْ بِالرَّيِّ.

○ خروج طائفة الرَّاوَنْدِيَّةُ

في سنة (١٤١هـ) خَرَجَتْ طَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمْ: الرَّاوَنْدِيَّةُ عَلَى الْمَنْصُورِ، في الهاشمية بالكوفة وأَصْلَهُمْ مِنْ خُرَاسَانَ، وَهُمْ عَلَى رَأْيِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ، كَانُوا يَقُولُونَ بِالتَّنَاسُخِ. فأحاطوا بقصر الْمَنْصُورِ، جَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ: هَذَا قَصْرُ رَبِّنَا. فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ، فَحَبَسَ مِنْهُمْ مِائَتَيْنِ، فَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: عَلَامَ تَحْبِسُهُمْ؟ ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى نَعْشٍ، فَحَمَلُوهُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ، ثم دَخَلُوا السِّجْنَ قَهْرًا، وَاسْتَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ، وَقَصَدُوا نَحْوَ الْمَنْصُورِ وَهُمْ فِي سِتِّمِائَةٍ، فَتَنَادَى النَّاسُ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ.

وَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَجَاءَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ، فَلَمَّا رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَجَّلَ وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّةِ الْمَنْصُورِ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْجِعْ وَنَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ. فَأَبَى، وَقَامَ أَهْلُ

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٤.

السُّوقِ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ، وَجَاءَتِ الْجُيُوشُ فَالْتَفُّوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَحَصَدُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ.

○ خروج طائفة من الخوارج

وَخَرَجَ فِي سنة (١٣٧هـ) رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مُلَبَّدٌ. فِي أَلْفٍ مِنَ الْخَوَارِجِ بِالْجَزِيرَةِ، فَجَهَّزَ لَهُ الْمَنْصُورُ جُيُوشًا مُتَعَدِّدَةً كَثِيفَةً، فَكُلُّهَا تَنْفِرُ مِنْ مُلَبَّدٍ، ثُمَّ قَاتَلَهُ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ فَهَزَمَهُ مُلَبَّدٌ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ حُمَيْدٌ فِي بَعْضِ الْحُصُونِ، ثُمَّ صَالَحَهُ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَقَبِلَهَا مُلَبَّدٌ، وَانْقَلَعَ عَنْهُ.

○ مقتل الملبد الخارجي

فِي سنة (١٣٨هـ) قُتِلَ الْمُلَبَّدُ الْخَارِجِيُّ عَلَى يَدَيْ خَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ الذي قاتله فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُلَبَّدِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ، وَانْهَزَمَ بَقِيَّتُهُمْ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ ثورة العجلي

فِي سنة (١٣٨هـ) خَلَعَ جَهْوَرُ بْنُ مَرَّارٍ الْعِجْلِيُّ الْخَلِيفَةَ الْمَنْصُورَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا كَسَرَ سُنْبَاذَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالِ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَوِيَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى مُنَابَذَةِ الْخَلِيفَةِ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ الْخُزَاعِيَّ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَهُزِمَ جَهْوَرٌ، وَقُتِلَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَأُخِذَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، ثُمَّ لَحِقُوهُ فَقَتَلُوهُ.

○ إمارة الداخل على الأندلس

فِي سنة (١٣٨هـ) كَانَتْ خِلَافَةُ الدَّاخِلِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ(١)، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْهِشَامِيُّ، كَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ

---

(١) يوجد خلاف بين المؤرخين في سنة دخول عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس، ففي العقد الفريد لابن عبدربه ٤/ ٤٨٨، والمقري في نفح الطيب ١/ ٣٢٨، والمراكشي في البيان المعرب ٢/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٨ أنه دخل الأندلس هذه السنة . وذكر ابن جرير: ٧/ ٥٠٠، وابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٢٢، وابن الأثير في الكامل ٥/ ٤٨٩ أنه دخل في سنة (١٣٩هـ).

فَاجْتَازَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِقَوْمٍ يَقْتَتِلُونَ عَلَى عَصَبِيَّةِ الْيَمَانِيَةِ وَالْمُضَرِيَّةِ، فَبَعَثَ مَوْلَاهُ بَدْرًا إِلَيْهِمْ فَاسْتَمَالَهُمْ إِلَيْهِ، فَبَايَعُوهُ وَدَخَلَ بِهِمْ، فَفَتَحَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ نَائِبِهَا يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ الْفِهْرِيِّ وَقَتَلَهُ، وَسَكَنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قُرْطُبَةَ، وَاسْتَمَرَّ فِي خِلَافَتِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى سَنَةِ (١٧٢هـ) فَتُوُفِّيَ فِيهَا، وَلَهُ فِي الْمُلْكِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ.

ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ هِشَامٌ سِتَّ سِنِينَ وَأَشْهُرًا ثُمَّ مَاتَ.

فَوَلِي وَلَدُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً.

ثُمَّ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ،

ثُمَّ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ،

ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ بِدَهْرٍ.

ثُمَّ زَالَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ كَمَا سَنَذْكُرُ، ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهُمْ عَلَى مِيعَادٍ(١).

○ عصيان بعض الجند

فِي سنة (١٤٠هـ) ثَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ عَلَى أَبِي دَاوُدَ نَائِبِ خُرَاسَانَ، وَحَاصَرُوا دَارَهُ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَسْتَغِيثُ بِجُنْدِهِ لِيَحْضُرُوا إِلَيْهِ، وَاتَّكَأَ عَلَى آجُرَّةٍ فِي الْحَائِطِ، فَانْكَسَرَتْ بِهِ، فَسَقَطَ فَانْكَسَرَ ظَهْرُهُ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَخَلَفَهُ عَلَى خُرَاسَانَ عِصَامٌ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ.

---

(١) قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

هروب إبراهيم ومحمد ابني عبدالله بن حسن

كان مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ قَدْ بَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي أَوَاخِرِ دَوْلَةِ مَرْوَانَ بِالْخِلَافَةِ، وَخَلَعَ مَرْوَانَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ بَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ **أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ،** قَبْلَ تَحْوِيلِ الدَّوْلَةِ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ، فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، خَافَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ وَأَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا؛ فهَرَبا واختفيا في الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ، فَصَارَا إِلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ إِلَى الْهِنْدِ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ فَاخْتَفَيَا بِهَا

ولما قدم أبو جعفر المدينة بعد حَجِّهِ سَنَةَ (١٤٤هـ)، وتَلَقَّى النَّاسُ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَلَقَّاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَجْلَسَهُ الْمَنْصُورُ مَعَهُ عَلَى السِّمَاطِ، ثُمَّ جَعَلَ يُحَادِثُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا زَائِدًا. فَلَمَّا سَأَلَه عَنْ ابنيه حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ مكانهما.

وَاجْتَهَدَ الْمَنْصُورُ بِكُلِّ طَرِيقٍ عَلَى تَحْصِيلِهِمَا، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَلَحَّ الْمَنْصُورُ عَلَى عَبْدِ اللهِ فِي طَلَبِ وَلَدَيْهِ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللهِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: وَاللهِ لَوْ كَانَا تَحْتَ قَدَمَيَّ مَا دَلَلْتُكَ عَلَيْهِمَا. فَغَضِبَ الْمَنْصُورُ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ وَبَيْعِ رَقِيقِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَأَشَارُوا عَلَى الْمَنْصُورِ **بِحَبْسِ بَنِي حَسَنٍ** عَنْ آخِرِهِمْ فَحَبَسَهُمْ، وَجَدَّ فِي طَلَبِ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ جِدًّا، هَذَا وَهُمَا يَحْضُرَانِ الْحَجَّ فِي غَالِبِ السِّنِينَ، وَيَكْمُنَانِ فِي الْمَدِينَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ، وَلَا يَشْعُرُ بِهِمَا مَنْ يَنِمُّ عَلَيْهِمَا.

وَبَذَلَ الْمَنْصُورُ الْأَمْوَالَ فِي طَلَبِهِمَا، وَتُعْجِزُهُ الْمَقَادِيرُ فِي ذَلِكَ لِمَا يُرِيدُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ. وَقَدْ وَاطَأَهُمَا عَلَى أَمْرِهِمَا أَمِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَنْصُورِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْعَسَاكِرِ خَالِدُ بْنُ حَسَّانَ. فَعَزَمُوا فِي بَعْضِ الْحَجَّاتِ عَلَى الْفَتْكِ بِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَنَهَاهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ لِشَرَفِ الْبُقْعَةِ.

وَقَدِ اطَّلَعَ الْمَنْصُورُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ بِمَا مَالَأَهُمَا ذَلِكَ الْأَمِيرُ، فَعَذَّبَهُ حَتَّى أَقَرَّ بِمَا كَانُوا تَمَالَئُوا عَلَيْهِ مِنَ الْفَتْكِ بِهِ.

وَقَدِ اسْتَشَارَ الْمَنْصُورُ مَنْ يَعْلَمُ مِنْ أُمَرَائِهِ وَوُزَرَائِهِ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ فِي أَمْرِ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ، وَبَعَثَ الْجَوَاسِيسَ وَالْقُصَّادَ إِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَقَعْ لَهُمَا عَلَى خَبَرٍ، وَلَا ظَهَرَ لَهُمَا عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ.

وَفِي سنة (١٤٤هـ) نُقِل بنو حسنٍ مِنَ حبس الْمَدِينَةِ إِلَى حَبْسٍ بِالْعِرَاقِ، وَفِي أَرْجُلِهِمُ الْقُيُودُ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ الْأَغْلَالُ.

وَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْعِرَاقِ حُبِسُوا بِالْهَاشِمِيَّةِ، وَكَانَ فِيهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنٍ، وَكَانَ جَمِيلًا يَذْهَبُ النَّاسُ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الدِّيبَاجُ الْأَصْفَرُ. فَأَحْضَرَهُ الْمَنْصُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: أَمَا وَاللهِ لَأَقْتُلَنَّكَ قِتْلَةً مَا قُتِلَهَا أَحَدٌ. ثُمَّ أَلْقَاهُ بَيْنَ أُسْطُوَانَتَيْنِ، وَسَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ. وَقَدْ هَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي السِّجْنِ حَتَّى فُرِجَ عَنْهُمْ فِيمَا بَعْدُ.

○ خروج محمد بالمدينة ومقتله

في مستهل شهر رجب سنة (١٤٥هـ) خرج مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ بِالْمَدِينَةِ.

وكان قَدْ تَوَاعَدَ هُوَ وَأَخُوهُ إبراهيم وَقْتًا مُعَيَّنًا يَظْهَرَانِ فِيهِ؛ محمد بِالْمَدِينَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْحَالُ عليه، وَاعَدَ أَصْحَابَهُ عَلَى الظُّهُورِ فِي ليلة حددها لهم، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ جَاءَ بَعْضُ الْوُشَاةِ إِلَى والي الْمَدِينَةِ، فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ، فَضَاقَ الوالي ذَرْعًا بِذَلِكَ وَانْزَعَجَ، فَطَافَ الْمَدِينَةَ وَحَوْلَهَا لِيَسْتَعْلِمَ مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ، فَأَعْيَاهُ ذَلِكَ.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَى بَنِي حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَجَمَعَهُمْ وَمَعَهُمْ رُءُوسٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، فَوَعَظَهُمْ وَأَنَّبَهُمْ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَطَلَّبُ هَذَا الرَّجُلَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ثُمَّ مَا كَفَاكُمْ كِتْمَانُهُ حَتَّى بَايَعْتُمُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؟ وَاللهِ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ.

فَأَنْكَرُوا ذلك، وَقَالُوا: نَحْنُ نَأْتِيكَ بِرِجَالٍ مُتَسَلِّحِينَ يُقَاتِلُونَ دُونَكَ إِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ مَا فُجِئَ النَّاسُ إِلَّا وَأَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَدْ ظَهَرُوا وَأَعْلَنُوا بِالتَّكْبِيرِ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.

وَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ فِي مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَارِسًا، فَمَرَّ بِالسِّجْنِ فَأَخْرَجَ مَنْ فِيهِ، وَجَاءَ دَارَ الْإِمَارَةِ، فَحَاصَرَهَا فَافْتَتَحَهَا، وَأَمْسَكَ رِيَاح بْن عُثْمَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ فَسَجَنَهُ فِي دَارِ مَرْوَانَ. فَأَصْبَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ وَقَدِ اسْتَظْهَرَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَدَانَ لَهُ أَهْلُهَا، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الصُّبْحَ، وَقَرَأَ فِيهَا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

وَقَدْ خَطَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَتَكَلَّمَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ، وَذَكَرَ عَنْهُمْ أَشْيَاءَ ذَمَّهُمْ بِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ إِلَّا وَقَدْ بَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ[(١)] عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ أَفْتَى بِمُبَايَعَتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةَ الْمَنْصُورِ. فَقَالَ: إِنَّمَا كُنْتُمْ مُكْرَهِينَ **وَلَيْسَ لِمُكْرَهٍ بَيْعَةٌ**. فَبَايَعَهُ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِ مَالِكٍ، وَلَزِمَ مَالِكٌ بَيْتَهُ. لكن قال ابن كثير:[(٢)] وَقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ مَالُوا إِلَى ظُهُورِهِمَا[(٣)]. وَفِي هَذَا نَظَرٌ.

وَقَدْ قَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ حِينَ دَعَاهُ إِلَى بَيْعَتِهِ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مَقْتُولٌ. فَارْتَدَعَ بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ، وَاسْتَمَرَّ جُمْهُورُهُمْ مَعَهُ.

فَاسْتَنَابَ محمد بن حسن عَلَى المدينة عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَلَى قَضَائِهَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَخْزُومِيَّ، وَعَلَى شُرْطَتِهَا عُثْمَانَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلَى دِيوَانِ الْعَطَاءِ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ.

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٦٠.
(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٣٨٣.
(٣) أي محمد بن عبدالله وأخوه إبراهيم.

وَتَلَقَّبَ **بِالْمَهْدِيِّ**؛ طَمَعًا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَوْعُودَ بِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي سَنُورِدُهَا فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، فَلَمْ يَكُنْ إِيَّاهُ، وَلَا تَمَّ لَهُ مَا تَمَنَّاهُ.

وَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمَنْصُورُ مِنْ خُرُوجِهِ، ضَاقَ ذَرْعًا بِذَلِكَ، وَاسْتَدْعَى عِيسَى بْنَ مُوسَى، فَنَدَبَهُ إِلَى قتاله، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَأَكْتُبُ إِلَيْهِ كِتَابًا أُنْذِرُهُ بِهِ قَبْلَ قِتَالِهِ. **فَكَتَبَ إِلَيْهِ**:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٣] ثُمَّ قَالَ: فَلَكَ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، لَئِنْ أَقْلَعْتَ وَرَجَعْتَ إِلَى الطَّاعَةِ لَأُؤَمِّنَنَّكَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ، وَلَأُعْطِيَنَّكَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَأَدَعَنَّكَ تُقِيمُ فِي أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ، وَلَأَقْضِيَنَّ جَمِيعَ حَوَائِجِكَ. فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ بن عبدالله:

مِنْ عَبْدِ اللهِ: مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ١]

ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَمَانِ مِثْلَ مَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، فَأَنَا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ بِنَا[١]... في كلام طويل.

---

(١) يشير إلى ما كان في ابتداء أمر الدعوة لإسقاط بني أمية، فقد كان شعارهم (استخلاف الرضا من آل محمد ﷺ)، وهذا الشعار مجمل، فلم يبين هل المقصود بني العباس أو بني علي بن أبي طالب؟ فكلهم من آل محمد ﷺ، ثم تطورت الأحوال إلى أن تمت البيعة لبني العباس واستبعاد الطالبيين. وقوله: (فأنا أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ): إذا كان يقصد استحقاقاً شرعياً فهذا غير مُسَلَّم، لأن الثابت أن النبي ﷺ لم يوص بالخلافة لأحد من بعده.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ جَوَابَ ذَلِكَ، **وحَاصِلُهُ:**

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي كَلَامُكَ، وَقَرَأْتُ كِتَابَكَ، فَإِذَا جُلُّ فَخْرِكَ بِقَرَابَةِ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ النِّسَاءَ كَالْعُمُومَةِ وَالْآبَاءِ، وَلَا كَالْعَصَبَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ... وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ الَّتِي لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْجَدَّ (أَبَا الْأُمِّ) وَالْخَالَ وَالْخَالَةَ لَا يُوَرَّثُونَ.. فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ فِيهِ بَحْثٌ وَمُنَاظَرَةٌ وَفَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ. وَقَدِ اسْتَقْصَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِطُولِهِ(١).

وبَعَثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ إِلَى أَهْلِ **الشَّامِ** يَدْعُونَهُمْ إِلَى بَيْعَتِهِ وَخِلَافَتِهِ، فَأَبَوْا قَبُولَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَالُوا: قَدْ ضَجِرْنَا مِنَ الْحُرُوبِ، وَمَلِلْنَا مِنَ الْقِتَالِ.

وَبَعَثَ الْحَسَنَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا إلى **مَكَّةَ**، وهو أميرها إِنْ هُوَ دَخَلَهَا، فَسَارُوا إِلَيْهَا، فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَهَا قُدُومُهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهِمْ فِي أُلُوفٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: عَلَامَ تُقَاتِلُونَ وَقَدْ مَاتَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؟ فَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ **زَعِيمُ أَهْلِ مَكَّةَ**: إِنَّ بُرُدَهُ جَاءَتْنَا مِنْ أَرْبَعِ لَيَالٍ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ، فَأَنَا أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ إِلَى أَرْبَعٍ.

فَامْتَنَعَ الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنَ الِانْتِظَارِ وَأَبَى إِلَّا الْمُنَاجَزَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى السَّرِيِّ أَنِ ابْرُزْ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى الْحِلِّ حَتَّى لَا تُرَاقَ الدِّمَاءُ فِي الْحَرَمِ. فَلَمْ يَخْرُجْ، فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ فَصَافُّوهُمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْحَسَنُ وَأَصْحَابُهُ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَهَزَمُوهُمْ وَدَخَلُوا مَكَّةَ.

وخَطَبَ **الْحَسَنُ بْنُ مُعَاوِيَةَ** النَّاسَ، وَعَزَّاهُمْ فِي أَبِي جَعْفَرٍ، وَدَعَا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ الْمُلَقَّبِ بِالْمَهْدِيِّ.

وجَهَّزَ أَبُو جَعْفَرٍ الْجُيُوشَ إِلَى مُحَمَّدٍ، بقيادة عِيسَى بْنِ مُوسَى، ومعه طائفة من الشجعان، وَكَانَ الْمَنْصُورُ قَدِ اسْتَشَارَ فِيهِ، فقيل له: ادْعُ مَنْ شِئْتَ مِمَّنْ تَثِقُ بِهِ مِنْ مَوَالِيكَ، فَيَنْزِلُ وَادِيَ الْقُرَى فَيَمْنَعُهُ مِيرَةَ الشَّامِ، فَيَمُوتُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ جُوعًا، فَإِنَّهُ بِبَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ مَالٌ وَلَا رِجَالٌ وَلَا كُرَاعٌ وَلَا سِلَاحٌ.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٦٦-٥٧١ .

وَكَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ مَعَ عِيسَى بْنِ مُوسَى كِتَابًا إِلَى رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِمْ **خُفْيَةً**، يَدْعُوهُمْ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ عِيسَى بْنُ مُوسَى مِنَ الْمَدِينَةِ بَعَثَهَا مَعَ رَجُلٍ، فَأَخَذَهُ حَرَسُ مُحَمَّدٍ فَوَجَدُوا مَعَهُ تِلْكَ الْكُتُبَ، فَدَفَعُوهَا إِلَى مُحَمَّدٍ فَاسْتَحْضَرَ جَمَاعَةً مِنْ أُولَئِكَ، فَعَاقَبَهُمْ ضَرْبًا شَدِيدًا.

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي الْمُقَامِ بِالْمَدِينَةِ أو ملاقاة العدو خارجها، فاتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى الْمُقَامِ بِالْمَدِينَةِ، وَحَفَرَ مَعَ النَّاسِ فِي الْخَنْدَقِ بِيَدِهِ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُمْ لَبِنَةٌ مِنَ الْخَنْدَقِ الَّذِي كَانَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ وَاسْتَبْشَرُوا وَكَبَّرُوا وَبَشَّرُوهُ بِالنَّصْرِ.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ عِيسَى بْنِ مُوسَى مِنَ الْمَدِينَةِ، صَعِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الجهاد، فقَالَ: إِنِّي جَعَلْتُكُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِي، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهَا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتْرُكَهَا فَلْيَفْعَلْ. فَتَسَلَّلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قليل مِنَ النَّاسِ.

ثُمَّ جَاءَ عِيسَى بْنُ مُوسَى، فنزل بِالْجَرْفِ عَلَى سِقَايَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثاني عشر مِنْ رَمَضَانَ، سنة (١٤٥هـ).

ثُمَّ أَرْسَلَ عِيسَى إِلَى مُحَمَّدٍ يَدْعُوهُ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْمُبَايَعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ الْأَمَانَ لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ إِنْ هُوَ أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ لِلرَّسُولِ: لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكَ.

ثُمَّ جَعَلَتِ الرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَدْعُوهُ فِيهَا عِيسَى بْنُ مُوسَى إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْجَمَاعَةِ، وَجَعَلَ عِيسَى يَقِفُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ عِنْدَ سَلْعٍ فَيُنَادِي: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنَّ دِمَاءَنَا عَلَيْنَا حَرَامٌ، فَمَنْ جَاءَ فَوَقَفَ تَحْتَ رَايَتِنَا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ

آمِنٌ، وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَيْسَ لَنَا فِي قِتَالِكُمْ أَرَبٌ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ مُحَمَّدًا وَحْدَهُ لِنَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ. فَجَعَلُوا يَسُبُّونَهُ وَيَنَالُونَ مِنْه.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ أَتَاهُمْ فِي خَيْلٍ وَرِجَالٍ وَسِلَاحٍ وَرِمَاحٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، فَنَادَاهُ:

يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ حَتَّى أَدْعُوكَ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنْ فَعَلْتَ أَمَّنَكَ، وَقَضَى دَيْنَكَ، وَأَعْطَاكَ أَمْوَالًا وَأَرَاضِيَ، وَإِنْ أَبَيْتَ قَاتَلْتُكَ، فَقَدْ دَعَوْتُكَ غَيْرَ مَرَّةٍ. فَنَادَاهُ مُحَمَّدٌ: إِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي إِلَّا الْقِتَالُ.

فَنَشِبَتِ الْحَرْبُ حِينَئِذٍ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ جَيْشُ عِيسَى بْنِ مُوسَى فَوْقَ الْأَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَمَعَهُمْ عُدَدٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، وَكَانَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ، وَاقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ قِتَالًا شَدِيدًا جِدًّا، وَلَمْ يَزَلِ الْقِتَالُ نَاشِبًا بَيْنَهُمْ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، **وَحَمِيَتِ الْحَرْبُ حِينَئِذٍ جِدًّا، فَاسْتَظْهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ**، ثُمَّ تَكَاثَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ تَحْتَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ الْيُمْنَى فَسَقَطَ مُحَمَّدٌ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ، فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَكَانَ مَقْتَلُ مُحَمَّدٍ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ[(١)] يَوْمَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، الرابع عشرة مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ (١٤٥هـ).

وَبَعَثَ عِيسَى بِالْبِشَارَةِ إِلَى الْمَنْصُورِ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ، وَبِالرَّأْسِ مَعَ ابْنِ أَبِي الْكِرَامِ، ثُمَّ أَذِنَ فِي دَفْنِ جُثَّةِ مُحَمَّدٍ فَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. وَنُودِيَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالْأَمَانِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ.

وَتَوَجَّهَ عِيسَى بْنُ مُوسَى إِلَى مَكَّةَ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْمَدِينَةِ كُثَيِّرَ بْنَ حُصَيْنٍ، فَاسْتَمَرَّ شَهْرًا

---

(١) أحجار الزيت: موضع بالمدينة قريب من الزوراء، وهو موضع صلاة الاستسقاء. معجم البلدان - الفكر (١/ ١٠٩)

ثورة سودان المدينة

بَعَثَ الْمَنْصُورُ عَلَى نِيَابَة المدينة عَبْدَ اللهِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَعَاثَ جُنْدُهُ فِيها فَسَادًا، وَاشْتَرَوْا مِنَ النَّاسِ أَشْيَاءَ لَا يُعْطُونَهُمْ ثَمَنَهَا، وَإِنْ طُولِبُوا بِذَلِكَ ضَرَبُوا الْمُطَالِبَ، وَخَوَّفُوهُ بِالْقَتْلِ، **فَثَارَ عَلَيْهِمْ طَائِفَةٌ مِنَ السُّودَانِ**؛ وَاجْتَمَعُوا وَنَفَخُوا فِي بُوقٍ لَهُمْ، فَاجْتَمَعَ عَلَى صَوْتِهِ كُلُّ أَسْوَدٍ فِي الْمَدِينَةِ وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً وَاحِدَةً وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى الْجُمْعَةِ، لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (١٤٥هـ) فَقَتَلُوا مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً.

وَهَرَبَ نَائِبُ الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّبِيعِ، وَتَرَكَ صَلَاةَ الْجُمْعَةِ، ثم ركِبَ فِي جُنُودِهِ وَالْتَقَى مَعَ السُّودَانِ فَهَزَمُوهُ، وَمَضَى فَلَحِقُوهُ بِالْبَقِيعِ، فَأَلْقَى لَهُمْ دَرَاهِمَ شَغَلَهُمْ بِهَا، حَتَّى نَجَا بِنَفْسِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ، فَلَحِقَ بِبَطْنِ نَخْلٍ[١] عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَوَقَعَ السُّودَانُ عَلَى طَعَامٍ كَانَ مَخْزُونًا فِي دَارِ مَرْوَانَ بِالْمَدِينَةِ؛ مِنْ دَقِيقٍ وَسَوِيقٍ وَزَيْتٍ، فَانْتَهَبُوهُ، وَبَاعُوهُ بِأَرْخَصِ ثَمَنٍ.

وَذَهَبَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ، وَخَافَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ مَعَرَّةِ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَخَطَبَهُمُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ - وَكَانَ مَسْجُونًا - فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَفِي رِجْلَيْهِ الْقُيُودُ، فَحَثَّهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ، وَخَوَّفَهُمْ شَرَّ مَا صَنَعَهُ مَوَالِيهِمْ،

فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُفُّوا مَوَالِيَهُمْ وَيُفَرِّقُونَهُمْ، وَأَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ، فَيَرُدُّوهُ إِلَى عَمَلِهِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَسَكَنَ الْأَمْرُ، وَهَدَأَ النَّاسُ، وَانْطَفَأَتِ الشُّرُورُ.

وَرَجَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّبِيعِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَطَعَ أَيْدِي رؤساء السودان.[٢]

---

(١) بطن نخل: نخل جمع نخلة، وهو الوادي الذي تقع فيه بلدة الحناكية شرق المدينة، على مسافة مائة كيل. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد الشراب (ص: ٢٨٧).

(٢) كانت ثورة السودان بسبب التعدي من جند الوالي على أموال الناس ونهبها. وكان موقف أهل المدينة بعد خروج الوالي -رغم الظلم الذي حصل من جنوده- موقفًا حسنًا راعى المصالح ودرأ المفاسد، =

○ خُرُوجُ إِبْرَاهِيمَ بالبصرة ومقتله

وخرج إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ بِالْبَصْرَةِ، في مستهل شهر رمضان (١٤٥هـ) بعد خروج أخيه محمد، وَقد جَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى المدينة بِذَلِكَ، فَاسْتَبْشَرَ محمد وَفَرِحَ كَثِيرًا، وَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ بَعْدَ صَلَاتَي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ: ادْعُوا اللهَ لِإِخْوَانِكُمْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَلِلْحَسَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ، وَاسْتَنْصِرُوهُ عَلَى أَعْدَائِكُمْ.

وقَدْ نَزَلَ إبراهيم الْبَصْرَةِ، فِي دَارِ الْحَارِثِ بْنِ عِيسَى، وَكَانَ قُدُومُهُ إِلَيْهَا فِي سَنَةِ (١٤٣هـ)، بَعْدَ مُنْصَرَفِ الْحَجِيجِ، وَكَانَ يَدْعُو فِي السِّرِّ إِلَى أَخِيهِ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخُوهُ أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ إِلَى نَفْسِهِ وَمُخَالَفَةَ الْمَنْصُورِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (١٤٥هـ).

وَقد اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَبَايَعَهُ فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، وَتَفَاقَمَ الْخَطْبُ بِهِ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ بِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ.

فتَحَوَّلَ الْمَنْصُورُ مِنْ بَغْدَادَ - وَكَانَ قَدْ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا - إِلَى الْكُوفَةِ، وَجَعَلَ كُلَّمَا اتَّهَمَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ، بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ فِي اللَّيْلِ فِي مَنْزِلِهِ.

وَجَعَلَ النَّاسُ يَقْصِدُونَ الْبَصْرَةَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ لِمُبَايَعَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَرْصُدُ لَهُمُ الْمَسَالِحَ، فَيَقْتُلُونَهُمْ فِي الطُّرُقَاتِ، وَيَأْتُونَهُ برؤوسهم فَيَصْلُبُهَا بِالْكُوفَةِ لِيَتَّعِظَ بِهَا النَّاسُ.

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْإِثْنَيْنِ مُسْتَهَلَّ رَمَضَانَ مِنْ سنة (١٤٥هـ) خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ فِي اللَّيْلِ إِلَى مَقْبَرَةِ بَنِي يَشْكُرَ فِي بِضْعَةَ عَشَرَ فَارِسًا، وَقَدِمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَبُو حَمَّادٍ الْأَبْرَصُ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ مدداً لوالي البصرة سُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَنْزَلَهُمُ الْأَمِيرُ فِي الْقَصْرِ، وَمَالَ إِبْرَاهِيمُ وَأَصْحَابُهُ، إِلَى دَوَابِّ أُولَئِكَ الْعَسْكَرِ وَأَسْلِحَتِهِمْ، فَأَخَذُوهَا جَمِيعًا، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا أَصَابَ، وَمَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ إِلَّا وَقَدِ اسْتَظْهَرَ جِدًّا، فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ

= ولكن لم تذكر الرواية أن الوالي أو الخليفة أبو جعفر المنصور عاقب الجنود المتعدين الذين تسببوا في تلك الثورة.

فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَالْتَفَّتِ الْخَلَائِقُ عَلَيْهِ مَا بَيْنَ نَاظِرٍ وَنَاصِرٍ.

وَتَحَصَّنَ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ الْجُنُودُ، فَحَاصَرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِمَنْ مَعَهُ، فَطَلَبَ سُفْيَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْأَمَانَ، فَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَبُسِطَتْ لَهُ حَصِيرٌ لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا فِي مُقَدَّمِ إِيوَانِ الْقَصْرِ.

وَأَمَرَ بِحَبْسِ سُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مُقَيَّدًا وكان ممالئًا، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُبَرِّئَ سَاحَتَهُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَإِذَا فِيهِ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ: أَلْفَا أَلْفٍ. فَقَوِيَ بِذَلِكَ جِدًّا.

وَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِ **الْأَهْوَازِ**، فَبَايَعُوا لَهُ وَأَطَاعُوهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَائِبِهَا مِائَتَيْ فَارِسٍ عَلَيْهِمُ الْمُغِيرَةُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُصَيْنِ نَائِبُ الْبِلَادِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَهَزَمَهُ الْمُغِيرَةُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْبِلَادِ، وَبَعَثَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ فَأَخَذَهَا، وَكَذَلِكَ وَاسِطُ وَالْمَدَائِنُ وَالسَّوَادُ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَهُ نَعْيُ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ انْكَسَرَ جِدًّا، وَصَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ فَنعَى في خطبته أَخَاهُ مُحَمَّدًا، فَازْدَادَ النَّاسُ حَنَقًا عَلَى الْمَنْصُورِ، وَأَصْبَحَ فَعَسْكَرَ بِالنَّاسِ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْبَصْرَةِ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَنْصُورَ خَبَرُهُ كَتَبَ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى وَهُوَ بِالْحِجَازِ بَعْدَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ: إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا، فَأَقْبِلْ مِنْ فَوْرِكَ، وَدَعْ كُلَّ مَا أَنْتَ فِيهِ. فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بِالْبَصْرَةِ وَلَا يَهُولَنَّكَ كَثْرَةُ مَنْ مَعَهُ، فَابْسُطْ يَدَكَ، وَثِقْ بِمَا عِنْدَكَ، وَسَتَذْكُرُ مَا أَقُولُ لَكَ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْمَنْصُورُ.

وَكَتَبَ الْمَنْصُورُ إِلَى ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ بِالرِّيِّ، أَنْ يُوَجِّهَ خَازِمَ بْنَ خُزَيْمَةَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا نَائِبَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكُوَرِ الَّتِي خَلَعَتْ يَرُدُّونَهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ

وَلَزِمَ الْمَنْصُورُ مَوْضِعَ مُصَلَّاهُ، فَلَا يَبْرَحُ فِيهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا على ذلك بِضْعًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ نِسَاءَكَ قَدْ خَبُثَتْ أَنْفُسُهُنَّ لِغَيْبَتِكَ عَنْهُنَّ. فَانْتَهَرَ الْقَائِلَ، وَقَالَ: وَيْحَكَ! لَيْسَتْ هَذِهِ أَيَّامَ نِسَاءٍ حَتَّى أَرَى رَأْسَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ يَدَيَّ أَوْ يُحْمَلَ رَأْسِي إِلَيْهِ.

وَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ قَاصِدًا مَنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ عِيسَى بْنَ مُوسَى فِي خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلافٍ.

وَأَقْبَلَ الْجَيْشَانِ، فَتَصَافُّوا، واقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَدِّمَةِ، فَجَعَلَ عِيسَى يُنَاشِدُهُمُ اللهَ فِي الرُّجُوعِ وَالْكَرَّةِ، فَلَا يَلْوِي عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَثَبَتَ عِيسَى بْنُ مُوسَى فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ تَنَحَّيْتَ مِنْ مَكَانِكَ هَذَا لِئَلَّا يَحْطِمَكَ جَيْشُ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَزُولُ عَنْهُ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِي أَوْ أُقْتَلَ هَاهُنَا.

فَاسْتَمَرَّ الْمُنْهَزِمُونَ ذَاهِبِينَ فَانْتَهَوْا إِلَى نَهْرٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ خَوْضُهُ فَكَرُّوا رَاجِعِينَ بِأَجْمَعِهِمْ، فَكَانَ أَوَّلَ رَاجِعٍ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ، ثُمَّ اجْتَلَدُوا هُمْ وَأَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَقُتِلَ مِنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ، وَثَبَتَ هُوَ فِي خَمْسِمِائَةٍ، فقاتل حتى قُتِلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قُتِلَ، وَاخْتَلَطَ رَأْسُهُ مَعَ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ، فَجَعَلَ حُمَيْدٌ يَأْتِي بالرؤوس فَيَعْرِضُهَا عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى حَتَّى عَرَفُوا رَأْسَ إِبْرَاهِيمَ، فَبَعَثُوهُ مَعَ الْبَشِيرِ إِلَى الْمَنْصُورِ.

وَلَمَّا جِيءَ بِالرَّأْسِ تَمَثَّلَ الْمَنْصُورُ بِبَيْتِ مُعَقِّرِ بْنِ حِمَارٍ الْبَارِقِيِّ:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ: كَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الثُّلَاثَاءِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ سنة (١٤٥هـ).

○ وفاة عم المنصور عبدالله بن علي

وَفِي سنة (١٤٧هـ)كَانَ مَهْلِكُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ الْمَنْصُورِ، الَّذِي أَخَذَ الشَّامَ، مِنْ أَيْدِي بَنِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ كَانَ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَ السَّفَّاحُ، فَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ أَبَا مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيَّ، فَهَزَمَهُ، وَهَرَبَ عَبْدُ اللهِ إِلَى عِنْدِ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْبَصْرَةِ، فَاخْتَفَى عِنْدَهُ مُدَّةً، ثُمَّ ظَهَرَ الْمَنْصُورُ عَلَى أَمْرِهِ، فَاسْتَدْعَاهُ وَسَجَنَهُ، حتى مات .

○ خروج أستاذ سيس

فِي سنة (١٥٠هـ) خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْكَفَرَةِ يُقَالُ لَهُ: أستاذ سيس. فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَكْثَرِهَا، وَالْتَفَّ مَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُنَالِكَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَزَمُوا الْجُيُوشَ الَّتِي فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، وَسَبَوْا خَلْقًا، وَاسْتَحْكَمَ الْفَسَادُ بِسَبَبِهِمْ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُمْ.

فَوَجَّهَ الْمَنْصُورُ خَازِمَ بْنَ خُزَيْمَةَ إِلَى ابْنِهِ الْمَهْدِيِّ لِيُوَلِّيَهُ حَرْبَ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَيَضُمَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَجْنَادِ مَا يُقَاوِمُ أُولَئِكَ، فَنَهَضَ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ نَهْضَةَ رَجُلٍ هَاشِمِيٍّ، وَجَمَعَ لِخَازِمِ بْنِ خُزَيْمَةَ الْإِمْرَةَ عَلَى تِلْكَ الْجُيُوشِ، وَبَعَثَهُ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ، وَمَا زَالَ يُرَاوِغُهُمْ وَيُمَاكِرُهُمْ، وَيَعْمَلُ الْخَدِيعَةَ حَتَّى فَاجَأَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَهَرَبَ مَلِكُهُمْ أستاذ سيس، فَتَحَرَّزَ فِي جَبَلٍ، فَجَاءَ خَازِمٌ إِلَى تَحْتِ الْجَبَلِ، وَقَتَلَ أُولَئِكَ الْأَسَارَى كُلَّهُمْ؛ ضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ.

وَلَمْ يَزَلْ يُحَاصِرُهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى حُكْمِ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ، فَحَكَمَ أَنْ يُقَيَّدَ بِالْحَدِيدِ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَأَنْ يُعْتَقَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَجْنَادِ؛ وَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَفَعَلَ خَازِمٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَطْلَقَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَ أُسْتَاذِسِيس ثَوْبَيْنِ، وَكَتَبَ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَكَتَبَ الْمَهْدِيُّ بِذَلِكَ إِلَى أَبِيهِ الْمَنْصُورِ.

○ قدوم المهدي من خراسان

فِي سـنة (١٥١هـ) قَدِمَ الْمَهْدِيُّ عَلَـى أَبِيهِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَـانَ، فَتَلَقَّاهُ أَبُـوهُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْأَكَابِـرُ إِلَـى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَقَدِمَ نُوَّابُ الْبِلَادِ مِنَ الشَّـامِ وَغَيْرِهَا لِلسَّـلَامِ عَلَيْهِ وَتَهْنِئَتِهِ بِالسَّلَامَةِ وَالنَّصْرِ.

○ خروج الخوارج من الصفرية ببلاد إفريقية

وَفِي سـنة (١٥٣هـ) خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ مِنَ الصُّفْرِيَّـةِ وَغَيْرِهِمْ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسُـونَ أَلْفًا، مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو حَاتِمٍ الْإِبَاضِيُّ، وَأَبُـو عَادٍ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَبُو قُرَّةَ الصُّفْـرِيُّ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَاتَلُوا نَائِبَ إِفْرِيقِيَّةَ، فَهَزَمُوا جَيْشَـهُ وَقَتَلُـوهُ، وَهُوَ عُمَرُ بْـنُ حَفْصِ بْنِ عُثْمَانَ ابْـنِ أَبِي صُفْرَةَ الَّذِي كَانَ نَائِبَ السِّـنْدِ فَعَزَلَـهُ الْمَنْصُورُ عَنْهَا، وَوَلَّاهُ بلاد إفريقية فَقَتَلَتْهُ الْخَـوَارِجُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْثَرَتِ الْخَوَارِجُ الْفَسَادَ فِي الْبِلَادِ، وَقَتَلُوا الْحَرِيمَ وَالْأَوْلَادَ، وَآذَوْا عَامَّةَ الْعِبَادِ.

○ قتال خوارج إفريقية

وَجَهَّـزَ الخليفـة المنصور لما كان في بلاد الشـام يَزِيدَ بْـنَ حَاتِمٍ، فِي خَمْسِـينَ أَلْفًا، وَوَلَّاهُ بِـلَادَ إِفْرِيقِيَّـةَ، وَأَمَـرَهُ بِقِتَـالِ الْخَوَارِجِ، وَأَنْفَقَ عَلَـى هَذَا الْجَيْشِ نَحْـوًا مِنْ ثَلَاثَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وفي سـنة (١٥٥هـ) دَخَـلَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِـمٍ بِـلَادَ إِفْرِيقِيَّـةَ، فَافْتَتَحَهَا عَـوْدًا عَلَى بَدْءٍ، وَقَتَـلَ مَنْ كَانَ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا مِنَ الْخَـوَارِجِ، وَقَتَلَ أُمَرَاءَهُمْ، وَأَرْغَمَ آنَافَهُمْ، وَبَدَّدَ آلَافَهُمْ، وَاسْتَبْدَلَ أَهْلُ الْبِلَادِ هُنَاكَ بِالْخَوْفِ سَلَامَةً، وَبِالْإِهَانَةِ كَرَامَةً.

وَكَانَ فِـي جُمْلَـةِ مَنْ قَتَلَ مِـنْ أُمَرَائِهِمْ أَبُو حَاتِـمٍ وَأَبُو عَبَّادٍ الْخَارِجِيَّانِ. واسْـتَقَامَتْ لَـهُ وَبِـهِ الْأُمُورُ فِي الْبُلْدَانِ ودَخَلَ بِـلَادَ الْقَيْرَوَانِ، فَمَهَّدَهَا وَأَطَّدَهَـا، وَأَقَرَّ أَهْلَهَا، وَأَزَالَ مَحْذُورَهَا.

❍ زيارة الخليفة لبيت المقدس

فِي سنة (١٥٤هـ) دَخَلَ الْمَنْصُورُ بِلَادَ الشَّامِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ.

❍ قتل حماد الزنديق

فِي سنة (١٥٥هـ) قُتِلَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ عَلَى الزَّنْدَقَةِ، وَهُوَ حَمَّادُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ كُلَيْبٍ الْكُوفِيُّ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَاسِطِيٌّ. مَوْلَى بَنِي سُوَاءَةَ، وَكَانَ شَاعِرًا مَاجِنًا ظَرِيفًا خَلِيعًا، لَكِنَّهُ كَانَ مُتَّهَمًا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الدَّوْلَتَيْنِ الْأُمَوِيَّةَ وَالْعَبَّاسِيَّةَ، وَلَكِنَّهُ مَا اشْتُهِرَ إِلَّا فِي أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ، توفي فِي سنة (١٥٥هـ).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ»: ثَلَاثَةُ حَمَّادُونَ بِالْكُوفَةِ يُرْمَوْنَ بِالزَّنْدَقَةِ؛ حَمَّادٌ الرَّاوِيَةُ، وَحَمَّادُ عَجْرَدٍ، وَحَمَّادُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ النَّحْوِيُّ، وَكَانُوا يَتَعَاشَرُونَ وَيَتَمَاجَنُونَ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث:
ولاية البلدان والحج

الولاية على البلدان

○ ولاية مكة

في سنة (١٣٦هـ) ولّى أبو جعفر المنصور زِيادَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ على مَكَّةَ، وَكَانَ السَّفَّاحُ قَدْ عَزَلَهُ عَنْهَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وَعَزَلَ في سنة (١٤٦هـ) عَنْ مَكَّةَ السَّرِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَوَلَّاهَا عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ.

○ ولاية الحجاز

كان عَلَى نِيَابَةِ الْحِجَازِ سنة (١٣٧هـ) زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيَّ.

وفِي سنة (١٤١هـ) عُزِلَ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بن عبد المدان الحارثي عَنْ إِمْرَةِ الْحِجَازِ.

ووُلِّيَ عليها مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيُّ، فَقَدِمَهَا فِي رَجَبٍ.

○ ولاية المدينة

فِي سنة (١٤٤هـ) وَلَّى رِيَاحَ بْنَ عُثْمَانَ الْمُرِّيَّ الْمَدِينَةَ، وَعَزَلَ عَنْهَا مُحَمَّدَ بْنَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ.

وَكَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ في سنة (١٤٥هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّبِيعِ الْحَارِثِيُّ.

وَعَزَلَ في سنة (١٤٦هـ) عَبْدَ اللهِ بْنَ الرَّبِيعِ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا جعفرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، وَفِي سنة (١٥٠هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ عَنْ إِمْرَةِ الْمَدِينَةِ جعفرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، وَوَلَّاهَا الْحَسَنَ بْنَ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وفي سنة (١٥١هـ) ولّى عَلَى الْمَدِينَةِ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ.

وفِي سنة (١٥٥هـ) عَزَلَ الْمَنْصُورُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَمَّهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ، وَجَعَلَ مَعَهُ فُلَيْحَ بْنَ سُلَيْمَانَ مُشْرِفًا عَلَيْهِ.

○ ولاية الكوفة

كان عَلَى نِيَابَةِ الْكُوفَةِ في سنة (١٣٧هـ) عِيسَى بْنُ مُوسَى إلى سنة (١٤٥هـ).

وفي سنة (١٥١هـ) ولّى عَلَى الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ

وفِي سنة (١٥٥هـ) عَزَلَ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ إِمْرَةِ الْكُوفَةِ، لِأُمُورٍ بَلَغَتْهُ عَنْهُ فِي تَعَاطِي مُنْكَرَاتٍ وَأُمُورٍ لَا تَلِيقُ بِالْعُمَّالِ.

○ ولاية البصرة

كان عَلَى نِيَابَةِ الْبَصْرَةِ سنة (١٣٧هـ) سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ. وعزل عنها سنة (١٣٩هـ).

وَكَانَ نَائِبَ الْبصرة في سنة (١٤٥هـ) سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ.

وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَفِي سنة (١٤٦هـ) ولى المنصور مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْبَصْرَةِ، فَعَاثَ فِيهَا فَسَادًا، وَهَدَمَ دُورًا كَثِيرَةً.

وفي سنة (١٥١هـ) ولّى عَلَى الْبَصْرَةِ جَابِرُ بْنُ تَوْبَةَ الْكِلَابِيُّ،

وفِي سنة (١٥٢هـ) عَزَلَ عَنِ الْبَصْرَةِ جَابِرَ بْنَ تَوْبَةَ الْكِلَابِيَّ، وَوَلَّاهَا يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ. وفِي سنة (١٥٤هـ) ولى على البصرة عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ ظَبْيَانَ.

وفِي سنة (١٥٦هـ) عَزَلَ الْمَنْصُورُ الْهَيْثَمَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَنِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا قَاضِيَهَا سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالصَّلَاةِ، وَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهَا وَأَحْدَاثِهَا سَعِيدَ بْنَ دَعْلَجٍ.

○ ولاية خراسان

كان عَلَى نِيَابَةِ خُرَاسَانَ في سنة (١٣٧هـ) أَبُو دَاوُدَ خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ.

وفِي سنة (١٤٠هـ) وُلِّيَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَزْدِيُّ خُرَاسَانَ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ بِهَا؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى خِلَافَةِ آلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَحَبَسَ آخَرِينَ، وَأَخَذَ نُوَّابَ أَبِي دَاوُدَ بِجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ الْمُنْكَسِرَةِ عِنْدَهُمْ.

وَفِي سـنة (١٤١هـ) وَلَّى الْمَنْصُـورَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا الْمَهْدِيَّ خُرَاسَـانَ، وَعَزَلَ عَنْهَا **عَبْدَ الْجَبَّـارِ** بْـنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَذَلِـكَ أَنَّهُ قَتَلَ خَلْقًا مِنْ شِـيعَةِ الْخَلِيفَـةِ، فتمنع الوالي حتى قاتلـوه وقبضوا عليه، ثم أَقْدَمُـوهُ عَلَى الْمَنْصُورِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ وَجَمَاعَـةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَضَرَبَ الْمَنْصُورُ عُنُقَهُ، وَسَيَّرَ ابْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ إِلَى جَزِيرَةِ دَهْلَكَ فِي طَرَفِ الْيَمَنِ.

في سنة (١٥١هـ) ولّى عَلَى خُرَاسَانَ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ.

○ ولاية أذربيجان

فِي سنة (١٥٨هـ) وَلَّى المنصور يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ على أَذْرَبِيجَانَ.

○ ولاية السند والهند

فِي سـنة (١٤٢هـ) خَلَعَ عُيَيْنَةُ بْنُ مُوسَـى بْنِ كَعْبٍ نَائِبُ السِّـنْدِ الْخَلِيفَةَ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَـةُ الْعَسَـاكِرَ صُحْبَةَ عُمَرَ بْنِ حَفْـصِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَوَلَّاهُ السِّـنْدَ وَالْهِنْدَ، فَحَارَبَهُ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، وَقَهَرَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَسَلَّمَهَا مِنْهُ.

فِي سـنة (١٥١هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَـةُ الْمَنْصُورُ عُمَرَ بْنَ حَفْصٍ عَنِ السِّـنْدِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا هِشَامَ بْنَ عَمْرٍو التَّغْلِبِيَّ.

فِي سنة (١٥٧هـ) عَزَلَ عَنِ السِّنْدِ هِشَامَ بْنَ عَمْرٍو، وَوَلَّى عَلَيْهَا مَعْبَدَ بْنَ الْخَلِيلِ.

○ ولاية سجستان

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَوَلَّى الْمَنْصُورُ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ سِجِسْتَانَ فِي سنة (١٥١هـ).

○ ولاية الجزيرة

كان عَلَـى نِيَابَةِ الْجَزِيرَةِ سـنة (١٣٧هـ) حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ، وفِي سـنة (١٥٥هـ) عَزَلَ الْمَنْصُورُ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْجَزِيرَةِ، وَغَرَّمَهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً.

○ ولاية الموصل

فِي سـنة (١٥٨هـ) ولى الْمَنْصُورُ خَالِدَ بْـنَ بَرْمَكَ الْمَوْصِلِ، **حيـث ورد الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ بِانْتِقَاضِ الْمَوْصِلِ وَانْتِشَارِ الْأَكْرَادِ بِهَا،** فَاسْتَشَارَ الْأُمَرَاءَ مَنْ يَصْلُحُ لِلْمَوْصِلِ؟ فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ، فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا، وَوَضَعَ عَنْهُ بَقِيَّةَ مَا كَانَ يطالبه من الأموال.

○ ولاية مصر

كان عَلَى نِيَابَةِ مِصْرَ سنة (١٣٧هـ) صَالِحُ بْنُ عَلِيّ.

وفِـي سـنة (١٤١هـ) وَلِيَ مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْـعَثِ ثُمَّ عُزِلَ، وَوَلِـيَ عَلَيْهَا نَوْفَلُ بْنُ الْفُرَاتِ.

وَفِي سـنة (١٤٢هـ) عَـزَلَ الْمَنْصُورُ نَوْفَلَ بْنَ الْفُـرَاتِ عَنْ إِمْرَةِ مِصْـرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا حُمَيْدَ بْنَ قَحْطَبَةَ.

وَكَانَ نَائِبَ مصر سـنة (١٤٥هـ) يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ، إلى سـنة (١٥١هـ) ثم عُزِل فِي سنة (١٥٢هـ) وَوَلَّاهَا مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدٍ.

❁ ❁ ❁

ولايــة الحــج

حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٧هـ) عَمُّ الْخَلِيفَةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَكَانَ نَائِبَ الْمَوْصِلِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٨هـ) الْفَضْلُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٣٩هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤٠هـ) الْخَلِيفَةُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ؛ أَحْرَمَ فِي الْحِيرَةِ، وَرَجَعَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَزَارَهُ وَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ سَلَكَ الشَّامَ إِلَى الرَّقَّةِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْهَاشِمِيَّةِ؛ هَاشِمِيَّةِ الْكُوفَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤١هـ) صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ، وَهُوَ نَائِبُ قِنِّسْرِينَ وَحِمْصَ وَدِمَشْقَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤٢هـ) إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤٣هـ) عِيسَى بْنُ مُوسَى نَائِبُ الْكُوفَةِ وَأَعْمَالِهَا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤٤هـ) الْخَلِيفَةُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٤٥هـ) السَّرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَائِبُ مَكَّةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٤٦هـ) عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ. قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٤٧هـ) أمير المؤمنين أبو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٤٨هـ) جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ.

وَ حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٤٩هـ) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٥٠هـ) عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ عَمُّ الْخَلِيفَةِ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سـنة (١٥١هـ) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْـنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ نَائِبُ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٥٢هـ) أمير المؤمنين أَبو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ. (١)

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٥٣هـ) الْمَهْدِيُّ ابْنُ الْمَنْصُورِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سـنة (١٥٤هـ) وسنة (١٥٥هـ) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ نَائِبُ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٥٦هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَحَـجَّ بِالنَّاسِ فِي سـنة (١٥٧هـ) وسـنة (١٥٨هــ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْـنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٤١.

مشاهير من توفي في عهده

١- سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَمُّ الْخَلِيفَةِ وَنَائِبُ الْبَصْرَةِ، كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ عَبْدُ الصَّمَدِ، وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، كَانَ يَعْتِقُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ نَسَمَةٍ، وَبَلَغَتْ صِلَاتُهُ لِبَنِي هَاشِمٍ وَسَائِرِ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفٍ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ. تُوُفِّيَ سنة (١٤٢هـ)

٢- خَالِدُ الْحَذَّاءُ، وتُوُفِّيَ سنة (١٤٢هـ).

٣- عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ بْنِ بَابٍ الْقَدَرِيُّ، التَّمِيمِيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو عُثْمَانَ الْبَصْرِيُّ، مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ، شَيْخُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ. رَوَى الْحَدِيثَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُحَدَّثَ عَنْهُ. قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: كَانَ رَجُلَ سُوءٍ، كَانَ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا النَّاسُ مِثْلُ الزَّرْعِ. وَقَالَ الْفَلَّاسُ: مَتْرُوكٌ، صَاحِبُ بِدْعَةٍ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: إِنَّمَا تَرَكُوا حَدِيثَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو إِلَى الْقَدَرِ. وَقَدْ ضَعَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ آخَرُونَ فِي عِبَادَتِهِ، وَزُهْدِهِ وَتَقَشُّفِهِ.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ، وَاعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ فَسُمُّوا الْمُعْتَزِلَةَ، وَكَانَ يَشْتُمُ الصَّحَابَةَ، وَيَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ وَهْمًا لَا تَعَمُّدًا.

وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ يَغُرُّ النَّاسَ بِتَقَشُّفِهِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ جِدًّا، مُعْلِنٌ بِالْبِدَعِ.

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: جَالَسَ الْحَسَنَ وَاشْتُهِرَ بِصُحْبَتِهِ، ثُمَّ أَزَالَهُ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَالَ بِالْقَدَرِ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاعْتَزَلَ أَصْحَابَ الْحَسَنِ، وَكَانَ لَهُ سَمْتٌ وَإِظْهَارُ زُهْدٍ. وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَفِدُ مَعَ الْقُرَّاءِ، فَيُعْطِيهِمُ

الْمَنْصُورُ فَيَأْخُذُونَ، وَلَا يَقْبَلُ عَمْرٌو مِنْهُ شَيْئًا، فَكَانَ ذَلِكَ يُعْجِبُ الْمَنْصُورَ. وَكَانَ يَقُولُ:

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدْ ... كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْدْ.. غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدْ

قال ابن كثير:[1] وَلَوْ تَبَصَّرَ الْمَنْصُورُ لَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الْقُرَّاءِ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، وَالزُّهْدُ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الرَّهَابِينَ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ مَا لَا يُطِيقُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِهِ. وتوفي سنة (١٤٢هـ).

٤- عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ تَابِعِيٌّ جليل.

وَكَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مُبَجَّلًا، وَكَانَ عَابِدًا كَبِيرَ الْقَدْرِ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: كَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا.

وَفَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَكْرَمَهُ، وَوَفَدَ عَلَى السَّفَّاحِ فَعَظَّمَهُ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ولما خرج ولده على المنصور أخذه مع عدد من آل علي بن أبي طالب إلى العراق فسجن حتى مات، وَقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ عَمْدًا. وَاللهُ أَعْلَمُ. قُتِلَ فِي سنة (١٤٥هـ).

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ (٧٥) سَنَةً. وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

٥- مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَرَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَنَافِعٍ، وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ.

وَكَانَ طَوِيلًا سَمِينًا أَسْمَرَ ضَخْمًا، مُفَخَّمًا ذَا هِمَّةٍ سَامِيَّةٍ، وَسَطْوَةٍ عَالِيَةٍ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ بِالْمَدِينَةِ فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

٦- إِبْرَاهِيمُ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،كَانَ ظُهُورُهُ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ ظُهُورِ أَخِيهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ سنة (١٤٥هـ)، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ فِي الْكُتُبِ السِّتَّةِ.

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٤٦.

قال ابن كثير:[١] وَقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ مَالُوا إِلَى ظُهُورِهِمَا. وَفِي هَذَا نَظَرٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

٧-الْأَجْلَحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَحَبِيبٌ ابْنُ الشَّهِيدِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَعُمَرُ مَوْلَى عَفْرَةَ، وَيَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَّارِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، وَرُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ - وَالْعَجَّاجُ لَقَبٌ، وَاسْمُهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رُؤْبَةَ - أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الْبَصْرِيُّ، الرَّاجِزُ ابْنُ الرَّاجِزِ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا دِيوَانُ رَجَزٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا بَارِعٌ فِي فَنِّهِ، لَا يُجَارَى وَلَا يُمَارَى، عَالِمٌ بِاللُّغَةِ. توفي في سنة (١٤٥هـ).

٨-عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ الْكَاتِبُ الْمُفَوَّهُ، أَسْلَمَ عَلَى يَدِ عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ عَمِّ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ، وَكَتَبَ لَهُ، وَلَهُ رَسَائِلُ وَأَلْفَاظٌ فَصِيحَةٌ، وَكَانَ يُتَّهَمُ بِالزَّنْدَقَةِ، وَهُوَ الَّذِي صَنَّفَ كِتَابَ «كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ»، وَيُقَالُ: بَلْ هُوَ الَّذِي عَرَّبَهَا مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ **قَالَ الْمَهْدِيُّ** ابْنُ الْمَنْصُورِ: مَا وَجَدْتُ كِتَابَ زَنْدَقَةٍ إِلَّا وَأَصْلُهُ مِنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ.

وَقَالَ الْجَاحِظُ: الزَّنَادِقَةُ ثَلَاثَةٌ: ابْنُ الْمُقَفَّعِ، وَمُطِيعُ بْنُ إِيَاسٍ، وَيَحْيَى بْنُ زِيَادٍ. قَالُوا: وَنَسِيَ الْجَاحِظُ نَفْسَهُ، وَهُوَ رَابِعُهُمْ. وَكَانَ مَعَ هَذَا فَاضِلًا بَارِعًا فَصِيحًا.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قِيلَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ: مَنْ أَدَّبَكَ؟ قَالَ: نَفْسِي؛ إِذَا رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِي قَبِيحًا أَبَيْتُهُ، وَإِذَا رَأَيْتُ حَسَنًا أَتَيْتُهُ.

وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَى يَدِ سُفْيَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ نَائِبِ الْبَصْرَةِ، عن أمر أبي جعفر المنصور. سنة (١٤٥هـ).

٩- عِيسَى بْنُ عُمَرَ أَبُو عُمَرَ الْبَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ شَيْخُ سِيبَوَيْهِ، كَانَ إِمَامًا كَبِيرًا جَلِيلًا فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْقِرَاءَاتِ، أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ، وَابْنُ مُحَيْصِنٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَسَمِعَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ وَغَيْرُهُمْ، وَعَنْهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَالْأَصْمَعِيُّ،

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٨٣.

وَسِيبَوَيْهِ، وَلَزِمَهُ وَعُرِفَ بِهِ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَأَخَذَ كِتَابَهُ الَّذِي صَنَّفَهُ وَسَمَّاهُ « الْجَامِعَ» فَزَادَ عَلَيْهِ وَبَسَطَهُ، فَهُوَ «كِتَابُ سِيبَوَيْهِ» الْيَوْمَ.

وَكَانَ يَسْأَلُ عَمَّا أَشْكَلَ فِيهِ عَلَيْهِ شَيْخَهُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ، وَقَدْ سَأَلَ الْخَلِيلُ يَوْمًا سِيبَوَيْهِ عَمَّا صَنَّفَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: جَمَعَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ كِتَابًا، ذَهَبَتْ كُلُّهَا إِلَّا كِتَابَهُ «الْإِكْمَالَ»، وَهُوَ بِأَرْضِ فَارِسَ وَكِتَابَهُ « الْجَامِعَ»، وَهُوَ الَّذِي أَشْتَغِلُ فِيهِ وَأَسْأَلُكَ عَنْ غَوَامِضِهِ.

وَقَدْ كَانَ عِيسَى يُغْرِبُ وَيَتَقَعَّرُ فِي عِبَارَتِهِ جِدًّا، وَقَدْ حَكَى الْجَوْهَرِيُّ عَنْهُ فِي الصِّحَاحِ أَنَّهُ سَقَطَ يَوْمًا عَنْ حِمَارِهِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ: مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤَكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ؟! افْرَنْقِعُوا عَنِّي. وتوفي سنة (١٤٩).

١٠-جَعْفَرٌ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَدُفِنَ لَيْلًا بِمَقَابِرِ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَغْدَادَ. وَتُوُفِّيَ فِي سنة (١٥٠هـ)

١١-عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ أَحَدُ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ السُّنَنَ. وَتُوُفِّيَ فِي سنة (١٥٠هـ)

١٢- الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ التَّيْمِيُّ، مَوْلَاهُمُ الْكُوفِيُّ، فَقِيهُ الْعِرَاقِ، وَأَحَدُ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَّبَعَةِ، وَهُوَ أَقْدَمُهُمْ وَفَاةً؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ عَصْرَ الصَّحَابَةِ، وَرَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ؛ الْحَكَمُ، وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَسَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، وَعَامِرٌ الشَّعْبِيُّ، وَعِكْرِمَةُ.

وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ؛ ابْنُهُ حَمَّادٌ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْرَقُ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: [(١)] كَانَ ثِقَةً، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ، وَلَمْ يُتَّهَمْ بِالْكَذِبِ، وَلَقَدْ ضَرَبَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ عَلَى الْقَضَاءِ فَأَبَى أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا.

(١) انظر: تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٤.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ أَغَاثَنِي بِأَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ لَكُنْتُ كَسَائِرِ النَّاسِ.(١)

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَنْ أَرَادَ السِّيرَةَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَمَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مَالِكٍ، وَمَنْ أَرَادَ التَّفْسِيرَ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ.

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ(٢) بِسَنَدِهِ عَنْ أَسَدِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ يُصَلِّي فِي اللَّيْلِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَيَبْكِي حَتَّى يَرْحَمَهُ جِيرَانُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شهر رَجَبٍ مِنْ سنة (١٥٠هـ) وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، فَتَمَّ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ سَبْعُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِبَغْدَادَ سِتَّ مَرَّاتٍ؛ لِكَثْرَةِ الزِّحَامِ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، صَاحِبُ «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» الَّتِي جَمَعَهَا فَجَعَلَهَا عِلْمًا يُهْتَدَى بِهِ، وَفَجْرًا يُسْتَجْلَى بِهِ، وَالنَّاسَ كُلُّهُمْ عِيَالٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ. توفي سنة (١٥١هـ).

١٤-أَشْعَبُ الطَّامِعُ، هُوَ ابْنُ جُبَيْرٍ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَدَنِيُّ. وَيُقَالُ لَهُ: ابْنُ أُمِّ حُمَيْدَةَ. وَكَانَ أَبُوهُ مَوْلًى لِابْنِ الزُّبَيْرِ، قَتَلَهُ الْمُخْتَارُ، وَهُوَ خَالُ الْوَاقِدِيِّ.

وَكَانَ ظَرِيفًا مَاجِنًا يُحِبُّهُ أَهْلُ زَمَانِهِ لِخَلَاعَتِهِ وَطَمَعِهِ، وَكَانَ يُجِيدُ الْغِنَاءَ.

وَقَدْ وَفَدَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ دِمَشْقَ. فَتَرْجَمَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِتَرْجَمَةٍ فِيهَا أَشْيَاءُ مُضْحِكَةٌ، وَأَسْنَدَ عَنْهُ حَدِيثَيْنِ.

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ يَوْمًا أَنْ يُحَدِّثَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَصْلَتَانِ مَنْ عَمِلَ بِهِمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ثُمَّ سَكَتَ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا هُمَا؟ فَقَالَ: نَسِيَ عِكْرِمَةُ الْوَاحِدَةَ، وَنَسِيتُ أَنَا الْأُخْرَى.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٥٤.

وَكَانَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ يَسْتَخِفُّهُ وَيَسْتَخْلِيهِ، وَيَضْحَكُ مِنْهُ، وَيَأْخُذُهُ مَعَهُ إِلَى الْغَابَةِ، وَكَذَلِكَ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ. توفي سنة (١٥٤هـ).

١٥- أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ، وَاسْمُهُ كُنْيَتُهُ. كَانَ عَلَّامَةَ زَمَانِهِ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَتَبَ مِلْءَ بَيْتٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَزَهَّدَ، فَأَحْرَقَهُ ثُمَّ رَاجَعَ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سِوَى مَا كَانَ يَحْفَظُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَكَانَ قَدْ لَقِيَ خَلْقًا مِنْ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ مُقَدَّمًا أَيَّامَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَبَعْدَهُ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ لَا يُنْشِدُ فِيهِ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ حَتَّى يَنْسَلِخَ، وَقَدْ صَحِبَهُ الْأَصْمَعِيُّ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ. وتوفي سنة (١٥٤هـ).

١٦-حَمَّادٌ الرَّاوِيَةُ، وَهُوَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى مَيْسَرَةُ - وَيُقَالُ: سَابُورُ - بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ عُبَيْدٍ الدَّيْلِمِيُّ الْكُوفِيُّ، كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَلُغَاتِهَا، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ السَّبْعَ الْمُعَلَّقَاتِ الطِّوَالَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الرَّاوِيَةَ؛ لِكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ الشِّعْرَ عَنِ الْعَرَبِ، توفي فِي سنة (١٥٥هـ).

١٧-حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، أَحَدُ الْقُرَّاءِ الْمَشْهُورِينَ وَالْعُبَّادِ الْمَذْكُورِينَ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمُدُودُ الطَّوِيلَةُ فِي الْقِرَاءَةِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِسَبَبِهَا بَعْضُ الْأَئِمَّةِ. تُوُفِّيَ فِي سنة (١٥٦هـ).

١٨- الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ، فَقِيهُ أَهْلِ الشَّامِ، وَقَدْ بَقِيَ أَهْلُ الشَّامِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ عَلَى مَذْهَبِهِ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ سَنَةٍ. تُوُفِّيَ فِي سنة (١٥٧هـ).

وُلِدَ بِبَعْلَبَكَّ، وَنَشَأَ بِالْبِقَاعِ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ، وَكَانَتْ تَنْتَقِلُ بِهِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَتَأَدَّبَ بِنَفْسِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ أَعْقَلُ مِنْهُ، وَلَا أَوْرَعُ، وَلَا أَعْلَمُ، وَلَا أَفْصَحُ، وَلَا أَوْقَرُ، وَلَا أَحْلَمُ، وَلَا أَكْثَرُ صَمْتًا مِنْهُ، وَمَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ إِلَّا كَانَ الْمُتَعَيَّنَ عَلَى مَنْ يُجَالِسُهُ أَنْ يَكْتُبَهَا؛ مِنْ حُسْنِهَا، وَكَانَ يُعَانِي الرَّسَائِلَ وَالْكِتَابَةَ.

فَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى الرِّحْلَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ لِيَسْمَعَ مِنَ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ، فَسَارَ إِلَيْهَا فَوَجَدَ الْحَسَنَ قَدْ تُوُفِّيَ مِنْ شَهْرَيْنِ، وَوَجَدَ ابْنَ سِيرِينَ مَرِيضًا، وَجَاءَ فَنَزَلَ دِمَشْقَ بِمَحَلَّةِ الْأَوْزَاعِ خَارِجَ بَابِ الْفَرَادِيسِ، وَسَادَ أَهْلَهَا فِي زَمَانِهِ وَسَائِرَ الْبِلَادِ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَغَازِي وَعُلُومِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ أَدْرَكَ خَلْقًا مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، كَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالزُّهْرِيِّ وَهُوَ مِنْ شُيُوخِهِ.

وَقَدْ حَجَّ مَرَّةً، فَدَخَلَ مَكَّةَ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ آخِذٌ بِزِمَامِ جَمَلِهِ، وَمَالِكٌ يَسُوقُ بِهِ، وَالثَّوْرِيُّ يَقُولُ: افْسَحُوا لِلشَّيْخِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ؛ الثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَمَالِكٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ. وَكَانَ الْأَوْزَاعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، حَسَنَ الصَّلَاةِ، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ أَطَالَ الْقِيَامَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ طُولَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَكَأَنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الإنسان: ٢٦، ٢٧] .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَرَأْيَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَقَالَ أَيْضًا: اصْبِرْ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ مَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا، وَلْيَسَعْكَ مَا وَسِعَهُمْ.

وَكَانَ يَقُولُ: الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ.

وَكَانَ يَقُولُ: لَا يَجْتَمِعُ حُبُّ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ إِلَّا فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ.

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ بَابَ الْجَدَلِ وَسَدَّ عَنْهُمْ بَابَ الْعَمَلِ.

قَالُـوا: وَقَدْ كَانَ مِـنْ أَكْرَمِ النَّاسِ وَأَسْـخَاهُمْ، وَكَانَ لَهُ فِي بَيْتِ الْمَـالِ عَلَى الْخُلَفَاءِ إِقْطَاعٌ، فَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَبَنِي الْعَبَّاسِ نَحْوٌ مَنْ سَـبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يَقْتَنِ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا تَرَكَ يَوْمَ مَاتَ سِوَى سَبْعَةِ دَنَانِيرَ، كَانَ يُنْفِقُهَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَفِي الْفُقَرَاءِ.

وقد انتقل الْأَوْزَاعِيُّ مِنْ دِمَشْقَ، فَنَزَلَ بَيْرُوتَ مُرَابِطًا بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ.

وَخَـرَجَ الْأَوْزَاعِيُّ يَوْمًا مِنْ بَابِ مَسْـجِدِ بَيْـرُوتَ، وَهُنَاكَ دُكَّانٌ فِيـهِ نَاطِفٌ[١]، وَإِلَى جَانِبِهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْبَصَلَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَحْلَى مِنَ النَّاطِفِ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَرَى هَذَا بِالْكَذِبِ بَأْسًا؟.

وَكَتَبَ إِلَى أَخٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أُحِيطَ بِكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَإِنَّهُ يُسَـارُ بِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَاحْذَرِ اللهَ وَالْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ آخِرَ عَهْدِكَ بِهِ، وَالسَّلَامُ.

وَقَـدِ اجْتَمَعَ الْأَوْزَاعِيُّ بِالْمَنْصُورِ حِينَ دَخَلَ الشَّـامَ وَوَعَظَهُ، وَأَحَبَّهُ الْمَنْصُورُ وَعَظَّمَهُ، وَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ اسْتَأْذَنَهُ فِي أَنْ لَا يَلْبَسَ السَّوَادَ فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ الْحَاجِبِ: الْحَقْهُ فَسَـلْهُ لِمَ كَرِهَ لُبْسَ السَّـوَادِ؟ وَلَا تُخْبِرْهُ أَنِّي قُلْتُ لَكَ. فَسَأَلَهُ الرَّبِيعُ فَقَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَرَ مُحْرِمًا أَحْرَمَ فِيهِ، وَلَا مَيِّتًا كُفِّنَ فِيهِ، وَلَا عَرُوسًا جُلِيَتْ فِيهِ، فَلِهَذَا أَكْرَهُهُ.

وَقَدْ كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ فِي الشَّامِ مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا، أَمْرُهُ أَعَزُّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ، وَهَمَّ بِهِ بَعْضُ الْوُلَاةِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: دَعْهُ عَنْكَ فَوَاللهِ لَوْ أَمَرَ الشَّامِيِّينَ أَنْ يَقْتُلُوكَ لَقَتَلُوكَ.

قـال ابن كثير:[٢] لَا خِـلَافَ أَنَّهُ مَاتَ بِبَيْـرُوتَ مُرَابِطًا، وتوفي سـنة (١٥٧هـ) في قول الجمهور.

❁ ❁ ❁

---

(١) والناطف: نوع من الحلوى.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٤٥٥.

(٣)

خلافة محمد بن عبدالله المهدي

١٥٨ـ ١٦٩

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أبي جعفر المنصور الْهَاشِمِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيُّ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِالْمَهْدِيِّ طَمَعًا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَوْعُودَ بِهِ فِي الْأَحَادِيثِ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ، **وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي الِاسْمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُشْبِهْهُ فِي الْفِعْلِ، ذَاكَ يَأْتِي عند فَسَادِ آخِرَ الزَّمَانِ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**. وقد جاء في الحديث أن (المهدي من بني العباس) [١] ولا يصح ذلك، وقد ورد في حديث آخر «الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا». [٢]

وَأُمُّهُ أُمُّ مُوسَى بِنْتُ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحِمْيَرِيِّ.

وَكَانَ مَوْلِدُ الْمَهْدِيِّ فِي سنة (١٢٦هـ) بِالْحُمَيْمَةِ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ.

○ صفاته

وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا، جَعْدَ الشَّعْرِ، عَلَى إِحْدَى عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ.

قال الذهبي: [٣] كَانَ جوادًا، ممدحًا، مِعْطَاءً، مُحَبَّبًا إِلَى الرَّعِيَّةِ، قَصَّابًا فِي الزَّنَادِقَةِ، بَاحِثًا عَنْهُم، مَلِيحَ الشَّكْلِ، ونقش خاتمه: الله ثقة محمد وبه نؤمن.

وَقال أيضًا: كَانَ مُسْتَهْتِراً بِمَوْلَاتِهِ الخَيْزُرَانِ، وَكَانَ غَارِقًا كَنَحْوِهِ مِنَ المُلُوْكِ فِي بَحْرِ اللَّذَّاتِ، وَاللَّهْوِ وَالصَّيْدِ، وَلَكِنَّهُ خَائِفٌ مِنَ اللهِ، مُعَادٍ لأُولِي الضَّلاَلَةِ، حَنِقٌ عَلَيْهِم [٤].

---

(١) انظر: ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، رقم الحديث (١٤٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٨٦) من حديث أم سلمة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه. برقم (٣٣٠١).

(٣) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٧٨)

(٤) المصدر نفسه ٧/ ٧٩. ومستهتراً: أي مولعًا بها.

○ مناقبه

⊙ اسْـتَخْرَجَ الْمَهْدِيُّ حَوَاصِلَ أَبِيهِ مِنَ الذَّهَـبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَا تُحَدُّ وَلَا تُوصَفُ كَثْـرَةً، فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ، وَلَمْ يُعْطِ أَهْلَهُ وَمَوَالِيَهُ مِنْهَا، بَلْ أَجْرَى لَهُمْ أَرْزَاقًا بِحَسَـبِ كِفَايَتِهِمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، لِكُلِّ وَاحِدٍ خَمْسُـمِائَةٍ فِي الشَّـهْرِ غَيْـرَ الْأُعْطِيَّاتِ، وَقَدْ كَانَ أَبُـوهُ الْمَنْصُـورُ حَرِيصًا عَلَى تَوْفِيرِ بَيْتِ الْمَالِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُنْفِقُ فِي السَّـنَةِ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ مِنْ مَالِ الشَّرَاةِ.

⊙ وهَاجَتْ **رِيحٌ شَدِيدَةٌ** فدَخَلَ الْمَهْدِيُّ بَيْتًا فِي دَارِهِ، فَأَلْزَقَ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ، وَقَالَ: **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَنَا الْمَطْلُوبَ بِهَذِهِ الْجِنَايَةِ دُونَ النَّاسِ، فَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ**، اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى انْجَلَتْ.

⊙ **وَدَخَـلَ عَلَيْـهِ رَجُلٌ يَوْمًـا وَمَعَهُ نَعْلٌ**، فَقَـالَ: هَذِهِ نَعْلُ رَسُـولِ اللهِ ﷺ قَـدْ أَهْدَيْتُهَا لَكَ. فَقَالَ: هَاتِهَا. فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا، فَقَبَّلَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ الْآفِ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّجُلُ قَالَ الْمَهْدِيُّ، وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَرَ هَذِهِ النَّعْلَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَلْبَسَـهَا، وَلَكِنْ لَوْ رَدَدْتُهُ لَذَهَبَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: أَعْطَيْتُهُ نَعْلَ رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَرَدَّهَا عَلَيَّ. فَيُصَدِّقُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَمِيلُ إِلَى أَمْثَالِهَا، وَمِنْ شَأْنِهِمْ نَصْرُ الضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا، فَاشْتَرَيْنَا لِسَانَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَرَأَيْنَا هَذَا أَرْجَحَ وَأَنْجَحَ.

⊙ وَقَـدِمَ الْمَهْـدِيُّ مَرَّةً **الْبَصْـرَةَ**، فَخَرَجَ لِيُصَلِّـيَ بِالنَّاسِ، فَجَـاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَـالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيـنَ، مُرْ هَـؤُلَاءِ فَلْيَنْتَظِرُونِي حَتَّى أَتَوَضَّـأَ. فَأَمَرَهُـمُ الْمَهْـدِيُّ بِانْتِظَارِهِ، وَوَقَفَ الْمَهْدِيُّ فِي الْمِحْرَابِ حَتَّى قِيلَ لَهُ: هَذَا الْأَعْرَابِيُّ قَدْ جَاءَ، فَكَبَّرَ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سَمَاحَةِ أَخْلَاقِهِ.

⊙ وَوَقَفَتِ امْرَأَةٌ لِلْمَهْدِيِّ فَقَالَتْ: يَا عَصَبَةَ رَسُولِ اللهِ، اقْضِ حَاجَتِي. فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: مَا سَمِعْتُهَا مِنْ غَيْرِهَا، اقْضُوا حَاجَتَهَا وَأَعْطُوهَا عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَهُ مَآثِرُ وَمَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ،

❍ بيعته

لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ الْمَنْصُورُ بِمَكَّةَ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ (١٥٨هـ) أُخِذَتْ لَـهُ الْبَيْعَةُ بِمَكَّةَ، مِنْ رُءُوسِ بَنِي هَاشِـمٍ وَالْقُـوَّادِ الَّذِينَ هُمْ مَعَ الْمَنْصُـورِ فِي الْحَجِّ قَبْلَ دَفْنِهِ، وَبُعِثَ بِالْبَيْعَةِ وَبِالْبُرْدَةِ وَالْقَضِيبِ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَهُوَ بِبَغْدَادَ،

وَلَمَّا جَاءَهُ خَبَرُ مَوْتِ أَبِيهِ بِمَكَّةَ، كَتَمَ الْأَمْرَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ: الصَّـلَاةَ جَامِعَةً. **فَقَـامَ فِيهِمْ خَطِيبًا**، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِ أَبِيهِ، فَقَـالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُعِيَ فَأَجَـابَ، وَقَدْ قُلِّدْتُ بَعْدَهُ جَسِـيمًا، فَعِنْدَ اللهِ أَحْتَسِـبُ أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسْـتَعِينُهُ عَلَى خِلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمئِذٍ.

❍ خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد

لَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِيُّ طلب من عِيسَـى بْنَ مُوسَـى في سـنة (١٥٩هـ) أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَـهُ مِنَ ولاية العهد، فَامْتَنَعَ عَلَى الْمَهْدِيِّ، وَسَـأَلَ أَنْ يُقِيمَ بِـأَرْضِ الْكُوفَةِ فِي ضَيْعَةٍ لَهُ، ثُمَّ أَلَحَّ الْمَهْدِيُّ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى فِي أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، وَتَوَعَّدَهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ، وَوَعَدَهُ إِنْ فَعَلَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ أَقْطَاعًا عَظِيمَةً ومالاً كثيراً.

وكان ذلك يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (١٦٠هـ).

❍ ولاية العهد لولدي المهدي

بُويِعَ لِوَلَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ مُوسَـى الهادي، وَهَارُونَ الرَّشِيدِ، صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَـلَاثٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ (١٦٠هـ)، فَجَلَـسَ الْمَهْدِيُّ فِي قُبَّةٍ عَظِيمَةٍ فِي إِيوَانِ الْخِلَافَةِ، وَدَخَلَ الْأُمَرَاءُ فَبَايَعُوه، ثم بايعوا لولديه بولاية العهد.

وفي سنة (١٦٦هـ) جدد الْمَهْدِيُّ الْبَيْعَةَ لِوَلَدِهِ هَارُونَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْهَادِي، وَلَقَّبَ هَارُونَ بِالرَّشِيدِ.

○ وفاته

تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (١٦٩)، وكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَشَهْرًا وَبَعْض شَهْرٍ.

وَقَـدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ اخْتِلَافًا فِي سَـبَبِ مَوْتِهِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ سَـاقَ خَلْـفَ ظَبْيٍ وَالْكِلَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَخَلَ الظَّبْيُ إِلَى خَرِبَةٍ، فَدَخَلَتِ الْكِلَابُ وَرَاءَهُ، وَجَاءَ الْفَرَسُ، فَحَمَلَ بِهِ فِي مِشْوَارِهِ، فَدَخَلَ الْخَرِبَةَ، فَكُسِرَ ظَهْرُ الْخَلِيفَةِ فكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَفَاتِهِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً عَلَى الْمَشْهُورِ، وَقَدْ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ بِمَرَاثٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَوْرَدَ مِنْهَا الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ طَرَفًا وَكَذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ ابْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الجهاد والأحداث

الجهاد في عهده

○ غزو الروم

فِي سنة (١٥٩هـ) بعث أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيُّ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، الْعَبَّاسَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، وَرَكِبَ مَعَهُمْ مُشَيِّعًا لَهُمْ، فَسَارُوا إِلَيْهَا، فَافْتَتَحُوا مَدِينَةً عَظِيمَةً لِلرُّومِ وَمَطْمُورَةً، وَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، لَمْ يُفْقَدْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ.

وفِي سنة (١٦٢هـ) غَزَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي أُسَيْدٍ السُّلَمِيُّ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ بَابِ قَالِيقَلَا، فغنم وَسَلِمَ وَسَبَى خَلْقًا كَثِيرًا.

وَفِي سنة (١٦٣هـ) جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ الْبُعُوثَ مِنْ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَأَمَّرَ عَلَى الْجَمِيعِ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ مُشَيِّعًا لَهُ.

وَكَانَ فِي هَذَا الْجَيْشِ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ، وَالرَّبِيعُ الْحَاجِبُ، وَخَالِدُ بْنُ بَرْمَكَ، وَهُوَ مِثْلُ الْوَزِيرِ لِلرَّشِيدِ، وَيَحْيَى بْنُ خَالِدٍ، وَهُوَ كَاتِبُهُ وَإِلَيْهِ النَّفَقَاتُ. وَمَا زَالَ الْمَهْدِيُّ مَعَ وَلَدِهِ مُشَيِّعًا لَهُ حَتَّى بَلَغَ دَرْبَ الرُّومِ عِنْدَ جَيْحَانَ، وَارْتَادَ هُنَاكَ الْمَدِينَةَ الْمُسَمَّاةَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي بِلَادِ الرُّومِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الشَّامِ، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَسَارَ الرَّشِيدُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً، وَغَنِمُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا، وَكَانَ لِخَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ فِي ذَلِكَ أَثَرٌ جَمِيلٌ لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ، وَبَعَثُوا الْبِشَارَةَ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرْمَكَ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَكْرَمَهُ الْمَهْدِيُّ وَأَجْزَلَ عَطَاءَهُ.

وفِي سنة (١٦٤هـ) غَزَا عَبْدُ الْكَبِيرِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، بِلَادَ الرُّومِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ مِيخَائِيلُ الْبِطْرِيقُ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ أَلْفًا، فَجبن عنهم عَبْدُ الْكَبِيرِ، وَمَنَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقِتَالِ، وَانْصَرَفَ.

فَأَرَادَ الْمَهْدِيُّ ضَرْبَ عُنُقِهِ، عقوبة له، فَكُلِّمَ فِيهِ، فَحَبَسَهُ فِي الْمُطْبِقِ.

وعاد الرَّشِيدُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (١٦٦هـ) ، فَدَخَلَ بَغْدَادَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَعَهُ الرُّومُ يَحْمِلُونَ الْجِزْيَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَغَيْرِهِ.

○ نقض الروم للصلح

فِي رَمَضَانَ سنة (١٦٨) نَقَضَتِ الرُّومُ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصُّلْحِ الَّذِي عَقَدَهُ لَهُمْ هَارُونُ الرَّشِيدُ، عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ، فَبَعَثَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ خَيْلًا إِلَى الرُّومِ، فَقَتَلُوا وَأَسَرُوا وَغَنِمُوا وَسَلِمُوا.

○ غزو الصائفة

فِي سنة (١٦١هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ ثُمَامَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَنَزَلَ دَابِقَ، وَجَاشَتِ الرُّومُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَتَمَكَّنِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وفِي سنة (١٦٢هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ سِوَى الْمُطَّوِّعَةِ، فَقَهَرَ الرُّومَ، وَحَرَقَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً وَخَرَّبَهَا، وَأَسَرَ خَلْقًا مِنَ الذَّرَارِي.

وفِي سنة (١٦٥هـ) جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدَ لِغَزْوِ الصَّائِفَةِ، وَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ خَمْسَةً وَتِسْعِينَ أَلْفًا، وأعطاه نفقات كثيرة .

فَبَلَغَ بِجُنُودِهِ خَلِيجَ الْبَحْرِ الَّذِي عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَصَاحِبُ الرُّومِ يَوْمَئِذٍ **أُغَسْطَةُ** امْرَأَةُ أَلْيُونَ، وَمَعَهَا ابْنُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي تُوُفِّيَ عَنْهَا، فَطَلَبَتِ الصُّلْحَ مِنَ الرَّشِيدِ عَلَى أَنْ تَدْفَعَ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا قَتَلَ مِنَ الرُّومِ فِي الْوَقَائِعِ أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ مِنَ الذَّرَارِيِّ خَمْسَةَ آلَافِ رَأْسٍ، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ بِأَدَوَاتِهَا عِشْرِينَ أَلْفَ فَرَسٍ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسٍ، وَبِيعَ الْبِرْذَوْنُ بِدِرْهَمٍ، وَالْبَغْلُ بِأَقَلَّ مِنْ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ، وَالدِّرْعُ بِأَقَلَّ مِنْ دِرْهَمٍ، وَعِشْرُونَ سَيْفًا بِدِرْهَمٍ.

غزو الهند

في سنة (١٥٩هـ) جَهَّزَ الْمَهْدِيُّ جَيْشًا كَثِيفًا بقيادة عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شِهَابٍ الْمِسْمَعِيُّ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ، فَوَصَلُوا فِي سنة (١٦٠هـ) إلى مَدِينَةَ **بَارْبَدَ** مِنَ الْهِنْدِ، فَحَاصَرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَرَمَوْهَا بِالنِّفْطِ، فَأَحْرَقُوا مِنْهَا طَائِفَةً، وَهَلَكَ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَفَتَحُوهَا عَنْوَةً وَأَرَادُوا الِانْصِرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ؛ لِهيجان الْبَحْرِ، فَأَقَامُوا هُنَالِكَ، فَأَصَابَهُمْ دَاءٌ، مَاتَ مِنْهُمْ أَلْفُ نَفْسٍ، فَلَمَّا أَمْكَنَهُمُ الْمَسِيرُ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ، فَهَاجَتْ عَلَيْهِمْ رِيحٌ، فَغَرِقَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ أخرى، وَوَصَلَ بَقِيَّتُهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعَهُمْ سَبْيٌّ كَثِيرٌ، فِيهِمْ بِنْتُ مَلِكِهِمْ.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده

❍ زواج المهدي

فِي سنة (١٥٩هـ) تَزَوَّجَ الْمَهْدِيُّ بِابْنَةِ عَمِّهِ أُمِّ عَبْدِ اللهِ بِنْتِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَعْتَقَ جَارِيَتَهُ الْخَيْزُرَانَ وَتَزَوَّجَها، وَهِيَ أُمُّ الرَّشِيدِ.

❍ خروج يوسف الْبَرَمُ بخراسان

فِي سنة (١٦٠هـ)خَرَجَ يُوسُفُ الْبَرْمُ بِخُرَاسَانَ عَلَى الْمَهْدِيِّ مُنْكِرًا عَلَيْهِ أَحْوَالَهُ وَسِيرَتَهُ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ بِهِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ، فَلَقِيَهُ فَاقْتَتَلَا حَتَّى تَنَازَلَا وَتَعَانَقَا، فَأَسَرَ يَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ يُوسُفَ هَذَا، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَبَعَثَهُم إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ وَقَدْ حُمِلُوا عَلَى جِمَالٍ، مُحَوَّلَةً وُجُوهُهُمْ إِلَى نَاحِيَةِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ أَنْ يَقْطَعَ يَدَيْ يُوسُفَ وَرِجْلَيْهِ، ثُمَّ تُضْرَبَ عُنُقُهُ وَأَعْنَاقُ مَنْ مَعَهُ، وَصَلَبَهُمْ عَلَى جِسْرِ دِجْلَةَ الْأَكْبَرِ، وَأَطْفَأَ اللهُ نَائِرَتَهُمْ، وَكَفَى شَرَّهُمْ.

❍ خروج اليشكري الخارجي

فِي سنة (١٦٢هـ) خَرَجَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ هَاشِمٍ **الْيَشْكُرِيُّ** بِأَرْضِ قِنِّسْرِينَ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، فَقَاتَلَهُ خَلْقٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ جُيُوشًا، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَهَزَمَ الْخَارِجِيُّ الْجُيُوشَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنَّهُ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

❍ خروج المقنّع الخراساني

وَفِي سنة (١٦١هـ) خَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **الْمُقَنَّعُ** بِخُرَاسَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مَرْوَ، وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى ضَلَالَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَجَهَّزَ لَهُ الْمَهْدِيُّ عِدَّةً مِنْ أُمَرَائِهِ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ جُيُوشًا كَثِيرَةً، وَمَنَعُوهُ مِنَ الْجُنُودِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي سنة (١٦٢هـ) لَجأَ إِلَى **قَلْعَةِ كَشٍّ**، فَحَاصَرَهُ سَعِيدٌ الْحَرِشِيُّ، بِنَاحِيَةِ كَشٍّ مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْحِصَارِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِالْغَلَبَةِ تَحَسَّى سُمًّا وَسَمَّ نِسَاءَهُ، فَمَاتُوا جَمِيعًا، عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللهِ. وَدَخَلَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ قَلْعَتَهُ، فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ، وَبَعَثُوا بِهِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَكَانَ بحلب.

قَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ: الْمُقَنَّعُ الْخُرَاسَانِيُّ، اسْمُهُ عَطَاءٌ، وكَانَ يُرِي النَّاسَ قَمَرًا يُرَى مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ يَغِيبُ، فَعَظُمَ اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ، وَمَنَعُوهُ بِالسِّلَاحِ، **وَكَانَ يَزْعُمُ** أَنَّ اللهَ ظَهَرَ فِي صُورَةِ آدَمَ، وَلِهَذَا سَجَدَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ فِي نُوحٍ، ثُمَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدًا وَاحِدًا، ثُمَّ **تَحَوَّلَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ**، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ.

○ تخصيص بعض الولايات لهارون الرشيد

فِي سنة (١٦٣هـ) وَلَّى الْمَهْدِيُّ وَلَدَهُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِلَادَ الْمَغْرِبِ وَأَذْرَبِيجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ، وَجَعَلَ عَلَى رَسَائِلِهِ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ، وَوَلَّى وَعَزَلَ جَمَاعَةً مِنَ النُّوَّابِ.

○ سخطة المهدي على وزيره

فِي سنة (١٦٦هـ) سَخِطَ الْمَهْدِيُّ عَلَى وزيره **يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ**، وَكَانَ قَدْ حَظِيَ عِنْدَهُ وارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي الْوِزَارَةِ حَتَّى فُوِّضَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَمْرِ الْخِلَافَةِ. **فَلَمْ تَزَلِ السُّعَاةُ وَالْوُشَاةُ** بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ، وَكُلَّمَا سَعَوْا بِهِ، دَخَلَ إِلَيْهِ فَأَصْلَحَ أَمْرَهُ عِنْدَهُ.

وقَدْ دَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي مَجْلِسٍ عَظِيمٍ قَدْ فُرِشَ بِأَنْوَاعِ الْفُرُشِ وَأَلْوَانِ الْحَرِيرِ، فَقَالَ: يَا يعقوب كيف رَأَيْتَ مَجْلِسَنَا هَذَا؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ. فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِمَا فِيهِ، **وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ** لِيَتِمَّ بِهَا سُرُورُكَ. وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أُحِبُّ أَنْ تَقْضِيَهَا لِي. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ[1] **أُحِبُّ** أَنْ تَكْفِيَنِيهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَعَجَّلَ

---

(١) قال ابن كثير: والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب.(البداية والنهاية١٣/ ٥٢٨).

عَلَيَّ. ثُمَّ أَمَرَ بِتَحْوِيلِ مَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ والجارية إِلَى مَنْزِلِي، فَحَجَبْتُهَا فِي الْخِدْرِ.

فَأَمَـرْتُ بِذَلِكَ الْعَلَوِيِّ فَجِيءَ بِهِ، فَجَلَـسَ إِلَيَّ فتكَلَّمَ، فَمَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنْهُ وَلَا أَفْهَمَ، ثُـمَّ قَالَ لِي: يَا يَعْقُوبُ، تَلْقَى اللهَ بِدَمِي وَأَنَا رَجُلٌ مَنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ؟! فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، وَلَكِنِ اذْهَبْ حَيْثُ شِـئْتَ. وَلَا يَظْهَرَنَّ عَلَيْكَ الْمَهْدِيُّ فَتَهْلِكَ وَأَهْلِكَ. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِي، وَلَمْ أَشْـعُرْ بِأَنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ أَحَاطَتْ عِلْمًا بِمَا جَرَى، وَبَعَثَتْ بِخَادِمِهَا إِلَى الْمَهْدِيِّ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ.

فَغَضِبَ الْمَهْدِيُّ فَرَدُّوا الْعَلَوِيَّ، فَحَبَسَـهُ عِنْدَهُ فِي بَيْتٍ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَذَهَبْـتُ، فَلَمَّا دَخَلْـتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَا فَعَـلَ الْعَلَوِيُّ؟ قُلْتُ: مَاتَ. قَـالَ: آللهِ؟ قُلْتُ: آللهِ. فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَخْرِجْ مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ. فَخَرَجَ الْعَلَوِيُّ، فَأُسْقِطَ فِي يَدِي، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: دَمُكَ لِي حَلَالٌ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي بِئْرٍ فِي الْمُطْبَقِ.

قَالَ يَعْقُوبُ: فَكُنْتُ فِي مَكَانٍ لَا أَسْـمَعُ فِيهِ وَلَا أُبْصِرُ، فَذَهَبَ بَصَرِي، وَطَالَ شَـعْرِي حَتَّـى صِـرْتُ مِثْلَ الْبَهَائِمِ، ثُـمَّ مَضَتْ عَلَيَّ مُـدَدٌ مُتَطَاوِلَـةٌ، فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَـوْمٍ إِذْ دُعِيتُ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي فِي ذَلِكَ الْمُطْبِقِ، فَقِيلَ لِي: سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَسَلَّمْتُ وَأَنَا أَظُنُّـهُ الْمَهْدِيَّ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الْمَهْدِيَّ فِي كَلَامِـي، قَالَ رَحِمَ اللهُ الْمَهْدِيَّ. فَقُلْتُ: الْهَادِي؟ فَقَالَ: رَحِمَ اللهُ الْهَادِي. فَقُلْتُ: الرَّشِـيدُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ رَأَيْتَ مَا حَلَّ بِي، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُطْلِقَنِي. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: مَكَّةُ. فَقَالَ: اذْهَبْ رَاشِدًا.

❍ وقوع وباء بالعراق

فِي سـنة (١٦٧هـ) وَقَعَ وَبَاءٌ شَـدِيدٌ وَسُـعَالٌ كَثِيرٌ بِبَغْدَادَ، وَالْبَصْرَةِ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَكَانَتْ كَاللَّيْلِ حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ، وَكَانَ ذَلِكَ لِلَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث:

الأعمال وولاية البلدان والحج

إصلاحاته في الحرمين

○ كسوة الكعبة

فِي سنة (١٦٠هـ) **شَكَتِ حجبة الكعبة** في موسم الحج إِلَى الْمَهْدِيِّ؛ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَى الْكَعْبَةِ أَنْ تَنْهَدِمَ مِنْ كَثْرَةِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْكَسَاوِي، **فَأَمَرَ بتَجْرِيدِهَا مِنَ الْكُسْوَةِ**، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى كَسَاوِي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَجدَهَا مِنْ دِيبَاجٍ ثَخِينٍ جِدًّا، وَبَقِيَّةُ كَسَاوِي الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا جَرَّدَهَا طَلَاهَا بِالْخَلُوقِ، وَكَسَاهَا كُسْوَةً حَسَنَةً جِدًّا.(١)

وَيُقَالُ: **إِنَّ المهدي اسْتَفْتَى مَالِكًا فِي إِعَادَةِ الْكَعْبَةِ** إِلَى مَا كَانَ بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ مَوْضِعِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ يَوَدُّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ مَالِكٌ: دَعْهَا عَلَى حَالِهَا؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ مَلْعَبَةً. فَتَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ.(٢)

○ حمل الثلج إلى مكة

وَحَمَلَ للخليفة فِي سنة (١٦٠هـ) مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ نَائِبُ الْبَصْرَةِ الثَّلْجَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ حُمِلَ لَهُ الثَّلْجُ إِلَيْهَا.

(١) انظر: النجم ابن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٢/ ٢٠٤. وحسين باسلامة، تاريخ الكعبة المشرفة، ٣٨٠، وقد كان عدد من الأمراء والولاة يرسلون كسوة للكعبة، ولهذا كثرت وكانت بألوان مختلفة، حتى زمن الخليفة أحمد الناصر العباسي ت(٥٧٧-٦٢٣هـ) فقد كساها بالسواد، ثم استمر هذا اللون حتى الآن.

(٢) ويروى أن الخليفة الرشيد، وقيل: أبوه المهدي، أراد أن يغير ما صنعه الحجاج في الكعبة، وأن يردها إلى ما صنع ابن الزبير، فنهاه عن ذلك الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال له: نشدتك الله لا تجعل بيت الله ملعبة للملوك، لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس ... انتهى بالمعنى. وكأن مالك لحظ في ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وهي قاعدة مشهورة معتمدة. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ١٣٦).

توسعة المسجد النبوي

وَلَمَّا دَخَلَ الخليفة المهدي الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ سنة (١٦٠هـ) وَسَّعَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيِّ، وَكَانَ فِيهِ مَقْصُورَةٌ، فَأَزَالَهَا. وَأَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ الْمِنْبَرِ مَا كَانَ زَادَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: إِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَنْكَسِرَ الْخَشَبُ الْعَتِيقُ إِذَا زُعْزِعَ. فَتَرَكَهُ فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ.

إكرامه للأنصار

انْتَخَبَ المهدي فِي سنة (١٦٠هـ) مِنْ أَهْلِ المدينة مِنَ الْأَنْصَارِ خَمْسَمِائَةٍ مِنْ أَعْيَانِهَا؛ لِيَكُونُوا حَوْلَهُ حَرَسًا بِالْعِرَاقِ، وَأَنْصَارًا لَهُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ أَرْزَاقًا، غَيْرَ أُعْطِيَاتِهِمْ، وَأَقْطَعَهُمْ أَقْطَاعًا مَعْرُوفَةً بِهِمْ.

العناية بطريق مكة

فِي سنة (١٦١هـ) أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِحَفْرِ الرَّكَايَا[1]، وَعَمَلِ الْمَصَانِعِ، وَبِنَاءِ الْقُصُورِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، وَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ يَقْطِينَ بْنَ مُوسَى، فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ (١٧١هـ)، حَتَّى صَارَتْ طَرِيقُ الْحِجَازِ مِنْ أَرْفَقِ الطُّرُقَاتِ وَآمَنِهَا وَأَطْيَبِهَا.

إقامة البريد بين مكة والمدينة

فِي سنة (١٦٦هـ) أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِإِقَامَةِ الْبَرِيدِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْيَمَنِ، وَلَمْ يُفْعَلْ هَذَا من قَبْلَ هَذِهِ السَّنَةِ.

توسعة المسجد الحرام

فِي سنة (١٦٧هـ) أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِزِيَادَةٍ كَبِيرَةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ دُورٌ كَثِيرَةٌ، وَوَلَّى ذَلِكَ يَقْطِينَ بْنَ مُوسَى الْمُوَكَّلَ بِأَمْرِ الْحَرَمَيْنِ وَمَصَالِحِهِمَا، فَلَمْ يَزَلْ فِي عِمَارَةِ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الْمَهْدِيُّ.

(١) (الرَّكية) الْبِئْر لم تطو، جمعه: ركايا، وركي. المعجم الوسيط (١/ ٣٧١).

إصلاحات عامة

❍ إلغاء المقصورات

وَفِي سنة (١٦١هـ) كَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ أَنْ لَا تَبْقَى مَقْصُورَةٌ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ، وَأَنْ تُقَصَّرَ الْمَنَابِرُ إِلَى مِقْدَارِ مَا كَانَ مِنْبَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَفُعِلَ ذَلِكَ فِي الْمَدَائِنِ كُلِّهَا.

❍ بناء مسجد الرصافة

فِي سنة (١٥٩هـ) بَنَى الْمَهْدِيُّ مَسْجِدَ الرُّصَافَةِ وَخَنْدَقَهَا.

❍ إطلاق السجناء

فِي سنة (١٥٩هـ) أَطْلَقَ الْمَهْدِيُّ مَنْ كَانَ فِي السُّجُونِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَحْبُوسًا عَلَى دَمٍ، أَوْ مِمَّنْ يَسْعَى فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، أَوْ عِنْدَهُ حَقٌّ لِأَحَدٍ.

❍ نسب أبي بكرة

وَفِي سنة (١٦٠هـ) حَكَمَ الْمَهْدِيُّ بِإِلْحَاقِ نَسَبِ وَلَدِ أَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ إِلَى وَلَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَطَعَ نَسَبَهُمْ مِنْ ثَقِيفٍ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ كِتَابًا إِلَى وَالِي الْبَصْرَةِ. وذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ[١] أَنَّ نَائِبَ الْبَصْرَةِ لَمْ يُنَفِّذْ ذَلِكَ.

❍ الرعاية الاجتماعية

فِي سنة (١٦٢هـ) أَجْرَى الْمَهْدِيُّ الْأَرْزَاقَ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ عَلَى الْمُجَذَّمِينَ وَالْمسجونين، وَهَذِهِ مَثُوبَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَكْرُمَةٌ جَسِيمَةٌ.

❍ ضرب الدراهم

فِي سنة (١٦٦هـ) أمر الْمَهْدِيُّ بضرب الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ.

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٣٢.

❍ ديوان الزنادقة

فِي سـنة (١٦٧هـ) تَتَبَّعَ الْمَهْدِيُّ جَمَاعَةً مِنَ الزَّنَادِقَةِ فِي سَائِرِ الْآفَاقِ، فَاسْتَحْضَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ الْمُتَوَلِّي أَمْرَ الزَّنَادِقَةِ عُمَرُ الْكَلْوَاذِيُّ.

❍ دواوين الْأَزِمَّةِ

سنة (١٦٨) اتَّخَذَ الْمَهْدِيُّ دَوَاوِينَ الْأَزِمَّةِ،(١) وَلَمْ يَكُنْ بَنُو أُمَيَّةَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

(١) ديـوان الزمـام: هو ديوان يتولى الإشـراف على الدواوين الأخرى ومرافقهـا وتدقيق أعمالها، وبخاصة مـا يتعلـق بالنواحـي المالية منها، وكان لهـذا الديوان مندوبـًا في كل ديوان من دواويـن الدولة، مهمته: ضبط ومراجعة حسـابات الدواوين، ورفعها إلى صاحب ديوان الزمام. انظر: حسـن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية٥٥-٥٩. (مقال منشور في شبكة الألوكة).

ولاية البلدان

○ ولاية المدينة

في سنة (١٦٧هـ) تُوُفِّي نائب المدينة بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْحَجِّ بِأَيَّامٍ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وفي سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ الْجُمَحِيُّ.

○ ولاية مكة والطائف

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى مَكَّةَ وَالطَّائِفِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ الْجُمَحِيُّ.

○ ولاية اليمامة

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى الْيَمَامَةِ بِشْرُ بْنُ الْمُنْذِرِ.

○ ولاية اليمن

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى الْيَمَنِ رَجَاءُ بْنُ رَوْحٍ.

○ ولاية الكوفة

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى أَحْدَاثِ الْكُوفَةِ إِسْحَاقُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْكِنْدِيُّ، وَعَلَى خَرَاجِهَا ثَابِتُ بْنُ مُوسَى، وَعَلَى قَضَائِهَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيُّ،

○ ولاية البصرة

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى أَحْدَاثِ الْبَصْرَةِ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ، وَعَلَى صَلَاتِهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ ظَبْيَانَ النُّمَيْرِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ.

❍ ولاية الجزيرة

في سـنة (١٦٣هـ) عَزَلَ الْمَهْدِيُّ عَمَّهُ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ عَلِيٍّ عَنِ الْجَزِيرَةِ، وَوَلَّى عَلَيْهَا زُفَرَ بْنَ عَاصِمٍ الْهِلَالِيَّ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَوَلَّى عَبْدَ اللهِ بْنَ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ.

وفي سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى الْجَزِيرَةِ الْفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ.

❍ ولاية الأهواز وفارس

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي عَلَى الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ.

❍ ولاية السند

في سـنة (١٥٩هــ) تُوُفِّيَ نَائِبُ السِّـنْدِ، فَوَلَّى الْمَهْدِيُّ مَكَانَهُ رَوْحَ بْـنَ حَاتِمٍ، ثم وَلَّى بعده بِسِطَامُ بْنُ عَمْرٍو.

❍ ولاية سجستان

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي حَمْزَةَ بْنَ مَالِكٍ سِجِسْتَانَ.

❍ ولاية خراسان

في سـنة (١٥٩هـ) تُوُفِّـيَ **حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ** نَائِبُ خُرَاسَـانَ، فَوَلَّى الْمَهْـدِيُّ مَكَانَهُ أَبَا عَوْنٍ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ يَزِيدَ.

❍ ولاية سمرقند

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي جَبْرَئِيلَ بْنَ يَحْيَى سَمَرْقَنْدَ.

❍ ولاية مصر

في سنة (١٥٩هـ) وَلَّى المهدي على مِصْرَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو ضَمْرَةَ

❍ ولاية إفريقية

في سنة (١٥٩هـ) أبقى المهدي عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمٍ.

ولايـــة الحج

حَـجَّ بِالنَّاسِ فِي سَـنَةِ (١٥٨هـ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّـدِ، عَنْ وَصِيَّةِ عَمِّهِ إِلَيْهِ، وهو نَائِبَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

وَحَـجَّ بِالنَّاسِ فِي سـنة (١٥٩هـ) يَزِيدُ بْـنُ مَنْصُورٍ خَالُ الْمَهْـدِيِّ، وَكَانَ نَائِبًا عَلَى الْيَمَنِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سـنة (١٦٠هــ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيـنَ **الْمَهْدِيُّ**، وَفَرَّقَ فِي أَهْـلِ مَكَّةَ مَالًا عَظِيمًا جِدًّا، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ مَعَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِائَةِ أَلْفِ ثَوْبٍ، وَجَاءَ مِنْ مِصْرَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِنَ الْيَمَنِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَعْطَاهَا كُلَّهَا فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٦١هـ) ولي العهد مُوسَى الْهَادِي ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٦٢هـ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٦٣هـ) وسنة (١٦٨هـ) عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ابْنُ رَيْطَةَ.

وحَـجَّ بِالنَّاسِ في سـنة (١٦٤هـ) وسـنة (١٦٥هـ)صَالِـحَ ابْنَ أَبِي جَعْفَـرٍ بأمر من الخليفة المهدي.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سـنة (١٦٦ه) وسـنة (١٦٧ه) إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ نائب المدينة.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي عهده

١ -**شُـعْبَةُ بْـنُ الْحَجَّاجِ** بْـنِ الْوَرْدِ الْعَتَكِـيُّ الْأَزْدِيُّ أَبُو بِسِـطَامٍ. رَأَى الْحَسَـنَ، وَابْنَ سِـيرِينَ، وَرَوَى عَـنْ أُمَمٍ مِـنَ التَّابِعِينَ، وَحَـدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنْ مَشَـايِخِهِ وَأَقْرَانِـهِ وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ شَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ **الْمُلَقَّبُ** فِيهِمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَـالَ يَحْيَى بْـنُ مَعِينٍ: هُوَ إِمَـامُ الْمُتَّقِينَ. وَكَانَ فِـي غَايَةِ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقَشُّـفِ وَالْحِفْظِ وَحُسْنِ الطَّرِيقَةِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: كَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ مِثْلُهُ.

وَقَـالَ صَالِـحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَـزَرَةُ: كَانَ شُـعْبَةُ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الرِّجَـالِ، وَتَبِعَهُ يَحْيَى الْقَطَّانُ، ثُمَّ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ.

وَقَـالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنْ مَالِكٍ، وَلَا أَشَـدَّ تَقَشُّـفًا مِنْ شُـعْبَةَ، وَلَا أَنْصَحَ لِلْأُمَّةِ مِنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَلَا أَحْفَظَ لِلْحَدِيثِ مِنَ الثَّوْرِيِّ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُ: مَاتَ فِي أَوَّلِ سنة (١٦٠هـ) بِالْبَصْرَةِ عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٢ -**سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ الثَّوْرِيُّ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَعُبَّادِهِ وَالْمُقْتَدَى بِهِمْ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ، رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَـالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: كَتَبْتُ عَنْ أَلْفٍ وَمِائَةِ شَـيْخٍ، هُوَ أَفْضَلُهُمْ. وَقَالَ أَيُّوبُ: مَا رَأَيْتُ كُوفِيًّا أُفَضِّلُهُ عَلَيْهِ. وَقَالَ شُـعْبَةُ: سَـادَ فِي النَّاسِ بِالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَا يَتَقَدَّمُهُ فِي قَلْبِي أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَنِ الْإِمَامُ؟ الْإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: مَا اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي شَيْئًا قَطُّ فَخَانَنِي.

قَـالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَـعْدٍ: أَجْمَعُوا أَنَّهُ تُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ، سَـنَةَ إِحْدَى وَسِـتِّينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

٣-**أَبُو دُلَامَةَ** زَنْدُ بْنُ الْجَوْنِ، الشَّاعِرُ الْمَاجِنُ، أَحَدُ الظُّرَفَاءِ، أَصْلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ، وَحَظِيَ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْحِكُهُ، وَيُنْشِدُهُ وَيَمْدَحُهُ؛

وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ يُهَنِّئُهُ بِقُدُومِهِ مِنْ سَفَرِهِ وَأَنْشَدَهُ:

إِنِّي حَلَفْتُ لَئِنْ رَأَيْتُكَ سَالِمًا ... بِقُرَى الْعِرَاقِ وَأَنْتَ ذُو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَلَتَمْلَأَنَّ دَرَاهِمًا حِجْرِي

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: أَمَّا الْأَوَّلُ فَنَعَمْ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا. فَقَالَ: هُمَا كَلِمَتَانِ فَلَا يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا.

فَمَلَأَ حِجْرَهُ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: قُمْ. فَقَالَ: إِذًا يَنْخَرِقُ قَمِيصِي. فَأُفْرِغَتْ فِي أَكْيَاسِهَا، ثُمَّ قَامَ وَأَخَذَهَا. وتُوُفِّيَ سنة (١٦١هـ).

٤-**إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ** بْن مَنْصُورِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَبُو إِسْحَاقَ التَّمِيمِيُّ، وَيُقَالُ: الْعِجْلِيُّ أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْعُبَّادِ، وَمِنْ أَكَابِرِ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ مِنَ الْعُبَّادِ، أَصْلُهُ مِنْ بَلْخَ. وَسَكَنَ الشَّامَ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِيهِ، وَالْأَعْمَشِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ صَاحِبِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، وَخَلْقٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنْهُمْ؛ بَقِيَّةُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حِمْيَرٍ، وَحَكَى عَنْهُ الْأَوْزَاعِيُّ. سنة (١٦٢هـ)، قَالَ النَّسَائِيُّ: هُوَ ثِقَةٌ مَأْمُونٌ، أَحَدُ الزُّهَّادِ. وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ. قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ كَبِيرَ الشَّأْنِ فِي بَابِ الْوَرَعِ.

وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: إِنَّ اللَّحْمَ قَدْ غَلَا. فَقَالَ: أَرْخِصُوهُ. أَيْ لَا تَشْتَرُوهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ رَجُلًا فَاضِلًا، لَهُ سَرَائِرُ، وَمَا رَأَيْتُهُ يُظْهِرُ تَسْبِيحًا وَلَا شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، وَلَا أَكَلَ مَعَ أَحَدٍ طَعَامًا إِلَّا كَانَ آخِرَ مَنْ يَرْفَعُ يَدَهُ.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ يَوْمًا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: قَدْ رُزِقْتَ مِنَ الْعِبَادَةِ شَيْئًا صَالِحًا، فَلْيَكُنِ الْعِلْمُ مِنْ بَالِكَ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْعِبَادَةِ وَقِوَامُ الدِّينِ. فقال له إبراهيم: وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من بالك وإلا هلكت.

وَكَانَ **إِبْرَاهِيمُ** يَقُولُ: دَارُنَا أَمَامَنَا، وَحَيَاتُنَا بَعْدَ وَفَاتِنَا، فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَيُتْبِعُهَا الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخير لِنَفْسِك عِصْيَانُهَا
وَمَا أَهْلَكَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وَرَوَى **الْبُخَارِيُّ** فِي كِتَابِ «الْأَدَبِ المفرد» عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، وَأَخْرَجَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» حَدِيثًا مُعَلَّقًا فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وتوفي سنة (١٦٢هـ).

٥- **بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ**، أَبُو مُعَاذٍ الشَّاعِرُ مَوْلَى عُقَيْلٍ، وُلِدَ أَعْمًى، وَقَالَ الشِّعْرَ وَهُوَ دُونَ عَشْرِ سِنِينَ، وَلَهُ التَّشْبِيهَاتُ الَّتِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا الْبُصَرَاءُ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْأَصْمَعِيُّ وَالْجَاحِظُ وَأَبُو تَمَّامٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَقَالَ: لَهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ جَيِّدٍ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَهْدِيَّ أَنَّهُ هَجَاهُ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ سنة (١٦٧هـ) حَتَّى مَاتَ عَنْ بِضْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. **وَمِنْ شِعْرِهِ:**

يَا قَوْمُ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ ... وَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
قَالُوا بِمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... الْأُذْنُ كَالْعَيْنِ تُولِي الْقَلْبَ مَا كَانَا

وَلَهُ أَيْضًا:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ ... بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً ... فَرِيشُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ

٦- **عُتْبَةُ الْغُلَامُ**؛ وَهُوَ عُتْبَةُ بْنُ أَبَانِ بْنِ صَمْعَةَ، أَحَدُ الْعُبَّادِ الْمَشْهُورِينَ، وَالْبَكَّائِينَ الْمَذْكُورِينَ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ فِي الْخُوصِ، وَيَصُومُ الدَّهْرَ وَيُفْطِرُ عَلَى الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ.

وتوفي سنة (١٦٧هـ).

(٤)

خلافة موسى الهادي
ابن المهدي

١٦٩-١٧٠

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُوَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ المهدي بن عبدالله المنصور، أَبُو مُحَمَّدٍ الْهَادِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

ولَهُ مِنَ الْوَلَدِ تِسْعَةٌ؛ سَبْعَةٌ ذُكُورٌ وَابْنَتَانِ، فَالذُّكُورُ؛ **جَعْفَرٌ** - وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ رَشَّحَهُ لِلْخِلَافَةِ - وَعَبَّاسٌ، وَعَبْدُ اللهِ وَإِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ وَسُلَيْمَانُ، وَمُوسَى الْأَعْمَى الَّذِي وُلِدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَسُمِّيَ بِاسْمِ أَبِيهِ، وَالْبِنْتَانِ هُمَا أُمُّ عِيسَى الَّتِي تَزَوَّجَهَا الْمَأْمُونُ، وَالْأُخْرَى أُمُّ الْعَبَّاسِ تُلَقَّبُ نُوتَةَ.

○ صفاته

وَقَدْ كَانَ مُوسَى الْهَادِي مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي الْخَلْوَةِ، فَإِذَا جَلَسَ فِي مَقَامِ الْخِلَافَةِ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ لِمَا يَعْلُوهُ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالرِّيَاسَةِ، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا وَقُورًا مَهِيبًا طَوِيلًا جَمِيلًا أَبْيَضَ، وَكَانَ قَوِيَّ الْبَأْسِ يَثِبُ عَلَى الدَّابَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعَانِ.

قال الذهبي:[(١)] وَكَانَ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ، وَفِيْهِ ظُلْمٌ، وَشَهَامَةٌ، وَلَعِبٌ، وَكَانَ شُجَاعًا، فَصِيْحًا، لَسِنًا، أديبًا، مهيبًا، عظيم السطوة.

وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ أَنْشَدَ الْهَادِي قَصِيدَةً لَهُ، مِنْهَا:

تَشَابَهَ يَوْمًا بَأْسُهُ وَنَوَالُهُ ... فَمَا أَحَدٌ يَدْرِي لِأَيِّهِمَا الْفَضْلُ

فَقَالَ لَهُ الْهَادِي: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً أَوْ مِائَةُ أَلْفٍ تَدُورُ فِي الدَّوَاوِينِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَكُونُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً وَمِائَةُ أَلْفٍ تَدُورُ بِالدَّوَاوِينِ. فَقَالَ الْهَادِي: أَوْ أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ؛ نُعَجِّلُ الْجَمِيعَ لَكَ. فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مُعَجَّلَةً.[(٢)]

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٤٤٢)

(٢) لا يمدح بمثل هذا التصرف، وإنما هو إسراف وسفه؛ لأنه من المال العام.

بيعته

لما تُوُفِّيَ أَبُوهُ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (١٦٩هـ) كَانَ الهادي بِجُرْجَانَ، وهو وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ، لَكِنْ كَانَ أَبُوهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى تَقْدِيمِ أَخِيهِ **هَارُونَ الرَّشِيدِ** عَلَيْهِ فِي وِلَايَةِ الْعَهْدِ، فَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ أَبُوهُ. فَهَمَّ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ عَلَى تَقْدِيمِ الرَّشِيدِ عَلَيْهِ وَالْمُبَايَعَةِ لَهُ، وَكَانَ حَاضِرًا بِبَغْدَادَ، تَنْفِيذًا لِمَا رَامَهُ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ.

فَأَسْرَعَ الْهَادِي السَّيْرَ مِنْ جُرْجَانَ إِلَى بَغْدَادَ حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ وفاة أبيه، فوصل إلى بغداد فِي عِشْرِينَ يوماً، وَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، **وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْهُمْ فَبَايَعُوهُ**، وَتَغَيَّبَ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ، فَتَطَلَّبَهُ الْهَادِي حَتَّى حضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَقَرَّهُ عَلَى وَظِيفَةِ الْحجابةِ، وَزَادَهُ الْوِزَارَةَ وَوِلَايَاتٍ أُخَرَ.

وفاته

سَافَرَ الهادي إِلَى حَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ ثُمَّ عَادَ مِنْهَا، فَمَاتَ بِعِيسَابَاذَ،[1] لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ لِلنِّصْفِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (١٧٠). وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنه، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَشَهْرًا وَثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

وَيُقَالُ: إِنَّ الخيزران سَمَّتِ وَلَدَهَا الْهَادِيَ خَوْفًا عَلَى ابْنِهَا الرَّشِيدِ مِنْهُ، وكَانَ قَدْ أَبْعَدَهَا وَأَقْصَاهَا، وَقَرَّبَ حَظِيَّتَهُ خَالِصَةَ وَأَدْنَاهَا. فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ خَلِيفَةٌ، وَهُوَ الْهَادِي، وَوَلِيَ خَلِيفَةٌ، وَهُوَ الرَّشِيدُ، وَوُلِدَ خَلِيفَةٌ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ ابْنُ الرَّشِيدِ.

وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ هَارُونُ وَلِيُّ الْعَهْدِ، وَدُفِنَ فِي قَصْرٍ بَنَاهُ وَسَمَّاهُ الْأَبْيَض بِعِيسَابَاذَ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ.

(١) عِيسَابَاذَ: (باذ) مما تستعمله الفرس ومعناه: العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، وهي محلة بشرقي بغداد، منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وأمه وأم الرشيد والهادي: الخيزران، هو أخوهما، وبها مات موسى ابن المهدي، وبنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام. معجم البلدان - الفكر (٤/ ١٧٢)

الفصل الثاني:

الجهاد والأحداث وولاية الحج

○ غزو الصائفة

فِي سنة (١٦٩هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ مِنْ طَرِيقِ دَرْبِ الرَّاهِبِ مَعْيُوفُ بْنُ يَحْيَى فِي جَحْفَلٍ كَثِيفٍ، وَقَدْ أَقْبَلَتِ الرُّومُ مَعَ بَطْرِيقِهَا فَبَلَغُوا الْحَدَثَ.(١)

○ خروج الحسين بن علي بن الحسن

فِي سنة (١٦٩هـ) خَرَجَ بِالْمَدِينَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، حيث أَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ لَبِسَ الْبَيَاضَ، وَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَلَّوْا رَاجِعِينَ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، فَبَايَعُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَالرِّضَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَكان نائب المدينة خَرَجَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ لِتَلَقِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَهْنِئَتِهِ بِالْوِلَايَةِ، وَتَعْزِيَتِهِ فِي أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ، فاستغل هذا الوضع وأعلن خروجه. وَالْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ، وَجَعَلُوا مَأْوَاهُمُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ، وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَلَمْ يُجِبْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ لِامْتِهَانِهِمُ الْمَسْجِدَ، حَتَّى ذُكِرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَذِّرُونَ فِي جَنَبَاتِ الْمَسْجِدِ.(٢)

وَقَدِ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُسَوِّدَةِ (جنود الدولة) مَرَّاتٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى زَمَنِ الْحَجِّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْهَادِي جَيْشًا، فَقَاتَلُوهُ بَعْدَ فَرَاغِ النَّاسِ مِنَ الْمَوْسِمِ، **فَقَتَلُوهُ** وَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَانْهَزَمَ بَقِيَّتُهُمْ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ،(٣) فَكَانَ مُدَّةُ خُرُوجِهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

---

(١) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش، من الثغور. (معجم البلدان ٢/ ٢١٨)

(٢) هكذا ذُكِرتْ بصيغة التمريض، واستبعد أن يقع ذلك في مسجد النبي ﷺ. ولعلهم يقصدون الأطراف الخارجة عن حيطان المسجد.

(٣) وتعرف هذه بمعركة «فخ» وهو وادي بشمال مكة، وقتل فيها الحسين بن علي بن الحسن، ونجا من القتل يحيي بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، فتنقل في البلدان حتى وصل إلى الديلم، وأقام بها دولة سنة (١٥٠هـ)، كما نجا أخوه **إدريس** بن عبدالله بن الحسن بن الحسن مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. وإليه نسبتها. أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين ابن علي بن الحسن المثلَّث، في المدينة، أيام ثورته علي الهادي العباسي سنة ١٦٩هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة (١٧٢هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٧٩).

❍ تتبع الزنادقة

وَشَرَعَ الْهَادِي في أول خلافته سنة (١٦٩) فِي تَطَلُّبِ الزَّنَادِقَةِ مِنَ الْآفَاقِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً، وَاقْتَدَى فِي ذَلِكَ بِأَبِيهِ.

❍ وفاة الربيع بن يونس الْحَاجِبُ

توفي في سنة (١٦٩هـ) **الرَّبِيعُ بْنُ يُونُسَ الْحَاجِبُ**، مَوْلَى الْمَنْصُورِ وَحَاجِبُهُ وَوَزِيرُهُ، وَقَدْ وَزَرَ للمهدي والْهَادِي، وَقَدْ وَلِيَ الْحُجُوبِيَّةَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَلَّاهُ إِيَّاهَا الْخَلِيفَةُ الْهَادِي.

❍ عزم الهادي على خلع هارون

فِي سنة (١٧٠هـ) عَزَمَ الْهَادِي عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ هَارُونَ مِنَ وِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَمُبَايَعَةِ ابْنِهِ جعفرٍ ابْنِ الْهَادِي، فَانْقَادَ هَارُونُ لِذَلِكَ، وَلَمْ يُظْهِرِ الْمُنَازَعَةَ بَلِ الْمُطَاوَعَةَ، وَاسْتَدْعَى الْهَادِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَبَتْ ذَلِكَ أُمُّه **الْخَيْزُرَانُ**، وَكَانَتْ أَمْيَلَ إِلَى ابْنِهَا هَارُونَ الرَّشِيدِ، وَكَانَ الْهَادِي قَدْ مَنَعَهَا التَّصَرُّفَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ مَا كَانَتْ قَدِ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ وِلَايَتِهِ.

فَحَلَفَ الْهَادِي أَلَّا يَقْبَلُ لَهَا شَفَاعَةً أَبَدًا، فَامْتَنَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ، وَحَلَفَتْ لَا تُكَلِّمُهُ أَبَدًا، وَانْتَقَلَتْ عَنْهُ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ.

وَاستشار الهادي يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ فِي ذلك ؟ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ تَهُونَ الْأَيْمَانُ عَلَى النَّاسِ، وَلَكِنْ مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ تَجْعَلَ جَعْفَرًا وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ هَارُونَ، وَأَخْشَى أَنْ لَا يُجِيبَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَى الْبَيْعَةِ لِجَعْفَرٍ؛ وَهُوَ دُونُ الْبُلُوغِ، فَيَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِفَ النَّاسُ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا - وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلًا - ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْنِهِ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ.

ويظهر أنه أخذ بنصيحة يحي بن خالد بن برمك، فأصلح الوضع مع أخيه، فَقَامَ إِلَيْهِ هَارُونُ لِيُقَبِّلَ يَدَهُ، فَحَلَفَ الْهَادِي لَيَجْلِسَنَّ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَلَسَ مَعَهُ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنْ يَدْخُلَ الْخَزَائِنَ فَيَأْخُذَ مِنْهَا مَا أَرَادَ، وَإِذَا جَاءَ الْخَرَاجُ فَلْيُدْفَعْ إِلَيْهِ نِصْفُهُ. فَفَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَرَضِيَ الْهَادِي عَنِ الرَّشِيدِ.

ولايـــة الحج

وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٦٩هـ)سُلَيْمَانُ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ عَمُّ الْخَلِيفَةِ.

❁ ❁ ❁

(٥)

خلافة هارون الرشيد
ابن المهدي

١٧٠ـ ١٩٣

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

هُـوَ **هَارُونُ الرَّشِـيدُ** أَمِيـرُ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنُ الْمَهْـدِيِّ مُحَمَّدِ بْـنِ الْمَنْصُورِ أَبِـي جَعْفَرٍ عَبْدِ اللهِ بْـنِ مُحَمَّـدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِـيُّ الْهَاشِـمِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو جَعْفَرٍ. وَأُمُّهُ الْخَيْزُرَانُ أُمُّ وَلَدٍ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي شَـوَّالٍ سَـنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ.

وتَـزَوَّجَ أُمَّ جَعْفَـرٍ زُبَيْـدَةَ بِنْتَ عَمِّـهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِـي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، فِي سَـنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ.

وَتَزَوَّجَ أَمَةَ الْعَزِيزِ أُمَّ وَلَدٍ كَانَتْ لِأَخِيهِ مُوسَى الْهَادِي فَوَلَدَتْ لَهُ عَلِيَّ بْنَ الرَّشِيدِ.

وَتَزَوَّجَ أُمَّ مُحَمَّدٍ بِنْتَ صَالِحِ الْمِسْـكِينِ، وَالْعَبَّاسَـةَ بِنْتَ عَمِّهِ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَزُفَّتَا إِلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ بِالرَّقَّةِ.

وَتَزَوَّجَ عَزِيزَةَ بِنْتَ الْغِطْرِيفِ، وَهِيَ بِنْتُ خَالِهِ أَخِي أُمِّهِ الْخَيْزُرَانِ.

وَتَـزَوَّجَ ابْنَـةَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْـدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّـانَ الْعُثْمَانِيَّةَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْجُرَشِيَّةُ. لِأَنَّهَا وُلِدَتْ بِجُرَشَ بِالْيَمَنِ.

وَتُوُفِّيَ الرَّشِـيدُ عَنْ أَرْبَعِ حَرَائِرَ: زُبَيْدَةَ، وَعَبَّاسَـةَ، وَابْنَةِ صَالِحٍ، وَالْعُثْمَانِيَّةِ هَذِهِ. وَأَمَّا الْحَظَايَا مِنَ الْجَوَارِي فَكَثِيرٌ عددهن.

أولاده الذكور: مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ من زُبَيْدَةَ، وَعَبْدُ اللهِ الْمَأْمُونُ مِنْ جَارِيَةٍ اسْمُهَا مَرَاجِلُ، وَمُحَمَّـدٌ الْمُعْتَصِمُ مِـنْ أُمِّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا: مَارِدَةُ، وَالْقَاسِـمُ الْمُؤْتَمَنُ مِنْ جَارِيَةٍ يُقَالُ لَهَا: قَصْـفُ. وَعَلِـيٌّ أُمُّهُ أَمَةُ الْعَزِيـزِ، وَصَالِحٌ مِنْ جَارِيَةٍ اسْـمُهَا رَثْمُ، وَمُحَمَّـدٌ أَبُو يَعْقُوبَ، وَمُحَمَّدٌ أَبُو عِيسَى، وَمُحَمَّدٌ أَبُو الْعَبَّاسِ، وَمُحَمَّدٌ أَبُو عَلِيٍّ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ.

وَمِنَ الْإِنَاثِ سَكِينَةُ مِنْ قَصْفَ، وَأُمُّ حَبِيبٍ مِنْ مَارِدَةَ، وَأَرْوَى، وَأُمُّ الْحَسَنِ، وَأُمُّ مُحَمَّدٍ حَمْدُونَةَ، وَفَاطِمَةُ، وَأُمُّهَا غُصَصُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَخَدِيجَةُ، وَأُمُّ الْقَاسِمِ، وَرَمْلَةُ، وَأُمُّ عَلِيٍّ، وَأُمُّ الْغَالِيَةِ، وَرَيْطَةُ، كُلُّهُنَّ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ.

○ صفاته

وَكَانَ الرَّشِيدُ أَبْيَضَ طَوِيلًا سَمِينًا جَمِيلًا، وسيمًا ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وقد وَخَطَهُ الشيب.

○ مناقبه

⊙ قال الذهبي:[١] وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو وشجاعة ورأي.

⊙ وَقَدْ غَزَا الصَّائِفَةَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ مِرَارًا، وَعَقَدَ الْهُدْنَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالرُّوم بَعْدَ مُحَاصَرَتِهِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَقَدْ لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ جَهْدًا جَهِيدًا، وَكَانَ الصُّلْحُ مَعَ امْرَأَةِ أَلْيُونَ، وَهِيَ الْمُلَقَّبَةُ بِأُغُسْطَةَ عَلَى مالٍ كَثِيرٍ تَبْذُلُهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ عَامٍ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.

⊙ **كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ سِيرَةً**، وَأَكْثَرِهِمْ غَزْوًا وَحَجًّا بِنَفْسِهِ، وكَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَإِذَا حَجَّ أَحَجَّ مَعَهُ مِائَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَحُجَّ أَحَجَّ ثَلَاثَمِائَةٍ بِالنَّفَقَةِ السَّابِغَةِ، وَالْكُسْوَةِ التَّامَّةِ.

⊙ **وَكَانَ يُحِبُّ التَّشَبُّهَ بِجَدِّهِ** أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ إِلَّا فِي الْعَطَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ سَرِيعَ الْعَطَاءِ جَزِيلَهُ، وَكَانَ يُحِبُّ الْفُقَهَاءَ، وَالشُّعَرَاءَ، وَيُعْطِيهِمْ كَثِيرًا، وَلَا يَضِيعُ لَدَيْهِ بِرٌّ وَلَا مَعْرُوفٌ، وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

⊙ **وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا**، إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنْ تَعْرِضَ لَهُ عِلَّةٌ.

---

(١) السير ٩/ ٢٨٧.

◉ **وَقَدِ اسْتَدْعَى الرشيد يوما أَبَا مُعَاوِيَةَ** الضَّرِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ خَازِمٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ، قَـالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَا ذَكَرْتُ عِنْدَهُ فِي حَدِيثِ رَسُـولِ اللهِ إِلَّا قَالَ: صَلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ عَلَى سَيِّدِي.

وَإِذَا سَمِعَ حَدِيثًا فِيهِ مَوْعِظَةٌ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ الثَّرَى، وَأَكَلْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا ثُمَّ قُمْتُ لِأَغْسِلَ يَـدِي فَصَـبَّ الْمَاءَ عَلَيَّ، وَأَنَا لَا أَرَاهُ، ثُـمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ، أَتَـدْرِي مَنْ يَصُبُّ عَلَيْكَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَنَا. فَدَعَا لَهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ تَعْظِيمَ الْعِلْمِ.

◉ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مَضْرُوبُ الْعُنُقِ، فَقَالَ هَارُونُ: قَتَلْتُهُ لِأَنَّهُ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. فَقَتَلْتُهُ قُرْبَةً إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

◉ وَقَـالَ لَهُ **بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ**: يَـا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، انْظُرْ هَؤُلَاءِ الَّذِيـنَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَيُقَدِّمُونَهُمَا فَأَكْرِمْهُمْ يَعِزُّ سُـلْطَانُكَ. فَقَالَ الرَّشِـيدُ: أَوَلَسْتُ كَذَلِكَ؟ ! أَنَا وَاللهِ كَذَلِكَ أُحِبُّهُمَا، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمَا، وَأُعَاقِبُ مَنْ يُبْغِضُهُمَا.

◉ **وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ السِّـمَاكِ** يَوْمًا فَاسْتَسْـقَى الرَّشِـيدُ فَأُتِيَ بِقُلَّةٍ فِيهَا مَـاءٌ مُبَرَّدٌ، فَقَالَ لِابْنِ السِّـمَاكِ: عِظْنِي. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِكُمْ كُنْتَ مُشْـتَرِيًا هَذِهِ الشَّـرْبَةَ لَوْ مُنِعْتَهَـا؟ فَقَـالَ: بِنِصْفِ مُلْكِي. فَقَالَ: اشْـرَبْ هَنِيئًا. فَلَمَّا شَـرِبَ قَـالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ مُنِعْـتَ خُرُوجَهَا مِنْ بَدَنِكَ، بِكَمْ كُنْتَ تَشْـتَرِي ذَلِكَ؟ قَالَ: بِمُلْكِي كُلِّهِ. فَقَالَ: إِنَّ مُلْكًا قِيمَتُهُ شَرْبَةُ مَاءٍ لَخَلِيقٌ أَنْ لَا يُتَنَافَسَ فِيهِ. فَبَكَى هَارُونُ.

◉ **وَرَوَى ابْنُ عَسَـاكِرَ**،[1] أن هارون الرشـيد طلب لحم جزور من طباخه فَلَمْ يُوجَدْ عِنْـدَهُ، فَقال جعفر البرمكي: لَا يَخْلُوَنَّ الْمَطْبَخُ مِـنْ لَحْمِ جَزُورٍ، فكان ينحر كُلَّ يَوْمٍ جَزُورًا؛ وبعد زمن طلب من الطباخ إحضاره، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَخَذَ لُقْمَةً مِنْـهُ، فَوَضَعَهَـا فِي فِيهِ، فقال له: جَعْفَرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، **بِكَمْ تُقَوِّمُ هَذَا الطَّعَامَ مِنْ**

(١) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٢٧/ ١٣.

لَحْمِ الْجَزُورِ؟ قَالَ: بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ. قَالَ: لَا، وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ طَلَبْتَ مِنْ طَبَّاخِكَ هَذَا لَحْمَ جَزُورٍ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فَلَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُ، فكنا ننحر بعد ذلك كُلَّ يَوْمٍ جَزُورًا، فَصُرِفَ فِي لَحْمِ الْجَزُورِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَبَكَى الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُوَبِّخُهَا، وَيَقُولُ: هَلَكْتَ وَاللهِ يَا هَارُونُ. **وَأَمَرَ بِرَفْعِ السِّمَاطِ** مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

◉ ثم أَمَرَ بالصدقة على الفقراء، (مليونان) تُصْرَفُ إِلَى فُقَرَاءِ الْحَرَمَيْنِ، فِي كُلِّ حَرَمٍ (مليون)، وَأَمَرَ (بمليونين) يَتَصَدَّقُ بِهَا فِي جَانِبَيْ بَغْدَادَ؛ الْغَرْبِيِّ، وَالشَّرْقِيِّ، و(بمليون) عَلَى فُقَرَاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ.

◉ وَقَدْ كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْ مَوْتِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمُرِهِ مِنْ عُمُرِي. قَالُوا: فَلَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ، وَظَهَرَتْ تِلْكَ الْفِتَنُ وَالِاخْتِلَافَاتُ، وَالْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، عَرَفْنَا مَا كَانَ يَحْمِلُ الْفُضَيْلَ عَلَى ذَلِكَ.

◉ وَيُقَالُ: إِنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ حِينَ احْتُضِرَ: اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالْإِحْسَانِ، وَاغْفِرْ لَنَا الْإِسَاءَةَ، يَا مَنْ لَا يَمُوتُ، ارْحَمْ مَنْ يَمُوتُ.

◉ **قال ابن كثير:**[(١)] وَفَضَائِلُهُ، وَمَكَارِمُهُ، وَمَآثِرُهُ، وَأَشْعَارُهُ كَثِيرَةٌ، قَدْ أَوْرَدَ الْأَئِمَّةُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ أُنْمُوذَجًا صَالِحًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٤٥.

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ لَيْلَةَ مَاتَ أَخُوهُ الْهَادِي، وَذَلِكَ لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ لِلنِّصْفِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (١٧٠هـ)، وَكَانَ عُمْرُ الرَّشِيدِ يَوْمَئِذٍ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَبَعَثَ ليلاً إِلَى **يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ**، وَكَانَ والده مِنَ الرَّضَاعَةِ، **وَوَلَّاهُ حِينَئِذٍ الْوِزَارَةَ**، وَوَلَّى يُوسُفَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ صُبَيْحٍ كِتَابَةَ الْإِنْشَاءِ. ثُمَّ أَصْبَحَ فَصَلَّى عَلَى أَخِيهِ الْهَادِي،

○ ولاية العهد

فِي سنة (١٧٥هـ) أَخَذَ الرَّشِيدُ الْبَيْعَةَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ ابْنِ زُبَيْدَةَ بنت جعفر، وَسَمَّاهُ الْأَمِينَ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسُ سِنِينَ.(١)

وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ يَتَوَسَّمُ النَّجَابَةَ وَالرَّجَاحَةَ فِي عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ، وَيَقُولُ: وَاللهِ إِنَّ فِيهِ حَزْمَ الْمَنْصُورِ، وَنُسُكَ الْمَهْدِيِّ، وَعِزَّةَ نَفْسِ الْهَادِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ الرَّابِعَةَ مِنِّي لَقُلْتُ، وَإِنِّي لَأُقَدِّمُ مُحَمَّدًا ابْنَ زُبَيْدَةَ عَلَيْهِ،(٢) وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مُتَّبِعٌ هَوَاهُ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وفِي سنة (١٨٢هـ) أَخَذَ الرَّشِيدُ لِوَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ الْبَيْعَةَ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ابْنِ زُبَيْدَةَ الْأَمِينِ، وَذَلِكَ بِالرَّقَّةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنَ الْحَجِّ، وَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا، وَسَمَّاهُ الْمَأْمُونَ.

○ تأكيد البيعة لأبناء الرشيد

لماحَجَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي سنة (١٨٦هـ)، كان مَعَهُ ابْنَاهُ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ وَعَبْدُ اللهِ الْمَأْمُونُ، فأكرم أهل الحرمين، فَبَلَغَ جُمْلَةُ مَا أَعْطَاهم أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ

(١) قال الذهبي في السير٩/ ٢٩٠: عقد بولاية العهد لولده الأمين صغيراً، فكان أقبح وهن تم في الإسلام.

(٢) هذه من أخطاء الرشيد عفا الله عنه، واتباعه للعاطفة ومشورة النساء، فبايع لطفل لم يبلغ، وهو يتوقع منه النقص، ...وهذا الذي تحقق في الواقع، وأحدث الفتنة بعد وفاة الرشيد.

وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعْطِي، ثُمَّ يَذْهَبُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَيُعْطِي، ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى وَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ فَيُعْطِي.

وكَانَ إِلَى الْأَمِينِ وِلَايَةُ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَإِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ هَمَذَانَ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ. ثُمَّ بَايَعَ الرَّشِيدُ لِوَلَدِهِ **الْقَاسِمِ** مِنْ بَعْدِ أَخَوَيْهِ، **وَلَقَّبَهُ الْمُؤْتَمَنَ**، وَوَلَّاهُ الْجَزِيرَةَ وَالثُّغُورَ وَالْعَوَاصِمَ.

وَقَدْ حَمِدَهُ قَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ، وَذَمَّهُ آخَرُونَ،(١) وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِلْقَاسِمِ هَذَا أَمْرٌ، بَلِ اخْتَرَمَتْهُ الْأَقْدَارُ عَنْ بُلُوغِ الْأَوْطَارِ.

وأحضر البيعة مِنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، وَأَشْهَدَهم، وَكَتَبَ بِمَضْمُونِ ذَلِكَ صَحِيفَةً، وَضع فِيهَا الْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ خُطُوطَهُمْ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهَا. وَأَرَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يُعَلِّقَهَا فِي الْكَعْبَةِ فَسَقَطَتْ، فَقِيلَ: هَذَا الْأَمْرُ سَرِيعٌ انْتِقَاضُهُ. وَكَذَا وَقَعَ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

○ وفاته

لما اشتد به المرض أَمَرَ بِحَفْرِ قَبْرِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ فِي الدَّارِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، وَهِيَ دَارُ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي غَانِمٍ الطَّائِيِّ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى قَبْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ابْنَ آدَمَ تَصِيرُ إِلَى هَذَا! ثُمَّ أَمَرَ بِقُرَّاءٍ فَقَرَءُوا فِي الْقَبْرِ الْقُرْآنَ حَتَّى خَتَمُوهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِطُوسَ لَيْلَةَ السَّبْتِ، مُسْتَهَلَّ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، عَنْ خَمْسٍ، وَقِيلَ: سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَكَانَ مُلْكُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ:(٢) وَقَدْ خَلَّفَ الرَّشِيدُ مِنَ الْمِيرَاثِ مَا لَمْ يُخَلِّفْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ، مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَالْأَثَاثِ، وَالْأَمْتِعَةِ سِوَى الضِّيَاعِ، وَالدُّورِ مَا قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَخَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ.

---

(١) الذين حمدوه لم ينصحوا له، وإنما وافقوه على هواه، وكان الأولى بالرشيد أن يعتبر بما حصل له، حيث بايع المهدي لاثنين، فتعرض الرشيد للمساومة والإبعاد من أخيه موسى الهادي، ولكنه مع الأسف كرر هذا الخطأ. بل زاد أن قسم الدولة بين أولاده الثلاثة، فكان لكل واحد مملكة مستقلة، مما أوقع الفتنة والقتال بعد وفاته، حتى استقر الأمر للمأمون.

(٢) ٩/ ٢٣٢.

الفصل الثاني:
الجهاد والأحداث

الجهاد في عهده

○ غزو الصائفة

في سنة (١٧٠هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَكَّائِيُّ.

وفِي سنة (١٧٢هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ.

وفِي سنة (١٧٤هـ) وسنة (١٧٥هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ.

وَغزَا الصَّائِفَةَ فِي سنة (١٧٦هـ) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَفَتَحَ حِصْنًا.

وَغزَا الصَّائفَةَ فِي سنة (١٧٨هـ) مُعَاوِيَةُ بْنُ زُفَرَ بْنِ عَاصِمٍ، وَغزَا الشَّاتِيَةَ سُلَيْمَانُ ابْنُ رَاشِدٍ.

وفي سنة (١٨٠هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ مُعَاوِيَةُ بْنُ زُفَرَ بْنِ عَاصِمٍ.

وفِي سنة (١٨٢هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ، فَبَلَغَ مَدِينَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

وفي سنة (١٨٧هـ)، بَعَثَ الرَّشِيدُ وَلَدَهُ الْقَاسِمَ عَلَى الصَّائِفَةِ، وَجعَلَهُ قُرْبَانًا وَوَسِيلَةً، وَوَلَّاهُ الْعَوَاصِمَ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَحَاصَرَهُمْ حَتَّى افْتَدَوْا مِنْهُ بِخَلْقٍ مِنَ الْأَسَارَى يُطْلِقُونَهُمْ وَيَرْجعُ عَنْهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

وفي سنة (١٨٨هـ) غزَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ جبْرِيلَ الصَّائِفَةَ، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ دَرْبِ الصَّفْصَافِ، فَخَرَجَ النَّقْفُورُ لِلِقَائِهِ، فَجُرِحَ النَّقْفُورُ ثَلَاثَ جِرَاحَاتٍ، وَانْهَزَمَ وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَغنِمُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دَابَّةٍ.

○ غزو بلاد الروم

⊙ فِي سنة (١٨١هـ) غَزَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ بِلَادَ الرُّومِ، فَافْتَتَحَ حِصْنًا يُقَالُ لَهُ: الصَّفْصَافُ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ:

إِنَّ أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِيـنَ الْمُصْطَفَـى ... قَدْ تَرَكَ الصَّفْصَاف قَاعًا صَفْصَفًا

⊙ وَفِيهَا أيضـًا غَزَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بِلَادَ الرُّومِ، فَبَلَغَ أَنْقَرَةَ وَافْتَتَحَ مَطْمُورَةَ.

⊙ وفِي سنة (١٩٠هـ) سَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ لِغَزْوِ بِلَادِ الرُّومِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ.

⊙ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الطُّوَانَةِ، فَعَسْكَرَ بِهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ نَقْفُورُ بِالطَّاعَةِ، وَحَمَلَ الْخَرَاجَ وَالْجِزْيَةَ حَتَّى عَنْ رَأْسِهِ وَرَأْسِ وَلَدِهِ، وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَبَعَثَ يَطْلُبُ مِنَ الرَّشِيدِ جَارِيَةً قَدْ أَسَرُوهَا، كَانَتِ ابْنَةَ مَلِكِ هِرَقْلَةَ، وَكَانَ قَدْ خَطَبَهَا عَلَى وَلَدِهِ، فَبَعَثَ بِهَا الرَّشِيدُ مَعَ هَدَايَا وَتُحَفٍ، وَطِيبٍ بَعَثَ بِطَلَبِهِ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ أَنْ يَحْمِلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنْ لَا يُعَمِّرَ هِرَقْلَةَ. ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّشِيدُ رَاجِعًا.

⊙ وفِي سنة (١٩١هـ) غَزَا بِلَادَ الرُّومِ يَزِيدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْهُبَيْرِيُّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ الْمَضِيقَ فَقَتَلُوهُ فِي خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ طَرَسُوسَ فَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ، وَوَلَّى الرَّشِيدُ غَزْوَ الصَّائِفَةِ لِهَرْثَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ، وَضَمَّ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فِيهِمْ مَسْرُورٌ الْخَادِمُ، وَإِلَيْهِ النَّفَقَاتُ.

وَخَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى الْحَدَثِ لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِهَدْمِ الْكَنَائِسِ بِالثُّغُورِ، وَأَلْزَمَ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِتَمْيِيزِ لِبَاسِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ فِي بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.

○ فتح هرقلة

فِي سنة (١٩١هـ) فَتَحَ الرَّشِيدُ هِرَقْلَةَ فِي شَوَّالٍ، وَخَرَّبَهَا وَسَبَى أَهْلَهَا، وَبَثَّ الْجُيُوشَ وَالسَّرَايَا بِأَرْضِ الرُّومِ، وَخَرَجَتِ الرُّومُ إِلَى عَيْنِ زَرْبَى، وَالْكَنِيسَةِ السَّوْدَاءِ. وَكَانَ خَرَاجُ هِرَقْلَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ مَرْفُوقٍ.

وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ صَائِفَةٌ إِلَى سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ.

○ عزل الروم ملكهم

في سنة (١٨٢ هـ) سَمَلَتِ الرُّومُ عَيْنَيْ مَلِكِهِمْ قُسْطَنْطِينَ بْنِ أَلْيُونَ، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ أُمَّهُ رِينَى، وَتُلَقَّبُ أُغُسْطَةَ.

○ غزو ما وراء النهر

وفي سنة (١٧٨ هـ) غَزَا الفضل بن يحيي البرمكي، وَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً، مِنْهَا **كَابُلُ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ**، وَقَهَرَ مَلِكَ التُّرْكِ هُنَاكَ وَكَانَ مُمْتَنِعًا، وَأَطْلَقَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جِدًّا، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى بَغْدَادَ.

○ هجوم الخزر على إرمينية

في سنة (١٨٣ هـ) خَرَجَتِ الْخَزَرُ عَلَى النَّاسِ مِنْ ثُلْمَةِ أَرْمِينِيَّةَ، فَعَاثُوا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ فَسَادًا، وَسَبَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، وَقَتَلُوا بَشَرًا كَثِيرًا، وَانْهَزَمَ نَائِبُ أَرْمِينِيَّةَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، فَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ إِلَيْهِمْ خُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ وَيَزِيدَ بْنَ مَزْيَدٍ فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ فَأَصْلَحُوا مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ.

○ نقض نقفور للصلح

في سنة (١٨٧ هـ)، نَقَضَتِ الرُّومُ الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي كَانَ عَقَدَهُ الرَّشِيدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلِكَةِ الرُّومِ الْمُلَقَّبَةِ أُغُسْطَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ عَزَلُوهَا عَنْهُمْ، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمُ **النَّقْفُورَ**، وَكَانَ شُجَاعًا، وَكَانَ قَبْلَ الْمُلْكِ يَلِي دِيوَانَ الْخَرَاجِ، فَخَلَعُوا الملكة وَسَمَلُوا عَيْنَيْهَا، فَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ: مِنْ نَقْفُورَ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى هَارُونَ مَلِكِ الْعَرَبِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْمَلِكَةَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلُ أَقَامَتْكَ مُقَامَ الرُّخِّ، وَأَقَامَتْ نَفْسَهَا مُقَامَ الْبَيْدَقِ، فَحَمَلَتْ إِلَيْكَ مِنْ أَمْوَالِهَا مَا كُنْتَ حَقِيقًا بِحَمْلِ أَمْثَالِهِ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ النِّسَاءِ وَحُمْقِهِنَّ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَارْدُدْ مَا حَصَلَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِهَا، وَافْتَدِ نَفْسَكَ، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.

فَلَمَّا قَرَأَ الرَّشِيدُ الْكِتَابَ اسْتَفَزَّهُ الْغَضَبُ، وَتَفَرَّقَ جُلَسَاؤُهُ خَوْفًا مِنْهُ، وَاسْتَدْعَى بِدَوَاةٍ وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الْكِتَابِ: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَقْفُورَ كَلْبِ الرُّومِ**، قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا ابْنَ الْكَافِرَةِ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ، وَالسَّلَامُ.

ثُمَّ شَخَصَ مِنْ يَوْمِهِ حَتَّى أَقَامَ بِبَابِ هِرَقْلَةَ، فَفَتَحَهَا وَاصْطَفَى ابْنَةَ مَلِكِهَا، وَغَنِمَ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَطَلَبَ نَقْفُورُ مِنْهُ الْمُوَادَعَةَ عَلَى خَرَاجٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَأَجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذَلِكَ.

❍ فداء الأسارى

فِي سنة (١٨٩هـ) فَادَى الرَّشِيدُ الْأُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِبِلَادِ الرُّومِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِهَا أَسِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وفي سنة (١٩٢هـ) كَانَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ عَلَى يَدَيْ ثَابِتِ بْنِ نَصْرٍ.

❍ الرباط في مرج دابق

وفي سنة (١٨٩هـ) رَابَطَ الْقَاسِمُ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَرْجِ دَابِقٍ مُحَاصِرًا الرُّومَ.

❍ نقض أهل قبرص العهد

في سنة (١٩٠هـ) نَقَضَ أَهْلُ قُبْرُسَ الْعَهْدَ، فَغَزَاهُمْ مَعْيُوفُ بْنُ يَحْيَى، فَسَبَى أَهْلَهَا، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا،

❍ فتح مطمورة

وفي سنة (١٩٢هـ) وَلَّى الرَّشِيدُ ثَابِتَ بْنَ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ نِيَابَةَ الثُّغُورِ فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ، وَفَتَحَ مَطْمُورَةَ.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده

❍ قتل القائد أبي عصمة

لَمَّا فَرَغَ الرشيد مِنَ جنازة الهادي أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ أَبِي عِصْمَةَ الْقَائِدِ؛ لِأَنَّه كَانَ مَعَ **جَعْفَرٍ ابْنِ الْهَادِي**، فَزَاحَمُوا هَارُونَ عَلَى جِسْرٍ، فَقَالَ أَبُو عِصْمَةَ: قِفْ حَتَّى يَجُوزَ وَلِيُّ الْعَهْدِ. فقَالَ الرَّشِيدُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَمِيرِ. فَجَازَ جَعْفَرٌ وَوَقَفَ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا وَلِيَ أَمَرَ بِقَتْلِ أَبِي عِصْمَةَ سنة (١٧٠هـ).

❍ البحث عن الخاتم

لَمَّا عاد هارون من جنازة الهادي سنة (١٧٠هـ) انْتَهَى إِلَى جِسْرِ بَغْدَادَ، فاسْتَدْعَى بِالْغَوَّاصِينَ فَقَالَ: إِنِّي سَقَطَ مِنِّي هَاهُنَا خَاتَمٌ، كَانَ وَالِدِي الْمَهْدِيُّ قَدِ اشْتَرَاهُ لِي بِمِائَةِ أَلْفٍ، وقد أرسل وَرَائِي الْهَادِي يَطْلُبُهُ، فَأَلْقَيْتُهُ إِلَى الرَّسُولِ، فَسَقَطَ هَاهُنَا. فَغَاصُوا وَرَاءَهُ فَوَجَدُوهُ، فَسُرَّ بِهِ الرَّشِيدُ سُرُورًا كَثِيرًا.

❍ التفويض ليحيي بن خالد أمر الرعية

وَلَمَّا وَلِيَ الرَّشِيدُ سنة (١٧٠هـ) ولّى الوزارة يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ، وقَالَ لَهُ: **قَدْ فَوَّضْتُ**(١) **إِلَيْكَ أَمْرَ الرَّعِيَّةِ، وَخَلَعْتُ ذَلِكَ مِنْ عُنُقِي**، وَجَعَلْتُهُ فِي عُنُقِكَ، فَوَلِّ مَنْ رَأَيْتَ، وَاعْزِلْ مَنْ رَأَيْتَ.

وَكَانَتِ الْخَيْزُرَانُ هِيَ الْمُشَاوَرَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، لَا يَقْطَعُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَمْرًا حَتَّى يُشَاوِرَهَا فِيمَا يُبْرِمُهُ وَيَحِلُّهُ وَيُمْضِيهِ وَيُحْكِمُهُ.

وفي سنة (١٧٨هـ) فَوَّضَ الرَّشِيدُ أُمُورَ الْخِلَافَةِ كُلَّهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ.

---

(١) كان الرشيد شاباً حدثاً عندما ولي الخلافة، ويحيي بن خالد البرمكي هو مربيه، وأبوه من الرضاعة، فهو موضع ثقته لذا فوضه بالوزارة أولاً، ثم في أمر الخلافة، ولكنه بعد أن كبرت سنه، وأخذ تجربة أراد استرداد هذا التفويض والصلاحيات، ويبدو أنه وجد ممانعة وعوائق لممارسة وظيفة الخلافة، واطلع على أمور جعلته يغضب على البرامكة، ويجتثهم من جذورهم، ويبطش بهم تلك البطشة الكبيرة.

❍ مسير يحيي بن عبدالله إلى الديلم

فِي سنة (١٧٥هـ) سَارَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بِلَادِ الدَّيْلَمِ، وَتَحَرَّكَ هُنَالِكَ، وأعلن ظُهُوره فِي سنة (١٧٦هـ) وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَارْتَحَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْكُوَرِ وَالْأَمْصَارِ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ الرَّشِيدُ، وَقَلِقَ مِنْ أَمْرِهِ، فَنَدَبَ إِلَيْهِ **الْفَضْلَ** بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا،

فَسَارَ **الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى** إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَكَاتَبَ صَاحِبَ الدَّيْلَمِ، وَوَعَدَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ إِنْ هُوَ سَهَّلَ خُرُوجَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ إِلَيْهِمْ.

وَكَتَبَ إِلَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ يَعِدُهُ وَيُمَنِّيهِ، إِنْ هُوَ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَامْتَنَعَ يَحْيَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَكْتُبَ لَهُ الرَّشِيدُ كِتَابَ أَمَانٍ بِيَدِهِ، فَكَتَبَ له الرَّشِيدِ كتاب الْأَمَانَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ جَوَائِزَ وَتُحَفًا كَثِيرَةً جِدًّا، فَخَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ بِهِ الْفَضْلُ، فَدَخَلَ بِهِ بَغْدَادَ وَتَلَقَّاهُ الرَّشِيدُ، وَأَكْرَمَهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ.

وَعَظُمَ الْفَضْلُ عِنْدَ الرَّشِيدِ جَدًّا بِهَذِهِ الْفِعْلَةِ؛ حَيْثُ سَعَى فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْفَاطِمِيِّينَ.

قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ الرَّشِيدَ تَنَكَّرَ لِيَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ، وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ سَجَنَهُ، ثُمَّ إِنَّ الرَّشِيدَ أَطْلَقَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ شَهْرًا وَاحِدًا، ثُمَّ مَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

❍ وقوع العصبية في الشام

⦿ وَفِي سنة (١٧٤هـ) وَقَعَتْ عَصَبِيَّةٌ بِالشَّامِ وَتَخْبِيطٌ بَيْنَ أَهْلِهَا، ثم زادت فِي سنة (١٧٦هـ) حيث وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ النِّزَارِيَّةِ - وَهُمْ قَيْسٌ - وَالْيَمَانِيَّةِ، وَهَذَا كَانَ أَوَّلَ أَمْرِ العصبية بين الْعشيرتَيْنِ بِحُورَانَ[1]، أَعَادُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَا الْأَوَانِ،

(١) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما زالت منازل العرب، وذكرها في أشعارهم كثير، وقصبتها بصرى. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٣١٧)

فَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَعَثَ الرَّشِيدُ مِنْ جِهَتِهِ مُوسَى بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ ورؤوس الْكُتَّابِ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ، وَهَدَأَتِ الْفِتْنَةُ، وَاسْتَقَامَ أَمْرُ الشَّامِ، وَحَمَلُوا جَمَاعَاتٍ مِنْ رُءُوسِ الْفِتْنَةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ، فَرَدَّ الرَّشِيدُ أَمْرَهُمْ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

قَدْ هَاجَتِ الشَّامُ هَيْجًا ... يُشِيبُ رَاسَ وَلِيدِهِ
فَصَبَّ مُوسَى عَلَيْهَا ... بِخَيْلِهِ وَجُنُودِهِ
فَدَانَتِ الشَّامُ لَمَّا ... أَتَى نَسِيجُ وَحِيدِهِ

- وفي سنة (١٨٠هـ) هَاجَتِ الْفِتْنَةُ بِالشَّامِ بَيْنَ النِّزَارِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ، فَانْزَعَجَ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ، فَنَدَبَ جَعْفَرًا الْبَرْمَكِيَّ إِلَى الشَّامِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْجُنُودِ، فَدَخَلَ الشَّامَ، فَانْقَادَ النَّاسُ لَهُ، وَلَمْ يَدَعْ جَعْفَرٌ بِالشَّامِ فَرَسًا وَلَا سَيْفًا وَلَا رُمْحًا إِلَّا اسْتَلَبَهُ مِنَ النَّاسِ. وَأَطْفَأَ اللهُ بِهِ نَارَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ.
- وَفِي سنة (١٨٧هـ) ثَارَتِ الْعَصَبِيَّةُ أَيْضًا بِالشَّامِ بَيْنَ الْمُضَرِيَّةِ وَالْيَمَانِيَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرَّشِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ مَنْصُورِ بْنِ زِيَادٍ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ.

إنشاء فرقة العباسية

وفي سنة (١٧٨هـ) اتَّخَذَ الفضل بخراسان جُنْدًا مِنَ الْعَجَمِ سَمَّاهُمُ الْعَبَّاسِيَّةَ[١]، **وَجَعَلَ وَلَاءَهُمْ لَهُمْ**، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ، وَبَعَثَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا إِلَى بَغْدَادَ فَكَانُوا يُعْرَفُونَ بِهَا بِالْكُرْنَبِيَّةِ.

ثورة طائفة من الحوفية بمصر

فِي سنة (١٧٨هـ) وَثَبَتَ طَائِفَةٌ مِنَ الْحُوفِيَّةِ[٢] مِنْ قَيْسٍ وَقُضَاعَةَ بِعَامِلِ مِصْرَ

(١) إنشاء هذه الفرقة العسكرية من العجم الخراسانية، وبهذا العدد الكبير، هو الذي جعل الرشيد يتخوف من هذا الصنيع، ومازال معه حتى نكبهم .

(٢) الحوف بالفتح وسكون الواو والفاء، والحوف بمصر، حوفان: الشرقي والغربي، وهما متصلان أول الشرقي من جهة الشام، وآخر الغربي قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٣٢٢)

إِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَقَاتَلُوهُ وَجَرَتْ بِهَا فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، فَبَعَثَ الرَّشِيدُ هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ نَائِبَ فِلَسْطِينَ فِي خَلْقٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ مَدَدًا لِإِسْحَاقَ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَذْعَنُوا بِالطَّاعَةِ، وَأَدَّوْا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَاجِ وَالْوَظَائِفِ.

❍ خروج طائفة من أهل إفريقية

في سنة (١٧٨هـ) وَثَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَقَتَلُوا واليها الْفَضْلَ بْنَ رَوْحِ بْنِ حَاتِمٍ، وَأَخْرَجُوا مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الرَّشِيدُ هَرْثَمَةَ بن أعين، فَرَجَعُوا إِلَى الطَّاعَةِ عَلَى يَدَيْهِ.

❍ هدم سور الموصل

في سنة (١٨٠هـ) هَدَمَ الرَّشِيدُ سُورَ الْمَوْصِلِ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْخَوَارِجِ هُنَاكَ.

❍ سكنى الرشيد بالرقة

في سنة (١٨٠هـ) نَزَلَ الرَّشِيدُ الرَّقَّةَ وَاسْتَوْطَنَهَا، وَاسْتَنَابَ عَلَى بَغْدَادَ ابْنَهُ الْأَمِينَ مُحَمَّدًا، وَوَلَّاهُ الْعِرَاقَيْنِ.(١)

❍ وقوع الزلازل

في سنة (١٨٠هـ) كَانَتْ بِمِصْرَ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ سَقَطَ مِنْهَا رَأْسُ مَنَارَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

وفي سنة (١٨٧هـ)، كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالْمِصِّيصَةِ، فَانْهَدَمَ بَعْضُ سُورِهَا، وَنَضَبَ مَاؤُهُمْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ.

❍ خروج الزنادقة بجرجان

في سنة (١٨٠هـ) ظَهَرَتْ طَائِفَةٌ بِجُرْجَانَ يُقَالُ لَهُمْ: الْمُحَمِّرَةُ. لَبِسُوا الْحُمْرَةَ، وَاتَّبَعُوا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمْرَكِيُّ. وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ، فَبَعَثَ الرَّشِيدُ يَأْمُرُ بِقَتْلِهِ، فَقُتِلَ بِمَرْوَ، وَأَطْفَأَ اللهُ نَارَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

(١) العِرَاقانِ: الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ.لسان العرب (١٠/ ٢٤٨)

○ اعتمار يحيي البرمكي ومرابطته بجدة

وَاسْتَأْذَنَ الْوَزِيرُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ الْخَلِيفَةَ فِي أَنْ يَعْتَمِرَ فِي رَمَضَانَ سنة (١٨٥هـ)،فَأَذِنَ لَهُ، فَاعْتَمَرَ فِي رَمَضَانَ، **ثُمَّ رَابَطَ بِجُدَّةَ** إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَحَجَّ مَعَ النَّاسِ.

○ خروج أبي الخصيب

في سنة (١٨٥هـ)خَرَجَ أَبُو الْخَصِيبِ فَتَغَلَّبَ عَلَى أَبِيوَرْدَ وَطُوسَ وَنَيْسَابُورَ، وَحَاصَرَ مَرْوَ وَقَوِيَ أَمْرُهُ.

وفي سنة (١٨٦هـ) خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ مِنْ مَرْوَ لِحَرْبِ أَبِي الْخَصِيبِ إِلَى نَسَا، فَقَاتَلَهُ بِهَا، وَسَبَى نِسَاءَهُ وَذَرَارِيَّهُ، وَاسْتَقَامَتْ خُرَاسَانُ.

○ قتل والي طبرستان

في سـنة (١٨٥هـ) قَتَلَ أَهْلُ طَبَرِسْـتَانَ مُتَوَلِّيَهُمْ مَهْرَوَيْهِ الرَّازِيَّ، فَوَلَّى الرَّشِيدُ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَعِيدٍ الْحَرَشِيَّ.

○ نكبة البرامكة

في سنة (١٨٧هـ)كان قَتْلُ الرَّشِيدِ لجَعْفَر بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ، ونكبة البرامكة وَدَمَارُ دِيَارِهِمْ وَانْدِثَارُ آثَارِهِمْ، وَذَهَابُ صِغَارِهِمْ وَكِبَارِهِمْ.

وَلَمَّا جَاءَ الْخَبَرُ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِقَتْلِ ابنه جعفر قَالَ: قَتَلَ اللهُ ابْنَهُ.

وَقَدْ كَتَبَ إلى يحي بَعْضُ أَصْحَابِهِ يُعَزِّيهِ فِيمَا وَقَعَ، فَكَتَبَ جَوَابَ التَّعْزِيَةِ: أَنَا بِقَضَاءِ اللهِ رَاضٍ، وَبِالْخِيَـارِ عَالِمٌ، وَلَا يُؤَاخِذُ اللهُ الْعِبَادَ إِلَّا بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وَمَا يَغْفِرُ اللهُ أَكْثَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَقَدْ كَانَ **مَقْتَلُ جَعْفَرٍ** فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ مُسْتَهَلَّ صَفرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ لَهُمْ فِي الْوِزَارَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدِ **اخْتُلِفَ فِي** سَـبَبِ **ذَلِكَ** عَلَى أَقْوَالٍ ذَكَرَهَا أَبُو جَعْفَرٍ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ،(١)

١- **قيل**: إِنَّ الرَّشِيدَ كَانَ قَدْ سَلَّمَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ إِلَى جَعْفَرٍ الْبَرْمَكِيِّ فَسَجَنَهُ عِنْـدَهُ، فَمَـا زَالَ يَحْيَى يَتَرَقَّقُ لَهُ **حَتَّى أَطْلَقَهُ جَعْفَرٌ**، فَنَمَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى جَعْفَرٍ فِي ذَلِكَ، فتغير عَلَيْهِ الرَّشِيدُ وَحَلَفَ لَيَقْتُلَنَّهُ، وَكَرِهَ الْبَرَامِكَةَ بَعْدَ **ذَلِك** ومقتهم.

٢- **وقيـل**: لما حصل لهم من الرفعة والمكانة وكثرة المـال، مالم يَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَهُمْ، حيث كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ أُمّ الرشيد مِنَ الرَّضَاعَةِ، وقد بنى جَعْفَر دَارًا أنفق عَلَيْهَا عِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، **وكان** الرَّشِيدَ لَا يَكَادُ يَمُرُّ بِبَلَدٍ وَلَا إِقْلِيمٍ فَيَسْأَلُ عَنْ قَرْيَةٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ بُسْتَانٍ إِلَّا قِيلَ: هَذَا لِجَعْفَرٍ، فنقم عليه لذلك.

٣- **وَقِيلَ**: إِنَّ الْبَرَامِكَةَ كَانُوا يُرِيدُونَ **إِبْطَالَ خِلَافَةِ** الرَّشِيدِ وَإِظْهَارَ **الزَّنْدَقَةِ**.

٤- **وَقِيلَ**: بِسَبَبِ **الْعَبَّاسَةِ** أخت الرشيد وزواجها الصوري من جعفر. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ(٢). وَإِنْ كَانَ ابْنُ جَرِيرٍ قَدْ ذَكَرَهُ.

٥- رَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ(٣) أَنَّ الرَّشِـيدَ سُـئِلَ عَنِ السَّـبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِـهِ أَهْلَكَ الْبَرَامِكَةَ فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ قَمِيصِي يَعْلَمُ ذَلِكَ لَأَحْرَقْتُهُ.(٤)

(١) انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٢٨٧-٢٩٤، والمنتظم ٩/ ١٢٦-١٣٤، والكامل٦/ ١٧٥-١٧٧.

(٢) ممن أنكر ذلك ابن كثير كما هو واضح من أسلوبه، وابن خلدون في المقدمة (١/ ١٥)، حيث اعتبره من أكاذيـب القصاص والعامة. وقبلهما ذكر الجهشـياري في الوزراء والكتاب (ص: ٢٨٩): قال عبيد الله بن يحيـى بن خاقان: سـألت مسـرورا الكبير في أيـام المتوكل، وكان قد عمـر إليها، ومات فيها، عن سـبب قتل الرشـيد لجعفر، وإيقاعه بالبرامكة، فقال: كأنك تريد ما تقوله العامة فيما ادعوه من أمر المرأة، وأمر المجامر التي اتخذها للبخور في الكعبة؟ فقلت له: ما أردت غيره، فقال: لا والله، ما لشيء من هذا أصل، ولكنه من ملل موالينا وحسدهم.

قلـت: ولا شـك عندي أن هذا السـبب غيـر صحيح لأنه يخالف الشـرع، ويخالف الفطـرة، والغير على المحارم، وكذا السبب الثالث غير صحيح، ولا يطابق الواقع في تاريخ أسرة البرامكة.

(٣) المنتظم ٩/ ١٣٢.

(٤) يتضح من هذه الرواية عن الرشـيد أنه لا يريد الإفصاح عن سـبب قتله لجعفر ونكبة أسـرته، ولأجل هذا كثرت التكهنات بالأسـباب كما ترى، قال ابن خلدون في المقدمة (١/ ١٥): وإنما نكب البرامكة ما كان =

❍ قتل إبراهيم بن نهيك

بَعْدَ مَقْتَلِ الْبَرَامِكَةِ قَتَلَ الرَّشِيدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ نَهِيكٍ سنة (١٨٧هـ)، **وَذَلِكَ** أَنَّ إبراهيم حَزِنَ عَلَى مَقْتَلِ الْبَرَامِكَةِ، وَلَا سِيَّمَا عَلَى جعْفَرٍ، وَكَانَ يُكْثِرُ الْبُكَاءَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ حَيِّزِ الْبُكَاءِ إِلَى حَيِّزِ الِانْتِصَارِ لَهُمْ وَالتوعد للْأَخْذِ بِثَأْرِهِمْ، فرفع أمره للرشيد، فَأَحْضَرُهُ الرَّشِيدُ واحتال عليه فقَالَ: إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى قَتْلِ الْبَرَامِكَةِ ... فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ بَعْدَهُمْ لَذَّةً وَلَا رَاحَةً، فقَالَ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَى جعْفَرٍ، وبَكَى، وَاللهِ يَا سَيِّدِي، لَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي قَتْلِهِ. فقَالَ لَهُ: قُمْ، لَعَنَكَ اللهُ. ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

❍ خلع نائب سمرقند الطاعة

في سنة (١٩٠هـ) خَلَعَ **رَافِعُ بْنُ لَيْثِ** بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ نَائِبُ سَمَرْقَنْدَ الطَّاعَةَ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَتَابَعَهُ أَهْلُ بَلَدِهِ وَطَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ نَائِبُ خُرَاسَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، فَهَزَمَهُ رَافِعٌ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بِهِ.

❍ حرب رافع بن الليث

في سنة (١٩٣هـ) تَوَاقَعَ هَرْثَمَةُ نَائِبُ الْعِرَاقِ هُوَ **وَرَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ**، فَكَسَرَهُ هَرْثَمَةُ، وَافْتَتَحَ بُخَارَى، وَأَسَرَ أَخَاهُ بَشِيرَ بْنَ اللَّيْثِ، فَبَعَثَهُ إِلَى الرَّشِيدِ، وَهُوَ بِطُوسَ مُثْقَلٌ عَنِ السَّيْرِ، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَرَعَ يَتَرَقَّقُ لَهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، وأمر بقتله، ثُمَّ رَفَعَ الرَّشِيدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللهَ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ رَافِعٍ كَمَا مَكَّنَهُ مِنْ أَخِيهِ بَشِيرٍ.

❍ خروج ثروان

في سنة (١٩١هـ) خَرَجَ رَجُلٌ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ: ثَرْوَانُ بْنُ سَيْفٍ وَجَعَلَ يَتَنَقَّلُ فِيهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ طَوْقَ بْنَ مَالِكٍ فَهَزَمَهُ، وَجُرِحَ ثَرْوَانُ وَقُتِلَ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ، وَكُتِبَ بِالْفَتْحِ إِلَى الرَّشِيدِ.

= من استبدادهم على الدولة، واحتجابهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه. أ.هـ. والحاصل أنها غضبة ملك أثارها أمر عظيم اطلع عليه.

○ خروج الخّرمية

وفي سنة (١٩٢هـ) خَرَجَتْ الْخُرَّمِيَّةُ بِالْجَبَلِ وبِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ فَوَجَّهَ الرَّشِيدُ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيَّ فِي عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ وَسَبَى ذَرَارِيهِمْ، وَقَدِمَ بِهِمْ بَغْدَادَ فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِقَتْلِ الرِّجَالِ مِنْهُمْ، وَبِالذُّرِّيَّةِ فَبِيعُوا بِهَا، وَكَانَ قَدْ غَزَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ خُزَيْمَةُ بْنُ خَازِمٍ.

○ القبض على علي بن عيسى

في سنة (١٩٢هـ) دَخَلَ هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ إِلَى خُرَاسَانَ نَائِبًا عَلَيْهَا، وَقَبَضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُ وَحَوَاصِلَهُ، وَأَرْكَبَهُ عَلَى رَاحِلَةٍ، وَنَادَى عَلَيْهِ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ وَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ بِذَلِكَ، فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى الرَّشِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحُبِسَ بِدَارِهِ بِبَغْدَادَ.

○ خروج الرشيد إلى خراسان

وفي سنة (١٩٢هـ) خَرَجَ الرَّشِيدُ من بغداد فِي شهر شَعْبَانَ، وفي نيته الذَّهَابُ إِلَى خُرَاسَانَ لِغَزْوِ رَافِعِ بْنِ لَيْثٍ؛ الَّذِي كَانَ قَدْ خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادِ سَمَرْقَنْدَ وَغَيْرِهَا، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَغْدَادَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ، وَسَأَلَ الْمَأْمُونُ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَسَارَ مَعَهُ.

وَقَدْ شَكَا الرَّشِيدُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ إِلَى بَعْضِ أُمَرَائِهِ جَفَاءَ بَنِيهِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ وُلَاةَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَرَاهُ دَاءً فِي جَسَدِهِ، وَقَالَ: إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَالْقَاسِمِ عِنْدِي عَيْنًا عَلَيَّ، وَهُمْ يَعُدُّونَ أَنْفَاسِي، وَيَتَمَنَّوْنَ انْقِضَاءَ أَيَّامِي وَذَلِكَ شَرٌّ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. فَدَعَا لَهُ ذَلِكَ الْأَمِيرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ الرَّشِيدُ بِالِانْصِرَافِ إِلَى عَمَلِهِ وَوَدَّعَهُ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

○ وصول الرشيد إلى جرجان

في سنة (١٩٣هـ) وَافَى الرَّشِيدُ جُرْجَانَ وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ خَزَائِنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى تُحْمَلُ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ بَعِيرٍ، وَذَلِكَ فِي صَفَرٍ مِنْهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْهَا إِلَى طُوسَ وَهُوَ عَلِيلٌ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِيهَا.

الخوارج في عهده

❍ خروج ابن طريف الخارجي

في سنة (١٧٨هـ) خَرَجَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفٍ بِالْجَزِيرَةِ، وَحكَمَ بِهَا وَقتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ مَضَى مِنْهَا إِلَى أَرْمِينِيَّةَ.

وَفي سنة (١٧٩هـ) رَجعَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفٍ الشَّارِي إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ، فَبعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ يَزِيدَ بْنَ مَزْيَدٍ الشَّيْبَانِيَّ، فَرَاوَغَهُ حَتَّى قتَلَهُ، وَتفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَقَالَتِ الْفَارِعَةُ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرْثِيهِ:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

فَتًى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى ... وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسُيُوفِ

❍ خروج حمزة بخراسان

في سنة (١٧٩) خَرَجَ بِخُرَاسَانَ حَمْزَةُ بْنُ أَتْرَكَ **الشَّارِي**، ولم يتم القضاء عليه، حتى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أنه في سنة (١٨٥هـ) **عَاثَ فساداً** بِبَاذَغِيسَ مِنْ خُرَاسَانَ، فَنَهَضَ عِيسَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى إلى قتاله فَقَتَلَهُمْ، وانهزم حمزة، وَسَارَ وَرَاءَهُ إِلَى كَابُلَ وَزَابُلِسْتَانَ.

❍ الخوارج بالجزيرة

في سنة (١٨٠هـ) خَرَجَ بِالْجَزِيرَةِ خُرَاشَةُ الشَّيْبَانِيُّ، فَقَتَلَهُ مُسْلِمُ بْنُ بَكَّارِ بْنِ مُسْلِمٍ الْعُقَيْلِيُّ.

في سنة (١٨٤هـ) خَرَجَ بِالْجَزِيرَةِ أَبُو عَمْرٍو الشَّارِي، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ مَنْ قَتَلَهُ بِشَهْرَزُورَ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

الإصلاحات وولاية البلدان والحج

الإصلاحات في عهده

قسمة سهم ذوي القربى

في سنة (١٧٠هـ) أَمَرَ الرَّشِيدُ بِسَهْمِ ذِي الْقُرْبَى أَنْ يُقَسَّمَ فِي بَنِي هَاشِمٍ عَلَى السَّوَاءِ.

تتبع الزنادقة

في سنة (١٧٠هـ) تَتَبَّعَ الرَّشِيدُ خَلْقًا مِنَ الزَّنَادِقَةِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً.

ديوان الخاتم

فِي سنة (١٧١هـ) أَضَافَ الرَّشِيدُ ديوان الْخَاتَمَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مَعَ الْوِزَارَةِ.

وضع العشر عن أهل السواد

فِي سنة (١٧٢هـ) وَضَعَ الرَّشِيدُ عَنْ أَهْلِ السواد(١) الْعُشْرَ الَّذِي كَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ بَعْدَ النِّصْفِ.

إصلاحات الفضل في ولاية خراسان

وفي سنة (١٧٨هـ) سَارَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى إِلَى **خُرَاسَانَ**، فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ بِهَا، وَبَنَى فِيهَا الرُّبُطَ وَالْمَسَاجِدَ.

ترتيب الرسائل

في سنة (١٨١هـ) أَمَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يُكْتَبَ فِي صُدُورِ الرَّسَائِلِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) في البداية والنهاية ١٣/ ٥٦٧ أهل العراق بدل السواد، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٦ السواد، وهو الصواب.

❍ حفر قناة بين البحر المتوسط والأحمر

نقل الذهبي عن المَسْـعُوْدِيُّ : رَامَ الرَّشِيْدُ أَنْ يُوصِلَ مَا بَيْنَ بَحرِ الرُّوْمِ، وبحر القلزم ممـا يَلِي الفَرَمَا، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى البَرْمَكِيُّ: كَانَ يَختَطِفُ الرُّوْمُ النَّاسَ مِنَ الحَرَمِ، وَتَدْخُلُ مَرَاكِبُهُم إِلَى الحِجَازِ.(١)

❁ ❁ ❁

(١) سـير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٥٥). صرف يحيي البرمكي الرشـيد عن هذا المشروع بما ذكره من خطر الروم على الحرمين إذا فتحت القناة. وقد تم في العصر الحديث فتح قناة السويس، وكانت لها آثار اقتصادية، حيث ربطت الشرق بالغرب.

ولاية البلدان

○ ولاية خراسان

فِي سنة (١٧٦هـ) عَزَلَ الرَّشِيدُ الْغِطْرِيفَ بْنَ عَطَاءٍ عَنْ خُرَاسَانَ، وَوَلَّاهَا حَمْزَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيَّ الْمُلَقَّبَ بِالْعَرُوسِ.

وفي سنة (١٧٧هـ) عَزَلَ الرشيدُ حَمْزَةَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ خُرَاسَانَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ مُضَافًا إِلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالرَّيِّ وَسِجِسْتَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفِي سنة (١٧٩هـ)ولى الرَّشِيدُ على خراسان مَنْصُورَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْحِمْيَرِيَّ.

وفي سنة (١٩١هـ) عَزَلَ الرَّشِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ وَوَلَّاهَا هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ.

○ ولاية مصر

وَفِي سنة (١٧٦هـ) وَلَّى الرَّشِيدُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ نِيَابَةَ مِصْرَ، فَاسْتَنَابَ جَعْفَرٌ عَلَيْهَا عُمَرَ بْنَ مِهْرَانَ. فضبط الخراج بها وأحسن الإدارة .

وفي سنة (١٧٧) عَزَلَ الرَّشِيدُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ عَنْ مِصْرَ، وَوَلَّى عَلَيْهَا إِسْحَاقَ بْنَ سُلَيْمَانَ.

وفي سنة (١٧٨هـ)وَلَّ الرشيد عَلَيْهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ.

○ ولاية إفريقية

في سنة (١٨٠هـ) عَزَلَ هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَنَابَهُ جَعْفَرٌ عَلَى الْحَرَسِ.

○ ولاية سواحل الشام

في سنة (١٩١هـ) وَلَّى حُمَيْدَ بْنَ مَعْيُوفٍ سَوَاحِلَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، وَدَخَلَ جَزِيرَةَ قُبْرُصَ، فَسَبَى أَهْلَهَا وَحَمَلَهُمْ حَتَّى بَاعَهُمْ بِالرَّافِقَةِ، فَبَلَغَ ثَمَنُ الْأُسْقُفِّ أَلْفَيْ دِينَارٍ، بَاعَهُمْ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ الْقَاضِي.

ولاية الحج

فِي سنة (١٧٠هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ، وَأَعْطَى أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جِدًّا.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٧١هـ) عَمُّ الْخُلَفَاءِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٧٢هـ) يَعْقُوبُ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ عَمُّ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٧٣هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ، خرج محرمًا من مدينة السلام.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٧٤هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُ أَنَّ بِهَا وَبَاءً، فَلَمْ يَدْخُلْ مَكَّةَ حَتَّى كَانَ وَقْتُ الْوُقُوفِ فَوَقَفَ، ثُمَّ جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ، ثُمَّ مِنًى، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ، فَطَافَ وَسَعَى، وَارْتَحَلَ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهَا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٧٥هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٧٦هـ) سُلَيْمَانُ ابْنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ عَمُّ الرَّشِيدِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٧٧) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٧٨هـ) مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ نَائِبُ مَكَّةَ، كَرَّمَهَا اللهُ.

وفي سنة (١٧٩) خَرَجَ الرَّشِيدُ مِنْ بَغْدَادَ مُعْتَمِرًا شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَمَّا قَضَى عُمْرَتَهُ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى حَجَّ بِالنَّاسِ، فَمَشَى مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِنًى، ثُمَّ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ وَالْمَشَاعِرَ كُلَّهَا مَاشِيًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَغْدَادَ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٠هـ) مُوسَى بْنُ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨١هـ) الرَّشِيدُ وَتَعَجَّلَ فِي النَّفْرِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٨٢هـ) فِيهَا مُوسَى بْنُ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٣هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى الْهَادِي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٤هـ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْعَبَّاسِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٥هـ) مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٨٦هـ) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونُ الرَّشِيدُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٧هـ) عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.

في سنة (١٨٨هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ الرَّشِيدُ، وَكَانَتْ آخِرَ حَجَّاتِهِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٨٩هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٩٠هـ) عِيسَى بْنُ مُوسَى الْهَادِي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (١٩١هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ وَالِيَ مَكَّةَ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٩٢هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في خلافته

١- **الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَرَاهِيدِيُّ** الْأَزْدِيُّ، شَيْخُ النُّحَاةِ، وَعَنْهُ أَخَذَ سِيبَوَيْهِ، وَالنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَكَابِرِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَرَعَ عِلْمَ الْعَرُوضِ، قَسَّمَهُ إِلَى خَمْسِ دَوَائِرَ، وَفَرَّعَهُ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ بَحْرًا، وَزَادَ الْأَخْفَشُ فِيهِ بَحْرًا آخَرَ، وَهُوَ الْخَبَبُ.

وَلَهُ كِتَابُ «الْعَيْنِ» فِي اللُّغَةِ، ابْتَدَأَهُ وَأَكْمَلَهُ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ وَأَضْرَابُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمْ يُنَاسِبُوا مَا وَضَعَهُ الْخَلِيلُ، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَدْ وَضَعَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ كِتَابًا بَيَّنَ فِيهِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ الْخَلَلِ، فَأَفَادَ.

وَقَدْ كَانَ الْخَلِيلُ رَجُلًا صَالِحًا عَاقِلًا كَامِلًا حَلِيمًا وَقُورًا، وَكَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، صَبُورًا عَلَى الْعَيْشِ الْخَشِنِ الضَّيِّقِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يُجَاوِزُ هَمِّي مَا وَرَاءَ بَابِي. وَكَانَ ظَرِيفًا حَسَنَ الْخُلُقِ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي الْعُرُوضِ، قَالَ: وَكَانَ بَعِيدَ الْفَهْمِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ تُقَطِّعُ هَذَا الْبَيْتَ؟

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

فَشَرَعَ مَعِي فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ مِنْ عِنْدِي فَلَمْ يَعُدْ إِلَيَّ، وَكَأَنَّهُ فَهِمَ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ.

وُلِدَ الْخَلِيلُ سَنَةَ مِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ عَلَى الْمَشْهُورِ.

٢- **مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ حَسَنٍ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ مِنْ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَشُجْعَانِهِمْ، جَمَعَ لَهُ الْمَنْصُورُ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَزَوَّجَهُ الْمَهْدِيُّ ابْنَتَهُ الْعَبَّاسَةَ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ

دَخْلُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ. وَكَانَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ.

لما تُوُفِّيَ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى حَوَاصِلِهِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْخُلَفَاءِ، فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، فَقَبَضُوهُ، توفي بِالْبَصْرَةِ سنة (١٧٣هـ).

٣- **الْخَيْزُرَانُ**، جَارِيَةُ الْمَهْدِيِّ، وَأُمُّ أَمِيرَي الْمُؤْمِنِينَ، الْهَادِي وَالرَّشِيدِ، اشْتَرَاهَا الْمَهْدِيُّ وَحَظِيَتْ عِنْدَهُ جِدًّا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَوَلَدَتْ لَهُ خَلِيفَتَيْنِ؛ مُوسَى الْهَادِي وَالرَّشِيدَ، وَلَمْ يَتَّفِقْ هَذَا لِغَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا لِوَلَّادَةَ بِنْتِ الْعَبَّاسِ الْعَبْسِيَّةِ، زَوْجَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهِيَ أُمُّ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ، وَشَاهِفِرِنْدَ بِنْتِ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجِرْدَ، وَلَدَتْ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ، وَكِلَاهُمَا وَلِيَ الْخِلَافَةَ.

وَقَدْ حَجَّتِ الْخَيْزُرَانُ مَرَّةً فِي حَيَاةِ الْمَهْدِيِّ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا وَهِيَ بِمَكَّةَ يَسْتَوْحِشُ لَهَا، وَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهَا.

وفِي سنة (١٧١هـ) خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ، فَأَقَامَتْ بِهَا حَتَّى شَهِدَتِ الْحَجَّ، وَقَدِ اشْتَرَتِ الدَّارَ الْمَعروفة بِدَارِ الْخَيْزُرَانِ، فَزَادَتْهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَكَانَ مُغَلُّ ضِيَاعِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا.

وكان مَوْتُهَا بِبَغْدَادَ لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (١٧٣هـ)، فَخَرَجَ ابْنُهَا الرَّشِيدُ فِي جِنَازَتِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، وَنَزَلَ فِي لَحْدِهَا.

٤- **غَادِرُ**، جَارِيَةٌ كَانَتْ لِمُوسَى الْهَادِي، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا جِدًّا، وَكَانَتْ تُحْسِنُ الْغِنَاءَ جَيِّدًا. فلما مات الهادي تزوجها الرشيد وحظيت عنده جداً. وماتت في سنة (١٧٣هـ).

٥- **هَيْلَانَةُ**، جَارِيَةُ الرَّشِيدِ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهَا هَيْلَانَةَ، وَكَانَ لَهَا مُحِبًّا، وَكَانَتْ قَبْلَهُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ، فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْه، فَوَهَبَهَا لَهُ فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ سنة (١٧٣هـ)، فَحَزِنَ عَلَيْهَا.

٦-**شَعْوَانَةُ الْعَابِدَةُ الزَّاهِدَةُ**، كَانَتْ أَمَةً سَوْدَاءَ، كَثِيرَةَ الْعِبَادَةِ، رُوِيَ عَنْهَا كَلِمَاتٌ حَسَّانٌ، وَقَدْ سَأَلَهَا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ الدُّعَاءَ، فَقَالَتْ: أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَا إِنْ دَعَوْتَهُ اسْتَجَابَ لَكَ؟ فَشَهِقَ الْفُضَيْلُ، وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. تُوُفِّيَتْ سنة (١٧٥هـ)

٧-**اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ** بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْمِيُّ مَوْلَاهُمْ، إِمَامُ أَهْلِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وُلِدَ وَنَشَأَ بِمصر سَنَةَ (٩٤هـ). وَكَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَانَ اللَّيْثُ أَفْقَهَ مِنْ مَالِكٍ إِلَّا أَنَّهُ ضَيَّعَهُ أَصْحَابُهُ.

وَحَجَّ مَرَّةً فَأَهْدَى لَهُ مَالِكٌ طَبَقًا فِيهِ رُطَبٌ، فَرَدَّ الطَّبَقَ وَفِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَكَانَ يَهَبُ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ الْأَلْفَ دِينَارٍ وَمَا يُقَارِبُ ذَلِكَ.

وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي «التَّكْمِيلِ». وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ من سنة (١٧٥هـ).

٨- **صَالِحُ بْنُ بَشِيرٍ الْمُرِّيُّ**، أَحَدُ الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ، كَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ، وَكَانَ يَعِظُ، فَيَحْضُرُ مَجْلِسَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَيَقُولُ: هَذَا نَذِيرُ قَوْمٍ. وَقَدِ اسْتَدْعَاهُ الْمَهْدِيُّ لِيَحْضُرَ عِنْدَهُ، فَجَاءَ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ، فَدَنَا مِنْ بِسَاطِ الْخَلِيفَةِ، فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ ابْنَيْهِ - وَلِيَّي الْعَهْدِ؛ مُوسَى الْهَادِيَ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ - فَابْتَدَرَا إِلَيْهِ لِيُنْزِلَاهُ عَنْ دَابَّتِهِ، فَأَقْبَلَ صَالِحٌ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ أنا داهنت ولم أصدع بالحق فِي هَذَا الْيَوْمِ.

ثُمَّ جَلَسَ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَوَعَظَهُ فَقَالَ لَهُ: اعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَصْمَ مَنْ خَالَفَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَمَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ خَصْمَهُ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ، فَأَعِدَّ لِمُخَاصَمَةِ اللهِ وَمُخَاصَمَةِ رَسُولِهِ ﷺ حُجَجًا تَضْمَنُ لَكَ النَّجَاةَ، وَإِلَّا فَاسْتَسْلِمْ لِلْهَلَكَةِ، توفي سنة (١٧٦).

٩-**شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَاضِي** الْكُوفِيُّ النَّخَعِيُّ، سَمِعَ أَبَا إِسْحَاقَ السَّبِيعِيَّ وَغَيْرَ وَاحِدٍ، وَكَانَ مَشْكُورًا فِي حُكْمِهِ وَتَنْفِيذِهِ وَتَضْمِينِهِ، وَكَانَ لَا يَجْلِسُ لِلْحُكْمِ حَتَّى يَتَغَدَّى، ثُمَّ يُخْرِجُ وَرَقَةً مِنْ قِمْطَرَةٍ فَيَنْظُرُ فِيهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ بِتَقْدِيمِ الْخُصُومِ إِلَيْهِ، فَحَرَصَ

بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَلَى قِرَاءَةِ مَا فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ، فَإِذَا فِيهَا: يَا شَرِيكُ بْنَ عَبْدِ اللهِ، اذْكُرِ الصِّرَاطَ وَحِدَّتَهُ، يَا شَرِيكُ بْنَ عَبْدِ اللهِ، اذْكُرِ الْمَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ السَّبْتِ مُسْتَهَلَّ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (١٧٧هـ).

١٠- **السَّيِّدُ الْحِمْيَرِيُّ** الشَّاعِرُ الرَّافِضِيُّ، إِسْمَاعِيلُ، أَبُو هَاشِمٍ الْحِمْيَرِيُّ الْمُلَقَّبُ بِالسَّيِّدِ، كَانَ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْمَشْهُورِينَ، وَالْمُبَرَّزِينَ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ الْمُفَوَّهِينَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا، وَشِيعِيًّا غَثِيثًا، كَانَ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَقُولُ بِالرَّجْعَةِ، أَيْ بِالدَّوْرِ.

وَكَانَ، قَبَّحَهُ اللهُ، يَسُبُّ الصَّحَابَةَ فِي شِعْرِهِ وَيَشْتُمُ الْخِيَرَةَ. وَلَا سِيَّمَا الشَّيْخَيْنِ وَابْنَيْهِمَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد هلك سنة (١٧٩هـ).

١١- **مَالِكُ بْنُ أَنَسِ** بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَمْرِو الْأَصْبَحَي الْحِمْيَرِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَدَنِيُّ، إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ فِي زَمَانِهِ.

رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ: مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ فَمَالِكٌ النَّجْمُ.

وَمَنَاقِبُهُ وَفَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ يُحْصَرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ التَّحْدِيثَ تَنَظَّفَ وَتَطَيَّبَ، وَلَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ، وَكَانَ يَلْبَسُ حَسَنًا.

وَمِنْ وَقْتِ خُرُوجِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ لَزِمَ مَالِكٌ بَيْتَهُ،

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: بَلَغَ تِسْعِينَ سَنَةً. وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ سنة (١٧٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرِ** بْنِ أَبِي كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَارِئُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ أَقَامَ مُدَّةً بِبَغْدَادَ يُؤَدِّبُ عَلِيًّا ابْنَ الْمَهْدِيِّ، حَتَّى تُوُفِّيَ في سنة (١٨٠هـ)

١٣ - **عَلِيٍّ ابْنِ الْمَهْدِيِّ**، وَقَدْ وَلِيَ إِمْرَةَ الْحَجِّ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنَ الرَّشِيدِ بِشُهُورٍ. تُوُفِّيَ في سنة (١٨٠هـ)

١٤ - **حَسَّانُ بْنُ سِنَانِ** بْنِ أَوْفَى بْنِ عَوْفٍ التَّنُوخِيُّ الْأَنْبَارِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ، وَرَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَدَعَا لَهُ، فَجَاءَ مِنْ نَسْلِهِ قُضَاةٌ وَوُزَرَاءُ وَصُلَحَاءُ، وَأَدْرَكَ الدَّوْلَتَيْنِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ، وَكَانَ يُعَرِّبُ الْكُتُبَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِيعَةَ لَمَّا وَلَّاهُ السَّفَّاحُ الْأَنْبَارَ.

١٥ - **عَافِيَةُ بْنُ يَزِيدَ** بْنِ قَيْسٍ، الْقَاضِي لِلْمَهْدِيِّ عَلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ هُوَ وَابْنُ عُلَاثَةَ، وَكَانَا يَحْكُمَانِ بِجَامِعِ الرُّصَافَةِ، وَكَانَ عَافِيَةُ عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْفِنِي. فَقَالَ: لِمَ؟ أَعْتَرَضَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ خُصُومَةٌ عِنْدِي، فَعَمَدَ أَحَدُهُمَا إِلَى رُطَبِ السُّكَّرِ، وَكَأَنَّهُ سَمِعَ أَنِّي أُحِبُّهُ، فَأَهْدَى إِلَيَّ مِنْهُ طَبَقًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَا وَجَلَسَا لِلْحُكُومَةِ، لَمْ يَسْتَوِيَا عِنْدِي فِي قَلْبِي وَلَا نَظَرِي، وَمَالَ قَلْبِي إِلَى الْمُهْدِي مِنْهُمَا، هَذَا وَمَا قَبِلْتُ مِنْهُ، فَكَيْفَ لَوْ قَبِلْتُ مِنْهُ؟! فَأَعْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَفَا اللهُ عَنْكَ. فَأَعْفَاهُ. تُوُفِّيَ في سنة (١٨٠هـ)

١٦ - **سِيبَوَيْهِ إِمَامُ النُّحَاةِ**، وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ أَبُو بِشْرٍ، الْمَعْرُوفُ بِسِيبَوَيْهِ النَّحْوِيِّ، مَوْلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ **سِيبَوَيْهِ**؛ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ تُرَقِّصُهُ وَتَقُولُ لَهُ ذَلِكَ، **وَمَعْنَى سِيبَوَيْهِ**: رَائِحَةُ التُّفَّاحِ. وَقَدْ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ يَصْحَبُ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءَ، وَكَانَ يَسْتَمْلِي عَلَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، فَلَحَنَ يَوْمًا، فَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَأَنِفَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَزِمَ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ، فَبَرَعَ فِي النَّحْوِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَنَاظَرَ الْكِسَائِيَّ.

وَكَانَ سِيبَوَيْهِ شَابًّا جَمِيلًا نَظِيفًا، تَعَلَّقَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِسَبَبٍ، وَضَرَبَ فِي كُلِّ أَدَبٍ بِسَهْمٍ، مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَبَرَاعَتِهِ فِي النَّحْوِ.

وَقَدْ صَنَّفَ فِي النَّحْوِ كِتَابًا لَا يُلْحَقُ شَأْوُهُ، وَشَرَحَهُ أَئِمَّةُ النُّحَاةِ بَعْدَهُ.

وَقَدْ زَعَمَ ثَعْلَبٌ أَنَّهُ لَمْ يَنْفَرِدْ بِتَصْنِيفِهِ، وَقَدْ تَسَاعَدَ جَمَاعَةٌ فِي تَصْنِيفِهِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ نَفَسًا، هُوَ أَحَدُهُمْ. قَالَ: وَهُوَ أُصُولُ الْخَلِيلِ، فَادَّعَاهُ سِيبَوَيْهِ لِنَفْسِهِ، وَقَدِ اسْتَبْعَدَ ذَلِكَ السِّيرَافِيُّ فِي كِتَابِ «طَبَقَاتِ النُّحَاةِ» قَالَ: وَقَدْ أَخَذَ سِيبَوَيْهِ اللُّغَاتِ عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ وَغَيْرِهِ، وَكِتَابُهُ الْمَشْهُورُ «بِالْكِتَابِ» لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ أَحَدٌ..

وَقَدِ ارْتَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ لِيَحْظَى عِنْدَ طَلْحَةَ بْنِ طَاهِرٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ النَّحْوَ، فَمَرِضَ هُنَاكَ مَرَضَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ سنة (١٨٠هـ)، فَتَمَثَّلَ عِنْدَ الْمَوْتِ:

يُؤَمِّلُ دُنْيَا لِتَبْقَى لَهُ فَمَاتَ الْمُؤَمِّلُ قَبْلَ الْأَمَلْ
يربي فسيلاً ليبقى له فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلْ

١٧- **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ** أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَرْوَزِيُّ، كَانَ أَبُوهُ تُرْكِيًّا مَوْلًى لِرَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ مِنْ أَهْلِ هَمَذَانَ، فَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ إِذَا قَدِمَهَا أَحْسَنَ إِلَى وَلَدِ مَوْلَاهُمْ، وَكَانَتْ أُمُّهُ خَوارِزْمِيَّةً، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ، وَسَمِعَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ، وَالْأَعْمَشَ، وَهِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، وَحُمَيْدًا الطَّوِيلَ، وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلَائِقُ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْحِفْظِ وَالْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالزُّهْدِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْحِسَانُ، وَالشِّعْرُ الْمُتَضَمِّنُ حِكَمًا جَمَّةً، وَكَانَ كَثِيرَ الْغَزْوِ وَالْحَجِّ، وَكَانَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ يَدُورُ يَتَّجِرُ بِهِ فِي الْبُلْدَانِ، فَحَيْثُ اجْتَمَعَ بِعَالِمٍ بَلْدَةٍ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَرْبُو كَسْبُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، يُنْفِقُهَا كُلَّهَا فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَرُبَّمَا أَنْفَقَ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ: مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِثْلُهُ، وَمَا أَعْلَمُ خَصْلَةً مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ جَعَلَهَا اللهُ فِي ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَصْحَابِي أَنَّهُمْ صَحِبُوهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُطْعِمُهُمُ الْخَبِيصَ، وَهُوَ الدَّهْرَ صَائِمٌ.

وَكَانَتْ سُفْرَتُهُ تُحْمَلُ عَلَى بَعِيرٍ وَحْدَهَا، وَفِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَأْكُولِ مِنَ اللَّحْمِ وَالدَّجَاجِ وَالْحَلْوَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، يُطْعِمُهُ وَهُوَ صَائِمٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى قَبُولِهِ وَجَلَالَتِهِ وَإِمَامَتِهِ وَعَدْلِهِ.

تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ بِهَيْتَ[1] فِي سنة (١٨١هـ) فِي رَمَضَانِهَا عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

١٨- **الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ** وَهُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَعْدٍ، وَسَعْدٌ هَذَا لَهُ صُحْبَةٌ، اسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، وكَانَ أَكْبَرَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنِ الْأَعْمَشِ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمْ. وَعَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: تُوُفِّيَ أَبِي وَأَنَا صَغِيرٌ، فَأَسْلَمَتْنِي أُمِّي إِلَى قَصَّارٍ، فَكُنْتُ أَمُرُّ عَلَى حَلْقَةِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَأَجْلِسُ فِيهَا، فَكَانَتْ أُمِّي تَتْبَعُنِي، فَتَأْخُذُ بِيَدِي مِنَ الْحَلْقَةِ وَتَذْهَبُ بِي إِلَى الْقَصَّارِ، ثُمَّ كُنْتُ أُخَالِفُهَا فِي ذَلِكَ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ قَالَتْ أُمِّي لِأَبِي حَنِيفَةَ: إِنَّ هَذَا صَبِيٌّ يَتِيمٌ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا أُطْعِمُهُ مِنْ مِغْزَلِي، وَإِنَّكَ قَدْ أَفْسَدْتَهُ عَلَيَّ. فَقَالَ لَهَا: اسْكُتِي يَا رَعْنَاءُ، **هَا هُوَ ذَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ، وَسَيَأْكُلُ الْفَالَوْذَجَ بِدُهْنِ الْفُسْتُقِ**. وَلَّاهُ الْهَادِي الْقَضَاءَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِقَاضِي الْقُضَاةِ واستمر إلى زمن الرشيد.

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ عَنْ أَبِي يُوسُفَ: إِنَّهُ أَعْلَمُ أَصْحَابِهِ. وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: كَانَ أَبُو يُوسُفَ أَتْبَعَهُمْ لِلْحَدِيثِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ- الَّذِي يَنْبَغِي كِتَابَتُهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ- قَوْلُهُ: مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ تَتَبَّعَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ.[2]

وَقَدْ كَانَ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسَ حكمه العلماء على طبقاتهم، حتى أن أحمد بن حنبل

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد. معجم البلدان ٥/ ٤٢١

(٢) أخبار القضاة لوكيع، ٣/ ٢٥٨.

كان شابًا وكان يحضر مجلسه فِي أَثْنَاءِ النَّاسِ، فَيَتَنَاظَرُونَ وَيَتَبَاحَثُونَ فِيهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْكُمُ وَيُصَنِّفُ أَيْضًا.

وَقَدْ مَاتَ أَبُو يُوسُفَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (١٨٢هـ) عَنْ تِسْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَقَدْ مَكَثَ فِي الْقَضَاءِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

قال ابن كثير: وَمَنْ زَعَمَ مِنَ الرُّوَاةِ أَنَّ الشَّافِعِيَّ اجْتَمَعَ بِأَبِي يُوسُفَ كَمَا يَقُولُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ الْكَذَّابُ فِي الرِّحْلَةِ الَّتِي سَاقَهَا للشَّافِعِيُّ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ إِنَّمَا وَرَدَ بَغْدَادَ فِي أَوَّلِ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا إِلَيْهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ. وَإِنَّمَا اجْتَمَعَ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا شَنَآنٌ، كَمَا قَدْ يَذْكُرُهُ بَعْضُ مَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ بِهَذَا الشَّأْنِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.(١)

١٩-**يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ طَهْمَانَ** أَبُو عَبْدِ اللهِ، مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ خَازِمٍ السُّلَمِيِّ، اسْتَوْزَرَهُ الْمَهْدِيُّ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ جِدًّا، ثُمَّ لَمَّا أَمَرَهُ بِقَتْلِ ذَلِكَ الْعَلَوِيِّ فَأَرْسَلَهُ، وَنَمَّتْ عَلَيْهِ الْجَارِيَةُ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، سَجَنَهُ فِي بِئْرٍ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ، وَنَبَتَ عَلَيْهِ شَعْرٌ كَمَا يَنْبُتُ شَعْرُ الْأَنْعَامِ، وَعَمِيَ، وَيُقَالُ: عَشِيَ بَصَرُهُ، وَمَكَثَ نَحْوًا مِنْ خَمْسَ عَشْرَ سَنَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ لَا يَرَى شَيْئًا، وَلَا يَسْمَعُ صَوْتًا إِلَّا حِينَ الصَّلَوَاتِ يُعْلَمُ بِهِ، وَيُدَلَّى إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ رَغِيفٌ وَكُوزُ مَاءٍ، حَتَّى انْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَهْدِيِّ وَأَيَّامُ الْهَادِي وَصَدْرٌ مِنْ خِلَافَةِ الرَّشِيدِ، قَالَ يَعْقُوبُ: فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ
فَيَأْمَنَ خَائِفٌ وَيُفَكُّ عَانٍ ... وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ نُودِيتُ فَأَخْرَجُونِي، وَأُوقِفْتُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدَ. فقَالَ: وَاللهِ إِنَّهُ لَمْ يَشْفَعْ فِيكَ عِنْدِي أَحَدٌ، وَلَكِنِّي الْبَارِحَةَ حَمَلْتُ جَارِيَةً لِي صَغِيرَةً عَلَى عُنُقِي، فَذَكَرْتُ

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٦٢٠، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٠.

حَمْلَـكَ إِيَّـايَ عَلَى عُنُقِكَ، فَرَحِمْتُ مَا أَنْـتَ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ، فَأَخْرَجْتُـكَ. ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَحْسَـنَ إِلَيْهِ فَاسْـتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَكَانَ بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي سنة (١٨٢هـ).

٢٠- **يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ أَبُو مُعَاوِيَةَ الْعَيْشِـيُّ**، كَانَ ثِقَةً عَالِمًا عَابِدًا وَرِعًا، تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَكَانَ وَالِيَ الْبَصْرَةِ، وَتَرَكَ مِنَ الْمَالِ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا يَزِيدُ دِرْهَمًا وَاحِدًا، وَكَانَ يَعْمَلُ الْخُوصَ، وَيَأْكُلُ مِنْهُ. وَتُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ فِي سنة (١٨٢هـ).

٢١- **مُحَمَّدُ بْنُ صُبَيْحٍ أَبُو الْعَبَّاسِ**، مَوْلَى بَنِي عِجْلٍ، الْمُذَكِّرُ. وَيُعْرَفُ بِابْنِ السَّمَّاكِ. رَوَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ وَالْأَعْمَشِ وَالثَّوْرِيِّ وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ مَوْقِفًا، فَانْظُرْ أَيْنَ مُنْصَرَفُكَ؛ إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ؟ فَبَكَى الرَّشِيدُ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ. وَتُوُفِّيَ سنة (١٨٣هـ).

٢٢- **مُوسَـى بْنُ جَعْفَرِ** بْـنِ مُحَمَّدِ الملقب بِالْكَاظِمُ، كَانَ كَثِيرَ الْعِبَـادَةِ وَالْمُرُوءَةِ، إِذَا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ أَنَّهُ يُؤْذِيهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالتُّحَفِ وَالذَّهَبِ، وُلِدَ لَهُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ أَرْبَعُونَ نَسَـمَةً. وَأَهْدَى لَهُ مَرَّةً عَبْدٌ عَصِيدَةً فَاشْـتَرَاهُ وَاشْتَرَى الْمَزْرَعَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَأَعْتَقَهُ، وَوَهَبَهَا لَهُ.

وَقَدِ اسْـتَدْعَاهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى بَغْدَادَ فَحَبَسَـهُ، ثم أطلقه وَأَخَذَ عَلَيْـهِ الْعَهْدَ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَلَيْهِ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى اسْـتَدْعَاهُ الرَّشِـيدِ فِي سَـنَةِ تِسْعٍ وَسَـبْعِينَ، وَسَـجَنَهُ فَأَطَالَ سِـجْنَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُوسَى رِسَـالَةً يَقُولُ فِيهَا: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيـنَ، إِنَّـهُ لَنْ يَنْقَضِـيَ عَنِّي يَوْمٌ مِنَ الْبَـلَاءِ إِلَّا انْقَضَى عَنْكَ يَوْمٌ مِـنَ الرَّخَاءِ، حَتَّى يُفْضِيَ بِنَا ذَلِكَ إِلَى يَوْمٍ يَخْسَرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ. وتُوُفِّيَ سنة (١٨٣هـ) بِبَغْدَادَ.

٢٣- **هُشَـيْمُ بْنُ بَشِـيرِ** بْنِ أَبِي خَازِمٍ أَبُو مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيُّ الْوَاسِطِيُّ، وَكَانَ والده يَمْنَعُهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِيُسَـاعِدَهُ عَلَى صِنَاعَتِهِ، فَيَأْبَى إِلَّا أَنْ يَسْـمَعَ الْحَدِيثَ. فَاتَّفَقَ أَنَّ هُشَـيْمًا

مَـرِضَ، فَجَاءَهُ قَاضِي وَاسِـطَ لِيَعُودَهُ، وَمَعَهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ بَشِـيرٌ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَـالَ لَهُ: يَا بُنَـيَّ، أَبَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ أَنْ جَاءَ الْقَاضِي إِلَى مَنْزِلِـي؟! لَا أَمْنَعُكَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ طَلَبِ الْحَدِيثِ.

كَانَ مِنْ سَـادَاتِ الْعُلَمَاءِ، حَدَّثَ عَنْهُ؛ مَالِكٌ، وَشُـعْبَةُ، وَالثَّـوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ، وَكَانَ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْعُبَّادِ. وتُوُفِّيَ سنة (١٨٣هـ)

٢٤- **يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ**، أَحَدُ النُّحَاةِ النُّجَبَاءِ، وَقَدْ أَخَذَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَغَيْرِهِ، وَأَخَـذَ عَنْهُ الْكِسَـائِيُّ وَالْفَـرَّاءُ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ حَلْقَـةٌ بِالْبَصْرَةِ يَنْتَابُهَا أَهْـلُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالْفُصَحَاءُ مِنَ الْحَاضِرِينَ والغرباء. وتُوُفِّيَ سنة (١٨٣هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٥- **أَحْمَدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِـيدِ** كَانَ زَاهِدًا عَابِدًا قَدْ تَنَسَّكَ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِـنْ عَمَـلِ يَدَيْهِ، يَعْمَلُ فِي الطِّينِ، وَكَانَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَوْمِ السَّـبْتِ فَقَطْ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى الْعِبَادَةِ بَقِيَّةَ أَيَّامِ الْجُمْعَةِ، وَكَانَ مِنْ زُبَيْدَةَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ أَحَبَّهَا فَتَزَوَّجَهَا سِرًّا، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِهَذَا الْغُلَامِ(١). مَاتَ سنة (١٨٤هـ).

٢٦- **عَبْـدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، أَبُو بَكْرٍ الْقُرَشِـيُّ الْأَسَدِيُّ، وَالِدُ بَكَّارٍ. أَلْزَمَهُ الْخَلِيفَةُ الرَّشِيدُ بِوِلَايَةِ الْمَدِينَةِ، فَقَبِلَهَا بِشُرُوطٍ عِدَّةٍ اشْتَرَطَهَا، فَأَجَابَـهُ إِلَـى ذَلِكَ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْـهِ نِيَابَةَ الْيَمَنِ، وَكَانَ مِنْ أَعْدَلِ الْـوُلَاةِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ تُوُفِّيَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٢٧- **عَبْـدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُمَرِيُّ**، وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا، وَعَظَ الرَّشِـيدَ يَوْمًا فَأَطْنَبَ وَأَطْيَـبَ؛ قَالَ لَـهُ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الصَّفَا: انْظُرْ كَمْ حَوْلَهَا مِنَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: بَشَـرٌ كَثِيرٌ. فَقَالَ: كُلٌّ يُسْـأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ خَاصَّةِ نَفْسِـهِ، وَأَنْتَ تُسْـأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ. فَبَكَى الرَّشِيدُ بُكَاءً كَثِيرًا.

(١) انظر: المنتظم ٩/ ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨.

وَلَـهُ مَعَـهُ مَوَاقِفُ مَحْمُـودَةٌ فِي غَيْـرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، تُوُفِّي سـنة (١٨٤هـ) عَنْ سِـتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٢٨-**عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ، عَمُّ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُـورِ، وُلِـدَ سَـنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَـةٍ، وَكَانَ ضَخْمَ الْخَلْقِ جِـدًّا وَلَمْ يُبَدِّلْ أَسْـنَانَهُ، وَكَانَتْ أُصُولُهَا صَفِيحَةً وَاحِدَةً. **وهو عَمُّ عَمِّ عَمِّ** الرَّشِيدِ، لِأَنَّهُ عَمُّ جَدِّهِ. وتوفي سنة (١٨٥هـ).

٢٩ -**أَبُو إِسْـحَاقَ إبراهيم بـن محمد الْفَزَارِيُّ**، إِمَامُ أَهْلِ الشَّـامِ بَعْـدَ الْأَوْزَاعِيِّ فِي الْمَغَازِي وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وتوفي سنة (١٨٥هـ).

٣٠-**رَابِعَـةُ الْعَدَوِيَّـةُ**، هِيَ رَابِعَـةُ بِنْتُ إِسْـمَاعِيلَ الْعَدَوِيَّةُ مَوْلَاةُ آلِ عَتِيـكٍ، الْبَصَرِيَّةُ الْعَابِدَةُ الْمَشْهُورَةُ. ذَكَرَهَا الْقُشَيْرِيُّ فِي «الرِّسَالَةِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»،وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ»، وَأَثْنَى عَلَيْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا أَبُو دُوَادَ السِّجِسْتَانِيُّ، وَاتَّهَمَهَا بِالزَّنْدَقَةِ، فَلَعَلَّهُ بَلَغَهُ عَنْهَا أَمْرٌ.

وَقَـدْ ذُكِرَ لَهَا أَحْـوَالٌ وَأَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَقِيَامُ لَيْلٍ وَصِيَامُ نَهَـارٍ، وَرُؤِيَتْ لَهَا مَنَامَاتٌ صَالِحَةٌ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ. وَتُوُفِّيَتْ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وتوفي سنة (١٨٥هـ).

٣١-**الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَمُّ الرَّشِـيدِ، كَانَ مِنْ سَـادَاتِ قُرَيْشٍ، وَلِيَ إِمَارَةَ الْجَزِيرَةِ فِي أَيَّامِ الرَّشِـيدِ، وَقَدْ أَطْلَقَ لَهُ الرَّشِـيدُ فِي يَوْمٍ خَمْسَـةَ آلَافِ أَلْـفِ دِرْهَمٍ، وَإِلَيْهِ تُنْسَـبُ الْعَبَّاسِـيَّةُ ببغداد، وَبِهَا دُفِنَ سـنة (١٨٦هـ)، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْأَمِينُ.

٣٢-**يَقْطِينُ بْنُ مُوسَى**، كَانَ أَحَدَ الدُّعَاةِ إِلَى دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ دَاهِيَةً ذَا رَأْيٍ، وَقَدِ احْتَـالَ مَرَّةً حِيلَةً عَظِيمَـةً وَذَلِكَ حِينَ حَبَسَ مَرْوَانُ بن محمد الأمـوي، إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِحَـرَّانَ، فَتَحَيَّرَتِ الشِّـيعَةُ الْعَبَّاسِـيَّةُ فِيمَنْ يَكُونُ وَلِـيَّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، فَذَهَـبَ يَقْطِينُ إِلَى مَـرْوَانَ، فَوَقَـفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي صُورَةِ تَاجِرٍ فَقَالَ: يَا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ بِعْتُ بِضَاعَةً مِنْ رَجُلٍ وَلَمْ أَقْبِضْ ثَمَنَهَا مِنْهُ حَتَّى أَخَذَتْهُ رُسُلُكَ فَحَبَسُوهُ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ

بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ لِأُطَالِبَهُ بِمَالِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَرْسَـلَ بِهِ إِلَيْهِ مَعَ غُلَامٍ، فَلَمَّـا رَآهُ قَالَ: يَا عَدُوَّ اللهِ، إِلَى مَنْ تَرَكْتَ بَعْدَكَ آخُذُ مَالِي مِنْهُ؟ فَقَالَ: إِلَى ابْنِ الْحَارِثِيَّةِ. يَعْنِي أَخَاهُ عَبْدَ اللهِ السَّـفَّاحَ، فَرَجَعَ يَقْطِينُ إِلَى دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا قَالَ، فَبَايَعُوا السَّفَّاحَ، وَكَانَ مَا قَدْ كَانَ.

٣٣- **جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ**، أَبُو الْفَضْلِ الْبَرْمَكِيُّ الْوَزِيرُ ابْنُ الْوَزِيرِ، وَقَدْ وَلَّاهُ الرَّشِـيدُ الشَّامَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَذَكَرَ ابْنُ عَسَـاكِرَ أَنَّ الرَّشِيدَ بَعَثَهُ إِلَى دِمَشْقَ لَمَّا ثَـارَتِ فتنة العصبية بِحُورَانَ بَيْنَ قَيْسٍ وَيَمَنٍ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا أَنْشَـؤوهُ فِي الْإِسْـلَامِ، كَانَت خَامِدَة فَأَثَارُوهَا فِي هَذَا الْأَوَانِ، فَلمَا قَدِمَ جَعْفَرٌ بِجَيْشِـهِ خَمَدَتِ الشُّـرُورُ وَظَهَرَ السُّرُورُ، وَقِيلَتْ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ حِسَانٌ مِنْهَا:

لَقَـدْ أُوقِـدَتْ فِـي الشَّـامِ نِيـرَانُ فِتْنَةٍ ... فَـهَـذَا أَوَانُ الـشَّـامِ تُـخْـمَـدُ نَـارُهَـا
رَمَـاهَـا أَمِـيـرُ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ بِـجَـعْـفَـرٍ ... وَفِـيـهِ تَـلَاقَـى صَـدْعُـهَـا وَانْـجِـبَـارُهَـا
رَمَـاهَـا بِـمَـيْـمُـونِ الـنَّـقِـيـبَـةِ مَـاجِـدٍ ... تَـرَاضَـى بِـهِ قَـحْـطَـانُـهَـا وَنِـزَارُهَـا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ.

وَكَانَـتْ لَـهُ فَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ وَكَرَمٌ زَائِدٌ، كَانَ أَبُوهُ قَدْ ضَمَّهُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي يُوسُـفَ، فَتَفَقَّهُ عَلَيْهِ.

وَصَارَ لَهُ اخْتِصَاصٌ بِالرَّشِيدِ حتى وَقَّعَ فِي لَيْلَةٍ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ تَوْقِيعٍ فَلَمْ يَخْرُجْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا عَنْ مُوجَبِ الْفِقْهِ.

وَرَوَى الْخَطِيـبُ الْبَغْـدَادِيُّ[1] أَنَّ سُـفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الرَّشِـيدِ جَعْفَرًا، وَمَا أَحَـلَّ بِالْبَرَامِكَـةِ مِنَ النِّقْمَةِ اسْـتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَقَـالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ جَعْفَرًا كَانَ قَـدْ كَفَانِي مَئُونَةَ الدُّنْيَا، فَاكْفِهِ مَئُونَةَ الْآخِرَةِ.

وكان مقتل جعفر في مستهل شهر صفر سنة (١٨٧هـ) وعمره (٣٧) عاماً .

(١) تاريخ بغداد ٧/ ١٦٠.

٣٤- **الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ**، أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْعُبَّادِ، وَعَلَمُ الزُّهَّادِ، وَوَاحِدُ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، وُلِدَ بِخُرَاسَانَ بِكَوْرَةِ أَبِيوَرْدَ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ شَاطِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَكَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَتَسَوَّرُ عَلَيْهَا جِدَارًا إِذْ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] . فَقَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. وَأَقْلَعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى تَوْبَتِهِ، حَتَّى كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ مِنَ السِّيَادَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ، ثُمَّ صَارَ عَلَمًا يُقْتَدَى بِهِ وَيُهْتَدَى بِكَلَامِهِ وَفِعَالِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَالَ الفضيل: الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ مِنْهُمَا.

وَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ يَوْمًا: مَا أَزْهَدَكَ! فَقَالَ: أَنْتَ أَزْهَدُ مِنِّي؛ لِأَنِّي زَهِدْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَأَنْتَ زَهِدْتَ فِي الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ: لَوْ أَنَّ لِي دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً لَدَعَوْتُ بِهَا لِإِمَامٍ عَامَّةٍ؛ فَإِنَّهُ إِذَا صَلَحَ أَمِنَتِ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ.

وَقَالَ: إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلِقِ حِمَارِي وَخَادِمِي. وتوفي سنة (١٨٧ هـ).

٣٥- **عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ فَيْرُوزَ الْمَعْرُوفُ بِالْكِسَائِيِّ، أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ مَوْلَاهُمْ، النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ، أَصْلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ، فَأَدَّبَ الرَّشِيدَ وَوَلَدَهُ الْأَمِينَ، وَقَدْ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ بْنِ حَبِيبٍ الزَّيَّاتِ قِرَاءَتَهُ، وَكَانَ يُقْرِئُ بِهَا، ثُمَّ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ قِرَاءَةً، فَكَانَ يَقْرَأُ بِهَا.

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَحَّرَ فِي النَّحْوِ فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى الْكِسَائِيِّ.

وَقَدْ كَانَ الْكِسَائِيُّ أَخَذَ عَنِ الْخَلِيلِ صِنَاعَةَ النَّحْوِ، فَسَأَلَهُ يَوْمًا: عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ بَوَادِي الْحِجَازِ. فَرَحَلَ الْكِسَائِيُّ إِلَى هُنَاكَ، فَكَتَبَ عَنِ الْعَرَبِ شَيْئًا كَثِيرًا، ثُمَّ

عَـادَ - وَمِـنْ هِمَّتِهِ الْعَوْدُ - إِلَـى الْخَلِيلِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، وَتَصَـدَّرَ فِي مَوْضِعِهِ يُونُس، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاظَرَاتٌ أَقَرَّ لَهُ فِيهَا يُونُسُ وَأَجْلَسَهُ فِي مَوْضِعِهِ.

قَالَ الْكِسَـائِيُّ: صَلَّيْـتُ يَوْمًا بِالرَّشِـيدِ، فَأَعْجَبَتْنِي قِرَاءَتِي، فَغَلِطْـتُ غَلْطَةً مَا غَلِطَهَا صَبِـيٌّ، أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] . فَقُلْتُ: لَعَلَّهُمْ يرجعِينَ. فَمَا تَجَاسَرَ الرَّشِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا، لَكِنْ لَمَّا سَلَّمْتُ قَالَ: أَيُّ لُغَةٍ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ. فَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ. توفي سنة (١٨٩ هـ).

٣٦- **مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَـنِ** بْنِ فَرْقَدٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّيْبَانِيُّ مَوْلَاهُمْ، صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ، قَدِمَ أَبُوهُ الْعِرَاقَ، فَوُلِدَ بِوَاسِطَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ، فَسَمِعَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمِسْعَرٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَعُمَرَ بْنِ ذَرٍّ، وَمَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، وَكَتَبَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا، وَكَتَبَ عَنْهُ الشَّـافِعِيُّ حِينَ قَدِمَهَا فِي سَـنَةِ أَرْبَـعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ وَقْرَ بَعِيرٍ، وَوَلَّاهُ الرَّشِـيدُ قَضَاءَ الرَّقَّةِ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَخَرَجَ مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى الرَّيِّ فَمَاتَ بِهَا سنة (١٨٩ هـ).

قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، كَانَ يَمْلَأُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ.

٣٧- **يَحْيَـى بْـنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ**، أَبُـو عَلِيٍّ الْوَزِيرُ، وَالِـدُ جَعْفَرٍ الْبَرْمَكِـيُّ، ضَمَّ إِلَيْهِ الْمَهْـدِيُّ وَلَدَهُ الرَّشِـيدَ، فَرَبَّاهُ وَأَرْضَعَتْـهُ امْرَأَتُهُ مَعَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، فَلَمَّا وَلِيَ الرَّشِـيدُ عَرَفَ لَهُ حَقَّهُ.

قال الذهبي:[1] كان يحيي كَامِلَ السُّؤْدُدِ، جَلِيْلَ المِقْدَارِ، بِحَيْثُ إِنَّ المَهْدِيَّ ضَمَّ إِلَيْهِ وَلَدَهُ الرَّشِـيْدَ، فَأَحْسَـنَ تَرْبِيَتَهُ، وأدبه، فلما أفضت الخلافة إِلَى الرَّشِـيْدِ، رَدَّ إِلَى يَحْيَى مَقَالِيْـدَ الأُمُـوْرِ، وَرَفَعَ مَحَلَّـهُ، وَكَانَ يُخَاطِبُهُ: يَا أَبِي، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الوُزَرَاءِ، وَنَشَـأَ لَهُ أَوْلاَدٌ صَارُوا مُلوكـًا، وَلاَ سِيَّمَا جَعْفَرٌ.

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٥٠٩)

وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَ الْخِلَافَةِ وَأَزِمَّتَهَا، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى نُكِبَتِ الْبَرَامِكَةُ، فَقَتَلَ جَعْفَرًا، وَخَلَّدَ أَبَاهُ فِي الْحَبْسِ حَتَّى مَاتَ سنة (١٩٠هـ). وَكَانَ كَرِيمًا فَصِيحًا، ذَا رَأْيٍ سَدِيدٍ، وَيَظْهَرُ مِنْ أُمُورِهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ.

قَالَ يَوْمًا لِوَلَدِهِ: خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَرَفًا، فَإِنَّ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا فَأَنْفِقُوا مِنْهَا فَإِنَّهَا لَا تَفْنَى، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَأَنْفِقُوا مِنْهَا

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ بَنِيهِ وَهُمْ فِي السِّجْنِ وَالْقُيُودِ: يَا أَبَتِ، بَعْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالنِّعْمَةِ صِرْنَا إِلَى هَذَا الْحَالِ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ وَنَحْنُ عَنْهَا غَافِلُونَ، وَلَمْ يَغْفُلِ اللهُ عَنْهَا.

وَقَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ يُجْرِي عَلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ كُلَّ شَهْرٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَكَانَ سُفْيَانُ يَدْعُو لَهُ فِي سُجُودِهِ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاةُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، فِي الْحَبْسِ بِالرَّافِقَةِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (١٩٠هـ) عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٣٨- **بُهْلُولُ الْمَجْنُونُ** كَانَ يَأْوِي إِلَى مَقَابِرِ الْكُوفَةِ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ حَسَنَةٍ، وَقَدْ لَقِيَ الرَّشِيدَ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى الْحَجِّ، فَوَعَظَهُ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٨٨هـ) وكانت وفاته سنة (١٩٢هـ).

٣٩- **عَلِيُّ بْنُ ظَبْيَانَ**، أَبُو الْحَسَنِ الْعَبْسِيُّ الْكُوفِيُّ، قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ مِنْ بَغْدَادَ زَمَنَ الرَّشِيدِ، كَانَ ثِقَةً عَالِمًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ وَلَّاهُ الرَّشِيدُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَخْرُجُ مَعَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، مَاتَ فِي سنة (١٩٢هـ).

٤٠- **الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ**، أَخُو جَعْفَرٍ وَإِخْوَتِهِ، كَانَ هُوَ وَالرَّشِيدُ يَتَرَاضَعَانِ، الْفَضْلُ أَكْرَمَ مِنْ أَخِيهِ جَعْفَرٍ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ كِبْرٌ شَدِيدٌ، وَكَانَ عَبُوسًا، وَكَانَ جَعْفَرٌ أَحْسَنَ بِشْرًا مِنْهُ، وَأَطْلَقَ وَجْهًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً، وَكَانَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَمْيَلَ.

وَقَـدْ وَهَبَ الْفَضْلُ لِطَبَّاخِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَعَاتَبَـهُ أَبُوهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّ هَذَا كَانَ يَصْحَبُنِي فِي الْعُسْـرِ وَالْعَيْشِ الْخَشِـنِ، وَاسْـتَمَرَّ مَعِي فِي هَذَا الْحَالِ فَأَحْسَـنَ صُحْبَتِي.

وَوَهَـبَ يَوْمًا لِبَعْضِ الْأُدَبَاءِ عَشَـرَةَ آلَافِ دِينَـارٍ، فَبَكَى الرَّجُلُ، فَقَالَ لَـهُ: مِمَّ تَبْكِي، أَسْتَقْلَلْتَها؟ قَالَ: لَا وَاللهِ؛ وَلَكِنِّي أَبْكِي أَسَفًا أَنَّ الْأَرْضَ تُوَارِي مِثْلَكَ!

وَدَخَـلَ عَلَيْـهِ بَعْضُ الْأَكَابِرِ، فَأَكْرَمَهُ الْفَضْلُ وَأَجْلَسَـهُ مَعَهُ عَلَى السَّـرِيرِ، فَشَـكَا إِلَيْهِ الرَّجُلُ دَيْنًا عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُكَلِّمَ فِي ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَكَمْ دَيْنُكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُمِائَـةِ أَلْفِ دِرْهَم. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَهْمُومٌ لِضَعْفِ رَدِّهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ، فَاسْتَرَاحَ عِنْدَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَإِذَا الْمَالُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ أَكْبَرَ رُتْبَةً مِنْ جَعْفَرٍ، وَلَكِنَّ جَعْفَرًا أَحْظَى عِنْدَ الرَّشِيدِ مِنْهُ وَأَخَصُّ.

وَقَدْ وَلِيَ الْفَضْلُ أَعْمَالًا كِبَارًا، مِنْهَا نِيَابَةُ خُرَاسَانَ وَغَيْرُهَا.

فَلَمَّا قَتَلَ الرَّشِيدُ جَعْفَرًا وَحَبَسَ الْبَرَامِكَةَ، جَلَدَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مِائَةَ سَوْطٍ، وَخَلَّدَهُ فِي السِّـجْنِ حَتَّى مَاتَ سنة (١٩٢)، قَبْلَ الرَّشِـيدِ بِشُهُورٍ خَمْسَةٍ بِالرَّقَّةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بِالْقَصْرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَصْحَابُهُ.

٤١- يُوسُفُ بْنُ الْقَاضِي **أَبِي يُوسُفَ** يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى، وَيُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَنَظَرَ فِي الرَّأْيِ، وَتَفَقَّهَ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بِبَغْدَادَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، عَنْ أَمْرِ الرَّشِيدِ. تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (١٩٢) وَهُوَ قَاضٍ بِبَغْدَادَ.

❁ ❁ ❁

(٦)

خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد

١٩٣-١٩٨هـ

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه وأسرته

هُوَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ، الْعَبَّاسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُّ جعْفرٍ **زُبَيْدَةُ** بِنْتُ جعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ.

كَانَ مَوْلِدُهُ بِالرُّصَافَةِ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ.

وله من الولد: عبدالله، وموسى، وإبراهيم لأمهات أولاد شتى.

صفاته وأحواله

كَانَ طَوِيلًا سَمِينًا أَبْيَضَ، أَقْنَى الْأَنْفِ، صَغِيرَ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الْكَرَادِيسِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، وَقَدْ رَمَاهُ بَعْضُهُمْ بِكَثْرَةِ اللَّعِبِ وَالشُّرْبِ، وَقِلَّةِ الصَّلَاةِ.

وقال الذهبي:[1] ذا قوة وشجاعة، وأدب وفصاحة، ولكنه سيء التدبير، مفرط التبذير، أرعن لعابًا، مع صحة إسلام ودين.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ طَرَفًا مِنْ سِيرَتِهِ فِي إِكْثَارِهِ مِنِ اقْتِنَاءِ السُّودَانِ وَالْخِصْيَانِ، وَإِعْطَائِهِمُ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ، وَأَمْرِهِ بِإِحْضَارِ الْمَلَاهِي وَالْمُغَنِّينَ مِنْ سَائِرِ الْبُلْدَانِ.

وَاعْتَنَى الْأَمِينُ بِبِنَايَاتٍ هَائِلَةٍ لِلنُّزْهَةِ واللهو، وَأَنْفَقَ فِي ذَلِكَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جِدًّا، فَكَثُرَ النَّكِيرُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ، فَصِيحًا، يَقُولُ الشِّعْرَ وَيُحِبُّهُ وَيُعْطِي عَلَيْهِ الْجَوَائِزَ الْكَثِيرَةَ.

❁ ❁ ❁

(١) السير ٩/ ٣٣٤

خلافته

○ بيعته

تُوُفِّيَ **الرَّشِيدُ** بِطُوسَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (١٩٣هـ) فكَتَبَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ إِلَـى أَخِيـه ببغداد مُحَمَّـدِ الْأَمِيـنِ يُعْلِمُهُ بِوَفَـاةِ أَبِيهِ، وَيُعَزِّيهِ فِيهِ، وأرسـل معـه الْخَاتَمُ، وَالْقَضِيبُ، وَالْبُرْدَةُ. وفي يوم الْجُمُعَةِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى صَلَّى بِالنَّاسِ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَهُمْ، وَعَزَّاهُمْ فِي الرَّشِـيدِ، وَبَسَـطَ آمَالَ النَّاسِ، وَوَعَدَهُمُ الْخَيْرَ، فَبَايَعَهُ الْخَوَاصُّ مِنْ قَوْمِهِ، وَوُجُوهُ الْأُمَرَاءِ، وَأَمَرَ بِصَرْفِ أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ عَنْ سَـنَتَيْنِ. فانْتَظَمَ أَمْرُ الْأَمِينِ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَقَامَ حَالُهُ فِيهَا.

وكَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ هَدَايَا خُرَاسَانَ وَتُحَفِهَا، مِنَ الدَّوَابِّ، وَالْمِسْكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ نَائِبٌ عَلَيْهَا.

وَكَانَتْ خلافته أَرْبَعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

○ إقرار الأمين بيعة أخويه

أَقَرَّ الْأَمِينُ في أول خلافته أَخَاهُ الْمَأْمُونَ عَلَى مَا تَحْتَ يَدِهِ مِنْ خُرَاسَـانَ وَالرَّيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَقَرَّ أَخَاهُ الْقَاسِمَ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ، وَأَقَرَّ عُمَّالَ أَبِيهِ عَلَى الْبِلَادِ إِلَّا الْقَلِيلَ .

○ ولاية العهد لموسى ابن الأمين

في رَبِيعٍ الْأَوَّلِ من سـنة (١٩٤هـ) أَمَرَ الْأَمِينُ بِالدُّعَاءِ لِوَلَدِهِ **مُوسَـى** عَلَى الْمَنَابِرِ فِي سَـائِرِ الْأَمْصَارِ، وَبِالْإِمْرَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَسَـمَّاهُ النَّاطِقَ بِالْحَقِّ، ثُمَّ يُدْعَى بَعْدَهُ لِلْمَأْمُونِ، ثُمَّ لِلْقَاسِمِ، ثم حَسَّنَ لَهُ الفضلُ بن الربيع بعد ذلك، خَلْعَ الْمَأْمُونِ وَالْقَاسِمِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ خلع أهل حمص نائبهم

فِي سنة (١٩٤هـ) خَلَعَ أَهْلُ حِمْصَ نَائِبَهُمْ، فَعَزَلَهُ عَنْهُمُ الْأَمِينُ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَعِيدٍ الْحَرَشِيَّ فَقَتَلَ طَائِفَةً مِنْ وُجُوهِهَا، وَحَرَّقَ نَوَاحِيَهَا بِالنَّارِ، فَسَأَلُوهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، ثُمَّ هَاجُوا، فَضَرَبَ أَعْنَاقَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَيْضًا.

○ عزل القاسم بن الرشيد

فِي سنة (١٩٤هـ) عَزَلَ الْأَمِينُ أَخَاهُ الْقَاسِمَ عَنِ الْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ، وَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ خُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ وَأَمَرَ أَخَاهُ بِالْمُقَامِ عِنْدَهُ بِبَغْدَادَ.

○ الخلاف بين الأمين والمأمون

لَمَّا بَلَغَ الْمَأْمُونَ ما فعله الأمين من بيعته لابنه موسى، قَطَعَ الْبَرِيدَ عَنْهُ، وَتَرَكَ ضَرْبَ اسْمِهِ عَلَى السِّكَّةِ وَالطُّرُزِ، وَتَنَكَّرَ لِأَخِيهِ الْأَمِينِ، وَبَعَثَ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ إِلَى الْمَأْمُونِ يَسْأَلُ مِنْهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِمَنْ مَعَهُ، فَأَكْرَمَهُ الْمَأْمُونُ وَعَظَّمَهُ، وَجَاءَ هَرْثَمَةُ عَلَى إِثْرِهِ فَتَلَقَّاهُ الْمَأْمُونُ وَوُجُوهُ النَّاسِ، وَوَلَّاهُ الْحَرَسَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِينَ أَنَّ الْجُنُودَ قَدِ الْتَفَّتَ عَلَى أَخِيهِ الْمَأْمُونِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ كِتَابًا وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلًا مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، يدعونه إِلَى تَقْدِيمِ وَلَدِهِ مُوسَى عَلَيْهِ، فَأَظْهَرَ الْمَأْمُونُ الِامْتِنَاعَ.

وَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ إِلَى الْأَمِينِ أَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ جَوَابِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى الْأَمِينِ فِي خَلْعِ الْمَأْمُونِ فَخَلَعَهُ، وَجَعَلُوا مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَأْمُونِ وَيَذْكُرُ مَسَاوِئَهُ، وَبَعَثُوا إِلَى مَكَّةَ فَأَخَذُوا الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ الرَّشِيدُ، وَأَوْدَعَهُ فِي الْكَعْبَةِ، فَمَزَّقَهُ الْأَمِينُ.

وَجَرَتْ بَيْنَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ مُكَاتَبَاتٌ وَرُسُلٌ يَطُولُ بَسْطُهَا، وَقَدِ اسْتَقْصَاهَا الْإِمَامُ

أَبُـو جَعْفَـرِ بْنُ جَرِيرٍ فِـي تَارِيخِهِ،[١] **ثُمَّ آلَ الْحَـالُ إِلَى أَنِ احْتَفَـظَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى بِلَادِهِ،** وَحَصَّنَهَا وَهَيَّأَ الْجُيُوشَ وَالْجُنُودَ وَتَأَلَّفَ الرَّعَايَا.

وفَي صَفَرٍ سنة (١٩٥هـ) أَمَرَ الْأَمِينُ أَنْ لَا يَتَعَامَلُوا بِالدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ الَّتِي عَلَيْهَا اسْمُ الْمَأْمُونِ، وَنَهَى أَنْ يُدْعَى لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، فرد الْمَأْمُونُ بأن تسمّى **بِإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ.**

○ الحرب بينهما

وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سـنة (١٩٥هـ) عَقَدَ الْأَمِينُ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَـى بْنِ مَاهَانَ الْإِمَارَةَ عَلَى الْجَبَلِ، وَهَمَذَانَ، وَأَصْبَهَانَ، وَقُمَّ وَتِلْكَ الْبِلَادِ، وَأَمَرَهُ بِحَرْبِ الْمَأْمُونِ وَجَهَّزَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيرًا، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ نَفَقَاتٍ عَظِيمَةً.

وَخَـرَجَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَـى بْنِ مَاهَانَ مِـنْ بَغْدَادَ فِـي أَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَمَعَـهُ قَيْدٌ مِنْ فِضَّةٍ؛ لِيَأْتِيَ بِالْمَأْمُونِ فِيهِ. وَخَرَجَ الْأَمِينُ مَعَهُ مُشَـيِّعًا، فَسَـارَ علي بن عيسى حَتَّى وَصَلَ إِلَـى الرَّيِّ فَتَلَقَّاهُ الْأَمِيرُ طَاهِرٌ فِي أَرْبَعَـةِ آلَافٍ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أُمُورٌ آلَ الْحَالُ فِيهَا إِلَى أَنِ اقْتَتَلُـوا، فَقُتِلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَـى، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُـهُ، وَانْتَهَى الْخَبَرُ إِلَـى الْأَمِينِ وَهُوَ يَصِيدُ السَّمَكَ مِنْ دِجْلَةَ.

وَأَرْجَفَ النَّاسُ بِبَغْدَادَ، وَخَافُوا غَائِلَةَ هَذَا الْأَمْرِ، وَنَدِمَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ نَكْثِ الْعَهْدِ، وَخَلْعِ أَخِيهِ الْمَأْمُونِ وكان وصول الخبر إليهم فِي شَوَّالٍ من (١٩٥هـ).

ثُـمَّ جَهَّـزَ الأمينُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْـنَ جَبَلَةَ الْأَبْنَاوِيَّ فِي عِشْـرِينَ أَلْفًا مِـنَ الْمُقَاتِلَةِ إِلَى هَمَذَانَ لِيُقَاتِلُوا طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْهُمْ تَوَاجَهُوا، فَتَقَاتَلُوا قِتَالًا شَـدِيدًا، فَكَثُرَتِ الْقَتْلَى بَيْنَهُمْ مِـنَ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَصْحَابُ عَبْـدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبَلَـةَ، فَلَجَئُوا إِلَى هَمَذَانَ فَحَاصَرَهُمْ بِهَا طَاهِرٌ حَتَّى اضْطَرَّهُمْ إِلَى أَنْ دَعَوْا إِلَى الصُّلْحِ، فَصَالَحَهُمْ وَأَمَّنَهُمْ وَوَفَّى لَهُمْ.

(١) انظر: تاريخ الطبري ٨/ ٣٧٥- ٣٨٥.

وَانْصَـرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَبَلَةَ وأظهر أنهم رَاجِعـون، ثُمَّ غَدَرُوا بِأَصْحَابِ طَاهِرٍ، وَحَمَلُـوا عَلَيْهِمْ وَهُـمْ غَافِلُونَ فَقَتَلُوا مِنْهُـمْ خَلْقًا، وَصَبَرَ لَهُمْ أُولَئِكَ، ثُـمَّ نَهَضُوا إِلَيْهِمْ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا أَمِيرَهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جَبَلَةَ وَفَرَّ أَصْحَابُهُ خَائِبِينَ.

وَطَـرَدَ طَاهِـرٌ عُمَّالَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ عَـنْ قَزْوِينَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، وَقَـوِيَ أَمْرُ الْمَأْمُونِ جِدًّا بِتِلْكَ الْبِلَادِ.

وفِـي سـنة (١٩٦هـ) وَجَّهَ الْأَمِينُ أَحْمَدَ بْنَ مَزْيَدَ، وَعَبْـدَ اللهِ بْنَ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ فِي أَرْبَعِيـنَ أَلْفًـا إِلَى حُلْوَانَ لِقِتَالِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَمِيرِ الْحَرْبِ مِنْ جِهَـةِ الْمَأْمُونِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى قَرِيبٍ مِنْ حُلْوَانَ خَنْدَقَ طَاهِرٌ عَلَى جَيْشِـهِ خَنْدَقًا، وَجَعَلَ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ فِي إِيقَـاعِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَمِيرَيْنِ، فَاخْتَلَفَـا فَرَجَعَا وَلَمْ يُقَاتِلَاهُ، وَدَخَلَ طَاهِرٌ إِلَى حُلْوَانَ وَجَاءَهُ كِتَـابُ الْمَأْمُونِ بِتَسْـلِيمِ مَا تَحْتَ يَدِهِ إِلَى هَرْثَمَةَ بْنِ أَعْيَـنَ، وَأَنْ يَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

وفِـي سـنة (١٩٦هـ) وَلَّـى الْأَمِينُ نِيَابَةَ الشَّـامِ لِعَبْدِ الْمَلِـكِ بْنِ صَالِحِ بْـنِ عَلِيٍّ وَقَدْ كَانَ أَخْرَجَهُ مِنْ سِـجْنِ الرَّشِـيدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ لَهُ رِجَالًا وَجُنُودًا لِقِتَالِ طَاهِرٍ وهَرْثَمَةَ، فَلَمَّـا وَصَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ إِلَى الرَّقَّةِ أَقَامَ بِهَا، وَكَتَبَ إِلَى رُؤَسَـاءِ الشَّـامِ يَتَأَلَّفُهُمْ وَيَدْعُوهُـمْ إِلَى الطَّاعَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُـمَّ وَقَعَتْ حُرُوبٌ كَانَ مَبْدَؤُهَا مِنْ أَهْلِ حِمْصَ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ وَطَالَ الْقِتَالُ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ هُنَالِكَ، فَرَجَعَ الْجَيْشُ إِلَى بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُ بَغْدَادَ بِالْإِكْرَامِ وَالِاحْتِرَامِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

لما وَصَلَ الحسـين بن ماهان إلى بغداد سـنة (١٩٥هـ)، جَاءَهُ رَسُولُ الْأَمِينِ يَطْلُبُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَنَا بِمُسَـامِرٍ وَلَا مُضْحِكٍ، وَلَا وَلِيتُ لَهُ عَمَلًا، وَلَا جَاءَ لَهُ عَلَى يَدَيَّ مَالٌ، فَلِأَيِّ شَيْءٍ يُرِيدُنِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْأَمِينِ لَمَّا طَلَبَهُ.

ولَمَّا أَصْبَحَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَأَلَّبَهُمْ عَلَى الْأَمِينِ، وَذَكَرَ لَعِبَهُ وَمَا يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّهْوِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَأَنَّهُ لَا تَصْلُحُ الْخِلَافَةُ لِمَنْ هَذَا حَالُهُ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ الْبَأْسَ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالنُّهُوضِ إِلَيْهِ، وَنَدَبَهُمْ لِذَلِكَ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَبَعَثَ الْأَمِينُ إِلَيْهِ خَيْلًا، فَاقْتَتَلُوا مَلِيًّا، فَانْهَزَمَ جَيْشُ الْأَمِينِ، وَخَلَعَ الحسين مُحَمَّدًا الْأَمِينَ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِعَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ. ثم أمر بنَقَلَ الْأَمِينَ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ وَسَطَ بَغْدَادَ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ وَقَيَّدَهُ.

وَأَمَرَ أُمَّهُ زُبَيْدَةَ أَنْ تَنْتَقِلَ إِلَى هُنَالِكَ فَامْتَنَعَتْ، فقَهَرَهَا عَلَى الِانْتِقَالِ، فَانْتَقَلَتْ مَعَ أَوْلَادِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ طَلَبُوا مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أُعْطِيَاتِهِمْ وَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ، وَصَارَ أَهْلُ بَغْدَادَ **فِرْقَتَيْنِ**: فِرْقَةً مَعَ الْخَلِيفَةِ وَفِرْقَةً عَلَيْهِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَغَلَبَ حِزْبُ الْخَلِيفَةِ أُولَئِكَ، وَأَسَرُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَيَّدُوهُ، وَدَخَلُوا بِهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَلَامَهُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَعَفَا عَنْهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَاسْتَوْزَرَهُ، وَأَعْطَاهُ الْخَاتَمَ، وَوَلَّاهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ، وَوَلَّاهُ الْحَرْبَ وَسَيَّرَهُ إِلَى **حُلْوَانَ** فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْجِسْرِ، هَرَبَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِينُ مَنْ يَرُدُّهُ، فَرَكِبَتِ الْخُيُولُ وَرَاءَهُ فَأَدْرَكُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حتى قتل لِمُنْتَصَفِ رَجَبٍ، وَجَاءُوا بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَمِينِ، وَجَدَّدَ النَّاسُ بَيْعَةَ الْأَمِينِ.

وَقد اسْتَحْوَذَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ نَائِبُ الْمَأْمُونِ عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ، وَاسْتَنَابَ بِهَا النُّوَّابَ، مِنْ جِهَةِ الْمَأْمُونِ وَخَلَعَتْ أَكْثَرُ الْأَقَالِيمِ الْأَمِينَ، وَبَايَعُوا الْمَأْمُونَ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الْأَمِينِ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَاخْتَلَفَ أهل بغداد عَلَى الْأَمِينِ فِي شهر ذِي الْحِجَّةِ، فَتَفَرَّقَ عَلَى الْأَمِينِ شَمْلُهُ، وَحَارَ فِي أَمْرِهِ، وَجَاءَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِجُيُوشِهِ، فَنَزَلَ عَلَى بَابِ الْأَنْبَارِ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ، وَأَخَذَتِ الدُّعَّارُ وَالشُّطَّارُ أَهْلَ الصَّلَاحِ، وَخُرِّبَتِ الدِّيَارُ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى قَاتَلَ الْأَخُ أَخَاهُ، وَالِابْنُ أَبَاهُ.

واسْتَهَلَّتْ سنة (١٩٧هـ) وَقَدْ أَلَحَّ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ وَهَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْجُنُودِ فِي حِصَارِ بَغْدَادَ وَالتَّضْيِيقِ عَلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَهَرَبَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ، وَعَمُّهُ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ إِلَى الْمَأْمُونِ فَأَكْرَمَهُمَا، وَوَلَّى أَخَاهُ الْقَاسِمَ جُرْجَانَ وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ بِبَغْدَادَ وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ وَضَاقَ الْأَمِينُ بِهِمْ ذَرْعًا، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مَا يُنْفِقُ فِي الْجُنْدِ، فَاضْطَرَّ إِلَى ضَرْبِ آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ.

وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ إِلَى طَاهِرٍ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأُخِذَتْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ مِنَ التُّجَّارِ، وَبَعَثَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ إِلَى قُصُورٍ كَثِيرَةٍ، وَدُورٍ شَهِيرَةٍ، وَأَمَاكِنَ وَمَحَالَّ كَثِيرَةٍ فَحَرَّقَهَا، فَعَلَ كُلَّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ، وَلِتَدُومَ الْخِلَافَةُ لَهُ فَلَمْ تَدُمْ، وَقُتِلَ، وَخُرِّبَتْ دِيَارُهُ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا.

وَفَعَلَ طَاهِرٌ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْأَمِينُ، حَتَّى كَادَتْ بَغْدَادُ تَخْرَبُ بِكَمَالِهَا، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي ذَلِكَ:

مَنْ ذَا أَصَابَكِ يَا بَغْدَادُ بِالْعَيْنِ ... أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قُرَّةَ الْعَيْنِ
أَلَمْ يَكُنْ فِيكِ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ ... وَكَانَ قُرْبُهُمْ زَيْنًا مِنَ الزَّيْنِ
صَاحَ الْغُرَابُ بِهِمْ بِالْبَيْنِ فَافْتَرَقُوا ... مَاذَا لَقِيتِ بِهِمْ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ

وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ؛ فَمِنْ ذَلِكَ وَقْعَةُ دَرْبِ الْحِجَارَةِ، كَانَتْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ، **وَضَعُفَ أَمْرُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ابْنِ زُبَيْدَةَ جِدًّا**، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ مَالٌ يُنْفِقُهُ عَلَى جُنْدِهِ، وَلَا عَلَى نَفْسِهِ، وَتَفَرَّقَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ عَنْهُ، وَبَقِيَ مُضْطَهَدًا ذَلِيلًا.

وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ بِكَمَالِهَا وَالنَّاسُ فِي بَغْدَادَ فِي قَلَاقِلَ وَزَلَازِلَ وَقِتَالٍ وَحِصَارٍ وَحَرْقٍ وَغَرَقٍ وَسَرَقٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ حصار الأمين ومقتله

فِي سنة (١٩٨هـ) تغير خُزَيْمَةُ بْنُ خَازِمٍ عَلَى **مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ** وَأَخَذَ الْأَمَانَ مِنْ طَاهِرِ بن حسين، فدَخَلَ هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ من بغداد، وَفِي الثامن مِنَ الْمُحَرَّمِ وَثَبَ خُزَيْمَةُ بْنُ خَازِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ فقَطَعَاهُ وَنَصَبَا رَايَتَهُمَا عَلَيْهِ، وَدَعَوْا إِلَى بَيْعَةِ عَبْدِ اللهِ الْمَأْمُونِ وَخَلع مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ.

وَدَخَلَ طَاهِرٌ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، فَبَاشَرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ، وَنَادَى بِالْأَمَانِ لِمَنْ لَزِمَ مَنْزِلَهُ، وَجَرَتْ عِنْدَ دَارِ الرَّقِيقِ وَالْكَرْخِ وَغَيْرِهِمَا وَقَعَاتٌ.

وَأَحَاطَ بِمَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْخُلْدِ وَقَصْرِ زُبَيْدَةَ، وَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ حَوْلَ السُّورِ، فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ **الْأَمِينُ** بِأُمِّهِ وَوَلَدِهِ إِلَى مَدِينَةِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ فِي الطُّرُقِ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. وَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ مَاكَانَ فِي القصور مِنَ الْأَثَاثِ وَالْبُسُطِ وَالْأَمْتِعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ فَحُصِرَ فِيهِ حَصْرًا شَدِيدًا.

ولَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ شَاوَرَ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْجُنْدِ.

فَقَالَتْ **طَائِفَةٌ**: تَذْهَبُ بِمَنْ بَقِيَ مَعَكَ إِلَى الْجَزِيرَةِ أَوِ الشَّامِ فَتَتَقَوَّى بِالْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ.

وَقَالَ **بَعْضُهُمْ**: بَلْ تَخْرُجُ إِلَى طَاهِرٍ وَتَأْخُذُ مِنْهُ أَمَانًا، وَتُبَايِعُ لِأَخِيكَ.

وَقَالَ **بَعْضُهُمْ**: بَلْ هَرْثَمَةُ أَوْلَى بِأَنْ يَأْخُذَ لَكَ الْأَمَانَ؛ فَإِنَّهُ مَوْلَاكُمْ أَحْنَى عَلَيْكُمْ. فَمَالَ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَحَدِ الرَّابِعِ مِنْ صَفَرٍ، وَاعَدَ هَرْثَمَةَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ لَبِسَ ثِيَابَ الْخِلَافَةِ، وَطَيْلَسَانًا ثُمَّ رَكِبَ عَلَى فَرَسٍ سَوْدَاءَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَرْثَمَةَ أَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، وَرَكِبَا فِي حَرَّاقَةٍ[1] فِي دِجْلَةَ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ طَاهِرًا، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ هَذَا كُلَّهُ وَيَذْهَبُ إِلَى غَيْرِي، وَيُنْسَبُ هَذَا كُلُّهُ إِلَى هَرْثَمَةَ! فَلَحِقَهُمَا وَهُمَا فِي الْحَرَّاقَةِ، فَأَمَالَهَا أَصْحَابُهُ

(١) الحراقة: ضرب من السفن فِيهَا مرامي نيران يرْمى بهَا الْعَدو فِي الْبَحْر. المعجم الوسيط (١/ ١٦٨).

فَغَرِقَتْ فِي الْمَاءِ، فَغَرِقَ مَنْ فِيهَا، غَيْرَ أَنَّ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ سَبَحَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَأَسَرَهُ بَعْضُ الْجُنْدِ، فَبَعَثَ طاهـر إِلَيْهِ جُنْدًا مِنَ الْعَجَمِ، فَجَاءُوا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي قَدْ أَوَى إِلَيْهِ فقتلوه وَأَخَذُوا رَأْسَهُ وَجُثَّتَهُ فَأَتَوْا بِهِمَا طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ بِنَصْبِ الرَّأْسِ فَـوْقَ رُمْحٍ هُنَاكَ، حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَـوْقَ الرُّمْحِ عِنْدَ بَابِ الْأَنْبَارِ، وَكَثُرَ عَدَدُ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ بَعَثَ طَاهِرٌ بِرَأْسِ الْأَمِينِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِالْبُرْدَةِ وَالْقَضِيبِ وَالْمُصَلَّى وَكَانَ مِنْ خُوصٍ مُبَطَّنٍ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِينُ هَدَأَتِ الْفِتَنُ، وَخَمَدَتِ الشُّرُورُ، وَأَمِنَ النَّاسُ، وَطَابَتِ النُّفُوسُ.

وعاش الأمين سبعًا وعشرين سنة.

○ خروج السفياني بالشام

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (١٩٥هـ) ظَهَرَ السُّفْيَانِيِّ بِالشَّامِ، وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَعَزَلَ نَائِبَهَا، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِينُ جَيْشًا، فَلَمْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ بَلْ أَقَامُوا بِالرَّقَّةِ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٩٣هـ) وسنة (١٩٤هـ) وسنة (١٩٥هـ) نَائِبُ الْحِجَازِ دَاوُدُ بْنُ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (١٩٦هـ) وسنة (١٩٧هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيُّ، مِنْ قِبَلِ طَاهِرٍ، وَدَعَا لِلْمَأْمُونِ بِالْخِلَافَةِ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْسِمٍ دُعِيَ فِيهِ لِلْمَأْمُونِ بِالْخِلَافَةِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ** وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ الرُّفَعَاءِ رَوَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل. وَقَدْ وَلِيَ الْمَظَالِمِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ نَاظِرَ الصَّدَقَاتِ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ ثِقَةً نَبِيلًا جَلِيلًا كَبِيرَ الْقَدْرِ، قَلِيلَ التَّبَسُّمِ، وَكَانَ يَتَّجِرُ فِي الْبَزِّ فَيُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَيَحُجُّ مِنْهُ، وَيَبَرُّ أَصْحَابَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمُ السُّفْيَانَانِ وَغَيْرُهُمَا، توفي سنة (١٩٣هـ).

٢- **أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ** أَحَدُ الْأَئِمَّةِ، سَمِعَ أَبَا إِسْحَاقَ السَّبِيعِيَّ، وَالْأَعْمَشَ، وَهِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ وَجَمَاعَةً.

وَحَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ مِنَ الثِّقَاتِ، مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. قَالَ فِيهِ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ كَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا .

قَالُوا: وَمَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَتْمَةً كَامِلَةً، وَتُوُفِّيَ سنة (١٩٣هـ) وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً .

٣- **أَبُو النَّصْرِ الْجُهَنِيُّ الْمُصَابُ**، كَانَ مُقِيمًا بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِالصُّفَّةِ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي الْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ، وَكَانَ يُطِيلُ السُّكُوتَ، فَإِذَا سُئِلَ أَجَابَ بِجَوَابٍ حَسَنٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ مُفِيدَةٍ تُؤْثَرُ عَنْهُ، وَتُكْتَبُ، وَكَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَيَقِفُ عَلَى مَجَامِعِ النَّاسِ فَيَقُولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [لقمان: ٣٣] وَ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ٤٨] ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّيَ فِيهِ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ لَا يَخْرُجُ حَتَّى يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ.

وَقَدْ وَعَظَ مَرَّةً هَارُونَ الرَّشِيدَ بِكَلَامٍ حَسَنٍ فَقَالَ: اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سَائِلُكَ عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ، فَأَعِدَّ لِذَلِكَ جَوَابًا، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ بِالْعِرَاقِ ضَيَاعًا لَخَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْهَا. فَقَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَعُمَرَ، وَإِنَّ دَهْرِي لَيْسَ كَدَهْرِهِ. فَقَالَ: مَا

هَـذَا بِمُغْنٍ عَنْكَ شَـيْئًا. فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَنَـا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَمُرْ بِهَا فَلْتُقَسَّمْ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ. وَتُوُفِّيَ سنة (١٩٤هـ)

٤- **بَـكَّارُ بْـنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْـنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ نَائِبَ الْمَدِينَةِ لِلرَّشِـيدِ ثِنْتَيْ عَشْـرَةَ سَنَةً وَأَشْـهُرًا،وَقَدْ أَطْلَقَ الرَّشِـيدُ عَلَى يَدَيْهِ لِأَهْلِهَا أَلْفَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ شَرِيفًا جَوَادًا مُعَظَّمًا مُمَدَّحًا. وَتُوُفِّيَ سنة (١٩٥هـ)

٥- **أَبُو نُوَاسٍ الشَّـاعِرُ** الْبَصْرِيُّ، وَاسْـمُهُ الْحَسَـنُ بْنُ هَانِئِ بْنِ عَبْدِ الْأَوَّلِ ينتهي نسبه إلى حَكَمِ بْنِ سَـعْدِ الْعَشِـيرَةِ، تَأَدَّبَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَقَرَأَ كِتَابَ سِـيبَوَيْهِ وَلَزِمَ خَلَفًا الْأَحْمَرَ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: لَوْلَا أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ أَفْسَدَ شِعْرَهُ بِهَذِهِ الْأَقْذَارِ لَاحْتَجَجْنَا بِهِ فِي كُتُبِنَا. يَعْنِي شِعْرَهُ فِي الْخَمْرِيَّاتِ، وَالمردان.

وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ ذَكَرُوا عَنْهُ أُمُورًا كَثِيرَةً، وَأَشْـعَارًا مُنْكَرَةً، وَمُجُونًا، وَلَهُ فِي الْخَمْرِيَّاتِ وَالتَّشَبُّبِ بِالْمُرْدَانِ وَالنِّسْوَانِ أَشْيَاءُ بَشِعَةٌ شَنِيعَةٌ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُفَسِّقُهُ وَيَرْمِيهِ بِالْفَاحِشَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْمِيهِ بِالزَّنْدَقَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّمَا كَانَ يُخَرِّبُ عَلَى نَفْسِهِ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ؛ لِمَا فِي أَشْعَارِهِ، فَأَمَّا الزَّنْدَقَةُ فَبَعِيدَةٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ مُجُونٌ وَخَلَاعَةٌ كَثِيرَةٌ.

وَالْعَامَّـةُ تَنْقُـلُ عَنْهُ أَشْـيَاءَ كَثِيرَةً لَا حَقِيقَـةَ لَهَا. وَفِي صَحْـنِ جَامِعِ دِمَشْـقَ قُبَّةٌ يَفُورُ الْمَاءُ مِنْ وَسَـطِهَا، يَقُولُ الدَّمَاشِـقَةُ: قُبَّةُ أَبِي نُوَاسٍ. وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ بَعْـدَ مَوْتِهِ بِأَزْيَدَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَمَا أَدْرِي لِمَاذَا تُسَمَّى بِهَذَا؟ وَاللهُ أَعْلَمُ

وَقَـالَ الرَّبِيعُ وَغَيْرُهُ، عَنِ الشَّـافِعِيِّ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي نُوَاسٍ فِـي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقُلْنَا: مَا أَعْدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

تَـعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَـجُودُ وَتَـعْـفُو مِنَّـةً وَتَـكَـرُّمَا

وَذَكَرُوا أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ لَمَّا أَرَادَ الْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ قَالَ:

إِلَهَنَا مَا أَعْدَلَكْ ... مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكْ
لَبَّيْكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكْ ... لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكْ ... مَا خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ ... وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ ... لَوْلَاكَ يَا رَبِّي هَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ ... وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ حَلَكْ ... وَالسَّابِحَاتُ فِي الْفَلَكْ
عَلَى مَجَارِي الْمُنْسَلَكْ ... كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكْ
وَكُلُّ مَنْ أَهَلَّ لَكْ ... سَبَّحَ أَوْ صَلَّى فَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ ... وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكْ
يَا مُخْطِئًا مَا أَغْفَلَكْ ... عَجِّلْ وَبَادِرْ أَمَلَكْ
وَاخْتِمْ بِخَيْرٍ عَمَلَكْ ... لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ

توفي في سنة (١٩٥هـ) ببغداد.

(٧)

خلافة عبدالله المأمون بن هارون الرشيد

١٩٨ ـ ٢١٨

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

هُوَ عَبْدُ اللهِ الْمَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ، أَبُو جَعْفَرٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا مَرَاجِلُ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (١٧٠هـ).

صفاته ومحاسنه

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا: كَانَ الْمَأْمُونُ أَبْيَضَ رَبْعَةً حَسَنَ الْوَجْهِ، قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ تَعْلُوهُ صُفْرَةٌ، أَعْيَنَ طَوِيلَ اللِّحْيَةِ رَقِيقَهَا، ضَيِّقَ الْجَبِينِ، عَلَى خَدِّهِ خَالٌ.

وَكَانَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِعُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ مِنْ فِقْهٍ، وَطِبٍّ، وَشِعْرٍ، وَفَرَائِضَ، وَكَلَامٍ، وَنَحْوٍ، وَعَرَبِيَّةٍ، وَغَرِيبٍ، وَعِلْمِ النُّجُومِ.

قال الذهبي:[١] قَرَأَ العِلْمَ وَالأَدَبَ وَالأَخْبَارَ، وَالعَقْلِيَّاتِ وَعُلُوْمَ الأَوَائِلِ، وَأَمَرَ بِتَعْرِيْبِ كُتُبِهِم وَبَالَغَ وَعَمِلَ الرَّصَدَ فَوْقَ جَبَلِ دِمَشْقَ، وَدَعَا إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وبالغ.

قال: وَكَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي العَبَّاسِ حَزْماً، وَعَزْماً وَرَأْياً وَعَقْلاً، وَهَيْبَةً وَحِلْماً وَمَحَاسِنُهُ كَثِيْرَةٌ فِي الجُمْلَةِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ سَمِعْتُ الْمَأْمُونَ يَوْمَ عِيدٍ **خَطَبَ النَّاسَ** فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: عِبَادَ اللهِ، عَظُمَ أَمْرُ الدَّارَيْنِ، وَارْتَفَعَ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ، وَطَالَتْ مُدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَلْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ، وَالْبَعْثُ وَالْحِسَابُ، وَالْفَصْلُ وَالصِّرَاطُ، ثُمَّ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ، فَمَنْ نَجَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ خَابَ، الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٣٧٦- ٣٧٨)

وَكَانَ فِيهِ شَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقُوَّةٌ جَسِيمَةٌ وَلَهُ هِمَّةٌ فِي الْقِتَالِ، وَحِصَارِ الْأَعْدَاءِ، وَمُصَابَرَةِ الرُّومِ، وَحَصْرِهِمْ فِي بُلْدَانِهِمْ، وَقَتْلِ فُرْسَانِهِمْ، وَأَسْرِ ذَرَارِيهِمْ وَوِلْدَانِهِمْ. وَكَانَ يَقْصِدُ الْعَدْلَ، وَيَتَوَلَّى بِنَفْسِهِ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ .

وجاءه وَهُوَ بِدِمَشْقَ مَالٌ جَزِيلٌ مِنْ خُرَاسَانَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَخَرَجَ يَسْتَعْرِضُهَا وَمَعَهُ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ الْقَاضِي، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْبَلَدَ، قَالَ: لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ نَحُوزَ نَحْنُ هَذَا كُلَّهُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ فَرَّقَ مِنْهُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَرِجْلُهُ فِي الرِّكَابِ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ فَرَسِهِ.

○ عقيدته

وَقَدْ كَانَ فِيهِ تَشَيُّعٌ وَاعْتِزَالٌ، وَجَهْلٌ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، أَمَّا كَوْنُهُ عَلَى مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ؛ فَإِنَّهُ اجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ؛ مِنْهُمْ **بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيُّ**، فَأَخَذَ عَنْهُمْ هَذَا الْمَذْهَبَ الْبَاطِلَ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعِلْمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَصِيرَةٌ نَافِذَةٌ فِيهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الدَّاخِلُ، وَرَاجَ عِنْدَهُ الْبَاطِلُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَحَمَلَ النَّاسَ قَهْرًا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ وَانْقِضَاءِ دَوْلَتِهِ.

رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا نَضْرُ؟ قُلْتُ: بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: **مَا الْإِرْجَاءُ**؟ فَقُلْتُ: دِينٌ يُوَافِقُ الْمُلُوكَ، يُصِيبُونَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَيَنْقُصُونَ مِنْ دِينِهِمْ. قَالَ: صَدَقْتَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا نَضْرُ، أَتَدْرِي مَا قُلْتُ اليوم؟ قُلْتُ: أَنَّى لِي بِعِلْمِ الْغَيْبِ؟ فَقَالَ: قُلْتُ:

أَصْبَحَ دِينِي الَّذِي أَدِينُ بِهِ ... وَلَسْتُ مِنْهُ الْغَدَاةَ مُعْتَذِرَا
حُبُّ عَلِيٍّ بَعْدَ النَّبِيِّ وَلَا ... أَشْتِمُ صِدِّيقًا وَلَا عُمَرَا
ثُمَّ ابْنُ عَفَّانَ فِي الْجِنَانِ مَعَ الْ ... أَبْرَارِ ذَلِكَ الْقَتِيلُ مُصْطَبِرَا

قال ابن كثير:(١) وَهَذَا الْمَذْهَبُ ثَانِي مَرَاتِبِ التَّشَيُّعِ، وَفِيهِ تَفْضِيلُ عَلِيٍّ عَلَى الصحابة.

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٢).

وَبَعْدَ ذَلِكَ سِتَّ عَشْرَةَ مَرْتَبَةً فِي التَّشَيُّعِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «الْبَلَاغِ الْأَكْبَرِ وَالنَّامُوسِ الْأَعْظَمِ» تَنْتَهِي إِلَى أَكْفَرِ الْكُفْرِ.

وَقَدْ رُوِّيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَا أُوتَى بِأَحَدٍ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ جَلْدَ الْمُفْتَرِي.

وقَدْ خَالَفَ الْمَأْمُونُ فِي مَذْهَبِهِ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ، حَتَّى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم أَضَافَ الْمَأْمُونُ إِلَى بِدْعَتِهِ، **الْبِدْعَةَ الْأُخْرَى**، وَهِيَ **الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ**، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الِانْهِمَاكِ عَلَى تَعَاطِي الْمُسْكِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ المنكرة.

وَلَمَّا ابْتَدَعَ الْمَأْمُونُ مَا ابْتَدَعَ مِنَ التَّشَيُّعِ وَالِاعْتِزَالِ، فَرِحَ بِذَلِكَ بِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ وَكَانَ بِشْرٌ هَذَا شَيْخَ الْمَأْمُونِ فَأَنْشَأَ الْمَرِيسِيُّ يَقُولُ:

قَدْ قَالَ مَأْمُونُنَا وَسَيِّدُنَا ... قَوْلًا لَهُ فِي الْكِتَابِ تَصْدِيقُ
إِنَّ عَلِيًّا أَعْنِي أَبَا حَسَنٍ ... أَفْضَلُ مَنْ أَرْقَلَتْ بِهِ النُّوقُ
بَعْدَ نَبِيِّ الْهُدَى وَإِنَّ لَنَا ... أَعْمَالَنَا وَالْقُرْآنُ مَخْلُوقُ

فَأَجَابَهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَقَالَ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا قَوْلٌ وَلَا عَمَلُ ... لِمَنْ يَقُولُ كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقُ
مَا قَالَ ذَاكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ ... وَلَا النَّبِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْهُ صِدِّيقُ
وَلَمْ يَقُلْ ذَاكَ إِلَّا كُلُّ مُبْتَدِعٍ ... عَلَى الْإِلَهِ وَعِنْدَ اللهِ زِنْدِيقُ

وقال الإمام **البيهقي** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: لم يكن في الخلفاء قبله -أي المأمون- من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومناهجهم؛ فلما ولي الخلافة اجتمع به هؤلاء -أي بشر المريسي وأضرابه- فحملوه على ذلك وزينوا له.

(١) نقض الكاشف الصغير (ص: ١٤)، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٣٩٦.

قال السفاريني: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْمَأْمُونَ لَمَّا هَادَنَ بَعْضَ مُلُوكِ النَّصَارَى - أَظُنُّهُ صَاحِبَ جَزِيرَةِ قُبْرُسَ - طَلَبَ مِنْهُ خِزَانَةَ كُتُبِ الْيُونَانِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ مَجْمُوعَةً فِي بَيْتٍ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَجَمَعَ الْمَلِكُ خَوَاصَّهُ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَاسْتَشَارَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَكُلُّهُمْ أَشَارُوا بِعَدَمِ تَجْهِيزِهَا إِلَيْهِ إِلَّا مَطْرَانٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهُ قَالَ: جَهِّزْهَا إِلَيْهِمْ، فَمَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ عَلَى دَوْلَةٍ شَرْعِيَّةٍ إِلَّا أَفْسَدَتْهَا، وَأَوْقَعَتْ بَيْنَ عُلَمَائِهَا.

وَقَالَ الصَّلَاحُ **الصَّفَدِيُّ**: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَوَّحَ اللهُ رُوحَهُ - كَانَ يَقُولُ: مَا أَظُنُّ أَنَّ اللهَ يَغْفُلُ عَنِ الْمَأْمُونِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُقَابِلَهُ عَلَى مَا اعْتَمَدَهُ مَعَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِدْخَالِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْفَلْسَفِيَّةِ بَيْنَ أَهْلِهَا»(١).

وقال **السيوطي**: (أول من أدخل المنطق والفلسفة وسائر علوم اليونان في ملة الإسلام وأحضرها من جزيرة قبرص المأمون)(٢).

ويظهر أنه بقي على هذا المعتقد حتى وفاته، فقد أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ الْمُعْتَصِمِ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، **وَأَنْ يَعْتَقِدَ مَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ**. وَأَوْصَاهُ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دؤادَ الْقَاضِي، وَقَالَ: شَاوِرْهُ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا وَلَا تُفَارِقْهُ. وَحَذَّرَهُ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ وَنَهَاهُ عَنْهُ وَذَمَّهُ، وَقَالَ: خَانَنِي وَنَفَّرَ النَّاسَ عَنِّي، فَفَارَقْتُهُ غَيْرَ رَاضٍ عَنْهُ، ثُمَّ أَوْصَاهُ بِالْعَلَوِيِّينَ خَيْرًا؛ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأَنْ يُوَاصِلَهُمْ بِصِلَاتِهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

○ وفاته

وَكَانَتْ وَفَاةُ الْمَأْمُونِ بِطَرَسُوسَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ، لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ (٢١٨هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ عِشْرِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ الْمُعْتَصِمُ، ودُفِنَ بِطَرَسُوسَ.

---

(١) ذكر ذلك الصفدي في كتابه: الغياث المنسجم على لامية العجم (١/ ٧٩)، ونقله عنه السيوطي في صون المنطق ص (٨ - ٩)؛ والسفاريني في كتابه اللوامع (١/ ٩).

(٢) مقالة التعطيل والجعد بن درهم، محمد خليفة التميمي (ص: ٨٣).

خلافته

○ بيعته

تَوَلَّى الْمَأْمُونُ الْخِلَافَةَ فِي الْمُحَرَّمِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْهُ سَنَةَ (١٩٨هـ)بعد مقتل أخيه مُحَمَّد الأمين بْن هَارُونَ الرَّشِيدِ بِبَغْدَادَ.

○ ولاية العهد

في سنة (٢٠١هـ) بَايَعَ الْمَأْمُونُ **لَعَلِيٍّ الرِّضَا** بْنِ مُوسَى الْكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، أَنْ يَكُونَ وَلِيَّ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، وَطَرَحَ لُبْسَ السَّوَادِ وَلَبِسَ الْخُضْرَةِ، وَأَلْزَمَ جُنْدَهُ بِذَلِكَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ وَالْأَقَالِيمِ.

وَكَانَتْ مُبَايَعَتُهُ لَهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ (٢٠١هـ)، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَأْمُونَ رَأَى أَنَّ عَلِيًّا الرِّضَا خَيْرُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَيْسَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ مِثْلُهُ فِي عِلْمِهِ وَدِينِهِ.

ولَمَّا جَاءَ **الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَادَ** أَنَّ الْمَأْمُونَ بَايَعَ **لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى** بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ فَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ ممانِعٍ، وَجُمْهُورُ الْعَبَّاسِيِّينَ عَلَى الِامْتِنَاعِ، وَكَانَ الْقَائِمَ فِي ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ وَمَنْصُورٌ ابْنَا الْمَهْدِيِّ.

وفي أَوَّلِ يَوْمٍ من محرم سنة (٢٠٢هـ) بُويِعَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ **بِالْخِلَافَةِ** بِبَغْدَادَ، **وَخَلْعِ الْمَأْمُونِ**، فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَلُقِّبَ بِالْمُبَارَكِ، وَغَلَبَ عَلَى الْكُوفَةِ، وَأَرْضِ السَّوَادِ، وَاسْتَنَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ الْعَبَّاسَ بْنَ مُوسَى الْهَادِي، وَعَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِسْحَاقَ بْنَ مُوسَى الْهَادِي.

وبعد وفاة علي الرضا سنة (٢٠٣هـ)كَتَبَ المأمون إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ إِنَّمَا نَقِمْتُمْ عَلَيَّ بِسَبَبِ تَوْلِيَتِي الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِي لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، وَهَا

هُوَ قَدْ مَاتَ فَارْجِعُوا إِلَى السَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ. فأثّر ذلك على **إبراهيم بن المهدي**، حيث أعاد أهل بغداد الطاعة للمأمون في سنة (٢٠٣هـ) وَخَلَعُوا إِبْرَاهِيمَ بن المهدي.

فاخْتَفَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فِي آخِرِ سنة (٢٠٣هـ)، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ سَنَةً، وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده

○ خروج الحسن الهرش ببغداد

خَـرَجَ فِـي أَوَاخِرِ (١٩٨هـ) فِـي ذِي الْحِجَّةِ الْحَسَـنُ الْهِـرْشُ يَدْعُو إِلَـى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّـدٍ ﷺ، فَجَبَى الْأَمْـوَالَ، وَانْتَهَبَ الْأَنْعَـامَ، وَعَاثَ فِي الْبِلَادِ فَسَـادًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ جَيْشًا، فَقَتَلُوهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (١٩٩هـ).

○ خروج ابن طباطبا

فِي سـنة (١٩٩هــ) خَرَجَ بِالْكُوفَـةِ **مُحَمَّدُ بْـنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْـمَاعِيلَ** بْـنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ عَلِيٍّ، الَّـذِي يُقَالُ لَهُ: ابْـنُ طَبَاطَبَـا. وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْـرِهِ وَتَدْبِيرِ الْحَرْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو السَّـرَايَا السَّـرِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ الشَّيْبَانِيُّ، وَقَدْ أَصْفَقَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى وِفَاقِـهِ وَاجْتَمَعُـوا عَلَيْهِ مِـنْ كُلِّ فَجٍّ، وَوَفَدَتْ إِلَيْـهِ الْأَعْرَابُ مِنْ ضَوَاحِـي الْكُوفَةِ وَكَانَ النَّائِـبُ عَلَيْهَا سُـلَيْمَانَ بْـنَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، فَبَعَثَ الْحَسَـنُ بْنُ سَـهْلٍ إِلَيـه يَلُومُهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِعَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ بقيادة زُهَيْرِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَتَقَاتَلُوا خَارِجَ الْكُوفَةِ فَهَزَمُوا زُهَيْرًا وَاسْتَبَاحُوا جَيْشَهُ وَنَهَبُوا مَا كَانَ مَعَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءَ سَلْخَ جُمَادَى الْآخِرَةِ،

فَلَمَّـا كَانَ الْغَدُ مِنَ الْوَقْعَةِ تُوُفِّيَ ابْنُ طَبَاطَبَا أَمِيرُ الشِّـيعَةِ فَجْـأَةً، وَأَقَامُوا مَكَانَهُ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأَرْسَـلَ الْحَسَنُ بْنُ سَـهْلٍ مَعَ عُبْدُوسِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ مَدَدًا لِزُهَيْرٍ، فِي سـنة (١٩٩هـ) فَالتقوا مع أبي السَّـرَايَا، فَهَزَمَهُمْ وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْ أَصْحَابِ عُبْدُوسٍ أَحَدٌ، وَانْتَشَرَ الطَّالِبِيُّونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ وَضَرَبَ أَبُو السَّرَايَا الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ فِي الْكُوفَةِ .

○ توسع أبي السرايا

بَعَثَ أَبُو السَّـرَايَا جُيُوشَـهُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَوَاسِـطٍ وَالْمَدَائِنِ سـنة (١٩٩هـ)،فَدَخَلُوهَا قَهْرًا، وَقَوِيَتْ شَـوْكَتُهُمْ فَاهْتَمَّ لِذَلِكَ الْحَسَـنُ بْنُ سَـهْلٍ وَكَتَبَ إِلَى هَرْثَمَةَ مِنْ خُرَاسَانَ يَسْـتَدْعِيهِ لِحَـرْبِ أَبِي السَّـرَايَا، فَتَمَنَّـعَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْـهِ، فَخَرَجَ إِلَـى أَبِي السَّـرَايَا، فَهَزَمَ

أَبَا السَّرَايَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَطَرَدَهُ حَتَّى رَدَّهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَوَثَبَ الطَّالِبِيُّونَ عَلَى دُورِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْكُوفَةِ فَنَهَبُوهَا، وَخَرَّبُوا ضِيَاعَهُمْ، وَفَعَلُوا فِعَالًا قَبِيحَةً وَبَعَثَ أَبُو السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ.

وَفِي سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٢٠٠هـ) قَهَرَ هَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ أَبَا السَّرَايَا وَهَزَمَ جَيْشَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْكُوفَةِ وَدَخَلَهَا هَرْثَمَةُ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ من أهلها، وَهرب أَبُو السَّرَايَا بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ثُمَّ إلى الْجَزِيرَةَ، فَاعْتَرَضَهُمْ بَعْضُ الْجُيُوشِ فَأَسَرُوهُمْ، وَأَتَوْا بِهِمُ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ أَبِي السَّرَايَا، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ، فَكَانَ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَقَتْلِهِ عَشَرَةُ أَشْهُرٍ.

○ حسين الأفطس في مكة

بَعَثَ أبو السرايا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ حُسَيْنَ بْنَ حَسَنٍ الْأَفْطَسِ، لِيُقِيمَ لَهُمُ الْمَوْسِمَ سنة (١٩٩هـ)، فَتَهَيَّبَ أَنْ يَدْخُلَهَا جَهْرَةً، وَلَمَّا سَمِعَ نَائِبُ مَكَّةَ وَهُوَ دَاوُدُ بْنُ عِيسَى بْنِ مُوسَى بِقُدُومِهِ، هَرَبَ مِنْ مَكَّةَ إلى الْعِرَاقِ، وَبَقِيَ النَّاسُ في الحج بِلَا إِمَامٍ، فَسُئِلَ مُؤَذِّنُهَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ فَأَبَى، فَقِيلَ لِقَاضِيهَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيِّ فَامْتَنَعَ، وَقَالَ: لِمَنْ أَدْعُو وَقَدْ هَرَبَ نُوَّابُ الْبِلَادِ.

فَقَدَّمَ النَّاسُ رَجُلًا مِنْ عُرْضِهِمْ، فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ في عرفات، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى حُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ الْأَفْطَسِ، فَدَخَلَ مَكَّةَ فِي عَشَرَةِ رَهْطٍ قَبْلَ الْغُرُوبِ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ وَقَفَ بِعَرَفَةَ لَيْلًا وَصَلَّى بِالنَّاسِ الْفَجْرَ بِمُزْدَلِفَةَ وَدَفَعَ بِهِمْ، وَأَقَامَ بَقِيَّةَ الْمَنَاسِكِ فِي أَيَّامِ مِنًى لِلنَّاسِ، فَدَفَعَ النَّاسُ مِنْ عَرَفَةَ بِغَيْرِ إِمَامٍ.

وفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ سنة (٢٠٠هـ) جَلَسَ الْأَفْطَسُ عَلَى طِنْفِسَةٍ خَلْفَ الْمَقَامِ، وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِ الْكَعْبَةِ مِمَّا عَلَيْهَا مِنْ كَسَاوِي بَنِي الْعَبَّاسِ، وَقَالَ: نُطَهِّرُهَا مِنْ كَسَاوِيهِمْ. وَكَسَاهَا مُلَاءَتَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ عَلَيْهِمَا اسْمُ أَبِي السَّرَايَا، ثُمَّ أَخَذَ مَا فِي كَنْزِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَتَتَبَّعَ وَدَائِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ فَأَخَذَهَا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْخُذُ مَالَ ذِي الْمَالِ، وَهَرَبَ مِنْهُ النَّاسُ إِلَى الْجِبَالِ.

وَحَكَّ مَا عَلَى رُءُوسِ الْأَسَاطِينِ مِنَ الذَّهَبِ، فَكَانَ يَنْزِلُ مِنَ السَّارِيَةِ مِقْدَارٌ يَسِيرٌ بَعْدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ، وَقَلَعُوا مَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الشَّبَابِيكِ، وَبَاعُوهَا بِالْأَثْمَانِ الْبَخْسَةِ، وَأَسَاءُوا السِّيرَةَ جِدًّا. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَقْتَلُ أَبِي السَّرَايَا كَتَمَ ذَلِكَ، وَأَمَّرَ رَجُلًا مِنَ الطَّالِبِيِّينَ شَيْخًا كَبِيرًا، وَاسْتَمَرَّ عَلَى سُوءِ السِّيرَةِ.

○ خروج إبراهيم العلوي باليمن

وَفِي (٢٠٠هـ) خَرَجَ بِالْيَمَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَيُقَالُ لَهُ: الْجَزَّارُ. لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَقَدْ كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَبِي السَّرَايَا، وَظُهُورُهُ بِأَرْضِ الْكُوفَةِ طَمِعَ فَسَافَرَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا بَلَغَ نَائِبَهَا قُدُومُهُ تَرَكَ لَهُ الْيَمَنَ.

وَاسْتَحْوَذَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ، وَجَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَخُطُوبٌ كَبِيرَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

○ مقتل هرثمة بن أعين

وَشَى بَعْضُ النَّاسِ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنَّ قائده هَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ لَوْ شَاءَ مَا ظَهَرَ أَبُو السَّرَايَا وَأَصْحَابُهُ، فَاسْتَدْعَى بِهِ إِلَى **مَرْوَ** فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوُطِئَ بَطْنُهُ، ثُمَّ رُفِعَ إِلَى الْحَبْسِ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ. وَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ قَتْلِهِ إِلَى بَغْدَادَ غضبت الْعَامَّةُ وَالْحَرْبِيَّةُ على الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ نَائِبِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِهِ، وَلَا بِعُمَّالِهِ بِبِلَادِنَا.

وَأَقَامُوا **إِسْحَاقَ بْنَ مُوسَى بْنِ الْمَهْدِيِّ** نَائِبًا، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْجَانِبَيْنِ عَلَى ذَلِكَ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٢٠٠هـ)، ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الحسنُ الجندَ شَيْئًا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ يُنْفِقُونَهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

وفي سنة (٢٠٠هـ) قَتَلَ الْمَأْمُونُ **يَحْيَى بْنَ عَامِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ**؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِلْمَأْمُونِ: يَا أَمِيرَ الْكَافِرِينَ فَقُتِلَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

○ إحصاء العباسيين

طلب الْمَأْمُونُ فِي سنة (٢٠٠هـ) من جَمَاعَة مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ، أن يحصوا عدد الْعَبَّاسِيين؟ فَبَلَغُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، مَا بَيْنَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

○ قتل الروم ملكهم

في سنة (٢٠٠هـ)، قَتَلَتِ الرُّومُ مَلِكَهُمْ إِلْيُونَ، وَقَدْ مَلَكَهُمْ سَبْعَ سِنِينَ، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مِيخَائِيلَ نَائِبَهُ.

○ غزو المأمون لبلاد الروم

فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ مِن سنة (٢١٥هـ) رَكِبَ الْمَأْمُونُ فِي الْعَسَاكِرِ مِنْ بَغْدَادَ قَاصِدًا بِلَادَ الرُّومِ لِغَزْوِهِمْ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَغْدَادَ وَأَعْمَالِهَا إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ. وَسَارَ الْمَأْمُونُ فِي جَحَافِلَ كَثِيرَةٍ إِلَى بِلَادِ طَرَسُوسَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا، وَفَتَحَ حِصْنًا هُنَاكَ عَنْوَةً وَأَمَرَ بِهَدْمِهِ، ثُمَّ رَجَعَ الْمَأْمُونُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى دِمَشْقَ فَنَزَلَهَا وَعَمَرَ دَيْرَ مُرَّانَ بِسَفْحِ قَاسْيُونَ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً.

وفي سنة (٢١٦هـ) عَدَا مَلِكُ الرُّومِ وَهُوَ تَوْفِيلُ بْنُ مِيخَائِيلَ فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ طَرَسُوسَ؛ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ إِنْسَانٍ.

فَرَكِبَ المأمون فِي الْجُيُوشِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، وَصُحْبَتُهُ أَخُوهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ الرَّشِيدِ نَائِبُ الشَّامِ وَمِصْرَ، فَافْتَتَحَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً صُلْحًا وَعَنْوَةً، وَافْتَتَحَ **أَخُوهُ** ثَلَاثِينَ حِصْنًا، وَبَعَثَ الْمَأْمُونُ **يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ** فِي سَرِيَّةٍ إِلَى طُوَانَةَ[1] فَافْتَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَأَسَرَ خَلْقًا مِنَ الذَّرَارِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنَ الرُّومِ، وَحَرَقَ حُصُونًا عِدَّةً، ثُمَّ عَادَ سَالِمًا مُؤَيَّدًا إِلَى الْعَسْكَرِ. وَأَقَامَ الْمَأْمُونُ بِبِلَادِ الرُّومِ مِنْ نِصْفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى نِصْفِ شَعْبَانَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ.

(١) طُوَانَةَ: بضم أوله وبعد الألف نون، بلد بثغور المصيصة. معجم البلدان – الفكر (٤/ ٤٥)

وَفِي سنة (٢١٧هـ) رَكِبَ الْمَأْمُونُ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ أَيْضًا، فَحَاصَرَ لُؤْلُؤَةَ مِائَةَ يَوْمٍ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهَا وَاسْتَخْلَفَ عَلَى حِصَارِهَا عُجَيْفًا، فَخَدَعَتْهُ الرُّومُ فَأَسَرُوهُ، فَأَقَامَ فِي أَيْدِيهِمْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ انْفَلَتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَاسْتَمَرَّ مُحَاصِرًا لَهُمْ، فَجَاءَ مَلِكُ الرُّومِ بِنَفْسِهِ فَأَحَاطَ بِجَيْشِهِ مِنْ وَرَائِهِ، فَبَلَغَ الْمَأْمُونَ فَسَارَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَحَسَّ تَوْفِيلُ بِقُدُومِهِ انْصَرَفَ هَارِبًا مِنْ وَجْهِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَزِيرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: **الصَّنْغَلُ**. فَسَأَلَهُ الْأَمَانَ وَالْمُصَالَحَةَ وَالْمُهَادَنَةَ، لَكِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ كِتَابًا بَلِيغًا مَضْمُونُهُ التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ، وَإِنِّي إِنَّمَا أَقْبَلُ مِنْكَ الدُّخُولَ فِي الْحَنِيفِيَّةِ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ وَالْقَتْلُ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

○ بناء ثغر الطوانة

وفي سنة(٢١٨هـ) فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى مِنْهَا وَجَّهَ الْمَأْمُونُ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لِبِنَاءِ بلدة الطُّوَانَةِ، وَتَجْدِيدِ عِمَارَتِهَا، وَبَعَثَ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ فِي تَجْهِيزِ الْفَعَلَةِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ إِلَيْهَا؛ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا مِيلًا فِي مِيلٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ سُورَهَا ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهَا ثَلَاثَةَ أَبْوَابٍ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حِصْنٌ.

○ إرادة أهل بغداد البيعة للمنصور بن المهدي

فِي سنة (٢٠١هـ) أَرَادَ أَهْلُ بَغْدَادَ البيعة بالخلافة لِمَنْصُورَ بْنَ الْمَهْدِيِّ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَرَاوَدُوهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نَائِبًا لِلْمَأْمُونِ، يَدْعُون لَهُ فِي الْخُطْبَةِ، فَأَجَابَهُمْ بَعْدَ إِخْرَاجِ عَلِيِّ بْنَ هِشَامٍ نَائِبَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ من بغداد.

وفِي شَوَّالٍ سنة (٢٠١هـ) رَجَعَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ إِلَى بَغْدَادَ وَصَالَحَ الْجُنْدَ، وَانْفَصَلَ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَمَنِ الْتَفَّ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ.

○ قلة الأمن في بغداد وما حولها

فِي سـنة (٢٠١هـ) عَمَّ الْبَـلَاءُ بِالْعَيَّارِينَ وَالشُّـطَّارِ وَالْفُسَّـاقِ بِبَغْدَادَ وَمَـا حَـوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، كَانُوا يَأْتُونَ الرَّجُلَ يَسْـأَلُونَهُ مَالًا يُقْرِضُهُمْ أَوْ يَصِلُهُمْ بِهِ فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ جَمِيعَ مَا فِي مَنْزِلِهِ، وَرُبَّمَا تَعَرَّضُوا لِلْغِلْمَانِ وَالنِّسْـوَانِ، وَيَأْتُونَ أَهْلَ الْقَرْيَةِ فَيَسْتَاقُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْعَامِ، وَلَمْ يَدَعُوا لَهُمْ شَيْئًا أَصْلًا.

فَانْتَـدَبَ لذلـك رجال مـن الْعَامَّةِ؛ خَالِدٌ الدَّرْيُوشُ، وسَـهْلُ بْنُ سَـلَامَةَ الأنصاري، وَالْتَفَّ عَلَيْهِمَا جَمَاعَةٌ، فقَاتَلُوهُمْ وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْعَيْثِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، حتى اسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ كَمَا كَانَتْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ وقوع المجاعة في خراسان

وفِي سـنة (٢٠١هـ) أَصَـابَ أَهْلَ خُرَاسَـانَ وَالرَّيَّ وَأَصْبَهَـانَ مَجَاعَةٌ شَـدِيدَةٌ، وَعَزَّ الطَّعَامُ جِدًّا.

○ ظهور بابك الخرميّ

وفِي سنة (٢٠١هـ) ظهر بَابَكُ الْخُرَّمِيُّ فِي بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ وَمَا وَالَاهَا، وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ السِّفْلَةِ وَالْجَهَلَةِ، وَكَانَ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ، قَبَّحَهُ اللهُ، وفِي سنة (٢٠٩هـ)جَرَتْ حُرُوبٌ مَعَ بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ فَأَسَـرَ بَابَكُ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْإِسْـلَامِ وَأَحَدَ مُقَدَّمِي الْعَسَاكِرِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

فِي سـنة (٢١٢هـ) وَجَّـهَ الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ الطُّوسِـيَّ عَلَى طَرِيـقِ الْمَوْصِلِ لِمُحَارَبَـةِ بَابَكَ الْخُرَّمِيَّ فِـي أَرْضِ أَذْرَبِيجَانَ، فَأَخَذَ جَمَاعَةً مِـنَ الْمُتَغَلِّبِينَ فِيهَا، فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ أُسَرَاءَ إِلَى بَغْدَادَ.

وفِـي يَوْمِ السَّـبْتِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سـنة (٢١٤هـ) الْتَقَى مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَبَابَكُ الْخُرَّمِيُّ، لَعَنَهُ اللهُ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابِ ابْنِ حُمَيْدٍ، فَقَتَلَ الْخُرَّمِيُّ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ جَيْشِهِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ خروج مهدي بن علوان الخارجي

وَفِي سنة (٢٠٢هـ) خَرَجَ مَهْدِيُّ بْنُ عُلْوَانَ الخَارِجِيُّ، فَبَعَثَ إِلَيْه إِبْرَاهِيمُ جَيْشًا عَلَيْهِمْ الْمُعْتَصِمُ بْنُ الرَّشِيدِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقُوَّادِ فَكَسَرَهُ وَرَدَّ كَيْدَهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي سنة (٢١٤هـ) خَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بِلَالٌ الضَّبَابِيُّ الشَّارِيُّ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَقَتَلُوا بِلَالًا وَعَادُوا سَالِمِينَ.

○ خروج أخي أبي السرايا

وَفِي سنة (٢٠٢هـ) خَرَجَ **أَخُو أَبِي السَّرَايَا** بِالْكُوفَةِ فَبَيَّضَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ مَنْ قَاتَلَهُ، فَقُتِلَ أَخُو أَبِي السَّرَايَا وَأُرْسِلَ بِرَأْسِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

○ خروج جماعة من المُطَّوِّعَة

وَفِي سنة (٢٠٢هـ) ظَفِرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ نائب بغداد، **بِسَهْلِ بْنِ سَلَامَةَ الْمُطَّوِّعِيِّ** فَسَجَنَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ الْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَقُومُونَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَكِنْ كَانُوا **قَدْ جَاوَزُوا الْحَدَّ وَأَنْكَرُوا عَلَى السُّلْطَانِ**، وَدَعَوْا إِلَى الْقِيَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصَارَ بَابُ دَارِهِ كَأَنَّهُ بَابُ سُلْطَانٍ عَلَيْهِ السِّلَاحُ وَالرِّجَالُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أُبَّهَةِ الْمُلْكِ، فَقَاتَلَهُ الْجُنْدُ فَكَسَرُوا أَصْحَابَهُ، فَأَلْقَى السِّلَاحَ، ثُمَّ اخْتَفَى فِي بَعْضِ الدُّرُوبِ فَأُخِذَ وَجِيءَ بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَجَنَهُ سَنَةً كَامِلَةً.

○ استشارة المأمون لبعض أقربائه

في سنة (٢٠٢هـ) أخبر علي الرضا المأمونَ بواقع أوضاع العراق والفتن الواقعة فيه، فاسْتَدْعَى الْمَأْمُونُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أُمَرَائِهِ، وَأَقْرِبَائِهِ، فَسَأَلَهُمْ عن أسباب الفتن في العراق، فَصَدَقُوهُ الرأي بَعْدَ أَخْذِهِمُ الْأَمَانَ مِنْهُ.

وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ **الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ** حَسَّنَ لَكَ قَتْلَ هَرْثَمَةَ بن أعين، وَقَدْ كَانَ نَاصِحًا لَكَ، فَعَاجَلَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ مَهَّدَ لَكَ الْأُمُورَ، حَتَّى قَادَ لَكَ الْخِلَافَةَ بِزِمَامِهَا،

فَطَرَدْتَهُ إِلَى الرَّقَّةِ فَقعَدَ لَا عَمَلَ لَهُ، وَإِنَّ الْأَرْضَ تَفتَّقَتْ بِالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ مِنْ أَقْطَارِهَا.

وَقَدْ علم الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ بِمَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ النَّاصِحُونَ لِلْمَأْمُونِ، فَضَرَبَ قَوْمًا وَنَتَفَ لِحَى بَعْضِهِمْ.

○ رحيل المأمون إلى بغداد

لَمَّا تَحَقَّقَ الْمَأْمُونُ بأسباب الفتن في العراق، أَمَرَ بِالرَّحِيلِ إِلَى بَغْدَادَ، وَسَارَ حتى إذا كان بسَرْخَسَ عَدَا قَوْمٌ عَلَى **الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ** وزير المأمون وَهُوَ فِي الْحَمَّامِ، فَقَتَلُوهُ بِالسُّيُوفِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَعْبَانَ، سنة (٢٠٢هـ) وَلَهُ سِتُّونَ سَنَةً.

فَبَعَثَ الْمَأْمُونُ فِي آثَارِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ؛ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَمَالِيكِ فَقَتَلَهُمْ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ يُعَزِّيهِ فِيهِ، وَوَلَّاهُ الْوَزَارَةَ مَكَانَهُ. وَارْتَحَلَ الْمَأْمُونُ مِنْ سَرْخَسَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ نَحْوَ الْعِرَاقِ.

○ وفاة علي الرضا

وَصَلَ الْمَأْمُونُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى مَدِينَةِ **طُوسَ** سنة (٢٠٣هـ)، فَنَزَلَ بِهَا وَأَقَامَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ أَيَّامًا مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ أَكَلَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عِنَبًا **فَمَاتَ فَجْأَةً**، فَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ، وَدَفَنَهُ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ الرَّشِيدِ، وَأَسِفَ عَلَيْهِ أَسَفًا كَثِيرًا فِيمَا ظَهَرَ.

○ غلبة المسودة

وفي سنة (٢٠٣هـ) غَلَبَتِ المسودة[1] عَلَى **الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ** حَتَّى قُيِّدَ فِي الْحَدِيدِ وَأُودِعَ فِي بَيْتٍ، فَكَتَبَ الْأُمَرَاءُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ: إِنِّي وَاصِلٌ عَلَى إِثْرِ كِتَابِي هَذَا، ثُمَّ جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بن المهدي، وَأَهْلِ بَغْدَادَ، وَتَنَكَّرُوا عَلَيْهِ وَأَبْغَضُوهُ.

(١) المسودة هم أنصار الدولة العباسية، نسبوا إلى شعارهم؛ لأن المأمون في أول أمره ترك هذا الشعار ولبس الخضرة، لما أسند إلى علي الرضا ولاية العهد.

وَظَهَرَتِ الْفِتَنُ وَالشُّطَّارُ وَالْفُسَّاقُ بِبَغْدَادَ وَتَفَاقَمَ الْحَالُ وَصَلَّوْا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ظُهْرًا، أَمَّهُمُ الْمُؤَذِّنُ مِنْ غَيْرِ خُطْبَةٍ؛ صَلَّوْا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالْمَأْمُونِ، ثُمَّ غَلَبَتِ الْمَأْمُونِيَّةُ عَلَيْهِمْ.

○ دخول المأمون بغداد

فِي سنة (٢٠٤هـ) كَانَ قُدُومُ الْمَأْمُونِ أَرْضَ الْعِرَاقِ، وَتَلَقَّاهُ رُءُوسُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْقُوَّادُ، وَجُمْهُورُ الْجَيْشِ فِي النهروان.

ثـم دَخَلَ بَغْدَادَ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ، فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَجَيْشٍ عَظِيمٍ، وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَقُبَابِهِمْ وَجَمِيعِ لِبَاسِهِمُ الْخُضْرَةَ، فَلَبِسَ أَهْلُ بَغْدَادَ وَبَنُو هَاشِمٍ أَجْمَعُونَ الْخُضْرَةَ.

وَنَزَلَ الْمَأْمُونُ بِالرُّصَافَةِ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قَصْرِهِ عَلَى دِجْلَةَ، وَجَعَلَ الْأُمَرَاءُ، وَوُجُوهُ الدَّوْلَةِ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى دَارِهِ عَلَى الْعَادَةِ، وَقَدْ تَحَوَّلَ لِبَاسُ الْبَغَادِدَةِ إِلَى الْخُضْرَةِ، وَجَعَلُوا يَحْرِقُونَ كُلَّ مَا يَجِدُونَهُ مِنَ السَّوَادِ فَمَكَثُوا بِذَلِكَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ اسْتَعْرَضَ حَوَائِجَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَكَانَ أَوَّلَ حَاجَةٍ سَأَلَهَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى لِبَاسِ السَّوَادِ؛ فَإِنَّهُ لِبَاسُ آبَائِهِ مِنْ دَوْلَةِ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

فَلَمَّا كَانَ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ صَفَرٍ جَلَسَ الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ وَعَلَيْهِ الْخُضْرَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِخِلْعَةٍ سَوْدَاءَ، فَأَلْبَسَهَا طَاهِرًا، ثُمَّ أَلْبَسَ بَعْدَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ السَّوَادَ، فَلَبِسَ النَّاسُ السَّوَادَ وَعَادُوا إِلَى ذَلِكَ، بَعْدَ مَا عَلِمَ مِنْهُمُ الطَّاعَةَ وَالْمُوَافَقَةَ.

○ إصلاحاته

⊙ شَرَعَ الْمَأْمُونُ فِي سنة (٢٠٤) فِي بِنَاءِ قُصُورٍ عَلَى دِجْلَةَ إِلَى جَانِبِ قَصْرِهِ بِهَا.

⊙ وَأَمَرَ بِمُقَاسَمَةِ أَهْلِ السَّوَادِ عَلَى **الْخُمُسَيْنِ** (٢من٥)، وَكَانُوا يُقَاسِمُونَ عَلَى النِّصْفِ.

- وَاتَّخَذَ الْقَفِيزَ الْمُلْجَمَ وَهُوَ عَشْرَةُ مَكَاكِيَّ بِالْمَكُّوكِ الْهَارُونِيِّ.
- وَوَضَعَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ خَرَاجَاتِ بِلَادٍ شَتَّى.
- وَرَفَقَ بِالنَّاسِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ. وبذلك سَكَنَتِ الْفِتَنُ وَانْزَاحتِ الشرور.

○ ارتفاع مد النهر

فِي سنة (٢٠٦هـ) جَاءَ مَدٌّ كَثِيرٌ فَغَرَّقَ بِلَادَ أَرْضِ السَّوَادِ وَأَهْلَكَ لِلنَّاسِ شَيْئًا كَثِيرًا.

○ خروج عبدالرحمن الطالبي ببلاد عَكّ

فِي سنة (٢٠٧هـ) خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِبِلَادِ عَكٍّ فِي الْيَمَنِ، يَدْعُو إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعُمَّالَ بِالْيَمَنِ أَسَاءُوا السِّيرَةَ إِلَى الرَّعَايَا، فَلَمَّا ظَهَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا بَايَعَهُ النَّاسُ، فَلَمَّا بَلَغَ أَمْرُهُ إِلَى الْمَأْمُونِ بَعَثَ إِلَيْهِ دِينَارَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ وَمَعَهُ كِتَابُ أَمَانٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا، إِنْ هُوَ سَمِعَ وَأَطَاعَ، فَحَضَرُوا الْمَوْسِمَ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بَعَثَ دِينَارٌ بِكِتَابِ الْأَمَانِ فَقَبِلَهُ وَسَمِعَ وَأَطَاعَ، وَجَاءَ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ دِينَارٍ، فَسَارَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَلَبِسَ السَّوَادَ فِيهَا.

○ وفاة والي المشرق

فِي سنة (٢٠٧هـ) **توفي طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ** بْنِ مُصْعَبٍ؛ نَائِبُ الْعِرَاقِ بِكَمَالِهَا، وَخُرَاسَانَ بِكَمَالِهَا، وُجِدَ فِي فِرَاشِهِ مَيِّتًا بَعْدَ مَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَاسْتَبْطَأَ أَهْلُهُ خُرُوجَهُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ وَعَمُّهُ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا، فَلَمَّا بَلَغَ مَوْتُهُ الْمَأْمُونَ قَالَ: لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ، **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّمَهُ وَأَخَّرَنَا**.

وَمَعَ هَذَا وَلَّى وَلَدَهُ عَبْدَ اللهِ مَكَانَهُ، مَعَ إِضَافَةِ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ إِلَى نِيَابَتِهِ، فَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللهِ عَلَى خُرَاسَانَ أَخَاهُ طَلْحَةَ بْنَ طَاهِرٍ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ طَلْحَةُ فَاسْتَقَلَّ عَبْدُ اللهِ بِجَمِيعِ تِلْكَ الْبِلَادِ.

❍ غلاء الأسعار في العراق

فِي سنة (٢٠٧هـ) غَلَا السِّعْرُ بِبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، حَتَّى بَلَغَ سِعْرُ الْقَفِيزِ مِنَ الْحِنْطَةِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا.

❍ عصيان الحسن بن الحسين

في سنة (٢٠٨هـ) ذَهَبَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ أَخُو طَاهِرٍ، فَارًّا مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى كَرْمَانَ، فَعَصَى بِهَا، فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، فَحَاصَرَهُ حَتَّى نَزَلَ قَهْرًا، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ فَعَفَا عَنْهُ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهُ.

❍ حصار نصر بن شَبَث

فِي سنة (٢٠٩هـ)حَصَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ **نَصْرَ بْنَ شَبَثٍ** بَعْدَ مَا حَارَبَهُ خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمَّا حَصَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ جِدًّا، لجأ إلى طَلَبَ الْأَمَانَ مِنْهُ، فَكَتَبَ ابْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْمَأْمُونِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ يَأْمُرُهُ بِكِتَابَةِ أَمَانٍ لِنَصْرِ بْنِ شَبَثٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَتَبَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ كِتَابَ أَمَانٍ، فَنَزَلَ فَأَمَرَ عَبْدُ اللهِ بِتَخْرِيبِ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَ مُتَحَصِّنًا بِهَا، وَذَهَبَ شَرُّهُ.

❍ العفو عن إبراهيم بن المهدي

كَانَ إبراهيم مُخْتَفِيًا مُدَّةَ سِتِّ سِنِينَ فقبض عليه، وشَاوَرَ الْمَأْمُونُ بعض أصحابه فِي سنة (٢١٠هـ)، فِي قَتْلِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْوَزِيرُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَكَ نُظَرَاءُ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَمَا لَكَ نَظِيرٌ، فعفا عنه، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا كَانَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ وَالدُّورِ، فَرُدَّتْ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُكْرَمًا مُعَظَّمًا، وعاش إلى خلافة المعتصم، وتوفي سنة (٢٢٤هـ).

وكان المأمون قد ظَفِرَ في شهر صَفَرٍ منها بِجَمَاعَةٍ مِنْ كُبَرَاءِ مَنْ كَانَ بَايَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ، فَعَاقَبَهُمْ وَحَبَسَهُمْ فِي الْمُطْبِقِ، وصَلَبَ جَمَاعَةً منهم.

○ الزواج من بنات الفضل

في سنة (٢٠٢هـ) تَزَوَّجَ الْمَأْمُونُ **بُورَانَ** بِنْتَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، وَزَوَّجَ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا بِابْنَتِهِ **أُمِّ حَبِيبٍ**، وَزَوَّجَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ بِابْنَتِهِ الْأُخْرَى **أُمِّ الْفَضْلِ**.

○ عرس بوران من الخليفة

خَرَجَ الْمَأْمُونُ مِنْ بَغْدَادَ فِي شهر رَمَضَانَ سنة (٢١٠هـ) إِلَى مُعَسْكَرِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ بِفَمِ الصِّلْحِ[1]، وَكَانَ الْحَسَنُ قَدْ عُوفِيَ مِنْ مَرَضِهِ، فَنَزَلَ الْمَأْمُونُ عِنْدَهُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ وُجُوهِ الْأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَأَكَابِرِ بَنِي هَاشِمٍ، **فَدَخَلَ بِبُورَانَ فِي شَوَّالٍ** مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، واحتفال باذخ.

فَلَمَّا جَاءَتِ الْعَرُوسُ وَمَعَهَا جَدَّتُهَا وَزُبَيْدَةُ أُمُّ أَخِيهِ الْأَمِينِ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ جَاءَ مَعَهَا فَأُجْلِسَتْ إِلَى جَانِبِهِ فَصَبَّ فِي حِجْرِهَا الْجَوَاهِرَ، وَقَالَ لَهَا: هَذَا نِحْلَةٌ مِنِّي لَكِ، وَسَلِي حَاجَتَكِ. فَأَطْرَقَتْ حَيَاءً، فَقَالَتْ جَدَّتُهَا: كَلِّمِي سَيِّدَكِ وَسَلِيهِ حَاجَتَكِ فَقَدْ أَمَرَكِ. فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْضَى عَنْ عَمِّكَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، وَأَنْ تَرُدَّهُ إِلَى مَنْزِلَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ. فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَأُمُّ جَعْفَرٍ تَعْنِي زُبَيْدَةَ تَأْذَنُ لَهَا فِي الْحَجِّ. قَالَ: نَعَمْ. فَخَلَعَتْ عَلَيْهَا زُبَيْدَةُ بِذْلَتَهَا الْأُمَوِيَّةَ، وَأَطْلَقَتْ لَهَا قَرْيَةً مُقَوَّرَةً.

وَأَمَّا وَالِدُ الْعَرُوسِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ فَإِنَّهُ كَتَبَ أَسْمَاءَ قُرَاهُ وَضِيَاعَهُ وَأَمْلَاكَهُ فِي رِقَاعٍ وَنَثَرَهَا عَلَى الْأُمَرَاءِ وَوُجُوهِ النَّاسِ، فَمَنْ وَقَعَتْ فِي يَدِهِ مِنْهَا رُقْعَةٌ، بَعَثَ إِلَى الْقَرْيَةِ، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ مِلْكًا خَالِصًا. وَأَنْفَقَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجَيْشِ فِي مُدَّةِ مُقَامِهِ عِنْدَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا مَا يُعَادِلُ خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

---

(١) نهر كبير فوق واسط بينها وبينه جبل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيرهم .معجم البلدان – الفكر (٤/ ٢٧٦)

وَلَمَّا أَرَادَ الْمَأْمُونُ الِانْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ، أَطْلَقَ لَهُ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَقْطَعَهُ الْبَلْدَةَ الَّتِي هُوَ نَازِلٌ بِهَا، وَهُوَ إِقْلِيمُ فَمِ الصِّلْحِ مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ.

○ استعادة ولاية مصر

فِي سنة (٢١٠هـ)رَكِبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى مِصْرَ بِأَمْرِ الْمَأْمُونِ فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْ يَدِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ السَّرِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، الْمُتَغَلِّبِ عَلَيْهَا، وَاسْتَعَادَهَا مِنْهُ بَعْدَ حُرُوبٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

وفي سنة (٢١٣هـ) ثَارَ رَجُلَانِ بِمِصْرَ، وَهُمَا: عَبْدُ السَّلَامِ، وَابْنُ جَلِيسٍ، فَخَلَعَا الْمَأْمُونَ وَاسْتَحْوَذَا عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَبَايَعَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ.

فَوَلَّى الْمَأْمُونُ أَخَاهُ أَبَا إِسْحَاقَ نِيَابَةَ الشَّامِ وَمِصْرَ. ودَخَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ الرَّشِيدِ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فِي سنة (٢١٤هـ) فَافْتَتَحَهَا وَاسْتَعَادَهَا إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَظَفِرَ بِعَبْدِ السَّلَامِ وَابْنِ جَلِيسٍ وَقَتَلَهُمَا.

وفِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٢١٦هـ) وَثَبَ رَجُلٌ بِبِلَادِ مِصْرَ يُقَالُ لَهُ: عُبْدُوسٌ الْفِهْرِيُّ فَتَغَلَّبَ عَلَى نُوَّابِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَرَكِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ دِمَشْقَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وفِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة(٢١٧هـ) دَخَلَ الْمَأْمُونُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَظَفِرَ بِعُبْدُوسٍ الْفِهْرِيِّ، فَأَمَرَبه فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الشَّامِ.

○ إظهار المأمون لبدعتين كبيرتين

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ في سنة (٢١٢هـ) أَظْهَرَ الْمَأْمُونُ فِي النَّاسِ بِدْعَتَيْنِ فَظِيعَتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا أَطَمُّ مِنَ الْأُخْرَى، وَهِيَ الْقَوْلُ **بِخَلْقِ الْقُرْآنِ**، وَالْأُخْرَى **تَفْضِيلُ عَلِيِّ** بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَقَدْ أَخْطَأَ فِي كُلٍّ مِنْ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ خَطَأً كَبِيرًا فَاحِشًا، وَأَثِمَ إِثْمًا عَظِيمًا، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُكَفِّرُ مَنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ.

○ بدعة التكبير بعد الصلاة

في سنة (٢١٦هـ) كَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ نَائِبِ بَغْدَادَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالتَّكْبِيرِ عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فَكَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ فِي جَامِعِ بغداد، وَالرُّصَافَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصَّلَوَاتِ،

قال ابن كثير: وَهَذِهِ بِدْعَةٌ أَحْدَثَهَا الْمَأْمُونُ بِلَا مُسْتَنَدٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا مُعْتَمَدٍ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ قَبْلَهُ أَحَدٌ وَلَكِنْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ.

وَقَدِ اسْتَحَبَّ هَذَا طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَابْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ. وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى عَدَمِ اسْتِحْبَابِهِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الذِّكْرَ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ مَشْرُوعٌ، فَلَمَّا عُلِمَ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لِلْجَهْرِ مَعْنًى. وَهَذَا كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَجْهَرُ بِالْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الْجِنَازَةِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهَا سُنَّةٌ، وَلِهَذَا نَظَائِرُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْمَأْمُونُ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ.

○ أول المحنة بخلق القرآن

وفي سنة (٢١٨هـ) كَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى نَائِبِهِ بِبَغْدَادَ **إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ مُصْعَبٍ يَأْمُرُهُ أَنْ يَمْتَحِنَ الْقُضَاةَ وَالْمُحَدِّثِينَ بِالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ إِلَى الرَّقَّةِ.

وقد ذكر نص كتاب المأمون ابْنُ جَرِيرٍ الطبري، **ومضمونُهُ**: الِاحْتِجَاجُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُحْدَثٌ وَلَيْسَ بِقَدِيمٍ، وَعِنْدَهُ أَنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا الاحتجاجُ لَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فضلا عن الْمُحَدِّثِينَ.

فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَقُومُ بِهِ الْأَفْعَالُ الِاخْتِيَارِيَّةُ لَا يَقُولُونَ بِأَنَّ فِعْلَهُ تَعَالَى الْقَائِمَ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ - بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ - مَخْلُوقا، بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ مُحْدَثٌ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ.

بَلْ هُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى الْقَائِمُ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمَا كَانَ قَائِمًا بِذَاتِهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]

وَقَدْ صَنَّفَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَى سَمَّاهُ «خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ».

❍ بعث بعض العلماء إلى المأمون

وَقَدْ طَلَبَ الْمَأْمُونُ من إِسْحَاقَ والي بغداد، إرسال جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ إليه، وَهُمْ:

- مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ كَاتِبُ الْوَاقِدِيِّ
- وَأَبُو مُسْلِمٍ مُسْتَمْلِي يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ
- وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ
- وَأَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ
- وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ دَاوُدَ
- وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ
- وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ.

فَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي الرَّقَّةِ، فَامْتَحَنَهُمْ بِالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، **فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرُوا مُوَافَقَتَهُ**، وَهُمْ كَارِهُونَ،[١] فَرَدَّهُمْ إِلَى بَغْدَادَ وَأَمَرَ بِإِشْهَارِ أَمْرِهِمْ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ، فَفَعَلَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ، وَأَحْضَرَ خَلْقًا مِنْ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ، وَالْقُضَاةِ وَأَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهِمْ، فَدَعَاهُمُ الى ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْمَأْمُونِ وَذَكَرَ لَهُمْ مُوَافَقَةَ أُولَئِكَ

(١) قدكانوا مكرهين على هذا القول، خوفًا من القتل، ولهذا لا نجد أحداً من العلماء عابهم، أو أسقط روايتهم بهذا الفعل. وأراد المأمون الاستفادة من موافقة هؤلاء العلماء المشهورين لإقناع العامة وغيرهم ببدعته.

الْمُحَدِّثِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَجَابُوا بِمِثْلِ جَوَابِ أُولَئِكَ مُوَافَقَةً لَهُمْ، وَوَقَعَتْ بَيْنَ النَّاسِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ محنة الإمام أحمد ومن معه

ثُمَّ كَتَبَ الْمَأْمُونُ **كِتَابًا ثَانِيًا** إِلَى إِسْحَاقَ يَسْتَدِلُّ فِيهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، بِشُبَهٍ مِنَ الدَّلَائِلِ لَا تَحْقِيقَ تَحْتَهَا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَحْضَرَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ جَمَاعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيه، قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ الْمَأْمُونِ ثم امْتَحَنَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا، فَأَكْثَرُهُمُ امْتَنَعَ مِنَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

وَلَمَّا انْتَهَتِ النَّوْبَةُ إِلَى امْتِحَانِ **أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ**، فَقَالَ لَهُ إسحاق: أَتَقُولُ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا.

فَقَالَ **رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ**: إِنَّهُ يَقُولُ سَمِيعٌ بِأُذُن، بَصِيرٌ بِعَيْنٍ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: مَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ **فَقَالَ**: أَرَدْتُ مِنْهَا مَا أَرَادَهُ اللهُ مِنْهَا، وَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

وَكَانَ مِنَ الْحَاضِرِينَ مَنْ أَجَابَ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ مُصَانَعَةً مُكْرَهًا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْزِلُونَ مَنْ لَا يُجِيبُ عَنْ وَظَائِفِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ رِزْقٌ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ قُطِعَ، وَإِنْ كَانَ مُفْتِيًا مُنِعَ مِنَ الْإِفْتَاءِ، وَإِنْ كَانَ شَيْخَ حَدِيثٍ رُدِعَ عَنِ الْإِسْمَاعِ وَالْأَدَاءِ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ وَمِحْنَةٌ شَنْعَاءُ وَدَاهِيَةٌ دَهْيَاءُ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَأَمَرَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ الْكَاتِبَ، فَكَتَبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَوَابَهُ بِعَيْنِهِ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِأَنْ **يَمْتَحِنَهُمْ مرة أخرى**، فَمَنْ أَجَابَ مِنْهُمْ شُهِرَ أَمْرُهُ فِي النَّاسِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ بعث مُقَيَّدًا إِلَى المأمون، فَيَرَى فِيهِ رَأْيَهُ، **وَمِنْ مَذْهَبِهِ**:

أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

فَعَقَدَ الْأَمِيرُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مجلسًا لهم، وبَعْدَ قِرَاءَةِ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ **أَجَابُوا كُلُّهُمْ مُكْرَهِينَ**، مُتَأَوِّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]

إِلَّا أَرْبَعَةً؛ ١-أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ٢-مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ ٣-الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ سَجَّادَةُ ٤-عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ.

فَقَيَّدَهُمْ لِيَبْعَثَ بِهِمْ إِلَى الْمَأْمُونِ ثُمَّ اسْتَدْعَى بِهِمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَامْتَحَنَهُمْ، فَأَجَابَ سَجَّادَةُ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ وَأَطْلَقَهُ، ثُمَّ امْتَحَنَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَأَجَابَ الْقَوَارِيرِيُّ إِلَى ذَلِكَ، فَأَطْلَقَ قَيْدَهُ أَيْضًا وَأَطْلَقَهُ.

وَأَصَرَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ، فجَمَعَهُمَا فِي الْحَدِيدِ، وَبَعَثَ بِهِمَا إِلَى الْخَلِيفَةِ وَهُوَ بِطَرَسُوسَ، وَجَعَلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ: أَنْ لَا يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَأْمُونِ، وَأَنْ لَا يَرَيَاهُ وَلَا يَرَاهُمَا.

وَاسْتَجَابَ اللهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَ عَبْدِهِ، وَوَلِيِّهِ، الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَلَمْ يَجْتَمِعُوا بِالْمَأْمُونِ حيث مات سنة (٢١٨هـ) قبل أن يصلوا إليه، فرُدُّوا إِلَى بَغْدَادَ.

قال الذهبي: ثم امتحن المعتصم الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأخذ بذلك المؤذنين، وفقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاما.[١]

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/ ٢٩١)

الفصل الثالث:
ولاية البلدان والحج

ولاية البلدان

○ ولاية المشرق

في سنة (١٩٧هـ) وَلَّى المأمون الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نِيَابَةَ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَالْأَهْوَازِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ،(١) وَبَعَثَ نُوَّابَهُ إِلَى هَذِهِ الْأَقَالِيمِ.

وفِي سنة (٢٠٥هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ،نِيَابَةَ بَغْدَادَ، وَالْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ الْمَشْرِقِ، وَرَضِيَ عَنْهُ وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ.

○ ولاية الجزيرة والشام والغرب

في سنة (١٩٧هـ)كَتَبَ المأمون إِلَى **طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ** وَهُوَ بِبَغْدَادَ بولاية الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ وَالْمَوْصِلِ وَالْمَغْرِبِ.

○ ولاية الحرمين

في سنة (٢٠٤) وَلَّى الخليفة المأمون عُبَيْدَ اللهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نِيَابَةَ الْحَرَمَيْنِ.

○ ولاية الكوفة

في سنة (٢٠٤) وَلَّى الخليفة المأمون، أَخَاهُ أَبَا عِيسَى بْنَ الرَّشِيدِ الْكُوفَةَ.

○ ولاية البصرة

في سنة (٢٠٤) وَلَّى الخليفة المأمون، أَخَاهُ صَالِحًا الْبَصْرَةَ.

وفِي سنة (٢٠٦هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ دَاوُدَ بْنَ مَاسَجُورَ، بِلَادَ الْبَصْرَةِ وَكُورَ دِجْلَةَ وَالْيَمَامَةَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ الزُّطِّ.(٢)

---

(١) هذه سياسة اتخذها بعض خلفاء بني العباس في تفويض السلطة لبعض وزرائهم الكبار كما فعل الرشيد من قبل في تفويض البرامكة، وهنا نرى المأمون قسم الدولة بين واليين كبيرين، فأعطى الحسن بن سهل المشرق بكماله، وأعطى طاهر بن الحسين غرب الدولة بكماله.

(٢) جيل من الناس، واختلف في نسبتهم: قيل هم قوم من السند سكنوا البصرة (معجم البلدان١/ ٦٦٨)، والمسالك والممالك للاصطخري .ص٦٥.

❍ ولاية الرقة والجزيرة

وفِي سنة (٢٠٥هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ عَلَى الرَّقَّةِ وَالْجَزِيرَةِ **يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ**.

❍ ولاية خراسان

في سنة (١٩٧هـ) وَكَتَبَ إِلَى هَرْثَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ بولاية خُرَاسَانَ.

❍ ولاية أذربيجان وإرمينية

فِي سنة (٢٠٥هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ عِيسَى بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ أَذْرَبِيجَانَ وَإِرْمِينِيَةَ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ.

❍ ولاية السند

فِي سنة (٢٠٥هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ بِشْرَ بْنَ دَاوُدَ على السند، عَلَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وفي سنة (٢١٣هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ السِّنْدَ غَسَّانَ بْنَ عَبَّادٍ .

❍ ولاية الرقة

فِي سنة (٢٠٦هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ **عَبْدَ اللهِ بْنَ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ** الرَّقَّةَ، وَأَمَرَهُ بِمُحَارَبَةِ نَصْرِ بْنِ شَبَثٍ الخارجي، لشجاعته وَبَصَرِهِ بِالْأُمُورِ.

وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ خُرَاسَانَ بِكِتَابٍ فِيهِ الْأَمْرُ لَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِطُولِهِ،[(١)] وَقَدْ تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ وَاسْتَحْسَنُوهُ وَتُهَادَوْهُ بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهُ إِلَى الْمَأْمُونِ فَأَمَرَ فَقُرِئَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَجَادَهُ جِدًّا، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ بِهِ نُسَخٌ إِلَى سَائِرِ الْعُمَّالِ فِي الْأَقَالِيمِ.

❍ ولاية الجبل وأذربيجان

وَفِي سنة (٢١٤هـ) وَلَّى الْمَأْمُونُ عَلِيَّ بْنَ هِشَامٍ، الْجَبَلَ، وَقُمَّ، وَأَصْبَهَانَ، وَأَذْرَبِيجَانَ.

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٨٢-٥٩١.

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (١٩٨هـ) الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى الْهَاشِمِيُّ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ.

وفي سنة (١٩٩هـ) بَقِيَ النَّاسُ في الحج بِلَا إِمَامٍ بسبب قدوم حسين الأفطس.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٠٠هـ) أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدٌ الْمُعْتَصِمُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

وفي سنة (٢٠١هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٠٢هـ) إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ أَخُو عَلِيٍّ الرِّضَا وَدَعَا لِأَخِيهِ بَعْدَ الْمَأْمُونِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٠٣هـ) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٠٤) وسنة (٢٠٥هـ) وسنة (٢٠٦هـ) عُبَيْدَ اللهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، نَائِبُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٠٧) أَبُو عَلِيِّ بْنُ الرَّشِيدِ، أَخُو الْمَأْمُونِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٠٨هـ) صَالِحُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ الْمَأْمُونِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٠٩هـ)، وسنة (٢١٠هـ)، وسنة (٢١١هـ) صَالِحُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢١٢هـ) وسنة (٢١٣هـ) وسنة (٢١٥هـ) وسنة (٢١٦هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الْعَبَّاسِيُّ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢١٤هـ) إِسْحَاقُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢١٧هـ) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ.

مشاهير من توفي في عهده

١ - **مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ**، الْإِمَامُ الْعَالِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ الْقُرَشِيُّ الْمُطَّلِبِيُّ، وجده شَافِعُ بْنُ السَّائِبِ مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ.

وُلِدَ الشَّافِعِيُّ بِغَزَّةَ، سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَحَمَلَتْهُ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ وَهُوَ ابْنُ سَنَتَيْنِ، لِئَلَّا يَضِيعَ نَسَبُهُ، فَنَشَأَ بِهَا، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ سبْعِ سِنِينَ.

وَعُنِيَ بِاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ، وَأَقَامَ فِي هُذَيْلٍ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، فَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَفَصَاحَتَهَا.

وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ الْمُوَطَّأَ عَلَى مَالِكٍ مِنْ حِفْظِهِ فَأَعْجَبَتْهُ قِرَاءَتُهُ وَهِمَّتُهُ، وَأُخِذَ عَنْهُ عِلْمُ الْحِجَازِيِّينَ بَعْدَ أَخْذِهِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ الزَّنْجِيِّ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، أن الشَّافِعِيَّ وَلِيَ الْحُكْمَ بِنَجْرَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، ثُمَّ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَوَشَوْا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ أَنَّهُ يَرُومُ الْخِلَافَةَ، فَحُمِلَ عَلَى بَغْلٍ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، فَاجْتَمَعَ بِالرَّشِيدِ، وَتَبَيَّنَ لِلرَّشِيدِ بَرَاءَتُهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عِنْدَهُ وأكرمه، وَكَتَبَ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ وَقْرَ بَعِيرٍ.

ثُمَّ أَطْلَقَ لَهُ الرَّشِيدُ أَلْفَيْ دِينَارٍ وَقِيلَ: خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَعَادَ الشَّافِعِيُّ **إِلَى مَكَّةَ** فَفَرَّقَهَا فِي أَهْلِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ، ثُمَّ رحل إِلَى **بَغْدَادَ** سنة (١٩٥هـ) ثم سنة (١٩٨هـ).

فَاجْتَمَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ **إِلَى مِصْرَ** وَصَنَّفَ بِهَا كِتَابَهُ «الْأُمَّ» فَأَقَامَ بِهَا إِلَى **أَنْ مَاتَ فِي سنة (٢٠٤هـ)**.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَى الشَّافِعِيِّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ كِبَارِ الْأَئِمَّةِ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي الْأُصُولِ فَكَتَبَ لَهُ «الرِّسَالَةَ»، وَكَانَ يَدْعُو لَهُ فِي الصَّلَاةِ دَائِمًا.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَشَدِّ النَّاسِ انْتِزَاعًا لِلدَّلَائِلِ مِنْهُمَا، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قَصْدًا وَإِخْلَاصًا، كَانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَا يُنْسَبُ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ أَبَدًا، فَأُؤْجَرُ عَلَيْهِ وَلَا يَحْمَدُونِي.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْهُ: إِذَا صَحَّ عِنْدَكُمُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُولُوا بِهِ وَدَعُوا قَوْلِي. وَقَالَ: لِأَنْ يَلْقَى اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ بِاللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ الْأَهْوَاءِ.

وَقَالَ الْبُوَيْطِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَكَأَنَّمَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا، حَفِظُوا لَنَا الْأَصْلَ، فَلَهُمْ عَلَيْنَا الْفَضْلُ.

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

٢- **يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو زَكَرِيَّا، الْمَشْهُورُ بِالْفَرَّاءِ**، الْكُوفِيُّ، نَزِيلُ بَغْدَادَ مَوْلَى بَنِي سَعْدٍ، شَيْخُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ وَالْقُرَّاءِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: **أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّحْوِ**.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَكَانَ ثِقَةً إِمَامًا.

وَذُكِرَ أَنَّ الْمَأْمُونَ أَمَرَهُ بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ فَأَمْلَاهُ، وَكَتَبَهُ النَّاسُ عَنْهُ، وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِكَتْبِهِ فِي الْخَزَائِنِ، وَأَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَيْهِ وَلِيَّيِ الْعَهْدِ، فَقَامَ يَوْمًا، فَابْتَدَرَاهُ أَيُّهُمَا يُقَدِّمُ نَعْلَيْهِ، فَتَنَازَعَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَعْلًا، فَأَطْلَقَ لَهُمَا أَبُوهُمَا عِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلِلْفَرَّاءِ عَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ لَهُ: لَا أَعَزَّ مِنْكَ إِذْ يُقَدِّمُ نَعْلَيْكَ وَلِيَّا الْعَهْدِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ، وَقِيلَ: بِطَرِيقِ مَكَّةَ. وَقَدِ امْتَدَحُوهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فِي مُصَنَّفَاتِهِ، وتوفي سنة (٢٠٧هـ).

٣- **نَفِيسَةُ بِنْتُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ** بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ كَانَ أَبُوهَا نَائِبًا لِلْمَنْصُورِ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ خَمْسَ سِنِينَ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فَعَزَلَهُ عَنْهَا.

وقد دخلت السيدة نَفِيسَةُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مَعَ زَوْجِهَا إِسْحَاقَ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، فَأَقَامَتْ بِهَا، وَكَانَتْ ذَاتَ مَالٍ وَإِحْسَانٍ إِلَى النَّاسِ وَالْجَذْمَى وَالزَّمْنَى وَالْمَرْضَى وَعُمُومِ النَّاسِ، وَكَانَتْ عَابِدَةً زَاهِدَةً كَثِيرَةَ الْخَيْرِ، وَلَمَّا وَرَدَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ، وَكَانَ رُبَّمَا صَلَّى بِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحِينَ مَاتَ أَمَرَتْ بِجِنَازَتِهِ فَأُدْخِلَتْ إِلَيْهَا الْمَنْزِلَ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٢٠٨هـ)، وَلِأَهْلِ مِصْرَ فِيهَا اعْتِقَادٌ، وَقَدْ بَالَغَ الْعَامَّةُ فِي أَمْرِهَا كَثِيرًا جِدًّا، وَيُطْلِقُونَ فِيهَا عِبَارَاتٍ بَشِعَةً فِيهَا مُجَازَفَةٌ تُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَأَلْفَاظًا كَثِيرَةً يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفُوا بِأَنَّهَا لَا يجوزُ إِطْلَاقُهَا فِي مِثْلِ أَمْرِهَا، وَرُبَّمَا نَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَلَيْسَتْ مِنْ سُلَالَتِهِ. وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ فِيهَا مِنَ الصَّلَاحِ مَا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ.

٤- **الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ** بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وكَانَ زَوَالُ دَوْلَةِ الْبَرَامِكَةِ عَلَى يَدَيْهِ، وَقَدْ وَزَرَ مَرَّةً لِلرَّشِيدِ، وَقَدْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الرَّشِيدِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ جُهْدَهُ فِيهِمْ، ويَحْفِرُ خَلْفَهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، وَتَوَلَّى الْوَزَارَةَ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ وَزَرَ مِنْ بَعْدِ الرَّشِيدِ لِابْنِهِ الْأَمِينِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ اخْتَفَى، فَأَرْسَلَ لَهُ الْمَأْمُونُ أَمَانًا فَخَرَجَ، وَلَمْ يَزَلْ خَامِلًا حَتَّى مَاتَ فِي سنة (٢٠٨هـ)، وَلَهُ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥-**أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ كَيْسَانَ، أَصْلُهُ مِنَ الْحِجَازِ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ، وَكَانَ يَبِيعُ الْجِرَارَ أَوَّلًا، ثُمَّ حَظِيَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ لَا سِيَّمَا الْمَهْدِيُّ، ومدح المأمون بمدائح بالغ فيها. وتوفي سنة (٢١١هـ).

٦-**أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَكَمِ** بْنِ أَعْيَنَ بْنِ لَيْثِ بْنِ رَافِعٍ الْمِصْرِيُّ، أَحَدُ مَنْ قَرَأَ الْمُوَطَّأَ عَلَى الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَتَفَقَّهَ بِمَذْهَبِهِ، وَكَانَ مُعَظَّمًا بِبِلَادِ مِصْرَ، وَلَهُ بِهَا ثَرْوَةٌ وَأَمْوَالٌ وَافِرَةٌ.

وَحِينَ قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ أَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَجَمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَيْ دِينَارٍ أُخْرَى.

وَهُوَ وَالِدُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الَّذِي صَحِبَ الشَّافِعِيَّ،

وَلَمَّا تُوُفِّيَ سنة (٢١٤هـ) دُفِنَ إِلَى جَانِبِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ.

٧- **أَمَةُ الْعَزِيزِ** الْمُلَقَّبَةُ **بِزُبَيْدَةَ** بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ الْقُرَشِيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، أم محمد الأمين، امْرَأَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ فِي زَمَانِهَا، وَإِنَّمَا لُقِّبَتْ زُبَيْدَةَ؛ لِأَنَّ جَدَّهَا أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ كَانَ يُلَاعِبُهَا وَيُرَقِّصُهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنْتِ زُبَيْدَةُ. لِبَيَاضِهَا، فَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، كَانَتْ مِنَ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْخَيْرِ وَالدِّيَانَةِ عَلَى جَانِبٍ كبير، وَلَهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْأَوْقَافِ وَوُجُوهِ الْقُرُبَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

وَرَوَى الْخَطِيبُ(١) أَنَّهَا حَجَّتْ، فَبَلَغَتْ نَفَقَتُهَا أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنَّهَا لَمَّا هَنَّأَتِ الْمَأْمُونَ بِالْخِلَافَةِ حِينَ دَخَلَ بَغْدَادَ قَالَتْ لَهُ: لَقَدْ هَنَّأْتُ نَفْسِي بِهَا عَنْكَ قَبْلَ أَنْ أَرَاكَ، وَلَئِنْ كُنْتُ فَقَدْتُ ابْنًا خَلِيفَةً لَقَدْ عُوِّضْتُ ابْنًا خَلِيفَةً لَمْ أَلِدْهُ، وَمَا خَسِرَ مَنِ اعْتَاضَ مِثْلَكَ، وَلَا ثَكِلَتْ أُمٌّ مَلَأَتْ يَدَهَا مِنْكَ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ أَجْرًا عَلَى مَا أَخَذَ، وَإِمْتَاعًا بِمَا عَوَّضَ.

---

(١) تاريخ بغداد١٤/ ٤٣٣.

قـال الذهبي[١]: وكَانَتْ عَظِيْمَةَ الجَـاهِ، وَالمَالِ، لَهَا آثَارٌ حَمِيْـدَةٌ فِي طَرِيْقِ الحَجِّ، وكَانَ فِي قَصْرِهَا مِنَ الجَوَارِي نَحْوٌ مِنْ مائَةِ جَارِيَةٍ كُلُّهُنَّ يَحْفَظْنَ القُرْآنَ.

ونقل ابن خلكان عن ابن الجوزي في كتاب «الألقاب»: أنها سـقت أهل مكة الماء بعـد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسـالت الماء عشـرة أميـال بحط الجبال، ونحـت الصخر، حتى أجرتـه من الحل إلى الحرم، وعملت عقبة البسـتان، فقال لها وكيلهـا: يلزمـك نفقة كثيـرة، فقالت: أعملها ولـو كانت ضربة فـأس بدينار، فبلغت النفقـة عليه ألف ألف وسـبعمائة ألف دينـار[٢]، وتُوُفِّيَتْ بِبَغْدَادَ فِـي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ (٢١٦هـ).

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٣٥٩)

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٣١٤)

(٨)

خلافة المعتصم بالله بن هارون الرشيد

٢١٨-٢٢٦

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدٌ الْمُعْتَصِمُ ابْنُ هَارُونَ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا مَارِدَةُ. ويُقَالُ لَهُ: **الْمُثَمَّنُ**. لأنه ثَامِنُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ في النسب ،وثَامِنُ الْخُلَفَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، **وفَتَحَ ثَمَانِيَ فُتُوحَاتٍ؛ بِلَادَ بَابَكَ** عَلَى يَدِ الْأَفْشِينِ **وَعَمُّورِيَةَ** بِنَفْسِهِ، **وَالزُّطَّ** بِعُجَيْفٍ، **وَبَحْرَ الْبَصْرَةِ وَقَلْعَةَ الْأَجْرَافِ**، وَأَعْرَابَ **دِيَارِ رَبِيعَةَ، وَالشَّارِي**، وَفَتَحَ **مِصْرَ** بَعْدَ عِصْيَانِهَا.

وَقَتَلَ ثَمَانِيَةَ أَعْدَاءٍ: بَابَكَ، وَمَازَايَارَ، وَيَاطَسَ الرُّومِيَّ، وَالْأَفْشِينَ، وَعُجَيْفًا، وَقَارَنَ، وَقَائِدَ الرَّافِضَةِ. **وأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ**، وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (١٨٠هـ).

صفاته

كَانَ الْمُعْتَصِمُ أَبْيَضَ، أَصْهَبَ اللِّحْيَةِ طَوِيلَهَا، مَرْبُوعًا، وَمُشْرَبَ اللَّوْنِ، شَهْمًا وَلَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ في الحرب، وَمَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ، وكَانَ **أُمِّيًّا** لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يَكْتُبُ كِتَابَةً ضَعِيفَةً.

وَذَكَرَ الْخَطِيبُ(١) بِسَنَدِهِ عَنِ الْمُعْتَصِمِ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَتَهَدَّدُهُ فِيهِ، فَقَالَ لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ: قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَسَمِعْتُ خِطَابَكَ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَى لَا مَا تَسْمَعُ، «وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ».

وغَزَا الْمُعْتَصِمُ بِلَادَ الرُّومِ فِي سنة (٢٢٣هـ) فَأَنْكَى نِكَايَةً عَظِيمَةً فِي الْعَدُوِّ، وَنَصَبَ عَلَى عَمُّورِيَةَ الْمَجَانِيقَ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَتَّى فَتَحَهَا وَدَخَلَهَا، وَجَاءَ بِبَابِهَا إِلَى الْعِرَاقِ.

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٤.

وذكر الخطيب(١) أن المعتصم نصبه عَلَى أَحَدِ أَبْوَابِ دَارِ الْخِلَافَةِ مِمَّا يَلِي الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فِي الْقَصْرِ، وبقي إلى زمنه.

وَقَدِ اسْتَخْدَمَ الْمُعْتَصِمُ مِنَ الْأَتْرَاكِ خَلْقًا عَظِيمًا كَانَ لَهُ مِنَ الْمَمَالِيكِ التُّرْكِ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَتَمَّ لَهُ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ وَالدَّوَابِّ مَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ.

❍ وفاته

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ من سنة (٢٢٦هـ) كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي إِسْحَاقَ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بِالله.

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَعَلَ يَقُولُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ عُمْرِي قَصِيرٌ مَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، وَقَالَ: إِنِّي أُخِذْتُ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: ذَهَبَتِ الْحِيَلُ فلا حِيلَةٌ.

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق.

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ **بِطَرَسُوسَ**، يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ (٢١٨هـ) وَهُوَ الَّذِي صَلَّى عَلَى أَخِيهِ الْمَأْمُونِ، وَقَدْ شَغَبَ بَعْضُ الْجُنْدِ فَأَرَادُوا أَنْ يُوَلُّوا الْعَبَّاسَ بْنَ الْمَأْمُونِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ لَهُمْ: **مَا هَذَا الْحُبُّ الْبَارِدُ**؟ أَنَا قَدْ بَايَعْتُ عَمِّي الْمُعْتَصِمَ. فَسَكَنَ النَّاسُ وَخَمَدَتِ الْفِتْنَةُ.

ثُمَّ رَكِبَ الْمُعْتَصِمُ فِي الْجُنُودِ قَاصِدًا بَغْدَادَ وَصُحْبَتُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ فَدَخَلَهَا يَوْمَ السَّبْتِ مُسْتَهَلَّ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ وَتَجَمُّلٍ تَامٍّ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ قتال الخرمية

وَفِي سَنَةِ (٢١٨هـ) دَخَلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ هَمَذَانَ وَأَصْبَهَانَ وَمَاسَبَذَانَ، وَمِهْرَجَانَ فِي دِينِ الْخُرَّمِيَّةِ، فَتَجَمَّعَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ فَجَهَّزَ إِلَيْهِم الْمُعْتَصِمُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى إقليم **الْجِبَالِ** فَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَجاء كِتَابُهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَأَنَّهُ قَهَرَ الْخُرَّمِيَّةَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وفي سنة (٢٢٠هـ) عَقَدَ الْمُعْتَصِمُ لِلْأَفْشِينِ حَيْدَرُ بْنُ كَاوَسَ عَلَى جَيْشٍ عَظِيمٍ لِقِتَالِ بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ، وَكَانَ قَدِ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَانْتَشَرَ أَتْبَاعُهُ فِي بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ وَمَا وَالَاهَا، وَكَانَ أَوَّلُ ظُهُورِهِ فِي سنة (٢٠١)، وَكَانَ زِنْدِيقًا كَبِيرًا وَشَيْطَانًا رَجِيمًا، فَسَارَ الْأَفْشِينُ وَقَدْ أَحْكَمَ صِنَاعَةَ الْحَرْبِ فِي الْأَرْصَادِ، وَعِمَارَةِ الْحُصُونِ، وَإِيصَالِ الْمَدَدِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ بِاللهِ مَعَ **بُغَا الْكَبِيرِ** أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَالْتَقَى هُوَ وَبَابَكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٢٢٠هـ) فَاقْتَتَلَا قِتَالًا عَظِيمًا، فَقَتَلَ الْأَفْشِينُ مِنْ أَصْحَابِ بَابَكَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَرَبَ بابك إِلَى مَدِينَتِهِ مَكْسُورًا.

وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا تَضَعْضَعَ مِنْ أَمْرِه بَابَكَ.

ثم فِي سنة (٢٢١هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ هَائِلَةٌ بَيْنَ بُغَا الْكَبِيرِ وَبَابَكَ الْخُرَّمِيِّ، فَهَزَمَ بَابَكُ بُغَا وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ.

○ هزيمة بابك وقتله

لَمَّا احْتَوَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى دَار مُلْكِهِ وَمَقَرِّ سُلْطَانِهِ، هَرَبَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فَانْفَرَدَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ خَدَمِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ طَعَامٌ، فَاجْتَازَ بِحَرَّاثٍ، فلما عرفه احتال عليه،

وأطلع الأفشين على أمره، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمِيرَيْنِ لِقَبْضِهِ. فجاؤوا وَأَخَذُوهُ مَعَهُمَا إِلَى الْأَفْشِينِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ بِلَادِ الْأَفْشِينِ خرج فتلقاه، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَصْطَفُّوا صَفَّيْنِ وَأَنْ يَتَرَجَّلَ بَابَكَ فَيَدْخُلَ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ مَاشٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

ثم كَتَبَ الْأَفْشِينُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ بَابَكَ وأخاه فِي أَسْرِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ يَأْمُرُهُ أَنْ يَقْدَمَ بِهِمَا عَلَيْهِ إِلَى بَغْدَادَ.

في سنة (٢٢٢هـ) وَجَّهَ الْمُعْتَصِمُ جَيْشًا كَثِيفًا مَدَدًا لِلْأَفْشِينِ عَلَى مُحَارَبَةِ الْخُرَّمِيَّةِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَفَقَةً لِلْجُنْدِ وَالْأَتْبَاعِ، فاقْتَتَلَ الْأَفْشِينُ والْخُرَّمِيَّةُ قِتَالًا عَظِيمًا، وَافْتَتَحَ الْأَفْشِينُ **الْبَذَّ** مَدِينَةَ بَابَكَ وَاسْتَبَاحَ مَا فِيهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ، بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ وَحُرُوبٍ هَائِلَةٍ وَقِتَالٍ شَدِيدٍ.

وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّهُ افْتَتَحَ الْبَلَدَ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ مِمَّا قَدَرَ عَلَيْهِ.

وفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثِ صَفَرٍ مِنْ سنة (٢٢٣هـ) دَخَلَ الْأَفْشِينُ عَلَى الْمُعْتَصِمِ فِي سَامَرَّاءَ وَمَعَهُ بَابَكُ الْخُرَّمِيُّ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللهِ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ أن يصْطَفَّ النَّاسُ سِمَاطَيْنِ، وَأَمَرَ بَابَكَ أَنْ يَرْكَبَ عَلَى **فِيلٍ** لِيَشْتَهِرَ أَمْرُهُ وَيَعْرِفُوهُ، وَعَلَيْهِ قَبَاءُ دِيبَاجٍ وَقَلَنْسُوَةٌ، وَقَدْ هُيِّئَ الْفِيلُ، وَخُضِّبَتْ أَطْرَافُهُ، وَأُلْبِسَ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْأَمْتِعَةِ.

ثم إن الْمُعْتَصِم أَمَرَ بِقَطْعِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَحَزِّ رَأْسِهِ، وَشَقِّ بَطْنِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِ رَأْسِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَصَلْبِ جُثَّتِهِ عَلَى خَشَبَةٍ بِسَامَرَّا.

وَكَانَ هَذَا الْمَلْعُونُ قَدْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مُدَّةِ ظُهُورِهِ، وَهِيَ عِشْرُونَ سَنَةً أكثر من مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْف، وَأَسَرَ خَلْقًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

❍ ثورة محمد بن القاسم الطالبي

في سنة (٢١٩هـ) ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالطَّالَقَانِ مِنْ خُرَاسَانَ يَدْعُو إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ،

وَقَاتَلَهُ قُوَّادُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً، ثُمَّ ظَهَرُوا عَلَيْهِ وَهَرَبَ فَأُخِذَ ثُمَّ بُعِثَ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ طُولُهُ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ، ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا هُنَالِكَ إِلَى لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ، فهربَ من السجن فَلَمْ يُدْرَ إلى أين صَارَ مِنَ الْأَرْضِ.

○ قتال الزط بالبصرة

في سنة (٢١٩هـ) بَعَثَ الْمُعْتَصِمُ عُجَيْف بْن عَنْبَسَةَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ لِقِتَالِ **الزُّطِّ**، الَّذِينَ عَاثُوا فِي بِلَادِ الْبَصْرَةِ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ وَنَهَبُوا الْغَلَّاتِ، فَمَكَثَ فِي قِتَالِهِمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ فَقَهَرَهُمْ وَقَمَعَ شَرَّهُمْ، وَأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ، وَكَانَ الْقَائِمَ بِأَمْرِهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَمَعَهُ آخَرُ يُقَالُ لَهُ: **سَمْلَقٌ**، وَهُوَ دَاهِيَتُهُمْ، وَشَيْطَانُهُمْ، فَأَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ من شرهم وأسر منهم سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ثم جَاءُوا بِالْأَمَانِ إِلَى الْخَلِيفَةِ شهر محرم سنة (٢٢٠هـ) فَأُنْزِلُوا فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ثُمَّ نَفَاهُمُ الْخَلِيفَةُ إِلَى **عَيْنِ زُرْبَةَ**، فَأَغَارَتِ الرُّومُ عَلَيْهِمْ فَاجْتَاحُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ.

○ عزل الفضل بن مروان عن الوزارة

وفي سنة (٢٢٠هـ) غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ الْمَكَانَةِ الْعَظِيمَةِ وَعَزَلَهُ عَنِ الوزارة، وَحَبَسَهُ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ، وَجَعَلَ مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزَّيَّاتِ.

○ هجوم الروم على ملطية

وَفِي سنة (٢٢٣) أَوْقَعَ **مَلِكُ الرُّومِ** تَوْفِيلُ بْنُ مِيخَائِيلَ بِأَهْلِ **مَلَطْيَةَ** مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا وَالَاهَا مَلْحَمَةً عَظِيمَةً قَتَلَ فِيهَا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسَرَ مَا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أَسَرَ **أَلْفَ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ**، وَمَثَّلَ بِمَنْ وَقَعَ فِي أَسْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَطَّعَ آذَانَهُمْ وَآنَافَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، قَبَّحَهُ اللهُ.

وكان تَوْفِيلُ قد رَكِبَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ الْمُحَمِّرَةُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ خَرَجُوا فِي الْجِبَالِ، وَقَاتَلَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ، وَتَحَصَّنُوا بِتِلْكَ الْجِبَالِ فَلَمَّا قَدِمَ مَلِكُ الرُّومِ صَارُوا مَعَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَوَصَلُوا إِلَى زِبَطْرَةَ فَقَتَلُوا مِنْ رِجَالِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسَرُوا مِنْ حَرِيمِهَا أُمَّةً كَثِيرَةً.

وَوَجَّهَ المعتصم عُجَيْف بن عنسبة، وَطَائِفَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ وَمَعَهُمْ خَلْقٌ مِنَ الْجَيْشِ إِعَانَةً لِأَهْلِ زِبَطْرَةَ فَأَسْرَعُوا السَّيْرَ، فَوَجَدُوا مَلِكَ الرُّومِ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، وَانْشَمَرَ إِلَى بِلَادِهِ رَاجِعًا، وَلَمْ يُمْكِنِ الِاسْتِدْرَاكُ فِيهِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ لِإِعْلَامِهِ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ.

○ فتح المعتصم لعمّورية[1]

لما علم الْمُعْتَصِمَ بهجوم الروم على ملطية، انْزَعَجَ لِذَلِكَ جِدًّا، وأمر بِالنَّفِيرِ، وتَعْبِئَةِ الْجُيُوشِ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ فَعَسْكَرَ غَرْبَيْ دِجْلَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٢٢٣هـ)، فَقَالَ لِلْأُمَرَاءِ: **أَيُّ بِلَادِ الرُّومِ أَمْنَعُ؟** قَالُوا: **عَمُّورِيَةُ** لَمْ يَعْرِضْ لَهَا أَحَدٌ مُنْذُ كَانَ الْإِسْلَامُ، وَهِيَ أَشْرَفُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فقرر السير إِلَى عمّورية، فِي جَحَافِلَ كَالْجِبَالِ.

وَبَعَثَ الْأَفْشِينُ خَيْذَرَ بْنَ كَاوَسَ مِنْ نَاحِيَةِ سَرُوجَ [2]، وَعَبَّأَ الْخَلِيفَةُ جَيْشَهُ تَعْبِئَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحَرْبِ، فَانْتَهَى فِي سَيْرِهِ إِلَى نَهْرِ اللَّمِسِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ طَرَسُوسَ وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ منها.

وَقَدْ رَكِبَ مَلِكُ الرُّومِ فِي جَيْشِهِ، فَقَصَدَ نَحْوَ الْمُعْتَصِمِ، فَتَقَارَبَا حَتَّى كَانَ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ، وَدَخَلَ الْأَفْشِينُ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَجَاءَ مِنْ

---

(١) هكذا سماه ابن كثير فتحًا لعمورية، والذي حصل هو غزو عمورية والتنكيل بالروم انتصاراً لما فعلوه بأهل ملطية من المسلمين. ثم انسحب المعتصم منها ولم يقم فيها.

(٢) سروج: فعول بفتح أوله من السرج وهو من أبنية المبالغة، وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر، معجم البلدان – الفكر (٣/ ٢١٦).

وَرَاءِ مَلِـكِ الرُّوم، فَحَارَ فِي أَمْرِهِ وَضَاقَ ذَرْعًـا بِسَـبَبِ ذَلِـكَ؛ إِنْ هُوَ نَاجَزَ الْخَلِيفَةَ جَاءَهُ الْأَفْشِـينُ مِنْ خَلْفِهِ، فَالْتَقَيَا عَلَيْهِ فَيَهْلَكُ، وَإِنْ سَـارَ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَتَرَكَ الْآخَرَ أَخَذَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُ الْأَفْشِينُ فَسَارَ إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ فِي طائفة مِنَ الْجَيْشِ.

وَاسْـتَخْلَفَ عَلَى بَقِيَّتِهِ **قَرِيبًا لَهُ**، فَالْتَقَى هُوَ وَالْأَفْشِـينُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَثَبَتَ الْأَفْشِينُ فِي ثَانِي الْحَالِ، وَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ خَلْقًا، وَجُرِحَ آخَرِيـنَ، وَتَفَلَّتَ مَلِكِ الرُّومِ، وبَلَغَهُ أَنَّ بَقِيَّةَ الْجَيْشِ قَدْ شَـرَدُوا عَنْ قَرَابَتِهِ، وَذَهَبُوا عَنْهُ، وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ، فَأَسْـرَعَ الْأَوْبَـةَ، فَإِذَا نِظَامُ الْجَيْشِ قَدِ انْحَـلَّ، فَغَضِبَ عَلَى نائبه وَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ .

فَرَكِبَ المعتصم مِنْ فَوْرِهِ وَجَاءَ إِلَى **أَنْقِرَةَ**، فَوَجَدُوا أَهْلَهَا قَدْ هَرَبُوا مِنْهَا وَتَفَرَّقُوا عَنْهَا فَتَقَوَّوْا مِنْهَا بِطَعَامٍ وَعُلُوفَةٍ كَثِيرَةٍ، وكلما مروا عليه مِنَ الْقُرَى حَرَّقُوا، وَأَسَرُوا، وَغَنِمُوا.

وَسَـارَ قَاصِدًا إِلَى عَمُّورِيَةَ وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَنْقِرَةَ سَـبْعُ مَرَاحِلَ، فَأَوَّلُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْجُيُوشِ أَشْـنَاسُ أَمِيرُ الْمَيْسَرَةِ ضَحْوَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ،

ثُمَّ قَدِمَ الْمُعْتَصِمُ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَهُ، ثُمَّ قَدِمَ الْأَفْشِينُ يَوْمَ السَّبْتِ.

وَقَـدْ تَحَصَّنَ أَهْلُ عمورية، وَمَلَئُوا أَبْرَاجَهَا بِالرِّجَالِ وَالسِّـلَاحِ، وَهِـيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا ذَاتُ سُـورٍ مَنِيعٍ، وَأَبْرَاجٍ عَالِيَةٍ كَبِيرَةٍ، وَقَسَّـمَ الْمُعْتَصِمُ الْأَبْرَاجَ عَلَى الْأُمَرَاءِ، فَنَزَلَ كُلُّ أَمِيرٍ تُجَاهَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَقْطَعُهُ، وَعَيَّنَهُ لَهُ.

فَنَصبَ الْمُعْتَصِمُ الْمَجَانِيقَ حَوْلَ عَمُّورِيَةَ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهَا بِالْمَنْجَنِيقُ لَمْ تُغْنِ شَـيْئًا، **وَانْهَدَمَ السُّـورُ مِنْ جانب، وَتَفَسَّـخَ**. ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِتَجْدِيدِ الْحَرَسِ، وَالِاحْتِفَاظِ فِيهِ مِنْ خُرُوجِ الرُّومِ بَغْتَةً، فَضَاقَتْ الرُّومُ ذَرْعًا بِذَلِكَ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْحِصَارِ.

وَبَيْنَمَـا النَّاسُ فِي الْحَرَسِ إِذْ هَدَمَ الْمَنْجَنِيقُ موضعـًا مِنَ السُّـورِ، فَلَمَّا سَـقَطَ مَا بَيْنَ

الْبُرْجَيْنِ سَمِعَ النَّاسُ هَدَّةً عَظِيمَةً، فَظَنَّهَا مَنْ لَمْ يَرَهَا أَنَّ الرُّومَ قَدْ خَرَجُوا عَلَى النَّاسِ بَغْتَةً، فَبَعَثَ الْمُعْتَصِمُ مَنْ يُنَادِي فِي النَّاسِ: إِنَّمَا ذَلِكَ سُقُوطُ السُّورِ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا.

ثُمَّ شَدّوا عَلَيْهِمْ وَدَخَلُوا الْبَلَدَ قَهْرًا وَتَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا يُكَبِّرُونَ، وَتَفَرَّقَتِ الرُّومُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ ، وَقَدْ حَصَرُوهُمْ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ هَائِلَةٍ، فَفَتَحُوهَا قَسْرًا وَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا قَهْرًا، وَأَحْرَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَنِيسَةِ فَأُحْرِقُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ مُحَصَّنٌ سِوَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الأمير **يَاطَسُ**، فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ، فَرَكِبَ الْمُعْتَصِمُ فَرَسَهُ، وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ بِحِذَاءِ الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ يَاطَسُ، فَنَادَاهُ الْمُنَادِي: وَيْحَكَ يَا يَاطَسُ، هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاقِفٌ تُجَاهَكَ. فَقَالَ: لَيْسَ يَاطَسُ هَاهُنَا. مَرَّتَيْنِ.

فَغَضِبَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ ذلك وَأمر بنَصب السَّلَالِمَ عَلَى الْحِصْنِ، وَطَلَعَتِ الرُّسُلُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ، انْزِلْ عَلَى حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَمَنَّعَ، ثُمَّ نَزَلَ ، ثُمَّ جِيءَ بِهِ حَتَّى أُوْقِفَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ، فَضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ عَلَى رَأْسِهِ، **وأُخِذ أسيراً**.

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَمُّورِيَةَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَغَنَائِمَ كثيرة، وحَمَلُوا مَا أَمْكَنَ حَمْلُهُ، وَأَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بِإِحْرَاقِ مَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ، لِئَلَّا يَتَقَوَّى بِهَا الرُّومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْصَرَفَ رَاجِعًا عَنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ طَرَسُوسَ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٢٢٣هـ) وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ عَلَى عَمُّورِيَةَ خَمْسَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.

○ وفاة العباس بن المأمون

في سنة (٢٢٣هـ)كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ مَعَ عَمِّهِ الْمُعْتَصِمِ فِي غَزَاةِ عَمُّورِيَةَ، وَكَانَ عُجَيْفُ بْنُ عَنْبَسَةَ قَدْ نَدَّمَهُ إِذْ لَمْ يَأْخُذِ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِيهِ الْمَأْمُونِ حِينَ مَاتَ بِطَرَسُوسَ، وَلَامَهُ عَلَى مُبَايَعَتِهِ عَمَّهُ الْمُعْتَصِمَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَجَابَهُ إِلَى الْفَتْكِ بِعَمِّهِ الْمُعْتَصِمِ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنَ الْأُمَرَاءِ لَهُ، وَجَهَّزَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَكَانَ نَدِيمًا

لِلْعَبَّاسِ، فَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي الْبَاطِنِ، وَاسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنَّـهُ يَلِي مَتَى مَا فَتَكَ بِعَمِّـهِ، فَلْيَقْتُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَنْ يَقْـدِرُ عَلَيْهِ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِ الْمُعْتَصِمِ؛ كَالْأَفْشِـينِ وَأَشْـنَاسَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكِبَارِ، فَلَمَّا علـم الْمُعْتَصِمُ بِالْخَبَرِ، أَخَذَ بِالْحَزْمِ وَاجْتَهَدَ فِي الْعَزْمِ،

ثُمَّ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ حِينَئِذٍ بِابْنِ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ، فَقُيِّدَ وَسَـلَّمَهُ إِلَى الْأَفْشِـينِ وَأَمَرَ بِعُجَيْفٍ وَبَقِيَّـةِ مَـنْ ذَكَرَ مِنَ الْأُمَـرَاءِ، فَاحْتِيطَ عَلَيْهِـمْ وَأُحِيطَ بِهِمْ، ثُـمَّ أَخَذَ فِي أَنْـوَاعِ النِّقْمَاتِ يَقْتَرِحُهَـا لَهُمْ، فَقَتَلَ كُلَّ إِنْسَـانٍ مِنْهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ الْقِتْلَاتِ، وَمَـاتَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْمَأْمُونِ في السجن بِمدينة مَنْبِجَ.

○ خروج مَازَيَارُ في آمل طبرستان

فِي سـنة (٢٢٤هـ) خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ آمُلِ طَبَرِسْـتَانَ يُقَالُ لَهُ: مَازَيَـارُ بْنُ قَارَنَ، وَكَانَ لَا يَرْضَى أَنْ يَدْفَعَ الْخَرَاجَ إِلَى نَائِبِ خُرَاسَـانَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَـيْنِ، بَلْ يَبْعَثُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ لِيَقْبِضَهُ مِنْهُ، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ من يَقْبِضُهُ مِنْهُ ثُمَّ يَدْفَعُهُ إِلَى والي خراسان.

ثُـمَّ تطور أمره إلى أن أَظْهَرَ الْمُخَالَفَـةَ لِلْمُعْتَصِمِ. وَقَدْ كَانَ الْمَازَيَارُ هَذَا مِمَّنْ يُكَاتِبُ بَابَكَ الْخُرَّمِيَّ وَيَعِدُهُ بِالنَّصْرِ.

فَبَعَـثَ إِلَيْـهِ الْمُعْتَصِـمُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيـمَ بْنِ مُصْعَبٍ أَخَا إِسْـحَاقَ بْـنِ إِبْرَاهِيمَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ اسْتَقْصَاهَا ابْنُ جَرِير، وَكَانَ آخِرَ أمره أَنْ أُسِرَ، وَحُمِلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، فبعثه إلى المعتصم، فَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ حَتَّى مَاتَ، وَصُلِبَ إِلَى جَانِبِ بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ وَقُتِلَ عُيُونُ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

○ خروج الْأُشْرُوسَنِي بأذربيجان

فِي سنة (٢٢٤هـ) خَرَجَ مَنْكَجُورُ الْأُشْرُوسَنِيُّ قُرَابَةَ الْأَفْشِينِ بِأَرْضِ أَذْرَبِيجَانَ وَخَلَعَ الطَّاعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَفْشِـينَ كَانَ قَدِ اسْـتَنَابَهُ عَلَى بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ حِينَ فَرَغَ مِنْ أَمْرِ بَابَكَ،

فَظَفِرَ مَنْكَجُورُ بِمَالٍ عَظِيمٍ مَخْزُونٍ لِبَابَكَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ، فَاحْتَجَبَهُ لِنَفْسِهِ وَأَخْفَاهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ، فبَعَثَ إِلَيْهِ بُغَا الْكَبِيرَ فَحَارَبَهُ وَأَخَذَهُ بِالْأَمَانِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ.

○ غضب المعتصم على الأفشين

في سنة (٢٢٥هـ) غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْأَفْشِينِ وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ، فَبُنِيَ لَهُ مَكَانٌ كَالْمَنَارَةِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ يُسَمَّى الْكَوَّةَ، إِنَّمَا يَسَعُهُ فَقَطْ، وَذَلِكَ حِينَ تَحَقَّقَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ مُخَالَفَتَهُ وَالْخُرُوجَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَعْزِمُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بِلَادِ الْخَزَرِ لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَعَاجَلَهُ الْخَلِيفَةُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَعَقَدَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ مَجْلِسًا فِيهِ قَاضِيهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ الْمُعْتَزِلِيُّ، وَوَزِيرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزَّيَّاتِ، وَنَائِبُهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، فَاتُّهِمَ الْأَفْشِينُ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ بِأَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى **دِينِ أَجْدَادِهِ مِنَ الْفُرْسِ**؛!

فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمُعْتَصِمُ بُغَا الْكَبِيرَ أَنْ يَسْجُنَهُ مُهَانًا ذَلِيلًا، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ أَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ ذَلِكَ.

○ وفاة الأفشين في الحبس

في سنة (٢٢٦هـ) تُوُفِّيَ الْأَفْشِينُ فِي الْحَبْسِ، فَأَمَرَ بِهِ الْمُعْتَصِمُ، فَصُلِبَ، ثُمَّ أُحْرِقَ، وَذُرِّيَ رَمَادُهُ فِي دِجْلَةَ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، فَوَجَدُوا فِيهَا أَصْنَامًا مُكَلَّلَةً بِذَهَبٍ وَجَوَاهِرَ، وَكُتُبًا فِي فَضْلِ دِينِ الْمَجُوسِ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَانَ يُتَّهَمُ بِهَا، تَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ وَزَنْدَقَتِهِ، وَيَتَحَقَّقُ بِسَبَبِهَا مَا ذُكِرَ عَنْهُ مِنَ الِانْتِمَاءِ إِلَى دِينِ آبَائِهِ الْمَجُوسِ.

○ خروج أبي حَرْبٍ الْمُبَرْقَعُ الْيَمَانِيُّ

وفي سنة (٢٢٧هـ) خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْغَوْرِ بِالشَّامِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو حَرْبٍ الْمُبَرْقَعُ الْيَمَانِيُّ. فَخَلَعَ الطَّاعَةَ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ **سَبَبَ خُرُوجِهِ** أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْجُنْدِ أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَنْزِلِهِ وَذَلِكَ فِي غيبته، فَمَانَعَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَضَرَبَهَا الْجُنْدِيُّ فِي يَدِهَا، فَلَمَّا جَاءَ

أَبُـو حَرْبٍ أَخْبَرَتْهُ، فَذَهَـبَ إِلَى الْجُنْدِيِّ وَهُوَ غَافِلٌ فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ تَحَصَّنَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ وَهُوَ مُبَرْقَعٌ، **فَإِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ دَعَاهُ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ**، وَيَذُمُّ السُّـلْطَانَ، فَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْحَرَّاثِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: هَذَا هُوَ **السُّـفْيَانِيُّ** الْمَذْكُورُ أَنَّهُ يَمْلِكُ الشَّـامَ. وَاسْـتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَاتَّبَعَهُ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، فَبعث إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ جَيْشًـا بقيـادة رجاء بن أيوب، فَلَمَّا قَـدِمَ وَجَدَ أُمَّةً كَثِيرَةً قَدِ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ فَخَشِـيَ أَنْ يُنَاجِزَهُ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ.

فَانْتَظَـرَ حَتَّـى جَاءَ وَقْتُ حَـرْثِ الْأَرَاضِي، فَتَصَـرَّمَ عَنْهُ النَّاسُ إِلَـى أَرَاضِيهِمْ، وَبَقِيَ فِي شِـرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَاهَضَهُ، فَأَسَـرَهُ، وَحَمَلَهُ أَمِيرُ الجيش حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى الْمُعْتَصِمِ، فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

ولايـة الحـــــــج

وَحجَّ بِالنَّاسِ فِي سَنَةِ (٢١٨هـ) صَالِحُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَضَحَّى أَهْلُ مَكَّةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَأَهْلُ بَغْدَادَ ضَحَّوْا يَوْمَ السَّبْتِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢١٩هـ)، وسنة (٢٢٠هـ) صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سـنة (٢٢١هـ)،وسـنة (٢٢٢هـ)، وسـنة (٢٢٣هـ)، وسنة (٢٢٤هـ)، وسـنة (٢٢٥هـ)، وسـنة (٢٢٦هـ) نَائِبُ مَكَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ عِيسَـى بْنِ مُوسَـى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١- **بِشْرُ** بْنُ غِيَاثِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ **الْمَرِيسِيُّ**، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْمُتَكَلِّمُ، شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَأَحَدُ مَنْ أَضَلَّ الْمَأْمُونَ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَنْظُرُ أَوَّلًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْفِقْهِ، وَأَخَذَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي يُوسُفَ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْهُ، وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ عِلْمُ الْكَلَامِ، وَقَدْ نَهَاهُ الشَّافِعِيُّ عَنْ تَعَلُّمِهِ وَتَعَاطِيهِ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَأَنْ يَلْقَى اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا عَدَا الشِّرْكَ بِاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ.

وَقَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ: جَرَّدَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَحُكِيَ عَنْهُ أَقْوَالٌ شَنِيعَةٌ، وَكَانَ مُرْجِئِيًّا، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَرِيسِيَّةُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ السُّجُودَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَامَةُ الْكُفْرِ

وَكَانَ يَسْكُنُ دَرْبَ الْمَرِيسِ بِبَغْدَادَ، وَالْمَرِيسُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخُبْزُ الرُّقَاقُ يُمْرَسُ بِالسَّمْنِ وَالتَّمْرِ. قُلْتُ: ثُمَّ رَاجَ بِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ عِنْدَ الْمَأْمُونِ وَحَظِيَ عِنْدَهُ. وَقُدِّمَ فِي حَضْرَتِهِ، وَنَفَقَ سُوقُهُ الْكَاسِدُ، وَاسْتُجِيدَ ذِهْنُهُ الْبَارِدُ. وكانت وفاته فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٢١٨هـ).

٢- **ابن هشام** أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامِ بْنِ أَيُّوبَ الْحِمْيَرِيُّ الْمَعَافِرِيُّ.

رَاوِي السِّيرَةِ عَنْ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَكَّائِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مُصَنِّفِهَا، وَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ فَيُقَالُ: سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ لِأَنَّهُ هَذَّبَهَا وَزَادَ فِيهَا وَنَقَصَ مِنْهَا، وَحَرَّرَ أَمَاكِنَ، وَاسْتَدْرَكَ أَشْيَاءَ.

وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِمِصْرَ، وَقَدِ اجْتَمَعَ بِهِ الشَّافِعِيُّ حِينَ وَرَدَهَا، وَتَنَاشَدَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ (٢١٨هـ).

٣- **أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلاَّمٍ** بنِ عَبْدِ اللهِ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمَشْهُورَةُ الْمُنْتَشِرَةُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ كَتَبَ كِتَابَهُ فِي الْغَرِيبِ بِيَدِهِ. وَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ رَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَجْرَاهَا عَلَى ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وقد مَكَث فِي تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.(١)

وَقَالَ هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّيُّ: مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ بِالشَّافِعِيِّ تَفَقَّهَ فِي الْحَدِيثِ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ثَبَتَ فِي الْمِحْنَةِ، وَبِيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ نَفَى الْكَذِبَ عَنِ الْحَدِيثِ، وَبِأَبِي عُبَيْدٍ، فَسَّرَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَاقْتَحَمَ النَّاسُ فِي الْخَطَأِ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: نَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْنَا. وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَسَمِعَ النَّاسُ مِنْهُ مِنْ تَصَانِيفِهِ.

٤- **سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ** الْبَصْرِيُّ النَّحْوِيُّ. أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ سِيبَوَيْهِ وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً؛ مِنْهَا كِتَابٌ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَكِتَابُ « الْأَوْسَطِ «فِي النَّحْوِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ،

وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْعَرُوضِ زَادَ فِيهِ بَحْرَ الْخَبَبِ عَلَى الْخَلِيلِ.

وَسُمِّيَ الْأَخْفَشُ لِصِغَرِ عَيْنَيْهِ وَضَعْفِ بَصَرِهِ، كَانَ أَوَّلًا يُقَالُ لَهُ: **الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ**. بِالنِّسْبَةِ إِلَى **الْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ** أَبِي الْخَطَّابِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ **الْهَجَرِيِّ**، شَيْخِ سِيبَوَيْهِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، فَلَمَّا ظَهَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ وَلُقِّبَ بِالْأَخْفَشِ أَيْضًا صَارَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ هُوَ الْأَوْسَطُ، وَالْهَجَرِيُّ الْأَكْبَرُ، وَعَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَصْغَرُ. وتوفي سنة (٢٢٥هـ).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: كَانَ كَأَنَّهُ جَبَلٌ نُفِخَ فِيهِ رُوحٌ يُحْسِنُ كُلَّ شَيْءٍ.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٦١.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي: كَانَ أَبُو عُبَيْدٍ فَاضِلًا دَيِّنًا رَبَّانِيًّا عَالِمًا مُتَفَنِّنًا فِي أَصْنَافِ عُلُومِ الْإِسْلَامِ؛ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْأَخْبَارِ، حَسَنَ الرِّوَايَةِ، صَحِيحَ النَّقْلِ، لَا أَعْلَمُ أَحَدًا طَعَنَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ وَكُتُبِهِ. وَلَهُ كِتَابُ «الْأَمْوَالِ»، وَكِتَابُ «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْتَفَعِ بِهَا، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٢٤هـ).

٥ - **أَبُو دُلَفٍ الْقَاسِمُ** بْنُ عِيسَى بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ مَعْقِلٍ الْعِجْلِيُّ، أَحَدُ قُوَّادِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرِ بْنُ مَاكُولَا صَاحِبُ كِتَابِ «الْإِكْمَالِ».

وَكَانَ الْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ خَطِيبُ دِمَشْقَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَتِهِ، وَيَذْكُرُ نَسَبَهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو دُلَفٍ هَذَا كَرِيمًا جَوَادًا مِعْطَاءً مُمَدَّحًا، شُجَاعًا فَاتِكًا،، قَدْ قَصَدَهُ الشُّعَرَاءُ مَنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَصَنَّفَ كُتُبًا؛ مِنْهَا» سِيَاسَةُ الْمُلُوكِ» و «الصَّيْدِ وَالْبُزَاةِ» و «السِّلَاحِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ. وتوفي سنة (٢٢٦هـ).

❁ ❁ ❁

(٩)

خلافة الواثق هارون بن المعتصم

٢٢٦-٢٣٢

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

أَبو جَعْفَرٍ هَارُونَ الْوَاثِقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْإِمَامِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ (١٩٦هـ) بِطَرِيقِ مكة. وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ رُومِيَّةٌ، يُقَالُ لَهَا: قَرَاطِيسُ.

وَقَدْ خَرَجَتْ سنة (٢٢٧هـ) قَاصِدَةً الْحَجَّ، فَمَاتَتْ بِالْحِيرَةِ، وَدُفِنَتْ بِالْكُوفَةِ فِي دَارِ دَاوُدَ بْنِ عِيسَى.

صفاته

كَانَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حُمْرَةً، جَمِيلًا رَبْعَةً حَسَنَ الْجِسْمِ، قَاتِمَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، فِيهَا نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْوَاثِقِ، وَحَمَلَهُ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي الْمِحْنَةِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ. قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّ الْوَاثِقَ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ.

وَرَوَى أَنَّ الْوَاثِقَ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا مُؤَدِّبُهُ فَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا كَثِيرًا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللهِ، وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

وَقَالَ الْقَاضِي **يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ** مَا أَحْسَنَ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ مَا أَحْسَنَ إِلَيْهِمُ الْوَاثِقُ، مَا مَاتَ وَفِيهِمْ فَقِيرٌ.

بيعته

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بعد أَنْ مَاتَ أَبُوهُ الْمُعْتَصِمُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةَ (٢٢٧هـ).

○ وفاته

كَانَ هَلَاكُهُ بِسُرَّ من رأى (سامرّاء)، فِي سِتّ من ذي الْحِجَّةِ سنة (٢٣٢هـ) بِعِلَّةِ الِاسْتِسْقَاءِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى حُضُورِ عيد الفطر، فَاسْتَنَابَ فِي الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ قَاضِيَهُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ الْمُعْتَزِلِيَّ.

وعمره سِت وَثَلَاثون سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ.

وَكَانَ قَدْ جَمَعَ أَصْحَابَ النُّجُومِ فِي زَمَانِهِ حِينَ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ؛ لِيَنْظُرُوا فِي مَوْلِدِهِ وَمَا تَقْتَضِيهِ صِنَاعَةُ النُّجُومِ كَمْ تَدُومُ أَيَّامُ دَوْلَتِهِ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْ رُءُوسِهِمْ وَعَامَّةُ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي النُّجُومِ، فَنَظَرُوا فِي مَوْلِدِهِ، وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَجْمَعُوا أَنَّهُ يَعِيشُ دَهْرًا طَوِيلًا، وَقَدَّرُوا لَهُ خَمْسِينَ سَنَةً مُسْتَقْبَلَةً، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ قَوْلِهِمْ إِلَّا عَشَرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى مَاتَ.

وَلَمَّا احْتُضِرَ الْوَاثِقُ أَمَرَ بِالْبُسُطِ فَطُوِيَتْ ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مَنْ لَا يَزُولُ مُلْكُهُ ارْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مُلْكُهُ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

إيقاع الواثق بكتاب الدواوين

فِي سنة (٢٢٩هـ) أَمَرَ الْوَاثِقُ بِاللهِ بِضَرْبِ كتّاب الدواوِينِ، وَاسْتِخْلَاصِ الْأَمْوَالِ مِنْهُمْ، لظهور خياناتهم، وقلة أماناتهم، وإسرافهم في أمورهم، فَمِنْهُمْ مَنْ ضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخِذَ مِنْهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَدُونَ ذَلِكَ.

وَجَلَسَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِمْ، وَأُقِيمُوا لِلنَّاسِ، وَافْتُضِحُوا فَضِيحَةً بَلِيغَةً.

فبَطَشَ بِهم الواثق، وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جِدًّا.

الإيقاع ببني سليم

فِي سنة (٢٣٠هـ) جُمَادَى مِنْهَا خَرَجَتْ بَنُو سُلَيْمٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَأَخَافُوا السُّبُلَ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَهَزَمُوا أَهْلَهَا، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَتِلْكَ الْمَنَاهِلِ وَالْقُرَى فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْوَاثِقُ **بُغَا الْكَبِيرَ** أَبَا مُوسَى التُّرْكِيَّ فِي جَيْشٍ، فَقَاتَلَهُمْ فِي شَعْبَانَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ فَارِسًا، وَأَسَرَ مِثْلَهُمْ، وَانْهَزَمَ بَقِيَّتُهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْأَمَانِ، وَأَنْ يَكُونُوا عَلَى حُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَدَخَلَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ وَسَجَنَ رُءُوسَهُمْ فِي دَارِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَوْسِمَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، نَائِبُ الْعِرَاقِ.

مقتل أحمد بن نصر الخزاعي

فِي سنة (٢٣١هـ) كَانَ مَقْتَلُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان والده نصر مِنْ أَكْبَرِ الدُّعَاةِ إِلَى دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ وَرِيَاسَةٌ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّيَانَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْخَيْرِ، وَمِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ السُّنَّةِ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ

مِمَّـنْ يَدْعُـو إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُـوقٍ، وَكَانَ هَارُونُ الْوَاثِقُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، يَدْعُو إِلَيْهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا؛ اعْتِمَادًا عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُ الْمُعْتَصِمُ وَعَمُّهُ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيَانٍ، وَلَا سُنَّةٍ وَلَا قُرْآنٍ.

فَقَـامَ أَحْمَدُ بْـنُ نَصْرٍ هَذَا يَدْعُو إِلَى اللهِ، وَإِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْـرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ .

وَلَمَّا كَانَ شَـهْرُ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٢٣٠) انْتَظَمَتِ الْبَيْعَةُ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الْخُزَاعِيِّ فِي السِّرِّ عَلَى الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ لِبِدْعَتِهِ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

فَتَوَاعَدُوا اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ مِنْ شَـهْرِ شَعْبَانَ يُضْرَبُ طَبْلٌ فِي اللَّيْلِ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ الَّذِينَ بَايَعُوا فِي مَكَانٍ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، فلم ينتظم أمرهم في الموعد، فانتبه نَائِب السَّلْطَنَةِ في بَغْدَادَ ،فقبض على أحمد بن نصر وجَمَاعَة مِنْ رُءُوسٍ أَصْحَابه، وَأَرْسَلَ بِهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، فَأُحْضِرَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، وَحَضَرَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ الْمُعْتَزِلِيُّ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ عَتَبٌ.

فَلَمَّا أُوقِفَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الْوَاثِقِ لَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَانَ مِنْهُ فِي أَمْرِ مُبَايَعَةِ الْعَامَّةِ لَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حيث أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: هُوَ كَلَامُ اللهِ. قَالَ: أَمَخْلُوقٌ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ كَلَامُ اللهِ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ قَدِ اسـتعد للموت فتَحَنَّطَ وَتَنَوَّرَ، فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ: فَمَا تَقُولُ فِي رَبِّكَ، أَتَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ وَالْأَخْبَارُ بِذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[١] فَنَحْنُ عَلَى الْخَبَرِ. قَالَ الْوَاثِقُ: وَيْحَكَ، أَيُرَى كَمَا يُرَى الْمَحْدُودُ الْمُتَجَسِّمُ؟ وَيَحْوِيهِ مَكَانٌ وَيَحْصُرُهُ النَّاظِرُ؟ أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ هَذِهِ صِفَتُهُ

قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْخَلِيفَةُ الْوَاثِقُ لَا يَرِدُ، وَلَا يَلْزَمُ، وَلَا يُرَدُّ بِهِ مِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ الصَّحِيحِ.

ثُمَّ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ لِلْوَاثِقِ: وَحَدَّثَنِي سُفْيَانُ بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهُ كيف يشاء»[٢] وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[٣].

فَقَالَ **الْوَاثِقُ** لِمَنْ حَوْلَهُ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ **فَأَكْثَرُوا الْقَوْلَ فِيهِ**؛ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ:- وَكَانَ قَاضِيًا عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَكَانَ مُوادًّا قبل ذلك لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ-: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ حَلَالُ الدَّمِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْأَرْمَنِيُّ صَاحِبُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ: اسْقِنِي دَمَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْوَاثِقُ: يَأْتِي عَلَى مَا تُرِيدُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ**، لَعَلَّ بِهِ عَاهَةً أَوْ نَقْصَ عَقْلٍ. فَقَالَ الْوَاثِقُ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي قُمْتُ إِلَيْهِ فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ مَعِي، فَإِنِّي أَحْتَسِبُ خُطَايَ.

ثُمَّ نَهَضَ إِلَيْهِ بِالصَّمْصَامَةِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ ضَرَبَهُ بِهَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ مَرْبُوطٌ بِحَبْلٍ قَدْ أُوقِفَ عَلَى نِطْعٍ، ثُمَّ ضَرَبَهُ أُخْرَى عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ طَعَنَهُ بِالصَّمْصَامَةِ فِي بَطْنِهِ، فَسَقَطَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَرِيعًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

---

(١) متفق عليه، البخاري برقم(٥٤٥)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٨، وانظر: كتاب الشريعة للآجري ٣/ ١١٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠) وانظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (١٧٣٩).

وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَادَ فَنُصِبَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ أَيَّامًا، وَفِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ أَيَّامًا، وَعِنْدَهُ الْحَرَسُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفِي أُذُنِهِ رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: **هَذَا رَأْسُ الْكَافِرِ الْمُشْرِكِ الضَّالِّ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ.**

ثُمَّ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْوَاثِقُ بِتَتَبُّعِ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، فَأُودِعُوا فِي السُّجُونِ وَسُمُّوا الظَّلَمَةَ، وَمُنِعُوا أَنْ يَزُورَهُمْ أَحَدٌ وَقُيِّدُوا بِالْحَدِيدِ، وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَرْزَاقِ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي عَلَى الْمَحْبُوسِينَ، وَهَذَا ظُلْمٌ عَظِيمٌ.

وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَمِمَّنْ كَانَ قَائِمًا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَسَمِعَ مِنَ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَحَادِيثَ جَيِّدَةً، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِكَثِيرٍ مِنْ حَدِيثِهِ.

وَذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَوْمًا فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ، مَا كَانَ أَسْخَاهُ لَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ، عَزَّوَجَلَّ.

وَلَمْ يَزَلْ رَأْسُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ مَنْصُوبًا بِبَغْدَادَ إلى أمر الخليفة المتوكل الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ الْوَاثِقِ بِاللهِ بإنزاله بطلب من عَبْدَ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، صاحب كتاب «الحيدة».

وقد نال كل من أعان على قتل أحمد بن نصر عقوبة في الدنيا، فَأَمَّا ابْنُ الزَّيَّاتِ فقد أحرقه المتوكل بِالنَّارِ، وَأَمَّا هَرْثَمَةُ فَإِنَّهُ هَرَبَ وَتَبَدَّى فَاجْتَازَ بِقَبِيلَةِ خُزَاعَةَ فَعَرَفَهُ رَجُلٌ مِنَ الْحَيِّ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ، هَذَا الَّذِي قَتَلَ ابْنَ عَمِّكُمْ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ فَقَطِّعُوهُ. فَقَطَّعُوهُ إِرْبًا إِرْبًا.

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَقَدْ سَجَنَهُ اللهُ فِي جِلْدِهِ، أصيب بِالْفَالِجِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ.

وَفِي عِيدِ الْفِطْرِ من سنة (٢٣٧هـ) أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِإِنْزَالِ جُثَّةِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ الْخُزَاعِيِّ، وَالْجَمْعِ بَيْنَ رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ، وَأَنْ يُسَلَّمَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْعَامَّةِ فِي جِنَازَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ جِدًّا، وَجَعَلُوا يَتَمَسَّحُونَ بِهَا، وَبِأَعْوَادِ نَعْشِهِ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، ثُمَّ أَتَوْا إِلَى الْجِذْعِ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا

يَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَأَظهر الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَرَحًا وَسُرُورًا، فَكَتَبَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى نَائِبِهِ يَأْمُرُهُ بِرَدْعِهِمْ عَنْ تَعَاطِي مِثْلِ ذَلِكَ وَعَنِ الْمُغَالَاةِ فِي الْبَشَرِ.

❍ الاعتداء على بيت المال

فِي سنة (٢٣١) عَدَا قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَأُخِذُوا، وَسُجِنُوا.

❍ القبض على جماعة من قطاع الطرق

فِي سنة (٢٣١) قَدِمَ وَصِيفٌ الْخَادِمُ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَكْرَادِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ فِي الْقُيُودِ، كَانُوا قَدْ أَفْسَدُوا فِي الطُّرُقَاتِ وَقَطَعُوهَا، فَأَطْلَقَ الْخَلِيفَةُ لِوَصِيفٍ الْخَادِمِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً.

❍ تبادل الأسرى مع الروم

فِي سنة (٢٣١هـ) وَقَعَتْ مُفَادَاةٌ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَيْدِي الرُّومِ عَلَى يَدَي الْأَمِيرِ خَاقَانَ الْخَادِمِ، وَذَلِكَ فِي الْمُحَرَّمِ من هذه السنة، وَكَانَ عِدَّةُ الْأُسَارَى الَّذِينَ اسْتُنْقِذُوا مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَلَاثَمِائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَسِتِّينَ أَسِيرًا. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وقَدِمَ خَاقَانُ الْخَادِمُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَقَدْ تَمَّ الصُّلْحُ وَالْمُفَادَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ، وَقَدِمَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِ أَهْلِ الثُّغُورِ، وَكَانَ وُقُوعُ الْمُفَادَاةِ عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ: اللَّامِسُ. عِنْدَ سَلُوقِيَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ طَرَسُوسَ بَدَلُ كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ ذِمِّيٍّ كَانَ تَحت عَقْدِ الْمُسْلِمِينَ أَسِيرٌ مِنَ الرُّومِ كَانَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَمْ يُسْلِمْ، فَنَصَبُوا جِسْرَيْنِ عَلَى النَّهْرِ فَإِذَا أَرْسَلَ الرُّومُ أسيراً، أرسل المسلمون أسيراً مقابله.

ثُمَّ بَقِيَ مَعَ خَاقَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّومِ الْأُسَارَى، فَأَطْلَقَهُمْ لِلرُّومِ؛ لِيَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِمْ.

○ امتحان الأسارى

أَمَـرَ الْوَاثِقُ بِامْتِحَانِ الْأُسَـارَى الْمُسْـلِمِينَ الَّذِينَ فُودِيَ عَنْهُمْ في سـنة (٢٣١)، فَمَنْ أَجَـابَ إِلَـى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُـرْآنِ وَأَنَّ اللهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فُـودِيَ، **وَإِلَّا تُرِكَ فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ.**

قـال ابن كثير: وَهَذِهِ بِدْعَةٌ صَلْعَاءُ شَـنْعَاءُ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ لَا مُسْـتَنَدَ لَهَـا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُـنَّةٍ وَلَا عَقْلٍ صَحِيحٍ، بَلِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ بِخِلَافِهَا، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ.

○ قتال الأعراب في نـجد

في سـنة (٢٣٢هـ) عَاثَتْ قَبِيلَةُ **بَنُـو نُمَيْرٍ** بِالْيَمَامَةِ فِـي الْأَرْضِ فَسَـادًا، فَكَتَبَ الْوَاثِقُ إِلَـى بُغَـا الْكَبِيرِ وَهُوَ مُقِيمٌ بِـأَرْضِ الْحِجَازِ، فَحَارَبَهُـمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَأَسَـرَ مِنْهُمْ آخَرِينَ، وَهَزَمَ بَقِيَّتَهُمْ، ثُمَّ الْتَقَى مَعَ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ، وَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، فَكَانَـتْ بَيْنَهُـمْ حُـرُوبٌ طَوِيلَةٌ، ثُـمَّ كَانَ الظَّفَرُ لَهُ عَلَيْهِـمْ آخِرًا، وَذَلِكَ فِـي النِّصْفِ مِنْ جُمَـادَى الْآخِرَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ مِنْ أَعْيَانِ رُءُوسِ الْعَرَبِ فِي الْأَسْـرِ، وَقَدْ قَتَلَ مِنْ أَشْـرَافِهِمْ مَا يُنَيِّفُ عَلَى أَلْفَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سُـلَيْمٍ، وَنُمَيْـرٍ، وَكِلَابٍ، وَمُرَّةَ، وَفَزَارَةَ، وَثَعْلَبَةَ، وَطَيِّءٍ، وَتَمِيمٍ، وَغَيْرِهِمْ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٢٧هـ) جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٢٨هـ) مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْأَمِيرُ، وَغَلَا السِّعْرُ عَلَى النَّاسِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ جِدًّا، وَأَصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ، وَهُمْ بِعَرَفَةَ ثُمَّ بَرْدٌ شَدِيدٌ، وَمَطَرٌ عَظِيمٌ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ بِمِنًى مَطَرٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، وَسَقَطَتْ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَلِ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَقَتَلَتْ جَمَاعَةً مِنَ الْحُجَّاجِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٢٩هـ) وفِي سنة (٢٣٠هـ) مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَمِيرُ الْحَجِيجِ فِي السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ.

وفي سنة (٢٣١هـ) كَانَ الْوَاثِقُ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْحَجِّ، وَاسْتَعَدَّ لِذَلِكَ، فَذُكِرَ لَهُ أَنَّ الْمَاءَ بِالطَّرِيقِ قَلِيلٌ، فَتَرَكَ الْحَجَّ عَامَئِذٍ، وحج بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى.

وحج بالناس في سنة (٢٣٢هـ) مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بن عيسى أمير مكة.

وفيها أَصَابَ الْحَجِيجَ فِي طريق العراق أثناء الرُّجُوعِ عَطَشٌ شَدِيدٌ، حَتَّى بِيعَتِ الشَّرْبَةُ بِالدَّنَانِيرِ الْكَثِيرَةِ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَطَشِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١- **بِشْرُ** بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ **الْحَافِي** الْمَرْوَزِيُّ الزَّاهِدُ الْمَعْرُوفُ نَزِيلُ بَغْدَادَ..

كَانَ مَوْلِدُهُ بِبَغْدَادَ سَنَةَ (١٥٠هـ)، وَسَمِعَ بِهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَابْنِ مَهْدِيٍّ، وَغَيْرِهِمْ.

وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمْ أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَسَرِيُّ السَّقَطِيُّ.

قَالَ **ابْنُ سَعْدٍ**:[١] سَمِعَ بِشْرٌ كَثِيرًا، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ، وَاعْتَزَلَ النَّاسَ وَلَمْ يُحَدِّثْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[٢] يَوْمَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ: لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، وَلَوْ تَزَوَّجَ لَكَانَ قَدْ تَمَّ أَمْرُهُ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ مَا أَخْرَجَتْ بَغْدَادُ أَتَمَّ عَقْلًا، وَلَا أَحْفَظَ لِلِسَانِهِ مِنْهُ، مَا عُرِفَ لَهُ غِيبَةٌ لِمُسْلِمٍ. وَمِنْ كَلَامِهِ: مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا فَلْيَتَهَيَّأْ لِلذُّلِّ. وَكَانَ لَا يَلْبَسُ نَعْلًا بَلْ يَمْشِي حَافِيًا، لذلك سمي بالحافي، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ سنة (٢٢٧هـ) . وكانت له جنازة مهيبة.

وَذَكَرَ **الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ**[٣] أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخَوَاتٌ ثَلَاثٌ، وَكُلُّهُنَّ عَابِدَاتٌ زَاهِدَاتٌ مِثْلَهُ، وَسَأَلَتْ إحداهن الإمام أحمد عَنْ أَنِينِ الْمَرِيضِ أَفِيهِ شَكْوَى؟ قَالَ: لَا، إِنَّمَا هُوَ شَكْوَى إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وَقَدْ تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ[٤] فَأَطْنَبَ وَأَطْيَبَ وَأَطَالَ مِنْ غَيْرِ مَلَالٍ.

- حَبِيبُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، **أبو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ** الشَّاعِرُ: صَاحِبُ الْحَمَاسَةِ الَّتِي جَمَعَهَا.

وَقَالَ الْخَطِيبُ، الْبَغْدَادِيُّ وَهُوَ شَامِيُّ الْأَصْلِ، وَكَانَ بِمِصْرَ فِي حَدَاثَتِهِ يَسْقِي الْمَاءَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ثُمَّ جَالَسَ الْأُدَبَاءَ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ، وَكَانَ فَطِنًا فَهِمًا، وَكَانَ يُحِبُّ

---

(١) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٤٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٧٢.
(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٦.
(٤) انظر ترجمته: في تاريخ دمشق ١٠/ ٢١٧.

الشِّـعْرَ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَانِيهِ حَتَّى قَالَ الشِّعْرَ فَأَجَادَ، وَبَلَغَ الْمُعْتَصِمَ خَبَرُهُ فَحَمَلَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى فَعَمِلَ فِيهِ قَصَائِدَ، فَأَجَازَهُ الْمُعْتَصِمُ وَقَدَّمَهُ عَلَى شُعَرَاءِ وَقْتِهِ، فَقَدِمَ بَغْدَادَ فَجَالَسَ الْأُدَبَاءَ، وَعَاشَرَ الْعُلَمَاءَ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالظُّرْفِ وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ وَكَرَمِ النَّفْسِ.

قَـالَ ابْـنُ خِلِّـكَانَ: كَانَ يَحْفَـظُ أَرْبَعَ عَشْـرَةَ أَلْـفَ أُرْجُـوزَةٍ لِلْعَـرَبِ غَيْـرَ الْقَصَائِدِ وَالْمَقَاطِيعِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَانَ يُقَـالُ: فِـي طَيِّءٍ ثَلَاثَةٌ: حَاتِمٌ فِي كَرَمِهِ، وَدَاوُدُ الطَّائِـيُّ فِي زُهْدِهِ، وَأَبُو تَمَّامٍ فِي شِعْرِهِ.

قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ الشُّـعَرَاءُ فِي زَمَانِهِ جَمَاعَةً؛ وَقَدْ كَانَ أَبُـو تَمَّامٍ مِنْ خِيَارِهِمْ دِينًا وَأَدَبًا وَأَخْلَاقًا. وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

يَا حَلِيـفَ النَّـدَى وَيَا تَـوْءَمَ الْجُو ... دِ وَيَـا خَيْـرَ مَـنْ حَبَـوْتُ الْقَرِيضَا
لَيْـتَ حُمَّـاكَ بِـي وَكَانَ لَـكَ الْأَجْ ... رُ فَـلَا تَشْـتَكِي وَكُنْـتُ الْمَرِيضَـا

وَقَدْ جَمَعَ الصُّولِيُّ شِـعْرَ أَبِي تَمَّامٍ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَـمِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَوْصِلِ، سنة (٢٢٨هـ).

٣- **عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرِ** بْنِ الْحُسَـيْنِ، مولى طلحة الطلحات الخزاعي، نَائِبُ خُرَاسَـانَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ،

وكَانَ خَـرَاجُ مَا تَحْتَ يَدِهِ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَوَلَّى الْخَلِيفَةُ ابْنَهُ طَاهِرًا مكانـه، وَكَانَتْ وَفَاةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ سـنة (٢٣٠هـ)، وَكَانَ كَرِيمًـا جَوَادًا مُمَدَّحًا، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ.

وَقَدْ وَلِيَ نِيَابَةَ مِصْرَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

العصر العباسي الثاني

(٢٣٢ ـ ٣٣٤)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من تهذيب كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العصر العباسي، حيث كان الجزء الأول عن قيام الدولة العباسية وعصرها الأول (١٣٢-٢٣٢). وهذا الجزء عن العصر العباسي الذي اصطلح المؤرخون على تسميته: بالعصر **العباسي الثاني** (٢٣٢-٣٣٤). فالعصر الأول مدته قرن كامل، مائة سنة، وكذا هذا العصر قرن كامل وزيادة (١٠٢ سنة).

ولكل عصر سماته وأحواله، وفي هذا العصر:

- **ضعفت فيه سلطة** الخليفة وارتاح من مباشرة الأعمال، أو حجب عنها، ليستمتع بلهوه وأنسه، وأوكلت أعمال الخلافة للوزراء، وحكام الأقاليم الذين استقلوا بولاياتهم، وصارت علاقتهم بالخلافة إيراد مبلغ من الأموال للعاصمة، وإعطاء الشرعية لمن يستقل بولاية ويحكمها.

- وظهر فيه عدد من **الثورات** الكبرى التي لا تعترف بالخلافة، مثل ثورة الزنج المنحرفة الملحدة، وثورة القرامطة الباطنية، وثورة الإسماعيلية، ومدعي المهدية، والفاطمية، إضافة إلى ثورات العلويين المتكررة، وكذا ثورات الخوارج.

- ظهر فيه عدد من **الدول المستقلة** عن الخلافة العباسية، مع إقرارها بالولاء للدولة والسعي إلى الحصول على التأييد والموافقة من الخليفة مثل الدولة الطاهرية في خراسان سنة (٢٠٥هـ)، والدولة الصفارية في إيران سنة (٢٥٤هـ)، والدولة السامانية في ماوراء النهر سنة (٢٦١هـ)، والحمدانيون في الجزيرة الفراتية سنة (٣١٧هـ)، والطولونية في مصر سنة (٢٥٤هـ)، والإخشيدية في مصر والشام سنة (٣٢٣هـ).

- وظهـرت سـيطرة الجنس **التركـي** علـى القـوة العسـكرية للدولـة، في الجيش والشـرطة، وكثر بينهم التنافس والتآمر على بعضهم، وعلـى الخلفاء، فيعزلون من شاؤوا بل يقتلونه، ويولون من شاؤوا، واستهانوا بالخلفاء، وأذلوهم.

فعدد خلفاء هذا العصر **ثلاثة عشر**، منهم أربعة قتلوا، وثلاثة سُملت أعينهم وسجنوا وهم عميان، وواحد خلع.

- ومن مظاهر هذا العصر السيئة: ضمان البلدان والأقاليم بمال يؤدى لدار الخلافة، ويستقل الضامن بالتصرف فيها، وفـرض الضرائب والجبايات على المزارعين والتجار؛ مما أوقع ظلما كثيرا على الناس.

- ومـن مظاهره كثـرة المصادرات للقادة والوزراء، مما ينبـئ عن الخلل الواقع في حيازة المال العام.

- **وأول الخلفـاء** في هـذا العصر هو: **المتوكل** على الله جعفـر بن المعتصم، وعلى يـده رفع الله المحنـة، التي تبناها المأمون، وهي بدعة القـول بخلق القرآن، وقد قتـل المتوكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على يد ولده المنتصر، بمعونة القـادة الأتراك، ثم لم يمتّع القاتل بالخلافة، حيث مات بعد ستة أشهر فقط.

- **وآخرهم** هو: **المسـتكفي** بالله عبدالله بن علي المكتفي، خُلع وسُملت عيناه سنة (٣٣٤هـ)، على يد معز الدولة أول سلاطين الدولة البويهية ببغداد.

- وفي العشـر السـنوات الأخيرة من هذا العصر ظهر **منصب أمير الأمراء**، فتنافس القادة وحكام الأقاليم على ذلك، ووقعت الفتن، والقتل، والمؤامرات، وساءت الأحوال، ولم يسـتقر الوضع، حيث تولى هذا المنصب، خلال السنوات العشر تسعة من القادة.

- ومع هذا السـوء السياسي والأمني والاقتصادي إلا أن الحركة العلمية في صعود وتجذّر، فالفقهاء والمحدثون والوعاظ يمارسون نشاطهم في الغالب بكل حرية،

ويرحلـون في طلب العلـم إلى مختلف البلدان، فأصحاب الكتب الســتة، وأئمة الفقه عاشوا في هذا العصر، والتراجم التي ضمنها ابن كثير كتاب البداية والنهاية تعطي هذه الصورة المشـرقة للحركـة العلمية، وتوازن بين السياســي والفكري والعلمـي. فهـذه الأمـة ولادة ومرتكـزة علـى قوتها الذاتيـة في دينهـا وأخلاقها وإنتاجها الفكري والمادي.

كما أن حركة مقاومة العدوان الخارجي، والرباط في سبيل الله قائمة؛ لكنها أضعف مما كانت عليه في العصر العباسي الأول. فلله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة - جمادى الأولى-١٤٤٢هـ

❁ ❁ ❁

(١٠)

خلافة المتوكل على الله

جعفر بن المعتصم بالله

٢٣٢-٢٤٧

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

جَعْفَرُ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، أَبُو الْفَضْلِ الْمُتَوَكِّلُ. وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا: **شُجَاعُ**. وَكَانَتْ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ سَخَاءً وَحَزْمًا، **كَانَ مَوْلِدُهُ** بِفَمِ الصُّلْحِ سَنَةَ (٢٠٧هـ).

صفاته ومناقبه

كَانَ أَسْمَرَ، حَسَنَ الْعَيْنَيْنِ، نَحِيفَ الْجِسْمِ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ، أَقْرَبَ إِلَى الْقِصَرِ.

وَقَالَ يَوْمًا لِبَعْضِهِمْ: إِنَّ الْخُلَفَاءَ كَانَتْ تَتَصَعَّبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ لِتُطِيعَهَا، وَإِنِّي أَلِينُ لَهُمْ لِيُحِبُّونِي وَيُطِيعُونِي [(١)].

روى أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ الْمَالِكِيُّ [(٢)]: عن أَحْمَدَ بْن عَلِيٍّ الْبَصْرِيّ قَالَ: وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمُعَذَّلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَجَمَعَهُمْ فِي دَارِهِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ غَيْرَ أَحْمَدَ بْنِ الْمُعَذَّلِ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِعُبَيْدِ اللهِ: إِنَّ هَذَا لَا يَرَى بَيْعَتَنَا؟ فَقَالَ لَهُ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ فِي بَصَرِهِ سُوءٌ. فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْمُعَذَّلِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْنِينَ، مَا فِي بَصَرِي سُوءٌ، وَلَكِنْ نَزَّهْتُكَ مِنْ عَذَابِ اللهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [(٣)] فَجَاءَ الْمُتَوَكِّلُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ.

وَقَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ [(٤)]: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فَإِذَا هُوَ مُطْرِقٌ مُفَكِّرٌ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا لَكَ مُفَكِّرًا؟ فَوَاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَطْيَبُ مِنْكَ عَيْشًا، وَلَا أَنْعَمُ مِنْكَ

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء١٢/ ٣٢.
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٣٥٢.
(٣) صحيح الترمذي للألباني (٢٩١٥).
(٤) تاريخ بغداد للخطيب ٧/ ١٦.

بَالًا. فَقَالَ: أَطْيَبُ مِنِّي عَيْشًا رَجُلٌ لَهُ دَارٌ وَاسِعَةٌ، وَزَوْجَةٌ صَالِحَةٌ، وَمَعِيشَةٌ حَاضِرَةٌ، **لَا يَعْرِفُنَا فَنُؤْذِيهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْنَا فَنَزْدَرِيهِ.**

وَقد كَانَ الْمُتَوَكِّلُ **مُحَبَّبًا إِلَى رَعِيَّتِهِ**، قَائِمًا **بِالسُّنَّةِ فِيهَا**، وَقَدْ شَبَّهَهُ بَعْضُهُمْ بِالصِّدِّيقِ فِي رَدِّهِ عَلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ، حَتَّى رَجَعُوا إِلَى الدِّينِ، وَبِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ رَدَّ مَظَالِمَ بَنِي أُمَيَّةَ. وَهُوَ أَظْهَرَ السُّنَّةَ بَعْدَ الْبِدْعَةِ، وَأَخْمَدَ الْبِدْعَةَ بَعْدَ انْتِشَارِهَا وَاشْتِهَارِهَا، فَرَحِمَهُ اللهُ.

○ مقتله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فِي شَوَّالٍ سنة (٢٤٧هـ) كَانَ **مَقْتَلُ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ عَلَى يَدَيْ وَلَدِهِ الْمُنْتَصِرِ**، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ الْمُعْتَزَّ الَّذِي هُوَ وَلِيُّ الْعَهْدِ الثاني مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَخْطُبَ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَأَدَّاهَا أَدَاءً عَظِيمًا بَلِيغًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْمُنْتَصِرِ كُلَّ مَبْلَغٍ، وَحَنَقَ عَلَى أَبِيهِ وَأَخِيهِ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ أَحْضَرَهُ أَبُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَهَانَهُ وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فِي رَأْسِهِ وَصَفْعِهِ وَصَرَّحَ بِعَزْلِهِ عَنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ، فَاشْتَدَّ أَيْضًا حَنَقُهُ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ خَطَبَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ بِالنَّاسِ وَعِنْدَهُ بَعْض التَّشَكِّي مِنْ عِلَّةٍ بِهِ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى **خِيَامٍ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ**؛ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ فِي مِثْلِهَا، فَنَزَلَ هُنَاكَ ثُمَّ اسْتَدْعَى فِي يَوْمِ ثَالِثِ الشَّهْرِ بِنُدَمَائِهِ.

وَكَانَ عَلَى عَادَتِهِ فِي سَمَرِهِ وَحَضْرَتِهِ وَشُرْبِه، ثُمَّ تَمَالَأَ وَلَدُهُ الْمُنْتَصِرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى الْفَتْكِ بِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ عَلَى السِّمَاطِ، فَابْتَدَرُوهُ بِالسُّيُوفِ فَقَتَلُوه بِالْمُتَوَكِّلِيَّةِ، وَهِيَ الْمَاحُوزَةُ. وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَدُفِنَ بِالْجَعْفَرِيَّةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

❀ ❀ ❀

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ هَارُونَ الْوَاثِقِ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ يَوْمِ الْأَرْبعَاءِ لِستٍّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ (٢٣٢هـ)، وَكَانَتِ الْأَتْرَاكُ قَدْ عَزَمُوا عَلَى تَوْلِيَةِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْوَاثِقِ، فَاسْتَصْغَرُوهُ فَتَرَكُوهُ، وَعَدَلُوا إِلَى جَعْفَرٍ هَذَا، وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ الَّذِي أَلْبَسَهُ خِلْعَةَ الْخِلَافَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ الْقَاضِي، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ، ثُمَّ الْعَامَّةُ، وَكَانُوا قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْمُنْتَصِرِ بِاللهِ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ يُلَقَّبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ، وَكُتِبَ به إِلَى الْآفَاقِ، وَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِهِ.

○ ولاية العهد

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٢٣٥هـ) أَخَذَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ لِأَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ وَهُمْ: مُحَمَّدٌ **الْمُنْتَصِرُ**، ثُمَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْمُعْتَزُّ**، ثُمَّ لِإِبْرَاهِيمَ وَسَمَّاهُ **الْمُؤَيَّدَ بِاللهِ**، وَلَمْ يَلِ هَذَا الْخِلَافَةَ [١].

وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَائِفَةً مِنَ الْبِلَادِ يَكُونُ نَائِبًا عَلَيْهَا، وَنُوَّابُهُ فِيهَا، وَيَضْرِبُ لَهُ السَّكَّةُ بِهَا.

❁ ❁ ❁

---

(١) هذا الأسلوب في تقسيم بلدان الخلافة بين أولياء العهد سبق أن سلكه هارون الرشيد، فأورث نزاعًا بينهم، وكان الأجدر الاعتبار بذلك وأخذ الدرس مماسبق.

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولايةالحج

الأحداث في عهده

❍ القبض على الوزير ابن الزيات

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعِ صَفَرٍ مِنْ (٢٣٣هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ جعفر الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ بِالْقَبْضِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الزَّيَّاتِ وَزِيرِ الْوَاثِقِ، **وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُبْغِضُهُ لِأُمُورٍ؛**

مِنْهَا: أَنَّ ابْنَ الزَّيَّاتِ كَانَ قَدْ أَشَارَ بِخِلَافَةِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْوَاثِقِ بَعْدَ أَبِيهِ، فَلَمْ يَتِمَّ له الْأَمْرُ، فَطَلَبَهُ المتوكل، فَرَكِبَ بَعْدَ غَدَائِهِ يَظُنُّ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ، فَأَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِلَى دَارِ إِيتَاخَ أَمِيرِ الشُّرْطَةِ فَاحْتِيطَ عَلَيْهِ وَقُيِّدَ، وَبَعَثُوا فِي الْحَالِ إِلَى دَارِهِ فَأُخِذَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَاللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْحَوَاصِلِ وَالْجَوَارِي وَالْأَثَاثِ، وَوَجَدُوا فِي مَجْلِسِهِ الْخَاصِّ بِهِ آلَاتِ الشَّرَابِ، وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَى حَوَاصِلِهِ وَضِيَاعِهِ بِسَائِرِ الْأَمَاكِنِ، فَاحْتِيطَ عَلَيْهَا، وَأُمِرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ؛ فَمُنِعَ مِنَ الطَّعَامِ، وَجَعَلُوا يُسَاهِرُونَهُ، كُلَّمَا أَرَادَ الرُّقَادَ نُخِسَ بِالْحَدِيدِ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ أَيَّامًا حَتَّى مَاتَ.

وَكَانَ قِيمَةُ مَا وُجِدَ لَهُ مِنَ الْحَوَاصِلِ نَحْوًا مِنْ تِسْعِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَار.

❍ محاسبة العمال والكتّاب

في سنة (٢٣٣هـ) غَضِبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْعُمَّالِ، فحاسبهم وَأَخَذَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا.

❍ خروج ابن البعيث بأذربيجان

في سنة (٢٣٤هـ) خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْبُعَيْثِ بْنِ الْجَلِيسِ عَنِ الطَّاعَةِ فِي بِلَادِهِ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ وَأَظْهَرَ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ قَدْ مَاتَ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الرَّسَاتِيقِ، وَلَجَأَ إِلَى **مَدِينَةِ مَرَنْدَ**[1] فَحَصَّنَهَا، وَجَاءَتْهُ الْبُعُوثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ

---

(١) مرند: بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال، من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان. معجم البلدان - الفكر (٥/ ١١٠).

جُيُوشًا يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَنَصَبُوا عَلَى بَلَدِهِ الْمَجَانِيقَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَحَاصَرُوهُ مُحَاصَرَةً عَظِيمَةً جِدًّا، وَقَاتَلَهُمْ مُقَاتَلَةً هَائِلَةً، وَصَبَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ صَبْرًا بَلِيغًا، وَقَدِمَ بُغَا الشَّرَابِيُّ لِمُحَاصَرَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَسَرَهُ، وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُ وَحَرَمَهُ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ، وَأَسَرَ سَائِرَهُمْ، وَانْحَسَمَتْ مَادَّةُ ابْنِ الْبُعَيْثِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي شَوَّالٍ سنة (٢٣٥هـ) **قَدِمَ بُغَا** إلى سَامَرَّا وَمَعَهُ **مُحَمَّدُ بْنُ الْبُعَيْثِ**، وَأَخَوَاهُ صَقْرٌ وَخَالِدٌ، وَنَائِبُهُ الْعَلَاءُ، وَمَعَهُمْ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ نَحْوٌ مِنْ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ إِنْسَانًا، فَلَمَّا أُوقِفَ ابْنُ الْبُعَيْثِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، فَأُحْضِرَ السَّيْفُ وَالنِّطْعُ، فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ: وَيْلَكَ، **مَا دَعَاكَ إِلَى مَا فَعَلْتَ**؟ فَقَالَ: الشِّقْوَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَ الْحَبْلُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّ لِي فِيكَ لَظَنَّيْنِ، أَسْبَقُهُمَا إِلَى قَلْبِي أَوْلَاهُمَا بِكَ؛ وَهُوَ الْعَفْوُ. ثُمَّ انْدَفَعَ يَقُولُ بَدِيهَةً:

أَبَى النَّاسُ إِلَّا أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي ... إِمَامَ الْهُدَى وَالصَّفْحُ بِالْمَرْءِ أَجْمَلُ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا جُبْلَةٌ مِنْ خَطِيَّةٍ ... وَعَفْوُكَ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ يُجْبَلُ
فَإِنَّكَ خَيْرُ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا ... وَلَا شَكَّ أَنَّ خَيْرَ الْفَعَالَيْنِ تَفْعَلُ

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: إِنَّ مَعَهُ لَأَدَبًا. ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَيُقَالُ: بَلْ شَفَعَ فِيهِ الْمُعْتَزُّ ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ، فَشَفَّعَهُ فِيهِ.

○ ولاية إيتاخ الحرمين والموسم

في سنة (٢٣٤هـ) حَجَّ إِيتَاخُ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، وجعله المتوكل وَالِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْمَوْسِمِ، وكل بلد يمر عليه، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَقَدْ كَانَ إِيتَاخُ هَذَا غُلَامًا خَزَرِيًّا، فَاشْتَرَاهُ الْمُعْتَصِمُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، فَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ وعند الْوَاثِقِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَعْمَالًا كَثِيرَةً، وَكَذَلِكَ عَامَلَهُ الْمُتَوَكِّلُ أَيْضًا وَذَلِكَ لرجولته وَشَهَامَتِهِ. وقد اكتشف المتوكل أنه أراد قتله، فدبر التخلص منه بهذه الولاية.

○ هلاك إيتاخ

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٢٣٥هـ) كَانَ هَلَاكُ إِيتَاخَ فِي السِّجْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عندما رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ واقْتَرَبَ من سَامَرَّاءَ الَّتِي فِيهَا الخليفة، بَعَثَ إِلَيْهِ والي بَغْدَادَ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهَا؛ فَدَخَلَهَا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ الوالي وَعَلَى ابْنَيْهِ مُظَفَّرٍ وَمَنْصُورٍ وَكَاتِبَيْهِ، فسجن حتى مات بالعطش.

وَمَكَثَ وَلَدَاهُ فِي السِّجْنِ مُدَّةَ خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ، فَلَمَّا وَلِي الْمُنْتَصِرُ وَلَدُ الْمُتَوَكِّلِ أَخْرَجَهُمَا.

○ إلزام أهل الذمة بما يميزهم

في سنة (٢٣٥هـ) أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي لِبَاسِهِمْ وَعَمَائِمِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَأَنْ يَتَطَيْلَسُوا بِالْمَصْبُوغِ بِالْعَسَلِيِّ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى غِلْمَانِهِمْ رِقَاعٌ - مُخَالِفَةٌ لِلَوْنِ ثِيَابِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَأَنْ يُلْزَمُوا بِالزَّنَانِيرِ الْخَاصِرَةِ لِثِيَابِهِمْ.

وَأَنْ يَحْمِلُوا فِي رِقَابِهِمْ كُرَاتٍ مِنْ خَشَبٍ كَثِيرَةً، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا خَيْلًا، وَأَنْ لَا يُسْتَعْمَلُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ الَّتِي يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا حُكْمٌ عَلَى مُسْلِمٍ، وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ كَنَائِسِهِمُ الْمُحْدَثَةِ، وَبِتَضْيِيقِ مَنَازِلِهِمُ الْمُتَّسِعَةِ، فَيُؤْخَذُ مِنْهَا الْعُشْرُ، وَأَنْ يَعْمَلُوا مَا كَانَ مُتَّسِعًا كَبِيرًا مَسْجِدًا، وَأَمَرَ بِتَسْوِيَةِ قُبُورِهِمْ بِالْأَرْضِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ، وَإِلَى كُلِّ بَلَدٍ وَرُسْتَاقٍ.

وفِي الْمُحَرَّم مِنْ سنة (٢٣٩هـ) زَادَ الْمُتَوَكِّلُ فِي التَّغْلِيظِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي التَّمَيُّزِ فِي اللِّبَاسِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَكَّدَ الْأَمْرَ بِتَخْرِيبِ الْكَنَائِسِ الْمُحْدَثَةِ فِي الْإِسْلَامِ.

○ خروج محمود بن الفرج المتنبئ

في سنة (٢٣٥هـ) خَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودُ بْنُ الْفَرَجِ النَّيْسَابُورِيُّ. وَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى خَشَبَةِ بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ وَهُوَ مَصْلُوبٌ، فَيَقْعُدُ قَرِيبًا مِنْهُ، وَذَلِكَ **بِقُرْبِ دَارِ الْخِلَافَةِ**

مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى، **فَادَّعَى أَنَّهُ نَبِيٌّ**، وَأَنَّهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَقَدِ اتَّبَعَهُ عَلَى هَذِهِ الضَّلَالَةِ، وَوَافَقَهُ فِي هَذِهِ الْجَهَالَةِ جَمَاعَةٌ قَلِيلُونَ، وَهُمْ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا، وَقَدْ نَظَمَ لَهُمْ كَلَامًا فِي مُصْحَفٍ لَهُ - قَبَّحَهُ اللهُ - زَعَمَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَهُ بِهِ مِنَ اللهِ، فَأُخِذَ فَرُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسِّيَاطِ؛ فَاعْتَرَفَ بِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَمَا هُوَ مُعَوِّلٌ عَلَيْهِ، وَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ مِنْ ذَلِكَ، وَالرُّجُوعَ عَنْهُ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ أَنْ يَصْفَعَهُ عَشْرَ صَفَعَاتٍ فَفَعَلُوا، ثُمَّ اتَّفَقَ مَوْتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

○ حبس يحي الطالبي

فِي سنة (٢٣٥هـ) أُوتِيَ الْمُتَوَكِّلُ بِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ بَعْضِ النَّوَاحِي، وَكَانَ قَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الشِّيعَةِ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَضُرِبَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ مِقْرَعَةً ثُمَّ حُبِسَ فِي الْمُطْبِقِ.

○ وفاة نائب بغداد

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي سنة (٢٣٥هـ) تُوُفِّيَ **إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ** نَائِبَ بَغْدَادَ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَصُيِّرَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ مَكَانَهُ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ خَمْسُ خِلَعٍ، وَقُلِّدَ سَيْفًا.

قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ فِي نِيَابَةِ بَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ مِنْ زَمَنِ الْمَأْمُونِ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الدُّعَاةِ تَبَعًا لِسَادَتِهِ وَكُبَرَائِهِ، إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

○ هدم قبر الحسين وما حوله

فِي سنة (٢٣٦هـ) أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ **بِهَدْمِ المكان المزعوم أنه قَبْرِ الْحُسَيْنِ** بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالدُّورِ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ: مَنْ وُجِدَ هَاهُنَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ رُفِعَ إِلَى **الْمُطْبِقِ**. فَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ بَشَرٌ، وَاتَّخَذَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مَزْرَعَةً تُحْرَثُ وَتُسْتَغَلُّ.

○ وفاة الوزير الحسن بن سهل

تُوُفِّيَ فِي سنة (٢٣٦هـ) الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ الْوَزِيرُ، وَالِدُ بُورَانَ زَوْجَةِ الْمَأْمُونِ، وَكَانَ مِنْ سَرَاةِ النَّاسِ وَرُؤَسَائِهِمْ.

○ عزل أحمد بن أبي دؤاد

فِي صَفَرٍ من سنة (٢٣٧هـ) غَضِبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْقَاضِي الْمُعْتَزِلِيِّ، وَكَانَ عَلَى الْمَظَالِمِ فعزَلَهُ عَنْهَا، وَاسْتَدْعَى بِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ وَالْمَظَالِمِ أَيْضًا.

وفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ منها أَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى ضِيَاعِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ، وَأَخَذَ ابْنَهُ أَبَا الْوَلِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ، فَحَبَسَهُ، وَأَمَرَ بِمُصَادَرَتِهِ فَحَمَلَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ مَا يُقَوَّمُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ صُولِحَ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ قَدْ أَصَابَهُ الْفَالِجُ، ثُمَّ نَفَى أَهْلَهُ مِنْ سَامَرَّا إِلَى بَغْدَادَ مُهَانِينَ.

○ رفع محنة القول بخلق القرآن

فِي سنة (٢٣٧هـ) **كَتَبَ الخليفة المتوكل إِلَى الْآفَاقِ بِالْمَنْعِ** مِنَ الحديث عن مَسْأَلَةِ الْكَلَامِ وَالْكَفِّ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

وَأَظْهَرَ إِكْرَامَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَاسْتَدْعَاهُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ بِهِ فَأَكْرَمَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً مِنْ مَلَابِسِهِ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُ أَحْمَدُ كَثِيرًا، فَلَبِسَهَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ نَازِلًا فِيهِ، ثُمَّ نَزَعَهَا نَزْعًا عَنِيفًا وَهُوَ يَبْكِي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى.

وَجَعَلَ الْمُتَوَكِّلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُرْسِلُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامِهِ الْخَاصِّ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لَا يَأْكُلُ لَهُمْ طَعَامًا، بَلْ كَانَ صَائِمًا مُوَاصِلًا، وَلَكِنْ كَانَ ابْنَاهُ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ يَقْبَلَانِ تِلْكَ الْجَوَائِزَ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ أَسْرَعُوا الْأَوْبَةَ

إِلَى بَغْدَادَ لَخُشِيَ عَلَى أَحْمَدَ أَنْ يَمُوتَ جُوعًا.

وَارْتَفَعَ شَأْنُ السُّنَّةِ جِدًّا فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ عَفَا اللهُ عَنْهُ وَكَانَ لَا يُوَلِّي أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ مَشُورَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَكَانَتْ وِلَايَةُ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ مكان ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ عَنْ مَشُورَتِهِ، وَقَدْ كَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ هَذَا مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَعُلَمَاءِ النَّاسِ، وَمِنَ الْمُعَظِّمِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَاتِّبَاعِ الْأَثَرِ.

○ ضرب من سب الشيخين وأمهات المؤمنين

فِي سنة (٢٤١هـ) أَمَرَ **الْخَلِيفَةُ** الْمُتَوَكِّلُ بِضَرْبِ عِيسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ، مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ بَغْدَادَ حَدَّ السَّبِّ وَيُلْقَى فِي دِجْلَةَ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، لِيَرْتَدِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْمُعَانَدَةِ، وقد شَهِدَ عَلَيْهِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا عِنْدَ قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ ببغداد أَبِي حَسَّانَ الزِّيَادِيِّ أَنَّهُ يَشْتُمُ **أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ حَتَّى مَاتَ.

قال ابن كثير: (١) ومِثْلُ هَذَا يَكْفُرُ إِنْ كَانَ قَدْ قَذَفَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِجْمَاعِ، وَفِي مَنْ قَذَفَ سِوَاهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَانِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَكْفُرُ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَضِيَ عَنْهُنَّ.

○ غزو الصائفة

غَزَا الصَّائِفَةَ فِي سنة (٢٣٧هـ) وسنة (٢٣٨هـ) وسنة (٢٣٩هـ) عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمِنِيُّ.

○ القبض على بطريق أرمينية

فِي سَنة (٢٣٧هـ) قَبَضَ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ نَائِبُ أَرْمِينِيَّةَ عَلَى **الْبِطْرِيقِ الْكَبِيرِ** بِهَا وَبَعَثَهُ إِلَى نَائِبِ الْخَلِيفَةِ في بغداد.

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٣٧٦.

○ حصار أهل أرمينية

وبَعْـدَ بَعْـث البطريق أَنْ سَـقطَ ثَلْـجٌ عَظِيمٌ عَلَى تِلْـكَ الْبِـلَادِ، فَتَحَزَّبَ أَهْـلُ ذَلِكَ الْبِطْرِيـقِ، وَجَـاءُوا فَحَاصَرُوا الْبَلَدَ الَّتِي بِهَا يُوسُـفُ بْنُ مُحَمَّدٍ سـنة (٢٣٧هـ)، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ؛ لِيُقَاتِلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ وَطَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْمُسْـلِمِينَ الَّذِينَ مَعَهُ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِـي الثَّلْجِ مِنْ شِـدَّةِ الْبَرْدِ، وَلَمَّا بَلَـغَ الْمُتَوَكِّلَ مَا وَقَعَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْفَظِيعِ؛ أَرْسَـلَ إِلَى أَهْـلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ **بُغَا الْكَبِيـرَ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ تِلْـكَ النَّاحِيَةِ مِمَّنْ حَاصَرَ الْمَدِينَةَ.

وَقَتَلَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ مِنْهُمْ طَائِفَةً كَبِيرَةً، ثُمَّ سَارَ إِلَى **بِلَادِ الْبَاقِ** مِنْ كُورَةِ الْبَسْفُرْجَانَ [1]، وَسَلَكَ إِلَى مُدُنٍ كَثِيرَةٍ كِبَارٍ، وَمَهَّدَ الْمَمَالِكَ، وَوَطَّدَ الْبِلَادَ وَالنَّوَاحِيَ.

○ حصار مدينة تفليس

فِي سـنة (٢٣٨هـ) فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا حَاصَرَ بُغَا مَدِينَةَ تَفْلِيسَ وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ زِيرَكُ التُّرْكِيُّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَاحِبُ تَفْلِيسَ **إِسْـحَاقُ بْنُ إِسْـمَاعِيلَ** فَقَاتَلَهُ، فَأُسِرَ إِسْحَاقُ، فَأَمَرَ بُغَـا بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَصَلْبِهِ، وَأَمَرَ بِإِلْقَاءِ النَّارِ فِي النِّفْـطِ إِلَى نَحْوِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَكْثَرُ بِنَائِهَا مِنْ خَشَـبِ الصَّنَوْبَرِ، فَأَحْرَقَ أَكْثَرَهَا، **وَأَحْرَقَ مِنْ أَهْلِهَا** نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، [2] وَطَفِئَتِ النَّارُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ؛ لِأَنَّ نَارَ الصَّنَوْبَرِ لَا بَقَاءَ لَهَا، وَدَخَلَ الْجُنْدُ فَأَسَرُوا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا، وَاسْتَلَبُوهُمْ حَتَّى اسْتَلَبُوا الْمَوْتَى.

ثُمَّ سَـارَ **بُغَا** إِلَى مُدُنٍ أُخْرَى مِمَّنْ كَانَ يُمَالِئُ أَهْلُهَا مَنْ قَتَلَ نَائِبَ أَرْمِينِيَّةَ يُوسُـفَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، أَخْذًا بِثَأْرِهِ وَعُقُوبَةً لِمَنْ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ.

(١) سفرجان بضم الفاء وسكون الراء وجيم وألف ونون كورة بأرض أران ومدينتها النشوى، وقد عدوه في أرمينية الثالثة. معجم البلدان - الفكر (١/ ٤٢٢)

(٢) إذا كان حـرق النـاس مقصوداً فهذا أمر لا يجوز، وأما تحريق المباني لأجل إلجاء العدو للاستسـلام أو النكاية به فهذا لا بأس به.

○ عدوان الروم على عين زربة

فِي سنة (٢٤١هـ) أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى عَيْنِ زَرْبَةَ، [١] فَأَسَرُوا مَنْ بِهَا مِنَ الزُّطِّ وَأَخَذُوا نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهِمْ وَدَوَابَّهُمْ.

○ فداء الأسرى

فِي سنة (٢٤١هـ) وقع فِدَاءُ الأسرى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِي بِلَادِ طَرَسُوسَ بِحَضْرَةِ قَاضِي الْقُضَاةِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ إِذْنِ الْخَلِيفَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ. وَكَانَتْ عِدَّةُ الْأَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٨٥) رَجُلًا، وَمِنَ النِّسَاءِ (١٢٥) امْرَأَةً.

وَقَدْ كَانَتْ أَمُّ الْمَلِكِ عَرَضَتِ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى مَنْ كَانَ فِي يَدِهَا مِنَ الْأُسَارَى وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا فَمَنْ أَجَابَهَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَإِلَّا قَتَلَتْهُ فَقَتَلَتِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَتَنَصَّرَ بَعْضُهُمْ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فُدُوا.

وَفِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٢٤٦هـ) وَقَعَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ، فَفُودِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوٌ مَنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ أَسِيرٍ.

○ عدوان الْفِرِنْجِ على مصر

فِي سنة (٢٣٨هـ) جَاءَتِ الْفِرِنْجُ فِي نَحْوٍ مَنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَرْكَبٍ، قَاصِدِينَ دِيَارَ مِصْرَ مِنْ نَاحِيَةِ دِمْيَاطَ فَدَخَلُوهَا فَجْأَةً فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَحَرَقُوا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ وَالْمِنْبَرَ، وَأَسَرُوا مِنَ النِّسَاءِ نَحْوًا مِنْ سِتِّمِائَةِ امْرَأَةٍ؛ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ، وَالْبَاقِيَاتُ مِنْ نِسَاءِ الْقِبْطِ، وَأَخَذُوا مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْمَغَانِمِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَفَرَّ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ جِهَةٍ فَكَانَ مَنْ غَرِقَ فِي بُحَيْرَةِ تِنِّيسَ أَكْثَرَ مِمَّنْ أَسَرُوهُ، **ثُمَّ رَجَعُوا عَلَى حَمِيَّةٍ**، وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ حَتَّى رَجَعُوا إلى بِلَادِهِمْ، لَعَنَهُمُ اللهُ وَقَبَّحَهُمْ.

---

(١) عين زربة: من الثغور قرب المصيصة على مرحلة منها. معجم البلدان – الفكر (٣/ ١٣٦)

عدوان البُجَة

أَغَارَتِ الْبُجَةُ عَلَى حَرَسٍ [(١)] مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَقَدْ كَانَتِ الْبُجَةُ لَا يَغْزُونَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ هَذَا؛ لِهُدْنَةٍ كَانَتْ لَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَقَضُوا الْهُدْنَةَ فِي سنة (٢٤١هـ) **وَالْبُجَةُ**: طَائِفَةٌ مِنْ سُودَانِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَالنُّوبَةُ، وَيكْسُومُ، وَأُمَمٌ كَثِيرُونَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ.

وَفِي بِلَادِهِم مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حِمْلٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَادِنِ، فامتنعوا عن ذلك، فَكَتَبَ نَائِبُ مصر يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، الْمَعْرُوفُ **بِقَوْصَرَةَ** بِذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، فَغَضِبَ الْمُتَوَكِّلُ غَضَبًا شَدِيدًا، وَشَاوَرَ فِي أَمْرِ الْبُجَةِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُمْ قَوْمٌ أَهْلُ إِبِلٍ وَبَادِيَةٍ وَإِنَّ بِلَادَهُمْ بَعِيدَةٌ وَمُعْطِشَةٌ، فَصَدَّهُ ذَلِكَ عَنِ الْبَعْثِ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يُغِيرُونَ عَلَى أَطْرَافِ الصَّعِيدِ، وَخَشِيَ أَهْلُ مِصْرَ مِنْهُمْ، فَجَهَّزَ لِحَرْبِهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقُمِّيَّ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ الْبِلَادِ الْمُتَاخِمَةِ لِأَرْضِهِمْ.

وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِ مِصْرَ أَنْ يُعِينُوهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ، فَسار إليهم في أول يوم من هذه السنة حَتَّى دَخَلَ بِلَادَهُمْ فِي عِشْرِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، وَحَمَلَ مَعَهُ الطَّعَامَ فِي مَرَاكِبَ في البحر، وَأَمَرَهم أن يُوَافُوهُ بِهَا إِذَا تَوَسَّطَ بِلَادَ الْبُجَةِ.

ثُمَّ سَارَ حَتَّى دَخَلَ بِلَادَهُمْ، وَجَاوَزَ مَعَادِنَهُمْ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ مَلِكُ الْبُجَةِ وَاسْمُهُ: **عَلِي بَابَا** فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، وَهُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَجَعَلَ الْمَلِكُ يُطَاوِلُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِتَالِ لَعَلَّهُ تَنْفَدُ أَزْوَادُهُمْ فَيَأْخُذُونَهُمْ بِالْأَيْدِي، فَلَمَّا نَفِدَ مَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَطَمِعَ فِيهِمُ السُّودَانُ يَسَّرَ اللهُ بِوُصُولِ تِلْكَ الْمَرَاكِبِ وَفِيهَا مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا، فَيَئِسَ السُّودَانُ مِنْ هَلَاكِ الْمُسْلِمِينَ جُوعًا، فَشَرَعُوا فِي التَّأَهُّبِ لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا يَرْكَبُونَ عَلَى إِبِلٍ شَبِيهَةٍ بِالْهُجُنِ زَعِرَةٍ جِدًّا كَثِيرَةِ النِّفَارِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحَرْبِ عَمَدَ الْأَمِيرُ إِلَى وضع الْأَجْرَاسِ فِي رِقَابِ الْخَيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ

(١) حرس: بالتحريك قرية في شرقي مصر. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٢٤٠).

الْوَقْعَةُ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَنَفَرَتْ إِبِلُهُمْ مِنْ أَصْوَاتِ تِلْكَ الْأَجْرَاسِ فِي كُلِّ وَجْهٍ، فَهَرَبَ السُّودَانُ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ مَنْ شَاءُوا.

ثُمَّ أَصْبَحُوا رَجَّالَةً، فَكَبَسَهُمُ الْقُمِّيُّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ فَقَتَلَ عَامَّةَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ، وَأَخَذَ الْمَلِكَ بِالْأَمَانِ، وَأَدَّى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِمْلِ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ أَسِيرًا إِلَى الْخَلِيفَةِ.

وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بسامراء فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ، فَوَلَّاهُ الْخَلِيفَةُ عَلَى بِلَادِهِ كَمَا كَانَ، وَجَعَلَ إِلَى ابْنِ الْقُمِّيِّ أَمْرَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إخراج أهل حمص عاملهم

في سنة (٢٤٠هـ)، عَدَا أَهْلُ حِمْصَ عَلَى عَامِلِهِمْ **أَبِي الْغَيْثِ مُوسَى** بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّافِقِيِّ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمُتَوَكِّلُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، وَقَالَ لِلسَّفِيرِ مَعَهُ: إِنْ قَبِلُوا وَإِلَّا فَأَعْلِمْنِي، فَقَبِلُوهُ، فَعَمِلَ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ، وَأَهَانَهُمْ غَايَةَ الْإِهَانَةِ.

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٢٤١هـ) وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ عَلَى عَامِلِهِمْ **مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدَوَيْهِ** فَأَرَادُوا قَتْلَهُ، وَسَاعَدَهُمْ نَصَارَى أَهْلِهَا عَلَيْهِ، فَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، فأمره بِمُنَاهَضَتِهِمْ، وَكَتَبَ إِلَى مُتَوَلِّي دِمَشْقَ أَنْ يَمُدَّهُ بِجَيْشٍ مِنْ عِنْدِهِ؛ وأمره أَنْ يَضْرِبَ ثَلَاثَةً مِنْهُمْ مَعْرُوفِينَ بِالشَّرِّ بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَمُوتُوا، ثُمَّ يَصْلُبُهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْبَلَدِ، وَأَنْ يَضْرِبَ عِشْرِينَ آخَرِينَ مِنْهُمْ؛ كُلَّ وَاحِدٍ ثَلَاثَمِائَةٍ ثَلَاثَمِائَةٍ، وَأَنْ يُرْسِلَهُمْ إِلَى سَامَرَّا مُقَيَّدِينَ فِي الْحَدِيدِ، وَأَنْ يُخْرِجَ كُلَّ نَصْرَانِيٍّ بِهَا، وَيَهْدِمَ كَنِيسَتَهَا الْعُظْمَى الَّتِي إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَيُضِيفَهَا إِلَيْهِ، فَامْتَثَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ الْخَلِيفَةُ فِيهِمْ.

○ عزل يحيي بن أكثم عن القضاء

في سنة (٢٤٠هـ)، عَزَلَ الْمُتَوَكِّلُ **يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ** الْقَاضِي عَنْ قَضَاءِ الْقُضَاةِ، وَصَادَرَهُ بِمَا مَبْلَغُهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَخَذَ مِنْهُ أَرَاضِيَ كَثِيرَةً فِي أَرْضِ الْبَصْرَةِ، وَوَلَّى مَكَانَهُ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى قَضَاءِ الْقُضَاةِ.

محنة الإمام أحمد بن حنبل

لقد امتحن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ثُمَّ الْمُعْتَصِمِ، ثُمَّ الْوَاثِقِ بِسَبَبِ الْقُرْآنِ، وَأَصَابَهُ مِنَ الْحَبْسِ الطَّوِيلِ، وَالضَّرْبِ الشَّدِيدِ. وذلك أن الْمَأْمُونَ كَانَ قَدِ اجْتَمَعَ بِهِ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، فَأَزَاغُوهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَنَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ: **وَلَمْ يَكُنْ فِي الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ لَا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَلَا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلِيفَةٌ إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ، حَتَّى وَلِيَ هُوَ الْخِلَافَةَ**، فَاجْتَمَعَ بِهِ هَؤُلَاءِ فَحَمَلُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

واسْتَدْعَى جَمَاعَةً مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ فَدَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَامْتَنَعُوا، فَتَهَدَّدَهُمْ بِالضَّرْبِ، وَقَطْعِ الْأَرْزَاقِ، فَأَجَابَ أَكْثَرُهُمْ مُكْرَهِينَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الِامْتِنَاعِ فِي ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ، فطلبوا إلى المأمون بطرسوس، فتوعدهم بالضرب والقتل.

فدعا الإمام أحمد ربه، وقال: سَيِّدِي غَرَّ حِلْمُكَ هَذَا الْفَاجِرَ حَتَّى يَتَجَبَّرَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ بِالضَّرْبِ وَالْقَتْلِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ يَكُنِ الْقُرْآنُ كَلَامُكَ غَيْرَ مَخْلُوقٍ فَاكْفِنَا مُؤْنَتَهُ. قَالَ: **فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ بِمَوْتِ الْمَأْمُونِ** فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ.

ثُمَّ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ **الْمُعْتَصِمَ قَدْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ**، قال: فَرَدُّونَا إِلَى بَغْدَادَ فِي سَفِينَةٍ مَعَ بَعْضِ الْأُسَارَى، وَنَالَنِي مَعَهُمْ أَذًى كَثِيرٌ، وَكَانَ فِي رِجْلَيْهِ الْقُيُودُ، وَمَاتَ صَاحِبُهُ مُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ فِي الطَّرِيقِ وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحْمَدُ، فَلَمَّا رَجَعَ أَحْمَدُ إِلَى بَغْدَادَ دَخَلَهَا وَهُوَ مَرِيضٌ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، فَأُودِعَ السِّجْنَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا.

○ المناظرة مع الإمام أحمد

قَالَ الإمام أحمد: دُعِيتُ فَأُدْخِلْتُ عَلَى الْمُعْتَصِمِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ، وَعِنْدَهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ حَدَثُ السِّنِّ، وَهَذَا شَيْخٌ مُكْتَهِلٌ؟ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ قَالَ لِي: ادْنُهْ. فَلَمْ يَزَلْ يُدْنِينِي حَتَّى قَرُبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ وَقَدْ أَثْقَلَنِي

الْحَدِيدُ، فَمَكَثْتُ سَاعَةً، **ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**، إِلَامَ دَعَا إِلَيْهِ ابْنُ عَمِّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قُلْتُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، ثُمَّ قُلْتُ: فَهَذَا الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، وَذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَتَفَقَّهْ كَلَامَهُ،

ثُمَّ قَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَوْلَا أَنَّكَ كُنْتَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ قَبْلِي لَمْ أَتَعَرَّضْ إِلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ،[1] أَلَمْ آمُرْكَ أَنْ تَرْفَعَ الْمِحْنَةَ؟ قَالَ أَحْمَدُ: فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا فَرَجٌ لِلْمُسْلِمِينَ. **ثُمَّ قَالَ: نَاظِرُوهُ**، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَلِّمْهُ.

فَقَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: أَجِبْهُ. فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي الْعِلْمِ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: الْقُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ. فَسَكَتَ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَفَّرَكَ وَكَفَّرَنَا. فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ،

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: كَانَ اللهُ وَلَا قُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: كَانَ اللهُ وَلَا عِلْمَ؟ فَسَكَتَ. فَجَعَلُوا يَتَكَلَّمُونَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطُونِي شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ حَتَّى أَقُولَ بِهِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: وَأَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا بِهَذَا وَهَذَا؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ يَقُومُ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِهِمَا؟

وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاظَرَاتٌ طَوِيلَةٌ، وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ فنقض حجتهم، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: هُوَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ **ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ**، وَهَؤُلَاءِ قُضَاتُكَ وَالْفُقَهَاءُ فَسَلْهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِيهِ: فَأَجَابُوا بِمِثْلِ مَا قَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، ثُمَّ أَحْضَرُوهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَنَاظَرُوهُ أَيْضًا، ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَنَاظَرُوهُ أَيْضًا، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَعْلُو صَوْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَتَغْلِبُ حُجَّتُهُ حُجَجَهُمْ. قَالَ: فَإِذَا سَكَتُوا فَتَحَ الْكَلَامَ عَلَيْهِمُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، وَكَانَ مِنْ

(١) هو: عَبْدُ الرحمن بْن إسحاق بْن إبراهيم بْن سلمة القاضي، أحد قضاة المأمون في الجانب الغربي من بغداد، من أصحاب الرأي مترفًا جماعًا للمال يرى برأي جهم بْن صفوان، ولا علم له بشيء من الفقه، أخبار القضاة (٣/ ٢٨٣).

أَجْهَلِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ وَالْكَلَامِ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ بِهِمُ الْمَسَائِلُ فِي الْمُجَادَلَةِ، وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِالنَّقْلِ، فَجَعَلُوا يُنْكِرُونَ الْآثَارَ، وَيَرُدُّونَ الِاحْتِجَاجَ بِهَا.

قال الإمام أحمد: **وَسَمِعْتُ مِنْهُمْ مَقَالَاتٍ** لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يَقُولُهَا، وَقَدْ تَكَلَّمَ مَعِي بُرْغُوثٌ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ ذَكَرَ فِيهِ الْجِسْمَ وَغَيْرَهُ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَسَكَتَ عَنِّي.

وَفِي غُبُونِ ذَلِكَ كُلِّهِ يَتَلَطَّفُ بِهِ الْخَلِيفَةُ، وَيَقُولُ: يَا أَحْمَدُ، أَجِبْنِي إِلَى هَذَا حَتَّى أَجْعَلَكَ مِنْ خَاصَّتِي، وَمِمَّنْ يَطَأُ بِسَاطِي. فَأَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَأْتُونِي بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أُجِيبَهُمْ إِلَيْهَا.

وَاحْتَجَّ أَحْمَدُ عَلَيْهِمْ حِينَ أَنْكَرُوا الِاحْتِجَاجَ بِالْآثَارِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ [مريم: ٤٢] وَبِقَوْلِهِ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ لَهُمْ مَعَهُ حُجَّةٌ عَدَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِ الْخَلِيفَةِ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا كَافِرٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ. وَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ نَائِبُ بَغْدَادَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ تَدْبِيرِ الْخِلَافَةِ أَنْ تُخَلِّيَ سَبِيلَهُ وَيَغْلِبَ خَلِيفَتَيْنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَمِيَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَكَانَ أَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ.

قَالَ أَحْمَدُ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لِي: لَعَنَكَ اللهُ، طَمِعْتُ فِيكَ أَنْ تُجِيبَنِي فَلَمْ تُجِبْنِي. **ثُمَّ قَالَ: خُذُوهُ وَاخْلَعُوهُ وَاسْحَبُوهُ.**

قَالَ أَحْمَدُ: فَأُخِذْتُ وَسُحِبْتُ وَخُلِعْتُ وَجِيءَ بِالْعُقَابَيْنِ (١) وَالسِّيَاطِ، فقلت: فَبِمَ تَسْتَحِلُّ دَمِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اذْكُرْ وُقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ كَوُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْكَ. فَكَأَنَّهُ أَمْسَكَ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ كَافِرٌ. فَأَمَرَ بِي فَأُقِمْتُ بَيْنَ الْعُقَابَيْنِ.

---

(١) العُقابانِ: خَشَبتان يَمد الرجلُ بَيْنَهُمَا للجلد. أنظر: لسان العرب (١/ ٦٢١)، المعجم الوسيط (١/ ٤٧٠).

وَجِـيءَ **بِالضَّرَّابِيـنَ، وَمَعَهُمُ السِّـيَاطُ** فَجَعَـلَ أَحَدُهُـمْ يَضْرِبُنِي سَـوْطَيْنِ، **وَيَقُولُ لَهُ الْمُعْتَصِـمُ**: شُـدَّ، قَطَّعَ اللهُ يَـدَكَ! وَيَجِيءُ الْآخَرُ فَيَضْرِبُنِي سَـوْطَيْنِ، ثُـمَّ الْآخَرُ كَذَلِكَ، فَضَرَبُونِي أَسْوَاطًا فَأُغْمِيَ عَلَيَّ، وَذَهَبَ عَقْلِي مِرَارًا، فَإِذَا سَكَنَ الضَّرْبُ يَعُودُ إِلَيَّ عَقْلِي.

وَقَامَ الْمُعْتَصِمُ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَى قَوْلِهِمْ فَلَمْ أُجِبْهُ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: وَيْحَكَ، الْخَلِيفَةُ عَلَى رَأْسِـكَ. فَلَمْ أَقْبَلْ، فَأَعَـادُوا الضَّرْبَ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَلَمْ أُجِبْـهُ، فَأَعَادُوا الضَّرْبَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ، فَدَعَانِي فَلَمْ أَعْقِلْ مَا قَالَ مِنْ شِـدَّةِ الضَّرْبِ، ثُمَّ أَعَادُوا الضَّرْبَ **فَذَهَبَ عَقْلِي فَلَمْ أُحِسَّ بِالضَّرْبِ، وَأَرْعَبَهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي، وَأَمَرَ بِي فَأُطْلِقْتُ**، وَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَأَنَا فِي حُجْرَةٍ مِنْ بَيْتٍ وَقَدْ أُطْلِقَتِ الْأَقْيَادُ مِنْ رِجْلِي.

وَكَانَ ذَلِـكَ فِـي الْيَـوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَـنَةِ (٢٢١هـ) ثُمَّ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِطْلَاقِهِ إِلَى أَهْلِهِ.

وَلَمَّـا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَـاءَهُ الْجَرَّايِحِيُّ فَقَطَعَ لَحْمًا مَيِّتًا مِنْ جَسَـدِهِ، وَجَعَلَ يُدَاوِيهِ، ونائب بغداد يَبْعَثُ كَثِيرًا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْـأَلُ عَنْـهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى أَحْمَدَ نَدَمًا كَثِيرًا، **وَجَعَلَ يَسْـأَلُ النَّائِبَ عَنْهُ**، وَالنَّائِبُ يَسْـتَعْلِمُ خَبَرَهُ، فَلَمَّا عُوفِيَ فَرِحَ الْمُعْتَصِمُ وَالْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ.

وَجَعَلَ الإمام كُلَّ مَنْ سَعَى فِي أَمْرِهِ فِي حِلٍّ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعَةِ، وَكَانَ يَتْلُو فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَـى ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النـور: ٢٢] وَيَقُولُ: مَاذَا يَنْفَعُكَ أَنْ يُعَذَّبَ أَخُوكَ الْمُسْـلِمُ فِي سَـبِيلِكَ؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠].

○ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بَعْدَ الْمِحْنَةِ

وحينمـا أُخْـرِجَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ الضَّرْبِ صَارَ إِلَى مَنْزِلِـهِ، وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى جَمَاعَةٍ وَلَا جُمُعَةٍ، وَامْتَنَعَ مِنَ التَّحْدِيثِ، وَكَانَتْ غَلَّتُهُ مِنْ مِلْكٍ لَهُ؛ فِي كُلِّ شَهْرٍ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ مُدَّةَ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ، وَكَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْوَاثِقِ.

فَلَمَّا وَلِيَ الْمُتَوَكِّلُ اسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِوِلَايَتِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مُحِبًّا لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا، وَرَفَعَ الْمِحْنَةَ عَنِ النَّاسِ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ بِبَغْدَادَ **إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** أَنْ يَبْعَثَ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِلَيْهِ، ففعل ذلك.

ثم سَأَلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَنِ الْقُرْآنِ، **فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: سُؤَالُ تَعَنُّتٍ أَوِ اسْتِرْشَادٍ؟** فَقَالَ: بَلْ سُؤَالُ اسْتِرْشَادٍ. فَقَالَ: هُوَ كَلَامُ اللهِ مَنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ جَهَّزَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى.

ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ يُقَالُ لَهُ **ابْنُ الثَّلْجِيِّ** وَشَى إِلَى الْخَلِيفَةِ شَيْئًا، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ قَدْ ضَوَى إِلَى مَنْزِلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَهُوَ يُبَايِعُ لَهُ النَّاسَ فِي الْبَاطِنِ. فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ نَائِبَ بَغْدَادَ أَنْ يَكْبِسَ مَنْزِلَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَالْمَشَاعِلُ قَدْ أَحَاطَتْ بِالدَّارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى مِنْ فَوْقِ الْأَسْطِحَةِ، فَوَجَدُوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ جَالِسًا فِي دَارِهِ مَعَ عِيَالِهِ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا ذُكِرَ عَنْهُ، فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمٌ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَلَا هَذَا مِنْ نِيَّتِي، **وَإِنِّي لَأَرَى طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَفِي عُسْرِي وَيُسْرِي**، وَمَنْشَطِي وَمَكْرَهِي، وَأَثَرَةٍ عَلَيَّ، وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ لَهُ بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ، فَفَتَّشُوا مَنْزِلَهُ حَتَّى مَكَانَ الْكُتُبِ وَبُيُوتَ النِّسَاءِ وَالْأَسْطِحَةَ وَغَيْرَهَا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا.

فَلَمَّا بَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ ذَلِكَ، وَعَلِمَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، عَلِمَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَعْقُوبَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفَ بِقَوْصَرَةَ وَهُوَ أَحَدُ الْحَجَبَةِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَقَالَ: هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: اسْتَنْفِقْ هَذِهِ. فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا. فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي أَخْشَى مِنْ رَدِّكَ إِيَّاهَا أَنْ يَقَعَ وَحْشَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَالْمَصْلَحَةُ لَكَ قَبُولُهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَهُ ثُمَّ ذَهَبَ، فلما **أَصْبَحَ فَرَّقَهَا فِي النَّاسِ**، وَتَصَدَّقَ بِالْكِيسِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ، وَلَمْ يُعْطِ مِنْهَا لِأَهْلِهِ شَيْئًا، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ.

وَبَلَغَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ قَدْ تَصَدَّقَ بِالْجَائِزَةِ كُلِّهَا حَتَّى لَمْ يُبْقِ مِنْهَا شَيْئًا وَأَنَّهُ تَصَدَّقَ بِكِيسِهَا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ قَدْ قَبِلَهَا مِنْكَ وَتَصَدَّقَ بِهَا عَنْكَ، وَمَا يَصْنَعُ أَحْمَدُ بِالْمَالِ؟ **إِنَّمَا يَكْفِيهِ رَغِيفٌ. فَقَالَ: صَدَقْتَ.**

وَجَاءَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ بِمَالٍ جَزِيلٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ؛ جَائِزَةً لَهُ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَأَخَذَهَا الْأَمِيرُ فَفَرَّقَهَا عَلَى بَنِيهِ وَأَهْلِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُرَدَّ عَلَى الْخَلِيفَةِ جَائِزَتُهُ.

وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ لِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَمَانَعَ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِوَلَدِكَ. فَأَمْسَكَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَنْ مُمَانَعَتِهِ، ثُمَّ أَخَذَ يَلُومُ أَهْلَهُ وَعَمَّهُ وَبَنِي عَمِّهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا بَقِيَ لَنَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ، وَكَأَنَّنَا وَقَدْ نَزَلَ بِنَا الْمَوْتُ فَإِمَّا إِلَى جَنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى نَارٍ، فَنَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَبُطُونُنَا قَدْ أَخَذَتْ مِنْ مَالِ هَؤُلَاءِ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ يَعِظُهُمْ بِهِ.

وَلَمَّا اسْتَمَرَّ ضَعْفُ أَبِي عَبْدِ اللهِ جَعَلَ الْمُتَوَكِّلُ يَبْعَثُ إِلَيْهِ **بِابْنِ مَاسَوَيْهِ الْمُتَطَبِّبِ** لِيَنْظُرَ فِي مَرَضِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَيْسَ بِهِ عِلَّةٌ فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّمَا عِلَّتُهُ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ، وَكَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ. فَسَكَتَ الْمُتَوَكِّلُ.

ثُمَّ سَأَلَتْ أَمُّ الْخَلِيفَةِ مِنْهُ أَنْ تَرَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ، فَبَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَجْتَمِعَ بِابْنِهِ الْمُعْتَزِّ وَيَدْعُوَ لَهُ، وَيَكُونَ فِي حِجْرِهِ فَتَمَنَّعَ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَجَابَ إِلَيْهِ...وَجَاءَ الْخَادِمُ وَمَعَهُ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ مُبَطَّنَةٌ وَثَوْبٌ وَقَلَنْسُوَةٌ وَطَيْلَسَانٌ، فَأَلْبَسَهَا الْإِمَامَ أَحْمَدَ بِيَدِهِ، وَأَحْمَدُ لَا يَتَحَرَّكُ بِالْكُلِّيَّةِ.

ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ أَذِنَ لَهُ الْخَلِيفَةُ بِالِانْصِرَافِ، فانصرف ودَخَلَ بَغْدَادَ مُخْتَفِيًا، وَأَمَرَ أَنْ تُبَاعَ تِلْكَ الْخِلْعَةُ، وَأَنْ يُتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَجَعَلَ أَيَّامًا يَتَأَلَّمُ مِنَ اجْتِمَاعِهِ بِهِمْ وَيَقُولُ: سَلِمْتُ مِنْهُمْ طُولَ عُمْرِي، ثُمَّ ابْتُلِيتُ

بِهِمْ فِي آخِرِهِ، **وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ لِلْمُتَوَكِّلِ**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ لَا يَأْكُلُ لَكَ طَعَامًا، وَلَا يَشْرَبُ لَكَ شَرَابًا، وَلَا يَجْلِسُ عَلَى فَرْشِكَ، وَيُحَرِّمُ مَا تَشْرَبُهُ. فَقَالَ لَهُمْ: وَاللهِ لَوْ نُشِرَ الْمُعْتَصِمُ، وَكَلَّمَنِي فِي أَحْمَدَ مَا قَبِلْتُ مِنْهُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ: وَحِينَ رَجَعَ أَبِي مِنْ سَامَرَّا إِلَى بَغْدَادَ وَجَدْنَا عَيْنَيْهِ قَدْ دَخَلَتَا فِي مُوقَيْهِ، وَمَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ إِلَّا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

وَامْتَنَعَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَرَابَتِهِ أَوْ يَدْخُلَ بَيْتًا هُمْ فِيهِ، أَوْ يَنْتَفِعَ بِشَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ؛ لِأَجْلِ قَبُولِهِمْ أَمْوَالَ السُّلْطَانِ.

وَكَانَ مَسِيرُ أَحْمَدَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، ثُمَّ مَكَثَ إِلَى سَنَةِ وَفَاتِهِ، قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَرِسَالَةُ الْمُتَوَكِّلِ تَفِدُ إِلَيْهِ فِي أُمُورٍ يُشَاوِرُهُ فِيهَا، وَيَسْتَشِيرُهُ فِي أَشْيَاءَ تَقَعُ لَهُ.

وَلَمَّا قَدِمَ الْمُتَوَكِّلُ بَغْدَادَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَ خَاقَانَ وَمَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ لِيُفَرِّقَهَا عَلَى مَنْ يَرَى فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا وَتَفرِقَتِهَا، وَقَالَ: إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَعْفَانِي مِمَّا أَكْرَهُ فَرَدَّهَا.

وَكَتَبَ رَجُلٌ رُقْعَةً إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يَقُولُ فِيهَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَشْتُمُ آبَاءَكَ وَيَرْمِيهِمْ بِالزَّنْدَقَةِ. فَكَتَبَ فِيهَا الْمُتَوَكِّلُ: **أَمَّا الْمَأْمُونُ** فَإِنَّهُ خَلَطَ فَسَلَّطَ النَّاسَ عَلَى نَفْسِهِ، **وَأَمَّا أَبِي الْمُعْتَصِمُ** فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلَ حَرْبٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَصَرٌ بِالْكَلَامِ، **وَأَمَّا أَخِي الْوَاثِقُ** فَإِنَّهُ اسْتَحَقَّ مَا قِيلَ فِيهِ، ثُمَّ أَمَرَ أَنَّ يُضْرَبَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي رَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ مِائَتَيْ سَوْطٍ.

وَقَدْ كَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَوْلِ فِي الْقُرْآنِ؛ سُؤَالَ اسْتِرْشَادٍ وَاسْتِفَادَةٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ رِسَالَةً حَسَنَةً، فِيهَا آثَارٌ عَنِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَحَادِيثُ مَرْفُوعَةٌ، وَقَدْ أَوْرَدَهَا ابْنُهُ صَالِحٌ فِي الْمِحْنَةِ الَّتِي سَاقَهَا، وَهِيَ مَرْوِيَّةٌ عَنْهُ، وَقَدْ نَقَلَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحُفَّاظِ.

○ **ترجمته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هــو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلِ بْنِ هِلَالِ بْنِ أَسَـدِ بْنِ إِدْرِيـسَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَاسِـطِ بْنِ مَازِنِ بْنِ شَـيْبَانَ بْنِ ذُهْلِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّيْبَانِيُّ، ثُمَّ الْمَرْوَزِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ. (١) وَقَدِمَ بِهِ أَبُوهُ مِنْ مَرْوَ وَهُوَ حَمْلٌ، فَوَضَعَتْهُ أُمُّهُ بِبَغْدَادَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، **وَتُوُفِّيَ أَبُوهُ وَهُوَ صغير، فَكَفَلَتْهُ أُمُّهُ.**

وَتُوُفِّيَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْجُمعَةِ الثَّانِيَ عَشَـرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَـنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَقَـدْ كَانَ فِـي حَدَاثَتِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى مَجْلِسِ الْقَاضِي أَبِي يُوسُـفَ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ، فَكَانَ أَوَّلُ طَلَبِهِ لِلْحَدِيثِ ولَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَجَجْتُ خَمْسَ حِجَجٍ؛ مِنْهَا ثَلَاثٌ رَاجِلًا، أَنْفَقْتُ فِي إِحْدَى هَذِهِ الْحِجَجِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا.

وَقَـدْ طَافَ أَحْمَدُ بْـنُ حَنْبَلٍ فِي الْبِلَادِ وَالْآفَاقِ، وَسَـمِعَ مِنْ مَشَـايِخِ الْعَصْرِ، وَكَانُوا يُجِلُّونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ فِي حَالِ سَمَاعِهِ مِنْهُمْ.

وَقَدْ سَـرَدَ شَـيْخُنَا أَبـو الحجاج المزي فِـي «تَهْذِيبِهِ» أَسْـمَاءَ شُـيُوخِهِ مُرَتَّبِينَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَكَذَلِكَ الرُّوَاةَ عَنْهُ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا رُوِّينَاهُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَـنِ الزُّهْـرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ تَعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ». (٢)

(١) من مصادر ترجمته: طبقات ابن سـعد٧/ ٣٥٤، وتاريخ بغـداد٤/ ٤١٢، طبقات الحنابلة ١/ ٤، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧.

(٢) المسند ٣/ ٤٥٥.

وحكى **الْبَيْهَقِيُّ** كَلَامَ أَحْمَدَ فِي الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَكَلَامُهُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ يُرِيدُ بِهِ الْقُرْآنَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: [١] حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، ثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ. وَقَدْ رَأَى الصَّحَابَةُ جَمِيعًا أَنْ يَسْتَخْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. قُلْتُ: وَهَذَا الْأَثَرُ فِيهِ حِكَايَةُ إِجْمَاعٍ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي تَقْدِيمِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ [٢]. وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حِينَ اجْتَازَ بِحِمْصَ، وَقَدْ حُمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي زَمَنِ الْمِحْنَةِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْحِمْصِيُّ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْخِلَافَةِ؟ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَقَدْ أَزْرَى بِأَصْحَابِ الشُّورَى؛ لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا عُثْمَانَ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

○ وَرَعه وَتَقَشُّفه وَزُهْده

وَمَكَثَ مَرَّةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ حَتَّى بَعَثَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ دَقِيقًا، فَعَرَفَ أَهْلُهُ حَاجَتَهُ إِلَى الطَّعَامِ فَعَجَّلُوا وَعَجَنُوا وَخَبَزُوا لَهُ سَرِيعًا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْعَجَلَةُ! كَيْفَ خَبَزْتُمْ سَرِيعًا؟ فَقَالُوا: وَجَدْنَا تَنُّورَ بَيْتِ صَالِحٍ مَسْجُورًا فَخَبَزْنَا لَكَ فِيهِ. فَقَالَ: ارْفَعُوا. وَلَمْ يَأْكُلْ، **وَأَمَرَ بِسَدِّ بَابِهِ إِلَى دَارِ صَالِحٍ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: لِأَنَّ صَالِحًا أَخَذَ جَائِزَةَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ.**

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ مَرَّةً ذَهَبًا؛ لِيُقَسَّمَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

---

(١) المسند ١/ ٣٧٩.

(٢) الشريعة للآجري ص٢٣١٢، ومنهاج السنة النبوية ١/ ٤٨٦.

إِلَّا أَخذَ، إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَإِنَّهُ أَبَى.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَانَتْ مَجَالِسُ أَحْمَدَ مَجَالِسَ الْآخِرَةِ، لَا يُذْكَرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ذَكَرَ الدُّنْيَا قَطُّ.

وَقَدْ صَنَّفَ فِي الزُّهْدِ كِتَابًا حَافِلًا عَظِيمًا لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ أَحَدٌ فِيهِ. وَالْمَظْنُونُ بَلِ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ بِمَا أَمْكَنَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَدُومَ اللهُ لَكَ عَلَى مَا تُحِبُّ فَدُمْ لَهُ عَلَى مَا يُحِبُّ.

وَكَانَ يَقُولُ: الصَّبْرُ عَلَى الْفَقْرِ مَرْتَبَةٌ لَا يَنَالُهَا إِلَّا الْأَكَابِرُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: قَالَ رَجُلٌ لِأَحْمَدَ: هَذَا الْعِلْمُ تَعَلَّمْتَهُ لِلَّهِ؟ فَقَالَ: هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ، وَلَكِنْ حُبِّبَ إِلَيَّ شَيْءٌ فَجَمَعْتُهُ.

○ ثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ

قَالَ الْبُخَارِيُّ: لَمَّا ضُرِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كُنَّا بِالْبَصْرَةِ فَسَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيَّ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَكَانَ أُحْدُوثَةً.

وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْمِحْنَةِ، وَأَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ.

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: خَرَجْتُ مِنَ الْعِرَاقِ فَمَا خَلَّفْتُ بِهَا رَجُلًا أَفْضَلَ وَلَا أَعْلَمَ وَلَا أَوْرَعَ وَلَا أَتْقَى مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ شَيْخُهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: مَا قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ بَغْدَادَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ وَذَكَرَ أَحْمَدَ يَوْمًا فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ مَا كَانَ أَبْصَرَهُ، وَعَنِ الدُّنْيَا مَا كَانَ أَصْبَرَهُ، وَفِي الزُّهْدِ مَا كَانَ أَخْبَرَهُ، وَبِالصَّالِحِينَ مَا كَانَ أَلْحَقَهُ،

وَبِالْمَاضِينَ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ، عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالْبِدَعُ فَنَفَاهَا.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ أَيْضًا: كَانَ فِي أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ خِصَالٌ مَا رَأَيْتُهَا فِي عَالِمٍ قَطُّ، كَانَ مُحَدِّثًا، وَكَانَ حَافِظًا، وَكَانَ عَالِمًا، وَكَانَ وَرِعًا، وَكَانَ زَاهِدًا، وَكَانَ عَاقِلًا.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءٍ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَلَا رَأَيْتُ مَنْ رَأَى مِثْلَهُ. وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: مَا أَعْرِفُ فِي أَصْحَابِنَا أَسْوَدَ الرَّأْسِ أَفْقَهَ مِنْهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُوشَنْجِيُّ:

إِنَّ ابْنَ حَنْبَلٍ إِنْ سَأَلْتَ إِمَامُنَا ... وَبِهِ الْأَئِمَّةُ فِي الْأَنَامِ تَمَسَّكُوا
خَلَفَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بَعْدَ الْأُلَى ... كَانُوا الْخَلَائِفَ بَعْدَهُ وَاسْتَهْلَكُوا
حَذْوَ الشِّرَاكِ عَلَى الشِّرَاكِ وَإِنَّمَا ... يَحْذُو الْمِثَالَ مِثَالُهُ الْمُتَمَسِّكُ

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ» قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَيْرُهُمَا: هُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَحَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا مُبَشِّرٌ، عَنْ مُعَانٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» وَهَذَا الْحَدِيثُ مُرْسَلٌ، وَإِسْنَادُهُ فِيهِ ضَعْفٌ،

وَالْعَجَبُ أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ صَحَّحَهُ، وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى عَدَالَةِ كُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى حَمْلِ الْعِلْمِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

○ وَفَاته ووصيته

قَالَ ابْنُهُ صَالِحٌ: كَانَ مَرَضُهُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ (٢٤١هـ) وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مَحْمُومٌ يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، فَقُلْتُ:

يَا أَبَتِ مَا كَانَ غَدَاؤُكَ؟ فَقَالَ: مَاءُ الْبَاقِلَّا. **وَكَتَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَصِيَّتَهُ:**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، **هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ**، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

وَأَوْصَى مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ فِي الْعَابِدِينَ، وَأَنْ يَحْمَدُوهُ فِي الْحَامِدِينَ، وَأَنْ يَنْصَحُوا لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأُوصِي أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأُوصِي لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِفُورَانَ عَلَيَّ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ دِينَارًا، وَهُوَ مُصَدَّقٌ فِيمَا قَالَ فَيُقْضَى مَا لَهُ عَلَيَّ مِنْ غَلَّةِ الدَّارِ، إِنْ شَاءَ اللهُ فَإِذَا اسْتُوْفِيَ أُعْطِي وَلَدُ صَالِحٍ كُلُّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى عَشَرَةَ دَرَاهِمَ.

وَأَحْسَنُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ: أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يُوَضِّئُوهُ فَجَعَلُوا يُوَضِّئُونَهُ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ خَلِّلُوا أَصَابِعِي، وَهُوَ يَذْكُرُ اللهَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْمَلُوا الْوُضُوءَ تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ. **وَقَدْ كَانَتْ وَفَاته ضحى يَوْم الْجُمُعَةِ**، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الشَّوَارِعِ، وَبَعَثَ والي بغداد مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ بِأَكْفَان، وَأَبَى أولاده أَنْ يُكَفِّنُوهُ فِي تِلْكَ الْأَثْوَابِ لأنه كان يكره ذلك، وَأَتَوْا بِثَوْبٍ كَانَ قَدْ غَزَلَتْهُ جَارِيَتُهُ، فَكَفَّنُوهُ فِيهِ.

وَحَضَرَ غُسْلَهُ نَحْوٌ مِنْ مِائَةٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ مَنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَجَعَلُوا يُقَبِّلُونَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَيَدْعُونَ لَهُ، وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ. وَخَرَجَ النَّاسُ بِنَعْشِهِ وَالْخَلَائِقُ حَوْلَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ وأقل ما قيل في عددهم (٧٠٠٠٠٠)، وَنَائِبُ الْبَلَدِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ وَاقِفٌ فِي النَّاسِ، فَتَقَدَّمَ خُطْوَاتٍ فَعَزَّى أَوْلَادَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِيهِ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي أَمَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

وَكَانَ عُمْرُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَوْمَ تُوُفِّيَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَيَّامًا.

وروى الدَّارَقُطْنِيُّ عن عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قُولُوا لِأَهْلِ الْبِدَعِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْجَنَائِزُ. وَقَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَهُ فِي هَذَا، فَإِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ إِمَامَ السُّنَّةِ فِي زَمَانِهِ.

وروى الْبَيْهَقِيُّ بسنده عن عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ: مَا بَلَغَنَا أَنَّ جَمْعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمْعِ عَلَى جِنَازَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ.

○ وقوع الزلازل في كثير من البلدان

فِي سنة (٢٤٢هـ) كَانَتْ زَلَازِلُ هَائِلَةٌ فِي الْبِلَادِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ بِمَدِينَةِ **قُومِسَ** تَهَدَّمَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَاتَ مِنْ أَهْلِهَا نَحْوٌ مَنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَسِتَّةٍ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ وَخُرَاسَانَ وَفَارِسَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ زَلَازِلُ مُنْهِكَةٌ.

وَفِي سنة (٢٤٥هـ) وَقَعَتْ زَلَازِلُ كَثِيرَةٌ فِي بِلَادٍ شَتَّى، فَمِنْ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ أَنْطَاكِيَةَ بِحَيْثُ سَقَطَ فِيهَا أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ دَارٍ، وَانْهَدَمَ مِنْ سُورِهَا نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ بُرْجًا، وَسُمِعَتْ مَنْ كُوَى دُورِهَا أَصْوَاتٌ مُزْعِجَةٌ جِدًّا، فَخَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ سِرَاعًا يُهْرَعُونَ، وَسَقَطَ الْجَبَلُ الَّذِي إِلَى جَانِبِهَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْأَقْرَعُ، فَسَاخَ فِي الْبَحْرِ، فَهَاجَ الْبَحْرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَارْتَفَعَ مِنْهُ دُخَانٌ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ مُنْتِنٌ، وَغَارَ نَهْرٌ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهَا، فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ.

ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: **وَسَمِعَ فِيهَا أَهْلُ تِنِّيسَ ضَجَّةً دَائِمَةً طَوِيلَةً مَاتَ مِنْهَا** خَلْقٌ كَثِيرٌ. قَالَ: وَزُلْزِلَتْ فِيهَا بَالِسُ وَالرَّقَّةُ وَحَرَّانُ وَرَأْسُ الْعَيْنِ وَحِمْصُ وَدِمَشْقُ وَالرُّهَا وَطَرَسُوسُ وَالْمِصِّيصَةُ، وَأَذَنَةُ، وَسَوَاحِلُ الشَّامِ وَرَجَفَتِ اللَّاذِقِيَّةُ فَمَا بَقِيَ مِنْهَا مَنْزِلٌ إِلَّا انْهَدَمَ، وَلَا بَقِيَ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا الْيَسِيرُ، وَذَهَبَتْ جَبَلَةُ بِأَهْلِهَا.

○ عزم المتوكل على سكنى دمشق

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٤٣هـ) تَوَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ مِنَ الْعِرَاقِ قَاصِدًا مَدِينَةَ دِمَشْقَ؛ لِيَجْعَلَهَا لَهُ دَارَ إِقَامَةٍ وَمَحِلَّةَ إِمَامَتِهِ فَأَدْرَكَهُ عِيدُ الْأَضْحَى، وَهُوَ بِمَدِينَةِ **بَلَدَ**[1] فَضَحَّى بِهَا، وَتَأَسَّفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ:

أَظُنُّ الشَّامَ تَشْمَتُ بِالْعِرَاقِ ... إِذَا عَزَمَ الْإِمَامُ عَلَى انْطِلَاقِ
فَإِنْ تَدَعِ الْعِرَاقَ وَسَاكِنِيهَا ... فَقَدْ تُبْلَى الْمَلِيحَةُ بِالطَّلَاقِ

(١) بلد: مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ. معجم البلدان – الفكر (١/ ٤٨١).

وفِي صفرٍ سـنة (٢٤٤هـ) دَخَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْـقَ فِي أُبَّهَةِ الْخِلَافَةِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الْإِقَامَةِ بِهَا وَأَمَرَ بِنَقْلِ دَوَاوِينِ الْمُلْكِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ بِبِنَاءِ الْقُصُـورِ بِهَا فَبُنِيَتْ بِطَرِيـقِ دَارَيَّا، ثُمَّ إِنَّهُ اسْـتَوْخَمَهَا، وَرَأَى أَنَّ هَوَاءَهَا بَارِدٌ نَدِيٌّ، وَمَاءَهَا ثَقِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَوَاءِ الْعِرَاقِ وَمَائِهِ، فَضَجِرَ مِنْهَا، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ آخِرِ السَّنَةِ إِلَى سَامَرَّا.

❍ حمل حربة النبي ﷺ بين يدي الخليفة

فِي سـنة (٢٤٤هـ) أُتِيَ الْمُتَـوَكِّلُ بِالْحَرْبَـةِ الَّتِي كَانَـتْ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُـولِ اللهِ صَلَّـى اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ لِلنَّجَاشِـيِّ فَوَهَبَهَا لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَوَهَبَهَا الزُّبَيْرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ فَرِحَ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ أَنْ يَحْمِلَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا كَانَتْ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

❍ بناء مدينة الماحوزة

فِي سـنة (٢٤٥هـ) أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِبِنَاءِ مَدِينَةِ الْمَاحُوزَةِ وَحَفْرِ نَهْرٍ لَهَا، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى بِنَائِهَا وَبِنَاءِ قَصْرِ الخلافة اللُّؤْلُؤَةُ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ.

وفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ من سنة (٢٤٦هـ) دَخَلَ الْمُتَوَكِّلُ الْمَاحُوزَةَ، فَنَزَلَ بِقَصْرِ الْخِلَافَةِ مِنْهَا، **وَاسْتَدْعَى بِالْقُرَّاءِ ثُمَّ بِالْمُطْرِبِينَ**، وَأَعْطَى وَأَطْلَقَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

❍ إصلاح عين مشاش

فِي سـنة (٢٤٥هـ) غَارَتْ عَيْنُ مُشَـاشُ [1] بِمَكَّةَ حَتَّى بَلَّغَ ثَمَنُ الْقِرْبَةِ ثَمَانِينَ دِرْهَمًا. حَتَّى بَعَثَ الْمُتَوَكِّلُ فَأَنْفَقَ على إصلاحها.

❁ ❁ ❁

(١) عيـن مشـاش: إحـدى العيون التـي اجرتها زبيـدة إلى مكة وهـي في جهة الشـرايع. (انظـر: أخبار مكة للفاكهي٣/ ١١٩).

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٣٣هـ) وسنة (٢٣٤هـ) وسنة (٢٣٥هـ) مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ أَمِيرُ مَكَّةَ، وَهُوَ أَمِيرُ الْحَجِيجِ مِنْ سِنِينَ مُتَقَدِّمَةٍ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٣٦هـ) مُحَمَّدٌ الْمُنْتَصِرُ ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٢٣٧هـ)، وسنة (٢٣٨هـ) عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، أَمِيرُ الْحِجَازِ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٣٩هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ عِيسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَالِي مَكَّةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٤٠هـ)، وسنة (٢٤١هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ، وَحَجَّ جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ فِيهما وَهُوَ وَالِي طَرِيقِ مَكَّةَ وَأَحْدَاثِ الْمَوْسِمِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٤٢هـ) و سنة (٢٤٣هـ) وسنة (٢٤٤هـ)، عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ نَائِبُ مَكَّةَ.

وفي سنة (٢٤٦هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ، وَحَجَّ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، وَوَلِيَ هُوَ أَمْرَ الْمَوْسِمِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١ - **إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَاهَانَ الْمَوْصِلِيُّ** النَّدِيمُ، **الْأَدِيبُ ابْنُ الْأَدِيبِ**، النَّادِرُ الشَّكْلُ فِي وَقْتِهِ الْمَجْمُوعُ الْفَضَائِلِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ يَعْرِفُهُ أَبْنَاءُ عَصْرِهِ، مِنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْجَدَلِ وَالْكَلَامِ وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ، وَإِنَّمَا اشْتُهِرَ بِالْغِنَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ فِيهِ.

قَالَ الْمُعْتَصِمُ: إِنَّ إِسْحَاقَ إِذَا غَنَّى يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ زِيدَ فِي مُلْكِي.

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لَوْلَا اشْتِهَارُهُ بِالْغِنَاءِ لَوَلَّيْتُهُ الْقَضَاءَ؛ لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ عِفَّتِهِ وَنَزَاهَتِهِ وَأَمَانَتِهِ. وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَدِيوَانٌ كَبِيرٌ. تُوُفِّيَ فِي سنة (٢٣٥هـ)

وَقَدْ تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ تَرْجَمَةً حَافِلَةً، وَذَكَرَ عَنْهُ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، وَأَشْعَارًا بَدِيعَةً رَائِقَةً، وَحِكَايَاتٍ مُدْهِشَةً يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهَا.

٢ - **أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ**، أَبُو عَلِيٍّ الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ أَحَدُ الْعُبَّادِ، لَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي الزُّهْدِ وَمُعَامَلَاتِ الْقُلُوبِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: **كَانَ مِنْ طَبَقَةِ الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ** وَبِشْرٍ الْحَافِي، وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ يُسَمِّيهِ جَاسُوسَ الْقُلُوبِ؛ لِحِدَّةِ فِرَاسَتِهِ.

وَمِنْ مُسْتَجَادِ كَلَامِهِ؛ قَوْلُهُ: إِذَا أَرَدْتَ صَلَاحَ قَلْبِكَ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِحِفْظِ لِسَانِكَ. وَقَالَ: مِنَ الْغَنِيمَةِ الْبَارِدَةِ أَنْ تُصْلِحَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ فَيُغْفَرَ لَكَ مَا مَضَى مِنْهُ.

وقال: مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ كَانَ لَهُ أَخْوَفَ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ كَرْبٍ إِذَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنَّ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... الْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

وَقَدْ أَطَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ تَرْجَمَتَهُ، وَلَمْ يُؤَرِّخْ وَفَاتَهُ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ هَاهُنَا تَقْرِيبًا (٢٣٩هـ)، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

٣- **أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادٍ فَرَج الْإِيَادِيُّ الْمُعْتَزِلِيُّ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ.. قَالَ الْخَطِيبُ: وَلِيَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ قَضَاءَ الْقُضَاةِ لِلْمُعْتَصِمِ، ثُمَّ لِلْوَاثِقِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَوُفُورِ الْأَدَبِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَعْلَنَ بِمَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ، وَحَمَلَ السُّلْطَانَ عَلَى امْتِحَانِ النَّاسِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

قَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ: وَأَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ قِنِّسْرِينَ وَكَانَ أَبُوهُ تَاجِرًا، وَأَخَذَ وَلَدَهُ هَذَا مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، وَصَحِبَ هَيَّاجَ بْنَ الْعَلَاءِ السُّلَمِيَّ، أَحَدَ أَصْحَابِ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ فَأَخَذَ عَنْهُ الِاعْتِزَالَ.

وَقَدْ كَانَ مَوْتُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٢٤٠هـ)

وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْعَبَّاسُ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِبَغْدَادَ وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَابْتَلَاهُ اللهُ **بِالْفَالِجِ** قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ وَبَقِيَ طَرِيحًا فِي فِرَاشِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحَرِّكَ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ. وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَةٍ.

ذَكَرَ ابْنُ خِلِّكَانَ أَنَّ يحيي بن أكثم كَانَ سَبَبَ اتِّصَالِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ بِالْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ فَحَظِيَ عِنْدَهُ، بِحَيْثُ إِنَّهُ أَوْصَى بِهِ إِلَى أَخِيهِ الْمُعْتَصِمِ، فَوَلَّاهُ الْمُعْتَصِمُ الْقَضَاءَ وَعَزَلَ ابْنَ أَكْثَمَ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، فَكَانَ عِنْدَهُ خِصِّيصًا؛ وَلَّاهُ الْقَضَاءَ وَالْمَظَالِمَ.

وَقَدْ بَالَغَ ابْنُ خِلِّكَانَ فِي تَرْجَمَتِهِ وَمَدْحِهِ، وَذَكَرَ مَآثِرِهِ وَمَحَاسِنِهِ فَأَطْنَبَ وَأَكْثَرَ وَمَا أَطْيَبَ، وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ مَسَاوِئِهِ، بَلْ ذَكَرَ امْتِحَانَهُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ذِكْرًا مُوجَزًا بِأَطْرَافِ الْأَنَامِلِ، وَهِيَ الْمِحْنَةُ الَّتِي هِيَ أُسُّ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمِحَنِ، وَالْفِتْنَةُ الَّتِي فَتَحَتْ عَلَى النَّاسِ بَابَ الْفِتَنِ.

٤-**سُحْنُونٌ الْمَالِكِيُّ، صَاحِبُ الْمُدَوَّنَةِ،** أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَبِيبِ التَّنُوخِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ مَدِينَةِ حِمْصَ فَدَخَلَ بِهِ أَبُوهُ مَعَ جُنْدِهَا بِلَادَ الْمَغْرِبِ، فَأَقَامَ بِهَا، وقَدْ تَفَقَّهَ عَلَى عبدالرحمن ابْنِ الْقَاسِمِ، وقَدِمَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ الْمَالِكِيُّ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ فَسَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْقَاسِمِ صَاحِبَ مَالِكٍ عَنْ أَسْئِلَةٍ كَثِيرَةٍ، فَأَجَابَهُ عَنْهَا، فعَقَلَهَا عَنْهُ، وَدَخَلَ أسد بن الفرات بِهَا بِلَادَ الْمَغْرِبِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ مَذْهَبِ مَالِكٍ هُنَاكَ.

فَانْتَسَخَهَا مِنْهُ سُحْنُونٌ ثُمَّ قَدِمَ عَلَى ابْنِ الْقَاسِمِ مِصْرَ، فَأَعَادَ أَسْئِلَتَهُ عَلَيْهِ فَزَادَ فِيهَا وَنَقَصَ، وَرَجَعَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهَا، فَرَتَّبَهَا سُحْنُونٌ، وَرَجَعَ بِهَا إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

وَكَتَبَ مَعَهُ ابْنُ الْقَاسِمِ إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ أَنْ يَعْرِضَ نُسْخَتَهُ عَلَى نُسْخَةِ **سُحْنُونٍ** وَيُصْلِحَهَا بِهَا فَلَمْ يَقْبَلْ، فَدَعَا عَلَيْهِ ابْنُ الْقَاسِمِ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ وَلَا بِكِتَابِهِ، وَصَارَتِ الرِّحْلَةُ إِلَى سُحْنُونٍ وَانْتَشَرَتْ عَنْهُ الْمُدَوَّنَةُ، **وَسَادَ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ** إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سنة (٢٤٠هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥-**أَبُو حَسَّانَ، الْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ الزِّيَادِيِّ البغدادي،** تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي "تَارِيخِهِ". قَالَ: وَلَيْسَ هُوَ مِنْ سُلَالَةِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ، إِنَّمَا تَزَوَّجَ بَعْضُ أَجْدَادِهِ بِأُمِّ وَلَدٍ لِزِيَادٍ، فَقِيلَ لَهُ: الزِّيَادِيُّ. قَالَ الْخَطِيبُ: **كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ** مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَالثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ، وكان كريماً فاضلاً، وَلِيَ قَضَاءَ الشَّرْقِيَّةِ فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ، وَلَهُ تَارِيخٌ حَسَنٌ، وَلَهُ حَدِيثٌ كَثِيرٌ

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ (١) عَنْهُ أَشْيَاءَ حَسَنَةً؛ مِنْهَا:

أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ بعض أصحابه ضَائِقَةٌ فِي عِيدٍ مِنَ الْأَعْيَادِ، فسأله، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ غَيْرُ مِائَةِ دِينَارٍ، فَأَرْسَلَهَا بِصُرَّتِهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ سَأَلَ ذَلِكَ الرَّجُلَ صَاحِبٌ لَهُ أَيْضًا يَشْكُو

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ١٣٨.

مِثْلَ تِلْكَ الْحَالِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، وَكَتَبَ أَبُو حَسَّانَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَخَذَ الْمِائَةَ يَسْتَقْرِضُ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِالْأَمْرِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْمِائَةِ فِي صُرَّتِهَا، فَلَمَا رَآهَا تَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهَا وَرَكِبَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّ فُلَانًا أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعَ الثَّلَاثَةُ وَاقْتَسَمُوا الْمِائَةَ دِينَارٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَجَزَاهُمْ عَنْ مُرُوءَاتِهِمْ خَيْرًا.

٦- **أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ** عَبْدُ اللهِ بْنُ مَيْمُونِ بْنِ عَبَّاسٍ الْغَطَفَانِيُّ، **أَحَدُ الزُّهَّادِ الْمَشْهُورِينَ**، وَالْعُبَّادِ الْمَذْكُورِينَ، وَالْأَبْرَارِ الْمَشْكُورِينَ، ذَوِي الْأَحْوَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْكَرَامَاتِ الصَّادِقَةِ، أَصْلُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، وَسَكَنَ دِمَشْقَ، وَتَتَلْمَذَ لِلشَّيْخِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعٍ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ، ذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ فَأَثْنَى عَلَيْهِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ اللهَ يَسْقِي أَهْلَ الشَّامِ بِهِ. وَكَانَ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: هُوَ رَيْحَانَةُ الشَّامِ.

وَرَوَى عَنْهُ خَادِمُهُ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الثَّغْرِ لِلرِّبَاطِ، فَمَا زَالَتِ الْهَدَايَا تَفِدُ إِلَيْهِ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ، ثُمَّ فَرَّقَهَا كُلَّهَا إِلَى وَقْتِ الْغُرُوبِ، ثُمَّ قَالَ لِي: كُنْ هَكَذَا لَا تَرُدَّ عَلَى اللهِ شَيْئًا، وَلَا تَدَّخِرْ عَنْهُ شَيْئًا.

وَلَمَّا جَاءَتِ الْمِحْنَةُ زَمَنَ الْمَأْمُونِ إِلَى دِمَشْقَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، عُيِّنَ فِيهَا: أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، وَهِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ، فَكُلُّهُمْ أَجَابُوا إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ، فَحُبِسَ بِدَارِ الْحِجَارَةِ، ثُمَّ هُدِّدَ فَأَجَابَ تَوْرِيَةً مُكْرَهًا، ثُمَّ أُطْلِقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانت وفاته سنة (٢٤٦هـ).

❁ ❁ ❁

(١١)

خلافة محمد المنتصر بالله
بن المتوكل على الله

٢٤٧-٢٤٨

(ستة أشهر)

ترجمته

○ نسبه:

محمد بن جَعْفَرُ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وأمه أم ولد، اسمها حَبَشِيَّةَ، الرُّومِيَّة.

○ صفاته

وَقَدْ كَانَ الْمُنْتَصِرُ أَعْيَنَ أَقْنَى قَصِيرًا مَهِيبًا جَيِّدَ الْبَدَنِ.

وَمِنْ جَيِّدِ كَلَامِهِ قَوْلُهُ: وَاللهِ مَا عَزَّ ذُو بَاطِلٍ قَطُّ، وَلَوْ طَلَعَ الْقَمَرُ مِنْ جَبِينِهِ، وَلَا ذَلَّ ذُو حَقٍّ قَطُّ، وَلَوْ أَصْفَقَ الْعَالَمُ عَلَيْهِ.

○ وفاته

كَانَ الْمُنْتَصِرُ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يَصْعَدُ سُلَّمًا، فَبَلَغَ إِلَى آخِرِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَقَصَّهَا عَلَى بَعْضِ الْمُعَبِّرِينَ، فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً تَلِي فِيهَا الْخِلَافَةَ. وَإِذَا هِيَ مُدَّةُ عُمْرِهِ، قَدِ اسْتَكْمَلَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي عِلَّتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا هَلَاكُهُ، فَقِيلَ: إِنَّهُ أَصَابَهُ دَاءٌ فِي رَأْسِهِ، وَقِيلَ: بَلْ وَرِمَتْ مَعِدَتُهُ فَانْتَهَى الْوَرَمُ إِلَى قَلْبِهِ فَمَاتَ.

وذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ[1] أَنَّ أُمَّ الْخَلِيفَةِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَتْ لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: ذَهَبَتْ مِنِّي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَنْشَدَ لَمَّا أُحِيطَ بِهِ وَأَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ:

فَمَا فَرِحَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَصَبْتُهَا ... وَلَكِنْ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ أَصِيرُ

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٢٥٢.

فَمَـاتَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ مَضَيْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ سَـن (٢٤٨هـ)، عَنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ إِنَّمَا **وَلِيَ الْخِلَافَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ**.

قـال ابـن كثير: وَهُـوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ مِـنْ بَنِي الْعَبَّـاسِ **أُبْرِزَ** قَبْـرُهُ، وَذَلِكَ بِإِشَـارَةِ أُمِّهِ الرومية[1].

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٤٦٣. ومعنى أبرز قبره: أي ميز برفعه عن الأرض، وهذا خلاف السنة.

خلافته

○ بيعته

كان قَـدْ تَمَالَأَ محمد المنتصر هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَـرَاءِ عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ، وَحِينَ قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَوَكِّلُ بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ شَـوَّالٍ سـنة (٢٤٧هـ) أُخِذَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ مِنَ الْعَامَّةِ، وَبَعَثَ إِلَى **أَخِيـهِ الْمُعْتَزِّ** فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ الْمُعْتَزُّ مكرهـًا لأنه كان وَلِيَّ الْعَهْدِ قَبْلَهُ، فَلَمَّا أُخِذَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّهُ اتَّهَمَ **الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ** عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ فقتله، ثُمَّ بَعَثَ الْبَيْعَةَ لَهُ إِلَى الْآفَاقِ.

وكَانَـتِ الْبَيْعَةُ لَـهُ بِالْمُتَوَكِّلِيَّةِ وَهِيَ الْمَاحُوزَةُ، فَأَقَامَ بِهَا عَشَـرَةَ أَيَّـامٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ هُوَ وَجَمِيعُ قُوَّادِهِ وَحَشَمِهِ مِنْهَا إِلَى سَامَرَّاءَ.

○ عزل المنتصر لأخويه عن ولاية العهد

فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سنة (٢٤٨هـ) خَلَعَ محمد الْمُعْتَزَّ، وأخوه إِبْرَاهِيـمُ المؤيد **أَخَوَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ**، وَلِيَّا الْعَهْدِ أَنْفُسَـهُمَا مِنَ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا تَهَدَّدَهُمَا أَخُوهُمَا الْمُنْتَصِرُ، وَتَوَعَّدَهُمَا بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ، حتى يولي ابْنه عَبْدِ الْوَهَّـابِ، وَكَتَبَ بِذَلِـكَ إِلَى الْآفَاقِ وَالْأَقَالِيم، **فَأَرَادَ أَنْ يَسْـلُبَهُمَا الْمُلْكَ وَيَجْعَلَهُ فِي عَقِبِهِ، وَالْأَقْدَارُ تُكَذِّبُهُ وَتُخَالِفُهُ**؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَكْمِلْ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهِ سِوَى سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَفِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَرَضَتْ لَهُ عِلَّةٌ، كَانَ فِيهَا حَتْفُهُ.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده وولاية الحج

○ ولاية المظالم

فِي ثَانِي يَوْمٍ مِنْ خِلَافَة المنتصر وَلَّى الْمَظَالِمَ لِأَبِي عَمْرَةَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، فَقَالَ الشَّاعِرُ:

يَا ضَيْعَةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا وَلِي ... مَظَالِمَ النَّاسِ أَبُو عَمْرَهْ
صُيِّرَ مَأْمُونًا عَلَى أُمَّةٍ ... وَلَيْسَ مَأْمُونًا عَلَى بَعْرَهْ

○ غزو الصائفة

فِي سنة (٢٤٨هـ) أَغْزَى الْمُنْتَصِرُ **وَصِيفًا** التُّرْكِيَّ الصَّائِفَةَ لِقِتَالِ الرُّومِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ قَصَدَ بِلَادَ الشَّامِ فَعِنْدَ ذَلِكَ جَهَّزَ الْمُنْتَصِرُ وَصِيفًا وَجَهَّزَ مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا وَرِجَالًا وَعُدَدًا، وَأَمَرَهُ إِذَا فَرَغَ مِنْ قِتَالِ الرُّومِ أَنْ يُقِيمَ بِالثَّغْرِ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَكَتَبَ لَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ، نَائِبِ الْعِرَاقِ كِتَابًا عَظِيمًا فِيهِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي التَّحْرِيضِ لِلنَّاسِ عَلَى الْقِتَالِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٤٧) مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ.

❁ ❁ ❁

(١٢)

خلافة أحمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم

٢٤٨- ٢٥١

ترجمته

نسبه

أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ المستعين بالله بْـنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَـارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ

بيعته

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ الْمُنْتَصِرُ سنة (٢٤٨هـ)، بَايَعَهُ عُمُومُ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَتْ عَلَيْهِ شِرْذِمَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ يَقُولُونَ: يَا مُعْتَزُّ، يَا مَنْصُورُ. فَالْتَفَّ عَلَيْهِمْ خَلْقٌ، وَقَامَ بِنَصْرِ الْمُسْتَعِينِ جُمْهُورُ الْجَيْشِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا أَيَّامًا، فَقُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَانْتُهِبَتْ أَمَاكِنُ كَثِيرَةٌ مِنْ بَغْدَادَ وَجَرَتْ فِتَنٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِلْمُسْتَعِينِ فَعَزَلَ وَوَلَّى، وَقَطَعَ وَوَصَلَ، وَأَمَرَ وَنَهَى.

ترضية المعتز وإبراهيم ابني المتوكل

فِي سنة (٢٤٨هـ) ابْتَاعَ الْمُسْتَعِينُ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِّ بن المتوكل شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَتَاعِ وَالضِّيَاعِ بِمَا قِيمَتُهُ عَشَرَةُ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعَشْرُ حَبَّاتِ جَوْهَرٍ، وَمِنْ إِبْرَاهِيمَ بن المتوكل بِمَا قِيمَتُهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ وَثَلَاثُ حَبَّاتٍ جوهر.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده

إخراج أهل حمص عاملهم

فِي سـنة (٢٤٨هـ) عَدَا أَهْلُ حِمْص عَلَى عَامِلِهِمْ فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم الْمُسْتَعِينُ فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ مِنْ سَرَاتِهِمْ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ سُورِهِمْ.

وفِـي رَجَب سـنة (٢٥٠هـ) وَثَبَ أَهْلُ حِمْصَ أيضـًا عَلَـى عَامِلِهِمُ الْفَضْلِ بْنِ قَارَنَ، فَقَتَلُوهُ، فَوَجَّهَ الْمُسْـتَعِينُ إِلَيْهِمْ مُوسَـى بْنَ بُغَا الْكَبِيرِ، فَاقْتَتَلُوا بِأَرْضِ الرَّسْـتَنِ فَهَزَمَهُمْ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا، وَأَحْرَقَ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنْهَا، وَأَسَرَ أَشْرَافَ أَهْلِهَا.

قتال الروم

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ النِّصْفِ مِنْ رَجَبٍ سنة (٢٤٩هـ) الْتَقَى جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَلْقٌ مِنَ الرُّومِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَلَطْيَةَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا، قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقُتِلَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَقْطَعِ**، وَقُتِلَ مَعَهُ أَلْفَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ قُتِلَ الْأَمِيرُ **عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيُّ** فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ أَيْضًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَقَدْ كَانَ هَذَانَ الْأَمِيرَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَنْصَارِ الْإِسْلَامِ.

وقد جَمَعَ أَهْلُ الْيَسَارِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً؛ لِتُصْرَفَ إِلَى مَنْ يَنْهَضُ إِلَى ثُغُورِ الـرُّومِ لِقِتَالِهِـمْ عِوَضًا عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ هُنَـاكَ، فَأَقْبَلَ خَلْقٌ كَثِيـرٌ مِنْ نَوَاحِي الْجِبَـالِ وَالْأَهْوَازِ وَفَارِسَ وَغَيْرِهَا لِغَـزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ وَالْجَيْشَ تَأَخَّرُوا عَنِ النُّهُوضِ **فَغَضِبَتِ الْعَامَّةُ** مِنْ ذَلِكَ، وَفَعَلُوا مَا ذَكَرْنَا.

اختلال الأمن ووقوع الفتنة ببغداد

وَقَعَـتْ فِتْنَـةٌ عَظِيمَـةٌ بِبَغْدَادَ فِـي أَوَّلِ يَـوْمٍ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سـنة (٢٤٩هــ)، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَامَّـةَ كَرِهُوا جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَـرَاءِ الَّذِينَ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى أَمْرِ الْخِلَافَـةِ، وَقَتَلُوا الْمُتَوَكِّلَ، وَاسْتَضْعَفُوا الْمُنْتَصِرَ وَالْمُسْتَعِينَ بَعْدَهُ؛ فَنَهَضُوا إِلَى السِّجْنِ، فَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ، وَجَاءُوا

إِلَى الْجِسْرِ فَقَطَعُوهُ، وَنَادَوْا بِالنَّفِيرِ فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَنَهَبُوا أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةً بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ.

وَلِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ **نَهَضَ عَامَّةُ أَهْلِ سَامَرَّا إِلَى السِّجْنِ، فَأَخْرَجُوا مَنْ فِيهِ،** وَجَاءَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْجَيْشِ، يُقَالُ لَهُمُ: الزُّرَافَةُ، فَهَزَمَتْهُمُ الْعَامَّةُ فَرَكِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَصِيفٌ وَبُغَا الصَّغِيرُ وَعَامَّةُ الْأَتْرَاكِ، فَقَتَلُوا مِنَ الْعَامَّةِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَجَرَتْ فِتَنٌ طَوِيلَةٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ سَكَنَتْ.

وَفِي النِّصْفِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ **وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ،** وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعِينَ كَانَ قَدْ فَوَّضَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى ثَلَاثَةٍ؛ وَهُمْ أُتَامِشُ التُّرْكِيُّ، وَكَانَ أَخَصَّ مَنْ عِنْدَهُ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ، وَفِي حِجْرِهِ الْعَبَّاسُ ابْنُ الْمُسْتَعِينِ يُرَبِّيهِ، وَيُعَلِّمُهُ الْفُرُوسِيَّةَ، وَشَاهَكُ الْخَادِمُ، وَأُمُّ الْخَلِيفَةِ، وَكَانَ لَا يَمْنَعُهَا شَيْئًا تُرِيدُهُ، وَكَانَ لَهَا كَاتِبٌ يُقَالُ لَهُ: سَلَمَةُ بْنُ سَعِيدٍ النَّصْرَانِيُّ فَأَقْبَلَ أُتَامِشُ فَأَسْرَفَ فِي أَخْذِ الْأَمْوَالِ حَتَّى لَمْ يُبْقِ بِبَيْتِ الْمَالِ شَيْئًا، فَغَضِبَ الْأَتْرَاكُ مِنْ ذَلِكَ، وَغَارَتْ مِنْهُ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ، وَرَكِبُوا إِلَيْهِ، وَأَحَاطُوا بِقَصْرِ الْخِلَافَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُسْتَعِينِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنْعُهُ مِنْهُمْ، وَلَا دَفْعُهُمْ عَنْهُ فَأَنْزَلُوهُ صَاغِرًا فَقَتَلُوهُ، وَانْتَهَبُوا أَمْوَالَهُ وَدُورَهُ.

وَجَرَى خَبْطٌ كَبِيرٌ، وَوَهْنٌ كَثِيرٌ مِنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ، وَتَحَرَّكَتِ الْمَغَارِبَةُ بِسَامَرَّا فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فَيَرْكَبُونَ، ثُمَّ يَتَفَرَّقُونَ.

○ ثورة يحيي بن عمر الطالبي

فِي سَنَةِ (٢٥٠هـ) كَانَ ظُهُورُ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ علي بِالْكُوفَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ شَدِيدَةٌ فَدَخَلَ سَامَرَّا، فَسَأَلَ وَصِيفًا أَنْ يُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقًا، فَأَغْلَظَ لَهُ الْقَوْلَ، فَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ الْكُوفَةِ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَنَزَلَ عَلَى الْفَلُّوجَةِ، وَقَدْ كَثُرَ الْجَمْعُ مَعَهُ، فَكَتَبَ نَائِبُ الْعِرَاقِ إِلَى عَامِلِ الْكُوفَةِ، يَأْمُرُهُ بِمُقَاتَلَتِهِ.

وَدَخَلَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْكُوفَةِ فَاحْتَوَى عَلَى

بَيْتِ مَالِهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سِوَى أَلْفَيْ دِينَارٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَظَهَرَ أَمْرُهُ بِالْكُوفَةِ، **وَفَتَحَ السِّجْنَيْنِ، وَأَطْلَقَ مَنْ فِيهِمَا، وَأَخْرَجَ نُوَّابَ الْخَلِيفَةِ مِنْهَا**، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُهُ بِهَا.

وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى سَوَادِهَا، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَيْهَا، فَتَلَقَّاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْخَطَّابِ الْمُلَقَّبُ وَجْهَ الْفُلْسِ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا فَانْهَزَمَ وَجْهُ الْفُلْسِ، وَدَخَلَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ الْكُوفَةَ وَدَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَصَارَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا، وَتَوَلَّاهُ أَهْلُ بَغْدَادَ مِنَ الْعَامَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى التَّشَيُّعِ، وَأَحَبُّوهُ أَكْثَرَ مِمَّا كَانُوا يُحِبُّونَ أَحَدًا مِنَ الْخَارِجِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَشَرَعَ فِي تَحْصِيلِ السِّلَاحِ، وَإِعْدَادِ آلَاتِ الْحَرْبِ، وَجَمْعِ الرِّجَالِ، وَقَدْ خَرَجَ نَائِبُ الْكُوفَةِ مِنْهَا وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَمْدَادٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ وَاسْتَرَاحُوا وَجَمَّتْ خُيُولُهُمْ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ وقع القتال بينهم، وَقَدِ انْكَشَفَ أَصْحَابُ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ وَدَاسَتْهُمُ الْخُيُولُ، وَوَجَدُوا يَحْيَى بْنَ عُمَرَ مقتولا فحزوا رأسه، وَحَمَلُوهُ إِلَى الْأَمِيرِ فَبَعَثَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنَ الْغَدِ، فَنُصِبَ بِسَامَرَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى بَغْدَادَ؛ لِيُنْصَبَ عِنْدَ الْجِسْرِ.

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعِينُ قَدْ وَجَّهَ أَمِيرًا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ نَائِبِ الْكُوفَةِ فَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ دَخَلُوا الْكُوفَةَ فَأَرَادَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ أَنْ يَضَعَ فِي أَهْلِهَا السَّيْفَ، فَمَنَعَهُ الْحُسَيْنُ، وَأَمَّنَ الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ، وَأَطْفَأَ اللهُ هَذِهِ الْفِتْنَةَ.

○ ثورة الحسن العلوي بطبرستان

فِي رمضان سنة (٢٥٠هـ) خَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ العلوي، بِنَاحِيَةِ طَبَرِسْتَانَ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ بالكوفة أَقْطَعَ الْمُسْتَعِينُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ

طَاهِرٍ طَائِفَةً مِنْ أَرْضِ طبرستان، فَبَعَثَ كَاتِبًا لَهُ؛ لِيَتَسَلَّمَ تِلْكَ الْأَرَاضِي، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ كَرِهُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَاسَلُوا الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ هَذَا، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَبَايَعُوهُ.

وَالْتَفَّ عَلَيْهِ جُمْلَةُ الدَّيْلَمِ، وَجَمَاعَةُ الْأُمَرَاءِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي، فَرَكِبَ فِيهِمْ وَدَخَلَ آمُلَ طَبَرِسْتَانَ وَأَخَذَهَا قَهْرًا، وَجَبَى خَرَاجَهَا، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وبين **والي طبرستان** سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ حُرُوبٌ ثُمَّ انْهَزَمَ الوالي هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَتَرَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَلَمْ يَرْجِعْ دُونَ جُرْجَانَ.

فَدَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ **سَارِيَةَ**،(١) فَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، وَسَيَّرَ أَهْلَ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ عَلَى مَرَاكِبَ مُكْرَمِينَ، وَاجْتَمَعَ لِلْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ إِمْرَةُ طَبَرِسْتَانَ بِكَمَالِهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الرَّيِّ فَأَخَذَهَا أَيْضًا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا **الطَّاهِرِيَّةَ**، وَصَارَ لَهُ إِلَى حَدِّ هَمَذَانَ وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُهُ الْمُسْتَعِينَ وَكَانَ **مُدَبِّرَ** مُلْكِهِ يَوْمَئِذٍ وَصِيفٌ التُّرْكِيُّ اغْتَمَّ لِذَلِكَ جِدًّا، وَاجْتَهَدَ فِي بَعْثِ الْجُيُوشِ وَالْأَمْدَادِ لِقِتَالِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ.

○ ظهور أحمد بن عيسى بالري

فِي يَوْمِ عَرَفَةَ مِنْ سنة (٢٥٠هـ) ظَهَرَ **بِالرَّيِّ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى** العلوي، **وَإِدْرِيسُ بْنُ مُوسَى** العلوي، فَصَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمَ الْعِيدِ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، وَدَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، فَحَارَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ طَاهِرٍ، فَهَزَمَهُ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ.

○ قَتْل بَاغِر التُّرْكِيِّ

فِي سنة (٢٥١هـ) اجْتَمَعَ رَأْيُ الْمُسْتَعِينِ وَبُغَا الصَّغِيرِ وَوَصِيفٍ عَلَى قَتْلِ بَاغِرَ التُّرْكِيِّ، وَكَانَ مِنَ الْقُوَّادِ الْكِبَارِ **الَّذِينَ بَاشَرُوا قَتْلَ الْمُتَوَكِّلِ**، وَقَدِ اتَّسَعَ إِقْطَاعُهُ، وَكَثُرَتْ أَعْمَالُهُ، فَقُتِلَ وَنُهِبَتْ دَارُ كَاتِبِهِ دُلَيْلِ بْنِ يَعْقُوبَ النَّصْرَانِيِّ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ،

(١) مدينة بطبرستان، بينها وبين بحر قزوين ثلاثة فراسخ، وبينها وبين آمل ثمانية عشر فرسخا. معجم البلدان - الفكر (٣/ ١٧٠).

فَرَكِبَ الْخَلِيفَةُ فِي حَرَّاقَةٍ مَنْ سَامَرَّا إِلَى بَغْدَادَ؛ فَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ بِسَبَبِ خُرُوجِهِ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فِي خَامِسِ الْمُحَرَّمِ، فَنَزَلَ الْخَلِيفَةُ دَارَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ.

○ فتنة القتال بين المستعين والمعتز

فِي سنة (٢٥١هـ) هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ شَنْعَاءُ بَيْنَ جُنْدِ بَغْدَادَ وَجُنْدِ سَامَرَّا، وَدَعَا أَهْلُ سَامَرَّا إِلَى بَيْعَةِ **الْمُعْتَزِّ**، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ بَغْدَادَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ، وَأُخْرِجَ الْمُعْتَزُّ وَأَخُوهُ الْمُؤَيَّدُ مِنَ السِّجْنِ فَبَايَعَ أَهْلُ سَامَرَّا الْمُعْتَزَّ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلَ بَيْتِ الْمَالِ بِهَا، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ الْمُعْتَزِّ بِسَامَرَّا.

وَأَمَرَ الْمُسْتَعِينُ محَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ أَنْ يُحَصِّنَ بَغْدَادَ، وَيَعْمَلَ فِي السُّورَيْنِ وَالْخَنْدَقِ، وَوَكَّلَ بِكُلِّ بَابٍ أَمِيرًا يَحْفَظُهُ، وَنَصَبَ عَلَى السُّورِ خَمْسَةَ مَجَانِيقَ، مِنْهَا وَاحِدٌ كَبِيرٌ جِدًّا يُقَالُ لَهُ: الْغَضْبَانُ. وَسِتَّ عَرَّادَاتٍ، وَأَعَدُّوا آلَاتِ الْحَرْبِ وَالْحِصَارِ وَالْعُدَدَ وَقُطِعَتِ الْقَنَاطِرُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ لِئَلَّا يَصِلَ الْجَيْشُ إِلَيْهِمْ.

وَكَتَبَ الْمُعْتَزُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ يَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُ فِي أَمْرِهِ، وَيُذَكِّرُهُ مَا كَانَ أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ أَبُوهُ الْمُتَوَكِّلُ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ بَعْدَ الْمُنْتَصِرِ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِحُجَجٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

وَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعْتَزِّ إِلَى **مُوسَى بْنِ بُغَا الْكَبِيرِ** وَهُوَ مُقِيمٌ بِأَطْرَافِ الشَّامِ لِحَرْبِ أَهْلِ حِمْصَ يَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَرَكِبَ مُسْرِعًا فَسَارَ إِلَى سَامَرَّا فَكَانَ مَعَ الْمُعْتَزِّ عَلَى الْمُسْتَعِينِ.

وَعَقَدَ الْمُعْتَزُّ لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى حَرْبِ الْمُسْتَعِينِ، وَجَهَّزَ مَعَهُ جَيْشًا لِذَلِكَ، فَسَارَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَغَيْرِهِمْ نَحْوَ بَغْدَادَ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ فَاجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ هُنَالِكَ.

ثُـمَّ جَـرَتْ بَيْنَهُمَا حُـرُوبٌ طَوِيلَةٌ وَفِتَنٌ مَهُولَةٌ جِـدًّا. قَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ جَرِيـرٍ مُطَوَّلَةً. (١) ثُمَّ بَعَثَ الْمُعْتَزُّ مَعَ مُوسَـى بْنِ أَشْـنَاسَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَدَدًا لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ، فَوَصَلُـوا فِي آخرِ رَبِيـعٍ الْأَوَّلِ، فَوَقَفُوا فِي الْجَانِـبِ الْغَرْبِيِّ، وَالْحَرْبُ مُسْـتَعِرَةٌ، وَالْقِتَالُ كَثِيرٌ، وَالْقَتْلُ وَاقِعٌ.

وَقَدِ اسْـتَمَرَّتِ الْفِتْنَةُ وَالْقِتَالُ بِبَغْدَادَ بَيْنَ **أَبِـي أَحْمَدَ** أَخِي الْمُعْتَزِّ **وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** بْـنِ طَاهِـرٍ نَائِبِ الْمُسْتَعِينِ، وَالْبَلَـدُ مَحْصُورٌ وَأَهْلُـهُ فِي ضِيقٍ شَـدِيدٍ جِدًّا إِلَى آخرِ السَّـنَةِ، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي وَقَعَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ، وَأَيَّامٍ نَحِسَـاتٍ؛ فَتَارَةً يَظْهَرُ أَصْحَـابُ أَبِي أَحْمَدَ، وَيَأْخُذُونَ بَعْـضَ الْأَبْوَابِ، فَتَحْمِلُ عَلَيْهِـمُ الطَّاهِرِيَّةُ فَيُزِيحُونَهُمْ عَنْهَا، وَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ خَلْقًا، ثُمَّ يَتَرَاجَعُونَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ

ثُـمَّ **شَـاعَ بَيْنَ الْعَامَّةِ** أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْـدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ يُرِيدُ أَنْ يَخْلَعَ الْمُسْـتَعِينَ وَيُبَايِعَ لِلْمُعْتَـزِّ، فَتَنَصَّلَ مِنْ ذَلِكَ، وَاعْتَذَرَ إِلَـى الْخَلِيفَةِ وَإِلَى الْعَامَّةِ، وَحَلَفَ بِالْأَيْمَانِ الْغَلِيظَةِ، فَلَمْ تَبْرَأْ سَـاحَتُهُ عِنْـدَ الْعَامَّةِ، وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ إِلَى دَارِ ابْـنِ طَاهِرٍ، وطلبوا أن يُبْرِزَ لَهُمُ الْخَلِيفَةَ لِيَرَوْهُ وَيَسْأَلُوهُ؟

وَمَـا زَالَتِ الضَّجَّةُ وَالْأَصْوَاتُ مُرْتَفِعَـةً حَتَّى بَرَزَ الْخَلِيفَةُ، ثم خاطبهم فقال: إنه غَيْرُ مُتَّهَمٍ لَدَيَّ. فَسَكَتَ الْغَوْغَاءُ وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

○ تنازل المستعين عن الخلافة

وَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَاشْـتَدَّ الْحَالُ، شَرَعَ ابْنُ طَاهِرٍ يُظْهِرُ مَا كَانَ كَامِنًا فِي نَفْسِهِ مِنْ خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ، وَقَالَ لَلخليفة: إِنَّ الْمَصْلَحَةَ تَقْتَضِي أَنْ تُصَالِحَ عَنِ الْخِلَافَةِ عَلَى مَالٍ تَأْخُذُهُ، وَلَمْ يَزَلْ به حَتَّى أَجَابَ إِلَى ذَلِكَ. فَكَتَبَ بِمَا اشْتَرَطَهُ الْمُسْتَعِينُ فِي خَلْعِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ كِتَابًا وَأَشْـهد الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ، ثُمَّ تَسَلَّمَ مِنْهُ جَوْهَرَ الْخِلَافَةِ، ثم أَرْسَلَ ابن طاهر بِالْكِتَابِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى الْمُعْتَزِّ بِسَامَرَّا، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ أَكْرَمَهُمْ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ...

(١) تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٢٩٢.

○ ظهور الكوكبي في قزوين وزنجان

فِـي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سـنة (٢٥١هـ) كَانَ ظُهُورُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْـتِ أَيْضًا بِأَرْضِ قَزْوِينَ وَزَنْجَانَ؛ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَرْقَطِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَيُعْرَفُ بِالْكَوْكَبِيِّ، وَسَيَأْتِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ هُنَاكَ.

○ خروج إسماعيل العلوي بمكة

في سـنة (٢٥١هـ) ظَهَرَ إِسْـمَاعِيلُ بْنُ يُوسُـفَ العلوي بِمَكَّةَ، فَهَرَبَ مِنْهُ نَائِبُهَا جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عِيسَـى بْنِ مُوسَى، فَانْتَهَبَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ مَنْزِلَهُ، وَمَنَازِلَ أَصْحَابِهِ، وَقَتَـلَ جَمَاعَةً مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّـةَ وَأَخَذَ مَا فِي الْكَعْبَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالطِّيبِ وَكُسْوَةَ الْكَعْبَةِ، وَأَخَذَ مِنَ النَّاسِ نَحوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ.

ثُـمَّ خَـرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَامِلُهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَـيْنِ بْنِ إِسْـمَاعِيلَ ثُمَّ رَجَعَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى مَكَّةَ فِي رَجَبٍ فَحَصَرَ أَهْلَهَا حَتَّى هَلَكُوا جُوعًا وَعَطَشًا، فَبِيعَ الْخُبْزُ ثَلَاثُ أَوَاقٍ بِدِرْهَمٍ وَاللَّحْمُ الرِّطْلُ بِأَرْبَعَةٍ، وَشَـرْبَةُ الْمَاءِ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَلَقِيَ مِنْهُ أَهْلُ مَكَّةَ كُلَّ بَلَاءٍ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُمْ إِلَى جُدَّةَ بَعْدَ مُقَامِ سَـبْعَةٍ وَخَمْسِـينَ يَوْمًا فَانْتَهَبَ أَمْوَالَ التُّجَّارِ هُنَالِكَ، وَأَخَذَ الْمَرَاكِبَ، وَقَطَعَ الْمِيرَةَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى جُلِبَتْ إِلَيْهَا مِنَ الْيَمَنِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ، لَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

فَلَمَّـا كَانَ يَـوْمُ عَرَفَةَ لَمْ يُمَكِّنِ النَّاسَ مِنَ الْوُقُوفِ نَهَـارًا وَلَا لَيْلًا، وَقَتَلَ مِنَ الْحَجِيجِ أَلْفًا وَمِائَةً، وَسَـلَبَهُمْ أَمْوَالَهُمْ، وَلَمْ يَقِفْ بِعَرَفَةَ عَامَئِذٍ سِـوَاهُ، وَمَـنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَا تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا.

وفي سـنة (٢٥٢هـ) هلك إِسْـمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ الْعَلَوِيّ هذا، وقدَ أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ مَا أَلْحَدَ فَأَهْلَكَهُ اللهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَاجِلًا وَلَمْ يُنْظِرْهُ.

خروج الحسين بن محمد العلوي

في سنة (٢٥١هـ) خَرَجَ بِالْكُوفَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمُسْتَعِينُ مُزَاحِمَ بْنَ خَاقَانَ فَاقْتَتَلَا فَهُزِمَ الْعَلَوِيُّ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَلَمَّا دَخَلَ مُزَاحِمٌ الْكُوفَةَ حَرَّقَ بِهَا أَلْفَ دَارٍ، وَنَهَبَ أَمْوَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ، وَبَاعَ بَعْضَ جِوَارِي الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

- حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٤٨هـ) مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ.
- وَحَجَّ بِالنَّاسِ (٢٤٩هـ) عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ، وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ.
- وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٠هـ) جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ أَمِيرُ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ.
- ولم يقف أحد من الحجاج بعرفة سنة (٢٥١هـ) لخروج إسماعيل بن يوسف العلوي ومنعه للناس.

(١٣)

خلافة محمد المعتز بن المتوكل جعفر بن المعتصم بالله

٢٥٢-٢٥٥

ترجمته

○ نسبه

أَبو عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِّ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَ الْمُعْتَزِّ أَحْمَدُ. وَقِيلَ: الزُّبَيْرُ. وَهُوَ الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَتَرْجَمَهُ فِي «تَارِيخِهِ»(١).

○ صفاته

كَانَ طَوِيلًا جَسِيمًا وَسِيمًا أَقْنَى الْأَنْفِ مُدَوَّرَ الْوَجْهِ حَسَنَ الضَّحِكِ أَبْيَضَ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ جَعْدَهُ كَثِيفَهُ كَثِيفَ اللِّحْيَةِ حَسَنَ الْعَيْنَيْنِ وَالْوَجْهِ ضَيِّقَ الْجَبِينِ أَحْمَرَ الْوَجْنَتَيْنِ.

وَقَدْ أَثْنَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَلَى جَوْدَةِ ذِهْنِهِ وَحُسْنِ فَهْمِهِ وَأَدَبِهِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمُتَوَكِّلِ بِسَامَرَّا.

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ: أَنَّ الْمُعْتَزَّ لَمَّا حَذَقَ الْقُرْآنَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمُتَوَكِّلِ اهْتَمَّ أَبُوهُ لِذَلِكَ وَاجْتَمَعَتِ الْأُمَرَاءُ الْكُبَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، وَاحتَفَلُوا لِذَلِكَ أَيَّامًا عَدِيدَةً وَجَرَتْ أَحْوَالٌ عَظِيمَةٌ.

○ وفاته

لما خلع المعتز من الخلافة سجن ومُنِعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حتى أَصْبَحَ **مَيِّتًا**، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٢٥٥هـ) وَصَلَّى عَلَيْهِ الْمُهْتَدِي بِاللهِ وَدُفِنَ مَعَ أَخِيهِ الْمُنْتَصِرِ، وعمره (٢٤) سَنَةً.

وَكَانَتْ **خِلَافَته** أَرْبَعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٠٧

خلافته

○ بيعته

اسْتهَلَّتْ سنة (٢٥٢هـ) وَقَدِ اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ للمعتز، حيث خَلَعَ الْمُسْتَعِينُ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ لِلْمُعْتَزِّ، ودَعَا الْخُطَبَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِجَوَامِعِ بَغْدَادَ عَلَى الْمَنَابِرِ لِلْخَلِيفَةِ الْمُعْتَزِّ بِاللهِ، وَأَخَذَ مِنَ الْمُسْتَعِينِ الْبُرْدَةَ وَالْقَضِيبَ وَالْخَاتَمَ، واستقر المستعين بمدينة واسط.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ مَدَائِحَ الشُّعَرَاءِ فِي الْمُعْتَزِّ وَتَشَفِّيَهُمْ بِخَلْعِ الْمُسْتَعِينِ، فَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا.[1] فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنُوبِ بْنِ مَرْوَانَ فِي مَدْحِ الْمُعْتَزِّ وَذَمِّ الْمُسْتَعِينِ كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الشُّعَرَاءِ:

إِنَّ الْأُمُورَ إِلَى الْمُعْتَزِّ قَدْ رَجَعَتْ ... وَالْمُسْتَعِينُ إِلَى حَالَاتِهِ رَجَعَا
وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لَيْسَ لَهُ ... وَأَنَّهُ لَكَ لَكِنْ نَفْسَهُ خَدَعَا
إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ لَا تُلَائِمُهُ ... كَانَتْ كَذَاتِ حَلِيلٍ زُوِّجَتْ مُتَعَا
مَا كَانَ أَقْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ بَيْعَتَهُ ... وَكَانَ أَحْسَنَ قَوْلَ النَّاسِ قَدْ خُلِعَا

○ خلع إبراهيم من ولاية العهد وقتله

فِي رَجَبٍ سنة (٢٥٢هـ) خَلَعَ الْمُعْتَزُّ أَخَاهُ **إِبْرَاهِيمَ الْمُلَقَّبَ بِالْمُؤَيَّدِ** مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ وَحَبَسَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ في السجن بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَأُحْضِرَ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ فَأُشْهِدُوا عَلَى مَوْتِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَى حِمَارٍ وَمَعَهُ كَفَنُهُ، فَأُرْسِلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَنَتْهُ.

(١) تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٣٥٠-٣٥٣.

○ خلع الخليفة المعتز بالله

لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ (٢٥٥هـ) خُلع الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَزُّ بِاللهِ، وكَانَ **سَبَبَ خَلْعِهِ**: أَنَّ الْجُنْـدَ اجْتَمَعُوا فَطَلَبُوا مِنْـهُ أَرْزَاقَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُعْطِيهِمْ فَسَـأَلَ مِنْ أُمِّهِ أَنْ تُقْرِضَهُ مَالًا يَدْفَعُهُمْ بِهِ فَلَمْ تُعْطِهِ.

فَاجْتَمَـعَ الْأَتْـرَاكُ عَلَـى خَلْعِـهِ، فَدَخَلَ عليه بَعْـضُ الْأُمَـرَاءِ فَتَنَاوَلُـوهُ بِالدَّبَابِيسِ يَضْرِبُونَهُ، وَأَخْرَجُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مُخَرَّقٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ فَأَقَامُوهُ فِي وَسَطِ دَارِ الْخِلَافَةِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى جَعَلَ يُرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا زَالُوا عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ حتى خلع نفسه.

وأقدمـوا من بغـداد محمد بن الواثـق، وكان المعتز قد أبعده، فسـلم المعتز إليه الخلافة، وبايعوه، ولقب بالمهتدي بالله.

قال الذهبي [١] : واسـتخلف المعتز وهو ابن عشرين سنة، أو دونها، وكانت دولة المعتز مستضعفة مع الأتراك.

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١٢/ ٥٣٢-٥٣٣ .

الأحداث في عهده

وزارة أحمد بن أبي إسرائيل

فِي أول سنة (٢٥٢هـ) اسْتَوْزَرَ الْمُعْتَزُّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي إِسْرَائِيلَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَلْبَسَهُ تَاجًا عَلَى رَأْسِهِ.

قتل المستعين بالله

فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٢٥٢هـ) كَتَبَ الْمُعْتَزُّ إِلَى نَائِبِهِ فِي بغداد مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ يَأْمُرُهُ بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ نَحْوَ الْمُسْتَعِينِ **المقيم بواسط** لقتله، فَتجَهَّزَ **أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ التُّرْكِيَّ** فَوَافَاهُ بواسط، فَأَخْرَجَهُ من منزله ثُمَّ قُتِلَ؛ فَقِيلَ: ضُرِبَ حَتَّى مَاتَ، وَقِيلَ: بَلْ غُرِّقَ فِي دُجَيْلٍ، وَقِيلَ: **بَلْ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وهو فِي السَّجْدَةِ** الْأَخِيرَةِ من صلاته. وَدفنت جُثَّتَهُ فِي مَكَانِ صَلَاتِهِ، وَعَفَّا أَثَرُهُ، وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْمُعْتَزِّ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِ.

عصيان أبي دلف بناحية همذان

فِي رَجَبٍ سنة (٢٥٣هـ) عَقَدَ الْمُعْتَزُّ لِمُوسَى بْنِ بُغَا الْكَبِيرِ عَلَى جَيْشٍ قَرِيبٍ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؛ لِيَذْهَبُوا إِلَى قِتَالِ **عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفٍ** بِنَاحِيَةِ هَمَذَانَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَهُوَ فِي نَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَهَزَمُوا عَبْدَ الْعَزِيزِ فِي أَوَاخِرِ هَذَا الشَّهْرِ هَزِيمَةً فَظِيعَةً.

ثُمَّ كَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ أُخْرَى فِي رَمَضَانَ عِنْدَ **الْكَرَجِ**[1] فَهُزِمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَيْضًا، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَأَسَرُوا ذَرَارِيَّ كَثِيرَةً حَتَّى أَسَرُوا أُمَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَبَعَثُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ سَبْعِينَ حِمْلًا مِنَ الرُّءُوسِ[2] وَأَعْلَامًا كَثِيرَةً، وَأُخِذَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الْخَلِيفَةِ.

---

(١) مدينة بين همذان وأصبهان، إلى همذان أقرب. معجم البلدان ٤/ ٢٥١.

(٢) هذا مبالغة في العدد، وهو إسراف في القتل وإجرام.

○ ظهور الخوارج بالبوازيج

فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ سنة (٢٥٣هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ هَائِلَةٌ عِنْدَ **الْبَوَازِيجِ**[(١)]؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: **مُسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ** حَكَمَ فِيهَا وَالْتَفَّ عَلَيْهِ نَحْوٌ مَنْ سَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَصَدَ لَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **بُنْدَارٌ الطَّبَرِيُّ**. فِي نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَالْتَقَوْا فِي هَذَا الْيَوْمِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ مِنَ الْخَوَارِجِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسِينَ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ بُنْدَارٍ مِائَتَانِ، وَقُتِلَ بُنْدَارٌ فِي مَنْ قُتِلَ، رَحِمَهُ اللَّهُ. ثُمَّ صَمَدَ مُسَاوِرٌ إِلَى حُلْوَانَ فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا، وَأَعَانَهُمْ حُجَّاجُ أَهْلِ خُرْسَانَ، فَقَتَلَ مُسَاوِرٌ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ إِنْسَانٍ، قَبَّحَهُ اللهُ. وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ أَيْضًا.

○ مقتل وصيف التركي

لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٢٥٣هـ) قُتِلَ وَصِيفٌ التُّرْكِيُّ على أيدي الجند من الأتراك والفراغنة والأشروسنية، وَأَرَادَتِ الْعَامَّةُ أَنْ تَنْهَبَ دَارَهُ بِسَامَرَّا وَدُورَ أَوْلَادِهِ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَزُّ مَا كَانَ إِلَيْهِ إِلَى **بُغَا الشَّرَابِيِّ**.

○ وفاة نائب العراق ببغداد

فِي لَيْلَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٢٥٣هـ) **مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ** نَائِبُ الْعِرَاقِ بِبَغْدَادَ. وَكَانَتْ عِلَّتُهُ قُرُوحًا فِي رَأْسِهِ وَحَلْقِهِ فَذَبَحَتْهُ.

وَحِينَ بَلَغَ الْمُعْتَزَّ مَا وَقَعَ بَعَثَ بِالْخِلَعِ وَالْوِلَايَةِ إِلَى أخيه عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ.

○ خروج الحسين الكوكبي بقزوين

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٥٣هـ) الْتَقَى مُوسَى بْنُ بُغَا الْكَبِيرِ هُوَ وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَوْكَبِيُّ الطَّالِبِيُّ الَّذِي خَرَجَ فِي سَنَةِ (٢٥١هـ) عِنْدَ **قَزْوِينَ** فَاقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ هُزِمَ الْكَوْكَبِيُّ، وَأَخَذَ مُوسَى بْنُ بُغَا قَزْوِينَ وَهَرَبَ الْكَوْكَبِيُّ إِلَى الدَّيْلَمِ.

(١) البوازيج: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، وهي من أعمال الموصل. معجم البلدان ١/ ٧٥٠.

○ قتل بغا الشرابي

فِي سنة (٢٥٤هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَزُّ بِقَتْلِ بُغَا الشَّرَابِيِّ وَنَصَبَ رَأْسَهُ بِسَامَرَّا ثُمَّ بِبَغْدَادَ وَحُرِّقَتْ جُثَّتُهُ وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ.

○ فساد كُتّاب الدواوين

فِي سنة (٢٥٥هـ) قبض **صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ** على أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ كَاتِبَ الْمُعْتَزِّ، وَالْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ كَاتِبَ قَبِيحَةَ أَمِّ الْمُعْتَزِّ، وَأَبَا نُوحٍ عِيسَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانُوا قَدْ تَمَالَئُوا مع كتاب **الدواوين** عَلَى أَكْلِ أَمْوَالِ بَيْتِ الْمَالِ، فَضَرَبَهُمْ وَأَخَذَ خُطُوطَهُمْ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ، وَذَلِكَ بِغَيْرِ رِضًا مِنَ الْمُعْتَزِّ فِي الْبَاطِنِ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَحَوَاصِلِهِمْ وَضِيَاعِهِمْ، وَسُمُّوا الْكُتَّابَ الْخَوَنَةَ، وَوَلَّى الْخَلِيفَةُ غَيْرَهُمْ عن غير رضًا منه.

○ توسع يعقوب بن الليث

فِي سنة (٢٥٥هـ) كَانَتْ مُحَارَبَةٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ **يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ** صاحب سجستان وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قُرَيْشِ بْنِ شِبْلٍ صاحب كرمان، فَبَعَثَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ **طَوْقَ بْنَ الْمُغَلِّسِ** إلى الليث، فَصَابَرَهُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ، ثُمَّ ظَفِرَ يَعْقُوبُ بِطَوْقٍ، فَأَسَرَهُ وَأَسَرَ وُجُوهَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَسَرَهُ أَيْضًا، وَأَخَذَ بِلَادَهُ كَرْمَانَ، فَأَضَافَهَا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ مَمْلَكَةِ سِجِسْتَانَ، ثُمَّ بَعَثَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ إِلَى الْمُعْتَزِّ بِاللهِ.

○ ولاية مصر

فِي سنة (٢٥٤هـ) وَلِيَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ وَهُوَ بَانِي الْجَامِعِ الْمَشْهُورِ بِهَا.

○ ولاية بغداد

فِي سنة (٢٥٥هـ) وَلَّى الْخَلِيفَةُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ نِيَابَةَ بَغْدَادَ وَالسَّوَادِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا.

مشاهير من توفي من الأعيان في عهده:

- **أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ الْهَادِي** ابْنُ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاظِمِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الِاثْنَيْ عَشَرَ (الإمام الحادي عشر)، وَهُوَ وَالِدُ **الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ** الْمُنْتَظَرِ عِنْدَ الْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْكَاذِبَةِ الْخَاطِئَةِ.

وَقَدْ كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا، نَقَلَهُ الْمُتَوَكِّلُ إِلَى سَامَرَّا فَأَقَامَ بِهَا أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً بِأَشْهُرٍ، وَمَاتَ بِهَا سنة (٢٥٤هـ).

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

- حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٢هـ) محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتز.
- وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٣هـ) عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الزَّيْنَبِيُّ.
- وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٤هـ) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

❁ ❁ ❁

(١٤)

خلافة المهتدي محمد بن الواثق

٢٥٥ ـ ٢٥٦

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

محمد المهتدي بن هَارُونَ الْوَاثِقِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ الرشـيد بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ. وُلِدَ فِي سَنَةِ (٢١٩هـ).

○ صفاته ومناقبه

كَانَ أَسْـمَرَ رَقِيقًا، أَجْلَى، حَسَـنَ اللِّحْيَةِ، أَشْـهَبَ، حَسَـنَ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الْبَطْنِ، عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ، قَصِيرًا، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ

قَـالَ الْخَطِيـبُ: وَكَانَ مِنْ أَحْسَـنِ الْخُلَفَاءِ مَذْهَبًـا، وَأَجْمَلِهِمْ طَرِيقَـةً، وَأَظْهَرِهِمْ وَرَعًا، وَأَكْثَرِهِمْ عِبَادَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَـرَدَ الْمُهْتَدِي الصَّوْمَ مُنْـذُ وَلِيَ إِلَى أَنْ قُتِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَكَانَ يُحِبُّ الِاقْتِدَاءَ بِمَا سَـلَكَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْـدِ الْعَزِيزِ الْأُمَوِيُّ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ مِنَ الْوَرَعِ وَالتَّقَشُّفِ وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَشِدَّةِ الِاحْتِيَاطِ.

قال الذهبـي: وكان المهتدي مليح الوجه، ورعـًا، عادلاً، صالحـًا، متعبداً، بطلاً، شـجاعـًا، قويـًا في أمر الله، خليقا للإمارة، لكنه لم يجـد معينـًا، ولا ناصراً، والوقت قابل للإدبار.[١]

○ مأساة قتل الخليفة

أراد الخليفـة الْمُهْتَـدِيَ أَنْ يُخَالِفَ بَيْنَ كَلِمَـةِ الْأَتْرَاكِ[٢]، فَكَتَبَ إِلَـى **بَايَكْبَاكَ** أَنْ يَتَسَـلَّمَ الْجَيْشَ مِنْ **مُوسَـى بْنِ بُغَا**، وَيَكُونَ هُوَ الْأَمِيرَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ يُقْبِلَ بِهِمْ إِلَى سَـامَرَّا، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ أَقْرَأَهُ **مُوسَـى بْنَ بُغَا**، فَاشْـتَدَّ غَضَبُـهُ عَلَى الْمُهْتَدِي، وَاتَّفَقَا عَلَيْهِ، وَقَصَدَا إِلَيْهِ بَلَدَ سَامَرَّا، وَتَرَكَا مَا كَانَا فِيهِ.

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ٥٣٦)
(٢) وذلك ليفك سيطرتهم على الخلافة، لكن لم تنجح خطته وانعكست عليه.

فَلَمَّـا بَلَـغَ ذَلِـكَ الْمُهْتَـدِي اسْـتَخْدَمَ مِـنْ فَـوْرِهِ جُنْـدًا مِـنَ الْمَغَارِبَـةِ وَالْفَرَاغِنَةِ وَالْأَشْرُوسَـنِيَّةِ، وَرَكِـبَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَلَمَّا سَـمِعُوا بِهِ رَجَعَ مُوسَـى بْـنُ بُغَا إِلَى طَرِيقِ خُرَاسَـانَ، وَأَظْهَرَ بَايَكْبَاكُ السَّـمْعَ وَالطَّاعَةَ، فَدَخَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ سَامِعًا مُطِيعًا، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَوْلَهُ الْأُمَرَاءُ وَالسَّـادَةُ مِنْ بَنِي هَاشِـمٍ، شَـاوَرَهُمْ فِيهِ، فأشاروا عليـه بقتله. فَأَمَرَ الْمُهْتَـدِي بِضَرْبِ عُنُقِ بَايَكْبَاكَ، ثُمَّ أَلْقَى رَأْسَـهُ إِلَـى الْأَتْرَاكِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِـكَ أَعْظَمُـوهُ وَأَصْبَحُوا مِنَ الْغَـدِ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَخِيهِ **طُغُوتْيَـا**، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَـةُ فِيمَنْ مَعَهُ، فَلَمَّا الْتَقَوْا قاتلهم، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْـوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ، وَبقي الْمُهْتَدِي بِاللهِ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْصُرُوا خَلِيفَتَكُمْ.

فَدَخَـلَ المهتدي دَارَ **أَحْمَدَ بْنِ جَمِيلٍ**، فَوَضَعَ فِيهَا سِـلَاحَهُ وَلَبِسَ الْبَيَاضَ، وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَـبَ فَيَخْتَفِـيَ، فَعَاجَلَـهُ أَحْمَدُ بْـنُ خَاقَانَ فِيهَا قَبْـلَ أَنْ يَذْهَبَ، وَرُمِيَ بِسَـهْمٍ، وَحُمِـلَ عَلَـى دَابَّةٍ، حَتَّى أدخل فِـي دَارِ أَحْمَدَ بْنِ خَاقَانَ، فَجَعَلَ مَـنْ هُنَاكَ يَصْفَعُونَهُ وَيَبْزُقُـونَ فِي وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا خَطَّهُ بِسِـتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَـلَّمُوهُ إِلَى رَجُلٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَطَـأُ خُصْيَتَيْـهِ حَتَّى مَاتَ يَـوْمَ الْخَمِيسِ لِاثْنَتَيْ عَشْـرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِـنْ رَجَبٍ، وكَانَتْ **خِلَافَتُهُ أَقَلَّ مِنْ سَـنَةٍ بِخَمْسَـةِ أَيَّامٍ**. وَصَلَّى عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُنْتَصِرِ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

كَانَتْ بَيْعَتُهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٢٥٥هـ) بَعْدَ خَلْعِ الْمُعْتَزِّ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِشْهَادِهِ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ عَاجِزٌ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ رَغِبَ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِأَعْبَائِهَا مُحَمَّدِ بْنِ الْوَاثِقِ بِاللهِ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَهُ قَبْلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْخَاصَّةُ ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ.

لما بلغ أهل بغداد قتل المعتز اجتمع العامة مع نائب بغداد سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ سنة (٢٥٥هـ) وَدَعَوْا إِلَى **بَيْعَةِ أَبِي أَحْمَدَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ** أَخِي الْمُعْتَزِّ؛ وَذَلِكَ لِعَدَمِ عِلْمِ أَهْلِ بَغْدَادَ بِمَا وَقَعَ بِسَامَرَّا مِنْ بَيْعَةِ الْمُهْتَدِي بِاللهِ ابْنِ الْوَاثِقِ، فوقعت الفتنة وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَغَرِقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

ولَمَّا بَايَعَ النَّاسُ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ لِلْمُهْتَدِي، وَبَلَغَ أَهْلَ بَغْدَادَ ذَلِكَ، سَكَنُوا وَاسْتَقَرَّتِ الْأُمُورُ وَاسْتَقَلَّ الْمُهْتَدِي بِالْخِلَافَةِ، **وَكَانَ** - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - **خَلِيفَةً صَالِحًا**.

قَالَ يَوْمًا لِلْأُمَرَاءِ: إِنِّي لَيْسَتْ لِي أُمٌّ لَهَا مِنَ الْغَلَّاتِ مَا يُقَاوِمُ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلَسْتُ أُرِيدُ إِلَّا الْقُوتَ فَقَطْ، وَلَا أُرِيدُ فَضْلًا عَلَى ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ محاسبة أهل الفساد المالي

قـد كَانَـتْ **قَبِيحة أُمّ الْمُعْتَـزِّ** مُخْتَفِيَةً عِنْدَ **صَالِـحِ بْنِ وَصِيفٍ**، ثُمَّ نَزَحَـتْ عَنْهُ، فألقي القبـض عليها فِي رَمَضَانَ سـنة (٢٥٥هـ) **وظَهَرَ عندها أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ**، وَجَوَاهِرُ نَفِيسَـةٌ؛ كَانَ مِـنْ جُمْلَـةِ ذَلِـكَ مَا يُقَارِبُ **أَلْفَـيْ أَلْفِ دِينَارٍ**، وَمِـنَ الزُّمُرُّدِ الَّذِي لَمْ يُـرَ مِثْلُهُ مِقْدَارُ مَكُّوكٍ، وَقَدْ كَانَ لَهَا مِنَ الْغَلَّاتِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا يَعْدِلُ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ

هَـذَا وَقَـدْ كَانَ الْأَتْرَاكُ قَـدْ طَلَبُوا مِنَ ابْنِهَـا الْمُعْتَزِّ خَمْسِـينَ أَلْفَ دِينَـارٍ تُصْرَفُ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَضَمِنُوا لَهُ أَنْ يَقْتُلُوا صَالِحَ بْنَ وَصِيفٍ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ ذَلِكَ شَـيْءٌ، فَطَلَبَ مِنْ أُمِّهِ قَبِيحَةَ - قَبَّحَهَا اللهُ - أَنْ تُقْرِضَهُ ذَلِكَ، فَأَظْهَرَتْ أَنَّهُ لَا شَـيْءَ عِنْدَهَا. ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ ابْنُهَا ظَهَرَ عِنْدَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا ذَكَرْنَا.

وَفِي أواخر رَمَضَانَ من هذه السـنة أَمَرَ **صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ** بِضَرْبِ **أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ** الَّـذِي كَانَ وَزِيرًا للمعتز، وَأَبِي نُوحٍ عِيسَـى بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَاتِـبَ قَبِيحَةَ فَضُرِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَـمِائَةِ سَوْطٍ بَعْدَ اسْـتِخْلَاصِ أَمْوَالِهِمَا، ثُمَّ طِيفَ بِهِمَا عَلَى بَغْلَيْنِ، مُنَكَّسَيْنِ فَمَاتَـا، وَهُمَا كَذَلِكَ، **وَلَـمْ يَكُنْ هذا عَنْ رِضَا الْمُهْتَدِي بِاللهِ**، وَلَكِنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَى صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ.

○ الفتنة بين الجند والعامة

وَفِي رَمَضَانَ سـنة (٢٥٥هـ) **وَقَعَتْ فِتْنَـةٌ بِبَغْدَادَ** بَيْنَ مُحَمَّدِ بْـنِ أَوْسٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الشَّـاكِرِيَّةِ وَالْجُنْدِ وَغَيْرِهِـمْ **وَبَيْنَ الْعَامَّةِ وَالرَّعَاعِ** فَاجْتَمَعَ مِـنَ الْعَامَّةِ نَحْوٌ مَنْ مِائَةِ أَلْفٍ، وَكَانَ بَيْـنَ النَّاسِ قِتَالٌ بِالنِّبَالِ وَالرِّمَاحِ وَالسُّـيُوفِ، وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ انْهَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسٍ وَأَصْحَابُـهُ فَنَهَبَتِ الْعَامَّةُ مَا وَجَدُوا مِنْ أَمْوَالِهِ، وَكَانَ مِنْهُ شَـيْءٌ يُعَادِلُ أَلْفَيْ أَلْفٍ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى إِخْرَاجِ **مُحَمَّدِ بْنِ أَوْسٍ** مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَيْنَمَا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا طَرِيدًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرْضِيَّ السِّيرَةِ بَلْ كَانَ **جَبَّارًا عَنِيدًا**، وَشَيْطَانًا مَرِيدًا.

❍ إصلاحات المهتدي

في سنة (٢٥٥هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُهْتَدِي بِاللهِ بِأَنْ يُنْفَى الْقِيَانُ، وَالْمُغَنُّونَ مَنْ سَامَرَّا، وَأَمَرَ بِقَتْلِ السِّبَاعِ وَالنُّمُورِ الَّتِي فِي دَارِ السُّلْطَانِ، وَالْكِلَابِ الْمُعَدَّةِ لِلصَّيْدِ أَيْضًا، وَإِبْطَالِ الْمَلَاهِي وَرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَأَنْ يُؤْمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَجَلَسَ لِلْعَامَّةِ.

وكَانَتْ وِلَايَتُهُ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَغَيْرِهَا مُفْتَرِقَةٌ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ الْمُهْتَدِي **مُوسَى بْنَ بُغَا الْكَبِيرِ** إِلَى حَضْرَتِهِ؛ لِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ؛ لِتَجْتَمِعَ كَلِمَةُ الْخِلَافَةِ وَاعْتَذَرَ مِنَ اسْتِدْعَائِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْجِهَادِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ.

❍ فتنة صاحب الزنج

خَرَجَ فِي سَنَةِ (٢٤٩هـ) **بِالْبَحْرَيْنِ** رجل ادَّعَى أَنَّهُ **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ** بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَدَعَا النَّاسَ **بِهَجَرَ** إِلَى طَاعَتِهِ، فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَوَقَعَ بِسَبَبِهِ قِتَالٌ كَثِيرٌ وَفِتَنٌ كِبَارٌ وَحُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَمُنْتَشِرَةٌ[1].

وفِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٢٥٥هـ) ظَهَرَ **بِظَاهِرِ الْبَصْرَةِ** زَعَمَ أَنَّهُ **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى** بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَلَمْ يَكُنْ صَادِقًا فِي دَعْوَاهُ هَذَا النَّسَبَ، وَإِنَّمَا كَانَ عَبْقَسِيًّا -مَنْ عَبْدِ الْقَيْسِ- **وَاسْمُهُ**: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، وَأُمُّهُ: **قُرَّةُ** بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ رَحِيبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، **وَأَصْلُهُ** مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الرَّيِّ. قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[2].

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الرسل والملوك٩/ ٤١٠.

وَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ **الْعَلَوِيَّةُ** الَّذِينَ كَانُوا بِالْبَصْرَةِ انْتَسَبَ حِينَئِذٍ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ بِالْإِجْمَاعِ؛ لِأَنَّ يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ لَمْ يُعْقِبْ إِلَّا بِنْتًا مَاتَتْ، وَهِيَ تَرْضَعُ، فَقَبَّحَ اللهُ هَذَا اللَّعِينَ، مَا أَكْذَبَهُ وَأَفْجَرَهُ وَأَغْدَرَهُ!

وفِي خَرْجَته هذه بالبصرة الْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الزَّنْجِ، فَعَبَرَ بِهِمْ دِجْلَةَ فَنَزَلَ الدِّينَارِيَّ(١)، وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ حَفِظَ سُوَرًا مِنَ الْقُرْآنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ جَرَى بِهَا لِسَانُهُ لَا يَحْفَظُهَا غَيْرُهُ فِي مُدَّةٍ؛ وَهُنَّ «سُبْحَانَ» وَالْكَهْفُ «وَص».

وَأَنَّهُ فَكَّرَ يَوْمًا وَهُوَ فِي الْبَادِيَةِ إِلَى أَيِّ الْبِلَادِ يَصِيرُ، فَخُوطِبَ مِنْ سَحَابَةٍ أَنْ يَقْصِدَ الْبَصْرَةَ فَقَصَدَهَا، وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا وَجَدَ أَهْلَهَا مُفْتَرِقِينَ عَلَى شُعْبَتَيْنِ. فَطَمِعَ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِ إِحْدَاهُمَا فَيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْأُخْرَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، فَارْتَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، وَانْتَسَبَ بِهَا إِلَى **مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ**، وَكَانَ يَزْعُمُ بِهَا أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ أَصْحَابِهِ، وَأَنَّ اللهَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ فَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ جَهَلَةٌ مِنَ الطَّغَامِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى أَرْضِ الْبَصْرَةِ فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٢٥٥هـ) فَاجْتَمَعَ مَعَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ عُدَدٌ يُقَاتِلُونَ بِهَا فَأَتَاهُمْ جَيْشٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ، فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَاقْتَتَلُوا جَمِيعًا، وَمَعَ هَذَا هَزَمَ أَصْحَابُ هَذَا الْخَارِجِيِّ ذَلِكَ الْجَيْشَ.

ثُمَّ مَضَى نَحْوَ الْبَصْرَةِ بِمَنْ مَعَهُ، فَأَهْدَى لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ **جُبًّا**(٢) فَرَسًا، ثُمَّ صَادَرَ رَجُلًا فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ دِينَارًا وَأَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَالٍ أخذه مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَخَذَ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَمْتِعَةِ، فَسَارَ فِي جَيْشِهِ قَلِيلُ سِلَاحٍ وَخُيُولٍ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُيُوشٍ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ الْبَصْرَةِ وَقْعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَهْزِمُهُمْ فِيهَا، وَكُلُّ مَا لِأَمْرِهِ يَقْوَى وَيَتَزَايَدُ أَصْحَابُهُ، وَيَعْظُمُ جَيْشُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَعَرَّضُ لِأَمْوَالِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَخْذَ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ.

(١) اسم موضع جهة البصرة

(٢) جبى: بالضم ثم التشديد والقصر بلد أو كورة من عمل خوزستان، معجم البلدان ٢/ ٩٧.

وَقَدِ انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْحُرُوبِ هَزِيمَةً فَظِيعَةً، ثُمَّ تَرَاجَعُوا إِلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ، ثُمَّ كَرُّوا إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرُوا آخَرِينَ، فَكَانَ لَا يُؤْتَى بِأَحَدٍ مِنَ الْأَسْرَى إِلَّا قَتَلَهُ، ثُمَّ قَوِيَ أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَخَافَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ.

وَبعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَى البصرة مَدَدًا يَكُونُونَ لَهُمْ عَلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ الخارجي.

واستمر مُحَاصِرا لِلْبَصْرَةِ كامل سنة (٢٥٦هـ)، وَالْجُيُوشُ فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَقْهَرُهَا، وَيَغْنَمُ مَا يَفِدُ إِلَيْهِمْ فِي الْمَرَاكِبِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِهَا، وَاسْتَحْوَذَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى **الْأُبُلَّةِ وَعَبَّادَانَ** وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبِلَادِ، وَخَافَ مِنْهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ خَوْفًا شَدِيدًا، وَكُلُّ مَا لِأَمْرِهِ يَقْوَى، وَلِجُيُوشِهِ تَكْثُرُ، وَلِعَدَدِهِ يَتَزَايدُ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ إِلَى انْسِلَاخِ هذه السنة.

وفِي سنة (٢٥٧هـ) **تَوَاقَعَ سَعِيدُ بن صالح الْحَاجِبُ** مع **صاحب الزَّنْجِ** فِي أَرَاضِي الْبَصْرَةِ فَهَزَمَهُ سَعِيدُ الْحَاجِبُ، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ يَدِهِ خَلْقًا مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، وَاسْتَرْجَعَ مِنْهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَذَلَّ الزَّنْجَ غَايَةَ الْإِهَانَةِ وَالْمَذَلَّةِ. ثُمَّ إِنَّ الزَّنْجَ بَيَّتُوا سَعِيدًا وَجَيْشَهُ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَيُقَالُ: إِنَّ سَعِيدَ بْنَ صَالِحٍ قُتِلَ أَيْضًا. ثُمَّ الْتَقَى مَعَ مَنْصُورِ بْنِ جَعْفَرٍ الْخَيَّاطِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَهَزَمَهُمْ صَاحِبُ الزَّنْجِ.

وَفِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٢٥٧هـ) **دَخَلَ جَيْشُ صاحب الزنج إِلَى الْبَصْرَةِ** قَهْرًا، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَهَرَبَ نَائِبُهَا بُغْرَاجُ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَحْرَقَتِ الزِّنْجُ جَامِعَ الْبَصْرَةِ وَدُورًا كَثِيرَةً وَانْتَهَبُوهَا، ثُمَّ نَادَى فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ أَحَدُ أَصْحَابِ الْخَارِجِيِّ: مَنْ أَرَادَ الْأَمَانَ فَلْيَحْضُرْ. فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَرَأَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ فُرْصَةً فَغَدَرَ بِهِمْ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا **الشَّاذُّ**.

وكَانَتِ الزِّنْجُ تُحِيطُ بِالْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كِيلُوا - وَهِيَ الْإِشَارَةُ بَيْنَهُمْ إِذَا أَرَادُوا قَتْلَ أَحَدٍ - فَيَحْمِلُونَ عَلَيْهِمْ بِالسُّيُوفِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا تَشَهُّدَ أُولَئِكَ وَضَجِيجَهُمْ عِنْدَ الْقَتْلِ.

وَهَكَـذَا كُلُّ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَـالِّ الْبَصْرَةِ فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ، وَهَرَبَ النَّـاسُ مِنْهُمْ كُلَّ مَهْرَبٍ، وَحَرَقُوا الْكَلَأَ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْجَبَلِ، فَحَرَقَتِ النَّارُ مَا وَجَدَتْ مِنْ شَـيْءٍ؛ مِنْ إِنْسَـانٍ أَوْ بَهِيمَةٍ أَوْ أَثَاثٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَحْرَقُوا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ أَيْضًا.

وَقَـدْ قُتِلَ فِـي هَؤُلَاءِ جَمَاعَـةٌ كَثِيرَةٌ مِـنَ الْأَعْيَـانِ وَالْأُدَبَـاءِ وَالْفُضَـلَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْعُلَمَاءِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَانَ هَذَا الْخَبِيثُ **قَدْ أَوْقَعَ بِأَهْلِ فَارِسَ وَقْعَةً عَظِيمَةً**.

وَفِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٥٧هـ) وَجَّهَ الْخَلِيفَةُ مِنْ سَامَرَّا جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ الْأَمِيرِ **مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِالْمُوَلَّدِ** لِقِتَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، فَقَبَضَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى **سَـعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَاهِلِيِّ** الَّذِي كَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى أَرْضِ الْبَطَائِحِ وَأَخَافَ السُّبُلَ فأرسـل إلى السُّـلْطَانِ بسامرا، فَضُرِبَ سَبْعَمِائَةِ سَوْطٍ **حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ صُلِبَ**.

وفِي يَوْمِ الاثنين لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٢٥٨هـ) **عَقَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللهِ لِأَخِيـهِ أَبِي أَحْمَدَ، وَمُفْلِحٍ**، على حرب صاحب البصرة الزنجي، وَرَكِبَا نَحْوَ الْبَصْرَةِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فِي عَدَدٍ وَعُدَدٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَـدِيدًا، فَقُتِلَ مُفْلِحٌ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي صَدْرِهِ، فَأَصْبَحَ مَيِّتًا، وَحُمِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى سَامَرَّا وَدُفِنَ بِهَا.

وَقد أُسِـرَ **يَحْيَى بْـنُ مُحَمَّدٍ الْبَحْرَانِيُّ**؛ أَحَدُ أُمَرَاءِ صَاحِبِ الزَّنْـجِ الْكِبَارِ، وَحُمِلَ إِلَى سَـامَرَّا، فَضُرِبَ بَيْنَ يَدِي الْمُعْتَمِدِ مِائَتَيْ سَـوْطٍ، ثُمَّ قُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مِنْ خِلَافٍ، ثُمَّ ذُبِحَ ثُمَّ أُحْرِقَ.

وَلَمَّـا بَلَـغَ خَبَرُهُ صَاحِبَ الزَّنْجِ أَسِـفَ عَلَى ذَلِـكَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ خُوطِبْـتُ فِيهِ، فَقِيلَ لِي: قَتْلُهُ كَانَ خَيْرًا لَكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِهًا يُخْفِي مِنَ الْمَغَانِمِ خِيَارَهَا. وَقَدْ كَانَ هَذَا اللَّعِينُ صَاحِـبَ الزَّنْجِ، يَقُـولُ لِأَصْحَابِهِ: لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ النُّبُوَّةُ فَخِفْـتُ أَنْ لَا أَقُومَ بِأَعْبَائِهَا، فَلَمْ أَقْبَلْهَا.

وَفِي أَوَاخِرِ رَجَبٍ سنة (٢٥٨هـ) **كَانَتْ بَيْنَ أَبِي أَحْمَدَ وَبَيْنَ الزَّنْجِ وَقْعَةٌ هَائِلَةٌ**، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ اسْتَوْخَمَ أَبُو أَحْمَدَ مَنْزِلَهُ، فَتَحَيَّزَ إِلَى وَاسِطَ فَنَزَلَهَا فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ، **فَوَقَعَتْ هُنَاكَ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ** وَهَدَّةٌ عَظِيمَةٌ، تَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ دُورٌ كَثِيرَةٌ، وَمَاتَ مِنَ النَّاسِ نَحْوٌ مَنْ عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَلِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة **(٢٥٩هـ)** تَوَجَّهَ **مُوسَى بْنُ بُغَا الْكَبِيرُ** مِنْ سَامَرَّا لِحَرْبِ صاحب الزنج.

كما خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُفْلِحٍ إِلَى بِلَادِ الْأَهْوَازِ نَائِبًا عَلَيْهَا؛ وَلِيَكُونَ عَوْنًا لِمُوسَى بْنِ بُغَا عَلَى حَرْبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ الْخَبِيثِ، **فَهَزَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُفْلِحٍ جَيْشًا لِلْخَبِيثِ، وَقَتَلَ مِنَ الزَّنْجِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ طَائِفَةً مِنْهُمْ**، وَأَرْعَبَهُمْ إِرْعَابًا بَلِيغًا بِحَيْثُ لَمْ يَتَجَاسَرُوا عَلَى **مواقفته** مَرَّةً ثَانِيَةً، وَقَدْ حَرَّضَهُمُ الْخَبِيثُ كُلَّ التَّحْرِيضِ فَلَمْ يَنْجَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ.

ثُمَّ تَوَاقَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُفْلِحٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيُّ، وَهُوَ مُقَدَّمُ جُيُوشِ صَاحِبِ الزَّنْجِ فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ يَطُولُ شَرْحُهَا، ثُمَّ كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الزَّنْجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَرَجَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ إِلَى الْخَبِيثِ مَفْلُولًا مَقْهُورًا مَذْمُومًا.

وَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُفْلِحٍ بِالْأُسَارَى إِلَى سَامَرَّا، فَبَادَرَ إِلَيْهِمُ الْعَامَّةُ فَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ، وَسَلَبُوهُمْ.

وفي سنة (٢٦١هـ) سَارَ أَبُو السَّاجِ لِحَرْبِ الزَّنْجِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَكَسَرَتْهُمُ الزَّنْجُ وَدَخَلُوا الْأَهْوَازَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَحَرَّقُوا مَنَازِلَهُمْ. ثُمَّ صُرِفَ أَبُو السَّاجِ عَنْ نِيَابَةِ الْأَهْوَازِ وَحَرْبِ الزَّنْجِ، وَوَلِيَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سِيمَا.

كما تَجَهَّزَ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ فِي جَيْشٍ لِقِتَالِ الزَّنْجِ أَيْضًا.

في سنة (٢٦٥هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ ابْنِ لَيْثَوَيْهِ عَامِلِ أَبِي أَحْمَدَ **عَلَى جُنْبُلَاءَ**(١) وَبَيْنَ

(١) جنبلاء: بضمتين وثانيه ساكن وهو ممدود، بليدة بين واسط والكوفة. معجم البلدان – الفكر (٢/ ١٦٨).

سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ مِنْ جِهَةِ الْخَبِيثِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، ظَفِرَ فِيهَا ابْنُ لَيْثَوَيْهِ بِابْنِ جَامِعٍ، فَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَصَابَ مِنْهُمْ سَبْعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا، وَحَرَّقَ لَهُ مَرَاكِبَ كَثِيرَةً، وَغَنِمَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي سنة (٢٦٥هـ) دَخَلَ **صَاحِبُ الزَّنْجِ إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ** [١] فَقَتَلَ وَحَرَّقَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى جَرْجَرَايَا [٢] فَانْزَعَجَ النَّاسُ، وَدَخَلَ أَهْلُ السَّوَادِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَجَئُوا إِلَيْهَا مَحْصُورِينَ.

وَفِي سنة (٢٦٥هـ) حَاصَرَتِ الزَّنْجُ تُسْتَرَ حَتَّى كَادُوا يَفْتَحُونَهَا، فَوَافَاهُمْ **تِكِينُ الْبُخَارِيُّ**، فَلَمْ يَضَعْ ثِيَابَ سَفَرِهِ حَتَّى نَاجَزَ الزَّنْجَ فَهَزَمَهُمْ هَزِيمَةً فَظِيعَةً مُنْكَرَةً جِدًّا، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَهَرَبَ أَمِيرُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيُّ مَغْلُولًا مَدْحُورًا مَخْذُولًا، وَهَذِهِ الوَقْعَةُ تسمى بَابِ كُودَكَ.

ثُمَّ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيَّ أَخَذَ فِي مُكَاتَبَةِ تِكِينَ وَاسْتِمَالَتِهِ إِلَيْهِ، وَإِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ فَشَرَعَ تِكِينُ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى ذَلِكَ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ مَسْرُورًا الْبَلْخِيَّ، فَسَارَ نَحْوَهُ وَأَظْهَرَ لَهُ الْأَمَانَ حَتَّى أَخَذَهُ وَقَيَّدَهُ وَتَفَرَّقَ جَيْشُهُ عَنْهُ؛ فَفِرْقَةٌ صَارَتْ إِلَى الزَّنْجِ، وَفِرْقَةٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْكُرْدِيِّ، وَفِرْقَةٌ انْضَافَتْ إِلَى مَسْرُورٍ الْبَلْخِيِّ بَعْدَ إِعْطَائِهِ إِيَّاهُمُ الْأَمَانَ.

فِي سنة (٢٦٦هـ) **سَارَ أَغْرَتْمِشُ** لِقِتَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيِّ **بِتُسْتَرَ**، فلما التقيا اقْتَتَلَا قِتَالًا شَدِيدًا فِي مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ، وَكَانَ آخِرُهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبَانٍ الْمُهَلَّبِيِّ، قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِ أَغْرَتْمِشَ، وَأَسَرَ بَعْضَهُمْ فَقَتَلَهُمْ، وَبَعَثَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْخَبِيثِ صَاحِبِ الزَّنْجِ فَنَصَبَ رُءُوسَهُمْ عَلَى سُورِ مَدِينَتِهِ، قَبَّحَهُ اللهُ.

وفِي سنة (٢٦٦هـ) استولى أَصْحَابُ صَاحِبِ الزَّنْجِ على **رَامَهُرْمُزَ** فَافْتَتَحُوهَا بَعْدَ قِتَالٍ طَوِيلٍ.

---

(١) بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة نهر دجلة. معجم البلدان ٤/ ٧٩٦.

(٢) بلدة من اعمال النهروان بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. معجم البلدان ٢/ ٥٤.

فِي سنة (٢٦٧هـ) وَجَّهَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ وَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ فِي نَحْوٍ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَأَكْمَلِ تَجَمُّلٍ لِقِتَالِ الزَّنْجِ، فَسَارُوا نَحْوَهُمْ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ وَالنِّزَالِ فِي أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ وَوَقَعَاتٍ مَشْهُورَاتٍ

وَحَاصِلُ ذَلِكَ أَنَّهُ آلَ الْحَالُ، وَانْتَهَى الْحَرْبُ وَالنِّزَالُ إِلَى أَنِ اسْتَحْوَذَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُوَفَّقِ عَلَى مَا كَانَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الزَّنْجُ بِبِلَادِ وَاسِطَ، وَأَرَاضِي دِجْلَةَ، هَذَا **وَهُوَ شَابٌّ حَدَثٌ** لَا خِبْرَةَ لَهُ بِالْحَرْبِ، وَلَكِنْ سَلَّمَهُ اللهُ وَغَنَّمَهُ، وَسَدَّدَ رَمْيَتَهُ، وَهَذَا الشَّابُّ هُوَ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمُعْتَمِدُ، وهو الملَقَّبُ بِالْمُعْتَضِدِ.

ثُمَّ رَكِبَ **أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ** مِنْ بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ شهر صَفَرٍ فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، فَدَخَلَ وَاسِطَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا، فَتَلَقَّاهُ ابْنُهُ وَأَخْبَرَهُ عَنِ الْجُيُوشِ الَّذِينَ مَعَهُ، وَمَا تَحَمَّلُوا مِنْ أَعْبَاءِ الْجِهَادِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأُمَرَاءِ كُلِّهِمْ خِلَعًا سَنِيَّةً.

ثُمَّ سَارَ بِجَمِيعِ الْجُيُوشِ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا، **وَسَمَّاهَا الْمَنِيعَةَ**، فَقَاتَلُوا دُونَهَا قِتَالًا عَظِيمًا فَقَهَرَهُمْ، وَدَخَلَهَا عَنْوَةً وَهَرَبُوا مِنْهَا، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ جَيْشًا فَلَحِقُوهُمْ **إِلَى الْبَطَائِحِ**، يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ.

وَغَنِمَ أَبُو أَحْمَدَ مِنَ الْمَنِيعَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاسْتَنْقَذَ مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ خَمْسَةَ آلَافِ امْرَأَةٍ، وَأَمَرَ بِإِرْسَالِهِنَّ إِلَى أَهَالِيهِنَّ بِوَاسِطَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَدْمِ سُورِ الْبَلَدِ وَطَمِّ خَنْدَقِهَا وَجَعَلَهَا بَلْقَعًا بَعْدَمَا كَانَتْ لِلْبَشَرِ مَجْمَعًا، وَعَادَتْ يَبَابًا بَعْدَ كَوْنِهَا لِلْخَبِيثِ جَنَابًا.

ثُمَّ سَارَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: **الْمَنْصُورَةُ** مِنْ إِنْشَاءِ الزَّنْجِ أَيْضًا، وَبِهَا سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ، فَحَاصَرَهَا وَقَاتَلُوهُ دُونَهَا فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَرَمَى أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُوَفَّقِ، **أَحْمَدَ بْنَ مَهْدِيٍّ** مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَاءِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، بِسَهْمٍ فَأَصَابَهُ فِي دِمَاغِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُحَاصِرِينَ مَدِينَةَ الزَّنْجِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَالْجُيُوشُ الْمُوَفَّقِيَّةُ مُرَتَّبَةٌ أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ، فَتَقَدَّمَ الْمُوَفَّقُ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَابْتَهَلَ إِلَى اللهِ فِي الدُّعَاءِ،

وَاجْتَهَدَ فِي حِصَارِهَا، فَهَزَمَ اللهُ مُقَاتِلَتَهَا، وَانْتَهَى إِلَى خَنْدَقِهَا؛ **فَإِذَا هُوَ قَدْ حُصِّنَ غَايَةَ التَّحْصِينِ**، وَإِذَا هُمْ قَدْ جَعَلُوا حَوْلَ الْبَلَدِ خَمْسَةَ خَنَادِقَ وَخَمْسَةَ أَسْوَارٍ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاوَزَ سُورًا، قَاتَلُوهُ دُونَ الْآخَرِ فَيَقْهَرُهُمْ وَيَجُوزُهُ إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَلَدِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ، وَأَسَرَ مِنْ نِسَاءِ الزَّنْجِ، وَمِنْ حَلَائِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ جَامِعٍ وَذَوِيهِ نِسَاءً كَثِيرَةً وَصِبْيَانًا، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ وَالصِّبْيَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَوَاسِطَ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَهَالِيهِمْ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

ثُمَّ أَمَرَ بِهَدْمِ خَنَادِقِهَا وَأَسْوَارِهَا وَرَدْمِ خَنَادِقِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَبَعَثَ فِي آثَارِ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الزَّنْجِ، فَكَانَ لَا يُؤْتَى بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا اسْتَمَالَهُ إِلَى الْخَيْرِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَصَفْحٍ، وَأَضَافَهُ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ، وَكَانَ مَقْصُودُهُ رُجُوعَهُمْ إِلَى الْحَقِّ.

ثُمَّ رَكِبَ إِلَى **الْأَهْوَازِ** فَأَجْلَاهُمْ عَنْهَا، وَطَرَدَهُمْ مِنْهَا، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ؛ مِنْهُمْ أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَصْرِيُّ، وَكَانَ رَئِيسًا فِيهِمْ مُطَاعًا، وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَكَتَبَ الْمُوَفَّقُ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ - قَبَّحَهُ اللهُ - كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ مِمَّا ارْتَكَبَهُ مِنَ **الْمَظَالِمِ وَالْمَحَارِمِ وَدَعْوَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَخَرَابِ الْبُلْدَانِ وَاسْتِحْلَالِ الْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ**، يَبْذُلُ لَهُ الْأَمَانَ إِنْ هُوَ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الزَّنْجِ جَوَابًا.

فَرَكِبَ أبو أحمد فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ، قَرِيبٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، قَاصِدًا إِلَى مَدِينَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا وَسَمَّاهَا **الْمُخْتَارَةَ**، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا وَجَدَهَا فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ، وَقَدْ حَوَّطَ عَلَيْهَا مِنْ آلَاتِ الْحِصَارِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَدِ الْتَفَّ عَلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ نَحْوٌ مَنْ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ بِسَيْفٍ وَرُمْحٍ وَمِقْلَاعٍ، وَمَنْ يُكَثِّرُ سَوَادُهُمْ، فَقَدَّمَ الْمُوَفَّقُ وَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَقَدَّمَ حَتَّى وَقَفَ تَحْتَ قَصْرِ الْمَلِكِ فَحَاصَرَهُ مُحَاصَرَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا.

وَتَعَجَّبَ الزَّنْجُ مِنْ إِقْدَامِهِ وَجُرْأَتِهِ، فَتَرَاكَمَتِ الزُّنُوجُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ أَكْبَرَ أُمَرَائِهِ بِالسِّهَامِ وَالْحِجَارَةِ، ثُمَّ خَامَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَأَجْنَادِهِ إِلَى الْمُوَفَّقِ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ خِلَعًا سَنِيَّةً، فَرَغِبَ إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ فَصَارُوا إِلَيْهِ.

ثُمَّ رَكِبَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ فِي يَوْمِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَنَادَى فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِالْأَمَانِ إِلَّا صَاحِبَ الزَّنْجِ فَتَحَوَّلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ جَيْشِهِ إِلَى أَبِي أَحْمَدَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَابْتَنَى الْمُوَفَّقُ تِجَاهَ مَدِينَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ مَدِينَةً سَمَّاهَا **الْمُوَفَّقِيَّةَ**، وَأَمَرَ بِحَمْلِ الْأَمْتِعَةِ وَالتِّجَارَاتِ إِلَيْهَا، فَاجْتَمَعَ بِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْأَشْيَاءِ وَصُنُوفِهَا مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي بَلَدٍ قَبْلَهَا، وَعَظُمَ شَأْنُهَا، وَامْتَلَأَتْ مِنَ الْمَعَايِشِ وَالْأَرْزَاقِ وَصُنُوفِ التِّجَارَاتِ وَالسُّكَّانِ وَالدَّوَابِّ وَغَيْرِهِمْ.

وَإِنَّمَا بَنَاهَا لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى قِتَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ، وَمَا زَالَتِ الْحَرْبُ نَاشِبَةً بَيْنَهُمْ حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ مُحَاصِرُونَ الْبَلَدَ وَمَنْ فِيهِ، وَقَدْ تَحَوَّلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَصَارُوا عَلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعَهُ، فَبَلَغَ عَدَدُهُمْ قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْأُمَرَاءِ الْخَوَاصِّ وَالْأَجْنَادِ، وَالْمُوَفَّقُ وَأَصْحَابُهُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - كُلَّ مَا لَهُمْ فِي زِيَادَةٍ وَقُوَّةٍ وَنَصْرٍ وَظَفَرٍ.

وَفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٢٦٨هـ) اسْتَأْمَنَ جَعْفَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّجَّانِ - وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَاءِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَثِقَاتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ - الْمُوَفَّقَ فَأَمَّنَهُ وَفَرِحَ بِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ فَرَكِبَ فِي سُمَيْرِيَّةٍ فَوَقَفَ تُجَاهَ قَصْرِ الْمَلِكِ، فَنَادَى فِي النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ بِكَذِبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَفُجُورِهِ، وَأَنَّهُ فِي غُرُورٍ هُوَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ، فَاسْتَأْمَنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ بِشْرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَبَرَدَ قِتَالُ الزَّنْجِ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى رَبِيعٍ الْآخِرِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ بِمُحَاصَرَةِ السُّورِ، وَأَمَرَهُمْ إِذَا نَقَبُوا السُّورَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا الْبَلَدَ حَتَّى يَأْمُرَهُمْ، فَنَقَبُوا السُّورَ حَتَّى انْثَلَمَ ثُمَّ عَجَّلُوا الدُّخُولَ فَدَخَلُوا، فَقَاتَلَهُمُ

الزَّنْجُ فهزَمهُمُ الْمُسْـلِمُونَ، وَتقدَّمُوا إِلَى وَسَـطِ الْمَدِينَةِ، فَجاءَتْهُمُ الزَّنْجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَخَرَجَـتْ عَلَيْهِمُ الْكَمَائِنُ مِنْ أَمَاكِنَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْـلِمِينَ خَلْقًا كَثِيرًا وَاسْتَلَبُوهُمْ، وَفَرَّ الْبَاقُونَ.

فَلَامَهُـمْ أَبُو أَحْمَدَ عَلَـى مُخَالَفَتِهِ مِنَ الْعَجَلَـةِ، وَأَجْرَى الْأَرْزَاقَ عَلَـى ذُرِّيَّةِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، فَحَسُنَ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ جِدًّا.

وَظَفِـرَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الْمُوَفَّـقِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ، كَانُوا يَجْلِبُونَ الطَّعَامَ إِلَـى الزَّنْجِ فَقَتَلَهُمْ، وَظَفِرَ بِبَهْبُوذَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّـابِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْفَتْحِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْظَمِ الرَّزَايَا عِنْدَ الزَّنْجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفي سـنة (٢٦٩هـ) اجْتَهَدَ الْمُوَفَّقُ فِي تَخْرِيبِ سُورِ مَدِينَةِ صَاحِبِ الزَّنْجِ فَخَرَّبَ مِنْهُ شَـيْئًا كَثِيـرًا، وَتَمَكَّنَ الْجُيُوشُ مِـنَ الْعُبُورِ إِلَى الْبَلَـدِ، وَلَكِنْ جَاءَهُ فِي أَثْنَـاءِ هَذِهِ الْحَالَةِ سَـهْمٌ فِـي صَدْرِهِ مِنْ يَدِ رَجُـلٍ رُومِيٍّ يُقَالُ لَـهُ: قِرْطَاسٌ. فَكَادَ يَقْتُلُـهُ، فَاضْطَرَبَ الْحَالُ لِذَلِـكَ وَهُوَ يَتَجَلَّـدُ وَيَحُضُّ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ ذَلِـكَ. وَأَقَامَ بِبَلَدِهِ الْمُوَفَّقِيَّـةِ أَيَّامًا يَتَدَاوَى، وَاضْطَرَبَتِ الْأَحْوَالُ، وَخَافَ النَّاسُ جِدًّا مِنْ صَاحِبِ الزَّنْجِ.

وَأَشَـارُوا عَلَى الْمُوَفَّقِ بِالْمَسِـيرِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَـمْ يَقْبَلْ، وَقَوِيَتْ عِلَّتُهُ ثُـمَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالْعَافِيَةِ فِي شَـعْبَانَ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، فَنَهَضَ مُسْرِعًا إِلَى الْحِصَارِ، فَوَجَدَ الْخَبِيثَ قَدْ رَمَّمَ كَثِيرًا **مِمَّا كَانَ الْمُوَفَّقُ قَدْ خَرَّبَهُ وَهَدَمَهُ.**

فَأَمَرَ بِتَخْرِيبِهِ وَمَا حَوْلَهُ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ، ثُمَّ لَازَمَ الْحِصَارَ، وَمَا انْفَكَّ حَتَّى فَتَحَ الْمَدِينَةَ الْغَرْبِيَّةَ، وَخَرَّبَ قُصُورَ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَدُورَ أُمَرَائِهِ، وَاسْـتَلَبَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَـيْئًا كَثِيرًا، وَغَنِـمَ مَـا لَا يُحَـدُّ وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةً، وَأَسَـرَ خَلْقًا مِنْ نِسَـاءِ الزَّنْجِ، وَاسْـتَنْقَذَ مِنْ نِسَـاءِ الْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَأَمَرَ بِرَدِّهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ مُكَرَّمِينَ.

وَقَدْ تَحَوَّلَ صَاحِبُ الزَّنْجِ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ وَعَمِلَ الْجُسُورَ وَالْقَنَاطِرَ الْحَائِلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وُصُولِ السُّمَيْرِيَّاتِ (الزوارق) إِلَيْهِ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ بِتَخْرِيبِهَا وَقَطْعِ الْجُسُورِ، وَاسْتَمَرَّ

الْحِصَارُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَمَا بَرِحَ حَتَّى تَسَلَّمَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَفَرَّ الْخَبِيثُ هَارِبًا وَتَرَكَ حَلَائِلَهُ وَأَوْلَادَهُ وَحَوَاصِلَهُ، فَأَخَذَهَا الْمُوَفَّقُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وفي سنة (٢٧٠هـ) عَادَ الْمُوَفَّقُ إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وَقَدِمَ عَلَيْهِ **لُؤْلُؤَةُ غُلَامُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ** مُنَابِذًا لِسَيِّدِهِ سَمِيعًا مُطِيعًا لِلْمُوَفَّقِ، فَأَكْرَمَهُ، وَبَعَثَهُ طَلِيعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ لِقِتَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، وَرَكِبَ الْمُوَفَّقُ فِي الْجُيُوشِ الْكَثِيفَةِ وَرَاءَهُ، فَقَصَدُوا الْخَبِيثَ، **وَقَدْ تَحَصَّنَ بِبَلْدَةٍ أُخْرَى،**

فَلَمْ يَزَلْ مُحَاصِرًا لَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْهَا ذَلِيلًا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَغَانِمِ، ثُمَّ بَعَثَ السَّرَايَا وَالْجُيُوشَ وَرَاءَهُ، فَأَسَرُوا عَامَّةَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَحُمَاتِهِ؛ مِنْهُمْ **سُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ**، فَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِأَسْرِهِ، وَحَمَلَ الْمُوَفَّقُ حَمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى أَصْحَابِ الْخَبِيثِ، فَاسْتَحَرَّ فِيهِمُ الْقَتْلُ، وَمَا انْجَلَتِ الْحَرْبُ حَتَّى جَاءَ الْبَشِيرُ بِقَتْلِ الْخَبِيثِ صَاحِبِ الزَّنْجِ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَأُوتِيَ بِرَأْسِهِ مَعَ **غُلَامِ لُؤْلُؤَةَ.**

فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمُوَفَّقُ أَنَّهُ رَأْسُهُ، خَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ، ثُمَّ انْكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى الْمُوَفَّقِيَّةِ، وَرَأْسُ الْخَبِيثِ تُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسُلَيْمَانُ مَعَهُ أَسِيرٌ، فَدَخَلَ الْبَلَدَ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.

ثُمَّ جِيءَ بِأَنْكَلَايَ وَلَدِ صَاحِبِ الزَّنْجِ وَأَبَانِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُهَلَّبِيِّ، مُسَعِّرِ حَرْبِهِمْ، مَأْسُورَيْنِ، وَمَعَهُمَا قَرِيبٌ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ أَسِيرٍ، فَتَمَّ السُّرُورُ، وَاسْتَأْمَنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ جُيُوشِ الزَّنْجِ فَأَمَّنَهُمُ الْمُوَفَّقُ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ، وَأَنْ يَرْجِعَ كُلُّ مَنْ كَانَ أُخْرِجَ مِنْ دِيَارِهِ بِسَبَبِ فِتْنَةِ الزَّنْجِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ.

ثُمَّ قَدَّمَ وَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَمَعَهُ رَأْسُ الْخَبِيثِ يُحْمَلُ لِيَرَاهُ أَهْلُ بَغْدَادَ فَدَخَلَهَا لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٢٧٠هـ)، وَانْتَهَتْ أَيَّامُ صَاحِبِ الزَّنْجِ الْمُدَّعِي الْكَذَّابِ،

وَقَدْ كَانَ أول ظُهُورُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ شَـهْرِ **رَمَضَانَ سـنة (٢٥٥هـ)**، وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ

وَقَدْ قِيلَ فِي انْقِضَاءِ دَوْلَةِ الزَّنْجِ وَمَا كَانَ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ **أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ**؛ مِنْ ذَلِك قَوْلُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسْلَمِيِّ:

أَقُـولُ وَقَـدْ جَـاءَ الْبَشِـيرُ بِـوَقْعِةٍ ... أَعَـزَّتْ مِـنَ الْإِسْـلَامِ مَا كَانَ وَاهِيًا
جَزَى اللهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا ... أُبِيحَ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
تَفَـرَّدَ - إِذْ لَـمْ يَنْصُـرِ اللهُ نَـاصِرٌ ... بِتَجْدِيدِ دِيـنٍ كَـانَ أَصْبَـحَ بَالِيَا
وَتَجْدِيدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عِزِّهِ ... وَأَخْـذٍ بِثَـارَاتٍ تُبِيرُ الْأَعَـادِيَا
وَيَشْفِي صُدُورَ الْمُسْلِمِينَ بِوَقْعَةٍ ... يُقِرُّ بِهَا مِنَّا الْعُيُونَ الْبَوَاكِيَا

○ الصراع بين قادة الأتراك

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الاثنين الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٢٥٦هـ) قَدِمَ **مُوسَى بْنُ بُغَا الْكَبِيرِ** إِلَى سَامَرَّا، بطلب من الخليفة المهتدي، فَدَخَلَهَا فِي جَيْشٍ هَائِلٍ، فَقَصَدَ دَارَ الْخِلَافَةِ، وفِيهَا الْمُهْتَدِي **جَالِسٌ لِلْعَامَّةِ، لِكَشْفِ الْمَظَالِم**، وَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَتَأخر الْإِذْنُ سَاعَة، فَظَنُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّمَا طَلَبَهُمْ خَدِيعَةً مِنْهُ، لِيُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ صَالِحَ بْنَ وَصِيفٍ، فهجموا عليه فَجَعَلُوا يُرَاطِنُونَهُمْ بِالتُّرْكِيِّ، حتى أَقَامُوا الخليفة مِنْ مَجْلِسِهِ، وَانْتَهَبُوا مَا كَانَ فِيهِ، ثُمَّ أَخَذُوهُ مُهَانًا إِلَى دَارٍ أُخْرَى، **فَجَعَلَ يَقُولُ لِمُوسَى بْنِ بُغَا: مَا لَكَ وَيْحَكَ؟!**

إِنِّي إِنَّمَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِأَتَقَوَّى بكَ عَلَى **صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ** فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، احْلِفْ لِي أَنَّكَ لَا تُرِيدُ بِي خِلَافَ مَا أَظْهَرْتَ، فَحَلَفَ لَهُ الْخَلِيفَةُ، فَطَابَتْ أَنْفُسُهُمْ وَبَايَعُوهُ بَيْعَةً ثَانِيَةً، وَأَخَذُوا عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يُمَالِئَ صَالِحًا عَلَيْهِمْ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى **صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ** لِيَحْضُرَهُمْ لِلْمُنَاظَرَةِ فِي أَمْرِ الْمُعْتَزِّ، وَمَنْ قَتَلَهُ، فَوَعَدَهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ اجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ اخْتَفَى صالح بن وصيف مِنْ لَيْلَتِهِ.

ولَمَّا أَبْطَأَ خَبَرُه عَلَى مُوسَى بْنِ بُغَا وَأَصْحَابِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: **اخْلَعُوا هَذَا الرَّجُلَ** يَعْنِي الْخَلِيفَةَ. **فَقَالَ بَعْضُهُمْ**: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا صَوَّامًا قَوَّامًا لَا يَشْرَبُ النَّبِيذَ وَلَا يَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَلَا يُطَاوِعُكُمُ النَّاسُ عَلَيْهِ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ، وَاسْتَدْعَى بِمُوسَى بْنِ بُغَا وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: قَدْ بَلَغَنِي مَا تَمَالَأْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِي، وَإِنِّي وَاللهِ مَا خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا وَأَنَا مُتَحَنِّطٌ وَقَدْ أَوْصَيْتُ إِلَى أَخِي بِوَلَدِي وَهَذَا سَيْفِي وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّ بِهِ مَا اسْتَمْسَكَ قَائِمُهُ بِيَدِي، وَاللهِ لَئِنْ سَقَطَ مِنْ شِعْرِي شَعْرَةٌ لَيَهْلِكَنَّ أَوْ لَيَذْهَبَنَّ بِهَا أَكْثَرُكُمْ...

أَمَا دِينٌ؟ أَمَا حَيَاءٌ؟ أَمَا رِعَةٌ؟! كَمْ يَكُونُ هَذَا الْخِلَافُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَالْإِقْدَامُ وَالْجُرْأَةُ عَلَى اللهِ؟! وَاذْهَبُوا فَانْظُرُوا فِي مَنْزِلِي وَفِي مَنَازِلِ إِخْوَتِي وَمَنْ يَتَّصِلُ بِي، هَلْ فِيهَا مِنْ آلَاتِ الْخِلَافَةِ أَوْ فُرُشِهَا شَيْءٌ غَيْرَ مَا يَكُونُ فِي بُيُوتِ آحَادِ النَّاسِ، **وَيَقُولُونَ: إِنِّي أَعْلَمُ عِلْمَ صَالِحٍ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ؟** فَاذْهَبُوا فَاعْلَمُوا عِلْمَهُ، فَابْلُغُوا شِفَاءَ نُفُوسِكُمْ فِيهِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَعْلَمُ عِلْمَهُ. **قَالُوا: فَاحْلِفْ لَنَا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ:**

أَمَّا الْيَمِينُ فَإِنِّي أَبْذُلُهَا لَكُمْ، وَلَكِنِّي أُؤَخِّرُهَا لَكُمْ حَتَّى تَكُونَ بِحَضْرَةِ الْهَاشِمِيِّينَ، وَالْقُضَاةِ وَالْمُعَدَّلِينَ، وَأَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ فِي غَدٍ إِذَا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ. قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ لَانُوا لِذَلِكَ قَلِيلًا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ ظَفِرُوا **بِصَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ** فَقُتِلَ وَجِيءَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمُهْتَدِي بِاللهِ، وَقَدِ انْفَتَلَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ وَارُوهُ، ثُمَّ أَخَذَ فِي تَسْبِيحِهِ وَذِكْرِهِ. وقد اضطرب الْأَمْرُ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ **حتى خلع** المهتدي.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٥هـ) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١ - **الْجَاحِظُ الْمُتَكَلِّمُ الْمُعْتَزِلِيُّ**، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْفِرْقَةُ الْجَاحِظِيَّةُ مِنْهُمْ، وَهُوَ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ مَحْبُوبٍ الْكِنَانِيُّ اللَّيْثِيُّ الْبَصْرِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالْجَاحِظِ؛ لِجُحُوظِ عَيْنَيْهِ، وَكَانَ شَنِيعَ الْمَنْظَرِ، سَيِّئَ الْمَخْبَرِ، رَدِيءَ الِاعْتِقَادِ، يُنْسَبُ إِلَى الْبِدْعَةِ.

وَكَانَ بَارِعًا فَاضِلًا، قَدْ أَتْقَنَ عُلُومًا كَثِيرَةً، وَصَنَّفَ كُتُبًا جَمَّةً تَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ ذِهْنِهِ وَجَوْدَةِ تَصَرُّفِهِ. وَمِنْ أَجَلِّ كُتُبِهِ كِتَابُ الْحَيَوَانِ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ، وتوفي سنة (٢٥٥هـ).

٢ - **عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ**، صَاحِبُ الْمُسْنَدِ الْمَشْهُورِ، وَقَدْ سَمِعْنَاهُ بِعُلُوٍّ، وتوفي سنة (٢٥٥هـ).

٣ - **مُحَمَّدُ بْنُ كَرَّامٍ** - بِفَتْحِ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ - بْنِ عِرَاقِ بْنِ حُزَابَةَ بْنِ الْبَرَاءِ السِّجِسْتَانِيُّ، الْعَابِدُ الْمُتَكَلِّمُ الَّذِي **تُنْسَبُ إِلَيْهِ الْفِرْقَةُ الْكَرَّامِيَّةُ**.

وَذَكَرَ الْحَاكِمُ:[١] أَنَّهُ حُبِسَ فِي حَبْسِ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَلَمَّا أَطْلَقَهُ ذَهَبَ إِلَى ثُغُورِ الشَّامِ ثُمَّ عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ فَحَبَسَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَطَالَ حَبْسُهُ، وَكَانَ يَتَأَهَّبُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَيَأْتِي إِلَى السَّجَّانِ فَيَقُولُ: دَعْنِي أَخْرُجْ إِلَى الْجُمُعَةِ. فَيَمْنَعُهُ السَّجَّانُ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَنْعَ مِنْ غَيْرِي.

وَقَالَ غَيْرُهُ[٢]: أَقَامَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْوَعْظِ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ يَقُولُ: **إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ**.

فَتَرَكَهُ أَهْلُهَا وَنَفَاهُ مُتَوَلِّيهَا إِلَى غَوْرِ زُغَرَ، فَمَاتَ بِهَا، وَنُقِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي صَفَرٍ سنة (٢٥٥هـ).

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٨٨. وقال عنه: الضال المجسم، شيخ الكراميين.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٨٨.

(١٥)

خلافة المعتمد أحمد ابن المتوكل

٢٥٦-٢٧٩

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

أحمد المعتمد بن جَعْفَرُ المتوكل ابْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ فِتْيَانَ.

وفاته

توفي في رجب سنة (٢٧٩)، وَكَانَ سَبَبَ هَلَاكِهِ فِي مَا ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ، أَنَّهُ شَرِبَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ شَرَابًا كَثِيرًا وَتَعَشَّى عَشَاءً كَثِيرًا، وَحِينَ مَاتَ أَحْضَرَ الْمُعْتَضِدُ الْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانَ وَأَشْهَدَهُمْ أَنَّهُ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ، ثُمَّ غُسِّلَ وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ثُمَّ حُمِلَ فَدُفِنَ بِسَامَرَّا.

واسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ فِي الْخِلَافَةِ **ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ** سَنَةً وَسِتَّةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ.

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاث عَشْـرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَـنَةِ (٢٥٦هـ) فِي دَارِ الْأَمِيـرِ يَارْجُـوخَ، وَذَلِكَ قَبْلَ خَلعِ الْمُهْتَدِي بِأَيَّامٍ، ثُمَّ كَانَـتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ يَوْمَ الاثنين لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ.

وَلَـمْ يَكُنْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ شَـيْءٌ، وَإِنَّمَـا كَانَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِيمَا يَتَعَلَّـقُ بِتَدْبِيرِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمُوَفَّقِ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ طَلَبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

أَلَـيْسَ مِـنَ الْـعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي ... يَــرَى مَـا قَــلَّ مُـمْـتَـنِـعًـا عَـلَـيْـهِ
وَتُـؤْخَـذُ بِـاسْـمِـهِ الـدُّنْـيَـا جَمِيعًا ... وَمَـا مِــنْ ذَاكَ شَــيْءٌ فِـي يَـدَيْـهِ
إِلَــيْـهِ تُـحْـمَـلُ الْأَمْــوَالُ طُـرًّا ... وَيُـمْـنَـعُ بَـعْـضَ مَـا يُـجْـبَـى إِلَـيْـهِ

وَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَـةٍ انْتَقَلَ مِنْ سَـامَرَّا إِلَى بَغْدَادَ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَـا أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ، بَلْ جَعَلُوا دَارَ إِقَامَتِهِمْ بِبَغْدَادَ.

○ ولاية العهد وتقسيم البلاد

لِاثْنَتَيْ عَشْـرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَـوَّالٍ مِنْ سـنة (٢٦١هـ) **وَلَّى الْمُعْتَمِـدُ عَلَى اللهِ وَلَدَهُ جَعْفَرًا الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ، وَسَـمَّاهُ الْمُفَوِّضَ إِلَى اللهِ**، وَوَلَّاهُ الْمَغْرِبَ وَضَمَّ إِلَيْهِ مُوسَـى بْنَ بُغَا، وَوَلَّاهُ إِفْرِيقِيَّةَ، وَمِصْرَ، وَالشَّـامَ، وَالْجَزِيرَةَ، وَالْمَوْصِلَ وَأَرْمِينِيَّةَ، وَطَرِيقَ خُرَاسَـانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَجَعَـلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ **إِلَى أَبِي أَحْمَدَ ابْـنِ الْمُتَوَكِّلِ، وَلَقَّبَهُ الْمُوَفَّقَ بِاللهِ**، وَوَلَّاهُ الْمَشْـرِقَ وَضَمَّ إِلَيْهِ مَسْـرُورًا الْبَلْخِيَّ، وَوَلَّاهُ بَغْدَادَ وَالسَّـوَادَ، وَالْكُوفَـةَ، وَطَرِيقَ مَكَّةَ

وَالْمَدِينَةَ، وَالْيَمَنَ، وَكَسْكَرَ، وَكُورَ دِجْلَةَ، وَالْأَهْوَازَ، وَفَارِسَ، وَأَصْبَهَانَ، وَقُمَّ، وَالْكَرْخَ، وَالدِّينَوَرَ، وَالرَّيَّ، وَزَنْجَانَ، وَالسِّنْدَ.

وَكَتَبَ بِذَلِكَ مُكَاتَبَاتٍ وَقُرِئَتْ فِي الْآفَاقِ، **وَعُلِّقَتْ مِنْهَا نُسْخَةٌ** بِالْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ.

○ تقديم أبو العباس في ولاية العهد

في الْمُحَرَّم سنة (٢٧٩هـ) **خُلِعَ جَعْفَرٌ** ابن المعتمد مِنَ ولاية الْعَهْدِ، **وَاسْتَقَلَّ** بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ **أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الْمُوَفَّقِ**، وَلُقِّبَ **بِالْمُعْتَضِدِ**، وَجُعِلَ إِلَيْهِ السَّلْطَنَةُ كَمَا كَانَ أَبُوهُ، وَخَطَبَ بِذَلِكَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ يُهَنِّئُ الْمُعْتَضِدَ:

لِيَهْنِكَ عَقْدٌ أَنْتَ فِيهِ الْمُقَدَّمُ ... حَبَاكَ بِهِ رَبٌّ بِفَضْلِكَ أَعْلَمُ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَصْبَحْتَ وَالِيَ عَهْدِنَا ... فَأَنْتَ غَدًا فِينَا الْإِمَامُ الْمُعَظَّمُ

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث وولاية الحج

○ خروج علي بن زيد الطالبي بالكوفة

في سنة (٢٥٦هـ) خَرَجَ بِالْكُوفَةِ **عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ الطَّالِبِيُّ**، وَجَاءَهُ جَيْشٌ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ فَكَسَرَهُ الطَّالِبِيُّ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ بِالْكُوفَةِ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُ.

○ خروج الحسن بن زيد الطالبي بالري

فِي رَمَضَانَ سنة (٢٥٦هـ) تَغَلَّبَ **الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الطَّالِبِيُّ** عَلَى بِلَادِ الرَّيِّ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُوسَى بْنُ بُغَا فِي شَوَّالٍ مِنْ عِنْدِ الْمُعْتَمِدِ، وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ لِتَوْدِيعِهِ.

○ الفتنة بين الجعفرية والعلوية

فِي سنة (٢٦٦هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِالْمَدِينَةِ النبوية وَنَوَاحِيهَا بَيْنَ الْجَعْفَرِيَّةِ وَالْعَلَوِيَّةِ، وكان **سبب ذلك**: أن القيم بأمر المدينة ووادي القرى **إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري**، قد ولّى وادي القرى عاملاً من قبله، فقتلوا عامله، وقتلوا أخوين لإسحاق، فخرج إسحاق إلى وادي القرى، فمرض به ومات.

فقام بأمر المدينة أخوه **موسى بن محمد** الجعفري، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر، فارضاه، ثم خرج عليه **أحمد بن اسماعيل ابن الحسن بن زيد، فقتل موسى** بن محمد الجعفري، وغلب على المدينة فضبطها، وقد كان غلا بها السعر، فوجه إلى الجار [١]، وضمن للتجار أموالهم، ورفع الجباية، فرخص السعر، وسكنت المدينة.[٢]

○ انتهاب الأعراب كسوة الكعبة

فِي سنة (٢٦٦هـ) وَثَبَتِ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى كِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَانْتَهَبُوهَا، وَصَارَ بَعْضُهَا إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ، **وَأَصَابَ الْحَجِيجَ مِنْهُمْ شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ** وَبَلَاءٌ شَدِيدٌ.

---

(١) الجار: بتخفيف الراء، مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) بينها وبين المدينة يوم وليلة، وهي فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند، ولها منبر، وهي آهلة. معجم البلدان.٢/ ٩٣

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٣)

○ فتنة العلوية بالحرمين

في سنة (٢٧١هـ) دَخلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ **مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ** ابْنَا الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، **فَقَتَلَا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا، وَأَخَذَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَتَعَطَّلَتِ الصَّلَوَاتُ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ** أَرْبَعَ جُمَعٍ، لَمْ يَحْضُرِ النَّاسُ فِيهَا جُمْعَةً وَلَا جَمَاعَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

كما جَرَتْ بِمَكَّةَ فِتْنَةٌ أُخْرَى، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وفي سنة (٢٧٢هـ) صَلُحَ أَمْرُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ استرداد الري من العلوي

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٢٧٢هـ) **سَارَ** نَائِبُ قَزْوِينَ وَهُوَ **أَذْكُوتِكِينُ** فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ إِلَى **مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الْعَلَوِيِّ** صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ بَعْدَ أَخِيهِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ بِالرِّيِّ، فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الدَّيْلَمِ وَغَيْرِهِمْ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فَهَزَمَهُ أَذْكُوتِكِينُ، وَغَنِمَ مَا فِي مُعَسْكَرِهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سِتَّةَ آلَافٍ، وَدَخَلَ الرَّيَّ فَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مِائَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَفَرَّقَ عُمَّالَهُ فِي نَوَاحِي الرَّيِّ.

○ الاستيلاء على بلاد فارس

في سنة (٢٥٦هـ) وَثَبَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصِلٍ التَّمِيمِيُّ عَلَى نَائِبِ فَارِسَ الْحَارِثِ بْنِ سِيمَا الشَّرَابِيِّ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى **بِلَادِ فَارِسَ**.

وَفِي سنة (٢٥٨هـ) رَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاصِلٍ إِلَى طَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَحَمَلَ خَرَاجَ فَارِسَ وَتَمَهَّدَتِ الْأُمُورُ هُنَاكَ، وَاسْتَقَلَّتْ عَلَى السَّدَادِ.

○ تغلب ابن واصل على جيش الخليفة

في سنة (٢٦١هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ ابْنِ وَاصِلٍ الَّذِي تَغَلَّبَ عَلَى فَارِسَ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُفْلِحٍ، فَكَسَرَهُ ابْنُ وَاصِلٍ وَأَسَرَهُ، وَقَتَلَ طَاشْتُمُرَ، وَاصْطَلَمَ الْجَيْشَ

الَّذِي كَانَ مَعَهُمَا، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ وَاصِلٍ إِلَى وَاسِطَ يُرِيدُ حَرْبَ مُوسَى بْنِ بُغَا، فَرَجَعَ مُوسَى بْنُ بُغَا إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ، وَسَأَلَ أَنْ يُعْفَى مِنْ نِيَابَةِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ لِمَا رَأَى مِنْ كَثْرَةِ الْمُتَغَلِّبِينَ بِهَا، فَعُزِلَ عَنْهَا، وَوَلِيَ ذَلِكَ أَبُو أَحْمَدَ أَخُو الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ.

○ هجوم يعقوب بن الليث على واسط

فِي سنة (٢٦٢هـ) قَدِمَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ فِي جَحَافِلَ فَدَخَلَ وَاسِطَ قَهْرًا، فَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ بِنَفْسِهِ مِنْ سَامَرَّا لِقِتَالِهِ، فَتَوَسَّطَ بَيْنَ بَغْدَادَ وَوَاسِطَ، فَانْتَدَبَ لَهُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ بِاللهِ أَخُو الْخَلِيفَةِ، فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ عَلَى مَيْمَنَتِهِ مُوسَى بْنُ بُغَا، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ مَسْرُورٌ الْبَلْخِيُّ، فَاقْتَتَلُوا فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَيَّامًا قِتَالًا عَظِيمًا هَائِلًا، ثُمَّ كَانَتِ الْغَلَبَةُ عَلَى يَعْقُوبَ وَأَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ **عِيدِ الشَّعَانِينَ**[1]. فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرُونَ، وَغَنِمَ مِنْهُمْ أَبُو أَحْمَدَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمِسْكِ وَالدَّوَابِّ.

○ تغلب أساتكين على الري

فِي صَفَرٍ سنة (٢٦٦هـ) تَغَلَّبَ أَسَاتِكِينُ[2] عَلَى بَلَدِ الرِّيِّ وَأَخْرَجَ عَامِلَهَا مِنْهَا، ثُمَّ مَضَى إِلَى قَزْوِينَ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا فَدَخَلَهَا وَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى الرِّيِّ فَمَانَعَهُ أَهْلُهَا عَنِ الدُّخُولِ إِلَيْهَا فَقَاتَلَهُمْ وَدَخَلَهَا قَهْرًا.

○ إقطاع يعقوب بن الليث بلخ وكرمان وماحولهما

فِي سنة (٢٥٧هـ) وَلَّى الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللهِ يَعْقُوبَ بْنِ اللَّيْثِ بَلْخَ وَطَخَارِسْتَانَ وَمَا يَلِي ذَلِكَ مِنْ كَرْمَانَ وَسَجِسْتَانَ وَالسِّنْدِ وَغَيْرِهَا.

---

(١) (الشعانين) عيد مسيحي يَقع يَوْم الْأَحَد السَّابِق لعيد الفصح يحتفل فِيهِ بذكرى دُخُول السَّيِّد الْمَسِيح بَيت الْمُقَدّس. المعجم الوسيط (١/ ٤٨٥)

(٢) كان قد اسْتَعْمَلَه المعتمد عَلَى الْمَوْصِلِ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ قُوَّادِ الْأَتْرَاكِ. الكامل في التاريخ (٦/ ٣١٦).

❍ إقطاع أبي أحمد بن المتوكل العراق والحرمين

فِي صَفَرٍ سنة (٢٥٧هـ) عَقَدَ الْمُعْتَمِدُ لِأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ عَلَى **الْكُوفَةِ وَطَرِيقِ مَكَّةَ وَالْحَرَمَيْنِ وَالْيَمَنِ**، وَأَضَافَ إِلَيْهِ فِي رَمَضَانَ نِيَابَةَ بَغْدَادَ وَالسَّوَادِ وَوَاسِطَ وَكُورِ دِجْلَةَ وَالْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ وَفَارِسَ، وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَسْتَنِيبَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

❍ ولاية نصر الساماني ما وراء نهر بلخ

في سنة (٢٦١هـ) وَلَّى الْخَلِيفَةُ نَصْرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدٍ السَّامَانِيَّ مَا وَرَاءَ نَهْرِ بَلْخ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا.

❍ ولاية ابن أبي الساج على الحرمين

فِي سنة (٢٦٦هـ) ولى الخليفة ابْن أَبِي السَّاجِ على الحرمين، فدخل مكة يوم التروية، فَقَاتَلَهُ المستولي عليها الْمَخْزُومِيُّ، فَقَهَرَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ وَحَرَّقَ دَارَهُ وَاسْتَبَاحَ مَالَهُ.

❍ عزل ابن الليث عن ولاية خراسان

فِي سنة (٢٧١هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ **عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ** عَنْ وِلَايَةِ خُرَاسَانَ وَأَمَرَ بِلَعْنِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَفَوَّضَ أَمْرَ خُرَاسَانَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ، وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ فَهُزِمَ عَمْرٌو.

❍ تولية عمرو بن الليث شرطة بغداد

فِي الْمُحَرَّم سنة (٢٧٦هـ) أُعِيدَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ إِلَى شُرْطَةِ بَغْدَادَ وَكُتِبَ اسْمُهُ عَلَى الْفُرُشِ وَالْمَقَاعِدِ وَالسُّتُورِ، ثُمَّ أُسْقِطَ اسْمُهُ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا، وَعُزِلَ عَنْ ذَلِكَ وَوَلِيَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ.

❍ ولاية أذربيجان

فِي سنة (٢٧٦هـ) وَلَّى الْمُوَفَّقُ ابْنَ أَبِي السَّاجِ نِيَابَةَ أَذْرَبِيجَانَ.

○ ولاية المظالم

فِي سـنة (٢٧٧هـ) وَلِيَ الْمَظَالِمَ بِبَغْدَادَ يُوسُـفُ بْنُ يَعْقُوب، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ: مَنْ كَانَـتْ لَهُ مَظْلَمَـةٌ وَلَوْ عِنْدَ الْأَمِيرِ النَّاصِرِ لِدِيـنِ اللهِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّـقِ، أَوْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فَلْيَحْضُرْ.

وَسَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةً حَسَنَةً، وَأَظْهَرَ صَرَامَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا.

○ هجوم ملك الروم على ملطية

فِـي سـنة (٢٥٩هـ) تَدَنَّى مَلِكُ الـرُّومِ - لَعَنَهُ اللهُ - إِلَى بِلَادِ سُمَيْسَـاطَ ثُمَّ إِلَى مَلَطْيَةَ فَقَاتَلَـهُ أَهْلُهَـا فَهَزَمُوهُ، وَقَتَلُوا بِطْرِيـقَ الْبَطَارِقَةِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ خَاسِـئًا وَهُوَ حَسِيرٌ.

وفي سنة (٢٦٠هـ) أَخَذَتِ الرُّومُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِصْنَ لُؤْلُؤَةَ.

وفي سنة (٢٦٣هـ) سَلَّمَتِ الصَّقَالِبَةُ **حِصْنَ لُؤْلُؤَةَ** إِلَى طَاغِيَةِ الرُّومِ لَعَنَهُ اللهُ.

○ عدوان الروم على ديار ربيعة

فِي سنة (٢٦٦هـ) أَغَارَتْ سَرِيَّةٌ مِنَ الرُّومِ عَلَى نَاحِيَةِ دِيَارِ رَبِيعَةَ فَقَتَلُوا وَسَبَوْا وَمَثَّلُوا وَأَخَـذُوا نَحْـوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِـينَ أَسِـيرًا، فَنَفَرَ إِلَيْهِـمْ أَهْلُ نَصِيبِينَ وَأَهْـلُ الْمَوْصِلِ فَهَرَبَتْ مِنْهُمُ الرُّومُ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ لَعَنَهُمُ اللهُ، ثم أعادوا الكرة في آخر السنة.

○ حرب الروم في صقلية

فِي سـنة (٢٦٦هـ) الْتَقَى أُسْـطُولُ الْمُسْلِمِينَ وَأُسْـطُولُ الرُّومِ بِبِلَادِ صِقِلِّيَّةَ فَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ حصار الروم لأهل ملطية

فِي سـنة (٢٦٨هــ) خَرَجَ مَلِكُ الرُّومِ الْمَعْـرُوفُ بِابْنِ الصَّقْلَبِيَّةِ فَحَاصَـرَ أَهْلَ مَلَطْيَةَ فَأَعَانَهُمْ أَهْلُ مَرْعَشَ فَفَرَّ الْخَبِيثُ خَاسِئًا.

❍ غزو الصائفة

فِي سـنة (٢٦٨هـ) غَزَا الصَّائِفَةَ مِـنْ نَاحِيَةِ الثُّغُورِ عَامِلُ ابْنِ طُولُـونَ فَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

❍ هجوم الروم على طرسوس

فِي سنة (٢٧٠هـ) أَقْبَلَتِ الرُّومُ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ طَرَسُوسَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُسْـلِمُونَ فَبَيَّتُوهُـمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى الصَّبَاحِ نَحْوًا مِنْ سَـبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَـةِ، وَقُتِلَ الْمُقَدَّمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِطْرِيقُ الْبَطَارِقَةِ، وَجُرِحَ أَكْثَرُ الْبَاقِينَ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً عَظِيمَةً من الذهب والحلي والدواب.

❍ غزو نَائِبُ طَرَسُوس بلاد الروم

في سـنة (٢٧٤هـ) وَفِيهَا غَزَا يَازْمَانُ الْخَادِمُ - نَائِبُ طَرَسُـوسَ - بِلَادَ الرُّومِ، فَأَوْغَلَ فِيهَا فَقَتَلَ وَغَنِمَ وَسَلِمَ.

❍ معاقبة من يسب السلف

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَـبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٢٥٨هـ)، أُخِذَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الْعَامَّةِ بِسَامَرَّا ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَسُبُّ السَّلَفَ، فَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ حَتَّى مَاتَ.

❍ منع القصاص وكتب الفلسفة

في سنة (٢٧٩هـ) نُودِيَ بِبَغْدَادَ أَنْ لَا يُمَكَّنَ أَحَدٌ مِنَ الْقُصَّاصِ وَالطُّرُقِيَّةِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَمَنْ أَشْـبَهَهُمْ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْمَسَـاجِدِ، وَلَا فِي الطُّرُقَاتِ، وَأَنْ لَا تُبَاعَ كُتُبُ الْكَلَامِ، وَالْفَلْسَفَةِ وَالْجَدَلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِهِمَّةِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدِ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ.

❍ حوادث وفتن شتى

- فِي سـنة (٢٥٨هـ) وَقَعَ فِي النَّاسِ **وَبَاءٌ شَـدِيدٌ** بِبَغْدَادَ، وَسَامَرَّا، وَوَاسِطَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ. وَحَصَلَ لِلنَّاسِ بِبَغْدَادَ دَاءٌ يُقَالُ لَهُ: الْقُفَاعُ. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

⊙ وفِي سنة (٢٥٩هـ) دَخَلَ يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ إِلَى نَيْسَابُورَ **فَظَفِرَ بِالْخَارِجِيِّ** الَّذِي كَانَ بِهَرَاةَ يَنْتَحِلُ الْخِلَافَةَ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَقَتَلَهُ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ عَلَى رُمْحٍ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَقَالِيمِ.

⊙ وفِي سنة (٢٦٠هـ) وَقَعَ **غَلَاءٌ** عَظِيمٌ بِبِلَادِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا حَتَّى جلَى أَكْثَرَ أَهْلِ الْبُلْدَانِ مِنْهَا يَنْتَجِعُونَ غَيْرَهَا، وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنَ الْمُجَاوِرِينَ وَمَنْ يُشْبِهُهُمْ، حَتَّى ارْتَحَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَخَرَجَ نَائِبُ مَكَّةَ مِنْهَا، وَبَلَغَ كُرُّ الشَّعِيرِ بِبَغْدَادَ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ شُهُورًا.

⊙ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:[1] وَفِي سنة (٢٦٢هـ) وَقَعَ بَيْنَ الْحَنَّاطِينَ وَالْجَزَّارِينَ **بِمَكَّةَ خِلَاف**، فَاقْتَتَلُوا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ أَوْ قَبْلَهُ بِيَوْمٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، وَخَافَ النَّاسُ أَنْ يَفُوتَهُمُ الْحَجُّ بِسَبَبِهِمْ، ثُمَّ تَوَادَعُوا إِلَى مَا بَعْدَ الْحَجِّ.

⊙ وفِي سنة (٢٦٣هـ) فِيهَا جَرَتْ **حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ** مُنْتَشِرَةٌ فِي بُلْدَانٍ شَتَّى؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الزَّنْجِ، قَبَّحَهُمُ اللهُ، حَصَرَهُمْ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ فَقَتَلَ الْمَوْجُودِينَ عِنْدَهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⊙ وَفِيهَا تَغَلَّبَ **أَخُو شَرْكَبَ الْجَمَّالِ** عَلَى نَيْسَابُورَ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا عَامِلَهَا الْحُسَيْنَ بْنَ طَاهِرٍ، وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِهَا ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ مُصَادَرَةً، قَبَّحَهُ اللهُ.

⊙ وفِي سنة (٢٧٢هـ) وَقَعَ **خلاف بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ** بْنِ الْمُوَفَّقِ وَبَيْنَ **صَاحِبِ ثَغْرِ** طَرَسُوسَ - وَهُوَ يَازْمَانُ الْخَادِمُ - فَثَارَ أَهْلُ طَرَسُوسَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُمْ، فَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ.

⊙ وفِي سنة (٢٧٢هـ) دَخَلَ **حَمْدَانُ** بْنُ حَمْدُونَ **وَهَارُونُ الشَّارِي الخارجي** مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ وَصَلَّى بِهِمُ الشَّارِي فِي جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ.

(١) تاريخ الرسل والأمم ٩/ ٥٢٦.

⊙ وَفِي سنة (٢٧٦هـ) قَصَدَهم مرة أخرى في الموصل، فَنَزَلَ شَرْقِيَّ دِجْلَتِهَا، فَحَاصَرَهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ أَهْلِهَا فَاسْتَأْمَنُوهُ فَأَمَّنَهُمْ، وَرَجَعَ عَنْهُمْ.

⊙ وفي سنة (٢٧٩هـ) وَقَعَتْ حُرُوبٌ بَيْنَ **هَارُونَ الشَّارِي** وَبَيْنَ **بَنِي شَيْبَانَ** فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ وَقَدْ بَسَطَ ذَلِكَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كَامِلِهِ.[(١)]

⊙ وفي سنة (٢٧٢هـ) عَاثَتْ بَنُو شَيْبَانَ فِي أَرْضِ الْمَوْصِلِ **وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ** فَسَادًا.

⊙ وَفِيهَا تَحَرَّكَتْ بَقِيَّةُ **الزَّنْجِ** فِي أَرْضِ الْبَصْرَةِ، **وَنَادَوْا: يَا أَنْكِلَايُ، يَا** مَنْصُورُ،

وَكَانَ أَنْكِلَايُ ابْنُ صَاحِبِ الزَّنْجِ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ، وَأَبَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُهَلَّبِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ وُجُوهِ أُمَرَائِهِمْ فِي حَبْسِ الْمُوَفَّقِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقُتِلُوا وَحُمِلَتْ رُءُوسُهُمْ إِلَيْهِ، وَصُلِبَتْ أَبْدَانُهُمْ بِبَغْدَادَ، وَسَكَنَتِ الشُّرُورُ.

⊙ وَفِيهَا **قَدِمَ صَاعِدُ** بْنُ مُخَلَّدٍ الْكَاتِبُ مِنْ فَارِسَ إِلَى وَاسِطَ فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ الْقُوَّادَ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ، فَدَخَلَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَلَكِنْ ظَهَرَ مِنْهُ تِيهٌ وَعُجْبٌ شَدِيدٌ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ عَمَّا قَرِيبٍ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، وَاسْتَكْتَبَ مَكَانَهُ أَبَا الصَّقْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ بُلْبُلٍ.

○ الخلاف على منصب الوزارة

وَلَمَّا تُوُفِّيَ مُوسَى بْنُ بُغَا سنة (٢٦٤هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ الْوَزِيرَ الَّذِي كَانَ مِنْ جِهَتِهِ؛ وَهُوَ **سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ**، وَحَبَسَهُ مُقَيَّدًا، وَأَمَرَ بِنَهْبِ دُورِهِ وَدُورِ أَقْرِبَائِهِ، وَرَدَّ الْحَسَنَ بْنَ مَخْلَدٍ إِلَى الْوِزَارَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا أَحْمَدَ وَهُوَ بِبَغْدَادَ، فَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى سَامَرَّا؛ فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَخُوهُ الْمُعْتَمِدُ بِجَانِبِهَا الْغَرْبِيِّ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ عَبَرَ جَيْشُ أَبِي أَحْمَدَ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ الْمُعْتَمِدُ، فَلَمْ يَكُنْ

---

(١) ٧/ ٤٥٣.

بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، بَلِ اصْطَلَحُوا عَلَى رَدِّ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ إِلَى الْوِزَارَةِ، وَهَرَبَ الْحَسَنُ بْنُ مَخْلَدٍ فَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ وَاخْتَفَى أَبُو عِيسَى ابْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثُمَّ ظَهَرَ، وَهَرَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى الْمَوْصِلِ؛ خَوْفًا مِنْ أَبِي أَحْمَدَ.

○ اختلال أوضاع الخلافة

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: فِي سنة (٢٦٦هـ) اشْتَدَّ الْحَالُ وَضَاقَ النَّاسُ ذَرْعًا بِكَثْرَةِ الْهَيْجِ، وَتَغَلُّبِ الْقُوَّادِ وَالْأَجْنَادِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ بِسَبَبِ ضَعْفِ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ، وَاشْتِغَالِ أَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بِقِتَالِ الزَّنْجِ.

○ فتح ابن طولون أنطاكية

فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٢٦٥هـ) حَاصَرَ **أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ** نَائِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَدِينَةَ **أَنْطَاكِيَةَ** وَفِيهَا سِيمَا الطَّوِيلُ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى فَتَحَهَا بَعْدَ حُرُوبٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَقُتِلَ سِيمَا.

وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى جَاءَتْهُ هَدَايَا مَلَكِ الرُّومِ وَفِي جُمْلَتِهَا أُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ كُلِّ أَسِيرٍ مُصْحَفٌ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَشِيدِ بْنِ كَاوِسَ، الَّذِي كَانَ عَامِلَ الثُّغُورِ، **فَاجْتَمَعَ لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ مُلْكُ الشَّامِ بِكَمَالِهِ مَعَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**؛ لِأَنَّهُ لَمَّا مَاتَ نَائِبُ دِمَشْقَ أَمَاجُورُ، رَكِبَ ابْنُ طُولُونَ مِنْ مِصْرَ، فَتَلَقَّاهُ ابْنُ أَمَاجُورَ إِلَى الرَّمْلَةِ فَأَقَرَّهُ عَلَيْهَا، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا، ثُمَّ إِلَى حِمْصَ فَتَسَلَّمَهَا، ثُمَّ إِلَى حَلَبَ فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا تَقَدَّمَ.

وَكَانَ **أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ** قَدِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قُدُومُ أَبِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الشَّامِ أَخَذَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْحَوَاصِلِ، وَوَازَرَهُ جَمَاعَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَسَارُوا إِلَى بَرْقَةَ خَارِجًا عَنْ طَاعَةِ أَبِيهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ أَخَذَهُ ذَلِيلًا حَقِيرًا، وَرَدُّوهُ إِلَى مِصْرَ فَحَبَسَهُ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ.

○ خروج الخليفة إلى ابن طولون

لَمَّـا رَأَى الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَمِدُ أَنَّ أَخَاهُ أَبَا أَحْمَدَ قَدِ **اسْـتَحْوَذَ عَلَـى أُمُورِ الْخِلَافَةِ** وَصَارَ هُـوَ الْحَاكِمَ الْآمِرَ النَّاهِيَ الَّـذِي إِلَيْهِ **تُجْلَبُ الْأَمْوَالُ وَيُحْمَلُ الْخَـرَاجُ**، وهُوَ الَّذِي يُوَلِّي وَيَعْزِلُ، كَتَبَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ يَشْكُو إِلَيْهِ ذَلِكَ.

فَكَتَـبَ إِلَيْهِ ابْنُ طُولُونَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى عِنْدِهِ بِبِـلَادِ مِصْرَ، وَوَعَدَهُ النَّصْرَ وَالْقِيَامَ مَعَهُ، فَاسْتَغْنَمَ غَيْبَةَ أَخِيهِ الْمُوَفَّقِ وَرَكِبَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٢٦٥هـ)، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ، وَقَدْ أَرْصَدَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ جَيْشًا بِالرَّقَّةِ يَتَلَقَّوْنَهُ.

فَلَمَّا اجْتَازَ الْخَلِيفَةُ **بِإِسْـحَاقَ بْنِ كِنْدَاج** نَائِبِ الْمَوْصِلِ وَعَامَّةِ الْجَزِيرَةِ، اعْتَقَلَهُ عِنْدَهُ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى ابْنِ طُولُونَ، وَقَيَّدَ أَعْيَانَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ، وَعَاتَبَ الْخَلِيفَةَ وَلَامَهُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ أَشَـدَّ اللَّوْمِ، ثُمَّ أَلْزَمَهُ الْعَوْدَ إِلَى سَـامَرَّا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَرَجَعُوا إِلَيْهَا فِي غَايَةِ الذُّلِّ وَالْإِهَانَةِ.

○ عزل الموفق لأحمد بن طولون

لَمَّا بَلَغَ الْمُوَفَّقَ اتفاق ابن طولون مع الخليفة وما فعله إسحاق بن كنداج، والي الموصل والجزيرة، **شَكَرَ سَعْيَه، وَوَلَّاهُ** جميعَ أَعْمَالِ **أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ** إِلَى أَقْصَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ.

وَكَتَـبَ إِلَـى أَخِيهِ أَنْ يَلْعَنَ ابْنَ طُولُونَ فِي دَارِ الْعَامَّةِ، فَلَـمْ يُمْكِنِ الْمُعْتَمِدَ إِلَّا إِجَابَتُهُ إِلَى ذَلِكَ، وَهُوَ كَارِهٌ، وَكَانَ ابْنُ طُولُونَ قَدْ قَطَعَ ذِكْرَ الْمُوَفَّقِ فِي الْخُطَبِ، وَأَسْقَطَ اسْمَهُ عَنِ الطِّرَازَاتِ.

ومن آثار هذا الخلاف وَقوعَ فِتْنَةٌ **بِمَكَّةَ** فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٦٩هـ) فِي بَيْنَ أَصْحَابِ الْمُوَفَّـقِ وَأَصْحَابِ ابْـنِ طُولُونَ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ طُولُـونَ مِائَتَانِ وَهَرَبَ بَقِيَّتُهُمْ، واسْتَلَبَهُمْ أَصْحَابُ الْمُوَفَّقِ شَيْئًا كَثِيرًا.

كما قَطَعَتِ الْأَعْرَابُ عَلَى الْحَجِيجِ الطَّرِيقَ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافِ بَعِيرٍ بِأَحْمَالِهَا.

○ الصراع على بلاد الشام

فِي سنة (٢٧١هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ **الْمُعْتَضِدِ ابْنِ الْمُوَفَّقِ** أَبِي أَحْمَدَ وَبَيْنَ **خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ**؛ وَذَلِكَ أَنَّ خُمَارَوَيْهِ لَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ بِلَادَ مِصْرَ وَالشَّامِ جَاءَهُ جَيْشٌ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، عَلَيْهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ كِنْدَاجَ نَائِبُ الْجَزِيرَةِ وَابْنُ أَبِي السَّاجِ فَقَاتَلُوهُ بِأَرْضِ **شَيْزَر**،(١) فَامْتَنَعَ مِنْ تَسْلِيمِ الشَّامِ إِلَيْهِمْ، فَاسْتَنْجَدُوا بِأَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ الْمُوَفَّقِ، فَقَدِمَ إِلَيْهِمْ فَكَسَرَ جَيْشَ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ، وَتَسَلَّمَ دِمَشْقَ وَاحْتَازَهَا.

ثُمَّ سَارَ نَحْوَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى بِلَادِ الرَّمْلَةِ، **فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ**، فانهزم خُمَارَوَيْهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ حَتَّى دَخَلَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَصْحَابُهُ عَلَى نَهْبِ مُعَسْكَرِهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خرج عليهم كَمِينٌ لِجَيْشِ خُمَارَوَيْهِ وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِالْغَنِيمَةِ، فَوَضَعوا فِيهِمُ السُّيُوفَ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَهَرَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُعْتَضِدُ.

حَتَّى وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ أَهْلُهَا بَابَهَا، فَانْصَرَفَ إِلَى طَرَسُوسَ، **وَبَقِيَ الْجَيْشَانِ الْمِصْرِيُّ وَالْعِرَاقِيُّ يَقْتَتِلَانِ، وَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَمِيرٌ** ثُمَّ كَانَ الغلبة لِلْمِصْرِيِّينَ.

وَاسْتَقَرَّتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى دِمَشْقَ وَسَائِرِ الشَّامِ وَهَذِهِ مِنْ أَعْجَبِ الْوَقَعَاتِ.

○ توسع خمارويه ببلاد الشام

فِي سنة (٢٧٣هـ) وَقَعَ بَيْنَ إِسْحَاقَ بْنِ كِنْدَاجَ **نَائِبِ الْمَوْصِلِ** وَالْجَزِيرَةِ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ ابْنِ أَبِي السَّاجِ **نَائِبِ قِنَّسْرِينَ** وَغَيْرِهَا، وَكَاتَبَ ابْنُ أَبِي السَّاجِ خُمَارَوَيْهِ صَاحِبَ مِصْرَ، وَخَطَبَ لَهُ بِبِلَادِهِ، وَقَدِمَ خُمَارَوَيْهِ إِلَى الشَّامِ فَاجْتَمَعَ بِهِ ابْنُ أَبِي السَّاجِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ كِنْدَاجَ فَتَوَاقَعَا، فَانْهَزَمَ ابْنُ كِنْدَاجَ، وَهَرَبَ إِلَى قَلْعَةِ مَارِدِينَ فَحَاصَرَهُ بِهَا، ثُمَّ ظَهَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي السَّاجِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْمَوْصِلِ وَبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَخَطَبَ بِهَا لِخُمَارَوَيْهِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا.

---

(١) **شيزر**: بتقديم الزاي على الراء وفتح أوله قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٣٨٣).

○ مصادرة أموال لؤلؤ غلام ابن طولون

فِي سنة (٢٧٣هـ) قَبَضَ الْمُوَفَّقُ عَلَى لُؤْلُؤٍ غُلَامِ ابْنِ طُولُونَ، وَصَادَرَهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَسَجَنَهُ، فَكَانَ يَقُولُ: لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ مَالِي. ثُمَّ أُخْرِجَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ السِّجْنِ وَهُوَ فَقِيرٌ ذَلِيلٌ، فَعَادَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي أَيَّامِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ، وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ. **وَهَذَا جَزَاءُ كُفْرِ نِعْمَةِ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ.**

○ نهب دور التجار بسامرا

فِي سنة (٢٧٤هـ) دَخَلَ **صِدِّيقٌ الْفَرْغَانِيُّ** سَامَرَّا، فَنَهَبَ دُورَ التُّجَّارِ بِهَا، وَكَرَّ رَاجِعًا، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِمَّنْ يَحْرُسُ الطُّرُقَاتِ، فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلَ يَقْطَعُهَا وَضَعُفَ الْجُنْدُ بِسَامَرَّا عَنْ مُقَاوَمَتِهِ.

○ البحرية في الأندلس

فِي سنة (٢٦٦هـ) عَمِلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ - خَلِيفَةُ الْأَنْدَلُسِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ - مَرَاكِبَ فِي نَهْرِ قُرْطُبَةَ لِيَدْخُلَ بِهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ؛ لِتَسِيرَ الْجُيُوشُ فِي أَطْرَافِهِ إِلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ لِيُقَاتِلُوهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمَرَاكِبُ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ تَكَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ وَلَمْ يَنْجُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا الْيَسِيرُ وَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ.

وفي سنة (٢٧٢هـ) جَرَتْ **حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ**، وَتَسَلَّمَتِ الرُّومُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَلَدَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ وفاة صاحب الأندلس

في سنة (٢٧٥هـ) في أولها كَانَتْ وَفَاةُ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأموي، صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ عَنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا، بِوَجْهِهِ أَثَرُ جُدَرِيٍّ، جَوَادًا مُمَدَّحًا، يُحِبُّ الشُّعَرَاءَ وَيَصِلُهُمْ بِمَالٍ كَثِيرٍ، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَوْلَادِ سِتَّةَ ذُكُورٍ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِهِ فِتَنًا وَشُرُورًا حَتَّى هَلَكَ.

القرامطة وبداية أمرهم

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: [١] وَفِي سنة (٢٧٨هـ) تَحَرَّكَتِ الْقَرَامِطَةُ، قَبَّحَهُمُ اللهُ، وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ الْمَلاَحِدَةِ أَتْبَاعِ الْفَلاَسِفَةِ مِنَ الْفُرْسِ الَّذِينَ **يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّةَ زَرَادِشْتَ وَمَزْدَكَ**، وَكَانَا **يُبِيحَانِ الْمُحَرَّمَاتِ**، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ إِلَى بَاطِلٍ، وَأَكْثَرُ مَا يَدْخُلُونَ مِنْ جِهَةِ **الرَّافِضَةِ**، لأَنَّهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ **عُقُولاً**. وَيُقَالُ لَهُمْ:

- **الإِسْمَاعِيلِيَّةُ**؛ لانْتِسَابِهِمْ إِلَى **إِسْمَاعِيلَ الأَعْرَجِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ**.
- **الْقَرَامِطَةُ**، قِيلَ: نِسْبَةً إِلَى **قِرْمِطِ بْنِ الأَشْعَثِ** الْبَقَّارِ. وَقِيلَ: إِنَّ رَئِيسَهُمْ كَانَ فِي أَوَّلِ دَعْوَتِهِ يَأْمُرُ مَنِ اتَّبَعَهُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِيَشْغَلَهُمْ بِذَلِكَ عَمَّا يُرِيدُ تَدْبِيرَهُ مِنَ الْمَكِيدَةِ. ثُمَّ اتَّخَذَ نُقَبَاءَ اثْنَيْ عَشَرَ، **وَأَسَّسَ لأَتْبَاعِهِ دَعْوَةً وَمَسْلَكًا، وَدَعَا إِلَى إِمَامٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ**.
- **الْبَاطِنِيَّةُ**؛ لأَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الرَّفْضَ **وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ** الْمَحْضَ.
- **الْخُرَّمِيَّةُ، وَالْبَابَكِيَّةُ**، نِسْبَةً إِلَى **بَابَكَ الْخُرَّمِيِّ** الَّذِي ظَهَرَ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ خَلْفَهُ الْجُيُوشَ حَتَّى جِيءَ بِهِ أَسِيرًا فَقَتَلَهُ كَمَا ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ.
- **الْمُحَمِّرَةُ**؛ نِسْبَةً إِلَى **صَبْغِ الْحُمْرَةِ شِعَارًا**، مُضَاهَاةً لِسَوَادِ بَنِي الْعَبَّاسِ.
- **التَّعْلِيمِيَّةُ**؛ نِسْبَةً إِلَى **التَّعَلُّمِ مِنَ الإِمَامِ** الْمَعْصُومِ، وَتَرْكِ الرَّأْيِ وَمُقْتَضَى الْعَقْلِ.
- **السَّبْعِيَّةُ**؛ نِسْبَةً إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ **الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ الْمُتَحَيِّزَةَ** السَّيَّارَةَ **مُدَبِّرَةٌ لِهَذَا الْعَالَمِ** فِيمَا يَزْعُمُونَ، لَعَنَهُمُ اللهُ. وَهِيَ الْقَمَرُ فِي الأُولَى، وَعُطَارِدُ فِي الثَّانِيَةِ، وَالزُّهَرَةُ فِي الثَّالِثَةِ، وَالشَّمْسُ فِي الرَّابِعَةِ، وَالْمِرِّيخُ فِي الْخَامِسَةِ، وَالْمُشْتَرِي فِي السَّادِسَةِ، وَزُحَلُ فِي السَّابِعَةِ.

---

(١) المنتظم ١٢/ ٢٩٠.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْبَابَكِيَّةِ جَمَاعَةٌ يُقَالُ: إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي كُلِّ سَنَةٍ لَيْلَةً هُمْ وَنِسَاؤُهُمْ، ثُمَّ يُطْفِئُونَ الْمِصْبَاحَ وَيَنْتَهِبُونَ النِّسَاءَ، فَمَنْ وَقَعَ فِي يَدِهِ امْرَأَةٌ حَلَّتْ لَهُ. وَيَقُولُونَ: هَذَا اصْطِيَادٌ مُبَاحٌ. لَعَنَهُمُ اللهُ.

وَقَدْ بَسَطَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي تَارِيخِهِ تفصيل قَوْلهم، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ الْقَاضِي **أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ** الْمُتَكَلِّمُ الْمَشْهُورُ فِي كِتَابِهِ **"هَتْكُ الْأَسْتَارِ وَكَشْفُ الْأَسْرَارِ"** فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ، وَرَدَّ عَلَى كِتَابِهِمُ الَّذِي جَمَعَهُ بَعْضُ قُضَاتِهِمْ بِدِيَارِ مِصْرَ فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ الَّذِي سَمَّاهُ "الْبَلَاغَ الْأَعْظَمَ وَالنَّامُوسَ الْأَكْبَرَ" جَعَلَهُ **سِتَّ عَشْرَةَ دَرَجَةً**،

أَوَّلُ دَرَجَةٍ أَنْ يَدْعُوَ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِ أَوَّلًا - إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ - إِلَى الْقَوْلِ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِذَا وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى تَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، ثُمَّ يَتَرَقَّى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَبِّهِمَا لِأَنَّهُمَا ظَلَمَا عَلِيًّا وَأَهْلَ الْبَيْتِ.

ثُمَّ يَتَرَقَّى بِهِ إِلَى تَجْهِيلِ الْأُمَّةِ وَتَخْطِئَتِهَا فِي مُوَافَقَةِ أَكْثَرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الْقَدْحِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ حَيْثُ هُوَ.

وَقَدْ ذَكَرَ لِمُخَاطَبَتِهِ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُخَاطِبَهُ بِذَلِكَ شُبَهًا وَضَلَالَاتٍ، لَا تَرُوجُ إِلَّا عَلَى كُلِّ غَبِيٍّ جَاهِلٍ شَقِيٍّ. **كَمَا قَالَ تَعَالَى** ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٧] أي يضل به من هو ضال.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾ [الْأَنْعَامِ].

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَمَضْمُونُهَا: أَنَّ الْجَهْلَ وَالضَّلَالَ لَا يَنْقَادُ لَهَا إِلَّا شِرَارُ النَّاسِ. ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ لَهُمْ مَقَامَاتٌ فِي الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالسَّخَافَةِ وَالرُّعُونَةِ، مَا لَا

يَنْبَغِي لِضَعِيفِ عَقْلٍ أَوْ دِينٍ أَوْ تَصَوُّرٍ سَمَاعُهُ، مِمَّا فَتَحَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ مِنَ الْأَبْوَابِ وَأَنْوَاعِ الْجَهَالَاتِ، وَرُبَّمَا أَفَادَ بَعْضُهُمْ إِبْلِيسَ أَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَكُنْتُ امْرَأً مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسَ بُرْهَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ تَحَرَّكَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، (٢٧٨هـ) ثُمَّ اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ وَتَفَاقَمَ الْحَالُ بِهِمْ، عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ، **حَتَّى آلَ الْحَالُ** إِلَى **أَنْ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَسَفَكُوا فِيهِ** دِمَاءَ الْحَجِيجِ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ الْمُكَرَّمَةِ **وَكَسَرُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَاقْتَلَعُوهُ** مِنْ مَوْضِعِهِ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى بِلَادِهِمْ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُمْ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، **فَمَكَثَ غَائِبًا عَنْ مَوْضِعِهِ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ** سَنَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ ظُهُورُ رأس الْقَرَامِطَةِ

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ **سنة (٢٨٦هـ) كان ظُهُورُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ** رَأْسِ الْقَرَامِطَةِ، وهم أَخْبَثُ مِنَ الزَّنْجِ، وَأَشَدُّ فَسَادًا، وكَانَ ظُهُورُهُ بِنَوَاحِي **الْبَصْرَةِ**، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ جِدًّا، وَقَتَلَ مَنْ حَوْلَهُ مَنْ أَهْلِ الْقُرَى.

ثُمَّ صَارَ إِلَى **الْقَطِيفِ** وَرَامَ دُخُولَهَا، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ إِلَى نَائِبِ البصرة يَأْمُرُهُ بِتَحْصِينِ سُورِهَا، فَعَمَّرُوهُ وَجَدَّدُوا مَعَالِمَهُ بِنَحْوٍ مَنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ، فَامْتَنَعَتِ الْبَصْرَةُ مِنَ **الْقَرَامِطَةِ** بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَتَغَلَّبَ أَبُو سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْقَرَامِطَةِ عَلَى هَجَرَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ وَأَكْثَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ.

وَكَانَ أَصْلُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ هَذَا أَنَّهُ كَانَ سِمْسَارًا فِي الطَّعَامِ يَبِيعُهُ، وَيَحْسِبُ لِلنَّاسِ الْأَثْمَانَ، فَقَدِمَ رَجُلٌ بِهِ يُقَالُ لَهُ يَحْيَى بْنُ الْمَهْدِيِّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَدَعَا أَهْلَ الْقَطِيفِ إِلَى بَيْعَةِ الْمَهْدِيِّ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ حَمْدَانَ الزِّيَادِيُّ وَسَاعَدَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَجَمَعَ الشِّيعَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَطِيفِ

فَاسْـتَجَابُوا لَهُ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنِ اسْـتَجَابَ أَبُو سَـعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ هَذَا - قَبَّحَهُ اللهُ - ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَظْهَرَ فِيهِمُ الْقَرْمَطَةَ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَالْتَفُّوا عَلَيْهِ فَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَصَارَ هُوَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِيهِمْ. وَأَصْلُهُ مِنْ بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا جَنَّابَةُ.

○ محاربة القرامطة

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سـنة (٢٨٧هـ) تَفَاقَمَ أَمْرُ الْقَرَامِطَةِ صُحْبَةَ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ، فَقَتَلُوا وَسَـبَوْا وَأَفْسَـدُوا فِي بِلَادِ **هَجَرَ**، فَجَهَّزَ الْخَلِيفَةُ المعتضد إِلَيْهِمْ جَيْشًـا كَثِيفًا، وَأَمَّـرَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَمْرٍو الْغَنَـوِيَّ، وَأَمَّرَهُ عَلَى الْيَمَامَـةِ وَالْبَحْرَيْنِ لِيُحَارِبَ أَبَا سَـعِيدٍ هَـذَا، فَالْتَقَوْا هُنَالِكَ، وَالْعَبَّاسُ فِي عَشَـرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَأَسَـرَهُمْ أَبُو سَـعِيدٍ كُلَّهُـمْ، فَنَجَا مِنْ بَيْنِهِمْ الْأَمِيـرُ وَحْدَهُ، وَقُتِلَ الْبَاقُونَ عَنْ آخِرِهِـمْ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي سَعِيدٍ قَبَّحَهُ اللهُ.

وَهَـذَا عَجِيبٌ جِدًّا وَهُوَ عَكْـسُ وَاقِعَةِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ، فَإِنَّهُ أُسِـرَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ وَكَانُوا خَمْسِينَ أَلْفًا.

وَيُقَالُ: إِنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا قَتَلَ أَبُو سَـعِيدٍ أَصْحَابَهُ صَبْرًا بَيْـنَ يَدَيْهِ وَالْعَبَّاسُ يَنْظُرُ، أَقَامَ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ أَيَّامًا، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَحَمَلَهُ عَلَى رَوَاحِلَ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ فَأَخْبِرْهُ بِمَا رَأَيْتَ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٢٨٧هـ).

وقـد انْزَعَجَ النَّـاسُ لِذَلِكَ انْزِعَاجًـا عَظِيمًا جِدًّا، وَهَـمَّ أَهْلُ الْبَصْـرَةِ بِالْجَلَاءِ مِنْهَا فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ نَائِبُهَا أَحْمَدُ الْوَاثِقِيُّ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وفِي سـنة (٢٨٩هـ) عَاثَتِ الْقَرَامِطَةُ بِسَوَادِ **الْكُوفَةِ** فَظَفَرَ بَعْضُ الْعُمَّالِ بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَبَعَثَ بِرَئِيسِـهِمْ إِلَى الْمُعْتَضِدِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْفَوَارِسِ، فَنَالَ مِنَ الْعَبَّاسِ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَـةِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُلِعَتْ أَضْرَاسُـهُ وَخُلِعَتْ يَدَاهُ ثُمَّ قُطِعَتَا مَـعَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ وَصُلِبَ بِبَغْدَادَ، وَأُشْهِرَ أَمْرُهُ.

قصد القرامطة لدمشق

فِي سنة (٢٨٩هـ) قَصَدَتِ الْقَرَامِطَةُ **دِمَشْقَ** فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ، فَقَاتَلَهُمْ نَائِبُهَا طُغْجُ بْنُ جُفٍّ مِنْ جِهَةِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ فَهَزَمُوهُ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَتَفَاقَمَ الْحَالُ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ بِسِفَارَةِ يَحْيَى بْنِ زَكْرَوَيْهِ بْنِ مَهْرُوَيْهِ الَّذِي ادَّعَى عِنْدَ الْقَرَامِطَةِ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَقَدْ كَذَبَ فِي ذَلِكَ، وَزَعَمَ لَهُمْ أَنَّهُ قَدِ اتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَأَنَّ نَاقَتَهُ مَأْمُورَةٌ حَيْثُ مَا تَوَجَّهَتْ بِهِ نُصِرَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ فَرَاجَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَلَقَّبُوهُ الشَّيْخَ، وَاتَّبَعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي الْأَصْبَغِ **وَسُمُّوا بِالْفَاطِمِيِّينَ**.

وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ جَيْشًا كَثِيفًا فَهَزَمُوهُ ثُمَّ اجْتَازُوا بِالرُّصَافَةِ فَأَحْرَقُوا جَامِعَهَا وَلَمْ يَجْتَازُوا بِقَرْيَةٍ إِلَّا انْتَهَبُوهَا وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دِمَشْقَ فَقَاتَلَهُمْ نَائِبُهَا فَهَزَمُوهُ مَرَّاتٍ وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَانْتَهَبُوا مِنْ أَمْوَالِهَا شَيْئًا كَثِيرًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٦هـ) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٢٥٧هـ)، وسنة (٢٥٨هـ)، وسنة (٢٦١هـ)، وسنة (٢٦٢هـ)، وسنة (٢٦٣هـ) الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٥٩هـ)، وسنة (٢٦٠) إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٦٤هـ)، وسنة (٢٦٥هـ)، وسنة (٢٦٦هـ)، وسنة (٢٦٧هـ)، وسنة (٢٦٨هـ) وسنة (٢٧١هـ)، وسنة (٢٧٢هـ) هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ الْكُوفِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٧٦هـ) هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبَّاسِيُّ أَمِيرُ الْحَرَمَيْنِ وَالطَّائِفِ، وَلَمَّا رَجَعَ **حُجَّاجُ الْيَمَنِ** نَزَلُوا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، فَجَاءَهُمْ سَيْلٌ فَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِ حَتَّى غَرَّقَهُمْ كُلَّهُمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٧٧هـ) هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيُّ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١ - **الزُّبَيْـرُ بْنُ بَكَّارِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُصْعَبِ بْـنِ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، الْقُرَشِـيُّ الزُّبَيْرِيُّ، **قَاضِي مَكَّةَ** قَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا، وَلَهُ كِتَابُ «أَنْسَابِ قُرَيْشٍ»، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِذَلِكَ، وَكِتَابُهُ فِي ذَلِكَ حَافِلٌ جِدًّا.

وَقَـدْ رَوَى عَنْهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ وَثَّقَهُ الدَّارَقُطْنِـيُّ وَالْخَطِيبُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى كِتَابِـهِ. وَتُوُفِّـيَ بِمَكَّةَ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَـنَةً فِـي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سـنة (٢٥٦هـ)، وَدُفِنَ بِمَكَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ -**الْبُخَـارِيُّ** صَاحِـبُ «**الصَّحِيـحِ**» وَقَـدْ ذَكَرْنَا لَـهُ تَرْجَمَةً حَافِلَـةً فِي أَوَّلِ شَـرْحِنَا «لِصَحِيحِهِ»، وَلْنَذْكُرْ هَاهُنَا نُبْذَةً يَسِيرَةً مِنْ ذَلِكَ، فَنَقُولُ وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ:

هُـوَ مُحَمَّـدُ بْنُ إِسْـمَاعِيلَ بْـنِ إِبْرَاهِيمَ بْـنِ الْمُغِيرَةِ، الْجُعْفِـيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُـو عَبْدِ اللهِ الْبُخَـارِيُّ الْحَافِظُ، إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِ، وَالْمُقْتَـدَى بِهِ فِي أَوَانِهِ، وَالْمُقَدَّمُ عَلَى سَائِرِ أَضْرَابِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَى قَبُولِهِ وَصِحَّةِ مَا فِيهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ.

وُلِدَ الْبُخَارِيُّ فِي شَـوَّالٍ سَـنَةَ (١٩٤هـ)، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، **فَنَشَأَ فِي حِجْرِ أُمِّهِ**، فَأَلْهَمَـهُ اللهُ حِفْـظَ الْحَدِيثِ وَهُوَ فِـي الْمَكْتَبِ، وَقَرَأَ الْكُتُبَ الْمَشْـهُورَةَ وَهُوَ ابْنُ سِـتَّ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ وَهُوَ صَبِيٌّ سَبْعِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ سَرْدًا. وَحَجَّ وَعُمُرُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ يَطْلُبُ بِهَا الْحَدِيثَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَائِرِ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي أَمْكَنَهُ الرِّحْلَةُ إِلَيْهَا، وَكَتَبَ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ، وَرَوَى عَنْهُ خَلَائِقُ وَأُمَمٌ.

وَقَدْ رَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنِ الْفِرَبْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَـمِعَ «الصَّحِيحَ» مِنَ الْبُخَارِيِّ مَعِي نَحْوٌ مِنْ تِسْعِينَ أَلْفًا، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي.

وَمِمَّنْ رَوَى عَنِ الْبُخَارِيِّ مُسْلِمٌ فِي غَيْرِ «الصَّحِيحِ»، وَكَانَ مُسْلِمٌ يُتَلْمِذُ لَهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَرَوَى عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِه». وَقَدْ دَخَلَ بَغْدَادَ ثَمَانِ مَرَّاتٍ، وَفِي كُلٍّ مِنْهَا يَجْتَمِعُ بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَيَحُثُّهُ أَحْمَدُ عَلَى الْمُقَامِ بِبَغْدَادَ، وَيَلُومُهُ عَلَى الْإِقَامَةِ بِخُرَاسَانَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: فَكَّرْتُ الْبَارِحَةَ فَإِذَا أَنَا قَدْ كَتَبْتُ فِي مُصَنَّفَاتِي نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ حَدِيثٍ مُسْنَدَةً. وَكَانَ يَحْفَظُهَا كُلَّهَا.

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيَحْفَظُ مَا فِيهِ مِنْ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ عُلَمَاءُ زَمَانِهِ مِنْ شُيُوخِهِ وَأَقْرَانِهِ؛ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا أَخْرَجَتْ خُرَاسَانُ مِثْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: لَمْ يَرَ الْبُخَارِيُّ مِثْلَ نَفْسِهِ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ الْحَسَنِ لَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ وَفِقْهِهِ.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّرَامِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ أَفْقَهُنَا وَأَعْلَمُنَا وَأَغْوَصُنَا وَأَكْثَرُنَا طَلَبًا.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ الْقَصَّارُ: رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ جَاءَ إِلَى الْبُخَارِيِّ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، **وَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يَا أُسْتَاذَ الْأُسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ**. ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَدِيثِ كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، فَذَكَرَ لَهُ عِلَّتَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ مُسْلِمٌ: لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: لَمْ أَرَ بِالْعِرَاقِ وَلَا بِخُرَاسَانَ فِي مَعْنَى الْعِلَلِ وَالتَّارِيخِ وَمَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ أَعْلَمَ مِنَ الْبُخَارِيِّ.

وَلَوْ ذَهَبْنَا نُسَطِّرُ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ فِي حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ وَعِلْمِهِ وَفِقْهِهِ وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ وَتَبَحُّرِهِ لَطَالَ عَلَيْنَا.

وَقَدْ كَانَ الْبُخَارِيُّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فِي غَايَةِ الْحَيَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ. **قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُطَالِبُنِي أَنِّي اغْتَبْتُهُ.**

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُصَلِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَكَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ خَتْمَةً، **وَكَانَتْ لَهُ جِدَةٌ وَمَالٌ جَيِّدٌ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا**، وَكَانَ يُكْثِرُ الصَّدَقَةَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً.

بَعَثَ إِلَيْهِ بَعْضُ السَّلَاطِينِ لِيَأْتِيَهُ حَتَّى يَسْمَعَ أَوْلَادُهُ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: **فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ**، إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ ذَلِكَ فَهَلُمُّوا إِلَيَّ، وَأَبَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ - وَهُوَ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ الذُّهْلِيُّ، نَائِبُ الظَّاهِرِيَّةِ بِبُخَارَى - **فَبَقِيَ فِي نَفْسِ الْأَمِيرِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنَ الْبِلَادِ، فَخَرَجَ مِنْهَا وَدَعَا عَلَى خَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ**، فَلَمْ يَمْضِ شَهْرٌ حَتَّى زَالَ مُلْكُهُ وَسُجِنَ فِي بَغْدَادَ حَتَّى مَاتَ.

فَنَزَحَ الْبُخَارِيُّ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا: **خَرْتَنْكُ**. عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ سَمَرْقَنْدَ فَنَزَلَ عِنْدَ أَقَارِبَ لَهُ بِهَا، وَجَعَلَ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ حِينَ رَأَى الْفِتَنَ.

فَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ، لَيْلَةَ السَّبْتِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ سنة **(٢٥٦هـ)** وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وَقَدْ تَرَكَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بَعْدَهُ عِلْمًا نَافِعًا لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ**، فَعَمَلُهُ فِيهِ لَمْ يَنْقَطِعْ بَلْ هُوَ مَوْصُولٌ بِمَا أَسْدَاهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ فِي الْحَيَاةِ.

٣- **الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ بْنِ يَزِيدَ**. صَاحِبُ الْجُزْءِ الْمَشْهُورِ الْمَرْوِيِّ، وَقَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَقِيلَ: بِسَبْعٍ. وَكَانَ لَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ سَمَّاهُمْ بِأَسْمَاءِ الْعَشَرَةِ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وَقَدْ وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سنة (٢٥٧).

٤- **حُنَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعِبادِيُّ**، (١) **الطَّبِيبُ** الْمَشْهُورُ **الَّذِي عَرَّبَ كِتَابَ إِقْلِيدِسَ**، وَحَرَّرَهُ بَعْدَهُ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ، وَعَرَّبَ حُنَيْنٌ كِتَابَ الْمَجَسْطِيِّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ الطِّبِّ مِنْ لُغَةِ الْيُونَانِ إِلَى لُغَةِ الْعَرَبِ.

وَكَانَ الْمَأْمُونُ شَدِيدَ الِاعْتِنَاءِ بِذَلِكَ جِدًّا، وَكَذَلِكَ جَعْفَرٌ الْبَرْمَكِيُّ قَبْلَهُ، وَلِحُنَيْنٍ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الطِّبِّ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ مَسَائِلُ حُنَيْنٍ، وَكَانَ بَارِعًا فِي فَنِّهِ جِدًّا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سنة (٢٦٠هـ) قَالَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ.

٥- **الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ** أَبُو الْفَضْلِ الرِّيَاشِيُّ، **النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ**، كَانَ عَالِمًا بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَالسِّيَرِ، وَكَانَ كَثِيرَ الِاطِّلَاعِ، ثِقَةً عَالِمًا، رَوَى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَغَيْرِهِمَا، وَعَنْهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُمَا. قُتِلَ بِالْبَصْرَةِ سنة (٢٥٧هـ)، **قَتَلَهُ الزَّنْجُ** فِيمَنْ قَتَلُوا.

٦- **مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ**، أَبُو الْحُسَيْنِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ، صَاحِبُ «الصَّحِيحِ» الَّذِي هُوَ تِلْوَ «الصَّحِيحِ» لِلْبُخَارِيِّ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ،

وَذَهَبَ الْمَغَارِبَةُ، وَأَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيُّ مِنَ الْمَشَارِقَةِ إِلَى تَفْضِيلِ «صَحِيحِ» مُسْلِمٍ عَلَى «صَحِيحِ» الْبُخَارِيِّ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مُسْلِمًا دَخَلَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرِينَ قَدْ أَوْرَدَهُمْ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِهِ» مُرَتَّبِينَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.

وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ؛ مِنْهُمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» وَصَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ صَاعِدٍ، وَأَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ.

---

(١) انظر: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩٢

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: أَخْبَرَنِي ابْنُ يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُعَيْمٍ، سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمَاسَرْجَسِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ يَقُولُ: صَنَّفْتُ هَذَا «الْمُسْنَدَ الصَّحِيحَ» مِنْ **ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ** حَدِيثٍ مَسْمُوعَةٍ.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْخَطِيبُ: **إِنَّمَا قَفَا مُسْلِمٌ طَرِيقَ الْبُخَارِيِّ، وَنَظَرَ فِي عِلْمِهِ**، وَحَذَا حَذْوَهُ، وَلَمَّا وَرَدَ الْبُخَارِيُّ نَيْسَابُورَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ لَازَمَهُ مُسْلِمٌ، وَأَدَامَ الِاخْتِلَافَ إِلَيْهِ.

وسأل مسلم بن الحجاج البخاري عن الذي يرويه ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ **مُوسَى** بْنِ عُقْبَةَ عَنْ **سُهَيْلٍ**، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ، **فَمَا عِلَّتُهُ**؟

فَقَالَ الْبُخَارِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ مَلِيحٌ، وَلَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا فِي هَذَا الْبَابِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ مَعْلُولٌ؛ ثَنَا بِهِ مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَوْلَهُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَهَذَا أَوْلَى؛ فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ لِمُوسَى بْنِ عَقَبَةَ سَمَاعٌ مِنْ سُهَيْلٍ.

قال ابن كثير (١): وَقَدْ أَفْرَدْتُ لِهَذَا الْحَدِيثِ جُزْءًا عَلَى حِدَةٍ، وَأَوْرَدْتُ فِيهِ طُرُقَهُ وَأَلْفَاظَهُ وَمَتْنَهُ وَعِلَلَهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

قَالَ الْخَطِيبُ: وَقَدْ كَانَ مُسْلِمٌ يُنَاضِلُ عَنِ الْبُخَارِيِّ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا كَانَ وَقَعَ بَيْنَ الْبُخَارِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ بِالْقُرْآنِ فِي نَيْسَابُورَ وَكَيْفَ نُودِيَ عَلَى الْبُخَارِيِّ بِسَبَبِ ذَلِكَ بِنَيْسَابُورَ، **وَأَنَّ الذُّهْلِيَّ قَالَ** يَوْمًا لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ، وَفِيهِمْ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: **أَلَا مَنْ كَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ الْبُخَارِيِّ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ بِالْقُرْآنِ فَلْيَعْتَزِلْ** مَجْلِسَنَا.

فَنَهَضَ مُسْلِمٌ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَجَمَعَ مَا كَانَ سَمِعَهُ مِنَ الذُّهْلِيِّ جَمِيعَهُ، وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِ، وَتَرَكَ الرِّوَايَةَ عَنِ الذُّهْلِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ شَيْئًا لَا فِي «صَحِيحِهِ»، وَلَا فِي غَيْرِهِ، **وَاسْتَحْكَمَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُمَا**.

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٥٥٥.

هَذَا وَلَمْ يَتْرُكِ الْبُخَارِيُّ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الذُّهْلِيَّ، بَلْ رَوَى عَنْهُ فِي «صَحِيحِهِ» وَغَيْرِهِ وَعَذَرَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ **سَنَةَ (٢٦١هـ)** بِنَيْسَابُورَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا الشَّافِعِيُّ؛ وَهِيَ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً.

٧- **أَبُو زُرْعَةَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الرَّازِيُّ**، أَحَدُ الْحُفَّاظِ الْمَشْهُورِينَ، قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ. وَكَانَ فَقِيهًا وَرِعًا زَاهِدًا عَابِدًا خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا، أَثْنَى عَلَيْهِ أَهْلُ زَمَانِهِ بِالْحِفْظِ وَالدِّيَانَةِ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى أَقْرَانِهِ.

وَكَانَ فِي حَالِ شَبِيبَتِهِ إِذَا اجْتَمَعَ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ لِلْمُذَاكَرَةِ يَقْتَصِرُ أَحْمَدُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَلَا يَفْعَلُ الْمَنْدُوبَاتِ اكْتِفَاءً بِالْمُذَاكَرَةِ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَلْخَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٢٦٤هـ)، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ.

٨- **قَبِيحَةُ أَمُّ الْمُعْتَزِّ**، إِحْدَى حَظَايَا الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ، جَمَعَتْ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِئِ وَالذَّهَبِ وَالْمَصَاغِ مَا لَمْ يُعْهَدْ لِمِثْلِهَا، ثُمَّ سُلِبَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَقُتِلَ وَلَدُهَا الْمُعْتَزُّ لِأَجْلِ نَفَقَاتِ الْجُنْدِ، وَشَحَّتْ عَلَيْهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تُدَارِئُ بِهَا عَنْهُ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٢٦٤هـ).

٩- **يَعْقُوبُ بْنُ اللَّيْثِ** الصَّفَّارُ، **أَحَدُ الْمُلُوكِ الْعُقَلَاءِ الْأَبْطَالِ**، فَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً؛ مِنْ ذَلِكَ بَلَدُ الرُّخَّجِ (١)، الَّتِي كَانَ بِهَا مَلِكٌ يُحْمَلُ فِي سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى رُءُوسِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَأْسِ جَبَلٍ عَالٍ سَمَّاهُ مَكَّةَ، فَمَا زَالَ حَتَّى قَتَلَهُ وَأَخَذَ بَلَدَهُ وَأَسْلَمَ أَهْلُهَا عَلَى يَدَيْهِ، وَلَكِنْ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ، وَقَاتَلَهُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ.

١٠- **أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ** أَبُو الْعَبَّاسِ **أَمِيرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**، وَبَانِي الْجَامِعِ بِهَا، الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ، وَقَدْ مَلَكَ دِمَشْقَ وَالْعَوَاصِمَ وَالثُّغُورَ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ طُولُونَ مِنَ الْأَتْرَاكِ

---

(١) كورة من نواحي كابل. معجم البلدان ٢/ ٧٧٠.

الَّذِينَ أَهْدَاهُمْ نُوحُ بْنُ أَسَدِ بْنِ سَامَانَ السَّامَانِيُّ، عَامِلُ بُخَارَى إِلَى الْمَأْمُونِ فِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ، وُلِدَ أَحْمَدُ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ.

وَنَشَأَ أَحْمَدُ هَذَا فِي صِيَانَةٍ وَعَفَافٍ وَدِرَاسَةٍ وحفظ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مَعَ حُسْنِ الصَّوْتِ، وَكَانَ يَعِيبُ عَلَى أَوْلَادِ التُّرْكِ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُنْكَرَاتِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ جَارِيَةً اسْمُهَا هَاشِمُ.

وَلِيَ نِيَابَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِلْمُعْتَزِّ العباسي، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٢٥٤هـ)، **فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا إِحْسَانًا كَثِيرًا، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ** مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَمِنْ صَدَقَاتِهِ، وَبَنَى بِهَا الْجَامِعَ، وَأنفق عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ فَرَاغُهُ فِي سَنَةِ (٢٥٩هـ) وَكَانَتْ لَهُ مَائِدَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَحْضُرُهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ فِي كُلِّ شَهْرٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ.

وَبَنَى الْبِيمَارِسْتَانَ، وأنفق عَلَيْهِ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى الْمَيْدَانِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَكَانَ لَهُ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَإِحْسَانٌ زَائِدٌ، ثُمَّ مَلَكَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ (٢٦٤هـ) فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا.

ولمّا وَقَعَ بِدمشق الحَرِيق، أَمَرَ كَاتِبَهُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ مَالِ الْأَمِيرِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تُصْرَفُ إِلَى أَهْلِ الدُّورِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي أُحْرِقَتْ، فَصَرَفَ إِلَيْهِمْ جَمِيعَ قِيمَةِ مَا ذَكَرُوهُ، وَبَقِيَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُوَزَّعَ عَلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ حِصَصِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِمَالٍ عَظِيمٍ يُفَرَّقُ عَلَى فُقَرَاءِ دِمَشْقَ وَغُوطَتِهَا، فَأَقَلُّ مَا حَصَلَ لِلْفَقِيرِ دِينَارٌ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ فِي أَوَائِلِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٧٠هـ) مِنْ عِلَّةٍ أَصَابَتْهُ.

وَقَدْ تَرَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَثَاثِ وَالدَّوَابِّ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ وَلَدًا؛ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ ذَكَرًا، فَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ خُمَارَوَيْهِ.

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْغِلْمَانِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ غُلَامٍ، وَمِنَ الْمُوَالَى سَبْعَةُ آلَافِ مَوْلًى.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَإِنَّمَا تَغَلَّبَ عَلَى الْبِلَادِ لِاشْتِغَالِ الْمُوَفَّقِ طَلْحَةَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَنْهُ بِحَرْبِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، وَقَدْ كَانَ الْمُوَفَّقُ نَائِبَ أَخِيهِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ.

١١- **الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ**، صَاحِبُ **طَبَرِسْتَانَ** توفي فِي رَجَبٍ سنة (٢٧٠هـ)، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا يَعْرِفُ الْفِقْهَ وَالْعَرَبِيَّةَ.

١٢- **دَاودُ بْنُ عَلِيٍّ الظَّاهِرِيُّ، الْأَصْبَهَانِيُّ** ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، الْفَقِيهُ إِمَامُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، رَوَى عَنْ أَبِي ثَوْرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ فَقِيهًا زَاهِدًا وَفِي كُتُبِهِ حَدِيثٌ كَثِيرٌ، وَالرِّوَايَةُ عَنْهُ عَزِيزَةٌ جِدًّا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ سنة (٢٧٠هـ)، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ.

وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ: أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْعِلْمِ بِهَا، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ أَرْبَعُمِائَةِ صَاحِبِ طَيْلَسَانٍ أَخْضَرَ، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ لِلشَّافِعِيِّ، وَصَنَّفَ مَنَاقِبَهُ.

قال ابن كثير: [(١)] **وَقَدْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ، وَلَكِنْ حَصَرَ نَفْسَهُ بِنَفْيِهِ الْقِيَاسَ الصَّحِيحَ**، فَضَاقَ بِذَلِكَ ذَرْعُهُ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْفِقْهِ، فَلَزِمَهُ الْقَوْلُ بِأَشْيَاءَ قَطْعِيَّةٍ صَارَ إِلَيْهَا بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِ الظَّاهِرَ الْمُجَرَّدَ مِنْ غَيْرِ تَفَهُّمٍ لِمَعْنَى النَّصِّ.

١٣- **الْقَاضِي بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ، الْحَاكِمُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ** مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ مَسْجُونًا فِي حَبْسِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يَخْلَعِ الْمُوَفَّقَ فِي سَنَةِ (٢٧٠هـ)، وَكَانَ عَالِمًا عَابِدًا زَاهِدًا كَثِيرَ التِّلَاوَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ لِنَفْسِهِ.

١٤- **أَبُو مَعْشَرٍ الْمُنَجِّمُ**، جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلْخِيُّ، **أُسْتَاذُ عَصْرِهِ فِي صِنَاعَةِ التَّنْجِيمِ**، وَلَهُ فِيهِ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ، كَـ «الْمَدْخَلِ»، وَ «الزِّيجِ»، وَ «الْأُلُوفِ» وَغَيْرِهَا، وَتَكَلَّمَ

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٢/ ٥٩٥.

عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّسْيِيرِ وَكَذَلِكَ بِالْأَحْكَامِ. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَلَهُ إِصَابَاتٌ عَجِيبَةٌ.

قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ مِنْ عِلْمِ الرَّجْزِ، وَالطَّرْفِ، وَاخْتِلَاجِ الْأَعْضَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ هَذَا، وَلَيْسَ بِالصَّادِقِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وتوفي سنة (٢٧٢هـ).

١٥- **مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيِّ**، صَاحِبِ **الْأَنْدَلُسِ**، توفي سنة (٢٧٣هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ، رَبْعَةً، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَكَانَ عَاقِلًا لَبِيبًا، يُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ الْمُشْتَبِهَةَ، وَخَلَّفَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ذَكَرًا، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْمُنْذِرُ، فَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ فَأَحَبُّوهُ.

١٦- **خَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبِي الْهَيْثَمِ الذُّهْلِيِّ، أَمِيرَ** خُرَاسَانَ، الَّذِي **أَخْرَجَ الْبُخَارِيَّ مِنْ بُخَارَى**، فَدَعَا عَلَيْهِ، فَلَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْإِمْرَةِ إِلَّا أَقَلَّ مِنْ شَهْرٍ حَتَّى احْتِيطَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، وَأُرْكِبَ حِمَارًا وَنُودِيَ عَلَيْهِ فِي بَلَدِهِ، **ثُمَّ سُجِنَ، فَمَاتَ** فِي حَبْسِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ سنة (٢٧٣هـ)، **وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ تَعَرَّضَ لِأَهْلِ** السُّنَّةِ وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ.

١٧- **ابْنُ مَاجَهْ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، ابْنُ مَاجَهْ الْقَزْوِينِيُّ مَوْلَى رَبِيعَةَ، صَاحِبُ كِتَابِ «السُّنَنِ» الْمَشْهُورَةِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى عَمَلِهِ وَعِلْمِهِ وَتَبَحُّرِهِ وَاطِّلَاعِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ كِتَابًا، وَأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ بَابٍ، وَيَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ، كُلُّهَا جِيَادٌ سِوَى الْيَسِيرِ.

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ أَنَّهُ انْتَقَدَ مِنْهَا بِضْعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا، رُبَّمَا يُقَالُ: إِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ، أَوْ مُنْكَرَةٌ جِدًّا.

وَلَهُ تَفْسِيرٌ حَافِلٌ وَتَارِيخٌ كَامِلٌ مِنْ لَدُنِ الصَّحَابَةِ إِلَى عَصْرِهِ.

وكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

١٨- **أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ** بْنُ مُحَمَّدِ الْحَجَّاجُ **الْمَرُّوذِيُّ، صَاحِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ**، كَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَذْكِيَاءِ، **وَكَانَ أَحْمَدُ يُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَيَأْنَسُ بِهِ**، وَيَبْعَثُهُ فِي الْحَاجَةِ وَيَقُولُ: قُلْ مَا شِئْتَ. وَهُوَ الَّذِي أَغْمَضَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ **وَكَانَ فِيمَنْ غَسَّلَهُ أَيْضًا**، وَقَدْ نَقَلَ عَنْ أَحْمَدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةً، وَحَصَلَتْ لَهُ رِفْعَةٌ عَظِيمَةٌ، شَيَّعَهُ إِلَى سَامَرَّا حِينَ أَرَادَ الْغَزْوَ خَمْسُونَ أَلْفًا.

١٩- **سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ** بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِمْرَانَ، أَبُو دَاوُدَ الْأَزْدِيُّ السِّجِسْتَانِيُّ، **صَاحِبُ «السُّنَنِ»**، وأَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ الرَّحَّالِينَ الْجَوَّالِينَ فِي الْآفَاقِ وَالْأَقَالِيمِ، جَمَعَ وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ وَأَلَّفَ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ عَنْ مَشَايِخِ الْبُلْدَانِ فِي الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَلَهُ «السُّنَنُ» الْمَشْهُورَةُ الْمُتَدَاوَلَةُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى عَنْهُ فِي الدُّنْيَا.

سَكَنَ أَبُو دَاوُدَ الْبَصْرَةَ وَقَدِمَ بَغْدَادَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَحَدَّثَ بِكِتَابِهِ «السُّنَنِ» بِهَا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ صَنَّفَهُ بِهَا، وَعَرَضَهُ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَاسْتَجَادَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ.

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: بسنده عن أَبِي دَاوُدَ قال: كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَّنْتُهُ هَذَا الْكِتَابَ -يَعْنِي كِتَابَ «السُّنَنِ»- جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةِ حَدِيثٍ؛ ذَكَرْتُ الصَّحِيحَ وَمَا يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُهُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ وَغَيْرُهُ: أُلِينَ لِأَبِي دَاوُدَ الْحَدِيثُ كَمَا أُلِينَ لِدَاوُدَ الْحَدِيدُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ أَحَدَ حُفَّاظِ الْإِسْلَامِ لِلْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ وَسَنَدِهِ، مِنْ فُرْسَانِ الْحَدِيثِ، وكان على دَرَجَةٍ من النُّسُكِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُشَبَّهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ. فِي هَدْيِهِ وَدَلِّهِ وَسَمْتِهِ، وَكَانَ عَلْقَمَةُ يُشْبِهُهُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُشْبِهُ عَلْقَمَةَ، وَكَانَ مَنْصُورٌ يُشْبِهُ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ سُفْيَانُ يُشْبِهُ مَنْصُورًا، وَكَانَ وَكِيعٌ يُشْبِهُ سُفْيَانَ، وَكَانَ أَحْمَدُ يُشْبِهُ وَكِيعًا، **وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يُشْبِهُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ**.

وَقَدْ كَانَ مَوْلِدُ أَبِي دَاوُدَ فِي سَنَةِ (٢٠٢هـ) وَتُوُفِّيَ بِالْبَصْرَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ (٢٧٥هـ)؛عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ قَبْرِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ.

٢٠-**بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ**، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ، **صَاحِبُ «الْمُسْنَدِ» الْمُبَوَّبِ عَلَى الْفِقْهِ**، رَوَى فِيهِ عَنْ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ صَحَابِيٍّ.

وَقَدْ فَضَّلَهُ ابْنُ حَزْمٍ عَلَى «مُسْنَدِ» الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَعِنْدِي فِي ذَلِكَ نَظَرٌ، **وَالظَّاهِرُ أَنَّ «مُسْنَدَ أَحْمَدَ» أَجْوَدُ مِنْهُ**؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ هُوَ بِبِلَادِهِمْ، وَلَا وَقَعَ لَهُمْ رِوَايَتُهُ، وَلَوِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَوَقَفَ عَلَى مَا فِيهِ لِمَا فَضَّلَ عَلَيْهِ مُسْنَدًا مِنَ الْمُسْنَدَاتِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَقِيٌّ قَدْ سَمِعَ مِنْ أَحْمَدَ جَمِيعَ «الْمُسْنَدِ»، وَزَادَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ يَسَّرَ اللهُ مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي أَلْحَقْنَاهَا بِـ «مُسْنَدِ» الْإِمَامِ أَحْمَدَ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدْ رَحَلَ بَقِيٌّ إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَمِعَ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ بِالْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، يَزِيدُونَ عَلَى (٢٨٤) شَيْخًا، وَلَهُ تَصَانِيفُ أُخَرُ، **وَكَانَ** مَعَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا، **زَاهِدًا، مُجَابَ الدَّعْوَةِ**، وتوفي سنة (٢٧٦هـ).

٢١-**ابْنُ قُتَيْبَةَ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ قَاضِيهَا، **النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ**، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْبَدِيعَةِ الْمُفِيدَةِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى عُلُومٍ جَمَّةٍ نَافِعَةٍ، اشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَطَبَقَتِهِ، وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ وَذَوِيهِ.

وَصَنَّفَ وَجَمَعَ وَأَلَّفَ الْكُتُبَ الْكَثِيرَةَ؛ فَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «الْمَعَارِفِ» «وَأَدَبُ الْكَاتِبِ» وَكِتَابُ «مُشْكِلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ»، «وَغَرِيبُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ»، «وَعُيُونُ الْأَخْبَارِ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكَانَ ثِقَةً نَبِيلًا جَلِيلًا مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَكَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَتَّهِمُونَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِنْ تَصَانِيفِهِ.

وَكَانَ سَبَبَ وَفَاتِهِ أَنَّهُ أَكَلَ لُقْمَةً مِنْ هَرِيسَةٍ فَإِذَا هِيَ حَارَّةٌ، فَصَاحَ صَيْحَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ، ثُمَّ أَفَاقَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَشَهَّدُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَقْتَ السَّحَرِ سنة (٢٧٦هـ)، أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَلَمْ يُجَاوِزِ السِّتِّينَ وَقِيلَ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَالصَّحِيحُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَرَوَى عَنْهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ جَمِيعَ مُصَنَّفَاتِهِ.

٢٢-أَبُو الرَّدَّادِ الْمُؤَذِّنُ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الرَّدَّادِ، **الْمُؤَذِّنُ صَاحِبُ الْمِقْيَاسِ بِمِصْرَ**، الَّذِي هُوَ مُسَلَّمٌ إِلَيْهِ وَإِلَى ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. قَالَهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «الْوَفَيَاتِ». وتوفي سنة (٢٧٦هـ).

٢٣- أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِهْرَانَ أَبُو حَاتِمٍ الْحَنْظَلِيُّ الرَّازِيُّ، **أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ الْأَثْبَاتِ الْعَارِفِينَ بِعِلَلِ الْحَدِيثِ** وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، **وَهُوَ قَرِينُ أَبِي زُرْعَةَ، الرَّازِيِّ**، تَغَمَّدَهُمَا اللهُ بِرَحْمَتِهِ.

سَمِعَ الْكَثِيرَ وَطَافَ الْأَقْطَارَ وَالْأَمْصَارَ، وَرَوَى عَنْ خَلْقٍ مِنَ الْكِبَارِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، وَهُمَا أَكْبَرُ مِنْهُ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ فَحَدَّثَ بِهَا، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ أَهْلِهَا إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَالْمَحَامِلِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: يَا بُنَيَّ، مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ فَرْسَخٍ.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ. توفي فِي شَعْبَانَ سنة (٢٧٧هـ).

٢٣-يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ جُوَانَ، أَبُو يُوسُفَ بْنُ أَبِي مُعَاوِيَةَ الْفَارِسِيُّ الْفَسَوِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، **وَرَوَى عَنْ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ** مِنَ الثِّقَاتِ؛ مِنْهُمْ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَدُحَيْمٌ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَرَوَى عَنْهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَأَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفِرَايِينِيُّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.

وَصَنَّفَ كِتَابَ «التَّارِيخِ وَالْمَعْرِفَةِ»، وَغَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُفِيدَةِ النَّافِعَةِ، وَقَدْ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْبُلْدَانِ النَّائِيَةِ، وَتَغَرَّبَ عَنْ وَطَنِهِ فِي ذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِينَ سَنَةً،

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيُّ وَقَالَ: هُوَ إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِفَارِسَ، وَقَدِمَ نَيْسَابُورَ وَسَمِعَ مِنْهُ مَشَايِخُنَا، **وَقَدْ نَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى التَّشَيُّعِ**، وَمَا أَظُنُّ هَذَا صَحِيحًا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ سُفْيَانَ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ مُحَدِّثٌ كَبِيرُ الْقَدْرِ، وتوفي سنة (٢٧٧هـ).

٢٤-أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ، الْأَمِيرُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ، أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ طَلْحَةُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

كَانَ مَوْلِدُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٢٢٩هـ)، وَكَانَ أَخُوهُ الْمُعْتَمِدُ حِينَ صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ قَدْ عَهِدَ إِلَيْهِ بِالْوِلَايَةِ بَعْدَ أَخِيهِ جَعْفَرٍ، وَلَقَّبَهُ الْمُوَفَّقَ بِاللهِ.

ثُمَّ لَمَّا قَتَلَ صَاحِبَ الزَّنْجِ وَكَسَرَ جَيْشَهُ تَلَقَّبَ بِنَاصِرِ دِينِ اللهِ، وَصَارَ إِلَيْهِ الْعَقْدُ وَالْحَلُّ وَالْوِلَايَةُ وَالْعَزْلُ، وَإِلَيْهِ يُجْبَى الْخَرَاجُ. **وَكَانَ يُخْطَبُ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ**، فَيُقَالُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الْأَمِيرَ النَّاصِرَ لِدِينِ اللهِ أَبَا أَحْمَدَ الْمُوَفَّقَ بِاللهِ وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ أَخَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ اتَّفَقَ مَوْتُهُ قَبْلَ أَخِيهِ الْمُعْتَمِدِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

وَكَانَ غَزِيرَ الْعَقْلِ حَسَنَ التَّدْبِيرِ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا شُجَاعًا مِقْدَامًا رَئِيسًا، حَسَنَ الْمُحَادَثَةِ وَالْمُجَالَسَةِ عَادِلًا حَسَنَ السِّيرَةِ، يَجْلِسُ لِلْمَظَالِمِ وَعِنْدَهُ الْقُضَاةُ فَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ وَالنَّسَبِ وَالْفِقْهِ وَسِيَاسَةِ الْمُلْكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَهُ مَحَاسِنُ وَمَآثِرُ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَصَابَهُ مَرَضُ النِّقْرِسِ فِي السَّفَرِ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ عَلِيلٌ فَاسْتَقَرَّ فِي دَارِهِ إلى أن مات فِي شهر صَفَرٍ، سنة (٢٧٨هـ) وَلَهُ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً تَنْقُصُ شَهْرًا وَأَيَّامًا.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَفَّقُ، اجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ عَلَى أَخْذِ الْبَيْعَةِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ، وَلُقِّبَ الْمُعْتَضِدَ بِاللهِ.

٢٥- عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيم، ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ» أَنَّ هَذَا الشَّقِيَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ كَثِيرًا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ وَالْمُسْلِمُونَ مُحَاصِرُونَ لِبَلْدَةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، **إِذْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ فِي ذَلِكَ الْحِصْنِ فَهَوِيَهَا**، فَرَاسَلَهَا: وَمَا السَّبِيلُ إِلَيْكِ. فَقَالَتْ: أَنْ تَتَنَصَّرَ وَتَصْعَدَ إِلَيَّ، فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ، قَبَّحَهُ اللهُ، فَمَا رَاعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَهَا.

فَاغْتَمَّ الْمُسْلِمُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مَرُّوا عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ فِي ذَلِكَ الْحِصْنِ، **فَقَالُوا لَهُ: يَا فُلَانُ مَا فَعَلَ قِرَاءَتُكَ؟** مَا فَعَلَ عِلْمُكَ؟ مَا فَعَلَ صِيَامُكَ وَصَلَاتُكَ؟ **فَقَالَ: اعْلَمُوا أَنِّي أُنْسِيتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا قَوْلَهُ** ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٢] وتوفي سنة (٢٧٨هـ).

❁ ❁ ❁

(١٦)

خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بالله

٢٧٩-٢٨٩

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

أَحْمَدُ المعتضد بْنُ محمد الْمُوَفَّقِ الْمُلَقَّبِ بِنَاصِرِ دِينِ اللهِ ابْنُ جَعْفَرٍ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، أَبُوالْعَبَّاسِ. وُلِدَ فِي سنة (٢٤٢هـ) وَأُمُّهُ أَمُّ وَلَدٍ.

وَخَلَّفَ مِنَ الْأَوْلَادِ الذُّكُورِ، عَلِيًّا الْمُكْتَفِي، وَجَعْفَرًا الْمُقْتَدِرَ، وَهَارُونَ، وَمِنَ الْبَنَاتِ إِحْدَى عَشْرَةَ بِنْتًا، وَيُقَالُ سَبْعَ عَشْرَةَ بِنْتًا

○ صفاته ومناقبه

كَانَ أَسْمَرَ نَحِيفَ الْجِسْمِ مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ، وَفِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِهِ طُولٌ، وَفِي رَأْسِهِ شَامَةٌ بَيْضَاءُ.

وكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ قَدْ ضَعُفَ فِي أَيَّامِ عَمِّهِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَضِدُ أَقَامَ شِعَارَهَا وَرَفَعَ مَنَارَهَا وَشَيَّدَ دَعَائِمَهَا وَحِيطَانَهَا، وَأَطَّدَ أَرْكَانَهَا.

وَكَانَ شُجَاعًا فَاضِلًا مِنْ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ حَزْمًا وَجُرْأَةً وَغَزْوًا وَعِزًّا وَإِقْدَامًا وَحُرْمَةً، وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ قَبْلِهِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَخَرَجَ الْمُعْتَضِدُ يَوْمًا فَعَسْكَرَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ وَنَهَى أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ بُسْتَانِ أَحَدٍ شَيْئًا فَأُتِيَ بِأَسْوَدَ قَدْ أَخَذَ عِذْقًا مَنْ بُسْرٍ فَتَأَمَّلَهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: إِنَّ الْعَامَّةَ يُنْكِرُونَ هَذَا وَيَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٍ» وَلَمْ يَكْفِهِ أَنْ يَقْطَعَ يَدَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، وَإِنِّي لَمْ أَقْتُلْ هَذَا عَلَى سَرِقَتِهِ وَإِنَّمَا هَذَا الْأَسْوَدُ لَهُ خَبَرٌ طَرِيفٌ، هَذَا رَجُلٌ مِنَ الزَّنْجِ كَانَ قَدِ اسْتَأْمَنَ فِي حَيَاةِ أَبِي، وَإِنَّهُ تَقَاوَلَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ الْمُسْلِمَ فَقَطَعَ يَدَهُ فَمَاتَ الْمُسْلِمُ فَأَهْدَرَ أَبِي دَمَ الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ تَأْلِيفًا لِلزَّنْجِ، فَآلَيْتُ عَلَى نَفْسِي لَئِنْ أَنَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ لَأَقْتُلَنَّهُ، فَمَا وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَيْهِ إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ، فَقَتَلْتُهُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُعَيْمٍ الضَّبِّيُّ سَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ حَسَّانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ يَقُولُ سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ الْقَاضِيَ يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ وَعَلَى رَأْسِهِ أَحْدَاثٌ رُومٌ صِبَاحُ الْوُجُوهِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ، فَرَآنِي الْمُعْتَضِدُ وَأَنَا أَتَأَمَّلُهُمْ، فَلَمَّا أَرَدْتُ الْقِيَامَ أَشَارَ إِلَيَّ فَمَكَثْتُ سَاعَةً، فَلَمَّا خَلَا قَالَ لِي: أَيُّهَا الْقَاضِي وَاللهِ مَا حَلَلْتُ سَرَاوِيلِي عَلَى حَرَامٍ قَطُّ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ عَنْ حَسَّانَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ سُرَيْجٍ عَنِ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الْمُعْتَضِدِ فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا قَدْ جُمِعَ لَهُ فِيهِ الرُّخَصُ مِنْ زَلَلِ الْعُلَمَاءِ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا جَمَعَ هَذَا زِنْدِيقٌ. فَقَالَ: كَيْفَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ مَنْ أَبَاحَ النَّبِيذَ لَمْ يُبِحِ الْمُتْعَةَ، وَمَنْ أَبَاحَ الْغِنَاءَ لَمْ يُبِحِ النَّبِيذَ، وَمَنْ جَمَعَ زَلَلَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ أَخَذَ بِهَا ذَهَبَ دِينُهُ. فَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ ذَلِكَ الْكِتَابِ.

وَذَكَرَ الْوَزِيرُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْمُعْتَضِدِ وَخَادِمٌ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِهِ يَذُبُّ بِمِذَبَّةٍ فِي يَدِهِ إِذْ حَرَّكَهَا فَجَاءَتْ فِي قَلَنْسُوَةِ الْخَلِيفَةِ فَسَقَطَتْ عَنْ رَأْسِهِ فَأَعْظَمْتُ أَنَا ذَلِكَ جِدًّا وَخِفْتُ مِنْ هَوْلِ مَا وَقَعَ وَلَمْ يَكْتَرِثِ الْخَلِيفَةُ لِذَلِكَ، بَلْ أَخَذَ قَلَنْسُوَتَهُ فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ لِبَعْضِ الْخَدَمِ:

مُرْ هَذَا الْبَائِسَ فَلْيَذْهَبْ لِرَاحَتِهِ فَإِنَّهُ قَدْ نَعَسَ، وَزِيدُوا فِي عِدَّةِ مَنْ يَذُبُّ بِالنَّوْبَةِ. قَالَ الْوَزِيرُ: فَأَخَذْتُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَالشُّكْرِ لَهُ عَلَى حِلْمِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْبَائِسَ لَمْ يَتَعَمَّدْ مَا وَقَعَ مِنْهُ وَإِنَّمَا نَعَسَ وَلَيْسَ الْعِتَابُ وَالْمُعَاتَبَةُ إِلَّا عَلَى الْمُتَعَمِّدِ لَا عَلَى الْمُخْطِئِ وَالسَّاهِي.

وَقَدْ رُفِعَ يَوْمًا إِلَى الْمُعْتَضِدِ أَنَّ قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَاسْتَشَارَ وَزِيرَهُ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُصْلَبَ بَعْضُهُمْ وَيُحْرَقَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: وَيْحَكَ لَقَدْ بَرَّدْتَ لَهَبَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ بِقَسْوَتِكَ هَذِهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعَةُ اللهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا وَأَنَّهُ سَائِلُهُ عَنْهَا، وَلَمْ يُقَابِلْهُمْ بِمَا قَالَ الْوَزِيرُ فِيهِمْ.

قال ابن كثير: "وَلِهَذِهِ النِّيَّةِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ كَانَ بَيْتُ الْمَالِ صِفْرًا مِنَ الْمَالِ، وَكَانَتِ الْأَحْوَالُ فَاسِدَةً، وَالْأَعْرَابُ تَعِيثُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فِي كُلِّ جِهَةٍ فَلَمْ يَزَلْ بِرَأْيِهِ وَتَسْدِيدِهِ حَتَّى كَثُرَتِ الْأَمْوَالُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، وَصَلَحَتِ الْأَحْوَالُ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ وَالْمَحَالِّ".

وَقد تَرَكَ فِي بَيْتِ الْمَالِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ يُمْسِكُ عَنْ صَرْفِ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ وَجْهِهَا، فَلِهَذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُبَخِّلُهُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي الْحَدِيثِ، الِاثْنَيْ عَشَرَ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِمْ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ. (١) فَاللهُ أَعْلَمُ.

○ زواج المعتضد بابنة خمارويه

فِي سنة (٢٧٩هـ) قَدِمَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَصَّاصِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِهَدَايَا عَظِيمَةٍ مِنْ خُمَارَوَيْهِ صَاحِبِ مِصْرَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ، فَتَزَوَّجَ الْمُعْتَضِدُ بِابْنَةِ خُمَارَوَيْهِ فَجَهَّزَهَا أَبُوهَا بِجِهَازٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْهَوَاوِينِ الذَّهَبِ مِائَةُ هَاوُنَ، فَحُمِلَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْعَرُوسِ وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا.

وفِي سنة (٢٨١) وَصَلَتْ **قَطْرُ النَّدَى** بِنْتُ خُمَارَوَيْهِ، إِلَى بَغْدَادَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ وَمَعَهَا مِنَ الْجِهَازِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، ومعها مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ لِتَشْتَرِيَ بِهَا مِنَ الْعِرَاقِ مَا قَدْ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِمَّا لَا يَتَهَيَّأُ مِثْلُهُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا»، فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» صحيح البخاري (٩/ ٨١) ومسلم رقم (١٨٢١).
(يكون اثنا عشر أميرا) أي تجتمع عليهم الأمة ويكون الدين وأهله في زمانهم عزيزا منيعا.

وفاته

اشْـتَدَّ وَجَعُ [(١)] الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٢٨٩هـ)، فَاجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْقُوَّادِ؛ مِنْهُمْ يُونُسُ الْخَادِمُ وَغَيْرُهُ إِلَى الْوَزِيرِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ فَأَشَارُوا بِأَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ لِتَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ لِلْمُكْتَفِي بِاللهِ عَلِيِّ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَتَأَكَّدَتِ الْبَيْعَةُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَحِينَ حَضَرَتِ الْمُعْتَضِدَ الْوَفَاةُ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ:

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَهَا مَا إِنْ صَفَتْ وَدَعِ الرَّنْقَا
وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ ... فَلَمْ يُبْقِ لِي حَالًا وَلَمْ يَرْعَ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ فَلَمْ أَدَعْ ... عَدُوًّا وَلَمْ أُمْهِلْ عَلَى خُلُقٍ خَلْقَا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ ... فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَّقْتُهُمْ شَنْقَا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً ... وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعَ لِي رِقَّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي ... فَهَاأَنَذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ مَوْتِيَ مَا أَلْقَى ... إِلَى نِعْمَةٍ لِلَّهِ أَمْ نَارِهِ أُلْقَى

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الاثنين لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٢٨٩هـ)، وَلَمْ يَبْلُغِ الْخَمْسِينَ.

وَقَدْ رَثَى أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ الْعَبَّاسِيُّ ابْنَ عَمِّهِ، الْمُعْتَضِدَ بِمَرْثَاةٍ حَسَنَةٍ

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: (١٤/ ٧١٧) سبب الوفاة: بقوله: وغلب سوء المزاج، والجفاف لكثرة الجماع، وكان الأطباء يصفون له ما يرطب به بدنه، فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته.

يَقُولُ فِيهَا:

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ فِي غَبْرَاءَ مظْلِمةٍ   بِالظَّاهِرِيَّةِ مُقْصَى الدَّارِ مُنْفَرِدَا
أَيْنَ الْجُيُوشُ الَّتِي قَدْ كُنْتَ تَسْحَبُهَا   أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي أَحْصَيْتَهَا عَدَدَا
أَيْنَ السَّرِيرُ الَّذِي قَدْ كُنْت تَمْلَؤُهُ   مَهَابَةً مَنْ رَأَتْهُ عَيْنُهُ ارْتَعَدَا
لَا شَيْءَ يَبْقَى سُوَى خَيْرٍ تُقَدِّمُهُ   مَا دَامَ مُلْكٌ لِإِنْسَانٍ وَلَا خَلَدَا

❁ ❁ ❁

خلافته

بيعته

كَانَتِ الْبَيْعَةُ لَهُ صَبِيحَةَ مَوْتِ الْمُعْتَمِدِ، وَذَلِكَ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٢٧٩هـ) وَقَدْ كَانَ **أَمْرُ الْخِلَافَةِ دَاثِرًا فَأَحْيَاهُ اللهُ بِهِمَّتِهِ** وَعَدْلِهِ وَشَهَامَتِهِ وَصَرَامَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ.

وَكَانَ مِنْ خِيَارِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرِجَالِهِمْ، وكَانَتْ **مدة خِلَافَتُهُ** تِسْعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَاسْتَوْزَرَ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ، وَوَلَّى **مَوْلَاهُ بَدْرًا** الشُّرْطَةَ فِي بَغْدَادَ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ، وَيُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ، وَابْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

○ ولاية عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ خراسان

طلب عمرو بن الليث من المعتضد عند توليه الخلافة سنة (٢٧٩هـ) أَنْ يُوَلِّيَهُ **إِمْرَةَ خُرَاسَانَ** فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ وَاللِّوَاءِ، فَنَصَبَهُ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ فِي دَارِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَرَحًا وَسُرُورًا بِذَلِكَ، وَعَزَلَ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ عَنْ إِمْرَةِ خُرَاسَانَ.

○ القضاء على فتنة بني شيبان

فِي أَوَّلِ صَفَرٍ سنة (٢٨٠هـ) رَكِبَ الْمُعْتَضِدُ بِاللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُوَفَّقِ مِنْ بَغْدَادَ قَاصِدًا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ فَأَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ **تَوْبَاذُ**[(١)].

وَكَانَ مَعَ الْمُعْتَضِدِ حَادٍ جَيِّدُ الْحُدَاءِ فَقَالَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي يَحْدُو لِلْمُعْتَضِدِ:

فَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَاذِ حِينَ رَأَيْتُهُ ... وَهَلَّلْتُ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَآنِي
وَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ ... بِظِلِّكَ فِي أَمْنٍ وَلِينِ زَمَانِي
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَخْلَفُونِي مَكَانَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

قَالَ: فَتَغَرْغَرَتْ عَيْنَا الْمُعْتَضِدِ، وَقَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ.

○ إصلاحاته

- وَفِي سنة (٢٨٠هـ) أَمَرَ الْمُعْتَضِدُ **بِتَسْهِيلِ عَقَبَةِ حُلْوَانَ**، فَغَرِمَ عَلَيْهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَكَانَ النَّاسُ يَلْقَوْنَ مِنْهَا شِدَّةً عَظِيمَةً،
- وَفِيهَا **وَسَّعَ** الْمُعْتَضِدُ **جَامِعَ الْمَنْصُورِ** بِإِضَافَةِ دَارِ الْمَنْصُورِ إِلَيْهِ، وَغَرِمَ عَلَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَتِ الدَّارُ قِبْلِيَّةً فَبَنَاهَا مَسْجِدًا عَلَى حِدَةٍ وَفَتَحَ بَيْنَهُمَا، وَحَوَّلَ الْمِنْبَرَ وَالْمِحْرَابَ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَكُونَ فِي قِبْلَةِ الْجَامِعِ عَلَى عَادَتِهِ.

---

(١) تَوْبَاذُ: بالفتح ثم السكون، والباء موحدة، وألف، وآخره ذال معجمة: **جبل بنجد**، وقال نصر: توباذ: أبيرق أسد.

(معجم البلدان (٢/ ٥٥). هكذا ذكر ياقوت في المعجم ولم يذكر غيره، والظاهر أنه غير المراد في النص.

⊙ قَالَ الْخَطِيبُ: وَزَادَ بَدْرٌ -مولى المعتضد- الْمُسْقِطَاتِ مِنْ قَصْرِ الْمَنْصُورِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْبَدْرِيَّةِ، فِي هَذَا الْوَقْتِ.

⊙ وَفِي سنة (٢٨٣هـ) كَتَبَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى الْآفَاقِ بِرَدِّ مَا فَضَلَ عَنْ سِهَامِ ذَوِي الْفَرْضِ إِذَا لَمْ تَكُنْ عَصَبَةٌ إِلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَذَلِكَ عَنْ فُتْيَا أَبِي حَازِمٍ الْقَاضِي، وَقَدْ قَالَ فِي فُتْيَاهُ: إِنَّ هَذَا اتِّفَاقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ تَفَرَّدَ بِرَدِّ مَا فَضَلَ وَالْحَالَةُ هَذِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ. وَوَافَقَ القاضي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ أبا حازم في فتياه، وقد أَفْتَى الْقَاضِي يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بِقَوْلِ زَيْدٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ.

⊙ فِي سنة (٢٨٢) نَهَى الْمُعْتَضِدُ النَّاسَ أَنْ يَعْمَلُوا فِي **يَوْمِ النَّيْرُوزِ** مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ إِيقَادِ النِّيرَانِ وَصَبِّ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُشَابِهَةِ لِأَفْعَالِ الْمَجُوسِ وَمَنَعَ مِنْ حَمْلِ هَدَايَا الْفَلَّاحِينَ إِلَى الْمُقْطَعِينَ (١) فِي هَذَا الْيَوْمِ وَأَمَرَ بِتَأْخِيرِ ذَلِكَ إِلَى الْحَادِي عَشَرَ مِنْ حَزِيرَانَ، وَسُمِّيَ النَّيْرُوزَ الْمُعْتَضِدِيَّ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ وَسَائِرِ الْعُمَّالِ.

⊙ فِي سنة (٢٨٤هـ) نُودِيَ فِي الْبُلْدَانِ: **لَا يَجْتَمِعِ الْعَامَّةُ عَلَى قَاصٍّ** وَلَا كَاهِنٍ وَلَا مُنَجِّمٍ وَلَا جَدَلِيٍّ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَهْتَمُّوا لِأَمْرِ النَّوْرُوزِ، ثُمَّ أَطْلَقَ لَهُمْ أَمْرَ **النَّوْرُوزِ**، فَكَانُوا يَصُبُّونَ الْمِيَاهَ عَلَى الْمَارَّةِ فَتَوَسَّعَتِ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ وَغَلَوْا فِيهِ حَتَّى جَعَلُوا يَصُبُّونَ الْمِيَاهَ عَلَى الْجُنْدِ وَعَلَى أَصْحَابِ الشُّرَطِ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ هَفَوَاتِهِ

○ بناء دار الخلافة ببغداد

أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا الْمُعْتَضِدُ فِي سنة (٢٨٠) وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَهَا مِنَ الْخُلَفَاءِ، واستمرت إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ، وَكَانَتْ أَوَّلًا دَارًا لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْحَسَنِيِّ ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِابْنَتِهِ بُورَانَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا الْمَأْمُونُ فَعَمَّرَتْ فِيهَا، ثُمَّ وَسَّعَهَا، وَزَادَ فِيهَا وَجَعَلَ

(١) هم ملاك الأرض التي أقطعتها لهم الدولة.

لَهَا سُورًا حَوْلَهَا وَكَانَتْ قَدْرَ مَدِينَةِ شِيرَازَ، وَبَنَى الْمَيْدَانَ.

ثُمَّ بَنَى قَصْرًا مُشْرِفًا عَلَى دِجْلَةَ، ثُمَّ بَنَى الْمُكْتَفِي قصر التَّاجَ، ثُمَّ زاد الْمُقْتَدِرِ فِيهَا زِيَادَاتٍ عَظِيمَةً جِدًّا، وَتَأَخَّرَتْ آثَارُهَا إِلَى أَيَّامِ التَّتَارِ الَّذِينَ خَرَّبُوا بَغْدَادَ وَسَبَوْا مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْحَرَائِرِ الْآمِنَاتِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

○ غزو الساماني بلاد الترك

فِي سنة (٢٨٠) غَزَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ بِلَادَ التُّرْكِ فَفَتَحَ مَدِينَةَ مَلِكِهِمْ، وَأَسَرَ امْرَأَتَهُ الْخَاتُونَ، وَأَبَاهُ، وَنَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ أَسِيرٍ، وَغَنِمَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا، أَصَابَ الْفَارِسُ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

○ تولية المكتفي الريّ وقزوين

فِي سنة (٢٨١) وَلَّى المعتضد وَلَدَهُ عَلِيًّا الْمُكْتَفِيَ نِيَابَةَ الرِّيِّ وَقَزْوِينَ وَزَنْجَانَ وَقُمَّ وَهَمَذَانَ وَالدِّينَوَرِ، وَجَعَلَ عَلَى كِتَابَتِهِ أَحْمَدَ بْنَ الْأَصْبَغِ.

○ تولية أبي دلف أصبهان ونهاوند

فِي سنة (٢٨١) وَلَّى المعتضدُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ **أَبِي دُلَفٍ** نِيَابَةَ أَصْبَهَانَ وَنَهَاوَنْدَ وَالْكَرْخِ.

وَفِي سنة (٢٨٣هـ) بَعَثَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ وَزِيرَهُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ سُلَيْمَانَ لِقِتَالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دُلَفٍ، الذي **استقل بولايته**، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ طَلَبَ مِنْهُ عُمَرُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَتَلَقَّاهُ الْأُمَرَاءُ عَنْ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

○ قتل خمارويه وتولية ابنه

فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٢٨٢) أُخْبِرَ الْمُعْتَضِدَ بِاللهِ بِأَنَّ خُمَارَوَيْهِ عَدَا عليه الْخَدَمُ مِنَ الْخِصْيَانِ فَذَبَحُوهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُمْ بِجَوَارِيهِ، فَمَاتَ عَنْ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ هَارُونُ بْنُ خُمَارَوَيْهِ، وَقَدِ الْتَزَمَ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ تُحْمَلُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ فَأَقَرَّهُ الْمُعْتَضِدُ عَلَى ذَلِكَ.

وفِي سنة (٢٨٤هـ) اضْطَرَبَ الْجَيْشُ عَلَى هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ بِمِصْرَ، فَأَقَامُوا لَهُ بَعْضَ أُمَرَاءِ أَبِيهِ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ وَيُصْلِحُ الْأَحْوَالَ وَهُوَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ أَبَّا، فَبَعَثَ إِلَى دِمَشْقَ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ بَدْرٍ الْحَمَامِيِّ وَالْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَاذَرَائِيِّ، فَأَصْلَحَا أَمْرَهَا، وَاسْتَعْمَلَا عَلَى نِيَابَتِهَا طُغْجَ بْنَ جُفٍّ، وَرَجَعَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ. وَالْأُمُورُ مُخْتَلِفَةٌ جِدًّا.

فَلَمَّا **كَانَت خلافة الْمُكْتَفِي** عَزَلَهُ وَوَلَّى مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْوَاثِقِيَّ فَاصْطَفَى أَمْوَالَ آلِ طُولُونَ وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ.

وَهَكَذَا يَكُونُ انْقِضَاءُ الدُّوَلِ فِي أَوَاخِرِهَا، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

○ قتال الخوارج في الموصل

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٢٨٣هـ) خَرَجَ الْمُعْتَضِدُ مِنْ بَغْدَادَ قَاصِدًا بِلَادَ الْمَوْصِلِ لِقِتَالِ هَارُونَ الشَّارِي الْخَارِجِيِّ فَظَفِرَ بِهِ، وَهُزِمَ أَصْحَابُهُ وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمَّا رَجَعَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَادَ أَمَرَ بِصَلْبِ هَارُونَ وَكَانَ صُفْرِيًّا، فَلَمَّا صُلِبَ قَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

○ تعيين قاضي بغداد

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٢٨٤هـ) خَلَعَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بِالْقَضَاءِ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ بَعْدَ مَوْتِهِ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٍ وَهِيَ شَاغِرَةٌ.

○ أمر المعتضد بلعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي سنة (٢٨٤هـ) **عَزَمَ الْمُعْتَضِدُ عَلَى لَعْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَان** عَلَى الْمَنَابِرِ فَحَذَّرَهُ وَزِيرُهُ **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ** بْنِ وَهْبٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَامَّةَ تُنْكِرُ قُلُوبُهُمْ، وَهُمْ يَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَجَوَامِعِهِمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ بِذَلِكَ وَأَمْضَاهُ.

وَكُتِبَتْ نُسَخٌ بِلَعْنِ مُعَاوِيَةَ وَذَكَرَ فِيهَا ذَمَّهُ وَذَمَّ ابْنِهِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي

أُمَيَّـةَ، وَأَوْرَدَ فِيهَا أَحَادِيث بَاطِلَةً فِي ذَمِّ مُعَاوِيَةَ وَقُرِئَـتْ فِي الْجَانِبَيْنِ مِنْ بَغْدَادَ، وَنُهِيَتِ الْعَامَّةُ عَنِ التَّرَحُّمِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَالتَّرَضِّي عَنْهُ.

فَلَـمْ يَـزَلْ بِهِ الْوَزِيرُ حَتَّى قَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ مِمَّا يُرَغِّبُ الْعَامَّةَ فِي الطَّالِبِيِّينَ وَقَبُولِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِمْ. فَوَجَمَ لِذَلِكَ الْمُعْتَضِدُ وَتَرَكَ مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لِخَوْفِهِ عَلَى الْمُلْكِ، فَكَانَ هَذَا مِنْ **هَفَوَاتِ الْمُعْتَضِدِ**، سَامَحَهُ اللهُ.

○ الاعتداء على الحُجّاج

فِي سـنة (٢٨٥هـ) خَرَجَ صَالِـحُ بْنُ مُدْرِكٍ الطَّائِـيُّ عَلَى الحجاج بِالْأَجْفُـرِ [١] فَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَخَدَمَهُمْ، يُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ مِنْهُمْ مَا قِيمَتُهُ أَلْفَا أَلْفِ دِينَارٍ.

○ استرداد المعتضد بعض البلدان

فِي سنة (٢٨٥هـ) توفي صَاحِبُ آمِدَ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ، فَقَامَ بِأَمْرِهَا مِنْ بَعْدِهِ وَلَـدُهُ مُحَمَّدٌ، فَقَصَدَهُ الْمُعْتَضِدُ وَمَعَـهُ ابْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ الْمُكْتَفِـي بِاللهِ، فَحَاصَرَهُ بِهَا فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَـامِعًا مُطِيعًا، فَتَسَـلَّمَهَا مِنْهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَكْرَمَ أَهْلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ الْمُكْتَفِي.

ثُمَّ سَـارَ الْمُعْتَضِدُ إِلَى قِنِّسْـرِينَ وَالْعَوَاصِمِ فَتَسَـلَّمَهَا عَنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْهِ وَإِذْنِهِ لَهُ وَمُصَالَحَتِهِ لَهُ عَلَى ذَلِكَ.

○ الصراع على بلاد ما وراء النهر

فِي سـنة (٢٨٦هـ) تَحَارَبَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّـامَانِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ لَمَّا قَتَلَ رَافِعَ بْنَ هَرْثَمَةَ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ سَأَلَ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَـا وَرَاءَ النَّهْـرِ مُضَافًا إِلَى مَـا بِيَدِهِ مِنْ وِلَايَةِ خُرَاسَـانَ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِـكَ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ نَائِبُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

---

(١) الأجفـر: موضـع في طريق الحاج العراقي، بينه وبين فيد سـتة وثلاثين فرسـخًا نحـو مكة (٢١٦ كيلو) تقريبـًا. معجم البلدان (١/ ٣٥).

وَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ دُنْيَا عَرِيضَةً فَاقْتَنِعْ بِهَا عَنْ مَا فِي يَدِي مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ. فَلَمْ يَقْبَلْ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ فِي جُيُوشٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا، فَالْتَقَيَا عِنْدَ بَلْخ فَهُزِمَ أَصْحَابُ عَمْرٍو، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ اللَّيْثِ، فَلَمَّا جِيءَ بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ قَامَ إِلَيْهِ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَّنَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي أَمْرِهِ، وَيَذْكُرُ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْبِلَادِ قَدْ مَلُّوهُ وَضَجِرُوا مِنْ وِلَايَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَجَاءَ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ بِأَنْ يَتَسَلَّمَ حَوَاصِلَهُ وَأَمْوَالَهُ فَسَلَبَهُ إِيَّاهَا، **فَآلَ بِهِ الْحَالُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَطْبَخُهُ يُحْمَلُ عَلَى سِتِّمِائَةِ جَمَلٍ إِلَى الْقَيْدِ وَالسِّجْنِ.**

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ عَمْرًا كَانَ مَعَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ لَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا أُسِرَ سِوَاهُ.

○ مقتل العلوي أمير طَبَرِسْتَانَ وَالدَّيْلَم

فِي سنة (٢٨٧هـ) قُتِلَ: مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ: أَمِيرُ طَبَرِسْتَانَ وَالدَّيْلَمِ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ظَفِرَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ بِعَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ نَائِبِ خُرَاسَانَ، ظَنَّ مُحَمَّدٌ بن زيد العلوي أَنَّ إِسْمَاعِيلَ لَا يُجَاوِزُ عَمَلَهُ، وَأَنَّ خُرَاسَانَ قَدْ خَلَتْ لَهُ فَارْتَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ يُرِيدُهَا وَسَبَقَهُ إِلَى خُرَاسَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنِ الْزَمْ عَمَلَكَ وَلَا تُجَاوِزْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَلَمْ يَقْبَلْ،

فَبَعَثَ إِلَيْهِ إسماعيل جَيْشًا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ، فَلَمَّا الْتَقَيَا، هَرَبَ مِنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ خَدِيعَةً، فَسَارَ الْجَيْشُ وَرَاءَهُ فِي الطَّلَبِ، فَكَرَّ عَلَيْهِمْ رَاجِعًا، فَانْهَزَمُوا مِنْهُ، فَاحْتَازَ مَا فِي مُعَسْكَرِهِمْ، وَجُرِحَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ جِرَاحَاتٍ شَدِيدَةً، **فَمَاتَ بِسَبَبِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ**، وَأُسِرَ وَلَدُهُ زَيْدٌ، فَبُعِثَ بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ فَأَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ بُخَارَى.

وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ هَذَا فَاضِلًا دَيِّنًا حَسَنَ السِّيرَةِ فِيمَا وَلِيَهُ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ وَكَانَ فِيهِ تَشَيُّعٌ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا خَصْمَانِ اسْمُ أَحَدِهِمَا مُعَاوِيَةُ وَاسْمُ الْآخَرِ عَلِيٌّ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الْحُكْمَ بَيْنَكُمَا ظَاهِرٌ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَا تَغْتَرَّنَّ بِنَا، فَإِنَّ أَبِي كَانَ مِنْ كِبَارِ الشِّيعَةِ، وَإِنَّمَا سَمَّانِي مُعَاوِيَةَ مُدَارَاةً لِمَنْ بِبَلَدِنَا مِنَ السُّنَّةِ، وَهَذَا كَانَ أَبُوهُ مِنْ كِبَارِ النَّوَاصِبِ فَسَمَّاهُ عَلِيًّا تُقَاةً لَكُمْ. فَتَبَسَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

الصراع مع الروم

○ حصار قلعة ماردين

فِي سنة (٢٨١) حَاصَرَ الْمُعْتَضِدُ قَلْعَةَ مَارْدِينَ وَكَانَتْ بِيَدِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ فَفَتَحَهَا قَسْرًا وَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتَخْرِيبِهَا فَهُدِّمَتْ.

○ فداء الأسارى مع الروم

فِي سنة (٢٨٣هـ) وَقَعَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّوم فَاسْتُنْقِذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ وَخَمْسُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةُ أَنْفُسٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ غزو بلاد الروم

في سنة (٢٨٥هـ) غَزَا **رَاغِبٌ الْخَادِمُ** مَوْلَى الْمُوَفَّقِ بِلَادَ الرُّوم فَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً، وَأَسَرَ ذَرَارِيَّ كَثِيرَةً جِدًّا، وَقَتَلَ مِنْ أَسَارَى الرِّجَالِ الَّذِينَ تَحَصَّلُوا مَعَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ رَقَبَةٍ، ثُمَّ عَادَ سَالِمًا مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

في سنة (٢٨٥هـ) غَزَا **ابْنُ الْإِخْشِيدِ** بِأَهْلِ طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّوم فَفَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ حُصُونًا كَثِيرَةً وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ عدوان الروم على طرسوس

فِي سنة (٢٨٧هـ). أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى بِلَادِ طَرَسُوسَ وَكَانَ نَائِبُهَا ابْنُ الْإِخْشِيدِ قَدْ تُوُفِّيَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الثَّغْرِ أَبَا ثَابِتٍ فَطَمِعَتِ الرُّومُ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَحَشَدُوا عَسَاكِرَهُمْ إِلَى هُنَالِكَ، فَالتَقَاهُمْ أَبُو ثَابِتٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُقَاوَمَتِهِمْ فَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةً وَأَسَرُوهُ فِيمَنْ أَسَرُوا، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الثَّغْرِ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْآخَرِ.

○ عدوان الروم على بلاد الرقة

فِي سنة (٢٨٨هـ) قصد الرُّومُ بِلَادَ الرَّقَّةِ فِي جَحَافِلَ مِنَ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ فَقَتَلُوا خَلْقًا وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الذُّرِّيَّةِ.

○ نادرة وعجيبة

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ»[(١)]: وَمِنْ عَجَائِبِ مَا وَقَعَ مِنَ الْحَوَادِثِ فِي سنة (٢٨٦هـ) أَنَّ امْرَأَةً تَقَدَّمَتْ إِلَى قَاضِي الرَّيِّ فَادَّعَتْ عَلَى زَوْجِهَا بِصَدَاقِهَا خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ فَأَنْكَرَهُ الزَّوْجُ فَجَاءَتْ بِبَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لَهَا بِهِ، فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تُسْفِرَ لَنَا عَنْ وَجْهِهَا حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهَا الزَّوْجَةُ أَمْ لَا، فَلَمَّا صَمَّمُوا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ الزَّوْجُ: لَا تفعلُوا هِيَ صادِقَةٌ فِيمَا تَدَّعِيهِ.

فَأَقَرَّ بِمَا ادَّعَتْ لِيَصُونَ زَوْجَتَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهَا. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَإِذْ قَدْ أَرَادَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي حِلٍّ مِنْ صَدَاقِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

○ حوادث طبيعية

فِي سنة (٢٨٠) زُلْزِلَتْ **أَرْدَبِيلُ** سِتَّ مَرَّاتٍ فَتَهَدَّمَتْ دُورُهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا مِائَةُ دَارٍ وَمَاتَ تَحْتَ الرَّدْمِ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَفِيهَا غَارَتِ الْمِيَاهُ **بِبِلَادِ الرَّيِّ وَطَبَرِسْتَانَ** حَتَّى بِيعَ الْمَاءُ كُلُّ ثَلَاثَةِ أَرْطَالٍ بِدِرْهَمٍ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ هُنَالِكَ جِدًّا.

وفِي سنة (٢٨١) تَكَامَلَ **غَوْرُ الْمِيَاهِ بِبِلَادِ الرَّيِّ وَطَبَرِسْتَانَ**، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ جِدًّا وَجَهَدَ النَّاسُ وَقَحَطُوا حَتَّى أَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ ابْنَهُ وَابْنَتَهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٢٨٤هـ) **ظَهَرَتْ بِمِصْرَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَحُمْرَةٌ** فِي الْأُفُقِ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ صَاحِبِهِ فَيَرَاهُ أَحْمَرَ اللَّوْنِ جِدًّا وَكَذَلِكَ الْجُدْرَانُ، فَمَكَثُوا كَذَلِكَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ يَدْعُونَ اللهَ وَيَتَضَرَّعُونَ حَتَّى كَشَفَ عَنْهُمْ.

---

(١) ١٢/ ٤٠٢.

وفِي سـنة (٢٨٨هـ) أَصَابَ بِلَادَ **أَذْرَبِيجَانَ وَبَاءٌ شَـدِيدٌ** حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى دَفْنِ الْمَوْتَى فَتُرِكُوا فِي الطُّرُقِ لَا يُوَارَوْنَ عَنِ الْأَبْصَارِ.

وأيضـًا: أَصَابَت بلاد **أَرْدَبِيلَ رِيحٌ شَـدِيدَةٌ** مِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ ثُمَّ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَـدِيدًا، وَاسْـتَمَرَّ ذَلِكَ أَيَّامًا فَتَهَدَّمَتِ الـدُّورُ وَالْمَنَازِلُ وَخُسِـفَ بِآخَرِينَ مِنْهُمْ وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ مَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بالنَّاسِ سنة (٢٧٩هـ) هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبَّاسِيُّ وَهِيَ آخِرُ حَجَّةٍ حَجَّهَا بِالنَّاسِ، وَكَانَ يَحُجُّ بِالنَّاسِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٨٠) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَبَّاسِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٨١)، وسنة (٢٨٢) مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ إِسْحَاقَ، وَأَصَابَ الْحُجَّاجَ فِي **الْأَجْفُرِ**[١] مَطَرٌ عَظِيمٌ فَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، كَانَ الرَّجُلُ يَغْرَقُ فِي الرَّمْلِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى خَلَاصِهِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٨٣هـ)[٢]، وسنة (٢٨٤هـ)، وسنة (٢٨٥هـ)، وسنة (٢٨٦هـ)،[٣]، وسنة (٢٨٧) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٨٨) هارون بن محمد المكنى أبا بكر.

وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٨٩) الفضل بْن عبد الملك الهاشمى.

❁ ❁ ❁

(١) الأَجْفُر: بضم الفاء، جمع جفر، موضع بين فيد والخزيمية، بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخا نحو مكة. وقال الزمخشري: الأجفر ماء لبني يربوع، انتزعته منهم بنو جذيمة. معجم البلدان (١/ ١٠٢).

(٢) لم يذكر ابن كثير من أقام الحج سنة (٢٨٣) وكذلك الطبري، واستدرك من إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لعمر بن فهد ٢/ ٣٥٣.

(٣) كذلك لم يذكر ابن كثير من أقام الحج سنة (٢٨٦) وكذلك الطبري. واستدرك من إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لعمر بن فهد ٢/ ٣٥٤.

مشاهير من توفي في عهده

١-**أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ**، أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ خَيْثَمَةَ، **صَاحِبُ التَّارِيخِ وَغَيْرِهِ**، سَمِعَ أَبَا نُعَيْمٍ وعفَّانَ وَأَخَذَ عِلْمَ الْحَدِيثِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَعِلْمَ النَّسَبِ عَنْ مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيِّ وَأَيَّامَ النَّاسِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيِّ، وَأَخَذَ الْأَدَبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الْجُمَحِيِّ، وَكَانَ ثِقَةً حَافِظًا ضَابِطًا مَشْهُورًا، وَفِي تَارِيخِهِ هَذَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَفَرَائِدُ غَزِيرَةٌ.

رَوَى عَنْهُ الْبَغَوِيُّ وَابْنُ صَاعِدٍ وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ وَابْنُ الْمُنَادِي، وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٢٧٩هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢-**نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدِ بْنِ سَامَانَ، السَّامَانِيُّ أَحَدُ مُلُوكِهِمُ الْأَكَابِرِ**، وَقَدْ كَانُوا مِنْ سُلَالَةِ الْأَكَاسِرَةِ كَانَ جَدُّهُمْ سَامَانُ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَأَصْلُهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ بَهْرَامَ بْنِ أَزْدَشِيرَ بْنِ سَابُورَ ثُمَّ كَانَ ابْنُهُ أَسَدٌ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ وَخَلَّفَ نُوحًا وَأَحْمَدَ وَيَحْيَى وَإِلْيَاسَ وَقَدْ وَلِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مَمْلَكَةَ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي وَهُمُ السَّامَانِيَّةُ. وتوفي سنة (٢٧٩هـ).

٣-**أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرِ** بْنِ دَاوُدَ أَبُو الْحَسَنِ، الْبَلَاذُرِيُّ، **صَاحِبُ التَّارِيخِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ**. سَمِعَ هِشَامَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ وَأَبَا الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيَّ وَجَمَاعَةً وَعَنْهُ يَحْيَى بْنُ النَّدِيمِ وَأَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ وَأَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ قَرْقَارَةَ الْأَزْدِيُّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ:[1] كَانَ أَدِيبًا رَاوِيَةً، لَهُ كُتُبٌ جِيَادٌ، وَمَدَحَ الْمَأْمُونَ بِمَدَائِحَ، وَجَالَسَ الْمُتَوَكِّلَ، وَتُوُفِّيَ أَيَّامَ الْمُعْتَمِدِ سنة (٢٧٩هـ)، وَوُسْوِسَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ.

٤-**مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى** بْنِ سَوْرَةَ بْنِ مُوسَى بْنِ الضَّحَّاكِ **التِّرْمِذِيُّ**، أَبُو عِيسَى السُّلَمِيُّ، الضَّرِيرُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ وُلِدَ أَكْمَهَ. **وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ فِي زَمَانِهِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ**

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٧٥.

الْمَشْهُورَةُ، مِنْهَا «الْجَامِعُ» وَ «الشَّمَائِلُ» وَ «أَسْمَاءُ الصَّحَابَةِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكِتَابُ «الْجَامِعِ» أَحَدُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ فِي سَائِرِ الْآفَاقِ.

وَجَهَالَةُ ابْنِ حَزْمٍ لِأَبِي عِيسَى حَيْثُ قَالَ فِي «مُحَلَّاهُ»: وَمَنْ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ؟ - لَا تَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَا تَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، بَلْ تَحُطُّ مِنْ مَنْزِلَةِ ابْنِ حَزْمٍ عِنْدَ الْحُفَّاظِ.

وَرَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ فِي غَيْرِ «الصَّحِيحِ»، وَالْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ صَاحِبُ «الْمُسْنَدِ».

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْخَلِيلِيُّ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِهِ «عُلُومِ الْحَدِيثِ»: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ بْنِ شَدَّادٍ الْحَافِظُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَهُ كِتَابٌ فِي السُّنَنِ، وَكَلَامٌ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ. رَوَى عَنْهُ ابْنُ مَحْبُوبٍ وَالْأَجِلَّاءُ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْأَمَانَةِ وَالْعِلْمِ، تُوُفِّيَ بِالتِّرْمِذِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ (٢٧٩هـ).

وَرَوَى ابْنُ نُقْطَةَ فِي تَقْيِيدِهِ عَنِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَنَّفْتُ هَذَا الْمُسْنَدَ الصَّحِيحَ فَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْحِجَازِ فَرَضُوا بِهِ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ فَرَضُوا بِهِ وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ فَرَضُوا بِهِ **وَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ هَذَا الْكِتَابُ فَكَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ نَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ.**

وَكِتَابُ «الْعِلَلِ» صَنَّفَهُ بِسَمَرْقَنْدَ، وَكَانَ فَرَاغُهُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

قَالَ ابْنُ نُقْطَةَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيَّ سَمِعْتُ أَبَا إِسْمَاعِيلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ: كِتَابُ التِّرْمِذِيِّ عِنْدِي أَفْيَدُ مِنْ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الْفَائِدَةِ مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ، وَهَذَا كِتَابٌ قَدْ شَرَحَ أَحَادِيثَهُ وَبَيَّنَهَا، فَيَصِلُ إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمَا.

قُلْتُ: وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ إِنَّمَا طَرَأَ عَلَيْهِ الْعَمَى بَعْدَ أَنْ رَحَلَ وَسَمِعَ وَكَتَبَ وَذَاكَرَ وَنَاظَرَ وَصَنَّفَ.

٥- **ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا الْقُرَشِيُّ**، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ قَيْسٍ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا الْحَافِظُ الْمُصَنِّفُ الْمَشْهُورُ، **لَهُ التَّصَانِيفُ النَّافِعَةُ الشَّائِعَةُ الذَّائِعَةُ فِي الرَّقَائِقِ وَغَيْرِهَا، تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ مُصَنَّفٍ.**

سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيَّ وَخَالِدَ بْنَ خِرَاشٍ وَعَلِيَّ بْنَ الْجَعْدِ وَخَلْقًا، **وَكَانَ مُؤَدِّبًا لِلْمُعْتَضِدِ** وَابْنِهِ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُعْتَضِدِ الْمُلَقَّبِ بِالْمُكْتَفِي، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَارًا وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا حَافِظًا ذَا مُرُوءَةٍ، لَكِنْ قَالَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ: إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْوِي عَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْبَلْخِيُّ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَذَّابًا يَضَعُ لِلْكَلَامِ إِسْنَادًا، وَيَرْوِي أَحَادِيثَ مُنْكَرَةً.

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ جَلَسَ أَصْحَابٌ لَهُ يَنْتَظِرُونَهُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَجَاءَ الْمَطَرُ فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رُقْعَةً فِيهَا:

أَنَا مُشْتَاقٌ إِلَى رُؤْيَتِكُمْ ... يَا أَخِلَّائِي وَسَمْعِي وَالْبَصَرْ
كَيْفَ أَنْسَاكُمْ وَقَلْبِي عِنْدَكُمْ ... حَالَ فِيمَا بَيْنَنَا هَذَا الْمَطَرْ

تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ فِي جُمَادَى الْأُولَى **سنة (٢٨١)** عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٦- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ** بْنِ زَيْدٍ أَبُو إِسْحَاقَ **الْأَزْدِيُّ الْقَاضِي**، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ، وَسَمِعَ مُسْلِمَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ وَالْقَعْنَبِيَّ وَعَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ، **وَكَانَ حَافِظًا فَقِيهًا مَالِكِيًّا**، جَمَعَ وَصَنَّفَ وَشَرَحَ فِي الْمَذْهَبِ عِدَّةَ مُصَنَّفَاتٍ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ بَعْدَ سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ عُزِلَ ثُمَّ وَلِيَ

وَصَارَ مُقَدَّمَ الْقُضَاةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فُجَاءَةً لَيْلَةَ الْأَرْبعاءِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٢٨٢هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِهْرَانَ**، أَبُو إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ السَّرَّاجُ النَّيْسَابُورِيُّ **كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ** يَدْخُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ - وَكَانَ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ - وَيَنْبَسِطُ فِيهِ وَيُفْطِرُ عِنْدَهُ، **وَكَانَ مِنَ الثِّقَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعُبَّادِ** تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سنة (٢٨٣هـ).

٨-**سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ التُّسْتَرِيُّ**، أَبُو مُحَمَّدٍ أَحَدُ **أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ**، لَقِيَ ذَا النُّونِ الْمِصْرِيَّ، وَمِنْ كَلَامِ سَهْلِ الْحَسَنِ **قَوْلُهُ**: أَمْسِ قَدْ مَاتَ وَالْيَوْمُ فِي النَّزْعِ وَغَدٌ لَمْ يُولَدْ وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ... وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

تُوُفِّيَ سنة (٢٨٣هـ).

٩-**ابْنُ الرُّومِيِّ الشَّاعِرُ**، عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ جُرَيْجٍ أَبُو الْحَسَنِ، وَهُوَ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، **وَكَانَ شَاعِرًا مَشْهُورًا مُطْبِقًا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ**:

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرْبَالَ صِحَّةٍ ... وَلَمْ تَخْلُ مِنْ قُوتٍ يَلَذُّ وَيَعْذُبُ
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمُتْرَفِينَ فَإِنَّهُ ... عَلَى قَدْرِ مَا يَكْسُوهُمُ الدَّهْرُ يَسْلُبُ

وَقَالَ أَيْضًا:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ
إِذَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدًا عَدُوًّا ... مُبِينًا وَالْأُمُورُ إِلَى انْقِلَابِ
وَلَوْ كَانَ الْكَثِيرُ يَطِيبُ كَانَتْ ... مُصَاحَبَةُ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّوَابِ
وَلَكِنْ قَلَّ مَا اسْتَكْثَرْتَ إِلا ... وَقَعْتَ عَلَى ذِئَابٍ فِي ثِيَابِ

وتوفي سنة (٢٨٣هـ).

١٠ - **الْبُحْتُرِيُّ الشَّاعِرُ**، صَاحِبُ الدِّيوَانِ الْمَشْهُورِ، اسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبَادَةَ، وَيُقَالُ: الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَى أَبُو عُبَادَةَ الطَّائِيُّ الْبُحْتُرِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ مَنْبِجَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَمَدَحَ الْمُتَوَكِّلَ وَالرُّؤَسَاءَ **وَكَانَ شِعْرُهُ فِي الْمَدْحِ خَيْرًا مِنْهُ فِي الْمَرَاثِي**، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: الْمَدِيحُ لِلرَّجَاءِ وَالْمَرَاثِي لِلْوَفَاءِ، وَبَيْنَهُمَا بُعْدٌ.

وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّكَ أَشْعَرُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ، فَقَالَ: لَوْلَا أَبُو تَمَّامٍ مَا أَكَلْتُ الْخُبْزَ، كَانَ أَبُو تَمَّامٍ أُسْتَاذَنَا.

وَقَدْ كَانَ الْبُحْتُرِيُّ شَاعِرًا مُطْبِقًا فَصِيحًا بَلِيغًا رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ فَمَاتَ بِهَا سنة (٢٨٣هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً.

١١ -**أَحْمَدُ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عَمْرٍو الْمُسْتَمْلِي** (١) الزَّاهِدُ النَّيْسَابُورِيُّ، سَمِعَ قُتَيْبَةَ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَغَيْرَهُمْ. وَاسْتَمْلَى عَلَى الْمَشَايِخِ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَكَانَ فَقِيرًا رَثَّ الْهَيْئَةِ زَاهِدًا، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ التَّذْكِيرِ فَبَكَى أَبُو عُثْمَانَ، وَقَالَ لِلنَّاسِ: إِنَّمَا أَبْكَانِي رَثَاثَةُ ثِيَابِ رَجُلٍ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَا أُجِلُّهُ عَنْ أَنْ أُسَمِّيَهُ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُلْقُونَ الْخَوَاتِيمَ وَالثِّيَابَ وَالدَّرَاهِمَ حَتَّى اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ أَبِي عُثْمَانَ.

فَنَهَضَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو الْمُسْتَمْلِي فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا الَّذِي قَصَدَنِي الشَّيْخُ بِكَلَامِهِ، وَلَوْلَا أَنِّي كَرِهْتُ أَنْ يُتَّهَمَ بِإِثْمٍ لَسَتَرْتُ مَا سَتَرَهُ. فَتَعَجَّبَ الشَّيْخُ مِنْ إِخْلَاصِهِ، ثُمَّ أَخَذَ أَبُو عَمْرٍو ذَلِكَ الْمُجْتَمِعَ مِنَ الْمَالِ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ فَمَا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصَدَّقَ بِجَمِيعِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ، **كَانَتْ وَفَاتُهُ**: فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٢٨٤هـ).

---

(١) المستملي: هو طالب الإملاء من الشيخ ؛ يقال: استملاه الكتاب أي سأله أن يمليه عليه. لسان المحدثين، محمد خلف سلامة (٥/ ٩٦).

١٢ - **إِبْرَاهِيمُ** بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو إِسْحَاقَ **الْحَرْبِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ**، وَكَانَ زَاهِدًا عَابِدًا، تَخَرَّجَ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَرَوَى عَنْهُ كَثِيرًا.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ إِمَامٌ مُصَنِّفٌ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، بَارِعٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ، صَدُوقٌ، كَانَ يُقَاسُ بِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي زُهْدِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ.

قَالَ **إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ**: أَجْمَعَ عُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ مَنْ لَمْ يَجْرِ مَعَ الْقَدَرِ لَمْ يَتَهَنَّ بِعَيْشِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: الرَّجُلُ الَّذِي يُدْخِلُ غَمَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُدْخِلُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَقَدْ كَانَتْ بِي شَقِيقَةٌ مُنْذُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، مَا أَخْبَرْتُ بِهَا أَحَدًا، وَلِي عَشْرُ سِنِينَ أُبْصِرُ بِفَرْدِ عَيْنٍ مَا أَخْبَرْتُ بِهَا أَحَدًا قَطُّ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِي بَعْضِ الرَّمَضَانَاتِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ دِرْهَمًا وَاحِدًا وَأَرْبَعَةَ دَوَانِيقَ وَنِصْفًا، وَمَا كُنَّا نَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَائِخِ شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ بَاذِنْجَانٌ مَشْوِيٌّ أَوْ بَاقَةُ فِجْلٍ أَوْ نَحْوُ هَذَا.

وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُعْتَضِدُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَرَدَّهَا، فَرَجَعَ الرَّسُولُ وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ الْخَلِيفَةُ فَرِّقْهَا عَلَى مَنْ تَعْرِفُ مِنْ فُقَرَاءِ جِيرَانِكَ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ نَجْمَعْهُ وَلَا نُسْأَلُ عَنْ جَمْعِهِ، فَلَا نُسْأَلُ عَنْ تَفْرِيقِهِ، قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِمَّا يَتْرُكُنَا وَإِلَّا نَتَحَوَّلُ مِنْ بَلَدِهِ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٢٨٥هـ)، وَصَلَّى عَلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ الْقَاضِي عِنْدَ بَابِ الْأَنْبَارِ وَكَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا جِدًّا.

١٣ - **الْمُبَرِّدُ النَّحْوِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْأَكْبَرِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَزْدِيُّ الثُّمَالِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمُبَرِّدِ النَّحْوِيُّ الْبَصْرِيُّ، **إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ**، أَخَذَ ذَلِكَ عَنِ الْمَازِنِيِّ وَأَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيِّ. وَكَانَ ثِقَةً ثَبْتًا فِيمَا يَنْقُلُهُ، وَلَهُ كِتَابُ «الْكَامِلِ» فِي الْأَدَبِ.

قَالَ الْمُبَرِّدُ: دَخَلْنَا يَوْمًا عَلَى الْمَجَانِينِ نَزُورُهُمْ أَنَا وَأَصْحَابٌ مَعِي بِالرَّقَّةِ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْمَكَانِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ نَاعِمَةٌ، فَلَمَّا أَبْصَرَ بِنَا قَالَ: حَيَّاكُمُ اللهُ مِمَّنْ أَنْتُمْ؟ قُلْنَا: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: بِأَبِي الْعِرَاقُ وَأَهْلُهَا أَنْشِدُونِي أَوْ أُنْشِدُكُمْ؟

قَالَ الْمُبَرِّدُ: فَقُلْتُ: بَلْ أَنْشِدْنَا أَنْتَ. فَقَالَ:

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي كَمِدٌ ... لَا أَسْتَطِيعُ أَبُثُّ مَا أَجِدُ
رُوحَانِ لِي رُوحٌ تَضَمَّنَهَا ... بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ
وَأَرَى الْمُقِيمَةَ لَيْسَ يَنْفَعُهَا ... صَبْرٌ وَلَا يَقْوَى لَهَا جَلَدُ
وَأَظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي ... بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجِدُ

قَالَ الْمُبَرِّدُ: فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَظَرِيفٌ فَزِدْنَا مِنْهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٢٨٥هـ) عن سبعين سنة.

١٤- **إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبَانٍ**، أَبُو يَعْقُوبَ النَّخَعِيُّ الْأَحْمَرُ، **وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الطَّائِفَةُ الْإِسْحَاقِيَّةُ مِنَ الشِّيعَةِ**، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ النُّوبَخْتِيِّ، وَالْخَطِيبُ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ **كَانَ يَعْتَقِدُ إِلَهِيَّةَ عَلِيِّ** بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْحَسَنِ، ثُمَّ الْحُسَيْنِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَظْهَرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، **وَقَدِ اتَّبَعَهُ عَلَى هَذَا الْكُفْرِ خَلْقٌ مِنَ الْحَمِيرِ** قَبَّحَهُ اللهُ وَقَبَّحَهُمْ.

وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ النُّوبَخْتِيُّ أَقْوَالًا عَظِيمَةً فِي الْكُفْرِ لَعَنَهُ اللهُ.

١٥- **بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدِ** بْنِ يَزِيدَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحَافِظُ أَحَدُ عُلَمَاءِ الْغَرْبِ لَهُ "التَّفْسِيرُ" وَ "الْمُسْنَدُ" وَ "السُّنَنُ وَالْآثَارُ" الَّتِي فَضَّلَهَا ابْنُ حَزْمٍ عَلَى تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ، وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ وَمُصَنَّفِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَفِيمَا **زَعَمَ ابْنُ حَزْمٍ نَظَرٌ**.

وَقَدْ تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ فَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا وَوَصَفَهُ بِالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ سنة (٢٨٦هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

١٦ - **أَبُـو بَكْرٍ أَحْمَـدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ** الضَّحَّاكِ، ولَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي الْحَدِيثِ كَثِيـرَةٌ، مِنْهَا كِتَابُ "السُّـنَّةِ" فِـي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ السَّـلَفِ، وَكَانَ حَافِظًا كَبِيرًا جَلِيلًا، قَدْ وَلِيَ قَضَاءَ أَصْبَهَانَ بَعْدَ صَالِحِ ابْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. وَكَانَ قَدْ طَافَ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ.

وَكَانَ يَقُولُ: لَا أُحِبُّ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسِي مُبْتَدِعٌ وَلَا طَعَّانٌ وَلَا لَعَّانٌ وَلَا فَاحِشٌ وَلَا بَـذِيءٌ، وَلَا مُنْحَرِفٌ عَنِ الشَّـافِعِيِّ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سـنة (٢٨٦هـ) بِأَصْبَهَانَ.

١٧ --**ثَابِـتُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ هَارُونَ الصَّابِئِيُّ الْفَيْلَسُـوفُ الْحَرَّانِيُّ**، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، مِنْ جُمْلَتِهَا: أَنَّهُ حَرَّرَ كِتَابَ إِقْلِيدِسَ الَّذِي عَرَّبَهُ حُنَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَبَّادِيُّ، وَكَانَ أَصْلُهُ صَيْرَفِيًّـا بِحَرَّانَ، فتَرَكَ ذَلِكَ وَاشْـتَغَلَ بِعِلْمِ الْأَوَائِلِ، فَنَالَ مِنْهُ رُتْبَةً سَـامِيَةً عِنْدَ أَهْلِهِ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَعَظُمَ شَأْنُهُ بِهَا، وَكَانَ يَدْخُلُ مَعَ الْمُنَجِّمِينَ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى دِيـنِ الصَّابِئَةِ، وَحَفِيدُهُ ثَابِتُ بْنُ سِـنَانٍ لَهُ تَارِيـخٌ أَجَادَ فِيهِ وَأَحْسَـنَ، وَكَانَ بَلِيغًا مَاهِرًا حَاذِقًا بَالِغًا.

١٨ -**عُبَيْـدُ اللهِ بْنُ سُـلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ، وَزِيرُ الْمُعْتَضِدِ** كَانَ حَظِيًّـا عِنْدَهُ وَقَدْ عَزَّ عَلَيْهِ وَفَاتُـهُ وَتَأَلَّمَ لِفَقْدِهِ وَأَهَمَّهُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَعَقَدَ لِوَلَدِهِ الْقَاسِـمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْوِزَارَةَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ جَبْرًا لِمُصَابِهِ بِهِ.

❁ ❁ ❁

(١٧)

خلافة المكتفي بالله علي ابن المعتضد

٢٨٩-٢٩٥

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه وأسرته

أبو محمد عَلِيّ المكتفي ابْن أحمد الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بْنِ الرَّشِيدِ هَارُونَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ.

وَكَانَ مُوْلِدُهُ: فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ: مُحَمَّدٌ، وَجَعْفَرٌ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ، وَمُوسَى، وَعَبْدُ اللهِ، وَهَارُونُ، وَالْفَضْلُ، وَعِيسَى، وَالْعَبَّاسُ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ.

○ صفاته

كَانَ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، جَمِيلًا، رَقِيقَ اللَّوْنِ، حَسَنَ الشِّعْرِ وَافِرَ اللِّحْيَةِ عَرِيضَهَا، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ الشِّعْرَ، وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ: عَلِيٌّ مُتَوَكِّلٌ عَلَى رَبِّهِ.

وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ الْمُعْتَضِدُ بَاشَرَ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ، ودَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فَأَنْشَدَهُ:

أَجَلُّ الرَّزَايَا أَنْ يَمُوتَ إِمَامٌ ... وَأَسْنَى الْعَطَايَا أَنْ يَقُومَ إِمَامُ
فَأَسْقَى الَّذِي مَاتَ الْغَمَامُ وَجَادَهُ ... وَدَامَتْ تَحِيَّاتٌ لَهُ وَسَلَامُ
هُوَ الْمُكْتَفِي بِاللهِ يَكْفِيهِ كُلَّمَا ... عَنَاهُ بِرُكْنٍ مِنْهُ لَيْسَ يُرَامُ

فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ.

وَفِي أَيَّامِهِ فُتِحَتْ أَنْطَاكِيَةُ وَاسْتُنْقِذَتْ مِنْ أَيْدِي الرُّومِ وَكَانَ فِيهَا مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ.

○ وفاته

فِي آخِرِ يَوْمِ السَّبْتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٢٩٥هـ) توفي الْخَلِيفَةُ الْمُكْتَفِي بِاللهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنُ الْمُعْتَضِدِ.

وَكَانَ سبب وفاته: مَرَضُهُ بِدَاءِ الْخَنَازِيرِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَدُفِنَ فِي دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ ثِنْتَيْنِ، وَقِيلَ: عَنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ كَانَ بِالرَّقَّةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ وَأَعْيَانُ الْأُمَرَاءِ، فَرَكِبَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الاثنين لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٢٨٩هـ)

فتمت له البيعة، وَكَانَ **عُمُرُهُ** يَوْمَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَبَعْضَ شَهْرٍ.

وكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتَّ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَلَيْسَ فِي الْخُلَفَاءِ مَنِ اسْمُهُ عَلِيٌّ سِوَى هَذَا، **وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**.

وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُكَنَّى بِأَبِي مُحَمَّدٍ إِلَّا هَذَا، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْهَادِي وَالْمُسْتَضِيءُ بِأَمْرِ بِاللهِ. وَحِينَ وَلِيَ الْمُكْتَفِي **كَثُرَتِ الْفِتَنُ وَانْتَشَرَتْ فِي الْبِلَادِ**.

○ وصيته

لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ سَأَلَ عَنْ أَخِيهِ **أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ** بْنِ الْمُعْتَضِدِ فَصَحَّ عِنْدَهُ أَنَّهُ بَالِغٌ، فَأَحْضَرَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٢٩٥هـ)، وَأَحْضَرَ الْقُضَاةَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَقَّبَهُ بِالْمُقْتَدِرِ بِاللهِ.

وكَانَ قَدْ أَوْصَى بِصَدَقَةٍ مِنْ خَالِصِ مَالِهِ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ كَانَ قَدْ جَمَعَهَا وَهُوَ صَغِيرٌ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

أعماله في اليوم الأول

- أَمَـرَ في أول يـوم، وهو يَـوْمَ الاثنيـن لِثَمَانٍ خَلَـوْنَ مِنْ جُمَـادَى الْأُولَى مِنْ سـنة (٢٨٩هـ) **بِقَتْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ** الصَّفَّارِ، وَكَانَ مُعْتَقَلًا فِي سِجْنِ أَبِيهِ.
- وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ الْمَطَامِيرَ [١] الَّتِي كَانَ اتَّخَذَهَا أَبُوهُ لِلسِّجْنِ.
- وَأَمَرَ بِبِنَاءِ جَامِعٍ مَكَانَهَا.
- وَخَلَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى الْوَزِيرِ الْقَاسِـمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُـلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ سِـتَّ خِلَعٍ وَقَلَّدَهُ سَيْفًا.

ظواهر كونية

- فِي رَجَبٍ سنة (٢٨٩هـ) زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا.
- وَفِي رَمَضَانَ تَسَـاقَطَ وَقْتَ السَّحَرِ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومٌ كَثِيرَةٌ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ.
- قَـالَ ابْـنُ الْجَـوْزِيِّ فِـي «الْمُنْتَظَـمِ» [٢] : وَفِي يَـوْمِ التَّاسِـعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٢٨٩هـ) صَلَّى النَّـاسُ الْعَصْرَ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ **ببغداد**، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصَّيْفِ، ثم هَبَّـتْ رِيحٌ بَـارِدَةٌ جِدًّا حَتَّى احْتَاجَ النَّـاسُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى الِاصْطِلَاءِ بِالنَّارِ وَلَبِسُـوا الْفِرَاءَ والْمَحْشُوَّاتِ وَجَمَدَ الْمَاءُ كَفَصْلِ الشِّتَاءِ.
- قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: [٣] وَكَذَا وَقَعَ بِمَدِينَةِ **حِمْصَ**.

---

(١) المطامير: جمع مطمورة، وهي: الحبس، تاج العروس (مادة ط م ر).
(٢) ٦/ ١٣
(٣) الكامل ٧/ ٥٢٢.

⊙ وهبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ **بِالْبَصْرَةِ** فَاقْتَلَعَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ نَخِيلِهَا، وَخُسِفَ بِمَوْضِعٍ مِنْهَا فَمَاتَ تَحْتَهُ سِتَّةُ آلَافِ نَسَمَةٍ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَزُلْزِلَتْ بَغْدَادُ فِي رَجَبٍ سنة (٢٨٩هـ) مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً ثُمَّ سَكَنَتْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ فتنة في المشرق

فِي سنة (٢٨٩هـ) خَرَجَ **مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ** عَنْ طَاعَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ، وَكَاتَبَهُ أَهْلُ الرَّيِّ بَعْدَ قَتْلِهِ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدٍ الطَّالِبِيَّ فَصَارَ إِلَيْهِمْ، فَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الْبَلَدَ فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، فَقَصَدَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بِالْجُيُوشِ، فَقَهَرَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا.

○ قتل بَدْرٍ غُلَامُ الْمُعْتَضِدِ

كان الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْوَزِيرُ قَدْ عَزَمَ فِي حَيَاةِ الْمُعْتَضِدِ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ الْخِلَافَةَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُعْتَضِدِ، وَفَاوَضَ بِذَلِكَ بَدْرًا هَذَا فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ، وَأَبَى إِلَّا الْبَيْعَةَ لِأَوْلَادِ مَوْلَاهُ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُكْتَفِي خَافَ الْوَزِيرُ مِنْ غَائِلَةِ مَا كَانَ أَسَرَّ بِهِ إِلَى بَدْرٍ فَعَمِلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُكْتَفِي، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى احْتَاطَ الْخَلِيفَةُ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ وَهُوَ بِوَاسِطَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ، فَقَدِمَ، فَأَمَرَ الْوَزِيرُ مَنْ قَتَلَهُ، **فَقُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ** لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٢٨٩هـ) ثُمَّ قَطَعَ رَأْسَهُ وَبَقِيَتْ جُثَّتُهُ أَخَذَهَا أَهْلُهُ ثُمَّ بَعَثُوهَا فِي تَابُوتٍ إِلَى مَكَّةَ فَدُفِنَ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ وَكَانَ قَدْ أَعْتَقَ كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَحِينَ أُرِيدُ قَتْلُهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ قَتَلُوهُ.

○ انتشار القرامطة

فِي سنة (٢٨٩هـ) انْتَشَرَتِ الْقَرَامِطَةُ بَعْدَ مَوْتِ الْمُعْتَضِدِ فِي الْآفَاقِ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى الْحَجِيجِ، وَتَسَمَّى بَعْضُهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَعَثَ الْمُكْتَفِي إِلَيْهِمْ جُيُوشًا كَثِيرَةً وَأَنْفَقَ أَمْوَالًا غَزِيرَةً، حَتَّى أَطْفَأَ اللهُ بَعْضَ شَرِّهِمْ، قَبَّحَهُمُ اللهُ.

هجوم القرامطة على الرقة

فِـي سـنة (٢٩٠) أَقْبَلَ يَحْيَى بْـنُ زَكْرَوَيْهِ بْـنِ مَهْرَوَيْهِ أَبُو قَاسِـمٍ الْقِرْمِطِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالشَّيْخِ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ مِنَ الْقَرَامِطَةِ، فَعَاثَ بِنَاحِيَةِ الرَّقَّةِ فَسَـادًا فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ جَيْشًا كَثِيفًا فِي نَحْوِ عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ.

القرامطة في بلاد الشام

فِي سـنة (٢٩٠هـ) هجم القرامطة على دمشـق، فقاومهم أهلهـا، وتمكنوا من قتل أميـر القرامطة **يَحْيَـى بْنُ زَكْرَوَيْهِ بْنِ مَهْرَوَيْهِ** عَلَى بَابِ دِمَشْـقَ، قَتَلَـهُ جَيْشُ الْمِصْرِيِّينَ، زَرَقَـهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ بِمِـزْرَاقٍ مِنْ نَارٍ فَحَرَقَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَمَـا كَانَ قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ جَيْشِهَا مِنْ أَصْحَابِ طُغْجِ بْنِ جُفٍّ نَائِبِهَا، ثُمَّ مَنَّ اللهُ عَلَى النَّاسِ بِقَتْلِهِ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، فَقَامَ بِأَمْرِ الْقَرَامِطَةِ مِنْ بَعْدِهِ **أَخُوهُ الْحُسَيْنُ**، وَتَسَمَّى بِأَحْمَدَ، وَتَكَنَّى بِأَبِي الْعَبَّاسِ، وَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَطَاعَتْهُ الْقَرَامِطَةُ، كَمَا كَانُوا يُطِيعُونَ أَخَاهُ يَحْيَى، فَحَاصَرَ دِمَشْقَ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى مَالٍ.

ثُمَّ سَـارَ إِلَى **حِمْصَ** فَافْتَتَحَهَـا، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا، ثُمَّ سَـارَ إِلَى **حَمَاةَ، وَمَعَرَّةِ النُّعْمَـانِ**، فَقَهَـرَ أَهْلَ تِلْكَ النَّوَاحِي، وَاسْـتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ وَحَرِيمَهُـمْ، وَكَانَ يَقْتُلُ الدَّوَابَّ وَالصِّبْيَـانَ فِـي الْمَكَاتِبِ، وَيُبِيحُ لِمَنْ مَعَهُ وَطْءَ النِّسَـاءِ، فَرُبَّمَا وَطِـئَ الْوَاحِدَةَ الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا وَلَدَتْ وَلَدًا هَنَأَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْآخَرَ.

فَكَتَبَ أَهْلُ الشَّـامِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ هَذَا اللَّعِينِ، فَجَهَّزَ الْمُكْتَفِي جُيُوشًا كَثِيفَةً، وَأَنْفَقَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً لِحَرْبِهِ، وَرَكِبَ فِي رَمَضَانَ **فَنَزَلَ الرَّقَّةَ** وَبَثَّ الْجُيُوشَ فِي كُلِّ جَانِبٍ لِقِتَالِ الْقِرْمِطِيِّ.

وَكَانَ الْقِرْمِطِيُّ يَكْتُبُ إِلَى أَصْحَابِهِ: مِنْ عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيِّ الْمَنْصُورِ بِـاللهِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ الْحَاكِمِ بِحُكْمِ اللهِ الدَّاعِي إِلَى كِتَابِ اللهِ الذَّابِّ عَنْ حَرِيمِ اللهِ الْمُخْتَارِ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ.

وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ فَاطِمَةَ وَهُوَ **كَاذِبٌ أَفَّاكٌ** أَثِيمٌ قَبَّحَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِقُرَيْشٍ ثُمَّ لِبَنِي هَاشِمٍ، ولما دخل **سَلَمْيَة**(١) لَمْ يَدَعْ بِهَا أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى قَتَلَهُ وَقَتَلَ أَوْلَادَهُ وَاسْتَبَاحَ نِسَاءَهُ.

○ هزيمة القرامطة وأسر رئيسهم

فِي سنة (٢٩١هـ) جَرَتْ وَقْعَةٌ هَائِلَةٌ بَيْنَ الْقَرَامِطَةِ وَجُنْدِ الْخَلِيفَةِ قرب حماة، فَهُزِمَتِ الْقَرَامِطَةُ هَزِيمَةً عَظِيمَةً، **وَأُسِرَ رَئِيسُهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ زَكْرَوَيْهِ**، الْمُلَقَّبُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ذُو الشَّامَةِ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا.

فَلَمَّا أُسِرَ حُمِلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ، أُدْخِلَ بَغْدَادَ عَلَى فِيلٍ مَشْهُورٍ لِلنَّاسِ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِعَمَلِ دَكَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ فَأُجْلِسَ عَلَيْهَا الْقِرْمِطِيُّ، وَجِيءَ بِأَصْحَابِهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ، وَقَدْ جَعَلَ فِي فَمِهِ خَشَبَةً مُعْتَرِضَةً مَشْدُودَةً إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ أُنْزِلَ فَضُرِبَ مِائَتَيْ سَوْطٍ ثُمَّ قُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَكُوِيَ ثُمَّ أُحْرِقَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ عَلَى خَشَبَةٍ، وَطِيفَ بِهِ فِي أَرْجَاءِ بَغْدَادَ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

○ عدوان القرامطة على طريق الفرات

فِي سَنَةِ (٢٩٣) الْتَفَّ عَلَى أَخِي الْحُسَيْنِ الْقِرْمِطِيِّ المقتول: خَلَائِقُ مِنَ الْقَرَامِطَةِ وَالْأَعْرَابِ وَاللُّصُوصِ بِطَرِيقِ **الْفُرَاتِ**، فَعَاثَ بِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، ثُمَّ قَصَدَ **طَبَرِيَّةَ** فَامْتَنَعُوا مِنْ إِيوَائِهِ، فَدَخَلَهَا قَهْرًا، وَقَتَلَ بِهَا خَلْقًا مِنَ الرِّجَالِ، وَأَخَذَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ.

ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْبَادِيَةِ، وَدَخَلَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ إِلَى **هِيتَ**(٢)، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا إِلَّا الْقَلِيلَ وَأَخَذُوا مِنْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَمَلُوهَا عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ بَعِيرٍ فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ الْمُكْتَفِي جَيْشًا فَقَاتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا رَئِيسَهُمْ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

---

(١) سلمية: بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة، وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٢٤٠).

(٢) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة وهي مجاورة للبرية. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٤٢١).

○ ظهور القرامطة باليمن

فِي سنة (٢٩٣) نَبغَ رَجُلٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ باليمن، يُقَالُ لَهُ: **الدَّاعِيَةُ**، فَحَاصَرَ صَنْعَاءَ فَدَخَلَهَا قَهْرًا، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى بَقِيَّةِ مُدُنِ الْيَمَنِ، فَأَكْثَرَ فِيهَا الْفَسَادَ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنَ الْعُبَّادِ، ثُمَّ قَاتَلَهُ أَهْلُ صَنْعَاءَ، فَظَفِرُوا بِهِ وَهَزَمُوهُ فَانْحَازَ إِلَى بَعْضِ مُدُنِهَا.

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهَا **الْمُظَفَّرَ بْنَ حَاجٍّ** نَائِبًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ، فَسَارَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ.

○ هجوم القرامطة على الكوفة

فِي يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى سنة (٢٩٣) دَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِمِائَةٍ إِلَى الْكُوفَةِ وَالنَّاسُ فِي عِيدِهِمْ، **فَنَادَوْا: يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ**، يَعْنُونَ الْمَصْلُوبَ بِبَغْدَادَ، **وَشِعَارُهُمْ**: يَا أَحْمَدُ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنُونَ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَهُ، فَبَادَرَ النَّاسُ الدُّخُولَ إِلَى الْكُوفَةِ فَوَلَجَ خَلْفَهُمُ الْقَرَامِطَةُ فَرَمَتْهُمُ الْعَامَّةُ بِالْحِجَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ، وَرَجَعَ الْبَاقُونَ خَاسِئِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ هجوم القرامطة على بصرى وأذرعات

في سنة (٢٩٣) لَمَّا اشْتَغَلَ جيْشُ الشام بِأَمْرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، بَعَثَ زَكْرَوَيْهِ بْنُ مَهْرَوَيْهِ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهِ الْحُسَيْنِ بِبَغْدَادَ جَيْشًا صُحْبَةَ رَجُلٍ كَانَ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ، يُقَالُ لَهُ **عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ**، فَقَصَدَ بُصْرَى وَأَذْرِعَاتَ وَالْبَثْنِيَّةَ، فَحَارَبَهُ أَهْلُهَا، ثُمَّ أَمَّنَهُمْ، فَلَمَّا أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُمْ قَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَرَامَ الدُّخُولَ إِلَى دِمَشْقَ فَقَاتَلَهُ نَائِبُ أَحْمَدَ بْنِ كَيْغَلَغَ بِدِمَشْقَ، وَهُوَ صَالِحُ بْنُ الْفَضْلِ فَهَزَمَهُ الْقِرْمِطِيُّ، وَقُتِلَ صَالِحٌ فِيمَنْ قُتِلَ، وَحَاصَرَ دِمَشْقَ فِلَمْ يُمْكِنْهُ دخولها، فَانْصَرَفَ إِلَى طَبَرِيَّةَ فَقَتَلُوا أَكْثَرَ أَهْلِهَا، وَنَهَبُوا مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا.

○ إختفاء زَكْرَوَيْهِ مع إدارته للصراع

كان زَكْرَوَيْهِ بْنِ مَهْرَوَيْهِ مُخْتَفٍ فِي بَلَدِهِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ، إِذَا أُلِحَّ فِي طَلَبِهِ نَزَلَ بِئْرًا قَدِ اتَّخَذَهَا، وَعَلَى بَابِهِ تَنُّورٌ فَتَقُومُ امْرَأَةٌ تَسْجُرُهُ وَتَخْبِزُ فِيهِ فَلَا يَشْعُرُ أَحَدٌ

بِأَمْـرِهِ أَصْلًا، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ جَيْشًـا كَثِيفًا فَقَاتَلَهُمْ زَكْرَوَيْهِ بِنَفْسِـهِ وَمَـنْ أَطَاعَهُ فَهَزَمَ جَيْشَ الْخَلِيفَةِ وَغَنِمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَـيْئًا كَثِيرًا جِدًّا فَتَقَوَّى بِهِ وَاشْـتَدَّ أَمْرُهُ فَنَدَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا آخَرَ.

○ اعتراض زكـرويــه للحجاج

فِي الْمُحَرَّمِ سـنة (٢٩٤هـ) **اعْتَـرَضَ زَكْرَوَيْهِ** القرمطي وَأَصْحَابُـهُ الْحُجَّاجَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَهَمْ قَافِلُونَ مِنْ مَكَّةَ، فَقَتَلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ، فَكَانَ قِيمَةُ مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ: أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعِدَّةُ مَنْ قُتِلَ: عِشْـرِينَ أَلْفَ إِنْسَـانٍ، وَكَانَتْ نِسَاءُ الْقَرَامِطَةِ يَطُفْنَ بَيْنَ الْقَتْلَى مِنَ الْحُجَّاجِ بِالْمَاءِ صِفَةَ أَنَّهُنَّ يَسْقِينَ الْجَرْحَى، فَمَنْ كَلَّمَهُنَّ مِنَ الْجَرْحَى قَتَلْنَهُ وَأَجْهَزْنَ عَلَيْهِ قبحَهُنَّ اللهُ.

○ مقتل زكرويـه القرمطي

لَمَّـا بَلَغَ الْخَلِيفَـةَ المكتفي خَبَرُ الْحَجِيجِ وَمَـا أَوْقَعَ بِهِمُ الْخَبِيثُ زَكْرَوَيْـهِ، جَهَّزَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا فِي أَوَّلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٢٩٤هـ) فَالْتَقَوْا مَعَهُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا جِدًّا، قُتِلَ مِـنَ الْقَرَامِطَـةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَضُرِبَ زَكْرَوَيْهِ - لَعَنَهُ اللهُ - بِالسَّـيْفِ فِي رَأْسِـهِ فَوَصَلَتِ الضَّرْبَةُ إِلَى دِمَاغِهِ، **وَأُخِذَ أَسِـيرًا فَمَاتَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فَفَتَحُوا عَنْ بَطْنِهِ وَصَبَّرُوهُ**[1] وَحَمَلُوهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَاحْتَوَى الْعَسْـكَرُ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِي الْقَرَامِطَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَأَمَـرَ الْخَلِيفَةُ بِقَتْـلِ أَصْحَابِ الْقِرْمِطِـيِّ، وَأَنْ يُطَافَ بِرَأْسِ الْقِرْمِطِيِّ فِي سَـائِرِ بِلَادِ خُرَاسَانَ لِئَلَّا يَمْتَنِعَ النَّاسُ عَنِ الْحَجِّ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ، وَأَطْلَقَ مَنْ كَانَ بِأَيْدِي الْقَرَامِطَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ الَّذِينَ أَسَرُوهُمْ.

(١) صبر الجثة: صنع بها مَا يَقِيهَا الْفساد إِلَى وَقت مَا، وَكَانُوا قَدِيما يستعملون الصَّبْر فِي ذَلِك. المعجم الوسيط (١/ ٥٠٦)

○ غزو الترك بلاد ما وراء النهر

فِي سنة (٢٩١هـ) قَصَدَتِ الْأَتْرَاكُ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ فَبَيَّتَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا مَا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥]

○ غزو الروم بلاد الشام

فِي سنة (٢٩١هـ) بَعَثَ مِلْكُ الرُّومِ عَشَرَةَ صُلْبَانٍ مَعَ كُلِّ صَلِيبٍ عَشَرَةُ آلَافٍ فَأَغَارُوا عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَسَبَوْا أُنَاسًا مِنَ الذُّرِّيَّةِ.

○ هجوم الروم على بلاد حلب

فِي سنة (٢٩٣) أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِ حَلَبَ.

○ فتح مدينة أنطاكية

فِي سنة (٢٩١هـ) دَخَلَ نَائِبُ طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّومِ فَفَتَحَ **مَدِينَةَ أَنْطَاكِيَةَ** وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ تُعَادِلُ عِنْدَهُمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَخَلَّصَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ آلَافِ أَسِيرٍ وَأَخَذَ مِنَ الرُّومِ سِتِّينَ مَرْكَبًا وَغَنِمَ شَيْئًا عَظِيمًا جِدًّا، فَبَلَغَ نَصِيبُ كُلٍّ مِنَ الْغُزَاةِ أَلْفَ دِينَارٍ.

○ غزو بلاد الروم

فِي سنة (٢٩٤هـ) غَزَا **أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَغَ** نَائِبُ دِمَشْقَ بِلَادَ الرُّومِ مِنْ نَاحِيَةِ **طَرَسُوسَ**، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَأَسَرَ مِنْ ذَرَارِيهِمْ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَسْلَمَ بَعْضُ الْبَطَارِقَةِ مِنَ الرُّومِ، وَجَاءَ مَعَهُ بِنَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْ أَسِيرٍ كَانُوا فِي حِصْنِهِ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ الرُّومِ جَيْشًا فِي طَلَبِهِ، فَرَكِبَ هُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَبَسَ الرُّومَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَغَنِمَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً كَثِيرَةً جِدًّا، وَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مَا تَمَنَّاهُ.

○ فداء الأسرى مع الروم

فِي سنة (٢٩٥هـ) كَانَتِ الْمُفَادَاةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنِ اسْتُنْقِذَ مِنْ أَيْدِي الرُّومِ مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ نَحْوٌ مَنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ القضاء على الدولة الطولونية

فِي سنة (٢٩٢) دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي نَحْوٍ مَنْ عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُكْتَفِي إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِقِتَالِ هَارُونَ بْنِ خُمَارَوَيْه، **فَبَرَزَ إِلَيْهِ هَارُونُ**، فَاقْتَتَلَا فَقَهَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَجَمَعَ آلَ طُولُونَ وَكَانُوا سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَقَتَلَهُمْ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ، **وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الطُّولُونِيَّةِ** عَنِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَتَبَ بِالْفَتْحِ إِلَى الْمُكْتَفِي.

○ ثورة الخَلَنْجِيّ بمصر

فِي سنة (٢٩٣) ظَهَرَ رَجُلٌ بِمِصْرَ يُقَالُ لَهُ **الخَلَنْجِيّ** فَخَلَعَ الطَّاعَةَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدَ بْنَ كَيْغَلَغَ نَائِبَ دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا، فَرَكِبَ إِلَيْهِ فَاقْتَتَلَا بِظَاهِرِ مِصْرَ فَهَزَمَهُ الْخَلَنْجِيُّ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ جَيْشًا آخَرَ فَهَزَمُوا الْخَلَنْجِيَّ وَهَرَبَ فَاسْتَتَرَ بِمِصْرَ، فَأُحْضِرَ، وَسُلِّمَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَانْطَفَأَ خَبَرُهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ ظهور السفياني بالشام

فِي سنة (٢٩٤هـ) ظَهَرَ بِالشَّامِ رَجُلٌ فَادَّعَى أَنَّهُ السُّفْيَانِيُّ [1] فَأُخِذَ وَبُعِثَ بِهِ إِلَى بَغْدَادَ فَادَّعَى أَنَّهُ مُوَسْوَسٌ.

(١) ورد في كتاب البداية والنهاية في مواضع متعددة ذكر خروج السفياني، ويدعي ذلك أشخاص مختلفون في كل زمن.
وقدكثرت الروايات في شأن السفياني، ومع كثرتها إلا أنها لم ترد في الصحيحين ولا في كتب السنة المشهورة كمسند الإمام أحمد والسنن الأربع والموطأ والدارمي، وإنما وردت في بعض كتب الفتن والملاحم وأكثر من جمعها: نعيم بن حماد، وأبو عمرو الداني.
ولم يجئ في خروجه حديث صحيح يعتمد عليه، وقد أورد الحاكم في المستدرك برقم (٨٤٤٧) : =

○ وفاة إسماعيل الساماني أمير خراسان

فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ صَفَرٍ سنة (٢٩٥هـ) كَانَتْ وَفَاةُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ أَمِيرِ خُرَاسَانَ.

وَقَدْ كَانَ عَاقِلًا عَادِلًا حَسَنَ السِّيرَةِ فِي رَعِيَّتِهِ حَلِيمًا كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُحْسِنُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيَحْتَرِمُهُ وَيَقُومُ لَهُ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ، وَقَدْ وَلِيَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْمُكْتَفِي بِاللهِ بِالْوِلَايَةِ وَالتَّشْرِيفِ.

وَقَدْ تَذَاكَرَ النَّاسُ عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ الْفَخْرَ بِالْأَنْسَابِ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عِصَامِيًّا لَا عِظَامِيًّا، أَيْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْتَخِرَ بِنَفْسِهِ لَا بِنَسَبِهِ وَبَلَدِهِ وَجَدِّهِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: [1]

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وَبِجِدِّي سَمَوْتُ لَا بِجُدُودِي

❁ ❁ ❁

= «أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فتنة تقبل من المدينة وفتنة في مكة وفتنة تقبل من اليمن وفتنة تقبل من الشام وفتنة تقبل من المشرق وفتنة تقبل من المغرب وفتنة من بطن الشام وهي السفياني» قال الألباني: (ضعيف جدا). انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤/ ٣٥٠) برقم (١٨٧٠).

وقد أورد نعيم بن حماد في الفتن برقم (١/ ٢٧٩) عن محمد بن جعفر بن علي قال:

«السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بياض، يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له وادي اليابس، يخرج في سبعة نفر، مع رجل منهم لواء معقود، يعرفون في لوائه النصر، يسيرون بين يديه على ثلاثين ميلا، لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم»

للاستزادة انظر: موقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث «السفياني أُنموذجًا» للباحث: زاهر بن محمد بن سعيد الشهري.

(١) الشعر للمتنبي في ديوانه ١/ ٣٢٢.

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سنة: (٢٩٠هـ) الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبَّاسِيُّ.[(١)]

وحَجَّ بِالنَّاسِ سنوات: (٢٨٩هـ)، (٢٩١هـ)، (٢٩٢هـ)، (٢٩٣)، (٢٩٤هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ.

❁ ❁ ❁

(١) وعند الطبري ١٠/ ١١٧ وكذا في إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٢/ ٣٥٧ أن الذي حج بالناس هو: الفضل بن عبدالملك الهاشمي.

مشاهير من توفي من الأعيان

١- **الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ فَهْمِ بْنِ مُحْرِزِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ الْبَغْدَادِيُّ، سَمِعَ خَلَفَ بْنَ هِشَامٍ وَيَحْيَى بْنَ مَعِينٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ سَعْدٍ وَغَيْرَهُمْ، **وَكَانَ عَسِرًا فِي التَّحْدِيثِ إِلَّا لِمَنْ لَازَمَهُ**. وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْأَخْبَارِ وَالنَّسَبِ وَالشِّعْرِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، تُوُفِّيَ عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. **وَقَدْ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ**، توفي سنة (٢٨٩هـ).

٢- **عُمَارَةُ بْنُ وَثِيمَةَ** بْنِ مُوسَى أَبُو رِفَاعَةَ الْفَارِسِيُّ، **صَاحِبُ التَّارِيخِ** عَلَى السِّنِينَ، وُلِدَ بِمِصْرَ وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ وَغَيْرِهِ. توفي سنة (٢٨٩هـ).

٣- **عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ**، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّيْبَانِيُّ كَانَ إِمَامًا ثِقَةً حَافِظًا ثَبْتًا مُكْثِرًا عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنَادِي: (١) لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَرْوَى عَنْ أَبِيهِ مِنْهُ، سَمِعَ مِنْهُ «الْمُسْنَدَ» ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَ«التَّفْسِيرَ» مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، مِنْ ذَلِكَ سَمَاعٌ وَمِنْ ذَلِكَ وِجَادَةٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ وَحَدِيثُ الشُّيُوخِ.

قَالَ: وَمَا زِلْنَا نَرَى أَكَابِرَ شُيُوخِنَا يَشْهَدُونَ لَهُ بِمَعْرِفَةِ الرِّجَالِ وَعِلَلِ الْحَدِيثِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى وَالْمُوَاظَبَةِ عَلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ فِي الْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، وَيَذْكُرُونَ عَنْ أَسْلَافِهِمُ الْإِقْرَارَ لَهُ بِذَلِكَ.

مَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ **سنة (٢٩٠هـ)** عَنْ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً كَمَا مَاتَ لَهَا أَبُوهُ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ بَابِ التِّبْنِ ببغداد رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- **أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى** بْنِ زَيْدٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الشَّيْبَانِيُّ مَوْلَاهُمْ، **الْمُلَقَّبُ بِثَعْلَبٍ، إِمَامُ الْكُوفِيِّينَ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ**، مَوْلِدُهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ.

سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ بَكَّارٍ وَالْقَوَارِيرِيَّ وَغَيْرَهُمْ، وَعَنْهُ

(١) تاريخ بغداد٩/ ٣٧٥.

ابْنُ الْأَنْبَارِي وَابْنُ عَرَفَةَ، وَأَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ، وَكَانَ ثِقَةً حُجَّةً دَيِّنًا صَالِحًا مَشْهُورًا بِالصِّدْقِ وَالْحِفْظِ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ سَمِعَ مِنَ الْقَوَارِيرِيِّ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٢٩١) عَنْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً.

وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ «الْفَصِيحِ» وَهُوَ صَغِيرُ الْحَجْمِ كَثِيرُ الْفَائِدَةِ وَلَهُ كِتَابُ «الْمَصُونِ» وَ «اخْتِلَافُ النَّحْوِيِّينَ» وَ «مَعَانِي الْقُرْآنِ» وَكِتَابُ «الْقِرَاءَاتِ» وَ «مَعَانِي الشِّعْرِ» وَ «مَا يَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ» وَذَكَرَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً.

٥- **الْقَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ، الْوَزِيرُ**، تَوَلَّى بَعْدَ أَبِيهِ الْوِزَارَةَ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُعْتَضِدِ ثُمَّ وَزَرَ لِوَلَدِهِ الْمُكْتَفِي مِنْ بَعْدِهِ. فَلَمَّا كَانَ رَمَضَانُ سنة (٢٩١) مَرِضَ فَبَعَثَ إِلَى السُّجُونِ فَأَطْلَقَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَظْلُومِينَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا، وعمره ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ حَظِيًّا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ جِدًّا، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَمْلَاكِ مَا يَعْدِلُ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

٦- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْكَجِّيُّ، أَحَدُ الْمَشَايِخِ الْمُعَمَّرِينَ** كَانَ **يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا** مِمَّنْ مَعَهُ مِحْبَرَةٌ سِوَى النَّظَّارَةِ، وَيَسْتَمْلِي عَلَيْهِ سَبْعَةُ مُسْتَمْلِينَ كُلٌّ يُبَلِّغُ صَاحِبَهُ وَيَكْتُبُ بَعْضُ النَّاسِ وَهُمْ قِيَامٌ، وَكَانَ كُلَّمَا حَدَّثَ بِعَشَرَةِ آلَافِ حَدِيثٍ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ السُّنَنِ عَلَيْهِ عَمِلَ مَأْدُبَةً غَرِمَ عَلَيْهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَقَالَ: شَهِدْتُ الْيَوْمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُبِلَتْ شَهَادَتِي وَحْدِي، أَفَلَا أَعْمَلُ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

٧- **عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبُو حَازِمٍ الْقَاضِي** الْحَنَفِيُّ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ وَأَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ وَمِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَرِعًا نَزِهًا كَثِيرَ الصِّيَانَةِ وَالدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ» آثَارًا حَسَنَةً وَأَفْعَالًا جَمِيلَةً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨- **أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِي الشَّاعِرُ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُعْتَزِلِيُّ أَصْلُهُ مِنَ الْأَنْبَارِ وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ فَمَاتَ بِهَا وَكَانَ يُعَاكِسُ الشُّعَرَاءَ وَيَرُدُّ عَلَى

الْمَنْطِقِيِّينَ وَالْعَرُوضِيِّينَ وَكَانَ شَاعِرًا مُطْبِقًا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ هَوَسٌ.

وَلَهُ **قَصِيدَةٌ حَسَنَةٌ** فِي نَسَبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرْنَاهَا فِي «السِّيرَةِ»(١).

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَان: (٢) كَانَ مُتَبَحِّرًا فِي عِدَّةِ عُلُومٍ مِنْ جُمْلَتِهَا عِلْمُ الْمَنْطِقِ، وَكَانَ ذَكِيًّا فَطِنًا، وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ جَمِيلَةٌ وَأَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

٩- **صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو** بْنِ حَبِيبٍ أَبُو عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ أَسَدُ خُزَيْمَةَ **الْمَعْرُوفُ بِجَزَرَةَ**؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ عَلَى بَعْضِ الْمَشَايِخِ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ كَانَتْ لَهُ خَرَزَةٌ يَرْقِي بِهَا الْمَرِيضَ، فَقَرَأَهَا هُوَ جَزَرَةً تَصْحِيفًا مِنْهُ فَلُقِّبَ بِذَلِكَ لِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ حَافِظًا مُكْثِرًا جَوَّالًا رَحَّالًا طَافَ الشَّامَ وَمِصْرَ وَخُرَاسَانَ وَانْتَقَلَ مِنْ بَغْدَادَ فَسَكَنَ بُخَارَى، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا أَمِينًا وَلَهُ رِوَايَةٌ كَثِيرَةٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَسُؤَالَاتٌ كَثِيرَةٌ، كَانَ مَوْلِدُهُ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ، وتوفي سنة (٢٩٤هـ).

١٠ -**مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ** أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْمَرْوَزِيُّ الْفَقِيهُ**، وُلِدَ بِبَغْدَادَ وَنَشَأَ بِنَيْسَابُورَ وَاسْتَوْطَنَ سَمَرْقَنْدَ **وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ** فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَحْكَامِ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ وَسَمِعَ مِنَ الْمَشَايِخِ الْكَثِيرَ النَّافِعَ وَصَنَّفَ الْكُتُبَ الْمُفِيدَةَ الْحَافِلَةَ النَّافِعَةَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَلَاةً وَأَكْثَرِهِمْ فِيهَا خُشُوعًا، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابًا عَظِيمًا فِي الصَّلَاةِ (تعظيم قدر الصلاة).

رَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ (٣) أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ مِصْرَ قَاصِدًا مَكَّةَ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ وَمَعِي جَارِيَةٌ فَغَرِقَتِ السَّفِينَةُ فَذَهَبَ لِي فِي الْمَاءِ أَلْفَا جُزْءٍ وَسَلِمْتُ أَنَا وَالْجَارِيَةُ فَلَجَأْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ فَطَلَبْنَا بِهَا مَاءً فَلَمْ نَجِدْ فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى فَخِذِ الْجَارِيَةِ وَيَئِسْتُ مِنَ الْحَيَاةِ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا رَجُلٌ قَدْ أَقْبَلَ وَفِي يَدِهِ كُوزٌ، فَقَالَ: هَاهَ، فَأَخَذْتُهُ فَشَرِبْتُ مِنْهُ وَسَقَيْتُ الْجَارِيَةَ ثُمَّ ذَهَبَ فَلَمْ أَدْرِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ وَلَا إِلَى أَيْنَ ذَهَبَ.

(١) انظر البداية والنهاية ٣/ ٢٠٧
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٩١بنحوه.
(٣) تاريخ بغداد٣/ ٣١٧.

وَقَـدْ كَانَ مِـنْ **أَكْرَمِ النَّاسِ وَأَسْـخَاهُمْ** نَفْسًـا، وَكَانَ إِسْـمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَـدَ يَصِلُهُ فِي كُلِّ سَـنَةٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ وَيَصِلُهُ أَخُوهُ إِسْـحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بِأَرْبَعَـةِ آلَافٍ أَيْضًا، وَيَصِلُهُ أَهْلُ سَـمَرْقَنْدَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، فَيُنْفِقُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَقِيلَ لَهُ: لَوِ ادَّخَرْتَ شَـيْئًا لِنَائِبَةٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَنَا كُنْتُ بِمِصْرَ أُنْفِقُ فِي كُلِّ سَـنَةٍ عِشْـرِينَ دِرْهَمًا، فَرَأَيْتُ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يَتَهَيَّأُ لِي فِي السَّنَةِ عِشْرُونَ دِرْهَمًا.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ إِذَا دَخَلَ عَلَى إِسْـمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّـامَانِيِّ يَنْهَضُ لَهُ وَيُكْرِمُهُ.

وَقَـدْ رُوِيَ [(١)] أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُحَمَّـدُ بْنُ نَصْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ وَمُحَمَّدُ بْـنُ الْمُنْذِرِ فَجَلَسُـوا فِي بَيْـتٍ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ وَلَـمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَـيْءٌ يَقْتَاتُونَهُ فَاقْتَرَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ مَنْ يَسْـعَى لَهُمْ فِي شَيْءٍ يَأْكُلُونَهُ، لِيَدْفَعُوا عَنْهُمْ ضَرُورَتَهُمْ فَجَاءَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى أَحَدِهِمْ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّلَاةِ فَجَعَلَ يُصَلِّي وَيَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَذَلِكَ وَقْـتَ الْقَيْلُولَةِ، فَرَأَى نَائِبُ مِصْرَ - وَأَظُنُّهُ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ - فِي مَنَامِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ رَسُـولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ لَـهُ: «أَنْتَ هَاهُنَا وَالْمُحَمَّـدُونَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَـيْءٌ يَقْتَاتُونَهُ» فَانْتَبَهَ الْأَمِيرُ مِنْ مَنَامِهِ فَسَـأَلَ: مَنْ هَاهُنَا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ؟ فَذُكِرَ لَهُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ فَأَرْسَـلَ إِلَيْهِمْ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَدَخَلَ بِهَا عَلَيْهِمْ وَأَزَالَ اللهُ ضَرُورَتَهُمْ وَيَسَّرَ لَهُمْ.

وَقَدْ بَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ سِـنًّا عَالِيَةً وَكَانَ يَسْأَلُ اللهَ وَلَدًا، فَأَتَاهُ يَوْمًا إِنْسَانٌ فَبَشَّرَهُ بِوَلَدٍ ذَكَـرٍ قَـدْ وُلِدَ لَـهُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَحَمِـدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَـالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. فَاسْتَفَادَ الْحَاضِرُونَ مِنْ **ذَلِكَ فَوَائِدَ**:

مِنْهَا: أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لَهُ عَلَى كِبَرِ السِّنِّ وَلَدٌ ذَكَرٌ بَعْدَمَا كَانَ يَسْأَلُ اللهَ فِي ذَلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ سَمَّاهُ يَوْمَ مَوْلِدِهِ كَمَا سَمَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَدَهُ إِبْرَاهِيمَ قَبْلَ السَّابِعِ.

وَمِنْهَا: اقْتِدَاؤُهُ بِالْخَلِيلِ فِي تَسْمِيَتِهِ أَوَّلَ وَلَدٍ لَهُ إِسْمَاعِيلَ.

(١) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٧٥٣.

(١٨)

خلافة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد

٢٩٥ـ ٣٢٠

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

هُـوَ جَعْفَـرٌ الْمُقْتَدِرُ بِـاللهِ بْنُ الْمُعْتَضِدِ بِـاللهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِـي أَحْمَدَ الْمُوَفَّـقِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ الْعَبَّاسِيِّ.

مَوْلِـدُهُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَـنَةَ (٢٨٢هـ)، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْـمُهَا **شَغَبُ**، وَلُقِّبَتْ فِي خِلَافَةِ وَلَدِهَا **بِالسَّيِّدَةِ**.

وله من الولد: أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّاضِي، وَهَارُونُ، وَالْعَبَّاسُ، وَعَلِيٌّ، وَالْفَضْلُ، وَإِبْرَاهِيمُ

○ صفاته

كَانَ الْمُقْتَـدِرُ بِاللهِ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، حَسَـنَ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ، بَعِيدَ مَـا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، حَسَنَ الشَّعْرِ، مُدَوَّرَ الْوَجْهِ، مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ، حَسَنَ الْخُلُقِ، قَدْ شَابَ رَأْسُهُ وَعَارِضَاهُ، وَقَدْ كَانَ كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا، لَهُ عَقْلٌ جَيِّدٌ وَفَهْمٌ وَافِرٌ وَذِهْنٌ صَحِيحٌ.

وَقَـدْ كَانَ كَثِيرَ التَّحَجُّبِ وَالتَّوَسُّـعِ فِي النَّفَقَاتِ، وَزَادَ فِي رُسُـومِ الْخِلَافَةِ وَالرِّيَاسَـةِ أموراً كثيراً، وَمَا زَادَ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ.

وَفِـي يَـوْمِ عَرَفَةَ أَوَّلَ وِلَايَتِهِ فَرَّقَ مِـنَ الْأَغْنَامِ وَالْأَبْقَارِ ثَلَاثِينَ أَلْـفَ رَأْسٍ وَمِنَ الْإِبِلِ أَلْفَـيْ بَعِيـرٍ، وَرَدَّ الرُّسُـومَ وَالْكُلَفَ وَالْأَرْزَاقَ إِلَى مَـا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي أَوَائِلِ الْعَبَّاسِـيِّينَ، وَأَطْلَـقَ أَهْـلَ الْحُبُوسِ الَّذِيـنَ يَجُوزُ إِطْلَاقُهُـمْ، وَوَكَلَ أَمْرَ ذَلِكَ إِلَـى الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُـفَ، وَكَانَ قَدْ بُنِيَتْ أَبْنِيَةٌ فِي الرَّحْبَةِ دَخْلُهَا فِي كُلِّ شَـهْرٍ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا لِيُوسِّعَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطُّرُقَاتِ.

كَانَ فِي دَارِهِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفِ خَادِمٍ خَصِيٍّ، غَيْرَ الصَّقَالِبَةِ وَالرُّومِ وَالسُّودَانِ، وَكَانَ لَهُ دَارٌ يُقَالُ لَهَا: **دَارُ الشَّجَرَةِ**، فِيهَا مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأَمْتِعَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا.

وَقَدْ رَكِبَ الْمُقْتَدِرُ يَوْمًا فِي حَرَّاقَةٍ، وَجَعَلَ يَسْتَعْجِلُ الطَّعَامَ فَأَبْطَئُوا بِهِ، فَقَالَ لِمَلَّاحِ حَرَّاقَتِهِ: وَيْلَكَ! أَعِنْدَكَ شَيْءٌ نَأْكُلُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَتَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَحْمِ الْجَدْيِ، وَخُبْزٍ حَسَنٍ وَمُلُوحَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَعْجَبَهُ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَلْوَاءِ؛ فَإِنِّي لَا أُحِسُّ بِالشِّبَعِ حَتَّى آكُلَ شَيْئًا مِنَ الْحَلْوَاءِ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا حَلَاوَتُنَا التَّمْرُ وَالْكَسْبُ. فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ لَا أُطِيقُهُ. ثُمَّ جِيءَ بِطَعَامِهِ، فَأَكَلَ مِنْهُ وَأُتِيَ بِالْحَلْوَاءِ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْمَلَّاحِينَ، وَأَمَرَ بِتَرْتِيبِ حَلَاوَةٍ تُعْمَلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَكُونُ فِي الْحَرَّاقَةِ بِنَحْوِ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَأَرْبَابِ الْوَظَائِفِ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّنَفُّلِ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُؤْثِرًا لِشَهَوَاتِهِ، مُطِيعًا لِحَظِيَّاتِهِ، كَثِيرَ التَّلَوُّنِ وَالْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ.

○ مقتله

فِي سَنَة (٣١٩هـ) وَقَعَ **خلاف** بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَمُؤْنِسٍ الْخَادِمِ، بِسَبَبِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ وَلَّى الْحِسْبَةَ لأمير الشُّرْطَةِ، فَقَالَ مُؤْنِسٌ: **إِنَّ الْحِسْبَةَ لَا يَتَوَلَّاهَا إِلَّا الْقُضَاةُ وَالْعُدُولُ**، وَهَذَا لَا يَصْلُحُ لَهَا، وَلَمْ يَزَلْ بِالْخَلِيفَةِ حَتَّى عَزَلَ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتَ عَنِ الْحِسْبَةِ وَالشُّرْطَةِ أَيْضًا، وَانْصَلَحَ الْحَالُ بَيْنَهُمَا.

ثُمَّ تَجَدَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُمَا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَمَا زَالَتْ تَتَزَايَدُ حَتَّى آلَ الْحَالُ إِلَى قَتْلِ الخليفة، وَكَانَ **سَبَبُ ذَلِكَ**: أَنَّ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مُغَاضِبًا لِلْخَلِيفَةِ، مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الْمَوْصِلِ، وَرَدَّ مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ مَوْلَاهُ بُشْرَى إِلَى الْمُقْتَدِرِ لِيَسْتَعْلِمَ لَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ أَمْرُهُ الْوَزِيرَ الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ - وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَعْدَاءِ مُؤْنِسٍ - أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَهَا، فَامْتَنَعَ، وَقَالَ: مَا أَمَرَنِي صَاحِبِي بِهَذَا. فَشَتَمَهُ وَشَتَمَ صَاحِبَهُ، وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ وَمُصَادَرَتِهِ.

ثُمَّ **أَمَرَ الْوَزِيرُ** بِالْقَبْضِ عَلَى أَقْطَاعِ مُؤْنِسٍ وَأَمْلَاكِهِ وَأَمْلَاكِ مَنْ مَعَهُ، فَحُصِّلَ مِنْ ذَلِكَ مَالٌ عَظِيمٌ، **وَارْتَفَعَ أَمْرُ الْوَزِيرِ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ، وَلَقَّبَهُ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ،** وَضَرَبَ اسْمَهُ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْأُمُورِ جِدًّا، فَعَزَلَ وَوَلَّى، وَقَطَعَ وَوَصَلَ، وَفَرِحَ بِنَفْسِهِ حِينًا قَلِيلًا.

وَأَرْسَلَ إِلَى هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ فِي الْحَالِ، وَإِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتَ يَسْتَحْضِرُهُمَا إِلَى الْحَضْرَةِ، عِوَضًا عَنْ مُؤْنِسٍ.

فَصَمَّمَ مُؤْنِسٌ الخادم فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ وَجَعَلَ يَقُولُ لِأُمَرَاءِ الْأَعْرَابِ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَلَّانِي الْمَوْصِلَ وَدِيَارَ رَبِيعَةَ. فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَعَلَ يُنْفِقُ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ.

وَدَخَلَ مُؤْنِسٌ الْمَوْصِلَ فَقَصَدَتْهُ الْعَسَاكِرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يَدْخُلُونَ فِي طَاعَتِهِ؛ لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَمِنَ الْأَعْرَابِ، حَتَّى صَارَ فِي جَحَافِلَ مِنَ الْجُنُودِ.

وَأَقَامَ مُؤْنِسٌ بِالْمَوْصِلِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ رَكِبَ فِي الْجُيُوشِ فِي شَوَّالٍ قَاصِدًا بَغْدَادَ؛ لِيُطَالِبَ الْمُقْتَدِرَ بِأَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ وَإِنْصَافِهِمْ، فَسَارَ حَتَّى جَاءَ فَنَزَلَ بِبَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ مِنْ بَغْدَادَ.

وَعَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى وَاسِطٍ وَأَنْ يَتْرُكَ بَغْدَادَ لِمُؤْنِسٍ حَتَّى يَتَرَاجَعَ أَمْرُ النَّاسِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهَا. فَرَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ ابْنُ يَاقُوتَ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمُوَاجَهَةِ مُؤْنِسٍ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ مَتَى مَا رَأَوْهُ كَرُّوا كُلُّهُمْ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا مُؤْنِسًا، فَرَكِبَ وَهُوَ كَارِهٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْفُقَهَاءُ، وَمَعَهُمُ الْمَصَاحِفُ مُنَشَّرَةً، وَعَلَيْهِ الْبُرْدُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، فَوَقَفَ عَلَى تَلٍّ عَالٍ بَعِيدٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ.

وَنُودِيَ فِي جَيْشِهِ: مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ خَمْسَةُ دَنَانِيرَ، وَمَنْ جَاءَ بِأَسِيرٍ فَلَهُ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ أُمَرَاؤُهُ يَعْزِمُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ، فَامْتَنَعَ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى مَحَلَّةِ الْمَعْرَكَةِ، ثُمَّ

أَلَحُّوا عَلَيْهِ، فَجَاءَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى انْهَزَمُوا وَفَرُّوا رَاجِعِينَ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُ مِنْ أُمَرَاءِ مُؤْنِسٍ **عَلِيُّ بْنُ يَلْبَق**، فَلَمَّا رَآهُ تَرَجَّلَ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: لَعَنَ اللهُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِالْخُرُوجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ قَوْمًا مِنَ الْمَغَارِبَةِ الْبَرْبَرِ، فَلَمَّا تَرَكَهُمْ وَإِيَّاهُ شَهَرُوا عَلَيْهِ السِّلَاحَ، فَقَالَ لَهُمْ: وَيْلَكُمْ! أَنَا الْخَلِيفَةُ. فَقَالُوا: قَدْ عَرَفْنَاكَ، إِنَّمَا أَنْتَ خَلِيفَةُ إِبْلِيسَ، تُنَادِي فِي جَيْشِكَ: مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ خَمْسَةُ دَنَانِيرَ، وَمَنْ جَاءَ بِأَسِيرٍ فَلَهُ عَشَرَةُ دَنَانِيرَ؟! وَضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَذَبَحَهُ آخَرُ، وَتَرَكُوا جُثَّتَهُ، وَقَدْ سَلَبُوهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَيْهِ، حَتَّى سَرَاوِيلَهُ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَغَطَّى عَوْرَتَهُ بِحَشِيشٍ، ثُمَّ دَفَنَهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَعَفَّا أَثَرَهُ.

وَأَخَذَتِ الْمَغَارِبَةُ رَأْسَ الْمُقْتَدِرِ عَلَى خَشَبَةٍ قَدْ رَفَعُوهَا وَهُمْ يَلْعَنُونَهُ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى مُؤْنِسٍ، فَحِينَ نَظَرَ إِلَى رَأْسِ الْمُقْتَدِرِ لَطَمَ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ، وَقَالَ: وَيْلَكُمْ! لَمْ آمُرْكُمْ بِهَذَا، لَعَنَكُمُ اللهُ قَتَلْتُمُوهُ! وَاللهِ لَنُقْتَلَنَّ كُلَّنَا.

وكان لَهُ مِنَ الْعُمُرِ حين قتل ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَشَهْرٌ وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ.

قال ابن كثير: (١) وكَانَ صَنِيعُ مُؤْنِسٍ هَذَا سَبَبًا لِطَمَعِ أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ فِي الْخُلَفَاءِ، وَضَعْفِ أَمْرِ الْخِلَافَةِ جِدًّا، مَعَ مَا كَانَ الْمُقْتَدِرُ يَعْتَمِدُهُ مِنَ التَّبْذِيرِ وَالتَّفْرِيطِ فِي الْأَمْوَالِ، وَطَاعَةِ النِّسَاءِ، وَعَزْلِ الْوُزَرَاءِ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ جُمْلَةَ مَا صَرَفَهُ فِي الْوُجُوهِ الْفَاسِدَةِ وَالتَّبْذِيرِ مَا يُقَارِبُ ثَمَانِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ.

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية ١٥/ ٥٩

خلافته

○ بيعته

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ الْمُكْتَفِي يَوْمَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ (٢٩٥هـ)، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةٍ؛ وَلِهَذَا أَرَادَ الْجُنْدُ خَلْعَهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ (٢٩٦هـ) مُحْتَجِّينَ بِصِغَرِهِ وَعَدَمِ بُلُوغِهِ، وَتَوْلِيَةَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ، وَانْتَقَضَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ، وَكُتِبَ اسْمُهُ عَلَى الرُّقُومِ وَغَيْرِهَا: الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ مِنْ سَنَةِ (٣١٧هـ) أَحْضَرَهُ مُؤْنِسٌ، وَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ وَالْقُوَّادُ وَأَلْزَمُوهُ بِخَلْعِ نَفْسِهِ، وَأَحْضَرُوا أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُعْتَضِدِ، فَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ وَلَقَّبُوهُ الْقَاهِرَ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ سِوَى يَوْمَيْنِ، ثُمَّ رَجَعَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى الْخِلَافَةِ.

وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْهُ، وَلَمَّا أُجْلِسَ فِي مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ سَلَّمَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِخَارَةِ.

وَكَانَتْ **مُدَّةُ خِلَافَتِهِ** أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَكَانَ أَكْثَرَ مُدَّةً مِمَّنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

ثورة الجند على المقتدر

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٢٩٦هـ) اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُوَّادِ وَالْجُنْدِ عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ وَتَوْلِيَةِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ** الْخِلَافَةَ عِوَضًا عَنْهُ، فَأَجَابَهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْفَكُ بِسَبَبِهِ دَمٌ.

وَاجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَالْأَعْيَانُ وَالْقُضَاةُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَبَايَعُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُعْتَزِّ وَخُوطِبَ بِالْخِلَافَةِ وَلُقِّبَ بِالْمُرْتَضِي بِاللهِ.

وَاسْتَوْزَرَ **أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ**، وَبَعَثَ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَأْمُرُهُ بِالتَّحَوُّلِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ لِيَنْتَقِلَ هُوَ إِلَيْهَا، فَأُجِيبَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَرَكِبَ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ مِنَ الْغَدِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ لِيَتَسَلَّمَهَا، فَقَاتَلَهُ الْخَدَمُ وَمَنْ فِيهَا وَلَمْ يُسَلِّمُوهَا إِلَيْهِ وَهَزَمُوهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَخْلِيصِ أَهْلِهِ وَبَعْضِ مَالِهِ إِلَّا بِالْجَهْدِ الْجَهِيدِ، ثم ارْتَحَلَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى الْمَوْصِلِ فَتَفَرَّقَ نِظَامُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَجَمَاعَتِهِ، فَأَرَادَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى سَامَرَّا لِيَنْزِلَهَا فَلَمْ يَتْبَعْهُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَدَخَلَ دَارَ ابْنِ الْجَصَّاصِ فَاسْتَجَارَ بِهِ، وَوَقَعَ النَّهْبُ فِي الْبَلَدِ، وَاخْتَبَطَ النَّاسُ.

نجاح المقتدر في القضاء على الثورة

بَعَثَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى أَصْحَابِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ، فَقَبَضَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ وَأَعَادَ ابْنَ الْفُرَاتِ إِلَى الْوِزَارَةِ فَجَدَّدَ الْبَيْعَةَ لِلْمُقْتَدِرِ وَأَرْسَلَ إِلَى دَارِ ابْنِ الْجَصَّاصِ فَكَبَسَهَا وَأَحْضَرَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ وَابْنَ الْجَصَّاصِ، فَصَادَرَ ابْنَ الْجَصَّاصِ بِمَالٍ جَزِيلٍ جِدًّا، ثُمَّ أَطْلَقَهُ، وَاعْتَقَلَ ابْنَ الْمُعْتَزِّ.

وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مَوْتُهُ، وَأُخْرِجَتْ جُثَّتُهُ، فَسُلِّمَتْ إِلَى أَهْلِهِ فَدُفِنَ، وَصَفَحَ الْمُقْتَدِرُ عَنْ بَقِيَّةِ مَنْ بَقِيَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ حَتَّى لَا تَفْسَدَ نِيَّاتُ النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَلَا يُعْرَفُ خَلِيفَةٌ خُلِعَ ثُمَّ أُعِيدَ سِوَى الْأَمِينِ وَالْمُقْتَدِرِ.

○ منع عمل أهل الذمة في الدواوين

فِي سنة (٢٩٦هـ) أَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِأَنْ لَا يُسْتَخْدَمَ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الدَّوَاوِينِ، وَأُلْزِمُوا بُيُوتَهُمْ وَأُمِرُوا بِلُبْسِ الْعَسَلِيِّ، وَجَعْلِ الرِّقَاعِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لِيُعْرَفُوا بِهَا.

○ هدايا لدار الخلافة

⊙ فِي سنة (٢٩٨هـ) قَدِمَتْ هَدَايَا مِنْ **نَائِبِ خُرَاسَانَ** أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ مِنْ ذَلِكَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ غُلَامًا بِمَرَاكِبِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَخَمْسُونَ بَازِيًّا، وَخَمْسُونَ جَمَلًا تَحْمِلُ مِنْ مُرْتَفِعِ الثِّيَابِ، وَخَمْسُونَ رِطْلًا مِنْ مِسْكٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

⊙ وفِي سنة (٢٩٩هـ) وَرَدَتْ هَدَايَا كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَقَالِيمِ مِنْ دِيَارِ **مِصْرَ وَخُرَاسَانَ** وَغَيْرِهَا، مِنْ ذَلِكَ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، اسْتُخْرِجَتْ مَنْ كَنْزٍ وُجِدَ هُنَاكَ، مِنْ غَيْرِ مَوَانِعَ، كَمَا يَدَّعِيهِ كَثِيرٌ مِنْ جَهَلَةِ بَنِي آدَمَ حِيلَةً وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً، لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ الْأَغْشَامِ وَالْجَهَلَةِ الطَّغَامِ مِنْ قَلِيلِي الْعُقُولِ وَالْأَحْلَامِ، وَقَدْ وُجِدَ فِي هَذَا الْكَنْزِ ضِلْعُ إِنْسَانٍ طُولُهُ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ، وَعَرْضُهُ شِبْرٌ، وَذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ قَوْمِ عَادٍ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

⊙ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ هَدِيَّةِ **مِصْرَ تَيْسٌ لَهُ** ضَرْعٌ يَحْلُبُ لَبَنًا، وَمِنْ ذَلِكَ بِسَاطٌ أَرْسَلَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ فِي جُمْلَةِ هَدَايَاهُ، طُولُهُ: سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا عُمِلَ فِي عَشْرِ سِنِينَ لَا قِيمَةَ لَهُ.

⊙ وَهَدَايَا فَاخِرَةٌ أَرْسَلَهَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ مِنْ بِلَادِ **خُرَاسَانَ** كَثِيرَةٌ جِدًّا.

⊙ وفِي سنة (٣٠١هـ) وَصَلَتْ هَدَايَا **صَاحِبِ عُمَانَ** وَفِيهَا بَبَّغَةٌ بَيْضَاءُ وَغَزَالٌ أَسْوَدُ.

⊙ وفِي شَعْبَانَ في سنة (٣١٠هـ) وَصَلَتْ هَدَايَا **نَائِبِ مِصْرَ** وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمَاذَرَائِيِّ، وَفِيهَا بَغْلَةٌ مَعَهَا فُلُوُّهَا، وَغُلَامٌ يَصِلُ لِسَانُهُ إِلَى طَرَفِ أَنْفِهِ.

○ الصراع مع الروم

⊙ فِي سـنة (٢٩٧هـ) غَزَا الْقَاسِمُ بْنُ سِيمَا الصَّائِفَةَ، وَفَادَى مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ الْأُسَارَى الَّذِينَ بِأَيْدِي الرُّوم.

⊙ وفِـي سـنة (٢٩٨هـ) قَدِمَ الْقَاسِـمُ بْنُ سِـيمَا مِنْ بِـلَادِ الـرُّوم فَدَخَلَ بَغْـدَادَ وَمَعَهُ الْأُسَارَى وَالْعُلُوجُ بِأَيْدِيهِمْ أَعْلَامٌ عَلَيْهَا صُلْبَانٌ مِنْ ذَهَبٍ وَخَلْقٌ مِنَ الْأُسَارَى.

⊙ وفِي سنة (٣٠١هـ) غَزَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الصَّائِفَةَ فَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَقَتَلَ أُمَمًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

⊙ وفي سنة (٣١٤هـ) غَزَتِ الصَّائِفَةُ مِنْ بِلَادِ طَرَسُوسَ بِلَادَ الرُّوم، فَغَنِمُوا وَسَلِمُوا.

⊙ وفِي سـنة (٣٠٢هـ) وَرَدَ كِتَابُ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ بِأَنَّهُ قَدْ أَوْقَعَ بِالرُّوم بَأْسًـا شَـدِيدًا، وَقَدْ أَسَرَ مِنْهُمْ مِائَةً وَخَمْسِينَ بِطْرِيقًا، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ.

⊙ وَفِي سـنة (٣٠٦هـ)، وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ أُمَـرَاءِ الصَّوَائِفِ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُصُونِ فِي بِلَادِ الرُّوم.

⊙ وَفِي شـهر شـعبان سـنة (٣١٠هـ) قُرِئَتِ الْكُتُبُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِمَا كَانَ مِنَ الْفُتُوحِ بِبِلَادِ الرُّوم.

⊙ وفي سـنة (٣١٤هـ) كَتَبَ **الدُّمُسْـتُقُ** مَلِكُ الرُّومِ إِلَـى أَهْلِ السَّـوَاحِلِ أَنَّ يَحْمِلُوا إِلَيْـهِ الْخَرَاجَ وَإِلَّا قَاتَلَهُمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّـنَةِ، فَعَاثَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَدَخَلَ مَلَطْيَةَ فَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا كَثِيرًا وَأَسَرَ، وَأَقَامَ بِهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَجَاءَ أَهْلُهَا إِلَى بَغْدَادَ يَسْتَنْجِدُونَ الْخَلِيفَةَ عَلَيْهِ. وَجَاءَتِ الْكُتُبُ بِمَوْتِ الدُّمُسْتُقِ مَلِكُ الرُّوم، فَقُرِئَتِ الْكُتُبُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِذَلِكَ.

⊙ وفي سنة (٣١٥هـ) جَاءَتِ الْكُتُبُ بِأَنَّ الرُّومَ دَخَلُوا سُمَيْسَاطَ [١] وَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا

(١) مدينة على شاطئ الفرات الغربي في طرف بلاد الروم. معجم البلدان ٣/ ١٥١.

فِيهَا، وَنَصَبُوا فِيهَا خَيْمَةَ الْمُلْكِ، وَضَرَبُوا النَّاقُوسَ فِي الْجَامِعِ بِهَا، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ بِالتَّجْهِيزِ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً، ثُمَّ جَاءَتِ الْكُتُبُ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَثَبُوا عَلَى الرُّومِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً جِدًّا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

- وفِي سنة (٣١٧هـ) الْتَقَى مُفْلِحٌ السَّاجِيُّ وَمَلِكُ الرُّومِ الدُّمُسْتُقُ، فَهَزَمَهُ مُفْلِحٌ وَطَرَدَ وَرَاءَهُ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.
- وَفِي سنة (٣١٩هـ) أَوْقَعَ ثَمِلٌ مُتَوَلِّي طَرَسُوسَ بِالرُّومِ وَقْعَةً عَظِيمَةً جِدًّا، قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَغَنِمَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالدِّيبَاجِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، ثُمَّ أَوْقَعَ بِهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ.

وَكَتَبَ **ابْنُ الدَّيْرَانِيِّ الْأَرْمَنِيُّ** إِلَى **الرُّومِ** يَحُضُّهُمْ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَوَعَدَهُمْ مِنْهُ النَّصْرَ وَالْإِعَانَةَ، فَدَخَلُوا فِي جَحَافِلَ كَثِيرَةٍ جِدًّا، وَانْضَافَ إِلَيْهِمُ **الْأَرْمَنُ**.

فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ مُفْلِحٌ، غُلَامُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَائِبُ أَذْرَبِيجَانَ وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُطَّوِّعَةِ، فَقَصَدَ أَوَّلًا بِلَادَ ابْنِ الدَّيْرَانِيِّ، فَقَتَلَ مِنَ الْأَرْمَنِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، وَأَسَرَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا، وَتَحَصَّنَ ابْنُ الدَّيْرَانِيِّ بِقَلْعَةٍ لَهُ هُنَالِكَ.

وَجَاءَتِ الرُّومُ، فَوَصَلُوا إِلَى **سُمَيْسَاطَ** فَحَاصَرُوهَا، فَبَعَثَ أَهْلُهَا يَسْتَصْرِخُونَ بِسَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ نَائِبِ الْمَوْصِلِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ مُسْرِعًا، فَوَجَدَ الرُّومَ قَدْ كَادُوا يَفْتَحُونَهَا، فَلَمَّا عَلِمُوا بِقُدُومِهِ أَجْلَوْا عَنْهَا وَاجْتَازُوا بِمَلَطْيَةَ فَنَهَبُوهَا، وَرَجَعُوا خَاسِئِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَمَعَهُمُ ابْنُ نَفِيسٍ الْمُتَنَصِّرُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ قَبْلَ ذَلِكَ. وَرَكِبَ ابْنُ حَمْدَانَ فِي آثَارِ الرُّومِ، فَدَخَلَ بِلَادَهُمْ، فَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَغَنِمَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً.

○ مظاهر دار الخلافة أمام رسل الروم

فِي سنة (٣٠٥هـ) قَدِمَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ فِي طَلَبِ الْمُفَادَاةِ وَالْهُدْنَةِ وَهُوَ شَابٌّ حَدَثُ السِّنِّ وَمَعَهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ وَعِشْرُونَ غُلَامًا، فَلَمَّا وَرَدَ بَغْدَادَ شَاهَدَ أَمْرًا عَظِيمًا جِدًّا.

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمُقْتَدِرَ بِاللهِ أَمَرَ بِالِاحْتِفَالِ بِذَلِكَ لِيُشَاهَدَ **مَا فِيهِ إِرْهَابُ الْأَعْدَاءِ**، فَرَكِبَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ مِائَةَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ فِي الْأَسْلِحَةِ التَّامَّةِ، وَغِلْمَانُ الْخَلِيفَةِ سَبْعَةُ آلَافٍ، أَرْبَعَةُ آلَافٍ بِيضٌ وَثَلَاثَةُ آلَافٍ سُودٌ، وَهُمْ **فِي غَايَةِ الْمَلَابِسِ وَالْعُدَدِ، وَالْحَجَبَةُ يَوْمَئِذٍ سَبْعُمِائَةِ حَاجِبٍ**.

وَأَمَّا الطَّيَّارَاتُ الَّتِي بِدِجْلَةَ وَالزَّبَازِبُ وَالسُّمَيْرِيَّاتُ (ضرب من السفن) فَشَيْءٌ كَثِيرٌ مُزَيَّنَةٌ، فَحِينَ دَخَلَ الرَّسُولُ دَارَ الْخِلَافَةِ شَاهَدَ أَمْرًا أَدْهَشَهُ، **وَرَأَى مِنَ الْحِشْمَةِ وَالزِّينَةِ وَالْحُرْمَةِ مَا يُبْهِرُ الْأَبْصَارَ**.

ثُمَّ أُدْخِلَ إِلَى دَارِ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ: عِبَارَةٌ عَنْ بِرْكَةٍ فِيهَا مَاءٌ صَافٍ، وَفِي وَسَطِ ذَلِكَ الْمَاءِ شَجَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لَهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ غُصْنًا أَكْثَرُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِي الشَّمَارِيخِ وَالْأَوْرَاقِ الْمُلَوَّنَةِ عَلَيْهَا طُيُورٌ مَصْبُوغَةٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَاللَّآلِئِ، وَهِيَ تُصَوِّتُ بِأَنْوَاعِ الْأَصْوَاتِ مِنَ الْمَاءِ الْمُسَلَّطِ عَلَيْهَا، وَالشَّجَرَةُ بِكَمَالِهَا تَتَمَايَلُ كَمَا تَتَمَايَلُ الْأَشْجَارُ بِحَرَكَاتٍ عَجِيبَةٍ تُدْهِشُ مَنْ يَرَاهَا.

فَمَا زَالَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى مَكَانٍ أَدْهَشَهُ وَأَخَذَ بِبَصَرِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ مُطَرَّزٍ بِالذَّهَبِ، فَأُوقِفَ الرَّسُولُ وَالَّذِي مَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ عَلَى نَحْوٍ مِنْ مِائَةِ ذِرَاعٍ، وَالْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ وَالتُّرْجُمَانُ دُونَ الْوَزِيرِ، فَجَعَلَ الْخَلِيفَةُ يُخَاطِبُ الْوَزِيرَ، وَالْوَزِيرُ يُخَاطِبُ التُّرْجُمَانَ، وَالتُّرْجُمَانُ يُخَاطِبُهُمَا، ثم طِيفَ بِهِمَا فِي بَقِيَّةِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَعَلَى حَافَّاتِ دِجْلَةَ الْفِيَلَةُ وَالزَّرَافَاتُ وَالسِّبَاعُ وَالْفُهُودُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا وَقَعَ مِنَ الْحَوَادِثِ.[١]

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي ١٣/ ١٧٤، والكامل لابن الأثير ٨/ ١٠٧.

الاضطراب في منصب الوزارة

○ عزل الوزير ابن الفرات

فِي سنة (٢٩٩هـ) غَضِبَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ وَعَزَلَهُ عَنِ الْوِزَارَةِ. وَأَمَرَ بِنَهْبِ دَارِه، فَنُهِبَتْ أَقْبَحَ نَهْبٍ، **وَاسْتَوْزَرَ** أَبَا عَلِيٍّ **مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ**، وَكَانَ قَدِ الْتَزَمَ لِأُمِّ وَلَدِ الْمُعْتَضِدِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ حَتَّى سَعَتْ فِي وِلَايَتِهِ، ثم عزل بأبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح سنة (٣٠١هـ) وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ، وَأَقْصَدِهِمْ لِلْعَدْلِ، وَالْإِحْسَانِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

○ عزل علي بن عيسى وإعادة ابن الفرات

فِي سنة (٣٠٤هـ) عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ وَزِيرَهُ أَبَا الْحَسَنِ **عَلِيَّ بْنَ عِيسَى** بْنِ الْجَرَّاحِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةِ نُفْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَأَلَ الْوَزِيرُ أَنْ يُعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ فَعُزِلَ وَلَمْ يُتَعَرَّضْ لِشَيْءٍ مِنْ أَمْلَاكِه، وَأُعِيدَ مكانه أَبُو الْحَسَنِ **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ** إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ عَزْلِهِ عَنْهَا خَمْسَ سِنِينَ.

وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ سَبْعَ خِلَعٍ، وَأَطْلَقَ إِلَيْهِ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَعَشْرَةَ تُخُوتِ ثِيَابٍ، وَمِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْجِمَالِ شَيْئًا كَثِيرًا. ثم عزل **بمحمد بن عبيدالله**، وَاغْتَنَمَتِ اللُّصُوصُ هَذِهِ الشَّوْشَةَ فَكَثُرَ النُّقُوبُ وَأَخْذُ الْأَمْوَالِ.

○ وزارة ابن العباس وعجزه عنها

فِي سنة (٣٠٦هـ) عُزِل ابن الفرات عن الوزارة، وقَلَّدَها الْمُقْتَدِرُ **حَامِدَ بْنَ الْعَبَّاسِ**، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَخَلْفَهُ أَرْبَعُمِائَةِ غُلَامٍ لِنَفْسِهِ، **ثُمَّ تَبَيَّنَ عَجْزُهُ**، فعين المقتدر عَلِيَّ بْنَ عِيسَى وَجَعَلَهُ مَعَهُ لِيُنْفِذَ الْأُمُورَ وَيَنْظُرَ مَعَهُ فِي الْأَعْمَالِ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ **بْنُ مُقْلَةَ** مِمَّنْ يَكْتُبُ أَيْضًا بِحَضْرَةِ حَامِدِ **بْنِ الْعَبَّاسِ الْوَزِيرِ**، ثُمَّ صَارَتِ الْمَنْزِلَةُ كُلُّهَا لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى **وَاسْتَقَلَّ بِالْوِزَارَةِ**.

عودة الوزارة إلى ابن الفرات

فِي سنة (٣١١هـ) عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ عَنِ الْوِزَارَةِ حَامِدَ **بْنَ الْعَبَّاسِ** وَعَلِيَّ **بْنَ عِيسَى**، وَرَدَّ إِلَى الْوِزَارَةِ أَبَا الْحَسَنِ **بْنَ الْفُرَاتِ** الْوِلَايَةَ الثَّالِثَةَ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ حَامِدَ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَعَلِيَّ بْنَ عِيسَى.

فَأَمَّا **حَامِدٌ** فَإِنَّ الْمُحَسِّنَ بْنَ الْوَزِيرِ ضَمِنَهُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَتَسَلَّمَهُ فَعَاقَبَهُ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَأَخَذَ مِنْهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً لَا تُحْصَى كَثْرَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهِ مَعَ مُوَكَّلِينَ عَلَيْهِ إِلَى وَاسِطٍ لِيَحْتَاطُوا عَلَى أَمْوَالِهِ هُنَاكَ وَحَوَاصِلِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْقُوهُ سُمًّا فِي الطَّرِيقِ، فَسَقَوْهُ ذَلِكَ فِي بَيْضٍ مَشْوِيٍّ، كَانَ قَدْ طَلَبَهُ مِنْهُمْ، فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَأَمَّا **عَلِيُّ بْنُ عِيسَى** فَإِنَّهُ صُودِرَ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَصُودِرَ قَوْمٌ آخَرُونَ مِنْ كُتَّابِهِ.

وَأَشَارَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ أَنْ يُبْعِدَ عَنْهُ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ، وَيَأْمُرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى الشَّامِ - وَكَانَ قَدْ قَدِمَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَقَدْ فَتَحَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ بُلْدَانِهِمْ، وَغَنِمَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً جِدًّا - فَسَأَلَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى سَلْخِ رَمَضَانَ، وَكَانَ مؤنس قَدْ أَعْلَمَ الْخَلِيفَةَ بِمَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ **ابْنُ الْوَزِيرِ** مِنْ تَعْذِيبِ النَّاسِ وَمُصَادَرَتِهِمُ الْأَمْوَالَ، فَأَجَابَ الْخَلِيفَةُ الْوَزِيرَ إِلَى إِبْعَادِ مُؤْنِسٍ فَأَخْرَجَهُ إِلَى الشَّامِ.

عزل الوزير ابن الفرات وقتله

وَلَمَّا انْتَهَى **خَبَرُ اعتداء القرامطة على الحجاج** إِلَى بَغْدَادَ سنة (٣١٢هـ) قَامَ نِسَاؤُهُمْ وَأَهَالِيهِمْ فِي النِّيَاحَةِ، وَنَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ وَلَطَمْنَ وُجُوهَهُنَّ، وَانْضَافَ إِلَيْهِنَّ نِسَاءُ الَّذِينَ نُكِبُوا عَلَى يَدَيِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ، فَكَانَ بِبَغْدَادَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الْفَظَاعَةِ وَالشَّنَاعَةِ.[1]

(١) لاشك أن مصيبتهم عظيمة، لكن ما فعل النساء منكر ومخالف للهدي النبوي.

وَلَمَّا سَأَلَ الْخَلِيفَةُ عَنِ الْخَبَرِ، ذُكِرَ لَهُ أَنَّ هَذِهِ نِسْوَةُ الْحَجِيجِ، وَمَعَهُنَّ نِسَاءُ الَّذِينَ صَادَرَهُمُ ابْنُ الْفُرَاتِ. وقيل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا اسْتَوْلَى هَذَا الْقِرْمِطِيُّ بِسَبَبِ إِبْعَادِكَ الْمُظَفَّرَ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ، فَطَمِعَ هَؤُلَاءِ فِي الْأَطْرَافِ، وَمَا أَشَارَ عَلَيْكَ بِإِبْعَادِهِ إِلَّا ابْنُ الْفُرَاتِ.

فغضب **الْمُقْتَدِرُ على الْوَزِيرِ ابْنِ الْفُرَاتِ**، ثُمَّ أرسل أَمِيرَانِ مِنْ جِهَته، فَدَخَلَا على الوزير دَارَهُ إِلَى بَيْنِ حَرَمِهِ، وَأَخْرَجُوهُ مَكْشُوفًا رَأْسُهُ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمَذَلَّةِ وَالْإِهَانَةِ، فَأَرْكَبُوهُ فِي حَرَّاقَةٍ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ. وَفَهِمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَرَجَمُوا ابْنَ الْفُرَاتِ بِالْآجُرِّ، وَتَعَطَّلَتِ الْجَوَامِعُ، وَلَمْ يُصَلِّ النَّاسُ الْجُمُعَةَ فِيهَا.

وَأُخِذَ خَطُّهُ بِأَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأُخِذَ خَطُّ ابْنِهِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَسُلِّمَا إِلَى نَازُوكَ أَمِيرِ الشُّرْطَةِ، فَاعْتُقِلَا حِينًا، وَخَلَّصَ مِنْهُمَا الْأَمْوَالَ، فَلَمَّا قَدِمَ **مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ** سُلِّمَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ، فَأَهَانَهُ غَايَةَ الْإِهَانَةِ بِالضَّرْبِ وَالتَّقْرِيعِ لَهُ وَلِوَلَدِهِ، ثُمَّ قُتِلَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ وِزَارَتُهُ في المرة الثَّالِثَةُ؛ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، **وَاسْتَوْزَرَ** مكانه أَبَا عَلِيٍّ **مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ**

○ عزل الخاقاني وتولية الخصيبي

فِي سنة (٣١٣هـ) عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ وَزِيرَهُ الْخَاقَانِيَّ عَنِ الْوِزَارَةِ بَعْدَ سَنَةٍ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ** بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ **الْخَصِيبِيُّ؛ لِأَجْلِ مَالٍ بَذَلَهُ** مِنْ جِهَةِ زَوْجَةِ الْمُحَسِّنِ بْنِ الْفُرَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَالُ **سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ**.

○ عزل الخصيبي وتولية الوزارة لعلي بن عيسى

فِي سنة (٣١٤هـ) فِي ذِي الْقَعْدَةِ عَزَلَ الْخَلِيفَةُ وَزِيرَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ **الْخَصِيبِيَّ** بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرَيْنِ، وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَحَبْسِهِ، وَذَلِكَ **لِإِهْمَالِهِ أَمْرَ الْوِزَارَةِ** وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ؛

لِاشْتِغَالِهِ بِالْخَمْرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَيُصْبِحُ مَخْمُورًا لَا عَقْلَ لَهُ،(١) وَقَدْ وَكَلَ الْأُمُورَ إِلَى نُوَّابِهِ، فَخَانُوا وَعَمِلُوا مَصَالِحَهُمْ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبَا الْقَاسِمِ عَبِيدَ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْوَذَانِيَّ نِيَابَةً عَنْ **عَلِيِّ بْنِ عِيسَى** حَتَّى يَقْدَمَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ فِي طَلَبِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى، وَهُوَ فِي دِمَشْقَ **فَقَدِمَ بَغْدَادَ** سنة (٣١٥هـ) فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، فَنَظَرَ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَرَدَّ الْأُمُورَ إِلَى السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَتَمَهَّدَتِ الْقَوَاعِدُ، وَاسْتَدْعَى بِالْخَصِيبِيِّ، فَتَهَدَّدَهُ وَلَامَهُ وَنَاقَشَهُ عَلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ وَيَفْعَلُهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَفِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ، وَذَلِكَ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى السِّجْنِ.

ثم عزل علي بن عيسى عن الوزارة بابن مقلة.

○ عزل الوزير ابن مقلة

فِي سنة (٣١٨هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ وَزِيرَهُ أَبَا عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، فَكَانَتْ مُدَّةُ وِزَارَتِهِ سَنَتَيْنِ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَاسْتَوْزَرَ مَكَانَهُ **سُلَيْمَانَ بْنَ الْحَسَنِ** بْنِ مَخْلَدٍ، وَجَعَلَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى نَاظِرًا مَعَهُ.

وَفِي جُمَادَى الْأُولَى منها أُحْرِقَتْ دَارُ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، وَكَانَ قَدْ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَانْتَهَبَ النَّاسُ أَخْشَابَهَا وَمَا وَجَدُوا فِيهَا مِنْ حَدِيدٍ وَرَصَاصٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَصَادَرَهُ الْخَلِيفَةُ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ.

○ عزل الوزير سليمان بن الحسن

فِي سنة (٣١٩هـ) عَزَلَ الْمُقْتَدِرُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ الْوَزِيرَ بَعْدَ سَنَةٍ وَشَهْرَيْنِ وَتِسْعَةِ أَيَّامٍ، وَاسْتَوْزَرَ مَكَانَهُ أَبَا الْقَاسِمِ **عَبِيدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَلْوَذَانِيَّ**، ثُمَّ عَزَلَهُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَاسْتَوْزَرَ **الْحُسَيْنَ بْنَ الْقَاسِمِ**، ثُمَّ عَزَلَهُ أَيْضًا.

(١) هذا نتيجة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعطيل الحدود الشرعية.

بناء المارستانات

فِي سـنة (٣٠٢هـ) بَنَى الْوَزِيرُ الْمَارَسْـتَانَ بِالْحَرْبِيَّةِ [١] مِنْ بَغْـدَادَ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

وَقُلِّدَ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ الطَّبِيبُ الْمُؤَرِّخُ أَمْرَ الْمَارَسْتَانَاتِ بِبَغْدَادَ سنة (٣٠٤هـ) وَكَانَتْ خَمْسَةً.

وفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ سـنة (٣٠٦هـ)، وَهُوَ مُسْتَهَلُّ هَذِهِ السَّنَةِ - فُتِحَ الْمَارَسْتَانُ الَّـذِي بَنَتْهُ السَّـيِّدَةُ أُمُّ الْمُقْتَدِرِ، وَجَلَسَ فِيهِ سِـنَانُ بْنُ ثَابِتٍ الطَّبِيبُ وَرُتِّبَـتْ فِيهِ الْأَطِبَّاءُ وَالْخَدَمُ وَالْقَوْمَةُ وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي كُلِّ شَـهْرٍ سِـتَّمِائَةَ دِينَارٍ، وَأَشَـارَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِبِنَاءِ مَارَسْتَانَ فَقَبِلَ مِنْهُ وبُنِيَ وَسُمِّيَ الْمُقْتَدِرِيَّ.

وقف المقتدر على الحرمين

فِي سـنة (٣٠٣) وَقَفَ الْمُقْتَدِرُ بِـاللهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً وَضِيَاعًا عَلَى الْحَرَمَيْنِ الشَّـرِيفَيْنِ وَاسْتَدْعَى بِالْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا وَقَفَهُ مِنْ ذَلِكَ.

إشاعة موت المقتدر

فِي سنة (٣٠٦هـ)، شَغَبَ الْعَامَّةُ وَأَرْجَفُوا بِمَوْتِ الْمُقْتَدِرِ، فَرَكِبَ فِي الْجَحَافِلِ حَتَّى بَلَـغَ الثُّرَيَّـا، وَرَجَعَ مِنْ بَابِ الْعَامَّـةِ، وَوَقَفَ طَوِيلًا لِيَرَاهُ النَّاسُ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الشَّمَّاسِـيَّةِ وَانْحَدَرَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ فِي دِجْلَةَ فَسَكَنَتِ الْفِتَنُ.

القهرمانة ثمل ونظر المظالم

فِي سـنة (٣٠٦هـ)، أَمَرَتِ السَّـيِّدَةُ أُمُّ الْمُقْتَدِرِ **قَهْرَمَانَةً** لَهَا تُعْرَفُ **بِثَمِلَ** أَنْ تَجْلِسَ فِي التُّرْبَـةِ الَّتِي بَنَتْهَا بِالرُّصَافَةِ فِي كُلِّ يَـوْمِ جُمْعَةٍ، وَأَنْ تَنْظُرَ فِي الْمَظَالِمِ الَّتِي تُرْفَعُ إِلَيْهَا فِي الْقِصَصِ (الأخبار عن القضايا)، وَحَضَرَ فِي مَجْلِسِهَا الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ. [٢]

---

(١) محلة كبيرة ببغداد تنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي. معجم البلدان٢/ ٢٣٤.

(٢) علـق الذهبي على هذا بقولـه: **وانخرم نظام الإمامة في أيامه، وصغر منصب الخلافة**....واسـتقل بالأمر =

○ غلاء الأسعار وثورة العامة

غَلَتِ الْأَسْعَارُ فِي سنة (٣٠٨هـ) بِبَغْدَادَ فَاضْطَرَبَتِ الْعَامَّةُ وَقَصَدُوا دَارَ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الَّذِي ضَمِنَ قَرَايَا مِنَ الْخَلِيفَةِ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَعَدَوْا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْخَطِيبِ، فَمَنَعُوهُ الْخُطْبَةَ وَكَسَرُوا الْمَنَابِرَ وَدِكَكَ الشُّرَطِ وَحَرَقُوا جُسُورًا كَثِيرَةً.

وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِقِتَالِ الْعَامَّةِ ثُمَّ نَقَضَ الضَّمَانَ الَّذِي كَانَ حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ضَمِنَهُ فَانْحَطَّتِ الْأَسْعَارُ وَبِيعَ الْكُرُّ [١] بِنَاقِصِ خَمْسَةِ دَنَانِيرَ فَطَابَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ بِذَلِكَ وَسَكَنُوا.

○ تولية مؤنس الخادم مصر والشام

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣٠٩هـ) قَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ بِلَادَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَلَقَّبَهُ الْمُظَفَّرَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ إِلَى الْآفَاقِ.

○ إعادة ابن أبي الساج إلى عمله

فِي سنة (٣١٠هـ) أُطْلِقَ **يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ**، وَكَانَ مُعْتَقَلًا، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُ، وَأُعِيدَ إِلَى عَمَلِهِ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ بُلْدَانٌ أُخْرَى، **وَوُظِّفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ**، يَحْمِلُهَا إِلَى الْحَضْرَةِ.

فَبَعَثَ حِينَئِذٍ إِلَى مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَبَا بَكْرِ بْنَ الْأَدَمِيِّ الْقَارِئَ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ بَيْنَ يَدَيْهِ حِينَ اعْتُقِلَ وَأُشْهِرَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] فَخَافَ الْقَارِئُ سَطْوَتَهُ وَاسْتَعْفَى مِنْ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ فَقَالَ لَهُ مُؤْنِسٌ: اذْهَبْ وَأَنَا شَرِيكُكَ فِي الْجَائِزَةِ.

= والنهي السيدة أم المقتدر، وأمرت القهرمانة ثمل أن تجلس بدار العدل، وتنظر في القصص، فكانت تجلس، ويحضر القضاة والأعيان، وتوقع ثمل على المراسم. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥/ ٤٩).

(١) الْكر: مكيال لأهل الْعِرَاق، أَرْبَعُونَ إردبا. والإردب: أَرْبَعَة وَعِشْرين صَاعا. المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٢).

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَرَأَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤] فَقَالَ: بَلْ أُحِبُّ أَنْ تَقْرَأَ ذَلِكَ الْعُشْرَ الَّذِي قَرَأْتَهُ عِنْدَ إِشْهَارِي ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبَ تَوْبَتِي إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

○ مصادرة أموال القهرمانة

فِي سنة (٣١٠هـ) قُبِضَ عَلَى **الْقَهْرَمَانَةِ أُمِّ مُوسَى** وَمَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا، فَكَانَ حَاصِلُ مَا حُمِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ جِهَتِهَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ.

○ تولية ابن الأُشْناني القضاء وعزله

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٣١٠هـ) وَلَّى الْمُقْتَدِرُ مَنْصِبَ الْقَضَاءِ أَبَا الْحُسَيْنِ عُمَرَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيَّ الْمَعْرُوفَ **بِابْنِ الْأُشْنَانِيِّ**، وَكَانَ مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ وَفُقَهَاءِ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُ عُزِلَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْتَسِبًا بِبَغْدَادَ.

○ رد بقايا المواريث إلى ذوي الأرحام

فِي رَمَضَانَ سنة (٣١١هـ) أمرَ المقتدر بِرَدِّ بَقِيَّةِ الْمَوَارِيثِ إِلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ [(١)].

○ هجوم الديلم على بلاد الري

في سنة (٣١٥هـ) كَانَ ظُهُورُ **الدَّيْلَمِ** بِبِلَادِ الرَّيِّ، فَكَانَ فِيهِمْ مَلِكٌ غَلَبَ عَلَى أَمْرِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: مَرْدَاوِيجُ، يَجْلِسُ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَقُولُ: أَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَقَدْ سَارَ فِي أَهْلِ الرَّيِّ وَقَزْوِينَ وَأَصْبَهَانَ سِيرَةً قَبِيحَةً جِدًّا، فَكَانَ يَقْتُلُ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ فِي الْمُهُودِ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَبَرُوتِ وَالشِّدَّةِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى مَحَارِمِ اللهِ، عَزَّوَجَلَّ، فَقَتَلَهُ الْأَتْرَاكُ، وَأَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

---

(١) وكأنها كانت قبل ذلك ترد إلى بيت المال.

○ خلع المقتدر ثم عودته

فِي الْمُحَرَّم سنة (٣١٧هـ) اشْتَدَّتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ وَالْخَلِيفَةِ، فَالْتَفَّ الْأُمَرَاءُ عَلَى مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ وَتَفَاقَمَ الْحَالُ وَآلَ إِلَى أَنِ اجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ، وَتَوْلِيَةِ **مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ**، فَبَايَعُوهُ بِالْخِلَافَةِ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِهَا، وَلَقَّبُوهُ **الْقَاهِرَ بِاللهِ**، وَذَلِكَ لَيْلَةَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَقُلِّدَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ وِزَارَتَهُ، وَنُهِبَتْ دَارُ الْمُقْتَدِرِ، وَأَخَذُوا مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَوُجِدَ لِأُمِّ الْمُقْتَدِرِ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ قَدْ دَفَنَتْهَا فِي قَبْرٍ بِتُرْبَتِهَا، فَحُمِلَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَأُخْرِجَ الْمُقْتَدِرُ وَأُمُّهُ وَخَالَتُهُ وجواريه مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ.

وَوَلِيَ **نَازُوكُ الْحُجُوبَةَ** مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الشُّرْطَةِ، وَأُلْزِمَ الْمُقْتَدِرَ بِأَنْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ كِتَابًا بِالْخَلْعِ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَسَلَّمَ الْكِتَابَ إِلَى الْقَاضِي **أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ**، فَقَالَ لِوَلَدِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ: **احْتَفِظْ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَلَا يَرَيَنَّهُ** أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ.

فَلَمَّا أُعِيدَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى الْخِلَافَةِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ رَدَّهُ إِلَيْهِ، فَشَكَرَهُ عَلَى ذَلِكَ جِدًّا وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ جَلَسَ **الْقَاهِرُ بِاللهِ** فِي مَنْصِبِ الْخِلَافَةِ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ، وَكَتَبَ إِلَى الْعُمَّالِ بِالْآفَاقِ يُخْبِرُهُمْ بِوِلَايَةِ الْقَاهِرِ بِالْخِلَافَةِ عِوَضًا عَنِ الْمُقْتَدِرِ، وَأَطْلَقَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى مِنَ السِّجْنِ، وَزَادَ فِي أَقْطَاعِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ قَامُوا بِنَصْرِهِ، مِنْهُمْ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ حَمْدَانَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ جَاءَ الْجُنْدُ فَطَلَبُوا أَرْزَاقَهُمْ وَشَغَبُوا، وَسَارَعُوا إِلَى نَازُوكَ فَقَتَلُوهُ - وَكَانَ مَخْمُورًا - ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَهَرَبَ الْوَزِيرُ ابْنُ مُقْلَةَ وَالْحَجَبَةُ، وَنَادَوْا: يَا مُقْتَدِرُ يَا مَنْصُورُ وَلَمْ يَكُنْ مُؤْنِسٌ يَوْمَئِذٍ حَاضِرًا، وَجَاءَتِ الْجُنُودُ إِلَى بَابِهِ يُطَالِبُونَهُ بِالْمُقْتَدِرِ، فَأَغْلَقَ بَابَهُ، وَحَاجَفَ دُونَهُ خَدَمُهُ.

فَلَمَّـا رَأَى مُؤْنِسٌ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَسْـلِيمِ الْمُقْتَدِرِ إِلَيْهِمْ أَمَـرَهُ بِالْخُرُوجِ، فَخَرَجَ، فَحَمَلَهُ الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُ دَارَ الْخِلَافَةِ، فَسَأَلَ عَنْ أَخِيهِ الْقَاهِرِ وَأَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْـدَانَ لِيَكْتُبَ لَهُمَا أَمَانًا، فَمَا كَانَ عَنْ قَرِيبٍ حَتَّى جَاءَهُ خَادِمٌ وَمَعَهُ رَأْسُ أَبِي الْهَيْجَاءِ قَدِ احْتَزَّهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ.

وَاسْـتَدْعَى المقتدر الْقَاهِرَ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَدْنَاهُ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: يَا أَخِي، أَنْتَ لَا ذَنْبَ لَكَ، لَا جَرَى عَلَيْكَ مِنِّي سُوءٌ أَبَدًا.

وَعَـادَ ابْـنُ مُقْلَةَ، فَكَتَبَ إِلَـى الْآفَاقِ يُعْلِمُهُمْ بِعَـوْدِ الْمُقْتَدِرِ، وَتَرَاجَعَـتِ الْأُمُورُ إِلَى حَالِهَا الْأَوَّلِ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَقَرَّ الْمُقْتَدِرُ فِي الْخِلَافَةِ كَمَا كَانَ.

وَحُمِلَ رَأْسُ نَازُوكَ وَأَبِـي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْدَانَ، فَنُودِيَ عَلَيْهِمَا: هَذَا جَزَاءُ مَنْ عَصَى مَوْلَاهُ.

وَأَمَّا مُؤْنِسٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَاطِنِ عَلَى الْمُقْتَدِرِ وَإِنَّمَا وَافَقَ جَمَاعَةَ الْأُمَرَاءِ مُكْرَهًا، وَلِهَذَا لَمَّا أُودِعَ الْمُقْتَدِرُ فِي دَارِهِ لَمْ يَنَلْهُ مِنْهُ سُوءٌ، بَلْ كَانَ يُطَيِّبُ قَلْبَهُ.

وَقَرَّرَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ مُقْلَةَ عَلَى **الْوِزَارَةِ**، وَوَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ أَبَا عُمَرَ قَضَاءَ **الْقُضَاةِ**.

○ إخراج الجند الرجالة من بغداد

فِي سـنة (٣١٨هـ) طَرَدَ الْخَلِيفَةُ الرَّجَّالَةَ (من الجند) الَّذِيـنَ كَانُوا بِدَارِ الْخِلَافَةِ عَنْ بَغْـدَادَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَدُّوا الْمُقْتَـدِرَ إِلَى الْخِلَافَةِ بدأوا يتحدثون بينهم؛ ويَقُولُونَ: مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلِّطَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَصْعَدَ الْحِمَارَ إِلَى السَّطْحِ يَقْدِرُ إنزاله.

فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمْ عَنْ بَغْدَادَ وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عُوقِبَ، فَأُحْرِقَتْ دَوْرٌ كَثِيرَةٌ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ، وَاحْتَرَقَ بَعْضُ نِسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، فَخَرَجُوا مِنْهَا فِي غَايَةِ الْإِهَانَةِ، فَنَزَلُوا وَاسِطًا وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهَا مِنْهَا، فَرَكِبَ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ فَأَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَلَمْ تَقُمْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ رَايَةٌ.

○ ولاية ابن حمدان لديار ربيعة

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٣١٨هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ بْنَ حَمْدَانَ عَنِ الْمَوْصِلِ وَوَلَّاهُ دِيَارَ رَبِيعَةَ: نَصِيبِينَ، وَسِنْجَارَ، وَالْخَابُورَ، وَرَأْسَ الْعَيْنِ، وَمَعَهَا مَيَّافَارِقِينَ، وَأَرْزَنَ، وقد ضَمِنَ ذَلِكَ مِنَ الْخَلِيفَةِ بِمَالٍ يَحْمِلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

○ تولية ابني المقتدر

فِي سنة (٣١٨هـ) خَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى ابْنِهِ **هَارُونَ**، وَرَكِبَ مَعَهُ الْوَزِيرُ وَالْجَيْشُ، وَأَعْطَاهُ نِيَابَةَ فَارِسَ وَكَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَمُكْرَانَ.

وَخَلَعَ عَلَى ابْنِهِ **أَبِي الْعَبَّاسِ الرَّاضِي**، وَجَعَلَهُ نَائِبَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ، وَيَكُونُ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ يَسُدُّ عَنْهُ أُمُورَهَا.

❁ ❁ ❁

أحداث الزنادقة

○ حبس أتباع مدعي الربوبية

فِي شَعْبَانَ سنة (٢٩٨هـ) أُخِذَ رَجُلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا أَبُو كَثِيرَةَ وَالْآخَرُ يُعْرَفُ بِالشِّمْرِيِّ فَذَكَرَا أَنَّهُمَا مِنْ أَصْحَابِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ وَأَنَّهُ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ.

○ صلب الحلاج الزنديق وهو حي

فِي سنة (٣٠٠هـ) صُلِبَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجُ وَهُوَ حَيٌّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، يَوْمَيْنِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَيَوْمَيْنِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا.

وفِي سنة (٣٠١هـ) جِيءَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجِ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ مَشْهُورٌ عَلَى جَمَلٍ وَغُلَامٌ لَهُ رَاكِبٌ جَمَلًا آخَرَ يُنَادِي عَلَيْهِ: هَذَا أَحَدُ دُعَاةِ الْقَرَامِطَةِ فَاعْرِفُوهُ.

ثُمَّ حُبِسَ ثُمَّ أُحْضِرَ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ فَنَاظَرَهُ فَإِذَا هُوَ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْرِفُ مِنَ الْحَدِيثِ وَلَا الْفِقْهِ وَلَا اللُّغَةِ وَلَا الْأَخْبَارِ وَلَا الشِّعْرِ شَيْئًا، وَكَانَ الَّذِي نُقِمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ وُجِدَتْ لَهُ رِقَاعٌ يَدْعُو فِيهَا النَّاسَ إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الرُّمُوزِ، **يَقُولُ فِي مُكَاتَبَاتِهِ كَثِيرًا**: تَبَارَكَ ذُو النُّورِ الشَّعْشَعَانِيِّ.

فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: تَعَلُّمُكَ الطُّهُورَ وَالْفُرُوضَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِنْ رَسَائِلَ لَا تَدْرِي مَا تَقُولُ فِيهَا وَمَا أَحْوَجَكَ إِلَى الْأَدَبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ حَيًّا **صَلْبَ الِاشْتِهَارِ لَا الْقَتْلِ**، ثُمَّ أُنْزِلَ فَأُجْلِسَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، فَجَعَلَ يُظْهِرُ لَهُمْ أَنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ وَأَنَّهُ زَاهِدٌ، حَتَّى اغْتَرَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْخُدَّامِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْجَهَلَةِ وَالطَّغَامِ، حَتَّى صَارُوا يَتَبَرَّكُونَ بِهِ وَيَتَمَسَّحُونَ بِثِيَابِهِ.

○ مقتل الحلاج

فِي سنة (٣٠٩هـ) كَانَ مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجِ وَلِنَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ تَرْجَمَتِهِ وَسِيرَتِهِ وَكَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ، عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ وَبَيَانِ الْمَقْصُودِ بِطَرِيقِ **الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ**.

هو الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحَلَّاجِ أَبُو مُغِيثٍ، كَانَ جَدُّهُ مَجُوسِيًّا اسْمُهُ مَحْمِيٌّ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ.

نَشَأَ الحلاج بِوَاسِطَ، وَيُقَالُ بِتُسْتَرَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، وَتَرَدَّدَ إِلَى مَكَّةَ مِرَارًا لِلْحَجِّ، وَجَاوَرَ بِهَا سَنَوَاتٍ مُتَفَرِّقَةً، وَكَانَ يُصَابِرُ نَفْسَهُ وَيُجَاهِدُهَا فَلَا يَجْلِسُ إِلَّا تَحْتَ السَّمَاءِ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا بَعْضَ قُرْصٍ، وَيَشْرَبُ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ مَعَهُ، وَذَلِكَ وَقْتَ الْفُطُورِ مُدَّةَ سَنَةٍ كَامِلَةٍ، وَيَجْلِسُ عَلَى صَخْرَةٍ فِي قُبَالَةِ الْحَرَمِ فِي جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ.

وَقَدْ صَحِبَ جَمَاعَةً مِنْ سَادَاتِ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ **كَالْجُنَيْدِ** بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ **النُّورِيِّ**.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ[1] وَالصُّوفِيَّةُ مُخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَكْثَرُهُمْ نَفَى أَنْ يَكُونَ الْحَلَّاجُ مِنْهُمْ، وَأَبَى أَنْ يَعُدَّهُ فِيهِمْ، وَقَبِلَهُ مِنْ مُتَقَدِّمِيهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَطَاءٍ الْبَغْدَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ الشِّيرَازِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّصْرَابَاذِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ وَصَحَّحُوا لَهُ حَالَهُ وَدَوَّنُوا كَلَامَهُ حَتَّى قَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ.

وَالَّذِينَ نَفَوْهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ نَسَبُوهُ إِلَى الشَّعْبَذَةِ فِي فِعْلِهِ وَإِلَى الزَّنْدَقَةِ فِي عَقْدِهِ.

وَلَهُ إِلَى الْآنِ أَصْحَابٌ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ وَيَغْلُونَ فِيهِ، وَقَدْ كَانَ الْحَلَّاجُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ، حُلْوَ الْمَنْطِقِ، وَلَهُ شِعْرٌ عَلَى طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ.

قال ابن كثير:[2] لَمْ يَزَلِ النَّاسُ مُنْذُ قُتِلَ الْحَلَّاجُ مُخْتَلِفِينَ فِي أَمْرِهِ.

فَأَمَّا الْفُقَهَاءُ فَحُكِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَأَنَّهُ كَانَ كَافِرًا مُمَخْرِقًا مُمَوِّهًا مُشَعْبِذًا، وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَكْثَرِ الصُّوفِيَّةِ. **وَطَائِفَةٌ من الصوفية** أَجْمَلُوا الْقَوْلَ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١١٢.
(٢) ١٤/ ٨٢٠

فِيهِ وَغَرَّهُمْ ظَاهِرُهُ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى بَاطِنِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ فِيهِ تَعَبُّدٌ وَتَأَلُّهٌ وَسُلُوكٌ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ يَسْلُكُ بِهِ فِي عِبَادَتِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الدَّاخِلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، كَمَا **قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ**: مَنْ عَبَدَ اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ.

وَعَنْ **سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ** أَنَّهُ قَالَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى. وَلِهَذَا دَخَلَ عَلَى الْحَلَّاجِ بَابُ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ الِانْحِلَالِ وَالْإِلْحَادِ.

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّهُ تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ وَتَرَدَّدَ إِلَى الْبُلْدَانِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَصَحَّ أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى الْهِنْدِ لِتَعَلُّمِ السِّحْرِ، وَقَالَ: أَدْعُو بِهِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وَكَانَ أَهْلُ الْهِنْدِ يُكَاتِبُونَهُ بِالْمُغِيثِ. وَيُكَاتِبُهُ أَهْلُ تُرْكِسْتَانَ بِالْمُقِيتِ.

وَكَانَ بَعْضُ الْبَغَادِدَةِ حِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ: الْمُصْطَلِمُ. وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ يَقُولُونَ لَهُ الْمُحَيِّرُ.

وَيُقَالُ: إِنَّمَا **سَمَّاهُ الْحَلَّاجَ** أَهْلُ الْأَهْوَازِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُكَاشِفُهُمْ عَنْ مَا فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَقِيلَ: لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ حَلَّاجًا.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ذَا حُلُولٍ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: **شِعْرُهُ**، فَمِنْ ذَلِكَ قوله:

قَدْ تَحَقَّقْتُكَ فِي سِرِّ ... ي فَخَاطَبْكَ لِسَانِي
فَاجْتَمَعْنَا لِمَعَانٍ ... وَافْتَرَقْنَا لِمَعَانِ
إِنْ يَكُنْ غَيَّبَكَ التَّعْ ... ظِيمُ عَنْ لَحْظِ الْعَيَانِ
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ الْوَجْ ... دُ مِنَ الْأَحْشَاءِ دَانِ

وَقَدْ كَانَ الْحَلَّاجُ يَتَلَوَّنُ فِي مَلَابِسِهِ، فَتَارَةً يَلْبَسُ لِبَاسَ الصُّوفِيَّةِ، وَتَارَةً يَتَجَرَّدُ فِي مَلَابِسَ زَرِيَّةٍ، وَتَارَةً يَلْبَسُ لِبَاسَ الْأَجْنَادِ وَيُعَاشِرُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا.

وَمِنْ مُسْتَجَادِ كَلَامِهِ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُوصِيَهُ بِشَيْءٍ يَنْفَعُهُ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ شَغَلَتْكَ عَنِ الْحَقِّ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حُكِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أُمَاشِي الْحَلَّاجَ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ وَكُنْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَسَمِعَ قِرَاءَتِي، فَقَالَ: يُمْكِنُنِي أَنْ أَقُولَ مِثْلَ هَذَا. فَفَارَقْتُهُ.

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الطَّبَرِيُّ: وَسَمِعْتُ أَبَا يَعْقُوبَ الْأَقْطَعَ، يَقُولُ: زَوَّجْتُ ابْنَتِي مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حُسْنِ طَرِيقَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ، فَبَانَ لِي بَعْدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ أَنَّهُ سَاحِرٌ مُحْتَالٌ خَبِيثٌ كَافِرٌ.

قال ابن كثير: كَانَ تَزْوِيجُهُ بِهَا بِمَكَّةَ وَهِيَ أُمُّ الْحُسَيْنِ بِنْتُ أَبِي يَعْقُوبَ الْأَقْطَعِ، فَأَوْلَدَهَا وَلَدَهُ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ.

وَذَكَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ [(١)] فِي الرِّسَالَةِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عُثْمَانَ دَخَلَ عَلَى الْحَلَّاجِ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَهُوَ يَكْتُبُ شَيْئًا فِي أَوْرَاقٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ ذَا أُعَارِضُ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ فَلَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا.

وَأَنْكَرَ عَلَى أَبِي يَعْقُوبَ الْأَقْطَعِ تَزْوِيجَهُ إِيَّاهُ ابْنَتَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ كُتُبًا كَثِيرَةً يَلْعَنُهُ فِيهَا وَيُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْهُ، فَشَرَدَ الْحَلَّاجُ فِي الْبِلَادِ فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَجَعَلَ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللهِ، وَيَسْتَعِينُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحِيَلِ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ وَشَأْنَهُ حَتَّى أَحَلَّ اللهُ بِهِ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، فَقَتَلَهُ بِسَيْفِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ كَتِفَيْ زِنْدِيقٍ، وَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَهُ عَلَى صِدِّيقٍ.

كَيْفَ وَقَدْ تَهَجَّمَ عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَرَادَ مُعَارَضَتَهُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥] وَلَا إِلْحَادَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا.

(١) الرسالة القشيرية ٢/ ٦٣٦.

قَالَ الْخَطِيبُ: أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَخْلَدٍ أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» قَالَ: **ظَهَرَ** أَمْرُ رَجُلٍ **يُعْرَفُ بِالْحَلَّاجِ** يُقَالُ لَهُ: الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَكَانَ فِي حَبْسِ السُّلْطَانِ بِسِعَايَةٍ وَقَعَتْ بِهِ، وَذَلِكَ فِي وِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْأُولَى وَذُكِرَ عَنْهُ ضُرُوبٌ مِنَ الزَّنْدَقَةِ، وَوَضْعِ الْحِيَلِ عَلَى تَضْلِيلِ النَّاسِ مِنْ جِهَاتٍ تُشْبِهُ الشَّعْوَذَةَ وَالسِّحْرَ وَادِّعَاءَ النُّبُوَّةِ، فَكَشَفَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عِنْدَ قَبْضِهِ عَلَيْهِ.

وَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ فَلَمْ يُقِرَّ بِمَا رُمِيَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَعَاقَبَهُ وَصَلَبَهُ حَيًّا أَيَّامًا مُتَوَالِيَةً فِي رَحْبَةِ الْجِسْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ غُدْوَةً، وَيُنَادَى عَلَيْهِ بِمَا ذُكِرَ عَنْهُ، ثُمَّ يُنْزَلُ بِهِ ثُمَّ يُحْبَسُ، فَأَقَامَ فِي الْحَبْسِ سِنِينَ كَثِيرَةً، يُنْقَلُ مِنْ حَبْسٍ إِلَى حَبْسٍ حَتَّى حُبِسَ بِأَخَرَةٍ فِي دَارِ الخلافة، فَاسْتَغْوَى جَمَاعَةً مِنَ الغلمان، وَمَوَّهَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَالَهُمْ بِضُرُوبٍ مِنْ حِيَلِهِ حَتَّى صَارُوا يَحْمُونَهُ وَيَدْفَعُونَ عَنْهُ وَيُرَفِّهُونَهُ، ثُمَّ رَاسَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَتَرَاقَى بِهِ الْأَمْرُ حَتَّى ذُكِرَ أَنَّهُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ.

وَسُعِيَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ وَوُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ كُتُبٌ تَدُلُّ عَلَى تَصْدِيقِ مَا ذُكِرَ عَنْهُ وَأَقَرَّ بَعْضُهُمْ بِلِسَانِهِ بِذَلِكَ، وَانْتَشَرَ خَبَرُهُ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قَتْلِهِ، فَأَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَسْلِيمِهِ إِلَى حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَأَمَرَ أَنْ يَكْشِفَهُ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَيَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى فِي ذَلِكَ خُطُوبٌ طِوَالٌ.

ثُمَّ اسْتَيْقَنَ المقتدر أَمْرَهُ وَوَقَفَ عَلَى مَا ذُكِرَ لَهُ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَإِحْرَاقِهِ بِالنَّارِ، فَأُحْضِرَ مَجْلِسَ الشُّرْطَةِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ (٣٠٩هـ)، فَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ سَوْطٍ وَقُطِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُحْرِقَتْ جُثَّتُهُ بِالنَّارِ، وَنُصِبَ رَأْسُهُ لِلنَّاسِ عَلَى سُورِ الْجِسْرِ الْجَدِيدِ، وَعُلِّقَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ إِلَى جَانِبِ رَأْسِهِ.

ومن **آثار مقتله**: وَقُوعَ حَرِيقٍ كَثِيرٍ فِي نُوَاحِي بَغْدَادَ، حيث أَلْقَى مَنْ كَانَ مِنْ جِهَتِهِ حرائق فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ، فَهَلَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وفي سنة (٣١٢هـ) **ظَفِرَ نَازُوكُ نَائِبُ الشُّرْطَةِ بِثَلَاثَةٍ** مِنْ أَصْحَابِ الْحَلَّاجِ وَهُمْ حَيْدَرَةُ، وَالشَّعْرَانِيُّ، وَابْنُ مَنْصُورٍ، فَطَالَبَهُمْ بِالرُّجُوعِ، فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَصَلَبَهُمْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ.

○ إحراق كتب الزندقة

فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٣١١هـ) أُحْرِقَ عَلَى بَابِ الْعَامَّةِ صُورَةُ مَانِي [(١)] وَأَرْبَعَةُ أَعْدَالٍ مِنْ كُتُبِ الزَّنَادِقَةِ، فَسَقَطَ مِنْهَا ذَهَبٌ كَثِيرٌ كَانَتْ مُحَلَّاةً بِهِ.

○ أول ظهور الإسماعيلية

فِي سنة (٣١٢هـ) ظَهَرَ رَجُلٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ، فَادَّعَى أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَصَدَّقَهُ عَلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالطَّغَامِ، وَالْتَفُّوا عَلَيْهِ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ فِي شَوَّالٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ جَيْشًا فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمُوهُ، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّتُهُمْ، وَهَذَا الْمُدَّعِي الْمَذْكُورُ هُوَ رَئِيسُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَأَوَّلُهُمْ.

○ معاقبة الرافضة الداعين للإسماعيلية

فِي صَفَرٍ سنة (٣١٣هـ) بَلَغَ الْخَلِيفَةَ الْمُقْتَدِرَ بِاللهِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الرَّافِضَةِ يَجْتَمِعُونَ فِي **مَسْجِدِ بَرَاثَا**، فَيَنَالُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ، وَيُكَاتِبُونَ الْقَرَامِطَةَ، وَيَدْعُونَ إِلَى وِلَايَةِ **مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ** الَّذِي ظَهَرَ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ، وَيَتَبَرَّءُونَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ وَمِمَّنْ يَتَّبِعُهُ، فَأَمَرَ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَيْهِمْ.

---

(١) يبدو أن هذه الصورة تمثال لماني وهو: الذي تنسب إليه المانوية، وهم من الثنوية الذين يزعمون أن للعالم إلهين: النور والظلمة، وأنهما أزليان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام. وماني هذا هو ابن فاتك الذي ظهر في زمان سابور ابن أردشير، وذلك بعد عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا يقول بنبوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٦١٨-٦١٩.

وَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فِي الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ، فَأَفْتَوْا بِأَنَّهُ مَسْجِدٌ **ضِرَارٌ** يُهْدَمُ كَمَا هُدِمَ مَسْجِدُ الضِّرَارِ في العهد النبوي، فَضَرَبَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمُ الضَّرْبَ الْمُبَرِّحَ، وَنُودِيَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ، فَهَدَمَهُ نَازُوكُ وَأَمَرَ الْوَزِيرَ الْخَاقَانِيَّ، فَجَعَلَ مَكَانَهُ مَقْبَرَةً، فَدُفِنَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَوْتَى.

❁ ❁ ❁

أحداث القرامطة

مكاتبة رئيس القرامطة

فِي سنة (٣٠١هـ) اسْتَأْذَنَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْخَلِيفَةَ الْمُقْتَدِرَ فِي مُكَاتَبَةِ **رَأْسِ الْقَرَامِطَةِ** أَبِي سَعِيدٍ الْحَسَنِ بْنِ بَهْرَامَ الْجَنَّابِيِّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا طَوِيلًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَيُوَبِّخُهُ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ أَصْحَابُهُ مِنْ تَرْكِ الصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَارْتِكَابِ الْمُنْكَرَاتِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَى مَنْ يَذْكُرُ اللهَ وَيُسَبِّحُهُ وَيَحْمَدُهُ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالدِّينِ وَاسْتِرْقَاقِهِمُ الْحَرَائِرَ.

ثُمَّ تَوَعَّدَهُ بِالْحَرْبِ وَتَهَدَّدَهُ بِالْقَتْلِ، فَلَمَّا سَارَ بِالْكِتَابِ نَحْوَهُ، قُتِلَ أَبُو سَعِيدٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَهُ، قَتَلَهُ بَعْضُ خَدَمِهِ وَعَهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ سَعِيدٍ، فَغَلَبَهُ عَلَى ذَلِكَ أَخُوهُ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَ الْوَزِيرِ إِلَيْهِمْ أَجَابَهُ بِمَا حَاصِلُهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي تَنْسِبُ إِلَيْنَا مِمَّا ذَكَرْتُمْ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَكُمْ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ مَنْ يُشَنِّعُ عَلَيْنَا، وَإِذَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يَنْسِبُنَا إِلَى الْكُفْرِ بِاللهِ فَكَيْفَ يَدْعُونَا إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ؟

هجوم القرامطة على البصرة

فِي سنة (٣٠٧هـ) دَخَلَتِ الْقَرَامِطَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ.

وفِي سنة (٣١١هـ) دَخَلَ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ أَمِيرُ الْقَرَامِطَةِ فِي أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ إِلَى الْبَصْرَةِ لَيْلًا، نَصَبَ السَّلَالِمَ الشَّعْرَ فِي سُورِهَا، فَدَخَلَهَا قَوْمُهُ وَفَتَحُوا أَبْوَابَهَا، وَقَتَلُوا مَنْ لَقُوهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَهَرَبَ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ، فَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَمَكَثَ بِهَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ مَنْ شَاءَ مِنْ نِسَائِهَا وَذَرَارِيِّهَا، وَيَغْنَمُ مَا يَخْتَارُهُ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ هَجَرَ فارّاً لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ جُنْدًا مِنْ قِبَلِهِ وَتَرَكَ الْبَلَدَ يَبَابًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ هجوم القرامطة على الحجاج

فِي سنة (٣٠٢هـ) قَطَعَتِ الْأَعْرَابُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ الطَّرِيقَ عَلَى الرَّاجِعِينَ مِنَ الْحَجِيجِ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرُوا أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَي امْرَأَةٍ حُرَّةٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفِي سنة (٣٠٣) أُتِي إِلَى الخليفة المقتدرِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأُسَارَى مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَدَوْا عَلَى الْحَجِيجِ فِي سنة (٣٠٢هـ)، فَلَمْ تَتَمَالَكِ الْعَامَّةُ أَنْ عَدَتْ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ، فَأُخِذَ بَعْضُهُمْ فَعُوقِبَ لِكَوْنِهِ افْتَاتَ عَلَى السُّلْطَانِ.

وفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣١٢هـ) اعْتَرَضَ الْقِرْمِطِيُّ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ لِلْحَجِيجِ **وَهُمْ رَاجِعُونَ مِنْ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ**، قَدْ أَدَّوْا فَرْضَ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَقَطَعَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، فَقَاتَلُوهُ دَفْعًا عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَحَرِيمِهِمْ، فقتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ، عَزَّوَجَلَّ، وَأَسَرَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ مَا اخْتَارَهُ، وَاصْطَفَى مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا أَرَادَ، فَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَخَذَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يُقدر بِأَلْف أَلْف دِينَارٍ غير الْأَمْتِعَةِ وَالْمَتَاجِرِ.

وَتَرَكَ بَقِيَّةَ النَّاسِ بِلَا زَادٍ وَلَا مَاءٍ وَلَا مَحْمَلٍ، بَعْدَمَا أَخَذَ جِمَالَهُمْ وَزَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ فِي الْبَرِّيَّةِ.

وَقَد دافع نَائِبُ الْكُوفَةِ أَبُو الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمْدَانَ، فَقَهَرَهُ وَأَسَرَهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ مَعَ الْقِرْمِطِيِّ ثَمَانِمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، قَصَمَهُ اللهُ.

ثـم أَمَرَ الْخَلِيفَةُ مُؤْنِسًا الْخَادِمَ بِالْمَسِيرِ إِلَى نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ لِأَجْلِ الْقَرَامِطَةِ، وَأَنْفَقَ عَلَى خُرُوجِهِ إِلَى هُنَالِكَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَطْلَقَ الْقِرْمِطِيُّ مَنْ كَانَ أَسَرَهُ مِنَ الْحَجِيجِ وَكَانُوا أَلْفَيْ رَجُلٍ وَخَمْسَمِائَةِ امْرَأَةٍ، وَأَطْلَقَ أَبَا الْهَيْجَاءِ نَائِبَ الْكُوفَةِ مَعَهُمْ أَيْضًا، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْأَلُ مِنْهُ الْبَصْرَةَ وَالْأَهْوَازَ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ.

وَرَكِبَ الْمُظَفَّرُ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ فِي جَحَافِلَ إِلَى بِلَادِ الْكُوفَةِ فَسَكَنَ أَمْرُهَا، ثُمَّ انْحَدَرَ مِنْهَا إِلَى وَاسِطٍ؛ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنَ الْقَرَامِطَةِ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْكُوفَةِ يَاقُوتَ الْخَادِمَ، فَتَمَهَّدَتِ الْأُمُورُ وَانْصَلَحَتْ.

وفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣١٣هـ) خَرَجَ النَّاسُ لِلْحَجِّ فَاعْتَرَضَهُمْ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ **الْقِرْمِطِيُّ**، فَرَجَعَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَى بُلْدَانِهِمْ، وَلَمْ يُمْكِنْهُمُ الْحَجُّ عَامَهُمْ هَذَا، وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَهُمْ سَأَلَ مِنْهُ الْأَمَانَ لِيَذْهَبُوا فَأَمَّنَهُمْ. وَقَدْ قَاتَلَهُ جُنْدُ الْخَلِيفَةِ، فَلَمْ يُفِدْ ذَلِكَ فِيهِ شَيْئًا؛لِتَمَرُّدِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِ مَنْ مَعَهُ.

وَانْزَعَجَ أَهْلُ بَغْدَادَ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَحَّلَ أَهْلُ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ خَوْفًا مِنَ الْقَرَامِطَةِ، وَدَخَلَ الْقِرْمِطِيُّ إِلَى الْكُوفَةَ فَأَقَامَ بِهَا سِتَّةَ أَيَّامٍ يَأْخُذُ مِنْ أَمْوَالِهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

❍ اقتراب القرمطي من مكة

فِي سنة (٣١٤هـ) جَاءَتِ الْكُتُبُ مِنْ مَكَّةَ أَنَّ أَهْلَهَا فِي غَايَةِ الِانْزِعَاجِ؛ بِسَبَبِ اقْتِرَابِ الْقِرْمِطِيِّ إِلَيْهِمْ وَقَصْدِهِ إِيَّاهُمْ، فَرَحَلُوا مِنْهَا إِلَى الطَّائِفِ وَتِلْكَ النَّوَاحِي.

❍ استيلاء القرامطة على الكوفة وما حولها

فِي سنة (٣١٥هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ يُوسُفَ بْنِ أَبِي السَّاجِ وَبَيْنَ أَبِي طَاهِرٍ الْقِرْمِطِيِّ عِنْدَ الْكُوفَةِ؛ سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَبُو طَاهِرٍ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا.

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، اسْتَقَلَّ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ جَيْشَ الْقِرْمِطِيِّ، وَكَانُوا أَلْفُ فَارِسٍ وَخَمْسُمِائَةِ رَاجِلٍ، وَكَانَ مَعَ يوسف عِشْرُونَ أَلْفًا، فَقَالَ: **وَمَا قِيمَةُ هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ؟ وَأَمَرَ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ بِالْفَتْحِ إِلَى الْخَلِيفَةِ** قَبْلَ اللِّقَاءِ، فَلَمَّا اقْتَتَلُوا ثَبَتَتِ الْقَرَامِطَةُ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَنَزَلَ أَبُو طَاهِرٍ القرمطي، فَحَرَّضَ أَصْحَابَهُ، وَحَمَلَ بِهِمْ حَمْلَةً صَادِقَةً، فَهَزَمُوا جُنْدَ الْخَلِيفَةِ، وَأَسَرُوا يُوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ جُنْدِ الْخَلِيفَةِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْكُوفَةِ.

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَى بَغْدَادَ، وَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْقِرْمِطِيَّ يُرِيدُ أَنْ يَقْصِدَ بَغْدَادَ لِيَأْخُذَهَا.

فَاجْتَمَعَ الْوَزِيرُ علي بن عيسى بِالْخَلِيفَةِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، **إِنَّ الْأَمْوَالَ إِنَّمَا تُدَّخَرُ لِتَكُوْنَ عَوْنًا عَلَى قِتَالِ أَعْدَاءِ اللهِ**، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَقَعْ بَعْدَ زَمَنِ الصَّحَابَةِ أَفْظَعُ مِنْهُ، قَدْ قَطَعَ هَذَا الْكَافِرُ طَرِيقَ الْحَجِّ عَلَى النَّاسِ، وَفَتَكَ فِي الْمُسْلِمِينَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَإِنَّ بَيْتَ الْمَالِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَاتَّقِ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَاطِبِ السَّيِّدَةَ - يَعْنِي أُمَّهُ - فَإِنْ كَانَ عِنْدَهَا مَالٌ قَدِ ادَّخَرَتْهُ لِشِدَّةٍ، فَهَذَا وَقْتُهُ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَكَانَتْ هِيَ الَّتِي ابْتَدَأَتْهُ بِذَلِكَ، وَبَذَلَتْ لَهُ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِثْلُهَا فَسَلَّمَهَا الْخَلِيفَةُ إِلَى الْوَزِيرِ لِيَصْرِفَهَا فِي تَنْفِيذِ الْجُيُوشِ نَحْوَ الْقَرَامِطَةِ.

فَجَهَّزَ الْوَزِيرُ جَيْشًا أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَأَخَذُوا عَلَيْهِ الطُّرُقَاتِ، وَكَانَ يُرِيدُ دُخُولَ بَغْدَادَ ثُمَّ الْتَقَوْا مَعَهُ، فَلَمْ يَلْبَثْ جَيْشُ الْخَلِيفَةِ أَنِ انْهَزَمَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ مَعَهُمْ مُقَيَّدًا فِي خَيْمَةٍ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى مَحَلِّ الْوَقْعَةِ، فَلَمَّا رَجَعَ الْقِرْمِطِيُّ قَالَ: أَرَدْتَ أَنْ تَهْرُبَ؟! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَرَجَعَ الْقِرْمِطِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ بَغْدَادَ إِلَى **الْأَنْبَارِ** ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى **هِيتَ**.

فَأَكْثَرَ أَهْلُ بَغْدَادَ الصَّدَقَةَ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ وَأُمُّهُ وَالْوَزِيرُ؛ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى صَرْفِهِ عَنْهُمْ هَذَا الْخَبِيثَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إفساد القرمطي في نواحي العراق

فِي سنة (٣١٦هـ) عَاثَ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْقِرْمِطِيُّ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، حَاصَرَ **الرَّحْبَةَ**، فَدَخَلَهَا قَهْرًا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَطَلَبَ مِنْهُ أَهْلُ **قِرْقِيسِيَا** الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، وَبَعَثَ سَرَايَا إِلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا أَيْضًا، حَتَّى صَارَ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِذِكْرِهِ يَهْرُبُونَ مِنْ سَمَاعِ اسْمِهِ.

وَقَـرَّرَ **عَلَى الْأَعْـرَابِ إِتَاوَةً يَحْمِلُونَهَا** إِلَى هَجَرَ فِي كُلِّ سَـنَةٍ، عَنْ كُلِّ رَأْسٍ دِينَارَانِ، وَعَاثَ فِي نُوَاحِي **الْمَوْصِلِ وَسِنْجَارَ** وَتِلْكَ الدِّيَارِ، وَقَتَلَ وَسَلَبَ وَنَهَبَ. فَقَصَدَهُ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ فَلَمْ يَتَوَاجَهَا. ثُمَّ رَجَعَ القرمطي إِلَى بَلَدِهِ.

ثـم تَفَاقَـمَ أَمْرُهُ بعد ذلك، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ، وَصَارُوا يَكْبِسُـونَ الْقَرْيَةَ مِنْ أَرْضِ السَّـوَادِ، فَيَقْتُلُونَ أَهْلَهَا، وَيَنْهَبُونَ أَمْوَالَهَا، وَرَامَ فِي نَفْسِـهِ دُخُولَ الْكُوفَةِ وَأَخْذَهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ وَعَصَمَهَا اللهُ مِنْهُ.

ثُـمَّ جَهَّـزَ الْخَلِيفَةُ جَيْشًـا كَثِيفًا مَعَ **مُؤْنِسٍ الْخَـادِمِ**، فَاقْتَتَلُوا مَعَ الْقَرَامِطَـةِ، فَقَتَلُوا مِنَ الْقَرَامِطَةِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَدَخَلُوا مَعَ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ إِلَى بَغْدَادَ وَالْأَسَارَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَعْلَامٌ مِنْ أَعْلَامِهِمْ بِيضٌ مُنَكَّسَةٌ.

فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَطَابَتْ أَنْفُسُ أَهْلِ بَغْدَادَ وَانْكَسَرَ شَرُّ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ نَشَأُوا وَكَثُرُوا وَأَظْهَرُوا رُءُوسَهُمْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، وَنَهَبُوا كَثِيرًا مِنَ الْقُرَى.

ولَمَّا رَأَى الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَـى **مَا يَفْعَلُ الْقِرْمِطِيُّ بِبِلَادِ الْإِسْـلَامِ**، وَالْخَلِيفَةُ وَجَيْشُهُ ضُعَفَاءُ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ، **اسْـتَعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ وَعَزَلَ نَفْسَـهُ** عَنْهَا سنة (٣١٦هـ)، فَسَعَى فِيهَا **أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ** الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ، فَوَلِيَهَا بِسِفَارَةِ نَصْرٍ الْحَاجِبِ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ - بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ مِنَ الْبَرِيدِ - وَيُقَالُ: الْيَزِيدِيُّ. لِخِدْمَةِ جَدِّهِ يَزِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْحِمْيَرِيِّ.

○ دعوة القرمطي للمهدي المغربي

في سـنة (٣١٦هـ) ابْتَنَى أبو طاهر القرمطي بهَجَر دَارًا سَـمَّاهَا دَارَ الْهِجْرَةِ، وَدَعَا إِلَى الْمَهْدِيِّ الَّذِي بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ بَانِي الْمَهْدِيَّةِ.

○ إلحاد القرامطة وأَخْذ الْحَجَر الْأَسْوَد

فِي سـنة (٣١٧هـ) خَرَجَ رَكْبُ الْعِرَاقِ وَأَمِيرُهُـمْ مَنْصُورٌ الدَّيْلَمِيُّ، فَوَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ سَـالِمِينَ، وَتَوَافَـتِ وفود الحجـاج هُنَاكَ مِنْ كُلِّ جَانِـبٍ، فَمَا شَـعَرُوا إِلَّا بِالْقِرْمِطِيِّ قَدْ

خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي جَمَاعَتِهِ **يَوْمَ التَّرْوِيَةِ**، فَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ، وَاسْتَبَاحَ قِتَالَهُمْ، فَقَتَلَ النَّاسَ فِي رِحَابِ مَكَّةَ وَشِعَابِهَا حَتَّى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ،[(١)].

وَجَلَسَ أَمِيرُهُمْ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ - لَعَنَهُ اللهُ - عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا بِاللَّهِ وَبِاللَّهِ أَنَا   يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأُفْنِيهِمْ أَنَا

فَكَانَ النَّاسُ يَفِرُّونَ فَيَتَعَلَّقُونَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَلَا يُجْدِي ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا، بَلْ يُقْتَلُونَ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيَطُوفُونَ فَيُقْتَلُونَ فِي الطَّوَافِ.

ثُمَّ أَمَرَ الْقِرْمِطِيُّ أَنْ **تُدْفَنَ الْقَتْلَى بِبِئْرِ زَمْزَمَ**، وَدَفَنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَحَتَّى فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهَدَمَ قُبَّةَ زَمْزَمَ، وَأَمَرَ بِقَلْعِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَنَزَعَ كُسْوَتَهَا عَنْهَا، وَشَقَّقَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

وَأَمَرَ رَجُلًا أَنْ يَصْعَدَ إِلَى **مِيزَابِ الْكَعْبَةِ**، فَأَرَادَ أَنْ يَقْتَلِعَهُ، فَسَقَطَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، فَمَاتَ لَعَنَهُ اللهُ، فَانْكَفَّ اللَّعِينُ عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ الْمِيزَابِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُقْلَعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَضَرَبَ الْحَجَرَ بِمُثْقَلٍ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ؟.. **أَيْنَ الْحِجَارَةُ مِنْ سِجِّيلٍ؟**

ثُمَّ قَلَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ حِينَ رَاحُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، فَكَانَ عِنْدَهُمْ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى رَدُّوهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(١) في إتحاف الورى لابن فهد ٢/ ٣٧٥ ومابعدها: أعطى احصائية بالقتلى فقال: قتل في المسجد الحرام ألفا وسبعمائة وقيل: ثلاثة عشر ألفاً من الرجال والنساء، وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم: ثلاثين ألفاً، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك، وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن مخلب.

وقال: ولم يقف أحد في هذه السنة بعرفة، ولا وفّى نسكاً إلا قوم يسير، أتموا حجهم دون إمام وكانوا رجالة.

وذكر أن القرمطي أقاموا بمكة أحد عشر يوماً، وكان القرمطي يخطب بمكة لعبيد الله المهدي صاحب المهدية.

وَلَمَّا رَجَعَ الْقِرْمِطِيُّ إِلَى بِلَادِهِ، تَبِعَهُ أَمِيرُ مَكَّةَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَجُنْدُهُ وَسَأَلَهُ وَتَشَفَّعَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَرُدَّ الْحَجَرَ لِيُوضَعَ فِي مَكَانِهِ، وَبَذَلَ لَهُ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَقَاتَلَهُ **أَمِيرُ مَكَّةَ** فَقَتَلَهُ الْقِرْمِطِيُّ، وَقَتَلَ أَكْثَرَ أَهْلِهِ وَجُنْدِهِ.

قال ابن كثير: (١) وَقَدْ أَلْحَدَ هَذَا اللَّعِينُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلْحَادًا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وِثَاقَهُ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا حَمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا زَنَادِقَةً.

وَقَدْ كَانُوا مُمَالِئِينَ لِلْفَاطِمِيِّينَ الَّذِينَ نَبَغُوا فِي هَذِهِ السِّنِينَ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ، وَيُلَقَّبُ أَمِيرُهُمْ بِالْمَهْدِيِّ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبِيدُ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحُ.

وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَرَامِطَةُ يُرَاسِلُونَهُ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَتَرَامَوْنَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ: إِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ سِيَاسَةً وَدَوْلَةً لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ (٢) أَنَّ الْمَهْدِيَّ هَذَا كَتَبَ إِلَى أَبِي طَاهِرٍ الْقِرْمِطِيِّ **يَلُومُهُ عَلَى فِعْلِهِ بِمَكَّةَ،** حَيْثُ سَلَّطَ النَّاسَ عَلَى الْكَلَامِ فِي عِرْضِهِمْ، وَانْكَشَفَتْ أَسْرَارُهُمُ الَّتِي كَانُوا يُبْطِنُونَهَا بِمَا ظَهَرَ مِنْ صَنِيعِهِمْ هَذَا الْقَبِيحِ، وَأَمَرَهُ بِرَدِّ مَا أَخَذَهُ مِنْهَا، وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.

قال ابن كثير: (٣) **وَقَدْ سَأَلَ بَعْضُهُمْ هَاهُنَا سُؤَالًا** فَقَالَ: قَدْ أَحَلَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ - وَكَانُوا نَصَارَى، وَهَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْهُمْ - مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ١].

---

(١) ١٥/ ٣٩.
(٢) الكامل ٨/ ٢٨٠.
(٣) ١٥/ ٤١.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَرَامِطَةَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ، بَلْ وَمِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، **فَهَلَّا عُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا عُوجِلَ أَصْحَابُ الْفِيلِ؟**

وَقَدْ أُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ إِنَّمَا عُوقِبُوا إِظْهَارًا لِشَرَفِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَلِمَا يُرَادُ بِهِ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ بِإِرْسَالِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ هَذَا الْبَيْتُ فِيهِ؛ لِيُعْلَمَ شَرَفُ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ.

فَلَمَّا أَرَادَ هَؤُلَاءِ إِهَانَةَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي يُرَادُ تَشْرِيفُهَا عَمَّا قَرِيبٍ، أَهْلَكَهُمْ سَرِيعًا عَاجِلًا، غَيْرَ آجِلٍ، كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ.

وَأَمَّا هَؤُلَاءِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ بَعْدَ تَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَتَمْهِيدِ الْقَوَاعِدِ، وَالْعِلْمِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ اللهِ بِشَرَفِ مَكَّةَ وَالْكَعْبَةِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَكْبَرِ الْمُلْحِدِينَ الْكَافِرِينَ؛ بِمَا تَبَيَّنَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلِهَذَا لَمْ يَحْتَجِ الْحَالُ إِلَى مُعَاجَلَتِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ

بَلْ أَخَّرَهُمُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُمْهِلُ وَيُمْلِي وَيَسْتَدْرِجُ، ثُمَّ يَأْخُذُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

○ إعادة الحجر الأسود

فِي ذِي الْقَعْدَةِ من هذه السَّنَةِ الْمُبَارَكَةِ (٣٣٩هـ) رُدَّ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ الْمَكِّيُّ إِلَى مَكَانِهِ. وَكَانَتِ الْقَرَامِطَةُ قَدْ أَخَذُوهُ فِي سَنَةِ (٣١٧هـ)، وَكَانَ **مَلِكُهُمْ** إِذْ ذَاكَ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْحَسَنُ **الْجَنَّابِيُّ**، وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ، أَعْظَمَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ جِدًّا، **وَقَدْ بَذَلَ لَهُمُ الْأَمِيرُ بَجْكَمُ التُّرْكِيُّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ**؛ لِيَرُدُّوهُ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، وَقَالُوا: **نَحْنُ أَخَذْنَاهُ بِأَمْرٍ، وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا بِأَمْرِ مَنْ أَخَذْنَاهُ بِأَمْرِهِ.**

فَلَمَّا كَانَ فِي هَذَا الْعَامِ حَمَلُوهُ إِلَى **الْكُوفَةِ** وَعَلَّقُوهُ عَلَى **الْأُسْطُوَانَةِ السَّابِعَةِ** مِنْ جَامِعِهَا؛ لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَكَتَبَ إِخْوَةُ أَبِي طَاهِرٍ كِتَابًا فِيهِ: إِنَّا أَخَذْنَا هَذَا الْحَجَرَ بِأَمْرٍ، وَقَدْ رَدَدْنَاهُ بِأَمْرِ مَنْ أَمَرَنَا بِأَخْذِهِ؛ لِيَتِمَّ حَجُّ النَّاسِ وَمَنَاسِكُهُمْ.

ثُمَّ أَرْسَلُوهُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ شَيْءٍ عَلَى قَعُودٍ، فَوَصَلَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِهِ عِنْدَهُمْ **ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً**، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْقَرَامِطَةَ حِينَ أَخَذُوهُ حَمَلُوهُ عَلَى عِدَّةِ جِمَالٍ، فَعَطِبَتْ تَحْتَهُ، وَاعْتَرَى أَسْنِمَتَهَا الْعَقْرُ، وَلَمَّا رَدُّوهُ حَمَلَهُ قَعُودٌ وَاحِدٌ لَمْ يُصِبْهُ بَأْسٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

❍ ضعف أمر القرامطة

فِي سنة (٣٢٦هـ) اضْطَرَبَ **أَمْرُ الْقَرَامِطَةِ جِدًّا**، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَانْكَفُّوا بِسَبَبِ قِلَّتِهِمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَزِمُوا بَلَدَهُمْ هَجَرَ لَا يَرُومُونَ مِنْهُ انْتِقَالًا إِلَى غَيْرِهِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

❁ ❁ ❁

ظواهر كونية

⊙ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٢٩٦هـ) سَقَطَ بِبَغْدَادَ ثَلْجٌ عَظِيمٌ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى الْأَسْطِحَةِ مِنْهُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَصَابِعَ وَهَذَا يُسْتَغْرَبُ فِي بَغْدَادَ جِدًّا، وَلَمْ تَخْرُجِ السَّنَةُ حَتَّى خَرَجَ النَّاسُ لِلِاسْتِسْقَاءِ مِنْ تَأَخُّرِ الْمَطَرِ عَنْ أَيَّامِهِ.

⊙ وَتَأَخَّرَتِ الْأَمْطَارُ عَنْ بَغْدَادَ فِي سنة (٢٩٧هـ) وَارْتَفَعَتِ الْأَسْعَارُ بِهَا.

⊙ وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى جَاءَهَا سَيْلٌ عَظِيمٌ [(١)] بِحَيْثُ إِنَّ أَرْكَانَ الْبَيْتِ غَرِقَتْ مِنَ السُّيُولِ، وَإِنَّ زَمْزَمَ فَاضَتْ وَلَمْ يُرَ ذَلِكَ قَبْلَ سنة (٢٩٧هـ).

⊙ وفي سنة (٢٩٨هـ) وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ رِيحًا صَفْرَاءَ هَبَّتْ بِحَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ فَمَاتَ مِنْ حَرِّهَا بِشَرٌ كَثِيرٌ.

⊙ وفي سنة (٣٠٠هـ) كَثُرَ مَاءُ دِجْلَةَ وَتَرَاكَمَتِ الْأَمْطَارُ بِبَغْدَادَ وَتَنَاثَرَتْ نُجُومٌ كَثِيرَةٌ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ.

⊙ وَفِيهَا كذلك انْحَسَرَ جَبَلٌ بِالدِّينَوَرِ يُعْرَفُ بِالتَّلِّ، فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِهِ مَاءٌ عَظِيمٌ غَرَّقَ عِدَّةً مِنَ الْقُرَى.

⊙ وَفِيهَا أيضًا سَقَطَتْ شِرْذِمَةٌ مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ إِلَى الْبَحْرِ.

⊙ وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٠٧هـ) انْقَضَّ كَوْكَبٌ عَظِيمٌ غَالِبُ الضَّوْءِ وَتَقَطَّعَ ثَلَاثَ قِطَعٍ وَسُمِعَ بَعْدَ انْقِضَاضِهِ صَوْتُ رَعْدٍ شَدِيدٍ هَائِلٍ مِنْ غَيْرِ غَيْمٍ. ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ. [(٢)]

⊙ وَفِي تَمُّوزَ سنة (٣٠٨هـ) وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ جِدًّا حَتَّى نَزَلَ النَّاسُ عَنِ الْأَسْطِحَةِ وَتَدَثَّرُوا بِاللُّحُفِ وَالْأَكْسِيَةِ، وَوَقَعَ فِي شِتَاءِ هَذِهِ السَّنَةِ ثَلْجٌ عَظِيمٌ وَكَانَ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ جِدًّا بِحَيْثُ أَضَرَّ ذَلِكَ بِبَعْضِ النَّخِيلِ.

---

(١) انظر: عن سيول مكة «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للفاسي (٢/ ٣١٤).
(٢) المنتظم ١٣/ ١٨٩.

⊙ في سنة (٣١٠هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّهُ انْشَقَّ بِأَرْضِ وَاسِطَ فُلُوعٌ مِنَ الْأَرْضِ سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا أَكْبَرُهَا طُولُهُ أَلْفُ ذِرَاعٍ وَأَقَلُّهَا مِائَتَا ذِرَاعٍ وَأَنَّهُ غَرِقَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْقُرَى أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةِ قَرْيَةٍ.

⊙ في سنة (٣١٤هـ) هَبَّتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ بِنَصِيبِينَ اقْتَلَعَتِ الْأَشْجَارَ وَهَدَمَتِ الْبُيُوتَ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: (١) وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٣١٤هـ)، سَقَطَ بِبَغْدَادَ ثَلْجٌ عَظِيمٌ جِدًّا، وَحَصَلَ بِسَبَبِهِ بَرْدٌ شَدِيدٌ، بِحَيْثُ أَتْلَفَ كَثِيرًا مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَجَمَدَتِ الْأَدْهَانُ حَتَّى الْأَشْرِبَةُ، وَمَاءُ الْوَرْدِ، وَالْخَلُّ، وَالْخِلْجَانُ الْكِبَارُ، وَدِجْلَةُ.

⊙ وَعَقَدَ بَعْضُ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ مَجْلِسَ التَّحْدِيثِ عَلَى مَتْنِ دِجْلَةَ مِنْ فَوْقِ الْجَمْدِ، وَكُتِبَ عَنْهُ الْحَدِيثُ هُنَالِكَ، ثُمَّ انْكَسَرَ الْبَرْدُ بِمَطَرٍ وَقَعَ، فَأَزَالَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: (٢) فِي شَوَّالٍ سنة (٣١٩هـ) جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ إِلَى تَكْرِيتَ ارْتَفَعَ فِي أَسْوَاقِهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ شِبْرًا، وَغَرِقَ بِسَبَبِهِ أَرْبَعُمِائَةِ دَارٍ، وَخَلْقٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ، حَتَّى كَانَ الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى يُدْفَنُونَ جَمِيعًا، لَا يُعْرَفُ هَذَا مِنْ هَذَا.

⊙ وَفِيهَا أيضًا هَاجَتْ بِالْمَوْصِلِ رِيحٌ فِيهَا حُمْرَةٌ، ثُمَّ اسْوَدَّتْ حَتَّى كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يُبْصِرُ صَاحِبَهُ، وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، ثُمَّ انْجَلَى ذَلِكَ بِمَطَرٍ أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ. (٣)

❁ ❁ ❁

---

(١) المنتظم: ١٣/ ٢٥٥.
(٢) الكامل ٨/ ٢٣٥.
(٣) نفس المصدر السابق.

كوارث وأحداث متفرقة

⦿ فِي سنة (٢٩٩هـ) وَقَعَ طَاعُونٌ بِأَرْضِ فَارِسَ مَاتَ بِسَبَبِهِ سَبْعَةُ آلَافِ إِنْسَانٍ.

⦿ فِي سنة (٣٠٠هـ) **كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ بِبَغْدَادَ وَالْأَسْقَامُ وَالْآلَامُ**، وَكَلِبَتِ الْكِلَابُ حَتَّى الذِّئَابُ بِالْبَادِيَةِ وَكَانَتْ تَقْصِدُ النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ بِالنَّهَارِ فَمَنْ عَضَّتْهُ أَهْلَكَتْهُ.

⦿ فِي سنة (٣٠١هـ) كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ الدَّمَوِيَّةُ بِبَغْدَادَ فِي تَمُّوزَ وَآبَ فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا.

⦿ وَوَقَعَ فِي سنة (٣٠١هـ) فِي آخِرِهَا بِبَغْدَادَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ جِدًّا مَاتَ بِسَبَبِهِ بِشْرٌ كَثِيرٌ وَلَا سِيَّمَا بِالْحَرْبِيَّةِ، غُلِّقَتْ عَامَّةُ دُورِهَا.

⦿ وَفِي صيف سنة (٣٠٤هـ) اشْتُهِرَ بِبَغْدَادَ أَنَّ حَيَوَانًا عَجِيبًا يُقَالُ لَهُ: **الزَّبْزَبُ**،(١) يَطُوفُ بِاللَّيْلِ يَأْكُلُ الْأَطْفَالَ مِنَ الْأَسِرَّةِ، وَيَعْدُو عَلَى النَّائِمِ فَرُبَّمَا قَطَعَ يَدَ الرَّجُلِ وَثَدْيَ الْمَرْأَةِ وَهُوَ نَائِمٌ فَجَعَلَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ عَلَى أَسْطِحَتِهِمْ بِالنُّحَاسِ مِنَ الْهَوَاوِينِ وَالطُّسُوتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يُنَفِّرُونَهُ عَنْهُمْ حَتَّى كَانَتْ بَغْدَادُ تَرْتَجُّ مِنْ شَرْقِهَا وَغَرْبِهَا وَاصْطَنَعَ النَّاسُ لِأَوْلَادِهِمْ مِكَبَّاتٍ مِنَ السَّعَفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

⦿ وَاغْتَنَمَتِ اللُّصُوصُ هَذِهِ الشَّوْشَةَ فَكَثُرَ النُّقُوبُ وَأَخْذُ الْأَمْوَالِ.

⦿ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِأَنْ يُؤْخَذَ حَيَوَانٌ مِنْ كِلَابِ الْمَاءِ فَيُصْلَبَ عَلَى الْجِسْرِ لِيَسْكُنَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ فَفَعَلَ فَسَكَنَ النَّاسُ. وَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ.

⦿ وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٣٠٧هـ) دُخِلَ بِأُسَارَى مِنَ الْكُرْجِ نَحْوٍ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَسِيرًا أَنْقَذَهُمُ الْأَمِيرُ بَدْرٌ الْحَمَامِيُّ.

---

(١) دابة كالسنّور قصيرة اليدين والرجلين. انظر: تاج العروس (ز ب ب).

⊙ وَفِيهَا كذلك كَسَرَتِ الْعَامَّةُ أَبْوَابَ السُّجُونِ فَأَخْرَجُوا مَنْ كَانَ بِهَا، فَأَدْرَكَتِ الشُّرْطَةُ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ السِّجْنِ فَلَمْ يَفُتْهُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، بَلْ رُدُّوا إِلَى السُّجُونِ.

⊙ فِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٠٧هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ بِالْكَرْخِ فِي الْبَاقِلَّانِيِّينَ هَلَكَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

⊙ وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٠٩هـ) أُحْضِرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - إِلَى دَارِ الْوَزِيرِ عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ لِمُنَاظَرَةِ الْحَنَابِلَةِ فِي أَشْيَاءَ نَقَمُوهَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَحْضُرُوا.

⊙ وَفِي سنة (٣٠٩هـ) قَدَّمَ الْوَزِيرُ حَامِدُ بْنِ الْعَبَّاسِ لِلْخَلِيفَةِ بُسْتَانًا بَنَاهُ وَسَمَّاهُ النَّاعُورَةَ قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَفَرَشَ مَسَاكِنَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَفَارِشِ الْمُفْتَخِرَةِ.

⊙ فِي سنة (٣١٤هـ) وَقَعَ بِبَغْدَادَ حَرِيقٌ فِي مَكَانَيْنِ، مَاتَ بِسَبَبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاحْتَرَقَ بِأَحَدِهِمَا أَلْفُ دَارٍ وَدُكَّانٍ

⊙ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣١٥هـ) قُبِضَ عَلَى رَجُلٍ **خَنَّاقٍ**، قَدْ قَتَلَ خَلْقًا مِنَ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّهُ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ الْعَطْفَ وَالتَّنْجِيمَ، فَقَصَدَهُ النِّسَاءُ لِذَلِكَ، فَإِذَا انْفَرَدَ بِالْمَرْأَةِ قَامَ إِلَيْهَا، فَخَنَقَهَا بِوَتَرٍ، وَأَعَانَتْهُ امْرَأَتُهُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ حَفَرَ لَهَا فِي دَارِهِ فَدَفَنَهَا، فَإِذَا امْتَلَأَتْ تِلْكَ الدَّارُ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.

وَلَمَّا ظُهِرَ عَلَيْهِ وُجِدَ فِي دَارِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً قَدْ خَنَقَهُنَّ، ثُمَّ تُتُبِّعَتِ الدُّورُ الَّتِي سَكَنَهَا، فَوَجَدُوا شَيْئًا كَثِيرًا قَدْ قُتِلَ مِنَ النِّسَاءِ، فَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ، ثُمَّ صُلِبَ حَيًّا حَتَّى مَاتَ، قَبَّحَهُ اللهُ

⊙ وَفِي سنة (٣١٥هـ) اخْتُطَّتْ الْمَدِينَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ(١).

(١) مدينة بنواحي الزاب من أرض المغرب. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٦٤)

⊙ وَفِي سنة (٣١٥هـ) حَاصَرَ عبد الرحمن الملقب بالنَّاصِر الأُمَوي بن محمد بن عبد الله الداخل، مَدِينَةَ طُلَيْطُلَةَ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُمْ نَقَضُوا مَا كَانُوا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ، فَفَتَحَهَا قَهْرًا، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا.

⊙ وَفِي سنة (٣١٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَامَّةِ، **اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ** قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]

فَقَالَتِ **الْحَنَابِلَةُ**: يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ.

وَقَالَ الْآخَرُونَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى، فَاقْتَتَلُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى، يُشَفَّعُ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

⊙ وَفِي سنة (٣١٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ **بِالْمَوْصِلِ** بَيْنَ الْعَامَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْمَعَاشِ، وَانْتَشَرَتْ، وَكَثُرَ أَهْلُ الشَّرِّ فِيهَا وَاسْتَظْهَرُوا، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ شُرُورٌ، ثُمَّ سَكَنَتْ.

⊙ وَفِي سنة (٣١٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبِلَادِ **خُرَاسَانَ** بَيْنَ بَنِي سَامَانَ وَأَمِيرِهِمْ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُلَقَّبِ بِالسَّعِيدِ.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣١٨هـ) خَرَجَ **رَجُلٌ بِبِلَادِ الْبَوَازِيجِ** يُقَالُ لَهُ: صَالِحُ بْنُ مَحْمُودٍ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، ثُمَّ سَارَ إِلَى **سِنْجَارَ**، فَحَاصَرَهَا، فَدَخَلَهَا، وَأَخَذَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهَا، وَخَطَبَ بِهَا خُطْبَةً، وَوَعَظَ فِيهَا وَذَكَّرَ وَحَذَّرَ، فَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا قَالَ: نَتَوَلَّى الشَّيْخَيْنِ، **وَنَتَبَرَّأُ مِنَ الْخَبِيثَيْنِ، وَلَا نَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ**. ثُمَّ سَارَ فَعَاثَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

فَانْتُدِبَ لَهُ ابْنُ حَمْدَانَ، فَقَاتَلَهُ، فَأُسِرَ صَالِحُ بْنُ مَحْمُودٍ وَمَعَهُ ابْنَانِ لَهُ، فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَهَا، وَقَدِ اشْتُهِرَ شُهْرَةً فَظِيعَةً.

- وَخَرَجَ آخَرُ فِي سنة (٣١٨هـ) أيضـًا بِبِلَادِ **الْمَوْصِلِ** فَاتَّبَعَهُ أَلْفُ رَجُلٍ، فَحَاصَرَ أَهْلَ **نَصِيبِينَ** فَخَرَجُوا إِلَيْهِ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مِائَةً وَأَسَرَ أَلْفًا، ثُمَّ بَاعَهُمْ نُفُوسَهُمْ، وَصَادَرَ أَهْلَهَا بِأَرْبَعِمائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَانْتُدِبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ، فَقَاتَلَهُ فَظَفِرَ بِهِ فَأَسَرَهُ، وَسَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَادَ أَيْضًا. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

◉ حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٩٥هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٩٦هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ، وَرَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الحجاج لِقِلَّةِ الْمَاءِ بِالطَّرِيقِ، (١) فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٢٩٧هـ)، وسنة (٢٩٨هـ)، وسنة (٢٩٩هـ)، وسنة (٣٠٠هـ)، وسنة (٣٠١هـ)، وسنة (٣٠٢هـ)، الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٠٣هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ وَلَمَّا خَافَ الْوَزِيرُ عَلَى الْحُجَّاجِ مِنْ شَأْنِ الْقَرَامِطَةِ كَتَبَ إِلَيْهِمْ رِسَالَةً لِيَشْغَلَهُمْ بِهَا عَنْ أَمْرِ الْحَجِّ، فَاتَّهَمَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ بِمُرَاسَلَتِهِ الْقَرَامِطَةَ، فَلَمَّا انْكَشَفَ أَمْرُهُ وَمَا قَصَدَهُ حَظِيَ عِنْدَ النَّاسِ بِذَلِكَ جِدًّا.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٠٤هـ)، (٢) وَسنة (٣٠٥هـ)، وسنة (٣٠٦هـ) الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٠٧هـ)، وسنة (٣٠٨هـ) أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ أَخُو أُمِّ مُوسَى الْقَهْرَمَانَةِ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٠٩هـ) (٣) وسنة (٣١٠هـ)، وسنة (٣١١هـ) إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣١٢هـ) الحسن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله الهاشمي، وَلَمْ يَحُجَّ فِي هذه السنة أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ لِكَثْرَةِ خَوْفِ النَّاسِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ.

---

(١) المراد طريق الحج العراقي.

(٢) لم يذكره ابن كثير، واستدرك من كتاب (إتحاف الورى من اخبار أن القرى) لعمر بن فهد٢/ ٣٦٤.

(٣) درر الفرائد المنظمة للجزيري ص٢٣٣.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٣١٣هـ) أبو طالب عبدالسميع ابن أيوب بن عبدالعزيز الهاشمي نيابة عن الحسن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله الهاشمي.

◉ وفي سنة (٣١٤هـ) قَدِمَ الْحُجَّاجُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ بِأَنَّ الْقَرَامِطَةَ قَدْ قَصَدُوا مَكَّةَ فَرَجَعُوا، وَلَمْ يَتَهَيَّأ الْحَجُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ في هذه السنة الحسن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله الهاشمي.

◉ وَلَمْ يَحُجَّ في سنة (٣١٥هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ لِكَثْرَةِ خَوْفِ النَّاسِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ، ولم يبطل الحج إلى مكة، فحج بالناس الحسن بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله الهاشمي.

◉ وَلَمْ يَحُجَّ في سنة (٣١٦هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ لِكَثْرَةِ خَوْفِ النَّاسِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ، ولم يبطل الحج إلى مكة، فحج بالناس عبدالله بن عبيدالله بن سليمان أبو أحمد الأزرقي.

◉ وَحضر للحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣١٧هـ) عمر بن الحسن بن عبدالعزيز لإقامة الحج خليفة لأبيه. فهجم القرمطي عليهم يوم التروية [1].

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣١٨هـ) عَبْدُ السَّمِيعِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ، وَخَرَجَ الْحَجِيجُ بِخُفَارَةٍ وَأمانٍ وإجارةٍ حَتَّى سَلِمُوا فِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ مِنَ الْقَرَامِطَةِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

◉ وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣١٩هـ) جعفر بن علي بن سليمان، خليفة عن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي. وكان حجاج المشرق قد قدموا على بغداد فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣١٩هـ)، وَقَدْ خَرَجَ معهم **مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، خَوْفًا مِنَ الْقَرَامِطَةِ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ.

---

(١) انظر: إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢/ ٣٧٤.

وَقَدْ بَلَغَ مُؤْنِسًا فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ عند عودتهم من الحج **أَنَّ الْقَرَامِطَةَ أَمَامَهُ**، فَعَدَلَ بِالنَّاسِ عَنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ، فَأَخَذَ بِهِمْ على وادي القرى وأرض ثمود والحجر والشام، فَتَاهُوا هُنَالِكَ أَيَّامًا، **فَشَاهَدَ النَّاسُ هُنَالِكَ عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ**؛ رَأَوْا عِظَامًا فِي غَايَةِ الضَّخَامَةِ، وَشَاهَدُوا نَاسًا قَدْ مُسِخُوا حِجَارَةً، وَرَأَى بَعْضُهُمُ امْرَأَةً وَاقِفَةً عَلَى تَنُّورٍ قَدْ مُسِخَتْ حَجَرًا وَالتَّنُّورَ قَدْ صَارَ حَجَرًا، وَحَمَلَ مُؤْنِسٌ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا إِلَى الْحَضْرَةِ لِيُصَدَّقَ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان

١-**إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ نُوحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو إِسْحَاقَ الْمُزَكِّي **الْحَافِظُ الزَّاهِدُ، إِمَامُ أَهْلِ عَصْرِهِ بِنَيْسَابُورَ** فِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ وَالْعِلَلِ، وَقَدْ سَمِعَ خَلْقًا مِنَ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ، وَدَخَلَ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَذَاكَرَهُ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَهِيبًا: وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ.

وَكَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دَارَهُ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا، وَحَانُوتًا يَسْتَغِلُّهُ كُلَّ شَهْرٍ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا يُنْفِقُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ.

وَكَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَكَانَ يُطْبَخُ لَهُ الْجَزَرُ بِالْخَلِّ فَيَتَأَدَّمُ بِهِ طُولَ الشِّتَاءِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ النَّيْسَابُورِيُّ: لَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَهُ، توفي سنة (٢٩٥هـ).

٢-**أَبُو الْحُسَيْنِ النُّورِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ** أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْبَغَوِيِّ، أَصْلُهُ مِنْ خُرَاسَانَ، وَحَدَّثَ عَنْ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ، ثُمَّ صَارَ هُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ الْقَوْمِ.

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْمَغَازِلِيُّ: [١] مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَعْبَدَ مِنْ أَبِي الْحُسَيْنِ النُّورِيِّ. قِيلَ لَهُ: وَلَا الْجُنَيْدُ؟ قَالَ: وَلَا الْجُنَيْدُ.

وَتُوُفِّيَ سنة (٢٩٥هـ) فِي مَسْجِدٍ وَهُوَ مُقَنَّعٌ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.

٣-**إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَسَدِ بْنِ سَامَانَ السَّامَانِيُّ، أَحَدُ مُلُوكِ خُرَاسَانَ لِلْخُلَفَاءِ،** وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ عَمْرَو بْنَ اللَّيْثِ الصَّفَّارَ الْخَارج على الطاعة، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَضِدِ فَوَلَّاهُ خُرَاسَانَ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْمُكْتَفِي الرَّيَّ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادَ التُّرْكِ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وَبَنَى الرُّبُطَ فِي الطُّرُقَاتِ، يَسَعُ الرِّبَاطُ مِنْهَا أَلْفَ فَارِسٍ، وَأَوْقَفَ عَلَيْهِمْ أَوْقَافًا جَزِيلَةً، توفي سنة (٢٩٥هـ).

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٣١

٤-**أَبُـو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ** مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ الْفَقِيهُ الشَّـافِعِيُّ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ، قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: هُوَ ثِقَةٌ مَأْمُونًا نَاسِكًا.

وَقَـالَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ: لَمْ يَكُنْ لِأَصْحَابِ الشَّـافِعِيِّ بِالْعِرَاقِ أَرْأَسُ مِنْهُ وَلَا أَشَدُّ وَرَعًا. وَكَانَ مِنَ التَّقَلُّلِ فِي الْمَطْعَمِ عَلَى حَالَةٍ عَظِيمَةٍ فَقْرًا وَوَرَعًا وَصَبْرًا.

وَكَانَ يُنْفِقُ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. وَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَكَانَ قَدِ اخْتَلَطَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ. تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٢٩٥هـ)

٥-**أَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ** أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِئٍ الطَّائِيُّ، **تِلْمِيذُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ**، سَمِعَ عَفَّانَ وَأَبَا الْوَلِيدِ وَالْقَعْنَبِيَّ وَأَبَا نُعَيْمٍ وَخَلْقًا كَثِيرًا.

وَكَانَ حَاذِقًـا صَادِقًا قَـوِيَّ الذَّاكِرَةِ، كَانَ ابْنُ مَعِيـنٍ يَقُولُ عَنْهُ: كَانَ أَحَـدُ أَبَوَيْهِ جِنِّيًّا. لِسُرْعَةِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ وَحِذْقِهِ، وَلَهُ كُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ فِي الْعِلَلِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَكَانَ مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، وتوفي سنة (٢٩٦هـ).

٦-**ابْـنُ الْمُعْتَزِّ الشَّـاعِرُ الَّذِي بُويِـعَ بِالْخِلَافَةِ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْـنِ الْمُتَوَكِّلِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِـيدِ هَارُونَ، يُكَنَّى أَبَا الْعَبَّاسِ، الشَّـاعِرُ الْهَاشِـمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ الْفَصِيحُ الْبَلِيغُ الْمُطْبِقُ، وَقَدْ سَمِعَ الْمُبَرِّدَ وَثَعْلَبًا.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِنَ الْحِكَمِ وَالْآدَابِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، **فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:**

⊙ أَنْفَاسُ الْحَيِّ خُطَاهُ.

⊙ رُبَّمَا أَوْرَدَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُصْدِرْ.

⊙ مَنْ تَجَاوَزَ الْكَفَافَ لَمْ يُغْنِهِ الْإِكْثَارُ،

⊙ مَنِ ارْتَحَلَهُ الْحِرْصُ أَضْنَاهُ الطَّلَبُ.

⊙ أَشْقَى النَّاسِ أَقْرَبُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا احْتِرَاقًا.

⊙ يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ وَقْتَ سُرُورِكَ.

⊙ الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْفَوْتِ بَعِيدَةُ الْعَوْدِ.

⊙ لَا تَشِنْ وَجْهَ الْعَفْوِ بِالتَّقْرِيعِ.

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْحِكَمِ مِمَّا يُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى الْأَخِيرَ قَوْلُهُ:

ابْـكِ يـا نَـفْـسُ وَهَـاتِـي ... تَـوْبَـةً قَـبْـلَ الْـمَـمَـاتِ
قَبْلَ أَنْ يَفْجَعَنَا الدَّهْـ ... ـرُ بِـبَـيْـنٍ وَشَـتَـاتِ
لَا تَـخُـونِـيـنِـي إِذَا مِـ ... ـتُّ وَقَـامَـتْ بِـي نُـعَاتِي
إِنَّـمَـا الْـوَافِـي بِـعَـهْـدِي ... مَـنْ وَفَـى بَـعْـدَ وَفَـاتِـي

وفِـي رَبِيـعِ الْأَوَّلِ مِنْ سـنة (٢٩٦هـ) اجْتَمَـعَ الْقُـوَّادُ وَالْأَعْيَانُ وَالْقُضَـاةُ عَلَى خَلْعِ الْمُقْتَدِرِ وَتَوْلِيَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ هَذَا، فَمَا مَكَثَ فِي الْخِلَافَةِ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

ثُمَّ غَالَبَ الْمُقْتَدِرُ وَاعْتَقَلَهُ فِي دَارِ السُّلْطَانِ، وَوَكَلَ بِهِ **يُونُسَ الْخَادِمَ**، فَقُتِلَ فِي أَوَائِلِ رَبِيعٍ الْآخِرِ. وَيُقَالُ: **إِنَّهُ أَنْشَدَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِهِ:**

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكِ ... خَانَتْكِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْأَمْنِ دُنْيَاكِ
مَـرَّتْ بِنَا سَـحَرًا طَيْـرٌ فَقُلْـتُ لَهَا ... طُـوبَـاكِ يَـا لَيْتَنِي إِيَّـاكِ طُـوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكِ شَرْقًا فَالسَّلَامُ عَلَى ... شَاطِي الصَّرَاةِ ابْلِغِي إِنْ كَانَ مَسْرَاكِ

إلى أن قال:

أَظُنُّـهُ آخِـرَ الْأَيَّـامِ مِـنْ عُـمُـرِي ... وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لِيَ الْبَاكِي

وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ **الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ**[(١)] مُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةً، **مِنْهَا**: «طَبَقَاتُ الشُّعَرَاءِ» وَكِتَابُ «أَشْـعَارِ الْمُلُـوكِ» وَكِتَابُ «الْآدَابِ» وَكِتَـابُ «الْبَدِيعِ» وَكِتَـابٌ فِي الْغِنَـاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وعَاشَ خَمْسِينَ سَنَةً.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٧٧.

٧- **مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ** بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو بَكْرٍ الْفَقِيهُ ابْنُ الْفَقِيهِ الظَّاهِرِيُّ ابْنُ **الظَّاهِرِيِّ**.

كَانَ عَالِمًا بَارِعًا أَدِيبًا شَاعِرًا فَقِيهًا مَاهِرًا، وَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ «الزُّهَرَةِ» اشْتَغَلَ عَلَى أَبِيهِ وَتَبِعَهُ فِي مَذْهَبِهِ وَمَا كَانَ يَسْلُكُهُ يَخْتَارُهُ مِنَ الطَّرِيقِ وَيَرْتَضِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ يُحِبُّهُ وَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ.

قَالَ رُوَيْمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ دَاوُدَ إِذْ دَخَلَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ بَاكِيًا، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الصِّبْيَانَ يُلَقِّبُونَنِي عُصْفُورَ الشَّوْكِ، فَضَحِكَ أَبُوهُ فَاشْتَدَّ غَضَبُ وَلَدِهِ، وَقَالَ: أَنْتَ أَضَرُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ، فَضَمَّهُ أَبُوهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ **مَا الْأَلْقَابُ إِلَّا مِنَ السَّمَاءِ** مَا أَنْتَ يَا بُنَيَّ إِلَّا عُصْفُورُ الشَّوْكِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوهُ أُجْلِسَ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ هَذَا فِي مَكَانِهِ فِي الْحَلْقَةِ فَاسْتَصْغَرَهُ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ يَوْمًا عَنْ **حَدِّ السُّكْرِ** فَقَالَ: **إِذَا عَزَبَتْ عَنْهُ الْهُمُومُ، وَبَاحَ بِسِرِّهِ الْمَكْتُومِ**.

فَاسْتُحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ.

كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٢٩٧هـ)، وَجَلَسَ ابْنُ سُرَيْجٍ لِعَزَاهُ وَقَالَ: مَا آسَى إِلَّا عَلَى التُّرَابِ الَّذِي أَكَلَ لِسَانَ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- **مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ**، أَبُو جَعْفَرٍ حَدَّثَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ وَخَلْقٍ، وَعَنْهُ: ابْنُ صَاعِدٍ وَالْخُلْدِيُّ وَالْبَاغَنْدِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَلَهُ: **كِتَابٌ فِي التَّارِيخِ** وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَزَرَةُ وَغَيْرُهُ، وَكَذَّبَهُ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَقَالَ: هُوَ كَذَّابٌ بَيِّنُ الْأَمْرِ. وَتَعَجَّبَ مِمَّنْ يَرْوِي عَنْهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٢٩٧هـ).

٩- **يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ** بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَالِدُ الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ.

وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ هَذَا مِنْ أَكَابِرِ الْقُضَاةِ وَأَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ وَسَمِعَ سُلَيْمَانَ بْنَ حَرْبٍ وَعَمْرَو بْنَ مَرْزُوقٍ وَهُدْبَةَ وَمُسَدَّدًا، وَغَيْرَهُمْ. وَكَانَ ثِقَةً.

وَقَدْ وَلِيَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ، وَكَانَ ثِقَةً نَزِهًا عَفِيفًا شَدِيدَ الْحُرْمَةِ جَاءَهُ يَوْمًا بَعْضُ خَدَمِ الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَضِدِ فَرُفِعَ فِي الْمَجْلِسِ، فَأَمَرَهُ حَاجِبُ الْقَاضِي أَنْ يُسَاوِيَ خَصْمَهُ، فَامْتَنَعَ إِدْلَالًا بِجَاهِهِ عِنْدَهُ فَنَهَرَهُ الْقَاضِي وَقَالَ: **ائْتُونِي بِدَلَّالِ النَّخْسِ حَتَّى أَبِيعَ هَذَا الْعَبْدَ وَأَبْعَثَ بِثَمَنِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ**، وَجَاءَ حَاجِبُ الْقَاضِي، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَ خَصْمِهِ، فَلَمَّا انْقَضَتِ الْحُكُومَةُ رَجَعَ الْخَادِمُ إِلَى الْمُعْتَضِدِ فَبَكَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْقَاضِي فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ بَاعَكَ لَأَجَزْتُ بَيْعَهُ وَلَمَا اسْتَرْجَعْتُكَ أَبَدًا، فَلَيْسَ خُصُوصِيَّتُكَ عِنْدِي تُزِيلُ مَرْتَبَةَ الْحُكْمِ، **فَإِنَّهُ عَمُودُ السُّلْطَانِ وَقِوَامُ الْأَدْيَانِ**.

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ سنة (٢٩٧هـ).

١٠- **ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ الزِّنْدِيقُ**، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الرَّاوَنْدِيِّ، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الزَّنَادِقَةِ الْمُلْحِدِينَ، كَانَ أَبُوهُ يَهُودِيًّا فَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ.

وقد عَادَى ابْنُهُ الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ وَأَلْحَدَ فِيهِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى الْقُرْآنِ سَمَّاهُ «الدَّامِغَ» وَكِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَالِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا سَمَّاهُ «الزُّمُرُّدَ».

وَقَدِ انْتَصَبَ لِلرَّدِّ عَلَى كُتُبِهِ هَذِهِ جَمَاعَةٌ: مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْجُبَّائِيُّ شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي زَمَانِهِ، وَقَدْ أَجَادَ فِي ذَلِكَ وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ: قَرَأْتُ كِتَابَ الْمُلْحِدِ الْجَاهِلِ السَّفِيهِ ابْنِ الرَّاوَنْدِيِّ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ إِلَّا السَّفَهَ وَالْكَذِبَ وَالِافْتِرَاءَ.

قَالَ: وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا فِي قِدَمِ الْعَالَمِ وَنَفْيِ الصَّانِعِ وَتَصْحِيحِ مَذْهَبِ الدَّهْرِيَّةِ وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَوَضَعَ كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْكَذِبِ، وَطَعَنَ عَلَى الْقُرْآنِ.

وَوَضَعَ كِتَابًا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَفَضَّلَ دِينَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، يَحْتَجُّ لَهُمْ فِيهَا عَلَى

إِبْطَالِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُبَيِّنُ خُرُوجَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْهُ.

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُنْتَظَمِهِ»(١) طَرَفًا مِنْ كَلَامِهِ وَزَنْدَقَتِهِ وَطَعْنِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالشَّرِيعَةِ وَرَدَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَقَلُّ وَأَخَسُّ وَأَذَلُّ مِنْ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَإِلَى جَهْلِهِ وَكَلَامِهِ وَهَذَيَانِهِ وَسَفَهِهِ وَخِذْلَانِهِ وَتَمْوِيهِهِ وَتَرْوِيجِهِ وَطُغْيَانِهِ.

وَقَدْ كَانَ أَبُو عِيسَى الْوَرَّاقُ مُصَاحِبًا لِابْنِ الرَّاوَنْدِيِّ - قَبَّحَهُمَا اللهُ - فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِأَمْرِهِمَا طَلَبَ السُّلْطَانُ أَبَا عِيسَى، فَأُودِعَ السِّجْنَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

وَأَمَّا ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ فَهَرَبَ وَلَجَأَ إِلَى ابْنِ لَاوِي الْيَهُودِيِّ، وَصَنَّفَ لَهُ فِي مُدَّةِ مُقَامِهِ عنده كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ «الدَّامِغَ لِلْقُرْآنِ» فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً حَتَّى مَاتَ لَعَنَهُ اللهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أُخِذَ وَصُلِبَ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «الْوَفَيَاتِ»(٢) وَدَلَّسَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَجْرَحْهُ بِشَيْءٍ وَلَا كَأَنَّ الْكَلْبَ أَكَلَ لَهُ عَجِينًا عَلَى عَادَتِهِ فِي الْعُلَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ، فَالشُّعَرَاءُ يُطِيلُ تَرَاجِمَهُمْ، وَالْعُلَمَاءُ يَذْكُرُ لَهُمْ تَرْجَمَةً يَسِيرَةً، وَالزَّنَادِقَةُ يَتْرُكُ ذِكْرَ زَنْدَقَتِهِمْ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدْ وَهِمَ وَهْمًا فَاحِشًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ تُوَفِّيَ فِي سنة (٢٩٨هـ) كَمَا أَرَّخَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ.

١١ - **شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ. الْجُنَيْدُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجُنَيْدِ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَزَّازُ، أَصْلُهُ مِنْ نَهَاوَنْدَ، وُلِدَ بِبَغْدَادَ وَنَشَأَ بِهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ، وَتَفَقَّهَ بِأَبِي ثَوْرٍ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ الْكَلْبِيِّ.

وَكَانَ يُفْتِي بِحَضْرَتِهِ وَعُمُرُهُ عِشْرُونَ سَنَةً وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» وَاشْتُهِرَ بِصُحْبَةِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيِّ، وَخَالِهِ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ، وَلَازَمَ التَّعَبُّدَ.

---

(١) ١٣/ ١١٢-١١٧.

(٢) ١/ ٩٤.

وَتكَلَّـمَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّصَـوُّفِ وَكَانَ وِرْدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَـةِ رَكْعَةٍ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ وَمَكَـثَ أَرْبَعِينَ سَـنَةً لَا يَأْوِي إِلَى فِـرَاشٍ، وَكَانَ مَـعَ ذَلِكَ يَعْرِفُ سَـائِرَ فُنُونِ الْعِلْمِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَلَمَّـا حَضَرَتْـهُ الْوَفَاةُ جعَلَ يَتْلُو الْقُـرْآنَ فَقِيلَ لَهُ: لَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِـكَ، فَقَـالَ: مَا أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى ذَلِكَ مِنِّي الْآنَ، وَهَذَا أَوَانُ طَيِّ صَحِيفَتِي.

وَكَانَ يَقُولُ: مَذْهَبُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ فَمَنْ لَمْ يَقْرَأِ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَا يُقْتَدَى بِهِ فِي مَذْهَبِنَا وَطَرِيقَتِنَا. وتوفي سنة (٢٩٨هـ).

١٢ - إِسْـحَاقُ بْـنُ حُنَيْنِ بْنِ إِسْـحَاقَ، أَبُو يَعْقُوبَ الْعِبَادِيُّ نِسْـبَةً إِلَـى قَبَائِلَ الْحِيرَةِ الطَّبِيـبُ ابْنُ الطَّبِيـبِ، لَهُ وَلِأَبِيـهِ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي هَـذَا الْفَنِّ وَكَانَ أَبُـوهُ يُعَرِّبُ كَلَامَ أَرُسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ مِنْ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ، وتوفي سنة (٢٩٨هـ).

١٣ - **الْحُسَـيْنُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا أَبُو عَبْدِ اللهِ **الشِّـيعِيُّ**، الَّذِي أَقَامَ الدَّعْوَةَ **لِلْمَهْـدِيِّ** وَهُوَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مَيْمُونٍ الَّـذِي **يَزْعُمُ أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ**، وَقَدْ زَعَمَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا صَبَّاغًا بِسَلَمْيَةَ.

وَالْمَقْصُـودُ الْآنَ: أَنَّ أَبَـا عَبْدِ اللهِ الشِّـيعِيَّ هَذَا دَخَلَ بِلَادَ إِفْرِيقِيَّـةَ وَحْدَهُ لَا مَالَ مَعَهُ، وَلَا رِجَالَ فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ حَتَّى انْتَزَعَ الْمُلْكَ مِنْ يَدِ أَبِي مُضَرَ زِيَادَةِ اللهِ آخِرِ مُلُوكِ بَنِـي الْأَغْلَـبِ عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ وَاسْـتَدْعَى حِينَئِذٍ مَخْدُومَهُ الْمَهْدِيَّ مِنْ بِلَادِ الْمَشْـرِقِ، فَقَدِمَ فَلَمْ يَخْلُصْ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ شَدَائِدَ طِوَالٍ، وَحُبِسَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاسْتَنْقَذَهُ الشِّيعِيُّ، وَسَلَّمَهُ الْمَمْلَكَةَ فَنَدَّمَهُ أَخُوهُ أَحْمَدُ، وَقَالَ لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ وَهَلَّا كُنْتَ اسْتَبْدَدْتَ بِالْأَمْرِ دُونَ هَذَا؟ فَنَدِمَ وَشَرَعَ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ فِي الْمَهْدِيِّ، فَاسْتَشْعَرَ الْمَهْدِيُّ بِذَلِكَ فَدَسَّ إِلَيْهِمَا مَنْ قَتَلَهُمَا فِي سنة (٢٩٨هـ) بِمَدِينَةِ رَقَّادَةَ (١) مِنْ بِلَادِ الْقَيْرَوَانِ مِنْ إِقْلِيمِ إِفْرِيقِيَّةَ. (٢)

---

(١) رقادة: بلدة بأفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال. معجم البلدان: ٢/ ٧٩٧.

(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٨.

١٤- أَحْمَـدُ بْـنُ نَصرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ **أَبُو عَمْرٍو الْخَفَّافُ الْحَافِـظُ**، كَانَ يُذَاكِرُ بِمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، سَمِعَ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ وَطَبَقَتَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ، سَرَدَهُ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، سَـأَلَهُ سَـائِلٌ فَأَعْطَاهُ: دِرْهَمَيْنِ فَحَمِدَ اللهَ فَجَعَلَهَا خَمْسَـةً فَحَمِدَ اللهَ فَجَعَلَهَا عَشْـرَةً ثُمَّ مَا زَالَ يَزِيدُهُ وَيَحْمَدُ السَّائِلُ اللهَ حَتَّى جَعَلَهَا مِائَةً، فَقَالَ: جَعَلَ اللهُ عَلَيْكَ وَاقِيَةً بَاقِيَةً، فَقَالَ لِلسَّـائِلِ: وَاللهِ لَوْ لَزِمْتَ الْحَمْدَ لَأَزِيدَنَّكَ وَلَوْ إِلَى عَشَـرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، توفي سنة (٢٩٩هـ).

١٥-الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو عَلِيٍّ **الْخِرَقِيُّ**، صَاحِبُ «الْمُخْتَصَرِ» فِي الْفِقْهِ عَلَـى مَذْهَـبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَـلٍ، كَانَ خَلِيفَةً لِلْمَرُّوذِيِّ، تُوُفِّيَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ سـنة (٢٩٩هـ) وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

١٦- مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ **بْنِ كَيْسَـانَ النَّحْوِيُّ**، أَحَدُ حُفَّاظِـهِ وَالْمُكْثِرِينَ مِنْهُ كَانَ يَحْفَظُ طَرِيقَةَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ مَعًا.

قَـالَ ابْـنُ مُجَاهِـدٍ كَانَ ابْنُ كَيْسَـانَ أَنْحَى مِـنَ الشَّـيْخَيْنِ الْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ، توفي سـنة (٢٩٩هـ).

١٧-**مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى أَبُو سَـعِيدٍ**، سَكَنَ دِمَشْقَ رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ الْجَوْهَرِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ وَابْنِ أَبِي شَـيْبَةَ وَغَيْرِهِمْ، رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ وَغَيْرُهُ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى هَذَا يُدْعَى بِحَامِلِ كَفَنِهِ، وَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ.(١)

قَـالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ تُوُفِّيَ فَغُسِّـلَ وَكُفِّـنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ وَدُفِنَ. فَلَمَّـا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَ نَبَّاشٌ؛ لِيَسْـرِقَ كَفَنَهُ فَفَتَحَ عَلَيْهِ قَبْرَهُ، فَلَمَّا حَلَّ عَنْهُ كَفَنَهُ اسْـتَوَى جَالِسًـا، وَفَرَّ النَّبَّاشُ هَارِبًا مِنَ الْفَزَعِ وَنَهَضَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى هَذَا فَأَخَذَ كَفَنَهُ مَعَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ، وَقَصَدَ مَنْزِلَهُ، فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَبْكُونَ عَلَيْهِ فَدَقَّ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا فُلَانٌ.

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٤.

فَقَالُوا: يَا هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَزِيدَنَا حُزْنًا إِلَى حُزْنِنَا. فَقَالَ: افْتَحُوا وَاللهِ أَنَا فُلَانٌ، فَعَرَفُوا صَوْتَهُ فَلَمَّا رَأَوْهُ فَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَبْدَلَ اللهُ حُزْنَهُمْ سُرُورًا، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ النَّبَّاشِ.

قال ابن كثير: (١) وَكَأَنَّهُ قَدْ أَصَابَتْهُ سَكْتَةٌ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ حَقِيقَةً، فَقَدَّرَ اللهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ بَعَثَ لَهُ هَذَا النَّبَّاشَ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ قَبْرَهُ؛ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ حَيَاتِهِ فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ عِدَّةَ سِنِينَ. ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٢٩٩هـ).

١٨- **فَاطِمَةُ الْقَهْرَمَانِةُ** (٢) غضب عَلَيْهَا الْمُقْتَدِرُ مَرَّةً فَصَادَرَهَا وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَ مِنْهَا مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ غَرِقَتْ فِي طَيَّارَةٍ لَهَا (٣) توفيت سنة (٢٩٩هـ).

١٩-الْأَحْوَصُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، ابْنِ غَسَّانَ بْنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَالِدِ بْنِ غَلَّابٍ، أَبُو أُمَيَّةَ الْغَلَّابِيُّ الْقَاضِي بِالْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا.

رَوَى عَنْ أَبِيهِ التَّارِيخَ، اسْتَتَرَ عِنْدَهُ مَرَّةً ابْنُ الْفُرَاتِ، فَلَمَّا أُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ وَلَّاهُ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ وَوَاسِطَ.

وَكَانَ عَفِيفًا نَزِهًا فَلَمَّا نُكِبَ ابْنُ الْفُرَاتِ قَبَضَ عَلَيْهِ نَائِبُ الْبَصْرَةِ فَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَاتَ فِيهِ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: (٤) وَلَا نَعْلَمُ قَاضِيًا مَاتَ فِي السِّجْنِ سِوَاهُ.

٢٠- الصَّنَوْبَرِيُّ الشَّاعِرُ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الضَّبِّيُّ الْحَلبيُّ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ: كَانَ شَاعِرًا مُحْسِنًا، وَقَدْ حَكَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ **لَطَائِفِ أَشْعَارِهِ**:

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٧٧٧.

(٢) (القهرمانة) مُدبرَة الْبَيْت ومتولية شؤونه (معَرب) وَمِنْه القَوْل الْمَأْثُور (الْمَرْأَة رَيْحَانَة وَلَيْسَت بقهرمانة). المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٤)

(٣) الطيارة: من أنواع السفن أخذت اسمها من ميزتها الموصوفة بسرعة الحركة. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص٣١١.

(٤) المنتظم ١٣/ ٢٣٤.

هَــدَمَ الـشَّـيْـبُ مَـا بَـنَـاهُ الـشَّـبَـابُ   وَالْـغَـوَانِـي وَمَـا غُـضِـبْـنَ غِـضَـابُ
قَـلَـبَ الْآبِـنُـوسَ عَـاجًـا فَـلِـلْأَعْـ   ـيُـنِ مِـنْـهُ وَلِـلْـقُـلُـوبِ انْـقِـلَابُ
وَضَــلَالٌ فِـي الـرَّأْيِ أَنْ يُشْنَأَ الْبَا   زِي عَلَى حُسْنِهِ وَيُهْوَى الْغُرَابُ

وَلَهُ أَيْضًا: فِي ابْنٍ لَهُ فُطِمَ، فَجَعَلَ يَبْكِي عَلَى ثَدْيِهِ:

مَـنَـعُـوهُ أَحَــبَّ شَــيْءٍ إِلَـيْـهِ   مِـنْ جَمِيعِ الْـوَرَى وَمِـنْ وَالِـدَيْـهِ
مَـنَـعُـوهُ غِــذَاءَهُ وَلَــقَــدْ كَـا   نَ مُـبَـاحًـا لَـهُ وَبَـيْـنَ يَـدَيْـهِ
عَـجَـبًـا مِـنْـهُ ذَا عَـلَـى صِـغَـرِ الـسِّـ   ـنِّ هَـوَى فَـاهْـتَـدَى الْـفِـرَاقُ إِلَـيْـهِ

٢١- **جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ **الْفِرْيَابِيُّ** قَاضِي الدِّينَوَرِ طَافَ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَايِخِ الْكَثِيرِينَ، مِثْلِ قُتَيْبَةَ وَأَبِي كُرَيْبٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَعَنْهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْمُنَادِي وَالنَّجَّادُ وَأَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ وَخَلْقٌ. وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَكَانَ ثِقَةً حَافِظًا حُجَّةً، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَالْمُسْتَمْلُونَ عَنْهُ فَوْقَ الثَّلَاثِمِائَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَحَابِرِ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ (٣٠١هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٢- **الْقَاضِي أَبُو زُرْعَةَ**، مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الشَّافِعِيُّ، قَاضِي مِصْرَ ثُمَّ دِمَشْقَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَكَمَ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بِالشَّامِ، وَأَشَاعَهُ بِهَا، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى مَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيِّ مِنْ حِينِ مَاتَ إِلَى سنة (٣٠٢هـ)، وَثَبَتَ عَلَى مَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيِّ بَقَايَا كَثِيرُونَ لَمْ يُفَارِقُوهُ، وَكَانَ ثِقَةً عَدْلًا مِنْ سَادَاتِ الْقُضَاةِ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَسْلَمَ، وَصَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ.

٢٣- **النَّسَائِيُّ** أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سِنَانِ بْنِ بَحْرِ بْنِ دِينَارٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ صَاحِبُ «السُّنَنِ»، الْإِمَامُ فِي عَصْرِهِ، وَالْمُقَدَّمُ عَلَى أَضْرَابِهِ وَأَشْكَالِهِ وَفُضَلَاءِ دَهْرِهِ.

رَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ وَاشْتَغَلَ بِسَمَاعِ الْحَدِيثِ وَالِاجْتِمَاعِ بِالْأَئِمَّةِ الْحُذَّاقِ، وَمَشَايِخُهُ

الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ مُشَافَهَةً قَدْ ذَكَرْنَاهُمْ فِي كِتَابِنَا «التَّكْمِيلِ».

وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ جَمَعَ السُّنَنَ الْكَبِيرَ وَانْتَخَبَ مِنْهُ مَا هُوَ أَقَلُّ حَجْمًا مِنْهُ بِمَرَّاتٍ، وَقَدْ وَقَعَ لِي سَمَاعُ كُلٍّ مِنْهُمَا وَقَدْ أَبَانَ فِي تَصْنِيفِهِ عَنْ حِفْظٍ وَإِتْقَانٍ وَصِدْقٍ وَإِيمَانٍ وَتَوْفِيقٍ وَعَلَمٍ وَعِرْفَانٍ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ: إِنَّ لِلنَّسَائِيِّ شَرْطًا فِي الرِّجَالِ أَشَدَّ مِنْ شَرْطِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. وكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا. وَكَانَتْ لَهُ أَرْبَعُ زَوْجَاتٍ وَسُرِّيَّتَانِ.

وَقَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ بِمَدِينَةِ حِمْصَ سَمِعْتُهُ مِنْ شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - عَنْ رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ» حَيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْحَاكِمُ بِحِمْصَ.

وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: كَانَ أَفْقَهَ مَشَايِخِ مِصْرَ فِي عَصْرِهِ وَأَعْرَفَهُمْ بِالصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ مِنَ الْآثَارِ وَأَعْرَفَهُمْ بِالرِّجَالِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ حَسَدُوهُ.

فَخَرَجَ إِلَى الرَّمْلَةِ فَسُئِلَ عَنْ فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ فَأَمْسَكَ عَنْهُ فَضَرَبُوهُ فِي الْجَامِعِ، فَقَالَ: أَخْرِجُونِي إِلَى مَكَّةَ فَأَخْرَجُوهُ وَهُوَ عَلِيلٌ فَتُوُفِّيَ بِمَكَّةَ مَقْتُولًا شَهِيدًا.

قَالَ الْحَاكِمُ: مَعَ مَا رُزِقَ النَّسَائِيُّ مِنَ الْفَضَائِلِ رُزِقَ الشَّهَادَةَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «الْوَفَيَاتِ» أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا صَنَّفَ «الْخَصَائِصَ» فِي فَضْلِ عَلِيٍّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ رَأَى أَهْلَ دِمَشْقَ حِينَ قَدِمَهَا فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ عِنْدَهُمْ نُفْرَةٌ مِنْ عَلِيٍّ وَسَأَلُوهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ مَا قَالَ، فَدَفَعُوهُ فِي حِضْنَيْهِ فَمَاتَ، وَهَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ يُونُسَ.

وقال أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ: أَنَّهُ تُوُفِّيَ بِفِلَسْطِينَ فِي صِفْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَكَانَ مَوْلِدُ

النَّسَائِيِّ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ أَوْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ تَقْرِيبًا عَنْ قَوْلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَكَانَ عُمُرُهُ ثَمَانِيًا وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٢٤- **أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ**، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، **شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ** فِي زَمَانِهِ، وَعَلَيْهِ اشْتَغَلَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ، وَلِلْجُبَّائِيِّ تَفْسِيرٌ حَافِلٌ مُطَوَّلٌ، لَهُ فِيهِ اخْتِيَارَاتٌ غَرِيبَةٌ فِي التَّفْسِيرِ.

وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِيهِ، وَقَالَ: كَأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ أَهْلِ جُبَّاءَ.

كَانَ مَوْلِدُ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَاتَ سنة (٣٠٣هـ).

٢٥- **سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ أَحْمَدَ أَبُو مُوسَى، النَّحْوِيُّ الْكُوفِيُّ **الْمَعْرُوفُ بِالْحَامِضِ**، صَحِبَ ثَعْلَبًا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَخَلَفَهُ فِي حَلْقَتِهِ وَصَنَّفَ «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» وَ «خَلْقَ الْإِنْسَانِ» وَ «الْوُحُوشَ» وَ «النَّبَاتَ».

وَكَانَ دَيِّنًا صَالِحًا رَوَى عَنْهُ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٣٠٥هـ) وَدُفِنَ بِبَابِ التِّبْنِ.

٢٦- **أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سُرَيْجٍ**، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقَاضِي بِشِيرَازَ صَنَّفَ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ مُصَنَّفٍ وَكَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْبَازِ الْأَشْهَبِ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَنْمَاطِيِّ، وَعَنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ كَالْمُزَنِيِّ وَغَيْرِهِ، وَعَنْهُ انْتَشَرَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ فِي الْآفَاقِ، وتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣٠٦هـ) عَنْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٧- **عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُوسَى بْنِ زِيَادٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ **الْجَوَالِيقِيُّ** الْقَاضِي **الْمَعْرُوفُ بِعَبْدَانَ**، الْأَهْوَازِيُّ وُلِدَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، كَانَ أَحَدَ الْحُفَّاظِ الْأَثْبَاتِ، يَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، جَمَعَ الْمَشَايِخَ وَالْأَبْوَابَ، رَوَى عَنْ هُدْبَةَ وَكَامِلِ بْنِ طَلْحَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ ابْنُ صَاعِدٍ وَالْمَحَامِلِيُّ وَغَيْرُهُمَا. توفي سنة (٣٠٦هـ).

٢٨-مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ بْنِ زِيَادٍ، أَبُو بَكْرٍ الضَّبِّيُّ الْقَاضِي الْمَعْرُوفُ بِوَكِيعٍ كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ فَقِيهًا قَارِئًا نَحْوِيًّا لَهُ مُصَنَّفَاتٌ مِنْهَا كِتَابُ «الْعدَدِ»(١) وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْأَهْوَازِ.

وَحَدَّث عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ وَالزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ وَغَيْرِهِمَا، وَعَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ وَأَبُو عَلِيٍّ الصَّوَّافُ وَغَيْرُهُمَا، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

إِذَا مَا غَدَتْ طَلَّابَةُ الْعِلْمِ تَبْتَغِي ... مِنَ الْعِلْمِ يَوْمًا مَا يُخَلَّدُ فِي الْكُتْبِ
غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجِدٍّ عَلَيْهِمْ ... وَمِحْبَرَتِي أُذْنِي وَدَفْتَرُهَا قَلْبِي

وتوفي سنة (٣٠٦هـ).

٢٩-أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ صَاحِبُ "الْمُسْنَدِ" الْمَشْهُورِ، سَمِعَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَطَبَقَتَهُ.

وَكَانَ حَافِظًا خَيِّرًا حَسَنَ التَّصْنِيفِ عَدْلًا فِيمَا يَرْوِيهِ ضَابِطًا لِمَا يُحَدِّثُ بِهِ.

٣٠- مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبٍ الْإِمَامُ **أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ**، مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَكَانَ أَسْمَرَ أَعْيَنَ مَلِيحَ الْجِسْمِ مَدِيدَ الْقَامَةِ فَصِيحَ اللِّسَانِ، رَوَى الْكَثِيرَ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ وَرَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ.

وَلَهُ التَّارِيخُ الْحَافِلُ، وَالتَّفْسِيرُ الْكَامِلُ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ النَّافِعَةِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَمِنْ ذَلِكَ "تَهْذِيبُ الْآثَارِ" لَكِنْ لَمْ يُتِمَّهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَكْتُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعِينَ وَرَقَةً.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ: اسْتَوْطَنَ ابْنُ جَرِيرٍ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ وَكَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، يُحْكَمُ بِقَوْلِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ وَكَانَ قَدْ جَمَعَ مِنَ

(١) له كتاب: أخبار القضاة، مطبوع في ثلاثة مجلدات.

الْعُلُومِ مَا لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ.

وَكَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللهِ عَارِفًا بِالْقِرَاءَاتِ، بَصِيرًا بِالْمَعَانِي، فَقِيهًا فِي الْأَحْكَامِ عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا وَصَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا وَنَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا عَارِفًا بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ.

رَوَى الْخَطِيبُ [(١)] عَنْ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَنَّهُ طَالَعَ «التَّفْسِيرَ» لِابْنِ جَرِيرٍ فِي سِنِينَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ثُمَّ قَالَ: مَا أَعْلَمُ عَلَى أَدِيمِ الْأَرْضِ أَعْلَمَ مِنِ ابْنِ جَرِيرٍ، وَلَقَدْ ظَلَمَتْهُ الْحَنَابِلَةُ. وَقَالَ لِرَجُلٍ رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَشَايِخِ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ سَمَاعٌ مِنِ ابْنِ جَرِيرٍ لِأَنَّ الْحَنَابِلَةَ كَانُوا يَمْنَعُونَ أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِ أَحَدٌ فَقَالَ: لَوْ كَتَبْتَ عَنْهُ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ كُلِّ مَنْ كَتَبْتَ عَنْهُ.

قال ابن كثير: وَكَانَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْقِيَامِ فِي الْحَقِّ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَحُسْنِ الْقِرَاءَةِ عَلَى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ.

وَمِنْ شِعْرِهِ:

إِذَا أَعْسَرْتُ لَمْ يَعْلَمْ رَفِيقِي ... وَأَسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيقِي
حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِي ... وَرِفْقِي فِي مُطَالَبَتِي رَفِيقِي
وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ بِبَذْلِ وَجْهِي ... لَكُنْتُ إِلَى الْغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِ

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ وَقْتَ الْمَغْرِبِ مِنْ عَشِيَّةِ يَوْمِ الْأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ بِخَمْسٍ أَوْ سِتِّ سِنِينَ وَفِي شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ سَوَادٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الرَّعَاعِ مِنْ **عَوَامِّ الْحَنَابِلَةِ مَنَعُوا مِنْ دَفْنِهِ نَهَارًا وَنَسَبُوهُ إِلَى الرَّفْضِ،** وَمِنَ الْجَهَلَةِ مَنْ رَمَاهُ بِالْإِلْحَادِ، وَحَاشَاهُ مِنْ هَذَا وَمِنْ ذَاكَ أَيْضًا. بَلْ كَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٤.

قال ابن كثير: [١] وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ كِتَابًا جَمَعَ فِيهِ أَحَادِيث غَدِيرِ خُمٍّ فِي مُجَلَّدَيْنِ ضَخْمَيْنِ، وَكِتَابًا جَمَعَ فِيهِ طُرُق حَدِيثِ الطَّيْرِ، وَنُسِبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَقُولُ بِجَوَازِ مَسْحِ الْقَدَمَيْنِ فِي الْوُضُوءِ وَأَنَّهُ لَا يُوجِبُ الْغَسْلَ، وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنْهُ هَذَا، فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ اثْنَانِ، أَحَدُهُمَا شِيعِيٌّ [٢] وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ ذَلِكَ، وَيُنَزِّهُونَ أَبَا جَعْفَرٍ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَالَّذِي عُوِّلَ عَلَيْهِ كَلَامُهُ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ يُوجِبُ غَسْلَ الْقَدَمَيْنِ وَيُوجِبُ مَعَ الْغَسْلِ دَلْكَهُمَا، وَلَكِنَّهُ عَبَّرَ عَنِ الدَّلْكِ بِالْمَسْحِ فَلَمْ يَفْهَمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مُرَادَهُ جَيِّدًا، فَنَقَلُوا عَنْهُ أَنَّهُ يُوجِبُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْغَسْلِ وَالْمَسْحِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٣١-**الْخَلَّالُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ، أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ** صَاحِبُ كِتَابِ «الْجَامِعِ لِعُلُومِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» وَلَمْ يُصَنَّفْ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَرَفَةَ وَسَعْدَانَ بْنِ نَصْرٍ وَغَيْرِهِمَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ لِيَوْمَيْنِ مَضَيَا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣١١هـ).

٣٢-**الزَّجَّاجُ** إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ سَهْلٍ، أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ، كَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا حَسَنَ الِاعْتِقَادِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْحَسَنَةُ، مِنْهَا كِتَابُ «مَعَانِي الْقُرْآنِ» وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْعَدِيدَةِ الْمُفِيدَةِ، وَقَدْ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَخْرُطُ الزُّجَاجَ، فَأَحَبَّ عِلْمَ النَّحْوِ، فَذَهَبَ إِلَى الْمُبَرِّدِ، فَكَانَ يُعْطِي الْمُبَرِّدَ كُلَّ يَوْمٍ دِرْهَمًا، ثُمَّ اسْتَغْنَى الزَّجَّاجُ وَكَثُرَ مَالُهُ، وَلَمْ يَقْطَعْ عَنِ الْمُبَرِّدِ ذَلِكَ الدِّرْهَمَ حَتَّى مَاتَ الْمُبَرِّدُ.

وَقَدْ كَانَ الزَّجَّاجُ مُؤَدِّبًا لِلْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ بِالرِّقَاعِ لِيُقَدِّمَهَا إِلَى الْوَزِيرِ، فَحَصَلَ لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٨٤٩.

(٢) واسمه: محمد بن جرير بن رستم الطبري أبو جعفر، شيعي إمامي. انظر: ترجمته في: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٨٢، ولسان الميزان ٥/ ١٠٣، وطبقات أعلام الشيعة ص ٣٥٠-٣٥٣. ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء قول عبدالعزيز الكناني فيه: «هو من الروافض صنف كتبا كثيرة في ضلالتهم، له كتاب الرواة عن اهل البيت، وكتاب المسترشد في الإمامة».

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ: فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣١١هـ).

٣٣-**حَامِدُ بْنُ الْعَبَّاسِ**، اسْتَوْزَرَهُ الْمُقْتَدِرُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْغِلْمَانِ، كَثِيرَ النَّفَقَاتِ، كَرِيمًا سَخِيًّا، كَثِيرَ الْمُرُوءَةِ، وَلَهُ حِكَايَاتٌ تَدُلُّ عَلَى بَذْلِهِ وَإِعْطَائِهِ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ، وَمَعَ هَذَا كَانَ يَجْمَعُ شَيْئًا كَثِيرًا، وُجِدَ لَهُ فِي مَطْمُورَةٍ أُلُوفٌ مِنَ الذَّهَبِ، كَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهَا أَلْقَى فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا امْتَلَأَتْ، طَمَّهَا، فَلَمَّا صُودِرَ، دَلَّ عَلَيْهَا، فَاسْتُخْرِجَ مِنْهَا مَالٌ جَزِيلٌ جِدًّا.

وَمَنْ أَكْبَرِ **مَنَاقِبِهِ** أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ السُّعَاةِ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجِ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاةُ الْوَزِيرِ حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ فِي رَمَضَانَ سنة (٣١١هـ) مَسْمُومًا.

٣٤-**ابْنُ خُزَيْمَةَ**، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ صَالِحِ بْنِ بَكْرٍ السُّلَمِيُّ، مَوْلَى مُجَشِّرِ بْنِ مُزَاحِمٍ، الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ، الْمُلَقَّبُ بِإِمَامِ الْأَئِمَّةِ، كَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ وَبُحُورِهِ، وَمِمَّنْ طَافَ الْبُلْدَانَ، وَرَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَمَاعِ الْحَدِيثِ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ وَجَمَعَ.

وَلَهُ كِتَابُ «الصَّحِيحِ» مِنْ أَنْفَعِ الْكُتُبِ وَأَجَلِّهَا، وَهُوَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ: سنة (٣١١هـ).

٣٥- **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ**، أَبُو الْحَسَنِ الْوَزِيرُ، وَلَّاهُ الْمُقْتَدِرُ الْوِزَارَةَ، ثُمَّ عَزَلَهُ، ثُمَّ وَلَّاهُ، ثُمَّ عَزَلَهُ، ثُمَّ وَلَّاهُ، ثُمَّ عَزَلَهُ سنة (٣١٢هـ) وَقَتَلَهُ.

وَكَانَ ذَا مَالٍ جَزِيلٍ جِدًّا، مَلَكَ عَشَرَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ يَدْخُلُهُ مِنْ ضِيَاعِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَا أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ وَيُجْرِي عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَكَانَ فِيهِ كِفَايَةٌ وَنَهْضَةٌ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوِزَارَةِ وَالْحِسَابِ، يُقَالُ: إِنَّهُ نَظَرَ يَوْمًا فِي أَلْفِ كِتَابٍ، وَوَقَّعَ عَلَى أَلْفِ رُقْعَةٍ، فَتَعَجَّبَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَكَانَتْ فِيهِ مُرُوءَةٌ وَكَرَمٌ وَحُسْنُ سِيرَةٍ فِي وِلَايَاتِهِ، **غَيْرَ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ؛ فَإِنَّهُ** ظَلَمَ وَغَشَمَ

وَصَادَرَ النَّاسَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ، فَأَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى لِسَانِهِ إِلَى نَائِبِ مِصْرَ كِتَابًا فِيهِ الْوَصِيَّةُ بِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ اسْتَرَابَ بِهِ، وَقَالَ: مَا هَذَا خَطُّهُ، وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ عَرَفَ أَنَّهُ كَذِبٌ وَزُورٌ، وَاسْتَشَارَ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ فِي الَّذِي زَوَّرَ عَلَيْهِ،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَنْبَغِي أَنْ تُقْطَعَ يَدُهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يُقْطَعُ إِبْهَامُهُ، وَقَالَ الْآخَرُ: يُضْرَبُ ضَرْبًا عَنِيفًا. فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَأَخَذَ الْكِتَابَ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ: نَعَمْ هَذَا خَطِّي، وَهُوَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِي، فَلَا تَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَّا وَصَلْتَهُ بِهِ. فَلَمَّا عَادَ الْكِتَابُ أَحْسَنَ نَائِبُ مِصْرَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَوَصَلَهُ بِنَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ.

٣٦-الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ **بْنِ الْجَصَّاصِ الْجَوْهَرِيُّ** أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ ذَا مَالٍ عَظِيمٍ وَثَرْوَةٍ مُتَّسِعَةٍ جِدًّا، وَكَانَ **أَصْلُ نِعْمَتِهِ** مِنْ بَيْتِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، كَانَ قَدْ جَعَلَهُ جَوْهَرِيًّا لَهُ يَتَسَوَّقُ لَهُ مَا يَقَعُ مِنْ نَفَائِسِ الْجَوَاهِرِ بِمِصْرَ، فَاكْتَسَبَ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا.

وَقَدِ اتَّفَقَ أَنَّهُ صُودِرَ فِي زَمَانِ الْمُقْتَدِرِ مُصَادَرَةً عَظِيمَةً، أُخِذَ مِنْهُ مَا يُقَاوِمُ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَبَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَرَدَّدُ فِي مَنْزِلِهِ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا لَكَ؟! فَقَالَ: وَيْحَكَ! أُخِذَ مِنِّي كَذَا وَكَذَا، فَأَنَا أُحِسُّ أَنَّ رُوحِي سَتَخْرُجُ. فَعَذَرْتُهُ ثُمَّ أَخَذْتُ فِي تَسْلِيَتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ دَارَكَ وَبَسَاتِينَكَ وَضِيَاعَكَ الْبَاقِيَةَ لَكَ تُسَاوِي سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَاصْدُقْنِي كَمْ بَقِيَ عِنْدَكَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْمَتَاعِ، فَإِذَا هُوَ يُسَاوِي ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يُشَارِكُكَ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ التُّجَّارِ بِبَغْدَادَ، مَعَ مَا لَكَ مِنَ الْوَجَاهَةِ عِنْدَ الدَّوْلَةِ وَالنَّاسِ. قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْهُ، وَتَسَلَّى عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَأَكَلَ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا.

وَلَمَّا خَلَصَ مِنْ مُصَادَرَةِ الْمُقْتَدِرِ بِشَفَاعَةِ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ فِيهِ، حَكَى عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: نَظَرْتُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى مِائَةِ خَيْشَةٍ، فِيهَا مَتَاعٌ رَثٌّ مِمَّا حُمِلَ إِلَيَّ مِنْ مِصْرَ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ بِدَارِ

مَضِيعَةٍ، وَكَانَ لِي فِي كُلِّ حِمْلٍ أَلْفُ دِينَارٍ مَوْضُوعَةٌ فِيهِ مِنْ مِصْرَ لَا يَشْعُرُ بِهَا أَحَدٌ، فَاسْتَوْهَبْتُ ذَلِكَ مِنْ أُمِّ الْمُقْتَدِرِ، فَكَلَّمَتْ فِي ذَلِكَ وَلَدَهَا، فَأَطْلَقَهُ لِي فَتَسَلَّمْتُهُ، فَإِذَا الذَّهَبُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ

وَقَدْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ مُغَفَّلًا **شَدِيدَ التَّغَفُّلِ** فِي كَلَامِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ أَشْيَاءُ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيُظْهِرَ أَنَّهُ مُغَفَّلٌ. توفي سنة (٣١٥هـ).

٣٧- عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْفَضْلِ أَبُو الْحَسَنِ **الْأَخْفَشُ (الصغير)**، رَوَى عَنِ الْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ وَالْيَزِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْهُ الْمَرْزُبَانِيُّ وَالْمُعَافَى وَغَيْرُهُمَا.

وَكَانَ ثِقَةً فِي نَقْلِهِ، فَقِيرًا فِي ذَاتِ يَدِهِ، تَوَصَّلَ إِلَى أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ حَتَّى كَلَّمَ فِيهِ الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى فِي أَنْ يُرَتِّبَ لَهُ شَيْءٌ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ، وَضَاقَ بِهِ الْحَالُ حَتَّى كَانَ يَأْكُلُ اللِّفْتَ النَّيِّءَ، فَمَاتَ فَجْأَةً مِنْ كَثْرَةِ أَكْلِهِ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣١٥هـ)، وَهَذَا هُوَ الْأَخْفَشُ الصَّغِيرُ. **وَالْأَوْسَطُ هُوَ**: سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ تِلْمِيذُ سِيبَوَيْهِ.

وَأَمَّا الْأَكْبَرُ فَهُوَ: أَبُو الْخَطَّابِ عَبْدُ الْحَمِيدِ، مِنْ أَهْلِ هَجَرَ وَهُوَ شَيْخُ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ.

٣٨- **مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارٍ الشَّهِيدُ الْحَافِظُ **أَبُو الْفَضْلِ الْهَرَوِيُّ**

يُعْرَفُ **بِابْنِ أَبِي سَعْدٍ**، قَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، وَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ الْمُظَفَّرِ الْحَافِظُ، وَكَانَ مِنَ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الْحُفَّاظِ الْمُتْقِنِينَ، لَهُ مُنَاقَشَاتٌ عَلَى بِضْعَةٍ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا مِنْ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، قَتَلَتْهُ الْقَرَامِطَةُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِمَكَّةَ فِي سنة (٣١٧هـ) فِي جُمْلَةِ مَنْ قَتَلُوا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٩-**أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ** بْنِ حَسَّانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ أَبُو جَعْفَرَ التَّنُوخِيُّ الْقَاضِي الْحَنَفِيُّ، الْعَدْلُ الثِّقَةُ الرَّضِيُّ، وَكَانَ فَقِيهًا ثِقَةً نَبِيلًا، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَرَوَى عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ حَدِيثًا وَاحِدًا، وَكَانَ عَالِمًا بِالنَّحْوِ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، جَيِّدَ الشِّعْرِ، مَحْمُودًا فِي الْأَحْكَامِ.

اتَّفَقَ أَنَّ السَّيِّدَةَ **أُمَّ الْمُقْتَدِرِ وَقَفَتْ وَقْفًا**، وَجَعَلَ الْحَاكِمُ هَذَا عِنْدَهُ نُسْخَةً بِهِ فِي سَلَّةِ الْحُكْمِ، ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَنْقُضَ ذَلِكَ الْوَقْفَ، فَطَلَبَتِ الْحَاكِمَ وَأَنْ يُحْضِرَ مَعَهُ كِتَابَ الْوَقْفِ، لِتَأْخُذَهُ مِنْهُ فَتَعْدِمَهُ، فَلَمَّا حَضَرَ مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ، فَهِمَ الْمَقْصُودَ، فَقَالَ لَهَا: لَا يُمْكِنُ هَذَا؛ لِأَنِّي خَازِنُ الْمُسْلِمِينَ، فَإِمَّا أَنْ تَعْزِلُونِي عَنِ الْقَضَاءِ وَتُوَلُّوا عَلَى هَذَا غَيْرِي، وَإِمَّا أَنْ تَتْرُكُوا هَذَا الَّذِي تُرِيدُونَهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَأَنَا حَاكِمٌ.

فَشَكَتْهُ إِلَى وَلَدِهَا الْمُقْتَدِرِ، فَشَفَعَ عِنْدَهُ الْمُقْتَدِرُ فِي ذَلِكَ، فَذَكَرَ لَهُ صُورَةَ الْحَالِ فَرَجَعَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِمَّنْ يُرْغَبُ فِيهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَزْلِهِ وَلَا التَّلَاعُبِ بِهِ. فَرَضِيَتْ عَنْهُ، وَبَعَثَتْ تَشْكُرُهُ عَلَى مَا صَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: **مَنْ قَدَّمَ أَمْرَ اللهِ عَلَى أَمْرِ الْعِبَادِ كَفَاهُ اللهُ شَرَّهُمْ**. وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٣١٨هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٤٠- عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَرْبِ بْنِ عِيسَى، **أَبُو عُبَيْدِ بْنِ حَرْبُوَيْهِ** الْقَاضِي بِمِصْرَ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِمِصْرَ مُدَّةً طَوِيلَةً جِدًّا، وَكَانَ ثِقَةً عَالِمًا جَلِيلًا، مِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ وَأَعْدَلِهِمْ.

وَكَانَ يَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» بِمَا فِيهِ مَقْنَعٌ وَكِفَايَةٌ، وَقَدِ اسْتَعْفَى عَنِ الْقَضَاءِ، فَعُزِلَ عَنْهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ بِهَا فِي سنة (٣١٩هـ) فِي صَفَرٍ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي الصَّحِيحِ، وَلَعَلَّهُ مَاتَ قَبْلَهُ بِعِشْرِينَ سَنَةً، وَذَكَرَ مِنْ جَلَالَتِهِ وَفَضْلِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١٩)

خلافة محمد القاهر بالله بن أحمد المعتضد

٣٢٠ ـ ٣٢٢

ترجمته

○ نسبه

مُحَمَّـدٌ الْقَاهِرُ بِاللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أبـو منصور ابن المعتضد بالله أحمد بن طلحة ابن المتوكّل على الله.

○ صفاته

كان ربعة أسمر، أَصْهب الشَّعْر، طويل الأنف [١]، وكان بطاشا سريع الانتقام.

○ وفاته

كَانَتْ وَفَاتُهُ في جمادى الأولى سنة (٣٣٩هـ) وَلَهُ ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ الْمُعْتَضِدِ.

❁ ❁ ❁

(١) تاريخ الإسلام ت بشار (٧/ ٧٢٨)

خلافته

○ بيعته

لَمَّـا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ تم اتفاق الأمراء على مُحَمَّدَ بْنَ الْمُعْتَضِدِ - وَهُوَ أَخُو الْمُقْتَدِرِ - فَبَايَعَـهُ الْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ، وَلَقَّبُوهُ الْقَاهِرَ بِاللهِ، وَذَلِكَ فِي سَـحَرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَوَّالٍ مِنْ (٣٢٠هـ)، **وَاسْتُوزِرَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ.**

وَكانت مدة خلافته: سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ.

○ خَلْعه وسمل عينيه

كَانَ بطَّاشًا سَرِيعَ الِانْتِقَامِ، فهرب منه الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، حِينَ قَبَضَ عَلَى مُؤْنِسٍ الْخَـادِمِ، وَاخْتَفَى فِي دَارِهِ، وَكَانَ يُرَاسِـلُ الْجُنْدَ وَيُكَاتِبُهُمْ وَيُغْرِيهِـمْ بِالْقَاهِرِ، وَيُخَوِّفُهُمْ سَطْوَتَهُ وَإِقْدَامَهُ وَسُرْعَةَ بَطْشِهِ، **وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْقَاهِرَ قَدْ أَعَدَّ لِأَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ أَمَاكِنَ يَسْجِنُهُمْ فِيهَا،** فَهَيَّجَهُمْ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا، وَأَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ عَلَى مُنَاجَزَتِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ.

فَرَكِبُـوا مَعَ الْأَمِيرِ الْمَعْرُوفِ **بِسِـيمَا**، وَقَصَدُوا دَارَ الْخِلَافَـةِ فَأَحَاطُوا بِهَا، ثُمَّ هَجَمُوا عَلَى الْقَاهِرِ مِنْ سَائِرِ أَبْوَابِهَا، فَخَرَجَ الْوَزِيرُ الْخَصِيبِيُّ مُسْتَتِرًا فِي زِيِّ امْرَأَةٍ.

وَانْهَزَمَ الْقَاهِرُ وَهُوَ مَخْمُورٌ، فَاخْتَفَى فِي سَطْحِ حَمَّامٍ، فَظَهَرُوا عَلَيْهِ فَقَبَضُوهُ وَحَبَسُوهُ فِي مَكَانٍ طَرِيفٍ السُّبْكَرِيِّ، وَأَخْرَجُوا طَرِيفًا، وَاضْطَرَبَتْ بَغْدَادُ وَنُهِبَتْ.

وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣٢٢هـ)، ثُمَّ أَحْضَرُوهُ، **فَسَمَلُوا عَيْنَيْهِ** حَتَّى سَالَتَا عَلَى خَدَّيْهِ.

وَارْتُكِبَ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَمْ يُسْـمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْإِسْـلَامِ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَكَانَ تَارَةً يُحْبَسُ، وَتَارَةً يُخَلَّى سَـبِيلُهُ، ثُمَّ أُخْرِجَ فِي سَـنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى دَارِ ابْنِ طَاهِرٍ، وَقَدْ نَالَتْهُ فَاقَةٌ وَحَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، وَسَأَلَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ.

الأحداث في عهده وولاية الحج

مصادرة أصحاب المقتدر وأولاده

شَرَعَ الْقَاهِرُ في أول خلافته فِي مُصَادَرَةِ أَصْحَابِ الْمُقْتَدِرِ وَتَتَبُّعِ أَوْلَادِهِ، **وَاسْتَدْعَى بِأُمِّ الْمُقْتَدِرِ** وَهِيَ مَرِيضَةٌ بِالِاسْتِسْقَاءِ، وَقَدْ تَزَايَدَ بِهَا الْوَجَعُ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِهَا عَلَى وَلَدِهَا حِينَ بَلَغَهَا قَتْلُهُ، وَكَيْفَ بَقِيَ مَكْشُوفَ الْعَوْرَةِ، فَبَقِيَتْ أَيَّامًا لَا تَأْكُلُ شَيْئًا، ثُمَّ وَعَظَهَا النِّسَاءُ حَتَّى أَكَلَتْ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْخُبْزِ وَالْمِلْحِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ اسْتَدْعَى بِهَا الْقَاهِرُ، فَقَرَّرَهَا عَلَى أَمْوَالِهَا، وَلَمْ تُقِرَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوَاهِرِ، وَقَالَتْ لَهُ: **لَوْ كَانَ عِنْدِي مِنْ هَذَا شَيْءٌ مَا سَلَّمْتُ وَلَدِي**.

فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا وَعُلِّقَتْ بِرِجْلَيْهَا وَمَسَّهَا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَأَشْهَدَتْ عَلَى نَفْسِهَا بِبَيْعِ أَمْلَاكِهَا، وَأَرَادَهَا عَلَى بَيْعِ أَوْقَافِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ، وَأَبَتْ أَشَدَّ الْإِبَاءِ.

وَاسْتَدْعَى الْقَاهِرُ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمُقْتَدِرِ، مِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّاضِي، وَهَارُونُ، وَالْعَبَّاسُ، وَعَلِيٌّ، وَالْفَضْلُ، وَإِبْرَاهِيمُ، فَأَمَرَ بِمُصَادَرَتِهِمْ وَحَبْسِهِمْ وَسَلَّمَهُمْ إِلَى حَاجِبِهِ عَلِيِّ بْنِ يَلْبَقَ.

قتل قطاع الطرق بدجلة

فِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٢١هـ) أَحْضَرَ الْخَلِيفَةُ رَجُلًا كَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بِدِجْلَةَ، فَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَ سَوْطٍ، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَقُطِعَتْ أَيْدِي أَصْحَابِهِ وَأَرْجُلُهُمْ.

إبطال الخمر والمغاني

فِي سنة (٣٢١هـ) أَمَرَ الْقَاهِرُ بِاللهِ بِإِبْطَالِ الْخَمْرِ وَالْمَغَانِي وَالْقِيَانِ، وَأَمَرَ بِبَيْعِ الْجَوَارِي الْمُغَنِّيَاتِ فِي سُوقِ النَّخْسِ عَلَى أَنَّهُنَّ سَوَاذِجُ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: [١] وَإِنَّمَا فَعَلَ الْقَاهِرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُحِبًّا لِلْغِنَاءِ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ الْجَوَارِيَ الْمُغَنِّيَاتِ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ.

العزم على لعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي سنة (٣٢١هـ) أَشَاعَتِ الْعَامَّةُ بَيْنَهُمْ بِأَنَّ الْحَاجِبَ **عَلِيَّ بْنِ يَلْبَق** يُرِيدُ أَنْ يَلْعَنَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْمَنَابِرِ، فاتهم الْحَاجِبَ رَئِيسِ الْحَنَابِلَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيِّ الْوَاعِظِ، وبعث لِيُقَابِلَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَهَرَبَ وَاخْتَفَى، فَأَمَرَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَحُدِرُوا إِلَى الْبَصْرَةِ.

محاولة خلع الخليفة

فِي سنة (٣٢١هـ) اتفق الْوَزِير أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ، وَمُؤْنِسُ الْخَادِمَ، وَعَلِيُّ بْنَ يَلْبَق، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، عَلَى خَلْعِ الْقَاهِرِ بِاللهِ وَتَوْلِيَةِ **أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُكْتَفِي** فَبَايَعُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا، وَضَيَّقُوا عَلَى الْقَاهِرِ بِاللهِ فِي رِزْقِهِ وَمَنْ يَجْتَمِعُ بِهِ، وَأَرَادُوا الْقَبْضَ عَلَيْهِ سَرِيعًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ عَلَى يَدَيْ **طَرِيفٍ** السُّبْكَرِيِّ.

فَسَعَى طريف فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ، فَوَقَعَ فِي يده مُؤْنِسٌ الْخَادِمُ، وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَالِاحْتِيَاطِ عَلَى دُورِهِ وَأَمْلَاكِهِ، وَكَانَتْ فِي طريف **عَجَلَةٌ وَجُرْأَةٌ وَهَوَجٌ وَخَرَقٌ شَدِيدٌ**، ونصّب نفسه أمير الْأُمَرَاءِ وَرِيَاسَةِ الْجَيْشِ، وَكَانَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ عِنْدَ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَقَبَضَ طريفٌ عَلَى يَلْبَق، وَاخْتَفَى وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ يَلْبَق، وَكَذَا هَرَبَ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ، فَاسْتَوْزَرَ الخليفة بَدَلَهُ أَبَا جَعْفَرٍ **مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ** بْنِ عُبَيْدِ اللهِ فِي مُسْتَهَلِّ شَعْبَانَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ دَارِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، وَوَقَعَ النَّهْبُ بِبَغْدَادَ، وَهَاجَتِ الْفِتْنَةُ.

---

(١) الكامل ٨/ ٢٧٣. هكذا ذكر والله أعلم بالنيات والسرائر. ولكن الأمر بإبطال بيع الخمور والمغاني دليل على أنه كان موجوداً من قبل.

وَأَمَرَ الْقَاهِرُ بِأَنْ يُجْعَلَ أَبُو **أَحْمَدَ بْنُ الْمُكْتَفِي بَيْنَ حَائِطَيْنِ**، وَيُسَدَّ عَلَيْهِ بِالْآجُرِّ وَالْكِلْسِ وَهُوَ حَيٌّ، فَمَاتَ.

وَأُرْسِلَ إِلَى الْمُخْتَفِينَ **فَنَادَى**: إِنَّ مَنْ أَخْفَاهُمْ خُرِّبَتْ دَارُهُ. فَوَقَعَ بِعَلِيِّ **بْنِ يَلْبَق** فَقَتَلَهُ، **ذُبِحَ بَيْنَ يَدَيْهِ** كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، فَأُخِذَ رَأْسُهُ فِي طَسْتٍ، وَدَخَلَ الْقَاهِرُ بِنَفْسِهِ عَلَى أَبِيهِ يَلْبَقَ، فَوَضَعَ الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ بَكَى، وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ وَيَتَرَشَّفُهُ، **فَأَمَرَ بِذَبْحِهِ أَيْضًا** فَذُبِحَ.

ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْسَيْنِ فِي طَسْتَيْنِ، فَدَخَلَ بِهِمَا عَلَى مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ فَلَمَّا رَآهُمَا تَشَهَّدَ وَلَعَنَ قَاتِلَهُمَا، فَقَالَ الْقَاهِرُ عِنْدَ ذَلِكَ: جُرُّوا بِرِجْلِ الْكَلْبِ. **فَأُخِذَ فَذُبِحَ أَيْضًا**، وَأُخِذَ رَأْسُهُ فَوُضِعَ فِي طَسْتٍ.

وَطِيفَ بِالرُّءُوسِ فِي بَغْدَادَ، وَنُودِيَ عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَخُونُ **الْإِمَامَ**، وَيَسْعَى فِي الدَّوْلَةِ فَسَادًا. ثُمَّ أُعِيدَتِ الرُّءُوسُ إِلَى خَزَائِنِ السِّلَاحِ.

○ اضطراب أمر الوزارة

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٢١هـ) قَبَضَ الْقَاهِرُ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ **مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ** بْنِ عُبَيْدِ اللهِ وَسَجَنَهُ، وَكَانَ مَرِيضًا بِالْقُولَنْجِ، فَبَقِيَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَمَاتَ، فَكَانَتْ وِزَارَتُهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا.

وَاسْتَوْزَرَ مَكَانَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ **أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ** بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَصِيبِيَّ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَى طَرِيفٍ السَّبْكَرِيِّ وَسَجَنَهُ، فَلَمْ يَزَل طريف فِي السجنِ حَتَّى خُلِعَ الْقَاهِرُ.

○ هجوم الروم على ملطية

فِي سنة (٣٢٢هـ) قَصَدَ مَلِكُ الرُّومِ مَلَطْيَةَ فِي خَمْسِينَ أَلْفًا، فَحَاصَرَهَا، ثُمَّ أَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُمْ، فَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ مَا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ قتل القاهر للنوبختي وأبي السرايا

وفِي سنة (٣٢٢هـ) قَتَلَ **الْقَاهِرُ بِاللهِ** أَمِيرَيْنِ كَبِيرَيْنِ؛ وَهُمَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ **النُّوبَخْتِيُّ**، وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَشَارَ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِخِلَافَةِ الْقَاهِرِ، وَأَبُو السَّرَايَا **بْنُ حَمْدَانَ** أَصْغَرُ وَلَدِ أَبِيهِ، وَكَانَ فِي نَفْسِ الْقَاهِرِ مِنْهُمَا؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمَا زَايَدَاهُ مَرَّةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ فِي جَارِيَتَيْنِ مُغَنِّيَتَيْنِ، فَاسْتَدْعَاهُمَا إِلَى الْمُسَامَرَةِ فَتَطَيَّبَا وَحَضَرَا، فَأَمَرَ بِإِلْقَائِهِمَا فِي بِئْرٍ هُنَالِكَ، فَتَضَرَّعَا إِلَيْهِ فَلَمْ يَرْحَمْهُمَا، بَلْ أُلْقِيَا فِيهَا، **وَطَيَّنَهَا عَلَيْهِمَا**.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

⦿ لم يذكر ابن كثير من حج في سنة (٣٢٠هـ) وذكر عمر بن فهد [١] أنه لم يأت حجاج من ناحية العراق، لإفضاء الأمر إلى القاهر، وعدم من ينظر إلى القوافل، وحج بالناس قاضي مكة ومصر، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي خليفة لأبيه.

⦿ وحج بالناس سنة (٣٢١هـ) قاضي مكة، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي.

❁ ❁ ❁

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢/ ٣٨٢.

مشاهير من توفي في عهده

١-**أَبُو عَلِيِّ بْنُ خَيْرَانَ** الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمَذْهَبِ، هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ خَيْرَانَ أَبُو عَلِيٍّ، الْفَقِيهُ الْكَبِيرُ الْوَرِعُ الْبَارِعُ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَنْصِبُ الْقَضَاءِ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَخَتَمَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى عَلَى بَابِهِ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَمْ يَجِدْ أَهْلُهُ مَاءً إِلَّا مِنْ بُيُوتِ الْجِيرَانِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَتَمَنَّعُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَلِ لَهُمْ شَيْئًا.

فَقَالَ الْوَزِيرُ: إِنَّمَا أَرَدْنَا أَنْ نُعَلِّمَ النَّاسَ أَنَّ بِبَلَدِنَا وَفِي مَمْلَكَتِنَا مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ قَضَاءُ الْقُضَاةِ شَرْقًا وَغَرْبًا فَلَمْ يَقْبَلْ. وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٣٢٠هـ)، وَقَدْ ذَكَرْنَا تَرْجَمَتَهُ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ».

٢-**الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ الْمَالِكِيُّ** مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، أَبُو عُمَرَ الْقَاضِي بِبَغْدَادَ وَمُعَامَلَاتِهَا فِي سَائِرِ الْبِلَادِ.

كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَفَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَعَقْلًا وَرِيَاسَةً، بِحَيْثُ كَانَ يُضْرَبُ بِعَقْلِهِ وَحِلْمِهِ الْمَثَلُ.

وَقَدْ رَوَى الْكَثِيرَ عَنِ الْمَشَايِخِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَحَمَلَ النَّاسُ عَنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا مِنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَقَدْ جُمِعَ لَهُ قَضَاءُ الْقُضَاةِ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَجَمَعَ مُسْنَدًا حَافِلًا.

وَكَانَ إِذَا جَلَسَ لِلْحَدِيثِ، جَلَسَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ عَنْ يَمِينِهِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ سِنِّ أَبِيهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ ابْنُ صَاعِدٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيُّ، وَسَائِرُ الْحُفَّاظِ حَوْلَ سَرِيرِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. قَالُوا: وَلَمْ يُنْتَقَدْ عَلَيْهِ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهِ أَخْطَأَ فِيهِ.

قُلْتُ: وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ صَوَابِ أَحْكَامِهِ: حكمه بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجِ.

وَقَدْ كَانَ جَمِيلَ الْأَخْلَاقِ، حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ، اجْتَمَعَ يَوْمًا عِنْدَ أَصْحَابِهِ، فَجِيءَ بِثَوْبٍ فَاخِرٍ لِيَشْتَرِيَهُ بِنَحْوٍ مَنْ خَمْسِينَ دِينَارًا، فَاسْتَحْسَنَهُ الْحَاضِرُونَ، فَاسْتَدْعَى بِالْقَلَانِسِيِّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ الثَّوْبَ قَلَانِسَ بِعَدَدِ الْحَاضِرِينَ. وَلَهُ مَنَاقِبُ وَمَحَاسِنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٣٢٠هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٣- **أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، نِسْبَةً إِلَى طَحَا وَهِيَ قَرْيَةٌ بِصَعِيدِ مِصْرَ، الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةِ وَالْفَوَائِدِ، وَهُوَ أَحَدُ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ، وَالْحُفَّاظِ الْجَهَابِذَةِ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ الْمُزَنِيِّ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٢١هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٤- **شَغَبُ أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرِ** بِاللهِ الْمُلَقَّبَةُ بِالسَّيِّدَةِ، كَانَ دَخْلُ أَمْلَاكِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَتْ تَتَصَدَّقُ بِأَكْثَرِ ذَلِكَ عَلَى الْحَجِيجِ فِي أَشْرِبَةٍ وَأَزْوَادٍ وَأَطِبَّاءَ يَكُونُونَ مَعَهُمْ، وَتَسْهِيلِ الطُّرُقَاتِ وَالْمَوَارِدِ.

وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْحِشْمَةِ وَالرِّيَاسَةِ وَنُفُوذِ الْكَلِمَةِ أَيَّامَ خِلَافَةِ وَلَدِهَا، فَلَمَّا قُتِلَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَزَادَهَا مَرَضًا إِلَى مَرَضِهَا، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الْقَاهِرِ فِي الْخِلَافَةِ، عَاقَبَهَا الْقَاهِرُ عُقُوبَةً عَظِيمَةً جِدًّا.

وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣٢١هـ)، وَدُفِنَتْ بِالرُّصَافَةِ. رَحِمَهَا ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(٢٠)

خلافة محمد الراضي بالله بن المقتدر بالله

٣٢٢ ـ ٣٢٩

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

○ نسبه

الرَّاضِي بِاللهِ أَبو الْعَبَّاسِ **محمد** بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ. وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ رُومِيَّةٌ تُسَمَّى ظَلُومَ.

وكَانَ مَوْلِدُهُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ (٢٩٧هـ)

○ صفاته ومناقبه

كَانَ أَسْمَرَ رَقِيقَ السُّمْرَةِ، دُرِّيَّ اللَّوْنِ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ سَبْطَهُ، قَصِيرَ الْقَامَةِ، نَحِيفَ الْجِسْمِ، فِي وَجْهِهِ طُولٌ، وَفِي مُقَدَّمِ لِحْيَتِهِ تَمَامٌ، وَفِي شَعْرِهَا رِقَّةٌ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: [(١)] كَانَ لِلرَّاضِي فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ وَخَتَمَ الْخُلَفَاءَ فِي أُمُورٍ عِدَّةٍ؛ فَمِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ آخِرَ خَلِيفَةٍ لَهُ شِعْرٌ مُدَوَّنٌ.

وَآخِرَ خَلِيفَةٍ انْفَرَدَ بِتَدْبِيرِ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ.

وَآخِرَ خَلِيفَةٍ خَطَبَ عَلَى مِنْبَرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَآخِرَ خَلِيفَةٍ جَالَسَ الْجُلَسَاءَ وَوَصَلَ إِلَيْهِ النُّدَمَاءُ.

وَآخِرَ خَلِيفَةٍ كَانَتْ نَفَقَتُهُ، وَعَطَايَاهُ، وَخَدَمُهُ، وَحُجَّابُهُ، وَأُمُورُهُ، يَجْرِي عَلَى تَرْتِيبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْخُلَفَاءِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: [(٢)] كَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا كَرِيمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا.

ومن جميل شعره مَا رَثَى بِهِ أَبَاهُ الْمُقْتَدِرَ:

وَلَوْ أَنَّ حَيًّا كَانَ قَبْرًا لِمَيِّتٍ ... لَصَيَّرْتُ أَحْشَائِي لِأَعْظُمِهِ قَبْرَا
وَلَوْ أَنَّ عُمْرِي كَانَ طَوْعَ مَشِيئَتِي ... وَسَاعَدَنِي الْمَقْدُورُ قَاسَمْتُهُ الْعُمْرَا

---

(١) تاريخ بغداد٢/ ١٤٣.
(٢) انظر: المنتظم لابن الجوزي.١٣/ ٣٣٦.

وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي رَوَاهُ الْخَطِيبُ قَوْلُهُ:

كُــلُّ صَــفْــوٍ إِلَــى كَــدَرْ ... كُــلُّ أَمْــنٍ إِلَــى حَــذَرْ
أَيْــنَ مَــنْ كَــانَ قَــبْــلَــنَــا ... دَرَسَ الْــعَــيْــنُ وَالْأَثَــرْ
رَبِّ إِنِّــي ذَخَــرْتُ عِــنْ ... دَكَ أَرْجُــوكَ مُــدَّخَــرْ
إِنَّــنِــي مُــؤْمِــنٌ بِــمَــا ... بَــيَّــنَ الْــوَحْــيُ فِــي الــسُّــوَرْ

○ وفاته

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِعِلَّةِ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣٢٩هـ)، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى بَجْكَمَ وَهُوَ بِوَاسِطٍ؛ لِيَعْهَدَ إِلَى وَلَدِهِ الْأَصْغَرِ أَبِي الْفَضْلِ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ذَلِكَ، وَبَايَعَ النَّاسُ أَخَاهُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ. وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

لَمَّـا خَلَعَتِ الْجُنْدُ الْقَاهِرَ وَسَـمَلُوهُ أَحْضَرُوا أَبَا الْعَبَّاسِ **مُحَمَّـدَ بْنَ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ**، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَلَقَّبُوهُ **الرَّاضِي** بِاللهِ، فِي يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لَسِـتٍّ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣٢٢هـ)،

فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِـتَّ سِنِينَ وَعَشَـرَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَـرَةَ أَيَّامٍ، وَعُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ.

وَجَـاءُوا بِالْقَاهِـرِ وَهُـوَ أَعْمَى قَدْ سُـمِلَتْ عَيْنَـاهُ، فَأُوقِفَ بَيْـنَ يَدَيْهِ، فَسَـلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ، فَقَامَ الرَّاضِي بِأَعْبَائِهَا.

وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ حيث أَطْلَقَ كُلَّ مَنْ كَانَ فِي حَبْسِ الْقَاهِرِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

تولية الوزارة لابن مقلة

في سنة (٣٢٢هـ) أَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ، وَجَعَلَ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى نَاظِرًا عَلَيْهِ.

مصادرة طبيب القاهر

وَاسْتَدْعَى عِيسَى طَبِيبَ الْقَاهِرِ، فَصَادَرَهُ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَتَسَلَّمَ مِنْهُ الْوَدِيعَةَ الَّتِي كَانَ الْقَاهِرُ أَوْدَعَهَا عِنْدَهُ، وَكَانَتْ جُمْلَةً مُسْتَكْثَرَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفَائِسِ، وذلك في سنة (٣٢٢هـ).

قتل مرداويج أمير اصبهان

في سنة (٣٢٢هـ) عَظُمَ أَمْرُ مَرْدَاوِيجَ بِأَصْبَهَانَ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَصْدَ بَغْدَادَ وَأَنَّهُ مُمَالِئٌ لِصَاحِبِ الْبَحْرَيْنِ (القرمطي).

وَقَدِ اتَّفَقَا عَلَى نقل الدَّوْلَةِ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى الْعَجَمِ، وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِي رَعِيَّتِهِ، لَا سِيَّمَا فِي خَوَاصِّهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَتَمَالَئُوا عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ - قَبَّحَهُ اللهُ -سنة (٣٢٣هـ) على الصحيح.

وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَعْبَاءِ ذَلِكَ أَخَصَّ مَمَالِيكِهِ وَأَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ، وَهُوَ **بَجْكَمُ** جَزَاهُ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا.

وَهَذَا الْأَمِيرُ هُوَ الَّذِي **اسْتَنْقَذَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ** مِنْ أَيْدِي الْقَرَامِطَةِ، وَافْتَدَاهُ مِنْهُمْ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ، بَذَلَهَا لَهُمْ حَتَّى رَدُّوهُ إِلَى مَكَّةَ كَمَا سَيَأْتِي.

وَكَانَ **رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ رَهِينَةً عِنْدَ مرداويج**، فَلَمَّا قُتِلَ أُطْلِقَ مِنَ السِّجْنِ وَالْقَيْدِ، فَذَهَبَ إِلَى أَخِيهِ **عِمَادِ الدَّوْلَةِ**، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ مَعَهُ **إِلَى أَخِيهِ**.

وَالْتَفَّتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْأَتْرَاكِ عَلَى بَجْكَمَ، **فَسَارَ بِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ** بِإِذْنِ الْخَلِيفَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صُرِفُوا إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانُوا بِهَا.

○ طمع ابن غريب في الخلافة

لَمَّا خُلِعَ الْقَاهِرُ وَوَلِّيَ الرَّاضِي، **طَمِعَ هَارُونُ بْنُ غَرِيبٍ** فِي الْخِلَافَةِ؛ لِكَوْنِهِ ابْنَ خَالِ الْمُقْتَدِرِ، وَكَانَ نَائِبًا عَلَى مَاهِ الْكُوفَةِ (الدِّينَوَرِ) وَمَاسَبْذَانَ، فَدَعَا إِلَى ذَلِكَ وَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ مِنَ الْجُنْدِ وَالْأُمَرَاءِ، وَجَبَى الْأَمْوَالَ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ.

وَقَصَدَ بَغْدَادَ سنة (٣٢٢هـ) فَخَرَجَ إِلَيْهِ **مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتَ** رَأْسُ الْحَجَبَةِ فِي جَمِيعِ جَيْشِ بَغْدَادَ فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ، فعثر بِهارون فَرَسُهُ، فَسَقَطَ فِي نَهْرٍ، فَضَرَبَهُ غُلَامٌ لَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، وَأَخَذَ رَأْسَهُ.

وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتَ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ هَارُونَ، وَرَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ يَاقُوتَ، فَدَخَلَ بَغْدَادَ وَرَأْسُ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ يُحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُمْحٍ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ قتل الزنادقة

فِي سنة (٣٢٢هـ) ظَهَرَ رَجُلٌ بِبَغْدَادَ يُعرَفُ **بِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّلْمَغَانِيِّ**، فَذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَدَّعِي مَا كَانَ يَدَّعِيهِ الْحَلَّاجُ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ.

وَكَانَ قَدْ مُسِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُقْتَدِرِ عِنْدَ **حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ**، وَاتُّهِمَ بِأَنَّهُ يَقُولُ بِالتَّنَاسُخِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ أَحْضَرَهُ الرَّاضِي، وَادَّعَى عَلَيْهِ بِمَا ذُكِرَ عَنْهُ، فَأَنْكَرَ، ثُمَّ أَقَرَّ بِأَشْيَاءَ، فَأَفْتَى قَوْمٌ أَنَّ دَمَهُ حَلَالٌ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، فَضُرِبَ ثَمَانِينَ سَوْطًا، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَصُلِبَ، وَأُلْحِقَ بِالْحَلَّاجِ.

وَقُتِلَ مَعَهُ صَاحِبُهُ ابْنُ أَبِي عَوْنٍ، وَكَانَ هَذَا اللَّعِينُ مِنْ جُمْلَةِ طَائِفَةٍ قَدِ اتَّبَعُوهُ وَصَدَّقُوهُ فِيمَا يَزْعُمُهُ مِنَ الْكُفْرِ.

وَقَدْ بَسَطَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكَامِلِ[١] مَذْهَبَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ بَسْطًا جَيِّدًا، وَشَبَّهَ مَذْهَبَهُمْ بِمَذْهَبِ النَّصِيرِيَّةِ، لَعَنَهُمَا اللهُ أَجْمَعِينَ.

---

(١) ٨/ ٢٩٠-٢٩٤.

وَادَّعَى رَجُلٌ بِبِلَادِ الشَّاشِ النُّبُوَّةَ، وَأَظْهَرَ مَخَارِيقَ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْحِيَلِ، فَجَاءَتْهُ الْجُيُوشُ فَقَاتَلُوهُ، فَقَتَلُوهُ، وَانْطَفَأَ خَبَرُهُ وَاضْمَحَلَّ أَمْرُهُ.

○ وفاةُ المَهْدِيِّ أَوَّلِ خُلفَاءِ العبيديين

في سنة (٣٢٢هـ) مَاتَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ، الْمُدَّعِي أَنَّهُ عَلَوِيٌّ -الْمُلَقَّبُ بِالْمَهْدِيِّ- بَانِي مدينة الْمَهْدِيَّةِ في أفريقية عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، **وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ،** مُنْذُ دَخَلَ رَقَّادَةَ وَادَّعَى الْإِمَامَةَ، أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ أَوَّلُ خلفائهم.

وَقَدْ كَانَ شُجَاعًا، ظَفِرَ بِجَمَاعَةٍ مِمَّنْ خَالَفَهُ وَنَاوَأَهُ وَقَاتَلَهُ وَعَادَاهُ.

وَقَدْ قَامَ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُلَقَّبُ بِالْخَلِيفَةِ **الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ** وَحِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ، كَتَمَ مَوْتَهُ سَنَةً حَتَّى دَبَّرَ مَا أَرَادَهُ مِنَ الْأُمُورِ، ثُمَّ أَظْهَرَ ذَلِكَ، وَعَزَّاهُ النَّاسُ فِيهِ.

وَقَدْ كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا كَأَبِيهِ، فَتَحَ الْبِلَادَ، وَأَرْسَلَ السَّرَايَا في البحر إِلَى ناحية الفرنج ففتحوا **مدينة جَنَوَة** سنة (٣٢٣هـ)، وغنموا غنائم كثيرة وثروة، وَرَامَ أَخْذَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ذَلِكَ،.

○ القول في نسب المهدي

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «الْوَفَيَاتِ»[(١)] :

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي نَسَبِ الْمَهْدِيِّ هَذَا اخْتِلَافًا كَثِيرًا جِدًّا؛ فَقَالَ صَاحِبُ «تَارِيخِ الْقَيْرَوَانِ»: ***هُوَ عُبَيْدُ اللهِ*** بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ التَّقِيِّ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَفِيِّ أَحْمَدَ بْنِ الرَّضِيِّ عَبْدِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ يُقَالُ لَهُمْ: **الْمَسْتُورُونَ**؛ لِخَوْفِهِمْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ. قَالَ الْقَاضِي

(١) ٣/ ١١٧

ابْنُ خَلِّكَانَ: [(١)] وَالْمُحَقِّقُونَ يُنْكِرُونَ دَعْوَاهُ فِي النَّسَبِ.

قال ابن كثير: [(٢)] قَدْ كَتَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ وَالْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيُّ، وَالْقُدُورِيُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَدْعِيَاءُ، لَيْسَ لَهُمْ نَسَبٌ صَحِيحٌ فِيمَا يَزْعُمُونَهُ، وَأَنَّ وَالِدَ عُبَيْدِ اللهِ هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا صَبَّاغًا بِسَلَمْيَةَ.

وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهُ سَعِيدًا، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِعُبَيْدِ اللهِ.

وَكَانَ زَوْجُ أُمِّهِ الْحُسَيْنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحَ، **وَسُمِّي الْقَدَّاحَ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَحَّالًا يَقْدَحُ الْعُيُونَ، وَكَانَ الَّذِي وَطَّأَ لَهُ الْأَمْرَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ **أَبُو عَبْدِ اللهِ الشِّيعِيُّ** ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ فَلَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَعَ فِي يَدِ صَاحِبِ سِجِلْمَاسَةَ فَسَجَنَهُ، فَلَمْ يَزَلِ أبو عبدالله الشِّيعِيُّ حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ.

ثُمَّ نَدِمَ الشِّيعِيُّ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَفَطِنَ عُبَيْدُ اللهِ لَهُ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ مَعَهُ أَخَاهُ.

وَيُقَالُ: إِنَّ أبا عبدالله الشِّيعِيَّ لَمَّا دَخَلَ السِّجْنَ وَجَدَ صَاحِبَ سِجِلْمَاسَةَ قَدْ قَتَلَهُ، وَوَجَدَ فِي السَّجْنِ رَجُلًا مَجْهُولًا، فَأَخْرَجَهُ لِلنَّاسِ، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ، وَرَوَّجَ بِهِ الْأَمْرَ، فَهَؤُلَاءِ مِنْ سُلَالَتِهِ. حَكَاهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ. [(٣)]

وَكَانَ مَوْلِدُ الْمُهْدِيِّ هَذَا فِي سَنَةِ (**٢٦٠هـ**) بِسَلَمْيَةَ، وَقِيلَ: بِالْكُوفَةِ.

وَكَانَ ظُهُورُهُ سَنَةَ (٢٩٦هـ) وَأَوَّلُ مَا دُعِيَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ رَقَّادَةَ وَالْقَيْرَوَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ (٢٩٧هـ) بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سِجِلْمَاسَةَ.

وَزَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ مِنْ هَذَا الْحِينِ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْعَاضِدُ فِي سَنَةِ (٥٦٧هـ).

(١) المصدر السابق.

(٢) ١٥/ ٨٤ ومابعدها.

(٣) ٣/ ١١٨.

○ اضطراب الأمر في بغداد

فِي سنة (٣٢٣هـ) اسْتَبْطَأَ الْأَجْنَادُ أَرْزَاقَهُمْ، فَقَصَدُوا دَارَ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، فَنَقَبُوهَا وَأَخَذُوا مَا فِيهَا.

وَفِي رَمَضَانَ منها اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى بَيْعَةِ **جَعْفَرِ بْنِ الْمُكْتَفِي** وَظَهَرَ الْوَزِيرُ عَلَى أَمْرِهِمْ، فَحَبَسَ جعْفَرًا، وَنُهِبَتْ دَارُهُ، وَحَبَسَ جَمَاعَةً مِمَّنْ كَانَ بَايَعَهُ، وَانْطَفَأَتْ نَارُهُ.

○ ضعف الخلافة وعجز الوزراء

فِي سنة (٣٢٤هـ) جَاءَتِ الْجُنْدُ، فَأَحْدَقُوا بِدَارِ الْخِلَافَةِ، وَقَالُوا: لِيَخْرُجْ إِلَيْنَا الْخَلِيفَةُ الرَّاضِي بِنَفْسِهِ فَيُصَلِّ بِالنَّاسِ. فَخَرَجَ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ، وَقَبَضَ الْغِلْمَانُ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، وَسَأَلُوا مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَسْتَوْزِرَ غَيْرَهُ، فَرَدَّ الْخِيَرَةَ إِلَيْهِمْ، فَاخْتَارُوا عَلِيَّ بْنَ عِيسَى، فَلَمْ يَقْبَلْ.

وَأَشَارَ بِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى فَاسْتَوْزَرَهُ، **وَأُحْرِقَتْ دَارُ ابْنِ مُقْلَةَ**، وَسُلِّمَ هُوَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى، فَضُرِبَ ضَرْبًا عَنِيفًا، وَأُخِذَ خَطُّهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ.

ثُمَّ عَجَزَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى، **فَعُزِلَ** بَعْدَ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَقُلِّدَ الْوِزَارَةَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكَرْخِيُّ، **ثُمَّ عُزِلَ** بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَقُلِّدَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْحُسَيْنِ، **ثُمَّ عُزِلَ** بِأَبِي الْفَتْحِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ، وَأُحْرِقَتْ دَارُهُ كَمَا أُحْرِقَتْ دَارُ ابْنِ مُقْلَةَ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ تَخْبِيطِ الْأَتْرَاكِ وَالْغِلْمَانِ، **فَضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ جِدًّا.**

○ ظهور منصب أمير الأمراء

لما رأى الراضي ضعف الوزراء، وتمرد الأمراء، بَعَثَ فِي سنة (٣٢٤هـ) إِلَى **مُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ**، وَكَانَ بِوَاسِطٍ، يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ؛ لِيُوَلِّيَهُ **إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ**[1] بِبَغْدَادَ، وَأَمْرَ الْخَرَاجِ

(١) هذا المنصب بدأه الخليفة الراضي سنة (٣٢٤هـ) لينقذ الخلافة من تغول الجند الأتراك وخيانة الوزراء وضعفهم؛ فأسند إلى أمير الأمراء أمر الوزارة، وأمر الجيش، وأمر الخراج، والأموال. وفوض له الخليفة =

وَالْمُعَاوِنِ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ وَالدَّوَاوِينِ، وَأَمَرَ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَنَابِرِ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ، فَقَدِمَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى بَغْدَادَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمَعَهُ الْأَمِيرُ بَجْكَمُ التُّرْكِيُّ.

وَاسْتَحْوَذَ ابْنُ رَائِقٍ عَلَى أَمْرِ الْعِرَاقِ بِكَمَالِهِ، وَنَقَلَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى دَارِهِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْوَزِيرِ تَصَرُّفٌ فِي شَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَوَهَى أَمْرُ الْخِلَافَةِ جِدًّا، وَاسْتَقَلَّ نُوَّابُ الْأَطْرَافِ بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا، وَلَمْ يَبْقَ لِلْخَلِيفَةِ حُكْمٌ فِي غَيْرِ بَغْدَادَ وَمُعَامَلَاتِهَا، وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لَهُ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ نُفُوذٌ فِي شَيْءٍ، وَلَا كَلِمَةٌ تُطَاعُ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالنَّفَقَاتِ وَغَيْرِهَا، وَهَكَذَا صَارَ أَمْرُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ أُمَرَاءِ الْأُمَرَاءِ.

وكذلك استقلت **بِلَادُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبُ** فِي يَدِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْمُدَّعِي أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ، وَقَدْ تَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْأَنْدَلُسُ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمُلَقَّبِ بِالنَّاصِرِ الْأُمَوِيِّ. **وَخُرَاسَانُ** وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي يَدِ السَّعِيدِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ. **وَطَبَرِسْتَانُ وَجُرْجَانُ** فِي يَدِ الدَّيْلَمِ، **وَالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةُ وَهَجَرُ** فِي يَدِ أَبِي طَاهِرٍ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ الْقِرْمِطِيِّ، لَعَنَهُ اللهُ.

○ عصيان البريدي

فِي الْمُحَرَّمِ مِن سنة (٣٢٥هـ) خَرَجَ الْخَلِيفَةُ الرَّاضِي وَأَمِيرُ الْأُمَرَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ مِنْ بَغْدَادَ قَاصِدِينَ وَاسِطًا؛ لِقِتَالِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ نَائِبِ الْأَهْوَازِ، الَّذِي قَدْ تَجَبَّرَ بِهَا، وَمَنَعَ الْخَرَاجَ، فَلَمَّا سَارَ ابْنُ رَائِقٍ إِلَى وَاسِطٍ **خَرَجَ عَلَيْهِ الْحُجَّاب وَقَاتَلُوهُ**، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ بَجْكَمَ فَطَحَنَهُمْ، وَرَجَعَ فَلُّهُمْ إِلَى بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُمْ لُؤْلُؤُ أَمِيرُ الشُّرْطَةِ، فَاحْتَاطَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ،

= التصرف في هذه الأمور، فقال: وليتك ما وراء بابي. واستمر هذا النظام إلى سنة (٣٣٤هـ). انظر لمزيد من التفصيل: رسالة الماجستير بعنوان: الخلافة العباسية وعصر إمرة الأمراء. للطالبة/ ناريمان صادق عبدالقادر، جامعة أم القرى، قسم التاريخ، بكلية الشريعة ١٣٩٩هـ.

وَنُهِبَتْ دَوْرُهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ رَأْسٌ يَرْتَفِعُ، وَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ وَابْنُ رَائِقٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ يَتَهَدَّدَانِهِ، فَأَجَابَ إِلَى حَمْلِ كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، يَقُومُ بِحَمْلِ كُلِّ شَهْرٍ عَلَى حِدَتِهِ، وَإِلَى أَنْ يُجَهِّزَ جَيْشًا إِلَى قِتَالِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، فَلَمَّا رَجَعَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَادَ لَمْ يَحْمِلْ شَيْئًا، وَلَمْ يَبْعَثْ أَحَدًا، ثُمَّ بَعَثَ ابْنُ رَائِقٍ بَجْكَمَ وَبَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ لِقِتَالِ الْبَرِيدِيِّ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ، وَأُمُورٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

ثُمَّ لَجَأَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى عِمَادِ الدَّوْلَةِ وَاسْتَجَارَ بِهِ، وَاسْتَحْوَذَ بَجْكَمُ عَلَى بِلَادِ الْأَهْوَازِ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ خَرَاجَهَا، وَكَانَ بَجْكَمُ هَذَا شُجَاعًا فَاتِكًا.

○ تولية بجكم إمارة بغداد ونيابة المشرق

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٣٢٥هـ) خَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى بَجْكَمَ، وَعَقَدَ لَهُ الْإِمَارَةَ بِبَغْدَادَ، وَوَلَّاهُ نِيَابَةَ الْمَشْرِقِ إِلَى خُرَاسَانَ.

○ مصالحة ملك الروم

في سنة (٣٢٦هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاضِي، وَحَاصِلُهُ طَلَبُ الْهُدْنَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَوَجَّهَ مَعَ الْكِتَابِ بِهَدَايَا وَأَلْطَافٍ كَثِيرَةٍ فَاخِرَةٍ، فَأَجَابَهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَفُودِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةُ آلَافِ أَسِيرٍ، مَا بَيْنَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.

○ وزارة ابن مقلة ونهاية أمره

في سنة (٣٢٦هـ) ارْتَحَلَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْفُرَاتِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الشَّامِ وَتَرَكَ الْوِزَارَةَ، فَوَلِيَهَا **أَبُو عَلِيِّ بْنُ مُقْلَةَ**، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ضَعِيفَةً جِدًّا، لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَعَ ابْنِ رَائِقٍ وَطَلَبَ مِنَ ابْنِ رَائِقٍ أَنْ يَفرج لَهُ عَنْ أَمْلَاكِهِ، فَجَعَلَ يُمَاطِلُهُ، فَكَتَبَ ابن مقلة إِلَى **بَجْكَمَ** يُطْمِعُهُ فِي بَغْدَادَ، وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا عَنِ ابْنِ رَائِقٍ، وَكَتَبَ أَيْضًا إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ ابْنَ رَائِقٍ وَابْنَ مُقَاتِلٍ، وَيَضْمَنَهُمْ بِأَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ رَائِقٍ، فَأَخَذَهُ، فَقَطَعَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَذَا أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ جَعَلَ ابن رايق يُحَسِّنُ لِلْخَلِيفَةِ أَنْ يَسْتَوْزِرَهُ، وَأَنَّ قَطْعَ يَدِهِ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْكِتَابَةِ، وَأَنَّهُ يَشُدُّ الْقَلَمَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى الْمَقْطُوعَةِ فَيَكْتُبُ بِهَا.

وبَلَغَ **ابْنَ رَائِقٍ** أَنَّ إبن مقلة قَدْ كَتَبَ إِلَى **بَجْكَمَ** بِمَا تَقَدَّمَ، وَأَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ فَقَطَعَ لِسَانَهُ، وَسَجَنَهُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَنْ يَخْدُمُهُ، فَكَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ بِنَفْسِهِ؛ يَتَنَاوَلُ الْحَبْلَ مِنَ الْبِئْرِ بِيَدِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ يُمْسِكُهُ بِفِيهِ، وَلَقِيَ شِدَّةً وَعَنَاءً، وَمَاتَ فِي مَحْبِسِهِ هَذَا وَحِيدًا، فَدُفِنَ هُنَاكَ، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلَهُ نَقْلَهُ فَدُفِنَ فِي دَارِهِ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.

فَاتَّفَقَ لَهُ **أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ**؛ مِنْهَا:

- أَنَّهُ وَزَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَعُزِلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
- وَوَلِيَ لِثَلَاثَةٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ [1] - وَدُفِنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

تقلد بجكم إمرة الأمراء

فِي سنة (٣٢٦هـ) دَخَلَ بَجْكَمُ بَغْدَادَ فَقَلَّدَهُ الرَّاضِي إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ **مَكَانَ ابْنِ رَائِقٍ**، وَقَدْ كَانَ بَجْكَمُ هَذَا مِنْ غِلْمَانِ **أَبِي عَلِيٍّ الْعَارِضِ** وَزِيرِ مَاكَانَ بْنِ كَالِي الدَّيْلَمِيِّ، فَاسْتَوْهَبَهُ مَا كَانُ مِنَ الْوَزِيرِ، فَوَهَبَهُ لَهُ، ثُمَّ فَارَقَ مَا كَانَ، وَلَحِقَ بِمَرْدَاوِيجَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَتَلَهُ، **وَسَكَنَ بَجْكَمُ** بِدَارِ مُؤْنِسٍ الْخَادِمِ وَعَظُمَ أَمْرُهُ جِدًّا.

وَانْفَصَلَ ابْنُ رَائِقٍ وَكَانَتْ أَيَّامُهُ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا.

تأديب صاحب الموصل

فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٢٧هـ) خَرَجَ الرَّاضِي بِاللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ لِمُحَارَبَةِ **نَاصِرِ الدَّوْلَةِ** الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدَانَ نَائِبِهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَجْكَمُ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحُسَيْنِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ.

(١) هم: المقتدر، والقاهر، والراضي.

وَلَمَّا انْتَهَى بَجْكَمُ إِلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَاقَعَ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدَانَ، فَهَزَمَ بَجْكَمُ الْحَسَنَ بْنَ حَمْدَانَ، وَقَرَّرَ الْخَلِيفَةُ أَمْرَ الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ.

○ استيلاء ابن رايق على بغداد

اغْتَنَمَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ غَيْبَةَ الْخَلِيفَةِ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٢٧هـ) عَنْ بَغْدَادَ، **وَاسْتَجَاشَ بِأَلْفٍ مِنَ الْقَرَامِطَةِ**، وَجَاءَ فَدَخَلَ بِهِمْ بَغْدَادَ فَأَكْثَرَ فِيهَا الْفَسَادَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِدَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُصَالَحَةَ وَالْعَفْوَ عَمَّا جَنَى، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبَا الْحُسَيْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، وَتَرَحَّلَ ابْنُ رَائِقٍ عَنْ بَغْدَادَ وَدَخَلَهَا الْخَلِيفَةُ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ.

○ فتنة عظيمة بالأندلس

فِي سنة (٣٢٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ **بِالْأَنْدَلُسِ**، وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيَّ، صَاحِبَ الْأَنْدَلُسِ، الْمُلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، قَتَلَ وَزِيرَهُ أَحْمَدَ، فَغَضِبَ لَهُ أَخُوهُ أُمَيَّةُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَكَانَ نَائِبًا عَلَى **مَدِينَةِ شَنْتَرِينَ**،(١) فَارْتَدَّ وَدَخَلَ بِلَادِ النَّصَارَى، وَاجْتَمَعَ بِمَلِكِهِمْ **رُدْمِيرَ**، وَدَلَّهُ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فِي الْجَلَالِقَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأُمَوِيُّ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وَقَتَلَ مِنَ الْجَلَالِقَةِ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ كَرَّ الْفِرِنْجُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا قَرِيبًا مِمَّنْ قُتِلُوا مِنْهُمْ، ثُمَّ وَالَى الْمُسْلِمُونَ الْغَارَاتِ عَلَى بِلَادِ الْجَلَالِقَةِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أُمَمًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

ثُمَّ نَدِمَ **أُمَيَّةُ** بْنُ إِسْحَاقَ عَلَى مَا صَنَعَ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قبله ووفى له.

---

(١) مدينة متصلة بأعمال باجة، في غربي الأندلس، وغرب قرطبة. معجم البلدان٣/ ٣٢٧.

○ زواج بجكم أمير الأمراء

فِي سنة (٣٢٨هـ) تَزَوَّجَ بَجْكَمُ بِسَارَةَ بِنْتِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْبَرِيدِيِّ، وَهُوَ الْوَزِيرُ يَوْمَئِذٍ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ صُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ بِسُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ، وَضَمِنَ(١) الْبَرِيدِيُّ بِلَادَ وَاسِطٍ وَأَعْمَالَهَا بِسِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

○ مكيدة البريدي لبجكم

في سنة (٣٢٨هـ) خَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْبَرِيدِيُّ** إِلَى وَاسِطٍ، فكَتَبَ إِلَى **بَجْكَمَ** يَحُثُّهُ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى بِلَادِ **الْجَبَلِ**؛ لِيَفْتَحَهَا وَيُسَاعِدُهُ هُوَ عَلَى أَخْذِ **الْأَهْوَازِ** مِنْ يَدِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ مَقْصُودُهُ أَنْ يَسْتَغْيِبَهُ عَنْ بَغْدَادَ لِيَأْخُذَهَا.

فَلَمَّا انْفَصَلَ بَجْكَمُ بِالْجُنُودِ بَلَغَهُ مَا يُؤَمِّلُهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ مِنَ **الْمَكِيدَةِ**، فَرَجَعَ سَرِيعًا إِلَى بَغْدَادَ وَرَكِبَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ الطُّرُقَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ لِئَلَّا يَشْعُرَ بِهِ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى **حَافَّةِ السَّفِينَةِ**.

وَحِينَ أَحَسَّ الْبَرِيدِيُّ بِقُدُومِ **بَجْكَمَ** هَرَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَاسْتَوْلَى بَجْكَمُ عَلَى بِلَادِ وَاسِطٍ.

○ استيلاء ابن رايق على بلاد الشام

في سنة (٣٢٨هـ) اسْتَوْلَى مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَخَلَ حِمْصَ أَوَّلًا فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ إِلَى دِمَشْقَ وَعَلَيْهَا بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْإِخْشِيدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِبُدَيْرٍ، مِنْ جِهَةِ الْإِخْشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ، فَأَخْرَجَهُ ابْنُ رَائِقٍ مِنْهَا قَهْرًا، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا.

ثُمَّ رَكِبَ فِي جَيْشٍ إِلَى الرَّمْلَةِ فَأَخَذَهَا، ثُمَّ قَصَدَ عَرِيشَ مِصْرَ؛ لِيَدْخُلَهَا، فَلَقِيَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ، فَاقْتَتَلَا هُنَاكَ، فَهَزَمَهُ ابْنُ رَائِقٍ وَاشْتَغَلَ أَصْحَابُهُ بِالنَّهْبِ، وَنَزَلُوا فِي خِيَامِ الْمِصْرِيِّينَ، فَكَرَّ عَلَيْهِمُ الْمِصْرِيُّونَ، فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا عَظِيمًا، وَهَرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي أَسْوَأِ حَالَةٍ وَشَرِّهَا.

---

(١) كان كبار الأمراء والوزراء والمتنفذين يأخذون من الخليفة الولاية على بلد مقابل ضمان مبلغ من المال يدفع للخلافة، وتطلق أيديهم في جباية الأموال من تلك الولاية.

وَسَيَّرَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ أَخَاهُ نَصْرَ بْنَ طُغْجٍ فِي جَيْشٍ، فَاقْتَتَلُوا فِي رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ، فَهُزِمَ الْمِصْرِيُّونَ وَقُتِلَ أَخُو الْإِخْشِيدِ فِيمَنْ قُتِلَ، فَغَسَّلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ وَكَفَّنَهُ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى أَخِيهِ بِمِصْرَ.

وَاصْطَلَحَا عَلَى أَنْ تَكُونَ الرَّمْلَةُ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ لِلْإِخْشِيدِ، وَيَحْمِلَ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَا بَعْدَ الرَّمْلَةِ يَكُونُ لِمُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ.

○ حوادث وظواهر

⊙ فِي سنة (٣٢٣هـ) أُحْضِرَ ابْنُ شَنَبُوذَ الْمُقْرِئُ، فَأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ عَلَيْهِ حُرُوفًا انْفَرَدَ بِهَا، فَاعْتَرَفَ بِبَعْضِهَا، وَأَنْكَرَ بَعْضَهَا، فَاسْتُتِيبَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتُكْتِبَ بِخَطِّهِ بِالرُّجُوعِ عَمَّا نُقِمَ عَلَيْهِ، وَضُرِبَ سَبْعَ دُرَرٍ بِإِشَارَةِ الْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، وَنُفِيَ إِلَى الْبَصْرَةِ أَوْ غَيْرِهَا، فَدَعَا عَلَى الْوَزِيرِ أَنْ تُقْطَعَ يَدُهُ وَيُشَتَّتَ شَمْلُهُ، فَكَانَ ذَلِكَ عَمَّا قَرِيبٍ.

⊙ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سنة (٣٢٣هـ) نَادَى بَدْرٌ الْخَرْشَنِيُّ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ فِي الْجَانِبَيْنِ مِنْ بَغْدَادَ أَنْ لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيِّ الْوَاعِظِ الْحَنْبَلِيِّ، وَحَبَسَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَاسْتَتَرَ الْبَرْبَهَارِيُّ، فَلَمْ يَظْهَرْ مُدَّةً.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ»: وَفِي شَهْرِ أَيَّارَ تَكَاثَفَتِ الْغُيُومُ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ جِدًّا، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْهُ وَهُوَ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٢٣هـ) هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ جِدًّا، وَأَظْلَمَتْ وَاسْوَدَّتْ إِلَى بَعْدِ الْعَصْرِ، ثُمَّ خَفَّتْ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى بَعْدِ عَشَاءِ الْآخِرَةِ.

⊙ وفي سنة (٣٢٣هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ فِي طَرِيقِ الْبَزَّازِينَ، فَاحْتَرَقَ بِسَبَبِهِ لِلنَّاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَعَوَّضَ عَلَيْهِمُ الرَّاضِي بِاللهِ بَعْضَ مَا كَانَ ذَهَبَ لَهُمْ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي سنة (٣٢٣هـ) تَسَاقَطَتْ كَوَاكِبُ كَثِيرَةٌ بِبَغْدَادَ وَالْكُوفَةِ عَلَى صِفَةٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا وَلَا مَا يُقَارِبُهَا.

⊙ قَالَ: وَغَلَا السِّعْرُ ببغداد فِي هَذِهِ السَّنَةِ، حَتَّى بِيعَ الْكُرُّ مِنَ الْحِنْطَةِ بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَارًا.

⊙ وَفِيهَا كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ **بِخُرَاسَانَ**، وَفِنَاءٌ كَثِيرٌ، بِحَيْثُ كَانَ يَهُمُّهُمْ أَمْرُ دَفْنِ الْمَوْتَى.

⊙ فِي سنة (٣٢٤هـ) وَقَعَ بِبَغْدَادَ غَلَاءٌ عَظِيمٌ وَفَنَاءٌ كَثِيرٌ، بِحَيْثُ عُدِمَ الْخُبْزُ مِنْهَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَمَاتَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ كَانَ فِي الضُّعَفَاءِ، وَكَانَ الْمَوْتَى يُلْقَوْنَ فِي الطُّرُقَاتِ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ. وَمَاتَ مِنْ أَصْبَهَانَ نَحْوُ مِائَتَيْ أَلْفِ إِنْسَانٍ.

⊙ وَوَقَعَ فِيهَا حَرِيقٌ بِعُمَانَ احْتَرَقَ فِيهِ مِنَ السُّودَانِ أَلْفٌ، وَمِنَ الْبِيضَانِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا احْتَرَقَ فِيهِ أَرْبَعُمِائَةِ حِمْلِ كَافُورٍ.

⊙ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣٢٧هـ) نَزَلَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مَطَرٌ عَظِيمٌ، وَبَرَدٌ كِبَارٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ نَحْوُ الْأُوقِيَّتَيْنِ، وَاسْتَمَرَّ فَسَقَطَ بِسَبَبِهِ دُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْ بَغْدَادَ.

وَظَهَرَ جَرَادٌ كَثِيرٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُنْتَظَمِهِ»[1]: فِي غُرَّةِ الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٢٨هـ) ظَهَرَتْ فِي الْجَوِّ حُمْرَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَالْمَغْرِبِ، وَفِيهَا أَعْمِدَةٌ بِيضٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةُ الْعَدَدِ.

⊙ وَفِي شَعْبَانَ سنة (٣٢٨هـ) زَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً عَظِيمَةً، وَانْتَشَرَتْ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَسَقَطَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ، وَانْبَثَقَ بَثْقٌ مِنْ نَوَاحِي الْأَنْبَارِ فَغَرَّقَ قُرًى كَثِيرَةً، وَهَلَكَ بِسَبَبِهِ حَيَوَانَاتٌ وَسِبَاعٌ كَثِيرَةٌ فِي الْبَرِّيَّةِ.

❁ ❁ ❁

(١) ١٣/ ٣٨٢.

ولاية الحج

- حج بالناس سنة (٣٢٢هـ) قاضي مكة، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي
- وَخَرَجَ الْحُجَّاجُ فِي خُفَارَةِ الْأَمِيرِ لُؤْلُؤٍ سنة (٣٢٣هـ)، فَاعْتَرَضَهُمْ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ، فيما بين القادسية والكوفة، فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَرَجَعَ مَنِ انْهَزَمَ مِنْهُمْ إِلَى بَغْدَادَ.

وَبَطَلَ الْحَجُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ، وَكَانَ قَتْلُهُ لَهُمْ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ.

وحج بالناس في هذه السنة قاضي مكة، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي.

- وحج بالناس في سنة (٣٢٤هـ)، وسنة (٣٢٥هـ)، قاضي مكة، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي. ولم يحج من ناحية العراق أحد. وفي سنة (٣٢٥هـ) أمر الراضي بعمارة العلمين الكبيرين من أعلام الحرم بالتنعيم.
- وحج بالناس في سنة (٣٢٦هـ)، قاضي مكة، **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيد الله بن العباس العباسي. وخرج من بغداد نفر يسير من الحجاج رجالة، فحجوا وعادوا من طريق الشام.
- وحج بالناس في سنة (٣٢٧هـ)، عمر بن يحيي العلوي. وكان مع الركب القاضي أبو علي بن أبي هريرة الشافعي.

فلما طولب بالخفارة لوى رأس راحلته ورجع، وقال لم ارجع شحاً على الدراهم، ولكن سقط الحج بهذا المكس.

مشاهير من توفي في عهده

١-**نِفْطَوَيْهِ النَّحْوِيُّ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ ابن الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ الْأَزْدِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِنِفْطَوَيْهِ، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي النحو، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الثِّقَاتُ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ صَدُوقًا، وَلَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ.

تُوُفِّيَ نِفْطَوَيْهِ فِي صَفَرٍ مِنْ في سنة (٣٢٣هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْبَرْبَهَارِيُّ رَئِيسُ الْحَنَابِلَةِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الْكُوفَةِ.

٢-**ابْنُ مُجَاهِدٍ الْمُقْرِئُ** أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْعَبَّاسِ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ. حَدَّثَ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ، وَرَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا، سَكَنَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ مَنْ بَغْدَادَ وَكَانَ ثَعْلَبٌ يَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي عَصْرِنَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنْهُ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣٢٤هـ).

٣-**أَبُو بَكْرِ بْنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ** عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادِ بْنِ وَاصِلِ بْنِ مَيْمُونٍ أَبُو بَكْرٍ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، مَوْلَى أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ وَعَبَّاسٍ الدُّورِيِّ، وَخَلْقٍ، وَعَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحُفَّاظِ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: لَمْ نَرَ فِي مَشَايِخِنَا أَحْفَظَ مِنْهُ لِلْأَسَانِيدِ وَالْمُتُونِ، وَكَانَ أَفْقَهَ الْمَشَايِخِ، جَالَسَ الْمُزَنِيَّ وَالرَّبِيعَ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ بَطَّةَ: كُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَ ابْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ يُحْزَرُ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَحَابِرِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا.

تُوُفِّيَ سنة (٣٢٤هـ) عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٤-**أَبُو حَامِدِ بْنُ الشَّرْقِيِّ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، أَبُو حَامِدِ بْنُ الشَّرْقِيِّ، مُوَلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ حَافِظًا، كَبِيرَ الْقَدْرِ، كَثِيرَ الْحِفْظِ، كَثِيرَ الْحَجِّ، رَحَلَ إِلَى الْأَمْصَارِ، وَجَابَ الْأَقْطَارَ، وَسَمِعَ مِنَ الْكِبَارِ. نَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ خُزَيْمَةَ يَوْمًا فَقَالَ: حَيَاةُ أَبِي حَامِدٍ تَحْجُزُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وتوفي سنة (٣٢٥هـ).

٥-**أَحْمَدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْدَلُسِيُّ** كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ فِقْهَ مَالِكٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ**، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ بِهَا فَلَمْ يَقْبَلْ، توفي سنة (٣٢٦هـ).

٦-**عُثْمَانُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ عَبْدِ اللهِ**، أَبُو عَمْرٍو الْبَلَوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْأَشَجُّ، قَدِمَ هَذَا الرَّجُلُ بَغْدَادَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ أَوَّلَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَأَنَّهُ وَفَدَ هُوَ وَأَبُوهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَصَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَمَاتَ أَبُوهُ، وَقَدِمَ هُوَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَبِّلَ رُكْبَتَهُ، فَصَدَمَهُ الرِّكَابُ، فَشَجَّ رَأْسَهُ، فَكَانَ يُعْرَفُ بِالْأَشَجِّ.

وَصَدَّقَهُ فِي هَذَا الزَّعْمِ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَرَوَوْا عَنْهُ نُسْخَةً فِيهَا أَحَادِيثُ مِنْ رِوَايَتِهِ عَنْ عَلِيٍّ؛ مِمَّنْ صَدَّقَهُ فِي ذَلِكَ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ **الْمُفِيدِ**، وَرَوَاهَا عَنْهُ، وَلَكِنْ كَانَ الْمُفِيدُ **مُتَّهَمًا بِالتَّشَيُّعِ**، فَسُمِحَ لَهُ فِي ذَلِكَ لِانْتِسَابِهِ إِلَى عَلِيٍّ.

وَأَمَّا جُمْهُورُ الْمُحَدِّثِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فَكَذَّبُوهُ فِي ذَلِكَ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ كَذِبَهُ، وَنَصُّوا عَلَى أَنَّ النُّسْخَةَ الَّتِي رَوَاهَا مَوْضُوعَةٌ، مِنْهُمُ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السِّلَفِيُّ، وَأَشْيَاخُنَا الَّذِينَ أَدْرَكْنَاهُمْ؛ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَالْجَهْبَذُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ، وَالْحَافِظُ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ، وَقَدْ حَرَّرْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِي " التَّكْمِيلِ ". وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، توفي سَنَةَ (٣٢٧هـ)، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى بَلَدِهِ.

٧-**الْحَافِظُ الْكَبِيرِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ **أَبو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ**، صَاحِبُ كِتَابِ " الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ " وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَلَهُ

التَّفْسِيرُ الْحَافِلُ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى النَّقْلِ الْكَامِلِ، الَّذِي يُرْبِي فِيهِ عَلَى تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

وَلَهُ كِتَابُ "الْعِلَلِ" الْمُصَنَّفَةِ الْمُرَتَّبَةِ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ النَّافِعَةِ، وَكَانَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْحِفْظِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ صَلَّى مَرَّةً، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ: لَقَدْ أَطَلْتَ عَلَيْنَا، وَقَدْ سَبَّحْتُ فِي سُجُودِي سَبْعِينَ مَرَّةً، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَكِنِّي وَاللهِ مَا سَبَّحْتُ إِلَّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وكانت وفاته سَنَةَ (٣٢٧هـ)

٨-أَحْمَدُ **بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ** بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُدَيْرِ بْنِ سَالِمٍ، أَبُو عُمَرَ الْقُرْطُبِيُّ، **صَاحِبُ كِتَابِ "الْعِقْدِ الْفَرِيدِ"** مَوْلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيِّ، كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْمُكْثِرِينَ، وَالْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَكِتَابُهُ "**الْعِقْدُ**" يَدُلُّ عَلَى فَضَائِلَ جَمَّةٍ، وَعُلُومٍ كَثِيرَةٍ مُهِمَّةٍ، وَلَكِنَّهُ فيه **تَشَيُّعٍ، وَمَيْلٍ إِلَى الْحَطِّ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَهَذَا عَجِيبٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ مَوَالِيهِمْ**، وَكَانَ الْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُوَالِيهِمْ لَا مِمَّنْ يُعَادِيهِمْ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ بِقُرْطُبَةَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَامِنَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣٢٨هـ).

٩-**عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، **أَبُو الْحُسَيْنِ الْأَزْدِيُّ**. الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْقَاضِي ابْنُ الْقَاضِي، نَابَ عَنْ أَبِيهِ وَعُمْرُهُ عِشْرُونَ سَنَةً، وَكَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالشِّعْرِ. وَصَنَّفَ مُسْنَدًا، وَرُزِقَ قُوَّةَ الْفَهْمِ وَجَوْدَةَ الْقَرِيحَةِ، وَشَرَفَ الْأَخْلَاقِ، وَلَهُ الشِّعْرُ الرَّائِقُ الْحَسَنُ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ فِي الْقَضَاءِ، عَدْلًا ثِقَةً إِمَامًا.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ لِيَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٣٢٨هـ).

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو نَصْرٍ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْقَضَاءَ.

١٠-**أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ** مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بَيَانِ بْنِ سَمَاعَةَ بْنِ فَرْوَةَ بْنِ قَطَنِ بْنِ دِعَامَةَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ "الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاءِ" وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ.

وَكَانَ مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ فِي اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. سَمِعَ الْكَدِيمِيَّ وَإِسْمَاعِيلَ الْقَاضِي وَثَعْلَبًا وَغَيْرَهُمْ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا أَدِيبًا، دَيِّنًا فَاضِلًا، مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَأَكْثَرِهِمْ حِفْظًا لَهُ، وَكَانَتْ لَهُ مِنَ الْمَحَافِيظِ مُجَلَّدَاتٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةٌ أَحْمَالُ أَجْمَالٍ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ مِائَةً وَعِشْرِينَ تَفْسِيرًا. وَحَفِظَ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا فِي لَيْلَةٍ، وَكَانَ يَحْفَظُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ عَشَرَةَ آلَافِ وَرَقَةٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ عِيدِ النَّحْرِ في سنة (٣٢٨هـ).

١١-**أُمُّ عِيسَى بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ**، كَانَتْ عَالِمَةً فَاضِلَةً، تُفْتِي فِي الْفِقْهِ. تُوُفِّيَتْ فِي رَجَبٍ سنة (٣٢٨هـ)، وَدُفِنَتْ إِلَى جَانِبِ أَبِيهَا، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

❁ ❁ ❁

(٢١)

خلافة إبراهيم المتقي بن المقتدر بالله

٣٢٩ ـ ٣٣٣

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

إِبْرَاهِيـمُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُقْتَدِرُ بالله بْــنِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُوَفَّقِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِـيدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ.

○ صفاته ومناقبه

كَانَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ حَسَـنَ الْوَجْهِ، مُعْتَدِلَ الْخلْقِ، قَصِيرَ الْأَنْفِ، أَبْيَضَ مُشْـرَبًا حُمْرَةً، وَفِي شِـعْرِهِ شُقْرَةٌ وَجُعُودَةٌ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، أَشْـهَلُ الْعَيْنَيْنِ، أَبِيُّ النَّفْسِ، لَمْ يَشْرَبِ النَّبِيذَ قَطُّ، فَالْتَقَى فِيهِ الِاسْمُ وَالْفِعْلُ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

لَمْ يُغَيِّرْ عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا غَدَرَ بِأَحَدٍ، حَتَّى وَلَا عَلَى سُرِّيَّتِهِ لَمْ يُغَيِّرْهَا، وَلَمْ يَتَسَرَّ عَلَيْهَا. وَكَانَ كَمَا سُمِّيَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ؛ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَام وَالتَّعَبُّدِ.

وَقَالَ: لَا أُرِيدُ أَحَدًا مِنَ الْجُلَسَـاءِ، حَسْـبِيَ الْمُصْحَفُ نَدِيمِي، لَا أُرِيدُ نَدِيمًا غَيْرَهُ، فَقَعَدَ عَنْهُ الْجُلَسَاءُ وَالنُّدَمَاءُ وَالْتَفُّوا عَلَى **بَجْكَمَ**، وَكَانَ يُجَالِسُهُمْ فَيُحَادِثُونَهُ وَيَتَنَاشَدُونَ عِنْدَهُ الْأَشْعَارَ، فَكَانَ لَا يَفْهَمُ كَثِيرَ شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُونَ؛ لِعُجْمَتِهِ.

○ وفاته

في سـنة (٣٣٣هـ) سـملت عينـاه وخُلِعَ عَـنْ الخلافة وَلَـزِمَ بَيْتَهُ، حتى مَاتَ سـنة (٣٥٧هـ) وَدُفِنَ بِدَارِهِ عَنْ سِتِّينَ سَنَةً.

وكَانَتْ خِلَافَةُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

❁ ❁ ❁

خلافته

❍ بيعته

لَمَّا مَاتَ أَخُوهُ الرَّاضِي سنة (٣٢٩هـ) اجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ بِدَارِ بَجْكَمَ، وَاشْتَوَرُوا فِيمَنْ يُوَلُّونَ عَلَيْهِمْ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَحْضَرُوهُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، وَأَرَادُوا بَيْعَتَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ صَلَاةَ الِاسْتِخَارَةِ، وَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى الْكُرْسِيِّ بَعْدُ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّرِيرِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمُتَّقِي فِي الْخِلَافَةِ أَنْفَذَ الرُّسُلَ وَالْخِلَعَ إِلَى بَجْكَمَ وَهُوَ بِوَاسِطٍ، وَنَفَذَتِ الْمُكَاتَبَاتُ إِلَى الْآفَاقِ بِوِلَايَةِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

مقتل بجكم أمير الأمراء

بعد مبايعة المتقي بالخلافة سنة (٣٢٩هـ) تَحَارَبَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ وبَجْكَمُ بِنَاحِيَةِ الْأَهْوَازِ، فَقُتِلَ بَجْكَمُ فِي الْحَرْبِ، وَاسْتَظْهَرَ الْبَرِيدِيُّ عَلَيْهِ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ، فَاحْتَاطَ الْخَلِيفَةُ عَلَى حَوَاصِلِ بَجْكَمَ، فَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِهِ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ. وَكَانَتْ أَيَّامُ بَجْكَمَ عَلَى بَغْدَادَ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ

طمع البريدي في إمرة الأمراء

كان الْبَرِيدِيَّ قد حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بحكم بَغْدَادَ، فلما علم الخليفة أَنْفَقَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً فِي الْجُنْدِ لِيَمْنَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَكِبَ بِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ لِيَمْنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، فتمكن الْبَرِيدِيُّ من دخول بَغْدَادَ فِي ثَانِي رَمَضَانَ سنة (٣٢٩هـ).

فَلَمَّا تَحَقَّقَ الْمُتَّقِي ذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِ يُهَنِّئُهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْأَطْعِمَةِ، وَخُوطِبَ بِالْوَزِيرِ، وَلَمْ يُخَاطَبْ **بِإِمْرَةِ الْأُمَرَاءِ**، فَأَرْسَلَ الْبَرِيدِيُّ يَطْلُبُ مِنَ الْخَلِيفَةِ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَامْتَنَعَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ.

فَبَعَثَ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيُذَكِّرُهُ مَا حَلَّ بِالْمُعْتَزِّ وَالْمُسْتَعِينِ وَالْمُهْتَدِي، وَاخْتَلَفَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ كَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِذَلِكَ قَهْرًا، وَلَمْ يَتَّفِقِ اجْتِمَاعُ الْخَلِيفَةِ وَالْبَرِيدِيِّ بِبَغْدَادَ حَتَّى خَرَجَ الْبَرِيدِيُّ مِنْهَا منهزمًا إِلَى وَاسِطٍ أمام كُورْتَكِين.

تولية كورتكين إمرة الأمراء

لما اسْتَوْلَى **كُورْتَكِينُ الديلمي** عَلَى الْأُمُورِ بِبَغْدَادَ سنة (٣٢٩هـ)، دَخَلَ إِلَى الْمُتَّقِي، فَقَلَّدَهُ **إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ**، وَخَلَعَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَبَضَ كُورْتَكِينُ عَلَى رَئِيسِ الْأَتْرَاكِ **تَكِينَك** غُلَامِ بَجْكَمَ وَغَرَّقَهُ.

ثُمَّ تَظَلَّمَتِ الْعَامَّةُ مِنَ **الدَّيْلَمِ**؛ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ دُورَهُمْ، فَشَكَوَا ذَلِكَ إِلَى كُورْتَكِينَ، فَلَمْ يُشْكِهِمْ، فَمَنَعَتِ الْعَامَّةُ الْخُطَبَاءَ أَنْ يُصَلُّوا فِي الْجَوَامِعِ، وَاقْتَتَلَ **الدَّيْلَمُ وَالْعَامَّةُ**، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ كَتَبَ إِلَى **مُحَمَّدِ بْنِ رَائِقٍ** صَاحِبِ الشَّامِ، يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْبَرِيدِيِّ، فَرَكِبَ إِلَى بَغْدَادَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَمَعَهُ جَيْشٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ الْبَجْكَمِيَّةِ **خَلْقٌ كَثِيرٌ**

فَلَمَّا اقْتَرَبَ ابْنُ رَائِقٍ مِنْ بَغْدَادَ **خَرَجَ كُورْتَكِينُ** فِي جَيْشِهِ لِيُقَاتِلَهُ، **فَدَخَلَ ابْنُ رَائِقٍ** بَغْدَادَ مِنْ غَرْبِيِّهَا، وَرَجَعَ كُورْتَكِينُ بِجَيْشِهِ مِنْ شَرْقِيِّهَا، ثُمَّ تَصَافُّوا بِبَغْدَادَ لِلْقِتَالِ، **فَسَاعَدَتِ الْعَامَّةُ ابْنَ رَائِقٍ عَلَى كُورْتَكِينَ**، فَانْهَزَمَ الدَّيْلَمُ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَهَرَبَ كُورْتَكِينُ فَاخْتَفَى.

○ تولية ابن رائق إمرة الأمراء

لما اسْتَقَرَّ أَمْرُ ابْنِ رَائِقٍ عَلَى بَغْدَادَ سنة (٣٢٩هـ) خَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ، وَرَكِبَ هُوَ وَإِيَّاهُ فِي دِجْلَةَ، وَظَفِرَ ابْنُ رَائِقٍ بِكُورْتَكِينَ، فَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ الَّذِي فِي دَارِ الْخِلَافَةِ.

○ إقامة صلاة الجمعة بمسجد براثا

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[(١)] وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٣٢٩هـ) حَضَرَ النَّاسُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ بَرَاثَا، وَقَدْ كَانَ الْمُقْتَدِرُ أَحْرَقَ هَذَا الْمَسْجِدَ؛ **لِأَنَّهُ كُبِسَ فَوُجِدَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشِّيعَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ لِلسَّبِّ وَالشَّتْمِ**، فَلَمْ يَزَلْ خَرَابًا حَتَّى عَمَّرَهُ بَجْكَمُ فِي أَيَّامِ الرَّاضِي، ثُمَّ أَمَرَ الْمُتَّقِي بِوَضْعِ مِنْبَرٍ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ اسْمُ الرَّشِيدِ، وَصَلَّى النَّاسُ فِيهِ هَذِهِ الْجُمُعَةَ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ تُقَامُ فِيهِ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٤-٥.

○ الاختلاف بين ابن رايق والبريدي

ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكامل [١] أَنَّ أَمِيرُ الْأُمَرَاءِ مُحَمَّدَ بْنَ رَائِقٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَرِيدِيِّ **أمير واسط** وَحْشَةٌ سنة (٣٣٠هـ)، بِسَبَبِ مَنْعِ الْبَرِيدِيِّ الْخَرَاجَ الَّذِي عِنْدَهُ، فَرَكَّبَ إِلَيْهِ ابْنُ رَائِقٍ لِيَتَسَلَّمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ، فَوَقَعَتْ مُصَالَحَةٌ.

وَرَجَعَ **ابْنُ رَائِقٍ** فَطَالَبَهُ الْجُنْدُ بِأَرْزَاقِهِمْ، وَضَاقَ عَلَيْهِ حَالُهُ، وَتَحَيَّزَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ إِلَى الْبَرِيدِيِّ، فَضَعُفَ جَانِبُ ابْنِ رَائِقٍ، وَعَزَمَ البريدي عَلَى أَخْذِ بَغْدَادَ.

فَبَعَثَ أَخَاهُ أَبَا الْحُسَيْنِ فِي جَيْشٍ، فَتَحَصَّنَ ابْنُ رَائِقٍ مَعَ الْخَلِيفَةِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ، **وَنَصَبَ فِيهَا الْمَجَانِيقَ وَالْعَرَّادَاتِ**، وَعَلَى دِجْلَةَ أَيْضًا، فَاضْطَرَبَتْ بَغْدَادُ، وَنَهَبَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَيْلًا وَنَهَارًا.

وَجَاءَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَخُو أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيِّ بِمَنْ مَعَهُ، فَقَاتَلَهُمُ النَّاسُ فِي الْبَرِّ وَفِي دِجْلَةَ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ، وَاشْتَدَّ الْخَطْبُ جِدًّا، مَعَ الْغَلَاءِ وَالْوَبَاءِ وَالْفَنَاءِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ وَابْنَ رَائِقٍ انْهَزَمَا، فَقَصَدُوا نَحْوَ الْمَوْصِلِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٣٠هـ) - وَمَعَ الْخَلِيفَةِ ابْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ - فِي عِشْرِينَ فَارِسًا.

وَاسْتَحْوَذَ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، فَقَتَلَ أَصْحَابُ الْبَرِيدِيِّ مَنْ وَجَدُوا بِدَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْحَاشِيَةِ، وَنَهَبُوهَا حَتَّى وَصَلَ النَّهْبُ إِلَى الْحَرِيمِ، وَأَخْرَجُوا كُورْتَكِينَ مِنَ الْحَبْسِ، فَبَعَثَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ إِلَى أَخِيهِ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

وَنَهَبُوا بَغْدَادَ جِهَارًا عَلَانِيَةً، وَنَزَلَ أَبُو الْحُسَيْنِ بِدَارِ مُؤْنِسٍ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا ابْنُ رَائِقٍ وَكَانُوا يَكْبِسُونَ الدُّورَ وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ، فَكَثُرَ الْجَوْرُ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ جِدًّا، وَضَرَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ **الْمَكْسَ** عَلَى الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، وَذَاقَ أَهْلُ بَغْدَادَ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.

(١) ٨/ ٣٧٩-٣٨٠

وَكَانَ مَعَ أَبِي الْحُسَيْنِ فِي الْجَيْشِ **طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ**، فَأَفْسَدُوا فِي الْبَلَدِ فَسَادًا عَظِيمًا، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَتْرَاكِ حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ شَدِيدَةٌ، **فَغَلَبَتْهُمُ التُّرْكُ**، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بَغْدَادَ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالدَّيْلَمِ أَيْضًا.

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣٣٠هـ) اشْتَدَّ الْحَالُ أَيْضًا، وَنُهِبَتِ الْمَسَاكِنُ، وَكُبِسَ أَهْلُهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَخَرَجَتِ الْجُنْدُ مِنْ أَصْحَابِ الْبَرِيدِيِّ، فَنَهَبُوا الْغَلَّاتِ مِنَ الْقُرَى وَالْحَيَوَانَاتِ، وَجَرَى ظُلْمٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: [(١)] وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا؛ لِيَعْلَمَ الظَّلَمَةُ أَنَّ أَخْبَارَهُمْ تُنْقَلُ، وَتَبْقَى بَعْدَهُمْ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ، فَرُبَّمَا تَرَكُوا الظُّلْمَ لِهَذَا إِنْ لَمْ يَتْرُكُوهُ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

○ مقتل ابن رايق

وَقَدْ كَانَ الْخَلِيفَةُ أَرْسَلَ وَهُوَ بِبَغْدَادَ سنة (٣٣٠هـ) إِلَى **نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ** نَائِبِ الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ، يَسْتَمِدُّهُ عَلَى الْبَرِيدِيِّ، فَأَرْسَلَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ **سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلِيًّا** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَلَمَّا كَانَ بِتَكْرِيتَ إِذَا الْخَلِيفَةُ وَابْنُ رَائِقٍ قَدْ هَرَبَا، فَرَجَعَ مَعَهُمَا إِلَى أَخِيهِ.

وَقَدَّمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لِلْخَلِيفَةِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ خِدْمَةً عَظِيمَةً فِي مَسِيرِهِ هَذَا، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْمَوْصِلِ خَرَجَ عَنْهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ، فَنَزَلَ شَرْقِيَّهَا، وَأَرْسَلَ التُّحَفَ وَالضِّيَافَاتِ، **وَلَمْ يَجِئْ خَوْفًا مِنَ الْغَائِلَةِ مِنْ جِهَةِ ابْنِ رَائِقٍ**، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ وَلَدَهُ أَبَا مَنْصُورٍ وَمَعَهُ ابْنُ رَائِقٍ لِلسَّلَامِ عَلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، فَأَمَرَ أَنْ يُنْثَرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عَلَى رَأْسِ وَلَدِ الْخَلِيفَةِ، وَجَلَسَا عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَا لِيَرْجِعَا، فَرَكِبَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ، وَأَرَادَ **ابْنُ رَائِقٍ** أَنْ يَرْكَبَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ: اجْلِسِ الْيَوْمَ عِنْدِي حَتَّى نُفَكِّرَ فِيمَا نَصْنَعُ فِي أَمْرِنَا هَذَا. فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَاسْتَرَابَ الْأَمْرَ، فَقَبَضَ ابْنُ حَمْدَانَ بِكُمِّهِ، فَجَبَذَهُ ابْنُ رَائِقٍ مِنْهُ، فَانْقَطَعَ كُمُّهُ، وَرَكِبَ سَرِيعًا، فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ، **فَأَمَرَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ**، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٣٣٠هـ).

(١) الكامل ٨/ ٣٨٢. وهذا تعليق جميل من ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ، يوضح أهمية علم التاريخ والاعتبار بحوادثه.

○ تولية ابن حمدان إمرة الأمراء

بعد مقتل ابن رايق أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ابْنِ حَمْدَانَ فَاسْتَحْضَرَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، **وَلَقَّبَهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ**، وَجَعَلَهُ **أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ**، وَخَلَعَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ، وَلَقَّبَهُ **سَيْفَ الدَّوْلَةِ**.

وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَقْتَل ابن رايق إِلَى بَغْدَادَ فَارَقَ أَكْثَرُ الْأَتْرَاكِ أَبَا الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيَّ؛ لِسُوءِ سِيرَتِهِ، وَخُبْثِ سَرِيرَتِهِ، وَقَصَدُوا الْخَلِيفَةَ وَابْنَ حَمْدَانَ فِي الْمَوْصِلِ فَقَوِيَ بِهِمْ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ، وَرَكِبَ هُوَ وَالْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى بَغْدَادَ فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْهَا، هَرَبَ عَنْهَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ، وَدَخَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ بَنُو حَمْدَانَ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سنة (٣٣٠هـ)، فَفَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَتَرَاجَعَ أَعْيَانُ النَّاسِ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَمَا كَانُوا قَدْ رَحَلُوا عَنْهَا فَفَرِحَ النَّاسُ وَاطْمَأَنُّوا.

وَنَظَرَ ابن حمدان فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، وَأَصْلَحَ مِعْيَارَ الدِّينَارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَهُ قَدْ غُيِّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَ دَنَانِيرَ سَمَّاهَا **الْإِبْرِيزِيَّةَ**، فَكَانَتْ تُبَاعُ كُلُّ دِينَارٍ بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا كَانَ يُبَاعُ الَّتِي قَبْلَهَا بِعَشْرَةٍ.

وَوَلَّى **الْخَلِيفَةُ تُوزُونَ شُرْطَةَ جَانِبَيْ بَغْدَادَ**، وَعَزَلَ بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ عَنِ الْحِجَابَةِ، وَوَلَّاهَا سَلَامَةَ الطُّولُونِيَّ، وَجَعَلَ بَدْرًا عَلَى طَرِيقِ الْفُرَاتِ، فَسَارَ إِلَى الْإِخْشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَاسْتَنَابَهُ عَلَى دِمَشْقَ فَمَاتَ بِهَا.

وفي سنة (٣٣١هـ) خَرَجَ ناصر الدولة مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ لمناصرة أخيه سيف الدولة، **فَنُهِبَتْ دَارُهُ ببغداد**، وَكَانَتْ إِمَارَةُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَلَى بَغْدَادَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا.

○ تولية توزون إمرة الأمراء

استطاع **توزون** دخول بَغْدَاد فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ **سنة (٣٣١هـ)**، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ، وَجَعَلَهُ **أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ**، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ بِبَغْدَادَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَ الْبَرِيدِيُّ إِلَى وَاسِطٍ، وَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ تُوزُونَ وَكَانَ فِي أَسْرِ تُوزُونَ غُلَامٌ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ يُقَالُ لَهُ: ثِمَالٌ. فَأَرْسَلَهُ إِلَى مَوْلَاهُ، فَحَسُنَ مُوقِعُ ذَلِكَ عِنْدَ آلِ حَمْدَانَ.

○ هجوم الروم على الشام

فِي سنة (٣٣٠هـ)، وَصَلَتِ **الرُّومُ** إِلَى قَرِيبِ حَلَبَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا، وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفِ إِنْسَانٍ. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وردًّا على ذلك الهجوم دَخَلَ القائد **الثَّمِلِيُّ** مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ وَسَلِمَ، وَأَسَرَ مِنْ بَطَارِقَتِهِمُ الْمَشْهُورِينَ فِيهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ طلب الروم منديل المسيح

فِي سنة (٣٣١هـ)، وَرَدَ كِتَابُ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ فِيهِ: **مِنْدِيلا** بِكَنِيسَةِ الرُّهَا، كَانَ الْمَسِيحُ قَدْ مَسَحَ وَجْهَهُ بِهِ، فَصَارَتْ صُورَةُ وَجْهِهِ فِيهِ، وَيَعِدُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ يَبْعَثُ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ خَلْقًا كَثِيرًا، فَأَحْضَرَ الْخَلِيفَةُ الْعُلَمَاءَ فَاسْتَشَارَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَمِنْ قَائِلٍ: نَحْنُ أَحَقُّ بِعِيسَى مِنْهُمْ، وَفِي بَعْثِهِ إِلَيْهِمْ غَضَاضَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَوَهْنٌ.

فَقَالَ **عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ**: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْقَاذُ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلنَّاسِ مِنْ بَقَاءِ ذَلِكَ الْمِنْدِيلِ بِتِلْكَ الْكَنِيسَةِ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِرْسَالِ ذَلِكَ الْمِنْدِيلِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْلِيصِ الْأَسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ.[1]

○ غزو ملك الروم رأس العين

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةِ (٣٣٢هـ) جَاءَ **الدُّمُسْتُقُ** مَلِكُ الرُّومِ إِلَى **رَأْسِ الْعَيْنِ**[2] فِي ثَمَانِينَ أَلْفًا، فَدَخَلَهَا وَنَهَبَ مَا فِيهَا، وَقَتَلَ أَهْلَهَا وَسَبَى مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَصَدَتْهُ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا عَظِيمًا حَتَّى انْجَلَى عَنْهَا.

---

(١) ما أشار به الوزير هو التصرف المناسب، وكون صورة المسيح انطبعت على المنديل الذي مسح وجهه، لم ترد في معجزات المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودلائل نبوته. وأشك في صحتها.

(٢) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين. معجم البلدان – الفكر (٣/ ١٤).

○ غزو الروس لنواحي أذربيجان

فِي سَنَةِ (٣٣٢هـ) أَقْبَلَتْ **طَائِفَةٌ مِنَ الرُّوسِ** فِي الْبَحْرِ إِلَى **نُوَاحِي أَذْرَبِيجَانَ**، فَقَصَدُوا **بَرْدَعَـةَ** فَحَاصَرُوهَا، فَلَمَّا ظَفِرُوا بِأَهْلِهَا قَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَوْا مَنِ اسْتَحْسَنُوا مِنْ نِسَائِهِمْ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى **مَرَاغَةَ** فَوَجَدُوا بِهَا ثِمَارًا كَثِيرَةً، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَأَصَابَهُمْ وَبَاءٌ شَـدِيدٌ، فَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ، فَكَانَ إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ دَفَنُوا مَعَهُ سِلَاحَهُ وَمَالَهُ، فَيَأْخُذُهُ الْمُسْلِمُونَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِمُ الْمَرْزُبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَقَاتَلَهُمْ، فَقتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا أَيْضًا، مَعَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْوَبَاءِ الشَّدِيدِ، وَطَهَّرَ اللهُ تِلْكَ الْبِلَادَ مِنْهُمْ.

○ التحذير من سب الصحابة

لما كَثُرَ الرَّفْضُ بِبَغْدَادَ سـنة (٣٣١هـ) منع الخليفة سـب الصحابة، فَنُودِيَ بِهَا: مَنْ ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ بِسُوءٍ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ.

○ خروج المتقي لله من بغداد

فِي سَنَةِ (٣٣٢هـ) زَوَّجَ **تُوزُونَ** ابْنَتَهُ مِنْ الْبَرِيدِيِّ صاحب واسط، وَصَارَا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَأَرْسَـلَ توزون **ابْنَ شِـيرَزَادَ** فِي ثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى بَغْدَادَ، فَأَفْسَدَ فِيهَا، وَقطَعَ وَوَصَلَ، وَاسْـتَقَلَّ بِالْأُمُورِ مِـنْ غَيْرِ مُرَاجَعَةِ الْمُتَّقِي لِلَّهِ، **فَغَضِـبَ الْمُتَّقِي**، وَخَرَجَ مِنْهَا مُغَاضِبًـا بِأَهْلِـهِ وَأَوْلَادِهِ، وَوَزِيرِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَعْيَـانِ أَهْلِ بَغْدَادَ قَاصِدًا بَنِي حَمْدَانَ **فِي الموصل**، فَتَلَقَّاهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِتَكْرِيت.

وَحِينَ خَرَجَ الْمُتَّقِي مِنْ بَغْدَادَ أَكْثَرَ ابْنُ شِـيرَزَادَ الْفَسَـادَ، وَظَلَـمَ أَهْلَهَا وَصَادَرَهُمْ، وَأَرْسَـلَ يُعْلِمُ تُوزُونَ بخـروج الخليفة من بغداد، فَأَقْبَلَ مُسْـرِعًا نَحْـوَ تَكْرِيت فَتَوَاقَعَ هُوَ وَسَـيْفُ الدَّوْلَةِ، فَهَزَمَ تُوزُونُ سَـيْفَ الدَّوْلَةِ، وَأَخَذَ مُعَسْـكَرَهُ وَمُعَسْكَرَ أَخِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ كَرَّ إِلَيْهِ سَـيْفُ الدَّوْلَةِ، فَهَزَمَهُ تُوزُونُ أَيْضًـا، وَانْهَزَمَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَوْصِلِ إِلَى نَصِيبِينَ وَجَاءَ تُوزُونُ، فَدَخَلَ الْمَوْصِلَ وَأَرْسَلَ

إِلَـى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ رِضَاهُ، فَأَرْسَـلَ الْخَلِيفَةُ، يَقُولُ: لَا سَـبِيلَ إِلَى ذَلِـكَ إِلَّا أَنْ تُصَالِحَ بَنِـي حَمْدَانَ فَاصْطَلَحُـوا، وَرَجَعَ **تُـوزُونُ** إِلَى **بَغْدَادَ** وَأَقَـامَ الْخَلِيفَةُ عِنْـدَ بَنِي حَمْدَانَ بالموصل.

ثـم ظَهَرَ لَهُ مِنْهُمْ تَضَجُّـرٌ، وَأَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ فِي مُفَارَقَتِهِ، فَكَتَبَ إِلَى تُوزُونَ فِي الصُّلْحِ فَاجْتَمَـعَ تُوزُونُ مَـعَ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ بِبَغْـدَادَ، وَقَرَأُوا كِتَابَ الْخَلِيفَةِ، وَقَابَلَهُ بِالسَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَحَلَفَ لَهُ وَوَضَعَ خَطَّهُ بِالْإِقْرَارِ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ بِالْإِكْرَامِ وَالِاحْتِرَامِ وَالْخُضُوعِ.

وكَانَ **الْمُتَّقِي** وَهُوَ مُقِيمٌ **بِالْمَوْصِلِ** قَدْ أَرْسَلَ إِلَى **الْإِخْشِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْج** صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّـامِيَّةِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَقَدِمَ عَلَيْـهِ فِي الْمُنْتَصَفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٣٣هـ) وَخَضَعَ لِلْخَلِيفَةِ غَايَةَ الْخُضُوعِ، وَكَانَ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا يَقُومُ الْغِلْمَانُ، وَيَمْشِـي وَالْخَلِيفَـةُ رَاكِبٌ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِـيرَ مَعَهُ إِلَى الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ، أَوْ يُقِيمَ بِبِلَادِ الشَّامِ فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ.

فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْمُقَامِ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، **وَلَا يَذْهَبُ** إِلَى تُوزُونَ **بِبَغْدَادَ، وَحَذَّرَهُ مِنْ تُوزُونَ وَمَكْرِهِ** وَخَدِيعَتِهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ، وَكَذَلِكَ أَشَـارَ عَلَيه الْوَزِيرِ **أَبِي حُسَيْنِ بْنِ مُقْلَةَ** فَلَمْ يَسْمَعْ، فركب الْخَلِيفَةُ مِنَ الرَّقَّةِ فِي دِجْلَةَ إِلَى بَغْدَادَ.

وَأَرْسَلَ إِلَى **تُوزُونَ** فَاسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَا كَانَ حَلَفَ لَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ، فَأَكَّدَهَا وَقَرَّرَهَا، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا خَرَجَ إِلَيْهِ تُوزُونُ وَمَعَهُ الْعَسَـاكِرُ، فَلَمَّا رَأَى الْخَلِيفَةَ قَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ قَدْ وَفَّى لَهُ بِمَا كَانَ حَلَفَ عَلَيْهِ، وَأَنْزَلَهُ فِي مَضْرِبِهِ.

ثُـمَّ احْتَـاطَ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِـنَ الْكُبَرَاءِ، وَأَمَرَ بِسَـمْلِ عَيْنَي الْخَلِيفَةِ، **فَسُـمِلَتْ عَيْنَاهُ، فَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً سَـمِعَهَا الْحُرَمُ**، فَضَجَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ، فَأَمَرَ تُوزُونُ بِضَرْبِ الدَّبَادِبِ؛ حَتَّى لَا تُسْمَعَ أَصْوَاتُ الْحُرَمِ

ثُمَّ انْحَدَرَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَغْدَادَ، فَبَايَعَ لِلْمُسْتَكْفِي بِاللهِ.

قتل البريدي لأخيه

فِي سَنَةِ (٣٣٢هـ) قَتَلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَرِيدِيُّ **أَخَاهُ** أَبَا يُوسُفَ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أبا عَبْدَ اللهِ قَلَّ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَكَانَ يَسْتَقْرِضُ مِنْ أَخِيهِ أَبِي يُوسُفَ، فَيُقْرِضُهُ الْقَلِيلَ ثُمَّ يُشَنِّعُ عَلَيْهِ وَيَذُمُّ تَصرُّفَهُ، فَمَالَ الْجُنْدُ إِلَى أَبِي يُوسُفَ، وَأَعْرَضُوا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ، فَخَشِيَ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَنْ يُبَايِعُوهُ وَيَتْرُكُوهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنْ غِلْمَانِهِ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دَارِهِ، وَأَخَذَ جَمِيعَ حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ فَكَانَ قِيمَةُ مَا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ يُقَارِبُ ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، **وَلَمْ يُمَتَّعْ بَعْدَ قتل أخيه إِلَّا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ**، مَرِضَ فِيهَا مَرَضًا شَدِيدًا بِالْحُمَّى الْحَادَّةِ، حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وفاة أبي طاهر القرمطي

فِي رَمَضَانَ سَنَةِ (٣٣٢هـ) كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي طَاهِرٍ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْحَسَنِ الْجَنَّابِيِّ الْهَجَرِيِّ الْقِرْمِطِيِّ رَئِيسِ الْقَرَامِطَةِ، لَعَنَهُ اللهُ، **وَهَذَا هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحَجِيجَ** حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَفِيهَا، وَسَلَبَهَا سُتُورَهَا وَبَابَهَا وَحِلْيَتَهَا، **وَاقْتَلَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ** مِنْ رُكْنِهَا، وَحَمَلَهُ إِلَى بَلَدِهِ هَجَرَ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا عِنْدَهُ مِنْ سَنَةِ (٣١٧هـ) إلى (٣٣٩هـ).

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَاهِرٍ هَذَا قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْقَرَامِطَةِ إِخْوَتُهُ الثَّلَاثَةُ؛ وَهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الْفَضْلُ، وَأَبُو الْقَاسِمِ سَعِيدٌ، وَأَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ، بَنُو أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيِّ، لَعَنَهُمُ اللهُ.

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ ضَعِيفَ الْبَدَنِ، مُقْبِلًا عَلَى قِرَاءَةِ الْكُتُبِ، وَكَانَ أَبُو يَعْقُوبَ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَمَعَ هَذَا كَلِمَةُ الثَّلَاثَةِ وَاحِدَةٌ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُمْ سَبْعَةٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ مُتَّفِقُونَ أَيْضًا، قَبَّحَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، فَاسْتَرَاحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا وَمِن البريدي.

○ ظواهر وكوارث

◉ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[١] وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي لَيْلَةِ سَابِعِهِ سنة (٣٢٩هـ) كَانَتْ لَيْلَةُ بَرْدٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ، فَسَقَطَتِ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ مِنْ قَصْرِ الْمَنْصُورِ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقُبَّةُ تَاجَ بَغْدَادَ وَعَلَمَ الْبَلَدِ، وَمَأْثُرَةً مِنْ مَآثِرِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَظِيمَةً، بُنِيَتْ أَوَّلَ مُلْكِهِمْ، وَكَانَ بَيْنَ بِنَائِهَا وَسُقُوطِهَا مِائَةٌ وَسَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

◉ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَخَرَجَ التَّشْرِينَانِ وَالْكَانُونَانِ مِنْ سنة (٣٢٩هـ) وَلَمْ تُمْطَرْ بَغْدَادُ فِيهَا بِشَيْءٍ سِوَى مَطَرَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَسِلْ مِنْهَا مِيزَابٌ، فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ حَتَّى بِيعَ الْكُرُّ بِمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا

وَوَقَعَ الْفَنَاءُ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَ الْجَمَاعَةُ يُدْفَنُونَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ مِنْ غَيْرِ غُسْلٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَبِيعَ الْعَقَارُ وَالْأَثَاثُ بِأَرْخَصِ الْأَسْعَارِ، وَاشْتُرِيَ بِالدِّرْهَمِ مَا كَانَ يُسَاوِي الدِّينَارَ.

◉ وَقَطَعَتِ الْأَكْرَادُ عَلَى قَافِلَةٍ مَنْ خُرَاسَانَ الطَّرِيقَ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِينَارٍ، وَكَانَ أَكْثَرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْوَالِ بَجْكَمَ التُّرْكِيِّ.

◉ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[٢] فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٣٠هـ) ظَهَرَ كَوْكَبٌ بِذَنَبٍ، رَأْسُهُ إِلَى الْغَرْبِ، وَذَنَبُهُ إِلَى الشَّرْقِ، وَكَانَ عَظِيمًا جِدًّا، وَذَنَبُهُ مُنْتَشِرٌ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى أَنِ اضْمَحَلَّ.

◉ وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٣٣٠هـ) بَلَغَ الْكُرُّ مِنَ الْحِنْطَةِ مِائَتَيْ دِينَارٍ وَعَشَرَةَ دَنَانِيرَ، وَمِنَ الشَّعِيرِ مِائَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا، ثُمَّ بَلَغَ كُرُّ الْحِنْطَةِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ دِينَارًا، وَأَكَلَ الضُّعَفَاءُ الْمَيْتَةَ، وَدَامَ الْغَلَاءُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَشُغِلَ النَّاسُ

(١) المصدر السابق ١٤/ ٥.
(٢) المنتظم ١٤/ ١٩.

بِالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَتُرِكَ دَفْنُ الْمَوْتَى، وَشُغِلَ النَّاسُ عَنِ الْمَلَاهِي وَاللَّعِبِ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ وَبَلَغَتْ زِيَادَةُ **نهر دِجْلَةَ** عِشْرِينَ ذِرَاعًا وَثُلُثًا.

⊙ وَفِي سنة (٣٣١هـ)، كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِبِلَادِ نَسَا سَقَطَ مِنْهَا عِمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَهَلَكَ بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وَكَان بِبَغْدَادَ فِي أَيْلُولَ وَتِشْرِينَ سنة (٣٣١هـ)، حَرٌّ شَدِيدٌ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَفِي آذَارَ مِنْ سنة (٣٣١هـ)، غَلَتِ الْأَسْعَارُ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْكِلَابَ، وَوَقَعَ الْوَبَاءُ فِي النَّاسِ، وَوَافَى مِنَ الْجَرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا، حَتَّى بِيعَ مِنْهُ كُلُّ خَمْسِينَ رِطْلًا بِدِرْهَمٍ، فَارْتَفَقَ النَّاسُ بِهِ فِي الْغَلَاءِ.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ (٣٣٢هـ) غَلَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ جِدًّا، وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ جِدًّا حَتَّى تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ الْهَدْمِ، وَتَعَطَّلَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْحَمَّامَاتِ وَالْمَسَاجِدِ مِنْ قِلَّةِ النَّاسِ، وَنَقَصَتْ قِيمَةُ الْعَقَارِ حَتَّى كَانَ يُبَاعُ بِالدِّرْهَمِ مَا كَانَ يُسَاوِي الدِّينَارَ، وَخَلَتْ أَكْثَرُ الدُّورِ، فَكَانَ الْمُلَّاكُ يُعْطُونَ مَنْ يَسْكُنُهَا أُجْرَةً لِيَحْفَظَهَا عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهَا لِتَخْرِيبِهَا. وَكَثُرَتِ الْكَبَسَاتُ مِنَ اللُّصُوصِ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَتَحَارَسُونَ بِالْبُوقَاتِ وَالطُّبُولِ، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

خَرَجَ النَّاسُ لِلْحَجِّ من بغداد سنة (٣٢٩هـ)، ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، بِسَبَبِ رَجُلٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ قَدْ ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ.

وأقام الحج للناس **قاضي مكة**: عمر بن الحسن بن عبدالعزيز.

وحج بالناس سنة (٣٣٠هـ)، وسنة (٣٣١هـ) قاضي مكة: عمر بن الحسن بن عبدالعزيز.

في سنة (٣٣٢هـ) بطل الحج من العراق لاضطراب البلاد، وأقام الحج للناس **قاضي مكة**: عمر بن الحسن بن عبدالعزيز.

مشاهير من توفي من الأعيان

١- **بَجْكَمُ التُّرْكِيُّ** الَّذِي تَوَلَّى إِمْرَةَ الْأُمَرَاءِ بِبَغْدَادَ، **وَكَانَ عَاقِلًا يَفْهَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ** وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهَا، يَقُولُ: أَخَافُ أَنْ أُخْطِئَ، وَالْخَطَأُ مِنَ الرَّئِيسِ قَبِيحٌ.

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَمْوَالِ وَالصَّدَقَاتِ، ابْتَدَأَ بِعَمَلِ مَارَسْتَانَ بِبَغْدَادَ فَلَمْ يَتِمَّ، فَجَدَّدَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ. **وَكَانَ يَقُولُ**: الْعَدْلُ أَرْبَحُ لِلسُّلْطَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً رَجُلٌ فَوَعَظَهُ فَأَبْكَاهُ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَحِقَهُ بِهَا الْغُلَامُ، فَقَالَ بَجْكَمُ لِجُلَسَائِهِ: مَا أَظُنُّهُ يَقْبَلُهَا وَلَا يُرِيدُهَا، وَمَا يَصْنَعُ هَذَا بِالدُّنْيَا؟ هَذَا مُحَرَّقٌ بِالْعِبَادَةِ. فَرَجَعَ الْغُلَامُ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ، فَقَالَ: قَبِلَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ بَجْكَمُ: كُلُّنَا صَيَّادُونَ وَلَكِنَّ الشِّبَاكَ تَخْتَلِفُ.

وَسَبَبُ مَوْتِهِ: أَنَّهُ خَرَجَ يَتَصَيَّدُ، فَلَقِيَ طَائِفَةً مِنَ الْأَكْرَادِ، فَاسْتَهَانَ بِهِمْ، فَقَاتَلُوهُ فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ لسبع بقين من رجب سنة (٣٢٩هـ).

وَكَانَتْ **إِمْرَتُهُ عَلَى بَغْدَادَ**: سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ مَا يُنَيِّفُ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، أَخَذَهَا الْمُتَّقِي لِلَّهِ كُلَّهَا.

٢- **أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيُّ** الْوَاعِظُ، الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ أَبُو مُحَمَّدٍ، الْعَالِمُ الزَّاهِدُ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ، صَاحَبُ الْمَرُّوذِيِّ، وَسَهْلًا التُّسْتَرِيَّ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مِيرَاثِ أَبِيهِ لِأَمْرٍ كَرِهَهُ، وَكَانَ سَبْعِينَ أَلْفًا.

وَكَانَ شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي، وَكَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ فَطُلِبَ فَاسْتَتَرَ عِنْدَ أُخْتِ تُوزُونَ شَهْرًا، وقد أُصيب بنزف الدم فَمَاتَ عِنْدَهَا سنة (٣٢٩هـ)، فَأَمَرَتْ خَادِمَهَا أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ،

فَامْتَلَأَتِ الدَّارُ رِجَالًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ، فَدَفَنَتْهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ أَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ عِنْدَهُ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٣-أَبُو عَبْدِ اللهِ الحسين بن إسماعيل الضَّبِّيُّ الْقَاضِي **الْمَحَامِلِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمُحَدِّثُ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَأَدْرَكَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ عُيَيْنَةَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَعَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَخَلْقٌ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ نَحْوٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.

وَكَانَ صَدُوقًا دَيِّنًا فَقِيهًا مُحَدِّثًا، وَلِيَ **قَضَاءَ الْكُوفَةِ سِتِّينَ سَنَةً**، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ قَضَاءُ فَارِسَ وَأَعْمَالُهَا، ثُمَّ اسْتَعْفَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ، وَاقْتَصَرَ عَلَى إِسْمَاعِ الْحَدِيثِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ: فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٣٣٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ تَنَاظَرَ هُوَ وَبَعْضُ الشِّيعَةِ بِحَضْرَةِ بَعْضِ الْأَكَابِرِ، فَجَعَلَ الشِّيعِيُّ يَذْكُرُ مَوَاقِفَ عَلِيٍّ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ وَخَيْبَرَ وَحُنَيْنٍ وَشَجَاعَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَحَامِلِيِّ: أَتَعْرِفُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ أَتَعْرِفُ أَيْنَ كَانَ الصِّدِّيقُ يَوْمَ بَدْرٍ؟ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ بِمَنْزِلَةِ الرَّئِيسِ الَّذِي يُحَامَى عَنْهُ كَمَا يُحَامَى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلِيٌّ فِي مَقَامِ الْمُبَارَزَةِ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ انْهَزَمَ أَوْ قُتِلَ، لَمْ يُهْزَمِ الْجَيْشُ بِسَبَبِهِ، فَأُفْحِمَ الشِّيعِيُّ.

وَقَالَ لَهُ الْمَحَامِلِيُّ: وَقَدْ قَدَّمَهُ الَّذِينَ رَوَوْا لَنَا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ لَا مَالَ لَهُ وَلَا عَبِيدَ وَلَا عَشِيرَةَ تَمْنَعُهُ وَتُحَاجِفُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قَدَّمُوهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ خَيْرُهُمْ، فَأُفْحِمَ أَيْضًا.

٤-سِنَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ الصَّابِئُ أَبُو سَعِيدٍ **الْمُتَطَبِّبُ، أَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْقَاهِرِ بِاللهِ**، وَلَمْ يُسْلِمْ وَلَدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَدْ كَانَ مُقَدَّمًا فِي الطِّبِّ وَفِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٣٣١هـ) بِعِلَّةِ الذَّرَبِ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ صِنَاعَتُهُ شَيْئًا حِينَ جَاءَهُ الْمَوْتُ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

قُلْ لِلَّذِي صَنَعَ الدَّوَاءَ بِكَفِّهِ أَتَرُدُّ مَقْدُورًا عَلَيْكَ قَدْ جَرَى
مَاتَ الْمُدَاوَى وَالْمُدَاوِي وَالَّذِي صَنَعَ الدَّوَاءَ بِكَفِّهِ وَمَنِ اشْتَرَى

٥-**أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بِشْرٍ إِسْحَاقُ بْنُ سَالِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بْنِ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ.

قَدِمَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى السَّاجِيِّ، وَتَفَقَّهَ بِابْنِ سُرَيْجٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ **الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ** فِي " الْوَفَيَاتِ " أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَةِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ، وَقَدْ كَانَ مُعْتَزِلِيًّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَتَابَ مِنْهُ بِالْبَصْرَةِ فَوْقَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ أَظْهَرَ فَضَائِحَهُمْ وَقَبَائِحَهُمْ، وَذُكِرَ لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ " الْمُوجَزُ " وَغَيْرُهُ.

وَذَكَرَ **أَنَّ مُغَلَّهُ** فِي كُلِّ سَنَةٍ كَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ **دُعَابَةً**.

وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ: سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، **وَمَاتَ** فِي سنة (٣٢٤هـ)، وَقِيلَ: فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ. وَقِيلَ: فِي سَنَةِ (٣٣١هـ). فَاللهُ أَعْلَمُ.

ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي " الْمُنْتَظَمِ " وَفَاةَ الْأَشْعَرِيِّ فِي سَنَةِ (٣٣١هـ). وَتَكَلَّمَ فِيهِ، وَحَطَّ عَلَيْهِ كَمَا جَرَتِ عَادَةُ الْحَنَابِلَةِ، يَتَكَلَّمُونَ فِي الْأَشْعَرِيَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

٦-**أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عُقْدَةَ**، الْحَافِظُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيُّ، لُقِّبَ أَبُوهُ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَعْقِيدِهِ فِي التَّصْرِيفِ وَالنَّحْوِ، وَكَانَ **عُقْدَةُ** وَرِعًا نَاسِكًا، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عُقْدَةَ مِنَ الْحُفَّاظِ الْكِبَارِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ فَسَمِعَ مِنْ خَلَائِقَ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَسَمِعَ مِنْهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ نَحْوًا مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، مِنْهَا ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ، بِمَا فِيهَا مِنَ الصِّحَاحِ وَالضِّعَافِ، وَكَانَتْ كُتُبُهُ سِتَّمِائَةِ حِمْلِ جَمَلٍ، وَكَانَ يُنْسَبُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ إِلَى التَّشَيُّعِ.

قَـالَ الدَّارَقُطْنِـيُّ: كَانَ رَجُلَ سُـوءٍ. وَنَسَـبَهُ ابْنُ عَدِيٍّ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يُسَـوِّي النَّسْـخَ لِأَشْيَاخٍ، وَيَأْمُرُهُمْ بِرِوَايَتِهَا.

وَقَالَ الْخَطِيبُ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ، قَالَ: سَـمِعْتُ حَمْزَةَ بْنَ يُوسُفَ، سَـمِعْتُ أَبَا عُمَرَ بْنَ حَيُّوَيْهِ يَقُولُ: كَانَ ابْنُ عُقْدَةَ يَجْلِـسُ فِي جَامِعِ بَرَاثَا يُمْلِي مَثَالِبَ الصَّحَابَـةِ، فَتَرَكْـتُ حَدِيثَـهُ لَا أُحَدِّثُ عَنْهُ بِشَـيْءٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٣٣٢هـ).

❁ ❁ ❁

(٢٢)

خلافة المستكفي بالله عبدالله بن المكتفي

(آخر خلفاء العصر العباسي الثاني)

٣٣٣ ـ ٣٣٤

ترجمته وخلافته

○ نسبه

هو الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُكْتَفِي بِاللهِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ الهاشمي.

○ صفاته

كَانَ الْمُسْتَكْفِي مَلِيحَ الشَّكْلِ رَبْعَةً، حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْوَجْهِ، أَبْيَضَ اللَّوْنِ، مُشْرَبًا حُمْرَةً، أَكْحَلَ، أَقْنَى الْأَنْفِ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ.

○ وفاته

خُلِعَ الخليفة المستكفي وَسُمِلَتْ عَيْنَاهُ سنة (٣٣٤هـ)، وكَانَتْ وفاته سنة (٣٣٨هـ) وَهُوَ مُعْتَقَلٌ فِي دَارِهِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَشَهْرَانِ.

○ بيعته

لَمَّا خَلَعَ **تُوزُونُ** الْمُتَّقِيَ لِلَّهِ وَسَمَلَهُ اسْتَدْعَى **بِعَبْدِ اللهِ** بن الخليفة علي المكتفي بالله، فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَلُقِّبَ **بِالْمُسْتَكْفِي** بِاللهِ، وَذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٣٣هـ)

وَكَانَ **عُمْرُهُ** يَوْمَ بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ: إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وكانت مدة خلافته: **سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**.

وَأَحْضَرَ الخليفة السابق الْمُتَّقِي لله بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَايَعَهُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَةَ وَالْقَضِيبَ، وَجَلَسَ تُوزُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْمُسْتَكْفِي خِلْعَةً سَنِيَّةً، وأمر بحبس الخليفة المستكفي بالله الْمُتَّقِي **فِي السِّجْنِ**.

وفِي الْمُحَرَّمِ فِي سنة (٣٣٤هـ) زَادَ الْخَلِيفَةُ المستكفي فِي لَقَبِهِ **إِمَامَ الْحَقِّ**، وَكَتَبَ ذَلِكَ عَلَى سِكَّةِ الْمُعَامَلَةِ، وَقَالَهُ الْخُطَبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ أَيَّامَ الْجُمَعِ.

○ خلعه

في الْيَـوْمِ الثَّانِي وَالْعِشْـرِينَ مِـنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٣٣٤هـ) جاء **مُعِـزُّ الدَّوْلَةِ** البويهـي بعد أن حكم بغداد إلى دار الخلافة، فَجَلَسَ عَلَى سَـرِيرٍ بَيْنَ يَدَي الْخَلِيفَةِ، وَجَـاءَ رَجُلَانِ مِنَ الدَّيْلَمِ، فَمَدَّا أَيْدِيَهُمَا إِلَى الْخَلِيفَةِ، **فَأَنْزَلَاهُ عَنْ كُرْسِـيِّهِ وَسَـحَبَاهُ**، فَالتفـت عِمَامَتُـهُ على حَلْقِهِ، ثم نَهَضَ مُعِـزُّ الدَّوْلَةِ وخرج، فاضْطَرَبَـتْ دَارُ الْخِلَافَةِ حَتَّى خُلِصَ إِلَى الْحَرِيمِ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ.

وَسِيقَ الْخَلِيفَةُ مَاشِـيًا إِلَى دَارِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَاعْتُقِلَ بِهَا، وَسُمِلَتْ عَيْنَا الْمُسْتَكْفِي، وَأُودِعَ السِّجْنَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ مَسْجُونًا حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ (٣٣٨هـ).

وَأُحْضِرَ أَبُو الْقَاسِمِ الْفَضْلُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ، فَبُويعَ بِالْخِلَافَةِ، ولقب بالمطيع لله. [١]

❁ ❁ ❁

(١) وبهذا انتهى العصر العباسي الثاني، وابتدأ العصر البويهي (العصر العباسي الثالث).

الأحداث في عهده

❍ تولية أَبي الْفَرَجِ السامري الوزارة

وَاسْتَوْزَرَ الخليفة المستكفي أبا الفرج مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ **السَّامَرِّيَّ**، وَلَمْ يَكُنْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَتَوَلَّى الْأُمُورَ **ابْنُ شِيرَزَادَ**.

❍ مَوْتُ الْقَائِمِ الْفَاطِمِيِّ وَوِلَايَةُ وَلَدِه الْمَنْصُورِ

فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٣٣٤هـ) تُوُفِّيَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ الْقَاسِمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، وَقَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ الْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ، فَكَتَمَ مَوْتَ أَبِيهِ مُدَّةً حَتَّى اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ، **ثُمَّ أَظْهَرَهُ**.

❍ قتال الفاطمي لخوارج أفريقية

كَانَ **أَبُو يَزِيدَ الْخَارِجِيُّ** قَدْ حَارَبَ العبيديين الفاطميين، وَأَخَذَ مِنْهُمْ مُدُنًا كِبَارًا، وَكَسَرُوهُ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً، ثُمَّ يَثُورُ عَلَيْهِمْ، وَيَجْمَعُ الرِّجَالَ وَيُقَاتِلُهُمْ بِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، فَانْتَدَبَ الْمَنْصُورُ الفاطمي لِقِتَالِ أَبِي يَزِيدَ بِنَفْسِهِ سنة (٣٣٣هـ)، وَرَكِبَ فِي الْجُيُوشِ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَقَدْ بَسَطَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكامل [١].

وَقَدِ انْهَزَمَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ جَيْشُ الْمَنْصُورِ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي عِشْرِينَ نَفْسًا، فَقَاتَلَ بِنَفْسِهِ قِتَالًا عَظِيمًا، فَهَزَمَ أَبَا يَزِيدَ الخارجي بَعْدَمَا كَادَ يَقْتُلُهُ، وَثَبَتَ الْمَنْصُورُ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَاسْتَنْقَذَ بِلَادَ الْقَيْرَوَانِ مِنْهُ، وَمَا زَالَ الْمَنْصُورُ يُحَارِبُهُ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَلَمَّا جِيءَ بِرَأْسِهِ سَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ هَذَا قَبِيحَ الشَّكْلِ، أَعْرَجَ، قَصِيرًا، خَارِجِيًّا شَدِيدًا، **يَرَى تَكْفِيرَ أَهْلِ الْمِلَّةِ**، قَبَّحَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

(١) ٨/ ٤٣٤-٤٤١.

زوال دولة الْبَرِيدِيِّينَ

في سنة (٣٣٣هـ) قَدِمَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَرِيدِيُّ بَغْدَادَ يَسْتَنْجِدُ **بِتُوزُونَ وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ شِيرَزَادَ** عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، فَوَعَدُوهُ النَّصْرَ، ثُمَّ شَرَعَ يُفْسِدُ مَا بَيْنَ تُوزُونَ وَابْنِ شِيرَزَادَ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ ابْنُ شِيرَزَادَ، فَأَمَرَ بِسَجْنِهِ وَضَرْبِهِ، وَأَحْضَرَ لَهُ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ فُتْيَا عَلَيْهَا خُطُوطُ الْفُقَهَاءِ **بِإِبَاحَةِ دَمِهِ**، فَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، ثُمَّ أَحْرَقَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ من هذه السنة وَانْقَضَتْ أَيَّامُ الْبَرِيدِيِّينَ وَزَالَتْ دَوْلَتُهُمْ، **لَا جَمَعَ اللهُ بِهِمْ شَمْلًا**.

الصراع بين الحمدانيين والإخشيد

فِي سنة (٣٣٣هـ) رَكِبَ **سَيْفُ الدَّوْلَةِ** عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمْدَانَ إِلَى حَلَبَ فَتَسَلَّمَهَا مِنْ يَأْنَسَ الْمُؤْنِسِيِّ، ثُمَّ سَارَ إِلَى حِمْصَ لِيَأْخُذَهَا، فَجَاءَتْهُ جُيُوشُ **الْإِخْشِيدِ** مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ مَعَ مَوْلَاهُ كَافُورٍ، فَاقْتَتَلُوا، **فَانْهَزَمَ كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ**، وَاسْتَوْلَى سَيْفُ الدَّوْلَةِ عَلَى حِمْصَ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى دِمَشْقَ فَحَاصَرَهَا، فَلَمْ يَفْتَحْهَا أَهْلُهَا لَهُ، فَرَجَعَ عَنْهَا، وَقَصَدَهُ الْإِخْشِيدُ بِجُيُوشٍ كَثِيفَةٍ، فَالْتَقَيَا بِقِنَّسْرِينَ، فَلَمْ يَظْفَرْ أَحَدٌ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، وَرَجَعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ فَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ بِهَا.

غزو الروم لبلاد الجزيرة

فِي سنة (٣٣٣هـ) قَصَدَتِ الرُّومُ بلاد الجزيرة فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ، فَالْتَقَى مَعَهُمْ سيف الدولة ابن حمدان، فَظَفِرَ بِهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

تولية ابن شِيرَزَادَ إمرة الأمراء

فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٣٤هـ) مَاتَ **تُوزُونُ التُّرْكِيُّ** فِي دَارِهِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ سَنَتَيْنِ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ **ابْنُ شِيرَزَادَ** ببلدة **هِيتَ** لِتَخْلِيصِ الْمَالِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ أَرَادَ أَنْ يَعْقِدَ الْبَيْعَةَ لِنَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَاضْطَرَبَتِ الْأَجْنَادُ، وَعُقِدَتِ الرِّيَاسَةُ له.

وَدَخَلَ **ابْنُ شِيرَزَادَ** بَغْدَادَ فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ كُلُّهُمْ وَحَلَفُوا لَهُ، وَحَلَفَ لَهُ الْخَلِيفَةُ وَالْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، **فَخَاطَبَهُ الخليفة بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ**[1].

فَزَادَ فِي أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ، وَبَعَثَ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ يُطَالِبُهُ بِالْخَرَاجِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَبِطَعَامٍ فَفَرَّقَهُ فِي النَّاسِ، وَأَمَرَ وَنَهَى وَوَلَّى وَعَزَلَ وَقَطَعَ وَوَصَلَ، وَفَرِحَ بِنَفْسِهِ **ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا**.

ثُمَّ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ **مُعِزَّ الدَّوْلَةِ بْنَ بُوَيْهِ** قَدْ أَقْبَلَ فِي الْجُيُوشِ قَاصِدًا إِلَى بَغْدَادَ **فَاخْتَفَى ابْنُ شِيرَزَادَ وَالْخَلِيفَةُ** أَيْضًا، وَخَرَجَ أَكْثَرُ الْأَتْرَاكِ قَاصِدِينَ إِلَى الْمَوْصِلِ لِيَكُونُوا مَعَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ.

❁ ❁ ❁

---

(١) هذا هو آخر من تولى منصب أمير الأمراء. وكان هذا التنظيم قد بدأ من سنة (٣٢٤هـ).

ولاية الحج

حج بالناس سنة (٣٣٣هـ) قاضي مكة: عمر بن الحسن بن عبدالعزيز.

* * *

فهرس الموضوعات

العصر العباسي الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢)

العصر العباسي الثاني (٢٣٢ ـ ٣٣٤)

سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه
د. محمد بن صامل السلمي

المجلد الرابع

العصر العباسي الثالث

(٣٣٤ ـ ٤٤٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى.

أما بعد:

فهذا هو الجزء الثالث من عصر الخلافة العباسية في كتاب **البداية والنهاية** للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤)، والذي عملتُ عليه **تهذيبًا وترتيبًا** على حسب الموضوعات والخلفاء، فكل **خليفة يمثل بابًا أو موضوعًا** مستقلاً، ثم ترتب حوادث خلافته في فصول بحسب المقتضى، وبحسب وفرة المعلومات التي أوردها ابن كثير مرتبةً على سني حكم الخليفة، ولم أغير من كلام المؤلف شيئًا إلا مايقتضيه السياق في ترتيب المعلومات على الموضوعات لبيان المراد، وقد أعلّق في الهامش بتوثيق نصٍ، أو التعريف بمكانٍ، أو إشادة بموقفٍ، أو شرح وبيان أمرٍ يحتاج ذلك، وهو نادر.

والعصر العباسي الثالث كانت السلطة والنفوذ فيه **لبني بويه**، منذ قَدِم معز الدولة البويهي بغداد سنة (٣٣٤هـ)، وحتى تلاشي سلطتهم على أيدي السلاجقة سنة (٤٤٧هـ).

وقد كانت الخلافة العباسية في أواخر العصر الثاني (٢٣٢- ٣٣٤هـ) قد ضعفت جداً، وكانت بحاجة إلى قوةٍ تنقذها من تسلط القادة الأتراك، وحكّام الأطراف.

وقد كتب علي بن بويه في سنة (٣٢٢هـ) إلى الخليفة الراضي بالطاعة والمعونة، ويطلب منه أن يعترف به، ويقاطَع على ما تحت سلطته بمبلغٍ من المال، فوافق الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ) على ذلك، وبعث له بالخلع واللواء.

وفي سنة (٣٣١هـ) بعث الخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ) إلى عماد الدولة ابن بويه خُلَعًا سنِيّةً فقبلها، ولبسها بحضرة القضاة والأعيان، وكان الخليفة يأمل في هذا الحاكم القوي ما ينقذ وضع الخلافة العباسية.

وفي جمادى الأولى سنة (٣٣٤هـ) دخل أحمد ابن بويه بغداد فبايع الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ)، وخلع عليه الخليفة، ولقبه بمعز الدولة، وبعد أيام اعتُقِل الخليفة المستكفي بالله، وسُملت عيناه وأودع السجن؛ ثم أُحْضر للسلطان معز الدولة **الفضل بن المقتدر**، فبويع بالخلافة، ولقب بالمطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ).

وبهذا صارت الخلافة العباسية السنية في **قبضة سلاطين بني بويه الشيعة** مدة (١١٣) سنةً، حكم دار الخلافة فيها عشرة سلاطين؛ أولهم معز الدولة أحمد، وآخرهم الملك الرحيم، وعاصرهم أربعة من الخلفاء، حيث طالت مدد حكمهم، واستكانوا للأمر الواقع، فلم يتعرضوا للعزل.

- وقد عانت الخلافة والمجتمع السُنّي من آثار التسلط الشيعي شيئًا كثيراً، وكانت الفتن الدينية مستمرة كل عام، خاصة في بغداد لكن المجتمع المسلم علماء ومحتسبين وعامة قاوموا هذا التسلط وتحملوا، وحافظوا على الدين الصحيح، وحاربوا البدع.

فلما زالت دولتهم، زال أكثر بدعهم وآثارهم، وأخذت تتلاشى شيئًا فشيئًا رغم طول المدة، ودعم السلطة؛ لأن التشيع نبتة خبيثة، ولن تجد أرضًا تقبلها عن رضا، أو ترحب بها لمخالفتها الفطرة، التي فطر الله الناس عليها، وهذا دليل على قوة الحق والدين الذي وعد الله بإظهاره على الدين كله.

- ومن المآسي التي وجدت في كل مكان فيه نفوذ للتشيع والرفض: توالي الفتن سنويًا، والعقوبات الإلهية من الأمراض، والكوارث، والزلازل، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات.

- ومما يسجل للخليفة القادر بالله جهده في محاربة البدع وأهل الأهواء، وتشجيع العلماء على القيام بذلك. وقد ألف رسائل في معتقد أهل السنة والجماعة، وأمر بقراءتها على العامة كل جمعة.

- ومما أصاب المسلمين والحجاج خاصة توقف الحج من بغداد والمشرق أكثر سنوات العصر البويهي، الذي بقي (١١٣) عامًا. كما سجل ذلك الحافظ ابن كثير وغيره في قوائم الحج السنوية، وذلك لإهمال الدولة أمر قوافل الحج، ولعدم أمن الطريق، فلم يحج من أهل تلك النواحي في بعض السنوات إلا أفرادًا يغامرون بالسفر، وقد لا يصلون إلى مكة.
- وفي العصر البويهي توسعت الدولة العبيدية (الفاطمية)، فاقتطعت مصر سنة (٣٥٨هـ) ثم استقرت يدها على دمشق الشام سنة (٣٦٠هـ)، وعلى الحرمين الشريفين، ثم تبعها اليمن، فعم التشيع والرفض مشرق الأرض ومغربها، فلله الأمر من قبل ومن بعد.
- استمرار بعض المظاهر التي كانت في العصر العباسي الثاني مثل: المصادرات، والضمانات للبلدان والوظائف، وكثرة القتل، والقلاقل.
- كثرة الأموال ومظاهر البذخ عند السلاطين والوزراء، وحكام الأقاليم، مع وجود الفقر والجوع، وقلة ذات اليد لدى العامة.

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة – رجب الفرد-١٤٤٢هـ

مقدمة عن بني بويه ودولتهم

كان ابْتِـدَاء أَمْرِ بَنِي بُوَيْهِ وَظُهُورِ دَوْلَتِهِمْ، في سـنة (٣٢١هـ)، وَهُـمْ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ؛ **عِمَادُ الدَّوْلَةِ** أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ، **وَرُكْنُ الدَّوْلَةِ** أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ، **وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ** أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ، أَوْلَادُ أَبِي شُجَاعٍ **بُوَيْهِ** بْنِ فَنَّاخُسْرُو، ينتهي **نسبهم** إلى **يَزْدَجِرْدَ** الْمَلِكِ بْنِ سَابُورَ الْفَارِسِيِّ.

كَذَا نَسَبَهُمُ الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرِ بْنُ مَاكُولَا فِي «كِتَابِهِ»[(١)].

وَإِنَّمَـا قِيـلَ لَهُـمُ: الدَّيَالِمَةُ؛ لِأَنَّهُمْ جَـاوَرُوا الدَّيْلَمَ، وَكَانُـوا بَيْنَ أَظْهُرِهِـمْ مُدَّةً، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُمْ أَبُو شُـجَاعٍ بُوَيْهِ فَقِيرًا مُدْقِعًا، يَصْطَادُ السَّـمَكَ وَيَحْتَطِـبُ بَنُوهُ الْحَطَبَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَمَاتَتِ امْرَأَتُهُ، وَخَلَّفَتْ لَهُ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادَ الثَّلَاثَةَ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا.

وقـد كان هَـؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الثَّلَاثَةَ عِنْدَ مَلِكٍ يُقَالُ لَهُ: **مَاكَانُ بْنُ كَالِي**. فِي بِلَادِ طَبَرِسْـتَانَ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَرْدَاوِيج ؛ **فَضَعُفَ أَمْرُ مَاكَانُ بْنُ كَالِي فَخَرَجُوا عَنْهُ** وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ.

فَصَـارُوا إِلَـى **مَرْدَاوِيج**، فَأَكْرَمَهُمْ وَاسْـتَعْمَلَهُمْ عَلَـى الْأَعْمَالِ فِي الْبُلْـدَانِ، **فَأَعْطَى عِمَادَ الدَّوْلَةِ عَلِيَّ بْنَ بُوَيْهِ نِيَابَةَ الْكَرَجِ**، فَأَحْسَنَ فِيهَا السِّيرَةَ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ النَّاسُ وَأَحَبُّوهُ، فَحَسَدَهُ مَرْدَاوِيجُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ يَعْزِلُهُ عَنْهَا، وَيَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ، فَامْتَنَعَ مِنَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَصَارَ إِلَى أَصْبَهَانَ فَحَارَبَهُ نَائِبُهَا، فَقَهَرَهُ عِمَادُ الدَّوْلَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا كَانَ مَعَهُ تِسْعُمِائَةِ فَارِسٍ، فَرَدَّ بِهَا عَشَرَةَ آلَافٍ، وَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ أصحابه.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَرْدَاوِيج قَلِقَ مِنْهُ، وَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ جَيْشًـا، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ أَصْبَهَانَ، وَقَصَدَ **أَرَّجَانَ** فَأَخَذَهَا مِنْ نَائِبِهَا، وَحُصِّلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ شَـيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا، ثُمَّ أَخَذَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً، وَاشْتُهِرَ أَمْرُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنْدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ.

وَقَدْ آلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ مَلَكُوا بَغْدَادَ مِنْ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ، لَهُمُ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ، وَالْوِلَايَةُ وَالْعَزْلُ، وَإِلَيْهِمْ تُجْبَى الْأَمْوَالُ، وَيُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ.

---

(١) الإكمال ١/ ٣٧٢.

وفي سنة (٣٢٢هـ) أَرْسَلَ **عَلِيّ بْن بُوَيْهِ** إِلَى الخلافة العباسية بِالطَّاعَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُقَبِّلَ الْعَتَبَةَ الشَّرِيفَةَ، وَيَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ إِنْ رَسَمَ، أَوْ يَذْهَبَ إِلَى شِيرَازَ فَيَكُونَ مَعَ يَاقُوتَ.

ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ صَارَ إِلَى شِيرَازَ وَأَخَذَهَا مِنْ نَائِبِهَا يَاقُوتَ بَعْدَ قِتَالٍ عَظِيمٍ، ظَفِرَ فِيهِ ابْنُ بُوَيْهِ بِيَاقُوتَ وَأَصْحَابِهِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرَ جَمَاعَةً، فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَطْلَقَهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ.

وَعَدَلَ فِي النَّاسِ، وكان كَرِيمًا جَوَادًا مِعْطَاءً لِلْجُيُوشِ الَّذِينَ قَدِ الْتَفُّوا عَلَيْهِ. **وَكَتَبَ** علي بن بويه **إِلَى الرَّاضِي وَوَزِيرِهِ** أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، يَطْلُبُ أَنْ يُقَاطَعَ عَلَى مَا قِبَلَهُ مِنَ الْبِلَادِ عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَأَجَابَهُ الرَّاضِي إِلَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ وَاللِّوَاءِ وَأُبَّهَةِ الْمُلْكِ. (١)

وَفِي سنة (٣٣١هـ) بَعَثَ الْخَلِيفَةُ المتقي للهُ إِلَى **عِمَادِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ** خِلَعًا، فَقَبِلَهَا وَلَبِسَهَا بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ.

○ محاولة البويهي الاستيلاء على واسط

وفِي سَنَةِ (٣٣٢هـ) استغل مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ **غَيْبَةَ** تُوزُونَ عَنْ **وَاسِطٍ**، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الدَّيْلَمِ، فَرجع تُوزُونُ مُسْرِعًا إِلَى وَاسِطٍ، فَاقْتَتَلَ مَعَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، **فَكَانَ آخِرَ الْأَمْرِ أَنِ انْهَزَمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، وَنُهِبَتْ حَوَاصِلُهُ،** وَقُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ أَصْحَابِهِ.

وفِي رَجَبٍ سنة (٣٣٣هـ) رَكِبَ **مُعِزُّ الدَّوْلَةِ البويهي** إِلَى وَاسِطٍ لِيُحَاصِرَهَا مرة أخرى، فَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى **تُوزُونَ** فَرَكِبَ هُوَ وَالْمُسْتَكْفِي بِاللهِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ **رَجَعَ عَنْهَا** إِلَى بِلَادِهِ، وَتَسَلَّمَهَا الْخَلِيفَةُ، وَضَمِنَهَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَضَمَّنَهُ تُوزُونُ، ثُمَّ رَجَعَ هُوَ وَالْخَلِيفَةُ إِلَى بَغْدَادَ.

---

(١) معنى هذا أنه سيكون تابعًا للدولة العباسية وواليًا من ولاتها.

(٢٣)

خلافة المُطيع للّه

الفضل بن المقتدر

٣٣٤ ـ ٣٦٣

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن الموفق العباسي.

ومولده لست بقين من المحرم سنة (٣٠١هـ) وأمه أم ولد اسمها: مشغلة. حدث عن: أبي القاسم البغوي، روى عنه: أبو الفضل التميمي

وخلع نفسه غير مكره في ذي القعدة، سنة (٣٦٣هـ)، ونزل عن الأمر لولده الطائع لله عبد الكريم. قال السيوطي في تاريخ الخلفاء [(١)]: وأثبت خلعه على القاضي ابن أمّ شيبان، وصار بعد خلعه يسمى **الشيخ الفاضل**.

○ وفاته

خرج المطيع إلى واسط بعد خلعه مع ولده الطائع، فمات في محرم، سنة (٣٦٤هـ) بدير العاقول من واسط، وحمل إلى بغداد، فدفن في تربة شغب أم المقتدر بالله بالرصافة.

❁ ❁ ❁

(١) ص٤٠٤ بتحقيق الشيخ محمد محيي الدّين عبد الحميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خلافته

❍ بيعته

في سنة (٣٣٤هـ) قَدِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ البويهي بَغْدَادَ، وَقَبَضَ عَلَى الخليفة الْمُسْتَكْفِي، وَسُمِلَتْ عَيْنَاهُ، وخُلِعَ من الخلافة.

ثم اسْتَدْعَى بِأَبِي الْقَاسِمِ **الْفَضْلِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ باللهِ**، وَقَدْ كَانَ مُخْتَفِيًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ اجْتَمَعَ بِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ سِرًّا، فَحَرَّضَهُ عَلَى الْمُسْتَكْفِي حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، **فَبُويِعَ بِالْخِلَافَةِ** وَلُقِّبَ **بِالْمُطِيعِ** لِلَّهِ، وَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ وَالْأَعْيَانُ وَمُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالْعَامَّةُ.

ولَمْ يَبْقَ لِلْخَلِيفَةِ مع معز الدولة البويهي أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ وَلَا وَزِيرٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لَهُ كَاتِبٌ عَلَى أَقْطَاعِهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا مَوْرِدُ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ وَمَصْدَرُهَا رَاجِعٌ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وبهذا **ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ جِدًّا**. ذَلِكَ لِأَنَّ بَنِي بُوَيْهِ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الدَّيْلَمِ فِيهِمْ تَشَيُّعٌ شَدِيدٌ، فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ **غَصَبُوا الْأَمْرَ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ**.

حَتَّى عَزَمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى تَحْوِيلِ الْخِلَافَةِ عَنْهُمْ **إِلَى الْعَلَوِيِّينَ**، وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي ذَلِكَ، فَكُلُّهُمْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، إِلَّا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، كَانَ سَدِيدَ الرَّأْيِ فِيهِمْ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: **لَا أَرَى لَكَ هَذَا**. قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ هَذَا خَلِيفَةٌ تَرَى أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحِ الْإِمَارَةِ، **فَمَتَى أَمَرْتَ بِقَتْلِهِ قَتَلَهُ أَصْحَابُكَ**، وَلَوْ وَلَّيْتَ رَجُلًا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ لَكُنْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ **تَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ وِلَايَتِهِ**، فَلَوْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ لَقَتَلَكَ أَصْحَابُكَ. فَلَمَّا فَهِمَ ذَلِكَ **صَرَفَهُ عَنْ رَأْيِهِ الْأَوَّلِ**، لِلدُّنْيَا لَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

❍ تعليق من الذهبي:

قال الذهبي: ظَهَرَ هَذَا الوَقْت الرَّفْض وَأَبدَى صَفحَته، وَشمخ بِأَنفه فِي مِصْر، وَالشَّام، وَالحِجَاز وَالغرب بِالدَّوْلَة العُبَيْدِيَّة، وَبَالعِرَاق، وَالجزِيْرَة، وَالعجم ببني بُويه، **وَكَانَ الخَلِيْفَة المُطِيع ضَعِيْف الدست** وَالرتبَة **مَعَ بَنِي بُوَيْه**، ثُمَّ ضَعف بدنه وَأَصَابه فَالِج

وَخرس فعزلُوهُ، وَأَقَامُوا ابْنه الطَّائِع للهِ، وَلَهُ السكَة، وَالخطبَة، وَقَلِيْل مِنَ الأُمُور.

فَكَانَـتْ مملكَة هَذَا المُعَـزِّ البويهي أَعْظَم وَأَمكن، وكَذَلِـكَ دَوْلَة صَاحِب الأَنْدَلُس الْمُسْـتَنْصر بِـاللهِ المَرْوَانِـي كَانَتْ موطدَة مسـتقلَة كوَالـده النَّاصر لِدِيْـنِ اللهِ الَّذِي وَلِي خَمْسِيْنَ عَاماً.

وَأعلن الأَذَان بِالشَّامِ وَمِصْر بحِي عَلَى خَيْر الْعَمَل فَللَّه الأَمْر كُلّه. (١)

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٦٤.

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ الصراع بين ابن حمدان ومعز الدولة

نَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ **نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ** وَبَيْنَ **مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ**، فَاستغَلّ نَاصِرُ الدَّوْلة خروج مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ إِلَى **عُكْبَرَا**، [1] فَدَخَلَ بَغْدَادَ سنة (٣٣٤هـ)، فَأَخَذَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ ثُمَّ الْغَرْبِيَّ، **وَضَعُفَ أَمْرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وَالدَّيَالِمَةِ الَّذِينَ مَعَهُ.**

ثُمَّ مَكَرَ بِهِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَخَدَعَهُ حَتَّى اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ، وَانْتَصَرَ أَصْحَابُهُ، **فَنَهَبُوا بَغْدَادَ**، وَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ التُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ، فَكَانَ قِيمَةُ مَا أَخَذَ أَصْحَابُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِنَ النَّاسِ **عَشَرَةَ آلافِ أَلْفِ دِينَارٍ.**

واسْتَقَرَّ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، **وَاصْطَلَحَ** مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ وَنَاصِرُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ عَلَى ذَلِكَ سنة (٣٣٥هـ).

وَفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٤٧هـ) رَكِبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى **الْمَوْصِلِ** فَأَخَذَهَا مِنْ يَدِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، **وَهَرَبَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ** إِلَى نَصِيبِينَ ثُمَّ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ ثُمَّ لَحِقَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، فَصَارَ إِلَى أَخِيهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِحَلَبَ، ثُمَّ رَاسَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ فِي الْمُصَالَحَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، **فَوَقَعَ الصُّلْحُ** عَلَى حَمْلِ كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةِ أَلْفٍ، وَرَجَعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ انْعِقَادِ الصُّلْحِ.

○ ضياع المال في استخدام اللهو

أُعْجِبَ معز الدولة بن بويه بِالْمُصَارِعِينَ وَالْمُلَاكِمِينَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصِّنَاعَاتِ الَّتِي لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا قليل العقل فاسد المروءة.

---

(١) عكبرا: بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة، وهو اسم بليدة من نواحي دجيل. بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، والنسبة إليها عكبري وعكبراوي. معجم البلدان – الفكر (٤/ ١٤٢).

وَكَانَتْ تُضْرَبُ الطُّبُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُصَارَعُ بَيْنَ الرِّجَالِ، وَالْكُوسَاتُ (الطبول) تُدَقُّ حَوْلَ سُورِ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، **وَهَذِهِ رُعُونَةٌ شَدِيدَةٌ وَسَخَافَةُ عَقْلٍ مِنْهُ وَمِمَّنْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ.**

ثُمَّ احْتَاجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى صَرْفِ أَمْوَالٍ فِي أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ، فَأَقْطَعَهُمُ الْبِلَادَ عِوَضًا عَنْ أَرْزَاقِهِمْ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَخْرِيبِهَا وَتَرْكِ عِمَارَتِهَا، إِلَّا الْأَرَاضِيَ الَّتِي بِأَيْدِي أَصْحَابِ الْجَاهَاتِ.

❍ وقوع الغلاء والوباء

فِي سنة (٣٣٤هـ)، وَقَعَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ **بِبَغْدَادَ** حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْكِلَابَ وَالسَّنَانِيرَ، وَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ **يَسْرِقُ الْأَوْلَادَ فَيَشْوِيهِمْ وَيَأْكُلُهُمْ**، وَكَثُرَ الْمَوْتُ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَ لَا يَدْفِنُ أَحَدٌ أَحَدًا، بَلْ يُتْرَكُونَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَيَأْكُلُ كَثِيرًا مِنْهُمُ الْكِلَابُ، وَبِيعَتِ الدُّورُ وَالْعَقَارُ بِالْخُبْزِ، وَانْتَجَعَ النَّاسُ الْبَصْرَةَ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ فِي الطَّرِيقِ، وَمَنْ وَصَلَ مِنْهُمْ مَاتَ بَعْدَ مُدَيْدَةٍ.(١)

❍ وفاة الإخشيد وولاية كافور

فِي سنة (٣٣٤هـ) تُوُفِّيَ **الْإِخْشِيدُ** مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ صَاحِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْقَ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ بِضْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

وَولي وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ **أُنُوجُورُ** - وَكَانَ صَغِيرًا - وَأُقِيمَ **كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ** قيمًا عليه، فَكَانَ يُدَبِّرُ الْمَمَالِكَ بِالْبِلَادِ كُلِّهَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا.

وَعاد كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ من دمشق إِلَى **مِصْرَ**، فَطمع سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ فِي **دِمَشْقَ، فَأَخَذَهَا مِنْ أَصْحَابِ الْإِخْشِيدِ** فَفَرِحَ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، فَكَتَب أهل دمشق إِلَى كَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ يَسْتَنْجِدُونَهُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ كَثِيفَةٍ، فَأَجْلَى عَنْهُمْ سَيْفَ

(١) هذا من شؤم المعاصي وعقوبات الانحراف العقدي.

الدَّوْلَةِ وَطَرَدَهُ عَنْ حَلَبَ أَيْضًا، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا فَاسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ بَدْرًا الْإِخْشِيدِيَّ - وَيُعْرَفُ بِبُدَيْرٍ - فَلَمَّا صَارَ كَافُورٌ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ رَجَعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَبَ فَأَخَذَهَا كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا لَهُ.

○ توسع دولة بني بويه

فِي سنة (٣٣٥هـ) اسْتَحْوَذَ **رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ** عَلَى الرَّيِّ وَانْتَزَعَهَا مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ، فَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ بَنِي بُوَيْهِ; فَإِنَّهُ صَارَ بِأَيْدِيهِمْ أَعْمَالُ الرَّيِّ وَالْجَبَلِ وَأَصْبَهَانَ وَفَارِسَ وَالْأَهْوَازِ وَالْعِرَاقِ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِمْ ضَمَانُ الْمَوْصِلِ وَدِيَارِ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ مِنَ الْجَزِيرَةِ.

وفِي سنة (٣٣٦هـ) اسْتَحْوَذَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ البويهي عَلَى بِلَادِ طَبَرِسْتَانَ، وَجُرْجَانَ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ **وُشْمَكِيرَ** أَخِي **مَرْدَاوِيجَ** مَلِكِ الدَّيْلَمِ، فَذَهَبَ وُشْمَكِيرُ إِلَى خُرَاسَانَ يَسْتَنْجِدُ بِصَاحِبِهَا.

وفِي سنة (٣٣٧هـ) رَكِبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَانْهَزَمَ مِنْهُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ ابن حمدان إِلَى نَصِيبِينَ، **فَتَمَلَّكَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ** بْنُ بُوَيْهِ **الْمَوْصِلَ** فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَعَسَفَ أَهْلَهَا، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَكَثُرَ الدُّعَاءُ عَلَيْهِ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى أَخْذِ الْبِلَادِ كُلِّهَا مِنْ يَدِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَجَاءَهُ خَبَرٌ مِنْ أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى مَنْ قِبَلَهُ مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ، فَاحْتَاجَ إِلَى مُصَالَحَةِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْ يُحْمَلَ عَمَّا تَحْتَ يَدِهِ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَمَانِيَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْ يُخْطَبَ لَهُ وَلِأَخَوَيْهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ عَلَى مَنَابِرِ بِلَادِهِ كُلِّهَا، فَفَعَلَ.

وَعَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ بِجَيْشٍ هَائِلٍ، وَأَخَذَ لَهُ عَهْدَ الْخَلِيفَةِ بِوِلَايَةِ خُرَاسَانَ.

○ انتزاع البصرة من البريدي

فِي سنة (٣٣٦هـ) خَرَجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَالْمُطِيعُ لِلَّهِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى **الْبَصْرَةِ** فَاسْتَنْقَذَاهَا مِنْ يَدِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبَرِيدِيِّ، وَهَرَبَ هُوَ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ.

ثـم بَعَثَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ **إلـى الْقَرَامِطَةِ** يَتَهَدَّدُهم وَيَتَوَعَّدُهُمْ بِأَخْذِ بِلَادِهِمْ. ثُمَّ سَـارَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى أَخِيهِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ لِلقائه **بِالْأَهْوَازِ**، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَقد سبقه الْخَلِيفَةُ إِلَيْهَا، فتَمَهَّدَتْ أُمُورٌ جَيِّدَةٌ.

❍ قتال عمران بن شاهين

فِي سـنة (٣٣٨هـ) خَرَجَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **عِمْرَانُ بْنُ شَـاهِينَ**، كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَ بَعْضَ الْعُقُوبَاتِ، فَهَرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَطَائِحِ، فَكَانَ يَقْتَاتُ مِمَّا يَصِيدُهُ مِنَ السَّمَكِ وَالطُّيُورِ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، فَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَبُو الْقَاسِـمِ بْـنُ الْبَرِيدِيِّ عَلَى جِبَايَةِ بَعْضِ تِلْكَ النَّوَاحِي، وَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ مُعِـزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ جَيْشًـا مَعَ وَزِيـرِهِ أَبِي جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيِّ، فَهُـزِمَ الْوَزِيرُ، ثم دَهَمَهُ أَمْرٌ أَشْـغَلَه عَنْ مُحَارَبَةِ عِمْـرَانَ بْـنِ شـاهين، وهو **وَفَاةُ عِمَـادِ الدَّوْلَةِ بْـنِ بُوَيْهِ**، وذهابه إلى شـيراز بأمر من معز الدولة، فَقَوِيَ أَمْرُ عِمْرَانَ بَعْدَ ضَعْفِهِ.

وَفِي سنة (٣٣٩هـ) مَاتَ الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ، فَاسْتَوْزَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مَكَانَهُ: **أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ** فِي جُمَادَى الْأُولَى، فَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ **عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ** الصَّيَّادِ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ بِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ جَيْشًا بَعْدَ جَيْشٍ، يَهْزِمُهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، ثُمَّ عَدَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى مُصَالَحَتِهِ، وَاسْتِعْمَالِهِ لَهُ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ النَّوَاحِي.

وَفِي سـنة (٣٥٥هـ) خَرَجَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسِـطٍ لِقِتَالِ **عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ** حِيـنَ تَفَاقَمَ الْحَالُ بِأَمْرِهِ، وَاشْـتَهَرَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي صِيتُ ذِكْـرِهِ، فَقَوِيَ الْمَرَضُ بِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَاسْتَنَابَ عَلَى الْحَرْبِ، وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ.

❍ وفاة عماد الدولة صاحب شيراز

هُوَ أَبُو الْحَسَـنِ عَلِـيُّ بْنُ بُوَيْهِ أَكْبَـرُ أَوْلَادِ بُوَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّـكَ مِنْهُمْ، وَكَانَ عَاقِلًا حَازِمًا، حَمِيدَ السِّيرَةِ، رَئِيسًا فِي نَفْسِهِ، كَانَ أَوَّلُ ظُهُورِهِ فِي سَنَةِ (٣٢٢هـ)، فَقَوِيَتْ عَلَيْهِ الْأَسْـقَامُ وَتَوَاتَرَتْ لَدَيْهِ الْآلَامُ فِي سنة (٣٣٨هـ) فَأَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بِالْهَلَاكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

وَلَدٌ ذَكَرٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَسْتَدْعِي وَلَدَهُ **عَضُدَ الدَّوْلَةِ**، لِيَجْعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ فَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ فِي جَمِيعِ جَيْشِهِ لِتَلَقِّيهِ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ دَارَ الْمَمْلَكَةِ أَجْلَسَهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَحَدِ الْأُمَرَاءِ؛ لِيَرْفَعَ مِنْ شَأْنِهِ عِنْدَ أُمَرَائِهِ وَوُزَرَائِهِ وَأَعْوَانِهِ، **ثُمَّ عَقَدَ لَهُ الْبَيْعَةَ عَلَى مَا يَمْلِكُهُ** مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْوَالِ وَتَدْبِيرِ الْمُلْكِ وَالرِّجَالِ، وَفَهِمَ مِنْ بَعْضِ رُءُوسِ الْأُمَرَاءِ كَرَاهِيَةً لِذَلِكَ، فَشَرَعَ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَسَجَنَ آخَرِينَ، **حَتَّى تَمَهَّدَتِ الْأُمُورُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ**.

وكَانَتْ **وَفَاةُ عِمَادِ الدَّوْلَةِ** بِشِيرَازَ فِي سنة (٣٣٨هـ) عَنْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهِ، وَمِمَّنْ حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ دُونَ أَقْرَانِهِ، وَكَانَ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ، وَبِذَلِكَ كَانَ يُكَاتِبُهُ الْخُلَفَاءُ، وَلَكِنْ أَخُوهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ كَانَ يَنُوبُ عَنْهُ بِبَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ وَالسَّوَادِ.

❍ محاولة صاحب عمان أخذ البصرة

فِي سنة (٣٤٠هـ) قَصَدَ صَاحِبُ عُمَانَ **الْبَصْرَةَ** لِيَأْخُذَهَا فِي مَرَاكِبَ كَثِيرَةٍ، وَجَاءَ لِنَصْرِهِ أَبُو يَعْقُوبَ الْهَجَرِيُّ، فَمَانَعَهُ عَنْهَا **الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ** وَصَدَّهُ عَنْهَا، وَأَسَرَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَسَبَى كَثِيرًا مِنْ مَرَاكِبِهِ، فَسَاقَهَا مَعَهُ فِي دِجْلَةَ، وَدَخَلَ بِهَا إِلَى بَغْدَادَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❍ معاقبة الوزير المهلبي

فِي سنة (٣٤١هـ) نَقِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَلَى **وَزِيرِهِ المهلبي**، فَضَرَبَهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ مِقْرَعَةً وَلَمْ يَعْزِلْهُ، بَلْ رَسَمَ عَلَيْهِ.

❍ الصراع على منبر الحرم

فِي سنة (٣٤١هـ) اخْتَصَمَ **الْمِصْرِيُّونَ وَالْعِرَاقِيُّونَ** بِمَكَّةَ، فَخُطِبَ لِصَاحِبِ مِصْرَ، ثُمَّ غَلَبَهُمُ الْعِرَاقِيُّونَ، فَخَطَبُوا لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ.

وفِي سنة (٣٤٢هـ) **اخْتَلَفَ الْحَجِيجُ** بِمَكَّةَ، وَوَقَعَتْ حَرْبٌ بَيْنَ أَصْحَابِ ابْنِ طُغْجٍ وَأَصْحَابِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَغَلَبَهُمُ الْعِرَاقِيُّونَ، وَخَطَبُوا لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ اخْتَلَفُوا، فَغَلَبَهُمُ الْعِرَاقِيُّونَ أَيْضًا.

○ وفاة نوح ابن نصر

فِي سنة (٣٤٣هـ) مَاتَ الْأَمِيرُ الْحَمِيدُ **نُوحُ بْنُ نَصْرٍ السَّامَانِيُّ**، صَاحِبُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ.

○ ولاية عهد السلطنة

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٤٤هـ) عَقَدَ **مُعِزُّ الدَّوْلَةِ** لِابْنِهِ أَبِي مَنْصُورٍ **بَخْتِيَارَ** الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ بِإِمْرَةِ الْأُمَرَاءِ.

○ عصيان الروزبهان

فِي سنة (٣٤٥هـ) عَصَى الرُّوزْبَهَانُ عَلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَانْحَازَ إِلَى الْأَهْوَازِ، وَلَحِقَ بِهِ عَامَّةُ مَنْ كَانَ مَعَ الْمُهَلَّبِيِّ الَّذِي كَانَ يُحَارِبُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ لَمْ يُصَدِّقْ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَرَفَعَ مِنْ قَدْرِهِ بَعْدَ الضَّعَةِ وَالْخُمُولِ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَيْهِ لِقِتَالِهِ، فَاتَّبَعَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ خَوْفًا مِنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ جَهَّزَ جَيْشًا مَعَ وَلَدِهِ أَبِي الْمُرَجَّى جَابِرٍ إِلَى بَغْدَادَ لِيَأْخُذَهَا حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ قَدْ خَرَجَ مِنْهَا، فَأَرْسَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ حَاجِبَهُ سُبُكْتِكِينَ إِلَى بَغْدَادَ لِيَحْفَظَهَا، وَقَصَدَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الرُّوزْبَهَانِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا، فَهَزَمَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا إِلَى بَغْدَادَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ فَسَجَنَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ لَيْلًا وَغَرَّقَهُ؛ لِأَنَّ الدَّيْلَمَ أَرَادُوا إِخْرَاجَهُ مِنَ السَّجْنِ قَهْرًا، وَانْطَوَى ذِكْرُ رُوزْبَهَانَ وَإِخْوَتِهِ، وَكَانَ قَدِ اشْتَعَلَ اشْتِعَالَ النَّارِ، وَحَظِيَتِ الْأَتْرَاكُ عِنْدَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَانْحَطَّتِ الدَّيْلَمُ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ خِيَانَتُهُمْ فِي أَمْرِ الرُّوزْبَهَانِ وَإِخْوَتِهِ.

إسلام طائفة من الترك

فِي سنة (٣٤٩هـ) أَسْلَمَ مِنَ التُّرْكِ مِائَتَا أَلْفِ خَرْكَاهْ (أهل خيمة)، فَسُمُّوا **تُرْكَ إِيمَانٍ،** ثُمَّ خُفِّفَ اللَّفْظُ بِذَلِكَ، فَقِيلَ: تُرْكُمَانُ.

وفِي سنة (٤٣٥هـ) فِي صَفَرٍ مِنْهَا أَسْلَمَ مِنَ التُّرْكِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْرُقُونَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ خَرْكَاهُ، وَضَحَّوْا فِي يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى بِعِشْرِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنْ غَنَمٍ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَلَمْ يُسْلِمْ مِنَ الْخَطَا وَالتَّتَرِ أَحَدٌ، وَهُمْ بِنَوَاحِي الصِّينِ.

وفاة معز الدولة البويهي

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٥٠هـ) مَرِضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ بِانْحِصَارِ الْبَوْلِ، فَقَلِقَ مِنْ ذَلِكَ، وَجَمَعَ بَيْنَ حَاجِبِهِ سُبُكْتِكِينَ وَوَزِيرِهِ الْمُهَلَّبِيِّ، وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَوَصَّاهُمَا بِوَلَدِهِ **بَخْتِيَارَ** خَيْرًا، ثُمَّ عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ.

فَعَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى **الْأَهْوَازِ،** وَاعْتَقَدَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ مِنْ هَوَاءِ بَغْدَادَ وَمَائِهَا، فَأُشِيرَ عَلَيْهِ بِالْمُقَامِ بِهَا، وَأَنْ يَبْنِيَ بِهَا دَارًا فِي أَعْلَاهَا حَيْثُ الْهَوَاءُ أَرَقُّ وَالْمَاءُ أَصْفَى، **فَبَنَى لَهُ دَارًا غَرِمَ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ،** فَاحْتَاجَ لِذَلِكَ أَنْ **يُصَادِرَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ** وَيُقَالُ: أَنْفَقَ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمَاتَ وَهُوَ يَبْنِي فِيهَا.

وَقَدْ خَرَّبَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ مَعَالِمِ بَغْدَادَ فِي بِنَائِهَا، وَكَانَ مِمَّا خَرَّبَ فِيهَا الْمَعْشُوقُ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى، وَقَلَعَ الْأَبْوَابَ الْحَدِيدَ الَّتِي عَلَى مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ وَالرُّصَافَةِ وَقَصْرِهَا، وَحَوَّلَهَا إِلَى دَارِهِ هَذِهِ لَا تَمَّتْ فَرْحَتُهُ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ ثَالِثَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فِي سنة (٣٥٦هـ) تُوُفِّيَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ، بِعِلَّةِ **الذَّرَبِ** فَصَارَ لَا يَثْبُتُ فِي مَعِدَتِهِ شَيْءٌ بِالْكُلِّيَّةِ، **وَلَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ،** وَأَنَابَ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَرَدَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ، وَتَصَدَّقَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْوَالِهِ، وَأَعْتَقَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ مَمَالِيكِهِ، وَعَهِدَ إِلَى ابْنِهِ **بَخْتِيَارَ** عِزِّ الدَّوْلَةِ.

وَقَدِ اجْتَمَعَ بِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ، فَكَلَّمَهُ فِي السُّنَّةِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا زَوَّجَ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: وَاللهِ مَا سَمِعْتُ بِهَذَا قَطُّ. وَرَجَعَ إِلَى السُّنَّةِ وَمُتَابَعَتِهَا، وَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، خَرَجَ ذَلِكَ العالم إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا تُصَلِّي هَاهُنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ دَارَكَ مَغْصُوبَةٌ. فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ ذَلِكَ.

وَكَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ حَلِيمًا كَرِيمًا عَاقِلًا، وَكَانَتْ إِحْدَى يَدَيْهِ مَقْطُوعَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ السُّعَاةَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ؛ لِيَبْعَثَ بِأَخْبَارِهِ إِلَى أَخِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ إِلَى شِيرَازَ سَرِيعًا، وَحَظِيَ عِنْدَهُ أَهْلُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ، وَتَعَلَّمَ أَهْلُ بَغْدَادَ ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَجْرِي فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ فَرْسَخًا، وَكَانَ فِي الْبَلَدِ سَاعِيَانِ مَاهِرَانِ، وَهُمَا فَضْلٌ، وَمَرْعُوشٌ، يَتَعَصَّبُ لِهَذَا عَوَامُّ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلِهَذَا عَوَامُّ أَهْلِ الشِّيعَةِ، وَجَرَتْ لَهُمَا مَنَاصِفُ [1] وَمَوَاقِفُ.

وَلَمَّا مَاتَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ دُفِنَ بِبَابِ التِّبْنِ فِي مَقَابِرِ قُرَيْشٍ، وَجَلَسَ ابْنُهُ لِلْعَزَاءِ وتلقب بعز الدولة، وقد بَعَثَ عِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى رُءُوسِ الناس فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِمَالٍ جَزِيلٍ؛ لِئَلَّا تَجْتَمِعَ الدَّوْلَةُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ مُبَايَعَتِهِ، وَهَذَا مِنْ عَقْلِهِ وَدَهَائِهِ.

وَكَانَ عُمُرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمُدَّةُ وِلَايَتِهِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا.

○ تولية القضاء بالضمان

فِي سنة (٣٥٠هـ) مَاتَ الْقَاضِي أَبُو السَّائِبِ عُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَقُبِضَتْ أَمْلَاكُهُ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْقَضَاءَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَضَمِنَ أَنْ يُؤَدِّيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، وَسَارَ وَمَعَهُ الدَّبَادِبُ وَالْبُوقَاتُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ضَمِنَ الْقَضَاءَ، [2] وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْخَلِيفَةُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ

---

(١) جمع منصف: وهو اختلاس الحق بحيلة (عامية)، تاج العروس (ن ص ف).

(٢) هذه الطريقة في ضمان الوظائف العامة وشراءها من أسباب الفساد المالي والظلم للناس، وأسوأ شيء في هذا ضمان القضاء والحسبة، وهي وظائف شرعية.

فِـي الْحُضُورِ عِنْدَهُ وَلَا فِي حُضُورِ الْمَوْكِبِ لِأَجْلِ ذَلِكَ، ثُمَّ ضَمِنَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ **الشُّـرْطَةَ** وَضَمِنَ **الْحِسْبَةَ** أَيْضًا.

وفي سـنة (٣٥٢هـ) عُزِلَ **ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ** عَنِ الْقَضَاءِ، وَنُقِضَتْ سِجِلَّاتُهُ، وَأُبْطِلَتْ أَحْكَامُهُ مُدَّةَ أَيَّامِهِ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ أَبُو بِشْرٍ **عُمَرُ بْنُ أَكْثَمَ** بِلَا رِزْقٍ.

❍ وفاة عَبْد الرَّحْمَنِ صاحب الأندلس

فِي سـنة (٣٥٠هـ) تُوُفِّيَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ **عَبْـدُ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ**، صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسِـينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ يَوْمَ مَاتَ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَتَرَكَ أَحَدَ عَشَرَ وَلَدًا.

وَكَانَ أَبْيَضَ حَسَـنَ الْوَجْهِ، عَظِيمَ الْجِسْـمِ، طَوِيلَ الظَّهْرِ، قَصِيرَ السَّـاقَيْنِ، وَهُوَ **أَوَّلُ مَـنْ تَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ** مِـنْ أَوْلَادِ الْأُمَوِيِّينَ الدَّاخِلِينَ إِلَى الأندلس، وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُ ضَعْـفُ الْخُلَفَاءِ بِالْعِرَاقِ، وَتَغَلُّبُ الْفَاطِمِيِّينَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ **الْحَكَمُ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُسْـتَنْصِرِ**، وَمِنْ جُمْلَةِ أَوْلَادِ النَّاصِرِ عَبْدِ اللهِ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ نَاسِكًا شَاعِرًا.

وَلَا يُعْرَفُ فِي الْخُلَفَاءِ أَطْوَلَ مُدَّةً مِنَ النَّاصِرِ الْأُمَوِيِّ سِـوَى الْمُسْـتَنْصِرِ بْنِ الْحَاكِمِ الْفَاطِمِيِّ **صَاحِبِ مِصْرَ**، فَإِنَّهُ مَكَثَ سِتِّينَ سَنَةً.

❍ وفاة الحكم الأموي الأندلسي

فِـي سـنة (٣٦٦هـ) تُوُفِّـيَ الْحَكَمُ، وَلَقَبُهُ الْمُسْـتَنْصِرُ بِـاللهِ بْنُ النَّاصِرِ لِدِيـنِ اللهِ عَبْدِ الرَّحْمَـنِ الْأُمَـوِيِّ، وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ **خِيَـارِ الْمُلُوكِ وَعُلَمَائِهِمْ**، عَالِمًـا بِالْفِقْهِ وَالْخِلَافِ وَالتَّوَارِيخِ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ، مُدَّةُ خِلَافَتِهِ مِنْهَا خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ.

وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ **وَلَدُهُ هِشَامٌ** وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، **وَلُقِّبَ بِالْمُؤَيَّدِ بِاللهِ**، وَقَدِ اخْتُلِفَ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِهِ، وَاضْطَرَبَتِ الرَّعَايَا عَلَيْهِ، وَحُبِسَ مُدَّةً، ثُمَّ أُخْرِجَ وَأُعِيدَ إِلَى الْخِلَافَةِ،

وَقَامَ بِأَعْبَاءِ أَمْرِهِ حَاجِبُهُ **الْمَنْصُورُ أَبُو عَامِرٍ** مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ **الْمُعَافِرِيُّ**، وَابْنَاهُ الْمُظَفَّرُ وَالنَّاصِرُ، فَسَاسَ الرَّعَايَا جَيِّدًا، وَعَدَلَ فِيهِمْ، وَغَزَا الْأَعْدَاءَ، وَاسْتَقَرَّ لَهُمُ الْحَالُ كَذَلِكَ نَحْوًا مِنْ سِتٍّ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَقَدْ سَاقَ ابْنُ الْأَثِيرِ هَاهُنَا قِطْعَةً مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَأَطَالَ شَرْحَهَا. (١)

وَفِي سنة (٤٠٣هـ) عَادَتْ مَمْلَكَةُ الْأُمَوِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ، فَتَوَلَّى فِيهَا **سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَكَمِ** بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ الْأُمَوِيُّ، **وَلُقِّبَ بِالْمُسْتَعِينِ بِاللهِ**، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بِقُرْطُبَةَ.

○ امتداد الأدارسة إلى الأندلس

فِي سنة (٤٠٧هـ) كَانَ امْتِدَادُ دَوْلَةِ الْعَلَوِيِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَلِيَهَا عَلِيُّ بْنُ حَمُّودِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيُّ، فَدَخَلَ قُرْطُبَةَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَتَلَ ابْنُ حَمُّودٍ سُلَيْمَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْأُمَوِيَّ، وَقَتَلَ أَبَاهُ أَيْضًا، وَكَانَ علي بن حمود شَيْخًا صَالِحًا، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَتَلَقَّبَ بِالْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ، ثُمَّ قُتِلَ فِي الْحَمَّامِ فِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُّودٍ وَتَلَقَّبَ بِالْمَأْمُونِ، فَأَقَامَ فِي الْمُلْكِ سِتَّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى، ثُمَّ إِدْرِيسُ أَخُو يَحْيَى، ثُمَّ رجع الملْكُ للأمويين.

« ثُمَّ إِنَّ الْأَنْدَلُسَ اقْتَسَمَهُ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ وَالرُّؤَسَاءُ، فَتَغَلَّبَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَصَارُوا مِثْلَ **مُلُوكِ الطَّوَائِفِ**، وَكَانَ ذَلِكَ أَضَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَطَمِعَ بِسَبَبِهِ الْعَدُوُّ الْكَافِرُ خَذَلَهُ اللهُ فِيهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ اجْتِمَاعٌ إِلَى أَنْ مَلَكَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ **عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ**». (٢)

---

(١) الكامل ٨/ ٦٧٧-٦٨٢.

(٢) هذا النص مأخوذ من كتاب الكامل لابن الأثير ٧/ ٦١٥.

خروج ابن الداعي بالديلم

فِي سنة (٣٥٣هـ) ظَهَرَ **بِبِلَادِ الدَّيْلَمِ** أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَوْلَادِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَيُعْرَفُ **بِابْنِ الدَّاعِي**، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَتَسَمَّى **بِالْمَهْدِيِّ**، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ بَغْدَادَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ.

وفِي سنة (٣٥٥هـ) قَوِيَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللهِ **بْنِ الدَّاعِي** بِبِلَادِ الدَّيْلَمِ، وَأَظْهَرَ النُّسُكَ وَالْعِبَادَةَ، وَلَبِسَ الصُّوفَ، وَكَتَبَ إِلَى الْآفَاقِ - حَتَّى إِلَى بَغْدَادَ - يَدْعُو إِلَى الْجِهَادِ.

محاولة القرامطة انتزاع طبرية

فِي سنة (٣٥٣هـ) قَصَدَتِ **الْقَرَامِطَةُ** مَدِينَةَ **طَبَرِيَّةَ** لِيَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِ **الْإِخْشِيدِ** صَاحِبِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَطَلَبُوا مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَمُدَّهُمْ [1] بِحَدِيدٍ يَتَّخِذُونَ مِنْهُ سِلَاحًا، فَقَلَعَ لَهُمْ أَبْوَابَ الرَّقَّةِ -وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ- حَتَّى أَخَذَ أَوَاقِيَّ الْبَاعَةِ، وَأَرْسَلَ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَالُوا: اكْتَفَيْنَا.

زيارة معز الدولة لدار الخلافة

فِي سنة (٣٥٣هـ) طَلَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي دُخُولِ دَارِ الْخِلَافَةِ لِيَتَفَرَّجَ فِيهَا، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَبَعَثَ خَادِمَهُ وَحَاجِبَهُ مَعَهُ، فَطَافُوا مَعَهُ فِيهَا، وَهُوَ مُسْرِعٌ خَائِفٌ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ خَافَ مِنْ غَائِلَةِ ذَلِكَ، وَخَشِيَ أَنْ يُقْتَلَ فِي بَعْضِ الدَّهَالِيزِ، فَتَصَدَّقَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ لَمَّا خَرَجَ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِهِ، **وَازْدَادَ حُبًّا فِي الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ** مِنْ يَوْمِئِذٍ.

فَكَانَ فِي **جُمْلَةِ مَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ** بِهَا صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ عَلَى صُورَةِ امْرَأَةٍ حَسْنَاءَ جِدًّا، وَحَوْلَهَا أَصْنَامٌ صِغَارٌ فِي هَيْئَةِ الْخَدَمِ لَهَا، كَانَ قَدْ أُتِيَ بِهِ فِي زَمَنِ الْمُقْتَدِرِ، فَأُقِيمَ هُنَاكَ لِيَتَفَرَّجَ عَلَيْهِ الْجَوَارِي وَالنِّسَاءُ، فَهَمَّ الْمُعِزُّ أَنْ يَطْلُبَهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ رأى أن يترك ذَلِكَ.

---

(١) هذه صورة من صور التعاون بين القرامطة وأهل التشيع، وأن أصل مذهبهم واحد.

○ عصيان أهل سجستان أميرهم

فِي سـنة (٣٥٤هـ) عَصَى **أَهْلُ سِجِسْتَانَ** أَمِيرَهُمْ **خَلَفَ بْنَ أَحْمَدَ**، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَجَّ فِي سَـنَةِ (٣٥٣هـ)، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ **طَاهِرَ** بْنَ الْحُسَـيْنِ **فَطَمِعَ فِي الْمُلْكِ** بَعْدَهُ، وَاسْتَمَالَ أَهْلَ الْبَلَدِ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ لَمْ يُسَـلِّمْهُ الْبَلَدَ، وَعَصَى عَلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى بُخَارَى إِلَى **الْأَمِيرِ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ السَّـامَانِيِّ** فَاسْتَنْجَدَهُ، فَبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا، فَاسْتَنْقَذَ الْبَلَدَ مِنْ طَاهِرٍ، **وَسَـلَّمَهَا إِلَـى الْأَمِيرِ خَلَفِ** بْنِ أَحْمَدَ - وَقَـدْ **كَانَ خَلَفٌ عَالِمًا مُحِبًّـا لِلْعُلَمَاءِ** - فَذَهَبَ طَاهِـرٌ، فَجَمَعَ جُمُوعًا، ثُمَّ جَاءَ فَحَاصَـرَ خَلَفًا، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبَلَدَ، فَرَجَعَ خَلَفٌ إِلَى الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ السَّامَانِيِّ فَبَعَثَ مَعَهُ مَنِ اسْتَرْجَعَ **لَهُ الْبَلَدَ ثَانِيَةً**، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا اسْـتَقَرَّ خَلَفٌ بِهَا وَتَمَكَّنَ مِنْهَا، مَنَعَ مَا كَانَ يَحْمِلُهُ مِنَ الْهَدَايَا وَالتُّحَفِ وَالْخلَعِ إِلَـى الْأَمِيرِ مَنْصُورٍ السَّـامَانِيِّ بِبُخَـارَى، فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًـا، فَتَحَصَّنَ خَلْـفٌ فِي حِصْنٍ يُقَالُ لَهُ: **حِصْنُ أَرْكَ**. فَنَازَلَهُ الْجَيْشُ فِيهِ تِسْـعَ سِـنِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لِمَنَاعَةِ هَذَا الْحِصْنِ وَصُعُوبَتِهِ وَعُمْقِ خَنْدَقِهِ وَارْتِفَاعِهِ.

○ معونة أهل خوارزم للخزر

فِي سـنة (٣٥٤هـ) قَصَـدَتْ **طَائِفَةٌ مِـنَ التُّرْكِ** بِـلَادَ **الْخَزَرِ**، فَاسْـتَنْجَدَ الْخَـزَرُ **بِأَهْلِ خُـوَارِزْمَ** فَقَالُـوا: **لَوْ أَسْـلَمْتُمْ لَنَصَرْنَاكُمْ**. فَأَسْـلَمُوا إِلَّا مَلِكُهُـمْ، فَقَاتَلُوا مَعَهُـمُ التُّرْكَ، فَأَجْلَوْهُمْ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَسْلَمَ الْمَلِكُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ رفع المواريث الحشرية

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٣٥٥هـ) نُودِيَ بِرَفْعِ الْمَوَارِيثِ الْحَشْـرِيَّةِ [١]، وَأَنْ تُرَدَّ إِلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ.

(١) الحشـرية: هـي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نـكاح أو ولاء أو الباقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له. صبح الأعشى ٣/ ٤٦٠.

بناء المارستان

فِي سنة (٣٥٥هـ) ابْتَدَأَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ فِي بِنَاءِ مَارَسْتَانٍ، وَأَرْصَدَ لَهُ أَوْقَافًا جَزِيلَةً.

قطع طريق الحجاج

وفِي سنة (٣٥٥هـ) قَطَعَتْ **بَنُو سُلَيْمٍ** السَّابِلَةَ (الطريق) عَلَى الْحَجِيجِ مِنْ أَهْلِ **الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ**، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ **عِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ بِأَحْمَالِهَا**، وَكَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتِعَةِ مَا لَا يُقَوَّمُ كَثْرَةً، وَكَانَ لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْخَوَاتِيمِيِّ، قَاضِي طَرَسُوسَ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّحَوُّلَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ بَعْدَ الْحَجِّ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَحِينَ أُخِذَتِ الْجِمَالُ تَرَكُوهُمْ عَلَى بَرْدِ الدِّيَارِ لَا شَيْءَ لَهُمْ، **فَقَلَّ مِنْهُمْ مَنْ سَلِمَ**، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ عَطِبَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

طمع الساماني في ملك بني بويه

لَمَّا مَاتَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ سنة (٣٥٦هـ) قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ بختيار، **فَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالِاشْتِغَالِ بِأَمْرِ النِّسَاءِ**، فَتَفَرَّقَ شَمْلُهُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، وَطَمِعَ **الْأَمِيرُ مَنْصُورُ** بْنُ نُوحٍ **السَّامَانِيُّ** صَاحِبُ بِلَادِ خُرَاسَانَ فِي مُلْكِ بَنِي بُوَيْهِ، وَأَرْسَلَ الْجُيُوشَ الْكَثِيفَةَ صُحْبَةَ **الْمَلِكِ وُشْمَكِيرَ**، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ **رُكْنُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ** أَرْسَلَ إِلَى ابْنِهِ **عَضُدِ الدَّوْلَةِ** وَابْنِ أَخِيهِ **عِزِّ الدَّوْلَةِ** يَسْتَنْجِدُهُمَا، فَأَرْسَلَا إِلَيْهِ بِجُنُودٍ كَثِيرَةٍ، فَرَكِبَ فِيهَا رُكْنُ الدَّوْلَةِ.

وَبَعَثَ إِلَيْهِ وُشْمَكِيرُ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ، **وَيَقُولُ**: لَئِنْ قَدَرْتُ عَلَيْكَ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَأَفْعَلَنَّ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُكْنُ الدَّوْلَةِ: لَكِنِّي إِنْ قَدَرْتُ عَلَيْكَ لَأُحْسِنَنَّ إِلَيْكَ وَلَأَصْفَحَنَّ عَنْكَ. فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِهَذَا، فَدَفَعَ اللهُ عَنْهُ شَرَّهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ وُشْمَكِيرَ رَكِبَ فَرَسًا صَعْبَةً فَتَصَيَّدَ عَلَيْهَا، فَخرج عَلَيْهِ خِنْزِيرٌ، فَنَفَرَتِ الْفَرَسُ، فَأَلْقَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَخَرَجَ الدَّمُ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ.

○ مقتل الشاعر أبي فراس الحمداني

فِي سنة (٣٥٧هـ) اقْتَتَلَ أَبُو الْمَعَالِي شَرِيفُ بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ هُوَ وَخَالُهُ وَابْنُ عَمِّ أَبِيهِ أَبُو فِرَاسِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ الشَّاعِرُ، عِنْدَ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: صَدَرُ[1]. فَقُتِلَ أَبُو فِرَاسٍ فِي الْمَعْرَكَةِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:[2] وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: **إِنَّ الْمُلْكَ عَقِيمٌ.**

○ استيلاء القرامطة على دمشق

فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٣٦٠هـ) أَخَذَتِ الْقَرَامِطَةُ دِمَشْقَ وَقَتَلُوا نَائِبَهَا جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ مِنْ جِهَةِ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، وَكَانَ رَئِيسَ الْقَرَامِطَةِ وَأَمِيرَهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَهْرَامٍ، وَقَدْ أَمَدَّهُ عِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ بِسِلَاحٍ وَعُدَدٍ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى الرَّمْلَةِ فَأَخَذُوهَا، وَتَحَصَّنَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَغَارِبَةِ بِيَافَا، فَتَرَكُوا عَلَيْهَا مَنْ يَحْصُرُهَا، ثُمَّ سَارُوا نَحْوَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْإِخْشِيدِيَّةِ وَالْكَافُورِيَّةِ، فَوَصَلُوا عَيْنَ شَمْسٍ فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَجُنُودُ جَوْهَرٍ قِتَالًا شَدِيدًا، وَالظَّفَرُ لِلْقَرَامِطَةِ، وَحَصَرُوا الْمَغَارِبَةَ حَصْرًا عَظِيمًا وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ.

○ تخاذل السلطان عن نصرة المجاهدين

لما هجم الروم في سنة (٣٦١هـ) على أهل الجزيرة، ولَمْ يَكُنْ عِنْدَ نائبها أبي تغلب دِفَاعٌ وَلَا قُوَّةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ **ذَهَبَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ يَسْتَنْصِرُونَ** وَيَسْتَصْرِخُونَ، فَرَثَى لَهُمْ أَهْلُ بَغْدَادَ وَأَرَادُوا إِدْخَالَهُمْ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ فَلَمْ يُمْكِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ **بَخْتِيَارُ بْنُ مُعِزِّ** الدَّوْلَةِ مَشْغُولًا بِالصَّيْدِ، فَذَهَبَتِ الرُّسُلُ وَرَاءَهُ، فَبَعَثَ الْحَاجِبَ سُبُكْتِكِينَ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ، فَتَجَهَّزَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ أَنْ يُعِدَّ الْمِيرَةَ وَالْإِقَامَاتِ، فَأَظْهَرَ السُّرُورَ بِذَلِكَ وَالْفَرَحَ وَالِابْتِهَاجَ.

---

(١) قرية من قرى بيت المقدس. معجم البلدان ٣/ ٣٧٥.

(٢) الكامل ٨/ ٥٨٨.

وَلَمَّا تَجَهَّزَتِ الْعَامَّةُ لِلْغزَاةِ، وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ؛ **بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ،** فَأَحْرَقَتِ السُّنَّةُ دُورَ الرَّوَافِضِ بِالْكَرْخِ، وَقَالُوا: الشَّرُّ كُلُّهُ مِنْكُمْ. **وَصَارَ الْعَيَّارُونَ** بِبَغْدَادَ يَأْخُذُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ.

وَأَرْسَلَ السطان **بَخْتِيَارُ** إِلَى **الْخَلِيفَةِ** يَطْلُبُ مِنْهُ أَمْوَالًا يَسْتَعِينُ بِهَا فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَقُولُ: **لَوْ كَانَ الْخَرَاجُ يُجْبَى إِلَيَّ لَدَفَعْتُ مِنْهُ،** فَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَبْعَثُ بِهِ إِلَيْكَ، فَتَرَدَّدَتِ الْبُرُدُ بَيْنَهُمَا، وَأَغْلَظَ بَخْتِيَارُ لِلْخَلِيفَةِ فِي ذَلِكَ وَتَهَدَّدَهُ، فَاحْتَاجَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُحَصِّلَ لَهُ شَيْئًا، فَبَاعَ بَعْضَ ثِيَابِ بَدَنِهِ وَشَيْئًا مِنْ أَثَاثِهِ، وَنَقَضَ بَعْضَ سُقُوفِ دَارِهِ، وَحَصَّلَ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، **فَصَرَفَهَا بَخْتِيَارُ** فِي مَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَأَبْطَلَ تِلْكَ الْغَزَاةَ، **فَتَغَمَّمَ النَّاسُ لِلْخَلِيفَةِ،** وَسَاءَهُمْ مَا فَعَلَ ابْنُ بُوَيْهِ مِنْ أَخْذِهِ مَالَ الْخَلِيفَةِ وَتَرْكِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَلَا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا عَنْ إِمَامِهِمْ.

وفي سنة (٣٦٢هـ) اجْتَمَعَ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ، وَابْنُ الدَّقَّاقِ الْحَنْبَلِيُّ بِعِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، وَحَرَّضُوهُ عَلَى غَزْوِ الرُّومِ، فَبَعَثَ جَيْشًا لِقِتَالِهِمْ، فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَبَعَثُوا بِرُءُوسِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ، فَسَكَنَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

الفتنة بين الديالمة والأتراك

فِي سنة (٣٦٣هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِالْبَصْرَةِ بَيْنَ **الدَّيَالِمِ وَالْأَتْرَاكِ،** فَقَوِيَتِ الدَّيْلَمُ عَلَى التُّرْكِ بِسَبَبِ أَنَّ الْمُلْكَ فِيهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَحَبَسُوا رُءُوسَهُمْ، وَنَهَبُوا كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، **وَكَتَبَ عِزُّ الدَّوْلَةِ بختيار إِلَى أَهْلِهِ في بغداد:** إِنِّي سَأَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَنِّي قَدْ **مِتُّ،** فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ فَأَظْهِرُوا النَّوْحَ، وَاجْلِسُوا لِلْعَزَاءِ، فَإِذَا جَاءَ **سُبُكْتِكِينُ** لِلتَّعْزِيَةِ فَاقْبِضُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ رُكْنُ الْأَتْرَاكِ وَرَأْسُهُمْ.

فَلَمَّا جَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى بَغْدَادَ بِذَلِكَ أَظْهَرُوا النَّوْحَ وَالصُّرَاخَ، **فَفَهِمَ سُبُكْتِكِينُ** أَنَّ هَذِهِ مَكِيدَةٌ فَلَمْ يَقْرَبْهُمْ، وَتَحَقَّقَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ، وَرَكِبَ مِنْ فَوْرِهِ فِي الْأَتْرَاكِ،

فَحَاصَرُوا دَارَ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَنْزَلَ أَهْلَهُ مِنْهَا، وَنَهَبَ مَا فِيهَا وَأَحْدَرَهُمْ مِنْ دِجْلَةَ إِلَى وَاسِطٍ مَنْفِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى بَعْثِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَقَرَّهُ بِدَارِهِ وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ سُبُكْتِكِينَ وَالْأَتْرَاكِ بِبَغْدَادَ، وَنَهَبَتِ الْأَتْرَاكُ دُورَ الدَّيْلَمِ، وَخَلَعَ سُبُكْتِكِينُ عَلَى رُؤَسَاءِ الْعَامَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعَهُ عَلَى الدَّيْلَمِ، **وَقَوِيَتِ السُّنَّةُ عَلَى الشِّيعَةِ**، وَأَحْرَقُوا الْكَرْخَ حَرِيقًا ثَانِيًا، وَظَهَرَتِ السُّنَّةُ عَلَى أَيْدِي الْأَتْرَاكِ، وَخُلِعَ الْمُطِيعُ، وَوُلِّيَ وَلَدُهُ الطَّائِعُ لِلَّهِ.

❍ القتال مع الروم

- فِي سَنَةِ (٣٣٥هـ) وَقَعَ الْفِدَاءُ بَيْنَ الرُّومِ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِ **نَصْرٍ الثَّمِلِيِّ** أَمِيرِ الثُّغُورِ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَكَانَ عِدَّةُ الْأَسَارَى نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ مُسْلِمٍ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- فِي سَنَةِ (٣٣٧هـ) دَخَلَ **سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ، صَاحِبُ حَلَبَ** إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَلَقِيَهُ جَمْعٌ كَثِيفٌ مِنَ الرُّومِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَانْهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ. وَأَخَذَتِ الرُّومُ **مَرْعَشَ**، وَأَوْقَعُوا بِأَهْلِ **طَرَسُوسَ** بَأْسًا شَدِيدًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- وَفِي سَنَةِ (٣٣٩هـ) دَخَلَ **سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ** بِجَيْشٍ كَثِيفٍ نَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى **بِلَادِ الرُّومِ**، فَوَغَلَ فِيهَا، وَفَتَحَ حُصُونًا، وَقَتَلَ خَلْقًا، وَأَسَرَ أُمَمًا، وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا ثُمَّ رَجَعَ فَأَخَذَتِ الرُّومُ عَلَيْهِ الدَّرْبَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ، فَقَتَلُوا عَامَّةَ مَنْ مَعَهُ، وَأَسَرُوا بَقِيَّتَهُمْ، وَاسْتَرَدُّوا مَا كَانَ أَخَذَهُ لَهُمْ، وَنَجَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- وفِي سنة (٣٤١هـ) مَلَكَتِ الرُّومُ **سَرُوجَ** وَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَخَرَّبُوا مَسَاجِدَهَا.

- وفِي سنة (٣٤٢هـ) دَخَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ صَاحِبُ حَلَبَ إِلَى **بِلَادِ الرُّومِ**، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرَ آخَرِينَ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَرَجَعَ سَالِمًا غَانِمًا.

⦿ وفِـي رَبيعِ الْأَوَّلِ سـنة (٣٤٣هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ بَيْنَ سَـيْفِ الدَّوْلَةِ بْـنِ حَمْدَانَ وَبَيْنَ الدُّمُسْـتُقِ، فَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِ الدُّمُسْتُقِ، وَأَسَـرَ جَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَاءِ بِطَارِقَتِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. **وَكَانَ فِي جُمْلَةِ** مَنْ قُتِلَ **قُسْـطَنْطِينُ** بْنُ الدُّمُسْـتُقِ، وَسَبَى خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسَـرَ آخَرِينَ، ثُمَّ جَمَعَ الدُّمُسْتُقُ خَلْقًا كَثِيرًا، فَالْتَقَوْا مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي شَعْبَانَ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ وَقِتَالٌ شَـدِيدٌ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَذَلَ اللهُ الْكَافِرِيـنَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأُسِـرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الـرُّءُوسِ، وَكَانَ مِنْهُمْ صِهْرُ الدُّمُسْتُقِ وَابْنُ بِنْتِهِ أَيْضًا.

⦿ فِي سنة (٣٤٥هـ) دَخَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، فَقَتَلَ وَسَبَى، وَرَجَعَ إِلَى **أَذَنَةَ** ثُـمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ فَحَمِيَتِ الـرُّومُ، فَجَمَعُوا وَأَقْبَلُوا إِلَى مَيَّافَارِقِينَ فَقَتَلُوا وَسَـبَوْا وَحَرَقُوا وَرَجَعُوا، وَرَكِبُوا فِي الْبَحْرِ إِلَى طَرَسُوسَ فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا أَلْفًا وَثَمَانِمِائَةٍ، وَسَبَوْا وَحَرَقُوا قُرًى كَثِيرَةً.

⦿ وفي سـنة (٣٤٧هـ) دَخَلَتِ الرُّومُ آمِدَ وَمَيَّافَارِقِينَ، فَقَتَلُوا أَلْفًا وَخَمْسَـمِائَةِ إِنْسَانٍ، وَأَخَذُوا مَدِينَةَ سُمَيْسَاطَ وَأَخْرَبُوهَا. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

⦿ وفِي سنة (٣٤٨هـ) دَخَلَتِ الرُّومُ طَرَسُوسَ وَالرُّهَا فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، وَغَنِمُوا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، لَعَنَهُمُ اللهُ.

⦿ وفِي سـنة (٣٤٩هـ) دَخَلَ سَـيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْـدَانَ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَـلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَفَتَحَ حُصُونًا، وَأَحْرَقَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَسَبَى وَغَنِمَ، وَكَرَّ رَاجِعًا، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الرُّومُ **الدَّرْبَ** فَمَنَعُوهُ مِنَ الرُّجُوعِ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ فِي أَصْحَابِهِ، فَمَا نَجَا فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ.

⦿ وَفِي سـنة (٣٥٠هـ) عاد قَفَلٌ مِـنْ **أَنْطَاكِيَةَ** بعد الرباط يُرِيدُونَ طَرَسُـوسَ، وَفِيهِمْ نَائِـبُ أَنْطَاكِيَـةَ، فَثَارَ عَلَيْهِمُ الْفِرنْـجُ، فَأَخَذُوهُمْ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ، فَلَـمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ سِوَى نَائِبِ أَنْطَاكِيَةَ جَرِيحًا فِي مَوَاضِعَ مِنْ بَدَنِهِ.

- وَفِي سنة (٣٥٠هـ) أيضًا دَخَلَ نَجَا غُلَامُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ، وَرَجَعَ سَالِمًا.

- فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٥١هـ)، دَخَلَ الروم بقيادة ملكهم **الدمستق عَيْنَ زَرْبَةَ** فَاسْتَأْمَنَهُمْ أَهْلُهَا فَأَمَّنَهُمُ الْمَلِكُ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَدْخُلُوا كُلُّهُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَمَنْ بَقِيَ فِي مَنْزِلِهِ قُتِلَ، فَصَارَ أَهْلُهَا كُلُّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يَبْقَيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْيَوْمَ إِلَّا ذَهَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَمَنْ تَأَخَّرَ قُتِلَ، فَازْدَحَمُوا فِي خُرُوجِهِمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَخَرَجُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ، فَمَاتَ فِي الطُّرُقَاتِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ هَدَمَ الْجَامِعَ، وَكَسَرَ الْمِنْبَرَ، وَقَطَعَ مِنْ حَوْلِ الْبَلَدِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ نَخْلَةٍ، وَهَدَمَ سُورَ الْبَلَدِ وَالْمَنَازِلَ الكبيرة فيها، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، واستولى على أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ حِصْنًا، بَعْضُهَا بِالسَّيْفِ وَبَعْضُهَا بِالْأَمَانِ، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَأَسَرَتِ الرُّومُ أَبَا فِرَاسِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ **نَائِبَ مَنْبِجَ** مِنْ جِهَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُطْبِقًا، لَهُ دِيوَانٌ حَسَنٌ. وَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِ الروم بِعَيْنِ زَرْبَةَ واحداً وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

ثُمَّ سَارَ الدُّمُسْتُقُ إِلَى **قَيْسَارِيَّةَ** فَلَقِيَهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ مَعَ **نَائِبِهَا ابْنِ الزَّيَّاتِ** فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَأَدْرَكَهُ صَوْمُ النَّصَارَى فَاشْتَغَلَ بِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ.

- وفِي سنة (٣٥١هـ) أيضًا -بعد تدمير الروم لعين زربة- دَخَلَ الدُّمُسْتُقُ مَلِكُ الرُّومِ -لَعَنَهُ اللهُ- إِلَى **حَلَبَ** بَغْتَةً فِي مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَنَهَضَ إِلَيْهِ **سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ** بِمَنْ حَضَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَاتَلَهُ فَلَمْ يَقْوَ بِهِ لِكَثْرَةِ جُنُودِهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ خَلْقًا كَثِيرًا.

وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ **قَلِيلَ الصَّبْرِ**، فَفَرَّ مُنْهَزِمًا فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا اسْتَفْتَحَ بِهِ الدمستق أَنِ اسْتَحْوَذَ عَلَى دَارِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ظَاهِرَ الْبَلَدِ، فَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالًا عَظِيمَةً وَحَوَاصِلَ، وَعُدَدًا لِلْحَرْبِ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، ثُمَّ تَدَنَّى فَحَاصَرَ السُّورَ، فَقَاتَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ دُونَهُ قِتَالًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الرُّومِ، وَثَلَمَتِ الرُّومُ فِي السُّورِ ثُلْمَةً عَظِيمَةً، فَوَقَفَ

فِيهَا الرُّومُ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، فَأَزَاحُوهُمْ عَنْهَا، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ جَدَّ الْمُسْلِمُونَ فِي عِمَارَتِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ إِلَّا وَهِيَ كَمَا كَانَتْ، وَحَفِظُوا السُّورَ حِفْظًا عَظِيمًا.

ثُمَّ بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ **رَجَّالَةَ الشُّرَطِ** قَدْ عَاثُوا فِي الْبَلَدِ يَنْهَبُونَ الدُّورَ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ يَمْنَعُونَهَا مِنْهُمْ، وَغَلَبَتِ الرُّومُ عَلَى السُّورِ، فَعَلَوْهُ وَدَخَلُوا الْبَلَدَ يَقْتُلُونَ مَنْ لَقُوهُ، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَانْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَالنِّسَاءَ، وَخَلَّصُوا مَنْ كَانَ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُسَارَى الرُّومِ، وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَأَخَذُوا السُّيُوفَ فَقَاتَلُوا مَعَ قَوْمِهِمْ، وَكَانُوا أَضْرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ، وَمِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَمِنَ الرِّجَالِ أَلْفَيْنِ، وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ وَأَحْرَقُوهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى حَمْلِهِ أَحْرَقُوهُ، وَأَقَامُوا فِي الْبَلَدِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْمَفَاسِدَ الْعَظِيمَةَ. (١)

ثُمَّ عَزَمَ الدُّمُسْتُقُ عَلَى الِانْصِرَافِ خَوْفًا مِنْ رُجُوعِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أُخْتِهِ: أَتَذْهَبُ وَتَتْرُكُ الْقَلْعَةَ وَرَاءَكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّا قَدْ بَلَغْنَا فَوْقَ مَا كُنَّا نُؤَمِّلُهُ، وَإِنَّ بِهَا مُقَاتِلَةً وَرِجَالًا غُزَاةً، فَقَالَ: لَا بُدَّ لَنَا مِنْهَا. فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَيْهَا. فَصَمَدَ إِلَيْهَا لِيُحَاصِرَهَا فَرَمَوْهُ بِحَجَرٍ، فَقَتَلَهُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ مِنْ بَيْنِ الْجَيْشِ كُلِّهِ، فَغَضِبَ الدُّمُسْتُقُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا.

- وَفِي سَنة (٣٥١هـ) أيضـًا أَعَادَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِنَاءَ **عَيْنِ زَرْبَةَ** وَبَعَثَ مَوْلَاهُ نَجَا، فَدَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ، فَقَتَلَ مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَسَبَى جَمًّا غَفِيرًا، وَغَنِمَ وَسَلِمَ، وَبَعَثَ حَاجِبَهُ مَعَ جَيْشِ طَرَسُوسَ فَدَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ فَغَنِمُوا وَسَبَوْا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ.

---

(١) كل ذلك بسبب فعل الشُّرَط والبلاحية في البلد، قاتلهم الله وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضيـًا، يحب الشيعة ويبغض أهل السنة، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب. انظر: البداية والنهاية ١٥/ ٢٥٤- هامش (١).

⊙ وفي سنة (٣٥٢هـ) أَغَارَتِ **الْأَرْمَنُ** عَلَى **الرُّهَا** فَقَتَلُوا وَأَسَرُوا، وَرَجَعُوا مُوقَرِينَ.

وَثَارَتِ **الرُّومُ** بِمَلِكِهِمْ فَقَتَلُوهُ، وَوَلَّوْا غَيْرَهُ، وَمَاتَ الدُّمُسْتُقُ مَلِكُ الْأَرْمَنِ، وَاسْمُهُ **النِّقْفُورُ**، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ حَلَبَ.

⊙ وَفِي سنة (٣٥٣هـ) جَاءَ الدُّمُسْتُقُ إِلَى **الْمِصِّيصَةِ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَحَاصَرَهَا وَنَقَبَ سُورَهَا، فَدَافَعَهُ أَهْلُهَا، فَأَحْرَقَ رُسْتَاقَهَا، وَقَتَلَ مِمَّنْ حَوْلَهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، وَعَاثُوا فَسَادًا فِي بِلَادِ أَذَنَةَ وَطَرَسُوسَ، وَكَرُّوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ قَبَّحَهُمُ اللهُ.

⊙ وَفِي سنة (٣٥٣هـ) قَصَدَ **مَلِكُ الرُّومِ**، وَفِي صُحْبَتِهِ **الدُّمُسْتُقُ** مَلِكُ الْأَرْمَنِ بِلَادَ طَرَسُوسَ فَحَاصَرُوهَا مُدَّةً، ثُمَّ غَلَتْ عَلَيْهِمُ الْأَسْعَارُ، وَأَخَذَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ، فَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَكَرُّوا رَاجِعِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وَكَانَ مِنْ عَزْمِهِمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْتَحْوِذُونَ عَلَى الْبِلَادِ كُلِّهَا، فَرَجَعُوا خَاسِئِينَ.

⊙ وفِي رَجَبٍ سنة (٣٥٤هـ) جَاءَ **مَلِكُ الرُّومِ** بِجُيُوشٍ كَثِيفَةٍ إِلَى **الْمِصِّيصَةِ** فَفَتَحَهَا قَسْرًا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا، وَاسْتَاقَ بَقِيَّتَهُمْ مَعَهُ أُسَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ إِنْسَانٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَجَاءَ إِلَى **طَرَسُوسَ** فَسَأَلَ أَهْلُهَا مِنْهُ الْأَمَانَ، فَأَمَّنَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجَلَاءِ عَنْهَا وَالِانْتِقَالِ مِنْهَا، فَاتَّخَذَ الْجَامِعَ إِسْطَبْلًا لِخُيُولِهِ، وَحَرَّقَ الْمِنْبَرَ، وَنَقَلَ قَنَادِيلَهُ إِلَى كَنَائِسِ بَلَدِهِ، وَتَنَصَّرَ بَعْضُ أَهْلِهَا مَعَهُ، لَعَنَهُ اللهُ.

وَكَانَ أَهْلُ **طَرَسُوسَ وَالْمِصِّيصَةِ** قَدْ أَصَابَهُمْ قَبْلَ هَذَا الْبَلَاءِ غَلَاءٌ عَظِيمٌ، وَوَبَاءٌ شَدِيدٌ، بِحَيْثُ كَانَ يَمُوتُ مِنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثُمِائَةِ نَفَرٍ، ثُمَّ دَهَمَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ الشَّدِيدُ، فَانْتَقَلُوا مِنْ شَهَادَةٍ إِلَى شَهَادَةٍ أَعْظَمَ مِنْهَا.

وَعَزَمَ مَلِكُ الرُّومِ عَلَى الْمُقَامِ بِطَرَسُوسَ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ عَنَّ لَهُ، فَسَارَ إِلَى **الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ** وَفِي خِدْمَتِهِ الدُّمُسْتُقُ مَلِكُ الْأَرْمَنِ، لَعَنَهُمَا اللهُ.

- وَفِي سنة (٣٥٤هـ) أيضًا تَغَلَّبَ عَلَى **أَنْطَاكِيَةَ** رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **رَشِيقٌ النَّسِيْمِيُّ**، بِمُسَاعَدَةِ ابْنُ الْأَهْوَازِيِّ. وَكَانَ يَضْمَنُ الطَّوَاحِينَ، فَأَعْطَاهُ أَمْوَالًا، وَأَطْمَعَهُ فِي أَخْذِ أَنْطَاكِيَةَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ قَدِ اشْتَغَلَ بِمَيَّافَارِقِينَ، وَعَجَزَ عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى حَلَبَ فَتَمَّ لَهُمَا مَا رَامَاهُ مِنْ أَخْذِ أَنْطَاكِيَةَ.

- وَفِي سنة (٣٥٥هـ) قَصَدَتِ الرُّومُ **آمِدَ** فَحَاصَرُوهَا، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ قَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا ثَلَاثَمِائَةٍ وَأَسَرُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَمِائَةٍ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى **نَصِيبِينَ** وَفِيهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ، فَهَمَّ بِالْهَرَبِ مَعَ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأَخَّرَ مَجِيءُ الرُّومِ، فَثَبَتَ مَكَانَهُ، وَقَدْ كَادُوا يُزِيلُونَ أَرْكَانَهُ.

- وَفِي سنة (٣٥٥هـ) أيضًا تَمَّ الْفِدَاءُ بَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَبَيْنَ **الرُّومِ**، فَاسْتَنْقَذَ مِنْهُمْ أُسَارَى كَثِيرَةً، مِنْهُمُ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو فِرَاسِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ حِصْنٍ الْقَاضِي، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا.

- فِي سنة (٣٥٧هـ) وَرَدَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الرُّومِ إِلَى بِلَادِ أَنْطَاكِيَةَ فَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ حَوَاضِرِهَا، وَسَبَوْا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِهَا، وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ أَحَدٌ.

- فِي سنة (٣٥٨هـ) عَاثَتِ الرُّومُ فِي الْبِلَادِ فَسَادًا، وَحَرَقُوا **حِمْصَ** وَأَفْسَدُوا فِيهَا فَسَادًا عَرِيضًا، وَسَبَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوًا مِنْ **مِائَةِ أَلْفِ** إِنْسَانٍ[1]، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- فِي سنة (٣٥٩هـ) دَخَلَتِ الرُّومُ الْمَلَاعِينُ **أَنْطَاكِيَةَ** فَنَفَوْا مِنْ أَهْلِهَا الشُّيُوخَ

(١) إذا كانت هذه الأرقام دقيقة فهي مصيبة كبيرة؛ حيث ضُرب الذل على هذا العدد، فلم يقاوموا. فلاحول ولاقوة إلا بالله

وَالْعَجَائِزَ، وَسَبَوْا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ نَحوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ بِتَدْبِيرِ **مَلِكِ الْأَرْمَنِ نُقْفُورَ**، لَعَنَهُ اللهُ.

⊙ وفي سنة (٣٥٩هـ) دَخَلَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى **طَرَابُلُس** فَأَحْرَقَ كَثِيرًا مِنْهَا، وَمَلَكَ **قَلْعَةَ عِرْقَةَ** وَنَهَبَهَا وَسَبَى أَهْلَهَا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى السَّوَاحِلِ، فَمَلَكُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْبَرًا سِوَى الْقُرَى، **وَتَنَصَّرَ** خَلْقٌ كَثِيرٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ، لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

⊙ وَجَاءُوا إِلَى **حِمْصَ** فَحَرَقُوا وَنَهَبُوا. وَمَكَثَ مَلِكُ الرُّومِ شَهْرَيْنِ يَأْخُذُ مَا شَاءَ مِنَ الْبِلَادِ، وَيَأْسِرُ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادِ، وَصَارَتْ لَهُ مَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ وَمَعَهُ مِنَ السَّبْيِ نَحْوٌ مِنْ **مِائَةِ أَلْفِ صَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ**.

وَبَعَثَ ملك الروم سَرِيَّةً إِلَى **الْجَزِيرَةِ** فَنَهَبُوا وَسَبَوْا، ثُمَّ سَارَ إِلَى حُمَاةَ فَمَلَكَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ.

⊙ وَفِي الْمُحَرَّمِ مِنْ فِي سنة (٣٦١هـ) أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى **الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ**، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الرَّهَا وَسَارُوا فِي الْبِلَادِ كَذَلِكَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَغْنَمُونَ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا **نَصِيبِينَ** وَفَعَلُوا كَذَلِكَ بِبِلَادِ بَكْرٍ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّوَاحِي أَبُو تَغْلِبَ بْنُ حَمْدَانَ مُتَوَلِّيهَا شَيْئًا.

⊙ فِي سنة (٣٦٢هـ) سَارَتِ الرُّومُ مَعَ الدُّمُسْتُقِ - لَعَنَهُ اللهُ - إِلَى **حِصَارِ آمِدَ** وَعَلَيْهَا هَزَارمَرْدُ غُلَامُ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ حَمْدَانَ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي تَغْلِبَ يَسْتَصْرِخُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَخَاهُ أَبَا الْقَاسِمِ هِبَةَ اللهِ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَاجْتَمَعَا لِقِتَالِهِ، فَلَقِيَاهُ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ لَا مَجَالَ لِلْخَيْلِ فِيهِ، فَاقْتَتَلُوا مَعَ الرُّومِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَعَزَمَتِ الرُّومُ عَلَى الْفِرَارِ، فَلَمْ تَقْدِرْ، فَاسْتَحَرَّ فِيهِمُ الْقَتْلُ، **وَأُخِذَ الدُّمُسْتُقُ أَسِيرًا**، فَأُودِعَ فِي السِّجْنِ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ فِي سنة (٣٦٣هـ)، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ أَبُو تَغْلِبَ الْأَطِبَّاءَ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ شَيْءٌ.

○ آثار التسلط الشيعي ومآسيه(*)

⊙ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣٣٨هـ) وَقَعَتْ **فِتْنَةٌ بَيْنَ الشِّيعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ**، وَنُهِبَتِ الْكَرْخُ.

⊙ وفِي سنة (٣٤٠هـ) رُفِعَ إِلَى **الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ** رَجُلٌ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْعَزَاقِرِ، الَّذِي كَانَ قُتِلَ عَلَى الزَّنْدَقَةِ، كَمَا قُتِلَ الْحَلَّاجُ وَأَنَّ هَـذَا الرَّجُلَ يَدَّعِي مَا كَانَ يَدَّعِيهِ ابْنُ أَبِي الْعَزَاقِرِ، وَقَدِ اتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَهَلَةِ بِبَغْدَادَ، وَصَدَّقُوهُ فِي دَعْوَاهُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِمْ، وَوُجِدَ فِي مَنْزِلِهِ كُتُبٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

⊙ فَلَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّهُ هَالِكٌ **ادَّعَى أَنَّهُ شِيعِيٌّ** لِيَحْظَى عِنْدَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، وَقَدْ كَانَ يُحِبُّ الرَّافِضَةَ، فَلَمَّا اشْتُهِرَ ذَلِكَ لَمْ يَتَمَكَّنِ الْوَزِيرُ مِنْهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَأَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ الشِّيعَةُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، غَيْرَ أَنَّهُ احْتَاطَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، فَكَانَ يُسَمِّيهَا أَمْوَالَ الزَّنَادِقَةِ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي رَمَضَانَ سنة (٣٤٠هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِسَبَبِ الْمَذْهَبِ.

⊙ وفِي سنة (٣٤٥هـ) وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ أَصْبَهَانَ وَأَهْلِ قُمَّ بِسَبَبِ سَبِّ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ قُمَّ فَثَارَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ أَصْبَهَانَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا أَمْوَالَ التُّجَّارِ، فَغَضِبَ **رُكْنُ الدَّوْلَةِ لِأَهْلِ قُمَّ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ شِيعِيًّا، فَصَادَرَ أَهْلَ أَصْبَهَانَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

⊙ وفِي سنة (٣٤٦هـ) كَانَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْمَذْهَبِ، بِسَبَبِ السَّبِّ، **فَقُتِلَ** مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

(*) ظاهرة الفتن والاقتتال بين السنة والشيعة راجعة إلى ضعف السلطة، وتعصبها للروافض، وإطلاقهم في نشر بدعهم ومذهبهم الباطل، وهي ظاهرة صاحبت قيام السلطة البويهية.

⊙ وفِي سنة (٣٤٨هـ) كَانَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وفِي سـنة (٣٤٩هـ) كَانَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالسُّـنَّةِ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وَفِي سنة (٣٥١هـ) كَتَبَتِ الْعَامَّةُ مِنَ الرَّوَافِضِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ بِبَغْدَادَ: **لَعَنَ اللهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ**، وَلَعَنَ مَنْ غَصَبَ فَاطِمَةَ فَدَكَ - يَعْنُونَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنْ أَخْرَجَ الْعَبَّاسَ مِنَ الشُّورَى - يَعْنُونَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ - يَعْنُونَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنْ مَنَعَ دَفْنَ الْحَسَنِ عِنْدَ جَدِّهِ - يَعْنُونَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ -.

وَلَمَّـا بَلَـغَ ذَلِكَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ **لَمْ يُنْكِـرْهُ وَلَمْ يُغَيِّرْهُ**، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ السُّـنَّةِ مَحَوْا ذَلِكَ، **فَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ**: لَعَنَ اللهُ الظَّالِمِينَ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَالتَّصْرِيحِ بِاسْـمِ مُعَاوِيَةَ فِي اللَّعْنِ.

قَـال ابن كثير: [(١)] **قَبَّحَ اللهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ** وَشِـيعَتَهُ مِنَ الرَّوَافِضِ، وَكَذَلِكَ **سَـيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ** بِحَلَبَ فِيهِ تَشَـيُّعٌ وَمَيْلٌ إِلَى الرَّوَافِضِ، **وَلَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ لَا يَنْصُرُ** أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، وَيُدِيـلُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُـمْ؛ لِمُتَابَعَتِهِـمْ أَهْوَاءَهُمْ، وَتَقْلِيدِهِـمْ سَـادَتَهُمْ ووَآبَاءَهُمْ، وَتَرْكِ مُتَابَعَتِهِمْ أَنْبِيَاءَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ.

وَلِهَـذَا لَمَّـا مَلَكَتِ **الْفَاطِمِيَّةُ** بِلَادَ الشَّـامِ؛ اسْـتَحْوَذَ عَلَى سَـوَاحِلِهَا كُلِّهَـا حَتَّى بَيْتِ **الْمَقْدِسِ** الْفِرِنْجُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الْمُسْـلِمِينَ سِوَى حَلَبَ وَحِمْصَ وَحَمَاةَ وَدِمَشْقَ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَجَمِيعُ السَّـوَاحِلِ مَعَ الْفِرِنْجِ وَالنَّوَاقِيسُ النَّصْرَانِيَّةُ وَالْقُسُـوسُ الْإِنْجِيلِيَّةُ تَنْعَرُ فِي الشَّوَاهِقِ مِنَ الْحُصُونِ وَالْقِلَاعِ.

⊙ وَفِي سـنة (٣٥١هـ) أيضـًا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ **أَهْلِ الْبَصْرَةِ** بِسَـبَبِ الْمَذَاهِبِ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ.

---

(١) البداية والنهاية ١٥/ ٢٥٥.

⊙ وفِي عَاشِـرِ الْمُحَرَّم سـنة (٣٥٢هـ) أَمَرَ مُعِـزُّ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْـهِ - قَبَّحَـهُ اللهُ - أَنْ تُغْلَقَ الْأَسْـوَاقُ، وَأَنْ يَلْبَسَ النَّاسُ الْمُسُـوحَ مِنَ الشَّـعْرِ، وَأَنْ تَخْرُجَ النِّسَـاءُ حَاسِـرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، نَاشِرَاتٍ شُعُورَهُنَّ فِي الْأَسْوَاقِ، يَلْطُمْنَ وُجُوهَهُنَّ، يَنُحْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَفُعِلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُمْكِنْ أَهْلَ السُّنَّةِ مَنْعُ ذَلِكَ؛ لِكَثْرَةِ الشِّيعَةِ، وَكَوْنِ السُّلْطَانِ مَعَهُمْ.

⊙ وَفِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٥٢هـ) أيضـًا أَمَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بِإِظْهَارِ الزِّينَةِ بِبَغْدَادَ، وَأَنْ تُفْتَحَ الْأَسْـوَاقُ بِاللَّيْـلِ كَمَا فِي الْأَعْيَـادِ، وَأَنْ تُضْرَبَ الدَّبَـادِبُ وَالْبُوقَاتُ، وَأَنْ تُشْـعَلَ النِّيرَانُ بِأَبْوَابِ الْأُمَرَاءِ وَعِنْدَ الشُّـرَطِ؛ فَرَحًا بِعِيدِ الْغَدِيـرِ - **غَدِيرِ خُمٍّ** - فَكَانَ وَقْتًا عَجِيبًا، وَيَوْمًا مَشْهُودًا، وَبِدْعَةً ظَاهِرَةً مُنْكَرَةً.

⊙ فِي عَاشِـرِ الْمُحَرَّم سنة (٣٥٣هـ) عَمِلَتِ الرَّافِضَةُ عَزَاءَ الْحُسَيْنِ على عادتهم، فَاقْتَتَلَ الرَّوَافِضُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ قِتَالًا شَدِيدًا، وَانْتُهِبَتِ الْأَمْوَالُ.

⊙ وفِي عَاشِـرِ الْمُحَرَّم سـنة (٣٥٤هـ) عَمِلَتِ الشِّـيعَةُ الْمَآتِمَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي السَّـنَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْـوَاقُ وَعُلِّقَتِ الْمُسُـوحُ، وَخَرَجَتِ النِّسَاءُ سَافِرَاتٍ نَاشِرَاتٍ، يَنُحْنَ وَيَلْطُمْنَ وُجُوهَهُنَّ فِي الْأَسْـوَاقِ وَالْأَزِقَّةِ، **وَهَذَا تَكَلُّفٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَلَا فِـي الدُّنْيَـا**، وَلَوْ كَانَ هَذَا أَمْرًا مَحْمُودًا لَكَانَ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَخِيرَتُهَا أَوْلَى بِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَـبَقُونَا إِلَيْهِ، وَأَهْلُ السُّـنَّةِ يَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدِعُونَ، وَتَسَـلَّطَتْ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الرَّوَافِضِ، فَكَبَسُـوا **مَسْجِدَ بَرَاثَا** الَّذِي هُوَ عُشُّ الرَّوَافِضِ، وَقَتَلُوا بَعْضَ مَنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْقَوَمَةِ.

⊙ وَفِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٥٤هـ) أيضـًا عَمِلَتِ الرَّوَافِضُ عِيدَ غَدِيرِ خُمٍّ عَلَى الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ.

⊙ وفِي عَاشِـرِ الْمُحَرَّم من سـنة (٣٥٥هـ) عَمِلَـتِ الرَّوَافِـضُ بِبَغْدَادَ بِدْعَتَهُمُ الشَّـنْعَاءَ وَفِتْنَتَهُمُ الصَّلْعَاءَ. وقد اسـتمروا على هذه البدعة المكررة **في كل سـنة**، والسـلطان يؤيدهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون

⦿ وَفِي سنة (٣٦٢هـ) احْتَرَقَ الْكَرْخُ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ **سَبَبُهُ** أَنَّ صَاحِبَ الْمَعُونَةِ ضَرَبَ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ فَمَاتَ، فَثَارَ بِهِ الْعَامَّةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ فَدَخَلَ دَارًا، فَأَخْرَجُوهُ مَسْحُوبًا، وَقَتَلُوهُ وَحَرَقُوهُ، فَرَكِبَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الشِّيرَازِيُّ - وَكَانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلسُّنَّةِ - وَبَعَثَ حَاجِبَهُ إِلَى أَهْلِ الْكَرْخِ، **فَأَلْقَى فِي دُورِهِمُ النَّارَ، فَاحْتَرَقَتْ** طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الدُّورِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةِ دُكَّانٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ مَسْجِدًا، وَسَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَزَلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ وَزِيرَهُ هَذَا عَنِ الْوِزَارَةِ.

⦿ وفِي سنة (٣٦٣هـ) عُمِلَتِ الْبِدْعَةُ الشَّنْعَاءُ عَلَى عَادَةِ الرَّوَافِضِ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ قَلِيلُ عَقلٍ، بَعِيدٌ عَنِ السَّدَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ **أَرْكَبُوا امْرَأَةً وَسَمَّوْهَا عَائِشَةَ**، وَتَسَمَّى بَعْضُهُمْ بِطَلْحَةَ، وَبَعْضُهُمْ بِالزُّبَيْرِ وَقَالُوا: نُقَاتِلُ أَصْحَابَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَعَاثَتِ الْعَيَّارُونَ فِي الْبَلَدِ بِالْفَسَادِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الرِّجَالِ، ثُمَّ أَخَذَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَقُتِلُوا وَصُلِبُوا، فَسَكَنَتِ النُّفُوسُ.

○ ظواهر كونية

⦿ وفِي سنة (٣٤٥هـ) **زُلْزِلَتْ** هَمَذَانُ زِلْزَالًا شَدِيدًا، انْهَدَمَتِ الْبُيُوتُ، وَانْشَقَّ قَصْرُ شِيرِينَ بِصَاعِقَةٍ، وَمَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ..

⦿ وفِي سنة (٣٤٦هـ) **نَقَصَ الْبَحْرُ** ثَمَانِينَ ذِرَاعًا، وَيُقَالُ: بَاعًا. فَبَدَتْ فِيهِ جِبَالٌ وَجَزَائِرُ لَمْ تَكُنْ تُرَى قَبْلَ ذَلِكَ.

وفِي هذه السنة كَانَتْ بِالْعِرَاقِ وَبِلَادِ الرَّيِّ وَالْجَبَلِ وَقُمَّ وَنَحْوِهَا **زَلَازِلُ** كَثِيرَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، نَحْوَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، تَسْكُنُ ثُمَّ تَعُودُ، فَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَبْنِيَةٌ كَثِيرَةٌ، وَغَارَتْ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وفي سنة (٣٤٧هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ** بِبَغْدَادَ فِي شَهْرِ نِيسَانَ وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ، فَمَاتَ بِسَبَبِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَخَرِبَتْ دَوْرٌ كَثِيرَةٌ، وَظَهَرَ فِي آخِرِ نِيسَانَ وَشَهْرِ أَيَّارَ جَرَادٌ كَثِيرٌ أَتْلَفَ الْغَلَّاتِ الصَّيْفِيَّةَ وَالثِّمَارَ.

◉ وفِي سنة (٣٤٨هـ) **قَلَّتِ الْأَمْطَارُ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ**، وَاسْتَسْقَى النَّاسُ فَلَمْ يُسْقَوْا، وَظَهَرَ جَرَادٌ عَظِيمٌ فِي آذَارَ، فَأَكَلَ مَا نَبَتَ مِنَ الْخُضْرَاوَاتِ، فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ جِدًّا، فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

◉ وَحَصَلَ بِالْعِرَاقِ سنة (٣٥٨هـ) **غَلَاءٌ عَظِيمٌ**، كَانَ يُعْدَمُ الْخُبْزُ بِالْكُلِّيَّةِ.

◉ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَفِي سنة (٣٥٩هـ) نَقَصَتْ دِجْلَةُ حَتَّى غَارَتِ الْآبَارُ.

◉ قَالَ: وَانْقَضَّ كَوْكَبٌ فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَأَضَاءَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا حَتَّى بَقِيَ لَهُ شُعَاعٌ كَالشَّمْسِ، ثُمَّ سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَالرَّعْدِ.

❍ الأمراض والأوبئة

◉ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[1] فِي سنة (٣٤٤هـ) شَمِلَ النَّاسَ بِبَغْدَادَ وَوَاسِطٍ وَأَصْبَهَانَ وَالْأَهْوَازِ، **دَاءٌ مُرَكَّبٌ** مِنْ دَمٍ وَصَفْرَاءَ وَوَبَاءٍ، مَاتَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، بِحَيْثُ كَانَ يَمُوتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَرِيبٌ مِنْ أَلْفِ نَفْسٍ، وَجَاءَ فِيهَا جَرَادٌ عَظِيمٌ أَكَلَ الْخُضْرَاوَاتِ وَالْأَشْجَارَ وَالثِّمَارَ.

◉ وَفِي شهر تشرين سنة (٣٤٦هـ) كَثُرَتْ فِي النَّاسِ **أَوْجَاعٌ وأمراض**، وَكَثُرَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ حَتَّى إِنَّ لِصًّا نَقَبَ دَارًا لِيَدْخُلَهَا، فَمَاتَ وَهُوَ فِي النَّقْبِ، وَلَبِسَ الْقَاضِي خِلْعَةَ الْقَضَاءِ؛ لِيَخْرُجَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَبِسَ إِحْدَى خُفَّيْهِ، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأُخْرَى.

◉ وفِي سنة (٣٥٧هـ) عَرَضَ لِلنَّاسِ فِي تِشْرِينَ **دَاءُ الْمَاشَرَا**، فَمَاتَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَجْأَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

(١) المنتظم ١٤/ ٩٨.

○ عجيبة التصاق التوأمين

وَحكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَم»[١] عَنْ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ الْمُؤَرِّخ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ مِمَّنْ أَثِقُ بِهِمْ أَنَّ بَعْض بَطَارِقَةِ الْأَرْمَنِ أَنْفَذَ فِي سَنَةِ (٣٥٢هـ) إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ **رَجُلَيْنِ مِنَ الْأَرْمَنِ مُلْتَصِقَيْنِ**، وَقَدْ كَانَ اتِّصَالُ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَاصِرَتَيْنِ، سِنُّهُمَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، مُلْتَحِمَيْنِ وَمَعَهُمَا أَبُوهُمَا، **وَلَهُمَا سُرَّتَانِ وَبطنانِ وَمَعِدَتَانِ**، وَجُوعُهُمَا يَخْتَلِفُ، وَكَانَ يَقَعُ بَيْنَهُمَا خُصُومَةٌ وَتَشَاجُرٌ، وَرُبَّمَا حَلَفَ أَحَدُهُمَا لَا يُكَلِّمُ الْآخَرَ، فَيَمْكُثُ كَذَلِكَ أَيَّامًا، ثُمَّ يَصْطَلِحَانِ، فَوَهَبَهُمَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ **أَلْفَيْ دِرْهَمٍ**، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا، وَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمَا أَسْلَمَا.

وَقَدْ كَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَرَادَ فَصْلَ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، **وَجَمَعَ الْأَطِبَّاءَ** لِذَلِكَ فَلَمْ يُمْكِنْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا رَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا مَعَ أَبِيهِمَا، فَاعْتَلَّ أَحَدُهُمَا، وَمَاتَ وَأَنْتَنَ رِيحُهُ، وَبَقِيَ الْآخَرُ لَا يُمْكِنُهُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ.

فَلَمَّا مَاتَ أَحَدُهُمَا حَارَ أَبُوهُمَا فِي فَصْلِهِ عَنْ أَخِيهِ، فَاتَّفَقَ اعْتِلَالُ الْآخَرِ مِنْ غَمِّهِ وَنَتْنِ رَائِحَةِ أَخِيهِ، فَمَاتَ غَمًّا، فَدُفِنَا جَمِيعًا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

الدولة الفاطمية وأطوارها

مؤسس أول دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية، **هو: عُبَيْدُ اللهِ** بْنُ مَيْمُونٍ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ، واستولى على رقادة[٢] سنة (٢٩٧هـ)، وَقَدْ زَعَمَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ أَنَّهُ **كَانَ يَهُودِيًّا صَبَّاغًا** بِسَلَمْيَة[٣].

---

(١) ١٤/ ١٥١-١٥٢

(٢) رقادة: بلدة بأفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال. معجم البلدان: ٢/ ٧٩٧.

(٣) بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من تحت خفيفة، وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة، بينها وبين حمص مسيرة يومين. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٢٤٠)

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «الْوَفَيَاتِ» (١): وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي نَسَبِ الْمَهْدِيِّ العبيدي اخْتِلَافًا كَثِيرًا جِدًّا؛ فَقَالَ صَاحِبُ "تَارِيخِ الْقَيْرَوَانِ": **هُوَ عُبَيْدُ اللهِ** بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ التَّقِيِّ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَفِيِّ أَحْمَدَ بْنِ الرَّضِيِّ عَبْدِ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ يُقَالُ لَهُمُ: **الْمَسْتُورُونَ**؛ لِخَوْفِهِمْ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ. قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ: (٢) وَالْمُحَقِّقُونَ يُنْكِرُونَ دَعْوَاهُ فِي النَّسَبِ.

قال ابن كثير: (٣) قَدْ كَتَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ وَالْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيُّ، وَالْقُدُورِيُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَدْعِيَاءُ، لَيْسَ لَهُمْ نَسَبٌ صَحِيحٌ فِيمَا يَزْعُمُونَهُ، وَأَنَّ وَالِدَ عُبَيْدِ اللهِ هَذَا كَانَ يَهُودِيًّا صَبَّاغًا بِسَلَمْيَةَ. وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهُ سَعِيدًا، وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِعُبَيْدِ اللهِ.

وَكَانَ زَوْجُ أُمِّهِ **الْحُسَيْنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحِ، **وَسُمِّي الْقَدَّاحَ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَحَّالًا يَقْدَحُ الْعُيُونَ، وَكَانَ الَّذِي وَطَّأَ لَهُ الْأَمْرَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ **داعيته**: **أَبُو عَبْدِ اللهِ الشِّيعِيُّ** ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَعَ فِي يَدِ صَاحِبِ سِجِلْمَاسَةَ فَسَجَنَهُ، فَلَمْ يَزَلْ أبو عبدالله الشِّيعِيُّ يحاول تخليصه حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ ثُمَّ نَدِمَ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَفَطِنَ عُبَيْدُ اللهِ الملقب بالمهدي لَهُ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَخَاهُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ الشِّيعِيَّ هَذَا دَخَلَ بِلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ وَحْدَهُ لَا مَالَ مَعَهُ، وَلَا رِجَالَ فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ حَتَّى انْتَزَعَ الْمُلْكَ مِنْ يَدِ **أَبِي مُضَرَ زِيَادَةِ اللهِ آخِرِ مُلُوكِ بَنِي الْأَغْلَبِ** عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ. (٤)

(١) ٣/ ١١٧
(٢) المصدر السابق.
(٣) ١٥/ ٨٤ ومابعدها.
(٤) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٨.

وَيُقَالُ: إِنَّ أبا عبدالله الشِّيعِيَّ لَمَّا دَخَلَ السِّجْنَ وَجَدَ صَاحِبَ سِجِلْمَاسَةَ قَدْ قَتَلَهُ، وَوَجَدَ فِي السَّجْنِ رَجُلًا مَجْهُولًا، فَأَخْرَجَهُ لِلنَّاسِ، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْمَهْدِيُّ، وَرَوَّجَ بِهِ الْأَمْرَ، فَهَؤُلَاءِ مِنْ سُلَالَتِهِ. حَكَاهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ.(١)

وَكَانَ مَوْلِدُ عُبَيْدُ اللهِ الملقب بالمهدي فِي سَنَةِ (**٢٦٠هـ**) بِسَلَمْيَةَ، وَقِيلَ: بِالْكُوفَةِ، **وَكَانَ أول ظُهُوره** سَنَةَ (٢٩٦هـ).

وَأَوَّلُ مَا دُعِيَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ رَقَّادَةَ وَالْقَيْرَوَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِتِسْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ (٢٩٧هـ) بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ **سِجِلْمَاسَةَ**.

وبهذا زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ (المغرب وإفريقيه ثم مصر) مِنْ هَذَا الْحِينِ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْعَاضِدُ آخر خلفاء الفاطمية العبيدية فِي سَنَةِ (٥٦٧هـ).

وكانت وفاة المهدي في سنة (٣٢٢هـ) وقَامَ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ **أبو الْقَاسِمِ** الْمُلَقَّبُ بِالْخَلِيفَةِ **الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ** وَحِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ، كَتَمَ مَوْتَهُ سَنَةً؛ حَتَّى دَبَّرَ مَا أَرَادَهُ مِنَ الْأُمُورِ، ثُمَّ أَظْهَرَ ذَلِكَ، وَعَزَّاهُ النَّاسُ فِيهِ.

وَقَدْ كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا كَأَبِيهِ، فَتَحَ الْبِلَادَ، وَأَرْسَلَ السَّرَايَا في البحر إِلَى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة **جَنَوَة** سنة (٣٢٣هـ)، وغنموا غنائم كثيرة وثروة، وَرَامَ أَخْذَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمْ يقدر لَهُ ذَلِكَ في هذا الوقت.

وفِي شَوَّالٍ سنة (٣٣٤هـ) تُوُفِّيَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ ابْنُ الْمَهْدِيِّ، وَقَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ **الْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ**، فَكَتَمَ مَوْتَ أَبِيهِ مُدَّةً حَتَّى اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ.

وكَانَ **أَبُو يَزِيدَ الْخَارِجِيُّ قَدْ حَارَبَ العبيديين الفاطميين**، وَأَخَذَ مِنْهُمْ مُدُنًا كِبَارًا، وَكَسَرُوهُ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً، ثُمَّ يَثُورُ عَلَيْهِمْ، وَيَجْمَعُ الرِّجَالَ وَيُقَاتِلُهُمْ بِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، فَانْتَدَبَ **الْمَنْصُورُ الفاطمي** لِقِتَالِ أَبِي يَزِيدَ بِنَفْسِهِ سنة (٣٣٣هـ)، وَرَكِبَ فِي الْجُيُوشِ،

(١) ٣/ ١١٨.

وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَقَدْ بَسَطَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكامل [(١)].

وَقَدِ انْهَزَمَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ جَيْشُ **الْمَنْصُورِ** عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي عِشْرِينَ نَفْسًا، فَقَاتَلَ بِنَفْسِهِ قِتَالًا عَظِيمًا، فَهَزَمَ أَبَا يَزِيدَ الخارجي بَعْدَمَا كَادَ يَقْتُلُهُ، وَثَبَتَ الْمَنْصُورُ ثَبَاتًا عَظِيمًا، وَاسْتَنْقَذَ بِلَادَ الْقَيْرَوَانِ مِنْهُ، وَمَا زَالَ **الْمَنْصُورُ** يُحَارِبُهُ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَلَمَّا جِيءَ بِرَأْسِهِ سَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ هَذَا قَبِيحَ الشَّكْلِ، أَعْرَجَ، قَصِيرًا، خَارِجِيًّا شَدِيدًا، **يَرَى تَكْفِيرَ أَهْلِ الْمِلَّةِ**، قَبَّحَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وفِي سنة (٣٤١هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْمَنْصُورِ الْفَاطِمِيِّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَائِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ، الْمُلَقَّبِ بِالْمَنْصُورِ **الْعُبَيْدِيِّ** الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ، صَاحِبُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَهُوَ **وَالِدُ الْمُعِزِّ** بَانِي الْقَاهِرَةِ وَهُوَ بَانِي الْمَنْصُورِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَكَانَ عَاقِلًا شُجَاعًا فَاتِكًا، قَهَرَ أَبَا يَزِيدَ الْخَارِجِيَّ الَّذِي كَانَ لَا يُطَاقُ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا وَصَبْرًا وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا، يَرْتَجِلُ الْخُطْبَةَ عَلَى الْبَدِيهَةِ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ.

وَقَدْ عُهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ **الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ**، بَانِي الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَةِ، وَاسْمُهُ **مَعَدٌّ**.

وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ شُجَاعًا عَاقِلًا أَيْضًا، حَازِمَ الرَّأْيِ، أَطَاعَهُ مِنَ الْبَرْبَرِ وَأَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وفِي سنة (٣٤٧هـ) بَعَثَ الْمُعِزُّ **الْفَاطِمِيُّ** مَوْلَاهُ أَبَا الْحَسَنِ **جَوْهَرًا** الْقَائِدَ فِي جُيُوشٍ، وَمَعَهُ زِيرِي بْنُ مَنَادٍ الصَّنْهَاجِيُّ، فَفَتَحُوا بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَقْصَى الْمَغْرِبِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، فَأَمَرَ جَوْهَرُ بِأَنْ يُصْطَادَ لَهُ مِنْهُ سَمَكٌ، فَأَرْسَلَ بِهِ فِي قِلَالِ الْمَاءِ إِلَى الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، وَحَظِيَ جَوْهَرُ عِنْدَهُ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ حَتَّى صَارَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ.

---

(١) ٨/ ٤٣٤-٤٤١.

وَفِي سنة (٣٥١هـ) فَتَحَ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ **حِصْنَ طَبَرْمِينَ** مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ - وَكَانَ مِنْ أَحْصَنِ بِلَادِ الْفِرِنْجِ - افْتَتَحَهُ قَسْرًا بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفَ شَهْرٍ. وَقَصَدَتِ الْفِرِنْجُ جَزِيرَةَ أَقْرِيطِش فَاسْتَنْجَدَ أَهْلُهَا بِالْمُعِزِّ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، فَانْتَصَرُوا عَلَى الْفِرِنْجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ وقعة المجاز بصقلية

وَفِي سنة (٣٥٣هـ) كَانَتْ وَقْعَةُ الْمَجَازِ **بِبِلَادِ صِقِلِّيَّةَ** وَذَلِكَ أَنَّهُ أَقْبَلَ مِنَ الرُّومِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَمِنَ الْفِرِنْجِ مَا يُقَارِبُ الْمِائَةَ أَلْفٍ، فَبَعَثَ أَهْلُ صِقِلِّيَّةَ إِلَى الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ يَسْتَنْجِدُونَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِجُيُوشٍ كَثِيرَةٍ فِي الْأُسْطُولِ، فَكَانَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ صَبَرَ فِيهَا الْفَرِيقَانِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ قُتِلَ أَمِيرُ الرُّومِ **مَنْوِيلُ** وَفَرَّتِ الرُّومُ وَانْهَزَمُوا هَزِيمَةً قَبِيحَةً.

فَقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَسَقَطَ الْفِرِنْجُ فِي وَادٍ مِنَ الْمَاءِ عَمِيقٍ **فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ**، وَرَكِبَ الْبَاقُونَ فِي الْمَرَاكِبِ، فَبَعَثَ صَاحِبُ صِقِلِّيَّةَ فِي آثَارِهِمْ مَرَاكِبَ أُخَرَ، فَقَتَلُوا أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْبَحْرِ أَيْضًا، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْأَسْلِحَةِ، فَكَانَ فِي جُمْلَةِ ذَلِكَ **سَيْفٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ**: هَذَا سَيْفٌ هِنْدِيٌّ زِنَتُهُ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ مِثْقَالًا، طَالَمَا قُوتِلَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبُعِثَ فِي جُمْلَةِ تُحَفٍ إِلَى الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ.

○ استيلاء الفاطمي على مصر والشام

فِي سنة (٣٥٨هـ) دَخَلَ **جَوْهَرُ الْقَائِدُ الصقلي** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، مِنْ **جِهَةِ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ** إِلَى دِيَارِ مِصْرَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خُطِبَ لِلْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ عَلَى مَنَابِرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهَا، وَأَمَرَ جَوْهَرٌ الْمُؤَذِّنِينَ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَبِجَامِعِ ابْنِ طُولُونَ أَنْ يُؤَذِّنُوا **بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ**، وَأَنْ يَجْهَرَ الْأَئِمَّةُ بِالْبَسْمَلَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ **كَافُورٌ الْإِخْشِيدِيُّ** لَمْ يَبْقَ بِمِصْرَ مَنْ تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ، وَأَصَابَهُمْ غَلَاءٌ شَدِيدٌ أَضْعَفَهُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُعِزَّ وَهُوَ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ بَعَثَ جَوْهَرًا الْقَائِدَ الرُّومِيَّ مَوْلَى أَبِيهِ الْمَنْصُورِ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَصْحَابَ كَافُورٍ هَرَبُوا مِنْهَا قَبْلَ وُصُولِ جَوْهَرٍ إِلَيْهَا، **فَدَخَلَهَا فَأَخَذَهَا بِلَا ضَرْبَةٍ وَلَا طَعْنَةٍ وَلَا مُمَانَعَةٍ**، وَاسْتَقَرَّتْ أَيْدِيهِمْ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ بَعْدَ كَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ.

ثم شَرَعَ جَوْهَرٌ الْقَائِدُ فِي **بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ**، وَبِنَاءِ الْقَصْرَيْنِ عِنْدَهَا، وَهَيَّأَ الْإِقَامَاتِ لِمَوْلَاهُ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ.

وفِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٥٩هـ) أَرْسَلَ جَوْهَرٌ **جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى **الشَّامِ** فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَانَ بِدِمَشْقَ **الشَّرِيفُ أَبُو الْقَاسِمِ** بْنُ أَبِي يَعْلَى الْهَاشِمِيُّ، وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ، فَحَاجَفَ عَنِ الْعَبَّاسِيِّينَ مُدَّةً طَوِيلَةً، **ثُمَّ آلَ الْحَالُ إِلَى أَنْ خُطِبَ لِلْمُعِزِّ بِدِمَشْقَ**، وَحُمِلَ الشَّرِيفُ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طُغْجٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَاسْتَقَرَّتْ **يَدُ الْفَاطِمِيِّينَ عَلَى دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٣٦٠هـ)، وَأُذِّنَ فِيهَا: حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، أَكْثَرَ مِنْ **سَبْعِينَ سَنَةً**، وَكُتِبَتْ لَعْنَةُ الشَّيْخَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَلَعْنُ مَنْ لَعَنَهُمَا - عَلَى أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ بِهَا وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى أَزَالَتْ ذَلِكَ **دَوْلَةُ الْأَتْرَاكِ وَالْأَكْرَادِ**، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ فِي مَوْضِعِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وفِي سنة (٣٥٩هـ) جَاءَ الرَّسُولُ مِنْ جَوْهَرٍ الْقَائِدِ إِلَى الْمُعِزِّ يُبَشِّرُهُ بِفَتْحِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ لَهُ بِهَا، وَطَلَبَهُ إِلَيْهَا، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ فَرَحًا شَدِيدًا، وَامْتَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ، فَكَانَ مِمَّنِ امْتَدَحَهُ شَاعِرُهُ **مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ** فِي قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

يَقُولُ بَنُو الْعَبَّاسِ هَلْ فُتِحَتْ مِصْرُ فَقُلْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ

وَفِي شَـوَّالٍ سـنة (٣٦١هـ) خَرَجَ **الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ** بِأَهْلِهِ وَحَاشِـيَتِهِ وَجُنُودِهِ وَصَحِبَتْهُ **تَوَابِيتُ** آبَائِهِ مِنْ مَدِينَةِ الْمَنْصُورَةِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ قَاصِدًا الْبِلَادَ الْمِصْرِيَّةَ، بَعْدَمَا مَهَّدَ لَهُ مَوْلَاهُ جَوْهَرٌ الْقَائِدُ أَمْرَهَا، وَبَنَى لَهُ بِهَا الْقَصْرَيْنِ، **وَاسْـتَخْلَفَ** الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَنَوَاحِيهَا وَصِقِلِّيَةَ وَأَعْمَالِهَا **نُوَّابًا مِنْ حِزْبِهِ وَأَنْصَارِهِ** مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَكَانَ قُدُومُ الْمُعِزِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي رَمَضَانَ مِنَ (٣٦٢هـ)

وكَانَ أَوَّلَ حُكُومَةٍ انْتَهَتْ إِلَيْهِ **أَنَّ امْرَأَةَ كَافُورٍ الْإِخْشِـيدِيِّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ**، فَذَكَرَتْ أَنَّهَا كَانَتْ أَوْدَعَتْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ الصُّوَّاغِ قَبَاءً مِنْ لُؤْلُؤٍ مَنْسُوجٍ بِالذَّهَبِ، وَأَنَّهُ جَحَدَ ذَلِكَ، فَاسْتَحْضَرَهُ وَقَرَّرَهُ، فَجَحَدَ الْيَهُودِيُّ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ، فَأَمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُعِزُّ، بِأَنْ تُحْفَرَ دَارُهُ، وَيُسْـتَخْرَجُ مَا فِيهَا، فَوَجَـدُوا الْقَبَاءَ بِعَيْنِهِ قَـدْ جَعَلَهُ فِي جَرَّةٍ وَدَفَنَهَا فِيهَا، فَسَـلَّمَهُ الْمُعِزُّ إِلَيْهَـا، فَقَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ وَعَرَضَتْـهُ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهَا وَرَدَّهُ عَلَيْهَا، فَاسْتَحْسَـنَ مِنْهُ ذَلِكَ الْحَاضِرُونَ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

لم يذكر ابن كثير إمارة الحج في بعض هذه السنوات، واستدركت من إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد.

فحج بالناس سنة (٣٣٤هـ) قاضي مكة **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز الهاشمي، وخطب للمطيع ابن المقتدر على منبر الحرم بمكة، وبعده لمعز الدولة بن بويه، ولم يحج أحد من العراق بسبب القرامطة.

وحج بالناس سنة (٣٣٥هـ) قاضي مكة عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي بولاية السلطان له بذلك، ولم يحج أحد من العراق بسبب القرامطة.

وحج بالناس سنة (٣٣٦هـ) وسنة (٣٣٧هـ) **عمر بن يحيي العلوي**، وأقام الصلاة قاضي مكة **عمر بن الحسن** بن عبدالعزيز الهاشمي، ولم يحج أحد من العراق.

وحج بالناس سنة (٣٣٨هـ) عمر بن يحيي العلوي، ولم يحج أحد من العراق بسبب القرامطة.

وحج بالناس سنة (٣٣٩هـ) عمر بن يحيي العلوي، ولم يحج أحد من العراق بسبب القرامطة، فلما كان يوم النحر **أحضر القرامطة الحجر الأسود، فوضع مكانه**، فنظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى.

وحج بالناس سنة (٣٤٠هـ) من مكة أحمد بن الفضل بن عبدالملك، وأقام الحج بالأتراك قاضي مكة عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي، وقلع الحجبة الحجر الأسود أيام الحج، وجعلوه في جوف الكعبة خوفًا عليه، ثم عمل له طوق من فضة يشد به كما كان قديمًا حين عمله ابن الزبير.

وحج بالناس سنة (٣٤١هـ) وسنة (٣٤٢هـ) **أحمد بن الفضل** بن عبدالملك.

وحـج بالناس سـنة (٣٤٣هـ) **محمد بن عبدالله العلوي** ومـن مكة **أحمد بن الفضل** الهاشمي إمام الحرم، ووقع خلاف بين المصريين والعراقيين وقتال بسبب الخطبة.

وحج بالناس سنة (٣٤٤هـ) وسنة (٣٤٥هـ) وسنة (٣٤٦هـ) وسنة (٣٤٧هـ) **محمد بن عبدالله العلوي، وأقام الصلاة قاضي مكة عمر** بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحـج بالناس سـنة (٣٤٨هـ) محمد بن عبدالله العلوي. ومن مصر **عبدالسـميع بن عمر** بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحج بالناس سـنة (٣٤٩هـ) محمد بن عبدالله العلوي، **وولي الصلاة عبدالعزيز بن عمر** بن الحسـن بن عبدالعزيز الهاشـمي. ولما رَجَعَ حَجِيجُ مِصْرَ مِنْ مَكَّةَ نَزَلُوا وَادِيًا، جَاءَهُمْ سَيْلٌ فَأَخَذَهُمْ كُلَّهُمْ، فَأَلْقَاهُمْ فِي الْبَحْرِ عَنْ آخِرِهِمْ.

وحـج بالناس سـنة (٣٥٠هـ) محمد بن عبدالله العلوي، ومن مصر عبدالسـميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحج بالناس سـنة (٣٥١هـ) محمد بن عبدالله العلوي، وولي الصلاة عبدالعزيز بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحج بالناس سـنة (٣٥٢هـ) محمد بن عبدالله العلوي، وولي الصلاة عبدالعزيز بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحج بالناس سـنة (٣٥٣هـ) محمد بن عبدالله العلوي، وولي الصلاة عبدالعزيز بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وحج بالناس سنة (٣٥٤هـ) من بغداد أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى الْمُوسَوِيُّ، وَهُوَ وَالِـدُ الرَّضِيِّ وَالْمُرْتَضَى، وقد جُعِلَ له أَمْرُ **تَسْـفِيرِ الْحَجِيجِ** ونقابة الطَّالِبِيِّينَ، وَكُتِبَ لَهُ مَنْشُـورٌ بِالنِّقَابَةِ وَالْحَجِيجِ. وولي الصلاة عبدالسميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وَحجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٥٥هـ) **الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ نَقِيبُ** الطَّالِبِيِّينَ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ.

وولي الصلاة عبدالسميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٥٦هـ) **الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ نَقِيبُ** الطَّالِبِيِّينَ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ

وولي الصلاة عبدالسميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي. وخطب بمكة لبختيار بعد موت أبيه.

لم يحَجَّ أحد من الشام ولا من مصر فِي سنة (٣٥٧هـ) وَحَجَّ بِالنَّاسِ من بغداد **الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ نَقِيبُ** الطَّالِبِيِّينَ، وولي الصلاة عبدالسميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

ومَاتَ أَكْثَرُ جِمَالِ الْحَجِيجِ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْعَطَشِ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمْ إِلَى مَكَّةَ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَمَاتَ أَكْثَرُ مَنْ وَصَلَ مِنْهُمْ عَامَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٥٨هـ) من بغداد **الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ نَقِيبُ** الطَّالِبِيِّينَ، وولي الصلاة عبدالسميع بن عمر بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمي.

وخطب بالحرمين واليمن للمعز أبي تميم معد ابن المنصور العبيدي، صاحب مصر، وبطلت الخطبة لبني عباس.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٣٥٩هـ)، وسنة (٣٦٠)، وسنة (٣٦١) الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ النَّقِيبُ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي في عهده

١ -**الْخِرَقِيُّ**، عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْخِرَقِيُّ، صَاحِبُ "الْمُخْتَصَرِ" فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَقَدْ شَرَحَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ، وَالشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ.

وَقَدْ كَانَ **مِنْ سَادَاتِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُبَّادِ**، كَثِيرَ الْفَضَائِلِ وَالْعِبَادَةِ، **خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ لَمَّا كَثُرَ بِهَا السَّبُّ لِلصَّحَابَةِ**، وَأَوْدَعَ كُتُبَهُ بِبَغْدَادَ، فَاحْتَرَقَتِ الدَّارُ الَّتِي هِيَ فِيهَا، وَعُدِمَتْ مُصَنَّفَاتُهُ، وَقَصَدَ دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي سنة (٣٣٤هـ).

وَفِي مُصَنَّفِهِ "الْمُخْتَصَرِ" فِي كِتَابِ الْحَجِّ: **"وَيَأْتِي الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَيُقَبِّلُهُ إِنْ كَانَ هُنَاكَ"** (١). وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ تَصْنِيفَهُ لِهَذَا الْكِتَابِ حِينَ كَانَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ بِأَيْدِي الْقَرَامِطَةِ أَخَذُوهُ مِنْ مَكَانِهِ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَلَمْ يَرُدُّوهُ إِلَّا سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

٢ - **مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى** أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي مُوسَى **الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْعِرَاقِيِّينَ فِي زَمَانِهِ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِبَغْدَادَ لِلْمُتَّقِي، ثُمَّ لِلْمُسْتَكْفِي، وَكَانَ ثِقَةً فَاضِلًا، كَبَسَتِ اللُّصُوصُ دَارَهُ فَظَنُّوهُ أَنَّهُ ذُو مَالٍ، فَضَرَبَهُ بَعْضُهُمْ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى السُّطُوحِ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ إِلَى الْأَرْضِ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣٣٤هـ).

٣-مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ **أَبُو الْفَضْلِ السُّلَمِيُّ**، الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الشَّاعِرُ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَكَانَ يَصُومُ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ وَلَا يَدَعُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَالتَّصْنِيفَ، وَكَانَ يَسْأَلُ اللهَ الشَّهَادَةَ كَثِيرًا.

فَوَلِيَ الْوِزَارَةَ لِلسُّلْطَانِ معز الدولة، فَقَصَدَهُ الْأَجْنَادُ يُطَالِبُونَهُ بِأَرْزَاقِهِمْ، وَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ بِبَابِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَاسْتَدْعَى بِحَلَّاقٍ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَتَنَوَّرَ وَتَطَيَّبَ وَلَبِسَ كَفَنَهُ، وَقَامَ

(١) انظر المغني لابن قدامة ٥/ ٢١٢-٢١٤.

يُصَلِّي، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ سَاجِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٣٣٤هـ).

٤-**الْإِخْشِيدُ** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طُغْجِ بْنِ جُفَّ أَبُو بَكْرٍ، لقبه الخليفة الراضي بِالْإِخْشِيدِ، وَمَعْنَاهُ: **مَلِكُ الْمُلُوكِ**، لِأَنَّ أجداده كَانُوا مَلِوكَ **فَرْغَانَةَ**.

وَكُلُّ مَنْ مَلَكَهَا كَانَ يُسَمَّى الْإِخْشِيدَ، كَمَا أَنَّ مَنْ مَلَكَ **أُشْرُوسَنَةَ** يُسَمَّى الْإِفْشِينَ، وَمَنْ مَلَكَ **خُوَارِزْمَ** يُسَمَّى خَوارِزْمَ شَاهَ، وَمَنْ مَلَكَ **جُرْجَانَ** يُسَمَّى صُولَ، وَمَنْ مَلَكَ **أَذْرَبِيجَانَ** يُسَمَّى إِصْبَهْبَذَ، وَمَنْ مَلَكَ **طَبَرِسْتَانَ** يُسَمَّى سَالَارَ. قَالَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "الْمُنْتَظَمِ".(١)

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: (٢) وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي مَنْ **مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ** كَافِرًا قَيْصَرَ، وَمَنْ **مَلَكَ الْفُرْسَ** يُسَمَّى كِسْرَى، وَمَنْ **مَلَكَ الْيَمَنَ** يُسَمَّى تُبَّعًا، وَمَنْ مَلَكَ **الْحَبَشَةَ** النَّجَاشِيَّ وَمَنْ **مَلَكَ الْهِنْدَ** بَطْلَيْمُوسَ، وَمَنْ مَلَكَ **مِصْرَ كَافِرًا** يُسَمَّى فِرْعَوْنُ، وَمَنْ مَلَكَ **إِسْكَنْدَرِيَّةَ** يُسَمَّى الْمُقَوْقِسَ وَذَكَرَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْقَ، سنة (٣٣٤هـ) وَنُقِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥-**أَبُو بَكْرٍ الشَّبْلِيُّ** أَحَدُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: شِبْلِيَّةُ. مِنْ بِلَادِ أُشْرُوسَنَةَ مِنْ خُرَاسَانَ وَوُلِدَ بِسَامَرَّاءَ، **وَكَانَ أَبُوهُ** حَاجِبَ الْحُجَّابِ لِلْمُوَفَّقِ، وَكَانَ **خَالُهُ** نَائِبَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ.

وَكَانَتْ تَوْبَةُ الشِّبْلِيِّ عَلَى يَدَيْ خَيْرِ النَّسَّاجِ، سَمِعَهُ يَعِظُ، فَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي قَلْبِهِ، فَتَابَ مِنْ فَوْرِهِ، ثُمَّ صَحِبَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَشَايِخَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَئِمَّةِ الْقَوْمِ، وَقَدْ ذُكِرَ لَهُ أَحْوَالٌ وَكَرَامَاتٌ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ مِمَّنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَلَّاجِ وَوَافَقَهُ فِي بَعْضِ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ لِمَا تَحْتَهَا، مِمَّا كَانَ الْحَلَّاجُ يُحَاوِلُهُ مِنَ الْإِلْحَادِ وَالِاتِّحَادِ.

---

(١) ١٤/ ٥٠.

(٢) روض الأنف ٣/ ٢٢٢.

وكان كثيراً ما ينشد الأشعار:

وَنَظَرَ يَوْمًا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ فَأَنْشَأَ:

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ   وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

وَقَالَ أَيْضًا:

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، فَانْظُرْ إِلَى الْمَزْبَلَةِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى نَفْسِكَ فَخُذْ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ؛ فَإِنَّكَ مِنْهَا خُلِقْتَ، وَفِيهَا تَعُودُ، وَمِنْهَا تَخْرُجُ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَنْتَ، فَانْظُرْ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْكَ عِنْدَ الْخَلَاءِ، فَلَا تَتَطَاوَلْ وَلَا تَتَكَبَّرْ عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ.

وَكَانَ يُنْشِدُ:

وَتَحْسَبُنِي حَيًّا وَإِنِّي لَمَيِّتٌ   وَبَعْضِي مِنَ الْهِجْرَانِ يَبْكِي عَلَى بَعْضِ

وَكَانَ الشِّبْلِيُّ يُنْشِدُ، وَسَمِعْتُهُ كَثِيرًا مِنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُنْشِدُ: (١)

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوَى   وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وَلَمَّا مَرِضَ **الشِّبْلِيُّ** بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُقْتَدِرُ طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ لَهُ الطَّبِيبُ: فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ قَطْعَ بَعْضِ جَسَدِي يَشْفِيكَ لَقَطَعْتُهُ. فَقَالَ لَهُ: يَشْفِينِي قَطْعُ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قَطْعُ زُنَّارِكَ. فَقَطَعَهُ وَأَسْلَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ، فَقَالَ: بَعَثْنَا طَبِيبًا إِلَى عَلِيلٍ، فَإِذَا هُوَ عَلِيلٌ إِلَى طَبِيبٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّمَا كَانَ ذِكْرُهُ: اللهَ اللهَ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١] .

(١) البيت للأحيمر السعدي أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٨٧، بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر ١/ ٦٨٠.

قال ابن كثير: [١] وَفِيمَا نَحَاهُ نَظَرٌ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ سنة (٣٣٤هـ)، وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْخَيْزُرَانِ بِبَغْدَادَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٦- **الْحَسَنُ بْنُ حَمُّويْهِ** بْنِ الْحُسَيْنِ، الْقَاضِي **الْإِسْتِرَابَاذِيُّ**، رَوَى الْكَثِيرَ، وَحَدَّثَ، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ لِلْإِمْلَاءِ، وَحَكَمَ بِبَلَدِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً.

وَكَانَ مِنَ الْمُتَهَجِّدِينَ بِالْأَسْحَارِ، **وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ** فِي مُرُوءَتِهِ وَوَجَاهَتِهِ، وَقَدْ مَاتَ (٣٣٥هـ) فَجْأَةً عَلَى صَدْرِ جَارِيَتِهِ عِنْدَ إِنْزَالِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- **عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ**، أَبُو الْحَسَنِ الْوَزِيرُ، وَزَرَ لِلْمُقْتَدِرِ وَالْقَاهِرِ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَعَنْهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ ثِقَةً ثَبْتًا فَاضِلًا عَفِيفًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَيُكْثِرُ مُجَالَسَتَهُمْ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْفُرْسِ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْقَائِمِينَ عَلَى الْحَلَّاجِ، وَقَدْ **رُوِيَ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ: مَلَكْتُ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، أَنْفَقْتُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا.

وَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ حِينَ نُفِيَ مِنْ بَغْدَادَ طَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَكَانَ حَرٌّ شَدِيدٌ، فَجَاءَ الْمَنْزِلَ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ كَالْمَيِّتِ، وَقَالَ: **أَشْتَهِي عَلَى اللهِ شَرْبَةً بِثَلْجٍ**. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: إِنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَتَهَيَّأُ هَاهُنَا. فَقَالَ: أَعْرِفُ، وَلَكِنِّي اسْتَرْوَحْتُ إِلَى الْمُنَى.

فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ جَاءَتْ سَحَابَةٌ فَأَمْطَرَتْ، ثُمَّ سَقَطَ بَرَدٌ شَدِيدٌ كَثِيرٌ، فَجُمِعَ لَهُ مِنَ الْبَرَدِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ الْوَزِيرُ صَائِمًا، فَلَمَّا أفطر وقدم له شراب بالثلج، قَالَ: **لَوْ كُنْتُ تَمَنَّيْتُ الْمَغْفِرَةَ**. وتوفي سنة (٣٣٥هـ) عن تسعين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) البداية والنهاية ١٥/ ١٨٦.

٨-**أَبُـو الْعَبَّاسِ بْنُ الْقَاصِّ** أَحْمَـدُ بْنُ أَبِي أَحْمَدَ الطَّبَرِيُّ الْفَقِيهُ الشَّـافِعِيُّ، تِلْمِيذُ ابْنِ سُـرَيْجٍ، لَهُ كِتَابُ " التَّلْخِيصِ "، وَكِتَابُ " الْمِفْتَاحِ ". تَوَلَّى قَضَاءَ طَرَسُـوسَ وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ، فَحَصَلَ لَهُ خُشُوعٌ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَاتَ سنة (٣٣٥هـ).

٩-**أَبُو الْحُسَـيْنِ بْنُ الْمُنَادِي**، أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، سَـمِعَ جَدَّهُ وَعَبَّاسًا الدُّورِيَّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيَّ.

وَكَانَ ثِقَةً أَمِينًا حُجَّةً صَادِقًا، صَنَّفَ كَثِيرًا، وَجَمَعَ عُلُومًا جَمَّةً، وَلَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرَ، وَذَلِكَ **لِشَرَاسَةِ أَخْلَاقِهِ**، وَآخِرُ مَنْ رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ فَارِسٍ الْغُورِيُّ.

وَنَقَـلَ ابْـنُ الْجَوْزِيِّ، [1] عَنْ أَبِي يُوسُـفَ الْقَزْوِينِـيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَنَّفَ أَبُو الْحُسَـيْنِ بْنُ الْمُنَـادِي فِـي عُلُومِ الْقُـرْآنِ أَرْبَعَمِائَةِ كِتَـابٍ وَنَيِّفًا وَأَرْبَعِيـنَ كِتَابًا، وَلَا يُوجَـدُ فِي كَلَامِهِ حَشْوٌ، بَلْ هُوَ نَقِيُّ الْكَلَامِ، جَمَعَ بَيْنَ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ.

وَقَـالَ ابْـنُ الْجَوْزِيِّ: وَمَنْ وَقَفَ عَلَـى مُصَنَّفَاتِهِ، عَلِمَ فَضْلَـهُ وَاطِّلَاعَهُ، وَوَقَفَ عَلَى فَوَائِدَ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِ كُتُبِهِ. كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُحَرَّمٍ سنة (٣٣٦هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً.

١٠- **أَبُو بَكْرٍ الصُّولِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صُولٍ.

كَانَ **أَحَدَ الْعُلَمَاءِ بِفُنُونِ الْأَدَبِ**، حَسَـنَ الْمَعْرِفَـةِ بِأَخْبَارِ الْمُلُوكِ وَأَيَّامِ الْخُلَفَاءِ وَمَآثِرِ الْأَشْرَافِ وَطَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ.

رَوَى عَنْ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْـتَانِيِّ وَالْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ وَأَبِي الْعَيْنَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ وَاسِـعَ الرِّوَايَـةِ، جَيِّدَ الْحِفْظِ، حَاذِقًا بِتَصْنِيفِ الْكُتُـبِ. وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ هَائِلَةٌ، وَنَادَمَ جَمَاعَةً مِنَ الْخُلَفَـاءِ، وَحَظِـيَ عِنْدَهُمْ. وَكَانَ جَدُّهُ صُولٌ وَأَهْلُهُ مُلُـوكًا بِجُرْجَانَ، ثُمَّ كَانَ أَوْلَادُهُ مِنْ أَكَابِرِ الْكُتَّابِ. وَكَانَ الصُّولِيُّ هَذَا جَيِّدَ الِاعْتِقَادِ، حَسَـنَ الطَّرِيقَةِ، وَلَهُ شِـعْرٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحُفَّاظِ. مَاتَ بالبصرة سنة (٣٣٦هـ).

---

(١) المنتظم ١٤/ ٦٦

١١- **عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَوَيْهِ** بْنِ نُعَيْمِ بْنِ الْحَكَمِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَيِّعُ، وَهُوَ وَالِدُ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيِّ، أَذَّنَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَغَزَا اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، **وَأَنْفَقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِائَةَ أَلْفٍ، وَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ**، أَدْرَكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بن حنبل، وَمُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ، وَرَوَى عَنِ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَغَيْرِهِ، وَتُوُفِّيَ سنة (٣٣٧هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

١٢- **قُدَامَةُ** بْنُ جَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ، **أَبُو الْفَرَجِ الْكَاتِبُ**، لَهُ مُصَنَّفٌ فِي الْخَرَاجِ وَصِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ، وَبِهِ يَقْتَدِي عُلَمَاءُ هَذَا الشَّأْنِ، وتوفي سنة (٣٣٧هـ).

١٣- **أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ النَّحْوِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُونُسَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُرَادِيُّ الْمِصْرِيُّ النَّحْوِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِالنَّحَّاسِ، اللُّغَوِيِّ الْمُفَسِّرِ الْأَدِيبِ**، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَلَقِيَ أَصْحَابَ الْمُبَرِّدِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٣٣٨هـ).

وَكَانَ قَدْ أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ الْأَخْفَشِ، وابنِ الْأَنْبَارِيِّ والزَّجَّاجِ، وَنِفْطَوَيْهِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مُفِيدَةٌ. وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنِ النَّسَائِيِّ، وَكَانَ بَخِيلًا جِدًّا، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤- **أَبُو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ**، أَبُو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ، التُّرْكِيُّ الْفَيْلَسُوفُ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْمُوسِيقَى، بِحَيْثُ كَانَ يَتَوَسَّلُ بِصِنَاعَتِهِ إِلَى التَّأْثِيرِ فِي الْحَاضِرِينَ مِنْ مُسْتَمِعِيهِ، إِنْ شَاءَ حَرَّكَ مَا يُبْكِي أَوْ مَا يُضْحِكُ أَوْ مَا يُنَوِّمُ.

وَكَانَ حَاذِقًا فِي الْفَلْسَفَةِ، وَتَفَقَّهَ ابْنُ سِينَا مِنْ كُتُبِهِ، وَكَانَ يَقُولُ بِالْمَعَادِ الرُّوحَانِيِّ لَا الْجُثْمَانِيِّ، وَيُخَصِّصُ بِالْمَعَادِ الْأَرْوَاحَ الْعَالِمَةَ لَا الْجَاهِلَةَ، وَلَهُ مَذَاهِبُ فِي ذَلِكَ يُخَالِفُ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَلَاسِفَةَ مِنْ سَلَفِهِ الْأَقْدَمِينَ، مَاتَ (٣٣٩هـ) بِدِمَشْقَ فِيمَا قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «كَامِلِهِ» وَلَمْ أَرَ الْحَافِظَ ابْنَ عَسَاكِرَ ذَكَرَهُ فِي تَارِيخِهِ؛ لِنَتَنِهِ وَقَبَاحَتِهِ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

١٥- **أَبُو الْقَاسِمِ** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ النَّحْوِيُّ الْبَغْدَادِيُّ **الزَّجَّاجِيُّ** ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ.

مُصَنِّفُ" **الْجُمَلِ** "فِي النَّحْوِ، وَهُوَ كِتَابٌ نَافِعٌ، كَثِيرُ الْفَائِدَةِ، صَنَّفَهُ بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَطُوفُ بَعْدَ كُلِّ بَابٍ مِنْهُ، وَيَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهِ.

وَكَانَتْ **وَفَاتُهُ** فِي دِمَشْقَ وَقِيلَ: بِطَبَرِيَّةَ فِي رَجَبٍ (٣٤٠هـ) وَقَدْ شُرِحَتِ " الْجُمَلُ " بِشُرُوحٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ أَحْسَنِهَا وَأَجْمَعِهَا مَا وَضَعَهُ ابْنُ عُصْفُورٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٦-**مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْمَأْمُونِ** بْنِ الرَّشِيدِ هَارُونَ، أَبُو بَكْرٍ، وَلِيَ إِمْرَةَ مَكَّةَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدِمَ مِصْرَ، فَحَدَّثَ بِهَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيِّ بِمُوَطَّأِ مَالِكٍ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا. تُوُفِّيَ بِمِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٤٢هـ).

١٧- **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ هَمَّامٍ، أَبُو الْحَسَنِ **الشَّيْبَانِيُّ** الْكُوفِيُّ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَحَدَّثَ بِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ، وَرَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

وَكَانَ ثِقَةً عَدْلًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ فَقِيهًا، وَمَكَثَ يَشْهَدُ عَلَى الْحُكَّامِ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، مَقْبُولًا عِنْدَهُمْ، وَأَذَّنَ فِي مَسْجِدِ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَكَذَلِكَ أَبُوهُ مِنْ قَبْلِهِ، وتوفي سنة (٣٤٣هـ).

١٨-**مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكَرْخِيُّ الْأَدِيبُ كَانَ عَالِمًا زَاهِدًا وَرِعًا، يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيُدِيمُ الصَّوْمَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ عَبْدَانَ وَأَقْرَانِهِ. وتوفي سنة (٣٤٣هـ).

١٩- **عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، أَبُو عَمْرٍو الدَّقَّاقُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمَّاكِ، رَوَى عَنْ حَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ، وَعَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ ثِقَةً ثَبْتًا، كَتَبَ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةَ بِخَطِّهِ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣٤٤هـ)، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ التِّبْنِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا.

٢٠-**مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ يُوسُفَ بْنِ الْحَجَّاجِ أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيهُ **الطُّوسِيُّ**، كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا ثِقَةً عَابِدًا، يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ مِنْ قُوتِهِ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْأَقَالِيمِ النَّائِيَةِ وَالْبُلْدَانِ الْمُتَبَايِنَةِ، وَكَانَ قَدْ جَزَّأَ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَثُلُثٌ لِلنَّوْمِ، وَثُلُثٌ لِلتَّصْنِيفِ، وَثُلُثٌ لِلْقِرَاءَةِ. تُوُفِّيَ سَنَةَ (٣٤٤هـ).

٢١- **غُلَامُ ثَعْلَبٍ** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ، رَوَى عَنِ الْكُدَيْمِيِّ وَمُوسَى بْنِ سَهْلٍ الْوَشَّاءِ وَغَيْرِهِمَا، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ.

وَكَانَ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ، حَافِظًا مُطَبِّقًا، يُمْلِي مِنْ حِفْظِهِ شَيْئًا كَثِيرًا، ضَابِطًا لِمَا يَحْفَظُهُ.

وَلِكَثْرَةِ إِغْرَابِهِ اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ وَرَمَاهُ بِالْكَذِبِ، وَقَدِ اتَّفَقَ لَهُ مَعَ الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ - وَكَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَهُ - أَنَّهُ أَمْلَى مِنْ حِفْظِهِ ثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً بِشَوَاهِدِهَا وَأَدِلَّتِهَا مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى بَعْضِهَا بِبَيْتَيْنِ غَرِيبَيْنِ جِدًّا، فَعَرَضَهَا الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنِ مِقْسَمٍ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّى قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ هَذَا مَا وَضَعَهُ أَبُو عُمَرَ مِنْ عِنْدِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ أَبُو عُمَرَ ذَكَرَ لَهُ الْقَاضِي مَا قَالَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْهُ، فَطَلَبَ أَبُو عُمَرَ مِنَ الْقَاضِي أَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ كُتُبِهِ دَوَاوِينَ الْعَرَبِ. فَلَمْ يَزَلْ يَأْتِيهِ بِشَاهِدٍ لِمَا ذَكَرَهُ بَعْدَ شَاهِدٍ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الثَّلَاثِينَ مَسْأَلَةٍ، **ثُمَّ قَالَ**: وَأَمَّا الْبَيْتَانِ فَإِنَّ ثَعْلَبًا أَنْشَدَنَاهُمَا وَأَنْتَ حَاضِرٌ، فَكَتَبْتَهُمَا فِي دَفْتَرِكَ. فَطَلَبَ الْقَاضِي دَفْتَرَهُ، فَإِذَا هُمَا فِيهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ دُرَيْدٍ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ حَتَّى مَاتَ سنة (٣٤٥هـ).

٢٢- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ طَبَاطَبَا** بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الشَّرِيفُ الْحَسَنِيُّ الرَّسِّيُّ - قَبِيلَةٌ مِنَ الْأَشْرَافِ - أَبُو الْقَاسِمِ الْمِصْرِيُّ الشَّاعِرُ، كَانَ نَقِيبَ الطَّالِبِيِّينَ بِمِصْرَ. مَاتَ سنة (٣٤٥هـ).

٢٣- **أَبُو سَعِيدِ بْنُ يُونُسَ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ الْمِصْرِيُّ الْمُؤَرِّخُ، صَاحِبُ" تَارِيخ مِصْرَ"كَانَ حَافِظًا مُكْثِرًا خَبِيرًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَتَوَارِيخِهِمْ، لَهُ تَارِيخٌ مُفِيدٌ جِدًّا لِأَهْلِ مِصْرَ وَمَنْ وَرَدَ إِلَيْهَا.

وَلَـهُ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْحَسَـنِ عَلِـيٌّ. كَانَ مُنَجِّمًا، لَهُ زِيجٌ مُفِيدٌ يَرْجِـعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُ هَـذَا الْفَـنِّ، كَمَا يَرْجِعُ الْمُحَدِّثُونَ إِلَى أَقْـوَالِ أَبِيهِ وَمَا يُؤَرِّخُهُ وَيَنْقُلُهُ وَيَحْكِيهِ. وُلِدَ سَـنَةَ إِحْـدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ السَّـادِسَ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٤٧هـ) بِالْقَاهِرَةِ.

٢٤- **مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ **أَبِي الشَّوَارِبِ**، أَبُو الْحَسَنِ الْقُرَشِـيُّ الْأُمَوِيُّ، قَاضِي بَغْدَادَ كَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، طَلَّابَةً لِلْحَدِيثِ، وَمَعَ هَذَا نُسِبَ إِلَى أَخْذِ الرِّشْوَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْوِلَايَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

٢٥- **أَبُو بَكْرٍ النَّجَّادُ**، أَحْمَدُ بْنُ سَـلْمَانَ بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ إِسْـرَائِيلَ بْنِ يُونُسَ، **الْفَقِيهُ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَنَابِلَةِ**، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ وَأَبَا دَاوُدَ وَالْبَاغَنْدِيَّ وَابْنَ أَبِي الدُّنْيَا وَخَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ مَاشِـيًا حَافِيًا، وَقَدْ جَمَعَ الْمُسْـنَدَ، وَصَنَّـفَ فِي السُّـنَنِ كِتَابًا كَبِيرًا، وَكَانَتْ لَـهُ بِجَامِعِ الْمَنْصُـورِ حَلْقَتَانِ؛ وَاحِدَةٌ لِلْفِقْهِ وَأُخْرَى لِإِمْلَاءِ الْحَدِيث

وَكَانَ يَصُـومُ الدَّهْـرَ، وَيُفْطِـرُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى رَغِيفٍ، وَيَعْـزِلُ مِنْهُ لُقْمَةً، فَـإِذَا كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَكَلَ تِلْكَ اللُّقَمَ، وَتَصَدَّقَ بِرَغِيفِ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ.

وَكَانَـتْ وَفَاتُـهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِعَشْـرٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٣٤٨هـ) عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٦- **حَمْـدُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَبُو سُـلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ سَـمِعَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ، مِنْهَا: "الْمَعَالِمُ" شَـرَحَ فِيهَا سُـنَنَ أَبِي دَاوُدَ، وَ"الْأَعْلَامُ" شَـرَحَ فِيهِ الْبُخَـارِيَّ وَ"غَرِيبُ الْحَدِيـثِ". وَلَهُ فَهْمٌ مَلِيـحٌ، وَعِلْمٌ غَزِيرٌ، وَمَعْرِفَـةٌ بِاللُّغَةِ وَالْمَعَانِي وَالْفِقْهِ. توفي سنة (٣٤٩هـ).

٢٧- **عَبْـدُ الْوَاحِـدِ بْنُ عُمَرَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِـمٍ، كَانَ مِنْ أَعْلَـمِ النَّاسِ بِحُرُوفِ الْقُـرْآنِ وَوُجُـوهِ الْقِرَاءَاتِ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ، وَكَانَ مِـنَ الْأُمَنَاءِ الثِّقَاتِ، رَوَى عَنِ

ابْنِ مُجَاهِدٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، وَعَنْهُ أَبُو الْحَسَنِ الْحَمَّامِيُّ. تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا، توفي سنة (٣٤٩هـ) وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْخَيْزُرَانِ.

٢٨-**أَبُو سَهْلِ بْنُ زِيَادٍ الْقَطَّانُ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، كَانَ ثِقَةً حَافِظًا كَثِيرَ التِّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ، حَسَنَ الِانْتِزَاعِ لِلْمَعَانِي مِنْهُ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَى تَكْفِيرِ الْمُعْتَزِلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] مات سنة (٣٥٠هـ).

٢٩-**إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَيَانٍ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُطَبِيُّ، سَمِعَ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ الْكُدَيْمِيَّ وَغَيْرَهُمْ، وَعَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَكَانَ ثِقَةً حَافِظًا فَاضِلًا نَبِيلًا عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَالْخُلَفَاءِ، وَلَهُ تَارِيخٌ مُرَتَّبٌ عَلَى السِّنِينَ، وَكَانَ أَدِيبًا لَبِيبًا عَاقِلًا صَدُوقًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٥٠هـ) عَنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٠-**الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ** الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ، لَهُ "الْمُحَرَّرُ" فِي الْخِلَافِ، وَهُوَ أَوَّلُ مُصَنَّفٍ فِيهِ، وَلَهُ "الْإِفْصَاحُ" فِي الْمَذْهَبِ، وَكِتَابٌ فِي الْجَدَلِ، وَكِتَابٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي "الطَّبَقَاتِ" وتوفي سنة (٣٥٠هـ) .

٣١-**الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ، الْوَزِيرُ لِمُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، مَكَثَ وَزِيرًا فِي وِزَارَتِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ وَكَرَمٌ وَأَنَاةٌ.

حَكَى أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئُ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَهُ وَقَدْ جِيءَ بِدَوَاةٍ قَدْ صُنِعَتْ لَهُ وَمِرْفَعٍ قَدْ حُلِّيَا بِحِلْيَةٍ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشِّيرَازِيُّ - سِرًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ -: مَا كَانَ أَحْوَجَنِي إِلَيْهَا لِأَبِيعَهَا وَأَنْتَفِعَ بِهَا، **فَقُلْتُ**: وَأَيُّ شَيْءٍ يَفْعَلُ الْوَزِيرُ؟

فَقَالَ: يَدْخُلُ فِي حِرِ أُمِّهِ، فَسَمِعَهَا الْوَزِيرُ وَهُوَ مُصْغٍ إِلَيْنَا وَلَا نَشْعُرُ، فَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ بِالدَّوَاةِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الشِّيرَازِيِّ وَمِرْفَعِهَا وَعَشْرَةِ ثِيَابٍ وَخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَاصْطَنَعَ

لَـهُ غَيْرَهَـا، فَاجْتَمَعْنَا يَوْمًـا آخَرَ عِنْدَهُ، وَهُوَ يُوَقِّعُ مِـنْ تِلْكَ الدَّوَاةِ الْجَدِيـدَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا، **فَقَـالَ: هِيهِ**، مَنْ مِنْكُمَا يُرِيدُهَا مَعَ الْإِعْفَاءِ مِنَ الدُّخُولِ...؟ قَالَ: فَاسْـتَحْيَيْنَا، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ كَانَ سَـمِعَ كَلَامَنَـا يَوْمَئِذٍ، وَقُلْنَا: بَلْ يُمَتِّعُ اللهُ الْوَزِيرَ بِهَـا، وَيُبْقِيهِ لِيَهَبَ أَلْفًا مِثْلَهَا، وتوفي سنة (٣٥١هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٣٢-دَعْلَـجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَـجَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ السِّجِسْـتَانِيُّ الْمُعَدِّلُ، سَـمِعَ بِخُرَاسَـانَ وَحُلْـوَانَ وَبَغْـدَادَ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَـةِ وَمَكَّـةَ، وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْيَسَـارِ وَالْمَشْـهُورِينَ بِالْبِـرِّ وَالْإِفْضَالِ، وَلَهُ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ، وَأَوْقَـافٌ دَارَّةٌ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ بِبَغْدَادَ وَمَكَّةَ وَسِجِسْتَانَ.

وَصَنَّـفَ الدَّارَقُطْنِيُّ لَهُ مُسْـنَدًا، وَكَانَ إِذَا شَـكَّ فِـي حَدِيثٍ تَرَكَهُ، فَـكَانَ الدَّارَقُطْنِيُّ يَقُولُ: لَمْ أَرَ فِي مَشَايِخِنَا أَثْبَتَ مِنْهُ.

وَقَـدْ أَنْفَـقَ فِي أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ أَمْـوَالًا جَزِيلَةً كَثِيرَةً جِدًّا، وتوفي سـنة (٣٥١هـ) عَنْ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٣- الْمُتَنَبِّي الشَّاعِرُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَبُو الطَّيِّبِ الْجُعْفِيُّ، كَانَ أَبُوهُ يُعَرَفُ بِعِيدَانَ السَّقَّاءِ، وَكَانَ يَسْتَقِي الْمَاءَ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ.

كَانَ مَوْلِدُه: بِالْكُوفَةِ سَنَةَ (٣٠٦هـ)، وَنَشَأَ بِالشَّامِ **بِالْبَادِيَةِ**، وَطَلَبَ الْأَدَبَ، فَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِـهِ فِيهِ، **وَلَزِمَ سَـيْفِ الدَّوْلَةِ بْـنِ حَمْدَانَ**، وَامْتَدَحَهُ وَحَظِيَ عِنْـدَهُ، ثُمَّ صَارَ إِلَى **مِصْرَ**، فَامْتَـدَحَ كَافُورًا **الْإِخْشِـيدِيَّ** ثُمَّ هَجَاهُ، وَهَرَبَ مِنْـهُ، وَوَرَدَ **بَغْدَادَ** فَامْتَـدَحَ بَعْضَ أَهْلِهَا، **وَقُرِئَ عَلَيْهِ دِيوَانُهُ فِيهَا**.

وَقَـدِمَ **الْكُوفَـةَ** فَامْتَدَحَ **ابْنَ الْعَمِيدِ**، فَوَصَلَهُ مِنْ جِهَتِهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ سَـارَ إِلَى **فَـارِسَ** فَامْتَدَحَ **عَضُدَ الدَّوْلَـةِ بْنَ بُوَيْهِ**، فَأَطْلَقَ لَهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً تُقَارِبُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقِيلَ: بَلْ حَصَلَ لَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

ثُـمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مَنْ يَسْـأَلُهُ: أَيُّمَا أَحْسَـنُ; عَطَايَا عَضُـدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، أَوْ عَطَايَا سَـيْفِ الدَّوْلَـةِ بْـنِ حَمْدَانَ؟ فَقَالَ: **هَذِهِ أَجْـزَلُ وَلَكِنَّ فِيهَا تَكَلُّفٌ**، وَتِلْكَ أَقَـلُّ وَلَكِنْ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْ مُعْطِيهَا.

فَذُكِـرَ ذَلِكَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَدَسَّ إِلَيْهِ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ، فَوَقَفُوا لَهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى **بَغْدَادَ**.

وَيُقَـالُ: إِنَّـهُ قَدْ كَانَ هَجَا مُقَدَّمَهُمُ ابْنَ فَاتَكٍ الْأَسَـدِيَّ - وَقَدْ كَانُـوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ - فَلِهَـذَا أَوْعَـزَ إِلَيْهِـمْ عَضُـدُ الدَّوْلَـةِ أَنْ يَتَعَرَّضُـوا لَـهُ فَيَقْتُلُـوهُ، وَيَأْخُـذُوا مَـا مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ سِـتُّونَ رَاكِبًا، وَقَدْ نَزَلَ عِنْدَ عَيْنٍ تَحْتَ شَـجَرَةٍ، وَقَدْ وُضِعَتْ سُـفْرَتُهُ لِيَتَغَدَّى وَمَعَهُ وَلَدُهُ مُحَسَّـدٌ، وَخَمْسَـةَ عَشَـرَ غُلَامًا لَهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ: **هَلُمُّوا يَا وُجُوهَ الْعَرَبِ**.

فَلَمَّـا لَمْ يُكَلِّمُوهُ أَحَسَّ بِالشَّـرِّ، فَنَهَضَ إِلَى سِـلَاحِهِ وَخَيْلِهِ، فَتَوَاقَفُوا سَـاعَةً، فَقُتِلَ ابْنُهُ مُحَسَّدٌ وَبَعْضُ غِلْمَانِهِ، وَأَرَادَ هُوَ أَنْ يَنْهَزِمَ، فَقَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ: أَيْنَ تَذْهَبُ، وَأَنْتَ الْقَائِلُ:

فَالْخَيْـلُ وَاللَّيْـلُ وَالْبَيْـدَاءُ تَعْرِفُنِـي ... الْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فَقَـالَ: وَيْحَـكَ! قَتَلْتَنِـي. ثُمَّ كَـرَّ رَاجِعًا، فَطَعَـنَ زَعِيمَ الْقَـوْمِ بِرُمْحٍ فِي عُنُقِـهِ فَقَتَلَهُ، فَاجْتَمَعُـوا عَلَيْهِ فَشَـجَرُوهُ بِالرِّمَاحِ حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا جَمِيـعَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَذَلِكَ بِالْقُرْبِ مِنَ **النُّعْمَانِيَّةِ**، وَهُوَ آيِبٌ إِلَى بَغْدَادَ وَدُفِنَ هُنَالِكَ سـنة (٣٥٤هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَنَبِّي جُعْفِيَّ النَّسَـبِ، وَقَدِ ادَّعَى حِينَ كَانَ مَعَ بَنِي كَلْبٍ بِأَرْضِ **السَّـمَاوَةِ** قَرِيبًـا مِنْ حِمْـصَ أَنَّهُ **عَلَوِيٌّ ثُمَّ حَسَـنِيٌّ، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ نَبِـيٌّ**، فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِـنْ جَهَلَتِهِمْ وَسَـفِلَتِهِمْ، وَزَعَـمَ أَنَّهُ أُنْـزِلَ عَلَيْهِ قُـرْآنٌ، **فَمِنْ ذَلِكَ**: وَالنَّجْمِ السَّـيَّارِ، وَالْفَلَـكِ الدَّوَّارِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِنَّ الْكَافِرَ لَفِي أَخْطَارٍ.

قال ابن كثير:[١] وَهَذَا مِنْ خِذْلَانِهِ، وَكَثْرَةِ هَذَيَانِهِ فِي قُرْآنِهِ، وَلَوْ لَزِمَ قَافِيَةَ مَدْحِهِ، وَالْهِجَاءِ لَكَانَ أَشْعَرَ الشُّعَرَاءِ، وَأَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ، وَلَكِنْ أَرَادَ بِجَهْلِهِ، وَقِلَّةِ عَقْلِهِ، أَنْ يَقُولَ مَا يُشْبِهُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، تَعَالَى اللهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ.

وَلَمَّا اشْتَهَرَ خَبَرُهُ بِأَرْضِ السَّمَاوَةِ، وَأَنَّهُ قَدِ الْتَفَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ، خَرَجَ إِلَيْهِ نَائِبُ حِمْصَ مِنْ جِهَةِ بَنِي الْإِخْشِيدِ وَهُوَ الْأَمِيرُ لُؤْلُؤٌ - بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهُ - فَقَاتَلَهُ وَشَرَّدَ شَمْلَهُ، وَأَسَرَهُ وَسَجَنَهُ دَهْرًا طَوِيلًا، فَمَرِضَ فِي السِّجْنِ، وَأَشْرَفَ عَلَى التَّلَفِ، فَاسْتَحْضَرَهُ وَاسْتَتَابَهُ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ كِتَابًا اعْتَرَفَ فِيهِ بِبُطْلَانِ مَا ادَّعَاهُ، وَأَنَّهُ قَدْ تَابَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُ.

وَقَدِ اشْتُهِرَ بِلَفْظَةٍ تَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِ فِيمَا كَانَ ادَّعَاهُ مِنَ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ، وَهِيَ لَفْظَةُ "**الْمُتَنَبِّي**" الدَّالَّةُ عَلَى الْكَذِبِ.

وَلِلْمُتَنَبِّي دِيوَانٌ مَشْهُورٌ فِي الشِّعْرِ، فِيهِ أَشْعَارٌ رَائِقَةٌ وَمَعَانٍ لَيْسَتْ بِمَسْبُوقَةٍ، بَلْ مُبْتَكَرَةٌ سَابِقَةٌ، وَهُوَ فِي الشُّعَرَاءِ الْمُحْدَثِينَ كَامْرِئِ الْقَيْسِ فِي الشُّعَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ - وَهُوَ عِنْدِي بِخَطِّ يَدِهِ - فِيمَا ذَكَرَ مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، مَعَ تَقَدُّمِ أَمْرِهِ.

وَمِنْ شعره قَوْلُهُ:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

وَقَوْلُهُ:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وَقَوْلُهُ:

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا

(١) البداية والنهاية ١٥/ ٢٧٥.

وَلَهُ أَيْضًا:

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وَمِنْهَا قَوْلُهُ:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ عَلَى الْمُتَنَبِّي هَذِهِ الْمُبَالَغَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يَصْلُحُ هَذَا لِجَنَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَأَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَمِعَ الشَّيْخَ يَقُولُ: **رُبَّمَا قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السُّجُودِ**.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ

وَقَدْ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ، وَقَدْ شَرَحَ دِيوَانَهُ الْعُلَمَاءُ بِالشِّعْرِ وَاللُّغَةِ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ شَرْحًا وَجِيزًا وَبَسِيطًا.

٣٤- **أَبُو حَاتِمٍ الْبُسْتِيُّ بْنُ حِبَّانَ**، مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حِبَّانَ بْنِ مُعَاذِ بْنِ مَعْبَدٍ صَاحِبُ الصَّحِيحِ المسمى "الْأَنْوَاعِ وَالتَّقَاسِيمِ"، وَأَحَدُ الْحُفَّاظِ الْكِبَارِ الْمُصَنِّفِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، رَحَلَ إِلَى الْبُلْدَانِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَايِخِ، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ بَلَدِهِ، وَمَاتَ بِهَا فِي سنة (٣٥٤هـ)، وَقَدْ حَاوَلَ بَعْضُهُمُ الْكَلَامَ فِيهِ مِنْ جِهَةِ مُعْتَقَدِهِ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ النُّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةٌ، وَهِيَ نَزْعَةٌ فَلْسَفِيَّةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا عَنْهُ. وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي "طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ".

٣٥- **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدُوَيْهِ** بْنِ مُوسَى، أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ بِجَبُّلَ(١) سَنَةَ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَسَكَنَ بَغْدَادَ وَكَانَ ثِقَةً ثَبْتًا كَثِيرَ الرِّوَايَةِ، سَمِعَ مِنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَكَانَ يُحَدِّثُ **بِفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ حِينَ مَنَعَتِ الدَّيْلَمُ** مِنْ ذَلِكَ جَهْرَةً فِي الْجَامِعِ بِمَدِينَةِ الْمَنْصُورِ مُخَالَفَةً لَهُمْ، وَكَذَلِكَ فِي مَسْجِدِهِ بِبَابِ الشَّامِ. وَتُوُفِّيَ سنة (٣٥٤هـ)، عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

٣٦- **الْحَسَنُ بْنُ دُوَادَ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْعَلَوِيُّ الْحَسَنِيُّ

قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيُّ: كَانَ شَيْخَ آلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي عَصْرِهِ بِخُرَاسَانَ، وَسَيِّدَ الْعَلَوِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ صَلَاةً وَصَدَقَةً وَمَحَبَّةً لِلصَّحَابَةِ، وَصَحِبْتُهُ مُدَّةً، فَمَا سَمِعْتُهُ ذَكَرَ عُثْمَانَ إِلَّا قَالَ: الشَّهِيدُ، وَبَكَى، وَمَا سَمِعْتُهُ ذَكَرَ عَائِشَةَ إِلَّا قَالَ: الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ، وَبَكَى.

وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَطَبَقَتِهِ، وَكَانَ آبَاؤُهُ بِخُرَاسَانَ وَفِي سَائِرِ بُلْدَانِهِمْ سَادَاتٍ نُجَبَاءَ، حَيْثُ كَانُوا مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنْهُمْ، وَتُوُفِّيَ سنة (٣٥٥هـ).

٣٧-**أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ**، من ذرية مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْأُمَوِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ " الْأَغَانِي " وَكِتَابِ " أَيَّامِ الْعَرَبِ " ذَكَرَ فِيهِ أَلْفًا وَسَبْعَمِائَةِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ، وَكَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا كَاتِبًا، عَالِمًا بِالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ **يَتَشَيَّعُ**.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَمِثْلُهُ لَا يُوثَقُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يُصَرِّحُ فِي كُتُبِهِ بِمَا يُوجِبُ عَلَيْهِ الْفِسْقَ، وَيُهَوِّنُ شُرْبَ الْخَمْرِ، وَرُبَّمَا حَكَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَ " الْأَغَانِي " رَأَى كُلَّ قَبِيحٍ وَمُنْكَرٍ. تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٥٦هـ).

---

(١) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي من بغداد. معجم البلدان ٢/ ٢٣.

٣٨-**سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ**، صَاحِبُ حَلَبَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ الرَّبَعِيُّ الْمُلَقَّبُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الشُّجْعَانِ، وَالْمُلُوكِ الْكَثِيرِي الْإِحْسَانِ، عَلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَشَيُّعٍ، وَقَدْ مَلَكَ دِمَشْقَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَاتَّفَقَ لَهُ أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ؛ مِنْهَا أَنَّ خَطِيبَهُ عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نُبَاتة، كَانَ مُصَنِّفَ " الْخُطَبِ النُّبَاتِيَّةِ " أَحَدَ الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ، وَشَاعِرَهُ الْمُتَنَبِّي، وَمُطْرِبَهُ أَبُو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ. وَكَانَ كَرِيمًا جَوَّادًا مُعْطِيًا لِلْجَزِيلِ، تُوُفِّيَ سنة (٣٥٦هـ) وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ الْفَالِجُ.

٣٩-**كَافُورُ بن عبدالله الْإِخْشِيدِيُّ**، مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ الْإِخْشِيدِ وَقَدْ قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ مَوْلَاهُ لِصِغَرِ أَوْلَادِهِ، فَمَلَكَ كَافُورٌ مِصْرَ وَدِمَشْقَ، وَنَاوَأَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَغَيْرَهُ.

وَاسْتَقَرَّتِ الْمَمْلَكَةُ بِاسْمِهِ، يُدْعَى لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ وَبِلَادِ الْحِجَازِ جَمِيعًا، وَكَانَ شَهْمًا ذَكِيًّا فَاتِكًا جَيِّدَ السِّيرَةِ، **مَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ**.

وَوَفَدَ إِلَيْهِ الْمُتَنَبِّي، حِينَ ذَهَبَ مُغَاضِبًا عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، فَآوَى إِلَى كَافُورٍ وَحَصَلَ لَهُ مِنْهُ رِفْدٌ، ثُمَّ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ فَأَبْعَدَهُ كَافُورٌ، فَهَجَاهُ وَرَحَلَ عَنْهُ.

وَكَانَتْ مَمْلَكَةُ كَافُورٍ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **وَقَدْ كُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ:**

انْظُرْ إِلَى غِيَرِ الْأَيَّامِ مَا صَنَعَتْ ... أَفْنَتْ أُنَاسًا بِهَا كَانُوا وَمَا فَنِيَتْ
دُنْيَاهُمُ ضَحِكَتْ أَيَّامَ دَوْلَتِهِمْ ... حَتَّى إِذَا فَنِيَتْ نَاحَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

تُوُفِّيَ سنة (٣٥٦هـ).

٤٠-**أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ، صَاحِبُ " الْأَمَالِي " اللُّغَوِيُّ الْأُمَوِيُّ مَوْلَاهُمْ، وَالْقَالِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى قَالِيقَلَا.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي دِيَارِ بَكْرٍ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ وَغَيْرِهِ، وَأَخَذَ النَّحْوَ وَاللُّغَةَ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَنِفْطَوَيْهِ،

وَغَيْرِهِمْ، وَصَنَّفَ " الْأَمَالِيَ " وَهُوَ مَشْهُورٌ، وَكِتَابَ " الْبَارِعِ " عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، فِي خَمْسَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ فِي اللُّغَةِ.

وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَسَمِعَ بِهَا، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى قُرْطُبَةَ فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَاسْتَوْطَنَهَا، وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِهَا فِي سنة (٣٥٦هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٤١ - **النِّقْفُورِ ملك الْأَرْمَنِ، وَاسْمُهُ الدُّمُسْتُقُ، ثم صار بعد ذلك ملك الروم**، وَقَدْ كَانَ هَذَا اللَّعِينُ **مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ**، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ مِنْ **خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ يُعْرَفُ بِابْنِ الْفَقَّاسِ**، فَتَنَصَّرَ وَلَدُهُ هَذَا وَحَظِيَ عِنْدَ النَّصَارَى حَتَّى صَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا صَارَ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ أَخَذَ بِلَادًا كَثِيرَةً عَنْوَةً، مِنْ ذَلِكَ طَرَسُوسُ وَأَذَنَةُ، وَعَيْنُ زَرْبَةَ، وَالْمِصِّيصَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

وكَانَ هَذَا الْمَلْعُونُ مِنْ أَغْلَظِ الْمُلُوكِ قَلْبًا، وَأَشَدِّهِمْ كُفْرًا، وَأَقْوَاهُمْ بَأْسًا، وَأَكْثَرِهِمْ قِتَالًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِهِ، اسْتَحْوَذَ فِي أَيَّامِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ السَّوَاحِلِ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ قَسْرًا، وَأُضِيفَتْ إِلَى مَمْلَكَةِ الرُّومِ قَدَرًا، وَذَلِكَ لِتَقْصِيرِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَظُهُورِ الْبِدَعِ الشَّنِيعَةِ فِيهِمْ، وَكَثْرَةِ الْعِصْيَانِ، وَقَدْ كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي بَلْدَةٍ إِلَّا قَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَبَقِيَّةَ الرِّجَالِ، وَسَبَى النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَجَعَلَ جَامِعَهَا إِصْطَبْلًا لِخُيُولِهِ، وَكَسَرَ مِنْبَرَهَا، وَأَسْكَتَ مُؤَذِّنِيهَا بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ وَطُبُولِهِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَكَانَ قَدْ قَهَرَ وَطَغَا وَتَمَرَّدَ، وَقَدْ تَزَوَّجَ مَعَ ذَلِكَ بِامْرَأَةِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَلَهَا مِنْهُ ابْنَانِ، فَأَرَادَ أَنْ يَخْصِيَهُمَا وَيَجْعَلَهُمَا فِي الْكَنِيسَةِ؛ لِئَلَّا يَصْلُحَا بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُلْكِ، فَلَمَّا فَهِمَتْ ذَلِكَ أُمُّهُمَا عَمِلَتْ عَلَيْهِ، وَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ الْأُمَرَاءَ، فَقَتَلُوهُ وَهُوَ نَائِمٌ سنة (٣٥٩هـ) وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ أَكْبَرَ وَلَدَيْهَا.

وكان هذا المخذول قَدْ أَرْسَلَ قَصِيدَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ **الْمُطِيعِ لِلَّهِ** نَظَمَهَا لَهُ بَعْضُ كُتَّابِهِ مِمَّنْ كَانَ ارتد بعد إسلامه، يَفْتَخِرُ فِيهَا لِهَذَا اللَّعِينِ، وَيَتَعَرَّضُ لِسَبِّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ،

وَيَتَوَعَّدُ فِيهَا أَهْلَ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ بِأَنَّهُ سَيَمْلِكُهَا كُلَّهَا حَتَّى **الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ** عَمَّا قَرِيبٍ مِنَ الْأَعْوَامِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَنْتَصِرُ لِدِينِ الْمَسِيحِ، **وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ أَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِ**، رُبَّمَا أَنَّهَا لَمْ تَشْتَهِرْ، أَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يَرُدُّوا خِطَابَهُ.

وَقَدِ انْتَخَى لِلْجَوَابِ عَنْهَا فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ **بْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ**، فَأَفَادَ وَأَجَادَ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ فَصْلٍ بَاطِلٍ بِالصَّوَابِ وَالسَّدَادِ، فرحمه الله [(١)]

٤٢- **أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَطَّانِ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، تَفَقَّهَ بِابْنِ سُرَيْجٍ، ثُمَّ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ، وَتَفَرَّدَ بِرِيَاسَةِ الْمَذْهَبِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْقَاسِمِ الشِّيرَازِي، وَصَنَّفَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، وَكَانَتِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ بِبَغْدَادَ، وَدَرَّسَ بِهَا، وَكَتَبَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٣٥٩هـ).

٤٣- **مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُظَفَّرٍ**، أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ الْمُتَنَائِيَةِ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْحُفَّاظُ الْكِبَارُ، وَكَانَ فَقِيرًا مُتَقَلِّلًا، يَضْرِبُ اللَّبَنَ لِقُبُورِ الْفُقَرَاءِ، وَيَتَقَوَّتُ بِرَغِيفٍ بِجَزَرَةٍ أَوْ بَصَلَةٍ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٣٦٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٤٤- **الطَّبَرَانِيُّ، سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ**، أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ اللَّخْمِيُّ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ، صَاحِبُ الْمَعَاجِمِ الثَّلَاثَةِ؛ "الْكَبِيرِ" وَ"الْأَوْسَطِ"، وَ"الصَّغِيرِ"، وَكِتَابِ "السُّنَّةِ" وَكِتَاب "مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ"، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةِ.

عَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٣٦٠هـ) بِأَصْبَهَانَ، وَدُفِنَ عَلَى بَابِهَا عِنْدَ قَبْرِ حُمَمَةَ الدَّوْسِيِّ الصَّحَابِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَهُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "الْمُنْتَظَمِ". [(٢)] قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: [(٣)] وَسَمِعَ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ.

(١) انظر رد ابن حزم في البداية والنهاية ١٥/ ٢٩٦ وما بعدها.
(٢) ١٤/ ٢٠٦
(٣) ٢/ ٤٠٧

٤٥ - **مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الْأَنْدَلُسِيُّ الشَّاعِرُ**، كَانَ قَدِ اسْتَصْحَبَهُ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ مِنْ بِلَادِ الْقَيْرَوَانِ وَتِلْكَ النَّوَاحِي حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ المعز بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَجَدَ مُحَمَّدَ بْنَ هَانِئٍ مَقْتُولًا مُجَدَّلًا عَلَى حَافَّةِ الْبَحْرِ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سنة (٣٦٢هـ)، وَقَدْ كَانَ شَاعِرًا مُطَبِّقًا قَوِيَّ النَّظْمِ، إِلَّا أَنَّهُ **كَفَّرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ** فِي مُبَالَغَاتِهِ فِي مَدَائِحِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ - يَمْدَحُ الْمُعِزَّ قَبَّحَهُمَا اللهُ -:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: (١) وَقَدْ شَرَعَ بَعْضُ الْمُتَعَصِّبِينَ فِي الِاعْتِذَارِ عَنْهُ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

قال ابن كثير: (٢) هَذَا الشِّعْرُ إِنْ صَحَّ عَنْهُ، فَلَيْسَ عَنْهُ اعْتِذَارٌ، لَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا فِي هَذِهِ الدَّارِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) الكامل ٨/ ٦٢٢.
(٢) ١٥/ ٣٤٢.

(٢٤)

خلافة الطائع عبدالكريم بن المطيع لله

٣٦٣ ـ ٣٨١

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

عَبْـدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْمُطِيعِ لِلَّهِ الْفَضْلِ بْنِ الْمُقْتَـدِرِ بِاللهِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ.

أولياته

وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مَنِ اسْـمُهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ سِـوَاهُ، وَلَا مَنْ أَبَوْهُ حَيٌّ سِـوَاهُ وَسِوَى أَبِي بَكْـرٍ الصِّدِيـقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَسَـنَّ مِنْهُ حَالَ الْوِلَايَةِ، **كَانَ عُمُرُهُ** ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَكَانَتْ **أُمُّهُ** أَمَّ وَلَدٍ اسْمُهَا عُتْبُ، وَكَانَتْ تَعِيشُ أَيْضًا يَوْمَ بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ.

وفاته

وبعـد خلعه من الخلافة أُودِعَ فِي غُرْفَةٍ بِدَارِ الْخِلَافَـةِ، **وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ** وَأَلْطَافٌ غَزِيرَةٌ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سـنة (٣٩٣هـ) عَنْ سِـتٍّ وَسَـبْعِينَ سَـنَةً، ومدة خلافته سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابنه الْقَادِرُ بِاللهِ، وَشَهِدَ جِنَازَتَهُ الْأَكَابِرُ وَالْأَعْيَانُ، وَدُفِنَ بِالرُّصَافَةِ.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

لما أصاب المطيع الفالج ثَقُلَ لِسَانُهُ، فَسَأَلَهُ سُبُكْتِكِينُ أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ، وَيُوَلِّي مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَهُ عبدالكريم فَأَجَابَ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة (٣٦٣هـ)، **فَعُقِدَتِ الْبَيْعَةُ لِلطَّائِعِ عبدالكريم** بِدَارِ الْخِلَافَةِ عَلَى يَدَيِ **الْحَاجِبِ سُبُكْتِكِينَ** ولقب بالطَّائِع.

وَلَمَّا بُويِعَ الطَّائِعُ رَكِبَ وَعَلَيْهِ الْبُرْدَةُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سُبُكْتِكِينُ وَالْجَيْشُ، ثُمَّ خَلَعَ مِنَ الْغَدِ عَلَى سُبُكْتِكِينَ خِلَعَ الْمُلُوكِ، وَلَقَّبَهُ نَصْرَ الدَّوْلَةِ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءَ الْإِمَارَةِ. وَلَمَّا حَضَرَ الْأَضْحَى رَكِبَ الطَّائِعُ وَعَلَيْهِ السَّوَادُ، فَخَطَبَ النَّاسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ خُطْبَةً خَفِيفَةً حَسَنَةً.

○ عزله

فِي يَوْمِ السَّبْتِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٣٨١هـ) كَانَ الْقَبْضُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ وخلعه، **وَخِلَافَةُ الْقَادِرِ بِاللهِ** أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ، وَكَتَبَ عَلَى الطَّائِعِ كِتَابًا بِالْخَلْعِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ الْأَشْرَافُ وَالْقُضَاةُ أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْخِلَافَةِ وَسَلَّمَهَا إِلَى الْقَادِرِ بِاللهِ وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

○ الصراع بين الأتراك والديالمة

في سنة (٣٦٣هـ) قَوِيَتِ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَادَ بعد بيعة الطائع وتولية **سُبُكْتِكِينُ** الحجابة، تَحَيَّرَ عِزُّ الدَّوْلَةِ **بَخْتِيَارُ** بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ فِي أَمْرِهِ، وَمَا يَصْنَعُ، **وَهُوَ بِالْأَهْوَازِ**، فَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ **رُكْنِ الدَّوْلَةِ** يَسْتَنْجِدُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِعَسْكَرٍ مَعَ وَزِيرِهِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى **ابْنِ عَمِّهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ** بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ، فَتَبَاطَأَ عَلَيْهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى **عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ** فَلَمْ يُجِبْهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى **أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ**، فَأَظْهَرَ نَصْرَهُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ فِي الْبَاطِنِ أَخْذَ بَغْدَادَ.

وَخَرَجَتِ الْأَتْرَاكُ مِنْ بَغْدَادَ فِي جَحْفَلٍ كَثِيرٍ، وَمَعَهُمُ الْخَلِيفَةُ الطَّائِعُ وَأَبُوهُ الْمُطِيعُ، فَلَمَّا **انْتَهَوْا إِلَى وَاسِطٍ تُوُفِّيَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ** تُوُفِّي **سُبُكْتِكِينُ** أَيْضًا، فَحُمِلَا إِلَى بَغْدَادَ.

فَالْتَفَّتِ التُّرْكُ عَلَى أَمِيرٍ يُقَالُ لَهُ: **أَفْتُكِينُ**، فَاجْتَمَعَ شَمْلُهُمْ وَالْتَقَوْا مَعَ **بَخْتِيَارَ**.

وقد جاءَ معينًا لبختيار **عَضُدُ الدَّوْلَةِ** بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ إِلَى **وَاسِطٍ** سنة (٣٦٤هـ)، وَمَعَهُ وَزِيرُ أَبِيهِ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ، **فَهَرَبَ أَفْتِكِينُ** فِي جَمَاعَةِ الْأَتْرَاكِ **إِلَى بَغْدَادَ**، فَسَارَ وَرَاءَهُمْ عضد الدولة، فَنَزَلَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَأَمَرَ **بَخْتِيَارَ** أَنْ يَنْزِلَ عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَحَصَرَ التُّرْكَ حَصْرًا شَدِيدًا، فَكَسَرَهُمْ وَهَرَبُوا إِلَى تِكْرِيتَ وَاسْتَحْوَذَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَلَى بَغْدَادَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ.

وَكَانَتِ التُّرْكُ قَدْ **أَخْرَجُوا مَعَهُمُ الْخَلِيفَةَ**، فَرَدَّهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ مُكَرَّمًا، وَنَزَلَ هُوَ بِدَارِ الْمُلْكِ.

فَضَعُفَ أَمْرُ بَخْتِيَارَ جِدًّا، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ بِالْكُلِّيَّةِ، فَأَغْلَقَ بَابَهُ وَطَرَدَ الْحَجَبَةَ وَالْكَتَبَةَ عَنْ بَابِهِ، وَاسْتَعْفَى عَنِ **الْإِمَارَةِ**، فَأَمَرَ عضد الدولة بِالْقَبْضِ عَلَى **بَخْتِيَارَ** وَعَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَتِهِ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الطَّائِعُ لِلَّهِ وَسُرَّ بِهِ، وَأَظْهَرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ تَعْظِيمِ الْخِلَافَةِ مَا كَانَ دَارِسًا، وَجَدَّدَ دَارَ الْخِلَافَةِ حَتَّى صَارَ كُلُّ مَحَلٍّ مِنْهَا آنِسًا، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ وَالْأَمْتِعَةِ الْحَسَنَةِ، **وَقَتَلَ** جَمَاعَةَ الْمُفْسِدِينَ مِنْ **مَرَدَةِ التُّرْكِ وَشُطَّارِ الْعَيَّارِينَ**.

ثم اضْمَحَلَّ **أَمْرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ**، وَتَفَرَّقَ جُنْدُهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى بَغْدَادَ وَحْدَهَا، فَبَعَثَ إِلَى **أَبِيهِ** يَشْكُو لَهُ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ يَلُومُهُ عَلَى الْغَدْرِ بِابْنِ عَمِّهِ **عِزِّ الدَّوْلَةِ بختيار**، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى فَارِسَ بَعْدَمَا أَخْرَجَ ابْنَ عَمِّهِ بَخْتِيَارَ مِنَ السِّجْنِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

○ الحرب بين المعز الفاطمي والحسن القرمطي

لَمَّا اسْتَقَرَّ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَتَأَطَّدَ مُلْكُهُ، سَارَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ **الْقِرْمِطِيُّ** مِنَ الْأَحْسَاءِ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ سنة (٣٦٣هـ)، وَالْتَفَّ مَعَهُ **أَمِيرُ الْعَرَبِ** بِبِلَادِ الشَّامِ حَسَّانُ بْنُ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ، فِي عَرَبِ الشَّامِ بِكَمَالِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمُ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ أُسْقِطَ فِي يَدِهِ لِكَثْرَتِهِمْ، **وَكَتَبَ إِلَى الْقِرْمِطِيِّ يَسْتَمِيلُهُ**، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ دَعْوَةَ آبَائِكَ إِنَّمَا كَانَتْ إِلَى آبَائِي قَدِيمًا، **فَدَعْوَتُنَا وَاحِدَةٌ**، وَيَذْكُرُ فِيهِ فَضْلَهُ وَفَضْلَ آبَائِهِ.

فَرَدَّ الْجَوَابَ: **وَصَلَ كِتَابُكَ الَّذِي كَثُرَ تَفْضِيلُهُ، وَقَلَّ تَحْصِيلُهُ**، وَنَحْنُ سَائِرُونَ إِلَيْكَ عَلَى إِثْرِهِ، وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ **عَاثُوا فِيهَا قَتْلًا وَنَهْبًا وَإِفْسَادًا**؛ فَضَعُفَ جَيْشُهُ **فَعَدَلَ إِلَى الْمَكِيدَةِ وَالْخَدِيعَةِ**، فَرَاسَلَ حَسَّانَ بْنَ الْجَرَّاحِ أَمِيرَ الْعَرَبِ، وَوَعَدَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ إِنْ هُوَ خَذَّلَ بَيْنَ النَّاسِ، **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ**: أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ بِمَا الْتَزَمْتَ، وَتَعَالَ بِمَنْ مَعَكَ، فَإِذَا الْتَقَيْنَا انْهَزَمْتُ بِمَنْ مَعِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعِزُّ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فِي أَكْيَاسٍ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهَا **زَغَلٌ**، ضَرَبَ النُّحَاسَ وَلَبَّسَهُ الذَّهَبَ، وَجَعَلَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَكْيَاسِ، وَوَضَعَ فِي رُءُوسِ الْأَكْيَاسِ الدَّنَانِيرَ الْخَالِصَةَ، وَلَمَّا بَعَثَهَا إِلَيْهِ رَكِبَ فِي إِثْرِهَا بِجَيْشِهِ، فَالْتَقَى النَّاسُ.

وَلَمَّا تَوَاجَهَ الْفَرِيقَانِ وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ، انْهَزَمَ حَسَّانُ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالْعَرَبِ، فَضَعُفَ جَانِبُ الْقِرْمِطِيِّ، وَقَوِيَ عَلَيْهِ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ فَكَسَرَهُ، وَانْهَزَمَتِ الْقَرَامِطَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَرَجَعُوا إِلَى **أَذْرِعَاتَ** فِي أَذَلِّ حَالٍ وَأَرْذِلِهِ.

○ انتزاع الفاطمي لبلاد الشام

في سنة (٣٦٣هـ) بَعَثَ الْمُعِزُّ فِي آثَارِ القرامطة الْقَائِدَ **أَبَا مَحْمُودٍ** إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَعْفَرٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ؛ لِيَحْسِمَ مَادَّةَ الْقَرَامِطَةِ فهزمهم.

ثم بَعَثَ سَرِيَّةً عَلَيْهِمْ **ظَالِمُ بْنُ مَوْهُوبٍ** الْعُقَيْلِيُّ **أَمِيرًا عَلَى دِمَشْقَ** فَتَسَلَّمَهَا مِنَ الْقَرَامِطَةِ بَعْدَ حِصَارٍ شَدِيدٍ، وَاعْتَقَلَ مُتَوَلِّيَهَا أَبَا الْمُنَجَّا الْقِرْمِطِيَّ وَابْنَهُ.

وَلَمَّا تَفَرَّغَ أَبُو **مَحْمُودٍ** الْقَائِدُ مِنْ قِتَالِ الْقَرَامِطَةِ أَقْبَلَ نَحْوَ دِمَشْقَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ **ظَالِمُ بْنُ مَوْهُوبٍ**، فَتَلَقَّاهُ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَأَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَهُ ظَاهِرَ دِمَشْقَ، فَأَفْسَدَ أَصْحاب أبي محمود إبراهيم فِي الْغُوطَةِ وَالْمَرْجِ وَنَهَبُوا الْفَلَّاحِينَ، وَقَطَعُوا الطُّرُقَاتِ عَلَى النَّاسِ، وَتَحَوَّلَ أَهْلُ الْغُوطَةِ إِلَى الْبَلَدِ مِنْ كَثْرَةِ النَّهْبِ، وَجِيءَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْقَتْلَى فَأُلْقُوا فِي الْجَامِعِ، فَكَثُرَ الضَّجِيجُ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، وَاجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ لِلْقِتَالِ، **وَالْتَقَوْا مَعَ الْفاطميين**، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ، وَانْهَزَمَتِ الْعَامَّةُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَحْرَقَتِ الْفاطمية نَاحِيَةَ بَابِ الْفَرَادِيسِ، فَاحْتَرَقَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالدُّورِ وَلَبِثَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ إِلَى سَنَةِ (٣٦٤هـ).

وَأُحْرِقَ الْبَلَدُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ عَزْلِ **ظَالِمِ بْنِ مَوْهُوبٍ** وَتَوْلِيَةِ **جَيْشِ بْنِ صَمْصَامَةَ** ابْنِ أُخْتِ أَبِي مَحْمُودٍ، قَبَّحَهُ اللهُ، وَقُطِّعَتِ الْقَنَوَاتُ وَسَائِرُ الْمِيَاهِ عَنِ الْبَلَدِ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ فِي الطُّرُقَاتِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَلَمْ يَزَلِ الْحَالُ كَذَلِكَ حَتَّى وَلِيَ عَلَيْهِمُ **الطَّوَاشِيُّ رَيَّانُ الْخَادِمُ**، مِنْ جِهَةِ الْمُعِزِّ، فَسَكَنَتِ الْأُمُورُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ

○ أخذ أفتكين دمشق ونهايته

ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الكامل [(١)] أَنَّ **أَفْتِكِينَ** غُلَامَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الَّذِي كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ، الْتَفَّ عَلَيْهِ عَسَاكِرُ وَجُيُوشٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالتُّرْكِ وَالْأَعْرَابِ، فَنَزَلَ فِي سنة (٣٦٤هـ) عَلَى دِمَشْقَ لِيَأْخُذَهَا مِنْ أَيْدِي الْفَاطِمِيِّينَ، وَكَانَ عَلَيْهَا **رَيَّانُ الْخَادِمُ** مِنْ جِهَةِ الْمُعِزِّ **الْفَاطِمِيِّ**،

(١) ٨/ ٦٥٦

فَلَمَّا نَزَلَ بِظَاهِرِهَا خَرَجَ إِلَيْهِ كُبَرَاؤُهَا وَشُيُوخُهَا، فَذَكَرُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَشْمِ وَمُخَالَفَةِ الِاعْتِقَادِ بِسَبَبِ مُلْكِ الْفَاطِمِيِّينَ عَلَيْهِمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُصَمِّمَ عَلَى أَخْذِ الْبَلَدِ لِيَسْتَنْقِذَهَا مِنْهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَمَّمَ عَلَى أَخْذِهَا، **وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَخَذَهَا**، وَاسْتَقَلَّ بِأَمْرِهَا، وَوَضَعَ الْعَدْلَ فِيهِمْ، وَقَمَعَ أَهْلَ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

وَلَمَّا **اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ**، وَصَلُحَ أَمْرُ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ مِنْ مِصْرَ يَشْكُرُ سَعْيَهُ وَيَطْلُبُهُ إِلَيْهِ؛ لِيَخْلَعَ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ نَائِبًا مِنْ جِهَتِهِ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ وَخَافَ غَائِلَتَهُ، وَقَطَعَ خُطْبَتَهُ مِنَ الشَّامِ **وَخَطَبَ لِلطَّائِعِ الْعَبَّاسِيِّ**،[1] ثُمَّ قَصَدَ «**صَيْدَا**» وَبِهَا خَلْقٌ مِنَ الْفَاطمية فَحَاصَرَهُمْ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَخَذَ الْبَلَدَ مِنْهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ سَرَاتِهِمْ، ثُمَّ قَصَدَ **طَبَرِيَّةَ فَفَعَلَ بِأَهْلِهَا مِثْلَ ذَلِكَ**، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَزَمَ الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَيْهِ وَقِتَالِهِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ يَجْمَعُ لَهُ وَيُرَتِّبُ الْجُيُوشَ إِذْ تُوُفِّيَ الْمُعِزُّ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ (٣٦٥هـ)، وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ **الْعَزِيزُ**، فَاطْمَأَنَّ عِنْدَ ذَلِكَ **أَفْتِكِينُ** بِالشَّامِ، **وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ**، فَبَعَثُوا جَوْهَرًا الْقَائِدَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا تَجَهَّزَ جَوْهَرٌ حَلَّفَ أَفْتِكِينُ أَهْلَ دِمَشْقَ عَلَى مُنَاصَرَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ، فَحَلَفُوا لَهُ بِذَلِكَ.

وَجَاءَ جَوْهَرٌ فَحَصَرَ دِمَشْقَ **سَبْعَةَ أَشْهُرٍ** حَصْرًا شَدِيدًا، وَرَأَى مِنْ شَجَاعَةِ أَفْتِكِينَ مَا بَهَرَهُ، وَحِينَ طَالَ الْحَالُ أَشَارَ مَنْ أَشَارَ مِنَ الدَّمَاشِقَةِ عَلَى أَفْتِكِينَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْقِرْمِطِيِّ وَهُوَ بِالْأَحْسَاءِ؛ لِيَجِيءَ إِلَيْهِ، **فَلَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ أَقْبَلَ لِنَصْرِهِ**، فَلَمَّا سَمِعَ جَوْهَرٌ بِقُدُومِهِ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَبْقَى بَيْنَ عَدُوَّيْنِ، فَارْتَحَلَ قَاصِدًا الرَّمْلَةَ، فَتَبِعَهُ أَفْتِكِينُ وَالْقِرْمِطِيُّ فِي نَحْوٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا، فَتَوَاقَعُوا عِنْدَ نَهْرِ الطَّوَاحِينِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ مِنَ

---

(١) لكن مع الأسف أنه لما كثرت عليه جيوش الفاطميين (العبيديين) واحتاج إلى المعونة لم يعنه الخليفة ولا السلطان البويهي؛ مما اضطره للاستعانة بالقرمطي صاحب الأحساء.

الرَّمْلَةِ، وَحَصَرُوا جَوْهَرًا فَضَاقَ حَالُهُ جِدًّا مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَسَأَلَ **أَنْ يَجْتَمِعَ هُوَ وَأَفْتِكِينُ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ**، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، **فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَفَّقُ لَهُ أَنْ يُطْلِقَهُ** فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ- وَكَانَ جَوْهَرٌ دَاهِيَةً - فَنَدَّمَهُ الْقِرْمِطِيُّ، وَقَالَ فَإِنَّهُ الْآنَ سَيَذْهَبُ إِلَى سَيِّدِهِ فَيُخْبِرُهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ إِلَيْنَا، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، **فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ**.

ولَمَّا أَطْلَقَهُ وعاد إلى مصر حَثَّ الْعَزِيزَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى أَفْتِكِينَ بِنَفْسِهِ وَجُيُوشِهِ، فَأَقْبَلَ فِي جَحَافِلَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ وَكَثْرَةٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ، وَجَمَعَ أَفْتِكِينُ وَالْقِرْمِطِيُّ الْجُيُوشَ وَالْأَعْرَابَ وَسَارُوا إِلَى الرَّمْلَةِ فَاقْتَتَلُوا فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ (٣٦٧هـ).

وَلَمَّا رَأَى الْعَزِيزُ مِنْ **شَجَاعَةِ أَفْتِكِينَ** أَرْسَلَ إِلَيْهِ يَعْرِضُ عَلَيْهِ إِنْ أَطَاعَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقَدَّمَ عَسَاكِرِهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ: **لَوْ كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا الْحَالِ، وَأَمَّا الْآنَ فَلَا**، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَحَمَلَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ، فَفَرَّقَ شَمْلَهَا، فَبَرَزَ عِنْدَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ مِنَ الْقَلْبِ، وَأَمَرَ الْمَيْمَنَةَ، فَحَمَلَتْ حَمْلَةً صَادِقَةً، فَانْهَزَمَ الْقِرْمِطِيُّ وَتَبِعَهُ بَقِيَّةُ الشَّامِيِّينَ. **وَأَرْسَلَ السَّرَايَا وَرَاءَهُمْ**، وَجَعَلَ لِمَنْ جَاءَهُ بِأَفْتِكِينَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.

فَاتَّفَقَ أَنَّ **أَفْتِكِينَ عَطِشَ وَهُوَ مُنْهَزِمٌ** عَطَشًا شَدِيدًا، فَاجْتَازَ **بِمُفَرِّجِ بْنِ دَغْفَلٍ**، وَكَانَ صَاحِبَهُ، فَاسْتَسْقَاهُ فَسَقَاهُ مَاءً وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ فِي بُيُوتِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْعَزِيزِ يُخْبِرُهُ بِأَنَّ الَّذِي يَطْلُبُ عِنْدَهُ، فَلْيَحْمِلْ إِلَيْهِ الذَّهَبَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. وَجَاءَ مَنْ تَسَلَّمَهُ مِنْهُ (سود الله وجهه)، **فَلَمَّا أُحِيطَ بِأَفْتِكِينَ** لَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فلما حَضَرَ عِنْدَ الْعَزِيزِ احْتَرَمَهُ وأَكْرَمَهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَرَدَّ إِلَيْهِ حَوَاصِلَهُ وَأَمْوَالَهُ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ وَأُمَرَائِهِ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا، وَأَقْطَعَهُ هُنَالِكَ إِقْطَاعَاتٍ جَزِيلَةً.

وَأَرْسَلَ إِلَى الْقِرْمِطِيِّ يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ وَيُكْرِمَهُ كَمَا أَكْرَمَ أَفْتِكِينَ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ **بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ**، وَجَعَلَهَا لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَكُفُّ بِهَا شَرَّهُ، وَلَمْ يَزَلْ **أَفْتِكِينُ** مُكَرَّمًا عِنْدَ الْعَزِيزِ، **حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ يَعْقُوبَ بْنِ كِلِّسٍ**، فَعَمِلَ عَلَيْهِ **حَتَّى سَقَاهُ سُمًّا فَمَاتَ**.

○ القضاء على مدعي النبوة

ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ[(١)] أَنَّ في سنة (٣٦٥هـ) ذَهَبَ **يُوسُفُ بُلُكِّينُ** - نَائِبُ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ - إِلَى **مَدِينَةِ بَرْغَوَاطَةَ**، وَبِهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عِيسَى ابْنُ أُمِّ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ مَلِكُهَا، وَقَدِ اشْتَدَّتِ الْمِحْنَةُ بِهِ **لِسِحْرِهِ وَشَعْبَذَتِهِ**، وَادَّعَى **أَنَّهُ نَبِيٌّ**، فَأَطَاعُوهُ، وَوَضَعَ لَهُمْ شَرِيعَةً يَقْتَدُونَ بِهِ فِيهَا، فَقَاتَلَهُمْ بُلُكِّينُ، فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ هَذَا الْفَاجِرَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ وفاة ركن الدولة وتولية ابنه

فِي سنة (٣٦٦هـ) تُوُفِّيَ **رُكْنُ الدَّوْلَةِ** أَبُو عَلِيِّ بْنُ بُوَيْهِ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ أَيَّامُ وِلَايَتِهِ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَبْلَ مَوْتِهِ قَسَّمَ مُلْكَهُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ. فَعَهِدَ **إِلَى** ابْنِهِ **عَضُدِ الدَّوْلَةِ**.

وَقَدْ كَانَ ركن الدولة سَائِسًا حَلِيمًا وَقُورًا، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ، فِيهِ إِيثَارٌ وَكَرَمٌ كَثِيرٌ، وَحُسْنُ عِشْرَةٍ وَرِيَاسَةٍ عَلَى أَقَارِبِهِ وَدَوْلَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ.

وَحِينَ تَمَكَّنَ **عَضُدُ الدَّوْلَةِ** قَصَدَ الْعِرَاقَ لِيَأْخُذَهَا مِنِ ابْنِ عَمِّهِ **عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ**؛ لِسُوءِ سِيرَتِهِ، فَالْتَقَوْا بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ، فَهَزَمَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ، وَأَخَذَ أَثْقَالَهُ وَأَمْوَالَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَأَخَذَهَا، وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَهْلِهَا حَيَّيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا خُلْفٌ مُتَقَادِمٌ مِنْ نَحْوِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُضَرُ تَمِيلُ إِلَيْهِ، وَرَبِيعَةُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَيَّانِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْفَرِيقَانِ.

وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ **فَعَزَلَ** عِزَّ الدَّوْلَةِ **بختيار**، **وَقَبَضَ** عَلَى **وَزِيرِهِ** ابْنِ بَقِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ اسْتَحْوَذَ عَلَى الْأُمُورِ دُونَهُ.

وَكَذَلِكَ أَمَرَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بِالْقَبْضِ عَلَى وَزِيرِ أَبِيهِ **أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ** لِمَوْجِدَةٍ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَبْقَ لِبَنِي الْعَمِيدِ فِي الْأَرْضِ بَقِيَّةٌ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ بِأَوْفَرِ مَكَانٍ، فَخَانَتْهُ الْمَقَادِيرُ وَعَاجَلَهُ غَضَبُ السُّلْطَانِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ الرَّحْمَنِ.

(١) الكامل ٨/ ٦٦٥.

○ استيلاء عضد الدولة على السلطنة

فِي (٣٦٧هـ) دَخَلَ **عَضُدُ الدَّوْلَةِ** إِلَى بَغْدَادَ وَخَرَجَ مِنْهَا **عِزُّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ** بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَاتَّبَعَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ لِيُقَاتِلَهُ، وَأَخَذَ مَعَهُ الْخَلِيفَةَ الطَّائِعَ لِلَّهِ فَاسْتَعْفَاهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْخُرُوجِ فَأَعْفَاهُ، وَسَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَرَاءَهُ، فَأَخَذَهُ أَسِيرًا، **ثُمَّ قُتِلَ سَرِيعًا**، وَتَصَرَّمَتْ دَوْلَتُهُ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادَ، **وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْخِلَعَ السَّنِيَّةَ**، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِتُحَفٍ سَنِيَّةٍ.

وَبَعَثَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَاسْتَقَرَّتْ يَدُهُ عَلَى بَغْدَادَ وَمَا وَالَاهَا مِنَ الْبِلَادِ.

وفِي شَعْبَانَ سنة (٣٦٨هـ) أَمَرَ الطَّائِعُ لِلَّهِ **أَنْ يُدْعَى لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ** بَعْدَ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِبَغْدَادَ، **وَأَنْ تُضْرَبَ الدَّبَادِبُ** عَلَى بَابِهِ وَقْتَ الْفَجْرِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَبَعْدَ الْعَشَاءِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنْ بَنِي بُوَيْهِ، وَقَدْ كَانَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ سَأَلَ مِنَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَنْ يَضْرِبَ الدَّبَادِبَ عَلَى بَابِهِ بِبَغْدَادَ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي ذَلِكَ.

○ استرداد عضد الدولة بلدان عدة

اسْتولى عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي سنة (٣٦٨هـ) - وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْمَوْصِلِ - أَكْثَرَ بِلَادِ أَبِي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدَانَ، **كَآمِدَ وَمَيَّافَارِقِينَ وَالرَّحْبَةِ** وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُدُنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَحِينَ عَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى بَغْدَادَ اسْتَنَابَ عَلَى الْمَوْصِلِ أَبَا الْوَفَاءِ الْحَاجِبَ، وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَهَا فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَتَلَقَّاهُ الْخَلِيفَةُ وَالْأَعْيَانُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وفِي سنة (٣٦٩هـ) رَكِبَ **عَضُدُ الدَّوْلَةِ** فِي جُيُوشٍ كَثِيفَةٍ إِلَى بِلَادِ أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ، وَذَلِكَ لِمَا كَانَ بَلَغَهُ مِنْ مُمَالَآتِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَاتِّفَاقِهِمَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَفَرَّغَ مِنْ أَعْدَائِهِ، رَكِبَ، **فَتَسَلَّمَ بِلَادَ أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ؛ هَمَذَانَ وَالرَّيَّ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبِلَادِ**، وَسَلَّمَ ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ بُوَيْهِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ؛ لِيَكُونَ نَائِبَهُ عَلَيْهَا.

وفِي سنة (٣٦٩هـ) تُوُفِّيَ حَسْنَوَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْكُرْدِيُّ، وَكَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى نَوَاحِي بِلَادِ **الدِّينَوَرِ وَهَمَذَانَ وَنَهَاوَنْدَ** مُدَّةَ **خَمْسِينَ سَنَةً**، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ بِالْحَرَمَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، فَلَمَّا تُوُفِّيَ اخْتَلَفَ أَوْلَادُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَمَزَّقَ شَمْلُهُمْ، وَتَمَكَّنَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِهِ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ فِي الْأَرْضِ.

فَسَارَ عضد الدولة إِلَى بِلَادِ حَسْنَوَيْهِ، فَتَسَلَّمَ بِلَادَهُ وَأَخَذَ حَوَاصِلَهُ وَذَخَائِرَهُ، وَكَانَتْ جَلِيلَةً كَثِيرَةً جِدًّا، وَحَبَسَ بَعْضَ أَوْلَادِهِ، وَأَمَّرَ بَعْضَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَكْرَادِ الْهَكَّارِيَّةِ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ بَعْضَ بِلَادِهِمْ، وَعَظُمَ شَأْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَارْتَفَعَ صِيتُهُ وَذِكْرُهُ.

إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَهُ فِي هَذِهِ السَّفْرَةِ **دَاءُ الصَّرْعِ**، وغَلَبَ عليه كَثْرَةُ النِّسْيَانِ، فَلَا يَذْكُرُ الشَّيْءَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ، وَالدُّنْيَا لَا تَسُرُّ بِقَدْرِ مَا تَضُرُّ:

محاولة عضد الدولة التخفيف من الفتن

دَارٌ إِذَا مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ

قِيلَ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ: إِنَّ أَهْلَ بَغْدَادَ وَقَعَ بَيْنَهُمُ الْفِتَنِ بِسَبَبِ الرَّفْضِ وَالسُّنَّةِ، فَقَالَ: إِنَّمَا يُهَيِّجُ الشَّرَّ بَيْنَ النَّاسِ فِي السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ هَؤُلَاءِ الْقُصَّاصُ وَالْوُعَّاظُ، ثُمَّ رَسَمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقُصُّ وَلَا يَعِظُ فِي سَائِرِ بَغْدَادَ وَلَا يَسْأَلُ **سَائِلٌ بِاسْمِ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ**، وَإِنَّمَا يَقْرَأُ السَّائِلُ الْقُرْآنَ، فَمَنْ أَعْطَاهُ أَخَذَ مِنْهُ.

فَعُمِلَ بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ، ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ سَمْعُونَ الْوَاعِظَ - وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ - قَدِ اسْتَمَرَّ يَعِظُ النَّاسَ عَلَى عَادَتِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ جَاءَ بِهِ، فَأُخِذَ مِنْ مَجْلِسِهِ، فأوتي به إلى السلطان، فاسْتَفْتَحَ الْقِرَاءَةَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] ثُمَّ اسْتَدَارَ نَحْوَ الْمَلِكِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤] ثُمَّ أَخَذَ فِي مُخَاطَبَةِ الْمَلِكِ وَوَعْظِهِ، فَبَكَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ بُكَاءً كَثِيرًا.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لِلْحَاجِبِ: اذْهَبْ فَخُذْ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعَشَرَةَ أَثْوَابٍ،

وَادْفَعْهَا إِلَيْهِ؛ فرده فلم يقبله، ولما علم السلطان بذلك قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَهُ مِنَّا، وَسَلَّمَنَا مِنْهُ.

○ قتل ابن بقية وزير بختيار

أخذ عَضُد الدَّوْلَةِ ابْنَ بَقِيَّةَ **الْوَزِيرَ** لِعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَأَمَرَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ قَوَائِمِ الْفِيلَةِ، فَتَخَبَّطَتْهُ بِأَرْجُلِهَا حَتَّى هَلَكَ، ثُمَّ صُلِبَ عَلَى رَأْسِ الْجِسْرِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٣٦٧هـ)، فَرَثَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ بِأَبْيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا:

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ ... بِحَقٍّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ
كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا ... وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلَاتِ
كَأَنَّكَ وَاقِفٌ فِيهِمْ خَطِيبًا ... وَكُلُّهُمْ وُقُوفٌ لِلصَّلَاةِ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ، أَوْرَدَ كَثِيرًا مِنْهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كَامِلِهِ.(١)

○ وفاة منصور الساماني

فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ فِي سنة (٣٦٦ هـ)، تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ السَّامَانِيُّ - **صَاحِبُ بِلَادِ خُرَاسَانَ** - بِبُخَارَى، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ نُوحٌ، وَكَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلُقِّبَ بِالْمَنْصُورِ.

○ وفاة صاحب هجر القرمطي

فِي سنة (٣٦٦هـ) تُوُفِّيَ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَنَّابِيُّ، **صَاحِبُ هَجَرَ** وَمُقَدَّمُ الْقَرَامِطَةِ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سِتَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ بِالسَّادَةِ، وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى تَدْبِيرِ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا، فَمَشَى حَالُهُمْ.

---

(١) ٨/ ٦٩٠.

قيام الدولة الغزنوية

فِي سنة (٣٦٦هـ) كان ابْتداء **مُلْكِ سُبُكْتِكِينَ**، وَالِدِ مَحْمُودٍ صَاحِبِ **غَزْنَةَ**، وَقَدْ كَانَ سُبُكْتِكِينَ مَوْلًى لِلْأَمِيرِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَلْبْتِكِينَ صَاحِبِ **جَيْشِ غَزْنَةَ** وَأَعْمَالِهَا **لِلسَّامَانِيَّةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِحَاجِبِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ**، ذَاكَ تُوُفِّيَ سنة (٣٦٣هـ)، وَأَمَّا هَذَا فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ مَوْلَاهُ لَمْ يَتْرُكْ أَحَدًا يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ لَا مِنْ وَلَدِهِ وَلَا مِنْ قَوْمِهِ، فَاصْطَلَحَ الْجَيْشُ عَلَى مُبَايَعَةِ **سُبُكْتِكِينَ** هَذَا؛ لِخَيْرِهِ فِيهِمْ، وَحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، وَشَجَاعَتِهِ، وَدِيَانَتِهِ، فَاسْتَقَرَّ الْمُلْكُ بِيَدِهِ.

وَاسْتَمَرَّ مِنْ بَعْدِهِ فِي وَلَدِهِ السَّعِيدِ **مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ**، وَقَدْ غَزَا سُبُكْتِكِينُ هَذَابِلَادَ الْهِنْدِ، فَفَتَحَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ حُصُونِهِمْ، **وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا وَكَسَرَ مِنْ أَصْنَامِهِمْ** أَمْرًا هَائِلًا وَبَاشَرَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ حُرُوبًا تُشَيِّبُ الْوِلْدَانَ، وَقَدْ قَصَدَهُ **جِيبَالُ** مَلِكُ الْهِنْدِ بِنَفْسِهِ وَجُنُودِهِ الَّتِي تَعُمُّ السُّهُولَ وَالْجِبَالَ، فَكَسَرَهُ مَرَّتَيْنِ، وَرَدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ فِي أَسْوَإِ حَالٍ وَأَرْدَإِ بَالٍ.

وفِي سنة (٣٨٩هـ)، قَصَدَ **مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ** بِلَادَ خُرَاسَانَ فَاسْتَلَبَ مُلْكَهَا مِنْ أَيْدِي السَّامَانِيَّةِ، وَوَاقَعَهُمْ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَمَا قَبْلَهَا، حَتَّى أَزَالَ اسْمَهُمْ وَرَسْمَهُمْ عَنِ الْبِلَادِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَانْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ صَمَدَ لِقِتَالِهِمْ إِيلَكُ مَلِكُ التُّرْكِ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ - وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ الْخَانِ الْكَبِيرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: فَائِقٌ - وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ.

وفِي الْمُحَرَّمِ مِن سنة (٣٩٢هـ) غَزَا **مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ بِلَادَ الْهِنْدِ**، فَصَمَدَ مَلِكُهَا لَهُ جِيبَالُ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَفَتَحَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَانْهَزَمَتِ الْهُنُودُ، وَأُسِرَ مَلِكُهُمْ جِيبَالُ، وَأُخِذَ مِنْ عُنُقِهِ قِلَادَةٌ قِيمَتُهَا ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَفَتَحُوا بِلَادًا كَثِيرَةً، ثُمَّ أَطْلَقَ مَحْمُودٌ مَلِكَ الْهِنْدِ؛ احْتِقَارًا لَهُ

وَاسْتِهَانَةً بِـهِ، لِيَرَاهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ فِـي لِبَاسِ الْمَذَلَّةِ، فَحِينَ وَصَلَ جِيبَـالُ إِلَى بِلَادِهِ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّارِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ فَاحْتَرَقَ.

وفِي سـنة (٣٩٦هـ) غَزَا يَمِينُ الدَّوْلَةِ **مَحْمُودُ بْنُ سُـبُكْتِكِينَ بِلَادَ الْهِنْدِ**، فَافْتَتَحَ مُدُنًا كِبَارًا مِنْهَا، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَسَرَ بَعْضَ مُلُوكِهِمْ، وَهُوَ مَلِكُ كَوَاشَى حِينَ هَرَبَ مِنْهُ لَمَّا افْتَتَحَهَا، وَكَسَّرَ أَصْنَامَهَا، فَأَلْبَسَهُ مِنْطَقَةً، وَشَدَّهَا عَلَى وَسَطِهِ بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ، وَقَطَعَ خِنْصَرَهُ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ؛ إِهَانَةً لَهُ وَإِظْهَارًا لِعَظَمَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

وفِي سـنة (٣٩٧هـ) هَزَمَ **مَحْمُودُ بْنُ سُـبُكْتِكِينَ أَيْلَكَ مَلِكَ التُّرْكِ** عَنْ بِلَادِ خُرَاسَـانَ وَقَتَلَ مِنَ الْأَتْرَاكِ خَلْقًا كَثِيرًا.

وفِي سنة (٣٩٨هـ)، غَزَا مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ **بِلَادَ الْهِنْدِ**، فَفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَا وَجَدَ بَيْتٌ طُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ خَمْسَـةَ عَشَـرَ ذِرَاعًا مَمْلُـوءًا فِضَّةً، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى غَزْنَةَ بَسَـطَ هَـذِهِ الْحَوَاصِلَ كُلَّهَا فِي صَحْنِ دَارِهِ، وَأَذِنَ لِرُسُلِ الْمَلِكِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَرَأَوْا مَا بَهَرَهُمْ وَهَالَهُمْ.

وفِي سـنة (٤٠٢هـ) **وَوَرَدَ كِتَابٌ مِنْ يَمِينِ الدَّوْلَةِ** مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ صَاحِبِ غَزْنَةَ أَيَّـدَهُ اللهُ تَعَالَى، بِأَنَّهُ رَكِبَ بِجَيْشِـهِ إِلَى دَارِ الْعَدُوِّ، فَاجْتَـازَ بِهِمْ فِي مَفَازَةٍ، فَأَعْوَزَهُمْ فِيهَا الْمَاءُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا عَطَشًـا، فَبَعَثَ اللهُ لَهُمْ سَحَابَةً، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَرِبُوا وَرَوُوا، ثُمَّ تَوَاقَفُوا هُمْ وَعَدُوُّهُمْ، وَمَعَ الْأَعْدَاءِ نَحْوٌ مِنْ سِتِّمِائَةِ فِيلٍ، فَهَزَمُوهُمْ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٠٣هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ يَمِينِ الدَّوْلَةِ **مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ** إِلَى الْخَلِيفَةِ يَذْكُرُ أَنَّهُ وَرَدَ إِلَيْهِ رَسُـولٌ مِنَ الْحَاكِـمِ **صَاحِبِ مِصْرَ**، يَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ، فَبَصَقَ فِيهِ وَأَمَرَ بِتَحْرِيقِهِ، وَأَسْمَعَ رَسُولَهُ غَلِيظَ مَا يُقَالُ.

وفِي سـنة (٤٠٤هـ) غَزَا مَحْمُودُ بْنُ **سُـبُكْتِكِينَ بِلَادَ الْهِنْدِ**، فَفَتَحَ وَقَتَلَ وَسَـبَى وَغَنِمَ

وَسَلِمَ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ أَنْ يُوَلِّيَهُ مَا بِيَدِهِ مِنْ مَمْلَكَةِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ.

وفِي سنة (٤٠٦ هـ) غَزَا مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ بِلَادَ الْهِنْدِ، فَسَلَكَ بِهِ الْأَدِلَّاءُ عَلَى بِلَادٍ غَرِيبَةٍ، فَانْتَهَوْا إِلَى أَرْضٍ قَدْ غَمَرَهَا الْمَاءُ مِنَ الْبَحْرِ، فَخَاضَ بِنَفْسِهِ الْمَاءَ أَيَّامًا، حَتَّى خَلَصُوا بَعْدَ مَا غَرِقَ كَثِيرٌ مِنْ جَيْشِهِ، وَعَادَ إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ.

وَفِي سنة (٤٠٧ هـ) مَلَكَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ يَمِينُ الدَّوْلَةِ بِلَادَ خُوَارِزْمَ بَعْدَ مَلِكِهَا خُوَارِزْمَ شَاهْ مَأْمُونٍ.

وَفِي سنة (٤٠٩ هـ) غَزَا مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ بِلَادَ الْهِنْدِ، وَتَوَاقَعَ هُوَ وَمَلِكُ مُلُوكِ الْهِنْدِ، فَاقْتَتَلَ النَّاسُ قِتَالًا عَظِيمًا، ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

ووَرَدَ **تفصيلها في كِتَاب** مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ للخليفة القادر بالله، **وَفِيهِ:**

أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةً، وَجَدَ بِهَا أَلْفَ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ، وَأَلْفَ بَيْتٍ لِلْأَصْنَامِ، وَمَبْلَغُ مَا فِي الصَّنَمِ مِنَ الذَّهَبِ يُقَارِبُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمَبْلَغُ الْأَصْنَامِ الْفِضَّةِ زِيَادَةٌ عَلَى أَلْفِ صَنَمٍ، وَعِنْدَهُمْ صَنَمٌ مُعَظَّمٌ يُؤَرِّخُونَ مُدَّتَهُ بِجَهَالَتِهِمْ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ عَامٍ.

وَقَدْ عَمَّ الْمُجَاهِدُونَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِالْإِحْرَاقِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الرُّسُومُ، وَبَلَغَ عَدَدُ الْهَالِكِينَ مِنَ الْهِنْدِ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَسْلَمَ مِنْهُمْ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَأُفْرِدَ خُمْسُ الرَّقِيقِ فَبَلَغَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ أَلْفًا، وَاسْتُعْرِضَ مِنَ الْأَفْيَالِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ فِيلًا، وَحُصِّلَ مِنَ الْأَمْوَالِ عِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

وفِي سنة (٤١٤ هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ بِلَادَ الْهِنْدِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ فَتَحَ بِلَادًا، وَأَنَّهُ صَالَحَهُ بَعْضُ مُلُوكِهِمْ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدَايَا سَنِيَّةٍ، فِيهَا **فُيُولٌ عَدِيدَةٌ**، وَمِنْهَا **طَائِرٌ** عَلَى هَيْئَةِ الْقُمْرِيِّ، إِذَا وُضِعَ عِنْدَ الْخِوَانِ وَفِيهِ سُمٌّ

دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَجَرَى مِنْهُمَا مَاءٌ، وَتَحَجَّرَ، وَيُحَكُّ وَيُؤْخَذُ مَا تَحَصَّلَ مِنْهُ، فَيُطْلَى بِهِ الْجِرَاحَاتُ ذَوَاتُ الْأَفْوَاهِ الْوَاسِعَةِ فَيَلْحُمُهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَفِي سنة (٤١٨هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ أَنَّهُ دَخَلَ بِلَادَ الْهِنْدِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ كَسَرَ الصَّنَمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي لَهُمُ الْمُسَمَّى **بِسُومَنَاتَ**، وَقَدْ كَانُوا يَفِدُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَيُنْفِقُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا.

وَقَدْ كَانَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ يَتَمَنَّى قَلْعَ هَذَا الصَّنَمِ، لكن يَعُوقُهُ عَنْهُ طُولُ الْمَفَاوِزِ، ثُمَّ اسْتَخَارَ اللهَ تَعَالَى وَتَجَشَّمَ بِجَيْشِهِ تِلْكَ الْأَهْوَالَ إِلَيْهِ، فَسَلَّمَه اللهُ تَعَالَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَلَدِ هَذَا الْوَثَنِ، فَمَلَكهُ، وَقَلَع هَذَا الْوَثَنَ، وَأَوْقَد تَحْتَهُ النَّارَ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْهُنُودَ بَذَلُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً لِلْمَلِكِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ لِيَتْرُكَ لَهُمْ هَذَا الصَّنَمَ الْأَعْظَمَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَخِيرَ اللهَ تَعَالَى. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ فَرَأَيْتُ إِذَا نُودِيتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ مَحْمُودٌ الَّذِي كَسَرَ الصَّنَمَ؟ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُقَالَ: أَيْنَ مَحْمُودٌ الَّذِي تَرَكَ الصَّنَمَ؟ ثُمَّ عَزَمَ فَكَسَرَهُ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ مَا يُنَيِّفُ عَلَى مَا بَذَلُوهُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، مَعَ مَا ادَّخَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ فِي الْأُولَى، فَرَحِمَهُ اللهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

وفِي سنة (٤٢٠هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ أَنَّهُ **أَحَلَّ بِطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ وَالرَّوَافِضِ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَصَلْبًا شَنِيعًا**، وَأَنَّهُ انْتَهَبَ أَمْوَالَ رَئِيسِهِمْ رُسْتُمَ بْنِ عَلِيٍّ الدَّيْلَمِيِّ، فَحَصَّلَ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَقَدْ كَانَ فِي حِبَالَتِهِ نَحْوٌ مَنْ خَمْسِينَ امْرَأَةً حُرَّةً، وَقَدْ وَلَدْنَ لَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَلَدًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَكَانُوا يَرَوْنَ إِبَاحَةَ ذَلِكَ.

وفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٢١هـ) تُوُفِّيَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ، الْكَبِيرُ، الْمُجَاهِدُ، يَمِينُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْقَاسِمِ **مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ**، صَاحِبُ بِلَادِ غَزْنَةَ، وَتِلْكَ الْمَمَالِكِ الْكِبَارِ، وَفَاتِحُ أَكْثَرِ بِلَادِ الْهِنْدِ قَهْرًا، وَكَاسِرُ أَوْثَانِهِمْ كَسْرًا.

وَقَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ حيث فاجأه أَخُوهُ مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودٍ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَمَالِكِ أَبِيه، فَاسْتَقَرَّتْ لَهُ الْمَمَالِكُ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي تِلْكَ النَّوَاحِي فِي أَوَاخِرِ هَذَا الْعَامِ، وَجَاءَتْهُ الرُّسُلُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَالْإِكْرَام.

وَفِي سنة (٤٢١هـ) اسْتَحْوَذَتِ السَّرِيَّةُ الَّتِي كَانَ بَعَثَهَا الْمَلِكُ مَحْمُودٌ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ عَلَى أَكْبَرِ مَدَائِنِهِمْ، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ نَرْسَى، وَأُخِذَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالتُّحَفِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمُ اقْتَسَمُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ بِالْكَيْلِ.

وَفِي رَمَضَانَ سنة (٤٢١هـ) تَصَدَّقَ **مَسْعُودُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ** بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ **وَأَجْرَى أَرْزَاقًا لِلْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ بِبِلَادِهِ**، عَلَى **عَادَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ**، وَفَتَحَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً، وَاتَّسَعَتْ مَمَالِكُهُ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ.

وَفِي شَعْبَانَ سنة (٤٢٦هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ بِأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ فَتْحًا عَظِيمًا فِي الْهِنْدِ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسِينَ أَلْفًا، وَأَسَرَ تِسْعِينَ أَلْفًا، وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ ضعف الدولة الغزنوية

تَوَجَّهَ الْمَلِكُ مَسْعُودُ نَحْوَ بِلَادِ الْهِنْدِ لِيُشَتِّيَ بِهَا، وَتَرَكَ مَعَ وَلَدِهِ **مَوْدُودٍ** جَيْشًا كَثِيفًا بِسَبَبِ قِتَالِ السَّلَاجِقَةِ، فَلَمَّا عَبَرَ الْجِسْرَ الَّذِي عَلَى سَيْحُونَ نَهَبَتْ جُنُودُهُ حَوَاصِلَهُ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ، وَخَلَعُوا مَسْعُودًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ مَسْعُودٌ، فَقَاتَلَهُمْ، فَهَزَمُوهُ وَأَسَرُوهُ، **فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ محمد: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّكَ عَلَى سُوءِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ**، وَلَكِنِ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ بَلَدٍ تَكُونُ فِيهِ أَنْتَ وَعِيَالُكَ. فَاخْتَارَ قَلْعَةً كُبْرَى فَكَانَ بِهَا، **ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ مُحَمَّدًا جَعَلَ لِوَلَدِهِ أَحْمَدَ** الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، وَبَايَعَ الْجَيْشُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ فِي أَحْمَدَ هَوَجٌ وَقِلَّةُ عَقْلٍ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَعَمُّهُمْ يُوسُفُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ عَلَى **قَتْلِ مَسْعُودٍ** لِيَصْفُوَ لَهُمُ الْأَمْرُ، وَيَتِمَّ لَهُمُ الْمُلْكُ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْ أَبِيهِ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُوهُ غَاظَهُ ذَلِكَ وَعَتَبَ عَلَى ابْنِهِ عَتْبًا شَدِيدًا، وَبَعَثَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَيُقْسِمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ حَتَّى كَانَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: **رَزَقَ اللهُ وَلَدَكَ الْمَعْتُوهَ عَقْلًا يَعِيشُ بِهِ،** فَقَدِ ارْتَكَبَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَأَقْدَمَ عَلَى إِرَاقَةِ دَمِ مَلِكٍ مِثْلِ وَالِدِي، **وَسَتَعْلَمُونَ أَيَّ حَتْفٍ تَوَرَّطْتُمْ** وَأَيَّ شَرٍّ تَأَبَّطْتُمْ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ، فَقَاتَلَهُمْ، فَقَهَرَهُمْ وَأَسَرَهُمْ، فَقَتَلَ عَمَّهُ مُحَمَّدًا وَابْنَهُ أَحْمَدَ وَبَنِي عَمِّهِ كُلَّهُمْ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحِيمِ وَخَلْقًا مِنْ رُءُوسِ أُمَرَائِهِمْ، وَابْتَنَى قَرْيَةً هُنَالِكَ، وَسَمَّاهَا: **فَتْحَا بَادَا،** ثُمَّ سَارَ إِلَى غَزْنَةَ فَدَخَلَهَا فِي شَعْبَانَ، فَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَسَلَكَ سِيرَةَ جَدِّهِ مَحْمُودٍ، فَأَطَاعَهُ النَّاسُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ بِالِانْقِيَادِ وَالِاتِّبَاعِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَهْلَكَ قَوْمَهُ بِيَدِهِ.

وَفِي سنة (٤٤١هـ) وَلِيَ مَسْعُودُ بْنُ مَوْدُودِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ الْمُلْكَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَكَانَ صَغِيرًا، فَمَكَثَ أَيَّامًا، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُودٍ، ثُمَّ نَازَعَ علياً عَمُّهُ **عَبْدُ الرَّشِيدِ بْنُ مَحْمُودٍ، فَاسْتَقَرَّ الْمُلْكُ بِيَدِهِ،** وَانْعَزَلَ عَلِيُّ بْنُ مَسْعُودٍ، وَهَذَا أَمْرٌ غَرِيبٌ جِدًّا، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

○ وفاة ابن شاهين صاحب البطيحة

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٦٩هـ) تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ **عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ** صَاحِبُ **بِلَادِ الْبَطِيحَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً،** تَغَلَّبَ عَلَيْهَا، وَعَجَزَ عَنْهُ الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالْخُلَفَاءُ، وَبُعِثَتْ إِلَيْهِ الْجُنُودُ وَالسَّرَايَا وَالْجُيُوشُ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَفُلُّهَا وَيَكْسِرُهَا، وَكُلُّ مَا لَهُ فِي تَمَكُّنٍ وَقُوَّةٍ، وَمَكَثَ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَمَعَ هَذَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ حَتْفَ أَنْفِهِ - فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ - وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْحَسَنُ.

فَرَامَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَنْ يَنْتَزِعَ الْمُلْكَ مِنْ يَدِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً فِيهَا خَلْقٌ مِنَ الْجُنُودِ، فَكَسَرَهُمُ الْحَسَنُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِينَ وَرَدَّهُمْ خَائِبِينَ، وَكَادَ أَنْ يُتْلِفَهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ، فَصَالَحَهُ عضد الدولة عَلَى مَالٍ يُرْسِلُهُ إِلَيْهِ كُلَّ سَنَةٍ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ الْغَرِيبَةِ.

○ عزل نقيب الطالبيين

فِـي صَفَرٍ سـنة (٣٦٩هـ) قُبِـضَ عَلَى الشَّـرِيفِ أَبِـي أَحْمَدَ الْحُسَـيْنِ بْنِ مُوسَـى الْمُوسَـوِيِّ نَقِيـبِ الطَّالِبِيِّينَ، وَاتُّهِمَ بِأَنَّهُ يُفْشِـي الْأَسْـرَارَ، وَأَنَّ عِزَّ الدَّوْلَـةِ أَوْدَعَ عِنْدَهُ عِقْـدًا ثَمِينًا، وَأُتِيَ بِكِتَابٍ أَنَّهُ خَطُّهُ فِي إِفْشَـاءِ الْأَسْـرَارِ، فَأَنْكَرَ أَنَّـهُ خَطُّهُ، وَكَانَ مُزَوَّرًا عَلَيْـهِ، وَاعْتَرَفَ بِالْعِقْدِ، فَأُخِذَ مِنْـهُ، وَعُزِلَ عَنِ النِّقَابَةِ، وَوُلِّيَ غَيْرُهُ فِيهَا، وَكَانَ مَظْلُومًا فِي ذَلِكَ.

○ تفويض الطائع أمور الخلافة

في سـنة (٣٦٩هـ) سَـأَلَ **عَضُدُ الدَّوْلَةِ** مِنَ الطَّائِعِ أَنْ يُجَدِّدَ عَلَيْهِ الْخِلَعَ وَالْجَوَاهِرَ، وَأَنْ يَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ **تَاجَ الدَّوْلَةِ**، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ مَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ مِنْ كَثْرَتِهَا، **وَفَوَّضَ إِلَيْهِ مَا وَرَاءَ دَارِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَمَصَالِحِ الْمُسْـلِمِينَ** فِي مَشَـارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَحَضَرَ ذَلِكَ الرُّؤَسَـاءُ وَالْأُمَـرَاءُ وَأَعْيَانُ النَّاسِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ زواج الطائع من ابنة عضد الدولة

فِـي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ لِتِسْـعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٣٦٩هـ) تَـزَوَّجَ الْخَلِيفَةُ الطَّائِعُ لِلَّـهِ بِنْتَ عَضُـدِ الدَّوْلَةِ الْكُبْرَى، وَعُقِدَ الْعَقْدُ بِحَضْرَةِ الْأَعْيَانِ وَالرُّؤَسَـاءِ، وَكَانَ عَقْدًا هَائِلًا حَافِلًا، عَلَى صَدَاقٍ مَبْلَغُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَيُقَالُ: مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ وَكِيلَ **عَضُدِ الدَّوْلَةِ** الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَارِسِيُّ النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ «الْإِيضَاحِ وَالتَّكْمِلَـةِ»، وَكَانَ الَّـذِي **خَطَـبَ خُطْبَةَ الْعَقْـدِ** الْقَاضِي أَبُـو عَلِيٍّ الْمُحَسِّـنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وفِي جمادي الآخرة فِي سـنة (٣٧٠هـ) دَخَلَ الْخَلِيفَـةُ بِزَوْجَتِهِ بِنْتِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَحُمِلَ مَعَهَا مِنَ الْجِهَازِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.

○ إصلاحات عضد الدولة

⦿ فِي رَمَضَانَ سنة (٣٦٩هـ) أَرْسَلَ عضد الدولة إِلَى الذُّعَّارِ [١] مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ وَغَيْرِهِمْ، فَعَقَرَهُمْ وَكَسَرَهُمْ وَقَهَرَهُمْ، وَكَانَ أَمِيرُهُمْ ضَبَّةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ مُتَحَصِّنًا بِعَيْنِ التَّمْرِ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأُخِذَتْ دِيَارُهُمْ، وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⦿ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: [٢] فِي سنة (٣٦٩هـ) جَدَّدَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عِمَارَةَ بَغْدَادَ وَمَحَاسِنَهَا، وَجَدَّدَ الْمَسَاجِدَ وَالْمَشَاهِدَ، وَأَجْرَى عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْأَئِمَّةِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَطِبَّاءِ وَالْحُسَّابِ وَغَيْرِهِمْ، الْأَرْزَاقَ وَالْجِرَايَاتِ.

⦿ وَأَطْلَقَ الصِّلَاتِ لِأَرْبَابِ الْبُيُوتَاتِ وَالشَّرَفِ.

⦿ وَأَلْزَمَ أَصْحَابَ الْأَمْلَاكِ بِبَغْدَادَ بِعِمَارَةِ بُيُوتِهِمْ وَدُورِهِمْ،

⦿ وَمَهَّدَ الطُّرُقَاتِ، وَأَطْلَقَ الْمُكُوسَ، وَأَصْلَحَ طَرِيقَ الْحُجَّاجِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مَكَّةَ.

⦿ وَأَرْسَلَ الصَّدَقَاتِ لِلْمُجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ.

⦿ وأَذِنَ لِوَزِيرِهِ نَصْرِ بْنِ هَارُونَ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - بِعِمَارَةِ الْبِيَعِ وَالدِّيَرَةِ، وَإِطْلَاقِ الْأَمْوَالِ لِفُقَرَائِهِمْ.

⦿ وَفِي صَفَرٍ سنة (٣٧٢هـ) فُتِحَ الْمَارَسْتَانُ الَّذِي أَنْشَأَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ وَقَدْ رَتَّبَ فِيهِ الْأَطِبَّاءَ وَالْخَدَمَ، وَنُقِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْعَقَاقِيرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

○ وفاة عضد الدولة

فِي سنة (٣٧٢هـ) تُوُفِّيَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ، فَكَتَمَ أَصْحَابُهُ وَفَاتَهُ، حَتَّى أَحْضَرُوا وَلَدَهُ **صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ** فَوَلَّوْهُ الْأَمْرَ، وَرَاسَلُوا الْخَلِيفَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ وَالْوِلَايَةِ.

(١) الذعار: قطاع الطرق الذين يخوفون الناس ويفزعونهم.
(٢) ٨/ ٤, ٧-٧٠٥.

وهو أَبُو شُـجَاعِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ، صَاحِبُ الْعِرَاقِ، وَمَلِكُ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى « **شَاهِنْشَاهْ** »، وَمَعْنَاهُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «أَوْضَعُ اسْمٍ -وَفِي رِوَايَةٍ: أَخْنَعُ اسْمٍ- عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْـلَاكِ، لَا مَلِـكَ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ». (١) وَهُوَ **أَوَّلُ مَنْ ضُرِبَتْ** لَهُ الدَّبَادِبُ بِبَغْدَادَ، **وَأَوَّلُ مَنْ خُطِبَ** لَهُ بِهَا مَعَ الْخَلِيفَةِ، وامْتَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ بِمَدَائِحَ هَائِلَةٍ كَالْمُتَنَبِّي وَغَيْرِهِ.

قَـالَ ابْنُ خَلِّـكَانَ: وَكَتَبَ إِلَيْـهِ **أَفْتِكِينُ** مَوْلَى أَخِيهِ صَاحِبِ دِمَشْـقَ، يَسْـتَمِدُّهُ بِجَيْشٍ يُقَاتِـلُ بِهِ الْفَاطِمِيِّينَ، فلم يمـده، وكَتَبَ إِلَيْهِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ: **غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصَارَ قُصَارُ ذَلِكَ ذُلَّكَ**. (٢)

وَقَـدْ جَـرَى لَهُ **مِنَ التَّعْظِيمِ مِنَ الْخَلِيفَةِ** مَا لَمْ يَقَعْ لِأَحَـدٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ، وكَانَ ذَا هِمَّةٍ وَصَرَامَـةٍ وَعَزْمٍ، اجْتَهَدَ فِي عِمَارَةِ البلدان وَالطُّرُقَاتِ، وَحَفَرَ الْأَنْهَارَ، وَبَنَى الْمَارَسْـتَانَ الْعَضُدِيَّ، **وَأَدَارَ السُّـورَ عَلَى مَدِينَةِ** الرَّسُـولِ ﷺ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي مُدَّةِ مُلْكِهِ عَلَى الْعِرَاقِ، وَكَانَتْ خَمْسَ سِنِينَ.

وَقَدْ كَانَ عَاقِلًا، حَسَنَ السِّيَاسَةِ، شَدِيدَ الْهَيْبَةِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَجَاوَزُ فِي سِيَاسَتِهِ الْأُمُورَ الشَّرْعِيَّةَ، كَانَ يُحِبُّ جَارِيَةً، فَأَلْهَتْهُ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ، فَأَمَرَ بِتَغْرِيقِهَا، وَبَلَغَهُ أَنَّ غُلَامًا لَهُ أَخَذَ لِرَجُلٍ بِطِّيخَةً، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُ نِصْفَيْنِ، **وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ**.

وَكَانَ **سَـبَبَ مَوْتِهِ دَاءُ الصَّـرْعِ**، وَحِينَ أَخَذَتْهُ عِلَّةُ مَوْتِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَلَامٌ سِـوَى تِلَاوَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨].

وَحَكَـى ابْنُ الْجَـوْزِيِّ: (٣) أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعِلْـمَ وَالْفَضِيلَةَ، وَكَانَ يُقْـرَأُ عِنْدَهُ «**كِتَابُ**

(١) متفق عليه، البخاري برقم (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) انظر ماسبق تحت عنوان: أَخْذ أفتكين دِمَشْق ونهايته.
(٣) المنتظم ١٤/ ٢٩٣.

إِقْلِيدِسَ» وَكِتَابُ النَّحْوِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَهُوَ «**الْإِيضَاحُ وَالتَّكْمِلَةُ**» الَّذِي صَنَّفَهُ لَهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ لَهُ شِعْرًا، فَمِنْهُ قَوْلُهُ:

عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَابْنُ رُكْنِهَا   مَالِكُ الْأَمْلَاكِ غَلَّابُ الْقَدَرْ
سَهَّلَ اللهُ لَهُ بُغْيَتَهُ   فِي مُلُوكِ الْأَرْضِ مَا دَارَ الْقَمَرْ
وَأَرَاهُ الْخَيْرَ فِي أَوْلَادِهِ   لِيُسَاسَ الْمُلْكُ فِيهِمْ بِالْغُرَرْ

ويُقَالُ: إِنَّهُ مُنْذُ قَالَ: **غَلَّابُ الْقَدَرْ**، لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ من هذه السنة عَنْ (٤٧) سنة، وَحُمِلَ إِلَى مَشْهَدِ عَلِيٍّ، فَدُفِنَ فِيهِ.

وَجَاءَهُ الْخَلِيفَةُ الطَّائِعُ مُعَزِّيًا، وَنَاحَ النِّسَاءُ عَلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ أَيَّامًا كَثِيرَةً [١].

○ تولية صمصام ابن عضد الدولة

لَمَّا انْقَضَى الْعَزَاءُ رَكِبَ **صَمْصَامُ** إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ سَبْعَ خِلَعٍ، وَطُوِّقَ وَسُوِّرَ، وَأَلْبَسَهُ التَّاجَ، **وَلَقَّبَهُ شَمْسَ الدَّوْلَةِ**، وَوَلَّاهُ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ أَبُوهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وفِي سنة (٣٧٥هـ) خَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى **صَمْصَامِ** الدَّوْلَةِ وَسَوَّرَهُ وَطَوَّقَهُ، وَأُرْكِبَ عَلَى فَرَسٍ بِسَرْجٍ ذَهَبٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَنِيبٌ مِثْلُهُ.

وَفِيهَا عَزَمَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْ يَضَعَ مَكْسًا عَلَى الثِّيَابِ الْإِبْرَيْسَمِيَّاتِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَهَمُّوا بِتَبْطِيلِ الْجُمُعَةِ، وَكَادَتِ الْفِتْنَةُ تَقَعُ بَيْنَهُمْ، فَأُعْفُوا مِنْ ذَلِكَ.

○ دخول القرامطة للكوفة

فِي سنة (٣٧٥هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ اثْنَيْنِ مِنْ سَادَةِ الْقَرَامِطَةِ دَخَلَا الْكُوفَةَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ، **فَانْزَعَجَتِ النُّفُوسُ** بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِصَرَامَتِهِمْ وَشَهَامَتِهِمْ، **وَلِأَنَّ عَضُدَ**

---

(١) هذا من البدع والضلالات التي نهت عنها الشريعة.

الدَّوْلَةِ مَعَ شَجَاعَتِهِ قَدْ كَانَ يُصَانِعُهُمْ، وَأَقْطَعَهُمْ أَرَاضِيَ مِنْ وَاسِطٍ وَكَذَلِكَ عِزُّ الدَّوْلَةِ مِنْ قَبْلِهِ أَيْضًا، فَجُهِّزَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ بَغْدَادَ فَطَرَدُوهُمْ عَنْ تِلْكَ النَّوَاحِي الَّتِي قَدْ أَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، وَبَطَلَ مَا كَانَ فِي النُّفُوسِ مِنْهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ مقتل صمصام الدولة

فِي سنة (٣٧٦هـ) وَقَعَ خلاف بَيْنَ **صَمْصَام الدَّوْلَةِ** وَبَيْنَ أَخِيهِ **شَرَفِ الدَّوْلَةِ**، فَاقْتَتَلَا، فَغَلَبَهُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ، وَأَسَرَهُ وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ الْخَلِيفَةُ وَهَنَّأَهُ بِالسَّلَامَةِ، ثُمَّ اسْتَدْعَى شَرَفُ الدَّوْلَةِ بِفَرَّاشٍ لِيُكَحِّلَ صَمْصَامَ الدَّوْلَةِ فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ، فَكُحِّلَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ مَا وَقَعَ.

○ البيعة لشرف الدولة سلطاناً

فِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٧٧هـ) **عُقِدَ مَجْلِسٌ** بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ، فِيهِ الْقُضَاةُ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ، **وَجُدِّدَتِ الْبَيْعَةُ** بَيْنَ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَبَيْنَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

ثُمَّ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا رَكِبَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مِنْ دَارِهِ فِي طَيَّارٍ إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ، وَزُيِّنَتِ الْبَلَدُ، وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ وَالدَّبَادِبُ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَطَوَّقَهُ وَسَوَّرَهُ، وَأَعْطَاهُ لِوَاءَيْنِ، وَعَقَدَ لَهُ عَلَى مَا وَرَاءَ دَارِهِ، **وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ**، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَدِمَ مَعَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْرُوفٍ.

فَقَبَّلَ شرف الدولة الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، وَلَمَّا قُضِيَتِ الْبَيْعَةُ، دَخَلَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ إِلَى عِنْدِ أُخْتِهِ امْرَأَةِ الْخَلِيفَةِ، فَمَكَثَ عِنْدَهَا إِلَى الْعَصْرِ، وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ، ثُمَّ خَرَجَ وَسَارَ إِلَى دَارِهِ لِلتَّهْنِئَةِ، وَجَاءَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ يُهَنِّئُونَهُ.

○ وفاة شرف الدولة البويهي

فِي سنة (٣٧٩هـ) كَانَتْ **وَفَاةُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ** بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ، وَكَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى قَصْرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ عَنْ إِشَارَةِ الْأَطِبَّاءِ لِصِحَّةِ الْهَوَاءِ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا كَانَ

يَجِدُهُ مِنَ الدَّاءِ، فَلَمَّا كَانَ فِي جُمَادَى الْأُولَى تَزَايَدَ بِهِ، وَمَاتَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، **وَكَانَ يُحِبُّ الْخَيْرَ** وَيَبْغَضُ الشَّرَّ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ الْمُصَادَرَاتِ، وَكَانَ مَرَضُهُ بِالِاسْتِسْقَاءِ، كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى تُرْبَةِ أَبِيهِ بِمَشْهَدِ عَلِيٍّ، وَكُلُّهُمْ فِيهِ تَشَيُّعٌ.

○ تولية أبي نصر البويهي السلطنة

عَهِدَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي نَصْرٍ عند وفاته سنة (٣٧٩هـ)، وَجَاءَ الْخَلِيفَةُ فِي طَيَّارٍ **لِتَعْزِيَةِ أَبِي نَصْرٍ** فِي وَالِدِهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ، فَتَلَقَّاهُ أَبُو نَصْرٍ وَالتُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْعَسْكَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الطَّيَّارِ، وَهُمْ يُقَبِّلُونَ الْأَرْضَ إِلَى نَاحِيَتِهِ.

وفي يَوْمُ السَّبْتِ عَاشِرُ من جمادى الأولى من هذه السنة، رَكِبَ الْأَمِيرُ **أَبُو نَصْرٍ** إِلَى حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَمَعَهُ الْأَشْرَافُ وَالْأَعْيَانُ وَالْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ، فخلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ سَبْعَ خِلَعٍ، أَعْلَاهُنَّ السَّوَادُ وَعِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، فَلَمَّا حَصَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ قَبَّلَ الْأَرْضَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ ثَانِيَةً، وَوُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَقَرَأَ الرَّئِيسُ **أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ** بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَهْدَهُ، وَقَدَّمَ إِلَى الطَّائِعِ لِوَاءَهُ، فَعَقَدَهُ بِيَدِهِ، وَلَقَّبَهُ **بَهَاءَ الدَّوْلَةِ وَضِيَاءَ الْمِلَّةِ**، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَالْعَسْكَرُ مَعَهُ حَتَّى عَادَ إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ، وَأَقَرَّ الْوَزِيرَ أَبَا مَنْصُورِ بْنَ صَالِحَانَ عَلَى الْوِزَارَةِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ.

○ ضعف الأمن في بغداد

فِي سنة (٣٨٠هـ) تَفَاقَمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَادَ، وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا، فِي كُلِّ مَحَلَّةٍ أَمِيرٌ مُقَدَّمٌ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ، وَأُخِذَتِ الْأَمْوَالُ، وَاتَّصَلَتِ الْكَبَسَاتُ، وَأُحْرِقَتِ الدُّورُ الْكِبَارُ، وَوَقَعَ حَرِيقٌ بِالنَّهَارِ فِي **نَهْرِ الدَّجَاجِ**، فَاحْتَرَقَ بِسَبَبِهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لِلنَّاسِ.

○ فتنة التشيع

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٨١هـ) - وَهُوَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ - جَرَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ، وَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاسْتَظْهَرَ أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ، وَخَرَّقُوا أَعْلَامَ السُّلْطَانِ، فَقُتِلَ جَمَاعَةٌ اتُّهِمُوا بِفِعْلِ ذَلِكَ، وَصُلِبُوا عَلَى الْقَنْطَرَةِ لِيَرْتَدِعَ أَمْثَالُهُمْ.

○ حوادث وظواهر

⊙ فِي سنة (٣٧٣هـ) غَلَتِ الْأَسْعَارُ **بِبَغْدَادَ** حَتَّى بَلَغَ الْكُرُّ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ وَثَمَانِمِائَةٍ، **وَمَاتَ كَثِيرٌ** مِنَ النَّاسِ مِنَ الضَّعْفِ فِي الطُّرُقَاتِ جُوعًا، ثُمَّ تَسَاهَلَ الْحَالُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي الْمُحَرَّمِ من سنة (٣٧٦هـ) **كَثُرَتِ الْحُمِّيَّاتُ** فِي بَغْدَادَ فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَلِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ - وَهُوَ الْعِشْرُونَ مِنْ تَمُّوزَ - وَقَعَ مَطَرٌ كَثِيرٌ بِبَرْقٍ وَرَعْدٍ، وَفِي رَجَبٍ **غَلَتِ الْأَسْعَارُ** جِدًّا بِبَغْدَادَ، وَوَرَدَ الْخَبَرُ فِيهِ بِأَنَّهُ وَقَعَ بِالْمَوْصِلِ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ سَقَطَ مِنْهَا عُمْرَانٌ كَثِيرٌ، وَمَاتَ مِنْ أَهْلِهَا أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ.

⊙ وَفِي سنة (٣٧٧هـ) اشْتَدَّ الْغَلَاءُ جِدًّا، ثُمَّ لَحِقَهُ فَنَاءٌ كَثِيرٌ.

⊙ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٧٨هـ)، **كَثُرَ الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ بِبَغْدَادَ**، وَفِي شَعْبَانَ كَثُرَتِ الرِّيَاحُ وَالْعَوَاصِفُ، بِحَيْثُ هَدَمَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَبْنِيَةِ، وَغَرَّقَتْ سُفُنًا كَثِيرَةً، وَاحْتَمَلَتْ بَعْضَ الزَّوَارِقِ فَأَلْقَتْهُ بِالْأَرْضِ مِنْ نَاحِيَةِ جُوخَى، وَهَذَا أَمْرٌ هَائِلٌ وَخَطْبٌ شَامِلٌ. وَفِي هَذَا الْوَقْتِ لَحِقَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ حَرٌّ شَدِيدٌ، بِحَيْثُ سَقَطَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الطُّرُقَاتِ، وَمَاتُوا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٦٣هـ) الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ، وَلَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ حَجٌّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ سِوَى مَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَى دَرْبِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ أَخَذَ بِالنَّاسِ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَتَمَّ حَجُّهُم.

وفيها خَرَجَ جَمْعٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ **عَلَى الْحُجَّاجِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ** خَلْقًا كَثِيرًا، وَعَطَّلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمُ الْحَجَّ فِي هَذَا الْعَامِ.

وفيها خُطِبَ لِلْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ بِالْحَرَمَيْنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة. وَلَمْ يُخْطَبْ لِلطَّائِعِ.

وَأَقَامَ الْحَجَّ فِي سنة (٣٦٤هـ) أَصْحَابُ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ دُونَ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَفِي سنة (٣٦٥هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ جِهَةِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ بَعْدَمَا حُوصِرَ أَهْلُ مَكَّةَ وَلَقُوا شِدَّةً عَظِيمَةً، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ عِنْدَهُمْ جِدًّا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ مِنَ الْعِرَاقِ من سنة (٣٦٦هـ) إلى (٣٨٠هـ) الشَّرِيفُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعُلْوِيُّ، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ سنة (٣٦٦هـ) بِالْحَرَمَيْنِ لِلْفَاطِمِيِّينَ أَصْحَابِ مِصْرَ دُونَ الْعَبَّاسِيِّينَ

وحَجَّتْ فِي هذه السنة **جَمِيلَةُ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ** فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ، كَانَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحَجِّهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا عَمِلَتْ أَرْبَعَمِائَةِ مَحْمَلٍ، فَلَا يُدْرَى فِي أَيِّهَا هِيَ، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ، نَثَرَتْ عَلَيْهَا عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَكَسَتِ الْمُجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ كُلَّهُمْ، وَأَنْفَقَتْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً فِي ذَهَابِهَا وَإِيَابِهَا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٦٧هـ) نَائِبُ الْمِصْرِيِّينَ، وَهُوَ الْأَمِيرُ بَادِيسُ بْنُ زِيرِي أَخُو يُوسُفَ بْنِ بُلُكِّينَ.

وَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ اللُّصُوصُ، وَسَأَلُوا مِنْهُ أَنْ يُضَمِّنَهُمُ الْمَوْسِمَ هَذَا الْعَامَ، بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَأَظْهَرَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ إِلَى مَا سَأَلُوا، وَقَالَ لَهُمْ: اجْتَمِعُوا كُلُّكُمْ حَتَّى أُضَمِّنَكُمْ كُلَّكُمْ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ حَرَامِيًّا، فَقَالَ: هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ فَحَلَفُوا لَهُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ كُلِّهِمْ، وَنِعْمَ مَا فَعَلَ. وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ دُونَ الْعَبَّاسِيِّينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٦٨هـ) أبو الفتح محمد بن عمر بن يحيي العلوي، وحج ركب العراق وخطب لعضد الدولة مع الخليفة الطائع لله، ولم تقم بعدها خطبة للعباسيين بمكة [(١)]

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٦٩هـ) أبو الفتح محمد بن عمر بن يحيي العلوي، وخطب بالحرمين لصاحب مصر.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٧٠هـ) أبو الفتح محمد بن عمر بن يحيي العلوي، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِصَاحِبِ مِصْرَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ بْنُ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٧١هـ) أبو الفتح محمد بن عمر بن يحيي العلوي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٧٢هـ)، وسنة (٣٧٣هـ)، وسنة (٣٧٤هـ)، وسنة (٣٧٥هـ)، وسنة (٣٧٦هـ)، وسنة (٣٧٧هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن العلوي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٧٨هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن العلوي، وعاد العراقيون للحج، وقد انقطعوا من سنة (٣٧١هـ)، ولما عادوا من مكة اعترضهم الفرج بن دغفل الجراح الطائي في واقصة (من منازل طريق الحج)، وحاصرهم حتى صالحوه على مال.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٧٩هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن العلوي، ولما عادوا اعترضهم ايضاً ابن الجراح الطائي بين سميراء وفيد، وحاصرهم حتى صالحوه على مال.

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٢/ ٤١٦.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٨٠هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن العلوي، ولما عادوا اعترضهم القرامطة عند الثعلبية (من منازل طريق الحج)، فدفعت لهم أموال، وهذه آخر سنة يدفع لهم الحجاج، وقد مضى لهم ثلاث وخمسون سنة يأخذون المكس على الحجاج [1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٢٠.

مشاهير من توفي من الأعيان في خلافته

١- **الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ**، أَبُو الْفَضْلِ الشِّيرَازِيُّ، **الْوَزِيرُ لِعِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ** بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، **وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ لِلسُّنَّةِ**، عَكْسَ مَخْدُومِهِ، فَعَزَلَهُ، وَوَلَّى مُحَمَّدَ بْنَ بَقِيَّةَ الْبَابَا وَحَبَسَ العباس، فَقُتِلَ فِي مَحْبِسِهِ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٣٦٣هـ)، عَنْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ فِيهِ ظُلْمٌ وَحَيْفٌ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

٢- **أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ** بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْمَعْرُوفُ **بِغُلَامِ الْخَلَّالِ**، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْحَنَابِلَةِ الْأَعْيَانِ، وَمِمَّنْ **صَنَّفَ وَجَمَعَ وَنَاظَرَ**، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ وَطَبَقَتِهِ، وتوفي سنة (٣٦٣هـ) وعُمُرُهُ فَوْقَ الثَّمَانِينَ.

٣- **سُبُكْتِكِينُ الْحَاجِبُ التُّرْكِيُّ**، مَوْلَى الْمُعِزِّ الدَّيْلَمِيِّ وَحَاجِبُهُ، وَقَدْ تَرَقَّى فِي الْمَرَاتِبِ حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ قَلَّدَهُ الطَّائِعُ الْإِمَارَةَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ اللِّوَاءَ، وَلَقَّبَهُ بِنُورِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ دَوْلَتِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ شَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، **وَكَانَتْ وَفَاتُهُ** لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٣٦٤هـ)، وَقَدْ تَرَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا.

٤- **أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَدِيِّ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ الْجُرْجَانِيُّ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ الْمُفِيدُ الْإِمَامُ **الْعَالِمُ الرَّحَّالُ**، لَهُ كِتَابُ «الْكَامِلِ» فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَا يُلْحَقُ فِي شَكْلِهِ. قَالَ حَمْزَةُ عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ: فِيهِ كِفَايَةٌ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ.

وُلِدَ سَنَةَ (٢٧٧هـ)، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٣٦٥هـ).

٥- **الْمُعِزُّ الْفَاطِمِيُّ** بَانِي الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ، **مَعَدُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ** بْنِ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَبُو تَمِيمٍ الْمُدَّعِي أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ، صَاحِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَهَا مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ**، وَكَانَ **مُلْكُهُمْ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ**، وَمَا وَالَاهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ (٣٥٨هـ)، بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَوْهَرًا الْقَائِدَ، فَأَخَذَ لَهُ الْبِلَادَ الْمِصْرِيَّةَ مِنْ **كَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ**.

وَقَدِمَ الْمُعِزُّ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ، وَمَعَهُ الْأُمَرَاءُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَالْأَكَابِرُ وَالْقُوَّادُ، وَحِينَ نَزَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ تَلَقَّاهُ وُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهَا، فَخَطَبَهُمْ بِهَا خُطْبَةً بَلِيغَةً افْتَخَرَ فِيهَا بِنَسَبِهِ وَمُلْكِهِ، وَادَّعَى أَنَّهُ يَعْدِلُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَدَّعِي ظَاهِرَ الرَّفْضِ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ الْمَحْضَ.

وَقَدْ أُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ التَّقِيُّ أَبُو بَكْرٍ النَّابُلُسِيُّ، فَقَالَ لَهُ الْمُعِزُّ: بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ: لَوْ أَنَّ مَعِي عَشَرَةُ أَسْهُمٍ لَرَمَيْتُ الرُّومَ بِسَهْمٍ، وَرَمَيْتُ **الْفاطميين** بِتِسْعَةٍ، فَقَالَ: مَا قُلْتُ هَذَا، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ، وَقَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: **يَنْبَغِي أَنْ يَرْمِيَكُمْ بِتِسْعَةٍ، ثُمَّ يَرْمِيَكُمْ بِالْعَاشِرِ**، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّكُمْ غَيَّرْتُمْ دِينَ الْأُمَّةِ، وَقَتَلْتُمُ الصَّالِحِينَ، وَادَّعَيْتُمْ نُورَ الْإِلَهِيَّةِ.

فَأَمَرَ بِإِشْهَارِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ، ثُمَّ ضُرِبَ بِالسِّيَاطِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ضَرْبًا شَدِيدًا مُبَرِّحًا، ثُمَّ أَمَرَ بِسَلْخِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَجِيءَ بِيَهُودِيٍّ فَجَعَلَ يَسْلُخُهُ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَأَخَذَتْنِي رِقَّةٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ تِلْقَاءَ قَلْبِهِ طَعَنْتُهُ بِالسِّكِّينِ، فَمَاتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: **الشَّهِيدُ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ بَنُو الشَّهِيدِ** مِنْ أَهْلِ **نَابُلُسَ**.

وَقَدْ كَانَ **الْمُعِزُّ** ذَا شَهَامَةٍ وَقُوَّةٍ وَشِدَّةِ عَزْمٍ، وَلَهُ سِيَاسَةٌ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَعْدِلُ وَيَنْصُرُ الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُنَجِّمًا يَعْتَمِدُ مَا يُرْصَدُ مِنْ حَرَكَاتِ النُّجُومِ، قَالَ لَهُ مُنَجِّمُهُ: **إِنَّ عَلَيْكَ قُطْعًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ**، فَتَوَارَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى تَنْقَضِيَ هَذِهِ الْمُدَّةُ. فَعَمِلَ لَهُ سِرْدَابًا، وَأَحْضَرَ الْأُمَرَاءَ، وَأَوْصَاهُمْ **بِوَلَدِهِ نِزَارٍ**، وَلَقَّبَهُ بِالْعَزِيزِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَمْرَ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمْ، فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَدَخَلَ ذَلِكَ السِّرْدَابَ، فَتَوَارَى فِيهِ سَنَةً.

فَكَانَ الفاطميون إِذَا رَأَى الْفَارِسُ مِنْهُمْ سَحَابًا سَارِيًا تَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ ظَانِّينَ أَنَّ الْمُعِزَّ فِي ذَلِكَ الْغَمَامِ ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] ثُمَّ بَرَزَ إِلَى النَّاسِ بَعْدَ مُضِيِّ سَنَةٍ، وَجَلَسَ فِي مَقَامِ الْمُلْكِ، وَحَكَمَ عَلَى عَادَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، بَلْ عَاجَلَهُ الْقَضَاءُ الْمَحْتُومُ، وَالْحِينُ الْمَقْسُومُ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٣٦٥هـ)، وَكَانَتْ مُدَّةُ أَيَّامِهِ فِي الْمُلْكِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا بِمِصْرَ سَنَتَانِ وَتِسْعَةُ أَشْهُرٍ.

٦-**الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ**، أَبُو الْحَكَمِ الْبَلُّوطِيُّ الظَّاهِرِيُّ مَذْهَبًا، **قَاضِي قُضَاةِ الْأَنْدَلُسِ**، وَكَانَ إِمَامًا فَقِيهًا عَالِمًا فَصِيحًا خَطِيبًا شَاعِرًا **دَيِّنًا كَثِيرَ الْفَضْلِ**، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ وَاخْتِيَارَاتٌ، مِنْهَا أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي أُدْخِلَهَا آدَمُ وَأُخْرِجَ مِنْهَا كَانَتْ فِي الْأَرْضِ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ مُفْرَدٌ، لَهُ وَقْعٌ فِي النُّفُوسِ، وَلَهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

دَخَلَ يَوْمًا عَلَى النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيِّ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ وَقُصُورِهَا، وَقَدْ بُنِيَ لَهُ فِيهَا قَصْرٌ عَظِيمٌ مُنِيفٌ وَزُخْرِفَ بِأَنْوَاعِ الدِّهَانَاتِ وَالسُّتُورِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ رُءُوسُ دَوْلَتِهِ وَأُمَرَاؤُهُ، وَجَاءَ الْقَاضِي فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ، وَجَعَلَ الْحَاضِرُونَ يُثْنُونَ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ، وَالْقَاضِي سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ، وَقَالَ: **مَا تَقُولُ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟**

فَبَكَى الْقَاضِي، وَانْحَدَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ - أَخْزَاهُ اللهُ تَعَالَى - يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمَبْلَغَ، وَلَا أَنَّكَ تُمَكِّنُهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمْكِينَ، مَعَ مَا آتَاكَ اللهُ، وَفَضَّلَكَ بِهِ، حَتَّى أَنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٣] قَالَ: **فَوَجَمَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ وَبَكَى، وَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا**، وَأَكْثَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَكَ.

وَقَدْ قَحَطَ فِي بَعْضِ السِّنِينَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ الْقَاضِيَ مُنْذِرَ بْنَ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيَّ أَنْ يَسْتَسْقِيَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ بِذَلِكَ لِيَخْرُجَ مِنَ الْغَدِ، قَالَ لِلرَّسُولِ: **كَيْفَ تَرَكْتَ الْمَلِكَ وَمَا حَالُهُ؟** فَقَالَ: رَأَيْتُهُ أَخْشَعَ مَا يَكُونُ وَأَكْثَرَهُ دُعَاءً، **فَقَالَ الْقَاضِي**: رُحِمْتُمْ وَسُقِيتُمْ وَاللهِ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ الْأَرْضِ، رَحِمَ جَبَّارُ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ لِغُلَامِهِ: اخْرُجْ بِالْمِمْطَرِ مَعَكَ.

فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ، وَجَاءَ الْقَاضِي صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَسْتَمِعُونَ لِمَا يَقُولُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ كَانَ أَوَّلَ مَا خَاطَبَهُمْ بِهِ أَنْ قَالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ

نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] ثُمَّ أَعَادَهَا، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى سُقُوا، وَرَجَعُوا يَخُوضُونَ الْمَاءَ. وَقَدْ صَنَّفَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مُصَنَّفًا فِي مَنَاقِبِهِ، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٦٦هـ).

٧-**الْمَلِكُ عِزُّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارُ** بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ، مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ وَعُمُرُهُ فَوْقَ الْعِشْرِينَ سَنَةً بِقَلِيلٍ، وَكَانَ حَسَنَ الْجِسْمِ، شَدِيدَ الْبَطْشِ، قَوِيَّ الْقَلْبِ جِدًّا، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ بِقَوَائِمِ الثَّوْرِ الشَّدِيدِ، فَيُلْقِيهِ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَعْوَانٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّذَّاتِ.

وَلَمَّا كَسَرَهُ ابْنُ عَمِّهِ بِبِلَادِ الْأَهْوَازِ، كَانَ فِيمَا أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِهِ غُلَامٌ لَهُ كَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَبَعَثَ يَتَرَقَّقُ لِابْنِ عَمِّهِ فِيهِ حَتَّى يَرُدَّهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِتُحَفٍ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْغُلَامَ الْمَذْكُورَ، فَكَثُرَ تَعْنِيفُ النَّاسِ لِعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَسَقَطَ مِنْ أَعْيُنِ الْمُلُوكِ، فَكَانَتْ مُدَّةُ حَيَاتِهِ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَمُدَّةُ دَوْلَتِهِ مِنْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَشُهُورٌ.

٨-**أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ** بْنِ مَالِكٍ الْقَطِيعِيُّ مِنْ قَطِيعَةِ الدَّقِيقِ بِبَغْدَادَ، **رَاوِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»** عَنِ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَحْمَدَ، وَحَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايِخِ أَيْضًا.

وَكَانَ ثِقَةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَابْنُ شَاهِينَ وَالْبَرْقَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْحَاكِمُ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ أَحَدٌ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنْهُ، بِسَبَبِ غَرَقِ بَعْضِ كُتُبِهِ حِينَ غَرِقَتِ الْقَطِيعَةُ بِالْمَاءِ الْأَسْوَدِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَغَيَّرَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَكَانَ لَا يَدْرِي مَا قُرِئَ عَلَيْهِ. وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وتوفي سنة (٣٦٨هـ).

٩-**أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ النَّحْوِيُّ الْقَاضِي**: الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ، سَكَنَ بَغْدَادَ وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِهَا نِيَابَةً، وَلَهُ شَرْحُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَطَبَقَاتُ النُّحَاةِ. وَرَوَى عَنْ

أَبِـي بَكْرِ بْنِ دُرَيْـدٍ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ عَالِمًا **بِاللُّغَةِ وَالْقِـرَاءَاتِ وَالنَّحْوِ وَالْعَرُوضِ وَالْفَرَائِضِ** وَالْحِسَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ.

وَكَانَ زَاهِدًا لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، كَانَ يَنْسَخُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ وَرَقَاتٍ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ، تَكُونُ مِنْهَا نَفَقَتُهُ وَقُوتُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ سنة (٣٦٨هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْخَيْزُرَانِ.

١٠ – **مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَمْرَوَيْهِ** الْجُلُودِيُّ، رَاوِي " صَحِيح مُسْلِم " عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ الْفَقِيهِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، **وَكَانَ مِنَ الزُّهَّادِ، يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ مِنَ النَّسْخِ**، وَبَلَغَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سنة (٣٦٨هـ).

١١ – **مُحَمَّدُ بْنُ جعفرِ بْنِ الْحُسَيْنِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا، أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ **وَيُلَقَّبُ بِغُنْدَرٍ**، كَانَ جَوَّالًا رَحَّالًا، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِبِلَادِ فَارِسَ وَخُرَاسَانَ، وَسَمِعَ الْبَاغَنْدِيَّ وَابْنَ صَاعِدٍ وَابْنَ دُرَيْدٍ وَغَيْرَهُمْ، وَعَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ وَكَانَ ثِقَةً حَافِظًا، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سنة (٣٧٠هـ).

١٢ –**ابْنُ خَالَوَيْهِ**: الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالَوَيْهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ، أَصْلُهُ مِنْ هَمَذَانَ ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ فَأَدْرَكَ بِهَا مَشَايِخَ هَذَا الشَّأْنِ، كَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنِ دُرَيْدٍ وَابْنِ مُجَاهِدٍ، وَأَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ، وَاشْتَغَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ، ثُمَّ صَارَ إِلَى حَلَبَ فَعَظُمَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَ آلِ حَمْدَانَ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ يُكْرِمُهُ وَهُوَ أَحَدُ جُلَسَائِهِ، وَلَهُ مَعَ الْمُتَنَبِّي مُنَاظَرَاتٌ.

وذكر ابْنُ خَلِّكَانَ له مُصَنَّفَات مِنْهَا " كِتَابُ لَيْسَ "؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ فِيهِ: لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَذَا وَكَذَا، وَ "كِتَابُ الْآلِ" تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى أَقْسَامِهِ، وَتَرْجَمَ الْأَئِمَّةَ الِاثْنَيْ عَشَرَ، وَإِعْرَابَ ثَلَاثِينَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَكَانَ فَرْدًا فِي زَمَانِهِ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سنة (٣٧٠هـ).

١٣- **أَحْمَـدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ إِسْـمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ، **أَبُو بَكْرٍ الإِسْـمَاعِيلِيُّ** الْجُرْجَانِيُّ الْحَافِـظُ الْكَبِيـرُ الرَّحَّالُ الْجَوَّالُ سَـمِعَ الْكَثِيرَ، **وَحَـدَّثَ وَخَرَّجَ وَصَنَّـفَ، فَأَفَادَ وَأَجَادَ**، وَأَحْسَـنَ الانْتِقَـادَ وَالاعْتِقَـادَ، صَنَّفَ كِتَابًـا عَلَى "صَحِيـحِ الْبُخَارِيِّ" فِيـهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَعُلُومٌ غَزِيرَةٌ. قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: كُنْتُ عَزَمْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى الرِّحْلَةِ إِلَيْهِ، فَلَمْ أُرْزَقْ.

وكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ السَّـبْتَ عَاشِرَ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤- **عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الْحَسَنِ الْحُصَرِيُّ الصُّوفِيُّ** الْوَاعِظُ شَيْخُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِبَغْدَادَ، أَصْلُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ صَحِبَ الشِّـبْلِيَّ وَغَيْرَهُ، وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ بِالْجَامِعِ، ثُمَّ لَمَّا كَبُرَتْ سِنُّهُ بُنِـيَ لَهُ الرِّبَاطُ الْمُقَابِلُ لِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ عُرِفَ بِصَاحِبِهِ الزَّوْزَنِيِّ، وَكَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِـنَ الْجُمُعَةِ إِلَـى الْجُمُعَةِ، وَلَهُ كَلَامٌ جَيِّـدٌ فِي التَّصَوُّفِ عَلَى طَرِيقَتِهِـمْ. **وتُوُفِّيَ فِي ذِي** الْحِجَّةِ سنة (٣٧١هـ)، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى الثَّمَانِينَ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ حَرْبٍ مِنْ بَغْدَادَ.

١٥-**بُوَيْهِ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ**، كَانَ **مَلِكًا** عَلَى بَعْضِ مَا كَانَ أَبُوهُ يَمْلِكُهُ، وَكَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَزِيرَهُ، وَقَدْ تَزَوَّجَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ هَذَا بِزُبَيْدَةَ بِنْتِ عَمِّهِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فَغَرِمَ عَلَى عُرْسِهِ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَذَا سَرَفٌ عَظِيمٌ. وتوفي سنة (٣٧٣هـ).

١٦-**بُلُكِّيـنُ بْـنُ زِيرِي** بْنِ مُنَـادٍ الْحِمْيَرِيُّ الصِّنْهَاجِيُّ، وَيُسَـمَّى يُوسُـفَ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ **أُمَرَاءِ الْمُعِزِّ العبيدي**، وَقَدِ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ حِينَ سَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَكَانَ حَسَـنَ السِّـيرَةِ، لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ حَظِيَّةٍ، وَقَدْ بُشِّـرَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ **بِسَبْعَةَ عَشَرَ وَلَدًا**، وَهُوَ جَدُّ بَادِيسَ الْمَغْرِبِيِّ.

١٧-**الْخَطِيـبُ أَبُـو يَحْيَى عَبْـدُ الرَّحِيمِ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْـمَاعِيلَ **بْنِ نُبَاتَـةَ**- بَطْنٌ مِنْ قُضَاعَةَ، وَقِيلَ: مِنْ إِيَادٍ - **خَطِيبُ حَلَبَ** أَيَّامَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، وَلِهَذَا أَكْثَرُ دِيوَانِهِ الْخُطَبُ الْجِهَادِيَّةُ، وَلَمْ يُسْبَقْ إِلَى مَثَلِ دِيوَانِهِ هَذَا، وَلَا يُلْحَقُ فِيهِ - إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ - لِأَنَّهُ كَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا ذَكِيًّا دَيِّنًا وَرِعًا.

وُلِدَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ فِي سنة (٣٧٤هـ)

١٨- **الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، أَبُو أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِحُسَيْنَكْ**

كَانَتْ **تَرْبِيَتُهُ عِنْدَ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَتِلْمِيذًا لَهُ**، وَكَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَيَقْرَأُ لَهُ مَا لَا يَقْرَأُهُ لِغَيْرِهِ، وَإِذَا تَخَلَّفَ ابْنُ خُزَيْمَةَ عَنْ مَجَالِسِ السُّلْطَانِ بَعَثَ حُسَيْنَكْ مَكَانَهُ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ ابْنُ خُزَيْمَةَ كَانَ عُمُرُ حُسَيْنَكْ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَمَّرَ بَعْدَهُ دَهْرًا طَوِيلًا، وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَقِرَاءَةً، لَا يَتْرُكُ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ، وَلَا صَيْفٍ وَلَا شِتَاءٍ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْبِرِّ وَالصِّلَاتِ، وَكَانَ يَحْكِي وُضُوءَ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَصَلَاتَهُ، وَلَمْ يُرَ فِي الْأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ صَلَاةً مِنْهُ، وتوفي سنة (٣٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

١٩- **أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو حَامِدٍ الْمَرْوَزِيُّ**، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الطَّبَرِيِّ، كَانَ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ، مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُتْقِنًا، بَصِيرًا بِالْأَثَرِ، مُتَفَنِّنًا، فَقِيهًا، حَنَفِيًّا، دَرَسَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْكَرْخِيِّ، وَصَنَّفَ كُتُبًا فِي الْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِخُرَاسَانَ، ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ وَقَدْ عَلَتْ سِنُّهُ، فَحَدَّثَ النَّاسَ، وَكَتَبَ النَّاسُ عَنْهُ بِانْتِخَابِ الدَّارَقُطْنِيِّ، وتوفي سنة (٣٧٧هـ).

٢٠- **أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ**، الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَبُو عَلِيٍّ **النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ**؛ مِنْهَا "الْإِيضَاحُ وَالتَّكْمِلَةُ" وُلِدَ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ وَخَدَمَ الْمُلُوكَ، وَحَظِيَ عِنْدَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، بِحَيْثُ إِنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ كَانَ يَقُولُ: أَنَا غُلَامُ أَبِي عَلِيٍّ فِي النَّحْوِ. وَحَصَّلَ لَهُ الْأَمْوَالَ، وَقَدِ اتَّهَمَهُ قَوْمٌ بِالِاعْتِزَالِ، وَفَضَّلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى الْمُبَرِّدِ وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ: أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٣٧٧هـ). عَنْ بِضْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٢١-**سُتَيْتَةُ بِنْتُ الْقَاضِي** أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيِّ، وَتُكَنَّى أَمَةَ الْوَاحِدِ، **قَرَأَتِ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَتِ الْفِقْهَ وَالْفَرَائِضَ وَالْحِسَابَ وَالدَّوْرَ وَالنَّحْوَ** وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ فِي وَقْتِهَا بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَتْ تُفْتِي بِهِ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَكَانَتْ فَاضِلَةً فِي نَفْسِهَا، كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ مُسَارِعَةً إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَقَدْ سَمِعَتِ الْحَدِيثَ وَحَدَّثَتْ أَيْضًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي رَمَضَانَ سنة (٣٧٧هـ) عَنْ بِضْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

٢٢- **مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ** بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ إِيَاسٍ، أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَزَّارُ الْحَافِظُ، وُلِدَ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَرَحَلَ إِلَى بِلَادٍ شَتَّى، وَرَوَى عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ وَالْبَغَوِيِّ وَخَلْقٍ، **وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ - مِنْهُمُ الدَّارَقُطْنِيُّ - شَيْئًا كَثِيرًا**، وَكَانَ يُعَظِّمُهُ وَيُجِلُّهُ وَلَا يَسْتَنِدُ بِحَضْرَتِهِ، وَكَانَ ابْنُ الْمُظَفَّرِ ثِقَةً ثَبْتًا، وَكَانَ قَدِيمًا يَنْتَقِي عَلَى الْمَشَايِخِ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَدُفِنَ يَوْمَ السَّبْتَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى أَوِ الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٣٧٩هـ).

٢٣-**يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ**، أَبُو الْفَرَجِ بْنُ كِلِّسٍ، وَزِيرُ صَاحِبِ مِصْرَ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، وَكَانَ شَهْمًا فَهِمًا، ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَتَدْبِيرٍ جَيِّدٍ، وَكَلِمَةٍ نَافِذَةٍ عِنْدَ مَخْدُومِهِ، وَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَهُ فِي سَائِرِ مَمْلَكَتِهِ، وَلَمَّا مَرِضَ عَادَهُ الْعَزِيزُ، وَوَصَّاهُ الْوَزِيرُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَمْلَكَتِهِ، وَلَمَّا مَاتَ دَفَنَهُ فِي قَصْرِهِ، وَتَوَلَّى دَفْنَهُ بِيَدِهِ، وَحَزِنَ عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَأَغْلَقَ الدِّيوَانَ أَيَّامًا مِنْ شِدَّةِ حُزْنِهِ عَلَيْهِ، توفي سنة (٣٨٠هـ).

(٢٥)

خلافة القادر بالله أحمد بن إسحاق ابن المقتدر

٣٨١ـ ٤٢٢

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

أَبـو الْعَبَّاسِ الْقَادِرِ بِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ إِسـحاق ابـن الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ جعفر بْـنِ الْمُعْتَضِدِ بْنِ الْأَمِيـرِ أَبِـي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَـوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْـمُهَا **تَمَنِّي**، مَوْلَاةُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ.

○ صفاته

كَانَ الْخَلِيفَـةُ الْقَادِرُ بِاللهِ مِنْ **خِيَارِ الْخُلَفَاءِ**، وَسَـادَاتِ **الْعُلَمَاءِ** فِـي أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَقْرَانِهِ، مُحِبًّـا لِأَهْلِ الْعِلْـمِ، وَالدِّينِ، وَالصَّلَاحِ، يَأْمُـرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَـنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، حَسَـنَ الِاعْتِقَادِ على طَرِيقَةِ السَّـلَفِ، **وَصَنَّفَ عَقِيدَةً فِيهَا فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ** وَغَيْرُ ذَلِـكَ، فَكَانَتْ تُقْرَأُ فِي حِلَقِ أَصْحَـابِ الْحَدِيثِ كُلَّ جُمُعَةٍ فِي جَامِـعِ الْمَهْدِيِّ، وَتَجْتَمِعُ النَّاسُ لِسَمَاعِهَا مُدَّةَ خِلَافَتِهِ، وَكَانَ يُنْشِدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ يَتَرَنَّمُ بِهَا، وَهِيَ لِسَابِقٍ الْبَرْبَرِيِّ:[(١)]

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنُ ... وَاللهُ يَا هَـذَا لِـرِزْقِكَ ضَامِنُ
تُعْنَى بِمَا تُكْفَى وَتَتْرُكُ مَا بِهِ ... تَغْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ
أَوَ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعَ أَهْلِهَا ... فَاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا يَا خَائِنُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا أَبَا لَكَ فِي الَّذِي ... أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ
يَا عَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ مَنْزِلًا ... لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ الْمَنِيَّةِ سَاكِنُ
الْمَوْتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ... حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَاوِنُ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُؤَامِرُ مَنْ أَتَتْ ... فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَسْتَأْذِنُ

---

(١) سابق بن عبد الله البربري، أبو سعيد: شاعر، من الزهاد. له كلام في الحكمة والرقائق. وهو من موالى بني أمية. والبربري لقب له، ولم يكن من البربر. سكن الرقة، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز، فيستنشده عمر، فينشده من مواعظه. وتوفي سنة (١٠٠هـ) وقيل (١٣٢هـ).

وَكَانَ أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ، طَوِيلَ اللِّحْيَةِ عَرِيضَهَا يَخْضِبُهَا، وَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، كَثِيرَ الصَّدَقَـةِ، مُحِبًّا لِلسُّـنَّةِ وَأَهْلِهَا، يَبْغَضُ الْبِدْعَـةَ وَالْقَائِمَيْنِ بِهَا، وَكَانَ يُكْثِـرُ الصَّوْمَ، وَيَبَرُّ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَقْطَاعِهِ، وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ فِي زِيِّ الْعَامَّةِ، فَيَزُورُ قُبُورَ الصَّالِحِينَ.

○ وفاته

توفي سـنة (٤٢٢هـ) عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَعَشَـرَةِ أَشْهُرٍ وَأَحَدٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، **وَلَمْ يُعَمَّرْ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ هَذَا الْعُمُرَ** وَلَا بَعْدَهُ، ومدته فِي الْخِلَافَةِ **إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ** سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَهَذَا أَيْضًا شَيْءٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَيْهِ.

وَجَلَسُـوا فِي عَزَائِهِ سَـبْعَةَ أَيَّـامٍ لِعِظَمِ الْمُصِيبَةِ بِـهِ، وَلِتَوْطِيدِ الْبَيْعَةِ **لِوَلَـدِهِ الْقَائِمِ بِاللهِ** أَبِي جَعْفَرٍ **عَبْدِ اللهِ** بْنِ الْقَادِرِ.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

كان الْقَادِرُ بالله أحمد قَدْ هَرَبَ إِلَى أَرْضِ الْبَطِيحَةِ مِنَ الطَّائِعِ حِينَ كَانَ يَطْلُبُهُ، وَكَانَتْ مُدَّةُ هَرَبِهِ قَرِيبًا مِنْ **ثَلَاثِ** سِنِينَ.

وَلَمَّا **خُلعَ الطَّائِعُ** فِي يَوْمَ السَّبْتِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٣٨١هـ) طُلِبَ القادرُ للبيعـة، فقدم بَغْـدَادَ لأخذ البيعة، فمَنَعَتْهُ الدَّيْلَـمُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا حَتَّى يُعْطِيَهُمْ رَسْـمَ الْبَيْعَـةِ، فأَرْضَى وُجُوهَهُـمْ وَأَكَابِرَهُمْ، **فأُخِـذَتِ الْبَيْعَةُ، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَـةُ**، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَكَانَ يَوْمًـا مَشْـهُودًا، وَجَلَسَ فِـي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ مَقْدِمِهِ جُلُوسًـا عَامًّا لِلتَّهْنِئَةِ وَسَـمَاعِ الْمَدَائِحِ وَالْقَصَائِدِ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ.

وَفِي الْعَشْـرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَـوَّالٍ اجْتَمَعَ النَّاسُ لِبَيْعَةِ **السـلطان بَهَاءِ الدِّينِ** وَتَفْوِيضِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ **مَا وَرَاءَ بَابِهِ**، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ ولاية العهد

فِي شَـوَّالٍ سـنة (٣٨٢هـ) وُلِدَ لِلْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ وَلَدٌ ذَكَرٌ، وَهُوَ **أَبُـو الْفَضْلِ** مُحَمَّدُ بْنُ الْقَادِرِ بِاللهِ، وَقَدْ وَلَّاهُ الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِهِ، **وَسَمَّاهُ الْغَالِبَ بِاللهِ**.

ثـم جدد له البيعة فِي سـنة (٣٩١هـ) وَخُطِـبَ لَهُ، وَلُقِّبَ **بِالْغَالِبِ بِـاللهِ**، وَكَانَ عُمُرُهُ حِينَئِذٍ ثَمَانِي سِنِينَ وَشُهُورًا، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِك.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنَ عَشَـرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٣٩١هـ) وُلِدَ الْأَمِيرُ **أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ** بْنُ الْقَادِرِ بِاللهِ، وَفِي سنة (٤٢١هـ) عَهِدَ إليه بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ، بِمَحْضَرٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْـوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، وَخُطِبَ لَهُ بِذَلِكَ عَلَى منابر المسـلمين، وَضُرِبَ اسْمُهُ عَلَى السِّكَّةِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا فِي الْبَادِي وَالْحَاضِرِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

جهود الخليفة القادر في محاربة أهل البدع والزندقة

○ منع الروافض من بدعتهم

فِي عَاشِرِ الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٨٢هـ) رَسَمَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَوْكَبِيُّ لِأَهْلِ الْكَرْخِ وَبَابِ الطَّاقِ مِنَ الرَّافِضَةِ بِأَنْ لَا يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ الَّتِي كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهَا فِي عَاشُورَاءَ: مِنْ تَعْلِيقِ الْمُسُوحِ وَتَغْلِيقِ الْأَسْوَاقِ وَالنِّيَاحَةِ عَلَى الْحُسَيْنِ، فَلَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ استتابة أهل البدع والزندقة

ذكر ابن الجوزي في المنتظم بسنده: [١] أنه فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ اسْتَتَابَ الْقَادِرُ بِاللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فُقَهَاءَ الْمُعْتَزِلَةِ الْحَنَفِيَّةَ، فَأَظْهَرُوا الرُّجُوعَ، وَتَبَرَّءُوا مِنَ الِاعْتِزَالِ وَالرَّفْضِ وَالْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ خُطُوطَهُمْ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ مَتَى خَالَفُوهُ حَلَّ بِهِمْ مِنَ النَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ مَا يَتَّعِظُ بِهِ أَمْثَالُهُمْ.

وَامْتَثَلَ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا مِنْ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا، فِي قَتْلِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالْجَهْمِيةِ وَالْمُشَبِّهَةِ، وَصَلَبَهُمْ وَحَبَسَهُمْ ونفاهم، وَأَمَرَ بِلَعْنِهِمْ عَلَى مَنَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَارَ ذَلِكَ سُنَّةً في دولته.

وفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٠٩هـ) قُرِئَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ فِي الْمَوْكِبِ كِتَابٌ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ.

---

(١) ١٥/ ١٢٥.

○ كتاب القادر في معتقد أهل السنة

⊙ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَرَ من شعبان سنة (٤٢٠هـ) جُمِعَ الْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ جَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرُ بِاللهِ فِيهِ مَوَاعِظُ وَتَفَاصِيلُ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

⊙ وَفِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٤٢٠هـ) جُمِعُوا، وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ آخَرُ جَمَعَهُ الْخَلِيفَةُ أَيْضًا فِيهِ أَخْبَارٌ وَمَوَاعِظُ، وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَتَفْسِيقُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَصِفَةُ مَا وَقَعَ بَيْنَ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ **وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ الْكِنَانِيِّ** مِنَ الْمُنَاظَرَةِ، ثُمَّ خَتَمَ الْقَوْلَ بِالْوَعْظِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَخَذَ خُطُوطَ الْحَاضِرِينَ بِالْمُوَافَقَةِ لِمَا سَمِعُوهُ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ غُرَّةِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٢٠هـ) جُمِعُوا أَيْضًا كُلُّهُمْ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ آخَرُ طَوِيلٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ السُّنَّةِ، وَالرَّدَّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُنَاظَرَةَ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ وَالْكَتَّانِيِّ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفَضْلَ الصَّحَابَةِ، وَذِكْرَ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ الْعَتَمَةِ، وَأُخِذَتْ خُطُوطُهُمْ بِمُوَافَقَةِ مَا سَمِعُوهُ، وَعُزِلَ خُطَبَاءُ الشِّيعَةِ، وَوَلِيَ خُطَبَاءُ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَجَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَسْجِدِ بَرَاثَا، وَضَرَبُوا الْخَطِيبَ السُّنِّيَّ بِالْآجُرِّ حَتَّى كَسَرُوا أَنْفَهُ وَخَلَعُوا كَتِفَهُ، فَانْتَصَرَ لَهُ الْخَلِيفَةُ وَأَهَانَ الشِّيعَةَ وَأَذَلَّهُمْ، حَتَّى جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ مِمَّا صَنَعُوا، وَأَنَّهُ مَا تَعَاطَاهُ إِلَّا سُفَهَاؤُهُمْ وَسَقَطُهُمْ.

○ قتل الوزير الكوكبي

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٨٢هـ) سَعَتِ الدَّيْلَمُ وَالتُّرْكُ عَلَى الْوَزِيرِ أَبُو الْحَسَنِ الْكَوْكَبِيُّ، وَخَرَجُوا بِخِيَامِهِمْ إِلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ، وَرَاسَلُوا بَهَاءَ الدَّوْلَةِ لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ، لِسُوءِ مُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ، فَدَافَعَ عَنْهُ مُدَافَعَةً عَظِيمَةً فِي مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَمْ يَزَالُوا يُرَاسِلُونَهُ

فِي أَمْرِهِ حَتَّى استجاب فخَنَقَ الوزير أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْمُعَلِّمِ فِي حَبْلٍ، وَمَاتَ وَدُفِنَ بِالْمُخَرِّمِ (١).

○ تضمين الأصيفر حراسة الحجاج

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٨٢هـ) قَدِمَ الْأُصَيْفِرُ الْأَعْرَابِيُّ، وَالْتَزَمَ بِحِرَاسَةِ الْحُجَّاجِ فِي ذَهَابِهِمْ وَإِيَابِهِمْ، وَبِشَرْطِ أَنْ يُخْطَبَ لِلْقَادِرِ مِنَ الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ إِلَى الْكُوفَةِ فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَأُطْلِقَتْ لَهُ الْخِلَعُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَلْوِيَةُ.

○ إلحاق مسجد الحربية بجوامع بغداد

فِي سنة (٣٨٣هـ) أَمَرَ الْقَادِرُ بِاللهِ بِعِمَارَةِ **مَسْجِدِ الْحَرْبِيَّةِ وَكِسْوَتِهِ**، وَأَنْ يُجْرَى مَجْرَى الْجَوَامِعِ فِي الْخُطَبِ وَغَيْرِهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنِ اسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فِي جَوَازِ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَفْتَوْهُ بِهِ فَعَلَهُ، وَأَمَرَ بِهِ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: أَدْرَكْتُ الْجُمُعَةَ تُقَامُ بِبَغْدَادَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَمَسْجِدِ الرَّصَافَةِ، وَمَسْجِدِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَمَسْجِدِ بَرَاثَا (٢)، وَمَسْجِدِ قَطِيعَةَ أُمِّ جَعْفَرٍ، وَمَسْجِدِ الْحَرْبِيَّةِ، قَالَ: وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَتَعَطَّلَتْ فِي مَسْجِدِ بَرَاثَا.

○ زواج القادر من بنت بهاء الدولة

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٣٨٣هـ) تَزَوَّجَ الْخَلِيفَةُ سُكَيْنَةَ بِنْتَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ وَكِيلَ أَبِيهَا الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ، وَقَدْ **تُوُفِّيَتْ** هَذِهِ الْمَرْأَةُ **قَبْلَ دُخُولِ الْخَلِيفَةِ** بِهَا.

---

(١) محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلّى. معجم البلدان ٤/ ٤٤١.

(٢) سبق أن بَلَغَ الْخَلِيفَةَ الْمُقْتَدِرَ بِاللهِ فِي صَفَرٍ سنة (٣١٣هـ) أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الرَّافِضَةِ يَجْتَمِعُونَ فِي مَسْجِدِ بَرَاثَا، فَيَنَالُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ، وَيُكَاتِبُونَ الْقَرَامِطَةَ، فاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ، فَأَفْتَوْا بِأَنَّهُ مَسْجِدُ ضِرَارٍ يُهْدَمُ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ الْمَذْكُورِ، وذكر الخطيب البغدادي له ضمن مساجد الجمعة التي أدركها ببغداد، يدل على أنه أعيد بناؤه.

○ الوقف على الفقهاء

فِي سـنة (٣٨٣هــ) ابْتَاعَ الْوَزِيـرُ أَبُو نَصْرٍ سَـابُورُ بْنُ أَزْدَشِـيرَ دَارًا بِالْكَـرْخِ، وَجَدَّدَ عِمَارَتَهَا وَبَيْضَهَا، وَنَقَلَ إِلَيْهَا كُتُبًا كَثِيرَةً، وَوَقَّفَهَا عَلَى الْفُقَهَاءِ، وَسَمَّاهَا دَارَ الْعِلْمِ، وَأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ **أَوَّلُ مَدْرَسَةٍ وُقِّفَتْ عَلَى الْفُقَهَاءِ**، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ تولية أبي العباس الضبي الوزارة

فِي سـنة (٣٨٥هـ) **اسْـتَوْزَرَ** فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ **أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيَّ الْمُلَقَّبَ بِالْكَافِي**، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ، وَكَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ الْوُزَرَاءِ.

○ وفاة السلطان فخر الدولة البويهي

فِي سنة (٣٨٧هـ) **تُوُفِّيَ** فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ وَرُتِّبَ وَلَدُهُ **رُسْتُمُ** فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ، وَكَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَقَامَ خَوَاصُّ أَبِيهِ بِتَدْبِيرِ الْمَمَالِكِ وَالرَّعَايَا.

○ هروب ابن الوثاب إلى البطيحة

فِي سـنة (٣٨٨هـ) هَرَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْوَثَّابِ، الْمُنْتَسِـبُ إِلَى جَدِّهِ الطَّائِعِ - مِنَ السِّـجْنِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْبَطِيحَـةِ،[1] فَآوَاهُ صَاحِبُهَا مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ ثُمَّ أَرْسَلَ الْقَادِرُ بِاللهِ فَجِيءَ بِهِ مُضَيَّقًا عَلَيْهِ فَاعْتَقَلَهُ، ثُمَّ هَرَبَ مِنَ الِاعْتِقَالِ أَيْضًا، فَذَهَبَ إِلَـى بِلَادِ كِيـلَانَ[2]، فَادَّعَى أَنَّهُ الطَّائِعُ لِلَّـهِ فَصَدَّقُوهُ، وَبَايَعُوهُ، وَأَدَّوْا إِلَيْهِ الْعُشْـرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ.

ثُـمَّ اتَّفَقَ مَجِيءُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ فَسَـأَلُوا عَنِ الْأَمْرِ، فَـإِذَا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ وَلَا حَقِيقَةٌ، فَرَجَعُوا عَنْهُ، وَاضْمَحَلَّ أَمْرُهُ، وَفَسَدَ حَالُهُ، فَانْهَزَمَ عَنْهُمْ.

(١) البطيحة بالفتح ثم الكسـر وجمعها البطائح، وهي: أرض واسـعة بين واسط والبصرة. معجم البلدان - الفكر (١/ ٤٥٠)

(٢) كيلان: مدينة صغيرة في الشرق من طهران.

○ تولية أبي خازم قضاء واسط

وَفِي سـنة (٣٩٠هـ) قَلَّدَ الْقَادِرُ بِاللهِ الْقَضَاءَ بِوَاسِـطٍ وَأَعْمَالِهَا لِأَبِي خَازِمٍ **مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَـنِ** الْوَاسِـطِيِّ، وَقُرِئَ عَهْدُهُ بِدَارِ الْخِلَافَـةِ، وَكَتَبَ لَهُ الْقَادِرُ وَصِيَّةً حَسَـنَةً طَوِيلَةً، أَوْرَدَهَا بِحُرُوفِهَا الشَّـيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُنْتَظَمِهِ»[(١)]، وَفِيهَا مَوَاعِظُ وَأَوَامِرُ وَنَوَاهٍ حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ التزام ابن مزيد بمال للدولة

فِي سنة (٣٩٣هـ) بَرَزَ عَمِيدُ الْجُيُوشِ إِلَى **سُورَا**[(٢)]، وَاسْتَدْعَى سَيِّدَ الدَّوْلَةِ أَبَا الْحَسَنِ **عَلِيَّ بْنَ مَزْيَدٍ**، وَقَرَّرَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَالْتَزَمَ ذَلِكَ وَقَرَّرَهُ عَلَى بِلَادِهِ.

○ عزل والي دمشق

فِي سـنة (٣٩٣هـ) اسْـتَنَابَ الْحَاكِمُ العبيدي عَلَى دِمَشْـقَ وَجُيُوشِ الشَّـامِ أَبَا مُحَمَّدٍ الْأَسْـوَدَ، ثُـمَّ بَلَغَهُ أَنَّهُ **عَزَّرَ رَجُلًا مَغْرِبِيًّا عَلَى حُبِّـهِ أَبَا بَكْرٍ** وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَطَافَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، فَخَافَ مِنْ مَعَرَّةِ ذَلِكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَعَزَلَهُ مَكْرًا وَخَدِيعَةً.

○ اعتراض القادر على تولية أبي أحمد القضاء

فِي سـنة (٣٩٤هـ) **وَلَّى بَهَاءُ الدَّوْلَةِ** الشَّـرِيفَ أَبَا أَحْمَدَ الْحُسَيْنَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْمُوسَوِيَّ قَضَاءَ الْقُضَاةِ وَالْحَجَّ وَالْمَظَالِمَ وَنِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ، وَلُقِّبَ بِالطَّاهِرِ الْأَوْحَدِ ذِي الْمَنَاقِبِ، وَكَانَ التَّقْلِيـدُ لَهُ بِشِـيرَازَ، فَلَمَّا وَصَـلَ الْكِتَابُ إِلَى بَغْدَادَ **لَمْ يَـأْذَنْ لَهُ الْخَلِيفَةُ** الْقَادِرُ فِي قَضَاءِ الْقُضَاةِ، فَتَوَقَّفَ حَالُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

○ تولية ابن الأكفاني قضاء بغداد

فِي سنة (٣٩٦هـ) وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَكْفَانِيِّ قَضَاءَ جَمِيعِ بَغْدَادَ.

---

(١) ١٥/ ١٨.

(٢) سورا: موضع بأرض بابل، وهي مدينة السريانيين. معجم البلدان٣/ ١٨٤.

○ نقابة الطالبيين

⦿ فِي سنة (٣٨٠هـ) قُلِّدَ الشَّرِيفُ **أَبُو أَحْمَدَ** الْحسينُ بْنُ مُوسَى الْمُوسَوِيُّ نِقَابَةَ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِيِّينَ، وَالنَّظَرَ فِي الْمَظَالِمِ، وَإِمْرَةَ الْحَاجِّ، وَكُتِبَ عَهْدُهُ بِذَلِكَ، وَاسْتُخْلِفَ وَلَدَاهُ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ، وَالرَّضِيُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى النِّقَابَةِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِمَا مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ.

⦿ وفِي سنة (٣٩٦هـ) قُلِّدَ الشَّرِيفُ **الرَّضِيُّ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ**، وَلُقِّبَ بِالرَّضِيِّ ذِي الْحَسَبَيْنِ، وَلُقِّبَ أَخُوهُ الْمُرْتَضَى ذَا الْمَجْدَيْنِ.

⦿ وفِي سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٠٣هـ) قُلِّدَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ **أَبُو الْحَسَنِ** محمد بن الحسين الْمُوسَوِيُّ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ فِي دَارِ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ، بِمَحْضَرِ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ السَّوَادُ، وَهُوَ أَوَّلُ طَالِبِيٍّ خُلِعَ عَلَيْهِ السَّوَادُ.

⦿ وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ صَفَرٍ سنة (٤٠٦هـ) **قُلِّدَ الْمُرْتَضَى أَبُو الْقَاسِمِ** علي بن الحسين نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ وَالْمَظَالِمَ وَالْحَجَّ، وَجَمِيعَ مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ أَخُوهُ الرَّضِيُّ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ الفتنة بين الشيعة والسنة

⦿ فِي سنة (٣٨٩هـ)، أَرَادَتِ الشِّيعَةُ أَنْ تَعْمَلَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَهُ مِنَ الزِّينَةِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِيمَا يَزْعُمُونَهُ، فَقَاتَلَهُمْ جَهَلَةٌ آخَرُونَ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ لِلسُّنَّةِ، **فَادَّعَوْا أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ حُصِرَ النَّبِيُّ** ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْغَارِ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ، **وَهَذَا جَهْلٌ** مِنْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ أَوَّلِ سِنِي الْهِجْرَةِ، فَإِنَّهُمَا أَقَامَا فِيهِ ثَلَاثًا، وَحِينَ خَرَجَا مِنْهُ قَصَدَا الْمَدِينَةَ فَدَخَلَاهَا بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَكَانَ دُخُولُهُمَا الْمَدِينَةَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُقَرَّرٌ.

وَلَمَّا كَانَتِ الشِّيعَةُ يَصْنَعُونَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ مَأْتَمًا يُظْهِرُونَ فِيهِ الْحُزْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَابَلَتْهُمْ **طَائِفَةٌ** مِنْ جَهلَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، **فَادَّعَوْا أَنَّ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَعَمِلُوا لَهُ مَأْتَمًا** كَمَا **تَعْمَلُ الشِّيعَةُ** لِلْحُسَيْنِ، وَزَارُوا قَبْرَهُ كَمَا يُزَارُ قَبْرُ الْحُسَيْنِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ الْبِدْعَةِ بِبِدْعَةٍ مِثْلِهَا، وَلَا يَرْفَعُ الْبِدْعَةَ إِلَّا السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

- وَفِي سنة (٣٩٣هـ) **مَنَعَ** عَمِيدُ الْجُيُوشِ الشِّيعَةَ مِنَ **النَّوْحِ عَلَى الْحُسَيْنِ** فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَمنعَ جَهلَةَ السُّنَّةِ بِبَابِ الْبَصْرَةِ وَبَابِ الشَّعِيرِ، مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، فَامْتَنَعَ الْفَرِيقَانِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ
- وفي عَاشِرِ رَجَبٍ سنة (٣٩٨هـ) **جَرَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالسُّنَّةِ**، سَبَبُهَا أَنَّ بَعْضَ الْهَاشِمِيِّينَ قَصَدَ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ النُّعْمَانِ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمُعَلِّمِ - وَكَانَ فَقِيهَ الشِّيعَةِ - فِي مَسْجِدِهِ بِدَرْبِ رِيَاحٍ، فَعَرَضَ لَهُ بِالسَّبِّ، فَثَارَ أَصْحَابُهُ لَهُ، وَاسْتَنْفَرَ أَصْحَابَ الْكَرْخِ، وَصَارُوا إِلَى دَارِ الْقَاضِي أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْأَكْفَانِيِّ، وَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَجَرَتْ فِتْنَةٌ طَوِيلَةٌ.

واتفق أن أَحْضَرَتِ الشِّيعَةُ مُصْحَفًا، زعموا أَنَّهُ مُصْحَفُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، (١) وَهُوَ يُخَالِفُ الْمَصَاحِفَ كُلَّهَا، فَجُمِعَ الْأَشْرَافُ وَالْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِلَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ، وَعُرِضَ الْمُصْحَفُ عَلَيْهِمْ، فَأَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ وَالْفُقَهَاءُ بِتَحْرِيقِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ مِنْهُمْ.

فَغَضِبَ الشِّيعَةُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَجَعَلُوا يَدْعُونَ على مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَيَسُبُّونَهُ، وَقَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَحْدَاثِهِمْ دَارَ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ لِيُؤْذُوهُ، فَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى دَارِ الْقُطْنِ، وَصَاحُوا: **يَا حَاكِمُ يَا مَنْصُورُ**.

---

(١) كان لعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصحف خاص به، فيه بعض التفاسير للآيات، وكان مخالفاً للمصحف الإمام الذي كتب في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحرق ما عداه من الصحف. والظاهر أن مصحف ابن مسعود انتهى بوفاته. فكيف يدعون أن هذا مصحف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!؟

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ، **فَغَضِبَ وَبَعَثَ أَعْوَانَهُ لِنُصْرَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ**، فَحُرِّقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْ دُورِ الشِّيعَةِ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ شَدِيدَةٌ، وَبَعَثَ الخليفةُ **عَمِيدَ الْجُيُوشِ** إِلَى بَغْدَادَ لِيَنْفِيَ عَنْهَا ابْنَ الْمُعَلِّمِ فَأُخْرِجَ مِنْهَا، ثُمَّ شُفِعَ فِيهِ، وَمُنِعَتِ الْقُصَّاصُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ، وَالسُّؤَالِ باسمِ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَعَادَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ إِلَى دَارِهِ عَلَى عَادَتِهِ.

- وفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٠٢هـ) **أَذِنَ فَخْرُ الْمُلْكِ لِلرَّوَافِضِ** أَنْ يَعْمَلُوا الْبِدْعَةَ الشَّنْعَاءَ، وَالْفَضِيحَةَ الصَّلْعَاءَ، مِنَ الِانْتِحَابِ وَالنَّوْحِ وَالْبُكَاءِ، وَتَعْلِيقِ الْمُسُوحِ، وَتَغْلِيقِ الْأَسْوَاقِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ، وَدَوَرَانِ النِّسَاءِ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ وَرُءُوسِهِنَّ، يَلْطِمْنَ خُدُودَهُنَّ، كَفِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، فَلَا جَزَاهُ اللهُ عَنِ السُّنَّةِ خَيْرًا، وَسَوَّدَ اللهُ وَجْهَهُ يَوْمَ الْجَزَاءِ.

وعَمِلَتِ الشِّيعَةُ أيضًا يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ - وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ - الْبِدْعَةَ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا لَا لِابْتِغَاءِ وَجْهِ اللهِ، وَزُيِّنَتِ الْحَوَانِيتُ، وَتَمَكَّنُوا بِسَبَبِ الْوَزِيرِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ تَمَكُّنًا كَثِيرًا.

- وَفِي سنة (٤٠٧هـ) **قُتِلَتِ الشِّيعَةُ** الَّذِينَ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَلَمْ يُتْرَكْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لا يُعْرَفُ.

- وفِي سنة (٤٠٨هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ بِبَغْدَادَ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

- وَفِي سنة (٤٢١هـ) عَمِلَتِ الرَّافِضَةُ بِدْعَتَهُمُ الشَّنْعَاءَ، وَحَادِثَتَهُمُ الصَّلْعَاءَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، مِنْ تَعْلِيقِ الْمُسُوحِ، وَتَغْلِيقِ الْأَسْوَاقِ، وَالنَّوْحِ وَالْبُكَاءِ، فِي الْأَزِقَّةِ وَالْأَرْجَاءِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ، وَجَرَتْ فِتَنٌ كَبِيرَةٌ، وَشُرُورٌ مُسْتَطِيرَةٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- وفِي سنة (٤٢٢هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ، وَقَوِيَتْ عَلَيْهِمُ السُّنَّةُ، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْهُمْ، وَنَهَبُوا الْكَرْخَ وَدَارَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى **وَنَهَبَتِ الْعَامَّةُ**

دُورَ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى مُعَاوَنَةِ أَهْلِ الْكَرْخِ مِنَ الرَّوَافِضِ، وَتَعَدَّى النَّهْبُ إِلَى دُورٍ كَثِيرَةٍ وَانْتَشَرَتِ الْفِتْنَةُ جِدًّا، ثُمَّ سَكَنَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.

- وفِي سنة (٤٤٢هـ) اصْطَلَحَ الرَّوَافِضُ وَالسُّنَّةُ بِبَغْدَادَ، وَذَهَبُوا كُلُّهُمْ لِزِيَارَةِ مَشْهَدِ عَلِيٍّ، وَمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ، وَتَرَضَّوْا فِي الْكَرْخِ عَنِ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَهَذَا عَجِيبٌ جِدًّا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التَّقِيَّةِ.

- وفِي صَفَرٍ سنة (٤٤٢هـ) وَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّوَافِضَ نَصَبُوا أَبْرَاجًا، وَكَتَبُوا عَلَيْهَا بِالذَّهَبِ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ، فَمَنْ رَضِيَ فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ.

فَأَنْكَرَتِ السُّنَّةُ اقْتِرَانَ عَلِيٍّ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا، فَنَشِبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ، وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ إِلَى رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، **فَقُتِلَ رَجُلٌ هَاشِمِيٌّ**، فَدُفِنَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَرَجَعَ السُّنَّةُ مِنْ دَفْنِهِ، فَنَهَبُوا بعض مشاهد الشيعة وَقُبُورَ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ، وَانْتَشَرَتِ الْفِتْنَةُ وَتَجَاوَزَتِ الْحَدَّ، وَقَدْ قَابَلَهُمْ الروافض بِمَفَاسِدَ كَثِيرَةٍ، فَأَحْرَقُوا مَحَالَّ كَثِيرَةً، وَبَعْثَرُوا قُبُورًا قَدِيمَةً، **وَأُحْرِقَ قَبْرُ** جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَمُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَأُمِّهِ زُبَيْدَةَ، وَقُبُورٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

- وَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّافِضَةِ عَيَّارٌ يُقَالُ لَهُ: **الطَّقَيطِقِيُّ**، وَكَانَ يَتَتَبَّعُ رُءُوسَهُمْ وَكِبَارَهُمْ فَيَقْتُلُهُمْ جِهَارًا غِيلَةً، وَعَظُمَتِ الْمِحْنَةُ بِسَبَبِهِ جِدًّا، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْبَأْسِ وَالْمَكْرِ، وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ دُبَيْسَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ، وَكَانَ رَافِضِيًّا، قَطَعَ خُطْبَةَ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِاللهِ، ثُمَّ رُوسِلَ فَأَعَادَهَا.

- وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٤٤هـ) تَجَدَّدَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَحْرَقُوا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلَائِقُ، وَكَتَبُوا عَلَى مَسَاجِدِهِمْ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ. وَأَذَّنُوا بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَاسْتَمَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ، وَتَسَلَّطَ الطَّقَيطِقِيُّ الْعَيَّارُ عَلَى الرَّوَافِضِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَقِرَّ لَهُمْ مَعَهُ قَرَارٌ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ.

⦿ وَفِي سـنة (٤٤٧هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ السُّـنَّةِ وَالرَّافِضَةِ عَلَى الْعَادَةِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا مُسْتَمِرًّا، وَلَا تَمَكَّنَ الدَّوْلَةُ أَنْ يَحْجِزُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

⦿ وَفِي سنة (٤٤٨هـ) أَمَرَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ بِأَنْ تُنْصَبُ أَعْلَامٌ سُودٌ فِي الْكَرْخِ، فَانْزَعَجَ أَهْلُـهُ لِذَلِـكَ، وَكَانَ كَثِيـرَ الْأَذِيَّـةِ لِلرَّافِضَةِ، وَإِنَّمَـا كَانَ يُدَافِعُ عَنْهُـمْ الوزير عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ.

○ عزل عمرو بن عبدالواحد عن قضاء البصرة

فِي سنة (٣٩٩هـ) صُرِفَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ قَضَاءِ الْبَصْرَةِ، وَوَلِيَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ، **فَذَهَبَ النَّاسُ يُهَنُّونَ هَذَا، وَيُعَزُّونَ هَذَا**، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الشاعر الْعُصْفُرِيُّ:

عِـنْـدِي حَـدِيـثٌ طَـرِيـفٌ ... بِـمِـثْـلِـهِ يَـتَـغَـنَّـى
مِـنْ قَـاضِـيَـيْـنِ يُـعَـزَّى ... هَـذَا وَهَـذَا يُـهَـنَّـا
فَـذَا يَـقُـولُ أَكْـرَهُـونَـا ... وَذَا يَـقُـولُ اسْـتَـرَحْـنَـا
وَيَـكْـذِبَـانِ وَنَـهْـذِي ... فَـمَـنْ يُـصَـدَّقُ مِـنَّـا

○ إشاعة موت الخليفة

فِي رَمَضَانَ سـنة (٤٠٠هـ) أَرْجَفَ النَّـاسُ بِالْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ فَجَلَسَ لِلنَّاسِ يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَعَلَيْهِ الْبُرْدَةُ، وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ، وَجَاءَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَـرَأَ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠] فتباكى النَّاسُ، وَدَعَوْا، وَانْصَرَفُوا.

○ ثورة أبي ركوة على الحاكم العبيدي

فِي سنة (٣٩٧هـ) كَانَ خُرُوجُ أَبِي رَكْوَةَ [١] **الْوَلِيدُ** مِنْ سُلَالَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْأُمَوِيِّ، عَلَى الْحَاكِمِ الْعُبَيْدِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ.

(١) لُقِّبَ بِأَبِي رَكْوَةَ؛ لِرَكْوَةٍ كَانَ يَسْتَصْحِبُهَا فِي أَسْفَارِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ. البداية والنهاية ١٥/ ٥١٤ .

وَقَدْ كَانَ سَمِعَ الْحَدِيثَ **بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ بِالْيَمَنِ، ثُمَّ دَخَلَ الشَّامَ،** وَهُوَ فِي غُبُونِ هَذَا كُلِّهِ يُبَايِعُ مَنِ انْقَادَ لَهُ، مِمَّنْ يَرَى عِنْدَهُ هِمَّةً وَنَهْضَةً لِلْقَائِمِ مِنْ وَلَدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيِّ، ثُمَّ إِنَّهُ أَقَامَ بِبَعْضِ بِلَادِ مِصْرَ فِي حَلَّةٍ مِنْ حِلَالِ الْعَرَبِ، يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ، وَيُظْهِرُ النُّسُكَ، وَالتَّقَشُّفَ، وَالْعِبَادَةَ، وَالْوَرَعَ، **وَيُخْبِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ،** حَتَّى خَضَعُوا لَهُ وَعَظَّمُوهُ جِدًّا، ثُمَّ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّهُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَخَضَعُوا، **وَخَاطَبُوهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،** وَلُقِّبَ **بِالثَّائِرِ بِأَمْرِ اللهِ** الْمُنْتَصِرِ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ.

وَدَخَلَ بَرْقَةَ فِي جَحْفَلٍ، فَجَمَعَ لَهُ أَهْلُهَا نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَخَذَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ اتُّهِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَدَائِعِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ أَيْضًا، وَنَقَشُوا الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ بِأَلْقَابِهِ، وَخَطَبَ بِالنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَعَنَ الْحَاكِمَ فِي خُطْبَتِهِ -وَنِعِمَّا فَعَلَ-.

فَالْتَفَّ عَلَى أَبِي رَكْوَةَ مِنَ الْجُنُودِ نَحْوٌ مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَاكِمَ أَمْرُهُ وَمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهُ، بَعَثَ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسَةِ آلَافِ ثَوْبٍ مِنَ الْحَرِيرِ إِلَى مُقَدَّمِ جُيُوشِ أَبِي رَكْوَةَ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، يَسْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ وَيَثْنِيهِ عَنْ أَبِي رَكْوَةَ، فَحِينَ وَصَلَتْهُ الْأَمْوَالُ مِنَ الْحَاكِمِ، رَجَعَ عَنْ نصرة أَبِي رَكْوَةَ، وَقَالَ: إِنَّا لَا طَاقَةَ لَنَا بِالْحَاكِمِ، وَمَا دُمْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَنَحْنُ مَطْلُوبُونَ بِسَبَبِكَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ بَلَدًا تَكُونُ فِيهَا.

فَسَأَلَ أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ فَارِسَيْنِ يُوصِّلَانِهِ إِلَى **النُّوبَةِ** فَإِنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلِكِهَا مَوَدَّةً وَصُحْبَةً، فَأَرْسَلَهُ، ثُمَّ بَعَثَ وَرَاءَهُ مَنْ رَدَّهُ إِلَى الْحَاكِمِ بِمِصْرَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أَرْكَبَهُ جَمَلًا وَأَشْهَرَهُ، ثُمَّ قَتَلَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، ثُمَّ أَكْرَمَ الْحَاكِمُ الْفَضْلَ، وَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً. وَاتَّفَقَ مَرَضُ الْفَضْلِ، فَعَادَهُ الْحَاكِمُ مَرَّتَيْنِ، **فَلَمَّا عُوفِيَ قَتَلَهُ،** وَأَلْحَقَهُ بِصَاحِبِهِ، **وَكَافَأَهُ مُكَافَأَةَ التِّمْسَاحِ**(١).

(١) مثل يضرب لمن يقابل الإحسان بالإساءة، وذكر هذا المثل لما حكي عن التمساح، أنه يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه فيفتح فاه، فيجيء طائر فيسقط عليها، فيخللها ويأكل اللحم. فربما ضم التمساح فمه على الطائر فيقتله، انظر: الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة.١/ ٢٩٥.

○ اضطراب أوامر الحاكم العبيدي

⊙ فِي سنة (٣٩٨هـ) **أَمَرَ الْحَاكِمُ الْعُبَيْدِيُّ بِتَخْرِيبِ كَنِيسَةِ الْقُمَامَةِ** مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَبَاحَ لِلْعَامَّةِ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتِعَةِ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ ما يتعاطاه النَّصَارَى فِي يَوْمِ الْفُصْحِ **مِنَ النَّارِ** الَّتِي يَحْتَالُونَ لَهَا، بِحَيْثُ يَتَوَهَّمُ الْأَغْمَارُ مِنْ جَهَلَتِهِمْ أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ مَصْنُوعَةٌ، وَهُمْ إِلَى الْآنِ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِعَيْنِهِ.

وَكَذَلِكَ أَمَرَ بِهَدْمِ عِدَّةِ كَنَائِسَ فِي سنة (٣٩٨هـ) بِبِلَادِ مِصْرَ، **وَنُودِيَ فِي النَّصَارَى** بِمِصْرَ: مَنْ أَحَبَّ الدُّخُولَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ دَخَلَ، وَمَنْ لَا يَدْخُلْ فَلْيَرْجِعْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ آمِنًا، وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ فَلْيَلْتَزِمْ بِمَا شُرِطَ عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّرُوطِ الْعُمَرِيَّةِ، **وزاد عليها**: تَعْلِيقَ الصُّلْبَانِ عَلَى صُدُورِهِمْ مِنْ خَشَبٍ.

وَعَلَى الْيَهُودِ تَعْلِيقُ رَأْسِ الْعِجْلِ زِنَتُهُ سِتَّةُ أَرْطَالٍ، وَفِي الْحَمَّامِ يَكُونُ فِي عُنُقِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ قِرْبَةٌ زِنَتُهُ خَمْسَةِ أَرْطَالٍ، وَأَجْرَاسٌ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا خَيْلًا.

⊙ **ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ أَمَرَ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْكَنَائِسِ** الَّتِي هَدَمَهَا، وَأَذِنَ لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فِي الِارْتِدَادِ إِلَى دِينِهِ، وَقَالَ: نُنَزِّهُ مَسَاجِدَنَا أَنْ يَدْخُلَهَا مَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ.

⊙ فِي سنة (٤٠٠هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْحَاكِمَ أَنْفَذَ إِلَى دَارِ **جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ** بِالْمَدِينَةِ، فَأَخَذَ مِنْهَا مُصْحَفًا، وَآلَاتٍ كَانَتْ بِهَا، وَهَذِهِ الدَّارُ لَمْ تُفْتَحْ بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهَا إِلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَكَانَ مَعَ الْمُصْحَفِ قَعْبٌ خَشَبٌ، مُطَوَّقٌ بِحَدِيدٍ، وَدَرَقَةٌ خَيْزُرَانٌ، وَحَرْبَةٌ، وَسَرِيرٌ، حَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَأَطْلَقَ لَهُمْ أَنْعَامًا كَثِيرَةً، وَنَفَقَاتٍ زَائِدَةً، وَرَدَّ السَّرِيرَ، وَأَخَذَ الْبَاقِيَ، **وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهِ**، فَرَدُّوا وَهُمْ ذَامُّونَ لَهُ، دَاعُونَ عَلَيْهِ [١].

---

(١) ذمهم له والدعاء عليه لأنه استولى على موجودات دار جعفر الصادق، وكان وعدهم أن يردها لهم، فلم يف به.

⊙ أمر في سنة (٤٠٠هـ) ببناء دَارَ الْعِلْمِ، وَأَجْلَسَ فِيهَا الْفُقَهَاءَ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ هَدَمَهَا، **وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْفُقَهَاءِ** وَالْمُحَدِّثِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّيَانَةِ.

وَمع هذا عَمَّرَ **جَامِعُ الْحَاكِمِ**، الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَتَأَنَّقَ فِي بِنَائِهِ.

❍ محاولة الحاكم استمالة صاحب الموصل

كان الْحَاكِمَ قد تَرَدَّدَتْ مُكَاتَبَاتُهُ وَرُسُلُهُ وَهَدَايَاهُ إِلَى **قِرْوَاشٍ** يَسْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ، وَلِيُقْبِلَ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِ، فاستجاب له، فَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الرَّابِعِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٠١هـ) خُطِبَ بِالْمَوْصِلِ لِلْحَاكِمِ الْعُبَيْدِيِّ عَنْ أَمْرِ صَاحِبِهَا **قِرْوَاشِ بْنِ مُقَلَّدٍ** أَبِي مَنِيعٍ، **وَقَهْرِ رَعِيَّتَهُ عَلَى ذَلِكَ**؛ إرضاء للحاكم العبيدي.

وقَدْ سَرَدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[1] صِفَةَ الْخُطْبَةِ يَوْمَئِذٍ بِحُرُوفِهَا، وَفِي آخِرِ الْخُطْبَةِ صَلَّوْا عَلَى آبَائِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ؛ الْمَهْدِيِّ، ثُمَّ ابْنِهِ الْقَائِمِ، ثُمَّ ابْنِهِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ ابْنِهِ الْمُعِزِّ، ثُمَّ ابْنِهِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ ابْنِهِ الْحَاكِمِ صَاحِبِ الْوَقْتِ، وَبَالَغُوا فِي الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا لِلْحَاكِمِ الْمَذْكُورِ، وَكَذَلِكَ بِبَقِيَّةِ أَعْمَالِهِ مِنَ الْأَنْبَارِ وَالْمَدَائِنِ وَغَيْرِهَا.

فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ الْقَادِرَ بِاللهِ الْعَبَّاسِيَّ كَتَبَ يُعَاتِبُ **قِرْوَاشَ بْنَ مُقَلَّدٍ** عَلَى مَا صَنَعَ.

وَأمر بَهَاءُ الدَّوْلَةِ لعَمِيد الْجُيُوشِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ لِمُحَارَبَةِ قِرْوَاشٍ، فَلَمَّا بَلَغَ ذلك **قِرْوَاشًا** رَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ، وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ الْخُطْبَةِ الْحَاكِمِيَّةِ مِنْ بِلَادِهِ، وَأَعَادَهَا إِلَى الْقَادِرِ الْعَبَّاسِيِّ عَلَى عَادَتِهِ.

❍ خروج أمير مكة عن طاعة الحاكم العبيدي

فِي سنة (٤٠١هـ) خرج أَبُو الْفُتُوحِ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَلَوِيُّ أمير مكة، عن طاعة الحاكم العبيدي، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، وخُطب له بالخلافة، وَتَلَقَّبَ **بِالرَّاشِدِ بِاللهِ**، فَمَالَأَهُ

(١) المنتظم: ١٥/ ٧٤-٧٨.

أَهْـلُ مَكَّـةَ، وَحصَلَ لَهُ أَمْوَالٌ مِنْ رَجُلٍ أَوْصَى لَهُ بِهَا، فَانْتَظَمَ أَمْرُهُ بِسَـبَبِهَا، وَتَقَلَّدَ سَـيْفًا وَزَعَـمَ أَنَّـهُ ذُو الْفَقَارِ، وَأَخَذَ فِي يَـدِهِ قَضِيبًا زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَصَدَ بِلَادَ الرَّمْلَـةِ لِيَسْـتَعِينَ بِعَرَبِ الشَّـامِ فَتَلَقَّوْهُ بِالرَّحْبِ وَقَبَّلُـوا لَهُ الْأَرْضَ، وَسَـلَّمُوا عَلَيْهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ.

ثُـمَّ إِنَّ الْحَاكِمَ صَاحِبَ مِصْرَ كَتَبَ إِلَى عَرَبِ الشَّـامِ مُلَطَّفَاتٍ، وَوَعَدَهُمْ مِنَ الذَّهَبِ بِأُلُـوفٍ وَمِئَـاتٍ، وَكَذَلِكَ إِلَـى عَرَبِ الْحِجَازِ، وَاسْـتَنَابَ عَلَـى مَكَّةَ أَمِيـرًا، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَارِيَةٍ وَخَمْسِـينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ولكن أبا الفتوح عاد إلى طاعة الحاكم بعد أقل من سنة، **فَانْتَظَمَ أَمْرُ الْحَاكِمِ**.

○ كتابة محاضر في نفي صحة نسب العبيديين

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٤٠٢هـ) كُتِبَ بِبَغْدَادَ مَحَاضِرَ **تَتَضَمَّنُ الطَّعْنَ وَالْقَدْحَ فِي نَسَبِ الْخُلَفَـاءِ الْمِصْرِيِّيـنَ** الَّذِينَ يَدَّعُـونَ **أَنَّهُمْ فَاطِمِيُّونَ وَلَيْسُـوا كَذَلِكَ**، وَإنما نِسْـبَتُهُمْ إِلَى دَيْصَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْخُرَّمِيِّ.

كَتَـبَ ذَلِكَ جَمَاعَـةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْأَشْـرَافِ، وشَـهِدُوا جَمِيعًا أَنَّ النَّاجِمَ بِمِصْرَ - وَهُوَ مَنْصُورُ بْنُ نِزَارٍ الْمُلَقَّبُ بِالْحَاكِمِ، ابْنِ مَعَدِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ جده لَمَّـا صَارَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ تَسَـمَّى بِعُبَيْدِ اللهِ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْـدِيِّ، فهم أَدْعِيَاءُ خَوَارِجُ لَا نَسَبَ لَهُمْ فِي وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالَبٍ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ بَاطِلِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَحَدًا مِنْ **أَهْلِ بُيُوتَاتِ الطَّالِبِيِّينَ** تَوَقَّفَ عَنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ فِي أن هَؤُلَاءِ أَدْعِيَاءُ،

وَقَدْ كَانَ **هَذَا الْإِنْكَارُ لِبَاطِلِهِمْ شَائِعًا فِي الْحَرَمَيْنِ، وَفِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ بِالْمَغْرِبِ** مُنْتَشِرًا انْتِشَـارًا يَمْنَعُ أَنْ يُدَلِّـسَ عَلَى أَحَدٍ كَذِبُهُـمْ، أَوْ يَذْهَبَ وَهْمٌ إِلَى تَصْدِيقِهِـمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ، وَأَنَّ هَـذَا النَّاجِـمَ بِمِصْرَ هُوَ وَسَـلَفُهُ، **مُلْحِـدُونَ زَنَادِقَةٌ** مُعَطِّلُونَ، **وَلِلْإِسْـلَامِ جَاحِدُونَ**، وَلِمَذْهَبِ الثَّنَوِيَّةِ وَالْمَجُوسِـيَّةِ مُعْتَقِدُونَ، قَـدْ عَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَأَبَاحُوا الْفُرُوجَ، وَأَحَلُّوا الْخُمُورَ، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَسَبُّوا الْأَنْبِيَاءَ، وَلَعَنُوا السَّلَفَ، وَادَّعَوُا الرُّبُوبِيَّةَ.

وَقَدْ كَتَبَ خَطَّهُ فِي الْمَحْضَرِ خَلْقٌ كَثِيرٌ:

- فَمِنَ الْعَلَوِيِّينَ: الْمُرْتَضَى وَالرَّضِيُّ وَابْنُ الْأَزْرَقِ الْمُوسَوِيُّ، وَأَبُو طَاهِرِ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ، وَابْنُ أَبِي يَعْلَى.
- وَمِنَ الْقُضَاةِ: أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْأَكْفَانِيِّ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْخَزَرِيُّ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ السُّورِيِّ.
- وَمِنَ الْفُقَهَاءِ: أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْكَشْفُلِيِّ وَأَبُو الْحُسَيْنِ الْقُدُورِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَيْضَاوِيُّ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ حَمَكَانَ.
- وَمِنَ الشُّهُودِ: أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِيُّ، فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ، وَقُرِئَ بِالْبَصْرَةِ، وَكَتَبَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِير.

قال ابن كثير:[1] وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ أَدْعِيَاءُ، كَمَا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ، وَالْأَئِمَّةُ الْفُضَلَاءُ، **قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ** حِينَ أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى الْعِرَاقِ،[2] وَذَلِكَ عَنْ كُتُبِ عَوَامِّ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: لَا تَذْهَبُ إِلَيْهِمْ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ، وَإِنَّ جَدَّكَ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَأَنْتَ بُضْعَةٌ مِنْهُ، وَإِنَّهُ وَاللهِ لَا تَنَالُهَا لَا أَنْتَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ.

فَهَذَا الْكَلَامُ الْحَسَنُ الصَّحِيحُ الْمُتَوَجِّهُ الْمَعْقُولُ مِنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ، يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَلِي الْخِلَافَةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَّا **مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمَهْدِيَّ**، الَّذِي يَكُونُ **فِي آخِرِ الزَّمَانِ** وَقْتَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ مَلَكُوا دِيَارَ مِصْرَ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَدَلَّ ذَلِكَ دَلَالَةً قَوِيَّةً ظَاهِرَةً أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ سَادَةُ الْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْكُبَرَاءِ.

(١) البداية والنهاية ١٥/ ٥٣٩.
(٢) المصدر السابق ٩/ ٢٤٠-٢٤١.

وَقَدْ صَنَّفَ **الْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيُّ** كِتَابًا فِي الرَّدِّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفَاطِمِيِّينَ وَسَمَّاهُ "**كَشْفَ الْأَسْرَارِ وَهَتْكَ الْأَسْتَارِ**" نَثَرَ فِيهِ فَضَائِحَهُمْ وَقَبَائِحَهُمْ، وَوَضَّحَ أَمْرَهُمْ لِكُلِّ أَحَدٍ يَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ مَطَاوِي أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ فِي عِبَارَتِهِ: **هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يُظْهِرُونَ الرَّفْضَ، وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ الْمَحْضَ**.

وفي سنة (٤٤٤هـ) في خلافة القائم بأمر الله العباسي كُتِبَتْ مَحَاضِرُ جديدة بِذِكْرِ الْخُلَفَاءِ الْمِصْرِيِّينَ، وَأَنَّهُمْ أَدْعِيَاءُ لَا نَسَبَ لَهُمْ صَحِيحًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَتَبَ فِيهَا الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْأَشْرَافُ.

○ تضييق الحاكم على النساء

فِي سنة (٤٠٥هـ) مَنَعَ الْحَاكِمُ صَاحِبُ مِصْرَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنَازِلِ، [1] أَوْ أَنْ يَطَّلِعْنَ مِنَ الْأَسْطُحَةِ أَوِ الطَّاقَاتِ، وَمَنَعَهُنَّ مِنْ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَمَّامَاتِ، **وَقَتَلَ خَلْقًا مِنَ النِّسَاءِ عَلَى مُخَالَفَتِهِ فِي ذَلِكَ**، وَهَدَمَ بَعْضَ الْحَمَّامَاتِ عَلَيْهِنَّ.

وَأَكْثَرَ مِنَ الدَّوَرَانِ فِي اللَّيْلِ فِي الْبَلَدِ فِي طَلَبِ ذَلِكَ، وَغَرَّقَ خَلْقًا مِمَّنْ يَطَّلِعُ عَلَى فِسْقِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، **فَضَاقَ النِّطَاقُ عَلَى النِّسَاءِ وَالْفُسَّاقِ**، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا نَادِرًا.

وقد احتالت إحدى النساء للوصول إلى عشيقها، فلما علم الحاكم بذلك، أحضرا عنده، فَأَمَرَ بِتَحْرِيقِ الْمَرْأَةِ فِي بَارِيَّةٍ، [2] وَضَرَبَ الرَّجُلَ بِالسِّيَاطِ ضَرْبًا مُبَرِّحًا. وَازْدَادَ احْتِيَاطُ الْحَاكِمِ عَلَى النِّسَاءِ حَتَّى مَاتَ.

○ مقتل الحاكم العبيدي

فِي سنة (٤١١هـ) لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَوَّالٍ، قُتِلَ الْحَاكِمُ الْعُبَيْدِيُّ صَاحِبُ مِصْرَ [3]، وكَانَ قَدْ تَعَدَّى شَرُّهُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى إِلَى أُخْتِهِ، يَتَّهِمُهَا بِالْفَاحِشَةِ، وَيُسْمِعُهَا

(١) انظر: المنتظم ١٥/ ١٠١. وتاريخ الإسلام للذهبي، (وفيات ٤٠١-٤١٠) ص ٢١.
(٢) البارية: الحصير المنسوج. لسان العرب (ب ر ي).
(٣) انظر: المنتظم ١٥/ ١٣٩-١٤٣. والكامل ٩/ ٣١٤، وتاريخ الإسلام حوادث ٤٠١ إلى ٤١٠. صفحة ٢٨٣.

أَغْلَظَ الْكَلَامِ، فَتَبَرَّمَتْ مِنْهُ، وَعَمِلَتْ عَلَى قَتْلِهِ، فَرَاسَلَتْ فِيهِ أَكْبَرَ الْأُمَرَاءِ، يُقَالُ لَهُ: **ابْنُ دَوَّاسٍ**، فَتَوَافَقَتْ هِيَ وَهُوَ عَلَى قَتْلِهِ، وَتَوَاطآ عَلَى ذَلِكَ.

فَجَهَّزَ دواسٌ عَبْدَيْنِ أَسْوَدَيْنِ مِنْ عَبِيدِهِ، فَقَالَتْ أخت الحاكم لَهُمَا: إِذَا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْفُلَانِيَّةِ فَكُونَا بِجَبَلِ الْمُقَطَّمِ، فَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ الْحَاكِمُ هُنَاكَ فِي اللَّيْلِ لِيَنْظُرَ فِي النُّجُومِ، وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا رِكَابِيٌّ وَصَبِيٌّ، فَاقْتُلَاهُ وَاقْتُلَاهُمَا مَعَهُ.

وَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ، فَرَكِبَ فَرَسًا وَصَحِبَهُ صَبِيٌّ، وَصَعِدَ الْجَبَلَ الْمُقَطَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ ذَانِكَ الْعَبْدَانِ، فَأَنْزَلَاهُ عَنْ مَرْكُوبِهِ، وَقَطَعَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَبَقَرَا جَوْفَهُ، وَحَمَلَاهُ فَأَتَيَا بِهِ مَوْلَاهُمَا ابْنَ دَوَّاسٍ، فَحَمَلَهُ إِلَى أُخْتِهِ، فَدَفَنَتْهُ فِي مَجْلِسِ دَارِهَا.

وَاسْتَدْعَتِ الْوَزِيرَ، وَقَدْ أَطْلَعَتْهُ عَلَى الْحِيلَةِ، فَبَايَعُوا لِوَلَدِ الْحَاكِمِ **أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ، وَلُقِّبَ بِالظَّاهِرِ** لِإِعْزَازِ دِينِ اللهِ.

وَقَتَلَتْ كُلَّ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى سِرِّهَا فِي قَتْلِ أَخِيهَا، فَعَظُمَتْ هَيْبَتُهَا، وَقَوِيَتْ حُرْمَتُهَا، وَثَبَتَتْ دَوْلَتُهَا.

وَقَدْ كَانَ عُمُرُ الْحَاكِمِ حِينَ قُتِلَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، كَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ مِنْ ذَلِكَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى.

فَاسْتَبْشَرَ الْمُسْلِمُونَ بموته (١)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا، وَشَيْطَانًا مَرِيدًا، وكَانَ قَبَّحَهُ اللهُ كَثِيرَ التَّلَوُّنِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، جَائِرًا، وكَانَ يَرُومُ أَنْ **يَدَّعِيَ الْأُلُوهِيَّةَ** كَمَا ادَّعَاهَا فِرْعَوْنُ فِي زَمَانِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَانَ قَدْ أَمَرَ الرَّعِيَّةَ إِذَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ عَلَى الْمِنْبَرِ أَنْ يَقُومَ النَّاسُ عَلَى أَقْدَامِهِمْ صُفُوفًا؛ إِعْظَامًا لِذِكْرِهِ وَاحْتِرَامًا لِاسْمِهِ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى الْخُصُوصِ إِذَا قَامُوا

(١) قال الذهبي: وَثَمَّ اليَوْم طَائِفَة مِنْ طَغَام الإِسْمَاعِيْلِيَّة الَّذِيْنَ يحلِفون بغيبَة الحَاكِم، مَا يعتقِدُوْنَ إِلاَّ أَنَّهُ باقٍ، وَأَنَّهُ سَيظْهر – نَعُوذ بِاللهِ مِنَ الجَهْل –.سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥/ ١٨٣).

خَرُّوا سُجُودًا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْجُدُ بِسُجُودِهِمْ مَنْ فِي الْأَسْوَاقِ مِنَ الرَّعَاعِ وَغَيْرِهِمْ.

وَأَمَرَ فِي وَقْتٍ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ بِالدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ كُرْهًا، ثُمَّ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْعَوْدِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ، وَخَرَّبَ الْكَنَائِسَ، ثُمَّ عَمَّرَهَا، وَخَرَّبَ قُمَامَةَ، ثُمَّ أَعَادَهَا، وَابْتَنَى الْمَدَارِسَ وَجَعَلَ فِيهَا الْفُقَهَاءَ وَالْمَشَايِخَ، ثُمَّ قَتَلَهُمْ وَخَرَّبَهَا.

وَأَلْزَمَ النَّاسَ بِإِغْلَاقِ الْأَسْوَاقِ نَهَارًا، وَفَتْحِهَا لَيْلًا، فَامْتَثَلُوا ذَلِكَ دَهْرًا طَوِيلًا، حَتَّى اجْتَازَ مَرَّةً بِشَيْخٍ يَعْمَلُ النِّجَارَةَ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَلَمْ نَنْهَكُمْ عَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي، أَمَا كَانَ النَّاسُ يَسْهَرُونَ لَمَّا كَانُوا يَتَعَيَّشُونَ بِالنَّهَارِ، فَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ السَّهَرِ، فَتَبَسَّمَ وَتَرَكَهُ. وَأَعَادَ النَّاسَ إِلَى أَمْرِهِمُ الْأَوَّلِ، وَكُلُّ هَذَا تَغْيِيرٌ لِلرُّسُومِ، وَاخْتِبَارٌ لِطَاعَةِ الْعَامَّةِ، لِيَرْقَى فِي ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَطَمُّ مِنْ ذَلِكَ، لَعَنَهُ اللهُ.

وَكَانَتِ الْعَامَّةُ يُبْغِضُونَهُ كَثِيرًا، وَيَكْتُبُونَ لَهُ الْأَوْرَاقَ الَّتِي فِيهَا الشَّتِيمَةُ الْبَلِيغَةُ لَهُ وَلِأَسْلَافِهِ وَحَرِيمِهِ فِي صُورَةِ قِصَصٍ، فَإِذَا قَرَأَهَا ازْدَادَ حَنَقًا عَلَيْهِمْ،

وقد أَمَرَ يومًا الْعَبِيدَ مِنَ السُّودَانِ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى مِصْرَ (الفسطاط) فَيُحَرِّقُوهَا وَيَنْهَبُوا مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَرِيمِ، فَذَهَبَتِ الْعَبِيدُ فَامْتَثَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ مِصْرَ قِتَالًا عَظِيمًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَالنَّارُ تَعْمَلُ فِي الدُّورِ وَالْحَرِيمِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، يَخْرُجُ هُوَ بِنَفْسِهِ - قَبَّحَهُ اللهُ - فَيَقِفُ مِنْ بَعِيدٍ وَيَبْكِي، وَيَقُولُ: مَنْ أَمَرَ هَؤُلَاءِ الْعُبَيْدَ بِهَذَا؟

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ [١]: ثُمَّ زَادَ ظُلْمُ الْحَاكِمِ، وَعَنَّ لَهُ أَنْ يَدَّعِيَ الرُّبُوبِيَّةَ، فَصَارَ قَوْمٌ مِنَ الْجُهَّالِ إِذَا رَأَوْهُ يَقُولُونَ: يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا مُحْيِي يَا مُمِيتُ.

○ اعتداء زنديق على الحجر الأسود

فِي سنة (٤١٣هـ) جَرَتْ كَائِنَةٌ غَرِيبَةٌ، وَمُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ **أَصْحَابِ الْحَاكِمِ** اتَّفَقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحُجَّاجِ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى أَمْرِ سَوْءٍ، وَذَلِكَ

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٤٠.

أَنَّـهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَـوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ طَافَ هَذَا الرَّجُلُ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ جَاءَ لِيُقَبِّلَهُ، فَضَرَبَهُ بِدَبُّوسٍ كَانَ مَعَهُ ثَلَاثَ ضَرَبَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ، **وَقَالَ**:

إِلَـى مَتَى يُعْبَدُ هَذَا الْحَجَرُ؟ وَلَا مُحَمَّدٌ وَلَا عَلِيٌّ يَمْنَعُنِـي مِمَّا أَفْعَلُهُ، فَإِنِّي أَهْدِمُ الْيَوْمَ هَـذَا الْبَيْتَ، وَجَعَلَ يَرْتَعِدُ، فَاتَّقَـاهُ أَكْثَرُ الْحَاضِرِينَ، وَتَأَخَّرُوا عَنْـهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا طِوَالًا جَسِـيمًا، أَحْمَرَ اللَّوْنِ، أَشْـقَرَ الشَّـعْرِ، وَعَلَى بَابِ الْمَسْـجِدِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَـانِ وُقُوفٌ لِيَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مَعَهُ خِنْجَرٌ، فَوَجَأَهُ بِهَا، وَتَكَاثَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَتَلُوهُ وَقَطَّعُوهُ قِطَعًا وَحَرَّقُوهُ، وَتَتَبَّعُوا أَصْحَابَهُ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ.

وَنَهَبَتْ أَهْلُ مَكَّةَ رَكْـبَ الْمِصْرِيِّينَ، وَتَعَدَّى النَّهْبُ إِلَى غَيْرِهِمْ أَيْضًا، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَـةٌ وَفِتْنَـةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا، ثُمَّ سَـكَنَ الْحَالُ بَعْدَ أَنْ تُتُبِّعَ أُولَئِكَ النَّفَـرُ الَّذِينَ تَمَالَئُوا عَلَى الْإِلْحَادِ فِي أَشْرَفِ الْبِلَادِ.

غَيْرَ أَنَّهُ سَـقَطَ مِنَ الْحَجَرِ ثَلَاثُ فِلَقٍ مِثْلُ الْأَظْفَارِ، وَبَدَا مَا تَحْتَهَا أَسْـمَرَ يَضْرِبُ إِلَى صُفْرَةٍ، مُحَبَّبًا مِثْلَ الْخَشْـخَاشِ، فَأَخَذَ بَنُو شَـيْبَةَ تِلْكَ الْفِلَقَ فَعَجَنُوهَا بِالْمِسْـكِ وَاللَّكِّ، وَحَشَـوْا بِهَا تِلْكَ الشُّقُوقَ الَّتِي بَدَتْ، فَاسْتَمْسَكَ الْحَجَرُ وَاسْتَمَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

○ الفتنة بين المسلمين والنصارى

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٣٩٢هـ) **ثَارَتِ الْعَوَامُّ عَلَى النَّصَارَى بِبَغْدَادَ**، فَنَهَبُوا كَنِيسَتَهُمُ الَّتِي بِقَطِيعَةِ الرَّقِيقِ وَأَحْرَقُوهَا، فَسَقَطَتْ عَلَى خَلْقٍ فَمَاتُوا، وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ.

وفِي شَـوَّالٍ سـنة (٤٠٣هـ) تُوُفِّيَتْ زَوْجَةُ بَعْضِ رُؤَسَـاءِ النَّصَارَى، **فَخَرَجَتِ النَّوَائِحُ وَالصُّلُبُ مَعَهَا جَهْرَةً، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الْهَاشِـمِيِّينَ**، فَضَرَبَهُ بَعْضُ غِلْمَانِ ذَلِكَ الرَّئِيسِ النَّصْرَانِيِّ بِدَبُّوسٍ فِي رَأْسِـهِ فَشَـجَّهُ، فَثَارَ الْمُسْـلِمُونَ بِهِمْ، فَانْهَزَمُوا وَلَجَئُوا إِلَى كَنِيسَةٍ لَهُمْ هُنَاكَ، فَدَخَلَتِ الْعَامَّةُ إِلَيْهَا فَنَهَبُوا مَا فِيهَا وَمَا قَرُبَ مِنْهَا مِنْ دُورِ النَّصَارَى، وَتَتَبَّعُوا

النَّصَارَى فِي الْبَلَدِ، وَقَصَدُوا دَارَ ابْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ النصراني، فَقَاتَلَهُمْ غِلْمَانُهُمْ.

وَانْتَشَرَتِ الْفِتْنَةُ **بِبَغْدَادَ**، وَرَفَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمَصَاحِفَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَعُطِّلَتِ الْجُمُعَةُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، وَاسْتَعَانُوا بِالْخَلِيفَةِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ابْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ فَامْتَنَعَ، فَعَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ وَقَوِيَتِ الْفِتْنَةُ جِدًّا، وَنُهِبَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّصَارَى، ثُمَّ أُحْضِرَ ابْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، فَبَذَلَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَعُفِيَ عَنْهُ، **وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ**.

○ تنصيب فخر الملك سلطاناً

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ غُرَّةِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٠٤هـ) جَلَسَ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ بِاللهِ فِي أُبَّهَةِ الْخِلَافَةِ، وَأُحْضِرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ فَخْرُ الْمُلْكِ، وَالْحَجَبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ سَبْعَ خِلَعٍ عَلَى الْعَادَةِ، وَعِمَامَةً سَوْدَاءَ، وَسَيْفًا، وَتَاجًا مُرَصَّعًا، وَسِوَارَيْنِ، وَطَوْقًا، وَلِوَاءَيْنِ خَلَعَهُمَا الْخَلِيفَةُ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ سَيْفًا، وَقَالَ لِلْخَادِمِ: قَلِّدْهُ بِهِ، فَهُوَ شَرَفٌ لَهُ وَلِعَقِبِهِ، يَفْتَحُ بِهِ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا مَشْهُودًا بِمَحْضَرٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، وَالْأَمَاثِلِ وَالْأَعْيَانِ وَالْكُبَرَاءِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ.

○ إفساد بني خفاجة حول الكوفة

فِي سنة (٤٠٤هـ) عَاثَتْ بَنُو خَفَاجَةَ بِبِلَادِ الْكُوفَةِ فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ نَائِبُهَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَزْيَدٍ فَوَاقَعَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأَسَرَ مُحَمَّدَ بْنَ ثُمَالٍ وَجَمَاعَةً مِنْ رُءُوسِهِمْ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا حَارَّةً، فَأَهْلَكَتْ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةِ إِنْسَانٍ.

○ ملك أبي المظفر بلاد ما وراء النهر

فِي سنة (٤٠٨هـ) مَلَكَ **أَبُو الْمُظَفَّرِ أَرْسَلَانُ خَانَ** بِلَادَ **مَا وَرَاءَ النَّهْرِ** وَغَيْرَهَا. وَتَلَقَّبَ بِشَرَفِ الدَّوْلَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ طُغَانَ خَانَ، وَقَدْ كَانَ طُغَانُ خَانَ هَذَا دَيِّنًا فَاضِلًا، يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَقَدْ غَزَا التُّرْكَ مَرَّةً، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَأَسَرَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ، وَغَنِمَ مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَوَانِي الصِّينِ شَيْئًا لَمْ يُعْهَدْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، فَلَمَّا مَاتَ ظَهَرَتْ مُلُوكُ التُّرْكِ فِي الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ.

○ ضعف أمر الديلم ببغداد

فِي سنة (٤٠٨هـ) ضَعُفَ أَمْرُ الدَّيْلَمِ بِبَغْدَادَ، وَطَمِعَ فِيهِمُ الْعَامَّةُ، فَنَزَلُوا إِلَى وَاسِطٍ فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا مَعَ التُّرْكِ أَيْضًا.

وقَدِمَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ، وَضُرِبَ الطَّبْلُ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ، وَلَمْ تَجْرِ بِذَلِكَ عَادَةٌ، وَعَقَدَ عَقْدَهُ عَلَى بِنْتِ قِرْوَاشٍ، عَلَى صَدَاقٍ مَبْلَغُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

افتتاح المارستان بواسط

في سنة (٤١٣هـ) فُتِحَ الْمَارَسْتَانُ الَّذِي بَنَاهُ الْوَزِيرُ مُؤَيِّدُ الْمُلْكِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ الرُّخَجِيُّ وَزِيرُ شَرَفِ الْمُلْكِ بِوَاسِطٍ، وَرَتَّبَ لَهُ الْخُزَّانَ وَالْأَشْرِبَةَ وَالْعَقَاقِيرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعِمَ الْوَكِيلُ.

○ قدوم مشرف الدولة إلى بغداد

فِي سنة (٤١٤هـ) قَدِمَ الْمَلِكُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ إِلَى بَغْدَادَ، فَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ فِي الطَّيَّارِ لِتَلَقِّيهِ، وَصَحِبَتْهُ الْأُمَرَاءُ وَالْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ، فَلَمَّا وَاجَهَهُ مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ قَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ مَرَّاتٍ، وَالْجَيْشُ وَاقِفٌ بِرُمَّتِهِ، وَالْعَامَّةُ فِي الْجَانِبَيْنِ، وَالْخَلِيفَةُ يَبْعَثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ تجديد البيعة للخليفة والسلطان

فِي سنة (٤١٥هـ) أَلْزَمَ الْوَزِيرُ جَمَاعَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْمُوَلَّدِينَ وَالشَّرِيفَ الْمُرْتَضَى وَنِظَامَ الْحَضْرَةِ أَبَا الْحَسَنِ الزَّيْنَبِيَّ وَقَاضِيَ الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ وَالشُّهُودَ، بِالْحُضُورِ لِتَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ تَوَهَّمَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبَيْعَةُ لِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ مِنْ أَجْلِهِ، فَبَعَثَ إِلَى الْقَاضِي وَالرُّؤَسَاءِ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْحُضُورِ، فَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ اصْطَلَحَا وَتَصَافَيَا، وَجُدِّدَتِ الْبَيْعَةُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الْآخَرِ.

○ وفاة السلطان مُشَرِّفُ الدَّوْلَة

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤١٦هـ) تُوُفِّي مُشَرِّفُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ صَاحِبُ بَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكَثُرَتِ الشُّرُورُ بِبَغْدَادَ، وقَوِيَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَادَ وَنُهِبَتِ الْخَزَائِنُ، **وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى تَوْلِيَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَبِي الطَّاهِرِ**، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَهُوَ عَلَى **الْبَصْرَةِ**.

ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُبَايِعَ لِأَبِي كَالِيجَارَ إِذْ كَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ، الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِمْ، فَتَوَقَّفَ الْجَوَابُ، ثُمَّ وَافَقَهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا مِنْ ذَلِكَ، وَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ لِلْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثُمَّ تَفَاقَمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَادَ، وَكَبَسُوا الدُّورَ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَضَرَبُوا أَهْلَهَا كَمَا يُضْرَبُ الْمُصَادَرُونَ، وَيَسْتَغِيثُ أَحَدُهُمْ فَلَا يُغَاثُ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَهَرَبَتِ الشُّرَطُ مِنْ بَغْدَادَ وَلَمْ تُغْنِ الْأَتْرَاكُ شَيْئًا، وَعَمِلَتِ البوابات عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَلَمْ تفِدْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَأُحْرِقَتْ دَارُ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى فَانْتَقَلَ مِنْهَا، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ جِدًّا.

○ الفتنة والاضطراب في بغداد

فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤١٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ **الْأَسْفَهْسِلَارِيَّةِ**[١] وَبَيْنَ الْعَيَّارِينَ، وَرَكِبَتْ لَهُمُ الْأَتْرَاكُ بِالدَّبَادِبِ، كَمَا يُفْعَلُ فِي الْحَرْبِ، وَأُحْرِقَتْ أَبْوَابٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الدُّورِ الَّتِي احْتَمَى فِيهَا الْعَيَّارُونَ، وَأُحْرِقَ جانب مِنَ الْكَرْخِ، وَنُهِبَ أَهْلُهُ، وَتَعَدَّى النَّهْبُ إِلَى غَيْرِهِ أَيْضًا، وَكَانَتْ فِتْنَةً هَائِلَةً شَنِيعَةً، ثُمَّ خَمَدَتْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي.

وفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٤١٨هـ) سَأَلَتِ **الْأَسْفَهْسِلَارِيَّةُ** وَالْغِلْمَانُ الْخَلِيفَةَ أَنْ يَعْزِلَ عَنْهُمْ أَبَا كَالِيجَارَ؛ لِتَهَاوُنِهِ بِأَمْرِهِمْ، وَفَسَادِهِ، وَفَسَادِ الْأُمُورِ فِي أَيَّامِهِ، وَيُوَلِّيَ جَلَالَ الدَّوْلَةِ الَّذِي كَانُوا قَدْ عَدَلُوا عَنْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَمَاطَلَهُمُ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

(١) معناه: مقدم العسكر. انظر: صبح الأعشى (٦/ ٧).

كَالِيجَارَ أَنْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ، وَأَنْ يُسْرِعَ الْأَوْبَةَ إِلَى بَغْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَمْرُ، وَأَلَحَّ أُولَئِكَ عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي تَوْلِيَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ، وَأَقَامُوا لَهُ الْخُطْبَةَ بِبَغْدَادَ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ، وَفَسَدَ النِّظَامُ

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ رَمَضَانَ سنة (٤١٨هـ) دَخَلَ **جَلَالُ الدَّوْلَةِ** إِلَى بَغْدَادَ، فَتَلَقَّاهُ الْخَلِيفَةُ فِي دِجْلَةَ فِي الطَّيَّارِ، وَمَعَهُ الْأَكَابِرُ وَالْأَعْيَانُ، فَلَمَّا وَاجَهَ جَلَالَ الدَّوْلَةِ قَبَّلَ الْأَرْضَ دَفَعَاتٍ، ثُمَّ سَارَ إِلَى دَارِ الْمُلْكِ، وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى دَارِهِ.

وفِي سنة (٤١٩هـ) وَقَعَ **خلاف بَيْنَ الْجَيْشِ وَبَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ، وَنَهَبُوا دَارَ وَزِيرِهِ،** وَجَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ آلَ الْحَالُ فِيهَا إِلَى أَنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنَ الْبَلَدِ، فَهُيِّئَ لَهُ زَبْزَبٌ رَثٌّ، فَخَرَجَ وَفِي يَدِهِ طَبَرٌ[(١)] نَهَارًا، فَجَعَلُوا لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ، فَلَمَّا عَزَمَ فِي الرُّكُوبِ فِي ذَلِكَ الزَّبْزَبِ الرَّثِّ رَثَوْا لَهُ وَرَقُّوا عَلَيْهِ، فَجَاءُوا إِلَيْهِ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَانْصَلَحَتْ قَضِيَّتُهُ بَعْدَ فَسَادِهَا.

○ مسير ملك الروم إلى حلب

فِي سنة (٤٢١هـ) أَقْبَلَ مَلِكُ الرُّومِ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ بِلَادَ حَلَبَ، وَعَلَيْهَا **نَصْرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ،** فَنَزَلُوا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْهَا، وَمِنْ عَزْمِ مَلِكِ الرُّومِ - قَبَّحَهُ اللهُ - أَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ بِكَمَالِهَا، وَأَنْ يَسْتَرِدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي أَيْدِيهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ»[(٢)] وَقَيْصَرُ هُوَ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ بِلَادِ الرُّومِ، فَلَا سَبِيلَ لِمَلِكِ الرُّومِ إِلَى هَذَا الرَّوْمِ الَّذِي أَرَادَهُ هَذَا الْمَذْمُومُ، فَلَمَّا نَزَلَ بِجَيْشِهِ قَرِيبًا مِنْ حَلَبَ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَطَشًا شَدِيدًا، وَخَالَفَ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ الدُّمُسْتُقُ، فَعَامَلَ طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ عَلَى قَتْلِهِ لِيَسْتَقِلَّ بِالْأَمْرِ مِنْ

(١) طبر: نوع قديم من السلاح يشبه الفأس. المعجم الوسيط (ط ب ر). والزبزب: ضرب من السفن.
(٢) متفق عليه، البخاري برقم (٣١٢٠) ومسلم برقم (٧٥ - (٢٩١٨).

بَعْدِهِ، فَفَهِمَ ذَلِكَ مَلِكُ الرُّومِ، فَكَرَّ مِنْ فَوْرِهِ رَاجِعًا ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وَلَمَّا كَرُّوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، اتَّبَعَهُمُ الْأَعْرَابُ يَنْهَبُونَهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَبَاحًا وَمَسَاءً، وَهَلَكَ أَكْثَرُ الرُّومِ جُوعًا وَعَطَشًا، وَنَهَبَهُمُ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

❍ ظواهر وحوادث

⦿ ارْتَفَعَتِ **الْأَسْعَارُ** فِي أَوَاخِرِ سنة (٣٨٣هـ) جِدًّا، وَضَاقَ الْحَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ.

⦿ فِي سنة (٣٨٤هـ) عَظُمَ الْخَطْبُ بِأَمْرِ **الْعَيَّارِينَ**، وَعَاثُوا بِبَغْدَادَ فَسَادًا، وَحَرَّقُوا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، وَأَخَذُوا مِنَ الْأَسْوَاقِ الْجِبَايَاتِ، وَتَطَلَّبَهُمُ الشُّرَطُ، فَلَمْ يَفِدْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَلَا فَكَّرُوا فِيهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الرِّجَالِ، وَإِرْعَابِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فِي سَائِرِ الْمَحَالِّ. فَتَطَلَّبَهُمُ السُّلْطَانُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ، وَأَلَحَّ فِي طَلَبِهِمْ، فَهَرَبُوا، وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِمْ.

⦿ وفِي سنة (٣٨٥هـ) **قَبَضَ** بَهَاءُ الدَّوْلَةِ **عَلَى الْقَاضِي** عَبْدِ الْجَبَّارِ وَصَادَرَهُ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا بِيعَ لَهُ فِي الْمُصَادَرَةِ أَلْفُ طَيْلَسَانٍ وَأَلْفُ ثَوْبٍ مَغْرِبِيٍّ.

⦿ وفِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٣٨٦هـ) **كَشَفَ** أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَنْ **قَبْرٍ عَتِيقٍ**، فَإِذَا هُمْ بِمَيِّتٍ طَرِيٍّ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ وَسَيْفُهُ، فَظَنُّوهُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَأَخْرَجُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ، وَاتَّخَذُوا عِنْدَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، **وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ أَوْقَافٌ كَثِيرَةٌ**، وَجُعِلَ عِنْدَهُ خُدَّامٌ وَقُوَّامٌ وَفُرُشٌ وَتَنْوِيرٌ.(١)

⦿ فِي سنة (٣٩٠هـ) **ظَهَرَ** بِأَرْضِ سِجِسْتَانَ مَعْدِنٌ مِنْ **ذَهَبٍ** كَانُوا يَحْفِرُونَ فِيهِ مِثْلَ الْآبَارِ، وَيُخْرِجُونَ مِنْهُ **ذَهَبًا أَحْمَرَ**.

---

(١) كان يكفيهم أن يصلحوا خلل القبر ويتركوه، ولكن الخلل في التصور الاعتقادي أدى بهم إلى مثل هذا الانحراف من بناء المسجد على القبر، وجعل الأوقاف عليه، والخدام، والإنارة، مما ورد النهي عنه في الشريعة.

⊙ وَفِي رَمَضَانَ مِن سنة (٣٩٢هـ)، **قَوِيَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ**، وَكَثُرَتِ الْعَمَلَاتُ، وَالنَّهْبُ بِبَغْدَادَ، وَانْتَشَرَتِ الْفِتْنَةُ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: [(١)] وَفِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ ثَالِثِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٣٩٢هـ)، **انْقَضَّ كَوْكَبٌ أَضَاءَ** كَضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، وَمَضَى الشُّعَاعُ وَبَقِيَ جِرْمُهُ يَتَمَوَّجُ نَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فِي ذِرَاعٍ بِرَأْيِ الْعَيْنِ، ثُمَّ تَوَارَى بَعْدَ سَاعَةٍ.

⊙ وَفِي أَوَائِلِ صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٩٣هـ) **غَلَتِ الْأَسْعَارُ** بِبَغْدَادَ جِدًّا، وَعُدِمَتِ الْحِنْطَةُ حَتَّى بِيعَ الْكُرُّ بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَارًا.

⊙ وَفِي سنة (٣٩٥هـ) كَانَ **غَلَاءٌ عَظِيمٌ وَفَنَاءٌ بِبِلَادٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ**، بِحَيْثُ تَعَطَّلَتِ الْمَخَابِزُ وَالْحَمَّامَاتُ، وَذَهَبَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَنَاءِ، وَهَلَكَ آخَرُونَ مِنْ شِدَّةِ الْغَلَاءِ، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ الْمَأْمُولُ أَنْ يُحْسِنَ الْعَاقِبَةَ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٣٩٨هـ)، **وَقَعَ بِبَغْدَادَ ثَلْجٌ عَظِيمٌ**، بِحَيْثُ بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ذِرَاعًا وَنِصْفًا، وَمَكَثَ أُسْبُوعًا لَمْ يَذُبْ، وَبَلَغَ سُقُوطُهُ إِلَى تِكْرِيتَ وَالْكُوفَةِ وَعَبَّادَانَ وَالنَّهْرَوَانَاتِ.

⊙ وَفِي شهر رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٣٩٨هـ) **كَثُرَتِ الْعَمَلَاتُ** [(٢)] خَفِيَّةً وَجَهْرَةً، حَتَّى مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاهِدِ، ثُمَّ ظَفِرَ أَصْحَابُ الشُّرْطَةِ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ فَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَكَحَلُوهُمْ وَشَهَرُوهُمْ، فَخَمَدَتِ الْفِتْنَةُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⊙ وَفِي شَعْبَانَ سنة (٣٩٨هـ) **زُلْزِلَتِ الدِّينَوَرُ** زِلْزَالًا شَدِيدًا، سَقَطَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ، وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا غَيْرَ مَنْ سَاخَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَهَلَكَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأَمْتِعَةِ.

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢.

(٢) العملة: الفعلة الْمُنكرَة كالسرقة والخيانة. المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٨).

◉ وَهَبَّتْ **رِيحٌ سَوْدَاءُ بِدَقُوقَاءَ وَتِكْرِيتَ وَشِيرَازَ**، فَقَلَعَتْ كَثِيرًا مِنَ الْمَنَازِلِ وَالنَّخِيلِ وَالزَّيْتُونِ، وَقَتَلَتْ خَلْقًا كَثِيرًا.

◉ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سنة (٤٠٠هـ) **نَقَصَتْ دِجْلَةُ** نَقْصًا كَثِيرًا، حَتَّى ظَهَرَتْ جَزَائِرُ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ، وَامْتَنَعَ سَيْرُ السُّفُنِ فِي أَمَاكِنِهَا مِنْ أَوَانَا وَالرَّاشِدِيَّةِ، فَأُمِرَ بِكَرْيِ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ وَلَمْ تُكْرَ قَبْلَ ذَلِكَ.

◉ وَفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٠٦هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِوُقُوعِ **وَبَاءٍ شَدِيدٍ فِي الْبَصْرَةِ** أَعْجَزَ الْحَفَّارِينَ وَالنَّاسَ عَنْ دَفْنِ مَوْتَاهُمْ، وَأَنَّهُ أَظَلَّتِ الْبَلَدَ سَحَابَةٌ فِي حَزِيرَانَ، فَأَمْطَرَتْهُمْ مَطَرًا شَدِيدًا كَثِيرًا.

◉ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٤٠٧هـ)، **احْتَرَقَ مَشْهَدُ الْحُسَيْنِ** بْنِ عَلِيٍّ **بِكَرْبَلَاءَ** وَأَرْوِقَتُهُ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الْقَوَمَةَ أَشْعَلُوا شَمْعَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ، فَمَالَتَا فِي اللَّيْلِ عَلَى التَّأْزِيرِ فَاحْتَرَقَ، وَنَفَذَتِ النَّارُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ.

◉ وَفِي نفس الشهر سنة (٤٠٧هـ)، **احْتَرَقَتْ دَارُ الْقُطْنِ بِبَغْدَادَ وَأَمَاكِنُ كَثِيرَةٌ** بِبَابِ الْبَصْرَةِ وَاحْتَرَقَ جَامِعُ سَامَرَّا.

◉ وَفِي نفس الشهر سنة (٤٠٧هـ)، وَرَدَ الْخَبَرُ **بِتَشْعِيثِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ** مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

◉ وَفِي نفس الشهر سنة (٤٠٧هـ)، **سقط جِدَار بَيْنَ يَدَيْ قَبْرِ النَّبِيِّ** ﷺ.

◉ وَفِي نفس الشهر سنة (٤٠٧هـ)، **سَقَطَتِ الْقُبَّةُ الْكَبِيرَةُ** عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ الِاتِّفَاقَاتِ وَأَعْجَبِهَا.

◉ وَفِي رَمَضَانَ سنة (٤١٧هـ) **انْقَضَّ كَوْكَبٌ سُمِعَ لَهُ دَوِيٌّ** كَدَوِيِّ الرَّعْدِ، وَوَقَعَ فِي سَلْخِ شَوَّالٍ بَرَدٌ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَجَمَدَ الْمَاءُ طُولَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَقَاسَى النَّاسُ شِدَّةً عَظِيمَةً، وَقَلَّتِ الزِّرَاعَةُ، وَامْتَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ التَّصَرُّفِ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي سنة (٤١٧هـ) **وَقَعَ بَرَدٌ شَدِيدٌ حَتَّى جَمَدَ الْخَلُّ وَالنَّبِيذُ وَأَبْوَالُ الدَّوَابِّ** وَالْمِيَاهُ الْكِبَارُ وَحَافَّاتُ دِجْلَةَ.

⊙ وَفِي سنة (٤٢١هـ) **سَقَطَ جِسْرٌ بِبَغْدَادَ**، وَهُوَ الَّذِي عِنْدَ الزَّيَّاتِينَ عَلَى نَهْرِ عِيسَى.

⊙ وَفِي سنة (٤٢١هـ) وَقَعَتْ **فِتْنَةٌ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ النَّازِلِينَ** بِبَابِ الْبَصْرَةِ **وَبَيْنَ الْهَاشِمِيِّينَ**، فَرَفَعُوا الْمَصَاحِفَ، وَرَمَتْهُمُ الْأَتْرَاكُ بِالنُّشَّابِ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ اصْطَلَحَتِ الْحَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

⊙ وَفِي سنة (٤٢١هـ) **كَثُرَتِ الْعَمَلَاتُ بِبَغْدَادَ**، وَأُخِذَتِ الدُّورُ جَهْرَةً، وَكَثُرَ الْعَيَّارُونَ وَلُصُوصُ الْأَكْرَادِ.

⊙ وفِي سنة (٤٢٢هـ) **كَثُرَتِ الْعَمَلَاتُ** وَانْتَشَرَتِ الْمِحْنَةُ بِأَمْرِ الْعَيَّارِينَ فِي أَرْجَاءِ الْبَلَدِ، وَتَجَاسَرُوا عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَنَهَبُوا دُورًا وَأَمَاكِنَ سِرًّا وَجَهْرًا، لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حج بالناس فِي سنة (٣٨١هـ)، وسنة (٣٨٢هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن العلوي

وحج بالناس فِي سنة (٣٨٣هـ) محمد بن الحسن بن يحيي العلوي.

وحج بالناس فِي سنة (٣٨٤هـ) أمير مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسني.

وَرَجَعَ رَكْبُ الْعِرَاقِ مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بَعْدَمَا فَاتَهُمْ وَقْتُ الْحَجِّ، وَذَلِكَ أَنَّ **الْأُصَيْفِرَ** الْأَعْرَابِيَّ الَّذِي كَانَ قَدْ تَكَفَّلَ بِحِرَاسَتِهِمُ اعْتَرَضَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الدَّنَانِيرَ الَّتِي كَانَتْ أُطْلِقَتْ لَهُ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ كَانَتْ دَرَاهِمَ مَطْلِيَّةً، وَأَنَّهُ يُرِيدُ بَدَلَهَا مِنَ الْحَجِيجِ، وَإِلَّا لَا يَتْرُكُهُمْ يُجَاوِزُوا هَذَا الْمَوْضِعَ، فَمَانَعُوهُ وَرَاجَعُوهُ، فَحَبَسَهُمْ عَنِ الْمَسِيرِ حَتَّى ضَاقَ الْوَقْتُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ مَا يَلْحَقُوا الْحَجَّ فِيهِ، فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَلَمْ يَحُجَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَحُجَّ مِنَ الرَّكْبِ الشَّامِيِّ وَلَا أَهْلِ الْيَمَنِ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا حَجَّ أَهْلُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ خَاصَّةً.

وحج بالناس فِي سنة (٣٨٥هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي.

وبعث في هذه السنة **أبو النجم** بدر بن حسنويه [(١)] تسعة آلاف دينار من ماله لتدفع إلى الأصيفر؛ عوضًا عما كان يأخذه من الحجاج، وجعل ذلك سنويًا، واستمر إلى سنة (٤٠٣هـ) فاستقام أمر الطريق في تلك السنوات.

(١) بَدْرُ بْنُ حَسْنَوَيْهِ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو النَّجْمِ الْكُرْدِيُّ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ بِنَاحِيَةِ الدِّينَوَرِ وَهَمَذَانَ، لَهُ سِيَاسَةٌ وَصَدَقَةٌ كَثِيرَةٌ، كَنَّاهُ الْقَادِرُ بِاللهِ **أَبَا النَّجْمِ**، وَلَقَّبَهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ أَعْمَالُهُ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ، بِحَيْثُ إِذَا أَعْيَا جَمَلُ أَحَدٍ مِنَ الْمُسَافِرِينَ فَتَرَكَهُ بِمَا عَلَيْهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، رُدَّ إِلَيْهِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ لَا يُنْقَصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. البداية والنهاية ١٥/ ٥٥٧ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٨٦هـ)، وسنة (٣٨٧هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي، بإشراف الْأَمِير الَّذِي مِنْ جِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٣٨٨هـ) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي، وَالْخُطْبَةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِلْحَاكِمِ الْعُبَيْدِيِّ، قَبَّحَهُ اللهُ.

وَحَجَّ فِي سنة (٣٨٩هـ)، بِرَكْبِ الْعِرَاقِ الشَّرِيفَانِ الرَّضِيُّ وَالْمُرْتَضِي، فَاعْتَقَلَهُمَا أَمِيرُ الْأَعْرَابِ ابْنُ الْجَرَّاحِ، فَافْتَدَيَا مِنْهُ بِتِسْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ أَمْوَالِهِمَا فَأَطْلَقَهُمَا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٩٠هـ) أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر بن يحيي العلوي

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٩١هـ) الْمِصْرِيُّونَ

وَفِي شَهْرِ ذي القعدة سنة (٣٩٢هـ) قَدِمَ الْحُجَّاجُ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادَ لِيَسِيرُوا إِلَى الْحِجَازِ، فَبَلَغَهُمْ عَيْثُ الْأَعْرَابِ بِالْفَسَادِ، وَأَنَّهُ لَا قَاهِرَ لَهُمْ وَلَا نَاظِرَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَلَمْ يَحُجَّ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ أَحَدٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَحَجَّ الْمِصْرِيُّونَ فِيهَا بِالنَّاسِ.

وَانْقَطَعَ الْحَجُّ في سنة (٣٩٣هـ) مِنَ الْعِرَاقِ بِسَبَبِ الْأَعْرَابِ.

وفِي سنة (٣٩٤هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الْعِرَاقِيُّ للحج فِي جَحْفَلٍ كَبِيرٍ وَتَجَمُّلٍ كَثِيرٍ، فَاعْتَرَضَهُمُ **الْأُصَيْفِرُ** أَمِيرُ الْأَعْرَابِ لِيَنْهَبَهُمْ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِشَابَّيْنِ قَارِئَيْنِ مُجِيدَيْنِ كَانَا مَعَهُمْ -وَكَانَا مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قِرَاءَةً- لِيُكَلِّمَاهُ فِي شَيْءٍ يَأْخُذُهُ مِنَ الْحَجِيجِ، وَيُطْلِقُ سَرَاحَهُمْ، فَلَمَّا جَلَسَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَرَآ جَمِيعًا عَشْرًا بِأَصْوَاتٍ هَائِلَةٍ مَطْبُوعَةٍ، فَأَدْهَشَهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ جِدًّا، وَقَالَ لَهُمَا: كَيْفَ عَيْشُكُمَا بِبَغْدَادَ؟ فَقَالَا: بِخَيْرٍ، فقَالَ: فَإِنِّي أُطْلِقُ لَكُمَا أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ. فَأَطْلَقَ بِسَبَبِهِمَا الْحَجِيجَ، فَلَمْ يَعْرِضْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَذَهَبَ النَّاسُ، وَهُمْ سَالِمُونَ شَاكِرُونَ لِذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ الْمُقْرِئَيْنِ.

وَلَمَّـا **وَقَفَ النَّـاسُ بِعَرَفَاتٍ** قَرَأَ هَذَانِ الرَّجُـلَانِ قِرَاءَةً عَظِيمَةً عَلَـى جَبَلِ الرَّحْمَةِ، فَضَجَّ النَّاسُ لقراءتهما.

وَكَانَتِ الْحُجَّةُ وَالْخُطْبَةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ **لِلْمِصْرِيِّينَ** كَمَا هِيَ لَهُمْ مِنْ سِنِينَ مُتَقَدِّمَةٍ.

وَقَدْ كَانَ أَمِيرُ الْعِرَاقِيِّينَ عَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ سَرِيعًا إِلَى بَغْدَادَ عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّتِي جَاءُوا مِنْهَا، وَأَنْ لَا يَسِـيرَ إِلَى الْمَدِينَـةِ النَّبَوِيَّةِ؛ خَوْفًا مِنَ الْأَعْرَابِ، وَكَثْرَةِ الْخِفَارَاتِ، فَشَـقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَوَقَفَ هَذَانِ الْقَارِئَانِ عَلَى جَادَّةِ الطَّرِيقِ الَّتِي مِنْهَا يُعْدَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَرَآ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] الْآيَاتِ. فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ، وَأَمَالَتِ النُّوقُ أَعْنَاقَهَا نَحْوَهُمَا، فَمَالَ النَّاسُ وَالْأَمِيرُ بِأَجْمَعِهِمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَزَارُوا وَعَادُوا سَالِمِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَلَمَّـا رَجَعَ هَذَانِ الْقَارِئَانِ رَتَّبَهُمَا وَلِـيُّ الْأَمْرِ مَعَ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْبُهْلُولِ - وَكَانَ مُقْرِئًا مُجِيـدًا أَيْضًـا - لِيُصَلُّـوا بِالنَّاسِ صَـلَاةَ التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَـانَ، فَكَثُرَ الْجَمْـعُ وَرَاءَهُمْ لِحُسْنِ تِلَاوَتِهِمْ، وَكَانُوا يَتَنَاوَبُونَ فِي الْإِمَامَةِ. وحج بالناس

وَفِي سـنة (٣٩٥هـ) أَصَابَ الْحَجِيجَ فِي الطَّرِيقِ عَطَشٌ شَـدِيدٌ بِحَيْـثُ هَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ لِلْمِصْرِيِّينَ، في هذه السنة جعفر بن شعيب بن السلّار.(١)

وفِي سـنة (٣٩٦هـ) كَانَتِ الْخُطْبَـةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِلْحَاكِمِ الْعُبَيْـدِيِّ، وَتَجَدَّدُ فِي حَالِ الْخُطْبَـةِ أَنَّهُ إِذَا ذَكَـرَ الْخَطِيبُ الْحَاكِمَ **يَقُـومُ النَّاسُ كُلُّهُمْ**، وَكَذَلِكَ فَعَلُـوا بِدِيَارِ مِصْرَ مَعَ زِيَادَةِ السُّـجُودِ، وَكَانُوا **يَسْجُدُونَ عِنْدَ ذِكْرِهِ**؛ حتى مَنْ هُوَ فِي الصَّلَاةِ، وَمَنْ هُوَ فِي الْأَسْوَاقِ.

وفِي سـنة (٣٩٧هـ) ثَارَتْ عَلَى الْحَجِيـجِ وَهُمْ بِالطَّرِيقِ **رِيحٌ سَـوْدَاءُ** مُظْلِمَةٌ جِدًّا،

(١) انظر: اتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد٢/ ٤٣٢.

وَاعْتَرَضَهُمُ ابْنُ الْجَرَّاحِ أَمِيرُ الْأَعْرَابِ، فَفَاتَهُمُ الْحَجُّ فَرَجَعُوا إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلُوهَا فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ.

وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِلْمِصْرِيِّينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٣٩٨هـ) أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر بن يحيي العلوي، ولم يحج أحد من العراق.

وفِي سنة (٣٩٩هـ) هَبَّتْ عَلَى الْحُجَّاجِ رِيحٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ، وَاعْتَرَضَهُمُ الْأَعْرَابُ، فَصَدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَاعْتَاقُوهُمْ حَتَّى فَاتَهُمُ الْحَجُّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا، فَرَجَعُوا وَأَخَذَتْ بَنُو هِلَالٍ طَائِفَةً مِنْ حُجَّاجِ الْبَصْرَةِ نَحْوًا مِنْ سِتِّمِائَةِ وَاحِدٍ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ. وَالْخُطْبَةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِلْمِصْرِيِّينَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٠٠هـ) أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر بن يحيي العلوي، ولم يحج أحد من العراق، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ بِالْحَرَمَيْنِ لِلْحَاكِمِ الْعُبَيْدِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ وَالشَّامِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٠١هـ) أمير مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسني.

ولم يحج أحد من العراق؛ لفساد الوقت.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٠٢هـ) أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر بن يحيي العلوي، وعند عودة حاج العراق اعترضهم أبو فُلَيْتَة حماد بن عدي الخفاجي، وَغَوَّرُوا الْمَنَاهِلَ الَّتِي يَرِدُهَا الْحُجَّاجُ، وَوَضَعُوا فِيهَا الْحَنْظَلَ، بِحَيْثُ إِنَّهُ مَاتَ مِنَ الْعَطَشِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأَخَذُوا بَقِيَّتَهُمْ، فَجَعَلُوهُمْ رُعَاةً لِمَوَاشِيهِمْ فِي أَسْوَأِ حَالٍ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَحْمَالِ وَالْجِمَالِ.

وَفِي سنة (٤٠٣هـ) جِيءَ بِأَمِيرِ بَنِي خَفَاجَةَ أَبِي فُلَيْتَةَ، قَبَّحَهُ اللهُ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ رُءُوسِ قَوْمِهِ أُسَارَى، الذين اعْتَرَضُوا الْحَجِيجَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ وَهُمْ رَاجِعُونَ.

فَحِينَ أَحْضَرَهُمُ الْوَزِيرُ فَخْرُ الْمُلْكِ سَجَنَهُمْ وَمَنَعَهُمُ الْمَاءَ، ثُمَّ صَلَبَهُمْ تِلْقَاءَ دِجْلَةَ يَرَوْنَ صَفَاءَ الْمَاءِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى مَاتُوا كَذَلِكَ جَزَاءً وِفَاقًا، وَلَقَدْ أَحْسَنَ فَخْرُ الْمُلْكِ فِي هَذَا الصَّنِيعِ وَاقْتَدَى بِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي الرِّعَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْحَدِيثُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ اعْتُقِلُوا فِي بِلَادِ بَنِي خَفَاجَةَ مِنَ الْحُجَّاجِ فَجِيءَ بِهِمْ، وَقَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ، وَقُسِمَتْ أَمْوَالُهُمْ، فَرُدُّوا إِلَى أَهَالِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ولم يَحجَّ أحد من المشرق سنة (٤٠٣هـ)؛ حيث اعترض مسيرهم رجل من القرامطة وجماعة من الأعراب إلى ظاهر الكوفة فحاصروهم حتى فاتهم الحج، فرجعوا من الكوفة.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٠٤هـ)؛ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَقْسَاسِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٠٥هـ)؛ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَقْسَاسِيُّ، وهلك خلق كثير من حاج العراق، حيث اشتد بهم العطش حتى شَرِبُوا أَبْوَالَ الْجِمَالِ، وكان جملتهم عشرون ألفًا، لم يسلم منهم إلا ستة آلاف.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٠٦هـ)؛ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَقْسَاسِيُّ، ولم يذهب ركب العراق إلى الحج لفساد البلاد من الأعراب.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ في سنة (٤٠٧هـ) مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَالطُّرُقَاتِ، وَعَيْثِ الْأَعْرَابِ.

وحج بالناس سنة (٤٠٨هـ) عمر بن مسلم بن محمد بن عبدالله العلوي، وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي هذه السنة لِفَسَادِ الْبِلَادِ، وَعَيْثِ الْأَعْرَابِ، وَضَعْفِ الدَّوْلَةِ.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سنة (٤٠٩هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَعَيْثِ الْأَعْرَابِ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ فِي سنة (٤١٠هـ) مِنَ الْعِرَاقِ؛ لِفَسَادِ الْأَعْرَابِ فِي الطُّرُقَاتِ، وهلك

في هذه السنة الْأُصَيْفِرُ الْمُنْتَفِقِيُّ الَّذِي كَانَ يَخْفِرُ الْحَاجَّ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ فِي سنة (٤١١هـ) مِنَ الْعِرَاقِ، لتأخر ورود أهل خراسان عن الحضور.

وفِي سنة (٤١٢هـ) أَمَرَ مَحْمُودُ بْن سُبُكْتِكِينَ: قَاضِي الْقُضَاةِ بغزنة أَبا مُحَمَّدٍ النَّاصِحِيِّ أَنْ يَكُونَ أَمِيرَ الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِلْأَعْرَابِ، فَسَارَ النَّاسُ صُحْبَتَهُ، فَلَمَّا كَانُوا **بِفَيْدَ** اعْتَرَضَهُمُ الْأَعْرَابُ، فَصَالَحَهُمُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ النَّاصِحِيُّ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَامْتَنَعُوا، وَصَمَّمَ كَبِيرُهُمْ، وَهُوَ **جَمَّازُ بْنُ عَدِيٍّ**، عَلَى أَخْذِ الْحَجِيجِ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ، وَجَالَ جَوْلَةً وَاسْتَنْهَضَ مَنْ مَعَهُ مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ غُلَامٌ مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَصَلَ إِلَى قَلْبِهِ، فَسَقَطَ مَيِّتًا، وَانْهَزَمَتِ الْأَعْرَابُ، وَسَلَكَ الْحَجِيجُ الطَّرِيقَ، فَحَجُّوا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ آمِنِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفي سنة (٤١٣هـ) وقعت حادثة الاعتداء على الحجر الأسود من قبل بعض الزنادقة الذين قدموا من قبل الحاكم العبيدي. وقد تم قتلهم.

وبطل الحج من العراق لتأخر ورود أهل خراسان.

وَحَجَّ أَهْلُ الْعِرَاقِ سنة (٤١٤هـ)، وَلَكِنْ رَجَعُوا عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وحج بالناس سنة (٤١٥هـ) أمير الحج العراقي، أبو الحسن محمد بن الحسن الأقساسي العلوي، وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ فِي هذه السنة مِنْ رَكْبِ خُرَاسَانَ. سوى حسنك أحد أمراء محمود بن سبكتكين، وعاد الحجاج من طريق الشام، خوفًا من الأعراب.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ سنة (٤١٦هـ) مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ فِي سنة (٤١٧هـ) لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَالطُّرُقَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سنة (٤١٨هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سنة (٤١٩هـ)، إِلَّا أَنَّ قَوْمًا مِنْ خُرَاسَانَ رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ مِنْ مَدِينَةِ مُكْرَانَ فَانْتَهَوْا إِلَى **جُدَّةَ** فَحَجُّوا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وفِي سنة (٤٢٠هـ) لَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ مِنَ الْحَجِّ.

وَفِي سنة (٤٢١هـ) تَعَطَّلَ الْحَجُّ مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ لِفَسَادِ الْبِلَادِ، وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ سِوَى سَرِيَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ رَكِبُوا مِنْ جِمَالِ الْبَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ مُخَاطَرَةً، فَفَازُوا بِالْحَجِّ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ سنة (٤٢٢هـ) سِوَى شِرْذِمَةٍ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ مَعَ الْعَرَبِ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان في خلافته

١-**عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْرُوفٍ**، أَبُو مُحَمَّدٍ قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ رَوَى عَنِ ابْنِ صَاعِدٍ وَعَنْهُ الْخَلَّالُ وَالْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَكَانَ مِنَ **الْعُلَمَاءِ الثِّقَاتِ الْأَلِبَّاءِ الْعُقَلَاءِ الْفُطَنَاءِ**، حَسَنَ الشَّكْلِ، **جَمِيلَ الْمَلْبَسِ** عَفِيفًا عَنِ الْأَمْوَالِ، تُوُفِّي سنة (٣٨١هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٢- **جَوْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْقَائِدُ** بَانِي الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَةِ، أَصْلُهُ رُومِيٌّ، وَيُعْرَفُ بِالْكَاتِبِ، أَرْسَلَهُ الْمُعِزُّ المدعي أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ مِنْ إِفْرِيقِيَةَ لِأَخْذِ مِصْرَ عِنْدَ اضْطِرَابِ جَيْشِهَا بَعْدَ مَوْتِ كَافُورٍ الْإِخْشِيدِيِّ.

فَأَرْسَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْمُعِزِّ يَسْتَنْجِدُ بِهِ، فَأَرْسَلَ مَوْلَاهُ جَوْهَرًا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٣٥٨هـ) فَوَصَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ أَلْفٌ وَمِائَتَا صُنْدُوقٍ لِيُنْفِقَهُ فِي ذَلِكَ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ وَأَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، وَدَخَلَهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءَ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ، وَنَزَلَ فِي مَكَانِ الْقَاهِرَةِ الْيَوْمَ.

وَأَسَّسَ مِنْ لَيْلَتِهِ **الْقَصْرَيْنِ**، وَخَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْآتِيَةِ، فَقَطَعَ خُطْبَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَذَكَرَ **الْأَئِمَّةَ الْاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَذَّنَ بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ**، وَكَانَ **يُظْهِرُ الْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ**.

وَاجْتَهَدَ فِي تَكْمِيلِ الْقَاهِرَةِ وَفَرَغَ مِنْ جَامِعِهَا سَرِيعًا سَنَةَ (٣٦١هـ)، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: **جَامِعُ الْأَزْهَرِ**، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٣٨١هـ).

٣-**أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالِ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ بْنِ حَبُّونَ الْحَرَّانِيُّ، **الْكَاتِبُ الصَّابِئُ**، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ وَالرَّسَائِلِ لِلْخَلِيفَةِ وَلِعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ.

وَكَانَ عَلَى **دِينِ الصَّابِئَةِ** إِلَى مَمَاتِهِ، وَكَانَ مَعَ هَذَا **يَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ حِفْظِهِ**، وَكَانَ يَحْفَظُهُ حِفْظًا حَسَنًا، وَيَسْتَعْمِلُ مِنْهُ فِي رَسَائِلِهِ، وَكَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ يُسْلِمَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ سنة (٣٨٤هـ)، وَقَدْ

جَاوَزَ السَّبْعِينَ. وَقَدْ رَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ، وَقَالَ: إِنَّمَا رَثَيْتُ فَضَائِلَهُ.

٤- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ نَافِعِ بْنِ مُكْرَمٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُشْتِيُّ الزَّاهِدُ، وَرِثَ مِنْ آبَائِهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، **فَأَنْفَقَهَا كُلَّهَا فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ وَالْقُرُبَاتِ**، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، وَحَجَّ مِنْ نَيْسَابُورَ مَاشِيًا حَافِيًا، وَدَخَلَ الشَّامَ وَأَقَامَ **بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ** شُهُورًا، ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ وَبِلَادَ الْمَغْرِبِ، وَحَجَّ مِنْ هُنَاكَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ بُشْتَ، وَكَانَتْ لَهُ بَقِيَّةُ أَمْوَالٍ وَأَمْلَاكٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ: فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٣٨٤هـ) عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٥- **عَلِيُّ بْنُ عِيسَى** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبُو الْحَسَنِ النَّحْوِيُّ **الْمَعْرُوفُ بِالرُّمَّانِيِّ**، رَوَى عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ كَبِيرٌ، وَشَهِدَ عِنْدَ ابْنِ مَعْرُوفٍ فَقَبِلَهُ، وَرَوَى عَنْهُ التَّنُوخِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ. تُوُفِّيَ سنة (٣٨٤هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٦- مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ **مُحَمَّدِ بْنِ الْفُرَاتِ**، أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ، الْمُحَدِّثُ الثِّقَةُ الْمَأْمُونُ قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: كَانَ ثِقَةً، كَتَبَ الْكَثِيرَ، وَجَمَعَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ فِي وَقْتِهِ، بَلَغَنِي أَنَّهُ كَتَبَ مِائَةَ تَفْسِيرٍ وَمِائَةَ تَارِيخٍ، وَخَلَّفَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ صُنْدُوقًا مَمْلُوءَةً كُتُبًا، أَكْثَرُهَا بِخَطِّهِ سِوَى مَا سُرِقَ مِنْهُ، وَكَانَ خَطُّهُ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ، وكَانَت لَهُ جَارِيَةٌ تُعَارِضُ مَعَهُ مَا يَكْتُبُهُ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٧- **الصَّاحِبُ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِدْرِيسَ الطَّالَقَانِيُّ، الْوَزِيرُ الشَّهِيرُ، **وَزَرَ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ** بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْبَرَاعَةِ وَالْكَرَمِ **وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْعُلَمَاءِ** عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ، وَلَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي الْأَدَبِ، **وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ**، وَاقْتَنَى كُتُبًا كَثِيرَةً كَانَتْ تُحْمَلُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ بَعِيرٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وُزَرَاءَ بَنِي بُوَيْهِ الدَّيَالِمَةِ مِثْلُهُ وَلَا قَرِيبٌ مِنْهُ فِي مَجْمُوعِ فَضَائِلِهِ، وَقَدْ كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي بُوَيْهِ **مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً**، وَكَانَتْ وِزَارَتُهُ **ثَمَانِيَةَ عَشَرَ** سَنَةً وَأَشْهُرًا، وَفَتَحَ خَمْسِينَ قَلْعَةً لِصَرَامَتِهِ وَشَهَامَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ وَجَوْدَةِ آرَائِهِ.

وَكَانَ **يُحِبُّ الْعُلُومَ الشَّـرْعِيَّةَ، وَيُبْغِضُ الْفَلْسَفَةَ** وَمَا يُشْـبِهُهَا مِنَ الْآرَاءِ الْبِدْعِيَّةِ، وَقَدْ مَرِضَ مَرَّةً بِالْإِسْهَالِ، فكَانَ كُلَّمَا قَامَ عَنِ الْمِطْهَرَةِ وَضَعَ عِنْدَهَا عَشَرَةَ دَنَانِيرَ لِئَلَّا يَتَبَرَّمَ بِهِ الْفَرَّاشُونَ، فَكَانُوا يَوَدُّونَ أَنْ لَوْ طَالَتْ عِلَّتُهُ، وَلَمَّا عُوفِيَ تصدق بنحو مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ على **الْفُقَرَاءِ**، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْمَشَايِخِ الْجِيَادِ عَوَالِي الْإِسْنَادِ.

وذَكَـرَ ابْنُ الْجَـوْزِيِّ، أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ حِيـنَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَـاءَهُ الْمَلِكُ فَخْرُ الدَّوْلَـةِ بْـنُ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ يَعُـودُهُ لِيُوصِيَهُ فِي أُمُورِهِ، فَقَالَ لَهُ: **إِنِّي مُوصِيكَ أَنْ تَسْـتَمِرَّ فِي الْأُمُـورِ عَلَى مَا تَرَكْتُهَا عَلَيْهِ**، وَلَا تُغَيِّرْهَا، فَاسْـتَمَرَّ عَلَى مَا أَوْصَـاهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَكَانَتْ **وَفَاتُهُ** فِي عَشِيَّةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٣٨٥هـ).

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ مِنَ الْوُزَرَاءِ بِالصَّاحِبِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ بَعْدَهُ فِيهِمْ. وَقَالَ الصَّابِئُ فِي كِتَابِهِ " **التَّاجِيِّ** ": إِنَّمَا سَـمَّاهُ الصَّاحِبَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَـهُ مِنَ الصِّغَـرِ، فَكَانَ يُسَـمِّيهِ الصَّاحِبَ، فَلَمَّا مَلَكَ وَاسْـتَوْزَرَهُ سَـمَّاهُ الصَّاحِبَ، فَاشْتُهِرَ بِهِ، وَتَسَمَّى بِهِ الْوُزَرَاءُ بَعْدَهُ.

وذَكَـرَ ابْنُ خَلِّـكَانَ قِطْعَةً صَالِحَـةً مِنْ مَكَارِمِـهِ وَفَضَائِلِهِ وَثَنَـاءِ النَّاسِ عَلَيْـهِ، وَعَدَّدَ لَهُ مُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةً، مِنْهَا كِتَابُهُ "الْمُحِيطُ" فِي اللُّغَةِ فِي سَبْعِ مُجَلَّدَاتٍ، يَحْتَوِي عَلَى أَكْثَرِ اللُّغَةِ.

٨- **الْحَافِظُ الدَّارَقُطْنِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيِّ بْنِ مَسْـعُودِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ دِينَارٍ الدَّارَقُطْنِيُّ، نِسْـبَةٌ إِلَـى دَارِ الْقُطْنِ، وَهِيَ مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ بِبَغْـدَادَ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ وهو **أُسْتَاذُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ** فِي زَمَانِهِ وَقَبْلَهَا بِمُدَّةٍ وَبَعْدَهَا إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَأَلَّفَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَأَحْسَنَ النَّظَرَ وَالتَّعْلِيلَ، وَكَانَ فَرِيدَ عَصْرِهِ، وَنَسِـيجَ وَحْدِهِ، وَإِمَامَ أَهْلِ دَهْرِهِ فِي أَسْـمَاءِ الرِّجَالِ، وَصَنَاعَةِ التَّعْلِيلِ، وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ وَالتَّأْلِيفِ، وَاتِّسَاعِ الرِّوَايَةِ، وَالِاطِّلَاعِ التَّامِّ فِي الدِّرَايَةِ.

لَهُ كِتَابُ "**السُّنَنِ الْكَبِيرِ**" الْمَشْهُورِ، مِنْ أَحْسَنِ الْمُصَنَّفَاتِ فِي بَابِهِ، لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ،

وَلَا يُلْحَقُ فِي شَكْلِهِ، إِلَّا مَنِ اسْتَمَدَّ مِنْ بَحْرِهِ، وَعَمِلَ كَعَمَلِهِ، وَلَهُ كِتَابُ **"الْعِلَلِ"** بَيَّنَ فِيهِ الصَّوَابَ مِنَ الزَّلَلِ، وَالْمُتَّصِلَ مِنَ الْمُرْسَلِ وَالْمُنْقَطِعِ وَالْمُعْضَلِ، وَكِتَابُ **" الْأَفْرَادِ "** الَّذِي لَا يَفْهَمُهُ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنْظِمَهُ، إِلَّا مَنْ هُوَ مِنَ الْحُفَّاظِ الْأَفْرَادِ، وَالْأَئِمَّةِ النُّقَّادِ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ.

وَقَدْ كَانَ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ صِغَرِهِ مَوْصُوفًا بِالْحِفْظِ الْبَاهِرِ؛ جَلَسَ مَرَّةً فِي مَجْلِسِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ، وَهُوَ يُمْلِي عَلَى النَّاسِ الْأَحَادِيثَ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ يَنْسَخُ فِي جُزْءِ حَدِيثٍ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي أَثْنَاءِ الْمَجْلِسِ: إِنْ سَمَاعَكَ لَا يَصِحُّ وَأَنْتَ تَنْسَخُ، فَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: فَهْمِي خِلَافُ فَهْمِكَ، أَتَحْفَظُ كَمْ أَمْلَى حَدِيثًا؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: إِنَّهُ أَمْلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ حَدِيثًا إِلَى الْآنِ، فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ مِنْهَا عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ، ثُمَّ سَاقَهَا كُلَّهَا بِأَسَانِيدِهَا وَأَلْفَاظِهَا، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مَعَ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ الْعِلْمُ بِالْقِرَاءَاتِ وَالنَّحْوِ وَالْفِقْهِ وَالشِّعْرِ، مَعَ الْأَمَانَةِ وَالْعَدَالَةِ وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٣٨٥هـ) وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ تِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

٩- **يُوسُفُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ،** أَبُو مُحَمَّدٍ **النَّحْوِيُّ بْنُ النَّحْوِيِّ،** وَهُوَ الَّذِي تَمَّمَ شَرْحَ أَبِيهِ لِكِتَابِ سِيبَوَيْهِ، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى عِلْمٍ وَدِينٍ، وتوفي فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٣٨٥هـ) عَنْ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّانَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

١٠- **أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ،** مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، **الْوَاعِظُ الْمُذَكِّرُ، الزَّاهِدُ،** الْمُتَعَبِّدُ، الرَّجُلُ الصَّالِحُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، وَصَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ **" قُوتَ الْقُلُوبِ "** وَذَكَرَ فِيهِ أَحَادِيثَ لَا أَصْلَ لَهَا، وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ فِي الْجَامِعِ بِبَغْدَادَ.

نَشَأَ بِمَكَّةَ ودَخَلَ الْبَصْرَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ، فَانْتَمَى إِلَى مَقَالَتِهِ، وَدَخَلَ

بَغْـدَادَ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسُ الْوَعْظِ بِهَا، **فَغَلِطَ فِي كَلَامٍ**، وَحُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ أَضَرُّ مِنَ الْخَالِقِ، فَبَدَّعَهُ النَّاسُ وَهَجَرُوهُ. وَقَدْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا مِمَّنْ يُبِيحُ السَّمَاعَ

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٣٨٥هـ)، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ بِالْقُرْبِ مِنْ جَامِعِ الرُّصَافَةِ.

١١- **الْعَزِيـزُ صَاحِـبُ مِصْرَ**، نِزَارُ بْـنُ الْمُعِزِّ مَعَدٍّ أَبِـي تَمِيمٍ، وَيُكَنَّـى بِأَبِي مَنْصُورٍ، وَيُلَقَّـبُ بِالْعَزِيـزِ، تُوُفِّيَ سـنة (٣٨٦هــ) عَنْ ثِنْتَيْـنِ وَأَرْبَعِينَ سَـنَةً، وولَايَتُهُ (٢١) سَـنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ، **وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْحَاكِمُ**.

وَكَانَ الْعَزِيـزُ قَـدِ اسْـتَوْزَرَ رَجُـلًا **نَصْرَانِيًّا**، يُقَـالُ لَهُ: **عِيسَـى بْنُ** نِسْـطُورِسَ، وَآخَرَ يَهُودِيًّا اسْـمُهُ مِيشَـا، فَعَزَّ بِسَـبَبِهِمَا أَهْلُ هَاتَيْنِ الْمِلَّتَيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّـى كَتَبَـتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ قِصَّةً فِـي حَاجَةٍ لَهَا، تَقُولُ فِيهَا: بِالَّذِي أَعَزَّ النَّصَارَى بِعِيسَـى بْنِ نِسْـطُورِسَ، وَالْيَهُودَ بِمِيشَا، وَأَذَلَّ الْمُسْلِمِينَ بِكَ إِلَّا مَا كَشَفْتَ ظُلَامَتِي، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، وصادرهما.

١٢- **الْحَسَـنُ بْنُ عَبْـدِ اللهِ** بْنِ سَـعِيدٍ، **أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْـكَرِيُّ اللُّغَوِيُّ** الْعَلَّامَـةُ فِي فَنِّهِ وَتَصَانِيفِهِ الْمُفِيدُ فِي اللُّغَةِ وَغَيْرِهَا، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ **يَمِيلُ إِلَى الْمُعْتَزِلَةِ**، وَلَمَّا قَدِمَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ هُوَ وَفَخْرُ الدَّوْلَةِ الْبَلْدَةَ الَّتِي كَانَ فِيهَا أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْـكَرِيُّ -وَقَدْ كَبُرَ وَأَسَـنَّ- بَعَثَ إِلَيْهِ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ بِرُقْعَةٍ فِيهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

وَلَـمَّـا أَبَـيْـتُـمْ أَنْ تَــزُورُوا وَقُـلْـتُـمُ ... ضَعُفْنَا فَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخْدَانِ[١]
أَتَـيْـنَـاكُـمُ مِـنْ بَـعْـدِ أَرْضٍ نَـزُورُكُـمْ ... فَـكَـمْ مِـنْ مَـنْـزِلٍ بِـكْـرٍ لَـنَـا وَعَـوَانِ
نُـنَـاشِـدُكُـمُ هَـلْ مِـنْ قِـرًى لِـنَـزِيـلِـكُـمْ ... بِـطُـولِ جِــوَارٍ لَا بِـمِـلْءِ جِـفَـانِ

(١) الوخدان: الإسراع وسعة الخطو. تاج العروس: (و خ د).

فَكَتَبَ الْعَسْكَرِيُّ الْجَوَابَ فِي ظَهْرِهَا:

أَرُومُ نَهُوضًا ثُمَّ يَثْنِي عَزِيمَتِي تَعَوُّذُ أَعْضَائِي مِنَ الرَّجَفَانِي
فَضَمَّنْتُ بَيْتَ ابْنِ الشَّرِيدِ كَأَنَّمَا تَعَمَّدَ تَشْبِيهِي بِهِ وَعَنَانِي
أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ

ثُمَّ تَحَامَلَ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ، وَصَارَ إِلَى الصَّاحِبِ، تُوُفِّيَ الْعَسْكَرِيُّ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ سنة (٣٨٧هـ) وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

١٣- الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ **ابْنِ زُولَاقٍ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمِصْرِيُّ **الْحَافِظُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي قُضَاةِ مِصْرَ**، ذَيَّلَ بِهِ عَلَى كِتَابِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ الْكِنْدِيِّ، انْتَهَى الْكِنْدِيُّ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَذَيَّلَ ابْنُ زُولَاقٍ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. و كَانَتْ وَفَاته سنة (٣٨٧هـ).

١٤-**ابْنُ بَطَّةَ**، عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْعُكْبَرِيُّ، **أَحَدُ عُلَمَاءِ الْحَنَابِلَةِ**، وَلَهُ الْكُتُبُ وَالتَّصَانِيفُ الْكَثِيرَةُ الْحَافِلَةُ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْبَغَوِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ النَّيْسَابُورِيِّ وَابْنِ صَاعِدٍ وَخَلْقٍ، وَعَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ.

وَقَدْ تَصَدَّى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ لِلْكَلَامِ فِي ابْنِ بَطَّةَ وَالطَّعْنِ فِيهِ؛ بِسَبَبِ ادِّعَائِهِ سَمَاعَ " السُّنَنِ " لِرَجَاءِ بْنِ مُرَجَّى وَ" مُعْجَمِ الْبَغَوِيِّ "، فَانْتُدِبَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ لِلرَّدِّ عَلَى الْخَطِيبِ، وكَانَتْ وَفَاته سنة (٣٨٧هـ).

١٥-**فَخْرُ الدَّوْلَةِ** عَلِيُّ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ **بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ**، مَلِكُ **بِلَادِ الرَّيِّ** وَنَوَاحِيهَا، وَحِينَ مَاتَ أَخُوهُ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ، كَتَبَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ بِالْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ، فَوَلَّاهُ الْمُلْكَ بَعْدَ أَخِيهِ، وَاسْتَوْزَرَ ابْنَ عَبَّادٍ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ. تُوُفِّيَ سنة (٣٨٧هـ) عَنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، كانت مُدَّةَ مُلْكِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَتَرَكَ **مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا**؛ مِنَ الذَّهَبِ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِنَ

الْجَوَاهِرِ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ قِطْعَةٍ، يُقَارِبُ قِيمَتُهَا ثَلَاثَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ زِنَتُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَمِنَ الْفِضَّةِ زِنَتُهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَمِنَ الثِّيَابِ ثَلَاثَةُ آلَافِ حِمْلٍ، وَخِزَانَةُ السِّلَاحِ أَلْفَا حِمْلٍ، وَمِنَ الْفُرُشِ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ حِمْلٍ، وَمِنَ الْأَمْتِعَةِ مَا يَلِيقُ بِالْمُلُوكِ.

وَمَعَ هَذَا لَيْلَةَ تُوُفِّيَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وُصُولٌ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ كَفَنٌ إِلَّا ثَوْبُ رَجُلٍ مِنَ الْمُجَاوِرِينَ فِي الْمَسْجِدِ، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ بِالْمُلْكِ، حَتَّى تَمَّ لِوَلَدِهِ **رُسْتُمَ** مِنْ بَعْدِهِ، **فَأَنْتَنَ الْمَلِكُ**، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَرَبَطُوهُ فِي حِبَالٍ وَجَرُّوهُ عَلَى دَرَجِ الْقَلْعَةِ، فَتَقَطَّعَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

١٦- **ابْنُ سَمْعُونَ الْوَاعِظُ**، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سَمْعُونَ الْوَاعِظُ أَحَدُ الصُّلَحَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، وَكَانَ **يُقَالُ لَهُ: النَّاطِقُ بِالْحِكْمَةِ**، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ وَطَبَقَتِهِ، وَكَانَ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي الْوَعْظِ وَالتَّدْقِيقِ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَكَانَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ وَمُكَاشَفَاتٌ، وكَانَتْ وَفَاته سنة (٣٨٧هـ).

١٧- **نُوحُ بْنُ مَنْصُورِ** بْنِ نُوحِ بْنِ نَصْرٍ، أَبُو الْقَاسِمِ السَّامَانِيُّ، **آخِرُ مُلُوكِ** السَّامَانِيَّةِ، مَلِكُ خُرَاسَانَ، وَغَزْنَةَ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَلِيَ الْمُلْكَ وَلَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَاسْتَمَرَّ فِي الْمُلْكِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ.

ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ خَوَاصُّهُ، وَأَجْلَسُوا أَخَاهُ عَبْدَ الْمَلِكِ مَكَانَهُ، فَقَصَدَهُمْ **مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ**، فَانْتَزَعَ الْمُلْكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي الْمُلْكِ (١٠٢) سنة، فَبَادَ مُلْكُهُمْ فِي هَذَا الْعَامِ، وَلِلَّهِ النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ.

وكَانَتْ وَفَاته سنة (٣٨٧هـ).

١٨- **أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ** - وَيُقَالُ: أَحْمَدُ - بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطَّابِ **الْخَطَّابِيُّ** الْبُسْتِيُّ أَحَدُ الْمَشَاهِيرِ الْأَعْيَانِ، وَالْفُقَهَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الْمُكْثِرِينَ، لَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ "

مَعَالِمُ السُّـنَنِ " وَ " **شَـرْحُ الْبُخَارِيِّ** " وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ النَّافِعَةِ الْمُفِيدَةِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ:

مَا دُمْـتَ حَيًّا فَـدَارِ النَّـاسَ كُلَّهُمُ ... فَـإِنَّـمَـا أَنْـتَ فِـي دَارِ الْـمُـدَارَاةِ
مَنْ يَدْرِ دَارَى وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى ... عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ نَـدِيـمًـا لِـلـنَّـدَامَـاتِ

وكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَدِينَةِ بُسْتَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٣٨٨هـ)

١٩ – **زَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى **السَّرَخْسِيُّ** الْمُقْرِئُ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ، شَيْخُ عَصْرِهِ بِخُرَاسَـانَ، قَرَأَ عَلَى ابْنِ مُجَاهِدٍ، وَتَفَقَّهَ بِأَبِي إِسْـحَاقَ الْمَرْوَزِيِّ إِمَامِ الشَّـافِعِيَّةِ، وَأَخَذَ عِلْمَ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالنَّحْوِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ. وكَانَتْ وَفاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سنة (٣٨٩هـ) عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٠ – **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ أَبِي مُوسَـى، **أَبُو بَكْرٍ الْهَاشِـمِيُّ**، الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ، الْقَاضِي بِالْمَدَائِـنِ وَغَيْرِهَـا، وَخَطَبَ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَسَـمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَوَى عَنْـهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ بِانْتِخَـابِ أَبِي الْحَسَـنِ الدَّارَقُطْنِيِّ الْحَافِـظِ الْكَبِيرِ، **وَكَانَ عَفِيفًا نَزِهًا ثِقَـةً دَيِّنًا**. تُوفِّيَ فِي مُحَرَّمِ سنة (٣٩٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٢١ – **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ** الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هَارُونَ، أَبُو الْحُسَيْنِ الدَّقَّاقُ، الْمَعْـرُوفُ **بِابْنِ أَخِي مِيمِي**، سَـمِعَ الْبَغَوِيَّ وَغَيْرَهُ، وَعَنْـهُ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ يَكْتُبُ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا دَيِّنًا فَاضِلًا، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ،

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣٩٠هـ).

٢٢ – **الْجَرِيـرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَرَارَا**، اسْـمُهُ الْمُعَافَى بْـنُ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ حُمَيْدِ بْـنِ حَمَّادِ بْنِ دَاوُدَ، أَبُو الْفَـرَجِ النَّهْرَوَانِيُّ الْقَاضِي؛ لِأَنَّهُ نَابَ فِي الْحُكْمِ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طَـرَارَا الْجَرِيرِيُّ؛ لِاشْـتِغَالِهِ عَلَى ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ، وَسُـلُوكُهُ وَرَاءَهُ فِي مَذْهَبِهِ، سَـمِعَ

الْحَدِيثَ مِنَ الْبَغَوِيِّ وَابْنِ صَاعِدٍ وَخَلْقٍ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ،

وَكَانَ ثِقَةً عَالِمًا فَاضِلًا، كَثِيرَ الْآدَابِ وَالتَّفَنُّنِ فِي أَصْنَافِ الْعُلُومِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْكَثِيرَةُ، مِنْهَا كِتَابُهُ الْمُسَمَّى بِـ "الْجَلِيسِ وَالْأَنِيسِ" فِيهِ فَوَائِدُ جَمَّةٌ كَثِيرَةٌ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٩٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٢٣-**أَمَةُ السَّلَامِ بِنْتُ الْقَاضِي** أَبِي بَكْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ كَامِلِ بْنِ خَلَفِ بْنِ شَجَرَةَ، أُمُّ الْفَتْحِ، سَمِعَتْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَصَلَانِيِّ وَغَيْرِهِ، وَعَنْهَا الْأَزْهَرِيُّ، وَالتَّنُوخِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ وَغَيْرُهُمْ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا غَيْرُ وَاحِدٍ فِي دِينِهَا، وَفَضْلِهَا، وَسِيَادَتِهَا. وَتُوُفِّيَتْ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (٣٩٠هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٤- **الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَجَّاجِ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ **الشَّاعِرُ الْمَاجِنُ الْمُقْذِعُ** فِي نَظْمِهِ بِأَلْفَاظٍ يَسْتَنْكِفُ اللِّسَانُ عَنِ التَّلَفُّظِ بِهَا، وَالْأُذُنَانِ عَنِ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهَا، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ مِنْ كِبَارِ الْعُمَّالِ، وَوَلِيَ هُوَ **حِسْبَةَ بَغْدَادَ** فِي أَيَّامِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا نُوَّابًا سِتَّةً، وَتَشَاغَلَ هُوَ بِالشِّعْرِ السَّخِيفِ وَالرَّأْيِ الضَّعِيفِ.

إِلَّا أَنَّ شِعْرَهُ جَيِّدٌ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ، وَفِيهِ قُوَّةٌ جَيِّدَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنٍ وَاقْتِدَارٍ عَلَى سَبْكِ الْمَعَانِي الْقَبِيحَةِ، فِي الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ الْمُسْتَجَادَةِ. وَقَدِ امْتَدَحَ مَرَّةً صَاحِبَ مِصْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ. وتوفي سنة (٣٩١هـ).

٢٥-**عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ**، أَبُو الْحَسَنِ **الْخَوْزِيُّ**، الْقَاضِي بِالْمُخَرَّمِ، وَحَرِيمِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْجِهَاتِ، **وَكَانَ ظَاهِرِيًّا عَلَى مَذْهَبِ دَاوُدَ**، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًا، تَحَاكَمَ إِلَيْهِ وَكِيلَانِ، فَبَكَى أَحَدُهُمَا فِي أَثْنَاءِ الْخُصُومَةِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَرِنِي وِكَالَتَكَ، فَنَاوَلَهُ فَقَرَأَهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَمْ يَجْعَلْ إِلَيْكَ أَنْ تَبْكِيَ عَنْهُ. فَاسْتَضْحَكَ النَّاسَ، وَنَهَضَ الْوَكِيلُ خَجِلًا. توفي سنة (٣٩١هـ).

٢٦-أَبُو الْفَتْحِ **عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ الْمَوْصِلِيُّ النَّحْوِيُّ** اللُّغَوِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْفَائِقَةِ الْمُتَدَاوَلَةِ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ عَبْدًا رُومِيًّا مَمْلُوكًا لِسُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدِ بْنِ

أَحْمَدَ الْأَزْدِيِّ الْمَوْصِلِيِّ. **وَمِنْ شِعْرِهِ:**

فَــإِنْ أُصْــبِـحْ بِــلَا نَـسَـبٍ ... فَعِلْمِي فِي الْـوَرَى نَسَبِي
عَـلَـى أَنِّــي أَؤُولُ إِلَــى ... قُـــرُوم سَـــادَةٍ نُـجُـبِ
قَـيَـاصِـرَةٍ إِذَا نَـطَـقُـوا ... أَرَمَّ الـدَّهْـرُ ذُو الْخُطُبِ
أُولَاكَ دَعَـا الـنَّـبِيُّ لَـهُـمْ ... كَـفَـى شَـرَفًـا دُعَـاءُ نَبِي

وَقَدْ أَقَامَ بِبَغْدَادَ، وَدَرَسَ بِهَا الْعِلْمَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ في صفر سنة (٣٩٢هـ) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ.

٢٧-**أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ** بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ **الْجُرْجَانِيُّ، الْقَاضِي بِالرَّيِّ**، الشَّاعِرُ الْمَاهِرُ سَمِعَ الْحَدِيث، وَتَرَقَّى فِي الْعُلُومِ حَتَّى أَقَرَّ لَهُ النَّاسُ بِالتَّفَرُّدِ، **وَلَهُ أَشْعَارٌ حِسَانٌ** مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

يَـقُـولُـونَ لِـي فِيكَ انْـقِـبَـاضٌ وَإِنَّـمَـا ... رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَـنْ أَكْـرَمَـتْـهُ عِـزَّةُ النَّفْسِ أُكْـرِمَـا
وَلَـمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَـــدَا طَـمَـعٌ صَـيَّـرْتُـهُ لِـي سُـلَّـمَـا
إِذَا قِيلَ هَـذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَـدْ أَرَى ... وَلَـكِـنَّ نَفْسَ الْـحُـرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي ... لِأَخْـدُمَ مَـنْ لَاقَـيْـتُ لَكِنْ لِأُخْـدَمَـا
أَأَشْـقَـى بِـهِ غَـرْسًـا وَأَجْـنِـيـهِ ذِلَّـةً ... إِذًا فَاتِّبَاعُ الْجَهْلِ قَـدْ كَـانَ أَحْزَمَا
وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَـوْ عَـظَّـمُـوهُ فِـي الـنُّـفُـوسِ لَعُظِّمَا
وَلَـكِـنْ أَهَــانُــوهُ فَـهَـانَ وَدَنَّــسُـوا ... مُـحَـيَّـاهُ بِـالْأَطْـمَـاعِ حَـتَّـى تَجَهَّمَا

وَمِنْ مُسْتَجَادِ شِعْرِهِ أَيْضًا:

مَـا تَـطَـعَّـمْـتُ لَــذَّةَ الْـعَـيْـشِ حَتَّى ... صِـرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْـكِـتَـابِ جَلِيسًا
لَـيْسَ شَـيْءٌ أَعَـزَّ عِـنْـدِي مِـنَ الْعِلْـ ... ـمِ فَـمَـا أَبْـتَـغِـي سِـــوَاهُ أَنِـيـسَـا
إِنَّــمَــا الـــذُّلُّ فِــي مُـخَـالَـطَـةِ الـنَّـا ... سِ فَـدَعْـهُـمْ وَعِـشْ عَـزِيـزًا رَئِيسًا

تُوُفِّيَ سنة (٣٩٢هـ)، وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرْجَانَ فَدُفِنَ بِهَا.

٢٨-**مَيْمُونَةُ بِنْتُ شَاقُولَةَ الْوَاعِظَةُ**، الَّتِي هِيَ لِلْقُرْآنِ حَافِظَةٌ، ذَكَرَتْ يَوْمًا فِي وَعْظِهَا أَنَّ ثَوْبَهَا الَّذِي عَلَيْهَا - وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ - لَهُ فِي صُحْبَتِهَا تَلْبَسُهُ مُنْذُ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَا تَغَيَّرَ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ غَزْلِ أُمِّهَا، قَالَتْ: وَالثَّوْبُ إِذَا لَمْ يُعْصَ اللهُ فِيهِ، لَا يَتَخَرَّقُ سَرِيعًا. وَقَالَ ابْنُهَا عَبْدُ الصَّمَدِ: كَانَ فِي دَارِنَا حَائِطٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَا نَدْعُو الْبَنَّاءَ لِيُصْلِحَ هَذَا الْجِدَارَ؟ فَأَخَذَتْ رُقْعَةً، فَكَتَبَتْ، فِيهَا شَيْئًا، ثُمَّ أَمَرَتْنِي أَنْ أَضَعَهَا فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْجِدَارِ، فَوَضَعْتُهَا، فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ عِشْرِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَعْلِمَ مَا كَتَبَتْ فِي الرُّقْعَةِ فَحِينَ أَخَذْتُهَا مِنَ الْجِدَارِ سَقَطَ، وَإِذَا فِي الرُّقْعَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١] بِسْمِ اللهِ يَا مُمْسِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَمْسِكْهُ. توفيت في سنة (٣٩٣هـ).

٢٩-**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُحَمَّد، أَبُو نَصْرٍ الْبُخَارِيُّ **الْمَعْرُوفُ بِالْمَلَاحِمِيِّ**، أَحَدُ الْحُفَّاظِ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ مَحْمُودِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْبُخَارِيِّ، وَرَوَى عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ كُلَيْبٍ وَغَيْرِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ. تُوُفِّيَ بِبُخَارَى فِي شَعْبَانَ سَنَةَ (٣٩٥هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٣٠- **ابْنُ فَارِسٍ**، أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ الرَّازِيُّ اللُّغَوِيُّ **صَاحِبُ " الْمُجْمَلِ "** فِي اللُّغَةِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِهَمَذَانَ، وَلَهُ رَسَائِلُ حِسَانٌ، أَخَذَ عَنْهُ الْبَدِيعُ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (٣٩٥هـ).

وَمِنْ رَائِقِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلا ... وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ
فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ ... وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدِّرْهَمُ

٣١- **أَبُو سَعْدٍ إِسْمَاعِيلُ** بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجُرْجَانِيُّ **الْمَعْرُوفُ بِالْإِسْمَاعِيلِيِّ**، وَرَدَ بَغْدَادَ وَالدَّارَقُطْنِيُّ حَيٌّ، **وَحَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ** أَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيِّ وَالْأَصَمِّ وَابْنِ عَدِيٍّ،

وَحَدَّث عَنْهُ الْخَلَّالُ وَالتَّنُوخِيُّ، وَكَانَ ثِقَةً فَاضِلًا، فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، عَارِفًا بِالْعَرَبِيَّةِ، سَخِيًّا جَوَّادًا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَهُ وَرَعٌ.

كَانَتْ وفاته فَجْأَةً بِجُرْجَانَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ، فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا قَرَأَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] فَاضَتْ نَفْسُهُ فَمَاتَ سنة (٣٩٦هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٣٢- **أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ** بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِبْنِ يَحْيَى **بْنُ مَنْدَهْ الْأَصْفَهَانِيُّ** الْحَافِظُ، مِنْ بَيْتِ الْحَدِيثِ وَالْحِفْظِ، رَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ "التَّارِيخَ" وَ "الشُّيُوخَ". قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ: مَا رَأَيْتُ أَحْفَظَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَنْدَهْ. تُوُفِّيَ بِأَصْفَهَانَ فِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٣٩٦هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّانَا بِرَحْمَتِهِ.

٣٣- **عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عُمَرَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَبُو الْقَاسِمِ **الدِّينَوَرِيُّ**، الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ، قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَدَرَسَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَلْمَانَ النَّجَّادِ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَزَجِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ.

وَكَانَ ثِقَةً صَالِحًا، **يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ** فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَاسْتِعْمَالِ الصِّدْقِ الْمَحْضِ، وَالتَّعَفُّفِ وَالتَّقَشُّفِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُسْنِ وَعْظِهِ وَنَفْعِهِ فِي الْقُلُوبِ.

جَاءَهُ يَوْمًا رَجُلٌ بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ: أَنَا غَنِيٌّ عَنْهَا. قَالَ: خُذْهَا فَفَرِّقْهَا عَلَى أَصْحَابِكَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ضَعْهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَوَضَعَهَا، ثُمَّ قَالَ لِلْجَمَاعَةِ: لِيَأْخُذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَاجَتَهُ مِنْهَا، فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ بِقَدْرِ حَاجَاتِهِمْ حَتَّى أَنْفَذُوهَا، وَجَاءَ وَلَدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَشَكَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُمْ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى الْبَقَّالِ، فَخُذْ عَلَيَّ رُبُعَ رِطْلِ تَمْرٍ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٣٩٧هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

٣٤-**أَبُو الْعَبَّاسِ** بْنُ وَاصِلٍ، **صَاحِبُ سِيرَافَ**[1] وَالْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبِلَادِ، كَانَ أَوَّلًا يَخْدِمُ بِالْكَرْخِ، **وَكَانَ مُتَصَوَّرًا لَهُ أَنَّهُ سَيَمْلِكُ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَهْزَءُونَ بِهِ.**

فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِذَا مَلَكْتَ فَاسْتَخْدِمْنِي، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اخْلَعْ عَلَيَّ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: عَاقِبْنِي. **فَقُدِّرَ لَهُ أَنْ تَتَقَلَّبَ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَنْ مَلَكَ سِيرَافَ ثُمَّ الْبَصْرَةَ وَأَخَذَ بِلَادَ الْبَطِيحَةِ** مِنْ مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا طَرِيدًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ احْتَاجَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ إِلَى أَنْ رَكِبَ بَقَرَةً، وَاسْتَحْوَذَ ابْنُ وَاصِلٍ عَلَى مَا هُنَاكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوَاصِلِ، وَقَصَدَ الْأَهْوَازَ، وَهَزَمَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ، فَقَتَلَهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣٩٧هـ)، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي الْبِلَادِ.

٣٥- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْمُقْرِئُ **الْمَعْرُوفُ بِالصَّيْدَلَانِيِّ**، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنِ ابْنِ صَاعِدٍ مِنَ الثِّقَاتِ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَزْهَرِيُّ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا صَالِحًا. تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سنة (٣٩٨هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالَى.

٣٦-**مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى**، أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْجُرْجَانِيُّ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الزُّهَّادِ الْعُبَّادِ**، الْمُنَاظِرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ، وَكَانَ يُدَرِّسُ فِي قَطِيعَةِ الرَّبِيعِ، وَقَدْ فُلِجَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَمَاتَ سنة (٣٩٨هـ).

٣٧-**أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ** بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، **أَبُو الْفَضْلِ الْهَمَذَانِيُّ**، الْحَافِظُ الْمَعْرُوفُ، **بِبَدِيعِ الزَّمَانِ**، صَاحِبُ الرَّسَائِلِ الرَّائِقَةِ، وَالْمَقَامَاتِ الْفَائِقَةِ، وَعَلَى مِنْوَالِهِ نَسَجَ الْحَرِيرِيُّ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ، وَشَكَرَ تَقَدُّمَهُ، وَاعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ اللُّغَةَ عَنِ ابْنِ فَارِسٍ، ثُمَّ بَرَزَ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُضَلَاءِ الْفُصَحَاءِ.

وَيُذْكَرُ أَنَّهُ سُمَّ، وَأَخَذَتْهُ سَكْتَةٌ، فَدُفِنَ سَرِيعًا، ثُمَّ عَاشَ فِي قَبْرِهِ، وَسَمِعُوا صُرَاخَهُ، فَنَبَشُوا عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، وَهُوَ آخِذٌ عَلَى لِحْيَتِهِ مِنْ هَوْلِ الْقَبْرِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ

(١) مدينة على ساحل الخليج الشرقي.

الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سنة (٣٩٨هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ وَسَامَحَهُ وَإِيَّانَا بِمَنِّهِ.

٣٨- **أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ** بْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى **الصَّدَفِيُّ** الْمِصْرِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ "**الزِّيجِ الْحَاكِمِيِّ**" فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَكَابِرِ الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَقَدْ أَرَّخَ لِمِصْرَ تَارِيخًا نَافِعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَأَمَّا هَذَا فَاشْتَغَلَ بِعِلْمِ النُّجُومِ، فَنَالَ مِنْ شَأْنِهِ مَنَالًا جَيِّدًا، وَكَانَ شَدِيدَ الِاعْتِنَاءِ بِعِلْمِ الرَّصْدِ.

وَكَانَ مَعَ هَذَا مُغَفَّلًا، سَيِّئَ الْحَالِ، رَثَّ الثِّيَابِ، طَوِيلًا يَتَعَمَّمُ، وَيَرْكَبُ حِمَارًا، فَمَنْ رَآهُ ضَحِكَ مِنْهُ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْحَاكِمِ فَيُكْرِمُهُ، وَكَانَ شَاهِدًا مُعَدَّلًا توفي سنة (٣٩٩هـ).

٣٩- **تَمَنِّي، أُمُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرِ بِاللهِ**، مَوْلَاةُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُقْتَدِرِ، كَانَتْ مِنَ **الْعَابِدَاتِ** الصَّالِحَاتِ، وَمِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالدِّينِ، تُوُفِّيَتْ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّانِيَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٣٩٩هـ)، وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُهَا الْقَادِرُ، وَحُمِلَتْ بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الرُّصَافَةِ.

٤٠- **الْحُسَيْنُ بْنُ مُوسَى** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، **أَبُو أَحْمَدَ الْمُوسَوِيُّ النَّقِيبُ، وَالِدُ الرَّضِيِّ وَالْمُرْتَضَى**، وَلِيَ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ مَرَّاتٍ بِبَغْدَادَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ مَرَّاتٍ، يُعْزَلُ وَيُعَادُ ثُمَّ أَضَرَّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَتُوُفِّيَ سنة (٤٠٠هـ) عَنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْمُرْتَضَى، وَدُفِنَ فِي مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ.

وَقَدْ رَثَاهُ ابْنُهُ الْمُرْتَضَى بِقَصِيدَةٍ حَسَنَةٍ قَوِيَّةِ الْمَنْزَعِ وَالْمَطْلَعِ، مِنْهَا قَوْلُهُ:

سَلَامُ اللهِ تَنْقُلُهُ اللَّيَالِي ... وَيَهْدِيهِ الْغُدُوُّ إِلَى الرَّوَاحِ
عَلَى جَدَثٍ تَشَبَّثَ مِنْ لُؤَيٍّ ... بِيَنْبُوعِ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاحِ
فَتًى لَمْ يَرْوِ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ ... وَلَمْ يَكُ زَادُهُ غَيْرَ الْمُبَاحِ
وَلَا دَنِسَتْ لَهُ إِزْرٌ بِوِزْرٍ ... وَلَا عَلِقَتْ لَهُ رَاحٌ بِرَاحِ

٤١- **الْحَجَّــاجُ بْنُ هُرْمُزَ**، أَبُــو جعْفرٍ، **نَائِبُ بَهَــاءِ الدَّوْلَةِ** عَلَى الْعِــرَاقِ، وَكَانَ يَنْتَدِبُهُ لِقِتَــالِ الْأَعْرَابِ وَالْأَكْرَادِ، وَكَانَ مِنَ الْمُقَدَّمِينَ عَلَى عَهْدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ لَهُ خِبْرَةٌ تَامَّةٌ بِالْحَرْبِ، وَحُرْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَشُجَاعَةٌ وَافِرَةٌ، وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَآرَاءٌ سَدِيدَةٌ.

وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ فِي سَــنَةِ ثِنْتَيْنِ وَتِسْــعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ كَثُرَتْ بِهَا الْفِتَنُ وَالشُّــرُورُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْأَهْوَازِ فِي سنة (٤٠٠هـ) عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسِ سِنِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٢-**عَمِيدُ الْجُيُوشِ**، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ أُسْتَاذُ هُرْمُزَ، أَبُو عَلِيٍّ، **وَزِيرُ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ**، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ حُجَّابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَوَلَّاهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ النَّظَرَ فِي الوِزَارَة سَــنَةَ (٣٩٢هـ)، وَكانت الشُّــرُورُ عَامَّةٌ كَثِيرَةٌ، **فَمَهَّدَ الْبِلَادَ وَأَخَافَ الْعَيَّارِينَ**، وَاسْتَقَامَتْ بِهِ الْأُمُورُ، **وَأَمَرَ بَعْضَ غِلْمَانِهِ أَنْ يَحْمِلَ صِينِيَّةً فِيهَا دَرَاهِمُ مَكْشُوفَةٌ**، مِنْ أَوَّلِ بَغْــدَادَ إِلَــى آخِرِهَا فِي أَزِقَّتِهَا، فَــإِنِ اعْتَرَضَهُ أَحَدٌ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْــهِ، وَلْيَعْرِفَ ذَلِكَ الْمَكَانَ، فَذَهَبَ الْغُلَامُ، فَلَمْ يَعْتَرِضْهُ أَحَدٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَمَنَــعَ الرَّوَافِضَ مِمَّا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ فِي عَاشُــورَاءَ، وَإِقَامَةِ الْعِيدِ الْمُبْتَدَعِ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: غَدِيرُ خُمٍّ. وَكَانَ عَادِلًا مُنْصِفًا، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٠١هـ).

٤٣-**أَبُــو عُبَيْــدٍ الْهَرَوِيُّ، أَحْمَــدُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّــدِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الْعَبْــدِيُّ اللُّغَوِيُّ الْبَارِعُ، **كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ**.

وَكِتَابُــهُ " الْغَرِيبَيْنِ " فِي مَعْرِفَةِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، يَــدُلُّ عَلَى اطِّلَاعِهِ وَتَبَحُّرِهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِذَةِ أَبِي مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيِّ. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٠١هـ).

٤٤-**الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي سَهْلِ **بْنِ نُوبَخْتَ**، أَبُو مُحَمَّدٍ النُّوبَخْتِيُّ الْكَاتِبُ، وُلِدَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَرَوَى عَنْ الْمَحَامِلِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَروى عَنْهُ الْبَرْقَانِيُّ، وَقَالَ: **كَانَ شِيعِيًّا مُعْتَزِلِيًّا**، إِلَّا أَنَّهُ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ كَانَ صَدُوقًا.

وَروى عنه الْأَزْهَرِيُّ، وَقَالَ: كَانَ رَافِضِيًّا رَدِيءَ الْمَذْهَبِ، وَقَالَ الْعَتِيقِيُّ: كَانَ ثِقَةً فِي الْحَدِيثِ وَيَذْهَبُ إِلَى الِاعْتِزَالِ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٠٢هـ).

٤٥ - **عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى**، أَبُو عَمْرٍو الْبَاقِلَّانِيُّ، **أَحَدُ الزُّهَّادِ** الْكِبَارِ الْمَشْهُورِينَ، كَانَتْ لَهُ نَخَلَاتٌ يَأْكُل مِنْهُنَّ، وَيَعْمَلُ بِيَدِهِ فِي الْبَوَارِيِّ، وَيَأْكُل مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الزَّهَادَةِ وَالْعِبَادَةِ الْكَثِيرَةِ، **وَكَانَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَسْجِدِهِ إِلَّا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ**، يُصَلِّي فِي الْجَامِعِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَسْجِدِهِ، وَكَانَ مَسْجِدُهُ لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ يُشْعِلُهُ فِيهِ، فَطَلَبَ مِنْهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ زَيْتًا يُشْعِلُهُ فِي قَنَادِيلِهِ، فَأَبَى الشَّيْخُ ذَلِكَ.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي رَجَبٍ سنة (٤٠٢هـ) عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٤٦ - **الْحَسَنُ بْنُ حَامِدِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْوَرَّاقُ الْحَنْبَلِيُّ، كَانَ مُدَرِّسَ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَفَقِيهَهُمْ فِي زَمَانِهِ، **وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمَشْهُورَةُ**، مِنْهَا كِتَابُ "الْجَامِعِ فِي اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ جُزْءٍ، وَلَهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَالْفِقْهِ، وَعَلَيْهِ اشْتَغَلَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى بْنُ الْفَرَّاءِ، وَكَانَ مُعَظَّمًا فِي النُّفُوسِ، مُقَدَّمًا عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ مِنَ النَّسْخِ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الشَّافِعِيِّ وَابْنِ مَالِكٍ الْقَطِيعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَخَرَجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى الْحَجِّ، فَلَمَّا عَطِشَ النَّاسُ فِي الطَّرِيقِ اسْتَنَدَ هُوَ إِلَى حَجَرٍ هُنَاكَ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَمَاتَ مِنْ فَوْرِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٠٣هـ).

٤٧ - **فَيْرُوزُ، أَبُو نَصْرٍ الْمُلَقَّبُ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ** بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيُّ، صَاحِبُ بَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ، وَهُوَ الَّذِي قَبَضَ عَلَى الطَّائِعِ وَوَلَّى الْقَادِرَ.

وَكَانَ يُحِبُّ الْمُصَادَرَاتِ، فَجَمَعَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنْ بَنِي بُوَيْهِ، وَكَانَ بَخِيلًا جِدًّا، تُوُفِّيَ بِأَرَّجَانَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٤٠٣هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ مَرَضُهُ بِالصَّرْعِ، وَدُفِنَ بِمَشْهَدِ عَلِيٍّ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ.

٤٨- **الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ، **رَأْسُ الْمُتَكَلِّمِينَ** عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ **الْأَشْعَرِيِّ، وَمِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ كَلَامًا وَتَصْنِيفًا فِي الْكَلَامِ**، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَكْتُبَ عِشْرِينَ وَرَقَةً، فِي مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنْ عُمُرِهِ. فَانْتَشَرَتْ عَنْهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، مِنْ جَيِّدِهَا كِتَابُ "التَّبْصِرَةِ"، وَ "دَقَائِقُ الْحَقَائِقِ" وَ"التَّمْهِيدُ" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَ "شَرْحُ الْإِبَانَةِ"، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَجَامِيعِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ تَصَانِيفِهِ كِتَابُهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ، الَّذِي سَمَّاهُ "كَشْفَ الْأَسْرَارِ وَهَتْكَ الْأَسْتَارِ"، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مَذْهَبِهِ فِي الْفُرُوعِ؛ فَقِيلَ: **شَافِعِيٌّ**. وَقِيلَ: **مَالِكِيٌّ**، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْفَتَاوَى: كَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ **الْحَنْبَلِيُّ**. وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا. وَقَدْ كَانَ فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ.

ذَكَرَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ [1] وَغَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بَعَثَهُ فِي رِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ إِذَا هُوَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابٍ قَصِيرٍ، فَفَهِمَ أَنَّ مُرَادَهُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْحَنِيَ كَهَيْئَةِ الرَّاكِعِ لِلْمَلِكِ، فَدَخَلَ الْبَابَ بِظَهْرِهِ وَجَعَلَ يَمْشِي الْقَهْقَرَى إِلَى نَحْوِ الْمَلِكِ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَعَرِفَ الْمَلِكُ مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ، فَعَظَّمَهُ.

وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ الْأَسَاقِفَةِ بِحَضْرَةِ مَلِكِهِمْ، فَقَالَ: مَا فَعَلَتْ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا فِيمَا رُمِيَتْ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ؟ فَقَالَ مُجِيبًا لَهُ عَلَى الْبَدِيهَةِ: **هُمَا امْرَأَتَانِ ذُكِرَتَا بِسُوءٍ؛ مَرْيَمُ وَعَائِشَةُ، فَبَرَّأَهُمَا اللهُ** عَزَّوَجَلَّ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ زَوْجٍ وَلَمْ تَأْتِ بِوَلَدٍ، وَأَتَتْ مَرْيَمُ بِوَلَدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا زَوْجٌ. يَعْنِي أَنَّ عَائِشَةَ أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ فَإِنْ تَطَرَّقَ فِي الذِّهْنِ الْفَاسِدِ احْتِمَالٌ إِلَى هَذِهِ فَهُوَ إِلَى تِلْكَ أَسْرَعُ، وَهُمَا بِحَمْدِ اللهِ مُبَرَّأَتَانِ مِنَ السَّمَاءِ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، توفي سنة (٤٠٣ هـ).

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩.

٤٩ -**مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى** بْنِ مُحَمَّدٍ، **أَبُو بَكْرٍ الْخُوارِزْمِيُّ، شَيْخُ الْحَنَفِيَّةِ** وَفَقِيهُهُمْ، وَقَدْ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الرَّازِيِّ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْمُلُوكِ، وَمِنْ تَلَامِذَتِهِ الرَّضِيُّ وَالصَّيْمَرِيُّ.

وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَيَقُولُ: دِينُنَا دِينُ الْعَجَائِزِ، لَسْنَا مِنَ الْكَلَامِ فِي شَيْءٍ. وَكَانَ فَصِيحًا حَسَنَ التَّدْرِيسِ. دُعِيَ إِلَى وِلَايَةِ الْقَضَاءِ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمْ يَقْبَلْ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

٥٠ -**الْحَافِظُ بْنُ الْفَرَضِيِّ**، أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ الْأَزْدِيُّ الْفَرَضِيُّ **قَاضِي بَلَنْسِيَةَ** سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَجَمَعَ وَحَصَّلَ وَصَنَّفَ " التَّارِيخَ "، وَفِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ وَمُشْتَبِهِ النِّسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ عَلَّامَةَ زَمَانِهِ.

قُتِلَ شَهِيدًا عَلَى يَدِ الْبَرْبَرِ سنة (٤٠٣هـ)، **فَسُمِعَ، وَهُوَ جَرِيحٌ طَرِيحٌ، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ الْحَدِيثَ الَّذِي فِي الصَّحِيحِ**: «مَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يُدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ». وَقَدْ كَانَ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ عِنْدَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ.

٥١ -**عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيُّ**، أَحَدُ شُيُوخِ **الْمُعْتَزِلَةِ**، صَنَّفَ لِلْقَادِرِ بِاللهِ " الرَّدَّ عَلَى الْبَاطِنِيَّةِ "، فَأَجْرَى عَلَيْهِ جِرَايَةً سَنِيَّةً، وَكَانَ يَسْكُنُ دَرْبَ رَبَاحٍ، تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سنة (٤٠٤هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٥٢ -**بَدْرُ بْنُ حَسْنَوَيْهِ** بْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو النَّجْمِ الْكُرْدِيُّ، كَانَ مِنْ **خِيَارِ الْمُلُوكِ بِنَاحِيَةِ الدِّينَوَرِ وَهَمَذَانَ**، لَهُ سِيَاسَةٌ وَصَدَقَةٌ كَثِيرَةٌ، كَنَّاهُ الْقَادِرُ بِاللهِ أَبَا النَّجْمِ، وَلَقَّبَهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهِ، **وَكَانَتْ البلاد التي يليها فِي غَايَةِ الْأَمْنِ**، بِحَيْثُ إِذَا أَعْيَا جَمَلُ أَحَدٍ مِنَ الْمُسَافِرِينَ فَتَرَكَهُ بِمَا عَلَيْهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، رُدَّ إِلَيْهِ - وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ - بِمَا كَانَ عَلَيْهِ لَا يُنْقَصُ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَلَمَّا عَاثَتْ أُمَرَاؤُهُ فِي الْبِلَادِ فَسَادًا عَمِلَ لَهُمْ ضِيَافَةً حَسَنَةً، فَقَدَّمَهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِخُبْزٍ، فَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ الْخُبْزَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ سَأَلُوا عَنْهُ، فَقَالَ: **إِذَا كُنْتُمْ تُهْلِكُونَ الْحَرْثَ، فَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ بِخُبْزٍ**؟! ثُمَّ قَالَ: لَا أَسْمَعُ بِأَحَدٍ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَرَقْتُ دَمَهُ.

وَاجْتَازَ مَرَّةً فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِرَجُلٍ قَدْ حَمَلَ حُزْمَةَ حَطَبٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي كَانَ مَعِي رَغِيفَانِ أُرِيدُ أَنْ أَتَقَوَّتَ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا مِنِّي بَعْضُ الْجُنْدِ. فَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُهُ إِذَا رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَوَقَفَ بِهِ فِي مَضِيقٍ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ الْجُنْدُ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ الرَّغِيفَيْنِ، قَالَ: هَذَا هُوَ. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَأَنْ يَحْمِلَ هَذِهِ الْحُزْمَةَ مِنَ الْحَطَّابِ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَرَادَ أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ ذَلِكَ بِمَالٍ جَزِيلٍ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، حَتَّى تَأَدَّبَ بِهِ الْجَيْشُ كُلُّهُم

وَكَانَ يَنفق عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ عَلَى **الْفُقَرَاءِ وَالْأَرَامِلِ** وَالْأَيْتَامِ **فِي كُلِّ جُمُعَةٍ**، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ فِي تَكْفِينِ الْمَوْتَى، وَيَصْرِفُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى عِشْرِينَ نَفْسًا يَحُجُّونَ عَنْ وَالِدَيْهِ، وَعَنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وينفق على الْحَدَّادِينَ وَالْحَذَّائِينَ لِلْمُنْقَطِعِينَ بَيْنَ هَمَذَانَ وَبَغْدَادَ، يُصْلِحُونَ لَهُمُ الْأَحْذِيَةَ وَنِعَالَ دَوَابِّهِمْ، وَيَصْرِفُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى الْمُجَاوِرِينَ للحرمين، وَعِمَارَةِ الْمَصَانِعِ، وَإِصْلَاحِ الْمِيَاهِ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ، وَحَفْرِ الْآبَارِ وَإِصْلَاحِهَا.

وَعُمِّرَ فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْخَانَاتِ مَا يُنَيِّفُ عَلَى أَلْفَيْ مَسْجِدٍ وَخَانٍ،، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ الْمُرْتَبِطَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا يُنَيِّفُ عَنْ عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٠٥هـ)، وَمُدَّةُ إِمَارَتِهِ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَتَرَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ شيئا كثيراً.

٥٣- مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ **الضَّبِّيُّ الْحَافِظُ، الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ**، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْبَيِّعِ، مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، سَمِعَ الْكَثِيرَ،

وَطَـوَّفَ فِـي الْآفَاقِ، وَصَنَّـفَ الْكُتُبَ الْكِبَـارَ وَالصِّغَارَ، فَمِـنْ ذَلِكَ "الْمُسْـتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ" وَ "عُلُومُ الْحَدِيثِ" وَ "الْإِكْلِيلُ" وَ "تَارِيخُ نَيْسَابُورَ" وَقَدْ رَوَى عَنْهُ مَشَايِخُهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَابْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالضَّبْطِ، وَالثِّقَةِ، وَالْوَرَعِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لَكِنْ قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: **كَانَ ابْنُ الْبَيِّعِ يَمِيلُ إِلَى التَّشَـيُّعِ**، فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْـحَاقَ إِبْرَاهِيـمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأُرْمَوِيُّ: قَالَ: جَمَـعَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحَادِيثَ زَعَمَ أَنَّهَا صِحَاحٌ عَلَى شَـرْطِ الْبُخَـارِيِّ وَمُسْـلِمٍ، يُلْزِمُهُمَا إِخْرَاجَهَا فِـي "صَحِيحَيْهِمَـا"، فَمِنْهَا حَدِيثُ الطَّيْرِ، وَ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِهِ، وَلَا صَوَّبُوهُ فِي فِعْلِهِ.

تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سنة (٤٠٥هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٥٤- **يُوسُـفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ كَجٍّ**، أَبُو الْقَاسِـمِ الْقَاضِي أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَلَهُ وُجُوهٌ غَرِيبَـةٌ يَحْكِيهَا فِي الْمَذْهَبِ، وَكَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ جِـدًّا، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِالدِّينَوَرِ لِبَدْرِ بْنِ حَسْـنَوَيْهِ، فَلَمَّا تَغَيَّرَتِ الْبِـلَادُ بَعْدَ مَوْتِ بَدْرٍ وَثَبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِـنَ الْعَيَّارِينَ فَقَتَلُوهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٤٠٥هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٥٥- **أَبُو حَامِدٍ الْإِسْـفَرَايِينِيُّ**، أَحْمَـدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، إِمَامُ الشَّـافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَـنَةِ (٣٤٤هـ)، قَدِمَ بَغْدَادَ، وَهُوَ صَغِيرٌ. فَدَرَسَ الْفِقْهَ عَلَى أَبِي الْحَسَـنِ بْنِ الْمَرْزُبَـانِ، ثُـمَّ عَلَى أَبِي الْقَاسِـمِ الدَّارَكِيِّ، وَلَمْ يَـزَلْ يَتَرَقَّى بِهِ الْحَالُ حَتَّـى صَارَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الشَّافِعِيَّةِ، وَعَظُمَ جَاهُهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالْعَوَامِّ

وَكَانَ ثِقَـةً إِمَامًا فَقِيهًا جَلِيلًا نَبِيلا، شَـرَحَ الْمُزَنِيَّ فِي تَعْلِيقَةٍ حَافِلَةٍ نَحْوٍ مِنْ خَمْسِـينَ مُجَلَّدًا، وَلَهُ تَعْلِيقَةٌ أُخْرَى فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.

قَـالَ الْخَطِيـبُ الْبَغْـدَادِيُّ: وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَحَضَرْتُ تَدْرِيسَـهُ بِمَسْـجِدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، فِي صَدْرِ قَطِيعَةِ الرَّبِيعِ، وَحَدَّثَنَا عَنْهُ الْأَزَجِيُّ وَالْخَلَّالُ، وَسَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّهُ

كَانَ يَحْضُرُ تَدْرِيسَهُ سَبْعُمِائَةِ مُتَفَقِّهٍ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: لَوْ رَآهُ الشَّافِعِيُّ لِفَرِحَ بِهِ.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقُدُورِيُّ: مَا رَأَيْتُ فِي الشَّافِعِيِّينَ أَفْقَهُ مِنْ أَبِي حَامِدٍ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَقَدْ ذَكَرْتُ تَرْجَمَتَهُ مُسْتَقْصَاةً فِي "طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ"، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ السَّبْتَ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيتْ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٤٠٦هـ).

٥٦- **بَادِيسُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ بُلُكِّينَ** بْنِ زِيرِي بْنِ مُنَادٍ الْحِمْيَرِيُّ، **نَائِبُ الْحَاكِمِ العبيدي عَلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ وَابْنُ نَائِبِهَا**، وَلَقَّبَهُ الْحَاكِمُ نَصِيرَ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ ذَا هَيْبَةٍ وَسَطْوَةٍ وَحُرْمَةٍ وَافِرَةٍ، كَانَ إِذَا هَزَّ رُمْحًا كَسَرَهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ بَغْتَةً لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ سَلْخَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٠٦هـ)، وَيُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ دَعَا عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْمُعِزُّ.

٥٧- **الْوَزِيرُ فَخْرُ الْمُلْكِ** مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ، أَبُو غَالِبٍ، كَانَ مِنْ أَهْلِ وَاسِطٍ وَكَانَ أَبُوهُ صَيْرَفِيًّا، فَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَنْ وَزَرَ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وَاقْتَنَى أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَكَانَ كَرِيمًا جَوَّادًا بَذَّالًا، **كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، كَسَا فِي يَوْمٍ أَلْفَ فَقِيرٍ**.

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ أَيْضًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ الْحَلَاوَةَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،(١) وَكَانَ فِيهِ **مَيْلٌ إِلَى التَّشَيُّعِ**، وَقَدْ قَتَلَهُ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ فِي سنة (٤٠٧هـ) بِالْأَهْوَازِ، وَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِ شَيْئًا كَثِيرًا أَزْيَدُ مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، خَارِجًا عَنِ الْأَمْلَاكِ وَالْأَثَاثِ وَالْمَتَاعِ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ قُتِلَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا.

وقِيلَ: إِنَّ سَبَبَ هَلَاكِهِ أَنَّ رَجُلًا قَتَلَهُ بَعْضُ غِلْمَانِهِ، فَاسْتَعْدَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ عَلَيْهِ إِلَى الْوَزِيرِ، وَرَفَعَتْ إِلَيْهِ قِصَصًا، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: أَرَأَيْتَ الْقِصَصَ الَّتِي رَفَعْتُهَا إِلَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى اللهِ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ التَّوْقِيعَ عَلَيْهَا. فَلَمَّا مُسِكَ الْوَزِيرُ، قَالَ: قَدْ وَاللهِ خَرَجَ تَوْقِيعُ الْمَرْأَةِ. فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ.

(١) في المنتظم ١٥/ ١٢٣ رمضان بدل شعبان، وما ذكره ابن كثير أي شهر شعبان أقرب، فهذه العادة لا زالت في بعض المجتمعات.

٥٨-**عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ**، أَبُو الْحَسَنِ، مُهَذِّبُ الدَّوْلَةِ، **صَاحِبُ بِلَادِ الْبَطِيحَةِ**، كَانَتْ لَهُ مَكَارِمُ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَلْجَئُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ، فَيُؤْوِيهِمْ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَكْبَرِ مَنَاقِبِهِ فِي ذَلِكَ إِحْسَانُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرِ بِاللهِ حِينَ اسْتَجَارَ بِهِ، وَنَزَلَ عِنْدَهُ بِالْبَطَائِحِ فَارًّا مِنَ الطَّائِعِ لِلَّهِ فَآوَاهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَكَانَ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى وَلِيَ إِمْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانَتْ لَهُ بِهَا عِنْدَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ وَقَدْ وَلِيَ الْبَطَائِحَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَشُهُورًا، وَتُوُفِّيَ فِي سنة (٤٠٩هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٥٩-**عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ، الْمِصْرِيُّ الْحَافِظُ، كَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَفُنُونِهِ، وَلَهُ فِيهِ الْمُصَنَّفَاتُ الْكَثِيرَةُ الشَّهِيرَةُ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: مَا رَأَيْتُ بِمِصْرَ مِثْلَ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ الْغَنِيِّ، كَأَنَّهُ شُعْلَةُ نَارٍ. وَجَعَلَ يُفَخِّمُ أَمْرَهُ وَيَرْفَعُ ذِكْرَهُ.

وَقَدْ صَنَّفَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ هَذَا كِتَابًا فِيهِ **أَوْهَامُ الْحَاكِمِ**، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ جَعَلَ يَقْرَؤُهُ عَلَى النَّاسِ، وَيَعْتَرِفُ لِعَبْدِ الْغَنِيِّ بِالْفَضْلِ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَا أَصَابَ فِيهِ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وُلِدَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٤٠٩هـ).

٦٠-**الْحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَبُو غَالِبٍ، الْوَزِيرُ الْمُلَقَّبُ ذَا السَّعَادَتَيْنِ**، وُلِدَ بِسِيرَافَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ حَتَّى وَزَرَ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ قُتِلَ سنة (٤١٢هـ) وَصُودِرَ ابْنُهُ عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

٦١-**الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْغَزَّالُ**، سَمِعَ النَّجَّادَ وَالْخُلْدِيَّ وَابْنَ السَّمَّاكِ وَغَيْرَهُمْ. قَالَ الْخَطِيبُ: كَتَبْتُ عَنْهُ، وَكَانَ شَيْخًا ثِقَةً صَالِحًا كَثِيرَ الْبُكَاءِ عِنْدَ الذِّكْرِ.

٦٢- مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْبَزَّازُ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَزْقَوَيْهِ، قَالَ الْخَطِيبُ: هُوَ **أَوَّلُ شَيْخٍ** كَتَبْتُ عَنْهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ دَرَسَ الْقُرْآنَ، وَدَرَسَ الْفِقْهَ، عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.

وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا، كَثِيرَ السَّمَاعِ وَالْكِتَابَةِ، حَسَنَ الِاعْتِقَادِ، جَمِيلَ الْمَذْهَبِ، مُدِيمًا لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمَكَثَ دَهْرًا عَلَى الْحَدِيثِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا أَحَبُّ الدُّنْيَا إِلَّا لِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتِي عَلَيْكُمُ الْحَدِيثَ.

وَقَدْ بَعَثَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ إِلَى الْعُلَمَاءِ بِذَهَبٍ، فَقَبِلُوا كُلُّهُمْ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤١٢هـ)

٦٣- **أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى النَّيْسَابُورِيُّ، رَوَى عَنِ الْأَصَمِّ وَغَيْرِهِ، وَعَنْهُ مَشَايِخُ الْبَغَادِدَةِ، كَالْأَزْهَرِيِّ وَالْعُشَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَرَوَى عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَانَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَخْبَارِ الصُّوفِيَّةِ، فَصَنَّفَ لَهُمْ تَفْسِيرًا وَسُنَنًا وَتَارِيخًا، وَجَمَعَ شُيُوخًا وَتَرَاجِمَ وَأَبْوَابًا، لَهُ بِنَيْسَابُورَ دَارٌ مَعْرُوفَةٌ، وَفِيهَا صُوفِيَّةٌ، وَبِهَا قَبْرُهُ. ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامَ النَّاسِ فِي تَضْعِيفِهِ فِي الرِّوَايَةِ، فَحَكَى عَنِ الْخَطِيبِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْقَطَّانِ أَنَّهُ قَالَ: **لَمْ يَكُنْ بِثِقَةٍ**، فَلَمَّا مَاتَ الْحَاكِمُ رَوَى عَنْهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، **وَكَانَ يَضَعُ لِلصُّوفِيَّةِ الْأَحَادِيثَ**. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ سنة (٤١٢هـ).

٦٤- **صَرِيعُ الدِّلَاءِ الشَّاعِرُ الْمَاجِنُ**، أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْفَقِيهُ الْبَغْدَادِيُّ، قَتِيلُ الْغَوَاشِي ذِي الرَّقَاعَتَيْنِ، **لَهُ قَصِيدَةٌ مَقْصُورَةٌ فِي الْهَزْلِ**، عَارَضَ بِهَا قَصِيدَةَ ابْنِ دُرَيْدٍ، يَقُولُ فِيهَا:

وَأَلْفُ حِمْلٍ مِنْ مَتَاعٍ تُسْتَرٍ ... أَنْفَعُ لِلْمِسْكِينِ مِنْ لَقْطِ النَّوَى
مَنْ طَبَخَ الدِّيكَ وَلَا يَذْبَحُهُ ... طَارَ مِنَ الْقِدْرِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى

إِلَى أَنْ خَتَمَهَا بِالْبَيْتِ الَّذِي حُسِدَ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ وَأَخْطَاهُ الْغِنَى فَذَاكَ وَالْكَلْبُ عَلَى حَدٍّ سَوَا

قَدِمَ مِصْرَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَامْتَدَحَ فِيهَا خَلِيفَتَهَا الظَّاهِرَ لِإِعْزَازِ دِينِ اللهِ بْنَ الْحَاكِمِ، وَاتَّفَقَتْ وَفَاتُهُ بِهَا فِي رَجَبِ هَذِهِ السَّنَةِ، سَامَحَهُ اللهُ.

٦٥-**ابْنُ الْبَوَّابِ الْكَاتِبُ**، عَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ، أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْبَوَّابِ، صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَنْسُوبِ، صَحِبَ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ سَمْعُونَ الْوَاعِظَ، وَكَانَ يَقُصُّ بِجَامِعِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَثْنَى عَلَى ابْنِ الْبَوَّابِ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي دِينِهِ، وَأَمَّا خَطُّهُ وَطَرِيقَتُهُ فَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ، وَخَطُّهُ أَوْضَحُ تَعْرِيبًا مِنْ خَطِّ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ أَكْتَبُ مِنْهُ، وَعَلَى طَرِيقَتِهِ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ إِلَّا الْقَلِيلَ. توفي سنة (٤١٣هـ).

٦٦-**عَلِيُّ بْنُ عِيسَى** بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبَانٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْفَارِسِيُّ، الْمَعْرُوفُ **بِالسُّكَّرِيِّ**، الشَّاعِرُ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَيَعْرِفُ الْقِرَاءَاتِ، وَصَحِبَ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيَّ، **وَأَكْثَرُ شِعْرِهِ فِي مَدِيحِ الصَّحَابَةِ وَذَمِّ الرَّافِضَةِ**. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ سنة (٤١٣هـ).

٦٧- **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ**، الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ الْمُعَلِّمِ**، **شَيْخُ الْإِمَامِيَّةِ الرَّافِضَةِ**، وَالْمُصَنِّفُ لَهُمْ، وَالْمُحَامِي عَنْ حَوْزَتِهِمْ، كَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ مُلُوكِ الْأَطْرَافِ، لِمَيْلِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى التَّشَيُّعِ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ يَحْضُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ سَائِرِ الطَّوَائِفِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ تَلَامِيذِهِ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى، وَقَدْ رَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي رَمَضَانَ سنة (٤١٣هـ).

٦٨-**عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَهْضَمٍ**، أَبُو الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ الْمَكِّيُّ صَاحِبُ "بَهْجَةِ الْأَسْرَارِ" كَانَ شَيْخَ الصُّوفِيَّةِ بِمَكَّةَ، وَبِهَا تُوُفِّيَ سنة (٤١٤هـ). قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَذَّابًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي وَضَعَ حَدِيثَ صَلَاةِ الرَّغَائِبِ.

٦٩-**أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ الضَّبِّيُّ، **أَبُو الْحَسَنِ الْمَحَامِلِيُّ**، نِسْبَةً إِلَى بَيْعِ الْمَحَامِلِ، تَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَبَرَعَ فِي الْفِقْهِ، حَتَّى كَانَ

الشَّـيْخُ أَبُو حَامِدٍ يَقُولُ: هُوَ أَحْفَظُ لِلْفِقْهِ مِنِّي. وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمَشْـهُورَةُ مِنْهَا "اللُّبَابُ" وَ "الْأَوْسَطِ" وَ"الْمُقْنِعُ"، وَلَهُ فِي الْخِلَافِ، وَعَلَّقَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ تَعْلِيقَةً كَبِيرَةً. قَالَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ(١). وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ من رَبِيعِ الْآخَرِ سنة (٤١٥هـ)، وَهُوَ شَابٌّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالَى.

٧٠- **مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَبُو الْحَسَنِ** الْأَقْسَاسِيُّ الْعَلَوِيُّ، نَائِبُ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى فِي إِمْرَةِ الْحَجِّ، فَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سِنِينَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَهُ فَصَاحَةٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ مِنْ سُلَالَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ. وَتُوُفِّيَ سنة (٤١٥هـ).

٧١- **سَـابُورُ بْنُ أَرْدَشِـيرَ، وَزَرَ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ** أَبِي نَصْرِ بْنِ عَضُـدِ الدَّوْلَةِ ثَلَاث مَرَّاتٍ، وَوَزَرَ لِمُشَـرِّفِ الدَّوْلَةِ أَيْضًا، وَكَانَ كَاتِبًا سَـدِيدًا عَفِيفًا عَنِ الْأَمْوَالِ، كَثِيرَ الْخَيْرِ، سَـلِيمَ الْبَاطِنِ، وَكَانَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنِ الصَّلَاةِ، وَقَدْ وَقَفَ دَارًا لِلْعِلْمِ فِي سِنَةِ إِحْـدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَجَعَلَ فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً جِـدًّا، وَوَقَّفَ عَلَيْهَا غَلَّةً كَثِيرَةً، فَبَقِيَتْ سَـبْعِينَ سَـنَةً، ثُمَّ أُحْرِقَتْ عِنْدَ مَجِيءِ الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدْ كَانَ جَيِّدَ الْمُعَاشَرَةِ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٤١٦هـ) وَقَدْ قَارَبَ التِّسْعِينَ.

٧٢- **مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحَانِ**، أَبُو مَنْصُورٍ، الْوَزِيرُ لِمُشَرِّفِ الدَّوْلَةِ وَلِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَيْضًا، **كَانَ وَزِيرَ صِدْقٍ**، جَيِّدَ الْمُبَاشَرَةِ، **حَسَنَ الصَّلَاةِ**، مُحَافِظًا عَلَى أَوْقَاتِهَا، وَكَانَ مُحْسِنًا إِلَى الشُّعَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ فِي سنة (٤١٦هـ) عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٧٣- **عَلِـيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّهَامِيُّ أَبُو الْحَسَـنِ**، لَهُ دِيوَانٌ مَشْـهُورٌ، وَلَهُ مَرْثَـاةٌ فِي وَلَدِهِ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ صَغِيرًا أَوَّلُهَا:

حُـكْـمُ الْـمَـنِـيَّـةِ فِـي الْـبَـرِيَّـةِ جَـارِي ... مَـا هَـــذِهِ الـدُّنْـيَـا بِـــدَارِ قَـــرَارِ

وَمِنْهَا فِي ذَمِّ الدُّنْيَا، وَكُلُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَلِيحٌ مُخْتَارٌ:

طُبِعَـتْ عَلَـى كَـدَرٍ وَأَنْـتَ تُرِيدُهَـا ... صَـفْـوًا مِـنَ الْأَقْـــذَارِ وَالْأَكْـــدَارِ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٧٥.

وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ

تُوُفِّيَ بِحَبْسِ خِزَانَةِ الْبُنُودِ مِنَ الْقَاهِرَةِ فِي سنة (٤١٦هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧٤- **قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنُ أَبِي الشَّوَارِبِ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَبُو الْحَسَنِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ قَاضِي قُضَاةِ بَغْدَادَ بَعْدَ ابْنِ الْأَكْفَانِيِّ، وَكَانَ عَفِيفًا نَزِهًا، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ، وَعَبْدِ الْبَاقِي بْنِ قَانِعٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُحَدِّثْ.

وَحكَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أن هَذَا آخِرُ مَنْ وَلِيَ الْحُكْمَ بِبَغْدَادَ، مِنْ سُلَالَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، وَقَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ مِنْ سُلَالَتِهِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ، مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ وُلُّوا قَضَاءَ قُضَاةِ بَغْدَادَ. قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ أَبِي الْحَسَنِ هَذَا؛ جَلَالَةً وَنَزَاهَةً وَصِيَانَةً وَشَرَفًا.

وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ سنة (٤١٧هـ).

٧٥- **الْقَفَّالُ الْمَرْوَزِيُّ**، هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَفَّالُ، **أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ الْكِبَارِ**، عِلْمًا وَرُشْدًا وَحِفْظًا وَتَصْنِيفًا وَوَرَعًا، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الطَّرِيقَةُ الْخُرَاسَانِيَّةُ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ، وَالْقَاضِي حُسَيْنٌ، وَأَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٤١٧هـ) وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِسِجِسْتَانَ.

٧٦- **أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ**، هِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورٍ الرَّازِيُّ، وَهُوَ طَبَرِيُّ الْأَصْلِ أَحَدُ تَلَامِذَةِ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَكَانَ يَفْهَمُ وَيَحْفَظُ، وَعُنِيَ بِالْحَدِيثِ، فَصَنَّفَ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَلَكِنْ عَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ أَكْثَرُ كُتُبِهِ.

وَلَهُ كِتَابٌ فِي السُّنَّةِ وَشَرْحِهَا (١)، وَذَكَرَ طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِالدِّينَوَرِ فِي رَمَضَانَ سنة (٤١٨هـ).

(١) طبع باسم شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة سنة (١٤١١هـ) بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان.

وَرَآهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي. قَالَ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِالسُّنَّةِ. رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى.

٧٧-**الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاق الْإِسْفَرَايِينِيُّ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِهْرَانَ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، الْمُتَكَلِّمُ الْأُصُولِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي الْأَصْلَيْنِ؛ مِنْهَا "جَامِعُ الجَلِي والخفي في أصول الدين" فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ، وَتَعْلِيقَةٌ نَافِعَةٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، **وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ**، وَأَخَذَ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَالشَّيْخُ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ وَالْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي سنة (٤١٨هـ) بِنَيْسَابُور.

٧٨- **حَمْزَةُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**، أَبُو الْخَطَّابِ **الْمُنَجِّمُ**، حَظِيَ عِنْدَ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، وَعَلَّمَهُ النُّجُومَ، وَكَانَ لَهُ ذَا وَجَاهَةٍ عِنْدَهُ، حَتَّى أَنَّ الْوُزَرَاءَ كَانُوا يُكَارِمُونَهُ وَيُرَاسِلُونَهُ وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ، ثُمَّ حَارَ أَمْرُهُ حَتَّى مَاتَ - يَوْمَ مَاتَ بِالْكَرْخِ مِنْ سَامَرَّا - غَرِيبًا فَقِيرًا مَفْلُوجًا، قَدْ ذَهَبَ مَالُهُ وَجَاهُهُ. وكانت وفاته سنة (٤١٩هـ)

٧٩- مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ، **أَبُو الْحَسَنِ التَّاجِرُ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ عَلَى الْمَشَايِخِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَتَفَرَّدَ بِعُلُوِّ الْإِسْنَادِ، وَكَانَ ذَا مَالٍ جَزِيلٍ، فَخَافَ مِنَ الْمُصَادَرَةِ بِبَغْدَادَ، فَانْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، فَاتَّفَقَ مُصَادَرَةُ أَهْلِ مَحَلَّتِهِ، فَقُسِّطَ عَلَيْهِ مَا أَفْقَرَهُ، وَحِينَ مَاتَ لَمْ يُوجَدْ لَهُ كَفَنٌ، وكانت وفاته سنة (٤١٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨٠-**أَبُو الْفَوَارِسِ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ**، كَانَ ظَالِمًا، وَكَانَ إِذَا سَكِرَ يَضْرِبُ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ وَزِيرِهِ مِائَتَيْ مِقْرَعَةٍ، بَعْدَ أَنْ يُحَلِّفَهُ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَا يَتَأَوَّهُ، وَلَا يُخْبِرُ بِذَلِكَ أَحَدًا. فَيُقَالُ: إِنَّ حَوَاشِيَهُ سَمُّوهُ. فَلَمَّا مَاتَ سنة (٤١٩هـ) نَادُوا بِشِعَارِ ابْنِ أَخِيهِ أَبِي كَالِيجَارَ.

٨١- **عَلِيُّ بْنُ عِيسَى** بْنِ الْفَرَجِ بْنِ صَالِحٍ، أَبُو الْحَسَنِ **الرَّبَعِيُّ النَّحْوِيُّ**، أَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ أَوَّلًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ، ثُمَّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَلَازَمَهُ عِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى كَانَ يَقُولُ: قُولُوا لَهُ: لَوْ سَارَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا أَنْحَى مِنْ علي بن عيسى.

وَكَانَ يَوْمًا يَمْشِـي عَلَى شَـاطِئِ دِجْلَةَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الشَّـرِيفَيْنِ الرَّضِـيِّ وَالْمُرْتَضَى فِي سَفِينَةٍ، وَمَعَهُمَا عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ، فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ عُثْمَانَ مَعَكُمَا، وَعَلِيٌّ بَعِيدٌ مِنْكُمَا يَمْشِي عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٤٢٠هـ).

٨٢-**الْمَلِكُ الْكَبِيرُ الْعَادِلُ مَحْمُودُ بْنُ سُبُكْتِكِينَ**، أَبُو الْقَاسِمِ، يَمِينُ الدَّوْلَةِ، صَاحِبُ بِلَادِ غَزْنَةَ وَمَا وَالَاهَا، وَجَيْشُـهُ يُقَالُ لَهُمْ: السَّـامَانِيَّةُ، كَانَ أَبُوهُ قَدْ تَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ، فَتَمَلَّكَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ، فَسَـارَ فِيهِمْ وَفِي سَـائِرِ الرَّعَايَا سِـيرَةً عَادِلَةً، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْإِسْلَامِ قِيَامًا تَامًّا، وَفَتَحَ فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً فِي بِلَادِ الْهِنْدِ وَغَيْرِهَا، وَاتَّسَـعَتْ مَمْلَكَتُهُ وَامْتَدَّتْ رَعَايَاهُ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَكَانَ يَخْطُبُ فِي سَائِرِ مَمَالِكِهِ لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْقَادِرِ بِاللهِ، وَكَانَتْ رُسُلُ الْفَاطِمِيِّينَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْكُتُبِ وَالْهَدَايَا وَالتُّحَفِ، فلا يلتفت إليها.

وَقَـدِ اتَّفَقَ لَهُ فِي بِـلَادِ الْهِنْدِ فُتُوحَاتٌ لَمْ تَتَّفِـقْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُـوكِ، لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَغَنِمَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً، مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ وَالسَّبْيِ، وَكَسَّرَ أَصْنَامَهُمْ.

وَكَسَرَ مَلِكَ الْهِنْدِ، وَقَهَرَ مَلِكَ التُّرْكِ، وَأَبَادَ مُلْكَ السَّامَانِيَّةِ، وَقَدْ مَلَكُوا بِخُرَاسَانَ مِائَةَ سَنَةٍ بِلَادَ سَمَرْقَنْدَ وَمَا حَوْلَهَا، ثُمَّ هَلَكُوا، وَبَنَى عَلَى جَيْحُونَ جِسْرًا غَرِمَ عَلَيْهِ أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ.

وَكَانَ فِـي غَايَةِ الدِّيَانَةِ وَالصِّيَانَةِ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالْمُحَدِّثِينَ، وَيُكْرِمُهُمْ، وَيُجَالِسُـهُمْ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ، ثُمَّ صَارَ شَافِعِيًّا عَلَى يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ الصَّغِيرِ، عَلَـى مَا ذَكَرَهُ إِمَـامُ الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ **كَرَّامِيًّا** عَلَى اعْتِقَادِهِمْ، وَنَقَمَ عَلَى ابْنِ فُورَكَ، وَأَمَرَ بِطَرْدِهِ وَإِخْرَاجِهِ؛ لِمُوَافَقَتِهِ لِرَأْيِ الْجَهْمِيَّةِ.

وَكَانَ مَرَضُهُ سُـوءَ مِزَاجٍ اعْتَرَاهُ وَانْطِلَاقَ الْبَطْنِ سَنَتَيْنِ، فَكَانَ فِيهِمَا لَا يَضْطَجِعُ عَلَى فِرَاشٍ، وَلَا يَتَّكِئُ عَلَى شَـيْءٍ لِقُوَّةِ بَأْسِـهِ، بَلْ كَانَ يَسْـتَنِدُ إِلَى مَخَـادَّ تُوضَعُ لَهُ، وَيَحْضُرُ

مَجْلِسَ مُلْكِهِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى عَادَتِهِ، حَتَّى مَاتَ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ مِنْ سنة (٤٢١هـ)، عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، مَلَكَ مِنْهَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَخَلَّفَ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَقَدْ صَنَّفَ أبو النصر محمد بن عبدالجبار العتبي مُجَلَّدًا، فِي سِيرَتِهِ وَأَيَّامِهِ وَفُتُوحَاتِهِ وَمَمَالِكِهِ، سماه الكتاب اليميني، فَأَفَادَ.

❁ ❁ ❁

(٢٦)

خلافة القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله أحمد

٤٢٢ - ٤٦٧

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

أَبو جَعْفَرٍ القائم بأمر الله عَبْدَ اللهِ بْنِ الْقَادِرِ بِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوَفَّقِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ.

وَأُمُّهُ قَطْرُ النَّدَى أَرْمَنِيَّةٌ، أَدْرَكَتْ خِلَافَتَهُ. وَكَانَ **مَوْلِدُهُ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

○ صفاته

قَدْ كَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ جَمِيلًا مَلِيحَ الْوَجْهِ أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، فَصِيحًا وَرِعًا زَاهِدًا أَدِيبًا كَاتِبًا بَلِيغًا شَاعِرًا، وَكَانَ عَادِلًا كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خِيَارِ بَنِي الْعَبَّاسِ دِينًا وَاعْتِقَادًا وَدَوْلَةً.

○ مرضه ووفاته

فِي صَفَرٍ سنة (٤٦٧هـ) مَرِضَ الخليفة الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ مَرَضًا شَدِيدًا انْتَفَخَ مِنْهُ حَلْقُهُ وَامْتَنَعَ مِنَ الْفَصْدِ، فَلَمْ يَزَلِ الْوَزِيرُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ، حَتَّى افْتَصَدَ فَصَلَحَ الْحَالُ، وَكَانَ النَّاسُ قَدِ انْزَعَجُوا فَفَرِحُوا بِعَافِيَتِهِ.

ثم افْتَصَدَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٤٦٧هـ) من مَاشَرَا[(١)] كَانَتْ تَعْتَادُهُ، ثُمَّ نَامَ بَعْدَ ذَلِكَ فَانْفَجَرَ فِصَادُهُ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَّتُهُ، وَحَصَلَ الْإِيَاسُ مِنْهُ، فَاسْتَدْعَى بِحَفِيدِهِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ **أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللهِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ وَأَحْضَرَ إِلَيْهِ الْقَاضِيَ وَالنُّقَبَاءَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَيْهِ ثَانِيًا بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَشَهِدُوا.

---

(١) الماشرا: ورم حار ينتج عنه دم صفراوي يعم الوجه، وربما غطى العين. أنظر: الموجز في الطب ص١٧٤.

وكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، **وَلَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ** قَبْلَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ، وَقَدْ جَاوَزَتْ خِلَافَةُ أَبِيهِ قَبْلَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَانَ مَجْمُوعُ أَيَّامِهِمَا خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَشْهُرًا، وَذَلِكَ مُقَارِبٌ لِدَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ كُلِّهَا.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

بويع له عند وفاة والده لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٢٢هـ)، وكَانَتْ بَيْعَتُهُ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى وَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا:

فَإِمَّا مَضَى جَبَلٌ وَانْقَضَى ... فَمِنْكَ لَنَا جَبَلٌ قَدْ رَسَا
وَإِمَّا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَامِ ... فَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى
لَنَا حَزَنٌ فِي مَحَلِّ السُّرُورِ ... فَكَمْ ضَحِكٌ فِي خِلَالِ الْبُكَا

طَالَبَتْهُ الْأَتْرَاكُ بِرَسْمِ الْبَيْعَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ الْخَلِيفَةِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ لَمْ يَتْرُكْ مَالًا، فَكَادَتِ الْفِتْنَةُ تَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، حَتَّى دَفَعَ عَنْهُ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ مَالًا جَزِيلًا، نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ.

○ ولاية العهد

في سنة (٤٤٠هـ) **خُطِبَ** لذخيرة الدين **أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ** بْنِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَحُيِّيَ بِذَلِكَ.

○ وفاة ولي العهد

وفِي شهر رمضان سنة (٤٤٧هـ) تُوُفِّيَ ذَخِيرَةُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ **مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ** الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ أَبِيهِ، فَعَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ بِهِ، وَجَلَسَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ لِلْعَزَاءِ، وَجَاءَ النَّاسُ، وَقَدْ أُمِرُوا بِتَخْرِيقِ ثِيَابِهِمْ وَنَشْرِ عَمَائِمِهِمْ وَالتَّحَفِّي [1]، وَقُطِعَتِ الدَّبَادِبُ أَيَّامَ الْعَزَاءِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ وَدَارِ الْمُلْكِ حُزْنًا عَلَى وَلِيِّ عَهْدِ الْخِلَافَةِ.

وفِي سنة (٤٤٨هـ) وُلِدَ لذخيرة الدين -بَعْدَ مَوْتِهِ- وَلَدٌ ذَكَرٌ، وَهُوَ **أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ**.

---

(١) هذه الأفعال من البدع التي نهى عنها الشرع المطهر.

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ الفتنة بين الشيعة والسنة

⦿ فِي يَوْمُ عَاشُـورَاءَ سـنة (٤٢٣هـ) عَمِلَتِ الرَّوَافِضُ الْبِدْعَةَ الشَّنْعَاءَ، وَكَثُرَ النَّوْحُ وَالْبُكَاءُ، وَامْتَلَأَتْ بِذَلِكَ الطُّرُقَاتُ وَالْأَسْوَاقُ وَالْأَرْجَاءُ.

⦿ وَفِي سـنة (٤٢٥هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ السُّـنَّةِ وَالرَّوَافِضِ، حَتَّى بَيْـنَ الْعَيَّارِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَمَنَعَ ابْنَا الْأَصْبِهَانِيِّ - وَهُمَا مُقَدَّمَا عَيَّارِي أَهْلِ السُّنَّةِ - أَهْلَ الْكَرْخِ مِنْ وُرُودِ مَاءِ دِجْلَةَ، فَضَاقَ عَلَيْهِمُ النِّطَاقُ. وَقُتِلَ ابْنُ الْبُرْجُمِيِّ وَأَخُوهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

⦿ وَفِي سنة (٤٣٢هـ) وَوَقَعَ بِبَغْدَادَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ وَأَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

⦿ وفِي سنة (٤٣٣هـ) **قُرِئَ الِاعْتِقَادُ الْقَادِرِيُّ** الَّذِي كَانَ جَمَعَهُ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ بِاللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُخِذَتْ خُطُوطُ الْعُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ بِأَنَّهُ اعْتِقَادُ الْمُسْلِمِينَ، **وَمَنْ خَالَفَهُ فَقَدْ فَسَقَ وَكَفَرَ**، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الْقَزْوِينِيُّ، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَهُ الْعُلَمَاءُ. قال ابن كثير: [(١)] وَفِيهِ جُمْلَةٌ جَيِّدَةٌ مِن اعْتِقَادِ السَّلَفِ.

⦿ وفي سـنة (٤٣٧هـ) وَقَعَ بِبَغْدَادَ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ اتَّفَقَ الْفَرِيقَانِ عَلَى نَهْبِ دُورِ الْيَهُودِ، وَإِحْرَاقِ الْكَنِيسَةِ الْعَتِيقَةِ الَّتِي لَهُمْ.

وَوافـق ذلك مَوْتُ رَجُلٍ مِنْ أَكَابِرِ النَّصَارَى بِوَاسِـطٍ، فَجَلَـسَ أَهْلُهُ لِعَزَائِهِ عَلَى بَابِ مَسْـجِدٍ هُنَاكَ، وَأَخْرَجُوا جِنَازَتَهُ جَهْرَةً، وَمَعَهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ يَحْرُسُـونَهَا، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْعَامَّةُ، فَأَخَذُوا الْمَيِّتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ أَكْفَانِهِ فَأَحْرَقُوهُ، وَرَمَوْهُ فِي دِجْلَةَ، وَمَضَوْا إِلَى الدَّيْرِ فَنَهَبُوهُ، وَعَجَزَ الْأَتْرَاكُ عَنْ دَفْعِهِمْ.

---

(١) البداية والنهاية ١٥/ ٦٨٥.

⦿ وفِي سنة (٤٣٩هـ) وسنة (٤٤٠هـ) جَرَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ بِبَغْدَادَ، قُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⦿ وفِي عَاشِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٤١هـ) تُقُدِّمَ إِلَى أَهْلِ الْكَرْخِ أَنْ لَا يَعْمَلُوا بِدَعَةَ النَّوْحِ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْحَدِّ؛ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ، وقد بَنَى الشيعة من أَهْلِ الْكَرْخِ سُورًا عَلَيْهِ، وَبَنَى أَهْلُ السُّنَّةِ سُورًا عَلَى سُوقِ الْقَلَّائِينَ، وَنَقَضَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَبْنِيَتَهُ، وَحَمَلُوا الْآجُرَّ إِلَى مَوَاضِعَ بِالطُّبُولِ وَالْمَزَامِيرِ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ مُفَاخَرَاتٌ فِي ذَلِكَ وَسُخْفٌ لَا تَنْحَصِرُ وَلَا تَنْضَبِطُ، ثُمَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ فِتَنٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَأَحْرَقُوا دُورًا كَثِيرَةً جِدًّا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❍ الخلاف على السلطان جلال الدولة

⦿ فِي صَفَرٍ سنة (٤٢٣هـ) وَقَعَ **خلاف بَيْنَ الْجَيْشِ وَبَيْنَ السلطان** جَلَالِ الدَّوْلَةِ، فَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى خُرُوجِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ، لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ سَادِسِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْهَا.

وَكَتَبَ الْغِلْمَانُ **الْأَسْفَهْسِلَارِيَّةُ** إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بالأهواز؛ لِيَقْدُمَ عَلَيْهِمْ، وَنَهَبُوا دَارَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرَهَا، وَتَأَخَّرَ مَجِيءُ أَبِي كَالِيجَارَ، وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرَهُ **الْعَادِلَ بْنَ مَافَنَّةَ** أَشَارَ عَلَيْهِ بِعَدَمِ الْقُدُومِ إِلَى بَغْدَادَ، فَكَثُرَ الْعَيَّارُونَ بِبَغْدَادَ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ بِهِمْ، وَفَسَدَ الْبَلَدُ.

وَجَعَلَ أَبُو كَالِيجَارَ يَتَخَوَّف مِنَ الْأَتْرَاكِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ رَهَائِنَ، فَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ، وَطَالَ الْفَصْلُ، فَرَجَعُوا إِلَى مُكَاتَبَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَخَطَبُوا لَهُ فِي الْبَلَدِ عَلَى عَادَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ جلال الدولة بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَى بَغْدَادَ.

وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الرُّسُلَ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ، وَمِمَّنْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيُّ، يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَوْحِشُ مِنْهُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَسَأَلَ **أَنْ يُلَقَّبَ بِالسُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ مَالِكِ الْأُمَمِ**، فَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: هَذَا لَا يُمْكِنُ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ الْمُعَظَّمَ الْخَلِيفَةُ، وَكَذَلِكَ مَالِكُ الْأُمَمِ.

⦿ واتَّفَقُوا عَلَى تَلْقِيبِ أبي كاليجار **بِمَلِكِ الدَّوْلَةِ**، فَأَرْسَلَ مَعَ الْمَاوَرْدِيِّ تُحَفًا عَظِيمَةً؛ مِنْهَا أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَتُحَفٌ وَأَلْطَافٌ.

⦿ وَاجْتَمَعَ الْجُنْدُ عَلَى طَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ مِنَ الْخَلِيفَةِ، فَتَعَذَّرَ ذَلِكَ، فَرَامُوا أَنْ يَقْطَعُوا خُطْبَتَهُ، فَلَمْ تُصَلَّ الْجُمُعَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ، ثُمَّ خُطِبَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ الْقَابِلَةِ، وَتَخَبَّطَ الْبَلَدُ جِدًّا وَكَثُرَ الْعَيَّارُونَ.

⦿ ثُمَّ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٤٢٣هـ) حَلَفَ الْخَلِيفَةُ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ بِخُلُوصِ النِّيَّةِ وَصَفَائِهَا، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يُحِبُّ مِنَ الصِّدْقِ وَصَلَاحِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا خلاف **بِسَبَبِ لَعِبِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ وَشُرْبِهِ النَّبِيذَ وَتَهَتُّكِهِ بِهِ**، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَاصْطَلَحَا عَلَى فَسَادٍ.

⦿ وفِي سنة (٤٢٤هـ) **ثَارَتِ الْأَتْرَاكُ بِالْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ**؛ لِتَأَخُّرِ أَرْزَاقِهِمْ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ، وَرَسَمُوا عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَأُخْرِجَتْ حَرِيمُهُ، فَذَهَبَ فِي اللَّيْلِ إِلَى دَارِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى فَنَزَلَ بِهَا، ثُمَّ اصْطَلَحَتِ الْأَتْرَاكُ عَلَيْهِ، وَحَلَفُوا لَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ.

⦿ وفِي سنة (٤٢٨) وَقَعَتِ **الْفُرْقَةُ بَيْنَ الْجُنْدِ وَبَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ**، وَقَطَعُوا خُطْبَتَهُ وَخُطْبَةَ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ، **وَكَانَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ** قَدْ جَمَعَ خَلْقًا كَثِيرًا مَعَهُ، **مِنْهُمُ الْبَسَاسِيرِيُّ، وَدُبَيْسُ** بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ، **وَقِرْوَاشُ** بْنُ مُقَلَّدٍ الْعُقَيْلِيُّ، وَنَازَلَ بَغْدَادَ مِنْ جَانِبِهَا الْغَرْبِيِّ حَتَّى أَخَذَهَا قَهْرًا.

ثُمَّ **وَاصْطَلَحَ هُوَ وَأَبُو كَالِيجَارَ عَلَى يَدَيْ أَقْضَى الْقُضَاةِ** الْمَاوَرْدِيِّ، وأَعَادُوا الْخُطْبَةَ لَهُمَا، وَصَلَحَتْ حَالُ جَلَالِ الدَّوْلَةِ، وَحَلَفَ الْخَلِيفَةُ لَهُ.

وَتَزَوَّجَ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ أَبِي كَالِيجَارَ بِابْنَةِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى صَدَاقِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمَا، وَحَسُنَ حَالُ الدَّوْلَةِ.

وفي رَمَضانَ سنة (٤٢٩هـ) لُقِّبَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ شَاهِنْشَاهِ الْأَعْظَمَ مَلِكَ الْمُلُوكِ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ، وَخُطِبَ بِذَلِكَ عَلَى الْمَنَابِرِ، **فَنَفَرَتِ الْعَامَّةُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَمَوُا الْخُطَبَاءَ بِالْآجُرِّ.** وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، **وَاسْتُفْتِيَ الْفُقَهَاءُ فيها:**

فَأَفْتَى أَبُو عَبْدِ اللهِ **الصَّيْمَرِيُّ** أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ يُعْتَبَرُ فِيهَا الْقَصْدُ وَالنِّيَّةُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] وَقَالَ: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلُوكٌ جَازَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ؛ لِتَفَاضُلِهِمْ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِمْكَانِ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ أَعْظَمَ مِنْ بَعْضٍ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يُوجِبُ التَّكَبُّرَ وَلَا الْمُمَاثَلَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِينَ.

وَكَتَبَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ: إِنَّ إِطْلَاقَ مَلِكِ الْمُلُوكِ جَائِزٌ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ مَلِكَ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: كَافِي الْكُفَاةِ وَقَاضِي الْقُضَاةِ، جَازَ مَلِكُ الْمُلُوكِ. وَإِذَا كَانَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُلُوكُ الْأَرْضِ زَالَتِ الشُّبْهَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ أَصْلِحِ الْمَلِكَ، فَيُصْرَفُ الْكَلَامُ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ، **وَكَتَبَ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ** نَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْقَاضِي الْمَاوَرْدِيُّ صَاحِبُ "الْحَاوِي الْكَبِيرِ" فَالْمَشْهُورُ عَنْهُ مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَالشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ فِي "أَدَبِ الْمُفْتِي" أَنَّهُ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَصَرَّ عَلَى الْمَنْعِ، مَعَ صُحْبَتِهِ لِلْمَلِكِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ، وَكَثْرَةِ تَرْدَادِهِ إِلَيْهِ، وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ الْحُضُورِ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى اسْتَدْعَاهُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، دَخَلَ وَهُوَ وَجِلٌ خَائِفٌ أَنْ يُوقِعَ بِهِ مَكْرُوهًا، فَلَمَّا وَاجَهَهُ قَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا مَنَعَكَ مِنْ مُوَافَقَةِ الَّذِينَ جَوَّزُوا ذَلِكَ، مَعَ صُحْبَتِكَ إِيَّايَ وَوَجَاهَتِكَ عِنْدِي، دِينُكَ وَاتِّبَاعُكَ الْحَقَّ، وَلَوْ حَابَيْتَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ لَحَابَيْتَنِي، وَقَدْ زَادَكَ ذَلِكَ عِنْدِي مَحَبَّةً وَمَكَانَةً.

قال ابن كثير [(١)] : **وَالَّذِي صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي الْمَاوَرْدِيُّ مِنَ الْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ السُّنَّةُ** الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ؛ روى **الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ** فِي

(١) البداية والنهاية ١٥ / ٦٧١

"مَسْنَدِهِ"[(١)]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**». قَالَ أَحْمَدُ: سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ عَنْ "أَخْنَعِ اسْمٍ" قَالَ: أَوْضَعُ.

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومسلم[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ». والله تعالى أعلم بالصواب.

- وفِي سنة (٤٣١هـ) **وَقَعَ بَيْنَ الْجُنْدِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ جَلَالَ الدَّوْلَةِ شَغَبٌ**، وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَرَتْ شُرُورٌ طَوِيلَةٌ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ، **وَنَهَبَتِ الْأَتْرَاكُ دُورَ النَّاسِ**، وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُرْمَةٌ وَلَا كَلِمَةٌ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ جِدًّا.
- وفِي سنة (٤٣٣هـ) **شَغَبَتِ الْأَتْرَاكُ بِبَغْدَادَ بِسَبَبِ تَأَخُّرِ الْعَطَاءِ عَنْهُمْ**.
- وفِي سنة (٤٣٤هـ) أَمَرَ الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ أَبُو طَاهِرٍ بِجِبَايَةِ أَمْوَالِ الْجَوَالَى،[(٣)] وَمَنَعَ أَصْحَابَ الْخَلِيفَةِ مِنْ قَبْضِهَا، فَانْزَعَجَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ وَعَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَغْدَادَ وَأَرْسَلَ لِلْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ فِي التَّأَهُّبِ لِلْخُرُوجِ صُحْبَتَهُ، وَارْتَجَّتْ بَغْدَادُ بِسَبَبِ ذَلِكَ.
- وفِي سنة (٤٣٥هـ) رُدَّتِ الْجَوَالَى إِلَى نُوَّابِ الْخَلِيفَةِ.
- وَفِي سنة (٤٣٥هـ) **تُوُفِّيَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ** أَبُو طَاهِرٍ بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، فَمَلَكَ بَغْدَادَ بَعْدَهُ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ **أَبُو كَالِيجَارَ** بْنُ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، وَخُطِبَ لَهُ بِهَا عَنْ مُمَالَأَةِ أُمَرَائِهَا.

---

(١) المسند ٢/ ٢٤٤. وسنده صحيح.

(٢) البخاري برقم (٦٢٠٦) ومسلم برقم (٢١-٢١٤٣).

(٣) لعلها الأموال التي «تؤخذ من أهل الذِّمَّة، وكل من لزمتهم الْجِزْيَة من أهل الْكتاب، وَإِن لم يجلوا عَن أوطانهم». المعجم الوسيط (١/ ١٣٢).

○ تولية البساسيري الجانب الغربي من بغداد

فِي سنة (٤٢٥هـ) تَوَلَّى أبو الحارث الْبَسَاسِيرِيُّ حِمَايَةَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ لَمَّا تَفَاقَمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ، وَكَثُرَ شَرُّهُمْ وَفَسَادُهُمْ.

○ وفاة الفاطمي صاحب مصر

في سنة (٤٢٧هـ) تُوُفِّيَ صَاحِبُ مِصْرَ **الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللهِ**، أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ الْحَاكِمِ الْفَاطِمِيِّ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ (٣٣) سنة وأشهر، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ سِيرَتُهُ جَيِّدَةً، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْمُسْتَنْصِرُ، وَعُمُرُهُ سَبْعُ سِنِينَ، وَاسْمُهُ مَعَدٌّ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو تَمِيمٍ، وَتَكَفَّلَ بِأَعْبَاءِ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْجَمَالِيُّ، الْأَفْضَلُ أَمِيرُ الْجُيُوشِ.

○ بعث الفاطمي بمال لإصلاح نهر بالكوفة

فِي سنة (٤٢٨هـ) بَعَثَ صَاحِبُ مِصْرَ بِمَالٍ لِيُنْفَقَ عَلَى نَهْرٍ بِالْكُوفَةِ إِنْ أَذِنَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ فِي ذَلِكَ، فَجَمَعَ الْقَائِمُ بِاللهِ الْفُقَهَاءَ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذَا الْمَالِ، فَأَفْتَوْا بِأَنَّ هَذَا الْمَالَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، يُصْرَفُ فِي مَصَالِحِهِمْ، فَأَذِنَ فِي صَرْفِهِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.

○ إلزام أهل الكتاب بما يميزهم

فِي سنة (٤٢٩هـ) اسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ، وَأَحْضَرَ جَاثَلِيقَ النَّصَارَى وَرَأْسَ جَالُوتِ الْيَهُودِ، وَأُلْزِمُوا بِالْغِيَارِ.

○ حاج من البلغار

فِي سنة (٤٣٣هـ) دَخَلَ بَغْدَادَ رَجُلٌ مِنَ الْبُلْغَارِ يُرِيدُ الْحَجَّ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِهِمْ، فَأُنْزِلَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ الْأَرْزَاقُ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ مُوَلَّدُونَ مِنَ **التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ**، وَأَنَّهُمْ فِي أَقْصَى بِلَادِ التُّرْكِ، وَأَنَّ النَّهَارَ يَقْصُرُ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَكُونَ سِتَّ سَاعَاتٍ، وَكَذَا اللَّيْلُ، وَعِنْدَهُمْ عُيُونٌ وَزُرُوعٌ وَثِمَارٌ عَلَى الْمَطَرِ وَالسَّقْيِ.

○ الخطبة للخليفة العباسي بإفريقية

فِي سنة (٤٣٥هـ) خَطَبَ الْمُعِزُّ أَبُو تَمِيم بْنُ بَادِيسَ صَاحِبُ **إِفْرِيقِيَّةَ** بِبِلَادِهِ لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَحْرَقَ أَعْلَامَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ الْخِلَعَ وَاللِّوَاءَ وَالْمَنْشُورَ، وَفِيهِ تَعْظِيمٌ لَهُ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ.

○ تولي الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بغداد

فِي سنة (٤٣٦هـ) دَخَلَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ بَغْدَادَ فِي رَمَضَانَ، وَلَقَّبَهُ الْخَلِيفَةُ مُحْيِيَ الدَّوْلَةِ، وَقَدْ فَرَّقَ عَلَى الْجُنْدِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَخُطِبَ لَهُ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ بِأَمْرِ مُلُوكِهَا، وَأَمَرَ بِضَرْبِ الطَّبْلِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَلَمْ تَكُنِ الْمُلُوكُ قَبْلَهُ تَفْعَلُهُ، إِنَّمَا كَانَ يُضْرَبُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ ثَلَاثَةَ أَوْقَاتٍ، وَمَا كَانَ يُضْرَبُ فِي الْأَوْقَاتِ الْخَمْسِ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ.

وَبَعَثَ الملكُ أَبُو كَالِيجَارَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَخَلَعَ عَلَى مُقَدَّمِي الْجُيُوشِ، وَهُمُ: **الْبَسَاسِيرِيُّ، وَالنَّشَاوَوْرِيُّ، وَالْهُمَامُ** أَبُو اللِّقَاءِ، وَخُطِبَ لَهُ بِهَمَذَانَ، وَلَمْ يَبْقَ لِنُوَّابِ طُغْرُلْبَكَ فِيهَا أَمْرٌ.

○ نقابة العلويين

فِي سنة (٤٣٦هـ) تَوَلَّى نِقَابَةَ الْعَلَوِيِّينَ الشَّرِيفُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدْنَانَ بْنِ الشَّرِيفِ الرَّضِيُّ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ الْمُرْتَضَى أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيٍّ. وَسَتَأْتِي تَرْجَمَتُهُ.

○ ولاية القضاء

فِي سنة (٤٣٦هـ) وَلِيَ الْقَضَاءَ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ؛ قَضَاءَ الْكَرْخِ، مُضَافًا إِلَى مَا كَانَ يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْقَضَاءِ بِبَابِ الطَّاقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيِّ.

○ إمارة رجب ابن أبي منيع على خفاجة

فِي سنة (٤٣٨هـ) تَأَمَّرَ عَلَى بَنِي خَفَاجَةَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: رَجَبُ بْنُ أَبِي مَنِيعِ بْنِ ثُمَالٍ. بَعْدَ وَفَاةِ بَدْرَانَ بْنِ سُلْطَانَ بْنِ ثُمَالٍ، وَهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ هُمْ أَكْثَرُ مَنْ يَصُدُّ الْحَجِيجَ عَنِ

الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَلَا جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا، وَقَبَّحَهُمْ يَوْمَ يقومُ الْأَشْهَادُ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥٢].

○ وفاة أبي كاليجار وتولية ابنه أبي نصر

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٤٤٠هـ) مَرِضَ الْمَلِكُ **أَبُو كَالِيجَارَ** صَاحِبُ بَغْدَادَ، وَهُوَ فِي بَرِّيَّةٍ، فَفُصِدَ فِي يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ومَاتَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ، وَانْتَهَبَتِ الْغِلْمَانُ الْخَزَائِنَ، وَأَحْرَقَ الْجَوَارِي الْخِيَامَ، سِوَى الْخَيْمَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا.

وَوَلِيَ بَعْدَهُ **ابْنُهُ أَبُو نَصْرٍ، وَسَمَّوْهُ الْمَلِكَ الرَّحِيمَ**، وَدَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ سَبْعَ خِلَعٍ، وَسَوَّرَهُ وَطَوَّقَهُ، وَجعَلَ عَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ وَالْعِمَامَةَ السَّوْدَاءَ الرُّصَافِيَّةَ، وَوَصَّاهُ الْخَلِيفَةُ، وَجَاءَ النَّاسُ لِتَهْنِئَتِهِ.

○ توسع مقدم الجيوش البساسيري

في سنة (٤٤١هـ) كَانَ بَيْنَ الْبَسَاسِيرِيِّ وَبَيْنَ بَنِي عُقَيْلٍ حَرْبٌ، وَمَلَكَ الْبَسَاسِيرِيُّ الْأَنْبَارَ مِنْ يَدِ قِرْوَاشٍ، فَأَصْلَحَ أُمُورَهَا.

وفِي شهر شَعْبَانَ منها سَارَ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى **طَرِيقِ خُرَاسَانَ**، وَقَصَدَ نَاحِيَةَ عليها **الدَّزْدَارِ** وَمَلَكَهَا، وَغنِمَ مَالًا كَثِيرًا كَانَ فِيهَا، وَكَانَ سُعْدَى بْنُ أَبِي الشَّوْكِ قَدْ حَصَّنَهَا.

○ استيلاء الخوارج على عمان

فِي سنة (٤٤٢هـ) اسْتَوْلَتِ الْخَوَارِجُ **عَلَى عُمَانَ** أَخْرَبُوا دَارَ الْإِمَارَةِ فِيهَا، وَأَسَرُوا أَبَا الْمُظَفَّرِ بْنَ أَبِي كَالِيجَارَ.

○ دخول بعض قبائل العرب لإفريقية

فِي سنة (٤٤٢هـ) دَخَلَتِ الْعَرَبُ بِإِذْنِ **الْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ** بِلَادَ إِفْرِيقِيَّةَ(١)، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ **الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ** حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا عِدَّةَ سِنِينَ.

---

(١) القبائل التي أذن لها بالعبور هم من القبائل القيسية: بنو سليم بن منصور بن عكرمة، وبنو هلال بن عامر بن صعصعة الهوازنية، وكان لهذا العبور عوامل اقتصادية وسياسية، أراد الحاكم العبيدي أن ينتقم بهم من المعز بن باديس، الذي خلع طاعته، واستقل بإفريقية، وتعرف في التاريخ بتغريبة بني هلال وسليم. ولا يزالون موجودين إلى الآن في ليبيا وتونس والجزائر.

○ الخلاف بين الخليفة والبساسيري

فِـي سـنة (٤٤٦هـ) دَخَلَ أَبُو **الْحَارِثِ أرسـلان الْبَسَاسِـيرِيُّ** التركي إِلَـى بَغْدَادَ، مَعَ أسرى بَنِي خَفَاجَةَ،، وَظَهَرَتْ مِنْهُ آثَارُ النَّفْرَةِ لِلْخِلَافَةِ، فَرَاسَلَهُ الْخَلِيفَةُ لِتَطِيبَ نَفْسُهُ.

وَلكنـه خَرَجَ فِي ذِي الْحِجَّةِ إِلَـى **الْأَنْبَارِ فَأَخَذَهَا**، وَكَانَ مَعَهُ **دُبَيْسُ** بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ، وَخَرَّبَ أَمَاكِنَ، وَحَرَّقَ غَيْرَهَا.

ثُـمَّ أَذِنَ لَهُ الخليفة فِي الدُّخُولِ إِلَى بَيْتِ النُّوبَةِ لِيَخْلَعَ عَلَيْهِ، فَجَاءَ إِلَى أَنْ حَاذَى بَيْتَ النُّوبَةِ فَخَدَمَ وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَعْبُرْ إلى جهة الخليفة، **فَقَوِيَتِ الْوَحْشَةُ**، وكان قد عَظُمَ أَمْرُهُ وَاسْـتَفْحَلَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ وَطَارَ اسْـمُهُ، وَتَهَيَّبَتْهُ أُمَرَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَابِرِ الْعِرَاقِيَّةِ وَالْأَهْوَازِ وَنَوَاحِيهَا، وَلَمْ يَكُنِ الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، ثُمَّ صَحَّ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ سُـوءُ عَقِيدَتِهِ، وَشَهِدَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ -عَرَفَهُمْ الخليفة أثناء وجوده بِوَاسِـطٍ- عَزْم البساسـيري عَلَى نَهْبِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَالْقَبْضِ عَلَى الْخَلِيفَةِ.

فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ القائم بأمر الله إلى مُحَمَّدَ بْنَ مِيكَائِيلَ **بْنِ سَـلْجُوقَ الْمُلَقَّبَ طُغْرُلْبَكَ** يَسْـتَنْهِضُهُ عَلَى الْمَسِـيرِ إِلَى **الْعِرَاقِ**، وَ يُطلِعْه أَنَّ البساسيري كَاتَبَ الْمِصْرِيِّينَ بِالطَّاعَةِ، وَخَلَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْعَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ.

فقدم طُغْرُلْبَكُ إِلَى بَغْدَادَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ (٤٤٧هـ) وَقَدْ تَلَقَّاهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ الْأُمَرَاءُ وَالْـوُزَرَاءُ وَالْحُجَّـابُ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا، وَنَـزَلَ فِي دَارَ الْمَمْلَكَةِ، وَنَزَلَ أَصْحَابُهُ دُورَ الْأَتْرَاكِ، ثُمَّ خُلِعَ عَلَى الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ، **وَخُطِبَ لَهُ بِهَا**

ثُـمَّ بَعْـدَهُ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ البويهي، **ثُـمَّ قُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ** فِي أَوَاخِرِ شَـهْرِ رَمَضَـانَ، وَرُفِعَ إِلَى الْقَلْعَةِ **مُعْتَقَلا، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ**، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ لِبَغْدَادَ سِتَّ سِنِينَ وَعَشَرَةَ أَيَّامٍ.

○ تطور حال البساسيري

فَرَّ أرسلان الْبَسَاسِيرِيُّ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى نَاحِيَةِ بِلَادِ الرَّحْبَةِ، وَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ **الفاطمي**، بِأَنَّهُ عَلَى إِقَامَةِ الدَّعْوَةِ لَهُ بِالْعِرَاقِ، **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِوِلَايَةِ الرَّحْبَةِ** وَنِيَابَتِهِ بِهَا؛ لِيَكُونَ عَلَى أُهْبَةِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يُحَاوِلُهُ، قَبَّحَهُمَا اللهُ تَعَالَى.

وفِي سنة (٤٤٨هـ) **عَزَمَ طُغْرُلْبَكُ** عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْمَوْصِلِ لِمُنَاجَزَةِ الْبَسَاسِيرِيِّ، لاستيلائه عليها، وأظهر الخطبة للمصريين بالكوفة وواسط، فَنَهَاهُ الْخَلِيفَةُ عَنِ الْخُرُوجِ، ذَلِكَ لِضِيقِ الْحَالِ وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ، فَلَمْ يَقْبَلْ.

فَخَرَجَ بِجَيْشِهِ قَاصِدًا الْمَوْصِلَ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمَةٍ، وَكَانَ جَيْشُهُ لِكَثْرَتِهِم يَنْهَبُونَ الْقُرَى، وَرُبَّمَا سَطَوْا عَلَى بَعْضِ الْحَرِيمِ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَبَعَثَ يَعْتَذِرُ بِكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ.

وَأَمَرَ طغرلبك وَزِيرَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْجَيْشِ بِالْعَدْلِ، وَأَنْ لَا يَظْلِمَ أَحَدٌ أَحَدًا.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنَ الْمَوْصِلِ فَتَحَ دُونَهَا بِلَادًا، ثُمَّ فَتَحَهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ دَاوُدَ.

وفِي سنة (٤٥٠هـ) رَكِبَ الْبَسَاسِيرِيُّ وَمَعَهُ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ أَمِيرُ الْعَرَبِ **إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَخَذَهَا**، وَأَخْرَبَ قَلْعَتَهَا، فَسَارَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ سَرِيعًا مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَاسْتَرَدَّهَا، وَهَرَبَ مِنْهُ الْبَسَاسِيرِيُّ وَقُرَيْشٌ.

ثم شغل الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ بأمر أَخِيهِ **إِبْرَاهِيم يَنَّالَ** ومسيره إلى الْجَبَل، فسار وراءه، وَتَرَكَ عَسَاكِرَهُ، فَتَفَرَّقُوا، وَقَلَّ مَنْ لَحِقَهُ مِنْهُمْ. وَرَجَعَتْ زَوْجَتُهُ **الْخَاتُونُ وَوَزِيرُهُ الْكُنْدُرِيُّ** إِلَى بَغْدَادَ.

ثُمَّ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ **طُغْرُلْبَكَ مَحْصُورٌ بِهَمَذَانَ**، فَانْزَعَجَ النَّاسُ ببغداد لِذَلِك **وَأَرْجَفُوا بِأَنَّ الْبَسَاسِيرِيَّ عَازِمٌ عَلَى قَصْدِ بَغْدَادَ**، وَأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنَ الْأَنْبَارِ فَقَوِيَ عَزْمُ الْوَزِيرِ الْكُنْدُرِيِّ عَلَى الْمُقَامِ بِبَغْدَادَ، فَأَرَادَتْ الْخَاتُونُ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى الْجَانِبِ

الْغَرْبِـيِّ، وَنُهِبَتْ دَارُهُ، وَرَكِبَتْ الْخَاتُونُ فِي جُمْهُورِ الْجَيْشِ إِلَى هَمَذَانَ لِتَنْصُرَ زَوْجَهَا، وَبَقِيَتْ بَغْدَادُ لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ.

فَعَـزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى التَّرَحُّلِ عَـنْ بَغْدَادَ إِلَى غَيْرِهَا، **وَلَيْتَهُ فَعَلَ**، ثُمَّ أَحَبَّ دَارَهُ وَالْمُقَامَ مَعَ أَهْلِهِ، فَمَكَثَ فِيهَا اغْتِرَارًا وَدَعَةً.

وَلَمَّـا خَلَا الْبَلَدُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ انْزَعَجَ النَّاسُ، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَـاءُ وَالْأَطْفَالُ، وَعَبَرَ كَثِيرٌ مِنهم إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٥٠هـ)، **دَخَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى بَغْدَادَ وَمَعَهُ الرَّايَاتُ الْبِيضُ الْمِصْرِيَّةُ**، وَعَلَى رَأْسِهِ أَعْلَامٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: الْإِمَامُ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللهِ أَبُـو تَمِيمٍ مَعَدٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُ الْكَرْخِ فَنزل عندهم في **مَشْـرَعَةِ الرَّوَايَا**، وخَيَّمَ بِهَا، وَالنَّاسُ فِي ضُرٍّ وَمَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ.

وَنَـزَلَ **قُرَيْشُ بْـنُ بَدْرَانَ** فِي نَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْ فَارِسٍ عَلَى **مَشْـرَعَةِ بَـابِ الْبَصْرَةِ**، وَكَانَ الْبَسَاسِيرِيُّ قَدْ جَمَعَ الْعَيَّارِينَ وَأَطْمَعَهُمْ فِي نَهْبِ دَارِ الْخِلَافَةِ.

وَنَهَبَ أَهْلُ الْكَرْخِ دُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِبَابِ الْبَصْرَةِ، وَنُهِبَتْ دَارُ قَاضِي الْقُضَاةِ الدَّامَغَانِيِّ، وَنُهِبَتْ دُورُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِالْخَلِيفَةِ.

وَأَعَادَتِ الرَّوَافِضُ الْأَذَانَ **بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ**، وَأُذِّنَ بِهِ فِي سَائِرِ جَوَامِعِ بَغْدَادَ فِي الْجُمُعَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ.

وَخُطِبَ بِبَغْدَادَ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْعُبَيْدِيِّ لمدة سنة كاملة، وَضُرِبَتْ لَهُ السِّكَّةُ عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّـةِ، وَحُوصِرَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَخَـذَ ذِمَامًا مِنْ أَمِيرِ الْعَرَبِ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ لِنَفْسِـهِ وَأَهْلِهِ وَوَزِيرِهِ ابْنِ الْمُسْـلِمَةِ فَأَمَّنَهُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنْزَلَهُ فِي خَيْمَةٍ، فَلَامَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ عَلَى ذَلِكَ.

ثم اسْـتَحْضَرَ الْبَسَاسِـيرِيُّ **أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ مُسْلِمَةَ** رئيس الرؤسـاء، فَوَبَّخَهُ وَلَامَهُ لَوْمًا شَدِيدًا، **ثُمَّ ضَرَبَهُ وَاعْتَقَلَهُ مُهَانًا** عِنْدَهُ، وَنَهَبَتِ الْعَامَّةُ دَارَ الْخِلَافَةِ.

وَلما كَانَ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ **الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُلَقَّبُ بِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ**، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ، وَطُرْطُورٌ مِنْ لِبْدٍ أَحْمَرَ، وَفِي رَقَبَتِهِ مِخْنَقَةٌ مِنْ جُلُودٍ كَالتَّعَاوِيذِ، فَأُرْكِبَ جَمَلًا وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، وَخَلْفَهُ مَنْ يَصْفَعُهُ بِقِطْعَةٍ مِنْ جِلْدٍ.

وَحِينَ اجْتَازَ بِالْكَرْخِ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ، وَلَعَنُوهُ وَسَبُّوهُ، وَأُوقِفَ بِإِزَاءِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦]

ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّطْوَافِ بِهِ رُفِعَ إِلَى الْخَشَبَةِ حَيًّا، فَجَعَلَ يَضْطَرِبُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ، **فَمَاتَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ آخِرُ كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي سَعِيدًا وَأَمَاتَنِي شَهِيدًا.**

وَقَد **انْتَقَمَ الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ بَغْدَادَ انْتِقَامًا عَظِيمًا**، وَغَرَّقَ خَلْقًا مِمَّنْ كَانَ يُعَادِيهِ، وَبَسَطَ عَلَى آخَرِينَ الْأَرْزَاقَ وَالْعَطَايَا.

واتَّفَقَ رَأْيُ الْبَسَاسِيرِيِّ وَقُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ عَلَى تَسْيِيرِ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادَ وَتَسْلِيمِهِ إِلَى أَمِيرِ **حَدِيثَةِ عَانَةَ**(١) - وَهُوَ مُهَارِشُ بْنُ مُجَلِّي الْبَدَوِيُّ،(٢) مِنْ بَنِي عَمِّ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا - فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ دَخَلَ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ بَغْدَادَ فَلَمْ يَفِدْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَسَيَّرَهُ مَعَ أَصْحَابِهِمَا فِي هَوْدَجٍ إِلَى **حَدِيثَةِ عَانَةَ**، فَكَانَ عِنْدَ مُهَارِشٍ أَمِيرِهَا حَوْلًا كَامِلًا، وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ.

واسْتَهَلَّتْ سنة (٤٥١هـ) **وَبَغْدَادُ فِي قَبْضَةِ الْبَسَاسِيرِيِّ**، وَيَخْطُبُ فِيهَا لِلْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ، وَالْقَائِمُ قَاعِدٌ **بِحَدِيثَةِ عَانَةَ.**

---

(١) الحديثة: ضد العتيقة، سميت بذلك لما أحدث بناؤها، ثم لزمها فصار علماً، وهي في عدة مواضع ينسب إلى كل واحدة منها، **وعانة**: بلد مشهور بين الرقة، وهيت، يعد في أعمال الجزيرة. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٧٢)

(٢) هو: مُهارش بن مجلي بن عكيث، الأَمِيرُ أَبُو الحَارِثِ، مُجِيرُ الدِّين، مِنْ وُجُوه الْعَرَب بِعَانَة، وَالحَدِيْثَة، ذُوبِرٍّ وصدقاتٍ، وصلاةٍ، وخيرٍ، أَجَارَ القَائِمَ بِأَمرِ الله فِي فِتْنَة البَسَاسِيرِي، وَآوَاهُ إِلَيْهِ سَنَةً فِي ذِمَامِهِ إِلَى أن عاد إلى مَقَرِّ عِزِّه، فَكَانَ يَخدِمُ الخَلِيْفَةَ بِنَفْسِه، مَاتَ سَنَةَ تِسعٍ وَتِسْعِيْنَ وأربع مائة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ٢١٤)

وفي يَوْمُ الِاثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ صَفَرٍ **أَحْضَرَ الْبَسَاسِيرِيُّ قَاضِيَ الْقُضَاةِ** أَبَا عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِيَّ وَجَمَاعَةً مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَعْيَانِ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ

وَكَتَبَتْ أُمُّ الْخَلِيفَةِ -وَكَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً قَدْ بَلَغَتِ التِّسْعِينَ، وَهِيَ مُخْتَفِيَةٌ فِي مَكَانٍ- إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ تَشْكُو إِلَيْهِ الْحَاجَةَ وَالْفَقْرَ وَضِيقَ الْحَالِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَنَقَلَهَا إِلَى الْحَرِيمِ، وَأَخْدَمَهَا جَارِيَتَيْنِ وَرَتَّبَ لَهَا كُلَّ يَوْمٍ ما يكفيها.

وَلَمَّا تَخَلَّصَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ مِنْ حَصْرِهِ بِهَمَذَانَ، **وَاسْتَقَرَّ حَالُهُ**، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ مُنَازِعٌ، **كَتَبَ إِلَى قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ**، مِنَ الْأَعْرَابِ، يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى دَارِهِ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَتَوَعَّدَهُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ بَأْسًا شَدِيدًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ يَتَلَطَّفُ بِهِ، وَيُسَالِمُهُ، وَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ عَلَى الْبَسَاسِيرِيِّ بِكُلِّ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، حَتَّى يُمَكِّنَ اللهُ مِنْهُ،

ثُمَّ رَاسَلَ ابن بدران الْبَسَاسِيرِيَّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِعَوْدِ الْخَلِيفَةِ إِلَى دَارِهِ، وَخَوَّفه مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: إِنَّكَ دَعَوْتَنَا إِلَى طَاعَةِ الْمُسْتَنْصِرِ صَاحِبِ مِصْرَ، **وَبَيْنَنَا** وَبَيْنَهُ سِتُّمِائَةِ فَرْسَخٍ، وَلَمْ يَأْتِنَا مِنْ جِهَتِهِ رَسُولٌ وَلَا أَحَدٌ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ، وَهَذَا الْمَلِكُ مِنْ وَرَائِنَا بِالْمِرْصَادِ.

وكان الملك **طغرلبك أرسل رسالة طويلة** في أمر الخليفة إلى قريش بن بدران يتهدده هو والبساسيري، وَوصل أمر الْكِتَابَ وَالْأَخْبَارَ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ، وَخَارَتْ قُوَّتُهُ وَضَعُفَ أَمْرُهُ، وَبَعَثَ إِلَى أَهْلِهِ، فَنَقَلَهُمْ عَنْ بَغْدَادَ، وَوَافَقَ عَلَى عَوْدِ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَغْدَادَ.

وَتَرَحَّلَ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ إِلَى أَرْضِ الْمَوْصِلِ.

وَبَعَثَ قريش إِلَى مُهَارِشِ بْنِ مُجَلِّي الَّذِي سُلِّمَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يقول له: الْمَصْلَحَةُ تَقْتَضِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ تُحَوِّلُهُ إِلَيَّ حَتَّى نَسْتَأْمِنَ لِأَنْفُسِنَا بِسَبَبِهِ، **فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مُهَارِشٌ**، وَقَالَ: قَدْ غَرَّنِي الْبَسَاسِيرِيُّ وَوَعَدَنِي بِأَشْيَاءَ لَمْ أَرَهَا، وَلَسْتُ بِمُرْسِلِهِ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَلَهُ فِي عُنُقِي أَيْمَانٌ كَثِيرَةٌ لَا أَغْدِرُهَا.

وَكَانَ **مُهَارِشُ رَجُلًا صَالِحًا** ثِقَةً أَمِينًا - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ: مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ نَسِيرَ إِلَى بَلَدِ بَدْرِ بْنِ مُهَلْهَل، وَنَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك، فَإِنْ ظَهَرَ دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى نَظَرْنَا لِأَنْفُسِنَا، فَإِنَّا نَخْشَى مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ أَنْ يَأْتِيَنَا فَيَحْصُرَنَا.

فَقَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ: افْعَلْ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، فَسَارَا فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ (٤٥١هـ) إِلَى قَلْعَة **تَلِّ عُكْبَرَا**[١] فَلَقِيَتْهُ رُسُلُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَك بِالْهَدَايَا وَالتُّحَفِ الَّتِي كَانَ أَنْفَذَهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ مُتَشَوِّقٌ كَثِيرًا.

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ **طُغْرُلْبَكَ** قَدْ **دَخَلَ بَغْدَادَ**، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، ثم **شَرَعَ السُّلْطَانُ** فِي تَرْتِيبِ الْجُيُوشِ **لِلْمَسِيرِ وَرَاءَ الْبَسَاسِيرِيِّ**، فَأَرْسَلَ جَيْشًا مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ هُوَ فِي بَقِيَّةِ الْجَيْشِ.

وَأَمَّا الْبَسَاسِيرِيُّ، فَإِنَّهُ مُقِيمٌ بِوَاسِطٍ فِي جَمْعِ غَلَّاتٍ وَتُمُورٍ يُهَيِّئُهَا لِقِتَالِ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَمَنْ فِيهَا مِنَ الْغُزِّ، وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَلِكَ طُغْرُلْبَكَ وَمَنْ مَعَهُ لَيْسُوا بِشَيْءٍ يُخَافُ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِمَا يُرِيدُهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ إِهْلَاكِهِ عَلَى يَدَيِ الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ جَزَاهُ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا، آمِينَ.

ولَمَّا سَارَ السُّلْطَانُ نَحْوَهُ وَصَلَتْ إِلَيْهِ السَّرِيَّةُ الْأَوْلَى فَلَقُوهُ بِأَرْضِ وَاسِطٍ وَمَعَهُ ابْنُ مَزْيَدٍ، فَاقْتَتَلُوا هُنَالِكَ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَنَجَا الْبَسَاسِيرِيُّ بِنَفْسِهِ عَلَى فَرَسٍ، فَتَبِعَهُ بَعْضُ الْغِلْمَانِ، فَرَمَى فَرَسَهُ بِنُشَّابَةٍ، فَأَلْقَتْهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجَاءَ الْغُلَامُ، فَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ، وَأَسَرَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَحَزَّ رَأْسَهُ، وَحَمَلَهُ إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَخَذَتِ الْأَتْرَاكُ مِنْ جَيْشِ الْبَسَاسِيرِيِّ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا عَجَزُوا عَنْ حَمْلِهِ.

وَلَمَّا وَصَلَ الرَّأْسُ إِلَى السُّلْطَانِ أَمَرَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْ يُرْفَعَ عَلَى قَنَاةٍ، وَأَنْ يُطَافَ بِهِ فِي الْمَحَالِّ وَالدَّبَادِبُ، وَأَنْ يَخْرُجَ النَّاسُ وَالنِّسَاءُ لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

(١) عكبرا: بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة وقد يمد ويقصر اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ معجم البلدان - الفكر (٤/ ١٤٢).

وَقَدْ كَانَ مَعَ الْبَسَاسِيرِيِّ خَلْقٌ مِنَ الْبَغَادِدَةِ، خَرَجُوا مَعَهُ ظَانِّينَ أَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَيْهَا مَحَبَّةً فِيهِ، فَهَلَكُوا، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَفَرَّ **ابْنُ مَزْيَدٍ** فِي نَاسٍ قَلِيلٍ إِلَى الْبَطِيحَةِ، وَفِيمَنْ مَعَهُ أَوْلَادُ الْبَسَاسِيرِيِّ وَأُمُّهُمْ، وَقَدْ سَلَبَتْهُمُ الْأَعْرَابُ، فَلَمْ يَتْرُكُوا لَهُمْ شَيْئًا، فَوَرَدُوا الْبَطِيحَةَ مَسْلُوبِينَ مَحْرُوبِينَ.

ثُمَّ اسْتُؤْمِنَ لِابْنِ مَزْيَدٍ مِنَ السُّلْطَانِ، وَدَخَلَ مَعَهُ بَغْدَادَ، وَقَدْ نَهَبَتِ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ مَا بَيْنَ وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْجَيْشِ وَانْتِشَارِهِ وَكَثَافَتِهِ.

○ حوادث وكوارث

⊙ فِي سنة (٤٢٤هـ) **تَفَاقَمَ الْحَالُ بِأَمْرِ الْعَيَّارِينَ**، وَتَزَايَدَ أَمْرُهُمْ وَأَخْذُهُمُ الْعَمَلَاتِ، وَقَوِيَ أَمْرُ مُقَدِّمِهِمِ **الْبُرْجُمِيِّ**، وَقَتَلَ صَاحِبَ الشُّرْطَةِ غِيلَةً، وَاحْتَفَظَ النَّاسُ بِدُورِهِمْ وَحَرَسُوهَا حَتَّى دَارَ الْخَلِيفَةِ وَسُورَ الْبَلَدِ.

وَكَانَ مِنْ شَأْنِ هَذَا **الْبُرْجُمِيِّ أَنَّهُ لَا يُؤْذِي امْرَأَةً**، وَلَا يَأْخُذُ مِمَّا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَهَذِهِ مُرُوءَةٌ فِي الظُّلْمِ.

⊙ فِي سنة (٤٢٥هـ) كَثُرَتِ **الزَّلَازِلُ** بِمِصْرَ وَالشَّامِ، فَهَدَمَتْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَمَاتَ تَحْتَ الرَّدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وَفِيهَا انْهَدَمَ مِنَ الرَّمْلَةِ ثُلُثُهَا، وَتَقَطَّعَ جَامِعُهَا تَقْطِيعًا، وَخَرَجَ أَهْلُهَا مِنْهَا، فَأَقَامُوا ظَاهِرَهَا ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَكَنَ الْحَالُ فَعَادُوا إِلَيْهَا.

⊙ وَفِيهَا سَقَطَ بَعْضُ حَائِطِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَوَقَعَ مِنْ مِحْرَابِ دَاوُدَ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ، وَمِنْ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ قِطْعَةٌ، وَسَلِمَتِ الْحُجْرَةُ، وَسَقَطَتْ مَنَارَةُ عَسْقَلَانَ وَرَأْسُ مَنَارَةِ غَزَّةَ.

⊙ وَفِيهَا سَقَطَ نِصْفُ بُنْيَانِ نَابُلُسَ، وَخُسِفَ بِقَرْيَةٍ بِإِزَائِهَا وَبِأَهْلِهَا وَبَقَرِهَا وَغَنَمِهَا، وَسَاخَتْ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ قُرًى كَثِيرَةٌ هُنَالِكَ. ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ. (١)

(١) المصدر السابق ١٥/ ٢٤٠.

⊙ وَفِيهَا كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ.

⊙ وَفِيهَا عَصَفَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ بِنَصِيبِينَ، فَأَتلفت شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَشْجَارِ كَالتُّوتِ وَالْجَوْزِ وَالْعُنَّابِ، وَاقْتَلَعَتْ قَصْرًا مُشَيَّدًا بِحِجَارَةٍ وَآجُرٍّ وَكِلْسٍ، ثُمَّ سَقَطَ مَطَرٌ مَعَهُ بَرَدٌ أَمْثَالُ الْأَكُفِّ وَالزُّنُودِ وَالْأَصَابِعِ، وَجَزَرَ الْبَحْرُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ، فَذَهَبَ النَّاسُ خَلْفَ السَّمَكِ، فَرَجَعَ الْمَاءُ عَلَيْهِمْ، فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٢٦هـ) كَثُرَ تَرَدُّدُ الْأَعْرَابِ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ إِلَى حَوَاشِي بَغْدَادَ وَمَا حَوْلَهَا، بِحَيْثُ كَانُوا يَسْتَلِبُونَ مَا عَلَى النِّسَاءِ، وَمَنْ أَسَرُوهُ أَخَذُوا مَا مَعَهُ وَطَالَبُوهُ بِفِدَاءِ نَفْسِهِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَادَ، وَكَثُرَتْ شُرُورُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ.

⊙ وَفِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٤٢٦هـ) زَادَتْ دِجْلَةُ بِحَيْثُ ارْتَفَعَ الْمَاءُ عَلَى الضِّيَاعِ ذِرَاعَيْنِ، وَسَقَطَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ نَحْوٌ مِنْ أَلْفَيْ دَارٍ.

⊙ فِي سنة (٤٢٦هـ) وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْعَيَّارِينَ، وَوَقَعَ حَرِيقٌ كَثِيرٌ فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا، وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ.

⊙ وَفِي سنة (٤٢٨هـ) نَزَلَ مَطَرٌ بِبِلَادِ فَمِ الصُّلْحِ وَمَعَهُ سَمَكٌ، وَزْنُ السَّمَكَةِ رَطْلٌ وَرَطْلَانِ.

⊙ وَفِي سنة (٤٢٨هـ) ثَارَ الْعَيَّارُونَ بِبَغْدَادَ، وَفَتَحُوا السِّجْنَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَأَخَذُوا مِنْهُ رِجَالًا، وَقَتَلُوا مِنْ رِجَالَةِ الشُّرَطِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَانْتَشَرَتِ الْفِتَنُ وَالشُّرُورُ فِي الْبَلَدِ جِدًّا.

⊙ فِي سنة (٤٣١هـ) زَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً عَظِيمَةً بِحَيْثُ حَمَلَتِ الْجِسْرَ وَمَنْ عَلَيْهِ، فَأَلْقَتْهُمْ بِأَسْفَلِ الْبَلَدِ وَسَلِمُوا.

⊙ وَفِي سنة (٤٣٤هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ تِبْرِيزَ هَدَمَتْ قَلْعَتَهَا وَسُورَهَا وَأَسْوَاقَهَا وَدُورَهَا، حَتَّى مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ عَامَّةَ قُصُورِهَا، وَمَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ

خَمْسُونَ أَلْفًا، وَلَبِسَ أَهْلُهَا الْمُسُوحَ لِشِدَّةِ مُصَابِهِمْ.

⦿ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٤١هـ) ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ لَيْلًا، فَزَادَتْ عَلَى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَظَهَرَ فِي جَوَانِبِ السَّمَاءِ كَالنَّارِ الْمُضْرَمَةِ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَخَافُوا وَأَخَذُوا فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، فَانْكَشَفَ فِي بَاقِي اللَّيْلِ بَعْدَ سَاعَةٍ.

⦿ وكانَتْ قَدْ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ جِدًّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَتْلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَشْجَارِ، وَهَدَمَتْ رَوَاشِنَ كَثِيرَةً مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَدَارِ الْمَمْلَكَةِ.

⦿ فِي سنة (٤٤٢هـ) رَخُصَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ جِدًّا.

⦿ وَفِي سنة (٤٤٤هـ) كَانَتْ زَلَازِلُ عَظِيمَةٌ بِنُوَاحِي أَرَّجَانَ وَالْأَهْوَازِ وَتِلْكَ الْبِلَادِ، تَهَدَّمَ بِسَبَبِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُمْرَانِ وَالدُّورِ وَشُرُفَاتِ الْقُصُورِ، وَحَكَى بَعْضُ مَنْ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُ أَنَّهُ انْفَرَجَ إِيوَانُهُ وَهُوَ يُشَاهِدُ ذَلِكَ، حَتَّى رَأَى السَّمَاءَ مِنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ.

⦿ وَفِي سنة (٤٤٧هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالْعَامَّةِ، وَنُهِبَ الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ بِكَمَالِهِ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ وَخَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ.

⦿ وفِي سنة (٤٤٧هـ) كَثُرَ فَسَادُ الْغُزِّ الأتراك وَنَهْبُهُمْ، فَثَاوَرَهُمُ الْعَوَامُّ وَاقْتَتَلُوا، وَنَهَبُوا الْعَامَّةَ حَتَّى أُبِيعَ الثَّوْرُ بِخَمْسَةِ قَرَارِيطَ، وَالْحِمَارُ بِقِيرَاطَيْنِ إِلَى خَمْسَةِ قَرَارِيطَ.

⦿ وفِي سنة (٤٤٧هـ) اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِمَكَّةَ، وَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ جَرَادًا مِلْءَ الْأَرْضِ، فَتَعَوَّضُوا بِهِ عَنِ الطَّعَامِ.

⦿ وفِي سنة (٤٤٧هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَكَانَ جَانِبُ الْحَنَابِلَةِ قَوِيًّا بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَمَكَّنُ أَحَدٌ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ شُهُودَ الْجَمَاعَاتِ. قَالَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ».

الأمراض والأوبئة

⦿ فِي سنة (٤٢٣هـ) وَقعَ مُوتَانٌ عَظِيمٌ بِالْجُدَرِيِّ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَغَزْنَةَ وَخُرَاسَانَ وَجُرْجَانَ وَالـرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ، خَـرَجَ مِنْهَا فِي أَدْنَى مُدَّةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ جِنَـازَةٍ، وَفِي نَوَاحِي الْجَبَلِ وَالْمَوْصِـلِ وبَغْـدَادَ، وَكَانَ فِي الصَّيْفِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْخَرِيفِ. قَالَـهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "الْمُنْتَظَمِ" (١).

⦿ وَفِيهَـا كَثُـرَ الْمَوْتُ بِالْخَوَانِيقِ، (٢) حَتَّى كَانَ يُغْلَقُ الْبَـابُ عَلَى مَنْ فِي الدَّارِ، كُلُّهُمْ قَدْ مَاتَ، وَكَانَ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ، فَمَاتَ مِنْ أَهْلِهَا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَبْعُونَ أَلْفًا.

⦿ واسْـتَهَلَّتْ سـنة (٤٣٨هـ) وَالْمُوتَانُ كَثِيرٌ فِي الدَّوَابِّ جِدًّا حَتَّى جَافَتْ بَغْدَادَ. وَرُبَّمَا أَحْضَرَ بَعْضُ النَّاسِ الْأَطِبَّاءَ إِلَى دَوَابِّهِمْ فَيَسْقُونَهَا مَاءَ الشَّعِيرِ وَيُطَبِّبُونَهَا.

⦿ وفِي سنة (٤٣٩هـ) كَانَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ بِالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَبَغْدَادَ فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، حَتَّى خَلَتِ الْأَسْوَاقُ، وَغَلَتِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمَرْضَى، وَوَرَدَ كِتَابٌ مِنَ الْمَوْصِلِ بِأَنَّـهُ لَا يُصَلِّـي الْجُمُعَةَ مِنْ أَهْلِهَـا إِلَّا نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَنَّ أَهْلَ الذِّمَّـةِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ نَفْسًا.

⦿ وَفِي سـنة (٤٤٨هـ) وَقعَ غَلَاءٌ شَـدِيدٌ وَخَوْفٌ وَنَهْبٌ كَثِيرٌ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ عَقِبَ ذَلِكَ فَنَاءٌ عَظِيمٌ بِحَيْثُ دُفِنَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِغَيْرِ غَسْـلٍ وَلَا تَكْفِينٍ، وَغَلَتِ الْأَشْـرِبَةُ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَرْضَى كَثِيرًا، وَاغْبَرَّ الْجَوُّ، وَفَسَدَ الْهَوَاءُ، وَكَثُرَ الذُّبَابُ. وَعَمَّ هَذَا الْوَبَاءُ وَالْغَلَاءُ مَكَّةَ وَالْحِجَازَ وَدِيَارَ بَكْرٍ وَالْمَوْصِلَ وَبِلَادَ الرُّومِ وَخُرَاسَانَ وَالْجِبَالَ وَالدُّنْيَا كُلَّهَا.

⦿ وفِي سنة (٤٤٨هـ) كَانَ الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ مُسْتَمِرَّيْنِ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ.

❁ ❁ ❁

(١) ١٥/ ٢٣٠.

(٢) الخوانيق: جمع خناق: كل داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة. الوسيط (خ ن ق).

ولاية الحج

فِي سـنة (٤٢٢هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْـرِقِ سِوَى شِرْذِمَةٍ، خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ مَعَ الْعَرَبِ.

وفي سـنة (٤٢٣هـ) حـج الناس من سـائر البلاد إلا أهل العراق والْمَشْـرِقِ لفسـاد الوقت، وتأخر أهل خراسان.

وَفِي سنة (٤٢٤هـ) وسـنة (٤٢٥هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ لِفَسَادِ الْبِلَادِ، وتأخر المصريون خوفًا من الأعراب.

وَفِي سـنة (٤٢٦هـ)، وسنة (٤٢٨هـ)، وسنة (٤٢٩هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ.

وفِي سـنة (٤٣٠هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَـانَ، وَلَا مِنَ الشَّامِ وَمِصْرَ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وفِي سنة (٤٣١هـ)، وسنة (٤٣٢هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَفِي سنة (٤٣٣هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إلا متخفراً بالأعراب.

وفِي سنة (٤٣٤هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ من أهل العراق.

وفِي سنة (٤٣٥هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إلا متخفراً.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سنة (٤٣٦هـ) وسنة (٤٣٧هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سنة (٤٣٨هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إلا متخفراً.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سـنة (٤٣٩هـ)، وسـنة (٤٤٠هـ)، وسـنة (٤٤١هـ)، وسـنة (٤٤٢هـ) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَفِي سـنة (٤٤٣هـ)، وسـنة (٤٤٤هـ)، وسـنة (٤٤٥هـ) لَمْ يَحُجَّ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إلا متخفراً.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٤٦هـ)، وسنة (٤٤٧هـ).

مشاهير من توفي من الأعيان

١ - **الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ جَعْفَرٍ، أَبُو عَلِيِّ **بْنُ مَاكُولا، الْوَزِيرُ لِجَلَالِ الدَّوْلَةِ**، بُعِثَ إِلَى الْبَطِيحَةِ فَفَتَحَهَا، وَرَامَ أَخْذَ الْبَصْرَةِ فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ، وَقَاتَلُوهُ دُونَهَا فَأَسَرُوهُ، فَسَأَلَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ، فَعَفَا عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْأَهْوَازِ تَعَامَلَ عَلَيْهِ غُلَامٌ لَهُ وَجَارِيَةٌ، فَقَتَلَاهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٤٢٢هـ) عَنْ سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

٢ -**عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ نَصرِ **التَّغْلِبِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمَالِكِيَّةِ وَمُصَنِّفِيهِمْ**، لَهُ كِتَابُ " التَّلْقِينِ " يَحْفَظُهُ الطَّلَبَةُ، وَلَهُ غَيْرُهُ فِي الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ، وَقَدْ أَقَامَ بِبَغْدَادَ دَهْرًا، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا لِضِيقِ حَالِهِ، فَدَخَلَ مِصْرَ، فَأَكْرَمَهُ الْمَغَارِبَةُ، وَأَعْطَوْهُ ذَهَبًا كَثِيرًا، فَتَمَوَّلَ جِدًّا، فَأَنْشَأَ يَقُولُ مُتَشَوِّقًا إِلَى بَغْدَادَ:

سَلَامٌ عَلَى بَغْدَادَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ ... وَحُقَّ لَهَا مِنِّي السَّلَامُ مُضَاعَفُ
فَوَاللهِ مَا فَارَقْتُهَا عَنْ قِلًى لَهَا ... وَإِنِّي بِشَطَّيْ جَانِبَيْهَا لَعَارِفُ
وَلَكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرِهَا ... وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ فِيهَا تُسَاعِفُ

وَكَانَ ثِقَةً، وَلَمْ تَرَ الْمَالِكِيَّةُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنْهُ. قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي "الْوَفِيَاتِ" عَنْهُ: وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَحَصَلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ، وَحَسُنَ حَالُهُ، مَرِضَ مِنْ أَكْلَةٍ اشْتَهَاهَا، فَذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَقَلَّبُ وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عِنْدَمَا عِشْنَا مِتْنَا.

وَمِمَّا أَنْشَدَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ:

بَغْدَادُ دَارٌ لِأَهْلِ الْمَالِ طَيِّبَةٌ ... وَلِلْمَفَالِيسِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ
ظَلَلْتُ حَيْرَانَ أَمْشِي فِي أَزِقَّتِهَا ... كَأَنَّنِي مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زِنْدِيقِ

وتوفي سنة (٤٢٢هـ).

٣- **مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ** بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُوسَى، **أَبُو بَكْرٍ الصَّبَّاغُ**، حَدَّثَ عَنِ النَّجَّادِ وَأَبِي بَكْرٍ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ صَدُوقًا، وَقَدْ حَكَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَنَّهُ تَزَوَّجَ تِسْعَمِائَةِ امْرَأَةٍ،

وَذَكَرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سنة (٤٢٣هـ) عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى.

٤- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ، أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيِّ**، وُلِدَ سَنَةَ (٣٣٦هـ)، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ، وَجَمَعَ كُتُبًا كَثِيرَةً جِدًّا، وَكَانَ عَالِمًا بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي الْحَدِيثِ حَسَنَةٌ نَافِعَةٌ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ:[(١)] إِذَا مَاتَ الْبَرْقَانِيُّ ذَهَبَ هَذَا الشَّأْنُ، وَمَا رَأَيْتُ أَتْقَنَ مِنْهُ. تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ سنة (٤٢٥هـ).

٥- **عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ**، أَبُو الْفَرَجِ التَّمِيمِيُّ **الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الْوَاعِظُ**، سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ أَثَرًا مُسَلْسَلًا عَنْ عَلِيٍّ: **الْحَنَّانُ**: الَّذِي يُقْبِلُ عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، **وَالْمَنَّانُ**: الَّذِي يَبْدَأُ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ.

تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٢٥هـ)، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

٦- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ **الثَّعَالِبِيُّ**، النَّيْسَابُورِيُّ، وَيُقَالُ: **الثَّعْلَبِيُّ** - وَهُوَ لَقَبٌ وَلَيْسَ بِنِسْبَةٍ - **لَهُ "التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ"**، وَلَهُ كِتَابُ "الْعَرَائِسِ" فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ، وَاسِعَ السَّمَاعِ؛ وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنَ الْغَرَائِبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَارِسِيُّ فِي "تَارِيخِ نَيْسَابُورَ" وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: هُوَ صَحِيحُ النَّقْلِ مَوْثُوقٌ بِهِ. تُوُفِّيَ سَنَةَ (٤٢٧هـ).

٧- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ** أَبُو الْحُسَيْنِ، **الْقُدُورِيُّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ**، صَاحِبُ الْمُصَنَّفِ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي يُحْفَظُ، كَانَ صَدُوقًا إِمَامًا بَارِعًا عَالِمًا، دَيِّنًا مُنَاظِرًا، وَكَانَ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى مُنَاظَرَةَ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَكَانَ يُطْرِيهِ، وَيَقُولُ: هُوَ أَعْلَمُ وَأَنْظَرُ مِنَ الشَّافِعِيِّ.

وَكَانَ مِمَّنْ أَنْجَبَ فِي الْفِقْهِ؛ لِذَكَائِهِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ فِي الْعِرَاقِ رِيَاسَةُ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَارْتَفَعَ جَاهُهُ. وَكَانَ بَرَّزَ فِي الْقِرَاءَاتِ.

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٥.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ الْخَامِسِ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٤٢٨هـ) عَنْ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٨-**الْحَسَنُ بْنُ شِهَابِ بْنِ الْحَسَنِ** بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو عَلِيٍّ **الْعُكْبَرِيُّ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ الشَّاعِرُ** وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، سَمِعَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ ثِقَةً أَمِينًا، كَمَا قَالَ الْبَرْقَانِيُّ.

وَكَانَ يَسْتَرْزِقُ مِنَ الْوِرَاقَةِ - وَهُوَ النَّسْخُ - يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ دِيوَانَ الْمُتَنَبِّي فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَيَبِيعُهُ بِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَخَذَ السُّلْطَانُ مِنْ تَرِكَتِهِ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى الْأَمْلَاكِ، وَكَانَ قَدْ أَوْصَى بِثُلُثِ مَالِهِ فِي نَفَقَةِ الْحَنَابِلَةِ، فَلَمْ يُصْرَفْ ذَلِكَ. وتوفي سنة (٤٢٨هـ).

٩- **مِهْيَارُ بْنُ مَرْزَوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ** الشَّاعِرُ، أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ الْفَارِسِيُّ، **كَانَ مَجُوسِيًّا فَأَسْلَمَ**، إِلَّا أَنَّهُ سَلَكَ سَبِيلَ **الرَّافِضَةِ**، فَكَانَ يُنَظِّمُ الشِّعْرَ الْقَوِيَّ الْفَحْلَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بُرْهَانَ: يَا مِهْيَارُ، انْتَقَلْتَ مِنْ زَاوِيَةٍ فِي النَّارِ إِلَى زَاوِيَةٍ أُخْرَى; كُنْتَ مَجُوسِيًّا، فَأَسْلَمْتَ، فَصِرْتَ تَسُبُّ الصَّحَابَةَ.

وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ كَبِيرٌ مَشْهُورٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٤٢٨هـ).

١٠- **الْحُسَيْنُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ **بْنِ سِينَا**، الشَّيْخُ الرَّئِيسُ، **الطَّبِيبُ الْفَيْلَسُوفُ**، الَّذِي كَانَ نَادِرَةً فِي زَمَانِهِ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَلْخَ وَانْتَقَلَ إِلَى بُخَارَى، وَاشْتَغَلَ بِهَا ابْنُ سِينَا فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَتْقَنَ عُلُومَهُ وَهُوَ ابْنُ عَشْرٍ، وَأَتْقَنَ الْحِسَابَ وَالْجَبْرَ وَالْمُقَابَلَةَ وَ "إِقْلِيدِسَ" وَ "الْمَجِسْطِيَّ". وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَاشْتَغَلُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ عَالَجَ بَعْضَ الْمُلُوكِ السَّامَانِيَّةِ، وَهُوَ الْأَمِيرُ نُوحُ بْنُ نَصْرٍ، فَأَعْطَاهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً، وَحَكَّمَهُ فِي خِزَانَةِ كُتُبِهِ، فَرَأَى فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ عَزَا بَعْضَ تِلْكَ الْكُتُبِ إِلَى نَفْسِهِ. وَلَهُ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: (١) لَهُ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ مُصَنَّفٍ؛ صِغَارٍ وَكِبَارٍ، مِنْهَا "الْقَانُونُ" وَ"الشِّفَاءُ" وَ"النَّجَاةُ" وَ"الْإِشَارَاتُ" وَ"سلَامَانُ وَإِبْسَالُ" وَ"حَيُّ بْنُ يَقْظَانَ" وَغَيْرُ ذَلِكَ. قَالَ: وَكَانَ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ أَوْرَدَ لَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ يَقُولُ فِيهَا:

اجْعَلْ غِذَاءَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً ... وَاحْذَرْ طَعَامًا قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
وَاحْفَظْ مَنِيَّكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... مَاءُ الْحَيَاةِ يُرَاقُ فِي الْأَرْحَامِ

وَذَكَرَ أَنَّهُ مَاتَ بِالْقُولَنْجِ فِي هَمَذَانَ سنة (٤٢٨هـ)، عَنْ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

قُلْتُ: وَقَدْ لَخَّصَ الْغَزَّالِيُّ كَلَامَهُ فِي "مَقَاصِدِ الْفَلَاسِفَةِ"، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ فِي "تَهَافُتِ الْفَلَاسِفَةِ" فِي عِشْرِينَ مَسْأَلَةً، كَفَّرَهُ فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ مِنْهُنَّ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، وَعَدَمِ الْمَعَادِ الْجُسْمَانِيِّ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ، وَبَدَّعَهُ فِي الْبَوَاقِي، **وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَابَ** عِنْدَ الْمَوْتِ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

١١- **الثَّعَالِبِيُّ، أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْمَلِكِ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّيْسَابُورِيُّ، **صَاحِبُ "يَتِيمَةِ الدَّهْرِ"**، كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، بَارِعًا مُفِيدًا، لَهُ التَّصَانِيفُ الْكِبَارُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ، وَأَكْبَرُ كُتُبِهِ "يَتِيمَةُ الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ"، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الثَّعَالِبِيَّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فَرَّاءً **يَخِيطُ جُلُودَ الثَّعَالِبِ**، وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مَلِيحَةٌ. وُلِدَ سَنَةَ (٣٥٠)، وَمَاتَ فِي سنة (٤٢٩هـ).

١٢- **الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ** عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ **الْبَغْدَادِيُّ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ**، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَكَانَ مَاهِرًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا عِلْمُ الْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ.

وَكَانَ ذَا مَالٍ وَثَرْوَةٍ، أَنْفَقَهُ كُلَّهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَصَنَّفَ فِي الْعُلُومِ، وَدَرَّسَ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ عِلْمًا، وَكَانَ اشْتِغَالُهُ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ نَاصِرٌ الْمَرْوَزِيُّ وَغَيْرُهُ.

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٦٠

توفي سنة (٤٢٩هـ).

١٣- **الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ ذُو التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ الْكَثِيرَةِ، مِنْ ذَلِكَ:

" حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ " فِي مُجَلَّدَاتٍ، دَلَّتْ عَلَى اتِّسَاعِ رِوَايَتِهِ، وَكَثْرَةِ مَشَايِخِهِ، وَقُوَّةِ اطِّلَاعِهِ عَلَى مَخَارِجِ الْأَحَادِيثِ، وَتَشَعُّبِ طُرُقِهَا.

وَلَهُ " مُعْجَمُ الصَّحَابَةِ " وَهُوَ عِنْدِي بِخَطِّهِ، وَلَهُ " صِفَةُ الْجَنَّةِ " وَ " دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ "، وَكِتَابٌ فِي الطِّبِّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةِ.

وقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ:[(١)] كَانَ أَبُو نُعَيْمٍ يَخْلِطُ الْمَسْمُوعَ لَهُ بِالْمَجَازِ، وَلَا يُوَضِّحُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[(٢)] سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ مَيْلًا كَثِيرًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الثَّامِنَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٣٠هـ)، عَنْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً

١٤- **الْحَسَنُ** بْنُ الْحُسَيْنِ، **أَبُو عَلِيٍّ الرُّخَّجِيُّ، وَزَرَ لِشَرَفِ الدَّوْلَةِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ سَنَتَيْنِ ثُمَّ عُزِلَ، وَكَانَ عَظِيمَ الْجَاهِ فِي زَمَانِ عُطْلَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَارَسْتَانَ بِوَاسِطٍ، وَرَتَّبَ فِيهِ الْأَشْرِبَةَ وَالْأَطِبَّاءَ وَالْأَدْوِيَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ كِفَايَتَهُ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٤٣٠هـ) وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

١٥- الْحَسَنُ بْنُ جعفر، **أَبُو الْفُتُوحِ الْعَلَوِيُّ، أَمِيرُ مَكَّةَ**. توفي سنة (٤٣٠هـ).

١٦- **مُحَمَّدُ** بْنُ عُبَيْدِ اللهِ **أَبُو بَكْرٍ الدِّينَوَرِيُّ، الزَّاهِدُ**، كَانَ خَشِنَ الْعَيْشِ، وَكَانَ ابْنُ الْقَزْوِينِيِّ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَكَانَ جَلَالُ الدَّوْلَةِ صَاحِبُ بَغْدَادَ يَزُورُهُ، وَقَدْ سَأَلَهُ مَرَّةً أَنْ يُطْلِقَ لِلنَّاسِ مَكْسَ الْمِلْحِ، وَكَانَ فِي السَّنَةِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، فَتَرَكَهُ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ سنة (٤٣٠هـ) اجْتَمَعَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِجِنَازَتِهِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مَرَّاتٍ، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦٠.

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٦٨.

١٧- **أَبُو زَيْدٍ الدَّبُّوسِيُّ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ** بْنِ عِيسَى الْفَقِيهُ الْحَنَفِيُّ، **أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ عِلْمَ الْخِلَافِ**، وَأَبْرَزَهُ إِلَى الْوُجُودِ. قَالَهُ ابْنُ خلِّكَانَ قَالَ: وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمِثْلُ، وَالدَّبُّوسِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ بُخَارَى. قَالَ: وَلَهُ كِتَابُ "الْأَسْرَارِ" وَ"تَقْوِيمِ الْأَدِلَّةِ". وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ وَالتَّعَالِيقِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ نَاظَرَ الْفُقَهَاءَ، فَبَقِيَ بَعْضُهُمْ كُلَّمَا أَلْزَمَهُ أَبُو زَيْدٍ إِلْزَامًا تَبَسَّمَ أَوْ ضَحِكَ، فَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ:

مَا لِي إِذَا أَلْزَمْتُهُ حُجَّةً ... قَابَلَنِي بِالضِّحْكِ وَالْقَهْقَهَهْ
إِنْ كَانَ ضِحْكُ الْمَرْءِ مِنْ فِقْهِهِ ... فَالدُّبُّ فِي الصَّحْرَاءِ مَا أَفْقَهَهْ

توفي سنة (٤٣٠هـ).

١٨- **الْحَوْفِيُّ**، أَبُو الْحَسَنِ **عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ سَعِيدِ بْنِ يُوسُفَ النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ "إِعْرَابِ الْقُرْآنِ" لَهُ كِتَابٌ فِي النَّحْوِ كَبِيرٌ وَ"إِعْرَابُ الْقُرْآنِ"، وَلَهُ "تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ".

وَكَانَ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ انْتَفَعَ النَّاسُ بِهَا، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: **الْحَوْفِيُّ: نِسْبَةٌ إِلَى نَاحِيَةٍ بِمِصْرَ، يُقَالُ لَهَا: الشَّرْقِيَّةُ**، وَقَصَبَتُهَا مَدِينَةُ بُلْبَيْسَ فَجَمِيعُ رِيفِهَا يُسَمَّوْنَ الْحَوْفَ، وَاحِدُهُمْ حَوْفِيٌّ، وَهُوَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: شَبْرَا اللَّنْجَةِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرْقِيَّةِ، توفي سنة (٤٣٠هـ).

١٩- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ **الضَّرِيرُ الْحِيرِيُّ**، مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُضَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، وَالثِّقَاتِ الْأُمَنَاءِ، قَدِمَ بَغْدَادَ حَاجًّا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ جَمِيعَ "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" فِي ثَلَاثَةِ مَجَالِسَ بِرِوَايَتِهِ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ الْكُشْمَيْهَنِيِّ، عَنِ الْفِرَبْرِيِّ، عَنِ الْبُخَارِيِّ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٤٣١هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٢٠- **بَهْرَامُ بْنُ مَافَنَّةَ، أَبُو مَنْصُورٍ الْوَزِيرُ** لِأَبِي كَالِيجَارَ، كَانَ عَفِيفًا نَزِهًا صَيِّنًا، عَادِلًا فِي سِيرَتِهِ، وَقَدْ وَقَفَ خِزَانَةَ كُتُبٍ فِي مَدِينَةِ فِيرُوزَابَاذَ، تَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ آلَافِ مُجَلَّدٍ، مِنْ

ذَلِكَ أَرْبَعَةُ آلَافِ وَرَقَةٍ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ وَأَبِي عَبْدِ اللهِ ابْنَيْ مُقْلَةَ. توفي سنة (٤٣٣هـ).

٢١- **الْمَلِكُ مَسْعُودُ** بْنُ **مَحْمُودِ** بْنِ **سُبُكْتِكِينَ**، صَاحِبُ بِلَادِ غَزْنَةَ، قَتَلَهُ ابْنُ عَمِّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ، فَانْتَقَمَ لَهُ ابْنُهُ مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَتَلَ عَمَّهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ أَجْلِ أَبِيهِ، وَاسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ مِنْ قَوْمِهِ.

٢٢- **أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ** عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ **الْحَافِظُ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ إِلَى الْأَقَالِيمِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ تَزَوَّجَ فِي الْعَرَبِ، **وَأَقَامَ بِالسَّرَوَاتِ**، وَكَانَ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ، وَيُقِيمُ بِمَكَّةَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ، وَيَسْمَعُ النَّاسَ عَلَيْهِ.

وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَغَارِبَةُ مَذْهَبَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ الْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيِّ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّهُ أَخَذَ مَذْهَبَ مَالِكٍ عَنِ الْبَاقِلَّانِيِّ، وَقَدْ كَانَ ثِقَةً حَافِظًا ضَابِطًا، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٤٣٤هـ).

٢٣- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ** أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْفَرَجِ بْنِ الْأَزْهَرِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الشَّهِيرُ، **وَيُعْرَفُ بِابْنِ السَّوَادِيِّ**، سَمِعَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مَالِكٍ وَخَلْقٍ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا دَيِّنًا، صَحِيحَ الِاعْتِقَادِ حَسَنَ السِّيرَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سنة (٤٣٥هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً وَعَشَرَةِ أَيَّامٍ.

٢٤- **الْمَلِكُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ**، أَبُو طَاهِرِ بْنُ **بَهَاءِ الدَّوْلَةِ** بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيُّ، صَاحِبُ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.

كَانَ فِيهِ **مَحَبَّةً عَظِيمَةً لِلْعُبَّادِ وَيَزُورُهُمْ**، وَيَلْتَمِسُ الدُّعَاءَ مِنْهُمْ، وَقَدْ نُكِبَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، وَخَالَفَهُ الْأَتْرَاكُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَمِنْ بَغْدَادَ بِالْكُلِّيَّةِ غَيْرَ مَا طَرِيقٍ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِمْ وَيَرْضَوْنَ عَنْهُ حَتَّى اعْتَرَاهُ وَجَعٌ فِي كَبِدِهِ، هَذِهِ السَّنَةَ، فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ مِنْ شَعْبَانِ سنة (٤٣٥هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ إِحْدَى وَخَمْسُونَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ، وَوَلِيَ بَغْدَادَ مِنْ ذَلِكَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا.

٢٥-**الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ**، نِسْبَةً إِلَى نَهْرٍ بِالْبَصْرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الصَّيْمَرُ، عَلَيْهِ عِدَّةُ قُرَى. **أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَنَفِيَّةِ**، وَلِيَ قَضَاءَ الْمَدَائِنِ، ثُمَّ قَضَاءَ رَبْعِ الْكَرْخِ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمُفِيدِ، وَابْنِ شَاهِينَ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ صَدُوقًا، وَافِرَ الْعَقْلِ، جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، حَسَنَ الْعِبَارَةِ، عَارِفًا بِحُقُوقِ الْعُلَمَاءِ. تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سنة (٤٣٦هـ) عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٢٦-**الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى، عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ** بْنِ مُوسَى، الْمُوسَوِيُّ، ذِي الْمَجْدَيْنِ - كَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَخِيهِ الرَّضِيِّ، ذِي الْحَسَبَيْنِ - **نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ، وَكَانَ جَيِّدَ الشِّعْرِ**، عَلَى **مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ وَالِاعْتِزَالِ**، يُنَاظِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ يُنَاظَرُ عِنْدَهُ فِي كُلِّ الْمَذَاهِبِ، **وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي التَّشَيُّعِ؛ أُصُولًا وَفُرُوعًا.**

وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَرْجَمَتِهِ أَشْيَاءَ مِنْ **تَفَرُّدَاتِهِ فِي التَّشَيُّعِ، فَمِنْ ذَلِكَ**:

- أَنَّهُ لَا يَصِحُّ السُّجُودُ إِلَّا عَلَى الْأَرْضِ أَوْ مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهَا.
- وَأَنَّ الِاسْتِجْمَارَ إِنَّمَا يُجْزِئُ فِي الْغَائِطِ لَا فِي الْبَوْلِ.
- وَأَنَّ الْكِتَابِيَّاتِ حَرَامٌ.
- وَأَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِحَضْرَةِ شَاهِدَيْنِ، وَالْمُعَلَّقَ مِنْهُ لَا يَقَعُ وَإِنْ وُجِدَ شَرْطُهُ.
- وَمَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ وَجَبَ قَضَاؤُهَا، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصْبِحَ صَائِمًا كَفَّارَةً لِمَا وَقَعَ مِنْهُ.
- وَأَنَّ قَطْعَ السَّارِقِ مِنْ أُصُولِ الْأَصَابِعِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: نَقَلْتُهَا مِنْ خَطِّ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عُقَيْلٍ. قَالَ: وَهَذِهِ مَذَاهِبُ عَجِيبَةٌ تَخْرُقُ الْإِجْمَاعَ، **وَأَعْجَبُ مِنْهَا ذَمُّ الصَّحَابَةِ**، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ سَرَدَ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا قَبِيحًا فِي تَكْفِيرِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَبَّحَهُ وَأَمْثَالَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَابَ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٣٦هـ) عَنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ وَأَوْرَدَ شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِهِ الرَّائِقَةِ. قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّهُ هُوَ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ».

٢٧-**خَدِيجَةُ بِنْتُ مُوسَى** بْنِ عَبْدِ اللهِ **الْوَاعِظَةُ، وَتُعْرَفُ بِبِنْتِ الْبَقَّالِ**، وَتُكَنَّى أُمَّ سَلَمَةَ، قَالَ الْخَطِيبُ: كَتَبْتُ عَنْهَا، وَكَانَتْ فَقِيرَةً صَالِحَةً فَاضِلَةً. توفيت سنة (٤٣٧هـ)

٢٨-**أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْمَنَازِيُّ، الشَّاعِرُ الْكَاتِبُ**، وَزِيرُ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ الْكُرْدِيِّ، صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ، وَدِيَارِ بَكْرٍ.

كَانَ **فَاضِلًا بَارِعًا لَطِيفًا**، وَحَصَّلَ كُتُبًا كَثِيرَةً أَوْقَفَهَا عَلَى جَامِعَيْ آمِدَ وَمَيَّافَارِقِينَ.

وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مُعْتَزِلُ النَّاسِ، وَهُمْ يُؤْذُونَنِي. فَقَالَ: وَلِمَ وَقَدْ تَرَكْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ؟!

وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ قَلِيلُ النَّظِيرِ عَزِيزُ الْوُجُودِ، حَرَصَ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي وَادِي بُزَاعَا قَوْلُهُ:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ ... وَقَاهُ مُضَاعَفُ النَّبْتِ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا ... حُنُوَّ الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفَنَا عَلَى ظَمَأٍ زُلَالا ... أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يُرَاعِي الشَّمْسَ أَنَّى قَابَلَتْهُ ... فَيَحْجُبُهَا وَيَأْذَنُ لِلنَّسِيمِ

٢٩-**الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، **إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ**، وَهُوَ وَالِدُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِي عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَأَصْلُهُ مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهَا: **سِنْبِس. وَجُوَيْنُ**: مِنْ نَوَاحِي نَيْسَابُورَ.

سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ بِلَادٍ شَتَّى عَلَى جَمَاعَةٍ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِيهِ، وَتَفَقَّهَ بِأَبِي الطَّيِّبِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصُّعْلُوكِيِّ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَرْوَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَفَّالِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ وَعَقَدَ مَجْلِسَ الْمُنَاظَرَةِ، وَكَانَ مَهِيبًا لَا يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا الْجِدُّ،

وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ الْكَثِيرَةَ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ، **وَكَانَ وَرِعًا زَاهِدًا شَدِيدَ الِاحْتِيَاطِ، رُبَّمَا أَخْرَجَ الزَّكَاةَ مَرَّتَيْنِ.**

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٤٣٨).

٣٠- **مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُوسَى، أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْوَاعِظُ الشِّيرَازِيُّ**، قَالَ الْخَطِيبُ: قَدِمَ بَغْدَادَ وَأَظْهَرَ الزُّهْدَ وَالتَّقَشُّفَ وَالْوَرَعَ وَعُزُوفَ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيَا، فَافْتَتَنَ النَّاسُ بِهِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ إِنَّهُ قَبْلَ مَا كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ فَيَأْبَى قَبُولَهُ، فَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُ، وَلَبِسَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ، وَجَرَتْ لَهُ أُمُورٌ، وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ.

وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْغَزْوَ، فَاتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ يُضْرَبُ لَهُ الطَّبْلُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، وَسَارَ إِلَى نَاحِيَةِ بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَضَاهَى أَمِيرَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ هناك سنة (٤٣٩هـ).

٣١- **الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ**، الْحُسَيْنُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ مُحَمَّدٍ، **شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ**، أَخَذَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ، وَشَرَحَ «الْفُرُوعَ» لِابْنِ الْحَدَّادِ، وَقَدْ شَرَحَهَا قَبْلَهُ شَيْخُهُ، وَبَعْدَهُ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ وَشَرَحَ أَبُو عَلِيٍّ السِّنْجِيُّ كِتَابَ «التَّلْخِيصِ» لِابْنِ الْقَاصِّ شَرْحًا كَبِيرًا، وَلَهُ كِتَابُ «الْمَجْمُوعِ» وَأَخَذَ مِنْهُ الْغَزَّالِيُّ فِي «الْوَسِيطِ».

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَهُوَ **أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ طَرِيقَتَيِ** الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ في المذهب الشافعي. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ (٤٣٩هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٣٢- **الْحَسَنُ بْنُ عِيسَى بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ **الْعَبَّاسِيُّ**، وُلِدَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَسَمِعَ مِنْ مُؤَدِّبِهِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ الْيَشْكُرِيِّ، وَأَبِي الْأَزْهَرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَاتِبِ.

وَكَانَ فَاضِلًا **دَيِّنًا حَافِظًا لِأَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ**، عَالِمًا بِأَيَّامِ النَّاسِ، صَالِحًا، أَعْرَضَ عَنْ وِلَايَةِ الْخِلَافَةِ عَنْ قُدْرَةٍ، وَآثَرَ بِهَا الْقَادِرَ بِاللهِ.

وكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٤٤٠هـ) عَنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ بِبَابِ حَرْبٍ بِغَيْرِ تَابُوتٍ، فَدُفِنَ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ مَشْهُودًا؛ مَشَى الْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْبَسَاسِيرِيُّ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، وَجَلَسَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْمُسْلِمَةِ لِلْعَزَاءِ مِنَ الْغَدِ.

٣٣- **مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ، الْوَزِيرُ**، الْمُلَقَّبُ بِذِي السَّعَادَاتِ، وَزَرَ لِأَبِي كَالِيجَارَ بِفَارِسَ وَبَغْدَادَ. وكَانَ ذَا مُرُوءَةٍ غَزِيرَةٍ، مَلِيحَ الشِّعْرِ وَالتَّرَسُّلِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِهِ: أَنَّهُ كُتِبَ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ مَاتَ عَنْ وَلَدٍ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ، وَلَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُقَارِبُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى حِينِ بُلُوغِ الطِّفْلِ، فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الْوَرَقَةِ: الْمُتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالطِّفْلُ جَبَرَهُ اللهُ، وَالْمَالُ ثَمَّرَهُ اللهُ، وَالسَّاعِي لَعَنَهُ اللهُ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى مَالِ الْأَيْتَامِ.

اعْتُقِلَ، ثُمَّ قُتِلَ فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٤٤٠هـ) عَنْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً.

٣٤-**عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ**، أَبُو الْقَاسِمِ الْعَلَوِيُّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الشَّبِيهِ. قَالَ الْخَطِيبُ: سَمِعَ مِنِ ابْنِ مُظَفَّرٍ وَكَتَبَ عَنْهُ، **وَكَانَ صَدُوقًا دَيِّنًا، حَسَنَ الِاعْتِقَادِ، يُوَرِّقُ بِالْأُجْرَةِ وَيَأْكُلُ مِنْهُ** وَيَتَصَدَّقُ. تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سنة (٤٤١هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٣٤-**الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ** مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ **الصُّورِيُّ**، طَلَبَ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ بَعْدَ مَا كَبُرَ وَأَسَنَّ، فَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْآفَاقِ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ وَاسْتَفَادَ عَلَى الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ سَعِيدٍ الْمِصْرِيِّ.

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَهْلِ الْحَدِيثِ هِمَّةً فِي الطَّلَبِ وَهُوَ شَابٌّ، ثُمَّ كَانَ مَنْ أَقْوَى النَّاسِ عَزِيمَةً عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَّا أيام العيد.

وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَكَانَ يَكْتُبُ بِالْأُخْرَى الْمُجَلَّدَ فِي جُزْءٍ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ **الطُّيُورِيِّ**: يُقَالُ: **إِنَّ عَامَّةَ كُتُبِ الْخَطِيبِ سِوَى "التَّارِيخ" مُسْتَفَادَةٌ مِنْ كُتُبِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصُّورِيِّ**، وَتَرَكَ كُتُبَهُ اثْنَيْ عَشَرَ عِدْلًا عِنْدَ أَخِيهِ، فَلَمَّا صَارَ الْخَطِيبُ إِلَى الشَّامِ أَعْطَى أَخَاهُ شَيْئًا، وَأَخَذَ بَعْضَ تِلْكَ الْكُتُبِ، فَحَوَّلَهَا فِي كُتُبِهِ.

وَمِنْ شَعْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصُّورِيِّ:

تَوَلَّى الشَّبَابُ بِرَيْعَانِهِ ... وَجَاءَ الْمَشِيبُ بِأَحْزَانِهِ
فَقَلْبِي لِفُقْدَانِ ذَا مُؤْلَمٌ ... كَئِيبٌ بِهَذَا وَوِجْدَانِهِ
وَلَوْلَا ذُنُوبٌ تَحَمَّلْتُهَا ... لَمَا رَاعَنِي حَالَ إِتْيَانِهِ
وَلَكِنَّ ظَهْرِي ثَقِيلٌ بِمَا ... جَنَاهُ شَبَابِي بِطُغْيَانِهِ
وَأَنِّي مُقِرٌّ بِتَوْحِيدِهِ ... عَلِيمٌ بِعِزَّةِ سُلْطَانِهِ
أُخَالِفُ فِي ذَاكَ أَهْلَ الْجُحُودِ ... وَأَهْلَ الْفُسُوقِ وَعُدْوَانِهِ
وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ أَهْلَ الْجَحُودِ ... وَمَنْ قَدْ أَقَرَّ بِإِيمَانِهِ

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَوْم الْأَرْبعَاءِ سَلْخ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ (٤٤١هـ)، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى السِّتِّينَ سَنَةً.

٣٥- **عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَسَنِ** الْحَرْبِيُّ، الْمَعْرُوفُ **بِالْقَزْوِينِيِّ**، سَمِعَ أَبَا بَكْرِ بْنَ شَاذَانَ وَأَبَا حَفْصِ بْنَ الزَّيَّاتِ وَابْنَ حَيَّوَيْهِ، وَكَانَ وَافِرَ الْعَقْلِ، **مِنْ كِبَارِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، لَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ**، وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ وَيَرْوِي الْحَدِيثَ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا لِلصَّلَاةِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ سنة (٤٤٢هـ)، فَغُلِّقَتْ بَغْدَادُ يَوْمَئِذٍ، وَحَضَرَ النَّاسُ جِنَازَتَهُ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٦- **قِرْوَاشُ بْنُ مُقَلَّدٍ**، أَبُو الْمَنِيعِ، **صَاحِبُ الْمَوْصِلِ وَالْكُوفَةِ** وَغَيْرِهِمَا، **كَانَ مِنَ الْجَبَّارِينَ**، وَقَدْ كَاتَبَهُ الْحَاكِمُ صَاحِبُ مِصْرَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَاسْتَمَالَهُ إِلَيْهِ، فَخَطَبَ لَهُ بِبِلَادِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَى الْقَادِرِ فَعَذَرَهُ.

وَقَدْ جَمَعَ هَذَا الْجَبَّارُ بَيْنَ أُخْتَيْنِ فِي النِّكَاحِ، فَلَامَتْهُ الْعَرَبُ، فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ نَعْمَلُهُ مِمَّا هُوَ مُبَاحٌ فِي الشَّرِيعَةِ؟! وَقَدْ نُكِبَ فِي أَيَّامِ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، وَنُهِبَتْ حَوَاصِلُهُ، وَحِينَ تُوُفِّيَ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ مُقَلَّدٍ.

٣٧- **مَوْدُودُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ** بْنِ سُبُكْتِكِينَ، **صَاحِبُ غَزْنَةَ**، تُوُفِّيَ (٤٤٢هـ)، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ عَمُّهُ عَبْدُ الرَّشِيدِ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ.

٣٨- الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ، **الْوَاعِظُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُذْهِبِ**، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

وَكَانَ دَيِّنًا خَيِّرًا، وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطِيبُ أَنَّهُ كَانَ صَحِيحَ السَّمَاعِ لِـ "مُسْنَدِ أَحْمَدَ" مِنَ الْقَطِيعِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ أَلْحَقَ اسْمَهُ فِي أَجْزَاءٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَلَيْسَ هَذَا بِقَدْحٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ سَمَاعُهُ جَازَ أَنْ يُلْحِقَ اسْمَهُ الَّذِي غَفَلَ عَنْهُ الْكَاتِبُ، توفي سنة (٤٤٤هـ)

٣٩- إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ زَنْجَوَيْهِ، أَبُو سَعْدٍ الرَّازِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِالسَّمَّانِ، شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَتَبَ عَنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ شَيْخٍ، **وَكَانَ عَالِمًا بَارِعًا فَاضِلًا مَعَ اعْتِزَالِهِ**، وَمِنْ كَلَامِهِ: مَنْ لَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَمْ يَتَغَرْغَرْ بِحَلَاوَةِ الْإِسْلَامِ. وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ، عَالِمًا بِالْخِلَافِ وَالْفَرَائِضِ، وَالْحِسَابِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي "تَارِيخِهِ" فَأَطْنَبَ فِي شُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ. توفي سنة (٤٤٥هـ).

٤٠- **الْحُسَيْنُ بْنُ جَعْفَرِ** بْنِ مُحَمَّدٍ، **أَبُو عَبْدِ اللهِ السَّلَمَاسِيُّ**، سَمِعَ ابْنَ شَاهِينَ وَابْنَ حَيَّوَيْهِ وَالدَّارَقُطْنِيَّ، **وَكَانَ ثِقَةً أَمِينًا، مَشْهُورًا بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ**، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، **وَافْتِقَادِ الْفُقَرَاءِ**، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ قَدْ أُرِيدَ عَلَى الشَّهَادَةِ، فَأَبَى مِنْ ذَلِكَ. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٤٤٦هـ).

٤١- **الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي دُلَفَ الْعِجْلِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَاكُولَا الشَّافِعِيُّ.

وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْقَادِرُ بِاللهِ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَقَرَّهُ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سنة (٤٤٧هـ) عَنْ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، مِنْهَا فِي الْقَضَاءِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وَكَانَ صِيِّنًا دَيِّنًا، **لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ هَدِيَّةً وَلَا مِنَ الْخَلِيفَةِ**، وَكَانَ يُذْكَرُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَنْدَهْ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ:

تَصَابَى بُرْهَةً مِنْ بَعْدِ شَيْبٍ ... فَمَا أَغْنَى مَعَ الشَّيْبِ التَّصَابِي
وَسَوَّدَ عَارِضَيْهِ بِلَوْنِ خَضْبٍ ... فَلَمْ يَنْفَعْهُ تَسْوِيدُ الْخِضَابِ
وَأَبْدَى لِلْأَحِبَّةِ كُلَّ لُطْفٍ ... فَمَا زَادُوا سِوَى فَرْطِ اجْتِنَابِ
سَلَامُ اللهِ عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ ... عَلَى أَيَّامِ رَيَعَانِ الشَّبَابِ

❁ ❁ ❁

وبهذه السنة (٤٤٧هـ) انتهى العصر البويهي،
ودخلت الخلافة العباسية تحت سيطرة السلاجقة.

العصر العباسي الرابع

(٤٤٧ـ ٥٦٦)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

○ **أما بعد:**

فإن دولة الخلافة العباسية من الدول التي طال عمرها الزمني (١٣٢-٦٥٦) خمسة قرون وربع، وامتدت في مساحة واسعة من الأرض، وجاءت عليها عصور وأحوال مختلفة، فعصرها الأول (١٣٢-٢٣٢) قوة وجهاد وتجذر في الحضارة والبناء، وكذا أغلب العصر الثاني (٢٣٢-٣٣٤) وإن أصابه ثورات وبناء كيانات منافسة، أدى إلى الضعف السياسي، وتسلط العسكر التركي على الدولة، مما مهد لظهور العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧) والذي اصطلح على تسميته العصر العباسي الثالث، فقد وجد في القيادة السلاطين إلى جانب الخلفاء الذين تحولوا إلى مجرد رمز للسلطة الشرعية، ولا يمارسون أعمال الخلافة، وإنما الأمر والنهي لسلاطين وأمراء بني بويه، وهم يحملون فكراً عقديًا، يخالف عقيدة الخلفاء وعامة الأمة أهل السنة والجماعة، مما أوجد تناقضًا اجتماعيًا ودينيًا.

وقد مكن سلاطين بني بويه لمذهبهم الفكري، فانتشر التشيع والبدع المصاحبة له.

ثم انتهى الحال إلى ظهور سلاطين جدد، سيطروا على الخلافة والخلفاء في العراق، وهم السلاجقة (٤٤٧- ٥٦٦).

وقد اصطلح على تسمية سلطنتهم بالعصر العباسي الرابع، وهم يختلفون عن البويهيين من حيث المعتقد الفكري؛ لأنهم سنة، وعلى مذهب أهل السنة والجماعة في الجملة، وضد التشيع.

أما من حيث التسلط على الخلافة وبقاء الخلفاء معزولي الصلاحية فقد استمرت الحالة على ما كان عليه في العصر البويهي، وقد صدرت من السلاطين السلاجقة

مواقف فيها إساءة للخلفاء، ولما ضعف السلاطين، وتنافسوا فيما بينهم، تمكن بعض الخلفاء من الاستفادة من ذلك الوضع، فحاولوا استعادة شيء من سلطاتهم، حتى استقلوا ببغداد، والعراق من (٥٦٦-٦٥٦)، وهو ما يعرف بعصر انتعاش الخلافة (العصر العباسي الخامس).

وهذا الجزء الذي نقدم له احتوى على حوادث (١١٩ حولية) من (٤٤٧-٥٦٦).

وقد بدأ العصر السلجوقي في أثناء خلافة القائم بأمر الله في سنة (٤٤٧هـ)، والذي استمر في الخلافة إلى سنة (٤٦٧هـ). وهو الذي استدعى السلطان طغرلبك أول السلاجقة العظام إلى بغداد، وخلع عليه خلعة السلطنة، وقال له: أولّيك جميع ما ولاني الله من بلاده، فاتق الله فيما ولاّك، واجتهد في عمارة البلاد، وإصلاح العباد، ونشر العدل، وكف الظلم.

وقد قام السلطان طغرلبك وخلفاؤه بنشر السنة، ومنع البدع التي أحدثها الروافض، حيث أُلزموا بترك الأذان بـ(حي على خير العمل) وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم، وأبواب بيوتهم من عبارات السب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل أمر طغرلبك بقتل أحد رؤسائهم لغلوه في الرفض. كما أُلزم أهل الذمة بلبس الغَيار، ليميزهم عن المسلمين في لباسهم.

وقد دبر دعاة التشيع حركة مضادة كادت تعصف بالخلافة العباسية، حيث ثار قائد الجيوش العباسية أبو الحارث البساسيري (وكان قد تشيع) واستولى على بغداد، وقطع الخطبة العباسية، وخطب للفاطمية العبيدية، لكن تم القضاء على فتنته في آخر سنة (٤٥١هـ).

وقد حكم بغداد والعراق في منصب السلطنة أكثر من عشرة سلاطين من آل سلجوق، وهم:

١- طغرلبك (٤٤٧-٤٥٥).

٢- ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥).

٣- ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥)، وقد أراد طرد الخليفة من بغداد؛ لكن عاجله الموت قبل ذلك.

٤- بركياروق بن ملكشاه (٤٨٦-٤٩٨) وفي سلطنته **احتل الفرنج بيت المقدس** سنة (٤٩٢هـ).

٥- غياث الدين محمد بن ملكشاه (٤٩٨-٥١١)، وكان له **جهد مشكور في محاربة الإسماعيلية الباطنية**.

٦- محمود بن محمد بن ملكشاه (٥١١-٥٢٥) وقد نازعه في السلطنة عمه سنجر، ثم اصطلح على أن يشاركه السلطنة، وبقي سنجر فيها مشاركة إلى وفاته سنة (٥٥٢هـ).

وبعد وفاة السلطان محمود بن محمد اختلف على السلطنة حتى استقر فيها السلطان مسعود.

٧- مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٧-٥٤٧)، وقد وقع خلاف بينه وبين الخليفة الراشد أدى إلى خلع الخليفة سنة (٥٣٠هـ).

هذا وقد تنازع السلاجقة أيضاً بعد وفاة السلطان مسعود، حتى استقر في السلطنة بعد مدة سليمان شاه.

٨- سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه (٥٥١-٥٥٥)، خُطِب له ببغداد لكن تقرر أن للخليفة **العراق**، ولسليمان شاه ما يفتحه من **خراسان**، ولذا خرج من بغداد في ربيع الأول سنة (٥٥١هـ) وقد خُلع من السلطنة ثم قُتل سنة (٥٥٦هـ).

٩- أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه (٥٥٥-٥٧١)، وكان حكمه صورياً.

١٠- طغرل بن أرسلان شاه بن محمد بن ملكشاه (٥٧١-٥٩٠) آخر سلاطين السلاجقة بالعراق، ولم يستقر وضعه في السلطنة حتى قتله الخوارزمية سنة (٥٩٠هـ).

وقد عاصرهم من الخلفاء العباسيين **سبعة خلفاء هم**:

١- القائم بأمر الله عبد الله بن القادر (٤٤٧-٤٦٧).

٢- المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم (٤٦٧-٤٨٧)

٣- المستظهر بالله أحمد بن المقتدي (٤٨٧-٥١٢).

٤- المسترشد بالله الفضل بن المستظهر (٥١٢-٥٢٩) حصل بينه وبين السلطان مسعود خلاف وقتال، **حتى أُسر الخليفة، ثم قتله الباطنية** على باب مراغة.

٥- الراشد منصور بن المسترشد (٥٢٩-٥٣٠) خُلع من الخلافة، ثم قُتل سنة (٥٣٢هـ).

٦- المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر (٥٣٠-٥٥٥).

٧- المستنجد بالله يوسف بن محمد المقتفي (٥٥٥-٥٦٦).

ومن الواضح أن الاتفاق بين السلطان سليمان شاه بن محمد والخليفة المقتفي في سنة (٥٥١هـ) قد **أنهى سلطة السلاجقة في بغداد** وما حولها، واستقل الخليفة بالأمر، وصار له جيش، وقد استكمل الخلفاء الاستقلال في خلافة أبي العباس أحمد الناصر، والذي طالت أيامه (٥٧٥-٦٢٢).

وكان الخلاف بين سلاطين السلاجقة بعد ملكشاه قد أدّى إلى انقسامهم واستقلال بعضهم عن بعض، فظهر سلاجقة **الروم**، وسلاجقة **الشام**، وسلاجقة **العراق**، وسلاجقة **إيران**، بل قاتل بعضهم بعضاً، مما أطمع الأمراء وقادة العسكر والأتابك في الدولة فظهر ماعرف **بالدول الأتابكية**، وأشهرها وأعظمها: **الدولة الزنكية، والدولة الأيوبية**؛ وذلك لما قاموا به من جهاد الصليبيين، والسعي لتوحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الفرنج.

وقد نجح عماد الدين ومن بعده نور الدين، وصلاح الدين الأيوبي، في تحقيق مشروع الوحدة، ومن ثَم تحرير بيت المقدس، والقضاء على الفرق الباطنية المنحرفة، التي طالما عرقلت حركة الجهاد، وقتلت الكثير من قادته.

ووقع في هذا العصر أحداث جسام، وتحولات كبيرة، فقد بدأ التشيع ودوله في الضعف والانحسار، وبدأت السّنة في الظهور والتمكين بفعل تشجيع السلاطين وجهود العلماء في ذلك.

كما قامت في هذا العصر سنة (٤٤٨هـ) دولة **المرابطين** في المغرب والأندلس وهي دولة سُنّيّة.

وكان السلطان **ألب أرسلان** قد وضع لدولته **أهدافًا من أهمها:**

١- التوسع في الفتوحات في أرمينية وبلاد الروم، وقد تمكن من هزيمة الروم البيزنطيين هزيمة ساحقة في معركة ملاذ كرد سنة (٤٦٣هـ)، وبذلك انتشر الإسلام في آسيا الصغرى.

٢- القضاء على الدولة الفاطمية الإسماعيلية، والقوى الباطنية الأخرى، سعيًا إلى توحيد العالم الإسلامي في مواجهة القوى الصليبية.

ومن **الأحداث الكبرى في هذا العصر**: الحملات الصليبية، واحتلال بيت المقدس من قبل الفرنج سنة (٤٩٢هـ)، وإقامتهم **أربع إمارات** لهم في بلاد الشام، إحداها: **مملكة بيت المقدس**.

ومن **التحولات المفيدة**: النهضة العلمية التي قادها الوزير السلجوقي الفذ نظام الملك، حيث أنشأ المدارس النظامية، وأحيا العلم الشرعي في الناس، وقام على غرار المدارس النظامية بعد ذلك عشرات، بل مئات المدارس للحديث والفقه والتفسير وغير ذلك، واستمرت النهضة العلمية طوال القرنين، السادس والسابع.

د. محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة - شوال-١٤٤٢هـ

❁ ❁ ❁

مقدمة عن ظهور ملك السلاجقة وتطوره

كَانَ جَـدُّ السـلاجقة **دُقَاقُ** مِنْ مَشَـايِخِ التُّـرْكِ الْقُدَمَاءِ، الَّذِيـنَ لَهُمُ الـرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ وَالْمَكَانَةُ عِنْدَ مَلِكِهِمُ الْأَعْظَمِ، وَنَشَـأَ وَلَدُهُ **سَـلْجُوقُ بن دقاق** نَجِيبًا شَهْمًا، فَقَدَّمَهُ مَلِكُ الترك على الْجُيُوشِ، فَأَطَاعَتْهُ، وَانْقَادَتْ لَهُ النَّاسُ بِحَيْثُ تَخَوَّفَ مِنْهُ الْمَلِكُ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْلَمَ فَازْدَادَ عِزًّا وَعُلُوًّا، ثُمَّ تُوُفِّيَ عَنْ مِائَةٍ وَسَبْعِ سِنِينَ.

وَخَلَّفَ سلجوقُ ثلاثةً من الأولادِ: **أَرْسَلَانَ، وَمِيكَائِيلَ، وَمُوسَى**.

واشتهر منهم **مِيكَائِيلُ** بِقِتَالِ الْكُفَّارِ مِنَ الْأَتْرَاكِ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، **وَخَلَّفَ طُغْرُلْبَكَ مُحَمَّـدًا، وَجَغْرِيبَكَ دَاوُدَ**، فَعَظُمَ شَـأْنُهُمَا فِي بَنِي عَمِّهِمَا، وَاجْتَمَـعَ عَلَيْهِمَا التُّرْكُ مِنَ الْمُؤْمِنِيـنَ، وَهُـمْ **تُـرْكُ الْإِيمَانِ** الَّذِينَ يُقَـالُ لَهُمُ الْيَـوْمَ: **تَرْكُمَانُ**. وَهُمُ **السَّـلَاجِقَةُ** بَنُو سَلْجُوقَ.

فَفَتَحُوا بِلَادَ خُرَاسَـانَ بِكَمَالِهَا بَعْـدَ مَوْتِ مَحْمُودِ بْنِ سُـبُكْتِكِينَ، وضعف الدولة الغزنوية والاختلاف فيما بينهم، حتى اسْـتُكْمِلَ للسـلاجقة مُلْكُ خُرَاسَـانَ بِأَسْـرِهَا، وَكَمَلَ جَمِيعُ مَا أَمَّلُوهُ.

- فِفِي سـنة (٤٢٩هـ) اسْـتَوْلَى **طُغْرُلْبَـكُ** مُحَمَّدُ بْـنُ مِيكَائِيلَ بْنِ سَـلْجُوقَ عَلَى نَيْسَـابُورَ وَجَلَسَ عَلَى سَـرِيرِ مُلْكِهَا، وَبَعَثَ أَخَاهُ دَاوُدَ إِلَى سَـائِرِ بِلَادِ خُرَاسَانَ، فَمَلَكَهَا وَانْتَزَعَهَا مِنْ نُوَّابِ الْمَلِكِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ.
- قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٤٣٠هـ) مَلَكَ بَنُو سَـلْجُوقَ بِلَادَ خُرَاسَانَ وَالْجَبَلَ، وَتَقَسَّمُوا الْأَطْرَافَ، وَهُوَ **أَوَّلُ مُلْكِ السَّلْجُوقِيَّةِ**.
- وفِي سنة (٤٣٢هـ) عَظُمَ شَأْنُ السَّلْجُوقِيَّةِ، وَارْتَفَعَ شَأْنُ مَلِكِهِمْ **طُغْرُلْبَكَ** مُحَمَّدٍ، وَأَخِيهِ جَغْرِيبَكَ دَاوُدَ.

⊙ فِي سنة (٤٣٣هـ) مَلَكَ طُغْرُلْبَكُ **جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ**، ثُمَّ عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

⊙ وفِي سنة (٤٣٤هـ) اسْتَوْلَى السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ عَلَى **أَكْثَرِ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ**، فَمِنْ ذَلِكَ مَدِينَةُ **خُوَارِزْمَ وَدِهِسْتَانُ وَطَبَسُ وَالرَّيُّ وَبِلَادُ الْجَبَلِ وَكَرْمَانُ وَأَعْمَالُهَا وَقَزْوِينُ**. وَخُطِبَ لَهُ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي كُلِّهَا، وَعَظُمَ شَأْنُهُ جِدًّا، وَاتَّسَعَ صِيتُهُ.

⊙ وفِي سنة (٤٣٥هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ طُغْرُلْبَكَ إِلَى جَلَالِ الدَّوْلَةِ البويهي **يَأْمُرُهُ بِالْإِحْسَانِ** إِلَى الرَّعَايَا وَالْوَصَاةِ بِهِمْ.

⊙ وَفِي سنة (٤٣٥هـ) أيضـًا **أَرْسَلَ** الْخَلِيفَةُ **الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ** قاضي الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ **الْمَاوَرْدِيَّ، إِلَى الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ**؛ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَلَالِ الدَّوْلَةِ أَبِي كَالِيجَارَ، فَسَارَ إِلَيْهِ، فَالْتَقَاهُ بِجُرْجَانَ، فَتَلَقَّاهُ الْمَلِكُ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ إِكْرَامًا لِمَنْ أَرْسَلَهُ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى السَّنَةِ الْآتِيَةِ. فَلَمَّا قَدِمَ الماوردي أَخْبَرَ بِطَاعَتِهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُ وَاحْتِرَامِهِ مِنْ أَجْلِ الْخَلِيفَةِ.

⊙ وفِي سنة (٤٣٧هـ) بَعَثَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ السَّلْجُوقِيُّ أَخَاهُ **إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ** إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ، فَمَلَكَهَا وَأَخْرَجَ مِنْهَا صَاحِبَهَا كَرْشَاسِفَ بْنَ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ، فَالْتَحَقَ بِالْأَكْرَادِ، ثُمَّ سَارَ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالُ إِلَى الدِّينَوَرِ فَمَلَكَهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا صَاحِبَهَا

فَسَارَ إِلَى حُلْوَانَ فَتَبِعَهُ إِبْرَاهِيمُ، فَمَلَكَهَا قَهْرًا، وَأَحْرَقَ دَارَهُ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجَهَّزَ الْمَلِكُ أَبُو كَالِيجَارَ صَاحِبُ بَغْدَادَ لِقِتَالِ السَّلَاجِقَةِ الَّذِينَ غَزَوْا أَنْصَارَهُ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ ذَلِكَ لِقِلَّةِ الظَّهْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآفَةَ اعْتَرَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْخَيْلَ، فَمَاتَ لَهُ فِيهَا نَحْوٌ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَرَسٍ.

⊙ وفِي سنة (٤٣٩هـ) اصْطَلَحَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ السَّلْجُوقِيُّ، وَأَبُو كَالِيجَارَ صَاحِبُ

بَغْدَادَ، **وَتَزَوَّجَ طُغْرُلْبَكُ بِابْنَةِ أَبِي كَالِيجَارَ**، وَتَزَوَّجَ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ كَالِيجَارَ بِابْنَةِ الْمَلِكِ دَاوُدَ أَخِي طُغْرُلْبَكَ.

⊙ وفي سنة (٤٤٠هـ) غَزَا إِبْرَاهِيمُ يَنَّالَ السلجوقي بِلَادَ الرُّومِ، فَغَنِمَ مِائَةَ أَلْفِ رَأْسٍ، وَأَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْعٍ، وَقِيلَ: تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْعٍ. وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِلَّا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَحَمَلَ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَغَانِمِ عَلَى عَشَرَةِ آلَافِ عَجَلَةٍ.

⊙ وفي سنة (٤٤١هـ) **كَتَبَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى طُغْرُلْبَكَ** فِي فِدَاءِ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ مِمَّنْ كَانَ أَسَرَهُ إِبْرَاهِيمُ يَنَّالَ، وَيَبْذُلُ لَهُ فِيهِ كَثِيراً مِنَ الْمَالِ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ **مَجَّانًا**، مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ اشْتَرَطَهُ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ الرُّومِ هَدَايَا كَثِيرَةً وَتُحَفًا غَزِيرَةً، وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَأُقِيمَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ وَالْجُمُعَةُ، وَخُطِبَ فِيهِ لِلْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ فَبَلَغَ هَذَا الْأَمْرُ الْعَجِيبُ سَائِرَ الْمُلُوكِ، فَعَظَّمُوا الْمَلِكَ طُغْرُلْبَكَ تَعْظِيمًا زَائِدًا، **وَخَطَبَ لَهُ** نَصْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوَانَ **بِالْجَزِيرَةِ**.

⊙ وفي سنة (٤٤٢هـ) فَتَحَ السُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ السلجوقي **أَصْبَهَانَ** بَعْدَ حِصَارِ سَنَةٍ، فَنَقَلَ إِلَيْهَا حَوَاصِلَهُ مِنَ الرَّيِّ، **وَجَعَلَهَا دَارَ إِقَامَتِهِ**، وَخَرَّبَ قِطْعَةً مِنْ سُورِهَا، وَقَالَ: إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى السُّورِ مَنْ تَضْعُفُ قُوَّتُهُ، وَإِنَّمَا **حِصْنِي عَسَاكِرِي وَسَيْفِي**.

وَقَدْ كَانَ فِيهَا أَبُو مَنْصُورِ بْنُ عَلَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كَاكَوَيْهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَأَقْطَعَهُ بَعْضَ بِلَادِهَا.

⊙ وَفِي رَمَضَانَ سنة (٤٤٢هـ) **جَاءَتِ الْهَدَايَا** مِنَ الْمَلِكِ **طُغْرُلْبَكَ** إِلَى الْخَلِيفَةِ شُكْرًا لَهُ عَلَى إِنْعَامِهِ إِلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ بِمَا كَانَ بَعَثَهُ لَهُ مِنَ الْخِلَعِ وَالتَّقْلِيدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِلَى الْحَاشِيَةِ بِخَمْسَةِ آلَافٍ، وَإِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ بِأَلْفَيْ دِينَارٍ، وَقَدْ كَانَ طُغْرُلْبَكُ حِينَ عَمَّرَ الرَّيَّ وَخَرَّبَ فِيهَا أَمَاكِنَ لِيُصْلِحَهَا وَجَدَ فِيهَا دَفَائِنَ كَثِيرَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ، فَعَظُمَ شَأْنُهُ بِذَلِكَ، وَقَوِيَ مُلْكُهُ بِسَبَبِهِ.

⊙ وفِي سنة (٤٤٥هـ) نُقِلَ إِلَى الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ أَنَّ الشَّيْخَ **أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ يَقُولُ بِكَذَا وَكَذَا**، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَنْكَرَهَا الْمَلِكُ، فَأَمَرَ بِلَعْنِهِ، وَصَرَّحَ أَهْلُ نَيْسَابُورَ بِتَكْفِيرِ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ، فَضَجَّ **أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ** عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ، **وَصَنَّفَ رِسَالَةً** سَمَّاهَا "**شِكَايَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ لِمَا نَالَهُمْ مِنَ الْمِحْنَةِ**"، وَاسْتَدْعَى السُّلْطَانُ جَمَاعَةً مِنْ رُءُوسِ الْأَشَاعِرَةِ، مِنْهُمُ الْقُشَيْرِيُّ، فَسَأَلَهُمْ عَمَّا أُنْهِيَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ الْأَشْعَرِيُّ قَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ: نَحْنُ إِنَّمَا لَعَنَّا مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ. وَجَرَتْ فِتَنٌ طَوِيلَةٌ.

⊙ وفِي سنة (٤٤٦هـ) غَزَا السُّلْطَانُ **طُغْرُلْبَكُ بِلَادَ الرُّومِ** بَعْدَ أَخْذِهِ بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ، فَغَنِمَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَسَبَى، وَعَمِلَ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، ثُمَّ عَادَ سَالِمًا إِلَى أَذْرَبِيجَانَ فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً.

❁ ❁ ❁

تتمة خلافة القائم بأمر اللّه عبد اللّه بن القادر باللّه

(٤٤٧ - ٤٦٧هـ)

بدخول طغرلبك محمد بغداد في سنة ٤٤٧هـ سقط الدولة البويهية، وقامت الدولة السلجوقية في العراق، ومنح الخليفة العباسي القائم بأمر اللّه السلطنة لطغرلبك

الأحداث وولاية الحج

الأحداث

ابتدأ العصر السلجوقي في العراق سنة (٤٤٧هـ) أثناء خلافة القائم بأمر الله، الذي بدأت خلافته من سنة (٤٢٢هـ)، وما يلي تكملة لما يتعلق بأحداث خلافته خلال العصر السلجوقي.

❍ تولية الخليفة القائم لطغرلبك

في سنة (٤٤٧هـ) **قدم السلطان طغرلبك** بطلب من الخليفة القائم بأمر الله إلى **بغداد**، فخلع عليه الخليفة خلعة السلطنة، وولَّاه جَمِيعَ مَا وَلَّاهُ اللهُ مِنْ بِلَادِهِ، **وقال له**: اتَّقِ اللهَ فِيمَا وَلَّاكَ، وَاجْتَهِدْ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ، وَإِصْلَاحِ الْعِبَادِ، وَنَشْرِ الْعَدْلِ، وَكَفِّ الظُّلْمِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ لِبِلَادِ الْعِرَاقِ.

❍ زواج الخليفة من ابنة أخي السلطان

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٤٨هـ) عُقِدَ عَقْدُ الْخَلِيفَةِ عَلَى **بِنْتِ أَخِي السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ**، وَاسْمُهَا خَدِيجَةُ، أَرْسَلَانَ خَاتُونَ، عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَحَضَرَ هَذَا الْعَقْدَ وَزِيرُ طُغْرُلْبَكَ، وَنَقِيبُ الْعَلَوِيِّينَ، وَنَقِيبُ الْهَاشِمِيِّينَ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ الدَّامَغَانِيُّ، وَأَقْضَى الْقُضَاةِ الْمَاوَرْدِيُّ، وَرَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ ابْنُ الْمُسْلِمَةِ وَهُوَ الَّذِي خَطَبَ الْخُطْبَةَ، وَقَبِلَ الْخَلِيفَةُ الْعَقْدَ.

فَلَمَّا كَانَ شَعْبَانُ ذَهَبَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ إِلَى الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. وَقَدْ أَذِنَ فِي نَقْلِ الْوَدِيعَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى دَارِهِ الْعَزِيزَةِ. فَقَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَبَّلَتِ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِرَارًا، فَأَدْنَاهَا إِلَيْهِ، وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَانِبِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا خِلْعَةً سَنِيَّةً وَتَاجًا مِنْ جَوْهَرٍ، وَأَعْطَاهَا مِنَ الْغَدِ مِائَةَ ثَوْبٍ دِيبَاجًا،

وَقَصَبَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَقْطَعَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ عَمَلِ الْفُرَاتِ اثْنَيْ عَشْرَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وفِي أَوَائِلِ سـنة (٤٥٥هـ) طَلَبَتِ **زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ** أَرْسَلَانُ خَاتُونَ النُّقْلَةَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى عِنْدِ عَمِّهَا، وَذَلِكَ لَمَّا هَجَرَهَا بِالْكُلِّيَّةِ وَبَارَتْ عِنْدَهُ، فَبَعَثَهَا الْخَلِيفَةُ مَعَ الْوَزِيرِ الْكُنْدُرِيِّ، فَلَمَّـا وَصَلَتْ إِلَى عَمِّهَا وكَانَ مَرِيضًا مُدْنِفًا مُثْقَلًا، فَأَرْسَـلَ إِلَـى الْخَلِيفَةِ يَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي تَهَاوُنِهِ بِهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ ارْتِجَالًا:

ذَهَـبَـتْ شِـرَّتِـي وَوَلَّـى الْـغَـرَامُ وَارْتِـجَـاعُ الـشَّـبَـابِ مَـا لَا يُـرَامُ
أَذْهَـبَـتْ مِـنِّـي الـلَّـيَـالِي جَـدِيـدًا وَالـلَّـيَـالِـي يُـضْـعِـفْـنَ وَالْأَيَّـــامُ
فَـعَـلَـى مَـا عَـهِـدْتُـهُ مِـنْ شَـبَـابِـي وَعَـلَـى الْـغَـانِـيَـاتِ مِـنِّـي الـسَّـلَامُ

○ إقامة السنة ومنع البدع

فِـي سـنة (٤٤٨هـ) أُلْزِمَ الرَّوَافِـضُ بِتَرْكِ الْأَذَانِ بِحَـيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَـلِ، وَأُمِرُوا أَنْ يُنَادِيَ الْمُؤَذِّنُونَ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ: **الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ**، مَرَّتَيْنِ، وَأُزِيلَ مَا كَانَ عَلَى أَبْوَابِ مَسَاجِدِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ مِنْ كِتَابَةِ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ. وَدَخَلَ الْمُنْشِدُونَ مِنْ بَابِ الْبَصْرَةِ إِلَى الْكَرْخِ، فَأَنْشَدُوا بِفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ فِي مَدَائِحَ لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّـوْءَ الْأَوَّلَ اضْمَحَلَّ؛ كَانَتْ بَنُو بُوَيْـهِ تُقَوِّيهِمْ وَتَنْصُرُهُمْ، فَزَالُوا وَبَادُوا، وَأَذْهَبَ اللهُ دَوْلَتَهُـمْ، وَجَـاءَ اللهُ بِقَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الْأَتْرَاكِ السَّـلْجُوقِيَّةِ يُحِبُّونَ السُّـنَّةَ وَيُوَالُونَ أَهْلَهَا، وَيَعْتَرِفُونَ بِرِفْعَةِ قَدْرِهَا، وَيَرْفَعُونَ مَحَلَّهَا، وَاللهُ الْمَحْمُودُ أَبَدًا عَلَى طُولِ الْمَدَى.

وَأَمَرَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ الْوَالِي بِقَتْلِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَلَّابِ شَيْخِ الْبَزَّازِينَ بِبَابِ الطَّاقِ؛ لِمَا كَانَ يَتَظَاهَرُ بِهِ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الرَّفْضِ، فَقُتِلَ وَصُلِبَ عَلَى بَابِ دُكَّانِهِ، وَهَرَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ وَنُهِبَتْ دَارُهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وفِي سـنة (٤٤٨هـ) أُلْزِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ **بِلُبْسِ الْغِيَارِ** بِبَغْدَادَ عَنْ أَمْرِ السُّـلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ، بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهُ.

عودة طغرلبك من الموصل

وفِي سنة (٤٤٩هـ) عاد الْمَلِكُ **طُغْرُلْبَكُ إلى** بَغْدَادَ مِنَ الْمَوْصِلِ، وَقَدْ تَسَلَّمَهَا وَاسْتَعَادَهَا مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ، فَتَلَقَّاهُ الْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَأَحْضَرَ لَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ خِلْعَةً مِنَ الْخَلِيفَةِ فَرَجِيَّةً مُجَوْهَرَةً فَلَبِسَهَا، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ دَارَ الْخِلَافَةِ، وَقَدْ رَكِبَ إِلَيْهَا فَرَسًا مِنْ مَرَاكِبِ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ قَبَّلَ الْأَرْضَ، ثُمَّ أُجْلِسَ عَلَى سَرِيرٍ دُونَ سَرِيرِ الْخَلِيفَةِ.

فَقَامَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَالَ: أَنَا خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَبْدُهُ، وَمُتَصَرِّفٌ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمُتَشَرِّفٌ بِمَا أَهَّلَنِي لَهُ، وَاسْتَخْدَمَنِي فِيهِ، وَمِنَ اللهِ أَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

ثُمَّ خَرَجَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْحُجَّابُ وَالْجَيْشُ بِكَمَالِهِ، وَجَاءَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَالتَّهْنِئَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِتُحَفٍ عَظِيمَةٍ؛ مِنْهَا خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخَمْسُونَ غُلَامًا أَتْرَاكًا بِمَرَاكِبِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ وَمَنَاطِقِهِمْ، وَخَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ أَنْوَاعًا، وَأَعْطَى رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَخَمْسِينَ قِطْعَةَ قُمَاشٍ.

استيلاء الصليحي على اليمن ومكة

فِي سنة (٤٤٧هـ) اسْتَوْلَى أَبُو كَامِلٍ **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ الْهَمْدَانِيُّ** عَلَى أَكْثَرِ أَعْمَالِ الْيَمَنِ، **وَخَطَبَ فِيهَا لِلْفَاطِمِيِّينَ**، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ.

وفِي سنة (٤٥٥هـ) مَلَكَ **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّلَيْحِيُّ** صَاحِبُ الْيَمَنِ **مَكَّةَ**، وَجَلَبَ الْأَقْوَاتَ إِلَيْهَا، وَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٥٩هـ) **قُتِلَ الصُّلَيْحِيُّ** أَمِيرُ الْيَمَنِ وَصَاحِبُ مَكَّةَ قَتَلَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْيَمَنِ وَخُطِبَ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ الْعَبَّاسِيِّ.

وقف العتابي دار كتب

فِي رَجَبٍ سنة (٤٥٢هـ) وَقَّفَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَتَّابِيُّ دَارَ كُتُبٍ بِشَارِعِ

ابْـنِ أَبِـي عَوْفٍ مِنْ غَرْبِيِّ مَدِينَةِ السَّـلَامِ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا أَلْفَ كِتَابٍ عِوَضًا عَنْ **دَارِ أَرْدَشِـيرَ** الَّتِي أُحْرِقَتْ بِالْكَرْخِ.

تضمين بغداد للعميد الكندري

فِي سـنة (٤٥٢هـ) عَادَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ إِلَى الْجَبَلِ، وَعَقَـدَ بَغْدَادَ عَلَى الْعَمِيدِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فِي السَّـنَةِ، وَلِسَـنَتَيْنِ بَعْدَهَـا بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَشَـرَعَ الْعَمِيـدُ فِي عِمَارَةِ الْكَرْخِ وَأَسْوَاقِهِ.

خِطبة طغرلبك لبنت الخليفة

فِي سـنة (٤٥٣هـ) خَطَبَ السلطان طُغْرُلْبَكُ ابْنَةَ الْخَلِيفَةِ القائم، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ. ثُمَّ طَلَبَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً كَهَيْئَةِ الْمُبْعِدِ لَهُ، فقبل السـلطان بَعْض ذَلِكَ، فَتَمَنَّعَ الْخَلِيفَةُ، فَغَضِبَ الْوَزِيرُ عَمِيدُ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيُّ للسُّلْطَانِ، وَجَرَتْ شُـرُورٌ طَوِيلَةٌ اقْتَضَتْ: أَنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ طغرلبك كِتَابًا يَأْمُرُ فِيهِ بِانْتِزَاعِ زوجة الخليفة ابْنَةِ أَخِي السـلطان طغرلبك **أَرْسَـلَانَ خَاتُونَ**، وَنَقْلِهَا مِـنْ دَارِ الْخِلَافَةِ إِلَى دَارِ الْمُلْك.

وفِي سـنة (٤٥٤هـ) أرسـل الملك **طُغْرُلْبَكَ** إِلَى نُوَّابِهِ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى أَمْلَاكِ الْخَلِيفَةِ – وَقَدِ انْزَعَجَ لِذَلِكَ – فأجابه إِلَى مَا سَأَلَ، ففَرِحَ الْمَلِكِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَرْسَلَ إِلَى نُوَّابِهِ أَنْ يُطْلِقُوا الْأَمْلَاكَ الْخَلِيفِيَّةَ.

وَفَـرِحَ النَّاسُ بِإِجَابَـةِ الْخَلِيفَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ، فَـوَكَلَ الْخَلِيفَةُ فِي الْعَقْدِ، فَلَمَّـا جِيءَ بِالْوَكَالَةِ قَامَ لَهَا الْمَلِكُ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ عِنْدَ رُؤْيَتِهَا، ووَقَعَ الْعَقْدُ بِمَدِينَةِ تِبْرِيزَ بِحَضْـرَةِ الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ، عَلَى صَدَاقِ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَثُرَ دُعَاءُ النَّاسِ لِلْخَلِيفَةِ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٤٥٤هـ).

ثُمَّ بَعَثَ الملك طغرلبك ابْنَةَ أَخِيهِ الْخَاتُونَ أَرْسَلَانَ، زَوْجَةَ الْخَلِيفَةِ، إلى بغداد.

بِتُحَفٍ عَظِيمَةٍ، وَهَدَايَا كثيرة، لِأُمِّ الْعَرُوسِ وَأَهْلِهَا كُلِّهِمْ، **وَقَالَ الْمَلِكُ جَهْرَةً لِلنَّاسِ**: أَنَا عَبْدٌ قِنٌّ لِلْخَلِيفَةِ مَا بَقِيتُ، لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى مَا عَلَيَّ مِنَ الثِّيَابِ.

فعاد الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ إلى بَغْدَادَ سنة (٤٥٥هـ)، وأَرْسَلَ وَزِيرَهُ عَمِيدَ الْمُلْكِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُطَالِبُهُ بِنَقْلِ السَّيِّدَةِ مِنَ **الدَّارِ الْعَزِيزَةِ النَّبَوِيَّةِ** إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ، **فَتَمَنَّعَ الْخَلِيفَةُ** مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ **إِنَّمَا سَأَلْتُمْ أَنْ يَعْقِدَ الْعَقْدَ فَقَطْ لِحُصُولِ التَّشْرِيفِ**، وَالْتَزَمْتُمْ لَنَا بِعَدَمِ الْمُطَالَبَةِ بِهَا، فتَرَدَّدَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ.

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ زِيَادَةً عَلَى النَّقْدِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةً، وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَتُحَفًا أُخَرَ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٤٥٥هـ)، زُفَّتِ السَّيِّدَةُ ابْنَةُ الْخَلِيفَةِ **إِلَى دَارِ الْمَمْلَكَةِ**، فَأُجْلِسَتْ عَلَى سَرِيرٍ مُكَلَّلٍ بِالذَّهَبِ، وَعَلَى **وَجْهِهَا بُرْقُعٌ**، وَدَخَلَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهَا، **فَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَلَمْ تَقُمْ لَهُ وَلَمْ تَرَهُ**، فَلَمْ يَجْلِسْ وانْصَرَفَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ.

وَبَعَثَ لَهَا مَعَ الخاتون زَوْجَةِ الْخَلِيفَةِ عِقْدَيْنِ فَاخِرَيْنِ وَقِطْعَةَ يَاقُوتٍ حَمْرَاءَ كَبِيرَةً، وَدَخَلَ مِنَ الْغَدِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مُكَلَّلٍ بِالْفِضَّةِ بِإِزَائِهَا سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ وَأَرْسَلَ لَهَا جَوَاهِرَ نَفِيسَةً، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ لمدة سَبْعَةِ أَيَّامٍ.

ثُمَّ عَرَضَ لَهُ سَفَرٌ وَاعْتَرَاهُ مَرَضٌ، فَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ بِالِانْصِرَافِ بِالسَّيِّدَةِ مَعَهُ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ مُدَّةً قَرِيبَةً، ثُمَّ يَعُودُ بِهَا، فَأَذِنَ لَهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ، وَحُزْنٍ عَظِيمٍ، فَخَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَتَأَلَّمَتْ وَالِدَتُهَا لِفَقْدِهَا، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ وَهُوَ مَرِيضٌ مُدْنِفٌ مَأْيُوسٌ مِنْهُ، ولَا تُرْجَى مِنْهُ الْعَافِيَةُ.

○ وفاة السلطان طغرلبك

فِي اليوم الثامن مِنْ رَمَضَانَ سنة (٤٥٥هـ) تُوُفِّيَ السلطان **طُغْرُلْبَكُ**، فَثَارَتِ الْعَيَّارُونَ بِهَمَذَانَ، فَقَتَلُوا الْعَمِيدَ، وَالشِّحْنَةَ، وَسَبْعَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، وَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ عَلَى الْقَتْلَى نَهَارًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ.

وَأُخِذَتِ الْبَيْعَةُ بَعْدَهُ **لِوَلَدِ أَخِيهِ** سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَكَانَ طُغْرُلْبَكُ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ وَأَوْصَى إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِأُمِّهِ، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، وَأُنْفِقَتْ فِي الْأُمَرَاءِ وَالْأَتْرَاكِ الْأَمْوَالُ وَالْخِلَعُ.

وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِمْ خَوْفٌ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْمَلِكُ **أَلْبُ أَرْسَلَانَ** مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ، فَإِنَّ الْجَيْشَ كَانُوا يَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، وهو الذي استقر الأمر عليه.

وَكَانَ لطغرلبك فِي الْمُلْكِ مُدَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، مِنْهَا فِي مَمْلَكَةِ الْعِرَاقِ ثَمَانُ سِنِينَ إِلَّا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَلَمَّا مَاتَ اضْطَرَبَتِ الْأَحْوَالُ، وَانْتَقَضَتْ بَعْدَهُ جِدًّا، وَعَاثَتِ الْأَعْرَابُ فِي سَوَادِ بَغْدَادَ وَأَرْضِ الْعِرَاقِ يَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ وَيُشَلِّحُونَ الرِّجَالَ. وَتَعَذَّرَتِ الزِّرَاعَةُ إِلَّا عَلَى الْمُخَاطَرَةِ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ النَّاسُ.

❍ تملك ألب أرسلان

بعد وفاة طغرلبك فِي سنة (٤٥٥هـ) تولى الملك بعده عضد الدولة **أَلْبُ أَرْسَلَانَ** محمد بن داود.

وفي سنة (٤٥٦هـ) اعْتَمَدَ أَلْبُ أَرْسَلَانَ فِي الْوِزَارَةِ -بعد قتل الوزير الكندري- عَلَى **نِظَامِ الْمُلْكِ** أبي علي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ، **وَكَانَ وَزِيرَ صِدْقٍ، يُكْرِمُ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَرَاءَ.**

وَلَمَّا عَصَى الْمَلِكُ شِهَابُ الدَّوْلَةِ **قُتُلْمِش**، وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَطَمِعَ فِي أَخْذِ الْمُلْكِ مِنْ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، وَكَانَ مِنْ بَنِي عَمِّ طُغْرُلْبَكَ، فَجَمَعَ وَحَشَدَ وَاحْتَفَلَ لَهُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا تَخَفْ، فَإِنِّي قَدِ اسْتَخْدَمْتُ لَكَ **جُنْدًا لَيْلِيًّا يَدْعُونَ لَكَ وَيَنْصُرُونَكَ** بِالتَّوَجُّهِ فِي صَلَوَاتِهِمْ وَخَلَوَاتِهِمْ، وَهُمُ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ. فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ، فَحِينَ الْتَقَى مَعَ قُتُلْمِش لَمْ يَنْتَظِرْهُ أَنْ كَسَرَهُ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ جُنُودِهِ، وَقُتِلَ قُتُلْمِش فِي الْمَعْرَكَةِ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَلْبِ أَرْسَلَانَ.

○ نقابة العباسيين والطالبيين

فِي سنة (٤٥٣هـ) خُلِعَ عَلَى طَرَّادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ بِالْكَامِلِ وَوَلِيَ نِقَابَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ. كما خُلِعَ عَلَى أُسَامَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ وَقُلِّدَ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ وَلُقِّبَ الْمُرْتَضى.

○ ضمان ضياع الخليفة

وَفِي سنة (٤٥٣هـ) ضَمِنَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلَّانَ الْيَهُودِيُّ ضِيَاعَ الْخَلِيفَةِ، كُلَّ سَنَةٍ بِستَّةٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ كُرٍّ مِنْ غَلَّةٍ.

○ زواج ملكشاه وأخيه

فِي سنة (٤٥٦هـ) عقد الملك أَلْبُ أَرْسَلَانَ لِوَلَدِهِ **مَلِكْشَاهْ** عَلَى **ابْنَةِ الْخَانِ الْأَعْظَمِ**، صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَزَوَّجَ **وَلَدَهُ الْآخَرَ** بِابْنَةِ صَاحِبِ غَزْنَةَ، فَاجْتَمَعَ شَمْلُ الْبَيْتَيْنِ السَّلْجُوقِيِّ وَالْمَحْمُودِيِّ الغزنوي.

○ عودة ابنة الخليفة إلى بغداد

فِي سنة (٤٥٦هـ) أَذِنَ **أَلْبُ أَرْسَلَانَ** لزوجته ابْنَةِ الْخَلِيفَةِ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَرْسَلَ مَعَهَا بَعْضَ الْقُضَاةِ وَالْأُمَرَاءِ، **فَدَخَلَتْ بَغْدَادَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ**، فَفَرِحَ الْخَلِيفَةُ وَأَهْلُهَا بِذَلِكَ، **وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِالدُّعَاءِ** لِلْمَلِكِ أَلْبَ أَرْسَلَانَ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخُطَبِ، فَقِيلَ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَصْلِحِ السُّلْطَانَ الْمُعَظَّمَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَتَاجَ الْمِلَّةِ أَلْبَ أَرْسَلَانَ أَبَا شُجَاعٍ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ.

وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ لِلنَّاسِ جُلُوسًا عَامًّا، وَبَايَعَهُمْ لِلْمَلِكِ أَلْبَ أَرْسَلَانَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ وَالتَّقْلِيدِ مَعَ الشَّرِيفِ **نَقِيبِ الْعَبَّاسِيِّينَ** طِرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيِّ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ، وَمُوَفَّقٍ الْخَادِمِ، وَلَقَّبَ الْوَزِيرَ نِظَامَ الْمُلْكِ **قَوَامَ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ**، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَالُ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ: **خَوَاجَا بَزْرَكَ**.

وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ بِالْهَدَايَا وَالتُّحَفِ النَّفِيسَةِ الْمُفْتَخَرَةِ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى بَغْدَادَ وَجَمِيعِ بِلَادِ الْعِرَاقِ.

○ بناء المدرسة النظامية

فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٥٧هـ) شُرِعَ فِي بِنَاءِ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَنُقِضَ لِأَجْلِهَا دَوْرٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشْرِعَةِ الزَّوَايَا وَبَابِ الْبَصْرَةِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (١): وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ ذِي الْقَعْدَةِ (٤٥٩هـ) جَمَعَ الْعَمِيدُ أَبُو سَعْدٍ الْقَاضِي النَّاسَ لِيَحْضُرُوا الدَّرْسَ بِالنِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَعَيَّنَ لِتَدْرِيسِهَا وَمَشْيَخَتِهَا الشَّيْخَ **أَبَا إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيَّ**، فَلَمَّا تَكَامَلَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ، وَجَاءَ أَبُو إِسْحَاقَ لِيُدَرِّسَ، لَقِيَهُ فَقِيهٌ شَابٌّ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي تَذْهَبُ تُدَرِّسُ فِي مَكَانٍ مَغْصُوبٍ؟

فَامْتَنَعَ مِنَ الْحُضُورِ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَأُقِيمَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ فَدَرَّسَ، فَلَمَّا بَلَغَ **نِظَامَ الْمُلْكِ** ذَلِكَ تَغَيَّظَ عَلَى الْعَمِيدِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ فَرَدَّهُ إِلَى التَّدْرِيسِ بِالنِّظَامِيَّةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، **وَكَانَ لَا يُصَلِّي فِيهَا مَكْتُوبَةً**، بَلْ يَخْرُجُ إِلَى بَعْضِ الْمَسَاجِدِ فَيُؤَدِّي الْمَكْتُوبَةَ؛ لِمَا ذُكِرَ مِنْ كَوْنِهَا فِي بَعْضِ أَرْضِهَا غَصْبٌ.

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٤٧٦هـ) وَلَّى مُؤَيِّدُ الْمُلْكِ **أَبَا سَعِيدٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْمَأْمُونِ** الْمُتَوَلِّي **تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ** بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفِي جُمَادَى الْأُولَى فِي سنة (٤٨٤هـ) قَدِمَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَّالِيُّ الطُّوسِيُّ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى بَغْدَادَ عَلَى **تَدْرِيسِ النِّظَامِيَّةِ بِهَا**، وَلَقَّبَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ زَيْنَ الدِّينِ شَرَفَ الْأَئِمَّةِ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَكَانَ كَلَامُهُ مَعْسُولًا، وَذَكَاؤُهُ شَدِيدًا.

(١) المنتظم ١٦/ ١٠٢

○ محاولة الروافض إحياء بدعهم

فِي يَوْمِ عَاشُــورَاءَ سنة (٤٥٨هـ) أَغْلَقَ أَهْلُ الْكَرْخِ دَكَاكِينَهُم، وَأَحْضَرُوا نِسَاءً فَنُحْنَ عَلَى الْحُسَــيْنِ، كَمَا جَرَتْ بِهِ سَــالِفُ عَادَاتِ بِدَعِهِمُ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَحِينَ وَقَعَ ذَلِكَ أَنْكَرَتْهُ الْعَامَّــةُ، وَطَلَــبَ الْخَلِيفَةُ أَبَا الْغَنَائِمِ نَقِيــبَ الطَّالِبِيِّينَ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْــهِ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَــمْ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ حِينَ عَلِمَ بِــهِ أَزَالَهُ وَتَرَدَّدَ أَهْلُ الْكَرْخِ إِلَى الدِّيوَانِ يَعْتَذِرُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَتَنَصَّلُونَ مِنْهُ وَخَرَجَ التَّوْقِيعُ بِكُفْرِ مَنْ يَسُبُّ الصَّحَابَةَ وَيُظْهِرُ الْبِدَعَ.

○ ولاية العهد لِمَلِكْشَاهْ

فِي سَــنَةَ (٤٥٨هـ) أَخَذَ الْمَلِكُ أَلْبُ أَرْسَــلَانَ الْعَهْدَ بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ مَلِكْشَــاهْ وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ، يَتَمَاشَوْنَ بِالْخِلَعِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ قراءة معتقد أهل السنة والجماعة

فِي يَوْمِ السَّــبْتِ النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَــنة (٤٦٠هـ) قُــرِئَ الِاعْتِقَادُ **الْقَادِرِيُّ** الَّذِي فِيهِ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْإِنْكَارُ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَقَرَأَ أَبُو مُسْلِمٍ اللَّيْثِيُّ الْبُخَارِيُّ الْمُحَدِّثُ **كِتَابَ التَّوْحِيدِ** لِابْنِ خُزَيْمَةَ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْحَاضِرِينَ.

○ عزل وزير الخليفة وإعادته

فِي سَــنة (٤٦٠هـ) عَــزَلَ الْخَلِيفَةُ وَزِيرَهُ أَبَا نَصْرٍ مُحَمَّدَ بْــنَ مُحَمَّدِ بْنِ جَهِيرٍ الْمُلَقَّبَ فَخْــرَ الدَّوْلَةِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ فِي أَشْــيَاءَ كَثِيرَةٍ فَاعْتَذَرَ مِنْهَــا، وَأَخَذَ فِي التَّرَفُّقِ وَالتَّذَلُّلِ، فَأُعِيــدَ إِلَى الْوَزَارَةِ بِشَــفَاعَةِ **دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ** فِي السَّــنَةِ الْآتِيَةِ، وَامْتَدَحَهُ الشُّــعَرَاءُ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِرُجُوعِهِ إِلَى الْوَزَارَةِ.

○ احتراق الخضراء وجامع دمشق

فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةَ (٤٦١هـ) كَانَ حَرِيقُ جَامِعِ دِمَشْقَ، **وَكَانَ سَبَبُهُ:** أَنَّ غِلْمَانَ الْفَاطِمِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ اخْتَصَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأُلْقِيَتْ نَارٌ بِدَارِ الْمُلْكِ - وَهِيَ

الْخَضْـرَاءُ الْمُتَاخِمَةُ لِلْجَامِعِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ - فَاحْتَرَقَتْ، وَسَـرَى حَرِيقُهَا إِلَى الْجَامِعِ فَسَـقَطَتْ سُـقُوفُهُ، وَتَنَاثَرَتْ فُصُوصُهُ الْمُذَهَّبَةُ الَّتِي عَلَى جُدْرَانِهِ، وَتَقَلَّعَتِ الْفُسَيْفِسَاءُ الَّتِـي كَانَـتْ فِي أَرْضِـهِ وَعَلَى جُدْرَانِـهِ، وَتَغَيَّـرَتْ مَعَالِمُهُ وَمَحَاسِـنُهُ وَتَبَدَّلَـتْ بَهْجَتُهُ بِضِدِّهَا، وَقَدْ كَانَتْ سُـقُوفُهُ مُذَهَّبَةً مُبَطَّنَةً كُلُّهَا، وَجُدْرَانُهُ بِالْفُصُوصِ الْمُذَهَّبَةِ الْمُلَوَّنَةِ، مُصَـوَّرٌ فِيهَا جَمِيعُ بِلَادِ الدُّنْيَا؛ الْكَعْبَةُ وَمَكَّةُ فِي الْمِحْرَابِ، وَالْبِلَادُ كُلُّهَا شَـرْقًا وَغَرْبًا، كُلٌّ فِـي مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ وَمُصَوَّرٌ فِيهِ كُلُّ شَـجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ وَغَيْرِ مُثْمِرَةٍ، **وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا بِنَاءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ**، لَا قُصُورُ الْمُلُوكِ وَلَا دُورُ الْخِلَافَةِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ.

ثُـمَّ لَمَّا وَقَـعَ هَذَا الْحَرِيقُ فِيهِ تَبَـدَّلَ الْحَالُ الْكَامِلُ بِضِدِّهِ، وَصَـارَتْ أَرْضُهُ طِينًا فِي زَمَنِ الشِّـتَاءِ، وَغُبَارًا فِي زَمَـنِ الصَّيْفِ، مَحْفُورَةً مَهْجُورَةً، وَلَمْ يَـزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بُلِّطَ أَرْضُهُ فِي زَمَنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ.

○ قطع الخطبة للعبيديين

فِي سنة (٤٦٢هـ) وَرَدَ كِتَابُ **صَاحِبِ مَكَّةَ** إِلَى الْمَلِكِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ وَهُوَ بِخُرَاسَانَ يُخْبِرُهُ بِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ بِمَكَّةَ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ وَلِلسُّلْطَانِ بِمَكَّةَ، وَقَطْعِ الْخُطْبَةِ لِلْمِصْرِيِّينَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً سَنِيَّةً، وَأَجْرَى لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وكذلك فعل أمير المدينة.

وَكَانَ يُخْطَبُ لَهُمْ **مِائَةَ سَنَةٍ** فَانْقَطَعَ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي سـنة (٤٦٣هـ) خَطَبَ **صَاحِـبُ حَلَبَ** مَحْمُـودُ بْنُ مِـرْدَاسٍ لِلْقَائِـمِ بِأَمْرِ اللهِ وَلِلسُّـلْطَانِ أَلْبِ أَرْسَـلَانَ مَعَهُ فَبَعَثَ إِلَيْـهِ الْخَلِيفَةُ بِالْخِلَعِ، وَالْعَهْدِ مَعَ الشَّـرِيفِ طِرَادٍ الزَّيْنَبِيِّ.

وَفِي سنة (٤٦٥هـ) أُقِيمَتِ الخطبة لِلْعَبَّاسِيِّينَ **بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ**.

قيام العلماء بإنكار المنكرات

فِي سنة (٤٦٤هـ) قَامَ الشَّيْخُ **أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ** مَعَ الْحَنَابِلَةِ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْمُفْسِدِينَ، وَالَّذِينَ يَبِيعُونَ الْخُمُورَ، وَفِي إِبْطَالِ الْمُؤَاجِرَاتِ وَهُنَّ الْبَغَايَا، وَكُوتِبَ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ، فَجَاءَتْ كُتُبُهُ بِالْإِنْكَارِ.

توبة ابن عقيل الحنبلي من الاعتزال

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ حَادِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ في سنة (٤٦٥هـ) حَضَرَ إِلَى الدِّيوَانِ **أَبُو الْوَفَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ** الْعَقِيلِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، وَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ كِتَابًا يَتَضَمَّنُ تَوْبَتَهُ مِنَ الِاعْتِزَالِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ، وَأَنَّهُ رَجَعَ عَنِ اعْتِقَادِ كَوْنِ الْحَلَّاجِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَقَدْ رَجَعَ عَنِ الْجُزْءِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَقَدْ كَانُوا مُصِيبِينَ وَهُوَ مُخْطِئٌ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فِي الْكِتَابِ، وَرَجَعَ مِنَ الدِّيوَانِ إِلَى دَارِ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَصَالَحَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَعَظَّمَهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

مقتل السُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ

كَانَ السُّلْطَانُ قَدْ سَارَ فِي أَوَّلِ سنة (٤٦٥هـ) فِي مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ يُرِيدُ غَزَاةَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَاتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْمَنَازِلِ أَنَّهُ غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: **يُوسُفُ الْخُوَارَزْمِيُّ**، فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَشَرَعَ يُعَاتِبُهُ فِي أَشْيَاءَ صَدَرَتْ مِنْهُ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُضْرَبَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْتَادٍ وَيُصْلَبَ بَيْنَهَا، فَقَالَ لِلسُّلْطَانِ: أَمِثْلِي يُقْتَلُ هَكَذَا؟ وسبّه، فَغضب السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَخَذَ الْقَوْسَ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَخْطَأَهُ، **فَأَقْبَلَ يُوسُفُ مهاجمًا** نَحْوَ السُّلْطَانِ، فَنَهَضَ السُّلْطَانُ عَنِ السَّرِيرِ، فَنَزَلَ فَعَثَرَ، فَوَقَعَ فَأَدْرَكَهُ يُوسُفُ فَضَرَبَهُ بِخَنْجَرٍ كَانَ فِي يَدِهِ فِي خَاصِرَتِهِ، وَأَدْرَكَهُ الْجَيْشُ فَقَتَلُوهُ، وَقَدْ جُرِحَ السُّلْطَانُ جُرْحًا مُنْكَرًا، فَتُوُفِّيَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَلَمَّا بَلَغَ مَوْتُهُ أَهْلَ بَغْدَادَ أَقَامَ النَّاسُ لَهُ الْعَزَاءَ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ وَأَظْهَرَ الْخَلِيفَةُ الْجَزَعَ عَلَيْهِ، وَتَسَلَّبَتِ ابْنَتُهُ الْخَاتُونُ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ ثِيَابَهَا وَجَلَسَتْ عَلَى التُّرَابِ.

○ تولية ملكشاه السلطنة

لَمَّا تُوُفِّيَ ألب أرسلان جَلَسَ **وَلَدُهُ مَلِكْشَاهْ** عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ سنة (٤٦٥هـ)، وَقَامَ الْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ: تَكَلَّمْ أَيُّهَا السُّلْطَانُ فَقَالَ: الْأَكْبَرُ مِنْكُمْ أَبِي وَالْأَوْسَطُ أَخِي، وَالْأَصْغَرُ ابْنِي. وَسَأَفْعَلُ مَعَكُمْ مَا لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ فَأَمْسَكُوا، فَأَعَادَ الْقَوْلَ فَأَجَابُوهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

وَقَامَ بِأَعْبَاءِ أَمْرِهِ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْك، فَزَادَ فِي أَرْزَاقِ الْجُنْدِ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَخَلَعَ مَلِكْشَاهْ عَلَى الْوَزِيرِ **نِظَامِ الْمُلْكِ** خِلَعًا سَنِيَّةً وَأَعْطَاهُ تُحَفًا كَثِيرَةً، **وَلَقَّبَهُ أَتَابِكَ**، وَمَعْنَاهُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْوَالِدُ، فَسَارَ سِيرَةً حَسَنَةً.

وَلَمَّا بَلَغَ **قَاوُرْتَ بَكَ** مَوْتُ أَخِيهِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، رَكِبَ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ قَاصِدًا قِتَالَ ابْنِ أَخِيهِ مَلِكْشَاهْ فَالْتَقَيَا فَاقْتَتَلَا، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ قَاوُرْتَ وَأُسِرَ هُوَ فَأَنَّبَهُ ابْنُ أَخِيهِ، ثُمَّ اعْتَقَلَهُ، **ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ**.

○ غَرَقُ بَغْدَادَ

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٤٦٦هـ) جَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ وَسَيْلٌ قَوِيٌّ كَثِيرٌ، وَزَادَتْ دِجْلَةُ حَتَّى غَرَّقَتْ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ بَغْدَادَ حَتَّى خَلَصَ ذَلِكَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، وَهَرَبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَلَمْ يَجِدْ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ، فَحَمَلَهُ بَعْضُ الْخَدَمِ إِلَى قصر التَّاجِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا عَظِيمًا، وَهَلَكَ لِلنَّاسِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ تَحْتَ الرَّدْمِ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَالْقُرَايَا.

وَسَقَطَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ فِي الْجَانِبَيْنِ وَغَرِقَتْ قُبُورٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْ ذَلِكَ قَبْرُ الْخَيْزُرَانِ، وَمَقْبَرَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَدَخَلَ الْمَاءُ مِنْ شَبَابِيكِ الْمَارَسْتَانِ الْعَضُدِيِّ، وَأَتْلَفَ السَّيْلُ فِي الْمَوْصِلِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَصَدَمَ سُورَ سِنْجَارَ فَهَدَمَهُ، وَأَخَذَ بَابَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى مَسِيرَةِ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ.

○ القتال مع الروم

فِي سنة (٤٥٦هـ) أَرْسَلَ ألب أرسلان وَلَدَهُ **مَلِكْشَاهْ** وَوَزِيرَهُ نِظَامَ الْمُلْكِ فِي جُنُودٍ عَظِيمَةٍ إِلَى بِلَادِ الْكُرَجِ، فَفَتَحُوا حُصُونًا كَثِيرَةً، وَغَنِمُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِهِمْ.

وَفِي سَنَةَ (٤٦١هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْأَفْشِينَ دَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَمُّورِيَةَ فَقَتَلَ خَلْقًا وَغَنِمَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً.

وَفِي سنة (٤٦٢هـ) **تَوَجَّهُ مَلِكُ الرُّومِ** مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ فَنَزَلَ عَلَى مَنْبِجَ، وَأَحْرَقَ الْقُرَى مَا بَيْنَ مَنْبِجَ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ، وَفَزِعَ الْمُسْلِمُونَ بِحَلَبَ وَغَيْرِهَا مِنْهُ فَزَعًا عَظِيمًا، فَأَقَامَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ثُمَّ رَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ وَهَلَاكِ أَكْثَرِ جَيْشِهِ بِالْجُوعِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي سنة (٤٦٣هـ) **أَقْبَلَ مَلِكُ الرُّومِ أَرْمَانُوسُ** فِي جَحَافِلَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الرُّومِ وَالْكُرْجِ وَالْفِرِنْجِ وَعُدَدٍ عَظِيمَةٍ، وَمَعَهُ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الْبَطَارِقَةِ، وَمِنَ الْفِرِنْجِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَمِنَ الْغُزِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ وَرَاءَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وعدد من النقابين والعجلات وَالْعَرَّادَاتِ وَالْمَجَانِيقَ.

وَمِنْ عَزْمِهِ - قَبَّحَهُ اللهُ تَعَالَى - أَنْ يَجْتَثَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَقَدْ أَقْطَعَ بَطَارِقَتَهُ الْبِلَادَ حَتَّى بَغْدَادَ، وَاسْتَوْصَى نَائِبَهَا بِالْخَلِيفَةِ خَيْرًا فَقَالَ لَهُ: **ارْفُقْ بِذَلِكَ الشَّيْخِ فَإِنَّهُ صَاحِبُنَا،** ثُمَّ إِذَا اسْتَوْسَقَتْ مَمَالِكُ الْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ لَهُمْ مَالُوا عَلَى الشَّامِ وَأَهْلِهِ مَيْلَةً وَاحِدَةً فَاسْتَعَادُوهُ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ.

فَالْتَقَاهُ السُّلْطَانُ **أَلْبُ أَرْسَلَانَ** فِي جَيْشِهِ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ **الرَّهْوَةُ**[1] فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ.

(١) الرهوة: صحراء قرب خلاط. وخلاط بكسر أوله وآخره طاء مهملة البلدة العامرة المشهورة ذات الخيرات الواسعة، وهي قصبة أرمينية الوسطى. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٠٨)، (٢/ ٣٨١).

فَأَشَارَ عَلَيْهِ **الْفَقِيهُ** أَبُو نَصْرٍ الْبُخَارِيُّ بِأَنْ يَكُونَ وَقْتُ الْوَقْعَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الزَّوَالِ، حِينَ يَكُونُ الْخُطَبَاءُ **يَدْعُونَ لِلْمُجَاهِدِينَ**، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْفِئَتَانِ **نَزَلَ السُّلْطَانُ عَنْ فَرَسِهِ، وَسَجَدَ لِلَّهِ ، وَمَرَّغَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، وَدَعَا اللهَ وَاسْتَنْصَرَهُ،** (١) فَأَنْزَلَ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنَحَهُمْ أَكْتَافَ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَأُسِرَ **مَلِكُهُمْ أَرْمَانُوسُ**، أَسَرَهُ غُلَامٌ رُومِيٌّ، فَأَمَّرَهُ السُّلْطَانُ، وَأَعْطَاهُ شَيْئًا كَثِيرًا.

فَلَمَّا أُوقِفَ **أَرْمَانُوسُ** بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ضَرَبَهُ بِيَدِهِ ثَلَاثَ مَقَارِعَ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا الْأَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَاذَا كُنْتَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: كُلَّ قَبِيحٍ. قَالَ فَمَا ظَنُّكَ بِي؟ قَالَ: تَقْتُلُنِي أَوْ تُشَهِّرُنِي فِي بِلَادِكَ، فَأَمَّا الْعَفْوُ وَأَخْذُ الْفِدَاءِ فَبَعِيدٌ، فَقَالَ: مَا عَزَمْتُ عَلَى غَيْرِ الْعَفْوِ وَالْفِدَاءِ، فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنْ يُطْلِقَ كُلَّ أَسِيرٍ فِي بِلَادِ الرُّومِ، وَعَلَى هُدْنَةٍ خَمْسِينَ سَنَةً، يَحْمِلُ فِيهَا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَقَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ فَسَقَاهُ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِلَى نَحْوِ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ إِجْلَالًا وَإِكْرَامًا، فَأَطْلَقَ لَهُ الْمَلِكُ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَتَجَهَّزَ بِهَا، وَأَطْلَقَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْبَطَارِقَةِ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ، وَشَيَّعَهُ فَرْسَخًا، وَأَرْسَلَ مَعَهُ جَيْشًا يَخْدُمُونَهُ وَيُحِيطُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ إِلَى بِلَادِهِ، وَمَعَهُمْ رَايَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بِلَادِهِ وَجَدَ الرُّومَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَتَزَهَّدَ وَلَبِسَ الصُّوفَ، ثُمَّ اسْتَضَافَ مَلِكَ الْأَرْمَنِ فَأَخَذَهُ فَكَحَلَهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهِ.

---

(١) هذه المعركة هي المشهورة باسم **ملاذ كرد**، وكانت من المعارك الفاصلة في الصراع بين السلاجقة ومملكة الروم، حيث توغل السلاجقة بعد ذلك في بلاد الروم وملكوها. وقد عرفوا بسلاجقة الروم.

○ حوادث وكوارث

⊙ فِي سنة (٤٤٩ هـ) كَانَ الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ مُسْتَمِرَّيْنِ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ بِحَيْثُ خَلَتْ أَكْثَرُ الدُّورِ وَسُدَّتْ أَبْوَابُهَا عَلَى أَهْلِهَا بِمَا فِيهَا، وَأَهْلُهَا مَوْتَى.

⊙ وأَكَلَ النَّـاسُ الْجِيَفَ وَالْمِيَاتَ مِنْ قِلَّـةِ الطَّعَامِ، وَوُجِدَ مَعَ امْرَأَةٍ فَخْذُ كَلْبٍ قَدِ اخْضَرَّ وَأَرْوَحَ، وَشَوَى رَجُلٌ صَبِيَّةً فِي الْأَتُونِ وَأَكَلَهَا فَقُتِلَ.

⊙ وَوَرَدَ كِتَـابٌ مِنْ بُخَارَى أَنَّهُ مَاتَ بهذ الوباء فِي يَوْمٍ وَاحِـدٍ مِنْهَا وَمِنْ مُعَامَلَتِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَـرَ أَلْفَ إِنْسَـانٍ، وَأُحْصِيَ جملة مَنْ مَـاتَ فِي هَذَا الْوَبَاءِ بِأَلْفِ أَلْفٍ، وَخَمْسِـمِائَةِ أَلْـفٍ إنسـان، وَالنَّاسُ يَمُـرُّونَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، فَلَا يَـرَوْنَ إِلَّا أَسْـوَاقًا فَارِغَةً وَطُرُقَاتٍ خَالِيَةً، حَكَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ.[١]

⊙ وَجَاءَ الْخَبَرُ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ وَتِلْكَ الْبِلَادِ بِالْوَبَاءِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ إِلَّا الْعَدَدُ الْقَلِيلُ: وَوَقَـعَ وَبَاءٌ بِالْأَهْـوَازِ وَأَعْمَالِهَا وَبِوَاسِـطٍ وَالْكُوفَةِ وَطَبَّقَ الْأَرْض، وَكَانَ أَكْثَرَ سَـبَبِ ذَلِكَ الْجُوعُ، حَتَّى كَانَ الْفُقَرَاءُ يَشْـوُونَ الْكِلَابَ، وَيَنْبُشُونَ الْقُبُورَ، وَيَشْوُونَ الْمَوْتَى وَيَأْكُلُونَهُـمْ، وَلَيْسَ لِلنَّاسِ شُـغْلٌ فِـي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا غَسْـلُ الْأَمْـوَاتِ وَتَجْهِيزُهُمْ وَدَفْنُهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ تُحْفَرُ الْحُفَيْرَةُ، فَيُدْفَنُ **فِيهَا الْعِشْرُونَ وَالثَّلَاثُونَ**.

⊙ وَتَابَ النَّاسُ، وَتَصَدَّقُوا بِأَكْثَرِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَرَاقُوا الْخُمُورَ وَكَسَرُوا الْمَعَازِفَ وَتَصَالَحُوا، وَلَزِمُوا الْمَسَاجِدَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَقَلَّ دَارٌ يَكُونُ فِيهَا خَمْرٌ إِلَّا مَاتَ أَهْلُهَا كُلُّهُمْ.

⊙ وَماتَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ مُحَمَّدٍ الذي كان يَشْتَغِلُ عَلَيْهِ سَبْعُمِائَةِ مُتَفَقِّهٍ، فَمَاتُوا كُلُّهُمْ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ نَفَرًا مِنْهُمْ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[٢] وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٤٤٩ هـ)

(١) المنتظم ١٦/ ١٦

(٢) نفس المصدر السابق.

احْتَرَقَتْ قَطِيعَةُ عِيسَى، وَسُوقُ الطَّعَامِ، ومحلات كثيرة، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ أُخْرَى مَا بِالنَّاسِ مِنَ الْغَلَاءِ وَالْفَنَاءِ.

◉ وَفِيهَا كَثُرَ الْعَيَّارُونَ بِبَغْدَادَ، وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ جِهَارًا، وَكَبَسُوا الدُّورَ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكُبِسَتْ دَارُ أَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ مُتَكَلِّمِ الشِّيعَةِ، وَأُحْرِقَتْ كُتُبُهُ وَمَنَابِرُهُ وَدَفَاتِرُهُ الَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا فِي بِدْعَتِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهَا أَهْلَ نِحْلَتِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

◉ وَفِيهَا قَبَضَ صَاحِبُ مِصْرَ عَلَى وَزِيرِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَازُورِيِّ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأُحِيطَ عَلَى ثَمَانِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْوَزِيرُ فَقِيهًا حَنَفِيًّا، يُحْسِنُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ، وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ أَبُو يُوسُفَ الْقَزْوِينِيُّ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ.

◉ وفي سنة (٤٥٠هـ) وَقَعَ بَرَدٌ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ أَهْلَكَ كَثِيرًا مِنَ الْغَلَّاتِ، وَقُتِلَ بَعْضُ الْفَلَّاحِينَ، وَزَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً عَظِيمَةً، وَزُلْزِلَتْ بَغْدَادُ فِي شَوَّالٍ زِلْزَالًا شَدِيدًا

◉ وَفِي سنة (٤٥١هـ) كَثُرَ النَّهْبُ **بِبَغْدَادَ** حَتَّى كَانَتِ الْعَمَائِمُ تُخْطَفُ عَنِ الرُّءُوسِ، حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ أَبَا نَصْرِ بْنَ الصَّبَّاغِ خُطِفَتْ عِمَامَتُهُ وَطَيْلَسَانُهُ، وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

◉ كَانَ فِي سنة (٤٥١هـ) **بِمَكَّةَ** رُخْصٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، بِيعَ الْبُرُّ وَالتَّمْرُ كُلُّ مِائَتَيْ رِطْلٍ بِدِينَارٍ.

◉ وفِيَ سنة (٤٥٤هـ) عَمَّ الرُّخْصُ جَمِيعَ الْأَرْضِ حَتَّى أُبِيعَ بِالْبَصْرَةِ كُلُّ أَلْفِ رِطْلِ تَمْرٍ بِثَمَانِ قَرَارِيطَ.

◉ وفِي سنة (٤٥٥هـ) وَقَعَ مُوتَانٌ بِالْجُدَرِيِّ وَالْفَجْأَةِ، وَوَقَعَ بِمِصْرَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ، كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ جِنَازَةٍ.

◉ وفِي سنة (٤٥٧هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ وَأَوْلَادِ حَمَّادٍ وَالْعَرَبِ وَالْمَغَارِبَةِ بِصِنْهَاجَةَ وَزَنَاتَةَ.

◉ وفي سَنَةَ (٤٥٨هـ) رَخُصَتِ الْأَسْعَارُ بِبَغْدَادَ رُخصًا بَيِّنًا. وَنَقَصَتْ دِجْلَةُ نَقْصًا ظَاهِرًا.

◉ وفِي سنة (٤٥٩) بَنَى أَبُو سَعِيدٍ الْمُسْتَوْفِي الْمُلَقَّبُ بِشَرَفِ الْمُلْكِ، مَشْهَدَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بِبَغْدَادَ، وَعقَدَ عَلَيْهِ قُبَّةً، وَعَمِلَ بِإِزَائِهِ مَدْرَسَةً، وَأَنْزَلَهَا الْمُدَرِّسَ وَالْفُقَهَاءَ.[١]

◉ وفِي سنة (٤٥٩) وَقَعَ غَلَاءٌ وَفَنَاءٌ بِدِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحَرَّانَ وَخُرَاسَانَ بِكَمَالِهَا وَوَقَعَ الْفَنَاءُ فِي الدَّوَابِّ؛ كَانَتْ تَنْتَفِخُ رُءُوسُهَا وَأَعْيُنُهَا حَتَّى كَانَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ حُمُرَ الْوَحْشِ بِالْأَيْدِي وَلَكِنْ يَأْنَفُونَ مِنْ أَكْلِهَا.

◉ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[٢] فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٤٦٠هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ أَهْلَكَتْ بَلَدَ الرَّمْلَةِ وَرَمَتْ شُرَّافَتَيْنِ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَحِقَتْ وَادِيَ الصَّفْرَاءِ وَخَيْبَرَ وَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَنْ كُنُوزٍ مِنَ الْمَالِ، **وَبَلَغَ حِسُّهَا** إِلَى الرَّحْبَةِ وَالْكُوفَةِ.

وَجَاءَ كِتَابُ بَعْضِ التُّجَّارِ فِي هَذِهِ الزَّلْزَلَةِ يَقُولُ: إِنَّهَا خَسَفَتْ الرَّمْلَةَ جَمِيعًا حَتَّى لَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا دَارَانِ فَقَطْ، وَهَلَكَ مِنْهَا خَمْسَ عَشْرَةَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، وَانْشَقَّتِ الصَّخْرَةُ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عَادَتْ فَالْتَأَمَتْ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَغَارَ الْبَحْرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَسَاخَ فِي الْأَرْضِ وَظَهَرَ فِي مَكَانِ الْمَاءِ أَشْيَاءُ مِنْ جَوَاهِرَ وَغَيْرِهَا وَدَخَلَ النَّاسُ فِي أَرْضِهِ يَلْتَقِطُونَ فَرَجَعَ عَلَيْهِمْ فَأَهْلَكَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ.

◉ وَفِي سَنَةَ (٤٦١هـ) كَانَ رُخْصٌ عَظِيمٌ فِي الْكُوفَةِ حَتَّى بِيعَ السَّمَكُ كُلُّ أَرْبَعِينَ رِطْلًا بِحَبَّةٍ.

◉ وَفِي سَنَةَ (٤٦١هـ) زَادَتْ دِجْلَةُ عَلَى إِحْدَى وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا حَتَّى دَخَلَتْ مَشْهَدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَشْهَدَ النُّذُورِ.

---

(١) بناء القباب على القبور من المحدثات المنتشرة في العهد السلجوقي ومابعده.
(٢) المنتظم ١٦/ ١٠٥

⦿ وَفِي سنة (٤٦٢هـ) ضَاقَتْ يَدُ أَمِيرِ مَكَّةَ لعدم ورود معونة العبيديين، **فَأَخَذَ الذَّهَبَ مِنْ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالْمِيزَابِ وَبَابِ الْكَعْبَةِ**، فَضَرَبَ ذَلِكَ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ وَكَذَلِكَ فَعَلَ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِالْقَنَادِيلِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ عَلَى سَاكِنِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؛ لذات السبب.

⦿ وفي سنة (٤٦٢هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ وَقَحْطٌ عَظِيمٌ بِدِيَارِ مِصْرَ، بِحَيْثُ أَنَّهُمْ أَكَلُوا الْجِيَفَ وَالْمَيْتَاتِ وَالْكِلَابِ، فَكَانَ يُبَاعُ الْكَلْبُ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرَ، وَمَاتَتِ الْفِيَلَةُ فَأُكِلَتْ، وَأُفْنِيَتِ الدَّوَابُّ فَلَمْ يَبْقَ لِصَاحِبِ مِصْرَ سِوَى ثَلَاثَةِ أَفْرَاسٍ.

وَظُهِرَ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ وَالنِّسَاءَ وَيَدْفِنُ رُءُوسَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ وَيَبِيعُ لُحُومَهُمْ فَقُتِلَ، وَكَانَ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْفِنَ مَيِّتَهُ نَهَارًا، وَإِنَّمَا يَدْفِنُهُ لَيْلًا خُفْيَةً؛ لِئَلَّا يُنْبَشَ فَيُؤْكَلَ.

⦿ في سنة (٤٦٤هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ، وَمَوَتَانٌ ذَرِيعٌ فِي الْحَيَوَانَاتِ، بِحَيْثُ إِنَّ بَعْضَ الرُّعَاةِ بِخُرَاسَانَ قَامَ وَقْتَ الصَّبَاحِ لِيَسْرَحَ بِغَنَمِهِ، فَإِذَا هُنَّ قَدْ مِتْنَ كُلُّهُنَّ. وكذا جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ وَبَرَدٌ كِبَارٌ أَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ بِخُرَاسَانَ.

⦿ وَفِي سنة (٤٦٥هـ) جَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبَابِ الْبَصْرَةِ وَالْقَلَّائِينَ فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاحْتَرَقَ جَانِبٌ كَبِيرٌ مِنَ الْكَرْخِ فَانْتَقَمَ الْمُتَوَلِّي لِأَهْلِ الْكَرْخِ مِنْ أَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ فَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا جِنَايَةً لَهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا.

⦿ وفي سنة (٤٦٧هـ) وَقَعَ وَبَاءٌ عَظِيمٌ بِالرَّحْبَةِ، فَمَاتَ مِنْ أَهْلِهَا قَرِيبٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِوَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ وَخُوزِسْتَانَ وَأَرْضِ خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٤٨هـ).

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٤٩هـ) إلا متخفراً

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ سنة (٤٥٠هـ)، وسنة (٤٥١هـ).

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٥٢هـ)، غَيْرَ أَنَّ جَمَاعَةً اجْتَمَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ وَرَكِبُوا مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَفَرِ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٥٣هـ) إلا متخفراً

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٥٣هـ)

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٥٤هـ) إلا متخفراً

وفِي سنة (٤٥٥هـ) دخل علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن مكة، في السادس من ذي الحجة، وَحَجَّ بِالنَّاسِ، وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٥٦هـ) خُلِعَ عَلَى أَبِي الْغَنَائِمِ الْمَعْمَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْعَلَوِيِّ فِي بَيْتِ النُّوبَةِ بِنِقَابَةِ الطَّالِبِيِّينَ، **وَالْحَجِّ** وَالْمَظَالِمِ، فحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هذه السنة، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وكذلك فِي سنة (٤٥٧هـ)، حيث جاور بمكة. وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سَنَةَ (٤٥٨هـ) نُورُ الْهُدَى أَبُو طَالِبٍ **الْحُسَيْنُ بْنُ نِظَامِ** الْحَضْرَتَيْنِ الزَّيْنَبِيُّ وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٥٩هـ)، وسَنَةَ (٤٦٠هـ)، وسَنَةَ (٤٦١هـ)، وسَنَةَ (٤٦٢هـ) أَبُو **الْغَنَائِمِ** النَّقِيبُ الْعَلَوِيُّ.

وَفِي سنة (٤٦٣هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ **نُورُ الْهُدَى أَبُو طَالِبٍ الزَّيْنَبِيُّ**، وَخُطِبَ بِمَكَّةَ لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ مِنْهَا.

وَفِي سنة (٤٦٤هـ)، وسنة (٤٦٥هـ) وسنة (٤٦٦هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو الْغَنَائِمِ الْعَلَوِيُّ.

مشاهير من توفي من الأعيان في عهده

١-**هِلَالُ بْنُ الْمُحْسِنِ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ، **أَبُو الْخَيْرِ الْكَاتِبُ الصَّابِئُ، صَاحِبُ «التَّارِيخِ»**، وَجَدُّهُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئُ صَاحِبُ الرَّسَائِلِ، وَأَبُوهُ كَانَ صَابِئِيًا أَيْضًا، وَأَسْلَمَ هِلَالٌ هَذَا مُتَأَخِّرًا، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَكَانَ صَدُوقًا.

وَقَدْ كَانَ سَمِعَ فِي حَالِ كُفْرِهِ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ يَطْلُبُ الْأَدَبَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ نَفَعَهُ ذَلِكَ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٤٤٨هـ) وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، فِي الْإِسْلَامِ نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ.

٢-**أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ سُلَيْمَانَ، **أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ التَّنُوخِيُّ الشَّاعِرُ، الْمَشْهُورُ بِالزَّنْدَقَةِ**، اللُّغَوِيُّ، صَاحِبُ الدَّوَاوِينِ وَالْمُصَنَّفَاتِ فِي الشِّعْرِ وَاللُّغَةِ، وُلِدَ سَنَةَ (٣٦٣هـ)، وَأَصَابَهُ جُدَرِيٌّ وَلَهُ أَرْبَعُ سنوات، فَذَهَبَ بَصَرُهُ، وَقَالَ الشِّعْرَ مبكراً، وَدَخَلَ **بَغْدَادَ** سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ، **ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا طَرِيدًا** مُنْهَزِمًا؛ لِأَنَّهُ قَالَ شِعْرًا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَعَقْلِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ ... وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

يَقُولُ: الْيَدُ دِيَتُهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ، فَمَا لَكُمْ تَقْطَعُونَهَا إِذَا سَرَقَتْ رُبْعَ دِينَارٍ. وَهَذَا مِنْ قِلَّةِ عَقْلِهِ، وَعَمَى بَصِيرَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا جُنِيَ عَلَيْهَا يُنَاسِبُ أَنْ يَكُونَ دِيَتُهَا كَثِيرَةً؛ لِيَنْزَجِرَ النَّاسُ عَنِ الْعُدْوَانِ، وَأَمَّا إِذَا جَنَتْ بِالسَّرِقَةِ فَيُنَاسِبُ أَنْ تَقِلَّ قِيمَتُهَا؛ لِيُنْزَجَرَ عَنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَتُصَانَ أَمْوَالُ النَّاسِ.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ ثَمِينَةً لَمَّا كَانَتْ أَمِينَةً، فَلَمَّا خَانَتْ هَانَتْ.

وَقَدْ كَانَ الْمَعَرِّيُّ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ، وَمَكَثَ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ لَا يَأْكُلُ لَحْمًا وَلَا لَبَنًا وَلَا بَيْضًا وَلَا شَيْئًا مِنْ حَيَوَانٍ، عَلَى طَرِيقَةِ الْبَرَاهِمَةِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ.

وَكَانَ يَتَقَوَّتُ بِالنَّبَاتِ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يَأْكُلُ الْعَدَسَ وَيَتَحَلَّى بِالدِّبْسِ وَبِالتِّينِ، وَلَا يَأْكُلُ بِحَضْرَةِ أَحَدٍ، وَيَقُولُ: **أَكْلُ الْأَعْمَى عَوْرَةٌ**.

وَيُنْقَلُ عَنْهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَكْذُوبَةِ الْمُخْتَلِفَةِ ولَا يَصِحُّ منهاشيئًا، **وَلَكِنْ كَانَ ذَكِيًّا، وَلَمْ يَكُنْ زَكِيًّا**.

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا فِي الشِّعْرِ، وَفِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى زَنْدَقَةٍ وَانْحِلَالٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدْ رَأَيْتُ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ كِتَابًا سَمَّاهُ «الْفُصُولَ وَالْغَايَاتِ فِي مُعَارَضَةِ السُّورِ وَالْآيَاتِ»، عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي آخِرِ كَلِمَاتِهِ، وَهُوَ فِي نِهَايَةِ الرَّكَاكَةِ وَالْبُرُودَةِ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْمَى بَصَرَهُ وَبَصِيرَتَهُ. قَالَ: وَقَدْ نَظَرْتُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى «لُزُومَ مَا لَا يَلْزَمُ». ثُمَّ أَوْرَدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مِنْ أَشْعَارِهِ الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِهْتَارِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً. توفي سنة (٤٤٩هـ) بمعرة النعمان عن ست وثمانين سنة.

٣-الْأُسْتَاذُ **أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ، الْحَافِظُ الْوَاعِظُ، الْمُفَسِّرُ، قَدِمَ دِمَشْقَ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى الْحَجِّ، فَسَمِعَ بِهَا وَذَكَّرَ النَّاسَ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ تَرْجَمَةً عَظِيمَةً، وَأَوْرَدَ لَهُ أَشْيَاءَ حَسَنَةً.

وذكر عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَتَرَدَّدُ وَأَنَا بِمَكَّةَ فِي الْمَذَاهِبِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِاعْتِقَادِ أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٤٤٩هـ).

٤-**طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ** بْنِ طَاهِرِ بْنِ عُمَرَ، أَبُو الطَّيِّبِ **الطَّبَرِيُّ الْفَقِيهُ** شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وُلِدَ بِآمُلَ طَبَرِسْتَانَ سَنَةَ (٣٤٨هـ)، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الزَّجَّاجِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ كَجٍّ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ، وَشَرَحَ «الْمُخْتَصَرَ» وَ«فُرُوعَ ابْنِ الْحَدَّادِ»، وَصَنَّفَ فِي الْأُصُولِ وَالْجَدَلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الْكَثِيرَةِ النَّافِعَةِ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنَ الدَّارَقُطْنِيِّ وَغَيْرِهِ، **وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِرَبْعِ الْكَرْخِ** بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيِّ.

وَكَانَ ثِقَـةً دَيِّنًا وَرِعًا، عَالِمًا بِأُصُولِ الْفِقْهِ وَفُرُوعِهِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْبَاهِرَةُ فِي ذَلِكَ، سَلِيمَ الصَّدْرِ، مُوَاظِبًا عَلَى تَعْلِيمِ الْعِلْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ (١٠٢ سنة)، وَهُوَ صَحِيحُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَالْأَعْضَاءِ، يُفْتِي وَيَشْتَغِلُ إِلَى أَنْ مَاتَ سنة (٤٥٠)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٥- **عَلِيُّ بْـنُ مُحَمَّدِ** بْنِ حَبِيبٍ، **أَبُو الْحَسَـنِ الْمَاوَرْدِيُّ الْبَصْرِيُّ**، شَـيْخُ الشَّـافِعِيِّينَ، صَاحِـبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالتَّفْسِـيرِ وَ «**الْأَحْكَام السُّـلْطَانِيَّةِ**» وَ «أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» قَالَ: بَسَـطْتُ الْفِقْهَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ - يَعْنِي «الْحَاوِيَ الْكَبِيرَ» -وَاخْتَصَرْتُهُ فِي أَرْبَعِينَ وَرَقَةً- يَعْنِي «الْإِقْنَاعَ» -.

وَقَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا أَدِيبًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٥٠هـ) عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ.

٦- **الْحَسَـنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ**، **أَبُو مُحَمَّدٍ النَّسَـوِيُّ** الْوَالِي، سَـمِعَ الْحَدِيثَ، **وَكَانَ ذَكِيًّا** فِي صَنْعَةِ الْوِلَايَةِ، **وَمَعْرِفَةِ الْمُتَّهَمِ مِنْ بَيْنِ الْغُرَمَاءِ** بِلَطِيفٍ مِنَ الصُّنْعِ.

نُقِلَ عَنْهُ: أَنَّهُ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ جَمَاعَةٍ اتُّهِمُوا بِسَـرِقَةٍ، فَأَتَى بِكُوزٍ لِيَشْرَبَ مِنْهُ، فَرَمَى بِهِ فَانْزَعَـجَ الْوَاقِفُونَ إِلَّا وَاحِدًا، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُقَرَّرَ، وَقَالَ: السَّـارِقُ يَكُونُ جَرِيئًا قَوِيًّا. فَوَجَدَ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، توفي سنة (٤٥٢هـ).

٧- **قَطْـرُ النَّدَى** وَيُقَالُ: بَدْرُ الدُّجَى، **أُمُّ الْخَلِيفَـةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ**، كَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً، قَدْ بَلَغَتِ التِّسْـعِينَ سَـنَةً، **وَكَانَـتْ أَرْمِينِيَّةً**، وَهِـيَ الَّتِي احْتَاجَتْ فِي زَمَانِ الْبَسَاسِـيرِيِّ، وَأَلْجَأَتْهَـا الْحَاجَـةُ حَتَّى كَتَبَتْ إِلَيْهِ رُقْعَةً تَشْـكُو فَقْرَهَـا وَحَاجَتَهَا، فَأَجْـرَى عَلَيْهَا رِزْقًا وَأَخْدَمَهَا جَارِيَتَيْنِ، وَهَذَا كَانَ مِنْ أَحْسَنِ مَا صَنَعَ، ثُمَّ لَمْ تَمُتْ حَتَّى أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهَا بِوَلَدِهَا وَرُجُوعِهِ إِلَيْهَا، وَاسْتَمَرَّ أَمْرُهُـمْ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ سنة (٤٥٢هـ).

٨- **أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ**، **أَبُو نَصْرٍ الْكُرْدِيُّ**، صَاحِبُ **بِلَادِ بَكْرٍ وَمَيَّافَارِقِينَ**، لَقَّبَهُ الْقَادِرُ بِاللهِ **نَصْرَ الدَّوْلَةِ**، مَلَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِـينَ سَـنَةً، وَتَنَعَّمَ تَنَعُّمًا لَمْ يَقَعْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ

زَمَانِهِ، وَلَا أَدْرَكَهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ **خَمْسُمِائَةِ سُرِّيَّةٍ** سِوَى مَنْ يَخْدِمُهُنَّ، وَعِنْدَهُ خَمْسُمِائَةِ خَادِمٍ، وَعِنْدَهُ مِنَ الْمُغَنِّيَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

وَتَزَوَّجَ بِعِدَّةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمُهَادَنَةِ لِلْمُلُوكِ، إِذَا قَصَدَهُ عَدُوٌّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِمِقْدَارِ مَا يَغْرَمُهُ عَلَى حَرْبِهِ وَيُصَالِحُهُ بِذَلِك، فَيَرْجِعُ عَنْهُ.

وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ طُغْرُلْبَكَ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ حِينَ مَلَكَ الْعِرَاقَ، وَوزَرَ لَهُ أيضًا أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ مَرَّتَيْنِ، وَوَزَرَ لَهُ أَيْضًا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جُهَيْرٍ، فَخْرُ الْمُلْكِ، وَكَانَتْ بِلَادُهُ مِنْ آمَنِ الْبِلَادِ، وَأَطْيَبِهَا وَأَكْثَرِهَا عَدْلًا.

وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ الطُّيُورَ تَنْجِعُ فِي الشِّتَاءِ فِي الْجِبَالِ إِلَى الْقُرَى، فَيَصْطَادُهَا النَّاسُ، فَأَمَرَ بِفَتْحِ الْأَهْرَاءِ [١]، وَإِلْقَاءِ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الْغَلَّاتِ فِي مُدَّةِ الشِّتَاءِ، فَكَانَتْ تَكُونُ فِي ضِيَافَتِهِ طُولَ عُمُرِهِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٥٣هـ)، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ أَوْ جَاوَزَهَا.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: عن ابْنِ الْأَزْرَقِ: إِنَّهُ لَمْ يُصَادِرْ أَحَدًا مِنْ رَعِيَّتِهِ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ تَفُتْهُ صَلَاةٌ مَع كَثْرَةِ مُبَاشَرَتِهِ لِلَّذَّاتِ، وَكَانَتْ لَهُ **ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ حَظِيَّةً**، يَبِيتُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ لَيْلَةً مِنَ السَّنَةِ، وَخَلَّفَ أَوْلَادًا كَثِيرَةً، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٤٥٣هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٩- **ثُمَالُ بْنُ صَالِحٍ**، مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، صَاحِبُ حَلَبَ كَانَ كَرِيمًا حَلِيمًا وَقُورًا، ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ [٢] أَنَّ الْفَرَّاشَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيَغْسِلَ يَدَهُ فَصَدَمَتْ بَلْبَلَةُ الْإِبْرِيقِ ثَنِيَّتَهُ، فَسَقَطَتْ فِي الطَّسْتِ، فَعَفَا عَنْهُ. توفي سنة (٤٥٤هـ).

١٠- **الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكَ**، مُحَمَّدُ بْنُ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ بْنِ دُقَاقٍ، كَانَ أَوَّلُ مُلُوكِ السَّلَاجِقَةِ، وَكَانَ خَيِّرًا مُصَلِّيًا، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، يُدِيمُ صِيَامَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، حَلِيمًا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ، سَعِيدًا فِي حَرَكَاتِهِ وَتَقَلُّبَاتِهِ.

---

(١) مفرده: هُرى: وهو بيت كبير يجمع فيه طعام البر ونحوه. المعجم الوسيط (ه ر ى)
(٢) المنتظم ١٦/ ٧٦.

مَلَكَ فِي أَيَّامِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ عَامَّةَ بِلَادِ خُرَاسَانَ، وَاسْتَنَابَ أَخَاهُ دَاوُدَ وَأَخَاهُ لِأُمِّهِ إِبْرَاهِيمَ يَنَّالَ، وَأَوْلَادَ إِخْوَتِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ.

ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ الْخَلِيفَةُ لِمُلْكِ الْعِرَاقِ حِينَ فَسَدَ الْحَالُ بِبَغْدَادَ مِنَ الْبَسَاسِيرِيِّ، وَضَعُفَ الْمَلِكُ الرَّحِيمُ البويهيي، فَقَدِمَهَا وَجَلَسَ لَهُ الْخَلِيفَةُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ سَبْعَ خِلَعٍ، وَلَقَّبَهُ بِمَلِكِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، ثُمَّ سَعَى فِي التَّزْوِيجِ بِبِنْتِ الْخَلِيفَةِ فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَ تَمَنُّعٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَدَخَلَ بِهَا فِي سنة (٤٥٥هـ)، فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِهَا، فَإِنَّهُ عَرَضَ لَهُ مَرَضٌ مُتْلِفٌ وَاسْتَمَرَّ بِهِ حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ثَامِنِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعُونَ سَنَةً،

١١ - هُوَ **الْإِمَامُ** الْحَافِظُ الْعَلَّامَةُ **أَبُو مُحَمَّدٍ** عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ **بْنِ حَزْمٍ**، مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ الْأُمَوِيُّ، ولد بقُرْطُبَة فِي سَلْخِ رَمَضَانَ، مِنْ سَنَةِ (٣٨٤هـ).

فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَاشْتَغَلَ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، فَبَرَزَ فِيهَا، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَصَنَّفَ الْكُتُبَ الْمُفِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ، وَكَانَ أَدِيبًا طَبِيبًا شَاعِرًا فَصِيحًا، لَهُ فِي الطِّبِّ وَالْمَنْطِقِ الْيَدُ الْعُلْيَا، وَكَانَ مِنْ بَيْتِ وِزَارَةٍ وَرِيَاسَةٍ وَوَجَاهَةٍ وَمَالٍ وَثَرْوَةٍ، وَكَانَ مُصَاحِبًا **لِلشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّمِرِيِّ**.

وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ **كَثِيرَ الْوَقِيعَةِ فِي الْعُلَمَاءِ بِلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ** أَيْضًا، فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ بغضًا فِي قُلُوبِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ فِي ثَانِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٤٥٦هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنَّهُ كَانَ ظَاهِرِيًّا فِي الْفُرُوعِ، لَا يَقُولُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَقْيِسَةِ، لَا الْجَلِيَّةِ وَلَا غَيْرِهَا، وَكَانَ مَعَ هَذَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَأْوِيلًا فِي بَابِ الْأُصُولِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَضَلَّعَ أَوَّلًا مِنْ عِلْمِ الْمَنْطِقِ.

١٢ - **عَمِيدِ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيِّ**، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو نَصْرٍ وَزِيرُ طُغْرُلْبَكَ، وَقَدْ كَانَ مَسْجُونًا سَنَةً تَامَّةً، وَلَمَّا قُتِلَ فِي سنة (٤٥٧هـ) حُمِلَ فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ

بِقَرْيَةِ كُنْدُرَ مِنْ عَمَلِ طُرَيْثِيث،(١) وَاسْتَحْوَذَ السُّلْطَانُ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، وَقَدْ كَانَ ذَكِيًّا فَصِيحًا شَاعِرًا لَدَيْهِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ حَاضِرَ الْجَوَابِ سَرِيعَهُ.

وَكَانَ عُمْرُ الْكُنْدُرِيِّ حِينَ قُتِلَ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبَكُ بَعَثَهُ مَرَّةً يَخْطُبُ لَهُ امْرَأَةَ خُوارَزْمَ شَاهْ، **فَتَزَوَّجَهَا هُوَ** فَخَصَاهُ، وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ، فَدُفِنَ ذَكَرُهُ بِخُوَارَزْمَ وَسُفِحَ دَمُهُ حِينَ قُتِلَ بِمَرْوِ الرُّوذِ، وَدُفِنَ جَسَدُهُ بِكُنْدُرَ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ فَدُفِنَ بِنَيْسَابُورَ، وَنُقِلَ قَحْفُ رَأْسِهِ إِلَى كَرْمَانَ.(٢)

١٣- **الْحَافِظُ الْكَبِيرُ** أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ **الْبَيْهَقِيُّ**، أَحَدُ الْحُفَّاظِ الْكِبَارِ لَهُ التَّصَانِيفُ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ، وُلِدَ سَنَةَ (٣٨٤هـ) وَكَانَ وَاحِدَ زَمَانِهِ فِي الْإِتْقَانِ وَالْحِفْظِ وَالْفِقْهِ وَالتَّصْنِيفِ.

كَانَ فَقِيهًا مُحَدِّثًا أُصُولِيًّا أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيِّ، وَسَمِعَ عَلَى غَيْرِهِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَجَمَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً نَافِعَةً جِدًّا لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهَا وَلَا يُدْرَكُ فِيهَا؛ مِنْ ذَلِكَ كِتَابُ «السُّنَنِ الْكَبِيرِ»، «وَنُصُوصِ الشَّافِعِيِّ» «وَالسُّنَنِ وَالْآثَارِ»، «وَالْمَدْخَلِ»، «وَالْآدَابِ»، «وَشُعَبِ الْإِيمَانِ»، «وَالْخِلَافِيَّاتِ»، «وَدَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»، «وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ الْمُفِيدَةِ.

وَكَانَ زَاهِدًا مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِنَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٤٥٨هـ).

١٤- **الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى الْحَنْبَلِيُّ** مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ **ابْنِ الْفَرَّاءِ**، شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ، وَمُمَهِّدُ مَذْهَبِهِمْ فِي الْفُرُوعِ، وُلِدَ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ (٣٨٠هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ.

(١) طريثيث: بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وثاء مثلثة تصغير الطرثوث وهو نبت كالفطر، وطرثيث: ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور وطريثيث قصبتها، معجم البلدان - الفكر (٤/ ٣٣)

(٢) وهذا من غرائب الأخبار والقصص.

وَكَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ لَهُ التَّصَانِيفُ الْحِسَانِ الْكَثِيرَةُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ، وَدَرَّسَ وَأَفْتَى سِنِينَ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ الْمَذْهَبُ، وَانْتَشَرَتْ تَصَانِيفُهُ وَأَصْحَابُهُ، وَجَمَعَ الإِمَامَةَ وَالْفِقْهَ وَالصِّدْقَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالتَّعَبُّدَ وَالتَّقَشُّفَ وَالْخُشُوعَ وَحُسْنَ السَّمْتِ، وَالصَّمْتَ عَمَّا لَا يَعْنِي.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٤٥٨هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً

١٥- **ابْنُ سِيدَهْ اللُّغَوِيُّ** أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمُرْسِيُّ كَانَ إِمَامًا حَافِظًا لِلُّغَةِ، **وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ، أَخَذَ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ ضَرِيرًا أَيْضًا**، ثُمَّ اشْتَغَلَ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ صَاعِدٍ الْبَغْدَادِيِّ.

وَلَهُ «الْمُحْكَمُ» فِي مُجَلَّدَاتٍ، وَلَهُ «شَرْحُ الْحَمَاسَةِ» فِي سِتِّ مُجَلَّدَاتٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَقَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ كِتَابَ الْغَرِيبِ لِأَبِي عُبَيْدٍ سَرْدًا مِنْ حِفْظِهِ، وَالشَّيْخُ يُقَابِلُ نُسْخَتَهُ بِمَا يَقْرَأُ فَسَمِعَ النَّاسُ بِقِرَاءَتِهِ مِنْ حِفْظِهِ وَتَعَجَّبُوا لِذَلِكَ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٤٥٨هـ)، وَلَهُ سِتُّونَ سَنَةً.

١٥- **عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ يُوسُفَ أَبُو مَنْصُورٍ، الْمُلَقَّبُ بِالشَّيْخِ الْأَجَلِّ، كَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي الْقِيَامِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَاصْطِنَاعِ الْأَيَادِي عِنْدَ أَهْلِهَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، مَعَ شِدَّةِ الْقِيَامِ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ، وَافْتِقَادِ الْمَسْتُورِينَ بِالْبِرِّ، وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْمَحَاوِيجِ، وَإِخْفَاءِ ذَلِكَ جُهْدَهُ وَطَاقَتَهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ الْمُنْتَصَفَ مِنْ مُحَرَّمٍ مِنْ سنة (٤٦٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

١٦- **الْفُورَانِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ** بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ مُصَنِّفُ «الْإِبَانَةِ»، الَّتِي فِيهَا مِنَ النُّقُولِ الْغَرِيبَةِ، وَالْأَقْوَالِ وَالْأَوْجُهِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهَا، كَانَ بَصِيرًا بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ، وَحَضَرَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ عِنْدَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ سنة (٤٦١هـ) بِمَرْوٍ، عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

١٧- **أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْحُفَّاظِ، **وَصَاحِبُ «تَارِيخِ بَغْدَادَ»** وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْعَدِيدَةِ الْمُفِيدَةِ نَحْوٌ مِنْ سِتِّينَ مُصَنَّفًا.

وُلِدَ سَنَةَ (٣٩١هـ) وَأَوَّلُ سَمَاعِهِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَرَحَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَنَيْسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ وَهَمَذَانَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ،

وَسُمِّيَ الْخَطِيبُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ **بِدَرْزِيجَانَ**،[1] وَقَرَأَ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» عَلَى كَرِيمَةَ بِنْتِ أَحْمَدَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ. وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَحَظِيَ عِنْدَ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ.

وَلَمَّا ادَّعَى **الْيَهُودُ** الْخَيَابِرَةُ أَنَّ مَعَهُمْ كِتَابًا نَبَوِيًّا فِيهِ **إِسْقَاطُ الْجِزْيَةِ عَنْهُمْ**، أَوْقَفَ ابْنُ الْمُسْلِمَةِ الْخَطِيبَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ **فَقَالَ: هَذَا كَذِبٌ**. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ فِيهِ شَهَادَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَقَدْ كَانَتْ خَيْبَرُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ مُعَاوِيَةُ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَفِيهِ شَهَادَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَدْ كَانَ تُوُفِّيَ عَامَ الْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْسٍ. فَأَعْجَبَ النَّاسَ ذَلِكَ.

وَقَدْ سُبِقَ الْخَطِيبُ إِلَى هَذَا النَّقْدِ كَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي مُصَنَّفٍ مُفْرَدٍ.

وَلَمَّا وَقَعَتْ **فِتْنَةُ الْبَسَاسِيرِيِّ** بِبَغْدَادَ سَنَةَ (٤٥٠هـ)، خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِدِمَشْقَ بِالْمِئْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ جَامِعِهَا وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ، وَكَانَ جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ، يُسْمَعُ صَوْتُهُ مِنْ أَرْجَاءِ الْجَامِعِ كُلِّهَا، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ قَرَأَ يَوْمًا عَلَى النَّاسِ فَضَائِلَ الْعَبَّاسِ، فَثَارَ عَلَيْهِ الرَّوَافِضُ وَأَتْبَاعُ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَتَشَفَّعَ بِالشَّرِيفِ الزَّيْنَبِيِّ، فَأَجَارَهُ.

---

(١) درزيجان: بفتح أوله وسكون ثانيه وزاي مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي منها. معجم البلدان (٢/ ٤٥٠).

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِمَدِينَةِ صُورَ، فَكَتَبَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصُّورِيِّ بِخَطِّهِ، كَانَ يَسْتَعِيرُهَا مِنْ زَوْجَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِالشَّامِ إِلَى سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فَحَدَّثَ بِأَشْيَاءَ مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ.

وَقَدْ كَانَ سَأَلَ اللهَ بِمَكَّةَ أَنْ يَمْلِكَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَنْ يُحَدِّثَ بِ «التَّارِيخِ» بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَأَنْ يَمُوتَ بِبَغْدَادَ فَيُدْفَنَ إِلَى جَانِبِ بِشْرٍ الْحَافِي، فتحقق له ذلك.

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مُفِيدَةٌ، مِنْهَا كِتَابُ «التَّارِيخِ»، وَكِتَابُ «الْكِفَايَةِ» وَ «الْجَامِعِ»، وَ «شَرَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ»، وَ «الْمُتَّفِقِ وَالْمُفْتَرِقِ»، وَ «السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ»، وَ «اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلَ» وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ فَصِيحَ اللَّفْظِ، عَارِفًا بِالْأَدَبِ يَقُولُ الشِّعْرَ، وَكَانَ أَوَّلًا عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَانْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ السابع مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٦٣هـ)، وَلَهُ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً.

١٨- أَبُو عُمَرَ **بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ** النَّمَرِيُّ. الْحَافِظُ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، مِنْهَا «التَّمْهِيدُ» و «الِاسْتِذْكَارُ» و «الِاسْتِيعَابُ»، وَغَيْرُهَا. توفي سنة (٤٦٣هـ) (١)

١٩-ابْنُ زَيْدُونَ الشَّاعِرُ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو الْوَلِيدِ الشَّاعِرُ الْمَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، اتَّصَلَ **بِصَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ** الْأَمِيرِ الْمُعْتَضِدِ **عَبَّادٍ**، فَحَظِيَ عِنْدَهُ وَصَارَ مُشَاوَرًا فِي مَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الْفِرَاقِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا ... شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَآقِينَا
نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا ... يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأَسِّينَا

(١) وللاستزادة عنه انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٤/ ٨٠٨)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣).

حَالَتْ لِبُعْدِكُمُ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا
بِالْأَمْسِ كُنَّا وَلَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَلَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ، وَفِيهَا صَنْعَةٌ قَوِيَّةٌ مُهَيِّجَةٌ عَلَى الْبُكَاءِ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَهَا، أَوْ سَمِعَهَا لِأَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ فَقَدَ خِلًّا أَوْ حَبِيبًا أَوْ نَسِيبًا. تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سنة (٤٦٣هـ).

٢٠- **كَرِيمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ** بْنِ أَبِي حَاتِمٍ الْمَرْوَزِيَّةُ، كَانَتْ عَالِمَةً صَالِحَةً سَمِعَتْ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» عَلَى الْكُشْمِيهَنِيِّ، وَقَرَأَ عَلَيْهَا الْأَئِمَّةُ كَالْخَطِيبِ وَأَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ وَغَيْرِهِمَا، تُوُفِّيَت سنة (٤٦٣هـ).

٢١- **السُّلْطَانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ** الْمُلَقَّبُ بِسُلْطَانِ الْعَالَمِ، ابْنُ جَغْرِي بَكَ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ بْنِ تُقَاقَ التُّرْكِيُّ صَاحِبُ الْمَمَالِكِ الْمُتَّسِعَةِ، وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ عَمِّهِ طُغْرُلْبَكَ سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، وَكَانَ عَادِلًا يَسِيرُ فِي النَّاسِ سِيرَةً حَسَنَةً كَرِيمًا رَحِيمًا شَفُوقًا عَلَى الرَّعِيَّةِ، رَفِيقًا عَلَى الْفُقَرَاءِ بَارًّا بِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَمَالِيكِهِ كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، وَلَا يُعْرَفُ فِي زَمَانِهِ جِنَايَةٌ وَلَا مُصَادَرَةٌ بَلْ يَقْنَعُ مِنَ الرَّعَايَا بِالْخَرَاجِ فِي قِسْطَيْنِ؛ رِفْقًا بِهِمْ.

وَكَانَ شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى حِفْظِ مَالِ الرَّعَايَا، بَلَغَهُ أَنَّ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِهِ أَخَذَ إِزَارًا لِبَعْضِ التُّجَّارِ **فَصَلَبَهُ**، فَارْتَدَعَ سَائِرُ الْمَمَالِيكِ بِهِ خَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٤٦٥هـ) عَنْ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِالرَّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

٢٢- **أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ**، عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ طَلْحَةَ وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ فَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالْعَرَبِيَّةَ، وَصَحِبَ الشَّيْخَ **أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ**، **وَأَخَذَ الْفِقْهَ** عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ **الطُّوسِي**، وَالْكَلَامَ عَنْ أَبِي بَكْرِ **بْنِ فُورَكَ**،

وَصَنَّفَ الْكَثِيرَ فَلَهُ «التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ»، و «الرِّسَالَةُ» الَّتِي تَرْجَمَ فِيهَا جَمَاعَةً مِنَ الْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ وَحَجَّ صُحْبَةَ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَأَبِي بَكْرٍ الْبَيْهَقِيِّ وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ.

تُوُفِّيَ بِنَيْسَابُورَ فِي سنة (٤٦٥هـ) عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٢٣- مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ العباسي، أَبُو الْحُسَيْنِ، **وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْغَرِيقِ**، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسَمِعَ الدَّارَقُطْنِيَّ وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَابْنَ شَاهِينَ، وَتَفَرَّدَ عَنْهُ، وَسَمِعَ خَلْقًا آخَرِينَ.

وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: **رَاهِبُ بَنِي هَاشِمٍ**، وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، رَقِيقَ الْقَلْبِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ.

وَخَطَبَ وَلَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَقَامَ خَطِيبًا بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ وَجَامِعِ الرُّصَافَةِ سِتًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَتُوُفِّيَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٤٦٥هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ تِسْعِينَ سَنَةً.

٢٤- **مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ عَلِيٍّ، **أَبُو بَكْرٍ الْعَطَّارُ الْأَصْبَهَانِيُّ** الْحَافِظُ، مُسْتَمْلِي أَبِي نُعَيْمٍ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يُمْلِي مِنْ حِفْظِهِ، وَكَتَبَ عَنْهُ الْخَطِيبُ حَدِيثًا وَاحِدًا، وَكَانَ عَظِيمًا فِي بَلَدِهِ ثِقَةً نَبِيلًا جَلِيلًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٤٦٦هـ) اللهُ تَعَالَى.

٢٥- **الْمَاوَرْدِيَّةُ**، ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: أَنَّهَا كَانَتْ عَجُوزًا صَالِحَةً مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، تَعِظُ النِّسَاءَ بِهَا، وَكَانَتْ تَكْتُبُ وَتَقْرَأُ.

وَمَكَثَتْ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهَا، لَا تُفْطِرُ نَهَارًا، وَلَا تَنَامُ لَيْلًا، وَتَقْتَاتُ بِخُبْزِ الْبَاقِلَّاءِ، وَتَأْكُلُ مِنَ التِّينِ الْيَابِسِ لَا الرَّطْبِ، وَشَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْعِنَبِ وَالزَّيْتِ، وَرُبَّمَا أَكَلَتْ مِنَ اللَّحْمِ الْيَسِيرَ، وَحِينَ تُوُفِّيَتْ سنة (٤٦٦هـ) تَبِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَلَدِ جِنَازَتَهَا.

❁ ❁ ❁

(٢٧)

خلافة المقتدي بأمر اللّه
عبد اللّه بن محمد بن القائم

٤٦٧-٤٨٧

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ عبد الله بْنِ الْقَادِرِ الْعَبَّاسِيُّ.

وَأُمُّهُ أَرْمِنِيَّةٌ تُسَمَّى: أُرْجُوانَ، وَتُدْعَى: **قُرَّةَ الْعَيْنِ**، وَأَدْرَكَتْ خِلَافَتَهُ وَخِلَافَةَ وَلَدَيْهِ الْمُسْتَظْهِرِ وَالْمُسْتَرْشِدِ.

وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ تُوُفِّيَ وَهُوَ حَمْلٌ، فَحِينَ وُلِدَ ذَكَرًا فَرِحَ بِهِ جَدُّهُ وَالْمُسْلِمُونَ فَرَحًا شَدِيدًا، إِذْ حَفِظَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ **بَقَاءَ الْخِلَافَةِ فِي الْبَيْتِ الْقَادِرِيِّ**؛ لِأَنَّ مَنْ عَدَاهُمْ يَبْتَذِلُونَ فِي الْأَسْوَاقِ مَعَ الْعَوَامِّ، وَكَانَتِ الْقُلُوبُ تَنْفِرُ مِنْ تَوْلِيَةِ مِثْلِ أُولَئِكَ الْخِلَافَةَ عَلَى النَّاسِ، وَنَشَأَ هَذَا فِي حِجْرِ جَدِّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ، يُرَبِّيهِ بِمَا يَلِيقُ بِأَمْثَالِهِ، **وَيُدَرِّبُهُ عَلَى أَحْسَنِ السَّجَايَا** وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ صفاته

كَانَ الْمُقْتَدِي أَبْيَضَ، تَامَّ الْقَامَةِ، حُلْوَ الشَّمَائِلِ، عَمَرَتْ فِي أَيَّامِهِ مَحَالٌّ كَثِيرَةٌ مِنْ بَغْدَادَ وَنَفَى عَنْهَا الْمُغَنِّيَاتِ، وَأَرْبَابَ الْمَلَاهِي وَالْمَعَاصِي، وَكَانَ غَيُورًا عَلَى حَرِيمِ النَّاسِ، آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ، نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَسَنَ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ، شَهْمًا شُجَاعًا، أَيَّامُهُ كُلُّهَا مُبَارَكَةٌ وَالرِّزْقُ دَارٌّ، وَالْخِلَافَةُ مُعَظَّمَةٌ جِدًّا، وَتَصَاغَرَتِ الْمُلُوكُ لَهُ، وَتَضَاءَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالشَّامَاتِ كُلِّهَا، وَاسْتَرْجَعَ الْمُسْلِمُونَ **الرُّهَا وَأَنْطَاكِيَةَ** مِنْ أَيْدِي الْعَدُوِّ، وَعُمِّرَتْ بَغْدَادُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ.

وَاسْتَوْزَرَ ابْنَ **جَهِيرٍ** ثُمَّ أَبَا **شُجَاعٍ** ثُمَّ أَعَادَ **ابْنَ جَهِيرٍ، وَقَاضِيَهُ الدَّامَغَانِيُّ**، ثُمَّ **أَبُو بَكْرٍ** الشَّامِيُّ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ **خِيَارِ الْقُضَاةِ وَالْوُزَرَاءِ** وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفاته

في يَوْمَ الْجُمُعَةِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٨٧هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بـالله، وكان قـد كتب كِتَابًـا بِالسَّـلْطَنَةِ لبَرْكْيَـارُوق، وَهُيِّئَـتِ الْخِلَـعُ، وَعُرِضَتْ عَلَى الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ قُدِّمَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ، فَتَنَاوَلَ مِنْهُ عَلَى الْعَادَةِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الصِّحَّةِ، ثُمَّ غَسَـلَ يَدَهُ وَجَلَسَ يَنْظُرُ فِي الْعَهْدِ بَعْدَمَا وَقَّعَ عَلَيْهِ، تَغَيَّرَتْ حَالَتُهُ، وَاسْـتَرْخَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ، وَانْحَلَّتْ قُوَاهُ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ميتـًا.

وَلَـهُ مِـنَ الْعُمْرِ حين تـوفي ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَـنَةً وَثَمَانِيَةُ شُـهُورٍ وَتِسْـعَةُ أَيَّامٍ، ومدة خِلَافَته تِسْـعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ شُـهُورٍ، وَأُخْفِيَ مَوْتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى تَوَطَّدَتِ الْبَيْعَةُ **لِابْنِهِ الْمُسْـتَظْهِرِ**، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ حَضَرَ الْغَزَّالِيُّ وَالشَّاشِيُّ وَابْنُ عَقِيلٍ، ثُمَّ دُفِنَ فِي تُرْبَتِهِمْ.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

كَانَتْ بَيْعَتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٤٦٧هـ)، وَكَانَ عُمْرُ الْمُقْتَدِي حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ **عِشْـرِينَ** سَـنَةً، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ خَلْقًا، وَخُلُقًا، وَجَلَسَ فِي دَارِ الشَّـجَرَةِ بِقَمِيصٍ أَبْيَضَ، وَعِمَامَةٍ بَيْضَـاءَ لَطِيفَة، وَطَرْحَةٍ قَصَبٍ دُرِّيَّـةٍ، وَجَاءَ الْوُزَرَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ النَّاسِ فَبَايَعُوهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ أَبِي مُوسَى الْحَنْبَلِيُّ

وَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِذَا سَـيِّـدٌ مِـنَّـا مَـضَـى قَـامَ سَـيِّـدٌ

ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا بَعْدَهُ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ:

قَـئُـولٌ لِـمَـا قَـالَ الْـكِـرَامُ فَـعُـولُ

وَبَايَعَهُ مِنْ **شُيُوخِ الْعِلْمِ**: الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ، وَالشَّيْخُ أَبُو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ الشَّـافِعِيَّانِ، وَالشَّـيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، وَبَرَزَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ ثُمَّ بَعْدَ سَاعَةٍ أُخْرِجَ تَابُوتُ جَدِّهِ بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ، **مِنْ غَيْرِ صُرَاخٍ وَلَا نَوْحٍ**، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده
وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ إصلاحات المقتدي بأمر الله

⊙ فِي شَعْبَانَ سنة (٤٦٧هـ)، أَخْرَجَ الْمُفْسِدَاتِ مِنَ الْخَوَاطِئِ مِنْ بَغْدَادَ عَلَى حُمُرَاتٍ يُنَادِينَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ بِالْعَارِ وَالْفَضِيحَةِ، وَخَرَّبَ دُورَهُنَّ وَأَسْكَنَهُنَّ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ، وَخَرَّبَ أَبْرِجَةَ الْحَمَامِ وَمَنَعَ مِنَ اللَّعِبِ بِهَا، وَأَلْزَمَ النَّاسَ بِالْمَآزِرِ فِي الْحَمَّامَاتِ، **وَمَنَعَ أَصْحَابَ الْحَمَّامَاتِ أَنْ يَصْرِفُوا فَضَلَاتِهَا إِلَى دِجْلَةَ**، وَأَلْزَمَهُمْ بِحَفْرِ آبَارٍ لِتِلْكَ الْمِيَاهِ الْقَذِرَةِ صِيَانَةً لِمَاءِ الشُّرْبِ.

⊙ وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٦٨هـ) أُزِيلَتِ الْمُنْكَرَاتُ وَالْبَغَايَا بِبَغْدَادَ وَهَرَبَ الْفُسَّاقُ مِنْهَا.

⊙ وَفِي سنة (٤٧٨هـ) خَرَجَ تَوْقِيعُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ بِتَجْدِيدِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي كُلِّ مَحَلَّةٍ وَالْأَمْرُ بِإِلْزَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِالْغِيَارِ وَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخُمُورِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِ الْفَسَادِ.

⊙ وفِي سنة (٤٨٤هـ) أُلْزِمَ أَهْلُ الذِّمَّةِ بِلُبْسِ الْغِيَارِ وَشَدِّ الزُّنَّارِ وَكَذَلِكَ نِسَاؤُهُمْ فِي الْحَمَّامَاتِ وَغَيْرِهَا.

○ التنازع في الخطبة بين العباسيين والعبيديين

فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٦٧هـ) أُعِيدَتِ الْخُطْبَةُ بِمَكَّةَ لِلْمِصْرِيِّينَ **وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ** الْعَبَّاسِيِّينَ، وَذَلِكَ لَمَّا **قَوِيَ أَمْرُ صَاحِبِ مِصْرَ** بَعْدَمَا كَانَ ضَعِيفًا بِسَبَبِ غَلَاءِ بَلَدِهِ، فَلَمَّا أَرْخَصَتْ تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا وَطَابَ الْعَيْشُ بِهَا، وَقَدْ كَانَتِ الْخُطْبَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.

وفي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٦٨هـ) مَلَكَ الْأَقْسِيسُ [1] **مَدِينَةَ دِمَشْقَ**، وَهُزِمَ عَنْهَا الْمُعَلَّى بْنُ

---

(١) هو: أتسز بن أوف الخوارزمي، يلقب بالملك المعظم، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين، واول من أسس القلعة بدمشق. انظر: البداية والنهاية (١٦/ ٥٤) هامش (٥).

حَيْدَرَةَ نَائِبُ الْمُسْتَنْصِرِ الْعُبَيْدِيُّ إِلَى مَدِينَةِ بَانْيَاسَ، **وَخُطِبَ فِيهَا لِلْمُقْتَدِي** وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهَا.

الأمراض والأوبئة

- فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٦٧هـ) انْجَفَلَ أَهْلُ السَّوَادِ مِنْ شِدَّةِ الْوَبَاءِ وَقِلَّةِ مَاءِ دِجْلَةَ وَنَقْصِهَا.
- قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ:[1] جَاءَ جَرَادٌ فِي شَعْبَانَ (٤٦٨هـ) بِعَدَدِ الرَّمْلِ وَالْحَصَى فَأَكَلَ الْغَلَّاتِ وَأَكْدَى أَكْثَرُ النَّاسِ وَجَاعُوا فَطَحِنَ الْخَرُّوبُ بِدَقِيقِ الدُّخْنِ فَأَكَلُوهُ، **وَوَقَعَ الْوَبَاءُ ثُمَّ مَنَعَ اللهُ الْجَرَادَ مِنَ الْفَسَادِ**، وَكَانَ يَمُرُّ وَلَا يَضُرُّ، فَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ. قَالَ: وَوَقَعَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِدِمَشْقَ وَاسْتَمَرَّ ثَلَاثَ سِنِينَ.
- قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٦٩هـ) كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ فِي النَّاسِ بِبَغْدَادَ وَوَاسِطٍ وَالسَّوَادِ وَوَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الشَّامَ كَذَلِكَ
- فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٧٨هـ) زُلْزِلَتْ أَرَّجَانُ فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ وَمَوَاشِيهِمْ، وَفِيهَا كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ بِالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ، ثُمَّ مَاتَتِ الْوُحُوشُ فِي الْبَرِيَّةِ، ثُمَّ تَلَاهُ مَوْتُ الْبَهَائِمِ حَتَّى عَزَّتِ الْأَلْبَانُ وَاللُّحْمَانُ.

وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٧٨هـ) هَاجَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ وَسَفَتْ رَمْلًا وَتَسَاقَطَتْ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا، وَوَقَعَتْ صَوَاعِقُ فِي الْبِلَادِ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ ثُمَّ انْجَلَى ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

حوادث وكوارث

- وَفِي سنة (٤٧٣هـ) قُبِضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْفِتْيَانِ؛ كَانُوا قَدْ جَعَلُوا عَلَيْهِمْ رَئِيسًا يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْهَاشِمِيُّ، وَقَدْ كَاتَبُوهُ مِنَ الْأَقْطَارِ وَكَانَ السَّاعِي لَهُ رَجُلًا يُقَالُ

(١) المنتظم ١٦/ ١٧١.

لَـهُ: ابْنُ رَسُـولٍ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْـدَ جَامِعِ بَرَاثَا فَخِيفَ مِـنْ أَمْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُمَالِئِينَ لِلْمِصْرِيِّينَ فَأُمِرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ.

⊙ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي سنة (٤٧٩هـ) ظَهَرَ رَجُلٌ بَيْنَ السِّنْدِيَّةِ وَوَاسِطٍ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَهُوَ مَقْطُوعُ الْيَدِ الْيُسْـرَى يَفْتَحُ الْقُفْلَ فِي أَسْـرَعِ مُدَّةٍ وَيَغُوصُ دِجْلَةَ فِي غَوْصَتَيْنِ وَيَقْفِزُ الْقَفْزَةَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا وَيَتَسَلَّقُ الْحِيطَانَ الْمُلْسَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.

⊙ وفي سـنة (٤٧٩هـ) تُوُفِّيَ فَقِيرٌ يَسْـأَلُ النَّاسَ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ فَوُجِدَ فِي مُرَقَّعَتِهِ سِتُّمِائَةِ دِينَارٍ مَغْرِبِيَّةٍ.

⊙ وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فِي سنة (٤٨١هـ) أُخْرِجَتِ الْأَتْرَاكُ مِنْ حَرِيمِ الْخِلَافَةِ، وَهَذَا فِيهِ قُوَّةٌ لِلْخِلَافَةِ.

⊙ وفِي سـنة (٤٨٤هـ) كَانَتْ زَلَازِلُ كَثِيرَةٌ بِالشَّـامِ وَغَيْرِهَا فَهَدَّمَتْ بُنْيَانًا كَثِيرًا وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ تِسْعُونَ بُرْجًا مِنْ سُورِ أَنْطَاكِيَةَ وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وَفِي سـنة (٤٨٥هـ) جَاءَ بَرَدٌ شَدِيدٌ عَظِيمٌ بِالْبَصْرَةِ وَزْنُ الْبَرَدَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ إِلَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ رِطْلًا، فَأَتْلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَجَاءَ رِيحٌ عَاصِـفٌ قَاصِفٌ فَأَلْقَى عَشَـرَاتِ الْأُلُوفِ مِـنَ النَّخِيلِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]

○ فتن أهل التشيع

⊙ فِي سنة (٤٨١هـ) كَانَتْ فِتَنٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ بِبَغْدَادَ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ.

⊙ وفِي سـنة (٤٨٢هـ) كَانَتْ فِتَنٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ، وَرَفَعُوا الْمَصَاحِفَ وَجَرَتْ حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ، وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، نَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ» مِنْ خَطِّ ابْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ قُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَرِيبٌ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ.

قَالَ: وَسَبَّ أَهْلُ الْكَرْخِ الصَّحَابَةَ وَأَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَارْتَفَعُوا إِلَى سَبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى أَهْلِ الْكَرْخِ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ. وَإِنَّمَا حَكَيْتُ هَذَا لِيَعْلَمَ الْوَاقِفُ عَلَيْهِ مَا فِي طَوَايَا الرَّوَافِضِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْبُغْضِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَالْعَدَاوَةِ الْبَاطِنَةِ الْكَامِنَةِ فِي قُلُوبِهِمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَشَرِيعَتِهِ.

- وفِي سنة (٤٨٦) وَقَعَتِ **الْفِتْنَةُ** بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ وَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُمْ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ.

الفتنة بين الحنابلة والأشعرية

فِي شَوَّالٍ سنة (٤٦٩هـ) وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ **ابْنَ الْقُشَيْرِيِّ** قَدِمَ بَغْدَادَ فَجَلَسَ يَتَكَلَّمُ فِي النِّظَامِيَّةِ، وَأَخَذَ يَذُمُّ الْحَنَابِلَةَ وَيَنْسُبُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ، وَسَاعَدَهُ أَبُو سَعْدٍ الصُّوفِيُّ، وَمَالَ مَعَهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ، وَكَتَبَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ يَشْكُو إِلَيْهِ الْحَنَابِلَةَ وَيَسْأَلُهُ **الْمَعُونَةَ**.

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي مُوسَى **شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ** وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَدَافَعَ عَنْهُ آخَرُونَ، **وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ**.

وَكَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ وَأَبُو بَكْرٍ الشَّاشِيُّ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ فَجَاءَ كِتَابُهُ إِلَى **فَخْرِ الدَّوْلَةِ** يُنْكِرُ مَا وَقَعَ وَيَكْرَهُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بَنَاهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَعَزَمَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ عَلَى الرِّحْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ غَضَبًا مِمَّا وَقَعَ مِنَ الشَّرِّ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يُسَكِّنُهُ ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّرِيفِ **أَبِي جَعْفَرٍ**، **وَأَبِي سَعْدٍ** الصُّوفِيِّ، **وَأَبِي نَصْرِ بْنِ الْقُشَيْرِيِّ** عِنْدَ الْوَزِيرِ، فَأَقْبَلَ الْوَزِيرُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الشريف **يُعَظِّمُهُ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ**، وَقَامَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ فَقَالَ: أَنَا ذَلِكَ الَّذِي كُنْت تعرِفُهُ وَأَنَا شَابٌّ، وَهَذِهِ كُتُبِي فِي الْأُصُولِ، أَقُولُ فِيهَا خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ ثُمَّ قَبَّلَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: صَدَقْت، إِلَّا أَنَّكَ لَمَّا كُنْتَ فَقِيرًا لَمْ تُظْهِرْ لَنَا مَا فِي نَفْسِكِ، فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْوَانُ وَالسُّلْطَانُ **وَخَوَاجَا بُزُرْك** يَعْنِي نِظَامَ الْمُلْكِ، أَبْدَيْتَ مَا كَانَ مُخْتَفِيًا فِي نَفْسِك.

وَقَامَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدٍ الصُّوفِيُّ فَقَبَّلَ رَأْسَ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ أَيْضًا، وَتَلَطَّفَ بِهِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مُغْضَبًا وَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَمَّا الْفُقَهَاءُ إِذَا تَكَلَّمُوا فِي مَسَائِلِ الْأُصُولِ فَلَهُمْ فِيهَا مَدْخَلٌ، وَأَمَّا أَنْتَ فَصَاحِبُ لَهْوٍ وَسَمَاعٍ وَتَعْبِيرٍ، فَمَنْ زَاحَمَكَ مِنَّا عَلَى بَاطِلِكَ؟

ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ: **أَيُّ صُلْحٍ بَيْنَنَا، وَنَحْنُ نُوجِبُ مَا نَعْتَقِدُهُ وَهُمْ يُحَرِّمُونَ**؟! وَهَذَا جَدُّ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمُ، وَالْقَادِرُ قَدْ أَظْهَرَا اعْتِقَادَهُمَا لِلنَّاسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا وَافَقَ عَلَيْهِ الْعِرَاقِيُّونَ وَالْخُرَاسَانِيُّونَ وَقُرِئَ عَلَى النَّاسِ فِي الدَّوَاوِينِ كُلِّهَا، فَأَرْسَلَ الْوَزِيرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمُهُ بِمَا جَرَى فَجَاءَ الْجَوَابُ بِشُكْرِ الْجَمَاعَةِ وَخُصُوصًا الشَّرِيفَ أَبَا جَعْفَرٍ، ثُمَّ اسْتُدْعِيَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِدُعَائِهِ.

وفي سنة (٤٧٠هـ) وَرَدَ كِتَابٌ مِنْ **نِظَامِ الْمُلْكِ** إِلَى الشَّيْخِ **أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ** فِي جَوَابِ كِتَابِهِ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْحَنَابِلَةِ، ثُمَّ سَرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ [(١)] وَمَضْمُونُهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ الْمَذَاهِبِ وَلَا نَقْلُ أَهْلِهَا عَنْهَا، وَالْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ هُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَمَحَلُّهُ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ، وَقَدْرُهُ مَعْلُومٌ فِي السُّنَّةِ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٤٧٠هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَبَيْنَ فُقَهَاءِ النِّظَامِيَّةِ، وَحَمِيَ لِكُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَوَامِّ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمْ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ قَتِيلًا، ثُمَّ سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ.

وفِي سنة (٤٧٣هـ) أُذِنَ لِلْوُعَّاظِ فِي الْجُلُوسِ لِلْوَعْظِ؛ وَكَانُوا قَدْ مُنِعُوا مِنْ وَقْتِ **فِتْنَةِ ابْنِ الْقُشَيْرِيِّ**.

○ القتال مع الروم

فِي سنة (٤٦٨هـ) مَلَكَ **نَصْرُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ** مَدِينَةَ مَنْبِجَ وَأَجْلَى عَنْهَا الرُّومَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ

(١) المنتظم ١٦/ ١٩٠-١٩١.

○ تملك المظفر تتش دمشق

فِي سنة (٤٧١) مَلَكَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ تَاجُ الْمُلُوكِ **تُتُشُ بْنُ أَلْبِ** أَرَسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ **دِمَشْقَ**، وَقَتَلَ مَلِكَهَا **أَقْسِيسَ**، وَذَلِكَ أَنَّ أَقْسِيسَ بَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرْكَبْ لِتَلَقِّيهِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ لِسَاعَتِهِ.

وفِي سنة (٤٧٤) فَتَحَ **تُتُشُ بْنُ أَلْبِ** أَرْسَلَانَ صَاحِبُ دِمَشْقَ مَدِينَةَ أَنْطَرْطُوسَ.

○ وزارة ابن جهير

فِي سنة (٤٧١) عُزِلَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَهِيرٍ بِإِشَارَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ؛ بِسَبَبِ مُمَالَأَتِهِ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ، ثُمَّ كَاتَبَ الْمُقْتَدِي نِظَامَ الْمُلْكِ فِي إِعَادَتِهِ، **فَأُعِيدَ** وَلَدُهُ وَأُطْلِقَ هُوَ.

وفِي سنة (٤٧٤) أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الوزير **ابْنَ جَهِيرٍ** إِلَى السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ عَنْهُ، فَأَجَابَتْ أُمُّهَا إِلَى ذَلِكَ بِشَرْطِ:

- أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا سُرِّيَّةٌ سِوَاهَا
- وَأَنْ يَكُونَ مَبِيتُهُ عِنْدَهَا.

وفِي سنة (٤٧٦هـ) عُزِلَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ **ابْنُ جَهِيرٍ** عَنْ وَزَارَةِ الْخِلَافَةِ، وَسَدَّ وَزَارَةَ الْخِلَافَةِ أَبُو الْفَتْحِ مُظَفَّرٌ ابْنُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ، ثُمَّ عُزِلَ فِي شَعْبَانَ، وَاسْتُوْزِرَ أَبُو شُجَاعٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَلُقِّبَ ظَهِيرَ الدِّينِ.

○ تغريق ابن علان اليهودي

فِي سنة (٤٧٢هـ) أَمَرَ السُّلْطَانُ ملكشاه بِتَغْرِيقِ ابْنِ عَلَّانَ الْيَهُودِيِّ ضَامِنِ الْبَصْرَةِ وَأَخَذَ مِنْ ذَخَائِرِهِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَضَمِنَ خُمَارْتِكِينَ الْبَصْرَةَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةِ فَرَسٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

○ تولية ابن جهير بلاد بكر

فِي سنة (٤٧٦هـ) عقد نِظَامُ الْمُلْكِ لفَخْرِ الدَّوْلَةِ ابن جهير عَلَى بِلَادِ بَكْرٍ، فَسَارَ إِلَيْهَا بِالْخِلَعِ وَالْكُوسَاتِ وَالْعَسَاكِرِ، وَأَمَرَ أَنْ يَنْتَزِعَهَا مِن ابْنِ مَرْوَانَ، وَأَنْ يُخْطَبَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يُكْتَبَ اسْمُهُ عَلَى السِّكَّةِ، فَمَا زَالَ حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَبَادَ مُلْكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ.

وفِي سنة (٤٧٧هـ) كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ **فَخْرِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهِيرٍ** وَبَيْنَ **ابْنِ مَرْوَانَ** صَاحِبِ دِيَارِ بكْرٍ فَاسْتَوْلَى ابْنُ جَهِيرٍ عَلَى مُلْكِ الْعَرَبِ وَسَبَى حَرِيمَهُمْ وَأَخَذَ الْبِلَادَ وَمَعَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيُّ، فَافْتَدَى خَلْقًا مِنَ الْعَرَبِ فَشَكَرَهُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ عَلَيْهِ.

وفِي سنة (٤٧٧هـ) بَعَثَ السُّلْطَانُ ملكشاه **عَمِيدَ الدَّوْلَةِ ابْنَ جَهِيرٍ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ وَمَعَهُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ آقْ سَنْقُرُ جَدُّ بَنِي أَتَابِكَ مُلُوكِ الشَّامِ وَالْمَوْصِلِ فَسَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَمَلَكُوهَا.

وفِي سنة (٤٧٨هـ) اسْتَوْلَى **فَخْرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ جَهِيرٍ** عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا **آمِدُ وَمَيَّافَارِقِينُ** وَجَزِيرَةُ ابْنِ عُمَرَ وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي مَرْوَانَ عَلَى يَدِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

○ عصيان أهل حران

فِي سنة (٤٧٦هـ) عَصَى أَهْلُ حَرَّانَ عَلَى شَرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْلِمِ بْنِ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ فَحَاصَرَهَا فَفَتَحَهَا وَهَدَمَ سُورَهَا وَصَلَبَ قَاضِيَهَا ابْنَ جَلَبَةَ وَابْنَيْهِ عَلَى السُّورِ.

○ الوشاية على نظام الملك

فِي شَوَّالٍ سنة (٤٧٦هـ) قُتِلَ أَبُو الْمَحَاسِنِ ابْنُ أَبِي الرِّضَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَشَى إِلَى السُّلْطَانِ فِي نِظَامِ الْمُلْكِ وَقَالَ لَهُ: سَلِّمْه إِلَيَّ حَتَّى أَسْتَخْلِصَ لَكَ مِنْه أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَعَمِلَ نِظَامُ الْمُلْكِ سِمَاطًا هَائِلًا وَاسْتَحْضَرَ غِلْمَانَهُ - وَكَانُوا أُلُوفًا - مِنَ الْأَتْرَاكِ، **وَشَرَعَ يَقُولُ لِلسُّلْطَانِ**: هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَمْوَالِكَ، وَمَا وَقَفْتُهُ مِنَ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ، فَكُلُّهُ شُكْرُهُ

لَـكَ فِـي الدُّنْيَا وَأَجْرُهُ لَكَ فِي الْآخِـرَةِ، وَأَمْوَالِي وَجَمِيعُ مَا أَمْلِكُهُ بَيْـنَ يَدَيْكَ، وَأَنَا أَقْنَعُ بِمُرَقَّعَـةٍ وَزَاوِيَةٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ السُّـلْطَانُ **بِقَتْلِ أَبِي الْمَحَاسِـنِ** - وَقَـدْ كَانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ، وَخِصِّيصًـا بِـهِ، وَجِيهًا لَدَيْهِ - وَعَزَلَ أَبَاهُ عَنْ كِتَابَةِ الطُّغْـرَاءِ،[(١)] وَوَلَّاهَا **مُؤَيِّدَ الْمُلْكِ** بْنَ نِظَامِ الْمُلْكِ.

○ قتل مسلم بن قريش العقيلي

فِي شَـعْبَانَ سَـنة (٤٧٧هـ) مَلَكَ **سُـلَيْمَانُ بْـنُ قُتْلُمُـشَ أَنْطَاكِيَةَ** فَأَرَادَ شَـرَفُ الدَّوْلَةِ **مُسْـلِمُ بْنُ قُرَيْشٍ** أَنْ يَسْـتَنْقِذَهَا مِنْهُ، فَهَزَمَهُ سُـلَيْمَانُ وَقَتَلَهُ، **وَكَانَ مُسْـلِمٌ هَـذَا مِنْ خِيَارِ** الْمُلُوكِ سِيرَةً، لَهُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَالٍ وَقَاضٍ وَصَاحِبُ خَبَرٍ، وَكَانَ يَمْلِكُ مِنَ السِّـنْدِيَّةِ إِلَى مَنْبِجَ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ قُرَيْشٍ، وَكَانَ مَسْجُونًا مِنْ سِنِينَ فَأُطْلِقَ وَمُلِّكَ.

○ تملك ملكشاه بلاد الشام

فِي سـنة (٤٧٩هـ) كَانَتِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ **تُتُشَ** صَاحِبِ دِمَشْـقَ، وَبَيْنَ **سُلَيْمَانَ بْنِ قُتْلُمِشَ** صَاحِـبِ حَلَـبَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَتِلْـكَ النَّاحِيَةِ، فَانْهَـزَمَ أَصْحَابُ سُـلَيْمَانَ، وَقَتَلَ هُوَ نَفْسَـهُ بِخَنْجَرٍ.

فَقدم السُّلْطَانُ **مَلِكْشَاهْ** مِنْ أَصْبهَانَ إِلَى حَلبَ فَملَكهَا، وَمَلَكَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي مَرَّ بِهَا وَهِيَ: حَرَّانُ، وَالرُّهَا، **وَقَلْعَةُ جَعْبَرٍ**.

وَاسْـتَنَابَ السُّـلْطَانُ عَلَى حَلَبَ قَسِـيمَ الدَّوْلَةِ **آقْ سُـنْقُرَ التُّرْكِيَّ** وَهُوَ جَدُّ نُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ.

وَاسْـتَنَابَ عَلَى الرَّحْبَـةِ وَحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَسَـرُوجَ وَالْخَابُورِ **مُحَمَّدَ بْنَ شَـرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْلِمٍ**، وَزَوَّجَهُ بِأُخْتِهِ زُلَيْخَا خَاتُونَ.

---

(١) الطغراء: **قال الذهبي**: كتابة السر. **وقال ابن خلكان**: الطغراء: هي الطرة التي تكتب في أعلى الكتاب فوق البسملة بالقلم الغليظ، مضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه. انظر: تاج العروس (ط غ ر).

وَعَزَلَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ جهيرٍ عَنْ دِيَارِ بَكْرٍ، وَسَلَّمَهَا إِلَى الْعَمِيدِ أَبِي عَلِيٍّ الْبَلْخِيِّ.

وَخَلَعَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ **صَدَقَةَ** بْنِ مَنْصُورِ بِنِ دُبَيْسٍ الْأَسَدِيِّ وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِ أَبِيهِ.

فعَمِلَ **سَيْفُ الدَّوْلَةِ حفلةً لِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ**،[1] فمد سماطًا اشْتَمَلَ عَلَى **أَلْفِ رَأْسٍ** مِنَ الْغَنَمِ، **وَمِائَةٍ** مِنَ الْجِمَالِ والخيل، وَأَصْنَافِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ الْمَنْفُوخَةِ مِنَ السُّكَّرِ، فَتَنَاوَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، **ثُمَّ أَشَارَ فَانْتُهِبَ عَنْ آخِرِهِ**، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى **سُرَادِقٍ عَظِيمٍ** لَمْ يُرَ مِثْلُهُ مِنَ الْحَرِيرِ، وَفِيهِ خَمْسُمِائَةِ قِطْعَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَلْوَانٌ مِنْ تَمَاثِيلِ النَّدِّ وَالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَدَّ فِيهِ سِمَاطًا خَاصًّا، فَأَكَلَ السُّلْطَانُ حِينَئِذٍ ثم انْصَرَفَ.

ودَخَلَ ملكشاه بَغْدَادَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهِيَ أَوَّلُ دَخْلَةٍ دَخَلَهَا، فَزَارَ الْمَشَاهِدَ وَالْقُبُورَ، وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ خِلْعَةً سَنِيَّةً، **وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَ النَّاسِ**.

وَنَزَلَ بِخِزَانَةِ كُتُبِ النظامية وَأَمْلَى جُزْءًا مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ فَسَمِعَهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْهُ.

وَوَرَدَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي يَعْلَى الْحُسَيْنِيُّ الدَّبُّوسِيُّ إِلَى بَغْدَادَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ، فَرَتَّبَهُ مُدَرِّسًا بِالنِّظَامِيَّةِ بَعْدَ أَبِي سَعْدٍ الْمُتَوَلِّي.

○ زواج الخليفة المقتدي من ابنة ملكشاه

فِي سنة (٤٧٥هـ) خطب الْخَلِيفَة المقتدي بِنْت السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ؛ فَطَلَبَتْ أُمُّهَا أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ على أَنْ يَكُونَ الصَّدَاقُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.

وفِي الْمُحَرَّمِ من سنة (٤٨٠هـ) نُقِلَ جَهَازُ **ابْنَةِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ** إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ عَلَى **مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ جَمَلا** مُجَلَّلَةً بِالدِّيبَاجِ الرُّومِيِّ، غَالِبُهَا أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَعَلَى **أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ بَغْلَةً** مُجَلَّلَةً بِأَنْوَاعِ الدِّيبَاجِ الْمَلَكِيِّ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْبِغَالِ **ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا**،

---

(١) في هذه الحفلة إسراف وبذخ وضياع للأموال، وهي متكررة- مع الأسف- في كثير من الاحتفالات والمناسبات، كما سيأتي في زواج الخليفة من ابنة السلطان ملكشاه.

عَلَيْهَا مَرَاكِبُ الذَّهَبِ مُرَصَّعَةٌ بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ، **وَمَهْدٌ عَظِيمٌ** مُجَلَّلٌ بِالدِّيبَاجِ الْمَلَكِيِّ، عَلَيْهِ صَفَائِحُ الذَّهَبِ مُرَصَّعٌ بِالْجَوْهَرِ.

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ لِتَلَقِّيهِمْ **الْوَزِيرَ أَبَا شُجَاعٍ**، وَبَيْنَ يَدَيْهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ مَوْكَبِيَّةٍ، غَيْرَ الْمَشَاعِلِ لِخِدْمَةِ السِّتِّ خَاتُونَ، امْرَأَةِ السُّلْطَانِ تُرْكَانَ خَاتُونَ حَمَاةِ الْخَلِيفَةِ، وَسَأَلَهَا أَنْ تَحْمِلَ الْوَدِيعَةَ الشَّرِيفَةَ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، فَأَجَابَتْ إِلَى ذَلِكَ.

فَحَضَرَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ، وَأَعْيَانُ الْأُمَرَاءِ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الشُّمُوعِ وَالْمَشَاعِلِ مَا لَا يُحْصَى، وَجَاءَتْ نِسَاءُ الْأُمَرَاءِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فِي جَمَاعَتِهَا وَجَوَارِيهَا، وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ الشُّمُوعُ وَالْمَشَاعِلُ.

ثُمَّ جَاءَتْ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ - بَعْدَ الْجَمِيعِ - فِي مِحَفَّةٍ مُجَلَّلَةٍ، وَعَلَيْهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ مَا لَا تُحْصَى قِيمَتُهُ، فَدَخَلَتْ دَارَ الْخِلَافَةِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَقَدْ زُيِّنَ الْحَرِيمُ، وَأُشْعِلَتْ فِيهِ الشُّمُوعُ، وَكَانَتْ لَيْلَةً مَشْهُودَةً لِلْخَلِيفَةِ، هَائِلَةً جِدًّا.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَحْضَرَ الْخَلِيفَةُ أُمَرَاءَ السُّلْطَانِ، وَمَدَّ سِمَاطًا كبيراً، وَخَلَعَ عَلَى زَوْجَةِ السُّلْطَانِ، وَكَانَ الدُّخُولُ بِهَا فِي أَوَّلِ هذه السَّنَةِ، فَوَلَدَتْ مِنَ الْخَلِيفَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَلَدًا ذَكَرًا زُيِّنَتْ لَهُ بَغْدَادُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وُلِدَ لِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ وَلَدٌ **سَمَّاهُ مَحْمُودًا**، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَهُ.

وفِي سنة (٤٨٢هـ) أَرْسَلَتِ الْخَاتُونُ بِنْتُ السُّلْطَانِ تَشْكُو إِلَى أَبِيهَا إِعْرَاضَ الْخَلِيفَةِ عَنْهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهَا أَبُوهَا الطَّوَاشِيَّ صَوَابًا وَالْأَمِيرَ بَزَّانَ لِيُرْجِعَهَا إِلَيْهِ، فَأَجَابَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ذَلِكَ. وَبَعَثَ مَعَهَا بِالنَّقِيبِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ، وَخَرَجَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ أَبُو الْفَضْلِ وَالْوَزِيرُ فَشَيَّعَاهَا إِلَى النَّهْرَوَانِ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى عِنْدِ أَبِيهَا تُوُفِّيَتْ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِأَصْبَهَانَ، فَعُمِلَ عَزَاؤُهَا بِبَغْدَادَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ أَمِيرَيْنِ لِتَعْزِيَتِهِ فِيهَا.

○ توسع سلطان ملكشاه

فِي سنة (٤٨٢هـ) مَلَكَ السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ مَا **وَرَاءَ النَّهْرِ وَطَائِفَةً كَثِيرَةً مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ** بَعْدَ حُرُوبٍ عَظِيمَةٍ وَوَقَعَاتٍ هَائِلَةٍ.

○ مدعي المهدية بالبصرة

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٤٨٣هـ) دَهَمَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **تِلْيَا** كَانَ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَاسْتَغْوَى خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا وَزَعَمَ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ وَأَحْرَقَ مِنَ الْبَصْرَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ دَارُ كُتُبٍ كَانَتْ أَوَّلَ دَارِ كُتُبٍ وُقِفَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الدَّوَالِيبِ [(١)] وَالْمَصَانِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٨٤هـ) كَتَبَ **الْمُنَجِّمُ** الَّذِي أَحْرَقَ الْبَصْرَةَ إِلَى أَهْلِ وَاسِطٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَيَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ: **أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ صَاحِبُ الزَّمَانِ**، الَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَهْدِي الْخَلْقَ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَطَعْتُمْ أَمِنْتُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِنْ عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ خُسِفَ بِكُمْ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَبِالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٨٤هـ) قبض على المنجم الْمُدَّعِي أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ: **تِلْيَا الْمُنَجِّمُ**، وطيف به عَلَى جَمَلٍ بِبَغْدَادَ، وَهُوَ يَسُبُّ النَّاسَ وَالنَّاسُ يَلْعَنُونَهُ، وَعَلَى رَأْسِهِ طُرْطُورٌ بِوَدَعٍ، وَالدِّرَّةُ تَأْخُذُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، ثُمَّ **صُلِبَ**.

○ فتوى غريبة

فِي سنة (٤٨٣هـ) اسْتُفْتِيَ عَلَى مُعَلِّمِي الصِّبْيَانِ أَنْ يُمْنَعُوا مِنَ الْمَسَاجِدِ صِيَانَةً لَهَا، وَلَمْ يُسْتَثْنَ مِنْهُمْ سِوَى رَجُلٍ كَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا يَدْرِي كَيْفَ تُصَانُ الْمَسَاجِدُ، وَاسْتَدَلَّ الْمُفْتِي بِقَوْلِهِ ﷺ: «سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ».

(١) الدولاب: الآلة الَّتِي تديرها الدَّابَّة ليستقى بهَا. المعجم الوسيط ١/ ٣٠٥

○ استقرار ملكشاه ببغداد

فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٤٨٤هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ **مَلِكْشَاهْ بَغْدَادَ**، وَمَعَهُ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ وَقَدْ خَرَجَ لِتَلَقِّيهِ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو بَكْرٍ الشَّامِيُّ، وَابْنُ الْمُوصَلَايَا الْمُسْلِمَانِيُّ، **وَجَاءَتْ مُلُوكُ الْأَطْرَافِ إِلَيْهِ**؛ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ، مِنْهُمْ أَخُوهُ تَاجُ الدَّوْلَةِ تُتُشُ **صَاحِبُ دِمَشْقَ**، وَأَتَابِكُهُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ آقَ سُنْقُرُ **صَاحِبُ حَلَبَ**.

وَفِيها أَمَرَ السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ جَلَالُ الدَّوْلَةِ بِعِمَارَةِ جَامِعِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ بِظَاهِرِ السُّورِ.

وفِي سنة (٤٨٥هـ) أَمَرَ السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ بِبِنَاءِ سُوقِ الْمَدِينَةِ الْمَعْرُوفَةِ **بِطُغْرُلْبَكَ** إِلَى جَانِبِ دَارِ الْمُلْكِ، وَجَدَّدَ خَانَاتِهَا وَأَسْوَاقَهَا وَدُورَهَا، وَشَرَعَ نِظَامُ الْمُلْكِ فِي بِنَاءِ دَارٍ هَائِلَةٍ لَهُ، وَكَذَلِكَ تَاجُ الْمُلُوكِ أَبُو الْغَنَائِمِ، شَرَعَ فِي بِنَاءِ دَارٍ هَائِلَةٍ أَيْضًا، وَاسْتَوْطَنُوا الْبَلَدَ **وَطَابَتْ لَهُمْ بَغْدَادُ**.

○ اغتيال نظام الملك

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٨٥هـ) خَرَجَ السُّلْطَانُ إِلَى **أَصْبَهَانَ**، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فِي رَمَضَانَ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَوْمَ عَاشِرِهِ عَدَا صَبِيٌّ مِنَ الدَّيْلَمِ عَلَى الْوَزِيرِ نِظَامِ الْمُلْكِ، بَعْدَ أَنْ أَفْطَرَ فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ فَقَضَى عَلَيْهِ، وَأُخِذَ الصَّبِيُّ الدَّيْلَمِيُّ فَقُتِلَ، وَقَدْ كَانَ نظام الملك مِنْ كِبَارِ الْوُزَرَاءِ، وَخِيَارِ الْأُمَرَاءِ.

○ أمر السلطان ملكشاه بطرد الخليفة

قَدِمَ السُّلْطَانُ ملكشاه من أصبهان إلى بغداد فِي رَمَضَانَ سنة (٤٨٥هـ) ولَمَّا اسْتَقَرَّ ببغداد، أَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يُهَنِّئُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ المقتدي يَقُولُ لَهُ: **لَا بُدَّ أَنْ تَتْرُكَ لِي بَغْدَادَ، وَتَتَحَوَّلَ** إِلَى أَيِّ الْبِلَادِ شِئْتَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ المقتدي يَسْتَنْظِرُهُ شَهْرًا فَرَدَّ عَلَيْهِ: وَلَا سَاعَةً وَاحِدَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَتَوَسَّلُ فِي إِنْظَارِهِ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ شَدِيدٍ، فَمَا اسْتَتَمَّ الْأَجَلُ حَتَّى خَرَجَ السُّلْطَانُ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى الصَّيْدِ فَأَصَابَتْهُ حُمَّى شَدِيدَةٌ، فَافْتَصَدَ فَمَا قَامَ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ قَبْلَ الْعَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❍ الخلاف بين أبناء ملكشاه بعد وفاته

بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ) اسْتَحْوَذَتْ زَوْجَته **زُبَيْدَةُ** خَاتُونُ عَلَى الْجَيْشِ، وَضَبَطَتِ الْأَحْوَالَ جَيِّدًا، وَأَرْسَلَتْ إِلَى الْخَلِيفَةِ تَسْأَلُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهَا **مَحْمُودٌ** مَلِكًا بَعْدَ أَبِيهِ، وَأَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ.

وَبَعَثَ يُعَزِّيهَا وَيُهَنِّئُهَا مَعَ وَزِيرِهِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهِيرٍ، وَكَانَ عُمُرُ الْمَلِكِ مَحْمُودٍ هَذَا يَوْمَئِذٍ **خَمْسَ سِنِينَ**، ثُمَّ أَخَذَتْهُ وَالِدَتُهُ فِي الْجُيُوشِ، وَسَارَتْ بِهِ نَحْوَ أَصْبَهَانَ لِتُوَطِّدَ لَهُ الْمُلْكَ فَدَخَلُوهَا، وَتَمَّ لَهُمْ مُرَادُهُمْ، وَخُطِبَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ حَتَّى فِي الْحَرَمَيْنِ.

وَاسْتُوْزِرَ لَهُ **تَاجُ الْمُلْكِ أَبُو الْغَنَائِمِ** الْمَرْزُبَانُ بْنُ خِسْرُو.

وَانْحَازَ أَكْثَرُ جَيْشِ السُّلْطَانِ إِلَى ابْنِهِ الْآخَرِ **بَرْكْيَارُوقَ**، فَبَايَعُوهُ وَخَطَبُوا لَهُ بِالرَّيِّ وَانْفَرَدَتِ الْخَاتُونُ وَوَلَدُهَا وَمَعَهُمْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْجَيْشِ وَالْخَاصِّكِيَّةِ فَأَنْفَقَتْ فِيهِمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ لِقِتَالِ بَرْكِيَارُوقَ بْنِ مَلِكْشَاهْ فَالْتَقَوْا فِي ذِي الْحِجَّةِ فَكَانَتْ خَاتُونُ هِيَ الْمُنْهَزِمَةَ وَمَعَهَا وَلَدُهَا.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٨٦) دَخَلَ السُّلْطَانُ **بَرْكْيَارُوقُ** بَغْدَادَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو مَنْصُورِ بْنُ جَهِيرٍ، وَهَنَّأَهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِالْقُدُومِ.

❍ توسع سلطة تتش

فِي سنة (٤٨٥هـ) مَلَكَ تَاجُ الدَّوْلَةِ **تُتُشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ** صَاحِبُ دِمَشْقَ **مَدِينَةَ حِمْصَ وَقَلْعَةَ عِرْقَةَ وَقَلْعَةَ أَفَامِيَةَ**، وَمَعَهُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ **آقْ سُنْقُرُ**.

وفِي سنة (٤٨٦) خَطَبَ **تُتُشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ** صَاحِبُ دِمَشْقَ لِنَفْسِهِ بِالسَّلْطَنَةِ، وَطَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ بِالْعِرَاقِ، فَحَصَلَ التَّوَقُّفُ عَنْ ذَلِكَ، بِسَبَبِ ابْنِ أَخِيهِ **بَرْكْيَارُوقَ** بْنِ مَلِكْشَاهْ، فَسَارَ إِلَى الرَّحْبَةِ وَفِي صُحْبَتِهِ وَطَاعَتِهِ **آقْ سُنْقُرُ** قَسِيمُ الدَّوْلَةِ

صَاحِبُ حَلَبَ، **وَبُوزَانُ** صَاحِبُ **الرُّهَا**، فَفَتَحَ الرَّحْبَةَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَخَذَهَا مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنِ قُرَيْشٍ بْنِ بَدْرَانَ، وَهَزَمَ جُيُوشَهُ مِنْ بَنِي عقيلٍ، وَكَذَلِكَ أَخَذَ دِيَارَ بَكْرٍ، وهَمَذَانَ وَخِلَاطَ وَفَتَحَ أَذْرَبِيجَانَ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ.

ثُمَّ فَارَقَهُ الْأَمِيرَانِ **آقْ سُنْقُرُ**، **وَبُوزَانُ** فَسَارَا إِلَى الْمَلِكِ بَرْكْيَارُوقَ، وَبَقِيَ تُتُشُ وَحْدَهُ فَطَمِعَ فِيهِ ابْنُ أَخِيهِ بَرْكْيَارُوقُ، فَرَجَعَ تُتُشُ فَلَحِقَ آقْ سُنْقُرَ، وَبُوزَانَ، وَأَسَرَهما فَصَلَبَهُمَا.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٦٧هـ) الشَّرِيفُ أَبُو طَالِبٍ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٦٨هـ) صاحب الْكُوفَةِ أبو منصور **خُتْلُغُ بْنُ كَنْتِكِينَ التُّرْكِيُّ** وَيُعْرَفُ بِالطَّوِيلِ. وَكَانَ قَدْ شَرَّدَ خَفَاجَةَ فِي الْبِلَادِ وَقَهَرَهُمْ، وَلَمْ يَصْحَبْ مَعَهُ سِوَى سِتَّةَ عَشَرَ تُرْكِيًّا، فَوَصَلَ سَالِمًا إِلَى مَكَّةَ، وَلَمَّا نَزَلَ بِبَعْضِ دُورِهَا كَبَسَهُ بَعْضُ الْعَبِيدِ فَقَتَلَ فِيهِمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَهَزَمَهُمْ.

وَأُعِيدَتِ الْخُطْبَةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ بِمَكَّةَ لِلْعَبَّاسِيِّينَ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٦٩هـ)، وسنة (٤٧٠هـ) الْأَمِيرُ خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ مُقْطَعُ الْكُوفَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧١) الْأَمِيرُ مُقْطَعُ الْكُوفَةِ خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ أَثَابَهُ اللهُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧٢هـ) خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ بِمَكَّةَ وَخُطِبَ لِلْمُقْتَدِي وَلِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ السَّلْجُوقِيِّ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧٣هـ)، وسنة (٤٧٤هـ)، وسنة (٤٧٥هـ)، وسنة (٤٧٦هـ) خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧٧هـ) الْأَمِيرُ خُمَارْتِكِينُ الْحَسَنَانِيُّ؛ وَذَلِكَ لِشَكْوَى النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ سَيْرِ خُتْلُغَ بِهِمْ، وَأَخْذِهِ الْمُكُوسَاتِ مِنْهُمْ. سَارَ مَرَّةً مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ فِي تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٧٨هـ) الْأَمِيرُ خُتْلُغُ التُّرْكِيُّ، وَزَارَ النَّبِيَّ (١) ﷺ ذَاهِبًا وَآيِبًا قَالَ أَظُنُّ أَنَّهَا آخِرُ حِجَجِي فَكَانَ كَذَلِكَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٧٩هـ) الْأَمِيرُ نَجْمُ الدَّوْلَةِ **خُمَارْتِكِينُ الْحَسَنَانِيُّ**، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَقُلِعَتِ الصَّفَائِحُ الَّتِي عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ الَّتِي عَلَيْهَا ذِكْرُ الْمِصْرِيِّ، وَجُدِّدَ غَيْرُهَا عَلَيْهَا اسْمُ الْمُقْتَدِي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٨٠هـ) الْأَمِيرُ نَجْمُ الدَّوْلَةِ **خُمَارْتِكِينُ الْحَسَنَانِيُّ**،

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٨١هـ) الْأَمِيرُ خُمَارْتِكِينُ، وَمِمَّنْ حَجَّ فِيهَا الْوَزِيرُ أَبُو شُجَاعٍ، وأسقط (٢) السلطان ما كان يؤخذ من الحاج بمقابل الخفارة.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٨٢هـ)، وسنة (٤٨٣هـ)، وسنة (٤٨٤هـ) خُمَارْتِكِينُ.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٨٥هـ) اعْتَرَضَتْ بَنُو خَفَاجَةَ لِلْحَجِيجِ فَقَاتَلَهُمْ مَنْ فِي الْحَجِيجِ مِنَ الْجُنْدِ مَعَ الْأَمِيرِ خُمَارْتِكِينَ فَهَزَمُوهُمْ وَنُهِبَتْ أَمْوَالُ الْأَعْرَابِ، وتم لهم الحج، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَلَمْ يَحُجَّ فِي سنة (٤٨٦) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

❁ ❁ ❁

(١) لعله يقصد زار مسجد النبي ﷺ.

(٢) انظر: إتحاف الورى بأخبار ام القرى ٢/ ٤٨٤.

مشاهير من توفي من الأعيان

١-**الدَّاوُدِيُّ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ، **رَاوِي** «**صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ**» وُلِدَ سَنَةَ (٤٧٠هـ)، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالِ، وَصَحِبَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقَ وَأَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ وَدَرَّسَ وَأَفْتَى وَصَنَّفَ وَوَعَظَ النَّاسَ.

كَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ لَا يَفْتُرُ لِسَانُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَلَّطَكَ عَلَى عِبَادِهِ فَانْظُرْ كَيْفَ تُجِيبُهُ إِذَا سَأَلَكَ عَنْهُمْ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٦٧هـ) وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ.

٢-**الْوَاحِدِيُّ الْمُفَسِّرُ**، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ **صَاحِبُ التَّفَاسِيرِ الثَّلَاثَةِ**: «الْبَسِيطِ» و «الْوَسِيطِ» و «الْوَجِيزِ» قَالَ: وَمِنْهُ أَخَذَ الْغَزَالِيُّ أَسْمَاءَ كُتُبِهِ فِي الفقه، قَالَ: وَلَهُ «أَسْبَابُ النُّزُولِ» و «التَّحْبِيرُ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى» وَقَدْ شَرَحَ «دِيوَانَ الْمُتَنَبِّي» وَلَيْسَ فِي شُرُوحِهِ مَعَ كَثْرَتِهَا مِثْلُهُ.

وَقَدْ رُزِقَ السَّعَادَةَ فِي تَصَانِيفِهِ، وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حُسْنِهَا، وَذَكَرَهَا الْمُدَرِّسُونَ فِي دُرُوسِهِمْ، وَقَدْ أَخَذَ التَّفْسِيرَ عَنِ الثَّعَالِبِيِّ.

وَقَدْ مَرِضَ مُدَّةً ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِنَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٤٦٨هـ).

٣-**نَاصِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ**، أَبُو مَنْصُورٍ التُّرْكِيُّ الْمُضَافِرِيُّ، وَهُوَ وَالِدُ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ قَرَأَ الْقِرَاءَاتِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى قِرَاءَةَ «التَّارِيخِ» عَلَى الْخَطِيبِ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ،

وكَانَ ظَرِيفًا صَبِيحًا مَاتَ شَابًّا دُونَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً، فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ (٤٦٨هـ) وَقَدْ رَثَاهُ بَعْضُهُمْ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْرَدَهَا كُلَّهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ».(١)

(١) ١٦/ ١٧٧

٤- **طَاهِرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَابَشَاذَ**، أَبُو الْحَسَنِ الْمِصْرِيُّ النَّحْوِيُّ سَقَطَ مِنْ سَطْحِ جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ سنة (٤٦٩هـ).

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ بِمِصْرَ إِمَامُ عَصْرِهِ فِي النَّحْوِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمُفِيدَةُ مِنْ ذَلِكَ «مُقَدِّمَتُهُ»، وَ «شَرْحُهَا»، وَ «شَرْحُ الْجُمَلِ» لِلزَّجَّاجِيِّ.

وَكَانَتْ وَظِيفَتُهُ بِمِصْرَ أَنَّهُ لَا تُكْتَبُ الرَّسَائِلُ فِي دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ، فَيُصْلِحُ مِنْهَا مَا فِيهِ خَلَلٌ، وَكَانَ لَهُ رَاتِبٌ جَيِّدٌ ثم ترك وأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ وَالْمُلَازَمَةِ فِي غُرْفَةٍ فِي جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى أَنْ مَاتَ سنة (٤٦٩هـ).

وَقَدْ جَمَعَ تَعْلِيقَةً فِي النَّحْوِ قَرِيبًا مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا، فَأَصْحَابُهُ كَابْنِ بَرِيٍّ وَغَيْرِهِ يَنْقُلُونَ مِنْهَا وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا وَيُسَمُّونَهَا «تَعْلِيقَ الْغُرْفَةِ».

٥- **حَيَّانُ بْنُ خَلَفِ** بْنِ حُسَيْنِ بْنِ حَيَّانَ، أَبُو مَرْوَانَ الْقُرْطُبِيُّ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ، صَاحِبُ «تَارِيخِ الْمَغْرِبِ» فِي سِتِّينَ مُجَلَّدًا، أَثْنَى عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ فِي فَصَاحَتِهِ وَصِدْقِهِ وَبَلَاغَتِهِ. وتوفي سنة (٤٦٩هـ).

٦- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنُ النَّقُورِ الْبَزَّازُ**، أَحَدُ الْمُسْنِدِينَ الْمُعَمَّرِينَ، تَفَرَّدَ بِنُسَخٍ كَثِيرَةٍ عَنِ ابْنِ حَبَابَةَ عَنِ الْبَغَوِيِّ عَنْ أَشْيَاخِهِ؛ كَنُسْخَةِ هُدْبَةَ وَكَامِلِ بْنِ طَلْحَةَ وَعُمَرَ بْنِ زُرَارَةَ وَأَبِي السَّكَنِ الْبَلَدِيِّ، وَكَانَ مُكْثِرًا مُتَحَرِّيًا، وَكَانَ يَأْخُذُ عَلَى إِسْمَاعِ حَدِيثِ طَالُوتَ بْنِ عَبَّادٍ دِينَارًا، وَقَدْ أَفْتَاهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ بِجَوَازِ أَخْذِ الْأُجْرَةِ عَلَى إِسْمَاعِ الْحَدِيثِ؛ لِاشْتِغَالِهِ بِهِ عَنِ الْكَسْبِ تُوُفِّيَ سنة (٤٧٠) عَنْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٧- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ - ابْنُ مَنْدَهْ** - بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ، سَمِعَ أَبَاهُ وَابْنَ مَرْدَوَيْهِ وَخَلْقًا فِي أَقَالِيمَ شَتَّى، سَافَرَ إِلَيْهَا وَجَمَعَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ ذَا وَقَارٍ وَسَمْتٍ حَسَنٍ وَاتِّبَاعٍ لِلسُّنَّةِ وَفَهْمٍ جَيِّدٍ، كَثِيرَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّهْـيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَكَانَ سَـعْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّنْجَانِيُّ يَقُولُ: حَفِظَ اللهُ الْإِسْلَامَ بِهِ، وَبِعَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ الْهَرَوِيِّ، تُوُفِّي ابْنُ مَنْدَهْ بِأَصْبَهَانَ سنة (٤٧٠) عن سَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٨-**الشَّـرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَنْبَلِيُّ**، عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ عِيسَى بْنِ أَحْمَدَ الْهَاشِمِيُّ، ابْنُ أَبِي مُوسَـى الْحَنْبَلِيُّ الْعَبَّاسِـيُّ، **كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ** الْعُبَّادِ الزُّهَّادِ الْمَشْهُورِينَ بِالدِّيَانَةِ وَالْفَضْلِ وَالْعِبَادَةِ وَالْقِيَامِ فِي اللهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ.

وَكَانَ مَشْـهُورًا بِالصَّلَاحِ وَالدِّيَانَـةِ وَحِينَ احْتُضِرَ الْخَلِيفَةُ الْقَائِـمُ بِأَمْرِ اللهِ أَوْصَى أَنْ يُغَسِّلَهُ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَوْصَى لَهُ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ وَمَالٍ جَزِيلٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا.

وَحِينَ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَالْأَشْـعَرِيَّةِ بِسَـبَبِ ابْنِ الْقُشَيْرِيِّ اعْتُقِلَ هُوَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ وَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ وَرَأْسَهُ، وَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى اشْتَكَى، فَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَهْلِهِ، فَتُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سنة (٤٧٠).

وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَاتَّخَذَتِ الْعَامَّةُ قَبْرَهُ سُوقًا كُلَّ لَيْلَةِ أَرْبِعَاءَ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَ الْخَتَمَاتِ عِنْدَهُ حَتَّى جَاءَ الشِّتَاءُ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَا قُرِئَ عِنْدَهُ عَشَرَةَ آلَافِ خَتْمَةٍ.

٩-**سَـعْدُ** بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، **أَبُو الْقَاسِـمِ الزَّنْجَانِيُّ**، رَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا مُتَعَبِّدًا، ثُمَّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بِمَكَّةَ وَكَانَ النَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: [(١)] وَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُقَبِّلُونَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، تُوُفِّيَ سنة (٤٧١).

١٠-**هَيَّـاجُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحِطِّينِيُّ الشَّـامِيُّ**، سَـمِعَ الْحَدِيثَ وَكَانَ أَوْحَـدَ زَمَانِهِ زُهْدًا وَفِقْهًـا وَاجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ، أَقَـامَ بِمَكَّةَ مُدَّةً يُفْتِي أَهْلَهَا وَيَعْتَمِرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠١.

عَلَى قَدَمَيْهِ [١]، وَلَمْ يَلْبَسْ نَعْلًا مُنْذُ أَقَامَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَزُورُ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ مَاشِيًا حَافِيًا، وَكَذَلِكَ كَانَ يَزُورُ قَبْرَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ [٢]، وَكَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا قَمِيصًا وَاحِدًا، ضَرَبَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ مَكَّةَ فِي بَعْضِ فِتَنِ الرَّوَافِضِ فَاشْتَكَى أَيَّامًا، وَمَاتَ سنة (٤٧٢هـ) وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى الثَّمَانِينَ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١- **الصُّلَيْحِيُّ الْمُتَغَلِّبُ عَلَى الْيَمَنِ**، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُلَقَّبُ بِالصُّلَيْحِيِّ، كَانَ أَبُوهُ قَاضِيًا سُنِّيًّا بِالْيَمَنِ، وَنَشَأَ ابنه وتَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَبَرَعَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلُومِ، **وَكَانَ شِيعِيًّا عَلَى مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ**، وكان دليلاً للحجاج مُدَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدِ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ سَيَمْلِكُ الْيَمَنَ، فَنَجَمَ بِبِلَادِ الْيَمَنِ بَعْدَ قَتْلِهِ نَجَاحًا صَاحِبَ تِهَامَةَ، **وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ** بِكَمَالِهَا، فِي أَقْصَرِ مُدَّةٍ، وَاسْتَوْثَقَ لَهُ الْمُلْكُ بِهَا سَنَةَ (٤٥٥هـ)، وَخَطَبَ لِلْمُسْتَنْصِرِ الْعُبَيْدِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ.

فَلَمَّا كَانَ سنة (٤٧٣هـ) خَرَجَ إِلَى الْحَجِّ فِي أَلْفَيْ فَارِسٍ فَاعْتَرَضَهُ سَعِيدُ بْنُ نَجَاحٍ بِالْمَوْسِمِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ هُوَ وَأَخُوهُ، وَاسْتَحْوَذَ سَعِيدُ بْنُ نَجَاحٍ عَلَى مَمْلَكَتِهِ وَحَوَاصِلِهِ.

١٢- **الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفٍ التُّجِيبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ، أَحَدُ الْحُفَّاظِ الْمُكْثِرِينَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَرَحَلَ فِيهِ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ سَنَةَ (٤٢٦هـ)، فَسَمِعَ هُنَاكَ الْكَثِيرَ، وَاجْتَمَعَ بِأَئِمَّةِ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَأَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَيْضًا وَبِالْمَوْصِلِ سَنَةً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيِّ قَاضِيهَا فَأَخَذَ عَنْهُ الْفِقْهَ وَالْأُصُولَ وَسَمِعَ الْخَطِيبَ الْبَغْدَادِيَّ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْخَطِيبُ أَيْضًا.

---

(١) في هذا مبالغة.

(٢) شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة غير مشروع، بل بدعة، وكذلك التزام المشي حافياً على الدوام تنطع، وخلاف السنة.

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بَعْدَ ثَلَاث عَشْرَةَ سَنَةً، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ هُنَاكَ.

قَالَ ابْنُ خلِّكَان: وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا «الْمُنْتَقَى فِي شَرْحِ الْمُوَطَّأ» وَ «إِحْكَامُ الْفُصُولِ فِي أَحْكَامِ الْأُصُولِ» وَ «الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ» وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٤٠٣هـ)، وَتُوُفِّي بِالْمَرِيَّةِ فِي رَجَبٍ سنة (٤٧٤هـ)

١٣- **ابْنُ مَاكُولَا الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ**، عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ التَّمِيمِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَسَادَاتِ الْأُمَرَاءِ، رَحَلَ وَطَافَ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ «الْإِكْمَالَ» فِي الْمُشْتَبِهِ مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ وَلَا يُلْحَقُ فِيهِ، إِلَّا مَا اسْتَدْرَكَهُ عَلَيْهِ ابْنُ نُقْطَةَ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ «الِاسْتِدْرَاكَ».

قَتَلَهُ مَمَالِيكُهُ فِي كَرْمَانَ فِي سنة (٤٧٥هـ) وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَعَاشَ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً.

قَالَ ابْنُ خلِّكَانَ: وَلَا أَدْرِ لِمَ سُمِّيَ الْأَمِيرَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَنْسُوبًا إِلَى جَدِّهِ الْأَمِيرِ أَبِي دُلَفَ.

وَقَدْ كَانَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ صَنَّفَ كِتَابَ «الْمُؤْتَنِفِ»، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ كِتَابَي الدَّارَقُطْنِيِّ وَعَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ سَعِيدٍ فِي «الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ» فَجَاءَ ابْنُ مَاكُولَا وَزَادَ عَلَى الْخَطِيبِ وَسَمَّاهُ «الْإِكْمَالَ» وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِفَادَةِ وَرَفْعِ الِالْتِبَاسِ وَالضَّبْطِ، وَلَمْ يُوضَعْ مِثْلُهُ وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَهُ إِلَى فَضِيلَةٍ أُخْرَى، فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى كَثْرَةِ اطِّلَاعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَحْرِيرِهِ وَإِتْقَانِهِ.

١٤- **الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الْفِيرُوزَابَاذِيُّ - وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى فَارِسَ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ وَمُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ وُلِدَ سَنَةَ (٣٩٣هـ).

وَتَفَقَّهَ بِفَارِسَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الْبَيْضَاوِيِّ ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ ابْنِ شَاذَانَ وَالْبَرْقَانِيِّ، وَكَانَ زَاهِدًا عَابِدًا وَرِعًا كَبِيرَ الْقَدْرِ مُعَظَّمًا مُحْتَرَمًا إِمَامًا فِي الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ وَفُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْكَثِيرَةُ

النَّافِعَـةُ، كَ «الْمُهَـذَّبِ» فِي الْمَذْهَبِ وَ «التَّنْبِيهِ» وَ «النُّكَتِ» فِـي الْخِلَافِ و «اللُّمَعِ» فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَ «التَّبْصِرَةِ» وَ «الْمَعُونَةِ» وَ «طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ.

تُوُفِّيَ سنة (٤٧٦هـ) وَغَسَّلَهُ أَبُو الْوَفَا بْنُ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيُّ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِبَابِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَشَهِدَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ الخليفة الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ.

١٥-**طَاهِرُ بْنُ الْحُسَـيْنِ بْـنِ أَحْمَدَ الْقَوَّاسُ**، قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَـمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِـي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَـةٌ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ لِلْمُنَاظَرَةِ وَالْفَتْوَى وَكَانَ ثِقَةً وَرِعًا زَاهِدًا مُلَازِمًا لِمَسْـجِدِهِ خَمْسِـينَ سَـنَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سـنة (٤٧٦هـ) عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

١٦-**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَرْدَةَ**، أَحَدُ كُبَرَاءِ الرُّؤَسَاءِ بِبَغْدَادَ وَهُوَ مِنْ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالْمُرُوءَةِ.

وَكَانَ أَصْلُـهُ مِنْ عُكْبَرَا فَسَـكَنَ بَغْـدَادَ وَكَانَتْ لَهُ بِهَا دَارٌ عَظِيمَةٌ تَشْـتَمِلُ عَلَى ثَلَاثِينَ مَسْـكَنًا مُسْـتَقِلًّا، وَفِيهَا حَمَّامٌ وَبُسْـتَانٌ، وَلَهَا بَابَانِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَسْجِدٌ إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فِي أَحَدِهِمَا لَا يُسْمَعُ الْآخَرُ مِنِ اتِّسَاعِهَا.

وَقَـدْ كَانَـتْ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ - حِينَ وَقَعَتْ فِتْنَةُ الْبَسَاسِـيرِيِّ سـنة (٤٥٠هـ) - نَزَلَتْ عِنْدَهُ فِي جِوَارِهِ، فَبَعَثَ إِلَى الْأَمِيرِ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرَانَ أَمِيرِ الْعَرَبِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ لِيَحْمِيَ لَهُ دَارَهُ وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْمَعْرُوفَ بِهِ بِبَغْدَادَ، وتوفي سنة (٤٧٦هـ).

١٧-**ابْنُ الصَّبَّاغِ** عَبْدُ السَّـيِّدِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ بْنُ الصَّبَّاغِ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَتَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ حَتَّى فَاقَ الشَّـافِعِيَّةَ بِالْعِرَاقِ، وَصَنَّفَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةَ؛ مِنْهَا كِتَابُ «الشَّامِلِ» فِي الْمَذْهَبِ، وَهُوَ **أَوَّلُ مَنْ دَرَّسَ بِالنِّظَامِيَّةِ**.

وَكَانَ ثِقَةً حُجَّةً صَالِحًا وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَأُضَرَّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وتوفي سنة (٤٧٧هـ) وَدُفِنَ بِالْكَرْخِ.

١٨ -**الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَرْدُوسِيُّ**، كَانَ رَئِيسَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَكْمَلَهُمْ مُرُوءَةً، كَانَ قَـدْ خَدَمَ فِي أَيَّـامِ بَنِي بُوَيْهِ وَتَأَخَّرَ إِلَى هَـذَا الْحِينِ وَكَانَتِ الْمُلُـوكُ تُعَظِّمُهُ وَتُكَاتِبُهُ بِعَبْدِهِ وَخَادِمِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْبِرِّ، وَبَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَأَعَدَّ لِنَفْسِهِ قَبْرًا وَكَفَنًا قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وتوفي سنة (٤٧٨هـ).

١٩ -**أَبُو سَعْدٍ الْمُتَوَلِّي**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمَأْمُونِ بْنِ عَلِيٍّ، مُصَنِّفُ «التَّتِمَّةِ» وَمُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ بَعْدَ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا مَاهِرًا بِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ سنة (٤٧٨هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الشَّامِيُّ.

٢٠ - **إمـام الحرميـن، عَبْـدُ الْمَلِكِ** بْـنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُوسُـفَ **أَبُـو الْمَعَالِـي الْجُوَيْنِيُّ**، وَجُوَيْنُ مِنْ قُرَى نَيْسَـابُورَ، كَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَـنَةِ (٤١٩هـ)، سَـمِعَ الْحَدِيـثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى وَالِـدِهِ الشَّـيْخِ أَبِي مُحَمَّـدٍ الْجُوَيْنِـيِّ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ فِي حَلْقَتِـهِ، وَدَخَلَ بَغْـدَادَ وَتَفَقَّهَ بِهَا وَرَوَى بِهَا الْحَدِيثَ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَجَاوَرَ فِيهَا أَرْبَعَ سِنِينَ، **ثُمَّ عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ** فَسُلِّمَ إِلَيْـهِ التَّدْرِيسُ وَالْخَطَابَةُ وَالْوَعْظُ لمدة ثلاثين سـنة، وَصَنَّفَ «نِهَايَـةَ الْمَطْلَبِ فِي دِرَايَةِ الْمَذْهَـبِ»، وَالْبُرْهَـانَ فِي أُصُـولِ الْفِقْهِ، و «غِيَـاثُ الْأُمَمِ» وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عُلُومٍ شَـتَّى، وَاشْـتَغَلَ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ وَرَحَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ثَلَاثُمِائَةِ مُتَفَقِّهٍ وَقَدِ اسْتَقْصَيْتُ تَرْجَمَتَهُ فِي «الطَّبَقَاتِ». وتوفي سنة (٤٧٨هـ)

٢١ -**أَبُو عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْحَنَفِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ، مَوْلِدُهُ فِي سِـنَةِ (٣٩٨هـ) وَتَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فِي سَنَةِ (٤١٨هـ) فَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّيْمَرِيِّ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْقُدُورِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْهُمَا وَمن غَيْرِهِمْا.

وَبَـرَعَ فِي الْفِقْهِ وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ وَافِرٌ وَتَوَاضُعٌ زَائِدٌ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَـةُ الْفُقَهَاءِ، وَكَانَ فَصِيـحَ الْعِبَـارَةِ، وَكَانَ فَقِيـرًا فِي ابْتِـدَاءِ طَلَبِهِ، عَلَيْهِ أَطْمَـارٌ رَثَّةٌ ثُمَّ صَارَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَـةُ وَالْقَضَاءُ بَعْدَ ابْنِ مَاكُولَا فِي سَـنَةِ تِسْـعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ يُكْرِمُهُ وَالسُّلْطَانُ طُغْرُلْبَكُ يُعَظِّمُهُ وَبَاشَـرَ الْحُكْمَ ثَلَاثِينَ سَـنَةً فِي غَايَةِ السِّـيرَةِ الْحَسَـنَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالدِّيَانَةِ

وَالصِّيَانَةِ، مَرِضَ أَيَّامًا يَسِيرَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٤٧٨هـ) وَقَدْ نَاهَزَ الثَّمَانِينَ.

٢٢- **هِبَةُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ**، السِّيبِيُّ، **قَاضِي الْحَرِيمِ بِنَهْرِ مُعَلَّى**، وَمُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتُوُفِّيَ فِي مُحَرَّمٍ سنة (٤٧٨هـ). وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ. فَمِنْهُ قَوْلُهُ:

رَجَوْتُ الثَّمَانِينَ مِنْ خَالِقِي ... الحج لِمَا جَاءَ فِيهَا عَنِ الْمُصْطَفَى
فَبَلَّغَنِيهَا فَشُكْرًا لَهُ ... وَزَادَ ثَلَاثًا بِهَا أَرْدَفَا
وَإِنِّي لَمُنْتَظِرٌ وَعْدَهُ ... لِيُنْجِزَهُ فَهْوَ أَهْلُ الْوَفَا

٢٣- **الْأَمِيرُ جَعْبَرُ** بْنُ سَابِقٍ الْقُشَيْرِيُّ الْمُلَقَّبُ سَابِقَ الدِّينِ، كَانَ قَدْ تَمَلَّكَ قَلْعَةَ جَعْبَرٍ مُدَّةً طَوِيلَةً فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَالُ لَهَا قَبْلَ ذَلِكَ الدَّوْسَرِيَّةُ، نِسْبَةً إِلَى غُلَامِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَمِيرَ كَبِرَ وَعَمِيَ، وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ يَقْطَعَانِ الطَّرِيقَ، فَاجْتَازَ بِهِ السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى حَلَبَ لِيَأْخُذَهَا فَاسْتَنْزَلَهُ مِنْهَا وَقَتَلَهُ، وَأَخَذَهَا مِنْهُمْ فِي سنة (٤٧٩هـ).

٢٤- **الْأَمِيرُ خُتْلُغُ، أَمِيرُ الْحَاجِّ**، كَانَ مُقْطَعًا لِلْكُوفَةِ وَلَهُ وَقَعَاتٌ مَعَ الْعَرَبِ أَعْرَبَتْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَأَرْعَبَتْ قُلُوبَهُمْ وَشَرَّدَتْهُمْ فِي الْبِلَادِ شَذَرَ مَذَرَ، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، وَلَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فِي إِصْلَاحِ الْمَصَانِعِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَلَهُ مَدْرَسَةٌ عَلَى الْحَنَفِيَّةِ بِمَشْهَدِ يُونُسَ بِالْكُوفَةِ، وَبَنَى مَسْجِدًا بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ عَلَى دِجْلَةَ بِمَشْرَعَةِ الْكَرْخِ.

تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٤٧٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَمَّا بَلَغَ نِظَامَ الْمُلْكِ وَفَاتُهُ قَالَ: مَاتَ أَلْفُ رَجُلٍ.

٢٥- **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ**، أَبُو الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيُّ الْمُلَقَّبُ بِالْمُرْتَضَى ذِي الشَّرَفَيْنِ، وُلِدَ سَنَةَ (٤٠٥هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الشُّيُوخِ،

وَصَحِبَ الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ الْخَطِيبَ فَصَارَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْحَدِيثِ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ شَيْئًا مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ.

وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى عَقْلٍ كَامِلٍ، وَفَضْلٍ وَمُرُوءَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ وَأَمْلَاكٌ مُتَّسِعَةٌ، يُقَالُ: إِنَّهُ مَلَكَ أَرْبَعِينَ قَرْيَةً.

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْبِرِّ وَالصِّلَةِ لِلْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَبَلَغَتْ زَكَاةُ مَالِهِ الصَّامِتِ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، غَيْرَ زَكَاةِ الْعُشُورِ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ لَيْسَ لِمَلِكٍ مِثْلُهُ، فَطَلَبَهُ مِنْهُ مَلِكُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، - وَاسْمُهُ الْخَضِرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَارِيَةً لِيَتَنَزَّهَ فِيهِ فَأَبَى عَلَيْهِ، **وَقَالَ أُعِيرُهُ إِيَّاهُ لِيَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ بَعْدَ مَا كَانَ مَأْوَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ وَالدِّينِ؟** فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَحَقَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ لِيَسْتَشِيرَهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ عَلَى الْعَادَةِ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَتِهِ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى جَمِيعِ أَمْلَاكِهِ وَحَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: مَا تَحَقَّقْتُ صِحَّةَ نَسَبِي إِلَّا بِهَذِهِ الْمُصَادَرَةِ، فَإِنِّي رُبِّيتُ فِي النَّعِيمِ فَكُنْتُ أَقُولُ: إِنَّ مِثْلِي لَا بُدَّ أَنْ يُبْتَلَى، ثُمَّ مَنَعُوهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ حَتَّى مَاتَ سنة (٤٨٠هـ) فِي الْقَلْعَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

٢٦- **مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ،** أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الصَّابِئِ الْمُلَقَّبُ **بِغَرْسِ النِّعْمَةِ،** سَمِعَ أَبَاهُ وَأَبَا عَلِيِّ بْنَ شَاذَانَ، وَكَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ كَثِيرَةٌ وَمَعْرُوفٌ، **وَقَدْ ذَيَّلَ** عَلَى تَارِيخِ أَبِيهِ، الَّذِي ذَيَّلَهُ عَلَى تَارِيخِ **ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ،** الَّذِي ذَيَّلَهُ عَلَى تَارِيخِ **ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ.**

وَقَدْ أَنْشَأَ دَارًا بِبَغْدَادَ، وَوَقَفَ فِيهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ مُجَلَّدٍ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ، ومَاتَ سنة (٤٨٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٧- **أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ أَمِيرُ الْمُلَثَّمِينَ،** كَانَ فِي أَرْضِ **غَانَةَ**[1] اتَّفَقَ لَهُ مِنَ النَّامُوسِ مَا لَمْ يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ، كَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ إِذَا سَارَ لِقِتَالِ عَدُوٍّ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ،

(١) في كتاب البداية والنهاية «فرغانة» تصحيف، ولم ينتبه لها المحقق، بل عرف فرغانة التي من بلاد ما وراء النهر، والصحيح «غانة» التي هي من بلاد إفريقيا، فأبو بكر هذا من البربر من قبيلة لمتونة.

كَلٌّ يَعْتَقِدُ طَاعَتَهُ، وَكَانَ **يُقِيمُ الْحُدُودَ وَيَحْفَظُ مَحَارِمَ الْإِسْلَامِ**، وَيَسِيرُ فِي النَّاسِ سِيرَةً شَرْعِيَّةً مَعَ صِحَّةِ مُعْتَقَدِهِ، وَمُوَالَاةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، أَصَابَتْهُ نُشَّابَةٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ، فَجَاءَتْهُ فِي حَلْقِهِ فَقَتَلَتْهُ فِي سنة (٤٨٠هـ).

٢٨-**فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيٍّ، الْمُؤَدِّبَةُ الْكَاتِبَةُ**، وَتُعْرَفُ بِبِنْتِ الْأَقْرَعِ، سَمِعَتِ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عُمَرَ بْنِ مَهْدِيٍّ وَغَيْرِهِ، وَكَانَتْ تَكْتُبُ الْمَنْسُوبَ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ، وَيَكْتُبُ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبِخَطِّهَا كَانَتِ الْهُدْنَةُ مِنَ الدِّيوَانِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ، وَكَتَبَتْ مَرَّةً إِلَى عَمِيدِ الْمُلْكِ الْكُنْدُرِيِّ رُقْعَةً فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ. تُوُفِّيَتْ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٤٨٠هـ) بِبَغْدَادَ.

٢٩ -**عَلِيُّ** بْنُ أَبِي يَعْلَى بْنِ زَيْدٍ، **أَبُو الْقَاسِمِ الدَّبُوسِيُّ مُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ** بَعْدَ الْمُتَوَلِّي سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ وَكَانَ فَقِيهًا مَاهِرًا وَجَدَلِيًّا بَاهِرًا. توفي سنة (٤٨٢هـ) .

٣٠-**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْأَصْبَهَانِيُّ، الْمَعْرُوفُ **بِسَمْكُويَه**، أَحَدُ الْحُفَّاظِ الْجَوَّالِينَ الرَّحَّالِينَ سَمِعَ الْكَثِيرَ وَجَمَعَ الْكُتُبَ وَأَقَامَ بِهَرَاةَ وَكَانَ صَالِحًا كَثِيرَ الْعِبَادَةِ توفي فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٨٢هـ) بِنَيْسَابُورَ.

٣١- **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلَّكَ**، أَبُو طَاهِرٍ وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ، **وَتَفَقَّهَ بِسَمَرْقَنْدَ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ سَبَبَ فَتْحِهَا عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ** وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ.

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مَنْدَهْ: لَمْ نَرَ فَقِيهًا فِي وَقْتِنَا أَنْصَفَ مِنْهُ وَلَا أَعْلَمَ، وَكَانَ فَصِيحَ اللَّهْجَةِ، كَثِيرَ الْمُرُوءَةِ غَزِيرَ النِّعْمَةِ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ وَمَشَى الْوُزَرَاءُ وَالْكُبَرَاءُ فِي جِنَازَتِهِ، توفي سنة (٤٨٤هـ).

٣٢-**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَامِدٍ، **أَبُو نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ، كَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ**، وَلَهُ فِيهَا الْمُصَنَّفَاتُ، وَسَافَرَ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا، وَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ فَبَيْنَمَا الْمَوْجُ يَرْفَعُهُ وَيَضَعُهُ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ قَدْ زَالَتْ فَنَوَى الْوُضُوءَ وَانْغَمَسَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ صَعِدَ فَإِذَا خَشَبَةٌ فَرَكِبَهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا وَرَزَقَهُ اللهُ السَّلَامَةَ بِبَرَكَةِ

الصَّلَاةِ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ نَيِّفٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

٣٣-**أَرْتُقُ بْنُ أَكْسَبَ التُّرْكُمَانِيُّ، جَدُّ الْمُلُوكِ الْأَرْتُقِيَّةِ**، مُلُوكُ **مَارْدِينَ**، كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا عَالِيَ الْهِمَّةَ، تَغَلَّبَ عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ سنة (٤٨٤هـ).

٣٤-**نِظَامُ الْمُلْكِ الْوَزِيرُ**، أَبُو عَلِيٍّ **الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ** بْنِ إِسْحَاقَ، وَزَرَ لِلْمَلِكِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ وَوَلَدِهِ مَلِكْشَاهْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ.

وُلِدَ بِطُوسَ فِي سَنَةِ (٤٠٨هـ)، **وَكَانَ أَبُوهُ** مِنَ الدَّهَاقِينِ، فَأَشْغَلَ وَلَدَهُ هَذَا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَلَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَشْغَلَهُ بِعِلْمِ الْقِرَاءَاتِ، وَالتَّفَقُّهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَسَمَاعِ الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَكَانَ عَالِيَ الْهِمَّةِ، فَحَصَّلَ مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا صَالِحًا، ثُمَّ تَرَقَّى فِي الْمَرَاتِبِ حَتَّى وَزَرَ لِلسُّلْطَانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ثُمَّ لِوَلَدِهِ مَلِكْشَاهْ.

وَبَنَى الْمَدَارِسَ النِّظَامِيَّاتِ بِبَغْدَادَ وَنَيْسَابُورَ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ مَجْلِسُهُ عَامِرًا بِالْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ شَغَلُوكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَالِحِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ جَمَالُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَوْ أَجْلَسْتُهُمْ عَلَى رَأْسِي مَا اسْتَكْثَرْتُ ذَلِكَ.

وَكَانَ مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا لَا يَشْغَلُهُ بَعْدَ الْأَذَانِ شُغْلٌ عَنْهَا، وَكَانَ يُوَاظِبُ عَلَى صِيَامِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَلَهُ الْأَوْقَافُ الدَّارَّةُ، وَالصَّدَقَاتُ الْبَارَّةُ.

وَقَدْ أَسْمَعَ الْحَدِيثَ فِي أَمَاكِنَ شَتَّى بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ بِأَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِلرِّوَايَةِ وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُرْبَطَ فِي قِطَارِ نَقَلَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ أَجْلَسَهُ الْمُقْتَدِي مَرَّةً بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا حَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ بِرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ. وَكَانَ لَهُ بَنُونَ كَثِيرَةٌ، وَزَرَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ.

خَرَجَ نِظَامُ الْمُلْكِ مَعَ السُّلْطَانِ مِنْ أَصْبَهَانَ قَاصِدًا بَغْدَادَ فِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ اجْتَازَ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ بِقَرْيَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ نَهَاوَنْدَ وَهُوَ يُسَايِرُهُ

فِي مِحَفَّةٍ فَقَالَ: قَدْ قُتِلَ هَاهُنَا خَلْقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ زَمَنَ عُمَرَ فَطُوبَى لِمَنْ يَكُونُ عِنْدَهُمْ.

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْطَرَ **جَاءَهُ صَبِيٌّ فِي هَيْئَةِ مُسْتَغِيثٍ** بِهِ وَمَعَهُ قِصَّةٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ ضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ فِي فُؤَادِهِ، وَهَرَبَ فَعَثَرَ بِطُنُبِ الْخَيْمَةِ، فَأُخِذَ فَقُتِلَ، وَمَكَثَ الْوَزِيرُ سَاعَةً، وَجَاءَهُ السُّلْطَانُ يَعُودُهُ، فَمَاتَ سنة (٤٨٥).

وَقَدِ اتُّهِمَ السُّلْطَانُ فِي أَمْرِهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي مَالَأَ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ بَعْدَهُ سِوَى خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَكَانَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

وَأَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُمَا رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

٣٥- **السُّلْطَانُ الكبير**، أَبُو الْفَتْحِ **مَلِكْشَاهْ** بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ التُّرْكِيُّ، مَلَكَ بَغْدَادَ، وَامْتَدَّتْ مَمْلَكَتُهُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ الْيَمَنِ، وَرَاسَلَهُ الْمُلُوكُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْأَقْطَارِ حَتَّى مَلِكَ الرُّومِ وَالْخَزَرَ وَاللَّانَ، وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ صَارِمَةً، وَالطُّرُقَاتُ فِي أَيَّامِهِ آمِنَةً، وَمَعَ عَظَمَتِهِ يَقِفُ لِلْمِسْكِينِ وَالْمَرْأَةِ وَالضَّعِيفِ، فَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ.

وَقَدْ بَنَى الْقَنَاطِرَ، وَأَسْقَطَ الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ، وَحَفَرَ الْأَنْهَارَ الْكِبَارَ الْخَرَابَ، وَبَنَى مَدْرَسَةَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالسُّوقَ، وَبَنَى جَامِعَ السُّلْطَانِ بِبَغْدَادَ.

وَقَدْ كَانَتْ لَهُ أَفْعَالٌ حَسَنَةٌ وَسِيرَةٌ صَالِحَةٌ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ فَلَّاحًا اشتكى إِلَيْهِ أَنَّ غِلْمَانًا لَهُ أَخَذُوا لَهُ حِمْلَ بِطِّيخٍ، فَقَالَ الْيَوْمَ أَرُدُّ عَلَيْكَ حِمْلَكَ. **ثُمَّ قَالَ لِقَيِّمِهِ**: أُرِيدُ أَنْ تَأْتُونِي الْيَوْمَ بِبِطِّيخٍ. **فَفَتَّشُوا** فَإِذَا فِي **خَيْمَةِ الْحَاجِبِ** بِطِّيخٌ فَحَمَلُوهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَدْعَى الْحَاجِبَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْبِطِّيخُ؟ قَالَ: جَاءَ بِهِ الْغِلْمَانُ، فَقَالَ: أَحْضِرْهُمْ، فَذَهَبَ فَهَرَّبَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الحاجب فَأَحْضَرَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْفَلَّاحِ، وَقَالَ خُذْ بِيَدِهِ فَإِنَّهُ مَمْلُوكِي وَمَمْلُوكُ أَبِي، وَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ حِمْلَهُ فَخَرَجَ الْفَلَّاحُ يَحْمِلُهُ وَفِي يَدِهِ الْحَاجِبُ، فَاسْتَفْدَى نَفْسَهُ مِنْهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ.

وَقَدْ سَارَ مَلِكْشَاهْ هَذَا بِعَسْكَرِهِ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ فَمَا عُرِفَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ جَيْشِهِ ظَلَمَ أَحَدًا مِنْ رَعِيَّتِهِ.

وَاسْتَعْدَاهُ رَجُلَانِ مِنَ الْفَلَّاحِينَ عَلَى **الْأَمِيرِ خُمَارْتِكِينَ** أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُمَا مَالًا جَزِيلًا، وَكَسَرَ ثَنِيَّتَهُمَا، وَقَالَا: سَمِعْنَا بِعَدْلِكَ فِي الْعَالَمِ، فَإِنْ أَقَدْتَنَا مِنْهُ كَمَا أَمَرَكَ اللهُ، وَإِلَّا اسْتَعْدَيْنَا عَلَيْكَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخَذَا بِرِكَابِهِ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، فَكَتَبَ مِنْ فَوْرِهِ بِعَزْلِ خُمَارْتِكِينَ، وَحَلِّ أَقْطَاعِهِ، وَأَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمَا أَمْوَالَهُمَا، وَأَنْ يَقْلَعَا ثَنِيَّتَيْهِ إِنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ، وَأَمَرَ لَهُمَا الْمَلِكُ مِنْ عِنْدِهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ ابْنِ عَقِيلٍ أَنَّ السُّلْطَانَ مَلِكْشَاهْ كَانَ قَدْ فَسَدَتْ عَقِيدَتُهُ بِسَبَبِ مُعَاشَرَتِهِ بَعْضَ الْبَاطِنِيَّةِ ثُمَّ تَنَصَّلَ مِنْ ذَلِكَ وَرَاجَعَ الْحَقَّ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٨٥) فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ عَنْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ مِنْ ذَلِكَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَشْهُرًا.

٣٦- **هِبَةُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُورِي، أَبُو الْقَاسِمِ الشِّيرَازِيُّ، أَحَدُ الرَّحَّالِينَ الْجَوَّالِينَ فِي الْآفَاقِ، وَكَانَ حَافِظًا ثِقَةً دَيِّنًا وَرِعًا حَسَنَ الِاعْتِقَادِ وَالسِّيرَةِ، لَهُ تَارِيخٌ حَسَنٌ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنْ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٨٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٧- **سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، **أَبُو مَسْعُودٍ الْأَصْبَهَانِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْحَدِيثِ سَمِعَ ابْنَ مَرْدَوَيْهِ وَأَبَا نُعَيْمٍ وَالْبَرْقَانِيَّ وَكَتَبَ عَنْهُ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٨٦هـ) عَنْ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

❁ ❁ ❁

(٢٨)

خلافة المستظهر بالله
أحمد بن المقتدي بأمر الله

٤٨٧-٥١٢

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

أَبُـو الْعَبَّاسِ المستظهر بالله أَحْمَدُ بْنُ الْمُقْتَدِي بِأَمْـرِ اللهِ عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله العباسي.

صفاته

كَانَ الْمُسْـتَظْهِرُ بِـاللهِ كَرِيمَ الْأَخْـلَاقِ، حَافِظًا لِلْقُـرْآنِ، فَصِيحًا بَلِيغًا، شَـاعِرًا، وَمِنْ لَطِيفِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

أَذَابَ حَرُّ الْجَوَى فِي الْقَلْبِ مَا خَمَدَا ... يَوْمًا مَـدَدْتُ عَلَى رَسْـمِ الْـوَدَاعِ يَدَا
فَكَيْفَ أَسْلُكُ نَهْجَ الِاصْطِبَارِ وَقَدْ ... أَرَى طَرَائِقَ فِي مَهْوَى الْهَوَى قِدَدَا
قَدْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ بَدْرٌ قَدْ شَغِفْتُ بِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ وَفَى دَهْـرًا بِمَا وَعَدَا
إِنْ كُنْتُ أَنْقُضُ عَهْدَ الْحُبِّ فِي خَلَدِي ... مِـنْ بَـعْـدِ هَـذَا فَـلَا عَـايَـنْـتُـهُ أَبَـدَا

وكَانَ خَيِّـرًا فَاضِـلًا ذَكِيًّا بَارِعًـا، كَتَبَ الْخطَّ الْمَنْسُـوبَ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ بِبَغْـدَادَ كَأَنَّهَا الْأَعْيَـادُ، وَكَانَ رَاغِبًـا فِـي الْبِرِّ وَالْخَيْرِ مُسَـارِعًا إِلَى ذَلِـكَ؛ لَا يَرُدُّ سَـائِلًا، وَكَانَ جَمِيلَ الْمُعَاشَـرَةِ، لَا يُصْغِي إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ فِي النَّاسِ وَلَا يَثِقُ بِالْمُبَاشِرِينَ، وَقَدْ ضَبَطَ أُمُورَ الْخِلَافَةِ جَيِّدًا وَأَحْكَمَهَا وَعَرَفَهَا وَعَلِمَهَا، وَلَدَيْهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ، وَفَضْلٌ كَبِيرٌ.

وفاته

كَانَتْ وَفَاةُ الْمُسْـتَظْهِرِ بِاللهِ فِي سَادِسَ عَشَـرَ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ سنة (٥١٢هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ إِحدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا.

وَقَدْ وَلِيَ غُسْـلَهُ ابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ السُّـنِّيِّ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ أَبُو مَنْصُورٍ الْفَضْلُ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا، وَدُفِنَ فِي حُجْرَةٍ كَانَ يَسْكُنُهَا.

وَالْعَجَبُ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ **أَلْبُ أَرْسَلَانَ** مَاتَ بَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ **الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ**.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ **مَلِكْشَاهُ** مَاتَ بَعْدَهُ **الْمُقْتَدِي** بِأَمْرِ اللهِ.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ **مُحَمَّدٌ** مَاتَ بَعْدَهُ **الْمُسْتَظْهِرُ بِاللهِ**؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خلافته

○ بيعته

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوه المقتدي بأمر الله أَحْضَرُوهُ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، فَبُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ في محرم سنة (٤٨٧ ﻫ)، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الْوَزِيرُ أَبُو مَنْصُورٍ ابْنُ جَهِيرٍ، ثُمَّ أُخِذَتْ الْبَيْعَةُ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بَرْكْيَارُوقَ ابْنِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ، ثُمَّ مِنْ بَقِيَّةِ الْأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ والعلماء.

وَفَوَّضَ الْمُسْتَظْهِرُ أُمُورَ الْخِلَافَةِ إِلَى وَزِيرِهِ أَبِي مَنْصُورٍ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهِيرٍ فَدَبَّرَهَا لَهُ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ وَمَهَّدَ الْأُمُورَ أَتَمَّ تَمْهِيدٍ وَسَاسَ الرَّعَايَا وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ.

○ ولاية العهد

فِي سنة (٤٨٨ﻫ) فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ خُطِبَ لِوَلِيِّ الْعَهْدِ أَبِي الْمَنْصُورِ الْفَضْلِ بْنِ الْمُسْتَظْهِرِ وَلُقِّبَ بِذَخِيرَةِ الدِّينِ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ إنكار ابن عقيل على الوزير ابن جهير

فِي سنة (٤٨٨هـ) رَبِيعِ الْآخِرِ خَرَجَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَهِيرٍ **فَاخْتَطَّ سُورًا عَلَى الْحَرِيمِ**، وَأَذِنَ لِلْعَوَامِّ فِي الْعَمَلِ وَالتَّفَرُّجِ، فَأَظْهَرُوا مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً، وَسَخَافَاتِ عُقُولٍ ضَعِيفَةٍ، وَعَمِلُوا أَشْيَاءَ مُنْكَرَةً، فَبَعَثَ إِلَيْهِ **ابْنُ عَقِيلٍ** رُقْعَةً فِيهَا كَلَامٌ غَلِيظٌ وَإِنْكَارٌ بَغِيضٌ.[1]

○ محاولة قتل السلطان بَرْكْيارُوق

فِي رَمَضَانَ فِي سنة (٤٨٨هـ) عَدَا على السُّلْطَانُ بَرْكْيَارُوقُ بن ملكشاه **فِدَاوِيٌّ** فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ، فَمُسِكَ فَعُوقِبَ فَأَقَرَّ عَلَى آخَرَيْنِ فَلَمْ يُقِرَّا، فَقُتِلَ الثَّلَاثَةُ، وَجَاءَ الطَّوَاشِيُّ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ مُهَنِّئًا لَهُ بِالسَّلَامَةِ

○ تصوف أبي حامد الغزّالي

فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي سنة (٤٨٨هـ) خَرَجَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ مِنْ بَغْدَادَ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَارِكًا لِتَدْرِيسِ النِّظَامِيَّةِ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، لَابِسًا خَشِنَ الثِّيَابِ بَعْدَ نَاعِمِهَا، وَنَابَ عَنْهُ أَخُوهُ فِي التَّدْرِيسِ، وَعَادَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ خُرُوجِهِ، ثُمَّ حَجَّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابَ الْإِحْيَاءِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الرِّبَاطِ فَيَسْمَعُونَهُ.

○ استيلاء كربوقا على الموصل

فِي سنة (٤٨٩هـ) مَلَكَ الْأَمِيرُ قِوَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو سَعِيدٍ **كَرْبُوقَا** مَدِينَةَ الْمَوْصِلِ، **بعد أن قَتَلَ صاحبها** مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ قُرَيْشٍ، **وَغَرَّقَهُ** بَعْدَ حِصَارِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ.

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٧/ ١٦)

❍ مجيء قبيلة خفاجة إلى مشهد الحسين

فِي سـنة (٤٨٩هـ) أَغَارَتْ **خَفَاجَةُ** عَلَى بِلَادِ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسٍ، وَقَصَدُوا مَشْـهَدَ الْحُسَيْنِ **بِالْحَائِرِ**، فَتَظَاهَرُوا فِيهِ بِالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَسَادِ، فَكَبَسَهُمْ فِيهِ **الْأَمِيرُ صَدَقَةُ** الْمَذْكُورُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى عِنْدَ الضَّرِيحِ.

❍ ابتداء الدولة الْخُوَارَزْمِيَّة

ولّى مَلِك خراسـان **سَـنْجَر** مَدِينَةَ خُوَارِزْمَ **لمحَمَّدَ بْن أَنُوشْتِكِينَ** فِي سنة (٤٩٠)، وَنَشَأَ **محمد بْن أَنُوشْتِكِينَ** فِي أَدَبٍ، وَفَضِيلَةٍ، وَحُسْنِ سِيرَةٍ، وَلَمَّا وَلِيَ مَدِينَةَ خُوَارِزْمَ لُقِّـبَ **خُوَارِزْمَ شَـاهْ**، وَكَانَ **أَوَّلَ مُلُـوك الخوارزمية**، فَأَحْسَـنَ السِّـيرَةَ، وَعَامَلَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ، وَحِينَ مَاتَ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ **وَلَدُهُ أَتْسِـزُ**، فَجَرَى عَلَى سُنَنِ أَبِيهِ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ، فَحَظِيَ عِنْدَ السُّلْطَانِ سَنجَرَ، وَأَحَبَّهُ النَّاسُ، وَارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ.

❁ ❁ ❁

ابتداء الحملات الصليبية

○ الاستيلاء على أنطاكية ومعرة النعمان

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٤٩١) مَلَكَ **الْفِرِنْجُ** مَدِينَةَ أَنْطَاكِيَةَ بَعْدَ حِصَارٍ شَدِيدٍ بِمُوَاطَأَةٍ مِنْ بَعْضِ الْمُسْتَحْفِظِينَ عَلَى بَعْضِ الْأَبْرَاجِ، وَهَرَبَ **صَاحِبُهَا يَاغِي سِيَانٍ** فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ، وَتَرَكَ بِهَا أَهْلَهُ وَمَالَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَدَمٌ شَدِيدٌ عَلَى مَا فَعَلَ؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ غُشِيَ عَلَيْهِ، وَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ، فَذَهَبَ أَصْحَابُهُ وَتَرَكُوهُ، فَجَاءَ رَاعِي غَنَمٍ فَقَطَعَ رَأْسَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَلِكِ الْفِرِنْجِ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْأَمِيرِ كَرْبُوقَا **صَاحِبِ الْمَوْصِلِ** جَمَعَ عَسَاكِرَ كَثِيرَةً، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ **دُقَاقُ بْنُ تُتُش صَاحِبُ دِمَشْقَ**، وَجَنَاحُ الدَّوْلَةِ **صَاحِبُ حِمْصَ وَغَيْرُهُمَا**، وَسَارَ إِلَى الْفِرِنْجِ فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ بِأَرْضِ أَنْطَاكِيَةَ، فَهَزَمَهُمُ الْفِرِنْجُ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ سَارَتِ الْفِرِنْجُ إِلَى **مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ** فَأَخَذُوهَا بَعْدَ حِصَارٍ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْحَالُ إِلَى السلطان بَرْكِيَارُوقَ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى الْأُمَرَاءِ بِبَغْدَادَ أَنْ يَتَجَهَّزُوا هُمْ وَالْوَزِيرُ ابْنُ جَهِيرٍ لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ، فَبَرَزَ بَعْضُ الْجَيْشِ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ثُمَّ انْفَسَخَتْ هَذِهِ الْعَزِيمَةُ؛ لِأَنَّهُمْ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْفِرِنْجَ فِي **أَلْفِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ**،(١) فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

○ استيلاء الفرنج على بيت المقدس

دخل الْفِرِنْجُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ضُحَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٤٩٢هـ)، وَهُمْ فِي نَحْوِ أَلْفِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فلم يجدوا مدافعًا، فَقَتَلُوا فِي وَسَطِهِ أَزْيَدَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.

(١) هذا العدد مبالغ فيه جدا، وإشاعته من الحرب الإعلامية.

وَذَهَبَ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مسرعين مِنَ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ، مُسْتَغِيثِينَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ، وكان معهم الْقَاضِي بِدِمَشْقَ **أَبُو سَعْدٍ الْهَرَوِيُّ**، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ بِبَغْدَادَ هَذَا الْأَمْرَ الْفَظِيعَ هَالَهُمْ ذَلِكَ، وَتَبَاكَوْا.

وَقَدْ أعد أَبُو سَعْدٍ الْهَرَوِيُّ كَلَامًا قُرِئَ فِي دِيوَانِ الخلافة، وَعَلَى الْمَنَابِرِ، فَجَهَشَ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ، وَنَدَبَ الْخَلِيفَةُ الْفُقَهَاءَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْبِلَادِ لِيُحَرِّضُوا الْمُلُوكَ عَلَى الْجِهَادِ، فَخَرَجَ ابْنُ عَقِيلٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ، فَسَارُوا فِي النَّاسِ فَلَمْ يُفِدْ ذَلِكَ شَيْئًا.

فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْمُظَفَّرِ الْأَبِيوَرْدِيُّ:

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاحِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ ... إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيهًا بَنِي الْإِسْلَامِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ ... وَقَائِعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بِالْمَنَاسِمِ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلْءَ جُفُونِهَا ... عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحَى مَقِيلُهُمْ ... ظُهُورَ الْمَذَاكِي أَوْ بُطُونَ الْقَشَاعِمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانَ وَأَنْتُمُ ... تَجُرُّونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فِعْلَ الْمُسَالِمِ

○ تتابع حملات الفرنج على بلاد الشام

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٩٣هـ) أَقْبَلَ **مَلِكُ الْفِرِنْجِ** فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، فَالْتَقَى مَعَهُ **كُمُشْتِكِينُ ابْنُ الدَّانِشْمَنْدِ طَايْلُو**، أَتَابِكُ الْجُيُوشِ بِدِمَشْقَ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَمِينُ الدَّوْلَةِ، فَهَزَمَ الْفِرِنْجَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا؛ بِحَيْثُ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَأَكْثَرُهُمْ جَرْحَى، وَلَحِقَهُمْ إِلَى مَلَطْيَةَ فَمَلَكَهَا، وَأَسَرَ مَلِكَهَا؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي سنة (٤٩٤هـ) مَلَكَتِ الْفِرِنْجُ قِلَاعًا كَثِيرَةً في بلاد الشام؛ مِنْهَا **قَيْسَارِيَّةُ، وَسَرُوجُ**.
وَسَارَ مَلِكُ الْفِرِنْجِ كُنْدُفْرِي إِلَى **عَكَّا**، فَحَاصَرَهَا فَجَاءَهُ سَهْمٌ فِي عُنُقِهِ فَمَاتَ مِنْ فَوْرِهِ.

وفِي سنة (٤٩٧هـ) قَصدَ الْفِرنْجُ -لَعَنَهُمُ اللهُ- **الشَّامَ** فقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥] وَقَدْ أُسِرَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ **بَرْدَوِيلُ** صَاحِبُ الرُّهَا.

وفِي سنة (٤٩٧هـ) أَخَذَتِ الْفِرنْجُ مَدِينَةَ **عَكَّا وَغَيْرَهَا مِنَ السَّوَاحِلِ**.

وفِي سنة (٤٩٨هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ **الْمِصْرِيِّينَ وَالْفِرنْجِ** فقَتَلُوا مِنَ الْفِرنْجِ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ أُدِيلَ عَلَيْهِمُ الْفِرنْجُ فقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا أَيْضًا.

وَفِي سنة (٤٩٩هـ)، كَسَرَ طُغْتِكِينُ أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ بِدِمَشْقَ **الْفِرنْجَ**، وَعَادَ مَنْصُورًا إِلَى دِمَشْقَ، وَزُيِّنَتِ الْبَلَدُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ سُرُورًا بِكَسْرَةِ الْفِرنْجِ.

وَفِي سنة (٥٠٠هـ) نَشَأَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ **الرُّومِ وَالْفِرنْجِ** فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا وَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ ثُمَّ كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بَعْدَ كُلِّ حِسَابٍ عَلَى الْفِرنْجِ.

وفِي سنة (٥٠١هـ) قَدِمَ الْقَاضِي فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو عُبَيْدٍ عَلِيُّ بْنُ عَمَّارٍ صَاحِبُ طَرَابُلُسَ إِلَى بَغْدَادَ يَسْتَنْفِرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْفِرنْجِ، فَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ **غِيَاثُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ** بن ملكشاه إِكْرَامًا زَائِدًا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وبَعَثَ مَعَهُ الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ لِقِتَالِ الْفِرنْجِ.

وفِي سنة (٥٠٣هـ) أَخَذَتِ **الْفِرنْجُ** -لَعَنَهُمُ اللهُ- مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ، وَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا مِنَ الرِّجَالِ، وَسَبَوُا الْحَرِيمَ وَالْأَطْفَالَ، وَغَنِمُوا الْأَمْتِعَةَ وَالْأَمْوَالَ، ثُمَّ أَخَذُوا مَدِينَةَ جَبَلَةَ بَعْدَهَا بِعَشْرِ لَيَالٍ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَقَدْ هَرَبَ مِنْهُمْ فَخْرُ الْمُلْكِ بْنُ عَمَّارٍ فَقَصَدَ صَاحِبَ دِمَشْقَ طُغْتِكِينَ فَأَكْرَمَهُ وَأَقْطَعَهُ بِلَادًا كَثِيرَةً.

وفِي أَوَّلِ سنة (٥٠٤هـ) تَجَهَّزَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَغَادِدَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِيهِمُ ابْنُ الزَّاغُونِيِّ لِلْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ **لِيُقَاتِلُوا الْفِرنْجَ** -لَعَنَهُمُ اللهُ- وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّهُمْ فَتَحُوا مَدَائِنَ عِدَّةً؛ مِنْ ذَلِكَ مَدِينَةُ صَيْدَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَكَذَا غَيْرُهَا مِنَ الْمَدَائِنِ، ثُمَّ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ حِينَ بَلَغَهُمْ كَثْرَةُ الْفِرنْجِ.

○ المقاومة الإسلامية للفرنج

⊙ فِي سنة (٥٠٥) هَا بَعَثَ السُّلْطَانُ **غِيَاثُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بن ملكشاه** جَيْشًا كَثِيفًا صُحْبَةَ الْأَمِيرِ **مَوْدُودِ بْنِ التُّوتِكِينِ** صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، **وَسُكْمَانَ الْقُطْبِيِّ** صَاحِبِ تَبْرِيزَ، **وَأَحْمَدِيلَ** صَاحِبِ مَرَاغَةَ، **وَالْأَمِيرِ إِيلْغَازِي** صَاحِبِ مَارِدِينَ، وَالْمُقَدَّمُ عَلَى الْجَمِيعِ الْأَمِيرُ مَوْدُودٌ، لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ بِالشَّامِ، فَانْتَزَعُوا مِنْ أَيْدِي الْفِرِنْجِ حُصُونًا كَثِيرَةً، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

⊙ فِي سنة (٥٠٥) دَخَلَ الْأَمِيرُ مَوْدُودٌ إِلَى جَامِعِ دمشق لِيُصَلِّيَ فِيهِ، **إِذ جَاءَهُ بَاطِنِيٌّ** فِي زِيِّ سَائِلٍ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ ضَرَبَهُ فِي فُؤَادِهِ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ.(١)

وشمت الفرنج بحادثة مقتل الأمير، حيث جَاءَ كِتَابٌ منهم سنة (٥٠٧هـ)، وَفِيهِ: **إِنَّ أُمَّةً قَتَلَتْ عَمِيدَهَا** فِي يَوْمِ عِيدِهَا فِي بَيْتِ مَعْبُودِهَا **لَحَقِيقٌ عَلَى اللهِ أَنْ يُبِيدَهَا**.

⊙ وفِي سنة (٥٠٥) حَاصَرَتِ **الْفِرِنْجُ** مَدِينَةَ **صُورَ**، وَكَانَتْ بِأَيْدِي الفاطميين، عَلَيْهَا عِزُّ الْمُلْكِ الْأَعَزُّ مِنْ جِهَتِهِمْ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا، وَمَنَعَهَا مَنْعًا جَيِّدًا حَتَّى فَنِيَ مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّشَّابِ وَالْعُدَدِ، فَأَمَدَّهُ **طُغْتِكِينُ** صَاحِبُ دِمَشْقَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْعُدَدَ وَالْآلَاتِ فَقَوِيَ جَانِبُهُ، وَتَرَحَّلَتْ عَنْهُ الْفِرِنْجُ فِي شَوَّالٍ مِنْهَا.

⊙ وفِي سنة (٥٠٧هـ) كَانَتْ **وَقْعَةٌ** عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفِرِنْجِ فِي أَرْضِ **طَبَرِيَّةَ**، كَانَ فِيهَا مَلِكُ دِمَشْقَ الْأَتَابِكُ طُغْتِكِينُ، وَفِي خِدْمَتِهِ صَاحِبُ سِنْجَارَ وَصَاحِبُ مَارِدِينَ وَصَاحِبُ الْمَوْصِلِ، فَهَزَمُوا الْفِرِنْجَ هَزِيمَةً فَاضِحَةً، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَمَلَكُوا تِلْكَ النَّوَاحِيَ كُلَّهَا؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى دِمَشْقَ.

⊙ وَفِي سنة (٥٠٨) وَلَّى السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ بن ملكشاه **الْأَمِيرَ آقْ سُنْقُرَ** الْبُرْسُقِيِّ

(١) ذكر المصنف ابن كثير في حوادث سنة (٥٠٧هـ) عن ابن الساعي: أن قتل مودود كان في سنة (٥٠٧هـ).

الْمَوْصِلَ وَأَعْمَالَهَا، وَأَمَرَهُ **بِمُقَاتَلَةِ الْفِرِنْجِ** فَقَاتَلَهُمْ فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ **الرُّهَا**، وَخَرَّبَهَا **وَسُرُوجَ وَسُمَيْسَاطَ**، وَنَهَبَ **مَارِدِينَ**، وَأَسَرَ ابْنَ مَلِكِهَا إِيَازَ بْنَ إِيلْغَازِي، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ مَنْ يَتَهَدَّدُهُ، فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى طُغْتِكِينَ صَاحِبِ دِمَشْقَ، فَاتَّفَقَا عَلَى عِصْيَانِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ نَائِبِ حِمْص قُرْجَانَ بْنِ قَرَاجَةَ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ثُمَّ اصْطَلَحُوا.

❍ تنازع أولاد السلطان ملكشاه

فِي سنة (٤٩٢هـ) كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ السُّلْطَانِ **مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ**، وَهُوَ شقيق السُّلْطَانِ سَنْجَرَ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ **خُطِبَ لَهُ** بِبَغْدَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وفِي صَفَرٍ سنة (٤٩٣هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ **بَرْكِيَارُوقُ** إِلَى بَغْدَادَ وَنَزَلَ بِدَارِ الْمُلْكِ، وَأُعِيدَتْ لَهُ الْخُطْبَةُ بِبَغْدَادَ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ أَخِيهِ **مُحَمَّدُ بْنُ مَلِكْشَاهْ**، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ هَدِيَّةً هَائِلَةً، وَفَرِحَ بِهِ الْعَوَامُّ وَالنِّسَاءُ؛ وَلَكِنَّهُ فِي ضِيقٍ لِقِلَّةِ مَا مَعَهُ مِنْ أَمْوَالٍ، وَمُطَالَبَةِ الْجُنْدِ لَهُ بِأَرْزَاقِهِمْ، فَعَزَمَ عَلَى مُصَادَرَةِ الْوَزِيرِ ابْنِ جَهِيرٍ فَالْتَجَأَ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى الْمُصَالَحَةِ عَنْهُ بِمِائَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ الْتَقَى هُوَ وَأَخُوهُ مُحَمَّدٌ بِمَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ هَمَذَانَ فَهَزَمَهُ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ، وَنَجَا هُوَ بِنَفْسِهِ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا، وَقُتِلَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوهَرَائِينُ الْخَادِمُ.

وَانْضَافَ إِلى بَرْكِيَارُوق بن ملكشاه الْأَمِيرُ **دَاوُدُ حَبَشِيٌّ** فِي عِشْرِينَ أَلْفًا، فَالتَقَى مَعَ أَخِيهِ الْآخَرِ **سَنْجَرَ**، فَهَزَمَهُ سَنْجَرُ أَيْضًا، وَأُسِرَ دَاوُدُ وقتل، فَضَعُفَ جَانِبُ بَرْكِيَارُوقَ بن ملكشاه، وَتَقَهْقَرَ حَالُهُ وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ رِجَالُهُ، وَقُطِعَتْ خُطْبَتُهُ مِنْ بَغْدَادَ فِي رَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٤٩٣هـ)، وَأُعِيدَتْ خُطْبَةُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ بن ملكشاه.

وَفِي أَوَّلِ سنة (٤٩٤هـ) دَخَلَ **السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ** إِلَى بَغْدَادَ فَخُطِبَ لَهُ بِهَا، ثُمَّ

لَحِقَهُ أَخَوَاهُ مُحَمَّدٌ وَسَنْجَرُ، فَدَخَلَاهَا، وَهُوَ مَرِيضٌ فَعَبَرَا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَقُطِعَتْ خُطْبَتُهُ، وَخُطِبَ لَهُمَا بِهَا، وَهَرَبَ بَرْكِيَارُوقُ إِلَى وَاسِطٍ، وَنَهَبَ جَيْشُهُ مَا اجْتَازُوا بِهِ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَرَاضِي، فَنَهَاهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ ذَلِكَ وَوَعَظَهُ، فَلَمْ يُفِدْ شَيْئًا.

وفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ حَادِي عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٩٥هـ)؛ جَلَسَ الْخَلِيفَةُ **الْمُسْتَظْهِرُ** بِدَارِ الْخِلَافَةِ، وَجَاءَ الْأَخَوَانِ: **مُحَمَّدٌ، وَسَنْجَرُ** أَبْنَاءُ مَلِكْشَاهْ، فَقَبَّلَا الْأَرْضَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا الْخِلَعَ السُّلْطَانِيَّةِ.

وَوَلَّى الْخَلِيفَةُ السُّلْطَانَ **مُحَمَّدًا** الْمُلْكَ، وَاسْتَنَابَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْخِلَافَةِ؛ دُونَ مَا أَغْلَقَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بَابَهُ، ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ من بغداد فِي تَاسِعِ عَشَرَ من المحرم.

وفِي سنة (٤٩٦هـ) حَاصَرَ **السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ** أَخَاهُ مُحَمَّدًا بِأَصْبَهَانَ، فَضَاقَتْ عَلَى أَهْلِهَا الْأَرْزَاقُ، وَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ عِنْدَهُمْ جِدًّا، وَأَخَذَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ أَهْلَهَا بِالْمُصَادَرَةِ، وَالْحِصَارُ حَوْلَهُمْ مِنْ خَارِجِ الْبَلَدِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ، وَالْجُوعُ، وَالنَّقْصُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ مِنْ أَصْبَهَانَ هَارِبًا، وَنَجَا بِنَفْسِهِ سَالِمًا.

ثُمَّ الْتَقَى مجدداً الْأَخَوَانِ بَرْكِيَارُوقُ وَمُحَمَّدٌ فَانْهَزَمَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا.

وفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٩٦هـ) قُطِعَتِ الْخُطْبَةُ لِلسَّلَاطِينِ بِبَغْدَادَ، وَاقْتُصِرَ عَلَى ذِكْرِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَالدُّعَاءِ لَهُ.

وفِي سنة (٤٩٧هـ) تَأَكَّدَ الصُّلْحُ بَيْنَ السُّلْطَانَيْنِ الْأَخَوَيْنِ: **بَرْكِيَارُوقَ وَمُحَمَّدٍ**، وَاقْتَسَمَا الْبِلَادَ، وخطب بِبَغْدَادَ لِلْمَلِكِ بَرْكِيَارُوقَ، وَبُعِثَ إِلَيْهِ بِالْخِلَعِ.

وفِي سنة (٤٩٨هـ) **تُوُفِّيَ السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ**، وَعَهِدَ إِلَى وَلَدِهِ الصَّغِيرِ مَلِكْشَاهْ، وَعُمْرُهُ أَرْبَعُ سِنِينَ وَشُهُورٌ، فَخُطِبَ لَهُ بِبَغْدَادَ، وَنُثِرَ عِنْدَ ذِكْرِهِ الدَّنَانِيرُ وَالدَّرَاهِمُ، وَلُقِّبَ جَلَالَ الدَّوْلَةِ، وَجُعِلَ أَتَابِكُهُ الْأَمِيرَ إِيَازَ، ثُمَّ جَاءَ السُّلْطَانُ **مُحَمَّدُ بْنُ مَلِكْشَاهْ** إِلَى بَغْدَادَ، فَتَلَقَّوْهُ

وَصَالَحُوهُ، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَ الْبَيْعَةَ بِالصُّلْحِ إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيُّ مُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ، وَخُطِبَ لَهُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَلِابْنِ أَخِيهِ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، ثُمَّ قَتَلَ السلطان **مُحَمَّدُ بْنُ مَلِكْشَاهْ** الْأَمِيرَ إِيَازَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، واستقر الأمر له، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ الْخِلَعُ، وَالدَّوَاةُ، وَالدَّسْتُ.

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٠١هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ **مُحَمَّدٌ بن ملكشاه** إِلَى بَغْدَادَ، فَتَلَقَّاهُ الْوَزِيرُ وَالْأَعْيَانُ، وَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا وَلَمْ يَتعَرَّضْ أَحَدٌ مِنْ جَيْشِهِ إِلَى شَيْءٍ.

○ داعية الباطنية الحسن بن الصبّاح

كَانَ **الْحَسَنَ بْنَ الصَّبَّاحِ** أَحَدَ **دُعَاةِ الباطنية**، وَقَدْ دَخَلَ مِصْرَ أيام الفاطمية، وَتَعَلَّمَ مِنَ الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا، ثُمَّ صَارَ إِلَى **بِلَادِ أَصْبَهَانَ** ونواحيها، فَكَانَ لَا يَدْعُو إِلَّا **غَبِيًّا** لَا يَعْرِفُ يَمِينَهُ مِنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ يُطْعِمُهُ الْعَسَلَ بِالْجَوْزِ، وَالشُّونِيزِ (الحبة السوداء) حَتَّى يَحْتَرِقَ مِزَاجُهُ، وَيَفْسُدَ دِمَاغُهُ، ثُمَّ يَذْكُرُ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَيَكْذِبُ لَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ الرَّافِضَةِ الضُّلَّالِ؛ أَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَمُنِعُوا حَقَّهُمْ.

ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: فَإِذَا كَانَتِ الْخَوَارِجُ تُقَاتِلُ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تُقَاتِلَ فِي نُصْرَةِ إِمَامِكَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَلَا يَزَالُ يفسد عليه عقله، حتى يَصِيرَ أَطْوَعَ لَهُ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَيُظْهِرُ لَهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْمَخْرَقَةِ، وَالخدع، والسحر، وَالْحِيَلِ الَّتِي لَا تَرُوجُ إِلَّا عَلَى الْجُهَّالِ؛ فالْتَفَّ عَلَيْهِ بَشَرٌ.

وَكَانَ الباطنية قَدِ اسْتَحْوَذُوا عَلَى قِلَاعٍ كَثِيرَةٍ؛ وَأَوَّلُ قَلْعَةٍ مَلَكُوهَا سنة (٤٨٣هـ).

وَقَدْ بَعَثَ **السُّلْطَانُ مَلِكْشَاهْ** إِلَى **الحسن بن الصباح** يَتَهَدَّدُهُ وَيَنْهَاهُ عَنْ بَعْثِهِ الْفِدَاوِيَّةَ إِلَى الْعُلَمَاءِ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الشَّبَابِ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُرْسِلَ مِنْكُمْ رَسُولًا إِلَى مَوْلَاهُ، فَاشْرَأَبَّتْ وُجُوهُ الْحَاضِرِينَ مِنْهُمْ.

ثُمَّ قَالَ لِشَابٍّ مِنْهُمْ: **اقْتُلْ نَفْسَكَ**، فَأَخْرَجَ سِكِّينًا فقتل بها نفسه، وَقَالَ لِآخَرَ مِنْهُمْ: **أَلْقِ نَفْسَكَ** مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَرَمَى نَفْسَهُ مِنْ رَأْسِ الْقَلْعَةِ إِلَى أَسْفَلِ خَنْدَقِهَا فَتَقَطَّعَ، فَقَالَ

لِلرَّسُولِ: هَذَا الْجَوَابُ، فَمِنْهَا امْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ مُرَاسَلَتِهِ. (١)

وفي سنة (٤٩٤هـ) عَظُمَ الْخَطْبُ بِأَصْبَهَانَ وَنَوَاحِيهَا منهم، فَقَتَلَ **السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ** مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأُبِيحَتْ دِيَارُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لِلْعَامَّةِ، كُلُّ مَنْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فَلَهُمْ قَتْلُهُ وَمَالُهُ.

وفي سنة (٥٠٣هـ) وَثَبَ بَعْضُ الْبَاطِنِيَّةِ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي نَصْرِ بْنِ نِظَامِ الْمُلْكِ فَجَرَحَهُ، ثُمَّ أُخِذَ الْبَاطِنِيُّ فَسُقِيَ الْخَمْرَ فَأَقَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ فَأُخِذُوا فَقُتِلُوا.

وفي سنة (٥٠٠هـ) (٢) حَاصَرَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدَ بْنَ مَلِكْشَاهْ قِلَاعًا كَثِيرَةً مِنْ حُصُونِ الْبَاطِنِيَّةِ، فَافْتَتَحَ مِنْهَا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَجَمْعًا كَبِيرًا، وَجَمًّا غَفِيرًا، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا افْتَتَحَ مِنْ ذَلِكَ قَلْعَةً حَصِينَةً؛ كَانَ أَبُوهُ قَدْ بَنَاهَا بِالْقُرْبِ مِنْ أَصْبَهَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ مَنِيعٍ هُنَاكَ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٦٣.

(٢) أورد ابن كثير عند بداية سنة (٥٠٠هـ) (١٦/ ١٩٤) حديثين من سنن أبي داود: **أحدهما**: عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُعْجِزَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ» **وثانيهما**: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ» قِيلَ: لِسَعْدٍ: وَكَمْ نِصْفُ يَوْمٍ؟ قَالَ: خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ. وقال: هَذَا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ، وَذِكْرُ هَذِهِ الْمُدَّةِ لَا يَنْفِي زِيَادَةً عَلَيْهَا، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ.

والحديثان صححهما الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٥٥) و (٣٦٥٦).

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد في شرح سنن أبي داود: (٤٩٠/ ٥، بترقيم الشاملة آليا) :

من العلماء من قال: إن المقصود من ذلك أنه يؤخرها إلى خمسمائة سنة، ولذلك أورد أبو داود هذا الحديث في باب قيام الساعة، ومعناه: أن الساعة قد تقوم بعد خمسمائة سنة.

ومن العلماء من قال: إن معناه يتعلق بالفقراء الذين لن يحاسبوا، ويدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، والتي هي نصف يوم، فهو لن يعجز الله.

والمقصود بذلك: أن يؤخر الأغنياء عن دخول الجنة، وأن يمهلهم للحساب، ويدل عليه ما جاء في الحديث الذي فيه أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة، فهو يبين معنى هذا الحديث، وأنه ليس المقصود بأن الدنيا تنتهي بعد خمسمائة سنة، لأنه مضى على هذا الحديث ألف وأربعمائة وزيادة.

فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ **بْنِ عَطَّاشٍ** فَتَعِبَ الْمُسْلِمُونَ بِسَبَبِهَا، فَحَاصَرَهَا ابْنُهُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ سَنَةً حَتَّى افْتَتَحَهَا، وَسَلَخَ هَذَا الرَّجُلَ وَحَشَى جِلْدَهُ تِبْنًا وَقَطَعَ رَأْسَهُ، فَطِيفَ بِهِ فِي الْأَقَالِيمِ، ثُمَّ نَقَضَ هَذِهِ الْقَلْعَةَ حَجَرًا حَجَرًا، **وَأَلْقَتِ امْرَأَةُ ابن عطاش نَفْسَهَا** مِنْ أَعْلَى الْقَلْعَةِ فَتَلِفَتْ، وَهَلَكَ مَا كَانَ مَعَهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ.

وفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ سنة (٥٠٠هـ) قُتِلَ فَخْرُ الْمُلْكِ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ نِظَامِ الْمُلْكِ، وَكَانَ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ، وَهُوَ وَزِيرُ السُّلْطَانِ سَنْجَرَ بِنَيْسَابُورَ، وَكَانَ صَائِمًا، قَتَلَهُ بَاطِنِيٌّ، جاءه في صورة شابٍ يَتَظَلَّمُ وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَنَاوَلَهُ الرُّقْعَةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَقْرَؤُهَا إِذْ ضَرَبَهُ بِخَنْجَرٍ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَأُخِذَ الْبَاطِنِيُّ فَرُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَرَّرَهُ، فَأَقَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْوَزِيرِ أَنَّهُمْ أَمَرُوهُ بِذَلِكَ - وَكَانَ كَاذِبًا - فَقُتِلَ، وَقُتِلُوا أَيْضًا.

○ إصلاحات الخليفة

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٤٩٤هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَظْهِرُ بِاللهِ بِفَتْحِ جَامِعِ الْقَصْرِ، وَأَنْ يُبَيَّضَ، وَأَنْ يُصَلَّى فِيهِ التَّرَاوِيحُ، وَأَنْ يُجْهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ، وَأَنْ يُمْنَعَ النِّسَاءُ مِنَ الْخُرُوجِ لَيْلًا لِلْفُرْجَةِ.

○ اتهام إلكيا الهراسي وبراءته

فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سنة (٤٩٥هـ)؛ قُبِضَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفِ بِإِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ، وَعُزِلَ عَنْ تَدْرِيسِ النِّظَامِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ رَمَاهُ بَعْضُهُمْ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِأَنَّهُ بَاطِنِيٌّ، فَشَهِدَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمُ ابْنُ عَقِيلٍ بِبَرَاءَتِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَجَاءَتِ الرِّسَالَةُ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بِخَلَاصِهِ.

○ وفاة دقاق بن تتش صاحب دمشق

في سنة (٤٩٧هـ) تُوُفِّيَ الْمَلِكُ **دُقَاقُ بْنُ تُتُشَ** صَاحِبُ دِمَشْقَ، فَأَقَامَ مَمْلُوكُهُ طُغْتِكِينُ وَلَدًا لَهُ صَغِيرًا، مَكَانَهُ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ، وَصَارَ هُوَ أَتَابِكَهُ، فَدَبَّرَا الْمُلْكَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً.

❍ قتل مدعي النبوة بنهاوند

فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٤٩٩هـ)، ادَّعَى رَجُلٌ النُّبُوَّةَ بِنَوَاحِي نَهَاوَنْدَ، وَسَمَّى أَرْبَعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، فَاتَّبَعَهُ عَلَى ضَلَالِهِ خَلْقٌ مِنَ الْجَهَلَةِ الرَّعَاعِ، وَبَاعُوا أَمْلَاكَهُمْ، وَدَفَعُوا أَثْمَانَهَا إِلَيْهِ، **وَكَانَ كَرِيمًا** يُعْطِي مَنْ قَصَدَهُ مَا عِنْدَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ قُتِلَ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ، لَعَنَهُ اللهُ.

وَرَامَ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ وَلَدِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ الْمُلْكَ فَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ؛ بَلْ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي أَقَلَّ مِنْ شَهْرَيْنِ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: ادَّعَى رَجُلٌ النُّبُوَّةَ، وَآخَرُ الْمُلْكَ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ زَوَالِهِمَا.

❍ النزاع على إمارة الموصل

فِي سنة (٥٠٠هـ) أَرْسَلَ **السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ** الْأَمِيرَ **جَاوَلِي سَقَاوُو** إِلَى الْمَوْصِلِ، وَأَقْطَعَهُ إِيَّاهَا، فَذَهَبَ فَانْتَزَعَهَا مِنَ **الْأَمِيرِ جَكَرْمَشَ** بَعْدَمَا قَاتَلَهُ، وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ وَأَسَرَهُ، ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ جَكرمشُ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ سِيرَةً وَعَدْلًا وَإِحْسَانًا.

ثُمَّ أَقْبَلَ **قَلْجُ أَرْسَلَانَ بْنُ قُتُلْمِشَ** فَحَاصَرَ الْمَوْصِلَ فَانْتَزَعَهَا مِنْ جَاوْلِي، فَصَارَ جَاوْلِي إِلَى الرَّحْبَةِ فَأَخَذَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى قِتَالِ قَلْجَ فَكَسَرَهُ، وَأَلْقَى قَلْجُ نَفْسَهُ فِي نهرالْخَابُورِ فَهَلَكَ.

❍ عزل أبي القاسم ابن جهير من الوزارة

فِي صَفَرٍ سنة (٥٠٠هـ) عَزَلَ الْخَلِيفَةُ الْوَزِيرَ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ جَهِيرٍ، وَخَرَّبَ دَارَهُ الَّتِي كَانَ قَدْ بَنَاهَا أَبُوهُ مِنْ خَرَابِ بُيُوتِ النَّاسِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً، وَمَوْعِظَةً لِذَوِي الْبَصَائِرِ وَالنُّهَى، وَاسْتُنِيبَ فِي الْوَزَارَةِ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الدَّامَغَانِيُّ.

❍ زواج الخليفة من أخت السلطان محمد

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٥٠٢هـ) تَزَوَّجَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَظْهِرُ بِاللهِ بِالْخَاتُونِ بِنْتِ مَلِكْشَاهْ أُخْتِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ، عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ،

وَنُثِرَ الذَّهَبُ، وَكُتِبَ الْعَقْدُ بِأَصْبَهَانَ.

وفي سنة (٥٠٤هـ) قَدِمَتْ خَاتُونُ بِنْتُ مَلِكْشَاهْ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَغْدَادَ، فَنَزَلَتْ فِي دَارِ أَخِيهَا السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ، وقد حُمِلَ جِهَازُهَا عَلَى مِائَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ جَمَلًا وَسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ بَغْلًا، وَزُيِّنَتْ بَغْدَادُ لِقُدُومِهَا، وَكَانَ دُخُولُهَا عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي اللَّيْلَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ رَمَضَانَ.

وفِي سنة (٥٠٥) وُلِدَ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ بِنْتِ السُّلْطَانِ وَلَدٌ ذَكَرٌ فَضُرِبَتِ الدَّبَادِبُ وَالْبُوقَاتُ، وَجَلَسَ الْوَزِيرُ بِبَابِ الْفِرْدَوْسِ لِلْهَنَاءِ.

○ تملك السطان سنجر بلاد غزنة

فِي سنة (٥٠٨هـ) مَلَكَ السُّلْطَانُ **سَنْجَرُ** بْنُ مَلِكْشَاهْ **بِلَادَ غَزْنَةَ** بَعْدَ مُقَاتَلَةٍ عَظِيمَةٍ، وَأَخَذَ مِنْهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً، فَأَقَامَ بِهَا **أَرْبَعِينَ** يَوْمًا. وَقَرَّرَ فِي مُلْكِهَا **بَهْرَامْ شَاهْ مِنْ بَيْتِ بَنِي سُبُكْتِكِينَ**، وخطب له فيها، وَلَمْ يُخْطَبْ بِغَزْنَةَ قَبْلَ السُّلْطَانِ **سَنْجَرَ** مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ لِأَحَدٍ.

وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة، لا يجرؤ أحد من الملوك عليهم، ولا يطيق أحد مقاومتهم، وهم بنو سبكتكين.

○ عصيان صاحبا ماردين ودمشق

فِي سنة (٥٠٩هـ) جَهَّزَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ مَلِكْشَاهْ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ الْأَمِيرِ بُرْسُقَ بْنِ بُرْسُقَ إِلَى إِيلْغَازِي **صَاحِبِ مَارِدِينَ**، وطُغْتِكِينَ **صَاحِبِ دِمَشْقَ** لِيُقَاتِلَهُمَا، عَلَى تَمَالُئِهِمَا عَلَى **عِصْيَانِ السُّلْطَانِ**، وَقَطْعِ خُطْبَتِهِ، وَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ عَمَدَ لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ الْجَيْشُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ **هَرَبَا مِنْهُ وَتَحَيَّزَا إِلَى الْفِرِنْجِ**، وَجَاءَ الْأَمِيرُ بُرْسُقُ إِلَى **كَفَرْ طَابَ**(١) فدخلها عَنْوَةً، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ، وَجَاءَ صَاحِبُ

---

(١) كَفَرْ طَابَ: بالطاء مهملة وبعد الألف باء موحدة، بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج. معجم البلدان – الفكر (٤/ ٤٧٠).

أَنْطَاكِيَةَ رُوجِيلُ فِي أَلْفَيْن وخَمْسِمِائَةٍ، **فهَرَبَ بُرْسُقُ** فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَمَزَّقَ الْجَيْشُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ شَذَرَ مَذَرَ، فَكَبَسَ رُوجِيلُ الْمُسْلِمِينَ، وقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا جَاءَ **طُغْتِكِينُ** صَاحِبُ دِمَشْقَ إلى السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ ببَغْدَادَ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ.

○ وفاة السلطان محمد وتولية ابنه محمود

فِي سنة (٥١١هـ) كَانَ وَفَاةُ السُّلْطَانِ **مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السلجوقي، مَلِكِ بِلَادَ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، عَادِلًا رَحِيمَ الْقَلْبِ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ مَحْمُودَ الْعِشْرَةِ.

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اسْتَدْعَى وَلَدَهُ مَحْمُودًا، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ سَنَةً.

وَكَانَ عُمْرُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا.

○ إعادة دبيس بن صدقة لولاية الحلة

فِي سنة (٥١٢هـ) سَأَلَ **دُبَيْسُ بْنُ صَدَقَةَ** بْنِ مَنْصُورٍ الْأَسَدِيِّ مِنَ السُّلْطَانِ مَحْمُودٍ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَى الْحِلَّةِ وَغَيْرِهَا، مِمَّا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَوَلَّاهُ مَا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ مِنْ ذَلِكَ، فَعَظُمَ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ.

○ حوادث وفتن

فِي سنة (٤٨٧هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ **السُّنَّةِ وَالرَّوَافِضِ** فَأُحْرِقَتْ مَحَالٌّ كَثِيرَةٌ وَقُتِلَ نَاسٌ كَثِيرُونَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفِي سنة (٤٨٨هـ) **اصْطَلَحَ أَهْلُ الْكَرْخِ** مِنَ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ مَعَ بَقِيَّةِ الْمَحَالِّ وَتَزَاوَرُوا وَتَوَاكَلُوا وَتَشَارَبُوا، وَكَانَ هَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ.

وفِي سنة (٤٩٢هـ) **غَلَتِ الْأَسْعَارُ** جِدًّا بِبَغْدَادَ حَتَّى مَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ جُوعًا وَأَصَابَهُمْ وَبَاءٌ شَدِيدٌ حَتَّى عَجَزُوا عَنْ دَفْنِ الْمَوْتَى مِنْ كَثْرَتِهِمْ.

وَفِي سنة (٤٩٥هـ) قَدِمَ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللهِ الْغَزْنَوِيُّ، فَوَعَظَ النَّاسَ، وَكَانَ شَافِعِيًّا أَشْعَرِيًّا، فَوَقَعَتْ بسببه **فِتْنَةٌ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ** بِبَغْدَادَ.

وَفِي ثَانِي عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٤٩٨هـ) أُزِيلَ الْغِيَارُ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الَّذِي كَانُوا أُلْزِمُوهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَلَا يُعْرَفُ مَا سَبَبُ ذَلِكَ.

وَفِي رَجَبٍ سنة (٤٩٩هـ)، زَادَتْ **دِجْلَةُ** زِيَادَةً عَظِيمَةً؛ فَأَتْلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْغَلَّاتِ وَغَرِقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ بِبَغْدَادَ.

فِي سنة (٥٠٢هـ) زَادَتْ **دِجْلَةُ** زِيَادَةً كَثِيرَةً فَغَرِقَتِ الْغَلَّاتُ فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِسَبَبِ ذَلِكَ غَلَاءً شَدِيدًا.

وفِي سنة (٥٠٨هـ) وَقَعَ **حَرِيقٌ** عَظِيمٌ بِبَغْدَادَ، وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ هَائِلَةٌ بِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ هَدَمَتْ مِنْهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ بُرْجًا، وَمِنَ الرُّهَا بُيُوتًا كَثِيرَةً، وَبَعْضَ سُورِ حَرَّانَ، وَدُورًا كَثِيرَةً فِي بِلَادٍ شَتَّى؛ فَهَلَكَ أَكْثَرُهَا، وَخُسِفَ بِمَدِينَةِ سُمَيْسَاطَ، وَهَلَكَ تَحْتَ الرَّدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

فِي سنة (٥١٠هـ) وَقَعَ **حَرِيقٌ بِبَغْدَادَ** احْتَرَقَتْ فِيهِ دُورٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا دَارُ نُورِ الْهُدَى الزَّيْنَبِيِّ، وَرِبَاطُ بِهْرُوزَ وَدَارُ كُتُبِ النِّظَامِيَّةِ، وَسَلِمَتِ الْكُتُبُ؛ لِأَنَّ الْفُقَهَاءَ نَقَلُوهَا.

فِي سنة (٥١٠هـ) فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَقَعَتْ **فِتْنَةٌ** عَظِيمَةٌ بَيْنَ **الرَّوَافِضِ وَالسُّنَّةِ** بِمَشْهَدِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا بِمَدِينَةِ طُوسَ؛ فَقُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ،

فِي سنة (٥١١هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَادَ؛ سَقَطَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَغَلَتِ الْغَلَّاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِبَغْدَادَ جِدًّا.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ سنة (٤٨٧هـ) لِاخْتِلَافِ السَّلَاطِينِ.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي سنة (٤٨٨هـ)

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٨٩هـ) الْأَمِيرُ **خُمَارْتِكِينُ الْحَسَنَانِيُّ**، وجَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْحُجَّاجَ عند اجتماعهم في الميقات (ذات عرق) بوادي نَخْلَةَ، أَتَاهُمْ سَيْلٌ عَظِيمٌ، فَمَا نَجَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَعَلَّقَ بِرُءُوسِ الْجِبَالِ، وَأَخَذَ الْمَاءُ الْجِمَالَ وَالرِّجَالَ وَالرِّحَالَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٩٠هـ) خُمَارْتِكِينُ الْحَسْنَانِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٤٩١) خُمَارْتِكِينُ.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس فِي سنة (٤٩٢) وكذلك ابن فهد.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٩٣هـ) **الْأَمِيرُ التُّونْتَاشُ التُّرْكِيُّ**، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس فِي سنة (٤٩٤هـ) وكذلك ابن فهد.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٩٥هـ) حُمَيْدٌ الْعُمَرِيُّ صَاحِبُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ الْأَسَدِيِّ، صَاحِبُ الْحِلَّةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٩٦هـ) سنة (٤٩٧هـ) خُمَارْتِكِينُ الْحَسْنَانِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٤٩٩هـ)، مِنَ الْعِرَاقِ رَجُلٌ مِنْ قَرَائِبِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٥٠٠هـ) تُرْكُمَانِيٌّ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ.

لم يذكر ابن كثير ولا ابن فهد من حَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٥٠١هـ).

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٥٠٢هـ)، وسنة (٥٠٣هـ)، وسنة (٥٠٤هـ) الْأَمِيرُ قَايْمَازُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٠٥) أَمِيرُ الْجُيُوشِ نَظَرٌ الْخَادِمُ، وَكَانَتْ سَنَةً مُخْصِبَةً.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٥٠٦هـ) أَمِيرُ الْجُيُوشِ نَظَرٌ الْخَادِمُ، وَنَالَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٠٧هـ) زَنْكِي بْنُ بُرْسُقَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٠٨)، وسنة (٥٠٩هـ) أَمِيرُ الْجُيُوشِ أَبُو الْخَيْرِ يُمْنٌ الْخَادِمُ، وَشَكَرَ النَّاسُ حَجَّهُمْ مَعَهُ.

وحج بالناس سنة (٥١٠هـ) أَمِيرُ الْجُيُوشِ أَبُو الْحَسَنِ نَظَرٌ الْخَادِمُ، وَكَانَتْ سَنَةً مُخْصِبَةً آمِنَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

* * *

مشاهير من توفي من الأعيان في خلافته

١-**آقْ سُنْقُرُ الْأَتَابِكُ**، الْمُلَقَّبُ قَسِيمَ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيُّ، وَيُعْرَفُ بِالْحَاجِبِ صَاحِبُ حَلَبَ، وَدِيَارِ بَكْرٍ، وَالْجَزِيرَةِ، **وَهُوَ جَدُّ الْمَلِكِ** نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِي بْنِ آقْ سُنْقُرَ.

وَكَانَ أَوَّلًا مِنْ **أَخَصِّ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ** بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيِّ، ثُمَّ تَرَقَّتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ حَتَّى أَعْطَاهُ حَلَبَ وَأَعْمَالَهَا بِإِشَارَةِ الْوَزِيرِ نِظَامِ الْمُلْكِ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُلُوكِ سِيرَةً وَأَجْوَدِهِمْ سَرِيرَةً، وَكَانَتِ الرَّعِيَّةُ مَعَهُ فِي أَمْنٍ وَرُخْصٍ وَعَدْلٍ.

ثُمَّ كَانَ مَوْتُهُ عَلَى **يَدِ السُّلْطَانِ تُتُشَ** صَاحِبِ دِمَشْقَ سنة (٤٨٧هـ).

٢- **أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرٌ الْجَمَالِيُّ**، صَاحِبُ جُيُوشِ مِصْرَ، وَمُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ الْفَاطِمِيَّةِ، كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ - وَلَهُمْ عَلَيْهِ رُسُومٌ دَارَّةٌ - تَمَكَّنَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ تَمَكُّنًا عَظِيمًا وَدَارَتْ أَزِمَّةُ الْأُمُورِ عَلَى آرَائِهِ، وَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً وَامْتَدَّتْ أَيَّامُهُ وَحَيَاتُهُ، وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَامْتَدَحَتْهُ الشُّعَرَاءُ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٨٧هـ)، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْأَفْضَلُ.

٣-**الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ الْفَاطِمِيُّ**، أَبُو تَمِيمٍ، مَعَدُّ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَاكِمِ، اسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ **سِتِّينَ سَنَةً**، وَلَمْ يَتَّفِقْ هَذَا لِخَلِيفَةٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَكَانَ قَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ إِلَى وَلَدِهِ نِزَارٍ، فَخَلَعَهُ الْأَفْضَلُ بْنُ بَدْرٍ الْجَمَالِيُّ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ.

وَبَايَعَ أَبَا الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُسْتَنْصِرِ أَخَا نِزَارٍ وَلَقَّبَهُ بِالْمُسْتَعْلِي، وَعُمْرُهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً.

٤-**مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ، أَمِيرُ مَكَّةَ**، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِيهَا عَنْ نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.[(١)]

(١) في الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٨٥) «وَقَدْ جَاوَزَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُمْدَحُ بِهِ، وَكَانَ قَدْ نَهَبَ بَعْضَ الْحُجَّاجِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا». والله أعلم.

٥- **مَحْمُودُ بْنُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ**، كَانَتْ أُمُّهُ قَدْ عَقَدَتْ لَهُ الْمُلْكَ، وَأَنْفَقَتْ بِسَبَبِهِ الْأَمْوَالَ **فَنَازَعَهُ أَخُوهُ بَرْكْيَارُوقُ فَقَهَرَهُ**، وَلَزِمَ بَلَدَهُ أَصْبَهَانَ، فَمَاتَ بِهَا فِي شوال سنة (٤٨٧هـ)، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ **الْخَاتُونُ تُرْكَانُ** شَاهْ فِي رَمَضَانَ هَذِهِ السَّنَةِ.

٦- تَاجُ الدَّوْلَةِ، **تُتُشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانِ** بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ، **صَاحِبُ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا** مِنَ الْبِلَادِ. حيث اسْتَحْوَذَ عَلَى دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا فِي سنة (٤٧١هـ)، ثُمَّ تَحَارَبَ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ بَرْكْيَارُوقَ بِبِلَادِ الرَّيِّ، فَكَسَرَهُ ابْنُ أَخِيهِ، وَقُتِلَ هُوَ فِي الْمَعْرَكَةِ سنة (٤٨٨هـ)، وَتَمَلَّكَ **ابْنُهُ رِضْوَانُ** حَلَبَ إِلَى سَنَةِ (٥٠٧هـ) سَمَّتْهُ أُمُّهُ **زُمُرُّدُ** خَاتُونَ بِنْتُ جَاوْلِي فِي عُنْقُودِ عِنَبٍ.

فَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ تَاجُ الْمُلْكِ **بُورِي** أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ ابْنُهُ الْآخَرُ **شَمْسُ الْمُلُوكِ إِسْمَاعِيلُ** ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ قَتَلَتْهُ أُمُّهُ أَيْضًا، وَأَجْلَسَتْ أَخَاهُ **شِهَابَ الدِّينِ** مَحْمُودَ بْنَ بُورِي، فَمَكَثَ أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ مَلَكَ **أَخُوهُ** سَنَةً، ثُمَّ مَلَكَ **مُحْيِي الدِّينِ أَبَقُ** مِنْ سَنَة (٥٣٤هـ) إِلَى أَنِ انْتَزَعَ الْمُلْكَ مِنْهُ **نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِي**.

٧- **رِزْقُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ** بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ - عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ - وَالْحَدِيثِ، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ لِلْوَعْظِ وَحَلْقَةٌ لِلْفَتْوَى بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ ثُمَّ بِجَامِعِ الْقَصْرِ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ مُحَبَّبًا إِلَى الْعَامَّةِ، لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، حَسَنَ الْمُنَاظَرَةِ.

وَقَدْ كَانَ ذَا وَجَاهَةٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ بَعَثَهُ فِي مَهَامِّ الرُّسُلِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ النِّصْفَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٤٨٨هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٨- **أَبُو شُجَاعٍ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ**، الْمُلَقَّبُ ظَهِيرَ الدِّينِ الرُّوذْرَاوِرِيُّ الْأَصْلِ، الْأَهْوَازِيُّ الْمَوْلِدِ، **كَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ**، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُهُ الَّذِي ذَيَّلَهُ عَلَى «تَجَارِبِ الْأُمَمِ» وَوَزَرَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي، وَكَانَ يَمْلِكُ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَنْفَقَهَا فِي سَبِيلِ الْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ، وَوَقَفَ الْوُقُوفَ الْحَسَنَةَ، وَأَكْثَرَ الْإِنْعَامَ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ.

وَكَانَ لَا يَجْلِسُ فِي الدِّيوَانِ إِلَّا وَعِنْدَهُ الْفُقَهَاءُ، فَإِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ سَأَلَهُمْ عَنْهُ، فَحكَمَ بِمَا يُفْتُونَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، ثُمَّ عُزِلَ عَنِ الْوَزَارَةِ فَسَارَ إِلَى الْحَجِّ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ مَرِضَ فَمَاتَ بها سنة (٤٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، وَدُفِنَ فِي الْبَقِيعِ.

٩- **الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الشَّامِيُّ مُحَمَّدُ الْحَمَوِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَتَفَقَّهَ بِبَلَدِهِ، ثُمَّ حَجَّ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ فَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ، وَلَازَمَ مَسْجِدَهُ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً يُقْرِئُ النَّاسَ وَيُفَقِّهُهُمْ.

وَلَمَّا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِيُّ أَشَارَ بِهِ أَبُو شُجَاعٍ الْوَزِيرُ فَوَلَّاهُ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِي الْقَضَاءَ، وَكَانَ مِنْ أَنْزَهِ النَّاسِ وَأَعَفِّهِمْ؛ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ سُلْطَانٍ عَطِيَّةً، وَلَا مِنْ صَاحِبِ هَدِيَّةً، وَلَمْ يُغَيِّرْ مَلْبَسَهُ وَلَا مَأْكَلَهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْقَضَاءِ أَجْرًا، وَلَمْ يَسْتَتِبْ أَحَدًا بَلْ كَانَ يُبَاشِرُ الْقَضَاءَ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُحَابِ مَخْلُوقًا.

وَقَدْ كَانَ يَضْرِبُ بَعْضَ الْمُنْكِرِينَ؛ حَيْثُ لَا بَيِّنَةَ إِذَا قَامَتْ عِنْدَهُ قَرَائِنُ لِلتُّهْمَةِ حَتَّى يُقِرُّوا، وَيَذْكُرُ أَنَّ فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا.

وَشَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُنَاظِرِينَ يُقَالُ لَهُ: الْمُشَطَّبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ الْفَرْغَانِيُّ فَلَمْ يَقْبَلْهُ لَمَّا رَأَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، فَقَالَ لَهُ الْمُدَّعِي: إِنَّ السُّلْطَانَ وَوَزِيرَهُ نِظَامَ الْمُلْكِ يَلْبَسَانِ الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ، فَقَالَ الْقَاضِي الشَّامِيُّ: وَاللهِ لَوْ شَهِدَا عِنْدِي عَلَى بَاقَةِ بَقْلٍ مَا قَبِلْتُ شَهَادَتَهُمَا.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ شَعْبَانَ فِي سنة (٤٨٨هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْقُرْبِ مِنَ ابْنِ سُرَيْجٍ.

١٠ -**أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ فَتُّوحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُمَيْدٍ، مِنْ جَزِيرَة مَيُورْقَه، قَرِيبَةٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ.

قَدِمَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ، وَكَانَ حَافِظًا مُكْثِرًا دَيِّنًا بَاهِرًا عَفِيفًا نَزِهًا، وَهُوَ «صَاحِبُ الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ» وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ، وَقَدْ كَتَبَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ ابْنِ حَزْمٍ وَالْخَطِيبِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ **بِبَغْدَادَ** لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٤٨٨هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

١١ - **عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ**، أَبُو الْفَضْلِ الْهَمَذَانِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَى الْمَاوَرْدِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْحِسَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ يَحْفَظُ «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» لِأَبِي عُبَيْدٍ وَ «الْمُجْمَلَ» لِابْنِ فَارِسَ.

وَكَانَ عَفِيفًا زَاهِدًا، طَلَبَهُ الْمُقْتَدِي لِيُوَلِّيَهُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ، فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ وَاعْتَذَرَ لَهُ بِالْعَجْزِ وَعُلُوِّ السِّنِّ، وَكَانَ ظَرِيفًا لَطِيفًا، كَانَ يَقُولُ: كَانَ أَبِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَدِّبَنِي أَخَذَ الْعَصَا بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ: **نَوَيْتُ أَنْ أَضْرِبَ وَلَدِي تَأْدِيبًا كَمَا أَمَرَ اللهُ ثُمَّ يَضْرِبُنِي**، قَالَ: **وَإِلَى أَنْ يَنْوِيَ وَيُتَمِّمَ النِّيَّةَ كُنْتُ أَهْرُبُ**. تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (٤٨٩هـ)، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ ابْنِ سُرَيْجٍ.

١٢ -**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي**، أَبُو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْخَاضِبَةِ، كَانَ مَعْرُوفًا بِالْإِفَادَةِ، وَجَوْدَةِ الْقِرَاءَةِ، وَحُسْنِ الْخَطِّ، وَصِحَّةِ النَّقْلِ، جَمَعَ بَيْنَ عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ، وَأَكْثَرَ عَنِ الْخَطِيبِ وَأَصْحَابِ الْمُخَلِّصِ.

قَالَ: لَمَّا غَرِقَتْ بَغْدَادُ غَرِقَتْ دَارِي وَكُتُبِي فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ فَاحْتَجْتُ إِلَى النَّسْخِ فَكَتَبْتُ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ» فِي تِلْكَ السَّنَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَيْنَ ابْنُ الْخَاضِبَةِ، فَجِئْتُ فَأُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَلَمَّا دَخَلْتُهَا اسْتَلْقَيْتُ عَلَى قَفَايَ، وَوَضَعْتُ إِحْدَى رِجْلَيَّ عَلَى الْأُخْرَى، وَقُلْتُ اسْتَرَحْتُ مِنَ النَّسْخِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ، وَالْقَلَمُ فِي يَدِي، وَالنَّسْخُ بَيْنَ يَدَيَّ، توفي سنة (٤٨٩هـ).

١٣- **أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ الْحَافِظُ**، مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، مِنْ أَهْلِ مَرْوَ تَفَقَّهَ أَوَّلًا عَلَى أَبِيهِ فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ حِينَ أَخَذَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، وَابْنِ الصَّبَّاغِ.

وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَصَنَّفَ «التَّفْسِيرَ» وَكِتَابَ «الِانْتِصَارِ» فِي الْحَدِيثِ، وَ «الْبُرْهَانَ» وَ «الْقَوَاطِعَ» فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَالِاصْطِلَامَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَوَعَظَ فِي مَدِينَةِ نَيْسَابُورَ، وَكَانَ يَقُولُ مَا حَفِظْتُ شَيْئًا فَنَسِيتُهُ.

وَسُئِلَ عَنْ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ. وتُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٤٨٩هـ).

١٤- **الْمُعَمَّرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعَمَّرِ، أَبُو الْغَنَائِمِ** الْحُسَيْنِيُّ النَّقِيبُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، كَثِيرَ التَّعَبُّدِ، **لَا يُعْرَفُ أَنَّهُ آذَى مُسْلِمًا، وَلَا شَتَمَ صَاحِبًا**، تُوُفِّيَ سنة (٤٩٠هـ) عَنْ نَيِّفٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَكَانَ مِنْهَا نَقِيبًا ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو الْفُتُوحِ حَيْدَرَةُ.

١٥- **السُّلْطَانُ إِبْرَاهِيمُ** ابْنُ مَحْمُودِ بْنِ مَسْعُودِ ابْنِ مَحْمُودِ **بْنِ سُبُكْتِكِينَ**، صَاحِبُ غَزْنَةَ، وَأَطْرَافِ الْهِنْدِ، كَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ وَأُبَّهَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، حَكَى إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيُّ - حِينَ بَعَثَهُ السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ إِلَيْهِ - فِي رِسَالَةٍ عَمَّا شَاهَدَهُ عِنْدَهُ مِنْ أُمُورِ السَّلْطَنَةِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

قَالَ: رَأَيْتُ شَيْئًا عَجِيبًا، وَقَدْ وَعَظَهُ بِحَدِيثِ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا» فَبَكَى، قَالَ: وَكَانَ لَا يَبْنِي لِنَفْسِهِ مَنْزِلًا إِلَّا بَنَى قَبْلَهُ مَسْجِدًا، أَوْ مَدْرَسَةً، أَوْ رِبَاطًا، تُوُفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى فِي رَجَبٍ سنة (٤٩٢هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

١٦-**عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ يُوسُفَ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، **أَبُو تُرَابٍ الْمَرَاغِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايِخِ بِبُلْدَانٍ شَتَّى، ثُمَّ أَقَامَ بِنَيْسَابُورَ، وَكَانَ يَحْفَظُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ، نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ مَسْأَلَةٍ بِأَدِلَّتِهَا وَالْمُنَاظَرَةِ عَلَيْهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَالْمُلَحِ وَالْآدَابِ.

وَكَانَ صَبُورًا مُتَقَلِّلًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، جَاءَهُ مَنْشُورٌ بِقَضَاءِ هَمَذَانَ، فَقَالَ: أَنَا مُنْتَظِرٌ مَنْشُورًا مِنَ اللهِ , عَلَى يَدَيْ مَلَكِ الْمَوْتِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَاللهِ لَجُلُوسُ سَاعَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عَلَى رَاحَةِ الْقَلْبِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ، وَتَعْلِيمُ مَسْأَلَةٍ لِطَالِبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُلْكِ الثَّقَلَيْنِ،[1] تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٤٩٢هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

١٧-**عَبْدُ الرَّزَّاقِ الْغَزْنَوِيُّ الصُّوفِيُّ**، شَيْخُ رِبَاطِ عَتَّابٍ، حَجَّ مَرَّاتٍ عَلَى التَّجْرِيدِ، مَاتَ سنة (٤٩٣هـ) وَلَهُ نَحْوُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتْرُكْ كَفَنًا، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَهُوَ فِي الِاحْتِضَارِ: سَتُفْتَضَحُ الْيَوْمَ؛ لَا يُوجَدُ لَكَ كَفَنٌ، فَقَالَ لَهَا: لَوْ تَرَكْتُ كَفَنًا لَافْتُضِحْتُ.

وَعَكْسُهُ:

١٨- **أَبُو الْحَسَنِ الْبِسْطَامِيُّ** شَيْخُ رِبَاطِ ابْنِ الْمِحْلَبَانِ، كَانَ لَا يَلْبَسُ إِلَّا الصُّوفَ شِتَاءً وَصَيْفًا، وَيُظْهِرُ الزُّهْدَ، وَحِينَ تُوُفِّيَ وُجِدَ لَهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ مَدْفُونَةٌ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ حَالَيْهِمَا، وَاتِّفَاقِ مَوْتِهِمَا فِي سنة (٤٩٣هـ)، فَرَحِمَ اللهُ الْأَوَّلَ، وَسَامَحَ الثَّانِي.

١٩- **الْوَزِيرُ** عَمِيدُ الدَّوْلَةِ **ابْنُ جَهِيرٍ**، أَبُو مَنْصُورٍ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، كَانَ أَحَدَ رُؤَسَاءِ الْوُزَرَاءِ، وَسَادَاتِ الْكُبَرَاءِ، **خَدَمَ ثَلَاثَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ** وَوَزَرَ لِاثْنَيْنِ مِنْهُمْ، وَكَانَ حَلِيمًا قَلِيلَ الْعَجَلَةِ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِيهِ بِسَبَبِ الْكِبْرِ.

---

(١) المنتظم ١٧/ ٥١.

وَقَدْ وَلِيَ الْوَزَارَةَ مَرَّاتٍ؛ يُعْزَلُ ثُمَّ يُعَادُ، ثُمَّ كَانَ آخِرَهَا هَذِهِ الْمَرَّةُ، حُبِسَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ السِّجْنِ إِلَّا مَيِّتًا فِي شَوَّالٍ سنة (٤٩٣هـ).

٢٠- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الصَّبَّاغِ، أَبُو مَنْصُورٍ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ، ثُمَّ عَلَى عَمِّهِ أَبِي نَصْرِ بْنِ الصَّبَّاغِ، وَكَانَ فَقِيهًا، فَاضِلًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ، يَصُومُ الدَّهْرَ، وَقَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِرَبْعِ الْكَرْخِ، وَالْحِسْبَةَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ؛ وتوفي سنة (٤٩٤هـ).

٢١- **مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي، أَبُو الْفَضَائِلِ** الرَّبَعِيُّ الْمَوْصِلِيُّ، تَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، وَسَمِعَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ، وَكَانَ ثِقَةً، صَالِحًا، كَتَبَ الْكَثِيرَ؛ وتوفي سنة (٤٩٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٢- **مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَبُو سَعْدٍ الْمُسْتَوْفِي**، شَرَفُ الْمُلْكِ الْخُوَارَزْمِيُّ، جَلِيلُ الْقَدْرِ، وَكَانَ مُتَعَصِّبًا لِأَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَوَقَفَ لَهُمْ مَدْرَسَةً بِمَرْوٍ، وَوَقَفَ فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً وَبَنَى مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ عِنْدَ بَابِ الطَّاقِ **وَبَنَى الْقُبَّةَ عَلَى قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ**، وَبَنَى أَرْبِطَةً فِي الْمَفَاوِزِ وَعَمِلَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ مَأْكَلًا وَمَشْرَبًا وَأَحْسَنِهِمْ مَلْبَسًا وَأَكْثَرِهِمْ مَالًا، ثُمَّ تَرَكَ الْعِمَالَةَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِنَفْسِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ سنة (٤٩٤هـ)؛ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

٢٣- **مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْقُشَيْرِيُّ، عَمِيدُ خُرَاسَانَ**، قَدِمَ بَغْدَادَ أَيَّامَ طُغْرُلْبَكَ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَسْرُورٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ، وَقَفَ بِمَرْوٍ مَدْرَسَةً عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ وَذُرِّيَّتِهِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فَهُمْ يَتَوَلَّوْنَهَا إِلَى الْآنِ، وَبَنَى بِنَيْسَابُورَ مَدْرَسَةً وَفِيهَا تُرْبَتُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَوَّالٍ سنة (٤٩٤هـ)؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٤- **مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ**، أَبُو نَصْرٍ الْقَاضِي الْبَنْدَنِيجِيُّ، الضَّرِيرُ، الشَّافِعِيُّ، أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ ثُمَّ جَاوَرَ بِمَكَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، يُفْتِي وَيُدَرِّسُ، وَيَرْوِي الْحَدِيثَ، وَكَانَ مِنْ نَوَادِرِ الزَّمَانِ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

أُعَاهِدُ رَبِّي ثُمَّ أَنْقُضُ عَهْدَهُ وَأَتْرُكُ عَزْمِي حِينَ تَعْرِضُ شَهْوَتِي
وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبَلِّغِي أَلِلزَّادِ أَبْكِي أَمْ لِطُولِ مَسَافَتِي؟

توفي سنة (٤٩٥هـ).

٢٥- **أَرْدَشِيرُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ أَبُو الْحَسَنِ الْعَبَّادِيُّ**، الْوَاعِظُ، قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ فِي سنة (٤٨٦هـ) مَرْجِعَهُ مِنَ الْحَجِّ، فَنَزَلَ النِّظَامِيَّةَ فَوَعَظَ النَّاسَ، **وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ الْغَزَّالِيُّ** مُدَرِّسُ الْمَكَانِ وَازْدَحَمَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِ وَعْظِهِ، وَكَثُرُوا فِي الْمَجَالِسِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَعَايِشَهُمْ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ **قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ**، وَتَابَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَلَزِمُوا الْمَسَاجِدَ، وَأُرِيقَتِ الْخُمُورُ، وَكُسِرَتِ الْمَلَاهِي، وَكَانَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ صَالِحًا لَهُ عِبَادَاتٌ، وَفِيهِ زُهْدٌ وَافِرٌ، وَلَهُ أَحْوَالٌ صَالِحَةٌ. وتوفي سنة (٤٩٧هـ).

٢٦- **الْعَلَاءُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبِ بْنِ الْمُوصَلَايَا، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ** بِبَغْدَادَ، مَكَثَ فِي الرِّيَاسَةِ مُدَّةً طَوِيلَةً نَحْوًا مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، كَانَ **نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ** فِي سَنَةِ (٤٨٤هـ)، وَكَانَ فِي الْوَزَارَةِ مَرَّاتٍ، وَكَانَ فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ.

وَتُوُفِّيَ فِي سنة (٤٩٧هـ) عَنْ عُمْرٍ طَوِيلٍ؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٢٧- **مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ، أَبُو عُمَرَ النَّهَاوَنْدِيُّ**، قَاضِي الْبَصْرَةِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَكَانَ **فَقِيهًا**، عَالِمًا، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرْدِيِّ وَغَيْرِهِ، مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ، وَقِيلَ: سَبْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَتُوُفِّيَ فِي سنة (٤٩٧هـ).

٢٨- **السُّلْطَانُ بَرْكِيَارُوقُ بْنُ مَلِكْشَاهْ**، رُكْنُ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيُّ، جَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَحُرُوبٌ هَائِلَةٌ، وَأَحْوَالٌ مُتَبَايِنَةٌ، خُطِبَ لَهُ بِبَغْدَادَ **سِتَّ مَرَّاتٍ**، وَعُزِلَ عَنْهَا **سِتَّ مَرَّاتٍ**، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ مَاتَ فِي سنة (٤٩٨هـ) أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشُهُورًا، وَأُقِيمَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ مَلِكْشَاهْ وكان طفلاً، فَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ؛ بِسَبَبِ مُنَازَعَةِ عَمِّهِ مُحَمَّدٍ لَهُ.

٢٩- **الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ**، الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْغَسَّانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ مُصَنِّفُ «**تَقْيِيدِ الْمُهْمَلِ**» عَلَى أَلْفَاظِ الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ كَثِيرُ النَّفْعِ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ يُسْمِعُ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٤٩٨هـ)، عَنْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٠- **مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو مَنْصُورٍ الْخَيَّاطُ**، أَحَدُ **الْقُرَّاءِ وَالصُّلَحَاءِ**، خَتَمَ أُلُوفًا مِنَ الْخَتَمَاتِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَسْمَعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَحِينَ تُوُفِّيَ اجْتَمَعَ كثير من الناس فِي جِنَازَتِهِ اجْتِمَاعًا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِي جِنَازَةٍ بِتِلْكَ الْأَزْمَانِ.

وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَبْعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ رَآهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ غَفَرَ لِي بِتَعْلِيمِي الصِّبْيَانَ الْفَاتِحَةَ. وتوفي سنة (٤٩٩هـ).

٣١- **مُهَارِشُ بْنُ مُجَلِّي، أَمِيرُ الْعَرَبِ بِحَدِيثَةَ وَعَانَةَ**، وَهُوَ الَّذِي أُودِعَ عِنْدَهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللهِ حِينَ كَانَتْ فِتْنَةُ الْبَسَاسِيرِيِّ بِبَغْدَادَ؛ فَأَكْرَمَ الْخَلِيفَةَ حِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَازَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَكَانَ الْأَمِيرُ مُهَارِشٌ هَذَا كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٤٩٩هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً.

٣٢- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ**، أَبُو الْمُظَفَّرِ الْخَوَافِيُّ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: الْخَوَافِيُّ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْوَاوِ نِسْبَةً إِلَى خَوَافٍ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي نَيْسَابُورَ.

كَانَ أَنْظَرَ أَهْلِ زَمَانِهِ، تَفَقَّهَ عَلَى إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَكَانَ أَوْجَهَ تَلَامِذَتِهِ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِطُوسَ، وَنَوَاحِيهَا، وَكَانَ مَشْهُورًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِحُسْنِ الْمُنَاظَرَةِ، وَإِفْحَامِ الْخُصُومِ، توفي سنة (٥٠٠هـ).

٣٣- **عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الشِّيرَازِيُّ الْفَارِسِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَتَفَقَّهَ، وَوَلَّاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ

وَثَمَانِيـنَ، فَـدَرَّسَ بِهَا مُـدَّةً، وَكَانَ يُمْلِي الْأَحَادِيـثَ، **وَكَانَ كَثِيرَ التَّصْحِيـفِ** رَوَى مَرَّةً حَدِيـثَ «صَلَاةٌ فِـي أَثَرِ صَلَاةٍ كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ» (١) فَقَالَ: كَنَارٍ فِي غَلَسٍ، ثُمَّ أَخَذَ يُفَسِّـرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ لِإِضَاءَتِهَا، توفي سنة (٥٠٠هـ).

٣٤-**يُوسُـفُ بْنُ عَلِيٍّ، أَبُو الْقَاسِمِ الزَّنْجَانِيُّ**، الْفَقِيهُ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ، حَكَى عَنِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ قَالَ:

كُنَّا يَوْمًا بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ فِي حَلْقَةٍ فَجَاءَ شَـابٌّ خُرَاسَـانِيٌّ، فَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْمُصَرَّاةِ، (٢) فَقَالَ الشَّابُّ: هَذَا الْحَدِيثُ غَيْرُ مَقْبُولٍ. فَمَا اسْتَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى سَقَطَتْ مِنْ سَـقْفِ الْمَسْـجِدِ حَيَّةٌ، فَنَهَضَ النَّاسُ هَارِبِيـنَ فَتَبِعَتِ الْحَيَّةُ ذَلِكَ الشَّـابَّ مِنْ بَيْنِهِمْ فَقِيـلَ لَهُ: تُبْ تُـبْ. فَقَالَ: تُبْتُ، فَذَهَبَتْ فَلَا نَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَـتْ. رَوَاهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْمُعَمَّرِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ، وتوفي سنة (٥٠٠هـ).

٣٥-**تَمِيمُ بْـنُ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَةَ**، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ خُلُقًا وَكَرَمًا وَإِحْسَـانًا، مَلَكَ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَعُمِّرَ تِسْعًا وَسَبْعِينَ سَـنَةً، وَتَرَكَ مِنَ الْبَنِينَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ، وَمِنَ الْبَنَاتِ سِـتِّينَ بِنْتًا، وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ يَحْيَى، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا مُدِحَ بِهِ الْأَمِيرُ تَمِيمٌ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَصَحُّ وَأَعْلَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى ... مِـنَ الْخَبَـرِ الْمَـرْوِيِّ مُنْـذُ قَدِيـمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا ... عَـنِ الْبَحْرِ عَـنِ كَفِّ الْأَمِيـرِ تَمِيمِ

توفي سنة (٥٠١هـ)

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سـننه برقم (٥٥٨) وهو حديث حسـن كما قال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٢٢).

(٢) المصراة: هي الشـاه التي يصرى أي يجمع اللبن في ضرعها ويحبس، والحديث رواه مسـلم في صحيحه برقم (١٥٢٤).

٣٦-صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسٍ الْأَسَدِيُّ، الْأَمِيرُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ، صَاحِبُ الْحِلَّةِ، وَتَكْرِيتَ، وَوَاسِطٍ وَغَيْرِهَا.

كَانَ كَرِيمًا، عَفِيفًا، ذَا ذِمَامٍ، مَلْجَأً لِكُلِّ خَائِفٍ، يَأْمَنُ فِي بِلَادِهِ وَتَحْتَ جَنَابِهِ، وَكَانَ يُحْسِنُ يَقْرَأُ الْكُتُبَ، وَلَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، وَقَدِ اقْتَنَى كُتُبًا كَثِيرَةً جِدًّا نَفِيسَةً، وَكَانَ لَا يَتَزَوَّجُ عَلَى امْرَأَةٍ قَطُّ، وَلَا يَتَسَرَّى عَلَى سُرِّيَّةٍ؛ حِفْظًا لِلذِّمَامِ، وَلِئَلَّا يَكْسِرَ قَلْبَ أَحَدٍ.

وَقَدْ مُدِحَ بِأَوْصَافٍ جَمِيلَةٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا، قُتِلَ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ سنة (٥٠١هـ)، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَلِيَ الْإِمَارَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٧-الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْخَازِنِ، أَبُو الْفَوَارِسِ، الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ بِالْخَطِّ الْمَنْسُوبِ، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَتَبَ بِيَدِهِ خَمْسَمِائَةِ خَتْمَةٍ، مَاتَ فَجْأَةً؛ سنة (٥٠٢هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٣٨-عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو الْمَحَاسِنِ الرُّويَانِيُّ، مِنْ أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ. وُلِدَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ حَتَّى بَلَغَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَحَصَّلَ عُلُومًا جَمَّةً، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، أَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ نَاصِرٍ الْمَرْوَزِيِّ وَعَلَّقَ عَنْهُ.

وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ «الْبَحْرُ» فِي الْفُرُوعِ، وَهُوَ حَافِلٌ كَامِلٌ شَامِلٌ لِلْغَرَائِبِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْمَثَلِ: حَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ. وَكَانَ يَقُولُ: لَوِ احْتَرَقَتْ كُتُبُ الشَّافِعِيِّ أَمْلَيْتُهَا مِنْ حِفْظِي.

وَكَانَ لِلرُّويَانِيِّ الْجَاهُ الْعَظِيمُ، وَالْحُرْمَةُ الْوَافِرَةُ، وَكَانَ نِظَامُ الْمُلْكِ كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لَهُ، قُتِلَ ظُلْمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ يَوْمُ عَاشُورَاءَ فِي الْجَامِعِ بِطَبَرِسْتَانَ سنة (٥٠٢هـ).

٣٩-أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو بَكْرٍ الْعُلْثِيُّ، كَانَ يَعْمَلُ فِي تَجْصِيصِ الْحِيطَانِ، وَلَا يَنْقُشُ صُورَةً، وَلَا يَأْخُذُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَكَانَتْ لَهُ أَمْلَاكٌ يَبِيعُ مِنْهَا، وَيَتَقَوَّتُ، وَقَدْ

سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ.

وَكَانَ إِذَا حَجَّ يَزُورُ الْقُبُورَ بِمَكَّةَ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى قَبْرِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ يَخُطُّ إِلَى جَانِبِهِ خَطًّا بِعَصَاهُ وَيَقُولُ: **يَا رَبِّ هَاهُنَا**، فَقُدِّرَ أَنَّهُ حَجَّ فِي سنة (٥٠٣هـ)، فَوَقَفَ بِعَرَفَاتٍ مُحْرِمًا فَتُوفِّيَ بِهَا مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فَغُسِّلَ وَكُفِّنَ وَطِيفَ بِهِ حَوْلَ الْبَيْتِ،(١) ثُمَّ دُفِنَ إِلَى جَانِبِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخُطُّهُ بِعَصَاهُ، وَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ اجْتَمَعُوا لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٠- **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ سَعْدَوَيْهِ، أَبُو الْفِتْيَانِ الدِّهِسْتَانِيُّ**، رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَدَارَ الدُّنْيَا، وَخَرَّجَ وَانْتَخَبَ، وَكَانَ لَهُ فِقْهٌ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَكَانَ ثِقَةً، وَقَدْ صَحَّحَ عَلَيْهِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ كِتَابَ الصَّحِيحَيْنِ، كَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَرْخَسَ فِي سنة (٥٠٣هـ).

٤١- **عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْحَسَنِ الطَّبَرِيُّ**، وَيُعْرَفُ بِإِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ، وَإِلْكِيَا مَعْنَاهُ: كَبِيرُ الْقَدْرِ، الْمُقَدَّمُ الْمُعَظَّمُ.

أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْكِبَارِ مِنْ رُءُوسِ الشَّافِعِيَّةِ، اشْتَغَلَ عَلَى إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَكَانَ هُوَ وَالْغَزَّالِيُّ أَكْبَرَ التَّلَامِذَةِ، وَقَدْ وَلِيَ كُلٌّ مِنْهُمَا تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَقَدْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا فَصِيحًا جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ جَمِيلًا.

وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَنَاظَرَ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ وَسَادَاتِ الْفُقَهَاءِ، وَلَهُ كِتَابٌ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى مَا انْفَرَدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُجَلَّدٍ، وَلَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ. وَقَدِ اتُّهِمَ فِي وَقْتٍ بِأَنَّهُ يُمَالِئُ الْبَاطِنِيَّةَ فَنُزِعَ مِنْهُ التَّدْرِيسُ، ثُمَّ شَهِدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِبَرَاءَتِهِ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْهُمُ ابْنُ عَقِيلٍ فَأُعِيدَ إِلَيْهِ.

---

(١) كان الأولى ألا يكفن، وإنما يترك على إحرامه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً. والطواف به بعد موته غير مشروع.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ مُسْتَهَلَّ سنة (٥٠٤هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَحَكَى السِّلَفِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ اسْتُفْتِيَ فِي كَتَبَةِ الْحَدِيثِ هَلْ يَدْخُلُونَ فِي الْوَصِيَّةِ لِلْفُقَهَاءِ؟ فَأَجَابَ نَعَمْ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا بَعَثَهُ اللهُ فَقِيهًا عَالِمًا» (١)

٤٢- **مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَبَرَعَ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ مُنْتَشِرَةٌ فِي فُنُونٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَكَانَ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ فِي كُلِّ مَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ، وَسَادَ فِي شَبِيبَتِهِ حَتَّى إِنَّهُ دَرَّسَ بِالنِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ وَلَهُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، فَحَضَرَ عِنْدَهُ رُءُوسَ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ مِمَّنْ حَضَرَ عِنْدَهُ ابْنُ عَقِيلٍ وَأَبُو الْخَطَّابِ مِنْ رُءُوسِ الْحَنَابِلَةِ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ فَصَاحَتِهِ وَاطِّلَاعِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ عَنِ الدُّنْيَا بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، فَكَانَ **يَرْتَزِقُ مِنَ النَّسْخِ**، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا بِدِمَشْقَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ مُدَّةً، وَصَنَّفَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كِتَابَهُ «إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ» وَهُوَ كِتَابٌ عَجِيبٌ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ، وَمَمْزُوجٌ بِأَشْيَاءَ لَطِيفَةٍ مِنَ التَّصَوُّفِ وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

لَكِنْ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ غَرَائِبُ وَمُنْكَرَاتٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَوْضُوعٌ، كَمَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْفُرُوعِ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَالْكِتَابُ الْمَوْضُوعُ لِلرَّقَائِقِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ أَسْهَلُ أَمْرًا مِنْ غَيْرِهِ.

وَقَدْ شَنَّعَ عَلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ ثُمَّ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي ذَلِكَ تَشْنِيعًا كَثِيرًا، وَأَرَادَ الْمَازَرِيُّ أَنْ يَحْرِقَ كِتَابَهُ «إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ» وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، وَقَالُوا: هَذَا كِتَابُ إِحْيَاءِ عُلُومِ دِينِهِ، وَأَمَّا دِينُنَا فَإِحْيَاءُ عُلُومِهِ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْغَزَّالِيُّ يَقُولُ: أَنَا مُزْجَى الْبِضَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَالَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ إِلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَالتَّحَفُّظِ «لِلصَّحِيحَيْنِ».

(١) الحديث ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ١/ ١١١. ثم قال هذا حديث لا يصح. وقال النووي في «الأربعين النووية» واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإن كثرت طرقه.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: ثُمَّ أَلْزَمَهُ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ بِالْخُرُوجِ إِلَى نَيْسَابُورَ فَدَرَّسَ بِنِظَامِيَّتِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ طُوسَ، وَابْتَنَى بِهَا رِبَاطًا وَاتَّخَذَ دَارًا حَسَنَةً، وَغَرَسَ فِيهَا بُسْتَانًا، أَنِيقًا، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَحِفْظِ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٠٥هـ) وَدُفِنَ بِطُوسَ؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: أَوْصِنِي فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْإِخْلَاصِ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَرِّرُهَا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٣- **مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ** الْلَامِشِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيُّ الْحَنَفِيُّ، أَوْرَدَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ حَدِيثًا، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ قَضَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَشَكَوْا مِنْهُ، فَعُزِلَ عَنْهَا، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ دِمَشْقَ، وَكَانَ غَالِيًا فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ الَّذِي رَتَّبَ الْإِقَامَةَ مَثْنَى مَثْنَى، قَالَ: إِلَى أَنْ أَزَالَ اللهُ ذَلِكَ بِدَوْلَةِ **الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ**.

قَالَ: وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى نَصْبِ إِمَامٍ حَنَفِيٍّ بِالْجَامِعِ؛ فَامْتَنَعَ أَهْلُ دِمَشْقَ مِنْ ذَلِكَ، وَامْتَنَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ خَلْفَهُ، وَصَلَّوْا بِأَجْمَعِهِمْ فِي دَارِ الْخَيْلِ، وَهِيَ الَّتِي قِبْلِيَّ الْجَامِعِ.

وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتْ لِي الْوِلَايَةُ لَأَخَذْتُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ الْجِزْيَةَ، وَكَانَ مُبْغِضًا لِأَصْحَابِ مَالِكٍ أَيْضًا. قَالَ: وَلَمْ تَكُنْ سِيرَتُهُ فِي الْقَضَاءِ مَحْمُودَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٠٦هـ)، **قَالَ**: وَقَدْ شَهِدْتُ جِنَازَتَهُ وَأَنَا صَغِيرٌ فِي الْجَامِعِ.

٤٤- **أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ**، عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمُظَفَّرِ، الْمَرْوَزِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْمُصَنِّفِينَ، صَنَّفَ **كتاب الْأَنْسَابِ** وَغَيْرَهُ.

رَحَلَ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ حَتَّى كَتَبَ عَنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ شَيْخٍ، وَصَنَّفَ التَّفْسِيرَ، وَالتَّارِيخَ، وَالذَّيْلَ عَلَى تَارِيخِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَذَكَرَ لَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ مُصَنَّفَاتٍ عَدِيدَةً جِدًّا؛ مِنْهَا كِتَابُهُ الَّذِي جَمَعَ فِيهِ أَلْفَ حَدِيثٍ عَنْ مِائَةِ شَيْخٍ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا إِسْنَادًا وَمَتْنًا، وَهُوَ مُفِيدٌ جِدًّا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. توفي سنة (٥٠٦هـ).

٤٥- **مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأُمَوِيُّ الْأَبِيوَرْدِيُّ**، أَبُو الْمُظَفَّرِ الشَّاعِرُ، كَانَ عَالِمًا بِاللُّغَةِ وَالْأَنْسَابِ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ «تَارِيخَ أَبِيوَرْدَ» وَ «أَنْسَابَ الْعَرَبِ» وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الْكِبْرِ وَالتِّيهِ الزَّائِدِ؛ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ مَلِّكْنِي مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا.

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي ... أَعِزُّ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهُونُ
وَظَلَّ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ اعْتِدَاؤُهُ ... وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

وكانت وفاته سنة (٥٠٧هـ).

٤٦- **مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيُّ**، الْحَافِظُ، وُلِدَ سَنَةَ (٤٤٨هـ)، وَأَوَّلُ سَمَاعِهِ سَنَةَ سِتِّينَ، وَسَافَرَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ، وَسَمِعَ كَثِيرًا، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ، وَصَنَّفَ كُتُبًا مُفِيدَةً؛ غَيْرَ أَنَّهُ صَنَّفَ كِتَابًا فِي إِبَاحَةِ السَّمَاعِ، وَفِي التَّصَوُّفِ، وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ أَحَادِيثَ مُنْكَرَةً جِدًّا، وَأَوْرَدَ أَحَادِيثَ صَحِيحَةً فِي غَيْرِ كُنْهِهَا، وَقَدْ أَثْنَى عَلَى حِفْظِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ. وكانت وفاته ببغداد سنة (٥٠٧هـ).

٤٧- **الْمُؤْتَمَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ**، أَبُو نَصْرٍ السَّاجِيُّ الْمَقْدِسِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَخَرَّجَ، وَكَانَ ثِقَةً، صَحِيحَ النَّقْلِ، حَسَنَ الْخَطِّ، مَشْكُورَ السِّيرَةِ، لَطِيفَ النَّفْسِ، اشْتَغَلَ فِي الْفِقْهِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ مُدَّةً، وَرَحَلَ إِلَى أَصْبَهَانَ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ جُمْلَةِ الْحُفَّاظِ لَا سِيَّمَا لِلْمُتُونِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَهُوَ أَحَقُّ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثَّرَى؟ تُوُفِّيَ الْمُؤْتَمَنُ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٥٠٧هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٤٨- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ** بْنِ مَلَّةَ أَبُو عُثْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ، أَحَدُ الرَّحَّالِينَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَعَظَ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ ثَلَاثِينَ مَجْلِسًا، وَاسْتَمْلَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ وَتُوُفِّيَ بِأَصْبَهَانَ في سنة (٥٠٩هـ)

٤٩ - **يَحْيَى بْنُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ** بْنِ بَادِيسَ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ عَارِفًا، حَسَنَ السِّيرَةِ، مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، وَلَهُمْ عَلَيْهِ أَرْزَاقٌ، مَاتَ سنة (٥٠٩هـ) وَلَهُ ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَتَرَكَ ثَلَاثِينَ وَلَدًا، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَلِيٌّ.

٥٠ - **مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، أَبُو بَكْرٍ السَّمْعَانِيُّ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَحَدَّثَ، وَوَعَظَ بِالنِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَأَمْلَى بِمَرْوَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ مَجْلِسًا، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْحَدِيثِ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا فَاضِلًا لَهُ قَبُولٌ عَظِيمٌ فِي الْقُلُوبِ، تُوُفِّيَ بِمَرْوَ سنة (٥١٠هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

٥١ - **مَحْفُوظُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ**، أَبُو الْخَطَّابِ الْكَلْوَذَانِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَنَابِلَةِ وَمُصَنِّفِيهِمْ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى، وَقَرَأَ الْفَرَائِضَ عَلَى الْوَنِّيِّ، وَدَرَّسَ وَأَفْتَى وَنَاظَرَ، وَصَنَّفَ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ وَجَمَعَ قَصِيدَةً يَذْكُرُ فِيهَا اعْتِقَادَهُ وَمَذْهَبَهُ، **يَقُولُ فِيهَا**:

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ ... وَالشَّوْقَ نَحْوَ الْآنِسَاتِ الْخُرَّدِ
وَالنَّوْحَ فِي تَذْكَارِ سُعْدَى إِنَّمَا ... تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلُ مَنْ لَمْ يَسْعَدِ

وَذَكَرَ تَمَامَهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٥١٠هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٥٢ - **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الشَّهْرَزُورِيُّ**، الْقَاضِي الْمُرْتَضَى أَبُو مُحَمَّدٍ، اشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ وَتَفَقَّهَ بِهَا، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، بَارِعًا دَيِّنًا حَسَنَ النَّظْمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ فَكَانَ يَعِظُ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ بَارِعَةٌ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ، أَوْرَدَهَا الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ بِتَمَامِهَا لِحُسْنِهَا وَفَصَاحَتِهَا:

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥١١هـ)، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَزَعَمَ الْعِمَادُ فِي «الْخَرِيدَةِ» أَنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

٥٣- أَمِيرُ الْحَاجِّ يُمْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَبُو الْخَيْرِ الْمُسْتَظْهِرِيُّ، كَانَ جَوَّادًا كَرِيمًا مُمَدَّحًا، ذَا رَأْيٍ وَفِطْنَةٍ ثَاقِبَةٍ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ طَلْحَةَ النِّعَالِيِّ، قَدِمَ رَسُولًا إِلَى أَصْبَهَانَ فَحَدَّثَ بِهَا، ومات بها في رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥١١هـ)، وَدُفِنَ هُنَاكَ.

(٢٩)

خلافة المسترشد باللّه الفضل بن أحمد المستظهر باللّه

٥١٢-٥٢٩

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

أبو منصور المسترشد بالله **الفضل** بن المستظهر بالله **أَحْمَدُ** بْنُ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ **عبد الله** بن محمد بن القائم بأمر الله العباسي.

وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمَّ وَلَدٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ.

○ صفاته

كَانَ الْمُسْتَرْشِدُ شُجَاعًا مِقْدَامًا بَعِيدَ الْهِمَّةِ، فَصِيحًا بَلِيغًا عَذْبَ الْكَلَامِ حَسَنَ الْإِيرَادِ مَلِيحَ الْخَطِّ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، مُحَبَّبًا إِلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَهُوَ آخِرُ خَلِيفَةٍ رُئِيَ خَطِيبًا، قُتِلَ وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ.

وكَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ شَهْمًا شُجَاعًا يُبَاشِرُ الْحُرُوبَ بِنَفْسِهِ.

○ وفاته

كَانَ بَيْنَ السُّلْطَانِ **مَسْعُودٍ** وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ خلاف ووَقَائِعُ كَثِيرَةٌ، فأراد الْخَلِيفَةُ قَطْعَ الْخُطْبَةِ لَهُ مِنْ بَغْدَادَ، فشَرَعَ مسعود بن محمد بن ملكشاه يَجْمَعُ الْعَسَاكِرَ لِيَأْخُذَ بَغْدَادَ مِنَ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا عَلِمَ الْخَلِيفَةُ بِذَلِكَ انْزَعَجَ ورَكِبَ مِنْ بَغْدَادَ فِي جَحَافِلَ كَثِيرَةٍ، وَمعه جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِ الْأُمَرَاءِ، وبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُقَدِّمَةً، وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ دُبَيْسَ بْنَ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورٍ، فَجَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ.

وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ الْجَيْشَيْنِ الْتَقَيَا فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ سنة (٥٢٩هـ) فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا كَثِيرًا، حتى أَسَرُوا الْخَلِيفَةَ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ.

وَحِينَ بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى بَغْدَادَ انْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَجَاءَتِ الْعَامَّةُ إِلَى الْمَنَابِرِ فَكَسَرُوهَا وَامْتَنَعُوا مِنْ حُضُورِ الْجَمَاعَاتِ، وكانت فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ.

فَكَتَبَ **الْمَلِكُ سَـنْجَرُ** فِي **مُسْتَهَلِّ شَـهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ**، إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يُحَذِّرُهُ غِبَّ ذَلِكَ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُعِيدَ الْخَلِيفَةَ إِلَى مُسْتَقَرِّ عِزِّهِ وَدَارِ خِلَافَتِهِ.

فَامْتَثَلَ الْمَلِكُ مَسْعُودٌ وَجَاءَ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الخليفة.

وَجِيءَ **بِدُبَيْسٍ مَكْتُوفًا**، وَمعه سَيْفًا مَسْلُولاً، فَطُرِحَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، مَاذَا يَرْسُمُ فِيهِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ؟! وهو يَقُولُ: **الْعَفْوَ يَا أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِينَ**، أَنَا أَخْطَأْتُ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، فقـال الخليفـة: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم، وأَمَـرَ بِإِطْلَاقِهِ، فَنَهَـضَ قَائِمًا وَالْتَمَـسَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ الْخَلِيفَةِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَبَّلَهَا.

فَلَمَّا كَانَ مُسْـتَهَلُّ ذِي الْقَعْدَةِ جَاءَتِ الرُّسُـلُ مِنْ جِهَةِ **الْمَلِكِ سَـنْجَرَ** إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَسْتَحِثُّهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، ومَعَ الرُّسُلِ جَيْشًا **لِيَكُونُوا فِي خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ** إِلَى بَغْدَادَ، فَصَحِبَ الْجَيْشَ **عَشَـرَةٌ مِـنَ الْبَاطِنِيَّةِ**، قِيلَ: لا يعلمون عنهم شـيئًا، وَقِيلَ: بَلْ كَانُوا مُجَهَّزِينَ.

وحينمـا وصلوا حَمَل الباطنية عَلَى الْخَلِيفَةِ فِي خَيْمَتِهِ، فَقَتَلُوهُ فِيهَا وَقَطَّعُوهُ قِطَعًا، فَلَمْ يَلْحَقِ النَّاسُ مِنْهُ إِلَّا الرُّسُومَ، وَقَتَلُوا مَعَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأُخِذَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ فَأُحْرِقُوا قَبَّحَهُمُ اللهُ،.

وَكَانَ مَقْتَلُهُ عَلَى بَابِ مَرَاغَةَ [١] فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَـابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ (٥٢٩هـ) فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ.

❁ ❁ ❁

(١) مراغة: بالفتح والغين المعجمة بلدة مشهورة عظيمة من أشهر بلاد أذربيجان. معجم البلدان ٥/ ٩٣.

خلافته

○ بيعته

بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوهُ فِي سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٥١٢هـ)، خُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَقَدْ كَانَ وَلِيَ الْعَهْدَ مِنْ مُدَّةِ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ الدَّامَغَانِيُّ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْبَيْعَةُ لَهُ هَرَبَ **أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ** فِي سَفِينَةٍ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، وَقَصَدَ دُبَيْسَ بْنَ صَدَقَةَ بِالْحِلَّةِ، فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَقَلِقَ الْمُسْتَرْشِدُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، فَرَاسَلَ دُبَيْسًا مَعَ نَقِيبِ النُّقَبَاءِ الزَّيْنَبِيِّ، فَهَرَبَ أَخُو الْخَلِيفَةِ مِنْ دُبَيْسٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشًا فَأَلْجَئُوهُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَلَحِقَهُ عَطَشٌ شَدِيدٌ فَلَقِيَهُ بَدَوِيَّانِ فَسَقَيَاهُ مَاءً، وَحَمَلَاهُ إِلَى بَغْدَادَ، فأحضراه إلى الخليفة فَاعْتَنَقَا وَتَبَاكَيَا، وَأَنْزَلَهُ الْخَلِيفَةُ دَارًا كَانَ يَسْكُنُهَا قَبْلَ الْخِلَافَةِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَطَيَّبَ نَفْسَهُ.

وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَةِ المسترشد سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

الصراع بين سلاطين السلاجقة

فِي سنة (٥١٣هـ) كَانَتِ الْحُرُوبُ الشَّدِيدَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ **مَحْمُودِ** بْنِ مُحَمَّد بْنِ مَلِكْشَاهْ وَبَيْنَ عَمِّهِ السُّلْطَانِ **سَنْجَرَ** بْنِ مَلِكْشَاهْ، فَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا لِسَنْجَرَ، فَخُطِبَ لَهُ بِبَغْدَادَ فِي سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ السُّلْطَانِ مَحْمُودٍ ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا وَرَسَمَ السُّلْطَانُ سَنْجَرَ أَنْ يُخْطَبَ لِابْنِ أَخِيهِ مَحْمُودٍ فِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ.

الصراع مع الفرنج

فِي سنة (٥١٣هـ) سَارَتِ **الْفِرِنْجُ** إِلَى **مَدِينَةِ حَلَبَ**، فدخلوها عَنْوَةً وَمَلَكُوهَا وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ مَارِدِينَ **إِيلْغَازِي بْنُ أُرْتُقَ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَهَزَمَهُمْ عَنْهَا، وَلَحِقَهُمْ إِلَى جَبَلٍ قَدْ تَحَصَّنُوا فِيهِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ هُنَالِكَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَأَسَرَ مِنْ مُقَدَّمِيهِمْ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ رَجُلًا، وَقُتِلَ فِيمَنْ قُتِلَ سَرْخَالُ صَاحِبِ أَنْطَاكِيَةَ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى بَغْدَادَ.

وفِي سنة (٥٢٠هـ) وقعت معركة بين طُغْتِكِينُ صَاحِبُ دِمَشْقَ **والْفِرِنْجِ**، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ مِنْهُمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي سنة (٥٢٣هـ) حَاصَرَتِ **الْفِرِنْج** مَدِينَةَ **دِمَشْقَ** فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَبَعَثَ أَهْلُ دِمَشْقَ عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَاعِظَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ إِلَى بَغْدَادَ يَسْتَغِيثُونَ بِالْخَلِيفَةِ وَهَمُّوا بِكَسْرِ مِنْبَرِ الْجَامِعِ حَتَّى وُعِدُوا بِأَنَّهُمْ سَيَكْتُبُونَ إِلَى السُّلْطَانِ؛ لِيَبْعَثَ جَيْشًا كَثِيفًا نُصْرَةً لِأَهْلِ الشَّامِ فَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى نَصَرَهُمُ اللهُ مِنْ عِنْدِهِ فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ.

وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشَرَةَ آلَافٍ، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ سِوَى أَرْبَعِينَ نَفْسًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَقُتِلَ بَيْمَنْدُ الْفِرِنْجِيُّ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٥٢٧هـ) نَهَبَ التُّرْكُمَانُ مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ **الْقُومَصُ** - لَعَنَهُ اللهُ - فَهَزَمُوهُ وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَحَاصَرُوهُ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى طَالَ الْحِصَارُ فَانْصَرَفُوا.

فِي سنة (٥٢٧هـ) اقْتَتَلَتِ **الْفِرِنْجُ** فِيمَا بَيْنَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، فَمَحَقَ اللهُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

فِي سنة (٥٢٨هـ) فَتَحَ زَنْكِي قِلَاعًا كَثِيرَةً وَقَتَلَ خَلْقًا مِنَ **الْفِرِنْجِ**.

فِي سنة (٥٢٨هـ) فَتَحَ شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين صاحب دمشق، شَقِيفَ تِيرُونَ [(١)]، وَنَهَبَ بِلَادَ **الْفِرِنْجِ**.

وَفِي سنة (٥٤١هـ) مَلَكَتِ الْفِرِنْجُ، - لَعَنَهُمُ اللهُ - مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ.

○ قتل رئيس شرطة بغداد

فِي سنة (٥١٣هـ) قُتِلَ الْأَمِيرُ مَنْكُبِرْسُ الَّذِي كَانَ شِحْنَةَ [(٢)] بَغْدَادَ، وَكَانَ ظَالِمًا غَاشِمًا سَيِّئَ السِّيرَةِ، قَتَلَهُ الْمَلِكُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ لِأُمُورٍ؛ مِنْهَا أَنَّهُ تَزَوَّجَ سُرِّيَّةَ أَبِيهِ قَبْلَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا، وَنِعْمَ مَا فَعَلَ، وَقَدْ أَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ مَا كَانَ أَظْلَمَهُ، وَأَغْشَمَهُ!!.

○ هجوم الكرج على تفليس

فِي سنة (٥١٤هـ) كانت وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْكُرْجِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْقُرْبِ مِنْ تَفْلِيسَ، وَمَعَ الْكُرْجِ كُفَّارُ **الْقُفْجَاقِ**، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَسَرُوا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ أَسِيرٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَنَهَبَ الْكُرْجُ تِلْكَ النَّوَاحِي وَفَعَلُوا أَشْيَاءَ مُنْكَرَةً، وَحَاصَرُوا تَفْلِيسَ مُدَّةً ثُمَّ مَلَكُوهَا عَنْوَةً، بَعْدَمَا أَحْرَقُوا الْقَاضِيَ وَالْخَطِيبَ حِينَ خَرَجُوا إِلَيْهِمْ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ، وَقَتَلُوا عَامَّةَ

---

(١) شقيف تيرون: حصن وثيق بالقرب من صور في لبنان. معجم البلدان ٣/ ٣٠٩.

(٢) شحنة: من فيهم الكفاية لضبط البلد، وصار يطلق على رئيس الشرطة. لسان العرب (ش ح ن).

أَهْلِهَا، وَسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى الْأَمْوَالِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وفِي سنة (٥١٧هـ) سَارَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ زنكي بن آق سنقر إِلَى بِلَادِ الْكُرْجِ، وَقَدْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ **الْقُفْجَاقِ** خُلْفٌ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمْ، ثُمَّ عَادَ إِلَى هَمَذَانَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

○ حوادث وكوارث

فِي سنة (٥١٢هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِبَغْدَادَ، وَانْقَطَعَ الْغَيْثُ وَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُ الْعَيَّارِينَ بِبَغْدَادَ، وَنَهَبُوا الدِّيَارَاتِ نَهَارًا جِهَارًا، وَلَمْ تَسْتَطِعِ الشُّرْطَةُ لِذَلِكَ تَغْيِيرًا وَلَا إِنْكَارًا.

وفي سنة (٥١٤هـ) تَمَرَّدَتِ **الْعَيَّارُونَ بِبَغْدَادَ**، وَأَخَذُوا الدُورَ جِهَارًا لَيْلًا وَنَهَارًا.

وفِي سنة (٥١٥هـ) هَبَّتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ بمصر، فَاسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَأَهْلَكَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ.

وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالْحِجَازِ، فَتَضَعْضَعَ بِسَبَبِهَا الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ، وَتَهَدَّمَ بَعْضُهُ، وَتَهَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وفِي سنة (٥١٥هـ) احْتَرَقَ جَامِعُ أَصْبَهَانَ، وَكَانَ جَامِعًا عَظِيمًا فِيهِ أَخْشَابٌ تُسَاوِي أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَفِي جُمْلَةِ مَا احْتَرَقَ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ مُصْحَفٍ؛ مِنْ جُمْلَتِهَا مُصْحَفٌ **بِخَطِّ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ** رضي الله عنه، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَفِي سنة (٥١٦هـ) دَخَلَ **جَمَاعَةٌ مِنَ الْوُعَّاظِ** بَغْدَادَ فَوَعَظُوا بِهَا، وَحَصَلَ لَهُمْ قَبُولٌ تَامٌّ مِنَ الْعَوَامِّ.

وفي سنة (٥٢٢هـ) مَلَكَ الْأَتَابِكُ **زَنْكِي بْنُ آقْ سُنْقُرَ** مَدِينَةَ حَلَبَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ.

فِي سنة (٥٢٤هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالْعِرَاقِ؛ تَهَدَّمَتْ بِسَبَبِهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ بِبَغْدَادَ، وَوَقَعَ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ مَطَرٌ عَظِيمٌ فَسَقَطَ بَعْضُهُ نَارًا تَأَجَّجُ، فَاحْتَرَقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَلِكَ، وَتَهَارَبَ النَّاسُ.

قيام دولة المرابطين

فِي سنة (٤٤٨هـ) ظَهَرَتْ دَوْلَةُ الْمُلَثَّمِينَ **بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ**، وَأَظْهَرُوا إِعْزَازَ الدِّينِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ بِالْمَغْرِبِ، مِنْهَا **سِجِلْمَاسَةُ** وَأَعْمَالُهَا **وَالسُّوسُ**.

وَأَوَّلُ مُلُوكِ الْمُلَثَّمِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ**. وَقَدْ أَقَامَ بِسِجِلْمَاسَةَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ (٤٦٢هـ)، وَوَلِيَ بَعْدَهُ أَبُو نَصْرٍ **يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ** وَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ، وَعَلَا قَدْرُهُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ.

وفِي سنة (٤٨٤هـ) مَلَكَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ **يُوسُفُ بْنُ تَاشُفِينَ** صَاحِبُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَثِيرًا مِنْ **بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ**، وَأَسَرَ صَاحِبَهَا **الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ**، وَسَجَنَهُ وَأَهْلَهُ بِأَغْمَاتَ، وَقَدْ كَانَ الْمُعْتَمِدُ هَذَا مَوْصُوفًا بِالْكَرَمِ وَالْأَدَبِ وَالْحِلْمِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَالْعِشْرَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَالرِّفْقِ بِهِمْ فَحَزِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مُصَابِهِ الشُّعَرَاءُ فَأَكْثَرُوا.

وَمَاتَ يوسف ابْنُ تَاشُفِينَ سَنَةَ (٥٣٥هـ) فَقَامَ وَلَدُهُ **تَاشُفِينَ** مِنْ بَعْدِهِ فَمَاتَ فِي سَنَةِ (٥٣٩هـ)، لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، **فَوَلِيَ أَخُوهُ إِسْحَاقُ** بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ تَاشُفِينَ، فَسَارَ إِلَيْهِ **عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أمير الموحدين**، فَمَلَكَ تِلْكَ النَّوَاحِيَ، وَفَتَحَ مَدِينَةَ **مَرَّاكُشَ** وَقَتَلَ هُنَالِكَ أُمَمًا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ ، وَقُتِلَ مَلِكُهَا **إِسْحَاقُ** سَنَةَ (٥٤٢هـ)، وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ، وهو آخِرَ مُلُوكِ الْمُرَابِطِينَ، وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِمْ سَبْعِينَ سَنَةً، **وَالَّذِينَ مَلَكُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ: يوسف ثم عَلِيٌّ**، ثم وَلَدَاهُ: تَاشُفِينُ، وَإِسْحَاقُ.

ابن تومرت وقيام دولة الموحدين

فِي سنة (٥١٤هـ) كَانَ ابْتِدَاءُ مُلْكِ **مُحَمَّدِ بْنِ تُومَرْتَ** بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى **بَغْدَادَ** فَسَكَنَ النِّظَامِيَّةَ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ فَحَصَّلَ جَانِبًا جَيِّدًا مِنَ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ عَلَى الْغَزَّالِيِّ وَغَيْرِهِ، **وَكَانَ يُظْهِرُ التَّعَبُّدَ وَالزُّهْدَ** وَالْوَرَعَ، وَرُبَّمَا أَنْكَرَ عَلَى الْغَزَّالِيِّ حُسْنَ مَلَابِسِهِ، وَلَا سِيَّمَا حِينَ

لَبِسَ خِلْعَةَ التَّدْرِيسِ بِالنِّظَامِيَّةِ، ثُمَّ حَجَّ وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْرِئُ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيَشْغَلُهُمْ فِي الْفِقْهِ، فَطَارَ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ.

وَاجْتَمَعَ بِهِ يَحْيَى بْنُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ **بْنِ بَادِيسَ** صَاحِبُ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ فَعَظَّمَهُ وَأَكْرَمَهُ وَسَأَلَهُ الدُّعَاءَ فَاشْتُهِرَ أَيْضًا بِذَلِكَ وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا رِكْوَةٌ وَعَصًا، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا الْمَسَاجِدَ.

ثُمَّ كَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى دَخَلَ **مَرَّاكُشَ**، وَمَعَهُ تِلْمِيذُهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ، وَقَدْ تَوَسَّمَ فِيهِ النَّجَابَةَ وَالشَّهَامَةَ، **فَرَأَى فِي مراكش مِنَ الْمُنْكَرَاتِ** أَضْعَافَ مَا رَأَى فِي غَيْرِهَا؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرِّجَالَ يَتَلَثَّمُونَ وَالنِّسَاءَ يَمْشِينَ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، فَأَخَذَ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ، فَأَحْضَرَهُ **مَلِكِ مَرَّاكُشَ** وَمَا حَوْلَهَا **علي بن يوسف بن تاشفين**، وَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ، وَأَخَذَ يَعِظُ الْمَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَمَعَ هَذَا نَفَاهُ الْمَلِكُ عَنْ بَلَدِهِ.

فَشَرَعَ **ابن تومرت** يُشَنِّعُ عَلَى الملك **علي** بن يوسف بن تاشفين، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى قِتَالِهِ، فَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، **فَجَهَّزَ إِلَيْهِ ابْنُ تَاشُفِينَ جَيْشًا كَثِيفًا فَهَزَمَهُمُ ابْنُ تُومَرْتَ**، فَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، **وَتَسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ**، وَسَمَّى جَيْشَهُ **جَيْشَ الْمُوَحِّدِينَ**، وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي التَّوْحِيدِ سماه (**الْمُرْشِدَةُ**)، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ وَقَعَاتٌ مَعَ جُيُوشِ ابْنِ تَاشُفِينَ.

ثُمَّ جَهَّزَ **ابْنُ تُومَرْتَ** جَيْشًا عَلَيْهِمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْوَنْشَرِيسِيُّ، وَعَبْدُ الْمُؤْمِنِ لِمُحَاصَرَةِ مَرَّاكُشَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا، فَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْوَنْشَرِيسِيُّ، هَذَا الَّذِي زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُخَاطِبُهُ، ثُمَّ افْتَقَدُوهُ فِي الْقَتْلَى فَلَمْ يَجِدُوهُ، **فَقَالُوا: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ رَفَعَتْهُ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ دَفَنَهُ**، وَالنَّاسُ فِي الْمَعْرَكَةِ.

وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْدِيِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ كَانَ حِينَ جَهَّزَ الْجَيْشَ مَرِيضًا مُدْنِفًا، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ ازْدَادَ مَرَضًا إِلَى مَرَضِهِ، وَسَاءَهُ قَتْلُ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَنْشَرِيسِيِّ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَلَقَّبَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ كَانَ شَابًّا حَسَنًا حَازِمًا عَاقِلًا.

ثُمَّ مَاتَ ابْنُ تُومَرْتَ سنة (٥٢٤هـ) وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ **إِحْدَى وَخَمْسُونَ** سَنَةً، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ عَشْرُ سِنِينَ.

قال ابن كثير: وَقَدْ رَأَيْتُ لِبَعْضِهِمْ فِي **سِيرَةِ ابْنِ تُومَرْتَ** هَذَا مُجَلَّدًا فِي أَحْكَامِهِ وَأَيَّامِهِ، وَكَيْفَ تَمَلَّكَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَمَا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوهِمُ أَنَّهَا أَحْوَالٌ بَرَّةٌ، وَهِيَ مَحَالٌّ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ فَجَرَةٍ، وَمَا قَتَلَ مِنَ النَّاسِ وَأَزْهَقَ مِنَ الْأَنْفُسِ.(١)

وحِينَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى **عَبْدِ الْمُؤْمِنِ** بْنِ عَلِيٍّ أَحْسَنَ إِلَى الرَّعَايَا، وَظَهَرَتْ مِنْهُ سِيرَةٌ جَيِّدَةٌ فَأَحَبَّهُ النَّاسُ، وَاتَّسَعَتْ مَمَالِكُهُ، وَكَثُرَتْ جُيُوشُهُ وَرَعِيَّتُهُ، **وَنَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِابْنِ تَاشُفِينَ صَاحِبِ مَرَّاكُشَ، وَلَمْ يَزَلِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا** حتى **قضى على دولة المرابطين** سَنَة (٥٤٢هـ).

فاسْتَوْطَنَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ مَدِينَةَ **مَرَّاكُشَ**، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ هناك، وَظَفِرَ فِي سنة (٥٤٣هـ) **بِدَكَّالَةَ**، وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ نَحْوُ مِائَتَيْ أَلْفِ رَاجِلٍ وَعِشْرِينَ أَلْفِ فَارِسٍ مُقَاتِلٍ مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ، حَتَّى إِنَّهُ بِيعَتِ الْجَارِيَةُ الْحَسْنَاءُ بِدَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ.

وفِي سنة (٥٤١هـ) مَلَكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ **صَاحِبُ الْمَغْرِبِ** جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ.

وفي سنة (٥٤٧هـ) مَلَكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ **صَاحِبُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ** بِجَايَةَ، وَهِيَ بِلَادُ بَنِي حَمَّادٍ، فَكَانَ آخِرَ مُلُوكِهِمْ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَمَّادٍ، ثُمَّ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى صِنْهَاجَة فَحَاصَرَهَا، وَأَخَذَ أَمْوَالَهَا.

وَفِي سنة (٥٤٨هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ **عَبْدِ الْمُؤْمِنِ** وَبَيْنَ الْعَرَبِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أحوال ابن تومرت وعقيدته انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ط الحديث، ١٤/ ٣٧٧.

وَفِي سنة (٥٥١هـ) اسْتَعْمَلَ **عَبْدُ الْمُؤْمِنِ** أَوْلَادَهُ عَلَى بِلَادِهِ؛ اسْتَنَابَ كُلَّ وَاحِدٍ فِي بَلَدٍ كَبِيرٍ.

فِي سنة (٥٥٤) اسْتَعَادَ **عَبْدُ الْمُؤْمِنِ الموحدي** مَدِينَةَ الْمَهْدِيَّةِ مِنْ أَيْدِي **الْفِرِنْجِ**، وَقَدْ كَانُوا أَخَذُوهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، وَقَاتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ حَتَّى صَارَتْ عِظَامُ الْقَتْلَى هُنَاكَ كَالتَّلِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ وفاة أمير دولة الموحدين

فِي سنة (٥٥٨هـ) مَاتَ **صَاحِبُ الْمَغْرِبِ** السُّلْطَانُ **عَبْدُ الْمُؤْمِنِ** بْنُ عَلِيٍّ الْقَيْسِيُّ الْكُوفِيُّ، **تِلْمِيذُ ابْنِ تُّومَرْتِ**، كَانَ أَبُوهُ يَعْمَلُ فِي الطِّينِ فَاعِلًا، فَحِينَ وَقَعَ نَظَرُ ابْنِ تُّومَرْتِ عَلَيْهِ أَحَبَّهُ، وَتَفَرَّسَ فِيهِ، فَاسْتَصْحَبَهُ فَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ الَّتِي جَمَعَهَا ابْنُ تُّومَرْتِ مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَتَمَهَّدَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ، وَصَفَا لَهُ الْوَقْتُ.

وَكَانَ عَاقِلًا، حَازِمًا، وَقُورًا، شَكِلًا، حَسَنًا، وَلَهُ فِي الْمُلْكِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَ يُسَمِّي نَفْسَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ هَذَا شُجَاعًا، جَوَادًا، مُعَظِّمًا لِلشَّرِيعَةِ، وَكَانَ **مَنْ لَا يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي زَمَانِهِ يُقْتَلُ**، وَلَكِنْ كَانَ سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ، حَتَّى عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ، فَاللهُ يَحْكُمُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ.

وخلفه ابنه يوسف، وَبَايَعُوهُ عَلَى الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَقَّبُوهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

○ إقطاع الْأَمِيرَ إِيلْغَازِي مَيَّافَارِقِينَ

فِي سنة (٥١٥هـ) أَقْطَعَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ الْأَمِيرَ إِيلْغَازِي مَدِينَةَ **مَيَّافَارِقِينَ** فَبَقِيَتْ فِي يَدِ أَوْلَادِهِ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ فِي سَنَةِ (٥٨٠هـ).

○ إقطاع الْأَمِيرَ آق سُنْقُرَ الْمَوْصِلِ

فِي سنة (٥١٥هـ) أَقْطَعَ السلطان محمود الأمير **آقْ سُنْقُرُ** الْبُرْسُقِيَّ مَدِينَةَ **الْمَوْصِلِ** وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الْفِرِنْجِ.

وحاصَرَ بَلَكُ بْنُ بَهْرَامَ - وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِيلْغَازِي - مَدِينَةَ الرُّهَا، فَأَسَرَ مَلِكَهَا جُوسْلِينَ الْفِرَنْجِيَّ وَجَمَاعَةً مِنْ رُءُوسِ أَصْحَابِهِ وَسَجَنَهُمْ بِقَلْعَةِ خَرْتَبِرْتَ [١].

وفي سنة (٥١٦هـ) أَقْطَعَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ مَدِينَةَ وَاسِطٍ **لِآقْ سُنْقُرَ** مُضَافًا إِلَى الْمَوْصِلِ فَسَيَّرَ إِلَيْهَا **عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي** بْنَ آقْ سُنْقُرَ فَوَلِيهَا وَأَحْسَنَ السِّيرَةَ بِهَا، وَأَبَانَ عَنْ حَزْمٍ وَكِفَايَةٍ.

وفي سنة (٥١٦هـ) تقاتل **آقْ** سُنْقُرُ الْبُرْسُقِيُّ **وَدُبَيْسُ** بْنُ صَدَقَةَ، فَهَزَمَهُ دُبَيْسٌ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ جَيْشِهِ، فأسر **آقْ** سُنْقُرُ مَنْصُورَ بْن صَدَقَةَ أَخَا دُبَيْسٍ وَوَلَدَهُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ غضب دُبَيْسٌ، وَجَزَّ شَعْرَهُ، وَلَبِسَ السَّوَادَ انتقامًا لأخيه، وآذى تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَنَهَبَ الْبِلَادَ، حتى نَهَبَ أَمْوَالَ الْخَلِيفَةِ فَنُودِيَ فِي بَغْدَادَ لِلْخُرُوجِ لِقِتَالِهِ.

وَبَرَزَ الْخَلِيفَةُ فِي الْجَيْشِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ أَسْوَدُ وَطَرْحَةٌ، وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ، وَمَعَهُ **وَزِيرُهُ، وَنَقِيبُ النُّقَبَاءِ، وَشَيْخُ الشُّيُوخِ**، وَتَلَقَّاهُ آقْ سُنْقُرُ الْبُرْسُقِيُّ وَمَعَهُ الْجَيْشُ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ وَرَتَّبَ الْبُرْسُقِيُّ الْجَيْشَ، وَوَقَفَ الْقُرَّاءُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ.

وَأَقْبَلَ دُبَيْسٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْإِمَاءُ يَضْرِبْنَ بِالدُّفُوفِ، وَالْمَخَانِيثُ بِالْمَلَاهِي، وَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ، فَحَمَلَ عَنْبَرُ بْنُ أَبِي الْعَسْكَرِ عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَلِيفَةِ فَكَسَرَهَا، وَقَتَلَ أَمِيرًا، ثُمَّ حَمَلَ مَرَّةً ثَانِيَةً فَكَشَفَهُمْ كَالْأُولَى.

فَحَمَلَ عَلَيْهِ **عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بْنُ آقْ سُنْقُرَ**، فَأَسَرَهُ وَمَعَهُ بُدَيْلَ بْنَ زَائِدَةَ، فَانْهَزَمَ عَسْكَرُ دُبَيْسٍ. فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ الْأَسَارَى صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَأَمَّا دُبَيْسٌ فَإِنَّهُ نَجَا بِنَفْسِهِ وَقَصَدَ غُزَيَّةَ فَصَحِبَهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ فَدَخَلَهَا وَنَهَبَهَا وَقَتَلَ أَمِيرَهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ **وَالْتَحَقَ بِالْفِرَنْجِ** وَحَضَرَ مَعَهُمْ حِصَارَ، حَلَبَ، ثُمَّ فَارَقَهُمْ.

---

(١) حصن بأقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين. معجم البلدان ٢/ ٤١٧.

○ خلع الخليفة على السلطان محمود

فِي شَـعْبَانَ سـنة (٥١٥هـ) جَلَـسَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَرْشِـدُ فِـي دَارِ الْخِلَافَةِ فِـي أُبَّهَةِ الْخِلَافَـةِ؛ وَجَاءَ الْأَخَوَانِ **الْمَلِكَانِ مَحْمُودٌ وَمَسْـعُودٌ** فَوَقَفَا بَيْنَ يَدَيْـهِ، وَقَبَّلَا الْأَرْضَ، فَخَلَعَ عَلَى **مَحْمُودٍ** سَـبْعَ خِلَعٍ وَطَوْقًا وَسِوَارَيْنِ وَتَاجًا، وَأُجْلِسَ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَوَعَظَهُ الْخَلِيفَـةُ، وَأَمَرَهُ بِالْإِحْسَـانِ إِلَى الرَّعَايَا، وَقَلَّدَهُ الْمُلْكَ، وَخَرَجَـا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مُطَاعَيْنِ مُعَظَّمَيْنِ، وَالْجَيْشُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا إِلَى دَارِهِمَا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا.

○ ختان أولاد الخليفة وأولاد أخيه

فِي سنة (٥١٧هـ) عَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى طُهُورِ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ أَخِيهِ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، فَزُيِّنَتْ بَغْدَادُ سَـبْعَةَ أَيَّامٍ بِزِينَةٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، وَأَظْهَرَ النَّاسُ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالثِّيَابِ مَا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ.

○ عزل نقيب العلويين

فِي سـنة (٥١٧هـ) عُزِلَ **نَقِيـبُ الْعَلَوِيِّينَ**، وَهُدِمَتْ دَارُ عَلِيِّ بْنِ أَفْلَـحَ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا عَيْنًا لِدُبَيْسٍ، وَأُضِيفُ إِلَى **عَلِيِّ بْنِ طِرَادٍ الزَّيْنَبِيِّ** نِقَابَةُ الْعَلَوِيِّينَ مَعَ نِقَابَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ.

○ هجوم الباطنية على آمد

فِي سنة (٥١٨هـ) ظَهَرَتِ الْبَاطِنِيَّةُ بِآمِدَ فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا، فَقَتَلُوا مِن الباطنية سَبْعَمِائَةٍ؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ خطبة الخليفة لابنة السلطان سنقر

فِي سـنة (٥١٨هـ) أَرْسَـلَ الْخَلِيفَـةُ الْقَاضِي أَبَا سَـعْدٍ الْهَـرَوِيَّ؛ لِيَخْطُبَ لَـهُ ابْنَةَ السُّـلْطَانِ سَنْجَرَ، وَشَرَعَ الْخَلِيفَةُ فِي بِنَاءِ دَارٍ عَلَى حَافَّةِ دِجْلَةَ؛ لِأَجْلِ الْعُرُوسِ، وَكَمَلَ بِنَاءُ الْمُثَمَّنَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

محاولة طغرل ودبيس الاستيلاء على بغداد

فِي سنة (٥١٩هـ) قَصَدَ دُبَيْسٌ وَالسُّلْطَانُ طُغْرُلُ بَغْدَادَ؛ لِيَأْخُذَاهَا مِنْ يَدِ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْهَا بَرَزَ إِلَيْهِمَا الْخَلِيفَةُ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ، وَالنَّاسُ مُشَاةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ السَّوَادُ وَالْبُرْدُ، فَلَمَّا أَمْسَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَقْتَتِلُونَ فِي صَبِيحَتِهَا - وَمِنْ عَزْمِهِمْ أَنْ يَنْهَبُوا بَغْدَادَ - أَرْسَلَ اللهُ مَطَرًا عَظِيمًا، وَمَرِضَ السُّلْطَانُ طُغْرُلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَتَفَرَّقَتْ جموعه، وَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَائِبِينَ خَائِفِينَ.

وَالْتَجَأَ دُبَيْسٌ، وَطُغْرُلُ إِلَى الْمَلِكِ سَنْجَرَ وَسَأَلَاهُ الْأَمَانَ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ مَحْمُودٍ، فَحَبَسَ دُبَيْسًا فِي قَلْعَتِهِ.

الخلاف بين الخليفة المسترشد والسلطان محمود

في سنة (٥٢٠هـ) عزم السُّلْطَانُ **مَحْمُودٌ** وَ**الْخَلِيفَةُ المسترشد بالله** عَلَى مقاومة السُّلْطَانِ **سَنْجَرَ** ومنعه من دخول بغداد، وَأَنْ يَكُونَا جميعًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ **سَنْجَرُ** كَتَبَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ مَحْمُودٍ يَنْهَاهُ، وَيَسْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ، وَيُحَذِّرُهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَأَنَّهُ مَتَى مَا فَرَغَا مِنْهُ تَفَرَّغَ لَهُ، فَأَصْغَى محمود إِلَى قَوْلِ عَمِّهِ سنجر، وَرَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ، وَأَقْبَلَ محمود يَقْصِدُ بَغْدَادَ، لِيَدْخُلَهَا عَامَهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ **لِقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ بِهَا**، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ.

فَلَمَّا أَزِفَ قُدُومُهُ، خَرَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ دَارِهِ وَتَحَيَّزَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَخَطَبَ الْخَلِيفَةُ النَّاسَ في عِيدِ الْأَضْحَى خُطْبَةً عَظِيمَةً بَلِيغَةً فَصِيحَةً جِدًّا، وَكَبَّرَ وَرَاءَهُ خُطَبَاءُ الْجَوَامِعِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَقَدْ سَرَدَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِطُولِهَا،[1] وَرَوَاهَا عَنْ مَنْ حَضَرَهَا؛ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّيْنَبِيِّ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُدُولِ، وَلَمَّا أَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَنْزِلَ عَنِ الْمِنْبَرِ ابْتَدَرَهُ

(١) المنتظم ١٧/ ٢٣٣-٢٣٥.

أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ، فَأَنْشَدَهُ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا خَيْرَ مَنْ عَلا ... عَلَى مِنْبَرٍ قَدْ حَفَّ أَعْلَامَهُ النَّصْرُ
لَقَدْ شَنَّفَتْ أَسْمَاعَنَا مِنْكَ خُطْبَةٌ ... وَمَوْعِظَةٌ فَصْلٌ يَلِينُ لَهَا الصَّخْرُ
مَلَأْتَ بِهَا كُلَّ الْقُلُوبِ مَهَابَةً ... فَقَدْ رَجَفَتْ مِنْ خَوْفِ تَخْوِيفِهَا مِصْرُ
سَمَا لَفْظُهَا فَضْلًا عَلَى كُلِّ قَائِلٍ ... وَجَلَّ عُلَاهَا أَنْ يُلِمَّ بِهَا حَصْرُ
أَشَدْتَ بِهَا سَامِيَ الْمَنَابِرِ رِفْعَةً ... تَقَاصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
فَلِلَّهِ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ إِمَامُهُ ... وَلِلَّهِ دِينٌ أَنْتَ فِيهِ لَنَا الصَّدْرُ
بَقِيتَ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْمُلْكِ كُلَّمَا ... تَقَادَمَ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ أَتَى عَصْرُ
وَأَصْبَحْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مُهَنَّأً ... يُشَرِّفُنَا فِيهِ صَلَاتُكَ وَالنَّحْرُ

وَنَزَلَ الْخَلِيفَةُ عَنِ الْمِنْبَرِ ثم ذَبَحَ الْبَدَنَةَ بِيَدِهِ، وَدَخَلَ السُّرَادِقَ، وَتَبَاكَى النَّاسُ وَدَعَوْا لِلْخَلِيفَةِ بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّصْرِ.

ودَخَلَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ إِلَى بَغْدَادَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ (٥٢٠هـ)، فَنَزَلُوا فِي بُيُوتِ النَّاسِ، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ أَذًى كَثِيرٌ فِي حَرِيمِهِمْ، فَرَاسَلَ الْخَلِيفَةَ فِي الصُّلْحِ، فَأَبَى ذَلِكَ، وَرَكِبَ الخليفة فِي جَيْشِهِ وَقَاتَلَ بِهِمِ الْأَتْرَاكَ، ومعه الْعَامَّةَ كُلَّهُمْ، فَقَتَلَ مِنَ الْأَتْرَاكِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، **وَجَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ وَخُطُوبٌ جَلِيلَةٌ**، وَنَالَتِ الْعَامَّةُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا بَاطِنِيُّ تَتْرُكُ قِتَالَ الْفِرِنْجِ وَالرُّومِ وَتُقَاتِلُ الْخَلِيفَةَ؟

فاستنجد السلطان بِعِمَادُ الدِّينِ زِنْكِي فجاء فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَلَمَّا اسْتَشْعَرَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ دَعَا إِلَى الصُّلْحِ، فَوَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ، وَاعتذر إِلَى الْخَلِيفَةِ مِمَّا وَقَعَ.

وَتَبَاشَرَ النَّاسُ بِالصُّلْحِ.

وَدَخَلَ جَيْشُ السُّلْطَانِ إِلَى بَغْدَادَ وَهُمْ فِي غَايَةِ الْجَهْدِ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ عِنْدَهُمْ فِي الْعَسْكَرِ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِرَدِّ مَا نُهِبَ مِنْ دُورِ الْجُنْدِ، **وَأَنَّ مَنْ كَتَمَ شَيْئًا أُبِيحَ دَمُهُ.**

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ عَلِيَّ بْنَ طِرَادٍ الزَّيْنَبِيَّ النَّقِيبَ إِلَى السُّلْطَانِ سَنْجَرَ؛ لِيُبْعِدَ عَنْ بَابِهِ دُبَيْسًا. ثُمَّ مَرِضَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ بِبَغْدَادَ فَأَمَرَهُ الطَّبِيبُ بِالِانْتِقَالِ عَنْهَا إِلَى هَمَذَانَ، فَسَارَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٥٢١هـ) وَفَوَّضَ شِحْنَكِيَّةَ بَغْدَادَ إِلَى **عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي**، ثم إِلَى مُجَاهِدَ الدِّينِ بِهْرُوزَ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْحِلَّةِ، وَبَعَثَ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي إِلَى الْمَوْصِلِ وَأَعْمَالِهَا.

وفِي أَوَّلِ سنة (٥٢٢هـ) قَدِمَ رَسُولُ سَنْجَرَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْأَلُ مِنْهُ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ بَغْدَادَ، فَكَانَ يُخْطَبُ لَهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فِي جَامِعٍ.

○ ابن الجوزي ونبوغه في الوعظ

فِي سنة (٥٢٠هـ) كَانَ **أَوَّلُ مَجْلِسٍ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ** عَلَى الْمِنبَرِ يَعِظُ النَّاسَ، وَعُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَحَضَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ يَعْلَى الْعَلَوِيُّ الْبَلْخِيُّ، وَكَانَ سُنِّيًّا عَلَّمَهُ كَلِمَاتٍ، ثُمَّ أَصْعَدَهُ الْمِنبَرَ فَقَالَهَا، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَحُزِرَ الْجَمْعُ يَوْمَئِذٍ بِخَمْسِينَ أَلْفًا.

ولما مَاتَ ابْنُ الزَّاغُونِيِّ فِي سنة (٥٢٧هـ) طَلَبَ حَلْقَتَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - وَكَانَ شَابًّا - فَحَصَلَتْ لِغَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَذِنَ لَهُ الْوَزِيرُ **أَنُوشِرْوَانَ** فِي الْوَعْظِ، فَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى النَّاسِ بِأَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ بَغْدَادَ، وَكَثُرَتْ مَجَالِسُهُ، وَازْدَحَمَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

○ محاربة الباطنية وقتلهم

فِي سنة (٥٢١هـ) قَتَلَ السُّلْطَانُ سَنْجَرُ مِنَ **الْبَاطِنِيَّةِ** اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا.

فِي سنة (٥٢٣هـ) قَتَلَ صَاحِبُ دِمَشْقَ بورى بن طغتكين مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ سِتَّةَ آلَافٍ، وَعَلَّقَ رَأْسَ كَبِيرِهِمْ عَلَى بَابِ الْقَلْعَةِ وَأَرَاحَ اللهُ أَهْلَ الشَّامِ مِنْهُمْ.

فِي سنة (٥٢٧هـ) اشْتَرَى **الْبَاطِنِيَّةُ** حِصْنَ **الْقُدْمُوسِ** بِالشَّامِ فَسَكَنُوهُ، وَحَارَبُوا مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفِرَنْجِ.

○ مقتل خليفة مصر الفاطمي

فِي ثَانِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٢٤هـ) قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الْفَاطِمِيُّ الْآمِرُ بِأَحْكَامِ اللهِ صَاحِبُ مِصْرَ، **قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ**، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا، وَهُوَ **الْعَاشِرُ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ**.

ثم أقام أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ الْأَفْضَلِ بْنِ بَدْرٍ الْجَمَالِيُّ الْخَلِيفَةَ الْحَافِظَ **عَبْدَ الْمَجِيدِ بْنَ الْأَمِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللهِ**، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، واسْتَحْوَذَ عَلَى الْأُمُورِ دُونَهُ، وَحَصَرَهُ فِي مَجْلِسٍ، لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ يُرِيدُهُ، وَنَقَلَ الْأَمْوَالَ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى دَارِهِ وَلَمْ يَبْقَ لِلْحَافِظِ سِوَى الِاسْمِ فَقَطْ.

○ رفض الخليفة مصالحة دبيس

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٥٢٣هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ إِلَى بَغْدَادَ، وَاجْتَهَدَ فِي إِرْضَاءِ الْخَلِيفَةِ عَنْ دُبَيْسٍ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ بِلَادَ الْمَوْصِلِ، **فَامْتَنَعَ الْخَلِيفَةُ** مِنْ ذَلِكَ وَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ، هَذَا وَقَدْ تَأَخَّرَ دُبَيْسٌ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى بَغْدَادَ ثُمَّ دَخَلَهَا وَرَكِبَ بَيْنَ النَّاسِ فَلَعَنُوهُ وَشَتَمُوهُ فِي وَجْهِهِ.

○ إقرار عماد الدين على ولاية الموصل

في سنة (٥٢٣هـ) قَدِمَ عِمَادُ الدِّينِ زِنْكِي إلى بغداد، فَبَذَلَ لِلسُّلْطَانِ محمود فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَهَدَايَا وَتُحَفًا، وَالْتَزَمَ الْخَلِيفَةُ للسلطان بِمِثْلِهَا، عَلَى أَنْ لَا يُوَلِّيَ دُبَيْسًا شَيْئًا، وَعَلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ زَنْكِي عَلَى عَمَلِهِ بِالْمَوْصِلِ، فَأَقَرَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَرَجَعَ عماد الدين زنكي إِلَى عَمَلِهِ. ثم مَلَكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حَلَبَ، وَحَمَاةَ، وَأَسَرَ صَاحِبَهَا، سُونْجَ بْنَ تَاجِ الْمُلُوكِ، فَافْتَدَى مِنْهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَفِي سنة (٥٢٤هـ) مَلَكَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بِلَادًا كَثِيرَةً مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَمِنْ بِلَادِ الْفِرِنْجِ وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ حُرُوبٌ طَوِيلَةٌ وَخُطُوبٌ جَلِيلَةٌ، وَنُصِرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا،

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ جَيْشِ الرُّومِ حِينَ قَدِمُوا إِلَى الشَّامِ، وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ عَلَى ذَلِكَ.

وفي سنة (٥٢٦هـ) **التقى عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بْنُ آقْ سُنْقُرَ مع قَرَاجَا السَّاقِي** وكيل سلجوق شاه، فَهَزَمَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى **تَكْرِيتَ**، فَخَدَمَهُ فيها نَائِبُ قَلْعَتِهَا نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ - وَالِدُ الْمَلِكِ صَلَاحِ حَتَّى عَادَ إِلَى بِلَادِهِ - فَكَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي مَصِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ إِلَيْهِ، وَهُوَ بِحَلَبَ فَخَدَمَ عِنْدَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَوْصِلِ في سنة (٥٢٧هـ)، لِيَأْخُذَهَا مِنْ يَدِ زَنْكِي، فَخَرَجَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ وَخَلْقٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَكَابِرِ وَالْوُزَرَاءِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا بَعَثَ إِلَيْهِ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي يَعْرِضُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ وَالتُّحَفِ شَيْئًا كَثِيرًا؛ لِيَرْجِعَ عَنْهُ **فَلَمْ يَقْبَلْ**.

ثُمَّ بَلَغَ الخليفة أَنَّ السُّلْطَانَ مَسْعُودًا قَدِ اصْطَلَحَ مَعَ دُبَيْسٍ، فَكَرَّ رَاجِعًا سَرِيعًا إِلَى بَغْدَادَ.

وَغَزَا الفرنج فِي سنة (٥٢٧هـ) **عِمَادُ الدِّينِ** زَنْكِي فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَلْفَ قَتِيلٍ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَيُقَالُ لَهَا: غَزَاةُ أَسْوَارٍ.

فِي سنة (٥٢٨هـ) اصْطَلَحَ الْخَلِيفَةُ **وَعماد الدين** زَنْكِي.

❍ تولية نقيب النقباء وزارة الخلافة

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَلْخَ رَبِيعٍ الْآخِرِ في سنة (٥٢٣هـ) خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى **نَقِيبِ النُّقَبَاءِ** بِالْوَزَارَةِ اسْتِقْلَالًا، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ بَاشَرَ الْوَزَارَةَ غَيْرُهُ.

❍ استيلاء ابن دبيس على الحلة

فِي رَمَضَانَ سنة (٥٢٣هـ) جَاءَ دُبَيْسٌ فِي جَيْشٍ إِلَى الْحِلَّةِ فَمَلَكَهَا وَدَخَلَ إِلَيْهَا، فِي أَصْحَابِهِ وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةِ فَارِسٍ، ثُمَّ إِنَّهُ شَرَعَ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَأَخْذِ الْغَلَّاتِ مِنَ الْقُرَى،

حَتَّى حَصَّلَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَاسْتَخْدَمَ قَرِيبًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ بِأَمْرِهِ وَبَعَثَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْتَرْضِيهِ فَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً جِدًّا فَلَمْ يَقْبَلْهَا الْخَلِيفَةُ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ جَيْشًا فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ وَذَهَبَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، لَا جَمَعَ اللهُ بِهِ شَمْلًا.

وَأَغَارَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخَذَ مِنْهَا حَوَاصِلَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَرِّيَّةَ فَانْقَطَعَ خَبَرُهُ.

○ أسر دُبَيْس وحبسه في الموصل

فِي سنة (٥٢٥هـ) **ضَلَّ دُبَيْسٌ عَنِ الطَّرِيقِ** فِي الْبَرِّيَّةِ فَأَسَرَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْأَعْرَابِ بِأَرْضِ الشَّامِ، وَحَمَلَهُ إِلَى مَلِكِ دِمَشْقَ **بُورَى بْنِ طُغْتِكِينَ**، فَبَاعَهُ مِنْ زَنْكِي بْنِ آقْ سُنْقُرَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمَّا حَصَلَ فِي يَدِهِ لَمْ يَشُكَّ دُبَيْسٌ أَنَّهُ سَيُهْلِكُهُ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَدَاوَةِ فَأَكْرَمَهُ زَنْكِي، وَأَعْطَاهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً وَقَدَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ فِي طَلَبِهِ فَبَعَثَهُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ حُبِسَ فِي قَلْعَتِهَا.

○ وفاة السلطان محمود بن ملكشاه

فِي سنة (٥٢٥هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ **مَحْمُودِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، فَأُقِيمَ فِي الْمُلْكِ مَكَانَهُ ابْنُهُ **دَاوُدُ**، وَجُعِلَ لَهُ أَتَابِكٌ وَوَزِيرٌ، وَخُطِبَ لَهُ بِأَكْثَرِ الْبِلَادِ.

وكَانَ السلطان محمود مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ وَأَنَاةٌ وَبِرٌّ وَصَلَابَةٌ، وَجَلَسُوا لِعَزَائِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. سَامَحَهُ اللهُ.

○ الصراع بين السلاجقة بعد محمود بن ملكشاه

فِي سنة (٥٢٦هـ) قَدِمَ **مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ** بن ملكشاه بَغْدَادَ، كما قدمها سَلْجُوقُ شَاهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْمُلْكَ لِنَفْسِهِ، ثم اجْتَمَعَا فَاصْطَلَحَا، وَرَكِبَا إِلَى الْمَلِكِ سَنْجَرَ، فَاقْتَتَلَا مَعَهُ قتالا شديداً، قُتِلَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ أَلْفًا.

ثُـمَّ انتهـى الأمر إلى أن أجلـس طُغْرُلَ بْنَ مُحَمَّدٍ بن ملكشـاه عَلَى سَـرِيرِ الْمُلْكِ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَرَجَعَ سَنْجَرُ إِلَى بِلَادِهِ.

وَكَتَـبَ طُغْـرُلُ إِلَى دُبَيْسٍ وعماد الدين زَنْكِـي لِيَذْهَبَا إِلَى بَغْـدَادَ فَيَأْخُذَاهَا، فَأَقْبَلَا فِـي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَبَرَزَ إِلَيْهِمَـا الْخَلِيفَةُ فَهَزَمَهُمَا، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِمَا، وَأَزَاحَ اللهُ شَرَّهُمَا عَنْهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفِـي صَفَرٍ في سـنة (٥٢٧هـ) دَخَلَ السُّـلْطَانُ **مَسْـعُودُ بن محمد بن ملكشـاه** إِلَى بَغْـدَادَ، فَخُطِبَ لَهُ عَلَـى مَنَابِرِهَا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَوَلَّاهُ السَّـلْطَنَةَ، وَلَمَّا ذُكِرَ عَلَى الْمَنَابِرِ نُثِرَتِ الدَّنَانِيرُ وَالذَّهَبُ عَلَى النَّاسِ، **وَخُلِعَ عَلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ بْنِ مَحْمُودٍ**.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

وحَجَّ بِالنَّاسِ سـنة (٥١٢هـ)، وسنة (٥١٣هـ)، وسنة (٥١٤هـ)، وسنة (٥١٥هـ)، نَظَرٌ الْخَادِمُ.

وَحَـجَّ بِالنَّـاسِ سـنة (٥١٦هــ) نَظَـرٌ الْخَـادِمُ. ولـم يحج في هـذه السـنة الركب العراقي.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٥١٧هـ) نَظَرٌ الْخَادِمُ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥١٨هـ) جَمَالُ الدَّوْلَةِ إِقْبَالٌ الْمُسْتَرْشِدِيُّ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥١٩هـ)، وسنة (٥٢٠هـ)، وسنة (٥٢١هـ)، وسنة (٥٢٢هـ) نَظَرٌ الْخَادِمِ

وَفِي سـنة (٥٢٣هـ) تَخَبَّطَ النَّاسُ فِـي الْحَجِّ حَتَّى ضَاقَ الْوَقْتُ بِسَـبَبِ فِتْنَةِ دُبَيْسٍ - قَبَّحَـهُ اللهُ - وحَـجَّ بِهِمْ أَحَدُ مَمَالِيكِ يَرَنْقُشَ الزَّكَوِيِّ وَكَانَ اسْـمُهُ بَغَاجِقَ، كما حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٢٤هـ).

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سـنة (٥٢٥هـ)، وسنة (٥٢٦هـ)، وسـنة (٥٢٧هـ)، وسنة (٥٢٨هـ) نَظَرٌ الْخَادِمُ.

❁ ❁ ❁

○ مشاهير من توفي في عهده

١ - **أُرْجُـوَانُ الْأَرْمَنِيَّةُ**، جَدَّة المستظهر بـالله، أم المقتدي بالله، وَتُدْعَى **قُـرَّةَ الْعَيْنِ**، وَكَانَ لَهَا بِرٌّ كَثِيرٌ وَمَعْرُوفٌ وَصَدَقَاتٌ، وَقَدْ حَجَّتْ ثَلَاثَ حَجَّاتٍ، وَأَدْرَكَتْ خِلَافَةَ **ابْنِهَا الْمُقْتَدِي** بِأَمْرِ اللهِ وَخِلَافَةَ ابْنِهِ الْمُسْتَظْهِرِ، وَخِلَافَةَ ابْنِهِ الْمُسْتَرْشِدِ، وَرَأَتْ لِلْمُسْتَرْشِدِ وَلَدًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي سنة (٥١٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٢ - **الْحُسَيْنُ بْـنُ مُحَمَّدِ** بْـنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَـنِ **الزَّيْنَبِيُّ**، قَـرَأَ الْقُرْآنَ وَسَـمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّـهَ عَلَى أَبِي عَبْـدِ اللهِ الدَّامَغَانِيِّ فَبَرَعَ وَأَفْتَى، وَدَرَّسَ بِمَشْـهَدِ أَبِـي حَنِيفَةَ، وَنَظَرَ فِي أَوْقَافِهَا وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَلُقِّبَ نُورَ الْهُدَى، وَسَارَ فِي الرُّسُلِيَّةِ إِلَى الْمُلُوكِ، وَوَلِيَ نِقَابَةَ الطَّالِبِيِّينَ وَالْعَبَّاسِـيِّينَ، ثُمَّ اسْـتَعْفَى بَعْدَ شُـهُورٍ، فَوَلِيَ أَخُوهُ طِرَادٌ نِقَابَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٥١٢هـ) وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثِنْتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

٣ - **ابْـنُ عَقِيلٍ عَلِيُّ بْنُ عَقِيـلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ أَبُـو الْوَفَاءِ**، شَـيْخُ الْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَادَ وَصَاحِبُ "الْفُنُونِ" وَغَيْرِهَا مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ، وَالْأُصُولَ عَلَى أَبِـي الْوَلِيدِ الْمُعْتَزِلِـيِّ. وَكَانَ يَجْتَمِعُ بِجَمِيعِ الْعُلَمَاءِ **مِنْ كُلِّ مَذْهَـبٍ**، فَرُبَّمَا لَامَهُ بَعْضُ أَصْحَابِـهِ فَلَا يَلْـوِي عَلَيْهِمْ، فَلِهَذَا بَرَزَ عَلَـى أَقْرَانِهِ، وَبَذَّ أَهْلَ زَمَانِهِ فِـي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مَعَ صِيَانَةٍ وَدِيَانَةٍ وَحُسْـنِ صُورَةٍ وَكَثْرَةِ اشْـتِغَالٍ، وَقَدْ وَعَظَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَقَدْ مَتَّعَهُ اللهُ بِجَمِيعِ حَوَاسِّهِ إِلَى حِينِ مَوْتِهِ، **وَكَانَتْ وَفَاتُهُ** بُكْرَةَ الْجُمُعَةِ ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٥١٣هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٤ - **عَلِـيُّ بْـنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْـنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَـنِ الدَّامَغَانِيُّ**، قَاضِـي الْقُضَاةِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ وُلِدَ فِي رَجَبٍ سَـنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ وَبَرَعَ وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْقُضَاةِ بَعْدَ أَبِيهِ، ثُمَّ عُزِلَ بِأَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى الْحُكْمِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: لَا يُعْرَفُ حَاكِمٌ وَلِيَ الْحُكْمَ بِبَغْدَادَ أَصْغَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَلَا يُعْرَفُ حَاكِمٌ وَلِيَ لِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ غَيْرُهُ إِلَّا شُرَيْحٌ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَدِيَانَتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَحَرِّيهِ وَتَوَقِّيهِ وَقُوَّتِهِ؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٥١٣هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

٥- **أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ السِّيبِيِّ**، أَبُو الْبَرَكَاتِ، أَسْنَدَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ يُعَلِّمُ أَوْلَادَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهِرِ، فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُسْتَرْشِدِ، وَلَّاهُ الْمَخْزَنَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَمْوَالِ وَالصَّدَقَاتِ، يَتَعَاهَدُ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَخَلَّفَ مَالًا كَثِيرًا حُزِرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، أَوْصَى مِنْهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥١٤هـ)، عَنْ سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَصَلَّى عَلَيْهِ الْوَزِيرُ أَبُو عَلِيِّ بْنُ صَدَقَةَ، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ.

٦- **ابْنُ الْقَطَّاعِ اللُّغَوِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ** عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ السَّعْدِيُّ الصِّقِلِّيُّ ثُمَّ الْمِصْرِيُّ اللُّغَوِيُّ، مُصَنِّفُ كِتَابِ "الْأَفْعَالِ" الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى ابْنِ الْقُوطِيَّةِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ قَدِمَ مِصْرَ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ لَمَّا أَشْرَفَتِ الْفِرَنْجُ عَلَى أَخْذِ صِقِلِّيَةَ، فَأَكْرَمَهُ الْمِصْرِيُّونَ، وَبَالَغُوا فِي إِكْرَامِهِ وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى التَّسَاهُلِ فِي الرِّوَايَةِ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وتوفي سنة (٥١٥هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٧- **أَبُو الْقَاسِمِ الْأَفْضَلُ بْنُ بَدْرٍ الْجَمَالِيِّ**، وكان أبوه أَمِيرَ الْجُيُوشِ، ومُدَبِّرَ دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ، وَقَامَ فِي الْوَزَارَةِ بَعْد أبيه، فَكَانَ كَأَبِيهِ فِي الشَّهَامَةِ وَالصَّرَامَةِ.

وَلَمَّا مَاتَ الْمُسْتَنْصِرُ الفاطمي أَقَامَ الْمُسْتَعْلِي وَاسْتَمَرَّتِ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ، **وَكَانَ عَادِلًا حَسَنَ السِّيرَةِ، مَوْصُوفًا بِجَوْدَةِ السَّرِيرَةِ، فَاللهُ أَعْلَمُ.**

ضَرَبَهُ فِدَاوِيٌّ وَهُوَ رَاكِبٌ فَقَتَلَهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سنة (٥١٥هـ) عَنْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَقَدْ وُجِدَتْ لَهُ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا تَفُوقُ الْعَدَّ وَالْإِحْصَاءَ؛ مِنَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

الذَّهَـبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفَائِسِ، فَانْتَقَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَـى الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ، فَجُعِلَ فِي خِزَانَتِهِ، وَذَهَبَ جَامِعُهُ إِلَى سَوَاءِ الْحِسَابِ عَلَى الْفَتِيلِ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ.

٨- **خَاتُونُ السَّفَرِيَّةُ حَظِيَّةُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ**، وَهِيَ أَمُّ السُّلْطَانَيْنِ مُحَمَّدٍ وَسَنْجَرَ، كَانَتْ كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَـانِ إِلَى النَّاسِ، لَهَا فِي كُلِّ سَـنَةٍ سَبِيلٌ يَخْرُجُ مَعَ الْحُجَّاجِ، وَفِيهَا دِيـنٌ وَخَيْـرٌ، وَلَمْ تَزَلْ تَبْحَثُ حَتَّى عَرَفَـتْ مَكَانَ أُمِّهَا وَأَهْلِهَا، فَبَعَثَـتِ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةِ حَتَّى اسْـتَحْضَرَتْهُمْ، وَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهَا أُمُّهَا كَانَ لَهَا عَنْهَا أَرْبَعُونَ سَـنَةً لَمْ تَرَهَا، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَسْـتَعْلِمَ فَهْمَهَا، فَجَلَسَـتْ بَيْنَ جَوَارِيهَا، فَلَمَّا سَـمِعَتْ أُمُّهَا كَلَامَهَا عَرَفَتْهَا، فَقَامَتْ إِلَيْهَا فَاعْتَنَقَا وَبَكَيَا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ أُمُّهَا عَلَى يَدَيْهَا، جَزَاهَا اللهُ خَيْرًا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا.

وَقَدْ تَفَرَّدَتْ بِوِلَادَةِ مَلِكَيْنِ فِي دَوْلَةِ الْأَتْرَاكِ وَالْعَجَمِ، وَلَا يُعْرَفُ لَهَا نَظِيرٌ إِلَّا الْيَسِيرُ.

٩- **عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو طَالِبٍ السُّمَيْرَمِيُّ**، نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ بِأَصْبَهَانَ، كَانَ وَزِيرَ السُّلْطَانِ مَحْمُـودٍ، وَكَانَ مُجَاهِرًا بِالظُّلْمِ وَالْفِسْـقِ، وَأَحْدَثَ عَلَى النَّاسِ مُكُوسًـا وَجَدَّدَهَا بَعْدَمَا كَانَـتْ قَدْ أُزِيلَتْ، مِنْ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ: قَدِ اسْـتَحْيَيْتُ مِـنْ كَثْرَةِ الظُّلْمِ لِمَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ، وَكَثْرَةِ مَا أَحْدَثْتُ مِنَ السُّنَنِ السَّيِّئَةِ.

وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى هَمَذَانَ أَحْضَرَ الْمُنَجِّمِينَ، فَضَرَبُوا لَهُ تَحْتَ رَمْلٍ لِسَاعَةِ خُرُوجِهِ؛ لِيَكُونَ أَسْـرَعَ لِعَوْدِهِ، فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّـاعَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ السُّـيُوفُ الْمَسْـلُولَةُ، وَالْمَمَالِيـكُ بِالْعُدَدِ الْبَاهِرَةِ، وَمَعَ هَذَا جَاءَهُ بَاطِنِـيٌّ فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ بَعْدَمَا ضَرَبَهُ غَيْرَ مَا مَرَّةً فِي مَقَاتِلِهِ ثُمَّ ذَبَحَهُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَالْمَمَالِيكُ يَضْرِبُونَ بِالسُّيُوفِ وَالنِّبَالِ فِي ظَهْرِهِ وَلَا يُبَالِي بِشَـيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى قَتَلَهُ ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ، وَرَجَعَ نِسَـاؤُهُ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ؛ قَدْ أَبْدَلَهُنَّ اللهُ الذِّلَّةَ بَعْدَ الْعِزَّةِ، وَالْخَوْفَ بَعْدَ الْأَمْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَـلْخَ صَفَرٍ سنة (٥١٦هـ).

١٠- **الْحَرِيرِيُّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ**، الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَبُـو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ الْبَصْرِيُّ، مُؤَلِّفُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي سَـارَتْ بِفَصَاحَتِهَا الرُّكْبَانُ، وَكَادَ

يُرْبِي فِيهَا عَلَى سَحْبَانَ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَبَرَزَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ وَعَمِلَ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ مَعَ الْكُتَّبِ فِي بَابِ الْخَلِيفَةِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَحَدَّثَ وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَاللُّغَةَ، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِالذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَالْفَصَاحَةِ، وَحُسْنِ الْعِبَارَةِ، وَصَنَّفَ الْمَقَامَاتِ الْمَعْرُوفَةَ، مَنْ تَأَمَّلَهَا عَرَفَ قَدْرَ منشئها. وكانت وفاته سنة (٥١٦هـ).

١١- **الْبَغَوِيُّ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، صَاحِبُ "التَّفْسِيرِ" وَ"شَرْحِ السُّنَّةِ" وَ"التَّهْذِيبِ" فِي الْفِقْهِ، وَ"الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ" وَ"الْمَصَابِيحِ فِي الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، اشْتَغَلَ عَلَى الْقَاضِي حُسَيْنٍ، وَبَرَعَ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ، وَكَانَ عَلَّامَةَ زَمَانِهِ فِيهَا، وَكَانَ دَيِّنًا وَرِعًا زَاهِدًا عَابِدًا صَالِحًا، تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٥١٦هـ)، وَدُفِنَ مَعَ شَيْخِهِ الْقَاضِي حُسَيْنٍ بِالطَّالَقَانِ.[(١)] وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٢- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**، أَبُو الْفَضْلِ الْمَيْدَانِيُّ، صَاحِبُ كِتَابِ "الْأَمْثَالِ" وَلَيْسَ لَهُ مِثْلُهُ فِي بَابِهِ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٥١٨هـ).

١٣- **آقْ سُنْقُرُ الْبُرْسُقِيُّ**، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ، **قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ** فِي مَقْصُورَةِ جَامِعِهَا فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تُرْكِيًّا، جَيِّدَ السِّيرَةِ، صَحِيحَ السَّرِيرَةِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرَّعَايَا، وَلَمَّا تُوُفِّيَ سنة (٥١٩هـ)[(٢)] قَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ السُّلْطَانُ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودٌ وَأَقَرَّهُ السُّلْطَانُ مَحْمُودٌ عَلَى عَمَلِهِ.

---

(١) طالقان: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأخرى مدينة في مستوى من الأرض، بينها وبين الجبل غلوة سهم، ولها نهر كبير وبساتين. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٦).

(٢) تابع المصنف ابن الجوزي فذكره في وفيات هذه السنة، والمذكور في مصادر ترجمته الأخرى أنه قتل في سنة (٥٢٠هـ). وقد صحح ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٦/ ٢٦٨. هامش (١).

١٤- **هِـلَالُ** بْـنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُـرَيْحِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّـدِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُـلَيْمَانَ **بْنِ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ**، مُؤَذِّنِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، رَحَلَ وَجَالَ فِي الْبِلَادِ، وَكَانَ شَـيْخًا جَهْـوَرِيَّ الصَّوْتِ، حَسَـنَ الْقِـرَاءَةِ، طَيِّبَ النَّغْمَةِ، تُوُفِّيَ فِي سـنة (٥١٩هـ) بِسَـمَرْقَنْدَ؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

١٥- **الْقَاضِي أَبُو سَـعْدٍ الْهَرَوِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورٍ أَبُو سَعِيدٍ الْهَرَوِيُّ، أَحَدُ مَشَـاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالسَّـادَةِ الْكُبَرَاءِ، **قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ** فِي سنة (٥١٩هـ) بِهَمَذَانَ؛ حِينَ ذَهَبَ فِي الرُّسُلِيَّةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَى السُّلْطَانِ سَنْجَرَ فِي خِطْبَةِ ابْنَتِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٦- **أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَكِيلُ**، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ بَرْهَانَ أَبُو الْفَتْحِ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ تَفَقَّهَ عَلَى الْغَزَّالِيِّ وَإِلْكِيَا، وَأَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الْأُصُولِ، لَهُ كِتَابُ "الْوَجِيزِ فِـي أُصُولِ الْفِقْهِ" وَكَانَتْ لَهُ فُنُونٌ جَيِّدَةٌ يُتْقِنُهَا جَيِّدًا، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ دُونَ شَهْرٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥٢٠هـ) كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٧- **فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَـيْنِ بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ فَضْلُوَيْهِ**، سَمِعَتِ الْخَطِيبَ وَابْنَ الْمُسْلِمَةِ وَغَيْرَهُمَا، وَكَانَتْ وَاعِظَةً لَهَا رِبَاطٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ الزَّاهِدَاتُ، وَقَدْ سَمِعَ عَلَيْهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ "مُسْنَدَ الشَّافِعِيِّ" وَغَيْرَهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي سنة (٥٢١هـ).

١٨- **عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّـيِّدِ الْبَطَلْيَوْسِـيُّ** ثُمَّ الْبَلَنْسِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ فِي اللُّغَةِ وَغَيْرِهَا، جَمَعَ "الْمُثَلَّثَ" فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَزَادَ فِيهِ عَلَى قُطْرُبَ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَلَهُ "شَرْحُ سَقْطِ الزَّنْدِ" لِأَبِي الْعَلَاءِ أَحْسَنُ مِنْ شَرْحِ الْمُصَنِّفِ، وَلَهُ "شَرْحُ أَدَبِ الْكَاتِبِ" لِابْنِ قُتَيْبَةَ، وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ قَوْلُهُ:

أَخُـو الْعِـلْمِ حَـيٌّ خَـالِـدٌ بَعْـدَ مَـوْتِـهِ ... وَأَوْصَـالُـهُ تَـحْـتَ الـتُّـرَابِ رَمِـيـمُ
وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى ... يُـظَـنُّ مِـنَ الْأَحْـيَـاءِ وَهُـوَ عَـدِيـمُ

وَكَانَتْ وَفَاتُه فِي سنة (٥٢١هـ).

١٩- **الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ اللَّامِشِيُّ**، مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ، رَوَى الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَكَانَ خَيِّرًا دَيِّنًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، مُطَّرِحًا لِلتَّكَلُّفِ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ، قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْخَاقَانِ مَلِكِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ فِي رِسَالَةٍ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَحُجُّ عَامَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: لَا أَجْعَلُ الْحَجَّ تَبَعًا لِرِسَالَتِهِمْ. فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ، فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ سنة (٥٢٢هـ) عَنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٠- **طُغْتِكِينُ الْأَتَابِكُ**، صَاحِبُ دِمَشْقَ، التُّرْكِيُّ أَحَدُ غِلْمَانِ تَاجِ الدَّوْلَةِ تُتُشَ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيِّ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَعْدَلِهِمْ وَأَكْثَرِهِمْ جِهَادًا لِلْأَعْدَاءِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥٢٢هـ)، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ تَاجُ الْمُلُوكِ بُورَى

٢١- **أَسْعَدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ الْمِيهَنِيُّ أَبُو الْفَتْحِ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ، وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَتَفَرَّدَ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَحَصَلَ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، وَعُلِّقَ عَنْهُ "تَعْلِيقَةُ الْخِلَافِ" ثُمَّ عُزِلَ عَنِ النِّظَامِيَّةِ، فَسَارَ إِلَى هَمَذَانَ، فَمَاتَ بِهَا فِي سنة (٥٢٣هـ) ؛ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٢٢- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ**، أَبُو إِسْحَاقَ الْكَلْبِيُّ مِنْ أَهْلِ غَزَّةَ، جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْأَتْرَاكِ:

فِي فِتْنَةٍ مِنْ جُيُوشِ التُّرْكِ مَا تَرَكَتْ ... لِلرَّعْدِ كَرَّاتُهُمْ صَوْتًا وَلَا صِيتَا
قَوْمٌ إِذَا قُوبِلُوا كَانُوا مَلَائِكَةً ... حُسْنًا وَإِنْ قُوتِلُوا كَانُوا عَفَارِيتَا

وله أيضـًا:

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ ... وَالسَّفِيهُ الْغَوِيُّ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ... وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وَلَهُ أَيْضًا:

قَالُوا هَجَرْتَ الشِّعْرَ قُلْتُ ضَرُورَةً ... بَابُ الْبَوَاعِثِ وَالدَّوَاعِي مُغْلَقُ

خَلَتِ الْبِلَادُ فَلَا كَرِيمٌ يُرْتَجَى ... مِنْهُ النَّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى ... وَيُخَافُ فِيهِ مِنَ الْكَسَادِ وَيُسْرَقُ

كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٥٢٤هـ) بِبِلَادِ بَلْخَ، وَدُفِنَ فِيهَا.

٢٣- **مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدُونَ بْنِ مُرَجَّى**، أَبُو عَامِرٍ الْعَبْدَرِيُّ الْقُرَشِيُّ الْحَافِظُ، أَصْلُهُ مِنْ مَيُورْقَةَ، مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ بِهَا عَلَى طِرَادٍ الزَّيْنَبِيِّ وَالْحُمَيْدِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْحَدِيثِ جَيِّدَةٌ، وَكَانَ يَذْهَبُ فِي الْفُرُوعِ **مَذْهَبَ الظَّاهِرِيَّةِ**، تُوُفِّيَ فِي بَغْدَادَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٢٤هـ).

٢٤- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ**، أَبُو نَصْرٍ الطُّوسِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ، وَكَانَ شَيْخًا لَطِيفًا، عَلَيْهِ نُورٌ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: أَنْشَدَنِي:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَقُلْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِ أَعْتَمِدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضُّرُ مُشْتَمِلٌ ... إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبِّ خَائِبَةً ... فَبَحْرُ جُودِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

تُوُفِّيَ سنة (٥٢٤هـ).

٢٥- **أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ** من ذرية عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ السُّلَمِيُّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ كَادِشٍ الْعُكْبَرِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يَفْهَمُهُ وَيَرْوِيهِ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى عَنِ الْمَاوَرْدِيِّ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ؛ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْخَشَّابِ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ يَتَّهِمُهُ وَيَرْمِيهِ بِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِوَضْعِ حَدِيثٍ، فَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْأَنْمَاطِيُّ: كَانَ مُخَلِّطًا.

تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى في سنة (٥٢٦هـ).

٢٦-**أَحْمَـدُ بْنُ سَـلَامَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مَخْلَـدِ الرُّطَبِيِّ**، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي إِسْـحَاقَ وَابْنِ الصَّبَّـاغِ بِبَغْـدَادَ، وَبِأَصْبَهَـانَ عَلَى مُحَمَّدِ بْـنِ ثَابِتٍ الْخُجَنْـدِيِّ ثُمَّ وُلِّيَ الْحُكْـمَ بِبَغْدَادَ بِالْحَرِيمِ، وَالْحِسْـبَةَ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ أَوْلَادَ الْخَلِيفَةِ، تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ سنة (٥٢٧هـ) وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ.

٢٧- **ابْنُ الزَّاغُونِيِّ الْحَنْبَلِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ السَّـرِيِّ، الْإِمَامُ الشَّـهِيرُ، قَرَأَ الْقِرَاءَاتِ، وَسَـمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْكَثِيرَةُ فِـي الْأُصُـولِ وَالْفُرُوعِ، وَلَهُ يَدٌ فِـي الْوَعْظِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي جِنَازَتِهِ سـنة (٥٢٧هـ)، وَكَانَتْ حَافِلَةً جِدًّا.

٢٨-**أَبُـو عَلِـيٍّ الْفَارِقِيُّ**، الْحَسَـنُ بْـنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَرْهُونَ، وُلِدَ سَـنَةَ ثَـلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَـةٍ وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي عَبْـدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَيَانٍ الْكَازَرُونِـيِّ صَاحِبِ الْمَحَامِلِيِّ، ثُمَّ عَلَى الشَّـيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَابْنِ الصَّبَّاغِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ يُكَرِّرُ عَلَى " الْمُهَذَّبِ " وَ " الشَّامِلِ " ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِوَاسِطٍ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ، جَيِّدَ السَّرِيرَةِ، مُمَتَّعًا بِحَوَاسِّهِ وَعَقْلِهِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي مُحَرَّمٍ سنة (٥٢٨هـ) عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٢٩-**عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ**، أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِيهِ، وَنَاظَرَ وَأَفْتَى، وَكَانَ فَاضِلًا وَاعِظًا فَصِيحًا مُفَوَّهًا، شَـكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي وَعْظِهِ وَحُسْـنِ نَظْمِـهِ وَنَثْرِهِ وَلَفْظِهِ، تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ سـنة (٥٢٨هـ) وَقَدْ قَارَبَ الْخَمْسِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ.

٣٠-**إِسْـمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ** بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْقَاسِـمِ الْحَاكِمِيُّ تَفَقَّهَ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَكَانَ رَفِيقَ الْغَزَالِيِّ فِي الِاشْـتِغَالِ وَأَسَـنَّ مِنْهُ، فَلِهَذَا كَانَ الْغَزَالِيُّ يَحْتَرِمُهُ وَيُكْرِمُهُ وَكَانَ فَقِيهًـا بَارِعًـا وَعَابِـدًا وَرِعًا، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سـنة (٥٢٩هــ) بِطُوسَ وَدُفِـنَ إِلَى جَانِبِ الْغَزَالِيِّ، أ.

٣١-دُبَيْسُ بْنُ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَزْيَدٍ، أَبُو الْأَعَزِّ الْأَسَدِيُّ الْأَمِيرُ، مِنْ بَيْتِ الْإِمْرَةِ وِسَادَةِ الْأَعْرَابِ كَانَ شُجَاعًا بَطَلًا فَعَلَ الْأَفَاعِيلَ.

ثم تَمَزَّقَ فِي الْبِلَادِ خوفًا مِنَ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ اسْتُرْضِيَ عَنْهُ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَرْشِدُ، فَلَمَّا قُتِلَ الْخَلِيفَةُ عَاشَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا، ثُمَّ اتُّهِمَ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ بِأَنَّهُ قَدْ كَاتَبَ زَنْكِي يَنْهَاهُ عَنِ الْقُدُوم عَلَى السُّلْطَانِ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ غُلَامًا أَرْمَنِيًّا فَوَجَدَهُ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى شَهَرَ سَيْفَهُ وَضَرَبَهُ بِهِ فَأَبَانَ رَأْسَهُ عَنْ جُثَّتِهِ، وَيُقَالُ: بَلِ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ آخر سنة (٥٢٩هـ)، فَاللهُ أَعْلَمُ.

❁ ❁ ❁

(٣٠)

خلافة الراشد باللّه منصور بن المسترشد باللّه الفضل بن أحمد

٥٢٩-٥٣٠

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

الراشد بالله **منصور** بن المسترشد بالله **الفضل** بن المستظهر بالله **أَحْمَدُ** بْنُ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللهِ **عبد الله** بن محمد بن القائم بأمر الله العباسي. وأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.

○ صفاته

وَقَدْ كَانَ حَسَنَ اللَّوْنِ مَلِيحَ الْوَجْهِ شَدِيدَ الْقُوَّةِ مَهِيبًا، أَبْيَضَ جَسِيمًا.

○ بيعته

كَانَ أَبُوهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْعَهْدَ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَخْلَعَهُ فَلَمْ يُقَدَّرْ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ بِبَابِ مَرَاغَةَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ (٥٢٩هـ)، كَانَ هُوَ بِبَغْدَادَ فَلَمَّا جَاءَ خَبَرُهُ إِلَيْهَا بَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ وَالْأَعْيَانُ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِبَغْدَادَ وَسَائِرِ الْبِلَادِ.

○ خلعه

أَرْسَلَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ الراشد يَطْلُبُ مِنْهُ مَا التزمه وَالِدُهُ الْمُسْتَرْشِدُ حِينَ أَسَرَهُ أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَامْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ ذَلِكَ، وَقَالَ: **لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا السَّيْفُ**، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا **الْخُلْفُ**، فَاسْتَجَاشَ السُّلْطَانُ الْعَسَاكِرَ.

وَاسْتَنْهَضَ الْخَلِيفَةُ الْأُمَرَاءَ، وَأَرْسَلَ إِلَى عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي، فَجَاءَ وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلَائِقُ، كما جَاءَ السُّلْطَانُ **دَاوُدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** فَخَطَبَ لَهُ الْخَلِيفَةُ بِبَغْدَادَ، وَبَايَعَهُ عَلَى الْمُلْكِ.

فَتَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ مسعود وَالْخَلِيفَةِ جِدًّا، وَبَرَزَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ظَاهِرِ بَغْدَادَ، وَمَشَى الْجَيْشُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا كَانُوا يُعَامِلُونَ أَبَاهُ قَبْلَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَلْخَ شَعْبَانَ سنة (٥٣٠هـ)، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ دَاوُدُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ كَثْرَةُ جُيُوشِ

السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ حَسَّنَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي لِلْخَلِيفَةِ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ إِلَى الْمَوْصِلِ فدخل السُّلْطَانُ مَسْعُود إِلَى بَغْدَادَ فِي غَيْبَتِهِمْ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ رَابِعَ شَوَّالٍ فِي هذه السنة، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ بِمَا فِيهَا، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ مِنْ نِسَاءِ الْخَلِيفَةِ وَحَظَايَاهُ الْحُلِيَّ وَالْمَصَاغَ وَالثِّيَابَ الَّتِي لِلزِّينَةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

فجَمَعَ السلطان مسعود الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ وَأَبْرَزَ لَهُمْ خَطَّ الرَّاشِدِ؛ أَنَّهُ **مَتَى خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ لِقِتَالِ السُّلْطَانِ فَقَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ**، فَأَفْتَى مَنْ أَفْتَى مِنَ الْفُقَهَاءِ بِخَلْعِهِ، فَخُلِعَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٣٠هـ)، بِحُكْمِ الْحَاكِمِ، وَفُتْيَا أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ.(١)

وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا، وَاسْتَدْعَى السُّلْطَانُ بِعَمِّهِ **الْمُقْتَفِي** بْنِ الْمُسْتَظْهِرِ فَبُويِعَ بِالْخِلَافَةِ، عِوَضًا عَنِ ابْنِ أَخِيهِ الرَّاشِدِ بِاللهِ، فَدَخَلَ بغداد فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٥٣٠هـ).

○ وفاته

فِي سنة (٥٣٢هـ) قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَخْلُوعُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَهُ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ، فَقَصَدُوا قِتَالَ مَسْعُودٍ بِأَرْضِ مَرَاغَةَ فَهَزَمَهُمْ وَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ.

وَهَرَبَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَخْلُوعُ فَدَخَلَ أَصْبَهَانَ فَقَتَلَهُ مَنْ كَانَ يَخْدُمُهُ مِنَ الْخُرَاسَانِيَّةِ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَدُفِنَ بِشَهْرَسْتَانَ ظَاهِرَ أَصْبَهَانَ.

❁ ❁ ❁

(١) ما ذكر من كتابة الراشد على نفسه بالخلع يغلب على الظن أنه مزور لغرض خلعه، وموافقة من وافق من الفقهاء على الخلع قد يكون بتأثير ضغط السلطان.

(٣١)

خلافة المقتفي لأمر اللّه أبي عبد اللّه محمد بن المستظهر باللّه أحمد

٥٣٠ ـ ٥٥٥

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد.

وَأُمُّهُ صَفْرَاءُ تُسَمَّى نُسَيْمَ وَيُقَالُ لَهَا: سِتُّ السَّادَةِ، مِنْ خِيَارِ الْجَوَارِي.

صفاته

كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا مِقْدَامًا، يُبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، وَيُشَاهِدُ الْحُرُوبَ وَيَبْذُلُ الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ لِأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اسْتَبَدَّ بِالْعِرَاقِ مُنْفَرِدًا عَنِ السَّلَاطِينِ، مِنْ أَوَّلِ أَيَّامِ الدَّيْلَمِ (بنو بويه) إِلَى أَيَّامِهِ، وَتَمَكَّنَ فِي الْخِلَافَةِ وَحَكَمَ عَلَى الْعَسْكَرِ وَالْأُمَرَاءِ.

وفاته

مَـرِضَ بِالتَّرَاقِي، وَقِيلَ: بِدُمَّلٍ خَرَجَ فِي حَلْقِهِ، فَمَاتَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ثَانِيَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٥٥٥هـ) عَنْ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً.

❁ ❁ ❁

خلافته

❍ بيعته

بُويعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ خَلْعِ الرَّاشِدِ بِيَوْمَيْنِ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٣٠هـ)، ولَهُ مِنَ الْعُمْرِ يَوْمئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً، **وَلُقِّبَ بِالْمُقْتَفِي**.

وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ: أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَثَلَاثَة أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا.

❍ ولاية العهد

فِي سنة (٥٤٢هـ) خُطِبَ **لِلْمُسْتَنْجِدِ بِاللهِ** بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ الْمُقْتَفِي.

❍ فَائِدَةٌ حَسَنَةٌ

- وَلِيَ الْمُقْتَفِي، وَالْمُسْتَرْشِدُ الْخِلَافَةَ **وَكَانَا أَخَوَيْنِ**.
- وَكَذَلِكَ السَّفَّاحُ، وَالْمَنْصُورُ.
- وَكَذَلِكَ الْهَادِي، وَالرَّشِيدُ ابْنَا الْمَهْدِيِّ.
- وَكَذَلِكَ الْوَاثِقُ، وَالْمُتَوَكِّلُ ابْنَا الْمُعْتَصِمِ أَخَوَانِ.

وَأَمَّا ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ:

- فَالْأَمِينُ، وَالْمَأْمُونُ، وَالْمُعْتَصِمُ بَنُو الرَّشِيدِ.
- وَالْمُنْتَصِرُ، وَالْمُعْتَزُّ، وَالْمُعْتَمِدُ بَنُو الْمُتَوَكِّلِ.
- وَالْمُكْتَفِي، وَالْمُقْتَدِرُ، وَالْقَاهِرُ بَنُو الْمُعْتَضِدِ.
- وَالرَّاضِي، وَالْمُقْتَفِي، وَالْمُطِيعُ بَنُو الْمُقْتَدِرِ.

وَأَمَّا أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي بَنِي أُمَيَّةَ وَهُمُ:

- الْوَلِيدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَيَزِيدُ، وَهِشَامُ؛ بَنُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

○ **فائدة أخرى**

حَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصُّولِيِّ أَنَّهُ قَالَ: النَّاسُ يَقُولُونَ: **كُلُّ سَادِسٍ يَقُومُ بِأَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ لَا بُدَّ أَنْ يُخْلَعَ**. (١)

قال: فَتَأَمَّلْتُ ذَلِكَ فَرَأَيْتُهُ عَجَبًا؛

قَامَ **رَسُولُ اللهِ** ﷺ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ ثُمَّ الْحَسَنُ **فَخُلِعَ**.

ثُمَّ **مُعَاوِيَةُ** وَيَزِيدُ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ وَمَرْوَانُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ ثُمَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ **فَخُلِعَ** وَقُتِلَ.

ثُمَّ **الْوَلِيدُ** وَسُلَيْمَانُ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيَزِيدُ وَهِشَامٌ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ **فَخُلِعَ** وَقُتِلَ.

وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِبَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَهُ أَمْرٌ حَتَّى **قَامَ السَّفَّاحُ** الْعَبَّاسِيُّ ثُمَّ أَخُوهُ الْمَنْصُورُ ثُمَّ الْمَهْدِيُّ ثُمَّ الْهَادِي ثُمَّ الرَّشِيدُ ثُمَّ الْأَمِينُ **فَخُلِعَ** وَقُتِلَ.

ثُمَّ **الْمَأْمُونُ** وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاثِقُ وَالْمُتَوَكِّلُ وَالْمُنْتَصِرُ ثُمَّ الْمُسْتَعِينُ **فَخُلِعَ** وَقُتِلَ.

ثُمَّ **الْمُعْتَزُّ** وَالْمُهْتَدِي وَالْمُعْتَمِدُ وَالْمُعْتَضِدُ وَالْمُكْتَفِي ثُمَّ الْمُقْتَدِرُ **فَخُلِعَ** ثُمَّ أُعِيدَ فَقُتِلَ.

ثُمَّ **الْقَاهِرُ** وَالرَّاضِي وَالْمُتَّقِي وَالْمُكْتَفِي وَالْمُطِيعُ ثُمَّ الطَّائِعُ **فَخُلِعَ**.

ثُمَّ **الْقَادِرُ** وَالْقَائِمُ وَالْمُقْتَدِي وَالْمُسْتَظْهِرُ وَالْمُسْتَرْشِدُ ثُمَّ الرَّاشِدُ **فَخُلِعَ** وَقُتِلَ.

❁ ❁ ❁

(١) هذا التفصيل فيه نوع تكلف ليطابق المراد. إذ أن الحسن تنازل بنفسه اختياراً، ولم يخلع. وابن الزبير ولايته كانت قبل مروان وابنه عبدالملك.

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

❍ زواج الخليفة من فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ

فِي سنة (٥٣١هـ) تَزَوَّجَ الْخَلِيفَةُ المقتفي لأمر الله بِالْخَاتُونَ **فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَحَضَرَ أَخُوهَا السُّلْطَانُ **مَسْعُودٌ** الْعَقْدَ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ، وَالْوُزَرَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَنُثِرَ عَلَى النَّاسِ أَنْوَاعُ النِّثَارِ.

وفي سنة (٥٣٤هـ) دَخَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ عَلَى الْخَاتُونِ فَاطِمَةَ أُخْتِ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ وَأُغْلِقَتْ بَغْدَادُ أَيَّامًا، وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا.

كما تَزَوَّجَ السُّلْطَانُ مسعود بِبِنْتِ الخليفة وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

❍ توسع ملك عماد الدين زنكي وبنيه

- فِي سنة (٥٣١هـ) مَلَكَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي عِدَّةَ بِلَادٍ.
- وفي سنة (٥٣٢هـ) أَخَذَ الْمَلِكُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي مَدِينَةَ حِمْصَ فِي الْمُحَرَّمِ، وَتَزَوَّجَ فِي رَمَضَانَ بِالسِّتِّ زُمُرُّدَ خَاتُونَ، أُمِّ صَاحِبِ دِمَشْقَ وَهِيَ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهَا الْخَاتُونِيَّةُ الْبَرَّانِيَّةُ.
- وفي سنة (٥٣٣هـ) مَلَكَ **عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي** بَعْلَبَكَّ، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا الْأَمِيرَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ وَالِدَ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَالْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ وَذُرِّيَّتِهِمَا.
- وفي سنة (٥٣٧هـ) مَلَكَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِيٌّ الْحَدِيثَةَ [1]، وَنَقَلَ آلَ مُهَارِشٍ مِنْهَا إِلَى الْمَوْصِلِ وَرَتَّبَ فِيهَا نُوَّابًا مِنْ جِهَتِهِ.
- وفي سنة (٥٣٨هـ) تَجَهَّزَ **السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ** لِيَأْخُذَ الْمَوْصِلَ وَالشَّامَ مِنْ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ، **فَصَالَحَهُ** عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ فَدَفَعَ إِلَيْهِ مِنْهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَطْلَقَ لَهُ

---

(١) حديثة الموصل: هي بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى. معجم البلدان ٢/ ٢٣٠.

الْبَاقِي، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَهُ سَيْفَ الدِّينِ غَازِيًا كَانَ لَا يَزَالُ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ.

- وفي سنة (٥٣٨هـ) مَلَكَ **عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي** بَعْضَ بِلَادِ بَكْرٍ.
- وفِي سنة (٥٣٩هـ) أَخَذَ الْعِمَادُ زَنْكِيٌّ **الرُّهَا وَغَيْرَهَا** مِنْ حُصُونِ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَيْدِي الْفِرَنْجِ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَسَبَى نِسَاءً كَثِيرَةً، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَزَاحَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كُرَبًا شَدِيدَةً كَثِيرَةً، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.
- وَفِي سنة (٥٤١هـ) قُتِلَ الْمَلِكُ **عِمَادُ الدِّينِ** زَنْكِيُّ بْنُ قَسِيمِ الدَّوْلَةِ آقْ سُنْقُرَ التُّرْكِيُّ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ وَحَلَبَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ، وَكَانَ مُحَاصِرًا قَلْعَةَ جَعْبَرَ، قتله أحد مماليكه بتدبير من **سَالِمُ بْنُ مَالِكٍ الْعُقَيْلِيُّ** صاحب القلعة، فرشا بَعْضَ مَمَالِيكِ زَنْكِيٍّ حَتَّى قَتَلُوهُ فِي اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَقَدْ كَانَ **عماد الدين زنكي** مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً وَشَكْلًا، وَكَانَ شُجَاعًا مِقْدَامًا حَازِمًا، خَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْأَطْرَافِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ غَيْرَةً عَلَى نِسَاءِ الرَّعِيَّةِ، وَأَجْوَدِ الْمُلُوكِ مُعَامَلَةً، وَأَرْفَقِهِمْ بِالْعَامَّةِ، وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْمَوْصِلِ وَلَدُهُ سَيْفُ الدِّينِ غَازِيٌّ، وَبِحَلَبَ وَلَدُهُ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ، فَاسْتَعَادَ نُورُ الدِّينِ هَذَا مَدِينَةَ الرُّهَا، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ فَتَحَهَا. ثُمَّ عَصَوْا فَقَهَرَهُمْ.
- وَفِي سنة (٥٤١هـ) اسْتَعَادَ صَاحِبُ دِمَشْقَ **مَدِينَةَ بَعْلَبَكَّ**، من الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ مِنْ جِهَةِ زَنْكِيٍّ، وَأَعْطَاهُ إمارة عدة قرى من دِمَشْقَ

توسع ملك نور الدين محمود

فِي سنة (٥٤٩هـ) جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ مِصْرَ قَدْ قُتِلَ خَلِيفَتُهَا الظَّافِرُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا صَبِيٌّ صَغِيرٌ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ، قَدْ وَلَّوْهُ عَلَيْهِمْ وَلَقَّبُوهُ الْفَائِزَ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ عَهْدًا لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ عَلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهَا. فانْتَزَعَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ** بْنُ زَنْكِيٍّ **دِمَشْقَ** مِنْ يَدِ مَلِكِهَا **مُجِيرِ الدِّينِ أَبَقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بُورِي بْنِ طُغْتِكِينَ**، وَذَلِكَ لِسُوءِ سِيرَتِهِ وَضَعْفِ دَوْلَتِهِ، وَمُحَاصَرَةِ الْعَامَّةِ لَهُ

فِي الْقَلْعَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَتَغَلَّبَ الْخَادِمُ عَطَاءٌ عَلَى الْمَمْلَكَةِ مَعَ ظُلْمِهِ وَغَشْمِهِ. فَكَانَ النَّاسُ يَدْعُونَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا أَنْ يُبَدِّلَهُمْ بِالْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ.

وَاتَّفَقَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ **الْفِرِنْجَ** أَخَذُوا عَسْقَلَانَ فَتَحَرَّقَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يُمْكِنُهُ الْوُصُولُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ دِمَشْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَيَخْشَى أَنْ يُحَاصِرَ دِمَشْقَ بِعَسْفٍ؛ فَيَنْبَعِثَ مَلِكُهَا إِلَى الْفِرِنْجِ فَيُنْجِدُونَهُ كَمَا جَرَى غَيْرَ مَرَّةٍ.

فَأَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرَ **أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهْ** فِي أَلْفِ فَارِسٍ فِي صِفَةِ طَلَبِ الصُّلْحِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ مُجِيرُ الدِّينِ، فَرَكِبَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ فِي جَيْشِهِ، فَفَتَحَهَا قَسراً يَوْمَ الْأَحَدِ عَاشِرَ صَفَرٍ سنة (٥٤٩هـ)، وَتَحَصَّنَ مُجِيرُ الدِّينِ فِي الْقَلْعَةِ فَأَنْزَلَهُ مِنْهَا، وَعَوَّضَهُ مَدِينَةَ حِمْصَ.

وَدَخَلَ نُورُ الدِّينِ الْقَلْعَةَ، وَاسْتَقَرَّتْ يَدُهُ عَلَى دِمَشْقَ، فَرُفِعَ عَنْهُمُ الْمُكُوسُ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ وَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ لَهُ، وَكَتَبَ مُلُوكُ الْفِرِنْجِ إِلَيْهِ يُهَنِّئُونَهُ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ.

وفي سنة (٥٥٠هـ) افْتَتَحَ نُورُ الدِّينِ **بَعْلَبَكَّ** عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، فَسَلَّمَهُ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الضَّحَّاكُ الْبِقَاعِيُّ.

وَاسْتَدْعَى بِنَجْمِ الدِّينِ إِلَيْهِ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا، وَأَكْرَمَهُ مِنْ أَجْلِ أَخِيهِ أَسَدِ الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي فَتْحِ دِمَشْقَ لِلْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ.

وَجَعَلَ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ **تُورَانْشَاهْ** بْنَ نَجْمِ الدِّينِ شِحْنَةَ دِمَشْقَ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ جَعَلَ أَخَاهُ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ هُوَ الشِّحْنَةَ، وَجَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ لَا يُفَارِقُهُ حَضَرًا وَلَا سَفَرًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ، حَسَنَ اللَّعِبِ **بِالْكُرَةِ**، وَكَانَ نُورُ الدِّينِ يُحِبُّ لَعِبَ الْكُرَةِ؛ لِتَمْرِينِ الْخَيْلِ وَتَعْلِيمِهَا الْكَرَّ وَالْفَرَّ.

وَفِي سنة (٥٥٢هـ) مَلَكَ السُّلْطَانُ نور الدين **مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ** حِصْنَ **شَيْزَرَ** بَعْدَ حِصَارٍ، وَأَخَذَ **مَدِينَةَ بَعْلَبَكَّ**.

وقـد مَرِضَ السـلطان نُـورُ الدِّينِ محمـود فَمَرِضَ الشَّـامُ بِمَرَضِـهِ ثُمَّ عُوفِـيَ فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاسْتَوْلَى أَخُوهُ قُطْبُ الدِّينِ مَوْدُودٌ عَلَى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ.

وَذَكَرَ أَبُو شَـامَةَ [1] أَنَّ أخذ بَانِيَاسَ من يد الفرنج كَانَ فِي هَذِهِ السَّـنَةِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ محمود بِنَفْسِهِ، وَقَتَلَ مَلِكِهَا، وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ كسوة الكعبة من تاجر

فِي سـنة (٥٣٢هـ) كَسَـا الْكَعْبَةَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ يُقَالُ لَهُ رَاسَـتُ الْفَارِسِـيُّ [2] بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهَا كُسْوَةٌ فِي هَذَا الْعَامِ لِاخْتِلَافِ الْمُلُوكِ.

○ مقتل صاحب دمشق محمود بن بوري

فِي سـنة (٥٣٣هـ) قُتِلَ صَاحِبُ دِمَشْقَ شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ تَاجِ الْمُلُوكِ بُورِي بْنِ طُغْتِكِينَ، قَتَلَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ لَيْلًا وَهَرَبُوا مِنَ الْقَلْعَةِ، فَأُدْرِكُ اثْنَانِ فَصُلِبَا، وَأَفْلَتَ وَاحِدٌ.

وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ كَمَالُ الدَّيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ تَاجِ الْمُلُوكِ وَكَانَ بِبَعْلَبَكَّ قَبْلَ ذَلِكَ.

○ عودة بردة الخلافة إلى بغداد

فِي سـنة (٥٣٥هـ) وَصَلَتِ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَا قَدْ أُخِذَا مِنَ الْمُسْتَرْشِـدِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَحَفِظَهُمَا السُّلْطَانُ سَنْجَرُ عِنْدَهُ حَتَّى رَدَّهُمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

○ المدرسة الكمالية في بغداد

فِي سـنة (٥٣٥هـ) كَمُلَتِ الْمَدْرَسَةُ الْكَمَالِيَّةُ الْمَنْسُـوبَةُ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفُتُوحِ حَمْـزَةَ بْـنِ طَلْحَةَ صَاحِبِ الْمَخْزَنِ، وَدَرَّسَ فِيهَا الشَّـيْخُ أَبُو الْحَسَـنِ بْنُ الْخَلِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ.

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (١/ ١٩١).

(٢) في الكامل لابن الأثير ١١/ ٦٥: رامشت.

احتراق قصر المسترشد

فِي لَيْلَةِ مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٥٤١هـ) احْتَرَقَ الْقَصْرُ الَّذِي بَنَاهُ الْمُسْتَرْشِدُ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفِي قَدِ انْتَقَلَ بِجَوَارِيهِ وَحَظَايَاهُ إِلَيْهِ؛ لِيُقِيمَ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَامُوا حَتَّى احْتَرَقَ عَلَيْهِمُ الْقَصْرُ؛ بِسَبَبِ أَنَّ جَارِيَةً أَخَذَتْ فِي يَدِهَا شَمْعَةً فَعَلِقَ لَهَبُهَا بِبَعْضِ الْأَخْشَابِ؛ فَاحْتَرَقَ الْقَصْرُ، وَسَلَّمَ اللهُ الْخَلِيفَةَ وَأَهْلَهُ، فَأَصْبَحَ فَتَصَدَّقَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَأَطْلَقَ خَلْقًا مِنَ الْمُحْبَسِينَ.

الخلاف بين الخليفة والسلطان

فِي رَجَبٍ سنة (٥٤١هـ) وَقَعَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ مَسْعُودٍ خلاف شديد، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ فَأُغْلِقَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى اصْطَلَحَا.

نصيحة الواعظ للسلطان مسعود

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُنْتَصَفِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٤١هـ) جَلَسَ ابْنُ الْعَبَّادِيِّ الْوَاعِظُ، فَتَكَلَّمَ وَالسُّلْطَانُ مَسْعُودٌ حَاضِرٌ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ عَلَى النَّاسِ فِي الْبَيْعِ **مَكْسًا فَاحِشًا**، فَقَالَ فِي جُمْلَةِ وَعْظِهِ: يَا سُلْطَانَ الْعَالَمِ أَنْتَ تُطْلِقُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لِلْمُغَنِّي إِذَا طَرِبْتَ قَرِيبًا مِمَّا وَضَعْتَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا الْمَكْسِ، فَهَبْنِي مُغَنِّيًا وَقَدْ طَرِبْتَ فَهَبْ لِي هَذَا الْمَكْسَ، شُكْرًا لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ، فَأَشَارَ السُّلْطَانُ بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُ فَضَجَّ النَّاسُ بِالدُّعَاءِ لَهُ وَكَتَبَ بِذَلِكَ سِجِلَّاتٍ وَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ بِإِسْقَاطِ ذَلِكَ الْمَكْسِ فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

مقتل عباس صاحب الري

فِي سنة (٥٤١هـ) قَتَلَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ **عَبَّاسًا**- صَاحِبَ الرَّيِّ، وقد كان على شرطة الري، ثم ملكها- وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ، وَنَهَبُوا خِيَامَ عَبَّاسٍ هَذَا، وَقَدْ كَانَ عَبَّاسٌ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَشْهُورِينَ، وكثير الصدقات والإحسان إلى الرعية،

وقاتَـلَ الْبَاطِنِيَّـةَ مَعَ مَخْدُومِهِ جَوْهَـرٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ مِنْهُمْ حَتَّى بَنَى **مِئْذَنَةً مِنْ رُءُوسِـهِمْ** بِمَدِينَةِ الرَّيِّ.

❍ نور الدين والصراع مع الأفرنج

⊙ فِي سنة (٥٤٢هـ) مَلَكَتِ الْفِرَنْجُ عِدَّةَ حُصُونٍ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ.

⊙ وَفِيهَا مَلَكَ نُورُ الدِّينِ بْنُ مَحْمُودٍ زَنْكِيٌّ عِدَّةَ حُصُونٍ مِنْ أَيْدِي الْفِرَنْجِ بِالسَّوَاحِلِ وَغَيْرِهَا.

⊙ وفِـي سـنة (٥٤٣هـ) اسْـتَغَاثَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ أَتَابِكِ دِمَشْـقَ بِالْمَلِـكِ نُورِ الدِّينِ صَاحِبِ حَلَـبَ عَلَى **الْفِرِنْجِ** فَرَكِبَ سَـرِيعًا فَالْتَقَى مَعَهُمْ بِـأَرْضِ بُصْرَى فَهَزَمَهُمْ وَرَجَعَ، فَنَزَلَ عَلَى الْكِسْـوَةِ وَخَرَجَ مَلِكُ دِمَشْـقَ مُجِيرُ الدِّينِ أَبَقُ فَخَدَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَشَاهَدَ الدَّمَاشِقَةُ حُرْمَةَ نُورِ الدِّينِ.

وفِيهـا **مَلَكَتِ الْفِرِنْجُ** الْمَهْدِيَّةَ، وَهَرَبَ مِنْهَا صَاحِبُهَا الْحَسَـنُ بْـنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيسَ بِأَهْلِهِ وَمَا خَفَّ مِنْ أَمْوَالِهِ، فَتَمَزَّقَ فِي الْبِلَادِ، وَأَكَلَتْهُمُ الْأَقْطَارُ، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ بَنِي بَادِيسَ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ مُلْكِهِمْ فِي سَنَةِ (٣٣٥هـ)، فَدَخَلَ الْفِرِنْجُ إِلَيْهَا وَخَزَائِنُهَا مَشْحُونَةٌ بِالْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعُدَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

⊙ وفِـي سـنة (٥٤٣هـ) **حَاصَـرَتِ الْفِرِنْجُ** - وَهُمْ فِي سَـبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِـلٍ، وَمَعَهُمْ **مَلِـكُ الْأَلْمَـانِ فِي** خَلْقٍ لَا يَعْلَمُهُـمْ إِلَّا اللهُ , - دِمَشْـقَ وَعَلَيْهَا مُجِيـرُ الدِّينِ أَبَقُ، وَأَتَابِكُهُ مَعِينُ الدِّينِ، وَهُوَ مُدَبِّرُ الْمَمْلَكَةِ. **وَذَلِكَ يَوْمَ السَّـبْتِ** سَـادِسَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَخَـرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فِـي مِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثِيـنَ أَلْفًا فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَـالًا عَظِيمًا وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ نَحْوٌ مِـنَ الْمِائَتَيْنِ، وَمِنَ الْفِرِنْجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ وَاسْـتَمَرَّتِ الْحَـرْبُ مُـدَّةً، **وَأُخْرِجَ مُصْحَـفُ عُثْمَانَ** إِلَى وَسَـطِ صَحْـنِ الْجَامِعِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ يَدْعُونَ اللهَ , وَالنِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ مُكَشَّفِي الرُّءُوسِ يَدْعُونَ اللهَ وَيَتَبَاكُونَ.

فَاسْتَغَاثَ أَبَقُ بِالْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ صَاحِبِ حَلَبَ وَبِأَخِيهِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِيٍّ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقَصَدَاهُ سَرِيعًا فِي نَحْوٍ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا بِمَنِ انْضَافَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْفِرِنْجُ - قَبَّحَهُمُ اللهُ - بِقُدُومِ الْجَيْشِ تَحَوَّلُوا عَنِ الْبَلَدِ فَلَحِقَهُمُ الْجَيْشُ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا.

وَقَتَلُوا فِيمَنْ قَتَلُوا مَعَهُمْ قِسِّيسًا اسْمُهُ إِلْيَاسُ، وَهُوَ الَّذِي أَغْرَاهُمْ بِدِمَشْقَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ افْتَرَى مَنَامًا عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ وَعَدَهُ فَتْحَ دِمَشْقَ فَقُتِلَ لَعَنَهُ اللهُ، وَقَدْ كَادُوا يَأْخُذُونَ الْبَلَدَ؛ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ، وَحَمَاهَا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

قال ابن كثير[(١)]: وَمَدِينَةُ دِمَشْقَ لَا سَبِيلَ لِلْأَعْدَاءِ مِنَ الْكَفَرَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا الْمَحَلَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهَا مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ الْمَلَاحِمِ وَالْفِتَنِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ.

⊙ **وفي سنة (٥٤٤هـ)** غَزَا نور الدين محمود **الْفِرِنْجَ** فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرَ **الْبِرِنْسَ** صَاحِبَ أَنْطَاكِيَةَ، فَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ؛ مِنْهُمُ الْفَتْحُ الْقَيْسَرَانِيُّ بِقَصِيدَةٍ طَنَّانَةٍ، يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا:

هَذِي الْعَزَائِمُ لَا مَا تَدَّعِي الْقُضُبُ ... وَذِي الْمَكَارِمُ لَا مَا قَالَتِ الْكُتُبُ
وَهَذِهِ الْهِمَمُ اللَّاتِي مَتَى خُطِبَتْ ... تَعَثَّرَتْ خَلْفَهَا الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ

---

(١) البداية والنهاية ١٦/ ٣٤٩ . وكلام الحافظ ابن كثير فيه نظر، إذ يمكن أن تملك دمشق والشام من غير المسلمين كما وقع ذلك زمن الاستعمار الفرنسي؛ ولكن في آخر الزمان عند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تكون بأيدي المسلمين.

صَافَحْتَ يَا ابْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذُرْوَتَهَا ... بِرَاحَةٍ لِلْمَسَاعِي دُونَهَا تَعَبُ
مَا زَالَ جَدُّكَ يَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ ... حَتَّى بَنَى قُبَّةً أَوْتَادُهَا الشُّهُبُ

وفِي سنة (٥٤٥هـ) فَتَحَ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ **حِصْنَ أَفَامِيَةَ**، وَهُوَ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَوْسَعِ الْبِقَاعِ وَقِيلَ: فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

وَفِيهَا فَتَحَ حِصْنَ عِزَازٍ، وَأَسَرَ ابن مَلِكِهَا، فَفرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ كَافَّةً، ثُمَّ أَسَرَ بَعْدَهُ والده **جُوسْلِينَ** الْمَلِكَ **الْإِفْرِنْجِيَّ**، فَكَانَتِ الْفَرْحَةُ أَعْظَمَ، وَفَتَحَ بَعْدَ أَسْرِهِ لجوسلين شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ حُصُونِ بلاده، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- وفِي سنة (٥٤٦هـ) اقْتَتَلَ **الْفِرِنْجُ** وَجَيْشُ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
- **وشَقَّ عَلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ** هَذَا الْأَمْرُ، فهَجَرَ اللَّذَّةَ وَالتَّرَفُّهَ حَتَّى يَأْخُذَ بِالثَّأْرِ، وَأَغْرَى بِهِمْ جَمَاعَةً مِنَ التُّرْكُمَانِ، فتَرَصَّدُوا لِمَلِكِهِمْ جُوسْلِينَ الْإِفْرِنْجِيِّ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَسَرُوهُ فِي بَعْضِ مُتَصَيِّدَاتِهِ، فَأَرْسَلَ نُورُ الدِّينِ، فَكَبَسَ التُّرْكُمَانَ وَأَخَذَ مِنْهُمْ جُوسْلِينَ أَسِيرًا، وَكَانَ مِنْ أَعْتَى الْكَفَرَةِ، وَأَعْظَمِ الْفَجَرَةِ، فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَذَلِّ حَالٍ، ثُمَّ سَجَنَهُ، وَسَارَ نُورُ الدِّينِ إِلَى بِلَادِهِ فَأَخَذَهَا كُلَّهَا بِمَا فِيهَا.
- وفِي سنة (٥٤٧هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ وَبَيْنَ **الْفِرِنْجِ**، فَكَسَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.
- وَفِي سنة (٥٤٨هـ) أَخَذَتِ **الْفِرِنْجُ** مَدِينَةَ عَسْقَلَانَ مِنَ السَّوَاحِلِ.
- وَفِي سنة (٥٥١هـ) فَتَحَ **نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ** قَلْعَةَ تَلِّ حَارِمٍ وَاقْتَلَعَهَا مِنْ أَيْدِي **الْفِرِنْجِ**، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَمْنَعِ الْبِقَاعِ وَذَلِكَ بَعْدَ قِتَالٍ عَظِيمٍ وَوَقْعَةٍ هَائِلَةٍ كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْفُتُوحَاتِ، وَقَدِ امْتَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ.
- وَفِي سنة (٥٥١هـ) مَلَكَتِ **الْفِرِنْجُ** الْمَهْدِيَّةَ مِنْ بِلَادِ **الْمَغْرِبِ** بَعْدَ حِصَارٍ شَدِيدٍ.

⊙ وفِي سنة (٥٥٣هـ) قدم جيش من مصر بقيادة الْمَلِك الصَّالِح طَلَائِع بْنِ رُزِّيك، فكسر **الْفِرِنْجَ** بِأَرْضِ **عَسْقَلَانَ** كَسْرَةً فَظِيعَةً.

⊙ وفِي سنة (٥٥٤) أَقْبَلَ **مَلِكُ الرُّومِ** فِي جَحَافِلَ قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ فَرَدَّهُ اللهُ خَائِبًا خَاسِرًا؛ وَذَلِكَ لِضِيقِ حَالِهِمْ مِنَ الْمِيرَةِ، وَأَسَرَ الْمُسْلِمُونَ ابْنَ أُخْتِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⊙ وفي سنة (٥٤٤هـ) غَزَا الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ صَاحِبُ حَلَبَ **بِلَادَ الْفِرِنْجِ**، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَتَلَ الْبِرِنْسُ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ، وَفَتَحَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ قِلَاعِهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَكَانَ قَدِ اسْتَنْجَدَ بِمُعِينِ الدِّينِ بْنِ أَتَابِكِ دِمَشْقَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِفَرِيقٍ مِنْ جَيْشِهِ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ مُجَاهِدِ الدِّينِ بْنِ بُزَّانَ بْنِ مَامِينَ نَائِبِ صَرْخَدَ فَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا، وَقَدْ قَالَ الشُّعَرَاءُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَشْعَارًا كَثِيرَةً، مِنْهُمُ ابْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ وَغَيْرُهُ وَقَدْ سَرَدَهَا أَبُو شَامَةَ فِي " الرَّوْضَتَيْنِ ". (١)

○ مصالحة صاحب ماردين على الزواج من ابنته

فِي سنة (٥٤٢هـ) تَزَوَّجَ **سَيْفُ الدِّينِ غَازِيٌّ** بِنْتَ حُسَامِ الدِّينِ تَمُرْتَاشَ بْنِ أُرْتُقَ، صَاحِبِ مَارْدِينَ، بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهُ، فَصَالَحَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْمَوْصِلِ بَعْدَ سَنَتَيْنِ، وَهُوَ مَرِيضٌ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ سنة (٥٤٤هـ)

وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ قُطْبُ الدِّينِ مَوْدُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةِ أَخِيهِ الَّتِي لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، الْخَاتُونِ بِنْتِ تَمُرْتَاشَ بْنِ إِيلِغَازِي بْنِ أُرْتُقَ صَاحِبِ مَارِدِينَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادًا كُلُّهُمْ مَلَكُوا الْمَوْصِلَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْخَاتُونُ تَضَعُ خِمَارَهَا بِحَضْرَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ مَلِكًا. (٢)

(١) انظر: ١/ ١٥٢.

(٢) لأنهم محارم لها. من آباءها وأبناءها وأبناء أخواتها، فهي سليلة ملوك، وأم ملوك. انظر: عيون التواريخ لمحمد بن شاكر الكتبي ١٢/ ٤٣٦

○ عصيان الأمراء على السلطان مسعود

فِي سنة (٥٤٣هـ) وَقَعَ خلاف بَيْنَ **السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ** وَأُمَرَائِهِ فَفَارَقُوهُ، وَقَصَدُوا بَغْدَادَ فَاقْتَتَلُوا مَعَ الْعَامَّةِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا قُبَالَةَ التَّاجِ فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ وَاعْتَذَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِمَّا وَقَعَ، وَسَارُوا نَحْوَ النَّهْرَوَانِ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَنَهَبُوا أَهْلَهَا؛ فَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْعِرَاقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

○ وزارة ابن هبيرة

في سنة (٥٤٤هـ) يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِثَ رَبِيعٍ الْآخَرِ اسْتَوْزَرَ لِلْخِلَافَةِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَحْيَى بْنُ هُبَيْرَةَ، وَلُقِّبَ بعَوْن الدِّينِ وَخُلِعَ عَلَيْهِ.

○ التدريس في المدرسة النظامية

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٥٤٥هـ) حَضَرَ الشيخ **يُوسُفُ الدِّمَشْقِيُّ** لتَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ الْخَلِيفَةِ، بَلْ بِمَرْسُومِ السُّلْطَانِ، وَابْنِ نِظَامِ الْمُلْكِ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ الشَّيْخُ أَبُو النَّجِيبِ بِإِذْنِ الْخَلِيفَةِ وَمَرْسُومِ السُّلْطَانِ.

○ محاربة الباطنية

في سنة (٥٤٦هـ) أَغَارَ جَيْشُ السُّلْطَانِ مسعود عَلَى بِلَادِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ**، فَقَتَلُوا خَلْقًا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ.

وَفِي سنة (٥٥٢هـ) أَغَارَتِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ** عَلَى حُجَّاجِ خُرَاسَانَ فَلَمْ يُبْقُوا مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا زَاهِدٍ وَلَا عَالِمٍ.

○ وفاة السلطان مسعود

في سنة (٥٤٧هـ) تُوُفِّيَ **السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بن محمد بن ملكشاه**، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أولاً ابْنُ أَخِيهِ **مَلِكْشَاهْ بْنُ مَحْمُودٍ**، ثُمَّ جَاءَ **السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بن محمود بن ملكشاه** فَأَخَذَ الْمُلْكَ من أخيه، وَاسْتَقَرَّ لَهُ الأمر.

○ انتهاء دولة بني سبكتكين بغزنة

في سنة (٥٤٧هـ) استولى السلطان سَنْجَرُ السلجوقي على بلاد **الْغُورِ**، وأسر عَلَاءُ الدِّينِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَوَّلُ مُلُوكِهِمْ، فَلَمَّا أَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَفَا عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ فَسَارَ **علاء الدين** إِلَى غَزْنَةَ فَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا، بَهْرَامْ شَاهْ السُّبُكْتُكِينِيِّ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أَخَاهُ **سَيْفَ الدِّينِ**، فَغَدَرَ بِهِ أَهْلُ الْبَلَدِ، وَسَلَّمُوهُ إِلَى بَهْرَامْ شَاهْ السُّبُكْتُكِينِيِّ فَصَلَبَهُ.

ولما مَاتَ بَهْرَامْ شَاهْ قَرِيبًا استخلف ولده خسرو، فَسَارَ عَلَاءُ الدِّينِ إِلَى غزنة فَهَرَبَ خُسْرُو بْنُ بَهْرَامْ السُّبُكْتُكِينِيِّ عنها، فَدَخَلَهَا عَلَاءُ الدِّينِ فَنَهَبَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا بَشَرًا كَثِيرًا، وَسَخَّرَ أَهْلَهَا، فَحَمَلُوا تُرَابًا فِي مَخَالٍ إِلَى مَحَلَّةٍ هُنَاكَ بَعِيدَةٍ عَنِ الْبَلَدِ، فَعَمَّرَ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ قَلْعَةً مَعْرُوفَةً إِلَى الْآنِ.

وَبِذَلِكَ **انْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي سُبُكْتُكِينَ** عَنْ بِلَادِ غَزْنَةَ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِمْ فِي سَنَةِ (٣٣٦هـ)، وَكَانُوا مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ، وَأَكْثَرِهِمْ جِهَادًا فِي الْكَفَرَةِ، وَأَكْثَرِهِمْ أَمْوَالًا وَنِسَاءً وَعَدَدًا وَعُدَدًا، قَدْ كَسَرُوا الْأَصْنَامَ، وَأَبَادُوا الْكُفَّارَ، وَجَمَعُوا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَمْ يَجْمَعْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ، مَعَ أَنَّ بِلَادَهُمْ مِنْ أَطْيَبِ الْبِلَادِ وَأَكْثَرِهَا رِيفًا وَمِيَاهًا فَفَنِيَ جَمِيعُهُ، وَزَالَ عَنْهُمْ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

○ نهاية سلطنة سنجر

في سنة (٥٤٨هـ) وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ **السُّلْطَانِ سَنْجَرَ** وَبَيْنَ **الْأَتْرَاكِ** بِبِلَادِ **بَلْخٍ**، فَقَتَلُوا مِنْ جَيْشِهِ خَلْقًا كَثِيرًا جِدًّا، وَأَسَرُوا **السُّلْطَانَ سَنْجَرَ**، وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ صَبْرًا، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ شَهْرَيْنِ ثُمَّ جَاءُوا به فَدَخَلُوا **مَرْوَ** وَهِيَ كُرْسِيُّ مَمْلَكَةِ خُرَاسَانَ.

فَنَزَلَ سنجر لهم عَنْ سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَدَخَلَ **خَانِقَاهُ**(١)، وَصَارَ فَقِيرًا مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِهَا

(١) الخانقاه: رِبَاط الصُّوفِيَّة. المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠)

حتى مات سنة (٥٥٢هـ)، وَاسْتَحْوَذَ أُولَئِكَ الْأَتْرَاكُ عَلَى الْبِلَادِ فَنَهَبُوهَا، وَتَرَكُوهَا قَاعًا صَفْصَفًا.

وَأَقَامُوا **سُلَيْمَانَ شَاهْ** مَلِكًا، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ حَتَّى عَزَلُوهُ، وَوَلَّوْا ابْنَ أُخْتِ سَنْجَرَ الْخَاقَانِ **مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ كُوخَانَ**، وَتَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ وَاسْتَحْوَذَ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَمَالِكِ، وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ دُوَلاً.

❍ استرداد تكريت من التركمان

فِي سنة (٥٤٩هـ) رَكِبَ **الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفِي** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ إِلَى **تَكْرِيتَ** فَحَاصَرَ قَلْعَتَهَا، وَالْتَقَى جَمْعًا هُنَالِكَ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالتُّرْكُمَانِ، فَأَظْفَرَهُ اللهُ بِهِمْ، وَهَزَمَهُمْ لَهُ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

وفِي سنة (٥٥٣هـ) كَثُرَ **فَسَادُ التُّرْكُمَانِ** مِنْ أَصْحَابِ بُرْجُمَ الْإِيوَائِيِّ، فَجُهِّزَ إِلَيْهِمْ **مَنْكُورُسُ الْمُسْتَرْشِدِيُّ** فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ فَهَزَمَهُمْ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ، وَجَاءُوا بِالْأُسَارَى وَالرُّءُوسِ إِلَى بَغْدَادَ.

❍ مباشرة الخليفة مسؤولياته

فِي سنة (٥٥٠هـ) خَرَجَ **الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفِي** لِأَمْرِ اللهِ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ إِلَى **دَقُوقَا**[1] فَحَاصَرَهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرْحَلَ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ أَهْلَهَا قَدْ هَلَكُوا بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ، فَأَجَابَهُمْ، وَرَحَلَ عَنْهُمْ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَنِصْفٍ.

ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ الْحِلَّةِ وَالْكُوفَةِ، وَالْجَيْشُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ لَهُ **سُلَيْمَانُ شَاهْ**: أَنَا وَلِيُّ عَهْدِ سَنْجَرَ، فَإِنْ قَرَّرْتَ لِي ذَلِكَ وَإِلَّا فَأَنَا كَأَحَدِ الْأُمَرَاءِ. فَوَعَدَهُ خَيْرًا، وَكَانَ يَحْمِلُ الْغَاشِيَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ عَلَى كَاهِلِهِ، فَمَهَّدَ الْأُمُورَ وَوَطَّدَهَا.

---

(١) دقوقاء: بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف أخرى وألف ممدودة ومقصورة، مدينة بين إربل وبغداد. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٤٥٩).

اتفاق السلطان سليمان شاه مع الخليفة

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٥٥١هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ **سُلَيْمَانُ شَاهْ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ إِلَى بَغْدَادَ وَعَلَى رَأْسِهِ الشَّمْسِيَّةُ، فَتَلَقَّاهُ الْوَزِيرُ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَأَدْخَلَهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَحَلَّفَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَصَفَاءِ النِّيَّةِ وَالْمُنَاصَحَةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلَعَ الْمُلُوكِ، **وَتَقَرَّرَ أَنَّ لِلْخَلِيفَةِ الْعِرَاقَ وَلِسُلَيْمَانَ شَاهْ مَا يَفْتَحُهُ مِنْ خُرَاسَانَ ثُمَّ خُطِبَ لَهُ بِبَغْدَادَ.**

ثُمَّ خَرَجَ السلطان **سليمان شاه** من بغداد فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ من هذه السنة، فَاقْتَتَلَ هُوَ **وَالسُّلْطَانُ** مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ مَلِكْشَاهْ، فَهَزَمَهُ مُحَمَّدٌ وَهَزَمَ عَسْكَرَهُ، فَذَهَبَ هَارِبًا فَتَلَقَّاهُ نَائِبُ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ فَأَسَرَهُ وَحَبَسَهُ بِقَلْعَةِ الْمَوْصِلِ وَأَكْرَمَهُ مُدَّةَ حَبْسِهِ وَخَدَمَهُ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ الِاتِّفَاقَاتِ.

وقد أَرْسَلَ السُّلْطَانُ **مُحَمَّدَ بْنَ مَحْمُودِ** بْنِ مَلِكْشَاهْ إِلَى **الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَفِي** يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَخْطُبَ لَهُ بِبَغْدَادَ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ، فَسَارَ **مِنْ هَمَذَانَ** إِلَى **بَغْدَادَ لِيُحَاصِرَهَا**، فَانْجَفَلَ النَّاسُ، وَحَصَّنَ الْخَلِيفَةُ الْبَلَدَ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ **فَحَصَرَ بَغْدَادَ**، وَوَقَفَ تُجَاهَ التَّاجِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ، وَرَمَوْا نَحْوَهُ بِالنُّشَّابِ، وَقَاتَلَتِ الْعَامَّةُ قِتَالًا عَظِيمًا بِالنِّفْطِ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ إِلَى مُدَّةٍ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ **أَخَاهُ قَدْ خَلَفَهُ فِي هَمَذَانَ** فَانْشَمَرَ عَنْ بَغْدَادَ رَاحِلًا إِلَى هَمَذَانَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ (٥٥٢هـ).

حوادث متفرقة وكوارث

- فِي سَنَةِ (٥٣١هـ) كَثُرَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ بِأَصْبَهَانَ، فَمَاتَ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ وَأُغْلِقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ.
- وفِيهَا ظَهَرَ بِالشَّامِ سَحَابٌ أَسْوَدُ أَظْلَمَتْ لَهُ الدُّنْيَا، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَهُ سَحَابٌ أَحْمَرُ

كَأَنَّهُ نَارٌ أَضَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا، ثُمَّ جَاءَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ أَلْقَتْ أَشْجَارًا كَثِيرَةً، ثُمَّ وَقَعَ مَطَرٌ شَدِيدٌ وَسَقَطَ بَرَدٌ كِبَارٌ.

- وفِي سنة (٥٣١هـ) قَصَدَ **مَلِكُ الرُّومِ بِلَادَ الشَّامِ**، فَأَخَذَ بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَيْدِي **الْفِرِنْجِ**، وَأَطَاعَهُ أَلْيُونُ بْنُ مَلِكِ الْأَرْمَنِ.
- وفي سنة (٥٣٢هـ) **مَلَكَ صَاحِبُ الرُّومِ** مَدِينَةَ **بُزَاعَةَ** وَهِيَ عَلَى سِتَّةِ فَرَاسِخَ مِنْ حَلَبَ، فَجَاءَ أَهْلُهَا الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ يَسْتَغِيثُونَ بِالْمُسْلِمِينَ بِبَغْدَادَ، فَمُنِعَتِ الْخُطْبَةُ بِبَغْدَادَ وَجَرَتْ فِتَنٌ طَوِيلَةٌ.
- وفي سنة (٥٣٢هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ** عَظِيمَةٌ بِبِلَادِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ فَانْهَدَمَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَمَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ. وَفِيهَا كَانَ بِخُرَاسَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْكِلَابَ.
- وفِي سنة (٥٣٣هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ** عَظِيمَةٌ بِمَدِينَةِ جَنْزَةَ[1]، مَاتَ بِسَبَبِهَا مِائَتَا أَلْفٍ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، وَصَارَ مَكَانُهَا مَاءً أَسْوَدَ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ فِي مِثْلِهَا، وَزُلْزِلَ أَهْلُ حَلَبَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمَانِينَ مَرَّةً
- وفي سنة (٥٣٤هـ) نُودِيَ لِلصَّلَاةِ عَلَى رَجُلٍ صَالِحٍ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَدْرَسَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّ الرَّجُلَ عَطَسَ فَأَفَاقَ.
- وفي سنة (٥٣٤هـ) نَقَصَتِ الْمِيَاهُ مِنْ سَائِرِ الدُّنْيَا.
- وَفِي سنة (٥٤١هـ) **قَلَّ الْمَطَرُ** جِدًّا، وَقَلَّتْ مِيَاهُ الْأَنْهَارِ، وَانْتَشَرَ جَرَادٌ عَظِيمٌ، وَأَصَابَ النَّاسَ دَاءٌ فِي حُلُوقِهِمْ فَمَاتَ بِذَلِكَ خَلَائِقُ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
- وفِي سنة (٥٤١هـ) **مَاتَ نَقِيبُ النُّقَبَاءِ** بِبَغْدَادَ مُحَمَّدُ بْنُ طِرَادٍ الزَّيْنَبِيُّ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ طَلْحَةَ الزَّيْنَبِيُّ.

---

(١) اسم مدينة عظيمة بأرّان، وهي بين شروان وأذربيجان. وتسميها العامة كَنْجة. معجم البلدان ٢/ ١٣٢.

⊙ وفِي سنة (٥٤٢هـ) اشْتدَّ **الْغَلَاءُ بِإِفْرِيقِيَّةَ** فَهلَكَ بِسَببِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ حَتَّى خلَتِ الْمَنازِلُ وَأَقْفَرَتِ الْمَعَاقِلُ.

⊙ وفِي سنة (٥٤٤هـ) **زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ** زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَتَموَّجَتِ الْأَرْضُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَتَقَطَّعَ جَبلٌ بِحُلْوَانَ وَانْهَدمَ الرِّبَاطُ الْبِهْرُوزِيُّ، وَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْبِرْسَامِ، لَا يَتكَلَّمُ الْمَرْضَى حَتَّى يَمُوتُوا.

⊙ وفِي سنة (٥٤٩هـ) هَاجَتْ **رِيحٌ** شَدِيدَةٌ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِيهَا نَارٌ، فَخَافَ النَّاسُ أَنْ تكُونَ السَّاعَةُ، وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَتَغيَّرَ مَاءُ دِجْلَةَ إِلَى الْحُمْرَةِ. وَظهَرَ بِأَرْضِ وَاسِطٍ مِنَ الْأَرْضِ دَمٌ لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ.

⊙ وَفِي سنة (٥٥٢هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ** عَظِيمَةٌ بِالشَّامِ، هَلَكَ بِسَببِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ، وَتَهدَّمَ أَكْثَرُ حَلَبَ وَحَماةُ وَشَيْزَرُ وَحِمْصُ وَكَفْرُ طَابَ وَحِصْنُ الْأَكْرَادِ وَاللَّاذِقِيَّةُ وَالْمَعَرَّةُ وَأَفَامِيَةُ وَأَنْطَاكِيَةُ وَطَرَابُلُسُ.

وَهلَكَ مِنْ مَدَائِنِ الْإِفْرِنْجِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَتَهدَّمَ أَسْوَارُ أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى إِنَّ مَكْتَبًا بِحَمَاةَ **انْهَدَمَ عَلَى الصِّبْيَانِ فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ**، فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ يَسْأَلُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْفَصْلَ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ فِي كِتَابِ "الرَّوْضَتَيْنِ"[1] مُسْتَقْصًى، وَذَكَرَ مَا قَالَهُ الشُّعَرَاءُ فِي ذَلِكَ.

⊙ وَفِي سنة (٥٥٢هـ) كَانَ **غَلَاءٌ شَدِيدٌ** بِخُرَاسَانَ حَتَّى أَكَلُوا الْحَشَرَاتِ، وَذَبَحَ إِنْسَانٌ رَجُلًا عَلَوِيًّا فَطَبَخَهُ وَبَاعَهُ فِي السُّوقِ، فَحِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِ قُتِلَ.

⊙ وفِي سنة (٥٥٣هـ) وَقعَتْ **فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ** بِمَرْوَ بَيْنَ فَقِيهِ الشَّافِعِيَّةِ الْمُؤَيَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَبَيْنَ نَقِيبِ الْعَلَوِيِّينَ بِهَا أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاحْترَقَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَالْأَسْوَاقُ، وَانْهَزَمَ الْمُؤَيَّدُ الشَّافِعِيُّ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ.

---

(١) ١/ ٢٦١-٢٦٨.

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ الْأَمِيرُ نَظَرٌ الْخَادِمُ من سنة (٥٢٩هـ) إلى سنة (٥٣٥هـ) أَثَابَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ نَظَرٌ الْخَادِمُ في سنة (٥٣٦هـ)، وفِيها حَجَّ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ طَلْحَةَ، **صَاحِبُ الْمَخْزَنِ**، وَعَادَ فَتَزَهَّدَ وَتَرَكَ الْعَمَلَ وَلَزِمَ دَارَه.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٥٣٧هـ)، وسنة (٥٣٨هـ) نَظَرٌ الْخَادِمُ، أَثَابَهُ اللهُ تَعَالَى.

وفِي سنة (٥٣٩هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ أَمِيرُ الْجُيُوشِ **نَظَرٌ الْخَادِمُ**، وَتَنَافَسَ هُوَ وَأَمِيرُ مَكَّةَ، فَنَهَبَ الْحَجِيجَ وَهُمْ يَطُوفُونَ.

ووضع بالكعبة الشريفة **ميزاب** صنعه **أبو القاسم رامُشت**، صاحب الرباط بمكة.

وفي سنة (٥٤٠هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ **قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ**، مَمْلُوكُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ نَظَرٍ؛ بِسَبَبِ مَا كَانَ قَدْ وَقَعَ بَيْنَ نَظَرٍ وَأَمِيرِ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ **نَظَرٌ الْخَادِمُ** في سنة (٥٤١هـ)، وَحَجَّ فِيهَا نِظَامُ الدِّينِ بْنُ جَهِيرٍ الْوَزِيرُ.

وفيها قلع الميزاب الذي صنعه أبو القاسم رامُشْت، وعوض بميزاب أنفذه الخليفة المقتفي العباسي.

وفي سنة (٥٤٢هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ **قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ**، مَمْلُوكُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ نَظَرٍ، ولم يزوروا المدينة حذراً من قلة الماء في الطريق.

وفي سنة (٥٤٣هـ) حَجَّ بِالنَّاسِ **نظر الخادم**.

في سنة (٥٤٤هـ) خَرَجَ بِالْحَجِيجِ الْأَمِيرُ نَظَرٌ الْخَادِمُ فَمَرِضَ بِالْكُوفَةِ، فَرَجَعَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ **مَوْلَاهُ قَايْمَازَ**.

وَطَمِعَتِ **الْعَرَبُ** فِي الْحَجِيجِ فَوَقَفُوا لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ وَهُمْ رَاجِعُونَ، فَضَعُفَ قَايْمَازُ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ أَمَانًا، وَهَرَبَ وَأَسْلَمَ إِلَيْهِمُ الْحَجِيجَ، فَقَتَلُوا أَكْثَرَهُمْ وَأَخَذُوا

أَمْوَالَ النَّاسِ، وَقَلَّ مَنْ سَلِمَ مِمَّنْ نَجَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وحَجَّ بِالنَّاسِ **قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ** في سنة (٥٤٥هـ)، وسنة (٥٤٦هـ)، وسنة (٥٤٧هـ)، وسنة (٥٤٨هـ)، حَجَّ بِالنَّاسِ **قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ**.

وحَجَّ بِالنَّاسِ من العراق في سنة (٥٤٩هـ) قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ،

وأرسل [(١)] الوزير الجواد رجلاً معه خمسة آلاف درهم؛ لعمل صفائح الذهب والفضة داخل الكعبة وأركانها، ففعل ذلك.

وحَجَّ بِالنَّاسِ من العراق في سنة (٥٥٠هـ)، قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ.

وأرسل [(٢)] الوزير الجواد وزير صاحب الموصل باباً للكعبة، عليه حِلْيَة حسنة بالفضة والذهب، وكتب عليه اسم الخليفة المقتفي لأمر الله.

وورد أمر الخليفة ببغداد إلى أمير مكة أن يسيّر إليه خشب الباب القديم، ليجعله تابوتًا يدفن فيه عند موته.

قال ابن فهد: [(٣)] وفيها أفتى الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين المالكي لمنع الصلاة لأئمة متعددة، وجماعات مرتبة بحرم الله الشريف، وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة.

وحَجَّ بِالنَّاسِ من العراق في سنة (٥٥١هـ) قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ، ومن الشام نجم الدين أيوب.

(١) انظر: ابن فهد، إتحاف الورى ٢/ ٥١٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ٥١٦.

(٣) المصدر نفسه. قال في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ١٠٩):

«قَدْ وَقَفْت عَلَى تَأْلِيفَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَحَدِهِمَا - لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُبَابِ السَّعْدِيِّ الْمَالِكِيِّ، وَالثَّانِي مِنْهُمَا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي إبْرَاهِيمَ الْغَسَّانِيِّ الْمَالِكِيِّ؛ **فَأَمَّا الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُبَابِ** فَذَكَرَ أَنَّهُ أَفْتَى فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِمَنْعِ الصَّلَاةِ بِأَئِمَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَجَمَاعَاتٍ مُتَرَتِّبَةٍ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ الْأَرْبَعَةِ».

وفيها جدد الوزير الجواد أبواب الحرم كلها، وعمّر منارة العمرة.

وفيها [1] حضر الموسم جماعة من الفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية وأنكروا صلاة الأئمة الأربعة في صلاة المغرب في وقت واحد.

وحَجَّ بِالنَّاسِ من العراق من سنة (٥٥٢هـ) إلى سنة (٥٥٥هـ) قَايْمَازُ الْأُرْجُوَانِيُّ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: ابن فهد، إتحاف الورى ٢/ ٥١٧.

مشاهير من توفي في عهده من الأعيان

١ - **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبٍ**، أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ الْخَبَّازَةِ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَحَلَ فِي طَلَبِهِ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، وَقَدْ شَرَحَ كِتَابَ «الشِّهَابِ». وَكَانَ يَعِظُ النَّاسَ عَلَى طَرِيقِ التَّصَوُّفِ، وَكَانَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِيمَنْ تَأَدَّبَ بِهِ وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ.

وَقَدِ ابْتَنَى **رِبَاطًا**، فَكَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالزُّهَّادِ، وَلَمَّا احْتَضَرَ أَوْصَاهُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالْإِخْلَاصِ.

مَاتَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ نِصْفَ رَمَضَانَ سنة (٥٣٠هـ) وَدُفِنَ بِرِبَاطِهِ.

٢-**مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ** أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّاعِدِيُّ الْفُرَاوِيُّ ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ ثَغْرِ فُرَاوَةَ [(١)]، وَسَكَنَ نَيْسَابُورَ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ بِالْآفَاقِ، وَتَفَقَّهَ وَأَفْتَى وَنَاظَرَ وَوَعَظَ، وَكَانَ ظَرِيفًا حَسَنَ الْوَجْهِ جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ كَثِيرَ التَّبَسُّمِ، وَأَمْلَى أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مَجْلِسٍ وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنَ الْآفَاقِ حَتَّى كَانَ يُقَالُ: **لِلْفُرَاوِيِّ أَلْفُ رَاوٍ**.

وَقَدْ أَسْمَعَ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ» قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً. تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٥٣٠هـ) عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣-**هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَرِيرِيُّ**، يُعْرَفُ بِابْنِ الطَّبَرِ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ زَوْجِ الْحُرَّةِ، وَكَانَ ثَبْتًا صَحِيحَ السَّمَاعِ، كَثِيرَ الذِّكْرِ وَالتِّلَاوَةِ، مُمَتَّعًا بِحَوَاسِّهِ وَقُوَاهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٥٣١هـ) عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) فَرَاوَة: بالفتح وبعد الألف واو مفتوحة وهي بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٢٤٥).

٤- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ الدِّينَوَرِيُّ** الْحَنْبَلِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ الْكَلْوَذَانِيِّ، وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَنَاظَرَ وَكَانَ أَسْعَدُ الْمِيهَنِيُّ يَقُولُ: مَا اعْتَرَضَ أَبُو بَكْرٍ الدِّينَوَرِيُّ عَلَى دَلِيلِ أَحَدٍ إِلَّا ثَلَمَهُ، وَقَدْ تَخَرَّجَ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ.

وتوفي سنة (٥٣٢هـ).

٥- **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرَجِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ فِي بِلَادٍ شَتَّى، وَكَانَ فَقِيهًا مُفْتِيًا، تَفَقَّهَ بِأَبِي إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا فَصِيحًا، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الْفُصُولُ فِي اعْتِقَادِ الْأَئِمَّةِ الْفُحُولِ، يَذْكُرُ فِيهِ **مَذَاهِبَ السَّلَفِ فِي بَابِ الِاعْتِقَادِ**، وَيَحْكِي فِيهِ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً حَسَنَةً.

وَلَهُ تَفْسِيرٌ وَكِتَابٌ فِي الْفِقْهِ وَكَانَ لَا يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ، وَيَقُولُ: لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ، وَقَدْ كَانَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ يَقُولُ: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي هَذَا الْحَائِطَ، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، **وَمِنْ شِعْرِهِ**:

تَنَاءَتْ دَارُهُ عَنِّي وَلَكِنْ ... خَيَالُ جَمَالِهِ فِي الْقَلْبِ سَاكِنْ
إِذَا امْتَلَأَ الْفُؤَادُ بِهِ فَمَاذَا ... يَضُرُّ إِذَا خَلَتْ مِنْهُ الْأَمَاكِنْ

تُوُفِّيَ سنة (٥٣٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٦- **أَنُوشِرْوَانُ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاشَانِيُّ الْفِينِيُّ**، مِنْ قَرْيَةِ فِينَ مِنْ قَاشَانَ الْوَزِيرُ أَبُو نَصْرٍ وَزَرَ لِلسُّلْطَانِ مَحْمُودٍ وَلِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرْشِدِ.

وَكَانَ عَاقِلًا مَهِيبًا عَظِيمَ الْخِلْقَةِ، وَهُوَ الَّذِي أَلْزَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيَّ بِتَكْمِيلِ الْمَقَامَاتِ، وَكَانَ **سَبَبُ ذَلِكَ**: أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيَّ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدِ بَنِي حَرَامٍ مِنْ مَحَالِّ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ ذُو طِمْرَيْنِ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ سَرُوجَ يُقَالُ لِي أَبُو زَيْدٍ، فَعَمِلَ الْحَرِيرِيُّ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ وَاشْتُهِرَتْ فِي النَّاسِ، فَلَمَّا طَالَعَهَا الْوَزِيرُ أَنُوشِرْوَانُ أُعْجِبَ بِهَا، وَكَلَّفَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيَّ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا

غَيْرَهَا فَعَمِلَ مَعَهَا تَمَامَ خَمْسِينَ مَقَامَةً، فَهِيَ هَذِهِ الْمَشْهُورَةُ الْمُتَدَاوَلَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَدْ كَانَ الْوَزِيرُ كَرِيمًا مُحَمَّدًا غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُنْسَبُ إِلَى التَّشَيُّعِ. وتوفي سنة (٥٣٢هـ)

٧- **زَاهِرُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْقَاسِمِ** الشَّحَّامِيُّ، الْمُحَدِّثُ الْمُكْثِرُ الرَّحَّالُ الْجَوَّالُ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَمْلَى بِجَامِعِ نَيْسَابُور **أَلْفَ مَجْلِسٍ**، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِهِ مَرَضٌ يُكْثِرُ بِسَبَبِهِ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّلَوَاتِ، فَتَكَلَّمَ فِيهِ أَبُو سَعْدٍ السَّمْعَانِيُّ وَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ يُخِلُّ بِالصَّلَوَاتِ.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَلَى السَّمْعَانِيِّ بِعُذْرِ الْمَرَضِ فَاللهُ أَعْلَمُ.

وتوفي بِنَيْسَابُورَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٣٣هـ) وعمره خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ يَحْيَي بْنِ يَحْيَي.

٨- **عَلِيُّ بْنُ أَفْلَحَ**، أَبُو الْقَاسِمِ الْكَاتِبُ، وَقَدْ خَلَعَ عَلَيْهِ الْمُسْتَرْشِدُ وَلَقَّبَهُ جَمَالَ الْمُلْكِ وَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دُورٍ، وَكَانَتْ لَهُ دَارٌ إِلَى جَانِبِهِنَّ فَهَدَمَهُنَّ كُلَّهُنَّ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُنَّ دَارًا هَائِلَةً؛ طُولُهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَأَطْلَقَ لَهُ الْخَلِيفَةُ أَخْشَابًا وَآجُرًّا وَذَهَبًا فَبَنَاهَا، وَغَرِمَ عَلَيْهَا ابْنُ أَفْلَحَ مَالًا جَزِيلًا، وَكَتَبَ عَلَى أَبْوَابِهَا وَطِرَازَاتِهَا، أَشْعَارًا حَسَنَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَظْمِ غَيْرِهِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ عَلَى الطُّرُزِ **مَكْتُوبٌ**:

وَمِنَ الْمُرُوءَةِ لِلْفَتَى ... مَا عَاشَ دَارٌ فَاخِرَهْ
فَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بِهَا ... وَاعْمَلْ لِلدَّارِ الْآخِرَهْ
هَاتِيكَ وَافِيَةٌ بِمَا ... وَعَدَتْ وَهَذِي سَاحِرَهْ

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَكْتُوبٌ:

وَنَادٍ كَأَنَّ جِنَانَ الْخُلُودِ ... أَعَارَتْهُ مِنْ حُسْنِهَا رَوْنَقَا
وَأَعْطَتْهُ مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَا ... نِ أَنْ لَا تُلِمَّ بِهِ مَوْثِقَا
فَأَضْحَى يَتِيهُ عَلَى كُلِّ مَا ... بُنِي مَغْرِبًا كَانَ أَوْ مَشْرِقَا
تَظَلُّ الْوُفُودُ بِهِ عُكَّفًا ... وَتُمْسِي الضُّيُوفُ بِهِ طُرَّقَا

فَمَا صَدَقَتْ هَـذِهِ الْأَمَانِي بَلْ عَمَّا قَرِيبٍ - بَعْـدَ نَيْلِهَا - اتَّهَمَ الْخَلِيفَـةُ ابْنَ أَفْلَح بِأَنَّهُ يُكَاتِـبُ دُبَيْسًـا، فَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ هَذِهِ الدَّارِ فَلَـمْ يَبْقَ فِيهَا جِدَارٌ، بَلْ صَـارَتْ خَرَابَةً بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ حَسُـنَ مِنْهَا الْمُقَـامُ وَالْقَرَارُ، وَهَذِهِ حِكْمَةُ اللهِ مَنْ يُقَلِّـبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَتَجْرِي بِمَشِيئَتِهِ الْأَقْدَارُ، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشر والبطر، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر، توفي سنة (٥٣٣هـ).

٩- **إِسْـمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ**، أَبُو الْقَاسِـمِ الطَّلْحِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ، سَـمِعَ الْكَثِيرَ وَرَحَلَ وَكَتَبَ وَأَمْلَى بِأَصْبَهَانَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مَجْلِسٍ.

وَكَانَ إِمَامًـا فِـي الْحَدِيـثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّفْسِـيرِ وَاللُّغَـةِ، حَافِظًـا مُتْقِنًا، تُوُفِّـيَ لَيْلَةَ عِيدِ الْأَضْحَـى، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ، وَلَمَّا أَرَادَ الْغَاسِـلُ تَنْحِيَةَ الْخِرْقَـةِ عَنْ فَرْجِهِ رَدَّهَا بِيَدِهِ. توفي سنة (٥٣٥هـ).

١٠- **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدٍ**، من ذرية عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، سَـمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَرَّدَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَـايِخِ، وَأَمْلَى الْحَدِيثَ فِي جَامِعِ الْقَصْرِ، وَكَانَ مُشَارِكًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَة.

وَقَدْ أُسِـرَ فِي صِغَرِهِ فِي أَيْدِي الرُّومِ، فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ فَلَمْ يَفْعَلْ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ خَطَّ الرُّومِ، وَكَانَ يَقُولُ: **مَنْ خَدَمَ الْمَحَابِرَ خَدَمَتْهُ الْمَنَابِرُ**، وَمِنْ **شِعْرِهِ**:

احْـفَـظْ لِـسَـانَـكَ لَا تَـبُـحْ بِـثَـلَاثَـةٍ ... سِـنٍّ وَمَـالٍ مَـا اسْـتَطَعْـتَ وَمَـذْهَـبِ
فَـعَـلَـى الـثَّـلَاثَـةِ تُـبْـتَـلَـى بِـثَـلَاثَـةٍ ... بِـمُـكَـفِّـرٍ وَبِـحَـاسِـدٍ وَمُـكَـذِّبِ

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

بَـغْـدَادُ دَارٌ لِأَهْــلِ الْـعِـلْـمِ طَـيِّـبَـةٌ ... وَلِلْمَفَالِيسِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيقِ
ظَلَلْتُ حَـيْـرَانَ أَمْـشِـي فِـي أَزِقَّـتِـهَـا ... كَأَنَّنِي مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زِنْدِيقِ [(١)]

(١) سبق نسبته للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، أحد أئمة المالكية ومصنفيهم. انظر: ترجمته في البداية والنهاية ١٥/ ٦٣٩.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً لَمْ تَتَغَيَّرْ حَوَاسُّهُ وَلَا عَقْلُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ ثَانِي رَجَبٍ مِنْ سنة (٥٣٥هـ).

١١- **إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْأَشْعَثِ،** أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ الدِّمَشْقِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَتَفَرَّدَ بِمَشَايِخَ، وَكَانَ سَمَاعُهُ صَحِيحًا وَأَمْلَى بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ مَجَالِسَ كَثِيرَةً نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ مَجْلِسٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥٣٦هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢- **عَلِيُّ بْنُ طِرَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ** الْوَزِيرُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ، نَقِيبُ النُّقَبَاءِ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ (العباسية والعلوية) فِي أَيَّامِ الْمُسْتَظْهِرِ، وَوَزَرَ لِلْمُسْتَرْشِدِ وَالْمُقْتَفِي، ثُمَّ عُزِلَ وَأُعِيدَ، وَلَمْ يَلِ الْوِزَارَةَ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ غَيْرُهُ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَ، وَتُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ سنة (٥٣٨هـ). عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- **الزَّمَخْشَرِيُّ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ،** أَبُو الْقَاسِمِ الزَّمَخْشَرِيُّ، صَاحِبُ الْكَشَّافِ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْمُفَصَّلِ فِي النَّحْوِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَطَافَ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ مُدَّةً، وَكَانَ يُظْهِرُ **مَذْهَبَ الِاعْتِزَالِ،** وَيُصَرِّحُ بِذَلِكَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَيُنَاظِرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِخُوَارِزْمَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ مِنْ سنة (٥٣٨هـ)، عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

١٤- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عُمَرَ أَبُو الْوَلِيدِ الْكَرْخِيُّ،** تَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ وَأَبِي سَعْدٍ الْمُتَوَلِّي حَتَّى صَارَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِقْهًا وَصَلَاحًا، وَمَاتَ فِي سنة (٥٣٩هـ).

١٥- **سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ أَبُو مَنْصُورٍ الرَّزَّازُ،** سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ بِالْغَزَالِيِّ وَالشَّاشِيِّ وَالْمُتَوَلِّي وَإِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ وَأَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ وَكَانَ لَهُ سَمْتٌ حَسَنٌ وَوَقَارٌ وَسُكُونٌ وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ مَشْهُودًا، وَمَاتَ فِي سنة (٥٣٩هـ).

١٦- **أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو سَعْدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ** ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَكَانَ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، حُلْوَ الشَّمَائِلِ مُطَّرِحًا الْكُلْفَةَ، رُبَّمَا خَرَجَ إِلَى السُّوقِ بِقَمِيصٍ وَقَلَنْسُوَةٍ، وَحَجَّ أَحَدَ عَشَرَ حِجَّةً، وَكَانَ يُمْلِي الْحَدِيثَ وَيُكْثِرُ الصَّوْمَ، تُوُفِّيَ بِنَهَاوَنْدَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٥٤٠هـ)، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

١٧- **عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْيَزْدِيُّ**، تَفَقَّهَ بِأَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ. وَكَانَ لَهُ وَلِأَخِيهِ قَمِيصٌ وَعِمَامَةٌ، إِذَا خَرَجَ هَذَا جَلَسَ الْآخَرُ فِي الْبَيْتِ، وَكَذَا الْآخَرُ.

تُوُفِّيَ سنة (٥٤٠هـ).

١٨- **مَوْهُوبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ**، أَبُو مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيُّ، **شَيْخُ اللُّغَةِ فِي زَمَانِهِ**، بَاشَرَ مَشْيَخَةَ اللُّغَةِ بِالنِّظَامِيَّةِ بَعْدَ شَيْخِهِ أَبِي زَكَرِيَّا التَّبْرِيزِيِّ مُدَّةً، وَكَانَ يَؤُمُّ بِالْمُقْتَفِي، وَرُبَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ، وَكَانَ **عَاقِلًا مُتَوَاضِعًا** فِي مَلْبَسِهِ، طَوِيلَ الصَّمْتِ، كَثِيرَ التَّفَكُّرِ، وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ بِجَامِعِ الْقَصْرِ أَيَّامَ الْجُمَعِ، وَكَانَ فِيهِ لُكْنَةٌ، وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى جَانِبِهِ الْمَغْرِبِيُّ مُعَبِّرُ الْمَنَامَاتِ.

وَكَانَ فَاضِلًا لَكِنَّهُ كَانَ **كَثِيرَ النُّعَاسِ فِي مَجْلِسِهِ**، فَقَالَ فِيهِمَا بَعْضُ الْأُدَبَاءِ:

بَغْدَادُ عِنْدِي ذَنْبُهَا لَنْ يُغْفَرَا ... وَعُيُوبُهَا مَكْشُوفَةٌ لَنْ تُسْتَرَا
كَوْنُ الْجَوَالِيقِيِّ فِيهَا مُمْلِيًا ... لُغَةً وَكَوْنُ الْمَغْرِبِيِّ مُعَبِّرَا
مَأْسُورُ لُكْنَتِهِ يَقُولُ فَصَاحَةً ... وَنَئُومُ يَقْظَتِهِ يُعَبِّرُ فِي الْكَرَى

تُوُفِّيَ سنة (٥٤٠هـ).

١٩- **سَعْدُ الْخَيْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ**، أَبُو الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، **رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الصِّينِ**، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ بِالْغَزَالِيِّ، وَحَصَّلَ كُتُبًا نَفِيسَةً، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ أَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ بِبَغْدَادَ سنة (٥٤١هـ) أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْغَزْنَوِيُّ، وَأَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ قَبْرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلَائِقُ مِنَ النَّاسِ.

٢٠-عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو مُحَمَّدٍ سِبْطُ أَبِي مَنْصُورٍ الزَّاهِدُ، قَرَأَ الْقِرَاءَاتِ وَصَنَّفَ فِيهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَاقْتَنَى الْكُتُبَ الْحَسَنَةَ وَأَمَّ فِي مَسْجِدِهِ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَعَلَّمَ خَلْقًا الْقُرْآنَ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وتوفي سنة (٥٤١هـ)

٢١-أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ اللَّخْمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الرُّشَاطِيُّ الْحَافِظُ

مُصَنِّفُ كِتَابِ "اقْتِبَاسِ الْأَنْوَارِ وَالْتِمَاسِ الْأَزْهَارِ" فِي أَنْسَابِ الصَّحَابَةِ وَرُوَاةِ الْآثَارِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُصَنَّفَاتِ الْكِبَارِ، قُتِلَ شَهِيدًا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى بِالْمَرِيَّةِ سنة (٥٤٢هـ).

٢٢-نَصْرُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ، أَبُو الْفَتْحِ اللَّاذِقِيُّ الْمِصِّيصِيُّ الشَّافِعِيُّ، تَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ نَصْرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيِّ بِصُورَ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْهُ وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ وَالْأَنْبَارِ وَكَانَ أَحَدَ مَشَايِخِ الشَّامِ فَقِيهًا فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وتوفي سنة (٥٤٢هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ.

٢٣-إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَبْهَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْغَنَوِيُّ الرَّقِّيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ بِالشَّاشِيِّ وَالْغَزَالِيِّ وَكَتَبَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ وَصَحِبَهُ كَثِيرًا، وَكَانَ مَهِيبًا كَثِيرَ الصَّمْتِ بَهِيَّ السَّمْتِ، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٥٤٣هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٢٤-عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ الْأَكْمَلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نُورُ الْهُدَى بْنُ أَبِي الْحَسَنِ نِظَامُ الْحَضْرَتَيْنِ، ابْنُ نَقِيبِ النُّقَبَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي تَمَّامٍ الْعَبَّاسِيُّ قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

سَمِعَ الْحَدِيثَ وَكَانَ فَقِيهًا رَئِيسًا وَقُورًا، حَسَنَ الْهَيْئَةِ وَالسَّمْتِ قَلِيلَ الْكَلَامِ سَافَرَ

مَعَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَجَرَتْ لَهُ فُصُولٌ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فَمَاتَ بِهَا سنة (٥٤٣هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السِّتِّينَ وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

٢٥-**أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ دُونَاسَ الْفِنْدَلَاوِيُّ**، شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ بِدِمَشْقَ، قُتِلَ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٥٤٣هـ) هُوَ وَالشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْحَلْحُولِيُّ أَحَدُ الزُّهَّادِ، قتلهما الفرنج في معركة دمشق، ئ.

٢٦-**الْقَاضِي عِيَاضُ** بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْيَحْصُبِيِّ السَّبْتِيِّ، قَاضِي سبتة أَحَدُ مَشَايِخِ الْعُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ وَصَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُفِيدَةِ مِنْهَا "الشِّفَا" وَ "شَرْحُ مُسْلِمٍ" وَ "مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ" وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ وَكَانَ إِمَامًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ كَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وُلِدَ سَنَةَ (٤٤٦هـ)، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٤٤هـ) وَقِيلَ: فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِمَدِينَةِ **سَبْتَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٢٧-**أَحْمَدُ بْنُ نِظَامِ الْمُلْكِ** الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو نَصْرٍ الْوَزِيرُ لِلْمُسْتَرْشِدِ، وَالسُّلْطَانُ مَحْمُودٌ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ، وَتُوُفِّيَ سنة (٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٨-**أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَرْجَانِيُّ**، قَاضِي **تُسْتَرَ**، رَوَى الْحَدِيثَ وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ يَبْتَكِرُ مَعَانِيَ حَسَنَةً، **فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ**:

وَلَمَّا بَلَوْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ مِنْهُمُ ... أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
تَطَمَّعْتُ فِي حَالَيْ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ ... وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ ... وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدِ
فطلقت ود العالمين جميعهم ... ورحتُ فلا ألوي على غير واحد
وخلصت قلبي ثم أخلصت للذي ... له الملك في الدنيا وما بك في غد

وَتُوُفِّيَ سنة (٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٩-**عِيسَى بْنُ هِبَةِ اللهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّقَّاشُ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَكَانَ ظَرِيفًا خَفِيفَ الرُّوحِ، لَهُ نَوَادِرُ حَسَنَةٌ، قَدْ رَأَى النَّاسَ، وَعَاشَرَ الْأَكْيَاسَ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسِي وَيُكَاتِبُنِي وَأُكَاتِبُهُ، كَتَبْتُ إِلَيْهِ مَرَّةً، فَعَظَّمْتُهُ فِي الْكِتَابَةِ، **فَكَتَبَ إِلَيَّ**:

قَدْ زِدْتَنِي فِي الْخِطَابِ حَتَّى ... خَشِيتُ نَقْصًا مِنَ الزِّيَادَهْ
فَاجْعَلْ خِطَابِي خِطَابَ مِثْلِي ... وَلَا تُغَيِّرْ عَلَيَّ عَادَهْ

وَتُوُفِّيَ سنة (٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٠-**غَازِيُّ بْنُ آقْ سُنْقُرَ**، الْمَلِكُ سَيْفُ الدِّينِ **صَاحِبُ الْمَوْصِلِ**، وَهُوَ أَخُو نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ صَاحِبِ حَلَبَ ثُمَّ دِمَشْقَ فِيمَا بَعْدُ، وَقَدْ كَانَ سَيْفُ الدِّينِ هَذَا مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، وَأَجْوَدِهِمْ سَرِيرَةً، وَأَصْبَحِهِمْ صُورَةً، شُجَاعًا كَرِيمًا، يَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ لِجَيْشِهِ مِائَةً مِنَ الْغَنَمِ، وَلِمَمَالِيكِهِ ثَلَاثِينَ رَأْسًا، وَفِي يَوْمِ الْعِيدِ أَلْفَ رَأْسٍ سِوَى الْبَقَرِ وَالدَّجَاجِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حُمِلَ عَلَى رَأْسِهِ سَنْجَقٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَطْرَافِ، وَأَمَرَ الْجُنْدَ أَنْ لَا يَرْكَبُوا إِلَّا بِسَيْفٍ وَدَبُّوسٍ، وَبَنَى مَدْرَسَةً بِالْمَوْصِلِ، وَرِبَاطًا لِلصُّوفِيَّةِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ بِالْحُمَّى فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ. دُفِنَ فِي مَدْرَسَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ بَعْدَ أَبِيهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَخَمْسِينَ يَوْمًا، رَحِمَهُ اللَّهُ

٣١-**نَظَرٌ الْخَادِمُ، أَمِيرُ الْحَاجِّ مُدَّةَ عِشْرِينَ سَنَةً** وَأَكْثَرَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَقَرَأَ عَلَى ابْنِ الزَّاغُونِيِّ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعِلْمَ وَالصَّدَقَةَ وَالْبِرَّ، وَكَانَ الْحَاجُّ مَعَهُ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالْأَمْنِ، وَذَلِكَ لِشَجَاعَتِهِ وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٤٤هـ)، وَدُفِنَ بِالرُّصَافَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٢-**عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي نَصْرِ بْنِ عُمَرَ أَبُو الْمَعَالِي الْجِيلِيُّ**، كَانَ فَقِيهًا صَالِحًا دَيِّنًا مُتَعَبِّدًا فَقِيرًا، لَيْسَ لَهُ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَإِنَّمَا يَبِيتُ بِالْمَسَاجِدِ الْمَهْجُورَةِ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَ الْحَجِيجِ، فَأَقَامَ **بِفَيْدَ**، فَكَانَ أَهْلُهَا يُثْنُونَ عَلَيْهِ خَيْرًا، توفي سنة (٥٤٥هـ).

٣٣-**الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ**، الْمَالِكِيُّ، شَارِحُ "التِّرْمِذِيِّ"، كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا، وَزَاهِدًا عَابِدًا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بَعْدَ اشْتِغَالِهِ فِي الْفِقْهِ، وَصَحِبَ الْغَزَالِيَّ، وَأَخَذَ عَنْهُ، وَكَانَ يَتَّهِمُهُ بِرَأْيِ الْفَلَاسِفَةِ، وَيَقُولُ: دَخَلَ فِي أَجْوَافِهِمْ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا، توفي سنة (٥٤٥هـ).

٣٤- **السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ التُّرْكِيُّ السَّلْجُوقِيُّ، صَاحِبُ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهَا، حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّمَكُّنِ وَالسَّعَادَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ، وَجَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَحُرُوبٌ طَوِيلَةٌ، وَقَدْ أَسَرَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْحُرُوبِ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَرْشِدَ، كَمَا تَقَدَّمَ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَلْخَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٤٧هـ) ٣٥-**يَعْقُوبُ الْخَطَّاطُ الْكَاتِبُ**، تُوُفِّيَ بِالنِّظَامِيَّةِ، فَجَاءَ دِيوَانُ الْحَشْرِيَّةِ؛ لِيَأْخُذُوا مِيرَاثَهُ لِبَيْتِ الْمَالِ، فَمَنَعَهُمُ الْفُقَهَاءُ، فَجَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، آلَ الْحَالُ إِلَى عَزْلِ مُدَرِّسِهَا الشَّيْخِ أَبِي النَّجِيبِ، وَضَرْبِهِ بِالدِّيوَانِ تَعْزِيرًا.

٣٦-**أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين الأطرابلسي**، الشاعر الرّفّاء، قال ابن عساكر: كان أبوه ينشد بأسواق أطرابلس أشعار ابن العوني، ونشأ أبو الحسين هذا فقرأ القرآن وتعلم العربية، وصار إلى مذهب الإمامية، فكان رافضيا خبيثا، يكثر الهجو والفحش، وقد سجنه بوري بن طغتكين بدمشق على سوء طريقته، وأراد قطع لسانه، فاستوهبه منه الحاجب يوسف بن فيروز، فوهبه له ونفاه، وتوفي سنة (٥٤٨هـ).

٣٧-**عَلِيُّ بْنُ السَّلَّارِ الْمُلَقَّبِ بِالْعَادِلِ**، وَزِيرُ الظَّافِرِ صَاحِبِ مِصْرَ، وَهُوَ بَانِي الْمَدْرَسَةِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ لِلشَّافِعِيَّةِ؛ لِلْحَافِظِ أَبِي طَاهِرٍ السِّلَفِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَانَ الْعَادِلُ هَذَا ضِدَّ اسْمِهِ؛ كَانَ ظَلُومًا غَشُومًا حَطُومًا، وَقَدْ تَرْجَمَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ [١]، وتوفي سنة (٥٤٨هـ).

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦.

٣٨-مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ ابْنِ مُحَمَّدِ الْحَافِظُ، أَبُو الْفَضْلِ الْبَغْدَادِيُّ. وُلِدَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (٤٦٧هـ)، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَتَفَرَّدَ بِمَشَايِخَ، وَكَانَ حَافِظًا، ضَابِطًا، مُكْثِرًا، مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، كَثِيرَ الذِّكْرِ، سَرِيعَ الدَّمْعَةِ.

وَقَدْ تَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ؛ مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، سَمِعَ بِقِرَاءَتِهِ «مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»، وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْكِبَارِ، وَكَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَكَانَتْ وَفَاته سنة (٥٥٠هـ).

٣٩-عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ أَبُو الْحَسَنِ الْغَزْنَوِيُّ الْوَاعِظُ، كَانَ لَهُ قَبُولٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ، وَبَنَتْ لَهُ الْخَاتُونُ زَوْجَةُ الْمُسْتَظْهِرِ رِبَاطًا بِبَابِ الْأَزَجِّ، وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ أَوْقَافًا كَثِيرَةً، فَحَصَلَ لَهُ جَاهٌ عَرِيضٌ وَزَارَهُ السُّلْطَانُ. وَكَانَ حَسَنَ الْإِيرَادِ مَلِيحَ الْوَعْظِ، يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ.

وَقَدِ اسْتَمْلَحَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَشْيَاءَ مِنْ وَعْظِهِ. **ثُمَّ أَنْشَدَ:**

كَمْ حَسْرَةٍ لِي فِي الْحَشَا ... مِنْ وَلَدٍ إِذَا نَشَا
أَمَّلْتُ فِيهِ رُشْدَهُ ... فَمَا نَشَا كَمَا أَشَا

قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: تُوَلُّونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَيَسُبُّونَ نَبِيَّكُمْ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ وَيُصْبِحُونَ يَجْلِسُونَ إِلَى جَانِبِكُمْ؟! ثُمَّ يَقُولُ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ: وَكَانَ يَتَشَيَّعُ، ثُمَّ سُعِيَ فِي مَنْعِهِ مِنَ الْوَعْظِ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ. وَمَاتَ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٥٥١هـ).

٤٠- عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ الْفَارِسِيُّ الْحَافِظُ، تَفَقَّهَ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ عَلَى جَدِّهِ لِأُمِّهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ، وَرَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ وَأَسْمَعَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ " الْمُفْهِمَ فِي غَرِيبِ مُسْلِمٍ " وَغَيْرِهِ، وَوَلِيَ خَطَابَةَ نَيْسَابُورَ وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا دَيِّنًا حَافِظًا، وَمَاتَ سنة (٥٥١هـ).

٤١-أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، أَبُو اللَّيْثِ النَّسَفِيُّ، مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ وَوَعَظَ، وَكَانَ حَسَنَ السَّمْتِ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَوَعَظَ، ثُمَّ عَادَ

إِلَى بَلَدِهِ فَقَتَلَهُ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ سنة (٥٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٤٢ - **السُّلْطَانُ سَنْجَرُ ابْنُ مَلِكْشَاهْ** بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ، أَبُو الْحَارِثِ؛ وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، وَلُقِّبَ بِسَنْجَرَ، مَوْلِدُهُ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَقَامَ **فِي الْمُلْكِ نَيِّفًا وَسِتِّينَ سَنَةً**؛ مِنْ ذَلِكَ اسْتِقْلَالًا إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَدْ أَسَرَهُ الْغُزُّ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْهُمْ فَعَادَ إِلَى مُلْكِهِ بِمَرْوَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٥٥٢هـ) وَدُفِنَ فِي قُبَّةٍ بَنَاهَا سَمَّاهَا: دَارَ الْآخِرَةِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤٣ -**يَحْيَى بْنُ عِيسَى بْنُ إِدْرِيسَ**، أَبُو الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيُّ الْوَاعِظُ، قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَفَقَّهَ وَوَعَظَ النَّاسَ عَلَى طَرِيقَةِ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ يَبْكِي مِنْ أَوَّلِ صُعُودِهِ إِلَى حِينِ نُزُولِهِ، وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرُزِقَ أَوْلَادًا صَالِحِينَ سَمَّاهُمْ بِأَسْمَاءِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ **أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَحَفَّظَهُمُ الْقُرْآنَ كُلَّهُمْ**، وَخَتَّمَ على يده خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَصُومَانِ الدَّهْرَ، وَيَقُومَانِ اللَّيْلَ، وَكَانَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ وَمَنَامَاتٌ صَالِحَةٌ.

وَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ زَوْجَتُهُ: اللَّهُمَّ لَا تُحْيِنِي بَعْدَهُ. فَمَاتَتْ بَعْدَهُ بِخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَكَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، ا تَعَالَى. كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٥٥٢هـ).

٤٤ -**عَبْدُ الْأَوَّلِ بْنُ عِيسَى بْنِ شُعَيْبٍ** السِّجْزِيُّ الصُّوفِيُّ الْهَرَوِيُّ، رَاوِي " الْبُخَارِيِّ " وَ" مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ "، وَ" الْمُنْتَخَبِ مِنْ مُسْنَدِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ".

قَدِمَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ هَذِهِ الْكُتُبَ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمَشَايِخِ وَأَحْسَنِهِمْ سَمْتًا، وَأَصْبَرِهِمْ عَلَى قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ، وتوفي سنة (٥٥٣هـ).

٤٥ -**نَصْرُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَطَّارُ**، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَرَّانِيُّ، كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، يَعْمَلُ مِنْ صَدَقَاتِهِ الْمَعْرُوفَ الْكَثِيرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ الْحَسَنَةِ، وَيُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، وَيُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَرُوِيَتْ لَهُ مَنَامَاتٌ صَالِحَةٌ، وتوفي سنة (٥٥٣هـ) وَقد قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

٤٦- **السُّـلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهْ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ**، بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ مُحَاصَرَةِ بَغْدَادَ إِلَى هَمَذَانَ **أَصَابَهُ مَرَضُ السُّـلِّ**، فَلَمْ يُنْجَعْ مِنْهُ، بَلْ تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٥٥٤هـ).

وَقَبْـلَ وَفَاتِـهِ بِأَيَّامٍ أَمَرَ أَنْ يُعْـرَضَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَـا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْـهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِـي الْمَنْظَرَةِ، فَرَكِبَ الْجَيْـشُ بِكَمَالِهِ وَأُحْضِرَتْ أَمْوَالُهُ كُلُّهَـا، وَمَمَالِيكُهُ حَتَّى جَوَارِيهِ وَحَظَايَـاهُ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: **هَذِهِ الْعَسَـاكِرُ لَا يَدْفَعُونَ عَنِّي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**، وَلَا يَزِيدُونَ فِي عُمْرِي لَحْظَةً.

ثُمَّ **تَأَسَّـفَ** عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَفِي، وَأَهْلِ بَغْدَادَ وَحِصَارِهِمْ وَأَذِيَّتِهِمْ، ثُمَّ فَرَّقَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ، وَتُوُفِّيَ عَنْ وَلَدٍ صَغِيرٍ.

وَاجْتَمَعَتِ الْعَسَـاكِرُ وَالْأُمَرَاءُ عَلَى عَمِّهِ **سُـلَيْمَانَ شَـاهْ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ** وَكَانَ مَسْـجُونًا بِالْمَوْصِـلِ فَأُفْرِجَ عَنْهُ، وَانْعَقَدَتِ السَّـلْطَنَةُ لَهُ، **وَخُطِبَ لَهُ** عَلَـى تِلْكَ الْبِلَادِ، سِوَى بَغْدَادَ وَالْعِرَاقِ.

❁ ❁ ❁

(٣٢)

خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر

٥٥٥-٥٦٦

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

المستنجد بالله **يوسف** بن **محمد** المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد العباسي.

○ صفاته

كَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ وَأَعْدَلِهِمْ وَأَرْفَقِهِمْ بِالرَّعَايَا، وَمَنَعَ عَنْهُمُ الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ، وَلَمْ يَتْرُكْ بِالْعِرَاقِ مَكْسًا، وَكَانَ الْمُسْتَنْجِدُ أَسْمَرَ طَوِيلَ اللِّحْيَةِ، وَهُوَ **الثَّانِي وَالثَّلَاثِينَ مِنَ الخلفاء الْعَبَّاسِيِّينَ**، وَذَلِكَ فِي حساب الْجُمَّلِ (ل، ب)، [١] وَلِهَذَا قَالَ فِيهِ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ:

أَصْبَحْتَ لُبَّ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلِّهِمِ ... إِنْ عُدِّدَتْ بِحِسَابِ الْجُمَّلِ الْخُلَفَا

وَكَانَ **أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ** نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ رَأَى فِي مَنَامِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ فَكَانَتْ آخِرُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ... دُعَاءَ الْقُنُوتِ بِتَمَامِهِ.

○ وفاته

فِي سنة (٥٦٦هـ) توفي الخليفة الْمُسْتَنْجِد بأمر الله، وكَانَ قَدْ مَرِضَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ ثُمَّ عُوفِيَ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، فَعُمِلَتْ ضِيَافَةٌ عَظِيمَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْحَكِيمُ إِلَى الْحَمَّامِ وَعِنْدَهُ ضَعْفٌ شَدِيدٌ، فَمَاتَ فِي الْحَمَّامِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ بِإِشَارَةِ بَعْضِ الدَّوْلَةِ عَلَى الطَّبِيبِ، اسْتِعْجَالًا لِمَوْتِهِ.

وَكَانَتْ **وَفَاتُهُ**: يَوْمَ السَّبْتِ بَعْدَ الظُّهْرِ ثَانِي رَبِيعٍ الْآخِرِ عَنْ **ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ** سَنَةً.

وَكَانَتْ **مُدَّةُ خِلَافَتِهِ**: إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرًا.

---

(١) **حساب الجُمّل**: ضرب من الْحساب، يَجْعَل فِيهِ لكل حرف من الْحُرُوف الأبجدية عدد من الْوَاحِد إِلَى الْأَلف على تَرْتِيب خَاص. وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ): وتستعمل الأبجدية فِي حِسَاب الْجمل على الْوَضع التَّالِي: (أ ١ ب ٢ ج ٣ د ٤ ﻫ ٥ و ٦ ز ٧ ح ٨ ط ٩ ي ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٥٠ س ٦٠ ع ٧٠ ف ٨٠ ص ٩٠ ق ١٠٠ ر ٢٠٠ ش ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠ ذ ٧٠٠ ض ٨٠٠ ظ ٩٠٠ غ ١٠٠٠). المعجم الوسيط (١/ ١).

خلافته

❍ بيعته

بُويِـعَ لَـهُ بعد وفاة أبيه فِـي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَـدِ ثَانِي رَبِيع الْأَوَّلِ مِنْ سـنة (٥٥٥هـ)، بَايَعَهُ أَشْـرَافُ بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ الْوَزِيرُ وَالْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ، **وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ**: سـبع وثلاثون سَنَةً[١]، وكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَكَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ مِنْ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَمَّا خُطِبَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ نُثِرَتِ الدَّرَاهِمُ وَالدَّنَانِيرُ عَلَى النَّاسِ، وَفَرِحَ الْمُسْـلِمُونَ بِهِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَأَقَرَّ الْوَزِيرَ ابْنَ هُبَيْرَةَ عَلَى مَنْصِبِهِ وَوَعَدَهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ.

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل: بويع وعمره خمس وأربعون، والصواب: سبع وثلاثون سنة.

الفصل الثاني:

الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

❍ عزل القاضي الدامغاني بعبدالواحد الثقفي

فِي سنة (٥٥٥هـ) عَزَلَ الخليفة المستنجد قَاضِيَ الْقُضَاةِ في بغداد ابْنَ الدَّامَغَانِيِّ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبَا جَعْفَرٍ **عَبْدَ الْوَاحِدِ الثَّقَفِيَّ**، وَكان قد بَاشَرَ الْحُكْمَ بِالْكُوفَةِ مُدَّةً، فَتُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٥٥٥هـ)، فَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ جَعْفَرٌ.

❍ خلع السلطان سليمان شاه ومقتله

فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٥٥٥هـ)، اتَّفَقَ الْأَتْرَاكُ بِهَمَذَانَ عَلَى **خَلْعِ السلطان سُلَيْمَانَ شَاهْ**، وولوا مكانه **أَرْسَلَانَ شَاهْ بْنَ طُغْرُلَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ.

ثم في سنة (٥٥٦هـ) **قُتِلَ السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ** شَاهْ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ، وَكَانَ عِنْدَهُ تَهَوُّرٌ وَقِلَّةُ مُبَالَاةٍ بِالدِّينِ، يُدْمِنُ شُرْبَ الْخَمْرِ حَتَّى فِي رَمَضَانَ، فَثَارَ عَلَيْهِ مُدَبِّرُ مَمْلَكَتِهِ كُرْدَبَازُو الْخَادِمُ فَقَتَلَهُ.

❍ وفاة صاحب مصر الفاطمي

فِي سنة (٥٥٥هـ) تُوُفِّيَ **الْفَائِزُ بِنَصْرِ اللهِ الْفَاطِمِيُّ**، صَاحِبُ مِصْرَ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ **عِيسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ الظَّافِرُ**، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي صَفَرٍ وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَمُدَّةُ وِلَايَتِهِ مِنْ ذَلِكَ سِتُّ سِنِينَ وَشَهْرَانِ.

وَكَانَ **مُدَبِّرَ دَوْلَتِهِ**: أَبُو الْغَارَاتِ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ الْعَاضِدُ آخِرُ خُلَفَائِهِمْ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ الْحَافِظِ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُوهُ خَلِيفَةً، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزَ الِاحْتِلَامَ، فَقَامَ بِتَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ **طَلَائِعُ بْنُ رُزِّيكَ** الْوَزِيرُ، أَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ وَزَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ، وَجَهَّزَهَا بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ عُمِّرَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا الْعَاضِدِ، وأدركت **زَوَالَ دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ صَلَاحِ** الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِيٍّ في سنة (٥٦٤هـ).

○ وفاة صاحب غزنة

فِي سنة (٥٥٥هـ) كَانَتْ وَفَاةُ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ صَاحِبِ غَزْنَةَ **خُسْرُوشَاهْ بْنُ بَهْرَامْ شَاهْ** بْنِ مَسْعُودِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتُكِينَ، مِنْ بَيْتِ مُلْكٍ وَرِيَاسَةٍ بَاذِخَةٍ، يَرِثُونَهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، يُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ مَلِكْشَاهْ.

○ وفاة السلطان ملكشاه بن محمود

فِي سنة (٥٥٥هـ) **مَاتَ مَلِكْشَاهْ** بْنُ السُّلْطَانِ **مَحْمُودِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ، بِأَصْبَهَانَ مَسْمُومًا، يُقَالُ: إِنَّ الْوَزِيرَ عَوْنَ الدِّينِ بْنَ هُبَيْرَةَ دَسَّ إِلَيْهِ مَنْ سَقَاهُ إِيَّاهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ وفاة أمير الحاج قايماز

فِي شَعْبَانَ سنة (٥٥٥هـ) مَاتَ أَمِيرُ الْحَاجِّ **قَايمَازُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأُرْجُوَانِيُّ** سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ بِمَيْدَانِ الْخَلِيفَةِ، فَسَالَ دِمَاغُهُ مِنْ أُذُنِهِ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، فَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

○ ولاية كمال الدين قضاء دمشق

فِي سنة (٥٥٥هـ) اسْتَعْفَى **الْقَاضِي زَكِيُّ الدِّينِ** أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْقُرَشِيُّ مِنَ الْقَضَاءِ بِدِمَشْقَ من الْمَلِك نُور الدِّينِ فَأَعْفَاهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ الْقَاضِي **كَمَالَ الدِّينِ** مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الشَّهْرُزُورِيَّ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ وَأَكْثَرِهِمْ صَدَقَةً، وَلَهُ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ بَعْدَهُ، وَكَانَ عَالِمًا، بَارِعًا، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الشُّبَّاكُ الْكَمَالِيُّ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْحُكَّامُ فِي جامع دمشق بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

○ مقتل طلائع وزير العاضد الفاطمي

في سنة (٥٥٦هـ) قُتِلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ **طَلَائِعُ بْنُ رُزِّيكَ** الْأَرْمَنِيُّ، **وَزِيرُ الْعَاضِدِ** صَاحِبِ مِصْرَ، وَوَالِدِ زَوْجَتِهِ، وَكَانَ قَدْ حَجَرَ عَلَى الْعَاضِدِ لِصِغَرِهِ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى الْأُمُورِ، قَتَلَهُ

غِلْمَانُ الْعَاضِدِ فِي النَّهَارِ غِيلَةً وَلَهُ إِحْدَى وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ **كَرِيمًا أَدِيبًا، يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ** وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ، وهُوَ بَانِي الْجَامِعِ عِنْدَ بَابِ زُوَيْلَةَ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ.

○ اعتداء بني خفاجة على الكوفة

فِي سنة (٥٥٦هـ) أَوْقَعَتْ **بَنُو خَفَاجَةَ** بِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَقْعَةً عَظِيمَةً، فَقَتَلُوا خَلْقًا، مِنْهُمُ الْأَمِيرُ قَيْصَرُ، وَجَرَحُوا أَمِيرَ الْحَاجِّ **أَرْغَش** جِرَاحَاتٍ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَزِيرُ الْخِلَافَةِ عَوْنُ الدِّينِ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي جَيْشٍ، فَتَبِعَهُمْ حَتَّى أَوْغَلَ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَبَعَثُوا يَطْلُبُونَ الْعَفْوَ.

وفِي سنة (٥٦٣هـ) **أَفْسَدَتْ خَفَاجَةُ** فِي الْبِلَادِ وَنَهَبُوا الْقُرَى، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ بَغْدَادَ فَهَرَبُوا فِي الْبَرَارِي فَانْحَسَرَ الْجَيْشُ عَنْهُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَطَشِ، فَكَرُّوا عَلَى الْجَيْشِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا وَأَسَرُوا آخَرِينَ، وَكَانَ قَدْ أَسَرَ الْجَيْشُ مِنْهُمْ خَلْقًا فَصُلِبُوا عَلَى الْأَسْوَارِ.

○ من إصلاحات المستنجد بالله

فِي سنة (٥٥٦هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْجِدُ **بِإِزَالَةِ الدَّكَاكِينِ الَّتِي تُضَيِّقُ الطُّرُقَاتِ**، وَأَنْ لَا يَجْلِسَ أَحَدٌ مِنَ الْبَاعَةِ فِي عَرْصَةِ الطُّرُقَاتِ؛ لِئَلَّا يَضُرَّ ذَلِكَ بِالْمَارَّةِ.

○ عدوان الكرج ثم هزيمتهم

فِي سنة (٥٥٧هـ) دَخَلَتِ **الْكُرْجُ** بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الرِّجَالِ، وَأَسَرُوا مِنَ الذَّرَارِيِّ أُمَمًا؛ فَاجْتَمَعَ لِحَرْبِهِمْ مُلُوكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ؛ **إِيلْدِكْزُ** صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ، **وَابْنُ سُكْمَانَ** صَاحِبُ خِلَاطَ، **وَابْنُ آقْ سُنْقُرَ** صَاحِبُ مَرَاغَةَ، وَسَارُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فِي سنة (٥٥٨هـ)، وَالْتَقَوْا مَعَهُمْ، فَكَسَرُوهُمْ كَسْرَةً ذَرِيعَةً فَظِيعَةً مُنْكَرَةً، مَكَثُوا يَقْتُلُونَ فِيهِمْ وَيَأْسِرُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

○ إجلاء بني أسد عن الحلة

فِي سنة (٥٥٨هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِجْلَاءِ **بَنِي أَسَدٍ** عَنِ الْحِلَّةِ، وَقَتَلَ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ لِإِفْسَادِهِمْ وَمُكَاتَبَتِهِمُ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ شَاهْ، وَتَحْرِيضِهِمْ لَهُ عَلَى حِصَارِ بَغْدَادَ،

فَقَتَلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَخَرَجَ الْبَاقُونَ مِنْهَا، وَتَسَلَّمَ نُوَّابُ الْخَلِيفَةِ الْحِلَّةَ الْمَزِيدِيَّةَ.

○ جهاد نور الدين للصليبيين

⊙ فِي سنة (٥٥٨هـ) كَبَسَتِ **الْفِرِنْجُ** نُورَ الدِّينِ وَجَيْشَهُ، فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَنَهَضَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ فَرَكِبَ فَرَسَهُ **وَالشُّبْحَةُ**[1] فِي رِجْلِهِ، فَنَزَلَ رَجُلٌ كُرْدِيٌّ فَقَطَعَهَا حَتَّى سَارَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ فَنَجَا، وَأَدْرَكَتِ الْفِرِنْجُ الْكُرْدِيَّ فَقَتَلُوهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَحْسَنَ نُورُ الدِّينِ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ، وَكَانَ لَا يَنْسَى ذَلِكَ لَهُ.

⊙ وفِي سنة (٥٦١هـ) فَتَحَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ زنكي** حِصْنَ الْمُنَيْطِرَةِ[2]، وَقَتَلَ عِنْدَهُ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ **الْفِرِنْجِ**، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً.

⊙ وفِي رَمَضَانَ سنة (٥٥٩هـ) اسْتَغَاثَ نُورَ الدِّينِ محمود بِعَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَجَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لقتال الْفِرِنْجِ، فَالْتَقَى مَعَهُمْ **بِتَلِّ حَارِمٍ فَكَسَرَهُمْ كَسْرَةً** عَظِيمَةً، وَأَسَرَ الْبِرِنْسَ صَاحِبَ أَنْطَاكِيَةَ وَالْقُومِصَ صَاحِبَ طَرَابُلُسَ وَالدُّوكَ مُقَدَّمَ الرُّومِ، وَابْنَ جُوسْلِينَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشَرَةَ آلَافٍ

⊙ وفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٥٥٩هـ) **فَتَحَ نُورُ الدِّينِ** مَدِينَةَ **بَانِيَاسَ**، وَكَانَ مَعَهُ أَخُوهُ نَصْرُ الدِّينِ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَأَذْهَبَهَا، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ: لَوْ نَظَرْتَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ فِي الْآخِرَةِ لَأَحْبَبْتَ أَنْ تَذْهَبَ الْأُخْرَى.

⊙ وفِي سنة (٥٦٤هـ) افْتَتَحَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ قَلْعَةَ جَعْبَرَ** وَانْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا شِهَابِ الدِّينِ مَالِكِ بْنِ عَلِيٍّ الْعُقَيْلِيِّ، وَكَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَيَّامِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهْ.

⊙ **وفِي سنة (٥٦٥هـ) اغْتَنَمَ نور الدين غَيْبَةَ الْفِرِنْجِ عَنْ بِلَادِ الشام فِي حصارهم لدمياط** بمصر، فَصَمَدَ إِلَيْهِمْ فِي جُيُوشٍ كَثِيرَةٍ، وجَاسَ خِلَالَ دِيَارِهِمْ، وَغَنِمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،

---

(١) هي التي تربط بها يد الفرس إلى رِجله. تكملة المعاجم العربية ١/ ٧١٩.

(٢) المنيطرة: مصغر، حصن بالشام، قريب من طرابلس. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٢١٧).

وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ رِجَالِهِمْ، وَسَبَى كَثِيرًا مِنْ نِسَائِهِمْ. **مما اضطرهم إلى الجلاء عن دمياط.**

ثم سَارَ **نُورُ الدِّينِ** فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى **الْكَرَكِ**؛ فَحَاصَرَهَا، وَكَانَتْ مِنْ أَمْنَعِ الْبِلَادِ وَكَادَ أَنْ يَفْتَحَهَا، وَلَكِنْ بَلَغَهُ أَنَّ مُقَدَّمَيْنِ مِنَ الْفِرِنْجِ قَدْ أَقْبَلَا نَحْوَ دِمَشْقَ، فَخَافَ أَنْ يَلْتَفَّ عَلَيْهِمَا الْفِرِنْجُ، فَتَرَكَ الْحِصَارَ، وَأَقْبَلَ نَحْوَ دِمَشْقَ فَحَصَّنَهَا.

○ صراع وزراء الدولة الفاطمية

فِي سنة (٥٥٩هـ) تولى وَزارة الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **شَاوَرُ بْنُ مُجِيرِ الدِّين** بَعْدَ آلِ رُزِّيكَ، وَعظم أَمْرُهُ فِيهَا، فَثَارَ عَلَيْهِ **الضِّرْغَامُ بْنُ سَوَّارٍ**، وَجَمَعَ لَهُ جُمُوعًا كَثِيرَةً، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ، وَقَتَلَ **وَلَدَيْهِ: طَيًّا وَسُلَيْمَانَ**، وَأَسَرَ الثَّالِثَ وَهُوَ **الْكَامِلُ بْنُ شَاوَرَ**، فَسَجَنَهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ؛ لِيَدٍ كَانَتْ لِأَبِيهِ عِنْدَهُ، وَاسْتُوزِرَ ضِرْغَامٌ بن سوار في الديار المصرية، وَلُقِّبَ بِالْمَنْصُورِ.

فَخَرَجَ **شَاوَرُ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هَارِبًا ومُلْتَجِئًا إِلَى نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ، فأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ وَكَرَامَتَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ شَاوَرُ عَسْكَرًا يَكُونُونَ مَعَهُ؛ لِيَفْتَحَ بِهِمُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَيَكُونَ لِنُورِ الدِّينِ ثُلُثُ مُغَلِّهَا، فَأَرْسَلَ مَعَهُ جَيْشًا عَلَيْهِ **أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بْنُ شَاذِيٍّ**، فَلَمَّا دَخَلُوا بِلَادَ مِصْر اقْتَتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ، فَهَزَمَهُمْ **أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بْنُ شَاذِيٍّ**، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا.

وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ **شَاوَرَ فِي الْوِزَارَةِ**، وَتَمَهَّدَ حَالُهُ، لكنه رَجَعَ شَاوَرُ عَمَّا كَانَ عَاهَدَ عَلَيْهِ نُورَ الدِّينِ، وَأَمَرَ أَسَدَ الدِّينِ بِالرُّجُوعِ إلى الشام، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ أسد الدين، **واستولى على بعض الْبِلَادِ**، وَأَخَذَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَافْتَتَحَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً مِنَ الشَّرْقِيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَاسْتَغَاثَ **شَاوَرُ** عَلَيْهِمْ بِمَلِكِ **الْفِرِنْجِ** الَّذِي **بِعَسْقَلَانَ**، وَاسْمُهُ مُرِّيٌّ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ.

فَتَحَوَّلَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى **بِلْبِيسَ** (١) وَقَدْ حَصَّنَهَا وَشَحَنَهَا بِالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَحَصَرُوهُ فِيهَا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَامْتَنَعَ أَسَدُ الدِّينِ وَأَصْحَابُهُ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ.

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. معجم البلدان – الفكر (١/ ٤٧٩).

وقـد اغتنم **الْمَلِكُ نُورَ الدِّينِ** غَيْبَةَ الْفِرنجِ فَسَارَ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَفتحَ **حَارِمًا** (١)، وَقتَلَ مِنَ الْفِرنْجِ خَلْقًا، وَسَارَ إِلَى **بَانِيَاسَ، فلما بلغ الفرنج ذلك** طَلَبُوا مِنْ أَسَدِ الدِّينِ **الْمُصَالَحَةَ**، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَقبَضَ أَسَدُ الدِّينِ مِنْ شَاوَرَ **سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ**، فَعاد بجيشه إِلَى الشَّامِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٥٥٩هـ).

○ خيانة شاور واستيلاء نور الدين على مصر

فِي سـنة (٥٦٢هـ) كتب الوزير الفاطمي **شـاور** إلى الفرنج، يطلب نصرتهم له، فَبَلَغَ ذَلِكَ **أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهْ** بْنَ شَاذِيٍّ، فَاسْتَأْذَنَ نُورَ الدِّينِ محمود فِي الْعَوْدِ إِلَيْهَا، فَأَذِنَ لَهُ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٦٢هـ)، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ **صَلَاحُ الدِّينِ** يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْوَزِيرَ **شَـاوَرَ** قُدُومُ **أَسَـدِ الدِّينِ**، بَعَثَ إِلَى **الْفِرنْجِ** فَجَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ إِلَيْهِ، وَبَلَغَ أَسَـدَ الدِّينِ ذَلِكَ، وليس معه إلا **أَلْفَا فَارِسٍ**، فَاسْتَشَـارَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَكُلُّهُمْ أَشَـارَ عَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى نُورِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ الْفِرنْجِ، إِلَّا أَمِيرًا وَاحِدًا يُقَالُ لَهُ: **شَـرَفُ الدِّينِ بُرْغُشُ**؛ فَإِنَّهُ قَالَ: مَنْ خَافَ الْقَتْلَ وَالْأَسْـرَ فَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ، وَمَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُسَلِّمْ بِلَادَهُمْ إِلَى الْعَدُوِّ.

وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ **صَلَاحُ الدِّينِ** يُوسُـفُ بْنُ أَيُّوبَ، فَعَزَمَ اللهُ لَهُمْ فَسَـارُوا نَحْوَ الْفِرنْجِ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَإِيَّاهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا، فَقَتَلُوا مِنَ الْفِرنْجِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهزَمُوهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ سَـارَ أَسَدُ الدِّينِ شِـيرَكُوهْ بَعْدَ كَسْرِ الْفِرنْجِ وَأعوانهم إِلَى **الْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ**، فَمَلَكَهَا، وَجَبَـى أَمْوَالَهَـا، **وَاسْـتَنَابَ عَلَيْهَا** ابْنَ أَخِيهِ **صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُـفَ**، وتوجـه إِلَى الصَّعِيدِ فَمَلَكَهُ، وَجَمَعَ مِنْهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا.

ثُمَّ إِنَّ **الْفِرنْجَ** وَأعوانهم من المصريين اجْتَمَعُوا عَلَى **حِصَارِ الْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ** ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

(١) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب. معجم البلدان – الفكر (٢/ ٢٠٥).

لِيَنْتَزِعُوهَا مِنْ يَدِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَامْتَنَعَ بِهَا صَلَاحُ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ، وَلَكِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَقْوَاتُ، وَضَاقَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ جِدًّا.

فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ - أَيَّدَهُ اللهُ - فَصَالَحَهُ شَاوَرُ الْوَزِيرُ عَنِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَجَابَهُ، إِلَى ذَلِكَ، وَخَرَجَ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى الْمِصْرِيِّينَ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ.

وَقَرَّرَ **شَاوَرُ لِلْفِرِنْجِ** عَلَى مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ **شِحْنَةٌ** بِالْقَاهِرَةِ، وَعَادَ الْفِرِنْجُ إِلَى بِلَادِهِمْ.

○ إنقاذ مصر من الفرنج وحليفهم

فِي سنة (٥٦٤هـ) **طَغَتِ الْفِرِنْجُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**، وَذَلِكَ لَمَّا جُعِلَ لَهُمْ شِحْنَةٌ بِهَا، وَتَحَكَّمُوا فِي أَبْوَابِهَا وَسَكَنَهَا أَكْثَرُهم، وجاءت أَمْدَادُ الْفِرِنْجِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَسَارُوا صُحْبَةَ مَرِّيٍّ مَلِكِ عَسْقَلَانَ فِي جَحَافِلَ هَائِلَةٍ، فَأَوَّلُ مَا أَخَذُوا مَدِينَةُ **بِلْبِيسَ**، فَقَتَلُوا مِنْهَا خَلْقًا وَأَسَرُوا آخَرِينَ، وَنَزَلُوا بِهَا، ثُمَّ جَاءُوا فَنَزَلُوا عَلَى **الْقَاهِرَةِ** مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ، فَأَمَرَ الْوَزِيرُ **شَاوَرُ** النَّاسَ أَنْ يَحْرِقُوا مِصْرَ وَأَنْ يَنْتَقِلَ النَّاسُ مِنْهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ.

فحرقوها وَبَقِيَتِ النَّارُ تَعْمَلُ فِي مِصْرَ أَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ صَاحِبُهَا الْعَاضِدُ الفاطمي يَسْتَغِيثُ بِنُورِ الدِّينِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِشُعُورِ نِسَائِهِ يَقُولُ: **أَدْرِكْنِي وَاسْتَنْقِذْ نِسَائِيَ مِنْ أَيْدِي الْفِرِنْجِ**.

وَالْتَزَمَ لَهُ بِثُلُثِ خَرَاجِ مِصْرَ، عَلَى أَنْ يَكُونَ أَسَدُ الدِّينِ مُقِيمًا عِنْدَهُمْ، وَلَهُمْ إِقْطَاعَاتٌ زَائِدَةٌ عَلَى الثُّلُثِ، فَشَرَعَ نُورُ الدِّينِ فِي تَجْهِيزِ الْجُيُوشِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَلَمَّا اسْتَشْعَرَ الْوَزِيرُ شَاوَرُ بِوُصُولِ الْمُسْلِمِينَ، أَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ الْفِرِنْجِ يَقُولُ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مَحَبَّتِي وَمَوَدَّتِي وَلَكِنَّ الْعَاضِدَ وَالْمُسْلِمِينَ لَا يُوَافِقُونِي عَلَى تَسْلِيمِ الْبَلَدِ.

وَصَالَحَهُمْ لِيَرْجِعُوا عَنِ الْبَلَدِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعَجَّلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِمِائَةِ أَلْفِ

دِينَارٍ، فَأَخَذُوهَا، وَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ؛ خَوْفًا مِنْ وُصُولِ نُورِ الدِّينِ وَطَمَعًا فِي الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤].

ثُمَّ شَرَعَ **الْوَزِيرُ شَاوَرُ** فِي مُطَالَبَةِ النَّاسِ بِتَحْصِيلِ الذَّهَبِ الَّذِي صَالَحَ الْفِرِنْجَ عَلَيْهِ، وَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ مَعَ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْخَوْفِ،

وَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ الْأَمِيرَ **أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهْ**، فَقَدَّمَهُ عَلَى الْعَسَاكِرِ الَّتِي قَدْ جَهَّزَهَا لِلدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ جَمَاعَةً، كُلٌّ مِنْهُمْ يَبْتَغِي بِمَسِيرِهِ ذَلِكَ رِضَا الرَّحْمَنِ.

وَكَانَ فِي جُمْلَتِهِمُ ابْنُ أَخِيهِ **صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ** بْنِ شَاذِيٍّ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ التُّرْكُمَانِ، وَلَمَّا **وَصَلَتِ الْجُيُوشُ النُّورِيَّةُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**، وَجَدُوا الْفِرِنْجَ قَدِ انْشَمَرُوا عَنِ الْقَاهِرَةِ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ، وَكَانَ وُصُولُهُ إِلَيْهَا فِي سَابِعِ رَبِيعٍ الْآخِرِ من هذه السنة، فَدَخَلَ الْأَمِيرُ **أَسَدُ الدِّينِ** عَلَى الْعَاضِدِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً فَلَبِسَهَا، وَعَادَ إِلَى مُخَيَّمِهِ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِقُدُومِهِ، وَخَرَجَ وُجُوهُ النَّاسِ إِلَى مُخَيَّمِ أَسَدِ الدِّينِ خِدْمَةً لَهُ، وَكَانَ فِيمَنْ جَاءَ إِلَيْهِ الْمُخَيَّمَ الْخَلِيفَةُ **الْعَاضِدُ مُتَنَكِّرًا**، فَأَسَرَّ إِلَيْهِ أُمُورًا مُهِمَّةً، مِنْهَا: **الرغبة فِي قَتْلِ الْوَزِيرِ شَاوَرَ**، وَقَرَّرَ ذَلِكَ مَعَهُ.

وَعَظُمَ أَمْرُ الْأَمِيرِ **أَسَدِ الدِّينِ** بِمِصْرَ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْوَزِيرُ شَاوَرُ عَلَى مَنْعِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِكَثْرَةِ الْجَيْشِ الَّذِي مَعَ أَسَدِ الدِّينِ.

○ مقتل الوزير الفاطمي شاور

في سنة (٥٦٤هـ) جَاءَ **شَاوَرُ** يومًا إِلَى مَنْزِلِ الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ فَوَجَدَهُ قَدْ ذَهَبَ لِزِيَارَةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ، وَإِذَا ابْنُ أَخِيهِ **صَلَاحُ الدِّينِ** هُنَالِكَ، فَأَمَرَ **صَلَاحُ الدِّينِ** بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، **وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ شاور**، فَأَعْلَمُوا الْعَاضِدَ، لَعَلَّهُ يَبْعَثُ يُنْقِذُهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ يَطْلُبُ مِنْهُ رَأْسَهُ، فَقُتِلَ شَاوَرُ، وَأَرْسَلُوا بِرَأْسِهِ إِلَى الْعَاضِدِ.

فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَأَمَرَ أَسَدُ الدِّينِ بِنَهْبِ دَارِ شَاوَرَ، فَنُهِبَتْ، وَدَخَلَ أَسَدُ الدِّينِ عَلَى **الْعَاضِدِ فَاسْتَوْزَرَهُ**، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ.

وَلَمَّا بَلَغَ **نُورَ الدِّينِ** خَبَرُ فَتْحِ مِصْرَ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَصَدَتْهُ الشُّعَرَاءُ بِالتَّهْنِئَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْشَرِحْ؛ لِكَوْنِ أَسَدِ الدِّينِ صَارَ وَزِيرًا.

وَأَرْسَلَ **أَسَدُ الدِّينِ** إِلَى الْقَصْرِ الفاطمي يَطْلُبُ كَاتِبًا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ **الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ**، وَبَعَثَ أَسَدُ الدِّينِ الْعُمَّالَ فِي الْأَعْمَالِ، وَأَقْطَعَ الْإِقْطَاعَاتِ، وَوَلَّى الْوِلَايَاتِ، وَفَرِحَ بِنَفْسِهِ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ. فَأَدْرَكَهُ حِمَامُهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، **وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ**: شَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ.

○ تملك صلاح الدين الديار المصرية

لَمَّا تُوُفِّيَ أَسَدُ الدِّينِ سنة (٥٦٤هـ) أَشَارَ الْأُمَرَاءُ الشَّامِيُّونَ عَلَى الْعَاضِدِ بِتَوْلِيَةِ **صَلَاحِ الدِّينِ** يُوسُفَ **الْوِزَارَةَ** بَعْدَ عَمِّهِ، فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ.

وَأَقَامَ صَلَاحُ الدِّينِ بِمِصْرَ بِصِفَةِ نَائِبٍ لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ؛ يَخْطُبُ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَيُكَاتِبُهُ الملك نُورُ الدِّينِ محمود بِالْأَمِيرِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَيَتَوَاضَعُ لَهُ صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْكُتُبِ وَالْعَلَامَةِ.

وَارْتَفَعَ قَدْرُ صَلَاحِ الدِّينِ بَيْنَ الْعِبَادِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَخَضَعَتْ لَهُ النُّفُوسُ، وَزَادَ فِي إِقْطَاعَاتِ الَّذِينَ مَعَهُ فَأَحَبُّوهُ وَاحْتَرَمُوهُ وَخَدَمُوهُ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ **نُورُ الدِّينِ يعاتبه عَلَى قَبُولِ الْوِزَارَةِ بِدُونِ مَرْسُومِهِ**، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ حِسَابَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى ذَلِكَ، وَجَعَلَ نُورُ الدِّينِ **يَقُولُ** فِي غُبُونِ ذَلِكَ: **مَلَكَ ابْنُ أَيُّوبَ**.

وَأَرْسَلَ صلاح الدين إِلَى **الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ** يَطْلُبُ مِنْهُ أَهْلَهُ وَإِخْوَتَهُ وَقَرَابَتَهُ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَهُ، فَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ هُنَالِكَ، وَقَوِيَتْ أَرْكَانُهُ.

○ خيانة الطواشي وقتله

فِي سنة (٥٦٤هـ) كَتَبَ الطواشي[(١)] الحبشي الْخَادِمُ مُؤْتَمَنُ الْخِلَافَةِ بِمِصْرَ إِلَى الْفِرِنْجِ لِيَقْدَمُوا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ **لِيُخْرِجُوا مِنْهَا الْجُيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ** الشَّامِيَّةَ، وَالْعَسَاكِرَ النُّورِيَّةَ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ مَعَ إِنْسَانٍ أَمِنَ إِلَيْهِ، فَصَادَفَهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَنْ أَنْكَرَ حَالَهُ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ فَقَرَّرَهُ، فَأَخْرَجَ الْكِتَابَ فَفَهِمَ صَلَاحُ الدِّينِ الْحَالَ فَكَتَمَهُ.

وَاسْتَشْعَرَ **مُؤْتَمَنُ الْخِلَافَةِ الْخَادِمُ** أَنَّ الْمَلِكَ صَلَاحَ الدِّينِ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى الْأَمْرِ، فَلَازَمَ الْقَصْرَ مُدَّةً طَوِيلَةً؛ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ عَنَّ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ، **فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ** إِلَيْهِ مَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ، ثم حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَزَلَ جَمِيعَ الْخُدَّامِ الَّذِينَ يَلُونَ خِدْمَةَ الْقَصْرِ.

وَاسْتَنَابَ عَلَى الْقَصْرِ عِوَضَهُمْ **بَهَاءَ الدِّينِ قَرَاقُوشَ**،[(٢)] وَأَمَرَهُ أَنْ يُطَالِعَهُ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا .

وَلَمَّا **قُتِلَ الطَّوَاشِيُّ**، وَعُزِلَ بَقِيَّةُ الْخُدَّامِ، **غَضِبُوا** لِذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا قَرِيبًا مِنْ **خَمْسِينَ أَلْفًا فَاقْتَتَلُوا** هُمْ وَجَيْشُ صَلَاحِ الدِّينِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، فَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَكَانَ الْعَاضِدُ يَنْظُرُ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ، وَقَدْ قُذِفَ الْجَيْشُ الشَّامِيُّ مِنَ الْقَصْرِ بِحِجَارَةٍ وَجَاءَهُمْ مِنْهُ سِهَامٌ، فَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ بِأَمْرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَخَا صلاح الدين **شَمْسَ الدَّوْلَةِ تُورَانْ شَاهْ** أَمَرَ بِإِحْرَاقِ مَنْظَرَةِ الْعَاضِدِ. فَفُتِحَ

---

(١) الطواشي: جمعه طواشية، وهم الخصيان الذين استخدموا في خدمة القصر وحريم السلطان. وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة، ويعد شيخهم من أعيان الناس. انظر: المواعظ والاعتبار للمقريزي ٤/ ٢١٩.

(٢) قراقوش بن عبد الله الأسدي، بهاء الدين: أمير، نشأ في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي. وناب عنه في الديار المصرية. وتوفي في القاهرة سنة (٥٩٧هـ). وتنسب إليه أحكام عجيبة في ولايته، قال ابن خلكان: الظاهر أنها موضوعة. و«قره قوش» كلمة تركية معناها «العُقاب» الطائر المعروف.

الْبَابُ وَنُودِيَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْرِجُوا هَؤُلَاءِ السُّودَانَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَمِنْ بِلَادِكُمْ، فَقَوِيَ الشَّامِيُّونَ، وَضَعُفَ جَأْشُ السُّودَانِ جِدًّا، وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى مَحَلَّتِهِمْ فَأَحْرَقَهَا، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ طَلَبُوا الْأَمَانَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى الْجِيزَةِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تُورَانْ شَاهْ فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ أَيْضًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.

○ حصار الفرنج دمياط

فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ (٥٦٥هـ) حَاصَرَتِ **الْفِرِنْجُ** مَدِينَةَ **دِمْيَاطَ** مِنْ بِلَادِ مِصْرَ خَمْسِينَ يَوْمًا ضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا، وَقَتَلُوا أُمَمًا كَثِيرَةً؛ جَاءُوا إِلَيْهَا مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؛ رَجَاءَ أَنْ يَمْلِكُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ **وَخَوْفًا مِنَ اسْتِيلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقُدْسِ**، فَكَتَبَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى نُورِ الدِّينِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَيْهِمْ وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ بِأَمْدَادٍ مِنَ الْجُيُوشِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَلَفَهُ أَهْلُهَا بِسُوءٍ، وَإِنْ قَعَدَ عَنِ الْفِرِنْجِ أَخَذُوا دِمْيَاطَ وَجَعَلُوهَا مَعْقِلًا لَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نُورُ الدِّينِ بِبُعُوثٍ كَثِيرَةٍ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُرْسِلُ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ أَبُوهُ **الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ** فِي جَيْشٍ مِنْ تِلْكَ الْجُيُوشِ، وَمَعَهُ بَقِيَّةُ أَوْلَادِهِ، فَتَلَقَّاهُ الْجَيْشُ مِنْ مِصْرَ، وَخَرَجَ الْعَاضِدُ لِتَلَقِّيهِ إِكْرَامًا لِوَلَدِهِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَأَقْطَعَهُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَدِمْيَاطَ، وَالْبُحَيْرَةَ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةَ أَوْلَادِهِ، وَقَدْ أَمَدَّ الْعَاضِدُ صَلَاحَ الدِّينِ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، حَتَّى انْفَصَلَتِ الْفِرِنْجُ عَنْ دِمْيَاطَ.

وَلَمَّا انْجَلَتِ الْفِرِنْجُ عَنْ **دِمْيَاطَ** فَرِحَ نُورُ الدِّينِ، وَالْمُسْلِمُونَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَنْشَدَ الشُّعَرَاءُ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ قَصِيدًا، وَقَدْ كَانَ **الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ** شَدِيدَ الِاهْتِمَامِ قَوِيَّ الِاغْتِمَامِ بِذَلِكَ؛ حَتَّى إِنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ بَعْضُ طَلَبَةِ الْحَدِيثِ جُزْءًا فِيهِ حَدِيثٌ مُسَلْسَلٌ بِالتَّبَسُّمِ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبْتَسِمَ لِيَتَّصِلَ التَّسَلْسُلُ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ يَرَانِي مُتَبَسِّمًا وَالْمُسْلِمُونَ تُحَاصِرُهُمُ الْفِرِنْجُ بِثَغْرِ دِمْيَاطَ.

○ حوادث متفرقة وكوارث

⊙ في سنة (٥٥٦هـ) **وَقَعَ رُخْصٌ** عَظِيمٌ جِدًّا بِبَغْدَادَ.

⊙ وفي سنة (٥٥٦هـ) **فُتِحَتِ الْمَدْرَسَةُ** الَّتِي بَنَاهَا **ابْنُ الشَّمْحَلِ** فِي الْمَأْمُونِيَّةِ، وَدَرَّسَ فِيهَا أَبُو حَكِيمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ النَّهْرَوَانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، وَقَدْ تُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ فِيهَا أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ **مُعِيدًا**.

⊙ وفي سنة (٥٥٧هـ) **كَمَلَتِ الْمَدْرَسَةُ** الَّتِي بَنَاهَا الْوَزِيرُ ابْنُ هُبَيْرَةَ بِبَابِ الْبَصْرَةِ وَرَتَّبَ فِيهَا مُدَرِّسًا وَفَقِيهًا.

⊙ وفِي صَفَرٍ مِن سنة (٥٦٠هـ) وَقَعَتْ بِأَصْبَهَانَ **فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ** بَيْنَ الْفُقَهَاءِ بِسَبَبِ الْمَذَاهِبِ، دَامَتْ أَيَّامًا وَقُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

⊙ وفِي سنة (٥٦٠هـ) كَانَ **حَرِيقٌ عَظِيمٌ** بِبَغْدَادَ فَاحْتَرَقَتْ مَحَالُّ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

⊙ وفِي سنة (٥٦١هـ) أَظْهَرَ **الرَّوَافِضُ سَبَّ الصَّحَابَةِ** وَتَظَاهَرُوا بِأَشْيَاءَ مُنْكَرَةٍ وَلَمْ يَكُونُوا يَتَمَكَّنُونَ مِنْهَا، خَوْفًا مِنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، وَوَقَعَ بَيْنَ الْعَوَامِّ كَلَامٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ.

⊙ وفِي سنة (٥٦٥هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ** بِالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَعَمَّتْ أَكْثَرَ الْأَرْضِ، فَتَهَدَّمَتْ أَسْوَارٌ كَثِيرَةٌ بِالشَّامِ، وَسَقَطَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى أَهْلِهَا، وَلَا سِيَّمَا بِدِمَشْقَ وَحِمْصَ وَحَمَاةَ وَحَلَبَ وَبَعْلَبَكَّ؛ سَقَطَتْ أَسْوَارُهَا وَأَكْثَرُ قَلْعَتِهَا فَجَدَّدَ نُورُ الدِّينِ عِمَارَةَ أَكْثَرِ مَا سَقَطَ بِهَذِهِ الزَّلْزَلَةِ

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

حَجَّ بِالنَّاسِ فِي سنة (٥٥٥هـ) **الْأَمِيرُ أَرَغَشُ** مُقْطَعُ الْكُوفَةِ، وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ شِيرَكُوهْ بْنُ شَاذِي**ٍّ، مُقَدَّمُ عَسَاكِرِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ بْنِ زَنْكِيٍّ، وَتَصَدَّقَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٥٥٦هـ) أَمِيرُ الْكُوفَةِ أَرْغَشُ، وفيها حج السلطان نور الدين محمود بن زنكي الشهيد صاحب دمشق وغيرها.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٥٥٧هـ)، وسنة (٥٥٨هـ)، وسنة (٥٥٩هـ)، وسنة (٥٦٠هـ)، وسنة (٥٦١هـ)، وسنة (٥٦٢هـ) الأَمِيرُ الْكَبِيرُ أمير الْكُوفَةِ أَرْغَشُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ في سنة (٥٦٣هـ)، وسنة (٥٦٤هـ)، وسنة (٥٦٥هـ) أرغش الكبير [١]

ولقي الناس شدة من الأعراب سنة (٥٥٩هـ)، وسنة (٥٦٠هـ)، وسنة (٥٦١هـ).

❁ ❁ ❁

(١) سبق أن ترجم الحافظ ابن كثير لأرغش الكبير في وفيات سنة (٥٦٢هـ)، ثم ذكر إمارته للحج هذه السنوات، وتبعه ابن فهد في سنة (٥٦٤هـ)، وسنة (٥٦٥هـ) في كتابه إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢/ ٥٣١.

مشاهير من توفي من الأعيان في عهده

١- **الْأَمِيرُ مُجَاهِدُ الدِّينِ**، بُزَّانُ بْنُ مَامِينَ الْكُرْدِيُّ، أَحَدُ مُقَدَّمِي جَيْشِ الشَّامِ قَبْلَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ وَبَعْدَهُ، وَقَدْ نَابَ فِي مَدِينَةِ **صَرْخَدَ** (١) مُدَّةً.

وَكَانَ شَهْمًا، شُجَاعًا، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالصِّلَاتِ، وَهُوَ وَاقِفُ **الْمُدَرِّسَةِ الْمُجَاهِدِيَّةِ** بدمشق، وَلَهُ الْمَدْرَسَةُ الْمُجَاهِدِيَّةُ الَّتِي دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ الْبَرَّانِيِّ، وَبِهَا قَبْرُهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٥٥٥هـ)، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- **الشَّيْخُ عَدِيُّ** بْنُ مُسَافِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ **الْهَكَّارِيُّ**، شَيْخُ **الطَّائِفَةِ الْعَدَوِيَّةِ**، أَصْلُهُ مِنَ الْبِقَاعِ غَرْبِيَّ دِمَشْقَ مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ فَارٍ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَاجْتَمَعَ فِيهَا بِالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الجيلاني، وَالشَّيْخِ حَمَّادٍ الدَّبَّاسِ، وَالشَّيْخِ عَقِيلٍ الْمَنْبِجِيِّ، وَأَبِي الْوَفَاءِ الْحُلْوَانِيِّ، وَأَبِي النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ انْفَرَدَ عَنِ النَّاسِ، وَتَخَلَّى بِجَبَلِ الْهَكَّارِيَّةِ، وَبَنَى لَهُ هُنَالِكَ زَاوِيَةً، وَاعْتَقَدَ فِيهِ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ اعْتِقَادًا بَلِيغًا، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَغْلُو فِيهِ غُلُوًّا كَبِيرًا مُنْكَرًا. وَتوفي سنة (٥٥٥هـ) بِزَاوِيَتِهِ وَلَهُ سَبْعُونَ سَنَةً.

٣- **صَدَقَةُ بْنُ وَزِيرٍ الْوَاسِطِيُّ**، دَخَلَ بَغْدَادَ وَوَعَظَ بِهَا وَأَظْهَرَ تَقَشُّفًا، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّشَيُّعِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ رَاجَ عَلَى الْعَوَامِّ وَبَعْضِ الْأُمَرَاءِ، وَحَصَلَ لَهُ مال كَثِيرٌ، ابْتَنَى مِنْهُ رِبَاطًا وَدُفِنَ فِيهِ سنة (٥٥٧هـ)، سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى.

٤- **زُمُرُّدُ خَاتُونَ بِنْتُ جَاوْلِي، أُخْتُ الْمَلِكِ دُقَاقِ** بْنِ تُتُشَ لِأُمِّهِ، وَكَانَتْ زَوْجَةَ الْمَلِكِ بُورِي بْنِ طُغْتِكِينَ، فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَيْنِ:

---

(١) صرخد بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية حسنة واسعة. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٤٠١).

شَمْسَ الْمُلُوكِ إِسْمَاعِيل، وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ وَسَارَ سِيرَتَهُ، وَمَالأَ الفِرِنْجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهَمَّ بِتَسْلِيمِ الْبَلَدِ وَالْأَمْوَالِ إِلَيْهِمْ، فَقَتَلُوه.

ثم تَمَلَّكَ **أَخُوهُ** بَعْدَ مُرَاجَعَتِهَا وَمُسَاعَدَتِهَا.

وَقَدْ كَانَتْ قَرَأَتِ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَتِ الْحَدِيثَ، وَكَانَتْ حَنَفِيَّةَ الْمَذْهَبِ، تُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا الْأَتَابِكِيُّ زَنْكِيٌّ صَاحِبُ حَلَبَ؛ طَمَعًا فِي أَنْ يَأْخُذَ بِسَبَبِهَا دِمَشْقَ فَلَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ، بَلْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ إِلَى حَلَبَ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وَقَدْ دَخَلَتْ بَغْدَادَ وَسَارَتْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْحِجَازِ، وَجَاوَرَتْ بِمَكَّةَ سَنَةً، ثُمَّ جَاءَتْ فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى مَاتَتْ بِهَا، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ فِي سنة (٥٥٧هـ).

وَهِيَ بَانِيَةُ الْخَاتُونِيَّةِ ظَاهِرَ دِمَشْقَ عِنْدَ قَرْيَةِ صَنْعَاءَ الشام بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: تَلُّ الثَّعَالِبِ. غَرْبِيَّ دِمَشْقَ، وَأَوْقَفَتْهَا عَلَى الشَّيْخِ بُرْهَانِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلْخِيِّ الْحَنَفِيِّ،

وَقَدْ كَانَتْ كَثِيرَةَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ. قَالَ سِبْطُ ابن الجوزي:[١] وَلَمْ تَمُتْ حَتَّى قَلَّ مَا بِيَدِهَا، فَكَانَتْ تُغَرْبِلُ الْقَمْحَ وَالشَّعِيرَ وَتَتَقَوَّتُ بِأُجْرَتِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٥- جَمَالُ الدِّينِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، أَبُو جَعْفَرٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، **الْمُلَقَّبُ بِالْجَوَادِ**، وَزِيرُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ، كَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَاتِ.

وَقَدْ أَثَّرَ آثَارًا حَسَنَةً بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ؛ مِنْ ذَلِكَ:

- أَنَّهُ سَاقَ عَيْنًا إِلَى عَرَفَاتٍ.
- وَعَمِلَ هُنَاكَ مَصَانِعَ.
- وَبَنَى مَسْجِدَ عَرَفَاتٍ وَدَرَّجَهُ.

---

(١) مرآة الزمان- القسم الأول ٨/ ٢٤٢.

- وَأَكْمَلَ أَبْوَابَ الْحَرَمِ.
- وَبَنَى مَسْجِدَ الْخَيْفِ.
- وَبَنَى الْحِجْرَ، وَزَخْرَفَ الْكَعْبَةَ وَذَهَّبَهَا، وَعَمِلَهَا بِالرُّخَامِ.
- وَبَنَى عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سُورًا.
- وَبَنَى جِسْرًا عَلَى دِجْلَةَ عِنْدَ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ بِالْحَجَرِ الْمَنْحُوتِ، وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ.
- وَبَنَى الرُّبُطَ الْكَثِيرَةَ.
- وَكَانَ يَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ.
- وَيَفْتَدِي مِنَ الْأُسَارَى فِي كُلِّ سَنَةٍ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ.

وَلَا تَزَالُ صَدَقَاتُهُ وَافِدَةً إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ؛ حَيْثُ كَانُوا مِنْ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَدُفِنَ بعد موته سنة (٥٥٩هـ) فِي رِبَاطٍ بَنَاهُ لِنَفْسِهِ بِالْمَوْصِلِ.

وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ **أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بْنِ شَاذِي** مُؤَاخَاةٌ وَعَهْدٌ، أَيُّهُمَا مَاتَ قَبْلَ الْآخَرِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَاسْتَأْجَرَ لَهُ أَسَدُ الدِّينِ رِجَالًا فَنَقَلُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَا مَرُّوا بِهِ عَلَى بَلْدَةٍ إِلَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ، وَأَثْنَوْا خَيْرًا، فَصَلَّوا عَلَيْهِ بِالْمَوْصِلِ، وَتَكْرِيتَ، وَبَغْدَادَ، وَالْحِلَّةِ، وَالْكُوفَةِ، وَفَيْدَ، وَمَكَّةَ، وَطِيفَ بِهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَدُفِنَ بِرِبَاطٍ بَنَاهُ شَرْقِيَّ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ.

٦- **عُمَرُ بْنُ بَهْلَيْقَا الطَّحَّانُ**، الَّذِي جَدَّدَ جَامِعَ الْعُقَيْبَةِ بِبَغْدَادَ، وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فِيهِ فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ قَدِ اشْتَرَى مَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُبُورِ فَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَنَبَشَ الْمَوْتَى مِنْهَا، فَقَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ نَبَشَهُ مِن قَبْرِهِ بَعْدَ دَفْنِهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وتوفي سنة (٥٦٠هـ).

٧- **مَرْجَانُ الْخَادِمُ**، كَانَ يَقْرَأُ الْقرآن، وَتَفَقَّهَ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ، وَيَكْرَهُهُمْ **وَيُعَادِي الْوَزِيرَ ابْنَ هُبَيْرَةَ، وَابْنَ الْجَوْزِيِّ مُعَادَاةً شَدِيدَةً**، وَيَقُولُ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ: مَقْصُودِي قَلْعُ مَذْهَبِكُمْ.

وَلَمَّا مَاتَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوِيَ عَلَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَخَافَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ فَرِحَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فَرَحًا شَدِيدًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٦٠هـ).

٨- **ابن هبيرة الْوَزِيرُ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُبَيْرَةَ**، أَبُو الْمُظَفَّرِ، وَزِيرُ الْخِلَافَةِ، مُصَنِّفُ كِتَابِ "الْإِفْصَاحِ"، قَرَأَ الْقِرَاءَاتِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرُوضِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَنَّفَ كُتُبًا جَيِّدَةً مُفِيدَةً؛ مِنْ ذَلِكَ "الْإِفْصَاحُ"، فِي مُجَلَّدَاتٍ يَشْرَحُ فِيهِ الْحَدِيثَ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى مَذَاهِب الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الِاعْتِقَادِ.

وَقَدْ كَانَ فَقِيرًا لَا مَالَ لَهُ، ثُمَّ تَعَرَّضَ لِلْخِدْمَةِ إِلَى أَنْ وَزَرَ لِلْمُقْتَفِي ثُمَّ لِابْنِهِ الْمُسْتَنْجِدِ، وَكَانَ مِنْ **خِيَارِ الْوُزَرَاءِ** وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً وَأَبْعَدِهِمْ عَنِ الظُّلْمِ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَكَانَ الْمُقْتَفِي يَقُولُ: **مَا وَزَرَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِثْلُهُ**، وَكَذَلِكَ ابْنُهُ الْمُسْتَنْجِدُ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهِ.

قَالَ مَرْجَانُ الْخَادِمُ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْجِدَ يُنْشِدُ لِابْنِ هُبَيْرَةَ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ شِعْرِهِ، وَقَدْ كَانَ يُبَالِغُ فِي إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَحَسْم مَادَّةِ الْمُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ عَنْهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، حَتَّى اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ فِي الْعِرَاقِ كُلِّهِ، لَيْسَ لِلْمُلُوكِ مَعَهُمْ حُكْمٌ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَكَانَ يَعْقِدُ فِي دَارِهِ لِلْعُلَمَاءِ مَجْلِسًا لِلْمُنَاظَرَةِ؛ يَبْحَثُونَ فِيهِ وَيَتَنَاظَرُونَ عِنْدَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ؛ **فَاتَّفَقَ يَوْمًا** أَنَّهُ كَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْفُقَهَاءِ كَلِمَةً فِيهَا بَشَاعَةٌ قَالَ: لَهُ يَا حِمَارُ، ثُمَّ نَدِمَ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لِي كَمَا قُلْتُ لَكَ. فَتَمَنَّعَ ذَلِكَ

الْفَقِيهُ فَصَالَحَهُ عَلَى مِائَتَيْ دِينَارٍ. مَاتَ فَجْأَةً وَيُقَالُ: إِنَّهُ سَمَّهُ طَبِيبٌ فَسُمَّ ذَلِكَ الطَّبِيبُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ الطَّبِيبُ يَقُولُ: سَمَمْتُهُ فَسُمِمْتُ.

مَاتَ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٥٦٠هـ) عَنْ إِحْدَى وَسِتِّينَ سَنَةً وَغَسَّلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَحضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ جِدًّا، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ وَتَبَاكَى النَّاسُ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِبَابِ الْبَصْرَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩- **أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِكْرِمَةَ الْجَزَرِيُّ**، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ ببغداد، وَكَانَ يُلَقَّبُ زَيْنَ الدِّينِ جَمَالَ الْإِسْلَامِ، دَخَلَ بَغْدَادَ فَأَخَذَ بِهَا عَنْ إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ، وَالْغَزَالِيِّ، وَالشَّاشِيِّ صَاحِبِ الْمُسْتَظْهِرِيِّ، وَجَمَعَ كِتَابًا عَلَى الْمُهَذَّبِ، وَذَكَرَ فِيهِ إِشْكَالَاتِ مَا سِوَاهُ، وَأَسْمَاءَ رِجَالِهِ وَلُغَتَهُ، وَهُوَ فِي مُجَلَّدٍ، وَرَحَلَتْ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٥٦٠هـ).

١٠- **الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ** بْنُ أَبِي صَالِحٍ أَبُو مُحَمَّدٍ **الْجِيلِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْمُخَرِّمِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَقَدْ كَانَ بَنَى مَدْرَسَةً فَفَوَّضَهَا إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ، فَكَانَ يعظ الناس بها، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ انْتِفَاعًا كَثِيرًا.

وَكَانَ لَهُ سَمْتٌ حَسَنٌ وَصَمْتٌ، عَنْ غَيْرِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِيهِ زُهْدٌ كَثِيرٌ وَلَهُ أَحْوَالٌ صَالِحَةٌ وَمُكَاشَفَاتٌ، وَلِأَتْبَاعِهِ وَأَصْحَابِهِ فِيهِ مَقَالَاتٌ وَيَذْكُرُونَ عَنْهُ أَقْوَالًا وَأَفْعَالًا وَمُكَاشَفَاتٍ **أَكْثَرُهَا مُغَالَاةٌ**.

وَقَدْ كَانَ صَالِحًا وَرِعًا، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابَ الْغُنْيَةِ، وَفُتُوحِ الْغَيْبِ، وَفِيهِمَا أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ، وَذَكَرَ فِيهِمَا أَحَادِيثَ ضَعِيفَةً وَمَوْضُوعَةً، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمَشَايِخِ الْكِبَارِ، كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٦١هـ) وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي كَانَتْ لَهُ.

١١-**أَرْغَشُ أَمِيرُ الْحَاجِّ** سِنِينَ مُتَعَدِّدَةً، كَانَ مُقَدَّمًا عَلَى الْعَسَاكِرِ، خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ لِقِتَالِ شُمْلَةَ التُّرْكُمَانِيِّ فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ فَمَاتَ سنة (٥٦٢هـ).

١٢-**أَبُو الْمَعَالِي الْكَاتِبُ** مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدُونَ، صَاحِبُ التَّذْكِرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ، وَقَدْ وَلِيَ دِيوَانَ الزِّمَامِ مُدَّةً. تُوُفِّيَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٦٢هـ) وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ.

١٣-**جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَبُو الْبَرَكَاتِ الثَّقَفِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ بَعْدَ أَبِيهِ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٥٦٣هـ)، وَسَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّهُ طُلِبَ مِنْهُ مَالٌ وَكَلَّمَهُ الْوَزِيرُ ابْنُ الْبَلَدِيِّ كَلَامًا خَشِنًا فَخَافَ، فَرَمَى الدَّمَ وَمَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٤-**يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُنْدَارٍ الدِّمَشْقِيُّ**، مُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ تَفَقَّهَ عَلَى أَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ وَبَرَعَ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْأَشْعَرِيَّةِ، وَقَدْ بُعِثَ رَسُولًا فِي سنة (٥٦٣هـ) إِلَى **شَمْلَةَ التُّرْكُمَانِيِّ**،[1] فَمَاتَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥-**شَاوَرُ بْنُ مُجِيرِ الدِّينِ**، أَبُو شُجَاعٍ السَّعْدِيُّ، الْمُلَقَّبُ أَمِيرَ الْجُيُوشِ، **وَزِيرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَيَّامَ الْعَاضِدِ**، وَهُوَ الَّذِي انْتَزَعَ الْوِزَارَةَ مِنْ يَدَيْ **رُزِّيك**، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اسْتَكْتَبَ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ فَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ.

وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُ قَائِمًا إِلَى أَنْ ثَارَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ **ضِرْغَامُ بْنُ سَوَّارٍ**، فَالْتَجَأَ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ فَأَرْسَلَ مَعَهُ الْأَمِيرَ أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهْ، فَنَصَرُوهُ عَلَى عَدُوِّهِ، فَنَكَثَ عَهْدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ أَسَدُ الدِّينِ حَنِقًا عَلَيْهِ حَتَّى كَانَ قَتْلُهُ سنة (٥٦٤هـ) عَلَى يَدَيِ ابْنِ أَخِيهِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ، وبعث برأسه إلى العاضد.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: هُوَ أَبُو شُجَاعٍ شَاوَرُ بْنُ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ نِزَارِ بْنِ عَشَائِرَ بْنِ شَأْسِ بْنِ مُغِيثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ يَخْنَسَ بْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ وَالِدُ

(١) وهو السُّلْطَانُ الْمُتَغَلِّبُ عَلَى مَمْلَكَةِ فَارِس. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٥/ ٣٠٠)

حَلِيمَةَ السَّـعْدِيَّةِ، كَذَا قَالَ: **وَفِيمَا قَالَ نَظَرٌ**؛ لِقِصَرِ هَذَا النَّسَـبِ بِالنِّسْـبَةِ إِلَى بَعْدَ الْمُدَّةِ وَاللهُ أَعْلَمُ

١٦- **شِـيرَكُوهْ بْنُ شَـاذِيٍّ**، أَسَـدُ الدِّيْنِ الْكُـرْدِيُّ الرَّوَادِيُّ، وَهُمْ أَشْـرَفُ شُـعُوبِ الْأَكْرَادِ، وَهُوَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا دُوِينُ مِنْ أَعْمَالِ أَذْرَبِيجَانَ، خَدَمَ هُوَ وَأَخُوهُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ الْأَمِيرَ مُجَاهِدَ الدِّينِ بِهْرُوزَ الْخَادِمَ شِـحْنَةَ الْعِرَاقِ، فَاسْـتَنَابَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ عَلَى قَلْعَةِ تَكْرِيتَ.

ثـم التحق بعماد الديـن زنكي وَحَظِيَ عِنْدَ وَلَـدِهِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُـودٍ، وَصَارَ عنده أَكْبَرَ أُمَرَائِهِ وَأَخَصَّهُمْ عِنْدَهُ، وَأَقْطَعَهُ الرَّحْبَةَ وَحِمْصَ؛ لِشَـهَامَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَجِهَادِهِ فِي أَعْدَاءِ اللهِ الْفِرِنْجِ وَغَيْرِهِمْ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، وَلَاسِيَّمَا يَوْمَ فَتْحِ دِمَشْقَ، ومَا فَعَلَهُ بِدِيَارِ مِصْرَ، بَلَّ اللهُ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ فَجْأَةً يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٦٢هـ).

١٧- **الْمَلِـكُ** قُطْـبُ الدِّيـنِ **مَوْدُودُ بْـنُ زَنْكِيٍّ** صَاحِـبِ الْمَوْصِلَ، **أَخُو نُـورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ**، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، حيث تُوُفِّيَ فِي سنة (٥٦٥هـ)، وَمُدَّةُ مُلْكِهِ مِنْهَا: إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ، مُحَبَّبًا إِلَى الرَّعِيَّةِ عَطُوفًا عَلَيْهِمْ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ، حَسَنَ الشَّكْلِ.

وَتَمَلَّـكَ مِـنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ **سَـيْفُ الدِّيـنِ غَازِيٌّ** مِنَ السِّـتِّ خَاتُونَ بِنْـتِ تَمُرْتَاشَ بْنِ إِيلِغَـازِي بْنِ أُرْتُقَ أَصْحَابِ مَارِدِيـنَ، وَكَانَ **مُدَبِّرَ مَمْلَكَتِهِ** وَالْمُتَحَكِّـمَ فِيهَا **فَخْرُ الدِّينِ** عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَكَانَ ظَالِمًا غَاشِمًا.

❁ ❁ ❁

العصر العباسي الخامس

(٥٦٦ ـ ٦٥٦)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا هو الجزء الأخير مما خطه يراع الحافظ ابن كثير في كتاب البداية والنهاية عن العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦)، وهذا الجزء يحوي أحداث وأحوال وتراجم من عاشوا في الفترة من سنة (٥٦٦-٦٥٦) وهي تسعون عامًا، انتعشت فيها الخلافة العباسية، ومارس الخلفاء سلطاتهم مستقلين عن سلطان الدول التي سيطر سلاطينها وملوكها على دار الخلافة طيلة العصرين البويهي والسلجوقي (٣٣٤-٥٦٦) ويسمى عند المؤرخين بالعصر العباسي الخامس (عصر انتعاش الخلافة واستقلالها).

وقد تداول السلطة في هذا العصر **خمسة خلفاء هم:**

١- المستضيء بالله الحسن بن يوسف (٥٦٦-٥٧٥).

٢- الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء بالله (٥٧٥-٦٢٢)، وهو أطول الخلفاء العباسيين مدة، وقد حاول السلطان علاء الدين خوارزم شاه سنة (٦١٤هـ) الاستيلاء على بغداد ليكون مع الخليفة كما كان سلاطين بني بويه والسلاجقة، لكن الخليفة مانع من ذلك وقاتله.

٣- الظاهر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن يوسف المستضيء، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر فقط (٦٢٢-٦٢٣) ووصف بأنه كان خيراً عادلاً.

٤- المستنصر بالله منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد (٦٢٣-٦٤٠)

٥- المستعصم بالله عبد الله بن المستنصر منصور بن الظاهر (٦٤٠-٦٥٦) وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق، وقد قتله التتار عندما دخلوا بغداد وخربوها وقتلوا أهلها.

وقد عاصر هذه الحقبة من الدولة العباسية عدد من الدول: مثل **الخوارزمية** في المشرق، وبعض **الإمارات الزنكية** في شمال العراق والجزيرة الفراتية، **وسلاجقة الروم** في آسيا الصغرى، وأعالي بلاد الشام أحياناً، **والدولة الأيوبية** بمصر والشام واليمن، والتي انتهت سنة (٦٤٨هـ) وخلفتها **دولة المماليك، وكان للصليبيين** (الفرنج) عدد من الإمارات في امتداد ساحل الشام وفلسطين.

وهذا العصر كثير الاضطرابات والفتن والحروب الداخلية والخارجية، ومع هذا **فالحركة العلمية وعدد المدارس في ازدياد، والعلماء كثر**، ويمارسون أدواراً إصلاحية، ويقدمون مشورتهم للخلفاء والحكام، لتكون يدهم واحدة لمواجهة الأعداء من الكفار.

هذا وقد دهم العالم الإسلامي من الشرق مالم يكن في حسبانهم ولا مقدورهم مقاومته؛ لضعفهم وتفرقهم، وماقُذِف في قلوبهم من الوهن والتخاذل، حيث جاء **التتار** في حملات متتالية من (٦١٦هـ) فاجتاحوا بلدان المسلمين حتى دخلوا بغداد ودمروها، وقتلوا الخليفة والأمراء والعلماء، وخربوا المساجد ودور العلم، وأحرقوا الكتب، وارتكبوا في بخارى وسمرقند وغيرها من حواضر العالم الإسلامي أعمالاً مفجعة، جعلت المؤرخ ابن الأثير يقف عندها كثيراً، يَبْكي ويُبْكي، ويستفضع هذه الحوادث والنكبات، التي لم يكن لها مثيل في التاريخ، بل ولا يتوقع أن يصاب العالم بمثلها إلا في الملاحم الكبرى في آخر الزمان.

ويعلق ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حادثة ختان ابني الخليفة المستعصم بالله سنة (٦٤٤هـ)، حيث عملت ولائم ومآكل وأفراح ومسرة، لا يسمع بمثلها من أزمان متطاولة، بقوله:

وكان ذلك وداعـًا لمسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان (ص ٧٠٤).

وقد اعتنى ابن كثير بحادثة **ظهور النار** في حرة المدينة النبوية سنة (٦٥٤هـ) ووثقها من خلال نقله لعدد من الوثائق والنصوص، وشهود العيان، ووصف وَجَلُ

النـاس منها وتوبتهـم ورد المظالم، ثم أعقبها بحادثة **غرق بغـداد** في ذلك العام، ثم **احتراق المسـجد النبوي** في السـنة نفسـها (رمضان- ٦٥٤هـ)، **وكأن هذه الحوادث الثـلاث** مقدمات لما أعقبها في سـنة (٦٥٦هـ) من **تدمير التتار لبغـداد، وقتل أهلها وخليفتها**، وعلمائها، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد بذلت جهداً في ترتيب حوادث هذه الجزء وتهذيبها، ووضع العناوين الكاشفة لها، كما هو المنهج الذي سرت عليه فيما مضى من الأجزاء، ولله الحمد والمنة.

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة – شوال-١٤٤٢هـ

❁ ❁ ❁

(٣٣)

خلافة الْـمُسْتَضِيءِ أبو محمد الْحَسَنُ بْنُ المستنجد يوسف بن محمد

٥٦٦-٥٧٥

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُسْتَضِيءُ الْحَسَنُ بْنُ يُوسُفَ الْمُسْتَنْجِدِ بْنِ الْمُقْتَفِي، **وَأُمُّهُ** أَرْمَنِيَّةٌ تُدْعَى غَضَّةَ، وَكَانَ **مَوْلِدُهُ** فِي شَعْبَانَ سَنَةَ (٥٣٦هـ).

○ صفاته

كَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ نَهَّاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، وَضَعَ عَنِ النَّاسِ الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ، وَدَرَأَ عَنْهُمُ الْبِدَعَ، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا كَرِيمًا، فَرَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ.

○ وفاته

كَانَ ابْتِدَاءُ مَرَضِ الْخَلِيفَةِ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ فِي سنة (٥٧٥هـ) فَأَرَادَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تَكْتُمَ ذَلِكَ فَلَمْ يُمْكِنْهَا، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ بِبَغْدَادَ وَنَهَبَتِ الْعَوَامُّ دُورًا كَثِيرَةً، وَأَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ سَلْخُ شَوَّالٍ مَاتَ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ تِسْعَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَغُسِّلَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ.

وَتَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ **وَلَدَيْنِ**: أَحَدُهُمَا **وَلِيُّ عَهْدِهِ** وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَحْمَدُ، **وَالْآخَرُ** أَبُو مَنْصُورٍ هَاشِمٌ.

❁ ❁ ❁

خلافته

○ بيعته

بُويعَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ أَبُوهُ يوسف المستنجد، يوم الْأَحَد تَاسِعَ رَبِيعٍ الْآخَرِ **سنة (٥٦٦هـ)**، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ أَحَدٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ بَعْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ غَيْرُ هَذَا، وَوَافَقَهُ فِي الْكُنْيَةِ أَيْضًا.

وَخَلَعَ يَوْمئِذٍ عَلَى النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ خِلْعَةٍ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَخَلَعَ عَلَى الْوَزِيرِ **الْأُسْتَاذ عَضُد الدِّينِ** خِلْعَةً عَظِيمَةً.

○ أوائل أعماله:

- وَلَّى قَضَاءَ قُضَاةِ بَغْدَادَ **لِرَوْحِ بْنِ الْحَدِيثِيِّ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابعَ عَشْرَ رَبِيعٍ الْآخَرِ سنة (٥٦٦هـ).
- وَأَمَّرَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ الْمَمَالِيكِ.
- وَأَذِنَ لِلْوُعَّاظِ فَتَكَلَّمُوا بَعْدَمَا مُنِعُوا مُدَّةً طَوِيلَةً.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

❍ فتنة بين اليهود والعامة ببغداد

فِي سنة (٥٧٣هـ) جَرَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَامَّةِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَتْ بِسَبَبِ أَنَّ مُؤَذِّنًا عِنْدَ كَنِيسَةِ الْيَهُودِ نَالَ مِنْهُ بَعْضُ الْيَهُودِ بِكَلَامٍ، فَشَتَمَهُ الْمُسْلِمُ، فَاقْتَتَلَا، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ يَشْتَكِي مِنْهُ إِلَى الدِّيوَانِ، وَتَفَاقَمَ الْحَالُ، وخرج العوام، وأكثروا الضجيج، وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ **مَنَعَتِ الْعَامَّةُ** إِقَامَةَ الْخُطْبَةِ فِي بَعْضِ الْجَوَامِعِ، وَخَرَجُوا مِنْ فَوْرِهِمْ، فَنَهَبُوا سُوقَ الْعَطَّارِينَ الَّذِي فِيهِ الْيَهُودُ، وَذَهَبُوا إِلَى كَنِيسَةِ الْيَهُودِ فَنَهَبُوهَا، وَلَمْ يَتَمَكَّنِ الشُّرَطُ مِنْ رَدِّهِمْ، **فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِصَلْبِ بَعْضِ الْعَامَّةِ**، فَأُخْرِجَ فِي اللَّيْلِ جَمَاعَةً مِنَ الشُّطَّارِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحُبُوسِ وَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ فَصُلِبُوا، فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا كَانَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْكَائِنَةِ. فَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❍ مقتل وزير الخلافة

فِي سنة (٥٧٣هـ) خَرَجَ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ابْنُ الْمُسْلِمَةِ قَاصِدًا الْحَجَّ، وَخَرَجَ النَّاسُ فِي خِدْمَتِهِ لِيُوَدِّعُوهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ **ثَلَاثَةٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ** فِي صُورَةِ فُقَرَاءَ وَمَعَهُمْ قِصَصٌ، فَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ لِيُنَاوِلَهُ الْقِصَّةَ فَضَرَبَهُ بِالسِّكِّينِ ضَرَبَاتٍ، وَهَجَمَ الثَّانِي، وَكَذَلِكَ الثَّالِثُ فَهَبَرُوهُ، وَجَرَحُوا جَمَاعَةً حَوْلَهُ، وَقُتِلَ الثَّلَاثَةُ مِنْ فَوْرِهِمْ وَحُرِّقُوا، وَرَجَعَ الْوَزِيرُ إِلَى مَنْزِلِهِ مَحْمُولًا فَمَاتَ فِي يَوْمِهِ، وَهَذَا الْوَزِيرُ هُوَ الَّذِي قَتَلَ وَلَدَي الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ وَأَعْدَمَهُمَا، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، جَزَاءً وِفَاقًا. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

❍ وقوع الغلاء والوباء

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: فِي سنة (٥٧٤هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِسَبَبِ قِلَّةِ الْمَطَرِ، عَمَّ الْعِرَاقَ وَالشَّامَ وَدِيَارَ مِصْرَ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، **فَجَاءَ الْمَطَرُ وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ**،

وَلَكِنْ تَعَقَّبَ ذَلِكَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ، وَعَمَّ الْبِلَادَ مَرَضٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ **السِّرْسَامُ**، فَمَا ارْتَفَعَ إِلَّا فِي سَنَةِ (٥٧٦هـ)، فَمَاتَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأُمَمٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ.

○ معاقبة من سب الصحابة

فِي سنة (٥٧٤هـ) احْتِيطَ بِبَغْدَادَ عَلَى **شَاعِرٍ يُنْشِدُ لِلرَّوَافِضِ**، يُقَالُ لَهُ: **ابْنُ قَرَايَا**. يَقِفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَذْكُرُ أَشْعَارًا يُضَمِّنُهَا ذَمَّ الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَبَّهُمْ، وَتَجْوِيرَهُمْ، وَتَهْجِينَ مَنْ أَحَبَّهُمْ، فَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ، وَاسْتُنْطِقَ فَإِذَا هُوَ رَافِضِيٌّ جَلْدٌ دَاهِيَةٌ، فَأَفْتَى الْفُقَهَاءُ **بِقَطْعِ لِسَانِهِ** وَيَدَيْهِ، فَفُعِلَ بِهِ ذَلِكَ.

○ كتابة لوح على قبر الإمام احمد

فِي سنة (٥٧٤هـ) أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَضِيءُ بِكِتَابَةِ لَوْحٍ عَلَى قَبْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ، [1]. **وَبَعْدَهَا**: هَذَا قَبْرُ تَاجِ السُّنَّةِ، وَحِيدِ الْأُمَّةِ، الْعَالِي الْهِمَّةِ، الْعَالِمِ الْعَابِدِ الْفَقِيهِ الزَّاهِدِ. وَذَكَرَ تَارِيخَ وَفَاتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

❁ ❁ ❁

(١) في مشروعية هذا العمل نظر.

الأحداث في سلطنة نور الدين محمود زنكي

❍ إصلاحات نور الدين

فِي سنة (٥٦٦هـ) سَارَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ** إِلَى **الرَّقَّةِ** فَأَخَذَهَا، وَكَذَا **نَصِيبِينَ وَالْخَابُورِ وَسِنْجَارَ**، وَسَلَّمَهَا إِلَى ابْنِ أَخِيهِ **عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ، زَوْجِ ابْنَتِهِ**، ثُمَّ سَارَ إِلَى **الْمَوْصِلِ** فَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَأَقَرَّهَا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ **سَيْفِ الدِّينِ غَازِيِّ** بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودٍ مَعَ الْجَزِيرَةِ، **وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ الْأُخْرَى**.

وأمر بعدة **إصلاحات في الموصل**:

- أَمَرَ بِعِمَارَةِ جَامِعِهَا وَتَوْسِعَتِهِ، وَوَقَفَ عَلَى تَأْسِيسِهِ بِنَفْسِهِ، وَجَعَلَ لَهُ خَطِيبًا وَدَرْسًا لِلْفِقْهِ، وَوَلَّى التَّدْرِيسَ لِلْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ النَّوْقَانِيِّ
- وَأَوْقَفَ عَلَى الْجَامِعِ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَوْصِلِ.
- وحَصَلَ بِقُدُومِهِ لِأَهْلِ الْمَوْصِلِ كُلُّ مَسَرَّةٍ وَانْدَفَعَتْ عَنْهُمُ الْمَصَائِبُ.
- وَأَسْقَطَ عَنْهُمُ **الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ**.
- وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمُ الظَّالِمَ الْغَاشِمَ عَبْدَ الْمَسِيحِ، مدبر مملكة **سَيْفِ الدِّينِ غَازِيِّ** بْنِ مَوْدُودٍ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ.
- وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَسِيحِ هَذَا نَصْرَانِيًّا فَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ لَهُ كَنِيسَةً فِي جَوْفِ دَارِهِ، وَكَانَ سَيِّئَ السِّيرَةِ، فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ.
- وَاسْتَقْضَى الشَّيْخَ شَرَفَ الدِّينِ بْنَ أَبِي عَصْرُونَ عَلَى سِنْجَارَ وَنَصِيبِينَ وَالْخَابُورِ، فَاسْتَنَابَ فِيهَا ابْنُ أَبِي عَصْرُونَ نُوَّابًا وَأَصْحَابًا.

❍ ومن إصلاحاته العامة

- **أَظْهَرَ نور الدين بِبِلَادِهِ السُّنَّةَ، وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ، وَأَمَرَ بِالتَّأْذِينِ بِحَيِّ عَلَى الصَّلَاةِ**، حَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ بِهِمَا، وَإِنَّمَا كَانَ يُؤَذَّنُ بِحَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ؛ **لِأَنَّ شِعَارَ الرَّفْضِ** كَانَ ظَاهِرًا بِهَا.

⊙ **أَقَامَ الْحُدُودَ، وَفَتَحَ الْحُصُونَ**، وَكَسَرَ الْفِرِنْجَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرَةً مِنَ الْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ.

⊙ **أَقْطَعَ أُمَرَاءَ الْعَرَبِ إِقْطَاعَاتٍ**؛ لِئَلَّا يَتَعَرَّضُوا لِلْحَجِيجِ.

⊙ **بَنَى بِدِمَشْقَ مَارَسْتَانًا** حَسَنًا لَمْ يُبْنَ فِي الشَّامِ قَبْلَهُ مِثْلُهُ، وَمِنْ شَرْطِهِ: **أَنَّهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**، وَإِذَا لَمْ يُوجَدْ بَعْضُ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يَعِزُّ وُجُودُهَا إِلَّا فِيهِ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ الْأَغْنِيَاءُ، وَمَنْ جَاءَ مُسْتَوْصِفًا فَلَا يُمْنَعُ مِنْ شَرَابِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ إِلَيْهِ نُورُ الدِّينِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

⊙ **وَقَفَ وَقْفًا** عَلَى مَنْ **يُعَلِّمُ الْأَيْتَامَ الْخَطَّ وَالْقُرْآنَ**، وَجَعَلَ لَهُمْ نَفَقَةً وَكُسْوَةً وَعَلَى مَنْ يُقْرِئُ الْأَيْتَامَ، وَعَلَى الْمُجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ.

⊙ كَانَ الْجَامِعُ الأموي دَاثِرًا **فَوَلَّى نَظَرَهُ الْقَاضِيَ كَمَالَ الدِّينِ** مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الشَّهْرُزُورِيَّ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ فَأَصْلَحَ أُمُورَهُ.

⊙ **ابْتَنَى دَارًا لِلْعَدْلِ**،[1] فَكَانَ يَجْلِسُ فِيهَا فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمَيْنِ، وَقِيلَ: أَرْبَعَةٌ. وَيَحْضُرُ الْقَاضِي، وَالْفُقَهَاءُ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَا يَحْجُبُهُ يَوْمَئِذٍ حَاجِبٌ بَلْ يَصِلُ إِلَيْهِ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فَيُكَلِّمُه بِنَفْسِهِ، فَيَكْشِفُ الظَّالِمَ، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ.

وكان **أَسَدَ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بْنَ شَاذِيٍّ** قَدْ عَظُمَ شَأْنُهُ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ شَرِيكُهُ فِي الْمَمْلَكَةِ، وَاقْتَنَى الْأَمْلَاكَ وَالْأَمْوَالَ وَالْمَزَارِعَ وَالْقُرَى، فَرُبَّمَا ظَلَمَ نُوَّابُهُ جِيرَانَهُمْ فِي الْأَرَاضِي، وَكَانَ الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ يُنْصِفُ كُلَّ مَنِ اسْتَعْدَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَرَاءِ إِلَّا أَسَدَ الدِّينِ هَذَا، **فَلَمَّا ابْتَنَى الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ دَارَ الْعَدْلِ**، تَقَدَّمَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى نُوَّابِهِ، أَنْ لَا يَدَعُوا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ ظُلَامَةً، فَإِنَّ زَوَالَ مَالِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرَاهُ نُورُ الدِّينِ محمود بِعَيْنِ ظَالِمٍ، أَوْ يُوقِفَهُ مَعَ خَصْمٍ مِنَ الْعَامَّةِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَلَمَّا جَلَسَ نُورُ الدِّينِ بِدَارِ الْعَدْلِ مُدَّةً مُتَطَاوِلَةً

(١) أنظر كتاب الروضتين لأبي شامة ١/ ١٧-١٨.

لَمْ يَرَ أَحَدًا يَسْتَعْدِي عَلَى أَسَدِ الدِّينِ، فَسَأَلَ الْقَاضِي عَنْ ذَلِكَ فَأَعْلَمَهُ بِصُورَةِ الْحَالِ فَسَجَدَ نُورُ الدِّينِ شُكْرًا لِلَّهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَصْحَابَنَا يُنْصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

- فِي سنة (٥٦٧هـ) اتَّخَذَ نُورُ الدِّينِ **الْحَمَامَ الْهَوَادِيَ للمراسلات**؛ وَذَلِكَ لِامْتِدَادِ مَمْلَكَتِهِ وَاتِّسَاعِهَا، فَإِنَّهُ مَلَكَ مِنْ حَدِّ **النُّوبَةِ إِلَى هَمَذَانَ**، لَا يَتَخَلَّلُهَا إِلَّا بِلَادُ الْفِرِنْجِ، وَكُلُّهُمْ تَحْتَ أمره، فَلِذَلِكَ اتَّخَذَ فِي كُلِّ قَلْعَةٍ وَحِصْنٍ الْحَمَامَ الَّتِي تَحْمِلُ الرَّسَائِلَ إِلَى الْآفَاقِ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ وَأَيْسَرِ عُدَّةٍ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيهِنَّ الْقَاضِي الْفَاضِلُ: **الْحَمَامُ مَلَائِكَةُ الْمُلُوكِ**، وَقَدْ أَطْنَبَ فِي ذَلِكَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ، وَأَطْرَبَ، وَأَعْجَبَ، وَأَغْرَبَ.
- **بَنَى الْخَانَاتِ** وَالْأَبْرَاجَ فِي الطُّرُقِ، وَرَتَّبَ الْخُفَرَاءَ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَخُوفَةِ، وَجَعَلَ فِيهَا الْحَمَامَ الْهَوَادِيَ، الَّتِي تُطَالِعُ الْأَخْبَارَ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ، وَبَنَى الرُّبُطَ، وَالْخَانقَاهَاتِ.
- **ابْتَنَى بِدِمَشْقَ دَارًا لِسَمَاعِ** الْحَدِيثِ وَإِسْمَاعِهِ.

النفرة بين نور الدين وصلاح الدين

فِي سنة (٥٦٧هـ) حَصَلَتْ نُفْرَةٌ بَيْنَ نُورِ الدِّينِ وصَلَاحِ الدِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّ نُورَ الدِّينِ غَزَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِلَادَ الْفِرِنْجِ فِي السَّوَاحِلِ، فَأَحَلَّ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وخافوا منه.

ثُمَّ عَزَمَ عَلَى مُحَاصَرَةِ الْكَرَكِ، وَكَتَبَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ يَلْتَقِيهِ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى بِلَادِ الْكَرَكِ لقتال الفرنج.

فركِبَ صلاح الدين فِي جَيْشِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَسَارَ أَيَّامًا ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا مُعْتَلًّا بِقِلَّةِ الظَّهْرِ، وَالْخَوْفِ عَلَى اخْتِلَالِ الْأُمُورِ إِذَا بَعُدَ عَنْ مِصْرَ، وَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ بِذَلِكَ إِلَى نُورِ الدِّينِ فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ وغضب عليه، وَعَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَانْتِزَاعِهَا مِنْه، وَتَوْلِيَةِ غَيْرِهِ.

وَلَمَّـا بَلَغَ هَـذَا الْخَبَرُ صَلَاحَ الدِّينِ ضَاقَ بِذَلِـكَ ذَرْعُهُ، وَذَكَرَ ذَلِـكَ بِحَضْرَةِ الْأُمَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ فَبَادَرَ ابْنُ أَخِيهِ تَقِيُّ الدِّينِ عَمَرُ فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ قَصَدَنَا نُورُ الدِّينِ لَنُقَاتِلَنَّهُ، فَشَتَمَهُ وَالِدُ صَلَاحِ الدِّينِ نجم الدين وَأَسْكَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ: وَاللهِ مَا هَاهُنَا أَحَدٌ أَشْـفَقُ عَلَيْكَ مِنِّي، وَمِنْ خَالِكَ هَذَا، يَعْنِي شِـهَابَ الدِّينِ الْحَارِمِـيَّ، وَلَوْ رَأَيْنَا نُورَ الدِّيـنِ لَبَادَرْنَـا إِلَيْهِ، وَلَقَبَّلْنَـا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَـوْ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أَبْعَثَـكَ إِلَيْهِ مَعَ نَجَّابٍ لَفَعَلْتُ.

ثُـمَّ أَمَـرَ مَنْ هُنَالِكَ بِالِانْصِرَافِ فَلَمَّا خَلَا بِابْنِهِ، قَالَ لَـهُ: أَمَا لَكَ عَقْلٌ؟ تَذْكُرُ مِثْلَ هَذَا بِحَضْـرَةِ هَؤُلَاءِ، وَلَوْ قَدْ رَآهُ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَكِنِ ابْعَثْ إِلَيْهِ، وَتَرَفَّقْ لَهُ، وَتَوَاضَـعْ عِنْدَهُ، وَقُلْ لَهُ: **وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى مَجِـيءِ مَوْلَانَا**؟ ابْعَثْ إِلَيَّ بِنَجَّابٍ حَتَّى أَجِيءَ مَعَهُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْكَ، وأرسـل إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَلَمَّا سَـمِعَ نُورُ الدِّينِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ **لَانَ قَلْبُهُ لَهُ**، وَانْصَرَفَتْ هِمَّتُهُ عَنْهُ، وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ.

○ طلب نور الدين خراج الديار المصرية

فِي سـنة (٥٦٨هـ) أَرْسَـلَ **نُورُ الدِّينِ** إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ، الْمُوَفَّقَ خَالِدَ بْنَ الْقَيْسَـرَانِيِّ **لِيُقِيِّمَ حِسَـابَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**. وَمَقْصُودُهُ أَنْ يُقَرِّرَ عَلَى الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ خَرَاجًا يُحْمَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وعاد الْمُوَفَّقُ **خَالِدُ بْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ في سنة (٥٦٩هـ)، بعـد أن أَقَامَ بِهَا الْحِسَـابَ، وَقَدْ كَادَ الْمَلِـكُ النَّاصِرُ صلاح الدين - لَمَّا جَاءَتْهُ الرِّسَـالَةُ بِذَلِكَ - أن يُظْهِرُ شَقَّ الْعَصَا، وَيُكَاشِرُ بِالْمُخَالَفَةِ وَالْإِبَاءِ، وَلَكِنْ عَادَ إِلَى طِبَاعِهِ الْحَسَنَةِ، وَأَظْهَـرَ الطَّاعَـةَ الْمُسْتَحْسَـنَةَ، وَأَمَرَ بِكِتَابَةِ الْحِسَـابِ، وَتَحْرِيـرِ الْكِتَـابِ، فَامْتَثَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةُ الدَّوَاوِينِ وَالْحساب، وَالْكُتَّابُ، وَبَعَثَ مَعَ ابْنَ الْقَيْسَـرَانِيِّ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ، وَتُحَفٍ هَائِلَةٍ هَنِيَّةٍ.

فَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لَمْ تَصِلْ إِلَى الشَّامِ حَتَّى كَانَتْ وَفَاةُ نُورِ الدِّينِ محمود فَأَرْسَلَ صلاح الدين مَنْ رَدَّهَا عَلَيْهِ.

جهاد نور الدين للصليبيين

فِي سنة (٥٦٨هـ) اجْتَمَعَتِ **الْفِرِنْجُ** بِالشَّام؛ لِقَصْدِ مَدِينَةِ **زُرْعَ**[(١)]، فَوَصَلُوا إِلَى **سُكَيْنَ**[(٢)]، فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ نُورُ الدِّينِ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَى الْفُوَارِ، ثُمَّ إِلَى السَّوَادِ ثُمَّ إِلَى الشَّلَالَةِ، فَبَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى طَبَرِيَّةَ فَعَاثُوا هُنَالِكَ وَسَبَوْا وَقَتَلُوا وَغَنِمُوا وَعَادُوا وَقَدْ سَلَّمَهُمُ اللهُ، وَرَجَعَتِ الْفِرِنْجُ خَائِبِينَ.

وفِي سنة (٥٦٨هـ) هَزَمَ **مَلِكُ الْأَرْمَنِ** مَلِيحُ بْنُ لِيُونَ **عَسَاكِرَ الرُّومِ**، وَغَنِمَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَبَعَثَ إِلَى نُورِ الدِّينِ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ، وَبِثَلَاثِينَ رَأْسًا مِنْ رُءُوسِهِمْ، فَأَرْسَلَهَا نُورُ الدِّينِ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ الْعَبَّاسِيِّ.

وَفِي سنة (٥٦٩هـ) سَارَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ** نَحْوَ **بِلَادِ الرُّومِ** وَفِي خِدْمَتِهِ الْجَيْشُ، وَمَلِكُ الْأَرْمَنِ، وَصَاحِبُ مَلَطْيَةَ، وَخَلْقٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ، وَافْتَتَحَ عِدَّةً مِنْ حُصُونِهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَحَاصَرَ **قَلْعَةَ الرُّومِ** فَصَالَحَهُ صَاحِبُهَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ جِزْيَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا مَسْرُورًا.

عناية نور الدين بالعلماء

فِي سنة (٥٦٨هـ) وَصَلَ **الْفَقِيهُ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ** قُطْبُ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيُّ، فَقِيهُ عَصْرِهِ وَنَسِيجُ وَحْدِهِ، فَسُرَّ بِهِ نُورُ الدِّينِ وَأَنْزَلَهُ بِحَلَبَ بِمَدْرَسَةِ بَابِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ بعثه إِلَى دِمَشْقَ فَدَرَّسَ بِزَاوِيَةِ الْجَامِعِ الْغَرْبِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّيْخِ نَصْرٍ الْمَقْدِسِيِّ، وَنَزَلَ بِمَدْرَسَةِ الْجَارُوخِيَّةِ، وَشَرَعَ نُورُ الدِّينِ فِي إِنْشَاءِ مَدْرَسَةٍ كَبِيرَةٍ لِلشَّافِعِيَّةِ، فَأَدْرَكَهُ الْأَجَلُ قَبْلَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو شَامَةَ: هِيَ الْعَادِلِيَّةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي عَمَّرَهَا بَعْدَهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوبَ.

---

(١) زرع: بلدة من حوران. معجم البلدان - الفكر (٣/ ١٣٥).

(٢) سمكين ناحية من أعمال دمشق من جهة حوران لها ذكر في التواريخ. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٢٥١).

وَفِيهَا أيضًا عَادَ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ أَبِي عَصْرُونَ مِنْ بَغْدَادَ حِينَ سَارَ بِالْهَنَاءِ بِالْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمَعَهُ **تَوْقِيعٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ بِإِقْطَاعِ دَرْبِ هَارُونَ وَصَرِيفِينَ** لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ، فَأَرَادَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ أَنْ يَبْنِيَ بِبَغْدَادَ مَدْرَسَةً عَلَى دِجْلَةَ، وَيَجْعَلَ هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ وَقْفًا عَلَيْهَا فَعَاقَهُ الْقَدَرُ عَنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ وفاة السلطان نور الدين محمود زنكي

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٥٦٩هـ) قُبِضَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى السلطان الْمَلِكُ الْعَادِلُ نور الدين محمود عَنْ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَلَهُ فِي الْمُلْكِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً، لِمَا حَصَلَ لَهُ فِي حَلْقِهِ مِنَ **الْخَوَانِيقِ**(١) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ الْقَلْعَةِ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِهَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ الْمَلِكِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ الشَّهِيدِ بْنِ آقْ سُنْقُرَ التُّرْكِيُّ السَّلْجُوقِيُّ مَوْلَاهُمْ، وُلِدَ يَوْمَ الْأَحَدِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ (٥١١هـ) بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كَفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ وَالْمَوْصِلِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ، وَتَعَلَّمَ الْفُرُوسِيَّةَ وَالرَّمْيَ، **وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَقَصْدٍ صَالِحٍ**، وَحُرْمَةٍ وَافِرَةٍ، وَدِيَانَةٍ مَتِينَةٍ. فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ سَنَةَ (٥٤١هـ) عند حصاره قلعة جَعْبَرَ، صَارَ الْمُلْكُ بِحَلَبَ إِلَى ابنه **نور الدين**، وَأَعْطَاهُ أَخُوهُ سَيْفُ الدِّينِ غَازِيٌّ الْمَوْصِلَ.

ثُمَّ افْتَتَحَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ **دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٥٤٩هـ) فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا، وَبَنَى لَهُمُ الْمَدَارِسَ وَالْمَسَاجِدَ وَالرُّبُطَ، وَوَسَّعَ الطُّرُقَ وَالْأَسْوَاقَ، **وَوَضَعَ الْمُكُوسَ**.

وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَيُكْرِمُهُمْ وَيَحْتَرِمُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيَقُومُ فِي أَحْكَامِهِ بِالْمَعْدِلَةِ الْحَسَنَةِ وَاتِّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْقَاضِي وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ.

---

(١) الخناق: كل دَاء يمْتَنع مَعَه نُفُوذ النَّفس إِلَى الرئة. المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠)

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ **حَسَنَ الْخَطِّ، كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ لِلْكُتُبِ** الدِّينِيَّةِ، مُتَّبِعًا لِلْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ، **كَثِيرَ التِّلَاوَةِ للقرآن**، مُحِبًّا لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، عَفِيفَ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، **مُقْتَصِدًا فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ** وَعِيَالِهِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ، **وَلَمْ تُسْمَعْ مِنْهُ كَلِمَةُ فُحْشٍ** فِي غَضَبٍ وَلَا رِضًا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: لَمْ يَكُنْ فِي مُلُوكِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِثْلُ الْمَلِكِ **نُورِ الدِّينِ**، وَلَا أَكْثَرُ تَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ، وَالْإِنْصَافِ مِنْهُ، وقَدِ اسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فِي مِقْدَار ما يَحِلُّ لَهُ من بَيْتِ الْمَالِ، فَكَانَ يَتَنَاوَلُهُ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ. وَكَانَتْ لَهُ دَكَاكِينُ بِحِمْصَ قَدِ اشْتَرَاهَا مِمَّا يَخُصُّهُ مِنَ الْمَغَانِمِ، فَزَادَ كِرَاءَهَا لِامْرَأَتِهِ عَلَى نَفَقَتِهَا حِينَ اسْتَقَلَّتْهَا.

وَكَانَ يُكْثِرُ اللَّعِبَ بِالْكُرَةِ [1]، فَعَاتَبَهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ تَمْرِينَ الْخَيْلِ وَتَعْلِيمَهَا الْكَرَّ وَالْفَرَّ، وَكَانَ لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ، وكذا **كَانَتْ زَوْجَتُهُ عِصْمَتُ الدِّينِ** خَاتُونُ بِنْتُ الْأَتَابِكِ أُنُرَ، تُكْثِرُ قِيَامَ اللَّيْلِ.

وَأَرْسَلَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ رَسُولًا مِنْ جِهَتِهِ يُقَالُ لَهُ: سُوَيدٌ. لِيُحْضِرَ الْمَلِكَ نُورَ الدِّينِ إِلَى مَجْلِسِ الْحُكْمِ؛ لِسَمَاعِ دَعْوَى مِنْ رَجُلٍ عَلَيْهِ، فَبَلَّغَ سُوِيدٌ الرِّسَالَةَ إِلَى الْحَاجِبِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: لِيَقُمِ الْمَوْلَى إِلَى الْقَاضِي لِسَمَاعِ دَعْوَى. وَكَأَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَمَا لَكَ تَسْتَهْزِئُ بِذَلِكَ! ثُمَّ قَالَ: ائْتُونِي بِفَرَسِي. فَنَهَضَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ [النور: ٥١] وَذَهَبَ إِلَى الْحَاكِمِ وَكَانَ يَوْمًا مَطِرًا كَثِيرَ الْوَحْلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ: فَكَانَ يُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يُرَ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَسِ أَحْسَنُ وَلَا أَثْبَتُ مِنْهُ.

---

(١) الكرة: كل جسم مستدير، وهي أداة مستديرة من الْجلد وَنَحْوه يلْعَب بهَا، وَهِي أَنْوَاع مِنْهَا: كرة الصولجان التي يلعب بها الفرسان. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٥)

وَكَانَ شُجَاعًا صَبُورًا فِي الْحَرْبِ، يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ: قَدْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّهَادَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي ذَلِكَ. وَقَالَ لَهُ يَوْمًا الْفَقِيهُ قُطْبُ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيُّ: بِاللهِ يَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ لَا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ قُتِلْتَ قُتِلَ جَمِيعُ مَنْ مَعَكَ وَأُخِذَتِ الْبِلَادُ. فَقَالَ: اسْكُتْ يَا قُطْبَ الدِّينِ، مَنْ هُوَ مَحْمُودٌ؟ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ الْبِلَادَ قَبْلِي؟! **اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**. قَالَ: فَبَكَى مَنْ حَضَرَ.

وَقَدْ نَالَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ عِنْدَهُ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، فَقَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: وَيْحَكَ! إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْكَثِيرَةِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ مِمَّا يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِ مَا ذَكَرْتَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِنْ عُدْتَ ذكره أَوْ غَيْرَهُ بِسُوءٍ لَأُؤَدِّبَنَّكَ.

وَقَدْ كَانَ **مَهِيبًا، وَقُورًا شَدِيدَ الْهَيْبَةِ فِي قُلُوبِ أُمَرَائِهِ**؛ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَجْلِسُ بِلَا إِذْنٍ سِوَى الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ؛ وَأَمَّا أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ وَمَجْدُ الدِّينِ بْنُ الدَّايَةِ نَائِبُ حَلَبَ وَالْأَكَابِرُ وَغَيْرُهُمْ فَكَانُوا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ هَذَا إِذَا دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، قَامَ لَهُ وَمَشَى لَهُ خُطُوَاتٍ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَجَّادَتِهِ، وَشَرَعَ يُحَادِثُهُ فِي وَقَارٍ وَسُكُونٍ، وَإِذَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ لَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ؛ أَضْعَافُ مَا أُعْطِيهِمْ، فَإِذَا رَضُوا مِنَّا بِبَعْضِهِ فَلَهُمُ الْمِنَّةُ عَلَيْنَا.

وَقَدْ سُمِّعَ عَلَيْهِ جُزْءُ حَدِيثٍ وَفِيهِ: «فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ». فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ عَادَاتِ النَّاسِ، وَكَيْفَ يَرْبُطُ الْأَجْنَادُ السُّيُوفَ فِي أَوْسَاطِهِمْ وَلَا يَفْعَلُونَ هَذَا، **ثُمَّ أَمَرَ الْجُنْدَ بِأَنْ لَا يَحْمِلُوا السُّيُوفَ إِلَّا مُتَقَلِّدِيهَا**، ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى الْمَوْكِبِ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ، وَجَمِيعُ الْجَيْشِ كَذَلِكَ، يُرِيدُ بِهِ الِاقْتِدَاءَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَصَّ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ مُوَفَّقُ الدِّينِ خَالِدُ الْقَيْسَرَانِيِّ الشَّاعِرُ **أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَغْسِلُ ثِيَابَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ**، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَنَاشِيرَ بِوَضْعِ الْمُكُوسِ وَالضَّرَائِبِ عَنِ الْبِلَادِ،

وَقَالَ: هَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ، وَكَتَبَ إِلَى النَّاسِ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُمْ فِي حِلٍّ مِمَّا كَانَ أَخَذَ مِنْهُمْ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا صُرِفَ فِي قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ.

وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ مَمَالِكِهِ وَبُلْدَانِ سُلْطَانِهِ، وَأَمَرَ الْوُعَّاظَ أَنْ يَسْتَحِلُّوا لَهُ مِنَ التُّجَّارِ لِنُورِ الدِّينِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ **ارْحَمِ الْعَشَّارَ الْمَكَّاسَ**.

وَجَاءَ إِلَيْهِ أَخُو الشَّيْخِ أَبِي الْبَيَانِ يَسْتَعْدِيهِ عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ يَسُبُّهُ وَيَرْمِيهِ بِأَنَّهُ مُرَاءٍ مُتَنَامِسٍ، وَجَعَلَ يُبَالِغُ فِي شِكَايَتِهِ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: أَلَيْسَ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] فَسَكَتَ الشَّيْخُ وَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا.

وَقَالَ الْفَقِيهُ أَبُو الْفَتْحِ الْأَشْتَرِيُّ مُعِيدُ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ - **وَكَانَ قَدْ جَمَعَ سِيرَةً مُخْتَصَرَةً لِنُورِ الدِّينِ** -: كان يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا فِي جَمَاعَةٍ بِتَمَامِ شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ، وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: (١) **انْتَزَعَ** نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً**، وَقَدْ كَانَ يُكَاتِبُنِي وَأُكَاتِبُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى الْأُمَرَاءِ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ - يَعْنِي الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ - وَجَدَّدَ الْعَهْدَ مَعَ صَاحِبِ طَرَابُلُسَ أَنْ لَا يُغِيرَ عَلَى الشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ مَادَّهُ عَلَيْهَا.

وَمَنَاقِبُهُ وَمَآثِرُه كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَقَدْ ذَكَرْنَا نُبْذَةً مِنْ ذَلِكَ يُسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى مَا عَدَاهَا.

وَقَدْ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ بِمَرَاثٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ أَوْرَدَهَا أَبُو شَامَةَ فِي "الرَّوْضَتَيْنِ". وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْعِمَادُ: (٢)

عَجِبْتُ مِنَ الْمَوْتِ كَيْفَ اهْتَدَى ... إِلَى مَلِكٍ فِي سَجَايَا مَلَكْ
وَكَيْفَ ثَوَى الْفَلَكُ الْمُسْتَدِيرُ ... فِي الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ وَسْطَ الْفَلَكْ

(١) المنتظم ١٨/ ٢٠٩.

(٢) هي بديعة في التصوير، مع ما فيها من مبالغة كبيرة.

وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ بِدِمَشْقَ يُزَارُ وَيُخَلَّقُ شُبَّاكُهُ[١]، فَيَطِيبُ بِرِيحِهِ كُلُّ مَارٍّ، وَإِنَّمَا يَقُولُ النَّاسُ: نُورُ الدِّينِ الشَّهِيدُ لِمَا حَصَلَ لَهُ فِي حَلْقِهِ مِنَ **الْخَوَانِيقِ**[٢]، وَكَذَا كَانَ يُقَالُ لِأَبِيهِ: الشَّهِيدُ. وَيُلَقَّبُ بِالْقَسِيمِ، وَكَانَتِ الْفِرِنْجُ يَقُولُونَ لَهُ: ابْنُ الْقَسِيمِ.

وكَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، حُلْوَ الْعَيْنَيْنِ، وَاسِعَ الْجَبِينِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، تُرْكِيَّ الشَّكْلِ، لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ إِلَّا فِي حَنَكِهِ، مَهِيبًا مُتَوَاضِعًا عَلَيْهِ جَلَالَةٌ وَنُورُ الْإِسْلَامِ، وَتَعْظِيمُ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ.

○ تولية الصالح إسماعيل بن نور الدين السلطنة

لَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٥٦٩هـ)، **بُويِعَ** مِنْ بَعْدِهِ بِالْمُلْكِ **لِوَلَدِهِ الصالح إِسْمَاعِيلَ، وَكَانَ صَغِيرًا**، فَاخْتَلَفَ الْأُمَرَاءُ، وَحَارَتِ الْآرَاءُ، **وَظَهَرَتِ الشُّرُورُ، وَكَثُرَتِ الْخُمُورُ**، وَانْتَشَرَتِ الْفَوَاحِشُ، حَتَّى إِنَّ ابْنَ أَخِيهِ **سَيْفَ الدِّينِ غَازِيَّ** بْنَ مَوْدُودٍ **صَاحِبَ الْمَوْصِلِ**، نَادَى مُنَادِيهِ بِالْبَلَدِ بِالْمُسَامَحَةِ فِي اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالشَّرَابِ وَالطَّرَبِ، وَمَعَ الْمُنَادِي دُفٌّ وَقَدَحٌ وَمِزْمَارٌ، **فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**.

وَطَمِعَتِ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَعَزَمَ الْفِرِنْجُ عَلَى قَصْدِ دِمَشْقَ وَانْتِزَاعِهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ **الأمير شمس الدين ابن مُقَدَّمٍ**، أَتَابِك[٣] السلطان إسماعيل ابن نور الدين، فَوَاقَعَهُمْ عِنْدَ **بَانِيَاسَ**، فَضَعُفَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ، فَهَادَنَهُمْ مُدَّةً، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً عَجَّلَهَا لَهُمْ، وَلَوْلَا أَنَّهُ **خَوَّفَهُمْ بِقُدُومِ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ** لَمَا هَادَنُوهُ.

وَلَمَّا بَلَغَ ذلك صَلَاحَ الدِّينِ بْنَ أَيُّوبَ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، كَتَبَ إِلَى الْأُمَرَاءِ - وَخَاصَّةً ابْنَ مُقَدَّمٍ - يَلُومُهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنَ الْمُهَادَنَةِ، وَدَفْعِ الْأَمْوَالِ إِلَى الْفِرِنْجِ،

---

(١) البناء على القبور وتطييبها من البدع المحدثة.

(٢) الخناق: كل دَاء يمْتَنع مَعَه نُفُوذ النَّفس إِلَى الرئة. المعجم الوسيط (١/ ٢٦٠)

(٣) مربي السلطان والقائم على شؤونه.

وَهُمْ أَقَلُّ وَأَذَلُّ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ عَزَمَ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ الشَّـامِيَّةِ لِيَحْفَظَهَا مِنَ الْفِرِنْجِ فَرَدُّوا إِلَيْـهِ كِتَابًـا فِيهِ غِلْظَـةٌ، وَكَلَامٌ فِيهِ بَشَـاعَةٌ فَلَمْ يَلْتَفِـتْ إِلَيْهِمْ. ثم أخذوا في نقل السـلطان الصالح إسماعيل بن نور الدين إلى حلب لِيُـرَبَّى هناك.

فَكَتَبَ الْمَلِكُ **صَلَاحُ الدِّينِ** إِلَى الْأُمَرَاءِ يَلُومُهُمْ عَلَى **نَقْلِ الْوَلَدِ** مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ، وعلى **سَجْنِهِمْ لِبَنِي الدَّايَةِ**، وَقَدْ كَانُوا مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، ورؤوس الْكُبَرَاءِ، **وَلِمَ لَا يُسَلِّمُونَ** الْوَلَدَ إِلَى مَجْدِ الدِّينِ بْنِ الدَّايَةِ، الَّذِي هُوَ أَحْظَى منهم عند النَّاسِ وعِنْدَ نُورِ الدِّينِ.

❁ ❁ ❁

الأحداث في سلطنة صلاح الدين الأيوبي

○ توسع ملك صلاح الدين

فِي سنة (٥٦٨هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ أَخَاهُ **شَمْسَ الدَّوْلَةِ تُورَانْشَاهْ** إِلَى **بِلَادِ النُّوبَةِ** [(١)] فَافْتَتَحَها، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَعْقِلِهَا، وَهُوَ حِصْنٌ يُقَالُ لَهُ: إِبْرِيمُ. وَلَمَّا رَآهَا بَلَدًا قَلِيلَةَ الْجَدْوَى لَا يَفِي خَرَاجُهَا بِكُلْفَتِهَا، اسْتَخْلَفَ عَلَى الْحِصْنِ الْمَذْكُورِ رَجُلًا مِنَ الْأَكْرَادِ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ. فَجَعَلَهُ مُقَدَّمًا مُقَرَّرًا بِحِصْنِ إِبْرِيمَ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ، فَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَحَسُنَتْ حَالُهُمْ هُنَالِكَ، وَشَنُّوا الْغَارَاتِ وَحَصَلُوا عَلَى الْغَنَائِمِ وَالْمَسَرَّاتِ.

وَفِي سنة (٥٦٨هـ) **بَعَثَ صَلَاحُ الدِّينِ سَرِيَّةً** صُحْبَةَ قَرَاقُوش مَمْلُوكِ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ شَاهِنْشَاهْ إِلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَمَلَكُوا طَائِفَةً كَثِيرَةً مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ مَدِينَةُ **طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ** وَعِدَّةَ مُدُنٍ مَعَهَا.

وَفِي سنة (٥٦٩هـ) بَلَغ صلاح الدين أَنَّ **باليمن** رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: **عَبْدُ النَّبِيِّ بْنُ مَهْدِيٍّ**. قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا بعد أخيه علي بن مهدي، وَتَسَمَّى بِالْإِمَامِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَيَمْلِكُ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي أَهْلِ زَبِيدَ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا كَانَ **سَيِّئَ السِّيرَةِ**.

فَعَزَمَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ، لِكَثْرَةِ جَيْشِهِ وَقُوَّتِهِ عَلَى إِرْسَالِ سَرِيَّةٍ إِلَيْهِ، بقيادة أخيه الْأَكْبَرُ **شمس الدولة تُورَانْشَاهْ**، وكان شُجَاعًا مَهِيبًا بَطَلًا، فَخَرَجَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ فِي رَجَبٍ سنة (٥٦٩هـ)، فَوَرَدَ مَكَّةَ فَاعْتَمَرَ بِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى زَبِيدَ، **فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ النَّبِيِّ**، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ شمس الدولة تُورَانْشَاهْ وَأَسَرَهُ وَأَسَرَ زَوْجَتَهُ الْحُرَّةَ، وَكَانَتْ ذَاتَ أَمْوَالٍ

(١) نوبة: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، كان اسمها دمقلة، وهي منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، ومن دمقلة إلى أسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة. معجم البلدان – الفكر (٥/ ٣٠٩)

جَزِيلَةٍ فَاسْـتَقَرَّهَا عَلَى أَشْـيَاءَ نَفِيسَةٍ، وَذَخَائِرَ جَلِيلَةٍ، وَنَهَبَ الْجَيْشُ زَبِيدَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَدَنَ، فَقَاتَلَهُ يَاسِرٌ مَلِكُهَا فَهَزَمَهُ تُورَانْشَاهْ وَأَسَرَهُ، وَأَخَذَ الْبَلَدَ بِيَسِيرٍ مِنَ الْحِصَارِ، وَمَنَعَ الْجَيْشَ مِنْ نَهْبِهَا، وَقَالَ: مَا جِئْنَا لِنُخَرِّبَ الْبِلَادَ، وَإِنَّمَا جِئْنَا لِعِمَارَتِهَا وَمُلْكِهَا. ثُمَّ سَارَ فِي النَّاسِ سِـيرَةً حَسَنَةً عَادِلَةً فَأَحَبُّوهُ، ثُمَّ تَسَـلَّمَ بَقِيَّةَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاقِلِ وَالْمَخَالِيفَ **وَاسْتَوْسَقَ لَهُ مُلْكُ الْيَمَنِ بِحَذَافِيرِهِ.**

وَخَطَبَ فِيهَا لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِـيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ الْمُسْتَضِيءِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ بِذَلِكَ إِلَى نُورِ الدِّينِ، فَأَرْسَلَ نُورُ الدِّينِ بِذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُبَشِّرُهُ بِفَتْحِ الْيَمَنِ وَالْخُطْبَةِ بِهَا لَهُ.

❁ ❁ ❁

إصلاحات الملك صلاح الدين

- في سنة (٥٦٦هـ) **عَزَلَ** صَلَاحُ الدِّينِ قُضَاةَ مِصْرَ؛ **لِأَنَّهُمْ كَانُوا شِيعَةً** وَوَلَّى قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِهَا لِصَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دِرْبَاسٍ الْمَارَانِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَاسْتَنَابَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ قُضَاةً شَافِعِيَّةً.
- **وَبَنَى مَدْرَسَةً** لِلشَّافِعِيَّةِ وَأُخْرَى لِلْمَالِكِيَّةِ.
- **وبنى ابْنُ أَخِيهِ مَدْرَسَةً** لِلشَّافِعِيَّةِ، وَأوقَفَ عَلَيْهَا الرَّوْضَةَ وَغَيْرَهَا.
- وَعَمَّرَ صَلَاحُ الدِّينِ **أَسْوَارَ الْبَلَدِ**، وَكَذَلِكَ أَسْوَارَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ.
- **وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّعَايَا** إِحْسَانًا كَثِيرًا.
- وَقَطَعَ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَذَانَ **بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ** مِنْ دِيَارِ مِصْرَ كُلِّهَا.
- وَشَرَعَ فِي **تَمْهِيدِ الْخُطْبَةِ** لِبَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى الْمَنَابِرِ.
- وَفِي سنة (٥٦٧هـ) أَسْقَطَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ **الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ**، وَقُرِئَ الْمَنْشُورُ بِذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ثَالِثَ صَفَرٍ.
- وفِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ من سنة (٥٦٧هـ)، أَمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ **بِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ بِمِصْرَ**، وَفِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ بِالْقَاهِرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ بِالشَّامِ، أَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ مَعَ ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي الْمُطَهَّرِ، فَزُيِّنَتْ بَغْدَادُ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا شَدِيدًا.

وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ لبني العباس قَدْ قُطِعَتْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ من سَنَةَ (٣٥٩هـ) فِي خِلَافَةِ الْمُطِيعِ الْعَبَّاسِيِّ حِينَ تَغَلَّبَ الْفَاطِمِيُّونَ عَلَيْهَا، أَيَّامَ الْمُعِزِّ الْفَاطِمِيِّ، إلى سنة (٥٦٧هـ)، وَذَلِكَ مِائَتَا سَنَةٍ وَثَمَانِ سِنِينَ.

وَقَدْ أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَضِيءُ بِأَمْرِ اللهِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ خِلْعَةً سَنِيَّةً سُنِّيَّةً، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمَعَهَا أَعْلَامٌ سُودٌ وَلِوَاءٌ مَعْقُودٌ، فَفُرِّقَتْ عَلَى الْجَوَامِعِ بِالشَّامِ وَبِمِصْرَ.

- وفي سنة (٥٦٩هـ) قَتَلَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ يُقَالُ لَهُ: قُدَيْدٌ الْقَفَّاصُ. قَدِ افْتَتَنَ بِهِ النَّاسُ، وَجَعَلُوا لَهُ جُزْءًا مِنْ أَكْسَابِهِمْ، حَتَّى النِّسَاءُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ.

- وفي صَفَرٍ مِنْ سنة (٥٧٢هـ) وَقَفَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرْيَةَ حَزْمٍ من أعمال دمشق عَلَى الزَّاوِيَةِ الْغَزَّالِيَّةِ، وَمَنْ يَشْتَغِلُ بِهَا بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْفَقِيهُ، وَجَعَلَ النَّظَرَ لِقُطْبِ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيِّ مُدَرِّسِهَا.

- وَفي سنة (٥٧٢هـ) كَمَّلَ صلاح الدين عِمَارَةَ السُّورِ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَأَمَرَ بِتَجْدِيدِ الْأُسْطُولِ، وَإِصْلَاحِ مَرَاكِبِهِ وَسُفُنِهِ، وَشَحْنِهِ بِالرِّجَالِ وَالْمُقَاتِلَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِغَزْوِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، وَأَقْطَعَهُمُ الْإِقْطَاعَاتِ الْجَزِيلَةَ، وَأَرْصَدَ لِصَالِحِ الْأُسْطُولِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يَكْفِيهِ لِجَمِيعِ شُئُونِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي أَثْنَاءِ رَمَضَانَ فَأَكْمَلَ صَوْمَهُ بِهَا.

- وَفِي سنة (٥٧٢هـ) أَمَرَ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ بِبِنَاءِ مَدْرَسَةٍ لِلشَّافِعِيَّةِ عَلَى قَبْرِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ،[1] وَجَعَلَ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّينِ الْخُبُوشَانِيَّ مُدَرِّسَهَا وَنَاظِرَهَا.

- وَفِي سنة (٥٧٢هـ) أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَارَسْتَانِ بِالْقَاهِرَةِ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَوْقَافًا كَثِيرَةً.

- وفي سنة (٥٧٣هـ) أَمَرَ السُّلْطَانُ صلاح الدين بِبِنَاءِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَإِحَاطَةِ سُورٍ عَلَى الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ يَشْمَلُهُمَا جَمِيعًا، فَعُمِّرَتْ قَلْعَةٌ لِلْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِثْلُهَا، وَلَا عَلَى شَكْلِهَا، وَوَلِيَ عِمَارَةَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَاقُوشُ مَمْلُوكُ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ.

---

(١) هذا من التجاوزات الشرعية، حيث ورد النهي عن البناء على القبور.

⊙ وفي سنة (٥٧٤هـ) أَسْقَطَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْمُكُوسَ وَالضَّرَائِبَ عَنِ الْحُجَّاجِ بِمَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ يُؤْخَذُ مِنْ حُجَّاجِ الْغَرْبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَائِهِ حُبِسَ فَرُبَّمَا فَاتَهُ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ، وَعَوَّضَ أَمِيرَهَا بِمَالٍ يُقْطَعُهُ بِدِيَارِ مِصْرَ، وَأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَمَانِيَةُ آلَافِ إِرْدَبٍّ غَلَّةً إِلَى مَكَّةَ؛ لِيَكُونَ عَوْنًا لَهُ وَلِأَتْبَاعِهِ، وَرِفْقًا بِمَا تَيَسَّرَ عَلَى الْمُجَاوِرِينَ مِنَ ابْتِيَاعِهِ، وَقَرَّرَ لِلْمُجَاوِرِينَ أَيْضًا غَلَّاتٍ تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

○ موت العاضد آخر خلفاء العبيديين

اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْن يُوسُفَ الْحَافِظِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ الْحَاكِمِ، وَيُكَنَّى بِأَبِي مُحَمَّدٍ، كَانَ مَوْلِدُ الْعَاضِدِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ (٥٤٦هـ)، فَعَاشَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ **سِيرَتُهُ مَذْمُومَةً**، وَكَانَ **شِيعِيًّا خَبِيثًا**.

ثُمَّ إِنَّ الْعَاضِدَ مَرِضَ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ سنة (٥٦٧هـ)، فَحَضَرَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ جِنَازَتَهُ، وَشَهِدَ عَزَاءَهُ، وَبَكَى عَلَيْهِ وَتَأَسَّفَ وَظَهَرَ مِنْهُ حُزْنٌ، وَقَدْ كَانَ العاضد مُطِيعًا لَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ.

وَلَمَّا مَاتَ **اسْتَحْوَذَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى الْقَصْرِ** بِمَا فِيهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ أَهْلَ الْعَاضِدِ إِلَى دَارٍ أَفْرَدَهَا لَهُمْ وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ وَالنَّفَقَاتِ الْهَنِيَّةَ وَالْعِيشَةَ الرَّضِيَّةَ ; عِوَضًا عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ الْخِلَافَةِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي طَيٍّ فِي كِتَابِهِ: وَلَمَّا تَفَرَّغَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْ تَوْطِيدِ الْمَمْلَكَةِ وَإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ وَانْقِضَاءِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ، اسْتَعْرَضَ حَوَاصِلَ الْقَصْرَيْنِ فَوَجَدَ فِيهِمَا مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْآلَاتِ وَالثِّيَابِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَفَارِشِ شَيْئًا بَاهِرًا وَأَمْرًا هَائِلًا.

وَاسْتَمَرَّ الْبَيْعُ فِيمَا بَقِيَ هُنَالِكَ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأَمْتِعَةِ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ مِنْ ذَلِكَ هَدَايَا عَظِيمَةً سَنِيَّةً. وَكَذَلِكَ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَانِبًا كَبِيرًا صَالِحًا.

وَكَانَ **صلاح الدين** لَا يَدَّخِرُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ بَلْ كَانَ يُعْطِي ذَلِكَ كُلَّهُ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْأَصْحَابِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ أَبِي طَيٍّ: وَوَجَدَ خِزَانَةَ كُتُبٍ لَيْسَ فِي مَدَائِنِ الْإِسْلَامِ لَهَا نَظِيرٌ؛ تَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ مُجَلَّدٍ قَالَ: وَمِنْ عَجَائِبِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَلْفٌ وَمِائَتَانِ وَعِشْرُونَ نُسْخَةً مِنْ تَارِيخِ **الطَّبَرِيِّ**.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: كَانَ فِيهَا مِنَ الْكُتُبِ بِالْخُطُوطِ الْمَنْسُوبَةِ مِائَةُ أَلْفِ مُجَلَّدٍ، وَقَدْ تَسَلَّمَهَا الْقَاضِي الْفَاضِلُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِمَّا اخْتَارَهُ وَانْتَخَبَهُ

وَقَدْ كَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِ الْفَاطِمِيِّينَ وحكمهم **مِائَتَيْنِ وَثَمَانِين سنة وَكَسْرًا**، فصاروا كأمس الذَّاهِبِ وَكَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ، وآخرهم العاضد، فَجُمْلَتُهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا.

قال ابن كثير: [(١)] وَقَدْ كَانَ الْفَاطِمِيُّونَ مِنْ **أَعْتَى الْخُلَفَاءِ** وَأَجْبَرِهِمْ وَأَظْلَمِهِمْ، وَأَنْجَسِ الْمُلُوكِ سِيرَةً وَأَخْبَثِهِمْ سَرِيرَةً؛ ظَهَرَتْ فِي دَوْلَتِهِمُ الْبِدَعُ وَالْمُنْكَرَاتُ، وَكَثُرَ أَهْلُ الْفَسَادِ، وَقَلَّ عِنْدَهُمُ الصَّالِحُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ، وَكَثُرَ بِأَرْضِ الشَّامِ النُّصَيْرِيَّةُ وَالدَّرْزِيَّةُ وَالْحُشَيْشِيَّةُ.

وَتَغَلَّبَ الْفِرِنْجُ فِي زمنهم عَلَى سَوَاحِلِ الشَّامِ بِكَمَالِهِ؛ حَتَّى أَخَذُوا الْقُدْسَ وَنَابُلُسَ وَعَجْلُونَ وَالْغُورَ وَبِلَادَ غَزَّةَ وَعَسْقَلَانَ وَكَرَكَ الشَّوْبَكِ وَطَبَرِيَّةَ وَبَانِيَاسَ وَصُورَ وَعَثْلِيثَ وَصَيْدَا وَبَيْرُوتَ وَعَكَّا وَصَفَدَ وَطَرَابُلُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَبِلَادٍ شَتَّى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ، وَسَبَوْا ذَرَارِيَّ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، وَحِينَ زَالَتْ أَيَّامُهُمْ أَعَادَ اللهُ هَذِهِ الْبِلَادَ كُلَّهَا إِلَى أَهْلِهَا مِنَ السَّادَةِ الْمُسْلِمِينَ،

(١) البداية والنهاية ١٦/ ٤٥٦-٤٥٧.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَدْ أَفْرَدْتُ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ كَشْفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ بَنُو عُبَيْدٍ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ، وَكَذَا **صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً**، منها:

كَشْفُ الْأَسْرَارِ وَهَتْكُ الْأَسْتَارِ لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ.

❍ خيانة عمارة وجماعة من رؤوس الفاطمية

في سنة (٥٦٩هـ) اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُءُوسِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، فَكَتَبُوا إِلَى الْفِرِنْجِ يَسْتَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ، وَعَيَّنُوا خَلِيفَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ وَوَزِيرًا وَأُمَرَاءَ، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ السُّلْطَانِ صلاح الدين بِبِلَادِ الْكَرَكِ، وكان ذلك بتحريض الشاعر عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ، الذي رغب تُورَانْ شَاهْ بالمجيء إلى اليمن، لِيَضْعُفَ بِذَلِكَ الْجَيْشُ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْفِرِنْجِ إِذَا قَدِمُوا لِنُصْرَةِ الْفَاطِمِيِّينَ، فَخَرَجَ تُورَانْ شَاهْ وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ عُمَارَةُ، بَلْ أَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ يُفِيضُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَيُدَاخِلُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْمُحَرِّضِينَ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ نَجَا الْوَاعِظُ، فجَاءَ إِلَى صلاح الدين وأَخْبَرَهُ بِمَا تَمَالَأَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَبِمَا انْتَهَى أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ.

فاسْتَدْعَاهُمُ صلاح الدين وَاحِدًا وَاحِدًا فَقَرَّرَهُمْ فَأَقَرُّوا لَهُ بِذَلِكَ، فَاعْتَقَلَهُمْ، ثُمَّ اسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ فِي أَمْرِهِمْ فَأَفْتَوْهُ بِقَتْلِهِمْ وَتَبْدِيدِ شَمْلِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِصَلْبِ رُءُوسِهِمْ وَأَعْيَانِهِمْ، دُونَ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَمَرَ بِنَفْيِ مَنْ بَقِيَ مِنْ جَيْشِ الْعُبَيْدِيِّينَ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ، وَأَفْرَدَ ذُرِّيَّةَ الْعَاضِدِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي دَارٍ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ إِصْلَاحٌ وَلَا إِفْسَادٌ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ كِفَايَتَهُمْ.

قَالَ ابْنُ أَبِي طَيٍّ: وَكَانَ الَّذِينَ صُلِبُوا:

- الْمُفَضَّلُ بْنُ الْقَاضِي، هِبَةُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَامِلٍ، قَاضِي قُضَاةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ زَمَنَ الْفَاطِمِيِّينَ.
- وداعِيَ الدُّعَاةِ، ابْنَ عَبْدِ الْقَوِيِّ، وَكَانَ يَعْلَمُ بِدَفَائِنِ الْقَصْرِ، فَعُوقِبَ لِيُعْلِمَ بِهَا، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَمَاتَ وَانْدَرَسَتْ.

- وَالْعُورِيسُ، الَّذِي كَانَ نَاظِرَ الدِّيوَانِ، وَتَوَلَّى مَعَ ذَلِكَ الْقَضَاءَ.
- وَشُبْرُمُ كَاتِبَ السِّرِّ.
- وَعَبْدُ الصَّمَدِ الْقَشَّةَ أَحَدَ أُمَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ.
- وَنَجَاحُ الْحَمَّامِيَّ.
- وَرَجُلٌ مُنَجِّمٌ نَصْرَانِيٌّ أَرْمَنِيٌّ، كَانَ قَدْ بَشَّرَهُمْ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَتِمُّ بِعِلْمِ النُّجُومِ.
- وَعُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ الشَّاعِرُ، وَقَدْ كَانَ شَاعِرًا مُطَبِّقًا بَلِيغًا فَصِيحًا لَا يُلْحَقُ شَأْوُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَلَهُ دِيوَانٌ مَشْهُورٌ.

وَلَمَّا صَلَبَ صلاح الدين هَؤُلَاءِ سنة (٥٦٩هـ) كَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ يُعْلِمُهُ بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ، وَمَا أَوْقَعَ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، قَالَ الْعِمَادُ: فَوَصَلَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ يَوْمَ تُوُفِّيَ الْمَلِكُ **نُورُ الدِّينِ** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

توجه صلاح الدين إلى بلاد الشام

استهلت سنة (٥٧٠هـ) والملك صلاح الدين قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لحفظه من أيدي الفرنج، لكن دهمه أمران:

١-هجوم الفرنج على مصر

في مستهل سنة (٥٧٠هـ) قَدِمَ **الفرنجُ** إِلَى السَّاحِلِ الْمِصْرِيِّ فِي أُسْطُولٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ؛ فِي كَثْرَةِ مَرَاكِبِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ آلَاتِ الْحِصَارِ، وَكَثْرَةِ الرِّجَالِ وَالْمُقَاتِلَةِ؛ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مِائَتَا شِينِيٍّ، [1] فِي كُلٍّ مِنْهَا مِائَةٌ وَخَمْسُونَ مُقَاتِلًا وَأَرْبَعُمِائَةِ قِطْعَةٍ أُخْرَى، وَكَانَ قُدُومُهُمْ مِنْ **صِقِلِّيَةَ** إِلَى ظَاهِرِ إِسْكَنْدَرِيَّةَ، فَنَصَبُوا الْمَنْجَنِيقَاتِ، وَالدَّبَّابَاتِ حَوْلَ الْبَلَدِ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فَقَاتَلُوهُمْ دُونَهَا قِتَالًا شَدِيدًا، وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ أَيَّامًا، وَقُتِلَ مِنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَى تَحْرِيقِ مَا نَصَبُوهُ مِنَ الْمَنْجَنِيقَاتِ،

(١) الشيني: مفرد شواني وهو المركب الطويل، أو السفينة الحربية الكبيرة. انظر: تاج العروس (ش ي ن).

وَالدَّبَّابَاتِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَأَضْعَفَ ذَلِكَ قُلُوبَ الْفِرِنْجِ، ثُمَّ كَبَسَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ مَا أَرَادُوا **فَانْهَزَمَ الْفِرِنْجُ فِي كُلِّ وَجْهٍ**، وَرَكِبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْأُسْطُولِ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ خَائِبِينَ.

٢-ثورة عباس بن شادي

كان عَبَّاسَ بْنَ شَادِيّ مِنْ مُقَدَّمِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، وقدكَانَ قَدِ لجأ إِلَى أَسْوَانَ، وَجَعَلَ يَجْمَعُ الناس على السلطان، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الرَّعَاعِ مِنَ الْحَاضِرَةِ وَالْعُرْبَانِ، وَكَانَ يَزْعُمُ لَهُمْ أَنَّهُ سَيُعِيدُ الدَّوْلَةَ الْفَاطِمِيَّةَ، فَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ قَصَدَ **قُوصَ** (١) وَأَعْمَالَهَا، وَقَتَلَ طَائِفَةً مِنْ أُمَرَائِهَا وَرِجَالِهَا، فَجَرَّدَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ **صَلَاحُ الدِّينِ** طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ **سَيْفَ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ الْكُرْدِيَّ**، فَلَمَّا الْتَقَيَا هَزَمَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَأَسَرَ أَهْلَهُ وَقَتَلَهُ.

وَلَمَّا **تَمَهَّدَتِ الدِّيَارُ الْمِصْرِيَّةُ**، وَلَمْ يَبْقَ بِهَا ما يخافه، **توجه السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بِالْجُيُوشِ التُّرْكِيَّةِ قَاصِدًا الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ**، وَذَلِكَ حِينَ مَاتَ سُلْطَانُهَا نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زَنْكِيٍّ وَأُخِيفَ سُكَّانُهَا، وَتَضَعْضَعَتْ أَرْكَانُهَا، وَاخْتَلَفَ حُكَّامُهَا.

وَقَصْدُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **جَمْعُ شَمْلِهَا** وَالْإِحْسَانُ إِلَى أَهْلِهَا، وَنُصْرَةُ الْإِسْلَامِ، وَتَكْسِيرُ الصُّلْبَانِ، فَخَرَجَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٥٧٠هـ)، وَقَدِ اسْتَنَابَ عَلَى مِصْرَ أَخَاهُ سَيْفَ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ سَارَ حتى **دَخَلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ** فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَلْخَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يَنْتَطِحْ فِيهَا عَنْزَانِ، وَلَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ سَيْفَانِ.

فَتسلم الْبَلَدَ بِلَا مُدَافَعَةٍ فَنَزَلَ السُّلْطَانُ أَوَّلًا فِي دَارِ وَالِدِهِ، وَجَاءَ الْقَاضِي، وَأَعْيَانُ الدَّمَاشِقَةِ لِلسَّلَامِ عَلَى السُّلْطَانِ، فَرَأَوْا مِنْهُ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَأَظْهَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صلاح الدين أَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِتَرْبِيَةِ وَلَدِ نُورِ الدِّينِ؛ لِمَا لِنُورِ الدِّينِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ

(١) قوص: بالضم ثم السكون وصاد مهملة، قبطية، وهي مدينة كبيرة واسعة، قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وكانت محط التجار القادمين من عدن. انظر: معجم البلدان - الفكر (٤/ ٤١٣).

الْمَتِينِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَطَبَ لِنُورِ الدِّينِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَضَرَبَ بِاسْمِهِ السِّكَّةَ، ثُمَّ عَامَلَ النَّاسَ بِالْإِحْسَانِ، وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا أُحْدِث بَعْدَ نُورِ الدِّينِ مِنَ الْمُكُوسِ وَالضَّرَائِبِ، وَأَقَامَ الْحُدُودَ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ.

فَلَمَّا **اسْتَقَرَّتْ لَهُ دِمَشْقُ** بِحَذَافِيرِهَا، نَهَضَ إِلَى **حَلَبَ** مُسْرِعًا ; لِمَا فِيهَا مِنَ الاختلاف وَاسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ أَخَاهُ **طُغْتِكِينَ** بْنَ أَيُّوب، الْمُلَقَّبَ بِسَيْفِ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا اجْتَازَ **بِحِمْصَ** أَخَذَ رَبَضَهَا، وَلَمْ يَشْتَغِلْ بِقَلْعَتِهَا لِعِلْمِهِ بِحُصُولِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى **حَمَاةَ**، فَتَسَلَّمَهَا مِنْ صَاحِبِهَا **عِزِّ الدِّينِ** جُرْدِيْك.

ثُمَّ سَارَ إِلَى **حَلَبَ**، وقد استعدوا لمقاتلته، وَذَلِكَ عَنْ إِشَارَةِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ، **وَاشْتَرَطَ الرَّوَافِضُ** من أهل حلب على قتالهم معهم:

- أَنْ يُعَادَ الْأَذَانُ بِـ: **حَيِّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ**، وَأَنْ يُذْكَرَ فِي الْأَسْوَاقِ
- وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي جامع حلب الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ.
- وَأَنْ يُذْكَرَ أَسْمَاءُ الْأَئِمَّةِ الِاثْنَيْ عَشَرَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَنَائِزِ، وَأَنْ يُكَبِّرُوا عَلَى الْجِنَازَةِ خَمْسًا.
- وَأَنْ تَكُونَ عُقُودُ أَنْكِحَتِهِمْ إِلَى الشَّرِيفِ الطَّاهِرِ أَبِي الْمَكَارِمِ حَمْزَةَ بْنِ زَهْرَةَ الْحُسَيْنِيِّ،

فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ.

ثم أَرْسَلُوا إِلَى **سِنَانٍ صَاحِبِ الْحُشَيْشِيَّةِ**، فَأَرْسَلَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى صلاح الدين؛ لِيَقْتُلُوهُ فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ، ثُمَّ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ، فَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثم رَاسَلُوا الْقُومَصَ صَاحِبَ طَرَابُلُسَ **الْفِرِنْجِيَّ**، وَوَعَدُوهُ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ، إِنْ هُوَ رَحَلَ عَنْهُمُ السلطان صلاح الدين، وَكَانَ هَذَا الْقُومَصُ قَدْ أَسَرَهُ نُورُ الدِّينِ واعتقله عِنْدَهُ عشر سِنِينَ، ثُمَّ افْتَدَى نَفْسَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَلْفِ أَسِيرٍ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ.

فَرَكِبَ الْقُومَصُ مِنْ **طَرَابُلُسَ** فِي جَيْشِهِ، فَلَمْ يَتَجَاسَرْ عَلَى مُقَاتَلَةِ السُّلْطَانِ، **بَلْ قَصَدَ**

حِمْـصَ لِيَأْخُذَهَا بَغْتَـةً، فَرَكِبَ إِلَيْهِ السُّـلْطَانُ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ نَكَصَ عَلَـى عَقِبَيْهِ، وَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى بَلَدِهِ، وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ أَجَابَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا مِنْهُ.

ثم تصدى صـلاح الدين لأخذ **قلعة حمص**، فَنَصَبَ عَلَيْهَـا الْمَنْجَنِيقَاتِ، ولـم يكن قد أخذها سابقًا

وَكاتـب **أهلُ حلب** صَاحِبَ الْمَوْصِلِ سَـيْفَ الدِّينِ غَازِيَّ بْـنَ مَوْدُودٍ، ليعينهم على صلاح الدين، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ **أَخَاهُ عِزَّ الدِّينِ** بعَسَاكِرِهِ، فَانْضَافَ إِلَيْهِمُ الْحَلَبِيُّونَ، **وَقَصَدُوا حَمَاةَ فِي غَيْبَةِ** صلاح الدين، وَاشْتِغَالِهِ بِقَلْعَةِ حِمْصَ.

فَلَمَّا بَلَغَ صلاح الدين خَبَرُهُمْ، سَارَ **إِلَى حماة** بطائفة من الْجَيْشِ فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ، وَهُمْ فِـي جَحَافِـلَ كَثِيرَةٍ، فَوَاقَفُـوهُ، وَطَمِعُوا فِيهِ، لِقِلَّةِ مَـنْ مَعَهُ، فَجَعَلَ يُدَارِيهِـمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَـى الْمُصَالَحَةِ لَعَلَّ الْجَيْـشَ يَلْحَقُونَهُ حَتَّى قَالَ لَهُمْ فِي جُمْلَةِ مَا قَالَ: أَنَا أَقْنَعُ بِدِمَشْـقَ وَحدَهَا، وَأُقِيمُ بِهَا الْخُطْبَةَ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَتْرُكُ مَا عَدَاهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

فَأَبَوُا الصُّلْحَ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْقِتَالِ، فَجَعَلَ جَيْشَـهُ كُرْدُوسًا وَاحِدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ التَّاسِـعَ عَشَـرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَصَبَرَ صَبْرًا عَظِيمًا، فَوَلَّوْا هُنَالِكَ هَارِبِينَ، وَتَوَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ، فَأَسَـرَ مَنْ أُسِرَ مِنْ رُءُوسِـهِمْ، وَنَادَى: **أَنْ لَا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ**، وَلَا **يُذَفَّفَ عَلَى جَرِيحٍ**، ثُمَّ أَطْلَقَ مَنْ وَقَعَ فِي أَسْرِهِ.

ثم سَـارَ **إِلَى حَلَبَ**، وَقَدِ انْعَكَسَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ، وَآلَوْا إِلَى شَـرِّ مَآلٍ; **فعرضوا الصلح فَقَبِلَ ذَلِكَ**، وَكَفَّ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَدْعُوَ للملك الصالح **إسـماعيل بن نور الدين** عَلَى سَـائِرِ مَنَابِـرِ بِلَادِهِ، وَشَـفَعَ فِي بَنِـي الدَّايَةِ أَخُوهُ مَجْدُ الدِّيـنِ، أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ السِّـجْنِ، فَفُعِلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى حماة مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

وفِي حمـاة وَصَلَـتْ إِلَيْهِ رُسُـلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْـتَضِيءِ بِأَمْـرِ اللهِ وَمَعَهُمُ الْخِلَعُ السَّـنِيَّةُ وَالتَّشْرِيفَاتُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَالْأَعْلَامُ السُّودُ وَتَوْقِيعٌ مِنَ الدِّيوَانِ بِالسَّلْطَنَةِ بِبِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ، **وَاسْتَنَابَ عَلَى حَمَاةَ** ابْنَ خَالِهِ وَصِهْرَهُ الْأَمِيرَ شِهَابَ الدِّينِ مَحْمُودًا، **ثُمَّ سَارَ إِلَى حِمْصَ**

فَأَطْلَقَهَا إِلَى ابْنِ عَمِّهِ نَاصِرِ الدِّينِ، **ثُمَّ إِلَى بَعْلَبَكَّ**، ثُمَّ إِلَى **الْبِقَاعِ**، وَرَجَعَ إِلَى **دِمَشْقَ** فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٥٧٠هـ).

وقد **عَزَمَ صلاح الدين عَلَى الْمُقَامِ بِالشَّامِ**، وأَرْسَلَ جَيْشَهُ صُحْبَةَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ سنة (٥٧١هـ) لِيَسْتَغِلُّوا الْمُغَلَّ، ثُمَّ يُقْبِلُوا، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بِبِلَادِ الشَّامِ وَإِرْسَالُ الْجَيْشِ صُحْبَةَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ غَايَةَ الْحَزْمِ وَالتَّدْبِيرِ وَالِاهْتِمَامِ؛ لِيَحْفَظَ مَا اسْتَجَدَّ مِنَ الْمَمَالِكِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ سَطْوَةِ مَنْ هُنَالِكَ.

○ نقض أهل حلب العهد

لَمَّا أَرْسَلَ صلاح الدين الْجُيُوشَ إِلَى مِصْرَ في سنة (٥٧١هـ) بَقِيَ هُوَ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ، **فكَتَبَ** صَاحِبُ الْمَوْصِلِ **سَيْفُ الدِّينِ غَازِيٌّ**، ابْنُ أَخِي نُورِ الدِّينِ، **إِلَى جَمَاعَةِ الْحَلَبِيِّينَ** يَلُومُهُمْ عَلَى مَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ **مِنَ الْمُصَالَحَةِ، وحَرَّضَهم** عَلَى نَبْذِ الْعُهُودِ إِلَى الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ.

فنبذ الحلبيون الْعُهُودِ الَّتِي عَاهَدُوهُ عَلَيْهَا صلاح الدين، فَاسْتَعَانَ عَلَيْهِمْ بِاللهِ، ثم أَرْسَلَ إِلَى الْجُيُوشِ الْمِصْرِيَّةِ؛ لِيَقْدَمُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ فِي عَسَاكِرِهِ، وَاجْتَمَعَ بِابْنِ عَمِّهِ الملك الصالح إِسْمَاعِيلَ بن نور الدين، وَسَارَ فِي عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَسَارَ نَحْوَهُمُ النَّاصِرُ صلاح الدين، وَإِنَّمَا مَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ، فَاجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ، وَتَدَاعَوْا لِلنِّزَالِ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٥٧١هـ) فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا هَائِلًا، فقتل خلق مِنَ أهل حلب والموصل، وَقَدْ كَانُوا اسْتَعَانُوا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفِرِنْجِ فِي حَالِ الْقِتَالِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صَنِيعِ أهل الإيمان.

وَغَنِمَ السُّلْطَانُ صلاح الدين مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، فَفَرَّقَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَرَدَّ مَا كَانَ مع **سيف الدين غازي** مِنَ الْجَوَارِي وَالْمُغَنِّيَاتِ وَآلَاتِ اللَّعِبِ إِلَى حَلَبَ، وَقَالَ: قُولُوا لَهُ: هَذَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْحَرْبِ.

لَمَّا رَجَعَ الْحَلَبِيُّونَ **إِلَى حَلَبَ**، حَصَّنُوا الْبَلَدَ خَوْفًا منه، وَأَسْرَعَ **صَاحِبُ الْمَوْصِلِ** فَوَصَلَهَا.

فتبعهم السُّلْطَانُ **صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى حَلَبَ** الشَّهْبَاءِ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّطْوَةِ وَالْقُوَّةِ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَصَّنُوهَا، وَالْقَلْعَةَ قَدْ أَحْكَمُوهَا، فَقَالَ: مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ نُبَادِرَ إِلَى فَتْحِ الْحُصُونِ الَّتِي حَوْلَ الْبَلَدِ، ثُمَّ نَعُودَ إِلَيْهِمْ فَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَشَرَعَ **يَفْتَحُ الْحُصُونَ حِصْنًا حِصْنًا**، فَفَتَحَ **بُزَاعَةَ وَمَنْبِجَ**، ثُمَّ سَارَ إِلَى قلعة **عَزَازَ**.

فَأَرْسَلَ الْحَلَبِيُّونَ **إِلَى سِنَانٍ** زعيم الحشاشية، فَأَرْسَلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوا صَلَاحَ الدِّينِ، فَدَخَلَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي جَيْشِهِ فِي زِيِّ الْجُنْدِ، فَقَاتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ، حَتَّى اخْتَلَطُوا بِهِمْ، فَوَجَدُوا فُرْصَةً ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّلْطَانُ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا هُوَ مُحْتَرِسٌ مِنْهُمْ بِاللَّأْمَةِ، فَسَلَّمَهُ اللهُ غَيْرَ أَنَّ السِّكِّينَ مَرَّتْ عَلَى خَدِّهِ فَجَرَحَتْهُ جُرْحًا هَيِّنًا، ثُمَّ هَجَمَ آخَرُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ عَلَى السُّلْطَانِ فَقُتِلَ، ثُمَّ هَجَمَ آخَرُ عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ فَقُتِلَ أَيْضًا، وَهَرَبَ الرَّابِعُ فَأُدْرِكَ فَقُتِلَ، وقدِ اشْتَدَّ حَنَقُهُ عَلَى أَهْلِ **حَلَبَ** لِمَا فَعَلُوا، وَلِمَا أَرْسَلُوا مِنَ الْفِدَاوِيَّةِ إِلَيْهِ.

واسْتُهِلَّتْ سنة (٥٧٢هـ) وَالسُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَاصِرٌ حَلَبَ وَقَدْ أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى نَيْلِ الطَّلَبِ، فطلبوا الصلح فَصَالَحَهُمْ عَلَى **أَنْ تَكُونَ حَلَبُ** وَأَعْمَالُهَا **لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ إسماعيل فَقَطْ**، فَكُتِبَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ بَعَثَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى صلاح الدين يَسْأَلُ مِنْهُ زِيَادَةَ **قَلْعَةِ عَزَازَ**، فَأَجَابَهُ إِلَى سُؤَالِهِ ثُمَّ تَرَحَّلَ عَنْ حَلَبَ.

○ قتال صلاح الدين للإسماعيلية

بعد انصراف صلاح الدين عن حلب **سنة (٥٧٢هـ)**، قَصَدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ، الَّذِينَ اعْتَدَوْا عَلَيْهِ، فَحَاصَرَ حِصْنَهُمْ مِصْيَاف، فَقَتَلَ وَضَرَبَ وَسَبَى، وَأَخَذَ أموالهم، وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ، حَتَّى شَفَعَ فِيهِمْ خَالُهُ، شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ تِكِشَ، صَاحِبُ حَمَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ جِيرَانُهُ، فَقَبِلَ شَفَاعَتَهُ.

وَعَزَمَ السُّـلْطَانُ عَلَى السَّفَرِ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّـهْرُزُورِيُّ قَدْ تُوُفِّيَ فِي سَـادِسِ الْمُحَرَّمِ مِن سـنة (٥٧٢هـ)، وهو مِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ، وَأَخَصِّ النَّاسِ بِنُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى بِالْقَضَاءِ لِابْنِ أَخِيهِ ضِيَاءِ الدِّينِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيِّ، فَأَمْضَى ذَلِكَ صَلَاحُ الدِّينِ.

❍ قدوم الواعظ أبو الفتوح إلى دمشق

فِي سنة (٥٧١هـ) قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ الْوَاعِظُ الْكَبِيرُ أَبُو الْفُتُوحِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلِّدٍ التَّنُوخِيُّ الدِّمَشْـقِيُّ الْأَصْلُ الْبَغْدَادِيُّ الْمَنْشَـأُ ذَكَرَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ، قَالَ: وَكَانَ صَاحِبِي وَجَلَسَ لِلْوَعْظِ وَحَضَرَ **عِنْدَهُ السُّلْطَانُ** صَلَاحُ الدِّينِ.

❍ زواج صلاح الدين ورجوعه إلى مصر

فِي صفر سـنة (٥٧٢هـ) تَزَوَّجَ السُّـلْطَانُ **صَلَاحُ الدِّينِ** بِالسِّـتِّ خَاتُونَ عِصْمَةِ الدِّينِ بِنْتِ مُعِينِ الدِّينِ أُنُرَ، **زَوْجَةَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ** مَحْمُودٍ، وَوَلِيَ تَزْوِيجَهَا مِنْهُ أَخُوهَا الْأَمِيرُ سَـعْدُ الدِّينِ مَسْـعُودُ بْنُ أُنُـرَ، وَحَضَرَ الْقَاضِـي ابْنُ أَبِي عَصْـرُونَ الْعَقْدَ، وَمَـنْ مَعَهُ مِنَ الْعُدُولِ، وَبَاتَ النَّاصِرُ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنَ الدُّخُـولِ بِهَا، فَرَكِبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ أَجَدَّ السَّـيْرَ حَتَّـى كَانَ دُخُولُهُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ يَوْمَ السَّـبْتِ سَـادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّـنَةِ فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ. وَقَدْ تَلَقَّاهُ أَخُوهُ وَنَائِبُهُ الْمَلِـكُ الْعَادِلُ **سَـيْفُ الدِّينِ أَبُـو بَكْرٍ** إِلَى عِنْدَ بَحْـرِ الْقُلْزُمِ، وَكَانَ فِي صُحْبَةِ السُّـلْطَانِ الْعِمَـادُ الْكَاتِـبُ، وَلَمْ يَكُنْ وَرَدَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَشَـرَعَ يَذْكُرُ مَحَاسِـنَهَا، وَمَا اخْتُصَّتْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْبُلْدَانِ، وَوَصَفَ الْهَرَمَيْنِ، وَشَـبَّهَهُمَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّشْـبِيهَاتِ، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ حَسْـبَ مَا ذَكَرَ فِي «الرَّوْضَتَيْنِ». [(١)] وفِي شَعْبَانَ سنة (٥٧٢هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ النَّاصِـرُ بْنُ أَيُّوبَ إِلَى الْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ **فَأَسْـمَعَ وَلَدَيْهِ**: الْأَفْضَلَ عَلِيًّـا، وَالْعَزِيزَ عُثْمَانَ عَلَى الْحَافِظِ السِّلَفِيِّ، وَتَرَدَّدَ بِهِمَا إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ رَابِعَ رَمَضَانَ.

---

(١) ١/ ٦٥١.

الصراع مع الفرنج

○ جهاد صلاح الدين للفرنج

في سنة (٥٦٦هـ) أَغَارَ صلاح الدين عَلَى **بِلَادِ الْفِرَنْجِ** بِنُوَاحِي عَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ، وَخَرَّبَ قَلْعَةً كَانَتْ لَهُمْ عَلَى أَيْلَةَ، وَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ مُقَاتِلَتِهِمْ.

وفِي سنة (٥٦٨هـ) حَاصَرَ الْمَلِكُ **صَلَاحُ** الدِّينِ **الْكَرَكَ وَالشُّوبَكَ**، فَضَيَّقَ عَلَى سَاكِنِيهَا، وَخَرَّبَ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنْ مُعَامَلَاتِهَا، وَلَكِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا عَامَهُ ذَلِكَ.

○ عقد الصلح مع الفرنج

في سنة (٥٧١هـ) طَلَبَ **الْفِرِنْجُ** مِنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ أَنْ يُهَادِنَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ; **لِأَنَّ الشَّامَ كَانَ مُجْدِبًا، وَيَحْتَاجُ** إِلَى ذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

وقعة الرَّمْلَة مع الفرنج

وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٥٧٣هـ) سَارَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ مِنْ مِصْرَ قَاصِدًا غَزْوَ الْفِرَنْجِ، فَانْتَهَى إِلَى **بِلَادِ الرَّمْلَةِ**، فَسَبَى وَسَلَبَ وَغَنِمَ، ثُمَّ تَشَاغَلَ جَيْشُهُ بِالْغَنَائِمِ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْقُرَى وَالْمَحَالِّ، وَبَقِيَ السُّلْطَانُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ مُنْفَرِدًا، فَهَجَمَتْ عَلَيْهِ الْفِرَنْجُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، فَمَا سَلِمَ السُّلْطَانُ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ جهيدٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَأُسِرَ لِلْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ: عُمَرَ ابْنِ أَخِي السُّلْطَانِ وَلَدُهُ شَاهِنْشَاهْ، فَبَقِي عِنْدَهُمْ سَبْعَ سِنِينَ، وَقُتِلَ ابْنُهُ الْآخَرُ، وَكَانَ شَابًّا قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ، فَحَزِنَ عَلَى الْمَقْتُولِ وَالْمَفْقُودِ، وَصَبَرَ.

كما أسر الْفَقِيهَانِ الْأَخَوَانِ، ضِيَاءُ الدِّينِ عِيسَى، وَظَهِيرُ الدِّينِ، فَافْتَدَاهُمَا السُّلْطَانُ بَعْدَ سِنِينَ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

○ هجوم ملك الفرنج على حماة

فِي سنة (٥٧٣هـ) جَاءَ مَلِكٌ كَبِيرٌ مِنْ مُلُوكِ الْفِرَنْجِ يَرُومُ **أَخْذَ الشَّامِ** لِغَيْبَةِ السُّلْطَانِ وَاشْتِغَالِ نُوَّابِهِ بِلَذَّاتِهِمْ.

فَقَصَدَ هَذَا الْمَلِكُ وَجُمْلَةُ الْفِرَنْجِ مَعَهُ مَدِينَةَ حَمَاةَ، وَصَاحِبُهَا خَالُ السُّلْطَانِ مَرِيضٌ، وَنَائِبُ دِمَشْقَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ مَشْغُولُونَ بِلَذَّاتِهِمْ، فَكَادُوا يَأْخُذُونَ الْبَلَدَ، وَلَكِنْ هَزَمَهُمُ اللهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، فَانْصَرَفُوا إِلَى **حَارِمٍ**، فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ أَخْذِهَا، وَكَشَفَهُمْ عَنْهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ صَاحِبُ حَلَبَ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأُسَارَى مَا طَلَبُوهُ.

وَلَمَّا سَمِعَ صلاح الدين بِنُزُولِ الْفِرَنْجِ **عَلَى حَارِمٍ** خَرَجَ مِنْ مِصْرَ قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ؛ لِغَزْوِ الْفِرَنْجِ، فَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى دِمَشْقَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ.

○ مواجهة الفرنج في نواحي دمشق

فِي سنة (٥٧٤هـ) جَهَّزَ النَّاصِرُ **صَلَاحُ الدِّينِ** ابْنَ أَخِيهِ فَرُّوخْشَاهْ بْنَ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ بَيْنَ يَدَيْهِ **لِقِتَالِ الْفِرَنْجِ** الَّذِينَ قَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَاثُوا فِي **نَوَاحِي**

دِمَشْقَ وَقُرَاهَا، فَنَهَبُوا مِمَّا حَوْلَهَا وَأَرْجَاءَهَا، وَأَمَرَهُ أَنْ يُدَارِيَهُمْ حَتَّى يَتَوَسَّطُوا الْبِلَادَ، وَلَا يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا الْتَقَوْا عَاجَلُوهُ بِالْقِتَالِ، فَكَسَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْ مُلُوكِهِمْ صَاحِبَ النَّاصِرَةِ الْهَنْفَرِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ مُلُوكِهِمْ وَشُجْعَانِهِمْ، فَكَبَتَهُ اللهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ.

○ تخريب قلعة الداوية

وفيها **بَنَتِ الْفِرِنْجُ قَلْعَةً عِنْدَ بَيْتِ الْأَحْزَانِ** (١) لِلدَّاوِيَةِ (٢)، فَجَعَلُوهَا مَرْصَدًا لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَطْعِ طَرِيقِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَنَقَضَتْ مُلُوكُهُمُ الْعُهُودَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَلَاحِ الدِّينِ، وَأَغَارُوا عَلَى نَوَاحِي الْبُلْدَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ لِيَشْغَلُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمْ، وَتَفَرَّقَتْ جُيُوشُهُمْ فَلَا تَجْتَمِعُ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فواجههم صلاح الدين بما يناسب ذلك، حيث رَتَّبَ **ابْنَ أَخِيهِ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ** بِثَغْرِ **حَمَاةَ** وَمَعَهُ **شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُقَدَّمٍ**، وَسَيْفُ **الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمَشْطُوبُ**، وَبِثَغْرِ **حِمْصَ** ابْنَ عَمِّهِ **نَاصِرَ الدِّينِ بْنَ أَسَدِ الدِّينِ** شِيرَكُوهْ، وَبَعَثَ إِلَى أَخِيهِ **سَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ الْعَادِلِ** نَائِبِهِ **بِمِصْرَ** أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ، يَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى قِتَالِ الْفِرِنْجِ.

وَكَتَبَ إِلَى الْفِرِنْجِ يَأْمُرُهُمْ **بِتَخْرِيبِ الْحِصْنِ الَّذِي بَنَوْهُ لِلدَّاوِيَةِ، فَامْتَنَعُوا** إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ لَهُمْ مَا غَرِمُوهُ عَلَيْهِ، فَبَذَلَ لَهُمْ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ فَأَبَوْا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ: ابْذُلْ هَذِهِ فِي جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ، وَسِرْ إِلَى هَذَا **الْحِصْنِ فَخَرِّبْهُ**. فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ.

فسار إليه صلاح الدين في سنة (٥٧٥هـ) فَحَاصَرَهُ وَنَقَبَهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَلْقَى فِيهِ النِّيرَانَ فَجَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّبَهُ إِلَى الْأَسَاسِ، وَغَنِمَ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَوَاصِلِ، فَكَانَ فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ قِطْعَةٍ مِنَ السِّلَاحِ، وَأَخَذَ مِنْهُ سَبْعَمِائَةِ أَسِيرٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

---

(١) بيت الأحزان: بلد بين دمشق والساحل سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أيام فراقه ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان الأفرنج عمروه وبنوا به حصنا حصينا. معجم البلدان – الفكر (١/ ٥١٩).

(٢) الداويّة: منظمة عسكرية دينية نشأت أثناء الحروب الصليبية، يقال أول من أنشأها ملك القدس الفرنجي بلدوين الثاني (ويكيبيديا).

معركة مرج عيون

اسْتُهِلَّتْ سنة (٥٧٥هـ) وَالسُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ نَازِلٌ بِجَيْشِهِ عَلَى **تَلِّ الْقَاضِي بِبَانِيَاسَ**، فَقَصَدَهُ الْفِرِنْجُ بِجَمْعِهِمْ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَوَاجَهَ الْفَرِيقَانِ **بِمَرْجِ عُيُونٍ** حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، فَفَرَّتْ أَلْوِيَةُ الصُّلْبَانِ ذَاهِبَةً، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، **وَأُسِرَ مِنْ مُلُوكِهِمْ جَمَاعَةٌ**، مِنْهُمْ مُقَدَّمُ الدَّاوِيَّةِ، وَمُقَدَّمُ الْإِسْبِتَارِيَّةِ، وَصَاحِبُ الرَّمْلَةِ، وَصَاحِبُ طَبَرِيَّةَ، وَقَسْطَلَانُ يَافَا، وَآخَرُونَ مِنْ مُلُوكِهِمْ، وَمِنْ فُرْسَانِ الْقُدْسِ جَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ أَسِيرٍ.

ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى دِمَشْقَ ؛ لِيُعْتَقَلُوا بِقَلْعَتِهَا، فَافْتَدَى صَاحِبُ الرَّمْلَةِ نَفْسَهُ بَعْدَ سَنَةٍ بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِطْلَاقِ أَلْفِ أَسِيرٍ مِنْ بِلَادِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَكَذَا افْتَدَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي السِّجْنِ.

وفي هذه الأثناء بَعَثَ **قِلْجُ أَرْسَلَانَ** صاحب الروم [1] إلى الْمُظَفَّرُ **تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ**، يَطْلُبُ منه **حِصْنَ رُعْبَانَ**، وَزَعَمَ أَنَّ نُورَ الدِّينِ اغْتَصَبَهُ مِنْهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ، فَبَعَثَ **قِلْج أَرْسَلَانَ** صَاحِبُ الرُّومِ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ يُحَاصِرُونَهُ، فَأَرْسَلَ صلاحُ الدين صاحبَ حماة تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ فِي ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ، فَالْتَقَوْا بِهِمْ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وَاسْتَقَرَّتْ يَدُ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ عَلَى حِصْنِ رُعْبَانَ.

وفيها ظَهَرَ أُسْطُولُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى **سفينتين** لِلْفِرِنْجِ فِي الْبَحْرِ، فَغَنِمُوا مِنْهَا أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ.

❁ ❁ ❁

(١) هو السلطان عز الدين قلج أرسلان ابن السلطان مسعود بن قلج أرسلان السَّلْجُوْقِيُّ، كان له من البلاد قونية، وأقصرا، وسيواس، وملطية، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِقُوْنِيَة (٥٨٨هـ) سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٥/ ٣٧٦).

ولاية الحج

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس من سنة (٥٦٦هـ)، إلى سنة (٥٧١هـ)، واستدركت من كتاب **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** لابن فهد[(١)] فذكر أنه حج بالناس سنة (٥٦٦هـ) **الأمير طاشتكين المستنجدي**، ولم يذكر من حج بالناس في سنة (٥٦٧هـ)، وذكر أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أرسل إلى مكة جَلْبتين مشحونتين بالحب صدقة لأهل مكة.

وحج بالناس في سنة (٥٦٨هـ) **أبو بكر بن محمد بن ذاكر بن محمد الأصبهاني الحِرَفي**، وخطب في مكة للسلطان نور الدين محمود بن زنكي.

ولم يذكر ابن فهد أيضًا من حج بالناس في سنة (٥٦٩هـ)، وذكر أنه وقع غلاء بمكة، أكل فيها الناس الدم والجلود والعظام، ثم فرج الله عنهم بصدقات وصلات من المستضيء بالله العباسي.

وحج بالناس في سنة (٥٧٠هـ) أمير الحج العراقي، **طاشتكين المستنجدي**،

وحج بالناس في سنة (٥٧١هـ) **الأمير طاشتكين المستنجدي**، ووقع في الحج فتنة وقتال بين الحجاج وأهل مكة.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس في سنة (٥٧٢هـ)، واستدركت من كتاب **إتحاف الورى** فذكر أنه حج بالناس الأمير طاشتكين المستنجدي، وأبطل السلطان صلاح الدين المكس الذي يؤخذ من الحجاج، وعوض أمير مكة عن ذلك.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس في سنة (٥٧٣هـ)، واستدركت من كتاب **إتحاف الورى** فذكر أنه حج بالناس سنة (٥٧٣هـ) القاضي الفاضل من مصر عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي. وأمير الحج العراقي طاشتكين المستنجدي.

---

(١) ٢/ ٥٣٢-٥٣٤.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس في سـنة (٥٧٤هـ)، واسـتدركت من كتاب **إتحاف الورى**،

وحج بالناس سـنة (٥٧٤هـ) أمير الحج العراقي طاشـتكين المستنجدي، وتعرض الحجاج إلى نهب وسلب.

لم يذكر ابن كثير من حج بالناس في سـنة (٥٧٥هـ)، واسـتدركت من كتاب **إتحاف الورى**

أن من حج بالناس سنة (٥٧٥هـ) هو أمير الحج العراقي طاشتكين المستنجدي.

مشاهير من توفي من الأعيان في عهده

١ - **يُوسُفُ الْقَاضِي**، أَبُو الْحَجَّاجِ بْنُ الْخَلَّالِ، صَاحِبُ دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَهُوَ شَيْخُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ فِي هَذَا الْفَنِّ، اشْتَغَلَ عَلَيْهِ فِيهِ فَبَرَعَ حَتَّى قُدِّرَ أَنَّهُ صَارَ مَكَانَهُ حِينَ ضَعُفَ الشَّيْخُ عَنِ الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الْوَظِيفَةِ لِكِبَرِهِ فَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ يَقُومُ بِهِ وَبِأَهْلِهِ حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ كَانَ كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ رَحِمَهُمُاللَّهُ، توفي سنة (٥٦٦هـ).

٢ - **عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْخَشَّابِ**، قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِالنَّحْوِ حَتَّى سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِيهِمَا، وَشَرَحَ الْجُمَلَ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُتَطَوِّعًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ سنة (٥٦٧هـ)، وَدُفِنَ قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

وَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنَّهُ أَعْرَضَ عَنِّي وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ تَرَكُوا الْعَمَلَ. (١)

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ مُطَّرِحَ الْكُلْفَةِ فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ، وَكَانَ لَا يُبَالِي بِمَنْ شَرَّقَ أَوْ غَرَّبَ.

٣ - **الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الشُّكْرِ أَيُّوبُ بْنُ شَاذِيٍّ**، وَالِدُ لِمُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ، الْكُرْدِيُّ الرَّوَادِيُّ وَهُمْ خِيَارُ الْأَكْرَادِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَيُّوبُ بْنُ شَاذِيِّ بْنِ مَرْوَانَ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَرْوَانَ بْنَ يَعْقُوبَ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ بَعْدَ شَاذِيٍّ أَحَدٌ فِي نَسَبِهِمْ.

وَأَغْرَبَ بَعْضُهُمْ فَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَعْدِيِّ آخِرِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَهَذَا الِادِّعَاءُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَلَا أَصْلَ لَهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَلَا سَنَدَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ.

---

(١) بعده في بعض النسخ: واشتغلوا بالقول.

وَكَانَ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ شُـجَاعًا بَاسِـلًا، خدم الْمَلِكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَلِكْشَـاهْ، فَرَأَى فِيهِ شَهَامَةً وَأَمَانَةً، فَوَلَّاهُ قَلْعَةَ **تَكْرِيتَ** فَحَكَمَ فِيهَا فَعَدَلَ، فَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ.

فَاتَّصَلَ هو وأخوه أسـد الدين بِخِدْمَةِ الْمَلِكِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ، ثُمَّ كَانَا عِنْدَ ابْنِهِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَتَقَدَّمَا عِنْدَهُ وَعَظُمَا، فَاسْـتَنَابَهُ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ **بِبَعْلَبَكَّ**، وأَقَـامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَـةً، وَوُلِدَ لَهُ بِهَا أَكْثَرُ أَوْلَادِهِ، ثُمَّ كَانَ مِنَ أمـره دُخُول الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ لما ملكها ابنه صلاح الدين، سـنة (٥٦٤هـ)، وفِي ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٥٦٨هـ) سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ، وَمَاتَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَ ابْنُهُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَاصِرًا لِلْكَرَكِ وَالشَّوْبَكِ، فَلَمَّا وَصَلَهُ الْخَبَرُ تَأَلَّمَ لِعَدَمِ حُضُورِهِ ذَلِكَ.

وَقَـدْ كَانَ نَجْـمُ الدِّينِ أَيُّوبُ كَثِيـرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَـامِ وَالصَّدَقَةِ، كَرِيـمَ النَّفْسِ جَوَادًا مُمَدَّحًا.

وَقَـدِ اسْـتَنَابَهُ ابْنُهُ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ حِينَ خَرَجَ إِلَى الْكَـرَكِ وَحَكَّمَهُ فِي الْخَزَائِنِ، فَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ، وَرَثَوْهُ حِينَ مَاتَ بِمَرَاثٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ مُسْـتَقْصًى الشَّـيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي كِتَابِهِ «الرَّوْضَتَيْنِ»(١).

٤- **ابْنُ قُرْقُولَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَادِيسَ ابْنِ الْقَائِدِ الْحَمْزِيِّ الْأَنْدَلُسِـيُّ، صَاحِـبُ كِتَابِ «مَطَالِـعِ الْأَنْوَارِ» الَّـذِي وَضَعَهُ عَلَى مِثَالِ كِتَابِ «مَشَـارِقِ الْأَنْـوَارِ» لِلْقَاضِي عِيَـاضٍ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ بِلَادِهِ وَفُضَلَائِهِمُ الْمَشْـهُورِينَ، مَاتَ فَجْأَةً سنة (٥٦٩هـ) بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَوَّالٍ عَنْ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

٥- **الْحَسَـنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَـنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْعَطَّارُ** أَبُو الْعَـلَاءِ الْهَمَذَانِيُّ الْحَافِظُ، سَـمِعَ الْكَثِيـرَ وَرَحَلَ إِلَى بُلْـدَانٍ كَثِيرَةٍ، اجْتَمَعَ بِالْمَشَـايِخِ وَقَدِمَ بَغْـدَادَ وَحَصَّلَ الْكُتُبَ الْكَثِيـرَةَ، وَاشْـتَغَلَ بِعِلْمِ الْقِـرَاءَاتِ وَاللُّغَـةِ حَتَّى صَارَ أَوْحَـدَ زَمَانِهِ فِي عِلْمَـيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَصَنَّفَ الْكُتُبَ الْكَثِيرَةَ الْمُفِيدَةَ.

---

(١) ١/ ٥٤٠

وَكَانَ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ مَرْضِيَّ الطَّرِيقَةِ، سَخِيًّا عَابِدًا زَاهِدًا، صَحِيحَ الِاعْتِقَادِ، حَسَنَ السَّمْتِ، لَهُ بِبَلَدِهِ الْمَكَانَةُ وَالْقَبُولُ التَّامُّ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٦٩هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٍ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ رُئِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ فِي مَدِينَةٍ جَمِيعُ جُدْرَانِهَا كُتُبٌ وَحَوْلَهُ كُتُبٌ لَا تُحَدُّ، وَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِمُطَالَعَتِهَا فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَشْغَلَنِي بِمَا كُنْتُ أَشْتَغِلُ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَأَعْطَانِي.

٦- **رَوْحُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو طَالِبٍ الْحَدِيثِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ ابْنُهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ أَبِيهِ مَرِضَ بَعْدَهُ فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ سنة (٥٧٠هـ)، وَكَانَ يُنْبَزُ بِالرَّفْضِ.

٧- **شُمْلَةُ التُّرْكُمَانِيُّ**، كَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى بِلَادِ فَارِسَ وَاسْتَحْدَثَ قِلَاعًا **وَتَغَلَّبَ عَلَى السَّلْجُوقِيَّةِ** وَانْتَظَمَ لَهُ الأمر نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ إِنَّهُ حَارَبَهُ بَعْضُ التُّرْكُمَانِ فَقَتَلُوهُ، سنة (٥٧٠هـ).

٨- **قَايْمَازُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**، قُطْبُ الدِّينِ الْمُسْتَنْجِدِيُّ، وَزَرَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضِيءِ، وَكَانَ مُقَدَّمًا عَلَى الْعَسَاكِرِ كُلِّهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَقَصَدَ أَنْ يَنْهَبَ دَارَ الْخِلَافَةِ، فَصَعِدَ الْخَلِيفَةُ فَوْقَ سَطْحٍ فِي دَارِهِ، وَأَمَرَ الْعَامَّةَ بِنَهْبِ دَارِ قَايْمَازَ، فَنُهِبَتْ، وَكَانَ ذَلِكَ بِإِفْتَاءِ الْفُقَهَاءِ، فَهَرَبَ فَهَلَكَ، وَهَلَكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَهَامِهِ وَالْقِفَارِ، توفي سنة (٥٧٠هـ).

٩- **الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكِرَ**، عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَسَاكِرَ أَبُو الْقَاسِمِ الدِّمَشْقِيُّ، أَحَدُ أَكَابِرِ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ، وَمَنْ عُنِيَ بِهِ سَمَاعًا وَجَمْعًا وَتَصْنِيفًا وَاطِّلَاعًا وَحِفْظًا لِأَسَانِيدِهِ وَمُتُونِهِ وَإِتْقَانًا لِأَسَالِيبِهِ وَفُنُونِهِ.

صَنَّفَ «تَارِيخَ الشَّامِ» فِي ثَمَانِينَ مُجَلَّدَةً، وَقَدْ بَرَزَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَأَتْعَبَ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَحَازَ فِيهِ قَصَبَ السِّبَاقِ، وَمَنْ نَظَرَ فِيهِ، وَتَأَمَّلَهُ وَرَأَى مَا وَصَفَهُ فِيهِ وَأَصَّلَهُ، حَكَمَ بِأَنَّهُ فَرِيدٌ فِي التَّوَارِيخِ.

هَـذَا مَعَ مَا لَهُ فِي عُلُـومِ الْحَدِيثِ مِنْ كُتُبٍ مُفِيدَةٍ، وَمَا كَانَ مُشْـتَمِلًا عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّرَائِـقِ الْحَمِيـدَةِ، فَلَهُ: «أَطْرَافُ الْكُتُبِ السِّـتَّةِ»، «وَالشُّـيُوخُ النُّبَّـلُ» وَ «تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَـرِي عَلَـى أَبِي الْحَسَـنِ الْأَشْـعَرِيِّ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِـنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْكِبَـارِ وَالصِّغَارِ وَالْأَجْزَاءِ وَالْأَسْـفَارِ، وَقَدْ أَكْثَرَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَجَابَ الْمُدُنَ وَالْأَقَالِيمَ وَالْأَمْصَارَ، وَجَمَعَ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ مِنَ الْحُفَّاظِ نَسْخًا وَاسْتِنْسَاخًا، وَمُقَابَلَةً وَتَصْحِيحًا لِلْأَلْفَـاظِ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ بُيُوتَاتِ الدَّمَاشِـقَةِ، وَرِيَاسَـتُهُ فِيهِمْ عَالِيَةٌ، مِـنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ، وَالْهَيْئَاتِ، وَالْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ وَالصِّلَاتِ.

كَانَتْ **وَفَاتُهُ** فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٥٧١هـ) وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَحَضَرَ **السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ** جِنَازَتَهُ وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

١٠-**مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْقَاسِـمِ**، أَبُو الْفَضْلِ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ، كَمَالُ الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيُّ، الْمَوْصِلِيُّ، كَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا أَمِينًا ثِقَةً وَرِعًا، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ لِنُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ، وَاسْتَوْزَرَهُ أَيْضًا فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ السَّاعِي قَالَ: وَكَانَ يَبْعَثُهُ فِي الرَّسَائِلِ.

وَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ نُورُ الدِّينِ نَظَرَ الْجَامِعِ وَدَارَ الضَّرْبِ، وَعَمَّرَ لَهُ الْمَارَسْتَانَ وَالْمَدَارِسَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّاتِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٥٧٢هـ) بِدِمَشْقَ.

١١- **شَـمْسُ الدِّينِ بْـنُ الْوَزِيرِ أَبُو الْمَضَاءِ**، خَطِيبُ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَابْنُ وَزِيرِهَا، كَانَ أَوَّلَ مَـنْ خَطَـبَ بِدِيَارِ مِصْـرَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْـتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ الْعَبَّاسِـيِّ، بِأَمْرِ صَلَاحِ الدِّينِ، ثُمَّ حَظِيَ عِنْدَهُ حَتَّى جَعَلَهُ سَفِيرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ، وَكَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا كَرِيمًا مُمَدَّحًا، يَتَرَامَى عَلَيْهِ الشُّعَرَاءُ وَالْأُدَبَاءُ. وتوفي سنة (٥٧٢هـ).

١٢-**مَحْمُـودُ بْنُ تِكِشَ**، شِـهَابُ الدِّينِ الْحَارِمِيُّ، **خَالُ السُّـلْطَانِ** صَلَاحِ الدِّينِ، مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ وَشُـجْعَانِهِمْ، وَقَدْ أَقْطَعَهُ ابْنُ أُخْتِهِ حَمَاةَ حِينَ فَتَحَهَا، وَقَدْ حَاصَرَهُ الْفِرِنْجُ

بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَفَتَحُوهَا وَقَتَلُوا بَعْضَ أَهْلِهَا، فَرَدُّوهُمْ خَائِبِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وتوفي سنة (٥٧٣هـ).

١٣- **فَاطِمَةُ بِنْتُ نَصْرِ بْنِ الْعَطَّارِ**، كَانَتْ مِنْ سَادَاتِ النِّسَاءِ، وَهِيَ مِنْ سُلَالَةِ أُخْتِ صَاحِبِ الْمَخْزَنِ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَابِدَاتِ الْمُتَوَرِّعَاتِ الْمُخَدَّرَاتِ، يُقَالُ: إِنَّهَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِهَا سِوَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهَا الْخَلِيفَةُ وَغَيْرُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وتوفي سنة (٥٧٣هـ).

١٤- **أَسْعَدُ بْنُ بَلْدَرْكَ أَبُو أَحْمَدَ الْجِبْرِيلِيُّ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ شَيْخًا ظَرِيفًا، حَسَنَ الْمُذَاكَرَةِ، جَيِّدَ النَّادِرَةِ، سَرِيعَ الْمُبَادَرَةِ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٥٧٤هـ) عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَأَرْبَعِ سِنِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

١٥- **الْحَيْصَ بَيْصَ**، سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، شِهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَوَارِسِ الصَّيْفِيُّ، الشَّاعِرُ، لَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ مَشْهُورٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ خَامِسَ شَعْبَانَ سنة (٥٧٤هـ)، وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَلَمْ يُعْقِبْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْمُرَاسَلَاتِ بَدِيلٌ، كَانَ يَتَقَعَّرُ فِيهَا وَيَتَفَاصَحُ جِدًّا، فَلَا تُوَاتِيهِ إِلَّا وَهِيَ مُعَجْرَفَةٌ.

وَمِنْ شِعْرِهِ الْجَيِّدِ: (١)

سَلَامَةُ الْمَرْءِ سَاعَةً عَجَبُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ لِحَتْفِهِ سَبَبُ
يَفِرُّ وَالْحَادِثَاتُ تَطْلُبُهُ ... يَفِرُّ مِنْهَا وَنَحْوَهَا الْهَرَبُ
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى تَقَلُّبِهِ ... مُسَلَّمًا مَنْ بَقَاؤُهُ الْعَطَبُ

وَأَثْنَى عَلَى رَسَائِلِهِ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ (٢)، فقال: لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مُعْرِبًا، وَكَانَ فَقِيهًا شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، وَاشْتَغَلَ بِالْخِلَافِ، وَعِلْمِ النَّظَرِ، ثُمَّ تَشَاغَلَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالشِّعْرِ،

(١) ديوان الحيص بيص ٢/ ٣٤١.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٥

وَكَانَ مَنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَاخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ. وقال: إنما قِيلَ لَهُ: **الْحَيْصَ بَيْصَ**؛ لِأَنَّهُ رَأَى النَّاسَ فِي حَرَكَةٍ وَاخْتِلَاطٍ، فَقَالَ: مَا لِلنَّاسِ فِي حَيْصَ بَيْصَ. أَيْ فِي شِدَّةٍ وَهَرَجٍ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ.

١٦- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ، أَبُو إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ**، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفَرَّاءِ، الْأُمَوِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا فَاضِلًا مُنَاظِرًا فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا مُطَبِّقًا، تُوُفِّيَ سنة (٥٧٥هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ مُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

١٧- **أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْجَوَالِيقِيِّ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَوْهُوبِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَضِرِ**، الْمُلَقَّبُ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ أَحَدُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ فِي زَمَانِهِ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ بِحُسْنِ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ، وَعِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ فِي مُرَبَّاهُ وَمَنْشَاهُ وَمُنْتَهَاهُ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ، وَفَهِمَ الْأَثَرَ وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَمَغْزَاهُ، تُوُفِّيَ سنة (٥٧٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

❁ ❁ ❁

(٣٤)

خلافة الناصر لدين اللّه أحمد بن الْمُسْتَضِيءِ الْحَسَنُ بْنُ يوسف

٥٧٥-٦٢٢

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ** بْنُ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. **وُلِدَ بِبَغْدَادَ** سنة (٥٥٣هـ).

○ صفاته

كَانَ ذَكِيًّا شُجَاعًا مَهِيبًا، وَتَمَكَّنَ أَمْرُه، وَعَظُمَتْ هَيْبَتُهُ فِي الْبِلَادِ وَفِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ بنفسه فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا وَشُئُونِهَا.

ومع هذا لَمْ يُطْلِقْ فِي أَيَّامِ مَرَضِهِ مَا كَانَ أَحْدَثَهُ مِنَ الرُّسُومِ الْجَائِرَةِ، وَكَانَ قَبِيحَ السِّيرَةِ فِي رَعِيَّتِهِ ظَالِمًا لَهُمْ، فَخُرِّبَ فِي أَيَّامِهِ الْعِرَاقُ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُهُ فِي الْبِلَادِ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلَاكَهُمْ، **وَكَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ**؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ دُورًا لِلْإِفْطَارِ فِي رَمَضَانَ وَدُورًا لِضِيَافَةِ الْحُجَّاجِ، ثُمَّ أَبْطَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ قَدْ أَسْقَطَ مُكُوسًا ثُمَّ أَعَادَهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ [(١)]: وَإِنْ كَانَ مَا يَنْسُبُهُ الْعَجَمُ إِلَيْهِ صَحِيحًا مِنْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي **أَطْمَعَ التَّتَارَ فِي الْبِلَادِ** وَرَاسَلَهُمْ، فَهُوَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَصْغُرُ عِنْدَهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَظِيمٍ.

قُلْتُ: وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ **أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ**؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلرُّسُلِ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِ: فَعَلْتُمْ فِي مَكَانِ كَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَفِي الْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ كَذَا. حَتَّى ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يُكَاشِفُ، أَوْ أَنَّ جِنِّيًّا يَأْتِيهِ بِذَلِكَ [(٢)]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٠.

(٢) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٢/ ١٩٧) أشياء كثيرة مما ينسب له من الأمور الخفية، ثم قال:

قُلْتُ: مَا تَحْتَ هَذَا الفِعْل طَائِل، فَكُلُّ مَخْدُوم وَكَاهن يَتَأَتى لَهُ أَضعَاف ذَلِك

❍ وفاته

فِي يَوْمُ الْأَحَدِ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَـهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ مِنْ سـنة (٦٢٢هـ) تُوُفِّيَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ. وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعِشْرُونَ يَوْمًا.

وَكَانَ مَرَضُهُ قَدْ طَالَ بِهِ، وَجُمْهُورُهُ مِنْ عَسَارِ الْبَوْلِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُجْلَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ مَرَاحِلَ عَنْ بَغْدَادَ لِيَكُونَ أَصْفَى، وعملت له جراحات عدة، وَلَمْ تغْنِ عَنْهُ شيئًا.

قـال ابْنُ الْأَثِيرِ: [(١)] وبَقِيَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ ثَلَاثَ سِـنِينَ **عَاطِلًا عَنِ الْحَرَكَةِ بِالْكُلِّيَّةِ**، وَقَـدْ ذَهَبَـتْ إِحْدَى عَيْنَيْـهِ، وَالْأُخْرَى يُبْصِـرُ بِهَا إِبْصَـارًا ضَعِيفًا، وَآخِرُ الْأَمْـرِ أَصَابَهُ **دُوسُـنْطَارِيَةٌ** عِشْـرِينَ يَوْمًا وَمَاتَ، وَكَانَ الَّذِي وَلِيَ غَسْـلَهُ **مُحْيِي الدِّينِ** بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ **الْجَوْزِيِّ**، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ وَدُفِنَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ.

❁ ❁ ❁

(١) الكامل ١٢/ ٤٤٠.

خلافته

○ بيعته

بُويِـعَ لَـهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ سَـنَةَ (٥٧٥هـ)، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ (٤٧) سَـنَةً، وَلَمْ يكن أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِـيِّينَ أطول مدة منه، وَقَدِ انْتَظَمَ فِي نَسَـبِهِ **أَرْبَعَةَ عَشَـرَ** خَلِيفَةً وَوَلِيَّ عَهْدٍ، وَبَقِيَّةُ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ كُلُّهُمْ مِنْ أَعْمَامِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

بَايَعَـهُ الْأُمَـرَاءُ وَالْـوُزَرَاءُ وَالْكُبَـرَاءُ وَالْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ، فِي سَـلْخِ شَـوَّالٍ مِنْ سَـنَةِ (٥٧٥هـ)، وَكَانَ قَدْ خُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَسِـيرٍ، ولَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْـهِ اثْنَانِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَلُقِّبَ بِالْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، وَامْتَدَّتْ خِلَافَتُهُ إِلَى سَـنَةِ (٦٢٢هـ).

○ ولاية العهد

فِي سـنة (٥٨٥هـ) **قرر الخليفة** الناصر أن يجعل وِلَايَةَ الْعَهْدِ لابنه **محمد الْمُلَقَّبِ بِالظَّاهِـرِ**، فخطـب له على المنابـر **ثُمَّ عَزَلَهُ** فِي سـنة (٦٠١هـ) عَنْ ذَلِـكَ بِأَخِيهِ **عَلِيٍّ**، فَتُوُفِّـيَ علي فِي حَيَاةِ أَبِيهِ سَـنَةَ (٦١٢هــ)، فَاحْتَاجَ إِلَـى إِعَادَةِ الظاهر لِوِلَايَـةِ الْعَهْدِ، فَخُطِب لَهُ ثَانِيًا.

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

أ- الأحداث المتعلقة بالخلافة

❍ مقتل أبي الفضل بن الصاحب

فِي سنة (٥٨٣هـ) قتَلَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ أُسْتَاذَ دَارِهِ **أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الصَّاحِبِ**، وَكَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى الْأُمُورِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْخَلِيفَةِ مَعَهُ كَلِمَةٌ، وَمَعَ هَذَا كَانَ **عَفِيفًا** عَنِ الْأَمْوَالِ، جَيِّدَ السِّيرَةِ، فَأَخَذَ مِنْهُ الْخَلِيفَةُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ.

❍ تولية عبيد الله بن يونس الوزارة

فِي سنة (٥٨٣هـ) اسْتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ الناصر **عُبَيْدَ اللهِ بْنَ يُونُسَ** وَلَقَّبَهُ جَلَالَ الدِّينِ، وَمَشَى أَهْلُ الدَّوْلَةِ فِي رِكَابِهِ حَتَّى قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الدَّامَغَانِيِّ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ يُونُسَ هَذَا شَاهِدًا عِنْدَهُ.

❍ تجديد خزانة المدرسة النظامية

فِي سنة (٥٨٩هـ) جَدَّدَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ خِزَانَةَ كُتُبِ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا أُلُوفًا مِنَ الْكُتُبِ الْحَسَنَةِ الْمُثَمَّنَةِ.

❍ إرسال الملك الأفضل هدايا للخلافة

لما اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ سنة (٥٩٠هـ) مَكَانَ أَبِيهِ بِدِمَشْقَ، بَعَثَ بِهَدَايَا سَنِيَّةٍ **إِلَى بَابِ الْخِلَافَةِ**؛ مِنْ ذَلِكَ سِلَاحُ أَبِيهِ، وَحِصَانُهُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ عَلَيْهِ الْغَزَوَاتِ، وَصَلِيبُ الصَّلَبُوتِ الَّذِي اسْتَلَبَهُ أَبُوهُ مِنَ الْفِرِنْجِ يَوْمَ حِطِّينَ، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ؛ وَأَرْبَعُ جَوَارٍ مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الْفِرِنْجِ.

وَأَنْشَأَ لَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ كِتَابًا حَافِلًا يَذْكُرُ فِيهِ التَّعْزِيَةَ بِأَبِيهِ، وَالسُّؤَالَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ.

○ وقعة بين ملك غزنة وملك الهند

فِي سنة (٥٨٣هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ **بِبِلَادِ الْهِنْدِ** بَيْنَ الْمَلِكِ شِهَابِ الدِّينِ الْغُورِيِّ **صَاحِبِ غَزْنَةَ**، وَبَيْنَ مَلِكِ الْهِنْدِ الْكَبِيرِ، فَأَقْبَلَتِ الْهُنُودُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْجُنُودِ، وَمَعَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ فِيلًا، فَانْهَزَمَتْ مَيْمَنَةُ الْمُسْلِمِينَ وَمَيْسَرَتُهُمْ، وَقِيلَ لِلْمَلِكِ: انْجُ بِنَفْسِكَ. فَمَا زَادَهُ إِلَّا إِقْدَامًا، فَحَمَلَ عَلَى الْفِيَلَةِ فَجَرَحَ بَعْضَهَا - وَجُرْحُ الْفِيلِ لَا يَنْدَمِلُ - فَرَمَاهُ بَعْضُ الْفَيَّالَةِ بِحَرْبَةٍ فِي سَاعِدِهِ فَخَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَخَرَّ صَرِيعًا، فَحَمَلَتِ الْهِنْدُ عَلَيْهِ لِيَأْخُذُوهُ، فَجَاحَفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ لِيَحْمُوهُ، فَخَلَّصُوه، وَاحْتَمَلُوهُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ فِي مَحَفَّةٍ عِشْرِينَ فَرْسَخًا، وَقَدْ نَزَفَهُ الدَّمُ، فَلَمَّا تَرَاجَعَ إِلَيْهِ جَيْشُهُ أَخَذَ فِي تَأْنِيبِ الْأُمَرَاءِ، وَمَا أَدْخَلَهُمْ غَزْنَةَ إِلَّا مُشَاةً حُفَاةً.

وفِي سنة (٥٩٠هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ شِهَابِ الدِّينِ مَلِكِ غَزْنَةَ، وَبَيْنَ كُفَّارِ الْهِنْدِ؛ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ فِي أَلْفِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُمْ سَبْعُمِائَةِ فِيلٍ مِنْهَا فِيلٌ أَبْيَضُ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، فَهَزَمَهُمْ شِهَابُ الدِّينِ عِنْدَ نَهْرٍ عَظِيمٍ، يُقَالُ لَهُ: مَاجُونُ. وَقَتَلَ مَلِكَهُمْ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَحَوَاصِلِ بِلَادِهِ، وَغَنِمَ فِيلَتَهُمْ، وَدَخَلَ بَلَدَ الْمَلِكِ الْكُبْرَى، فَحَمَلَ مِنْ خِزَانَتِهِ ذَهَبًا وَغَيْرَهُ عَلَى أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ جَمَلٍ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ سَالِمًا مَنْصُورًا.

○ محنة الشيخ ابن الجوزي

فِي سنة (٥٩٠هـ) نَقَمَ **الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ** عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَتَغَضَّبَ عَلَيْهِ، وَنَفَاهُ إِلَى وَاسِطٍ، فَأَقَامَ بِهَا خَمْسَةَ أَعْوَامٍ يَخْدِمُ نَفْسَهُ، وَيَسْتَقِي مِنْ بِئْرٍ عَمِيقَةٍ لِنَفْسِهِ الْمَاءَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ بَلَغَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَتْلُو فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَتْمَةً.

قَالَ: وَلَمْ أَقْرَأْ سُورَةَ يُوسُفَ لِوَجْدِي عَلَى وَلَدِي يُوسُفَ إِلَى أَنْ فَرَّجَ اللهُ.

وفِي سنة (٥٩٥هـ) **وَقَعَ الرِّضَا** عَنِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، شَيْخِ الْوُعَّاظِ فِي زَمَانِهِ وَبَعْدِهِ، وَقَدْ كَانَ أُخْرِجَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسِطٍ فَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ

سِنِينَ فَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُهَا وَاشْتَغَلُوا عَلَيْهِ وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَادَ خَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ عَلَى عَادَتِهِ، فَكَثُرَ الْجَمْعُ جِدًّا، وَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ، وَأَخَذَ ابن الجوزي فِي الْعِتَابِ.

وَأَنْشَدَ يَوْمَئِذٍ فِيمَا يُخَاطِبُ بِهِ الْخَلِيفَةَ:

لَا تُعْطِشِ الرَّوْضَ الَّذِي نَبْتُهُ ... بِصَوْبِ إِنْعَامِكَ قَدْ رُوِّضَا
لَا تَبْرِ عُودًا أَنْتَ قَدْ رِشْتَهُ ... حَاشَا لِبَانِي الْمَجْدِ أَنْ يَنْقُضَا
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَمْ آتِهِ ... فَاسْتَأْنِفِ الْعَفْوَ وَهَبْ لِي الرِّضَا
قَدْ كُنْتُ أَرْجُوكَ لِنَيْلِ الْمُنَى ... فَالْيَوْمَ لَا أَطْلُبُ إِلَّا الرِّضَا

وَفِي سنة (٦٠٣هـ) قَبَضَ الْخَلِيفَةُ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ، بِسَبَبِ فِسْقِهِ وَفُجُورِهِ، وَقَدْ أُحْرِقَتْ كُتُبُهُ وَأَمْوَالُهُ قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ كُتُبِ الْفَلَاسِفَةِ، وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَأَصْبَحَ يَسْتَعْطِي مِنَ النَّاسِ، **وَهَذَا بِخَطِيئَةِ قِيَامِهِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ**؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ وَشَى بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ ابْنِ الْقَصَّابِ حَتَّى أُحْرِقَتْ بَعْضُ كُتُبِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَخَتَمَ عَلَى بَقِيَّتِهَا، وَنُفِيَ إِلَى وَاسِطٍ خَمْسَ سِنِينَ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: فِي اللهِ كِفَايَةٌ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

○ جلوس يوسف ابن الجوزي مكان أبيه

فِي غُرَّةِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٠٤هـ) شَهِدَ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوْزِيِّ عِنْدَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الدَّامَغَانِيِّ، فَقَبِلَهُ وَوَلَّاهُ حِسْبَةَ جَانِبَيْ بَغْدَادَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً سَوْدَاءَ بِطَرْحَةٍ كُحْلِيَّةٍ، وَبَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ جَلَسَ لِلْوَعْظِ مَكَانَ أَبِيهِ أَبِي الْفَرَجِ بِبَابِ بَدْرٍ الشَّرِيفِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَفِي سنة (٦٠٥هـ) عَادَ فَخْرُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ خَطِيبُ حَرَّانَ مِنَ الْحَجِّ إِلَى بَغْدَادَ وَجَلَسَ بِبَابِ بَدْرٍ لِلْوَعْظِ، مَكَانَ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ ذَلِكَ:

وَابْـنُ اللَّبُـونَ إِذَا مَـا لُـزَّ فِـي قَـرَنٍ[١]   لَـمْ يَسْـتَطِعْ صَوْلَـةَ البُـزْلِ الْقَنَاعِيسِ

كَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِالْمُحْيِي بْنِ الْجَوْزِيِّ، لِكَوْنِهِ شَابًّا ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وفي سنة (٦١٥هـ) وَلِيَ **حِسْبَةَ بَغْدَادَ** مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يجلس للوعظ عَلَى قَاعِدَةِ أَبِيهِ، وَشُكِرَتْ مُبَاشَرَتُهُ لِلْحِسْبَةِ.

وفِي سنة (٦١٦هـ) أَمَرَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْجَوْزِيِّ مُحْتَسِبُ بَغْدَادَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَكَسْرِ الْمَلَاهِي، فَفَعَلَ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ حمل السهروردي هدايا الملك العادل للخلافة

وَفِي سنة (٦٠٥ هـ) عَادَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ **السُّهْرَوَرْدِيُّ** مِنْ دِمَشْقَ إلى **بغداد** بِهَدَايَا الْمَلِكِ الْعَادِلِ، فَتَلَقَّاهُ الْجَيْشُ، وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فَقِيرًا زَاهِدًا، فَلَمَّا عَادَ مُنِعَ مِنَ الْوَعْظِ، وَأُخِذَتْ مِنْهُ الرُّبُطُ الَّتِي يُبَاشِرُهَا، وَوُكِّلَ إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَشَرَعَ فِي تَفْرِيقِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَاسْتَغْنَى مِنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

فَقَالَ الْمُحْيِي ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي مَجْلِسِهِ مَا مَعْنَاهُ: لَا حَاجَةَ بِالرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ أَمْوَالًا مِنْ غَيْرِ حَقِّهَا، وَيَصْرِفَهَا إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَكَانَ تَرْكُهَا أَوْلَى بِهِ مِنْ تَنَاوُلِهَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ تَرْتَفِعَ مَنْزِلَتُهُ بِبَذْلِهَا، أَوْ يَعُودَ إِلَى حَالِهِ كَمَا كَانَ، وَلَوْ تُرِكَ عَلَى مَا كَانَ يُبَاشِرُهُ لَمَا بَذَلَهَا، فَلْيَحْذَرِ الْعَبْدُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا خَدَّاعَةٌ غَرَّارَةٌ تَسْتَرِقُ فُحُولَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فَضْلًا عَنِ الْعَوَامِّ وَالْقُوَّادِ.

وَقَدْ وَقَعَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِيمَا بَعْدُ؛ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ السُّهْرَوَرْدِيُّ وَأَعْظَمَ.

(١) لـزّ في قـرن: يقال للبعيرين إذا قرنا في حبـل واحد قد لزًّا. والبزل: جمع بازل وهـو البعير الذي طلع نابه وذلـك في السـنة الثامنة أو التاسـعة. والقناعيس: من الإبل العظيم الضخم. انظـر: تاج العروس (ق ن ع س). والبيت منسوب لجرير.

○ توسع نفوذ الخليفة الناصر

فِي سـنة (٥٩١هـ) وَالَّتِي قَبْلَهَا اسْـتَحْوَذَ جَيْشُ الْخَلِيفَةِ عَلَى بِلَادِ الـرَّيِّ، وَأَصْبَهَانَ، وَهَمَذَانَ وَخُوزِسْتَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، **وَقَوِيَ جَانِبُ الْخِلَافَةِ** عَلَى الْمُلُوكِ وَالْمَمَالِكِ.

○ بناء سور حول بغداد

فِي سنة (٥٩٥هـ) شَرَعَ الخليفة فِي بِنَاءِ **سُورِ بَغْدَادَ** بِالْآجُرِّ وَالْكِلْسِ، وَكَمَلَتْ عِمَارَتُهُ بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ، فَأَمِنَتْ بَغْدَادُ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحِصَارِ.

○ حريق دار الخلافة

فِي سنة (٦٠١هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِدَارِ الْخِلَافَةِ فِي خَزَائِنِ السِّلَاحِ، فَاحْتَرَقَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ السِّـلَاحِ وَالْمُتْعَةِ وَالْمَسَـاكِنِ، وَشَـاعَ خَبَرُ هَـذَا الْحَرِيقِ فِي النَّاسِ، فَأَرْسَـلَتِ الْمُلُوكُ مِنْ سَـائِرِ الْأَقْطَارِ هَدَايَا ; أَسْلِحَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ عِوَضًا مِمَّا فَاتَ من الحريق؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ تولية نصير الدين العلوي الوزارة

فِي سـنة (٦٠٢هـ) اسْـتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ **نَصِيـرَ الدِّينِ نَاصِرَ بْنَ مَهْدِيٍّ الْعَلَوِيَّ الْحَسَـنِيَّ**، وَخَلَعَ عَلَيْهِ بِالْوِزَارَةِ وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَلَى بَابِهِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ.

○ تخصيص الخليفة أمكنة لإفطار الصائمين

فِي رَمَضَانَ سـنة (٦٠٤هـ) رَتَّبَ الْخَلِيفَةُ عِشْـرِينَ دَارًا لِلضِّيَافَةِ يُفْطِرُ فِيهَا **الصَّائِمُونَ** مِـنَ الْفُقَـرَاءِ، يُطْبَخُ فِي كُلِّ يَـوْمٍ فِيهَا طَعَـامٌ كَثِيرٌ، وَيُحْمَـلُ إِلَيْهَا أَيْضًا مِـنَ الْخُبْزِ النَّقِيِّ وَالْحَلْوَاءِ شَيْءٌ كَثِيرٌ أَيْضًا، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

○ بناء الخليفة داراً للضيافة

فِي مُحَرَّمٍ سـنة (٦٠٥هـ) تَكَامَلَ بِنَاءُ دَارِ الضِّيَافَةِ بِبَغْدَادَ الَّتِي أَنْشَأَهَا الخليفة النَّاصِرُ لِدِيـنِ اللهِ بِالْجَانِـبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ **لِلْحَاجِّ وَالْمَارَّةِ**; لَهُـمُ الضِّيَافَةُ مَا دَامُوا نَازِلِينَ بِهَا،

فَـإِذَا عَـزَمَ أَحَدُهُمْ عَلَى السَّـفَرِ مِنْهَا زُوِّدَ وَكُسِـيَ وَأُعْطِيَ بَعْـدَ ذَلِكَ كُلِّهِ دِينَارًا لِلسَّـفَرِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

○ وفاة علي ابن الخليفة

فِي سـنة (٦١٢هـ) كَانَتْ **وَفَاةُ** عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، ولي العهد، وحَزِنَ الْخَلِيفَـةُ عَلَيْهِ حُزْنًا عَظِيمًـا، وَكَذَلِكَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ؛ لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهِ وَإِحْسَـانِهِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ يَـوْمُ جَنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْـهُودًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعِشْـرِينَ مِـنْ ذِي الْقِعْدَةِ، وَصُلِّـيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ هُمَا: الْمُؤَيَّدُ أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْحَسَـنُ**، وَالْمُوَفَّقُ أَبُو الْفَضْلِ **يَحْيَى**

○ امتحان فخر الدين الرازي

فِي سنة (٥٩٥هـ) وَقَعَتْ **فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ** بِبِلَادِ **خُرَاسَانَ**، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ فَخْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْـنَ عُمَرَ الرَّازِيَّ أُسْـتَاذَ الْمُتَكَلِّمِيـنَ فِي زَمَانِهِ، وَفَـدَ إِلَى الْمَلِكِ غِيَاثِ الدِّيـنِ الْغُورِيِّ، صَاحِـبِ غَزْنَـةَ، فَأَكْرَمَهُ وَبَنَى لَهُ مَدْرَسَـةً بِهَـرَاةَ، وَكَانَ أَكْثَـرُ الْغُورِيَّةِ كَرَّامِيَّـةً؛ **فَأَبْغَضُوا الـرَّازِيَّ**، وَأَحَبُّوا إِبْعَادَهُ عَنِ الْمَلِكِ، فَجَمَعُوا لَهُ جَمَاعَةً مِـنَ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَخَلْقًا مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَحَضَرَ ابْنُ الْقُدْوَةِ وَكَانَ شَيْخًا مُعَظَّمًا فِي النَّاسِ، وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ ابْنِ كِرَامٍ وَابْنِ الْهَيْصَمِ، فَتَنَاظَرَ هُوَ وَالرَّازِيُّ، وَخَرَجَا مِنَ الْمُنَاظَرَةِ إِلَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ.

فَلَمَّـا كَانَ مِنَ الْغَـدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْـجِدِ الْجَامِـعِ، وَقَامَ وَاعِـظٌ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ فِـي خُطْبَتِـهِ: أَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّـا لَا نَقُولُ إِلَّا مَـا صَحَّ عِنْدَنَا عَـنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا عِلْمُ أَرِسْـطَالِيسَ، وَكُفْرِيَّاتُ ابْنِ سِـينَا، وَفَلْسَـفَةُ الْفَارَابِيِّ، فَلَا نَعْلَمُهَا، وَلِأَيِّ حَالٍ يُشْـتَمُ بِالْأَمْسِ شَـيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْإِسْـلَامِ، يَذُبُّ عَنْ دِينِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُـولِهِ. قَالَ: فَبَكَى النَّاسُ وَضَجُّـوا، وَبَكَـتِ الْكَرَّامِيَّـةُ وَاسْـتَغَاثُوا، وَأَعَانَهُمْ عَلَـى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ خَـوَاصِّ النَّاسِ، وَأَنْهَـوْا إِلَى الْمَلِكِ صُورَةَ مَا وَقَعَ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الرَّازِيِّ مِنْ بِلَادِهِ، وَعَادَ إِلَى هَرَاةَ؛ **فَلِهَذَا أُشْرِبَ قَلْبُ الرَّازِيِّ** بُغْضَ الْكَرَّامِيَّةِ، وَصَارَ يَلْهَجُ بِهِمْ فِي كَلَامِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ.

○ تولية الشَّهْرُزُورِيِّ قضاء قضاة بغداد

في سنة (٥٩٥هـ) اسْتَدْعَى **الْخَلِيفَةُ** النَّاصِرُ **قَاضِيَ الْمَوْصِلِ** ضِيَاءَ الدِّينِ بْنِ الشَّهْرُزُورِيِّ، فَوَلَّاهُ قَضَاءَ قُضَاةِ بَغْدَادَ.

○ تغلب محمود الحميري على ظفار

فِي سنة (٦٠٠هـ) تَغَلَّبَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيُّ عَلَى بَعْضِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ؛ ظِفَارَ وَغَيْرِهَا، وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ إِلَى سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَمَا بَعْدَهَا.

○ عزل قاضي القضاة في بغداد

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٠٠هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ لِقَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَلَبِيُّ بِدَارِ الْوَزِيرِ، وَثَبَتَ عَلَيْهِ مَحْضَرٌ بِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ الرُّشَا، فَعُزِلَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَفُسِّقَ، وَنُزِعَتِ الطَّرْحَةُ عَنْ رَأْسِهِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

○ الحرب بين أميري مكة والمدينة

فِي سنة (٦٠١هـ) وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ **أَمِيرِ مَكَّةَ قَتَادَةَ الْحَسَنِيِّ**، وَبَيْنَ **أَمِيرِ الْمَدِينَةِ سَالِمِ بْنِ قَاسِمِ الْحُسَيْنِيِّ**، وَكَانَ قَتَادَةُ قَدْ قَصَدَ الْمَدِينَةَ فَحَصَرَ سَالِمًا فِيهَا، فَرَكِبَ إِلَيْهِ سَالِمٌ بَعْدَمَا صَلَّى عِنْدَ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَاسْتَنْصَرَ اللهَ عَلَى قَتَادَةَ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ فَكَسَرَهُ، وَسَاقَ وَرَاءَهُ إِلَى مَكَّةَ فَحَصَرَهُ بِهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ قَتَادَةُ إِلَى أُمَرَاءِ سَالِمٍ فَأَفْسَدَهُمْ عَلَيْهِ، وَكَرَّ سَالِمٌ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ سَالِمٌ.

○ حوادث وكوارث

⊙ فِي سنة (٥٩٧هـ) **اشْتَدَّ الْغَلَاءُ** بِأَرْضِ مِصْرَ جِدًّا، فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ **فَنَاءٌ** عَظِيمٌ، حَتَّى حَكَى الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ فِي «الذَّيْلِ» أَنَّ الْعَادِلَ

كَفَّنَ مِنْ مَالِهِ فِي مُدَّةِ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَيِّتٍ، **وَأُكِلَتِ الْكِلَابُ وَالْمَيْتَاتُ بِمِصْرَ**، وَأُكِلَ مِنَ الصِّغَارِ وَالْأَطْفَالِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، يَشْوِيهِ وَالِدَاهُ وَيَأْكُلَانِهِ، وَكَثُرَ هَذَا فِي النَّاسِ حَتَّى صَارَ لَا يُنْكَرُ بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ صَارُوا يَحْتَالُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَأْكُلُونَ مَنْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يُضِيفُ صَاحِبَهُ فَإِذَا خَلَا بِهِ ذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ، وَوُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَرْبَعُمِائَةِ رَأْسٍ

⊙ **وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطِبَّاءِ** الَّذِينَ يُسْتَدْعُونَ إِلَى الْمَرْضَى، فَيُذْبَحُونَ وَيُؤْكَلُونَ؛ وَقَدِ اسْتَدْعَى رَجُلٌ طَبِيبًا فَخَافَ الطَّبِيبُ وَذَهَبَ مَعَهُ عَلَى وَجَلٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ وَجَدَهُ فِي الطَّرِيقِ وَيَذْكُرُ وَيُسَبِّحُ، وَيُكْثِرُ مِنْ ذَلِكَ، فَارْتَابَ بِهِ الطَّبِيبُ، وَمَعَ هَذَا حَمَلَهُ الطَّمَعُ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ مَعَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الدَّارِ إِذَا هِيَ خَرِبَةٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الدَّارِ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: وَمَعَ هَذَا الْبُطْءِ جِئْتَ لَنَا بِصَيْدٍ. فَلَمَّا سَمِعَهَا الطَّبِيبُ هَرَبَ، فَخَرَجَا خَلْفَهُ سِرَاعًا فَمَا خَلَصَ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ.

⊙ وفِي سنة (٥٩٧هـ) وَقَعَ **وَبَاءٌ شَدِيدٌ** بِبِلَادِ **عَنَزَةَ** بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ فِي عِشْرِينَ قَرْيَةً، فَبَادَتْ مِنْهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ قَرْيَةً، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ، وَبَقِيَتْ أَنْعَامُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ لَا قَانِيَ لَهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْكُنَ تِلْكَ الْقُرَى وَلَا يَدْخُلَهَا، بَلْ كَانَ مَنِ اقْتَرَبَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى هَلَكَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجِعُونَ

⊙ أَمَّا الْقَرْيَتَانِ الْبَاقِيَتَانِ فَإِنَّهُمَا لَمْ يَمُتْ مِنْهُمَا أَحَدٌ وَلَا عِنْدَهُمْ شُعُورٌ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ؛ بَلْ هُمْ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَمْ يُفْقَدْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

⊙ وفِي سنة (٥٩٧هـ) كَانَتْ **زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ**، ابْتَدَأَتْ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَالْعِرَاقِ، وَكَانَ جُمْهُورُهَا بِالشَّامِ، تَهَدَّمَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ، **وَخُسِفَ** بِقَرْيَةٍ مِنْ أَرْضِ **بُصْرَى**، وَأَمَّا **السَّوَاحِلُ** فَهَلَكَ فِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ طَرَابُلُسَ وَصُورَ وَعَكَّا وَنَابُلُسَ، وَلَمْ يَبْقَ بِنَابُلُسَ سِوَى حَارَةِ السَّامَرَّةِ وَمَاتَ بِهَا وَبِقُرَاهَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا تَحْتَ

الرَّدْمِ. وَسَقَطَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ **الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ** بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْمَيَادِينِ يَسْتَغِيثُونَ، وَسَقَطَ غَالِبُ **قَلْعَةِ بَعْلَبَكَّ** مَعَ وَثَاقَةِ بِنَائِهَا، وَانْفَرَقَ الْبَحْرُ إِلَى **قُبْرُسَ** وَحَذَفَ بِالْمَرَاكِبِ إِلَى سَاحِلِهِ، وَمَاتَ أُمَمٌ لَا يُحْصُونَ. حَتَّى قَالَ صَاحِبُ "مِرْآةِ الزَّمَانِ"[(١)]: إِنَّهُ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ وَمِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ.

- وفِي سنة (٦٠٠هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَقُبْرُسَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.

- وفِي سنة (٦٠٠هـ) قُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ بِوَاسِطٍ؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

- وفِي سنة (٦٠٨هـ) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ هَدَمَتْ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ دُورًا كَثِيرَةً، وَكَذَلِكَ بِمَدِينَةِ الْكَرَكِ وَالشَّوْبَكِ هَدَمَتْ مِنْ قَلْعَتِهَا أَبْرَاجًا، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالنِّسْوَانِ تَحْتَ الْهَدْمِ.

- وفِي سنة (٦١٠هـ) ظَهَرَتْ بَلَاطَةٌ وَهُمْ يَحْفِرُونَ فِي خَنْدَقِ حَلَبَ، فَوُجِدَ تَحْتَهَا مِنَ الذَّهَبِ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ رَطْلًا، وَمِنَ الْفِضَّةِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ بِالرَّطْلِ الْحَلَبِيِّ.

- وفِي سنة (٦١٤هـ) زَادَتْ دِجْلَةُ بِبَغْدَادَ زِيَادَةً عَظِيمَةً، وَارْتَفَعَ الْمَاءُ حَتَّى سَاوَى السُّورَ إِلَّا مِقْدَارَ أُصْبُعَيْنِ، ثُمَّ طَفَحَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهِ، وَأَيْقَنَ النَّاسُ بِالْهَلَكَةِ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ مَنَّ اللهُ فَتَنَاقَصَ الْمَاءُ، وَذَهَبَتِ الزِّيَادَةُ وَقَدْ بَقِيَتْ بَغْدَادُ تُلُولًا، وَتَهَدَّمَتْ أَكْثَرُ الْبِنَايَاتِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- وفي سنة (٦٢٢هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ بِسَبَبِ قِلَّةِ الْأَمْطَارِ وَانْتِشَارِ الْجَرَادِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ فَنَاءٌ كَثِيرٌ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ أَيْضًا، مَاتَ بِسَبَبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي الْبُلْدَانِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

---

(١) ٨/ ٢/ ص ٤٦٨.

ب ـ الأحداث المتعلقة بالدولة الأيوبية

○ وساطة صلاح الدين بين ملوك بني أُرتق

فِي سنة (٥٧٦هـ) هَادَنَ صَلَاحُ الدِّينِ **الْفِرِنْجَ**، وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَصْلَحَ بَيْنَ مُلُوكِهَا، مِنْ بَنِي أُرْتُقَ، وَكَرَّ عَلَى بِلَادِ الْأَرْمَنِ، **فَأَهَانَ مَلِكَهَا**، وَفَتَحَ بَعْضَ حُصُونِهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ غَنَائِمَ كَثِيرَةً جِدًّا، مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ لِأَنَّهُ **كَانَ قَدْ غَدَرَ بِقَوْمٍ** مِنَ التُّرْكُمَانِ أَوَوْا إِلَى بِلَادِهِ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ وَأُسَارَى يُطْلِقُهُمْ مِنْ أَسْرِهِ، وَآخَرِينَ يَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ أَيْدِي الْفِرِنْجِ.

○ سفر صلاح الدين إلى مصر

فِي رَجَبٍ سنة (٥٧٦هـ) سَارَ السُّلْطَانُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ لِيَنْظُرَ فِي أَحْوَالِهَا، وَيَصُومَ بِهَا رَمَضَانَ، **وَمِنْ عَزْمِهِ أَنْ يَحُجَّ عَامَهُ** ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الشَّامِ ابْنَ أَخِيهِ عِزَّ الدِّينِ فَرُّوخْشَاهْ بْنَ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ.

وكانت قد قَدِمَتْ له وهو بدمشق رُسُلُ **الْخَلِيفَةِ** النَّاصِرِ لدين الله ومعهم خِلَعٌ وَهَدَايَا إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ، فَلَبِسَ السُّلْطَانُ خِلْعَةَ الْخَلِيفَةِ بِدِمَشْقَ، وَزُيِّنَتْ لَهُ الْبَلَدُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَاسْتَصْحَبَ السُّلْطَانُ مَعَهُ إلى مصر **صَدْرَ الدِّينِ** أَبَا الْقَاسِمِ عَبْدَ الرَّحِيمِ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِبَغْدَادَ، الَّذِي قَدِمَ فِي الرُّسْلِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، فَدَخَلَ السُّلْطَانُ دِيَارَ مِصْرَ، وَتَلَقَّاهُ الْجَيْشُ.

○ حضور صلاح الدين مجالس الحديث

فِي سنة (٥٧٧هـ) اسْتُهِلَّتْ وَالْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ مُقِيمٌ بِالْقَاهِرَةِ، مُوَاظِبٌ عَلَى سَمَاعِ الْأَحَادِيثِ،

وَفِي شَوَّالٍ تَوَجَّهَ صلاح الدين إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَشَاهَدَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَحْصِينِ سُورِهَا وَعِمَارَةِ أَبْرَاجِهَا وَقُصُورِهَا، وَسَمِعَ «**مُوَطَّأَ الْإِمَامِ مَالِكٍ**» عَلَى الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرِ بْنِ عَوْفٍ، عَنِ الطَّرْطُوشِيِّ، وَسَمِعَ مَعَهُ الْعِمَادَ الْكَاتِبَ، وَأَرْسَلَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ إِلَى السُّلْطَانِ رِسَالَةً يُهَنِّئُهُ بِهَذَا السَّمَاعِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

○ وفاة الصالح إسماعيل بن نور الدين

فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٥٧٧هـ) كانت وَفَاةُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ **إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ** صَاحِبِ **حَلَبَ**، بِقَلْعَةِ حَلَبَ وَدُفِنَ بِهَا.

وَكَانَ **سَبَبُ وَفَاتِهِ** - فِيمَا قِيلَ - أَنَّه سُمّ فِي عُنْقُودِ عِنَبٍ فِي الصَّيْدِ، وَهُوَ شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَلَمْ يَبْلُغْ عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ أَعِفِّ الْمُلُوكِ، وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

وَلَمَّا يَئِسَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتَدْعَى الْأُمَرَاءَ، فَحَلَّفَهُمْ لِابْنِ عَمِّهِ **عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودٍ** صَاحِبِ الْمَوْصِلِ؛ لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ وَتُمَكُّنِهِ؛ فَلَمَّا مَاتَ اسْتَدْعَى الْحَلَبِيُّونَ عِزَّ الدِّينِ مَسْعُودَ بْنَ قُطْبِ الدِّينِ، صَاحِبَ الْمَوْصِلِ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلَ حَلَبَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ من هذه السنة، فَتَسَلَّمَ خَزَائِنَهَا وَحَوَاصِلَهَا، فَأَقَامَ بِحَلَبَ شُهُورًا، **وَتَزَوَّجَ بِأُمِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ فِي شَوَّالٍ**.

○ خروج صلاح الدين إلى الشام

فِي خَامِسِ الْمُحَرَّمِ سنة (٥٧٨هـ) كَانَ خروجُ صلاح الدين مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ؛ وكان ذلك آخر عهده بمصر حتى مات، وَكَانَ دُخُولُه إِلَى دِمَشْقَ سَابِعَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ (٥٧٨هـ) ثُمَّ خَرَجَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فاقتتل مع الفرنج في نواحي طبرية وبيسان، فقتل خلق من الفريقين، ولكن كانت الدائرة للمسلمين، ورجع مؤيداً منصوراً.

تملك صلاح الدين حلب وبلاد الجزيرة

فِي سنة (٥٧٨هـ) رَكِبَ صلاح الدين بعَسَاكِرِهِ قَاصِدًا **حَلَبَ** و**الموصل** لِيَأْخُذَهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوَاصِلَةَ وَالْحَلَبِيِّينَ قَدْ كَاتَبُوا الْفِرِنْجَ حَتَّى يَغْزُوَا عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ؛ لِيَشْغَلُوا صلاح الدين بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَكَانَ مَسِيرُهُ عَلَى بِلَادِ الْبِقَاعِ، ثُمَّ إِلَى حَمَاةَ، ثُمَّ إِلَى حَلَبَ، فَحَاصَرَهَا ثَلَاثًا، **وَرَأَى الْعُدُولَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا أَوْلَى بِهِ**، فَسَارَ حَتَّى قَطَعَ الْفُرَاتَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ، وَالْخَابُورَ، وَحَرَّانَ، وَالرُّهَا وَالرَّقَّةَ، وَنَصِيبِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَخَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ هُنَالِكَ، **ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ**، فَتَسَلَّمَهَا مِنْ صَاحِبِهَا عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ، فَاسْتَوْسَقَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَتَمَكَّنَ حِينَئِذٍ مِنْ قِتَالِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْفِرِنْجِ.

حفظ المدينة النبوية من الفرنج

فِي سنة (٥٧٧هـ) عَزَمَ الْبِرِنْسُ **صَاحِبُ الْكَرَكِ** لَعَنَهُ اللهُ، عَلَى قَصْدِ تَيْمَاءَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ؛ **لِيَتَوَصَّلَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ**، فَجُهِّزَتْ لَهُ سَرِيَّةٌ مِنْ دِمَشْقَ تَكُونُ حَاجِزَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَازِ، فَصَدَّهُ ذَلِكَ عَنْ قَصْدِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

نقض الفرنج لعهودهم

وفِي سنة (٥٧٧هـ) غَدَرَتِ **الْفِرِنْجُ وَنَقَضُوا عُهُودَهُمْ**، وَقَطَعُوا السُّبُلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَرًّا وَبَحْرًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا، فَأَمْكَنَ اللهُ مِنْ بُطْسَةٍ (سفينة) عَظِيمَةٍ لَهُمْ فِيهَا نَحْوٌ مِنْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ نَفْسٍ مِنْ رِجَالِهِمُ الْمَعْدُودِينَ فِيهِمْ، أَلْقَاهَا الْمَوْجُ إِلَى ثَغْرِ دِمْيَاطَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّلْطَانِ مِنْ مِصْرَ، فَأُحِيطَ بِهَا فَغَرِقَ بَعْضُهُمْ وَحَصَلَ فِي الْأَسْرِ نَحْوُ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنْهُمْ.

وفِي خَامِسِ الْمُحَرَّمِ سنة (٥٧٨هـ) كَانَ **خروجُ صلاح الدين** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ؛ وَقَدْ أَغَارَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى أَطْرَافِ **بِلَادِ الْفِرِنْجِ** بِأَرْضِ الْكَرَكِ وَجَعَلَ أَخَاهُ تَاجَ الْمُلُوكِ بُورِي بْنَ أَيُّوبَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ يَسِيرُ نَاحِيَةً عَنْهُ؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ بِلَادِ الْعَدُوِّ فَالْتَقَوْا عَلَى الْأَزْرَقِ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ.

فَاقْتَتَلَ مَعَ **الْفِرِنْجِ فِي نَوَاحِي طَبَرِيَّةَ** وَبَيْسَانَ تَحْتَ حِصْنِ كَوْكَبٍ، فَقُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَلَكِنْ كَانَتِ الدَّائِرَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَرَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

وَلَمَّا عَجَزَ **صاحب الْكَرَكِ** - لَعَنَهُ اللهُ - عَنْ إِيصَالِ الْأَذَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْبَرِّ، عَمِلَ مَرَاكِبَ فِي **بَحْرِ الْقُلْزُمِ** سنة (٥٧٨هـ) ; لِيَقْطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى التُّجَّارِ، وَالْحُجَّاجِ، فَوَصَلَتْ أَذِيَّتُهُمْ إِلَى **عَيْذَابَ**، [١] **وَخَافَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ** مِنْ شَرِّهِمْ، فَأَمَرَ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ - نَائِبُ مِصْرَ - الْأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ لُؤْلُؤًا صاحِبَ الْأُسْطُولِ، أَنْ يَعْمَلَ مَرَاكِبَهُ فِي بَحْرِ الْقُلْزُمِ لِمُحَارَبَةِ صاحب الْكَرَكِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فَظَفِرُوا بِهِمْ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ، وَحَرَّقُوا وَغَرَّقُوا، وَأَسَرُوا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، **وَأَمِنَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِإِذْنِ اللهِ.**

وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى أَخِيهِ يَشْكُرُ مَسَاعِيه، وَأَرْسَلَ إِلَى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ يُعَرِّفُهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ بَرًّا وَبَحْرًا، وَبِمَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ مِنْ أَنْعُمِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ سِرًّا وَجَهْرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ كَانَتِ **الْفِرِنْجُ** فِي غَيْبَةِ السُّلْطَانِ وَاشْتِغَالِهِ بِبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَتِلْكَ الْأُمُورِ، قَدْ عَاثَتْ فِي الْبِلَادِ بِالْإِفْسَادِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى عَسَاكِرِهِ ; لِيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَيَكُونُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ; لِيَتَصَدَّى لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ.

ثُمَّ رَحَلَ السُّلْطَانُ صلاح الدين مِنْ حَلَبَ فِي أَوَاخِرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٥٧٩هـ) بِجُيُوشِهِ وَعَسَاكِرِهِ، وَقَدْ جَعَلَ فِي حلب وَلَدَهُ **الظَّاهِرَ غَازِي**، وَوَلَّى قَضَاءَهَا لِمُحْيِي الدِّينِ بْنِ الزَّكِيِّ، فَاجْتَازَ **بِحَمَاةَ** ثُمَّ **بِحِمْصَ** ثُمَّ عَلَى **بَعْلَبَكَّ** ثُمَّ دَخَلَ دِمَشْقَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وَمِنْ **نِيَّتِهِ الْخُرُوجُ** سَرِيعًا **إِلَى** قِتَالِ **الْفِرِنْجِ**، فخرج من دمشق فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي جَحَافِلِهِ قَاصِدًا نَحْوَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَانْتَهَى إِلَى **بَيْسَانَ** فَنَهَبَهَا، وَنَزَلَ عَلَى **عَيْنِ جَالُوتَ** وَأَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيَّةً هَائِلَةً، فَوَجَدُوا **جَيْشَ الْكَرَكِ** مِنَ الْفِرِنْجِ قَاصِدِينَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ; نَجْدَةً لَهُمْ، فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ فَقَتَلُوا مِنَ الْفِرِنْجِ

(١) عيذاب: بلدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر) من جهة مصر. معجم البلدان ٣/ ٧٥١.

خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرُوا مِائَةَ أَسِيرٍ، وَلَمْ يُفْقَدْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى شَخْصٍ وَاحِدٍ.

وَبَلَغَ السُّلْطَانَ **أَنَّ الْفِرِنْجَ قَدِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِهِ**، فَقَصَدَهُمْ وَتَصَدَّى لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُصَافُّونَهُ، فَنكَلُوا عَنْهُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَطْرَافِهِمْ، فولوا نَاكِصِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَائِفِينَ مِنْهُ، فَرَجَعَ صلاح الدين إلى دمشق مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

وَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمُهُ بِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَصْرِهِمْ عَلَى الْفِرِنْجِ، وَكَانَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا طَالَعَ بِذَلِكَ الْخَلِيفَةَ؛ أَدَبًا وَطاعة وَاحْتِرَامًا.

❍ حصار صلاح الدين للكرك

فِي رَجَبٍ سنة (٥٧٩هـ) سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْكَرَكِ فَحَاصَرَهَا وَفِي صُحْبَتِهِ تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ ابْنُ أَخِيهِ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ لِيَحْضُرَ إِلَيْهِ لِيُوَلِّيَهُ حلَبَ وَأَعْمَالَهَا، وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ عَلَى الْكَرَكِ مُدَّةَ شَهْرِ رَجَبٍ، فَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهَا بِطَائِلٍ، ثم بَلَغَهُ أَنَّ الْفِرِنْجَ قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ للدفاع عن الْكَرَكِ، فَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى دِمَشْقَ ؛ لِيَلْقَاهُمْ.

وَأَرْسَلَ ابْنَ أَخِيهِ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ إِلَى مِصْرَ نَائِبًا، وَفِي صُحْبَتِهِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ، وَبَعَثَ أَخَاهُ أبابكرٍ عَلَى مَمْلَكَةِ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا، وَاسْتَقْدَمَ وَلَدَهُ الظَّاهِرَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَعْطَى السُّلْطَانُ أَخَاهُ الْعَادِلَ حَلَبَ لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَ مَشُورَتِهِ.

❍ المواجهة الشاملة مع الفرنج لفتح الكرك

فِي سنة (٥٨٠هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْعَسَاكِرِ الْحَلَبِيَّةِ وَالْجَزَرِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ **مِنْ مِصْرَ**، وَجَاءَ **مِنْ حَلَبَ** أَبُو بَكْرٍ الْعَادِلُ، وَقَدِمَتْ **مُلُوكُ الْجَزِيرَةِ وَسِنْجَارَ** وَتِلْكَ النَّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ، وَأَخَذَهَا كُلَّهَا مَعَ جَيْشِهِ، فَسَارَ بِهَا إِلَى **الْكَرَكِ** فَأَحْدَقُوا بِهَا فِي رَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى، وَرَكَّبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَكَانَتْ تِسْعَةً، وَأَخَذَ فِي حِصَارِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ فَتْحَهَا الْآنَ أَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُمْ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْحَجِيجِ وَالتُّجَّارِ فِي الْبَرَارِي وَالْبِحَارِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَلَغَهُ أَنَّ **الْفِرِنْجَ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ** كُلُّهُمْ فَارِسُهُمْ وَرَاجِلُهُمْ ; للدفاع عن الْكَرَكِ. فقصَدَهُمْ صلاح الدين، ونزَلَ عَلَى **حُسْبَانَ**[١] تُجَاهَهُمْ، ثُمَّ صَارَ إِلَى **مَاءِ عَيْنٍ، فهربت الْفِرِنْجُ** قَاصِدِينَ الْكَرَكَ، فَأَرْسَلَ وَرَاءَهُمْ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْجُيُوشَ بِالْإِغَارَةِ عَلَى السَّوَاحِلِ; لِخُلُوِّهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، فَنَهَبَتْ نَابُلُسَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَايَا، وَالرَّسَاتِيقِ. ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَذِنَ لِلْعَسَاكِرِ فِي الِانْصِرَافِ إِلَى بُلْدَانِهِمُ الشَّتَّى.

وَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِدِمَشْقَ؛ لِيُؤَدِّيَ فَرْضَ الصِّيَامِ، وَلِتَجِمَّ الْخَيْلُ.

○ الهدنة مع صاحب طرابلس

فِي سنة (٥٨٢هـ) هَادَنَ **قُومَصُ** طَرَابُلُسَ السُّلْطَانَ وَصَالَحَهُ وَصَافَاهُ، حَتَّى كَانَ يُقَاتِلُ مُلُوكَ الْفِرِنْجِ أَشَدَّ الْقِتَالِ وَيَسْبِي مِنْهُمُ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَكَادَ أَنْ يُسْلِمَ، وَلَكِنْ صَدَّهُ شَيْطَانُهُ وَرَمَاهُ بِالْخَبَالِ، **وَكَانَتْ مُصَالَحَتُهُ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ نُصْرَةِ السُّلْطَانِ** عَلَى الْفِرِنْجِ، وَمِنْ أَشَدِّ مَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

○ تملك صلاح الدين لآمد

فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ مُحَرَّمٍ سنة (٥٧٩هـ) تَسَلَّمَ صَلَاحُ الدِّينِ **مَدِينَةَ آمِدَ** صُلْحًا بَعْدَ حِصَارٍ طَوِيلٍ، مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا **ابْنِ نِيسَانَ**، بَعْدَمَا حَمَلَ مَا أَمْكَنَهُ مِنْ حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ وَأَثْقَالِهِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمَّا تَسَلَّمَ السُّلْطَانُ الْبَلَدَ وَجَدَ فِيهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَوَاصِلِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ وَالسِّلَاحِ.

○ تولية طغتكين بن أيوب اليمن

فِي سنة (٥٧٧هـ) وَلَّى السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ أَخَاهُ ظَهِيرَ الدِّينِ **طُغْتِكِينَ بْنَ أَيُّوبَ** نِيَابَةَ **الْيَمَنِ** فَمَلَّكَهُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ لِاخْتِلَافِ نُوَّابِهَا وَاضْطِرَابِ أَصْحَابِهَا، بَعْدَ وَفَاةِ تُورَانْشَاهْ أَخِي السُّلْطَانِ الَّذِي كَانَ افْتَتَحَهَا.

---

(١) مدينة من عمل البلقاء وهي بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وبساتين. صبح الأعشى ٤/ ١٠٦.

فَسَارَ فَوَصَلَهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ (٥٧٨هـ)، فَسَارَ فِيهَا أَحْسَنَ سِيرَةٍ، وَاحْتَاطَ عَلَى أَمْوَالِ نَائِبِ زَبِيدَ **حَطَّانِ بْنِ مُنْقِذٍ** وَكَانَتْ تُقَارِبُ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَأَمَّا نَائِبُ عَدَنَ فَخْرُ الدِّينِ عُثْمَانُ الزَّنْجِيلِيُّ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ قَبْلَ قُدُومِ طُغْتِكِينَ فَسَكَنَ الشَّامَ.

○ توسع صلاح الدين في بلاد إفريقية

فِي سنة (٥٧٧هـ) سَارَ **قَرَاقُوشُ** إِلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَقَاتَلَ عَسْكَرَ ابْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الموحدي، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ هُنَاكَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَأَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِأَنْ يُتِمَّ السُّورَ الْمُحِيطَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، وَذَلِكَ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِ صلاح الدين بمصر بِهَا حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ.

○ وفاة صاحب ماردين

فِي سنة (٥٨٠هـ) مَاتَ قُطْبُ الدِّينِ إِيلغَازِي، صَاحِبُ مَارْدِينَ، وَمَيَّافَارْقِينَ، وَتِلْكَ الْأَعْمَالِ وهو ابْنُ عَمِّ صلاح الدين، فَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ عَشْرُ سِنِينَ.

○ نجدة صلاح الدين لصاحب إربل

فِي أَوَاخِرِ سنة (٥٨٠هـ) بَلَغَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ أَنَّ **صَاحِبَ الْمَوْصِلِ** عِزَّ الدِّينِ مَسْعُودَ بْنَ قُطْبِ الدِّينِ قد هجم على **إِرْبِلَ**، فَبَعَثَ صَاحِبُهَا يَسْتَصْرِخُ بِالسُّلْطَانِ، فَرَكِبَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَيْهِ فِي جُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ، فَسَارَ إِلَى بَعْلَبَكَّ ثُمَّ إِلَى حِمْصَ ثُمَّ إِلَى حَمَاةَ، واسْتُهِلَّتْ سنة (٥٨١هـ) وَالسُّلْطَانُ مُخَيِّمٌ بِظَاهِرِ حَمَاةَ، فَسَارَ إِلَى حَلَبَ، وَتَلَقَّاهُ أَخُوهُ الْعَادِلُ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ، فَخَرَجَ مِنْهَا فِي صَفَرٍ؛ لِقَصْدِ الْمَوْصِلِ.

فَقَطَعَ الْفُرَاتَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَحَاصَرَهَا مُدَّةً، ثُمَّ تَرَحَّلَ عَنْهَا فِي آخِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَلَمْ يَفْتَحْهَا.

وَسَارَ إِلَى **خِلَاطَ** وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بُلْدَانٍ كَثِيرَةٍ، وَأَقَالِيمَ جَمَّةٍ بِبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ،

وَجَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ قَدِ اسْتَقْصَاهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «الْكَامِلِ» وَصَاحِبُ «الرَّوْضَتَيْنِ»، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوَاصِلَةِ، عَلَى أَنْ يَكُونُوا مَنْ جُنْدِهِ إِذَا نَدَبَهُمْ لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ، وَعَلَى أَنْ يَخْطُبَ لَهُ، وَتُضْرَبَ السِّكَّةُ بِاسْمِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ كُلِّهَا، وَاتَّفَقَ الْحَالُ وَزَالَ الْإِشْكَالُ.

○ مرض صلاح الدين وتعافيه

في سنة (٥٨١هـ) مَرِضَ صلاح الدين بَعْدَ الصلح مع صاحب الموصل مَرَضًا شَدِيدًا، وَهُوَ يَتَجَلَّدُ وَلَا يُظْهِرُ شَيْئًا مِنَ التَّأَلُّمِ حَتَّى قَوِيَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَتَزَايَدَ الْحَالُ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ فَخَيَّمَ هُنَالِكَ مِنْ شِدَّةِ أَلَمِهِ، وَقَصَدَهُ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ الْعَادِلُ مِنْ حَلَبَ بِالْأَطِبَّاءِ وَالْأَدْوِيَةِ، فَوَجَدَهُ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُوصِيَ وَيَعْهَدَ، فَقَالَ: مَا أُبَالِي وَأَنَا أَتْرُكُ مِنْ بَعْدِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا، يَعْنِي: أَخَاهُ الْعَادِلَ أبابكر صَاحِبَ حَلَبَ، وَتَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ صَاحِبَ حَمَاةَ، وَابْنَيْهِ عُثْمَانَ وَعَلِيَّ.

ثُمَّ نَذَرَ لِلَّهِ تَعَالَى لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ مَرَضِهِ هَذَا **لَيَصْرِفَنَّ هِمَّتَهُ كُلَّهَا إِلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ،** وَلَا يُقَاتِلُ بَعْدَ ذَلِكَ مُسْلِمًا، وَلَيَجْعَلَنَّ أَكْبَرَ هَمِّهِ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَوْ صَرَفَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْبِرِنْسَ صَاحِبَ الْكَرَكِ بِيَدِهِ؛ لِأَنَّهُ نَقَضَ الْعَهْدَ، فَغَدَرَ بِقَافِلَةٍ مِنْ تُجَّارِ مِصْرَ، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، وَضَرَبَ رِقَابَهُمْ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: **أَيْنَ مُحَمَّدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ؟** فَشَفَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَعَافَاهُ مِمَّا كَانَ ابْتَلَاهُ بِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ مِنْ حَرَّانَ بَعْدَ الْعَافِيَةِ فَدَخَلَ حَلَبَ ثُمَّ اجْتَازَ بِحَمَاةَ، وَحِمْصَ، **وَدَخَلَ إِلَى دِمَشْقَ،** وَقَدْ تَكَامَلَتْ عَافِيَتُهُ .

○ تقسيم صلاح الدين البلاد بين ابنيه

لما عَادَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ عَافِيَتِهِ فِي ثَانِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٥٨٢هـ)، اجْتَمَعَ بِالْقَاضِي الْفَاضِلِ وَاسْتَشَارَهُ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، وَلَا يُخْفِي عَنْهُ مَكْنُونَهُ،

فقَرَّرَ السُّـلْطَانُ فِي مُلْكِ دِمَشْـقَ **وَلَـدَهُ عَلِيًّا**، وفي مُلْكِ مِصْرَ **ولـده عُثْمَانَ**، وَيَكُونُ أخوه الْعَادِلُ أَتَابِكَ عثمان. [١]

○ معركة حطين الفاصلة

فِي سـنة (٥٨٣هـ) كَانَتْ وَقْعَةُ حِطِّيـنَ الَّتِي كَانَتْ أَمَارَةً وَمُقَدِّمَةً وَبِشَـارَةً لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتِنْقَاذِهِ مِنْ أَيْدِي الْكَافِرِينَ.

وَقد خرج السُّـلْطَانُ صلاح الدين مِنْ دِمَشْـقَ يَوْمَ السَّبْتِ مُسْتَهَلَّ الْمُحَرَّمِ، فَسَارَ إِلَى **رَأْسِ الْمَاءِ**، فَنَزَلَ وَلَدُهُ **الْأَفْضَلُ عليٌّ** هُنَاكَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ، وَتَقَدَّمَ السُّـلْطَانُ بِبَقِيَّةِ الْجَيْشِ إِلَى بُصْرَى فَخَيَّمَ عَلَى قَصْرِ أَبِي سَلَامَةَ يَنْتَظِرُ قُدُومَ الْحُجَّاجِ، وَفِيهِمْ أُخْتُهُ سِتُّ الشَّـامِ وَابْنُهَا حُسَـامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لَاجِينَ، لِيَسْـلَمُوا مِنْ مَعَرَّةِ إِبْرِنْسِ الْكَرَكِ الَّذِي غَدَرَ وَنَقَضَ الْعَهْدَ وَفَجَرَ.

فَلَمَّـا اجْتَازَ الْحَجِيجُ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ، سَـارَ السُّـلْطَانُ فَنَزَلَ الْكَـرَكَ، وَقَطَعَ مَا حَوْلَهُ مِـنَ الْأَشْـجَارِ وَرَعَى الـزُّرُوعَ وَأَكَلُوا الثِّمَـارَ، وَجَاءَتْهُ الْعَسَـاكِرُ الْمِصْرِيَّـةُ، فَنَزَلُوا عِنْدَ ابْـنِ السُّـلْطَانِ **الأفضل علي** عَلَى رَأْسِ الْمَاءِ، **وَبَعَثَ الْأَفْضَلُ** سَـرِيَّةً نَحْـوَ بِلَادِ الْفِرِنْجِ، فَقَتَلَتْ وَغَنِمَتْ وَرَجَعَتْ، فَبَشَّرَتْ بِمُقَدِّمَاتِ الْفَتْحِ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ فِي جَحَافِلِ، فَرَتَّبَ الْجُيُوشَ، وَسَـارَ قَاصِدًا بِلَادَ السَّـاحِلِ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا غَيْـرَ الْمُطَّوِّعَةِ، فَتَسَـامَعَتِ الْفِرِنْـجُ بِمَقْدَمِهِ، فَاجْتَمَعُـوا كُلُّهُمْ، وَتَصَالَحُـوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَجَـاءُوا بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ وَاسْـتَصْحَبُوا مَعَهُمْ صَلِيبَ الصَّلَبُوتِ، فِـي خَلْقٍ عَدَدَهُمْ يُقَالُ: خَمْسِينَ أَلْفًا. وَقِيلَ: ثَلَاثًا وَسِتِّينَ أَلْفًا.

وَقَـدْ **خَوَّفَهُـمْ صَاحِـبُ طَرَابُلُسَ** بِأْسَ الْمُسْـلِمِينَ، فَاعْتَـرَضَ عَلَيْهِ الْإِبْرَنْـسُ أَرْنَاطُ

(١) هـذا الـذي فعله السـلطان صلاح الدين من تقسـيم البلاد بيـن أولاده مع صغر أعمارهـم كانت له آثار سيئة، مـن وقوع الصراع بينهم علـى الملك، وتنافس إخوة صلاح الدين في الملك وطلب الاسـتقلال، مما أضعف الدولة الأيوبية، وهي تواجه عدواً شرسـاً من الصليبيين.

صَاحِبُ الْكَرَكِ فَقَالَ لَهُ: لَا أَشُكُّ أَنَّكَ تُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ وَتُخَوِّفُنَا كَثْرَتَهُمْ، وَالنَّارُ لَا تَخَافُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ، فَتَقَدَّمُوا.

وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ فَفَتَحَ **طَبَرِيَّةَ** وَتَقَوَّى بِمَا فِيهَا، وَحَازَ بُحَيْرَةَ طبرية فِي حَوْزَتِهِ، وَمَنَعَ الْكَفَرَةَ أَنْ يَصِلُوا إليها، فَبَرَزَ لَهُمُ السُّلْطَانُ إِلَى سَطْحِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ مِنْ طَبَرِيَّةَ عِنْدَ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: **حِطِّينُ**.

فَتَوَاجَهَ هُنَالِكَ الْجَيْشَانِ وَتَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبَاتَ النَّاسُ عَلَى مَصَافِّهِمْ وَأَسْفَرَ الصَّبَاحُ عَنْ يَوْمِ السَّبْتِ، وَذَلِكَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخَرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَكَانَ تَحْتَ أَقْدَامِ خُيُولِهِمْ هَشِيمُ حَشِيشٍ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ النَّفَّاطَةَ، فَرَمَوْهُ فَتَأَجَّجَ تَحْتَ سَنَابِكِ خُيُولِهِمْ نَارًا، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ حَرُّ الشَّمْسِ، وَحَرُّ الْعَطَشِ، وَحَرُّ النَّارِ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَحَرُّ رَشْقِ السِّهَامِ

ثُمَّ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِالتَّكْبِيرِ وَالْحَمْلَةِ الصَّادِقَةِ، فَكَانَ النَّصْرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَنَحَهُمُ اللهُ أَكْتَافَ الْكَفَرَةِ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأُسِرَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْ شُجْعَانِهِمْ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْأُسَارَى جَمِيعُ مُلُوكِهِمْ سِوَى قُومَصَ طَرَابُلُسَ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا.

حَتَّى ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَ الْفَلَّاحِينَ كان يَقُودُ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ أَسِيرًا مِنَ الْفِرِنْجِ، قَدْ رَبَطَهُمْ بِطُنُبِ خَيْمَةٍ، وَبَاعَ بَعْضُهُمْ أَسِيرًا بِنَعْلٍ لَبِسَهَا فِي رِجْلِهِ.

وَلَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ، أَمَرَ السُّلْطَانُ بِضَرْبِ مُخَيَّمٍ كبير، وجلس فيه، وَجِيءَ بِالْأُسَارَى، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُ جَمَاعَةٍ مِنْ مُقَدَّمِي الدَّاوِيَّةِ وَالْإِسْبَتَارِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا.

ثُمَّ جِيءَ بِالْمُلُوكِ فَأُجْلِسُوا عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، فَأُجْلِسَ مَلِكُهُمُ الْكَبِيرُ عَنْ يَمِينِهِ، وَتَحْتَهُ **أَرْنَاطُ إِبْرَنْسُ الْكَرَكِ**، وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجِيءَ السُّلْطَانُ بِشَرَابٍ مَثْلُوجٍ مِنَ الْجُلَّابِ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَ الْمَلِكَ فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَ مَلِكُهُمْ أَرْنَاطَ فَشَرِبَ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ، وَقَالَ: إِنَّمَا سَقَيْتُكَ، وَلَمْ آمُرْكَ أَنْ تَسْقِيَهُ، هَذَا لَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي.

ثُمَّ تحَوَّلَ السُّلْطَانُ إِلَى خَيْمَةٍ أخرى، **وَاسْتَدْعَى أَرْنَاطَ**، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَامَ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ: نَعَمْ أَنَا أَنُوبُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الِانْتِصَارِ لِأُمَّتِهِ. ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَامْتَنَعَ، فَقَتَلَهُ وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمُلُوكِ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا تَعَرَّضَ لِسَبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَتَلْتُهُ، وَلَمْ يُسْلِمْ مِمَّنْ عُرِضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ بَلَغَتِ الْقَتْلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَكَذَلِكَ الْأُسَارَى كَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا.

وَكَانَ جُمْلَةُ جَيْشِ الْفِرِنْجِ ثَلَاثَةً وَسِتِّينَ أَلْفًا، ثُمَّ أَرْسَلَ صلاح الدين بِرُؤَسَاءِ الْأُسَارَى، وَرُءُوسِ أَعْيَانِ الْقَتْلَى، وَبِصَلِيبِ الصَّلَبُوتِ **إِلَى دِمَشْقَ**، صُحْبَةَ الْقَاضِي ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ لِيُودَعُوا فِي قَلْعَتِهَا.

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى قَلْعَةِ طَبَرِيَّةَ فَفَتَحَهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَكَّا فَافْتَتَحَهَا صُلْحًا، وَأَخَذَ مَا كَانَ بِهَا مِنْ حَوَاصِلَ وَأَمْوَالٍ، وَاسْتَنْقَذَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ، فَوَجَدُوا بِهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ أَسِيرٍ مِنْهُمْ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْجُمُعَةِ بِهَا، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ بِالسَّاحِلِ بَعْدَ أَنْ أَخَذ الْفِرِنْجُ له، مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ دَائِمًا.

وَسَارَ مِنْهَا إِلَى صَيْدَا، وَبَيْرُوتَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي مِنَ السَّوَاحِلِ فَأَخَذَهَا، لِخُلُوِّهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَمِنَ الْمُلُوكِ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ غَزَّةَ، وَعَسْقَلَانَ، وَنَابُلُسَ، وَبَيْسَانَ، وَأَرَاضِي الْغُورِ، فَمَلَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، وَاسْتَنَابَ السُّلْطَانُ عَلَى نَابُلُسَ ابْنَ أَخِيهِ حُسَامَ الدِّينِ **عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ لَاجِينَ**، وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَهَا.

وَكَانَ جُمْلَةُ مَا افْتَتَحَهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ قَرِيبًا مِنْ **خَمْسِينَ بَلَدًا**، كُلُّ بَلْدَةٍ لَهَا مُقَاتِلَةٌ وَقَلْعَةٌ وَمَنَعَةٌ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَاسْتَبْشَرَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا بِهَذَا النَّصْرِ الْعَظِيمِ وَالْفُتُوحَاتِ الْهَائِلَةِ. وَتَرَكَ السُّلْطَانُ جُيُوشَهُ **لِيَسْتَرِيحُوا وَيُجَمِّعُوا** أَنْفُسَهُمْ وَخُيُولَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الشَّرِيفِ.

وَقَدِ **امْتَدَحَ الشُّعَرَاءُ** الْمَلِكَ صَلَاحَ الدِّينِ بِسَبَبِ **وَقْعَةِ حِطِّينَ** فَقَالُوا وَأَكْثَرُوا، وَأَطَابُوا وَأَطْنَبُوا.

○ الفتح الكبير فتح بيت المقدس

بعد الانتصار في معركة حطين في سنة (٥٨٣هـ) طَارَ فِي النَّاسِ أَنَّ السُّلْطَانَ عَزَمَ عَلَى فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَصَدَهُ الْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَالْمُتَطَوِّعَةُ مِنْ كُلِّ مكان، فَاجْتَمَعَ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَمِنَ الْجُيُوشِ الْمُتَطَوِّعَةِ خلقٌ كَثِيرٌ.

وقد تمهد الأمر بافْتِتَاحِ السُّلْطَانُ مَا حَوْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنَ الأرض المباركة، وَمَا يَقْرُبُ مِنْ تِلْكَ السَّوَاحِلِ، فَسَارَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الشَّرِيفِ يَوْمَ الْأَحَدِ، فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٥٨٣هـ) فَنَزَلَ غَرْبِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقَدْ حَصَّنَتِ الْفِرِنْجُ، الْأَسْوَارَ بِالْمُقَاتِلَةِ، وَكَانُوا سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَكَانَ صَاحِبُ الْبَلَدِ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: **بَالِيَانُ بْنُ بَارْزَانَ**. وَمَعَهُ مَنْ سَلِمَ مِنْ وَقْعَةِ حِطِّينَ مِنَ الدَّاوِيَّةِ وَالْإِسْبِتَارِيَّةِ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ، فَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِمَنْزِلِهِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَسَلَّمَ إِلَى كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ جَيْشِهِ الْمَنْصُورِ نَاحِيَةً مِنْ أَبْرِجَةِ السُّورِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ؛ لِأَنَّهُ رَآهَا أَوْسَعَ وَأَنْسَبَ لِلْمَجَالِ، وَالْجِلَادِ وَالنِّزَالِ، وَقَاتَلَ الْفِرِنْجَ دُونَ الْبَلَدِ قِتَالًا هَائِلًا، وَاسْتُشْهِدَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَنَقَ عِنْدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْإِسْلَامِ، وَاجْتَهَدُوا فِي الْقِتَالِ، وَقَدْ نُصِبَتِ الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ، وَالْعُيُونُ تَنْظُرُ إِلَى الصُّلْبَانِ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ فَوْقَ الْجُدْرَانِ، حَتَّى فَوْقَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ، فَبَادَرَ السُّلْطَانُ أَيَّدَهُ اللهُ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ السُّورِ، فَنَقَبَهَا وَعَلَّقَهَا، وَحَشَاهَا بِالنِّيرَانِ وَأَحْرَقَهَا، فَسَقَطَ ذَلِكَ الْجَانِبُ، وَخَرَّ الْبُرْجُ بِرُمَّتِهِ، فَلَمَّا شَاهَدَ الْفِرِنْجُ ذَلِكَ الْحَادِثَ المفظع، قَصَدَ أَكَابِرُهُمُ السُّلْطَانَ وَتَشَفَّعُوا إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمُ الْأَمَانَ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ: لَا أَفْتَحُهَا إِلَّا كَمَا افْتَتَحْتُمُوهَا عَنْوَةً، وَلَا أَتْرُكُ بِهَا أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى إِلَّا قَتَلْتُهُ كَمَا قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَطَلَبَ صَاحِبُهَا **بَالِيَانُ بْنُ بَارْزَانَ** مِنَ السُّلْطَانِ الْأَمَانَ لِيَحْضُرَ عِنْدَهُ فَأَمَّنَهُ، فَلَمَّا حَضَرَ تَرَقَّقَ لَهُ، وَتَشَفَّعَ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالُوا: لَئِنْ لَمْ تُعْطِنَا الْأَمَانَ رَجَعْنَا فَقَتَلْنَا كُلَّ أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَيْدِينَا - وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ - وَقَتَلْنَا ذَرَارِينَا، وَخَرَّبْنَا الدُّورَ وَالْأَمَاكِنَ الْحَسَنَةَ، وَأَتْلَفْنَا مَا بِأَيْدِينَا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأَلْقَيْنَا قُبَّةَ الصَّخْرَةِ، وَلَا نُبْقِي مُمْكِنًا فِي إِتْلَافِ مَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نُقَاتِلُ قِتَالَ الْمَوْتِ، فَلَا يُقْتَلُ وَاحِدٌ مِنَّا حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَادًا مِنْكُمْ، فَمَاذَا تَرْتَجِي بَعْدَ هَذَا مِنَ الْخَيْرِ؟

فَلَمَّا **سَمِعَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ أَجَابَ إِلَى الصُّلْحِ**، عَلَى أَنْ يَبْذُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَنْ نَفْسِهِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَعَنِ الْمَرْأَةِ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ، وَعَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَصَغِيرَةٍ دِينَارَيْنِ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ أَسِيرًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ تَكُونَ الْغَلَّاتُ وَالْأَسْلِحَةُ وَالدُّورُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَتَحَوَّلُوا مِنْهَا إِلَى مَأْمَنِهِمْ وَهِيَ مَدِينَةُ صُورَ. فَكُتِبَ الصُّلْحُ عَلَى ذَلِكَ، وَمَنْ لَا يَبْذُلُ مَا شُرِطَ عَلَيْهِ إِلَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَهُوَ أَسِيرٌ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ أُسِرَ بِهَذَا الشَّرْطِ **سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ**.

وَدَخَلَ السُّلْطَانُ وَالْمُسْلِمُونَ الْبَلَدَ قُبَيْلَ وَقْتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِقَلِيلٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ.

قَالَ الْعِمَادُ: وَهِيَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا.

قَالَ **أَبُو شَامَةَ**: وَهُوَ أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِي الْإِسْرَاءِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَلَمْ يَتَّفِقْ لِلْمُسْلِمِينَ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ يَوْمَئِذٍ، خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا أُقِيمَتْ يَوْمَئِذٍ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ خَطَبَ بِنَفْسِهِ بِالسَّوَادِ يَوْمَئِذٍ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْجُمُعَةَ لَمْ يُمْكِنْ إِقَامَتُهَا يَوْمَئِذٍ لِضِيقِ الْوَقْتِ، وَإِنَّمَا أُقِيمَتْ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَكَانَ الْخَطِيبُ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، الْقُرَشِيَّ بْنَ الزَّكِيِّ.

أعمال صلاح الدين ببيت المقدس

⊙ نُظِّفَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يَوْمَئِذٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصُّلْبَانِ وَالرُّهْبَانِ وَالْخَنَازِيرِ.

⊙ خُرِّبَتْ دُورٌ لِلدَّاوِيَّةِ، وَكَانُوا قَدْ بَنَوْهَا غَرْبِيَّ الْمِحْرَابِ الْكَبِيرِ، وَاتَّخَذُوا الْمِحْرَابَ حشًّا (١) - لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى - فَنُظِّفَ الْمَسْجِدُ مِنْ ذَلِكَ، وَأُعِيدَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ

⊙ غُسِلَتِ الصَّخْرَةُ بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ، وَأُعِيدَ غَسْلُهَا بِمَاءِ الْوَرْدِ الْفَاخِرِ، وَأُبْرِزَتْ لِلنَّاظِرِينَ، وَقَدْ كَانَ الْفِرِنْجُ قَطَعُوا مِنْهَا قِطَعًا فَبَاعُوهَا إِلَى مُلُوكِ الْبُحُورِ بِزِنَتِهَا مِنَ الذَّهَبِ، فَتَعَذَّرَ اسْتِعَادَةُ مَا نَقَصَ مِنْهَا وَمَا ذَهَبَ.

⊙ فَرَّقَ السُّلْطَانُ جَمِيعَ مَا قَبَضَ مِنْهُمْ مِنَ الذَّهَبِ فِي الْعَسْكَرِ، وَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا يُقْتَنَى وَيُدَّخَرُ. وَكَانَ حَلِيمًا كَرِيمًا مِقْدَامًا شُجَاعًا رَحِيمًا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

⊙ أقيمت أَوَّل جُمُعَةٍ فِيهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبَانَ، بَعْدَ يَوْمِ الْفَتْحِ بِثَمَانٍ، فَنُصِبَ الْمِنْبَرُ، وَبُسِطَتِ الْبُسُطُ الرَّفِيعَةُ، وَعُلِّقَتِ الْقَنَادِيلُ، وَتُلِيَ التَّنْزِيلُ، بدل الإنجيل، وَأُقِيمَتِ الصَّلَوَاتُ، وَنَطَقَ الْأَذَانُ، وَامْتَلَأَ الْجَامِعُ.

⊙ عَيَّنَ الْقَاضِي **مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ** خَطِيبًا، فَلَبِسَ الْخِلْعَةَ السَّوْدَاءَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَقَدْ كَسَاهُ اللهُ الْبَهَاءَ، فَخَطَبَ بِالنَّاسِ خُطْبَةً عَظِيمَةً سَنِيَّةً بَلِيغَةً، ذَكَرَ فِيهَا شَرَفَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ. وَقَدْ أَوْرَدَ الخطبة الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ فِي "الرَّوْضَتَيْنِ" بِطُولِهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ حِينَ تَكَلَّمَ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] ثُمَّ أَوْرَدَ تَحْمِيدَاتِ الْقُرْآنِ كُلَّهَا، **ثُمَّ قَالَ**: الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ الْإِسْلَامِ بِنَصْرِهِ، وَمُذِلِّ الشِّرْكِ بِقَهْرِهِ، وَمُصَرِّفِ الْأُمُورِ بِأَمْرِهِ، وَمُدِيمِ النِّعَمِ بِشُكْرِهِ، وَمُسْتَدْرِجِ الْكَافِرِينَ بِمَكْرِهِ، الَّذِي قَدَّرَ الْأَيَّامَ دُوَلًا بِعَدْلِهِ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ بِفَضْلِهِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...وَذَكَرَ الْخَطِيبُ تَمَامُ الْخُطْبَتَيْنِ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، ثُمَّ **لِلسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ**، رَحِمَهُمَا اللَّهُ،

(١) الحش: بفتح الحاء: الكنيف، موضع قضاء الحاجة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٣٩٠.

◉ بَعْدَ صلاةِ الجمعة جَلَسَ الشَّيْخُ **زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَجَا الْمِصْرِيُّ** عَلَى كُرْسِيِّ الْوَعْظِ بِإِذْنِ السُّلْطَانِ، فَوَعَظَ النَّاسَ وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا وَحَالًا مَحْمُودًا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

◉ قَرَّرَ السُّلْطَانُ لِلْقُدْسِ **خَطِيبًا مُسْتَقِرًّا**، بعد أَرْبَعِ جُمُعَاتٍ، خطبها الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ.

◉ وَأَرْسَلَ إِلَى حَلَبَ فَاسْتَحْضَرَ الْمِنبَرَ الَّذِي كَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَقَدْ كَانَ يُؤَمِّلُ أَنْ يَكُونَ فَتْحُهُ عَلَى يَدَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

◉ أَمَرَ الْفَقِيهَ ضِيَاءَ الدِّينِ عِيسَى الْهَكَّارِيَّ أَنْ يَعْمَلَ حَوْلَ الصَّخْرَةِ شَبَابِيكَ مِنْ حَدِيدٍ، وَرَتَّبَ لَهَا إِمَامًا رَاتِبًا، وَوَقَفَ عَلَيْهِ رِزْقًا جَيِّدًا.

◉ عَمِلَ لِلشَّافِعِيَّةِ الْمَدْرَسَةَ الصَّلَاحِيَّةَ، وَيُقَالُ لَهَا: النَّاصِرِيَّةُ.

◉ وَوَقَفَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ رِبَاطًا، وَأَجْرَى عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ الْجَامَكِيَّاتِ وَالْجِرَايَاتِ،

◉ وَأَرْصَدَ الْخَتَمَاتِ وَالرَّبَعَاتِ فِي أَرْجَاءِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، لِمَنْ يَقْرَأُ أَوْ يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ. وتَنَافَسَ بَنُو أَيُّوبَ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ لِلْقَادِمِينَ وَالْقَاطِنِينَ، فَجَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا أَجْمَعِينَ.

◉ عَزَمَ السُّلْطَانُ عَلَى هَدْمِ قُمَامَةَ، وَجَعْلِهَا دَكًّا؛ لِتَنْحَسِمَ مَادَّةُ النَّصَارَى مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَتْرُكُونَ الْحَجَّ إِلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ، وَلَوْ تَرَكْتَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَدْ فَتَحَ هَذِهِ الْبَلَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَتَرَكَ هَذِهِ الْكَنِيسَةَ بِأَيْدِيهِمْ، فَلَكَ فِي ذَلِكَ أُسْوَةٌ. فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا عَلَى حَالِهَا تَأَسِّيًا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، وَلَمْ يَتْرُكْ بِهَا مِنَ النَّصَارَى سِوَى أَرْبَعَةٍ يَخْدُمُونَهَا.

- هـدَمَ الْمَقَابِـرَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ عِنْدَ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَعفَّى آثَارَهَا، وَهَدَمَ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْقِبَابِ.
- أطلق أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقُدْسِ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ إِعْطَاءَاتٍ هَنِيَّةً، وَكَسَاهُمْ حُلَلًا سَنِيَّةً، وَانطَلَقَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى وَطَنِهِ، وَعَادَ إِلَى أَهْلِهِ وَسَكَنِهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

حصار مدينة صور

ارتحل السُّـلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ عن الْقُدْسِ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ شَـعْبَانَ سنة (٥٨٣هـ)، وسَارَ بِجَيْشِهِ فَقَصَدَ **مَدِينَةَ صُورَ**، وَكَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَ فتحها، وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا بَعْـدَ وَقْعَةِ حِطِّينَ رَجُلٌ مِـنَ تُجَّارِ الفرنج، يُقَالُ لَهُ: الْمَرْكِيـسُ، فَحَصَّنَهَا، وَضَبَطَ أَمرَهَا وَحفَرَ حَوْلَهَا خَنْدَقًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَجُمْهُورُهَا فِي الْبَحْرِ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ فَحَاصَرَهَا مُدَّةً، وَاسْـتَدْعَى بِالْأُسْـطُولِ مِنَ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْبَحْـرِ، فَاحْتَاطَ بِهَا بَرًّا وَبَحْـرًا، فَعَـدَتِ الْفِرنْجُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي عَلَى خَمْسِ شُـوَانٍ مِنَ الْأُسْـطُولِ، فَمَلَكَتْهَا، وَنكَبَتْهَا، فَأَصْبَحَ الْمُسْـلِمُونَ وَاجِمِينَ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْبَرْدُ، وَقَلَّتِ الْأَزْوَادُ، وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَاتُ، فَسَأَلُوا السُّلْطَانَ أَنْ يَنْصَرِفَ بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ فِي هَذَا الْوَقْتِ حَتَّى يَسْتَرِيحُوا، فَأَجَابَهُمْ بَعْدَ تَمَنُّعٍ مِنْهُ.

عودة السلطان إلى دمشق

وَلَمَّا وَصَلَ السُّـلْطَانُ إِلَى عَكَّا سنة (٥٨٣هـ) وهو في طريقه **إلى دمشق** نَزَلَ بِقَلْعَتِهَا، وَأَسْـكَنَ وَلَدَهُ الْأَفْضَلَ بُرْجَ الدَّاوِيَّةِ، وَوَلَّى نِيَابَتَهَا عِزَّ الدِّينِ جُرْدَيْك، وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى السُّـلْطَانِ بِتَخْرِيبِ مَدِينَةِ عَكَّا خَوْفًا مِنْ عَـوْدِ الْفِرنْجِ إِلَيْهَا، فَكَادَ، وَلَمْ يَفْعَلْ، وَلَيْتَهُ فَعَلَ، بَلْ وَكَّلَ بِعِمَارَتِهَا بَهَاءَ الدِّينِ **قَرَاقُوشَ التَّقَوِيَّ**.

ووصل السلطان إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وجَاءَتْهُ رُسُلُ الْمُلُوكِ بِالتَّهَانِي مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ، **وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ يَعْتِبُ عَلَيْهِ** فِي أَشْيَاءَ مِنْهَا: أَنَّهُ لَقَّبَ نَفْسَهُ **بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ** مُضَاهَاةً لِلْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ، فَتَلَقَّى الرَّسُولَ بِالْبِشْرِ وَاللُّطْفِ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُ إِلَّا السَّمْعَ

وَالطَّاعَةَ، وَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ مِمَّا وَقَعَ بِأَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ قَدْ شَغَلَتْهُ عَنِ التَّرَوِّي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَأَمَّا **لَقَبُهُ بِالنَّاصِرِ** فَهُوَ مِنْ أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضِيءِ، وَمَعَ هَذَا فَمَهْمَا لَقَّبَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ الَّذِي لَا يُعْدَلُ عَنْهُ، وَتَأَدَّبَ مَعَ الْخَلِيفَةِ غَايَةَ الْأَدَبِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى.

وكَانَ دُخُولُ السُّلْطَانِ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ **فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ** سنة (٥٨٤هـ)، فَفَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ وَزُيِّنَ الْبَلَدُ، وَوَجَدَ **الصَّفِيَّ بْنَ الْقَابِضِ** وَكِيلَ الْخِزَانَةِ قَدْ بَنَى لِلْمَلِكِ دَارًا بِالْقَلْعَةِ هَائِلَةً مُطِلَّةً عَلَى الشَّرَفِ الْقِبْلِيِّ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَعَزَلَهُ مِنْ وَظِيفَتِهِ، وَقَالَ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِلْمُقَامِ بِدِمَشْقَ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا **لِلْعِبَادَةِ وَالْجِهَادِ** في سبيله، وهذا الذي عملتَه مما يثبط النفوس، ويقعدها عما خُلِقت له.

وَجَلَسَ السُّلْطَانُ للناس بِدَارِ الْعَدْلِ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَأَهْلُ الْفَضْلِ، وَزَارَ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ فِي بُسْتَانِهِ، وَحَكَى لَهُ مَاكَانَ مِنَ الْأُمُورِ، وَاسْتَشَارَهُ فِيمَا يَفْعَلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْمُهِمَّاتِ وَالْغَزَوَاتِ.

○ خطة صلاح الدين في إسقاط الحصون

- فِي محرم سنة (٥٨٤هـ) حَاصَرَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ **حِصْنَ كَوْكَبَ** فَرَآهُ مَنِيعًا صَعْبًا، وَوَقْتُهُ مَشْغُولٌ بِغَيْرِهِ، فَوَكَّلَ بِهِ الْأَمِيرَ **قَايْمَازَ النَّجْمِيَّ** فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ يُضَيِّقُونَ عَلَيْهِ الْمَسَالِكَ.
- وَوَكَّلَ في السنة نفسها **بِصَفَدَ** - وَكَانَتْ **لِلدَّاوِيَّةِ** - خَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ مَعَ **طُغْرُلَ الْجَانْدَارِ**، يَمْنَعُونَ وُصُولَ الْمِيرَةِ وَالتَّقَاوِي.
- وَبَعَثَ في نفس الوقت أيضًا إِلَى **الْكَرَكِ وَالشُّوبَكِ** جَيْشًا آخَرَ يُحَاصِرُونَهُ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَى أَهْلِهِ، لِيَتَفَرَّغَ مِنْ أُمُورِهِ لِقِتَالِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ وَحِصَارِهَا.
- وخَرَجَ السلطان بنفسه مِنْ دِمَشْقَ فِي جُيُوشِهِ سنة (٥٨٤هـ)، فَسَلَكَ عَلَى **جَبَلِ نَبُوسَ**، وَدَخَلَ **الْبِقَاعَ** وَخَيَّمَ عَلَى **بَعْلَبَكَّ**

- وَسَارَ إِلَى **حِمْص**، وَجَاءَتْهُ عَسَاكِرُ الْجَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى **الْعَاصِي**، [١] فَسَارَ إِلَى السَّوَاحِلِ الشَّامِيَّةِ، فَفَتَحَ **أَنْطَرْطُوس** وَغَيْرَهَا مِنَ الْحُصُونِ، وَفَتَحَ **جَبَلَةَ وَاللَّاذِقِيَّةَ**، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْمُدُنِ عِمَارَةً،
- وَفَتَحَ صِهْيُونَ، [٢] **وَبَكَاس، وَالشُّغْر**: وَهُمَا قَلْعَتَانِ عَلَى الْعَاصِي حَصِينَتَانِ، فَتَحَهُمَا عَنْوَةً،
- وَفَتَحَ حِصْنَ **بَرْزَيَهْ**: وَهِيَ قَلْعَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى شَاهِقِ جَبَلٍ عَالٍ مَنِيعٍ، تَحْتَهَا أَوْدِيَةٌ عَمِيقَةٌ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحَصَانَتِهَا فِي سَائِرِ بِلَادِ الْفِرِنْجِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَحَاصَرَهَا أَشَدَّ حِصَارٍ، وَرَكَّبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ الْكِبَارَ، وَفَرَّقَ الْجَيْشَ ثَلَاثَ فِرَقٍ، كُلُّ فَرِيقٍ يَلُونَ الْقِتَالَ، فَإِذَا كَلُّوا وَتَعِبُوا خَلَفَهُمُ الْآخَرُونَ، حَتَّى لَا يَزَالَ الْقِتَالُ مُسْتَمِرًّا لَيْلًا وَنَهَارًا صَبَاحًا وَمَسَاءً، فَكَانَ فَتْحُهَا فِي نَوْبَةِ السُّلْطَانِ، فَأَخَذَهَا عَنْوَةً فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، وَاسْتَوْلَى عَلَى حَوَاصِلِهَا وَأَمْوَالِهَا، وَقَتَلَ حُمَاتَهَا وَرِجَالَهَا،
- ثُمَّ فتح **حِصْنَ دَرْبَسَاك**، وَ**حِصْنَ بَغْرَاس** [٣] كُلُّ ذَلِكَ يَفْتَحُهُ عَنْوَةً فَيَغْنَمُ وَيَسْلَمُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

الهدنة مع صاحب أنطاكية

في سنة (٥٨٤هـ) سمت همة صلاح الدين العالية إلى فتح **أَنْطَاكِيَةَ**: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قد سيطر على مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، وَاسْتَظْهَرَ عَلَيْهَا، فَرَاسَلَهُ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَةَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْهُدْنَةَ؛ عَلَى أَنْ يُطْلِقَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَجَابَهُ السُّلْطَانُ إِلَى ذَلِكَ؛

(١) العاصي: اسم نهر حماة وحمص، مخرجه من بحيرة قدس، ومصبه في البحر قرب أنطاكية. معجم البلدان ٣/ ٥٨٨

(٢) صهيون: بكسر أوله المراد هنا حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص، لكنه ليس بمشرف على البحر وهي قلعة حصينة مكينة، في طرف جبل خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٤٣٦).

(٣) حصن في جبل اللّكام بينه وبين أنطاكية أربعة فراسخ. معجم البدان ١/ ٦٩٣.

لِعِلْمِهِ بِضَجرِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالْأَعْوَانِ، فَوُقِّعَتِ الْهُدْنَةُ **عَلَى سَبْعَةِ أَشْهُرٍ**، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ مَنْ تَسَلَّمَ مِنْهُ الْأُسَارَى، وَقَدْ ذُلَّتْ دَوْلَةُ النَّصَارَى.

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ فمر **بِحَلَبٍ**، فَنَزَلَ بِقَلْعَتِهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثم إِلَى **حَمَاةَ** فَنَزَلَ بِقَلْعَتِهَا لَيْلَةً،، ثُمَّ سَارَ فَنَزَلَ بِقَلْعَةِ **بَعْلَبَكَّ**، وَدَخَلَ إِلَى حَمَّامِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى **دِمَشْقَ** مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وَجَاءَتْهُ الْبَشَائِرُ بِفَتْحِ الْكَرَكِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ كَانُوا مُحَاصِرِينَ، وَأَرَاحَ اللهُ تِلْكَ النَّاحِيَةَ، وَسَهَّلَ حَزْنَهَا عَلَى السَّالِكِينَ مِنَ التُّجَّارِ وَالْحُجَّاجِ وَالْغُزَاةِ.

○ فتح صفد وصور وحصن كوكوب

أقام السُّلْطَانُ بِدِمَشْقَ أَيَّامًا مُعَدَّدَةً، ثم خَرَجَ بِجَيْشِهِ قَاصِدًا بِلَادَ **صَفَدَ**، مَعْقِلَ الدَّاوِيَّةِ، فَنَازَلَهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ، سنة (٥٨٤هـ) وَحَاصَرَهَا بِالْمَنْجَنِيقَاتِ وَالشُّجْعَانِ، وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا يُصْبِحُ الْمَاءُ فِيهِ جَلِيدًا، فَمَا زَالَ حَتَّى فَتَحَهَا صُلْحًا فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. ثُمَّ سَارَ إِلَى **صُورَ** فاستولى عليها من غير قتال.

ثُمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى حِصْنِ **كَوْكَبَ** مَعْقِلِ الْإِسْبِتَارِيَّةِ، وَكَانُوا أَبْغَضَ أَجْنَاسِ الْفِرِنْجِ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَحَاصَرَ **قَلْعَةَ كَوْكَبَ** حَتَّى قَهَرَهَا، وَأَسَرَهَا، وَتَمَهَّدَتْ تِلْكَ السَّوَاحِلُ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا مَنَازِلُ قَاطِنِيهَا.

فَسَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَصَلَّى فِيهِ الْجُمُعَةَ، وَعَيَّدَ فِيهِ عِيدَ الْأَضْحَى، ثُمَّ سَارَ وَمَعَهُ أَخُوهُ الْعَادِلُ إِلَى عَسْقَلَانَ، ثُمَّ أَقْطَعَه الْكَرَكَ عِوَضًا عَنْ عَسْقَلَانَ، وَسار السُّلْطَانُ إلى **عَكَّا** فأقام بها حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ.

○ مؤامرة لعودة الدولة الفاطمية

فِي سنة (٥٨٤هـ) خَرَجَتْ **طَائِفَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ** بِمِصْرَ يُرِيدُونَ أَنْ يُعِيدُوا دَوْلَةَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَاغْتَنَمُوا غَيْبَةَ الْعَادِلِ عَنْ مِصْرَ، فَبَعَثُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يُنَادُونَ فِي اللَّيْلِ: يَا لَعَلِيٍّ، يَا لَعَلِيٍّ. بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَامَّةَ تُجِيبُهُمْ إِلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ وَلَا مَنَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ انْهَزَمُوا، فَأُدْرِكُوا وَأُخِذُوا وَحُبِسُوا،

وَلَمَّا بَلَغَ أَمْرُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ سَاءَهُ ذَلِكَ وَاهْتَمَّ لَهُ، فَقَالَ القاضي الْفَاضِلُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرَحَ وَلَا تَحْزَنَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُصْغِ إِلَى دَعْوَةِ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةِ أَحَدٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَلَوْ أَنَّكَ بَعَثْتَ مِنْ قِبَلِكَ جَوَاسِيسَ يَخْتَبِرُونَ رَعِيَّتَكَ لَسَرَّكَ مَا يَبْلُغُكَ عَنْهُمْ. فَسَرَّى ذَلِكَ عَنْهُ.

○ وقعة عكا وحصارها

فِي شَهْرُ رَجَبٍ فِي سنة (٥٨٥هـ) اجْتَمَعَ مَنْ كَانَ **بِصُورَ** مِنَ الْفِرِنْجِ، وَسَارُوا إِلَى مَدِينَةِ **عَكَّا** فَحاصروها، فَتَحَصَّنَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعَدُّوا لِلْحِصَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.

وَبَلَغَ السُّلْطَانَ خَبَرُهُمْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ دِمَشْقَ مُسْرِعًا، فَوَجَدَهُمْ قَدْ أَحَاطُوا بِهَا، كَإِحَاطَةِ الْخَاتَمِ بِالْخِنْصَرِ، فَلَمْ يَزَلْ يُدَافِعُهُمْ عَنْهَا، وَيُمَانِعُهُمْ مِنْهَا، حَتَّى جَعَلَ طَرِيقًا إِلَى بَابِ الْقَلْعَةِ، يَصِلُ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَهُ، ثُمَّ أدخل إليها مَا أَرَادَ مِنْ آلَاتٍ وَأَمْتِعَةٍ، وَمُقَاتِلَةٍ، وَدَخَلَ السلطان بِنَفْسِهِ، فَعَلَا سُورَهَا، وَنَظَرَ إِلَى الْفِرِنْجِ وَجَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ، وَالْمِيرَةُ تَفِدُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَحْرِ، وَفِي كُلِّ حِينٍ تَصِلُ إِلَيْهِمُ الْأَمْدَادُ، وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى مُخَيَّمِهِ، وَالْجُنُودُ تَصِلُ إِلَيْهِ، وَتُقْدِمُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ.

وكَانَ سَبَبَ تجمع الفرنج وخروجهم مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ (١): أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْقُسُوسِ رَكِبُوا مِنْ مَدِينَةِ صُورَ، يَطُوفُونَ الْبُلْدَانَ الْبَحْرِيَّةَ يَحُثُّونَهُمْ عَلَى الِانْتِصَارِ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ السَّوَاحِلِ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، وَقَدْ صَوَّرُوا صُورَةَ الْمَسِيحِ وَصُورَةَ عَرَبِيٍّ يَضْرِبُهُ، **فَإِذَا سَأَلُوهُمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَضْرِبُ الْمَسِيحَ؟** قَالُوا: هَذَا نَبِيُّ الْعَرَبِ، يَضْرِبُهُ وَقَدْ جَرَحَهُ، وَمَاتَ، فَيَنْزَعِجُونَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ لِنُصْرَةِ دِينِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ، حَتَّى النِّسَاءُ والأبناء.

ثُمَّ بَرَزَتِ الْفِرِنْجُ فِي نَحْوٍ مِنْ **أَلْفَيْ فَارِسٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ** رَاجِلٍ فِي الْعَشْرِ الْأُخَرِ مِنْ شَعْبَانَ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ فِيمَنْ مَعَهُ، فَاقْتَتَلُوا بِمَرْجِ عَكَّا قِتَالًا عَظِيمًا، وَهُزِمَ

---

(١) الكامل ١٢/ ٤٤.

جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، ثُمَّ كَانَـتِ الْكَرَّةُ عَلَى الْفِرِنْجِ فِي آخِرِهِ ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعـراف: ١٢٨] فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ قَرِيـبُ الْمِائَتَيْنِ، وَأَمَّـا الْفِرِنْجُ فَكَانَتِ الْقَتْلَى مِنْهُمْ أَزْيَدَ مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ قَتِيلٍ.

ثم تَحَوَّلَ السُّـلْطَانُ صلاح الدين مِنْ مَكَانِهِ الْأَوَّلِ إِلَى مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنْ رَائِحَةِ الْقَتْلَى، خَوْفًا مِنَ الْوَخَمِ وَالْأَذَى، ولِيَسْتَرِيحَ الْخَيَّالَةُ وَالْخَيْلُ.

فاغْتَنَـم العدو ذلـك، فَحَفَرُوا حَوْلَ مُخَيَّمِهِمْ خَنْدَقًا لِجَمِيعِ جَيْشِـهِمْ مِـنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْـرِ مُحْدِقًـا، وَاتَّخَذُوا مِنْ تُرَابِهِ سُـورًا شَـاهِقًا، وَجعَلُوا لَـهُ أَبْوَابًا يَخْرُجُـونَ مِنْهَا إِذَا أَرَادُوا، وَتَمَكَّنُـوا فِـي مَنْزِلِهِـمْ ذَلِكَ، وَقَوِيَ الْخَطْـبُ، وَازْدَادَ الْحَالُ سـوءا، وَكَانَ رَأْيُ السُّـلْطَانِ أَنْ يُنَاجِـزُوا بَعْدَ المعركة سَـرِيعًا، وَلَا يُتْرَكُوا حَتَّى يَطِيبَ رِيـحُ الْبَحْرِ فَتَأْتِيَهِمُ الْأَمْدَادُ، فَاعْتَذَرَ الْأُمَرَاءُ بِالْمَلَالِ وَالضَّجَرِ، فَأَرْسَـلَ السُّلْطَانُ إِلَى دار الخلافة والْمُلُوكِ يَسْتَنْفِرُهم، فكَتَبَ الْخَلِيفَة بِالتَّحْضِيضِ وَالْحَثِّ، فَجَاءَتْ الْأَمْدَادُ

وَأَرْسَـلَ السـلطان إِلَى مِصْرَ يَطْلُبُ أَخَاهُ الْعَادِلَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَيَسْـتَعْجِلُ الْأُسْطُولَ، فَوَصَـلَ إِلَيْـهِ فِي خَمْسِـينَ قِطْعَةً فِـي الْبَحْرِ مَعَ الْأَمِيرِ حُسَـامِ الدِّينِ لُؤْلُـؤٍ، فَحِينَ وَصَلَ الْأُسْطُولُ حَادَتْ مَرَاكِبُ الْفِرِنْجِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَخَافَتْ كُلُّهَا مِنْهُ، وَاتَّصَلَتْ بِالْبَلَدِ الْمِيرَةُ وَالْعَدَدُ وَالْعُدَدُ، وَانْشَرَحَتِ الصُّدُورُ بَعْدَ الضِّيقِ وَالْكَمَدِ، وَانْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْحَالُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

واسْتُهِلَّتْ سنة (٥٨٦هـ) وَالسُّـلْطَانُ مُحَاصِرٌ لِمُحَاصِرِي عَكَّا، وَأَمْدَادُ الْفِرِنْجِ تَقْدَمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَحْرِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

وجـاء الْخَبَـرُ بِأَنَّ **مَلِـكَ الْأَلْمَانِ** قَـدْ أَقْبَلَ فِي نَحْـوِ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْـفِ مُقَاتِلٍ مِـنْ نَاحِيَةِ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ يُرِيدُ أَخْذَ الشَّـامِ، انْتِصَارًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ هَمًّا عَظِيمًا، وَلَكِـنَّ اللهَ لَطَفَ بِهِمْ، وَأَهْلَكَ غَالِبَ أُمَّةِ الْأَلْمَانِ فِي الطُّرُقَاتِ بِالْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالضَّلَالِ فِي الْمَهَالِكِ.

فَمَا زَالَ يَمُرُّ بِإِقْلِيمٍ بَعْدَ إِقْلِيمٍ وَيُتَخَطَّفُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيُقْتَلُونَ كَمَا يُقْتَلُ الْحَيَوَانُ حَتَّى اجْتَازَ مَلِكُهُمْ بِنَهْرٍ شَدِيدِ الْجَرْيَةِ فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْبَحَ فِيهِ، فَلَمَّا صَارَ فِيهِ حَمَلَهُ الْمَاءُ إِلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ فَشَجَّتْ رَأْسَهُ وَأَخْمَدَتْ أَنْفَاسَهُ، فَأُقِيمَ وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ، وَقَدْ تَمَزَّقَ شَمْلُهُمْ وَقَلَّ عَدَدُهُمْ حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَصْحَابِهِمُ الْمُحَاصِرِينَ لَعَكَّا وَهُمْ فِي أَلْفِ فَارِسٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ قَدْرٌ وَلَا قِيمَةٌ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ.

وقد جَاءَتْ كُتُبُ صَاحِبِ الرُّومِ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ يَعْتَذِرُ [١] إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ مِنْ جِهَةِ **مَلِكِ الْأَلْمَانِ** وَأَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزْ مُلْكَهُ وَلَا بَلَدَهُ بِاخْتِيَارِهِ، وإنما لِكَثْرَةِ جُنُودِهِ.

وَأَرْسَلَ صاحب الروم إِلَى السُّلْطَانِ يَقُولُ لَهُ: إِنِّي سَأُقِيمُ عِنْدِي لِلْمُسْلِمِينَ جُمُعَةً، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ مَعَ رَسُولِهِ خَطِيبًا وَمِنْبَرًا، فَكَانَ يَوْمُ دُخُولِهِمْ إِلَيْهِ يَوْمًا مَشْهُودًا، فَأُقِيمَتِ الْخُطْبَةُ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، وَاجْتَمَعَ فِيهَا مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتُّجَّارِ وَالْمُسَافِرِينَ

وقـد مَاتَ ابْنُ مَلِكِ الْأَلْمَانِ فِي ثَانِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٥٨٦هـ) وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُبَرَاء وسَادَاتِ الْفِرِنْجِ لانتشار المرض فيهم، فَحَزِنَ الْفِرِنْجُ عَلَى ابْنِ مَلِكِ الْأَلْمَانِ حُزْنًا عَظِيمًا، وَصَارَ يَهْلِكُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفِرِنْجِ الْمِائَةُ وَالْمِائَتَانِ، وَاسْتَأْمَنَ إِلَى صلاح الدين جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، مِنْ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ وَالضِّيقِ وَالْحَصْرِ، وَأَسْلَمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَلَمَّا انْفَصَلَ الشِّتَاء، جَاءَتِ الأمداد من المسلمين، **وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ** إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ **أَحْمَالًا مِنَ النِّفْطِ وَالرِّمَاحِ**، وَنَفَّاطَةً وَنَقَّابِينَ، كُلٌّ مِنْهُمْ مُتْقِنٌ فِي صَنْعَتِهِ غَايَةَ الْإِتْقَان، وَمَرْسُومًا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وجاءت مَرَاكِبُ الْفِرِنْجِ مِنْ كُلِّ جَزِيرَةٍ، يَنْصُرُونَ أَصْحَابَهُمْ، وَيَمُدُّونَهُمْ بِالْقُوَّةِ وَالْمِيرَةِ، وَعَمِلَتِ الْفِرِنْجُ ثَلَاثَةَ أَبْرِجَةٍ، مِنْ خَشَبٍ وَحَدِيدٍ، عَلَيْهَا جُلُودٌ مُسْقَاةٌ بِالْخَلِّ؛ لِئَلَّا يَعْمَل

(١) ذلك أن صاحب القسطنطينية قد هادن السلطان صلاح الدين، والتزم على ألا يعين الفرنج في قتال المسلمين.

فِيهَا النِّفْطُ، يَسَعُ الْبُرْجُ مِنْهَا خَمْسَمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أَبْرِجَةِ الْبَلَدِ، وَهِيَ مُرَكَّبَةٌ عَلَى عَجَلٍ، بِحَيْثُ يُدِيرُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا، وَعَلَى ظَهْرِ كُلِّ بُرْجٍ، مِنْهَا مَنْجَنِيقٌ كَبِيرٌ، فَأَهَمَّ أَمْرُهَا الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْمَلَ السُّلْطَانُ فِكْرَهُ فِي إِحْرَاقِهَا، فَاسْتَحْضَرَ النَّفَّاطِينَ، وَوَعَدَهُمُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ فَانْتُدِبَ شَابٌّ نَحَّاسٌ مِنْ دِمَشْقَ، يُعْرَفُ **بِعَلِيِّ ابْنِ عَرِيفِ النَّحَّاسِينَ**.

فَأَخَذَ النِّفْطَ الْأَبْيَضَ، وَخَلَطَهُ بِأَدْوِيَةٍ عَرَفَهَا، وَغَلَا ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ قُدُورٍ مِنْ نُحَاسٍ، حَتَّى صَارَ نَارًا تَأَجَّجُ، وَرَمَى كُلَّ بُرْجٍ مِنْهَا بِقَدْرٍ مِنْ تِلْكَ الْقُدُورِ بِالْمَنْجَنِيقِ مِنْ دَاخِلِ عَكَّا، فَاحْتَرَقَتِ الْأَبْرِجَةُ الثَّلَاثَةُ، بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، حَتَّى صَارَتْ نَارًا لَهَا فِي الْجَوِّ أَلْسِنَةٌ مُتَصَاعِدَةٌ، فضج الْمُسْلِمُونَ بِالتَّهْلِيلِ، وَاحْتَرَقَ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا سَبْعُونَ كافراً، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٥٨٦هـ) وَكَانَتِ الْفِرَنْجُ تَعِبُوا فِيهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَاحْتَرَقَتْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ عَرَضَ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ الشَّابِّ النَّحَّاسِ الْعَطِيَّةَ السَّنِيَّةَ فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِهَا وَقَالَ: **إِنَّمَا عَمِلْتُ هَذَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَرَجَاءَ** مَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ.

وَأَقْبَلَ الْأُسْطُولُ الْمِصْرِيُّ، ومعه الْمِيرَةُ الْكَثِيرَةُ لِأَهْلِ عكا، فَعَبَّى الْفِرَنْجُ أُسْطُولَهُمْ لِيُحَارِبُوا أُسْطُولَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَهَضَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ لِيَشْغَلَهُمْ عَنْ قِتَالِ الْأُسْطُولِ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ أَيْضًا، وَاقْتَتَلَ **الْأُسْطُولَانِ** فِي الْبَحْرِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا عَظِيمًا وَحَرْبًا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَما ظَفِرَتِ الْفِرِنْجُ إلا بِشِينِيٍّ وَاحِدٍ مِنَ أسطول الْمُسْلِمِينَ، وَسَلَّمَ اللهُ الْبَاقِيَ فَوَصَلَ.

وَتَقَدَّمَتِ الْجُيُوشُ بِرُمَّتِهَا إِلَى صلاح الدين فَقَتَلُوا مِنَ الْكَفَرَةِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَجَمُوا مَرَّةً عَلَى الْمُخَيَّمِ بَغْتَةً فَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْتِعَةِ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ **رَأْسَ الْمَيْمَنَةِ** - فَرَكِبَ فِي أَصْحَابِهِ، وَأَمْهَلَ الْفِرِنْجَ حَتَّى تَوَغَّلُوا بَيْنَ الْخِيَامِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ بِالرِّمَاحِ، وَالْحُسَامِ فَتَهَارَبُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا زَالَ يَقْتُلُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ، وَحُزِرَ مَا قَتَلَ مِنْهُمْ فَأَقَلُّ مَا قِيلَ خَمْسَةُ آلَافٍ.

وَكَانَ الَّذِينَ سَاقُوا وَرَاءَهُمْ وَأَسَرُوهُمْ أَقَلَّ مِنْ أَلْفٍ، وَإِنَّمَا قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشَرَةٌ أَوْ دُونَهُمْ، وَهَذِهِ نُصْرَةٌ عَمِيمَةٌ، وَقَدْ أَوْهَنَ هَذَا جَيْشَ الْفِرِنْجِ وَأَضْعَفَهُ، وَكَادُوا يَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَيَنْصَرِفُونَ عَنِ الْبَلَدِ، فجاءهم مَدَد إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ مَلِكٍ يُقَالُ لَهُ: **كُنْدَهِرِيٌّ** - لَعَنَهُ اللهُ - وَمَعَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، فَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْرُزُوا مَعَهُ لِلِقَاءِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَنَصَبَ عَلَى عَكَّا مَنْجَنِيقَيْنِ، فَأَحْرَقَهُمَا أَهْلُ الْبَلَدِ.

وَكَتَبَ مُتَوَلِّي عَكَّا الْأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَاقُوش فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السُّلْطَانِ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَقْوَاتِ إِلَّا مَا يُبَلِّغُهُمْ إِلَى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى السُّلْطَانِ أَسَرَّهَا فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لِأَحَدٍ، خَوْفًا مِنْ شُيُوعِ ذَلِكَ.

وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْأُسْطُولِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ يَقْدَمَ بِالْمِيرَةِ إِلَى عَكَّا فَتَأَخَّرَ سَيْرُهُ ثُمَّ وَصَلَتْ ثَلَاثُ بُطُسٍ لَيْلَةَ النِّصْفِ فِيهَا مِنَ الْمِيرَةِ مَا يَكْفِي أَهْلَ الْبَلَدِ طُولَ الشِّتَاءِ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْبَلَدِ نَهَضَ إِلَيْهَا أُسْطُولُ الْفِرِنْجِ لِيَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَلَدِ وَيُتْلِفَ مَا فِيهَا فَاقْتَتَلُوا فِي الْبَحْرِ قِتَالًا شَدِيدًا عَظِيمًا وَالْمُسْلِمُونَ فِي الْبَرِّ يَبْتَهِلُونَ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي سَلَامَتِهَا، فنصرهم الله، وسَلَّمَ مَرَاكِبَهُمْ، وَدَخَلَتِ الْبَلَدَ سَالِمَةً، فَفَرِحَ بِهَا أَهْلُ الْبَلَدِ وَالْجَيْشُ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَهَّزَ قَبْلَ ذلك بُطْسَةً عَظِيمَةً مِنْ بَيْرُوت فِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ غِرَارَةٍ وَشَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ المؤن وَالنِّفْطِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُطْسَةُ مِنْ بُطُسِ الْفِرِنْجِ الْمَغْنُومَةِ.

وَأَمَرَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْبَحَّارَةِ أَنْ يَتَزَيَّوا بِزِيِّ الْفِرِنْجِ، وَشَدُّوا الزَّنَانِير، وَاسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ فِي الْبُطْسَةِ شَيْئًا مِنَ الْخَنَازِير، وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى مَرَاكِبِ الْفِرِنْجِ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ، حَتَّى وَلَجُوا الْمِينَاءَ، وَأَفْرَغُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ - **وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ** -

وَكَانَ مِينَاءُ الْبَلَدِ يَكْتَنِفُهَا **بُرْجَانِ** يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: **بُرْجُ الذِّبَّانِ**، فَاتَّخَذَتِ الْفِرِنْجُ بُطْسَةً عَظِيمَةً لَهَا خُرْطُومٌ، وَفِيهِ حَرَكَاتٌ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَسْوَارِ وَالْأَبْرِجَةِ

قَلَبُوهُ فَوَصَلَ إِلَى مَا أَرَادُوا فَعظُمَ أَمْرُ هَذِهِ الْبُطْسَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَزَالُوا فِي أَمْرِهَا مُحْتَالِينَ حَتَّى أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهَا شُوَاظًا مِنْ نَارٍ فَأَحْرَقَهَا وَأَغْرَقَهَا.

وَفِي ثَالِثِ رَمَضَانَ **اشْتَدَّ حِصَارُ الْفِرِنْجِ** لِلْبَلَدِ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى الْخَنْدَقِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْبَلَدِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَتَمَكَّنُوا مِنْ حَرِيقِ الْكَبْشِ (نوع من السفن) الَّذِي اتَّخَذُوهُ لِحِصَارِ الْأَسْوَارِ.

وكتب القاضي الفاضل كِتَابًا إلى السلطان يَذْكُرُ فِيهِ: أَنَّ **سَبَبَ التَّطْوِيلِ فِي حصار عكا،** إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ، وَيَقُولُ: **إِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بطَاعَتِهِ،** وَلَا يُفَرِّجُ الشَّدَائِدَ إِلَّا بالرُّجُوعِ إِلَيْهِ وَالِامْتِثَالِ لِشَرِيعَتِهِ، وَالْمَعَاصِي فِي كُلِّ مَكَانٍ بَادِيَةٌ، وَالْمَظَالِمُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَاشِيَةٌ، وقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَدْ ظَهَرَ فِيهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ مَا لَا يُمْكِنُ تَلَافِيهِ إِلَّا بِكُلْفَةٍ كَثِيرَةٍ.

وقال أيضًا: إِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا وَلَوْ صَدَقْنَاهُ لَعَجَّلَ لَنَا عَوَاقِبَ صِدْقِنَا، وَلَوْ أَطَعْنَاهُ لَمَّا عَاقَبَنَا بِعَدُوِّنَا، وَلَوْ فَعَلْنَا مَا نَقدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ لَفَعَلَ لَنَا مَا لَا نَقدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِهِ،

فَلَا تُنْتَظَرُ الْعَسَاكِرُ أَنْ تَكْثُرَ، وَلَا الْأَمْوَالُ أَنْ تُحْضَرَ، وَلَا فُلَانٌ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَاتِلَ...، فَكُلُّ هَذِهِ مَشَاغِلُ عَنِ اللهِ لَيْسَ النَّصْرُ بِهَا، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَكِلَنَا اللهُ إِلَيْهَا.

وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ صَاحِبُ "الرَّوْضَتَيْنِ" [1] هَاهُنَا كُتُبًا عِدَّةً مِنَ الْفَاضِلِ إِلَى السُّلْطَانِ **فِيهَا**: فَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ وَمَوَاعِظُ وَتَحْضِيضٌ عَلَى الْجِهَادِ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ وَزِيرٍ مَا كَانَ أَنْصَحَهُ، وَمِنْ عَقْلٍ مَا كَانَ أَرْجَحَهُ.

وَكَتَبَ **الْقَاضِي الْفَاضِلُ** كِتَابًا بَلِيغًا عَنِ السُّلْطَانِ صلاح الدين ومعه هدية سنية، إِلَى مَلِكِ الْغَرْبِ وَسُلْطَانِ الْمُوَحِّدِينَ **يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ** يَسْتَنْجِدُ بِهِ فِي إِرْسَالِ مَرَاكِبَ فِي الْبَحْرِ تَكُونُ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمَرَاكِبِ الْإِفْرِنْجِيَّةِ، وَلَمْ يُفِدْ هَذَا

(١) ٢/ ١٦٥-١٧٠.

الْإِرْسَالُ شَيْئًا؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ تَغَضَّبَ إِذْ لَمْ يُلَقَّبْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. (١)

وَلَمَّا دَخَلَ فَصْلُ الشِّتَاءِ سنة (٥٨٦هـ) **انْشَمَرَتْ مَرَاكِبُ الْإِفْرِنْجِ** عَنِ الْبَلَدِ خَوْفًا مِنَ الْهَلَاكِ بِسَبَبِ اغْتِلَامِ الْبَحْرِ، فَسَأَلَ أهلُ عكا مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُرِيحَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَصْرِ وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَى الْبَلَدِ بَدَلَهُمْ، فَرَقَّ لَهُمُ السُّلْطَانُ وَعَزَمَ عَلَى ذَلِك، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفَ مُسْلِمٍ، مَا بَيْنَ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ، فَجَهَّزَ جَيْشًا آخَرَ غَيْرَهُمْ، **وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِرَأْيٍ جَيِّدٍ**؛ وَلَكِنْ مَا قَصَدَ السُّلْطَانُ إِلَّا خَيْرًا، وَكَانَتْ للأولين خِبْرَةٌ بِالْبَلَدِ وَبِالْقِتَالِ، وَصَبْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ تَمَرَّنُوا عَلَى ذلك، وَجُهِّزَتْ لِهَؤُلَاءِ سَبْعُ بُطُسٍ، **فِيهَا**: مِيرَةٌ تَكْفِيهِمْ سَنَةً كَامِلَةً، فَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهَا لَمَّا تَوَسَّطَتِ الْبَحْرَ وَاقْتَرَبَتْ مِنَ الْمِينَاءِ، هَاجَتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ فِي الْبَحْرِ فَتَلَعَّبَتْ بِتِلْكَ الْبُطُسِ عَلَى عِظَمِهَا، وَتَصَادَمَتْ فَتَكَسَّرَتْ وَغَرِقَتْ وَغَرِقَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْمِيرَةِ وَالْبَحَّارَةِ، فَدَخَلَ بِسَبَبِ ذَلِك وَهْنٌ عَظِيمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ جِدًّا، فَكَانَ ذَلِكَ عَوْنًا لِلْعَدُوِّ عَلَى أَخْذِ الْبَلَدِ، وَمَرِضَ السُّلْطَانُ صلاح الدين وازداد بهذا الحادث مرضه.

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ **سَقَطَتْ ثُلْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ سُورِ** عَكَّا فَبَادَرَ الْفِرِنْجُ إِلَيْهَا فَسَبَقَهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى سَدِّهَا بِصُدُورِهِمْ، وَقَاتَلُوا عَنْهَا بِنُحُورِهِمْ، وَمَا زَالُوا يُمَانِعُونَ عَنْهَا حَتَّى بَنَوْهَا أَشَدَّ مِمَّا كَانَتْ وَأَقْوَى.

واسْتُهِلَّتْ سنة (٥٨٧هـ) وَالْحِصَارُ عَلَى عَكَّا عَلَى حَالِهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَقَدِ اسْتُكْمِلَ دُخُولُ الْبَدَلِ إِلَى الْبَلَدِ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ مُخَيِّمٌ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ، لِيَتَكَامَلَ دُخُولُهُمْ وَدُخُولُ مِيرَتِهِمْ.

وَفِي مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَكَّا فَهَجَمُوا عَلَى مُخَيَّمِ الْفِرِنْجِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَانْكَسَرَ مَرْكَبٌ عَظِيمٌ لِلْفِرِنْجِ، فَغَرِقَ فِيهِ مِنْهُمْ، وَأُسِرَ بَاقِيهِمْ.

وَفِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ وَصَلَ إِلَى الْفِرِنْجِ **مَلِكُ إِفْرَنْسِيسَ فِلِيبُ** فِي سِتِّ بُطُسٍ

(١) انظر: الروضتين لأبي شامة ٢/ ١٧٠.

مَشْحُونَةٍ بِعَبَدَةِ الصَّلِيبِ، وَقَدِمَ مَعَهُ بَازٌ عَظِيمٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ الْبَازُ الْأَشْهَبُ الْهَائِلُ، فَطَارَ مِنْ يَدِهِ فَسَقَطَ عَلَى سُورِ عَكَّا، فَأَمْسَكَهُ أَهْلُهَا وَبَعَثُوا بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَبَذَلَ الْفِرِنْجُ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يُجَابُوا. كما قَدِمَ الملك **كُنْدِفْرِيرُ** وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ مُلُوكِهِمْ.

وَوَصَلَتْ سُفُنُ مَلِكِ الْإِنْكِلْيز، وَلَمْ يَجِئْ هُوَ لِاشْتِغَالِهِ بِجَزِيرَةِ قُبْرُسَ وَأَخْذِهَا مِنْ يَدِ صَاحِبِهَا.

وَتَوَاصَلَتْ مُلُوكُ الْإِسْلَامِ مِنْ بُلْدَانِهَا فِي أَوَّلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ إِلَى خِدْمَةِ صَلَاحِ الدِّينِ.

قَالَ الْعِمَادُ: وَقَدْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ لُصُوصٌ يَدْخُلُونَ إِلَى خِيَامِ الْفِرِنْجِ فَيَسْرِقُونَ حَتَّى إِنَّهُمْ يَسْرِقُونَ الرِّجَالَ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ صَبِيًّا رَضِيعًا ابْنَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، فَوَجَدَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَجْدًا عَظِيمًا، وَاشْتَكَتْ إِلَى مُلُوكِهِمْ، فَقَالُوا لَهَا: **إِنَّ سُلْطَانَ الْمُسْلِمِينَ رَحِيمُ الْقَلْبِ**، وَقَدْ أَذِنَّا لَكِ أَنْ تَذْهَبِي إِلَيْهِ فَتَشْتَكِي أَمْرَكِ إِلَيْهِ.

قَالَ الْعِمَادُ: فَجَاءَتْ إِلَى السُّلْطَانِ وَأَنَا وَاقِفٌ مَعَهُ، فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، وَجَعَلَتْ تُمَرِّغُ وَجْهَهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَسَأَلَهَا عَنْ أَمْرِهَا. فَأَنْهَتْ إِلَيْهِ حَالَهَا فَرَقَّ لَهَا، حَتَّى دَمَعَتْ عَيْنُهُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ وَلَدِهَا، فَإِذَا هُوَ قَدْ بِيعَ فِي السُّوقِ، فَرَسَمَ بِدَفْعِ ثَمَنِهِ إِلَى الْمُشْتَرِي، وَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ، وَأَرْضَعَتْهُ سَاعَةً، وَهِيَ تَبْكِي مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهَا وَشَوْقِهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى قَوْمِهَا عَلَى فَرَسٍ مُكَرَّمَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

○ سقوط عكا بأيدي الصليبيين

فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٥٨٧هـ) اشْتَدَّ حِصَارُ الْفِرِنْجِ لِعَكَّا، وَتَمَالَئُوا عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ مَلِكُ الْإِنْكِلْيز فِي جَمٍّ غَفِيرٍ، فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ قِطْعَةً مَشْحُونَةً بِالْمُقَاتِلَةِ، وَابْتُلِيَ أَهْلُ الثَّغْرِ مِنْهُ بِبَلَاءٍ لَا يُشْبِهُ مَا قَبْلَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حُرِّكَتِ الْكُوسَاتُ فِي الْبَلَدِ، وَكَانَتْ عَلَامَةَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ فَحَرَّكَ السُّلْطَانُ كُوسَاتِهِ وَاقْتَرَبَ مِنَ الْبَلَدِ وَتَحَوَّلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْهُمْ لِيَشْغَلَهُمْ عَنِ الْبَلَدِ، وَقَدْ أَحَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَنَصَبُوا عَلَيْهِ سَبْعَةَ مَجَانِيقَ وَهِيَ تَضْرِبُ فِي الْبَلَدِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَلَا سِيَّمَا عَلَى

بُرْجِ عَيْنِ الْبَقَرِ، حَتَّى أَثَّرَتْ بِهِ أَثَرًا بَيِّنًا، وَشَرَعُوا فِي رَدْمِ الْخَنْدَقِ بِمَا أَمْكَنَهُمْ مِنْ دَوَابَّ مَيْتَةٍ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَقَابَلَهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ يَنْقُلُونَ مَا أَلْقَوْهُ فِيهِ إِلَى الْبَحْرِ.

وَظَفِرَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيز بِبُطْسَةٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ بَيْرُوت مَشْحُونَةً بِالْأَمْتِعَةِ وَالْأَسْلِحَةِ، فَأَخَذَهَا، وَكَانَ وَاقِفًا فِي الْبَحْرِ فِي أَرْبَعِينَ مَرْكِبًا لَا يَتْرُكُ شَيْئًا يَصِلُ إِلَى الْبَلَدِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَكَانَ فِيهَا سِتُّمِائَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْأَبْطَالِ، فَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّهُ لَمَّا أُحِيطَ بِهِمْ مِنَ الْجَوَانِبِ كُلِّهَا، وَتَحَقَّقُوا إِمَّا الْغَرَقَ أَوِ الْقَتْلَ خَرَقُوا مِنْ جَوَانِبِهَا كُلِّهَا، فَغَرِقَتْ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْفِرِنْجُ عَلَى أَخْذِ شَيْءٍ مِنْهَا، لَا مِنَ الْمِيرَةِ وَلَا مِنَ الْأَسْلِحَةِ.

وَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا الْمُصَابِ حُزْنًا عَظِيمًا، وأَحْرَقَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلْفِرِنْجِ دَبَّابَةً من أَرْبَعَ طَبَقَاتٍ؛ وكانت مُشْرِفَةٌ عَلَى السُّورِ وَالْمُقَاتِلَةُ فِيهَا.

وأَرْسَلَ أَهْلُ الْبَلَدِ إِلَى السُّلْطَانِ **يَشْكُونَ كَثْرَةَ الْحِصَارِ** وَقُوَّتَهُ عَلَيْهِمْ مُنْذُ قَدِمَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيز.

وَبَعَثَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيز إِلَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَذْكُرُ أَنَّ عِنْدَهُ جَوَارِحَ، قَدْ جَاءَ بِهَا مِنَ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى نِيَّةِ إِرْسَالِهَا إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهَا قَدْ ضَعُفَتْ، وَهُوَ يَطْلُبُ لَهُ دَجَاجًا وَطَيْرًا لِتَتَقَوَّى بِهِ، فَعَرَفَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْلُبُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ بِتَلَطُّفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَرَمًا وَسَجِيَّةً وَحِشْمَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ يَطْلُبُ فَاكِهَةً وَثَلْجًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَيْضًا فَلَمْ يُفِدْ مَعَهُ الْإِحْسَانُ، بَلْ لَمَّا عُوفِيَ عَادَ إِلَى شَرٍّ مِمَّا كَانَ، وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ لَيْلًا وَنَهَارًا.

وَأَرْسَلَ مَنْ بِالْبَلَدِ يَقُولُونَ: إِنْ تَعْمَلُوا مَعَنَا شَيْئًا غَدًا وَإِلَّا طَلَبْنَا مِنَ الْفِرِنْجِ الْأَمَانَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى السُّلْطَانِ، فَعَزَمَ عَلَى مُهَاجَمَةِ الْعَدُوِّ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ فِي جَيْشِهِ، فَرَأَى الْفِرِنْجَ قَدْ رَكِبُوا مِنْ وَرَاءِ خَنْدَقِهِمْ وَالرَّجَّالَةُ مِنْهُمْ قَدْ ضَرَبُوا سُورًا حَوْلَ الْفُرْسَانِ، وَهُمْ قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ صَمَّاءَ لَا يَنْفُذُهَا شَيْءٌ فَأَحْجَمَ عَنْهُمْ، خشية مِنْ نُكُولِ جَيْشِهِ.

هَذَا وَقَدِ اشْتَدَّ الْحِصَارُ بِالْبَلَدِ جِدًّا، وَدَخَلَتِ الرَّجَّالَةُ مِن الفرنج إِلَى الْخَنْدَقِ، ثم إِلَى

الْبَلَدِ فَمَانَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ، وَقَتَلُوا مِنْ رُءُوسِهِمْ سِتَّةَ أَنْفُسٍ، فَاشْتَدَّ حَنَقُ الْفِرَنْجِ عَلَيْهِمْ جِدًّا،

وَجَاءَ اللَّيْلُ فَحَالَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بعكا **سَيْفُ الدِّينِ الْمَشْطُوبُ**، فَاجْتَمَعَ بِمَلِكِ الْإِفْرِنْسِيسِ، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَتَسَلَّمُونَ مِنْهُ الْبَلَدَ فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: **بَعْدَمَا سَقَطَ السُّورُ جِئْتَ تَطْلُبُ الْأَمَانَ!**

وَلَمَّا أُخْبِرَ أَهْلُ الْبَلَدِ برفض الأمان خَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، وَأَرْسَلُوا إِلَى السُّلْطَانِ يُعْلِمُونَهُ بِمَا وَقَعَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُسْرِعُوا الْخُرُوجَ مِنَ الْبَلَدِ فِي الْبَحْرِ، وَلَا يَتَأَخَّرُوا عَنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَلَا يَبْقَى بِهَا مُسْلِمٌ، فَتَشَاغَلَ كَثِيرٌ منهم وَتَأَخَّرُوا عَنِ الْمَسِيرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَمَا أَصْبَحَ إِلَّا والْخَبَرُ عِنْدَ الْفِرَنْجِ، فَاحْتَفَظُوا عَلَى الْبَحْرِ احْتِفَاظًا عَظِيمًا، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَنْ يخرج.

وَعَزَمَ السُّلْطَانُ عَلَى كَبْسِ الْعَدُوِّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَلَمْ يُوَافِقْهُ الْجَيْشُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا لَا نُخَاطِرُ بِالْإِسْلَامِ كُلِّهِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ السلطان بَعَثَ إِلَى مُلُوكِ الْفِرَنْجِ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الْأَمَانَ لِأَهْلِ الْبَلَدِ؛ عَلَى أَنْ يُطْلِقَ عِدَّتَهُمْ مِنَ الْأَسْرَى الَّذِينَ تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْفِرَنْجِ، وَيَزِيدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ صَلِيبَ الصَّلَبُوتِ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يُطْلِقَ كُلَّ أَسِيرٍ تَحْتَ يَدِهِ، وَيُطْلِقَ لَهُمْ جَمِيعَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ، الَّتِي أُخِذَتْ مِنْهُمْ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَأَبَى ذَلِكَ. وَقَدْ تَهَدَّمَتْ ثُلَمٌ كَثِيرَةٌ من السور، وَأَعَادَ الْمُسْلِمُونَ كَثِيرًا مِنْهَا.

وَقَدْ كَتَبُوا إِلَى السُّلْطَانِ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ يَقُولُونَ: يَا مَوْلَانَا لَا تَخْضَعْ لِهَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينِ الَّذِينَ قَدْ أَبَوْا عَلَيْكَ الْإِجَابَةَ فِينَا، فَقَدْ بَايَعْنَا اللهَ تَعَالَى عَلَى الْجِهَادِ حَتَّى نُقْتَلَ عَنْ آخِرِنَا.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، مَا شَعَرَ النَّاسُ إِلَّا وَقَدِ ارْتَفَعَتْ أَعْلَامُ الْكُفْرِ وَصُلْبَانُهُ وَشِعَارُهُ وَنَارُهُ عَلَى أَسْوَارِ الْبَلَدِ، وَصَاحَ الْفِرَنْجُ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَغَشِيَ النَّاسَ بَهْتَةٌ

عَظِيمَةٌ وَحَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ

ثم تَحَيَّزَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَلَدِ مُعْتَقَلِينَ، مُضَيَّقٌ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أُسِرَوا، وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهُمْ، وسقط البلد بأيدي الفرنج. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْجَيْشَ بِالتَّأَخُّرِ عَنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْمُضَايَقَةِ إِلَى الَّتِي بَعْدَهَا وَتَأَخَّرَ هُوَ جَرِيدَةً؛ ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ بعد ذلك إِلَى الْعَسْكَرِ وهو حزين، وَجَاءَتِ الْمُلُوكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْأُمَرَاءُ وَكُبَرَاءُ الدَّوْلَةِ يُعَزُّونَهُ فِيمَا وَقَعَ، وَيَسْلُونَهُ عَمَّا عَنْهُ الْحَالُ انْقَشَعَ.

ثُمَّ رَاسَلَ السلطان مُلُوكَ الْفِرِنْجِ فِي خَلَاصِ أُسَارَى الْإِسْلَامِ، فَطَلَبُوا مِنْهُ عِدَّتَهُمْ مِنْ أُسَارَاهُمْ، وَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَصَلِيبَ الصَّلَبُوتِ إِنْ كَانَ بَاقِيًا، فَأَرْسَلَ فَأَحْضَرَ الْمَالَ وَالصَّلِيبَ، وسِتُّمِائَةِ أَسِيرٍ، فَطَلَبَ الْفِرِنْجُ مِنْهُ أَنْ يُرِيَهُمُ الصَّلِيبَ مِنْ بَعِيدٍ، فَلَمَّا رُفِعَ لَهُمْ سَجَدُوا لَهُ، وَبَعَثُوا يَطْلُبُونَ مِنْهُ مَا أَحْضَرَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْأُسَارَى، فَامْتَنَعَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلُوا إِلَيْهِ مَنْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأُسَارَى، أَوْ يَبْعَثُوا لَهُ بِرَهَائِنَ عِنْدَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا: لَا، وَلَكِنْ يُرْسِلُ ذَلِكَ وَيَرْضَى بِأَمَانَتِنَا، فَفَهِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْغَدْرَ وَالْمَكْرَ، فَلَمْ يُرْسِلْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بِرَدِّ الْأُسَارَى إِلَى أَهْلِيهِمْ بِدِمَشْقَ، وَبَعَثَ بِالصَّلِيبِ إِلَى دِمَشْقَ.

وَأَحْضَرَ الْفِرِنْجُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَأَوْقَفُوهُمْ ثم قَتَلُوهُمْ، وَلَمْ يَسْتَبْقُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا أَمِيرًا أَوْ سَرِيًّا أَوْ مَنْ يَرَوْنَهُ فِي عَمَلِهِمْ قَوِيًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا.

وَكَانَ مُدَّةُ مُقَامِ السُّلْطَانِ عَلَى عَكَّا مصابرًا للعدو **(٣٧شهرا)**، وَجُمْلَةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْفِرِنْجِ خَمْسِينَ أَلْفًا.

○ ما بعد سقوط عكا

سَار الفرنج بِرُمَّتِهِمْ قَاصِدِينَ **عَسْقَلَانَ**، وَالسُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ يُسَايِرُهُمْ، وَيُعَارِضُهُمْ مَنْزِلَةً مَنْزِلَةً، وَالْمُسْلِمُونَ يَتَخَطَّفُونَهُمْ، ويأسرونهم فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُلُّ أَسِيرٍ أُتِيَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ يَأْمُرُ بِقَتْلِهِ.

وَجَرَتْ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ وَقَعَاتٌ مُتَعَدِّدَاتٌ، ثُمَّ طَلَبَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيز أَنْ يَجْتَمِعَ بِالْمَلِكِ

الْعَادِلِ أَخِي السُّلْطَانِ، يَطْلُبُ مِنْهُ الصُّلْحَ وَالْأَمَانَ، عَلَى أَنْ تُعَادَ لهم بِلَادُ السَّاحِلِ، فَقَالَ لَـهُ الْعَادِلُ: إِنَّ دُونَ ذَلِكَ قَتْلُ كُلِّ فَارِسٍ مِنْكُمْ وَرَاجِلٍ، فَغَضِبَ اللَّعِينُ وَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مُتَغَضِّبٌ.

ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْفِرِنْجُ عَلَى حَرْبِ السُّلْطَانِ عِنْدَ غَابَةِ أَرْسُوفَ (١) فَكَانَتِ النُّصْرَةُ لِلْمُسْلِمِينَ فَقُتِلَ مِنَ الْفِرِنْجِ عِنْدَ غَابَةِ أَرْسُوفَ **أُلُوفٌ**، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ أَيْضًا،

ثُمَّ تَقَدَّمَ السُّلْطَانُ بِعَسَاكِرِهِ فَنَزَلَ ظَاهِرَ عَسْقَلَانَ، فَأَشَارَ ذَوُو الرَّأْيِ عَلَى السُّلْطَانِ بِتَخْرِيبِ عَسْقَلَانَ خَشْيَةَ أَنْ يَتَمَلَّكَهَا الْكُفَّارُ، وَيَجْعَلُوهَا وَسِيلَةً إِلَى أَخْذِ بَيْتِ الْمَقْدِس.

فَبَاتَ السُّلْطَانُ لَيْلَتَهُ مُفَكِّرًا فِي ذَلِكَ، وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُمْ: وَاللهِ لَمَوْتُ جَمِيعِ أَوْلَادِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ تَخْرِيبِ حَجَرٍ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا فِيهِ مُصْلِحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَا بَأْسَ بِهِ، فَشَرَعَ النَّاسُ فِي خَرَابِهِ، وَأُلْقِيَتِ النِّيرَانُ فِي أَرْجَائِهِ وَأُتْلِفَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَلَّاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَحْوِيلُهَا وَلَا نَقْلُهَا.

ثُمَّ رَحَلَ السُّلْطَانُ مِنْهَا فِي ثَانِي رَمَضَانَ وَقَدْ تَرَكَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، ثُمَّ اجْتَازَ **بِالرَّمْلَةِ** فَخَرَّبَ حِصْنَهَا، وَخَرَّبَ **كَنِيسَةَ لُدَّ**، وَزَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَعَادَ إِلَى الْمُخَيَّمِ سَرِيعًا.

ثُمَّ بَعَثَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيز إِلَى السُّلْطَانِ يَقُولُ لَـهُ: إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ طَالَ وَهَلَكَ الْفِرِنْجُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُنَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: **رَدُّ الصَّلِيبِ، وَبِلَادِ السَّاحِلِ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ**، لَا نَرْجِعُ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَمِنَّا عَيْنٌ تَطْرِفُ، فرد إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بأسوأ جَوَاب.

وَفِي شهر رَبِيعِ الْآخَرِ سنة (٥٨٨هـ) وَصَلَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ الْمَشْطُوبُ نائب عكا** إِلَى السُّلْطَانِ وهو بالقدس، وكان مأسوراً فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَعْطَاهُ السُّلْطَانُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْهَا، وَاسْتَنَابَهُ عَلَى **مَدِينَةِ نَابُلُسَ** فَتُوُفِّيَ بِهَا فِي شَوَّالٍ مِنْهَا.

---

(١) أرسوف: بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسكون الواو وفاء، مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين. معجم البلدان - الفكر (١/ ١٥١).

○ عزم الفرنج على حصار بيت المقدس

فِي أواخر سنة (٥٨٧هـ) عَزَمَتِ الْفِرنْجُ عَلَى قَصْدِ **بَيْتِ الْمَقْدِسِ**، فَتَقَدَّمَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَشَرَعَ فِي تَحْصِينِ الْبَلَدِ، وَتَعْمِيقِ خَنَادِقِهِ، وَالْيَزَكُ[١] حَوْلَ الْبَلَدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفِرنْجِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْتَظْهِرُونَ عَلَى الْفِرنْجِ، فَيَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَغْنِمُونَ مِنْهُمْ.

واسْتُهِلَّتْ سنة (٥٨٨هـ) وَالسُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ مُخَيِّمٌ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وبدأ في بناء سور حول القدس، وَقَدْ قَسَّمَ السُّورَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ وَأُمَرَائِهِ، وَهُوَ يَعْمَلُ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَالنَّاسُ يَقْتَدُونَ بِهِ وَبِالْعُلَمَاءِ، وَالْفِرنْجُ حَوْلَ الْبَلَدِ مِنْ نَاحِيَةِ عَسْقَلَانَ وَمَا وَالَاهَا، لَا يَتَجَاسَرُونَ أَنْ يقربُوا مِنَ الْحَرَسِ وَالْيَزَكِ الَّذِينَ حَوْلَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، إِلَّا أَنَّهُمْ عَلَى نِيَّةِ مُحَاصَرَةِ الْقُدْسِ مُصَمِّمُونَ، وَهُمْ وَالْحَرَسُ تَارَةً يَغْلِبُونَ، وَتَارَةً يُغْلَبُونَ.

وَفِي تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٥٨٨هـ) اسْتَوْلَى الْفِرنْجُ لَعَنَهُمُ اللهُ عَلَى **قَلْعَةِ الدَّارُومِ**[٢] فَخَرَّبُوهَا وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا وَأَسَرُوا طَائِفَةً مِنَ الذُّرِّيَّةِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا **نَحْوَ الْقُدْسِ** الشَّرِيفِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ نَكَصَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَانْقَلَبُوا رَاجِعِينَ قَبْلَ الْقِتَالِ، وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الْقُدْسِ، وَقَدْ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْإِنْكِلِيز ظَفِرَ بِبَعْضِ قوافلِ الْمُسْلِمِينَ فَكَبَسَهُمْ لَيْلًا، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسَرَ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةِ أَسِيرٍ، وَغَنِمَ مِنْهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجِمَالِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ، فَكَانَ جُمْلَةُ الْجِمَالِ ثَلَاثَةَ آلَافِ بَعِيرٍ، فَتَقَوَّى الْفِرنْجُ بِذَلِكَ، وَسَاءَ ذَلِكَ السُّلْطَانَ مَسَاءَةً عَظِيمَةً جِدًّا، وَخَافَ مِنْ غَائِلَةِ ذَلِكَ، **وَصَمَّمَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيزِ عَلَى مُحَاصَرَةِ الْقُدْسِ**، وَأَرْسَلَ إِلَى مُلُوكِ الْفِرنْجِ الَّذِينَ بِالسَّاحِلِ فَاسْتَحْضَرَهُمْ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ،

---

(١) فرقة خاصة من الجنود.

(٢) قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر. معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

فَتعَبَّأَ السُّلْطَانُ لَهُمْ وَتَهَيَّأَ وَأَكْمَلَ السُّورَ وَعَمَّرَ الْخَنَادِقَ وَنَصَبَ الْآلَاتِ وَالْمَجَانِيقَ، وَأَمَرَ بِتَغْوِيرِ مَا حَوْلَ الْقُدْسِ مِنَ الْمِيَاهِ، وَأَحْضَرَ السُّلْطَانُ أُمَرَاءَهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا دَهَمَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْفَظِيعِ، وَأَشَارُ كُلٌّ واحد بِرَأْيِه، وَأَشَارَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ بِأَنْ يَتَحَالَفُوا عَلَى الْمَوْتِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَ فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ.

هَذَا كُلُّهُ وَالسُّلْطَانُ سَاكِتٌ، وَاجِمٌ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اعْلَمُوا أَنَّكُمْ جُنْدُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ، وَمَنَعَتُهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَهِمْ مُعَلَّقَةٌ فِي ذِمَمِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا الْعَدُوَّ أَمِنَ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ تَلَقَّاهُ إِلَّا أَنْتُمْ فَإِنْ لَوَيْتُمْ أَعِنَّتَكُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللهِ - طَوَى الْبِلَادَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِمَّتِكُمْ، فَإِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَصَدَّيْتُمْ لِهَذَا وَأَكَلْتُمْ مَالَ بَيْتِ الْمَالِ، فَالْمُسْلِمُونَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ مُتَعَلِّقُونَ بِكُمْ فَانْتَدَبَ لِجَوَابِهِ سَيْفُ الدِّينِ الْمَشْطُوبُ وَقَالَ: يَا مَوْلَانَا نَحْنُ مَمَالِيكُكَ، وَعَبِيدُكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَنَا، وَكَبَّرْتَنَا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا رِقَابُنَا، وَنَحْنُ بَيْنُ يَدَيْكَ، وَاللهِ مَا يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنَّا عَنْ نُصْرَتِكَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ، فَقَالَ الْجَمَاعَةُ مِثْلَ مَا قَالَ، فَفَرِحَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ، وَطَابَ قَلْبُهُ، وَمَدَّ لَهُمْ سِمَاطًا حَافِلًا، وَانْصَرَفُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ بَلَغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ كَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ عَكَّا، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ بَلَدًا بَلَدًا، وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ نَلْتَقِيَهُمْ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ، فَإِنْ هَزَمْنَاهُمْ أَخَذْنَا بَقِيَّةَ بِلَادِهِمْ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى سَلِمَ الْعَسْكَرُ، وَمَضَى الْقُدْسُ، وَبَعَثُوا إِلَى السُّلْطَانِ يَقُولُونَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُنَا نُقِيمُ بِالْقُدْسِ تَحْتَ حِصَارِ الْفِرِنْجِ فَكُنْ أَنْتَ مَعَنَا أَوْ بَعْضُ أَهْلِكَ؛ حَتَّى يَكُونَ الْجَيْشُ تَحْتَ أَمْرِكَ، فَإِنَّ الْأَكْرَادَ لَا تُطِيعُ التُّرْكَ، وَالتُّرْكُ لَا تُطِيعُ الْأَكْرَادَ.

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً وَبَاتَ مَهْمُومًا، يُفَكِّرُ فِيمَا قَالُوا.

ثُـمَّ تقرر الْأَمْرُ عَلَى أَنْ يَكُونَ **الْمَلِكُ الْأَمْجَدُ** صَاحِـبُ بَعْلَبَكَّ مُقِيمًا عِنْدَهُمْ نَائِبًا عَنْهُ بِالْقُـدْسِ، فَلَمَّا حَضَرَ السـلطان إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَـةِ وَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ قَـامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَسَجَدَ وَابْتَهَلَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ابْتِهَالًا عَظِيمًا، وَتَضَرَّعَ إِلَى رَبِّهِ وَتَمَسْكَنَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ مِنَ الْغَدِ جَاءَتِ الْكُتُبُ مِـنَ الْحَرَسِ حَوْلَ الْبَلَدِ **بِأَنَّ الْفِرِنْجَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي مُحَاصَرَةِ الْقُدْسِ**. فَقَالَ مَلِكُ الْإِفْرَنْسِيسِ: إِنَّا إِنَّمَا جِئْنَا مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيـدَةِ وَأَنْفَقْنَا الْأَمْـوَالَ الْعَدِيدَةَ فِي تَخْلِيصِ بَيْـتِ الْمَقْدِسِ وَرَدِّهِ إِلَيْنَـا، وَقَدْ بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَرْحَلَةٌ.

فَقَالَ الْإِنْكِلِيز: إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ يَشُـقُّ عَلَيْنَا حِصَارُهُ ; لِأَنَّ الْمِيَاهَ حَوْلَهُ قَدْ عُدِمَتْ، وَمَتَى بَعَثْنَا مَنْ يَأْتِينَا بِالْمَاءِ، تَعَطَّلَ الْحِصَارُ وَتَلِفَ الْجَيْشُ، ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ بَيْنَهُمْ على التحكيم، ثُـمَّ أَصْبَحُـوا وَقَدْ حَكَمُوا عَلَيْهِمْ بِالرَّحِيلِ، فَسَـحَبُوا رَاجِعِينَ، فَسَـارُوا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الرَّمْلَةِ، وَذَلِكَ فِي بُكْرَةِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٥٨٨هـ).

وَبَرَزَ السُّـلْطَانُ بِجَيْشِهِ إِلَى خَارِجِ الْقُدْسِ، وَسَـارَ نَحْوَهُمْ خَوْفًا أَنْ يَسِيرُوا إِلَى مِصْرَ لِكَثْـرَةِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَالْأَمْـوَالِ، وَكَانَ مَلِكُ الْإِنْكِلِيزِ يَلْهَجُ بِذَلِـكَ كَثِيرًا، فَتَرَدَّدَتِ الرُّسُـلُ مِنَ الْإِنْكِلِيزِ إِلَى السُّـلْطَانِ فِي طَلَبِ الصُّلْحِ، وَوَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ثَلَاثَ سِـنِينَ، وَعَلَى أَنْ يُعِيدَ لَهُمْ **عَسْـقَلَانَ**، وَيَهَبَ لَهُمْ كَنِيسَـةَ بَيْتِ الْمَقْـدِسِ وَهِيَ الْقُمَامَةُ، وَأَنْ يُمَكِّنَ النَّصَارَى مِنْ زِيَارَتِهَا وَحَجِّهَا بِلَا شَيْءٍ، فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ إِعَادَةِ عَسْقَلَانَ، وَأَطْلَقَ لَهُمُ الْقُمَامَةَ، وَفَرَضَ عَلَى الزُّوَّارِ مَالًا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ.

فَامْتَنَعَ الْإِنْكِلِيز إِلَّا أَنْ تُعَادَ لَهُمْ عَسْقَلَانُ، وَيُعَمَّرَ سُورُهَا كَمَا كَانَتْ، فَصَمَّمَ السُّلْطَانُ عَلَى عَدَمِ الْإِجَابَةِ.

○ حصار قلعة يافا

فِي سـنة (٥٨٨هـ) رَكِبَ السُّـلْطَانُ حَتَّى أتى **يَافَا** فَحَاصَرَهَا حِصَارًا شَدِيدًا، فَافْتَتَحَهَا وَغَنِمَ جَيْشُـهُ مِنْهَا شَـيْئًا كَثِيرًا، **وَامْتَنَعَتِ الْقَلْعَةُ**، فَبَالَغَ فِي أَمْرِهَا حَتَّى هَانَتْ، وَكَادُوا أَنْ

يَبْعَثُوا إِلَيْهِ بِأَقَالِيدِهَا، وَيَأْخُذُوا الْأَمَانَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ مَرَاكِبُ الْإِنْكِلِيز عَلَى وَجْهِ الْبَحْرِ، فَقَوِيَتْ رُءُوسُهُمْ.

وَهَجَمَ ملك الْإِنْكِلِيز فَأَعَادَ الْبَلَدَ، وَقَتَلَ مَنْ تَأَخَّرَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَقَهْقَرَ السُّلْطَانُ عَنْ مَنْزِلَةِ الْحِصَارِ إِلَى مَا وَرَاءَهَا؛ خَوْفًا عَلَى الْجَيْشِ مِنْ مَعَرَّةِ الْفِرِنْجِ.

ثُمَّ أَلَحَّ ملك الْإِنْكِلِيز فِي طَلَبِ الصُّلْحِ، وَأَنْ تَكُونَ عَسْقَلَانُ دَاخِلَةً فِي صُلْحِهِمْ، فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ.

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ كَبَسَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْإِنْكِلِيز وَهُوَ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَارِسًا، وَحَوْلَهُ قَلِيلٌ مِنَ الرَّجَّالَةِ، وَحَصَرَهُ حَصْرًا لَمْ يَبْقَ لَهُ مَعَهُ نَجَاةٌ لَوْ صَمَّمَ مَعَهُ الْجَيْشُ، وَلَكِنَّهُمْ نَكَلُوا كُلُّهُمْ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ كَرَّ السُّلْطَانُ رَاجِعًا، وَقَدْ أَحْزَنَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَ مِنَ الْجَيْشِ مُطِيعًا، وَلَا سَامِعًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ حَصَلَ لملك الانكليز مَرَضٌ شَدِيدٌ ثم عوفي، وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُلُ مِنْهُ يَطْلُبُ مِنَ السُّلْطَانِ الْمُصَالَحَةَ، وَطَاوَعَ السُّلْطَانَ عَلَى مَا يَقُولُ، وَنَزَلَ عَنْ طَلَبِ عَسْقَلَانَ، وَكُتِبَ كِتَابُ الصُّلْحِ فِي ثَامِنَ عَشَرَ شَعْبَانَ، وَأُكِّدَتِ الْعُهُودُ وَالْمَوَاثِيقُ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ وَأساقفتهم.

وَفَرِحَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَرَحًا كَثِيرًا، وَأَظْهَرُوا سُرُورًا، وَوُقِّعَتِ الْهُدْنَةُ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَعَلَى أَنْ يُقَرَّ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الْبِلَادِ الْجَبَلِيَّةِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُعَامَلَاتِ، فَقَسْمُهَا عَلَى الْمُنَاصَفَةِ، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ مِائَةَ نقّابٍ لِتَخْرِيبِ سُورِ عَسْقَلَانَ، وَإِخْرَاجِ مَنْ بِهَا مِنَ الْفِرِنْجِ وَالْأَلْمَانِ.

○ عودة السلطان إلى القدس وترتيب أمورها

وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ في سنة (٥٨٨هـ) فَرَتَّبَ أَحْوَالَهُ، وَسَدَّدَ أُمُورَهُ، وَزَادَ وَقْفَ الْمَدْرَسَةِ سُوقًا بِدَكَاكِينِهَا، وَأَرْضًا بِبَسَاتِينِهَا، وَزَادَ وَقْفَ الصُّوفِيَّةِ أَيْضًا.

وَعَزَمَ عَلَى الْحَجِّ عَامَهُ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ لِيَعْلَمُوا بِذَلِكَ وَيَتَأَهَّبُوا، فَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى الْبِلَادِ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَإِصْلَاحِ أَمْرِهِمُ الَّذِي قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْفَسَادِ وَسَدَّ ثُغُورِهِمْ وَمُصَابَرَةَ أَعْدَائِهِمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ، أَفْضَلُ لَكَ مِمَّا عَزَمْتَ عَلَيْهِ من الحج، وَالْعَدُوُّ مُخَيِّمٌ بَعْدُ بِالشَّامِ لَمْ يُقْلِعْ مِنْهُ مَرْكِبٌ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُهَادِنُونَ لِيَتَقَوَّوْا وَيَكْثُرُوا ثُمَّ يَمْكُرُوا وَيَغْدِرُوا. فَسَمِعَ السُّلْطَانُ مِنْهُ وَشَكَرَ نُصْحَهُ وَقَبِلَهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ عَامَهُ ذَلِكَ،

وَاسْتَمَرَّ السُّلْطَانُ مُقِيمًا بِالْقُدْسِ جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكُلَّمَا وَفَدَ أَحَدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى لِلزِّيَارَةِ أَوْلَاهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ وَالْإِحْسَانِ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، وَرَغْبَةً أَنْ يَدْخُلَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ إِلَّا جَاءَ لِزِيَارَةِ الْقُمَامَةِ مُتَنَكِّرًا، وَيَحْضُرُ سِمَاطَ السُّلْطَانِ فِيمَنْ يَحْضُرُ مِنْ جُمْهُورِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يُرَى، وَالسُّلْطَانُ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا يُعَامِلُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَيُرِيهِمْ صَفْحًا جَمِيلًا وَبِرًّا جَزِيلًا.

○ عودة السلطان إلى دمشق

لَمَّا كَانَ خَامِسُ شهر شَوَّالٍ سنة (٥٨٨هـ) تحول السلطان صلاح الدين من القدس إلى دِمَشْقَ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الْقُدْسِ **عِزَّ الدِّينِ جُرْدَيْكَ**، وَعَلَى قَضَائِهَا **بَهَاءَ الدِّينِ يُوسُفَ** بْنَ رَافِعِ بْنِ تَمِيمٍ الشَّافِعِيَّ.

وَكَانَتْ **غَيْبَةُ السُّلْطَانِ عَنْ دمشق طَالَتْ أَرْبَعَ سِنِينَ**، فخرج الناس لاستقباله، وكان يوما مشهودا، وَاجْتَمَعَ بِأَوْلَادِهِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ رُسُلُ الْمُلُوكِ مِنْ سَائِرِ الْأَمْصَارِ، وَأَقَامَ بَقِيَّةَ عَامِهِ فِي اقْتِنَاصِ الصَّيْدِ وَحُضُورِ دَارِ الْعَدْلِ لِلْفَصْلِ.

○ وفاة السلطان صلاح الدين

فِي السابع والعشرين من شهر صفر سنة (٥٨٩هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يوسف بن أيوب، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

خَـرَجَ هُوَ وَأَخُوهُ الْعَـادِلُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الصَّيْدِ شَـرْقِيَّ دِمَشْـقَ، وكان الحديث بينهما أَنَّهُ بَعْدَمَا قَدْ تَفَرَّغَ مِنْ أَمْرِ الْفِرِنْجِ هَذِهِ الْمُدَّةَ يَسِـيرُ هُوَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَيَبْعَثُ أَخَاهُ إِلَى خِلَاطَ، فَإِذَا فَرَغَا مِنْ شَـأْنِهِمَا سَـارَا جَمِيعًا إِلَى بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ، وَبِلَادِ الْعَجَمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا أَحَدٌ يُمَانِعُ عَنْهَا.

فَلَمَّـا قَـدِمَ الْحَجِيجُ مِنَ الْحِجَـازِ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِي عَشَـرَ صَفَرٍ خَرَجَ السُّـلْطَانُ لِتَلَقِّيهِمْ، وَقَدِمَ مَعَهُمْ وَلَدُ أَخِيهِ سَـيْفُ الْإِسْـلَامِ صَاحِبُ الْيَمَنِ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، وَعَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ.

ثُمَّ إِنَّهُ اعْتَرَاهُ **حُمَّى صَفْرَاوِيَّةٌ** لَيْلَةَ السَّـبْتِ سَـادِسَ عَشَـرَ صَفَرٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ وَابْنُ شَدَّادٍ وَابْنُهُ الْأَفْضَلُ، فَأَخَذَ يَشْكُو إِلَيْهِمْ كَثْرَةَ قَلَقِهِ الْبَارِحَةَ، وَطَابَ لَهُ الْحَدِيثُ، وَطَالَ مَجْلِسُهُمْ عِنْدَهُ.

ثُمَّ تَزَايَدَ بِهِ الْمَرَضُ وَاسْتَمَرَّ وَقَصَدَهُ الْأَطِبَّاءُ، فَاعْتَرَاهُ يُبْسٌ وَحَصَلَ لَهُ عَرَقٌ شَدِيدٌ،

وَعِنْدَمَـا ظَهَرَتْ عليه مَخَايِلُ الضَّعْفِ الشَّـدِيدِ، وَغَيْبُوبَةُ الذِّهْنِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، **أُحْضِـرَ الْأُمَرَاءُ مِنَ الْأَكَابِـرِ، وبُويِعَ لِوَلَدِهِ الْأَفْضَلِ عَلِيٍّ**، نَائِبًا عَلَى دِمَشْـقَ. وَكَانَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ وَابْنُ شَدَّادٍ وَقَاضِي الْبَلَدِ ابْنُ الزَّكِيِّ.

وَتَفَاقَـمَ الْحَـالُ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ السَّـابِعِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ صَفَرٍ، وَأَسْـلَمَ رُوحَـهُ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ. وَكَانَ لَهُ **مِنَ الْعُمْرِ** سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، **وَقَدْ غُلِّقَتِ الْأَسْـوَاقُ وَاحْتُفِـظَ عَلَـى الْحَوَاصِلِ**، ثُمَّ أَخَـذُوا فِي تَجْهِيزِهِ وَغُسْـلِهِ، ثُمَّ دُفِـنَ فِي دَارِهِ بِالْقَلْعَـةِ الْمَنْصُـورَةِ. وَيُقَـالُ: إِنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ سَـيْفُهُ الَّذِي كَانَ يَحْضُرُ بِـهِ الْجِهَادَ وَالْجِلَادَ، وَذَلِـكَ عَنْ أَمْرِ الْقَاضِي الْفَاضِـلِ، ثُمَّ عُمِلَ عَزَاؤُهُ بِالْجَامِعِ الْأُمَـوِيِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَحْضُرُهُ الْخَوَاصُّ وَالْعَوَّامُّ وَالرَّعِيَّةُ وَالْحُكَّامُ وَقَدْ عَمِلَ الشُّعَرَاءُ فِيهِ مَرَاثِيَ كَثِيرَةً.

وَلَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ: سَبْعَةَ عَشَرَ ذَكَرًا، وَابْنَةٌ وَاحِدَةٌ، أَكْبَرُهُمُ الْمَلِكُ **الْأَفْضَلُ عَلِيٌّ**،

و**الْبِنْتُ** اسمها مُؤْنِسَةُ خاتُون، تزَوَّجَها ابْنُ عَمِّهَا الْمَلِكُ الْكَامِلُ، مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوب.

قَالَ الْعِمَادُ وَغَيْرُهُ: لَمْ يَتْرُكْ فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الذَّهَبِ سِوَى دينار واحد صُورِيٍّ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، وَلَمْ يَتْرُكْ دارًا وَلَا عَقَارًا وَلَا مَزْرَعَةً وَلَا بُسْتَانًا، وَلَا شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْلَاكِ؛ لِكَثْرَةِ عَطَايَاهُ وَصَدَقَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى أُمَرَائِهِ وَوُزَرَائِهِ.

وَقَدْ كَانَ مُتَقَلِّلًا فِي مَلْبَسِهِ، وَمَأْكَلِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَرْكَبِهِ، فَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الْقُطْنَ وَالْكَتَّانَ وَالصُّوفَ، وكَانَ هَمُّهُ الْأَكْبَرُ، وَمَقْصُودُهُ الْأَعْظَمُ نَصْرَ الْإِسْلَامِ، وَكَسْرَ الْأَعْدَاءِ، وَيُعْمِلُ فِكْرَهُ فِي ذَلِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا.

وله مِنَ الْفَضَائِلِ، وَالْفَوَائِدِ، فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ الْحَمَاسَةَ بِتَمَامِهَا وَخِتَامِهَا. وَكَانَ مُوَاظِبًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا فِي جَمَاعَةٍ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ لَهُ الْقُطْبُ النَّيْسَابُورِيُّ عَقِيدَةً فَكَانَ يَحْفَظُهَا، وَيُحَفِّظُهَا مَنْ عَقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ.

وَكَانَ يُحِبُّ سَمَاعَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيُوَاظِبُ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ، كَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ سَرِيعَ الدَّمْعَةِ عِنْدَ سَمَاعِ الْحَدِيثِ، كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لِشَعَائِرِ الدِّينِ

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ**، وَأَقْوَاهُمْ بَدَنًا وَقَلْبًا، مَعَ مَا كَانَ يَعْتَرِي جِسْمَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَام.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **سَخِيًّا كَرِيمًا حَيِيًّا** ضَحُوكَ الْوَجْهِ كَثِيرَ الْبِشْرِ، لَا يَتَضَجَّرُ مِنْ خَيْرٍ يَفْعَلُهُ، شَدِيدَ الْمُصَابَرَةِ وَالْمُثَابَرَةِ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ فَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّاتِ.

○ تقزيم البلاد بالتقسيم

كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينَ قَدْ قَسَّمَ الْبِلَادَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ وأسرته.

⊙ **الدِّيَارُ الْمِصْرِيَّةُ:** لِوَلَدِهِ الْعَزِيزِ عِمَادِ الدِّينِ عُثْمَانَ أَبِي الْفَتْحِ.

⊙ **وَبِلَادُ دِمَشْقَ** وَمَا حَوْلَهَا: لِوَلَدِهِ الْأَفْضَلِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ كُلِّهِمْ.

◉ **وَالْمَمْلَكَةُ الْحَلَبِيَّةُ**: لِوَلَدِهِ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ غِيَاثِ الدِّينِ.

◉ و**الْكَرَكُ وَالشَّوْبَكُ وَبِلَادُ جَعْبَرَ** وَبِلَادٌ كَثِيرَةٌ لِأَخِيهِ الْعَادِلِ.

◉ **وَحَمَاةُ** وما حولها: لِلْمَلِكِ الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ ابْنِ أَخِي السُّلْطَانِ

◉ **وَحِمْصُ وَالرَّحْبَةُ** وَغَيْرُهَا لِأَسَدِ الدِّينِ بْنِ شِيرَكُوهْ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهْ الْكَبِيرِ، عَمِّ صَلَاحِ الدِّينِ أَخِي أَبِيهِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ.

◉ **وَالْيَمَنُ بِمَعَاقِلِهِ وَمَخَالِيفِهِ جَمِيعُهُ**: للسُّلْطَانِ ظَهِيرِ الدِّينِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ أَخِي السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ.

◉ **وَبَعْلَبَكَّ** وَأَعْمَالُهَا: لِلْأَمْجَدِ بَهْرَامْ شَاهْ بْنِ فَرُّوخْشَاهْ،

◉ **وَبُصْرَى وَأَعْمَالُهَا** لِلظَّافِرِ بْنِ النَّاصِرِ صلاح الدين.

وشَرَعَتِ الْأُمُورُ بَعْدَ مَوْتِ صَلَاحِ الدِّينِ **تَضْطَرِبُ وَتَخْتَلِفُ** وَتَتَفَاقَمُ أحوالها، حَتَّى آلَ الْأَمْرُ إِلَى **أَخِي السُّلْطَانِ، الْمَلِكِ الْعَادِلِ**، وَصَارَتِ الْمَمْلَكَةُ فِي أَوْلَادِهِ من بعده.

وَكَانَ الْأَفْضَلُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ قَدْ **أَسَاءَ التَّدْبِيرَ** فَأَبْعَدَ أُمَرَاءَ أَبِيهِ، وَخَوَاصَّهُ، وَقَرَّبَ غيرهم، وَأَقْبَلَ عَلَى شُرْبِ الْمُسْكِرِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنُ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيُّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَحْدُوهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَلِفَ وَأَتْلَفَهُ، وَأَضَلَّ وَأَضَلَّهُ، وَزَالَتِ النِّعْمَةُ عَنْهُمَا،

وذلك أنه قَدِمَ أخوه الْعَزِيزُ صَاحِبُ مِصْرَ إِلَى دِمَشْقَ؛ لِيَأْخُذَهَا منه، فَخَيَّمَ عَلَى الْكُسْوَةِ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسِ جُمَادَى الأولى سنة (٥٩٠هـ)، وَحَاصَرَ الْبَلَدَ، فَمَانَعَهُ أَخُوهُ، وَدَافَعَهُ عَنْهَا، فَقُطِعَتِ الْأَنْهَارُ وَنُهِبَتِ الثِّمَارُ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ **الْعَادِلُ عَمُّهُمَا** فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا.

وَرَدَّ الْأَمْرَ لِلْأُلْفَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ **لِلْعَزِيزِ الْقُدْسُ** وَمَا جَاوَرَ فِلَسْطِينَ مِنْ نَاحِيَتِهِ، وَعَلَى أَنْ تَكُونَ **جَبَلَةُ وَاللَّاذِقِيَّةُ لِلظَّاهِرِ** صَاحِبِ حَلَبَ، وَأَنْ يَكُونَ **لِعَمِّهِمَا** الْعَادِلِ إِقْطَاعُهُ

الْأَوَّلُ بِبِـلَادِ مِصْرَ مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الشَّـامِ وَالْجَزِيرَةِ: **كَحَـرَّانَ وَالرُّهَا وَجَعْبَرَ**، وَمَا جَاوَرَ ذَلِكَ.

وَتَزَوَّجَ الْعَزِيزُ صاحب مصر بِابْنَةِ عَمِّهِ الْعَادِلِ.

وفي سنة (٥٩١هـ) خَـرَجَ **الْعَزِيزُ** مِـنْ مِصْرَ قَاصِـدًا دِمَشْـقَ؛ لِيَأْخُذَهَا مِنْ يَـدِ أَخِيهِ الْأَفْضَلِ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ قَدْ تَابَ وَأَنَابَ وَأَقْلَعَ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الشَّرَابِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَأَقْبَـلَ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، وَشَـرَعَ بِكِتَابَـةِ مُصْحَفٍ بِيَدِهِ، وَحَسُـنَتْ طَرِيقَتُهُ، غَيْرَ أَنَّ وَزِيرَهُ الضِّيَاءَ الْجَزَرِيَّ يُفْسِدُ عَلَيْهِ دَوْلَتَهُ وَيُكَدِّرُ عَلَيْهِ صَفْوَتَهُ،

فَلَمَّا بَلَغَ **الْأَفْضَلَ** إِقْبَالُ أَخِيهِ العزيز نَحْوَهُ سَـارَ سَـرِيعًا إِلَى عَمِّـهِ الْعَادِلِ وَهُوَ بِجَعْبَرَ فَاسْـتَنْجَدَهُ، فَسَارَ مَعَهُ وَسَبَقَهُ إِلَى دِمَشْـقَ، وَرَاحَ الْأَفْضَلُ أَيْضًا إِلَى أَخِيهِ **الظَّاهِرِ** بِحَلَبَ فَسَـارَا جَمِيعًا نَحْوَ دِمَشْـقَ، فَلَمَّا سَـمِعَ الْعَزِيزُ بِذَلِـكَ وَقَدِ اقْتَرَبَ مِنْ دِمَشْـقَ كَرَّ رَاجِعًا سَرِيعًا إِلَى مِصْرَ.

وَرَكِـبَ وَرَاءَهُ **الْعَادِلُ وَالْأَفْضَـلُ** لِيَأْخُذَا مِنْهُ دِيَارَ مِصْرَ، وَقَدِ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَكُونَ ثُلُثُ مِصْرَ لِلْعَادِلِ، وَثُلُثَاهَا لِلْأَفْضَلِ، ثُمَّ بَدَا لِلْعَادِلِ فِي ذَلِكَ فَأَرْسَلَ لِلْعَزِيزِ يُثَبِّتُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْأَفْضَـلِ يُثَبِّطُـهُ، وَأَقَامَا عَلَى **بِلْبِيسَ** أَيَّامًا حَتَّـى خَرَجَ إِلَيْهِمَا الْقَاضِـي الْفَاضِلُ مِنْ جِهَةِ الْعَزِيزِ، **فَوَقَّعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا** عَلَى أَنْ يُرْجِعَ الْقُدْسَ وَمُعَامَلَتَهَا لِلْأَفْضَلِ، وَيَسْـتَقِرَّ الْعَادِلُ مُقِيمًـا بِمِصْـرَ عَلَى إِقْطَاعِهِ الْقَدِيمِ، فَأَقَامَ الْعَادِلُ بِمصر طَمَعًـا فِيهَا، وَرَجَعَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَمَا خَرَجَ الْعَزِيزُ لِتَوْدِيعِهِ، وَهِيَ **هُدْنَةٌ عَلَى قَذًى، وَصُلْحٌ عَلَى دَخَنٍ**.

وفِي رَجَبٍ سنة (٥٩٢هـ) أَقْبَلَ **الْعَزِيزُ** صاحب مصر بِصُحْبَةِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ فِي عَسَاكِرِه، فَدَخَلَا دِمَشْقَ قَهْرًا، وَأَخْرَجَا مِنْهَا الْأَفْضَلَ وَوَزِيرَهُ الَّذِي أَسَاءَ تَدْبِيرَهُ، وَخُطِبَ للعزيز بِدِمَشْـقَ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَجلَسَ فِي دَارِ الْعَدْلِ لِلْحُكْمِ وَالْفَصْلِ، كُلُّ هَذَا وَأَخُوهُ الْأَفْضَلُ حَاضِرٌ عِنْدَهُ فِي الْخِدْمَةِ.

وَأَمَـرَ الْقَاضِيَ مُحْيِي الدِّينِ بْنَ الزَّكِيِّ بِتَأْسِيسِ االْمَدْرَسَـةِ الْعَزِيزِيَّـةِ إِلَى جَانِبِ تُرْبَةِ

أَبِيهِ، وَكَانَتْ دَارًا لِلْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ شَامَةَ، ثُمَّ اسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ **عَمَّهُ** الْمَلِكَ الْعَادِلَ، وَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ تَاسِعَ شَعْبَانَ، وَالسِّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ لَهُ، وَصُولِحَ الْأَفْضَلُ عَنْ دِمَشْقَ **بِصَرْخَدَ**،[1] وَهَرَبَ وَزِيرُهُ ابْنُ الْأَثِيرِ االْجَزَرِيُّ إِلَى جَزِيرَتِهِ[2]، وَقَدْ أَتْلَفَ نَفْسَهُ وَمُلْكَهُ بِجَرِيرَتِهِ، وَانْتَقَلَ الْأَفْضَلُ إِلَى صَرْخَدَ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَخِيهِ قُطْبُ الدِّينِ.

○ تفرق ملوك بني أيوب وتسليم بيت المقدس

اسْتَهَلَّتْ سنة (٦٢٦هـ) وَمُلُوكُ بَنِي أَيُّوبَ مُفْتَرِقُونَ مُخْتَلِفُونَ، قَدْ صَارُوا أَحْزَابًا وَفِرَقًا، وَقَدِ اجْتَمَعَ مُلُوكُهُمْ إِلَى **الْكَامِلِ** مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مِصْرَ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِنَوَاحِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَقَوِيَتْ نُفُوسُ الْفِرِنْجِ **بِكَثْرَتِهِمْ بِمَنْ وَفَدَ** إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَحْرِ، وَبِمَوْتِ **الْمُعَظَّمِ، وَاخْتِلَافِ مَنْ بَعْدَهُ** مِنَ الْمُلُوكِ.

فَطَلَبَ الفرنج مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرُدُّوا إِلَيْهِمْ مَا كَانَ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ أَخَذَهُ مِنْهُمْ، **فَوَقَعَتِ الْمُصَالَحَةُ** بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُلُوكِ **أَنْ يَرُدُّوا لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَحْدَهُ**، وَتَبْقَى بِأَيْدِيهِمْ المدينة، فَتَسَلَّمُوا المسجد الأقصى الشَّرِيفَ، وَكَانَ **الْمُعَظَّمُ** قَدْ هَدَمَ أَسْوَارَهُ أيضًا، وَحَصَلَ للمسلمين وَهْنٌ شَدِيدٌ.

ثُمَّ قَدِمَ **الْمَلِكُ الْكَامِلُ**، فَحَاصَرَ **دِمَشْقَ**، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَلِكَ **النَّاصِرَ دَاوُدَ** بْنَ الْمُعَظَّمِ، عَلَى أَنْ يُقِيمَ مَلِكًا بِمَدِينَةِ الْكَرَكِ وَالشَّوْبَكِ وَنَابُلُسَ وَقَرَايَا مِنَ الْغَوْرِ وَالْبَلْقَاءِ.

ثُمَّ تَقَايَضَ الْأَشْرَفُ وَأَخُوهُ الْكَامِلُ، فَأَخَذَ الْأَشْرَفُ دِمَشْقَ وَأَعْطَى الكامل حَرَّانَ وَالرُّهَا وَرَأْسَ الْعَيْنِ وَالرَّقَّةَ وَسَرُوجَ.

ثُمَّ سَارَ الْكَامِلُ فَتَسَلَّمَ الْبِلَادَ الَّتِي قَايَضَ بِهَا عَنْ دِمَشْقَ مِنْ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ.

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٤٠١).

(٢) هي جزيرة ابن عمر، من أعمال الموصل.

وَكَانَ النَّاسُ بِدِمَشْقَ قَدِ اشْتَغَلُوا بِعِلْمِ **الْأَوَائِلِ** فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ دَاوُدَ، **وَكَانَ يُعَانِي ذَلِكَ**، وَرُبَّمَا نَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الِانْحِلَالِ. فَاللهُ أَعْلَمُ. فَنَادَى الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بِالْبُلْدَانِ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَأَنْ يَشْتَغِلُوا بِعِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ.

وَكَانَ سَيْفُ الدِّينِ الْآمِدِيُّ مُدَرِّسًا بِالْعَزِيزِيَّةِ، فَعَزَلَهُ عَنْهَا، وَبَقِيَ مُلَازِمًا مَنْزِلَهُ حَتَّى مَاتَ فِي سَنَةِ (٦٣١هـ)

وفِي سنة (٦٣٠هـ) قَصَدَ **صَاحِبُ مَارِدِينَ وَجَيْشُ بِلَادِ الرُّومِ** الْجَزِيرَةَ، فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، وَفَعَلُوا مَا لَمْ يَفْعَلْهُ **التَّتَارُ** بِالْمُسْلِمِينَ.

○ فتح دار الحديث الأشرفية

وَقَدْ ذَكَرَ السِّبْطُ [(١)] فِي سنة (٦٣٠هـ) أَنَّ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فُتِحَتْ **دَارُ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةُ** الْمُجَاوِرَةُ لِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَأَمْلَى بِهَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **بْنُ الصَّلَاحِ** الْحَدِيثَ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا الملك الْأَشْرَفُ الْأَوْقَافَ، وَبِهَا نَعْلُ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: وَسَمِعَ الْأَشْرَفُ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى **الزَّبِيدِيِّ**.

قُلْتُ: وَكَذَا سَمِعُوا عَلَيْهِ بِالدَّارِ وَبِالصَّالِحِيَّةِ.

○ تخريب الأشرف دار الخمور والمنكرات

فِي سنة (٦٣٢هـ) خَرَّبَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ، **خَانَ الزِّنْجَارِيِّ** الَّذِي كَانَ بِالْعُقَيْبَةِ، فِيهِ خَوَاطِئُ وَخُمُورٌ وَمُنْكَرَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَهَدَمَهُ وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ جَامِعٍ مَكَانَهُ سُمِّيَ **جَامِعَ التَّوْبَةِ** - تَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ -.

○ الصراع بين الخوارزمية والأيوبية

فِي سنة (٦٢٧هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْأَشْرَفِ **مُوسَى بْنِ الْعَادِلِ** وَبَيْنَ **جَلَالِ الدِّينِ** بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهِ الْخُوَارَزْمِيِّ، وَكَانَ **سَبَبُهَا** أَنَّ جَلَالَ الدِّينِ كَانَ قَدْ أَخَذَ مَدِينَةَ

(١) مرآة الزمان ٨/ ٦٧٦ القسم الثاني.

خِـلَاطَ فِـي الْعَامِ الْمَاضِي سـنة (٦٢٦هـ)، وَخَرَّبَهَا وَشَـرَّدَ أَهْلَهَا، **وَحَارَبَـهُ عَلَاءُ الدِّينِ كَيْقُبَاذُ مَلِكُ سـلاجقة الرُّومِ**، وَأَرْسَـلَ إِلَى الْأَشْـرَفِ يَسْـتَحِثُّهُ عَلَى الْقُـدُومِ عَلَيْهِ، فَقَدِمَ الْأَشْـرَفُ فِي طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ عَسْكَرِ دِمَشْـقَ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ بِلَادِ **الْجَزِيرَةِ**، وَمَنْ بَقِيَ مِنْ عَسْكَرِ **خِلَاطَ**، فَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ صَلِيبَةً، مَعَهُمُ الْعُدَّةُ الْكَامِلَةُ وَالْخُيُولُ الْهَائِلَةُ.

فَالْتَقَوْا مَعَ جَلَالِ الدِّينِ **بِأَذْرَبِيجَانَ**، وَهُوَ فِي عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، **بَلْ تَقَهْقَرَ وَانْهَزَمَ وَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى الْأَثَرِ**، وَلَمْ يَزَالُوا فِي أَثَرِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ **خُوَيٍّ**.

وَدَقَّـتِ الْبَشَـائِرُ فِي الْبِـلَادِ فَرَحًا بِنُصْرَةِ الْأَشْـرَفِ عَلَى **الْخُوَارَزْمِيَّـةِ**، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَفْتَحُونَ بَلَدًا إِلَّا قَتَلُوا مَنْ فِيهِ وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ، فَكَسَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

وَعَادَ الْأَشْرَفُ إِلَى مَدِينَةِ **خِلَاطَ**، فَوَجَدَهَا خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، فَمَهَّدَهَا وَأَطَّدَهَا، ثُمَّ تَصَالَحَ هُوَ وَجَلَالُ الدِّينِ، وَعَادَ إِلَى مُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ بِدِمَشْقَ.

○ عودة الصراع مع الفرنج

فِي سـنة (٥٩٣هـ) كَتَبَ الْقَاضِي **الْفَاضِلُ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الْمَلِكِ **الْعَادِلِ أبي بكر بن أيوب** بِدِمَشْقَ **يَحُثُّهُ عَلَى قِتَالِ الْفِرِنْجِ**، وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنْ مُحَارَبَتِهِمْ، وَحِفْظِ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ. **فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:**

فِي بَعْضِ تِلْكَ الْكُتُبِ: هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا عَرَائِسُ الْأَعْمَارِ، وَهَذِهِ النَّفَقَاتُ الَّتِـي تَجْـرِي عَلَى أَيْدِيكُمْ مُهُورُ الْحُورِ فِي دَارِ الْقَرَارِ، وَمَا أَسْـعَدَ مَنْ أَوْدَعَ يَدَ اللهِ مَا فِي يَدَيْهِ، فَتِلْكَ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَتَوْفِيقُهُ الَّذِي مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَهُ وَصَلَ إِلَيْهِ...إلخ.

وقد **انْقَضَتْ في هذه السـنة مُدَّةُ الْهُدْنَةِ** الَّتِـي كَانَ عَقَدَهَا الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ لِلْفِرِنْجِ فَأَقْبَلُوا بِقَضِّهِمْ، وقَضِيضِهِمْ فَتَلَقَّاهُمُ **الْمَلِكُ الْعَادِلُ** بِمَرْجِ **عَكَّا** فَكَسَرَهُمْ وَغَنِمَهُمْ، وَفَتَحَ **يَافَا** عَنْوَةً.

لكن أَخذَتِ الْفِرنْجُ **بَيْرُوتَ** مِنْ نَائِبِهَا عِزِّ الدِّينِ شَامَةَ في هذه السنة مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَلَا نِزَالٍ، وَلِهَذَا هجاه بعض الشُّعَرَاءِ:

سَلِّمِ الْحِصْنَ مَا عَلَيْكَ مَلَامَهْ ... مَا يُلَامُ الَّذِي يَرُومُ السَّلَامَهْ

فَعَطَاءُ الْحُصُونِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ ... سُنَّةٌ سَنَّهَا بِبَيْرُوتَ شَامَهْ

ومَاتَ في سنة (٥٩٣هـ) **مَلِكُ الْفِرنْجِ كُنْدَهِرِيٌّ**: سَقطَ مِنْ شَاهِقٍ فَمَاتَ، فَبَقِيَتِ الْفِرنْجُ كَالْغَنَمِ بِلَا رَاعٍ، حَتَّى مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ صَاحِبَ قُبْرُس، وَزَوَّجُوهُ بِالْمَلِكَةِ امْرَأَةِ كُنْدَهِرِيٍّ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، فَفِي كُلِّهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِمْ وَيَكْسِرُهُمْ، ويَقْتُلُ خلقًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ؛ وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِك مَعَهُ.

وفِي سنة (٥٩٤هـ) جَمَعَتِ **الْفِرنْجُ** جُمُوعَهَا وَأَقْبَلُوا فَحَاصَرُوا **تِبْنِينَ**،[1] فَاسْتَدْعَى **الْعَادِلُ** بَنِي أَخِيهِ لِقِتَالِهِمْ، فَجَاءَهُ **الْعَزِيزُ** مِنْ مِصْرَ، **وَالْأَفْضَلُ** مِنْ صَرْخَدَ، فَأَقْلَعَتِ الْفِرنْجُ عَنِ الْحِصْنِ وبَلَغَهُمْ مَوْتُ مَلِكِ الْأَلْمَانِ، فَطَلَبُوا مِنَ الْعَادِلِ الْهُدْنَةَ وَالْأَمَانَ، **فَهَادَنَهُمْ**، وَرَجَعَتِ الْمُلُوكُ إِلَى أَمَاكِنِهَا.

وفِي سنة (٦٠٠هـ) كَانَتِ **الْفِرنْجُ** قَدْ جَمَعُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ لِيَسْتَعِيدُوا بَيْتَ **الْمَقْدِسِ** مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَشْغَلَهُمُ اللهُ بِقِتَالِ **الرُّومِ**؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمُ اجْتَازُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَوَجَدُوا مُلُوكَهَا قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَحَاصَرُوهَا حَتَّى فَتَحُوهَا قَسْرًا، وَأَبَاحُوهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَتْلًا وَأَسْرًا، وَاحترَقَ أَكْثَرُ مِنْ رُبْعِهَا، وَمَا أَصْبَحَ أَحَدٌ مِنَ الرُّومِ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ إِلَّا قَتِيلًا أَوْ أَسِيرًا، وَلَجَأَ عَامَّةُ مَنْ بَقِيَ مِنْهَا إِلَى كَنِيسَتِهَا الْعُظْمَى الْمُسَمَّاةِ **بِصُوفِيَا**، فَقَصَدَهَا الْفِرنْجُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْقِسِّيسُونَ بِالْأَنَاجِيلِ؛ لِيَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِمْ وَيَتْلُوا عَلَيْهِمْ، فَمَا الْتَفَتُوا إِلَى شَيْءٍ مِمَّا وَاجَهُوهُمْ بِهِ، بَلْ قَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي الْكَنِيسَةِ مِنَ الْحُلِيِّ وَالْأَذْهَابِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ عَلَى الصُّلْبَانِ وَالْحِيطَانِ.

---

(١) بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس، بين دمشق وصور. معجم البلدان ١/ ٨٢٤.

ثُمَّ اقْتَرَعَ **مُلُوكُ الْفِرِنْجِ وَكَانُوا ثَلَاثَةً**، فَخَرَجَتِ الْقُرْعَةُ لِكَنَدُ أَفْلِنْدُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ عَدَدًا وَعُدَدًا، فَوَلَّوْهُ مُلْكَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَأَخَذَ الْمَلِكَانِ الْآخَرَانِ بَعْضَ الْبِلَادِ، وَتَحَوَّلَ الْمُلْكُ مِنَ **الرُّومِ إِلَى الْفِرِنْجِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ** فِي هَذِهِ السَّنَةِ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وَلَمْ يَبْقَ بِأَيْدِي الرُّومِ هُنَاكَ إِلَّا مَا وَرَاءَ الْخَلِيجِ، اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ: لَشْكُرِي.

ثُمَّ إِنَّ الْفِرِنْجَ قَصَدُوا **بِلَادَ الشَّامِ** وَقَدْ تَقَوَّوْا بِمُلْكِهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَنَزَلُوا **عَكَّا**، وَأَغَارُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِنْ نَاحِيَةِ الْغُورِ وَتِلْكَ الْأَرَاضِي فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ **الْمَلِكُ الْعَادِلُ** وَكَانَ بِدِمَشْقَ، وَاسْتَدْعَى بِالْجُيُوشِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَشْرِقِيَّةِ، وَنَازَلَهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْ عَكَّا، فَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ وَمُصَابَرَةٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ وَالْهُدْنَةُ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْبُلْدَانِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفي سنة (٦٠٣هـ) نَازَلَتِ **الْفِرِنْجُ** حِمْصَ فَقَاتَلَهُمْ مَلِكُهَا أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهْ الْكَبِيرِ، وَأَعَانَهُ بِالْمَدَدِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ فَكَفَّ اللهُ شَرَّهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي سنة (٦٠٤هـ) كَثُرَتْ غَارَاتُ **الْفِرِنْجِ** مِنْ طَرَابُلُسَ عَلَى نَوَاحِي حِمْصَ فَضَعُفَ صَاحِبُهَا أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الظَّاهِرُ صَاحِبُ حَلَبَ عَسْكَرًا قَوَّاهُ بِهِمْ عَلَى الْفِرِنْجِ.

وَخَرَجَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَرْسَلَ إِلَى جُيُوشِ الْجَزِيرَةِ الْعُمَرِيَّةِ فَوَافَوْهُ عَلَى عَكَّا فَحَاصَرَهَا؛ لِأَنَّ الْقَبَارِسَةَ كَانُوا قَدْ أَخَذُوا مِنْ أُسْطُولِ الْمُسْلِمِينَ قِطَعًا فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَطَلَبَ صَاحِبُ عَكَّا الْأَمَانَ وَالصُّلْحَ عَلَى أَنْ يَرُدَّ الْأُسَارَى، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَسَارَ الْعَادِلُ فَنَزَلَ عَلَى بُحَيْرَةِ قَدَسَ قَرِيبًا مِنْ حِمْصَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بِلَادِ طَرَابُلُسَ فَأَقَامَ بِهَا اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ وَيَغْنَمُ، وَخَرَّبَ تِلْكَ الْبُلْدَانَ الْأَطْرَابُلُسِيَّةَ، حَتَّى جَنَحَ الْفِرِنْجُ إِلَى الْمُهَادَنَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

فِي سنة (٦٠٥هـ) قَصَدَتِ **الْفِرِنْجُ** مَدِينَةَ **حِمْصَ** وَعَبَرُوا عَلَى الْعَاصِي بِجِسْرٍ أَعَدُّوهُ فِي بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِمُ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ رَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً جَيِّدَةً.

فِي سنة (٦٠٧هـ) عَاثَتِ **الْفِرِنْجُ** بِنَوَاحِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ **الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ** فِي عَسَاكِرِهِ.

وَجَلَسَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ سِبطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ابْنُ ابْنَتِهِ رَابِعَةَ، صَاحِبُ «مِرْآةِ الزَّمَانِ» يَوْمَ السَّبْتِ خَامِسَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ للوعظ بِالْجَامِعِ، وحَثَّ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَا كَانَ قَدْ تَحَصَّلَ عِنْدَهُ مِنْ شُعُورِ التَّائِبِينَ، وَقَدْ عَمِلَ مِنْهُ شِكَالَاتٍ يَحْمِلُهَا الرِّجَالُ، فَلَمَّا رَآهَا النَّاسُ ضَجُّوا وَتَبَاكَوْا، وَقَطَّعُوا مِنْ شُعُورِهِمْ نَحْوَهَا، فَلَمَّا انْقَضَى الْمَجْلِسُ، وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ، تَلَقَّاهُ وَالِي دمشق **مُبَارِزُ الدِّينِ الْمُعْتَمِدُ إِبْرَاهِيمُ**، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَخرج وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ بِنِيَّةِ الْجِهَادِ إِلَى بِلَادِ الْقُدْسِ، فَلَمَّا وَصَلوا نَابُلُسَ تَلَقَّاهم الْمُعَظَّمُ.

فَلَمَّا رَأَى الشِّكَالَاتِ مِنْ شُعُورِ التَّائِبِينَ جَعَلَ يُقَبِّلُهَا، وَيُمَرِّغُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَبْكِي، ثُمَّ سَارُوا صُحْبَةَ الْمُعَظَّمِ إِلَى نَاحِيَةِ بِلَادِ الْفِرِنْجِ، فَقَتَلُوا خَلْقًا، وَخَرَّبُوا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، وَغَنِمُوا وَعَادُوا سَالِمِينَ، **ثم بَعَثَ الْفِرِنْجُ** إِلَى الْعَادِلِ **يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْأَمَانَ** وَالْمُصَالَحَةَ، فَهَادَنَهُمْ.

وفِي سنة (٦٠٩هـ) اجْتَمَعَ الْعَادِلُ وَأَوْلَادُهُ: **الْكَامِلُ، وَالْمُعَظَّمُ، وَالْفَائِزُ** بِدِمْيَاطَ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ فِي مُقَاتَلَةِ **الْفِرِنْجِ**، فَاغْتَنَمَ غَيْبَتَهُمْ **سَامَةُ الْجَبَلِيُّ** أَحَدُ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، فَسَارَ مُسْرِعًا إِلَى دِمَشْقَ لِيَسْتَلِمَ الْبَلَدَ، فَأَرْسَلَ الْعَادِلُ فِي إِثْرِهِ وَلَدَهُ الْمُعَظَّمَ صَاحِبَ الشَّامِ، فَسَبَقَهُ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَ سامة الجبلي شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَصَابَهُ النِّقْرِسُ، فَشَرَعَ يَرُدُّهُ إِلَى الطَّاعَةِ بِالْمُلَاطَفَةِ، فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِ، فَاسْتَوْلَى المعظم عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَمْلَاكِهِ وَأَمْوَالِهِ، واعْتَقَلَهُ بِقَلْعَةِ الْكَرَكِ، وَنُقِلَتْ حَوَاصِلُهُ إِلَى حِصْنِ الطُّورِ.

وفي سنة (٦٠٩هـ) اسْتَوْلَى صَاحِبُ قُبْرُس لَعَنَهُ اللهُ، عَلَى مَدِينَةِ **أَنْطَاكِيَةَ**، فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ شَرٌّ عَظِيمٌ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْغَارَاتِ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، حَوْلَ بَلْدَةِ أَنْطَاكِيَةَ ; قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَنِمَ مِنْ أَغْنَامِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، فَقَدَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، أَنْ أَمْكَنَهُمْ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْأَوْدِيَةِ، فَقَتَلُوهُ، وَطَافُوا بِرَأْسِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ كُلِّهَا، ثُمَّ أَرْسَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَطِيفَ بِهِ هُنَالِكَ، وَهُوَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى بِلَادِ مِصْرَ مِنْ ثَغْرِ دِمْيَاطَ مَرَّتَيْنِ، فَقَتَلَ وَسَبَى.

وفِي سنة (٦١٤هـ) انْقَضَتِ الْهُدْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ **الْعَادِلِ وَالْفِرِنْجِ**، وَاتَّفَقَ قُدُومُ الْعَادِلِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَوَلَدُهُ الْمُعَظَّمُ **بِبَيْسَانَ**، فَرَكِبَتِ الْفِرِنْجُ مِنْ عَكَّا ومعهم مُلُوكُ السَّوَاحِلِ كُلُّهُمْ، وَسَاقُوا قَاصِدِينَ مباغتة الْعَادِلِ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ فَرَّ مِنْهُمْ؛ لِكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ، وَقِلَّةِ مَنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الْمُعَظَّمُ: إِلَى أَيْنَ يَا أَبَتِ؟ فَشَتَمَهُ بِالْعَجَمِيَّةِ.

فَتَوَجَّهَ الْعَادِلُ إِلَى **دِمَشْقَ**، وَكَتَبَ إِلَى وَالِيهَا لِيُحَصِّنَهَا مِنَ الْفِرِنْجِ، وَيَنْقُلَ إِلَيْهَا مِنَ الْغَلَّاتِ مِنْ دَارَيَّا إِلَى الْقَلْعَةِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَابْتَهَلُوا إِلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ، وَكَثُرَ الضَّجِيجُ بِالْجَامِعِ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ، **فَنَزَلَ بِمَرْجِ الصُّفَّرِ**، وَأَرْسَلَ إِلَى مُلُوكِ الشَّرْقِ لِيَقْدَمُوا لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ **صَاحِبُ حِمْصَ** أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهْ، وَلَمَّا قَدِمَ سُرِّيَ عَنِ النَّاسِ وَأَمِنُوا، ثم تَوَجَّهَ إِلَى السُّلْطَانِ بِمَرْجِ الصُّفَّرِ.

وَأَمَّا الْفِرِنْجُ فَإِنَّهُمْ وَرَدُوا إِلَى بَيْسَانَ، فَنَهَبُوا مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْغَلَّاتِ وَالدَّوَابِّ، وَقَتَلُوا وَأَسَرُوا شَيْئًا كَثِيرًا، ثُمَّ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَخَرَجُوا إِلَى أَرَاضِي الْجَوْلَانِ، وإِلَى نَوَى وَغَيْرِها مِنَ الْأَرَاضِي، وَسَارَ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ، فَنَزَلَ عَلَى عَقَبَةِ اللَّبَنِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَنَابُلُسَ خَوْفًا عَلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ حَاصَرَ الْفِرِنْجُ حِصْنَ الطُّورِ حِصَارًا هَائِلًا، وَمَانَعَ عَنْهُ الَّذِينَ بِهِ مِنَ الْأَبْطَالِ مُمَانَعَةً هَائِلَةً، ثُمَّ كَرَّ الْفِرِنْجُ رَاجِعِينَ إِلَى عَكَّا.

وَجَاءَ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ إِلَى الطُّورِ، فَخَلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ بِهِ، وَطَيَّبَ نُفُوسَهُمْ.

واسْتَهَلَّتْ سنة (٦١٥هـ) وَالْعَادِلُ بِمَرْجِ الصُّفَّرِ لِمُنَاجَزَةِ الْفِرِنْجِ، وَأَمَرَ وَلَدَهُ الْمُعَظَّمَ بِتَخْرِيبِ حِصْنِ **الطُّورِ**، فَخَرَّبَهُ وَنَقَلَ مَا فِيهِ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ إِلَى الْبُلْدَانِ خَوْفًا مِنَ الْفِرِنْجِ. ثم الْتَقَى الْمُعَظَّمُ وَالْفِرِنْجُ عَلَى **الْقَيْمُونِ**(١)، فَكَسَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرَ مِنَ الدَّاوِيَّةِ مِائَةً، فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى الْقُدْسِ مُنَكَّسَةً أَعْلَامُهُمْ.

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦١٥هـ) أَخَذَتِ **الْفِرِنْجُ ثَغْرَ دِمْيَاطَ**، ثُمَّ رَكِبُوا، وَقَصَدُوا بِلَادَ مِصْرَ، فَحَاصَرُوها مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، **وَالْكَامِلُ مُحَمَّدٌ** يُقَاتِلُهُمْ وَيُمَانِعُهُمْ وَيَصُدُّهُمْ عَمَّا يُرِيدُونَهُ، فَتَمَلَّكُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ **بُرْجَ السِّلْسِلَةِ**، وَهُوَ كَالْقُفْلِ عَلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَصِفَتُهُ فِي وَسَطِ جَزِيرَةٍ فِي النِّيلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنْ هَذَا الْبُرْجِ انتقلوا إِلَى دِمْيَاطَ.

فَلَمَّا مَلَكَتِ الْفِرِنْجُ هَذَا **الْبُرْجَ** شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِدِيَارِ مِصْرَ وَغَيْرِهَا، وَحِينَ وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَهُوَ بِمَرْجِ الصُّفَّرِ، **تَأَوَّهَ لِذَلِكَ تَأَوُّهًا شَدِيدًا، وَدَقَّ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ أَسَفًا وَحُزْنًا، وَمَرِضَ مِنْ سَاعَتِهِ مَرَضَ الْمَوْتِ.**

ولَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ **بِمَوْتِ الْعَادِلِ** سنة (٦١٥هـ) إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْكَامِلِ، وَهُوَ بِثَغْرِ دِمْيَاطَ مُرَابِطُ الْفِرِنْجَ، أَضْعَفَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ بَلَغَ الْكَامِلَ خَبَرٌ آخَرُ: **أَنَّ الْأَمِيرَ** أَحْمَدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ **الْمَشْطُوبِ**، قَدْ أَرَادَ أَنْ يُبَايِعَ **لِلْفَائِزِ**، فرجع الكامل مسرعًا مِنْ دِمْيَاطَ إِلَى مِصْرَ لِاسْتِدْرَاكِ هَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، فَلَمَّا فَقَدَهُ الْجَيْشُ مِنْ بَيْنِهِمُ **انْحَلَّ نِظَامُهُمْ**، ورَكِبُوا وَرَاءَهُ، **فَدَخَلَتِ الْفِرِنْجُ بِأَمَانٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ**، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مُعَسْكَرِ الْكَامِلِ وَأَثْقَالِهِ وَحَوَاصِلِ الْجَيْشِ، فَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ جِدًّا، وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَدَخَلَ الْكَامِلُ مِصْرَ، فَلَمْ يَقَعْ مِمَّا ظَنَّهُ شَيْءٌ، وَهَرَبَ مِنْهُ ابْنُ الْمَشْطُوبِ إِلَى الشَّامِ.

ثُمَّ رَكِبَ مِنْ فَوْرِهِ فِي الْجَيْشِ إِلَى الْفِرِنْجِ، فَإِذَا الْأَمْرُ قَدْ تَزَايَدَ وَقَدْ تَمَكَّنُوا هُنَالِكَ مِنَ الْبُلْدَانِ، **وَقَتَلُوا خَلْقًا**، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَعَاثَتْ هُنَاكَ الْأَعْرَابُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ

(١) حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين. معجم البلدان ٤/ ٢١٨.

بِبِلَادِ دِمْيَاطَ، فَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِرِنْجِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَنَزَلَ الْكَامِلُ تُجَاهَهُمْ يُمَانِعُهُمْ عَنْ دُخُولِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمِصْرِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُمَانِعُهُمْ عَنْ دُخُولِ الثَّغْرِ؛ وَكَتَبَ إِلَى إِخْوَتِهِ يَسْتَحِثُّهُمْ وَيَسْتَنْجِدُ بِهِمْ، وَيَقُولُ: الْعَجَلَ الْعَجَلَ، أَدْرِكُوا الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ الْفِرِنْجُ جَمِيعَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، **فَأَقْبَلَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَيْهِ** مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْأَشْرَفُ مُوسَى صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ، بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهُ، ثُمَّ الْمُعَظَّمُ.

وفِي سنة (٦١٧هـ) أَوْقَعَ الْكَامِلُ **بِالْفِرِنْجِ** الَّذِينَ عَلَى دِمْيَاطَ بَأْسًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشَرَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَ خُيُولَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفِي سنة (٦١٨هـ) سَارَ الْمُعَظَّمُ وأخوه الْأَشْرَفُ نَحْوَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِمُعَاوَنَةِ الْكَامِلِ عَلَى **الْفِرِنْجِ** الَّذِينَ قَدْ أَخَذُوا ثَغْرَ دِمْيَاطَ، وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُهُمْ هُنَالِكَ مِنْ سَنَة (٦١٤هـ)، **وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ** وَجَمِيعَ مَا كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ فَتَحَهُ مِنْ بِلَادِ السَّاحِلِ، وَيَتْرُكُوا دِمْيَاطَ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَفْعَلُوا.

فَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَن ضَاقَتْ الحال على الفرنج، وَأُرْسِلَتِ الْمِيَاهُ عَلَى أَرَاضِي دِمْيَاط مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَمْ يُمْكِنْهُمْ أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الْأَمَاكِنِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنَابُوا إِلَى الْمُصَالَحَةِ بِلَا مُعَاوَضَةٍ، فَجَاءَ مُقَدِّمُوهُمْ إِلَى الكامل، وَعِنْدَهُ أَخَوَاهُ الْمُعَظَّمُ عِيسَى وَمُوسَى الْأَشْرَفُ، فَوَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى مَا أَرَادَ الْكَامِلُ مُحَمَّدٌ.

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ رَجَبٍ مِنْ سنة (٦١٨هـ)، وَتَرَاجَعَتِ الْفِرِنْجُ إِلَى عَكَّا وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ.

وفِي سنة (٦٢٤هـ) قَدِمَ رَسُولُ **مَلِكِ الْفِرِنْجِ** فِي الْبَحْرِ إِلَى **الْمُعَظَّمِ** يَطْلُبُ مِنْهُ مَا كَانَ فَتَحَهُ عَمُّهُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ مِنْ بِلَادِ السَّوَاحِلِ، فَأَغْلَظَ لَهُمُ الْمُعَظَّمُ فِي الْجَوَابِ، وَقَالَ لَهُ: قُلْ لِصَاحِبِكَ مَا عِنْدِي إِلَّا السَّيْفُ.

وفِي سنة (٦٢٥هـ) قَدِمَتْ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ **الْفِرِنْجِ** مِنْ نَاحِيَةِ **صِقِلِّيَّةَ**، فَنَزَلُوا عَكَّا وَصُورَ، وَحَمَلُوا عَلَى مَدِينَةِ **صَيْدَا**، فَانْتَزَعُوهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ، وَجَاءَ الْأَنْبُرُورُ مَلِكُ **جَزِيرَةِ قُبْرُس**، فَنَزَلَ عَكَّا فَخَافَ الْمُسْلِمُونَ.

وَرَكِبَ الْمَلِكُ **الْكَامِلُ** مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ صَاحِبُ مِصْرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَدَخَلَهُ، ثُمَّ سَارَ إِلَى نَابُلُسَ، **فَخَافَ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ** مِنْ عَمِّهِ الْكَامِلِ، فَكَتَبَ إِلَى عَمِّهِ الْأَشْرَفِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ يَسْتَعْطِفُهُ، وَيَكُفُّهُ عَنِ ابْنِ أَخِيهِ، فَأَجَابَهُ الْكَامِلُ بِأَنِّي إِنَّمَا جِئْتُ لِحِفْظِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَصَوْنِهِ عَنِ الْفِرِنْجِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَخْذَهُ، وَحَاشَى لِلَّهِ أَنْ أُحَاصِرَ أَخِي أَوِ ابْنَ أَخِي، وَبَعْدَ أَنْ جِئْتَ أَنْتَ إِلَى الشَّامِ، فَأَنْتَ تَحْفَظُهَا، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ. فَخَشِيَ الْأَشْرَفُ وَأَهْلُ الشَّامِ إِنْ رَجَعَ الْكَامِلُ **أَنْ تَمْتَدَّ أَطْمَاعُ الْفِرِنْجِ** إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَرَكِبَ الْأَشْرَفُ إِلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ، فَثَبَّطَهُ عَنِ الرُّجُوعِ. وَأَقَامَا جَمِيعًا هُنَالِكَ، جَزَاهُمَا اللهُ خَيْرًا، **يَحْفَظَانِ جَنَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** عَنِ الْفِرِنْجِ.

وَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ الكامل **جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ**، كَأَخِيهِ الْأَشْرَفِ وَأَخِيهِمَا الشِّهَابِ غَازِيِّ بْنِ الْعَادِلِ، وَأَخِيهِمُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَادِلِ، وَصَاحِبِ حِمْصَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ شِيرْكُوهْ، وَغَيْرِهِمْ. وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى **نَزْعِ النَّاصِرِ دَاوُدَ عَنْ مُلْكِ دِمَشْقَ** وَتَسْلِيمِهَا إِلَى الْأَشْرَفِ مُوسَى؛ لِأَجْلِ حِفْظِ الشَّامِ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَسَيَأْتِي تَنْفِيذُ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبِلَةِ، إِنَّ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَفِي سنة (٦٢٧هـ) أَخَذَتِ الْفِرِنْجُ جَزِيرَةَ **مَيُورْقَةَ**(١) وَقَتَلُوا بِهَا خَلْقًا، وَأَسَرُوا آخَرِينَ، فَقَدِمُوا بِهِمْ إِلَى السَّاحِلِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَأَخْبَرُوا بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْفِرِنْجِ.

---

(١) ميورقة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وقاف جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة بالنون كانت قاعدة ملك مجاهد العامري. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٢٤٦).

○ غضب البابا على مَلِكِ الْفِرنْج

فِي سـنة (٦٤٤هـ) قَدِمَتِ الرُّسُـلُ مِنْ عِنْدِ الْبَابَا الَّذِي لِلنَّصَارَى تُخْبِرُ بِأَنَّهُ قَدْ أَبَاحَ دَمَ الْأَنْبُرُورِ مَلِكِ الْفِرِنْجِ؛ لِتَهَاوُنِهِ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَرْسَلَ طَائِفَةً مِنْ عِنْدِهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ كَانَ اسْـتَعَدَّ لَهُمْ، وَأَجْلَسَ مَمْلُوكًا لَهُ عَلَى السَّـرِيرِ، فَاعْتَقَدُوهُ الْمَلِكَ فَقَتَلُوهُ، فَعِنْـدَ ذَلِكَ أَخَذَهُمُ الْأَنْبُرُورُ فَصَلَبَهُمْ عَلَى بَابِ قَصْرِهِ بَعْدَ مَا ذَبَحَهُمْ وَسَـلَخَهُمْ وَحَشَـا جُلُودَهُمْ تِبْنًا، فَلَمَّا **بَلَغَ** ذَلِكَ **الْبَابَا** أَرْسَـلَ إِلَيْهِ جَيْشًـا كَثِيفًا لِقِتَالِهِ، فَأَوْقَعَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَهُمُ الْخِلَافَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ وفاة صاحب سنجار

فِي سـنة (٥٩٤هـ) تُوُفِّيَ السُّـلْطَانُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِيُّ بْنُ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ الْأَتَابِكِيُّ، **صَاحِبُ سِـنْجَارَ** وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدَائِنِ الْكِبَارِ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ، وَأَحْسَـنِهِمْ شَـكْلًا وَسِيرَةً، وَكَانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لِلْعُلَمَاءِ، وَلَا سِيَّمَا الْحَنَفِيَّةَ، وقَدِ ابْتَنَى لَهُمْ **مَدْرَسَةً** بِسِنْجَارَ، وَشَـرَطَ لَهُمْ طَعَامًا يُطْبَخُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، **وَهَذَا نَظَرٌ حَسَـنٌ**، وَالْفَقِيهُ أَوْلَى بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْفَقِيرِ؛ لِاشْتِغَالِ الْفَقِيهِ بِتَكْرَارِهِ وَمُطَالَعَتِهِ عَنِ الْفِكْرِ.

فَعَـدَا عَلَـى أَوْلَادِهِ ابْنُ عَمِّهِ صَاحِبُ الْمَوْصِـلِ، فَأَخَذَ الْمُلْكَ مِنْهُمْ، فَاسْـتَغَاثَ بَنُوهُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ، فَرَدَّ فِيهِمُ الْمُلْكَ، وَدَرَأَ عَنْهُمُ الضَّيْمَ، **وَاسْـتَقَرَّتِ مَملكَةُ سـنجار لِوَلَدِهِ** قُطْبِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ.

○ وفاة العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر

فِي سـنة (٥٩٥هـ) كَانَتْ وَفَاةُ **الْعَزِيزِ بن صلاح** الدين الأيوبي **صَاحِبِ مِصْر**، خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، سَاقَ خَلْفَ ذِئْبٍ، فَكَبَا بِهِ الْفَرَسُ فَسَـقَطَ عَنْهُ، فرجع إلى البلد وهو مريض، ثم توفي بعد أسـبوعين، وَدُفِنَ بِدَارِهِ، وَلَهُ من العمر سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَكَانَ قَدْ عَزَمَ فِي هَذِهِ السَّـنَةِ عَلَى **إِخْرَاجِ الْحَنَابِلَةِ** مِـنْ بَلَدِهِ، وَيَكْتُبُ إِلَى بَقِيَّةِ إِخْوَتِهِ

أَنْ يُخرِجُوهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَشَاعَ ذَلِكَ عَنْهُ، وَسُمِعَ مِنْهُ وَذَاعَ وَصُرِّحَ بِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مُعَلِّمِيهِ وَخُلَطَائِهِ **مِنَ الْجَهْمِيَّةِ**، وَقِلَّةِ عِلْمِهِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ الْعَزِيزُ؛ خَلَّفَ مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةَ ذُكُورٍ، فَعَمَدَ أُمَرَاؤُهُ فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا، **وَلَقَّبُوهُ بِالْمَنْصُورِ**، وَجُمْهُورُ الْأُمَرَاءِ فِي الْبَاطِنِ مَائِلُونَ إِلَى تَمْلِيكِ عمه الْعَادِلِ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَبْعَدُوا مَكَانَهُ، فَأَقْبَلَ الْعَادِلُ مِنْ مَارِدِينَ بِعَسَاكِرِهِ إلى **دمشق**، وقَدِ اسْتَنَابَ عَلَى مَارِدِينَ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا الْكَامِلَ.

○ صلب مدعي عيسى ابن مريم

فِي سنة (٥٩٥هـ) ادَّعَى رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ **بِدِمَشْقَ** أَنَّهُ **عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ صَارِمُ الدِّينِ بُرْغُش نَائِبُ الْقَلْعَةِ، بِصَلْبِهِ فَصُلِب. وَبَعْدَ صَلْبِهِ بِيَوْمَيْنِ ثَارَتِ الْعَامَّةُ عَلَى الرَّوَافِضِ، وَعَمَدُوا إِلَى قَبْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِبَابِ الصَّغِيرِ يُقَالُ لَهُ: **وَثَّابٌ**. فَنَبَشُوهُ وَصَلَبُوهُ مَعَ كَلْبَيْنِ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْهَا.

○ محنة الحافظ عبد الغني المقدسي

في سنة (٥٩٥هـ) وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِدِمَشْقَ بِسَبَبِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ ; وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي مَقْصُورَةِ الْحَنَابِلَةِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَذَكَرَ يَوْمًا شَيْئًا مِنَ الْعَقَائِدِ فَاجْتَمَعَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ، وَضِيَاءُ الدِّينِ الْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ بِالسُّلْطَانِ الْمُعَظَّمِ، وَالْأَمِيرُ صَارِمُ الدِّينِ بُرْغُش، فَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالنُّزُولِ وَالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ، فَوَافَقَ النَّجْمُ الْحَنْبَلِيُّ بَقِيَّةَ الْفُقَهَاءِ، وَاسْتَمَرَّ الْحَافِظُ عَلَى مَا يَقُولُهُ، لَمْ يَرْجِعْ عَنْهُ، وَأَلْزَمُوهُ بِإِلْزَامَاتٍ شَنِيعَةٍ لَمْ يَلْتَزِمْهَا، حَتَّى قَالَ لَهُ الْأَمِيرُ بُرْغُش: كُلُّ هَؤُلَاءِ عَلَى الضَّلَالَةِ وَأَنْتَ وَحْدَكَ عَلَى الْحَقِّ؟! قَالَ: نَعَمْ. فَغَضِبَ الْأَمِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنَ الْبَلَدِ، وَكَانَ عَقْدُ الْمَجْلِسِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَارْتَحَلَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ إِلَى بَعْلَبَكَّ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَآوَاهُ الْمُحَدِّثُونَ، فَحَنُّوا عَلَيْهِ وَأَكْرَمُوهُ.

○ **استقرار ملك مصر بيد العادل**

فِي أول سنة (٥٩٦هـ) حاصر الْمَلِكُ **الْأَفْضَلُ** بِالْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ **عَمّه** الْعَادِلِ بِدِمَشْقَ، وَقَطَعَ عَنْهَا الْأَنْهَارَ وَالْمِيرَةَ، فَلَا خُبْزَ وَلَا مَاءَ إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ تَطَاوَلَ الْحَالُ، وَقَدْ خَنْدَقُوا خَنْدَقًا؛ لِئَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ جَيْشُ دِمَشْقَ، وَجَاءَ فَصْلُ الشِّتَاءِ وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ وَالْأَوْحَالُ.

فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ صَفَرٍ، **قَدِمَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ** الْعَادِلِ عَلَى أَبِيهِ بِخَلْقٍ مِنَ التُّرْكُمَانِ، وَعَسَاكِرَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَالرُّهَا وَحَرَّانَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ انْصَرَفَتِ الْعَسَاكِرُ الْمِصْرِيَّةُ، وَتَفَرَّقُوا، فَرَجَعَ الْأَفْضَلُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَكَاتَبَ الْأُمَرَاءُ الْعَادِلَ أَنْ يُسْرِعَ السَّيْرَ إِلَيْهِمْ، وَالْقُدُومَ عَلَيْهِمْ، لِيَمْنَعُوا الأفضل مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ سَرِيعًا سَامِعًا لِمَشُورَتِهِمْ، فَتَحَصَّنَ الْأَفْضَلُ بِالْقَلْعَةِ مِنَ الْجَبَلِ، وَقَدِ اعْتَرَاهُ الضَّعْفُ وَالْفَشَلُ، وَاسْتَبَدَّ العادل بِمُلْكِ مِصْرَ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ **ابْنُ أَخِيهِ الْأَفْضَلُ خَاضِعًا**، فَأَقْطَعُهُ بِلَادًا مِنَ الْجَزِيرَةِ.

وَدَخَلَ الْعَادِلُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ بِالْقَاهِرَةِ، وَأَبْقَى الْخُطْبَةَ وَالسِّكَّةَ بِاسْمِ **ابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ** ابن العزيز، وَكَانَ هُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْأُمُورِ، وَاسْتَوْزَرَ الصَّاحِبَ صَفِيَّ الدِّينِ بْنَ شُكْرٍ لِصَرَامَتِهِ وَشَهَامَتِهِ وَدِيَانَتِهِ.

وَكَتَبَ الملك الْعَادِلُ إِلَى وَلَدِهِ محمد الْكَامِلِ يَسْتَدْعِيهِ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ؛ لِيُمَلِّكَهُ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ.

وَأَحْضَرَ الْمَلِكُ الْفُقَهَاءَ وَاسْتَفْتَاهُمْ فِي صِحَّةِ مَمْلَكَةِ ابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّهُ صَغِيرٌ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، فَأَفْتَوْا بِأَنَّ وِلَايَتَهُ لَا تَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ مُتَوَلَّى عَلَيْهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ الْأُمَرَاءَ وَدَعَاهُمْ إِلَى مُبَايَعَتِهِ فَامْتَنَعُوا، فَأَرْغَبَهُمْ وَأَرْهَبَهُمْ، **وَقَالَ فِيمَا قَالَ**: قَدْ سَمِعْتُمْ مَا أَفْتَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْأَئِمَّةُ وَالْفُقَهَاءُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَحْفَظُهَا الْأَطْفَالُ الصِّغَارُ، وَإِنَّمَا يَحْرُسُهَا الْمُلُوكُ الْكِبَارُ، فَأَذْعَنُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَبَايَعُوهُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ الْكَامِلِ.

فَخطَبَ الْخُطَبَاءُ بِذَلِكَ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ لَهُمَا، فَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِاسْمِهِمَا، وَاسْتَقَرَّتْ دِمَشْقُ بِاسْمِ الْمُعَظَّمِ عِيسَى بْنِ الْعَادِلِ، وَمِصْرُ بِاسْمِ الْكَامِلِ.

○ وقوع الغلاء بمصر لعامين

فِي سنة (٥٩٦هـ) والَّتِي بَعْدَهَا كَانَ بِدِيَارِ مِصْرَ **غَلَاءٌ شَدِيدٌ**، فَهَلَكَ بِسَبَبِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَهَرَبَ النَّاسُ مِنْهَا نَحْوَ الشَّامِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، **وَتَخَطَّفَهُمُ الْفِرِنْجُ** مِنَ الطُّرُقَاتِ، وَغَرُّوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَاغْتَالُوهُمْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْأَقْوَاتِ.

○ بناء سور قلعة دمشق

فِي سنة (٥٩٩هـ) شُرِعَ فِي عِمَارَةِ سُورِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ وَابْتُدِئَ بِبُرْجِ الزَّاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْقِبْلِيَّةِ الْمُجَاوِرِ لِبَابِ النَّصْرِ.

○ الخلع على الملك العادل وبنيه

فِي سنة (٥٩٩هـ) أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ الْخِلَعَ وَسَرَاوِيلَاتِ الْفُتُوَّةِ لِلْمَلِكِ الْعَادِلِ وَبَنِيهِ.

○ محاصرة العادل لماردين

فِي سنة (٥٩٩هـ) بَعَثَ الْعَادِلُ وَلَدَهُ الْأَشْرَفَ مُوسَى لِمُحَاصَرَةِ **مَارِدِينَ**، وَسَاعَدَهُ جَيْشُ سَنْجَارَ وَالْمَوْصِلِ، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يَحْمِلَ صَاحِبُ مَارِدِينَ لِلْعَادِلِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَنْ تَكُونَ السِّكَّةُ، وَالْخُطْبَةُ لِلْعَادِلِ، وَأَنَّهُ مَتَى طَلَبَهُ بِجَيْشِهِ يَحْضُرُ إِلَيْهِ.

○ استيلاء الكرج على مدينة دوين

فِي سنة (٥٩٩هـ) اسْتَحْوَذَتِ **الْكُرْجُ** عَلَى **مَدِينَةِ دَوِينَ**، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَنَهَبُوهَا، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ، وَذَلِكَ لِاشْتِغَالِ مَلِكِهَا بِالْفِسْقِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ - قَبَّحَهُ اللهُ - فَتَحَكَّمَتِ الْكَفَرَةُ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ غُلٌّ فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وفِي سنة (٦٠١هـ) عَاثَتِ **الْكُرْجُ** بِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوا خلْقًا، وَأَسَرُوا أُمَمًا.

وفِي سنة (٦٠٢هـ) أَغَارَتِ الْكُرْجُ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَوَصَلُوا إِلَى **خِلَاطَ** فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، وَقَاتَلَهُمُ الْمُقَاتِلَةُ وَالْعَامَّةُ.

○ تولية ابن دحية دار الحديث الكاملية

فِي سنة (٦٢١هـ) كَمَلَ عِمَارَةُ دَارِ الْحَدِيثِ **الْكَامِلِيَّةِ** بِمِصْرَ، وَوَلِيَ مَشْيَخَتَهَا الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ مِكْثَارًا، كَثِيرَ الْفُنُونِ، وَعِنْدَهُ فَوَائِدُ وَعَجَائِبُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

○ وفاة الملك ركن الدين بن قلج

فِي سنة (٦٠٠هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ **رُكْنِ الدِّينِ بْنِ قِلْجِ أَرْسَلَانَ**، صَاحِبِ **بِلَادِ الرُّومِ** مَا بَيْنَ مَلَطْيَةَ وَقُونِيَةَ، وَكَانَتْ فِيهِ شَهَامَةٌ وَصَرَامَةٌ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُنْسَبُ إِلَى **اعْتِقَادِ الْفَلَاسِفَةِ**، وَكَانَ كَهْفًا لِمَنْ يُنْسَبُ إِلَى ذَلِكَ، وَمَلْجَأً لَهُمْ، وَظَهَرَ مِنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ **تَجَهُّمٌ عَظِيمٌ**.

وقد حَاصَرَ أَخَاهُ شَقِيقَهُ **صَاحِبَ أَنْقِرَةَ** مُدَّةَ سَنَتَيْنِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِ الْأَقْوَاتَ بِهَا، فَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ قَسْرًا، عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ بَعْضَ الْبِلَادِ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ وَمِنْ أَوْلَادِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَنْ **قَتَلَهُمْ غَدْرًا وَخَدِيعَةً وَمَكْرًا**، فَلَمْ يُنْظَرْ إِلَّا خَمْسَةَ أَيَّامٍ حَتَّى ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْقُولَنْجِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ، وَأُقِيمَ بَعْدَهُ فِي الْمُلْكِ وَلَدُهُ قِلْجُ أَرْسَلَانَ، وَكَانَ صَغِيرًا فَبَقِيَ سَنَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ نُزِعَ مِنْهُ الْمُلْكُ.

وفِي سنة (٦٠١هـ) مَلَكَ غِيَاثُ الدِّينِ **كَيْخَسْرُو بْنُ قِلْجَ أَرْسَلَانَ** بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قِلْجَ أَرْسَلَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ قُتُلْمِشَ بِلَادَ الرُّومِ وَاسْتَلَبَهَا مِنَ ابْنِ أَخِيهِ، وَاسْتَقَرَّ هُوَ بِهَا، وَعَظُمَ شَأْنُهُ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ وَأَطَاعَهُ الْأُمَرَاءُ وَأَصْحَابُ الْأَطْرَافِ، وَخَطَبَ لَهُ الْأَفْضَلُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ بِسُمَيْسَاطَ، وَسَارَ إِلَى خِدْمَتِهِ.

○ تملك الأوحد بن العادل لمدينة خلاط

فِي سنة (٦٠٤هـ) مَلَكَ الْأَوْحَدُ بْنُ الْعَادِلِ صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ مَدِينَةَ **خِلَاطَ** بَعْدَ صَاحِبِهَا ابْنِ بَكْتَمُرَ، وَكَانَ شَابًّا جَمِيلَ الصُّورَةِ جِدًّا، قَتَلَهُ بَعْضُ مَمَالِيكِهِ، ثُمَّ قُتِلَ الْقَاتِلُ أَيْضًا، فَخَلَا الْبَلَدُ عَنْ مَلِكٍ، فَأَخَذَهَا الْأَوْحَدُ بْنُ الْعَادِلِ.

○ تركيب ساعات على مئذنة الجامع الأموي

فِي رَمَضَانَ سنة (٦٠٤هـ) رُكِّبَتِ السَّاعَاتُ بِمِئْذَنَةِ الْعَرُوسِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ الدُّرَجِ الَّتِي تُجَاهَ الْمَدْرَسَةِ الْقَيْمَازِيَّةِ.

○ حادثة فيها عبرة

فِي سنة (٦٠٥هـ) قُتِلَ الْمَلِكُ **سَنْجَرُ شَاهْ بْنُ غَازِيِّ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيِّ بْنِ آقْ سُنْقُرَ الْأَتَابِكِيُّ**، صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ، وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ النَّاسِ سِيرَةً، وَأَرَادَهُمْ سَرِيرَةً، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى **قَتْلَهُ وَلَدُهُ** غَازِيٌّ، تَوَصَّلَ إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَلَاءِ سَكْرَانُ، فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ ضَرْبَةً، ثُمَّ ذَبَحَهُ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ لِيَأْخُذَ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ، فَحَرَمَهُ اللهُ ذَلِكَ، فَبُويِعَ بِالْمُلْكِ لِأَخِيهِ مَحْمُودٍ، وَأُخِذَ غَازِيٌّ هَذَا الْعَاقُّ لِوَالِدِهِ؛ فَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ، فَسَلَبَهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحَيَاةَ، وَلَكِنْ أَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ظُلْمِ أَبِيهِ وَغَشْمِهِ وَفِسْقِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعام: ١٢٩].

○ البغي والصراع على الملك

ذَكَرَ الشَّيْخُ أبو شامة فِي الذيل: أَنَّ فِي سنة (٦٠٧هـ) **تَمَالَأَتْ مُلُوكُ الْجَزِيرَةِ**: صَاحِبُ **الْمَوْصِلِ**، وَصَاحِبُ **سِنْجَارَ**، وَصَاحِبُ **إِرْبِلَ**، وَمَعَهُمُ ابْنُ أَخِي العادل الظَّاهِرُ صَاحِبُ **حَلَبَ**، وَمَلِكُ **الرُّومِ** كَيْخُسْرُو أَيْضًا، **عَلَى مُخَالَفَةِ الْعَادِلِ وَمُنَابَذَتِهِ وَمُقَاتَلَتِهِ** وَاصْطِلَامِ الْمُلْكِ مِنْ يَدِهِ، وَأَنْ تَكُونَ الْخُطْبَةُ لِلْمَلِكِ كَيْخُسْرُو بْنِ قِلِيجَ أَرْسَلَانَ صَاحِبِ الرُّومِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى **الْكُرْجِ** لِيَقْدُمُوا لِحِصَارِ خِلَاطَ، وَأَخْذِهَا مِنْ يَدِ الْمَلِكِ **الْأَوْحَدِ بْنِ الْعَادِلِ**.

قُلْتُ: وَهَذَا بَغْيٌ وَعُدْوَانٌ يَنْهَى اللهُ عَنْهُ.

فَأَقْبَلَتِ **الْكُرْجُ** بِمَلِكِهِمْ إِيوَانِي، فَحَاصَرُوا خِلَاطَ، فَضَاقَ بِهِمُ الْأَوْحَدُ ذَرْعًا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ، واشْتَدَّ حِصَارُهُمْ لِلْبَلَدِ، وَأَقْبَلَ مَلِكُهُمْ إِيوَانِي وهو سكران رَاكِبٌ عَلَى جَوَادِهِ، فَسَقَطَ بِهِ فِي بَعْضِ الْحُفَرِ الَّتِي قَدْ أُعِدَّتْ مَكِيدَةً حَوْلَ الْبَلَدِ، فَأَخَذُوهُ أَسِيرًا حَقِيرًا، فَأُسْقِطَ فِي أَيْدِي الْكُرْجِ، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدِي الْأَوْحَدِ أَطْلَقَهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ، وَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَفَادَاهُ عَلَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَلْفَيْ أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَسْلِيمِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ قَلْعَةً مُتَاخِمَةً لِبِلَادِ الْأَوْحَدِ، وَأَنْ **يُزَوِّجَ ابْنَتَهُ** مِنْ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى، **وَأَنْ يَكُونَ عَوْنًا** لَهُ عَلَى مَنْ يُحَارِبُهُ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَبَعَثَ الْأَوْحَدُ إِلَى أَبِيهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، فَأَجَازَ جَمِيعَ مَا فَعَلَهُ وَلَدُهُ وهو فرح ومسرور، وَطَارَتِ الْأَخْبَارُ بَيْنَ الْمُلُوكِ بالذي حصل، فَخَضَعُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ، فَقَبِلَ مِنْهُمُ اعْتِذَارَاتِهِمْ، وَصَالَحَهُمْ.

وَفِي سنة (٦١٥هـ) أَقْبَلَ مَلِكُ بلاد الرُّومِ **كَيْكَاوُسُ بْنُ كَيْخُسْرُو السلجوقي** يُرِيدُ أَخْذَ مَمْلَكَةِ حَلَبَ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ الْأَفْضَلُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ صَاحِبُ سُمَيْسَاطَ، فَصَدَّهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ، وَقَهَرَ **كَيْكَاوُس**، وَكَسَرَ جَيْشَهُ، وَرَدَّهُ خَائِبًا.

○ وَفَاةُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ نُورِ الدِّينِ بن مسعود

فِي سنة (٦٠٧) أَرْسَلَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ شَاهِ بْنُ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ **يَخْطُبُ ابْنَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الأيوبي**، وَأَرْسَلَ وَكِيلَهُ لِقَبُولِ الْعَقْدِ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فمات نُورِ الدِّينِ قبل وصول وَكِيلِهِ إلى دمشق، فَعُقِدَ الْعَقْدُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وهم لا يعلمون ذلك.

وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كَامِلِهِ كَثِيرًا وَشَكَرَ مِنْهُ وَمِنْ عَدْلِهِ وَشَهَامَتِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ، وَذَكَرَ أَنَّ مُدَّةَ مُلْكِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا.

وَقَامَ فِي الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الْقَاهِرُ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودٌ، وَجَعَلَ تَدْبِيرَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى غُلَامِهِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ، الَّذِي صَارَ الْمُلْكُ إِلَيْهِ فِيمَا بَعْدُ.

○ إسلام طائفة من الباطنية

فِي سنة (٦٠٨هـ) **أَظْهَرَتِ الْبَاطِنِيَّةُ الْإِسْلَامَ**، وَأَقَامَتِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ يَتَعَاطَى الْحَرَامَ، وَبَنَوُا الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ، وَكَتَبُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِالشَّامِ بِمِصْيَابَ وَأَمْثَالِهَا بِذَلِكَ، وَكَتَبَ زَعِيمُهُمْ جَلَالُ الدِّينِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ، وَقَدِمَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ إِلَى بَغْدَادَ لِأَجْلِ الْحَجِّ، فَأُكْرِمُوا وَعُظِّمُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانُوا بِعَرَفَاتٍ ظَفِرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى قَرِيبٍ لِأَمِيرِ مَكَّةَ قَتَادَةَ الْحُسَيْنِيِّ فَقَتَلَهُ ظَانًّا أَنَّهُ قَتَادَةُ، فَثَارَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ سُودَانِ مَكَّةَ وَرَكْبِ الْعِرَاقِ، وَنُهِبَ الرَّكْبُ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

○ منع الظافر من أداء الحج

فِي سنة (٦١٠هـ) قَدِمَ الْمَلِكُ الظَّافِرُ خَضِرُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ مِنْ حَلَبَ قَاصِدًا الْحَجَّ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَأَكْرَمَهُ ابْنُ عَمِّهِ الْمُعَظَّمُ صَاحِبُ دِمَشْقَ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ إِلَّا مَرَاحِلُ يَسِيرَةٌ تَلَقَّتْهُ حَاشِيَةُ **الْكَامِلِ** صَاحِبِ مِصْرَ، وَصَدُّوهُ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى مَكَّةَ، وَقَالُوا: إِنَّمَا جِئْتَ لِأَخْذِ الْيَمَنِ. فَقَالَ لَهُمْ: قَيِّدُونِي وَذَرُونِي أَقْضِي الْمَنَاسِكَ. فَقَالُوا: لَيْسَ مَعَنَا مَرْسُومٌ وَإِنَّمَا أُمِرْنَا بِرَدِّكَ وَصَدِّكَ. فَهَمَّ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ بِقِتَالِهِمْ، فَخَافَ مِنْ وُقُوعِ فِتْنَةٍ، فَتَحَلَّلَ مِنْ حَجِّهِ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَى مَا فُعِلَ بِهِ.

○ بناء الفندق بدمشق

فِي سنة (٦١١هـ) بَنَى الْمُعَظَّمُ الْفُنْدُقَ الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ بِنَاحِيَةِ قَبْرِ عَاتِكَةَ ظَاهِرَ بَابِ الْجَابِيَةِ.

○ حج المعظم بن العادل

فِي سنة (٦١١هـ) حَجَّ **الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ** بْنُ الْعَادِلِ، رَكِبَ مِنَ الْكَرَكِ عَلَى الْهُجُنِ فِي حَادِي عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ، وَمَعَهُ ابْنُ مُوسَكٍ، وَمَمْلُوكُهُ أَيْبَكُ، عِزُّ الدِّينِ أُسْتَاذُ دَارِهِ وَخَلْقٌ، فَسَارَ عَلَى طَرِيقِ تَبُوكَ وَالْعَلَاءِ، وَبَنَى الْمُعَظَّمُ الْبِرْكَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ، وَمَصَانِعَ أُخَرَ. فَلَمَّا قَدِمَ

الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ تَلَقَّاهُ صَاحِبُهَا **سَالِمٌ الحسيني**، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ مَفَاتِيحَهَا، وَخَدَمَهُ خِدْمَةً تَامَّةً.

وَأَمَّا **صَاحِبُ مَكَّةَ قَتَادَةُ** الحسني، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا، وَلِهَذَا لَمَّا قَضَى نُسُكَهُ، وَكَانَ قَارِنًا، وَأَنْفَقَ فِي الْمُجَاوِرِينَ مَا حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَكَرَّ رَاجِعًا اسْتَصْحَبَ مَعَهُ سَالِمًا صَاحِبَ الْمَدِينَةِ، وَشَكَا إِلَى أَبِيهِ العادل مَا لَقِيَهُ مِنْ صَاحِبِ مَكَّةَ، **فَأَرْسَلَ الْعَادِلُ مَعَ سَالِمٍ جَيْشًا** يَطْرُدُونَ صَاحِبَ مَكَّةَ عَنْهَا، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا هَرَبَ مِنْهُمْ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ وَالْبَرَارِي، وَقَدْ أَثَّرَ الْمُعَظَّمُ فِي حجته بِطَرِيقِ الْحِجَازِ **آثَارًا حَسَنَةً**، أَثَابَهُ اللهُ وَتَقَبَّلَ مِنْهُ آمِينَ.

وفِي سنة (٦١٢هـ) حَاصَرَ أمير مكة قَتَادَةُ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَمَنْ بِهَا، وَقَطَعَ نَخْلًا كَثِيرًا، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا، فَكَرَّ خَاسِئًا حَسِيرًا، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِالشَّامِ فِي خِدْمَةِ الْعَادِلِ، فَطَلَبَ مِنْهُ النَّجْدَةَ عَلَى أَمِيرِ مَكَّةَ قَتَادَةَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ جَيْشًا، فَأَسْرَعَ فِي الْأَوْبَةِ، فَمَاتَ صاحب المدينة فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاجْتَمَعَ شَمْلُ الْجَيْشِ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ جَمَّازٍ الحسيني، فَقَصَدَ مَكَّةَ، فَالْتَقَاهُ أَمِيرُهَا بِالصَّفْرَاءِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا، فَهُزِمَ الْمَكِّيُّونَ، وَغَنِمَ مِنْهُمْ جَمَّازٌ شَيْئًا كَثِيرًا، وَهَرَبَ قَتَادَةُ إِلَى يَنْبُعَ، فَسَارُوا إِلَيْهِ، فَحَصَرُوهُ بِهَا، وَضَيَّقُوا عَلَيْهِ.

○ اتخاذ القراطيس عملة

فِي سنة (٦١١هـ) تَعَامَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِالْقَرَاطِيسِ السُّودِ الْعَادِلِيَّةِ، ثُمَّ بَطَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفَنِيَتْ.

○ تملك أَقْسِيسَ بْنَ الْكَامِلِ اليمن

فِي سنة (٦١١هـ) مَاتَ **صَاحِبُ الْيَمَنِ** ابْنُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ، فَتَوَلَّاهَا سُلَيْمَانُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ الأيوبي بِاتِّفَاقِ الْأُمَرَاءِ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ الْعَادِلُ إِلَى ابْنِهِ الْكَامِلِ، أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا وَلَدَهُ أَقْسِيسَ بْنَ الْكَامِلِ، فَأَرْسَلَهُ فَتَمَلَّكَهَا فَظَلَمَ بِهَا وَفَتَكَ، وَقَتَلَ مِنَ الْأَشْرَافِ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِمِائَةٍ، وَأَمَّا مِمَّنْ عَدَاهُمْ فَكَثِيرٌ، وَكَانَ مِنْ أَفْجَرِ الْمُلُوكِ وَأَكْثَرِهِمْ فِسْقًا، وَأَقَلِّهِمْ حَيَاءً وَدِينًا، وَقَدْ ذَكَرُوا عَنْهُ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْأَبْدَانُ، وَتُنْكِرُهُ الْقُلُوبُ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

○ من إصلاحات الملك العادل

فِي سنة (٦١٢هـ) شُرِعَ فِي بِنَاءِ **الْمَدْرَسَةِ الْعَادِلِيَّةِ** الْكَبِيرَةِ بِدِمَشْقَ.

وَفِيهَا أيضًا **أَبْطَلَ الْعَادِلُ ضَمَانَ الْخَمْرِ** وَالْقِيَانِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَزَالَ عَنِ النَّاسِ شَرٌّ كَثِير.

○ وفاة الملك العادل الأيوبي

فِي سنة (٦١٥هـ) تُوُفِّيَ السُّلْطَانُ **الْمَلِكُ الْعَادِلُ** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوب، يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَابِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ بِقَرْيَةِ عَالِقِينَ **ظاهر دمشق**، فَجَاءَ وَلَدُهُ الْمُعَظَّمُ مُسْرِعًا، فَجَمَعَ **حَوَاصِلَهُ**، وَأَرْسَلَهُ فِي مِحَفَّةٍ، وَمَعَهُ خَادِمٌ بِصِفَةِ أَنَّ السُّلْطَانَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا انْتُهِيَ بِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ دُفِنَ بِهَا.

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ العادل أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوب بْنِ شَاذِي مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَجْوَدِهِمْ سِيرَةً، وَأَحْسَنِهِمْ سَرِيرَةً، دَيِّنًا عَاقِلًا وَقُورًا حليمًا صفوحًا، صَبُورًا عَلَى الْأَذَى، أَبْطَلَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْخُمُورَ وَالْمَعَازِفَ مِنْ مَمَالِكِهِ كُلِّهَا، وكان كَثِير الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ، وَحَضَرَ مَعَ أَخِيهِ مَوَاقِفَهُ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا.

وَقَدْ أَنْفَقَ فِي عَامِ الْغَلَاءِ بِمِصْرَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جِدًّا، وَتَصَدَّقَ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ وَغَيْرِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ فِي أَيَّامِ مَرَضِهِ، حَتَّى كَانَ يَخْلَعُ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ وَيَتَصَدَّقُ بِهِ وَبِمَرْكُوبِهِ، وَكَانَ مُمَتَّعًا بِصِحَّتِهِ وَعَافِيَتِهِ مَعَ كَثْرَةِ صِيَامِهِ.

وَقَدْ كَانَتْ ممالكه مُمْتَدَّةً مِنْ أَقْصَى بِلَادِ مِصْرَ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ إِلَى هَمَذَانَ كُلِّهَا، أَخَذَهَا بَعْدَ أَخِيهِ صَلَاحِ الدِّينِ، سِوَى حَلَبَ، فَإِنَّهُ أَقَرَّهَا بِيَدِ ابْنِ أَخِيهِ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ زَوْجُ ابْنَتِهِ صَفِيَّةَ السِّتِّ خَاتُونَ.

وكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ جَمَاعَةٌ:

⊙ **مُحَمَّدٌ الْكَامِلُ** صَاحِبُ مِصْرَ.

- **وَعِيسَى الْمُعَظَّمُ** صَاحِبُ دِمَشْقَ.
- **وَمُوسَى الْأَشْرَفُ** صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ وَخِلَاطَ وَحَرَّانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.
- **وَالْأَوْحَدُ أَيُّوبُ** وَمَاتَ قَبْلَهُ.
- **وَالْفَائِزُ إِبْرَاهِيمُ**.
- **وَالْمُظَفَّرُ غَازِيٌّ** صَاحِبُ الرَّهَا.
- **وَالْعَزِيزُ عُثْمَانُ، وَالْأَمْجَدُ حَسَنٌ**، وَهُمَا شَقِيقَا الْمُعَظَّمِ.
- **وَالْمُغِيثُ مَحْمُودٌ**.
- **وَالْحَافِظُ أَرْسَلَانُ** صَاحِبُ جَعْبَرٍ.
- **وَالصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ**.
- **وَالْقَاهِرُ إِسْحَاقُ**.
- **وَمُجِيرُ الدِّينِ يَعْقُوبُ**.
- **وَقُطْبُ الدِّينِ أَحْمَدُ**.
- **وَخَلِيلٌ**، وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ.
- **وَتَقِيُّ الدِّينِ عَبَّاسٌ**، وَكَانَ آخِرَهُمْ وَفَاةً، بَقِيَ إِلَى سَنَةِ (٦٦٠هـ).

وَكَانَ لَهُ بَنَاتٌ أَشْهَرُهُنَّ **السِّتُّ صَفِيَّةُ** خَاتُونَ زَوْجَةُ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ صَاحِبِ حَلَبَ.

وَتُوُفِّيَ عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

من مساوئ المعظم

- فِي رَجَبٍ سنة (٦١٥هـ) **أَعَادَ الْمُعَظَّمُ** صاحب دمشق **ضَمَانَ الْقِيَانِ وَالْخُمُورِ** وَالْمُغَنِّيَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي كَانَ أَبُوهُ قَدْ أَبْطَلَهَا، بِحَيْثُ

إِنَّـهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَجَاسَـرُ أَنْ يَنْقُلَ خَمْرًا إِلَى دِمَشْـقَ إِلَّا بِالْحِيلَـةِ الْخَفِيَّةِ، وَاعْتَذَرَ الْمُعَظَّـمُ فِي صُنْعِهِ هَذَا الْمُنْكَرَ بِقِلَّةِ الْأَمْوَالِ عَلَى الْجُنْدِ، وَاحْتِيَاجِهِمْ إِلَى النَّفَقَاتِ فِـي قِتَالِ الْفِرِنْـجِ. وَمَا اسْتَشْـعَرَ أَنَّ هَـذَا الصَّنِيعَ يُدِيـلُ عَلَيْهِمُ الْأَعْـدَاءَ، وَيُمَكِّنُ فِيهِمُ الدَّاءَ.

فِي مُسْـتَهَلِّ سـنة (٦١٦هـ) أَمَرَ الْمُعَظَّمُ بن العادل **بتخريب سُـورُ بَيْـتِ الْمَقْدِسِ** - عَمَّرَهُ اللهُ بِذِكْرِهِ - زعمـًا وخَوْفًا مِنَ اسْتِيلَاءِ الْفِرِنْجِ عَلَيْهِ، وجَعله وَسِيلَةً إِلَى أَخْذِ الشَّام جَمِيعِهِ، فَشَرَعَ فِي تَخْرِيبِ السُّورِ فِي أَوَّلِ يَوْمِ الْمُحَرَّم، فَهَرَبَ مِنْهُ أَهْلُهُ خَوْفًا مِنَ الْفِرِنْج أَنْ يَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَثَاثَهُمْ، وَتَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَضَجَّ النَّاسُ وَابْتَهَلُوا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَفِي الْأَقْصَى، وهذه فعلة شـنعاء من المعظم مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي. وَقَالَ بَعْضُهُمْ **يَهْجُوه**:

فِـي رَجَـبٍ حَـلَّـلَ الْـمُـحَـرَّمْ وَأَخْـرِبَ الْـقُـدْسُ فِـي الْـمُـحَـرَّمْ

- في سنة (٦١٦هـ) **تَغَيَّظَ السُّلْطَانُ** الْمُعَظَّمُ عَلَى **الْقَاضِي** زَكِيِّ الدِّينِ بْنِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الزَّكِيِّ قَاضِي الْبَلَدِ. وَسَـبَبُهُ أَنَّ عَمَّتَهُ سِتَّ الشَّـامِ بِنْتَ أَيُّوبَ كَانَتْ قَدْ مَرِضَتْ فِي دَارِهَا الَّتِي جَعَلَتْهَا بَعْدَهَا مَدْرَسَـةً، فَأَرْسَلَتْ إِلَى الْقَاضِي لِتُوصِيَ إِلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهَا بِشُهُودٍ مَعَهُ، فَكَتَبَ الْوَصِيَّةَ كَمَا قَالَتْ، فَقَالَ الْمُعَظَّمُ: يَذْهَبُ إِلَى عَمَّتِي بِغَيْرِ إِذْنِي، وَيَسْـمَعُ هُوَ وَالشُّـهُودُ كَلَامَهَا! **فغضب عليه وعزلـه**، وَكَانَ **الْمُعَظَّمُ يُبْغِضُ هَذَا الْقَاضِيَ** مِنْ أَيَّامِ أَبِيهِ الْعَادِلِ.

- وكَانَ الشَّـرَفُ بْـنُ عُنَيْنٍ الزُّرَعِيُّ الشَّـاعِرُ، قَدْ أَظْهَرَ النُّسُـكَ وَالتَّعَبُّـدَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ اعْتَكَفَ بِالْجَامِعِ أَيْضًا.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعَظَّمُ بِخَمْرٍ، وَنَرْدٍ، لِيَشْتَغِلَ بِهِمَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُنَيْنٍ:

يَـا أَيُّـهَـا الْـمَـلِـكُ الْـمُـعَـظَّـمُ سُـنَّـةً أَحْـدَثْـتَـهَـا تَـبْـقَـى عَـلَـى الْآبَـادِ
تَجْرِي الْمُلُـوكُ عَلَى طَرِيقِـكَ بَعْدَهَا خَـلْـعُ الْـقُـضَـاةِ وَتُـحْـفَـةُ الـزُّهَّـادِ

○ محاريب المذاهب في جامع دمشق

فِي سـنة (٦١٧هـ) نُصِبَ مِحْرَابُ **الْحَنَابِلَةِ** بِالرِّوَاقِ الثَّالِثِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَامِعِ دِمَشْـقَ بَعْـدَ مُمَانَعَةٍ مِـنْ بَعْضِ النَّاسِ لَهُمْ، وَلَكِنْ سَـاعَدَهُمْ فِـي نَصْبِهِ لَهُمْ الْأَمِيـرُ رُكْنُ الدِّينِ الْمُعَظَّمِيُّ، وَصَلَّى فِيهِ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بْنُ قُدَامَةَ.

قُلْتُ: ثُمَّ رُفِعَ فِي حُدُودِ سَـنَةِ (٧٣٠هـ)، وَعُوِّضُـوا عَنْهُ بِالْمِحْرَابِ الْغَرْبِيِّ عِنْدَ بَابِ الزِّيَـارَةِ، كَمَا عُـوِّضَ **الْحَنَفِيَّةُ** عَنْ مِحْرَابِهِـمُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَانِـبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْجَامِعِ بِالْمِحْرَابِ الْمُجَدَّدِ لَهُمْ شَرْقِيَّ بَابِ الزِّيَارَةِ.

○ استيلاء صاحب اليمن على مكة

فِي سـنة (٦٢٠هـ) سَارَ **أَقْسِيسُ** الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ صَاحِبُ الْيَمَنِ بْنُ الْكَامِلِ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى مَكَّةَ، فَقَاتَلَهُ ابْنُ قَتَادَةَ بِبَطْنِ مَكَّةَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، فَهَزَمَهُ أَقْسِيسُ وَشَرَّدَهُ، وَاسْتَقَلَّ بِمُلْكِ مَكَّةَ مَعَ الْيَمَنِ، وَجَرَتْ أُمُورٌ فَظِيعَةٌ، وَتَشَرَّدَ حَسَنُ بْنُ قَتَادَةَ قَاتِلُ أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَأَخِيهِ فِي تِلْكَ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ.

○ الخلاف بين الأخوين الأشرف والكامل

فِي سنة (٦٣٤هـ) طَلَبَ **صاحب دمشق الْأَشْرَفُ** مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ **مِنْ أَخِيهِ** الْكَامِلِ **الرَّقَّـةَ**؛ لِتَكُـونَ قُوَّةً لَـهُ وَعَلَفًا لِدَوَابِّـهِ إِذَا جَازَ الْفُرَاتَ، فَقَـالَ **الْكَامِلُ**: أَمَا يَكْفِيـهِ أَنَّ مَعَهُ دِمَشْـقَ **مَمْلَكَةَ بَنِي أُمَيَّةَ**؟ فَأَرْسَـلَ الْأَشْـرَفُ **الْأَمِيرَ فَلَكَ الدِّينِ بْنَ الْمَسِيرِيِّ** إِلَى الْكَامِلِ فِي ذَلِكَ، فَأَغْلَظَ لَهُ الْجَوَابَ، وَقَالَ: أَيْشِ يَعْمَلُ بِالْمُلْكِ؟ يَكْفِيهِ عِشْرَتُهُ لِلْمَغَانِي وَتَعَلُّمُهُ لِصِنَاعَتِهِمْ. فَغَضِبَ الْأَشْرَفُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَمَّرَ، **وَبَدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُمَا**، وَأَرْسَلَ الْأَشْرَفُ إِلَـى حَمَاةَ وَحَلَبَ وَبِلَادِ الشَّـرْقِ، فَحَالَفَ أُولَئِكَ الْمُلُوكَ عَلَى أَخِيـهِ الْكَامِلِ، فَلَوْ طَالَ عُمْرُ الْأَشْـرَفِ لَأَفْسَـدَ الْمُلْكَ عَلَى أَخِيهِ الكامل؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَيْلِ الْمُلُوكِ إِلَيْهِ؛ لِكَرَمِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَشُحِّ أَخِيهِ الْكَامِلِ، وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ القادمة.

○ ولاية الصالح إسماعيل بن العادل دمشق

لَمَّا تُوُفِّيَ الأشرف موسى سنة (٦٣٥هـ) أوصى بالملك لأخيه **الصالح إسماعيل**، فركب فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ، وَمَشَى النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَكِبَ إِلَى جَانِبِهِ صَاحِبُ حِمْصَ، وَعِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ الْمُعَظَّمِيُّ حَامِلُ الْغَاشِيَةَ عَلَى رَأْسِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ صَادَرَ جَمَاعَةً مِنَ الدَّمَاشِقَةِ الَّذِينَ قِيلَ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ مَعَ الْكَامِلِ. مِنْهُمُ الْعَلَمُ **تَعَاسِيفُ**، وَأَوْلَادُ **ابْنِ مُزْهِرٍ**، وَحَبَسَهُمْ بِبُصْرَى.

ثُمَّ قَدِمَ الْكَامِلُ مِنْ مِصْرَ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ النَّاصِرُ دَاوُدُ صَاحِبُ الْكَرَكِ وَنَابُلُسَ وَالْقُدْسِ، **فَحَاصَرُوا دِمَشْقَ حِصَارًا شَدِيدًا، وَقَدْ حَصَّنَهَا الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ، وَقُطِعَتِ الْمِيَاهُ، وَرَدَّ الْكَامِلُ مَاءَ بَرَدَى إِلَى ثَوْرَا، وَأُحْرِقَتِ الْعُقَيْبَةُ، وَقَصْرُ حَجَّاجٍ**، فَافْتَقَرَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاحْتَرَقَ آخَرُونَ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ.

ثُمَّ آلَ الْحَالُ فِي آخِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٣٥هـ) إِلَى أَنْ سَلَّمَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ دِمَشْقَ إِلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ، عَلَى أَنَّ لَهُ بَعْلَبَكَّ وَبُصْرَى، وَسَكَنَ الْأَمْرُ، وَكَانَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمَا عَلَى يَدَيِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وكَانَ بِدِمَشْقَ فِي رَسْلِيَّةٍ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، فَجَزَاهُ اللهُ تَعَالَى خَيْرًا.

○ دخول الملك الكامل إلى دمشق

فِي سنة (٦٣٥هـ) دَخَلَ الْكَامِلُ دِمَشْقَ، وَأَطْلَقَ **الْفَلَكَ بْنَ الْمَسِيرِيِّ** مِنْ سِجْنِ الْحَيَّاتِ بِالْقَلْعَةِ الَّذِي كَانَ أَوْدَعَهُ فِيهِ الْأَشْرَفُ، وَأَمَرَ الْكَامِلُ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَادِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَئِمَّةَ الْجَامِعِ أَنْ لَا يُصَلِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمُ الْمَغْرِبَ سِوَى الْإِمَامِ الْكَبِيرِ؛ لِمَا كَانَ يَقَعُ مِنَ التَّشْوِيشِ وَالِاخْتِلَافِ بِسَبَبِ اجْتِمَاعِهِمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، **وَلَنِعْمَ مَا فَعَلَ** - رَحِمَهُ اللَّهُ **تَعَالَى**-.

وَقَدْ فُعِلَ هَذَا فِي زَمَانِنَا فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ فِي الْمِحْرَابِ الْمُقَدَّمِ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، وَلَمْ يَبْقَ بِهِ إِمَامٌ حِينَئِذٍ سِوَى الَّذِي بِالْحَلَبِيَّةِ عِنْدَ مَشْهَدِ عَلِيٍّ، وَلَوْ تُرِكَ لَكَانَ حَسَنًا. وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ وفاة الملك الكامل بن العادل الأيوبي

فِي سَنة (٦٣٥هـ) تَمَلَّكَ الْكَامِلُ دمشق مُدَّةَ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ أَمْرَاضٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْ ذَلِكَ سُعَالٌ وَإِسْهَالٌ وَنَزْلَةٌ فِي حَلْقِهِ، وَنِقْرِسٌ فِي رِجْلَيْهِ، فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مِنْ دَارِ الْقَصَبَةِ، وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عَمُّهُ صَلَاحُ الدِّينِ، ومات وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عِنْدَه مِنْ شِدَّةِ هَيْبَتِهِ، بَلْ دَخلُوا فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى -.

وَقَدْ كَانَ **مَوْلِدُ الكامل** فِي سَنَةِ (٥٧٣هـ)، وَكَانَ أَكْبَرَ أَوْلَادِ الْعَادِلِ بَعْدَ **مَوْدُودٍ**، وَإِلَيْهِ أَوْصَى **الْعَادِلُ** لِعِلْمِهِ بِثَبَاتِهِ، وَوُفُورِ مَعْرِفَتِهِ. وَقَدْ كَانَ جَيِّدَ الْفَهْمِ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، وَيَسْأَلُهُمْ أَسْئِلَةً مُشْكِلَةً، وَلَهُ كَلَامٌ جَيِّدٌ عَلَى صَحِيح مُسْلِمٍ.

وَكَانَ ذَكِيًّا، مَهِيبًا، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ، عَادِلًا مُنْصِفًا، لَهُ حُرْمَةٌ وَافِرَةٌ، وَسَطْوَةٌ قَوِيَّةٌ، مَلَكَ مِصْرَ **ثَلَاثِينَ سَنَةً** كَامِلَةً، وَكَانَتِ الطُّرُقَاتُ فِي زَمَانِهِ آمِنَةً، وَالرَّعَايَا مُتَنَاصِفَةً، لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا، **شَنَقَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَجْنَادِ أَخَذُوا شَعِيرًا لِبَعْضِ الْفَلَّاحِينَ** بِأَرْضِ آمِدَ، وَاشْتَكَى إِلَيْهِ بَعْضُ الرَّكْبَدَارِيَةِ أَنَّ أُسْتَاذَهُ اسْتَعْمَلَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلَا أُجْرَةٍ، فَأَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ الرَّكْبَدَارِيَةِ، وَأَلْبَسَ الرَّكْبَدَارَ ثِيَابَ الْجُنْدِيِّ، وَأَمَرَ الْجُنْدِيَّ أَنْ يَخْدُمَ الرَّكْبَدَارَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، وَيَحْضُرَ الرَّكْبَدَارُ الْمَوْكِبَ وَالْخِدْمَةَ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، فَتَأَدَّبَ النَّاسُ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَدَبِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالَى.

وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي رَدِّ ثَغْرِ دِمْيَاطَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْفِرِنْجُ - لَعَنَهُمُ اللهُ - فَرَابَطَهُمْ أَرْبَعَ سِنِينَ، حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ يَوْمُ أَخْذِهِ لَهُ وَاسْتِرْجَاعِهِ إِيَّاهُ يَوْمًا مَشْهُودًا، كَمَا ذَكَرْنَا مُفَصَّلًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَكَانَتْ **وَفَاتُهُ** فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٦٣٥هـ)، وَدُفِنَ بِالْقَلْعَةِ.

وَمِنْ شِعْرِهِ يَسْتَحِثُّ أَخَاهُ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ حِينَ كَانَ مُحَاصَرًا بِدِمْيَاطَ:

يَا مُسْعِفِي إِنْ كُنْتَ حَقًّا مُسْعِفِي فَارْحَلْ بِغَيْرِ تَقَيُّدٍ وَتَوَقُّفِ
وَاطْوِ الْمَنَازِلَ وَالدِّيَارَ وَلَا تُنِخْ إِلَّا عَلَى بَابِ الْمَلِيكِ الْأَشْرَفِ
قَبِّلْ يَدَيْهِ لَا عُدِمْتَ وَقُلْ لَهُ عَنِّي بِحُسْنِ تَعَطُّفٍ وَتَلَطُّفِ
إِنْ تَأْتِ صِنْوَكَ عَنْ قَرِيبٍ تَلْقَهُ مَا بَيْنَ حَدِّ مُهَنَّدٍ وَمُثَقَّفِ
أَوْ تُبْطِ عَنْ إِنْجَادِهِ فَلِقَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عِرَاصِ الْمَوْقِفِ

○ حال الدولة الأيوبية بعد الكامل

كان الكامل قد عَهِدَ لِوَلَدِهِ **الْعَادِلِ** بالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَكَانَ صَغِيرًا وَلِوَلَدِهِ الصَّالِحِ **أَيُّوبَ** بِبِلَادِ الْجَزِيرَةِ، فَأَمْضَى الْأُمَرَاءُ ذَلِكَ.

فَأَمَّا **دِمَشْقُ** فَاخْتَلَفَ الْأُمَرَاءُ بِهَا بين الْمَلِكِ النَّاصِرِ **دَاوُدَ بْنِ الْمُعَظَّمِ**، وَالْمَلِكِ الْجَوَادِ **يُونُسَ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ الْعَادِلِ**، ثم انْتَظَمَ الأَمْرُ **لِلْجَوَادِ**، وأمر النَّاصِرُ بالخُرُوج مِنَ الْبَلَدِ.

فرَكِبَ **الْجَوَادُ** فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ، وَأَنْفَقَ الْأَمْوَالَ وَالْخِلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ.

قَالَ السِّبْطُ: فَرَّقَ سِتَّةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسَةَ آلَافِ خِلْعَةٍ، وَأَبْطَلَ الْمُكُوسَ وَالْخُمُورَ، وَنَفَى الْخَوَاطِئَ، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ بِدِمَشْقَ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ الشَّامِيُّونَ وَالْمِصْرِيُّونَ.

وَرَحَلَ النَّاصِرُ دَاوُدُ نَحْوَ **غَزَّةَ** وَبِلَادِ السَّاحِلِ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، فَرَكِبَ الْجَوَادُ فِي طَلَبِهِ، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ الشَّامِيَّةُ وَالْمِصْرِيَّةُ، فَهَرَبَ مِنْهُ النَّاصِرُ، فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَثْقَالِهِ، وَرَجَعَ النَّاصِرُ إِلَى الْكَرَكِ وقَدْ سُلِبَ أَمْوَالَهُ وَأَثْقَالَهُ، وَعَادَ الْجَوَادُ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

○ خلاف نجم الدين مع جنوده من الخوارزمية

في سنة (٦٣٥هـ) اخْتَلَفَتِ الجُنودُ الْخُوَارَزْمِيَّةُ الذين انضموا إلى الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ، صَاحِبِ كَيْفَا وَتِلْكَ النَّوَاحِي، وَعَزَمُوا عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهِ،

فَهَرَبَ مِنْهُمْ، وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُ وَأَثْقَالَهُ، وَلَجَأَ إِلَى سِنْجَارَ، فَقَصَدَهُ بَدْرُ الدِّينِ لُؤْلُؤٌ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ، لِيُحَاصِرَهُ وَيَأْخُذَهُ فِي قَفَصٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَكَانَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَكْرَهُونَ مُجَاوَرَتَهُ لِكِبْرِهِ وَقُوَّةِ سَطْوَتِهِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَى أَخْذِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَكَاتَبَ الْخُوَارَزْمِيَّةَ، وَاسْتَنْجَدَ بِهِمْ، وَخَضَعَ لَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ جَرَائِدَ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الْبَدْرِ لُؤْلُؤٍ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ لُؤْلُؤٌ هَرَبَ مِنْهُمْ، فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَثْقَالِهِ،، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ الْمَوْصِلِ جَرِيدَةً خَائِبًا، وَسَلِمَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ.

○ وفاة الملك الأشرف موسى بن العادل

فِي سنة (٦٣٥هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْأَشْرَف مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ الأيوبي بَانِي دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَجَامِعِ التَّوْبَةِ وَجَامِعِ جَرَّاحٍ.

وَقَدْ كَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ (٥٧٦هـ)، ونَشَأَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ بِكَفَالَةِ الْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ عُثْمَانَ الزِّنْجَارِيِّ، واسْتَنَابَهُ أَبُوهُ عَلَى مُدُنٍ كَثِيرَةٍ بِالْجَزِيرَةِ؛ مِنْهَا الرُّهَا وَحَرَّانَ، ثُمَّ اتَّسَعَتْ مَمْلَكَتُهُ حِينَ مَلَكَ خِلَاطَ.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **شَهْمًا شُجَاعًا كَرِيمًا** جَوَّادًا مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، لَاسِيَّمَا لِأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَمَقَادِسَةِ الصَّالِحِيَّةِ، وَقَدْ بَنَى لَهُمْ دَارَ حَدِيثٍ بِالسَّفْحِ، وبنى بدمشق أخرى لِلشَّافِعِيَّةِ، وَجَعَلَ فِيهَا **نَعْلَ النَّبِيِّ** ﷺ الَّذِي مَا زَالَ حَرِيصًا عَلَى تَحْصِيلِهِ مِنَ النَّظَّامِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ التَّاجِرِ [١].

وَقَدْ كَانَ النَّظَّامُ ضَنِينًا بِهِ، فَعَزَمَ الْأَشْرَفُ عَلَى أَخْذِ قِطْعَةٍ مِنْهُ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَذْهَبَ بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَدَّرَ اللهُ مَوْتَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ بِدِمَشْقَ، فَأَوْصَى لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بِهِ، فَجَعَلَهُ الْأَشْرَفُ بِدَارِ الْحَدِيثِ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا كُتُبًا سَنِيَّةً نَفِيسَةً، وَبَنَى جَامِعَ التَّوْبَةِ بِالْعُقَيْبَةِ، وَقَدْ كَانَ خَانًا لِلزِّنْجَارِيِّ، فِيهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَبَنَى مَسْجِدَ الْقَصَبِ وَجَامِعَ جَرَّاحٍ وَمَسْجِدَ دَارِ السَّعَادَةِ.

---

(١) هذه المسألة تحتاج إلى صحة النقل والتثبت من ذلك.

وَكَانَ مِنْ أَعَفِّ النَّاسِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً وَسَرِيرَةً، لَا يَعْرِفُ غَيْرَ نِسَائِهِ وَجَوَارِيهِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ **يُعَانِي الشَّرَابَ**، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ!

حَكَى السِّبْطُ [١] **عَنْهُ** قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا بِهَذِهِ الْمَنْظَرَةِ مِنْ خِلَاطَ إِذْ دَخَلَ الْخَادِمُ فَقَالَ: بِالْبَابِ امْرَأَةٌ تَسْتَأْذِنُ. فَدَخَلَتْ فَإِذَا صُورَةٌ لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا هِيَ ابْنَةُ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ بِخِلَاطَ قَبْلِي، فَذَكَرَتْ أَنَّ الْحَاجِبَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى قَرْيَةٍ لَهَا، وَأَنَّهَا قَدِ احْتَاجَتْ إِلَى بُيُوتِ الْكِرَاءِ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا تَتَقَوَّتُ مِنْ عَمَلِ النُّقُوشِ لِلنِّسَاءِ، فَأَمَرْتُ بِرَدِّ ضَيْعَتِهَا إِلَيْهَا، وَأَمَرْتُ لَهَا بِدَارٍ تَسْكُنُهَا، وَقَدْ كُنْتُ قُمْتُ لَهَا حِينَ دَخَلَتْ، وَأَجْلَسْتُهَا بَيْنَ يَدِيَّ، وَأَمَرْتُهَا بِسَتْرِ وَجْهِهَا حِينَ أَسْفَرَتْ عَنْهُ، وَمَعَهَا عَجُوزٌ، فَحِينَ قَضَتْ شُغْلَهَا قُلْتُ لَهَا: انْهَضِي عَلَى اسْمِ اللهِ تَعَالَى. **فَقَالَتِ الْعَجُوزُ**: يَا خُوَنْدُ، إِنَّمَا جَاءَتْ لِتَحْظَى بِخِدْمَتِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللهِ، لَا يَكُونُ هَذَا.

وَاسْتَحْضَرْتُ فِي ذِهْنِي ابْنَتِي رُبَّمَا يُصِيبُهَا نَظِيرُ مَا أَصَابَ هَذِهِ، فَقَامَتْ وَهِيَ تَقُولُ: سَتَرَكَ اللهُ مِثْلَ مَا سَتَرْتَنِي، وَقُلْتُ لَهَا: مَهْمَا كَانَ لَكِ مِنْ حَاجَةٍ فَأَنْهِيهَا إِلَيَّ أَقْضِهَا لَكِ. **فَدَعَتْ لِي وَانْصَرَفَتْ**.

فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: فَفِي الْحَلَالِ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْحَرَامِ، فَتَزَوَّجْهَا. فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا، أَيْنَ الْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ وَالْمُرُوءَةُ؟!

قَالَ: وَمَاتَ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِي، وَتَرَكَ وَلَدًا لَيْسَ يَكُونُ فِي النَّاسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ أَحْسَنُ شَبَابًا، وَلَا أَحْلَى شَكْلًا مِنْهُ، فَأَحْبَبْتُهُ وَقَرَّبْتُهُ، وَكَانَ مَنْ لَا يَفْهَمُ أَمْرِي يَتَّهِمُنِي بِهِ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ عَدَا عَلَى إِنْسَانٍ، فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ، فَاشْتَكَى عَلَيْهِ إِلَيَّ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، فَقُلْتُ: أَثْبِتُوا أَنَّهُ قَتَلَهُ. فَأَثْبَتُوا ذَلِكَ، وَحَاجَفَتْ عَنْهُ مَمَالِيكِي، وَأَرَادُوا إِرْضَاءَهُمْ بِعَشْرِ دِيَاتٍ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، وَوَقَفُوا لِي فِي الطَّرِيقِ وَقَالُوا: قَدْ أَثْبَتْنَا أَنَّهُ قَتَلَهُ. فَقُلْتُ: خُذُوهُ. فَتَسَلَّمُوهُ، فَقَتَلُوهُ، وَلَوْ طَلَبُوا مِنِّي مُلْكِي فِدَاءً لَهُ لَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِ **اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللهِ أَنْ أُعَارِضَ**

---

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧١١ القسم الثاني.

شَرْعَهُ بِحَظِّ نَفْسِي. رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالَى.

وَلَمَّا **مَلَكَ دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٦٢٦هـ) نَادَى مُنَادِيهِ بِهَا أَنْ لَا يَشْتَغِلَ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَى التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَمَنِ اشْتَغَلَ بِالْمَنْطِقِ وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ نُفِيَ مِنَ الْبَلَدِ، **وَكَانَ الْبَلَدُ بِهِ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ وَالْخَيْرَاتِ**; كَانَتِ الْقَلْعَةُ لَا تُغْلَقُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ كُلِّهَا، وَصُحُونُ الْحَلَاوَاتِ خَارِجَةٌ مِنْهَا إِلَى الْجَامِعِ، وَالْخَوَانِقِ، وَالرُّبُطِ، وَالصَّالِحِيَّةِ، إِلَى الصَّالِحِينَ وَالْفُقَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ **بِمَسْجِدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ** الَّذِي جَدَّدَهُ وَزَخْرَفَهُ بِالْقَلْعَةِ، وَكَانَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ، وَلَمْ تُكْسَرْ لَهُ رَايَةٌ قَطُّ، وَقَدِ اسْتَدْعَى الزَّبِيدِيَّ مِنْ بَغْدَادَ حَتَّى سَمِعَ هُوَ وَالنَّاسُ عَلَيْهِ " صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ " وَغَيْرَهُ، وَكَانَ لَهُ **مَيْلٌ كَثِيرٌ إِلَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ**.

وَقَدْ كَانَ أَوْصَى بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ لِأَخِيهِ **الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ**.

○ سوء سيرة الجواد مع رعاياه

- في سنة (٦٣٦هـ) قَبَضَ الْمَلِكُ الْجَوَادُ عَلَى الصَفِيِّ **بْنِ مَرْزُوقٍ**، وَصَادَرَهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، **وَحَبَسَهُ بِقَلْعَةِ** حِمْصَ، فَمَكَثَ **ثَلَاثَ سِنِينَ لَا يَرَى الضَّوْءَ**، وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَرْزُوقٍ قَبْلَ ذَلِكَ يُحْسِنُ إِلَى الْجَوَادِ إِحْسَانًا كَثِيرًا.

- وَسَلَّطَ الْجَوَادُ خَادِمًا يقال له: **النَّاصِحُ**، فَصَادَرَ الدَّمَاشِقَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

- وَمَسَكَ الْأَمِيرَ **عِمَادَ الدِّينِ بْنَ الشَّيْخِ** الَّذِي كَانَ سَبَبَ تَمْلِيكِهِ دِمَشْقَ.

- **وَقَلِقَ مِنْ مُلْكِ دِمَشْقَ**، وَقَالَ: أَيْشٍ أَعْمَلُ بِالْمُلْكِ؟ بَازٌ وَكَلْبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا!! ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ.

- وَكَاتَبَ **الجواد** أخاه الصَّالِحَ **نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ** بْنَ الْكَامِلِ، فَتَقَايَضَا فأخذ الجواد حِصْنِ كَيْفَا وَسِنْجَارَ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ.

وأخـذ **الصالح نجم الدين** مُلْكَ دِمَشْـقَ، وَدَخلَهَا فِي مُسْـتَهَلِّ جُمَادَى الْأُولَى سـنة (٦٣٦هـ).

- وَنَدِمَ **الْجَوَادُ** عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي المقايضة، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْفَائِتَ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ. وَخَرَجَ مِنْ دِمَشْـقَ، وَالنَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فِي وَجْهِهِ؛ بِسَـبَبِ مَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُصَادَرَاتِ، وَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ الصَّالِـحُ أَيُّوبُ لِيَرُدَّ إِلَـى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، فَلَـمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَسَـارَ وَبَقِيَتْ فِي ذِمَّتِهِ.

وقد أَسَاءَ **الْجَوَادُ** السِّيرَةَ **بِسِـنْجَار**، وَصَادَرَ أَهْلَهَا وَعَسَفَهُمْ، فَكَاتَبُوا بَدْرَ الدِّينِ لُؤْلُؤًا صَاحِـبَ الْمَوْصِـلِ فَقَصَدَهُمْ وَقَـدْ خَرجَ الْجَـوَادُ لِلصَّيْدِ، فَأَخَذَ الْبَلَدَ بِغَيْرِ شَـيْءٍ سـنة (٦٣٧هـ)، وَصَارَ الْجَوَادُ إِلَى **عَانَةَ**، ثُمَّ اشتراها مِنَ الْخَلِيفَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

○ المؤامرة على نـجم الدين أيوب

اسْـتَهَلَّتْ سنة (٦٣٧هـ) وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ **نَجْمُ الدِّينِ الصَّالِحُ أَيُّوبُ بْنُ الْكَامِلِ** مُخَيِّمٌ عِنْدَ نَابُلُسَ، لِيَسِيرَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، لِأَخْذِهَا مِنْ صَاحِبِهَا الْعَادِلِ بْنِ الْكَامِلِ.

وَقَدْ أَرْسَـلَ الصَّالِحُ إِسْـمَاعِيلُ مِـن بعلبك وَلَدَهُ، وَابْـنَ يَغْمُورٍ إِلَـى صُحْبَةِ **الصَّالِحِ أَيُّـوبَ** بِنَابُلُسَ، وأخذا يُنْفِقَانِ الْأَمْوَالَ فِي الْأُمَرَاءِ وَيُحَلِّفَانِهِمْ **لِلصَّالِحِ إِسْـمَاعِيلَ**، فَلَمَّا تَـمَّ الْأَمْرُ، وَتَمَكَّنَ الصَّالِحُ إِسْـمَاعِيلُ مِنْ مُرَادِهِ، أَرْسَـلَ إِلَى الصَّالِحِ أَيُّـوبَ يَطْلُبُ مِنْهُ وَلَدَهُ لِيَكُونَ عِوَضَهُ بِبَعْلَبَكَّ، وَيَسِـيرُ هُوَ إِلَى خِدْمَتِهِ، فَأَرْسَـلَهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَشْعِرُ الصَّالِحُ أَيُّوبُ بِشَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ لَهُ،

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٦٣٧هـ) هَجَمَ **الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ**، وَفِي صُحْبَتِهِ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهْ صَاحِبُ حِمْصَ إِلَى دِمَشْقَ، **فَدَخَلَاهَا بَغْتَةً**.

وَلمـا أَصْبَحُوا حَاصَرُوا الْقَلْعَةَ، **وَبِهَـا الْمُغِيثُ عُمَرُ** بْنُ الصَّالِحِ نَجْـمِ الدِّينِ، وَنَقَبُوا الْقَلْعَةَ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْفَرَجِ، وَدَخَلُوهَا، وَاعْتَقَلُوا الْمُغِيثَ فِي بُرْجٍ هُنَالِكَ.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَاحْتَرَقَتْ دَارُ الْحَدِيثِ وكثير مِنَ الْحَوَانِيتِ وَالدُّورِ حَوْلَ الْقَلْعَةِ، وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبَرُ بِمَا وَقَعَ إِلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَالْأُمَرَاءُ، **وَبَقِيَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ وَحْدَهُ**، وَطَمِعَ فِيهِ الْفَلَّاحُونَ وَالْغَوَارِنَةُ، وَأَرْسَلَ النَّاصِرُ دَاوُدُ صَاحِبُ الْكَرَكِ مَنْ أَخَذَهُ مِنْ نَابُلُسَ مُهَانًا عَلَى بَغْلَةٍ، فَاعْتَقَلَهُ عِنْدَهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

وَأَرْسَلَ الْعَادِلُ بن الكامل بن العادل مِنْ مِصْرَ إِلَى النَّاصِرِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَخَاهُ الصَّالِحَ أَيُّوبَ، وَيُعْطِيهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَمَا أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ.

وَبَرَزَ الْعَادِلُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى **بُلْبَيْس** قَاصِدًا قِتَالَ النَّاصِرِ دَاوُدَ، فَاضْطَرَبَ الْجَيْشُ عَلَيْهِ وَاخْتَلَفَتِ الْأُمَرَاءُ، **وَقَيَّدُوا الْعَادِلَ، وَاعْتَقَلُوهُ** فِي خَرْكَاه، وَأَرْسَلُوا إِلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ يَسْتَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ.

وامْتَنَعَ **النَّاصِرُ دَاوُدُ** مِنْ إِرْسَالِ **الصالح أيوب** حَتَّى اشْتَرَطَ عَلَيْهِ شروطًا كثيرة.

قَالَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ: فَأَجَبْتُ إِلَى ذَلِكَ مُكْرَهًا وَسِرْنَا إلى مصر.

فَلَمَّا وَصَلَ الصَّالِحُ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ مَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ، وَدَخَلَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ سَالِمًا مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ بِمِصْرَ.

○ طمع الصالح نجم الدين أيوب في مصر

في سنة (٦٣٦هـ) رَكِبَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ مِنْ دِمَشْقَ فِي رَمَضَانَ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ لِيَأْخُذَهَا مِنْ أَخِيهِ الْعَادِلِ لِصِغَرِهِ، فَنَزَلَ بِنَابُلُسَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، وَأَخْرَجَهَا مِنْ يَدِ النَّاصِرِ دَاوُدَ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ **الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ** صَاحِبِ بَعْلَبَكَّ؛ لِيَقْدَمَ عَلَيْهِ لِيَكُونَ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ إِلَيْهِ إِلَى دِمَشْقَ لِيُبَايِعَهُ، فَجَعَلَ يُسَوِّفُ بِهِ، وَيَعْمَلُ عَلَيْهِ وَيُحَالِفُ الْأُمَرَاءَ بِدِمَشْقَ لِيَكُونَ مَلِكَهُمْ.

- وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الصَّالِحُ **نجم الدين** فِي مُلْكِ مِصْرَ، حَبَسَ **النَّاصِحَ الْخَادِمَ**، فَمَاتَ فِي أَسْوَأِ حَالَةٍ، مِنَ الْقِلَّةِ وَالْقَمْلِ، جَزَاءً وِفَاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

○ تولية عز الدين بن عبد السلام خطابة جامع دمشق

وَفِـي يَـوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِثِ رَبِيعِ الْآخِرِ (٦٣٧هـ) وَلِيَ الشَّـيْخُ عِزُّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّـلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِـمِ السُّـلَمِيُّ خَطَابَةَ جَامِعِ دِمَشْـقَ، وَخَطَبَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ لِصَاحِبِ الرُّومِ بِبِلَادِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُ حَالَفَهُ عَلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ.

○ إنكار العلماء على الصالح إسماعيل

فِي سـنة (٦٣٨هـ) سَلَّمَ الصَّالِحُ إِسْـمَاعِيلُ صَاحِبُ دِمَشْقَ **حِصْنَ شَقِيفٍ**، لِصَاحِبِ صَيْدَا الْفِرِنْجِيِّ، فَاشْـتَدَّ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِسَـبَبِ ذَلِكَ مِنَ الشَّـيْخِ **عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّـلَامِ** خَطِيـبِ الْبَلَدِ، وَالشَّـيْخِ **أَبِي عَمْـرِو بْنِ الْحَاجِبِ** شَـيْخِ الْمَالِكِيَّـةِ، **فَاعْتَقَلَهُمَـا** مُدَّةً، ثُمَّ أَطْلَقَهُمَا وَأَلْزَمَهُمَا مَنَازِلَهُمَا.

ثُمَّ خَرَجَ الشَّـيْخَانِ مِنْ دِمَشْـقَ، فَقَصَدَ الشيخ أَبُو عَمْرٍو النَّاصِرَ دَاوُدَ بِالْكَرَكِ، وَدَخَلَ الشَّـيْخُ عِـزُّ الدِّينِ الدِّيَـارَ الْمِصْرِيَّةَ سـنة (٦٣٩هـ)، فَتَلَقَّـاهُ صَاحِبُهَا أَيُّـوبُ بِالِاحْتِرَامِ وَالْإِكْـرَامِ، وَوَلَّاهُ خَطَابَـةَ الْقَاهِرَةِ وَقَضَاءَ مِصْرَ، وَاشْـتَغَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا، فَـكَانَ مِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، ثُمَّ عَزَلَ نَفْسَهُ عن القضاء مَرَّتَيْنِ، وَانْقَطَعَ فِي بَيْتِهِ.

○ الخلاف بين الصالح أيوب وعمه إسماعيل

فِي سنة (٦٤١هـ) تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ الصَّالِحِ أَيُّوبَ **صَاحِبِ مِصْرَ**، وَبَيْنَ عَمِّهِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ **صَاحِبِ دِمَشْقَ** عَلَى أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ وَلَدَهُ، الْمُغِيثَ عُمَرَ بْنَ الصَّالِحِ أَيُّوبَ الْمُعْتَقَلَ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَتَسْتَقِرُّ دِمَشْقُ فِي يَدِ **الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ**، فَوَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى ذَلِكَ.

فَخَـافَ وَزِيـرُ الصَّالِحِ إِسْـمَاعِيلَ مِنْ غَائِلَةِ هَـذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ لِمَخْدُومِـهِ: لَا تَرُدَّ هَذَا الْغُـلَامَ إِلَـى أَبِيهِ تَخْـرُجُ الْبِلَادُ مِنْ يَدِكَ، هَذَا خَاتَمُ سُـلَيْمَانَ فِي يَدِكَ لِلْبِـلَادِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْطَلَ مَا كَانَ وَقَعَ مِنَ الصُّلْحِ، **وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ** بَيْنَهما.

وَأَرْسَلَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ إِلَى الْخُوَارَزْمِيَّةِ يَسْتَحْضِرُهُمْ لِحِصَارِ دِمَشْقَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَانَتِ **الْخُوَارَزْمِيَّةُ** فِي سنة (٦٤١هـ) قَدْ استولوا على بِلَادَ الرُّومِ، وَأَخَذُوهَا مِنْ أَيْدِي مَلِكِهَا **ابْنِ عَلَاءِ الدِّينِ**، وَكَانَ قَلِيلَ الْعَقْلِ يَلْعَبُ بِالْكِلَابِ وَالسِّبَاعِ، وَيُسَلِّطُهَا عَلَى النَّاسِ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ عَضَّهُ سَبُعٌ فَمَاتَ، فَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبِلَادِ حِينَئِذٍ.

❍ التحالف مع الفرنج ضد الصالح أيوب

فِي سنة (٦٤٢هـ) كَانَتْ وَقعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ **الْخُوَارَزْمِيَّةِ** الَّذِينَ جلبهم الصَّالِحُ **أَيُّوبُ** صَاحِبُ مِصْرَ لِيَسْتَنْجِدَ بِهِمْ عَلَى الصَّالِحِ **إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ دِمَشْقَ**، فَنَزَلُوا عَلَى **غَزَّةَ**، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الصَّالِحُ **أَيُّوبُ** الْأَمْوَالَ وَالْخِلَعَ وَالْخَيْلَ وَالْأَقْمِشَةَ وَالْعَسَاكِرَ،

فَاتَّفَقَ الصَّالِحُ **إِسْمَاعِيلُ**، **وَالنَّاصِرُ** دَاوُدُ صَاحِبُ الْكَرَكِ، **وَالْمَنْصُورُ** صَاحِبُ حِمْصَ، مَعَ الْفِرِنْجِ، **على قتال الْخُوَارَزْمِيَّةِ**، فَهَزَمَتْهُمُ الْخُوَارَزْمِيَّةُ وكسرتهم كَسْرَةً مُنْكَرَةً، وَكَانَتْ كُئُوسُ الْخَمْرِ دَائِرَةً بَيْنَ الْجُيُوشِ، فَنَابَتْ كُئُوسُ الْمَنُونِ عَنْ تِلْكَ الْخُمُورِ، فَقُتِلَ مِنَ الْفِرِنْجِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ زِيَادَةٌ عَنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَأَسَرُوا جَمَاعَةً مِنْ مُلُوكِهِمْ وَقُسُوسِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ، وَخَلْقًا مِنْ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعَثُوا بِالْأُسَارَى إِلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يَوْمًا مَشْهُودًا وَأَمْرًا مَحْمُودًا.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّا لَمَّا وَقَفْنَا تَحْتَ صُلْبَانِ الْفِرِنْجِ أَنَّا لَا نُفْلِحُ.

وَغَنِمَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَمِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا.

❍ الصالح أيوب ومحنة دمشق

فِي سنة (٦٤٣هـ) بَعَثَ الصَّالِحَ أَيُّوبَ بْنَ الْكَامِلِ **صَاحِبَ مِصْرَ** إِلَى الْخُوَارَزْمِيَّةَ برفقة مَلِكُهُمْ **بَرَكَاتُ خَانَ** ومعهم **مُعِينِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ**، فَأَحَاطُوا **بِدِمَشْقَ** يُحَاصِرُونَ عَمَّهُ **الصَّالِحَ إسماعيل** صَاحِبَ دِمَشْقَ، وَأُحْرِقَ كثير من المساجد والدور والأسواق وَنُصِبَتِ الْمَنْجَنِيقُ عِنْدَ بَابِ الصَّغِيرِ وَعِنْدَ بَابِ **الْجَابِيَةِ**، وَنُصِبَ مِنْ دَاخِلِ الْبَلَدِ مَنْجَنِيقَاتٌ أَيْضًا،

وَتَرَامَى الْفَرِيقَانِ، واشْتَدَّ الْحِصَارُ بِدِمَشْقَ، وَقُطِعَتِ الْأَنْهَارُ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ، وَأُخِيفَتِ الطُّرُقُ، وَجَرَى بِدِمَشْقَ أُمُورٌ بَشِعَةٌ جِدًّا، لَمْ تَتِمَّ عَلَيْهَا مثلها، وَامْتَدَّ الْحِصَارُ شُهُورًا إِلَى جُمَادَى الْأُولَى، فاجتمع **أَمِينُ الدَّوْلَةِ بدمشق مع** مُعِين الدِّينِ بْن الشَّيْخِ عدة مرات **للصلح**، فَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ **الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى بَعْلَبَكَّ**، وَيُسَلِّمُ دِمَشْقَ إِلَى الصَّالِحِ أَيُّوب.

وَأَمَّا الْخُوَارَزْمِيَّةُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ وَقْتَ الصُّلْحِ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِوُقُوعِ الصُّلْحِ غَضِبُوا وَسَارُوا نَحْوَ دَارَيَّا، فَنَهَبُوهَا وَسَاقُوا نَحْوَ بِلَادِ الشَّرْقِ، وَكَاتَبُوا الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ فَحَالَفُوهُ عَلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ، **وَنَقَضَ الصُّلْحَ** الَّذِي كَانَ وَقَعَ مِنْهُ.

وَعَادَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ فَحَاصَرُوا دِمَشْقَ، وَجَاءَ إِلَيْهِمُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ مِنْ بَعْلَبَكَّ، فَضَاقَ الْحَالُ عَلَى الدَّمَاشِقَةِ، فَعُدِمَتِ الْأَقْوَاتُ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ جِدًّا، وَأُكِلَتِ الْقِطط وَالْكِلَابُ وَالْمَيْتَاتُ وَالْجِيَفُ، وَتَمَاوَتَ النَّاسُ فِي الطُّرُقَاتِ، وَعَجَزُوا عَنِ التَّغْسِيلِ وَالتَّكْفِينِ وَالْإِقْبَارِ، فَكَانُوا يُلْقُونَ مَوْتَاهُمْ فِي الْآبَارِ، حَتَّى أَنْتَنَتِ الْمَدِينَةُ، وَضَجِرَ النَّاسُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَمَّا بَلَغَ الصَّالِحَ أَيُّوبَ أَنَّ الْخُوَارَزْمِيَّةَ قَدْ مَالَئُوا عَلَيْهِ، وَصَالَحُوا عَمَّهُ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ، كَاتَبَ الْمَلِكَ **الْمَنْصُورَ** إِبْرَاهِيمَ **بْنَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ** صَاحِبَ **حِمْصَ**، فَاسْتَمَالَهُ إِلَيْهِ، فَشَرَعَ فِي جَمْعِ الْجُيُوشِ مِنَ الْحَلَبِيِّينَ وَالتُّرْكُمَانِ وَالْأَعْرَابِ **لِاسْتِنْقَاذِ دِمَشْقَ مِنَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ**، وَحِصَارِهِمْ إِيَّاهَا.

○ نهاية الخوارزمية أصحاب بركات خان

لما بَلَغَ الْخُوَارَزْمِيَّةَ سنة (٦٤٣هـ) قدوم الْمَلِكَ **الْمَنْصُورَ** إِبْرَاهِيمَ **بْنَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ** صَاحِبَ **حِمْصَ**، خَافُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَائِلَتِهِ، وَقَالُوا: **دِمَشْقُ مَا تَفُوتُ**، وَالْمَصْلَحَةُ قِتَالُهُ عِنْدَ بَلَدِهِ، **فسار الخوارزمية** إلى الملك المنصور عِنْدَ **بُحَيْرَةِ حِمْصَ**، وَأمدهم

النَّاصِرُ دَاوُدُ بجَيْشه، وَالْتَقَى الْخُوَارَزْمِيَّةِ مع جيش الملك المنصور وأهل دمشق، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، قُتِلَ فِيهِ عَامَّةُ الْخُوَارَزْمِيَّةِ، **وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ بَرَكَاتُ خَانَ**، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُمْحٍ، فَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ، وَتَمَزَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ، وسَاروا إِلَى نَاحِيَةِ الْكَرَكِ، فَأَكْرَمَهُمُ النَّاصِرُ دَاوُدُ صَاحِبُهَا، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَصَاهَرَهُمْ وَأَنْزَلَهُمْ بِالصَّلْتِ، فَأَخَذُوا مَعَهَا **نَابُلُسَ**، **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الصَّالِحُ أَيُّوبُ جَيْشًا** مَعَ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ، فَكَسَرَهُمْ عَلَى الصَّلْتِ وَأَجْلَاهُمْ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَحَاصَرَ النَّاصِرَ بِالْكَرَكِ، وَأَهَانَهُ غَايَةَ الْإِهَانَةِ.

وَتَسَلَّمَ نُوَّابُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بَعْلَبَكَّ وَبُصْرَى، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا مَالٌ، بَلْ أُخِذَتْ جَمِيعُ أَمْوَالِهِ، وَنُقِلَتْ عِيَالُهُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَأما إسماعيل فَاسْتَجَارَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ **صَاحِبِ حَلَبَ**، فَآوَاهُ وَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، **وَقَالَ الْأَتَابَكُ لُؤْلُؤٌ الْحَلَبِيُّ** لِابْنِ أُسْتَاذِهِ النَّاصِرِ، وَكَانَ شَابًّا صَغِيرًا: انْظُرْ إِلَى عَاقِبَةِ الظُّلْمِ.

○ زيارة الصالح أيوب دمشق والقدس

قَدِمَ **الصَّالِحُ أَيُّوبُ** إِلَى دِمَشْقَ فِي ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٦٤٤هـ)، فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا، وَعَظُمَ شَأْنُهُ جِدًّا، وَزَارَ فِي رُجُوعِهِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهُ، وَأَمَرَ بِإِعَادَةِ أَسْوَارِهِ أَنْ تُعَمَّرَ كَمَا كَانَتْ، وَأَنْ يُصْرَفَ الْخَرَاجُ وَمَا يَتَحَصَّلُ مِنْ غَلَّاتِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي ذَلِكَ، وَإِنْ نقص شَيْء صَرَفَهُ مِنْ عِنْدِهِ.

○ فتح طبرية وعسقلان

فِي سنة (٦٤٥هـ) كَانَ عَوْدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ **الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ** بْنِ الْكَامِلِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَنَزَّلَ الْجُيُوشَ لِحِصَارِ الْفِرِنْجِ، فَفُتِحَتْ **طَبَرِيَّةُ** فِي عَاشِرِ صَفَرٍ، وَفُتِحَتْ **عَسْقَلَانُ** فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ.

○ اتهام جماعة من أعيان دمشق بممالأة إسماعيل

فِي سنة (٦٤٥هـ) أَرْسَلَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ يَطْلُبُ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الدَّمَاشِقَةِ اتُّهِمُوا بِمُمَالَأَةِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، مِنْهُمُ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ، وَبَنُو صَصْرَى، وَابْنُ الْعِمَادِ الْكَاتِبُ، وَالْحَكِيمِيُّ مَمْلُوكُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَالشِّهَابُ غَازِيٌّ وَالِي بُصْرَى، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالْإِهَانَةِ، بَلْ خَلَعَ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَتُرِكُوا بِاخْتِيَارِهِمْ مُكَرَّمِينَ.

○ الصلح بين أيوب وصاحب حلب

في سنة (٦٤٦هـ) قَدِمَ السُّلْطَانُ **الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى دِمَشْقَ، وَجَهَّزَ الْجُيُوشَ وَالْمَجَانِيقَ إِلَى حِمْصَ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْمَنْصُورِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ قَدْ قَايَضَ بِهَا **تَلَّ بَاشِرٍ** لِصَاحِبِ حَلَبَ النَّاصِرِ يُوسُفَ بْنِ الْعَزِيزِ، وَلَمَّا عَلِمَتِ الْحَلَبِيُّونَ بِخُرُوجِ الدَّمَاشِقَةِ بَرَزُوا أَيْضًا فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ لِيَمْنَعُوا حِمْصَ مِنْهُمْ، وقد جاء **الشَّيْخ نَجْم الدِّينِ الْبَادَرَائِيِّ مُدَرِّسِ النِّظَامِيَّةِ** من بَغْدَادَ فِي رِسَالَةٍ من الخليفة، فَأَصْلَحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَرَدَّ كُلًّا مِنَ الْفِئَتَيْنِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ احتراق المنارة الشرقية بالجامع الأموي

فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٦٤٦هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بجامع دمشق، فَأَحْرَقَ جَمِيعَ حَشْوِهَا، وَكَانَتْ سَلَالِمُهَا سِقَالَاتٍ مِنْ خَشَبٍ، وَهَلَكَ لِلنَّاسِ وَدَائِعُ كَثِيرَةٌ كَانَتْ فِيهَا، وَسَلَّمَ اللهُ الْجَامِعَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَقَدِمَ السُّلْطَانُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَمَرَ بِإِعَادَتِهَا كَمَا كَانَتْ.

قُلْتُ: ثُمَّ احْتَرَقَتْ وَسَقَطَتْ بِالْكُلِّيَّةِ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَأُعِيدَتْ عِمَارَتُهَا أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَبَقِيَتْ حِينَئِذٍ الْمَنَارَةُ الْبَيْضَاءُ الشَّرْقِيَّةُ بِدِمَشْقَ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْحَدِيثُ فِي نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهَا.

○ قتل أيوب لأخيه العادل

فِي سنة (٦٤٦هـ) عَادَ السُّلْطَانُ الصَّالِحُ أَيُّوبُ من دمشق مَرِيضًا فِي مِحَفَّةٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَهُوَ ثَقِيلٌ مُدْنِفٌ، وَمَا شَغَلَهُ مَرَضُهُ وَمَا هُوَ فِيهِ عَنْ أَمْرِهِ **بِقَتْلِ أَخِيهِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْكَامِلِ** الَّذِي كَانَ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَقَدْ كَانَ سَجَنَهُ حينما اسْتَحْوَذَ عَلَى مِصْرَ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شهر شوال **أَمَرَ بِخَنْقِهِ، فَخُنِقَ وَدُفِنَ**، فَمَا عُمِّرَ بَعْدَهُ إِلَّا إِلَى النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ سنة (٦٤٧هـ) حيث مات فِي أَسْوَأِ حَالٍ وَأَشَدِّ مَرَضٍ، **فَسُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**.

○ هجوم الفرنج على دمياط

فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦٤٧هـ) هَجَمَتِ **الْفِرِنْجُ** عَلَى دِمْيَاطَ، فَهَرَبَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ، وَاسْتَحْوَذَ الْفِرِنْجُ عَلَى **الثَّغْرِ**، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَنَصَبَ السُّلْطَانُ الصالح أيوب الْمُخَيَّمَ تُجَاهَ الْعَدُوِّ بِجَمِيعِ الْجَيْشِ، **وَشَنَقَ خَلْقًا مِمَّنْ هَرَبَ مِنَ الْفِرِنْجِ**، وَلَامَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْمُصَابَرَةِ قَلِيلًا لِيُرْهِبُوا عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّهُمْ.

وَقَوِيَ الْمَرَضُ وَتَزَايَدَ بِالسُّلْطَانِ أيوب، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٤٧هـ) تُوُفِّيَ بِالْمَنْصُورَةِ، فَأَخْفَتْ جَارِيَتُهُ أُمُّ وَلَدِهِ خَلِيلِ الْمَدْعُوَّةُ **شَجَرَ الدُّرِّ** مَوْتَهُ، وَأَظْهَرَتْ أَنَّهُ مَرِيضٌ مُدْنِفٌ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ، ثم أَعْلَمَتْ أَعْيَانَ الْأُمَرَاءِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِهِ **الْمُعَظَّمِ تُورَانْشَاهْ**، وَهُوَ بِحِصْنِ كَيْفَا، فَأَقْدَمُوهُ إِلَيْهِمْ سَرِيعًا، فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ، وَبَايَعُوهُ أَجْمَعُونَ، فَرَكِبَ فِي عَصَائِبِ الْمُلْكِ.

وفِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ (٦٤٨هـ) كَانَ كَسْرُ الْمُعَظَّمِ تُورَانْشَاهْ لِلْفِرِنْجِ عَلَى ثَغْرِ دِمْيَاطَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ: مِائَةَ أَلْفٍ. وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ قَتَلَ المعظم جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ أُسِرُوا من **الفرنج**، وَكَانَ فِيمَنْ أُسِرَ مَلِكُ الْإِفْرَنْسِيسِ وَأَخُوهُ، وَأُرْسِلَتْ **غِفَارَةُ** (المغفر) مَلِكِ الْإِفْرَنْسِيسِ إِلَى دِمَشْقَ فَلَبِسَهَا نَائِبُهَا فِي يَوْمِ الْمَوْكِبِ.

○ نهاية الدولة الأيوبية بمصر

تآمر على المعظم تورانشاه ابن الصالح أيوب الأمراء فقتَلُوهُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ مُلْكِهِ عَلَيْهِم، في المحرم سنة (٦٤٨هـ)، ضَرَبَهُ **عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ التُّرْكُمَانِيُّ**، فِي يَدِهِ، فَقَطَعَ بَعْضَ أَصَابِعِهِ فَهَرَبَ تورانشاه إِلَى قَصْرٍ مِنْ خَشَبٍ فِي الْمُخَيَّمِ، فَحَاصَرُوهُ فِيهِ، وَأَحْرَقُوهُ عَلَيْهِ، فَهَرَبَ إِلَى النِّيلِ، فَانْغَمَرَ فِيهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقُتِلَ، وَدَفَنُوهُ إِلَى جَانِبِ النِّيلِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى.

❁ ❁ ❁

جـ ـ الأحداث المتعلقة بالدولة الخوارزمية والتتار

○ تملك خوارزم شاه بلاد الري

فِي سنة (٥٩٠هـ) مَلَكَ السُّلْطَانُ **خُوَارِزْمُ شَاهْ تِكِش** بِلَادَ **الرَّيِّ** وغيرها، وَعَظُمَ شَأْنُهُ.

ثُمَّ الْتَقَى مع السُّلْطَانُ السلجوقي **طُغْرُل** فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَقَتَلَ السُّلْطَانَ طُغْرُل، وَأَرْسَلَ رَأْسَهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَعُلِّقَ عَلَى بَابِ النُّوبَةِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْخِلَعَ وَالتَّقَالِيدَ إِلَى السُّلْطَانِ خُوارِزم شَاهْ، وَمَلَكَ هَمَذَانَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِلَادِ الْمُتَّسِعَةِ.

○ الصراع بين الخوارزمية والغورية

فِي سنة (٥٩٤هـ) حَاصَرَ **خُوَارِزْمُ شَاهْ** مَدِينَةَ **بُخَارَى** فَفَتَحَهَا بَعْدَ مُدَّةٍ- وَقَدْ كَانَتِ امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ دَهْرًا- فَقَهَرَهُمْ وَأَخَذَهَا عَنْوَةً، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا، وَصَفَحَ عَنْهُمْ.

وفِي سنة (٥٩٧هـ) مَلَكَ غِيَاثُ الدِّينِ وَأَخُوهُ شِهَابُ الدِّينِ **الْغُورِيَّانِ** جَمِيعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ **خُوَارِزْمُ شَاهْ** مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ، وَجَرَتْ لَهُمْ خُطُوبٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا.

وفِي سنة (٥٩٨هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ وَخُطُوبٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَ **الْخُوَارِزْمِيَّةِ وَالْغُورِيَّةِ** بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ، بَسَطَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ (١).

وفِي سنة (٥٩٩هـ) تُوُفِّيَ الْمَلِكُ غِيَاثُ الدِّينِ **الْغُورِيُّ** أَخُو شِهَابِ الدِّينِ، فَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مَحْمُودٌ، وَتَلَقَّبَ بِلَقَبِ أَبِيهِ، وَكَانَ غِيَاثُ الدِّينِ عَاقِلًا حَازِمًا شُجَاعًا، لَمْ تُكْسَرْ لَهُ رَايَةٌ قَطُّ مَعَ كَثْرَةِ حُرُوبِهِ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، قَدِ ابْتَنَى مَدْرَسَةً هَائِلَةً لِلشَّافِعِيَّةِ، وَكَانَتْ سِيرَتُهُ فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ، وَكَذَا سَرِيرَتُهُ؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفِي سنة (٦٠٠هـ) جَرَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ **الْخُوَارِزْمِيَّةِ وَالْغُورِيَّةِ** بِالْمَشْرِقِ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

---

(١) الكامل ١٢/ ١٧٣.

وفِي سنة (٦٠٣هـ) جَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ بِالْمَشْرِقِ بَيْنَ **الْغُورِيَّةِ وَالْخُوارِزْمِيَّةِ**، وَمَلَكَ خُوارِزْمُ شَاهْ بْنُ تِكِش بِلَادَ الطَّالْقَانِ[١].

○ اغتيال الغوري صاحب غزنة

فِي سنة (٦٠٢هـ) وَقعَتْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْمَلِكِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ سَامٍ الْغُورِيِّ، **صَاحِبِ غَزْنَةَ**، وَبَيْنَ **بَنِي كَوْكَرَ أَصْحَابِ الْجَبَلِ** الْجُودِيِّ، وَكَانُوا قَدِ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَاتَلَهُمْ وَكَسَرَهُمْ، وَغَنِمَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، فَاتَّبَعَهُ بَعْضُهُمْ حَتَّى قَتَلَهُ غِيلَةً فِي لَيْلَةِ مُسْتَهَلِّ شَعْبَانَ مِنْهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ الْمُلُوكِ سِيرَةً وَأَعْقَلِهِمْ وَأَثْبَتِهِمْ فِي الْحَرْبِ، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، وَلَمَّا قُتِلَ كَانَ فِي صُحْبَتِهِ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْوَعْظِ فَيَحْضُرُ الْمَلِكُ وَعْظَهُ، وَيَبْكِي حِينَ يَقُولُ لَهُ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ: **يَا سُلْطَانُ، سُلْطَانُكَ لَا يَبْقَى، وَلَا تَلْبِيسُ الرَّازِيِّ أَيْضًا**، وَإِنَّ مَرَدَّنَا جَمِيعًا إِلَى اللهِ، وَحِينَ قُتِلَ السُّلْطَانُ اتَّهَمَهُ الْخَاصِّكِيَّةُ[٢] بِقَتْلِهِ، فَخَافَ مِنْ ذَلِكَ، وَالْتَجَأَ إِلَى الْوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الْمُلْكِ بْنِ خَوَاجَا، فَسَيَّرَهُ إِلَى حَيْثُ يَأْمَنُ، وَتَمَلَّكَ غَزْنَةَ بَعْدَهُ أَحَدُ مَمَالِيكِهِ تَاجُ الدِّينِ الدُّزُّ، وَجَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ خُطُوبٌ يَطُولُ بَسْطُهَا.

وفِي سنة (٦٠٤هـ) مَلَكَ **خُوارِزْمُ شَاهْ مُحَمَّدُ** بْنُ تِكِش بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهَرِ مِنَ الْخِطَا بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ.

وحصل فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَمْرٌ عَجِيبٌ، وَهُوَ **أسر السُّلْطَانِ خُوَارِزْم شَاهْ** من قبل الْكُفَّارُ مِنَ الْخِطَا، أَسَرَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ الْمَلِكُ، وَأَسَرَ مَعَهُ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ: ابْنُ مَسْعُودٍ.

فَلَمَّا وَقعَ ذَلِكَ وَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى مَقَرِّهَا، فَقَدُوا السُّلْطَانَ، وَانْزَعَجَتْ

---

(١) الطَّالَقَانِ: بعد الألف لام مفتوحة وقاف وآخره نون، بلدتان إحداهما: **بخراسان** بين مرو الروذ وبلخ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل. **والأخرى**: بلدة وكورة بين قزوين وأبهر، وبها عدة قرى، يقع عليها هذا الاسم. -ولعلها المرادة هنا- معجم البلدان - الفكر (٤/ ٦).

(٢) طبقة من الجند.

خُرَاسَانُ بِكَمَالِهَا ظَنًّا منهم أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ قُتِلَ.

فقال الْأَمِير لِلسُّلْطَانِ: إِنِّي أَرَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ تُظْهِرَ أَنَّكَ غُلَامٌ لِي. فَقَبِلَ مِنْهُ وَجعَلَ يَخْدُمُهُ، وَيَسْقِيهِ وَيَضَعُ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي أَسَرَهُمَا: إِنِّي أَرَى هَذَا يَخْدُمُكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ الْأَمِيرُ، وَهَذَا غُلَامِي، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْلَا عِلْمُ الْأُمَرَاءِ بِأَنِّي قَدْ أَسَرْتُ أَمِيرًا لَأَطْلَقْتُكَ. فَقَالَ الأمير: فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَادِيَنِي عَلَى مَالٍ، وَتُرْسِلَ مَنْ يَقْبِضُهُ، فَعَلْتَ خَيْرًا. فَقَالَ: نَعَمْ. فَعَيَّنَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَهْلِي لَا يَعْرِفُونَ هَذَا، وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ أُرْسِلَ مَعَهُ غُلَامِي؛ لِيُبَشِّرَهُمْ بِحَيَاتِي، وَيَأْمُرَهُمْ بِتَحْصِيلِ الْمَالِ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَجَهَّزَ مَعَهُمَا مَنْ يَحْفَظُهُمَا إِلَى مَدِينَةِ خُوَارِزْمَ.

فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَدِينَةِ خُوَارِزْمَ رَآهُ النَّاسُ وفَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي سَائِرِ بِلَادِهِ، وَأَصْلَحَ مَا كَانَ وَهَى مِنْ مَمْلَكَتِهِ.

وَفِي سنة (٦٠٤هـ) غَدَرَ صَاحِبُ **سَمَرْقَنْدَ**، ونقض مابينه **وبين الخوارزمية** من الصلح، فَقَتَلَ كُلَّ مَنْ كَانَ بِبَلَدِهِ مِنَ الْخُوَارِزْمِيَّةِ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يُقْطَعُ قِطْعَتَيْنِ، وَيُعَلَّقُ فِي السُّوقِ كَمَا تُعَلَّقُ الْأَغْنَامُ، وَعَزَمَ عَلَى **قَتْلِ زَوْجَتِهِ بِنْتِ خُوَارِزْم** شَاهْ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ قَتْلِهَا، وَحَصَرَهَا وَحَبَسَهَا فِي قَلْعَةٍ وَضَيَّقَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكِ خُوَارِزْمَ شَاهْ سَارَ إِلَيْهِ فِي الْجُنُودِ فَنَازَلَهُ وَحَاصَرَ سَمَرْقَنْدَ فَأَخَذَهَا قَهْرًا، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ، وَأُنْزِلَ الْمَلِكُ مِنَ الْقَلْعَةِ، وَقُتِلَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ نَسْلًا وَلَا عَقِبًا، وَاسْتَحْوَذَ خُوَارِزْمُ شَاهْ عَلَى مملكته.

وفِي سنة (٦١٠هـ) أَرْسَلَ **الْمَلِكُ خُوَارَزْمُ** شَاهْ أَمِيرًا مِنْ أَخِصَّاءِ أُمَرَائِهِ فِي جَيْشٍ، فَفَتَحَ لَهُ **كَرْمَانَ وَمَكْرَانَ**، وَإِلَى حُدُودِ **بِلَادِ السِّنْدِ**، وَخَطَبَ لِخُوَارَزْمِ شَاهْ بِتِلْكَ النَّوَاحِي، **وَكَانَ خُوَارَزْمُ شَاهْ لَا يُصَيِّفُ إِلَّا بِنُوَاحِي سَمَرْقَنْدَ** خَوْفًا مِنَ التَّتَارِ، أَنْ يَتَوَثَّبُوا عَلَى أَطْرَافِ بِلَادِهِ الَّتِي تُتَاخِمُهُمْ.

وفِي سنة (٦١٢هـ) مَلَكَ السُّلْطَانُ **خُوَارَزْمُ شَاهْ** مُحَمَّدُ بْنُ تِكِشٍ **مَدِينَةَ غَزْنَةَ** بِغَيْرِ قِتَالٍ.

عزم السلطان خوارزم شاه على دخول بغداد

فِي سنة (٦١٤هـ) قَدِمَ السُّلْطَانُ **عَلَاءُ الدِّينِ** خُوَارَزْمُ شَاهْ مُحَمَّدُ بْنُ تِكِشٍ إِلَى هَمَذَانَ قَاصِدًا إِلَى **بَغْدَادَ** فِي أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ فِي سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَاسْتَعَدَّ لَهُ الْخَلِيفَةُ، وَاسْتَخْدَمَ الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ.

وَأَرْسَلَ السلطان إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَاعِدَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْمُلُوكِ السَّلَاجِقَةِ، وَأَنْ يُخْطَبَ لَهُ بِبَغْدَادَ عَلَى مَنَابِرِهَا، فَلَمْ يُجِبْهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الشَّيْخَ شِهَابَ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيَّ، فَلَمَّا وَصَلَ شَاهَدَ عِنْدَهُ مِنَ الْعَظَمَةِ وَكَثْرَةِ الْمُلُوكِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي **خَرْكَاهْ مِنْ ذَهَبٍ**، فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِبْرِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي الْجُلُوسِ.

وَأَخَذَ الشيخ فِي خُطْبَةٍ هَائِلَةٍ، فَذَكَرَ فِيهَا **فَضْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَشَرَفَهُمْ**، وَأَوْرَدَ حَدِيثًا فِي النَّهْيِ عَنْ أَذَاهُمْ، وَالتُّرْجُمَانُ يُعِيدُ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ فَضْلِ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنِّي إِذَا قَدِمْتُ بَغْدَادَ أَقَمْتُ مَنْ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَمَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّهْيِ عَنْ أَذَاهُمْ، فَإِنِّي لَمْ أُوذِ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَكِنَّ الْخَلِيفَةَ فِي سُجُونِهِ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ، فَهُوَ الَّذِي آذَى بَنِي الْعَبَّاسِ. ثُمَّ تَرَكَهُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَانْصَرَفَ السُّهْرَوَرْدِيُّ رَاجِعًا.

وَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمَلِكِ **عَلَاءُ الدِّينِ** وَجُنْدِهِ **ثَلْجًا عَظِيمًا** ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَمَّ الْخَرَاكِيَ وَالْخِيَامَ، وَعَمَّهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، فَرَدَّهُمُ اللهُ خَائِبِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وفي سنة (٦٢٢هـ) **عَاثَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ** حِينَ قَدِمُوا مَعَ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ مِنْ بِلَادِ غَزْنَةَ مَقْهُورِينَ مِنَ التَّتَارِ إِلَى بِلَادِ خُوزِسْتَانَ وَنَوَاحِي الْعِرَاقِ، فَأَفْسَدُوا فِيهِ، وَحَاصَرُوا مُدُنَهُ، وَنَهَبُوا قُرَاهُ، **وَاسْتَحْوَذَ جَلَالُ الدِّينِ** بْنُ خُوَارَزْمَ شَاهْ عَلَى بِلَادِ **أَذْرَبِيجَانَ** وَكَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ **الْكُرْجِ**، وَكَسَرَ الْكُرْجَ، وَهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ

عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا، وَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَكَانَ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى الْكُرْجِ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ أَنْ أَدْرِكْنَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا، وَبَغْدَادُ مَا تَفُوتُ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ **وَفَتَحَ تَفْلِيسَ**، فَقَتَلَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا.

ثم عَزَمَ عَلَى قَصْدِ الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ: لِأَنَّهُ فِيمَا زَعَمَ عَمِلَ عَلَى أَبِيهِ حَتَّى هَلَكَ، وَاسْتَوْلَتِ التَّتَرُ عَلَى الْبِلَادِ.

وَكَتَبَ إِلَى الْمُعَظَّمِ بْنِ الْعَادِلِ يَسْتَدْعِيهِ لِقِتَالِ الْخَلِيفَةِ، وَيُحَرِّضُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ الْمُعَظَّمُ مِنْ ذَلِكَ، **وَلَمَّا عَلِمَ الْخَلِيفَةُ** بِقَصْدِ جَلَالِ الدِّينِ حَصَّنَ بَغْدَادَ، وَاسْتَخْدَمَ الْجُيُوشَ وَالْأَجْنَادَ، وَأَنْفَقَ فِي النَّاسِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ.

وفِي سنة (٦٢٣هـ) الْتَقَى الْمَلِكُ **جَلَالُ الدِّينِ بْنُ خُوَارَزْمَ** شَاهِ، مَعَ الْكُرْجِ، فَكَسَرَهُمْ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَصَمَدَ إِلَى أَكْبَرِ معَاقلِهِمْ تَفْلِيسَ، فَفَتَحَهَا عَنْوَةً، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا.

وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ عَلَيْهَا، وَقَدْ كَانَ **الْكُرْجُ** أَخَذُوهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةِ (٥١٥هـ)، حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُمْ جَلَالُ الدِّينِ، فِي هذه السنة، فَكَانَ فَتْحًا عَظِيمًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثم سَارَ **جَلَالُ الدِّينِ بْنُ خُوَارَزْمَ** شَاهِ إِلَى **خِلَاطَ** لِيَأْخُذَهَا مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَخْذِهَا، وَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا قِتَالًا عَظِيمًا، فَرَجَعَ عَنْهُمْ بِسَبَبِ اشْتِغَالِهِ بِعِصْيَانِ نَائِبِهِ بِمَدِينَةِ كَرْمَانَ وَخِلَافِهِ لَهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ وَتَرَكَهُمْ.

وفِي سنة (٦٢٣هـ) أَوْقَعَ الْمَلِكُ **جَلَالُ الدِّينِ** بِالتُّرْكُمَانِ الْإِيوَانِيَّةِ بَأْسًا شَدِيدًا، وَكَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

فِي سنة (٦٢٤هـ) كَاتَبَ عَامَّةُ **أَهْلِ تَفْلِيسَ** الْكُرْجَ، فَجَاءُوا إِلَيْهِمْ فَدَخَلُوهَا، فَقَتَلُوا الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ، وَنَهَبُوا وَسَبَوْا وَخَرَّبُوا وَأَحْرَقُوا، وَخَرَجُوا عَلَى حَمِيَّةٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ **جَلَالَ الدِّينِ** فَسَارَ سَرِيعًا لِيُدْرِكَهُمْ، فَلَمْ يُدْرِكْهُمْ.

وَفِيهَا قَتَلَتِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ** أَمِيرًا كَبِيرًا مِنْ نُوَّابِ **جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ**، فَسَارَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَخَرَّبَ مَدِينَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا - قَبَّحَهُمُ اللهُ - مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمَّا قَدِمَ التَّتَارُ إِلَى النَّاسِ، وَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ.

وَفِيهَا تَوَاقَعَ **جَلَالُ الدِّينِ** وَطَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ **التَّتَارِ**، فَهَزَمَهُمْ وَأَوْسَعَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا، وَسَاقَ وَرَاءَهُمْ أَيَّامًا، فَقَتَلَهُمْ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرَّيِّ، فَبَلَغَهُ أَنَّ طَائِفَةً قَدْ جَاءُوا لِقَصْدِهِ، فَأَقَامَ يَنْتَظِرُهُمْ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ مَا سَيَأْتِي فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ.

وفِي سنة (٦٢٥هـ) كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ **جَلَالِ الدِّينِ وَالتَّتَارِ**، كَسَرُوهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَسَرَهُمْ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأُمَمًا لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّتَارُ قَدِ انْفَرَدُوا وَعَصَوْا عَلَى جِنْكِزْخَانَ، فَكَتَبَ **ابْنُ جِنْكِزْخَانَ** إِلَى جَلَالِ الدِّينِ يَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنَّا وَنَحْنُ أَبْعَدْنَاهُمْ، **وَلَكِنْ سَتَرَى مِنَّا** مَا لَا قِبَلَ لَكَ بِهِ.

○ التتار يسقطون الدولة الخوارزمية

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ[(١)] كَلَامًا طَوِيلًا مَضْمُونُهُ أنه في سنة (٦٢٨هـ) كان خُرُوجُ طَائِفَةٍ مِنَ التَّتَارِ **مَرَّةً أُخْرَى** مِنْ بِلَادِ **مَا وَرَاءَ النَّهْرِ**، وَكَانَ سَبَبُ قُدُومِهِمْ هَذِهِ السَّنَةَ أَنَّ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ** كَتَبُوا **إِلَى التتار** يُخْبِرُونَهُمْ بِضَعْفِ أَمْرِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْم شَاهْ، وَأَنَّهُ قَدْ عَادَى جَمِيعَ الْمُلُوكِ حَوْلَهُ حَتَّى الْخَلِيفَةَ، وَأَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ الْأَشْرَفُ بْنُ الْعَادِلِ مَرَّتَيْنِ.

وَكَانَ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ نَاقِصَةٌ تَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ عَقْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ **تُوُفِّيَ لَهُ غُلَامٌ خَصِيٌّ** يُقَالُ لَهُ: **قِلْجٌ**. وَكَانَ يُحِبُّهُ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا عَظِيمًا بِحَيْثُ إِنَّهُ أَمَرَ الْأُمَرَاءَ ألا يدفن قِلْجًا، فَكَانَ يُحْمَلُ مَعَهُ فِي مِحَفَّةٍ، وَكُلَّمَا أُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ يَقُولُ: احْمِلُوا هَذَا إِلَى قِلْجٍ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ مَاتَ قِلْجٌ. فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَقُتِلَ.

(١) الكامل ١٢/ ٤٩٥-٥٠٠.

فَكَانُـوا بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُونَ: قَبلَـهُ، وَيقُولُ: هُوَ الْآنَ أَصْلَحُ مِمَّـا كَانَ. يَعْنِي أَنَّهُ مَرِيضٌ وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، فَيَجِدُ الْمَلِكُ رَاحَةً بِذَلِكَ؛ مِنْ قِلَّةِ عَقْلِهِ وَدِينِهِ، قَبَّحَهُ اللهُ تَعالَى.

فَلَمَّا جَاءَتِ التَّتَارُ اشْـتَغَلَ بِهِمْ، وَأَمَرَ بِدَفْنِ قِلْجٍ، وَهَرَبَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ خَوْفًا مِنْهُمْ، وَجَعَلَ كُلَّمَا سَـارَ إِلَى قُطْرٍ لَحِقُوهُ إِلَيْهِ، وَتَمَزَّقَ شَـمْلُ جَلَالِ الدِّينِ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ جَيْشُـهُ، فَصَارُوا شَـذَرَ مَذَرَ، وَبُدِّلُـوا بِالْأَمْنِ خَوْفًـا، وَبِالْعِزِّ ذُلًّا، فَسُـبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ الْمَلَكُوتُ!

وَانْقَطَعَ خَبَرُ جَلَالِ الدِّينِ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ سَلَكَ وَلَا أَيْنَ ذَهَبَ.

وَتَمَكَّنَـتِ التَّتَارُ مِنَ النَّاسِ فِي سَـائِرِ الْبِلَادِ لَا يَجِدُونَ مَـنْ يَمْنَعُهُمْ وَلَا مَنْ يَرْدَعُهُمْ، وَأَلْقَى اللهُ تَعَالَى الْوَهْنَ وَالضَّعْفَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْهُمْ.

وبهذا انتهت الدولة الخوارزمية.

○ بداية أمر التتار

فِي سـنة (٥٩٩هـ) كَانَ ابْتِدَاءُ **مُلْكِ جِنْكِزْخَانَ** مَلِكِ التَّتَارِ، صَاحِبِ الْيَاسِـقِ، وَضَعَهَا لِيَتَحَاكَـمَ إِلَيْهَا التَّتَـارُ، وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أُمَرَاءِ التُّرْكِ – مِمَّـنْ يَبْتَغِي حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ – جَدُّ هُولَاكُو بْنِ تُولِي – الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ الْمُسْـتَعْصِمَ وَأَهْلَ بَغْدَادَ فِي سَـنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وفي سنة (٦٠٤هـ) تَحَارَبَ **الْخِطَا** وَمَلِكُ **التَّتَارِ كَشْلَى خَانْ** الْمُتَاخِمُ لِمَمْلَكَةِ الصِّينِ، فَكَتَبَ مَلِكُ الْخِطَا إِلَى **خُوَارِزْمِ شَـاهْ** يَسْـتَنْجِدُهُ عَلَى التَّتَارِ، وَيَقُولُ: مَتَى غَلَبُونَا خَلَصُوا إِلَى بِلَادِكَ. وَكَذَا وَقَعَ. وَكَتَبَ التَّتَارُ إِلَيْهِ أَيْضًا يَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَى الْخِطَا، وَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ أَعْدَاؤُنَا وَأَعْدَاؤُكَ، فَكُنْ مَعَنَا عَلَيْهِمْ.

فَكَتَـبَ إِلَـى كُلٍّ مِـنَ الْفَرِيقَيْنِ يُطَيِّـبُ قَلْبَهُ، وَحَضَـرَ الْوَقْعَـةَ بَيْنَهُمْ وَهُـوَ مُتَحَيِّزٌ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْخِطَا، فَهَلَكُوا إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ.

ثم **غَدَرَ التَّتَارُ** مَاعَاهَدُوا عَلَيْهِ خُوارِزْمَ شَاهْ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا الْوَحْشَةُ الْأَكِيدَةُ، وَتَوَاعَدُوا لِلْقِتَالِ، وَخَافَ مِنْهُمْ خُوَارِزْمُ شَاهْ، وَخَرَّبَ بِلَادًا كَثِيرَةً مُتَاخِمَةً لِبِلَادِ **كَشْلَى خَانْ**؛ خَوْفًا عَلَيْهَا أَنْ يَمْلِكَهَا، **ثُمَّ إِنَّ جِنْكِزْخَانْ** خَرَجَ عَلَى كَشْلَى خَانْ، فَاشْتَغَلَ بِمُحَارَبَتِهِ عَنْ مُحَارَبَةِ خُوَارِزْمِ شَاهْ.

○ ظُهُورُ جِنْكِزْخَانَ وَعُبُوره نَهَر جَيْحُونَ

وفِي سنة (٦١٦هـ) عَبَرَتِ **التَّتَارُ** نَهَرَ جَيْحُونَ صُحْبَةَ مَلِكِهِمْ **جِنْكِزْخَانَ** مِنْ بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ **جِبَالَ طَمْغَاجَ** مِنْ أَرْضِ الصِّينِ، وَلُغَتُهُمْ مُخَالِفَةٌ لِلُغَةِ سَائِرِ التَّتَارِ، وَهُمْ مِنْ أَشْجَعِهِمْ وَأَصْبَرِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ.

وَسَبَبُ دُخُولِهِمْ نَهَرَ جَيْحُونَ أَنَّ **جِنْكِزْخَانَ بَعَثَ تُجَّارًا لَهُ**، وَمَعَهُمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ إِلَى بِلَادِ خُوَارِزْمَ شَاهْ يَتَبَضَّعُونَ لَهُ ثِيَابًا لِلْكُسْوَةِ، فَكَتَبَ نَائِبُهَا إِلَى خُوَارِزْمَ شَاهْ يَذْكُرُ لَهُ مَا مَعَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ**، وَبِأَخْذِ مَا مَعَهُمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، ولم يكن مافعل خوارزم شاه فعلاً محموداً.

فَغَضِبَ جِنْكِزْخَانُ وَأَرْسَلَ يَتَهَدَّدُ خُوَارَزْمَ شَاهْ، فَأَشَارَ مَنْ أَشَارَ عَلَى خُوَارَزْمَ شَاهْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي شُغْلٍ بِقِتَالِ كَشْلِي خَانَ، فَنَهَبَ خُوَارَزْمُ شَاهْ أَمْوَالَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيهِمْ وَأَطْفَالَهُمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مَحْرُوبِينَ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ قِتَالًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، حَتَّى إِنَّ الْخُيُولَ كَانَتْ تَزْلَقُ فِي الدِّمَاءِ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ التَّتَارِ أَضْعَافُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ ورجع كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى بِلَادِهِ.

وَلَجَأَ خُوَارَزْمُ شَاهْ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ، فَحَصَّنَهَا وَبَالَغَ فِي كَثْرَةِ مَنْ تَرَكَ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ لِيُجَهِّزَ الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ.

فَقَصَدَتِ **التَّتَارُ بُخَارَى** وَبِهَا عِشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَحَاصَرَهَا جِنْكِزْخَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ، وَدَخَلَهَا فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِيهِم مَكْرًا وَخَدِيعَةً، وَامْتَنَعَتْ

عَلَيْـهِ الْقَلْعَةُ، فَحَاصَرَهَا وَاسْـتَعْمَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ فِي طَمِّ خَنْدَقِهَـا، وَكَانَ التَّتَارُ يَأْتُونَ بِالْمَنَابِرِ وَالرَّبَعَاتِ، فَيَطْرَحُونَهَا فِي الْخَنْدَقِ يَطُمُّونَهُ بِهَا، فَفَتَحَهَا قَسْرًا فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، **فَقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَـا**، وَاصْطَفَى أَمْوَالَ تُجَّارِهَـا، وَأَبَاحَهَا لِجُنْدِهِ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَـا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَسَرُوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَفَعَلُوا مَعَهُنَّ الْفَوَاحِشَ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالضَّجِيجُ بِالْبَلَدِ.

ثُمَّ **أَلْقَتِ التَّتَارُ النَّارَ فِي دُورِ بُخَارَى** وَمَدَارِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا، ثُمَّ كَرُّوا على سَمَرْقَنْدَ.

وفي سـنة (٦١٧هـ) عَمَّ الْبَـلَاءُ **بِجِنْكِزْخَانَ (تَمُوجِينَ)**، وَبِمَنْ مَعَهُ مِـنَ التَّتَارِ قَبَّحَهُمُ اللهُ، وَامْتَدَّ إِفْسَـادُهُمْ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ **الصِّينِ** إِلَى أَنْ وَصَلُوا بِلَادَ **الْعِرَاقِ** وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى **إِرْبِلَ** وَأَعْمَالِهَا، **فَمَلَكُوا فِي هذه السـنة سَـائِرَ الْمَمَالِـكِ إِلَّا الْعِرَاقَ وَالْجَزِيرَةَ وَالشَّـامَ وَمِصْرَ**، وَقَهَرُوا جَمِيعَ الطَّوَائِـفِ: الْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَالْقَفْجَـاقِ، وَالْكُرْجِ، وَاللَّانِ، وَالْخَزَرِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ **بَسَـطَ ابْنُ الْأَثِيرِ** فِي كتاب الكامل [١] خَبَرَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَسْطًا حَسَنًا مُفَصَّلًا، وَقَدَّمَ عَلَى ذَلِكَ كَلَامًا هَائِلًا فِي تَعْظِيمِ هَذَا الْخَطْبِ الْعَجِيبِ. قَالَ:

هَذَا فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْحَادِثَةِ الْعُظْمَى وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى الَّتِي عَقِمَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي عَنْ مِثْلِهَا، عَمَّتِ الْخَلَائِقَ، وَخَصَّتِ الْمُسْـلِمِينَ، **فَلَوْ قَـالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْعَالَمَ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَإِلَى الْآنَ، لَمْ يُبْتَلَوْا بِمِثْلِهَا، لَكَانَ صَادِقًا؛** فَإِنَّ التَّوَارِيخَ لَمْ تَتَضَمَّنْ مَا يُقَارِبُهَا وَلَا مَا يُدَانِيهَا، وَلَعَلَّ الْخَلَائِقَ لَا يَرَوْنَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ الْعَالَمُ وَتَفْنَى الدُّنْيَا إِلَّا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، **وَفتنة الدَّجَّالِ.**

وقد خَرَجُوا مِنْ أَطْرَافِ الصِّينِ، **فَقَصَدُوا بِلَادَ تُرْكِسْـتَانَ** مِثْلَ كَاشْـغَرَ وَبَلَاسَـاغُونَ، ثُـمَّ مِنْهَـا إِلَى بِلَادِ مَـا وَرَاءِ النَّهْرِ مِثْلِ سَـمَرْقَنْدَ وَبُخَارَى وَغَيْرِهِمَا، ثُمَّ تَعْبُـرُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى خُرَاسَـانَ، ثُمَّ يُجَاوِزُونَهَا إِلَى الرَّيِّ وَهَمَـذَانَ وَبَلَدِ الْجَبَلِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ إِلَى حَدِّ الْعِـرَاقِ، ثُمَّ يَقْصِدُونَ بِـلَادَ أَذْرَبِيجَانَ وَأَرَّانَ، وَيُخَرِّبُونَهَا وَيَقْتُلُـونَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَنْجُ

(١) ١٢/ ٣٥٨-٣٩٨.

مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ النَّادِرُ فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ، هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ. ثُمَّ سَارُوا إِلَى دَرْبَنْدَ شَرْوَانَ، ثم إِلَى بَلَدِ اللَّانِ وَاللَّكْزِ، ثم بِلَادَ قَفْجَاقَ.

وَسَارَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى غَزْنَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَسِجِسْتَانَ وَكَرْمَانَ، فَفَعَلُوا فِيهَا مِثْلَ أَفْعَالِ هَؤُلَاءِ وَأَشَدَّ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ **يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا**، وَيَأْكُلُونَ مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَيْتَاتِ.

قَالَ: وَإِنَّمَا **اسْتَقَامَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ لِعَدَمِ الْمَانِعِ**; لِأَنَّ السُّلْطَانَ **خُوَارَزْمَ شَاهْ مُحَمَّدًا** كَانَ قَدْ قَتَلَ الْمُلُوكَ مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ الإسلامية، وَاسْتَقَلَّ بِالْأُمُورِ، فَلَمَّا انْهَزَمَ مِنْهُمْ سَاقُوا وَرَاءَهُ فَهَرَبَ، فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، فخَلَتِ الْبِلَادُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا مَنْ يَحْمِيهَا.

○ السلوك التدميري عند التتار

من طرائق التتار أنهم لم يَدْخُلُوا بَلَدًا إِلَّا **قَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ فِيهِ** مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالرِّجَالِ، وَكَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَأَتْلَفُوا مَا فِيهِ بِالنَّهْبِ إِنِ احْتَاجُوا إِلَيْهِ، وَبِالْحَرِيقِ إِنْ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُحْرِقُونَ الْمَسَاجِدَ وَالْجَوَامِعَ، لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُقَاتِلُونَ بِهِمْ، وَيُحَاصِرُونَ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَنْصَحُوا فِي الْقِتَالِ قَتَلُوهُمْ.

وَقد أرسل **جنكيز خان** السَّرَايَا إِلَى الْبُلْدَانِ **وَرَاءَ خُوَارَزْمَ شَاهْ**، وَكَانُوا عِشْرِينَ أَلْفًا، قَالَ: اطْلُبُوهُ فَأَدْرِكُوهُ، وَلَوْ تَعَلَّقَ بِالسَّمَاءِ، فَسَاقُوا فِي طَلَبِهِ، فَصَارَ كُلَّمَا أَتَى بَلَدًا لِيَجْتَمِعَ فِيهِ عَسَاكِرُهُ يُدْرِكُونَهُ، فَيَهْرُبُ مِنْهُمْ، حَتَّى رَكِبَ فِي **بَحْرِ طَبَرِسْتَانَ**، وَسَارَ إِلَى قَلْعَةٍ فِي جَزِيرَةٍ فِيهِ، **فَكَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، وَمَلَكَتِ التَّتَارُ** مَا وَجَدُوا فِي خِزَانَتِهِ وغلمانه وجواريه، فَتَمَزَّقَ بِذَلِكَ ملكه كُلُّهُ فِي أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ.

وَقَدْ كَانَ خُوَارَزْمُ شَاهْ فَقِيهًا حَنَفِيًّا فَاضِلا، لَهُ مُشَارَكَاتٌ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَلَكَ بِلَادًا مُتَّسِعَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشُهُورًا، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ مُلُوكِ بَنِي سَلْجُوقَ أَعْظَمُ مُلْكًا مِنْهُ.

وكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي الْمُلْكِ لَا فِي اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلِذَلِكَ قَهَرَ الْمُلُوكَ بِتِلْكَ الْأَرَاضِي، وَأَحَلَّ **بِالْخِطَا** [١] بَأْسًا شَدِيدًا، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَكَذَلِكَ عِرَاقُ الْعَجَمِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَمَالِكِ سُلْطَانٌ سِوَاهُ، وَجَمِيعُ الْبِلَادِ تَحْتَ يَدِ نُوَّابِهِ.

ثُمَّ سَار **التتار** إِلَى **مَا زَنْدَرَانَ** فَفتحوها فِي أَيْسَرِ مُدَّةٍ، ثُمَّ قَصَدُوا **الرَّيَّ** ثُمَّ سَارُوا إِلَى **هَمَذَانَ** فَمَلَكُوهَا، ثُمَّ إِلَى **زَنْجَانَ**، ثُمَّ قَصَدُوا **قَزْوِينَ** فَنَهَبُوهَا، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ تَيَمَّمُوا بِلَادَ **أَذْرَبِيجَانَ**، **فَصَالَحَهُمْ مَلِكُهَا أُوزْبَكُ بْنُ الْبَهْلَوَانِ** عَلَى مَالٍ حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ؛ لِشُغْلِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ، وَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ وَالِانْهِمَاكِ عَلَى الشَّهَوَاتِ، فَتَرَكُوهُ.

ثم سَارُوا إِلَى مُوقَانَ، فَقَاتَلَهُمُ **الْكُرْجُ** فِي عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَلَمْ يَقِفُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى انْهَزَمَتِ الْكُرْجُ، وَقَتَلَتِ التَّتَارُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ قَصَدُوا **تَفْلِيسَ**، وَهِيَ أَكْبَرُ مُدُنِ الْكُرْجِ، وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْكُرْجُ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، فَكَسَرَتْهُمُ التَّتَارُ مَرَّةً ثَانِيَةً أَقْبَحَ كَسْرَةٍ وَأَشْنَعَهَا.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَلَقَدْ جَرَى لِهَؤُلَاءِ التَّتَرِ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ؛ طَائِفَةٌ تَخْرُجُ مِنْ حُدُودِ الصِّينِ لَا تَنْقَضِي عَلَيْهِمْ سَنَةٌ حَتَّى يَصِلَ بَعْضُهُمْ إِلَى حُدُودِ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَيُجَاوِزُونَ الْعِرَاقَ مِنْ نَاحِيَةِ هَمَذَانَ.

قَالَ: وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ فِي بِلَادِ الْكُرْجِ، فَلَمَّا رَأَوْا مِنْهُمْ مُمَانَعَةً وَمُقَاتَلَةً يَطُولُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْمَطَالُ عَدَلُوا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ عَادَتُهُمْ، فَسَارُوا إِلَى **تِبْرِيزَ** فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا بِمَالٍ. ثُمَّ سَارُوا إِلَى **مَرَاغَةَ**، فَحَصَرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ، وَتَتَرَّسُوا بِالْأُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَفَتَحُوا الْبَلَدَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهِ خَلْقًا وَغَنِمُوا مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَسَبَوْا وَأَسَرُوا عَلَى عَادَتِهِمْ.

---

(١) جنس من الترك بلادهم متاخمة لبلاد الصين. صبح الأعشى ٤/ ٤٨٣.

وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ مِنْهُمْ خَوْفًا عَظِيمًا جِدًّا؛ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى دَرْبٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَدِ وَبِهِ مِائَةُ رَجُلٍ، لَمْ يَسْتَطِعْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ، وَمَا زَالَ يَقْتُلُهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى قُتِلَ الْجَمِيعُ، وَنَهَبَ ذَلِكَ الدَّرْبَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَصَدُوا مَدِينَةَ **إِرْبِلَ**، فَضَاقَ الْمُسْلِمُونَ لِذَلِكَ ذَرْعًا.

○ محاولة الخليفة الناصر صد التتار

وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَهْلِ الْمَوْصِلِ وَالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُ: إِنِّي قَدْ جَهَّزْتُ عَسْكَرًا، فَكُونُوا مَعَهُ لِقِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ. فَأَرْسَلَ الْأَشْرَفُ يَعْتَذِرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ أَخِيهِ الْكَامِلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِسَبَبِ مَا قَدْ دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَأَخْذِهِمْ دِمْيَاطَ.

فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مُظَفَّرِ الدِّينِ **صَاحِبِ إِرْبِلَ** لِيَكُونَ هُوَ الْمُقَدَّمَ عَلَى الْعَسَاكِرِ الَّتِي يَبْعَثُهَا الْخَلِيفَةُ، وَهِيَ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَلَمْ يَقْدِمْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ غَيْرُ ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ بِأَنْ صَرَفَ هِمَّةَ التَّتَارِ إِلَى نَاحِيَةِ **هَمَذَانَ**

ثُمَّ سَارُوا إِلَى بِلَادِ **اللَّانِ وَالْقَفْجَاقِ**، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا، فَكَسَرُوهُمْ، وَلَجَأَتِ الْقَفْجَاقُ إِلَى **بِلَادِ الرُّوسِ**، وَكَانُوا نَصَارَى، فَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ عَلَى قِتَالِ التَّتَارِ، فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ، فَكَسَرَتْهُمُ التَّتَارُ كَسْرَةً فَظِيعَةً مُنْكَرَةً جِدًّا، ثُمَّ سَارُوا نَحْوَ **بُلْغَارَ** فِي حُدُودِ الْعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَفَرَغُوا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى نَحْوِ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ.

○ اقتراب التتار من بغداد

فِي سَنَةِ (٦١٨هـ) اسْتَوْلَتِ **التَّتَارُ** عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ كَمَرَاغَةَ وَهَمَذَانَ وَأَرْدَبِيلَ وَتِبْرِيزَ وَكَنْجَةَ، وَقَتَلُوا أَهَالِيهَا، وَنَهَبُوا مَا فِيهَا، وَاسْتَأْسَرُوا ذَرَارِيَّهَا، وَاقْتَرَبُوا مِنْ بَغْدَادَ، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَحَصَّنَ بَغْدَادَ، وَاسْتَخْدَمَ الْأَجْنَادَ، وَقَنَتَ النَّاسُ فِي الصَّلَوَاتِ.

○ سَرِيَّةٌ ثالثة من جنكزخان

فِي سنة (٦٢١هـ) وَصَلَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ جِهَةِ **جِنْكِزْخَانَ** غَيْرُ الْأَوَّلَتَيْنِ[(١)] إِلَى **الرَّيِّ**، وَكَانَتْ قَدْ عُمِّرَتْ قَلِيلًا بعد خرابها، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى **سَاوَهْ**، ثُمَّ إِلَى **قُمَّ وَقَاشَانَ**، وَلَمْ تَكُونَا طُرِقَتَا إِلَّا هَذِهِ الْمَرَّةَ، فقتلوا وسبوا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى **هَمَذَانَ**، فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، ثُمَّ سَارُوا خَلْفَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ إِلَى **أَذْرَبِيجَانَ**، فَكَبَسُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ إِلَى **تِبْرِيزَ**، فَلَحِقُوهُمْ.

وَكَتَبَ التتار إِلَى صاحب أذربيجان **أُوزْبَكَ بْنُ الْبَهْلَوَانِ**: إِنْ كُنْتَ مُصَالِحًا لَنَا، فَابْعَثْ لَنَا بِالْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَإِلَّا فَأَنْتَ مِثْلُهُمْ. فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَرْسَلَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَيْهِمْ، مَعَ تُحَفٍ وَهَدَايَا كَثِيرَةٍ، مع أن عدد هَذِهِ السَّرِيَّةُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَالْخُوَارَزْمِيَّةُ وَأَصْحَابُ الْبَهْلَوَانِ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْقَى عَلَيْهِمُ الْخِذْلَانَ وَالْفَشَلَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ رسالة من ملك التتار إلى ملوك الإسلام

فِي سنة (٦٣٨هـ) قَدِمَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ التَّتَارِ **تُولِي بْنِ جِنْكِزْخَانَ** إِلَى مُلُوكِ الْإِسْلَامِ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَخْرِيبِ أَسْوَارِ بُلْدَانِهِمْ، وَعُنْوَانُ الْكِتَابِ مِنْ نَائِبِ رَبِّ السَّمَاءِ، مَاسِحِ وَجْهِ الْأَرْضِ، مَلِكِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ خَاقَانَ. وَكَانَ الْكِتَابُ مَعَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، لَطِيفِ الْأَخْلَاقِ، فَأَوَّلُ مَا وَرَدَ عَلَى شِهَابِ الدِّينِ غَازِيِّ بْنِ الْعَادِلِ صَاحِبِ مَيَّافَارِقِينَ، وَقَدْ **أَخْبَرَ بِعَجَائِبَ فِي أَرْضِهِمْ غَرِيبَةٍ**؛[(٢)] مِنْهَا:

- أَنَّ فِي الْبِلَادِ الْمُتَاخِمَةِ لِلسَّدِّ **أُنَاسًا أَعْيُنُهُمْ فِي مَنَاكِبِهِمْ**، وَأَفْوَاهُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَأْكُلُونَ السَّمَكَ، وَإِذَا رَأَوْا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ هَرَبُوا.

---

(١) كانت الأولى سنة (٦١٦هـ) إلى بخارى وسمرقند، والثانية: سنة (٦١٧هـ) وكانت إلى غزنة وتم تخريبها ثم تقدموا إلى حدود العراق.

(٢) هذه من خرافات التتار، يشيعونها لأجل إخافة الناس.

- وَذَكَرَ أَنَّ عِنْدَهُمْ **بِزْرًا يَنْبُتُ مِنْهُ الْغَنَمُ**، يَعِيشُ الْخَرُوفُ مِنْهَا شَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةً، وَلَا يَتَنَاسَلُ.
- أَنَّ بِمَازَنْدَرَانَ **عَيْنًا** يَطْلُعُ فِيهَا كُلَّ ثَلَاثِينَ سَنَةً خَشَبَةٌ عَظِيمَةٌ مِثْلُ الْمَنَارَةِ، فَتُقِيمُ طُولَ النَّهَارِ، فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ غَاصَتْ فِي الْعَيْنِ فَلَا تُرَى إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

هجوم التتار على الجزيرة وسروج وغيرها

في سنة (٦٥٠هـ) وَصَلَتِ **التَّتَارُ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَسَرُوجَ، وَرَأْسِ الْعَيْنِ**، وَمَا وَالَى هَذِهِ الْبِلَادَ، فَقَتَلُوا وَسَبَوْا وَنَهَبُوا وَخَرَّبُوا، وَوَقَعُوا بِتُجَّارٍ يَسِيرُونَ بَيْنَ حَرَّانَ وَرَأْسِ الْعَيْنِ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ سِتَّمِائَةِ حِمْلِ سُكَّرٍ وَمَعْمُولٍ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ قَتَلُوا فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ قَتِيلٍ، وَأَسَرُوا مِنَ الْوِلْدَانِ وَالنِّسَاءِ مَا يُقَارِبُ ذَلِكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❁ ❁ ❁

د ـ الأحداث المتعلقة بالمغرب والأندلس

○ وقعة الزلّاقة بالأندلس

فِي سنة (٥٩١هـ) كَانَتْ **وَقْعَةُ الزَّلَّاقَةِ** بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ شَمَالِيَّ **قُرْطُبَةَ**، بِمَرْجِ الْحَدِيدِ، وهي وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ، نَصَرَ اللهُ فِيهَا الْإِسْلَامَ.

وَذَلِكَ أَنَّ **الْفُونْشَ مَلِكَ الْفِرِنْجِ** بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَمَقَرُّ مُلْكِهِ بِمَدِينَةِ طُلَيْطُلَةَ، كَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ **يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ** يهدده ويتوعده فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ فِيهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، فَكَتَبَ السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ فِي رَأْسِ كِتَابِهِ فَوْقَ خَطِّهِ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾ [النمل: ٣٧]

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فَوْرِهِ بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ حَتَّى قَطَعَ الزُّقَاقَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَالْتَقَوْا فِي موضع يسمى الزلاقة، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ أَوَّلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، ثُمَّ كَانَتْ أَخِيرًا عَلَى الْكَافِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ وَكَسَرَهُمْ وَخَذَلَهُمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ (١٤٣ ألفًا)، وَأُسِرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا؛ من الدواب والسلاح، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ حُصُونِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَحَاصَرَ مَدِينَتَهُمْ **طُلَيْطُلَةَ** مُدَّةً، ثُمَّ لَمْ يَفْتَحْهَا، فَانْفَصَلَ عَنْهَا رَاجِعًا إِلَى بِلَادِهِ.

وَلَمَّا حَصَلَ لِلْفُونْشِ مَا حَصَلَ حَلَقَ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ، وَنَكَّسَ صَلِيبَهُ، وَرَكِبَ حِمَارًا، وَحَلَفَ لَا يَرْكَبُ فَرَسًا وَلَا يَتَلَذَّذُ بِطَعَامٍ، وَلَا يَنَامُ مَعَ امْرَأَةٍ حَتَّى تَنْصُرَهُ النَّصْرَانِيَّةُ، فَاسْتَعَدَّ لَهُ **السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ** أمير الموحدين، فَالْتَقَيَا فَاقْتَتَلَا قِتَالًا عَظِيمًا، فَانْهَزَمَ الْفِرِنْجُ أَقْبَحَ مِنْ هَزِيمَتِهِمُ الْأُولَى، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ أكثر من ماتقدم، وَاسْتَحْوَذَ السُّلْطَانُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ وَقِلَاعِهِمْ؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ بِيعَ الْأَسِيرُ بِدِرْهَمٍ، وَالْحِصَانُ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ.

ثُمَّ قَسَمَ **السُّلْطَانُ الْغَنَائِمَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ**، فَاسْتَغْنَى الْمُجَاهِدُونَ إِلَى الْأَبَدِ، ثُمَّ طَلَبَتِ الْفِرِنْجُ مِنَ السُّلْطَانِ الْأَمَانَ، **فَهَادَنَهُمْ** عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ خَمْسَ سِنِينَ.

○ ثورة عَلِيّ بْن إِسْحَاق الملثم

في الوقت الذي كان السلطان **يعقوب** يقاتل الفرنج بالأندلس، ظَهَرَ في سنة (٥٩١هـ) بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ رَجُل يُقَالُ لَهُ: عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَيُورقِيُّ الْمُلَثَّمُ. فَأَحْدَثَ أُمُورًا فَظِيعَةً فِي غَيْبَةِ السُّلْطَانِ، وَاشْتِغَالِهِ بِقِتَالِ الْفِرِنْجِ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ، وكان ظهوره بِالْبَادِيَةِ، وَعَاثَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَقَتَلَ خَلْقًا.

○ وفاة يعقوب صاحب المغرب والأندلس

فِي سنة (٥٩٥هـ) كانت **وفاة السُّلْطَانُ الْكَبِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ يَعْقُوبُ** بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، صَاحِبُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ بِمَدِينة سَلَا، وَكَانَ قَدِ ابْتَنَى عِنْدَهَا مَدِينَةً مَلِيحَةً سَمَّاهَا الْمَهْدِيَّةَ، وَقَدْ كَانَ دَيِّنًا حَسَنَ السِّيرَةِ، صَحِيحَ السَّرِيرَةِ، وَكَانَ مَالِكِيَّ الْمَذْهَبِ، ثُمَّ صَارَ **ظَاهِرِيًّا حَزْمِيًّا**، ثُمَّ مَالَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَاسْتَقْضَى فِي بَعْضِ بِلَادِهِ مِنْهُمْ قُضَاةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ كَثِيرَ الْجِهَادِ؛ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ يَؤُمُّ النَّاسَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَكَانَ قَرِيبًا إِلَى الْمَرْأَةِ وَالضَّعِيفِ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ صَلَاحُ الدِّينِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى الْفِرِنْجِ، فَلَمَّا لَمْ يُخَاطِبْهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُ.

وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ، فَسَارَ كَسِيرَةِ وَالِدِهِ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْبُلْدَانِ اللَّاتِي كَانَتْ قَدْ عَصَتْ عَلَى أَبِيهِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَبَادَ هَذَا الْبَيْتُ بَعْدَ الْمَلِكِ يَعْقُوبَ.

○ هزيمة ابن عبد المؤمن للفرنج في الأندلس

فِي سنة (٦٠٨هـ) جَاءَتِ الْأَخْبَارُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِأَنَّ **ابْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ** قَدْ كَسَرَ الْفِرِنْجَ بِطُلَيْطِلَةَ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَرُبَّمَا فَتَحَ الْبَلَدَ عَنْوَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا عَظِيمًا.

ولاية الحج

حج بالناس في سنة (٥٧٦هـ)، وسنة (٥٧٧هـ)، وسنة (٥٧٨هـ)، وسنة (٥٨٠هـ)، وسنة (٥٨١هـ)، وسنة (٥٨٢هـ)، وسنة (٥٨٤هـ)، وسنة (٥٨٥هـ)، وسنة (٥٨٦هـ)، أمير الحاج العراقي **طاشتكين المستنجدي**.[١]

لم يذكر ابن فهد من أقام الحج للناس في سنة (٥٧٩هـ)، وذكر أن الأمير عثمان الزنجيلي صاحب عدن، وهو قد حج في هذه السنة، وبذل جهداً في حفظ الحجاج وإبلهم من الأعراب فجزاه الله خيراً.

وخطب في مكة للخليفة الناصر العباسي، ثم لمكثر صاحب مكة، ثم للسلطان صلاح الدين.

وحج بالناس في سنة (٥٨٣هـ) أمير الحج العراق مجير الدين طاشتكين المستنجدي، ووقعت فتنة يوم عرفة بين العراقيين والشاميين، قتل فيها أمير الحج الشامي شمس الدين المعروف بابن المقدم من أكابر أمراء صلاح الدين.

وحج بالناس في سنة (٥٨٧هـ) أمير الحاج العراقي **طاشتكين المستنجدي**.

وفيها عَدَا أَمِيرُ مَكَّةَ دَاوُدُ بْنُ عِيسَى بْنِ فُلَيْتَةَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الْحَسَنِيُّ، فَأَخَذَ أَمْوَالَ الْكَعْبَةِ، حَتَّى انْتَزَعَ طَوْقًا مِنْ فِضَّةٍ كَانَ عَلَى دَائِرَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، كَانَ قَدْ لُمَّ شَعْثُهُ حِينَ ضَرَبَهُ ذَلِكَ الْقِرْمِطِيُّ بِالدَّبُّوسِ، فَلَمَّا بَلَغَ السُّلْطَانَ صلاح الدين خَبَرُهُ مِنَ الْحَجِيجِ عَزَلَهُ، وَوَلَّى أَخَاهُ مُكْثِرًا، وَأَقَامَ دَاوُدُ بِنَخْلَةَ حَتَّى تُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ.

وحج بالناس فِي سنة (٥٨٨هـ) أمير الحاج العراقي طاشتكين المستنجدي، وَقَدْ كَانَ عَلَى إِمْرَةِ الْحَجِيجِ مِنْ مُدَّةِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ فِي غَايَةِ حُسْنِ السِّيرَةِ، **ثم اتهم في**

(١) انظر: إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد (٢/ ٥٤٤).

هذه السنة بِأَنَّهُ يُكَاتِبُ صَلَاحَ الدِّينِ بْنَ أَيُّوبَ بِالْقُدُومِ إِلَى الْعِرَاقِ؛ لِيَأْخُذَهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَرُدُّهُ أَحَدٌ، وَقَدْ كَانَ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا حُبِسَ وَأُهِينَ وَصُودِرَ.

وحج بالناس في سنة (٥٨٩هـ)، وسنة (٥٩٠هـ) سنجر الناصري مملوك الخليفة.

وحج بالناس في سنة (٥٩١هـ) سنجر الناصري مملوك الخليفة

وحج بالناس في سنة (٥٩٢هـ) ألب قرا مملوك طاشتكين.

وحج بالناس في سنة (٥٩٣هـ) شمس الدين أصطكية، ووقع سيل عظيم دخل الكعبة، وحمل المنبر، ودرج الكعبة، وطاف الناس سباحة.

وحج بالناس في سنة (٥٩٤هـ) إيليا، كما في درر الفرائد.

وحج بالناس في سنة (٥٩٥هـ) مظفر الدين المعروف بوجه السبع.

وحج بالناس في سنة (٥٩٦هـ) سنجر الناصري مملوك الخليفة.

وحج بالناس في سنة (٥٩٧هـ) مجير الدين طاشتكين [١]

وحج بالناس في سنة (٥٩٨هـ) مجير الدين طاشتكين

وحج بالناس في سنة (٥٩٩هـ) مجير الدين طاشتكين

وحج بالناس في سنة (٦٠٠هـ) مجير الدين طاشتكين

وحج بالناس في سنة (٦٠١هـ)، وسنة (٦٠٢هـ) مظفر الدين بن سنقر الناصري، المعروف بوجه السبع.

وفي سنة (٦٠٣هـ) أرسل مظفر الدين بن سنقر الناصري مع الحجاج، لكنه فارق الحجاج ومضى إلى الشام، هربـًا من وزير الخليفة، فقاد الحجيج مجاهد الدين ياقوت.

---

(١) انظر: إتحاف الورى لعمر الفهد، ٢/ ٥٩٨.

وفِي هذه السنة رَجعَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْعِرَاقِ وَهُمْ يَدْعُونَ على صَدْرَ جَهَانَ الْبُخَارِيِّ الْحَنَفِيِّ (١)، الَّذِي كَانَ قَدِمَ بَغْدَادَ، فَاحْتَفَلَ بِهِ الْخَلِيفَةُ، وَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ فِي الْمِيَاهِ وَالْمِيرَةِ، فَمَاتَ نَحْوٌ مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ مِنَ الْحَجِيجِ الْعِرَاقِيِّ بِسَبَبِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ غِلْمَانُهُ يَسْبِقُون إِلَى الْمَنَاهِلِ فَيَتَحَجَّرُونَ عَلَى الْمَاءِ، وَيَأْخُذُونَهُ فَيَرُشُّونَ حَوْلَ خَيْمَةِ مَخْدُومِهِمْ فِي قَيْظِ الْحِجَازِ، وَيَسْقُونَ الْبُقُولَاتِ الَّتِي تُحْمَلُ مَعَهُ فِي تُرَابِهَا، وَيَمْنَعُونَ مِنْهُ الحجاج، فَلَمَّا رَجعَ إلى بغداد لَعَنَتْهُ الْعَامَّةُ، وَلَمْ تَحْتَفِلْ بِهِ الْخَاصَّةُ، وَلَا أَكْرَمَهُ الْخَلِيفَةُ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ وَالْعَامَّةُ مِنْ وَرَائِهِ يَرْجُمُونَهُ وَيَلْعَنُونَهُ، وَسَمَّاهُ النَّاسُ: صَدْرَ جَهَنَّمَ. نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

وحج بالناس في سنة (٦٠٤هـ)، وسنة (٦٠٥هـ)، وسنة (٦٠٦هـ) مجاهد الدين ياقوت.

وحج بالناس في سنة (٦٠٧هـ)، وسنة (٦٠٨هـ) علاء الدين محمد بن مجاهد الدين ياقوت، وحصلت فتنة في الحج قتل فيها كثيرٌ من الحجاج العراقيين.

وحج بالناس من سنة (٦٠٩هـ)، إلى سنة (٦١٤هـ)، حسام الدين ابن أبي فراس نيابة عن محمد بن مجاهد الدين ياقوت.

وحج بالناس من العراق في سنة (٦١٥هـ)، وسنة (٦١٦هـ)، وسنة (٦١٧هـ) الأمير الدويدار نور الدين آقباش الناصري.

وفِي سنة (٦١٧هـ) ولي إمارة الحج الشامي الْمُعْتَمِد مُبَارِز الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ، فَحَصَلَ بِهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. وَذَلِكَ أَنَّهُ **كَفَّ عَبِيدَ مَكَّةَ عَنْ نَهْبِ الْحُجَّاجِ** بَعْدَ قَتْلِهِمْ أَمِيرَ حَاجِّ الْعِرَاقِيِّينَ

(١) قال ابن الأثير الكامل في التاريخ (١٠/ ٢٥٠) في حوادث سنة (٦٠٣هـ):
وَفِيهَا حَجَّ بُرْهَانُ الدِّينِ صَدْرُ جِهَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَازَّةَ الْبُخَارِيُّ رَأْسُ الْحَنَفِيَّةِ بِبُخَارَى، وَهُوَ كَانَ صَاحِبَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، يُؤَدِّي الْخَرَاجَ إِلَى الْخَطَا، وَيَنُوبُ عَنْهُمْ فِي الْبَلَدِ، فَلَمَّا حَجَّ لَمْ تُحْمَدْ سِيرَتُهُ فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَصْنَعْ مَعْرُوفًا، وَكَانَ قَدْ أُكْرِمَ بِبَغْدَادَ عِنْدَ قُدُومِهِ مِنْ بُخَارَى، فَلَمَّا عَادَ لَمْ يُلْتَفَتْ إِلَيْهِ لِسُوءِ سِيرَتِهِ مَعَ الْحُجَّاجِ، وَسَمَّاهُ الْحُجَّاجُ صَدْرَ جَهَنَّمَ.

آقْبَاشَ النَّاصِرِيَّ، -أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ، وَأَخَصِّهِمْ عِنْدَه- وكان قَدِمَ مَعَهُ بِخِلَعٍ لِلْأَمِيرِ حُسَيْنِ بْنِ قَتَادَةَ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ **الزَّيْدِيِّ** بِوِلَايَتِهِ لِإِمْرَةِ مَكَّةَ بَعْدَ أَبِيهِ الذي توفي فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَنَازَعَه فِي ذَلِكَ رَاجِحُ بن قَتَادَةَ الْعَلَوِيِّ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِ أبيه، وَقَالَ: لَا يَتَأَمَّرُ عَلَى مكة غَيْرِي.

فَوَقَعَتْ **فِتْنَةٌ** في الحج، أَفْضَى الْحَالُ فيها إِلَى قَتْلِ أَمِيرَ حَاجِّ الْعِرَاقِيِّينَ آقْبَاشَ غَلَطًا.

وَقَدْ كَانَ قَتَادَةُ مِنْ أَكَابِرِ الْأَشْرَافِ **الْحَسَنِيِّينَ الزَّيْدِيِّينَ، وَكَانَ أول أمره عَادِلًا مُنْصِفًا** مُنَعَّمًا، نِقْمَةً عَلَى عَبِيدِ مَكَّةَ وَالْمُفْسِدِينَ بِهَا، **ثُمَّ عَكَسَ هَذَا السَّيْرَ، فَظَلَمَ** وَجَدَّدَ الْمُكُوسَ، وَنَهَبَ الْحَاجَّ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَدَهُ حَسَنًا، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ عَمَّهُ وَأَخَاهُ أَيْضًا، فلَمْ يُمْهِلِ اللهُ حَسَنًا هَذَا، بَلْ سَلَبَهُ الْمُلْكَ، وَشَرَّدَهُ فِي الْبِلَادِ.

وحج بالناس من العراق في سنة (٦١٨هـ)، حسام الدين ابن أبي فراس نيابة عن محمد بن مجاهد الدين ياقوت. ولم يحج في هذا العام أحد من بلاد العجم لخوف الطرق وانتشار التتار.

وحج بالناس من الشام كريم الدين الخلاطي.

وحج بالناس من العراق في سنة (٦١٩هـ)، حسام الدين ابن أبي فراس، وحَجَّ الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ **أَقْسِيسُ** بْنُ الْكَامِلِ صَاحِبُ الْيَمَنِ، فَبَدَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ نَاقِصَةٌ بِالْحَرَمِ مِنْ سُكْرٍ، وَرَشْقِ حَمَامِ الْمَسْجِدِ بِالْبُنْدُقِ مِنْ أَعْلَى قُبَّةِ زَمْزَمَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ يُضْرَبُ الطَّائِفُونَ بِالْمَسْعَى بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ لِئَلَّا يُشَوِّشُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ نَوِمٌ سَكِرٌ، قَبَّحَهُ اللهُ تَعَالَى.

وحج بالناس من العراق في سنة (٦٢٠هـ)، وسنة (٦٢١هـ)، وسنة (٦٢٢هـ)، حسام الدين ابن أبي فراس. ثم هرب بعد الحج إلى مصر وترك الحجاج، فنالهم في العودة أذى.

وَقَدْ كَانَ يَرْفَعُ **سَنْجَقَ** أَبِيهِ يَوْمَ عَرَفَةَ عَلَى سَنْجَقِ الْخَلِيفَةِ، فَجَرَى بِسَبَبِ ذَلِكَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من الأعيان في عهده

١- **سَيْفُ الدِّينِ غَازِيُّ بْنُ مَوْدُودِ** بْنِ زَنْكِيٍّ، **صَاحِبُ الْمَوْصِلِ**، وَكَانَ شَابًّا حَسَنًا، مَلِيحَ الشَّكْلِ، تَامَّ الْقَامَةِ، مُدَوَّرَ اللِّحْيَةِ، مَكَثَ فِي الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ سنة (٥٧٦هـ) عَنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ عَفِيفًا فِي نَفْسِهِ، مَهِيبًا وَقُورًا، غَيُورًا لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنَ الْخُدَّامِ يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ، وَلَا يَقْدَمُ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ.

وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ لِوَلَدِهِ عِزِّ الدِّينِ سَنْجَرَ شَاهْ، فَلَمْ يُوَافِقْهُ الْأُمَرَاءُ لِصِغَرِ سِنِّهِ، فَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَخِيهِ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودٌ، وَجَاءَتْ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ أَنْ يُبْقِيَ **سَرُوجَ، وَالرُّهَا، وَالرَّقَّةَ، وَحَرَّانَ، وَالْخَابُورَ، وَنَصِيبِينَ** فِي يَد صاحب الموصل، فَامْتَنَعَ صلاح الدين مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: هَذِهِ الْبِلَادُ هِيَ **حِفْظُ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ**، وَإِنَّمَا كُنْتُ تَرَكْتُهَا فِي يَدِهِ لِيُسَاعِدَنَا عَلَى غَزْوِ الْفِرِنْجِ، فَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ صلاح الدين إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَرِّفُهُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي كَوْنِهَا بِيَدِهِ.

٢- **السُّلْطَان** شَمْسُ الدَّوْلَةِ **تُورَانْشَاهْ بْنُ أَيُّوبَ**، الَّذِي افْتَتَحَ بِلَادَ الْيَمَنِ عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَمَكَثَ فِيهَا حِينًا وَاقْتَنَى مِنْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، ثُمَّ اسْتَنَابَ فِيهَا، وَأَقْبَلَ نَحْوَ أَخِيهِ إِلَى الشَّامِ، وكَانَ قُدُومُهُ فِي سَنَةِ (٥٧١هـ)، فَشَهِدَ مَعَهُ مَوَاقِفَ مَشْهُودَةً وَغَزَوَاتٍ مَحْمُودَةً، وَاسْتَنَابَهُ عَلَى دِمَشْقَ مُدَّةً، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَنَابَهُ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَلَمْ تُوَافِقْهُ، وَكَانَ يَعْتَرِيهِ **الْقُولَنْجُ** فَمَاتَ بِهَا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي سنة (٥٧٦هـ)، وَدُفِنَ بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ فِيهَا.

وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَوْتِهِ إِلَى أَخِيهِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَهُوَ مُخَيِّمٌ بِظَاهِرِ حِمْصَ حَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا.

٣- **أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سِلَفَةَ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ الْمُعَمَّرُ الْأَصْبَهَانِيُّ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِجَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ: **سِلَفَةُ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَشْقُوقَ إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ، فَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ شِفَاهٍ فَسَمَّتْهُ الْأَعَاجِمُ بِذَلِكَ.

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ وَكَانَ السِّلَفِيُّ يُلَقَّبُ بِصَدْرِ الدِّينِ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، وَرَدَ بَغْدَادَ، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَلَى إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ، وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنِ الْخَطِيبِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ التَّبْرِيزِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْآفَاقِ، ثُمَّ نَزَلَ ثَغْرَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ (٥١١هـ) وَبَنَى لَهُ علي ابن السّلّار وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ الفاطمي مَدْرَسَةً، وَفَوَّضَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَأَمَالِيهِ وَتَعَالِيقُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَنَقَلَ أَبُو الْحَافِظِ أَبُو الْقَاسِمِ الصَّفْرَاوِيُّ أَنَّهُ قَالَ: مَوْلِدِي بِالتَّخْمِينِ لَا بِالْيَقِينِ سَنَةَ (٤٧٨هـ)، فَيَكُونُ عمره ثَمَانِيًا وَتِسْعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ خَامِسَ رَبِيعِ الْآخَرِ سَنَةَ (٥٧٦هـ) بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

٤- **الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْأَنْبَارِيُّ، النَّحْوِيُّ الْفَقِيهُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ النَّاسِكُ الْخَاشِعُ الْوَرِعُ، كَانَ خَشِنَ الْعَيْشِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَا مِنَ الْخَلِيفَةِ، وَكَانَ يَحْضُرُ نَوْبَةَ الصُّوفِيَّةِ بِدَارِ الْخِلَافَةِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ جَوَائِزِ الْخَلِيفَةِ لَهُمْ وَلَا فَلْسًا.

وَكَانَ صَابِرًا عَلَى الِاشْتِغَالِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ مُفِيدَةٌ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٥٧٧هـ)، قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ لَهُ كِتَابُ «أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ» مُفِيدٌ جِدًّا، وَكِتَابُ «طَبَقَاتِ النُّحَاةِ» مُفِيدٌ جِدًّا أَيْضًا، وَكِتَابُ «الْمِيزَانِ فِي النَّحْوِ».

٥- **الشَّيْخُ الصوفي أَبُو الْعَبَّاسِ الرِّفَاعِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٌّ، شَيْخُ الطَّائِفَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ الرِّفَاعِيَّةِ، الْبَطَائِحِيَّةِ لِسُكْنَاهُ أُمَّ عَبِيدَةَ مِنْ قُرَى الْبَطَائِحِ، وَهِيَ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِطٍ، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْعَرَبِ فَسَكَنَ هَذِهِ الْبِلَادَ، وَالْتَفَّ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ حَفِظَ «التَّنْبِيهَ» فِي الْفِقْهِ. وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَلِأَتْبَاعِهِ أَحْوَالٌ عَجِيبَةٌ مِنْ أَكْلِ الْحَيَّاتِ وَهِيَ حَيَّةٌ، وَالنُّزُولِ فِي التَّنَانِيرِ وَهِيَ تَضْطَرِمُ، فَيُطْفِئُونَهَا، قَالَ: وَلَيْسَ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ عَقِبٌ، وَإِنَّمَا النَّسْلُ لِأَخِيهِ، وَذُرِّيَّتُهُ يَتَوَارَثُونَ الْمَشْيَخَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ. وتوفي سنة (٥٧٨هـ).

٦- **خَلَفُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بَشْكُوَالَ**، الْقُرْطُبِيُّ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْمُؤَرِّخُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، لَهُ كِتَابُ «الصِّلَةِ» جَعَلَهُ ذَيْلًا عَلَى تَارِيخِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ، وَلَهُ كِتَابُ «الْمُسْتَغِيثِينَ بِاللهِ»، وَلَهُ مُجَلَّدٌ فِي تَعْيِينِ الْأَسْمَاءِ الْمُبْهَمَةِ فِي الرِّوَايَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْخَطِيبِ، وَأَسْمَاءِ مَنْ رَوَى «الْمُوَطَّأَ»، عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، بَلَغُوا ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ سنة (٥٧٨هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٧- **الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهْ**، صَاحِبُ **حِمْصَ وَالرَّحْبَةِ**، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَزَوْجِ أُخْتِهِ سِتِّ الشَّامِ بِنْتِ أَيُّوبَ، كَانَتْ وَفَاتُهُ بِحِمْصَ فَنَقَلَتْهُ زَوْجَتُهُ سِتُّ الشَّامِ إِلَى تُرْبَتِهَا بِالْمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَقَدْ خَلَّفَ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ شَيْئًا كَثِيرًا، يُنَيِّفُ عَلَى أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ سنة (٥٨١هـ) فَجْأَةً، فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ مَمْلَكَةَ حِمْصَ وَلَدُهُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ بِأَمْرِ صلاح الدين، أَيَّدَهُ اللهُ.

٨- **جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ الْمَحْمُودِيُّ**، مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ابْن الصَّابُونِيِّ؛ لِأَنَّ جَدَّ أُمِّهِ الشَّيْخُ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، كَانَ أَحَدَ الْأَئِمَّةِ الْمَشَاهِيرِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ: الْمَحْمُودِيُّ. لِصُحْبَةِ جَدِّهِ السُّلْطَانَ مَحْمُودَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهْ، فَقَدِمَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ هَذَا الشَّامَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَنَزَلَهَا، وَكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ يُكْرِمُهُ أَيْضًا، وَأَوقَفَ عَلَيْهِ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ أَرْضًا، فَهِيَ لَهُمْ إِلَى الْآنَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٥٨١هـ)

٩- **السِّتُّ خَاتُونُ عِصْمَةُ الدِّينِ بِنْتُ مُعِينِ الدِّينِ**، نَائِبِ دِمَشْقَ، وَقَدْ كَانَتْ **زَوْجَةَ نُورِ الدِّينِ**، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِهِ صَلَاحُ الدِّينِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ وَأَعَفِّهِنَّ وَأَكْثَرِهِنَّ صَدَقَةً، وَهِيَ وَاقِفَةُ الْخَاتُونِيَّةِ الْجُوَانِيَّةِ، وَخَانِقَاهُ خَاتُونَ، وَلَهَا أَوْقَافٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ ذَلِكَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا سنة (٥٨١هـ).

الْحَافِظُ الْكَبِيرُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ

١٠- **مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ**، الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ، أَحَدُ حُفَّاظِ الدُّنْيَا الرَّحَالِينَ الْجَوَّالِينَ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَشَرَحَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَكَانَتْ وَفَاتُه سنة (٥٨١هـ).

١١- **السُّهَيْلِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْخَطِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْخَطِيبِ الْخَثْعَمِيُّ، وَالسُّهَيْلِيُّ نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ مَالِقَةَ، اسْمُهَا سُهَيْلٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَى سُهَيْلٌ النَّجْمُ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ شَاهِقٍ عِنْدَهَا.

وُلِدَ السُّهَيْلِيُّ سَنَةَ (٥٠٨هـ)، وَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ وَاشْتَغَلَ، وَحَصَّلَ حَتَّى بَرَعَ وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ بِقُوَّةِ الْقَرِيحَةِ وَجَوْدَةِ الذِّهْنِ، وَحُسْنِ التَّصَانِيفِ، وَكَانَ ضَرِيرًا مَعَ ذَلِكَ.

لَهُ كِتَابُ «الرَّوْضِ الْأُنُفِ» يَذْكُرُ فِيهِ نُكَتًا حَسَنَةً عَلَى السِّيرَةِ لَمْ يُسْبَقْ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا، وَلَهُ كِتَابُ «الْإِعْلَامِ فِيمَا أُبْهِمَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ» وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فَرِيدَةٌ بَدِيعَةٌ مُفِيدَةٌ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ عَفِيفًا فَقِيرًا، وَقَدْ حَصَلَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فِي آخِرِ عُمْرِهِ مِنْ صَاحِبِ مُرَّاكِشَ، وَكَانَتْ وَفَاتُه سنة (٥٨١هـ) يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّادِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ كَانَ يَدْعُو اللهَ بِهَا وَيَرْتَجِي الْإِجَابَةَ فِيهَا وَهِيَ قَوْلُهُ [(١)] :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ ... امْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ ... فَبِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا ... الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ١٤٣.

١٢- **الشَّيْخُ عَبْدُ الْمُغِيثِ بْنُ زُهَيْرٍ الْحَرْبِيُّ**، كَانَ مِنْ صُلَحَاءِ الْحَنَابِلَةِ، وَكَانَ يُزَارُ، وَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي فَضْلِ **يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ**، أَتَى فِيهِ بِغَرَائِبَ وَعَجَائِبَ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَأَجَادَ وَأَصَابَ.

وَمِنْ **أَحْسَنِ مَا اتَّفَقَ** لِعَبْدِ الْمُغِيثِ هَذَا أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ - وَأَظُنُّهُ النَّاصِرَ - جَاءَهُ لِلزِّيَارَةِ مُخْتَفِيًا، فَعَرَفَهُ الشَّيْخُ، وَلَمْ يُعْلِمْهُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ، فَسَأَلَهُ الْخَلِيفَةُ عَنْ يَزِيدَ أَيُلْعَنُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: لَا أُسَوِّغُ لَعْنَهُ؛ لِأَنِّي لَوْ فَتَحْتُ هَذَا الْبَابَ لَلَعَنَ النَّاسُ خَلِيفَتَنَا. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَفْعَلُ أَشْيَاءَ مُنْكَرَةً كَثِيرَةً، مِنْهَا كَذَا وَكَذَا. ثُمَّ شَرَعَ يُعَدِّدُ عَلَى الْخَلِيفَةِ، مَا يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِيَنْزَجِرَ عَنْهَا، فَتَرَكَهُ الْخَلِيفَةُ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَثَّرَ كَلَامُهُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سنة (٥٨٣هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- **الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُقَدَّمٍ**، أَحَدُ نُوَّابِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، ولَمَّا فتح بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَحْرَمَ جَمَاعَةٌ فِي زَمَنِ الْحَجِّ مِنْهُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَكَانَ أَمِيرُ الْحَاجِّ (الحاج الشامي) تِلْكَ السَّنَةَ، فَلَمَّا كَانَ بِعَرَفَةَ ضَرَبَ الدَّبَادِبَ وَنَشَرَ الْأَلْوِيَةَ، وَأَظْهَرَ عِزَّ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَغَضِبَ **طَاشْتِكِينُ أَمِيرُ الْحَاجِّ** مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، فَزَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْمَعْ، فَاقْتَتَلَا فَجُرِحَ ابْنُ مُقَدَّمٍ، وَمَاتَ سنة (٥٨٣هـ) فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِمِنًى، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَدُفِنَ هُنَالِكَ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَلِيمَ طَاشْتِكِينُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَعُزِلَ عَنْ مَنْصِبِهِ.

١٤- **أَبُو الْحَسَنِ الدَّامَغَانِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ، وَقَدْ حَكَمَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَفِي ثُمَّ الْمُسْتَنْجِدِ، ثُمَّ عُزِلَ، وَأُعِيدَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَضِيءِ، وَحَكَمَ لِلنَّاصِرِ حَتَّى تُوُفِّيَ سنة (٥٨٣هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أُسَامَةُ بْنُ مُرْشِدِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُنْقِذٍ، أَحَدُ الشُّعَرَاءِ الْمَشْهُورِينَ وَالْأُمَرَاءِ الْمَشْكُورِينَ، بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ عُمْرُهُ تَارِيخًا مُسْتَقِلًّا وَحْدَهُ، وَكَانَتْ دَارُهُ بِدِمَشْقَ مَعْقِلًا لِلْفُضَلَاءِ، وَمَنْزِلًا لِلْعُلَمَاءِ، وَلَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ

الرَّائِقَةِ، وَالْمَعَانِي الْفَائِقَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَلَدَيْهِ عِلْمٌ غَزِيرٌ، وَعِنْدَهُ جُودٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ شَيْزَرَ، ثُمَّ أَقَامَ بِدِيَارِ مِصْرَ مُدَّةً فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ، وَقَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ فِي دمشق، سَنَةِ (٥٧٠هـ)

وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ كَبِيرٌ، وَكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ يُفَضِّلُهُ عَلَى سَائِرِ الدَّوَاوِينِ.

وَكَانَ فِي شَبِيبَتِهِ شَهْمًا شُجَاعًا فَاتِكًا، قَتَلَ الْأَسَدَ مُوَاجَهَةً وَحْدَهُ، ثُمَّ عُمِّرَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، سنة (٥٨٤هـ) وَدُفِنَ شَرْقِيَّ جَبَلِ قَاسْيُونَ.

١٦- **الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ** بْنُ مُوسَى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ حَازِمٍ الْحَازِمِيُّ الْهَمَذَانِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ مِنْهَا «الْعُجَالَةُ» فِي النَّسَبِ، وَ «النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ» فِي الْحَدِيثِ وَغَيْرُهُمَا. وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٥٨٤هـ).

١٧- **الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ أَبُو سَعْدٍ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَبِي عَصْرُونَ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ، لَهُ كِتَابُ «الِانْتِصَارِ»، وَقَدْ وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ أَضَرَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَشْرِ سِنِينَ، فَجُعِلَ وَلَدُهُ مُحْيِي الدِّينِ مَكَانَهُ **تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ**، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأَصْلُهُ مِنْ حَدِيثَةِ الْمَوصِلِ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى بُلْدَانٍ شَتَّى، **وَوَلِيَ قَضَاءَ سِنْجَارَ وَحَرَّانَ**، وَبَاشَرَ فِي أَيَّامِ نُورِ الدِّينِ **تَدْرِيسَ الْغَزَّالِيَّةِ**، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى حَلَبَ، فَبَنَى لَهُ نُورُ الدِّينِ مَدْرَسَةً بِحَلَبَ، وَبِحِمْصَ أَيْضًا، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فِي أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَوَلِيَ قَضَاءَهَا سنةِ (٥٧٣هـ) إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سنة (٥٨٥هـ)، وَقَدْ جَمَعَ جُزْءًا فِي قَضَاءِ الْأَعْمَى، وَأَنَّهُ جَائِزٌ ; وَهُوَ خِلَافُ الْمَذْهَبِ (الشافعية).

وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً، مِنْهَا: «صَفْوَةُ الْمَذْهَبِ فِي نِهَايَةِ الْمَطْلَبِ» فِي سَبْعِ مُجَلَّدَاتٍ، وَ «الِانْتِصَارُ» فِي أَرْبَعٍ، وَ «الْخِلَافُ» فِي أَرْبَعٍ، وَ «الذَّرِيعَةُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ»، وَ«الْمُرْشِدُ» وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ عَنْهُ قَوْلُهُ:

أُؤَمِّلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ ... تَمُرُّ بِيَ الْمَوْتَى تُهَزُّ نُعُوشُهَا
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّ لِي ... بَقَايَا لَيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

١٨- **الْفَقِيهُ الْأَمِيرُ ضِيَاءُ الدِّينِ عِيسَى الْهَكَّارِيُّ**، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهْ، دَخَلَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ، ثُمَّ كَانَ مُلَازِمًا لِلسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي رِكَابِهِ بِمَنْزِلَةِ الْخَرُّوبَةِ قَرِيبًا مِنْ عَكَّا سنة (٥٨٥هـ) فَنُقِلَ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ فَدُفِنَ بِهِ، وَكَانَ مِمَّنْ تَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبَزْرِيِّ الْجَزَرِيِّ.

وَكَانَ الْفَقِيهُ عِيسَى مِنَ الْفُضَلَاءِ وَالنُّبَلَاءِ وَالْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

١٩- **الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ**، وَكَانَ عَزِيزًا عَلَى عَمِّهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ اسْتَنَابَهُ بِمِصْرَ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ثُمَّ أَقْطَعَهُ **حَمَاةَ**، وَمُدُنًا كَثِيرَةً مَعَهَا حَوْلَهَا وَمِنْ بِلَادِ **الْجَزِيرَةِ**، وَكَانَ مَعَ عَمِّهِ السُّلْطَانِ عَلَى **عَكَّا**، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِشْرَافِ عَلَى بِلَادِهِ الْمُجَاوِرَةِ لِلْفُرَاتِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا امْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى أَخْذِ غَيْرِهَا مِنْ أَيْدِي الْمُلُوكِ الْمُجَاوِرِينَ لَهَا، فَقَاتَلَهُمْ فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ وَالسُّلْطَانُ النَّاصِرُ صَلَاحُ مُتَغَضِّبٌ عَلَيْهِ، بِسَبَبِ اشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ عَنْهُ، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهُ حَتَّى دُفِنَتْ بِحَمَاةَ، وَكَانَتْ وَفَاته يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سنة (٥٨٧هـ) وَكَانَ شُجَاعًا بَاسِلًا وَهُمَامًا فَاتِكًا كَرِيمًا كَامِلًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٢٠- **الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لَاجِينَ**، أُمُّهُ سِتُّ الشَّامِ بِنْتُ أَيُّوبَ وَاقِفَةُ الشَّامِيَّتَيْنِ بِدِمَشْقَ، توفي فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سنة (٥٨٧هـ)، تَفَجَّعَ السُّلْطَانُ بِابْنِ أُخْتِهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَعْوَانِ، وَأَعَزِّ الْإِخْوَانِ.

٢١- **الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الْخُبُوشَانِيُّ**، الَّذِي بَنَى تُرْبَةَ الشَّافِعِيِّ بِمِصْرَ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ السَّنِيَّةَ وَوَلَّاهُ تَدْرِيسَهَا وَنَظَرَهَا وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ يَحْتَرِمُهُ وَيُكْرِمُهُ.

وَتُوُفِّي سنة (٥٨٧هـ)

٢٢- **سَيْفُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمَشْطُوبُ**، كَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَسَدِ الدِّينِ، شِيرَكُوهْ حَضَرَ مَعَهُ وَقَعَاته بِمِصْرَ، ثُمَّ صَارَ مِنْ كُبَرَاءِ أُمَرَاءِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى عَكَّا حِينَ أَخَذَهَا الْفِرِنْجُ فَأَسَرُوهُ فِي جُمْلَةِ مَنْ أَسَرُوا، فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَخَلَّصَ فجاء إِلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ بِالْقُدْسِ فَوَلَّاهُ نِيَابَةَ نَابُلُسَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٥٨٨هـ) بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ.

٢٣- **قِلْجُ أَرْسَلَانَ بْنُ مَسْعُودِ** بْنِ قِلْجِ أَرْسَلَانَ السلجوقي، صَاحِبُ بِلَادِ الرُّومِ، وَكَانَ قَدْ قَسَّمَ جَمِيعَ بِلَادِهِ بَيْنَ أَوْلَادِهِ طَمَعًا فِي طَاعَتِهِمْ لَهُ، فَخَالَفُوهُ وَتَجَبَّرُوا وَعَتَوْا عَلَيْهِ وَخَفَّضُوا قَدْرَهُ وَارْتَفَعُوا، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي سنة (٥٨٨هـ).

٢٤- **أَبُو الْمُرْهَفِ نَصْرُ بْنُ مَنْصُورٍ النُّمَيْرِيُّ**، الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَاشْتَغَلَ بِالْأَدَبِ وَكَانَ قَدْ أَصَابَهُ جُدَرِيٌّ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَنَقَصَ بَصَرُهُ جِدًّا، وَكَانَ لَا يُبْصِرُ الْأَشْيَاءَ الْبَعِيدَةَ، وَيَرَى الْقَرِيبَ مِنْهُ، فَارْتَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ لِمُدَاوَاةِ عَيْنَيْهِ فَآيَسَتْهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ ذَلِكَ، فَاشْتَغَلَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَمُصَاحَبَةِ الصَّالِحِينَ وَالزُّهَّادِ، فَأَفْلَحَ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ كَبِيرٌ حَسَنٌ، توفي بِبَغْدَادَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٥٨٨هـ).

٢٥- **عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودُ بْنُ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ**، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، كَانَ يَتَشَبَّهُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ عَمِّهِ وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ عِنْدَ مَدْرَسَةٍ أَنْشَأَهَا بِالْمَوْصِلِ، أَثَابَهُ اللهُ.

٢٦- **يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ غَازِيٍّ**، أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَصْرِيُّ صَاحِبُ "الْمَقَامَاتِ"، كَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا فَاضِلًا بَلِيغًا، لَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي اللُّغَةِ وَالنَّظْمِ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

غِنَاءُ خُودٍ يَنْسَابُ لُطْفًا ... بِلَا عَنَاءٍ فِي كُلِّ أُذْنِ
مَا رَدَّهُ قَطُّ بَابُ سَمْعٍ ... وَلَا أَتَى زَائِرًا بِإِذْنِ

وتوفي سنة (٥٨٩هـ)

٢٧-**السَّيِّدَةُ زُبَيْدَةُ بِنْتُ الخليفة الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ**، أُخْتُ الْمُسْتَنْجِدِ، وَعَمَّةُ الْمُسْتَضِيءِ، كَانَتْ قَدْ عُمِّرَتْ دَهْرًا طَوِيلًا، وَلَهَا صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ دَارَّةٌ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا فِي وَقْتِ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ عَلَى صَدَاقِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَتُوُفِّيَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، وَقَدْ كَانَتْ كَارِهَةً لِذَلِكَ فَحَصَلَ مَقْصُودُهَا. وتوفي سنة (٥٨٩هـ)

٢٨- **الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ فَاطِمَةُ خَاتُونَ**، بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَمِيدِ، كَانَتْ صَالِحَةً عَابِدَةً زَاهِدَةً، عُمِّرَتْ مِائَةَ سَنَةٍ وَسِتَّ سِنِينَ، كَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا فِي وَقْتٍ أَمِيرُ الْجُيُوشِ **نَظَرٌ** وَهِيَ بِكْرٌ، فَبَقِيَتْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدَهُ، بَلِ اشْتَغَلَتْ بِذِكْرِ اللهِ، عَزَّوَجَلَّ وَالْعِبَادَةِ، رَحِمَهَاٱللَّهُ. وتوفي سنة (٥٨٩هـ).

٢٩-**أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ**، أَبُو الْخَيْرِ الْقَزْوِينِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمُفَسِّرُ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَوَعَظَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى قَوْلِ الْأَشْعَرِيِّ فِي الْأُصُولِ، وَجَلَسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقِيلَ لَهُ: الْعَنْ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ: ذَاكَ إِمَامٌ مُجْتَهِدٌ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِالْآجُرِّ فَاخْتَفَى، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى قَزْوِينَ. وتوفي سنة (٥٩٠هـ)

٣٠-**نَاظِمُ الشَّاطِبِيَّةِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ فِيرُّه بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ خَلَفُ بْنُ أَحْمَدَ، الرُّعَيْنِيُّ الشَّاطِبِيُّ **الضَّرِيرُ**، مُصَنِّفُ الشَّاطِبِيَّةِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ فَلَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا وَلَا يُلْحَقْ فِيهَا، وَفِيهَا مِنَ الرُّمُوزِ كُنُوزٌ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا إِلَّا كُلُّ نَاقِدٍ بَصِيرٍ، هَذَا مَعَ أَنَّهُ ضَرِيرٌ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَشَاطِبَةُ بَلَدُهُ قَرْيَةٌ شَرْقِيَّ الْأَنْدَلُسِ كَانَ فَقِيرًا، وَقَدْ أُرِيدَ أَنْ يَلِيَ خَطَابَةَ بَلَدِهِ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ; لِأَجْلِ مُبَالَغَةِ الْخُطَبَاءِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي وَصْفِ الْمُلُوكِ.

خَرَجَ الشَّاطِبِيُّ إِلَى الْحَجِّ، فَقَدِمَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ سَنَةَ (٥٧٢هـ)، وَسَمِعَ عَلَى السِّلَفِيِّ الْحَافِظِ، وَوَلَّاهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ **مَشْيَخَةَ الْإِقْرَاءِ بِمَدْرَسَتِهِ**، وَزَارَ الْقُدْسَ الشَّرِيفَ، وَصَامَ بِهِ شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٥٩٠هـ).

وَكَانَ دَيِّنًا خَاشِعًا نَاسِكًا كَثِيرَ الْوَقَارِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَكَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَهِيَ لُغْزٌ فِي النَّعْشِ، وَهِيَ لِغَيْرِهِ:

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ ... إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا ... وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُثُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ ... وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهْوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يَسْتَزِرْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ ... وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

٣١- **وزير الخلافة مُؤَيِّدُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْقَصَّابِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَبِيعُ اللَّحْمَ فِي بَعْضِ أَسْوَاقِ بَغْدَادَ، فَتَقَدَّمَ وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَمَذَانَ سنة (٥٩٢هـ) وَقَدْ أَعَادَ رَسَاتِيقَ كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا إِلَى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ، وَكَانَ نَاهِضًا ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَلَهُ صَرَامَةٌ وَشَهَامَةٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ.

٣٢- **الْفَقِيهُ أَبُو الْحَسَنِ**، عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ الْبَغْدَادِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَرِّيفِ.

وَيُلَقَّبُ بِالْبَيْعِ الْفَاسِدِ، كَانَ حَنْبَلِيًّا ثُمَّ اشْتَغَلَ شَافِعِيًّا عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ فَضْلَانَ، وَهُوَ الَّذِي لَقَّبَهُ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَكْرَارِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ صَارَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ إِلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

٣٣- **مَلِكُ الْيَمَنِ سَيْفُ الْإِسْلَامِ طُغْتِكِينُ**، أَخُو السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، وقَدْ جَمَعَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جِدًّا، وَكَانَ يَسْبِكُ الذَّهَبَ مِثْلَ الطَّوَاحِينِ وَيَدَّخِرُهُ، **وَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ**، وَكَانَ أَهْوَجَ **قَلِيلَ التَّدْبِيرِ**، فَحَمَلَهُ جَهْلُهُ عَلَى أَنِ ادَّعَى أَنَّهُ قُرَشِيٌّ أُمَوِيٌّ، **وَتَلَقَّبَ بِالْهَادِي**، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمُّهُ الْعَادِلُ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَهَدَّدُهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، بَلْ تَمَادَى وَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَالرَّعِيَّةِ، فَقُتِلَ سنة (٥٩٣هـ) وَتَوَلَّى بَعْدَهُ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِ أَبِيهِ.

٣٤- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْهَيْجَاءِ السَّمِينُ الْكُرْدِيُّ**، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى عَكَّا، وَخَرَجَ مِنْهَا قَبْلَ أَخْذِ الْفِرِنْجِ، ثُمَّ دَخَلَهَا بَعْدَ الْمَشْطُوبِ، فَأُخِذَتْ مِنْهُ، وَاسْتَنَابَهُ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى الْقُدْسِ، ثُمَّ لَمَّا أَخَذَهَا الْعَزِيزُ

عُزِلَ عَنْهَا، فَطُلِبَ إِلَى بَغْدَادَ فَأُكْرِمَ إِكْرَامًا زَائِدًا، وَأَرْسَلَهُ الْخَلِيفَةُ مُقَدَّمًا عَلَى الْعَسَاكِرِ إِلَى هَمَذَانَ فَمَاتَ هُنَاكَ سنة (٥٩٣هـ).

٣٥- **قَاضِي قُضَاةِ بَغْدَادَ**، أَبُو طَالِبٍ عَلِيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبُخَارِيِّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي الْوَقْتِ وَغَيْرِهِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ فَضْلَانَ، **وَتَوَلَّى نِيَابَةَ الْحُكْمِ بِبَغْدَادَ**، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْمَنْصِبِ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ نِيَابَةِ الْوِزَارَةِ، ثُمَّ عُزِلَ عَنِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ أُعِيدَ، وَمَاتَ سنة (٥٩٣هـ) وَهُوَ بالقضاء، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا مِنْ بَيْتِ فِقْهٍ وَعَدَالَةٍ.

٣٦- **نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ بِبَغْدَادَ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْعَلَوِيُّ الْحُسَيْنِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَقْسَاسِيِّ، الْكُوفِيُّ مَوْلِدًا وَمَنْشَأً، كَانَ شَاعِرًا مُطَبِّقًا، امْتَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَاءَ، وَهُوَ مِنْ بَيْتٍ مَشْهُورٍ بِالْأَدَبِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَامْتَدَحَ الْمُقْتَفِي وَالْمُسْتَنْجِدَ وَابْنَهُ الْمُسْتَضِيءَ وَابْنَهُ النَّاصِرَ فَوَلَّاهُ النِّقَابَةَ، كَانَ شَيْخًا مَهِيبًا، جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، توفي سنة (٥٩٣هـ).

٣٧- **كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ بِبَابِ الْخِلَافَةِ**، أَبُو طَالِبٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ زَبَادَةَ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ التَّرَسُّلِ وَالْإِنْشَاءِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ فِي زَمَانِهِ بِالْعِرَاقِ، وَلَهُ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، أَخَذَهُ عَنِ ابْنِ فَضْلَانَ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْأَصْلَيْنِ وَالْحِسَابِ وَاللُّغَةِ وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، وَقَدْ وَلِيَ عِدَّةَ مَنَاصِبَ، كَانَ مَشْكُورًا فِي جَمِيعِهَا، وَمِنْ مُسْتَجَادِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

بِاضْطِرَابِ الزَّمَانِ تَرْتَفِعُ الْأَنْـ ... ـذَالُ فِيهِ حَتَّى يَعُمَّ الْبَلَاءُ
وَكَذَا الْمَاءُ رَاكِدٌ فَإِذَا ... حُرِّكَ ثَارَتْ مِنْ قَعْرِهِ الْأَقْذَاءُ

٣٨- **الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ جُرْدَيْكُ**، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ فِي زَمَانِ نُورِ الدِّينِ، وَكَانَ مِمَّنْ شَرِكَ فِي قَتْلِ شَاوِرٍ، وَحَظِيَ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّينِ، وَقَدِ اسْتَنَابَهُ عَلَى الْقُدْسِ حِينَ افْتَتَحَهَا، وَكَانَ يَسْتَنْدِبُهُ لِلْمُهِمَّاتِ الْكِبَارِ فَيَسُدُّهَا بِنَهْضَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَلَمَّا وَلِيَ الْأَفْضَلُ عَزَلَهُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَتَرَكَ بِلَادَ الشَّامِ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ فَمَاتَ بِهَا فِي سنة (٥٩٤هـ)

٣٩-الْأَمِيرُ مُجَاهِدُ الدِّينِ قَايْمَازُ الرُّومِيُّ، نَائِبُ الْمَوْصِلِ وَالْمُسْتَوْلِي عَلَى مَمْلَكَتِهَا أَيَّامَ ابْنِ أُسْتَاذِهِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ، وَكَانَ دَيِّنًا خَيِّرًا فَاضِلًا عَاقِلًا ذَكِيًّا فَقِيهًا حَنَفِيًّا، وَقِيلَ: شَافِعِيًّا. يَحْفَظُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ التَّوَارِيخِ وَالْحِكَايَاتِ، يُذَاكِرُ فِي الْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ وَالْفِقْهِ، كَثِيرَ الصِّيَامِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وِقَدِ ابْتَنَى عِدَّةَ جَوَامِعَ وَمَدَارِسَ وَرُبُطٍ وَخَانَاتٍ، وَلَهُ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ دَارَّةٌ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الدُّنْيَا. وتوفي سنة (٥٩٥هـ).

٤٠-أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبَّاسِيُّ الْهَاشِمِيُّ، **قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ**، بَعْدَ ابْنِ النَّجَّارِيِّ، كَانَ شَافِعِيًّا، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ وَالْخَطَابَةَ بِمَكَّةَ، وَأَصْلُهُ مِنْهَا، وَلَكِنِ ارْتَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَنَالَ مِنْهَا مَا نَالَ مِنَ الدُّنْيَا، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أن عُزِلَ عَنِ الْقَضَاءِ بِسَبَبِ مَحْضَرٍ رُقِمَ خَطُّهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِيمَا قِيلَ مُزَوَّرًا عَلَيْهِ. فَاللهُ أَعْلَمُ، فَجَلَسَ فِي مَنْزِلِهِ حَتَّى مَات سنة (٥٩٥هـ).

٤١-الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ، يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ بَرَكَةَ بْنِ فَضْلَانَ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِبَغْدَادَ، تَفَقَّهَ أَوَّلًا عَلَى سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ الرَّزَّازِ مُدَرِّسِ النِّظَامِيَّةِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى خُرَاسَانَ فَأَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الزَّبِيدِيِّ تِلْمِيذِ الْغَزَالِيِّ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ وِقَدِ اقْتَبَسَ عِلْمَ الْمُنَاظَرَةِ وَالْأَصْلَيْنِ، وَسَادَ أَهْلَ بَغْدَادَ، وَانْتَفَعَ بِهِ الطَّلَبَةُ وَالْفُقَهَاءُ، وَبُنِيَتْ لَهُ مَدْرَسَةٌ فَدَرَّسَ بِهَا، وَبَعُدَ صِيتُهُ وَكَثُرَتْ تَلَامِيذُهُ، وَكَانَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ وَإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ، وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا لَطِيفًا ظَرِيفًا، **وَمِنْ شِعْرِهِ**:

وَإِذَا أَرَدْتَ مَنَازِلَ الْأَشْرَافِ ... فَعَلَيْكَ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِنْصَافِ
وَإِذَا بَغَا بَاغٍ عَلَيْكَ فَخَلِّهِ ... وَالدَّهْرَ فَهُوَ لَهُ مُكَافٍ كَافِ

٤٢-السُّلْطَانُ عَلَاءُ الدِّينِ خُوَارِزْمُشَاهْ، تِكِشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ أَتْسِزَ، وَهُوَ صَاحِبُ خُوَارِزْمَ وَبَعْضِ خُرَاسَانَ وَالرَّيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِنَ الْأَقَالِيمِ الْمُتَّسِعَةِ، وَهُوَ الَّذِي **قَطَعَ دَوْلَةَ السَّلَاجِقَةِ**، كَانَ عَادِلًا حَسَنَ السِّيرَةِ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْمُوسِيقَى، حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ،

فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَيَعْرِفُ الْأُصُولَ، وَبَنَى لِلْحَنَفِيَّةِ مَدْرَسَةً عَظِيمَةً، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَلَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ. توفي سنة (٥٩٦هـ)

٤٣- **نِظَامُ الدِّينِ مَسْعُودُ بْنُ عَلِيٍّ**، وَزِيرُ السُّلْطَانِ خُوَارِزْمُ شَاه، قُتِلَ سنة (٥٩٦هـ)، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ، شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ، لَهُ مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةٌ بِخُوَارِزْمَ، وَجَامِعٌ هَائِلٌ، وَبَنَى بِمَرْوَ جَامِعًا عَظِيمًا لِلشَّافِعِيَّةِ، وَشَيْخُهُمْ بِهَا يُقَالُ لَهُ: **شَيْخُ الْإِسْلَامِ**، فَحَسَدَهُمُ الحنفية، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ أَحْرَقُوا الجامع. وَهَذَا إِنَّمَا يَصْدُرُ مِنْ قِلَّةِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاحْتِرَامِ مَعَابِدِ الْإِسْلَامِ.

فَأَغْرَمَهُمُ السُّلْطَانُ خُوَارِزْمُشَاهْ مَا غَرِمَ الْوَزِيرُ عَلَى بِنَائِهِ، توفي سنة (٥٩٦هـ).

٤٤- **الشَّيْخُ الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ رُحْلَةُ الْوَقْتِ**، أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ صَدَقَةَ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ كُلَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ الْأَصْلِ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدُ وَالدَّارُ وَالْوَفَاةُ، عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَ، وَتَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ وَذَوِي الثَّرْوَةِ؛ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى سنة (٥٩٦هـ).

٤٥- **الْفَقِيهُ مَجْدُ الدِّينِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ طَاهِرُ بْنُ نَصْرِ بْنِ جَهْبَلٍ، مُدَرِّسُ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، أَوَّلُ مَنْ دَرَّسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ، وَهُوَ وَالِدُ الْفُقَهَاءِ؛ بَنِي جَهْبَلٍ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدْرَسَةِ الْجَارُوخِيَّةِ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْعِمَادِيَّةِ وَالدَّمَاغِيَّةِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، ثُمَّ مَاتُوا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرْحُهُمْ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى سنة (٥٩٦هـ).

٤٦- **الْأَمِيرُ صَارِمُ الدِّينِ قَايْمَازُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّجْمِيُّ**، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ كَانَ عِنْدَ صَلَاحِ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الاستدّار؛ [١] وَهُوَ الَّذِي تَسَلَّمَ الْقَصْرَ حِينَ مَاتَ الْعَاضِدُ، فَحَصَلَ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ جِدًّا، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْأَوْقَافِ، تَصَدَّقَ فِي يَوْمٍ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ عَيْنًا، وَهُوَ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْقَيْمَازِيَّةِ شَرْقِيَّ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَقَدْ كَانَتْ دَارُ

(١) الإستدّار: بكسر الهمزة، لقب على الذي يتولى مال السلطان، وصرفه، وهو مركب من لفظتين فارسيتين، إحداهما: إستذ، ومعناها الأخذ، والثانية: دار، ومعناها الممسك. فأدغمت الذال الأولى المعجمة في الثانية المهملة، فصار استدّار. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ٥/ ٤٥٧.

الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةُ دَارًا لِهَذَا الْأَمِيرِ، وَلَهُ بِهَا حَمَّامٌ، فَاشْتَرَى ذَلِكَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ فِيمَا بَعْدُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ، وَبَنَاهَا دَارَ حَدِيثٍ، وَأَخْرَبَ الْحَمَّامَ، وَبَنَاهُ مَسْكَنًا لِلشَّيْخِ الْمُدَرِّسِ بِهَا.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ سنة (٥٩٦هـ) نُبِشَتْ دُورُهُ وَحَوَاصِلُهُ، وَكَانَ مُتَّهَمًا بِمَالٍ جَزِيلٍ، فَكَانَ مُتَحَصَّلُ مَا جُمِعَ مِنْ ذَلِكَ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ يُظَنُّ أَنَّ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ كَانَ يَدْفِنُ أَمْوَالَهُ فِي الْخَرَابِ مِنْ أَرَاضِي ضِيَاعِهِ وَقَرَايَاهُ. فَسَامَحَهُ اللهُ وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ.

٤٧- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ لُؤْلُؤٌ**، مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَتَسَلَّمُ الْأُسْطُولَ بِالْبَحْرِ، فَيَكُونُ كَالشَّجَا فِي حُلُوقِ الْفِرِنْجِ، وَقَدْ كَانَ مَعَ كَثْرَةِ جِهَادِهِ كَثِيرَ الصدقات، وَكَانَ بِدِيَارِ مِصْرَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ فَتَصَدَّقَ بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَغِيفٍ، لِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَقِيرٍ؛ فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا. توفي سنة (٥٩٦هـ)

٤٨- **الْقَاضِي الْفَاضِلُ**، أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْقَاضِي الْأَشْرَفِ، **الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْفُصَحَاءِ وَالْبُلَغَاءِ**، كَانَ أَبُوهُ قَاضِيًا بِعَسْقَلَانَ، فَأَرْسَلَ وَلَدَهُ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَاشْتَغَلَ بِهَا بِكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ قَادُوسَ وَغَيْرِهِ، فَسَادَ أَهْلَ الْبِلَادِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي زَمَانِهِ نَظِيرٌ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ جَعَلَهُ كَاتِبَهُ وَصَاحِبَهُ وَوَزِيرَهُ وَجَلِيسَهُ، وَكَانَ أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهِ، وَتَسَاعَدَا حَتَّى فَتَحَ الْأَقَالِيمَ وَالْبُلْدَانَ وَالْحُصُونَ وَالْمَعَاقِلَ، هَذَا بِحُسَامِهِ وَسِنَانِهِ، وَهَذَا بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، وَكَانَ يُوَاظِبُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى خَتْمَةٍ كَامِلَةٍ، رَحِيمَ الْقَلْبِ، حَسَنَ السِّيرَةِ، لَهُ مَدْرَسَةٌ بِدِيَارِ مِصْرَ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، **وَأَوْقَافٌ عَلَى تَخْلِيصِ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِي النَّصَارَى**.

وَقَدِ اقْتَنَى مِنَ الْكُتُبِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ كِتَابٍ، كَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ (٥٣٢هـ) وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فَجْأَةً بِمَدْرَسَتِهِ فِي يَوْمِ دَخَلَ الْعَادِلُ إِلَى قَصْرِ مِصْرَ، الثُّلَاثَاءِ سَادِسِ رَبِيعٍ الْآخِرِ، سنة (٥٩٦هـ) وَقَدْ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ بِأَشْعَارٍ حَسَنَةٍ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ مَعَ بَرَاعَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ الَّتِي لَا تُدَانَى وَلَا تُجَارَى لَا يُعْرَفُ لَهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ طَنَّانَةٌ، بَلْ لَهُ مَا بَيْنَ بَيْتٍ وَبَيْتَيْنِ فِي أَثْنَاءِ الرَّسَائِلِ وَغَيْرِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَلِي صَاحِبٌ مَا خِفْتُ مِنْ جَوْرِ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ لِي مِنْ وَرَائِيَهْ
إِذَا عَضَّنِي صَرْفُ الزَّمَانِ فَإِنَّنِي بِرَايَاتِهِ أَسْطُو عَلَيْهِ وَرَائِيَهْ

٤٩-**الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ** جَمَالُ الدِّينِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُمَّادَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَوْزِيُّ - نِسْبَةً إِلَى فُرْضَةِ نَهْرٍ بِالْبَصْرَةِ - من ذرية أبي بكر الصديق، الْحَنْبَلِيُّ، **أَحَدُ أَفْرَادِ الْعُلَمَاءِ**، بَرَزَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَجَمَعَ الْمُصَنَّفَاتِ الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ نَحْوًا مِنْ **ثَلَاثِمِائَةِ مُصَنَّفٍ**، وَكَتَبَ بِيَدِهِ نَحْوًا مِنْ **أَلْفَيْ مُجَلَّدَةٍ**، وَتَفَرَّدَ بِفَنِّ الْوَعْظِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَا يُلْحَقُ شَأْوُهُ فِي طَرِيقَتِهِ وَشَكْلِهِ، وَفِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَعُذُوبَةِ كَلَامِهِ، وَغَوْصِهِ عَلَى الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ، وَتَقْرِيبِهِ الْأَشْيَاءَ الْغَرِيبَةَ فِيمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْأُمُورِ الْحِسِّيَّةِ، بِعِبَارَةٍ وَجِيزَةٍ سَرِيعَةٍ.

ومن مؤلفاته: «زَادِ الْمَسِيرِ» في التفسير، وَ «جَامِعُ الْمَسَانِيدِ» و «الْأَحَادِيثُ الْمَوْضُوعَةُ» وَ «الْعِلَلُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْوَاهِيَةِ» «وصيد الخاطر» و «الْمُنْتَظَمِ فِي تَوَارِيخِ الْأُمَمِ» قَدْ أَوْرَدْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا كَثِيرًا مِنْ حَوَادِثِهِ وَتَرَاجِمِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُؤَرِّخُ أَخْبَارَ الْعَالَمِ حَتَّى صَارَ هُوَ تَارِيخًا. **وَمَا أَحَقَّهُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:**

مَا زِلْتَ تَدْأَبُ فِي التَّارِيخِ مُجْتَهِدًا حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبًا

وُلِدَ سَنَةَ (٥١٠هـ)، وَمَاتَ أَبُوهُ وَعُمْرُهُ ثَلَاثُ سِنِينَ، وَكَانَ أَهْلُهُ تُجَّارًا فِي النُّحَاسِ، فَلَمَّا تَرَعْرَعَ جَاءَتْ بِهِ عَمَّتُهُ إِلَى **مَسْجِدِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ الْحَافِظِ**، فَلَزِمَ الشَّيْخَ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، وَتَفَقَّهَ بِابْنِ الزَّاغُونِيِّ، وَحَفِظَ الْوَعْظَ، وَوَعَظَ وَهُوَ دُونَ الْعِشْرِينَ.

وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ، وَكَانَ صَيِّنًا دَيِّنًا، مَجْمُوعًا عَلَى نَفْسِهِ لَا يُخَالِطُ أَحَدًا، وَلَا يَأْكُلُ مِمَّا فِيهِ شُبْهَةٌ.

وَقَدْ حَضَرَ مَجْلِسَ وَعْظِهِ الْخُلَفَاءُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْفُقَرَاءُ، وَمِنْ سَائِرِ صُنُوفِ بَنِي آدَمَ، وَأَقَلُّ مَا كَانَ يَجْتَمِعُ فِي مَجْلِسِهِ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَ فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَرُبَّمَا تَكَلَّمَ مِنْ خَاطِرِهِ عَلَى الْبَدِيهَةِ نَظْمًا وَنَثْرًا؛ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ أُسْتَاذًا فَرْدًا فِي الْوَعْظِ، لَهُ مُشَارَكَاتٌ حَسَنَةٌ فِي بَقِيَّةِ الْعُلُومِ.

وَمِنْ لَطَائِفِ كَلَامِهِ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ» إِنَّمَا طَالَتْ أَعْمَارُ مَنْ قَبْلَنَا لِطُولِ الْبَادِيَةِ، فَلَمَّا شَارَفَ الرَّكْبُ بَلَدَ الْإِقَامَةِ، قِيلَ لَهُمْ: حُثُّوا الْمَطِيَّ.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيُّمَا أَفْضَلُ؟ **أَجْلِسُ أُسَبِّحُ أَوْ أَسْتَغْفِرُ**؟ فَقَالَ: الثَّوْبُ الْوَسِخُ أَحْوَجُ إِلَى الصَّابُونِ مِنَ الْبَخُورِ.

وَالْتَفَتَ يَوْمًا إِلَى نَاحِيَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضِيءِ وَهُوَ فِي الْوَعْظِ فَقَالَ: **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**؛ إِنْ تَكَلَّمْتُ خِفْتُ مِنْكَ، وَإِنْ سَكَتُّ خِفْتُ عَلَيْكَ، وَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: اتَّقِ اللهَ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مَغْفُورٌ لَكُمْ. وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: إِذَا بَلَغَنِي عَنْ عَامِلٍ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَلَمْ أُغَيِّرْهُ، فَأَنَا الظَّالِمُ.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَشْبَعُ فِي زَمَنِ الْقَحْطِ؛ حَتَّى لَا يَنْسَى الْجِيعَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَضْرِبُ بَطْنَهُ عَامَ الرَّمَادَةِ وَيَقُولُ: قَرْقِرْ أَوْ لَا تُقَرْقِرْ، وَاللهِ لَا سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ. قَالَ: فَتَصَدَّقَ الْمُسْتَضِيءُ بِمَالٍ جَزِيلٍ، وَأَطْلَقَ الْمَحَابِيسَ، وَكَسَى خَلْقًا مِنَ الْفُقَرَاءِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٥٩٧هـ)، وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ عِنْدَ أَبِيهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

٥٠- **الْعِمَادُ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ ابْنِ أَلُّهْ - بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَضَمِّهَا - صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ وَالرَّسَائِلِ وَالشِّعْرِ، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ فِي سَنَةِ (٥١٩هـ)،

وقَدِمَ بَغْدَادَ فَاشْتَغَلَ بِهَا عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ سَعِيدِ بْنِ الرَّزَّازِ مُدَرِّسِ النِّظَامِيَّةِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ **فَحَظِيَ عِنْدَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ**، وَكَتَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَلَّاهُ الْمَدْرَسَةَ الَّتِي أَنْشَأَهَا دَاخِلَ بَابِ الْفَرَجِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا **الْعِمَادِيَّةِ**؛ نِسْبَةً إِلَى الْعِمَادِ هَذَا لِكَثْرَةِ إِقَامَتِهِ بِهَا، وَتَدْرِيسِهِ فِيهَا.

ثُمَّ صَارَ الْعِمَادُ **كَاتِبًا فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ**، وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَشْكُرُهُ، وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ: "خَرِيدَةُ الْقَصْرِ فِي شُعَرَاءِ الْعَصْرِ" وَ"الفتح القِسّي في الْفَتْحُ الْقُدْسِيِّ" وَ"الْبَرْقُ الشَّامِيِّ" وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُسْجَعَةِ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ بدمشق فِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٥٩٧هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَة.

٥١- **الْأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَاقُوشُ**، الْفَحْلُ الْخَصِيُّ، أَحَدُ كُبَرَاءِ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا فَاتِكًا، تَسَلَّمَ الْقَصْرَ لَمَّا مَاتَ الْعَاضِدُ آخر ملوك الفاطمية، **وَعَمَّرَ سُورَ الْقَاهِرَةِ** مُحِيطًا عَلَى مِصْرَ أَيْضًا، وَانْتَهَى إِلَى الْمَقْسَمِ؛ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي اقْتَسَمَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ مَا غَنِمُوا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، **وَبَنَى قَلْعَةَ الْجَبَلِ**.

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ سَلَّمَهُ **عَكَّا** لِيُعَمِّرَ فِيهَا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، وَلَمَّا تُوُفِّيَ سنة (٥٩٧هـ) احْتَاطَ الْعَادِلُ عَلَى تركَتِهِ، وَصَارَتْ أَقْطَاعُهُ وَأَمْلَاكُهُ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ.

قَالَ **الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ**: وَقَدْ نُسِبَ إِلَيْهِ أَحْكَامٌ عَجِيبَةٌ، حَتَّى صَنَّفَ بَعْضُهُمْ جُزْءًا لَطِيفًا سَمَّاهُ: كِتَابَ "الْفَاشُوشِ فِي أَحْكَامِ قَرَاقُوشَ" فَذَكَرَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جِدًّا وَأَظُنُّهَا مَوْضُوعَةً عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ صَلَاحَ الدِّينِ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ! وَاللهُ أَعْلَمُ.

٥٢- **الْقَاضِي ابْنُ الزَّكِيِّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ، مُحْيِي الدِّينِ قَاضِي الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ، كَانَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ وَأَبُو جَدِّهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قضاة، وَكَانَ يحيي جَدَّ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ لِأُمِّهِ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّارِيخِ.

اشْتَغَلَ ابْنُ الزَّكِيِّ عَلَى الْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ أَبِي سَعْدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَصْرُونَ، وَنَابَ عَنْهُ فِي الْحُكْمِ، **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِالْقُدْسِ**، لَمَّا فَتَحَهُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ، فِي سَنَةِ (٥٨٣هـ) ثُمَّ وَلَّاهُ قَضَاءَ دِمَشْقَ وَأَضَافَ إِلَيْهِ قَضَاءَ حَلَبَ أَيْضًا، وَكَانَ نَاظِرَ أَوْقَافِ الْجَامِعِ، ثُمَّ عُزِلَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشُهُورٍ.

وَقَدْ كَانَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ يَنْهَى الطَّلَبَةَ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْمَنْطِقِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَيُمَزِّقُ كُتُبَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، **وتُوفِّيَ** فِي سَابِعِ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٥٩٨هـ)، وَدُفِنَ فِي تُرْبَةٍ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٥٣- **السِّتُّ الْجَلِيلَةُ الْمَصُونَةُ** بَنَفْشَا بِنْتُ عَبْدِ اللهِ عَتِيقَةُ الخليفة الْمُسْتَضِيءِ، كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ حَظَايَاهُ، ثُمَّ صَارَتْ بَعْدَهُ مِنْ أَكْثَرِ النِّسَاءِ صَدَقَةً وَبِرًّا وَإِحْسَانًا إِلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، لَهَا بِطَرِيقِ الْحِجَازِ مَعْرُوفٌ كَثِيرٌ، وَوَقَفَتْ مَدْرَسَةً عَلَى الْحَنَابِلَةِ وَأَوْقَافًا دَارَّةً، وَدُفِنَتْ بِبَغْدَادَ عِنْدَ تُرْبَةِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ سنة (٥٩٨هـ).

٥٤- **عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَمْزَةَ**، أَبُو بَكْرٍ الْبَغْدَادِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَرَسْتَانِيَّةِ، أَحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمَشْهُورِينَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَجَمَعَهُ، وَكَانَ طَبِيبًا مُنَجِّمًا، يَعْرِفُ عُلُومَ الْأَوَائِلِ، وَأَيَّامَ النَّاسِ، وَصَنَّفَ "دِيوَانَ الْإِسْلَامِ فِي تَارِيخِ دَارِ السَّلَامِ"، وَرَتَّبَهُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ كِتَابًا إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْتَهَرْ، وَجَمَعَ سِيرَةَ ابْنِ هُبَيْرَةَ، وَقَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ الصِّدِّيقِ، فَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ. **وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ**:

دَعِ الْأَنْسَابَ لَا تَعْرِضْ لِتَيْمٍ … فَإِنَّ الْهُجْنَ مِنْ وَلَدِ الصَّمِيمِ
لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ تَيْمٍ دَعِيًّا … كَدَعْوَى حَيْصَ بَيْصَ إِلَى تَمِيمِ

توفي سنة (٥٩٩هـ).

٥٥- **ابْنُ النَّجَا الْوَاعِظُ**، عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَجَا، زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ الدِّمَشْقِيُّ، الْوَاعِظُ الْحَنْبَلِيُّ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَتَفَقَّهَ بِهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ جِهَةِ نُورِ الدِّينِ فِي سَنَةِ (٥٦٤هـ)، وَحَدَّثَ بِهَا، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ حُظْوَةٌ عِنْدَ

صَلَاحِ الدِّينِ، وَهُوَ الَّذِي نَمَّ عَلَى عُمَارَةَ الْيَمَنِيِّ وَذَوِيهِ فَصُلِبُوا، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ بِمِصْرَ، وَقَدْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّتِي خُطِبَ فِيهَا بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْجُمُعَةِ.

وَكَانَ يَعِيشُ عَيْشًا أَطْيَبَ مِنْ عَيْشِ الْمُلُوكِ فِي الْأَطْعِمَةِ وَالْمَلَابِسِ، وَكَانَ عِنْدَهُ عِشْرُونَ سُرِّيَّةً، كُلُّ وَاحِدَةٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَاتَ فَقِيرًا لَمْ يَخْلُفْ كَفَنًا، وتوفي سنة (٥٩٩هـ).

٥٦- **السِّتُّ الْجَلِيلِيَةُ الْمَصُونَةُ زُمُرُّدُ خَاتُّون**، أُمُّ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ بْنِ الْمُسْتَضِيءِ، كَانَتْ صَالِحَةً عَابِدَةً كَثِيرَةَ الْبِرِّ وَالصِّلَاتِ وَالْأَوْقَافِ وَالصَّدَقَاتِ، عَمَّرَتِ الْمَصَانِعَ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ، وَأَصْلَحَتِ الطُّرُقَاتِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهَا مَشْهُودَةً جِدًّا، عَاشَتْ فِي خِلَافَةِ وَلَدِهَا أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، نَافِذَةَ الْكَلِمَةِ، مُطَاعَةَ الْأَوَامِرِ، وتوفيت سنة (٥٩٩هـ).

٥٧- **الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ**، عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ، الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ.

وُلِدَ **بِجَمَّاعِيلَ**[1] فِي رَبِيعٍ الْآخَرِ سَنَةَ (٥٤١هـ) وَهُوَ أَسَنُّ مِنَ ابْنِ خَالَتِهِ الْإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ ابْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ، بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ قُدُومُهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى دمشق في مَسْجِدِ أَبِي صَالِحٍ أَوَّلًا، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى السَّفْحِ فَعُرِفَتِ الْمَحَلَّةُ بِهِمْ، فَقِيلَ لَهَا: الصَّالِحِيَّةُ.

وَقَرَأَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَارْتَحَلَ هُوَ وَالْمُوَفَّقُ إِلَى **بَغْدَادَ** سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فَأَنْزَلَهُمَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ عِنْدَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَكَانَ لَا يَتْرُكُ أَحَدًا يَنْزِلُ عِنْدَهُ، وَلَكِنَّهُ تَوَسَّمَ فِيهِمَا النَّجَابَةَ وَالْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ، فَأَكْرَمَهُمَا وَأَسْمَعَهُمَا، ثُمَّ تُوُفِّيَ بَعْدَ مَقْدَمِهِمَا بِخَمْسِينَ لَيْلَةً.

وَكَانَ مَيْلُ عَبْدِ الْغَنِيِّ إِلَى الْحَدِيثِ، وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَمَيْلُ الْمُوَفَّقِ إِلَى الْفِقْهِ، وَاشْتَغَلَا عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْمَنِّيِّ، ثُمَّ قَدِمَا **دِمَشْقَ** بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ، فَدَخَلَ

(١) قرية في نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان ٢/ ١١٣.

عَبْدُ الْغَنِيِّ إِلَى **مِصْرَ وَإِسْكَنْدَرِيَّةَ**، ثُمَّ عَادَ إِلَى **دِمَشْقَ**، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى **الْجَزِيرَةِ وَبَغْدَادَ**، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى **أَصْبَهَانَ** فَسَمِعَ بِهَا الْكَثِيرَ، وَوَقَفَ عَلَى مُصَنَّفٍ لِلْحَافِظِ أَبِي نُعَيْمٍ فِي أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ - قُلْتُ: وَهُوَ عِنْدِي بِخَطِّ أَبِي نُعَيْمٍ - فَأَخَذَ فِي مُنَاقَشَتِهِ فِي أَمَاكِنَ مِنَ الْكِتَابِ فِي مِائَةٍ وَتِسْعِينَ مَوْضِعًا، فَغَضِبَ بَنُو الْخُجَنْدِيِّ مِنْ ذَلِكَ، وَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا مُخْتَفِيًّا فِي إِزَارٍ.

وَلَمَّا دَخَلَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى **الْمَوْصِلِ** سَمِعَ كِتَابَ الْعُقَيْلِيِّ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، فَثَارَ عَلَيْهِ الْحَنَفِيَّةُ بِسَبَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَخَرَجَ مِنْهَا أَيْضًا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، فَلَمَّا وَرَدَ **دِمَشْقَ** كَانَ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِرِوَاقِ الْحَنَابِلَةِ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقَ فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَكَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ، سَرِيعَ الدَّمْعَةِ، فَحَصَلَ لَهُ قَبُولٌ، **فَحَسَدَهُ الدَّمَاشِقَةُ**، وَجَهَّزُوا النَّاصِحَ ابْنَ الْحَنْبَلِيِّ، فَتَكَلَّمَ تَحْتَ النَّسْرِ، حَتَّى يُشَوِّشَ عَلَيْهِ، فَحَوَّلَ عَبْدُ الْغَنِيِّ مِيعَادَهُ إِلَى بَعْدَ الْعَصْرِ، فَذَكَرَ يَوْمًا عَقِيدَتَهُ، فَثَارَ عَلَيْهِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ الزَّكِيِّ، وَالْخَطِيبُ ضِيَاءُ الدِّينِ الدَّوْلَعِيُّ، وَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ فِي الْقَلْعَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ.

وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ فِي مَسْأَلَةِ الْعُلُوِّ وَمَسْأَلَةِ النُّزُولِ، وَمَسْأَلَةِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ،

وَطَالَ الْكَلَامُ، حَتَّى قَالَ لَهُ الصَّارِمُ بُزْغُشُ وَالِي الْقَلْعَةِ: كُلُّ هَؤُلَاءِ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَغَضِبَ بُزْغُشُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ.

فَارْتَحَلَ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِلَى **بَعْلَبَكَّ** ثُمَّ إِلَى الدِّيَارِ **الْمِصْرِيَّةِ**، فَكَانَ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ بِهَا، فَثَارَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ بِمِصْرَ أَيْضًا، وَكَتَبُوا إِلَى الْوَزِيرِ **صَفِيِّ الدِّينِ بْنِ شُكْرٍ**، **فَأَقَرَّ بِنَفْيِهِ** إِلَى الْمَغْرِبِ، فَمَاتَ الشيخ عبدالغني قَبْلَ وُصُولِ الْكِتَابِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ سنة (٦٠٠هـ) وَلَهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ.

وفي سنة (٦٠٩هـ) عُزِلَ الْوَزِيرُ **صَفِيُّ الدِّينِ بْنُ شُكْرٍ**، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَنُفِيَ إِلَى الشَّرْقِ.

قَـالَ السِّـبْطُ: وَكَانَ وَرِعًا زَاهِدًا عَابِدًا، يُصَلِّـي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَمِائَةِ رَكْعَـةٍ، كَوِرْدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ عَامَّةَ السَّـنَةِ، وَكَانَ كَرِيمًا جَوَادًا لَا يَدَّخِرُ شَـيْئًا، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَكَانَ يُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيُؤْثِرُ بِثَمَنِ الْجَدِيدِ، وَكَانَ قَدْ ضَعُفَ بَصَرُهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمُطَالَعَةِ وَالْبُكَاءِ، وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَالْحِفْظِ.

صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْـهُورَةِ، مِنْ ذَلِكَ: "الْكَمَالُ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ" وَ "الْأَحْكَامُ الْكُبْرَى" وَ "الصُّغْرَى" وَغَيْرُ ذَلِكَ.

قُلْـتُ: وَقَدْ هَذَّبَ شَـيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ - تَغَمَّـدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ - كِتَابَهُ "الْكَمَالَ فِي أَسْـمَاءِ الرِّجَالِ" - رِجَالِ الْكُتُبِ السِّـتَّةِ - بِتَهْذِيبِهِ الَّذِي اسْـتَدْرَكَ عَلَيْهِ فِيهِ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، نَحْوًا مِنْ أَلْفِ مَوْضِعٍ ; وَذَلِكَ أَنَّ الْإِمَامَ **الْمِزِّيّ** الَّذِي لَا يُبَارَى وَلَا يُجَارَى فِي علـم الرجـال، وَكِتَابُهُ «**تهذيب الكمال في أسـماء الرجال**» لَمْ يُسْـبَقْ إِلَـى مِثْلِهِ، وَلَا يُلْحَقْ فِي مِثْلِ شَـكْلِهِ، فَرَحِمَ اللهُ صَاحِبَيِ «التَّهْذِيـبِ» وَ «الْكَمَالِ» فَلَقَدْ كَانَا نَادِرَيْنِ فِي زَمَانَيْهِمَا فِي الرِّجَالِ حِفْظًا وَإِتْقَانًا وَسَمَاعًا وَإِسْمَاعًا وَسَرْدًا لِلْمُتُونِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ.

٥٨ -**أَبُـو الْفُتُوحِ أَسْـعَدُ بْـنُ مَحْمُودِ** خَلَـفٍ **الْعِجْلِيُّ**، الْفَقِيـهُ الشَّـافِعِيُّ الْأَصْبِهَانِيُّ، الْوَاعِظُ، سَـمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّـهَ وَبَرَعَ وَصَنَّفَ «تَتِمَّةَ التَّتِمَّةِ» لِأَبِي سَـعْدٍ الْهَرَوِيِّ، وَكَانَ زَاهِدًا عَابِدًا وَلَهُ «شَـرْحُ مُشْـكِلَاتِ الْوَسِـيطِ وَالْوَجِيزِ» قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: **تُوُفِّيَ** فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتِّمِائَةٍ.

٥٩ -**أَبُـو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَـعْدِ اللهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَـعِيدٍ الدَّجَاجِـيُّ**، كَانَ وَاعِظًا حَنْبَلِيًّا فَاضِلًا شَاعِرًا مُجِيدًا، وَلَهُ:

نَفْسُ الْفَتَـى إِنْ أَصْلَحَتْ أَحْوَالَهَا ... كَانَ إِلَـى نَيْـلِ الْمُنَـى أَحْـوَى لَهَا
وَإِنْ تَـرَاهَـا سَـدَّدَتْ أَقْـوَالَـهَا ... كَانَ عَلَـى حَمْـلِ الْعُلَا أَقْـوَى لَهَا

توفي سنة (٦٠١هـ).

٦٠-**أَبُو الْفَضْلِ بْنُ إِلْيَاسَ** بْنِ جَامِعِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِرْبِلِيُّ، تَفَقَّهَ بِالنِّظَامِيَّةِ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَصَنَّفَ «التَّارِيخَ» وَغَيْرَهُ، وَتَفَرَّدَ بِحُسْنِ كِتَابَةِ الشُّرُوطِ، وَلَهُ فَضْلٌ وَنَظْمٌ حَسَنٌ، وتوفي سنة (٦٠١هـ).

٦١-**أَبُو السَّعَادَاتِ الْحِلِّيُّ**، التَّاجِرُ الْبَغْدَادِيُّ الرَّافِضِيُّ كَانَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَلْبَسُ لِأْمَةَ الْحَرْبِ، وَيَقِفُ خَلْفَ بَابِ دَارِهِ، وَهُوَ مُجَافٍ عَلَيْهِ، وَالنَّاسِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُخْرِجَ صَاحِبُ الزَّمَانِ مِنْ سِرْدَابِ سَامَرَّا - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيَّ - لِيَمِيلَ بِسَيْفِهِ فِي النَّاسِ نُصْرَةً لِلْمَهْدِيِّ، توفي سنة (٦٠١هـ).

٦٢ -**عِيسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْعِرَاقِيُّ** الْغَرَّافِيُّ الضَّرِيرُ، مُدَرِّسُ المدرسة الْأَمِينِيَّةِ، كَانَ يَسْكُنُ الْمَنَارَةَ الْغَرْبِيَّةَ، وَكَانَ عِنْدَهُ شَابٌّ يَخْدُمُهُ وَيَقُودُ بِهِ، ففقد لِلشَّيْخِ دَرَاهِمُ، فَاتَّهَمَ هَذَا الشَّابَّ بِهَا، فَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ عِنْدَهُ شَيْءٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ شَيْءٌ، وَاتُّهِمَ عِرْضُهُ فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٠٢هـ) مَشْنُوقًا بِبَيْتِهِ، فَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ؛ لِكَوْنِهِ قَتَلَ نَفْسَهُ، فَتَقَدَّمَ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَسَاكِرَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَائْتَمَّ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: [(١)] وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ ذَهَابُ مَالِهِ وَالْوُقُوعُ فِي عِرْضِهِ. قَالَ: وَقَدْ جَرَى لِي أُخْتُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَعَصَمَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ.

٦٣- **أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سَعَادَةَ الْفَارِقِيُّ**، تَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ، وَأَعَادَ بِالنِّظَامِيَّةِ وَنَابَ فِي تَدْرِيسِهَا، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا أُمُّ الْخَلِيفَةِ وَأُرِيدَ عَلَى نِيَابَةِ الْقَضَاءِ عَنْ أَبِي طَالِبٍ عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ الْبُخَارِيِّ، فَامْتَنَعَ، فَأُلْزِمَ بِهِ فَبَاشَرَهُ قَلِيلًا، ثُمَّ عزل نَفْسه عَنْ نِيَابَةِ الْقَضَاءِ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْإِعَادَةِ وَالتَّدْرِيسِ؛ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦٠٢هـ).

٦٤-**الْأَمِيرُ مُجِيرُ الدِّينِ طَاشْتِكِينُ الْمُسْتَنْجِدِيُّ**، أَمِيرُ الْحَاجِّ وَزَعِيمُ بِلَادِ خُوزِسْتَانَ، كَانَ شَيْخًا خَيِّرًا، حَسَنَ السِّيرَةِ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ.

(١) ذيل الروضتين ص٥٥.

وَذَكَرَ **أَبُو شَامَةَ** فِي «الذَّيْل» أنه حَجَّ بِالنَّاسِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَكُونُ فِي الْحِجَازِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ، وَقَدْ رَمَاهُ **الْوَزِيرُ ابْنُ يُونُسَ** بِأَنَّهُ يُكَاتِبُ صَلَاحَ الدِّينِ فَحَبَسَهُ الْخَلِيفَةُ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بُطْلَانُ مَا ذُكِرَ عَنْهُ فَأَطْلَقَهُ، وَأَعْطَاهُ خُوزِسْتَانَ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجِّ، وَكَانَتِ الْحِلَّةُ السَّيْفِيَّةُ إِقْطَاعَهُ، وَكَانَ شُجَاعًا جَوَّادًا سَمْحًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، يَمْضِي عَلَيْهِ الْأُسْبُوعُ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِكَلِمَةٍ،

وَكَانَ **فِيهِ حِلْمٌ وَاحْتِمَالٌ**، اسْتَغَاثَ بِهِ رَجُلٌ عَلَى بَعْضِ نُوَّابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَغِيثُ: أَحِمَارٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: لَا.

وَقَدْ سَرَقَ فَرَّاشُهُ حِيَاصَةً لَهُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَقِرُّوا الْفَرَّاشَ عَلَيْهَا، وَكَانَ قَدْ رَآهُ الْأَمِيرُ طَاشْتِكِينُ وَهُوَ يَأْخُذُهَا، فَقَالَ: لَا تُعَاقِبُوا أَحَدًا، فَإِنَّهُ أَخَذَهَا مَنْ لَا يَرُدُّهَا، وَرَآهُ مَنْ لَا يَنُمُّ عَلَيْهِ.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٠٢هـ) وقد بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعِينَ سَنَةً، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ **اسْتَأْجَرَ أَرْضًا** مُدَّةَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ لِلْوَقْفِ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُهم: هَذَا لَا يُوقِنُ بِالْمَوْتِ!! عُمْرُهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَاسْتَأْجَرَ أَرْضًا ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ.

٦٥- **الْفَقِيهُ أَبُو مَنْصُورٍ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ النُّعْمَانِ النِّيلِيُّ [١]، **وَالْمُلَقَّبُ بِالْقَاضِي شُرَيْح**؛ لِذَكَائِهِ وَفَضْلِهِ وَبَرَاعَتِهِ وَعَقْلِهِ وَكَمَالِ أَخْلَاقِهِ، وَلِيَ قَضَاءَ بَلَدِهِ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَنُدِبَ إِلَى الْمَنَاصِبِ الْكِبَارِ فَأَبَاهَا، فَحَلَفَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ **طَاشْتِكِينُ** أَنْ يَعْمَلَ عِنْدَهُ فِي الْكِتَابَةِ، فَخَدَمَهُ عِشْرِينَ عَامًا، **ثُمَّ وَشَى بِهِ الْوَزِيرُ** ابْنُ مَهْدِيٍّ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَحَبَسَهُ فِي دَارِ طَاشْتِكِينَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سنة (٦٠٣هـ)، **ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ عَمَّا قَرِيبٍ حُبِسَ** بِهَا أَيْضًا، وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْغَرِيبِ.

٦٦- **الْأَمِيرُ إِيتَامِشُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**، أَحَدُ أُمَرَاءِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ دِينًا وَعَقْلًا وَنَزَاهَةً وَعِفَّةً، سَقَاهُ **ابْنُ سَاوَى** مِنَ النَّصَارَى سُمًّا، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٠٤هـ).

---

(١) النِّيْلي: نسبة إلى النيل وهي بليدة على الفرات بين بغداد والكوفة. انظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٥٥١.

فَلَمَّا اطَّلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْحَالِ سَلَّمَ ابْنُ سَاوَى إِلَى غِلْمَانِ إِيتَامِشَ، فَقَتَلُوهُ وَحَرَقُوهُ.

٦٧- **حَنْبَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَرَجِ** الرُّصَافِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، الْمُكَبِّرُ بِجَامِعِ الْمَهْدِيِّ، رَاوِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» عَنِ ابْنِ الْحُصَيْنِ، عَنِ ابْنِ الْمُذْهِبِ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ. عُمِّرَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ فَأَسْمَعَهُ بِإِرْبِلَ، وَاسْتَقْدَمَهُ مُلُوكُ دِمَشْقَ إِلَيْهَا، فَسَمِعَ النَّاسُ بِهَا عَلَيْهِ الْمُسْنَدَ، وَكَانَ الْمُعَظَّمُ يُكْرِمُهُ، وَيَأْكُلُ عِنْدَهُ عَلَى السِّمَاطِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

وأَعْطَاهُ الْمُعَظَّمُ مَالًا جَزِيلًا، وَرَدَّهُ إِلَى بَغْدَادَ فَتُوفِّي بِهَا فِي سنة (٦٠٤هـ).

٦٨- **أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ الْإِرْبِلِيُّ**، كَانَ فَاضِلًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْأَدَبِ وَالنَّحْوِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِعُلُومِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ شِعْرِهِ الْحَسَنِ الْجَيِّدِ، قَوْلُهُ:

لَا يَدْفَعُ الْمَرءُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ ... وَفِي الْخُطُوبِ إِذَا فَكَّرْتَ مُعْتَبَرُ
فَلَيْسَ يُنْجِي مِنَ الْأَقْدَارِ إِنْ نَزَلَتْ ... رَأْيٌ وَحَزْمٌ وَلَا خَوْفٌ وَلَا حَذَرُ
فَاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلا ... تَجْزَعْ لِشَيْءٍ فَعُقْبَى صَبْرِكَ الظَّفَرُ

٦٩- **أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَخْتِيَارَ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ** الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَنْدَائِيِّ.

آخِرُ مَنْ رَوَى مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ الْحُصَيْنِ، وَكَانَ مِنْ بَيْتِ فِقْهٍ وَقَضَاءٍ وَدِيَانَةٍ، وَكَانَ ثِقَةً عَدْلًا مُتَوَرِّعًا فِي النَّقْلِ، توفي سنة (٦٠٥هـ)

٧٠- **أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّمْغَانِيُّ**، أَحَدُ الْأَعْيَانِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ بِبَغْدَادَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَدَرَّسَ بِجَامِعِ السُّلْطَانِ، وَكَانَ مُعْتَزِلِيًّا فِي الْأُصُولِ، بَارِعًا فِي الْفُرُوعِ، اشْتَغَلَ عَلَى أَبِيهِ وَعَمِّهِ، وَأَتْقَنَ الْخِلَافَ وَعِلْمَ الْمُنَاظَرَةِ، توفي سنة (٦٠٦هـ) وَقَارَبَ التِّسْعِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧١- عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَبُو الْحَسَنِ **بْنُ خَرُوفٍ الْأَنْدَلُسِيُّ النَّحْوِيُّ**، شَرَحَ» سِيبَوَيْهِ «وَقَدَّمَهُ إِلَى صَاحِبِ الْمَغْرِبِ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَشَرَحَ جُمَلَ الزَّجَّاجِيِّ، وَكَانَ يَتَنَقَّلُ فِي الْبِلَادِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْخَانَاتِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ وَلَا تَسَرَّى، وَقَدْ تَغَيَّرَ عَقْلُهُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ، تُوُفِّيَ سنة (٦٠٦هـ) عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٧٢-**أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرَّازٍ الْوَاسِطِيُّ** الْبَغْدَادِيُّ، اشْتَغَلَ بِالنِّظَامِيَّةِ عَلَى ابْنِ فَضْلَانَ، وَأَعَادَ عِنْدَهُ، وَسَافَرَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، فَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فِي الْخِلَافِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، **ثُمَّ صَارَ مُدَرِّسًا بِالنِّظَامِيَّةِ، وَنَاظِرًا فِي أَوْقَافِهَا**، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ لَدَيْهِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَمَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالْمَذْهَبِ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ كَانَ يُدَرِّسُ مِنْهُ، وَاخْتَصَرَ تَارِيخَ الْخَطِيبِ وَالذَّيْلَ عَلَيْهِ لِابْنِ السَّمْعَانِيِّ، تُوُفِّيَ سنة (٦٠٦هـ) وَقَارَبَ الثَّمَانِينَ.

٧٣-**ابْنُ الْأَثِيرِ** الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الشَّيْبَانِيُّ الْجَزَرِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَأَخُو الْحَافِظِ عِزِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ.

وُلِدَ سَنَةَ (٥٤٤هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَأَتْقَنَ عُلُومَهُ، وَحَرَزَ عُلُومًا جَمَّةً، وَكَانَ مَقَامُهُ بِالْمَوْصِلِ، وَقَدْ جَمَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ كُتُبًا مُفِيدَةً، **مِنْهَا**:

جَامِعُ الْأُصُولِ السِّتَّةِ (الْمُوَطَّأُ وَالصَّحِيحَانِ وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ) وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنَ مَاجَهْ فِيهِ، وَلَهُ كِتَابُ النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، وَلَهُ شَرْحُ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ، وَالتَّفْسِيرُ فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي فُنُونٍ شَتَّى.

وَكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مُعَظَّمًا عِنْدَ مُلُوكِ الْمَوْصِلِ، فَلَمَّا آلَ الْمُلْكُ إِلَى نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ شَاهِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَمْلُوكَهُ لُؤْلُؤًا يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَوْزِرَهُ

فَأَبَى، فَرَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ فَامْتَنَعَ أَيْضًا، **وَقَالَ لَهُ:** قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَاشْتَهَرْتُ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنَ الْعَسْفِ وَالظُّلْمِ، وَلَا يَلِيقُ بِي ذَلِكَ. فَأَعْفَاهُ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ: فِي سَلْخِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٠٦هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ تَرْجَمَهُ أَخُوهُ فِي الْكَامِلِ، فَقَالَ: لَهُ تَصَانِيفُ مَشْهُورَةٌ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْحِسَابِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ، وَلَهُ رَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، ذَا دِينٍ مَتِينٍ، وَلُزُومِ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنَ الزَّمَانِ.

٧٤- **الْفَخْرُ الرَّازِيُّ الْمُتَكَلِّمُ**، مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ الْبِكْرِيُّ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ أَحَدُ الْمَشَاهِيرِ بِالتَّصَانِيفِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ نَحْوٍ مِنْ مِائَتَيْ مُصَنَّفٍ؛ مِنْهَا «التَّفْسِيرُ الْحَافِلُ»، وَ«الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ»، وَ«الْمَبَاحِثُ الْمَشْرِقِيَّةُ»، وَ«الْأَرْبَعِينَ»، وَ«شَرْحُ الْإِشَارَاتِ»، وَغَيْرُهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَذَاهِبِ الْأَوَائِلِ وَأَقْوَالِ النَّاسِ، وَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ «الْمَحْصُولُ» وَغَيْرُهُ،

وَقَدْ كَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ مُلُوكِ الْخُوَارَزْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَبُنِيَتْ لَهُ مَدَارِسُ كَثِيرَةٌ فِي بُلْدَانٍ شَتَّى، وَمَلَكَ مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْمَرَاكِبِ وَالْأَثَاثِ وَالْمَلَابِسِ، وَكَانَ لَهُ خَمْسُونَ مَمْلُوكًا مِنَ التُّرْكِ، وَقَدْ كَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسَ الْوَعْظِ، فَيَحْضُرُ عِنْدَهُ الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْعَامَّةُ، وَكَانَتْ لَهُ عِبَادَاتٌ وَأَوْرَادٌ، وَقَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَرَّامِيَّةِ فِي أَوْقَاتٍ شَتَّى، فَكَانَ يُبْغِضُهُمْ وَيُبْغِضُونَهُ، وَيُبَالِغُ فِي ذَمِّهِمْ وَيُبَالِغُونَ فِي الْحَطِّ عَلَيْهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَكَانَ مَعَ غَزَارَةِ عِلْمِهِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ يَقُولُ:

مَنْ لَزِمَ مَذْهَبَ الْعَجَائِزِ كَانَ هُوَ الْفَائِزَ.

وَقَدْ ذَكَرْتُ وَصِيَّتَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَأَنَّهُ **رَجَعَ فِيهَا إِلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ**، وَتَسْلِيمِ مَا وَرَدَ عَلَى الْوَجْهِ الْمُرَادِ اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، سنة (٦٠٦هـ).

وَمِمَّا كَانَ يُنْشِدُهُ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ: [(١)]

نِـهَـايَـةُ إِقْـــدَامِ الْـعُـقُـولِ عِـقَـالُ ... وَأَكْـثَـرُ سَـعْـيِ الْـعَـالَـمِـينَ ضَـلَالُ
وَأَرْوَاحُـنَـا فِـي وَحْشَةٍ مِـنْ جُسُومِنَا ... وَحَـاصِـلُ دُنْـيَـانَـا أَذًى وَوَبَـــالُ
وَلَـمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِـوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُـوا

ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدِ اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَلَمْ أَجِدْهَا تَرْوِي غَلِيلًا وَلَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وَفِي النَّفْيِ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

٧٥- **الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ**، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ، بَانِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي يُقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنُ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَهُوَ أَخُو الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ **عَبْدِ اللهِ** بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ، وَكَانَ أَبُو عُمَرَ أَسَنَّ مِنْهُ؛ وَهُوَ الذي رَبَّى الشَّيْخَ مُوَفَّقَ الدِّينِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَزَوَّجَهُ، وَكَانَ يَقُومُ بِمَصَالِحِهِ.

فَقَرَأَ الشَّيْخُ أَبُو عُمَرَ الْقُرْآنَ عَلَى رِوَايَةِ أَبِي عَمْرٍو، وَحَفِظَ «مُخْتَصَرَ الْخِرَقِيِّ» فِي الْفِقْهِ، الَّذِي شَرَحَهُ أَخُوهُ، فَكَتَبَ شَرْحَهُ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ «تَفْسِيرَ الْبَغَوِيِّ» ، وَ «الْحِلْيَةَ» لِأَبِي نُعَيْمٍ، وَ «الْإِبَانَةَ» لِابْنِ بَطَّةَ، وَكَتَبَ مَصَاحِفَ كَثِيرَةً لِلنَّاسِ وَلِأَهْلِهِ مجانًا، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، وَالتَّهَجُّدِ، يَصُومُ الدَّهْرَ، عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْعِبَادَةِ، لَا يَزَالُ مُتَبَسِّمًا، وَكَانَ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيُصَلِّي الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِيهِنَّ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وَكَانَ مُتَقَلِّلًا فِي الْمَلْبَسِ، وَكَانَ هُوَ وَأَخُوهُ وَابْنُ خَالِهِمُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ المقدسي، وَأَخُوهُ الشَّيْخُ الْعِمَادُ **لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ غَزَاةٍ يَخْرُجُ فِيهَا الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى بِلَادِ الْفِرِنْجِ**.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠.

وَقَدْ حَضَرُوا مَعَهُ فَتْحَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهَا، وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ يَوْمًا إِلَى خَيْمَتِهِمْ لِزِيَارَةِ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَمَا قَطَعَ صَلَاتَهُ وَلَا أَوْجَزَهَا.

وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، حَسَنَ الْعَقِيدَةِ، مُتَمَسِّكًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الْمَرْوِيَّةِ، يُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ طَعْنٍ عَلَى أَئِمَّةِ الدِّينِ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَنْهَى عَنْ صُحْبَةِ الْمُبْتَدِعِينَ، وَيَأْمُرُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ. وتوفي سنة (٦٠٧هـ).

٧٦- **الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَوْصِلِيُّ**، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ وَالْفُنُونِ الْكَثِيرَةِ، كَانَ رَئِيسَ الشَّافِعِيَّةِ بِالْمَوْصِلِ، وَبُعِثَ رَسُولًا إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَوْتِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ، وَكَانَ عِنْدَهُ **وَسْوَسَةٌ كَثِيرَةٌ فِي الطَّهَارَةِ**.

وَكَانَ يُعَامِلُ فِي الْأَمْوَالِ **بِمَسْأَلَةِ الْعِينَةِ** - وَلَوْ عَكَسَ الْأَمْرَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ - فَلَقِيَهُ يَوْمًا رجلاً، فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَغْسِلُ الْعُضْوَ مِنْ أَعْضَائِكَ بِأَبَارِيقَ مِنَ الْمَاءِ، فَلِمَ لَا تَسْتَنْظِفُ اللُّقْمَةَ الَّتِي تَأْكُلُهَا؛ لِيَسْتَنْظِفَ قَلْبُكَ وَبَاطِنُكَ؟! فَفَهِمَ الشَّيْخُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَرَكَ الْمُعَامَلَةَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَوْصِلِ فِي رَجَبٍ سنة (٦٠٨هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٧٧- **أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدِّيبَاجِيُّ**، مِنْ أَهْلِ مَرْوَ، لَهُ كِتَابُ «الْمُحَصَّلِ» فِي شَرْحِ «الْمُفَصَّلِ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ فِي النَّحْوِ، كَانَ ثِقَةً عَالِمًا، سَمِعَ الْحَدِيثَ، تُوُفِّيَ فِي سنة (٦٠٩هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً.

٧٨- **الشَّيْخُ الزَّاهِدُ أَبُو الثَّنَاءِ مَحْمُودُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَكَارِمَ النَّعَّالُ الْحَنْبَلِيُّ**، لَهُ عِبَادَاتٌ وَمُجَاهَدَاتٌ، وَبَنَى رِبَاطًا بِبَابِ **الْأَزَجِ**[1]، يَأْوِي إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الْمَقَادِسَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ يُؤْثِرُهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سنة (٦٠٩هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

---

(١) محلة كبيرة ذات أسوار في شرقي بغداد. معجم البلدان ١/ ٢٣٢.

٧٩-**الْوَزِيرُ مُعِزُّ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي** سَعِيدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَدِيدَةَ، مِنْ سُلَالَةِ الصَّحَابِيِّ قُطْبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَلِيَ الْوِزَارَةَ لِلخليفة النَّاصِرِ فِي سَنَةِ (٥٨٤هـ)، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْ سِفَارَةِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، فَهَرَبَ إِلَى مَرَاغَةَ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، فَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مُعَظَّمًا مُحْتَرَمًا، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦١٠هـ).

٨٠-**سَنْجَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّاصِرِيُّ الْخَلِيفِيُّ**، كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَأَمْلَاكٌ، وَإِقْطَاعَاتٌ مُتَّسِعَةٌ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ بَخِيلًا ذَلِيلًا، سَاقِطَ النَّفْسِ، اتَّفَقَ أَنَّهُ خَرَجَ **أَمِيرَ الْحَاجِّ** فِي سَنَةِ (٥٨٩هـ)، فَاعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فِي نَفَرٍ يَسِيرٍ، وَكَانَ مَعَ سَنْجَرَ خَمْسُمِائَةِ فَارِسٍ، فَدَخَلَهُ الذُّلُّ مِنَ مقدم الْأَعْرَابِ، فَطَلَبَ مِنْهُ الْأَعْرَابِيُّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَجَبَاهَا سَنْجَرُ مِنَ الْحَجِيجِ، وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَادَ أَخَذَ الْخَلِيفَةُ مِنْهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَدَفَعَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا وَعَزَلَهُ، وَوَلَّى طَاشْتِكِينَ مَكَانَهُ، توفي سنة (٦١٠هـ).

٨١- **تَاجُ الْأُمَنَاءِ، أَحْمَدُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ **هِبَةِ اللهِ بْنِ عَسَاكِرَ**، مِنْ بَيْتِ الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَخَوَيْهِ زَيْنِ الْأُمَنَاءِ وَالْفَخْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ عَمَّيْهِ الْحَافِظَ أَبَا الْقَاسِمِ وَالصَّائِنَ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْكِنْدِيِّ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦١٠هـ) يَوْمَ الْأَحَدِ ثَانِي رَجَبٍ، وَدُفِنَ قِبْلِيَّ مِحْرَابِ مَسْجِدِ الْقَدَمِ بدمشق.

٨٢- **عِيسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُزُولِيُّ** - بَطْنٌ مِنَ الْبَرْبَرِ - النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ الْمُقَدِّمَةِ الْمُسَمَّاةِ بِـ«**الْقَانُونِ**» وَقَدْ شَرَحَهَا هُوَ وَتَلَامِذَتُهُ، وَكُلُّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ فَهْمِ مُرَادِهِ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا، قَدِمَ دِيَارَ مِصْرَ، **وَأَخَذَ عَنِ ابْنِ بَرِّيٍّ**، ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ، وَوَلِيَ خَطَابَةَ مَرَّاكُشَ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦١٠هـ).

٨٣-**إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرُوسٍ الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ**، أَفْتَى وَنَاظَرَ، وَعَدَّلَ عِنْدَ الْحُكَّامِ، **ثُمَّ انْسَلَخَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ**، وَصَارَ شُرْطِيًّا بِبَابِ النُّوبِيِّ، يَضْرِبُ النَّاسَ وَيُؤْذِيهِمْ

غَايَـةَ الْأَذَى، ثُـمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّـهِ ضُرِبَ إِلَى أَنْ مَاتَ سـنة (٦١١هـ)، وَأُلْقِـيَ فِي دِجْلَةَ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِمَوْتِهِ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ رَجُلًا صَالِحًا.

٨٤-**الْحَافِظُ عَلِيُّ بْنُ الْأَنْجَبِ** أَبِي الْمَكَارِمِ اللَّخْمِيُّ الْإِسْـكَنْدَرَانِيُّ الْمَالِكِيُّ، سَـمِعَ السِّـلَفِيَّ، وَعَبْدَ الرَّحِيمِ الْمُنْذِرِيَّ، وَكَانَ مُدَرِّسًـا لِلْمَالِكِيَّةِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَنَائِبَ الْحُكْمِ بِهَا، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

أَيَـا نَفْـسُ بِالْمَأْثُورِ عَـنْ خَيْرِ مُرْسَـلٍ ... وَأَصْـحَـابِـهِ وَالـتَّـابِـعِـيـنَ تَـمَـسَّـكِـي
وَخَافِي غَـدًا يَـوْمَ الْـحِسَابِ جَهَنَّمَا ... إِذَا لَـفَـحَـتْ نِـيـرَانُـهَـا أَنْ تَـمَـسَّـكِـي

توفي بِالْقَاهِرَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦١١هـ).

٨٥-**الْحَافِـظُ عَبْدُ الْقَادِرِ** بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْـدِ الرَّحْمَنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ **الرُّهَاوِيُّ**، الْحَافِظُ الْكَبِيـرُ الْمُحَدِّثُ الْمُخَرِّجُ الْمُفِيدُ الْمُحَرِّرُ الْمُتْقِنُ الْبَارِعُ الْمُصَنِّفُ الْمُفِيدُ، اشْـتَغَلَ بِدَارِ الْحَدِيـثِ بِالْمَوْصِـلِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى حَرَّانَ وَقَدْ رَحَلَ إِلَى بُلْدَانٍ شَـتَّى، وَسَـمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَـايِخِ شَـرْقًا وَغَرْبًا، وَأَقَامَ بِحَرَّانَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا سـنة (٦١٢هـ)، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، كَانَ دَيِّنًا صَالِحًا خَيِّرًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

٨٦-**أَبُو بَكْرٍ الْمُبَارَكُ** بْنُ سَعِيدِ بْنِ الدَّهَّانِ النَّحْوِيُّ الْوَاسِطِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِالْوَجِيهِ، وُلِدَ بِوَاسِـطَ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ، فَاشْـتَغَلَ بِعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّحْوِ، فَأَتْقَنَ ذَلِكَ، وَحَفِظَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَشْـعَارِ الْعَرَبِ، وَسَـمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ حَنْبَلِيًّا، فَانْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ صَارَ شَافِعِيًّا، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ النَّحْوِ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَمَـنْ مُبْلِغًا عَـنِّي الْـوَجِـيهَ رِسَـالَـةً ... وَإِنْ كَـانَ لَا تُجْدِي لَدَيْهِ الرَّسَائِلُ
تَمَذْهَبْتَ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ ابْـنِ حَنْبَلٍ ... وَذَلِــكَ لَـمَّـا أَعْــوَزَتْــكَ الْـمَـآكِـلُ
وَمَـا اخْـتَـرْتَ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ تَدَيُّنًا ... وَلَكِنَّمَا تَـهْـوَى الَّـذِي هُـوَ حَاصِلُ
وَعَـمَّـا قَلِيلٍ أَنْــتَ لَا شَــكَّ صَائِرٌ ... إِلَـى مَـالِـكٍ فَـافْـطِـنْ لِـمَـا أَنَـا قَـائِلُ

وَكَانَ يَحْفَظُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحِكَايَاتِ وَالْأَمْثَالِ وَالْمُلَحِ، وَيَعْرِفُ **الْعَرَبِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالْعَجَمِيَّةَ وَالرُّومِيَّةَ وَالْحَبَشِيَّةَ وَالزِّنْجِيَّةَ**، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي نَظْمِ الشِّعْرِ.

وَلَهُ مَدَائِحُ حَسَنَةٌ وَأَشْعَارٌ رَائِقَةٌ، وَيَبْتَكِرُ مَعَانِيَ فَائِقَةً، وَرُبَّمَا عَارَضَ شِعْرَ **الْبُحْتُرِيِّ** بِمَا يُقَارِبُهُ وَيُدَانِيهِ. قَالُوا: وَكَانَ الْوَجِيهُ لَا يَغْضَبُ قَطُّ، وتوفي فِي شَعْبَانَ سنة (٦١٢هـ).

٨٧- الْمَلِكُ الظَّاهِرُ **غَازِيُّ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ**، صَاحِبُ حَلَبَ، وَكَانَ **مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ**، وَأَسَدِّهِمْ سِيرَةً، دَيِّنًا عَاقِلًا عَادِلًا؛ وَلَكِنْ **كَانَ فِيهِ عَسْفٌ وَيُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ** سَرِيعًا شَدِيدًا، وَكَانَ يُكْرِمُ الْعُلَمَاءَ، وَالشُّعَرَاءَ، وَالْفُقَرَاءَ، أَقَامَ فِي الْمُلْكِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَحَضَرَ كَثِيرًا مِنَ الْغَزَوَاتِ مَعَ أَبِيهِ، وَكَانَ **ذَكِيًّا**، لَهُ رَأْيٌ جَيِّدٌ، وَعِبَارَةٌ سَادَّةٌ، وَفِطْنَةٌ حَسَنَةٌ، توفي سنة (٦١٣هـ) وَعُمره أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

٨٨- **تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيُمْنِ** زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ **الْكِنْدِيُّ**، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، وَحِيدُ عَصْرِهِ، وُلِدَ بِبَغْدَادَ وَنَشَأَ بِهَا، وَاشْتَغَلَ وَحَصَّلَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا، **وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ**، وَعُلُوِّ الْإِسْنَادِ. وَحُسْنِ الطَّرِيقَةِ، وَحُسْنِ الْعَقِيدَةِ.

وَانْتَفَعَ بِهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ الْعَالِي عَلَى الشُّيُوخِ الثِّقَاتِ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَاللُّغَةَ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الشَّامِ فِي سَنَةِ (٥٦٣هـ)، وَسَكَنَ مِصْرَ، وَاجْتَمَعَ بِالْقَاضِي الْفَاضِلِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى **دِمَشْقَ**، وَحَظِيَ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، كَانَ **الْأَفْضَلُ** بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ - وَهُوَ صَاحِبُ دِمَشْقَ - يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ، وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ يُثْنِي عَلَيْهِ كَثِيرًا.

وَكَانَ حَسَنَ الْعَقِيدَةِ، ظَرِيفَ الْخُلُقِ طَرِيفًا، لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُجَالَسَتِهِ، وَلَهُ النَّوَادِرُ الْعَجِيبَةُ، وَالْخَطُّ الْمَلِيحُ، وَالشِّعْرُ الرَّائِقُ، وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ كَبِيرٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَادِسَ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٦١٣هـ)، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً.

وَكَانَ قَدْ وَقَفَ كُتُبًا نَفِيسَةً - سَبْعُمِائَةٍ وَإِحْدَى وَسِتُّونَ مُجَلَّدًا - عَلَى مُعْتَقِهِ نَجِيبِ الدِّينِ يَاقُوتٍ، ثُمَّ عَلَى وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ تَرَكَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نِعْمَةً وَافِرَةً، وَأَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَمَمَالِيكَ مُتَعَدِّدَةً مِنَ التُّرْكِ

وَأَنْشَدَ تَاجُ الدِّينِ فِي قَتْلِ عُمَارَةَ الْيَمَنِيِّ، حِينَ كَانَ مَالَأَ الْكَفَرَةَ وَالْمُلْحِدِينَ عَلَى قَتْلِ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَعَوْدِ دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ:

عُمَارَةُ فِي الْإِسْلَامِ أَبْدَى خِيَانَةً ... وَحَالَفَ فِيهَا بَيْعَةً وَصَلِيبَا
وَأَمْسَى شَرِيكَ الشِّرْكِ فِي بُغْضِ أَحْمَدَ ... وَأَصْبَحَ فِي حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبَا
وَكَانَ خَبِيثَ الْمُلْتَقَى إِنْ عَجَمْتَهُ ... تَجِدْ مِنْهُ عُودًا فِي النِّفَاقِ صَلِيبَا
سَيَلْقَى غَدًا مَا كَانَ يَسْعَى لِأَجْلِهِ ... وَيُسْقَى صَدِيدًا فِي لَظًى وَصَلِيبَا

٨٩- **أَبُو إِسْحَاقَ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُرُورٍ، **الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ**، كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بِسَنَتَيْنِ، رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ مَرَّتَيْنِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَثِيرَ الصِّيَامِ؛ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَكَانَ فَقِيهًا مُفْتِيًا، لَهُ كِتَابُ الْفُرُوقِ.

وَكَانَ يَؤُمُّ بِمِحْرَابِ **الْحَنَابِلَةِ** مَعَ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ بِغَيْرِ مِحْرَابٍ، ثُمَّ وُضِعَ الْمِحْرَابُ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكَانَ يَؤُمُّ بِالنَّاسِ لِقَضَاءِ الْفَوَائِتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ. صَلَّى الْمَغْرِبَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَكَانَ صَائِمًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ بِدِمَشْقَ، فَأَفْطَرَ ثُمَّ مَاتَ فَجْأَةً، سنة (٦١٤هـ) فَصَلَّى عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ ابن قدامة، وَكَانَ يَوْمُ مَوْتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا مِنْ كَثْرَةِ الْخَلْقِ.

٩٠- **جَمَالُ الدِّينِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الْأَنْصَارِيُّ الْحَرَسْتَانِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٢٠هـ)، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ حَرَسْتَا، فَنَزَلَ دَاخِلَ بَابِ تُومَا، وَأَمَّ بِمَسْجِدِ الزَّيْنَبِيِّ، وَنَشَأَ وَلَدُهُ هَذَا نَشْأَةً حَسَنَةً، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَشَارَكَ الْحَافِظَ ابْنَ عَسَاكِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شُيُوخِهِ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ بِمَقْصُورَةِ

الْخَضِرِ، لَا تَفُوتُهُ الْجَمَاعَـةُ بِالْجَامِعِ، وَدَرَسَ بِالْمُجَاهِدِيَّةِ، وَعُمِّرَ دَهْرًا طَوِيلًا عَلَى هَذَا الْقَـدَمِ الصَّالِحِ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ عَنِ ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَصَلَاتَهُ بِالْجَامِـعِ، ثُـمَّ لما عَزَلَ الملك الْعَـادِلُ الْقَاضِيَ ابْـنَ الزَّكِيِّ أَلْزَمَ الْقَاضِـي جَمَالَ الدِّينِ بِوِلَايَةِ الْقَضَاءِ، وَلَهُ ثِنْتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَأَعْطَاهُ تَدْرِيسَ الْعَزِيزِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّـلَامِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنِ ابْنِ الْحَرَسْـتَانِيِّ، كَانَ يَحْفَظُ الْوَسِـيطَ لِلْغَزَّالِـيِّ، وَذَكَـرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْدَلِ الْقُضَـاةِ وَأَقْوَمِهِمْ بِالْحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَكَانَ ابْنُهُ عِمَادُ الدِّينِ يَخْطُبُ بِجَامِعِ دِمَشْـقَ وَوَلِيَ مَشْـيَخَةَ الْأَشْرَفِيَّةِ يَنُوبُ عَنْهُ، ثُمَّ إِنَّهُ عَزَلَ ابْنَهُ عَنْ نِيَابَتِهِ لِشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، وَاسْتَنَابَ شَمْسَ الدِّينِ بْنَ الشِّيرَازِيِّ.

كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ السَّـبْتِ رَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٦١٤هـ) وَلَهُ خَمْسٌ وَتِسْـعُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، ثُمَّ دُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٩١ - قَاضِـي قُضَـاةِ بَغْـدَادَ، عَبْـدُ اللهِ بْـنُ الْحُسَـيْنِ بْـنِ الدَّامَغَانِـيِّ الْحَنَفِيُّ، سَـمِعَ الْحَدِيـثَ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَـبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَوَلِـيَ الْقَضَاءَ بِبَغْدَادَ مَرَّتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سَـبْعَ عَشْرَةَ سَـنَةً، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، عَارِفًا بِالْحِسَـابِ وَالْفَرَائِضِ وَقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ. توفي سنة (٦١٥هـ) .

٩٢- الْأَمِيـر أَبُو الْيُمْنِ، مَوْلَـى الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ نَجَاحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَبَشِـيُّ الشَّـرَابِيُّ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْخَلِيفَةَ، فَلَمَّا مَاتَ وَجَدَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَجْدًا عَظِيمًا، وَكَانَ يَوْمُ جَنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْـهُودًا، كَانَ بَيْنَ يَدَيِ النَّعْشِ مِائَةُ بَقَرَةٍ وَأَلْفُ شَـاةٍ وَأَحْمَالٌ مِنَ التَّمْرِ وَالْخُبْزِ وَالْمَاوَرْدِ، وَقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ تَحْتَ التَّاجِ، وَتَصَدَّقَ عَنْهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ عَلَى الْمَشَاهِدِ، وَمِثْلِهَا عَلَى الْمُجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ، وَأَعْتَقَ مَمَالِيكَهُ، وَوَقَفَ عَنْهُ خَمْسَمِائَةِ مُجَلَّدٍ.

قال الذهبي: [١] وَكَانَ ديِّنًا، سمْحًا، جوادًا، عاقلًا، رئيسًا، يحبّ المساكين ويؤثرهم، ويأخذ للضّعيف من القويّ. وتوفي رابع رمضان سنة (٦١٥هـ).

(١) تاريخ الإسلام (١٣/ ٤٥٣) وسوق الأموال بين يدي الجنازة أمر غريب، وغير مشروع.

٩٣- **أَبُو الْمُظَفَّرِ، مُحَمَّدُ بْنُ عُلْوَانَ بْنِ مُهَاجِرٍ الْمَوْصِلِيُّ**، تَفَقَّهَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ، فَسَادَ أَهْلَ وَقْتِهِ، وَتَقَدَّمَ فِي الْفَتْوَى وَالتَّدْرِيسِ بِمَدْرَسَةِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ صَالِحًا دَيِّنًا، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦١٥هـ).

٩٤- الْخَاتُونُ الْجَلِيلَةُ **سِتُّ الشَّامِ** بِنْتُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي، وَاقِفَةُ الْمَدْرَسَتَيْنِ الْبَرَّانِيَّةِ وَالْجَوَّانِيَّةِ، **أُخْتُ الْمُلُوكِ وَعَمَّةُ أَوْلَادِهِمْ**، كَانَ لَهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْمَحَارِمِ **خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ مَلِكًا**. مِنْهُمْ: شَقِيقُهَا الْمُعَظَّمُ تَوْرَانُ شَاهْ بْنُ أَيُّوبَ **صَاحِبُ الْيَمَنِ**، وَهُوَ مَدْفُونٌ عِنْدَهَا فِي تُرْبَتِهَا، وَكذا زَوْجُهَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ بْنِ شَاذِي **صَاحِبُ حِمْصَ**، وَكَانَتْ قَدْ تَزَوَّجَتْهُ بَعْدَ أَبِي ابْنِهَا حُسَامِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ لَاجِينَ.

وَكَانَتْ سِتُّ الشَّامِ مِنْ أَكْثَرِ النِّسَاءِ صَدَقَةً وَإِحْسَانًا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِيجِ، وَكَانَتْ تَعْمَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي دَارِهَا أَشْرِبَةً، وَأَدْوِيَةً، وَعَقَاقِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَتُفَرِّقُهُ عَلَى النَّاسِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ النَّهَارِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ (٦١٦هـ) فِي دَارِهَا.

٩٥- **الشَّيْخُ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، صَاحِبُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، وَكِتَابِ «اللُّبَابِ» فِي النَّحْوِ، وَلَهُ حَوَاشٍ عَلَى «الْمَقَامَاتِ»، وَ «مُفَصَّلِ الزَّمَخْشَرِيِّ»، «وَدِيوَانِ الْمُتَنَبِّي»، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَهُ فِي الْحِسَابِ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ صَالِحًا دَيِّنًا، وكان فَقِيهًا مُنَاظِرًا عَارِفًا بِالْأَصْلَيْنِ وَالْفِقْهِ، مَاتَ سنة (٦١٦هـ) وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩٦- **أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ الْقَاسِمِ، ابْنُ الْمُفَرِّجِ بْنِ دِرْعٍ التِّكْرِيتِيُّ الشَّافِعِيُّ**، تَاجُ الدِّينِ، قَاضِي تكريت ثُمَّ دَرَسَ بِنِظَامِيَّةِ بَغْدَادَ، وَكَانَ مُتْقِنًا لِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهَا التَّفْسِيرُ وَالْفِقْهُ وَالْأَدَبُ وَالنَّحْوُ وَاللُّغَةُ، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَجَمَعَ لِنَفْسِهِ تَارِيخًا حَسَنًا، وتوفي سنة (٦١٦هـ).

٩٧- **الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ نَجْمِ بْنِ شَاسِ بْنِ نِزَارِ السَّعْدِيُّ** الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ، مُصَنِّفُ كِتَابِ «**الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ فِي مَذْهَبِ عَالِمِ الْمَدِينَةِ**»، وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الْكُتُبِ فَوَائِدَ فِي الْفُرُوعِ، رَتَّبَهُ عَلَى طَرِيقَةِ «الْوَجِيزِ» لِلْغَزَّالِيِّ. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، وَالطَّائِفَةُ الْمَالِكِيَّةُ بِمِصْرَ عَاكِفَةٌ عَلَيْهِ لِحُسْنِهِ وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِمِصْرَ، وَتُوُفِّيَ بِدِمْيَاطَ سنة (٦١٦هـ).

٩٨- **شَيْخُ الشُّيُوخِ صَدْرُ الدِّينِ**، أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمَادِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ حَمُّوَيْهِ الْجُوَيْنِيُّ، مِنْ بَيْتِ رِيَاسَةٍ وَإِمْرَةٍ عِنْدَ بَنِي أَيُّوبَ، وَقَدْ كَانَ صَدْرُ الدِّينِ هَذَا فَقِيهًا فَاضِلًا، دَرَسَ بِالشَّافِعِيِّ، وَبِمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ سَعِيدِ السُّعَدَاءِ وَالنَّظَرَ فِيهَا، وَكَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ وَافِرَةٌ عِنْدَ الْمُلُوكِ، أَرْسَلَهُ الْكَامِلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى الْفِرِنْجِ، فَمَاتَ بِالْمَوْصِلِ سنة (٦١٧هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٩٩- **صَاحِبُ حَمَاةَ** الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ تَقِيِّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ، وَكَانَ فَاضِلًا لَهُ تَارِيخٌ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ سَمَّاهُ الْمِضْمَارَ، وَكَانَ شُجَاعًا فَارِسًا، فَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ وَالِدُهُ النَّاصِرُ قِلِيجُ أَرْسَلَانَ، ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا الْكَامِلُ، وَحَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ سنة (٦١٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

١٠٠- **يَاقُوتُ الْكَاتِبُ الخطاط** الْمَوْصِلِيُّ، الْمَشْهُورُ بِطَرِيقَةِ **ابْنِ الْبَوَّابِ**.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:[(١)] لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ مَنْ يُقَارِبُهُ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ، وَالنَّاسُ مُتَّفِقُونَ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَكَانَ نِعْمَ الرَّجُلُ، توفي سنة (٦١٨هـ)

١٠١- **أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الْوَدُودِ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ الْمُبَارَكِ**، الْوَاسِطِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، كَمَالُ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ وَالِدُهُ بِالْمُجِيرِ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِيهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ عِلْمَ الْكَلَامِ، وَدَرَسَ بِمَدْرَسَتِهِ عِنْدَ بَابِ الْأَزَجِ، وَوَكَّلَهُ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ، وَاشْتَهَرَ بِالدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَبَاشَرَ مَنَاصِبَ كِبَارًا، وَحَجَّ مِرَارًا عَدِيدَةً، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، توفي سنة (٦١٨هـ).

---

(١) ١٢/ ٤٠٥

١٠٢-**الشَّـيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بْنُ قُدَامَـةَ**، عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ **الْمَقْدِسِـيُّ**، إِمَامٌ عَالِمٌ بَارِعٌ، لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ بَلْ وَلَا قَبْلَ دَهْرِهِ بِمُدَّةٍ، أَفْقَهُ مِنْهُ.

وُلِدَ بْجَمَّاعِيلَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدِمَ مَعَ أَهْلِهِ إِلَى دِمَشْقَ فِي سَـنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِـينَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَسَـمِعَ الْحَدِيـثَ الْكَثِيرَ، **وَرَحَـلَ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْعِرَاقِ**؛ وَحَجَّ فِي سَـنَةِ (٥٧٣هـ)، **وَتَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ** عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَبَرَعَ وَأَفْتَى وَنَاظَرَ، وَتَبَحَّرَ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مَعَ زُهْدٍ وَعِبَادَةٍ، وَوَرَعٍ وَتَوَاضُعٍ، وَحُسْنِ أَخْلَاقٍ، وُجُودٍ وَحَيَاءٍ وَحُسْـنِ سَـمْتٍ، وَنُورٍ وَبَهَاءٍ، وَكَثْرَةِ تِلَاوَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَقِيَامٍ، وَطَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ وَاتِّبَاعٍ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ.

وَكَانَ يَؤُمُّ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ فِي مِحْرَابِ الْحَنَابِلَةِ هُوَ وَالشَّيْخُ الْعِمَادُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ الْعِمَادُ اسْـتَقَلَّ هُـوَ بِالْوَظِيفَةِ، فَإِنْ غَـابَ صَلَّى عَنْهُ أَبُو سُـلَيْمَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْـنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ.

وكان إذا صَلَّـى الْعَشَـاءَ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِـهِ بِدَرْبِ الدَّوْلَعِيِّ، وَأَخَذَ مَعَـهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَنْ تَيَسَّـرَ؛ يَأْكُلُونَ مَعَهُ مِنْ طَعَامِـهِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ الْأَصْلِيُّ بِقَاسِـيُونَ، فَيَنْصَرِفُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي بَعْدَ الْعَشَـاءِ إِلَى الْجَبَلِ، **فَاتَّفَقَ فِي بَعْـضِ اللَّيَالِي أَنْ خَطِفَ رَجُلٌ عِمَامَتَهُ**، وَكَانَ فِيهَا كَاغِدٌ فِيهِ رَمْلٌ، فَقَالَ لَهُ الشَّـيْخُ: خُذِ الْكَاغِدَ، وَأَلْقِ الْعِمَامَةَ. فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّ الْكَاغِدَ مَـالًا، فَأَخَـذَهُ وَأَلْقَى الْعِمَامَـةَ، فَأَخَذَهَا الْمُوَفَّقُ ثُـمَّ ذَهَبَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَـى ذَكَاءٍ مُفْرِطٍ وَاسْتِحْضَارٍ حَسَنٍ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ، حَتَّى خَلَّصَ عِمَامَتَهُ مِنْ يَدِهِ بِتَلَطُّفٍ.

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْهَا «الْمُغْنِي» فِي شَرْحِ «مُخْتَصَرِ الْخِرَقِيِّ» وَ «الْكَافِي» وَ «الْمُقْنِـعُ» لِلْحِفْظِ، وَ «الرَّوْضَةُ» فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَغَيْـرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ، وَكَانَـتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ فِي سـنة (٦٢٠هـ)، وَقَدْ بَلَـغَ الثَّمَانِينَ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ خَلْـقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ لَـهُ أَوْلَادٌ ذُكُورٌ وَإِنَاثٌ، فَمَاتُوا فِي حَيَاتِهِ. وَلَمْ يُعْقِبْ مِنْهُمْ سِـوَى ابْنِهِ عِيسَى وَلَدَيْنِ، ثُمَّ مَاتَا وَانْقَطَعَ نَسْلُهُ.

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ: نَقَلْتُ مِنْ **خَطِّ الشَّيْخِ مُوَفَّقٍ**:

لَا تَجْلِسَنَّ بِبَابِ مَنْ ... يَأْبَى عَلَيْكَ دُخُولَ دَارِهْ
وَتَقُولُ حَاجَاتِي إِلَيْـ ... ـهِ يَعُوقُهَا إِنْ لَمْ أُدَارِهْ
وَاتْرُكْهُ وَاقْصِدْ رَبَّهَا ... تُقْضَى وَرَبُّ الدَّارِ كَارِهْ

١٠٣ -فَخْرُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ **بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَسَاكِرِ الدِّمَشْقِيُّ**، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ طَاهِرٍ الْقُرَيْشِيَّةُ، وَهِيَ أُخْتُ آمِنَةَ وَالِدَةِ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الزَّكِيِّ.

اشْتَغَلَ الشَّيْخُ مِنْ صِغَرِهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ عَلَى شَيْخِهِ مَسْعُودٍ النَّيسَابُورِيِّ، وَتَزَوَّجَ بِابْنَتِهِ، وَدَرَسَ مَكَانَهُ بِالْجَارُوخِيَّةِ، ثُمَّ تَوَلَّى تَدْرِيسَ الصَّلَاحِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْعَادِلُ تَدْرِيسَ **التَّقْوِيَةِ**، وَكَانَ عِنْدَهُ أَعْيَانُ الْفُضَلَاءِ، ثُمَّ تَفَرَّغَ، فَلَزِمَ الْمُجَاوَرَةَ فِي الْجَامِعِ، يَخْلُو فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُطَالَعَةِ وَالْفَتَاوَى، وَكَانَتْ تَفِدُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ. وَكَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ، حَسَنَ السَّمْتِ، وَكَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ مَكَانَ عَمِّهِ؛ لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ وَغَيْرَهُ،

وَكَانَ يَحْضُرُ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ، وَقَدِ اسْتَدْعَاهُ الْمَلِكُ **الْعَادِلُ** بَعْدَ مَا عَزَلَ قَاضِيَهُ زَكِيَّ الدِّينِ، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَقْتَ السِّمَاطِ، وَسَأَلَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَخِيرَ اللهَ تَعَالَى. ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ عَلَى السُّلْطَانِ امْتِنَاعُهُ، وَهَمَّ أَنْ يُؤْذِيَهُ، فَقِيلَ لَهُ: احْمَدِ اللهَ الَّذِي فِي بِلَادِكَ مِثْلُ هَذَا.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ الْعَادِلُ، وَأَعَادَ ابْنُهُ الْمُعَظَّمُ الْخُمُورَ **أَنْكَرَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ**، فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ، **فَانْتَزَعَ مِنْهُ تَدْرِيسَ الصَّلَاحِيَّةِ** الَّتِي بِالْقُدْسِ وَتَدْرِيسَ التَّقْوِيَةِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ عَاشِرَ رَجَبٍ مِنْ سَنَة (٦٢٠هـ)، وَلَهُ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

١٠٤ - **أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْمَحَاسِنِ زُهْرَةَ الْعَلَوِيُّ الْحُسَيْنِيُّ الْحَلَبِيُّ**، نَقِيبُ الْأَشْرَافِ بِهَا، كَانَ لَدَيْهِ فَضْلٌ وَعِلْمٌ بِالْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَأَخْبَارِ النَّاسِ وَالتَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ وَالْحَدِيثِ، حَافِظًا لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، وتوفي سنة (٦٢٠هـ).

١٠٥ -**أَبُو الْكَرَمِ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْمُبَارَكِ**، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ الْحَنَفِيُّ، شَيْخُ مَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِ، وَلِيَ الْحِسْبَةَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ، وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا شَاعِرًا، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

فَصُنْ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ نَفْسَكَ وَاغْتَنِمْ ... شَرِيفَ الْمَزَايَا لَا يَفُتْكَ ثَوَابُهَا
تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ مُهَذَّبٌ ... كَرِيمًا وَقَدْ هَانَتْ عَلَيْكَ صِعَابُهَا
وَدَعْ عَنْكَ أَحْلَامَ الْأَمَانِي فَإِنَّهُ ... سَيُسْفِرُ يَوْمًا غَيُّهَا وَصَوَابُهَا

وتوفي سنة (٦٢١هـ)

١٠٦ -**مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ مَعَالِي بْنِ بَرَكَةَ**، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي الْمَوْصِلِيُّ، قَدِمَ بَغْدَادَ، وَاشْتَغَلَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَأَعَادَ بِهَا، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْقِرَاءَاتِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَأَسْنَدَ الْحَدِيثَ، وَلَهُ شِعْرٌ لَطِيفٌ. وتوفي سنة (٦٢١هـ).

١٠٧ -**أَبُو بَكْرِ بْنُ حَلَبَةَ الْمَوَازِينِيُّ الْبَغْدَادِيُّ**، كَانَ فَرْدًا **فِي عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ** وَصِنَاعَةَ **الْمَوَازِينِ**، يَخْتَرِعُ أَشْيَاءَ عَجِيبَةً، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ثَقَبَ حَبَّةَ خَشْخَاشٍ سَبْعَةَ ثُقُوبٍ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ ثَقْبٍ شَعْرَةً، وَكَانَ لَهُ حُظْوَةٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ. وتوفي سنة (٦٢١هـ).

١٠٨ -**أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ الدُّبَيْثِيُّ** الْوَاسِطِيُّ، شَيْخٌ أَدِيبٌ فَاضِلٌ، لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، **عَارِفٌ بِالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ**، وَعِنْدَهُ كُتُبٌ جَيِّدَةٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ شَرْحُ قَصِيدَةٍ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ فِي ثَلَاثَةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي شِعْرًا حَسَنًا فَصِيحًا حُلْوًا، لَذِيذًا فِي السَّمْعِ، لَطِيفًا فِي الْقَلْبِ، وتوفي سنة (٦٢١هـ) .

❁ ❁ ❁

(٣٥)

خلافة الظاهر محمد بن الناصر لدين اللّه أحمد بن المُسْتَضِيء

٦٢٢هـ - ٦٢٣هـ

(تسعة أشهر)

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

الظاهر محمد بن النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

ولـه مِنَ الْأَوْلَادِ عَشَرَةً ذُكُورًا وَإِنَاثًا، مِنْهُمُ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ الَّذِي بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ: **أَبُو جَعْفَرٍ مَنْصُورُ، وَلُقِّبَ** بِالْمُسْتَنْصِرِ بِاللهِ.

صفاته

كَانَ عَاقِلًا وَقُورًا دَيِّنًا عَادِلًا مُحْسِنًا، رَدَّ مَظَالِمَ كَثِيرَةً، وَأَسْقَطَ مُكُوسًا كَانَ قَدْ أَحْدَثَهَا أَبُوهُ، وَسَارَ فِي النَّاسِ سِيرَةً حَسَنَةً، **حَتَّى قِيلَ**: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَعْدَلَ مِنْهُ لَوْ طَالَتْ مُدَّتُهُ.

وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ بَنِي الْعَبَّاسِ سِيرَةً، وَأَحْسَنِهِمْ سَرِيرَةً، وَأَكْثَرِهِمْ عَطَاءً، وَلَوْ طَالَتْ مُدَّتُهُ لَصَلُحَتِ الْأُمَّةُ صَلَاحًا كَثِيرًا عَلَى يَدَيْهِ.

وَوُجِدَ فِي دَارِهِ رِقَاعٌ مَخْتُومَةٌ لَمْ تُفْتَحْ، فِيهَا سِعَايَاتٌ إِلَيْهِ بِسَبَبِ أُنَاسٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْوُلَاةِ وَغَيْرِهِمْ، لَمْ يَفْتَحْهَا سَتْرًا لِلنَّاسِ وَدَرْءًا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ، مَلِيحَ الْوَجْهِ، أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، حُلْوَ الشَّمَائِلِ، شَدِيدَ الْقُوَى.

❁ ❁ ❁

خلافته

❍ بيعته

بُويِعَ لَمحمد الظاهر بِالْخِلَافَةِ، حِينَ تُوُفِّيَ والده الخليفة الناصر يَوْمُ الْأَحَدِ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٦٢٢هـ)، وَعُمْرُهُ يَوْم بويع (٥٢) سَنَةً، فَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَسَنُّ مِنْهُ.

❍ وفاته

في يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضُحَى الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٦٢٣هـ)، كَانَتْ وَفَاةُ الْخَلِيفَةِ الظاهر، وَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ بِمَوْتِهِ إِلَّا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَدَعَا لَهُ الْخُطَبَاءُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَنَابِرِ عَلَى عَادَتِهِمْ، فَكَانَتْ **خِلَافَتُهُ** تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، **وَعُمْرُهُ** ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

وَغَسَّلَهُ مُحَمَّدٌ الْخَيَّاطُ الْوَاعِظُ، وَدُفِنَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى التُّرَبِ مِنَ الرُّصَافَةِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى.

❁ ❁ ❁

الأحداث في عهده

○ إصلاحاته

- **أَسْقَطَ الْخَرَاجَ** الْمَاضِي عَنِ الْأَرَاضِي الَّتِي قَدْ تَعَطَّلَتْ، وَوَضَعَ عَنْ أَهْلِ بَلْدَةٍ وَاحِدَةٍ - وَهِيَ بَعْقُوبَا - سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ كَانَ أَبُوهُ قَدْ زَادَهَا عَلَيْهِمْ فِي الْخَرَاجِ.

- **وَكَانَتْ صَنْجَةُ الْمَخْزَنِ** التي يأخذون بها الخراج تَزِيدُ عَلَى صَنْجَةِ الْبَلَدِ نِصْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ مِائَةٍ، وَإِذَا أَقْبَضُوا دفَعُوا للمخزن بِصَنْجَةِ الْبَلَدِ، فَكَتَبَ الظاهر إِلَى الدِّيوَانِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١]

فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ تَفَاوُتَ هَذَا عَنِ الْعَامِ الْمَاضِي خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا. فَأَرْسَلَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: هَذَا يُتْرَكُ وَإِنْ كَانَ تَفَاوُتُهُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا.

- **وَأَمَرَ الْقَاضِيَ أَنَّ كُلَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ حَقٌّ بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ** يُوَصَّلُ إِلَيْهِ بِلَا مُرَاجَعَةٍ.

- **وَأَقَامَ فِي النَّظَرِ عَلَى الْأَمْوَالِ الْحَشْرِيَةِ رَجُلًا صَالِحًا.**

- **وَاسْتَخْلَصَ عَلَى الْقَضَاءِ الشَّيْخَ** الْعَلَّامَةَ عِمَادَ الدِّينِ أَبَا صَالِحٍ نَصْرَ بْنَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ، الْحَنْبَلِيَّ، فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَامِنِ ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ الْعَادِلِينَ -رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ- وَلَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ لَمْ يَقْبَلْهُ إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ يُوَرِّثَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، فَقَالَ: أَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَاتَّقِ اللهَ وَلَا تَتَّقِ سِوَاهُ.

- **وَكَانَ مِنْ عَادَةِ أَبِيهِ** أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ حُرَّاسُ الدُّرُوبِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ بِمَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي الْمَحَالِّ مِنَ الِاجْتِمَاعَاتِ الصَّالِحَةِ وَالطَّالِحَةِ، فَلَمَّا وَلِيَ الظَّاهِرُ **أَمَرَ بِتَبْطِيلِ ذَلِكَ كُلِّهِ**، وَقَالَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي كَشْفِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَهَتْكِ أَسْتَارِهِمْ؟! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ تَرْكَ ذَلِكَ يُفْسِدُ

الرَّعِيَّةَ. فَقَالَ: نَحْنُ نَدْعُو اللهَ لَهُمْ أَنْ يُصْلِحَهُمْ.

- **وَأَطْلَقَ مَنْ كَانَ فِي السُّجُونِ مُعْتَقَلا** عَلَى الْأَمْوَالِ الدِّيوَانِيَّةِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ اسْتُخْرِجَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْمَظَالِمِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْقَاضِي بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ يُوَفِّي بِهَا دُيُونَ مَنْ فِي سُجُونِهِ مِنَ الْمَدِينِينَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ وَفَاءً.

- **وَفَرَّقَ فِي الْعُلَمَاءِ** أموالاً كثيرةً. وَقَدْ لَامَهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ، فَقَالَ: إِنَّمَا فَتَحْتُ الدُّكَّانَ بَعْدَ الْعَصْرِ، **فَذَرُونِي أَعْمَلُ صَالِحًا وَأَفْعَلُ الْخَيْرَ**، فَكَمْ مِقْدَارُ مَا بَقِيتُ أَعِيشُ؟ وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ سِيرَتُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ فِي الْعَامِ الْآتِي.

- **وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ فِي أَيَّامِهِ** وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْغَلَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ فِيمَا حَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ أُكِلَتِ الْكِلَابُ وَالسَّنَانِيرُ وَالْمَيْتَاتُ بِبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ، فَزَالَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

- **وكَتَبَ كِتَابًا للولاة على الرعايا:**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ إِمْهَالُنَا إِهْمَالًا، وَلَا إِغْضَاؤُنَا احْتِمَالًا، وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، **وَقَدْ غَفَرْنَا لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ إِخْرَابِ الْبِلَادِ**، وَتَشْرِيدِ الرَّعَايَا، وَتَقْبِيحِ الشَّرِيعَةِ، وَإِظْهَارِ الْبَاطِلِ الْجَلِيِّ فِي صُورَةِ الْحَقِّ الْخَفِيِّ، لِأَغْرَاضٍ انْتَهَزْتُمْ فُرَصَهَا، وَأَنْتُمْ أُمَنَاؤُهُ وَثِقَاتُهُ،

فَتُمِيلُونَ رَأْيَهُ إِلَى هَوَاكُمْ، وَتَمْزُجُونَ بَاطِلَكُمْ بِحَقِّهِ، فَيُطِيعُكُمْ وَأَنْتُمْ لَهُ عَاصُونَ، وَيُوَافِقُكُمْ وَأَنْتُمْ لَهُ مُخَالِفُونَ.

وَالْآنَ قَدْ بَدَّلَ اللهُ بِخَوْفِكُمْ أَمْنًا، وَبِفَقْرِكُمْ غِنًى، وَبِبَاطِلِكُمْ حَقًّا، وَرَزَقَكُمْ سُلْطَانًا يُقِيلُ الْعَثْرَةَ، وَلَا يُؤَاخِذُ إِلَّا من أَصَرَّ، يَأْمُرُكُمْ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ يُرِيدُهُ مِنْكُمْ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ الْجَوْرِ، وَهُوَ يَكْرَهُهُ لَكُمْ، يَخَافُ اللهَ تَعَالَى، فَيُخَوِّفُكُمْ مَكْرَهُ، وَيَرْجُو اللهَ تَعَالَى وَيُرَغِّبُكُمْ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنْ سَلَكْتُمْ مَسَالِكَ خُلَفَاءِ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَأُمَنَائِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِلَّا هَلَكْتُمْ، وَالسَّلَامُ.

❍ إرسال الظاهر إلى الملوك بمنع موالاة الخوارزمية

فِي سنة (٦٢٣هـ) قَدِمَ **مُحْيِي الدِّينِ** يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الْجَوْزِيِّ مِنْ بَغْدَادَ فِي الرَّسْلِيَّةِ إِلَى الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ بِدِمَشْقَ، وَمَعَهُ الْخِلَعُ وَالتَّشَارِيفُ لِأَوْلَادِ الْعَادِلِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللهِ، **وَمَضْمُونُ الرِّسَالَةِ** نَهْيُهُ عَنْ مُوَالَاةِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ، فَإِنَّهُ خَارِجِيٌّ مِنْ عَزْمِهِ قِتَالُ الْخَلِيفَةِ وَأَخْذُ بَغْدَادَ مِنْهُمْ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَرَكِبَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْجَوْزِيِّ إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ، وَحَصَلَ لَهُ جَوَائِزُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ، مِنْهَا كَانَ بِنَاءُ الْمَدْرَسَةِ **الْجَوْزِيَّةِ** بِدِمَشْقَ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان في عهده

١- **نُـورُ الدِّيـنِ علي بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ يُوسُـفَ بْـنِ أَيُّوبَ**، كَانَ وَلِـيَّ عَهْدِ أَبِيهِ، وَقَدْ مَلَكَ دِمَشْـقَ بَعْدَهُ مُدَّةَ سَنَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ عَمُّهُ الْعَادِلُ، ثُمَّ كَادَ أَنْ يَمْلِكَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّـةَ بَعْدَ أَخِيهِ الْعَزِيزِ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ عَمُّـهُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اقْتَصَرَ عَلَى صَرْخَدَ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ أَيْضًا عَمُّهُ الْعَادِلُ، ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ أَنْ مَلَكَ سُمَيْسَـاطَ، وَبِهَا تُوُفِّيَ فِي سـنة (٦٢٢هـ) وَكَانَ فَاضِلًا شَاعِرًا، جَيِّدَ الْكِتَابَةِ.

٢-**الْفَخْـرُ ابْـنُ تَيْمِيَّةَ** مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِـمِ بْـنِ مُحَمَّدٍ الْحَرَّانِـيُّ، عَالِمُهَا وَمُفْتِيهَا وَخَطِيبُهَـا وَوَاعِظُهَـا، اشْـتَغَلَ عَلَـى مَذْهَبِ الْإِمَـامِ أَحْمَدَ، وَبَـرَعَ فِيهِ وَبَـرَزَ وَحَصَّلَ، وَجَمَعَ تَفْسِـيرًا حَافِلًا فِي مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ الْخُطَبُ الْمَشْهُورَةُ الْمَنْسُوبَةُ إِلَيْهِ، وَهُوَ عَمُّ الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ صَاحِبِ " الْمُنْتَقَى " فِي الْأَحْكَامِ. توفي سنة (٦٢٢هـ).

٣-**أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ** بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ، **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَرْنِيِّ**، الْوَاعِظُ الْبَغْدَادِيُّ، أَخَذَ الْفَنَّ عَنْ شَـيْخِهِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، توفي سنة (٦٢٢هـ)

٤-**عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى بْنِ دِرْبَاسَ الْهَذْبَانِيُّ الْمَارَانِيُّ** ضِيَاءُ الدِّينِ، أَخُو الْقَاضِي صَدْرِ الدِّيـنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاكِمِ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، وَضِيَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ شَـارِحُ " الْمُهَذَّبِ " وَصَلَ فِيهِ إِلَى كِتَابِ " الشَّـهَادَاتِ " فِي نَحْوٍ مِنْ عِشْـرِينَ مُجَلَّدًا، وَشَرَحَ " اللُّمَعَ " فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَ" التَّنْبِيهَ "لِلشِّيرَازِيِّ، وَكَانَ بَارِعًا عَالِمًا بِالْمَذْهَبِ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى (٦٢٢هـ).

٥- **أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَـنُ بْنُ عَلِيٍّ** بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ عَمَّارٍ الْيَاسِـرِيُّ، نِسْـبَةً إِلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِـرٍ، شَـيْخٌ بَغْدَادِيٌّ فَاضِلٌ، لَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي التَّفْسِيرِ وَالْفَرَائِضِ، وَلَهُ خُطَبٌ وَرَسَائِلُ وَأَشْعَارٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ عِنْدَ الْحُكَّامِ. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى (٦٢٢هـ).

٦- **أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ** مُوسَى ابْنُ يُونُسَ الْإِرْبِلِيُّ الْمَوْصِلِيُّ، مِنْ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالرِّيَاسَةِ، اشْتَغَلَ عَلَى أَبِيهِ فِي فُنُونِهِ وَعُلُومِهِ، فَبَرَعَ وَتَقَدَّمَ وَدَرَسَ، وَشَرَحَ "التَّنْبِيهَ"، وَاخْتَصَرَ "إِحْيَاءَ عُلُومِ الدِّينِ" لِلْغَزَّالِيِّ مَرَّتَيْنِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا، وَكَانَ يُدَرِّسُ مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَقَدْ وَلِيَ بِإِرْبِلَ مَدْرَسَةَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ بَعْدَ مَوْتِ وَالِدِي فِي سَنَةِ (٦١٠هـ) وَكُنْتُ أَحْضُرُ عِنْدَهُ وَأَنَا صَغِيرٌ، وَلَمْ أَرَ أَحَدًا يُدَرِّسُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَلَدِهِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَمَاتَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٦٢٢هـ) عَنْ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

❁ ❁ ❁

(٣٦)

خلافة المستنصر بالله منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد

٦٢٣ـ ٦٤٠

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

○ نسبه

المستنصر بالله **منصور** بن الظاهر محمد بن النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَفِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ خَمْسَةَ عَشَرَ خَلِيفَةً، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنْ آبَائِهِ، **وَلُوا نَسَقًا** وَتَلَقَّى هُوَ الْخِلَافَةَ عَنْهُمْ وِرَاثَةً، كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ

وَقَدْ خَلَّفَ مِنَ الْأَوْلَادِ ثَلَاثَةً: اثْنَانِ شَقِيقَانِ، وَهُمَا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللهِ الْمُسْتَعْصِمُ بِاللهِ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، وَالْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ، **وَأُخْتُهُمَا** مِنْ أُمٍّ أُخْرَى كَرِيمَةُ.

○ صفاته

سَارَ فِي النَّاسِ كَسِيرَةِ أَبِيهِ الظَّاهِرِ فِي الْجُودِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرَّعِيَّةِ، وكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ شَكْلًا وَأَبْهَاهُمْ مَنْظَرًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ   وَفِي خَدِّهِ الشِّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرْ

وكان كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْبِرِّ وَالصِّلَاتِ، مُحْسِنًا إِلَى الرَّعِيَّةِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، كَانَ جَدُّهُ النَّاصِرُ قَدْ جَمَعَ مَا يَتَحَصَّلُ مِنَ الذَّهَبِ فِي بِرْكَةٍ بِدَارِ الْخِلَافَةِ، فَكَانَ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ: **أَتُرَى أَعِيشُ حَتَّى أَمْلَأَهَا**، وَكَانَ الْمُسْتَنْصِرُ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ: **أَتُرَى أَعِيشُ حَتَّى أُنْفِقَهَا كُلَّهَا**.

كَانَ يَبْنِي الرُّبُطَ وَالْخَانَاتِ وَالْقَنَاطِرَ فِي الطُّرُقَاتِ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. وَقَدْ عَمِلَ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَغْدَادَ دَارَ ضِيَافَةٍ لِلْفُقَرَاءِ، لَاسِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يفرق للناس أُلُوفًا مُتَعَدِّدَةً مِنَ الذَّهَبِ بِبَغْدَادَ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ.

وكَانَ **يُوَاظِبُ عَلَى حُضُورِ الْجُمُعَةِ رَاكِبًا** ظَاهِرًا لِلنَّاسِ، وَخَرَجَ مَرَّةً وَهُوَ رَاكِبٌ، فَسَمِعَ ضَجَّةً عَظِيمَةً، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: **التَّأْذِينُ**. فَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَسَعَى مَاشِيًا، ثُمَّ صَارَ يُدْمِنُ الْمَشْيَ إِلَى الْجُمُعَةِ رَغْبَةً فِي التَّوَاضُعِ وَالْخُشُوعِ، وَيَجْلِسُ قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ، وَيَسْتَمِعُ الْخُطْبَةَ، ثُمَّ أُصْلِحَ لَهُ **الْمُطْبَقُ** (١)، فَكَانَ يَمْشِي مِنْهُ إِلَى الْجُمُعَةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ **رَمَضَانَ** تَصَدَّقَ بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْغَنَمِ وَالنَّفَقَاتِ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِيجِ، إِعَانَةً لَهُمْ عَلَى الصِّيَامِ، وَتَقْوِيَةً لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ.

وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ يَوْمَ الْعِيدِ صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً، وَإِنْعَامًا جَزِيلًا إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى يَدَيْ **مُحْيِي الدِّينِ** يوسف بْنِ الْجَوْزِيِّ.

○ وفاته

فِي سنة (٦٤٠هـ) تُوُفِّيَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللهِ منصور بُكْرَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَاشِرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ إِحْدَى وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، **وَكُتِمَ مَوْتُهُ** حَتَّى كَانَ الدُّعَاءُ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وَكَانَتْ **مُدَّةُ وِلَايَتِهِ** سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ **الْمُسْتَعْصِمُ بِاللهِ**، وَدُفِنَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ.

❁ ❁ ❁

(١) طريق مسقوف من بيته إلى المسجد، يشبه النفق.

خلافته

○ بيعته

بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ أَبُوهُ، ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٦٢٣هـ) اسْتَدْعَوْا بِهِ مِنَ قصر التَّاجِ، فَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ **خَمْسًا وَثَلَاثِينَ** سَنَةً، وَاسْتَمَرَّ أَرْبَابُ الْوِلَايَاتِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ أَبِيهِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ خُطِبَ لِلْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللهِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَنُثِرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَأَنْشَدَ الشُّعَرَاءُ الْمَدَائِحَ وَالْمَرَاثِيَ، وَأُطْلِقَتْ لَهُمُ الْخِلَعُ وَالْجَوَائِزُ.

وَقَدِمَ رَسُولٌ مِنْ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يَوْمَ غُرَّةِ شَعْبَانَ مَعَ الْوَزِيرِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ اللهِ بْنِ الْأَثِيرِ، فِيهَا التَّهْنِئَةُ وَالتَّعْزِيَةُ بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ بَلِيغَةٍ.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ تولية نـجم الدين قضاء بغداد

فِي سـنة (٦٢٤هـ) وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ **نَجْـمُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُقْبِلٍ الْوَاسِطِيُّ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ كَمَا هِيَ عَادَةُ الْحُكَّامِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ بناء المدرسة الشرابية

في سـنة (٦٢٨هـ) تَكَامَلَ بِنَاءُ الْمَدْرَسَـةِ الَّتِي بِسُـوقِ الْعَجَمِ مِنْ بَغْدَادَ، الْمَنْسُـوبَةُ إِلَـى **إِقْبَالٍ الشَّـرَابِيِّ**(١)، وَحَضَرَ الـدَّرْس بِهَا، وَكَانَ يَوْمًا مَشْـهُودًا، وَاجْتَمَعَ فِيهِ جَمِيعُ الْمُدَرِّسِـينَ وَالْمُفْتِينَ بِبَغْدَادَ، وَعَمِلَ بِصَحْنِهَا قِبَـابَ الْحَلْوَى، فَحُمِلَ مِنْهَا إِلَى جَمِيعِ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ.

وَرَتَّبَ فِيهَا خَمْسَـةً وَعِشْرِينَ فَقِيهًا لَهُمُ الْجَوَامِكُ الدَّارَّةُ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَالطَّعَامُ فِي كُلِّ يَـوْمٍ وَالْحَلَوَاتُ فِي أَوْقَاتِ الْمَوَاسِـمِ، وَالْفَوَاكِهُ فِـي زَمَانِهَا، وَخَلَعَ عَلَى الْمُدَرِّسِ وَالْمُعِيدِينَ وَالْفُقَهَاءِ يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ وَقْتًا حَسَنًا، تَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ.

○ تدريس ابن الصلاح في الجوانية

فِي سـنة (٦٢٨هـ) دَرَّسَ الشَّـيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ** بْنُ الصَّلَاحِ الشَّـهْرَزُورِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي الْمَدْرَسَةِ الْجَوَّانِيَّةِ بدمشق جِوَارَ الْمَارَسْتَانِ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا.

○ عزل الوزير القمي وحبسه

فِي سَابِعَ عَشَـرَ سنة (٦٢٩هـ) شَوَّالِهَا عَزَلَ **الْخَلِيفَةُ الْمُسْـتَنْصِرُ** وَزِيرَهُ مُؤَيِّدَ الدِّينِ مُحَمَّـدَ بْنَ مُحَمَّـدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ **الْقُمِّـيَّ**، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ حَسَـنٍ وَابْنِهِ فَخْرِ

(١) جَمَالُ الدَّوْلَةِ، مُقَدَّم جُيُوش العِرَاق، شَـرَفُ الدِّيْنِ، أَبُو الفَضَائِلِ الحَبَشِيّ، المُسْتَنْصِرِيّ، الشَّرَابِيُّ. انظر: السير ٢٣/ ٣٧٠.

الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ **الْقُمِّيِّ** وَأَصْحَابِهِمْ **وَحُبِسُوا**، وَاسْتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ مَكَانَهُ أُسْتَاذَ الدَّارِ شَمْسَ الدِّينِ أَبَا الْأَزْهَرِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاقِدِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةً سَنِيَّةً، وَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

○ قتال الخلافة للتتار

فِي سنة (٦٢٩هـ) أَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ **التَّتَارِ**، فَوَصَلُوا إِلَى شَهْرَزُورَ، فَنَدَبَ الْخَلِيفَةُ صَاحِبَ إِرْبِلَ مُظَفَّرَ الدِّينِ كُوكُبُرِي بْنَ زَيْنِ الدِّينِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ عَسَاكِرَ مِنْ عِنْدِهِ، فَسَارُوا نَحْوَهُمْ فَهَرَبَتْ مِنْهُمُ التَّتَارُ، وَأَقَامُوا فِي مُقَابَلَتِهِمْ مُدَّةَ شُهُورٍ، ثُمَّ تَمَرَّضَ مُظَفَّرُ الدِّينِ، وَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ إِرْبِلَ، وَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى بِلَادِهَا.

○ تولية مجد الدين نقابة العباسيين

فِي سنة (٦٣٠هـ) بَاشَرَ خَطَابَةَ بَغْدَادَ **وَنِقَابَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ** مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ **هِبَةُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَنْصُورِيُّ**، وَخُلِعَ عَلَيْهِ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ، وَكَانَ فَاضِلًا قَدْ صَحِبَ الْفُقَرَاءَ وَالصُّوفِيَّةَ، وَتَزَهَّدَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ، فَلَمَّا دُعِيَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ أَجَابَ سَرِيعًا، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِزَهْرَتِهَا، وَخَدَمَهُ الْغِلْمَانُ الْأَتْرَاكُ، وَلَبِسَ **لِبَاسَ الْمُتْرَفِينَ**، وَقَدْ عَاتَبَهُ بَعْضُ تَلَامِذَتِهِ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ، وَسَرَدَهَا ابْنُ السَّاعِي بِطُولِهَا فِي تَارِيخِهِ.

○ بعث محي الدين يوسف برسالة إلى الكامل

فِي سنة (٦٣٠هـ) سَارَ **الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ** يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ فِي الرَّسُلِيَّةِ مِنَ الْخَلِيفَةِ إِلَى **الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مِصْرَ**، وَمَعَهُ كِتَابٌ هَائِلٌ فِيهِ تَقْلِيدُهُ الْمُلْكَ، وَفِيهِ أَوَامِرُ كَثِيرَةٌ مَلِيحَةٌ مِنْ إِنْشَاءِ **الْوَزِيرِ نَصِيرِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ النَّاقِدِ**، سَرَدَهُ ابْنُ السَّاعِي بِكَمَالِهِ، وَقَدْ كَانَ الْكَامِلُ مُخَيِّمًا بِظَاهِرِ آمِدَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَزِيرَةِ، قَدِ افْتَتَحَهَا بَعْدَ حِصَارٍ طَوِيلٍ، وَهُوَ مَسْرُورٌ بِمَا نَالَ مِنْ مُلْكِهَا.

○ إعادة فتح دار ضيافة الحجاج

فِي سـنة (٦٣٠هـ) فُتِحَتْ دَارُ الضِّيَافَةِ بِبَغْـدَادَ لِلْحَجِيجِ حِينَ قَدِمُـوا مِنْ حَجِّهِمْ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ النَّفَقَاتُ وَالْكَسَاوِي وَالصِّلَاتِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ استيلاء الخليفة على إربل

فِي سـنة (٦٣٠هـ) سَـارَتِ **الْعَسَاكِرُ الْمُسْـتَنْصِرِيَّةُ** صُحْبَةَ الْأَمِيرِ شَـرَفِ الدِّينِ أَبِي الْفَضَائِـلِ إِقْبَالٍ الْمُسْـتَنْصِرِيِّ إِلَى **مَدِينَةِ إِرْبِلَ** وَأَعْمَالِهَا، وَذَلِـكَ لِمَرَضِ مَالِكِهَا مُظَفَّرِ الدِّيـنِ كُوكُبُرِي بْنِ زَيْنِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِـنْ بَعْدِهِ مَنْ يَمْلِكُ الْبِلَادَ، فَحِينَ وَصَلَهَا الْجَيْشُ مَنَعَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ، فَحَاصَرُوهُ حَتَّى افْتَتَحُوهُ عَنْوَةً فِي السَّـابِعِ عَشَـرَ مِنْ شَوَّالٍ فِي هَذِهِ السَّـنَةِ، وَجَاءَتِ الْبَشَـائِرُ بِذَلِكَ، وَكَتَبَ التَّقْلِيدَ عَلَيْهَا لِإِقْبَالٍ الْمَذْكُورِ، فَرَتَّبَ فِيهَا الْمَنَاصِبَ، وَسَـارَ فِيهَا سِيرَةً جَيِّدَةً، وَامْتَدَحَ الشُّعَرَاءُ هَذَا الْفَتْحَ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَكَذَلِكَ مَدَحُوا فَاتِحَهَا إِقْبَالًا.

○ بناء الجامعة المستنصرية

فِي سـنة (٦٣١هـ) كَمَلَ بِنَاءُ **الْمَدْرَسَةِ الْمُسْـتَنْصِرِيَّةِ** بِبَغْدَادَ، وَلَمْ تُبْنَ مَدْرَسَةٌ قَبْلَهَا مِثْلُهَـا، وَوُقِفَـتْ عَلَى **الْمَذَاهِـبِ الْأَرْبَعَةِ**: مِنْ **كُلِّ طَائِفَةٍ اثْنَانِ وَسِـتُّونَ فَقِيهًـا**، وَأَرْبَعَةُ مُعِيدِينَ، وَمُدَرِّسٌ لِكُلِّ مَذْهَبٍ، وَشَـيْخُ حَدِيثٍ، وَقَارِئَانِ، وَعَشَـرَةُ مُسْتَمِعِينَ، وَشَيْخُ طِبٍّ، وَعَشَرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الطِّبِّ، وَمَكْتَبٌ لِلْأَيْتَامِ، وَقُرِّرَ لِلْجَمِيعِ مِنَ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ وَالْحَلْوَى وَالنَّفَقَةِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَافِرَةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ.

وكان الافتتاح يَوْمُ الْخَمِيسِ خَامِسَ رَجَبٍ بحضور الْخَلِيفَةُ الْمُسْـتَنْصِرُ بِاللهِ بِنَفْسِهِ وَأَهْـلُ دَوْلَتِهِ مِنَ الْأُمَـرَاءِ وَالْـوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْفُقَهَـاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالشُّـعَرَاءِ، وَعُمِلَ سِـمَاطٌ عَظِيمٌ بِهَـا، أَكَلَ مِنْهُ الْحَاضِرُونَ. وَحُمِـلَ مِنْهُ إِلَى سَـائِرِ دُرُوبِ بَغْدَادَ، وَخُلِعَ عَلَى جَمِيعِ الْمُدَرِّسِـينَ بِهَا وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُعِيدِينَ، وَأَنْشَـدَتِ الشُّعَرَاءُ الْخَلِيفَةَ الْمَدَائِحَ الْفَائِقَةَ.

وَقُرِّرَ لِتَدْرِيسِ **الشَّافِعِيَّةِ** بِهَا الْإِمَامُ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ **بْنُ فَضْلَانَ**، **وَلِلْحَنَفِيَّةِ** الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ **الْفَرْغَانِيُّ**، **وَلِلْحَنَابِلَةِ** الْإِمَامُ الْعَالِمُ **مُحْيِي الدِّينِ** يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَدَرَّسَ **لِلْمَالِكِيَّةِ** يَوْمَئِذٍ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ **أَبُو الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ** الْمَالِكِيُّ.

وَوُقِفَتْ خَزَائِنُ كُتُبٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي كَثْرَتِهَا وَحُسْنِ نُسَخِهَا وَجَوْدَةِ الْكُتُبِ الْمَوْقُوفَةِ بِهَا.

○ هجوم التتار على إربل

فِي سنة (٦٣٤هـ) حَاصَرَتِ **التَّتَارُ** إِرْبِلَ بِالْمَجَانِيقِ، وَنَقَبُوا الْأَسْوَارَ حَتَّى فَتَحُوهَا عَنْوَةً، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَسَبَوْا ذَرَارِيَّهُمْ، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمُ الْقَلْعَةُ، وَفِيهَا النَّائِبُ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ، فَدَخَلَ فَصْلُ الشِّتَاءِ، فَأَقْلَعُوا عَنْهَا وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ جَهَّزَ لَهُمْ جَيْشًا، فَانْهَزَمَ التَّتَارُ.

○ حوادث وكوارث

⊙ فِي سنة (٦٢٤هـ) كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِبِلَادِ الْجَزِيرَةِ، وَقَلَّ اللَّحْمُ، حَتَّى حَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّهُ لَمْ يُذْبَحْ بِمَدِينَةِ الْمَوْصِلِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ سِوَى خَرُوفٍ وَاحِدٍ فِي زَمَنِ الرَّبِيعِ.

⊙ **فِي سنة (٦٢٨هـ)** كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِدِيَارِ مِصْرَ وَبِلَادِ الشَّامِ وَحَلَبَ وَالْجَزِيرَةِ بِسَبَبِ قِلَّةِ الْمِيَاهِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ السَّنَةُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

⊙ فِي سنة (٦٣٠هـ) فَتَحَ الْكَامِلُ آمِدَ وَحِصْنَ كَيْفَا، وَوَجَدَ عِنْدَ مَلِكِهَا خَمْسَمِائَةِ حُرَّةٍ لِلْفِرَاشِ، فَعَذَّبَهُ الْأَشْرَفُ عَذَابًا أَلِيمًا.

ولاية الحج

لم يذكر ابن كثير ولا ابن فهد من حج بالناس من العراق في سنة (٦٢٣هـ).

وحج بالناس من العراق في سنة (٦٢٤هـ) **شمس الدين قيزان** مملوك الخليفة، وحج في هذه السنة من ميا فارقين **شِهَاب الدِّينِ غَازِيّ بن العادل** فِي مَحْمَلٍ عَظِيمٍ، يَحْمِلُ ثِقَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَمَلٍ، وَمَعَهُ خَمْسُونَ هَجِينًا، عَلَى كُلِّ هَجِينٍ مَمْلُوكٌ، فَسَارَ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ، وَجَاءَتْهُ هَدَايَا الْخَلِيفَةِ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ. وأوصى أمير الحاج بخدمته.

ولم يذكر من حج بالناس سنة (٦٢٥هـ) من العراق.

وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ من سنة (٦٢٥هـ) إلى سنة (٦٢٧هـ) فَهَذِهِ ثَلَاثُ سِنِينَ لَمْ يَسِرْ مِنَ الشَّامِ حَاجٌّ إِلَى الْحِجَازِ.

وحج بالناس من العراق في سنة (٦٢٦هـ)، وسنة (٦٢٧هـ) وسنة (٦٢٨هـ) الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري.

وَحَجَّ النَّاسُ فِي سنة (٦٢٨هـ) مِنَ الشَّامِ، وَكَانَ فِيمَنْ خَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ، ثُمَّ لَمْ يَحُجَّ النَّاسُ بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا لِكَثْرَةِ الْحُرُوبِ وَالْخَوْفِ مِنَ التَّتَرِ وَالْفِرِنْجِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. **وفي درر الفرائد**: حج بالناس من العراق من سنة (٦٢٧هـ) إلى (٦٢٩هـ) الأمير شمس الدين أصلان تكين الناصري.

ولم يحج أحد من العراق سنة (٦٣٠هـ)، وسنة (٦٣١هـ).

وَحَجَّ النَّاسُ فِي سنة (٦٣٢هـ) أمير الحاج حسام الدين ابن أبي فراس، ووصلت كسوة للكعبة من بغداد.

ولم يحج أحد من العراق من سنة (٦٣٣هـ) إلى (٦٣٩هـ) لِكَثْرَةِ الْحُرُوبِ وَالْخَوْفِ مِنَ التَّتَرِ.

في سنة (٦٤٠هـ) عاد العراقيون للحج بعد انقطاع سبع سنين، وحج بهم الشهاب ريحان خادم الخليفة، وجاور بمكة.

مشاهير من توفي في عهده من الأعيان

١-الْجَمَالُ الْمِصْرِيُّ يُونُسُ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ فَيْرُوزَ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ، اشْتَغَلَ وَحَصَّلَ وَبَرَعَ، وَاخْتَصَرَ كِتَابَ «الْأُمِّ» لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَلَهُ كِتَابٌ مُطَوَّلٌ فِي الْفَرَائِضِ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ الْأَمِينِيَّةِ بَعْدَ التَّقِيِّ صَالِحِ الضَّرِيرِ.

ثُمَّ وَلِيَ وِكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ بِدِمَشْقَ، وَتَرَسَّلَ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ عَنْ صَاحِبِ دِمَشْقَ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْمُعَظَّمُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ بَعْدَ عَزْلِهِ الزَّكِيَّ بْنَ الزَّكِيِّ، وَوَلَّاهُ تَدْرِيسَ الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ حِينَ كَمَلَ بِنَاؤُهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَرَّسَ بِهَا، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ.

ودرس التَّفْسِيرِ حَتَّى أَكْمَلَه، ثُمَّ تُوُفِّيَ عَقِبَ ذَلِكَ، وَيُقَالُ: دَرَّسَ الْفِقْهَ بَعْدَ التَّفْسِيرِ.

وَكَانَ كَثِيرَ الْمُذَاكَرَةِ لِلْعِلْمِ، كَثِيرَ الِاشْتِغَالِ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، لَمْ يُنْقَمْ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا لِأَحَدٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٦٢٣هـ) وَدُفِنَ بِدَارِهِ.

٢-الْمُعْتَمِدُ وَالِي دِمَشْقَ، الْمُبَارِزُ إِبْرَاهِيمُ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُلَاةِ وَأَعَفِّهِمْ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً وَأَجْوَدِهِمْ سَرِيرَةً، أَصْلُهُ مِنَ الْمَوْصِلِ، وَقَدِمَ الشَّامَ، فَخَدَمَ فَرُّخْشَاهْ بْنَ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ، ثُمَّ اسْتَنَابَهُ الْبَدْرُ مَوْدُودٌ أَخُو فَرُّخْشَاهْ. وَكَانَ شِحْنَةَ دِمَشْقَ، فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ هُوَ شِحْنَةَ دِمَشْقَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَجَرَتْ فِي أَيَّامِهِ عَجَائِبُ وَغَرَائِبُ، وَكَانَ كَثِيرَ السَّتْرِ عَلَى ذَوِي الْهَيْئَاتِ، وَلَاسِيَّمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ.

وَحَكَى هُوَ لِلسِّبْطِ ابن الجوزي[1] قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا خَارِجٌ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ، وَإِذَا بِرَجُلٍ يَحْمِلُ طَبْلًا وَهُوَ سَكْرَانُ، فَأَمَرْتُ بِهِ فَضُرِبَ الْحَدَّ، وَأَمَرْتُهُمْ فَكَسَرُوا الطَّبْلَ، وَإِذَا رِكْوَةٌ كَبِيرَةٌ خَمْرًا فَشَقُّوهَا، وَكَانَ الْعَادِلُ قَدْ مَنَعَ أَنْ يُعْصَرَ خَمْرٌ وَيُحْمَلَ إِلَى دِمَشْقَ شَيْءٌ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَحَيَّلُونَ بِأَنْوَاعِ الْحِيَلِ وَلَطَائِفِ الْمَكْرِ. قَالَ السِّبْطُ: فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّ فِي الطَّبْلِ شَيْئًا. فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَمْشِي وَتَرْجُفُ سَاقَاهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا

(١) مرآة الزمان ٨/ ٦٤٠. القسم الثاني.

ثَقِيلًا فِي الطَّبْلِ. وَلَهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ غَرَائِبُ. وَقَدْ عَزَلَهُ الْمُعَظَّمُ، وتوفي سنة (٦٢٣هـ).

٣- أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللهِ **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَوَاحَةَ، وَاقِفُ الرَّوَاحِيَّةِ بِدِمَشْق وَحَلَبَ** كَانَ أَحَدَ التُّجَّارِ وَذَوِي الثَّرْوَةِ وَالْمُعَدَّلِينَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَلَا لِحْيَةَ لَهُ.

وَقَدِ ابْتَنَى **الْمَدْرَسَةَ الرَّوَاحِيَّةَ** دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ وَوَقَفَهَا عَلَى الشَّافِعِيَّةِ، وَفَوَّضَ نَظَرَهَا وَتَدْرِيسَهَا إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ الشَّهْرَزُورِيِّ، وَلَهُ بِحَلَبَ مَدْرَسَةٌ أُخْرَى مِثْلُهَا، وَقَدِ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بِدِمَشْقَ. وتوفي سنة (٦٢٣هـ)

٤- **يَاقُوتٌ وَيُقَالُ لَهُ: يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**، نَجِيبُ الدِّينِ مَوْلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْكِنْدِيِّ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْكُتُبَ الَّتِي بِالْخِزَانَةِ بِالزَّاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَتْ سَبْعَمِائَةٍ وَأَحَدًا وَسِتِّينَ مُجَلَّدًا، ثُمَّ عَلَى وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ، فَتَمَحَّقَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ، وَبِيعَ أَكْثَرُهَا.

وَقَدْ كَانَ يَاقُوتٌ هَذَا لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ وَأَدَبٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ فِي مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ سنة (٦٢٣هـ).

٥- **جِنْكِزْخَانُ، السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ عِنْدَ التَّتَارِ**، وَالِدُ مُلُوكِهِمُ، الَّذِي يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ **الْيَاسَقَ** [(١)] الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا، وَيَحْكُمُونَ بِهَا، وَأَكْثَرُهَا مُخَالِفٌ لِشَرَائِعِ اللهِ تَعَالَى وَكُتُبِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ اقْتَرَحَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَتَبِعُوهُ فِي ذَلِكَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَزْعُمُ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ، فَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ، **وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجْهُولُ النَّسَبِ**.

وَقَدْ رَأَيْتُ مُجَلَّدًا جَمَعَهُ الْوَزِيرُ بِبَغْدَادَ **عَلَاءُ الدِّينِ الْجُوَيْنِيُّ** فِي تَرْجَمَتِهِ، فَذَكَرَ فِيهِ سِيرَتَهُ، وَمَا كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ السِّيَاسِيِّ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ الْجَيِّدِ لِلْمُلْكِ وَالرَّعَايَا وَالْحُرُوبِ.

فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ من خواص **الْمَلِكِ أُزْبَكْ خَانَ**، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ شَابًّا حَسَنًا، وَكَانَ اسْمُهُ أَوَّلًا **تَمَرْجِي**، ثُمَّ لَمَّا عَظُمَ سَمَّى نَفْسَهُ **جِنْكِزْخَانَ**، وَكَانَ الْمَلِكُ **أُزْبَكْ خَانَ**

---

(١) الياسق: كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة. تاج العروس (ي س ق)

قَدْ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، فَحَسَدَهُ عُظَمَاءُ الْمَلِكِ، وَوَشَوْا بِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى أَخْرَجُوهُ عَلَيْهِ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ ذَنْبا يقتله عَلَيْهِ، فبينما هو في ذلك إِذْ تَغَضَّبَ الْمَلِكُ عَلَى مَمْلُوكَيْنِ صَغِيرَيْنِ فَهَرَبَا مِنْهُ، وَلَجَآ إِلَى جِنْكِزْخَانَ فَأَكْرَمَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا يُضْمِرُهُ الْمَلِكُ أُزْبَكْ خَانَ مِنْ قَتْلِهِ،

فَأَخَذَ حِذْرَهُ، وَتَحَيَّزَ بِدَوْلَةٍ، وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ التَّتَارِ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أُزْبَكْ خَانَ يَنْفِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَفِدُونَ عَلَيْهِ، **فَيُكْرِمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ حَتَّى قَوِيَتْ شَوْكَتُهُ**، وَكَثُرَتْ جُنُودُهُ، ثُمَّ حَارَبَ بَعْدَ ذَلِكَ **أُزْبَكْ خَانَ**، فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ وَمُلْكِهِ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ، وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ قَبَائِلُ التُّرْكِ **بِبِلَادِ طَمْغَاجَ كُلِّهَا**، حَتَّى صَارَ يَرْكَبُ فِي نَحْوِ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ الَّتِي هُوَ مِنْ أَصْلِهَا يُقَالُ لَهَا: **قِيَّاتُ**.

وَكَانَ يَصْطَادُ مِنَ السَّنَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَالْبَاقِي لِلْحَرْبِ وَالْحُكْمِ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ (٦٢٤هـ)، فَجَعَلُوهُ فِي تَابُوتٍ مِنْ حَدِيدٍ وَرَبَطُوهُ بِسَلَاسِلَ وَعَلَّقُوهُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ هُنَالِكَ.

وَذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ أَنَّ بَعْضَ عُبَّادِهِمْ كَانَ يَصْعَدُ الْجِبَالَ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ لِلْعِبَادَةِ، فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: إِنَّا قَدْ مَلَّكْنَا جِنْكِزْخَانَ وَذُرِّيَّتَهُ وَجْهَ الْأَرْضِ. قَالَ الْجُوَيْنِيُّ: فَمَشَايِخُ الْمَغُولِ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا، وَيَأْخُذُونَهُ مُسَلَّمًا.

ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ شَيْئًا مِنَ **الْيَاسَاقِ** وهو:

أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ، وَمَنْ رَمَى إِلَى أَحَدٍ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكُولِ قُتِلَ، بَلْ **يُنَاوِلُهُ** مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَحَدًا شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُ أَوَّلًا، وَلَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ أَمِيرًا لِأَسِيرٍ، وَمَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُطْعِمْ مَنْ عِنْدَهُ قُتِلَ، وَمَنْ ذَبَحَ حَيَوَانًا ذُبِحَ مِثْلَهُ، بَلْ يَشُقُّ جَوْفَهُ، وَيَتَنَاوَلُ قَلْبَهُ بِيَدِهِ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَوْفِهِ أَوَّلًا.

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَحَاكَمَ إِلَى «**الْيَاسَاقِ**» وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَدْ ذَكَرَ عَلَاءُ الدِّينِ الْجُوَيْنِيُّ طَرَفًا كَبِيرًا مِنْ أَخْبَارِ جِنْكِزْخَانَ وَمَكَارِمَ كَانَ يَفْعَلُهَا لِسَجِيَّتِهِ وَمَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا بِاللهِ يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، **وَقَدْ قَتَلَ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ**.

قَالَ: وَلَمَّا احْتُضِرَ أَوْصَى أَوْلَادَهُ **بِالِاتِّفَاقِ وَعَدَمِ الِافْتِرَاقِ**، وَضَرَبَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْثَالَ، وَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ نُشَّابًا، وَيَأْخُذُ السَّهْمَ فَيُعْطِيهِ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ، فَيَكْسِرُهُ، ثُمَّ أَحْضَرَ حُزْمَةً أُخْرَى وَدَفَعَهَا مَجْمُوعَةً إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُطِيقُوا كَسْرَهَا. فَقَالَ: هَذَا مَثَلُكُمْ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّفَقْتُمْ، وَذَلِكَ مَثَلُكُمْ إِذَا انْفَرَدْتُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ.

قَالَ: وَكَانَ لَهُ عِدَّةُ أَوْلَادٍ ذُكُورٌ وَإِنَاثٌ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ هُمْ عُظَمَاءُ أَوْلَادِهِ؛ وَهُمْ: تُولِي، وَبَاتُو، وَبَرَكَةُ، وَتُرْكِجَارُ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ وَظِيفَةٌ عِنْدَهُ.

٦- **الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ، عِيسَى** بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، **مَلِكُ دِمَشْقَ وَالشَّامِ**، كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَلْخَ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ اسْتِقْلَالُهُ بِمُلْكِ دِمَشْقَ لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوهُ سَنَةَ (٦١٥هـ).

وَكَانَ شُجَاعًا بَاسِلًا عَالِمًا فَاضِلًا اشْتَغَلَ فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ مَحْفُوظُهُ «مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرِيِّ»، وَكَانَ يُجِيزُ مَنْ حَفِظَهُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ

أَنْ يُجْمَعَ لَهُ كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ يَشْمَلُ «صِحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ»، وَ «الْجَمْهَرَةَ» لِابْنِ دُرَيْدٍ، وَ «التَّهْذِيبَ» لِلْأَزْهَرِيِّ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ أَنْ يُرَتَّبَ لَهُ مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

وَكَانَ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيَجْتَهِدُ فِي مُتَابَعَةِ الْخَيْرِ،[(١)] وَيَقُولُ: أَنَا عَلَى عَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ. وَأَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ لَا يُكَفَّنَ إِلَّا فِي الْبَيَاضِ، وَأَنْ يُلْحَدَ لَهُ، وَيُدْفَنَ فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَا يُبْنَى عَلَيْهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: وَاقِعَةُ **دِمْيَاطَ** أَدَّخِرُهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وَأَرْجُو أَنْ يَرْحَمَنِي بِهَا. يَعْنِي أَنَّهُ أَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَانَ قَلِيلَ التَّعَاظُمِ يَرْكَبُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَحْدَهُ، ثُمَّ يَلْحَقُهُ بَعْضُ غِلْمَانِهِ سَوْقًا، وتوفي سنة (٦٢٤هـ). وملك دمشق بعده ولده الناصر داود بن المعظم.

٧- **أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ**، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ الطِّيبِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالصَّائِنِ، أَحَدُ الْمُعِيدِينَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَدَرَسَ بِالثِّقَتِيَّةِ،[(٢)] وَكَانَ عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ، صَنَّفَ شَرْحًا لِلتَّنْبِيهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ السَّاعِي. توفي سنة (٦٢٤هـ).

٨- **أَبُو النَّجْمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ هِبَةِ اللهِ التَّكْرِيتِيُّ**، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ تَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ فَضْلَانَ، ثُمَّ أَعَادَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَدَرَسَ فِي غَيْرِهَا، وَكَانَ يَشْتَغِلُ كُلَّ يَوْمٍ **عِشْرِينَ دَرْسًا**، وَلَيْسَ لَهُ دَأْبٌ إِلَّا الِاشْتِغَالُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَانَ بَارِعًا، كَثِيرَ الْعُلُومِ، قَدْ أَتْقَنَ الْمَذْهَبَ وَالْخِلَافَ.

وَكَانَ يُفْتِي فِي مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ بِوَاحِدَةٍ، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ **قَاضِي الْقُضَاةِ** أَبُو الْقَاسِمِ

---

(١) قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٢/ ١٢١) «كَانَ يظلم، وَيدير ضمَان الخَمْر لِيَسْتَخْدِمَ بِذَلِكَ. وقال: قَرَأْت بِخَطِّ الضِّيَاء الحَافِظ: كَانَ المُعَظَّم شُجَاعاً فَقِيْهاً يَشرب المُسكر، وَأَسّس ظلماً كَثِيْراً، وَخرب بَيْت المَقْدِسِ». ففيه خير وشر عفا الله عنه.

(٢) المدرسة الثِّقَتِيَّةِ ببغداد، نسبة إلى بانيها ثقة الدولة أبي الحسن علي بن محمد الدويني. انظر: الكامل ١١/ ٢٠٠.

الدَّامغَانِـيُّ، فَلَمْ يَسْـمَعْ مِنْهُ، ثُـمَّ أُخْرِجَ إِلَى تَكْرِيـتَ، فَأَقَامَ بِهَا ثُمَّ اسْـتُدْعِيَ إِلَى بَغْدَادَ، فَعَادَ إِلَى الِاشْـتِغَالِ، وَأَعَادَهُ قَاضِـي الْقُضَاةِ نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِلَـى إِعَادَتِهِ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الِاشْـتِغَالِ وَالْفَتْوَى وَالْوَجَاهَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سنة (٦٢٤هـ) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

٩- **أَبُو يُوسُـفَ يَعْقُوبُ بْنُ صَابِرٍ الْحَرَّانِيُّ**، ثُـمَّ الْبَغْدَادِيُّ الْمَنْجَنِيقِيُّ، كَانَ فَاضِلًا فِي فَنِّهِ، وَشَاعِرًا مُطَبِّقًا، لَطِيفَ الشِّعْرِ، حَسَنَ الْمَعَانِي، قَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً صَالِحَةً، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أَوْرَدَ لَهُ قَصِيدَةٌ فِيهَا تَعْزِيَةٌ عَظِيمَةٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَهِيَ قَوْلُهُ:

هَـلْ لِـمَـنْ يَـرْتَـجِي الْـبَـقَـاءَ خُـلُـودُ ... وَسِــوَى اللهِ كُـلُّ شَـيْءٍ يَـبِـيـدُ
وَالَّــذِي كَــانَ مِـنْ تُـرَابٍ وَإِنْ عَا ... شَ طَـوِيـلًا لِـلـتُّـرَابِ يَـعُـودُ
فَـمَـصِـيـرُ الْأَنَـــامِ طُـرًّا إِلَـــى مَا ... صَـارَ فِـيـهِ آبَـاؤُهُـمْ وَالْـجُـدُودُ
أَيْــنَ حَــوَّاءُ أَيْــنَ آدَمُ إِذْ فَا ... تَـهُـمُ الْـخُـلْـدُ وَالـثَّـوَى وَالْـخُـلُـودُ
أَيْــنَ هَـابِـيـلُ أَيْــنَ قَـابِـيـلُ إِذْ ... هَــذَا لِـهَـذَا مُـعَـانِـدٌ وَحَـسُـودُ
سَـوْفَ يَـفْـنَـى كَـمَـا فَـنَـيْـنَـا فَـلَا يَـبْـ ... قَـى مِـنَ الْـخَـلْـقِ وَالِــدٌ وَوَلِـيـدُ
لَا الشَّقِيُّ الْـغَـوِيُّ مِـنْ نُـوَبِ الْأَيَّـ ... ـامِ يَـنْـجُـو وَلَا الـسَّـعِـيـدُ الـرَّشِـيـدُ
وَمَـتَـى سَـلَّـتِ الْـمَـنَـايَـا سُـيُـوفًا ... فَـالْـمَـوَالِـي حَـصِـيـدُهَـا وَالْـعَـبِـيـدُ

١٠- **الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ أَقْسِيسُ**[(١)] **بْنُ الْكَامِلِ، صَاحِبُ الْيَمَنِ**، وَقَدْ مَلَكَ مَكَّةَ مِنْ سَنَةِ (٦١٩هـ)، فَأَحْسَنَ بِهَا الْمَعْدَلَةَ، **وَنَفَى الزَّيْدِيَّةَ** مِنْهَا، وَأَمِنَتِ الطُّرُقَاتُ وَالْحُجَّاجُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ أَيْضًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ سنة (٦٢٦هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ الْمَعْلَى.

---

(١) قال ابن خلكان ٥/ ٧٨في ترجمة العادل: أطسيس بفتح الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر السين وبعدها ياء مثناة ثم سين ثانية. وهي كلمة تركية معناها بالعربية: ماله اسم. والناس يقولون: أقسيس. وصوابه بالطاء.

١١-**أَبُو الْفَضْلِ جِبْرِيلُ بْنُ مَنْصُورِ، بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ جِبْرِيلَ** من ذرية النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ زُطِينَا** الْبَغْدَادِيُّ، كَاتِبُ الدِّيوَانِ بِهَا، أَسْلَمَ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وَأَبْلَغِهِمْ مَوْعِظَةً، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

- خَيْرُ أَوْقَاتِكَ سَاعَةٌ صَفَتْ لِلَّهِ، وَخَلَصَتْ مِنَ الْفِكْرَةِ لِغَيْرِهِ وَالرَّجَاءِ لِسِوَاهُ.
- وَمَا دُمْتَ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ، فَلَا تَغْتَرَّ بِالزَّمَانِ.
- اكْفُفْ كَفَّكَ، وَاصْرِفْ طَرْفَكَ، وَأَكْثِرْ صَوْمَكَ، وَأَقْلِلْ نَوْمَكَ، وَاشْكُرْ رَبَّكَ، يُحْمَدْ أَمْرُكَ.
- زَادُ الْمُسَافِرِ مُقَدَّمٌ عَلَى رَحِيلِهِ، فَأَعِدَّ الزَّادَ تَبْلُغُ الْمُرَادَ.
- إِلَى مَتَى تَتَمَادَى فِي الْغَفْلَةِ؟ كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ عَوَاقِبَ الْمُهْلَةِ.
- وَتُظْهِرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْمَالِ تَطْمَعُ، وَتَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقٍّ وَمَا وَجَبَ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَا تَدْفَعُ.
- وَتَرُومُ فَضْلَ رَبِّكَ وَلِلْمَاعُونِ تَمْنَعُ.
- وَتُعَمِّرُ الدَّارَ الْفَانِيَةَ وَدَارُكَ الْبَاقِيَةُ خَرَابٌ بَلْقَعٌ.
- وَتُقْدِمُ عَلَى الْكَبَائِرِ وَعَنِ الصَّغَائِرِ تَتَوَرَّعُ. وتوفي سنة (٦٢٦هـ)

١٢-**زَيْنُ الْأُمَنَاءِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ**، الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةِ اللهِ ابْنُ عَسَاكِرَ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، سَمِعَ عَلَى عَمَّيْهِ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَالصَّائِنِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَعُمِّرَ، وَتَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ، وَجَاوَزَ الثَّمَانِينَ بِنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَأُقْعِدَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَ يُحْمَلُ فِي مِحَفَّةٍ إِلَى الْجَامِعِ، وَإِلَى دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ مُدَّةً طَوِيلَةً، توفي سنة (٦٢٧هـ).

١٣-**ابْنُ مُعْطِي النَّحْوِيُّ**، يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنُ عَبْدِ النُّورِ النَّحْوِيُّ، **صَاحِبُ الْأَلْفِيَّةِ**، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ النَّحْوِيَّةِ الْمُفِيدَةِ، وَيُلَقَّبُ بِزَيْنِ الدِّينِ، أَخَذَ عَنِ الْكِنْدِيِّ وَغَيْرِهِ،

ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْقَاهِرَةِ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٢٨هـ)، وَشَهِدَ جَنَازَتَهُ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ.

١٤-**الْقَاضِي أَبُو غَانِمِ بْنُ الْعَدِيمِ**، الشَّيْخُ الصَّالِحُ، وَكَانَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ وَالرِّيَاضَةِ، وَالْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ، قال ابن الأثير: [(١)] وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَعْبَدُ مِنْهُ لَكَانَ صَادِقًا، فَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، فَإِنَّهُ مِنْ جَمَاعَةِ شُيُوخِنَا، سَمِعْنَا عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، وَانْتَفَعْنَا بِرُؤْيَتِهِ وَكَلَامِهِ. توفي سنة (٦٢٨هـ)

١٥- **أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ الْعَجَمِيِّ الْحَلَبِيُّ**، قَالَ ابن الأثير: فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٢٨هـ) تُوُفِّيَ صَدِيقُنَا **أبو القاسم**، وَهُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مُقَدَّمُو السُّنَّةِ بِحَلَبَ، وَكَانَ رَجُلًا ذَا مُرُوءَةٍ غَزِيرَةٍ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ، وَحِلْمٍ وَافِرٍ وَرِيَاسَةٍ كَثِيرَةٍ، يُحِبُّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ أَكَلَ طَعَامَهُ، وَكَانَ يَلْقَى أَضْيَافَهُ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ، وَلَا يَقْعُدُ عَنْ إِيصَالِ رَاحَةٍ، وَقَضَاءِ حَاجَةٍ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً.

قال ابن كثير: وَهَذَا آخِرُ مَا وُجِدَ مِنَ «الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ» لِلْحَافِظِ عِزِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَثِيرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -.

١٦-**الْمَلِكُ الْأَمْجَدُ**، بَهْرَامَ شَاهْ بْنِ فَرُّخْشَاهْ بْنِ شَاهِنْشَاهْ بْنِ أَيُّوبَ، وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْأَمْجَدِيَّةِ بِالشَّرَفِ. صَاحِبِ بَعْلَبَكَّ بَعْدَ أبيه، انْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ الأشرف سنة (٦٢٧هـ)، وَأَسْكَنَهُ عِنْدَهُ بِدِمَشْقَ فِي دَارِ أَبِيهِ، فَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٦٢٨هـ) عَدَا عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ تُرْكِيٌّ، فَقَتَلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ قَدِ اتَّهَمَهُ بِحِيَاصَةٍ لَهُ وَحَبَسَهُ، فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَقَتَلَهُ، وَقُتِلَ الْمَمْلُوكُ بَعْدَهُ.

وَقَدْ كَانَ شَاعِرًا فَاضِلًا، لَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً جَيِّدَةً مِنْ شِعْرِهِ الرَّائِقِ الْفَائِقِ.

---

(١) ١٢/ ٥٠٥.

١٧- **جَلَالُ الدِّينِ تِكِشُ**، وَقِيلَ: مَحْمُودُ بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ خُوَارِزْمِ شَاهْ مُحَمَّدِ بْنِ تِكِشٍ الْخُوَارِزْمِيُّ، وَهُمْ مِنْ سُلَالَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَتِكِشُ جَدُّهُمْ هُوَ الَّذِي أَزَالَ دَوْلَةَ السَّلْجُوقِيَّةِ. كَانَتِ التَّتَارُ قَهَرُوا أَبَاهُ حَتَّى شَرَّدُوهُ فِي الْبِلَادِ، فَمَاتَ بِبَعْضِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، ثُمَّ سَاقُوا وَرَاءَ جَلَالِ الدِّينِ هَذَا حَتَّى مَزَّقُوا عَسَاكِرَهُ شَذَرَ مَذَرَ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ أَيْدِي سَبَا.

وَانْفَرَدَ هُوَ وَحْدَهُ، فَلَقِيَهُ فَلَّاحٌ مِنْ قَرْيَةٍ بِأَرْضِ مَيَّافَارِقِينَ، فَأَنْكَرَهُ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ، وَعَلَى فَرَسِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: **أَنَا مَلِكُ الْخُوَارَزْمِيَّةِ**، وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا لِلْفَلَّاحِ أَخًا، فَأَنْزَلَهُ وَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ، فَلَمَّا نَامَ قَتَلَهُ بِفَأْسٍ كَانَتْ عِنْدَهُ، وَأَخَذَ مَا عَلَيْهِ.

وَكَانَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ يَقُولُ: **هُوَ سَدٌّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّتَارِ**، كَمَا أَنَّ السَّدَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

١٨- **ابْنُ نُقْطَةَ الْحَافِظُ**: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ، بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو بَكْرِ بْنُ نُقْطَةَ، الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْفَاضِلُ، صَاحِبُ الْكِتَابِ النَّافِعِ الْمُسَمَّى بِالتَّقْيِيدِ فِي تَرَاجِمِ رُوَاةِ الْكُتُبِ وَالْمَشَاهِيرِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ، وَكَانَ أَبُوهُ فَقِيهًا فَقِيرًا مُنْقَطِعًا فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ بَغْدَادَ، يُؤْثِرُ أَصْحَابَهُ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ. وَنَشَأَ وَلَدُهُ هَذَا، فَعُنِيَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ وَسَمَاعِهِ وَالرِّحْلَةِ فِيهِ إِلَى الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا، حَتَّى بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَقْرَانِ، وَفَاقَ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٦٢٩هـ) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -.

١٩- **أَبُو الْفَتْحِ مَسْعُودُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ**، بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى السَّلْمَاسِيُّ، فَقِيهٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ، لَهُ تَصَانِيفُ، **وَقَدْ شَرَحَ الْمَقَامَاتِ**، وَالْجُمَلَ فِي النَّحْوِ، وَلَهُ خُطَبٌ وَأَشْعَارٌ حَسَنَةٌ، توفي سنة (٦٢٩هـ).

٢٠- **الْمَلِكُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ**، بْنُ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ من ذرية عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيِّ آقْسُنْقُرَ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ. كَانَ **مَوْلِدُهُ** فِي سَنَةِ (٦١٣هـ)، وَقَدْ أَقَامَهُ بَدْرُ الدِّينِ لُؤْلُؤٌ صُورَةً حَتَّى تَمَكَّنَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، **ثُمَّ حَجَرَ عَلَيْهِ**، فَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ

الْجَوَارِي وَلَا شَيْءٍ مِنَ السَّرَارِي، حَتَّى لَا يُعْقِبَ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ جَدُّهُ لِأُمِّهِ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبْرِي صَاحِبُ إِرْبِلَ، مَنَعَهُ حِينَئِذٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، حَتَّى مَاتَ كَمَدًا وَجُوعًا وَعَطَشًا سنة (٦٣٠هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى. وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ الْمَوْصِلِ مِنْ بَيْتِ الْأَتَابَكِيِّ.

توفي سنة (٦٣٠هـ)

٢١- **الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**، أَحَدُ مَشَايِخِ الْحَنَفِيَّةِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي الْفَرَائِضِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ الشَّافِعِيِّ. وَكِلَاهُمَا كَانَ يَنُوبُ عَنِ ابْنِ الزَّكِيِّ وَابْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَكَانَ يُدَرِّسُ بالطَّرْخَانِيَّةِ، وَبِهَا مَسْكَنُهُ، فَلَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ **الْمُعَظَّمُ أَنْ يُفْتِيَ بِإِبَاحَةِ نَبِيذِ التَّمْرِ** وَمَاءِ الرُّمَّانِ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنَا عَلَى مَذْهَبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ، وَالرِّوَايَةُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ شَاذَّةٌ، وَلَا يَصِحُّ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي ذَلِكَ، وَلَا الْأَثَرُ عَنْ عُمَرَ أَيْضًا.

فَغَضِبَ عَلَيْهِ الْمُعَظَّمُ وَعَزَلَهُ عَنِ التَّدْرِيسِ، وَوَلَّاهُ لِتِلْمِيذِهِ الزَّيْنِ بْنِ الْعَتَّالِ، وَأَقَامَ الشَّيْخُ بِمَنْزِلِهِ حَتَّى مَاتَ. رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٢٢- **الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ، أَبُو سَعِيدٍ كُوكُبْرِي**، أَحَدُ الْأَجْوَادِ وَالسَّادَاتِ الْكُبَرَاءِ وَالْمُلُوكِ الْأَمْجَادِ، لَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ، وَقَدْ عَمَّرَ **الْجَامِعَ الْمُظَفَّرِيَّ** بِسَفْحِ قَاسِيُونَ. وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا بَطَلًا عَاقِلًا عَادِلًا.

وَكَانَ يَعْمَلُ الْمَوْلِدَ الشَّرِيفَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَيَحْتَفِلُ بِهِ احْتِفَالًا هَائِلًا.

وَقَدْ صَنَّفَ لَهُ **أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ** مُجَلَّدًا فِي الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ سَمَّاهُ «**التَّنْوِيرَ فِي مَوْلِدِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ**» فَأَجَازَهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ فِي الْمُلْكِ فِي زَمَانِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ مُحَاصِرًا مَدِينَةَ عَكَّا.

قَالَ السِّـبْطُ: [١] حكَى بَعْضُ مَنْ حَضرَ سِـمَاطَ الْمُظَفَّرِ فِي بَعْـضِ الْمَوَالِدِ أَنَّهُ مَدَّ فِي ذَلِكَ السِّـمَاطِ خَمْسَـةَ آلَافِ رَأْسٍ، وَعَشَـرَةَ آلَافِ دَجَاجَةٍ، وَمِائَةَ أَلْفِ زُبْدِيَّةٍ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ صَحْنِ حَلْوَى.

قَـالَ: وَكَانَ يَحْضُرُ عِنْدَهُ فِي الْمَوْلِدِ بعض الْعُلَمَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ، فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ، وَيُطْلِقُ لَهُمْ، وَيَعْمَلُ **لِلصُّوفِيَّةِ سَمَاعًا** مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْفَجْرِ، **وَيَرْقُصُ بِنَفْسِهِ مَعَهُمْ**. وَكَانَتْ لَهُ دَارُ ضِيَافَةٍ لِلْوَافِدِينَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ. وَيَفك مِنَ الْأُسَارَى المسلمين عند الْفِرِنْجِ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَلْقًا.

وَكَانَ يَصْرِفُ عَلَى الْمَوْلِدِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ، **وَعَلَى دَارِ الضِّيَافَةِ** فِي كُلِّ سَـنَةٍ مِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ، **وَفِي ثَمَنِ الْأُسَارَى** فِي كُلِّ سَـنَةٍ مِائَتَيْ أَلْفَ دِينَارٍ، **وَعَلَى الْحَرَمَيْنِ وَالْمِيَاهِ** بِدَرْبِ الْحِجَازِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، سِوَى صَدَقَاتِ السِّرِّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى -.

قَالَتْ زَوْجَتُهُ رَبِيعَةُ خَاتُونَ بِنْتُ أَيُّوبَ: كَانَ قَمِيصُهُ لَا يُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، فَعَاتَبْتُهُ بِذَلِـكَ فَقَالَ: لُبْسِـي ثَوْبًا بِخَمْسَـةٍ، وَأَتَصَدَّقَ بِالْبَاقِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَلْبَسَ ثَوْبًا مُثَمَّنًا، وَأَدَعَ الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ.

وَكَانَـتْ وَفَاتُهُ بِقَلْعَةِ إِرْبِلَ، سـنة (٦٣٠ هـ) وَأَوْصَى أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَكَّـةَ، فَلَمْ يَتَّفِقْ، فَدُفِنَ بِمَشْهَدِ عَلِيٍّ.

٢٣- ابْـنُ الْأَثِيـرِ عِـزُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَـنِ عَلِـيُّ بْنُ عَبْـدِ الْكَرِيـمِ الشَّـيْبَانِيُّ الْجَزَرِيُّ الْمَوْصِلِـيُّ، الْإِمَـامُ الْعَلَّامَةُ، مُصَنِّفُ كِتَابِ «أسـدالْغَابَةِ فِي أَسْـمَاءِ الصَّحَابَةِ»، وَكِتَابِ «الْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ» وَهُوَ مِنْ أَحْسَـنِهَا حَوَادِثَ، ابْتَدَأَهُ مِنَ الْمُبْتَدَأِ إِلَى سَـنَةِ (٦٢٨هـ)، وَقَـدْ كَانَ يَتَـرَدَّدُ إِلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ خَصِيصًا عِنْدَ مُلُوكِ الْمَوْصِـلِ، وَوَزَرَ لِبَعْضِهِمْ، وَأَقَامَ بِهَـا فِي آخِرِ عُمْرِهِ مُوَقَّرًا مُعَظَّمًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا فِي شَـعْبَانَ سـنة (٦٣٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -.

---

(١) مرآة الزمان القسم الثاني ٨/ ٦٨١-٦٨٣.

وَأَمَّا أَخُوهُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ فَهُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ «جَامِعِ الْأُصُولِ» وَغَيْرِهِ، **وَأَخُوهُمَا الْوَزِيرُ ضِيَاءُ الدِّينِ** أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللهِ كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيٍّ صَاحِبِ دِمَشْقَ.

٢٤-ابْنُ الْمُسْتَوْفِي الْإِرْبِلِيِّ، مُبَارَكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُبَارَكِ بْنِ مَوْهُوبِ بْنِ غَنِيمَةَ بْنِ غَالِبٍ، الْعَلَّامَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ اللَّخْمِيُّ، كَانَ إِمَامًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ؛ كَالْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالْأَدَبِ وَالْحِسَابِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ وَفَضَائِلُ غَزِيرَةٌ، وَقَدْ بَسَطَ ابْنُ خَلِّكَانَ [1] فِي الْوَفَيَاتِ، فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وتوفي سنة (٦٣٠هـ).

٢٥-السَّيْفُ الْآمِدِيُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ، بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ التَّغْلِبِيُّ، الشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ الْآمِدِيُّ، ثُمَّ الْحَمَوِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ فِي الْأَصْلَيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ ذَلِكَ «أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ» فِي الْكَلَامِ، وَ«دَقَائِقُ الْحَقَائِقِ «فِي الْحِكْمَةِ»، وَ«إِحْكَامُ الْأَحْكَامِ» فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.

وَكَانَ حَنْبَلِيَّ الْمَذْهَبِ، فَصَارَ شَافِعِيًّا أُصُولِيًّا مَنْطِقِيًّا جَدَلِيًّا خِلَافِيًّا، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، سَلِيمَ الصَّدْرِ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ، رَقِيقَ الْقَلْبِ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِأَشْيَاءَ، اللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا، وَالَّذِي يَغْلُبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ لَيْسَ لِغَالِبِهَا صِحَّةٌ، وَقَدْ كَانَتْ مُلُوكُ بَنِي أَيُّوبَ كَالْمُعَظَّمِ وَالْكَامِلِ يُكْرِمُونَهُ، وَإِنْ كَانُوا لَا يُحِبُّونَهُ كَثِيرًا.

وَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ الْمُعَظَّمُ تَدْرِيسَ الْعَزِيزِيَّةِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْأَشْرَفُ دِمَشْقَ عَزَلَهُ عَنْهَا، وَنَادَى بِالْمَدَارِسِ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ أَحَدٌ بِغَيْرِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، **وَمَنِ اشْتَغَلَ بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ نَفَيْتُهُ**، فَأَقَامَ الشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ بِمَنْزِلِهِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ فِي صَفَرٍ سَنَة (٦٣١هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٢٦- الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ الْمُطَهَّرِ الْحَلَبِيُّ أَيْضًا، كَانَ فَقِيهًا زَاهِدًا عَابِدًا، وَكَانَتْ لَهُ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ سُرِّيَّةً، وَكَانَ شَيْخًا يُكْثِرُ مِنَ الْجِمَاعِ، فَاعْتَرَتْهُ أَمْرَاضٌ

(١) ٤/ ١٤٧.

مُخْتَلِفَةٌ فَأَتْلَفَتْهُ. وَمَاتَ سنة (٦٣٢هـ) بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، وَهُوَ وَالِدُ قُطْبِ الدِّينِ وَتَاجِ الدِّينِ.

٢٧- **الشَّيْخُ صَائِنُ الدِّينِ**، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْجِيلِيُّ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْمُفْتِينَ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى التَّنْبِيهِ لِلشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٣٢هـ) - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -.

٢٨- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْخَطِيبُ الْأَدِيبُ**، أَبُو مُحَمَّدٍ حَمْدُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ مِفْتَاحٍ التَّمِيمِيُّ **الدُّنَيْسِرِيُّ**،[1] الْخَطِيبُ بِهَا، وَالْمُفْتِي لِأَهْلِهَا، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، تَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ بِالنِّظَامِيَّةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا. توفي سنة (٦٣٢هـ).

٢٩- **أَبُو الْمَحَاسِنِ يُوسُفُ بْنُ رَافِعِ بْنِ تَمِيمٍ** الْأَسَدِيُّ الْمَوْصِلِيُّ الشَّافِعِيُّ، كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا أَدِيبًا مُقْرِئًا، ذَا وَجَاهَةٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ، أَقَامَ بِحَلَبَ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ ونظر الأوقاف بِهَا، وَلَهُ تَصَانِيفُ وَشِعْرٌ، تُوُفِّيَ سنة (٦٣٢هـ).

٣٠- **ابْنُ الْفَارِضِ**، أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ، الْحَمَوِيُّ الْأَصْلِ، الْمِصْرِيُّ الْمَوْلِدِ وَالدَّارِ وَالْوَفَاةِ، نَاظِمُ التَّائِيَّةِ فِي السُّلُوكِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى الِاتِّحَادِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مَشَايِخِنَا بِسَبَبِ قَصِيدَتِهِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا. وَقَدْ ذَكَرَهُ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِهِ وَحَطَّ عَلَيْهِ. مَاتَ فِي سنة (٦٣٢هـ) وَقَدْ قَارَبَ السِّتِّينَ.

٣١- **ابْنُ دِحْيَةَ**، أَبُو الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فَرَحٍ الْكَلْبِيُّ الْمَغْرِبِيُّ السَّبْتِيُّ، كَانَ قَاضِيَهَا ثُمَّ صَارَ شَيْخُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَاشَرَ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ بِهَا.

---

(١) نسبة إلى دنيسر، بضم أوله، بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة، قرب ماردين، بينهما فرسخان. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٤٧٨).

قَالَ السِّبْطُ: وَقَدْ كَانَ كَابْنِ عُنَيْنٍ فِي ثَلْبِ الْمُسْلِمِينَ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ، وَيَتَزَيَّدُ فِي كَلَامِهِ، فَتَرَكَ النَّاسُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ وَكَذَّبُوهُ، وَقَدْ كَانَ الْكَامِلُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْكَشَفَ لَهُ حَالُهُ أَخَذَ مِنْهُ دَارَ الْحَدِيثِ وَأَهَانَهُ.، وقد كَانَ يَكْتُبُ بِخَطِّهِ: ذُو النَّسَبَيْنِ؛ بَيْنَ دِحْيَةَ وَالْحُسَيْنِ.

لأن أمه كانت منسوبة إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قُلْتُ: وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَنَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى وَضْعِ حَدِيثٍ فِي قَصْرِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَقِفَ عَلَى إِسْنَادِهِ لِنَعْلَمَ كَيْفَ رِجَالُهُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ - كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُ - عَلَى أَنَّ الْمَغْرِبَ لَا يُقْصَرُ.

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى جُزْءٍ جَمَعَهُ الْمُحَدِّثُ الْمُتْقِنُ الْمُفِيدُ أَبُو قَاسِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَافِظِ أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ الْعُطَارِدِيُّ فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِهِ أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ دِحْيَةَ هَذَا، جَمَعَ فِيهِ أَقْوَالَ النَّاسِ فِي ثَلْبِهِ وَالْكَلَامِ فِي مَرْبَاهُ وَمَنْشَئِهِ وَاشْتِغَالِهِ وَطَلَبِهِ.

وَذَكَرَ طَعْنَ النَّاسِ فِي ادِّعَائِهِ نَسَبَهُ إِلَى دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَنَّهُ انْقَطَعَ نَسْلُهُ مِنْ بَعْدِ ثَلَاثِمِائَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي الْفَقِيهُ تَقِيُّ الدِّينِ عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّاسٍ الْإِسْعِرْدِيُّ، عَنْ شَيْخِنَا الْفَقِيهِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ أَوْحَدِ الْأَنَامِ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ الْمُسْلِمِ اللَّخْمِيِّ، يَعْنِي ابْنَ الْجُمَّيْزِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ أَبُو الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ دِحْيَةَ مَعَهُ، وَوَلَدُ الشَّيْخِ مُعِينِ الدِّينِ بْنِ شَيْخِ الشُّيُوخِ، فَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، فَقَدَّمَ السُّلْطَانُ ابْنَ دِحْيَةَ فَصَلَّى بِهِمُ الْمَغْرِبَ ركعتين، فَلَمَّا أَنْ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ ابْنُ شَيْخِ الشُّيُوخِ: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْأَئِمَّةِ يُجَوِّزُ قَصْرَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فِي السَّفَرِ.

فَقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: كَيْفَ لَا وَقَدْ أَخْبَرَنَا فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ. وَسَرَدَ إِسْنَادَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَصَرَ الْمَغْرِبَ فِي السَّفَرِ. فَلَمْ يُجِبِ ابْنُ شَيْخِ الشُّيُوخِ وَمَكَثَ عَلَى حَالِهِ.

قُلْتُ: هَذَا وَضْعٌ فَاحِشٌ مُخَالِفٌ لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ

وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا الْإِسْنَادِ لَا يُحْفَظُ؛ لِأَنَّ سَامِعَهُ لَمْ يَضْبِطْهُ، وَوَاضِعَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِ ثَانِيًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وتوفي سنة (٦٣٣هـ) بالقاهرة.

٣٢- **كَيْقُبَاذُ الْمَلِكُ عَلَاءُ الدِّينِ**، صَاحِبُ بِلَادِ الرُّومِ، كَانَ مِنْ أَعْدَلِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، وَقَدْ زَوَّجَهُ الْعَادِلُ ابْنَتَهُ وَأَوْلَدَهَا، وَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ فِي وَقْتٍ، وَأَخَذَ أَكْثَرَهَا مِنْ يَدِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ، وَكَسَرَ الْخُوَارَزْمِيَّةَ مَعَ الْأَشْرَفِ مُوسَى، وتوفي سنة (٦٣٤هـ).

٣٣- **النَّاصِحُ الْحَنْبَلِيُّ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَجْمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ الشِّيرَازِيُّ، وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وُلِدَ النَّاصِحُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ يَعِظُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَرَّسَ بِالصَّالِحِيَّةِ الَّتِي بِالْجَبَلِ، وَلَهُ بُنَيَّتٌ، وَلَهُ تَصَانِيفُ.

وَقَدِ اشْتَغَلَ عَلَى ابْنِ الْمَنِّيِّ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ فَاضِلًا صَالِحًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالصَّالِحِيَّةِ فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٣٤هـ)، وَدُفِنَ هُنَاكَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

٣٤- **الْقَاضِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ التَّكْرِيتِيُّ**، الْحَاكِمُ بِالْكَرَكِ، وَمُدَرِّسُ مَدْرَسَةِ الزَّبْدَانِيِّ، فَلَمَّا أُخِذَتْ أَوْقَافُهَا سَارَ إِلَى الْقُدْسِ، ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ، فَكَانَ يَنُوبُ بِهَا عَنِ الْقُضَاةِ، وَكَانَ فَاضِلًا نَزِيهًا عَفِيفًا دَيِّنًا، وتوفي سنة (٦٣٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ.

٣٥- **الْخَطِيبُ جَمَالُ الدِّينِ الدَّوْلَعِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ يَاسِينَ، نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ، كَانَ مُدَرِّسًا بِالْغَزَّالِيَّةِ مَعَ الْخَطَابَةِ، وَقَدْ مَنَعَهُ الْمُعَظَّمُ فِي وَقْتٍ عَنِ الْفَتْوَى، فَعَاتَبَهُ السِّبْطُ فِي ذَلِكَ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ شُيُوخَ بَلَدِهِ هُمُ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ أَخْطَائِهِ فِي فَتَاوِيهِ، **وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الْوَظِيفَةِ** لَا يَكَادُ يُفَارِقُ بَيْتَ الْخَطَابَةِ، وَلَمْ يَحُجَّ قَطُّ مَعَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، **وَقَفَ** مَدْرَسَةً بِجَيْرُونَ، توفي سنة (٦٣٥هـ).

٣٦- **الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الشِّيرَازِيِّ**، مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ عَسَاكِرَ وَغَيْرِهِ، وَاشْتَغَلَ فِي الْفِقْهِ، وَأَفْتَى وَدَرَّسَ بِالشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ عِدَّةَ سِنِينَ، وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا فَاضِلًا كَيِّسًا، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، عَارِفًا بِالْأَخْبَارِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْأَشْعَارِ، كَرِيمَ الطِّبَاعِ، حَمِيدَ الْآثَارِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَالِثَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٦٣٥هـ).

٣٧- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعَمَّرُ**، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ بَهْرُوزٍ الْبَغْدَادِيُّ، ظَهَرَ سَمَاعُهُ مِنْ أَبِي الْوَقْتِ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَانْثَالَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْمَعُونَ مِنْهُ، وَتَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الزَّبِيدِيِّ وَغَيْرِهِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ التَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٣٥هـ).

٣٨- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ صَارِمُ الدِّينِ**، خَطْلَبَا بْنُ عَبْدِ اللهِ مَمْلُوكُ سَرْكَسَ، وَنَائِبُهُ بَعْدَهُ مَعَ وَلَدِهِ عَلَى تِبْنِينَ وَتِلْكَ الْحُصُونِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ، وَدُفِنَ مَعَ أُسْتَاذِهِ بِقِبَابِ سَرْكَسَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَاهَا بَعْدَ أُسْتَاذِهِ، وَكَانَ خَيِّرًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْغَزْوِ، مُرَابِطًا مُدَّةَ سِنِينَ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سنة (٦٣٥هـ).

٣٩- **جَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ الْحَنَفِيُّ**، مَحْمُودُ بْنُ أَحْمَدَ، الْعَلَّامَةُ جَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ، شَيْخُ الْحَنَفِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وَمُدَرِّسُ النُّورِيَّةِ، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: حَصِيرُ، مِنْ مُعَامَلَةِ بُخَارَى. تَفَقَّهَ بِهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَصَارَ إِلَى دِمَشْقَ، فَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْحَنَفِيَّةِ بِهَا، لَاسِيَّمَا فِي أَيَّامِ الْمُعَظَّمِ، كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ «الْجَامِعَ الْكَبِيرَ»، وَلَهُ عَلَيْهِ شَرْحٌ، وَكَانَ يَحْتَرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُهُ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، عَاقِلًا نَزِهًا عَفِيفًا، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَامِنَ صَفَرٍ، سنة (٦٣٦هـ) وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً.

٤٠- **الْوَزِيرُ جَمَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ جَرِيرٍ**، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الرَّقَّةِ، وَكَانَ لَهُ أَمْلَاكٌ يَسِيرَةٌ يَعِيشُ مِنْهَا، ثُمَّ آلَ أَمْرُهُ أَنْ وَزَرَ لِلْأَشْرَفِ بِدِمَشْقَ. وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُهُمْ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، في سنة (٦٣٦هـ).

٤١-**الْحَافِظُ الْكَبِيرُ زَكِيُّ الدِّينِ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ الْبِرْزَالِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ، أَحَدُ مَنِ اعْتَنَى بِصِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَبَرَزَ فِيهِ، وَأَفَادَ الطَّلَبَةَ، وَكَانَ شَيْخَ الْحَدِيثِ بِمَشْهَدِ ابْنِ عُرْوَةَ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى حَلَبَ، فَتُوُفِّيَ بِحَمَاةَ فِي رَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ في سنة (٦٣٦هـ)، وَهُوَ جَدُّ شَيْخِنَا الْحَافِظِ **عَلَمِ الدِّينِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبِرْزَالِيِّ**، مُؤَرِّخِ دِمَشْقَ، الَّذِي ذَيَّلَ عَلَى تاريخ أَبِي شَامَةَ، وَقَدْ ذَيَّلْتُ أَنَا عَلَى تَارِيخِهِ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

٤٢- **الْمَلِكُ الْمُجَاهِدُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهْ بْنُ نَاصِرِ** الدِّينِ ابن شَادِي، صَاحِبُ حِمْصَ، وَلَّاهُ إِيَّاهَا صَلَاحُ الدِّينِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ سَنَةَ (٥٨١هـ)، فَمَكَثَ فِيهَا سَبْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُلُوكِ سِيرَةً، **طَهَّرَ بِلَادَهُ مِنَ الْخُمُورِ وَالْمُكُوسِ وَالْمُنْكَرَاتِ**، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ، لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَلَا الأعراب يَدْخُلُ بِلَادَهُ إِلَّا أَهَانَهُ غَايَةَ الْإِهَانَةِ، وَكَانَتْ مُلُوكُ بَنِي أَيُّوبَ يَتَّقُونَهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ جَدَّهُ هُوَ الَّذِي فَتَحَ مِصْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِحِمْصَ (٦٣٧هـ)، وَعُمِلَ عَزَاؤُهُ بِجَامِعِ دِمَشْقَ.

٤٣-**مُحْيِي الدِّينِ** مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ **بْنِ عَرَبِيٍّ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ الطَّائِيُّ الْحَاتِمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، صَاحِبُ الْفُصُوصِ وَغَيْرِهَا، طَافَ الْبِلَادَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ مُدَّةً، وَصَنَّفَ فِيهَا:

كِتَابَهُ **الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ** فِي نَحْوِ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، فِيهَا مَا يُعْقَلُ وَمَا لَا يُعْقَلُ، وَمَا يُعْرَفُ وَمَا لَا يُعْرَفُ. وَلَهُ «**فُصُوصِ الْحِكَمِ**» فِيهِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ ظَاهِرُهَا كُفْرٌ صَرِيحٌ. وَلَهُ «**الْعِبَادَاتِ**»، وَدِيوَانُ شِعْرٍ رَائِقٍ.

وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً طَوِيلَةً قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَكَانَ بَنُو الزَّكِيِّ لَهُمْ عَلَيْهِ اشْتِمَالٌ، وَبِهِ احْتِفَالٌ، وَلِجَمِيعِ مَا يَقُولُهُ احْتِمَالٌ.

وَقَالَ السِّبْطِ: كَانَ يَقُولُ: إِنَّهُ يَحْفَظُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ الْكِيمْيَاءَ بِطَرِيقِ الْمُنَازَلَةِ لَا بِطْرِيقِ الْكَسْبِ، وَكَانَ فَاضِلًا فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، توفي سنة (٦٣٨هـ).

٤٤-**الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ،** أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ الشَّافِعِيُّ.

كَانَ **شَيْخًا فَاضِلًا دَيِّنًا** بَارِعًا فِي عِلْمِ الْخِلَافِ، **وَيَحْفَظُ «الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ» لِلْحُمَيْدِيِّ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ،** قَدْ طَافَ الْبُلْدَانَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِدِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَالصَّارِمِيَّةِ، وَالشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَأُمِّ الصَّالِحِ، وتوفي يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَوَّالٍ سنة (٦٣٨هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

٤٥- **الْكَمَالُ مُوسَى بْنُ يُونُسَ** بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُقَيْلِيُّ، أَبُو الْفَتْحِ الْمَوْصِلِيُّ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَالْمَنْطِقِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنَ الْبُلْدَانِ، وَبَلَغَ ثَمَانِيَةً وَثَمَانِينَ عَامًا، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، كَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٥٥١هـ)، وَتُوُفِّيَ لِلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٣٩هـ).

٤٦- **أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمُظَفَّرِ،** الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحُبَيْرِ السَّلَامِيِّ، شَيْخٌ عَالِمٌ فَاضِلٌ، كَانَ حَنْبَلِيًّا، ثُمَّ صَارَ شَافِعِيًّا، وَدَرَّسَ بِعِدَّةِ مَدَارِسَ بِبَغْدَادَ لِلشَّافِعِيَّةِ، وَكَانَ أَحَدَ الْمُعَدِّلِينَ بِهَا، تَوَلَّى مُبَاشَرَاتٍ كَثِيرَةً، وَكَانَ فَقِيهًا أُصُولِيًّا عَالِمًا بِالْخِلَافِ، وَتَقَدَّمَ بِبَلَدِهِ وَعَظُمَ كَثِيرًا، ثُمَّ صَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ دَرَّسَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِبَغْلَةٍ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ، وَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى تُوُفِّيَ سنة (٦٣٩هـ) عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ.

٤٧-**أَبُو الْمَعَالِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُقْبِلٍ الْوَاسِطِيُّ** الشَّافِعِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ، اشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ، وَحَصَّلَ وَأَعَادَ فِي بَعْضِ الْمَدَارِسِ، ثُمَّ اسْتَنَابَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو صَالِحٍ نَصْرُ، فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ مُسْتَقِلًّا، ثُمَّ وَلِيَ تَدْرِيسَ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ بَعْدَ مَوْتِ أَوَّلِ مَنْ دَرَّسَ بِهَا مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلَانَ، ثُمَّ عُزِلَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعُيِّنَ لِمَشْيَخَةِ بَعْضِ الرُّبُطِ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٣٩هـ)، وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا مُتَوَاضِعًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ.

(٣٧)

خلافة المستعصم باللّه عبداللّه بن المستنصر باللّه منصور بن الظاهر

٦٤٠ـ٦٥٦

آخر خلفاء بني العباس ببغداد

الفصل الأول:
ترجمته وخلافته

ترجمته

نسبه

المستعصم بالله أبو أحمد عَبْدُ اللهِ بن المستنصر بالله **منصور** بن الظاهر محمد بن النَّاصِرُ لِدِينِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللهِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْعِرَاقِ، **مَوْلِدُه**: سَنَةَ (٦٠٩هـ)

صفاته

أَتْقَنَ فِي شَبِيبَتِهِ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ حِفْظًا وَتَجْوِيدًا، وكان كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، حَسَنَ الْأَدَاءِ، طَيِّبَ الصَّوْتِ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ خُشُوعٌ وَإِنَابَةٌ، وَقَدْ نَظَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ وَحَلِّ الْمُشْكِلَاتِ. وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْخَيْرِ، مَشْكُورًا، وَقَدْ مَشَتِ الْأُمُورُ فِي أَيَّامِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَأَتْقَنَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْخَطَّ الْحَسَنَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلَى الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي الْمُظَفَّرِ **عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّيَّارِ** أَحَدِ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَقَدْ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ.

وَقَدْ كَانَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، حَسَنَ الصُّورَةِ، جَيِّدَ السِّيرَةِ صَحِيحَ السَّرِيرَةِ، صَحِيحَ الْعَقِيدَةِ، مُقْتَدِيًا بِأَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ وَإِكْرَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُنِّيًّا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَاعْتِقَادِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ لِينٌ، وَعَدَمُ تَيَقُّظٍ، وَمَحَبَّةٌ لِلْمَالِ وَجَمْعِهِ.

قَتَلَتْهُ التَّتَارُ مَظْلُومًا مُضْطَهَدًا.

○ وفاته

وَهُـوَ آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الشَّـهِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ التَّتَارُ، بِأَمْرِ ملـك التتـار هُولاكوقان بْنِ تُولِّيَّ بْنِ جِنْكِزْخَانَ، فِي سَـنَةِ (٦٥٦هـ)، وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ يَوْمَ قُتِلَ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا.

وَشَـغَرَ مَنْصِبُ الْخِلَافَةِ بَعْدَهُ، وَلَمْ يَبْقَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ مَنْ سَـدَّ مَسَدَّهُ، فَكَانَ آخَرَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ.

❁ ❁ ❁

خلافته

بيعته

بويـع بالخلافة بعـد أبيه يوم الْجُمُعَةِ عَاشِـرَ جُمَـادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَـنَةِ (٦٤٠هـ) وَلُقِّبَ **بِالْمُسْتَعْصِمِ**، وَلَهُ مِنَ العمر يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُونَ سَنَةً، وَكَانَ الْقَائِمُ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْفَضَائِلِ إِقْبَالٌ الْمُسْتَنْصِرِيُّ، فَبَايَعَهُ أَوَّلًا بَنُو عَمِّهِ وَأَهْلُهُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أُولِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْعَامَّةِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَجَاءَتِ الْبَيْعَةُ مِنْ سَـائِرِ الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَـارِ، وَالْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ، وَخُطِبَ لَهُ فِي سَائِرِ الْبُلْدَان وَالْأَقَالِيمِ، وَعَلَى سَائِرِ الْمَنَابِرِ شَرْقًا وَغَرْبًا.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني:
الأحداث في عهده وولاية الحج

الأحداث في عهده

○ الإذن لعبد الرحمن بن يوسف الجوزي بالوعظ

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٦٤٠هـ) أَذِنَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعْصِمُ بِاللهِ لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، فِي الْوَعْظِ بِبَابِ الْبَدْرِيَّةِ، وَكَانَ شَابًّا ظَرِيفًا فَاضِلًا، فَتَكَلَّمَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَامْتَدَحَ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعْصِمَ بِقَصِيدَةٍ فَصِيحَةٍ مَلِيحَةٍ، وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

○ هجوم الخوارزمية على حلب

فِي سنة (٦٤٠هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ **الْحَلَبِيِّينَ وَبَيْنَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ**[1]، وَمَعَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ شِهَابُ الدِّينِ **غَازِيٌّ صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ**، فَكَسَرَهُمُ الْحَلَبِيُّونَ كَسْرَةً عَظِيمَةً مُنْكَرَةً، وَغَنِمُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا، وَنُهِبَتْ نَصِيبِينُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهَذِهِ **سَابِعَ عَشَرَ مَرَّةً تنهب** فِي هَذِهِ السِّنِينَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَعَادَ **الْغَازِيُّ** إِلَى مَيَّافَارِقِينَ، وَتَفَرَّقَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ صُحْبَةَ مُقَدَّمِهِمْ بَرَكَاتِ خَانَ، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِ.

○ تولية ابن العلقمي وزارة الخلافة

فِي سنة (٦٤٢هـ) اسْتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ **الْمُسْتَعْصِمُ** بِاللهِ، مُؤَيِّدَ الدِّينِ أَبَا طَالِبٍ **مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ**: الْمَشْئُومَ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، ولَمْ يَكُنْ وَزِيرَ صِدْقٍ، وَلَا مَرْضِيَّ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَعَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي قَضِيَّةِ **هُولَاكُو** وَجُنُودِهِ.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ الْوِزَارَةِ **أُسْتَاذَ دَارِ الْخِلَافَةِ**، فَلَمَّا مَاتَ الوزير نَصْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ **بْنُ النَّاقِدِ** اسْتُوْزِرَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ مكانه.

---

(١) هؤلاء كانوا طائفة من عسكر الخوارزمية، ولهم قائد يسمى بركات خان، انفردوا عن الخوارزمية، وصاروا عصابة مرتزقة مع من يطلبهم من الأمراء مقابل مال يدفع لهم.

○ ترتيبات الخليفة

⊙ عين الخليفة سنة (٦٤٢هـ) فِي الْأُسْتَاذِ دَارِيَةِ الشَّيْخُ **مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ**، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ وَاقِفُ الْجَوْزِيَّةِ الَّتِي بِالنَّشَّابِينَ بِدِمَشْقَ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ.

⊙ وجُعِلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ **بْنِ النَّيَّارِ** مُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ، في منصب شَيْخَ الشُّيُوخِ بِبَغْدَادَ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ.

⊙ وَوَكَّلَ الْخَلِيفَةُ **عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ الْمُطَهَّرِ** وَكَالَةً مُطْلَقَةً، وَخَلَعَ عَلَيْهِ.

○ قتال جيش الخليفة للتتار

فِي سنة (٦٤٣هـ) كَانَتْ وَقعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ جَيْشِ الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَ التَّتَارِ، لَعَنَهُمُ اللهُ، فَكَسَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَفَرَّقُوا شَمْلَهُمْ، وَهَرَبُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُمْ، وَلَمْ يَتْبَعُوهُمْ خَوْفًا مِنْ غَائِلَةِ مَكْرِهِمْ، وَعَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ»[(١)]

○ عاصفة تمزق كسوة الكعبة

فِي سنة (٦٤٤هـ) هَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ بِمَكَّةَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ، فَأَلْقَتْ كسوة الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، وَكَانَتْ قَدْ عَتُقَتْ فَإِنَّهَا مِنْ سَنَةِ (٦٤٠هـ) لَمْ تُجَدَّدْ؛ لِعَدَمِ الْحَجِّ فِي تِلْكَ السِّنِينَ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَلِيفَةِ، فَمَا سَكَنَتِ الرِّيحُ إِلَّا وَالْكَعْبَةُ عُرْيَانَةٌ، وَقَدْ زَالَ عَنْهَا شِعَارُ السَّوَادِ.

فَاسْتَأْذَنَ **نَائِبُ الْيَمَنِ** عُمَرُ بْنُ رَسُولٍ، شَيْخَ الْحَرَمِ الْعَفِيفَ مَنْصُورَ بْنَ مَنَعَةَ، فِي أَنْ يَكْسُوَ الْكَعْبَةَ، **فَقَالَ: لَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مِنْ مَالِ الْخَلِيفَةِ**. وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ شيخ الحرم مَالٌ فَاقْتَرَضَ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ، وَاشْتَرَى ثِيَابَ قُطْنٍ، وَصَبَغَهَا سَوَادًا، وَرَكَّبَ عَلَيْهَا طِرَازَاتِهَا الْعَتِيقَةَ، وَكَسَا بِهَا الْكَعْبَةَ، **وَمَكَثَتِ الْكَعْبَةُ** لَيْسَ عَلَيْهَا كُسْوَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً.

---

(١) أخرجه أبوداود برقم (٤٣٠٢)، والنسائي برقم (٣١٧٦)، وقال الألباني حديث حسن. كما في صحيح سنن أبي داود (٣٦١٥).

افتتاح مكتبة دار الخلافة

فِي سنة (٦٤٤هـ) فُتِحَتْ دَارُ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْوَزِيرُ مُؤَيِّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَلْقَمِيُّ بِدَارِ الْوِزَارَةِ. وَجَاءَتْ فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ، وَوُضِعَ فِيهَا مِنَ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ النَّافِعَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَامْتَدَحَهَا الشُّعَرَاءُ بِأَبْيَاتٍ وَقَصَائِدَ حِسَانٍ.

ختان ابني الخليفة

فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٤٤هـ) طَهَّرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعْصِمُ بِاللهِ وَلَدَيْهِ الْأَمِيرَيْنِ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ، وَأَبَا الْفَضَائِلِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعُمِلَتْ وَلَائِمُ وَمَآكِلُ وَأَفْرَاحٌ وَمَسَرَّةٌ لَا يُسْمَعُ بِمِثْلِهَا مِنْ أَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَكَانَ **ذَلِكَ وَدَاعًا لِمَسَرَّاتِ بَغْدَادَ** وَأَهْلِهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

شرح نهج البلاغة

فِي سنة (٦٤٩هـ) كَمَلَ شَرْحُ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، مِمَّا أَلَّفَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَدَائِنِيُّ، كَاتِبُ الوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ، فَأَطْلَقَ لَهُ الْوَزِيرُ مِائَةَ دِينَارٍ، وَخِلْعَةً، وَفَرَسًا، وَامْتَدَحَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِقَصِيدَةٍ؛ وقد كَانَ شِيعِيًّا مُعْتَزِلِيًّا.

تعيين سراج الدين قاضي قضاة بغداد

فِي رَمَضَانَ سنة (٦٤٩هـ) اسْتُدْعِيَ الشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ بَرَكَةَ النَّهْرُقُلِّيُّ مُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، فَوَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ مَعَ التَّدْرِيسِ الْمَذْكُورِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ.

تولية تاج الدين حسبة بغداد

فِي شَعْبَانَ سنة (٦٤٩هـ) وَلِيَ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ حِسْبَةَ بَغْدَادَ، بَعْدَ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ الَّذِي تَرَكَهَا تَزَهُّدًا عَنْهَا، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِطَرْحَةٍ، وَرُفِعَ عَلَى رَأْسِهِ غَاشِيَةٌ، وَرَكِبَ الْحُجَّابُ فِي خِدْمَتِهِ.

○ وساطة الخليفة بين صاحبي مصر والشام

فِي سَنة (٦٥١هـ) أصلح الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الْبَاذَرَائِيُّ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ بَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ وَصَاحِبِ الشَّام، فأَصْلَحَ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ، وَكَانُوا قَدِ اشْتَدَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُما، وَقَدْ مَالأَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْفِرِنْجَ، **وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِنْ نَصَرُوهُمْ عَلَى الشَّامِيِّينَ**، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَخَلَّصَ جَمَاعَةً مِنْ بُيُوتِ الْمُلُوكِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، مِنْهُمْ أَوْلَادُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَبِنْتُ الْأَشْرَفِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلَادِ صَاحِبِ حِمْصَ وَغَيْرِهِمْ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

○ ظهور نار من أرض الحجاز

فِي سَنة (٦٥٤هـ) فِيهَا كَانَ **ظُهُورُ النَّارِ** مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ بَسَطَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ الْمَقَدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ الذَّيْلِ.[١]

وَمُلَخَّصُ مَا أَوْرَدَهُ أَنَّهُ قَالَ: وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ كُتُبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، بِخُرُوجِ نَارٍ عِنْدَهُمْ فِي **خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ** مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكُتِبَتِ الْكُتُبُ فِي خَامِسِ رَجَبٍ، وَالنَّارُ بِحَالِهَا، وَوَصَلَتِ الْكُتُبُ إِلَيْنَا فِي عَاشِرِ شَعْبَانَ.

ثُمَّ قَالَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَرَدَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ، حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كُتُبٌ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِيهَا شَرْحُ أَمْرٍ عَظِيمٍ حَدَثَ بِهَا، فِيهِ تَصْدِيقٌ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى **تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ** تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»[٢] فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ مَنْ أَثِقُ بِهِ مِمَّنْ شَاهَدَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ كَتَبَ بِتَيْمَاءَ عَلَى ضَوْئِهَا الْكُتُبَ.

(١) الذيل على الروضتين ص١٨٩-١٩٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٢) كلاهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو شامة: وردنا كتاب من المدينة هذا نصه:

لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِثَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ دَوِيٌّ عَظِيمٌ، ثُمَّ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ رَجَفَتْ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْحِيطَانُ وَالسُّقُوفُ وَالْأَخْشَابُ وَالْأَبْوَابُ، سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ، **ثُمَّ ظَهَرَتْ نَارٌ** عَظِيمَةٌ فِي الْحَرَّةِ قَرِيبَةٌ مِنْ قُرَيْظَةَ نُبْصِرُهَا مِنْ دُورِنَا مِنْ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهَا عِنْدَنَا، وَهِيَ نَارٌ عَظِيمَةٌ، إِشْعَالُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ مَنَائِرَ، وَقَدْ سَالَتْ أَوْدِيَةٌ مِنْهَا بِالنَّارِ إِلَى وَادِي شَظَا مَسِيلَ الْمَاءِ، وَقَدْ سَدَّتْ سَبِيلَ شَظَا وَمَا عَادَ بِسَبِيلٍ، وَاللهِ لَقَدْ طَلَعْنَا جَمَاعَةً نُبْصِرُهَا، فَإِذَا الْجِبَالُ تَسِيلُ نِيرَانًا، وَقَدْ سَدَّتِ الْحَرَّةُ طَرِيقَ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ، فَسَارَتْ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى الْحَرَّةِ، فَوَقَفَتْ، ثم رَجَعَتْ تَسِيرُ فِي الشَّرْقِ، وَيَخْرُجُ مِنْ وَسَطِهَا سُهُولٌ وَجِبَالُ نِيرَانٍ تَأْكُلُ الْحِجَارَةَ،

وَقَدْ كَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ يَوْمَ خَامِسِ رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَالنَّارُ فِي زِيَادَةٍ مَا تَغَيَّرَتْ، وَقَدْ عَادَتْ إِلَى الْحِرَارِ فِي قُرَيْظَةَ، وطَرِيقِ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ إِلَى الْحَرَّةِ، كُلِّهَا نِيرَانٌ تَشْتَعِلُ، نُبْصِرُهَا فِي اللَّيْلِ مِنَ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهَا مَشَاعِلُ الْحَاجِّ. وَأَمَّا أُمُّ النَّارِ الْكَبِيرَةِ فَهِيَ جِبَالُ نِيرَانٍ حُمْرٌ، وَالْأُمُّ الْكَبِيرَةُ الَّتِي سَالَتِ النِّيرَانُ مِنْهَا مِنْ عِنْدِ قُرَيْظَةَ، وَقَدْ زَادَتْ وَمَا عَادَ النَّاسُ يَدْرُونَ أَيُّ شَيْءٍ يَتِمُّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللهُ يَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ إِلَى خَيْرٍ، وَمَا أَقْدِرُ أَصِفُ هَذِهِ النَّارَ.

قَالَ: وَفِي كِتَابٍ آخَرَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ مُسْتَهَلُّ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ، صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الرَّعْدِ الْبَعِيدِ تَارَةً وَتَارَةً، أَقَامَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَوْمَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِثَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ تَعَقَّبَ الصَّوْتَ الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُهُ زَلَازِلُ، فَتُقِيمُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَقَعُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ زَلْزَلَةً، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَامِسَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ انْبَجَسَتِ الْحَرَّةُ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ يَكُونُ قَدْرُهَا مِثْلَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ بِرَأْيِ الْعَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ نُشَاهِدُهَا **وَهِيَ تَرْمِي**

بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَهِيَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: **أُحَيْلِينَ**.

وَقَدْ سَالَ مِنْ هَذِهِ النَّارِ وَادٍ يَكُونُ مِقْدَارُهُ أَرْبَعَةَ فَرَاسِخَ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ، وَعُمْقُهُ قَامَةً وَنِصْفًا، وَهِيَ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَمْهَادٌ وَجِبَالٌ صِغَارٌ، وَتَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَهُوَ صَخْرٌ يَذُوبُ حَتَّى يَبْقَى مِثْلَ الْآنُكِ، فَإِذَا جَمَدَ صَارَ أَسْوَدَ، وَقَبْلَ الْجُمُودِ لَوْنُهُ أَحْمَرُ، وَقَدْ حَصَلَ بِسَبَبِ هَذِهِ النَّارِ إِقْلَاعٌ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالطَّاعَاتِ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ عَنْ مَظَالِمَ كَثِيرَةٍ إِلَى أَهْلِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ: وَمِنْ كِتَابِ شَمْسِ الدِّينِ سِنَانِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ نُمَيْلَةَ الْحُسَيْنِيِّ قَاضِي الْمَدِينَةِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِثَ جُمَادَى الْآخِرَةِ حَدَثَ بِالْمَدِينَةِ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ أَشْفَقْنَا مِنْهَا، وَبَاتَتْ بَاقِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تُزَلْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قَدْرَ عَشْرِ نَوْبَاتٍ، وَاللهِ لَقَدْ زَلْزَلَتْ مَرَّةً وَنَحْنُ حَوْلَ حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ اضْطَرَبَ لَهَا الْمِنْبَرُ إِلَى أَنْ أَوْجَسْنَا مِنْهُ صَوْتًا لِلْحَدِيدِ الَّذِي فِيهِ، وَاضْطَرَبَتْ قَنَادِيلُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ، وَتَمَّتِ الزَّلْزَلَةُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ضُحًى، وَلَهَا دَوِيٌّ مِثْلُ دَوِيِّ الرَّعْدِ الْقَاصِفِ.

ثُمَّ طَلَعَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِي طَرِيقِ الْحَرَّةِ فِي رَأْسِ جَبَلَيْنِ نَارٌ عَظِيمَةٌ مِثْلُ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا بَانَتْ لَنَا إِلَّا لَيْلَةَ السَّبْتِ، وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا، وَخِفْنَا خَوْفًا عَظِيمًا.

وَطَلَعْتُ إِلَى الْأَمِيرِ وَكَلَّمْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ أَحَاطَ بِنَا الْعَذَابُ، ارْجِعْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَعْتَقَ كُلَّ مَمَالِيكِهِ، وَرَدَّ عَلَى جَمَاعَةٍ أَمْوَالَهُمْ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، قُلْتُ: اهْبِطِ السَّاعَةَ مَعَنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَهَبَطَ وَبِتْنَا لَيْلَةَ السَّبْتِ، وَالنَّاسُ جَمِيعُهُمْ وَالنِّسْوَانُ وَأَوْلَادُهُمْ، وَمَا بَقِيَ أَحَدٌ لَا فِي النَّخِيلِ وَلَا فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا عِنْدَ (قبر) النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا، وَظَهَرَ ضَوْءُهَا إِلَى أَنْ أُبْصِرَتْ مِنْ مَكَّةَ وَمِنَ الْفَلَاةِ جَمِيعِهَا.

ثُمَّ سَالَ مِنْهَا نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَأَخَذَ فِي وَادِ **بين جبلين** وَسَدَّ الطَّرِيقَ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى **بَحْرَةِ الْحَاجِّ**، وَهُوَ بَحْرُ نَارٍ يَجْرِي، وَفَوْقَهُ جَمْرٌ يَسِيرُ إِلَى أَنْ قَطَعَتِ الْوَادِيَ; **وَادِي الشَّظَا**.

وَبِاللهِ يَا أَخِي إِنَّ عِيشَتَنَا الْيَوْمَ مُكَدَّرَةٌ، وَالْمَدِينَةُ قَدْ تَابَ جَمِيعُ أَهْلِهَا، وَلَا بَقِيَ يُسْمَعُ فِيهَا رَبَابٌ، وَلَا دُفٌّ وَلَا شُرْبٌ، وَتَمَّتِ النَّارُ تَسِيرُ إِلَى أَنْ سَدَّتْ بَعْضَ طَرِيقِ الْحَاجِّ وَبَعْضَ بَحْرَةِ الْحَاجِّ، وَجَاءَ فِي الْوَادِي إِلَيْنَا مِنْهَا قَتِيرٌ، وَخِفْنَا أَنَّهُ يَجِيئُنَا، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَدَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ [1] ﷺ، وَبَاتُوا عِنْدَهُ جَمِيعُهُمْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ.

وَأَمَّا قَتِيرُهَا الَّذِي مِمَّا يَلِينَا فَقَدْ طُفِئَ بِقُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهَا إِلَى السَّاعَةِ وَمَا نَقَصَتْ إِلَّا تَرَى مِثْلَ الْجِمَالِ حِجَارَةً مِنْ نَارٍ، وَلَهَا دَوِيٌّ مَا يَدَعُنَا نَرْقُدُ وَلَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْرَبُ، وَمَا أَقْدِرُ أَصِفُ لَكَ عِظَمَهَا، وَلَا مَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ، وَأَبْصَرَهَا أَهْلُ يَنْبُعَ وَنَدَبُوا قَاضِيَهُمْ ابْنَ أَسْعَدَ، وَجَاءَ فشاهدها، وَمَا أَصْبَحَ يَقْدِرُ يَصِفُهَا مِنْ عِظَمِهَا.

وَكَتَبَ الْكُتَّابُ يَوْمَ خَامِسِ رَجَبٍ، وَهِيَ عَلَى حَالِهَا، وَالنَّاسُ مِنْهَا خَائِفُونَ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ يَوْمِ مَا طَلَعَتْ مَا يَطْلُعَانِ إِلَّا كَاسِفَيْنِ، فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

قُلْتُ: وَكَانَ أَبُو شَامَةَ قَدْ أَرَّخَ قَبْلَ مَجِيءِ الْكُتُبِ بِأَمْرِ هَذِهِ النَّارِ، **فَقَالَ**: وَفِيهَا فِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ خَسَفَ الْقَمَرُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحُمْرَةِ، ثُمَّ انْجَلَى، وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَفِي غَدِهِ احْمَرَّتْ وَقْتَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ أَيَّامًا مُتَغَيِّرَةَ اللَّوْنِ، ضَعِيفَةَ النُّورِ، وَاللهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَمِنْ كِتَابٍ آخَرَ مِنْ بَعْضِ بَنِي الْفَاشَانِيِّ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ فِيهِ:

جَرَى عِنْدَنَا أَمْرٌ عَظِيمٌ: لَمَّا كَانَ بِتَارِيخِ لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ الثَّالِثَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَمِنْ قَبْلِهَا بِيَوْمَيْنِ، عَادَ النَّاسُ يَسْمَعُونَ صَوْتًا مِثْلَ صَوْتِ الرَّعْدِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ - وَمَا فِي السَّمَاءِ غَيْمٌ حَتَّى نَقُولَ إِنَّهُ مِنْهُ - يَوْمَيْنِ إِلَى لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ، ثُمَّ ظَهَرَ الصَّوْتُ حَتَّى سَمِعَهُ النَّاسُ وَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ وَرَجَفَتْ بِنَا رَجْفَةً لَهَا صَوْتٌ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ، فَانْزَعَجَ لَهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَانْتَبَهُوا مِنْ مَرَاقِدِهِمْ، وَضَجَّ النَّاسُ بِالِاسْتِغْفَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَفَزِعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَصَلَّوْا فِيهِ، وَتَمَّتْ تَرْجُفُ بِالنَّاسِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ إِلَى الصُّبْحِ؛ وَذَلِكَ الْيَوْمَ

(١) في العبارة تجوز والمراد قبر النبي ﷺ.

كُلَّهُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَلَيْلَةَ الْخَمِيسِ كُلَّهَا وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. وَصُبْحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ارْتَجَّتِ الْأَرْضُ رَجَّةً قَوِيَّةً إِلَى أَنِ **اضْطَرَبَ مَنَارُ الْمَسْجِدِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ**، وَسُمِعَ لِسَقْفِ الْمَسْجِدِ صَرِيرٌ عَظِيمٌ، وَأَشْفَقَ النَّاسُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَسَكَنَتِ الزَّلْزَلَةُ بَعْدَ صُبْحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَى قَبْلِ الظُّهْرِ، ثُمَّ ظَهَرَتْ عِنْدَنَا بِالْحَرَّةِ وَرَاءَ قُرَيْظَةَ عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِقِيَّةِ بِالْمَقَاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الظُّهْرِ نَارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفَجِرُ مِنَ الْأَرْضِ، فَارْتَاعَ لَهَا النَّاسُ رَوْعَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ ظَهَرَ لَهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ يَنْعَقِدُ حَتَّى يَبْقَى كَالسَّحَابِ الْأَبْيَضِ، إِلَى قَبْلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ ظَهَرَتِ النَّارُ، لَهَا أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الْهَوَاءِ إِلَى السَّمَاءِ حَمْرَاءَ كَأَنَّهَا الْعَلَقَةُ، وَعَظُمَتْ وَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَإِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَاسْتَجَارَ النَّاسُ بِهَا، وَأَحَاطُوا بِالْحُجْرَةِ وَكَشَفُوا رُءُوسَهُمْ، وَأَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ، وَابْتَهَلُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى.

وَبَاتَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ مُصَلٍّ وَتَالٍ لِلْقُرْآنِ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، وَدَاعٍ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمُتَنَصِّلٍ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمُسْتَغْفِرٍ وَتَائِبٍ، وَلَزِمَتِ النَّارُ مَكَانَهَا، وَتَنَاقَصَ تَضَاعُفُهَا ذَلِكَ وَلَهِيبُهَا، وَصَعِدَ الْفَقِيهُ وَالْقَاضِي إِلَى الْأَمِيرِ يَعِظُونَهُ، فَطَرَحَ الْمَكْسَ، وَأَعْتَقَ مَمَالِيكَهُ كُلَّهُمْ وَعَبِيدَهُ، وَرَدَّ عَلَيْنَا كُلَّ مَا لَنَا تَحْتَ يَدِهِ، وَعَلَى غَيْرِنَا، وَبَقِيَتْ تِلْكَ النَّارُ عَلَى حَالِهَا تَلْتَهِبُ الْتِهَابًا، وَهِيَ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ وَكَالْمَدِينَةِ ارْتِفَاعًا وَعَرْضًا، يَخْرُجُ مِنْهَا حَصًى يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ، وَيَهْوِي فِيهَا وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ نَارٌ تَرْمِي كَالرَّعْدِ، وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ أَيَّامًا ثُمَّ سَالَتْ سَيَلَانًا إِلَى وَادِي **أُحَيْلِينَ**، تَنْحَدِرُ مَعَ الْوَادِي إِلَى الشَّظَاةِ، حَتَّى لَحِقَ سَيَلَانُهَا بِالْبَحْرَةِ بَحْرَةِ الْحَاجِّ، وَالْحِجَارَةُ مَعَهَا تَتَحَرَّكُ وَتَسِيرُ حَتَّى كَادَتْ تُقَارِبُ **حَرَّةَ الْعُرَيْضِ**، ثُمَّ سَكَنَتْ، وَوَقَفَتْ أَيَّامًا ثُمَّ عَادَتْ تَخْرُجُ وَتَرْمِي بِحِجَارَةٍ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا، حَتَّى بَنَتْ لَهَا جَبَلَيْنِ وَمَا بَقِيَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ بَيْنِ الْجَبَلَيْنِ لِسَانٌ لَهَا أَيَّامًا، ثُمَّ إِنَّهَا عَظُمَتِ الْآنَ، وَسَنَاهَا إِلَى الْآنَ، وَهِيَ تَتَّقِدُ كَأَعْظَمِ مَا يَكُونُ، وَلَهَا كُلَّ يَوْمٍ صَوْتٌ عَظِيمٌ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى ضَحْوَةٍ، وَلَهَا عَجَائِبُ مَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْرَحَهَا لَكَ عَلَى الْكَمَالِ، وَإِنَّمَا هَذَا طَرَفٌ مِنْهَا كَبِيرٌ يَكْفِي، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كَأَنَّهُمَا مُنْكَسِفَانِ إِلَى الْآنَ، وَكَتَبْتُ هَذَا الْكِتَابَ، وَلَهَا شَهْرٌ، وَهِيَ فِي مَكَانِهَا مَا تَتَقَدَّمُ وَلَا تَتَأَخَّرُ.

وَقَدْ قَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ أَبْيَاتًا:

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صَفْحًا عَنْ جَرَائِمِنَا ... لَقَدْ أَحَاطَتْ بِنَا يَا رَبُّ بَأْسَاءُ
نَشْكُو إِلَيْكَ خُطُوبًا لَا نُطِيقُ لَهَا ... حَمْلًا وَنَحْنُ بِهَا حَقًّا أَحِقَّاءُ
زَلَازِلًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصِّلَابُ لَهَا ... وَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى الزِّلْزَالِ شَمَّاءُ
أَقَامَ سَبْعًا يَرُجُّ الْأَرْضَ فَانْصَدَعَتْ ... عَنْ مَنْظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشْوَاءُ
بَحْرٌ مِنَ النَّارِ تَجْرِي فَوْقَهُ سُفُنٌ ... مِنَ الْهِضَابِ لَهَا فِي الْأَرْضِ إِرْسَاءُ
يُرَى لَهَا شَرَرٌ كَالْقَصْرِ طَائِشَةً ... كَأَنَّهَا دِيمَةٌ تَنْصَبُّ هَطْلَاءُ
مِنْهَا تَكَاثَفَ فِي الْجَوِّ الدُّخَانُ إِلَى ... أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهِيَ دَهْمَاءُ
فَيَا لَهَا آيَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُو ... لِ اللهِ يَعْقِلُهَا الْقَوْمُ الْأَلِبَّاءُ
فَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْمَكْنُونِ إِنْ عَظُمَتْ ... مِنَّا الذُّنُوبُ وَسَاءَ الْقَلْبُ أَسْوَاءُ
فَاسْمَحْ وَهَبْ وَتَفَضَّلْ وَامْحُ وَاعْفُ وَجُدْ ... وَاصْفَحْ فَكُلٌّ لِفَرْطِ الْجَهْلِ خَطَّاءُ

قُلْتُ: وَالْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي أَمْرِ هَذِهِ النَّارِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى». وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

وَقَدْ وَقَعَ هَذَا فِي سنة (٦٥٤هـ) كَمَا ذَكَرْنَا، وَقَدْ أَخْبَرَنِي قَاضِي الْقُضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ التَّمِيمِيُّ الْحَنَفِيُّ الْحَاكِمُ بِدِمَشْقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي الْمُذَاكَرَةِ، وَجَرَى ذِكْرُ هَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ النَّارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ يُخْبِرُ وَالِدِي بِبُصْرَى فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَنَّهُمْ رَأَوْا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ فِي ضَوْءِ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ.

قُلْتُ: وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ (٦٤٢هـ)، وَكَانَ وَالِدُهُ مُدَرِّسًا لِلْحَنَفِيَّةِ بِمَدِينَةِ بُصَرَى، وَكَذَلِكَ كَانَ جَدُّهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ فِي الْأَحْكَامِ، وَقَدْ كَانَ عُمُرُهُ حِينَ وَقَعَتْ هَذِهِ النَّارُ بِالْحِجَازِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً،

وَمِثْلُهُ مِمَّنْ يَضْبِطُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْخَبَرِ أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ أَخْبَرَ وَالِدَهُ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي.

وَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّهِ محمد وصحبه.

وَقَالَ ابْنُ السَّاعِي فِي تَارِيخِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ: وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ رَجَبٍ - يَعْنِي مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - كُنْتُ جَالِسًا بَيْنَ يَدَي الْوَزِيرِ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ صُحْبَةَ قَاصِدٍ يُعْرَفُ بِقَيْمَازَ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ الْمَدَنِيِّ، فَنَاوَلَهُ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زُلْزِلَتْ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمِنْبَرُ الشَّرِيفُ النَّبَوِيُّ، وَسُمِعَ صَرِيرُ الْحَدِيدِ، وَتَحَرَّكَتِ السَّلَاسِلُ، وَظَهَرَتْ نَارٌ عَلَى مَسِيرَةِ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ تَرْمِي بِشَرَرٍ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الْجِبَالِ، وَدَامَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. قَالَ الْقَاصِدُ: وَجِئْتُ وَلَمْ تَنْقَطِعْ بَعْدُ، بَلْ كَانَتْ عَلَى حَالِهَا، وَسَأَلَهُ: إِلَى أَيِّ الْجِهَاتِ تَرْمِي؟ فَقَالَ: إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ. وَاجْتَزْتُ عَلَيْهَا أَنَا وَنَجَابَةُ الْيَمَنِ، وَرَمَيْنَا فِيهَا سَعَفَةً، فَلَمْ تُحْرِقْهَا، بَلْ كَانَتْ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا، وَأَخْرَجَ قَيْمَازُ الْمَذْكُورُ شَيْئًا مِنَ الصَّخْرِ الْمُحْتَرِقِ، وَهُوَ كَالْفَحْمِ لَوْنًا وَخِفَّةً.

○ غرق بغداد

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَرد كِتَاب مِنْ بَعْضِ بَنِي الْفَاشَانِيِّ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ فِيهِ: وَصَلَ إِلَيْنَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٥٤هـ) نَجَابَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ، وَأَخْبَرُوا عَنْ بَغْدَادَ أَنَّهُ أَصَابَهَا غَرَقٌ عَظِيمٌ، حَتَّى دَخَلَ الْمَاءُ مِنْ أَسْوَارِ بَغْدَادَ إِلَى الْبَلَدِ، وَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ الْمَاءُ دَارَ الْخِلَافَةِ وَسَطَ الْبَلَدِ، وَانْهَدَمَتْ دَارُ الْوَزِيرِ وَثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانُونَ دَارًا، وَانْهَدَمَ مَخْزَنُ الْخَلِيفَةِ، وَهَلَكَ مِنْ خِزَانَةِ السِّلَاحِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بَلْ تَلِفَ كُلُّهُ، وَأَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى الْهَلَاكِ، وَعَادَتِ السُّفُنُ تَدْخُلُ إِلَى وَسَطِ الْبَلَدِ، وَتَخْتَرِقُ أَزِقَّةَ بَغْدَادَ.

○ احتراق المسجد النبوي

قَالَ أَبُو شَامَةَ: فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ مُسْتَهَلَّ رَمَضَانَ سنة (٦٥٤هـ) احْتَرَقَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، **ابْتَدَأَ** حَرِيقُهُ مِنْ زَاوِيَتِهِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الشَّمَالِ، وَكَانَ

دَخَلَ أَحَدُ الْقَوْمَةِ إِلَى خِزَانَةٍ ثَمَّ، وَمَعَهُ نَارٌ فَعَلِقَتْ فِي الْآلَاتِ وَاتَّصَلَتْ بِالسَّقْفِ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ دَبَّتْ فِي السُّقُوفِ، وَأَخَذَتْ قِبْلَةً، فَأَعْجَلَتِ النَّاسَ عَنْ قَطْعِهَا، فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى احْتَرَقَتْ سُقُوفُ الْمَسْجِدِ أَجْمَعَ، وَوَقَعَتْ بَعْضُ أَسَاطِينِهِ، وَذَابَ رَصَاصُهَا.

وَاحْتَرَقَ سَقْفُ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي الْحُجْرَةِ، وَبَقِيَ عَلَى حَالِهِ حَتَّى شُرِعَ فِي عِمَارَةِ سَقْفِهِ وَسَقْفِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، عَلَى صَاحِبِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَعَزَلُوا مَوْضِعًا لِلصَّلَاةِ، **وَعُدَّ مَا وَقَعَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ الْخَارِجَةِ وَحَرِيقِ الْمَسْجِدِ مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ**، وَكَأَنَّهَا كَانَتْ مُنْذِرَةً بِمَا يَعْقُبُهَا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَقَدْ قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَمَا بَعْدَهَا شِعْرًا، وَهُوَ قَوْلُهُ:

بَعْدَ سِتٍّ مِنَ الْمِئِينَ وَخَمْسِي ... نَ لَدَى أَرْبَعٍ جَرَى فِي الْعَامِ
نَارُ أَرْضِ الْحِجَازِ مَعَ حَرْقِ الْمَسْ ... جِدِ مَعْهُ تَغْرِيقُ دَارِ السَّلَامِ
ثُمَّ أَخْذُ التَّتَارِ بَغْدَادَ فِي أَوَّ ... لِ عَامٍ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَعَامِ
لَمْ يُعْنَ أَهْلُهَا وَلِلْكُفْرِ أَعْوَا ... نٌ عَلَيْهِمْ يَا ضَيْعَةَ الْإِسْلَامِ
وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ مِنْهَا ... صَارَ مُسْتَعْصِمٌ بِغَيْرِ اعْتِصَامِ
فَحَنَانًا عَلَى الْحِجَازِ وَمِصْرَ ... وَسَلَامًا عَلَى بِلَادِ الشَّامِ
رَبِّ سَلِّمْ وَصُنْ وَعَافِ بَقَايَا الْ ... مُدْنِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

○ تدمير التتار بغداد وانتهاء الخلافة العباسية

اسْتَهَلَّتْ سنة (٦٥٦هـ) وَجُنُودُ التَّتَارِ قَدْ نَازَلَتْ بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَسَاكِرِ سُلْطَانِ التَّتَارِ **هُولَاكُوقَانَ**، وَجَاءَتْ إِلَى التتار أَمْدَادُ **صَاحِبِ الْمَوْصِلِ** يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْبَغَادِدَةِ بالميرة والهدايا والتحف، **وَكُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّتَارِ**، وَمُصَانَعَةً لَهُمْ، قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

وَقَدْ سُتِرَتْ بَغْدَادُ، وَنُصِبَتْ فِيهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ وَغَيْرُهَا مِنْ آلَاتِ الْمُمَانَعَةِ الَّتِي لَا تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: (لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ عَنْ قَدَرٍ) وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وَأَحَاطَ التَّتَارُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ يَرْشُقُونَهَا بِالنُّشَّابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى أُصِيبَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، جَاءَهَا سَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الشَّبَابِيكِ فَقَتَلَهَا، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ الِاحْتِرَازِ، وَكَثْرَةِ السَّتَائِرِ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ.

وَكَانَ قُدُومُ **هُولَاكُوقَانَ** بِجُنُودِهِ نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ إِلَى بَغْدَادَ فِي ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَنَقِ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَوَصَلَ بَغْدَادَ بِجُنُودِهِ الْكَثِيرَةِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ الْغَاشِمَةِ، مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

فَأَحَاطُوا بِبَغْدَادَ مِنْ نَاحِيَتِهَا الْغَرْبِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، وَجُنُودُ بَغْدَادَ فِي **غَايَةِ الْقِلَّةِ وَنِهَايَةِ الذِّلَّةِ**، لَا يَبْلُغُونَ عَشَرَةَ آلَافِ فَارِسٍ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ.

وَلِهَذَا كَانَ **هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَرَزَ إِلَى التَّتَارِ**، فَخَرَجَ فِي أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، فَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ هُولَاكُوقَانَ، لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِتَقَعَ الْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاجِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ لِلْخَلِيفَةِ، فَخَرَجَ الخليفةُ فِي سَبْعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَرُءُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالدَّوْلَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ هُولَاكُوقَانَ حُجِبُوا عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفَسًا، وَأُنْزِلَ الْبَاقُونَ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَنُهِبَتْ، وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ،

وَأُحْضِـرَ الْخَلِيفَةُ بَيْنَ يَدَيْ هُولَاكُو فَسَـأَلَهُ عَنْ أَشْـيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَيُقَالُ: إِنَّـهُ اضْطَرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبَرُوتِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صُحْبَتِهِ **خَوَاجَا نَصِيرٌ الطُّوسِيُّ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ** وَغَيْرُهُمَا، وَالْخَلِيفَـةُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ وَالْمُصَـادَرَةِ، فَأَحْضَرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَـيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ.

وَقَدْ أَشَـارَ الرَّافِضَة، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَـى هُولَاكُو قَانَ أَنْ لَا يُصَالِحَ الْخَلِيفَةَ، وَحَسَّنُوا لَهُ قَتْلَ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ هُولَاكُو أَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَتَلُوهُ رَفْسًا وَهُـوَ فِي جُوَالِقَ، لِئَلَّا يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ شَـيْءٌ مِنْ دَمِهِ، وَقِيلَ: بَـلْ خُنِقَ. وَيُقَالُ: غُرِّقَ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَمَالُـوا عَلَـى الْبَلَـدِ، فَقَتَلُوا جَمِيـعَ مَنْ قَـدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْمَشَايِخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ.

وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْآبَارِ وَأَمَاكِنِ الْحُشُوشِ، وَقُنِيِّ [١] الْوَسَخِ، وَكَمَنُوا كَذَلِكَ أَيَّامًـا لَا يَظْهَـرُونَ، وَكَانَ الْفِئَـامُ مِنَ النَّـاسِ يَجْتَمِعُونَ فِـي الْخَانَاتِ، وَيُغْلِقُـونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْـوَابَ، فَتَفْتَحُهَا التَّتَارُ إِمَّا بِالْكَسْـرِ أَوْ بِالنَّارِ، ثُـمَّ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِـمْ فَيَهْرُبُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَعَالِي الْمَكَانِ، فَيَقْتُلُونَهُمْ فِي الْأَسْـطِحَةِ، حَتَّى تَجْـرِيَ الْمَيَازِيبُ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَزِقَّةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالرُّبَطِ.

وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِـوَى أَهْلِ الذِّمَّةِ **مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**، وَمَنِ **الْتَجَأَ إِلَيْهِمْ**، وَإِلَى **دَارِ الْوَزِيـرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ** الرَّافِضِيِّ، **وَطَائِفَةٍ مِنَ التُّجَّارِ** أَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا بَذَلُوا عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتْ أَمْوَالُهُمْ. وَعَادَتْ بَغْدَادُ بَعْدَمَا كَانَتْ آنَسَ الْمُدُنِ كُلِّهَا كَأَنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ.

(١) قني: جمع قناة. معجم الوسيط (ق ن و).

وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الْجُيُوشِ وَإِسْقَاطِ أَسْهُمِهِمْ مِنَ الدِّيوَانِ، فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، مِنْهُمْ مَنَ الْأُمَرَاءِ مَنْ هُوَ كَالْمُلُوكِ الْأَكَابِرِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيلِهِمْ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَشَرَةُ آلَافٍ، ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ، وَأَطْمَعَهُمْ فِي أَخْذِ الْبِلَادِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَجَلَّى لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحَالِ، وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْبِدْعَةَ الرَّافِضِيَّةَ، وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبِيدَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُفْتِينَ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَأَذَلَّهُ بَعْدَ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ، وَجَعَلَهُ **حُوشْكَاشًا** لِلتَّتَارِ بَعْدَمَا كَانَ وَزِيرًا لِلْخُلَفَاءِ، وَاكْتَسَبَ إِثْمَ مَنْ قُتِلَ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.

وَقَدِ **اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَمِّيَّةِ مَنْ قُتِلَ بِبَغْدَادَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**، فَقِيلَ: ثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ: أَلْفُ أَلْفٍ وَثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ. وَقِيلَ: بَلَغَتِ الْقَتْلَى أَلْفَيْ أَلْفِ نَفْسٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٥٦هـ)، وَمَا زَالَ السَّيْفُ يَقْتُلُ أَهْلَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَكَانَ قَتْلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٌ.

وَقُتِلَ مَعَهُ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ، وَوَلَدُهُ الْأَوْسَطُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأُسِرَ وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ مُبَارَكٌ، وَأُسِرَتْ أَخَوَاتُهُ الثَّلَاثُ، فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَمَرْيَمُ.

وَقُتِلَ أُسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، وَكَانَ عَدُوَّ الْوَزِيرِ، وَقُتِلَ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ، وَقُتِلَ شَيْخُ الشُّيُوخِ مُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ النَّيَّارِ، وَقُتِلَ الْخُطَبَاءُ وَالْأَئِمَّةُ، وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ السُّنَّةِ وَأَكَابِرِ الْبَلَدِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يُسْتَدْعَى بِهِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَيَخْرُجُ بِأَوْلَادِهِ وَنِسَائِهِ وَجَوَارِيهِ، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى مَقْبَرَةِ الْخَلَّالِ، تُجَاهَ الْمَنْظَرَةِ، فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَيُؤْسَرُ مَنْ يَخْتَارُونَ مِنْ بَنَاتِهِ وَجَوَارِيهِ.

وَتَعَطَّلَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْجُمُعَاتُ مُدَّةَ شُهُورٍ بِبَغْدَادَ، وَأَرَادَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ، أَنْ يُعَطِّلَ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ وَالرُّبَطَ بِبَغْدَادَ، وَأَنْ يَبْنِيَ لِلرَّافِضَةِ مَدْرَسَةً هَائِلَةً يَنْشُرُونَ عِلْمَهُمْ وَعَلَمَهُمْ بِهَا وَعَلَيْهَا، فَلَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَقَصَفَ عُمْرَهُ بَعْدَ شُهُورٍ يَسِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، وَأَتْبَعَهُ بِوَلَدِهِ.

وبَقِيَتْ بَغْدَادُ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الشَّاذُّ مِنَ النَّاسِ، وَالْقَتْلَى فِي الطُّرُقَاتِ كَأَنَّهَا التُّلُولُ، وَأَنْتَنَتِ الْبَلَدُ مِنْ جِيَفِهِمْ، وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ، فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ، فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَاجْتَمَعَ عَلَى النَّاسِ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ وَالْفَنَاءُ وَالطَّعْنُ وَالطَّاعُونُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ رحيل هولاكوقان عن بغداد

كَانَ رَحِيلُ **هُولَاكُوقَانَ** عَنْ بَغْدَادَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٦٥٦هـ)، وَفَوَّضَ أَمْرَ بَغْدَادَ إِلَى الْأَمِيرِ عَلَيٍّ بَهَادُرَ، وَإِلَى الْوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ، فَلَمْ يُمْهِلْهُ اللهُ بَعْدُ، بَلْ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

فَوَلِيَ بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ وَلَدُهُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدٌ، فَأَلْحَقَهُ اللهُ بِأَبِيهِ فِي بَقِيَّةِ هَذَا الْعَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ تعليق ابن كثير على تداول الخلفاء

عِدَّةُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْمُسْتَعْصِمِ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُون خَلِيفَةً، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ عَبْدُ اللهِ **السَّفَّاحُ**، بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ، وَظَهَرَ مُلْكُهُ وَأَمْرُهُ فِي سَنَةِ (١٣٢هـ)، بَعْدَ انْقِضَاءِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَآخِرُهُمْ عَبْدُ اللهِ **الْمُسْتَعْصِمُ**، وَقَدْ زَالَ مُلْكُهُ، وَانْقَضَتْ خِلَافَتُهُ فِي سنة (٦٥٦هـ)،

فَجُمْلَةُ أَيَّامِهِمْ خَمْسُمِائَةُ سَنَةٍ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَزَالَتْ يَدُهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ وَالْحُكْمِ بِالْكُلِّيَّةِ مُدَّةَ سَنَةٍ وَشُهُورٍ فِي أَيَّامِ الْبَسَاسِيرِيِّ بعد سنة (٤٥٠هـ)، فِي خلافة الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ، ثُمَّ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ.

وَلَمْ تَكُنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ حَاكِمَةً عَلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ كَمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ قَاهِرَةً لِجَمِيعِ الْبِلَادِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ، فَإِنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بِلَادُ الْمَغْرِبِ، مَلَكَهَا فِي أَوَائِلِ الْأَمْرِ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ بَعْدَ دُهُورٍ مُتَطَاوِلَةٍ.

وَقَارَنَ بَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَةُ الْمُدَّعِينَ أَنَّهُمْ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ بِبِلَادِ مِصْرَ وَبَعْضِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمَا هُنَالِكَ، وَبِلَادِ الشَّامِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَالْحَرَمَيْنِ فِي أَزْمَانَ طَوِيلَةٍ.

وَاسْتَمَرَّتْ دَوْلَةُ الْفَاطِمِيِّينَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمُ الْعَاضِدُ الَّذِي مَاتَ بَعْدَ السِّتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ، وَكَانَتْ عِدَّةُ مُلُوكِ الْفَاطِمِيِّينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا مُتَخَلِّفًا، وَمُدَّةُ مُلْكِهِمْ تَحْرِيرًا مِنْ سَنَةِ (٢٩٧هـ) إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ الْعَاضِدُ سَنَةَ بِضْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ خِلَافَةَ النُّبُوَّةِ التَّالِيَةِ لِزَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، كَمَا نَطَقَ بِهَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، فَكَانَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ ابْنُهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى كَمَلَتْ بِهَا الثَّلَاثُونَ، كَمَا قَرَّرْنَا ذَلِكَ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ.

ثُمَّ كَانَتْ مُلْكًا، فَكَانَ أَوَّلَ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ مِنْ بَنِي أَبِي سُفْيَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، ثُمَّ ابْنُهُ يَزِيدُ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَانْقَرَضَ هَذَا الْبَطْنُ الْمُفْتَتَحُ بِمُعَاوِيَةَ، الْمُخْتَتَمُ بِمُعَاوِيَةَ.

ثُمَّ مَلَكَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ، ثُمَّ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ، ثُمَّ ابْنُ عَمِّهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ،

ثُـمَّ يَزِيـدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثُمَّ أَخُوهُ إِبْرَاهِيـمُ النَّاقِصُ، ثُمَّ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّـدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْحِمَارِ، وَكَانَ آخِرَهُمْ. فَكَانَ أَوَّلُهُمُ اسْمُهُ مَرْوَانُ، وَآخِرُهُمُ اسْمُهُ مَرْوَانُ.

وَكَانَ أَوَّلَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ السَّـفَّاحُ، وَاسْـمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ آخِرَهُمُ الْمُسْـتَعْصِمُ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ.

كَذَلِكَ أَوَّلُ خُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ الْمَهْدِيُّ، وَآخِرُهُمْ عَبْدُ اللهِ الْعَاضِدُ.

وَهَذَا اتِّفَاقٌ غَرِيبٌ جِدًّا، قَلَّ مَنْ يَتَنَبَّهُ لَهُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

○ حوادث وكوارث

⊙ في سنة (٦٤٩هـ) صُلِّيَتْ صَلَاةُ الْعِيدِ يَوْمَ الْفِطْرِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَهَذَا اتِّفَاقٌ غَرِيبٌ.(١)

⊙ في سـنة (٦٤٩هــ) وَصَـلَ إِلَى الْخَلِيفَـةِ كِتَابٌ مَنْ مَلَـكَ الْيَمَنِ صَـلَاحِ الدِّينِ بْنِ يُوسُـفَ بْنِ عُمَرَ بْنِ رَسُـولٍ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ رَجُلًا بِالْيَمَنِ خَـرَجَ يَدَّعِي الْخِلَافَةَ، وَأَنَّهُ أَنْفَذَ إِلَيْهِ جَيْشًـا، فَكَسَرُوهُ وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ صَنْعَاءَ، وَهَرَبَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي شِرْذِمَةٍ مِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِالْخِلَعِ وَالتَّقْلِيدِ.

⊙ في سـنة (٦٥٠هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ بِحَلَبَ، احْتَرَقَ بِسَبَبِهِ سِـتُّمِائَةِ دَارٍ، يُقَالُ: إِنَّ الْفِرِنْجَ لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى، أَلْقَوْهُ فِيهَا قَصْدًا.

⊙ في سـنة (٦٥٠هـ) أَعَادَ قَاضِي الْقُضَـاةِ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ النَّهْرُقُلِّيُّ أَمْرَ **الْمَدْرَسَـةِ التَّاجِيَّةِ** الَّتِي كَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْعَوَامِّ، وَجَعَلُوهَا كَالْقَيْسَارِيَّةِ يَتَبَايَعُونَ فِيهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، وَهِيَ مَدْرَسَـةٌ جَيِّدَةٌ حَسَنَةٌ قَرِيبَةُ الشَّـبَهِ مِنَ النِّظَامِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ بَانِيهَا يُقَالُ لَهُ: تَاجُ الْمُلْكِ. وَزِيرُ مَلِكْشَاهْ السَّلْجُوقِيُّ، وَأَوَّلُ مَنْ دَرَّسَ بِهَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الشَّاشِيُّ.

⊙ قَالَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ مِرْآةِ الزَّمَانِ: فِي سنة (٦٥٢هـ) وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ مِنْ مَكَّـةَ، شَـرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى، بِأَنَّ **نَارًا ظَهَرَتْ فِي أَرْضِ عَدَنَ** فِـي بَعْضِ جِبَالِهَا، بِحَيْثُ

(١) لعله لم يبلغهم دخول شهر شوال إلا في وقت متأخر؛ ولذا تأخرت صلاة العيد.

إِنَّهُ يَطِيرُ شَرَرُهَا إِلَى الْبَحْرِ فِي اللَّيْلِ، وَيَصْعَدُ مِنْهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ، فَمَا شَكُّوا أَنَّهَا النَّارُ الَّتِي ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنَّهَا تَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَتَابَ النَّاسُ، وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَالْفَسَادِ، وَشَرَعُوا فِي أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَالصَّدَقَاتِ.

- فِي سنة (٦٥٢هـ) قَدِمَ الْفَارِسُ أَقْطَايُ مِنَ الصَّعِيدِ، وَقَدْ نَهَبَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسَرَ بَعْضَهُمْ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ بَغَوْا وَطَغَوْا وَتَجَبَّرُوا، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْمَلِكِ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيِّ، وَلَا إِلَى زَوْجَتِهِ شَجَرِ الدُّرِّ، فَشَاوَرَ الْمُعِزُّ زَوْجَتَهُ شَجَرَ الدُّرِّ فِي قَتْلِ أَقْطَايَ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِمِصْرَ، فَاسْتَرَاحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ شَرِّهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- فِي سنة (٦٥٢هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بِمَدْرَسَةِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ.

- قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَكَثُرَ في سنة (٦٥٤هـ) مَوْتُ الْفَجْأَةِ، فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

- وفِي سنة (٦٥٥هـ) كَانَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، فَنُهِبَتِ الْكَرْخُ وَدُورُ الرَّافِضَةِ حَتَّى دُورُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي مُمَالَأَتِهِ التَّتَارَ.

- ذَكَرَ أَبُو شَامَةَ، وَشَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ، وَقُطْبُ الدِّينِ الْيُونِينِيُّ، أَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ فِي سنة (٦٥٦هـ) **بِالشَّام** وَبَاءٌ شَدِيدٌ، وَذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الْهَوَاءِ وَالْجَوِّ، فَسَدَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلَى بِبِلَادِ الْعِرَاقِ، وَانْتَشَرَ حَتَّى تَعَدَّى إِلَى بِلَادِ الشَّامِ.

❁ ❁ ❁

ولاية الحج

قَالَ السِّبْطُ: في سنة (٦٥٠هـ) حَجَّ النَّاسُ مِنْ بَغْدَادَ، وَكَانَ لَهُمْ عَشْرُ سِنِينَ لَمْ يَحُجُّوا مِنْ زَمَنِ الْمُسْتَنْصِرِ.

وحج بالناس سنة (٦٥١هـ) الأمير جمّاز بن حسن بن قتادة، الثائر بمكة، وقد حصل للناس عطش شديد وغلاء، وممن حج في هذه السنة الإمام محيي الدين النووي مع والده.[1]

وحج بالناس سنة (٦٥٢هـ) مبارز الدين الحسين بن علي بن برطاس من قبل المظفر صاحب اليمن.

وفي سنة (٦٥٣هـ) تنافر أمير الركب العراقي مع أمير مكة، ثم أصلح بينهما، فرضي عليه أمير الحاج.

وفي سنة (٦٥٤هـ) حج الركب العراقي، ووقع المطر بعرفة.

لم يحج في سنة (٦٥٥هـ) من الآفاق ركب سوى حجاج الحجاز، ولم ترفع راية لملك من الملوك وقت الوقوف بعرفة.

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٣/ ٧٤-٧٥.

مشاهير من توفي من الأعيان

١-**الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْفَتُوحِ**، عُمَرُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنَجِّي التَّنُوخِيُّ، الْمَعَرِّيُّ الْحَنْبَلِيُّ، قَاضِي حَرَّانَ قَدِيمًا، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالْمِسْمَارِيَّةِ، وَتَوَلَّى خِدَمًا فِي الدَّوْلَةِ الْمُعَظَّمِيَّةِ، وَكَانَتْ لَهُ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ صَابِرٍ وَالْقَاضِيَيْنِ الشَّهْرَزُورِيِّ وَابْنِ أَبِي عَصْرُونَ.

توفي سنة (٦٤١هـ) فِي سَابِعِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

٢-**الْمَلِكُ الْجَوَادُ، يُونُسُ بْنُ مَمْدُودِ بْنِ الْعَادِلِ** أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَكَانَ أَبُوهُ أَكْبَرَ أَوْلَادِ الْعَادِلِ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ، **وَمَلَكَ دِمَشْقَ** بَعْدَ عَمِّهِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ جَيِّدًا مُحِبًّا لِلصَّالِحِينَ، وَلَكِنْ كَانَ فِي بَابِهِ مَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ، وَيُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، **فَأَبْغَضَتْهُ الْعَامَّةُ، وَسَبُّوهُ**، وَأَلْجَئُوهُ إِلَى أَنْ قَايَضَ بِدِمَشْقَ الْمَلِكَ الصَّالِحَ أَيُّوبَ بْنَ الْكَامِلِ إِلَى **سِنْجَارَ** وَحِصْنِ **كَيْفَا**، ثُمَّ لَمْ يَحْفَظْهُمَا بَلْ خَرَجَتَا عَنْ يَدِهِ، ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ سَجَنَهُ **الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ** بِحِصْنِ عَزَّتَا، توفي سنة (٦٤١هـ).

٣-**مَسْعُودُ** بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَسْعُودِ، **بْنِ مَازَهِ الْبُخَارِيُّ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ الْفُضَلَاءِ**، وَلَهُ عِلْمٌ بِالتَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَلَدَيْهِ فَضْلٌ غَزِيرٌ، قَدِمَ بَغْدَادَ لِلْحَجِّ صُحْبَةَ رَسُولِ التَّتَارِ، وكان قد حُبِسَ عِنْدَهُم سِنِينَ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ، فَحَجَّ ثُمَّ عَادَ، وتوفي ببغداد سنة (٦٤١هـ).

٤-**الْمَلِكُ الْمُغِيثُ عُمَرُ بْنُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ**، كَانَ الصَّالِحُ **إِسْمَاعِيلُ** قَدْ أَسَرَهُ وَسَجَنَهُ فِي بُرْجِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ، حِينَ أَخَذَهَا فِي غَيْبَةِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، فَاجْتَهَدَ أَبُوهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فِي خَلَاصِهِ فَلَمْ يَقْدِرْ، ولَمْ يَزَلِ الشَّابُّ مَحْبُوسًا فِي الْقَلْعَةِ مِنْ سَنَةِ (٦٣٨هـ) إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٤٢هـ)، فَأَصْبَحَ مَيِّتًا فِي مَحْبِسِهِ غَمًّا وَحُزْنًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ قُتِلَ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَدُفِنَ عِنْدَ جَدِّهِ الْكَامِلِ فِي تُرْبَتِهِ شَمَالِيَّ الْجَامِعِ، فَاشْتَدَّ حَنَقُ أَبِيهِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ عَلَى صَاحِبِ دِمَشْقَ.

٥- أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمُّوَيْهِ، **شَيْخُ الشُّيُوخِ بِدِمَشْقَ**، أَحَدُ الْفُضَلَاءِ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُصَنِّفِينَ، لَهُ كِتَابٌ فِي ثَمَانِي مُجَلَّدَاتٍ، ذَكَرَ فِيهِ أُصُولَ الْأَشْيَاءِ، وَلَهُ السِّيَاسَةُ الْمُلُوكِيَّةُ صَنَّفَهَا لِلْكَامِلِ مُحَمَّدٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ، وتوفي سنة (٦٤٢هـ) وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ.

وَقَدْ سَافَرَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي سَنَةِ (٥٩٣هـ)، وَاتَّصَلَ بِمَرَّاكُشَ عِنْدَ مَلِكِهَا الْمَنْصُورِ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، فَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى سَنَةِ سِتِّمِائَةٍ، فَقَدِمَ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بَعْدَ أَخِيهِ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ حَمُّوَيْهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

٦-**الْوَزِيرُ نَصِيرُ الدِّينِ أَبُو الْأَزْهَرِ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ **بْنِ النَّاقِدِ** الْبَغْدَادِيُّ، وَزِيرُ الْمُسْتَنْصِرِ، ثُمَّ ابْنِهِ الْمُسْتَعْصِمِ، كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ التُّجَّارِ، ثُمَّ تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ وَزَرَ لِهَذَيْنِ الْخَلِيفَتَيْنِ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا **حَافِظًا لِلْقُرْآنِ، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، نَشَأَ فِي حِشْمَةٍ بَاذِخَةٍ**، ثُمَّ كَانَ فِي وَجَاهَةٍ هَائِلَةٍ، وَقَدْ أُقْعِدَ فِي آخِرِ أَمْرِهِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا فِي غَايَةِ الِاحْتِرَامِ وَالْإِكْرَامِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ، وتوفي سنة (٦٤٢هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الْخَمْسِينَ.

٧-**الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ**، عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ الشَّهْرَزُورِيُّ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، مُفْتِي الشَّامِ وَمُحَدِّثُهُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ بِبِلَادِ الشَّرْقِ، وَتَفَقَّهَ بِالْمَوْصِلِ وَحَلَبَ وَغَيْرِهَا، وَقَدِمَ الشَّامَ، وَهُوَ فِي عِدَادِ الْفُضَلَاءِ الْكِبَارِ، وَأَقَامَ بِالْقُدْسِ مُدَّةً، **وَدَرَّسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ**، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ **بِالرَّوَاحِيَّةِ** ثُمَّ بِالشَّامِيَّةِ **الْجَوَّانِيَّةِ**، ثُمَّ بِدَارِ الْحَدِيثِ **الْأَشْرَفِيَّةِ**، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ شُيُوخِ الْحَدِيثِ. وَهُوَ كَاتِبُ وَقْفِهَا، وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً مُفِيدَةً فِي **عُلُومِ الْحَدِيثِ وَفِي الْفِقْهِ**، وَتَعَالِيقَ حَسَنَةً عَلَى «**الْوَسِيطِ**» وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي يُرْحَلُ إِلَيْهَا.

وَكَانَ دَيِّنًا زَاهِدًا وَرِعًا نَاسِكًا، عَلَى طَرِيقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ مُتَأَخِّرِي أَكْثَرِ الْمُحَدِّثِينَ، مَعَ الْفَضِيلَةِ التَّامَّةِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى طَرِيقَةٍ جَيِّدَةٍ حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَنْزِلِهِ فِي دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٤٣هـ).

٨- **مُحَمَّدُ** بْنُ مَحْمُودِ بْنِ الْحَسَنِ **ابْنِ النَّجَّارِ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَغْدَادِيُّ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وُلِدَ سَنَةَ (٥٧٨هـ)، وَشَرَعَ فِي كِتَابَةِ التَّارِيخِ وَعُمْرُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالنَّحْوَ وَالْقِرَاءَاتِ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَشَايِخِ كَثِيرًا، حَتَّى حَصَّلَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ شَيْخٍ، مِنْ ذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ امْرَأَةٍ، **وَتَغَرَّبَ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً**، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ **وَقَدْ جَمَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً**، وَلَهُ كِتَابُ " الذَّيْلِ عَلَى تَارِيخِ مَدِينَةِ السَّلَامِ "، فِي سِتَّةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا كَامِلًا، وَلَهُ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَ" غُرَرُ الْفَوَائِدِ " فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ جِدًّا، سَرَدَهَا ابْنُ السَّاعِي فِي تَرْجَمَتِهِ.

ولَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَادَ اشْتَرَى جَارِيَةً، وَأَوْلَدَهَا وَلَدًا، وَأَقَامَ بُرْهَةً يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كَسْبِهِ، وكان مُحَدِّثًا فِي جَمَاعَةِ الْمُحَدِّثِينَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ، ثُمَّ مَرِضَ شَهْرَيْنِ، **وَأَوْصَى إِلَى ابْنِ السَّاعِي فِي أَمْرِ تَرِكَتِهِ**، وتوفي يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الْخَامِسَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٤٣هـ).

وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ، وَشَهِدَ جَنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَتْرُكْ وَارِثًا، وَكَانَتْ **تَرِكَتُهُ عِشْرِينَ دِينَارًا وَثِيَابَ بَدَنِهِ**، وَأَوْصَى أَنْ يُتَصَدَّقَ بِهَا،

٩- **الْحَافِظُ ضِيَاءُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَتَبَ كَثِيرًا، وَرَحَلَ وَطَافَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَأَلَّفَ كُتُبًا مُفِيدَةً حَسَنَةً كَثِيرَةَ الْفَوَائِدِ، مِنْ ذَلِكَ كِتَابُ " **الْأَحْكَامِ** " وَلَمْ يُتِمَّهُ، وَكِتَابُ " **الْمُخْتَارَةِ** " وَفِيهِ عُلُومٌ حَسَنَةٌ حَدِيثِيَّةٌ، وَهِيَ أَجْوَدُ مِنْ " مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ " لَوْ كَمَلَ.

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِـي غَايَةِ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْخَيْرِ، وَقَدْ وَقَفَ كُتُبًا كَثِيرَةً عَظِيمَةً بِخَطِّهِ لِخِزَانَةِ الْمَدْرَسَةِ الضِّيَائِيَّةِ الَّتِي وَقَفَهَا عَلَى أَصْحَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ، وَقَدْ وُقِفَتْ عَلَيْهَا أَوْقَافٌ أُخَرُ كَثِيرَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ. وتوفي سنة (٦٤٣هـ).

١٠- **الشَّـيْخُ عَلَـمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَـنِ السَّـخَاوِيُّ**، عَلِيُّ بْـنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْـدِ الصَّمَدِ الْهَمْدَانِيُّ الْمِصْرِيُّ، شَيْخُ الْقُرَّاءِ بِدِمَشْقَ، خَتَمَ عَلَيْهِ أُلُوفٌ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ عَلَى الشَّاطِبِيِّ، وَشَرَحَ قَصِيدَتَهُ، وَلَهُ "شَرْحُ الْمُفَصَّلِ"، وَلَهُ تَفَاسِيرُ وَتَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ، وَمَدَائِحُ فِي رَسُـولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٦٤٣هـ).وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

١١- **الْفَقِيهُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْحَنْبَلِيُّ**، وَكَانَ فَاضِلًا ذَا فُنُونٍ، أَثْنَـى عَلَيْهِ أَبُو شَـامَةَ، وَقَالَ: صَحِبْتُهُ قَدِيمًا، وَلَمْ يَتْرُكْ بَعْدَهُ بِدِمَشْـقَ مِثْلَـهُ فِي الْحَنَابِلَةِ. وتوفي سنة (٦٤٤هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢- **الشَّلَوْبِينُ النَّحْوِيُّ**: عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْأَزْدِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ، والشَّلَوْبِينُ: بِلُغَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الْأَبْيَضُ الْأَشْقَرُ.

قَـالَ ابْـنُ خَلِّكَانَ: خُتِـمَ بِهِ أَئِمَّـةُ النَّحْوِ، وَذَكَـرَ لَهُ شِـعْرًا، وَمُصَنَّفَاتٍ، مِنْهَا "شَـرْحُ الْجُزُولِيَّةِ" وَكِتَابُ "التَّوْطِئَةِ"، وتوفي سنة (٦٤٥هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ.

١٣- **عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ الْبُسْرِيُّ الْحَرِيرِيِّ**، أَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةِ بُسْرَ شَرْقِيَّ زُرْعَ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً يَعْمَلُ **صَنْعَةَ الْحَرِيرِ**، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ، وأقبل على مصاحبة الفقراء (الصوفيـة)، فَاتَّبَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ يُقَالُ لَهُمْ: **الْحَرِيرِيَّةُ**. وَابْتَنَى لَهُ زَاوِيَةً عَلَى الشَّـرَفِ الْقِبْلِـيِّ، وَبَـدَرَتْ مِنْهُ أَفْعَالٌ أَنْكَرَهَـا عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ، كَالشَّـيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّـلَامِ، وَالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ، وَالشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْحَاجِبِ شَيْخِ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْأَشْرَفِيَّةُ حُبِسَ فِي **قَلْعَةِ عَزَّتَا** مُدَّةَ سِنِينَ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقِيمَ بِدِمَشْقَ، فَلَزِمَ بَلَدَهُ **بُسْرَ** مُدَّةً حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٤٥هـ).

١٤- **الشِّهَابُ غَازِيُّ بْنُ الْعَادِلِ**، **صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ** وَخِلَاطَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبُلْدَانِ، كَانَ مِنْ عُقَلَاءِ بَنِي أَيُّوبَ، وَفُضَلَائِهِمْ وَأَهْلِ الدِّيَانَةِ مِنْهُمْ، وَمِمَّا أَنْشَدَ قَوْلُهُ:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّكَ جَالِسٌ ... عَلَى الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
فَسَيْرُكَ يَا هَذَا كَسَيْرِ سَفِينَةٍ ... بِقَوْمٍ جُلُوسٍ وَالْقُلُوعُ تَطِيرُ

كَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٤٥هـ).

١٥- **عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ الْمُخَرِّمِيُّ**، كَانَ شَابًّا فَاضِلًا أَدِيبًا شَاعِرًا مَاهِرًا، صَنَّفَ كِتَابًا مُخْتَصَرًا وَجِيزًا جَامِعًا لِفُنُونٍ كَثِيرَةٍ فِي الرِّيَاضَةِ وَالْعَقْلِ وَذَمِّ الْهَوَى، وَسَمَّاهُ **"نَتَائِجَ الْأَفْكَارِ"**. قَالَ فِيهِ:

- السُّلْطَانُ إِمَامٌ مَتْبُوعٌ وَدِينٌ مَشْرُوعٌ، فَإِنْ ظَلَمَ جَارَتِ الْحُكَّامُ لِظُلْمِهِ، وَإِنْ عَدَلَ لَمْ يَجُرْ أَحَدٌ فِي حُكْمِهِ.
- مَنْ مَكَّنَهُ اللهُ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَبَسَطَ يَدَهُ وَسُلْطَانَهُ، فَحَقِيقٌ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ، وَيُخْلِصَ الدِّيَانَةَ، وَيُجَمِّلَ السَّرِيرَةَ، وَيُحْسِنَ السِّيرَةَ.
- الظُّلْمُ يُزِلُّ الْقَدَمَ، وَيُزِيلُ النِّعَمَ، وَيَجْلُبُ النِّقَمَ، وَيُهْلِكُ الْأُمَمَ.

وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي أَشْعَارًا كَثِيرَةً حَسَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وتوفي سنة (٦٤٦هـ).

١٦- **الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ**، عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ يُونُسَ الْمِصْرِيُّ، شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ، كَانَ أَبُوهُ حَاجِبًا لِلْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ مُوسَكَ الصَّلَاحِيِّ، وَاشْتَغَلَ هُوَ بِالْعِلْمِ، فَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ، وَحَرَّرَ النَّحْوَ تَحْرِيرًا بَلِيغًا، وَتَفَقَّهَ وَسَادَ أَهْلَ عَصْرِهِ، ثُمَّ كَانَ

رَأْسًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا الْأُصُولُ وَالْفُرُوعُ وَالْعَرَبِيَّةُ وَالتَّصْرِيفُ وَالْعَرُوضُ وَالتَّفْسِيرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَقَدْ كَانَ اسْتَوْطَنَ **دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٦١٧هـ)، وَدَرَّسَ بِهَا لِلْمَالِكِيَّةِ بِالْجَامِعِ، ثم صَارَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٤٦هـ) بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

قَالَ الشَّيْخُ **أَبُو شَامَةَ**: وَكَانَ مِنْ أَذْكَى الْأَئِمَّةِ قَرِيحَةً، وَكَانَ ثِقَةً حُجَّةً مُتَوَاضِعًا عَفِيفًا، كَثِيرَ الْحَيَاءِ مُنْصِفًا مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ نَاشِرًا لَهُ، مُحْتَمِلًا لِلْأَذَى، صَبُورًا عَلَى الْبَلْوَى، وَكَانَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بَارِعًا فِي الْعُلُومِ، مُتْقِنًا لِمَذْهَبِ مَالِكِ بْنِ أَنسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى.

قُلْتُ: لَهُ مُخْتَصَرٌ فِي الْفِقْهِ مِنْ أَحْسَنِ الْمُخْتَصَرَاتِ انْتَظَمَ فِيهِ جَوَاهِرَ ابْنِ شَاشٍ، وَمُخْتَصَرٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عَامَّةَ فَوَائِدِ الْإِحْكَامِ لِسَيْفِ الدِّينِ الْآمِدِيِّ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِحِفْظِهِ، وَجَمَعْتُ كَرَارِيسَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَلَهُ شَرْحُ الْمُفَصَّلِ وَالْأَمَالِي فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَالْمُقَدِّمَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي النَّحْوِ، اخْتَصَرَ فِيهَا مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرِيِّ وَشَرَحَهَا، وَقَدْ شَرَحَهَا غَيْرُهُ أَيْضًا، وَلَهُ التَّصْرِيفُ وَشَرْحُهُ، وَلَهُ الْعَرُوضُ عَلَى وَزْنِ الشَّاطِبِيَّةِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَرَضِيَ عَنه.

١٧- **فَخْرُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الشَّيْخِ بْنِ حَمُّوَيْهِ**، وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا مَهِيبًا وَقُورًا، خَلِيقًا بِالْمُلْكِ كَانَتِ الْأُمَرَاءُ تُعَظِّمُهُ جِدًّا، وَلَوْ دَعَاهُمْ إِلَى مُبَايَعَتِهِ بَعْدَ الصَّالِحِ لَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ اثْنَانِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا يَرَى ذَلِكَ حِمَايَةً لِجَانِبِ بَنِي أَيُّوبَ، فَقَتَلَتْهُ **الدَّاوِيَّةُ** مِنَ الْفِرِنْجِ شَهِيدًا قَبْلَ قُدُومِ الْمُعَظَّمِ تُورَانْشَاهْ إِلَى مِصْرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٤٧هـ)، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ وَخُيُولُهُ، وَخُرِّبَتْ دَارُهُ، مِنَ قبل الْأُمَرَاءِ الأتراك الذين كَانُوا مُعَظِّمِينَ لَهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ.

١٨- **الْخَاتُّونِ أَرْغُونَ الْحَافِظِيَّةِ**، سُمِّيَتِ الْحَافِظِيَّةَ لِخِدْمَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا الْحَافِظَ صَاحِبَ قَلْعَةِ جَعْبَرٍ، وَكَانَتِ امْرَأَةً عَاقِلَةً مُدَبِّرَةً، عُمِّرَتْ دَهْرًا، وَلَهَا أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ عَظِيمَةٌ،

وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُصْلِحُ الْأَطْعِمَةَ لِلْمُغِيثِ عُمَرَ بْنِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، فَصَادَرَهَا الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ، وَأَخَذَ مِنْهَا أَرْبَعَ مِائَةِ صُنْدُوقٍ مِنَ الْمَالِ، وَقَدْ وَقَفَتْ دَارَهَا بِدِمَشْقَ عَلَى خُدَّامِهَا، وَاشْتَرَتْ بُسْتَانَ النَّجِيبِ يَاقُوتٍ الَّذِي كَانَ خَادِمَ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْكِنْدِيِّ، وَجَعَلَتْ فِيهِ تُرْبَةً وَمَسْجِدًا، وَوَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَوْقَافًا جَيِّدَةً، رَحِمَهَا اللَّهُ.

توفيت سنة (٦٤٨هـ).

١٩- **أَمِينُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ، غَزَّالُ الْمُتَطَبِّبُ**، وَاقِفُ الْأَمِينِيَّةِ الَّتِي بِبَعْلَبَكَّ، وَوَزِيرُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ أَبِي الْخَيْشِ، وَقَدِ اتَّهَمَهُ السِّبْطُ بِأَنَّهُ كَانَ مُتَسَتِّرًا بِالدِّينِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ دِينٌ، فَأَرَاحَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ عَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ قَتْلُهُ فِي سنة (٦٤٨هـ) بِدِيَارِ مِصْرَ، عَمَدَ الْأُمَرَاءُ إِلَيْهِ، وَإِلَى ابْنِ يَغْمُورٍ نَاصِرِ الدِّينِ، فَشَنَقُوهُمَا وَصَلَبُوهُمَا عَلَى الْقَلْعَةِ بِمِصْرَ.

وَقَدْ وُجِدَ لِأَمِينِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالتُّحَفِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَثَاثِ مَا يُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَعَشَرَةُ آلَافِ مُجَلَّدٍ بِخَطٍّ مَنْسُوبٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْخُطُوطِ النَّفِيسَةِ الْفَائِقَةِ.

٢٠- **بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُمَّيْزِيِّ**، خَطِيبِ الْقَاهِرَةِ، رَحَلَ فِي صِغَرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَكَانَ فَاضِلًا، أَتْقَنَ مَعْرِفَةَ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ دَيِّنًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، وَاسِعَ الصَّدْرِ، كَثِيرَ الْبِرِّ، قَلَّ أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَطْعَمَهُ شَيْئًا، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ عَلَى السِّلَفِيِّ وَغَيْرِهِ، وَأَسْمَعَ النَّاسَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٤٩هـ)، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٢١- **أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ** بْنِ إِسْمَاعِيلَ **اللَّمْغَانِيُّ الْحَنَفِيُّ**، مِنْ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ، دَرَّسَ بِمَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَنَابَ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنِ فَضْلَانَ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي صَالِحٍ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَنْبَلِيِّ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي

الْقُضَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُقْبِلٍ الْوَاسِطِيِّ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ (٦٣٣هـ) اسْتَقَلَّ بِوِلَايَةِ الْحُكْمِ بِبَغْدَادَ، وَلُقِّبَ أَقْضَى الْقُضَاةِ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ فِي أَحْكَامِهِ وَنَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ. تُوُفِّيَ سنة (٦٤٩هـ).

٢٢-**شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْمَقْدِسِيُّ**، الْكَاتِبُ الْحَسَنُ الْخَطِّ، كَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَخَدَمَ السُّلْطَانَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ، وَالنَّاصِرَ دَاوُدَ، وَكَانَ دَيِّنًا فَاضِلًا شَاعِرًا، لَهُ قَصِيدَةٌ يَنْصَحُ فِيهَا السُّلْطَانَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ، وَمَا يَلْقَاهُ النَّاسُ مِنْ وَزِيرِهِ وَقَاضِيهِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَوَاشِيهِ. توفي سنة (٦٥٠هـ).

٢٣-**عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عِيسَى**، الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ **الْخُسْرُوشَاهِيُّ، أَحَدُ مَشَاهِيرِ** الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمِمَّنِ اشْتَغَلَ عَلَى الْفَخْرِ الرَّازِيِّ فِي الْأُصُولِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَدِمَ الشَّامَ، فَلَزِمَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ دَاوُدَ بْنَ الْمُعَظَّمِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَكَانَ شَيْخًا مَهِيبًا فَاضِلًا مُتَوَاضِعًا، حَسَنَ الظَّاهِرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وقَالَ السِّبْطُ أيضًا: وَكَانَ مُتَوَاضِعًا كَيِّسًا مَحْضَرَ خَيْرٍ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ آذَى أَحَدًا، إِنْ قَدَرَ عَلَى نَفْعٍ وَإِلَّا سَكَتَ، تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ، سنة (٦٥٢هـ) وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

٢٤-**الشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، صَاحِبُ الْأَحْكَامِ، عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، جَدُّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وُلِدَ فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ فِي صِغَرِهِ عَلَى عَمِّهِ الْخَطِيبِ فَخْرِ الدِّينِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ، وَبَرَعَ فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَغَيْرِهِ، وَدَرَّسَ وَأَفْتَى وَانْتَفَعَ بِهِ الطَّلَبَةُ، وَمَاتَ يَوْمَ الْفِطْرِ بِحَرَّانَ، توفي سنة (٦٥٢هـ).

٢٥-**النَّاصِحُ فَرَجُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَبَشِيُّ**، كَانَ كَثِيرَ السَّمَاعِ مُسْنِدًا خَيِّرًا صَالِحًا مُوَاظِبًا عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَإِسْمَاعِهِ، إِلَى أَنْ مَاتَ سنة (٦٥٢هـ) بِدَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ بِدِمَشْقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٦-**أَبُو الْعَرَبِ إِسْمَاعِيلُ** بْنُ حَامِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ **الْقُوصِيُّ**، وَاقِفُ دَارِهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الرَّحْبَةِ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَبِهَا قَبْرُهُ، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِحَلْقَةِ جَمَالِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ ظَرِيفًا مَطْبُوعًا، حَسَنَ الْمُحَاضَرَةِ، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ مُعْجَمًا حَكَى فِيهِ عَنْ مَشَايِخِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُفِيدَةً.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَدْ طَالَعْتُهُ بِخَطِّهِ، فَرَأَيْتُ فِيهِ أَغَالِيطَ وَأَوْهَامًا فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَغَيْرِهَا،

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٥٣هـ).

٢٧-**يُوسُفُ بْنُ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ قِزُغْلِي**، أَبُو الْمُظَفَّرِ الْحَنَفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، **سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ**، أُمُّهُ رَابِعَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ الْوَاعِظِ، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ، طَيِّبَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الْوَعْظِ، كَثِيرَ الْفَضَائِلِ، وَالْمُصَنَّفَاتِ، وَلَهُ "مِرْآةُ الزَّمَانِ" فِي عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، انْتَظَمَ فِيهِ "الْمُنْتَظَمَ" لِجَدِّهِ، وَزَادَ عَلَيْهِ، وَذَيَّلَ إِلَى زَمَانِهِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّوَارِيخِ وَأَبْهَجِهَا، قَدِمَ دِمَشْقَ فِي حُدُودِ السِّتِّمِائَةِ، وَحَظِيَ عِنْدَ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ، وَقَدَّمُوهُ وَأَحْسَنُوا إِلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسُ وَعْظٍ كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ بُكْرَةَ النَّهَارِ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَبِيتُونَ لَيْلَةَ السَّبْتِ بِالْجَامِعِ، وَيَتْرُكُونَ الْبَسَاتِينَ فِي الصَّيْفِ حَتَّى يَسْمَعُوا مِيعَادَهُ، ثُمَّ يُسْرِعُونَ إِلَى بَسَاتِينِهِمْ، فَيَتَذَاكَرُونَ مَا قَالَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْكَلَامِ الْحَسَنِ، عَلَى طَرِيقَةِ جَدِّهِ.

وَدَرَّسَ **بِالْعِزِّيَّةِ** الْبَرَّانِيَّةِ الَّتِي بَنَاهَا الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ الْمُعَظَّمِيُّ، وَدَرَّسَ **بِالشِّبْلِيَّةِ** الَّتِي بِالْجَبَلِ عِنْدَ جِسْرِ كُحَيْلٍ، وَفُوِّضَ إِلَيْهِ **الْبَدْرِيَّةُ** الَّتِي قُبَالَتَهَا، فَكَانَتْ سَكَنَهُ، وَبِهَا تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٦٥٤هـ).

وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ سُلْطَانُ الْبَلَدِ النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ فَمَنْ دُونَهُ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي عُلُومِهِ وَفَضَائِلِهِ وَرِيَاسَتِهِ وَحُسْنِ وَعْظِهِ وَطِيبِ صَوْتِهِ وَنَضَارَةِ وَجْهِهِ، وَتَوَاضُعِهِ وَزُهْدِهِ وَتَوَدُّدِهِ، وَقَدْ كَانَ فَاضِلًا عَالِمًا ظَرِيفًا، مُنْقَطِعًا مُنْكِرًا

عَلَى أَرْبَابِ الدُّوَلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَقَدْ كَانَ مُقْتَصِدًا فِي لِبَاسِهِ مُوَاظِبًا عَلَى الْمُطَالَعَةِ وَالِاشْتِغَالِ وَالْجَمْعِ وَالتَّصْنِيفِ، مُنْصِفًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، مُبَايِنًا لِأَهْلِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْجَهْلِ.

قُلْتُ: وَهُوَ مِمَّنْ يُنْشَدُ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَازِلْتَ تَدْأَبُ فِي التَّارِيخِ مُجْتَهِدًا ... حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبَا

٢٨- **سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْفَوَارِسِ** بْنِ مُوسَكَ الْقَيْمَرِيُّ الْكُرْدِيُّ، أَكْبَرُ أُمَرَاءِ الْقَيْمَرِيَّةِ، كَانُوا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا تُعَامَلُ الْمُلُوكُ، وَمِنْ أَكْبَرِ حَسَنَاتِهِ وَقْفُهُ الْمَارَسْتَانَ الَّذِي بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٥٤هـ) ودفن بِالسَّفْحِ فِي الْقُبَّةِ الَّتِي تُجَاهَ الْمَارَسْتَانِ الْمَذْكُورِ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَثَرْوَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٩- **مُجِيرُ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ الْمَلِكِ** الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سنة (٦٥٤هـ) ودُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِتُرْبَةِ الْعَادِلِيَّةِ.

٣٠- الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُوحٍ الْمَقْدِسِيُّ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ مُدَرِّسُ الرَّوَاحِيَّةِ بَعْدَ شَيْخِهِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ، توفي سنة (٦٥٤هـ)، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣١- **الشَّيْخ نَجْم الدِّينِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاذَرَائِيِّ** الْبَغْدَادِيِّ، مُدَرِّسِ النِّظَامِيَّةِ، وَرَسُولِ الْخِلَافَةِ إِلَى مُلُوكِ الْآفَاقِ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ، وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ الْمُدْلَهِمَّةِ.

وَقَدْ كَانَ فَاضِلًا بَارِعًا رَئِيسًا وَقُورًا مُتَوَاضِعًا، وَقَدِ ابْتَنَى بِدِمَشْقَ مَدْرَسَةً حَسَنَةً مَكَانَ دَارِ الْأَمِيرِ أُسَامَةَ، وَشَرَطَ عَلَى الْمُقِيمِ بِهَا الْعُزُوبَةَ، وَأَنْ لَا يَكُونَ الْفَقِيهُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَدَارِسِ.

وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ دَرَّسَ بِهَا، ثُمَّ وَلَدُهُ كَمَالُ الدِّينِ مِنْ بَعْدِهِ، وَجَعَلَ نَظَرَهَا إِلَى وَجِيهِ الدِّينِ بْنِ سُوَيْدٍ، ثُمَّ صَارَ فِي ذُرِّيَّتِهِ إِلَى الْآنَ.

وَقَدْ أَوْقَفَ الْبَاذَرَائِيُّ عَلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ أَوْقَافًا حَسَنَةً دَارَّةً، وَجَعَلَ فِيهَا خِزَانَةَ كُتُبٍ حَسَنَةً نَافِعَةً، وَقَدْ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فِي سنة (٦٥٥هـ)، فَوَلِيَ بِهَا قَضَاءَ الْقُضَاةِ كَرْهًا مِنْهُ، فَأَقَامَ فِيهِ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٥٥هـ).

٣٢-الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيُّ، وكَانَ شَيْخًا فَاضِلًا مُفْتِيًا مُحَقِّقَ الْبَحْثِ، كَثِيرَ الْحَجِّ، لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ الْأَكَابِرِ، وَقَدِ اقْتَنَى كُتُبًا كَثِيرَةً، وكَانَ أَكْثَرُ مُقَامِهِ بِالْحِجَازِ، وَكَانَ مُقْتَصِدًا فِي أُمُورِهِ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِالزَّعْقَةِ بَيْنَ الْعَرِيشِ وَالدَّارُومِ[1] فِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٦٥٥هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٣٣-الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ عِيسَى بْنِ الْعَادِلِ، مَلِكُ دِمَشْقَ بَعْدَ أَبِيهِ ثُمَّ انْتُزِعَتْ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَهَا عَمُّهُ الْأَشْرَفُ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْكَرَكِ وَنَابُلُسَ، ثُمَّ تَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ، وَجَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ طِوَالٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ، وَأَوْدَعَ وَدِيعَةً تُقَارِبُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ، فَأَنْكَرَهُ إِيَّاهَا، وَلَمْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ لَهُ فَصَاحَةٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ، وَلَدَيْهِ فَضَائِلُ جَمَّةٌ، وَاشْتَغَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى الشَّمْسِ الْخُسْرُوشَاهِيِّ تِلْمِيذِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ، وَكَانَ يَعْرِفُ عُلُومَ الْأَوَائِلِ جَيِّدًا، وَقَدْ حَكَوْا عَنْهُ أَشْيَاءَ تَدُلُّ - إِنْ صَحَّتْ - عَلَى سُوءِ عَقِيدَتِهِ، فَاللهُ أَعْلَمُ. توفي سنة (٦٥٥هـ).

٣٤-شَجَرُ الدُّرِّ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ، أَمُّ خَلِيلٍ التُّرْكِيَّةُ، كَانَتْ مِنْ حَظَايَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَكَانَ وَلَدُهَا مِنْهُ خَلِيلٌ مِنْ أَحْسَنِ الصُّوَرِ، فَمَاتَ صَغِيرًا.

وَقَدْ مَلَكَتِ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِ زَوْجِهَا الْمُعَظَّمِ تُورَانْشَاهْ، فَكَانَ يُخْطَبُ لَهَا، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِاسْمِهَا، وَعَلَّمَتْ عَلَى الْمَنَاشِيرِ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ تَمَلَّكَ الْمُعِزُّ كَمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ تَمَلُّكِهِ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ بِسَنَوَاتٍ، ثُمَّ غَارَتْ عَلَيْهِ لَمَّا بَلَغَهَا أَنَّهُ

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر. معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ، فَعَمِلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَتْهُ، فَتَمَالَأَ عَلَيْهَا مَمَالِيكُهُ الْمُعِزِّيَّةُ، فَقَتَلُوهَا فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٥٥هـ)، وَأَلْقَوْهَا عَلَى مَزْبَلَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلَى تُرْبَةٍ لَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ قَبْرِ السِّتِّ نَفِيسَةَ.

وَكَانَتْ قَوِيَّةَ النَّفْسِ، لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ أُحِيطَ بِهَا أَتْلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَاللَّآلِئِ، كَسَرَتْهُ فِي الْهَاوُنِ، لَا لَهَا وَلَا لِغَيْرِهَا.

٣٥- **عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ هِبَةِ اللهِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، الْعِرَاقِيُّ، المشهور **بِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ، الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْمُطَبِّقُ الشِّيعِيُّ الْغَالِي**، لَهُ شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي عِشْرِينَ مُجَلَّدًا، وُلِدَ بِالْمَدَائِنِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، ثُمَّ صَارَ إِلَى بَغْدَادَ فَكَانَ أَحَدَ الْكُتَّابِ وَالشُّعَرَاءِ بِالدِّيوَانِ الْخَلِيفَتِيِّ، وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ وَالْمُقَارَبَةِ وَالْمُشَابَهَةِ فِي التَّشَيُّعِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ مَدَائِحِهِ وَأَشْعَارِهِ الْفَائِقَةِ الرَّائِقَةِ، وَكَانَ أَكْثَرَ فَضِيلَةً وَأَدَبًا مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْمَعَالِي مُوَفَّقِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ الْآخَرُ فَاضِلًا بَارِعًا أَيْضًا، وَقَدْ مَاتَا سنة (٦٥٥هـ)، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى

٣٦- **مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ** بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، **وَاقِفُ الْجَوْزِيَّةِ** بِدِمَشْقَ أُسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ، وُلِدَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ (٥٨٠هـ)، وَنَشَأَ شَابًّا حَسَنًا، وَحِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَعَظَ فِي مَوْضِعِهِ، فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَوَلِيَ حِسْبَةَ بَغْدَادَ مَعَ الْوَعْظِ الرَّائِقِ وَالْأَشْعَارِ الْحَسَنَةِ الْفَائِقَةِ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ الْحَنَابِلَةِ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، ثُمَّ لَمَّا وَلِيَ مُؤَيِّدُ الدِّينِ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْوِزَارَةَ، وَشَغَرَ عَنْهُ الْأُسْتَاذْدَارِيَّةَ وَلِيَهَا مُحْيِي الدِّينِ هَذَا، وَانْتَصَبَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْحِسْبَةِ وَالْوَعْظِ، فَأَجَادَ فِيهَا، ثُمَّ كَانَتِ الْحِسْبَةُ تَتَنَقَّلُ فِي بَنِيهِ الثَّلَاثَةِ؛ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وعَبْدِ اللهِ، وعَبْدِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ قُتِلُوا مَعَهُ سنة (٦٥٦هـ)، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَلِمُحْيِي الدِّينِ هَذَا مُصَنَّفٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ وَقَفَ الْمَدْرَسَةَ الْجَوْزِيَّةَ بِدِمَشْقَ، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الْمَدَارِسِ وَأَوْجَهِهَا، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وَأَثَابَهُ بِرَحْمَتِهِ.

٣٧- **يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ** بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورٍ **الصَّرْصَرِيُّ الْمَادِحُ** الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْبَارِعُ، الْحَنْبَلِيُّ الضَّرِيرُ، وَشِعْرُهُ فِي مَدَائِحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَشْهُورٌ، وَدِيوَانُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٨٨هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ صِحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ بِكَمَالِهَا.

وَكَانَ ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ، يَنْظِمُ عَلَى الْبَدِيهَةِ سَرِيعًا أَشْيَاءَ حَسَنَةً فَصِيحَةً بَلِيغَةً، وَقَدْ نَظَمَ الْكَافِي لِلشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ، وَمُخْتَصَرَ الْخِرَقِيِّ.

وَأَمَّا **مَدَائِحُهُ** فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُقَالُ: إِنَّهَا تَبْلُغُ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا.

وَلَمَّا **دَخَلَ التَّتَارُ** إِلَى بَغْدَادَ دُعِيَ مِنْ هُولَاكُو فَأَبَى أَنْ يُجِيبَ، وَأَعَدَّ فِي دَارِهِ حِجَارَةً، فَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ التَّتَارُ رَمَاهُمْ بِتِلْكَ الْأَحْجَارِ، فَهَشَّمَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، فَلَمَّا خَلَصُوا إِلَيْهِ قَتَلَ بِعُكَّازِهِ أَحَدَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ شَهِيدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سنة (٦٥٦هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سَنَةً.

٣٨- **الْبَهَاءُ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُهَلَّبِيُّ** الْعَتَكِيُّ الْمِصْرِيُّ، وُلِدَ بِمَكَّةَ، وَنَشَأَ بِقُوصَ، وَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ، الشَّاعِرُ الْمُطَبِّقُ، الْكَاتِبُ الْجَوَّادُ فِي حُسْنِ الْخَطِّ، لَهُ دِيوَانٌ مَشْهُورٌ، وَقَدِمَ عَلَى السُّلْطَانِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَكَانَ غَزِيرَ الْمُرُوءَةِ، حَسَنَ التَّوَسُّطِ فِي إِيصَالِ الْخَيْرِ إِلَى النَّاسِ، وَدَفْعِ الشَّرِّ عَنْهُمْ، توفي سنة (٦٥٦هـ).

٣٩- **الْحَافِظُ زَكِيُّ الدِّينِ الْمُنْذِرِيُّ** عَبْدُ الْعَظِيمِ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ، الشَّافِعِيُّ الْمِصْرِيُّ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّامِ، وَلَكِنَّهُ وُلِدَ بِمِصْرَ، وَكَانَ شَيْخَ الْحَدِيثِ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، إِلَيْهِ الْوِفَادَةُ وَالرِّحْلَةُ مِنْ سِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ وَطَلَبَ وَعُنِيَ بِهَذَا الشَّأْنِ، حَتَّى فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِيهِ، وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ، وَاخْتَصَرَ

صَحِيحَ مُسْلِمٍ، وَسُنَنَ أَبِي دَاوُدَ، وَهُوَ أَحْسَنُ اخْتِصَارًا مِنَ الْأَوَّلِ، وَلَهُ يَدٌ طُولَى فِي اللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ، وَكَانَ ثِقَةً حُجَّةً مُتَحَرِّيًا زَاهِدًا، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سنة (٦٥٦هـ) بِدَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ

٤٠-**ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْوَزِيرُ مُؤَيِّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ الْبَغْدَادِيُّ، خَدَمَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ، أُسْتَاذَ دَارِ الْخِلَافَةِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ اسْتَوْزَرَهُ الْمُسْتَعْصِمُ، وَلَمْ يَكُنْ وَزِيرَ صِدْقٍ، فَإِنَّهُ وإن كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْأُدَبَاءِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا، رَدِيءَ الطَّوِيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ مَالَأَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ لِلتَّتَارِ أَصْحَابِ هُولَاكُوقَانَ، حَتَّى جَاءُوا فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ أَمْرًا مَفْعُولًا، **ثُمَّ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ فِي أَيَّامِهِمْ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَزَوَالِ سِتْرِ اللهِ**، مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، رَأَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي أَيَّامِ التَّتَارِ بِرْذَوْنًا، وَسَائِقٌ يَضْرِبُ فَرَسَهُ، فَوَقَفَتْ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ، هَكَذَا كَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعَامِلُونَكَ؟ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهَا فِي قَلْبِهِ، وَانْقَطَعَ فِي دَارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَمَدًا فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٦٥٦هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي قُبُورِ الرَّوَافِضِ.

٤١-**مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَيْدَرَةَ**، مُحْتَسِبُ دِمَشْقَ، كَانَ مِنَ الصُّدُورِ الْمَشْكُورِينَ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، وَجَدُّهُ الْعَدْلُ نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَيْدَرَةَ، وَهُوَ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بِالزَّبَدَانِيِّ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ.

٤٢-**الْقُرْطُبِيُّ أَحْمَدُ** بْنُ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَالِكِيُّ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الْمُدَرِّسُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، صَاحِبُ " الْمُفْهِمِ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ ".

وُلِدَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةِ (٥٧٨هـ)، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ هُنَاكَ، وَاخْتَصَرَ الصَّحِيحَيْنِ، وَشَرَحَ صَحِيحَ مُسْلِمٍ بِكِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُفْهِمِ، وَفِيهِ أَشْيَاءُ حَسَنَةٌ مُفِيدَةٌ مُحَرَّرَةٌ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى سنة (٦٥٦هـ).

٤٣-**الْعِمَادُ دَاوُدُ بْنُ عُمَرَ** بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ كَامِلٍ أَبُو الْمَعَالِي وَأَبُو سُلَيْمَانَ الزُّبَيْدِيُّ الْمَقْدِسِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ خَطِيبُ بَيْتِ الْآبَارِ، وَقَدْ خَطَبَ بِدِمَشْقَ سِتَّ سِنِينَ بَعْدَ انْفِصَالِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَنْهَا، وَدَرَّسَ بِالْغَزَالِيَّةِ، ثُمَّ عُزِلَ وَعَادَ إِلَى بَيْتِ الْآبَارِ، فَمَاتَ بِهَا سنة (٦٥٦هـ).

٤٤-**عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ**، صَدَرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ النَّيَّارِ، شَيْخُ الشُّيُوخِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ أَوَّلًا مُؤَدِّبًا لِلْإِمَامِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللهِ، فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ نَالَ الشَّيْخُ رِفْعَةً عَظِيمَةً وَوَجَاهَةً هَائِلَةً، وَوَلَّاهُ مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بِبَغْدَادَ، وَانْتَظَمَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأُمُورِ، ثُمَّ إِنَّهُ ذُبِحَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ من قبل التتار سنة (٦٥٦هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

٤٥-**الشَّيْخُ الْعَابِدُ عَلِيٌّ الْخَبَّازُ**، كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ وَأَتْبَاعٌ بِبَغْدَادَ، وَلَهُ زَاوِيَةٌ يُزَارُ فِيهَا، قَتَلَتْهُ التَّتَارُ سنة (٦٥٦هـ)، وَأُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ بِبَابِ زَاوِيَتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى أَكَلَتِ الْكِلَابُ مِنْ لَحْمِهِ.

٤٦-**الْبَدْرُ لُؤْلُؤٌ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ**، الْمُلَقَّبُ بِالْمَلِكِ الرَّحِيمِ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ سنة (٦٥٦هـ) عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَقَدْ مَلَكَ الْمَوْصِلَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَدَهَاءٍ وَمَكْرٍ، لَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ عَلَى أَوْلَادِ أُسْتَاذِهِ حَتَّى أَبَادَهُمْ، وَزَالَتِ الدَّوْلَةُ الْأَتَابِكِيَّةُ عَنِ الْمَوْصِلِ، وَلَمَّا **انْفَصَلَ هُولَاكُوقَانَ** عَنْ بَغْدَادَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ الْفَظِيعَةِ الْعَظِيمَةِ، **سَارَ إِلَى خِدْمَتِهِ**، وَمَعَهُ الْهَدَايَا وَالتُّحَفُ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، وَرَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ، فَمَكَثَ بِالْمَوْصِلِ أَيَّامًا يَسِيرَةً، ثُمَّ مَاتَ،

وَقَدْ جَمَعَ لَهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْأَثِيرِ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِالْكَامِلِ فِي التَّارِيخِ فَأَجَازَهُ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُعْطِي لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ أَلْفَ دِينَارٍ وَنَحْوَهَا، وَقَدْ قَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ.

❁ ❁ ❁

فهرس المحتويات

العصر العباسي الثالث (٣٣٤ ـ ٤٤٧)

العصر العباسي الرابع (٤٤٧ـ ٥٦٦)

العصر العباسي الخامس (٥٦٦ـ ٦٥٦)

سلسلة تهذيب البداية والنهاية

تهذيب
كتاب البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير

هذبه ورتبه
د. محمد بن صامل السلمي

المجلد الخامس

عصر المماليك البحرية
القسم الأول
(٦٤٨ ـ ٧٤١)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

○ أما بعـد:

فهذا هو القسم الأول من عصر دولة المماليك البحرية، ينتظم تاريخ السنوات من (٦٤٨-٧٤١هـ)، في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي، بعد تهذيبها وترتيبها على الموضوعات، وقد عاصر قيامها سقوط الخلافة العباسية على أيدي التتار سنة (٦٥٦هـ).

وقد سعى سلاطين المماليك إلى إقامة الخلافة العباسية في مصر؛ ليسندوا بها شرعية سلطتهم في العالم الإسلامي، لأن الخلافة كما قرر الفقهاء عربية قرشية، فحكموا قلب العالم الإسلامي باسمهم، **أما الخلفاء** فليس لهم سلطة فعلية، وإنما الخليفة رمز معنوي.

وقد تداول منصب الخلافة في خلال أربعة وتسعين عاما **ثلاثة** خلفاء فقط، أما السلاطين فعدتهم **ثلاثة عشر** سلطانا، وتداول المماليك للسلطة يتصف بالقوة والمؤامرات والدموية؛ فقد قتل منهم ستة، وخلع ستة آخرون، وتكرر الناصر محمد بن قلاوون ثلاث مرات، حيث يخلع ثم يعاد ثم يخلع ثم يعاد، والذين استمروا في السلطنة حتى الوفاة ثلاثة فقط؛ هم:

١-الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ)

٢-المنصور قلاوون الصالحي (٦٧٨-٦٨٩هـ)

٣-الناصر محمد بن قلاوون في الفترة الثالثة من حكمه (٧٠٩-٧٤١هـ)

○ **ومن الإنـجازات الكبيرة في هذا العصر:**

١- الانتصـار علـى التتـار في وقعة عيـن جالوت سـنة (٦٥٨هـ) بقيادة السـلطان المظفر قطز، مما أوقف زحفهم على بلاد الشام، ثم صار أمر التتار أخيرا إلى الدخول في الإسلام، وإقامة سلطنة إسلامية لهم في بلاد العراق وما وراءها.

ومـن العجب أن البطل **المظفر قطز** الذي تحقق علـى يديه ذلك الإنجاز العظيم؛ كان جزاؤه عند أمراء المماليك القتل قبل عودته إلى مقر سلطنته بالقاهرة. فرحمه الله وعفـا عنه، وعسـى أن يكون في ذلك خيرا له في أخراه، فما يـدرى ماذا يحدث منه لو بقي في السلطنة!؟ لقد قتل بعد عمل صالح، وإنجاز تاريخي عظيم يذكر له فيشكر.

٢- تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشـام، خاصة السـواحل، وكان القضاء على آخر معاقلهم هو تحرير عكا سنة (٦٩٠هـ) في عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

٣- التوغل في بلاد الأرمن وإيقاف عدوانهم وأطماعهم في بلاد الشام.

٤- القضاء على الحركات الباطنية والسيطرة على معاقلهم وحصونهم.

٥- اسـتمرار الحركـة والنهضـة العلميـة؛ التـي أوقـد أوارهـا عماد الديـن زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، فقد كثرت المدارس وتعددت تخصصاتها في الفقه والأصول، وفي الحديث، والقرآن والتفسير، واللغة، والتاريخ فضلًا عن العلوم التطبيقيـة، ونتـج من ذلك الإحياء لمنهج السـلف على يدي شـيخ الإسـلام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) وتلاميذه، فظهر منهج السلف، ولله الحمد، بعد أن كاد أن ينسى.

ومن المفارقات العجيبـة قوة النهضة العلمية وتعدد المدارس، وكثرة طلابها، مع ضعف الاستقرار السياسي.

ومـما يلفـت النظر في هذا القسـم **عناية الحافظ ابن كثير** الدمشـقي رَحِمَهُ اللَّهُ **بأخبار شـيخ الإسـلام ابن تيمية**، فكان يـدون أحداثه وأحواله من ولادتـه وانتقاله من حران

إلـى دمشـق وطلبه للعلم ثم بـروزه فيه، وقيامـه بالتعليم والدعوة والاحتسـاب، وما وقع عليه من الابتلاء والأذى حتى سـجن عدة مرات، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القلعة، ولهذا جمعت أخباره المفرقة على السنين في موضع واحد، ويصلح أن يكون جزءا لطيفا.

ومما يلحظ في منهج ابن كثير في الفترة التي عاصرها، عنايته بأخبار دمشق- مدينته التي نشـأ فيها- علمائها ومدارسها وقضاتها ونوابها وأحداثها وإن صغرت، مع ضبط ذلك بالتاريخ اليومي بل بالسـاعات أحيانا، بما يشبه المذكرات اليومية، ومع ذلك لا يهمل أخبار بقية البلدان في الشام ومصر.

أما البلدان البعيدة في المشرق أو المغرب فنادرا ما يذكر أخبارها.

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة – ذي الحجة –١٤٤٢هـ

❁ ❁ ❁

دولة المماليك البحرية

○ قيام دولة المماليك البحرية

تسمى دولة المماليك البحرية، كما تسمى دولة المماليك الأولى، فالبحرية نسبة إلى جزيرة الروضة في نهر النيل التي أسكنهم فيها السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب، ويقال: الأولى باعتبار أول ظهور سلطان المماليك واستقلالهم؛ بل انفصالهم عن الدولة الأيوبية ثم القضاء عليها. وسمي القسم الثاني من الدولة المملوكية: بدولة المماليك الجراكسة، أو الدولة المملوكية الثانية.

١ـ سلطنة عز الدين أيبك وشجر الدر (٦٤٨ـ٦٥٥هـ)

○ توليهما السلطنة

بعد قتل تُورَانْشَاهَ بْنِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، سنة (٦٤٨هـ)، وَانْفَصَلَ أَمْرُهُ نَادَى المماليك فِيمَا بَيْنَهُمْ: **لَا بَأْسَ لَا بَأْسَ**، وَاسْتَدْعَوْا مِنْ بَيْنِهِمُ الْأَمِيرَ **عِزَّ الدِّينِ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيَّ**، فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَبَايَعُوهُ، **وَلَقَّبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمُعِزِّ**، وَرَكِبُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ثُمَّ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ أَقَامُوا لَهُمْ **صَبِيًّا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ** ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ، **وَهُوَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ** مُظَفَّرُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ النَّاصِرِ يُوسُفَ بْنِ الْمَسْعُودِ أَقْسِيسَ بْنِ الْكَامِلِ، وَجَعَلُوا الْمُعِزَّ أَتَابِكَهُ، وَكَاتَبُوا أُمَرَاءَ الشَّامِ بِذَلِكَ، فَمَا تَمَّ لَهُمُ الْأَمْرُ بِالشَّامِ بَلْ خَرَجَ عَنْ أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ تَسْتَقِرَّ لَهُمُ الْمَمْلَكَةُ إِلَّا عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْخَاتُونِ شَجَرِ الدُّرِّ أُمِّ خَلِيلٍ بن الصَّالِحِ أَيُّوبَ.

وَكَانَتِ **الْخُطْبَةُ وَالسِّكَّةُ** بِاسْمِهَا، **يُدْعَى لَهَا عَلَى الْمَنَابِرِ أَيَّامَ الْجُمَعِ** بِمِصْرَ وَأَعْمَالِهَا، وَكَذَا تُضْرَبُ السِّكَّةُ بِاسْمِهَا (أُمِّ خَلِيلٍ)، وَالْعَلَامَةُ عَلَى الْمَنَاشِيرِ، وَالتَّوَاقِيعِ **بِخَطِّهَا وَاسْمِهَا**، وبقيت هذه الحال مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثم تَزَوَّجَتْ بِالْمُعِز أيبك التركماني.

محاولة الأيوبيين استعادة مصر

حينما وَقَعَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَتْلُ الْأُمَرَاءِ المماليك لِلْمُعَظَّمِ تُورَانْشَاهْ بْنِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ سنة (٦٤٨هـ)، رَكِبَ أهل حلب ومَعَهُم ابْنُ أُسْتَاذِهِمْ النَّاصِرُ يُوسُفُ بْنُ الْعَزِيزِ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ، مِنْهُمُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَادِلِ، وَمِنْهُمُ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ بْنِ الْعَادِلِ، وَالْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْمَنْصُورِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوه، وَغَيْرُهُمْ، فَجَاءُوا إِلَى دِمَشْقَ، فَمَلَكُوهَا سَرِيعًا.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ يَدُ الْحَلَبِيِّينَ عَلَى دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا جَلَسَ النَّاصِرُ يوسف بن العزيز فِي الْقَلْعَةِ، وَطَيَّبَ قُلُوبَ النَّاسِ، ثُمَّ رَكِبُوا إِلَى غَزَّةَ لِيَتَسَلَّمُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ، فَكُسِرَ الْمِصْرِيُّونَ أَوَّلًا بِحَيْثُ إِنَّهُ خُطِبَ لِلنَّاصِرِ بِهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الشَّامِيِّينَ، فَانْهَزَمُوا وَأُسِرَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

إفساد أقطاي وقتله

فِي سنة (٦٥٢هـ) قَدِمَ الْفَارِسُ أَقْطَايُ مِنَ الصَّعِيدِ، وَقَدْ نَهَبَ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسَرَ بَعْضَهُمْ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ بَغَوْا وَطَغَوْا وَتَجَبَّرُوا، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْمَلِكِ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيِّ، وَلَا إِلَى زَوْجَتِهِ شَجَرِ الدُّرِّ، فَشَاوَرَ الْمُعِزُّ زَوْجَتَهُ شَجَرَ الدُّرِّ فِي قَتْلِ أَقْطَايَ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِمِصْرَ، فَاسْتَرَاحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ شَرِّهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

مقتلهما

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦٥٥هـ) أَصْبَحَ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ صَاحِبُ مِصْرَ **الْمُعِزُّ أَيْبَكُ التُّرْكُمَانِيُّ** بِدَارِهِ مَيِّتًا، وكان قد وَلِيَ الْمُلْكَ بَعْدَ تُورَانْشَاهْ الْمُعَظَّمُ بْنُ الصَّالِحِ، ثُمَّ أُقِيمَ هُوَ فِي الْمُلْكِ وَمَعَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ

النَّاصِرِ يُوسُفَ بْنِ أَقْسِيسَ بْنِ الْكَامِلِ مُدَّةً، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ بِلَا مُنَازَعَةٍ، بخلْعه الْأَشْرَفَ، **ثُمَّ تَزَوَّجَ بِشَجَرِ الدُّرِّ** أَمِّ خَلِيلٍ، وَكَانَ كَرِيمًا شُجَاعًا حَكِيمًا دَيِّنًا، وَهُوَ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْمُعِزِّيَّةِ الَّتِي بِمِصْرَ.

وَلَمَّا قُتِلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **اتَّهَمَ مَمَالِيكُهُ زَوْجَتَهُ** أُمَّ خَلِيلٍ الْمُسَمَّاةَ **بِشَجَرِ الدُّرِّ** بِهِ، وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَى الزواج من ابْنَةِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ، فَأَمَرَتْ جَوَارِيَهَا أَنْ يُمْسِكْنَهُ لَهَا، فَمَا زَالَتْ تَضْرِبُهُ وَالْجَوَارِي يَعْرُكْنَ فِي مَعَارِيهِ [١] حَتَّى مَاتَ.

وَلَمَّا سَمِعَ مَمَالِيكُهُ أَقْبَلُوا بِصُحْبَةِ سَيْفِ الدِّينِ **قُطُزَ**، فَقَتَلُوهَا وَأَلْقَوْهَا عَلَى مَزْبَلَةٍ غَيْرَ مَسْتُورَةِ الْعَوْرَةِ، بَعْدَ الْحِجَابِ الْمَنِيعِ، وَالْمَقَامِ الرَّفِيعِ، وَقَدْ عَلَّمَتْ عَلَى الْمَنَاشِيرِ وَالتَّوَاقِيعِ، وَخَطَبَ الْخُطَبَاءُ بِاسْمِهَا، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِرَسْمِهَا.

❁ ❁ ❁

(١) المعاري: العورة والفرج. لسان العرب (ع ر ى).

٢ـ سلطنة نور الدين علي بن عز الدين أيبك (٦٥٥ـ٦٥٧هـ)

○ توليه السلطنة

أَقَامَتِ الْأَتْرَاكُ بَعْدَ أُسْتَاذِهِمْ المعزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيِّ وَلَدَهُ **نُورَ الدِّينِ عَلِيًّا**، وَلَقَّبُوهُ **الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ**، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِاسْمِهِ، وَجَرَتِ الْأُمُورُ عَلَى مَا يَخْتَارُهُ.

واسْتَهَلَّتْ سنة (٦٥٧هـ) وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ خَلِيفَةٌ، **وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ** هو الْمَلِكُ النَّاصِرُ **يُوسُفُ** بْنُ **مُحَمَّدٍ** الْعَزِيزِ بْنِ **غَازِيِّ** بْنِ صلاح الدين الأيوبي، والحرب بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ.

○ توجه التتار لامتلاك الشام

في سنة (٦٥٧هـ) أَرْسَلَ الْمَلِكُ الْغَاشِمُ **هُولَاكُوقَانَ** إِلَى الْمَلِكِ **النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ الأيوبي** بِدِمَشْقَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ الْعَزِيزَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَمَعَهُ هَدَايَا كَثِيرَةٌ وَتُحَفٌ، فَلَمْ يَحْتَفِلْ بِهِ هُولَاكُو، وَغَضِبَ عَلَى أَبِيهِ إِذْ لَمْ يُقْبِلْ إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَسِيرُ إِلَى بِلَادِهِ بِنَفْسِي. فَانْزَعَجَ النَّاصِرُ لِذَلِكَ، وَبَعَثَ بِحَرِيمِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الْكَرَكِ لِيُحَصِّنَهُمْ بِهَا، وَخَافَ أَهْلُ دِمَشْقَ خَوْفًا شَدِيدًا حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ التَّتَارَ قَدْ قَطَعُوا الْفُرَاتَ، فَصَارَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَنُهِبَ آخَرُونَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَأَقْبَلَ **هُولَاكُو**، **فَقَصَدَ الشَّامَ بِجُنُودِهِ** وَعَسَاكِرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ **مَيَّافَارِقِينَ** قَدِ امْتَنَعَتْ عَلَى التَّتَارِ مُدَّةَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَلَدَهُ أَشْمُوطَ، فَافْتَتَحَهَا قَسْرًا، وَاسْتَنْزَلَ مَلِكَهَا الْكَامِلَ بْنَ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِيهِ هولاكو وَهُوَ مُحَاصِر لحَلَب، فَقَتَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَطِيفَ بِرَأْسِ الْكَامِلِ فِي الْبِلَادِ، حتى دَخَلُوا به إِلَى دِمَشْقَ، فَنُصِبَ عَلَى بَابِ الْفَرَادِيسِ، ثُمَّ دُفِنَ بِمَسْجِدِ الرَّأْسِ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ.

○ بناء مدرسة نَصِير الدِّينِ الطُوسِيّ بمدينة مراغة

فِي سـنة (٦٥٧هـ) عَمِلَ الْخَوَاجَا **نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ** داراً للفقهاء والفلاسفة والأطباء بِمَدِينَةِ مَرَاغَةَ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ كُتُبِ الْأَوْقَافِ الَّتِي كَانَتْ بِبَغْدَادَ، وَعَمِلَ **دَارَ حِكْمَةٍ** فِيهَا فَلَاسِفَةٌ، لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ، **وَدَارَ طِبٍّ**، فِيهَا لِلْحَكِيمِ فِي الْيَوْمِ دِرْهَمَانِ، وَمَدْرَسَةً، لِكُلِّ فَقِيهٍ فِي الْيَوْمِ دِرْهَمٌ، وَدَارَ حَدِيثٍ لِكُلِّ مُحَدِّثٍ نِصْفُ دِرْهَمٍ فِي الْيَوْمِ.

○ استنجاد صاحب دمشق بالمصريين لمواجهة التتار

فِي سنة (٦٥٧هـ) قَدِمَ الْقَاضِي عُمَرُ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ الْعَدِيمِ** إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ رَسُولًا مِنْ صَاحِبِ دِمَشْقَ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ الأيوبي **يَسْتَنْجِدُ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى قِتَالِ التَّتَارِ**، وقَدِ اقْتَرَبَ قُدُومُهُمْ إِلَى الشَّامِ واسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَحَرَّانَ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ جَازَ **أَشْمُوطُ بْنُ هُولَاكُو** الْفُرَاتَ، وَاقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَةِ حَلَبَ.

فَعُقِدَ عِنْدَ ذَلِكَ مَجْلِسٌ بَيْنَ يَدَيِ **الْمَنْصُورِ علي بْنِ الْمُعِزِّ التُّرْكُمَانِيِّ**، وَحَضَرَ قَاضِي مِصْرَ بَدْرُ الدِّينِ **السِّنْجَارِيُّ**، وَالشَّيْخُ **عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ**، وَأَفَاضُوا الْكَلَامَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الْعَامَّةِ لِمُسَاعَدَةِ الْجُنْدِ، وَكَانَتِ الْعُمْدَةُ عَلَى مَا يَقُولُهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ،

فَكَانَ **حَاصِلُهُ**: أنه إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِ الْمَالِ شَيْءٌ، وَأَنْفَقْتُمْ مقتنيات الذَّهَبَ وَغَيْرَهَا مِنَ الزِّينَةِ، وَتَسَاوَيْتُمْ أَنْتُمْ وَالْعَامَّةُ فِي الْمَلَابِسِ سِوَى آلَاتِ الْحَرْبِ، **وَلَمْ يَبْقَ لِلْجُنْدِيِّ شَيْءٌ سِوَى فَرَسِهِ الَّتِي يَرْكَبُهَا، سَاغَ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي دَفْعِ الْأَعْدَاءِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَهَمَ الْعَدُوُّ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً أَنْ يَدْفَعُوهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ** وَأَنْفُسِهِمْ.

وكان الْمَلِكُ النَّاصِرُ بن العزيز الأيوبي صَاحِبُ دِمَشْقَ بَرَزَ إِلَى وَطْأَةِ بَرْزَةَ فِي جَحَافِلَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْجَيْشِ وَالْمُطَّوِّعَةِ وَالْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمَّا عَلِمَ ضَعْفَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْمَغُولِ، ارْفَضَّ ذَلِكَ الْجَمْعُ، وَلَمْ يَصْبِرْ، لَا هُوَ وَلَا هُمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

❍ خلعه ونفيه

فِي سنة (٦٥٧هـ) قَبَضَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ قُطُزُ** عَلَى ابْنِ أُسْتَاذِهِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ الْمُلَقَّبِ بِالْمَنْصُورِ، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ أَكْثَرِ الْأُمَرَاءِ فِي الصَّيْدِ، فَأَمْسَكَهُ وَسَيَّرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَابْنَيْهِ وَإِخْوَتِهِ إِلَى القسطنطينية، وَتَسَلْطَنَ هُوَ.

❁ ❁ ❁

٣ـ سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز (٦٥٧ـ٦٥٨هـ)

○ توليه السلطنة

في سنة (٦٥٧هـ) قَبَضَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ قُطُزُ** عَلَى ابْنِ أُسْتَاذِهِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ الْمُلَقَّبِ بِالْمَنْصُورِ، وَتَسَلْطَنَ هُوَ، وَسَمَّى نَفْسَهُ **بِالْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ**، وَكَانَ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَسَّرَ اللهُ **عَلَى يَدَيْهِ كَسْرَةَ التَّتَارِ** كَمَا سَيَأْتِي.

وقد اعْتَذَرَ إِلَى ابْنِ الْعَدِيمِ عن عزل السلطان السابق ونفيه؛ فقَالَ: **لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يُقَاتِلُ التَّتَارَ**، وَهَذَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَا يَعْرِفُ تَدْبِيرَ الْمَمْلَكَةِ.

○ سلاطين البلدان في سنة (٦٥٨هـ):

- اسْتَهَلَّتْ هذه السنة، **وَلَيْسَ لِلنَّاسِ خَلِيفَةٌ**.
- وَمَلِكُ الْعِرَاقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ السُّلْطَانُ **هُولَاكُو قَانَ** مَلِكُ التَّتَارِ.
- وَسُلْطَانُ **دِيَارِ مِصْرَ** الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ سَيْفُ الدِّينِ **قُطُزُ** مَمْلُوكُ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيِّ.
- وَسُلْطَانُ **دِمَشْقَ وَحَلَبَ** الْمَلِكُ **النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ** بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيِّ بْنِ صلاح الدين الأيوبي.
- وَبِلَادِ **الْكَرَكِ والشَّوْبَكِ** لِلْمَلِكِ **الْمُغِيثِ** بْنِ الْعَادِلِ الأيوبي، وَهُوَ حِزْبٌ مَعَ النَّاصِرِ صَاحِبِ دِمَشْقَ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، وَمَعَهُمَا الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ **بِيبَرْسُ** الْبُنْدُقْدَارِيُّ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَخْذِ الْبَلَدِ مِنْهُمْ.

○ أخذ التتار حلب وحماة ودمشق

قدم جَيْشُ الْمَغُولِ صُحْبَةَ مَلِكِهِمْ هُولَاكُو، وَجَازُوا الْفُرَاتَ عَلَى جُسُورٍ عَمِلُوهَا، وَوَصَلُوا إِلَى **حَلَبَ** فِي ثَانِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٦٥٨هـ) فَحَاصَرُوهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ افْتَتَحُوهَا

بِالْأَمَانِ، **وَغَدَرُوا بِهِمْ**، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَسَبَوُا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ قَرِيبٌ مِمَّا جَرَى عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ.

وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ قَلْعَتُهَا شَهْرًا، ثُمَّ تَسَلَّمُوهَا بِالْأَمَانِ، وَخُرِّبَتْ أَسْوَارُ الْبَلَدِ وَأَسْوَارُ الْقَلْعَةِ، وَبَقِيَتْ حَلَبُ كَأَنَّهَا حِمَارٌ أَجْرَبُ، وَكَانَ نَائِبُهَا الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ تَوْرَانْشَاهُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ **عَاقِلًا حَازِمًا** لَكِنَّهُ لَمْ يُوَافِقْهُ الْجَيْشُ عَلَى القتال.

وَقَدْ كَانَ **هُولَاكُو أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ** يَقُولُ لَهُمْ حِينَ قَدِمَ بِجَحَافِلِهِ: نَحْنُ إِنَّمَا جِئْنَا لِقِتَالِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ **بِدِمَشْقَ**، وَنَحْنُ نُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا بِالْقَلْعَةِ شِحْنَةً، فَإِنْ كَانَتِ النُّصْرَةُ لَنَا فَالْبِلَادُ كُلُّهَا فِي حُكْمِنَا، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْنَا فَإِنْ شِئْتُمْ قَبِلْتُمُ الشِّحْنَةَ وَإِنْ شِئْتُمْ أَطْلَقْتُمُوهُ، **فَأَجَابُوهُ**: مَالَكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ.

وَلَمَّا سقطت **حَلَبُ** بأيدي التتار، أَرْسَلَ الملك **المنصور الأيوبي** صَاحِبُ **حَمَاةَ** بِمَفَاتِيحِهَا إِلَى هولاكو، فَاسْتَنَابَ عَلَى **حماة** رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يُقَالُ لَهُ: خُسْرُوشَاهْ؛ فَخَرَّبَ أَسْوَارَهَا كَمَا فُعِلَ بِمَدِينَةِ حَلَبَ.

وأَرْسَلَ **هُولَاكُو** وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى **حَلَبَ** جَيْشًا مَعَ أَمِيرٍ مِنْ كِبَارِ دَوْلَتِهِ، فَوَرَدُوا دِمَشْقَ فِي آخِرِ صَفَرٍ سنة (٦٥٨هـ)، فَأَخَذُوهَا سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ مُمَانِعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ، بَلْ تَلَقَّاهُمْ كِبَارُهَا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَقَدْ كَتَبَ مَعَهُمُ السُّلْطَانُ هُولَاكُو **فَرَمَانَ أَمَانٍ** لِأَهْلِ الْبَلَدِ، فَقُرِئَ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَنُودِيَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، فَأَمِنَ النَّاسُ عَلَى وَجَلٍ أَنْ يَغْدِرُوا كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ حَلَبَ.

وامتنعت قلعة دمشق، **فَأَحْضَرَتِ التَّتَارُ مَجَانِيقَ** فَنُصِبَت عَلَى الْقَلْعَةِ، وَرَمَوْهَا رَمْيًا مُتَوَاتِرًا كَالْمَطَرِ، فَهَدَمُوا كَثِيرًا مِنْ أَعَالِيهَا وَشُرُفَاتِهَا، وَتَدَاعَتْ لِلسُّقُوطِ.

فَأَجَابَهُمْ مُتَوَلِّيهَا لِلْمُصَالَحَةِ، فَفَتَحُوهَا وَخَرَّبُوهَا فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٦٥٨هـ).

وَقتَلُوا الْمُتَوَلِّيَ بِهَا وَنَقِيبَهَا، وَسَلَّمُوهَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: **إِيلَ سَبَانَ**، وَكَانَ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى مُعَظِّمًا لِدِينِ النَّصَارَى، فَاجْتَمَعَ بِهِ أَسَاقِفَتُهُمْ وَقُسُوسُهُمْ من أهل دمشق، فَعظَّمَهُمْ جِدًّا وَزَارَ كَنَائِسَهُمْ، فَصَارَتْ للنصارى دَوْلَةٌ وَحَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ بِسَبَبِهِ.

○ خيانة نصارى الشام مع هولاكو

ذَهَبَتْ **طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى** إِلَى **هُولَاكُو** بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَقَدِمُوا مِنْ عِنْدِهِ وَمَعَهُمْ فَرَمَان أَمَانٍ مِنْ جِهَتِهِ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ مِنْ بَابِ تَوْمَاء، وَمَعَهُمْ صَلِيبٌ مَنْصُوبٌ يَحْمِلُونَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَهُمْ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمْ، وَيَقُولُونَ: **ظَهَرَ الدِّينُ الصَّحِيحُ، دِينُ الْمَسِيحِ**.

وَيَذُمُّونَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ، وَمَعَهُمْ أَوَانٍ فِيهَا خَمْرٌ، لَا يَمُرُّونَ عَلَى بَابِ مَسْجِدٍ إِلَّا رَشُّوا عِنْدَهُ خَمْرًا، **وَيَأْمُرُونَ** كُلَّ مَنْ يَجْتَازُونَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالطُّرُقَاتِ **أَنْ يَقُومَ لِصَلِيبِهِمْ**، فَتَكَاثَرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَرَدُّوهُمْ إِلَى سُوقِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، فَوَقَفَ خَطِيبُهُمْ فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ مَدْحَ دِينِ النَّصَارَى، وَذَمَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا فِي الْبَلَدِ اجْتَمَعَ قُضَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَالشُّهُودُ وَالْفُقَهَاءُ، فَدَخَلُوا الْقَلْعَةَ يَشْكُونَ هَذَا الْحَالَ إِلَى مُتَسَلِّمِهَا **إِيلَ سَبَانَ**، فَأُهِينُوا وَطُرِدُوا، وَقَدَّمَ كَلَامَ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى عَلَيْهِمْ.

○ مؤامرة وتفرق العساكر الشامية

عَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى خَلْعِ الْمَلِكِ **النَّاصِرِ بن العزيز الأيوبي** وَسَجْنِهِ وَمُبَايَعَةِ أَخِيهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ **عَلِيٍّ**، فَلَمَّا علم النَّاصِرُ بذَلِكَ هَرَبَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ شَذَرَ مَذَرَ، وهرب الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ **بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ** بِأَصْحَابِهِ إِلَى نَاحِيَةِ **غَزَّةَ**.

فَاسْتَدْعَاهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ **قُطُزُ** إِلَيْهِ، وَاسْتَقْدَمَهُ عَلَيْهِ، وَأَقْطَعَهُ **قَلْيُوبَ**[1]، وَأَنْزَلَهُ بِدَارِ الْوِزَارَةِ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ لَدَيْهِ، **وما درى أن حَتْفه سيكون عَلَى يَدَيْهِ**.

(١) أحد أعمال الوجه البحري بمصر. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٢٤٢).

○ معركة عين جالوت وهزيمة التتار

لَمَّا بَلَغَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ **قُطُزَ** صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنَّ التَّتَارَ قَدْ فَعَلُوا بِالشَّامِ مافعلوا، ونَهَبُوا الْبِلَادَ كُلَّهَا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى غَزَّةَ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وعَزَمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ، تَهَيَّأَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ لِلِقَائِهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَإِلَى الْمَنْصُورِ صاحب حماة، يَقُولُ: **تَقَدَّمْ حَتَّى نَكُونَ كَتِفًا وَاحِدًا عَلَى التَّتَارِ**.

فَتَخَوف الناصر بن العزيز الأيوبي مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَيْهِ، فَكَرَّ رَاجِعًا إِلَى نَاحِيَةِ تِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَدَخَلَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَكْرَمَ **الْمَلِك الْمُظَفَّرُ قطزُ** صَاحِبَ حَمَاةَ، وَوَعَدَهُ بِبَلَدِهِ، وَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَدْخُلِ النَّاصِرُ وَلَيْتَهُ فَعَلَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمُظَفَّرَ **قطز بَادَرَ التتار قَبْلَ أَنْ يُبَادِرُوهُ**، وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُقْدِمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَعد لَهُ عَسْكَرُ الْمَغُولِ، وَعَلَيْهِمْ **كَتْبُغَا نُوينَ**، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِي الْبِقَاعِ، فَصَمَدُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى **عَيْنِ جَالُوتَ**(١) يَوْمَ الْجُمُعَةِ **الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ** مِنْ رَمَضَانَ سنة (٦٥٨هـ)، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا شَدِيدًا، فَكَانَتِ النُّصْرَةُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، **فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ** هَزِيمَةً هَائِلَةً، **وَقُتِلَ كَتْبُغَا نُوينَ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِيهِ**، وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَفِي كُلِّ مَأْزِقٍ.

وَقَدْ قَاتَلَ الْمَلِكُ **الْمَنْصُورُ الأيوبي** صَاحِبُ حَمَاةَ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ **قطز** فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ **أَقْطَايَ** الْمُسْتَعْرِبُ، وَكَانَ أَتَابِكَ الْعَسْكَرِ، وَقَدْ أُسِرَ الْمَلِكُ **السَّعِيدُ بْنُ الْعَزِيزِ** بْنِ الْعَادِلِ، وكان مع التتار، فَأَمَرَ **قطز** بِضَرْبِ

(١) اسم أعجميّ لا ينصرف: وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب في (سنة ٥٧٩هـ). معجم البلدان (٤/ ١٧٧).

عُنُقِهِ، **وَاسْتَأْمَنَ الْأَشْرَفُ** صَاحِبُ حِمْصَ **وَكَانَ مَعَ التَّتَارِ**، وَقَدْ جَعَلَهُ هُولَاكُو نَائِبًا عَلَى الشَّامِ كُلِّهِ، فَأَمَّنَهُ الْمَلِكُ قطز، وَرَدَّ إِلَيْهِ **حِمْصَ**، وَكَذَلِكَ رَدَّ حَمَاةَ إِلَى الْمَنْصُورِ، وَزَادَهُ الْمَعَرَّةَ وَغَيْرَهَا، وَأَطْلَقَ **سَلَمْيَةَ**[1] لِلْأَمِيرِ شَرَفِ الدِّينِ **عِيسَى بْنِ مُهَنَّا** بْنِ مَانِعٍ **أَمِيرِ الْعَرَبِ**.

وَاتَّبَعَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ **بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ** وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشُّجْعَانِ التَّتَارَ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا خَلْفَهُمْ إِلَى حَلَبَ، وَهَرَبَ مَنْ بِدِمَشْقَ مِنْهُمْ، وَكَانَ هَرَبُهُمْ مِنْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ **السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ** مِنْ رَمَضَانَ صَبِيحَةَ اليوم الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ **الْبِشَارَةُ بِالنُّصْرَةِ فِي عَيْنِ جَالُوتَ**، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِمَشْقَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ،

وَيَسْتَفِكُّونَ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى جَبْرِهِ الْإِسْلَامَ، وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ بِنَصْرِ اللهِ فَرَحًا شَدِيدًا.

فَتَبَادَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى كَنِيسَةِ النَّصَارَى الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الصَّلِيبُ، فَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا وَأَحْرَقُوهَا.

وَقَتَلَتِ الْعَامَّةُ فِي وَسَطِ الْجَامِعِ شَيْخًا رَافِضِيًّا كَانَ مُصَانِعًا لِلتَّتَارِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ يُقَالُ لَهُ: **الْفَخْرُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْكَنْجِيُّ**، كَانَ خَبِيثَ الطَّوِيَّةِ، مُمَالِئًا لَهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِثْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُمَالِئِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

وَلَمَّا كَسَرَ الْمَلِكُ **الْمُظَفَّرُ قُطُزُ** عَسَاكِرَ التَّتَارِ بِعَيْنِ جَالُوتَ سَاقَ وَرَاءَهُمْ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَدَعَوْا لَهُ دُعَاءً كَثِيرًا، وَعَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَمَهَّدَ الْقَوَاعِدَ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرَ رُكْنَ الدِّينِ **بِيبَرْسَ**

(١) سَلَمْيَة: بفتح أوّله وثانيه، وسكون الميم، بليدة في ناحية البرّيّة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعدّ من أعمال حمص، ولا يعرفها أهل الشام إلّا بسلميّة. معجم البلدان (٣/ ٢٤٠).

الْبُنْدُقْدَارِيَّ؛ لِيَطْرُدَ التَّتَارَ وَيَتَسَلَّمَ مَدِينَةَ **حَلَبَ**، وَوَعَدَهُ بِنِيَابَتِهَا، فَلَمَّا طَرَدَهُمْ عَنْهَا، **اسْتَنَابَ عَلَيْهَا غَيْرَهُ**، وَهُوَ عَلَاءُ الدِّينِ ابْنُ **صَاحِبِ الْمَوْصِلِ**، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْوَحْشَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا.

وعاد الْمُظَفَّرُ قطز إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَاسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ الْأَمِيرَ **عَلَمَ الدِّينِ سَنْجَرَ** الْحَلَبِيَّ الْكَبِيرَ، **وَالْأَمِيرَ مُجِيرَ الدِّينِ** بْنَ الْحُسَيْنِ.

○ تعيين هولاكو قضاة لبلاد الشام والجزيرة

كَانَ السُّلْطَانُ **هُولَاكُو** أَرْسَلَ تَقْلِيدًا بِوِلَايَةِ الْقَضَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْمَدَائِنِ، الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ وَمَارِدِينَ وَمَيَّافَارِقِينَ وَالْأَكْرَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِلْقَاضِي كَمَالِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ بُنْدَارٍ التَّفْلِيسِيِّ. وَقَدْ كَانَ نَائِبَ الْحُكْمِ بِدِمَشْقَ عَنِ الْقَاضِي صَدَرِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ مِنْ مُدَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَحِينَ وَصَلَ التَّقْلِيدُ فِي سَادِسٍ وَعِشْرِينَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ قُرِئَ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، فَاسْتَقَلَّ بِالْحُكْمِ فِي دِمَشْقَ، وَكَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ، فَسَارَ الْقَاضِيَانِ الْمَعْزُولَانِ صَدْرُ الدِّينِ بْنُ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ، وَمُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ هُولَاكُو إِلَى الْبِلَادِ الْحَلَبِيَّةِ، فَخَدَعَ ابْنُ الزَّكِيِّ لِابْنِ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ، وَبَذَلَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ.

وَقَدِمَ ابْنُ الزَّكِيِّ عَلَى الْقَضَاءِ، وَمَعَهُ تَقْلِيدُهُ وَخِلْعَةٌ مُذَهَّبَةٌ، فَلَبِسَهَا وَجَلَسَ فِي خِدْمَةِ **إِيلَ سَبَانَ** تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ عِنْدَ الْبَابِ الْكَبِيرِ، وَبَيْنَهُمَا الْخَاتُونُ زَوْجَةُ إِيلْ سَبَانَ حَاسِرَةً عَنْ وَجْهِهَا، وَقُرِئَ التَّقْلِيدُ هُنَالِكَ وَالْحَالُ كَذَلِكَ، وَحِينَ ذُكِرَ اسْمُ **هُولَاكُو**، نُثِرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ فَوْقَ رُؤْسِ النَّاسِ، قَبَّحَ اللهُ ذَلِكَ الْقَاضِيَ وَالْأَمِيرَ وَالزَّوْجَةَ وَالسُّلْطَانَ.

وَذَكَرَ أَبُو شَامَةَ [1] أَيْضًا أَنَّ القاضي محيي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ **اسْتَحْوَذَ** عَلَى مَدَارِسَ كَثِيرَةٍ فِي مُدَّتِهِ هَذِهِ الْقَصِيرَةِ، فَأَخَذَ الْعَذْرَاوِيَّةَ وَالسُّلْطَانِيَّةَ وَالْفَلَكِيَّةَ وَالرُّكْنِيَّةَ وَالْقَيْمُرِيَّةَ

---

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥.

وَالْعَزِيزِيَّةَ مَعَ الْمَدْرَسَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَتَا بِيَدِهِ، التَّقَوِيَّةِ وَالْعَزِيزِيَّةِ، وَأَخَذَ لِوَلَدِهِ عِيسَى تَدْرِيسَ الْأَمِينِيَّةِ وَمَشْيَخَةِ الشُّيُوخِ، وَأَخَذَ أُمَّ الصَّالِحِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ الْعِمَادُ الْمِصْرِيُّ، وَكَذَا أَخَذَ الشَّامِيَّةَ الْبَرَّانِيَّةَ لِصَاحِبٍ لَهُ، وَاسْتَنَابَ أَخَاهُ لِأُمِّهِ شِهَابَ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَسْعَدَ بْنِ حُبَيْشٍ فِي الْقَضَاءِ، وَوَلَّاهُ الرَّوَاحِيَّةَ وَالشَّامِيَّةَ الْبَرَّانِيَّةَ. قَالَ أَبُو شَامَةَ: مَعَ أَنَّ **شَرْطَ وَاقِفِهَا أَنْ لَا يُجْمَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ** غَيْرِهَا.

وَلَمَّا رَجَعَتِ الْمَمْلَكَةُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ عُزِلَ بِالْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ أَبِي بَكْرِ بْنِ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ، فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٥٨هـ) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❍ مقتل السلطان قطز

لما عَادَ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ **قُطُزَ** بِالْعَسَاكِرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَكَانَ الْأَمِيرُ **رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ** الْبُنْدُقْدَارِيُّ قَدِ اتَّفَقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى قَتْلِهِ، فلما نزل في أحد المنازل سَاقَ خَلْفَ أَرْنَبٍ، وَسَاقَ مَعَهُ أُولَئِكَ الْأُمَرَاءُ، فخدعه رُكْنُ الدِّينِ **بِيبَرْسُ**، فشفع عنده فِي شَيْءٍ فَشَفَّعَهُ، فَأَخَذَ يَدَهُ لِيُقَبِّلَهَا فَأَمْسَكَهَا، وَحَمَلَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الْأُمَرَاءُ بِالسُّيُوفِ، وَأَلْقَوْهُ عَنْ فَرَسِهِ، **وَرَشَقُوهُ بِالنُّشَّابِ حَتَّى أَجْهَزُوا عَلَيْهِ** فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٥٨هـ).

❁ ❁ ❁

٤ـ سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ـ٦٧٦هـ)

○ توليه السلطنة

بعد مقتل الملك المظفر قطز، كَر الأمراء الذين قتلوه رَاجِعِينَ إِلَى الْمُخَيَّم، وَبِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ مُصْلَتَةٌ، فَأَخْبَرُوا مَنْ هُنَاكَ بِالْخَبَرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ قَتَلَهُ؟ فَقَالَ رُكْنُ الدِّينِ بيبرس: أَنَا. **فَقِيلَ لَهُ:** أَنْتَ الْمَلِكُ، **وَلَقَّبُوهُ** الْمَلِكَ **الظَّاهِرَ**، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَضُرِبَت له الطُّبُولُ وَالْبُوقَاتُ.[(١)]

ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ وَالْعَسَاكِرُ فِي خِدْمَتِهِ، فَدَخَلَ قَلْعَةَ الْجَبَلِ، وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهَا، وَحَكَمَ فَعَدَلَ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ، ثُمَّ شَرَعَ فِي مَسْكِ مَنْ يَرَى فِي نَفْسِهِ رِئَاسَةً مَنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، حَتَّى مَهَّدَ الْمُلْكَ له.

○ حال العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة

اسْتَهَلَّتْ سنة (٦٥٩هـ) بِيَوْمِ الِاثْنَيْنِ لِأَيَّامٍ خَلَوْنَ مِنْ كَانُونَ الْأَوَّلِ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ خَلِيفَةٌ.

- ⊙ وَصَاحِبُ مَكَّةَ أَبُو نُمَيٍّ بْنُ أَبِي سَعْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ قَتَادَةَ الْحَسَنِيُّ، وَعَمُّهُ إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ شَرِيكُهُ.
- ⊙ وَصَاحِبُ **الْمَدِينَةِ** الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ جَمَّازُ بْنُ شِيحة الْحُسَيْنِيّ.
- ⊙ وَصَاحِبُ الدِّيَارِ **الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ** السُّلْطَانُ الْمَلِكُ **الظَّاهِرُ** رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْس الْبُنْدُقْدَارِيُّ.

---

(١) هذا من العجائب، فما كان جزاء قطز القتل، وقد أنجز منجزاً ضخماً، دحر التتار، وأنقذ أمة الإسلام من عدو غاشم، ولكن ذهب إلى ربه وله عنده ما هو أفضل من الدنيا كلها، وربما لو بقي في السلطنة لتغيرت أحواله ووقع منه ما ينقص ثوابه. ولكن العجب أن القاتل يُولّى السلطة ولا يحاسب، وقد شاع مثل هذا في العصر المملوكي!!.

- وَشَـرِيكُهُ فِي **دِمَشْـقَ وَبَعْلَبَكَّ** وَالصُّبَيْبَةِ وَبَانْيَاسَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ **سَنْجَرُ الْحَلَبِيُّ** الْمُلَقَّبُ بِالْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ.
- وَشَرِيكُهُ فِي **حَلَبَ** الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ **لَاجِينُ الْجُوكَنْدَارُ** الْعَزِيزِيُّ.
- **وَالْكَرَكُ وَالشَّوْبَكُ** لِلْمَلِكِ الْمُغِيثِ فَتَحِ الدِّينِ **عُمَرَ بْنِ الْعَادِلِ** الأيوبي.
- وَحِصْنُ **صِهْيَونَ وَبَرْزَيَةَ** فِي يَدِ الْأَمِيرِ مُظَفَّرِ الدِّينِ **عُثْمَانَ بْنِ نَاصِرِ** الدِّينِ مَنْكُورَسَ.
- **وَحَمَاةَ** لِلْمَلِكُ **الْمَنْصُورُ** بْنُ تَقِيِّ الدِّينِ مَحْمُودٍ.
- **وَحِمْصَ لِلْأَشْرَفُ** بْنُ الْمَنْصُورِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ النَّاصِرِ.
- **وَالْمَوْصِلِ** لِلْمَلِك **الصَّالِح بْن الْبَدْرِ لُؤْلُؤ**.
- وصَاحِبُ **جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ** الْمَلِكُ **الْمُجَاهِدُ بن الْبَدْرِ** لُؤْلُؤً.
- **وَمَارِدِينَ** لِلْمَلِكُ السَّعِيدُ نَجْمُ الدِّينِ إِيلُ غَازِي بْنُ أُرْتُقَ.
- **وَبِلَاد الرُّوم** لِرُكْنُ الدِّينِ **قَلِيجُ** أَرْسَـلَانَ بْنُ كَيْخُسْـرُو السَّـلْجُوقِيُّ. وَشَـرِيكُهُ فِي الْمُلْكِ أَخُوهُ كَيْكَاوُسُ وَالْبِلَادُ بَيْنَهُمَا نِصْفَيْنِ.
- **وَسَائِرُ بِلَادِ الْمَشْرِقِ** مِنْ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ بِأَيْدِي التَّتَارِ أَصْحَابِ **هُولَاكُو قَانَ**.
- وَبِلَادُ **الْيَمَنِ** يَمْلِكُهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُلُوكِ.
- وَبِلَادُ **الْمَغْرِبِ** فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْهَا مَلِكٌ.

عدوان التتار على حلب

فِي سنة (٦٥٩هـ) أَغَارَتِ **التَّتَارُ** عَلَى بِلَادِ **حَلَبَ**، وَانْجَفَلَ النَّاسُ وَحَصَلَ لَهُمْ رُعْبٌ شَـدِيدٌ وَالْتَقَى التَّتَرُ مَعَ نَائِبِ حَلَبَ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ الْجُوكَنْدَارِ الْعَزِيزِيِّ، وَالْمَنْصُورِ صَاحِـبِ حَمَاةَ وَالْأَشْـرَفِ صَاحِبِ حِمْصَ، **وَكَانَـتِ الْوَقْعَةُ عِنْدَ حِمْـصَ** قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ خَالِـدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالتَّتَارُ فِي سِـتَّةِ آلَافٍ، وَالْمُسْـلِمُونَ فِي أَلْـفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ

تَعَالَى، **وَقَتَلُوا أَكْثَرَ التَّتَارِ** وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، **فَرَجَعَ التَّتَارُ إِلَى حَلَب، فَحَصَرُوهَا** أَرْبَعَةَ أَشْـهُرٍ، وَضَيَّقُوا عَلَيْهَا الْأَقْوَاتَ، وَقَتَلُوا مِنَ الْغُرَبَاءِ خَلْقًا كَثِيرًا صَبْرًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَالْجُيُوشُ الَّذِينَ كَسَـرُوا التتار فِي حِمْصَ لَمْ يعينوا **أهل حَلَب**، بَلْ سَاقُوا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس فِي أُبَّهَةِ السَّلْطَنَةِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، **وَبَقِيَتْ حَلَبُ مُحَاصَرَةً لَا نَاصِرَ لَهَا** فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَلَكِنْ سَلَّمَ اللهُ ´.

○ تعيين عَلَاءِ الدِّينِ أَيْدِيكِينَ على نيابة دمشق

فِي شـهر صَفَرٍ سـنة (٦٥٩هـ) أَرْسَـلَ السُّـلْطَانُ الظاهـر بيبرس الأمير عَـلَاء الدِّينِ أَيْدِيكِينَ الْبُنْدُقْدَارِيُّ، لِيَتَسَـلَّمَ دِمَشْـقَ مِنَ **عَلَمِ الدِّينِ سَـنْجَرَ الْحَلَبِيِّ**، فَأَخَذَهَا وَسَـكَنَ الْقَلْعَـةَ بِهَـا نِيَابَـةً عَنِ الْمَلِـكِ الظَّاهِرِ، فهـرب الحلبي إلـى بعلبك، ثُمَّ حَاصَـرُوه حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْ بعلبك عَلَى بَغْلٍ، وَأَرْسَـلُوهُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ لَيْلًا، فَعَاتَبَهُ ثُمَّ أَطْلَقَ لَهُ أَشْيَاءَ وَأَكْرَمَهُ.

❁ ❁ ❁

إحياء الخلافة العباسية بمصر

(١)

خلافة المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بأمر الله

(٦٥٩ - ٦٦٠هـ)

○ نسبه

الْمُسْتَنْصِرِ بِاللهِ أَبِي الْقَاسِمِ **أَحْمَدَ** بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْعَبَّاسِيِّ وَهُوَ عَمُّ الْمُسْتَعْصِمِ.

○ صفاته

كَانَ أَسْمَرَ وَسِيمًا، شَدِيدَ الْقُوَى، عَالِيَ الْهِمَّةِ، لَهُ شَجَاعَةٌ وَإِقْدَامٌ، وَقَدْ لَقَّبُوهُ **بِالْمُسْتَنْصِرِ** كَمَا تَلَقَّبَ أَخُوهُ **مَنْصُورُ** بْنُ الظَّاهِرِ بَانِي الْمَدْرَسَةِ المستنصرية بِبَغْدَادَ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ؛ أَنَّ خَلِيفَتَيْنِ أَخَوَيْنِ لقبهما واحد.

○ بيعته

كَانَ أحمد بن الظاهر مُعْتَقَلًا بِبَغْدَادَ في أيدي التتار، ثُمَّ أُطْلِقَ فَكَانَ مَعَ جَمَاعَةِ الْأَعْرَابِ بِالْعِرَاقِ، ثُمَّ قَصَدَ **الظَّاهِرَ بيبرس** حِينَ بَلَغَهُ مُلْكُهُ، فَقَدِمَ مِصْرَ صُحْبَةَ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَعْرَابِ عَشَرَةٍ، مِنْهُمُ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُهَنَّا، وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي ثَامِنِ رَجَبٍ (٦٥٩هـ)، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ بيبرس وَمَعَهُ الْوَزِيرُ وَالْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ وَالشُّهُودُ وَالْمُؤَذِّنُونَ فَتَلَقَّوْهُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَخَرَجَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَالنَّصَارَى بِإِنْجِيلِهِمْ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبٍ (٦٥٩هـ) جَلَسَ السُّلْطَانُ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْإِيوَانِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَالْوَزِيرُ، وَالْقَاضِي، وَالْأُمَرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، وَأُثْبِتَ نَسَبُ الْخَلِيفَةِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْحَاكِمِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ.

وَهَذَا الْخَلِيفَةُ هُوَ أَخُو الْمُسْتَنْصِرِ بَانِي الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ، وَعَمُّ الْمُسْتَعْصِمِ.

فَبُويِعَ بِالْخِلَافَةِ بِمِصْرَ؛ بَايَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ، وَالْقَاضِي، وَالْوَزِيرُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَرَكِبَ فِي دَسْتِ الْخِلَافَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ وَالْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ، وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ، وَكَانَ

يَوْمًا مَشْهُودًا، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ هُوَ **الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ** مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَبًا.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ يَوْمَئِذٍ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ عِنْدَمَا ثَبَتَ عِنْدَهُ نَسَبُهُ، ثُمَّ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ، ثُمَّ **الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ** سلطان العلماء، وَالْأُمَرَاءُ، وَالدَّوْلَةُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَضُرِبَ اسْمُهُ عَلَى السِّكَّةِ، وَكَانَ مَنْصِبُ الْخِلَافَةِ شَاغِرًا مُنْذُ ثَلَاثِ سِنِينَ وَنِصْفٍ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَعْصِمَ قُتِلَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ (٦٥٦هـ).

وَكَانَتْ **مُدَّةُ خِلَافَتِهِ** إِلَى أَنْ فُقِدَ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، **فَكَانَ أَقْصَرَ مُدَّةً** مِنْ جَمِيعِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ.

وَقَدْ أُنْزِلَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي بُرْجٍ هُوَ وَحَشَمُهُ وَخَدَمُهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ سَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ رَكِبَ فِي أُبَّهَةِ السَّوَادِ، وَجَاءَ إِلَى الْجَامِعِ بِالْقَلْعَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً ذَكَرَ فِيهَا شَرَفَ بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ، فَقَرَأَ صَدْرًا مِنْ «سُورَةِ الْأَنْعَامِ»، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَتَرَضَّى عَنِ الصَّحَابَةِ، وَدَعَا لِلسُّلْطَانِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَاسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ مِنْهُ، وَكَانَ وَقْتًا حَسَنًا وَيَوْمًا مَشْهُودًا.

○ تقليد الخليفة للظاهر بيبرس السلطنة

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٥٩هـ) رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْوَزِيرُ وَالْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ، وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِلَى خَيْمَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ ضُرِبَتْ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ، فَأَلْبَسَ الْخَلِيفَةُ السُّلْطَانَ بِيَدِهِ خِلْعَةً سَوْدَاءَ، وَطَوْقًا فِي عُنُقِهِ، وَقَيْدًا فِي رِجْلَيْهِ، وَهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَصَعِدَ فَخْرُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ لُقْمَانَ رَئِيسُ الْكُتَّابِ مِنْبَرًا، فَقَرَأَ تَقْلِيدَ السُّلْطَانِ، ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ بِهَذِهِ الْأُبَّهَةِ، وَالْأُمَرَاءُ وَالدَّوْلَةُ فِي خِدْمَتِهِ مُشَاةٌ سِوَى الْوَزِيرِ، فَشَقَّ الْقَاهِرَةَ، وَقَدْ زُيِّنَتْ لَهُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ محاولة الخليفة استعادة بغداد

طَلَبَ الْخَلِيفَةَ مِنَ السُّلْطَانِ الظاهر بيبرس في آخر سنة (٦٥٩هـ) أَنْ يُجَهِّزَهُ إِلَى بَغْدَادَ، فَرَتَّبَ لَهُ جُنْدًا هَائِلَةً، وَأَقَامَ لَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ، ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ صُحْبَتَهُ قَاصِدِينَ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةَ، وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِ السُّلْطَانِ إِلَى الشَّامِ أَنَّ الْبُرْلِيَّ كَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى **حَلَبَ**، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الظاهر بيبرس الْأَمِيرَ عَلَمَ الدِّينِ سَنْجَرَ الْحَلَبِيَّ، فَطَرَدَ البرلي عَنْ حَلَبَ، وَتَسَلَّمَهَا مِنْهُ، وَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا عَنِ السُّلْطَانِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْبُرْلِيُّ حَتَّى اسْتَعَادَهَا مِنْ الحلبي.

ثُمَّ جَهَّزَ السُّلْطَانُ الْخَلِيفَةَ وَأَصْحَبَهُ أَوْلَادَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَطْلَقَ لَهُ وَزَادَهُ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

كما جَهَّزَ جَيْشًا صُحْبَةَ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ الْبُنْدُقْدَارِيِّ إِلَى حَلَبَ، لِمُحَارَبَةِ الْبُرْلِيِّ الْمُتَغَلِّبِ عَلَيْهَا الْمُفْسِدِ فِيهَا.

وَكان الْبُرْلِيُّ قد أَقَامَ بِحَلَبَ **خَلِيفَةً آخَرَ من بني العباس**، ولَقَّبَهُ **بِالْحَاكِمِ**، فَلَمَّا اجْتَازَ بِهِ الخليفة الْمُسْتَنْصِرُ سَارَ الحاكم مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ، وَاتَّفَقَا عَلَى الْمَصْلَحَةِ، وتنازل الْحَاكِمِ لِلْمُسْتَنْصِرِ، لِكَوْنِهِ أَكْبَرَ مِنْهُ.

○ مقتل الخليفة المستنصر بالله

كَانَ الخليفة الْمُسْتَنْصِرُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ فَتَحَ بُلْدَانًا كَثِيرَةً، وَلَمَّا قَاتَلَهُ بَهَادُرُ صاحب شِحْنَةِ بَغْدَادَ من قبل التتار كَسَرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ، وَقَتَلَ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ، وَلَكِنْ **خَرَجَ كَمِينٌ** مِنَ التَّتَارِ، فَهَرَبَ الْعُرْبَانُ، وَالْأَكْرَادُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْمُسْتَنْصِرِ، **وَثَبَتَ هُوَ فِي طَائِفَةٍ** مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ التُّرْكِ، فَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، **وَفُقِدَ الخليفة** المستنصر، **وَنَجَا الْحَاكِمُ** فِي طَائِفَةٍ، وَكَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٦٠هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

وفعل الخليفة هَذَا أَشْبَهَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فِي تَوَغُّلِهِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ مَعَ كَثْرَةِ جُنُودِهَا، وَكَانَ الْأَوْلَى له أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ حَتَّى تَتَمَهَّدَ الْأُمُورُ، وَتَصْفُوَ الْأَحْوَالُ، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

○ عدوان التتار على الموصل

فِي سنة (٦٦٠هـ) أَرْسَلَ هُولَاكُو طَائِفَةً مِنْ جُنْدِهِ نَحْوَ عَشَرَةِ آلَافٍ، فَحَاصَرُوا الْمَوْصِلَ، وَنَصَبُوا عَلَيْهَا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مَنْجَنِيقًا، وَضَاقَتْ بِهَا الْأَقْوَاتُ.

وأَرْسَلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ لُؤْلُؤٍ إِلَى الْبُرْلِيِّ يَسْتَنْجِدُهُ، فَقَدِمَ إِلَيْهِ فَهُزِمَتِ التَّتَارُ، ثم فَارَقَ البرلي أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فاضطر إِلَى اللجوء إلى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَقْطَعَهُ تِسْعِينَ فَارِسًا.

وَأَمَّا **التَّتَارُ** فَإِنَّهُمْ عَادُوا إِلَى الْمَوْصِلِ، وَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى اسْتَنْزَلُوا صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ بْنُ لُؤْلُؤٍ إِلَيْهِمْ، وَنَادَوْا فِي الْبَلَدِ بِالْأَمَانِ، حَتَّى اطْمَأَنَّ النَّاسُ، ثُمَّ مَالُوا عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وَقَتَلُوا الْمَلِكَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدَهُ عَلَاءَ الدِّينِ، وَخَرَّبُوا أَسْوَارَ الْبَلَدِ، وَتَرَكُوهَا بِلَاقِعَ، ثُمَّ كَرُّوا رَاجِعِينَ، قَبَّحَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ.

(٢)

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أبو العباس
أَحْمَدُ بْنُ الحسن ابْنِ الْمُسْتَرْشِدِ باللّه

(٦٦١ - ٧٠١هـ)

○ نسبه

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ أبو العباس **أَحْمَدُ بْنُ الحسن** ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَرْشِدِ بِالله الْفَضْلِ بْنِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللهِ أَحْمَدَ الْعَبَّاسِيِّ الْهَاشِمِيّ الْبَغْدَادِيُّ الْمِصْرِيُّ.

○ بيعته بالخلافة

فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٦٦٠هـ) وصل إلى الديار المصرية **الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ أَحْمَدُ** بْنُ **الحسن** أَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قادمًا من بلاد المشرق، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ دُخُولِهِ تَلَقَّاهُ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ، وَأَظْهَرَ السُّرُورَ لَهُ وَالِاحْتِفَالَ، وَأَنْزَلَهُ فِي الْبُرْجِ الْكَبِيرِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْأَرْزَاقَ الدَّارَّةَ وَالْإِحْسَانَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ثَانِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٦١هـ)، جَلَسَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ وَأُمَرَاؤُهُ وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ فِي الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، **وَجَاءَ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ رَاكِبًا حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ الْإِيوَانِ**، وَقَدْ بُسِطَ لَهُ إِلَى جَانِبِ السُّلْطَانِ، فَقُرِئَ نَسَبُهُ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِيبَرْسُ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَطَبَ الْخَلِيفَةُ بِالنَّاسِ، **فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقَامَ لِآلِ الْعَبَّاسِ رُكْنًا ظَهِيرًا، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ لَدُنْهُ سُلْطَانًا نَصِيرًا، أَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى شُكْرِ مَا أَسْبَغَ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَأَسْتَنْصِرُهُ عَلَى دَفْعِ الْأَعْدَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ نُجُومِ الِاهْتِدَاءِ، وَأَئِمَّةِ الِاقْتِدَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَعَلَى الْعَبَّاسِ عَمِّهِ، أَبِي السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَى بَقِيَّةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: اعْلَمُوا أَنَّ الْإِمَامَةَ فَرْضٌ مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادُ مَحْتُومٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ، وَلَا يَقُومُ عَلَمُ الْجِهَادِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْعِبَادِ، وَلَا سُبِيَتِ الْحُرَمُ إِلَّا بِانْتِهَاكِ الْمَحَارِمِ، وَلَا سُفِكَتِ الدِّمَاءُ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ، فَلَوْ شَاهَدْتُمْ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ لَمَّا دَخَلُوا دَارَ السَّلَامِ، وَاسْتَبَاحُوا الدِّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَالْأَطْفَالَ، وَهَتَكُوا حُرَمَ الْخِلَافَةِ وَالْحَرِيمِ، وَأَذَاقُوا مَنِ اسْتَبْقَوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، فَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، وَعَلَتِ الضَّجَّاتُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ، فَكَمْ مِنْ شَيْخٍ خُضِّبَتْ شَيْبَتُهُ بِدِمَائِهِ، **وَكَمْ مِنْ طِفْلٍ بَكَى فَلَمْ يُرْحَمْ لِبُكَائِهِ، فَشَمِّرُوا عَنْ سَاقِ الِاجْتِهَادِ فِي إِحْيَاءِ فَرْضِ الْجِهَادِ** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن: ١٦] فَلَمْ يَبْقَ مَعْذِرَةٌ فِي الْقُعُودِ عَنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَالْمُحَامَاةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

وَهَذَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ الْمُؤَيَّدُ رُكْنُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، قَدْ قَامَ بِنَصْرِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ قِلَّةِ الْأَنْصَارِ، وَشَرَّدَ جُيُوشَ الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، فَأَصْبَحَتِ الْبَيْعَةُ بِاهْتِمَامِهِ مُنْتَظِمَةَ الْعُقُودِ، وَالدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ بِهِ مُتَكَاثِرَةَ الْجُنُودِ، فَبَادِرُوا عِبَادَ اللهِ إِلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَخْلِصُوا نِيَّاتِكُمْ تُنْصَرُوا، وَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ تَظْفَرُوا، وَلَا يُرَوِّعُكُمْ مَا جَرَى، **فَالْحَرْبُ سِجَالٌ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**، وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ، وَالْأَجْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، جَمَعَ اللهُ عَلَى الْهُدَى أَمْرَكُمْ، وَأَعَزَّ بِالْإِيمَانِ نَصْرَكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. ثُمَّ خَطَبَ الثَّانِيَةَ، وَنَزَلَ فَصَلَّى.

قَالَ أَبُو شَامَةَ: [1] فَخُطِبَ لَهُ بِجَامِعِ دِمَشْقَ وَسَائِرِ الْجَوَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٦١هـ).

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١.

وَهَذَا **الْخَلِيفَةُ** هُوَ **التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ** مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَنْ لَيْسَ وَالِدُهُ وَجَدُّهُ خَلِيفَةً بَعْدَ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ سِوَى هَذَا، فَأَمَّا مَنْ لَيْسَ وَالِدُهُ خَلِيفَةً فَكَثِيرٌ.

❍ وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله

تُوُفِّيَ الخليفة الحاكم بأمر الله بعد أن قضى عمرا مديدا في منصب الخلافة، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠١) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ وَقْتَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِسُوقِ الْخَيْلِ بِمِصْرَ.

وبويع لوَلَدِه أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بن الحاكم بأمر الله بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ، **وَلُقِّبَ بِالْمُسْتَكْفِي** بِاللهِ، وَدُفِنَ بِالْقُرْبِ مِنَ السِّتِّ **نَفِيسَةَ**، وَلَهُ **أَرْبَعُونَ** سَنَةً فِي الْخِلَافَةِ.

❍ قتل صاحب الكرك الملك المغيث لخيانته

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٦١هـ) رَكِبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاصِدًا نَاحِيَةَ بِلَادِ **الْكَرَكِ**، وَاسْتَدْعَى صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الْمُغِيثَ عُمَرَ بْنَ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ جُهْدٍ أَرْسَلَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **مُعْتَقَلا**.

وَذَلِكَ أَنَّهُ **كَاتَبَ هُولَاكُو وَحَثَّهُ عَلَى الْقُدُومِ إِلَى الشَّامِ** مَرَّةً أُخْرَى، وَجَاءَتْهُ كُتُبُ التَّتَارِ بِالثَّبَاتِ وَنِيَابَةِ الْبِلَادِ، وَأَنَّهُ سَيَقْدُمُ عَلَيْهِ عِشْرُونَ أَلْفًا لِفَتْحِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَأَخْرَجَ السُّلْطَانُ فَتَاوَى الْفُقَهَاءِ بِقَتْلِهِ، وَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى **ابْنِ خَلِّكَانَ** - وَكَانَ قَدِ اسْتَدْعَاهُ مِنْ دِمَشْقَ - وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ.

❍ الخلاف بين هولاكو وبين ابن عمه بركة

في سنة (٦٦٠هـ) وَقَعَ **الْخُلْفُ بَيْنَ هُولَاكُو وَبَيْنَ السُّلْطَانِ بَرَكَةَ ابْنِ عَمِّهِ**، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَرَكَةُ يَطْلُبُ مِنْهُ نَصِيبًا مِمَّا فَتَحَهُ مِنَ الْبِلَادِ، عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ، فَقَتَلَ رُسُلَهُ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ بَرَكَةَ، وَكَاتَبَ الظَّاهِرَ لِيَتَّفِقَا عَلَى هُولَاكُو.

وفي سنة (٦٦١هـ) قَدِمَتْ رُسُلُ **بَرَكَةَ خَانَ** إِلَى الظَّاهِرِ **بيبرس** يَقُولُ لَهُ: **قَدْ عَلِمْتَ مَحَبَّتِي لِدِينِ الْإِسْلَامِ**، وَعَلِمْتَ مَا فَعَلَ هُولَاكُو بِالْمُسْلِمِينَ، فَارْكَبْ أَنْتَ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَآتِيهِ أَنَا مِنْ نَاحِيَةٍ حَتَّى نَصْطَلِمَهُ أَوْ نُخْرِجَهُ مِنَ الْبِلَادِ، وَأَيًّا مَا كَانَ أَعْطَيْتُكَ جَمِيعَ مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ. فَاسْتَصْوَبَ الملك **الظَّاهِرُ بيبرس** هَذَا الرَّأْيَ، وَشَكَرَهُ وَخَلَعَ عَلَى رُسُلِهِ وَأَكْرَمَهُمْ.

وفي سنة (٦٦١هـ) الْتَقَى **بَرَكَةُ خان**، وَهُولَاكُو وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ جُيُوشٌ كَثِيرَةٌ، فَاقْتَتَلُوا فَهُزِمَ هُولَاكُو هَزِيمَةً فَظِيعَةً، وَقُتِلَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ، وَغَرِقَ أَكْثَرُ مَنْ بَقِيَ، وَهَرَبَ هُوَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَلَمَّا نَظَرَ بَرَكَةُ خَانَ إِلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى قَالَ: **يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يَقْتُلَ الْمَغُولُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**، وَلَكِنْ كَيْفَ الْحِيلَةُ فِيمَنْ غَيَّرَ سُنَّةَ **جِنْكِزْخَانَ**؟! ثُمَّ أَغَارَ بَرَكَةُ خَانَ عَلَى بِلَادِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَصَانَعَهُ صَاحِبُهَا، وَأَرْسَلَ الملك الظَّاهِرُ بيبرس هَدَايَا عَظِيمَةً إِلَى بَرَكَةَ، وَتُحَفًا كَثِيرَةً هَائِلَةً.

وَفِي سنة (٦٦٢هـ) قَدِمَتْ رُسُلُ الْمَلِكِ **بَرَكَةَ خان** إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَمَعَهُمُ الْأَشْرَفُ بْنُ شِهَابِ الدِّينِ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُشَافِهَاتِ مَا فِيهِ سُرُورٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِمَّا حَلَّ بِـ**هولاكو** وَأَهْلِهِ.

○ ولاية عهد السلطنة

فِي ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٦٦٣هـ) سَلْطَنَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَلَدَهُ **الْمَلِكَ السَّعِيدَ مُحَمَّدَ بَرَكَةَ، وَأَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ** مِنَ الْأُمَرَاءِ **وهو صغير**، وَأَرْكَبَهُ وَمَشَى الْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَحَمَلَ وَالِدُهُ الْغَاشِيَةَ بِنَفْسِهِ، حَتَّى شَقُّوا الْقَاهِرَةَ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ **خَتَنَ السُّلْطَانُ** الظَّاهِرُ **بيبرس** وَلَدَهُ **الْمَلِكَ السَّعِيدَ**، وَخَتَنَ مَعَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ.

○ تخلص ولد الخليفة المستعصم من الأسر

لَمَّا كَسَرَ **بَرَكَةُ خَانَ** التتار تَخَلَّصَ مِنْ أَيْدِيهِمْ علي بن الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِم بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ الْعَبَّاسِيُّ، فوصل إِلَى دِمَشْقَ فِي سنة (٦٦٤هـ)، فَأُكْرِمَ وَأُنْزِلَ بِالدَّارِ الْأَسَدِيَّةِ تُجَاهَ الْمَدْرَسَةِ الْعَزِيزِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي التَّتَارِ.

○ طرد التتار من ناحية الفرات

فِي سنة (٦٦٣هـ) جَهَّزَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس عَسْكَرًا جَمًّا كَثِيفًا إِلَى نَاحِيَةِ الْفُرَاتِ **لِطَرْدِ التَّتَارِ النَّازِلِينَ بِالْبِيرَةِ**، فَلَمَّا سَمِعُوا بِالْعَسَاكِرِ الظَّاهِرِيَّةِ قَدْ أَقْبَلَتْ تَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْهَزِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَطَابَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةُ وَأَمِنَتْ تِلْكَ الْمُعَامَلَةُ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَسْكُنُ مِنْ كَثْرَةِ الْفَسَادِ بِهَا وَالْخَوْفِ، فَعَمَرَتْ وَأَمِنَتْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَفِي خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٧١هـ) وَصَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس بِعَسْكَرِهِ إِلَى **الْفُرَاتِ**، حيث بَلَغَهُ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ **التَّتَارِ** هُنَالِكَ، فَخَاضَ إِلَيْهِمُ الْفُرَاتَ بِنَفْسِهِ وَجُنْدِهِ، وَقَتَلَ مِنْ أُولَئِكَ مَقْتَلَةً كَبِيرَةً وَخَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ سَاقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبِيرَةِ، وَقَدْ كَانَتْ مُحَاصَرَةً بِطَائِفَةٍ مِنَ التَّتَارِ أُخْرَى، فَلَمَّا سَمِعُوا بِقُدُومِهِ هَرَبُوا، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبِيرَةِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَفَرَّقَ فِي أَهْلِهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى.

○ هلاك هولا كوخان

فِي سَابِعِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٦٣هـ) هَلَكَ سُلْطَانُ التَّتَارِ هُولَاكُو بِمَرَضِ الصَّرَعِ بِمَدِينَةِ مَرَاغَةَ، وَدُفِنَ بِقَلْعَةِ تَلَا، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ.

وَاجْتَمَعَتِ التَّتَارُ عَلَى وَلَدِهِ **أَبْغَا**، فَقَصَدَهُ الْمَلِكُ **بَرَكَةُ خَانَ**، فَكَسَرَهُ وَفَرَّقَ جُمُوعَهُ، فَفَرِحَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَعَزَمَ عَلَى جَمْعِ الْعَسَاكِرِ لِيَأْخُذَ بِلَادَ الْعِرَاقِ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ لِتَفَرُّقِ الْعَسَاكِرِ فِي الْإِقْطَاعَاتِ.

جهاد الظاهر بيبرس للفرنج

فِي سنة (٦٦٣هـ) خَرجَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس فِي عَسَاكِرَ عَظِيمَةٍ، فَقَصَدَ **بِلَادَ السَّاحِلِ** لِحِصَارِ **الْفِرِنْجِ**، فَفَتَحَ **قَيْسَارِيَّةَ** فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنِ جُمَادَى الْأُولَى وَهُوَ يَوْمُ نُزُولِهِ عَلَيْهَا، ثم تَسَلَّمَ قَلْعَتَهَا فَهَدَمَهَا، وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ فَتَحَ مَدِينَةَ **أَرْسُوفَ**، وَقَتَلَ مَنْ بِهَا مِنَ الْفِرِنْجِ، وَجَاءَ الْبَرِيد بِذَلِكَ، فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا.

وفِي سنة (٦٦٤هـ) قَدِمَ السُّلْطَانُ الظاهر بيبرس من مصر بِعَسَاكِرِهِ وَنَازَلَ مَدِينَةَ صَفَدَ، وَاسْتَدْعَى بِالْمَجَانِيقِ مِنْ دِمَشْقَ وَأَحَاطَ بِهَا وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى افْتَتَحَهَا، وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَلَى حُكْمِهِ، فَتَسَلَّمَ الْبَلَدَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ، وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ افْتَتَحَهَا فِي شَوَّالٍ أَيْضًا فِي سَنَةِ (٥٨٤هـ)، ثُمَّ اسْتَعَادُوهَا فَانْتَزَعَهَا مِنْهُمْ قَسْرًا الْمَلِكُ الظَّاهِرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وقد خدع **الْإِسْبِتَارِيَّةُ وَالدَّاوِيَّةُ**، فاستنزلهم مِنَ الْقَلْعَةِ، وَكانوا قَدْ فَعَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ الْأَفَاعِيلَ، فَأَمْكَنَ اللهُ مِنْهُمْ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَجَاءَتِ الْبَشَائِرُ إِلَى الْقِلَاعِ بِذَلِكَ، وَفَرِحَ الْعِبَادُ، ثُمَّ بُثَّتِ السَّرَايَا يَمِينًا وَشِمَالًا فِي بِلَادِ الْفِرِنْجِ، فَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى حُصُونٍ كَثِيرَةٍ تُقَارِبُ **عِشْرِينَ حِصْنًا**، وَأَسَرُوا قَرِيبًا مِنْ **أَلْفِ** أَسِيرٍ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا.

معاقبة أهل قارة وسيس من النصارى

لَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ **صَفَدَ** فِي سنة (٦٦٤هـ) أَخْبَرَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِهَا مَنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ أَنَّ **سَبَبَ أَسْرِهِمْ** أَنَّ أَهْلَ **قَرْيَةِ قَارَا** [1] كَانُوا يَأْخُذُونَهُمْ فَيَحْمِلُونَهُمْ إِلَى

---

(١) قارة: اسم قرية كبيرة على قارعة الطريق، وهي المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وأهلها كلهم نصارى. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٢٩٥).

الْفِرِنْجِ، فَيَبِيعُونَهُمْ مِنْهُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَكِبَ السُّلْطَانُ قَاصِدًا قَارَا، فَأَوْقَعَ بِهِمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وَأَخذ منهم أسرى، أَخْذًا بِثَأْرِ الْمُسْلِمِينَ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

وفي سنة (٦٦٤هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ بيبرس جَيْشًا هَائِلًا إِلَى بِلَادِ **سِيسَ**، [(١)] وَفَتَحُوها عَنْوَةً، وَأَسَرُوا ابْنَ مَلِكِهَا، وَقَتَلُوا أَخَاهُ، وَأَخَذُوا بِثَأْرِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْهُمْ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا **أَضَرَّ شَيْءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ زَمَنَ التَّتَارِ**، لَمَّا أَخَذُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَغَيْرَهَا، أَسَرُوا مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَطْفَالِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ يُغِيرُونَ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَنِ هُولَاكُو، وَكَانَتِ **النُّصْرَةُ** عَلَيْهِمْ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَى الْبِلَادِ، وَضُرِبَتِ الْبَشَائِرُ.

وَفِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٦٤هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ بيبرس دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ابْنُ **صَاحِبِ سِيسَ** وَجَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْمَنِ أُسَارَى، وَطَلَبَ **صَاحِبُ سِيسَ** مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُفَادِيَ **وَلَدَهُ** فَقَالَ: لَا نُفَادِيهِ إِلَّا بِأَسِيرٍ لَنَا عِنْدَ التَّتَارِ يُقَالُ لَهُ: **سُنْقُرَ الْأَشْقَرَ**. فَذَهَبَ **صَاحِبُ سِيسَ** إِلَى مَلِكِ **التَّتَرِ**، فَتَذَلَّلَ وَتَخَضَّعَ لَهُ، حَتَّى أَطْلَقَ لَهُ سُنْقُرَ الْأَشْقَرَ، فَأَطْلَقَ السُّلْطَانُ ابْنَ صَاحِبِ سِيسَ.

○ هزيمة الفرنج في الأندلس

فِي سنة (٦٦٣هـ) وَرَدَ خَبَرٌ مِنْ بِلَادِ **الْمَغْرِبِ** بِأَنَّهُمُ انْتَصَرُوا عَلَى **الْفِرِنْجِ**، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَأَسَرُوا عَشْرَةَ آلَافٍ، وَاسْتَرْجَعُوا مِنْهُمُ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ بَلْدَةً، مِنْهَا: شَرِيشُ، وَإِشْبِيلِيَّةُ، وَقُرْطُبَةُ، وَمُرْسِيَةُ.

وَفِي سنة (٦٦٨هـ) انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ **بِلَادِ الْمَغْرِبِ**، وَكَانَ آخِرُهُمْ إِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ صَاحِبُ مَرَّاكُشَ قَتَلَهُ بَنُو مَرِينٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

---

(١) سيس: بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس، على عين زربة، وبها مسكن ابن ليون الأرمني. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٢٩٨).

وَفِي سنة (٦٦٩هـ) جَرَتْ حُرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا بَيْنَ أَهْلِ تُونِسَ **وَالْفِرِنْجِ**، ثُمَّ تَصَالَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْهُدْنَةِ وَوَضْعِ الْحَرْبِ، بَعْدَمَا قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ.

○ غزو الفرنج في الشام

فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٦٦هـ) خَرَجَ السُّلْطَانُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ **يَافَا** بَغْتَةً، فَأَخَذَهَا عَنْوَةً، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا قَلْعَتَهَا صُلْحًا، فَأَجْلَاهُمْ مِنْهَا إِلَى **عَكَّا**، وَخَرَّبَ الْقَلْعَةَ وَالْمَدِينَةَ، وَقَدْ كَانَ الْفِرِنْجُ اعْتَنَوْا بِعِمَارَتِهَا وَتَحْصِينِهَا، فَجَعَلَهَا بَلْقَعًا لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ إِلَيْهَا عَوْدَةٌ.

وَسَارَ مِنْهَا فِي رَجَبٍ قَاصِدًا **حِصْنَ الشَّقِيفِ**، وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَخَذَ مِنْ **بَرِيدِيَّةِ الْفِرِنْجِ** كِتَابًا مِنْ أَهْلِ عَكَّا إِلَى أَهْلِ الشَّقِيفِ يُعْلِمُونَهُمْ بِقُدُومِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِتَحْصِينِ الْبَلَدِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى إِصْلَاحِ أَمَاكِنَ يُخْشَى عَلَى الْبَلَدِ مِنْهَا. فَفَهِمَ السُّلْطَانُ كَيْفَ يَأْخُذُ الْبَلَدَ، وَعَرَفَ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ.

وَاسْتَدْعَى مِنْ فَوْرِهِ رَجُلًا مِنَ الْفِرِنْجِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ بَدَلَهُ كِتَابًا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ إِلَى أَهْلِ الشَّقِيفِ، يُحَذِّرُ الْمَلِكَ مِنَ الْوَزِيرِ، وَالْوَزِيرَ مِنَ الْمَلِكِ، وَيَرْمِي الْخُلْفَ بَيْنَ الدَّوْلَةِ. فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ، فَأَوْقَعَ اللهُ الْخُلْفَ بَيْنَهُمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ فَحَاصَرَهُمْ وَرَمَاهُمْ بِالْمَنْجَنِيقِ، فَسَلَّمُوهُ الْحِصْنَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَأَجْلَاهُمْ إِلَى **صُورَ**، وَبَعَثَ بِالْأَثْقَالِ إِلَى **دِمَشْقَ**.

ثُمَّ رَكِبَ جَرِيدَةً فِيمَنْ نَشِطَ مِنَ الْجَيْشِ، فَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَى **طَرَابُلُسَ** وَأَعْمَالِهَا، فَنَهَبَ وَقَتَلَ **وَأَرْعَبَ**، وَكَرَّ رَاجِعًا مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، فَنَزَلَ عَلَى **حِصْنِ الْأَكْرَادِ** تَحْتَهُ فِي الْمَرْجِ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ مِنَ الْفِرِنْجِ الهدايا، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَقَالَ: أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ جُنْدِيًّا مِنْ جَيْشِي، وَأُرِيدُ دِيَتَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ. ثُمَّ سَارَ، فَنَزَلَ عَلَى **حِمْصَ**، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى **حَمَاةَ**، ثُمَّ إِلَى **أَفَامِيَةَ**، ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَحَاطَ بِمَدِينَةِ أَنْطَاكِيَةَ.

فتح أنطاكية

كَانَ نُزُولُهُ عَلَيْهَا فِي مُسْتَهَلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٦٦٦هـ) وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةُ الْخَيْرِ، يُقَالُ: إِنَّ محيط سُورِهَا اثْنَا عَشَرَ مِيلًا، وَعَدَدُ أبراجها مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَثَلَاثُون بُرْجًا.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا يَطْلُبُونَ مِنْهُ **الْأَمَانَ**، وَشَرَطُوا شُرُوطًا عَلَيْهِمْ لَهُ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهُمْ، وَصَمَّمَ عَلَى حِصَارِهَا، **فَفَتَحَهَا يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ شَهْرِ رَمَضَانَ** بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، وَغَنِمَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَوَجَدَ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْحَلَبِيِّينَ فِيهَا خَلْقًا كَثِيرًا.

وَقَدْ كَانَ **الْأَفْرِيسُ** صَاحِب أنطاكية، وَصَاحِبُ طَرَابُلُسَ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ أَذِيَّةً لِلْمُسْلِمِينَ، حِينَ مَلَكَ التَّتَارُ حَلَبَ، فَانْتَقَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ.

وَأَرْسَلَ أَهْلُ **بَغْرَاسَ** (١) حِينَ سَمِعُوا بِقَصْدِ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَتَسَلَّمَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أُسْتَاذَ دَارِهِ الْأَمِيرَ آقْسُنْقُرَ الْفَارِقَانِيَّ فِي ثَالِث عَشَرَ رَمَضَانَ فَتَسَلَّمَهَا، وَتَسَلَّمُوا حُصُونًا كَبِيرَةً وَقِلَاعًا كَثِيرَةً، وَعَادَ السُّلْطَانُ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي **السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ** فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ وَهَيْبَةٍ هَائِلَةٍ، وَقَدْ زُيِّنَتْ لَهُ الْبَلَدُ، وَدُقَّتْ لَهُ الْبَشَائِرُ فَرَحًا بِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْكَفَرَةِ الطَّغَامِ.

تطهير الساحل الشامي من الفرنج

فِي **رَجَبٍ** مِنْ سنة (٦٦٥هـ) رَجَعَ السلطان بيبرس مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى **صَفَدَ**، وَحَفَرَ خَنْدَقًا حَوْلَ قَلْعَتِهَا، وَعَمِلَ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَأُمَرَائِهِ وَجَيْشِهِ.

كما أَمَرَ بِعِمَارَةِ أَسْوَارِ صَفَدَ وَقَلْعَتِهَا، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب. معجم البلدان - الفكر (١/ ٤٦٧).

وعَادَ السُّـلْطَانُ بيبرس بِعَسَـاكِرِهِ إِلَى **مِصْرَ** سنة (٦٦٧هـ)، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ عِنْـدَ خَرِبَـةِ اللُّصُوصِ تَعَرَّضَتْ لَـهُ امْرَأَةٌ، فَذَكَرَتْ لَـهُ أَنَّ وَلَدَهَا دَخَـلَ **مَدِينَةَ صُورَ** وَأَنَّ صَاحِبَهَا الْفِرِنْجِيَّ غَدَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ مَالَهُ، فَرَكِبَ السُّـلْطَانُ وَشَـنَّ الْغَارَةَ عَلَى **صُورَ**، فَأَخَـذَ مِنْهَـا شَـيْئًا كَثِيرًا وَقَتَلَ خَلْقًا، **فَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ مَلِكُهَا**: مَا سَـبَبُ هَذَا؟ فَذَكَـرَ لَهُ غَدْرَهُ وَمَكْرَهُ بِالتُّجَّارِ.

وفِي شـهر رَجَبٍ (٦٦٩هـ) خرج السـلطان بيبرس بالجيش مُتَفَرِّقِينَ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَلْتَقُوا بِالسَّـاحِلِ، لِيَشُـنُّوا الْغَارَةَ عَلَى **جَبَلَةَ، وَاللَّاذِقِيَّةِ، وَمَرْقَبَ، وَعِرْقَةَ**، وَمَا هُنَالِكَ مِنَ الْبِلَادِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فَتَحُوا **صَافِيتَا، وَالْمِجْدَلَ**، ثُمَّ سَارُوا فَنَزَلُوا عَلَى حِصْنِ الْأَكْرَادِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ رَجَبٍ، وَلَهُ ثَلَاثُ أَسْـوَارٍ، فَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَنْجَنِيقَاتِ، فَفَتَحَهَا قَهْرًا فِي النِصْفِ من شَـعْبَانَ سـنة (٦٦٩هـ) فَأَطْلَقَ السُّـلْطَانُ أَهْلَهُ، وَأَجْلَاهُـمْ إِلَى طَرَابُلُسَ، وَتَسَـلَّمَ الْقَلْعَةَ بَعْدَ عَشْـرَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْفَتْحِ فَأَجْلَى أَهْلَهَا أَيْضًا، وَجَعَلَ **كَنِيسَةَ** الْبَلَدِ **جَامِعًا**، وَأَقَامَ فِيهِ الْجُمُعَةَ، وَوَلَّى فِيهَا نَائِبًا وَقَاضِيًا، وَأَمَرَ بِعِمَارَةِ الْبَلَدِ.

وَبَعَـثَ صَاحِـبُ **أَنْطَرْطُوسَ** بِمَفَاتِيحِ بَلَـدِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ الصُّلْحَ عَلَـى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ مُغَـلِّ بِلَادِهِ لِلسُّـلْطَانِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ بِهَـا نَائِبًا، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِـكَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ صَاحِبُ **الْمَرْقَبِ**، فَصَالَحَهُ أَيْضًا عَلَى الْمُنَاصَفَةِ، وَوَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ.

وَبَلَغَ السُّـلْطَانَ وَهُوَ مُخَيِّـمٌ عَلَى حِصْنِ الْأَكْرَادِ أَنَّ صَاحِبَ **جَزِيـرَةِ قُبْرُسَ** قَدْ رَكِبَ بِجَيْشِـهِ إِلَى عَكَّا لِيَنْصُرَ أَهْلَهَا خَوْفًا مِنَ السُّلْطَانِ، فَأَرَادَ السُّلْطَانُ أَنْ يَغْتَنِمَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ، فَبَعَثَ جَيْشًـا كَثِيفًا فِي سَـبْعَةَ عَشَرَ **شِينِيًّا** (مركب بحري) لِيَأْخُذُوا جَزِيرَةَ قُبْرُسَ فِي غَيْبَةِ صَاحِبِهَـا عَنْهَا، فَسَـارَتِ الْمَرَاكِبُ مُسْـرِعَةً، فَلَمَّا قَارَبَتِ الْمَدِينَـةَ جَاءَتْهَا رِيحٌ قَاصِفٌ، فَصَدَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْكَسَـرَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَرْكَبًا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، فَغَرِقَ خَلْقٌ، وَأَسَرَ الْفِرِنْجُ مِنَ الصُّنَّاعِ وَالرِّجَالِ قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةِ إِنْسَانٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ نَحْوَ **طَرَابُلُسَ**، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا يَقُولُ: **مَا مُرَادُ السُّلْطَانِ فِي هَذِهِ**

الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: جِئْتُ لِأَرْعَى زُرُوعَكُمْ، وَأُخَرِّبَ بِلَادَكُمْ، ثُمَّ أَعُودَ إِلَى حِصَارِكُمْ فِي الْعَامِ الْآتِي.

فَأَرْسَلَ **يَسْتَعْطِفُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمُصَالَحَةَ**، وَوَضْعَ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ.

وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ** يَسْتَعْطِفُونَهُ عَلَى وَالِدِهِمْ، وَكَانَ مَسْجُونًا بِالْقَاهِرَةِ، فَقَالَ: سَلِّمُوا إِلَيَّ **الْعُلَّيْقَةَ**، وَانْزِلُوا فَخُذُوا إِقْطَاعَاتٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَتَسَلَّمُوا أَبَاكُمْ. فَلَمَّا نَزَلُوا أَمَرَ بِحَبْسِهِمْ بِالْقَاهِرَةِ، وَاسْتَنَابَ بِحِصْنِ الْعُلَّيْقَةِ.

ثم **سَارَ السلطان إلى عكاً** في سنة (٦٦٩هـ)، فَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ عَلَى **حِصْنِها**، فَسَأَلَهُ أَهْلُهَا الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُجْلِيَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ فَتَسَلَّم الحصن، وَكَانَ **الْحِصْنُ شَدِيدَ الضَّرَرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ**، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

ثم أَغَارَ في شَعْبَانَ سنة (٦٧٠هـ) **على أَرَاضِي عَكَّا**، فَسَأَلَهُ صَاحِبُهَا الْمُهَادَنَةَ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، **فَهَادَنَهُ عَشْرَ سِنِينَ**، وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ، وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَعَشْرَةَ سَاعَاتٍ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ، فَقُرِئَ **كِتَابُ الصُّلْحِ** بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ.

وفي سنة (٦٧٠هـ) بَلَغَ السلطان بيبرس أَنَّ **الْفِرِنْجَ** أَغَارُوا عَلَى بِلَادِ **قَاقُونَ**،[(١)] وَنَهَبُوا طَائِفَةً مِنَ التُّرْكُمَانِ، فَقَبَضَ عَلَى الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ هُنَاكَ، حَيْثُ لَمْ يَهْتَمُّوا بِحِفْظِ الْبِلَادِ.

وفي سنة (٦٧٠هـ) أيضاً عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى بِلَادِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ**، فَأَخَذَ عَامَّتَهَا.

○ صلاة الجمعة بالجامع الأزهر

فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٦٥هـ) صَلَّى السلطان بيبرس **بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرُ** الْجُمُعَةَ، وَلَمْ تَكُنْ تُقَامُ بِهِ الْجُمُعَةُ مِنْ زَمَنِ الْعُبَيْدِيِّينَ إِلَى هَذَا الْحِينِ، مَعَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وُضِعَ بِالْقَاهِرَةِ، بِنَاهُ **جَوْهَرُ الْقَائِدُ** وَأَقَامَ فِيهِ الْجُمُعَةَ، فَلَمَّا بَنَى الْحَاكِمُ جَامِعَهُ حَوَّلَ

(١) حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٢٩٩).

الْجُمُعَةَ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَتَرَكَ الْأَزْهَرَ لَا جُمُعَةَ فِيهِ، فَصَارَ فِي حُكْمِ بَقِيَّةِ الْمَسَاجِدِ، وَشَعِثَ حَالُهُ، وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِعِمَارَتِهِ وَبَيَاضِهِ وَإِقَامَةِ الْجُمُعَةِ.

○ تطهير الجامع الأموي من المقاصير والخزائن

فِي سنة (٦٦٥هـ) أَمَرَ الظَّاهِرُ بِإِخْرَاجِ الْخَزَائِنِ وَالْمَقَاصِيرِ الَّتِي كَانَتْ فِي جامع دمشق، فَكَانَتْ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ خِزَانَةٍ وَمَقْصُورَةٍ، وَوَجَدُوا فِيهَا قَوَارِيرَ الْبَوْلِ وَالْفُرُشِ وَالسَّجَاجِيدِ الْكَثِيرَةِ، وأمر أَنْ لَا يَبِيتَ فيه أَحَدٌ مِنَ الْمُجَاوِرِينَ، فَاسْتَرَاحَ النَّاسُ وَالْجَامِعُ مِنْ ذَلِكَ، وَاتَّسَعَ عَلَى الْمُصَلِّينَ.

○ حكاية غريبة

حَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ فِيمَا نَقَلَ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ قُطْبِ الدِّينِ الْيُونِينِيِّ [(١)] قَالَ: فِي سنة (٦٦٥هـ) بَلَغَنَا أَنَّ **رَجُلًا** بِدَيْرِ أَبِي سَلَامَةَ مِنْ نَاحِيَةِ بُصْرَى كَانَ فِيهِ **مُجُونٌ وَاسْتِهْتَارٌ**، فَذُكِرَ عِنْدَهُ **السِّوَاكُ** وَمَا فِيهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ، فَقَالَ: **وَاللهِ لَا أَسْتَاكُ إِلَّا فِي الْمَخْرَجِ**. [(٢)] يَعْنِي دُبُرَهُ، فَأَخَذَ سِوَاكًا فَوَضَعَهُ فِي مَخْرَجِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ، فَمَكَثَ بَعْدَهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، فَوَضَعَ وَلَدًا عَلَى صِفَةِ **الْجُرْذَانِ**، لَهُ أَرْبَعَةُ قَوَائِمَ وَرَأْسُهُ كَرَأْسِ السَّمَكَةِ، وَلَهُ دُبُرٌ كَدُبُرِ الْأَرْنَبِ.

وَعَاشَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَعْدَ وَضْعِهِ لَهُ يَوْمَيْنِ، وَمَاتَ فِي اليوم الثَّالِثِ، وَكَانَ يَقُولُ: هَذَا الْحَيَوَانُ قَتَلَنِي، وَقَطَّعَ أَمْعَائِي. وَقَدْ شَاهَدَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَخُطَبَاءُ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى ذَلِكَ الْحَيَوَانَ حَيًّا قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَآهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

○ عزم السلطان على مصادرة قرى المسلمين التي حررت من التتار

كَانَ السلطان بيبرس قَدْ عَزَمَ في سنة (٦٦٦هـ) عَلَى أَخْذِ أَرَاضٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرَى وَالْبَسَاتِينِ الَّتِي بِأَيْدِي مُلَّاكِهَا بِزَعْمِ أَنَّهُ قَدْ كَانَتِ التَّتَارُ اسْتَحْوَذُوا عَلَيْهَا ثُمَّ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُمْ.

---

(١) عقد الجمان ٢/ ١٠.

(٢) هذه الحكاية إن صحت فهي عقوبة من الله ´ لمن استهزأ بسنة النبي ﷺ، والله على كل شيء قدير.

وَقَدْ أَفْتَاهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنَ **الْحَنَفِيَّةِ** بِذَلِكَ، تَفْرِيعًا عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا أَخَذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ مَلَكُوهَا، فَإِذَا اسْتُرْجِعَتْ لَمْ تُرَدَّ إِلَى أَصْحَابِهَا؛ وهذه المسألة مشهورة، **وللناس فيها قولان**: أصحهما قول الجمهور، أنه يجب ردها إلى أصحابها **لِحَدِيثِ الْعَضْبَاءِ** نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اسْتَرْجَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ أَخَذَهَا الْمُشْرِكُونَ، اسْتَدَلُّوا بِهَذَا وَأَمْثَالِهِ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَقَالَ **بَعْضُ الْعُلَمَاءِ**: إِذَا أَخَذَ الْكُفَّارُ أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا وَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ، اسْتَقَرَّتْ عَلَى أَمْلَاكِهِمْ. وَاسْتُدِلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﷺ: «وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ» وَقَدْ كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ من أقاربه الذين هَاجَرُوا، وَأَسْلَمَ عَقِيلٌ وَهِيَ فِي يَدِهِ، فَلَمْ تُنْتَزَعْ مِنْ يَدِهِ.

وَأَمَّا إِذَا انْتُزِعَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ قَبْلُ، فَإِنَّهَا تُرَدُّ إِلَى أَرْبَابِهَا لِحَدِيثِ الْعَضْبَاءِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الظَّاهِرَ عَقَدَ مَجْلِسًا اجْتَمَعَ فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ، **وَصَمَّمَ السُّلْطَانُ** عَلَى ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ الْفَتَاوَى، وَخَافَ النَّاسُ مِنْ غَائِلَةِ ذَلِكَ، فَتَوَسَّطَ الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ الْوَزِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْحِنَّا، وَكَانَ قَدْ دَرَّسَ بِالشَّافِعِيِّ بَعْدَ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ، فَقَالَ: يَا خُونْدُ، أَهْلُ الْبَلَدِ يُصَالِحُونَكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ تُقَسَّطُ؛ كُلَّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَأَبَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُعَجَّلَةً بَعْدَ أَيَّامٍ، وَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثم أَجَابَ إِلَى تَقْسِيطِهَا بعد، وَجَاءَتِ الْبِشَارَةُ بِذَلِكَ، وَقُرِئَتْ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَرَسَمَ أَنْ يُعَجِّلُوا مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْ تُعَادَ إِلَيْهِمُ الْغَلَّاتُ الَّتِي كَانُوا قَدِ احْتَاطُوا عَلَيْهَا فِي زَمَنِ الْقَسْمِ وَالثِّمَارِ، وَكَانَتْ هَذِهِ **الْفَعْلَةُ** مِمَّا **شَعَّثَتْ خَوَاطِرَ النَّاسِ** عَلَى السُّلْطَانِ.

○ أطماع أبغا التتري في بلاد المسلمين

لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ ملك التتار أَبْغَا عَلَى التَّتَارِ سنة (٦٦٦هـ) أَمَرَ بِاسْتِمْرَارِ وَزِيرِهِ **نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ**، وَاسْتَنَابَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ **الْبَرْوَانَاهْ**، وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ عِنْدَهُ جِدًّا، وَاسْتَقَلَّ

بِتَدْبِيرِ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ فِيهَا.

وعَمِلَ **الْبَرْوَانَاهْ** عَلَى قَتْلِ الْمَلِكِ عَلَاءِ الدِّينِ **صَاحِبِ قُونِيَةَ**، وَأَقَامَ وَلَدَهُ غِيَاثَ الدِّينِ مَكَانَهُ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَتَمَكَّنَ الْبَرْوَانَاهْ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَأَطَاعَهُ جَيْشُ سلاجقة الرُّومِ.

وفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٦٧هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ بيبرس فِي عَسَاكِرِهِ قَاصِدًا الشَّامَ فَلَمَّا دَخَلَ دِمَشْقَ جَاءَتْهُ رُسُلٌ مِنْ **أَبْغَا** مَلِكِ التَّتَارِ، مَعَهُمْ مُكَاتَبَاتٌ وَمُشَافَهَاتٌ، فَمِنْ جُمْلَةِ الْمُشَافَهَاتِ: **أَنْتَ مَمْلُوكٌ، فَكَيْفَ يَصْلُحُ لَكَ أَنْ تُخَالِفَ مُلُوكَ الْأَرْضِ؟!** وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَوْ صَعِدْتَ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ هَبَطْتَ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَخَلَّصْتَ مِنِّي، فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ عَلَى مُصَالَحَةِ السُّلْطَانِ أَبْغَا. فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ، وَلَا عَدَّهُ شَيْئًا، بَلْ أَجَابَ عَنْهُ أَتَمَّ جَوَابٍ، وَقَالَ لِرُسُلِهِ: أَعْلِمُوهُ أَنِّي مِنْ وَرَائِهِ بِالْمُطَالَبَةِ، وَلَا أَزَالُ حَتَّى أَنْتَزِعَ مِنْهُ جَمِيعَ الْبِلَادِ الَّتِي اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْخَلِيفَةِ، وَسَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ.

وَفِي سنة (٦٦٧هـ) أَوْقَعَ اللهُ تَعَالَى الْخُلْفَ بَيْنَ التَّتَارِ مِنْ أَصْحَابِ أَبْغَا وَأَصْحَابِ ابْنِ مَنْكُوتَمُرَ ابْنِ عَمِّهِ، وَتَفَرَّقُوا وَاشْتَغَلُوا بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ خضوع صاحب اليمن للسلطان بيبرس

فِي سنة (٦٦٦هـ) كَتَبَ صَاحِبُ الْيَمَنِ إِلَى الظَّاهِرِ بيبرس بِالْخُضُوعِ وَالِانْتِمَاءِ إِلَى جَانِبِهِ، وَأَنَّهُ يَخْطُبُ لَهُ بِبِلَادِ الْيَمَنِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ هَدَايَا وَتُحَفًا كَثِيرَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ هَدَايَا وَخِلَعًا وَسَنْجَقًا وَتَقْلِيدًا.

○ قتل الزنديق ابن الخشكري الشاعر

فِي سنة (٦٦٦هـ) قَتَلَ **الصَّاحِبُ عَلَاءُ الدِّينِ** صَاحِبُ الدِّيوَانِ بِبَغْدَادَ **ابْنَ الْخُشْكَرِيِّ** النُّعْمَانِيَّ الشَّاعِرَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ **اشْتَهَرَ عَنْهُ أَشْيَاءُ عَظِيمَةٌ**، مِنْهَا: أَنَّهُ يَعْتَقِدُ **فَضْلَ شِعْرِهِ عَلَى الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**، وَاتَّفَقَ أَنَّ الصَّاحِبَ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطٍ فَلَمَّا كَانَ بِالنُّعْمَانِيَّةِ حَضَرَ ابْنُ

الْخُشْكَرِيِّ عِنْدَهُ، وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً قَدْ قَالَهَا فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُنْشِدُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، فَاسْتَنْصَتَهُ الصَّاحِبُ، **فَقَالَ ابْنُ الْخُشْكَرِيِّ**: يَا مَوْلَانَا، اسْمَعْ شَيْئًا جَدِيدًا، وَأَعْرِضْ عَنْ شَيْءٍ لَهُ سُنُونَ. فَثَبَتَ عِنْدَ الصَّاحِبِ مَا كَانَ يُقَالُ عَنْهُ، ثُمَّ بَاسَطَهُ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ لَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا قَالَ حَتَّى اسْتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ، فَإِذَا هُوَ **زِنْدِيقٌ**، فَلَمَّا رَكِبَ قَالَ لِإِنْسَانٍ مَعَهُ: اسْتَفْرِدْهُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ وَاقْتُلْهُ. فَسَايَرَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ قَالَ لِجَمَاعَةٍ مَعَهُ: أَنْزِلُوهُ عَنْ فَرَسِهِ. كَالْمُدَاعِبِ لَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَهُوَ يَشْتُمُهُمْ وَيَلْعَنُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: انْزِعُوا عَنْهُ ثِيَابَهُ. فَسَلَبُوهَا، وَهُوَ يُخَاصِمُهُمْ وَيَقُولُ: إِنَّكُمْ أَجْلَافٌ، وَإِنَّ هَذَا لَعِبٌ بَارِدٌ. ثُمَّ قَالَ: اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ، فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ، فَأَبَانَ رَأْسَهُ.

○ تجديد البيعة لولي عهد السلطنة

فِي صَفَرٍ مِن سنة (٦٦٧هـ) جَدَّدَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ الْبَيْعَةَ لِوَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ مُحَمَّدٍ بَرَكَةَ خَانَ، وَأَحْضَرَ الْأُمَرَاءَ كُلَّهُمْ وَالْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانَ، وَأَرْكَبَهُ وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَتَبَ لَهُ ابْنُ لُقْمَانَ تَقْلِيدًا هَائِلًا بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ، وَأَنْ يَحْكُمَ عَنْهُ أَيْضًا فِي حَالِ حَيَاتِهِ.

○ كارثة السيل بدمشق

فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٦٦٩هـ) جَاءَ **سَيْلٌ** عَظِيمٌ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَغَرِقَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، لَا سِيَّمَا الْحُجَّاجُ مِنَ الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا نُزُولًا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، أَخَذَهُمُ السَّيْلُ وَجِمَالَهُمْ وَأَحْمَالَهُمْ، فَهَلَكُوا وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى الْبَلَدِ مِنْ مَرَامِي السُّورِ، وَمِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ، فَغَرَّقَ خَانَ ابْنِ الْمُقَدَّمِ وَأَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ أَيَّامَ الْمِشْمِشِ.

○ صناعة مراكب جديدة في البحر

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٧٠هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبَحْرِ لِإِلْقَاءِ الشَّوَانِي الَّتِي عُمِلَتْ، عِوَضًا عَمَّا غَرِقَ بِجَزِيرَةِ قُبْرُسَ، فَرَكِبَ فِي شِينِيٍّ مِنْهَا، وَمَعَهُ الْأَمِيرُ

بَدْرُ الدِّينِ **الْخَزَنْدَارُ**، فَمَالَتْ بِهِمْ فَسَقَطَ الْخَزَنْدَارُ فِي الْبَحْرِ، فَأَلْقَى إِنْسَانٌ نَفْسَهُ وَرَاءَهُ، فَأَخَذَ بِشَعْرِهِ وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْغَرَقِ، فَخَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

○ حماية السلطان بلاده من خطر التتار

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٧٠هـ) انجفل الناس مِنْ **حَلَبَ، وَحَمَاةَ، وَحِمْصَ**، إِلَى دِمَشْقَ بِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ التَّتَارِ.

فطلب السلطان بيبرس الْعَسَاكِرَ الْمِصْرِيَّةَ إِلَى دِمَشْقَ، فَسَارَ بِهِمْ، فَاجْتَازَ بِحَمَاةَ، وَاسْتَصْحَبَ مَلِكَهَا الْمَنْصُورَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى حَلَبَ فَخَيَّمَ بِهَا، فَلَمَّا سَمِعَ التَّتَارُ بِوُصُولِ السُّلْطَانِ، رَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ.

○ قتل خضر الكردي

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٦٧١هـ) اسْتَدْعَى السُّلْطَانُ بيبرس شَيْخَهُ خَضِرًا الْكُرْدِيَّ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَحُوقِقَ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ رُمِيَ بِهَا، وَعَلَى مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةٍ ارْتَكَبَهَا، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ بِاعْتِقَالِهِ، وَحَبْسِهِ، ثُمَّ بِاغْتِيَالِهِ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

○ القضاء على معاقل الإسماعيلية وحصونها

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٧١هـ) سَلَّمَتِ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ** مَا كَانَ بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحُصُونِ، وَهِيَ **الْكَهْفُ، وَالْقَدْمُوسُ، وَالْمَيْنَقَةُ**، وَعُوِّضُوا عَنْ ذَلِكَ بِإِقْطَاعَاتٍ، وَلَمْ يَبْقَ بِالشَّامِ شَيْءٌ لَهُمْ مِنَ الْقِلَاعِ، وَاسْتَنَابَ السُّلْطَانُ فِيهَا.

وَفِي سنة (٦٧١هـ) أَمَرَ السُّلْطَانُ بِعِمَارَةِ جُسُورٍ فِي السَّوَاحِلِ، وَغَرِمَ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ بِذَلِكَ رِفْقٌ كَبِيرٌ.

○ قتل مدعي عيسى ابن مريم في تُسْتَرَ

فِي سنة (٦٧٢هـ) فَوَّضَ **مَلِكُ التَّتَارِ** إِلَى **عَلَاءِ الدِّينِ صَاحِبِ الدِّيوَانِ** بِبَغْدَادَ النَّظَرَ فِي أَمْرِ **تُسْتَرَ وَأَعْمَالِهَا**، فَسَارَ إِلَيْهَا لِيَتَصَفَّحَ أَحْوَالَهَا، فَوَجَدَ بِهَا شَابًّا مِنْ أَوْلَادِ التُّجَّارِ

يُقَالُ لَهُ: لِي. قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَشَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ وَ «الْإِشَارَاتِ» لِابْنِ سِينَا، وَنَظَرَ فِي النُّجُوم، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ **عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**، وَصَدَّقَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ جَهَلَةِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَقَدْ أَسْقَطَ لَهُمْ مِنَ الْفَرَائِضِ صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَعِشَاءَ الْآخِرَةِ، فَاسْتَحْضَرَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَرَآهُ ذَكِيًّا، إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ، فَأَمَرَ بِهِ، فَقُتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَأَمَرَ الْعَوَامَّ فَنَهَبُوا أَتْبَاعَهُ.

○ اكتشاف خيانة بعض الأمراء

فِي سنة (٦٧٣هـ) اطَّلَعَ **السُّلْطَانُ بيبرس** عَلَى خيانة ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ، وَقَدْ كَانُوا كَاتَبُوا التَّتَرَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ مَعَهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ، فَأُخِذُوا فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ، وَجَاءَتْ كُتُبُهُمْ مَعَ الْبَرِيدِيَّةِ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ.

○ غزو بلاد الأرمن

فِي سنة (٦٧٣هـ) أَقْبَلَ السُّلْطَانُ بيبرس بِالْعَسَاكِرِ، فَدَخَلَ بِلَادَ **سِيسَ** مِنْ نَاحِيَةِ **الدَّرْبَنْدَاتِ**، فَمَلَكَهَا وَمَلَكَ **إِيَاسَ**، **وَالْمِصِّيصَةَ**، **وَأَذَنَةَ**، وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى سِيسَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْحَادِيَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ وَالْأَثْقَالِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، فَأُبِيعَ بِأَرْخَصِ ثَمَنٍ، ثُمَّ عَادَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

○ التحالف ضد السلطان بيبرس

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ثَامِنَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٧٤هـ) نَزَلَ **التَّتَارُ** عَلَى **الْبِيرَةِ**[(١)] فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ **الْمَغُولِ**، وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ **سلاجقة الرُّومِ**، وَالْمُقَدَّمُ عَلَى الْجَمِيعِ **الْبَرْوَانَاهْ**، بِأَمْرِ **أَبْغَا** مَلِكِ التَّتَرِ، وَمَعَهُمْ جَيْشُ الْمَوْصِلِ وَجَيْشُ مَارِدِينَ وَالْأَكْرَادُ، وَنَصَبُوا عَلَيْهَا ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ مَنْجَنِيقًا، فَخَرَجَ أَهْلُ الْبِيرَةِ فِي

(١) البيرة: في عدة مواضع، منها: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة، ولها رستاق واسع. معجم البلدان - الفكر (١/ ٥٢٦)

اللَّيْلِ، فَكَبَسُوا عَسْكَرَ التَّتَارِ، وَأَحْرَقُوا الْمَنْجَنِيقَاتِ، وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَرَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ سَالِمِينَ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا الْجَيْشُ مُدَّةً إِلَى تَاسِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ، ثُمَّ رَجَعُوا عَنْهَا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

وَلَمَّا بَلَغَ السُّلْطَانَ نُزُولُ التَّتَرِ عَلَى الْبِيرَةِ أَنْفَقَ فِي الْجَيْشِ سِتَّمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ رَكِبَ سَرِيعًا وَفِي صُحْبَتِهِ وَلَدُهُ السَّعِيدُ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بَلَغَهُ رَحِيلُ التَّتَرِ عَنْ البيرة، فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ.

○ نقض الحلف مع أبغا ملك التتر

لَمَّا عَادَ **الْبَرْوَانَاهْ** إِلَى بِلَادِ الرُّومِ سنة (٦٧٤هـ) بعد انصرافهم عن البيرة، جمع الْأُمَرَاءَ الْكِبَارَ وحلَّفَهم، عَلَى أَنْ يَكُونُوا مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَيُنَابِذُوا **أَبْغَا**، فَحَلَفُوا لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى الظَّاهِرِ بِذَلِكَ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ جَيْشًا، وَيَحْمِلَ لَهُ مَا كَانَ يَحْمِلُهُ إِلَى التَّتَارِ، وَيَكُونَ غِيَاثُ الدِّينِ **كَيْخُسْرُو** عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يَجْلِسُ عَلَى تَخْتِ مَمْلَكَةِ الرُّومِ.

○ إقامة حد الرجم

فِي سنة (٦٧٤هـ) فِي رَمَضَانَ مِنْهَا وُجِدَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ عَلَى فَاحِشَةِ الزِّنَا، فَأَمَرَ عَلَاءُ الدِّينِ صَاحِبُ الدِّيوَانِ بِرَجْمِهِمَا فَرُجِمَا، وَلَمْ يُرْجَمْ بِبَغْدَادَ قَبْلَهُمَا قَطُّ أَحَدٌ مُنْذُ بُنِيَتْ، وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا.

○ كسر جيش دنقلة

فِي شَعْبَانَ سنة (٦٧٤هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ بيبرس جَيْشًا إِلَى **دُنْقُلَةَ**، فَكَسَرَ **جَيْشَ السُّودَانِ**، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ السُّودَانِ، بِحَيْثُ بِيعَ الرَّقِيقُ الرَّأْسُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَهَرَبَ مَلِكُهُمْ **دَاوُدُ** إِلَى صَاحِبِ النُّوبَةِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ مُحْتَاطًا عَلَيْهِ، وَقَرَّرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَلَى أَهْلِ **دُنْقُلَةَ جِزْيَةً** تُحْمَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

○ الفتك بالقيمرية لخيانتهم

رَكِبَ السُّلْطَانُ بيبرس إِلَى حِصْنِ **الْكَرَكِ** سنة (٦٧٤هـ)، فَجَمَعَ **الْقَيْمُرِيَّةَ** الَّذِينَ بِهِ، فَإِذَا هُمْ سِتُّمِائَةِ نَفَرٍ، فَأَمَرَ **بِشَنْقِهِمْ**، فَشُفِعَ فِيهِمْ عِنْدَهُ، فَأَطْلَقَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ مِنْهُ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ قَدْ **بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَ مِنْ فِيهِ**، وَيُقِيمُوا مَلِكًا عَلَيْهِمْ، وَسَلَّمَ الْحِصْنَ إِلَى الطَّوَاشِيِّ شَمْسِ الدِّينِ رِضْوَانَ السُّهَيْلِيِّ.

○ غزو بلاد الروم

فِي ثَالِثَ عَشَرَ الْمُحَرَّم سنة (٦٧٥هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ وهو يريد غزو الروم، ثم سَبَقَ الْعَسَاكِرَ إِلَى بِلَادِ حَلَبَ، فَلَمَّا تَوَافَتْ إِلَيْهِ أَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرَ بَدْرَ الدِّينِ الْأَتَابِكِيَّ بِأَلْفِ فَارِسٍ إِلَى أَبُلُسْتَيْنِ، [1] فَصَادَفَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ عَسْكَرِ الرُّومِ، فَرَكِبُوا إِلَيْهِ، وَطَلَبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا بِلَادَ الْإِسْلَامِ، فَأَذِنَ لَهُمْ السلطان بيبرس على أن يكونوا بالقاهرة، فَدَخَلَ طَائِفَةٌ؛ مِنْهُمْ بَيْجَارُ وَابْنُ الْخَطِيرِ، فَتَلَقَّاهُمُ **الْمَلِكُ السَّعِيدُ**، ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ مِنْ حَلَبَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَدَخَلَهَا فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ.

○ وقعة أبلستين وفتح قيسارية

في سنة (٦٧٥هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ مِنْ مِصْرَ فِي الْعَسَاكِرِ، فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي سَابِعَ عَشَرَ **شَوَّالٍ**، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى دَخَلَ حَلَبَ فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَقَامَ بِهَا يَوْمًا، وَرَسَمَ لِنَائِبِ حَلَبَ أَنْ يُقِيمَ بِعَسْكَرِ حَلَبَ عَلَى الْفُرَاتِ لِحِفْظِ الْمَعَابِرِ، وَسَارَ السُّلْطَانُ فَقَطَعَ الدَّرْبَنْدَ فِي نِصْفِ يَوْمٍ، ولقي سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَغُولِ، فَهَزَمَهُم، وَصَعِدَ الْعَسْكَرُ عَلَى الْجِبَالِ، فَأَشْرَفُوا عَلَى وَطْأَةِ **الْبُلُسْتَيْنِ** [2]، فَرَأَوْا **التَّتَارَ** قَدْ رَتَّبُوا عَسْكَرَهُمْ، وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَعَزَلُوا عَنْهُمْ عَسْكَرَ

---

(١) مدينة في بلاد الروم. معجم البلدان ١/ ٩٣.

(٢) أبلستين بالفتح ثم الضم ولام مضمومة أيضا والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وياء ساكنة ونون هي مدينة مشهورة ببلاد الروم وهي الآن بيد المسلمين وسلطانها ولد قلج أرسلان السلجوقي. معجم البلدان - الفكر (١/ ٧٥).

الرُّوم خَوْفًا مِنْ مُخَامَرَتِهِمْ، فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ حَمَلَتْ مَيْسَرَةُ التَّتَارِ، فَصَدَمَتْ سَنَاجِقَ السُّلْطَانِ، وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ فَشَقُّوهَا، وَسَاقَتْ إِلَى الْمَيْمَنَةِ، فَلَمَّا رَأَى السُّلْطَانُ ذَلِكَ أَرْدَفَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ لَاحَتْ مِنْهُ الْتِفَاتَةٌ، فَرَأَى الْمَيْسَرَةَ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَتَحَطَّمَ، فَأَمَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ بِإِرْدَافِهَا، ثُمَّ حَمَلَ الْعَسْكَرُ جَمِيعُهُ حَمْلَةً وَاحِدَةً عَلَى التَّتَارِ، فَتَرَجَّلُوا إِلَى الْأَرْضِ عَنْ آخِرِهِمْ، وَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ صَبْرًا عَظِيمًا، فَأَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، **فَأَحَاطَتْ الْعَسَاكِرُ بِالتَّتَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ** خَلْقًا كَثِيرًا، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا جَمَاعَةٌ فيهم عدد من الأمراء، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَغُولِ، وَمِنْ أُمَرَاءِ الرُّومِ، **وَهَرَبَ الْبَرْوَانَاهْ**، فَنَجَا بِنَفْسِهِ.

ثم دَخَلَ السلطان بيبرس قَيْسَارِيَّةَ[(١)] فِي يوم الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٧٥هـ).

وَصَلَّى بِهَا الْجُمُعَةَ سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ، وَخُطِبَ لَهُ بِهَا، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ هَذِهِ الْوَقْعَةِ **أَبْغَا** جَاءَ حَتَّى وَقَفَ بِنَفْسِهِ وَجَيْشِهِ، وَشَاهَدَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ وَمَنْ فِيهَا مِنْ قَتْلَى الْمَغُولِ، فَغَاظَهُ ذَلِكَ وَأَعْظَمَهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى أَهْلِ قَيْسَارِيَّة، فَقَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قُتِلَ الْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ حَبِيبٌ.

وأَمَرَ أَبْغَا بِقَتْلِ **الْبَرْوَانَاهْ** واسْمُهُ مُعِينُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنٍ، وَكَانَ نَائِبَهُ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُمَالَأَتِهِ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَسَّنَ لَهُ دُخُولَ بِلَادِ الرُّومِ، وَكَانَ **الْبَرْوَانَاهْ** شُجَاعًا حَازِمًا كَرِيمًا جَوَادًا، وَلَهُ مَيْلٌ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَكَانَ قَدْ جَاوَزَ الْخَمْسِينَ لَمَّا قُتِلَ سنة (٦٧٦هـ).

○ زواج ابن السلطان بيبرس

فِي خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٧٥هـ) عَمِلَ السُّلْطَانُ عُرْسَ **وَلَدِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ** عَلَى **بِنْتِ قَلَاوُونَ**، وَاحْتَفَلَ السُّلْطَانُ بِهِ احْتِفَالًا عَظِيمًا، وَرَكِبَ الْجَيْشُ فِي الْمَيْدَانِ

---

(١) قيسارية: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسي ملك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان. معجم البلدان – الفكر (٤/ ٤٢١).

خَمْسَةَ أَيَّامٍ، يَلْعَبُونَ وَيَتَطَارَدُونَ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا خُلِعَ أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةِ خِلْعَةٍ بِمِصْرَ، وَجَاءَتْ مَرَاسِيمُهُ إِلَى الشَّامِ بِالْخِلَعِ عَلَى أَهْلِهَا، وَمَدَّ السُّلْطَانُ سِمَاطًا عَظِيمًا حَضَرَهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، وَالشَّارِدُ وَالْوَارِدُ، وَجَلَسَ فِيهِ رُسُلُ التَّتَارِ وَرُسُلُ الْفِرَنْجِ، وَعَلَيْهِمْ كُلِّهِمُ الْخِلَعُ الْهَائِلَةُ، وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا، وَحَمَلَ صَاحِبُ حَمَاةَ هَدَايَا عَظِيمَةً، وَرَكِبَ إِلَى مِصْرَ لِلتَّهْنِئَةِ.

❍ من إصلاحات الظاهر بيبرس

⊙ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٦٠هـ) خَرَجَ مَرْسُومُ السُّلْطَانِ إِلَى الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ أَنْ يَسْتَنِيبَ **مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الثَّلَاثَةِ نَائِبًا**، فَاسْتَنَابَ صَدْرَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ الْحَنَفِيَّ، وَالشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الشَّيْخِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيَّ، وَشَرَفَ الدِّينِ عُمَرَ السُّبْكِيَّ الْمَالِكِيَّ.

⊙ وفِي رَمَضَانَ فِي سنة (٦٦١هـ) جَهَّزَ الظَّاهِرُ صُنَّاعًا وَأَخْشَابًا وَآلَاتٍ كَثِيرَةً لِعِمَارَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ حَرِيقِهِ، **فَطِيفَ** بِتِلْكَ الْأَخْشَابِ وَالْآلَاتِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَرْحَةً بِهَا وَتَعْظِيمًا لَهَا، ثُمَّ سَارُوا بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

⊙ وَفِي سنة (٦٦٣هـ) بَعَثَ الظَّاهِرُ بِأَخْشَابٍ وَرَصَاصٍ وَآلَاتٍ كَثِيرَةٍ لِعِمَارَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَرْسَلَ مِنْبَرًا فَنُصِبَ هُنَالِكَ.

⊙ وفِي أَوَّلِ سنة (٦٦٢هـ) كَمَلَتِ **الْمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ** الَّتِي بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، وَرُتِّبَ لِتَدْرِيسِ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ رَزِينٍ، وَلِتَدْرِيسِ الْحَنَفِيَّةِ مَجْدُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ الْعَدِيمِ، وَلِمَشْيَخَةِ الْحَدِيثِ بِهَا الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ الْحَافِظُ الدِّمْيَاطِيُّ.

⊙ وَفِيهَا عَمَّرَ الظَّاهِرُ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ خَانًا، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَوْقَافًا لِلنَّازِلِينَ بِهِ مِنْ إِصْلَاحِ نِعَالِهِمْ وَأَكْلِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَبَنَى بِهِ طَاحُونًا وَفُرْنًا.

⊙ وفِي سنة (٦٦٤هـ) اسْتُجِدَّ بِدِمَشْق **أَرْبَعَةُ قُضَاةٍ**، كَمَا فُعِلَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي فِي دِيَارِ مِصْرَ، ووَرَدَتِ الْوِلَايَاتُ لِقَضَاءِ الْقُضَاةِ مِنَ الْمَذَاهِبِ؛ فَصَارَ كُلُّ مَذْهَبٍ فِيهِ قَاضِي قُضَاةٍ.

١-فِي مَنْصِبِ الشَّافِعِيَّةِ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِّكَانَ الْبَرْمَكِيُّ.

٢- وعَلَى قَضَاءِ الْحَنَفِيَّةِ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَطَا.

٣- وعَلَى قَضَاءِ الْحَنَابِلَةِ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قُدَامَةَ، ولَمْ يَأْخُذْ عَلَى أَحْكَامِهِ أَجْرًا، وَقَالَ: نَحْنُ فِي كِفَايَةٍ. فَأُعْفِي مِنْ ذَلِكَ.

٤- وعَلَى قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ الزَّوَاوِيِّ، وَقَدِ امْتَنَعَ مِنَ الْوِلَايَةِ، فَأُلْزِمَ بِهَا حَتَّى قَبِلَ، ثُمَّ عَزَلَ نَفْسَهُ، ثُمَّ أُلْزِمَ بِهَا، فَقَبِلَ بِشَرْطِ: أَنْ لَا يُبَاشِرَ أَوْقَافًا، وَلَا يَأْخُذَ **جَامَكِيَّةً** عَلَى أَحْكَامِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٦٧هـ) رَسَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِإِرَاقَةِ الْخُمُورِ وَتَبْطِيلِ الْمُفْسِدَاتِ وَالْخَوَاطِئِ بِالْبِلَادِ كُلِّهَا، فَنُهِبَتِ الْخَوَاطِئُ وَسُلِبْنَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُنَّ وَحُبِسْنَ حَتَّى يَتَزَوَّجْنَ، وَكُتِبَ إِلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ بِذَلِكَ.

وَأُسْقِطَتِ الْمُكُوسُ الَّتِي كَانَتْ مُرَتَّبَةً عَلَى ذَلِكَ، وَعَوَّضَ مَنْ كَانَ مُحَالًا عَلَى ذَلِكَ بِغَيْرِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

⊙ وفي سنة (٦٦٨هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ بيبرس مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **الدَّرَابِزِينَاتِ** إِلَى الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَمَرَ أَنْ تُقَامَ حَوْلَ الْقَبْرِ صِيَانَةً لَهُ، وَعَمِلَ لَهَا أَبْوَابًا تُفْتَحُ وَتُغْلَقُ، فَرَكَّبَ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

⊙ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ (٦٦٩هـ) أَمَرَ بِإِرَاقَةِ الْخُمُورِ مِنْ سَائِرِ بِلَادِهِ، وَتَهَدَّدَ مَنْ يَعْصِرُهَا أَوْ يَعْتَصِرُهَا بِالْقَتْلِ، وَأَسْقَطَ ضَمَانَ ذَلِكَ، وَسَارَتِ الْبُرُدُ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ.

❍ وفاة السلطان بيبرس ونبذة من سيرته

❍ سبب وفاته:

ذُكر أن السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ بيبرس **وضع سُماً** لأمير الكرك **الْمَلِك القاهر** عَبْدَ الْمَلِكِ ابْن عِيسَى بْنِ الْعَادِلِ الأيوبي فِي كَأْسٍ، ثُمَّ نَاوَلَهُ إِيَّاهُ، فَشَرِبَهُ وهو لا يشعر، فقَامَ السُّلْطَانُ بيبرس إِلَى الْمُرْتَفَقِ، ثُمَّ عادَ، وَأَخذَ السَّاقِي الْكَأْسَ مِنْ يَدِ الْقَاهِرِ، فَمَلأَهُ وَنَاوَلَهُ السُّلْطَانَ بيبرس، وَالسَّاقِي لَا يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى، وَأَنْسَى اللهُ بيبرس ذَلِكَ الْكَأْسَ، أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُهُ لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ اللهُ وَيَقْضِيهِ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ فِي الْكَأْسِ بَقِيَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ، فَشَرِبَ بيبرس من الْكَأْسِ، وَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى شَرِبَهُ، فَاشْتَكَى بَطْنَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَوَجَدَ الْوَهَجَ وَالْحَرَّ وَالْكَرْبَ الشَّدِيدَ مِنْ فَوْرِهِ، وَمرض بيبرس مِنْ ذَلِكَ أَيَّامًا حَتَّى كَانَتْ **وَفَاتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعْدَ الظُّهْرِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ** سنة (٦٧٦هـ)، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا عَظِيمًا عَلَى الْأُمَرَاءِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بدمشق **عِزُّ الدِّينِ أَيْدَمُرُ**، وَكِبَارُ الْأُمَرَاءِ وَالدَّوْلَةُ، فَصَلَّوْا عَلَيْهِ سِرًّا، وَجَعَلُوهُ فِي تَابُوتٍ، وَرَفَعُوهُ إِلَى الْقَلْعَةِ.

وَكُتِمَ مَوْت السلطان بيبرس فَلَمْ يَعْلَمْ جُمْهُورُ النَّاسِ بِهِ، حَتَّى جَاءَتِ الْبَيْعَةُ لِوَلَدِهِ السَّعِيدِ مِنْ مِصْرَ، وحَزِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ.

وَأَمَّا **الْقَاهِرُ** فَإِنَّهُ حُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهُوَ مَغْلُوبٌ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ خَامِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٧٦هـ).

❍ أولاده

قَدْ تَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ عَشَرَةً، ثَلَاثَةَ ذُكُورٍ وَسَبْعَةَ إِنَاثٍ، وَمَاتَ وَعُمْرُهُ مَا بَيْنَ الْخَمْسِينَ إِلَى السِّتِّينِ، وَلَهُ أَوْقَافٌ وَصِلَاتٌ وَصَدَقَاتٌ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ الْحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزَ لَهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

○ **صفاته ومناقبه:**

كَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بيبرس **شَهْمًا شُجَاعًا، عَالِيَ الْهِمَّةِ**، بَعِيدَ الْغَوْرِ، مِقْدَامًا جَسُورًا، مُعْتَنِيًا بِأَمْرِ السَّلْطَنَةِ، يُشْفِقُ عَلَى الْإِسْلَامِ، مُتَحَلِّيًا بِالْمُلْكِ، لَهُ قَصْدٌ صَالِحٌ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِقَامَةِ شِعَارِ الْمُلْكِ (١).

وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ **سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ** سَنَةَ (٦٥٨هـ) إِلَى **السابع والعشرين من الْمُحَرَّمِ** سنة (٦٧٦هـ)، فَفَتَحَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ **فُتُوحَاتٍ كَثِيرَةً**: قَيْسَارِيَّةَ، وَأَرْسُوفَ، وَيَافَا، وَالشَّقِيفَ، وَأَنْطَاكِيَةَ، وَبَغْرَاسَ، وَطَبَرِيَّةَ، وَالْقُصَيْرَ، وَحِصْنَ الْأَكْرَادِ، وَحِصْنَ عَكَّارٍ وَالْقُرَيْنَ، وَصَافِيتَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي الْفِرِنْجِ، وَلَمْ يَدَعْ مَعَ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ** شَيْئًا مِنَ الْحُصُونِ، وَنَاصَفَ **الْفِرِنْجَ** عَلَى الْمَرْقَبِ، وَبَانِيَاسَ وَبِلَادِ أَنْطَرْطُوسَ، وَسَائِرِ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ وَالْحُصُونِ، وَوَلَّى فِي نَصِيبِهِ مِمَّا نَاصَفَهُمْ عَلَيْهِ النُّوَّابَ، وَالْعُمَّالَ، وَفَتَحَ قَيْسَارِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، وَأَوْقَعَ بِالرُّومِ وَالْمَغُولِ عَلَى الْبُلُسْتَيْنِ بَأْسًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ دُهُورٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَاسْتَعَادَ مِنْ صَاحِبِ سِيسَ بِلَادًا كَثِيرَةً، وَجَاسَ خِلَالَ دِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَاسْتَرَدَّ مِنْ أَيْدِي الْمُتَغَلِّبِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، **بَعْلَبَكَّ، وَبُصْرَى، وَصَرْخَدَ، وَحِمْصَ، وَعَجْلُونَ، وَالصَّلْتَ، وَتَدْمُرَ، وَالرَّحْبَةَ، وَتَلَّ بَاشِرٍ، وَالْكَرَكَ، وَالشَّوْبَكَ، وَغَيْرَهَا**.

وَفَتَحَ بِلَادَ النُّوبَةِ بِكَمَالِهَا مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ، وَانْتَزَعَ بِلَادًا مِنَ التَّتَارِ كَثِيرَةً، مِنْهَا: شِيزَرُ، وَالْبِيرَةُ، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَتُهُ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ النَّوْبَةِ، وَعَمَّرَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاقِلِ، وَالْجُسُورِ عَلَى الْأَنْهَارِ الْكِبَارِ، وَبَنَى دَارَ الذَّهَبِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَبَنَى قُبَّةً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا مُلَوَّنَةً مُذَهَّبَةً، وَصَوَّرَ فِيهَا صُوَرَ خَاصَّكِيَّتِهِ وَأَشْكَالَهُمْ،

(١) قال الذهبي: وكان ملكًا سريًا غازيًا مجاهدًا مؤيدًا عظيم الهيبة خليقًا للملك يضرب بشجاعته المثل، له أيام بيض في الإسلام وفتوحات مشهورة، ولولا ظلمه وجبروته في بعض الأحايين لعد من الملوك العادلين. العبر في خبر من غبر (٣/ ٣٣١).

وَحفَرَ أَنْهَارًا كَثِيرَةً وَخُلْجَانَاتٍ بِبِلَادِ مِصْرَ، مِنْهَا نَهْرُ السَّرْدُوسِ.

وَبَنَى جَوَامِعَ كَثِيرَةً وَمَسَاجِدَ عَدِيدَةً، وَجَدَّدَ بِنَاءَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ احْتَرَقَ، وَوَضَعَ الدَّرَابِزِينَاتِ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَعَمِلَ فِيهِ مِنْبَرًا وَسَقَفَهُ بِالذَّهَبِ، وَجَدَّدَ الْمَارَسْتَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَجَدَّدَ قَبْرَ[(١)] الْخَلِيلِ ، وَزَادَ فِي زَاوِيَتِهِ وَمَا يُصْرَفُ إِلَى الْمُقِيمِينَ، وَبَنَى عَلَى الْمَكَانِ الْمَنْسُوبِ إِلَى قَبْرِ مُوسَى قُبَّةً قِبْلِيَّ أَرِيحَا، وَجَدَّدَ بِالْقُدْسِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، مِنْ ذَلِكَ قُبَّةُ السِّلْسِلَةِ، وَرَمَّمَ سَقْفَ الصَّخْرَةِ، وَغَيْرَهَا وَبَنَى بِالْقُدْسِ خَانًا هَائِلًا، وَنَقَلَ إِلَيْهِ بَابَ قَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ مِنْ مِصْرَ، وَعَمِلَ فِيهِ طَاحُونًا وَفُرْنًا وَبُسْتَانًا، وَجَعَلَ لِلْوَارِدِينَ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ فِي نَفَقَةٍ وَإِصْلَاحِ أَمْتِعَتِهِمْ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَبَنَى عَلَى **قَبْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ** بِالْقُرْبِ مِنْ **عَمْتَا**[(٢)] **مَشْهَدًا**، وَوَقَفَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ لِلْوَارِدِينَ إِلَيْهِ، وَعَمَّرَ جِسْرَ دَامِيَةٍ، وَجَدَّدَ **قَبْرَ جَعْفَرٍ الطَّيَّارِ** بِنَاحِيَةِ الْكَرَكِ، وَوَقَفَ عَلَى الزَّائِرِينَ لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَجَدَّدَ قَلْعَةَ صَفَدَ وَجَامِعَهَا، وَجَدَّدَ جَامِعَ الرَّمْلَةِ، وَغَيْرَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتِ الْفِرِنْجُ قَدْ أَخَذَتْهَا وَخَرَّبَتْ جَوَامِعَهَا وَمَسَاجِدَهَا، وَبَنَى بِحَلَبَ دَارًا هَائِلَةً، وَبِدِمَشْقَ الْقَصْرَ الْأَبْلَقَ **وَالْمَدْرَسَةَ الظَّاهِرِيَّةَ** وَغَيْرَهَا، وَضَرَبَ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ الْجَيِّدَةَ الْخَالِصَةَ عَلَى النُّصْحِ وَالْمُعَامَلَةِ الْجَيِّدَةِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ، فَرَحِمَهُ اللهُ.

وَلَهُ مِنَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ وَالْأَمَاكِنِ مَا لَمْ يُبْنَ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ وَمُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ، مَعَ اشْتِغَالِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاسْتَخْدَمَ مِنَ الْجُيُوشِ شَيْئًا كَثِيرًا.

وَكَانَ مُقْتَصِدًا فِي مَلْبَسِهِ وَمَطْعَمِهِ، وَكَذَلِكَ جَيْشُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَعَادَ الخلافة الْعَبَّاسِيَّةَ بَعْدَ دُثُورِهَا، وَهُوَ الَّذِي أَقَامَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا مُسْتَقِلًّا قَاضِيَ قُضَاةٍ.

---

(١) البناء على القبور من البدع المحدثة، وتجر إلى عبادة صاحب القبر والاستغاثة به.

(٢) عمتا: قرية بالأردن بها قبر أبي عبيد بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقال هو بطبرية، وهي في وسط الغور، منها إلى عمان اثنا عشر فرسخا. معجم البلدان - الفكر (٤/ ١٥٣).

وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُتيَقِّظًا شَهْمًا شُجَاعًا، لَا يَفْتُرُ عَنِ الْأَعْدَاءِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، بَلْ هُوَ مُنَاجِزٌ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَلَمِّ شَعَثِهِ وَاجْتِمَاعِ شَمْلِهِ.

وَأَبْطَلَ الْخُمُورَ، وَنَفَى الْفُسَّاقَ مِنَ الْبِلَادِ، وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنَ الْفَسَادِ وَالْمَفَاسِدِ إِلَّا سَعَى فِي إِزَالَتِهِ بِجُهْدِهِ وَطَاقَتِهِ.

وَقَدْ جَمَعَ لَهُ كَاتِبُهُ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ سِيرَةً مُطَوَّلَةً (١)، وَكَذَلِكَ ابْنُ شَدَّادٍ أَيْضًا.

❁ ❁ ❁

(١) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ويعرف بالسيرة الظاهرية، لعباس الكاتب، واختصرها حفيد المؤلف شافع بن علي بن عباس، وسمى مختصره حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية. ونشر المختصر بتحقيق الدكتور عبد العزيز الخويطر. الرياض ١٣٩٦هـ.

مشاهير من توفي من الأعيان حتى سنة (٦٧٧هـ)

١ - **الرَّئِيسُ صَدْرُ الدِّينِ أَسْعَدُ بْنُ عُثْمَانَ** بْنِ أَسْعَدَ التَّنُوخِيُّ المعري الحنبلي، وَاقِفُ الصَّدْرِيَّةِ أَحَدُ الْمُعَدِّلِينَ ذَوِي الْأَمْوَالِ وَالْمُرُوءَاتِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّارَّةِ الْبَارَّةِ، وَقَفَ مَدْرَسَةً لِلْحَنَابِلَةِ، وَقَدْ وَلِيَ نَظَرَ الْجَامِعِ مُدَّةً، وَقَدِ اسْتَجَدَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، مِنْهَا سُوقُ النَّحَّاسِينَ قِبْلِيَّ الْجَامِعِ.

وَجَدَّدَ الدَّكَاكِينَ الَّتِي بَيْنَ أَعْمِدَةِ الزِّيَادَةِ، وَثَمَّرَ لِلْجَامِعِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَعْمَلُ صَنْعَةَ الْكِيمْيَا، وَأَنَّهُ صَحَّ مَعَهُ عَمَلُ الْفِضَّةِ، **وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ**، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وتوفي سنة (٦٥٧هـ).

٢ -**أَبُو عَبْدِ اللهِ الْفَاسِيُّ شَارِحُ الشَّاطِبِيَّةِ**، اشْتُهِرَ بِالْكُنْيَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ الْقَاسِمُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِحَلَبَ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ أَجَادَ فِي شَرْحِهِ لِلشَّاطِبِيَّةِ وَأَفَادَ، وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ شَارِحُهَا أَيْضًا، وتوفي سنة (٦٥٧هـ).

٣ -**سَيْفُ الدِّينِ بْنُ صَبِرَةَ، مُتَوَلِّي شُرْطَةِ دِمَشْقَ**، ذَكَرَ أَبُو شَامَةَ أَنَّهُ حِينَ مَاتَ جَاءَتْ حَيَّةٌ فَنَهَشَتْ أَفْخَاذَهُ، وَقِيلَ: إِنَّهَا الْتَفَّتْ فِي أَكْفَانِهِ، وَأَعْيَى النَّاسَ دَفْعُهَا. قَالَ: وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ نُصَيْرِيًّا رَافِضِيًّا خَبِيثًا مُدْمِنَ خَمْرٍ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ، وتوفي سنة (٦٥٧هـ).

٤ - **أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ هِبَةِ اللهِ**، صَدْرُ الدِّينِ بْنُ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ التَّغْلِبِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (٥٥٩هـ)، وَحَدَّثَ وَدَرَّسَ فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ وَأَفْتَى، وَكَانَ فَاضِلًا عَارِفًا بِالْمَذْهَبِ، مَشْكُورَ السِّيرَةِ، وَلَكِنِ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ يَنَالُ مِنْهُ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ بِدِمَشْقَ اسْتِقْلَالًا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ (٦٤٣هـ)، وَاسْتَمَرَّ إِلَى وفاته سنة (٦٥٨هـ)، وهُوَ الَّذِي أَحْدَثَ فِي زَمَنِ **الْمِشْمِشِ بَطَالَةَ الدُّرُوسِ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ

بِأَرْضِ السَّـهْمِ، فَكَانَ يَشُـقُّ عَلَيْهِ النُّزُولُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى الدَّرْسِ، فَبَطَّلَ لِلنَّاسِ هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَاتَّبَعُوهُ فِي ذَلِكَ.

٥- **تَوْرَانْ شَاهِ بْنُ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ**، كَانَ نَائِبًا لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ عَلَى حَلَبَ حَتَّى تَمَلَّكَ دِمَشْقَ، وَقَدْ حَصَّنَ حَلَبَ مِنْ أَيْدِي الْمَغُولِ مُدَّةَ شَهْرٍ، ثُمَّ سَلَّمَهَا بَعْدَ مُحَاصَرَةٍ شَدِيدَةٍ صُلْحًا. وتوفي سنة (٦٥٨هـ).

٦-**الْمَلِكُ السَّعِيدُ حَسَنُ** بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الأيوبي، كَانَ صَاحِبَ الصُّبَيْبَةِ وَبَانِيَـاس بَعْدَ أَبِيهِ، ثُـمَّ أُخِذَتَا مِنْهُ، وَحُبِسَ بِقَلْعَـةِ الْبِيرَةِ، فَلَمَّا جَاءَتِ التَّتَـارُ كَانَ مَعَهُمْ، وَرَدُّوا عَلَيْـهِ بِـلَادَهُ، فَلَمَّـا كَانَتْ وَقْعَـةُ عَيْنِ جَالُوتَ أُتِيَ بِهِ أَسِـيرًا إِلَى بَيْـنِ يَدِي الْمَلِكِ الْمُظَفَّـرِ قُطُزَ فَضُرِبَ عُنُقُهُ سـنة (٦٥٨هــ)، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ لَبِسَ سَـرَاقُوجَ (لباس تتري)، ونصح لهم.

٧-**الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ قُطُزُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سَيْفُ الدِّينِ التُّرْكِيُّ**، أَخَصُّ مَمَالِيكِ الْمَلِكِ الْمُعِزِّ التُّرْكُمَانِـيِّ، أَحَـدُ مَمَالِيكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ أُسْـتَاذُهُ **الْمُعِزُّ** قَامَ فِي تَوْلِيَةِ ابْنِ أُسْـتَاذِهِ الْمَنْصُورِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا سَمِعَ بِأَمْرِ التَّتَارِ خَافَ أَنْ تَخْتَلِفَ الْكَلِمَةُ بِسَبَبِ صِغَرِ ابْنِ أُسْتَاذِهِ، فَعَزَلَهُ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَبُويِعَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ (٦٥٧هـ)، ثُمَّ سَارَ إِلَى التَّتَارِ فَجَعَلَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ نُصْرَةَ الْإِسْلَامِ **بِعَيْنِ جَالُوتَ** في شهر رمضان سنة (٦٥٨هـ).

وَقَدْ كَانَ شُجَاعًا بَطَلًا، كَثِيرَ الْخَيْرِ، مُمَالِئًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَهُمْ يُحِبُّونَهُ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَتَعَاطَى الشَّرَابَ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا يَتَعَاطَاهُ الْمُلُوكُ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا.

ذُكِـرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّـا كَانَ بِالْمَعْرَكَةِ يَـوْمَ **عَيْنِ جَالُوتَ** قُتِـلَ جَوَادُهُ، فَتَرَجَّـلَ وَبَقِيَ وَاقِفًا كَذَلِـكَ عَلَى الْأَرْضِ ثَابِتًـا فِي مَحَلِّ الْمَعْرَكَةِ، فَلَمَّا رَآهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ تَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِـهِ، وَحَلَفَ عَلَى السُّلْطَانِ لِيَرْكَبَ، فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ وَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَحْرِمَ الْمُسْلِمِينَ نَفْعَكَ.

فَلَامَهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: يَا خُونْدُ، لِمَ لَا رَكِبْتَ فَرَسَ فُلَانٍ؟ فَلَوْ كَانَ رَآكَ بَعْضُ الْأَعْدَاءِ لَقَتَلَكَ وَهَلَكَ الْإِسْلَامُ بِسَبَبِكَ. فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَرُوحُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الْإِسْلَامُ فَلَهُ رَبٌّ لَا يُضَيِّعُهُ، قَدْ قُتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ - وَعَدَّدَ خَلْقًا مِنَ الْمُلُوكِ - فَلَمْ يُضَيِّعِ اللهُ الْإِسْلَامَ.

وَكَانَ حِينَ سَاقَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي خِدْمَتِهِ خَلْقٌ مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَعَهُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِ حَمَاةَ يَقُولُ لَهُ: لَا تَتَعَنَّ بِمَدِّ سِمَاطٍ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَلْيَكُنْ مَعَ الْجُنْدِيِّ لَحْمَةٌ فِي سَوْلَقِهِ يَأْكُلُهَا، وَالْعَجَلَ الْعَجَلَ. وقتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٦٥٨هـ).

٨- **الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْفَقِيهُ الْيُونِينِيُّ الْحَنْبَلِيُّ الْبَعْلَبَكِّيُّ الْحَافِظُ**، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ من ذرية جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، الْحَافِظُ الْمُفِيدُ الْبَارِعُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ، وُلِدَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْخُشُوعِيَّ وَحَنْبَلًا وَالْكِنْدِيَّ وَالْحَافِظَ عَبْدَ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيَّ، وَكَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ، وَلَزِمَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ الْيُونِينِيِّ، وَانْتَفَعَ بِهِ، وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُقَدِّمُهُ وَيَقْتَدِي بِهِ فِي الْفَتَاوَى الشَّرْعِيَّةِ، وَبَرَعَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَحِفِظَ "الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ"، وَحِفِظَ قِطْعَةً صَالِحَةً مِنْ "مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ".

وَكَانَ النَّاسُ يَنْتَفِعُونَ بِفُنُونِهِ الْكَثِيرَةِ، وَحَصَلَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ،

قَالَ وَلَدُهُ قُطْبُ الدِّينِ: كَانَ وَالِدِي يَقْبَلُ بِرَّ الْمُلُوكِ، وَيَقُولُ: أَنَا لِي فِي بَيْتِ الْمَالِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا.

وَذَكَرَ وَلَدُهُ قُطْبُ الدِّينِ أَنَّهُ مَاتَ فِي التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سنة (٦٥٨هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

٩-**مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بَدْرٍ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَيْطَارُ **الْأَكَّالُ**، أَصْلُهُ مِنْ جَبَلِ بَنِي هِلَالٍ،(١) وَوُلِدَ بِقَصْرِ حَجَّاجٍ،(٢) وَكَانَ مُقِيمًا بِالشَّاغُورِ،(٣) وَكَانَ فِيهِ صَلَاحٌ وَدِينٌ وَإِيثَارٌ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِيجِ وَالْمَحَابِيسِ، وَكَانَتْ لَهُ حَالٌ غَرِيبَةٌ، لَا يَأْكُلُ لِأَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا بِأُجْرَةٍ، وَكَانَ أَهْلُ الْبَلَدِ يَتَرَامَوْنَ عَلَيْهِ لِيَأْكُلَ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ الْمُفْتَخَرَةَ الطَّيِّبَةَ، فَيَمْتَنِعُ إِلَّا بِأُجْرَةٍ جَيِّدَةٍ، وَكُلَّمَا تَمَنَّعَ مِنْ ذَلِكَ حَلَا عِنْدَ النَّاسِ، وَأَحَبُّوهُ وَمَالُوا إِلَيْهِ، فَيَأْتُونَهُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْحَلَاوَاتِ وَالشِّوَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأُجْرَةٍ جَيِّدَةٍ مَعَ ذَلِكَ، وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا، توفي سنة (٦٥٨هـ) رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

١٠- **الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ**، الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَجَا، مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ، وَنَشَأَ بِإِرْبِلَ، فَاشْتَغَلَ بِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَكَانَ يَشْتَغِلُ عَلَيْهِ أَهْلُ الذِّمَّةِ وَغَيْرُهُمْ، وَنُسِبَ إِلَى الِانْحِلَالِ وَقِلَّةِ الدِّينِ، وَتَرْكِ الصَّلَوَاتِ، وَكَانَ **ذَكِيًّا وَلَيْسَ بِزَكِيٍّ**، عَالِمَ اللِّسَانِ، **جَاهِلَ الْقَلْبِ**، ذَكِيَّ الْقَوْلِ، **خَبِيثَ الْفِعْلِ**، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ رَائِقٌ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ، قَبَّحَهُمَا اللهُ، توفي سنة (٦٦٠هـ).

١١-**ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ**، عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ السُّلَمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، شَيْخُ الْمَذْهَبِ وَمُفِيدُ أَهْلِهِ، وَصَاحِبُ مُصَنَّفَاتٍ حِسَانٍ؛ مِنْهَا التَّفْسِيرُ، وَاخْتِصَارُ النِّهَايَةِ، وَالْقَوَاعِدُ الْكُبْرَى، وَالصُّغْرَى، وَكِتَابُ الصَّلَاةِ، وَالْفَتَاوَى الْمَوْصِلِيَّةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وُلِدَ سَنَةَ (٥٧٧هـ)، وَسَمِعَ كَثِيرًا، وَاشْتَغَلَ عَلَى فَخْرِ الدِّينِ بْنِ عَسَاكِرَ وَغَيْرِهِ، وَبَرَعَ

(١) جبل بني هلال بحوران من أرض دمشق، تحته قرى كثيرة، منها: قرية تعرف بالمالكية. معجم البلدان - الفكر (٢/ ١٠٣).

(٢) قصر حجاج: محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٣٥٧)

(٣) الشاغور: بالغين المعجمة محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٣١٠)

فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَأَفَادَ الطَّلَبَةَ، وَدَرَّسَ بِعِدَّةِ مَدَارِسَ بِدِمَشْقَ، وَوَلِيَ خَطَابَتَهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَدَرَّسَ بِهَا، وَخَطَبَ وَحَكَمَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْمَذْهَبِ، وَقُصِدَ بِالْفَتَاوَى مِنَ الْآفَاقِ، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًا يَسْتَشْهِدُ بِالْأَشْعَارِ، وَقَدْ كَانَ خُرُوجُهُ مِنَ الشَّامِ بِسَبَبِ مَا كَانَ أَنْكَرَهُ عَلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ تَسْلِيمِهِ **صَفَدَ وَالشَّقِيفَ إِلَى الْفِرِنْجِ**، وَوَافَقَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْ بَلَدِهِ، فَسَارَ أَبُو عَمْرٍو إِلَى النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ الْكَرَكِ فَأَكْرَمَهُ، وَسَارَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ صَاحِبِ مِصْرَ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَوَلَّاهُ قَضَاءَ مِصْرَ وَخَطَابَةَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ، وَتُوُفِّيَ فِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٦٠هـ)، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى الثَّمَانِينَ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ بيبرس وَخَلْقٌ كَثِيرٌ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

١٢- **كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْعَدِيمِ**، عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ من ذرية عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ، الْحَلَبِيُّ الْحَنَفِيُّ، الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ، الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (٥٨٦هـ)، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَحَدَّثَ وَتَفَقَّهَ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَصَنَّفَ، وَكَانَ إِمَامًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ تَرَسَّلَ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ مِرَارًا عَدِيدَةً، وَصَنَّفَ لِحَلَبَ تَارِيخًا مُفِيدًا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعِينَ مُجَلَّدًا، وَكَانَ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ، **حَسَنَ الظَّنِّ بِالْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ، كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ**،

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ سنة (٦٦٠هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ بَعْدَ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ قُطْبُ الدِّينِ أَشْعَارًا حَسَنَةً.

١٣- **بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ**، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، أَبُو بَكْرٍ الْيَعْمُرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْحَافِظُ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٩٧هـ)، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَحَصَّلَ كُتُبًا عَظِيمَةً، وَصَنَّفَ أَشْيَاءَ حَسَنَةً، وَخُتِمَ بِهِ الْحُفَّاظُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، تُوفِّيَ بِمَدِينَةِ تُونُسَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٦٦١هـ).

١٤-**مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَنْتَرٍ السُّلَمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ**، مُحْتَسِبُ دمشق، وَكَانَ مِنْ عُدُولِهَا وَأَعْيَانِهَا، وَلَهُ بِهَا أَمْلَاكٌ وَثَرْوَةٌ وَأَوْقَافٌ، تُوفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سنة (٦٦١هـ)، وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ.

١٥-**عَلَمُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرْسِيُّ** اللَّوْرَقِيُّ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ، شَرَحَ "الشَّاطِبِيَّةَ" شَرْحًا مُخْتَصَرًا، وَشَرَحَ "الْمُفَصَّلَ" فِي عِدَّةِ مُجَلَّدَاتٍ، وَشَرَحَ "الْجُزُولِيَّةَ" وَقَدِ اجْتَمَعَ بِمُصَنِّفِهَا، وَسَأَلَهُ عَنْ بَعْضِ مَسَائِلِهَا، وَكَانَ ذَا فُنُونٍ مُتَعَدِّدَةٍ، حَسَنَ الشَّكْلِ، مَلِيحَ الْوَجْهِ، لَهُ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ وَبِزَّةٌ وَجِمَالٌ، تُوفِّيَ سنة (٦٦١هـ).

١٦- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْهَيْجَاءِ بن عِيسَى الْكُرْدِيُّ الْأُمَوِيُّ**، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ **وَشُجْعَانِهِمْ**، وَلَهُ يَوْمَ **عَيْنِ جَالُوتَ** الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي كَسْرِ التَّتَارِ، وَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ قطز إِلَى دِمَشْقَ جَعَلَهُ - مَعَ الْأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سَنْجَرَ الْحَلَبِيِّ - مُسْتَشَارًا وَمُشَارِكًا فِي الرَّأْيِ وَالْمَرَاسِيمِ وَالتَّدْبِيرِ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُ فِي دَارِ الْعَدْلِ، وَلَهُ الْإِقْطَاعُ الْكَامِلُ، وَالرِّزْقُ الْوَاسِعُ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سنة (٦٦١هـ).

قُلْتُ: وَوَلَدُهُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ **بن أَبِي الْهَيْجَاءِ** تَوَلَّى وِلَايَة دِمَشْقَ مُدَّةً، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ دَرْبُ سَقَونَ بِالصَّاغَةِ الْعَتِيقَةِ، فَيُقَالُ: **دَرْبُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ**. لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ سَكَنُهُ، فَعُرِفَ بِهِ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ كَانَ فِيهِ نُزُولُنَا حِينَ قَدِمْنَا مِنْ حُورَانَ وَأَنَا صَغِيرٌ، **فَخَتَمْتُ فِيهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

١٧-**الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ** مُوسَى بْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ، كَانُوا مُلُوكَ **حِمْصَ** كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِلَى هَذَا الْحِينِ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْكُرَمَاءِ الْمَوْصُوفِينَ، وَيَعْتَنِي بِالْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاكِبِ، وَقَضَاءِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَآرِبِ، وَكَثْرَةِ التَّنَعُّمِ بِالْمَغَانِي، كَانَتْ وَفَاته سنة (٦٦٢هـ).

وَلَمَّا تُوُفِّيَ وُجِدَتْ لَهُ حَوَاصِلُ مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ وَالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ، وَعَادَ مُلْكُهُ إِلَى دَوْلَةِ الظَّاهِرِ بيبرس.

١٨ - **الْخَطِيبُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ**، عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، كَانَ خَطِيبًا بِدِمَشْقَ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ عَنْ أَبِيهِ فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ بَعْدَ ابْنِ الصَّلَاحِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي دَارِ الْخَطَابَةِ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٦٦٢هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِقَاسِيُونَ.

١٩ - **مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدُ** بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْأَنْصَارِيُّ الشَّاطِبِيُّ، أَبُو بَكْرٍ الْمَغْرِبِيُّ، عَالِمٌ فَاضِلٌ دَيِّنٌ، وَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً، ثُمَّ اجْتَازَ بِدِمَشْقَ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ. وَقَدْ وَلِيَ دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ بَعْدَ زَكِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمُنْذِرِيِّ، وَقَدْ كَانَ لَهُ سَمَاعٌ جَيِّدٌ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، توفي سنة (٦٦٢هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٢٠ - **الشَّيْخُ الصَّالِحُ، مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ** بْنِ يَحْيَى الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ، كَانَ مُقِيمًا بِغَيْطٍ لَهُ يَقْتَاتُ مِنْهُ وَيَعْمَلُ فِيهِ وَيَبْذُرُهُ، وَيَتَوَرَّعُ جِدًّا، وَيُطْعِمُ النَّاسَ مِنْ ثِمَارِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَادِسِ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٦٦٢هـ) بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، **وَيَرْدَعُ الْوُلَاةَ عَنِ الظُّلْمِ فَيَسْمَعُونَ مِنْهُ وَيُطِيعُونَهُ**، وَإِذَا جَاءَ النَّاسُ إِلَى زِيَارَتِهِ إِنَّمَا يُكَلِّمُهُمْ مِنْ طَاقَةِ الْمَنْزِلِ، وَهُمْ رَاضُونَ مِنْهُ بِذَلِكَ.

٢١ - **الزَّيْنَ الْحَافِظِيَّ، سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُؤَيَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْعَقْرَبَانِيُّ**، كَانَ لَمَّا قَدِمَ التَّتَارُ مَعَ هُولَاكُو دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا مَالَأَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَآذَاهُمْ، وَدَلَّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، حَتَّى سَلَّطَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَالْمَثُلَاتِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وَفِي سنة (٦٦٢هـ) اسْتَحْضَرَه الْمَلِكُ هُولَاكُو خان مَلِكُ التَّتَارِ، وَقَالَ لَهُ: قَدْ ثَبَتَ عِنْدِي خِيَانَتُكَ، فقتله.

وَفِي الْجُمْلَةِ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلِّطَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ بِالظَّالِمِ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ جَمِيعًا.

٢٢- **الْحَافِظُ الزَّيْنُ خَالِدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ النَّابُلُسِيُّ**، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ بِدِمَشْقَ، كَانَ عَالِمًا بِصِنَاعَةِ الْحَدِيثِ، حَافِظًا لِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، اشْتَغَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَاوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ **حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فَكِهَ النَّفْسِ، كَثِيرَ الْمِزَاحِ**، عَلَى طَرِيقَةِ الْمُحَدِّثِينَ، وَكَانَ قَدْ رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ، فَاشْتَغَلَ بِهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ وَعِبَادَةٌ، وتوفي سنة (٦٦٣هـ) وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً.

٢٣- **أَيْدُغْدِي بْنُ عَبْدِ اللهِ، الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ الْعَزِيزِيُّ**، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ وَأَحْظَاهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، لَا يَكَادُ يَخْرُجُ عَنْ رَأْيِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِوِلَايَةِ الْقُضَاةِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِقْلَالِ، وَكَانَ -رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى- مُتَوَاضِعًا لَا يَلْبَسُ مُحَرَّمًا كَرِيمًا وَقُورًا رَئِيسًا مُعَظَّمًا فِي الدَّوْلَةِ، أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فِي حِصَارِ صَفَدَ، فَلَمْ يَزَلْ مَرِيضًا مِنْهَا حَتَّى مَاتَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ، سنة (٦٦٤هـ)، وَدُفِنَ بِالرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٢٤- **هُولَاكُو خَانَ بْنُ تُولِي خَان بْنِ جِنْكِزْ خَانَ**، مَلِكُ التَّتَارِ، وَالْعَامَّةُ يَقُولُونَ **هُولَاوُونَ** مِثْلَ قَلَاوُونَ، وَقَدْ كَانَ مَلِكًا جَبَّارًا عَنِيدًا، قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا مَالَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ، وكَانَ لَعَنَهُ اللهُ، لَا يَتَقَيَّدُ بِدِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ **ظُفْرُ** خَاتُونَ قَدْ تَنَصَّرَتْ، وَكَانَتْ تُفَضِّلُ النَّصَارَى، وكان يَتَرَامَى عَلَى مَحَبَّةِ الْمَعْقُولَاتِ، وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنْهَا شَيْئًا، وَكَانَ أَهْلُهَا مِنْ أَفْرَاخِ الْفَلَاسِفَةِ عِنْدَهُ لَهُمْ وَجَاهَةٌ وَمَكَانَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَتَمَلُّكِ الْبِلَادِ، حَتَّى أَبَادَهُ اللهُ فِي سنة (٦٦٤هـ)، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ **أَبْغَا**، وَكَانَ أَبْغَا أَحَدَ إِخْوَةٍ عَشَرَةٍ ذُكُورٍ.

٢٥- **السُّلْطَانُ بَرَكَةُ خَانَ بْنُ تُولِي بْنِ جِنْكِزْ خَانَ**، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ هُولَاكُو،، وَقَدْ أَسْلَمَ **بَرَكَةُ خَانَ** هَذَا، وَكَانَ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْ أَكْبَرِ حَسَنَاتِهِ **كَسْرُهُ لِهُولَاكُو وَتَفْرِيقُهُ** جُنُودَهُ، وَكَانَ يُنَاصِحُ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُ رُسُلَهُ إِلَيْهِ، وَيُطْلِقُ لَهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَدْ قَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ **مَنْكُوتَمُرُ** بْنُ طُغَانَ بْنِ بَاتُو بْنِ تُولِي بْنِ جِنْكِزْ خَانَ، وَكَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَمِنْوَالِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وتوفي سنة (٦٦٥هـ).

٢٦ -**قَاضِي الْقُضَاةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، تَاجُ الدِّينِ** عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ خَلَفِ بْنِ بَدْرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ الشَّافِعِيُّ، كَانَ دَيِّنًا عَفِيفًا نَزِهًا، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَا يَقْبَلُ شَفَاعَةَ أَحَدٍ وَجُمِعَ لَهُ قَضَاءُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِكَمَالِهَا، وَالْخَطَابَةُ وَالْحِسْبَةُ، وَمَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ، وَنَظَرُ الْأَحْبَاسِ، وَتَدْرِيسُ قُبَّةِ الشَّافِعِيِّ، وَالصَّالِحِيَّةِ، وَإِمَامَةُ الْجَامِعِ، وَكَانَ **بِيَدِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَظِيفَةً**، وَبَاشَرَ الْوِزَارَةَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَكَانَ السُّلْطَانُ يُعَظِّمُهُ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْحَنَّا يَخَافُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَنْكُبَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَيَضَعَهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَأْتِيَ دَارَهُ وَلَوْ عَائِدًا، فَمَرِضَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَجَاءَهُ الْقَاضِي عَائِدًا، فَقَامَ لِتَلَقِّيهِ إِلَى وَسَطِ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: **إِنَّمَا جِئْنَا لِعِيَادَتِكَ، فَإِذَا أَنْتَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ**، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَرَجَعَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدَهُ. وتوفي سنة (٦٦٥هـ).

٢٧ - **الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ**: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ الْمُؤَرِّخُ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي شَامَةَ، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، وَصَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْعَدِيدَةِ الْمُفِيدَةِ، لَهُ "اخْتِصَارُ تَارِيخِ دِمَشْقَ" فِي مُجَلَّدَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ "شَرْحُ الشَّاطِبِيَّةِ"، وَلَهُ "الرَّدُّ إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ" وَكِتَابُ "الرَّوْضَتَيْنِ فِي الدَّوْلَتَيْنِ النُّورِيَّةِ وَالصَّلَاحِيَّةِ"، وَلَهُ "الذَّيْلُ" عَلَى ذَلِكَ.

وُلِدَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَذَكَرَ لِنَفْسِهِ تَرْجَمَةً فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي "الذَّيْلِ"، وَذَكَرَ مُرَبَّاهُ وَمَنْشَأَهُ وَطَلَبَهُ الْعِلْمَ وَسَمَاعَهُ الْحَدِيثَ، وَتَفَقُّهَهُ عَلَى الْفَخْرِ بْنِ عَسَاكِرَ، وَابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، وَالسَّيْفِ الْآمِدِيِّ، وَالشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ. وَكَانَ ذَا فُنُونٍ كَثِيرَةٍ.

أَخْبَرَنِي عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ الْحَافِظُ عَنِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: بَلَغَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَكُنْ فِي وَقْتِهِ مِثْلُهُ فِي نَفْسِهِ وَدِيَانَتِهِ، وَعِفَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَبَبِ جَمَاعَةٍ أَلَّبُوا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ مَنِ اغْتَالَهُ، وَهُوَ بِمَنْزِلٍ لَهُ بِطَوَاحِينِ الْأُشْنَانِ، وَقَدْ كَانَ

اتُّهِمَ بِأَمْرِ الظَّاهِرُ بَرَاءَتُهُ مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمْ: إِنَّهُ كَانَ مَظْلُومًا.

وَلَمْ يَزَلْ يَكْتُبُ فِي "التَّارِيخ" حَتَّى وَصَلَ إِلَى رَجَبِ سنة (٦٦٥هـ)، فَذُكِرَ أَنَّهُ أُصِيبَ بِمِحْنَةٍ فِي مَنْزِلِهِ بِطَوَاحِينِ الْأُشْنَانِ، وَكَانَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ جَاءُوهُ قَبْلُ، فَضَرَبُوهُ لِيَمُوتَ، فَلَمْ يَمُتْ

وَكَأَنَّهُمْ عَادُوا إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَهُوَ فِي الْمَنْزِلِ الْمَذْكُورِ، فَقَتَلُوهُ بِالْكُلِّيَّةِ فِي لَيْلَةِ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، سنة (٦٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وَدُفِنَ مِنْ يَوْمِهِ بِمَقَابِرِ دَارِ الْفَرَادِيسِ، وَبَاشَرَ بَعْدَهُ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٦٦٥هـ) كَانَ مَوْلِدُ الْحَافِظِ عَلَمِ الدِّينِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ **الْبِرْزَالِيِّ**، وَقَدْ ذَيَّلَ عَلَى تَارِيخ الشَّيْخِ أَبِي شَامَةَ؛ لِأَنَّ مَوْلِدَهُ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ، فَحَذَا حَذْوَهُ وَسَلَكَ نَحْوَهُ، وَرَتَّبَ تَرْتِيبَهُ وَهَذَّبَ تَهْذِيبَهُ، وَهَذَا مِمَّنْ يُقَالُ فِيهِ، وَفِي أَمْثَالِهِ فِي تَرَاجِمِهِمْ:

مَا زِلْتَ تَكْتُبُ فِي التَّارِيخِ مُجْتَهِدًا ... حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبَا

وَيُنَاسِبُ أَنْ يُنْشَدَ هُنَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ ... قَئُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ

٢٨- **الْحَافِظُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ**، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ قَاضِي الْيَمَنِ، تُوفِّي سنة (٦٦٦هـ) عَنْ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالشَّرَفِ الْأَعْلَى، وَكَانَ قَدْ تَفَرَّدَ بِرِوَايَاتٍ جَيِّدَةٍ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ.

٢٩- **الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْدَمُرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحِلِّيُّ الصَّالِحِيُّ**، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ وَأَحْظَاهُمْ عِنْدَ الْمُلُوكِ، ثُمَّ عِنْدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، كَانَ يَسْتَنِيبُهُ إِذَا غَابَ، فَلَمَّا كَانَتْ سنة (٦٦٧هـ) أَخَذَهُ مَعَهُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْيَغْمُورِيَّةِ، وَخَلَّفَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَأَوْصَى إِلَى السُّلْطَانِ فِي أَوْلَادِهِ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ عَزَاءَهُ بِجَامِعِ دِمَشْقَ.

٣٠- **الشَّيْخُ نَصِيرُ الدِّينِ الْمُبَارَكُ** بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْحَسَنِ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ الطَّبَّاخِ

الشَّـافِعِيُّ الْعَلَّامَـةُ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيـثِ، دَرَّسَ وَأَفْتَى وَصَنَّفَ وَانْتُفِعَ بِـهِ، وَعُمِّرَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي حَادِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٦٧هـ)، رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

٣١-**ابْن أَبِي أُصَيْبِعَة**، مُوَفَّقُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِـمِ بْـنُ خَلِيفَةَ الْخَزْرَجِيُّ الطَّبِيبُ، لَهُ "**تَارِيخُ الْأَطِبَّاءِ**" فِي عَشْـرِ مُجَلَّدَاتٍ لِطَافٍ، كان موقوفًا بِمَشْـهَدِ ابْنِ عُرْوَةَ بِالجامع الْأُمَوِيِّ، تُوُفِّيَ بِصَرْخَدَ، سنة (٦٦٨هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٣٢-**الشَّـيْخُ زَيْنُ الدِّينِ** أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ **بْنِ نِعْمَةَ** بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَقْدِسِيُّ النَّابُلُسِـيُّ، تَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَـايِخِ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٧٥هـ)، وَقَدْ سَمِعَ وَرَحَلَ إِلَى بُلْدَانٍ شَـتَّى، وَكَانَ فَاضِلًا يَكْتُبُ سَـرِيعًا، حَكَى الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَنَّهُ كَتَبَ "مُخْتَصَرَ الْخِرَقِيِّ" فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَخَطُّهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ حُلْوٌ، وَقَدْ كَتَبَ "تَارِيخَ ابْنِ عَسَاكِرَ" مَرَّتَيْنِ، وَاخْتَصَرَهُ لِنَفْسِهِ أَيْضًا، **وَأُضِرَّ فِي آخِرِ** عُمْرِهِ أَرْبَعَ سِنِينَ، تُوُفِّيَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَبِهِ دُفِنَ فِي بُكْرَةِ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرِ رَجَبٍ، سنة (٦٦٨هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

٣٣-**الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ**، أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى بْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ من ذرية عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْقُرَشِـيُّ الْأُمَوِيُّ، تَوَلَّى **قَضَاءَ دِمَشْـقَ** غَيْرَ مَرَّةٍ، وَكَذَلِـكَ آبَـاؤُهُ مِنْ قَبْلِـهِ، كُلٌّ قَـدْ وَلِيَهَا، وَقَدْ سَـمِعَ الْحَدِيثَ مِـنْ حَنْبَلٍ، وَابْـنِ طَبَرْزَدَ، وَالْكِنْدِيِّ، وَابْنِ الْحَرَسْـتَانِيِّ، وَجَمَاعَـةٍ، وَحَدَّثَ، وَدَرَّسَ فِي مَـدَارِسَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ وَلِيَ قَضَاءَ الشَّـامِ فِي دوْلَةِ هولاكو، فَلَمْ يُحْمَدْ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو شَامَةَ، تُوُفِّيَ بِمِصْرَ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ، سنة (٦٦٨هـ) وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ. وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ.

وَحَكَى الشَّـيْخُ قُطْبُ الدِّينِ فِي ذَيْلِهِ (١) عَـنْ وَلَدِهِ الْقَاضِي بَهَاءِ الدِّينِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى تَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ مُوَافَقَةً لِشَـيْخِهِ مُحْيِـي الدِّينِ **بْنِ عَرَبِيٍّ**، وَلِمَنَامٍ رَآهُ بِجَامِعِ دِمَشْقَ مُعْرِضًا عَنْهُ بِسَبَبِ مَا كَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ صِفِّينَ، فَأَصْبَحَ فَنَظَمَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً يَذْكُرُ فِيهَا مَيْلَهُ إِلَى عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَ هُوَ أُمَوِيًّا.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٠.

٣٤- **الصَّاحِبُ فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّاحِبِ** بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ الْحِنَّا الْمِصْرِيُّ، **كَانَ وَزِيرَ الصُّحْبَةِ**، وَقَدْ كَانَ فَاضِلًا، بَنَى رِبَاطًا بِالْقَرَافَةِ الْكُبْرَى، وَدَرَّسَ بِمَدْرَسَةِ وَالِدِهِ بِمِصْرَ، وَبِالشَّافِعِيِّ بَعْدَ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ، تُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سنة (٦٦٨هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ، وَفَوَّضَ السُّلْطَانُ وِزَارَةَ الصُّحْبَةِ إِلَى وَلَدِهِ تَاجِ الدِّينِ.

٣٥- **الْمَلِكُ تَقِيُّ الدِّينِ عَبَّاسُ بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ**، وَهُوَ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَادِلِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْكِنْدِيِّ وَابْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَكَانَ مُحْتَرَمًا عِنْدَ الْمُلُوكِ، لَا يُرْفَعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي الْمَجَالِسِ وَالْمَوَاكِبِ، وَكَانَ لَيِّنَ الْأَخْلَاقِ، حَسَنَ الْعِشْرَةِ، لَا تَمَلُّ مُجَالَسَتَهُ. تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ (٦٦٩هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٣٦- **قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفُ الدِّينِ عُمَرُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عِيسَى السُّبْكِيُّ الْمَالِكِيُّ

وُلِدَ سَنَةَ (٥٨٥هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ وَأَفْتَى بِالصَّالِحِيَّةِ، وَوَلِيَ حِسْبَةَ الْقَاهِرَةِ، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ سَنَةَ (٦٦٦هـ)، لَمَّا وَلَّوْا مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا، وَقَدِ امْتَنَعَ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ، ثُمَّ أَجَابَ بَعْدَ إِكْرَاهٍ، وَشَرَطَ أَنْ لَا يَأْخُذَ عَلَى الْقَضَاءِ جَامَكِيَّةً، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ، رَوَى عَنْهُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ وَغَيْرُهُ. تُوُفِّيَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٦٩هـ).

٣٧- **ابْنُ سَبْعِينَ**: عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، قُطْبُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦١٤هـ)، وَاشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْأَوَائِلِ وَالْفَلْسَفَةِ، فَتَوَلَّدَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْإِلْحَادِ، وَصَنَّفَ فِيهِ.

وَكَانَ **يَعْرِفُ السِّيمِيَا**(١)، فَكَانَ يُلَبِّسُ بِذَلِكَ عَلَى الْأَغْبِيَاءِ مِنَ **الْأُمَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ**،

(١) قال القرافي: السِّحْرُ اسْمُ جِنْسٍ لِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ.
(النَّوْعُ الْأَوَّلُ) السِّيمِيَاءُ: وَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا يُرَكَّبُ مِنْ خَوَاصَّ أَرْضِيَّةٍ كَدُهْنٍ خَاصٍّ أَوْ مَائِعَاتٍ خَاصَّةٍ أَوْ كَلِمَاتٍ خَاصَّةٍ تُوجِبُ تَخَيُّلَاتٍ خَاصَّةً، وَإِدْرَاكَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ أَوْ بَعْضًا، لِحَقَائِقَ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ =

وَيَزْعُمُ أَنَّهُ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِ الْقَوْمِ، وَلَهُ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ كِتَابُ " الْبُدِّ "، وَكِتَابُ " الْهُوَ "

وَقَدْ أَقَامَ **بِمَكَّةَ**، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى عَقْلِ صَاحِبِهَا **أَبُونُمَيٍّ**، وَجَاوَرَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ بِغَارِ **حِرَاءَ** يَرْتَجِي **أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهِ وَحْيٌ** كَمَا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، بِنَاءً عَلَى مَا يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ مِنْ أَنَّ **النُّبُوَّةَ مُكْتَسَبَةٌ**، وَأَنَّهَا **فَيْضٌ يَفِيضُ** عَلَى الْعَقْلِ إِذَا صَفَا، فَمَا حَصَلَ لَهُ إِلَّا الْخِزْيُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كَانَ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ إِذَا رَأَى الطَّائِفِينَ حَوْلَ الْبَيْتِ يَقُولُ عَنْهُمْ: **كَأَنَّهُمُ الْحَمِيرُ حَوْلَ الْمَدَارِ**، وَإِنَّهُمْ لَوْ طَافُوا بِهِ كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ طَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ. فَاللهُ يَحْكُمُ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ، وَقَدْ نُقِلَتْ عَنْهُ عَظَائِمُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، تُوُفِّيَ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ بِمَكَّةَ (٦٦٩هـ).

٣٨- **الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ سَلَّارُ** بْنُ حَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ الْإِرْبِلِيُّ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْمَذْهَبِ، وَقَدِ اشْتَغَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ، وَقَدِ اخْتَصَرَ " الْبَحْرَ " لِلرُّويَانِيِّ فِي مُجَلَّدَاتٍ عَدِيدَةٍ **هِيَ عِنْدِي بِخَطِّ يَدِهِ**، وَكَانَتِ الْفُتْيَا تَدُورُ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ، تُوُفِّيَ سنة (٦٧٠هـ) وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَ مُعِيدًا بِالْبَاذَرَائِيَّةِ مِنْ أَيَّامِ الْوَاقِفِ.

٣٩- **الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ** بْنِ أَحْمَدَ ابنِ الْحُبُوبِيِّ الثَّعْلَبِيُّ الدِّمَشْقِيُّ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ دِمَشْقَ وَلِيَ نَظَرَ الْأَيْتَامِ وَالْحِسْبَةَ، ثُمَّ وِكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَخَرَّجَ لَهُ ابْنُ بَلَبَانَ مَشْيَخَةً قَرَأَهَا عَلَيْهِ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ بِالْجَامِعِ، فَسَمِعَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْفُضَلَاءِ، تُوُفِّيَ سنة (٦٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٠- **أَبُو الْمَعَالِي الصَّدْرُ الرَّئِيسُ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ** الْمُظَفَّرِ التَّمِيمِيُّ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ، الْوَزِيرِ، وَكَانَ رَئِيسًا كَبِيرًا وَاسِعَ النِّعْمَةِ، لَا يُبَاشِرُ شَيْئًا مِنَ الْوَظَائِفِ، وَقَدْ أَلْزَمُوهُ بَعْدَ ابْنِ سُوَيْدٍ بِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِ السُّلْطَانِ، فَبَاشَرَهَا بِلَا جَامَكِيَّةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٧٢هـ) بِبُسْتَانِهِ، جَاوَزَ التِّسْعِينَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

= وَالْمَشْمُومَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ وَالْمَلْمُوسَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، وَقَدْ يَكُونُ لِذَلِكَ وُجُودٌ حَقِيقِيٌّ يَخْلُقُ اللهُ تِلْكَ الْأَعْيَانَ عِنْدَ تِلْكَ الْمُحَاوَلَاتِ، وَقَدْ لَا تَكُونُ لَهُ حَقِيقَةٌ؛ بَلْ تَخَيُّلٌ صِرْفٌ. الفروق للقرافي، (٤/ ١٣٧).

٤١-**الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايُ الْمُسْتَعْرِبُ**، أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، كَانَ أَوَّلًا مَمْلُوكًا لِابْنِ يُمْنٍ، ثُمَّ صَارَ مَمْلُوكًا لِلصَّالِحِ أَيُّوب فَأَمَّرَهُ، ثُمَّ عَظُمَ شَأْنُهُ فِي دَوْلَةِ الْمُظَفَّرِ قطز، وَصَارَ أَتَابِكَ الْعَسَاكِرِ، فَلَمَّا قُتِلَ امْتَدَّتْ أَطْمَاعُ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ إِلَى الْمَمْلَكَةِ، فَبَايَعَ أَقْطَايُ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ بيبرس، فَتبِعَهُ الْجَيْشُ عَلَى ذَلِكَ، **وَكَانَ الظَّاهِرُ يَعْرِفُهَا لَهُ وَلَا يَنْسَاهَا**، ثُمَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِقَلِيلٍ انْهَضَمَ عِنْدَ الظَّاهِرِ، وَمَاتَ سنة (٦٧٢هـ) بِالْقَاهِرَةِ.

٤٢-**قَاضِي الْقُضَاةِ كَمَالُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ بُنْدَارِ** بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ التَّفْلِيسِيُّ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ بِتَفْلِيسَ سَنَةَ (٦٠١هـ)، وَكَانَ فَاضِلًا أُصُولِيًّا مُنَاظِرًا، وَلِيَ نِيَابَةَ الْحُكْمِ مُدَّةً ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْقَضَاءِ فِي دَوْلَةِ هولاكو، وَكَانَ **عَفِيفًا نَزِهًا**، لَمْ يَزْدَدْ مَنْصِبًا، وَلَا تَدْرِيسًا مَعَ كَثْرَةِ عِيَالِهِ وَقِلَّةِ مَالِهِ، وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّام التتار، تَغَضَّبَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ، ثُمَّ أُلْزِمَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَأَقَامَ بِهَا يُفِيدُ النَّاسَ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، سنة (٦٧٢هـ) وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ الصُّغْرَى.

٤٣-**ابن مالك النحوي، الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ** مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الطَّائِيُّ الْجَيَّانِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ الْمُفِيدَةِ؛ مِنْهَا " الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ " وَ " شَرْحُهَا "، وَ " التَّسْهِيلُ " وَ " شَرْحُهُ "، وَ " الْأَلْفِيَّةُ " الَّتِي شَرَحَهَا وَلَدُهُ بَدْرُ الدِّينِ شَرْحًا مُفِيدًا. وُلِدَ **بِجَيَّانَ** سَنَةَ (٦٠٠هـ)، وَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً، ثُمَّ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ كَثِيرَ الِاجْتِمَاعِ بِابْنِ خَلِّكَانَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّين **بْنُ جَمَاعَةَ**، وَأَجَازَ لِشَيْخِنَا عَلَمِ الدِّينِ **الْبِرْزَالِيِّ**، تُوُفِّيَ ابْنُ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عَشَرَ رَمَضَانَ سنة (٦٧٢هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

٤٤-**النَّصِيرُ الطُّوسِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو عَبْدِ اللهِ، كَانَ يُقَالُ لَهُ: الْخَوَاجَا نَصِيرُ الدِّينِ، اشْتَغَلَ فِي شَبِيبَتِهِ، وَحَصَّلَ عِلْمَ الْأَوَائِلِ جَيِّدًا، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَشَرَحَ " الْإِشَارَاتِ " لِابْنِ سِينَا، وَأَصْلُ اشْتِغَالِهِ عَلَى **الْمُعِينِ سَالِمِ** بْنِ بَدْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْمِصْرِيِّ **الْمُعْتَزِلِيِّ الْمُتَشَيِّعِ**، فَنَزَعَ فِيهِ عُرُوقٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُ، حَتَّى فَسَدَ اعْتِقَادُهُ.

وَوَزَرَ لِأَصْحَابِ قِلَاعِ الْأَلَمُوتِ مِنَ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، ثُمَّ** وَزَرَ **لِهُولَاكُو**، وَكَانَ مَعَهُ فِي وَاقِعَةِ بَغْدَادَ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَشَارَ عَلَى **هُولَاكُو** بِأَنْ يَقْتُلَ الْخَلِيفَةَ، فَاللهُ أَعْلَمُ، **وَعِنْدِي** أَنَّ هَذَا **لَا يَصْدُرُ مِنْ فَاضِلٍ وَلَا عَاقِلٍ**. وَقَدْ ذَكَرَهُ بَعْضُ الْبَغَادِدَةِ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: كَانَ عَاقِلًا فَاضِلًا، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ.

وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَنَى **الرَّصَدَ** بِمَرَاغَةَ، وَرَتَّبَ فِيهِ الْحُكَمَاءَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْأَطِبَّاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَبَنَى لَهُ فِيهِ **قُبَّةً عَظِيمَةً**، وَجَعَلَ فِيهِ كُتُبًا كَثِيرَةً جِدًّا، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ فِي ثَانِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٦٧٢هـ)، وَلَهُ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً،

٤٥- **ابْنُ عَطَاءٍ الْحَنَفِيُّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْأَذْرَعِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٩٥هـ)، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ عَنِ الشَّافِعِيِّ مُدَّةً، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِقَضَاءِ الْحَنَفِيَّةِ أَوَّلَ مَا وَلِيَتِ الْقُضَاةُ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَمَّا وَقَعَتِ الْحَوْطَةُ عَلَى أَمْلَاكِ النَّاسِ أَرَادَ السُّلْطَانُ بيبرس مِنْهُ أَنْ يَحْكُمَ بِهَا بِمُقْتَضَى مَذْهَبِهِ، **فَغَضِبَ** مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: **هَذِهِ أَمْلَاكٌ بِأَيْدِي أَرْبَابِهَا، وَمَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا**.

ثُمَّ نَهَضَ مِنَ الْمَجْلِسِ فَذَهَبَ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ سَكَنَ غَضَبُهُ، فَكَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَمْدَحُهُ، وَيَقُولُ: لَا تُثْبِتُوا كِتَابًا إِلَّا عِنْدَهُ.

كَانَ ابْنُ عَطَاءٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَخْيَارِ، كَثِيرَ التَّوَاضُعِ قَلِيلَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا، رَوَى عَنْهُ ابْنُ جَمَاعَةَ، وَأَجَازَ لِلْبِرْزَالِيِّ. تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٧٣هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

٤٦- **بِيمُنْدُ بْنُ بِيمُنْدَ بْنِ بِيمُنْدَ إِرِّيسُ طَرَابُلُسَ الْفِرِنْجِيُّ**، كَانَ جَدُّهُ نَائِبًا لِبِنْتِ صَنْجَلَ الَّذِي تَمَلَّكَ طَرَابُلُسَ مِنَ ابْنِ عَمَّارٍ فِي حُدُودِ الْخَمْسِمِائَةِ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً تَسْكُنُ بَعْضَ

جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَتَغَلَّبَ هَذَا عَلَى الْبَلَدِ لِبُعْدِهَا عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهَا وَلَدُهُ، ثُمَّ حَفِيدُهُ هَذَا، وَكَانَ شَكِلًا مَلِيحًا. قَالَ قُطْبُ الدِّينِ الْيُونِينِيُّ: رَأَيْتُهُ بِبَعْلَبَكَّ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ حِينَ جَاءَ مُسَلِّمًا عَلَى كَتْبُغَا نُوِينَ وَرَامَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ بَعْلَبَكَّ; فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَلَمَّا تُوُفِّيَ دُفِنَ فِي كَنِيسَةِ طَرَابُلُسَ وَلَمَّا فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي سَنَةِ (٦٨٨هـ) نَبَشَ النَّاسُ قَبْرَهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْهُ، وَأَلْقَوْا عِظَامَهُ عَلَى الْمَزَابِلِ لِلْكِلَابِ.

٤٧- الْأَدِيبُ الْعَلَّامَةُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ **مَحْمُودُ بْنُ عَابِدِ التَّمِيمِيُّ الصَّرْخَدِيُّ الْحَنَفِيُّ**، كَانَ مَشْهُورًا بِالْفِقْهِ وَالْأَدَبِ، وَالْعِفَّةِ وَالصَّلَاحِ، وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وُلِدَ سَنَةَ (٥٧٨هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَى، وتوفي فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٧٤هـ)، وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٨- **ابْنُ السَّاعِي الْمُؤَرِّخُ**، تَاجُ الدِّينِ بْنُ الْمُحْتَسِبِ الْبَغْدَادِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٩٣هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاعْتَنَى بِالتَّارِيخِ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ، وَلَا الضَّابِطِ الْمُتْقِنِ. وَقَدْ أَوْصَى إِلَيْهِ ابْنُ النَّجَّارِ حِينَ تُوُفِّيَ، وَلَهُ تَارِيخٌ كَبِيرٌ عِنْدِي أَكْثَرُهُ، وَمُصَنَّفَاتٌ أُخَرُ مُفِيدَةٌ، وَآخِرُ مَا صَنَّفَ كِتَابٌ فِي الزُّهَّادِ، وتوفي سنة (٦٧٤هـ).

٤٩- **الطَّوَاشِيُّ يُمْنٌ الْحَبَشِيُّ**، شَيْخُ الْخُدَّامِ بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ النَّبَوِيِّ، كَانَ دَيِّنًا عَاقِلًا عَدْلًا، صَادِقَ اللَّهْجَةِ، مَاتَ سنة (٦٧٥هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥٠- **الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ مَحْمُودِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ الشَّهْرُزُورِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، مُدَرِّسُ الْقَيْمُرِيَّةِ بِشَرْطِ وَاقِفِهَا التَّدْرِيسَ لَهُ وَلِذُرِّيَّتِهِ مَنْ تَأَهَّلَ مِنْهُمْ، فَدَرَّسَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سنة (٦٧٥هـ)، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ صَلَاحُ الدِّينِ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ بَعْدَ **ابْنِ جَمَاعَةَ**، وَطَالَتْ مُدَّةُ حَفِيدِهِ.

وَكَانَ القاضي علي فَقِيهًا جَيِّدًا نَقَّالًا لِلْمَذْهَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥١- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ جُنْدُل بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَنِينِيُّ**، كَانَتْ لَهُ عِبَادَةٌ وَزَهَادَةٌ وَأَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى زِيَارَتِهِ، زَارَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مَرَّاتٍ، وَكَذَلِكَ الْأُمَرَاءُ،

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ لَا يَفْهَمُهُ أَحَدُ مِنَ الْحَاضِرِينَ، بِأَلْفَاظٍ غَرِيبَةٍ.

وَكَانَ يَقُولُ: السَّمَاعُ وَظِيفَةُ أَهْلِ الْبَطَالَةِ. قَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ: وَكَانَ الشَّيْخُ جُنْدُلُ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ وَعُلَمَاءِ التَّحْقِيقِ. تُوُفِّي فِي رَمَضَانَ سنة (٦٧٥هـ)، وَدُفِنَ فِي زَاوِيَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِقَرْيَةِ مَنِينَ.

٥٢- **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنُ الْفُوَيْرَهِ السُّلَمِيُّ** الْحَنَفِيُّ، اشْتَغَلَ عَلَى الصَّدْرِ سُلَيْمَانَ وَابْنِ عَطَاءٍ، وَفِي النَّحْوِ عَلَى ابْنِ مَالِكٍ، وَحَصَّلَ وَبَرَعَ وَنَظَمَ وَنَثَرَ، وَدَرَّسَ فِي الشِّبْلِيَّةِ وَالْقَصَّاعِينَ، وَطُلِبَ لِنِيَابَةِ الْقَضَاءِ فَامْتَنَعَ، وَكَتَبَ الْكِتَابَةَ الْمَنْسُوبَةَ.

توفي في جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٧٥هـ) ودفن بدمشق.

٥٣- **مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مَنْصُورٍ** شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ **الْحَرَّانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، تِلْمِيذُ الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَكَمَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ نِيَابَةً عَنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ يَشْتَغِلُ وَيُفْتِي إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سنة (٦٧٥هـ)، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى السِّتِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥٤- **الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ، يَحْيَى بْنُ شَرَفِ** بْنِ مِرَى بْنِ حَسَنِ الْحِزَامِيِّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْمَذْهَبِ، وَكَبِيرُ الْفُقَهَاءِ فِي زَمَانِهِ، وُلِدَ بِنَوَى سَنَةَ (٦٣١هـ)، وهِيَ مِنْ قُرَى حَوْرَانَ، وَقَدْ قَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ (٦٤٩هـ) وَقَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ فَشَرَعَ فِي قِرَاءَةِ التَّنْبِيهِ، والْمُهَذَّبِ.

ثُمَّ لَزِمَ الْمَشَايِخَ تَصْحِيحًا وَشَرْحًا، فَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ دَرْسًا عَلَى الْمَشَايِخِ.

ثُمَّ اعْتَنَى بِالتَّصْنِيفِ فَجَمَعَ شَيْئًا كَثِيرًا، مِنْهَا مَا أَكْمَلَهُ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يُكْمِلْهُ، فَمِمَّا كَمَّلَ "شَرْحُ مُسْلِمٍ" و "الرَّوْضَةُ" وَ "الْمِنْهَاجُ" وَ "الرِّيَاضُ" وَ "الْأَذْكَارُ" وَ "التِّبْيَانُ"

وَ "تَحْرِيرُ التَّنْبِيهِ وَتَصْحِيحُهُ" وَ "تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ" وَ "طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ" وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَمِمَّا لَمْ يُتَمِّمْهُ -وَلَوْ كَمَلَ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ فِي بَابِهِ- "شَرْحُ الْمُهَذَّبِ" الَّذِي

سَـمَّاهُ "الْمَجْمُوعَ" وَصَلَ فِيهِ إِلَى كِتَابِ الرِّبَا، فَأَبْدَعَ فِيهِ وَأَجَادَ وَأَفَادَ وَأَحْسَـنَ الِانْتِقَادَ، وَحَرَّرَ الْفِقْهَ فِيهِ فِي الْمَذْهَبِ وَغَيْرِهِ، وَحَرَّرَ فِيهِ الْحَدِيثَ عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَالْغَرِيبَ وَاللُّغَةَ وَأَشْيَاءَ مُهِمَّةً لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهِ، وَقَدْ جَعَلَهُ نُخْبَةً عَلَى مَا عَنَّ لَهُ، وَلَا أَعْرِفُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ أَحْسَنَ مِنْهُ، عَلَى أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تُزَادُ فِيهِ وَتُضَافُ إِلَيْهِ.

وَقَـدْ كَانَ مِنَ الزَّهَادَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالتَّحَـرِّي وَالِانْجِمَاعِ عَنِ النَّاسِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيـرٍ، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَـدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ غَيْرُهُ، وَكَانَ يَصُومُ الدَّهْـرَ، وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ إِدَامَيْنِ، وَكَانَ غَالِبُ قُوتِهِ مِمَّا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ نَوَى.

وَقَدْ بَاشَـرَ تَدْرِيسَ الْإِقْبَالِيَّةِ نِيَابَةً عَنِ ابْنِ خَلِّـكَانَ وَكَذَلِكَ نَابَ فِي الْفَلَكِيَّةِ وَالرُّكْنِيَّةِ، وَوَلِيَ مَشْـيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْـرَفِيَّةِ، وَكَانَ لَا يُضَيِّعُ شَـيْئًا مِنْ أَوْقَاتِـهِ، وَحَجَّ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِ بِدِمَشْقَ، **وَكَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ لِلْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ**، تُوُفِّيَ فِي لَيْلَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سنة (٦٧٦هـ) بِنَوَى، وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْهُ.

٥٥- **قَاضِي الْقُضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي الْعِزِّ**، وُهَيْبٍ أَبُو الرَّبِيعِ الْحَنَفِيُّ، شَيْخُ الْحَنَفِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَعَالِمُهُمْ شَـرْقًا وَغَرْبًا، أَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً يُفْتِي وَيُدَرِّسُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يُدَرِّسُ بِالصَّالِحِيَّةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْـقَ، فَدَرَّسَ بِالظَّاهِرِيَّةِ وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بَعْدَ مَجْدِ الدِّينِ بْنِ الْعَدِيمِ ثَلَاثَةَ أَشْـهُرٍ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سَـادِسَ شَعْبَانَ سنة (٦٧٧هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ بِدَارِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً.

٥٦- **قَاضِـي الْقُضَاةِ مَجْدُ الدِّينِ عَبْـدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ** ابن الْعَدِيمِ الْحَلَبِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَلِيَ قَضَاءَ الْحَنَفِيَّةِ بَعْدَ ابْنِ عَطَاءٍ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ رَئِيسًا ابْنَ رَئِيسٍ، لَهُ إِحْسَـانٌ وَكَرَمُ أَخْلَاقٍ، وَقَدْ وَلِيَ الْخَطَابَةَ بِجَامِعِ الْقَاهِـرَةِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ **أَوَّلُ حَنَفِيٍّ وَلِيَهُ**، تُوُفِّيَ بِجَوْسَقِهِ بِدِمَشْقَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٦٧٧هـ).

٥٧- **الْوَزِيرُ ابْنُ الْحِنَّا**: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْم بْنِ عَبْدِ اللهِ الصَّاحِبُ الْمِصْرِيُّ، وَزِيرُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ وَوَلَدِهِ السَّعِيدِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٧٧هـ)، وَهُوَ جَدُّ

جَدٍّ، وَكَانَ ذَا رَأْيٍ وَعَزْمٍ وَتَدْبِيرٍ، ذَا تَمَكُّنٍ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ لَا تَمْضِي الْأُمُورُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَلَهُ مَكَارِمُ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدِ امْتَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ، وَكَانَ ابْنُهُ تَاجُ الدِّينِ وَزِيرَ الصُّحْبَةِ، وَقَدْ صُودِرَ فِي الدَّوْلَةِ السَّعِيدِيَّةِ.

٥٨- **ابْنُ إِسْرَائِيلَ الْحَرِيرِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ سَوَّارِ بْنِ إِسْرَائِيلَ بْنِ الْخَضِرِ، أَبُو الْمَعَالِي الشَّيْبَانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، وُلِدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٦٠٣هـ)، وَصَحِبَ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورٍ الْبُسْرِيَّ الْحَرِيرِيَّ، وقد لبس الخرقة.

وَكَانَ ابْنُ إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَهُ قَدِمُوا الشَّامَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَاسْتَوْطَنُوا دِمَشْقَ، وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ بَارِعًا فِي النَّظْمِ، وَلَكِنْ فِي كَلَامِهِ وَنَظْمِهِ مَا يُشِيرُ بِهِ إِلَى **نَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ** عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَابْنِ الْفَارِضِ وَشَيْخِهِ الْحَرِيرِيِّ. وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ وَحَقِيقَةِ أَمْرِهِ.

تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٦٧٧هـ)، عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَلَهُ:

أَيُّهَا الْمُعْتَاضُ بِالنَّوْمِ السَّهَرْ ... ذَاهِلًا يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الْفِكَرْ
سَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَى مَالِكِهِ ... وَاصْطَبِرْ فَالصَّبْرُ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ
لَا تَكُونَنْ آيِسًا مِنْ فَرَجٍ ... إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْغِيَرْ
كَدَرٌ يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الصَّفَا ... وَصَفًا يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الْكَدَرْ
وَإِذَا مَا سَاءَ دَهْرٌ مَرَّةً ... سَرَّ أَهْلِيهِ وَمَهْمَا سَاءَ سَرْ
فَارْضَ عَنْ رَبِّكَ فِي أَقْدَارِهِ ... إِنَّمَا أَنْتَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرْ

وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ طَوِيلَةٌ حَسَنَةٌ.

❁ ❁ ❁

٥ـ سلطنة الملك السعيد بركة خان بن الظاهر بيبرس (٦٧٦ـ٦٧٨هـ)

○ توليه السلطنة

كان الملك الظاهر بيبرس قد عهد بالأمر لوَلَده السَّعِيدُ بركة خان فِي حَالِ حَيَاتِهِ، ولما توفي تولى ابنه السلطنة، وكان عُمُرُ السَّعِيدِ يَوْمَئِذٍ دُونَ **الْعِشْرِينَ سَنَةً**.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٦٧٦هـ) **خُطِبَ** فِي جَمِيعِ الْجَوَامِعِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **لِلْمَلِكِ السَّعِيدِ**، وَصَلَّى صلاة الغائب عَلَى وَالِدِهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَاسْتَهَلَّتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ.

وَفِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٧٦هـ) رَكِبَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بِالْعَصَائِبِ عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ الْمِصْرِيُّ وَالشَّامِيُّ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَعُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةٍ، وَعَلَيْهِ أُبَّهَةُ الْمَلِكِ وَرِيَاسَةُ السَّلْطَنَةِ.

○ عودة ابن خلكان إلى ولاية القضاء

فِي أَوَائِلِ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٧٧هـ) أعيد ابْنُ خَلِّكَانَ إلى وِلَايَةُ الْقَضَاء بِدِمَشْقَ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، بَعْدَ عَزْلِ سَبْعَ سِنِينَ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّي ابْنِ خَلِّكَانَ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى الرَّمْلَةِ، وَكَانَ دُخُولُهُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَخَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ **عِزُّ الدِّينِ أَيْدَمُرُ** بِجَمِيعِ الْأُمَرَاءِ وَالْمَوَاكِبِ لِتَلَقِّيهِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ، وَأَنْشَدَ الْفَقِيهُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْوَانَ:

لَمَّا تَوَلَّى قَضَاءَ الشَّامِ حَاكِمُهُ ... قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْعَبَّاسِ ذُو الْكَرَمِ
مِنْ بَعْدِ سَبْعِ شِدَادٍ قَالَ خَادِمُهُ ... ذَا الْعَامُ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ بِالنِّعَمِ

قَالَ الْيُونِينِيُّ: وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَالِث عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٦٧٧هـ) أقام ابن خلكان الدَّرْسَ بِالظَّاهِرِيَّةِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَيْدَمُرُ الظَّاهِرِيُّ، وَكَانَ دَرْسًا حَافِلًا حَضَرَهُ الْقُضَاةُ،

وَفِي الْعَشْـرِ الْأُوَلِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٦٧٧هـ) فُتِحَتِ الْمَدْرَسَةُ **النَّجِيبِيَّةُ**، وَحَضَرَ تَدْرِيسَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْهَا لِوَلَدِهِ كَمَالِ الدِّينِ مُوسَى.

○ زيارة السلطان السعيد وأعماله بدمشق

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ خَامِسِ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٦٧٧هـ) دَخَلَ السُّـلْطَانُ السَّعِيدُ **بركة خان بن بيبرس** إِلَى **دِمَشْـقَ** وَقَدْ زُيِّنَتْ لَهُ، وَعُمِلَتْ لَهُ قِبَابٌ ظَاهِـرَةٌ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِتَلَقِّيهِ وَفَرِحُـوا بِهِ فَرَحًـا عَظِيمًا لِمَحَبَّتِهِـمْ وَالِدَهُ، وَصَلَّى عِيـدَ النَّحْرِ بِالْمَيْـدَانِ، وَعَمِلَ الْعِيدَ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَاسْتَوْزَرَ بِدِمَشْقَ الصَّاحِبَ فَتْحَ الدِّينِ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْقَيْسَرَانِيِّ.

وفِي الْعَشْـرِ الْآخِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ جَهَّزَ السُّـلْطَانُ الْعَسَـاكِرَ إِلَى بِلَادِ سِـيسَ صُحْبَةَ الْأَمِيـرِ سَـيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ، وَأَقَامَ السُّـلْطَانُ بِدِمَشْـقَ فِي طَائِفَةٍ يَسِـيرَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْخَاصِّكِيَّةِ وَالْخَوَاصِّ.

وفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ السَّـادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٧٧هـ) جَلَسَ السُّلْطَانُ السـعيد بِدَارِ الْعَدْلِ، وَأَسْـقَطَ مَا كَانَ حَدَّدَهُ وَالِدُهُ عَلَى بَسَـاتِينِ أَهْلِ دِمَشْقَ، فَتَضَاعَفَتْ لَـهُ مِنْهُمُ الْأَدْعِيَةُ، وَأَحَبُّوهُ لِذَلِكَ، فَإِنَّ الضرائب كَانَت قَـدْ أَجْحَفَت بِكَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْلَاكِ، حتى وَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ تَخَلَّصَ مِنْ مُلْكِهِ جُمْلَةً بِسَبَبِ مَا عَلَيْهِ.

وَفِيهَا طُلِبَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْـقَ خَمْسُـونَ أَلْفَ دِينَارٍ، ضُرِبَتْ أُجْـرَةً عَلَى أَمْلَاكِهِمْ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ، وَجُبِيَتْ مِنْهُمْ عَلَى الْقَهْرِ وَالْعَسْفِ.

○ وقوع الاختلاف في عدد من الممالك والبلدان

اتَّفَقَ فِي سنة (٦٧٨هـ) أُمُورٌ عَجِيبَةٌ؛ حيث وَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ الْمَمَالِكِ كُلِّهَا:

- اخْتَلَفَتِ التَّتَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ.
- اخْتَلَفَتِ الْفِرِنْجُ فِي السَّـوَاحِلِ، وَصَالَ بَعْضُهُـمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، والْفِرِنْجُ الَّذِينَ فِي دَاخِلِ الْبُحُورِ وَجَزَائِرِهَا اخْتَلَفُوا وَاقْتَتَلُوا.

- اقْتَتَلَتْ قَبَائِلُ الْأَعْرَابِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ قِتَالًا شَدِيدًا، حيث وَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ الْعَشائر مِنَ الْحَوَارِنَةِ، وَقَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَلَى سَاقٍ.
- وَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ أُمَرَاءِ الملك الظاهر على ولده السعيد.

خلع الملك السعيد

بَعَثَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ الْجَيْشَ إِلَى سِيسَ، وأَقَامَ بِدِمَشْقَ، وَأَخَذَ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالِانْبِسَاطِ مَعَ **الْخَاصَّكِيَّةِ**، حيث بَعُدَ عَنْهُ الْأُمَرَاءُ الْكِبَارُ، فَعَصَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَنَابَذُوهُ وَفَارَقُوهُ، فاجْتَمَعَ الأمراءُ مع العساكر، وشَعَّثُوا قُلُوبَهُمْ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وَوَحَّشُوا خَوَاطِرَ الْجَيْشِ عَلَيْهِ، وَقَالُوا: **الْمَلِكُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْعَبَ وَلَا يَلْهُوَ، وَإِنَّمَا هِمَّةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ، وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ**، وَالذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِمْ، ثُمَّ رَاسَلوه فِي **إِبْعَادِ الْخَاصِّكِيَّةِ** عَنْهُ، وَدُنُوِّ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى إِلَيْهِ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ يَفْعَلُ، فَلَمْ يَقْبَلْ، لِقُوَّةِ شَوْكَةِ الْخَاصِّكِيَّةِ وَكَثْرَتِهِمْ.

فَرَكِبَ الْجَيْشُ وَسَارُوا قَاصِدِينَ مَرْجَ الصُّفَّرِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ بِمَرَجِ الصُّفَّرِ **أَرْسَلَ السُّلْطَانُ أُمَّهُ إِلَيْهِمْ**، فَتَلَقَّوْهَا وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَأَخَذَتْ تَتَأَلَّفُهُمْ وَتُصْلِحُ الْأُمُورَ، فَأَجَابُوهَا **واشْتَرَطُوا شُرُوطًا عَلَى وَلَدِهَا السُّلْطَانِ السعيد بركة خان، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ لَمْ يَلْتَزِمْ بِهَا**، وَلَمْ تُمَكِّنْهُ الْخَاصِّكِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ، فَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَسَاقَ السُّلْطَانُ خَلْفَهُمْ لِيَتَلَافَى الْأُمُورَ قَبْلَ تَفَاقُمِهَا، فَلَمْ يَلْحَقْهُمْ وَسَبَقُوهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا صَدُّوهُ عَنْهَا، **وَقَاتَلُوهُ فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ نَفَرٌ يَسِيرٌ**.

ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ مَعَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ الْأَلْفِيِّ الصَّالِحِيِّ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٦٧٨ هـ)، عَلَى أَنْ يَتْرُكَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ الْمُلْكَ، وَيَتَعَوَّضَ بِالْكَرَكِ وَالشُّوبَكِ، وَتَكُونَ الْمَمْلَكَةُ **إِلَى أَخِيهِ الصَّغِيرِ بَدْرِ الدِّينِ سَلَامُشَ**.

❁ ❁ ❁

٦ـ سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر بيبرس (٦٧٨هـ)

❍ توليه السلطنة

فِي سَابِعَ عَشَرَ رَبِيع الْآخِر سنة (٦٧٨هـ) حَضَرَ الْقُضَاةُ وَالدَّوْلَةُ مِنْ أُولِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَخَلَعَ الملك السَّعِيدُ بن الظاهر بيبرس نَفْسَهُ مِنَ السَّلْطَنَةِ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ، ثـم بَايَعُوا أَخَاهُ **بَدْرَ الدِّينِ سَلَامُشَ بن بيبرس**، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ، **وَعُمْرُهُ** يَوْمَئِذٍ **سَبْعُ** سِنِينَ، وَجَعَلُوا **أَتَابِكَهُ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ قَلَاوُونَ** الْأَلْفِيَّ الصَّالِحِيَّ.

❍ خلعه

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ (٦٧٨هـ) اجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ مِنْ مِصْرَ، **وَخَلَعُوا** الْمَلِكَ الْعَادِلَ **سُلَامِشَ بْنَ الظَّاهِرِ بيبرس**، وَكَانُوا **قَدْ بَايَعُوهُ صُورَةً** لِيَسْكُنَ الشَّرُّ عِنْدَ خَلْعِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ، فكانت مدة سلطنته الصورية **ثلاثة أشهر**.

❁ ❁ ❁

٧ـ سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي (٦٧٨ـ٦٨٩هـ)

❍ توليه السلطنة

فِي رَجَبٍ سنة (٦٧٨هـ) اتفق الأمراء عَلَى بَيْعَةِ **قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ**، وَلَقَّبُوهُ **بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ**، وَجَاءَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى دِمَشْقَ، فَوَافَقَ الْأُمَرَاءُ وَحَلَفُوا إلا أَنَّ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ **سُنْقُرَ الْأَشْقَرَ** لَمْ يَرْضَ بِمَا وَقَعَ، وَكَأَنَّهُ دَاخَلَهُ حَسَدٌ على **قَلَاوُون الصَّالِحِيِّ**، وكَانَ يَرَى أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُ عِنْدَ الظَّاهِرِ بيبرس.

وَخُطِبَ **لِلْمَنْصُورِ قلاوون** عَلَى الْمَنَابِرِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِاسْمِهِ، وَجَرَتِ الْأُمُورُ بِمُقْتَضَى رَأْيِهِ، فَعَزَلَ وَوَلَّى وَنُفِّذَتْ مَرَاسِيمُهُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ.

❍ استيلاء سنقر على الشام

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٧٨هـ) رَكِبَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْجُنْدِ، حتى دَخَلَ الْقَلْعَةَ بدمشق، وَاسْتَدْعَى الْأُمَرَاءَ، **فَبَايَعُوهُ عَلَى السَّلْطَنَةِ، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْكَامِلِ**، وَأَقَامَ بِالْقَلْعَةِ، وَنَادَتِ الْمُنَادِيَةُ **بِدِمَشْقَ** بِذَلِكَ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ السَّبْتِ اسْتَدْعَى بِالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ وَرُؤَسَاءِ الْبَلَدِ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالْقَلْعَةِ وَحَلَّفَهُمْ، وَحَلَفَ لَهُ بَقِيَّةُ الْأُمَرَاءِ وَالْعَسْكَرِ، وَأَرْسَلَ الْعَسَاكِرَ إِلَى غَزَّةَ لِحِفْظِ الْأَطْرَافِ، وَأَخْذِ الْغَلَّاتِ.

❍ استرداد الشام من سنقر الأشقر

لما بَلَغَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قلاوون الصالحي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ بِالشَّامِ **أَرْسَلَ** إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا فِي سنة (٦٧٩هـ) فَهَزَمُوا عَسْكَرَ **سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ** الَّذِي كَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ إِلَى غَزَّةَ، وَسَاقُوهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى وَصَلَ جَيْشُ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى قَرِيبِ دِمَشْقَ.

فنهض **سنقر الأشقر** فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عَشَرَ صَفَرٍ لمواجهتهم، وَاسْتَخْدَمَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَنْفَقَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَانْضَافَ إِلَيْهِ **عَرَبُ الْأَمِيرِ** عِيسَى **بْنِ مُهَنَّا**، وَشِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ **حَجِّي**، وَنَجْدَةُ حَلَبَ، وَنَجْدَةُ **حَمَاةَ**، وَرِجَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جِبَالِ **بَعْلَبَكَّ**.

فَلَمَّا **تَرَاءَى الْجَمْعَانِ وَتَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ تَقَاتَلُوا**، فَقُتِلَ نَفَرٌ كَثِيرٌ، وَثَبَتَ **سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ** ثَبَاتًا جَيِّدًا، وَلَكِنْ **خَامَرَ عَلَيْهِ الْجَيْشُ**، فَمِنْهُمْ مَنْ صَارَ إِلَى الْمِصْرِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنِ انْهَزَمَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَلَمْ يَسَعْهُ إِلَّا الِانْهِزَامُ عَلَى **طَرِيقِ الْمَرْجِ** فِي طَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ فِي صُحْبَةِ عِيسَى بْنِ مُهَنَّا، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى **بَرِّيَّةِ الرَّحْبَةِ**، فَأَنْزَلَهُمْ فِي بُيُوتٍ مِنْ شَعْرٍ، وَأَقَامَ بِهِمْ وَبِدَوَابِّهِمْ مُدَّةَ مُقَامِهِمْ عِنْدَهُ.

وأما الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ انْهَزَمُوا عَنْهُ، فَأَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا مِنَ الْأَمِيرِ **سَنْجَرَ الحلبي**، قائد الجيش المصري، وَقَدْ نَزَلَ فِي ظَاهِرِ دِمَشْقَ، فَرَاسَلَ نَائِبَ الْقَلْعَةِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فُتِحَتِ الْقَلْعَةُ، **فَتَسَلَّمَهَا لِلْمَنْصُور قلاوون الصالحي**، وَأُفْرِجَ عَنِ الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرْسَ الْعَجَمِيِّ، وَالْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ **لَاجِينَ الْمَنْصُورِيِّ**، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ، الَّذِينَ كَانَ قَدِ اعْتَقَلَهُمْ سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ، وَأَرْسَلَ **سَنْجَرُ الحلبي** الْبَرِيدِيَّةَ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، يُعْلِمُونَهُ بِصُورَةِ الْحَالِ.

وَجَاءَ **ابْنُ خَلِّكَانَ** لِيُسَلِّمَ عَلَى الْأَمِيرِ سَنْجَرَ الْحَلَبِيِّ، فَاعْتَقَلَهُ، ثم عَزَلَه عن القضاء، ثُمَّ جَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ مَعَهُمْ كِتَابٌ مِنَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ بِالْعَفْوِ عَنِ الناس كُلِّهِمْ، فَتَضَاعَفَتْ لَهُ الْأَدْعِيَةُ.

وَجَاءَ تَقْلِيدُ النِّيَابَةِ بِالشَّامِ لِلْأَمِيرِ **حُسَامِ الدِّينِ لَاجِينَ** السِّلَحْدَارِ الْمَنْصُورِيِّ، فَدَخَلَ مَعَهُ دمشق عَلَمُ الدِّينِ **سَنْجَرُ الْحَلَبِيُّ** فَرَتَّبَهُ بِدَارِ السَّعَادَةِ.

ثم جَاءَ الْبَرِيدُ بِكِتَابٍ مِنَ السُّلْطَانِ، فِيهِ **تَقْرِيرُ ابْنِ خَلِّكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ**، وَالْعَفْوُ عَنْهُ، وَشُكْرُهُ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَذِكْرُ خِدْمَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَمَعَهُ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ لَهُ، فَلَبِسَهَا وَصَلَّى بِهَا الْجُمُعَةَ، وَسَلَّمَ عَلَى الْأُمَرَاءِ، فَأَكْرَمُوهُ وَعَظَّمُوهُ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ وَبِمَا وَقَعَ مِنَ الصَّفْحِ عَنْهُ.

وَأَمَّا سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ فقد فَارِقَ الْأَمِيرَ عِيسَى بْنَ مُهَنَّا، وَسَارَ إِلَى السَّوَاحِلِ، فَاسْتَحْوَذَ مِنْهَا عَلَى حُصُونٍ كَثِيرَةٍ؛ **مِنْهَا**: **صِهْيَوْنُ**، وَقَدْ كَانَ بِهَا أَوْلَادُهُ وَحَوَاصِلُهُ، **وَاللَّاذِقِيَّةِ**، **وَشَيْزَرَ**.

فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ **الْمَنْصُورُ قلاوون الصالحي** طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ لِحِصَارِ **شَيْزَرَ**، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ **أَقْبَلَتِ التَّتَارُ** مِنْ كُلِّ فَجٍّ لَمَّا سَمِعُوا بِتَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ إِلَى الشَّامِ، وَمِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، فَوَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى حَلَبَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا،

وكَتَبَ **المنصور قلاوون** إِلَى سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ: **إِنَّ التَّتَارَ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ نَتَّفِقَ عَلَيْهِمْ** لِئَلَّا يَهْلِكَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَإِذَا مَلَكُوا الْبِلَادَ لَمْ يَدَعُوا مِنَّا أَحَدًا. فَكَتَبَ إِلَيْهِ **سُنْقُرُ** بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَبَرَزَ مِنْ حِصْنِهِ، فَخَيَّمَ بِجَيْشِهِ لِيَكُونَ عَلَى أُهْبَةِ الاستعداد، وَنَزَلَتْ نُوَّابُهُ مِنْ حُصُونِهِمْ، وَبَقَوْا مُسْتَعِدِّينَ لِقِتَالِ التَّتَارِ، وَخَرَجَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْ مِصْرَ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٧٩هـ)، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ.

ثم جاء البريد **بِرُجُوعِ التَّتَارِ** مِنْ حَلَبَ إِلَى بِلَادِهِمْ، لِمَا بَلَغَهُمْ مِنِ اتِّفَاقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَعَادَ الْمَنْصُورُ إِلَى مِصْرَ.

وَجَاءَ الْأَمِيرُ عِيسَى بْنُ مُهَنَّا مِنْ بِلَادِ الْعِرَاقِ إِلَى خِدْمَةِ الْمَنْصُورِ، فَتَلَقَّاهُ السُّلْطَانُ وَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، وَعَامَلَهُ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ.

○ خروج المنصور قلاوون من مصر لحصار عكا

فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٧٩هـ) **خَرَجَ** الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قلاوون الصالحي مِنْ بِلَادِ مِصْرَ بِالْعَسَاكِرِ قَاصِدًا **الشَّامَ**، وَاسْتَنَابَ عَلَى مِصْرَ وَلَدَهُ الْمَلِكَ الصَّالِحَ **عَلِيَّ بْنَ الْمَنْصُورِ** إِلَى حِينِ رُجُوعِهِ. وَجَاءَ السُّلْطَانُ فَنَزَلَ بِعَسَاكِرِهِ تُجَاهَ **عَكَّا**، فَخَافَتِ الْفِرِنْجُ مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا، وَرَاسَلُوهُ فِي طَلَبِ تَجْدِيدِ الْهُدْنَةِ فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ انْتَهَى أَمَدُها، فَأَقَامَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ إِلَى أَوَّلِ سَنَةِ (٦٨٠)، حتى تم تجديد الْهُدْنَةُ.

○ المصالحة مع سنقر الأشقر وصاحب الكرك

فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٨٠هـ) وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُون وَبَيْنَ **سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ** عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ لِلسُّلْطَانِ شَيْزَرَ وَيُعَوِّضَهُ عَنْهَا بِأَنْطَاكِيَةَ، وَكَفْرَ طَابَ، وَشُغْرٍ، وَبَكَاسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ يُقِيمَ عَلَى مَا بِيَدِهِ سِتَّمِائَةِ فَارِسٍ، وَتَحَالَفَا عَلَى ذَلِكَ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ لِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ صَالَحَ صَاحِبَ الْكَرَكِ الْمَلِكَ خَضِرَ بْنَ الظَّاهِرِ عَلَى تَقْرِيرِ مَا بِيَدِهِ، وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي الْبِلَادِ.

○ أمر السلطان بإرغام أهل الذمة على الإسلام

صدر مَرْسُومُ السُّلْطَانِ المنصور قلاوون في سنة (٦٨٠هـ) بِاسْتِسْلَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالْكَتَبَةِ بدمشق، وَمَنْ لَا يُسْلِمُ يُصْلَبُ، فَأَسْلَمُوا كُرْهًا.

فَكَانُوا يَقُولُونَ: **آمَنَّا وَحَكَمَ الْحَاكِمُ بِإِسْلَامِنَا**. بَعْدَ أَنْ عَرَضَ مَنِ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَلَى الصَّلْبِ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَجُعِلَتِ الْحِبَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَأَجَابُوا وَالْحَالَةُ هَذِهِ.

وَفِي شَوَّالٍ سنة (٦٨٠هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ بِسَبَبِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْكُتَّابِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ **أَسْلَمُوا كُرْهًا**، وَقَدْ كَتَبَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفْتِينَ بِأَنَّهُمْ **كَانُوا مُكْرَهِينَ، فَلَهُمُ الرُّجُوعُ إِلَى دِينِهِمْ**، وَأُثْبِتَ الْإِكْرَاهُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَالِكِيِّ، فَعَادَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى دِينِهِمْ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ.

○ وقعة حمص مع التتار

فِي سنة (٦٨٠هـ) كتب السُّلْطَانُ **الْمَنْصُورُ قلاوون** إِلَى **مِصْرَ** وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ يَسْتَدْعِي الْجُيُوشَ لِأَجْلِ اقْتِرَابِ مَجِيءِ التَّتَارِ؛ فَدَخَلَ الأمير **أَحْمَدُ بْنُ حَجِّي**، وَمَعَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَجَاءَ **صَاحِبُ الْكَرَكِ**، الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ نَجْدَةً، وَقَدِمَ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَانْجَفَلَ النَّاسُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي، وَتَرَكُوا الْغَلَّاتِ وَالْأَمْوَالَ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَدْهَمَهُمُ الْعَدُوُّ مِنَ التَّتَارِ.

وَوَصَلَتِ **التَّتَرُ** صُحْبَةَ **مَنْكُوتَمُرَ** بْنِ هُولَاكُو إِلَى **عَيْنِ تَابَ** [١]، وَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ إِلَى نَوَاحِي حَلَبَ، وَنَازَلَتِ التَّتَرَ **بِالرَّحْبَةِ** فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ طَائِفَةً مِنَ الْأَعْرَابِ.

وخَرَجَ الْمَلِكُ **الْمَنْصُورُ قلاوون** مِنْ دِمَشْقَ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الآخرة، **وَقَنَتَ الْخُطَبَاءُ وَالْأَئِمَّةُ فِي الصَّلَوَاتِ**، وَوَضَعُوا الْمُصْحَفَ الْعُثْمَانِيَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَجَعَلُوا يَبْتَهِلُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ

وَلَمَّا انْتَهَى السُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ إِلَى **حِمْصَ** كَتَبَ إِلَى **سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ** يَطْلُبُهُ إِلَيْهِ نَجْدَةً، فَجَاءَ إِلَى خِدْمَتِهِ، فَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ، وَتَكَامَلَتِ الْجُيُوشُ كُلُّهَا.

فَلَمَّا وَصَلَ **التتار حَمَاةَ** أَحْرَقُوا بُسْتَانَ الْمَلِكِ وَقَصْرَهُ، وَمَا هُنَالِكَ مِنَ الْمَسَاكِنِ، وَالسُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ مُخَيِّمٌ بِحِمْصَ مع عساكره.

وفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، عِنْدَ **طُلُوعِ الشَّمْسِ**، وَعَسْكَرُ التَّتَرِ فِي مِائَةِ أَلْفِ فَارِسٍ، وَعَسْكَرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَزِيدُ قَلِيلًا، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا، لَمْ يُرَ مِثْلُهُ مِنْ أَعْصَارٍ مُتَطَاوِلَةٍ، **فَاسْتَظْهَرَ التَّتَرُ أَوَّلَ النَّهَارِ**، وَثَبَتَ السُّلْطَانُ ثَبَاتًا عَظِيمًا جِدًّا فِي جَمَاعَةٍ قَلِيلَةٍ، وَقَدِ انْهَزَمَ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّتَارُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا وَرَاءَهُمْ إِلَى بُحَيْرَةِ حِمْصَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْعَامَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ أَعْيَانَ الْأُمَرَاءِ مِنَ الشُّجْعَانِ وَالْفُرْسَانِ؛ مِثْلَ سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ، وَبَيْسَرِي، وَحُسَامِ الدِّينِ لَا جِينَ، وَأَمْثَالِهِمْ تَذَامَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لَمَّا رَأَوْا ثَبَاتَ السُّلْطَانِ، فَرَجعوا إِلَى السُّلْطَانِ، وَحَمَلُوا **حَمَلَاتٍ مُتَعَدِّدَةً صَادِقَةً**، وَلَمْ يَزَالُوا يُتَابِعُونَ الْحَمْلَةَ بَعْدَ الْحَمْلَةِ، حَتَّى كَسَرَ اللهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ التَّتَرَ، **وَجُرِحَ مَنْكُوتَمُرُ**.

---

(١) عين تاب: من أعمال حلب، قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية. معجم البلدان - الفكر (٤/ ١٧٦).

وَجاءَالْأَمِيرُ عِيسَى بْنُ مُهَنَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْعَرْضِ فَصدَمَ التَّتَرَ، فَاضْطَرَبَتِ الْجُيُوشُ لِصَدْمَتِهِ، **وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ، وَقَتَلُوا مِنَ التَّتَارِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا**، وَكَانَ ذَلِكَ تَمَامَ النَّصْرِ، وَكَانَ انْهِزَامُ التَّتَرِ **قَبْلَ الْغُرُوبِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ**.

وَقَدِ اسْتُشْهِدَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ؛ مِنْهُمُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْحَاجُّ عِزُّ الدِّينِ أَزْدَمُرُ الْجَمْدَارُ، وَهُوَ الَّذِي جَرَحَ مَلِكَ التَّتَارِ يَوْمَئِذٍ مَنْكُوتَمُرَ، فَإِنَّهُ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ.

ودَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى **دِمَشْقَ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ (٦٨٠هـ)، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأُسَارَى، فَنَزَلَ بِالْقَلْعَةِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

❍ المصالحة مع ملك التتر أحمد بن أبغا

فِي سنة (٦٨١هـ) أَرْسَلَ **مَلِكُ التَّتَرِ أَحْمَدُ بن أبغا** إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُصَالَحَةَ وَحَقْنَ الدِّمَاءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَجَاءَ فِي الرَّسْلِيَّةِ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ أَحَدُ تَلَامِيذِ النَّصِيرِ الطُّوسِيِّ، فَأَجَابَ الْمَنْصُورُ إِلَى ذَلِكَ.

وفِي سنة (٦٨٢هـ) **اخْتَلَفَ التَّتَرُ** فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَلِكِهِمُ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ، فَعَزَلُوهُ عَنْهُمْ وَقَتَلُوهُ، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمُ السُّلْطَانَ أَرْغُونَ بْنَ أَبْغَا، وَنَادَوْا بِذَلِكَ فِي جَيْشِهِمْ، وَتَأَطَّدَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَمَشَتْ أُمُورُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَبَادَتْ دَوْلَةُ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ، وَقَامَتْ دَوْلَةُ أَرْغُونَ بْنِ أَبْغَا.

❍ أخبار القضاة والمدارس

◉ فِي سنة (٦٨٢هـ) وَلِيَ الْخَطَابَةَ بِدِمَشْقَ الشَّيْخُ **عَبْدُ الْكَافِي بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ** بْنِ عَبْدِ الْكَافِي، عِوَضًا عَنْ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَخَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

◉ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٦٨٢هـ) **احْتِيطَ عَلَى الْقَاضِي عِزِّ الدِّينِ بْنِ الصَّائِغِ** بِالْقَلْعَةِ، وَأَثْبَتَ ابْنُ الْحُصْرِيِّ نَائِبُ الْحَنَفِيِّ مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أَنَّ عِنْدَهُ

وَدِيعَةً بِمِقْدَارِ ثَمَانِيَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِنْ جِهَةِ ابْنِ الْإِسْكَافِ، وَكَانَ الَّذِي أَثَارَ ذَلِكَ شَخْصٌ قَدِمَ مِنْ حَلَبَ يُقَالُ لَهُ: تَاجُ الدِّينِ بْنُ السِّنْجَارِيِّ.

- وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بَعْدَ ابن الصائغ، **بَهَاءُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الزَّكِيِّ**، وَحَكَمَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَالِثَ وَعِشْرِينَ رَجَبٍ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ زِيَارَةِ ابْنِ الصَّائِغِ، وَسَعَى فِي إِثْبَاتِ مَحْضَرٍ آخَرَ أَنَّ عِنْدَهُ وَدِيعَةً بِقِيمَةِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِلصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ، وَقَامَ فِي ذَلِكَ ابْنُ الشَّاكِرِيِّ، وَالْجَمَالُ بْنُ الْحَمَوِيِّ وَآخَرُونَ، وَتَكَلَّمُوا فِي قَضِيَّةٍ ثَالِثَةٍ، ثُمَّ عُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ نَالَهُ فِيهِ شِدَّةٌ شَدِيدَةٌ، وَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى اعْتِقَالِهِ، وَقَامَ فِي صَفِّهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَكَلَّمُوا فِيهِ السُّلْطَانَ، فَأَطْلَقَهُ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ، وَانْتَقَلَ مِنَ الْعَادِلِيَّةِ إِلَى دَارِهِ بِدَرْبِ النَّقَّاشَةِ، وَكَانَ عَامَّةُ جُلُوسِهِ فِي الْمَسْجِدِ تُجَاهَ دَارِهِ.

- وَفِي رَجَبٍ سنة (٦٨٢هـ) بَاشَرَ **حِسْبَةَ دِمَشْقَ** جَمَالُ الدِّينِ **بْنُ صَصْرَى**.

- وَفِي شَعْبَانَ سنة (٦٨٢هـ) **دَرَّسَ** الْخَطِيبُ جَمَالُ الدِّينِ **بْنُ عَبْدِ الْكَافِي بِالْغَزَّالِيَّةِ** عِوَضًا عَنِ الْخَطِيبِ ابْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَأُخِذَ مِنْهُ الدَّوْلَعِيَّةُ لِكَمَالِ الدِّينِ بْنِ النَّجَّارِ، الَّذِي كَانَ وَكِيلَ بَيْتِ الْمَالِ.

- ثُمَّ أَخَذَ **شَمْسُ الدِّينِ الْإِرْبِلِيُّ** تَدْرِيسَ الْغَزَّالِيَّةِ بعد ابْنِ عَبْدِ الْكَافِي.

- وَفِي آخِرِ شَعْبَانَ سنة (٦٨٢هـ) بَاشَرَ نِيَابَةَ الْحُكْمِ **عَنِ ابْنِ الزَّكِيِّ**، شَرَفُ الدِّينِ **أَحْمَدُ بْنُ نِعْمَةَ الْمَقْدِسِيُّ**، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْفُضَلَاءِ، وَسَادَاتِ الْعُلَمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَخُوهُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ فِي شَوَّالٍ وَلِيَ مَكَانَهُ تَدْرِيسَ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَأُخِذَتْ مِنْهُ الْعَادِلِيَّةُ الصَّغِيرَةُ، فَدَرَّسَ فِيهَا الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ صَصْرَى التَّغْلِبِيُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَأُخِذَتْ مِنْ شَرَفِ الدِّينِ أَيْضًا الرَّوَاحِيَّةُ، فَدَرَّسَ فِيهَا نَجْمُ الدِّينِ الْبَيَانِيُّ نَائِبُ الْحُكْمِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ.

⦿ وَفِـي النِّصْـفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سـنة (٦٨٦هـ) حَكَمَ الْقَاضِـي **جَلَالُ الدِّيـنِ الْحَنَفِيُّ بدمشق** نِيَابَةً عَنْ أَبِيهِ حُسَامِ الدِّينِ الرَّازِيِّ.

⦿ وَفِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٨٦هـ) قَدِمَ الْقَاضِي **شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي** شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيلِ الْخُوَيِّيُّ مِنَ الْقَاهِرَةِ عَلَى قَضَاءِ قُضَاةِ **دِمَشْقَ**، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهَلَّ رَبِيعٍ الْآخِرِ.

⦿ وَفِـي يَـوْمِ الْأَحَـدِ ثَالِـثِ شَـوَّالٍ سـنة (٦٨٦هـ) دَرَّسَ بِالرَّوَاحِيَّةِ الشَّـيْخُ صَفِيُّ الدِّيـنِ الْهِنْدِيُّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ، وَالشَّـيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَـزَارِيُّ، وَعَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ.

⦿ وَتَوَلَّـى قَضَاءَ قُضَاةِ الْقَاهِـرَةِ تَقِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ بِنْـتِ الْأَعَزِّ، عِوَضًا عَنْ بُرْهَانِ الدِّينِ الْخَضِرِ بْنِ الْحَسَـنِ السِّـنْجَارِيِّ، فَاجْتَمَعَ حِينَئِذٍ لِابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ بَيْنَ الْقَضَاءِ كُلِّهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ صَفَرٍ مِنْ سنة (٦٨٦هـ).

⦿ وَفِي أَوَاخِرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ فِي سـنة (٦٨٧هـ) قَدِمَ الشَّـيْخُ نَاصِـرُ الدِّينِ **عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَقْدِسِيُّ** مِنَ الْقَاهِرَةِ عَلَى وِكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَظَرِ الْأَوْقَافِ، وَنَظَرِ الْخَاصِّ، وَمَعَهُ تَقَالِيـدُ، وَخِلَعٌ، فتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَى بَابِهِ، وَتَكَلَّـمَ فِي الْأُمُورِ، **وَآذَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ**. وَقَدِ اسْـتَجَدَّ بَاشُورَةً [١] بِبَابِ الْفَرَادِيسِ وَمَسَاطِبِ بَابِ السَّاعَاتِ لِلشُّهُودِ، وَجَدَّدَ بَابَ الْجَابِيَةِ الشَّـمَالِيَّ وَرَفَعَهُ، وَكَانَ نازلاً، وَأَصْلَحَ الْجِسْـرَ الَّذِي تَحْتَهُ، وَكَذَلِكَ أَصْلَحَ جِسْـرَ بَابِ الْفَرَادِيسِ تَحْتَ السُّوَيْقَةِ الَّتِي جَدَّدَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ ابْنُ الْمَقْدِسِيِّ.

وَقَـدْ كَانَ مَعَ ذَلِـكَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ ظَلُومًا غَشُـومًا، وَيَفْتَحُ عَلَى النَّـاسِ أَبْوَابًا مِنَ الظُّلْمِ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا.

(١) الباشورة: طريق منعطف بين بابي البلد، يُجعل لعرقلة السير والهجوم وقت الحصار والحرب؛ ليصعب الهجوم على البلد. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ٣٠).

⊙ وَفِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٨٧هـ) قَدِمَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاضِي الْقُضَاةِ حُسَامُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَالصَّاحِبُ تَقِيُّ الدِّينِ تَوْبَةُ التَّكْرِيتِيُّ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزَّوَاوِيُّ الْمَالِكِيُّ، عَلَى قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ، فَأَقَامَ شِعَارَ الْمَنْصِبِ، وَدَرَّسَ وَنَشَرَ الْمَذْهَبَ، وَكَانَ لَهُ سُؤْدُدٌ وَرِيَاسَةٌ.

⊙ وَفِي رَمَضَانَ سنة (٦٨٧هـ) بَاشَرَ حِسْبَةَ دِمَشْقَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ السَّلْعُوسِ عِوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ الشِّيرَجِيِّ.

⊙ وفي سنة (٦٨٧هـ) تَوَجَّهَ الشَّيْخُ **بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ** إِلَى خَطَابَةِ **الْقُدْسِ** بَعْدَ مَوْتِ خَطِيبِهِ، وبَاشَرَ تَدْرِيسَ **الْقَيْمُرِيَّةِ** عَلَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ أَخُو قَاضِي مِصْرَ، بعد **بَدْرِ الدِّينِ ابن جماعة**، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ أَخَذَ ابْنُ جَمَاعَةَ قَضَاءَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

⊙ وَفِي سنة (٦٨٨هـ) تَوَلَّى الْحِسْبَةَ بِدِمَشْقَ جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ التَّقِيِّ تَوْبَةُ التَّكْرِيتِيُّ، ثُمَّ أَخَذَهَا بَعْدَ شُهُورٍ تَاجُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ.

⊙ فِي صَفَرٍ سنة (٦٩٣هـ) عُزِلَ بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ جَمَاعَةَ** عَنِ الْقَضَاءِ، وَأُعِيدَ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ بِنْتِ الْأَعَزِّ، وَاسْتَمَرَّ ابْنُ جَمَاعَةَ مُدَرِّسًا بِمِصْرَ فِي كِفَايَةٍ وَرِيَاسَةٍ.

⊙ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٦٩٣هـ) دَرَّسَ **بِالْمَسْرُورِيَّةِ** الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ، وَحَضَرَ أَخُوهُ وَقَاضِي الْقُضَاةُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْخُوَيِّيِّ، وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَةَ**، وَكَانَ دَرْسًا حَافِلًا.

⊙ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَامِنِ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٦٩٣هـ) دَرَّسَ بِالْغَزَّالِيَّةِ الْخَطِيبُ شَرَفُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ، وَتَرَكَ الشَّامِيَّةَ الْبَرَّانِيَّةَ.

⊙ وَبَاشَرَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارِقِيُّ في سنة (٦٩٣هـ) تَدْرِيسَ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَانْتُزِعَتْ مِنْ يَدِهِ النَّاصِرِيَّةِ، فَدَرَّسَ بِهَا **ابْنُ جَمَاعَةَ، كما درس بِالْعَادِلِيَّةِ** فِي الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

⊙ وَفِي رَجَبٍ سـنة (٦٩٤هـ) حَكَمَ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِـيِّ نِيَابَةً عَنِ الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ **بْنِ جَمَاعَةَ**.

⊙ وَفِي سـنة (٦٩٤هـ) دَرَّسَ **بِالْمُعَظَّمِيَّةِ** الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْعِزِّ، انْتَزَعَهَا مِنْ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ الدَّقَّاقِ.

⊙ وَفِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ سنة (٦٩٤هـ) قَدِمَ الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ **بْنُ صَصْرَى** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى قَضَاءِ الْعَسَاكِرِ بِالشَّامِ.

⊙ وَفِي ظُهْرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ خَامِسِ شَـوَّالٍ سـنة (٦٩٤هـ) صَلَّـى الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ جَمَاعَةَ** بِمِحْرَابِ الْجَامِعِ إِمَامًا وَخَطِيبًا، ثُمَّ خَطَبَ مِنَ الْغَدِ، وَشُـكِرَتْ خُطْبَتُهُ وَقِرَاءَتُهُ، وَذَلِكَ مُضَافٌ إِلَيْهِ مَا بِيَدِهِ مِنَ الْقَضَاءِ وَغَيْرِهِ.

⊙ وَفِي أَوَاخِرِ شَـوَّالٍ سـنة (٦٩٤هـ) قَدِمَتْ مِنَ **الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ تَوَاقِيعُ شَـتَّى**؛ مِنْهَا **تَدْرِيـسُ الْغَزَّالِيَّةِ** لِابْنِ صَصْرَى، وَتَوْقِيعٌ بِتَدْرِيسِ **الْأَمِينِيَّـةِ** لِإِمَامِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، وَرُسِمَ لِأَخِيهِ جَلَالِ الدِّينِ بِتَدْرِيسِ **الظَّاهِرِيَّةِ** الْبَرَّانِيَّةِ.

⊙ وَبَاشَـرَ سنة (٦٩٤هـ) مَشْـيَخَةَ **دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ** الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ الْعَطَّارِ عِوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ الْمَقْدِسِيِّ.

⊙ وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٩٥هـ) وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِمِصْـرَ الشَّـيْخُ الْعَلَّامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ **بْـنُ دَقِيقِ الْعِيدِ** عِوَضًا عَنْ تَقِـيِّ الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ.

⊙ قَـالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَفِي رَجَبٍ سـنة (٦٩٥هــ) دَرَّسَ كَمَالُ الدِّينِ **بْنُ الْقَلَانِسِـيِّ** بِالظَّاهِرِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ عِوَضًا عَنْ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ.

⊙ وَفِـي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي شَـهْرِ رَجَبٍ سـنة (٦٩٥هــ) دَرَّسَ الْقَاضِي إِمَـامُ الدِّينِ **بِالْقَيْمُرِيَّةِ** عِوَضًا عَنْ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ رَزِينَ الَّذِي تُوُفِّيَ.

- وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٦٩٥هـ) وَلِيَ قَضَاءَ الْحَنَابِلَةِ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْزَةَ الْمَقْدِسِيُّ**، وَخُلِعَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَقِيَّةِ الْحُكَّامِ وَأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ الْكِبَارِ وَأَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ.

- وَفِي سنة (٦٩٥هـ) وَلِيَ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ وِكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

- فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٩٦هـ)، وَصَلَ الْبَرِيدُ فَأَخْبَرَ بِوِلَايَةِ **إِمَامِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ** قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِالشَّامِ عِوَضًا عَنْ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ، وَإِبْقَاءِ ابْنِ جَمَاعَةَ عَلَى الْخَطَابَةِ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ **تَدْرِيسُ الْقَيْمُرِيَّةِ** الَّتِي كَانَتْ بِيَدِ إِمَامِ الدِّينِ.

- وَفِي شَعْبَانَ سنة (٦٩٦هـ)، وَصَلَ الْخَبَرُ بِأَنَّ شَمْسَ الدِّينِ الْأَعْسَرَ تَوَلَّى **بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ** شَدَّ الدَّوَاوِينِ وَالْوِزَارَةَ، وَبَاشَرَ الْمَنْصِبَيْنِ جَمِيعًا.

- وَفِي شَعْبَانَ سنة (٦٩٦هـ) أُعِيدَتِ **الشَّامِيَّةُ** الْبَرَّانِيَّةُ إِلَى الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ الْفَارِقِيِّ مَعَ **النَّاصِرِيَّةِ** بِسَبَبِ غَيْبَةِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ بِالْقَاهِرَةِ.

- قَدِمَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِيِّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَعَهُ تَوْقِيعٌ بِتَدْرِيسِ النَّاصِرِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَدَرَّسَ فِيهَا يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمَ عَرَفَةَ سنة (٦٩٦هـ).

- فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٩٧هـ)، دَرَّسَ **بِالْجَوْزِيَّةِ** عِزُّ الدِّينِ بْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ سُلَيْمَانَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ إِمَامُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ وَأَخُوهُ جَلَالُ الدِّينِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، وَبَعْدَ التَّدْرِيسِ جَلَسَ وَحَكَمَ عَنْ أَبِيهِ بِإِذْنِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ.

- وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَاشِرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩٧هـ)، أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِالْمَدْرَسَةِ **الْمُعَظَّمِيَّةِ**، وَخَطَبَ فِيهَا مُدَرِّسُهَا الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ **بْنُ الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ**.

انتزاع بعض الحصون من الفرنج

فِـي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ سـنة (٦٨٤هـ) قَدِمَ الْمَلِـكُ **الْمَنْصُورُ قلاوون** إِلَى دِمَشْـقَ وَمَعَهُ الْجُيُـوشُ، وَجَاءَ إِلَى خِدْمَتِهِ صَاحِبُ حَمَاةَ الْمَلِـكُ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْمَنْصُورِ، فَتَلَقَّاهُ بِجَمِيعِ الْجُيُوشِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ الْمُلُوكِ، ثُمَّ سَـافَرَ السُّـلْطَانُ بِالْعَسَـاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ، فَنَـزَلَ **الْمَرْقَـبَ**، فَفَتَحَهُ اللهُ عَلَيْهِـمْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَـرَ صَفَرٍ، وَجَاءَتِ الْبِشَـارَةُ بِذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحِصْنَ كَانَ مَضَرَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَـمْ يَتَّفِـقْ فَتْحُهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ لَا لِصَلَاحِ الدِّينَ، وَلَا لِلظَّاهِرِ بيبرسِ، كما فَتَحَ حَوْلَهُ **بُلُنْيَـاسَ، وَمَرَقِيَّـةَ**، وَهِيَ بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ إِلَـى جَانِبِ الْبَحْرِ عِنْدَ حِصْـنٍ مَنِيعٍ جِدًّا، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ سَـهْمٌ، وَلَا حَجَرُ مَنْجَنِيقٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِ طَرَابُلُسَ، فَهَدَمَهُ تَقَرُّبًا إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَاسْتَنْقَذَ الْمَنْصُورُ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ الْفِرِنْجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ عَادَ الْمَنْصُورُ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ سَافَرَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

فتح طرابلس من أيدي الفرنج

فِي سـنة (٦٨٨هـ) كَانَ فَتْحُ مَدِينَةِ **طَرَابُلُسَ**، حيث قدم السُّـلْطَانَ **قَلَاوُونَ** بِالْجُيُوشِ الْمِصْرِيَّـةِ فِـي صُحْبَتِـهِ إِلَى دِمَشْـقَ، فَدَخَلَهَا فِي الثَّالِثَ عَشَـرَ مِنْ صَفَرٍ، ثُـمَّ صَارَ بِهِمْ، وَبِجَيْشِ دِمَشْـقَ، وَصُحْبَتُهُ **خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُطَّوِّعَةِ**؛ مِنْهُـمُ الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ **قَاضِي الْحَنَابِلَةِ**، وَخَلْقٌ مِنَ **الْمَقَادِسَةِ** وَغَيْرِهِمْ، فَنَازَلَ **طَرَابُلُسَ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهَلَّ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَحَاصَرَهَا بِالْمَجَانِيقِ حِصَارًا شَـدِيدًا، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا تَضْيِيقًا عَظِيمًا، حتى **فُتِحَتْ** يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ رَابِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٦٨٨هـ).

وَقَـدْ كَانَ لَهَـا فِي أَيْدِي **الْفِرِنْجِ** مِنْ سَـنَةِ (٥٠٣هـ) إِلَى سـنة (٦٨٨هــ)، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي الْمُسْـلِمِينَ مِنْ **زَمَانِ مُعَاوِيَةَ**، فَقَدْ فَتَحَهَا **سُـفْيَانُ بْنُ مُجِيبٍ لِمُعَاوِيَةَ**، فَأَسْـكَنَهَا مُعَاوِيَـةُ الْيَهُـودَ، ثُمَّ كَانَ عَبْـدُ الْمَلِكِ بْـنُ مَرْوَانَ جَـدَّدَ عِمَارَتَهَـا، وَحَصَّنَهَا،

وَأَسْكَنَهَا الْمُسْلِمِينَ، وَصَارَتْ آمِنَةً عَامِرَةً، مُطَمْئِنَةً، وَبِهَا ثِمَارُ الشَّامِ، وَمِصْرَ، فَإِنَّ بِهَا **الْجَوْزَ وَالْمَوْزَ وَالثَّلْجَ وَالْقَصَبَ**، وَالْمِيَاهُ جَارِيَةٌ فِيهَا، تَصْعَدُ إِلَى أَمْكِنَةٍ عَالِيَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ ثَلَاثَ مُدُنٍ مُتَقَارِبَةٍ، ثُمَّ صَارَتْ بَلَدًا وَاحِدًا، ثُمَّ حُوِّلَتْ مِنْ مَوْضِعِهَا بعد هذا الفتح.

حيث أَمَرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ **الْمَنْصُورُ قَلَاوُونُ** أَنْ تُهْدَمَ الْبَلَدُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَائِرِ، وَالدُّورِ، وَالْأَسْوَارِ الْحَصِينَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَى مَيْلٍ مِنْهَا بَلْدَةٌ غَيْرُهَا أَمْكَنَ مِنْهَا وَأَحْسَنَ، فَفُعِلَ ذَلِكَ، فَهِيَ هَذِهِ الْبَلْدَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: طَرَابُلُسُ، الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى دَارَ أَمَانٍ وَإِيمَانٍ.

وَلَمَّا فَرَغَ السُّلْطَانُ مِنْ فَتْحِ طَرَابُلُسَ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا مَسْرُورًا مَحْبُورًا، فَدَخَلَهَا فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ.

وَفَوَّضَ الْأُمُورَ، وَالْكَلَامَ فِي الْأَمْوَالِ إِلَى **عَلَمِ الدِّينِ الشُّجَاعِيِّ**، فَصَادَرَ جَمَاعَةً، وَجَمَعَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَذَى الْخَلْقِ، **وَبِئْسَ هَذَا الصَّنِيعُ**؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَعْجِيلٌ لِدَمَارِ الظَّالِمِ وَهَلَاكِهِ، فَلَمْ يُغْنِ عَنِ الْمَنْصُورِ مَا جَمَعَ لَهُ الشُّجَاعِيُّ مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْيَسِيرَ حَتَّى أَخَذَهُ اللهُ.

○ انتزاع الكرك من أولاد الظاهر بيبرس

اسْتَهَلَّتْ سنة (٦٨٥هـ) وَالْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ الصَّوَابِيُّ مُحَاصِرٌ مَدِينَةَ **الْكَرَكِ**، وَقَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ مِصْرَ عَسْكَرٌ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ طُرُنْطَايَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى حِصَارِ **الْكَرَكِ** حَتَّى أَنْزَلُوا مِنْهَا صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الْمَسْعُودَ خَضِرَ بْنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ.

وَعَادَ طُرُنْطَايُ بِالْمَلِكِ خَضِرٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، كَمَا فَعَلَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمُغِيثِ عُمَرَ بْنِ الْعَادِلِ.

وَاسْتَنَابَ فِي **الْكَرَكِ** نَائِبًا عَنْ أَمْرِ الْمَنْصُورِ قلاوون، وَرَتَّبَ أُمُورَهَا، وَأَجْلَوْا مِنْهَا خَلْقًا مِنَ الْكَرَكِيِّينَ، إلى قَلْعَةِ دِمَشْقَ.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ دُخُولُ آلِ الظَّاهِرِ بيبرس إِلَى الْقَاهِرَةِ تَلَقَّاهُمُ الْمَنْصُورُ قلاوون فَأَكْرَمَ لُقْيَاهُمْ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْأَخَوَيْنِ نَجْمِ الدِّينِ خَضِرٍ، وَبَدْرِ الدِّينِ سَلَامُشَ، وَجَعَلَهُمَا يَرْكَبَانِ مَعَ ابْنَيْهِ عَلِيٍّ وَالْأَشْرَفِ خَلِيل، وَجَعَلَ عَلَيْهِمَا عُيُونًا يَرْصُدُونَ مَا يَفْعَلَانِ، وَأُنْزِلَا الدُّورَ بِالْقَلْعَةِ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّوَاتِبِ، وَالنَّفَقَاتِ مَا يَكْفِيهِمْ وَزِيَادَةٌ كَثِيرَةٌ.

○ انتهاء سلطة سنقر الأشقر

فِي أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ (٦٨٦هـ) رَكِبَتِ الْعَسَاكِرُ صُحْبَةَ نَائِبِ الشَّامِ **حُسَامِ الدِّينِ لَاجِينَ** إِلَى مُحَاصَرَةِ الْأَمِيرِ **سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ** صاحب صِهْيَوْنَ، وَحِصْنِ بَرْزَيَهْ، فَمَانَعَهُمُ سُنْقُرُ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى اسْتَنْزَلُوهُ، وَسَلَّمَهُمُ الْبِلَادَ،

وَسَارَ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ **الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قلاوون**، فَتَلَقَّاهُ بِالْإِكْرَامِ وَالِاحْتِرَامِ، وَأَعْطَاهُ تَقْدُمَةَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَلَمْ يَزَلْ مُعَظَّمًا فِي الدَّوْلَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ إِلَى آخِرِهَا.

○ وفاة عَلَاءُ الدِّينِ ابن المنصور قلاوون

فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَعْبَانَ سنة (٦٨٧هـ) تُوُفِّيَ **عَلَاءُ الدِّينِ** بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **قَلَاوُونَ** بِالدُّوسَنْطَارِيَّةِ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَجْدًا شَدِيدًا، وَقَدْ كَانَ عَهِدَ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ مُدَّةِ سِنِينَ، فَدَفَنَهُ فِي تُرْبَتِهِ، وَجَعَلَ وِلَايَةَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى ابْنِهِ **الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ**، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْآفَاقِ.

○ أخذ الضرائب بشدة من أهل دمشق

في سنة (٦٨٩هـ) جَاءَ الْبَرِيدُ من السلطان الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **قَلَاوُونَ** بِطَلَبِ شَمْسِ الدِّينِ **سُنْقُرَ الْأَعْسَرِ** إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ وَقَوَّاهُ، وَشَدَّ يَدَهُ، وَأَمَرَهُ بِاسْتِخْلَاصِ الْأَمْوَالِ، وَزَادَهُ شَدَّ الْجُيُوشِ، وَالْكَلَامَ عَلَى الْحُصُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَوِيَتْ نَفْسُهُ، وَزَادَ تَجَبُّرُهُ، وَلَكِنْ كَانَ يَرْجِعُ إِلَى مُرُوءَةٍ وَسَتْرٍ، وَيَنْفَعُ مَنْ يَنْتَمِي إِلَيْهِ، وَذَلِكَ **مَوَدَّةٌ فِي الدُّنْيَا** فِي أَيَّامٍ قَلَائِلَ.

○ الكشف عن خيانة وكيل بيت المال والأوقاف

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٨٩هـ) جَاءَ الْبَرِيدُ من السلطان الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **قَلَاوُونَ** بِالْكَشْفِ عَلَى نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْمَقْدِسِيِّ وَكِيلِ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَاظِرِ الْخَاصِّ وَالْأَوْقَافِ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَازٍ مِنْ أَكْلِ الْأَوْقَافِ وَغَيْرِهَا، فَسجِنَ بِالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَطُولِبَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ، وَضُيِّقَ عَلَيْهِ، وَعَمِلَ فِيهِ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّامَرِّيُّ قَصِيدَةً يَتَشَفَّى فِيهَا لِمَا كَانَ أَسْدَى إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِيذَاءِ.

فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ شَعْبَانَ وَهُوَ **مَشْنُوقٌ** بِالْمَدْرَسَةِ الْعَذْرَاوِيَّةِ، فَطُلِبَتِ الْقُضَاةُ وَالشُّهُودُ، فَشَاهَدُوهُ كَذَلِكَ، ثُمَّ جُهِّزَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ.

○ صناعة المجانيق لحصار عكا

فِي سنة (٦٨٩هـ) جَاءَ الْبَرِيدُ من السلطان الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **قَلَاوُونَ** بِعَمَلِ **مَجَانِيقَ لِحِصَارِ عَكَّا**، فَرَكِبَ الْأَعْسَرُ إِلَى أَرَاضِي بَعْلَبَكَّ لِمَا هُنَالِكَ مِنَ الْأَخْشَابِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهَا بِدِمَشْقَ، وَهِيَ تَصْلُحُ لِذَلِكَ، فَكَثُرَتِ الْجِنَايَاتُ، وَالْجِبَايَاتُ، وَالسُّخْرُ، وَكَلَّفُوا النَّاسَ تَكْلِيفًا كَثِيرًا، وَأَخَذُوا أَخْشَابَ النَّاسِ، وَحُمِلَتْ إِلَى دِمَشْقَ بِكُلْفَةٍ عَظِيمَةٍ، وَشِدَّةٍ كَثِيرَةٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ وَفَاةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ

جاء البريد بِوَفَاةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ بِالْمُخَيَّمِ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ، **فِي السَّادِسِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ**، سنة (٦٨٩هـ) عَنْ قَرِيبٍ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ لَيْلًا، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ **اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً**، وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ مَهِيبًا، عَلَيْهِ أُبَّهَةُ السَّلْطَنَةِ وَمَهَابَةُ الْمُلْكِ، تَامَّ الْقَامَةِ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ، عَالِيَ الْهِمَّةِ، شُجَاعًا وَقُورًا، **سَامَحَهُ اللهُ**.

وَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ بمكة بِمَوْتِهِ وَهُمْ **بِعَرَفَاتٍ**، وَهَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ.

وكان **الْمَنْصُورُ قَلَاوُونُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيُّ الصَّالِحِيُّ الْأَلْفِيُّ، **اشْتَرَاهُ الْمَلِكُ** الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْكَامِلِ الأيوبي، بِأَلْفِ دِينَارٍ، وأصبح مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ عِنْدَهُ وَبَعْدَهُ، وَلَمَّا تَزَوَّجَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الظَّاهِرِ بيبرس بِابْنَته **غَازِيَةَ** خَاتُونَ، عَظُمَ شَأْنُهُ جِدًّا عِنْدَ الظَّاهِرِ، وَمَا زَالَ يَرْتَفِعُ فِي الدَّوْلَةِ حَتَّى **صَارَ أَتَابِكَ** سَلَامُشَ بْنِ الظَّاهِرِ بيبرس، وَاسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ.

ومن مناقبه:

- **أنه كَسَرَ التَّتَارَ** عَلَى حِمْصَ فِي سَنَةِ (٦٨٠هـ)، فَأَحَبَّهُ النَّاسُ
- وَفَتَحَ **الْمَرْقَبَ من أيدي الفرنج** فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ.
- وَفَتَحَ **طَرَابُلُسَ من أيدي الفرنج** سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ.
- وَعَزَمَ عَلَى **فَتْحِ عَكَّا من الفرنج** وَبَرَزَ لَهَا.

❁ ❁ ❁

٨ـ سلطنة الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون (٦٨٩ـ٦٩٣هـ)

○ توليه السلطنة

فِي السَّادِسِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، سنة (٦٨٩هـ) بويع السلطان **الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ** بن المنصور قلاوون بعد أبيه، **وَحَلَفَ لَهُ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ**، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَرَكِبَ فِي أُبَّهَةِ الْمَلِكِ، **وَالْعَسْكَرُ كُلُّهُمْ فِي خِدْمَتِهِ مُشَاةً** مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى الْمَيْدَانِ.

وَجَاءَ كِتَابٌ من **الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ** يَسْتَحِثُّ **الْوَزِيرَ ابْنَ السَّلْعُوسِ** فِي الْمَسِيرِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَبَيْنَ الْأَسْطُرِ بِخَطِّ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ: **يَا شُقَيْرُ، يَا وَجْهَ الْخَيْرِ، احْضُرْ لِتَتَسَلَّمَ الْوِزَارَةَ.**

فَسَاقَ السلعوس إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَوَصَلَهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٠هـ)، فَتَسَلَّمَ الْوِزَارَةَ كَمَا قَالَ السُّلْطَانُ.

○ سلاطين البلاد الإسلامية في سنة (٦٩٠هـ)

اسْتَهَلَّتْ هذه السنة:

١- وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَبَّاسِيُّ.

٢- وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، وَنَائِبُهُ بِمِصْرَ وَأَعْمَالِهَا بَدْرُ الدِّينِ بَيْدَرَا، وَوَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْعُوسِ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّينِ، وَنَائِبُهُ بِالشَّامِ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينُ السِّلَحْدَارُ الْمَنْصُورِيُّ.

٣- وَصَاحِبُ الْيَمَنِ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ يُوسُفُ بْنُ الْمَنْصُورِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَسُولٍ.

٤- وَصَاحِبُ مَكَّةَ أَبُو نُمَيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ قَتَادَةَ الْحَسَنِيُّ.

٥- وَصَاحِبُ الْمَدِينَةِ عِزُّ الدِّينِ جَمَّازُ بْنُ شِيحَةَ الْحُسَيْنِيُّ.

٦- وَصَاحِبُ الرُّومِ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخُسْرُو بْنُ رُكْنِ الدِّينِ قِلِيجَ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيُّ.

٧- وَصَاحِبُ حَمَاةَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ مَحْمُودُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ.

٨-وَسُلْطَانُ بِلَادِ الْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي، **أَرْغُونَ بْنُ أَبْغَا بْنِ هُولَاكُو**.

○ فتح عكا وبقية السواحل

فِي سنة (٦٩٠هـ) فُتِحَتْ **عَكَّا** وَبَقِيَّةُ السَّوَاحِلِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي الْفِرنْجِ مِنْ مُدَدٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِيهَا حَجَرٌ وَاحِدٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فقد جَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى **دِمَشْقَ** فِي مُسْتَهَلِّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِتَجْهِيزِ آلَاتِ الْحِصَارِ لِعَكَّا، وَنُودِيَ فِي دِمَشْقَ: **الْغُزَاةُ فِي سَبِيلِ اللهِ** إِلَى عَكَّا.

وَقَدْ كَانَ **أَهْلُ عَكَّا فِي هَذَا الْحِينِ عَدَوْا عَلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ**، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأُبْرِزَتِ الْمَجَانِيقُ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَسُورَةِ، وَخَرَجَتِ الْعَامَّةُ، وَالْمُطَّوِّعَةُ يَجُرُّونَ فِي الْعَجَلِ، حَتَّى الْفُقَهَاءُ، وَالْمُدَرِّسُونَ، وَالصُّلَحَاءُ، وَتَوَلَّى سِيَاقَتَهَا الْأَمِيرُ **عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ**،

وَخَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيْ **نَائِبِ الشَّامِ**، وَخَرَجَ هُوَ فِي آخِرِهِمْ، وَلَحِقَهُ **صَاحِبُ حَمَاةَ** الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ عَسْكَرُ **طَرَابُلُسَ**، وَرَكِبَ **الْأَشْرَفُ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِعَسَاكِرِهِ قَاصِدًا **عَكَّا**، فَتَوَافَتِ الْجُيُوشُ هُنَالِكَ، فَنَازَلَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ، وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُمْكِنُ نَصْبُهَا عَلَيْهَا، وَاجْتَهَدُوا غَايَةَ الِاجْتِهَادِ فِي مُحَارَبَتِهَا وَالتَّضْيِيقِ عليها.

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْجَامِعِ لِقِرَاءَةِ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، فَقَرَأَهُ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ، وَحَضَرَ الْقُضَاةُ، وَالْفُضَلَاءُ، وَالْأَعْيَانُ، وَفِي أَثْنَاءِ مُحَاصَرَةِ عَكَّا وَقَعَ **تَخْبِيطٌ** مِنْ نَائِبِ الشَّامِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِينَ، فَتَوَهَّمَ أَنَّ السُّلْطَانَ يُرِيدُ مَسْكَهُ، فَرَكِبَ هَارِبًا، فَرَدَّهُ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَطَيَّبَ قَلْبَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَبَعَثَهُ إِلَى قَلْعَةِ صَفَدَ، وَاحْتَاطَ عَلَى حَوَاصِلِهِ، وَجَرَى مَا لَا يَلِيقُ وُقُوعُهُ هُنَالِكَ، إِذِ الْوَقْتُ وَقْتُ عُسْرٍ وَضِيقٍ وَحِصَارٍ.

وَصَمَّمَ السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ عَلَى الْحِصَارِ، فَرَتَّبَ **الْكُوسَاتِ ثَلَاثَمِائَةِ حِمْلٍ**، ثُمَّ زَحَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٩٠هـ)، وَدُقَّتِ الْكُوسَاتُ جُمْلَةً وَاحِدَةً عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَطَلَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَسْوَارِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَنُصِبَتِ السَّنَاجِقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَوْقَ أَسْوَارِ الْبَلَدِ، فَوَلَّتِ الْفِرنْجُ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَدْبَارَ، وَرَكِبُوا هَارِبِينَ فِي مَرَاكِبِ التُّجَّارِ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، وَغَنِمَ المسلمون مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالرَّقِيقِ وَالْبَضَائِعِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا.

وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِهَدْمِهَا وَتَخْرِيبِهَا، بِحَيْثُ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَسَلَّمَتْ **صُورُ، وَصِيدَا** قِيَادَهُمَا إِلَى الْأَشْرَفِ، فَاسْتَوْسَقَ السَّاحِلُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَنَظَّفَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى صُورَ أَمِيرًا، فَهَدَمَ أَسْوَارَهَا، وَعَفَا آثَارَهَا، وَقَدْ كَانَ لَهَا فِي أَيْدِي الْفِرنْجِ مِنْ سَنَةِ (٥١٨هـ).

واسْتَنَابَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ بِالشَّامِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَنْجَرُ الشُّجَاعِيُّ، **وَفُوِّضَ إِلَيْهِ** أَنْ يُطْلِقَ مِنَ الْخِزَانَةِ مَا يُرِيدُ مِنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ وَلَا مُرَاجَعَةٍ، وَأَرْسَلَهُ السُّلْطَانُ إِلَى **صَيْدَا**؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَقِيَ بِهَا بُرْجٌ عَاصٍ، فَفَتَحَهُ، ثُمَّ عَادَ سَرِيعًا إِلَى السُّلْطَانِ وَبَعَثَهُ السلطان أيضًا إِلَى **بَيْرُوتَ** لِيَفْتَحَهَا، فَسَارَ إِلَيْهَا فَفَتَحَهَا، وَسُلِّمَتْ عَثْلِيثُ، وَأَنْطَرْطُوسُ، وَجُبَيْلُ. وَلَمْ يَبْقَ بِالسَّوَاحِلِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - مَعْقِلٌ لِلْفِرنْجِ إِلَّا بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَرَاحَ اللهُ مِنْهُمُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ.

وَقَدْ نَظَمَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودٌ **قَصِيدَةً فِي فَتْحِ عَكَّا**:

الْحَمْدُ لِلَّهِ زَالَتْ دَوْلَةُ الصُّلُبِ ... وَعَزَّ بِالتُّرْكِ دِينُ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِيِّ

هذا الذي كَانَتِ الْآمَالُ لَوْ طَلَبَتْ ... رُؤْيَاهُ فِي النَّوْمِ لَاسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ

مَا بَعْدَ عَكَّا وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا ... فِي الْبَحْرِ لِلشِّرْكِ عِنْدَ الْبَرِّ مِنْ أَرَبِ

أُمُّ الْحُرُوبِ فَكَمْ قَدْ أَنْشَأَتْ فِتَنًا شَابَ الْوَلِيدُ بِهَا هَوْلًا وَلَمْ تَشُبِ
يَا يَوْمَ عَكَّا لَقَدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقَتْ بِهِ الْفُتُوحُ وَمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ جِدًّا، وَلَهُ وَلِغَيْرِهِ فِي فَتْحِ عَكَّا أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

○ تولية ابن جماعة قضاء القضاة بمصر

فِي أَوَائِلِ رَمَضَانَ سنة (٦٩٠هـ) طُلِبَ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ - وَهُوَ حَاكِمٌ بِهِ وَخَطِيبٌ فِيهِ - عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَدَخَلَهَا فِي رَابِعَ عَشَرَ رمضان، وباشر قَضَاءَ **الْقُضَاةِ بمصر** عوضا عن ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ **ومع القضاء خَطَابَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ**، وَتَدْرِيسُ **الصَّالِحِيَّةِ**، وَرَكِبَ فِي الْخِلْعَةِ وَالطَّرْحَةِ، وَرَسَمَ لِبَقِيَّةِ الْقُضَاةِ أَنْ يَسْتَمِرُّوا بِلُبْسِ الطَّرَحَاتِ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ **رَسَمَ السُّلْطَانُ** الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ **لِلْخليفة الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ** أَنْ يَخْطُبَ هُوَ بِنَفْسِهِ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ بِجَامِعِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَأَنْ يَذْكُرَ فِي خُطْبَتِهِ أَنَّهُ قَدْ وَلَّى **السَّلْطَنَةَ لِلْأَشْرَفِ خَلِيلِ** بْنِ الْمَنْصُورِ، فَلَبِسَ خِلْعَةً سَوْدَاءَ، وَخَطَبَ النَّاس، **ثُمَّ اسْتَمَرَّ ابْنُ جَمَاعَةَ** يَخْطُبُ بِالْقَلْعَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَكَانَ يَسْتَنِيبُ فِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ.

وَأَمَّا ابْنُ **بِنْتِ الْأَعَزِّ** فَنَالَهُ مِنَ الْوَزِيرِ السلعوس مُصَادَرَةٌ وَإِهَانَةٌ بَالِغَةٌ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ شَيْئًا، وَكَانَ بِيَدِهِ سَبْعَةَ عَشَرَ مَنْصِبًا، وَصَادَرَهُ بِنَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ **اسْتِكَانَةٌ لَهُ وَلَا خُضُوعٌ**، ثُمَّ عَادَ فَرَضِيَ عَنْهُ، وَوَلَّاهُ تَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.

○ طلب الخليفة الحاكم بأمر الله استنقاذ العراق من التتر

في سنة (٦٩٠هـ) عُمِلَتْ **خَتْمَةٌ** عِنْدَ قَبْرِ الْمَنْصُورِ قلاوون، **وَخَطَبَ الْخَلِيفَةُ** الحاكم بأمر الله العباسي بَعْدَ الْخَتْمَةِ خُطْبَةً بَلِيغَةً، حَرَّضَ النَّاسَ فِيهَا عَلَى **غَزْوِ بِلَادِ الْعِرَاقِ**، وَاسْتِنْقَاذِهَا مِنْ أَيْدِي **التَّتَرِ**، وَقَدْ كَانَ الْخَلِيفَةُ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْتَجِبًا، فَرَآهُ النَّاسُ جَهْرَةً، وَرَكِبَ فِي الْأَسْوَاقِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ إلى دمشق بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الْعِرَاقِ، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ، وَعُمِلَتْ سَلَاسِلُ عِظَامٌ لنصب الْجَسُورَ عَلَى دِجْلَةَ بَغْدَادَ، وَحُصِّلَتِ الْأُجُورُ عَلَى الْمَقْصُودِ، وَإِنْ لَمْ يَقَعِ الْمَقْصُودُ.

❍ بعض أعمال نائب السلطنة بدمشق

في سنة (٦٩٠هـ) نَادَى نَائِبُ الشَّامِ الشُّجَاعِيُّ أَنْ لَا تَلْبَسَ امْرَأَةٌ عِمَامَةً كَبِيرَةً، وَنَادَى أَنْ لَا يَمْشِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَأَخْرَبَ الْحَمَّامَ الَّذِي كَانَ بَنَاهُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ، وَلَمْ يَكُنْ بِدِمَشْقَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَوَسَّعَ الْمَيْدَانَ الْأَخْضَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مِقْدَارَ سُدُسِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّهْرِ إِلَّا مِقْدَارًا يَسِيرًا، وَعَمِلَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَالْأُمَرَاءُ فِي حِيطَانِهِ.

❍ مشايخ مدارس دمشق

- فِي سَنَة (٦٩٠هـ) دَرَّسَ **عِزُّ الدِّينِ الْفَارُوثِيُّ** بِالْمَدْرَسَةِ **النَّجِيبِيَّةِ** عِوَضًا عَنْ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ خَلِّكَانَ.
- ودَرَّسَ نَجْمُ الدِّينِ مَكِّيٌّ **بِالرَّوَاحِيَّةِ**؛ عِوَضًا عَنْ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْمَقْدِسِيِّ.
- وَدَرَّسَ كَمَالُ الدِّينِ الطَّبِيبُ بِالْمَدْرَسَةِ **الدَّخْوَارِيَّةِ الطِّبِّيَّةِ**.
- ودَرَّسَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْخَبَّازِيُّ **بِالْخَاتُونِيَّةِ** الْبَرَّانِيَّةِ.
- وَجَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْبَاجُرْبَقِيِّ **بِالْقِلَيْجَةِ**.
- وَبُرْهَانُ الدِّينِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ **بِالْقُوصِيَّةِ** الَّتِي بِالْجَامِعِ.
- وَالشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ **بِالشَّرِيفِيَّةِ** عِنْدَ حَارَةِ الْغُرَبَاءِ.
- وَفِيهَا أُعِيدَتِ المدرسة **النَّاصِرِيَّةُ** إِلَى الْفَارِقِيِّ.
- ودَرَّسَ **بِالْأَمِينِيَّةِ** الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ بْنُ صَصْرَى بَعْدَ ابْنِ الزَّمَلْكَانِيِّ.
- وَأُخِذَتْ مِنْ ابن صَصْرَى **الْعَادِلِيَّةُ** الصَّغِيرَةُ لِكَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمَلْكَانِيِّ.

فتح قلعة الروم

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩١هـ) تَوَجَّهَ **السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ** بِالْعَسَاكِرِ نَحْوَ الشَّامِ، فَقَدِمَ دِمَشْقَ، وَمَعَهُ وَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْعُوسِ، فَاسْتَعْرَضَ الْجُيُوشَ، وَأَنْفَقَ فِيهِمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ نَحْوَ بِلَادِ حَلَبَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى قَلْعَةِ الرُّومِ [1]، فَافْتَتَحَهَا بِالسَّيْفِ قَهْرًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ حَادِي عَشَرَ رَجَبٍ، وَكَانَ الْفَتْحُ بَعْدَ حِصَارٍ عَظِيمٍ جِدًّا، مُدَّةَ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْأُمَرَاءِ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَجَاءَتِ **الْبِشَارَةُ** بِذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ وَزُيِّنَتِ الْبَلَدُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَقَدِ امْتَدَحَ الشِّهَابُ مَحْمُودٌ، الْأَشْرَفَ خَلِيلًا عَلَى فَتْحِهِ قَلْعَةَ الرُّومِ بِقَصِيدَةٍ هَائِلَةٍ فَاضِلَةٍ.

ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ، ومعه مَلِكُ قَلْعَةِ الرُّومِ أَسِيرًا، وَكَذَلِكَ رُءُوسُ أَصْحَابِهِ.

وَتَرَكَ الشُّجَاعِيَّ بِقَلْعَةِ الرُّومِ يُعَمِّرُونَ مَا وَهَى مِنْ قَلْعَتِهَا؛ بِسَبَبِ رَمْيِ الْمَنْجَنِيقَاتِ عَلَيْهَا وَقْتَ الْحِصَارِ، وعند دخوله دمشق احْتَفَلَ النَّاسُ لِدُخُولِهِ وَدَعَوْا لَهُ، وبُسِطَ له في طريقه بِإِشَارَةِ ابْنِ السَّلْعُوسِ، وَقَدْ كَسَرَ أَبُوهُ التَّتَرَ عَلَى حِمْصَ وَلَمْ يُبْسَطْ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ كَسَرَ التَّتَرَ وَالرُّومَ عَلَى الْبُلُسْتَيْنِ وَفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَلَمْ يُبْسَطْ لَهُ.

وَهَذِهِ بِدْعَةٌ شَنْعَاءُ قَدْ أَحْدَثَهَا هَذَا الْوَزِيرُ لِلْمُلُوكِ، **وَفِيهَا** إِسْرَافٌ وَضَيَاعُ مَالٍ، وَأَشَرٌ وَبَطَرٌ، وَرِيَاءٌ، وَتَكْلِيفٌ لِلنَّاسِ، وَأَخْذُ أَمْوَالٍ وَوَضْعُهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ سَائِلُهُ عَنْهَا، وَقَدْ ذَهَبَ وَتَرَكَهَا يَتَوَارَثُهَا الْمُلُوكُ وَالنَّاسُ عَنْهُ، وَقَدْ حَصَلَ لِلنَّاسِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَلْيَتَّقِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَلَا يُحْدِثْ فِي الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ هَوَاهُ وَمُرَادِ نَفْسِهِ مَا يَكُونُ سَبَبَ مَقْتِ اللهِ لَهُ، وَإِعْرَاضِهِ عَنْهُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُومُ لِأَحَدٍ، وَلَا يَدُومُ أَحَدٌ فِيهَا.

---

(١) قلعة الروم: قلعة حصينة في غربي الفرات، بين البيرة وبين سميساط، بها مقام بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم. معجم البلدان - الفكر (٤/ ٣٩٠).

○ الحملة على جبل كسروان والجرد

جهَّـزَ السُّـلْطَانُ الْمَلِـكُ الْأَشْـرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُـورِ - بعد عودته مـن فتح قلعة الروم- طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ نَحْوَ جَبَلِ **كَسْرَوَانَ، وَالْجُرْدِ** سنة (٦٩١هـ) بِسَبَبِ مُمَالَأَتِهِمْ لِلْفِرَنْجِ قَدِيمًا عَلَى الْمُسْـلِمِينَ، وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ **بَيْدَرَا**، وَفِي صُحْبَتِهِ **سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ**، وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِالْجَبَلِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دمَارُ أَهْلِهِ حَمَلُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى بَيْدَرَا حَمْلًا كَثِيرًا، فَفَتَرَ فِي قَضِيَّتِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِالْجُيُوشِ عَنْهُمْ، فَتَلَقَّاهُمُ السُّلْطَانُ، وَتَرَجَّلَ **السُّلْطَانُ لِلْأَمِيرِ بَيْدَرَا**، وَهُوَ نَائِبُهُ عَلَى مِصْرَ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ السَّلْعُوسِ نَبَّهَ السُّلْطَانَ عَلَى فِعْلِ بَيْدَرَا، فَلَامَهُ وَعَنَّفَهُ، فَمَرِضَ مِنْ خَوْفِهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَضًا شَدِيدًا أَشْفَى بِهِ عَلَى الْمَوْتِ، ثُمَّ عُوفِيَ من مرضه.

○ القبض على سنقر الأشقر

فِـي آخر شـهر رمضان سـنة (٦٩١هـ) أمـر السُّـلْطَانُ الْمَلِـكُ الْأَشْـرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ بِالقَبْضِ عَلَى الْأَمِيرِ **سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ** وَغَيْرِهِ، فَهَرَبَ سنقر، والأمير حسام الدين **لَاجِيـنَ**، فَنَـادَتْ عَلَيْهِ الْمُنَادِيَةُ بِدِمَشْـقَ: مَنْ **أَحْضَرَهُ فَلَهُ أَلْفُ دِينَارٍ**، وَمَنْ أَخْفَاهُ شُـنِقَ. وَرَكِبَ السُّـلْطَانُ وَمَمَالِيكُهُ فِي طَلَبِهِ، **وَصَلَّى الْخَطِيبُ بِالنَّاسِ صلاة العيد فِي الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ**، وَعَلَى النَّاسِ كَآبَةٌ بِسَـبَبِ تَفَرُّقِ الْكَلِمَةِ وَاضْطِرَابِ الْجَيْشِ، وَاخْتَبَطَ النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَ سَـادِسُ شَوَّالٍ أَمْسَكَتِ الْعَرَبُ **سُنْقُرَ الْأَشْـقَرَ**، فَرَدُّوهُ عَلَى السُّلْطَانِ، فَأَرْسَلَهُ مُقَيَّدًا إِلَى مِصْرَ.

وَفِـي ذِي الْقِعْـدَةِ اسْـتَحْضَرَ السُّـلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْـرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ سُـنْقُرَ الْأَشْـقَرَ، وَطُقُصُوا، **فَعَاقَبَهُمَا** فَاعْتَرَفَا بِأَنَّهُمَا أَرَادَا قَتْلَهُ، فَسَـأَلَهُمَا عَنْ **لَاجِينَ** فَقَالَا: لَمْ يَكُنْ مَعَنَا وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهَذَا. فَخَنَقَهُمَا، وَأَطْلَقَ سـنقر بَعْدَمَا جَعَلَ الْوَتَرَ فِي حَلْقِهِ، **وَكَانَ قَدْ بَقِيَ لَهُ مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَنْ يَبْلُغَهَا**، وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ كَمَا سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

○ تكرار بركان المدينة

ذكـر ظَهِيرِ الدِّينِ الْكَازَرُونِيِّ فِـي تَارِيخِه: أنه ظَهَرَتْ نَارٌ بِـأَرْضِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة في سـنة (٦٩٢هـ)، نَظِيرَ مَا كَانَ فِي سَنَةِ (٦٥٤هـ) عَلَى صِفَتِهَا، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ النَّارَ كَانَ يَعْلُو لَهِيبُهَا كَثِيرًا، وَكَانَتْ تُحْرِقُ الصَّخْرَ، وَلَا تُحْرِقُ السَّعَفَ، وَاسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

○ مصالحة صاحب سيس

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٦٩٢هـ) قَدِمَ السلطان الْأَشْـرَفُ خليل دِمَشْقَ، فَنَزَلَ فِي الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَجَهَّزَ الْجُيُوشَ، وَتَهَيَّأَ لِغَزْوِ **بِلَادِ سِـيسَ**، وَقَدِمَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ رُسُـلُ صَاحِبِ بِلَادِ سِـيسَ يَطْلُبُونَ **الصُّلْحَ**، فَشَـفَعَ الْأُمَرَاءُ فِيهِمْ، فَسَـلَّمُوا **بَهْسَنَا**، **وَتَلَّ حَمْدُونَ**، **وَمَرْعَشَ**، وَهِيَ أَكْبَرُ بِلَادِهِمْ، وَأَحْسَنُهَا، وَأَحْصَنُهَا.

○ القبض على حسام الدين لاجين السلحدار

رَكِـبَ السُّـلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْـرَفُ خَلِيـلُ بْنُ الْمَنْصُورِ من دمشـق فِـي ثَانِي رَجَبٍ سـنة (٦٩٢هـ) نَحْوَ **سَـلَمْيَةَ** في الْجَيْشِ، يُرِيـدُ أَنْ يُصِيبَ الْأَمِيرَ حُسَـامَ الدِّينِ لَاجِينَ، فَأَضَافَهُ الْأَمِيرُ مُهَنَّا بْنُ عِيسَـى، فَلَمَّا انْقَضَتِ الضِّيَافَةُ أُمْسِـكَ لَهُ حُسَـامُ الدِّينِ لَاجِينُ، وَكَانَ عِنْدَهُ، فَجَاءَهُ بِهِ، فَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَأَمْسَكَ السلطان مُهَنَّا بْنَ عِيسَى، وَوَلَّى مَكَانَـهُ **مُحَمَّـدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ حُذَيْفَةَ**، ثُمَّ أَرْسَـلَ السُّـلْطَانُ جُمْهُورَ الْجَيْشِ بَيْـنَ يَدَيْهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صُحْبَةَ نَائِبِهِ **بَيْدَرَا**، وَوَزِيرِهِ ابْنِ **السَّلْعُوسِ**.

○ مقتل الْمَلِك الْأَشْرَف

خَرَجَ الملك الأشرف خليل إِلَى الصَّيْدِ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٣هـ) فَلَمَّا كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ ثَانِي عَشَـرَ الْمُحَرَّمِ، حَمَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِـهِ، حِينَ انْفَرَدَ عَـنْ جُمْهُورِ الْجَيْشِ، فَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَهُ نَائِبُـهُ **بَيْدَرَا**، وَتَمَّمَ عَلَيْهِ **لَاجِينُ**

الْمَنْصُـورِيُّ، **ثم** اتَّفَقَ الْأُمَـرَاءُ عَلَى **تَمْلِيكِ بَيْدَرَا**، **وَسَـمَّوْهُ الْمَلِكَ الْقَاهِـرَ**، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ، **فَقُتِلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِأَمْرِ كَتْبُغَا**.

وَأُحْضِرَ جَسَـدُ الملك الْأَشْـرَفِ خليل، فَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ، وَقَدْ كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا عَالِيَ الْهِمَّةِ، حَسَـنَ النَّظَرِ، كَانَ قَـدْ عَزَمَ عَلَى **غَزْوِ الْعِرَاقِ**، **وَاسْـتِرْجَاعِ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ أَيْدِي التَّتَارِ**، وَاسْتَعَدَّ لِذَلِكَ، وَنَادَى بِهِ فِي بِلَادِهِ، وَقَدْ فَتَحَ فِي مُدَّةِ مُلْكِهِ **عَكَّا وَسَائِرَ السَّوَاحِلِ**، وَلَمْ يَتْرُكْ لِلْفِرِنْجِ فِيهَا مَعْلَمًا وَلَا حَجَرًا، وَفَتَحَ **قَلْعَةَ الرُّومِ** وَبَهَسْنَا وَغَيْرَهَا.

❁ ❁ ❁

٩ـ سلطنة الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون (الأولى) (٦٩٣ـ٦٩٤هـ)

تولية السلطنة

بعد مقتل السلطان الملك الأشرف خليل اتَّفَقَ زَيْنُ الدِّينِ كَتْبُغَا، وَعَلَمُ الدِّينِ سَنْجَرُ الشُّجَاعِيُّ عَلَى أَنْ يُمَلِّكُوا **أَخَاه مُحَمَّدًا النَّاصِرَ** بْنَ الملك المنصور قَلاوُون، وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ **ثَمَانِ سِنِينَ**، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ يَوْمَ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٣هـ)، وَجُعِلَ **الْأَمِيرُ كَتْبُغَا أَتَابِكَهُ**، وَعَلَمُ الدِّينِ سَنْجَرُ الشُّجَاعِيُّ مُشَاوِرًا كَبِيرًا.

ثُمَّ قُتِلَ عَلَمُ الدِّينِ سَنْجَرُ بَعْدَ أَيَّامٍ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى **كَتْبُغَا**، فَأَمَرَ أَنْ يُطَافَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَعْطَوُا الَّذِينَ حَمَلُوا رَأْسَهُ مَالًا، **وَلَمْ يَبْقَ لِكَتْبُغَا مُنَازِعٌ**، وَمَعَ هَذَا كَانَ يُشَاوِرُ كِبَارَ الْأُمَرَاءِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ.

وَفِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ سنة (٦٩٣هـ) ظَهَرَ الْأَمِيرُ **حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينُ**، وَكَانَ مُخْتَفِيًا مُنْذُ أن قَتَلَ الْأَشْرَفَ فَاعْتُذِرَ لَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ، فَقَبِلَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ.

وفِي شَعْبَانَ سنة (٦٩٣هـ) رَكِبَ **الْمَلِكُ النَّاصِرُ بن المنصور قلاوون** فِي أُبَّهَةِ الْمَلِكِ، وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَجَاءَ الْمَرْسُومُ مِنْ جِهَةِ السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فَقُرِئَ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْجَامِعِ الأموي، وفِيهِ الْأَمْرُ **بِنَشْرِ الْعَدْلِ وَطَيِّ الظُّلْمِ، وَإِبْطَالِ ضَمَانِ الْأَوْقَافِ**، وَالْأَمْلَاكِ إِلَّا بِرِضَا أَصْحَابِهَا.

تولية الوزارة بمصر لتاج الدين ابن الحنا

بعد موت ابن السلعوس في صفر سنة (٦٩٣هـ) تَوَلَّى الْوِزَارَةَ بِمِصْرَ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ الْحِنَّا.

وَوَلِيَ خَطَابَةَ دِمَشْقَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ نِعْمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْمَقْدِسِيُّ، بِإِشَارَةِ الْوَزِيرِ بِمِصْرَ **تَاجِ الدِّينِ** بْنِ الْحِنَّا، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا عَالِمًا بَارِعًا.

○ عصيان بعض المماليك على السلطان

فِي يَوْمُ عَاشُورَاءَ سنة (٦٩٤هـ) نَهَضَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِ الْأَشْرَفِ، وَخَرَقُوا حُرْمَةَ السُّلْطَانِ **النَّاصِر مُحَمَّد** بْنَ الملك المنصور قَلَاوُونَ، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ، وَجَاءُوا إِلَى سُوقِ السِّلَاحِ بدمشق، فَأَخَذُوا مَا فِيهِ، ثُمَّ احْتِيطَ عَلَيْهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ صُلِبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ شُنِقَ، وَقُطِعَ أَيْدِي آخَرِينَ مِنْهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ أَوْ يَزِيدُونَ.

○ خلعه

فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٤هـ) **خُلِعَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ** بْن الملك الْمَنْصُورِ قلاوون، وَأُلْزِمَ بَيْت أَهْلِهِ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْهُ.

❁ ❁ ❁

الأحداث المتعلقة بشيخ الإسلام ابن تيمية

○ مَوْلِدُ الشَّيْخ تَقِيِّ الدِّين ابْنِ تَيْمِيَّة

قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ **الذَّهَبِيُّ**: وُلِدَ شَيْخُنَا تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ بِحَرَّانَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ (٦٦١هـ).

وَفِي سنة (٦٦٦هـ) وُلِدَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، أَخُو الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

وَفِي سنة (٦٦٧هـ) خَرَجَ أَهْلُ حَرَّانَ مِنْهَا، وَقَدِمُوا الشَّامَ، وَكَانَ فِيهِمْ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ صُحْبَةَ أَبِيهِ، **وَعُمْرُهُ سِتُّ سِنِينَ**، وَأَخُواه زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَشَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ، وَهُمَا أَصْغَرُ مِنْهُ.

○ أول درس لشيخ الإسلام ابن تيمية

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٨٣هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** الْحَرَّانِيُّ بِدَارِ الْحَدِيثِ السُّكَّرِيَّةِ الَّتِي بِالْقَصَّاعِينَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ الشَّافِعِيُّ، وَالشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وَالشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ ابْنُ الْمُرَحِّلِ، وَزَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْمُنَجَّا الْحَنْبَلِيُّ.

وَكَانَ دَرْسًا هَائِلًا حَافِلًا، **وَقَدْ كَتَبَهُ** الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ **الْفَزَارِيُّ بِخَطِّهِ** لِكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ، وَكَثْرَةِ مَا اسْتَحْسَنَهُ الْحَاضِرُونَ، وَقَدْ أَطْنَبَ الْحَاضِرُونَ فِي شُكْرِهِ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَصِغَرِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ اثنين وعشرين.

ثُمَّ جَلَسَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَاشِرَ صَفَرٍ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَعْدَ صَلَاةِ

الْجُمُعَةِ عَلَى مِنْبَرٍ قَدْ هُيِّئَ لَهُ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، فَابْتَدَأَ مِنْ أَوَّلِهِ فِي تَفْسِيرِهِ، وَكَانَ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ، مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ يُورِدُ مِنَ الْعُلُومِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُحَرَّرَةِ مَعَ الدِّيَانَةِ، وَالزَّهَادَةِ، وَالْعِبَادَةِ، سَارَتْ بِذِكْرِهِ الرُّكْبَانُ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةَ سِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٦٩٥هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ الْحَرَّانِيُّ **بِالْمَدْرَسَةِ الْحَنْبَلِيَّةِ** عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ الْمُنَجَّا، ثم نَزَلَ ابْنُ تَيْمِيَةَ عَنْها لِشَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْفَخْرِ الْبَعْلَبَكِّيِّ.

○ واقعة عساف وسبب تأليف الصارم المسلول

كَانَ عساف نصراني مِنْ أَهْلِ السُّوَيْدَاءِ قَدْ شَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ أَنَّهُ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدِ اسْتَجَارَ **بِابْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَجِّيٍّ أَمِيرِ آلِ عَلِيٍّ**، فَاجْتَمَعَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، وَالشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارِقِيُّ شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ، فَدَخَلَا عَلَى الْأَمِيرِ **عِزِّ الدِّينِ أَيْبَكَ** الْحَمَوِيِّ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ سنة (٦٩٣هـ)، فَكَلَّمَاهُ فِي أَمْرِهِ، فَأَجَابَهُمَا إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ لِيُحْضِرَهُ.

فلما حضر رَآه النَّاسُ حِينَ قَدِمَ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَسَبُّوهُ وَشَتَمُوهُ، فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ العربي: هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ. يَعْنِي النَّصْرَانِيَّ، **فَرَجَمَهُمَا النَّاسُ بِالْحِجَارَةِ**، وَأَصَابَتْ عَسَّافًا، وَوَقَعَتْ خَبْطَةٌ قَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَ النَّائِبُ، فَطَلَبَ الشَّيْخَيْنِ ابْنَ تَيْمِيَةَ وَالْفَارِقِيَّ، **فَضَرَبَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**، وَرَسَمَ عَلَيْهِمَا فِي الْعَذْرَاوِيَّةِ.

وَعُقِدَ مَجْلِسٌ بِسَبَبِهِ فَأَسْلَمَ النَّصْرَانِيُّ، وَأَثْبَتَ أن بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّهُودِ عَدَاوَةً، فَحَقَنَ دَمَهُ، ثُمَّ اسْتَدْعَى النائب بِالشَّيْخَيْنِ، فَأَرْضَاهُمَا، وَأَطْلَقَهُمَا، وَلَحِقَ النَّصْرَانِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِبِلَادِ الْحِجَازِ، ثم قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيهِ قَرِيبًا مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَنَّفَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ كِتَابَهُ «**الصَّارِمَ الْمَسْلُولَ عَلَى سَابِّ الرَّسُولِ**».

○ تحريض شيخ الإسلام على الجهاد

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَابعَ عَشَرَ شَوَّالٍ (٦٩٧هـ) عَمِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ مِيعَادًا فِي الْجِهَادِ، وَحَرَّضَ فِيهِ، بَالَغَ فِي أُجُورِ الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا وَمِيعَادًا جَلِيلًا.

○ مناقشة شيخ الإسلام في الحموية

كَانَ قَدْ وَقَعَ فِي أَوَاخِرِ دَوْلَةٍ لَاجِينَ سنة (٦٩٨هـ) بَعْدَ خُرُوجِ قَبْجَقَ مِنَ الْبَلَدِ مِحْنَةٌ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، قَامَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَرَادُوا إِحْضَارَهُ إِلَى مَجْلِسِ الْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ الْحَنَفِيِّ فَلَمْ يَحْضُرْ، فَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ فِي الْعَقِيدَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ سَأَلَهُ عَنْهَا أَهْلُ حَمَاةَ الْمُسَمَّاةِ «بِالْحَمَوِيَّةِ»، فَانْتَصَرَ لَهُ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ جَاغَانُ**، وَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الَّذِينَ قَامُوا عَلَيْهِ، فَاخْتَفَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَضَرَبَ جَمَاعَةً مِمَّنْ نَادَى عَلَى الْعَقِيدَةِ، فَسَكَتَ الْبَاقُونَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَمِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمِيعَادَ بِالْجَامِعِ عَلَى عَادَتِهِ، وَفَسَّرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ثُمَّ اجْتَمَعَ بِالْقَاضِي إِمَامِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ صَبِيحَةَ يَوْمِ السَّبْتِ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، وَبَحَثُوا فِي «الْحَمَوِيَّةِ» وَنَاقَشُوهُ فِي أَمَاكِنَ مِنْهَا، فَأَجَابَ عَنْهَا بِمَا أَسْكَتَهُمْ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ، ثُمَّ قَامَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ، وَقَدْ تَمَهَّدَتِ الْأُمُورُ وَسَكَنَتِ الْأَحْوَالُ، وَكَانَ الْقَاضِي إِمَامُ الدِّينِ مُعْتَقَدُهُ حَسَنٌ وَمَقْصِدُهُ صَالِحٌ.

○ محاولة شيخ الإسلام إنقاذ الأسرى

خَرَجَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ** فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ فِي سنة (٦٩٩هـ) إِلَى مَلِكِ التَّتَارِ، وَعَادَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَلَمْ يَتَّفِقِ اجْتِمَاعُهُ بِقَازَانَ، حَجَبَهُ عَنْهُ الْوَزِيرُ سَعْدُ الدِّينِ، وَالرَّشِيدُ مُشِيرُ الدَّوْلَةِ الْمُسْلَمَانِيُّ بْنُ يَهُودَى، وَالْتَزَمَا لَهُ بِقَضَاءِ الشُّغْلِ، وَذَكَرَا لَهُ أَنَّ التَّتَارَ لَمْ يَحْصُلْ لِكَثِيرٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى الْآنِ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ.

فِي ثَانِي رَجَبٍ سنة (٦٩٩هـ) خَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ إِلَى مُخَيَّم **بُولَاي**، فَاجْتَمَعَ بِهِ فِي فِكَاكِ مَنْ مَعَهُ مِنْ **أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ**، فَاسْتَنْقَذَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ عَادَ.

ثُمَّ رَاحَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ دِمَشْقَ، ثُمَّ عَادُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَشُلِّحُوا، وَأُخِذَتْ ثِيَابُهُمْ وَعَمَائِمُهُمْ، وَرَجَعُوا فِي شَرِّ حَالَةٍ، ثُمَّ بَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ، فَاخْتَفَى أَكْثَرُهُمْ، وَتَغَيَّبُوا عَنْهُ.

احتساب شيخ الإسلام على إزالة المنكرات

فِي بُكْرَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٦٩٩هـ) دَارَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْخَمَّارَاتِ وَالْحَانَاتِ، فَكَسَرُوا آنِيَةَ الْخُمُورِ، وَشَقُّوا الظُّرُوفَ، وَأَرَاقُوا الْخُمُورَ، وَعَزَّرُوا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْحَانَاتِ الْمُتَّخَذَةِ لِهَذِهِ الْفَوَاحِشِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

ذهاب شيخ الإسلام إلى السلطان الناصر محمد

في سنة (٧٠٠هـ) طلب نائِبُ دمشق وَالْأُمَرَاءُ من شيخ الإسلام أَنْ يَرْكَبَ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى مِصْرَ؛ **يَسْتَحِثُّ السُّلْطَانَ الناصر محمد بن قلاوون** عَلَى الْمَجِيءِ إلى الشام، فَسَاقَ وَرَاءَ السُّلْطَانِ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَتَفَارَطَ الْحَالُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَحَثَّهُمْ عَلَى تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ إِلَى الشَّامِ **إِنْ كَانَ لَهُمْ بِهِ حَاجَةٌ**.

وَقَالَ لَهُمْ فِيمَا قَالَ: إِنْ كُنْتُمْ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الشَّامِ وَحِمَايَتِهِ، **أَقَمْنَا لَهُ سُلْطَانًا يُحَوِّطُهُ وَيَحْمِيهِ، وَيَسْتَغِلُّهُ فِي زَمَنِ الْأَمْنِ**، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: **لَوْ قُدِّرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ حُكَّامَ الشَّامِ وَلَا مُلُوكَهُ وَاسْتَنْصَرَكُمْ أَهْلُهُ وَجَبَ عَلَيْكُمُ النَّصْرُ**، فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حُكَّامُهُ وَسَلَاطِينُهُ، وَهُمْ رَعَايَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ. وَقَوَّى جَأْشَهُمْ، وَضَمِنَ لَهُمُ النَّصْرَ هَذِهِ الْكَرَّةَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى جُرِّدَتِ الْعَسَاكِرُ فَخَرَجُوا إِلَى الشَّامِ، وفَرِحَ النَّاسُ فَرَحًا شَدِيدًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَدْ يَئِسُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَرَجَعَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى عَلَى الْبَرِيدِ، وَقَدْ أَقَامَ بِقَلْعَةِ مِصْرَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، وَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ وَالْوَزِيرِ وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ، وَحَثَّهُمْ وَحَرَّضَهُمْ فَأَجَابُوهُ،

○ الافتراء على شيخ الإسلام

فِي شهر شوال سنة (٧٠١هـ) ثَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَسَدَةِ عَلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَشَكَوْا مِنْهُ أَنَّهُ يُقِيمُ الْحُدُودَ، وَيُعَزِّرُ، وَيَحْلِقُ رُءُوسَ الصِّبْيَانِ، وَتَكَلَّمَ هُوَ أَيْضًا فِي مَنْ يَشْكُو مِنْهُ ذَلِكَ، وَبَيَّنَ خَطَأَهُمْ، ثُمَّ سَكَنَتِ الْأُمُورُ.

○ كتاب مزور على شيخ الإسلام

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٢هـ) وَقَعَ بِيَدِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ كِتَابٌ **مُزَوَّرٌ**، فِيهِ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ **ابْنَ تَيْمِيَّةَ**، وَالْقَاضِي شَمْسَ الدِّينِ بْنَ الْحَرِيرِيِّ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْخَوَاصِّ الَّذِينَ بِبَابِ السَّلْطَنَةِ، يُنَاصِحُونَ التَّتَرَ وَيُكَاتِبُوهُمْ، وَيُرِيدُونَ تَوْلِيَةَ **قَبْجَقَ** عَلَى الشَّامِ، وَأَنَّ الشَّيْخَ كَمَالَ الدِّينِ بْنَ الزَّمْلَكَانِيِّ يُعْلِمُهُمْ بِأَحْوَالِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ **آقُوشَ** الْأَفْرَمِ، وَكَذَلِكَ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْعَطَّارِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ **عَرَفَ أَنَّ هَذَا مُفْتَعَلٌ**، فَفَحَصَ عَنْ وَاضِعِهِ، فَإِذَا هُوَ فَقِيرٌ كَانَ مُجَاوِرًا بِالْبَيْتِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَانِبِ مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ، يُقَالُ لَهُ: **الْيَعْفُورِيُّ**، وَآخَرُ مَعَهُ يُقَالُ لَهُ: **أَحْمَدُ الْفَنَارِيُّ**، وَكَانَا مَعْرُوفَيْنِ بِالشَّرِّ وَالْفُضُولِ، وَوُجِدَ مَعَهُمَا مُسَوَّدَةُ هَذَا الْكِتَابِ، فَتَحَقَّقَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ ذَلِكَ، فَعُزِّرَا تَعْزِيرًا عَنِيفًا.

ثُمَّ وُسِّطَا [1] بَعْدَ ذَلِكَ فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٠٢هـ)، وَقُطِعَتْ يَدُ الْكَاتِبِ الَّذِي كَتَبَ لَهُمَا هَذَا الْكِتَابَ، وَهُوَ التَّاجُ بْنُ الْمَنَادِيلِيِّ.

---

(١) التوسيط: شكل من أشكال الإعدام في العصر المملوكي، حيث يعرى فيها المحكوم عليه من الثياب، ثم يربط على خشبتين على شكل صليب، ثم يضربه السياف ضربة قوية تحت السرة، تقسمه نصفين، فتندلق أمعاؤه على الأرض. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٤٨.

○ كشف شبهة

تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ التَّتَر عند هجومهم على بلاد الشام في سنة (٧٠٢) مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ ثُمَّ خَالَفُوهُ، **فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ**: هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَهُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، فَتَفَطَّنَ الْعُلَمَاءُ وَالنَّاسُ لِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُونِي مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَعَلَى رَأْسِي مُصْحَفٌ، فَاقْتُلُونِي، فَتَشَجَّعَ النَّاسُ فِي قِتَالِ التَّتَارِ، وَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَنِيَّاتُهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ ممارسة شيخ الإسلام الحسبة والجهاد

فِي رَجَبٍ سنة (٧٠٤هـ) أُحْضِرَ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ **ابْنِ تَيْمِيَّةَ** شَيْخٌ كَانَ يَلْبَسُ دِلْقًا كَبِيرًا مُتَّسِعًا جِدًّا، يُسَمَّى الْمُجَاهِدَ إِبْرَاهِيمَ الْقَطَّانَ، فَأَمَرَ الشَّيْخُ بِتَقْطِيعِ ذَلِكَ الدِّلْقِ، فَتَنَاهَبَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَطَّعُوهُ حَتَّى لَمْ يَدَعُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَأَمَرَ بِحَلْقِ رَأْسِهِ، وَكَانَ ذَا شَعْرٍ، وَقَلْمِ أَظْفَارِهِ، وَكَانُوا طِوَالًا جِدًّا، وَحَفِّ شَارِبِهِ الْمُسْبَلِ عَلَى فَمِهِ، الْمُخَالِفِ لِلسُّنَّةِ، وَاسْتَتَابَهُ مِنْ كَلَامِ الْفُحْشِ، وَأَكْلِ مَا لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمِمَّا يُغَيِّرُ الْعَقْلَ مِنَ الْحَشِيشَةِ وَغَيْرِهَا.

وَبَعْدَهُ اسْتُحْضِرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْخَبَّازُ الْبَلَاسِيُّ، فَاسْتَتَابَهُ أَيْضًا عَنْ أَكْلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمُخَالَطَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي تَعْبِيرِ الْمَنَامَاتِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

وفِي رَجَبٍ سنة (٧٠٤هـ) رَاحَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى** مَسْجِدِ **النَّارَنْجِ، وَأَمَرَ** أَصْحَابَهُ وَمَعَهُمْ حَجَّارُونَ **بِقَطْعِ صَخْرَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ بِنَهْرِ قَلُوطٍ - تُزَارُ وَيُنْذَرُ لَهَا - فَقَطَعَهَا، وَأَرَاحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا**، وَمِنَ الشِّرْكِ بِهَا، وكَانَ شَرُّهَا عَظِيمًا.

وَبِهَذَا وَأَمْثَالِهِ حَسَدُوهُ وَأَبْرَزُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَكَذَلِكَ بِكَلَامِهِ فِي ابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعِهِ، فَحُسِدَ عَلَى ذَلِكَ وَعُودِيَ، وَمَعَ هَذَا لَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِمَكْرُوهٍ، وَأَكْثَرُ مَا نَالُوا مِنْهُ الْحَبْسُ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ فِي بَحْثٍ لَا بِمِصْرَ وَلَا بِالشَّامِ، وَلَمْ يَتَوَجَّهْ لَهُمْ عَلَيْهِ مَا يَشِينُ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ، وَحَبَسُوهُ بِالْجَاهِ والسلطة، وَإِلَى اللهِ إِيَابُ الْخَلْقِ، وَعَلَيْهِ حِسَابُهُمْ.

وفي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٠٤هـ) رَكِبَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَبَلِ الْجُرْدِ وَالْكَسْرَوَانِيِّينَ، وَمَعَهُ نَقِيبُ الْأَشْرَافِ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ عَدْنَانَ، فَاسْتَتَابُوا خَلْقًا مِنْهُمْ، وَأَلْزَمُوهُمْ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَرَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا.

فِي ثَانِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧٠٥هـ) خَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَسَارُوا إِلَى بِلَادِ الْجُرْدِ، وَالرَّفْضِ، وَالتَّيَامِنَةِ (وادي تيم)، فَخَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَفْرَمُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ خُرُوجِ الشَّيْخِ لِغَزْوِهِمْ، فَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَبَادُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَمِنْ فِرْقَتِهِمُ الضَّالَّةِ، وَوَطِئُوا أَرَاضِيَ كَثِيرَةً مِنْ مَنِيعِ بِلَادِهِمْ، وَعَادَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى دِمَشْقَ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَالْجَيْشِ.

وَقَدْ حَصَلَ بِسَبَبِ شُهُودِ الشَّيْخِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَأَبَانَ الشَّيْخُ عِلْمًا وَشَجَاعَةً فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَقَدِ امْتَلَأَتْ قُلُوبُ أَعْدَائِهِ حَسَدًا لَهُ وَغَمًّا.

○ إنكار شيخ الإسلام على الأحمدية وغيرهم

فِي يَوْمِ السَّبْتِ تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٥هـ) حَضَرَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْأَحْمَدِيَّةِ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَحَضَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، فَسَأَلُوا مِنْ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ بِحَضْرَةِ الْأُمَرَاءِ أَنْ يَكُفَّ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ إِنْكَارَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُسَلِّمَ لَهُمْ حَالَهُمْ، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: هَذَا مَا يُمْكِنُ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ تَحْتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُمَا وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، فَأَرَادُوا أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ

أَحْوَالِهِمُ الشَّـيْطَانِيَّةِ الَّتِي يَتَعَاطَوْنَهَا فِي سَـمَاعَاتِهِمْ، **فَقَالَ الشَّـيْخُ: تِلْكَ أَحْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ بَاطِلَةٌ**، وَأَكْثَرُ أَحْوَالِكُمْ مِنْ **بَابِ الْحِيَلِ وَالْبُهْتَانِ**، وَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ فَلْيَدْخُلْ أَوَّلًا إِلَى **الْحَمَّامِ**، وَلْيَغْسِلْ جَسَدَهُ غَسْلًا جَيِّدًا، وَيَدْلِكْهُ بِالْخَلِّ وَالْأُشْنَانِ، ثُمَّ يَدْخُلْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّارِ إِنْ كَانَ صَادِقًا،

وَلَـوْ فُرِضَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ أَنْ يَغْتَسِـلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحِهِ، وَلَا عَلَى كَرَامَتِهِ، بَلْ **حَالُهُ مِنْ أَحْوَالِ الدَّجَاجِلَةِ الْمُخَالِفَةِ** لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى السُّنَّةِ، فَمَا الظَّنُّ بِخِلَافِ ذَلِكَ! فَابْتَدَرَ شَيْخُ الْمُنَيْبِعِ الشَّيْخُ صَالِحٌ، وَقَـالَ: نَحْـنُ أَحْوَالُنَا إِنَّمَا تَنْفَقُ عِنْدَ التَّتَرِ، لَيْسَـتْ تَنْفَقُ عِنْدَ الشَّـرْعِ. فَضَبَطَ الْحَاضِرُونَ عَلَيْـهِ تِلْكَ الْكَلِمَةَ، وَكَثُرَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، ثُمَّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنَّهُمْ يَخْلَعُونَ الْأَطْوَاقَ الْحَدِيدَ مِنْ رِقَابِهِمْ، وَأَنَّ مَنْ خَرَجَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ.

وَصَنَّفَ الشَّـيْخُ جُزْءًا فِي **طَرِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ**، [1] وَبَيَّنَ فِيهِ فَسَادَ أَحْوَالِهِمْ، وَمَسَالِكِهِمْ، وَتَخَيُّلَاتِهِـمْ، وَمَا فِـي طَرِيقَتِهِمْ مِنْ مَقْبُولٍ وَمَرْدُودٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ، وَأَظْهَرَ اللهُ السُّـنَّةَ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَخْمَدَ بِدْعَتَهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ مجالس المناظرة مع شيخ الإسلام ابن تيمية

⊙ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنِ رَجَبٍ سـنة (٧٠٥هـ) **حَضَرَ الْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ، وَفِيهِمُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** عِنْدَ نَائِبِ السَّـلْطَنَةِ بِالْقَصْرِ، وَقُرِئَتْ عَقِيدَةُ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ "الْوَاسِطِيَّةُ"، وَحَصَلَ بَحْثٌ فِي أَمَاكِنَ مِنْهَا، وَأُخِّرَتْ مَوَاضِعُ إِلَى مجلس آخر.

⊙ فعقد **المجلس الثاني** يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ الصَّلَاةِ ثَانِيَ عَشَرَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ، وَحَضَرَ الشَّـيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ، وَتَكَلَّمَ مَعَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ كَلَامًا كَثِيرًا، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ الشَّـيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْـنُ الزَّمْلَكَانِيِّ هُوَ الَّذِي يُحَاقِقُهُ مِنْ غَيْرِ مُسَـامَحَةٍ، فَتَنَاظَرَا فِي ذَلِكَ، وَشَـكَرَ النَّاسُ مِنْ فَضَائِلِ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٥) ومابعدها.

الزَّمْلَكَانِيِّ، وَجَوْدَةِ ذِهْنِهِ، وَحُسْنِ بَحْثِهِ، حَيْثُ قَاوَمَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ فِي الْبَحْثِ، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ، ثُمَّ انْفَصَلَ الْحَالُ عَلَى قَبُولِ الْعَقِيدَةِ، وَعَادَ الشَّيْخُ إِلَى مَنْزِلِهِ مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا.

⊙ ثُمَّ عُقِدَ **الْمَجْلِسُ الثَّالِثُ** سَابِعَ شَعْبَانَ سنة (٧٠٥هـ) بِالْقَصْرِ، وَاجْتَمَعَ الْجَمَاعَةُ عَلَى الرِّضَا بِالْعَقِيدَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ **عَزَلَ ابْنُ صَصْرَى نَفْسَهُ** عَنِ الْحُكْمِ بِسَبَبِ كَلَامٍ سَمِعَهُ مِنَ الشَّيْخِ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ**، فِي الْمَجْلِسِ الْمَذْكُورِ.

ثُمَّ جَاءَ كِتَابُ السُّلْطَانِ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ فِيهِ إِعَادَةُ ابْنِ صَصْرَى إِلَى الْقَضَاءِ، وَذَلِكَ بِإِشَارَةِ الْمَنْبِجِيِّ.

وَفِي الْكِتَابِ: إِنَّا كُنَّا رَسَمْنَا بِعَقْدِ مَجْلِسٍ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَقَدْ بَلَغَنَا مَا عُقِدَ لَهُ مِنَ الْمَجَالِسِ، وَأَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا بِذَلِكَ بَرَاءَةَ سَاحَتِهِ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ فَصْلًا مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ فِي كَيْفِيَّةِ مَا وَقَعَ فِي هَذِهِ الْمَجَالِسِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْمُنَاظَرَاتِ [١].

وَكَانَ الْحَامِلَ عَلَى هَذِهِ المجالس كِتَابٌ وَرَدَ مِنَ السُّلْطَانِ، كَانَ الْبَاعِثَ عَلَى إِرْسَالِهِ **قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ ابْنُ مَخْلُوفٍ، وَالشَّيْخُ نَصْرٌ الْمَنْبِجِيُّ شَيْخُ الْجَاشْنَكِيرِ**، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَعْدَائِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ **ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَنْبِجِيِّ**، وَيَنْسُبُهُ إِلَى اعْتِقَادِ ابْنِ عَرَبِيٍّ، وَكَانَ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ مِنَ الْفُقَهَاءِ جَمَاعَةٌ **يَحْسُدُونَهُ لِتَقَدُّمِهِ عِنْدَ الدَّوْلَةِ**، وَانْفِرَادِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَطَاعَةِ النَّاسِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، وَقِيَامِهِ فِي الْحَقِّ، وَعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ.

ثُمَّ وَقَعَ بِدِمَشْقَ خَبْطٌ كَثِيرٌ وَتَشْوِيشٌ، بِسَبَبِ **غَيْبَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ** فِي الصَّيْدِ، وَطَلَبَ الْقَاضِي جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ وَعَزَّرَ بَعْضَهُمْ.

---

(١) انظره في مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٠ ومابعدها.

⊙ وقَرَأَ الشَّيْخَ جَمَالَ الدِّينِ **الْمِزِّيَّ** الْحَافِظَ فَصْلًا فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ مِنْ كِتَابِ "خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ" لِلْبُخَارِيِّ - تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ، بَعْدَ قِرَاءَةِ مِيعَادِ "الْبُخَارِيِّ" بِسَبَبِ الِاسْتِسْقَاءِ، **فَغَضِبَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ** الْحَاضِرِينَ، وَشَكَاهُ إِلَى الْقَاضِي الشَّافِعِيِّ **ابْنِ صَصْرَى**، وَكَانَ عَدُوَّ الشَّيْخِ، فَسَجَنَ الْمِزِّيَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ، فَتَأَلَّمَ لِذَلِكَ، **وَذَهَبَ إِلَى السِّجْنِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهُ بِنَفْسِهِ**، وَرَاحَ إِلَى **الْقَصْرِ** فَوَجَدَ الْقَاضِيَ **ابْنَ صَصْرَى** هُنَاكَ، فَتَقَاوَلَا بِسَبَبِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ، فَحَلَفَ **ابْنُ صَصْرَى**، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى السِّجْنِ، وَإِلَّا عَزَلَ نَفْسَهُ، فَأَمَرَ النَّائِبُ بِإِعَادَتِهِ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ الْقَاضِي، فَحَبَسَهُ عِنْدَهُ فِي الْقُوصِيَّةِ أَيَّامًا ثُمَّ أَطْلَقَهُ.

⊙ وَلَمَّا قَدِمَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ ذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ مَا جَرَى فِي حَقِّهِ وَحَقِّ أَصْحَابِهِ فِي غَيْبَتِهِ، فَتَأَلَّمَ النَّائِبُ لِذَلِكَ، **وَنَادَى فِي الْبَلَدِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْعَقَائِدِ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ حَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ**، وَنُهِبَتْ دَارُهُ وَحَانُوتُهُ، فَسَكَنَتِ الْأُمُورُ.

⊙ **ثُمَّ** جَاءَ **كِتَابٌ** من السلطان الناصر محمد قلاوون فِي خَامِسِ **رَمَضَانَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ** سنة (٧٠٥هـ)، وَفِيهِ أَنْ يُحْمَلَ تقي الدين ابن تيمية وَالْقَاضِي ابْنُ صَصْرَى إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَتَوَجَّهَا عَلَى الْبَرِيدِ نَحْوَ مِصْرَ، وَخَرَجَ مَعَ الشَّيْخِ خَلْقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، **وَخَافُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْدَائِهِ**.

وَأَشَارَ عَلَيْهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ **الْأَفْرَمُ** بِتَرْكِ الذَّهَابِ إِلَى مِصْرَ، وَقَالَ لَهُ: أَنَا أُكَاتِبُ السُّلْطَانَ فِي ذَلِكَ، وَأُصْلِحُ الْقَضَايَا، فَامْتَنَعَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ فِي تَوَجُّهِهِ لِمِصْرَ مَصْلَحَةً كَبِيرَةً، وَمَصَالِحَ كَثِيرَةً.

فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ ازْدَحَمَ النَّاسُ لِوَدَاعِهِ وَرُؤْيَتِهِ، **وَهُمْ مَا بَيْنَ بَاكٍ وَحَزِينٍ**، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ عاشر رمضان سنة (٧٠٥هـ) دَخَلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **غَزَّةَ** فَعَمِلَ بِجَامِعِهَا مَجْلِسًا عَظِيمًا، ثُمَّ رَحَلَا مَعًا إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَالْقُلُوبُ مَعَهُ وَبِهِ مُتَعَلِّقَةٌ، فَدَخَلَا مِصْرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عُقِدَ لِلشَّيْخِ **تَقِيِّ الدِّينِ مَجْلِسٌ بِالْقَلْعَةِ**، اجْتَمَعَ فِيهِ الْقُضَاةُ وَأَكَابِرُ الدَّوْلَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتكَلَّمَ عَلَى عَادَتِهِ، فَلَمْ يُمَكَّنْ مِنَ الْبَحْثِ وَالْكَلَامِ، وَانْتَدَبَ لَهُ الشَّمْسُ بْنُ عَدْلَانَ خَصْمًا احْتِسَابًا، وَادَّعَى عَلَيْهِ عِنْدَ ابْنِ مَخْلُوفٍ الْمَالِكِيِّ أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً، وَإِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، فَسَأَلَهُ الْقَاضِي جَوَابَهُ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ فِي حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: **أَجِبْ، مَا جِئْنَا بِكَ لِتَخْطُبَ**، فَقَالَ: وَمَنِ الْحَاكِمُ فِيَّ؟ فَقِيلَ لَهُ: الْقَاضِي الْمَالِكِيُّ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: **كَيْفَ تَحْكُمُ فِيَّ وَأَنْتَ خَصْمِي**؟! **فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَانْزَعَجَ**، وَأُقِيمَ مُرَسَّمًا عَلَيْهِ، **وَحُبِسَ** فِي بُرْجٍ أَيَّامًا، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهُ لَيْلَةَ الْعِيدِ إِلَى الْحَبْسِ الْمَعْرُوفِ بِالْجُبِّ هُوَ وَأَخَوَاهُ: شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ، وَزَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

وَأَمَّا ابْنُ صَصْرَى فَإِنَّهُ جُدِّدَ لَهُ تَوْقِيعٌ بِالْقَضَاءِ بدمشق، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسِ ذِي الْقَعْدَةِ، **وَالْقُلُوبُ لَهُ مَاقِتَةٌ، وَالنُّفُوسُ مِنْهُ نَافِرَةٌ**، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِالْجَامِعِ، **وَبَعْدَهُ قُرِئَ كِتَابٌ فِيهِ**: الْحَطُّ عَلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ، وَمُخَالَفَتُهُ فِي الْعَقِيدَةِ، وَأَنْ يُنَادَى بِذَلِكَ فِي الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَأُلْزِمَ أَهْلُ مَذْهَبِهِ بِمُخَالَفَتِهِ.

وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِمِصْرَ، قَامَ عَلَيْهِ جَاشْنَكِيرُ وَشَيْخُهُ نَصْرٌ الْمَنْبِجِيُّ، وَسَاعَدَهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَجَرَتْ فِتَنٌ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ.

وَحَصَلَ لِلْحَنَابِلَةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **إِهَانَةٌ عَظِيمَةٌ** كَثِيرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ قَاضِيَهُمْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ، مُزْجَى الْبِضَاعَةِ، وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ الْحَرَّانِيُّ، فَلِذَلِكَ نَالَ أَصْحَابَهُمْ مَا نَالَهُمْ.

○ رفض شيخ الإسلام الشروط التي طلبت منه

فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَة (٧٠٦هـ) أَحْضَرَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَلَّارُ** نَائِبُ مِصْرَ الْقُضَاةَ الثَّلَاثَةَ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَالْقُضَاةُ: الشَّافِعِيُّ، وَالْمَالِكِيُّ، وَالْحَنَفِيُّ، وَالْفُقَهَاءُ: الْبَاجِيُّ، وَالْجَزَرِيُّ، وَالنِّمْرَاوِيُّ، وَتَكَلَّمُوا فِي إِخْرَاجِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ **مِنَ الْحَبْسِ**، فَاشْتَرَطَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ **شُرُوطًا عَلَيْهِ** فِي ذَلِكَ، **مِنْهَا**:

أَنَّـهُ يَلْتَـزِمُ بِالرُّجُوعِ عَـنْ بَعْضِ **الْعَقِيـدَةِ**، وَأَرْسَـلُوا إِلَيْهِ لِيَحْضُـرَ لِيَتَكَلَّمُـوا مَعَهُ فِي ذَلِـكَ، **فَامْتَنَعَ مِنَ الْحُضُورِ**، وَصَمَّمَ، وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُـلُ إِلَيْهِ سِـتَّ مَـرَّاتٍ، فَصَمَّمَ عَلَى عَـدَمِ الْحُضُـورِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَعِدْهُمْ شَـيْئًا، فَطَالَ عَلَيْهِـمُ الْمَجْلِسُ، فَتَفَرَّقُوا وَانْصَرَفُوا غَيْرَ مَأْجُورِينَ.

و فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَـرَ صَفَرٍ سـنة (٧٠٧هـ) **اجْتَمَعَ قَاضِـي الْقُضَاةِ** بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ **بِالشَّيْخ** تَقِيِّ الدِّينِ **ابْنِ تَيْمِيَّةَ** فِي دَارِ الْأَوْحَدِيِّ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَطَالَ بَيْنَهُمَا الْكَلَامُ، ثُمَّ تَفَرَّقَا قَبْلَ الصَّلَاةِ وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ مُصَمِّمٌ عَلَى عَدَمِ الْخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ.

فَلَمَّـا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سـنة (٧٠٧هـ) جَاءَ الْأَمِيرُ حُسَـامُ الدِّيـنِ **مُهَنَّا بْنُ عِيسَـى** مَلِكُ الْعَرَبِ إِلَى السِّـجْنِ بِنَفْسِـهِ، وَأَقْسَـمَ عَلَى الشَّـيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ لَيَخْرُجَنَّ إِلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ أَقْسَمَ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّ مَعَهُ إِلَى دَارِ سَلَّارَ.

فَاجْتَمَـعَ بِهِ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِدَارِ سَـلَّارَ، وَجَـرَتْ بَيْنَهُمْ بُحُوثٌ كَثِيرَةٌ، ثُـمَّ فَرَّقَتْ بَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا إِلَى الْمَغْرِبِ، وَبَاتَ الشَّـيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عِنْدَ سَـلَّارَ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا يَوْمَ الْأَحَدِ بِمَرْسُومِ السُّلْطَانِ جَمِيعَ النَّهَارِ، وَلَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مِنَ الْقُضَاةِ، بَلِ اجْتَمَعَ مِنَ الْفُقَهَاءِ خَلْقٌ كَثِيرٌ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، مِنْهُمُ الْفَقِيهُ نَجْمُ الدِّينِ **بْنُ رِفْعَةَ**، وَعَلَاءُ الدِّينِ **الْبَاجِيُّ**، وَفَخْرُ الدِّينِ **بْنُ بِنْتِ أَبِي سَـعْدٍ**، وَعِزُّ الدِّينِ **النِّمْرَاوِيُّ**، وَشَـمْسُ الدِّينِ **بْنُ عَدْلَانَ**، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَطَلَبُوا الْقُضَاةَ، فَاعْتَذَرُوا؛ **لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَا عند ابْن تَيْمِيَّةَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَدِلَّةِ**.

فَقَبِلَ عُذْرَهُمْ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْحُضُورَ بَعْدَ أَنْ رَسَمَ السُّلْطَانُ بِحُضُورِهِمْ، وَانْفَصَلَ الْمَجْلِسُ عَلَى خَيْرٍ، وَبَاتَ الشَّيْخُ عِنْدَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَكَانَ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ مُهَنَّا يُرِيدُ أَنْ يَسْـتَصْحِبَ الشَّـيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ مَعَهُ إِلَى الشَّـامِ، فَأَشَارَ **سَـلَّارُ** بِإِقَامَةِ الشَّيْخِ بِمِصْرَ عِنْدَهُ لِيَرَى النَّاسُ فَضْلَهُ وَعِلْمَهُ، وَيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهِ، وَيَشْتَغِلُوا عَلَيْهِ.

وَكَتَبَ الشَّيْخُ كِتَابًا إِلَى الشَّامِ يَتَضَمَّنُ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ.

○ ورود كتاب شيخ الإسلام من حبسه إلى دمشق

فِـي الْيَـوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٧٠٦هـ)، أُخْبِرَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ بِوُصُولِ كُتَّابٍ مِنَ **الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ مِنَ الْحَبْسِ** الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْجُبُّ، فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِهِ، فَجِيءَ بِهِ، فَقُرِئَ عَلَى النَّاسِ، وَجَعَلَ يَشْـكُرُ الشَّـيْخَ، وَيُثْنِي عَلَيْـهِ وَعَلَى عِلْمِهِ، وَدِيَانَتِهِ، وَشَـجَاعَتِهِ، وَزُهْـدِهِ، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، وَإِذَا هُوَ كِتَابٌ مُشْـتَمِلٌ عَلَـى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي السِّـجْنِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ شَـيْئًا لَا مِنَ النَّفَقَاتِ السُّـلْطَانِيَّةِ، وَلَا مِنَ الْكُسْوَةِ، وَلَا مِنَ الْإِدْرَارَاتِ، وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا تَدَنَّسَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

○ ظهور شرف الدين ابن تيمية بالحجة على ابن مخلوف

فِي ذي الحجة يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّـابِعِ وَالْعِشْـرِينَ سـنة (٧٠٦هـ) **طُلِبَ أَخَوَا الشَّـيْخِ** تَقِيِّ الدِّينِ - شَرَفِ الدِّينِ، وَزَيْنِ الدِّينِ - مِنَ الْحَبْسِ إِلَى مَجْلِسِ نَائِبِ السُّلْطَانِ سَلَّارَ، وَحَضَرَ ابْنُ مَخْلُوفٍ الْمَالِكِيُّ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ كَلَامٌ كَثِيرٌ، فَظَهَرَ شَرَفُ الدِّينِ بِالْحُجَّةِ عَلَى الْقَاضِـي الْمَالِكِيِّ بِالنَّقْلِ، وَالدَّلِيـلِ، وَالْمَعْرِفَةِ، وَخَطَّأَهُ فِي مَوَاضِـعَ ادَّعَى فِيهَا دَعَاوَى بَاطِلَةً، وَكَانَ الْكَلَامُ فِي مَسْأَلَةِ الْعَرْشِ، وَمَسْأَلَةِ الْكَلَامِ، وَفِي مَسْأَلَةِ النُّزُولِ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ **أُحْضِرَ شَرَفُ الدِّينِ** أَخُو الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ **وَحْدَهُ** فِي مَجْلِسِ نَائِبِ السَّـلْطَنَةِ سَـلَّارَ، وَحَضَرَ ابْنُ عَدْلَانَ، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ الشَّيْخُ شَـرَفُ الدِّينِ، وَنَاظَرَهُ، وَبَحَثَ مَعَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ أَيْضًا.

○ شكوى الصوفية من شيخ الإسلام

قَـالَ الْبِرْزَالِـيُّ: وَفِي شَـوَّالٍ سـنة (٧٠٧هـ) **شَـكَى الصُّوفِيَّةُ** بِالْقَاهِرَةِ عَلَى الشَّـيْخِ تَقِيِّ الدِّيـنِ وَكَلَامِـهِ فِي ابْنِ عَرَبِيٍّ وَغَيْرِهِ **إِلَى الدَّوْلَةِ**، فَـرَدُّوا الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَاضِي الشَّـافِعِيِّ، فَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ، وَادَّعَى عَلَيْهِ ابْنُ عَطَاءٍ بِأَشْـيَاءَ، فَلَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهِ مِنْهَا شَـيْءٌ، لَكِنَّهُ قَالَ:

لَا يُسْتَغَاثُ إِلَّا بِاللهِ، وَلَا يُسْتَغَاثُ بِالنَّبِيِّ -ﷺ- **اسْتِغَاثَةً بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ**، وَلَكِنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ، وَيُتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى اللهِ. فَبَعْضُ الْحَاضِرِينَ قَالَ: لَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَذَا شَيْءٌ.

وَرَأَى الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ جَمَاعَةَ أَنَّ هَذَا فِيهِ قِلَّةُ أَدَبٍ**[١]، فَحَضَرَتْ رِسَالَةٌ إِلَى الْقَاضِي أَنْ يَعْمَلَ مَعَهُ مَا تَقْتَضِيهِ الشَّرِيعَةُ، فَقَالَ الْقَاضِي **ابن جماعة**: قَدْ قُلْتُ لَهُ مَا يُقَالُ لِمِثْلِهِ.

ثُمَّ إِنَّ **الدَّوْلَةَ خَيَّرُوهُ** بَيْنَ أَشْيَاءَ إِمَّا **أَنْ يَسِيرَ إِلَى دِمَشْقَ** أَوِ **الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِشُرُوطٍ**، أَوِ **الْحَبْسِ، فَاخْتَارَ الْحَبْسَ**.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ وأشاروا عليه فِي السَّفَرِ إِلَى دِمَشْقَ مُلْتَزِمًا مَا شُرِطَ، فَأَجَابَ شيخُ الإسلام أَصْحَابَهُ إِلَى مَا اخْتَارُوا؛ جَبْرًا لِخَوَاطِرِهِمْ، فَرَكِبَ خَيْلَ الْبَرِيدِ لَيْلَةَ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧٠٧هـ)، ثُمَّ أَرْسَلُوا خَلْفَهُ مِنَ الْغَدِ بَرِيدًا آخَرَ، **فَرَدُّوهُ**.

وَحَضَرَ الشيخ عِنْدَ قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنِ جَمَاعَةَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، **فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ**: إِنَّ الدَّوْلَةَ مَا تَرْضَى إِلَّا بِالْحَبْسِ، وَفِيهِ مُصْلِحَةٌ لَهُ.

وَاسْتَنَابَ **ابنُ جماعة** شَمْسَ الدِّينِ التُّونِسِيَّ الْمَالِكِيَّ، وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالْحَبْسِ، **فَامْتَنَعَ، وَقَالَ**: مَا ثَبَتَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، ثم أَذِنَ **ابنُ جماعة** لِنُورِ الدِّينِ الزَّوَاوِيِّ الْمَالِكِيِّ، **فَتَحَيَّرَ**، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ تقي الدين ابن تيمية، تَوَقُّفَهُمْ فِي حَبْسِهِ قَالَ: **أَنَا أَمْضِي إِلَى الْحَبْسِ**، وَأَتَّبِعُ مَا تَقْتَضِيهِ الْمُصْلِحَةُ.

فَقَالَ نُورُ الدِّينِ الزَّوَاوِيُّ: يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ، فَقِيلَ لَهُ: الدَّوْلَةُ مَا تَرْضَى إِلَّا بِمُسَمَّى الْحَبْسِ، فَأُرْسِلَ إِلَى **حَبْسِ الْقَاضِي**، وَأُذِنَ لَهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مَنْ يَخْدُمُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِإِشَارَةِ **نَصْرِ الْمَنْبِجِيِّ** - **لِوَجَاهَتِهِ فِي الدَّوْلَةِ**، فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَحْوَذَ

(١) ما رآه ابن جماعة بأن عدم الاستغاثة بالنبي ﷺ قلة أدب في حقه ليس صواباً وهو من الغلو الذي ورد النهي عنه، بل قلة الأدب حقاً مع الله ومع رسوله هو صرف العبادة لغير الله.

عَلَى عَقْلِ الْجَاشْنكِيرِ الَّذِي تَسَلْطَنَ فِيمَا بَعْدُ - وَغَيْرِهِ مِنَ الدَّوْلَةِ، وَالسُّلْطَانُ مَقْهُورٌ مَعَهُ، وَاسْتَمَرَّ الشَّيْخُ فِي الْحَبْسِ يُسْتَفْتَى، وَيَقْصِدُهُ النَّاسُ، وَيَزُورُونَهُ، وَتَأْتِيهِ الْفَتَاوَى الْمُشْكِلَةُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُهَا الْفُقَهَاءُ، مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَعْيَانِ النَّاسِ، فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِمَا يُحَيِّرُ الْعُقُولَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

○ نقل شيخ الإسلام إلى الإسكندرية

فِي سَلْخِ صَفَرٍ سنة (٧٠٩هـ) تَوَجَّهَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ** مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ صُحْبَةَ أَمِيرٍ مُقَدَّمٍ (أعلى مراتب الأمراء في عصرهم)، فَأَدْخَلَهُ دَارَ السُّلْطَانِ، وَأَنْزَلَهُ فِي بُرْجٍ مِنْهَا فَسِيحٍ مُتَّسِعِ الْأَكْنَافِ، فَكَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ، وَيَشْتَغِلُونَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْضُرُ الْجُمُعَاتِ، وَيَعْمَلُ الْمَوَاعِيدَ عَلَى عَادَتِهِ فِي الْجَوَامِعِ، إلا أَنَّهُمْ لَمْ يُمَكِّنُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَضَاقَتْ لَهُ الصُّدُورُ.

فَأَرَادُوا أَنْ يُسَيِّرُوهُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كَهَيْئَةِ الْمَنْفِيِّ لَعَلَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا يَتَجَاسَرُ عَلَيْهِ فَيَقْتُلَهُ غِيلَةً، فَيَسْتَرِيحُوا مِنْهُ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ نَصْرٌ الْمَنبِجِيُّ، وَكَانَ **سَبَبَ عَدَاوَتِهِ** لَهُ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ يَنَالُ مِنَ الْجَاشْنكِيرِ، وَمِنْ شَيْخِهِ نَصْرٍ الْمَنْبِجِيِّ، وَيَقُولُ: **زَالَتْ أَيَّامُهُ، وَانْتَهَتْ رِيَاسَتُهُ، وَقَرُبَ انْقِضَاءُ أَجْلِهِ**، وَيَتَكَلَّمُ فِيهِمَا وَفِي ابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَتْبَاعِهِ.

فَمَا زَادَ ذَلِكَ النَّاسُ إِلَّا مَحَبَّةً فِيهِ وَانْتِفَاعًا بِهِ، وَاشْتِغَالًا عَلَيْهِ.

وَجَاءَ **كِتَابٌ مِنْ أَخِيهِ إلى دمشق** يَقُولُ فِيهِ: **إِنَّ الْأَخَ الْكَرِيمَ قَدْ نَزَلَ بِالثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ عَلَى نِيَّةِ الرِّبَاطِ**، فَكَانَتْ تِلْكَ كَرَامَةً فِي حَقِّهِ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِ الشَّيْخِ، وَانْقَلَبَ أَهْلُ الثَّغْرِ أَجْمَعِينَ إِلَى الْأَخِ (تقي الدين) مُقْبِلِينَ، عَلَيْهِ مُكْرِمِينَ لَهُ.

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ وَجَدَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ **إِبْلِيسَ** قَدْ بَاضَ فِيهَا وَفَرَّخَ، وَأَضَلَّ بِهَا فِرَقَ **السَّبْعِينِيَّةِ**

وَالْعَرَبِيَّةِ (أتباع ابن عربي)، فَمَزَّقَ اللهُ بِقُدُومِهِ عَلَيْهِمْ شَمْلَهُمْ، وَشَتَّتَ جُمُوعَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، وَفَضَحَهُمْ، وَاسْتَتَابَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْهُمْ، وَتَوَّبَ رَئِيسًا مِنْ رُؤَسَائِهِمْ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ أَقَامَ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، مُقِيمًا بِبُرْجٍ مُتَّسِعٍ، مَلِيحٍ نَظِيفٍ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ، وَيَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ الْأَكَابِرُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالْفُقَهَاءُ، يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي **أَطْيَبِ عَيْشٍ**، وَأَشْرَحِ صَدْرٍ.

○ اهتمام السلطان الناصر محمد بشيخ الإسلام

قَالَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ **الْبِرْزَالِيُّ**: وَلَمَّا دَخَلَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون إِلَى مِصْرَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ سنة (٧٠٩هـ) لَمْ يَكُنْ لَهُ دَأْبٌ إِلَّا طَلَبَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ **ابْنِ تَيْمِيَّةَ** مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُعَزَّزًا مُكَرَّمًا، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ثَانِي يَوْمٍ بَعْدَ وُصُولِهِ، فَقَدِمَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى السُّلْطَانِ فِي يَوْمِ ثَامِنِ شوال، وَخَرَجَ مَعَ الشَّيْخِ خَلْقٌ يُوَدِّعُونَهُ، وَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْرَمَهُ، وَتَلَقَّاهُ فِي مَجْلِسٍ حَافِلٍ فِيهِ **قُضَاةُ الْمِصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ**، وَأَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، **ثُمَّ نَزَلَ الشَّيْخُ إِلَى الْقَاهِرَةِ**، وَسَكَنَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ، وَالنَّاسُ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالْجُنْدُ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَيَتَنَصَّلُ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُ، فَقَالَ: **أَنَا قَدْ حَالَلْتُ كُلَّ مَنْ آذَانِي**.

قال ابن كثير: وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ بِتَفَاصِيلِ هَذَا الْمَجْلِسِ، وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ إِكْرَامِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ، وَمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ وَالْمَدْحِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ قَاضِي الْقُضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَلَكِنَّ إِخْبَارَ ابْنِ الْقَلَانِسِيِّ أَكْثَرُ تَفْصِيلًا، وَكِلَاهُمَا كَانَ حَاضِرًا هَذَا الْمَجْلِسَ.

ذَكَرَ ابن القلانسي أَنَّ السُّلْطَانَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ نَهَضَ قَائِمًا لِلشَّيْخِ أَوَّلَ مَا رَآهُ، وَمَشَى لَهُ إِلَى طَرَفِ الْإِيوَانِ، وَاعْتَنَقَا هُنَاكَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَذَهَبَ بِهِ إِلَى صُفَّةٍ فِيهَا شُبَّاكٌ إِلَى بُسْتَانٍ، فَجَلَسَا سَاعَةً يَتَحَدَّثَانِ، ثُمَّ جَاءَ وَيَدُ الشَّيْخِ فِي يَدِ السُّلْطَانِ، **فَجَلَسَ السُّلْطَانُ وَعَنْ يَمِينِهِ ابْنُ جَمَاعَةَ قَاضِي مِصْرَ**، وَعَنْ يَسَارِهِ ابْنُ

الْخَلِيلِيِّ الْوَزِيرُ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ** بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ.

وَتَكَلَّمَ الْوَزِيرُ فِي إِعَادَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَى لُبْسِ الْعَمَائِمِ الْبِيضِ بِالْعَلَائِمِ، وَأَنَّهُمْ قَدِ الْتَزَمُوا لِلدِّيوَانِ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلْفٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، زِيَادَةً عَلَى الْجَالِيَةِ (الجزية)، فَسَكَتَ النَّاسُ، وَكَانَ فِيهِمْ قُضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَكَابِرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ، مِنْ جُمْلَتِهِمُ ابْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ**.

فَقَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: **مَا تَقُولُونَ؟** يَسْتَفْتِيهِمْ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، **فَجَثَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ**، وَتَكَلَّمَ مَعَ السُّلْطَانِ، وَرَدَّ عَلَى الْوَزِيرِ مَا قَالَهُ رَدًّا عَنِيفًا، وَجَعَلَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَالسُّلْطَانُ يَتَلَافَاهُ وَيُسْكِتُهُ بِتَرَفُّقٍ وَتَوْقِيرٍ، وَبَالَغَ الشيخ فِي التَّشْنِيعِ عَلَى مَنْ يُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ: **حَاشَاكَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ تَنْصُرُ فِيهِ أَهْلَ الذِّمَّةِ لِأَجْلِ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ**، فَاذْكُرْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ إِذْ رَدَّ مُلْكَكَ إِلَيْكَ، وَنَصَرَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ.

فَذَكَرَ أَنَّ الْجَاشْنَكِيرَ هُوَ الَّذِي جَدَّدَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَالَّذِي فَعَلَهُ الْجَاشْنَكِيرُ كَانَ مِنْ مَرَاسِيمِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَكَ، فَأَعْجَبَ السُّلْطَانَ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّ بِأهل الذمة عَلَى ذَلِكَ، وَجَرَتْ فُصُولٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

قال ابن كثير: وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ يَذْكُرُ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ مِنَ الْكَلَامِ لَمَّا انْفَرَدَا فِي ذَلِكَ الشُّبَّاكِ الَّذِي جَلَسَا فِيهِ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ اسْتَفْتَى الشَّيْخَ فِي قَتْلِ بَعْضِ الْقُضَاةِ بِسَبَبِ مَا كَانُوا تَكَلَّمُوا فِيهِ، وَأَخْرَجَ لَهُ فَتَاوَى بَعْضِهِمْ بِعَزْلِهِ مِنَ الْمُلْكِ وَمُبَايَعَةِ الْجَاشْنَكِيرِ، وَأَنَّهُمْ قَامُوا عَلَيْكَ وَآذَوْكَ أَنْتَ أَيْضًا! وَأَخَذَ يَحُثُّهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنْ يُفْتِيَهُ فِي قَتْلِ بَعْضِهِمْ، **فَفَهِمَ الشَّيْخُ مُرَادَ السُّلْطَانِ**، فَأَخَذَ فِي **تَعْظِيمِ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ**، وَيُنْكِرُ أَنْ يَنَالَ أَحَدًا مِنْهُمْ سُوءٌ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا قَتَلْتَ هَؤُلَاءِ لَا تَجِدُ بَعْدَهُمْ مِثْلَهُمْ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُمْ قَدْ آذَوْكَ وَأَرَادُوا قَتْلَكَ مِرَارًا، **فَقَالَ الشَّيْخُ**: **مَنْ آذَانِي فَهُوَ فِي حِلٍّ**، وَمَنْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ فَاللهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَأَنَا لَا أَنْتَصِرُ لِنَفْسِي. **وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى حَلُمَ عَنْهُمُ السُّلْطَانُ وَصَفَحَ**.

وَكَانَ **قَاضِـي الْمَالِكِيَّةِ ابْنُ مَخْلُوفٍ** يَقُـولُ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، حَرَّضْنَا عَلَيْهِ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَقَدَرَ عَلَيْنَا فَصَفَحَ عَنَّا، وَحَاجَجَ عَنَّا.

○ رسالة شيخ الإسلام إلى أهله بدمشق

بَعَثَ الشَّـيْخُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِهِ بدمشق سنة (٧٠٩هـ) يَذْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعَمِ اللهِ وَخَيْرِهِ الْكَثِيرِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، وَيَسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِجَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ، فَإِنَّهُ يَدْرِي كَيْفَ يَسْتَخْرِجُ لَهُ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا.

وَقَـالَ فِي هَـذَا الْكِتَـابِ: **وَالْحَقُّ كُلُّ مَا لَـهُ فِي عُلُوٍّ وَازْدِيَـادٍ وَانْتِصَـارٍ، وَالْبَاطِلُ فِي انْخِفَـاضٍ وَاضْمِحْـلَالٍ**، وَقَـدْ أَذَلَّ اللهُ رِقَابَ الْخُصُـومِ، وَطَلَبَ أَكَابِرُهُمْ مِنَ السَّـلَمِ مَا يَطُولُ وَصْفُهُ، وَقَدِ اشْـتَرَطْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّرُوطِ مَا فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا فِيهِ قَمْعُ الْبَاطِلِ وَالْبِدْعَةِ.

وَذَكَـرَ كَلَامًـا طَوِيلًا يَتَضَمَّـنُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ السُّـلْطَانِ فِـي قَمْعِ الْيَهُـودِ وَالنَّصَارَى وَذُلِّهِمْ، وَتَرْكِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذِّلَّةِ وَالصِّغَارِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

○ عودة شيخ الإسلام إلى دمشق

قَدِمَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** صُحْبَةَ السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون إِلَى دِمَشْـقَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧١٢هـ)، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهَا **سَـبْعَ سِنِينَ كَوَامِلَ**، وَمَعَهُ أَخَوَاهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِتَلَقِّيهِ، وَسُرُّوا بِقُدُومِهِ وَعَافِيَتِهِ وَرُؤْيَتِهِ، وَاسْتَبْشَرُوا بِهِ حَتَّى خَرَجَ خَلْقٌ مِنَ النِّسَاءِ أَيْضًا لِرُؤْيَتِهِ.

وَقَـدْ كَانَ السُّـلْطَانُ صَحِبَهُ مَعَهُ مِنْ مِصْرَ، فَخَرَجَ مَعَهُ بِنِيَّـةِ الْغَزوِ، **فَلَمَّا تَحَقَّقَ رجوعُ التَّتَـرِ إِلَـى بِلَادِهِمْ فَارَقَ الْجَيْشَ** مِـنْ **غَزَّةَ**، وَزَارَ **الْقُـدْسَ**، وَأَقَامَ بِهِ أَيَّامًا، ثُمَّ سَـافَرَ عَلَى عَجْلُـونَ، وَبِلَادِ السَّـوَادِ، وَزُرَعَ، وَوَصَلَ دِمَشْـقَ فِـي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ ذِي الْقَعْـدَةِ، **فَدَخَلَهَا فَوَجَدَ السُّلْطَانَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْحِجَازِ الشَّرِيفِ**.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى دِمَشْقَ وَاسْتِقْرَارِهِ بِهَا لَمْ يَزَلْ مُلَازِمًا الِاشْتِغَال فِي سَائِرِ الْعُلُومِ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ، وَتَصْنِيفِ الْكُتُبِ، وَإِفْتَاءِ النَّاسِ بِالْكَلَامِ وَالْكِتَابَةِ الْمُطَوَّلَةِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، فَفِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ يُفْتِي بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ مِنْ مُوَافَقَةِ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَفِي بَعْضِهَا يُفْتِي بِخِلَافِهِمْ وَبِخِلَافِ الْمَشْهُورِ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَلَهُ اخْتِيَارَاتٌ كَثِيرَةٌ، أَفْتَى فِيهَا بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ.

○ منع شيخ الإسلام من الإفتاء في مسألة الطلاق

قَالَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ البرزالي: وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧١٨هـ) اجْتَمَعَ **قَاضِي الْقُضَاةِ** شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُسَلَّمٍ الحنبلي بِالشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْإِفْتَاءِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَلِفِ بِالطَّلَاقِ، فَقَبِلَ الشَّيْخُ نَصِيحَتَهُ، وَأَجَابَ إِلَى مَا أَشَارَ بِهِ رِعَايَةً لِخَاطِرِهِ وَخَوَاطِرِ الْجَمَاعَةِ الْمُفْتِينَ.

ثُمَّ وَرَدَ الْبَرِيدُ فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْأُولَى بِكِتَابٍ مِنَ السُّلْطَانِ فِيهِ مَنْعُ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ مِنَ الْإِفْتَاءِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَلِفِ بِالطَّلَاقِ، وَعُقِدَ فِي ذَلِكَ مَجْلِسٌ، وَانْفَصَلَ الْحَالُ عَلَى مَا رَسَمَ بِهِ السُّلْطَانُ، وَنُودِيَ بِهِ فِي الْبَلَدِ،

وفِي يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ **سنة (٧١٩هـ)** اجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَأَعْيَانُ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السُّلْطَانِ **الناصر محمد بن قلاوون**، يَتَضَمَّنُ **مَنْعَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِنَ الْفُتْيَا فِي مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ**، وَانْفَصَلَ الْمَجْلِسُ عَلَى تَأْكِيدِ الْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي عِشْرِينَ رَجَبٍ سنة (٧٢٠هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ بِدَارِ السَّعَادَةِ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَاجْتَمَعَ فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْمُفْتُونَ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَحَضَرَ الشَّيْخُ، وَعَاتَبُوهُ عَلَى **الْعَوْدِ** إِلَى الْإِفْتَاءِ بِمَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ، ثُمَّ حُبِسَ الشَّيْخُ يَوْمَئِذٍ بِالْقَلْعَةِ.

وفِي يَوْمِ عَاشُــورَاءَ سـنة (٧٢١هـ) خَرَجَ الشَّـيْخُ تَقِيُّ الدِّيــنِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ السِّــجْنِ بِالْقَلْعَةِ بِمَرْسُــومِ السُّــلْطَانِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى دَارِهِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهِ بِالْقَلْعَةِ خَمْسَــةَ أَشْــهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

○ اعتقال شيخ الإسلام ابن تيمية

قَالَ الْبِرْزَالِيُّ: وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ السَّادِسِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٢٦هـ) **اعْتُقِلَ** الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، حَضَرَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ **تَنْكِزَ**، مُشِدُّ الْأَوْقَافِ، وَابْنُ الْخَطِيرِ، أَحَدُ الْحُجَّابِ بِدِمَشْقَ، وَأَخْبَرَاهُ أَنَّ مَرْسُومَ السُّــلْطَانِ وَرَدَ بِذَلِـكَ، وَأَحْضَرَا مَعَهُمَا مَرْكُوبًـا لِيَرْكَبَهُ، **فَأَظْهَرَ السُّــرُورَ وَالْفَرَحَ بِذَلِكَ**، وَقَالَ: أَنَا كُنْتُ مُنْتَظِرًا لِذَلِكَ، وَهَذَا فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَمَصْلَحَةٌ كَبِيرَةٌ.

وَرَكِبُــوا جَمِيعًــا مِــنْ دَارِهِ إِلَى بَابِ الْقَلْعَــةِ، وَأُخْلِيَتْ لَــهُ قَاعَةٌ، وَأُجْـرِيَ إِلَيْهَا الْمَاءُ، وَرُسِــمَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهَا، **وَأَقَامَ مَعَهُ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ يَخْدُمُهُ** بِإِذْنِ السُّــلْطَانِ، وَرُسِــمَ لَهُ مَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ.

قَالَ الْبِرْزَالِيُّ: وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَاشِـرِ الشَّــهْرِ الْمَذْكُورِ سـنة (٧٢٦هـ) قُرِئَ بِجَامِعِ دِمَشْقَ الْكِتَابُ السُّلْطَانِيُّ الْوَارِدُ بِاعْتِقَالِ شيخ الإسلام ابن تيمية، وَمَنْعِهِ مِنَ الْفُتْيَا، وَهَذِهِ الْوَاقِعَــةُ سَــبَبُهَا فُتْيَا وُجِـدَتْ بِخَطِّهِ فِي الْمَنْعِ مِنَ السَّــفَرِ إِلَى زِيَارَةِ قُبُــورِ الْأَنْبِيَاءِ –ﭗ– وَقُبُورِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ: وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ مُنْتَصَفِ شَـعْبَانَ أَمَرَ قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّــافِعِيُّ بِحَبْسِ جَمَاعَةٍ مِنْ **أَصْحَابِ الشَّــيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ فِي سِجْنِ الْحُكْمِ**، وَذَلِكَ بِمَرْسُومِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَإِذْنِهِ لَــهُ فِيهِ فِيمَا تَقْتَضِيهِ الشَّــرِيعَةُ فِي أَمْرِهِمْ، وَعُزِّرَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَنُــودِيَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُطْلِقُوا سِوَى شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ، **فَإِنَّهُ حُبِسَ فِي الْقَلْعَةِ**، وَسَكَنَتِ الْقَضِيَّةُ.

وكَانَ **ابْــنُ الْخَطِيــرِ** الْحَاجِبُ **قَــدْ دَخَلَ عَلَى الشَّــيْخِ** تَقِيِّ الدِّينِ، وَسَــأَلَهُ عَنْ أَشْــيَاءَ

بِأَمْرِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ جُمْلَةَ، وَنَاصِرُ الدِّينِ، مُشِدُّ الْأَوْقَافِ، وَسَأَلَاهُ عَنْ مَضْمُونِ قَوْلِهِ فِي **مَسْأَلَةِ الزِّيَارَةِ**، فَكَتَبَ ذَلِكَ فِي دَرَجٍ، وَكَتَبَ تَحْتَهُ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشْقَ: قَابَلْتُ الْجَوَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ الْمَكْتُوبِ عَلَى **خَطِّ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فَصَحَّ**... إِلَى أَنْ قَالَ: وَإِنَّمَا **الْمَحَزُّ** جَعْلُهُ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ é- مَعْصِيَةً بِالْإِجْمَاعِ مَقْطُوعًا.

قال ابن كثير: [(١)] **فَانْظُرِ الْآنَ هَذَا التَّحْرِيفَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ**، فَإِنَّ جَوَابَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَيْسَ فِيهِ مَنْعُ زِيَارَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَإِنَّمَا فِيهِ ذِكْرُ قَوْلَيْنِ فِي **شَدِّ الرِّحَالِ وَالسَّفَرِ** إِلَى مُجَرَّدِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، وَزِيَارَةِ الْقُبُورِ مِنْ غَيْرِ شَدِّ رَحْلٍ إِلَيْهَا مَسْأَلَةٌ، **وَشَدُّ الرَّحْلِ لِمُجَرَّدِ الزِّيَارَةِ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى**، وَالشَّيْخُ لَمْ يَمْنَعِ الزِّيَارَةَ الْخَالِيَةَ عَنْ شَدِّ رَحْلٍ، بَلْ يَسْتَحِبُّهَا، وَيَنْدُبُ إِلَيْهَا، وَكُتُبُهُ وَمَنَاسِكُهُ تَشْهَدُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَى هَذِهِ الزِّيَارَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فِي الْفُتْيَا، وَلَا قَالَ: إِنَّهَا مَعْصِيَةٌ، وَلَا حَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهَا، وَلَا هُوَ جَاهِلٌ بِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ» [(٢)].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

○ منع شيخ الإسلام من المطالعة والتأليف

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ تَاسِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٨هـ) أُخْرِجَ مَا كَانَ عِنْدَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِنَ الْكُتُبِ، وَالْأَوْرَاقِ، وَالدَّوَاةِ، وَالْقَلَمِ، وَمُنِعَ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ، وَحُمِلَتْ كُتُبُهُ فِي مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ إِلَى خِزَانَةِ الْكُتُبِ بِالْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، قَالَ الْبِرْزَالِيُّ: وَكَانَتْ نَحْوَ سِتِّينَ مُجَلَّدًا، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ رَبْطَةَ كَرَارِيسَ، فَنَظَرَ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ فِيهَا وَتَفَرَّقُوهَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَ **سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّهُ رَدَّ عَلَى ابْنِ الْأَخْنَائِيِّ الْمَالِكِيِّ فِي مَسْأَلَةِ**

(١) البداية والنهاية ١٨/ ٢٧٠.

(٢) صحيح مسلم ح (١٠٥و٩٧٦).

الزِّيَارَةِ[١]، فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ وَاسْتَجْهَلَهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ **قَلِيلُ الْبِضَاعَةِ** فِي الْعِلْمِ، فَطَلَعَ الْأَخْنَائِيُّ إِلَى السُّلْطَانِ وَشَكَاهُ، **فَرَسَمَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون** عِنْدَ ذَلِكَ بِإِخْرَاجِ مَا عِنْدَهُ من الكتب.

○ وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية في سجن القلعة

قال علم الدين البرزالي في تاريخه[٢]: فِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٢٨هـ) **تُوُفِّيَ** الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ، **شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ** أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ الْمُفْتِي شِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْمَحَاسِنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مَجْدِ الدِّينِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ بِالْقَاعَةِ الَّتِي كَانَ مَحْبُوسًا فِيهَا، وَحَضَرَ جَمْعٌ كَثِيرٌ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَأُذِنَ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ جَمَاعَةٌ عِنْدَهُ قَبْلَ الْغُسْلِ، وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ انْصَرَفُوا.

وَاقْتُصِرَ عَلَى مَنْ يُغَسِّلُهُ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ ذَلِكَ أُخْرِجَ وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْقَلْعَةِ وَالطَّرِيقِ إِلَى الْجَامِعِ، وَامْتَلَأَ الْجَامِعُ وَصَحْنُهُ، وَحَضَرَتِ الْجِنَازَةُ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ النَّهَارِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَوُضِعَتْ فِي الْجَامِعِ وَالْجُنْدُ يَحْفَظُونَهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ الزِّحَامِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ أَوَّلًا بِالْقَلْعَةِ، تَقَدَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ **الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ تَمَّامٍ**، ثُمَّ صُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، **وَتَقَدَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ**، وَحُمِلَ إِلَى مَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ، فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ اللهِ، **ا**.

وَكَانَ دَفْنُهُ وَقْتَ الْعَصْرِ أَوْ قَبْلَهَا بِيَسِيرٍ، وَغَلَّقَ النَّاسُ حَوَانِيتَهُمْ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْحُضُورِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَحَضَرَهَا نِسَاءٌ كَثِيرٌ بِحَيْثُ حُزِرْنَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَأَمَّا الرِّجَالُ فَحُزِرُوا بِسِتِّينَ أَلْفًا وَأَكْثَرَ إِلَى مِائَتَيْ أَلْفٍ.

(١) رد شيخ الإسلام على الأخنائي مطبوع في كتاب مستقل.
(٢) المقتفي في تاريخ أبي شامة، وقد طبع أخيرا بتحقيق بشار عواد بدار الغرب الإسلامي.

وَحَصَلَ فِي الْجِنَازَةِ بُكَاءٌ وَتَضَرُّعٌ، وَخُتِمَتْ لَهُ خَتَمَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالصَّالِحِيَّةِ وَالْبَلَدِ، وَتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَى قَبْرِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً لَيْلًا وَنَهَارًا، وَرُئِيَتْ لَهُ مَنَامَاتٌ كَثِيرَةٌ صَالِحَةٌ، وَرَثَاهُ جَمَاعَةٌ بِقَصَائِدَ جَمَّةٍ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ: يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ بِحَرَّانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَدِمَ مَعَ وَالِدِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى دِمَشْقَ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنِ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ، وَابْنِ أَبِي الْيُسْرِ، وَخَلْقٍ كَثِيرٍ، **وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ الْكَثِيرَ، وَطَلَبَ الْحَدِيثَ**، وَكَتَبَ الطِّبَاقَ وَالْأَثْبَاتَ، وَلَازَمَ السَّمَاعَ بِنَفْسِهِ مُدَّةَ سِنِينَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْعُلُومِ، **وَكَانَ ذَكِيًّا كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ، فَصَارَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، عَارِفًا بِالْفِقْهِ وَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَصْلَيْنِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ**، وَمَا تَكَلَّمَ مَعَهُ فَاضِلٌ فِي فَنٍّ مِنَ الْفُنُونِ الْعِلْمِيَّةِ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الْفَنَّ فَنُّهُ، وَرَآهُ عَارِفًا بِهِ مُتْقِنًا لَهُ.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَكَانَ حَافِظًا لَهُ مَتْنًا وَإِسْنَادًا، مُمَيِّزًا بَيْنَ صَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ، عَارِفًا بِرِجَالِهِ مُتَضَلِّعًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ وَتَعَالِيقُ مُفِيدَةٌ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، كَمَّلَ مِنْهَا جُمْلَةً وَبُيِّضَتْ وَكُتِبَتْ عَنْهُ، وَجُمْلَةٌ كَبِيرَةٌ لَمْ يُكْمِلْهَا، وَجُمْلَةٌ كَمَّلَهَا وَلَكِنْ لَمْ تُبَيَّضْ.

وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى فَضَائِلِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، مِثْلُ الْقَاضِي الْخُوَيِّيِّ، وَابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَابْنِ النَّحَّاسِ، وَابْنِ **الزَّمْلَكَانِيِّ**، وَغَيْرِهِمْ.

وَوُجِدَتْ بِخَطِّ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ أَنَّهُ اجْتَمَعَتْ فِيهِ شُرُوطُ الِاجْتِهَادِ عَلَى وَجْهِهَا، وَأَنَّ لَهُ الْيَدَ الطُّولَى فِي حُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَجَوْدَةِ الْعِبَارَةِ، وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ وَالتَّبْيِينِ، وَكَتَبَ عَلَى مُصَنَّفٍ لَهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ ... وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ
هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ ... هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ
هُوَ آيَةٌ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ ... أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الْفَجْرِ

وَهَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ وَكَانَ عُمْرُهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ وَصُحْبَةٌ مِنَ الصِّغَرِ، وَسَمَاعُ الْحَدِيثِ وَالطَّلَبُ مِنْ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَلَهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، وَأَسْمَاءُ مُصَنَّفَاتِهِ وَسِيرَتُهُ وَمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَالدَّوْلَةِ، وَحَبْسُهُ مَرَّاتٍ، وَأَحْوَالُهُ، لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرَ جَمِيعِهَا هَذَا الْمَوْضِعُ فِي هَذَا الْكِتَابِ.

وَلَمَّا مَاتَ كُنْتُ غَائِبًا عَنْ دِمَشْقَ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ، وَبَلَغَنَا خَبَرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ يَوْمًا لَمَّا وَصَلْنَا إِلَى تَبُوكَ، وَحَصَلَ التَّأَسُّفُ لِفَقْدِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هَذَا لَفْظُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ «تَارِيخِهِ».

وَاتَّفَقَ وَفَاتُهُ فِي سَحَرِ لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ الْمَذْكُورِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ **مُؤَذِّنُ الْقَلْعَةِ** عَلَى الْمَنَارَةِ بِهَا، وَتَكَلَّمَ بِهِ الْحُرَّاسُ عَلَى الْأَبْرِجَةِ، فَمَا أَصْبَحَ النَّاسُ إِلَّا وَقَدْ تَسَامَعُوا بِهَذَا الْخَطْبِ الْعَظِيمِ، وَالْأَمْرِ الْجَسِيمِ، فَبَادَرَ النَّاسُ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى الِاجْتِمَاعِ حَوْلَ الْقَلْعَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ أَمْكَنَهُمُ الْمَجِيءُ مِنْهُ، حَتَّى مِنَ الْغُوطَةِ وَالْمَرْجِ، وَلَمْ يَطْبُخْ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ شَيْئًا، وَلَا فَتَحُوا كَثِيرًا مِنَ الدَّكَاكِينِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُفْتَحَ أَوَائِلَ النَّهَارِ عَلَى الْعَادَةِ.

وَكَانَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ سَيْفُ الدِّينِ **تَنْكِزُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ يَتَصَيَّدُ**، فَحَارَتِ الدَّوْلَةُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَجَاءَ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّينِ غِبْرِيَالُ إِلَى نَائِبِ الْقَلْعَةِ، فَعَزَّاهُ فِيهِ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ، وَفَتَحَ بَابَ الْقَلْعَةِ وَبَابَ الْقَاعَةِ لِمَنْ يَدْخُلُ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَحْبَابِ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ الشَّيْخِ فِي قَاعَتِهِ خَلْقٌ مِنْ أَخِصَّاءِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْبَلَدِ وَالصَّالِحِيَّةِ، وَجَلَسُوا حَوْلَهُ وَهُمْ يَبْكُونَ وَيُثْنُونَ، **وَكُنْتُ فِي مَنْ حَضَرَ هُنَاكَ مَعَ شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِ الشَّيْخِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ بِعَذَبَةٍ مَغْرُوزَةٍ، وَقَدْ عَلَاهُ الشَّيْبُ أَكْثَرَ مِمَّا فَارَقْنَاهُ.

وَأَخْبَرَ الْحَاضِرِينَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَرَأَ هُوَ وَالشَّيْخُ مُنْذُ دَخَلَا الْقَلْعَةَ ثَمَانِينَ خَتْمَةً، وَشَرَعَا فِي الْحَادِيَةِ وَالثَّمَانِينَ، **فَانْتَهَيْنَا فِيهَا إِلَى آخِرِ "اقْتَرَبَتْ"** فَشَرَعَ

عِنْدَ ذَلِكَ الشَّيْخَانِ الصَّالِحَانِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُحِبِّ، وَعَبْدُ اللهِ الزُّرَعِيُّ الضَّرِيرُ - وَكَانَ الشَّيْخُ يُحِبُّ قِرَاءَتَهُمَا - فَابْتَدَآ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ "الرَّحْمَنِ" حَتَّى خَتَمُوا الْقُرْآنَ وَأَنَا حَاضِرٌ أَسْمَعُ وَأَرَى.

ثُمَّ شَرَعُوا فِي غُسْلِ الشَّيْخِ- وَخَرَجْتُ إِلَى مَسْجِدٍ هُنَاكَ - وَلَمْ يَمْكُثْ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ سَاعَدَ فِي تَغْسِيلِهِ، وَفِيهِمْ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمِزِّيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ، فَمَا فُرِغَ مِنْهُ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْقَلْعَةُ بِالرِّجَالِ، وَكَذَلِكَ مَا حَوْلَهَا إِلَى الْجَامِعِ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِدَرَكَاتِ الْقَلْعَةِ، وَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّرَحُّمِ.

ثُمَّ سَارُوا بِهِ إِلَى الْجَامِعِ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِمَادِيَّةِ عَلَى الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، وَدَخَلُوا بِالْجِنَازَةِ إِلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَالْخَلَائِقُ فِيهِ لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللهُ تَعَالَى، **فَصَرَخَ صَارِخٌ: هَكَذَا تَكُونُ جَنَائِزُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ**، فَتَبَاكَى النَّاسُ عِنْدَ سَمَاعِ ذَلِكَ الصَّارِخِ، وَوُضِعَ الشَّيْخُ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ مِمَّا يَلِي الْمَقْصُورَةَ، وَجَلَسَ النَّاسُ عَلَى غَيْرِ صُفُوفٍ، بَلْ مَرْصُوصِينَ لَا يَتَمَكَّنُ أَحَدٌ مِنَ السُّجُودِ إِلَّا بِكُلْفَةٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَذَانِ الظُّهْرِ بِقَلِيلٍ، وَجَاءَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكَثُرُوا كَثْرَةً لَا تُوصَفُ، فَلَمَّا أُذِّنَ الظُّهْرُ وَفُرِغَ مِنَ الْأَذَانِ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ عَلَى السُّدَّةِ بِخِلَافِ الْعَادَةِ لِيُسْرِعُوا بِالنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ خَرَجَ نَائِبُ الْخَطِيبِ لِغَيْبَتِهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ إِمَامًا، وَهُوَ **الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ الْخَرَّاطِ**.

ثُمَّ خَرَجَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَامِعِ وَالْبَلَدِ، وَاجْتَمَعُوا بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَعَجَّلَ إِلَى مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، وَالنَّاسُ فِي بُكَاءٍ وَتَهْلِيلٍ، وَدُعَاءٍ وَثَنَاءٍ وَتَأَسُّفٍ، وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْأَسْطِحَةِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ يَبْكِينَ وَيَدْعِينَ.

وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ بِدِمَشْقَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةَ حِينَ كَانَ النَّاسُ بِهَا كَثِيرًا جِدًّا، ثُمَّ دُفِنَ عِنْدَ أَخِيهِ قَرِيبًا مِنْ أَذَانِ الْعَصْرِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمُخَدَّرَاتِ.

وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ تَخَلَّفَ عَنِ الْحُضُورِ فِي جَنَازَتِهِ إِلَّا النَّفَرَ الْيَسِيرَ، وَتَرَدَّدَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ **الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ** إِلَى الْمَقْبَرَةِ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ وَكُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةَ النَّهَارِ، وَيَعُودُ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى حِمَارِهِ، وَعَلَيْهِ الْجَلَالَةُ وَالْوَقَارُ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَقَدْ أُفْرِدَتْ لَهُ تَرَاجِمُ كَثِيرَةٌ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ وَغَيْرُهُمْ، وَسَنَحْصُرُ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ تَرْجَمَةً وَجِيزَةً فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِهِ، وَفَضَائِلِهِ، وَشَجَاعَتِهِ، وَكَرَمِهِ، وَنُصْحِهِ، وَزَهَادَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَعُلُومِهِ الْكَثِيرَةِ الْمُحَرَّرَةِ، وَمُصَنَّفَاتِهِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ فِي الْعُلُومِ، وَمُفْرَدَاتِهِ فِي الِاخْتِيَارَاتِ الَّتِي نَصَرَهَا وَأَفْتَى بِهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَمِمَّنْ يُصِيبُ وَيُخْطِئُ، وَقَدْ صَحَّ فِي الْبُخَارِيِّ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ.

وَفِي يوم الجمعة آخر ربيع الآخر سنة (٧٢٩هـ) **صُلِّيَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ**، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَعَلَى الْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ الْبَالِسِيِّ الْمِصْرِيِّ - صَلَاةَ الْغَائِبِ.

❁ ❁ ❁

١٠ـ سلطنة الملك العادل زين الدّين كتبغا (٦٩٤ـ٦٩٦هـ)

○ توليه السلطنة

فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّم سنة (٦٩٤هـ) جَلَسَ الْأَمِيرُ **كَتْبُغَا** عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ عَلَى ذَلِكَ، وَهَنَّأُوهُ، وَسَارَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِذَلِكَ إِلَى الْأَقَالِيمِ، فَبُويِعَ وَخُطِبَ لَهُ مُسْتَقِلًّا، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِاسْمِهِ، وَتَمَّ الْأَمْرُ، وَزُيِّنَتِ الْبِلَادُ، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَكَانَ عُمْرُهُ إِذْ ذَاكَ نَحْوًا مِنْ **خَمْسِينَ سَنَةً**، فَإِنَّهُ مِنْ سَبْيِ وَقْعَةِ حِمْصَ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَعْدَ وَقْعَةِ عَيْنِ جَالُوتَ، وَكَانَ مِنَ الْعُوَيْرَاتِيَّةِ، وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ **التَّتَرِ**.

وَاسْتَنَابَ فِي مِصْرِ الْأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينَ **لَاجِينَ السِّلَحْدَارِيَّ الْمَنْصُورِيَّ**، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُدَبِّرَ الْمَمَالِكِ.

وَكَانَ كتبغا مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ وَأَجْوَدِهِمْ **سِيرَةً وَمَعْدَلَةً** وَقَصْدًا فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبعاءِ مُسْتَهَلِّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ رَكِبَ كَتْبُغَا فِي أُبَّهَةِ الْمُلْكِ، وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ، وَدَعَا لَهُ النَّاسُ. وعَزَلَ الصَّاحِبَ تَاجَ الدِّينِ بْنَ الْحِنَّا عَنِ الْوِزَارَةِ، وَوَلَّى فَخْرَ الدِّينِ بْنَ الْخَلِيلِيِّ.

وَفِي سنة (٦٩٤هـ) وَلِيَ **الْقُدْسَ، وَالْخَلِيلَ** الْمَلِكُ الْأَوْحَدُ ابْنُ النَّاصِرِ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ.

○ إسلام قازان التتري وقومه

فِي سنة (٦٩٤هـ) أَسْلَمَ **مَلِكُ التَّتَرِ قَازَانُ بْنُ أَرْغُونَ** بْنِ أَبْغَا، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَدَخَلَتِ التَّتَرُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَنَثَرَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَاللُّؤْلُؤَ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ يَوْمَ إِسْلَامِهِ، وَتَسَمَّى **بِمَحْمُودٍ**، وَشَهِدَ الْجُمُعَةَ، وَالْخُطْبَةَ، وَخَرَّبَ كَنَائِسَ كَثِيرَةً، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، وَرَدَّ مَظَالِمَ كَثِيرَةً بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

○ تعدد الجماعات في الجامع الأموي

فِي رَمَضَانَ سـنة (٦٩٤هـ) رُسِـمَ لِلْحَنَابِلَةِ أَنْ يُصَلُّوا قَبْلَ الْإِمَامِ الْكَبِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ بَعْدَهُ، فَلَمَّا أُحْدِثَ مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ كَانُوا يُصَلُّونَ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ يَحْصُلُ تَشْوِيشٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَاسْتَقَرَّتِ الْقَاعِدَةُ عَلَى أَنْ يُصَلُّوا قَبْلَ الْإِمَامِ الْكَبِيرِ عِنْدَ مِحْرَابِهِمْ فِي الرُّوَاقِ الثَّالِثِ الْغَرْبِيِّ.

قُلْتُ: وَقَدْ تَغَيَّرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ بَعْدَ الْعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ كَمَا سَيَأْتِي.

○ قدوم السلطان الملك العادل زين الدّين كتبغا إلى الشام

فِي سـنة (٦٩٥هـ) خَرَجَ السُّـلْطَانُ كَتْبُغَا مِنْ مِصْرَ قَاصِدًا الشَّـامَ فِي أَوَاخِرِ شَوَّالٍ، وَلَمَّـا جَـاءَ الْبَرِيدِ بِذَلِـكَ ضَرَبَتِ الْبَشَـائِرُ بِالْقَلْعَـةِ، وَنَزَلُـوا بِالْقَلْعَةِ؛ السُّـلْطَانُ، وَنَائِبُهُ لَاجِينُ، وَوَزِيرُهُ ابْنُ الْخَلِيلِيِّ.

وفي يَوْمُ الْجُمُعَةِ الثَّامِنُ وَالْعِشْـرُونَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٦٩٥هـ) **صَلَّى السُّـلْطَانُ** الْمَلِـكُ الْعَادِلُ كَتْبُغَا بِمَقْصُـورَةِ الْخَطَابَةِ، وَخَلَعَ عَلَى الْخَطِيبِ بَـدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ خِلْعَـةً سِـنِيَّةً، وَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ سَـلَّمَ عَلَـى السُّـلْطَانِ، وَزَارَ السُّـلْطَانُ الْمُصْحَفَ الْعُثْمَانِيَّ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، **فَلَعِبَ الْكُرَةَ بِالْمَيْدَانِ** عَلَى الْعَادَةِ.

وَحَضَرَ السُّلْطَانُ سنة (٦٩٥هـ) دَارَ **الْعَدْلِ**، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْوَزِيرُ وَالْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ، وَكَانَ عَادِلًا كَمَا سُـمِّيَ. ثُمَّ سَـافَرَ السُّـلْطَانُ فِي ثَانِي عَشَـرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٩٥هـ) وَاجْتَازَ عَلَى جُوسِيَةَ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْبَرِّيَّةِ أَيَّامًا، ثُمَّ عَادَ فَنَزَلَ حِمْصَ، وَجَاءَ إِلَيْهِ نُوَّابُ الْبِلَادِ.

○ المؤامرة على السلطان كتبغا وخلعه

كان الْأَمِير حُسَـام الدِّينِ **لَاجِينَ** قَدْ **وَاطَأَ جَمَاعَةٌ** مِنَ الْأُمَرَاءِ فِي الْبَاطِنِ **عَلَى** الملك العادل **كَتْبُغَا**، وَتَوَثَّقَ مِنْهُمْ، وَأَشَـارَ عَلَى الْعَادِلِ حِينَ خَرَجُوا مِنْ دِمَشْق أَنْ يَسْتَصْحِبَ

مَعَـهُ الْخِزَانَـةَ، وَذَلِكَ لِئَلَّا يَبْقَى بِدِمَشْـقَ شَـيْءٌ مِنَ الْمَـالِ يَتَقَوَّى بِهِ الْعَـادِلُ إِنْ فَاتَهُمَ، وَيَكُونُ قُوَّةً لِحُسَـامِ الدِّينِ **لَاجِينَ** عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ **الْغَدْرِ**، فَلَمَّا كَانُوا بالطريق قَتَلَ لَاجِينُ **حملة الخزانة**، وَأَخَذَها، وَقَصَدَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، فَلَمَّا **سَمِعَ الْعَادِلُ كَتْبُغَا** بِذَلِكَ خَرَجَ مِنَ الدِّهْلِيزِ، وَسَـاقَ راجعـًا إِلَى دِمَشْـقَ فَدَخَلَهَا في شـهر مُحَرَّم سـنة (٦٩٦هـ)، وَتَقَلَّبَـتْ أُمُـورٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَلَزِمَ السُّـلْطَانُ الْقَلْعَةَ لَا يَخْـرُجُ مِنْهَا، فَغُلِّقَ بَابُ الْقَلْعَةِ الَّذِي يَلِي الْمَدِينَةَ.

فَلَمَّـا رَأَى الملـك العادل **كتبغا** انْحِلَالَ أَمْـرِهِ قَالَ لِلْأُمَرَاءِ: هُوَ **خُشْدَاشِـيٌّ**(١)، وَأَنَا وَهُوَ شَـيْءٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا لَهُ سَـامِعٌ مُطِيعٌ، وَأَنَا أَجْلِسُ فِي الْقَلْعَـةِ، حَتَّى تُكَاتِبُوهُ وَتَنْظُرُوا مَا يَقُولُ.

فلما بويع لاجين بمصر يَوْمَ الْجُمُعَةِ **عَاشِـرِ صَفَرٍ** سنة (٦٩٦هـ)، سلم العادل كتبغا له الأمر، وانخلع من السلطنة.

❁ ❁ ❁

(١) خشداش: أي الزميل أو الرفيق في الخدمة. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (٣/ ١٨١).

١١ـ سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار (٦٩٦ـ٦٩٨هـ)

○ توليه السلطنة

قتَلَ حسام الدين لاجين السلحدار **حملة الخزانة العادلية** بدمشق واستولى عليها، ثم ذهَبَ بِالْجُيُوشِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ودَخَلَهَا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدِ اتَّفَقَ مَعَ جُمْهُورِ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، **وَبَايَعُوهُ وَمَلَّكُوهُ** عَلَيْهِمْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ **عَاشِرِ صَفَرٍ** سنة (٦٩٦هـ)، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَدَقَّتْ بِمِصْرَ الْبَشَائِرُ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ وَبِالْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ، وَكَذَلِكَ بِالْكَرَكِ وَنَابُلُسَ وَصَفَدَ، وَذَهَبَتْ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ دِمَشْقَ، وَأَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الْعَادِلِ، وَطَاعَةَ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ بِمِصْرَ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ طَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَفَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَضَعُفَ أَمْرُ الْعَادِلِ جِدًّا.

وَجَاءَ كِتَابُ السُّلْطَانِ الملك المنصور **حسام الدين لاجين** السلحدار أَنَّهُ قد اسْتَنَابَ بِمِصْرَ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ قَرَاسُنْقُرَ الْمَنْصُورِيَّ، وَخُطِبَ لِلْمَنْصُورِ لَاجِينَ بِدِمَشْقَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سنة (٦٩٦هـ).

وَجَاءَتِ الْمَرَاسِيمُ **بِالْوِزَارَةِ** لِتَقِيِّ الدِّينِ تَوْبَةَ، **وَبِالْحِسْبَةِ** لِأَمِينِ الدِّينِ يُوسُفَ الْأَرْمِنِيِّ الرُّومِيِّ.

وَدَخَلَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **قَبْجَقُ** الْمَنْصُورِيُّ عَلَى **نِيَابَةِ الشَّامِ** إِلَى دِمَشْقَ بُكْرَةَ السَّبْتِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٩٦هـ)، وَنَزَلَ دَارَ السَّعَادَةِ.

وَقَدْ خَرَجَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ لِتَلَقِّيهِ، وَحَضَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْمَقْصُورَةِ، فَصَلَّى بِهَا وَقُرِئَ بَعْدَ الْجُمُعَةِ كِتَابُ السُّلْطَانِ بِإِبْطَالِ الضَّمَانَاتِ مِنَ الْأَوْقَافِ وَالْأَمْلَاكِ بِغَيْرِ رِضَا أَصْحَابِهَا، **وَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ**: مَنْ لَهُ مَظْلَمَةٌ فَلْيَأْتِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ. وَخَلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْمُقَدَّمِينَ، وَأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْكَتَبَةِ وَغَيْرِهِمْ، **وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ جَمَاعَةَ** خِلْعَتَيْنِ؛ وَاحِدَةً لِلْقَضَاءِ، وَالْأُخْرَى لِلْخَطَابَةِ.

وفِي الرَّابعَ عَشَـرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٩٦هـ) مُسِـكَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ **قَرَاسُنْقُرُ الْمَنْصُـورِيُّ** نَائِـبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هُـوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَاحْتِيـطَ عَلَى حَوَاصِلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، وَهَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَعَانُوهُ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْعَادِلِ كَتْبُغَا.

وَوَلَّـى السُّـلْطَانُ **الملك المنصـور لاجين** نِيَابَةَ مِصْرَ الْأَمِيرَ **سَـيْفَ الدِّيـنِ مَنْكُوتَمُرَ الْحُسَامِيَّ**.

وَأُمْسِـكَ الْأَمِيرُ شَـمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ الْأَعْسَرُ وَزِيرُ مِصْرِ وَشَـادُّ الدَّوَاوِينِ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٩٦هـ)، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ أَيْضًا

وَنُودِيَ بِمِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٩٦هـ)، أَنْ لَا يَرْكَبَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَرَسًا، وَلَا بَغْلًا، وَمَنْ وُجِدَ مِنْهُمْ رَاكِبًا ذَلِكَ أُخِذَ مِنْهُ.

○ فتح تل حمدون ومرعش

أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار بِجَرِيدَةٍ صُحْبَةَ عَلَمِ الدِّيـنِ الدَّوَادَارِيِّ إِلَـى **تَلِّ حَمْدُونَ** (من بلاد الأرمـن) فَفُتِحَتْ بِحَمْـدِ اللهِ وَمَنِّهِ، وَجَاءَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٦٩٧هـ).

ثُـمَّ فُتِحَـتْ **مَرْعَشُ** بَعْدَهَـا، فَدَقَّتِ الْبَشَـائِرُ، ثُمَّ انْتَقَـلَ الْجَيْشُ إِلَى قَلْعَـةِ **حَمُوصَ**، فَأُصِيبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ.

وفي شوال سـنة (٦٩٧هـ) دَقَّتِ الْبَشَائِرُ بدمشـق لِأَجْلِ أَخْذِ قَلْعَتِي **حُمَيْصَ وَنُجَيْمَةَ** مِنْ بِلَادِ سِيسَ.

ووَصَلَت جَرِيدَة من جيش مِصر قَاصِدِينَ بِلَادَ **سِـيسَ** مَـدَدًا لِأَصْحَابِهِمْ، وَهِيَ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ عودة الملك المسعود خضر من المنفى

فِي شـهْرِ شوال سـنة (٦٩٧هـ) عَادَ الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ **نَجْمُ الدِّينِ خَضِرُ بْنُ الظَّاهِرِ بيبـرس** مِـنْ بِلَادِ الْأَشْـكَرِيِّ إِلَى دِيَارِ مِصْـرَ بَعْدَ أَنْ مَكَـثَ هُنَاكَ مِنْ زَمَنِ الْأَشْـرَفِ بْـنِ الْمَنْصُـورِ، وَتَلَقَّـاهُ السُّـلْطَانُ الملك المنصور حسـام الدين لاجين السـلحدار بِالْمَوْكِبِ، وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ.

○ رجوع طائفة من الجيش من بلاد سيس

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٨هـ) رَجَعَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ مِنْ بِلَادِ **سِيسَ** بِسَبَبِ الْمَرَضِ الَّـذِي أَصَابَ بَعْضَهُمْ، فَجَاءَ كِتَابُ السُّـلْطَانِ بِالْعَتَبِ الْأَكِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّـدِيدِ لَهُمْ، وَأَنَّ الْجَيْـشَ يَخْرُجُ جَمِيعُهُ صُحْبَةَ نَائِبِ السَّـلْطَنَةِ قَبْجَقَ إِلَى هُنَاكَ، **وَنَصَبَ مَشَـانِقَ** لِمَنْ تَأَخَّرَ بِعُذْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَخَرَجَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ **الْأَمِيرُ سَـيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ**، وَصُحْبَتُهُ الْجُيُوشُ، فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ وَتَجَمُّلٍ هَائِلٍ، فَدَعَتْ لَهُ الْعَامَّةُ، وَكَانُوا يُحِبُّونَهُ، وَاسْـتَمَرَّ الْجَيْشُ سَائِرِينَ قَاصِدِينَ بِلَادَ سِيسَ.

○ هروب بعض الأمراء إلى التتر

لَمَّا وَصَلَ الجيش إِلَى **حِمْصَ** بَلَغَ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ **قَبْجَقَ** وَجَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ أَنَّ السُّلْطَانَ الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار مُتَقَلِّبُ الْخَاطِرِ عَلَيْهِمْ بِسَـبَبِ سَـعْيِ **مَنْكوتَمُرَ** فِيهِمْ، وَعَلِمُـوا أَنَّ السُّـلْطَانَ لَا يُخَالِفُهُ لِمَحَبَّتِهِ لَـهُ، فَاتَّفَقَ جَمَاعَـةٌ مِنْهُمْ عَلَى الدُّخُـولِ إِلَى بِلَادِ التَّتَارِ هربـًا، وَالنَّجَاةِ بِأَنْفُسِـهِمْ، فَسَـاقُوا مِنْ حِمْصَ فِيمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَهُمْ قَبْجَقُ، وبزْلَى، وَبَكْتَمُرُ السِّلَحْدَارُ أَلْبَكِّيُّ، ورَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى دِمَشْـقَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سـنة (٦٩٨هـ)، وَتَأَسَّـفَتِ الْعَـوَامُ عَلَى قَبْجَقَ لِحُسْنِ سِيرَتِهِ فِيهِمْ.

○ مقتله

في لَيْلَـةَ الْجُمُعَـةِ حَادِي عَشَـرَ رَبِيـعٍ الْآخِرِ سـنة (٦٩٨هـ) **قُتل السُّـلْطَان** الْمَلِك الْمَنْصُور لَاجِينَ، وَنَائِبه سَـيْف الدِّين مَنْكوتَمُرَ، عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ **سَـيْفِ الدِّينِ كُرْجِيٍّ الْأَشْـرَفِيِّ**، وَمَنْ وَافَقَهُ، وقد كان السـلطان، والْقَاضِي حُسَامِ الدِّينِ الْحَنَفِيِّ يَتَحَدَّثَانِ ليلاً، فَلَمْ يَشْـعُرَا إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ العسكر عَلَيْهِمَا، فَبَادَرُوا إِلَى السُّلْطَانِ بِسُرْعَةٍ **فَقَتَلُوهُ**، وَقُتِـلَ نَائِبُهُ صَبْرًا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، **وَأُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَـةٍ**، وَاتَّفَقَ الْأُمَرَاءُ عَلَى **إِعَادَةِ** ابْنِ أُسْتَاذِهِمُ **الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ**.

ثـم قُتِلَ الْأَمِيرَانِ سَـيْفُ الدِّينِ طُغْجِيٌّ، **وَكُرْجِيٌّ**، الَّذِي تَوَلَّـى قَتْلَ لَاجِينَ، وَأُلْقِيَا عَلَـى الْمَزَابِـلِ، فَدُفِنَ السُّـلْطَانُ لَاجِيـنُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْـهِ نَائِبُهُ وَمَمْلُوكُهُ سَـيْفُ الدِّينِ مَنْكوتَمُرُ.

❁ ❁ ❁

١٢ـ سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون (الثانية) (٦٩٨ـ ٧٠٨ هـ)

تولية السلطنة

لما قُتل السلطان حسامُ الدين لاجين السحلدار، في الحَادِي عَشَرَ من رَبِيع الْآخِرِ سنة (٦٩٨هـ)، اتَّفَقَ الْأُمَرَاءُ عَلَى **إِعَادَةِ** ابْنِ أُسْتَاذِهِمُ **الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ**، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ، وَكَانَ بِالْكَرَكِ، وَنَادَوْا لَهُ بِالْقَاهِرَةِ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ قَبْلَ قُدُومِهِ.

ووصل **السُّلْطَانَ النَّاصِر مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ إِلَى مِصْرَ** يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا وَضَرَبَتِ الْبَشَائِرُ، ثُمَّ رَكِبَ السلطان **النَّاصِر محمد** وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ، وَعَلَيْهِ خِلْعَةُ الْخَلِيفَةِ، وَالْجَيْشُ مَعَهُ مُشَاةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَجَاءَتْ مَرَاسِيمُهُ إلى دمشق، فَقُرِئَتْ عَلَى السُّدَّةِ، وَفِيهَا الرِّفْقُ بِالرَّعَايَا وَالْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَوْا لَهُ.

وَدَخَلَ الْقُضَاةُ، وَأَكَابِرُ الدَّوْلَةِ بدمشق إِلَى الْقَلْعَةِ، وَبُويِعَ بِحَضْرَةِ عَلَمِ الدِّينِ أَرْجُوَاش، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا.

وفي يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، وصل الْأَمِيرُ **جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الْأَفْرَمُ نَائِبًا عَلَى دِمَشْقَ**، فَنَزَلَ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ، وَأَشْعَلُوا لَهُ الشُّمُوعَ.

وَاسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ **حُسَامُ الدِّينِ الْأُسْتَادَارُ** أَتَابِكًا لِلْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَلَّارُ نَائِبًا بِمِصْرَ، وَأُخْرِجَ الْأَعْسَرُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْحَبْسِ، وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ بِمِصْرَ.

خروج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لمواجهة التتر

اسْتَهَلَّتْ سنة (٦٩٩هـ) وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ الْعَبَّاسِيُّ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ وَمَا يَتْبَعُهَا مِنَ الْمَمَالِكِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ **مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ**، وَنَائِبُ مِصْرَ **سَلَّارُ**، وَبِالشَّامِ جَمَالُ الدِّينِ **آقُوشُ الْأَفْرَمُ**، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِقَصْدِ **التَّتَرِ** إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَقَدْ خَافَ

النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ خَوْفًا شَدِيدًا، وَجَفَلَ النَّاسُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ وَحَمَاةَ، وَبَلَغَ كِرَاءُ الْجَمَلِ مِنْ حَمَاةَ إِلَى دِمَشْق نَحْوَ الْمِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

وخرج السُّلْطَانِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاصِدًا الشَّامَ لَمَّا بَلَغَهُ قُدُومُ التَّتَرِ إِلَى الشَّام، وتَهَيَّأَ لِذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثَامِنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦٩٩هـ) دَخَلَ السُّلْطَانُ دِمَشْقَ، وَقَدْ أَقَامَ بِغَزَّةَ قَرِيبًا مِنْ شَهْرَيْنِ، وَزُيِّنَتْ لَهُ الْبَلَدُ وَكَثُرَتْ لَهُ الْأَدْعِيَةُ، وَكَانَ وَقْتًا شَدِيدًا وَحَالًا صَعْبًا، وَامْتَلَأَ الْبَلَدُ مِنَ الْجَافِلِينَ النَّازِحِينَ عَنْ بِلَادِهِمْ، **وَجَلَسَ الْأَعْسَرُ وَزِيرُ الدَّوْلَةِ،** وَطَالَبَ الْعُمَّالَ، وَاقْتَرَضُوا أَمْوَالَ الْأَيْتَامِ، وَأَمْوَالَ الْأَسْرَى لِأَجْلِ تَقْوِيَةِ الْجَيْشِ،

○ هزيمة السلطان أمام قازان التتري

خَرَجَ السُّلْطَانُ الملك الناصر محمد بن قلاوون بِالْجَيْشِ مِنْ دِمَشْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعَ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦٩٩هـ)، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُطَّوِّعَةِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الدُّعَاءِ وَالْقُنُوتِ فِي الصَّلَوَاتِ بِالْجَامِعِ وَغَيْرِهِ.

ولَمَّا وَصَلَ السُّلْطَانُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، إِلَى **وَادِي الْخَزْنَدَارِ** عِنْدَ وَادِي سَلَمْيَةَ، الْتَقَى التَّتَارُ هُنَاكَ، **فَكَسَرُوا الْمُسْلِمِينَ، وَوَلَّى السُّلْطَانُ هَارِبًا،** فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرُهُمْ وَمِنَ الْعَوَامِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ، **وَفُقِدَ فِي الْمَعْرَكَةِ قَاضِي الْحَنَفِيَّةِ حُسَامُ الرَّازِيُّ،** وَقَدْ صَبَرُوا وَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا، ثُمَّ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُتَّقِينَ، غَيْرَ أَنَّهُ رَجَعَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى أَعْقَابِهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وتركوا دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُمُ اسْتَكَانُوا وَاسْتَسْلَمُوا لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَمَاذَا يُجْدِي الْحَذَرُ إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ.

وَرَجَعَ السُّلْطَانُ الناصر محمد **إلى مصر** [1] فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ عَلَى نَاحِيَةِ طريق بَعْلَبَكَّ.

---

(١) ماكان للسلطان أن يترك أهل الشام في هذه المحنة ويهرب بنفسه وبجيشه إلى مصر، تاركا البلد لمصيره دون أن يكون متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، ليعود سريعاً لنصرتهم.

وَقَدْ هَرَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْبَلَدِ وَغَيْرُهُمْ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، كَالْقَاضِي إِمَامِ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ، وَقَاضِي الْمَالِكِيَّةِ جَمَالِ الدِّينِ الزَّوَاوِيِّ، وَتَاجِ الدِّينِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ، وَعَلَمِ الدِّينِ الصَّوَابِيِّ وَالِي الْبَرِّ، **وَجَمَالِ الدِّينِ بْنِ النَّحَّاسِ وَالِي دمشق**، وَالْمُحْتَسِبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ **التُّجَّارِ** وَالْعَوَامِّ، وَبَقِيَ الْبَلَدُ شَاغِرًا لَيْسَ فِيهِ حَاكِمٌ وَلَا زَاجِرٌ وَلَا رَادِعٌ سِوَى نَائِبِ الْقَلْعَةِ **عَلَمِ الدِّينِ أَرْجُوَاش**.

وَفِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ ثَانِي رَبِيعٍ الْآخِرِ كَسَرَ الْمَحْبُوسُونَ بِحَبْسِ بَابِ الصَّغِيرِ بَابَ السِّجْنِ وَخَرَجُوا مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ، فَنَهَبُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَعَاثَتِ الْحَرَافِشَةُ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ.

○ طلب أهل دمشق الأمان من قازان التتري

قَصَدَ سُلْطَانُ التَّتَارُ دِمَشْقَ بَعْدَ وقعة وادي الخزندار سنة (٦٩٩هـ)، فَاجْتَمَعَ **أَعْيَانُ الْبَلَدِ**، وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي **مَشْهَدِ عَلِيٍّ**، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى **قَازَانَ لِتَلَقِّيهِ**، وَأَخْذِ الْأَمَانِ مِنْهُ لِأَهْلِ دِمَشْقَ، فَتَوَجَّهُوا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثِ رَبِيعٍ الْآخِرِ، فَاجْتَمَعُوا بِهِ عِنْدَ **النَّبْكِ**، وَكَلَّمَهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ كَلَامًا قَوِيًّا شَدِيدًا، فِيهِ مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ عَادَ نَفْعُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَعاد وفد الْمُسْلِمِينَ مِنْ جِهَةِ قَازَانَ، فَنَزَلُوا الْبَاذَرَائِيَّةَ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ سِوَى بَابِ تُومَا، وَخَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْجَامِعِ، وَلَمْ يَذْكُرْ سُلْطَانًا فِي خُطْبَتِهِ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ قَدِمَ الْأَمِيرُ إِسْمَاعِيلُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّسُلِ، فَنَزَلُوا بِبُسْتَانِ الظَّاهِرِ، وَحَضَرَ الْفَرَمَانُ **بِالْأَمَانِ**، وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ.

○ غدر التتار ونقض الأمان

فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْمُنَادَاةِ بِالْأَمَانِ طُلِبَتِ الْخُيُولُ وَالسِّلَاحُ وَالْأَمْوَالُ الْمُخَبَّأَةُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ جِهَةِ الدَّوْلَةِ.

وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ عَاشِرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩٩هـ)، قَدِمَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ الْمَنْصُورِيُّ**، فَنَزَلَ بِالْمَيْدَانِ معاونا للتتار، وَاقْتَرَبَ جَيْشُ التَّتَارِ، وَكَثُرَ الْعَيْثُ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ بِالْبَلَدِ جِدًّا، وَضَاقَ الْحَالُ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَ **قَبْجَقُ** إِلَى نَائِبِ الْقَلْعَةِ لِيُسَلِّمَهَا إِلَى التَّتَارِ، فَامْتَنَعَ **أَرْجُوَاشُ** مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ، فأرسل لَهُ قَبْجَقُ أَعْيَانَ الْبَلَدِ، فَكَلَّمُوهُ، فَلَمْ يُجِبْهُم، وكان الشَّيْخ تَقِيّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَةَ أمره بذلك، وَقَالَ لَهُ: **لَوْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا حَجَرٌ وَاحِدٌ، فَلَا تُسَلِّمْهُمْ ذَلِكَ إِنِ اسْتَطَعْتَ.**

وَكَانَ فِي عدم تسليم القلعة مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الشَّامِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَفِظَ لَهُمْ هَذَا الْحِصْنَ وَالْمَعْقِلَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ حِرْزًا لِأَهْلِ الشَّامِ الَّتِي لَا تَزَالُ دَارَ أَمَانٍ وَسُنَّةٍ، حَتَّى يَنْزِلَ بِهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، '.

○ الخطبة لقازان التتري بدمشق

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩٩هـ) **خُطِبَ لِقَازَانَ** عَلَى مِنْبَرِ دِمَشْقَ بِحُضُورِ الْمَغُولِ بِالْمَقْصُورَةِ، وَقُرِئَ مَرْسُومٌ **بِنِيَابَةِ قَبْجَقَ عَلَى الشَّامِ** من قبل التتار، وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَعْيَانُ فَهَنَّئُوهُ بِذَلِكَ، فَأَظْهَرَ الْكَرَامَةَ، وَأَنَّهُ فِي تَعَبٍ عَظِيمٍ مَعَ التَّتَارِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي طَلَبِ الْخُيُولِ الَّتِي عِنْدَ النَّاسِ وَالْأَمْوَالِ لِأَجْلِ النَّفَقَةِ عَلَى التَّتَارِ.

○ إفساد التتار في دمشق

فِي يَوْمِ السَّبْتِ النِّصْفِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩٩هـ) شَرَعَتِ **التَّتَارُ**، وَصَاحِبُ **سِيسَ** فِي **نَهْبِ** الصَّالِحِيَّةِ، فَوَجَدُوا فِيهَا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْغَلَّاتِ، **وَقَلَّعُوا الْأَبْوَابَ** وَالشَّبَابِيكَ، **وَخَرَّبُوا** أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، كَالرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَارَسْتَانِ بِالصَّالِحِيَّةِ، وَمَسْجِدِ الْأَسَدِيَّةِ، وَمَسْجِدِ خَاتُونَ، وَدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، وَاحْتَرَقَ جَامِعُ التَّوْبَةِ بِالْعَقِيبَةِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ **جِهَةِ الْكُرْجِ، وَالْأَرْمَنِ** مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ **هُمْ مَعَ التَّتَارِ**، قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى،

وَسَبَوْا مَنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَلَجَأَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَى رِبَاطِ الْحَنَابِلَةِ، فَاحْتَاطَ بِهِ التَّتَارُ، ثُمَّ قَحَمُوا عَلَيْهِ فِي ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى، فَسَبَوْا مِنْهُ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ بَنَاتِ الْمَشَايِخِ وَأَوْلَادِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَنُهِبَتْ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ وَالضِّيَائِيَّةِ، وَخِزَانَةِ ابْنِ الْبُزُورِيِّ، فَكَانَتْ تُبَاعُ، وَهِيَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا الْوَقْفِيَّةُ.

وَفَعَلُوا **بِالْمِزَّةِ** مِثْلَ مَا فَعَلُوا **بِالصَّالِحِيَّةِ**، وَكَذَلِكَ **بِدَارَيَّا** وَغَيْرِهَا.

وَاشْتُهِرَ بِالْبَلَدِ أَنَّ **التَّتَرَ** يُرِيدُونَ **دُخُولَ دِمَشْقَ**، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنْهَا وَالْهَرَبَ، وَأَيْنَ؟ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!

وَشَرَعَ **التَّتَرُ فِي عَمَلِ مَجَانِيقَ بِالْجَامِعِ** لِيَرْمُوا بِهَا الْقَلْعَةَ، وَنَزَلَ التَّتَرُ يَحْرُسُونَ أَخْشَابَ الْمَجَانِيقِ، وَيَنْهَبُونَ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْوَاقِ.

وَأَحْرَقَ **أَرْجُوَاشُ** مَا **حَوْلَ الْقَلْعَةِ مِنَ الْأَبْنِيَةِ**، لِئَلَّا يَتَمَكَّنُوا مِنْ مُحَاصَرَةِ الْقَلْعَةِ مِنْ أَعَالِيهَا، وَلَزِمَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ لِئَلَّا يُسَخَّرُوا فِي طَمِّ الْخَنْدَقِ، وَالْجَامِعُ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ لَا يَتَكَامَلُ فِيهِ الصَّفُّ الْأَوَّلُ.

وَالْمُصَادَرَاتُ وَالتَّرَاسِيمُ وَالْعُقُوبَاتُ عَمَّالَةٌ فِي أَكَابِرِ أَهْلِ الْبَلَدِ لَيْلًا وَنَهَارًا، حَتَّى أُخِذَ مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْقَافِ، كَالْجَامِعِ وَغَيْرِهِ.

○ رجوع قازان إلى بلاده

فِي تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٩٩هـ) تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ قَازَانُ التتري إِلَى بِلَادِهِ، **وَتَرَكَ نُوَّابَهُ بِالشَّامِ** فِي سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، **وَجَاءَ كِتَابُهُ**: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا نُوَّابَنَا بِالشَّامِ فِي سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَمِنْ عَزْمِنَا الْعَوْدُ إِلَيْهَا فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ، وَالدُّخُولُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَفَتْحُهَا.

وَأَرْسَلَ **أَرْجُوَاشُ إِلَى الْجَامِعِ**، فَكَسَرُوا أَخْشَابَ الْمَنْجَنِيقَاتِ الْمَنْصُوبَةِ بِهِ، وَعَادُوا إِلَى الْقَلْعَةِ سَالِمِينَ، وقبضوا على جَمَاعَةٍ مِمَّنْ كَانُوا يَلُوذُونَ بِالتَّتَارِ، **مِنْهُمُ الشَّرِيفُ الْقُمِّيُّ**.

○ تولية قازان التتري لقبجق على الشام

جَاءَتِ الرُّسُـلُ مِنْ قبل الْأَمِير سَـيْف الدِّينِ **قَبْجَق** المولّى من قبل التتار إِلَى دِمَشْقَ فَنَادَوْا بِهَا: طَيِّبُوا قُلُوبَكُمْ، وَافْتَحُوا دَكَاكِينَكُمْ، وَتَهَيَّئُوا غَدًا لِتَلَقِّي **سُـلْطَانِ الشَّام** سَيْفِ الدِّيـنِ **قَبْجَـق**. فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَـى أَمَاكِنِهِمْ، فَأَشْـرَفُوا عَلَيْهَـا، فَرَأَوْا مَا بِهَا مِنَ الْفَسَـادِ وَالدَّمَارِ.

وَعَـادَ الْأَمِيرُ سَـيْفُ الدِّينِ **قَبْجَـقُ** إِلَى دِمَشْـقَ يَوْمَ الْخَمِيـسِ بَعْدَ الظُّهْـرِ الْخَامِسِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ، **وَنُودِيَ بِالْبَلَدِ**: إِنَّ نَائِبَكُمْ سَـيْفَ الدِّينِ قَبْجَقَ قَدْ جَاءَ فَافْتَحُوا دَكَاكِينَكُمْ، وَاعْمَلُوا مَعَاشَكُمْ، وَلَا يُغَرِّرْ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ.

هَذَا وَالْأَسْعَارُ فِي غَايَةِ الْغَلَاءِ وَالْقِلَّةِ، قَدْ بَلَغَتِ الْغِرَارَةُ إِلَى أَرْبَعِمِائَةٍ، وَاللَّحْمُ الرَّطْلُ بِنَحْوِ الْعَشَـرَةِ، وَالْخُبْـزُ كُلُّ رَطْلٍ بِدِرْهَمَيْنِ وَنِصْفٍ، وَالْعَشَـرَةُ الدَّقِيقِ بِنَحْوِ الْأَرْبَعِينَ، وَالْجُبْنُ الْأُوقِيَةُ بِدِرْهَمٍ، وَالْبَيْضُ كُلُّ خَمْسَةٍ بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُمْ فِي أَوَاخِرِ الشَّهْرِ.

وَلَمَّا كَانَ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٩٩هـ)، **نَادَى الأمير سيف الدين قَبْجَقُ بِالْبَلَـدِ**: أَنْ يَخْرُجَ النَّـاسُ إِلَى قُرَاهُمْ، وَأَمَّـرَ جَمَاعَةً، وَانْضَافَ إِلَيْهِ خَلْـقٌ مِنَ الْأَجْنَادِ، وَعَظُمَ شَـأْنُهُ، وَرَكِبَ بِالْعَصَائِبِ فِي الْبَلَدِ، وَالشَّاوِيشِيَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَهَّزَ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ فَـارِسٍ نَحْوَ خَرِبَةِ اللُّصُوصِ، وَمَشَـى مَشْـيَ الْمُلُوكِ فِـي الْوِلَايَاتِ، وَتَأْمِيـرِ الْأُمَرَاءِ، وَالْمَرَاسِيمِ الْعَالِيَةِ النَّافِذَةِ، وَصَارَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَـا لَـكَ مِـنْ قُـنْـبَـرَةٍ بِـمَـعْـمَـرِ   خَـلَا لَـكَ الْـجَـوُّ فَبِيضِي وَاصْفِـرِي
وَنَـقِّـرِي مَـا شِـئْـتِ أَنْ تُـنَـقِّـرِي   ... ...

ثُـمَّ إِنَّهُ **ضَمِنَ الْخَمَّـارَاتِ، وَمَوَاضِعَ الزِّنَا** مِـنَ الْحَانَاتِ وَغَيْرِهَـا، وَجُعِلَتْ دَارُ ابْنِ جَـرَادَةَ خَـارِجَ بَابَ تُومَا خَمَّـارَةً، وَحَانَةً أَيْضًا، وَصَـارَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ فِـي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ، **وَهِيَ الَّتِي دَمَّرَتْهُ، وَمَحَقَتْ آثَارَهُ.**

وَرَجَعَ **بُولَايُ التتري** مِنْ جِهَةِ **الْأَغْوَارِ**، وَقَدْ عَاثَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَنَهَبَ الْبِلَادِ وَسَبَى وَخَرَّبَ، وَمَعَهُ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التَّتَرِ، **وَجُبِيَ لِبُولَايِ** مِنْ دِمَشْقَ جِبَايَةً أُخْرَى.

وَخَرَجَ **طَائِفَةٌ** مِنَ **الْقَلْعَةِ**، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنَ التَّتَرِ وَنَهَبُوهُمْ، وَأَخَذُوا طَائِفَةً مِمَّنْ كَانَ يَلُوذُ بِالتَّتَرِ، وأرسل **قَبْجَقُ** خَطِيبَ الْبَلَدِ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْأَعْيَانِ إلى الْقَلْعَةَ، فَيَتَكَلَّمُوا مَعَ نَائِبِهَا فِي الْمُصَالَحَةِ، فَكَلَّمُوهُ وَبَالَغُوا مَعَهُ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ. وَقَدْ أَجَادَ وَأَحْسَنَ.

وَفِي ثَانِي رَجَبٍ سنة (٦٩٩هـ) طَلَبَ **قَبْجَقُ** الْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانَ، فَحَلَّفَهُمْ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ لِلدَّوْلَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ - يَعْنِي قَازَانَ - فَحَلَفُوا لَهُ.

وَنُودِيَ يوم الجمعة بِالْجَامِعِ - بَعْدَ الصَّلَاةِ - ثَالِثَ رَجَبٍ سنة (٦٩٩هـ) مِنْ جِهَةِ نَائِبِ الْقَلْعَةِ **بِأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْمِصْرِيَّةَ قَادِمَةٌ** إِلَى الشَّامِ.

فَرَحَلَ **بُولَايُ** وَأَصْحَابُهُ مِنَ التَّتَرِ، يَوْمَ السَّبْتِ **رابع** رَجَبٍ سنة (٦٩٩هـ)، وَانْشَمَرُوا عَنْ دِمَشْقَ، وَسَارُوا عَلَى طريق عَقَبَةِ **دُمَّرَ**[1]، فَعَاثُوا فِي تِلْكَ النَّوَاحِي فَسَادًا، وَلَمْ يَأْتِ **سَابِعُ** الشَّهْرِ وَفِي حَوَاشِي الْبَلَدِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَقَدْ أَزَاحَ اللهُ ، شَرَّهُمْ عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

وَنَادَى **قَبْجَقُ** فِي النَّاسِ: قَدْ أَمِنَتِ الطُّرُقَاتُ، وَلَمْ يَبْقَ بِالشَّامِ مِنَ التَّتَرِ أَحَدٌ.

لكن قبجق قلق وخاف على نفسه بعد خروج التتار مِنَ الْبَلَدِ، فخرج منها هاربا.

○ دور أرجواش في حفظ الأمن بدمشق

لما **هرب** سيف الدين قبجق من دمشق بَقِيَ الْبَلَدُ لَيْسَ بِهِ أَحَدٌ، وَنَادَى **أَرْجُوَاشُ** فِي الْبَلَدِ أَنِ احْفَظُوا الْأَسْوَارَ، وَأَخْرِجُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَسْلِحَةِ، وَلَا تُهْمِلُوا الْأَسْوَارَ وَالْأَبْوَابَ، وَلَا يَبِيتَنَّ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى السُّورِ، **وَمَنْ بَاتَ فِي دَارِهِ شُنِقَ**. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الْأَسْوَارِ لِحِفْظِ الْبَلَدِ، وَكَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَةَ** يَدُورُ كُلَّ لَيْلَةٍ فَوْقَ الْأَسْوَارِ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْقِتَالِ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْجِهَادِ وَالرِّبَاطِ.

(١) عقبة تطل على غوطة دمشق. معجم البلدان ٢/ ٥٨٧.

○ عودة الشام لسلطة صاحب مصر

فِـي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَـابِعَ عَشَـرَ رَجَبٍ أُعِيدَتِ الْخُطْبَـةُ بِجَامِعِ دِمَشْـقَ لِصَاحِبِ مِصْرَ السُّـلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يُخْطَبُ لِقَازَانَ بِدِمَشْـقَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِائَةَ يَوْمٍ سَوَاءً.

وَنُودِيَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنَ عَشَرَ **رَجَبٍ** بِأَنْ تُزَيَّنَ الْبَلَدُ **لِقُدُومِ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ**، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

وَقَدِمَ الْجَيْشُ الشَّامِيُّ صُحْبَةَ نَائِبِ دِمَشْقَ جَمَالِ الدِّينِ **آقُوشَ الْأَفْرَمِ** إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ السَّبْتِ عَاشِرَ شَعْبَانَ سنة (٦٩٩هـ).

وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْـنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ تَكَامَلَ دُخُولُ الْعَسَـاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ صُحْبَةَ **نَائِبِ مِصْرَ** سَـيْفِ الدِّينِ سَـلَّارَ، وَفِي خِدْمَتِهِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ **كَتْبُغَا**، وَسَـيْفُ الدِّينِ الطَّبَّاخِيُّ، وَنَزَلُـوا بِالْمَـرْجِ. وأُعِيدَ الْقَاضِي بَـدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَـةَ إِلَى **قَضَاءِ الْقُضَاةُ** بِدِمَشْـقَ مَعَ الْخَطَابَةِ، وأَمِينُ الدِّينِ الْعَجَمِيُّ **إلى الْحِسْـبَةِ**، ونَظَرِ الدَّوَاوِينِ إلى الصَّدْرُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ الشِّيرَازِيِّ.

وَبَاشَـرَ الْأَمِيرُ عِـزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ الـدَّوَادَارُ النَّجِيبِيُّ **وِلَايَـةَ الْبَرِّ** بَعْدَ مَا جُعِـلَ مِنْ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهْ.

وَرُفِعَتِ السَّتَائِرُ عَنِ الْقَلْعَةِ فِي ثَالِثِ رَمَضَانَ.

وَفِي شهر رَمَضَانَ رَجَعَ سَـلَّارُ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى مِصْرَ، وَانْصَرَفَتِ الْعَسَاكِرُ الشَّامِيَّةُ إِلَى مَوَاضِعِهَا وَبُلْدَانِهَا.

○ معاقبة المفسدين

فِي شَوَّالٍ مِنْ سنة (٦٩٩هـ) عُرِفَتْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ يَلُوذُ بِالتَّتَرِ وَيُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ، فَشُنِقَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، وَسُمِرَ آخَرُونَ، وَكُحِلَ بَعْضُهُمْ، وَقُطِعَتْ أَلْسُنٌ، وَجَرَتْ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ.

قتال أهل جبال الجرد وكسروان

فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ رَكِبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الْأَفْرَمُ فِي جَيْشِ دِمَشْقَ إِلَى **جِبَالِ الْجَرْدِ وَكَسْرُوَانَ**.

وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَةَ** وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُطَّوِّعَةِ لِقِتَالِ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، بِسَبَبِ **فَسَادِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ**، وَكُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَمَا كَانُوا عَامَلُوا بِهِ الْعَسَاكِرَ لَمَّا كَسَرَهُمُ التَّتَرُ وَهَرَبُوا; حِينَ اجْتَازُوا بِبِلَادِهِمْ وَثَبُوا عَلَيْهِمْ وَنَهَبُوهُمْ، وَأَخَذُوا أَسْلِحَتَهُمْ وَخُيُولَهُمْ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بِلَادِهِمْ جَاءَ رُؤَسَاؤُهُمْ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، فَاسْتَتَابَهُمْ، وَبَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْهُمُ الصَّوَابَ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَانْتِصَارٌ كَبِيرٌ عَلَى أُولَئِكَ الْمُفْسِدِينَ، وَالْتَزَمُوا بِرَدِّ مَا كَانُوا أَخَذُوهُ مِنْ أَمْوَالِ الْجَيْشِ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ أَمْوَالًا كَثِيرَةً يَحْمِلُونَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَأُقْطِعَتْ أَرَاضِيهِمْ وَضِيَاعُهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَدْخُلُونَ فِي طَاعَةِ الْجُنْدِ وَلَا يَلْتَزِمُونَ أَحْكَامَ الْمِلَّةِ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

التدريب والاستعداد للدفاع عن البلاد

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ نُودِيَ بِالْبَلَدِ أَنْ يُعَلِّقَ النَّاسُ الْأَسْلِحَةَ بِالدَّكَاكِينِ، وَأَنْ يَتَعَلَّمَ النَّاسُ الرَّمْيَ، فَعُمِلَتِ **الْآمَاجَاتُ** (الأهداف) فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْبَلَدِ، وَعُلِّقَتِ الْأَسْلِحَةُ بِالْأَسْوَاقِ، وَرَسَمَ قَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ بِعَمَلِ **الْآمَاجَاتِ فِي الْمَدَارِسِ**، وَأَنْ يَتَعَلَّمَ الْفُقَهَاءُ الرَّمْيَ، وَيَسْتَعِدُّوا لِقِتَالِ الْعَدُوِّ إِنَّ حَضَرَ، وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَفِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ اسْتَعْرَضَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ سُوقٍ **مُقَدَّمًا**، وَحَوْلَهُ أَهْلُ سُوقِهِ.

○ طلب خراج الأملاك عن وقت المحنة

فِي ثَالِثُ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٠٠هـ) جَلَسَ الْمُسْتَخْرِجُ لِاسْتِخْلَاصِ أُجْرَةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ جَمِيعِ أَمْلَاكِ النَّاسِ وَأَوْقَافِهِمْ بِدِمَشْقَ، فَهَرَبَ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنَ الْبَلَدِ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ قَوِيَّةٌ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً جِدًّا.

○ قصد التتار بلاد الشام وحال الناس

فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٧٠٠هـ) وَرَدَتِ **الْأَخْبَارُ بِقَصْدِ التَّتَارِ** بِلَادَ **الشَّامِ**، وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى دُخُولِ **مِصْرَ**، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ وَازْدَادُوا ضَعْفًا عَلَى ضَعْفِهِمْ، وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الْهَرَبِ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ، وَالْكَرَكِ، وَالشَّوْبَكِ، وَالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ، فَبَلَغَتِ أجرة النقل إِلَى مِصْرَ خَمْسَمِائَةٍ، وَبِيعَتِ الْأَمْتِعَةُ وَالثِّيَابُ، وَالْغَلَّاتُ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ.

وَجَلَسَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ** فِي ثَانِي صَفَرٍ بِمَجْلِسِهِ فِي الْجَامِعِ، وَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ، وَسَاقَ لَهُمُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ، **وَنَهَى عَنِ الْإِسْرَاعِ فِي الْفِرَارِ**، وَرَغَّبَ فِي إِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي الذَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ مَا يُنْفَقَ فِي أُجْرَةِ الْهَرَبِ إِذَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى كَانَ خَيْرًا، **وَأَوْجَبَ جِهَادَ التَّتَرِ** حَتْمًا فِي هَذِهِ الْكَرَّةِ، وَتَابَعَ الْمَجَالِسَ فِي ذَلِكَ.

وَنُودِيَ فِي الْبُلْدَانِ: **لَا يُسَافِرُ أَحَدٌ إِلَّا بِمَرْسُومٍ وَوَرَقَةٍ**. فَتَوَقَّفَ النَّاسُ عَنِ السَّيْرِ، وَسَكَنَ جَأْشُهُمْ، لَكِنْ كَانَ قَدْ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ بُيُوتَاتِ دِمَشْقَ، كَبَيْتِ ابْنِ صَصْرَى، وَبَيْتِ ابْنِ فَضْلِ اللهِ، وَابْنِ مُنَجَّا، وَابْنُ سُوَيْدٍ، وَابْنُ الزَّمَلْكَانِيِّ، وغيرهم.

وَفِي أَوَّلِ رَبِيعٍ الْآخِرِ نُودِيَ فِي الْبَلَدِ **أَنْ تَخْرُجَ الْعَامَّةَ مَعَ الْعَسْكَرِ**، وَجَاءَ مَرْسُومُ النَّائِبِ مِنَ الْمَرْجِ بِذَلِكَ، فَاسْتَعْرَضُوا فِي أَثْنَاءِ الشَّهْرِ، فَعُرِضَ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْعَامَّةِ بِالْعُدَّةِ وَالْأَسْلِحَةِ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِمْ، وَقَنَتَ الْخَطِيبُ ابْنُ جَمَاعَةَ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، وَاتَّبَعَهُ أَئِمَّةُ الْمَسَاجِدِ.

وَاسْتَهَلَّ **جُمَادَى الْأُولَى**، وَالنَّاسُ عَلَى خُطَّةٍ صَعْبَةٍ مِنَ الْخَوْفِ، وَتَأَخُّرِ السُّلْطَانِ وَاقْتِرَابِ الْعَدُوِّ، وَشِدَّةِ الْأَمْرِ وَالْحَالِ، وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي مُسْتَهَلِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَكَانَ يَوْمُ السَّبْتِ، إِلَى **نَائِبِ الشَّامِ** وَعَسَاكِرِهِ بِالْمَرْجِ، فَثَبَّتَهُمْ وَقَوَّى جَأْشَهُمْ، وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ، وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج: ٦٠]. وَبَاتَ عِنْدَ الْعَسْكَرِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ.

ثُمَّ قَوِيَتِ الْأَرَاجِيفُ بِوُصُولِ التَّتَارِ إِلَى الشَّامِ، **وَنَادَى ابْنُ النَّحَّاسِ مُتَوَلِّي دِمَشْقَ فِي** النَّاسِ: **مَنْ قَدَرَ عَلَى السَّفَرِ فَلَا يَقْعُدْ بِدِمَشْقَ**، وَرَهِقَ النَّاسَ ذِلَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، وَتَيَقَّنَ النَّاسُ أَنْ لَا نَاصِرَ لَهُمْ إِلَّا اللهُ ,؟

وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْقَلْعَةَ، وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَرَارِي وَالْقِفَارِ بِأَهَالِيهِمْ، **وَنُودِيَ فِي النَّاسِ**: مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الْجِهَادَ فَلْيَلْحَقْ بِالْجَيْشِ؛ فَقَدِ اقْتَرَبَ وُصُولُ التَّتَارِ.

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِوُصُولِ **التَّتَارِ إِلَى سَرْمِينَ**، فَخَرَجَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارِقِيُّ، وَالشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الرَّقِّيُّ، وَابْنُ قَوَّامٍ، وَشَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، وَابْنُ خَبَارَةَ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ **الْأَفْرَمِ**، فَقَوَّوْا عَزْمَهُ عَلَى مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ، وَاجْتَمَعُوا بِمُهَنَّا أَمِيرِ الْعَرَبِ، فَحَرَّضُوهُ عَلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ، **فَأَجَابَهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَقَوِيَتْ نِيَّاتُهُمْ** عَلَى ذَلِكَ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ.

ثُمَّ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ **مَلِكَ التَّتَارِ** قَدْ خَاضَ الْفُرَاتَ رَاجِعًا عَامَهُ ذَلِكَ؛ لِضَعْفِ جَيْشِهِ وَقِلَّةِ مَدَدِهِ، فَطَابَتِ النُّفُوسُ بِذَلِكَ، وَسَكَنَ النَّاسُ وَعَادُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ مُنْشَرِحِينَ آمِنِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَعَادَ **نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى دِمَشْقَ**، وَكَانَ مُخَيِّمًا فِي الْمَرْجِ مِنْ مُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الرِّبَاطِ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ.

○ إلزام أهل الذمة بالشروط

فِي رمضان سنة (٧٠٠هـ) قُرِئَتْ شُرُوطُ الذِّمَّةِ عَلَى أهل الكتاب، وَأُلْزِمُوا بِهَا، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى عَزْلِهِمْ عَنِ الْجِهَاتِ، وَأُخِذُوا بِالصِّغَارِ، وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ، وَأُلْزِمَ النَّصَارَى بِالْعَمَائِمِ الزُّرْقِ، وَالْيَهُودِ بِالصُّفْرِ، وَالسَّامِرَةُ - بِالْحُمْرِ، فَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

○ عزل ابن الحريري عن قضاء الحنفية بدمشق

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٠٠هـ) عُزِلَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْحَرِيرِيِّ عَنْ **قَضَاءِ الْحَنَفِيَّةِ** بِالْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ بْنِ حُسَامِ الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتِهِ، وَقَاعِدَةِ أَبِيهِ، وَذَلِكَ بِاتِّفَاقٍ مِنَ الْوَزِيرِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ سُنْقُرَ الْأَعْسَرِ، وَنَائِبِ السَّلْطَنَةِ جَمَالِ الدِّينِ آقُوشَ الْأَفْرَمِ.

○ تزوير اليهود لكتاب وضع الجزية عنهم

في شهر شوال سنة (٧٠١هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ **لِلْيَهُودِ الْخَيَابِرَةِ**،[1] وَأُلْزِمُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ أُسْوَةَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَحْضَرُوا كِتَابًا مَعَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- بِوَضْعِ الْجِزْيَةِ عَنْهُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ، تَبَيَّنُوا أَنَّهُ **مَكْذُوبٌ** مُفْتَعَلٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الرَّكِيكَةِ، وَالتَّوَارِيخِ الْمُخَبَّطَةِ، وَاللَّحْنِ الْفَاحِشِ، **وَحَاقَقَهُمْ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، وَبَيَّنَ لَهُمْ خَطَأَهُمْ وَكَذِبَهُمْ، وَأَنَّهُ مُزَوَّرٌ مَكْذُوبٌ، فَأَنَابُوا إِلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، وَخَافُوا مِنْ أَنْ يُسْتَعَادَ عَلَيْهِمْ بِالسِّنِينَ الْمَاضِيَةِ.

قال ابن كثير: وَقَدْ وَقَفْتُ أَنَا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ، فَرَأَيْتُ فِيهِ شَهَادَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَامَ خَيْبَرَ، وَقَدْ تُوُفِّيَ سَعْدٌ قَبْلَ ذَلِكَ بِنَحْوٍ مَنْ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَشَهَادَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِذْ ذَاكَ، وَإِنَّمَا أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَحْوٍ مَنْ سَنَتَيْنِ.

(١) نسبة إلى خيبر فيما يزعمون.

وَفِيهِ: وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبُو طَالِبٍ، وَهَذَا لَحْنٌ لَا يَصْدُرُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيٍّ؛ لِأَنَّ عِلْمَ النَّحْوِ إِنَّمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ عَنْهُ، وَقَدْ جَمَعْتُ فِيهِ جُزْءًا مُفْرَدًا، وَذَكَرْتُ مَا جَرَى فِيهِ أَيَّامَ **الْقَاضِي الْمَاوَرْدِيِّ**، وَكِبَارِ أَصْحَابِنَا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ فِي «الْحَاوِي»، وَصَاحِبُ «الشَّامِلِ» إمام الحرمين الجويني فِي كِتَابِهِ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَبَيَّنُوا خَطَأَهُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إسلام ابن المهذب ديان اليهود

وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ رَابِعِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٠١هـ) حَضَرَ عَبْدُ السَّيِّدِ بْنُ الْمُهَذِّبِ دَيَّانُ الْيَهُودِ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ، وَمَعَهُ أَوْلَادُهُ، فَأَسْلَمُوا كُلُّهُمْ، فَأَكْرَمَهُمْ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَأَمَرَ أَنْ يَرْكَبَ بِخِلْعَةٍ وَخَلْفَهُ الدَّبَادِبُ تَضْرِبُ وَالْبُوقَاتُ إِلَى دَارِهِ، وَعَمِلَ لَيْلَتَئِذٍ فِي دَارِهِ خَتْمَةً عَظِيمَةً حَضَرَهَا الْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَخَرَجُوا يَوْمَ الْعِيدِ كُلُّهُمْ يُكَبِّرُونَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَكْرَمَهُمُ النَّاسُ إِكْرَامًا زَائِدًا.

○ أحوال الدولة في مستهل القرن الثامن (٧٠١هـ)

اسْتَهَلَّتْ سنة (٧٠١هـ) وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ الْعَبَّاسِيُّ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ **الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ**، وَنَائِبُهُ بِمِصْرَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَلَّارُ، وَبِالشَّامِ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الْأَفْرَمُ. وَفِي أَوَّلِهَا عُزِلَ الْأَمِيرُ قُطْلُبَكْ عَنْ نِيَابَةِ **الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ**، وَتَوَلَّاهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَسَنْدَمُرُ، وَعُزِلَ عَنْ **وِزَارَةِ مِصْرَ** شَمْسُ الدِّينِ الْأَعْسَرُ، وَتَوَلَّى سَيْفُ الدِّينِ آقْجِبَا الْمَنْصُورِيُّ **نِيَابَةَ غَزَّةَ** وَجُعِلَ عِوَضَهُ بِالْقَلْعَةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَهَادُرُ السِّنْجَرِيُّ وَهُوَ مِنَ الْبُرْجِيَّةِ.

وَفِي صَفَرٍ رَجَعَتْ رُسُلُ مَلِكِ التَّتَرِ مِنْ مِصْرَ إِلَى دِمَشْقَ فَتَلَقَّاهُمْ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْجَيْشُ وَالْعَامَّةُ.

وَفِي نِصْفِ صَفَرٍ سنة (٧٠١هـ) وَلِيَ تَدْرِيسَ **النُّورِيَّةِ** الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيٌّ الْبُصْرَاوِيُّ الْحَنَفِيُّ عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ وَلِيِّ الدِّينِ السَّمَرْقَنْدِيِّ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ جَلَسَ قَاضِي الْقُضَاةِ، وَخَطِيبُ الْخُطَبَاءِ: بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ بِالْخَانَقَاهْ السُّمَيْسَاطِيَّةِ، شَيْخَ الشُّيُوخِ بِهَا عَنْ طَلَبِ الصُّوفِيَّةِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَرَغْبَتِهِمْ فِيهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ يُوسُفَ بْنِ حَمَّوِيَهِ الْحَمَوِيِّ، وَفَرِحَتِ الصُّوفِيَّةُ بِهِ، وَجَلَسُوا حَوْلَهُ، وَلَمْ تَجْتَمِعْ هَذِهِ الْمَنَاصِبُ قَبْلَهُ لِغَيْرِهِ، وَلَا بَلَغَنَا أَنَّهَا اجْتَمَعَتْ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا: الْقَضَاءُ، وَالْخَطَابَةُ، وَمَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ.

○ قتل الفتح أحمد بن البققي لزندقته

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سنة (٧٠١هـ) قُتِلَ **الْفَتْحُ أَحْمَدُ بْنُ الْبَقَقِيِّ** بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، حَكَمَ فِيهِ الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ بْنُ مَخْلُوفٍ الْمَالِكِيُّ بِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُ مَنْ **تَنَقُّصِهِ لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَاسْتِهْزَائِهِ بِالْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ**، وَمُعَارَضَةِ الْمُشْتَبِهَاتِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحِلُّ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ اللِّوَاطِ، وَالْخَمْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ مِنَ الْفَسَقَةِ مِنَ التُّرْكِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْجَهَلَةِ، هَذَا.

وَقَدْ كَانَ لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ، وَلَهُ اشْتِغَالٌ وَهَيْئَةٌ جَمِيلَةٌ فِي الظَّاهِرِ، وَبِزَّتُهُ وَلُبْسَتُهُ جَيِّدَةٌ، وَلَمَّا أُوقِفَ عِنْدَ شُبَّاكِ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، اسْتَغَاثَ بِالْقَاضِي تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَقَالَ: **مَا تَعْرِفُ مِنِّي؟** فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْرِفُ مِنْكَ الْفَضِيلَةَ، وَلَكِنَّ حُكْمَكَ إِلَى الْقَاضِي زَيْنِ الدِّينِ، فَأَمَرَ الْقَاضِي لِلْوَالِي أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَطِيفَ بِرَأْسِهِ فِي الْبَلَدِ، **وَنُودِيَ عَلَيْهِ**: هَذَا جَزَاءُ مَنْ طَعَنَ فِي اللهِ وَرَسُولِهِ.

○ حوادث متفرقة

- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٥٩هـ) **اسْتَوْزَرَ** الظَّاهِرُ بيبرس بَهَاءَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْحِنَّا.
- وَفِيهَا فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ **قَبَضَ** الظَّاهِرُ بيبرس عَلَى **جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ** بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ.

- وَفِيها أَرْسَلَ الظَّاهِرُ بيبرس إِلَى **الشَّوْبَكِ**، فَتسَلَّمَهَا مِنْ أَيْدِي نُوَّابِ الْمُغِيثِ صَاحِبِ الْكَرَكِ.

- وَفِيهَا جَهَّزَ الظَّاهِرُ بيبرس جَيْشًا إِلَى **حَلَبَ** لِيَطْرُدُوا **التَّتَارَ** عَنْهَا، فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَى غَزَّةَ كَتَبَ الْفِرنْجُ إِلَى التَّتَارِ يُنْذِرُونَهُمْ، فَرَحَلُوا عَنْهَا مُسْرِعِينَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى حَلَبَ جَماعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، فَصَادَرُوا وَنَهَبُوا وَبَلَغُوا أَغْرَاضَهُمْ، وَقَدِمَ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ الظَّاهِرِيُّ، فَأَزَالُوا ذَلِكَ كُلَّهُ، وَصَادَرُوا بَعْض أَهْلِهَا بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَدِمَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ آقُوشُ الْبَرْلِيُّ مِنْ جِهَةِ الظَّاهِرِ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْبَلَدِ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا، فقَطَعَ وَوَصَلَ وَحَكَمَ **وَلَكِنْ مَا عَدَلَ**.

- وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ جُمَادَى الْأُولَى (٦٥٩هـ) بَاشَرَ **الْقَضَاءَ** بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ بِنْتِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ خَلَفِ العَلَامِي، وَذَلِكَ بَعْدَ شُرُوطٍ ذَكَرَهَا لِلظَّاهِرِ شَدِيدَةٍ، فَدَخَلَ تَحْتَهَا الْمَلِكُ الظَّاهِرُ.

- وَجَهَّزَ السُّلْطَانُ جَيْشًا مَنْ دِمَشْقَ سنة (٦٥٩هـ) إِلَى **بِلَادِ الْفِرنْجِ**، فَأَغَارُوا وَقَتَلُوا، وَسَبَوْا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، وَطَلَبَتِ الْفِرنْجُ مِنَ السُّلْطَانِ الصُّلْحَ، فَصَالَحَهُمْ مُدَّةً لِاشْتِغَالِهِ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا.

- وفِي سنة (٦٥٩هـ) قَدِمَ رَسُولُ **الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ** عَلَى السُّلْطَانِ **بيبرس** بِدِمَشْقَ؛ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً، فَلَمْ يَزَلْ يُوقِعُ بَيْنَهُمْ، حَتَّى اسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ وَاسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِهِمْ، نَصَرَهُ اللهُ تَعَالَى.

- وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعِ رَجَبٍ سنة (٦٦٠هـ) حَضَرَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ فِي مُحَاكَمَةٍ فِي بِئْرٍ لدى الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَّا الْقَاضِي، فَإِنَّهُ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يقُومَ، وَتَدَاعَيَا، وَكَانَ الْحَقُّ مَعَ السُّلْطَانِ، وَلَهُ بَيِّنَةٌ عَادِلَةٌ، فَانْتُزِعَتِ الْبِئْرُ مِنْ يَدِ الْغَرِيمِ، وَكَانَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ.

⊙ وَفِي شَوَّالٍ سنة (٦٦٠هـ) اسْتَنَابَ السُّلْطَانُ **بيبرس** عَلَى حَلَبَ الْأَمِيرَ **عَلَاءَ الدِّينِ أَيْدِكِينَ** الشِّهَابِيَّ، وَحِينَئِذٍ انْحَازَ عَسْكَرُ سِيسَ عَلَى **الْفُوعَةِ** مِنْ أَرْضِ حَلَبَ، فَرَكِبَ إِلَيْهِمُ الشِّهَابِيُّ، فَكَسَرَهُمْ وَأَسَرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، فَسَيَّرَهُمْ إِلَى مِصْرَ.

⊙ وَفِي سنة (٦٦٠هـ) اسْتَنَابَ السُّلْطَانُ عَلَى دِمَشْقَ الْأَمِيرَ جَمَالَ الدِّينِ آقُوشَ النَّجِيبِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، وَعَزَلَ عَنْهَا عَلَاءَ الدِّينِ طَيْبَرْسَ الْوَزِيرِيَّ، وَحُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

⊙ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٦٠هـ) قَدِمَتْ وُفُودٌ كَثِيرَةٌ مِنَ **التَّتَارِ** عَلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ مُسْتَأْمِنِينَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَأَقْطَعَهُمْ إِقْطَاعَاتٍ حَسَنَةً، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِأَوْلَادِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، وَرَتَّبَ لِإِخْوَانِهِمْ رَوَاتِبَ كَافِيَةً.

⊙ وَفِي سنة (٦٦٠هـ) نَزَلَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ **بْنُ خَلِّكَانَ** عَنْ تَدْرِيسِ الرُّكْنِيَّةِ لِلشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي شَامَةَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ حِينَ دَرَّسَ، وَأَخَذَ فِي أَوَّلِ "مُخْتَصَرِ الْمُزَنِيِّ" أَثَابَهُ اللهُ تَعَالَى.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سنة (٦٦٢هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ **أَبُو شَامَةَ** عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيُّ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، بَعْدَ وَفَاةِ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ بْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ خَلِّكَانَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ وَالْأَعْيَانِ.

⊙ وَفِي سنة (٦٦٢هـ) قَدِمَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ إِلَى **بَغْدَادَ** مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ هُولَاكُو، فَنَظَرَ فِي الْأَوْقَافِ وَأَحْوَالِ الْبَلَدِ، وَأَخَذَ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْ سَائِرِ الْمَدَارِسِ، وَحَوَّلَهَا إِلَى **الرَّصْدِ** الَّذِي بَنَاهُ بِمَرَاغَةَ.

⊙ وفِي سنة (٦٦٣هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِبِلَادِ مِصْرَ، وَاتُّهِمَ النَّصَارَى، فَعَاقَبَهُمُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عُقُوبَةً عَظِيمَةً.

⊙ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّة (٦٦٧هـ) هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ أَغْرَقَتْ مِائَتَيْ مَرْكَبٍ فِي النِّيلِ،

وَهَلَكَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَوَقَعَ هُنَاكَ مَطَرٌ شَدِيدٌ جِدًّا، وَأَصَابَ الشَّامَ مِنْ ذَلِكَ صَقْعَةٌ أَهْلَكَتِ الثِّمَارَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وفِي رَجَبٍ سنة (٦٦٨هـ) تَسَلَّمَ نُوَّابُ السُّلْطَانِ بيبرس **مِصْيَافَ** مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَهَرَبَ مِنْهَا أَمِيرُهُمُ الصَّارِمُ مُبَارَكُ بْنُ الرَّضِيِّ، فَتَحَيَّلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ حَمَاةَ حَتَّى أَسَرَهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى السُّلْطَانِ، فَحَبَسَهُ فِي بَعْضِ الْأَبْرِجَةِ بِالْقَاهِرَةِ.

◉ وفِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٦٦٩هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ **بيبرس** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى عَسْقَلَانَ، فَهَدَمَ مَا بَقِيَ مِنْ سُورِهَا، وَوَجَدَ فِيمَا هَدَمَ كُوزَيْنِ، فِيهِمَا أَلْفَا دِينَارٍ فَفَرَّقَهُمَا عَلَى الْأُمَرَاءِ، وَجَاءَتْهُ الْبِشَارَةُ وَهُوَ هُنَالِكَ بِأَنَّ **مَنْكُوتَمُرَ** كَسَرَ جَيْشَ **أَبْغَا التتري**، فَفَرِحَ بِذَلِكَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ.

◉ وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٦٩هـ) بَلَغَ السُّلْطَانَ أَنَّ أَهْلَ **عَكَّا** ضَرَبُوا رِقَابَ مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا بِظَاهِرِ عَكَّا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ أَسْرَى أَهْلِ عَكَّا فَضُرِبَتْ رِقَابُهُمْ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَسِيرٍ.

◉ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ من ذي الحجة سنة (٦٦٩هـ) **اعتقل** السلطان بيبرس جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ مِنْهُمْ، الْحَلَبِيُّ وَغَيْرُهُ، بَلَغَهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا قتله عَلَى الشَّقِيفِ.

◉ وَفِي سنة (٦٦٩هـ) **قَبَضَ** السُّلْطَانُ بيبرس عَلَى **الْعَزِيزِ بْنِ الْمُغِيثِ** صَاحِبِ الْكَرَكِ، وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ كَانُوا عَزَمُوا عَلَى سَلْطَنَتِهِ.

◉ وَفِي ثَالِثِ شَعْبَانَ (٦٧٠هـ) أَمْسَكَ السُّلْطَانُ قَاضِي الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ **شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعِمَادِ الْمَقْدِسِيَّ**، بسبب وَشَايَة رَجُل مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ يُقَالُ لَهُ: شَبِيبٌ. وَأَخَذَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْوَدَائِعِ، فَأَخَذَ زَكَاتَهَا، وَرَدَّ بَعْضَهَا إِلَى أَرْبَابِهَا، وسجنه إِلَى شَعْبَانَ (٦٧٢هـ)، ثُمَّ تَبَيَّنَ له نَزَاهَةُ الْقَاضِي وَبَرَاءَتُهُ، فَأَعَادَهُ إِلَى مَنْصِبِهِ.

◉ وَفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٧١هـ) اعتدى **صَاحِبُ النُّوبَةِ** على أهل عَيْذَاب، فَنَهَبَ تُجَّارَهَا، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، مِنْهُمُ الْوَالِي وَالْقَاضِي، فَسَارَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدُغْدِي

الْخَزْنَدَارُ، فَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ بِلَادِهِ، وَنَهَبَ وَحَرَّقَ، وَأَخَذَ بِالثَّأْرِ.

◉ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ (٦٧٢هـ) أَحْضَرَ السلطانُ بيبرس مَلِكَ **الْكُرْجِ** بَيْنَ يَدَيْهِ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ مُتَنَكِّرًا لِزِيَارَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فعرف به، فَحُمِلَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، فَسَجَنَهُ بِالْقَلْعَةِ.

◉ وفِي ثَامِنَ عَشَرَ سنة (٦٧٤هـ) استقبل السلطان **بيبرس** في القاهرة خَمْسَةً وَعِشْرِينَ رَسُولًا مِنْ جِهَةِ مُلُوكِ الْأَرْضِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَدَّثُوهُ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَخَلَ الْقَلْعَةَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ.

◉ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٧٩هـ) أُعِيدَ بُرْهَانُ الدِّينِ السِّنْجَارِيُّ إِلَى وِزَارَةِ مِصْرَ، وَرَجَعَ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ لُقْمَانَ إِلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ.

◉ وَفِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ سنة (٦٧٩هـ) أُعِيدَ إِلَى الْقَضَاءِ ابْنُ رَزِينٍ، وَعُزِلَ ابْنُ بِنْتِ الْأَعَزِّ، وَأُعِيدَ الْقَاضِي نَفِيسُ الدِّينِ بْنُ شُكْرٍ الْمَالِكِيُّ، وَمُعِينُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْحَنَابِلَةِ عِزُّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ.

◉ قَالَ **الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ**: وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَقَعَ بِمِصْرَ بَرَدٌ كِبَارٌ أَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمُغَلَّاتِ، وَوَقَعَتْ صَاعِقَةٌ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَأُخْرَى فِي يَوْمِهَا تَحْتَ الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ عَلَى صَخْرَةٍ فَأَحْرَقَتْهَا، فَأُخِذَ ذَلِكَ الْحَدِيدُ فَسُبِكَ، فَخَرَجَ مِنْهُ أَوَاقٍ بِالرِّطْلِ الْمِصْرِيِّ.

◉ وَفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٧٩هـ)، جَاءَ تَقْلِيدُ ابْنِ خَلِّكَانَ بِإِضَافَةِ قضاء حلب إِلَيْهِ يَسْتَنِيبُ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ نُوَّابِه.

◉ وَفِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ من رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٦٨٠هـ) ضُمِنَ **الْخَمْرُ وَالزِّنَى** بِدِمَشْقَ، وَجُعِلَ عَلَيْهِ دِيوَانٌ وَمُشِدٌّ، فَقَامَ فِي إِبْطَالِ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالْعُبَّادِ، فَأُبْطِلَ بَعْدَ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَأُرِيقَتِ الْخُمُورُ وَأُقِيمَتِ الْحُدُودُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

◉ وفِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٨٠هـ) أُعيد الْقَضَاء إِلَى عِزِّ الدِّينِ بْنِ الصَّائِغِ، وَعُزِلَ القاضي ابْنَ خَلِّكَانَ.

- وَفِي أَوَّلِ صَفَرٍ سَنة (٦٨٠هـ) بَاشَرَ قَضاءَ الْحَنابِلَةِ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ شَمْسِ بْنِ أَبِي عُمَرَ، وَقَدْ كَانَ الْمَنْصِبُ شَاغِرًا مُنْذُ عَزَلَ وَالِدُهُ نَفْسَهُ عَنِ الْقَضَاءِ.
- وَتَوَلَّى قَضَاءَ حَلَبَ فِي شَهر صَفَرٍ سَنة (٦٨٠هـ) تَاجُ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكُرْدِيُّ.
- وَجَلَسَ **الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ** بِدَارِ الْعَدْلِ بدمشق فِي شهر صفر سنة (٦٨٠هـ)، فَحَكَمَ وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِم.
- فِي سنة (٦٨٠هـ) أَخْرَجَ **الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ** جَمِيعَ آلِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بيبرس مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْخُدَّامِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى **الْكَرَكِ** لِيَكُونُوا فِي كَنَفِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ خَضِرِ بْنِ الظَّاهِرِ.
- وفِي سنة (٦٨١هـ) دَرَّسَ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ جَمَاعَةَ** بِالْقَيْمُرِيَّةِ، وَالشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الصَّفِيِّ الْحَرِيرِيُّ بِالْفَرُّخْشَاهِيَّةِ، وَعَلَاءُ الدِّينِ بْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ بِالْأَمِينِيَّةِ.
- كتب الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ **الْعَلَائِيُّ**، وَهُو بِحِمْصَ إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ لَاجِينَ، أَنَّهُ قَدِ انْعَقَدَتْ زَوْبَعَةٌ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ صَفَرٍ سنة (٦٨٤هـ)، بِأَرْضِ حِمْصَ ثُمَّ ارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الْعَمُودِ وَالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَجَعَلَتْ تَخْتَطِفُ الْحِجَارَةَ الْكِبَارَ، فَتَصْعَدُ بِهَا فِي الْجَوِّ كَأَنَّهَا سِهَامُ النُّشَّابِ، وَحَمَلَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْجِمَالِ بِأَحْمَالِهَا، وَالْأَثَاثِ وَالْخِيَامِ وَالدَّوَابِّ، فَفَقَدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الرِّحَالِ وَالْأَمْتِعَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
- وفِي سنة (٦٨٥هـ) تَوَلَّى قَضَاءَ الْمَالِكِيَّةِ بِمِصْرَ **زَيْنُ الدِّينِ بْنُ أَبِي مَخْلُوفٍ النُّوَيْرِيُّ** عِوَضًا عَنِ الْقَاضِي تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ شَاسٍ الَّذِي تُوُفِّيَ بِهَا.
- وفِي سنة (٦٨٥هـ) دَرَّسَ بِالْغَزَّالِيَّةِ في دمشق **بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ**، انْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ شَمْسِ الدِّينِ إِمَامِ الْكَلَّاسَةِ.

⊙ وَفِي شَـهْرِ رَمَضَانَ (٦٨٧هـ) كُبِسَ **نَصْرَانِيٌّ** وَعِنْدَهُ مُسْـلِمَةٌ، وَهُمَا يَشْرَبَانِ **الْخَمْرَ** فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، فَأَمَرَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ حُسَـامُ الدِّينِ لَاجِينُ بِتَحْرِيقِ النَّصْرَانِيِّ، فَبَذَلَ فِي نَفْسِهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، وَأُحْرِقَ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَعَمِلَ الشِّهَابُ مَحْمُودٌ فِي ذَلِكَ أَبْيَاتًا فِي قَصِيدَةٍ مَلِيحَةٍ.

⊙ وفي سنة (٦٨٩هـ) **احْتَرَقَتْ دَارُ صَاحِبِ حَمَاةَ**، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهَا نَارٌ فِي غَيْبَتِهِ، فَلَمْ يَتَجَاسَرْ أَحَدٌ يَدْخُلُهَا، فَعَمِلَتِ النَّارُ فِيهَا يَوْمَيْنِ، فَاحْتَرَقَتْ وَاحْتَرَقَ كُلُّ مَا فِيهَا.

⊙ وَفِي سـنة (٦٩٢هـ) رَسَـمَ **الْأَشْرَفُ خليل** بِتَخْرِيبِ **قَلْعَةِ الشَّـوْبَكِ** فَهُدِمَتْ، وَكَانَتْ مِـنْ أَحْصَنِ الْقِـلَاعِ وَأَمْنَعِهَا وَأَنْفَعِهَا، وَإِنَّمَا خَرَّبَهَا عَـنْ رَأْيِ **عُتْبَةَ الْعَقَبِيِّ**، وَلَمْ يَنْصَحْ لِلسُّلْطَانِ فِيهَا وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ **شَجًا** فِي حُلُوقِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ هُنَاكَ.

⊙ وفِي سنة (٦٩٢هـ) أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الأشرف خليل، الْأَمِيرَ **عَلَمَ الدِّينِ الدَّوَادَارِيَّ** إِلَى صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَإِلَى أَوْلَادِ بَرَكَةَ خان التتري، وَمَعَ الرَّسُولِ تُحَفٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، **فَلَمْ يَتَّفِقْ خُرُوجُهُ حَتَّى قُتِلَ السُّلْطَانُ**، فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ.

⊙ وَفِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سنة (٦٩٢هـ) طَهَّرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خليل أَخَاهُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدًا، وَابْنَ أَخِيهِ الْمَلِكَ الْمُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ مُوسَـى بْنَ الصَّالِحِ عَلِيِّ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَعُمِلَ مُهِمٌّ عَظِيمٌ، وَلَعِبَ الْأَشْرَفُ **بِالْقَبَقِ**،(١) وَتَمَّتْ لَهُمْ فَرْحَةٌ هَائِلَةٌ، كَانَتْ كَالْوَدَاعِ لِسَلْطَنَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا.

⊙ وَفِي صَفَرٍ سـنة (٦٩٢هـ) وَقَعَ بِدِمَشْـقَ بَرْدٌ عَظِيمٌ أَفْسَـدَ شَـيْئًا كَثِيرًا مِـنَ الْمُغَلَّاتِ، بِحَيْثُ أُبِيعَ الْقَمْحُ كُلُّ عَشْرِ أَوَاقٍ بِدِرْهَمٍ، وَمَاتَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّوَابِّ، وَفِيهِ زُلْزِلَتْ نَاحِيَةُ الْكَرَكِ، وَسَقَطَ مِنْ قَلْعَتِهَا أَمَاكِنُ كَثِيرَةٌ.

---

(١) القبق: عبارة عن خشبة عالية جدّا، تنصب في براح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرماة بقسيّها وترمي بالسهام جوف الدائرة لكي تمرّ من داخلها إلى غرض هناك، تمرينا لهم على إحكام الرمي. ويعبّر عن هذا بالقبق، في لغة الترك. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣/ ٢٠٠).

⊙ نُودِيَ بِدِمَشْقَ يَوْمَ عَرَفَةَ سنة (٦٩٤هـ) أَنْ لَا يَرْكَبَ أَحَدٌ مِنْ **أَهْلِ الذِّمَّةِ** خَيْلًا وَلَا بِغَالًا، وَمَنْ رَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ قَدْ خَالَفَ ذَلِكَ فَلَهُ سَلْبُهُ.

⊙ فِي أَوَاخِرِ سنة (٦٩٤هـ) وَالَّتِي تَلِيهَا حَصَلَ بِدِيَارِ مِصْرَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ، هَلَكَ بِسَبَبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، هَلَكَ فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا.

⊙ فِي سنة (٦٩٥هـ) قَدِمَتْ إِلَى الشَّامِ طَائِفَةٌ مِنَ التَّتَرِ الْعُوَيْرَاتِيَّةِ لَمَّا بَلَغَهُمْ سَلْطَنَةُ كَتْبُغَا؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ، فَتَلَقَّاهُمُ الْجَيْشُ بِالرُّحْبِ وَالسِّعَةِ، ثُمَّ سَافَرُوا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَعَ الْأَمِيرِ قَرَاسُنْقُرَ الْمَنْصُورِيِّ.

⊙ قَالَ الْبِرْزَالِيُّ: وَفِي سنة (٦٩٥هـ) وَقَعَتْ صَاعِقَةٌ عَلَى قُبَّةِ زَمْزَمٍ، فَقَتَلَتِ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ **مُؤَذِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**، كَانَ يُؤَذِّنُ عَلَى سَطْحِ الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَكَانَ قَدْ رَوَى شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ.

⊙ فِي سنة (٦٩٧هـ) قَلَّتِ الْمِيَاهُ بِدِمَشْقَ جِدًّا حَتَّى بَقِيَ نهر ثَوْر فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ لَا يَصِلُ إِلَى رُكْبَةِ الْإِنْسَانِ، وَأَمَّا بَرَدَى فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ مُسْكَةُ مَاءٍ، وَلَا يَصِلُ إِلَى جِسْرِ جِسْرَيْنِ، وَغَلَا سِعْرُ الثَّلْجِ بِالْبَلَدِ، وَأَمَّا نِيلُ مِصْرَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الزِّيَادَةِ وَالْكَثْرَةِ.

⊙ وَفِي شَوَّالٍ سنة (٧٠١هـ) قَدِمَ إِلَى الشَّامِ جَرَادٌ عَظِيمٌ، أَكَلَ الزَّرْعَ وَالثِّمَارَ، وَجَرَّدَ الْأَشْجَارَ حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ الْعِصِيِّ، وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلُ هَذَا.

⊙ وفِي النِّصْفِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٠١هـ) حَضَرَ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ جَمَاعَةَ** تَدْرِيسَ **النَّاصِرِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ** عِوَضًا عَنْ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ثَبَتَ مَحْضَرٌ أَنَّهَا لِقَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشْقَ، **فَانْتَزَعَهَا** مِنْ يَدِ ابْنِ الشَّرِيشِيِّ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠١هـ)، قَدِمَ الصَّدْرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ الْقَلَانِسِيِّ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ بِلَادِ التَّتَرِ بَعْدَ الْأَسْرِ سَنَتَيْنِ وَأَيَّامٍ، وَقَدْ حُبِسَ مُدَّةً، ثُمَّ لَطَفَ اللهُ بِهِ، وَتَلَطَّفَ حَتَّى تَخَلَّصَ مِنْهُمْ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَفَرِحُوا بِهِ.

مشاهير من توفي من الأعيان حتى سنة (٧٠٠هـ)

١- **ابْنُ غَانِمِ الْوَاعِظُ**: عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غَانِمٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْمَقْدِسِيُّ، الْوَاعِظُ الْمُطَبِّقُ، الْمُفْلِقُ الشَّاعِرُ، الْفَصِيحُ، الَّذِي نَسَجَ عَلَى مِنْوَالِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَأَمْثَالِهِ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ قُطْبُ الدِّينِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً كَثِيرَةً مَلِيحَةً، وَكَانَ لَهُ قَبُولٌ عِنْدَ النَّاسِ.

تَكَلَّمَ مَرَّةً عند الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ فِي سَنَةِ (٦٧٥هـ)، وَكَانَ فِي الْحَضْرَةِ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ، وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَابْنُ الْعُجَيْلِ مِنَ الْيَمَنِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَخَطَبَ فَأَبْلَغَ وَأَحْسَنَ، توفي سنة (٦٧٨هـ).

٢- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ**، أَبُو الْحَسَنِ الطُّورِيُّ، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، وَلَهُ السَّعْيُ الْمَشْكُورُ فِي قِتَالِ الْفِرِنْجِ، وَلَهُ عِنْدَهُمْ ذِكْرٌ عَظِيمٌ وَمَوْقِعٌ كَبِيرٌ، مَاتَ وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى تِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَبَبِ أَنَّهُ وَقَعَ يَوْمَ مَصَافِّ سُنْقُرَ الْأَشْقَرِ تَحْتَ سَنَابِكِ الْخَيْلِ، فَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مُتَمَرِّضًا إِلَى أَنْ مَاتَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ سنة (٦٧٩هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٣- **يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ يَحْيَى** بْنِ مُحَمَّدٍ، الْجَزَّارُ الشَّاعِرُ، جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمِصْرِيُّ، الشَّاعِرُ الْمَاجِنُ، الْمَعْرُوفُ بِالْجَزَّارِ، مَدَحَ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَاءَ وَالْأُمَرَاءَ، وَكَانَ مَاجِنًا ظَرِيفًا حُلْوَ الْمُحَاضَرَةِ، وُلِدَ فِي حُدُودِ سِتِّمِائَةٍ بَعْدَهَا بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٦٧٩هـ).

وَقَالَ وَقَدْ تَزَوَّجَ أَبُوهُ بِعَجُوزَةٍ:

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ أَبِي شَيْخَةً ... لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ وَلَا ذِهْنُ
كَأَنَّهَا فِي فَرْشِهَا رِمَّةٌ ... وَشَعْرُهَا مِنْ حَوْلِهَا قُطْنُ
وَقَائِلٌ قَالَ لِي كَمْ سِنُّهَا ... فَقُلْتُ مَا فِي فَمِهَا سِنُّ
لَوْ سَفَرَتْ غُرَّتُهَا فِي الدُّجَى ... مَا جَسَرَتْ تُبْصِرُهَا الْجِنُّ

٤- **أَبْغَا مَلِكُ التَّتَارِ بْنُ هُولَاكُوقَانَ بْنِ تُولِي بْنِ جِنْكِزْخَانَ**، كَانَ عَالِيَ الْهِمَّةِ، بَعِيدَ الْغَوْرِ لَهُ رَأْيٌ وَتَدْبِيرٌ، وَبَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَمُدَّةُ مِلْكِهِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ وَالِدِهِ فِي التَّدْبِيرِ وَالْحَزْمِ مِثْلُهُ، وَلَمْ تَكُنْ وَقْعَةُ حِمْصَ بِرَأْيِهِ وَلَا عَنْ مَشُورَتِهِ، وَلَكِنْ أَخُوهُ مَنْكُوتَمُرُ أَحَبَّ ذَلِكَ، فَلَمْ يُخَالِفْهُ.

وَقَدْ جَاءَ أَبْغَا هَذَا بِنَفْسِهِ فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْفُرَاتِ لِيَنْظُرَ مَاذَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ، فَلَمَّا جَرَى عَلَيْهِمْ مَا جَرَى سَاءَهُ ذَلِكَ، وَمَاتَ غَمًّا وَحُزْنًا. تُوُفِّيَ بَيْنَ الْعِيدَيْنِ في سنة (٦٨٠هـ) وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ **السُّلْطَانُ أَحْمَدُ**.

٥- **قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو بَكْرِ بْنُ** أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ هِبَةِ اللهِ الشَّافِعِيُّ، ابْنُ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ، وُلِدَ سَنَةَ (٦١٦هـ) وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ، وَنَابَ عَنْ أَبِيهِ وَشُكِرَتْ سِيرَتُهُ، وَاسْتَقَلَّ بِالْقَضَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْمُظَفَّرِية، فَحُمِدَ أَيْضًا

وَقَالَ الْبِرْزَالِيُّ: كَانَ شَدِيدًا فِي الْأَحْكَامِ مُتَحَرِّيًا، وَقَدْ أُلْزِمَ بِالْمُقَامِ بِمِصْرَ، فَدَرَّسَ بِجَامِعِ مِصْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ، فَدَرَّسَ بِالْأَمِينِيَّةِ وَالرُّكْنِيَّةِ، وَبَاشَرَ قَضَاءَ حَلَبَ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ، وَوَلَّاهُ سَنْجَرُ قَضَاءَ دِمَشْقَ، ثُمَّ عُزِلَ بِابْنِ خَلِّكَانَ كَمَا تَقَدَّمَ،

وكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٨٠هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

٦- **الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الشَّاغُورِيُّ الْمُوَلَّهُ الْمَعْرُوفُ** بِالْجَيْعَانَةِ، كَانَ مَشْهُورًا بِدِمَشْقَ، وَيُذْكَرُ لَهُ أَحْوَالٌ وَمُكَاشَفَاتٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَوَامِّ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَلَا يَصُومُ مَعَ النَّاسِ، وَمَعَ هَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ وَغَيْرِهِمْ يَعْتَقِدُونَهُ! تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٨٠هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَةِ الْمُوَلَّهِينَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٧- **قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ** الْحُسَيْنِ بْنِ رَزِينٍ الْعَامِرِيُّ الْحَمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٠٣هـ)، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَانْتَفَعَ بِالشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ

الصَّلَاحِ، وَأَمَّ بِدَارِ الْحَدِيثِ مُدَّةً، وَدَرَّسَ بِالشَّامِيَّةِ، وَوَلِي وِكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ فَدَرَّسَ بِهَا بِعِدَّةِ مَدَارِسَ، وَوَلِي الْحُكْمَ بِهَا، وَكَانَ مَشْكُورًا، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ ثَالِثَ رَجَبٍ مِنْ سنة (٦٨٠هـ)، وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ.

٨- **الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ**، الْحَاسِبُ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ لَهُ مَكْتَبٌ تَحْتَ مَنَارَةِ فَيْرُوزَ، وَقَدِ انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ **شَيْخَ الْحِسَابِ** فِي وَقْتِهِ، توفي سنة (٦٨٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَتِيقِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَشِيقٍ الرَّبَعِيُّ الْمَالِكِيُّ الْمِصْرِيُّ

وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ، وَقَدْ كَانَ فَقِيهًا مُفْتِيًا، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٩- **الصَّدْرُ الْكَبِيرُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْلِمِ بْنِ مَكِّيِّ بْنِ خَلَفِ بْنِ عَلَّانَ الْقَيْسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٥٩٤هـ)، وَكَانَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الْكِبَارِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ، وَقَدْ وَلِيَ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بِدِمَشْقَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكِتَابَةِ الْحَدِيثِ، وَكَانَ يَكْتُبُ سَرِيعًا؛ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ **ثَلَاثَ كَرَارِيسَ**، وَقَدْ أَسْمَعَ "مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَحَدَّثَ "بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ" "وَجَامِعِ التِّرْمِذِيِّ" وَغَيْرِ ذَلِكَ، **وَسَمِعَ مِنْهُ الْبِرْزَالِيُّ، وَالْمِزِّيُّ، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ**، توفي يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٨٠هـ)، عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا.

١٠- **بُرْهَانُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ** أَبِي الْفِدَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ الرَّضِيِّ الْحَنَفِيُّ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ، إِمَامُ الْعِزِّيَّةِ بِالْكُشْكِ، وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمُ الْكِنْدِيُّ، وَابْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ، وَلَكِنْ لَمْ يَظْهَرْ سَمَاعُهُ مِنْهُمَا إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَقَدْ أَجَازَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ، وَعَفِيفَةُ الْفَارِقَانِيَّةِ، وَابْنُ الْمُنَادِي، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُحِبًّا لِإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ كَثِيرَ الْبِرِّ بطلاب الحديث، وَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ

جَمَالُ الدِّينِ الْمِزِّيُّ "مُعْجَمَ الطَّبَرَانِيِّ الْكَبِيرِ"، وَسَمِعَهُ مِنْهُ بِقِرَاءَةِ الْحَافِظِ الْبِرْزَالِيِّ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ، وَتُوُفِّيَ بعد قدومه من الحج، يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعَ صَفَرٍ سنة (٦٨١) بِدِمَشْقَ.

١١- زَيْنُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ **عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ الزَّوَاوِيُّ الْمَالِكِيُّ**، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْقُرَّاءِ، قَاضِي قُضَاةِ الْمَالِكِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَاشَرَ الْقَضَاءَ بِهَا، وَعَزَلَ نَفْسَهُ عَنْهُ تَوَرُّعًا وَزَهَادَةً، وَاسْتَمَرَّ بِلَا وِلَايَةٍ ثَمَانِ سِنِينَ، وسَمِعَ الْحَدِيثَ، وكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ رَجَبٍ سنة (٦٨١هـ) عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

١٢-**ابْنُ خَلِّكَانَ قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ** الْإِرْبِلِيُّ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْفُضَلَاءِ، وَالسَّادَةِ الْعُلَمَاءِ، وَالصُّدُورِ الرُّؤَسَاءِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جُدِّدَ فِي أَيَّامِهِ قَضَاءُ الْقُضَاةِ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، فَاسْتَقَلُّوا بِالْأَحْكَامِ، بَعْدَمَا كَانُوا نُوَّابًا لَهُ، وَقَدْ كَانَ الْمَنْصِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الصَّائِغِ دُوَلًا؛ يُعْزَلُ هَذَا تَارَةً، وَيُوَلَّى هَذَا، وَيُعْزَلُ هَذَا، وَيُوَلَّى هَذَا، وَقَدْ دَرَّسَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ لَمْ تُجْمَعْ لِغَيْرِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ فِي آخِرِ وَقْتِهِ سِوَى الْأَمِينِيَّةِ، وَبِيَدِ ابْنِهِ كَمَالِ الدِّينِ مُوسَى النَّجِيبِيَّةُ.

تُوُفِّيَ ابْنُ خَلِّكَانَ يَوْمَ السَّبْتِ آخِرَ النَّهَارِ، فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٦٨١هـ)، عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ يَنْظِمُ نَظْمًا حَسَنًا رَائِقًا، وَقَدْ كَانَتْ مُحَاضَرَتُهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَلَهُ التَّارِيخُ الْمُفِيدُ الَّذِي رَسَمَهُ "بِوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ" مِنْ أَبْدَعِ الْمُصَنَّفَاتِ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

١٣-**شَيْخُ الْجَبَلِ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ** ابْن قُدَامَةَ الْحَنْبَلِيُّ، أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ قَضَاءَ الْحَنَابِلَةِ بِدِمَشْقَ - ثُمَّ تَرَكَهُ وَتَوَلَّاهُ ابْنُهُ نَجْمُ الدِّينِ - وَتَدْرِيسَ الْأَشْرَفِيَّةِ بِالْجَبَلِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ وَأَكْثَرِهِمْ دِيَانَةً فِي عَصْرِهِ وَأَمَانَةً، مَعَ هَدْيٍ صَالِحٍ وَسَمْتٍ حَسَنٍ وَخُشُوعٍ وَوَقَارٍ.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ سَلْخَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٨٢هـ)، عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ وَالِدِهِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

١٤- **ابْنُ جَعْوَانَ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ جَعْوَانَ الْأَنْصَارِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْبَارِعُ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، سَمِعْتُ شَيْخَنَا تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ وَشَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْحَجَّاجِ الْمِزِّيَّ يَقُولُ كُلٌّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَرَأَ " مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " - وَهُمَا يَسْمَعَانِ - فَلَمْ نَضْبِطْ عَلَيْهِ لَحْنَةً مُتَّفَقًا عَلَيْهَا. وَنَاهِيكَ بِهَذَيْنِ ثَنَاءً عَلَى هَذَا، وَهُمَا هُمَا. تُوُفِّيَ سنة (٦٨٢هـ).

١٥- الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ **عَبْدُ الْحَلِيمِ بْنُ مَجْدِ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** الْحَرَّانِيُّ، وَالِدُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ الْعَلَمِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ: مُفْتِي الْفِرَقِ، الْفَارِقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ حَسَنَةٌ: **وَلَدَيْهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ**: وَكَانَ لَهُ كُرْسِيٌّ بِجَامِعِ دِمَشْقَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ السُّكَّرِيَّةِ بِالْقَصَّاعِينَ، وَبِهَا كَانَ مَسْكَنُهُ، ثُمَّ دَرَّسَ وَلَدُهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بِهَا بَعْدَهُ، تُوُفِّيَ سنة (٦٨٢هـ)، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦- **الْقَاضِي عِزُّ الدِّينِ أَبُو الْمَفَاخِرِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ** عَبْدِ الْقَادِرِ الْأَنْصَارِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، وَلِيَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ مَرَّتَيْنِ، عُزِلَ بِهِ ابْنُ خَلِّكَانَ، ثُمَّ عُزِلَ بِابْنِ خَلِّكَانَ، ثُمَّ عُزِلَ ابْنُ خَلِّكَانَ بِهِ ثَانِيَةً، ثُمَّ عُزِلَ وَسُجِنَ، وَوُلِّيَ بَعْدَهُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ، وَبَقِيَ مَعْزُولًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِبُسْتَانِهِ فِي تَاسِعِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٨٣هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ (٦٢٨هـ)،

وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، لَهُ عَقْلٌ وَتَدْبِيرٌ وَاعْتِقَادٌ كَثِيرٌ فِي الصَّالِحِينَ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَخَرَّجَ لَهُ ابْنُ بَلَبَانَ مَشْيَخَةً قَرَأَهَا ابْنُ جَعْوَانَ عَلَيْهِ.

١٧- **الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورٍ الْبَيْسَانِيُّ** الشَّافِعِيُّ، تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سنة (٦٨٣هـ) وَكَانَ فَاضِلًا، وَلِيَ قَضَاءَ زُرْعَ، ثُمَّ قَضَاءَ حَلَبَ، ثُمَّ نَابَ فِي دِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالرَّوَاحِيَّةِ.

١٨-**الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ الزَّوَاوِيُّ**، قَاضِي قُضَاةِ الْمَالِكِيَّةِ، وَمُدَرِّسُهُمْ بَعْدَ الْقَاضِي زَيْنِ الدِّينِ الزَّوَاوِيِّ الَّذِي عَزَلَ نَفْسَهُ، وَقَدْ كَانَ يَنُوبُ عَنْهُ، فَاسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْحُكْمِ، تُوُفِّيَ فِي الْخَامِسِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٨٣هـ)، وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا، قَلِيلَ التَّكْلِيفِ وَالتَّكَلُّفِ، وَقَدْ شَغَرَ الْمَنْصِبُ بَعْدَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ لِلْمَالِكِيَّةِ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ الشَّرِيشِيُّ، وَبَعْدَهُ أَبُو إِسْحَاقَ اللَّوْرِيُّ، وَبَعْدَهُ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ التُّونُسِيُّ، ثُمَّ لَمَّا وَصَلَ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ سُلَيْمَانَ حَاكِمًا دَرَّسَ بِالْمَدَارِسِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

١٩-**الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَدَّادٍ**، تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سنة (٦٨٤هـ)، وَكَانَ فَاضِلًا مَشْهُورًا، لَهُ كِتَابُ "سِيرَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ"، وَكَانَ مُعْتَنِيًا بِالتَّارِيخِ.

٢٠-**الْبُنْدُقْدَارُ**، أُسْتَاذُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ **عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدِيكِينُ** الْبُنْدُقْدَارُ الصَّالِحِيُّ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ، سَامَحَهُ اللهُ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٨٤هـ)، وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ صَادَرَ الْبُنْدُقْدَارَ هَذَا، وَأَخَذَ مِنْهُ مَمْلُوكَهُ بَيْبَرْسَ، فَأَضَافَهُ إِلَيْهِ لِشَهَامَتِهِ وَنَهْضَتِهِ، فَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ عَلَى أُسْتَاذِهِ وَغَيْرِهِ.

٢١-**ابْنُ عَامِرٍ الْمُقْرِئُ**، الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُقْرِئُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْحَنْبَلِيُّ، الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمِيعَادُ الْكَبِيرُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ يَعْمَلُ الْمِيعَادَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ ذَلِكَ دَعَا بِهِمْ ثُمَّ وَعَظَهُمْ. تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ حَادِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٨٤هـ).

٢٢-**الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُحْمَانَ الْبَكْرِيُّ الشَّرِيشِيُّ الْمَالِكِيُّ، الْإِمَامُ الْعَالِمُ، وُلِدَ **بِشَرِيشَ**(١) سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ، وَرَحَلَ

(١) شريش: أوله مثل آخره بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت مدينة كبيرة من كورة شذونة بالأندلس. معجم البلدان - الفكر (٣/ ٣٤٠)

إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ مِنَ الْمَشَايِخِ: الْقَطِيعِيِّ وَابْنِ زَوْرَبَةَ، وَابْنِ اللَّتِّيِّ، وَغَيْرِهِمْ، وَاشْتَغَلَ وَحَصَّلَ وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ، فَدَرَّسَ بِالْفَاضِلِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْقُدْسِ شَيْخَ الْحَرَمِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى دِمَشْقَ، فَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ بِتُرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ، وَمَشْيَخَةَ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِالسَّفْحِ، وَمَشْيَخَةَ الْمَالِكِيَّةِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فَلَمْ يَقْبَلْ. تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ بِالرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِقَاسِيُونَ سنة (٦٨٥هـ) وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً جِدًّا.

٢٣-**قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْفَضْلِ يُوسُفُ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ** الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّكِيِّ الشَّافِعِيُّ، كَانَ فَاضِلًا مُبَرَّزًا، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ مِنْ بَنِي الزَّكِيِّ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ حَادِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٨٥هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

٢٤-**يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ أَبُو يُوسُفَ الْمَرِينِيُّ**، سُلْطَانُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، خَرَجَ عَلَى الْوَاثِقِ بِاللهِ أَبِي دَبُّوسٍ، فَسَلَبَهُ الْمُلْكَ بِظَاهِرِ مُرَّاكِشَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ إِلَى مُحَرَّم سنة (٦٨٥هـ)، وَزَالَتْ عَلَى يَدَيْهِ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ بِهَا.

٢٥-**الْبَيْضَاوِيُّ، الْقَاضِي الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ نَاصِرُ الدِّينِ** عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الشِّيرَازِيُّ، قَاضِيهَا وَعَالِمُهَا وَعَالِمُ أَذْرَبِيجَانَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، مَاتَ بِتَبْرِيزَ سَنَةَ (٦٨٥هـ)، وَمِنْ **مُصَنَّفَاتِهِ** "الْمِنْهَاجُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ"، وَهُوَ مَشْهُورٌ، وَقَدْ شَرَحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَلَهُ "شَرْحُ التَّنْبِيهِ" فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ، وَلَهُ "الْغَايَةُ الْقُصْوَى فِي دِرَايَةِ الْفَتْوَى"، وَ"شَرْحُ الْمُنْتَخَبِ"، وَ"الْكَافِيَةُ فِي الْمَنْطِقِ"، وَلَهُ "الطَّوَالِعُ"، وَ"شَرْحُ الْمَحْصُولِ" أَيْضًا، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

٢٦-**الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ** الْإِمَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْقَيْسِيُّ التَّوْزَرِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقَسْطَلَانِيِّ، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، وُلِدَ

سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَحَصَّلَ عُلُومًا، وَكَانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ صَارَ إِلَى مِصْرَ، فَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ مُحَبَّبًا إِلَى النَّاسِ، تُوُفِّيَ فِي آخِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٦٨٦هـ) وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ الْكُبْرَى، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ. ٢٧- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ عِزُّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ الصَّيْقَلِ الْحَرَّانِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، ثُمَّ اسْتَوْطَنَ مِصْرَ حَتَّى تُوُفِّيَ بِهَا فِي رَابِعَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٦٨٦هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ.

وَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ الْحَافِظُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ لَمَّا رَحَلَ إِلَى مِصْرَ فِي سَنَةِ (٦٨٤هـ)، وَحَكَى عَنْهُ أَنَّهُ شَهِدَ جِنَازَةً فِي بَغْدَادَ فَتَبِعَهُمْ **نَبَّاشٌ**، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَ إِلَى ذَلِكَ الْقَبْرِ فَفَتَحَ عَنِ الْمَيِّتِ، وَكَانَ الْمَيِّتُ شَابًّا قَدْ **أَصَابَتْهُ سَكْتَةٌ**، فَلَمَّا فَتَحَ الْقَبْرَ نَهَضَ ذَلِكَ الشَّابُّ الْمَيِّتُ جَالِسًا، فَسَقَطَ النَّبَّاشُ مَيِّتًا فِي الْقَبْرِ، وَخَرَجَ الشَّابُّ مِنْ قَبْرِهِ إِلَى أَهْلِهِ.

وَحَكَى لَهُ قَالَ: كُنْتُ مَرَّةً بِقَلْيُوبَ، وَبَيْنَ يَدَيَّ صُبْرَةُ قَمْحٍ، فَجَاءَ زُنْبُورٌ فَأَخَذَ وَاحِدَةً ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ جَاءَ فَأَخَذَ أُخْرَى ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ جَاءَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً أُخْرَى أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَاتَّبَعْتُهُ، فَإِذَا هُوَ يَضَعُ الْحَبَّةَ فِي فَمِ عُصْفُورٍ أَعْمَى بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْجَارِ الَّتِي هُنَاكَ.

٢٨- **الْإِمَامُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الزَّكَاءِ** عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيُّ من ذرية عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرِيِّ، خَطِيبُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنَ الصُّلَحَاءِ الْكِبَارِ، مَجْمُوعًا عَنِ النَّاسِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ مَهِيبًا، عَزِيزَ النَّفْسِ يُفْتِي النَّاسَ، وَيَذْكُرُ التَّفْسِيرَ مِنْ حِفْظِهِ فِي الْمِحْرَابِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنَ الْأَخْيَارِ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٠٣هـ) وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعِ رَمَضَانَ سنة (٦٨٧هـ) عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

٢٩- **الْحَكِيمُ الرَّئِيسُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْحَزْمِ بْنِ نَفِيسٍ**، شَرَحَ "الْقَانُونَ" لِابْنِ سِينَا، وَصَنَّفَ "الْمُوجَزَ" وَغَيْرَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَكَانَ يَكْتُبُ مِنْ حِفْظِهِ، وَكَانَ اشْتِغَالُهُ عَلَى ابْنِ الدَّخْوَارِيِّ، وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٦٨٧هـ).

٣٠-**الشَّـيْخُ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخ** جَمالِ الدِّينِ بْنِ مَالِكٍ النَّحْوِيُّ، شَـارِحُ " الْأَلْفِيَّةِ " الَّتِي عَمِلَهَا أَبُوهُ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الشُّرُوحِ وَأَكْثَرِهَا فَوَائِدَ، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًـا فَاضِـلًا، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّامِنِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سـنة (٦٨٧هـ) وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِبَابِ الصَّغِيرِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

٣١-**عَلَمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُـفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شُـكْرٍ**، كَانَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَرِيَاسَـةٍ، وَقَدْ دَرَّسَ فِي بَعْضِ الْمَدَارِسِ، وَكَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ وَرِيَاسَةٌ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْحَرْفَشَـةِ **وَصُحْبَةِ الْحَرَافِيشِ** (١) وَالتَّشَـبُّهِ بِهِمْ فِي اللِّبَاسِ وَالطَّرِيقَةِ، وَأَكْلِ الْحَشِـيشِ، وَاسْتَعْمَلَ مَا كَانَ مِنْ إِلْفِهِمْ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ (٢).

وَقَدْ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ فُضَلَاءُ يَنْهَوْنَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٦٨٨هـ).

٣٢-**شَـمْسُ الدِّيـنِ الْأَصْبَهَانِيُّ**، مُحَمَّدُ بْـنُ مَحْمُودِ بْـنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ السَّـلْمَانِيُّ الْعَلَّامَة، شَـارِحُ " الْمَحْصُولِ " قَدِمَ دِمَشْـقَ بَعْدَ الْخَمْسِـينَ وَسِـتِّمِائَةٍ، وَنَاظَـرَ الْفُقَهَاءَ، وَاشْـتُهِرَتْ فَضَائِلُهُ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَشَـرَحَ " الْمَحْصُولَ " لِلرَّازِيِّ، وَصَنَّفَ الْقَوَاعِدَ فِـي أَرْبَعَةِ فُنُونٍ؛ أُصُولِ الْفِقْـهِ، وَأُصُولِ الدِّينِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْخِـلَافِ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْمَنْطِـقِ وَالنَّحْـوِ وَالْأَدَبِ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ، فَدَرَّسَ بِمَشْـهَدِ الْحُسَـيْنِ وَالشَّـافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ، تُوُفِّيَ فِي الْعِشْـرِينَ مِنْ رَجَبٍ سـنة (٦٨٨هـ) فِي الْقَاهِرَةِ، عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٣٣-**الشَّـيْخُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُوسُفَ الْبَعْلَبَكِّيُّ** الْحَنْبَلِيُّ، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ، وَمَشْـهَدِ ابْنِ عُرْوَةَ، وَشَـيْخُ الصَّدْرِيَّـةِ، كَانَ يُفْتِي وَيُفِيدُ النَّاسَ مَعَ

---

(١) الحرافيش: وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة، وإنّما وصف الحرافيش بالدعارة؛ لشدّة جرأتهم وجسارتهم وتجاوزهم الحدّ في التعامل. رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي (١/ ٣٠).

(٢) هـذا من الانتكاسـات التـي يصاب بها بعض الناس-نسـأل الله العافية-لضعف اليقيـن بالله، والتصديق بموعوده.

دِيانَةٍ وَصَلَاحٍ وَزَهَادَةٍ وَعِبَادَةٍ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (٦٨٨هـ).

٣٤- **الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ طُرُنْطَايُ**، نَائِبُ السُّلْطَان الملك الْمَنْصُور بِمِصْرَ، أَخَذَهُ **الْأَشْرَفُ** فَسَجَنَهُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ثُمَّ قَتَلَهُ سنة (٦٨٩هـ)، وَبَقِيَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَا يُدْرَى بِهِ، ثُمَّ لُفَّ فِي حَصِيرٍ وَأُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ، وَحَنَّ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ، فَكُفِّنَ كَآحَادِ الْفُقَرَاءِ بَعْدَ النَّعِيمِ الْكَثِيرِ، وَالدُّنْيَا الْمُتَّسِعَةِ، وَالْكَلِمَةِ النَّافِذَةِ، وَقَدْ أَخَذَ السُّلْطَانُ الأشرف مِنْ حَوَاصِلِهِ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعِينَ قِنْطَارًا بِالْمِصْرِيِّ فِضَّةً، وَمِنَ الْجَوَاهِرِ شَيْئًا كَثِيرًا، سِوَى الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْجِمَالِ وَالْأَمْتِعَةِ وَالْبُسُطِ الْجِيَادِ، وَالْأَسْلِحَةِ الْمُثَمَّنَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْلَاكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ أَحَدُهُمَا أَعْمَى، وَقَدْ دَخَلَ هَذَا الْأَعْمَى عَلَى الْأَشْرَفِ، فَوَضَعَ الْمِنْدِيلَ عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ: شَيْءٌ لِلَّهِ. وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ لَهُمْ أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ، فَرَقَّ لَهُ وَأَطْلَقَ لَهُمُ الْأَمْلَاكَ يَأْكُلُونَ مِنْ رِيعِهَا، فَسُبْحَانَ اللهِ الْمُتَصَرِّفِ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

٣٥- **الْعَلَّامَةُ رَشِيدُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَسْعُودٍ الْفَارِقِيُّ الشَّافِعِيُّ**، مُدَرِّسُ الظَّاهِرِيَّةِ، تُوُفِّيَ سنة (٦٨٩هـ) وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، وُجِدَ مَخْنُوقًا فِي الْمُحَرَّمِ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ مُنْفَرِدًا فِي فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا النَّحْوُ وَالْأَدَبُ وَحَلُّ الْمُتَرْجَمِ وَالْكِتَابَةُ وَالْإِنْشَاءُ وَعِلْمُ الْفَلَكِ وَالنُّجُومِ وَضَرْبُ الرَّمْلِ وَالْحِسَابُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ.

الْخَطِيبُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَافِي بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي الرَّبَعِيُّ تُوُفِّيَ بِدَارِ الْخَطَابَةِ، وَحَضَرَ النَّاسُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ يَوْمَ السَّبْتِ سَلْخَ جُمَادَى الْأُولَى، وَحُمِلَ إِلَى السَّفْحِ، فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ الشَّيْخِ يُوسُفَ الْفُقَاعِيِّ.

٣٦- **الْحَاجُّ طَيْبَرْسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَلَاءُ الدِّينِ الْوَزِيرِيُّ**، صِهْرُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ ذَوِي الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَكَانَ دَيِّنًا كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، لَهُ خَانٌ بِدِمَشْقَ أَوْقَفَهُ فِي

فِكَاكِ الْأَسْرَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ تُصْرَفُ عَلَى الْجُنْدِ بِالشَّامِ وَمِصْرَ، فَحَصَلَ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ خَمْسُونَ دِرْهَمًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٨٩هـ).

٣٧- **أَرْغُونُ بْنُ أَبْغَا مَلِكُ التَّتَرِ**، كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا سَفَّاكًا لِلدِّمَاءِ، قَتَلَ عَمَّهُ السُّلْطَانَ أَحْمَدَ بْنَ هُولَاكُو، فَعَظُمَ فِي أَعْيُنِ الْمَغُولِ، فَلَمَّا كَانَ فِي سنة (٦٩٠هـ) مَاتَ مِنْ شَرَابٍ شَرِبَهُ فِيهِ سُمٌّ، فَاتَّهَمَتِ الْمَغُولُ الْيَهُودَ بِهِ - وَكَانَ وَزِيرُهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ الصَّيْفِيِّ يَهُودِيًّا - فَقَتَلُوا مِنَ الْيَهُودِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جِدًّا فِي جَمِيعِ مَدَائِنِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يُقِيمُونَهُ بَعْدَهُ، فَمَالَتْ طَائِفَةٌ إِلَى **كَيْخَتُو**، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، فَبَقِيَ مُدَّةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَّكُوا بَعْدَهُ **بَيْدَرَا**، وَجَاءَ الْخَبَرُ بِوَفَاةِ **أَرْغُونَ** إِلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ عَكَّا، فَفَرِحَ بِذَلِكَ كَثِيرًا، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِ أَرْغُونَ ثَمَانِ سِنِينَ، وَقَدْ وَصَفَهُ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْعِرَاقِ بِالْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ الْجَيِّدَةِ.

٣٨- **أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَقْدِسِيُّ** الْحَنْبَلِيُّ الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ الْبُخَارِيِّ**، الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ الرُّحَلَةُ، وُلِدَ فِي مُسْتَهَلِّ سَنَةِ (٥٩٦هـ)، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ مَعَ أَهْلِهِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا نَاسِكًا، تَفَرَّدَ بِرِوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ لِطُولِ عُمْرِهِ، وَخَرَجَتْ لَهُ مَشْيَخَاتٌ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ، وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَكَانَ منتصبًا لِذَلِكَ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ مِنْهُ قَوْلُهُ:

تَكَرَّرَتِ السُّنُونُ عَلَيَّ حَتَّى ... بَلِيتُ وَصِرْتُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وَقَلَّ النَّفْعُ عِنْدِي غَيْرَ أَنِّي ... أُعَلِّلُ بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ
فَإِنْ يَكُ خَالِصًا فَلَهُ جَزَاءٌ ... وَإِنْ يَكُ مَالِقًا فَإِلَى ضَيَاعِ

تُوُفِّيَ فِي ثَانِي رَبِيعٍ الْآخِرِ مِنْ سنة (٦٩٠هـ) عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

٣٩- **الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ**، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِبَاعٍ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ، وَهُوَ وَالِدُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ بُرْهَانِ الدِّينِ، وكَانَ

مَوْلِدُه سَنَةِ (٦٣٠هـ) وَتُوُفِّيَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ (٦٩٠هـ) بِالْمَدْرَسَةِ الْبَاذَرَائِيَّةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ بِالجامع الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَ يَوْمًا شَدِيدَ الزِّحَام.

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ فُنُونٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْأَخْلَاقِ اللَّطِيفَةِ، وَفَصَاحَةِ الْمَنْطِقِ، وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، وَفِقْهِ النَّفْسِ، وَكِتَابُهُ "**الْإِقْلِيدُ**" الَّذِي جَمَعَهُ عَلَى أَبْوَابِ "**التَّنْبِيهِ**" وَصَلَ فِيهِ إِلَى بَابِ الْغَصْبِ، دَلِيلٌ عَلَى فِقْهِ نَفْسِهِ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ، وَقُوَّةِ هِمَّتِهِ، وَنُفُوذِ نَظَرِهِ، وَاتِّصَافِهِ بِالِاجْتِهَادِ الصَّحِيحِ فِي غَالِبِ مَا سَطَرَهُ، وَقَدِ انْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ، وَلَهُ "اخْتِصَارُ الْمَوْضُوعَاتِ" لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَهُوَ عِنْدِي بِخَطِّهِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَحَضَرَ عِنْدَ ابْنِ الزَّبِيدِيِّ "صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ".

وَخَرَّجَ لَهُ الْحَافِظُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ مَشْيَخَةً فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ عَنْ مِائَةِ شَيْخٍ.

٤٠- **عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ كَمَالِ** الدِّينِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْأَنْصَارِيُّ **الزَّمَلْكَانِيُّ**، مُدَرِّسُ الْأَمِينِيَّةِ، **وَهُوَ وَالِدُ شَيْخِنَا** كَمَالِ الدِّينِ الزَّمَلْكَانِيِّ، وَكَانَتْ وَفَاته لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٦٩٠هـ) بِالْأَمِينِيَّةِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ عِنْدَ وَالِدِهِ.

٤١- **الْعَفِيفُ التِّلْمِسَانِيُّ**، أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيُّ، الشَّاعِرُ الْمُتْقِنُ فِي عُلُومٍ؛ مِنْهَا النَّحْوُ وَالْأَدَبُ وَالْفِقْهُ وَالْأُصُولُ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ، وَلَهُ شَرْحُ "**مَوَاقِفِ النِّفَّرِيِّ**"، وَشَرَحَ **أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَى**"، وَلَهُ دِيوَانٌ مَشْهُورٌ، وَقَدْ نُسِبَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى عَظَائِمَ فِي الْأَقْوَالِ وَالِاعْتِقَادِ فِي الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، وَالزَّنْدَقَةِ، وَالْكُفْرِ الْمَحْضِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ خَامِسِ رَجَبٍ سنة (٦٩٠هـ)، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ عَمِلَ أَرْبَعِينَ خَلْوَةً، كُلُّ خَلْوَةٍ أَرْبَعُونَ يَوْمًا مُتَتَابِعَةٌ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

٤٢- الصَّاحِبُ فَتْحُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ

كَاتِبُ الْأَسْرَارِ فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُور **قلاوون** بَعْدَ ابْنِ لُقْمَانَ، وَكَانَ مَاهِرًا فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ وَحَظِيَ عِنْدَ الْمَنْصُورِ قلاوون، وَكَذَا عِنْدَ ابْنِهِ الْأَشْرَفِ، وَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ **ابْنُ السَّلْعُوسِ** أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ كُلَّ مَا يَكْتُبُهُ، فَقَالَ: هَذَا لَا يُمْكِنُ، فَإِنَّ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُمْ، وَأَبْصِرُوا لَكُمْ غَيْرِي، يَكُونُ مَعَكُمْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْرَفَ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَازْدَادَتْ عِنْدَهُ مَنْزِلَتُهُ. تُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ نِصْفَ رَمَضَانَ (٦٩١هـ).

٤٣- **جَلَالُ الدِّينِ الْخَبَّازِيُّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ**، أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُجَنْدِيُّ، أَحَدُ مَشَايِخِ **الْحَنَفِيَّةِ** الْكِبَارِ، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، مِنْ بَلَدٍ يُقَالُ لَهَا: خُجَنْدَةُ. وَاشْتَغَلَ هُنَاكَ وَدَرَّسَ بِخُوَارِزْمَ، وَأَعَادَ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَدَرَّسَ بِالْعِزِّيَّةِ وَالْخَاتُونِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا مُنْصِفًا، مُصَنِّفًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، تُوُفِّيَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٩١هـ)، وَلَهُ ثِنْتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ.

٤٤- **الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الْوَاسِطِيُّ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَضْلٍ الْوَاسِطِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، شَيْخُ الْحَدِيثِ بِالظَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشْقَ، تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٦٩٢هـ) عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا، تَفَرَّدَ بِعُلُوِّ الرِّوَايَةِ، وَلَمْ يَخْلُفْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَقَدْ تَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَدَرَّسَ **بِالصَّاحِبَةِ** مُدَّةَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَبِمَدْرَسَةِ أَبِي عُمَرَ، وَوَلِيَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ بِالظَّاهِرِيَّةِ، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى مَذْهَبِ السلف، والصدر الأول، ويأمر بالمعروف، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى.

٤٥- مُحْيِي الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ بْنِ نَشْوَانَ **بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ السَّعْدِيُّ**، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَآخِرُ مَنْ بَرَزَ فِي هَذَا الْفَنِّ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَسَبَقَ سَائِرَ أَقْرَانِهِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ مِنْهَا " سِيرَةُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ "، وَكَانَ ذَا مُرُوءَةٍ، وَلَهُ النَّظْمُ الْفَائِقُ وَالنَّثْرُ الرَّائِقُ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ رَابِعَ رَجَبٍ سنة (٦٩٢هـ) وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِالْقَرَافَةِ.

٤٦ -**الْخَاتُونُ مُؤْنِسَةُ بِنْتُ السُّلْطَانِ** الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، وُلِدَتْ سَنَةَ (٦٠٣هـ)، وَرَوَتْ بِالْإِجَازَةِ عَنْ عَفِيفَةَ الْفَارِفَانِيَّةِ، وَعَنْ عَيْنِ الشَّمْسِ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ الثَّقَفِيَّةِ، تُوُفِّيَتْ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٦٩٣هـ) بِالْقَاهِرَةِ، وَدُفِنَتْ بِبَابِ زُوَيْلَةَ.

٤٧ -**الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ الْأَعْمَى**، عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدِكِينُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الصَّالِحِيُّ النَّجْمِيُّ، **نَاظِرُ الْقُدْسِ**، وَبَانِي كَثِيرًا مِنْ مَعَالِمِهِ، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، فَلَمَّا أَضَرَّ أَقَامَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَوَلِيَ نَظَرَهُ، فَعَمَّرَهُ وَثَمَّرَهُ، وَكَانَ مَهِيبًا لَا تُخَالَفُ مَرَاسِيمُهُ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْمَطْهَرَةَ قَرِيبًا مِنْ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهَا فِي الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ، وَوَجَدَ بِهَا النَّاسُ تَيْسِيرًا، وَأَنْشَأَ بِالْقُدْسِ رُبُطًا كَثِيرَةً، وَآثَارًا حَسَنَةً، وَكَانَ يُبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ، وَلَهُ حُرْمَةٌ وَافِرَةٌ، تُوُفِّيَ فِي شَوَّالٍ سنة (٦٩٣هـ).

٤٨ -**الْوَزِيرُ** شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الرِّجَالِ التَّنُوخِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّلْعُوسِ، وَزِيرُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ**، مَاتَ تَحْتَ الضَّرْبِ الَّذِي جَاوَزَ أَلْفَ مِقْرَعَةٍ، فِي عَاشِرِ صَفَرٍ مِنْ سنة (٦٩٣هـ)، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ.

وَكَانَ ابْتِدَاءَ أَمْرِهِ تَاجِرًا، ثُمَّ وَلِيَ الْحِسْبَةَ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ كَانَ يُعَامِلُ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ قَبْلَ السَّلْطَنَةِ، فَظَهَرَ مِنْهُ عَلَى عَدْلٍ وَصِدْقٍ، فَلَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ اسْتَدْعَاهُ مِنَ الْحَجِّ فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ، **وَكَانَ يَتَعَاظَمُ عَلَى أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، وَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَلَا يَقُومُ لَهُمْ**، فَلَمَّا قُتِلَ الْأَشْرَفُ تَسَلَّمُوهُ بِالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، حَتَّى أَعْدَمُوهُ، وَأَسْكَنُوهُ الثَّرَى بَعْدَ أَنْ كَانَ عِنْدَ نَفْسِهِ قَدْ بَلَغَ الثُّرَيَّا، وَلَكِنْ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنَّهُ مَا رَفَعَ شَيْئًا إِلَّا وَضَعَهُ.

٤٩ - **الشَّيْخُ مُحِبُّ الدِّينِ الطَّبَرِيُّ الْمَكِّيُّ الشَّافِعِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَصَنَّفَ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ ذَلِكَ كِتَابُ "الْأَحْكَامِ" فِي مُجَلَّدَاتٍ، وَلَهُ كِتَابٌ عَلَى تَرْتِيبٍ "جَامِعِ الْمَسَانِيدِ" أَسْمَعَهُ لِصَاحِبِ الْيَمَنِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (٦١٥هـ) وتوفي بِمَكَّةَ سنة (٦٩٤هـ)، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ، فَمِنْهُ

قَصِيدَتُـهُ فِي الْمَنَازِلِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّـةَ وَالْمَدِينَةِ تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ بَيْتٍ، كَتَبَهَا عَنْهُ الْحَافِظُ شَرَفُ الدِّينِ الدِّمْيَاطِيُّ فِي " مُعْجَمِهِ ".

٥٠ -**الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ صَاحِبُ الْيَمَنِ**، يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَسُولٍ، كَانَ أَبُوهُ قَدْ وَلِيَ اليمن بَعْدَ الْمَلِكِ أَقْسِيس بْنِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ رَسُولٍ مُقَدَّمَ عَسَاكِرِ أَقْسِيسَ، فَلَمَّا مَاتَ أَقِسِيسُ، وَثَبَ عَلَى الْمَلِكِ، فَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ، وَتَسَمَّى بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَاسْتَمَرَّ أَزْيَدَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، **ثُمَّ ابْنُهُ الْمُظَفَّرُ** سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْمُلْكِ وَلَدُهُ الْمَلِكُ **الْأَشْرَفُ**، فَلَمْ يَمْكُثْ سَنَةً حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ قَامَ أَخُوهُ **دَاوُدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ**، فَاسْتَمَرَّ فِي الْمُلْكِ مُدَّةً، وَكَانَتْ وَفَاته فِي رَجَبٍ مِنْ سنة (٦٩٤هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَكَانَ يُحِبُّ الْحَدِيثَ وَيَسْمَعُهُ، وَجَمَعَ لِنَفْسِهِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا.

٥١ - **شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ** كَمَالِ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمُدَرِّسُ الْمُفْتِي، وُلِدَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ نِيَابَةً، وَالتَّدْرِيسَ، وَالْخَطَابَةَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ مُدَرِّسَ الْغَزَّالِيَّةِ وَدَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ مَعَ الْخَطَابَةِ، وَدَرَّسَ فِي وَقْتٍ بِالشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ.

وَأَذِنَ فِي الْإِفْتَاءِ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفُضَلَاءِ: مِنْهُمُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ **ابْنُ تَيْمِيَةَ**، وَكَانَ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ وَيَفْرَحُ بِهِ وَيَقُولُ: أَنَا أَذِنْتُ لِابْنِ تَيْمِيَةَ بِالْإِفْتَاءِ.

وَكَانَ يُتْقِنُ فُنُونًا كَثِيرَةً مِنَ الْعُلُومِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سنة (٦٩٤هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ.

٥٢ -**الْجَمَّالُ الْمُحَقِّقُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الدِّمَشْقِيُّ**، اشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَبَرَعَ فِيهِ، وَأَفْتَى وَأَعَادَ، وَكَانَ فَاضِلًا فِي الطِّبِّ، وَقَدْ وَلِيَ مَشْيَخَةَ **الدَّخْوَارِيَّةِ** لِتَقَدُّمِهِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ عَلَى غَيْرِهِ، وَعَادَ الْمَرْضَى بِالْمَارَسْتَانِ النُّورِيِّ عَلَى قَاعِدَةِ الْأَطِبَّاءِ، وَكَانَ مُدَرِّسًا لِلشَّافِعِيَّةِ بِالْفَرُّخْشَاهِيَّةِ، وَمُعِيدًا بِعِدَّةِ مَدَارِسَ، وَكَانَ جَيِّدَ الذِّهْنِ، مُشَارِكًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، توفي سنة (٦٩٤هـ) سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى.

٥٣- **زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُنَجَّا** بْنُ الصَّدْرِ عِزِّ الدِّينِ أَبِي عَمْرٍو عُثْمَانَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنَجَّا، **شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ وَعَالِمُهُمْ**، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ، فَبَرَعَ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْمَذْهَبِ، وَصَنَّفَ فِي الْأُصُولِ، وَشَرَحَ "الْمُقْنِعَ"، وَلَهُ تَعَالِيقُ فِي التَّفْسِيرِ، وَكَانَ قَدْ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ حُسْنِ الشَّكْلِ وَالسَّمْتِ وَالدِّيَانَةِ وَالْعِلْمِ وَالْوَجَاهَةِ وَصِحَّةِ الذِّهْنِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعِ شَعْبَانَ سنة (٦٩٥هـ)، وَتُوُفِّيَتْ مَعَهُ زَوْجَتُهُ أُمُّ مُحَمَّدٍ سِتُّ الْبَهَاءِ بِنْتُ صَدْرِ الدِّينِ الْخُجَنْدِيِّ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِمَا بَعْدَ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَحُمِلَا جَمِيعًا إِلَى سَفْحِ قَاسِيُونَ.

٥٤- **قَاضِي الْقُضَاةِ الْحَسَنُ بْنُ شَرَفِ** الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ الْمَقْدِسِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ، وَبَرَعَ فِي الْفُرُوعِ وَاللُّغَةِ، وَفِيهِ أَدَبٌ وَحُسْنُ مُحَاضَرَةٍ، مَلِيحُ الشَّكْلِ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بَعْدَ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ، وَدَرَّسَ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ بِالسَّفْحِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ، سنة (٦٩٥هـ)، وَقَدْ قَارَبَ السِّتِّينَ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِمَقْبَرَةِ جَدِّهِ بِالسَّفْحِ.

٥٥- **الصَّاحِبُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ النَّحَّاسِ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ طَارِقِ بْنِ سَالِمِ بْنِ النَّحَّاسِ الْأَسَدِيُّ الْحَلَبِيُّ الْحَنَفِيُّ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَاشْتَغَلَ وَبَرَعَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً، وَدَرَّسَ بِهَا بِمَدَارِسَ كِبَارٍ؛ مِنْهَا الظَّاهِرِيَّةُ وَالزَّنْجَارِيَّةُ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِحَلَبَ وَالْوِزَارَةَ بِدِمَشْقَ، وَنَظَرَ الْخِزَانَةِ، وَنَظَرَ الدَّوَاوِينِ وَالْأَوْقَافِ، وَلَمْ يَزَلْ مُكَرَّمًا مُعَظَّمًا مَعْرُوفًا بِالْفَضِيلَةِ وَالْإِنْصَافِ فِي الْمُنَاظَرَةِ، مُحِبًّا لِلْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبُسْتَانِهِ بِالْمِزَّةِ عَشِيَّةَ الِاثْنَيْنِ سَلْخَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٩٥هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٥٦- **قَاضِي قُضَاةِ الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ،** عِزُّ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ، وَحَكَمَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَانَ مَشْكُورًا فِي سِيرَتِهِ وَحُكْمِهِ، تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سنة (٦٩٦هـ) وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَصْرٍ الْحَرَّانِيُّ بِدِيَارِ مِصْرَ.

٥٧- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ،** عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَزْرُوعِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَزَّازٍ الْمِصْرِيُّ الْحَنْبَلِيُّ،

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَحَجَّ فِيهَا أَرْبَعِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَةً، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ صَفَرٍ سنة (٦٩٦هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ صَلَاةَ الْغَائِبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥٨- **الصَّدْرُ الْكَبِيرُ سَيْفُ الدِّينِ، أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ** الْبَغْدَادِيُّ السَّامَرِّيُّ، وَاقِفُ السَّامَرِّيَّةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ الْكَرَوَّسِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وأَوقَفَهَا دَارَ حَدِيثٍ وَخَانْقَاهُ، وَكَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَأَقَامَ بِهَا بِهَذِهِ الدَّارِ مُدَّةً.

وَكَانَ السَّامَرِّيُّ كَثِيرَ الْأَمْوَالِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، مُعَظَّمًا عِنْدَ الدَّوْلَةِ، جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، لَهُ أَشْعَارٌ رَائِقَةٌ وَمُبْتَكَرَاتٌ فَائِقَةٌ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٦٩٦هـ).

٥٩- **الشيخ نَوْرُوزَ التتري،** كَانَ إِسْلَامُ قازان عَلَى يَدَيْهِ، وهُوَ الَّذِي اسْتَسْلَمَهُ، وَدَعَاهُ لِلْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَ مَعَهُ أَكْثَرُ التَّتَرِ، ثم إِنَّ التَّتَرَ شَوَّشُوا خاطِرَ قَازَانَ عَلَيْهِ، وَاسْتَمَالُوهُ مِنْهُ وَعَنْهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ سنة (٦٩٦هـ)، وَقَتَلَ جَمِيعَ مَنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَكَانَ نَوْرُوزُ هَذَا مِنْ خِيَارِ أُمَرَاءِ التَّتَرِ عِنْدَ قَازَانَ، وَكَانَ ذَا عِبَادَةٍ وَصِدْقٍ فِي إِسْلَامِهِ وَأَذْكَارِهِ، وَتَطَوُّعَاتِهِ، وَقَصْدِهِ الْجَيِّدِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَفَا عَنْهُ.

٦٠- **الصَّدْرُ الْكَبِيرُ شِهَابُ الدِّينِ** أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ التَّنُوخِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّلْعُوسِ** أَخُو الْوَزِيرِ شَمْسِ الدِّينِ، قَرَأَ الْحَدِيثَ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ

عِبَادِ اللهِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْبِرِّ، تُوُفِّيَ بِدَارِهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٦٩٧هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ وَلِيَ فِي وَقْتٍ نَظَرَ الْجَامِعِ، وَشُكِرَتْ سِيرَتُهُ وَحَصَلَ لَهُ وَجَاهَةٌ عَظِيمَةٌ عَرِيضَةٌ أَيَّامَ وِزَارَةِ أَخِيهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦١- **مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَارِسِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالْأَيْكِيِّ**، أَحَدُ الْفُضَلَاءِ **الْحَلَّالِينَ لِلْمُشْكِلَاتِ**، الْمُفَسِّرِينَ الْمُعْضِلَاتِ، لَا سِيَّمَا فِي عِلْمِ الْأَصْلَيْنِ، وَالْمَنْطِقِ وَعِلْمِ الْأَوَائِلِ، بَاشَرَ فِي وَقْتٍ **مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بِمِصْرَ**، وَأَقَامَ يُدَرِّسُ **الْغَزَّالِيَّةِ** قَبْلَ ذَلِكَ، تُوُفِّيَ بِقَرْيَةِ الْمِزَّةِ فِي الرَّابِعِ مِنْ رَمَضَانَ، سنة (٦٩٧هـ) وَمَشَى النَّاسُ فِي جِنَازَتِهِ مِنْهُمْ قَاضِي الْقُضَاةِ إِمَامُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ، وَكَانَ مُعَظَّمًا فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

٦٢- **الصَّدْرُ ابْنُ عُقْبَةَ**: إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَطَاءٍ الْبُصْرَاوِيُّ الْحَنَفِيُّ

دَرَّسَ وَأَعَادَ، وَوَلِيَ فِي وَقْتٍ قَضَاءَ حَلَبَ، ثُمَّ سَافَرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ إِلَى مِصْرَ، فَجَاءَ بِتَوْقِيعٍ فِيهِ قَضَاءُ حَلَبَ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِدِمَشْقَ تُوُفِّيَ بِهَا فِي رَمَضَانَ سنة (٦٩٧هـ)، وَلَهُ **سَبْعٌ وَثَمَانُونَ** سَنَةً. «يَشِيبُ الْمَرْءُ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصْلَتَانِ: الْحِرْصُ، وَطُولُ الْأَمَلِ».

٦٣- **ابْنُ النَّقِيبِ الْمُفَسِّرِ**، الْعَالِمُ الزَّاهِدُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ الْبَلْخِيُّ، ثُمَّ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنَفِيُّ، وُلِدَ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (٦١١هـ) بِالْقُدْسِ، وَاشْتَغَلَ بِالْقَاهِرَةِ وَأَقَامَ مُدَّةً بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، وَدَرَّسَ فِي بَعْضِ الْمَدَارِسِ هُنَاكَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقُدْسِ، فَاسْتَوْطَنَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٦٩٨هـ)، وَكَانَ شَيْخًا فَاضِلًا فِي التَّفْسِيرِ، وَلَهُ فِيهِ مُصَنَّفٌ حَافِلٌ كَبِيرٌ، جَمَعَ فِيهِ خَمْسِينَ مُصَنَّفًا مِنَ التَّفَاسِيرِ.

٦٤- **تَوْبَةُ** بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُهَاجِرِ بْنِ شُجَاعِ بْنِ تَوْبَةَ الرَّبَعِيُّ التَّكْرِيتِيُّ، **تَقِيُّ الدِّينِ، الصَّدْرُ الْوَزِيرُ**، وُلِدَ سَنَةَ (٦٢٠هـ) يَوْمَ **عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ**، وَتَنَقَّلَ فِي الْخِدَمِ إِلَى أَنْ صَارَ وَزِيرًا بِدِمَشْقَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ، حَتَّى تُوفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ (٦٩٨هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ غَدْوَةً بِالْجَامِعِ وَسُوقِ الْخَيْلِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٥-**الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ الصَّاحِبِ** مُحْيِي الدِّينِ بْنِ النَّحَّاسِ، أَحَدُ رُؤَسَاءِ الْحَنَفِيَّةِ، وَمُدَرِّسُ الرَّيْحَانِيَّةِ وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَقَدْ وَلِيَ نَظَرَ الْخِزَانَةِ وَنَظَرَ الْجَامِعِ فِي وَقْتٍ، وَكَانَ صَدْرًا كَبِيرًا كَافِيًا، تُوُفِّيَ بِبُسْتَانِهِ بِالْمِزَّةِ ثَالِث عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ (٦٩٨هـ)، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ بِالرَّيْحَانِيَّةِ الْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ بْنُ حُسَامِ الدِّينِ.

٦٦-**الصَّدْرُ الْكَبِيرُ، أَبُو الْغَنَائِمِ**، سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بْنِ الْحَسَنِ ابن صَصْرَى التَّغْلِبِيُّ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ، وَكَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا، وَلِيَ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ وَنَظَرَ الْخِزَانَةِ، ثُمَّ تَرَكَ الْمَنَاصِبَ، وَحَجَّ وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، فَأَقَامَ بِهَا دُونَ السَّنَةِ وَمَاتَ فيها يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ (٦٩٨هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ بِالْجَامِعِ.

٦٧-**الْقَاضِي حُسَامُ الدِّينِ أَبُو الْفَضَائِلِ الْحَسَنُ ابن أَحْمَدَ** بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَنُوشِرْوَانَ الرَّازِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَلِيَ قَضَاءَ **مَلَطْيَةَ** مُدَّةَ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَدِمَ **دِمَشْقَ**، فَوَلِيَهَا مُدَّةً، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى **مِصْرَ**، فَوَلِيَهَا مُدَّةً، ثُمَّ صَارَ إِلَى **الشَّامِ**، فَعَادَ إِلَى الْحُكْمِ **بِدِمَشْقَ**، ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ الْجَيْشُ إِلَى **لِقَاءِ قَازَانَ** بِوَادِي الْخَزْنَدَارِ عِنْدَ وَادِي سَلَمْيَةَ، خَرَجَ مَعَهُمْ، فَفُقِدَ مِنَ الصَّفِّ، وَلَمْ يُدْرَ مَا خَبَرُهُ، وَقَدْ قَارَبَ السَّبْعِينَ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا رَئِيسًا، لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ

فُقِدَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الرَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سنة (٦٩٩هـ)، وَقَدْ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ عِدَّةٌ مِنْ مَشَاهِيرِ الْأُمَرَاءِ.

٦٨-**الْقَاضِي إِمَامُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ الْقَاضِي سَعْدِ الدِّينِ** أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَزْوِينِيُّ الشَّافِعِيُّ، قَدِمَ دِمَشْقَ هُوَ وَأَخُوهُ جَلَالُ الدِّينِ، فَقُرِّرَا فِي تَدَارِيسَ، ثُمَّ انْتَزَعَ إِمَامُ الدِّينِ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِدِمَشْقَ مِنْ **بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ**، وَكَانَ جَمِيلَ الْأَخْلَاقِ، **كَثِيرَ الْإِحْسَانِ، قَلِيلَ الْأَذَى**، وَلَمَّا أَزِفَ قُدُومُ التَّتَارِ إلى دمشق سَافَرَ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا لَمْ يُقِمْ بِهَا سِوَى أُسْبُوعٍ حتى تُوُفِّيَ سنة (٦٩٩هـ)، وَصَارَ الْمَنْصِبُ إِلَى بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ كَمَا كَانَ.

٦٩- **شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَانَ** بْنِ حَمَائِلَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدِسِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ غَانِمٍ وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَأَكْثَرِهِمْ مُرُوءَةً، وَدَرَّسَ بِالْعَصْرَوْنِيَّةِ، تُوُفِّيَ سنة (٦٩٩هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، كَانَ مِنَ الْكُتَّابِ الْمَشْهُورِينَ الْمَشْكُورِينَ، وَهُوَ وَالِدُ الصَّدْرِ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ غَانِمٍ.

٧٠- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ حَسَنٌ الْكُرْدِيُّ**، الْمُقِيمُ بِالشَّاغُورِ فِي بُسْتَانٍ لَهُ، يَأْكُلُ مَنْ غَلَّتِهُ، وَيُطْعِمُ مَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُزَارُ، وَلَمَّا احْتُضِرَ اغْتَسَلَ، وَأَخَذَ مَنْ شَعْرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَكَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ تُوُفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، سنة (٧٠٠هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ سَنَةٍ.

٧١- **الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ** بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَذَبَانِيُّ الْإِرْبِلِيُّ، مُتَوَلِّي دِمَشْقَ كَانَ لَدَيْهِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي التَّارِيخِ وَالشِّعْرِ، وَرُبَّمَا جَمَعَ شَيْئًا فِي ذَلِكَ، وَكَانَ يَسْكُنُ بِدَرْبِ سَقُونَ فَعُرِفَ بِهِ، فَيُقَالُ: دَرْبُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ. **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ نَزَلْنَاهُ حِينَ قَدِمْنَا دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٧٠٦هـ)، خَتَمَ اللهُ لَنَا بِخَيْرٍ فِي عَافِيَةٍ آمِينَ، وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي طَرِيقِ مِصْرَ سنة (٧٠٠هـ)، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، حَسَنَ الْمُحَاضَرَةِ.

❁ ❁ ❁

(٣)

خلافة المستكفي بالله ابْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ

(٧٠١ـ٧٤٠)

❍ نسبه

أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ ابْنُ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَرْشِدِ بِاللهِ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ الْأَصْلِ، الْمِصْرِيُّ الْمَوْلِدِ.

❍ مولده

ولِد سَنَةَ (٦٨٣هـ)، أَوْ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، وَقَرَأَ وَاشْتَغَلَ قَلِيلًا.

❍ بيعته

عَهِدَ إِلَيْهِ أَبُوهُ بالخلافة من بعده، فكُتِبَ تَقْلِيدُهُ بِذَلِكَ، وَقُرِئَ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَالدَّوْلَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سنة (٧٠١هـ)، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ، وَسَارَتْ بِذَلِكَ الْبَرِيدِيَّةُ إِلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَفَوَّضَ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ، وَسَارَ إِلَى غَزْوِ التَّتَرِ، فَشَهِدَ مَصَافَّ شَقْحَبَ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهُوَ رَاكِبٌ مَعَ السُّلْطَانِ، وَجَمِيعُ كُبَرَاءِ الْجَيْشِ مُشَاةٌ.

وَفِي ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٣٦هـ) رَسَمَ **السُّلْطَانُ** الناصر محمد بن قلاوون **بِاعْتِقَالِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِي** بِاللهِ وَأَهْلِهِ، وَأَنْ يُمْنَعُوا مِنَ الِاجْتِمَاعِ، فَآلَ أَمْرُهُمْ كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بيبرس وَالْمَنْصُورِ قلاوون، ثم أُفْرِجُ عَنِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ، وَأُطْلِقَ مِنَ الْبُرْجِ فِي حَادِي عِشْرِينَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٧هـ)، وَلَزِمَ بَيْتَهُ.

وَلَمَّا أَعْرَضَ **السُّلْطَانُ عَنِ الْمُلك**، وَانْعَزَلَ بِالْكَرَكِ، الْتَمَسَ الْأُمَرَاءُ مِنَ الْمُسْتَكْفِي أَنْ يُسَلْطِنَ مَنْ يَنْهَضُ بِالْمُلْكِ، فَقَلَّدَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ رُكْنَ الدِّينِ **بِيبَرْسَ الْجَاشْنكِيرَ**، وَعَقَدَ لَهُ اللِّوَاءَ، وَأَلْبَسَهُ خِلْعَةَ السَّلْطَنَةِ، ثُمَّ عَادَ النَّاصِرُ إِلَى مِصْرَ، وَعَزَّرَ الْخَلِيفَةَ فِي فِعْلِهِ.

○ وفاته

فِي التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٣٧هـ) نَفَى السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ **الْخَلِيفَةَ** وَأَهْلَهُ وَذَوِيهِ -وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ نَفْسٍ- إِلَى **بِلَادِ قُوصَ**، وَرَتَّبَ لَهُمْ هُنَاكَ مَا يَقُومُ بِمَصَالِحِهِمْ، فبقي منفيا حتى تُوُفِّيَ بِقُوصَ فِي مُسْتَهَلِّ شَعْبَانَ سنة (٧٤٠هـ).

○ ولادة الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ

فِي سنة (٧٠١هـ) وُلِدَ كَاتِبُهُ **إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الْبُصْرَوِيُّ** الشَّافِعِيُّ، عَفَا اللهُ عَنْهُ.

○ فتح جزيرة أرواد

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي صَفَرٍ مِنْ سنة (٧٠٢هـ) فُتِحَتْ **جَزِيرَةُ أَرْوَادَ**[1] بِالْقُرْبِ مِنْ أَنْطَرْطُوسَ، وَكَانَتْ مِنْ أَضَرِّ الْأَمَاكِنِ عَلَى أَهْلِ السَّوَاحِلِ، فَجَاءَتْهَا مَرَاكِبُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْبَحْرِ، وَأردفتها جُيُوشُ طَرَابُلُسَ، فَفُتِحَتْ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -بعد أن قَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، وَأَسَرُوا قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِدِمَشْقَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سُرُورًا وَفَرَحًا، وَكَانَ فَتْحُهَا مِنْ تَمَامِ فَتْحِ السَّوَاحِلِ، وَأَرَاحَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّ أَهْلِهَا.

○ عزم التتر على غزو بلاد الشام

فِي شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٠٢هـ) تواترت الْأَخْبَارُ بِعَزْمِ التَّتَارِ عَلَى دُخُولِ بِلَادِ الشَّامِ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ جِدًّا، وَقَنَتَ الْخَطِيبُ فِي الصَّلَوَاتِ، **وَقُرِئَ «الْبُخَارِيُّ»**، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الْجَفْلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْكَرَكِ، وَالْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ.

---

(١) جزيرة أرواد: جزيرة في البحر قرب القسطنطينية، غزاها المسلمون وفتحوها سنة (٥٤هـ). معجم البلدان (١/ ٢٢٤).

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ شَعْبَانَ ضُرِبَتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ وعَلَى أَبْوَابِ الْأُمَرَاءِ **بِخُرُوجِ السُّلْطَانِ بِالْعَسَاكِرِ** مِنْ مِصْرَ لِمُنَاجَزَةِ التَّتَارِ الْمَخْذُولِينَ.

○ وقعة عُرض مع التتر

فِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ شَعْبَانَ سنة (٧٠٢هـ) كانت **وَقْعَةُ عُرْضٍ**(١) مع التتر، حيث أَنَّهُ الْتَقَى جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ أَسَنْدَمُرُ وغيره، وَكُلٌّ مِنْهُمْ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ - مَعَ التَّتَرِ، وَكَانَ التَّتَارُ فِي سَبْعَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ، وَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ صَبْرًا جَيِّدًا، فَنَصَرَهُمُ اللهُ، وَخَذَلَ التَّتَرَ.

○ حض شيخ الإسلام الأمراء والعساكر على الجهاد

فِي ثَامِنَ عَشَرَ شعبان سنة (٧٠٢هـ) قَدِمَتْ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جَيْشِ الْمِصْرِيِّينَ، ثُمَّ قَدِمَتْ بَعْدَهُمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى، فَقَوِيَتِ الْقُلُوبُ، وَاطْمَأَنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فِي جَفَلٍ عَظِيمٍ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ، وَحَمَاةَ، وَحِمْصَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي، **وَتَقَهْقَرَ الْجَيْشُ الْحَلَبِيُّ وَالْحَمَوِيُّ إِلَى حِمْصَ**، ثُمَّ خَافُوا أَنْ يَدْهَمَهُمُ التَّتَرُ، فَجَاءُوا فَنَزَلُوا **الْمَرْجَ**، وَوَصَلَ التَّتَرُ إِلَى حِمْصَ، وَبَعْلَبَكَّ، وَعَاثُوا فِي تِلْكَ الْأَرَاضِي فَسَادًا، وَاخْتَبَطَ أهل دمشق لِتَأَخُّرِ قُدُومِ السُّلْطَانِ بِبَقِيَّةِ الْجَيْشِ فَاجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَتَحَالَفُوا عَلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَشَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَنُودِيَ بِالْبَلَدِ **أَنْ لَا يَرْحَلَ أَحَدٌ مِنْهُ**، فَسَكَنَ النَّاسُ، وَجَلَسَ الْقُضَاةُ بِالْجَامِعِ، وَحَلَّفُوا جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْعَامَّةِ عَلَى الْقِتَالِ.

وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ** إِلَى الْعَسْكَرِ الْوَاصِلِ مِنْ حَمَاةَ، فَاجْتَمَعَ بِهِمْ فِي الْقُطَيِّفَةِ، **فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا تَحَالَفَ عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالنَّاسُ مِنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ**، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، وَحَلَفُوا مَعَهُمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يَحْلِفُ لِلْأُمَرَاءِ وَالنَّاسِ: إِنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْكَرَّةِ مَنْصُورُونَ عَلَى التَّتَارِ، فَيَقُولُ لَهُ الْأُمَرَاءُ: **قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ**، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ **تَحْقِيقًا**

(١) عرض: بليد في برية الشام بين تدمر ورصافة هشام. معجم البلدان٣/ ٦٤٤.

لَا تَعْلِيقًا، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ أَشْيَاءَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: ٦٠]

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ، التاسع والعشرين من شهر شعبان **سَار الجيش الشامي إِلَى نَاحِيَةِ الْكُسْوَةِ**، فَقَوِيَتْ ظُنُونُ النَّاسِ فِي هَرَبِهِمْ، وَقَدْ وَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى قَارَةَ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى الْقُطَيِّفَةِ، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ انْزِعَاجًا شَدِيدًا،

وَبَقِيَ الْبَلَدُ لَيْسَ فِيهِ حَاكِمٌ، وَعَاثَتِ اللُّصُوصُ وَالْحَرَافِيشُ فِيهِ وَفِي بَسَاتِينِ النَّاسِ يُخَرِّبُونَ وَيَنْهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَيَقْطَعُونَ الْمِشْمِشَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَكَذَلِكَ الْبَاقِلَّاءُ، وَالْقَمْحُ، وَالشَّعِيرُ، وَسَائِرُ الْخُضْرَاوَاتِ، وَحِيلَ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ خَبَرِ الْجَيْشِ، وَانْقَطَعَتِ الطُّرُقُ إِلَى الْكُسْوَةِ، وَظَهَرَتِ الْوَحْشَةُ عَلَى الْبَلَدِ وَالْحَوَاضِرِ،

فَانْقَطَعَتِ الْآمَالُ، وَأَلَحَّ النَّاسُ فِي الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ، وَفِي الصَّلَوَاتِ، وَفِي كُلِّ حَالٍ

فَلَمَّا كَانَ آخِرُ يوم الخميس وَصَلَ **الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ أَيَاسُ الْمَرْقَبِيُّ** أَحَدُ أُمَرَاءِ دِمَشْقَ، فَبَشَّرَ النَّاسَ بِخَيْرٍ، وَهُوَ أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ وَصَلَ وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ الْمِصْرِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ، وَقَدْ أَرْسَلَنِي أَكْشِفُ هَلْ طَرَقَ الْبَلَدَ أَحَدٌ مِنَ التَّتَرِ؟ فَوَجَدَ الْأَمْرَ كَمَا يُحِبُّ، لَمْ يَطْرُقْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ التَّتَارَ جنبوا عَنْ دِمَشْقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِالْبَلَدِ، بَلْ قَالُوا: إِنْ غَلَبْنَا فَالْبَلَدُ لَنَا، وَإِنْ غُلِبْنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ.

وَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ بِتَطْيِيبِ الْخَوَاطِرِ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ وَصَلَ، فَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، وَسَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ، وَثَبَتَ دخول شهر رمضان لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْقَاضِي تَقِيِّ الدِّينِ الْحَنْبَلِيِّ، وَصُلِّيَتِ التَّرَاوِيحُ، وَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ وَبَرَكَتِه

○ وقعة شقحب

وقد نَدَبَ الْعَسْكَرُ الشَّامِيُّ شيخ الإسلام **ابن تيمية** إِلَى السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون يَسْتَحِثُّهُ عَلَى السَّيْرِ إِلَى دِمَشْقَ، فَسَارَ إِلَيْهِ، فَحَثَّهُ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ

أَنْ **كَادَ يَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ**، فَجَاءَ هُوَ وَإِيَّاهُ جَمِيعًا، فَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ أَنْ يَقِفَ مَعَهُ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: السُّنَّةُ أَنْ يَقِفَ الرَّجُلُ تَحْتَ رَايَةِ قَوْمِهِ، وَنَحْنُ مِنْ جَيْشِ الشَّامِ لَا نَقِفُ إِلَّا مَعَهُمْ، وَحَرَّضَ السُّلْطَانَ عَلَى الْقِتَالِ، وَبَشَّرَهُ بِالنَّصْرِ، وَجَعَلَ يَحْلِفُ لَهُ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: إِنَّكُمْ مَنْصُورُونَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ الْأُمَرَاءُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، **فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا**.

وفي يَوْمَ السَّبْتِ الثاني من رمضان سنة (٧٠٢) وقعت المعركة، وَأَفْتَى شيخ الإسلام ابن تيمية النَّاسَ بِالْفِطْرِ مُدَّةَ قِتَالِهِمْ، **وَأَفْطَرَ هُوَ أَيْضًا**، وَكَانَ يَدُورُ عَلَى الْأُمَرَاءِ فَيَأْكُلُ مِنْ شَيْءٍ مَعَهُ فِي يَدِهِ، لِيُعْلِمَهُمْ **أَنَّ إِفْطَارَهُمْ أَفْضَلُ لِيَتَقَوَّوْا عَلَى الْقِتَالِ**.

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ **أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ** العباسي فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ **الناصر محمد بن قلاوون**، وَلَمَّا اصْطَفَّتِ الْعَسَاكِرُ، وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ **ثَبَتَ السُّلْطَانُ ثَبَاتًا عَظِيمًا**، وَأَمَرَ بِجَوَادِهِ فَقُيِّدَ حَتَّى لَا يَهْرَبَ، **وَبَايَعَ اللهَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ**، وَجَرَتْ خُطُوبٌ عَظِيمَةٌ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَرَاءِ يَوْمَئِذٍ، مِنْهُمُ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِنُ الرُّومِيُّ أُسْتَادَارُ السُّلْطَانِ، وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمُقَدَّمِينَ مَعَهُ، وَخَلْقٌ مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ، **ثُمَّ نَزَلَ النَّصْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ** قَرِيبَ الْعَصْرِ يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَظْهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ لَجَأَ التَّتَرُ إِلَى اقْتِحَامِ التُّلُولِ وَالْجِبَالِ وَالْآكَامِ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ يَحْرُسُونَهُمْ مِنَ الْهَرَبِ، وَيَرْمُونَهُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى وَقْتِ الْفَجْرِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ ، وَجَعَلُوا يَجِيئُونَ بِهِمْ فِي الْحِبَالِ، فَتُضْرَبُ أَعْنَاقُهُمْ، ثُمَّ اقْتَحَمَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ الْهَزِيمَةَ، فَنَجَا مِنْهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ غَرِقَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي الْفُرَاتِ بِسَبَبِ الظَّلَامِ. وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ خَامِسِ رَمَضَانَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْخَلِيفَةُ، وَزُيِّنَتِ الْبَلَدُ، وَفَرِحَ الناس.

ودَخَلَ الشَّيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ** الْبَلَدَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، مِنَ الْجِهَادِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ، وَدَعَوْا لَهُ، وَهَنَّئُوهُ بِمَا يَسَّرَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ.

وَنَزَلَ **السُّلْطَانُ** فِي الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ وَالْمَيْدَانِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَحَوَّلَ إِلَى الْقَلْعَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَصَلَّى بِهَا الْجُمُعَةَ، وَخَلَعَ عَلَى نُوَّابِ الْبِلَادِ، وَأَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَاسْتَقَرَّتِ الْخَوَاطِرُ، وَذَهَبَ الْيَأْسُ، وَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ.

وَعَزَلَ السُّلْطَانُ ابْنَ النَّحَّاسِ عَنْ وِلَايَةِ **دمشق**، وَجَعَلَ مَكَانَهُ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ أَيْدُغْدِي أَمِيرَ عَلَمٍ، وَعَزَلَ صَارِمَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ **وِلَايَةِ الْبَرِّ**، وَجَعَلَ مَكَانَهُ الْأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ لَاجِينَ الصَّغِيرَ، ثُمَّ **عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ** يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثِ شَوَّالٍ بَعْدَ أَنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَعَيَّدَ بِدِمَشْقَ.

○ قتال الأرمن في تل حمدون

فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَانِي عَشَرَ رَمَضَانَ سنة (٧٠٣هـ)، قَدِمَتْ **ثَلَاثَةُ آلَافِ فَارِسٍ** مِنْ مِصْرَ، وَأُضِيفَ إِلَيْهَا **أَلْفَانِ مِنْ دِمَشْقَ**، وَسَارُوا، فَأَخَذُوا مَعَهُمْ نَائِبَ حِمْصَ، وَحَمَاةَ، وطَرَابُلُسَ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ نَائِبُ حَلَبَ، وانقسموا فِرْقَتَيْنِ، سَارَتْ طَائِفَةٌ صُحْبَةَ قَبْجَقَ إِلَى نَاحِيَةِ مَلَطْيَةَ وَقَلْعَةِ الرُّومِ، وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى صُحْبَةَ قَرَاسُنْقُرَ حَتَّى دَخَلُوا الدَّرْبَنْدَاتِ، وَحَاصَرُوا تَلَّ حَمْدُونَ، فَتَسَلَّمُوهُ عَنْوَةً فِي ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٣هـ) بَعْدَ حِصَارٍ طَوِيلٍ،

وَوَقَعَ الِاتِّفَاقُ مَعَ صَاحِبِ **سِيسَ** عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ نَهْرِ جَيْهَانَ إِلَى حَلَبَ، وَبِلَادِ مَا وَرَاءِ نَهْرِ جيهان إِلَى نَاحِيَتِهِمْ لَهُمْ، وَأَنْ يُعَجِّلُوا حَمْلَ سَنَتَيْنِ، وَوَقَعَتِ الْهُدْنَةُ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ مَا قُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْأَرْمَنِ وَرُؤَسَائِهِمْ، وَعَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدِينَ مَنْصُورِينَ، ثُمَّ تَوَجَّهَتِ الْعَسَاكِرُ الْمِصْرِيَّةُ صُحْبَةَ مُقَدَّمِهِمْ أَمِيرِ سِلَاحٍ إِلَى مِصْرَ.

○ وفاة ملك التتر قازان

فِي أَوَاخِرِ سنة (٧٠٣هـ) كَانَ مَوْتُ ملك التتر **قَازَانَ وَاسْمُهُ مَحْمُودُ بْنُ أَرْغُونَ بْنِ أَبْغَا**، بِالْقُرْبِ مِنْ هَمَذَانَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ أَخُوهُ **خَرْبَنْدَا** مُحَمَّدُ بْنُ أَرْغُونَ، وَلَقَّبُوهُ الْمَلِكَ غِيَاثَ الدِّينِ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى مَنَابِرِ الْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي.

○ لجوء بدر الدين جنكلي التتري

فِـي ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٧٠٣هـ) وَصَـلَ مِنَ **التَّتَرِ مَقْـدِمٌ** كَبِيرٌ قَدْ هَرَبَ مِنْهُـمْ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ جَنْكَلِي بْنُ الْبَابَا، وَفِي صُحْبَتِهِ نَحْوٌ مِنْ عَشَرَةٍ، فَحَضَرُوا الْجُمُعَـةَ فِي الْجَامِعِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى مِصْرَ، فَأُكْـرِمَ، وَأُعْطِيَ إِمْرَةَ أَلْفٍ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِبِلَادِ **آمِدَ**[١]، وَكَانَ يُنَاصِحُ السُّـلْطَانَ، وَيُكَاتِبُهُ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى عَوْرَاتِ التَّتَرِ، فَلِهَذَا عَظُمَ شَـأْنُهُ فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ.

○ إعادة الدروس بجامع الحاكم بالقاهرة

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سـنة (٧٠٤هـ) دارت[٢] الدُّرُوسَ وَالْوَظَائِفَ الَّتِي أَنْشَـأَهَا الْأَمِيرُ بَيْبَرْسُ الْجَاشْـنكِيرُ الْمَنْصُـورِيُّ بِجَامِعِ الْحَاكِمِ بالقاهـرة، بَعْدَ أَنْ جَدَّدَهُ مِنْ خَرَابِهِ بِالزَّلْزَلَةِ الَّتِي طَرَقَتْ دِيَارَ مِصْرَ فِي آخِرِ سَـنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَـبْعِمِائَةٍ، وَجَعَلَ الْقُضَاةَ الْأَرْبَعَةَ هُمُ الْمُدَرِّسِـينَ لِلْمَذَاهِبِ، وَشَـيْخَ الْحَدِيثِ سَعْدَ الدِّينِ الْحَارِثِيَّ، وَشَيْخَ النَّحْوِ أَثِيرَ الدِّينِ **أَبَا حَيَّانَ**، وَشَـيْخَ الْقِرَاءَاتِ السَّـبْعِ نُورَ الدِّينِ الشَّطَّنَوْفِيَّ، وَشَيْخَ إِفَادَةِ الْعُلُومِ عَلَاءَ الدِّينِ الْقُونَوِيَّ.

○ سعي جماعة من المحتسبين في إبطال الوقيد

فِي شَـعْبَانَ سـنة (٧٠٤هـ) سَـعَى جَمَاعَةٌ فِي **تَبْطِيلِ الْوَقِيدِ** لَيْلَةَ النِّصْفِ من شعبان، وَأَخَـذُوا خُطُـوطَ الْعُلَمَـاءِ فِي ذَلِكَ، وَتَكَلَّمُـوا مَعَ نَائِبِ السَّـلْطَنَةِ، فَلَمْ يَتَّفِـقْ ذَلِكَ، بَلْ أَشْعَلُوا، وَصُلِّيَتْ صَلَاةُ لَيْلَةِ النِّصْفِ من شعبان.

وفي سـنة (٧٠٦هـ) صُلِّيَتْ **صَلَاةُ الرَّغَائِبِ، وَالنِّصْفِ** من شعبان بِجَامِعِ دِمَشْقَ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَدْ أَبْطَلَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ.

---

(١) آمـد: بكسـر الميم، وما أظنهـا إلا لفظة رومية، ولها في العربية أصل حسـن، وهي أعظـم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا، معجم البلدان ١/ ٥٦.

(٢) في المطبوعة: حضَرْتُ. وهو خطأ؛ فإن عمره إذ ذاك أقل من أربع سنوات.

وَفِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٠٧هـ) أُبْطِلَتْ صَلَاةُ لَيْلَةِ النِّصْفِ لِكَوْنِهَا بِدْعَةً، وَصِينَ الْجَامِعُ الأموي مِنَ الْغَوْغَاءِ وَالرَّعَاعِ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ عزل وزير مصر ومعاقبته

فِي سَابِعِ شَوَّالٍ سنة (٧٠٤هـ) عُزِلَ **وَزِيرُ مِصْرَ** نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِيِّ، وَقُطِعَ إِقْطَاعُهُ، وَرُسِمَ عَلَيْهِ، وَعُوقِبَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ **سَعْدُ الدِّينِ** مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَطَايَا، وَخُلِعَ عَلَيْهِ.

○ اعتداء الأعراب على نائب السلطنة

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٤هـ) كَانَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ فِي **الصَّيْدِ**، فَقَصَدَهُمْ فِي اللَّيْلِ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَاتَلَهُمُ الْأُمَرَاءُ، فَقَتَلُوا مِنَ الْعَرَبِ نَحْوَ النِّصْفِ، وَتَوَغَّلَ فِي الْعَرَبِ أَمِيرٌ يُقَالُ لَهُ: سَيْفُ الدِّينِ بَهَادُرُ سَمِزِ احْتِقَارًا بِالْعَرَبِ، فَضَرَبَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِرُمْحٍ فَقَتَلَهُ، فَكَرَّتِ الْأُمَرَاءُ عَلَيْهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا أَيْضًا، وَأَخَذُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ، فَصُلِبَ تَحْتَ الْقَلْعَةِ.

○ مرسوم بالنهي عن إثارة الفتن بين الفقهاء

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٤هـ) تَكَلَّمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ النَّقِيبِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي الْفَتَاوَى الصَّادِرَةِ مِنَ الشَّيْخِ **عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ الْعَطَّارِ** شَيْخِ دَارِ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةِ وَالْقُوصِيَّةِ، وَأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَفِيهَا تَخْبِيطٌ كَثِيرٌ، فَتَوَهَّمَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَاحَ إِلَى الْحَنَفِيِّ، فَحَقَنَ دَمَهُ، وَأَبْقَاهُ عَلَى وَظَائِفِهِ، ثُمَّ بَلَغَ ذَلِكَ نَائِبَ السَّلْطَنَةِ، فَأَنْكَرَ عَلَى الْمُنْكِرِينَ عَلَيْهِ، وَرَسَمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا، وَرَسَمَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَنْ لَا تُثَارَ الْفِتَنُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ.

○ بيع قناديل المسجد النبوي

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٠٥هـ) جَاءَ كِتَابٌ مِنْ مُقَدَّمِ الْخُدَّامِ بِالْحَرَمِ النَّبَوِيِّ يَسْتَأْذِنُ السُّلْطَانَ فِي بَيْعِ طَائِفَةٍ مِنْ **قَنَادِيلِ الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ**؛ لِيُنْفِقَ ذَلِكَ فِي بِنَاءِ مِئْذَنَةٍ عِنْدَ بَابِ

السَّلَامِ الَّذِي عِنْدَ الْمِطْهَرَةِ، فَرَسَمَ لَهُ بِذَلِكَ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْقَنَادِيلِ قِنْدِيلَانِ مِنْ ذَهَبٍ زِنَتُهُمَا أَلْفُ دِينَارٍ، فَبَاعَ ذَلِكَ، وَشَرَعَ فِي بِنَائِهَا، وَوَلِيَ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ قَضَاءَهَا مَعَ الْخَطَابَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّوَافِضِ [(١)].

○ الشيخ براق الصوفي وبدعه

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٦هـ) دَخَلَ الشَّيْخُ **بُرَاقٌ** إِلَى دِمَشْقَ، وَفِي صُحْبَتِهِ **مِائَةُ فَقِيرٍ** كُلُّهُمْ مَحْلُوقُونَ، قَدْ وَفَّرُوا شَوَارِبَهُمْ عَكْسَ مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَعَلَى رُءُوسِهِمْ قُرُونُ لَبَابِيدَ، وَمَعَهُمْ أَجْرَاسٌ، وَكِعَابٌ، فَنَزَلُوا **بِالْمُنَيْبِعِ**، وَحَضَرُوا الْجُمُعَةَ بِرِوَاقِ الْحَنَابِلَةِ، ثُمَّ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَزَارُوا، ثُمَّ اسْتَأْذَنُوا فِي الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ، فَعَادُوا إِلَى دِمَشْقَ فَصَامُوا بِهَا رَمَضَانَ، ثُمَّ انْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ، إِذْ لَمْ يَجِدُوا بِدِمَشْقَ قَبُولًا، وَلَا مَنْزِلًا، وَلَا مَقِيلًا.

وَقَدْ كَانَ **شَيْخُهُمْ بُرَاقٌ** رُومِيًّا مِنْ بَعْضِ قُرَى دَوْقَاتَ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ **قَازَانَ** وَمَكَانَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَّطَ عَلَيْهِ نَمِرًا، **فَزَجَرَهُ** براق، فَهَرَبَ مِنْه النمر وَتَرَكَهُ، فَحَظِيَ عِنْدَهُ لأجل ذلك، وَأَعْطَاهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَفَرَّقَهَا كُلَّهَا، فَأَحَبَّهُ.

وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّ طَرِيقَهُ الَّذِي سَلَكَهُ إِنَّمَا سَلَكَهُ لِيُخَرِّبَ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَرَى أَنَّهُ زِيُّ الْمَسْخَرَةِ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْأَلْيَقُ بِالدُّنْيَا، وَالْمَقْصُودُ إِنَّمَا هُوَ الْبَاطِنُ، وَالْقَلْبُ، وَعِمَارَةُ ذَلِكَ.

قال ابن كثير: وَنَحْنُ إِنَّمَا نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ.

○ بناء جامع بسفح قاسيون

فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ وَفِي سنة (٧٠٦هـ) **كَمَلَ بِنَاءُ الْجَامِعِ** الَّذِي أَنْشَأَهُ وَبَنَاهُ وَعَمَّرَهُ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ **الْأَفْرَمُ** بِالسَّفْحِ شَمَالِيَّ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ، وَرَتَّبَ فِيهِ خَطِيبًا، فَخَطَبَ بِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ،

---

(١) لأن خطابة المسجد النبوي كانت بأيديهم، فنزعت منهم.

وَحضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَالْقُضَاةُ، وَشُكِرَتْ خُطْبَةُ الْخَطِيبِ بِهِ، وَمَدَّ الصَّاحِبُ شِهَابُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ **سِمَاطًا** بَعْدَ الصَّلَاةِ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ السَّاعِي فِي عِمَارَتِهِ، وَالْمُسْتَحِثَّ عَلَيْهَا، فَجَاءَ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْحُسْنِ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمْ.

○ الخلاف بين السلطان الناصر والأميرين

فِي أَوَائِلِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٠٧هـ) أَظْهَرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْغَضَبَ عَلَى الْأَمِيرَيْنِ **سَلَّارَ، وَالْجَاشْنكِيرِ**، وَامْتَنَعَ مِنَ الْعَلَامَةِ (التوقيع)، وَأَغْلَقَ الْقَلْعَةَ وَتَحَصَّنَ فِيهَا، وَلَزِمَ الْأَمِيرَانِ بُيُوتَهُمَا، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَحُوصِرَتِ الْقَلْعَةُ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، ثُمَّ رَاسَلُوا السُّلْطَانَ، فَتَأَطَّدَتِ الْأُمُورُ، وَسَكَنَتِ الشُّرُورُ عَلَى دَخَنٍ وَتَنَافُرِ قُلُوبٍ، وَقَوِيَ الْأَمِيرَانِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ، **وَوَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى دَخَنٍ**.

○ عدوان التتر على أهل كيلان

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧٠٧هـ) وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ **التَّتَرِ** وَبَيْنَ **أَهْلِ كِيلَانَ** (١)، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ التَّتَرِ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا فِي بِلَادِهِمْ طَرِيقًا إِلَى عَسْكَرِهِ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ التَّتَرِ **خَرْبَنْدَا** جَيْشًا كَثِيفًا سِتِّينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مَعَ **قُطْلُوشَاهْ**، وَعِشْرِينَ أَلْفًا مَعَ **جُوبَانَ**، فَأَمْهَلَهُمْ أَهْلُ كِيلَانَ حَتَّى تَوَسَّطُوا بِلَادَهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ خَلِيجًا مِنَ الْبَحْرِ، وَرَمَوْهُمْ **بِالنِّفْطِ**، فَغَرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَاحْتَرَقَ آخَرُونَ، وَقَتَلُوا بِأَيْدِيهِمْ طَائِفَةً كَثِيرَةً، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ.

وَكَانَ فِي مَنْ **قُتِلَ أَمِيرُ التَّتَرِ الْكَبِيرُ قُطْلُوشَاهْ**، فَاشْتَدَّ غَضَبُ **خَرْبَنْدَا** عَلَى أَهْلِ كِيلَانَ، وَلَكِنَّهُ فَرِحَ بِقَتْلِ قُطْلُوشَاهْ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ قَتْلَ خَرْبَنْدَا، فَكُفِيَ أَمْرَهُ.

---

(١) **جيلان**: بالكسر اسم لبلاد كثيرة من **وراء بلاد طبرستان**، وليس في جيلان مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال ينسب إليها جيلاني، وجيلي، والعجم يقولون: **كيلان**. معجم البلدان - الفكر (٢/ ٢٠١).

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ التَّتَرِ أَرْسَلَ الشَّيْخَ **بُرَاقًا** الَّذِي قَدِمَ الشَّامَ فِيمَا تَقَدَّمَ، إِلَى أَهْلِ كِيلَانَ يُبْلِغُهُمْ عَنْهُ رِسَالَةً، **فَقَتَلُوهُ**، وَأَرَاحُوا النَّاسَ مِنْهُ. وَبِلَادُهُمْ مَنْ أَحْصَنِ الْبِلَادِ وَأَطْيَبِهَا، لَا تُسْتَطَاعُ، وَهُمْ **أَهْلُ سُنَّةٍ**، وَأَكْثَرُهُمْ **حَنَابِلَةٌ**، لَا يَسْتَطِيعُ مُبْتَدِعٌ أَنْ يَسْكُنَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

○ قدوم ابن كثير إلى دمشق

فِي سنة (٧٠٧هـ) كَانَ قُدُومُنَا مِنْ بُصْرَى إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ وَفَاةِ الْوَالِدِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا سَكَنَّا بِدَرْبِ سُقُونَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: دَرْبُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ، بِالصَّاغَةِ الْعَتِيقَةِ عِنْدَ الطُّيُورِيِّينَ، وَنَسْأَلُ اللهَ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ وَالْخَاتِمَةِ، آمِينَ.

○ الوظائف وأصحابها بدمشق

فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٨هـ) تَوَلَّى نَظَرَ دِيوَانِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ الشَّرِيفُ **زَيْنُ الدِّينِ بْنُ عَدْنَانَ** عِوَضًا عَنِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْجَامِعِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ الْحَظِيرِيِّ، وَتَوَلَّى نَجْمُ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ نَظَرَ الْأَيْتَامِ عِوَضًا عَنْ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ هِلَالٍ.

وَفِي رَمَضَانَ سنة (٧٠٨هـ) عُزِلَ الصَّاحِبُ أَمِينُ الدِّينِ بْنُ الرُّقَاقِيِّ عَنْ نَظَرِ الدَّوَاوِينِ بِدِمَشْقَ، وَسَافَرَ إِلَى مِصْرَ.

وَفِي رَمَضَانَ سنة (٧٠٨هـ) عَزَلَ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِيِّ نَفْسَهُ عَنْ وَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَصَمَّمَ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ عَلَى الْعَزْلِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْعَوْدُ فَلَمْ يَقْبَلْ.

○ حادثة الجسر وبقاء السلطان في الكرك

فِي سنة (٧٠٨هـ) خَرَجَ الْمَلِكُ **النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاصِدًا الْحَجَّ، وَذَلِكَ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ لِتَوْدِيعِهِ، فَرَدَّهُمْ، وَلَمَّا اجْتَازَ بِالْكَرَكِ عَدَلَ إِلَيْهَا فنزلها، وقَدْ عَمِلَ نَائِبُ الْكَرَكِ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ **آقُوشُ** لِلسُّلْطَانِ **ضِيَافَةً** غَرِمَ عَلَيْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

ثم نُصِبَ لَهُ الْجِسْـرُ، فَلَمَّا تَوَسَّـطَهُ كُسِـرَ بِهِ، فَسَـلِمَ مَنْ كَانَ أَمَامَهُ، وَقَفَزَ بِهِ الْفَرَسُ فَسَلِمَ، وَسَـقَطَ مَنْ كَانَ وَرَاءَهُ وَكَانُوا خَمْسِينَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، وَتَهَشَّمَ أَكْثَرُهُمْ فِي الْوَادِي الَّذِي تَحْتَهُ.

وَبَقِـيَ نَائِبُ الْكَرَكِ **آقُوشُ** خَجِـلًا، يَتَوَهَّمُ أَنْ يَكُونَ هَذَا يَظُنُّهُ السُّـلْطَانُ عَنْ قَصْدٍ، ثُمَّ خَلَعَ السلطان على نَائِب الْكَرَكِ **آقُوشُ**، وَأَذِنَ لَهُ فِي الِانْصِرَافِ إِلَى مِصْرَ، فَسَافَرَ.

○ خلعه

لما استقر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالكرك، وَاشْتَغَل بِتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ فِي الْكَرَكِ وَحْدَهَا، فَكَانَ **يَحْضُرُ دَارَ الْعَدْلِ**، وَيُبَاشِـرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِـهِ، وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ مِنْ مِصْرَ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ ضِيقِ الْحَالِ، وَقِلَّةِ النَّفَقَاتِ.

قرر الأمراء عزله وتولية الجاشـنكير في شوال سـنة (٧٠٨هـ)، وقيل إنه تنازل عن السلطنة.

❁ ❁ ❁

١٣ـ سلطنة الملك ركن الدين بيبرس الجاشنكير (شوال ٧٠٨ ـ شعبان ٧٠٩هـ)

○ توليه السلطنة

لَمَّا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون **بِالْكَرَكِ**، وَعَزَمَ عَلَى الْإِقَامَةِ بِهَا، كَتَبَ كِتَابًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **يَتَضَمَّنُ عَزْلَ نَفْسِهِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ**، فَأُثْبِتَ ذَلِكَ عَلَى الْقُضَاةِ بِمِصْرَ، وَبُويِعَ الْأَمِيرُ **رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْجَاشْنَكِيرُ** (١) بِالسَّلْطَنَةِ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧٠٨هـ) يَوْمَ السَّبْتِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِدَارِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ سَلَّارَ، اجْتَمَعَ بِهَا أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَبَايَعُوهُ، وَخَاطَبُوهُ بِالْمَلِكِ **الْمُظَفَّرِ**، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَسَارَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ.

وَفِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٨هـ) وَصَلَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ إِلَى دِمَشْقَ، فَاجْتَمَعَ بِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَالْقُضَاةِ، وَالْأُمَرَاءِ، وَالْأَعْيَانِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ السلطان النَّاصِرِ محمد بن قلاوون، **وَأَنَّهُ قَدْ نَزَلَ عَنِ الْمُلْكِ**، وَأَعْرَضَ عَنْهُ.

فَأَثْبَتَهُ الْقُضَاةُ، وَامْتَنَعَ القاضي الْحَنْبَلِيُّ التَّقِي **سُلَيْمَان بْن حَمْزَة** مِنْ إِثْبَاتِهِ، وَقَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ يَتْرُكُ الْمُلْكَ مُخْتَارًا، وَلَوْلَا أَنَّهُ مُضْطَهَدٌ مَا تَرَكَهُ.

ثُمَّ اسْتَحْلَفَهُمْ **لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ**، وَكُتِبَتِ الْعَلَامَةُ عَلَى الْقَلْعَةِ، وَأَلْقَابُهُ عَلَى مَحَالِّ الْمَمْلَكَةِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَزُيِّنَ الْبَلَدُ، وقُرِئَ كِتَابُ السُّلْطَانِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْقَصْرِ، **وَفِيهِ**: إِنِّي قَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ **عَشْرَ سِنِينَ**، ثُمَّ اخْتَرْتُ الْمُقَامَ بِالْكَرَكِ.

وَخُطِبَ لِلسلطان الْمُظَفَّرِ **رُكْن الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْجَاشْنَكِيرُ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ بِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَفْرَمُ، وَالْقُضَاةُ فِي تَاسِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ،

---

(١) الْجَاشْنَكِيرُ: الذي يتصدى لتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٥٠.

وَرَكِبَ **الْمَلِكُ بيبرس الجاشنكير بالقاهرة** وعليه الْخِلْعَةِ السَّوْدَاءِ الْخَلِيفَتِيَّةِ، وَالْعِمَامَةِ الْمُدَوَّرَةِ، وَالدَّوْلَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمُ الْخِلَعُ، يَوْمَ السَّبْتِ سَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٨هـ)، وَالصَّاحِبُ ضِيَاءُ الدِّينِ النَّشَائِيُّ حَامِلٌ تَقْلِيدَ السُّلْطَانِ مِنْ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ فِي كِيسٍ أَطْلَسَ أَسْوَدَ، وَأَوَّلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠] **وَفَرِحَ** بِنَفْسِهِ أَيَّامًا يَسِيرَةً، وَكَذَا شَيْخُهُ **الْمَنْبِجِيُّ**، **ثُمَّ أَزَالَ اللهُ** عَنْهُمَا نِعْمَتَهُ سَرِيعًا.

من أعمال السلطان الجاشنكير

- فِي آخِرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧٠٩هـ) عُزِلَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ** عَنْ نَظَرِ الْمَارَسْتَانِ بِسَبَبِ انْتِمَائِهِ إِلَى **ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، بِإِشَارَةِ **الْمَنْبِجِيِّ**.

- وفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٩هـ) بَرَزَتِ الْمَرَاسِيمُ السُّلْطَانِيَّةُ من الجاشنكير إِلَى نُوَّابِ الْبِلَادِ السَّوَاحِلِيَّةِ **بِإِبْطَالِ الْخُمُورِ**، وَتَخْرِيبِ الْحَانَاتِ، وَنَفْيِ أَهْلِهَا، فَفُعِلَ ذَلِكَ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا شَدِيدًا.

- وفِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٠٩هـ) وَصَلَ بَرِيدٌ بِتَوْلِيَةِ **قَضَاءِ الْحَنَابِلَةِ** بِدِمَشْقَ لِلشَّيْخِ **شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ شَرِيفِ الدِّينِ حَسَنٍ** الْمَقْدِسِيِّ، عِوَضًا عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ التَّقِيِّ **سُلَيْمَانَ بْنِ حَمْزَةَ**؛ بِسَبَبِ تَكَلُّمِهِ فِي نُزُولِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ عَنِ الْمُلْكِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا نَزَلَ عَنْهُ مُضْطَهَدًا لَيْسَ بِمُخْتَارٍ، **وَقَدْ صَدَقَ فِيمَا قَالَ**.

- وفِي الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٠٩هـ) وَصَلَ الْبَرِيدُ بِوِلَايَةِ **شَدِّ الدَّوَاوِينِ** لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَكْتَمُرَ الْحَاجِبِ عِوَضًا عَنِ الرُّسْتُمِيِّ، فَلَمْ يَقْبَلْ، **وَبِنَظَرِ الْخِزَانَةِ** لِلْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودٍ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَلَانِسِيِّ، فَبَاشَرَهَا، وَعُزِلَ عَنْهَا الْبُصْرَاوِيُّ مُحْتَسِبُ الْبَلَدِ.

- وفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٠٩هـ) بَاشَرَ قَاضِي الْقُضَاةِ **ابْنُ جَمَاعَةَ** مَشْيَخَةَ سَعِيدِ السُّعَدَاءِ بِالْقَاهِرَةِ، بِطَلَبِ الصُّوفِيَّةِ لَهُ، وَرَضُوا مِنْهُ بِالْحُضُورِ عِنْدَهُمْ فِي الْجُمُعَةِ

مَرَّةً وَاحِدَةً، وَعُزِلَ عَنْهَا الشَّيْخُ **كَرِيمُ الدِّينِ الْآمُلِيُّ**؛ وَعُومِلَ بِنَظِيرِ مَا كَانَ يُعَامِلُ بِـهِ النَّاسَ، **وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ قِيَامُهُ عَلَى شَـيْخِ الْإِسْـلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّـةَ، وَافْتِرَاؤُهُ عَلَيْهِ الْكَـذِبَ**، مَعَ جَهْلِـهِ، وَقِلَّةِ وَرَعِهِ، فَعَجَّـلَ اللهُ لَهُ هَذَا الْجَزَاءَ عَلَـى يَدَيْ أَصْحَابِهِ وَأَصْدِقَائِهِ جَزَاءً وِفَاقًا.

○ خلعه ومقتله

لما علم ركن الدين بيبرس الجاشـنكير بقدوم السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الديار المصرية، خاف **فخلع نفسه** من السلطنة، وفَرَّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

ولمـا خَرَجَ الْأَمِيرُ سَـيْفُ الدِّينِ **قَرَاسُـنْقُرُ الْمَنْصُـورِيُّ مِنْ مِصْرَ** مُتَوَجِّهًـا إِلَى نِيَابَةِ **الشَّامِ**، ووصل إلى **غَزَّةَ** فِي سَابعِ **ذِي الْقَعْدَةِ** سنة (٧٠٩هـ) ضَرَبَ **حَلْقَةً لِأَجْلِ الصَّيْدِ**، فَوَقَعَ فِي **وَسَـطِهَا الْجَاشْـنكِيرُ** فِـي ثَلَاثِمِائَةٍ مِـنْ أَصْحَابِـهِ، فَأُحِيطَ بِهِمْ، وَتَفَـرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَأَمْسَكُوهُ، **ثم تَلَقَّاهُمْ** الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَسَنْدَمُرُ، **فَتَسَلَّمَهُ مِنْهُمْ**.

ثم دَخَلَ بِهِ الأمير **أَسَـنْدَمُرُ** عَلَى **السُّـلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون، فَعَاتَبَهُ وَلَامَهُ**، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، ثم **قُتِلَ**، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ شَيْخُهُ الْمَنْبِجِيُّ وَلَا أَمْوَالُهُ.

❁ ❁ ❁

١٤ـ سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون (الثالثة) (شعبان ٧٠٩ـ٧٤١)

○ توليه السلطنة

فِي الثَالِثَ عَشَرَ من شَعْبَانَ سنة (٧٠٩هـ) جَاءَ الْخَبَرُ بِقُدُومِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ محمد بن قلاوون إِلَى دِمَشْقَ، فَسَاقَ إِلَيْهِ **الْأَمِيرَانِ** سَيْفُ الدِّينِ **قُطْلُوبَكُ**، وَالْحَاجُّ **بَهَادُرُ** إِلَى الْكَرَكِ، وَحَضَّاهُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُيِّئَتْ بِدِمَشْق أُبَّهَةُ السَّلْطَنَةِ، وَرَكِبَ مِنَ الْكَرَكِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَأَرْسَلَ الْأَمَانَ إِلَى **الْأَفْرَمِ** نائب دمشق، وَنُودِيَ فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ، وَأَنْ يَفْتَحُوا دَكَاكِينَهُمْ وَيَأْمَنُوا فِي أَوْطَانِهِمْ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الزِّينَةِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَخَرَجَ الْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْأَعْيَانُ لِتَلَقِّيهِ.

قَالَ كَاتِبُهُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكُنْتُ فِي مَنْ شَاهَدَ دُخُولَهُ وَعَلَيْهِ أُبَّهَةُ الْمُلْكِ، وَالْبُسُطُ تحت أَقْدَامِ فَرَسِهِ، كُلَّمَا جَاوَزَ شُقَّةً طُوِيَتْ مِنْ وَرَائِهِ، وَالْأُمَرَاءُ السِّلِحْدَارِيَّةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنَّاسُ يَدْعُونَ لَهُ، وَيَضِجُّونَ بِذَلِكَ ضَجِيجًا عَالِيًا، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَسَارَ بِفَرَسِهِ إِلَى جِهَةِ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَالْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ، وَخُطِبَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، الحادي والعشرين من شعبان سنة (٧٠٩هـ).

وَفِي بُكْرَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ وَصَلَ الْأَمِيرُ **جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الْأَفْرَمُ** نَائِبُ دِمَشْقَ مُطِيعًا لِلسُّلْطَانِ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَرَجَّلَ لَهُ السُّلْطَانُ، وَأَكْرَمَهُ، **وَأَذِنَ لَهُ فِي مُبَاشَرَةِ النِّيَابَةِ** عَلَى عَادَتِهِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِطَاعَةِ الْأَفْرَمِ لَهُ.

وَفِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ رَسَمَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون بِتَقْلِيدِ قَضَاءِ الْحَنَابِلَةِ إلى الشيخ الْتَقِيِّ **سُلَيْمَانَ بْنِ حَمْزَةَ المقدسي**، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ، وَجَاءَ إِلَى السُّلْطَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَمَضَى إِلَى الْجَوْزِيَّةِ فَحَكَمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

○ عودة السلطان الناصر محمد إلى مصر

خَرَجَ السُّلْطَانُ مِنْ دِمَشْقَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعِ رَمَضَانَ سنة (٧٠٩هـ)، وَفِي صُحْبَتِهِ ابْنُ صَصْرَى، وَصَدْرُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ قَاضِي الْعَسَاكِرِ، وَالْخَطِيبُ جَلَالُ الدِّينِ، وَالشَّيْخُ

كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ، وَدِيوانُ الْجَيْشِ، وَجَيْشُ الشَّامِ بِكَمالِهِ، فَلَمَّا انْتَهَى السُّلْطَانُ إِلَى غَزَّةَ دَخلَهَا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَلَقَّاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَهَادُرُ آص وَجماعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ.

فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ **الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ** قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَمْلَكَةِ، ثُمَّ توالى قُدُومُ الْأُمَرَاءِ مِنْ مِصْرَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، فَطَابَتْ قُلُوبُ الشَّامِيِّينَ، وَاسْتَبْشَرُوا بِذَلِكَ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ. وَكَانَ دُخُولُ السُّلْطَانِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى قَلْعَةِ جَبَلِ المقطم آخِرَ يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سنة (٧٠٩هـ)

○ ترتيب السلطان الناصر لمناصب الدولة:

في شهر شوال سنة (٧٠٩هـ) صدرت مراسيم السلطان الناصر كالآتي:

- رسم **لِسَلَّارَ** أَنْ يُسَافِرَ إِلَى الشَّوْبَكِ.
- وَاسْتَنَابَ بِمِصْرَ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ **بَكْتَمُرَ** الْجُوكَنْدَارَ الَّذِي كَانَ نَائِبَ صَفَدَ.
- وَاسْتَنَابَ بِالشَّامِ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ **قَرَاسُنْقُرَ** الْمَنْصُورِيَّ.
- وَاسْتَوْزَرَ **الصَّاحِبَ** فَخْرَ الدِّينِ **بْنَ الْخَلِيلِيِّ**.
- وَبَاشَرَ **الْقَاضِي** فَخْرُ الدِّينِ كَاتِبُ الْمَمَالِكِ نَظَرَ الْجُيُوشِ بِمِصْرَ.
- وَصَرَفَ الْأَمِيرَ جَمَالَ الدِّينِ آقُوشَ **الْأَفْرَمَ** إِلَى نِيَابَةِ صَرْخَدَ.
- وَقَدِمَ إِلَى **دِمَشْقَ** الْأَمِيرُ **زَيْنُ الدِّينِ كَتْبُغَا** رَأْسُ نَوْبَةِ الْجَمَدَارِيَّةِ، مُشِدَّ الدَّوَاوِينِ.

وَتَغَيَّرَتِ الدَّوْلَةُ، وَانْقَلَبَتْ قَلْبَةً عَظِيمَةً.

○ معاقبة المتآمرين على السلطان

فِي شَوَّالٍ سنة (٧٠٩هـ) أَمْسَكَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَمِيرًا.

○ فتنة العصبية القبلية

فِي سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٠٩هـ) وَقَعَ بَيْنَ أَهْلِ حَوْرَانَ مِنْ **قَيْسٍ وَيَمَنٍ** قتال على العصبية، فقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ نَحْوٌ مَنْ **أَلْفِ نَفْسٍ** بِالْقُرْبِ مِنَ السُّوَيْدَاءِ، وَهُمْ يُسَمُّونَهَا يَوْمَ السُّوَيْدَاءِ، وَكَانَتِ الْكَسْرَةُ عَلَى يَمَنٍ، فَهَرَبُوا مِنْ قَيْسٍ حَتَّى دَخَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى دِمَشْقَ فِي أَسْوَأِ حَالٍ وَأَضْعَفِهِ، **وَهَرَبَتْ قَيْسٌ خَوْفًا مِنَ الدَّوْلَةِ**، وَبَقِيَتِ الْقُرَى خَالِيَةً، وَالزُّرُوعُ سَائِبَةً، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ إظهار ملك التتر خربندا الرفض

فِي سنة (٧٠٩هـ) أَظْهَرَ مَلِكُ التَّتَرِ خَرْبَنْدَا **الرَّفْضَ** فِي بِلَادِهِ، وَأَمَرَ الْخُطَبَاءَ أَنْ لَا يَذْكُرُوا فِي خُطْبَتِهِمْ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَوَلَدَيْهِ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَلَمَّا وَصَلَ خَطِيبُ بَابِ **الْأَزَجِ** إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مَنْ خُطْبَتِهِ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ، وَنَزَلَ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِتْمَامِهَا، فَأُقِيمَ مَنْ أَتَمَّهَا عَنْهُ وَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَظَهَرَ عَلَى النَّاسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَهْلُ الْبِدْعَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ قتل نائب السلطنة الأمير سلّار

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١٠هـ) طلب السُّلْطَانُ نائب السلطنة الْأَمِيرَ **سَيْفَ الدِّينِ سَلَّارَ**، فَحَضَرَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ، فَعَاتَبَهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِصَتْ مِنْهُ أَمْوَالُهُ وَحَوَاصِلُهُ فِي مُدَّةِ شَهْرٍ، ثُمَّ **قُتِلَ** بَعْدَ ذَلِكَ، فَوُجِدَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالْحَيَوَانِ، وَالْأَمْلَاكِ، وَالرِّبَاعِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَأَمَّا الْجَوَاهِرُ، وَالذَّهَبُ، وَالْفِضَّةُ، فَشَيْءٌ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ مِنْ كَثْرَتِهِ.

وَ**حَاصِلُ الْأَمْرِ** أَنَّهُ قَدِ اسْتَأْثَرَ لِنَفْسِهِ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ مَعَ هَذَا كَثِيرَ الْعَطَاءِ كَرِيمًا، مُحَبَّبًا إِلَى الدَّوْلَةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ بَاشَرَ **نِيَابَةَ السَّلْطَنَةِ** بِمِصْرَ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ (٦٩٨هـ) إِلَى أَنْ قُتِلَ.

عزل نائب دمشق بسبب فرض المكوس

فِـي جُمَادَى الْأُولَى سـنة (٧١١هـ) **قُرِّرَ عَلَى أَهْلِ دِمَشْـقَ أَلْفٌ وَخَمْسُـمِائَةِ فَارِسٍ، لِكُلِّ فَارِسٍ خَمْسُـمِائَةِ دِرْهَمٍ**، وَضُرِبَتْ عَلَى الْأَمْلَاكِ وَالْأَوْقَافِ، فَتَأَلَّمَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ تَأَلُّمًـا عَظِيمًا، وَسَـعَوْا إِلَى الْخَطِيبِ جَلَالِ الدِّينِ، فَسَـعَى إِلَى الْقُضَـاةِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بُكْرَةَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ الشَّهْرِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الِاجْتِمَاعِ، وَأَخْرَجُوا مَعَهُمُ الْمُصْحَفَ الْعُثْمَانِـيَّ، وَالْأَثَرَ النَّبَوِيَّ، وَوَقَفُوا فِي الْمَوْكِبِ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّائِبُ تَغَيَّظَ عَلَيْهِمْ، وَشَـتَمَ الْقَاضِـي وَالْخَطِيبَ، وَرَسَـمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ بِضَمَانٍ وَكَفَالَـةٍ، فَتَأَلَّمَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيـرًا، فَلَـمْ يُمْهِلْهُ اللهُ إِلَّا عَشَـرَةَ أَيَّامٍ، فَجَاءَهُ الْأَمْـرُ فَجْأَةً، فَعُزِلَ وَحُبِـسَ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا.

وَيُقَـالُ: إِنَّ الشَّـيْخَ **تَقِيَّ الدِّيـنِ** لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ أَهْلِ الشَّـامِ فَأَخْبَرَ السُّـلْطَانَ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ مِنْ فَوْرِهِ، فَمَسَكَهُ شَرَّ مِسْكَةٍ.

وَقَدِمَ جَمَالُ الدِّينِ **آقُوشُ** الْمَنْصُورِيُّ نَائِبُ الْكَرَكِ عَلَى **نِيَابَةِ دِمَشْقَ** فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١١هـ)، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَأُشْعِلَتْ لَهُ الشُّمُوعُ، وَفِي صُحْبَتِهِ الْحَظِيرِيُّ لِيُقَرِّرَهُ فِي النِّيَابَةِ، وَقَدْ بَاشَرَ نِيَابَةَ الْكَرَكِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَلَهُ بِهَا آثَارٌ حَسَنَةٌ.

وَخَرَجَ عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِـيِّ لِتَلَقِّي النَّائِـبِ، وَقُرِئَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ كِتَابُ السُّـلْطَانِ عَلَى السُّـدَّةِ بِحَضْرَةِ النَّائِبِ وَالْقُضَـاةِ، وَالْأَعْيَانِ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَـانِ إِلَى الرَّعِيَّـةِ، وَإِطْـلَاقُ الْبَوَاقِي [1] الَّتِي كَانَتْ قَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّـامَ كِرَايْ، فَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لِلسُّلْطَانِ، وَفَرِحَ النَّاسُ.

وَفِي شَـعْبَانَ سنة (٧١١هـ) رَكِبَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ بِنَفْسِهِ إِلَى أَبْوَابِ السُّجُونِ، فَأَطْلَقَ الْمَحْبُوسِينَ بِنَفْسِهِ، فَتَضَاعَفَتْ لَهُ الْأَدْعِيَةُ فِي الْأَسْوَاقِ وَغَيْرِهَا.

(١) المقصود الإعفاء من بواقي المكوس التي فرضت عليهم.

وَفِي شَعْبَانَ سنة (٧١١هـ) قَدِمَ الصَّاحِبُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ مِنْ مِصْرَ، فَاجْتَمَعَ بِالنَّائِبِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ احْتِرَامَهُ وَإِكْرَامَهُ وَاسْتِمْرَارَهُ عَلَى وَكَالَةِ السُّلْطَانِ وَنَظَرِ الْخَاصِّ، وَالْإِنْكَارَ لِمَا ثَبَتَ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ وَلَا وَكَّلَ فِيهِ.

○ القبض على بعض نواب البلاد

⊙ فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧١١هـ) مُسِكَ **نَائِبُ صَفَدَ** الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُوبَكُ، وَقُيِّدَ وَحُمِلَ إِلَى الْكَرَكِ، وَمُسِكَ **نَائِبُ مِصْرَ** سَيْفُ الدِّينِ بَكْتَمُرُ أَمِيرُ جَانْدَارَ، وَمُسِكَ **نَائِبُ غَزَّةَ**، وَعُوِّضَ عَنْهُ بِالْجَاوِلِيِّ، فَاجْتَمَعُوا جميعا فِي حَبْسِ الْكَرَكِ.

⊙ وفِي عَاشِرِ ذِي الْقَعْدَةِ جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ **قَرَاسُنْقُرَ** لِحَقَ بِمُهَنَّا بْنِ عِيسَى، فَاسْتَجَارَ بِهِ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ، ثُمَّ سَارَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى التَّتَرِ. وَقَدْ حَصَلَ عِنْدَ النَّاسِ هَمٌّ وَغَمٌّ وَحُزْنٌ مِنْ **هروب قَرَاسُنْقُرَ** وَأَصْحَابِهِ.

⊙ وَفِي خَامِسِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٢هـ) تَوَجَّهَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْدَمُرُ الزَّرَدْكَاشُ وَأَمِيرَانِ مَعَهُ إِلَى الْأَفْرَمِ، وَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى لَحِقُوا بِقَرَاسُنْقُرَ وَهُوَ عِنْدَ **مُهَنَّا**، ثُمَّ سَارُوا نَحْوَ **التَّتَارِ**، فَكَانُوا كَالْمُسْتَجِيرِينَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ.

⊙ وَجَاءَ الْبَرِيدُ من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون فِي صَفَرٍ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى حَوَاصِلِ الْأَفْرَمِ وَقَرَاسُنْقُرَ وَالزَّرَدْكَاشِ وَجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ، وَقَطْعِ **خُبْزِ مُهَنَّا**، وَجَعْلِ مَكَانَهُ فِي الْإِمْرَةِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا.

⊙ وفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧١٥هـ) وَصَلَ مِنْ مِصْرَ **الْأَمِيرُ فَضْلُ بْنُ عِيسَى** وَمَعَهُ تَقْلِيدٌ بِإِمْرَةِ الْعَرَبِ عِوَضًا عَنْ أَخِيهِ **مُهَنَّا بْنِ عِيسَى**، وَأُجْرِيَ لَهُ وَلِابْنِ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ مُهَنَّا إِقْطَاعَاتٌ جَيِّدَةٌ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ دُخُولِ مُهَنَّا إِلَى بِلَادِ التَّتَرِ وَاجْتِمَاعِهِ بِمُلْكِهِمْ خَرْبَنْدَا.

⊙ وفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٢٠هـ) جَاءَتْ مَرَاسِيمُ السُّلْطَانِ إِلَى الشَّامِ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى **أَخْبَازِ** (أملاك) **آلِ مُهَنَّا**، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ (أي سلطته)، وَذَلِكَ لِغَضَبِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ لِعَدَمِ قُدُومِ وَالِدِهِمْ مُهَنَّا عَلَى السُّلْطَانِ، ثم أُخْرِجُوا إِلَى **عَانَةَ وَحَدِيثَةَ** من بلاد العراق.

⊙ وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧١٢هـ) مُسِكَ **بَيْبَرْسُ الْعَلَائِيُّ نَائِبُ حِمْصَ، وَبَيْبَرْسُ الْمَجْنُونُ، وَطُوغَانُ**، وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ مِنَ الْأُمَرَاءِ، سِتَّةٌ فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ، وَسُيِّرُوا إِلَى الْكَرَكِ مُعْتَقَلِينَ بِهَا.

⊙ وَفِيهِ أيضًا: مُسِكَ **نَائِبُ مِصْرَ** الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ **الدَّوَادَارُ** الْمَنْصُورِيُّ، وَمُسِكَ نَائِبُ الشَّامِ **جَمَالُ الدِّينِ**، وَشَمْسُ الدِّينِ **سُنْقُرُ** الْكَمَالِيُّ حَاجِبُ الْحُجَّابِ بِمِصْرَ، وَخَمْسَةُ أُمَرَاءَ آخَرُونَ، وَحُبِسُوا كُلُّهُمْ بِقَلْعَةِ الْكَرَكِ فِي بُرْجٍ هُنَاكَ.

⊙ وَفِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٣هـ) **مُسِكَ** أَمِينُ الْمُلْكِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ مَعَهُ، وَصُودِرُوا بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَأُقِيمَ عِوَضَهُ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ التُّرْكُمَانِيِّ الَّذِي كَانَ وَالِيَ الْبَحْرِيَّةِ.

⊙ وفِي التَّاسِعَ عَشَرَ من شهر صفر سنة (٧١٥هـ) وَصَلَ الْخَبَرُ بِمَسْكِ **بَكْتَمُرَ** الْحَاجِبِ، **وَأَيْدُغْدِي** شُقَيْرٍ، وَغَيْرِهِمَا؛ لِأَنَّهُمُ **اتَّفَقُوا عَلَى السُّلْطَانِ**، فَبَلَغَهُ الْخَبَرُ، فَمَسَكَهُمْ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَحَوَاصِلِهِمْ، وَظَهَرَ **لِبَكْتَمُرَ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَأَمْتِعَةٌ**، وَحَوَاصِلُ كَثِيرَةٌ. كما قبض على الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَمُرُ نَائِبِ طَرَابُلُسَ، وَمُسِكَ بِدِمَشْقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **بَهَادُرُ** آصُ الْمَنْصُورِيُّ، فَحُمِلَ الْأَوَّلُ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَحُمِلَ الثَّانِي إِلَى الْكَرَكِ، وَحَزِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَدَعَوْا لَهُ.

⊙ وَفِي شهر صفر سنة (٧١٥هـ) مُسِكَ الْوَزِيرُ **عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ**، وَاعْتُقِلَ بِالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَصُولِحَ بِخَمْسِينَ أَلْفًا، ثُمَّ أُطْلِقَ لَهُ مَا كَانَ أُخِذَ مِنْهُ، وَانْفَصَلَ مِنْ دِيوَانِ نَظَرِ الْخَاصِّ.

⊙ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٤هـ) حُمِلَ كَرِيمُ الدِّينِ - وَكِيلُ السُّلْطَانِ - مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَاعْتُقِلَ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ أَمْوَالٌ وَذَخَائِرُ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى الصَّعِيدِ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ نَفَقَاتٌ سُلْطَانِيَّةٌ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنْ عِيَالِهِ، وَطُلِبَ كَرِيمُ الدِّينِ الصَّغِيرُ، وَصُودِرَ بِأَمْوَالٍ جَمَّةٍ، وَحُبِسَ ثُمَّ أُطْلِقَ.

⊙ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٢٨هـ) جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ أَفْرَجَ عَنِ **الْجَاوِلِيِّ**، وَالْأَمِيرِ **فَرَجِ بْنِ قَرَاسُنْقُرَ**، **وَلَاجِينَ** الْمَنْصُورِيِّ، وَأُحْضِرُوا بَعْدَ الْعِيدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ.

○ نيابة تنكز على دمشق

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١٢هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **تَنْكِزُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَالِكِيُّ النَّاصِرِيُّ **نَائِبًا عَلَى دِمَشْقَ**، وَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ، وَفَرِحُوا بِهِ كَثِيرًا، وَنَزَلَ **بِدَارِ السَّعَادَةِ**، وَوَقَعَ عِنْدَ قُدُومِهِ مَطَرٌ عَظِيمٌ.

وَحَضَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخُطْبَةَ بِالْمَقْصُورَةِ، وَأُشْعِلَتْ لَهُ الشُّمُوعُ فِي طَرِيقِهِ، وَجَاءَ تَوْقِيعٌ لِابْنِ صَصْرَى بِإِعَادَةِ قَضَاءِ الْعَسْكَرِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَنْظُرَ الْأَوْقَافَ فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي الِاسْتِنَابَةِ فِي الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَجَاءَ مَرْسُومٌ لِشَمْسِ الدِّينِ أَبِي طَالِبِ بْنِ حُمَيْدٍ بِنَظَرِ الْجَيْشِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ بِحُكْمِ إِقَامَتِهِ بِمِصْرَ.

○ معاقبة ابن زهرة المغربي

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١٢هـ) قَامَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ قَوَامٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ عَلَى **ابْنِ زُهْرَةَ الْمَغْرِبِيِّ** الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ **بِالْكَلَّاسَةِ**، وَكَتَبُوا عَلَيْهِ مَحَاضِرَ تَتَضَمَّنُ اسْتِهَانَتَهُ بِالْمُصْحَفِ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ، فَأُحْضِرَ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ، فَاسْتَسْلَمَ وَحُقِنَ دَمُهُ، وَعُزِّرَ تَعْزِيرًا بَلِيغًا عَنِيفًا، وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَهُوَ مَكْشُوفُ الرَّأْسِ، وَوَجْهُهُ مَقْلُوبٌ، وَظَهْرُهُ مَضْرُوبٌ، يُنَادَى عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ

مَعْرِفَةٍ. ثُمَّ حُبِسَ وَأُطْلِقَ، فَهَرَبَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، ثُمَّ عَادَ عَلَى الْبَرِيدِ فِي شَعْبَانَ، وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

من إصلاحات السلطان الناصر محمد بن قلاوون

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١٢هـ) قَدِمَ كِتَابٌ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَى دِمَشْقَ **أَنْ لَا يُوَلَّى أَحَدٌ بِمَالٍ وَلَا بِرِشْوَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى وِلَايَةِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْوِلَايَةِ**، وَإِلَى وِلَايَةِ غَيْرِ الْأَهْلِ، فَقَرَأَهُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ عَلَى السُّدَّةِ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفِي رَمَضَانَ جَاءَ كِتَابُ السُّلْطَانِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ لَا يَجْنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ، بَلْ يُتَّبَعُ الْقَاتِلُ حَتَّى يُقْتَصَّ مِنْهُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ، فَقَرَأَهُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ عَلَى السُّدَّةِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ تَنْكِزَ، **وَسَبَبُهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، هُوَ أَمَرَ بِذَلِكَ وَبِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ قَبْلَهُ.

قدوم التتر إلى الرحبة

فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ سنة (٧١٢هـ) حَصَلَ لِلنَّاسِ خَوْفٌ بِدِمَشْقَ بِسَبَبِ أَنَّ **التَّتَرَ** قَدْ تَحَرَّكُوا لِلْمَجِيءِ إِلَى **الشَّامِ**، فَانْزَعَجَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَخَافُوا، وَتَحَوَّلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الْبَلَدِ، وَاشْتَهَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ **قَرَاسُنْقُرَ** وَذَوِيهِ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ **وَصَلَ التَّتَرُ** إِلَى **الرَّحْبَةِ** فَحَاصَرُوهَا عِشْرِينَ يَوْمًا، وَقَاتَلَهُمْ نَائِبُهَا الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ مُوسَى الْأَزْكُشِيُّ خَمْسَةَ أَيَّامٍ قِتَالًا عَظِيمًا، وَمَنَعَهُمْ مِنْهَا، فَأَشَارَ رَشِيدُ الدَّوْلَةِ بِأَنْ يَنْزِلُوا إِلَى **خِدْمَةِ السُّلْطَانِ خَرْبَنْدَا**، وَيُهْدُوا لَهُ هَدِيَّةً، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْعَفْوَ، فَنَزَلَ الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ إِسْحَاقُ وَجَمَاعَةٌ، وَأَهْدَوْا لَهُ خَمْسَةَ رُءُوسِ خَيْلٍ وَعَشَرَةَ أَبَالِيجَ سُكَّرٍ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ.

وَكَانَتْ بِلَادُ حَلَبَ وَحَمَاةَ وَحِمْصَ قَدْ أُجْلُوا مِنْهَا، وَخَرِبَ أَكْثَرُهَا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهَا لَمَّا تَحَقَّقُوا رُجُوعَ **التَّتَرِ** عَنِ الرَّحْبَةِ، وَسَكَنَتِ النُّفُوسُ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَخَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْعِيدِ، وَذَكَّرَ النَّاسَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ.

❍ خروج السلطان إلى دمشق لمواجهة التتر

فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧١٢هـ) كان **خُرُوج السُّلْطَانِ مِنْ مِصْرَ لِأَجْلِ مُلَاقَاةِ التَّتَرِ**، وَخَرَجَ الرَّكْبُ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ، وَأَمِيرُهُمْ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينُ الصَّغِيرُ، الَّذِي كَانَ وَالِيَ الْبَرِّ، وَقَدِمَتِ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ الْمِصْرِيَّةُ أَرْسَالًا، وَكَانَ قُدُومُ السُّلْطَانِ وَدُخُولُهُ دِمَشْقَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ **ثَالِثَ عِشْرِينَ** شَوَّالٍ.

❍ موت ملك القفجاق وإسلام خليفته

فِي رَمَضَانَ سنة (٧١٢هـ) مَاتَ مَلِكُ دَسْتِ الْقَفْجَاقِ [1] الْمُسَمَّى طُقْطَايْ خَانْ، وَكَانَ لَهُ فِي الْمُلْكِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا، عَلَى دِينِ التَّتَرِ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْكَوَاكِبِ، يُعَظِّمُ الْمُجَسِّمَةَ، وَالْحُكَمَاءَ، وَالْأَطِبَّاءَ، وَيُكْرِمُ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ، كَانَ جَيْشُهُ هَائِلًا، لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى قِتَالِهِ لِكَثْرَةِ جَيْشِهِ، وَقُوَّتِهِمْ، وَعَدَدِهِمْ، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أَخِيهِ **أُزْبَكْ خَانْ**، وَكَانَ مُسْلِمًا، فَأَظْهَرَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِبِلَادِهِ، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أُمَرَاءِ الْكَفَرَةِ، وَعَلَتِ الشَّرِيعَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ عَلَى سَائِرِ الشَّرَائِعِ هُنَاكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

❍ عودة السلطان من الحج

اسْتَهَلَّتْ **سنة (٧١٣هـ)** وَالسُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون فِي الْحِجَازِ لَمْ يَقْدَمْ بَعْدُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ حَادِيَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ دَخَلَ دِمَشْقَ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ عَلَى الْعَادَةِ، وَقَدْ **رَأَيْتُهُ** مَرْجِعَهُ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ عَلَى شَفَتِهِ وَرَقَةٌ قَدْ أَلْصَقَهَا عَلَيْهَا، فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ، وَصَلَّى الْجُمُعَةَ رَابِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ بِمَقْصُورَةِ الْخَطَابَةِ.

ثم تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ رَاجِعًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يوم الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَتَقَدَّمَتِ الْجُيُوشُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَعَهُ.

---

(١) أطلق العرب لفظ القبجاق على أوكرانيا الحالية، ومعظم سلاطين المماليك أتراك قبجاق. الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (١١/ ٣٨٣).

○ إنجازات وإصلاحات

⊙ فِي رَجَبٍ سنة (٧١٣هـ) كَمَلَتْ صناعة **أَرْبَعَةُ مَجَانِيقَ**، وَاحِدٌ لِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَثَلَاثَةٌ تُحْمَلُ إِلَى الْكَرَكِ، وَرُمِيَ بِاثْنَيْنِ عَلَى بَابِ الْمَيْدَانِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ تَنْكِزُ وَالْعَامَّةُ.

⊙ وفِي شَعْبَانَ سنة (٧١٣هـ) تَكَامَلَ حَفْرُ النَّهْرِ الَّذِي عَمِلَهُ سَوْدِي نَائِبُ حَلَبَ بِهَا، وَكَانَ طُولُهُ مِنْ نَهْرِ السَّاجُورِ إِلَى نَهْرِ قُوَيْقٍ **أَرْبَعِينَ أَلْفَ** ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ ذِرَاعَيْنِ وَعُمْقِ ذِرَاعَيْنِ، وَغُرِمَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَعَمِلَ بِالْعَدْلِ وَلَمْ يَظْلِمْ فِيهِ أَحَدًا.

⊙ وفي عَاشِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٤هـ) يَوْمِ الْجُمُعَةِ قُرِئَ كِتَابُ السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون عَلَى السُّدَّةِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ وَالْقُضَاةِ وَالْأُمَرَاءِ، يَتَضَمَّنُ الإعفاء من **بَوَاقِي** من المكوس مِنْ سَنَةِ (٦٩٨هـ) إِلَى آخِرِ سَنَةِ (٧١٣هـ)، فَتَضَاعَفَتِ الْأَدْعِيَةُ لِلسُّلْطَانِ.

⊙ ثُمَّ قُرِئَ فِي الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى مَرْسُومٌ آخَرُ، فِيهِ **الْإِفْرَاجُ عَنِ الْمَسْجُونِينَ**، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ سِوَى نِصْفِ دِرْهَمٍ.

⊙ وَمَرْسُومٌ آخَرُ فِيهِ إِطْلَاقُ السُّخَرِ، وَالْقَصَبِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْفَلَّاحِينَ، قَرَأَهُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ.

⊙ وفي الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٤هـ) اسْتَحْضَرَ السُّلْطَانُ **الْفَقِيهَ نُورَ الدِّينِ عَلِيًّا الْبَكْرِيَّ**، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَشَفَعَ فِيهِ الْأُمَرَاءُ، فَنَفَاهُ وَمَنَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْفَتْوَى وَالْعِلْمِ. وَكَانَ قَدْ هَرَبَ وَاخْتَفَى لَمَّا طُلِبَ مِنْ جِهَةِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَذَلِكَ **لِاجْتِرَائِهِ وَتَسَرُّعِهِ عَلَى التَّكْفِيرِ وَالْقَتْلِ**.

⊙ وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٧١٤هـ) قَرَأَ ابْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ** كِتَابًا سُلْطَانِيًّا عَلَى السُّدَّةِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السُّلْطَانِ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِإِطْلَاقِ ضَمَانِ الْقَوَّاسِينَ، وَضَمَانِ النَّبِيذِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَدَعَا النَّاسُ لِلسُّلْطَانِ.

⊙ وفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٥هـ) أَبْطَلَ **السُّلْطَانُ الْمَكْسَ** بِسَائِرِ الْبِلَادِ الْقِبْلِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ بمصر.

- وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ فِي سنة (٧١٧هـ) بِأَنَّهُ **قَدْ أُبْطِلَتِ الْخُمُورُ وَالْفَوَاحِشُ كُلُّهَا** مِنْ بِلَادِ السَّوَاحِلِ، وَطَرَابُلُسَ، وَغَيْرِهَا، **وَوُضِعَتْ مُكُوسٌ كَثِيرَةٌ** عَنِ النَّاسِ هُنَالِكَ، وَبُنِيَتْ بِقُرَى **النُّصَيْرِيَّةِ فِي** كُلِّ قَرْيَةٍ مَسْجِدٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢٤هـ) قُرِئَ كِتَابُ السُّلْطَانِ بِالْمَقْصُورَةِ مِنَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِحَضْرَةِ النَّائِبِ وَالْقُضَاةِ، **يَتَضَمَّنُ إِطْلَاقَ مَكْسِ الْغَلَّةِ** بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ جَمِيعِهِ، فَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لِلسُّلْطَانِ مِنَ الْخَوَاصِّ، وَالْعَوَامِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- وفِي شَعْبَانَ سنة (٧٢٢هـ) رَسَمَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون **بِوَضْعِ الْمَكْسِ عَنِ الْمَأْكُولَاتِ بِمَكَّةَ**، وَعَوَّضَ صَاحِب مكة عَنْ ذَلِكَ بِإِقْطَاعٍ فِي بِلَادِ الصَّعِيدِ.

- وفِي نِصْفِ شَوَّالٍ سنة (٧٢٤هـ) زَادَ السُّلْطَانُ فِي عِدَّةِ الْفُقَهَاءِ بِمَدْرَسَتِهِ النَّاصِرِيَّةِ، كَانَ فِيهَا مَنْ كُلِّ مَذْهَبٍ ثَلَاثُونَ ثَلَاثُونَ، فَزَادَهُمْ إِلَى أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ، وَزَادَهُمْ فِي الْجَوَامِكِ أَيْضًا.

- وَفِي أَوَاخِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٨هـ) وَصَلَتِ **الْقَنَاةُ** إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ الَّتِي أَمَرَ بِعِمَارَتِهَا وَتَجْدِيدِهَا سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُبَكَّ، فَقَامَ بِعِمَارَتِهَا مَعَ وُلَاةِ تِلْكَ النَّوَاحِي، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا، وَدَخَلَتْ حَتَّى إِلَى وَسَطِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَعُمِلَ بِهِ بِرْكَةٌ هَائِلَةٌ، وَهِيَ مُرَخَّمَةٌ مَا بَيْنَ الصَّخْرَةِ وَالْأَقْصَى.

- وَفِي سنة (٧٢٨هـ) عُمِّرَ **سُقُوفُ رُوَاقَاتِ الْمَسْجِدِ** الْحَرَامِ بِمَكَّةَ وَأَبْوَابُهُ، وَعُمِّرَتْ بِمَكَّةَ طَهَّارَةٌ مِمَّا يَلِي بَابَ بَنِي شَيْبَةَ.

- وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢٨هـ) نُقِضَ **التَّرْخِيمُ** الَّذِي بِحَائِطِ جَامِعِ دِمَشْقَ الْقِبْلِيِّ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ مِمَّا يَلِي بَابَ الزِّيَادَةِ، فَوَجَدُوا الْحَائِطَ مُتَجَافِيًا، فَخِيفَ مِنْ أَمْرِهِ، وَحَضَرَ تَنْكِزُ بِنَفْسِهِ وَمَعَهُ الْقُضَاةُ وَأَرْبَابُ الْخِبْرَةِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى **نَقْضِهِ وَإِصْلَاحِهِ**.

⊙ وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثِ عِشْرِينَ رَجَبٍ سنة (٧٢٨هـ) رُسِمَ لِلْأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ **الْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ** بِالصَّلَاةِ فِي الْحَائِطِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَعُيِّنَ الْمِحْرَابُ الْجَدِيدُ الَّذِي بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالْمَقْصُورَةِ لِلْإِمَامِ الْحَنَفِيِّ، وَعُيِّنَ مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ لِلْمَالِكِيِّ، وَعُيِّنَ مِحْرَابُ مَقْصُورَةِ الْخَضِرِ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ الْمَالِكِيُّ لِلْحَنْبَلِيِّ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ على ذَلِكَ.

⊙ مِنْ أَوَاخِرِ سنة (٧٢٩هـ) وَأَوَائِلِ سنة (٧٣٠هـ) عُمِل على توسعة الطُّرُقَاتُ وَالْأَسْوَاقُ دَاخِلَ دِمَشْقَ وَخَارِجَهَا، مِثْلَ سُوقِ السِّلَاحِ وَالرَّصِيفِ، وَالسُّوقِ الْكَبِيرِ، وَبَابِ الْبَرِيدِ، وَمَسْجِدِ الْقَصَبِ إِلَى الزَّنْجِيلِيَّةِ، وَخَارِجِ بَابِ الْجَابِيَةِ إِلَى مَسْجِدِ الذِّبَّانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَتْ تَضِيقُ عَنْ سُلُوكِ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِأَمْرِ تَنْكِزَ، وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ الْقَنَوَاتِ، وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ.

⊙ وفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعِ صَفَرٍ سنة (٧٣١هـ) وَصَلَ نَهْرُ **السَّاجُورِ** إِلَى مَدِينَةِ **حَلَبَ**، وَخَرَجَ نَائِبُ حلَبَ **أَرْغُونُ**، وَمَعَهُ الْأُمَرَاءُ مُشَاةً إِلَيْهِ فِي تَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَحْمِيدٍ، يَلْتَقُونَ هَذَا النَّهْرَ، وَلَمْ يُمَكِّنْ أَحَدًا مِنَ الْمَغَانِي وَلَا غَيْرِهِمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَفَرِحَ النَّاسُ بِوُصُولِهِ إِلَيْهِمْ فَرَحًا شَدِيدًا، وَكَانُوا قَدْ سَعَوْا فِي تَخْلِيصِهِ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ احْتَاجُوا فِيهَا إِلَى نَقْبِ بَعْضِ الْجِبَالِ، وَفِيهَا صُخُورٌ ضِخَامٌ صُمٌّ، وَعَقَدُوا لَهُ قَنَاطِرَ عَلَى الْأَوْدِيَةِ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ، وَأَمْرٍ شَدِيدٍ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

⊙ وَفِي سَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٣١هـ) وَسَّعَ تَنْكِزُ الطُّرُقَاتِ بِالشَّامِ ظَاهِرَ بَابِ الْجَابِيَةِ، وَخَرَّبَ كُلَّ مَا يُضَيِّقُ الطُّرُقَاتِ.

⊙ وفِي رَمَضَانَ سنة (٧٣١هـ) وُطِّئَ سُوقُ الْخَيْلِ، وَرُكِّبَتْ فِيهِ حَصْبَاءُ كَثِيرَةٌ، وَعَمِلَ فِيهِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ نَفْسٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ حَتَّى سَاوَوْهُ وَأَصْلَحُوهُ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَكُونُ فِيهِ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ.

⊙ وَفِيهِ أُصْلِحَ سُوقُ الدَّقِيقِ ظَاهِرَ بَابِ الْجَابِيَةِ إِلَى الثَّابِتِيَّةِ، وَسُقِفَ عَلَيْهِ السُّقُوفُ.

⊙ وفِي شَعْبَانَ سنة (٧٣٢هـ) أَمَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ **بِتَبْيِيضِ الْبُيُوتِ** مِنْ سُوقِ الْخَيْلِ إِلَى مَيْدَانِ الْحَصَا، فَفُعِلَ ذَلِكَ.

⊙ وَفِي رَجَبٍ سنة (٧٣٣هـ) رَسَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ **بِالْمَنْعِ مِنْ رَمْيِ الْبُنْدُقِ، وَأَنْ لَا تُبَاعَ قِسِيُّهُ وَلَا تُعْمَلَ**؛ وَذَلِكَ لِإِفْسَادِ رُمَاةِ الْبُنْدُقِ أَوْلَادَ النَّاسِ، وَأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى مَنْ تَعَانَاهُ اللِّوَاطُ، وَالْفِسْقُ، وَقِلَّةُ الدِّينِ، وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ.

⊙ **قَالَ الْبِرْزَالِيُّ**: وَفِي نِصْفِ شَعْبَانَ سنة (٧٣٣هـ) أَمَرَ السُّلْطَانُ **بِتَسْلِيمِ الْمُنَجِّمِينَ** إِلَى وَالِي الْقَاهِرَةِ، فَضُرِبُوا، وَحُبِسُوا، ثُمَّ نُفُوا؛ لِإِفْسَادِهِمْ حَالَ النِّسَاءِ، فَمَاتَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ تَحْتَ الْعُقُوبَةِ: ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَصْرَانِيٌّ، كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَيَّ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّحْبِيُّ.

❍ طلب أهل ملطية الدخول في طاعة السلطان الناصر

فِي ذي الحجة سنة (٧١٤هـ) وَرَدَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون لِلْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ بِالْمَسِيرِ إِلَى **حَلَبَ**، وَأَنْ يَكُونَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا **تَنْكِزَ** نَائِبَ الشَّامِ، وَقَدِمَ مِنْ مِصْرَ سِتَّةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ وَخَرَجَ مَعَ الْجَيْشِ **ابْنُ صَصْرَى**؛ قَاضِي الْعَسَاكِرِ.

وَقَدْ كَانَتْ مَلَطْيَةُ إِقْطَاعًا **لِلْجُوبَانِ التتري**، أَطْلَقَهَا لَهُ مَلِكُ التَّتَرِ، فَاسْتَنَابَ بِهَا رَجُلًا **كُرْدِيًّا، فَتَعَدَّى وَأَسَاءَ**، وَظَلَمَ، **وَكَاتَبَ أَهْلُهَا السُّلْطَانَ النَّاصِرَ، وَأَحَبُّوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ رَعِيَّتِهِ**، وفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ مُسْتَهَلِّ الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٥هـ) توجه سَيْفُ الدِّينِ تَنْكِزُ بِالْجُيُوشِ **من حَلَبَ** إلى **مَلَطْيَةَ**، فَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا فِي السَّادِسَ عَشَرَ من المحرم **إِلَى مَلَطْيَةَ، فِي بِلَادِ الرُّومِ**، فَشَرَعُوا فِي مُحَاصَرَتِهَا، وَقَدْ حُصِّنَتْ وَمُنِّعَتْ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُهَا، فَلَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ الْجَيْشِ، نَزَلَ مُتَوَلِّيهَا وَقَاضِيهَا، وَطَلَبُوا الْأَمَانَ، فَأَمَّنُوا الْمُسْلِمِينَ.

وَدَخَلُوهَا، فَقَتَلُوا مِنَ الْأَرْمَنِ خَلْقًا، وَمِنَ النَّصَارَى، وَأَسَرُوا ذُرِّيَّةً كَثِيرَةً، **وَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَأُخِذَتْ أَمْوَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجَعُوا**

عَنْهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أيام إلى **عين تاب**، وَقد فَعَلُوا مَا فَعَلُوا فِيهَا، ثم عاد إليها **الْجُوبَانُ**، فَعَمَّرَهَا وَرَدَّ إِلَيْهَا خَلْقًا مِنَ الْأَرْمَنِ وَغَيْرِهِمْ.

وفِي أَوَّلِ صَفَرٍ سنة (٧١٥هـ) رَحَلَ نَائِبُ **مَلَطْيَةَ** مُتَوَجِّهًا إِلَى السُّلْطَانِ، ومعه **قَاضِيهَا** الشَّرِيفُ شَمْسُ الدِّينِ، **وخَلْقٌ كَثِيرٌ** مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِهَا.

○ الإغارة على بلاد آمد

فِي شَعْبَانَ سنة (٧١٥هـ) تَوَجَّهَ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ، فَأَغَارُوا عَلَى بِلَادِ **آمِدَ**، وَفَتَحُوا بُلْدَانًا كَثِيرَةً، وَقَتَلُوا، وَسَبَوْا، وَعَادُوا، سَالِمِينَ، وَخَمَّسُوا مَا سَبَوْا، فَبَلَغَ سَهْمُ الْخُمْسِ أَرْبَعَةَ آلَافِ رَأْسٍ وَكُسُورًا.

○ خيانة قراسنقر مع التتر

فِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ سنة (٧١٥هـ) وَصَلَ **قَرَاسُنْقُرُ الْمَنْصُورِيُّ** إِلَى بَغْدَادَ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ الْخَاتُونُ بِنْتُ أَبْغَا، مَلِكِ التَّتَرِ، **وَجَاءَ فِي خِدْمَةِ خَرْبَنْدَا**، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْغَارَةِ عَلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ **فِدَاوِيٌّ**، مِنْ جِهَةِ صَاحِبِ مِصْرَ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَقُتِلَ الْفِدَاوِيُّ.

○ إقامة حد الردة

فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧١٥هـ) قُتِلَ **أَحْمَدُ الرُّوَيْسُ**، شُهِدَ عَلَيْهِ بِالْعَظَائِمِ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمَاتِ، **وَاسْتِهَانَتِهِ وَتَنَقُّصِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**، فَحَكَمَ الْمَالِكِيُّ بِإِرَاقَةِ دَمِهِ وَإِنْ أَسْلَمَ، فَاعْتُقِلَ، ثُمَّ قُتِلَ.

○ تولية ابن صصري مشيخة الصوفية

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ السَّادِسِ عِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧١٦هـ) بَاشَرَ **ابْنُ صَصْرَى مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بِالسُّمَيْسَاطِيَّةِ** بِسُؤَالِ الصُّوفِيَّةِ، وَطَلَبِهِمْ لَهُ مِنْ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، فَحَضَرَهَا، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ فِي هَذَا الْيَوْمِ، عِوَضًا عَنِ الشَّرِيفِ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَاشْغَرِيِّ.

○ وفاة خربندا التتري

فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧١٦هـ) وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِمَوْتِ مَلِكِ التَّتَرِ **خَرْبَنْدَا مُحَمَّدِ بْنِ أَرْغُونَ** بْنِ أَبْغَا بْنِ هُولَاكُو قَانَ، مَلِكِ الْعِرَاقِ، وَخُرَاسَانَ، وَعِرَاقِ الْعَجَمِ، وَالرُّومِ، وَأَذْرَبِيجَانَ، وَبِلَادِ الْأُرَّانَةِ، وَدِيَارِ بَكْرٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، سنة (٧١٦هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْعُمْرِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْكَرَمِ، **وَمُحِبَّةِ اللَّهْوِ، وَاللَّعِبِ**، وَالْعَمَائِرِ، **وَأَظْهَرَ الرَّفْضَ** فِي بِلَادِهِ، بعد أن أَقَامَ سَنَةً عَلَى السُّنَّةِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهَا إِلَى الرَّفْضِ فَأَقَامَ شَعَائِرَهُ بِبِلَادِهِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ **ابْنُ مُطَهَّرٍ الْحِلِّيُّ** تِلْمِيذُ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَأَقْطَعَهُ عِدَّةَ بِلَادٍ.

وَقَدْ جَرَتْ فِي أَيَّامِهِ فِتَنٌ كِبَارٌ، وَمَصَائِبُ عِظَامٌ، فَأَرَاحَ اللهُ مِنْهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ **بُو سَعِيدٍ**، وَلَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَمُدَبِّرُ الْجُيُوشِ وَالْمَمَالِكِ لَهُ الْأَمِيرُ **جُوبَانُ**، وَاسْتَمَرَّ فِي الْوِزَارَةِ **عَلِيُّ شَاهْ التِّبْرِيزِيُّ**.

وَأَخَذَ **بو سعيد بن خربندا** أَهْلَ دَوْلَتِهِ بِالْمُصَادَرَةِ، وَقَتْلِ الْأَعْيَانِ، مِمَّنِ اتَّهَمَهُمْ بِقَتْلِ أَبِيهِ مَسْمُومًا، وَلَعِبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِهِ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ السُّنَّةِ، فَأَمَرَ بِإِعَادَةِ الْخُطْبَةِ بِالتَّرَضِّي عَنِ الشَّيْخَيْنِ أَوَّلًا، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ - رِضَى اللهِ عَنْهُمْ - فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَسَكَنَتْ بِذَلِكَ الْفِتَنُ، وَالشُّرُورُ، وَالْقِتَالُ، الَّذِي كَانَ بَيْنَ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ بِهَرَاةَ، وَأَصْبَهَانَ، وَبَغْدَادَ، وَإِرْبِلَ، وَسَاوَةَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

○ محاولة الرافضة نشر مذهبهم في مكة

كَانَ صَاحِبُ مَكَّةَ الْأَمِيرُ **حُمَيْضَةُ بْنُ أَبِي نُمَيٍّ الْحَسَنِيُّ** قَدْ قَصَدَ مَلِكَ التَّتَرِ خَرْبَنْدَا لِيَنْصُرَهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَسَاعَدَهُ الرَّوَافِضُ هُنَاكَ، وَجَهَّزُوا مَعَهُ جَيْشًا كَثِيفًا مِنْ خُرَاسَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَلَمَّا مَاتَ خَرْبَنْدَا سنة (٧١٦هـ) بَطَلَ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ، **وَعَادَ حُمَيْضَةُ خَائِبًا خَاسِئًا**، وَفِي صُحْبَتِهِ أَمِيرٌ مِنْ كِبَارِ الرَّوَافِضِ مِنَ التَّتَرِ يُقَالُ لَهُ: **الدَّلْقَنْدِيُّ**، وَقَدْ جَمَعَ لِحُمَيْضَةَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً لِيُقِيمَ الرَّفْضَ بِذَلِكَ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ، **فَوَقَعَ بِهِمَا الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ**

عِيسَى أَخُو مُهَنَّا، وَقَدْ كَانَ فِي بِلَادِ العراق أَيْضًا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَكَسَرَهُمَا، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا، **وَنَهَبَ مَا كَانَ مَعَهُمَا مِنَ الْأَمْوَالِ، وَتَفَرَّقَ الرِّجَالُ.**

وَبَلَغَتْ أَخْبَارُ ذَلِكَ إِلَى الدَّوْلَةِ، فَرَضِيَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ وَأَهْلُ دَوْلَتِهِ عَنْ ابن المهنأ، وَغَسَلَ ذَلِكَ ذَنْبَهُ عِنْدَهُ، **فَاسْتَدْعَى بِهِ السُّلْطَانُ إِلَى حَضْرَتِهِ، فَحَضَرَ سَامِعًا مُطِيعًا**، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى السُّلْطَانِ أَكْرَمَهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَفْتَى الشَّيْخَ **تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ**، وَكَذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُخِذَتْ مِنَ **الدَّلْقَنْدِيِّ**، فَأَفْتَاهُمْ بِأَنَّهَا **تُصْرَفُ فِي الْمَصَالِحِ الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا** عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُعَدَّةً لِعِنَادِ الْحَقِّ، وَنُصْرَةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ عَلَى السُّنَّةِ.

○ ثورة النصيرية وقتلهم للمسلمين

في سنة (٧١٧هـ) خَرَجَتِ النُّصَيْرِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ، فَأَقَامُوا مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا سَمَّوْهُ **مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْمَهْدِيَّ**، وَتَارَةً يَدَّعِي **أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ويصف نفسه بفَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَصَرَّحَ بِكُفْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ النُّصَيْرِيَّةَ عَلَى الْحَقِّ، وَاحْتَوَى هَذَا الرَّجُلُ عَلَى عُقُولِ كَثِيرٍ مِنْ كِبَارِ النُّصَيْرِيَّةِ الضُّلَّالِ، وَعَيَّنَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ تَقْدِمَةَ أَلْفٍ، وَبِلَادًا كَثِيرَةً، وَنِيَابَةَ قَلْعَةٍ، وَحَمَلُوا عَلَى **مَدِينَةِ جَبَلَةَ، فَدَخَلُوهَا، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا**، وَخَرَجُوا مِنْهَا يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا **عَلِيٌّ**، وَلَا حِجَابَ إِلَّا **مُحَمَّدٌ**، وَلَا بَابَ إِلَّا **سَلْمَانُ**، وَسَبُّوا **الشَّيْخَيْنِ**.

وَصَاحَ أَهْلُ الْبَلَدِ: وَاإِسْلَامَاهُ، وَاسُلْطَانَاهُ، وَاأَمِيرَاهُ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِرٌ وَلَا مُنْجِدٌ، وَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللهِ .

وَنَادَى فِي تِلْكَ الْبِلَادِ: إِنَّ الْمُقَاسَمَةَ بِالْعُشْرِ لَا غَيْرُ لِيُرَغِّبَ الْفَلَّاحِينَ فِيهِ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِخَرَابِ الْمَسَاجِدِ، وَاتِّخَاذِهَا خَمَّارَاتٍ، **وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمَنْ أَسَرُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا عَلِيٌّ، وَاسْجُدْ لِإِلَهِكَ الْمَهْدِيِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ حَتَّى

يَحْقِنَ دَمَكَ، وَعَمِلُوا أَمْرًا عَظِيمًا جِدًّا، فَجُرِّدَتْ إِلَيْهِمُ الْعَسَاكِرُ، فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَجَمًّا غَفِيرًا، وَقُتِلَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي أَضَلَّهُمْ.

○ شدة الغلاء في بلاد الجزيرة

فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧١٨هـ) وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الشَّرْقِ: سِنْجَارَ، وَالْمَوْصِلَ، وَمَارِدِينَ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي **بِغَلَاءٍ عَظِيمٍ، وَفَنَاءٍ شَدِيدٍ**، وَقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وَجَوْرِ التَّتَارِ، وَعَدَمِ الْأَقْوَاتِ، وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ، وَقِلَّةِ النَّفَقَاتِ، وَزَوَالِ النِّعَمِ، وَحُلُولِ النِّقَمِ، بِحَيْثُ إِنَّهُمْ أَكَلُوا مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالْمَيْتَاتِ، وَبَاعُوا حَتَّى أَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ، فَبِيعَ الْوَلَدُ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا وَأَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ كَانُوا لَا يَشْتَرُونَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَأَثُّمًا، وَكَانَتِ **الْمَرْأَةُ تُصَرِّحُ بِأَنَّهَا نَصْرَانِيَّةٌ**، لِيُشْتَرَى مِنْهَا وَلَدُهَا لِتَنْتَفِعَ بِثَمَنِهِ، وَيَحْصُلَ لَهَا مَنْ يُطْعِمُهُ، فَيَعِيشُ، وَتَأْمَنَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَلَاكِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ الاجتماع لصلاة الاستسقاء

فِي عَاشِرِ صفر سنة (٧١٩هـ) نُودِيَ بِالْبَلَدِ أَنْ يَصُومَ النَّاسُ لِأَجْلِ الْخُرُوجِ إِلَى الِاسْتِسْقَاءِ، وَشُرِعَ فِي قِرَاءَةِ «الْبُخَارِيِّ»، وَتَهَيَّأَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَدَعَوْا عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ، وَبَعْدَ الْخُطَبِ، وَابْتَهَلُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي الِاسْتِسْقَاءِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ مُنْتَصَفِ صَفَرٍ - وَكَانَ سَابِعَ نَيْسَانَ - خَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ بِرُمَّتِهِمْ إِلَى عِنْدِ **مَسْجِدِ الْقَدَمِ**.

وَخَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأُمَرَاءُ مُشَاةً يَبْكُونَ، وَيَتَضَرَّعُونَ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ هُنَالِكَ، وَكَانَ مَشْهَدًا عَظِيمًا، **وَخَطَبَ** بِالنَّاسِ الْقَاضِي **صَدْرُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ الْجَعْفَرِيُّ**، وَأَمَّنَ النَّاسُ عَلَى دُعَائِهِ وَرَجَعُوا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي جَاءَهُمُ الْغَيْثُ بِإِذْنِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ، لَا بِحَوْلِهِمْ وَلَا بِقُوَّتِهِمْ، فَفَرِحَ النَّاسُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَعَمَّ الْبِلَادَ كُلَّهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ قتل مدعي النبوة

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٠هـ) ضُرِبَتْ عُنُقُ **عَبْدُ اللهِ الرُّومِـيُّ**، وَكَانَ غُلَامًـا لِبَعْضِ التُّجَّارِ، ثم لَزِمَ الْجَامِعَ، **وادَّعَى النُّبُوَّةَ**، فَاسْـتُتِيبَ، فَلَمْ يَرْجِعْ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَكَانَ أَشْقَرَ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ جَاهِلًا، وَكَانَ قَدْ خَالَطَهُ شَيْطَانٌ، حَسَّنَ لَهُ ذَلِكَ، وَاضْطَرَبَ عَقْلُهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ شَيْطَانٌ إِنْسِيٌّ.

○ زواج السلطان بالمرأة القبجاقية

فِي يَـوْمِ الِاثْنَيْـنِ ثَانِـي رَبِيعٍ الْآخِرِ سـنة (٧٢٠هـ) عُقِـدَ لِلسُّـلْطَانِ الناصر **محمد بن قـلاوون** عَلَى الْمَـرْأَةِ الَّتِي قَدِمَتْ مِنْ **بِلَادِ الْقَبْجَاقِ**، وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ، وَخُلِعَ عَلَى الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ، وَكَاتِبِ السِّرِّ وَكَرِيمِ الدِّينِ وَجَمَاعَةِ الْأُمَرَاءِ.

○ غزو بلاد الأرمن

فِـي جُمَـادَى الْآخِرَةِ سـنة (٧٢٠هـ) اجْتَمَعَـتِ الْجُيُوشُ الْإِسْـلَامِيَّةُ بِـأَرْضِ **حَلَبَ** نَحْوًا مِنْ عِشْـرِينَ أَلْفًا، عَلَيْهِمْ **أَلْطُنْبُغَا** نَائِبُ حَلَبَ، وَفِيهِمْ نَائِبُ طَرَابُلُسَ شِـهَابُ الدِّينِ قَرَطَـايْ، فَدَخَلُوا بِلَادَ الْأَرْمَنِ مِنْ بَابِ إِسْـكَنْدَرُونَةَ، فَفَتَحُـوا الثَّغْرَ، ثُمَّ تَلَّ حَمْدُونَ، ثُمَّ خَاضُـوا **نهر جَاهَـانَ** فَغَرِقَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ، ثُـمَّ وَصَلُوا إِلَى **سِـيسَ** فَحَاصَرُوهَا، وَضَيَّقُوا عَلَى أَهْلِهَا، وَكَذَلِكَ فَعَلُوا **بِطَرَسُـوسَ**، وَخَرَّبُوا الضِّيَاعَ وَالْأَمَاكِنَ، وَأَحْرَقُوا الزُّرُوعَ، ثُمَّ رَجَعُوا فَخَاضُوا النَّهْرَ الْمَذْكُورَ فَلَمْ يَغْرَقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

ثُـمَّ بَلَغَ الْجُيُوشَ مَوْتُ صَاحِبِ سِـيسَ وَقِيَامُ وَلَـدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَشَـنُّوا الْغَارَاتِ عَلَى بِلَادِهِ وَتَابَعُوهَا، وَغَنِمُوا وَأَسَرُوا وَسَلِمُوا، إِلَّا فِي الْمَرَّةِ الأخيرة، فَإِنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ.

○ انتصار المسلمين على الفرنج في بلاد المغرب

فِي أَوَائِلِ سـنة (٧٢٠هـ) كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ **بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ** بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ **وَالْفِرَنْجِ**، فَنَصَرَ اللهُ الْمُسْـلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَمْسِـينَ أَلْفًا وَأَكْثَرَ، وَأَسَـرُوا خَمْسَـةَ

آلَافٍ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْقَتْلَى خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْإِفْرَنْجِ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ، **تقدر** بِسَبْعِينَ قِنْطَارًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ جَيْشُ الْإِسْلَامِ يَوْمَئِذٍ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ فَارِسٍ غَيْرَ الرُّمَاةِ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ سِوَى **أَحَدَ عَشَرَ قَتِيلا**، وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ مَا وَقَعَ، وَعَجِيبِ مَا سُمِعَ.

○ القبض على نائب غزة

فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ سنة (٧٢٠هـ) مُسِكَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ الْجَاوِلِيُّ **نَائِبُ غَزَّةَ**، وَحُمِلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ اتُّهِمَ بِأَنَّهُ يُرِيدُ الدُّخُولَ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، وَكَانَ لَهُ بِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَمَعْرُوفٌ وَأَوْقَافٌ، وَقَدْ بَنَى بِغَزَّةَ جَامِعًا حَسَنًا مَلِيحًا.

○ إبطال بو سعيد التتري للخمور

فِي شَعْبَانَ سنة (٧٢٠هـ) أَرَاقَ **مَلِكُ التَّتَرِ بُو سَعِيدٍ** الْخُمُورَ، وَأَبْطَلَ الْخَانَاتِ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ إِلَى الرَّعَايَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَصَابَهُمْ بَرَدٌ عَظِيمٌ، وَجَاءَهُمْ سَيْلٌ هَائِلٌ، فَلَجَئُوا إِلَى اللهِ ، وَابْتَهَلُوا إِلَيْهِ فَسَلِمُوا، فَتَابُوا وَأَنَابُوا، وَعَمِلُوا الْخَيْرَ عَقِيبَ ذَلِكَ.

○ سفارة الخواجا مجد الدين إلى السلطان

فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٢٠هـ) وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ عِنْدِ **مَلِكِ التَّتَرِ** الْخَوَاجَا مَجْدُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتٍ السَّلَامِيُّ، وَفِي صُحْبَتِهِ هَدَايَا وَتُحَفٌ لِصَاحِبِ مِصْرَ مِنْ مَلِكِ التَّتَرِ، وَاشْتَهَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ **لِيُصْلِحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّتَرِ**، فَتَلَقَّاهُ الْجُنْدُ وَالدَّوْلَةُ، وَنَزَلَ بِدَارِ السَّعَادَةِ يَوْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ.

○ هدم الحرافيش للكنائس وإحراق النصارى للمساجد

كَانَ السُّلْطَانُ الناصر **محمد بن قلاوون** قَدْ حَفَرَ **بِرْكَةً** قَرِيبًا مِنَ الْمَيْدَانِ، وَكَانَ فِي جِوَارِهَا **كَنِيسَةٌ**، فَأَمَرَ الْوَالِي فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢١هـ)، بِهَدْمِهَا، فَلَمَّا هُدِمَتْ تَسَلَّطَ الْحَرَافِيشُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى الْكَنَائِسِ بِمِصْرَ يَهْدِمُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، فَانْزَعَجَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلَ الْقُضَاةَ: مَاذَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْهُمْ؟ فَقَالُوا يُعَزَّرُ، فَأَخْرَجَ

جَماعَةً مِنَ السُّجُونِ مِمَّنْ وَجبَ عَلَيْهِ قَتْلٌ، فَقَطَعَ وَصَلَبَ، وَعاقَبَ، مُوهِمًا أَنَّهُ إِنَّمَا عَاقَبَ مَنْ تَعَاطَى تَخْرِيبَ الْكَنَائِسِ، فَسَكَنَ النَّاسُ، وَأَمِنَتِ النَّصَارَى، وَظَهَرُوا بَعْدَ مَا كَانُوا قَدِ اخْتَفَوْا أَيَّامًا.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ أَنَّ فِي شهر جمادي الأولى سنة (٧٢١هـ)، وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ فِي الْقَاهِرَةِ فِي **الدُّورِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْمَلِيحَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَبَعْضِ الْمَسَاجِدِ**، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ ذَلِكَ، وَقَنَتُوا فِي الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ كَشَفُوا عَنِ الْقَضِيَّةِ فَإِذَا هُوَ مِنْ فِعْلِ النَّصَارَى **بِسَبَبِ مَا كَانَ أُحْرِقَ لَهُمْ مِنْ كَنَائِسِهِمْ وَهُدِمَ**، فَقَتَلَ السُّلْطَانُ بَعْضَهُمْ، وَأَلْزَمَ النَّصَارَى أَنْ يَلْبَسُوا الزُّرْقَةَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَثِيَابِهِمْ كُلِّهَا، وَأَنْ يَحْمِلُوا الْأَجْرَاسَ فِي الْحَمَّامَاتِ، وَأَنْ لَا يُسْتَخْدَمُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الْجِهَاتِ، فَسَكَنَ الْأَمْرُ وَبَطَلَ الْحَرِيقُ.

○ انتزاع بلدة آياس من أيدي الأرمن

فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢٢هـ) تَكَامَلَ **فَتْحُ آيَاسَ** [١] وَمُعَامَلَتِهَا، وَانْتِزَاعُهَا مِنْ أَيْدِي الْأَرْمَنِ، وَأُخِذَ الْبُرْجُ الْأَطْلَسُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فِي الْبَحْرِ رَمْيَةٌ وَنِصْفٌ، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ بِإِذْنِ اللهِ وَخَرَّبُوهُ، وَكَانَتْ حِجَارَتُهُ مُطْلِيَّةٌ بِالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ، وَعَرْضُ سُورِهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا بِالنَّجَارِيِّ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً جِدًّا، وَحَاصَرُوا كُوَارَةَ، فَقَوِيَ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ وَالذُّبَابُ، فَرَسَمَ السُّلْطَانُ بِعُودِهِمْ، فَحَرَّقُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَجَانِيقِ، وَأَخَذُوا حَدِيدَهَا، وَأَقْبَلُوا سَالِمِينَ غَانِمِينَ، وَكَانَ مَعَهُمْ خَلْقٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ.

○ من المظاهر الحضارية

⦿ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٢٢هـ) كَمَلَ **بَسْطُ دَاخِلِ الْجَامِعِ**، بِأَمْرِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وبِإِشَارَةِ نَاظِرِ الجامع ابْنِ مَرَاجِلَ، فَاتَّسَعَ عَلَى النَّاسِ.

---

(١) مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر. صبح الأعشى ٤/ ١٣٣.

⊙ وَفِي رَجَبٍ سنة (٧٢٢هـ) كَمَلَتْ **عِمَارَةُ الْحَمَّامِ** الَّذِي بَنَاهُ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ صُبْحٍ جِوَارَ دَارِهِ شَمَالِيَّ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ.

⊙ وَفِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ سنة (٧٢٢هـ) كَمَلَتْ **عِمَارَةُ الْحَمَّامِ** الَّذِي بَنَاهُ بَهَاءُ الدِّينِ ابْنُ عُلَيْمَةَ بِزُقَاقِ الْمَاجِيَّةِ مِنْ قَاسِيُونَ، **وَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ**.

⊙ وَفِي أَوَائِلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٥هـ) فَتَحَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون **خَانَقَاهْ سِرْيَاقُوسَ** الَّتِي أَنْشَأَهَا، وَسَاقَ إِلَيْهَا **خَلِيجًا**، وَبَنَى عِنْدَهَا مَحِلَّةً، وَحَضَرَ بِهَا وَمَعَهُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَغَيْرُهُمْ، **وَعَمِلَ السُّلْطَانُ بِهَا وَلِيمَةً عَظِيمَةً**.

⊙ وَفِي أَوَّلِ سنة (٧٢٦هـ) **فُتِحَ الْحَمَّامُ** الَّذِي بَنَاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ جُوبَانُ جِوَارَ دَارِهِ، بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ الْجَالِقِ، وَلَهُ بَابَانِ، أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ مَسْجِدِ الْوَزِيرِ، وَحَصَلَ بِهِ نَفْعٌ.

⊙ **وقَالَ الْبِرْزَالِيُّ**: فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٨هـ) كَمَلَتْ عِمَارَةُ **الْحَمَّامِ** الَّذِي بِسُوقِ بَابِ تُومَاءَ، وَلَهُ بَابَانِ.

⊙ وَفِي رَجَبٍ (٧٣٦هـ) كَمَلَتْ **عِمَارَةُ جِسْرِ** بَابِ الْفَرَجِ، وَعُمِلَ عَلَيْهِ **بَاشُورَةٌ**[(١)]، وَرُسِمَ بِاسْتِمْرَارِ فَتْحِهِ إِلَى بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ كَبَقِيَّةِ الْأَبْوَابِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُغْلَقُ مِنَ الْمَغْرِبِ.

⊙ وَفِي رَابِعِ ذِي الْقِعْدَةِ (٧٣٦هـ) **خُلِعَ عَلَى نَاظِرِ الْجَامِعِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ الْمُنَجَّا**؛ بِسَبَبِ إِكْمَالِهِ الْبَطَائِنَ (الستائر) فِي الرِّوَاقِ الشَّمَالِيِّ وَالْغَرْبِيِّ وَالشَّرْقِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُ بَطَائِنُ.

---

(١) الباشورة: طريق منعطف بين بابي البلد، يجعل لعرقلة السير والهجوم، وقت الحصار والحرب، ليصعب الهجوم على البلد، ويظهر ذلك واضحًا في باب الفرج بدمشق. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ٣٠).

○ قدوم ملك التكرور إلى القاهرة

فِي خَامِسِ عِشْـرِينَ من شـهر رَجَبٍ سـنة (٧٢٤هـ) قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ **بِسَـبَبِ الْحَجِّ، مَلِـكُ التَّكْرُورِ**، الْمَلِكُ الْأَشْـرَفُ **مُوسَـى بْنُ أَبِي بَكْرٍ**، وَهُوَ شَـابٌّ جَمِيـلُ الصُّورَةِ، لَهُ مَمْلَكَةٌ مُتَّسِـعَةٌ مَسِـيرَةَ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَيُذْكَرُ أَنَّ تَحْتَ يَدِهِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مَلِكًا، كُلُّ مَلِكٍ تَحْتَ يَدِهِ خَلْقٌ وَعَسَـاكِرُ، فَنَزَلَ بِالْقَرَافَةِ، **وَمَعَهُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ، وَالْخَدَمِ نَحْوٌ مَنْ عِشْـرِينَ أَلْفًا**، وَمَعَهُمْ ذَهَبٌ كَثِيرٌ.

وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ لِيُسَلِّمَ عَلَى السُّلْطَانِ أُمِرَ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، **فَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ**، وَأُحْضِرَ لَهُ حِصَانٌ أَشْهَبُ، وَهُيِّئَتْ لَهُ هُجُنٌ وَآلَاتٌ كَثِيرَةٌ تَلِيقُ بِمِثْلِهِ.

وَأَرْسَـلَ هُوَ أَيْضًا **إِلَى السُّـلْطَانِ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ**، مِنْ جُمْلَتِهَا أَرْبَعُـونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَإِلَى النَّائِبِ بِنَحْوِ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَتُحَفٌ كَثِيرَةٌ.

○ قصة مؤثرة لمحمد حسيناه

في سنة (٧٢٤هـ) جَاءَ كِتَابٌ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمَوْلَى شَمْسِ الدِّينِ بْنِ سِنَانٍ، يَذْكُرُ فِيهِ: أَنَّ **الْأَمِيرَ جُوبَانَ التتري** أَعْطَى **الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ حُسَـيْنَاهْ** قَدَحًا فِيهِ خَمْرٌ لِيَشْـرَبَهُ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ أَشَـدَّ الِامْتِنَاعِ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ، وَأَقْسَمَ، فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ، فقَالَ لَهُ: إِنْ لَمْ تَشْرَبْهَا كَلَّفْتُكَ **أَنْ تَحْمِلَ ثَلَاثِينَ تُومَانًا**، فقَالَ: نَعَمْ، أَحْمِلُ وَلَا أَشْرَبُهَا، فَكَتَبَ عَلَيْهِ حُجَّةً بِذَلِكَ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى أَمِيرٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ: يَلْبَى، فَاسْتَقْرَضَ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَالَ؛ ثَلَاثِينَ تُومَانًا، فَأَبَى أَنْ يُقْرِضَهُ إِلَّا بِرِبْحِ عَشَرَةِ تَوَامِينَ، فَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ، فَبَعَثَ يَلْبَى إِلَى جُوبَانَ يَقُولُ لَهُ: الْمَالُ الَّذِي طَلَبْتَهُ مِنْ حُسَـيْنَاهْ عِنْدِي، فَإِنْ رَسَـمْتَ حَمَلْتُهُ إِلَى الْخِزَانَةِ الشَّرِيفَةِ، وَإِنْ رَسَمْتَ تُفَرِّقُـهُ عَلَى الْجَيْشِ، فَأَرْسَـلَ جُوبَـانُ إِلَى مُحَمَّدِ حُسَـيْنَاهْ فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ فَقَـالَ لَهُ: تَزِنُ أَرْبَعِيـنَ تُومَانًا وَلَا تَشْـرَبُ قَدَحًا مَنْ خَمْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْجَبَـهُ ذَلِكَ مِنْهُ، وَمَزَّقَ الْحُجَّةَ الْمُكْتَتَبَـةَ عَلَيْهِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ، وَحَكَّمَـهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا، وَوَلَّاهُ وِلَايَـاتٍ كِبَارًا، **وَحَصَلَ لِجُوبَانَ إِقْلَاعٌ**، وَإِنَابَةٌ، وَرُجُوعٌ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ، رَحِمَ اللهُ حُسَيْنَاهْ.

قدوم محمود الأصبهاني إلى دمشق وملازمته ابن تيمية

فِي خَامِسِ صَفَرٍ سنة (٧٢٥هـ) قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ **مَحْمُودٌ الْأَصْبَهَانِيُّ** بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنَ الْحَجِّ وَزِيَارَةِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاضِلٌ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ مِنْهَا «شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ»، وَ «شَرْحُ التَّجْرِيدِ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ شَرَحَ «الْحَاجِبِيَّةَ» أَيْضًا، وَجَمَعَ تَفْسِيرًا بَعْدَ صَيْرُورَتِهِ إِلَى مِصْرَ، وَلَمَّا قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ أُكْرِمَ، وَاشْتَغَلَ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ، وَكَانَ حَظِيًّا عِنْدَ الْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، **ثُمَّ إِنَّهُ تَرَكَ الْكُلَّ، وَصَارَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، وَسَمِعَ عَلَيْهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ، وَرَدِّهِ عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ، وَلَازَمَهُ مُدَّةً، فَلَمَّا مَاتَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ تَحَوَّلَ إِلَى مِصْرَ وَجَمَعَ التَّفْسِيرَ.

منع الشيخ شهاب الدين البعلبكي من التدريس

في سنة (٧٢٥هـ) مُنِعَ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ مُرِّيٍّ الْبَعْلَبَكِّيُّ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى النَّاسِ بِمِصْرَ عَلَى طَرِيقَةِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَعَزَّرَهُ الْقَاضِي الْمَالِكِيُّ بِسَبَبِ مَسْأَلَةِ **الِاسْتِغَاثَةِ**، وَحَضَرَ الْمَذْكُورُ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ.

ثُمَّ سُفِّرَ إِلَى الشَّامِ بِأَهْلِهِ فَنَزَلَ بِبِلَادِ الْخَلِيلِ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَانْتَزَحَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ، وَأَقَامَ بِسِنْجَارَ وَمَارِدِينَ وَمُعَامَلَتِهِمَا، يَتَكَلَّمُ وَيَعِظُ النَّاسَ إِلَى أَنْ مَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

قتل الزنديق ناصر ابن الهيتي

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ حَادِي عِشْرِينَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ بُكْرَةَ النَّهَارِ سنة (٧٢٦هـ) ضُرِبَتْ عُنُقُ نَاصِرِ ابْنِ الشَّرَفِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْهِيتِيِّ بِسُوقِ الْخَيْلِ، **عَلَى كُفْرِهِ، وَاسْتِهَانَتِهِ، وَاسْتِهْتَارِهِ بِآيَاتِ اللهِ وَالِاسْتِهَانَةِ بِالنُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَصُحْبَتِهِ الزَّنَادِقَةَ كَالنَّجْمِ بْنِ خَلِّكَانَ**، وَالشَّمْسِ مُحَمَّدٍ الْبَاجُرْبَقِيِّ، وَابْنِ الْمِعْمَارِ الْبَغْدَادِيِّ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ فِيهِ انْحِلَالٌ وَزَنْدَقَةٌ مَشْهُورٌ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ.

وَحَضَرَ قَتْلَهُ الْعُلَمَاءُ، وَالْأَكَابِرُ، وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ. قَالَ: وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ حَفِظَ

«التَّنْبِيـهَ» فِـي أَوَّلِ أَمْرِهِ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْخِتَمِ بِصَوْتٍ حَسَـنٍ، وَعِنْدَهُ نَبَاهَةٌ وَفَهْمٌ، وَكَانَ مُنَزَّلًا فِي الْمَدَارِسِ وَالتُّرَبِ.

قُلْتُ: وَقَدْ شَـهِدْتُ قَتْلَهُ، كَانَ شَـيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْـنُ تَيْمِيَّةَ حَاضِرًا يَوْمَئِذٍ، وَقَدْ أَتَاهُ وَقَرَّعَهُ عَلَى مَا كَانَ يَصْدُرُ مِنْهُ قَبْلَ قَتْلِهِ، ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأَنَا مُشَاهِدٌ ذَلِكَ.

○ إصلاح عين باذان بمكة

فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ سـنة (٧٢٦هـ) وَصَلَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ **أُجْرِيَتْ عَيْنُ مَاءٍ** إِلَى مَكَّةَ، شَـرَّفَهَا اللهُ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهَا انْتِفَاعًا كَثِيرًا، وَهَـذِهِ الْعَيْنُ تُعْرَفُ قَدِيمًا **بِعَيْنِ بَاذَانَ**، أَجْرَاهَا **الأمير سيف الدين جُوبَانُ المغولي نائب السلطان بوسعيد ملك التتار**، مِنْ بِلَادٍ بَعِيـدَةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَـى نَفْسِ مَكَّةَ، وَوَصَلَتْ إِلَى عِنْدِ الصَّفَا، وَبَابِ إِبْرَاهِيمَ، وَاسْـتَقَى النَّاسُ مِنْهَا، فَقِيرُهُمْ وَغَنِيُّهُمْ، وَضَعِيفُهُمْ وَشَـرِيفُهُمْ، كُلُّهُمْ فِيهَا سَوَاءٌ، وَارْتَفَقَ أَهْلُ مَكَّةَ بِذَلِكَ رِفْقًا كَثِيرًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَكَانُوا قَدْ شَـرَعُوا فِي حَفْرِهَا وَتَجْدِيدِهَا فِي أَوَائِلِ هَذِهِ السَّـنَةِ إِلَى الْعَشْـرِ الْأُخَرِ مِنْ جُمَـادَى الْأُولَـى، وَاتَّفَقَ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّـنَةِ كَانَتِ الْآبَـارُ الَّتِي فِي مَكَّةَ قَدْ يَبِسَـتْ، وَقَلَّ مَاؤُهَا، وَقَلَّ مَاءُ زَمْزَمَ أَيْضًا، فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَطَفَ بِالنَّاسِ بِإِجْرَاءِ هَذِهِ الْقَنَاةِ لَنَزَحَ عَنْ مَكَّةَ أَهْلُهَا، أَوْ لَهَلَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يُقِيمُ بِهَا، **وَأَمَّا الْحَجِيجُ** فِي أَيَّامِ الْمَوْسِمِ فَحَصَلَ لَهُمْ بِهَا رِفْقٌ عَظِيمٌ زَائِدٌ عَنِ الْوَصْفِ، قال ابن كثير: وقد شَـاهَدْنَا ذَلِكَ فِي سَـنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وسبعمائة، عَامَ حَجَجْنَا.

○ واقعة فيها عظة وعبرة

فِي يَوْمِ السَّـبْتِ عِشْرِينَ شَعْبَانَ سـنة (٧٢٧هـ) وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ قَاضِي قُضَاةِ حَلَبَ **كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ** عَلَى الْبَرِيدِ، فَأَقَامَ بِدِمَشْقَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ لِيَتَوَلَّى قَضَاءَ قُضَاةِ الشَّـامِ **بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون**، فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

○ فكاك بعض الأسارى

فِـي رَمَضَانَ سـنة (٧٢٧هـ) قَـدِمَ جَمَاعَةٌ مِنَ **الْأُسَـارَى مَعَ تُجَّـارِ الْفِرَنْـجِ**، فَأُنْزِلُوا بِالْمَدْرَسَـةِ الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، وَاسْـتَفَكُّوا مِنْ دِيوَانِ الْأَسْرَى بِنَحْوٍ مَنْ سِتِّينَ أَلْفًا، وَكَثُرَتِ الْأَدْعِيَةُ لِمَنْ كَانَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ.

○ الإفراج عن ابن قيم الجوزية

فِـي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ عِشْـرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٧٢٨هـ) أُفْرِجَ عَنِ الشَّـيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ، وَكَانَ مُعْتَقَلًا بِالْقَلْعَةِ، مِنْ بَعْدِ اعْتِقَالِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بِأَيَّامٍ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ إِلَى هَذَا الْحِينِ.

○ طلب الفرنج بعض البلدان الساحلية

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٧٣٠هـ) قَدِمَ عَلَى السُّلْطَانِ رُسُـلٌ مِنَ الْفِرِنْجِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ بَعْضَ بِلَادِ السَّوَاحِلِ، فَقَالَ لَهُمْ: **لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ**. ثُمَّ سَيَّرَهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ خَاسِئِينَ.

وقد زُيِّنَتِ الْبِلَادُ الْمِصْرِيَّةُ وَالشَّـامِيَّةُ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِسَبَبِ عَافِيَةِ السُّلْطَانِ مِنْ وَقْعَةٍ انْصَدَعَتْ مِنْهَا يَدُهُ، وَخَلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْأَطِبَّاءِ بِمِصْرَ، **وَأُطْلِقَ الْمحبُوسين**.

○ وفاة نائب سلطان العراق التتري وقراسنقر

فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٢٨هـ) وَصَلَ الْخَبَرُ **بِمَوْتِ** الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ جُوبَانَ نَائِبِ السُّلْطَانِ بُو سَعِيدٍ عَلَى بلاد المشرق، وَوَفَاةِ **قَرَاسُنْقُرَ** الْمَنْصُورِيِّ، الذي فر إلى التتر.

وَجُوبَـانُ هَذَا هُوَ الَّذِي سَـاقَ الْقَنَاةَ الْوَاصِلَةَ إِلَى الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ، وَقَدْ أنفق عَلَيْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً كَثِيرَةً، وَلَهُ تُرْبَةٌ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَدْرَسَتُهُ مَشْهُورَةٌ، وَلَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ، وَكَانَ جَيِّدَ الْإِسْلَامِ، لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَقَدْ دَبَّرَ الْمَمَالِكَ فِي أَيَّامِ بُو سَعِيدٍ مُدَّةً طَوِيلَةً عَلَى السَّدَادِ، ثُمَّ أَرَادَ بُو سَعِيدٍ مَسْكَهُ فَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ.

ثُـمَّ إِنَّ بُو سَـعِيدٍ قَتَلَ ابْنَهُ خَوَاجَا دمشـق فِي ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٧٢٧هـ)، فَفَـرَّ ابْنُهُ الْآخَرُ **تَمُرْتَاشُ** هَارِبًا إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ، فَآوَاهُ شَهْرًا، ثُمَّ تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ فِي قَتْلِهِ، فَقَتَلَهُ صَاحِبُ مِصْرَ فِيمَا قِيلَ، وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُوهُ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ.

وَفِـي يَـوْمِ الْجُمُعَةِ آخِرَ شَـهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سـنة (٧٢٩هـ) أُنْزِلَت جثـة الْأَمِيرِ **جُوبَانُ وَوَلَدُهُ** مِـنْ قَلْعَةِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهُمَا **مُصَبَّرَانِ** فِي تَوَابِيتِهِمَا، فَصُلِّيَ عَلَيْهِمَا بِالْمَسْـجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ دُفِنَا بِالْبَقِيعِ عَنْ مَرْسُومِ السُّلْطَانِ.

وَأَمَّا **قَرَاسُنْقُرُ** الْمَنْصُورِيُّ فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ كِبَارِ أُمَرَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ قَتَلَ الْأَشْـرَفَ خَلِيلَ بْنَ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ وَلِيَ نِيَابَةَ مِصْرَ مُدَّةً، ثُمَّ صَارَ إِلَى نِيَابَةِ دِمَشْـقَ، ثُمَّ إِلَـى نِيَابَةِ حلَبَ، ثُمَّ فَرَّ إِلَـى التَّتَارِ هُوَ وَالْأَفْرَمُ وَالزَّرْدَكَاشُ، فَآوَاهُـمْ مَلِكُ التَّتَارِ خَرْبَنْدَا وَأَكْرَمَهُمْ، وَأَقْطَعَهُمْ بِلَادًا كَثِيرَةً، **وَتَزَوَّجَ قَرَاسُنْقُرُ بِنْتَ هُولَاكُو**، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ **بِمَرَاغَةَ**، الَّتِي كَانَ حَاكِمًا بِهَا، وَلَهُ نَحْوُ تِسْعِينَ سَنَةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ انتصار السلطان لما وقع للحجاج من النهب

لما قَضَى الحجاج مَنَاسِكَهُمْ سنة (٧٢٩هـ) جاؤوا يوم الجمعة لِطَوَافِ الْوَدَاعِ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي وَقْتِ سَـمَاعِ الْخُطْبَةِ إِذْ سَـمِعُوا **جَلَبَةَ الْخَيْلِ مِنْ الأشـراف بَنِي حَسَنٍ وَعَبِيدِهِمْ**، يَحْطِمُـونَ النَّاسَ وَهُمْ فِي الْمَسْـجِدِ الْحَـرَامِ، فَثَارَ إِلَى قِتَالِهِمْ أمـراء الحج من الْأَتْرَاكُ، فَاقْتَتَلُـوا، فَقُتِـلَ أَمِيرٌ تركي مِـنَ **الطَّبْلَخَانَاهْ** بِمِصْـرَ، وَابْنُهُ خَلِيلٌ، وَمَمْلُوكٌ لَـهُ، وَجَمَاعَةٌ مِـنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَـاءِ، **وَنُهِبَتْ أَمْوَالٌ كَثِيـرَةٌ**، وَوَقَعَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَـةٌ فِي النَّاسِ، وهرب الحجاج إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِأَبْيَارِ الزَّاهِرِ، وَمَا كَادُوا يَصِلُونَ إِلَيْهَا. وَمَا أُكْمِلَتِ الْجُمُعَةُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَاجْتَمَعَتِ أُمَرَاءُ الحج في سـنة (٧٢٩هـ) **من الشـام ومصر كُلُّهُمْ عَلَـى الرَّجْعَةِ إِلَى مَكَّـةَ**؛ لِلْأَخْذِ بِالثَّأْرِ مِنْ بني حسـن، فانهزموا وكَـرُّوا رَاجِعِينَ، وَتَبِعَهُمْ عَبِيدُ بني حسـن حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مُخَيَّمِ الْحَجِيجِ، وَكَادُوا يَنْهَبُونَ النَّاسَ عَامَّةً جَهْرَةً.

قال ابن كثير: وَصَارَ **أَهْلُ الْبَيْتِ** فِي آخِرِ الزَّمَانِ[(١)] يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، **وَبَنُو الْأَتْرَاكِ** هُمُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَيَكُفُّونَ الْأَذِيَّةَ عَنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وَلَمَّا بَلَغَ السُّلْطَانَ الناصر محمد بن قلاوون مَا كَانَ مِنْ عَبِيدِ مَكَّةَ إِلَى الْحُجَّاجِ فِي سنة (٧٢٩هـ) وَأَنَّهُ قُتِلَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمِيرَانِ، **عَظُمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ**، وَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ عَلَى السِّمَاطِ أياماً، ثُمَّ جَرَّدَ سِتَّمِائَةِ فَارِسٍ، وَأَرْسَلَ إِلَى الشَّامِ أَنْ يُجَرِّدَ مُقَدَّمٌ آخَرُ، وَأَنْ يَسِيرَ إِلَى **أَيْلَةَ**[(٢)] لِيَجْتَمِعَ مَعَ الْمِصْرِيِّينَ، ثم يَسِيران جَمِيعًا إِلَى الْحِجَازِ، فلما وصلوا مكة، أصلحوا الأمر حيث تم عزل **أمير مكة عطيفة بن أبي نمي**، وولوا **أخاه الْأَمِيرُ الشَّرِيفُ رُمَيْثَةُ بْنُ أَبِي نُمِيٍّ**، وكان ذلك فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٠هـ) فَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِإِمْرَةِ مَكَّةَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الناصر محمد بن قلاوون صُحْبَةَ التَّجْرِيدَةِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ، وَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ الْمُجَرَّدُونَ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ دَاخِلَ الْكَعْبَةِ.

○ تأديب قطاع الطرق بالصعيد

فِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٢هـ) أَرْسَلَ **السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون** جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى الصَّعِيدِ، فَأَحَاطُوا عَلَى نَحْوٍ مِنْ سِتِّمِائَةِ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ، فَأُتْلِفُ بَعْضُهُمْ.

○ عرس باذخ لابن السلطان

فِي لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ حَادِيَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧٣٢هـ) كَانَ عُرْسُ **آنُوكَ** مُحَمَّدٌ ابْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ عَلَى **بِنْتِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَكْتَمُرَ** السَّاقِيِّ، وَكَانَ جِهَازُهَا

---

(١) يقصد زمن هذه الحادثة، وقد تكررت أمثالها- مع الأسف- قبل هذه الحادثة وبعدها، والله المستعان.

(٢) أيلة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام على خليج العقبة، وهي آخر الحجاز وأول الشام، وقدم يوحنة بن روبة على النبي ﷺ من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية، معجم البلدان - الفكر (١/ ٢٩٢).

بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، **وَذُبِحَ** فِي هَذَا الْعُرْسِ مِنَ الْأَغْنَامِ، وَالدَّجَاجِ، وَالْإِوَزِّ، وَالْخَيْلِ، وَالْبَقَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ **عِشْرِينَ أَلْفًا**، وَعُمِلَتْ **حَلْوَى** بِنَحْوِ **ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفِ قِنْطَارٍ**، وَحُمِلَ لَهُ مِنَ الشَّمْعِ ثَلَاثَةُ آلَافِ قِنْطَارٍ.

○ نكبة الدوادار ناصر الدين محمد

فِي ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٣٣هـ) مَسَكَ **تَنْكِزُ** دَوَادَارَهُ [1] نَاصِرَ الدِّينِ مُحَمَّدًا، وَكَانَ عِنْدَهُ بِمَكَانَـةٍ عَظِيمَـةٍ جِدًّا، **وَضَرَبَهُ** بَيْنَ يَدَيْهِ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، **وَاسْـتَخْلَصَ مِنْهُ أَمْـوَالًا كَثِيرَةً**، ثُمَّ حَبَسَـهُ بِالْقَلْعَةِ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الْقُدْسِ، وَضَرَبَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، مِنْهُمْ **عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ مُقَلَّدٍ** حَاجِبُ الْعَرَبِ، وَقَطَعَ لِسَانَهُ مَرَّتَيْنِ، وَمَاتَ.

وَتَغَيَّـرَتِ الدَّوْلَـةُ، وَجَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْـرَى مُقَدَّمُهَا عِنْدَ تنكز **حَمْزَةُ** الَّذِي صار سَـمِيرَهُ وَعَشِيرَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، وَانْزَاحَتِ النِّعْمَةُ عَنِ الدَّوَدَارِ نَاصِرِ الدِّينِ وَذَوِيهِ وَمَنْ يَلِيهِ.

○ تركيب باب جديد للكعبة المشرفة

فِـي يَـوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنِ عِشْـرِينَ ذِي الْقِعْدَةِ سـنة (٧٣٣هــ) رُكِّبَ عَلَـى الْكَعْبَةِ بَابٌ جَدِيدٌ أَرْسَـلَهُ السُّـلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون، مُرَصَّعًا مِنَ السَّـنْطِ [2] الْأَحْمَرِ كَأَنَّهُ آبِنُوسٌ [3]، مُرَكَّبٌ عَلَيْهِ صَفَائِحُ مِنْ فِضَّةٍ، زِنَتُهَا خَمْسَـةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةٍ وَكَسْـرٍ، وَقُلِعَ الْبَابُ الْعَتِيقُ، وَهُوَ مِنْ خَشَـبِ السَّاسَـمِ، وَعَلَيْهِ صَفَائِحُ ذهب تَسَـلَّمَهَا بَنُو شَيْبَةَ،

---

(١) هـو الـذي يحمل دواة السـلطان أو الأمير، و يتولى أمرها مع مـا ينضم لذلك من الأمـور اللازمة لهذا المعنى من حكم و تنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال.

والداودارية: وظيفة موضوعها نقل الرسـائل و الأمور عن السـلطان و عرض القصص و البريد و أخذ الخط السلطاني على عامة المناشير. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ٧٧).

(٢) السنط: شجر من الفصيلة القرنية، ثمره القرط، يعِيش فِي الأقاليم الحارة، وَيكثر بِمصْر: واحدته: سنطة. المعجم الوسيط (١/ ٤٥٤).

(٣) الآبنـوس: شـجر ينْبـت فِي الْحَبَشَـة والهند خشـبه أسـود صلب ويصنـع مِنْهُ بعـض الأدوات والأواني والأثاث. المعجم الوسيط (١/ ١).

وَكَانَ زِنَتُهَا سِتِّينَ رَطْلًا، فَبَاعُوهَا كُلَّ دِرْهَمٍ بِدِرْهَمَيْنِ؛ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ، **وَهَذَا خَطَأٌ، وَهُوَ رِبًا**، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَبِيعُوهَا بِالذَّهَبِ، لِئَلَّا يَحْصُلَ رِبًا فِي ذَلِكَ.

وَتُرِكَ خَشَبُ الْبَابِ الْعَتِيقِ دَاخِلَ الْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ اسْمُ صَاحِبِ الْيَمَنِ فِي الْفَرْدَتَيْنِ، وَاحِدَةٌ عَلَيْهَا: اللَّهُمَّ يَا وَلِيُّ يَا عَلِيُّ، وعلى الثانية: **اغْفِرْ لِيُوسُفَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ**.

○ مُنَافَسَةٌ بَيْنَ القاضي ابْنِ جُمْلَةَ وَالشَّيْخِ الظَّهِيرِ

فِي الْعَشْرِ الْأُخَرِ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٧٣٣هـ) وَقَعَ بَيْنَ الْقَاضِي ابْنِ جُمْلَةَ وَبَيْنَ الشَّيْخِ الظَّهِيرِ، شَيْخِ مَلَكِ الْأُمَرَاءِ، مُنَافَسَةٌ وَمُحَاقَقَةٌ فِي أُمُورٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوَادَارِ ناصر الدين، فَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى خِلَافِ مَا حَلَفَ الْآخَرُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا رَجَعَ الْقَاضِي ابن جملة إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْعَادِلِيَّةِ، أَرْسَلَ إِلَى الشَّيْخِ الظَّهِيرِ ليحضر عنده؛ يَحْكُمَ فِيهِ، وَذَلِكَ عَنْ مَرْسُومِ نَائِبِ السلطنة، فَبَدَرَ بِهِ الْقَاضِي بَادِيَ الرَّأْيِ فَعَزَّرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَتَسَلَّمَهُ أَعْوَانُ ابْنِ جُمْلَةَ، فَطَافُوا بِهِ الْبَلَدَ عَلَى حِمَارٍ، يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ عِشْرِينَ رَمَضَانَ، وَضَرَبُوهُ ضَرْبًا عَنِيفًا، **وَنَادَوْا عَلَيْهِ**: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَكْذِبُ وَيَفْتَاتُ عَلَى الشَّرْعِ، فَتَأَلَّمَ النَّاسُ لَهُ؛ لِكَوْنِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ صَائِمٌ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ ضُرِبَ يَوْمَئِذٍ أَلْفَيْنِ وَمِائَةً وَإِحْدَى وَسَبْعِينَ دِرَّةً، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَاسْتُفْتِيَ عَلَى **الْقَاضِي ابن جملة**، وَدَارُوا عَلَى الْمَشَايِخِ بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ مَرْسُومِ النَّائِبِ أيضًا، فَعَقَدَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِدَارِ السَّعَادَةِ مَجْلِسًا حَافِلًا بِالْقُضَاةِ، وَأَعْيَانِ الْمُفْتِينَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، وَأُحْضِرَ ابْنُ جُمْلَةَ قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَلَمْ يَأْذَنُوا لِابْنِ جُمْلَةَ فِي الْجُلُوسِ، ثُمَّ أُجْلِسَ بَعْدَ سَاعَةٍ إِلَى جَانِبِ الشَّيْخِ الظَّهِيرِ، وَادَّعَى عَلَيْهِ الشيخ الظهير عِنْدَ الْقُضَاةِ أَنَّهُ حَكَمَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، **وَاعْتَدَى عَلَيْهِ فِي الْعُقُوبَةِ**، وَأَفَاضَ الْحَاضِرُونَ فِي ذَلِكَ، فَمَا انْفَصَلَ الْمَجْلِسُ حَتَّى **حَكَمَ** الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ **بِفِسْقِهِ وَعَزْلِهِ وَسَجْنِهِ**، فَانْفَضَّ الْمَجْلِسُ عَلَى ذَلِكَ، **وَرُسِمَ عَلَيه بِالْعَذْرَاوِيَّةِ**، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ جَزَاءً وِفَاقًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَكَانَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ سَنَةٌ وَنِصْفٌ إِلَّا أَيَّامًا، وَكَانَ يُبَاشِرُ الْأَحْكَامَ جَيِّدًا، وَكَذَا الْأَوْقَافَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِهِ، وَفِيهِ نَزَاهَةٌ وَتَمْيِيزُ الْأَوْقَافِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَفِيهِ صَرَامَةٌ وَشَهَامَةٌ وَإِقْدَامٌ، لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَتَعَدَّى فِيهَا، فَآلَ أَمْرُهُ إِلَى هَذَا.

○ وضع الستارة على خزانة المصحف العثماني

فِي مُنْتَصَفِ جمادى الآخرة سنة (٧٣٥هـ) عُلِّقَ السِّتْرُ الْجَدِيدُ عَلَى خِزَانَةِ الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ، وَهُوَ مِنْ خَزٍّ، طُولُهُ ثَمَانِيَةُ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ، غُرِمَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَخَمْسُمِائَةٍ، وَعُمِلَ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ وَنِصْفٍ.

○ وفاة بو سعيد ملك التتار

في سنة (٧٣٦هـ) جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِمَوْتِ مَلِكِ التَّتَارِ **بُو سَعِيدِ بْنِ خَرْبَنْدَا بْنِ أَرْغُونَ بْنِ أَبْغَا بْنِ هُولَاكُو بْنِ تُولَى بْنِ جَنْكِزْخَانَ** فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ بِدَارِ السَّلْطَنَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ **خِيَارِ مُلُوكِ التَّتَارِ**، وَأَحْسَنِهِمْ طَرِيقَةً، وَأَثْبَتِهِمْ عَلَى السُّنَّةِ، وَأَقْوَمِهِمْ بِهَا، **وَقَدْ عَزَّ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي زَمَانِهِ**، وَذَلَّتِ الرَّافِضَةُ -بِخِلَافِ دَوْلَةِ أَبِيهِ- ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَقُمْ لِلتَّتَارِ قَائِمَةٌ، **بَلِ اخْتَلَفُوا فَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ** إِلَى زَمَانِنَا هَذَا.

○ نفي ذرية العاضد العبيدي إلى الفيوم

فِي ثَالِثِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٨هـ) رَسَمَ السُّلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون **بِتَسْفِيرِ** عَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ ابْنَيْ دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ الْعَاضِدِ **آخِرِ خُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ إِلَى الْفَيُّومِ** يُقِيمُونَ بِهِ.

○ سيل عظيم داخل الكعبة المشرفة

فِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٨هـ) اسْتَهَلَّ الْغَيْثُ بِمَكَّةَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ هَائِلٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ مِنْ دَهْرٍ طَوِيلٍ، فَخَرَّبَ دُورًا كَثِيرَةً نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَكْثَرَ، وَغَرَّقَ جَمَاعَةً، وَكَسَرَ أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ، وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ، وَارْتَفَعَ فِيهَا نَحْوًا مِنْ ذِرَاعٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَجَرَى أَمْرٌ عَظِيمٌ، حَكَاهُ الشَّيْخُ عَفِيفُ الدِّينِ الْمَطَرِيُّ.

○ الهجرة إلى مكة بسبب المجاعة

فِـي أَوَّلِ جُمَـادَى الْآخِرَةِ (٧٣٦هـ) وَقَعَ غَلَاءٌ شَـدِيدٌ بِدِيَارِ مِصْرَ، وَاشْـتَدَّ ذَلِكَ إِلَى شَـهْرِ شَـعْبَانَ. وَتَوَجَّهَ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي رَجَبٍ إِلَى مَكَّةَ نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِـمِائَةٍ، مِنْهُمْ: عِزُّ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ، وَفَخْرُ الدِّينِ النُّوَيْرِيُّ، وَحُسَـيْنٌ السَّـلَامِيُّ، وَأَبُو الْفَتْحِ السَّـلَامِيُّ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ

○ آخر حوادث ووفيات كتاب البرزالي

قال ابن كثير في نهاية حوادث ووفيات سنة (٧٣٨): فَهَذَا آخِرُ مَا أَرَّخَهُ شَيْخُنَا الْحَافِظُ عَلَـمُ الدِّيـنِ الْبِرْزَالِـيُّ فِي كِتَابِـهِ[١] الَّذِي ذَيَّـلَ بِهِ عَلَى «تَارِيخِ الشَّـيْخِ شِـهَابِ الدِّينِ أَبِي شَامَةَ»[٢]، وَقَدْ كَانَتْ وَفَاةُ الْبِرْزَالِيِّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، (٧٣٩هـ) وَهُوَ مُحْرِمٌ بِمَنْزِلَةِ **خُلَيْصٍ**، وَكَانَ فَرَاغِي مِنَ الِانْتِقَاءِ مِنْ تَارِيخِهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (٧٥١هـ)، أَحْسَنَ اللهُ خَاتِمَتَهَا، آمِينَ، وَقَدْ ذَيَّلْتُ عَلَى «تَارِيخِهِ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَى زماننا هذا.

○ إكمال دار الحديث السكرية

في سـنة (٧٣٩هـ) كان إِكْمَالُ دَارِ الْحَدِيثِ السُّـكَّرِيَّةِ، وَبَاشَـرَ **مَشْـيَخَةَ الْحَدِيثِ** بِهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ **الذَّهَبِيُّ**، وَقَرَّرَ فِيهَا ثَلَاثُونَ مُحَدِّثًا لِـكُلٍّ مِنْهُمْ جِرَايَةٌ وَجَامَكِيَّةٌ، كُلَّ شَـهْرٍ سَـبْعَةُ دَرَاهِـمَ وَنِصْفُ رَطْلِ خُبْزٍ، وَقُرِّرَ لِلشَّـيْخِ ثَلَاثُونَ درهمـًا وَرَطْلُ خُبْزٍ.

وَقُرِّرَ فِيهَا ثَلَاثُونَ نَفَرًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لِكُلِّ عَشَرَةٍ شَيْخٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرَّاءِ نَظِيرُ مَا لِلْمُحَدِّثِينَ، **وَرُتِّبَ** لَهَا إِمَامٌ وَقَارِئُ حَدِيثٍ وَنُوَّابٌ، وَلِقَارِئِ الْحَدِيثِ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَثَمَانِ أَوَاقٍ خُبْزٍ، وَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ فِي شَكَالَتِهَا وَبِنَائِهَا.

---

(١) المقتفي في تاريخ أبي شامة، وقف فيه إلى نهاية حوادث سنة (٧٣٨هـ)، واعتبر ابن كثير حوادث ووفيات كتابه من سنة (٧٣٩هـ) إلى سنة (٧٦٨هـ) بمثابة الذيل عليه.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية.

وَوَقَفَ عَلَيْهَا عِدَّةَ أَمَاكِنَ مِنْهَا: سُوقُ الْقَشَّاشِينَ بِبَابِ الْفَرَجِ، وَبَنْدَرُ زَبْدِينَ، وَحَمَّامٌ بِحِمْصَ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا حِصَصًا فِي قَرَايَا أُخَرَ، وَلَكِنَّهُ تَغَلَّبَ عَلَى مَا عَدَا الْقَشَّاشِينَ، وَبَنْدَرَ زَبْدِينَ، وَحَمَّامَ حِمْصَ.

○ عمل النصارى على إشعال الحرائق بدمشق

فِي سنة (٧٤٠هـ) اجْتَمَع جَمَاعَة مِنْ رُءُوسِ النَّصَارَى فِي كَنِيسَتِهِمْ، وَجَمَعُوا مِنْ بَيْنِهِمْ مَالًا جَزِيلًا، فَدَفَعُوهُ إِلَى رَاهِبَيْنِ قَدِمَا عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ، يُحْسِنَانِ **صَنْعَةَ النِّفْطِ**، فَعَمِلَا كَعْكًا مِنْ نِفْطٍ، لَا يَظْهَرُ إشتعاله إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ وَأَكْثَرَ، فَوَضَعَاه فِي شُقُوقِ دَكَاكِينِ التُّجَّارِ فِي عِدَّةِ دَكَاكِينٍ من سوق الدهشة مِنْ آخِرِ النَّهَارِ، بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ بِهِمَا، وَهُمَا فِي زِيِّ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ لَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَالنَّارُ قَدْ عَمِلَتْ فِي تِلْكَ الدَّكَاكِينِ حَتَّى تَعَلَّقَتْ فِي دَرَابْزِينَاتِ الْمِئْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ لجامع دمشق، وَاحْتَرَقَتِ الدَّرَابْزِينَاتُ وتَفَجَّرَتْ أَحْجَارُهَا.

وَهِيَ الْمَنَارَةُ الشَّرْقِيَّةُ [(١)] الَّتِي جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ -ؑ- فِي آخر الزمان، وَالْبَلَدُ مُحَاصَرٌ بِالدَّجَّالِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ النَّصَارَى بَعْدَ لَيَالٍ عَمَدُوا مرة أخرى إِلَى نَاحِيَةِ الْجَامِعِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الْقَيْسَارِيَّةِ الَّتِي يُعْمَلُ فِيهَا سِلَاحُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَقْوَاسِ، فَأَلْقَوْا فِيهَا النِّفْطَ، فَاحْتَرَقَتِ الْقَيْسَارِيَّةُ بِكَمَالِهَا وَبِمَا فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاسِ وَالْعُدَدِ.

وَتَطَايَرَ شَرَرُ النَّارِ إِلَى مَا حَوْلَ الْقَيْسَارِيَّةِ مِنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَدَارِسِ، وَاحْتَرَقَ جَانِبٌ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْأَمِينِيَّةِ، وَمَا كَانَ مَقْصُودُهُمْ إِلَّا وَصُولَ النَّارِ إِلَى مَعْبَدِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَالَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرُومُونَ، وَجَاءَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأُمَرَاءُ وَحَالُوا بَيْنَ الْحَرِيقِ وَالْمَسْجِدِ، جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا.

---

(١) سنن أبي داود بتحقيق الأرناؤوط (٦/ ٣٧٥) برقم: (٤٣٢١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود، برقم [٤٣٢١].

وَلِمَا تَحقَّق نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِهِمْ، أَمَرَ بِمَسْكِ رُءُوسِ النَّصَارَى، فَأَمْسَكَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ رَجُلًا، فَأُخِذُوا بِالْمُصَادَرَاتِ، وَالضَّرْبِ، وَالْعُقُوبَاتِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ صَلَبَ مِنْهُمْ أَزِيدَ مِنْ عَشَرَةٍ، وَطَافَ بِهِمْ فِي أَرْجَاءِ الْبِلَادِ، ثُمَّ أُحْرِقُوا بِالنَّارِ.

○ القبض على سيف الدين تنكز وقتله

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الرَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٤٠هـ) جَاءَ الْأَمِيرُ **طَشْتَمُرَ** مِنْ صَفَدَ مُسْرِعًا، للقبض على **سيف الدين تنكز نَائِبُ السَّلْطَنَةِ** بأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وَقَالُوا: الْمَصْلَحَةُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى السُّلْطَانِ سَامِعًا مُطِيعًا، فَخَرَجَ تنكز بِلَا سِلَاحٍ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَلَمَّا وَصَلَ إليه أَمَرَ بِمَسِيرِهِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَسَأَلُوا عَنْ وَدَائِعِهِ فَأَقَرَّ بِبَعْضٍ، ثُمَّ عُوقِبَ حَتَّى أَقَرَّ بِالْبَاقِي.

وفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الرابع عشر من المحرم سنة (٧٤١هـ) نُقِلَ بَيْت مَلِكِ الْأُمَرَاءِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكِزَ وَأَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسَ عَشَرَ المحرم سنة (٧٤١هـ) رَكِبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أُلْطُنْبُغَا، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدَّمِينَ، وَاجْتَمَعُوا بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَاسْتَدْعَوْا بِمَمْلُوكَيِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكِزَ؛ وَهُمَا جَنْغَايُ، وَطَغَايُ، فَعُلِّقَا عَلَى الْخَشَبِ، وَنُودِيَ عَلَيْهِمَا: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَخَامَرَ عَلَى السُّلْطَانِ النَّاصِرِ.

وفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ محرم سنة (٧٤١هـ) كَانَتْ وَفَاةُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكِزَ نَائِبِ الشَّامِ بِقَلْعَةِ إِسْكَنْدَرِيَّةَ؛ قِيلَ: مَخْنُوقًا. وَقِيلَ: مَسْمُومًا، وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَقَدْ جَاوَزَ السِّتِّينَ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَطَالَ حُزْنُهُمْ عَلَيْهِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْهَيْبَةِ، وَالصِّيَانَةِ، **وَالْغَيْرَةِ عَلَى حَرِيمِ الْمُسْلِمِينَ وَمَحَارِمِ الْإِسْلَامِ**، وَمِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى ذَوِي الْجَاهَاتِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَشْتَدُّ تَأَسُّفُهُمْ عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَادِلًا مهيبًا، عَفِيفَ الْفَرْجِ وَالْيَدِ، وَالنَّاسُ فِي أَيَّامِهِ فِي غَايَةِ الرُّخْصِ وَالْأَمْنِ وَالصِّيَانَةِ، فَرَحِمَهُ اللهُ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ.

وَلَهُ أَوْقَافٌ كَثِيرَةٌ: مِنْ ذَلِكَ مَرَسْتَانٌ بِصَفَدَ، وَجَامِعٌ بِنَابُلُسَ وَعَجْلُونَ، وَجَامِعٌ بِدِمَشْقَ، وَدَارُ حَدِيثٍ بِالْقُدْسِ وَدِمَشْقَ، وَمَدْرَسَةٌ وَخَانَقَاهْ بِالْقُدْسِ، وَرِبَاطٌ وَسُوقٌ مَوْقُوفٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

❍ تعيين علاء الدين ألطنبغا نائباً لدمشق

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَادِسِ المحرم سنة (٧٤١هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ **عَلَاءُ الدِّينِ أَلْطُنْبُغَا** إِلَى دِمَشْقَ نَائِبًا، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَالْأُمَرَاءُ الْمِصْرِيُّونَ، وَنَزَلُوا إِلَى عَتَبَتِهِ فَقَبَّلُوا الْعَتَبَةَ الشَّرِيفَةَ، وَرَجَعُوا مَعَهُ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ.

❍ إقامة الحد على عثمان الدوكالي

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَلْخَ شَهْرِ شَوَّالٍ سنة (٧٤١هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ فِي دَارِ الْعَدْلِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَحَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ، وَاجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ عَلَى الْعَادَةِ، وَأُحْضِرَ **عُثْمَانُ الدُّوكَالِيُّ - قَبَّحَهُ اللهُ تَعَالَى - وَادُّعِيَ عَلَيْهِ بِعَظَائِمَ مِنَ الْقَوْلِ لَمْ يُؤْثَرْ مِثْلُهَا عَنِ الْحَلَّاجِ،** وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ بِدَعْوَى الْإِلَهِيَّةِ، وَأَشْيَاءَ أُخَرَ مِنَ التَّنْقِيصِ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَمُخَالَطَتِهِ أَرْبَابَ الرَّيْبِ مِنَ **الْبَاجُرْبَقِيَّةِ** وَغَيْرِهِمْ مِنَ **الِاتِّحَادِيَّةِ**، وَوَقَعَ مِنْهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ عَلَى الْقَاضِي الْحَنْبَلِيِّ، فَادَّعَى أَنَّ لَهُ دَوَافِعَ وَقَوَادِحَ فِي بَعْضِ الشُّهُودِ، **فَرُدَّ إِلَى السِّجْنِ**.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِيَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ أُحْضِرَ عُثْمَانُ الدُّوكَالِيُّ الْمَذْكُورُ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَأُقِيمَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ، وَسُئِلَ عَنِ الْقَوَادِحِ فِي الشُّهُودِ فَعَجَزَ فَلَمْ يَقْدِرْ، فَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ، فَسُئِلَ الْقَاضِي الْمَالِكِيُّ الْحُكْمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ، **ثُمَّ حَكَمَ بِإِرَاقَةِ دَمِهِ وَإِنْ تَابَ**، فَأُخِذَ فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ بِدِمَشْقَ بِسُوقِ الْخَيْلِ، **وَنُودِيَ عَلَيْهِ**: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَكُونُ عَلَى **مَذْهَبِ الِاتِّحَادِيَّةِ**.

وَحَضَرَ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْمَشَايِخِ، وَحَضَرَ شَيْخُنَا جَمَالُ الدِّينِ **الْمِزِّيُّ**، وَشَيْخُنَا **الذَّهَبِيُّ**، وَتَكَلَّمَا، وَحَرَّضَا فِي الْقَضِيَّةِ جِدًّا، وَشَهِدَا بِزَنْدَقَةِ الْمَذْكُورِ

بِالِاسْتِفَاضَةِ، وَكَذَا الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ أَخُو الشَّيْخ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَةَ، ونَفَّذ حُكْمهُ فِي الْمَجْلِسِ، الْقُضَاةُ الثَّلَاثَةُ: الْمَالِكِيُّ، وَالْحَنَفِيُّ، وَالْحَنْبَلِيُّ، وَحضَرُوا قَتْلَه، وَكُنْتُ مُبَاشِرًا لِجَمِيع ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.

○ المدارس والوظائف السلطانية

⊙ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابعَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٠٢هـ) وَصَلَ الْبَرِيدُ إِلَى دِمَشْق، فَأَخْبَرَ بِوَفَاةِ قَاضِي الْقُضَاةِ **ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ**، وَمَعَهُ كِتَابُ من السُّلْطَانِ محمد الناصر إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ، يَسْتَدْعِيهِ إِلَى قُرْبِهِ؛ **لِيُبَاشِرَ وَظِيفَةَ الْقَضَاءِ** بِمِصْرَ، فَتَهَيَّأَ لِذَلِكَ.

وَلَمَّا وَصَلَ ابْنُ جَمَاعَةَ إِلَى مِصْرَ أَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ إِكْرَامًا زَائِدًا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ صُوفٍ، وَبَغْلَةً تُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَبَاشَرَ الْحُكْمَ بِمِصْرَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٠٢هـ).

⊙ وبَاشَرَ شَرَفُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ مَشْيَخَةَ **دَارِ الْحَدِيثِ** الظَّاهِرِيَّةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَامِنِ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٠٢هـ) عِوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ النَّاسِخِ، وَهُوَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَذَكَرَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ الفزاري دَرْسًا مُفِيدًا، وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ.

⊙ وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ حَادِي عِشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٢هـ) خُلِعَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ صَصْرَى بِقَضَاءِ الشَّامِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ جَمَاعَةَ. وَعَلَى الشَّيْخ زَيْنِ الدِّينِ الْفَارِقِيِّ بِالْخَطَابَةِ، وَهَنَّأَهُمُ النَّاسُ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأَعْيَانُ الْمَقْصُورَةَ لِسَمَاعِ الْخُطْبَةِ.

⊙ وفِي شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٠٢) بَاشَرَ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ نَظَرَ الْخِزَانَةِ عِوَضًا عَنِ الصَّدْرِ أَمِينِ الدِّينِ بْنِ هِلَالٍ، تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَبَاشَرَ نَظَرَ الْجَامِعِ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الصَّدْرِ سُلَيْمَانُ عِوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْرَجِيِّ.

⊙ وفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ شَعْبَانَ سنة (٧٠٢هـ) بَاشَرَ مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بَعْدَ ابْنِ جَمَاعَةَ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَكَانَ جَمَالُ الدِّينِ الزُّرَعِيُّ يَسُدُّ الْوَظِيفَةَ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ.

⊙ وفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٠٢هـ) بَاشَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ الْحَاجِّ الْإِشْبِيلِيُّ الْمَالِكِيُّ إِمَامَةَ مِحْرَابِ الْمَالِكِيَّةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الصِّنْهَاجِيِّ.

⊙ وفِي صَفَرٍ (٧٠٣هـ) تَوَلَّى الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الشَّرِيشِيِّ** نَظَرَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ، وَبَاشَرَهُ مُبَاشَرَةً مَشْكُورَةً، وَسَاوَى بَيْنَ النَّاسِ، ثم عَزَلَ نَفْسَهُ فِي رَجَبٍ مِنْهَا.

⊙ وفِي شَهْرِ صَفَرٍ (٧٠٣هـ) تَوَلَّى الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ **الذَّهَبِيُّ** خَطَابَةَ كَفْرِ بَطْنَا، وَأَقَامَ بِهَا.

⊙ وفِي شهر صفر سنة (٧٠٣هـ) بَاشَرَ الشَّيْخُ **شَرَفُ الدِّينِ** الْإِمَامَةَ وَالْخَطَابَةَ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ لِحُسْنِ قِرَاءَتِهِ، وَطِيبِ صَوْتِهِ، وَجَوْدَةِ سِيرَتِهِ.

⊙ أَخَذَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ** تَدْرِيسَ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ مِنْ يَدِ ابْنِ الْوَكِيلِ، وَبَاشَرَهَا فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٣هـ)، وَاسْتَقَرَّتْ دَارُ الْحَدِيثِ بِيَدِ ابْنِ الْوَكِيلِ مَعَ مَدْرَسَتَيْهِ الْأُولَيَيْنِ، وَأَظُنُّهُمَا الْعَذْرَاوِيَّةَ، وَالشَّامِيَّةَ الْجَوَّانِيَّةَ.

⊙ فِي رَجَبٍ سنة (٧٠٤هـ) جَلَسَ قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ صَصْرَى بِالْمَدْرَسَةِ الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، وَعُمِلَتِ التُّخُوتُ بَعْدَمَا جُدِّدَتْ عِمَارَةُ الْمَدْرَسَةِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَحْكُمُ بِهَا بَعْدَ وَقْعَةِ قَازَانَ بِسَبَبِ خَرَابِهَا.

⊙ فِي رَجَبٍ سنة (٧٠٤هـ) جَاءَ الْمَرْسُومُ لِلشَّيْخِ بُرْهَانِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ بِوَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، فَلَمْ يَقْبَلْ، وَلِلشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ بِنَظَرِ الْخِزَانَةِ، فَقَبِلَ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِطَرْحَةٍ، وَحَضَرَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ،

⊙ فِي خَامِسِ رَمَضَانَ سنة (٧٠٤هـ) وَصَلَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِيِّ مِنْ مِصْرَ بِوَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَبِسَ الْخِلْعَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعِ رَمَضَانَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ ابْنُ صَصْرَى بِالشُّبَّاكِ الْكَمَالِيِّ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخَرِ سنة (٧٠٦هـ) قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَمَعَهُ تَجْدِيدُ تَوْقِيعٍ لِلْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ الْأَذْرَعِيِّ الْحَنَفِيِّ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ بِوِلَايَةِ الْقَضَاءِ لِابْنِ الْحَرِيرِيِّ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ لِيُهَنِّئُوهُ مَعَ الْبَرِيدِيِّ إِلَى الظَّاهِرِيَّةِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِقِرَاءَةِ التَّقْلِيدِ عَلَى الْعَادَةِ، فَشَرَعَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ فِي قِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الِاسْمِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ، وَأَنَّهُ لِلْأَذْرَعِيِّ، فَبَطَلَ الْقَارِئُ، وَقَامَ النَّاسُ مَعَ الْبَرِيدِيِّ إِلَى الْأَذْرَعِيِّ، وَحَصَلَتْ كَسْرَةٌ وَخَمْدَةٌ عَلَى الْحَرِيرِيِّ وَالْحَاضِرِينَ.

◉ وَوَصَلَ مَعَ الْبَرِيدِيِّ أَيْضًا كِتَابٌ فِيهِ طَلَبُ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَتَوَهَّمَ مِنْ ذَلِكَ، وَخَافَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ انْتِسَابِهِ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَتَلَطَّفَ بِهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَدَارَى عَنْهُ حَتَّى أُعْفِيَ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى مِصْرَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَادِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٠٦هـ) حَضَرَ مُدَرِّسُ النَّجِيبِيَّةِ الْقَاضِي بَهَاءُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَجَمِيُّ الْحَلَبِيُّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَاضِي ابْنُ صَصْرَى، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٦هـ) قَدِمَ قَاضِي الْقُضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ الْحَنَفِيُّ الْبُصْرَاوِيُّ إِلَى دِمَشْقَ مِنَ الْقَاهِرَةِ مُتَوَلِّيًا قَضَاءَ الْحَنَفِيَّةِ، عِوَضًا عَنِ الْأَذْرَعِيِّ، مَعَ مَا بِيَدِهِ مِنْ تَدْرِيسِ النُّورِيَّةِ وَالْمُقَدَّمِيَّةِ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ، وَهَنَّئُوهُ، وَحَكَمَ بِالنُّورِيَّةِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِالْمَقْصُورَةِ.

◉ وَفِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٠٩هـ) دَرَّسَ **كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشِّيرَازِيِّ** بِالْمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، انْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ **الزَّمْلَكَانِيِّ**، وَذَلِكَ أَنَّ أَسَنْدَمُرَ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ.

◉ وفِي الْمُحَرَّمِ من سنة (٧١٠هـ)، بَاشَرَ الشَّيْخُ أَمِينُ الدِّينِ سَالِمُ بْنُ أَبِي الدُّرِّ، إِمَامُ مَسْجِدِ ابْنِ هِشَامٍ تَدْرِيسَ الشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، وَباشر الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ

مُوسَى الْكُرْدِيُّ تَدْرِيسَ الْعَذْرَاوِيَّةِ، وَرَجَعَ الْخَطِيبُ جَلَالُ الدِّينِ إِلَى الْخَطَابَةِ فِي سَابِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ.

- وفِي مُسْتَهَلِّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧١٠هـ) بَاشَرَ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الزُّرَعِيُّ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِمِصْرَ، عِوَضًا عَنْ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ.

- وَجَاءَ الْبَرِيدُ إِلَى الشَّامِ بِطَلَبِ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْحَرِيرِيِّ لِقَضَاءِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَسَارَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧١٠هـ)، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ لِتَوْدِيعِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى السُّلْطَانِ أَكْرَمَهُ، وَعَظَّمَهُ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْحَنَفِيَّةِ، وَتَدْرِيسَ النَّاصِرِيَّةِ وَالصَّالِحِيَّةِ، وَجَامِعَ الْحَاكِمِ.

- وفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧١٠هـ) دَرَّسَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ بِالظَّاهِرِيَّةِ، عِوَضًا عَنْ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْحَرِيرِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ خَالُهُ الصَّدْرُ عَلِيٌّ، - قَاضِي قُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ - وَبَقِيَّةُ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ.

- وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧١٠هـ) بَاشَرَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، عِوَضًا عَنِ ابْنِ الْوَكِيلِ، وَأَخَذَ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، فَذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ دُرُوسًا حَسَنَةً، ثُمَّ لَمْ يَسْتَمِرَّ بِهَا سِوَى خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِيِّ، فَبَاشَرَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ثَالِثِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

- وَفِي شَوَّالٍ سنة (٧١٠هـ) بَاشَرَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقُونَوِيُّ مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ كَرِيمِ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْآمُلِيِّ، وَخُلِعَ عَلَى الْقُونَوِيِّ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ.

- وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَبِسَ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ** خِلْعَةَ **وَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ** عِوَضًا عَنِ ابْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَحَضَرَ بِهَا الشُّبَّاكَ، وَتَكَلَّمَ الْوَزِيرُ أَمِينُ الْمُلْكِ فِي الْبَلَدِ، وَطَلَبَ مِنَ النَّاسِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَصَادَرَ، وَضَرَبَ، بِالْمَقَارِعِ، وَأَهَانَ جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ، مِنْهُمُ الصَّدْرُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللهِ.

⦿ وَفِي سنة (٧١٢هـ) عُيِّنَ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ جَهْبَلٍ لِتَدْرِيسِ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ عِوَضًا عَنْ نَجْمِ الدِّينِ دَاوُدَ الْكُرْدِيِّ، وَقَدْ كَانَ مُدَرِّسًا بِهَا مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ سَنَةً،

⦿ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٥هـ) دَرَّسَ قَاضِي مَلَطْيَةَ الشَّرِيفُ شَمْسُ الدِّينِ بِالْمَدْرَسَةِ الْخَاتُونِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ - عِوَضًا عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ الْحَنَفِيِّ الْبُصْرَوِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ، وَهُوَ رَجُلٌ لَهُ فَضِيلَةٌ، وَحُسْنُ خُلُقٍ، كَانَ قَاضِيًا بِمَلَطْيَةَ وَخَطِيبًا بِهَا نَحوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً.

⦿ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٥هـ) دَرَّسَ ابْنُ صَصْرَى بِالْأَتَابِكِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ.

⦿ وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٥هـ) حَضَرَ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ دَرْسَ **الظَّاهِرِيَّةِ** الْجَوَّانِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الْهِنْدِيِّ أَيْضًا، بِحُكْمِ وَفَاتِهِ.

⦿ وفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ عَاشِرِ رَجَبٍ سنة (٧١٦هـ) دَرَّسَ **بِالنَّجِيبِيَّةِ** الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ، عِوَضًا عَنِ الصَّدْرِ بَهَاءِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ كَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الظَّاهِرِ الْعَجَمِيِّ الْحَلَبِيِّ.

⦿ وفِي آوَاخِرِ شَعْبَانَ سنة (٧١٦هـ) وَصَلَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ عِزِّ الدِّينِ يَحْيَى الْحَرَّانِيُّ أَخُو قَاضِي قُضَاةِ الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ الْغَنِيِّ إِلَى دِمَشْقَ مُتَوَلِّيًا **نَظَرَ الْأَوْقَافِ بِهَا**، وَقَدْ بَاشَرَ **نَظَرَ الدَّوَاوِينِ** بِهَا، وَبِمِصْرَ، وَالْحِسْبَةَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

⦿ وفِي سَادِسِ شوال سنة (٧١٧هـ) دَرَّسَ **بِالْجَارُوخِيَّةِ** الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ الشَّرِيشِيِّ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ سَلَّامٍ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ.

⦿ وفِي التَّاسِعَ عَشَرَ شوال سنة (٧١٧هـ) دَرَّسَ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ **بِالْعَذْرَاوِيَّةِ** عِوَضًا عَنِ ابْنِ سَلَّامٍ.

⊙ وَفِي سنة (٧١٧هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ **بِالْحَنْبَلِيَّةِ** عَنْ إِذْنِ أَخِيهِ لَهُ فِي ذَلِكَ، بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِمَا لِأُمِّهِمَا بَدْرِ الدِّينِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، ثُمَّ سَافَرَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ إِلَى الْحَجِّ، وَحَضَرَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الدَّرْسَ بِنَفْسِهِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى عَادَ أَخُوهُ.

⊙ وفِي ذِي الْقَعْدَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ سنة (٧١٧هـ) دَرَّسَ **بِالصِّمْصَامِيَّةِ** الَّتِي جُدِّدَتْ لِلْمَالِكِيَّةِ، الْفَقِيهِ نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ النَّصِيرِ الْمَالِكِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَمِمَّنْ حَضَرَ عِنْدَهُ: الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، وَكَانَ يَعْرِفُهُ مِنْ إِسْكَنْدَرِيَّةَ.

⊙ وفِي ذِي الْقَعْدَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ سنة (٧١٧هـ) دَرَّسَ **بِالدَّخْوَارِيَّةِ** الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ الْكَحَّالُ، وَرُتِّبَ فِي **رِيَاسَةِ الطِّبِّ** بِمَرْسُومِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ تَنْكِزَ.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧١٨هـ) تَوَلَّى قَضَاءَ الْمَالِكِيَّةِ بِمِصْرَ قَاضِي الْقُضَاةِ **تَقِيُّ الدِّينِ الْأَخْنَائِيُّ**، عِوَضًا عَنْ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ مَخْلُوفٍ، تُوُفِّيَ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَلَهُ فِي الْحُكْمِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

⊙ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧١٨هـ) بَاشَرَ الشَّيْخُ **شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ** - الْمُحَدِّثُ الْحَافِظُ - مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ بِتُرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ عِوَضًا عَنْ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِي مَشْيَخَتِهَا ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَحَضَرَ عِنْدَ الذَّهَبِيِّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُضَاةِ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة (٧١٨هـ) بَاشَرَ **بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ** بْنُ بَصْخَانَ، **مَشْيَخَةَ الْإِقْرَاءِ**، بِتُرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ، عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ التُّونِسِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ وَالْفُضَلَاءُ، وَقَدْ **حَضَرْتُهُ** يَوْمَئِذٍ، وَقَبْلَ ذَلِكَ بَاشَرَ مَشْيَخَةَ الْإِقْرَاءِ بِالْأَشْرَفِيَّةِ عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ خَرُوفٍ الْمَوْصِلِيِّ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثِ عِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧١٨هـ)، بَاشَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ، شَيْخُنَا وَمُفِيدُنَا، أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ الزَّكِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُوسُفَ **الْمِزِّيُّ** - مَشْيَخَةَ **دَارِ الْحَدِيثِ** الْأَشْرَفِيَّةِ عِوَضًا عَنْ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَلَمْ يَحْضُرْ عِنْدَهُ كَبِيرُ أَحَدٍ لِمَا فِي نُفُوسِ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ وِلَايَتِهِ لِذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ أَحَقُّ بِهَا مِنْهُ، وَلَا أَحْفَظُ مِنْهُ.

⊙ وفي جمادى الآخرة سنة (٧١٩هـ) دَرَّس **بِالْخَاتُونِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ** الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ **بْنُ الْفُوَيْرَةِ الْحَنَفِيُّ**، وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، عِوَضًا عَنِ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ قَاضِي مَلَطْيَةَ، تُوُفِّيَ.

⊙ وفي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعِ عِشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٢٠هـ) دَرَّسَ **بِالرُّكْنِيَّةِ** الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ الْأَسْمَرُ الْحَنَفِيُّ، وَأُخِذَتْ مِنْهُ **الْجَوْهَرِيَّةُ** لِشَمْسِ الدِّينِ الرَّقِّيِّ الْأَعْرَجِ، وَتَدْرِيسُ **جَامِعِ الْقَلْعَةِ** لِعِمَادِ الدِّينِ بْنِ مُحْيِي الدِّينِ الطَّرَسُوسِيِّ.

⊙ قَالَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ البرزالي: في سنة (٧٢١هـ) قَدِمَ دِمَشْقَ **الْإِمَامُ قِوَامُ الدِّينِ** أَمِيرُ كَاتِبِ الْفَارَابِيُّ، مُدَرِّسُ مَشْهَدِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ بِبَغْدَادَ، فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ، **وَكَانَ قَدْ حَجَّ**، وَتَوَجَّهَ بعد الحج إِلَى مِصْرَ، وَأَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا، ثُمَّ مَرَّ بِدِمَشْقَ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَغْدَادَ، فَنَزَلَ بِالْخَاتُونِيَّةِ الْحَنَفِيَّةِ، وَهُوَ ذُو فُنُونٍ وَبَحْثٍ وَأَدَبٍ وَفِقْهٍ.

⊙ دَرَّسَ **ابْنُ جَمَاعَةَ** بِزَاوِيَةِ الشَّافِعِيِّ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَّالٍ في سنة (٧٢١هـ) عِوَضًا عَنْ **شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ** بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ؛ **لِسُوءِ تَصَرُّفِهِ**، وَخُلِعَ عَلَى ابْنِ جَمَاعَةَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْعَامَّةِ مَا يُشَابِهُ جَمِيعَةَ الْجُمُعَةِ، وَأُشْعِلَتْ شُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَرَحًا بِزَوَالِ الْمَعْزُولِ.

⊙ قَالَ الْبِرْزَالِيّ: وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ -: وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٢١هـ) ذَكَرَ الدَّرْسَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ **تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ**، الْمُحَدِّثُ بِالْمَدْرَسَةِ **الْكَهَّارِيَّةِ** عِوَضًا عَنِ ابْنِ الْأَنْصَارِيِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ **الْقُونَوِيُّ**، وَرَوَى فِي الدَّرْسِ حَدِيث

الْمُتَبَايِعَيْنِ بِالْخِيَارِ، عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنِ جَمَاعَةَ.

- فِي آخِرِ رَجَبٍ سنة (٧٢٢هـ) بَاشَرَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَهْبَل **نِيَابَةَ الْحُكْمِ عَنِ** ابْنِ صَصْرَى عِوَضًا عَنِ الدَّارَانِيِّ الْجَعْفَرِيِّ، وَاسْتَغْنَى الدَّارَانِيُّ بِخُطْبَةِ **جَامِعِ الْعُقَيْبَةِ** عَنْهَا.

- فِي سنة (٧٢٣هـ) كان وَالِيَ الْبَرِّ بِدِمَشْقَ هُوَ **الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ** بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَانِيُّ، بَاشَرَهَا فِي صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ.

- وَفِي صَفَرٍ سنة (٧٢٣هـ) بَاشَرَ وِلَايَةَ **دِمَشْقَ** الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ بَرْقٍ، عِوَضًا عَنْ صَارِمِ الدِّينِ الْجُوكَنْدَارِ.

- وفِي سَلْخِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ في سنة (٧٢٣هـ) دَرَّسَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ **تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ** الشَّافِعِيُّ بِالْمَنْصُورِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ عَلَاءُ الدِّينِ شَيْخُ الشُّيُوخِ الْقُونَوِيُّ الشَّافِعِيُّ.

- وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعِ عِشْرِينَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٣هـ) كَانَتْ وِلَايَةُ الْقَاضِي **جَمَالِ الدِّينِ الزُّرَعِيِّ** لِقَضَاءِ الشَّامِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِمِصْرَ، وَكَانَ قُدُومُهُ إِلَى **دِمَشْقَ** فِي جُمَادَى الْأُولَى، فَنَزَلَ الْعَادِلِيَّةَ، وَقَدْ قَدِمَ عَلَى الْقَضَاءِ، وَمَشْيَخَةِ الشُّيُوخِ، وَقَضَاءِ الْعَسَاكِرِ، وَتَدْرِيسِ الْعَادِلِيَّةِ، وَالْغَزَّالِيَّةِ، وَالْأَتَابَكِيَّةِ.

- وفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٢٣هـ) **مُسِكَ الْقَاضِي كَرِيمُ الدِّينِ عَبْدُ الْكَرِيمِ، وَكِيلُ السُّلْطَانِ**، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ الْكِبَارِ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَحَوَاصِلِهِ، **ثُمَّ نُفِيَ إِلَى الشَّوْبَكِ**، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ بِرِبَاطِهِ.

وَمُسِكَ ابْنُ أَخِيهِ **كَرِيمُ الدِّينِ الصَّغِيرُ** نَاظِرُ **الدَّوَاوِينِ**، وَأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ، وَحُبِسَ فِي بُرْجٍ، وَفَرِحَ الْعَامَّةُ بِذَلِكَ، وَدَعَوْا لِلسُّلْطَانِ بِسَبَبِ مَسْكِهِمَا.

- وَطُلِبَ مِنَ الْقُدْسِ أَمِينُ الْمُلْكِ عَبْدُ اللهِ، فَوَلِيَ **الْوِزَارَةَ** بِمِصْرَ سنة (٧٢٣هـ)، وَخُلِعَ عَلَيْهِ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، وَفَرِحَ الْعَامَّةُ بِذَلِكَ.

- وفي سنة (٧٢٣هـ) قَدِمَ الْقَاضِي **مُعِينُ الدِّينِ بْنُ الْحَشِيشِ** عَلَى نَظَرِ الْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ، عِوَضًا عَنِ الْقُطْبِ ابْنِ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ.

- وَفِي جُمَادَى الْأُولَى فِي سنة (٧٢٣هـ) عُزِلَ **طُرْقُشِيٌّ** عَنْ شَدِّ الدَّوَاوِينِ، وَتَوَلَّاهَا الْأَمِيرُ **بَكْتَمُرُ** وَالِي الْوُلَاةِ، وَفِي شَعْبَانَ أُعِيدَ **طُرْقُشِيٌّ إِلَى الشَّدِّ**، وَسَافَرَ بَكْتَمُرُ إِلَى نِيَابَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

- وفي شَوَّالٍ فِي سنة (٧٢٣هـ) بَاشَرَ **تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ** مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدُ الْعَظِيمِ بْنُ الْحَافِظِ شَرَفِ الدِّينِ الدِّمْيَاطِيُّ. **ثُمَّ انْتُزِعَتْ** مِنَ السُّبْكِيِّ لِفَتْحِ الدِّينِ **بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ** الْيَعْمُرِيِّ، بَاشَرَهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

- وفِي خَامِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٤هـ) بَاشَرَ **عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ** الْحِسْبَةَ عِوَضًا عَنْ فَخْرِ الدِّينِ ابْنِ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ، مَعَ نَظَرِ الْخِزَانَةِ.

- وقَدِمَ الْبَرِيدُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَامِسِ عِشْرِينَ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٢٤هـ) **بِعَزْلِ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ الزُّرَعِيِّ**، فانْتَقَلَ إِلَى **الْأَتَابِكِيَّةِ**، وَاسْتَمَرَّتْ بِيَدِهِ مَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ، وَتَدْرِيسِ الْأَتَابِكِيَّةِ، وَاسْتَدْعَى نَائِبُ السَّلْطَنَةِ شَيْخَنَا الْإِمَامَ الزَّاهِدَ **بُرْهَانَ الدِّينِ الْفَزَارِيَّ**، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فَامْتَنَعَ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَأَبَى وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِهِ أَعْيَانَ النَّاسِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ الْوِلَايَةِ، وَصَمَّمَ أَشَدَّ التَّصْمِيمِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا عَنْ مُرُوءَتِهِ.

- وفِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَامِسِ عِشْرِينَ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٢٤هـ) خُلِعَ عَلَى الصَّدْرِ تَقِيِّ الدِّينِ **سُلَيْمَانَ بْنِ مَرَاجِلَ** بِنَظَرِ الْجَامِعِ عِوَضًا عَنْ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ الْحَدَّادِ، تُوُفِّيَ، وَأُخِذَ مِنِ ابْنِ مَرَاجِلَ نَظَرُ الْمَارَسْتَانِ الصَّغِيرِ لِبَدْرِ الدِّينِ بْنِ الْعَطَّارِ.

◉ وفي شهر شَعْبَانَ سنة (٧٢٤هـ) جاءَ الْبَرِيدُ وَمَعَهُ تَقْلِيدُ **قَضَاءِ حَلَبَ** لِلشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ **الزَّمْلَكَانِيِّ**، فَاسْتَدْعَاهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَفَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ فَامْتَنَعَ، فَرَاجَعَهُ النَّائِبُ ثُمَّ رَاجَعَ السُّلْطَانَ، فَجَاءَ الْبَرِيدُ فِي ثَانِي عَشَرَ رَمَضَانَ بِإِمْضَاءِ الْوِلَايَةِ، فَشَرَعَ لِلتَّأَهُّبِ لِبِلَادِ حَلَبَ، وفي شهر شَوَّالٍ وصل حلب فَأُكْرِمَ إِكْرَامًا زَائِدًا، وَدَرَّسَ بِهَا، وَأَلْقَى عُلُومًا أَكْبَرَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَحَصَلَ لَهُمُ الشَّرَفُ بِفُنُونِهِ وَفَوَائِدِهِ، وَحَصَلَ لِأَهْلِ الشَّامِ الْأَسَفُ عَلَى دُرُوسِهِ الْأَنِيقَةِ الْفَائِقَةِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّاعِرُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ الْخَيَّاطُ:

أَسِفَتْ لِفَقْدِكَ جِلَّقُ الْفَيْحَاءُ ... وَتَبَاشَرَتْ بِقُدُومِكَ الشَّهْبَاءُ

◉ وَفِي ثَامِنِ رَمَضَانَ سنة (٧٢٤هـ) عُزِلَ **أَمِينُ الْمُلْكِ** عَنْ وِزَارَةِ مِصْرَ، وَأُضِيفَتِ الْوِزَارَةُ إِلَى الْأَمِيرِ **عَلَاءِ الدِّينِ مُغْلَطَايِ الْجَمَّالِيِّ** أُسْتَادَارِ السُّلْطَانِ.

◉ وفي شوال سنة (٧٢٤هـ) وَلِيَ **سَيْفُ الدِّينِ قُدَيْدَارُ** وِلَايَةَ مِصْرَ، وَهُوَ شَهْمٌ سَفَّاكٌ لِلدِّمَاءِ، فَأَرَاقَ الْخُمُورَ، وَأَحْرَقَ الْحَشِيشَةَ، وَأَمْسَكَ الشُّطَّارَ، وَاسْتَقَامَتْ بِهِ أَحْوَالُ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ **مُلَازِمًا لِابْنِ تَيْمِيَّةَ** مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمِصْرَ.

◉ وفِي رَمَضَانَ سنة (٧٢٤هـ) قَدِمَ إِلَى مِصْرَ الشَّيْخُ **نَجْمُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ** بْنُ الشَّحَّامِ الْمَوْصِلِيُّ مِنْ بِلَادِ السُّلْطَانِ أُزْبَكَ، وَعِنْدَهُ فُنُونٌ مِنْ عِلْمِ الطِّبِّ وَغَيْرِهِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ بِالْوَصِيَّةِ بِهِ، فَأُعْطِيَ تَدْرِيسَ الظَّاهِرِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، نَزَلَ لَهُ عَنْهَا جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ، فَبَاشَرَهَا فِي مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ دَرَّسَ بِالْجَارُوخِيَّةِ.

◉ وَفِي أَوَاخِرِ رَجَبٍ سنة (٧٢٥هـ) قَدِمَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُرَحِّلِ مِنْ مِصْرَ عَلَى تَدْرِيسِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، وَكَانَتْ بِيَدِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، فَانْتَقَلَ إِلَى قَضَاءِ حَلَبَ، فَدَرَّسَ بِهَا فِي خَامِسِ شَعْبَانَ، وَحَضَرَ الْقَاضِي الشَّافِعِيُّ وَجَمَاعَةٌ.

◉ وَفِي سَلْخِ رَجَبٍ سنة (٧٢٥هـ) قَدِمَ الْقَاضِي **عِزُّ الدِّينِ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ** مِنْ مِصْرَ وَمَعَهُ وَلَدُهُ، وَفِي صُحْبَتِهِ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ الدِّمْيَاطِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ

بِسَبَبِ سَمَاعِ الْحَدِيثِ، فَقَرَأَ بِنَفْسِهِ وَقَرَأَ النَّاسُ لَهُ وَاعْتَنَوْا بِأَمْرِهِ، وَسَمِعْنَا مَعَهُمْ وَبِقِرَاءَتِهِ شَيْئًا كَثِيرًا، نَفَعَهُمُ اللهُ بِمَا قَرَءُوا وَبِمَا سَمِعُوا، وَنَفَعَ بِهِمْ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٥هـ) دَرَّسَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ بِالرَّوَاحِيَّةِ بَعْدَ ذَهَابِ ابْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ إِلَى حَلَبَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَكَانَ فِيهِمْ **شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، وَجَرَى يَوْمَئِذٍ بَحْثٌ فِي " الْعَامِّ إِذَا خُصَّ "، وَفِي " الِاسْتِثْنَاءِ بَعْدَ النَّفْيِ "، وَطَالَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، **وَتَكَلَّمَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ كَلَامًا أَبْهَتَ الْحَاضِرِينَ**.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَامِنِ الْمُحَرَّمِ في سنة (٧٢٦هـ) بَاشَرَ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ **الظَّاهِرِيَّةَ** الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ **بْنُ جَهْبَلٍ**، بَعْدَ وَفَاةِ الْعَفِيفِ إِسْحَاقَ.

◉ وَفِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢٦هـ) وَلِيَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ مُعِيدُ الْبَادَرَائِيَّةِ مَشْيَخَةَ الصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَسَافَرَ إِلَيْهَا.

◉ وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ رَابِعِ شَعْبَانَ في سنة (٧٢٦هـ) دَرَّسَ بِالشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ جَهْبَلٍ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَزْوِينِيُّ الْقَاضِي الشَّافِعِيُّ وَجَمَاعَةٌ، عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الدُّرِّ إِمَامِ مَسْجِدِ ابْنِ هِشَامٍ، تُوُفِّيَ،

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ عَاشِرِ ذِي الْقَعْدَةِ دَرَّسَ **بِالْحَنْبَلِيَّةِ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ الزُّرَعِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، عِوَضًا عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَاضِي الشَّافِعِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعَ عَشَرَ الْقَعْدَةِ سنة (٧٢٦هـ) فُتِحَتِ الْمَدْرَسَةُ الْحِمْصِيَّةُ تُجَاهَ الشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، وَدَرَّسَ بِهَا مُحْيِي الدِّينِ الطَّرَابُلُسِيُّ، وَكَانَ قَاضِيَ حِصْنِ عَكَّارَ، وَيُلَقَّبُ بِأَبِي رَبَاحٍ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَاضِي الشَّافِعِيُّ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٧هـ) قُرِئَ تَقْلِيدُ قَاضِي قُضَاةِ

الْحَنَابِلَةِ **عِزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ التَّقِيِّ سُلَيْمَانَ بْنِ حَمْزَةَ الْمَقْدِسِيِّ**، عِوَضًا عَنِ ابْنِ مُسَلَّمٍ، بِمَقْصُورَةِ الْخَطَابَةِ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ.

- وَفِي أَوَاخِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٧هـ) وَصَلَ الْبَرِيدُ بِتَوْلِيَةِ ابْنِ النَّقِيبِ الْحَاكِمِ بِحِمْصَ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بِطَرَابُلُسَ، وَنُقِلَ الَّذِي بِهَا إِلَى حِمْصَ نَائِبًا عَنْ قَاضِي دِمَشْقَ، وَهُوَ نَاصِرُ ابْنُ مَحْمُودٍ الزُّرَعِيُّ.

- وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٧هـ) جَاءَ الْبَرِيدُ بِطَلَبِ الْقَاضِي الْقَزْوِينِيِّ الشَّافِعِيِّ إِلَى مِصْرَ، فَدَخَلَهَا فِي مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ، فَخُلِعَ عَلَيْهِ بِقَضَاءِ قُضَاةِ مِصْرَ، مَعَ تَدْرِيسِ النَّاصِرِيَّةِ، وَالصَّالِحِيَّةِ، وَدَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ، عِوَضًا عَنْ **بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ** لِأَجْلِ كِبَرِ سِنِّهِ.

- وفِي شَوَّالٍ سنة (٧٢٧هـ) وَصَلَ تَقْلِيدُ قَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشْقَ لِبَدْرِ الدِّينِ ابْنِ قَاضِي الْقُضَاةِ عِزِّ الدِّينِ بْنِ الصَّائِغِ، وَالْخِلْعَةُ مَعَهُ، فَامْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ، وَصَمَّمَ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَكَثُرَ بُكَاؤُهُ، وَتَغَيَّرَ مِزَاجُهُ وَاغْتَاظَ، فَلَمَّا أَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ رَاجَعَ تَنْكِزُ السُّلْطَانَ فِي ذَلِكَ، فأعفي.

- وفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٢٧هـ) كانت تَوْلِيَةُ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقُونَوِيِّ **قَضَاءَ الشَّامِ**، فَسَارَ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ، وَزَارَ الْقُدْسَ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ بُكْرَةَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَاجْتَمَعَ بِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَلَبِسَ الْخِلْعَةَ مِنْ هُنَالِكَ، وَرَكِبَ مَعَهُ الْحُجَّابُ وَالدَّوْلَةُ إِلَى الْعَادِلِيَّةِ، فَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِهَا، وَحَكَمَ بِهَا عَلَى الْعَادَةِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ وَبِحُسْنِ سَمْتِهِ، وَطِيبِ لَفْظِهِ، وَمَلَاحَةِ شَمَائِلِهِ، وَتَوَدُّدِهِ

- وفِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧٢٩هـ) ذَهَبَ نَاصِرُ الدِّينِ مُشِدُّ الْأَوْقَافِ نَاظِرًا عَلَى الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ، فَعَمَرَ هُنَاكَ عِمَارَاتٍ كَثِيرَةً لِمَلِكِ الْأُمَرَاءِ تَنْكِزَ، وَفَتَحَ فِي الْأَقْصَى شُبَّاكَيْنِ عَنْ يَمِينِ الْمِحْرَابِ وَشِمَالِهِ.

◉ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٩هـ) دَرَّسَ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ جَهْبَلٍ بِالْمَدْرَسَةِ الْبَادَرَائِيَّةِ، عِوَضًا عَنْ شَيْخِنَا بُرْهَانِ الدِّينِ **الْفَزَارِيِّ**، تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى،

◉ وفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٩هـ) أَخَذَ **مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ** الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ **الذَّهَبِيُّ**، وَحَضَرَهَا فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ عَشْرَهُ، وَنَزَلَ عَنْ **خَطَابَةِ كَفْرِ بَطْنَى** لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِسَلَّاتِيِّ الْمَالِكِيِّ.

◉ وَفِي عَاشِرِ رَجَبٍ سنة (٧٢٩هـ) طُلِبَ الصَّاحِبُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ عُمَرَ ابْنِ الْوَزِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ السَّلْعُوسِ إِلَى مِصْرَ، فَوَلِيَ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بِهَا حَتَّى مَاتَ عَنْ قَرِيبٍ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ آخِرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣١هـ) لَبِسَ الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَسَنٍ ابْنِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ خِلْعَةَ قَضَاءِ الْحَنَابِلَةِ، وَرَكِبَ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ إِلَى الْجَامِعِ، فَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ تَحْتَ النَّسْرِ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ.

◉ وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ سَادِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧٣١هـ) خُلِعَ عَلَى الْقَاضِي **عِزِّ الدِّينِ ابْنِ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ** بِوَكَالَةِ السُّلْطَانِ، وَنَظَرِ جَامِعِ طُولُونَ، وَنَظَرِ النَّاصِرِيَّةِ، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ

◉ وفِي أَوَّلِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٣٢هـ) خُلِعَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ ابْنِ الْمَلِكِ الْمُؤَيِّدِ صَاحِبِ حَمَاةَ، وَوَلَّاهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَ أَبِيهِ بِحُكْمِ وَفَاتِهِ، وَرَكِبَ بِمِصْرَ بِالْعَصَائِبِ، وَالشَّبَّابَةُ وَالْغَاشِيَةُ أَمَامَهُ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ حَادِيَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٧٣٢هـ) خُلِعَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ عَلَاءِ الدِّينِ ابْنَ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ الْمُنَجَّا بِقَضَاءِ الْحَنَابِلَةِ، عِوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ الْحَافِظِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِالْجَامِعِ، وَحَضَرَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي اسْتَنَابَ بُرْهَانَ الدِّينِ الزُّرَعِيَّ.

◉ وفي ربيع الْأَوَّلِ سنة (٧٣٣هـ) وَلِيَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ قُرْطَايُ نِيَابَةَ **طَرَابُلُسَ،** وَنقل عَنْهَا طَيْنَالُ إِلَى نِيَابَةِ **غَزَّةَ،** وَتَوَلَّى نَائِبُ غَزَّةَ نِيَابَةَ **حِمْصَ،** وَحَصَلَ لِلَّذِي جَاءَ بِتَقْلِيدِهِمْ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِنْهُمْ.

◉ وَفِي مُنْتَصَفِ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٣٣هـ) وَلِيَ **نِقَابَةَ الْأَشْرَافِ** عِمَادُ الدِّينِ مُوسَى الْحُسَيْنِيُّ عِوَضًا عَنْ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّينِ عَدْنَانَ، تُوُفِّيَ فِي الشَّهْرِ الْمَاضِي.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ عِشْرِينَ شوال سنة (٧٣٣هـ) حَكَمَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ كَامِلٍ التَّدْمُرِيُّ، الَّذِي كَانَ فِي خَطَابَةِ الْخَلِيلِ بِدِمَشْقَ نِيَابَةً عَنِ ابْنِ جُمْلَةَ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِدِينِهِ وَفَضِيلَتِهِ.

◉ وَفِي مُسْتَهَلِّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٤هـ) سَافَرَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ التَّدْمُرِيُّ إِلَى الْقُدْسِ حَاكِمًا بِهِ، وَعُزِلَ عَنْ نِيَابَةِ الْحُكْمِ بِدِمَشْقَ.

◉ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٤هـ) طُلِبَ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْمَجْدِ عَبْدِ اللهِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، فَوَلِيَ وِكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ عِوَضًا عَنِ ابْنِ الْقَلَانِسِيِّ، وَوَصَلَ تَقْلِيدُهُ مِنْ مِصْرَ بِذَلِكَ، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ.

◉ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ من شَوَّالٍ دَرَّسَ **بِالْإِقْبَالِيَّةِ** الْحَنَفِيَّةِ **نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ عِمَادِ الدِّينِ الطَّرَسُوسِيُّ الْحَنَفِيِّ.**

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَامِنِ عِشْرِينَ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٣٤هـ) حُمِلَتْ خِلْعَةُ الْقَضَاءِ إِلَى الشَّيْخِ **شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ** وَكِيلِ بَيْتِ الْمَالِ يَوْمَئِذٍ، فَلَبِسَهَا، وَرَكِبَ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ وَالْقُضَاةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَدْرَسَتِهِ **الْإِقْبَالِيَّةِ،** فَقُرِئَ بِهَا أَيْضًا، وَحَكَمَ بَيْنَ خَصْمَيْنِ، وَكَتَبَ عَلَى أَوْرَاقِ السَّائِلِينَ، وَدَرَّسَ بِالْعَادِلِيَّةِ، وَالْغَزَّالِيَّةِ، وَالْأَتَابَكِيَّةِ، مَعَ تَدْرِيسِ الْإِقْبَالِيَّةِ، وَذَلِكَ عِوَضًا عَنِ ابْنِ جُمْلَةَ.

◉ وَفِي يَوْمِ عَرَفَةَ سنة (٧٣٤هـ) خُلِعَ عَلَى **نَجْمِ الدِّينِ** بْنِ أَبِي الطَّيِّبِ بِوَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَعَلَى الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ **بْنِ مُنَجَّا** بِنَظَرِ الْجَامِعِ، وَعَلَى **عِمَادِ الدِّينِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ**

بِالْحِسْبَةِ، وَخَرَجَ الثَّلَاثَةُ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ بِالطَّرَحَاتِ.

◉ وَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ فِي المحرم سنة (٧٣٥هـ) الْقَاضِي **جَمَالُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ كَمَالِ الدِّينِ** مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ **كَاتِبَ سِرٍّ بِهَا**، عِوَضًا عَنْ شَرَفِ بْنِ الشِّهَابِ مَحْمُودٍ.

◉ وفي سنة (٧٣٦هـ) **عُزِلَ ابْنُ النَّقِيبِ** عَنْ قَضَاءِ حَلَبَ، وَوَلِيَهَا ابْنُ خَطِيبِ جِبْرِينَ، وَوَلِيَ الْحِسْبَةَ بِالْقَاهِرَةِ ضِيَاءُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ خَطِيبِ بَيْتِ الْآبَارِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ.

◉ وَفِي سَلْخِ رَجَبٍ (٧٣٦هـ) أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِالْجَامِعِ الَّذِي أَنْشَأَهُ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ خَيْلَخَانَ تُجَاهَ بَابِ كَيْسَانَ مِنَ الْقِبْلَةِ، **وَخَطَبَ فِيهِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ**.

◉ وَفِي مُنْتَصَفِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٣٧هـ) أُمِّرَ الْأَمِيرُ **صَارِمُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ** الْحَاجِبُ **طَبْلَخَانَاهْ**[1]، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَهُ مَقَاصِدُ حَسَنَةٌ صَالِحَةٌ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ رَجُلٌ جَيِّدٌ.

◉ وفي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٣٨هـ) **طَلَبَ السُّلْطَانُ أَعْيَانَ الْفُقَهَاءِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ**، فَسَأَلَهُمْ عَمَّنْ يَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ بِمِصْرَ، فَوَقَعَ الِاخْتِيَارُ عَلَى الْقَاضِي **عِزِّ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ**، فَوَلَّاهُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ، **وَوَلَّى قَضَاءَ الْحَنَفِيَّةِ** لِحُسَامِ الدِّينِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغُورِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، وَخَرَجَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ، وَعَلَيْهِمَا الْخُلَعُ.

◉ وفي سنة (٧٣٩هـ) قَدِمَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْكَافِي **السُّبْكِيُّ** الشَّافِعِيُّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ حَاكِمًا عَلَى دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ، وَدَخَلَ النَّاسُ

---

(١) أمير الطبلخاناه: هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه، ويكون أمير أربعين، ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ١٠٦).

يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، **لِعِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ وَأَمَانَتِهِ**، وَنَزَلَ بِالْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيرَةِ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ، وَدَرَّسَ بِالْغَزَّالِيَّةِ وَالْأَتَابَكِيَّةِ. وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ الشَّامَ بَعْدَ وَفَاةِ قَاضِي الْقُضَاةِ جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَزْوِينِيِّ الشَّافِعِيِّ.

○ حوادث وكوارث وفتن

⊙ قَالَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ فِي "تَارِيخِهِ": قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِتَارِيخِ يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧٠٢هـ) ظَهَرَتْ دَابَّةٌ عَجِيبَةٌ مِنْ بَحْرِ النِّيلِ إِلَى أَرْضِ الْمُنُوفِيَّةِ، وَهَذِهِ **صِفَتُهَا: لَوْنُهَا لَوْنُ الْجَامُوسِ** بِلَا شَعْرٍ، وَآذَانُهَا كَآذَانِ الْجَمَلِ، وَعَيْنَاهَا وَفَرْجُهَا مِثْلُ النَّاقَةِ، يُغَطِّي فَرْجَهَا ذَنَبٌ طُولُهُ شِبْرٌ وَنِصْفٌ، طَرَفُهُ كَذَنَبِ السَّمَكَةِ، وَرَقَبَتُهَا مِثْلُ غِلَظِ **التِّلِّيسِ** (كيس) الْمَحْشُوِّ تِبْنًا، وَفَمُهَا وَشَفَتَاهَا مِثْلُ الْكِرْبَالِ (مايندف به القطن)، وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَنْيَابٍ، اثْنَانِ مِنْ فَوْقَ وَاثْنَانِ مِنْ أَسْفَلَ، طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ دُونَ الشِّبْرِ فِي عَرْضِ أُصْبُعَيْنِ، وَفِي فَمِهَا ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ ضِرْسًا وَسِنًّا مِثْلَ بَيَادِقِ الشِّطْرَنْجِ، وَطُولُ يَدَيْهَا مِنْ بَاطِنِهَا إِلَى الْأَرْضِ شِبْرَانِ وَنِصْفٌ، وَمِنْ رُكْبَتِهَا إِلَى حَافِرِهَا مِثْلُ بَطْنِ الثُّعْبَانِ، أَصْفَرُ مُجَعَّدٌ، وَدَوْرُ حَافِرِهَا مِثْلُ السُّكُرُّجَةِ، بِأَرْبَعَةِ أَظَافِيرَ مِثْلِ أَظَافِيرِ الْجَمَلِ، وَعَرْضُ ظَهْرِهَا مِقْدَارُ ذِرَاعَيْنِ وَنِصْفٍ، وَطُولُهَا مِنْ فَمِهَا إِلَى ذَنَبِهَا خَمْسَةَ عَشَرَ قَدَمًا، وَفِي بَطْنِهَا **ثَلَاثَةُ كُرُوشٍ**، وَلَحْمُهَا أَحْمَرُ، وَزُفْرَتُهُ مِثْلُ السَّمَكِ، وَطَعْمُهُ كَلَحْمِ الْجَمَلِ، وَغِلَظُ جِلْدِهَا أَرْبَعَةُ أَصَابِعَ، مَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ، وَحُمِلَ جِلْدُهَا عَلَى خَمْسَةِ أَجْمَالٍ فِي مَدَارِ سَاعَةٍ مِنْ ثِقْلِهِ، عَلَى جَمَلٍ بَعْدَ جَمَلٍ، وَأَحْضَرُوهُ إِلَى بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِالْقَلْعَةِ، وَحَشَوْهُ تِبْنًا، وَأَقَامُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

⊙ وفِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧١٧هـ) تَجَمَّعَ جَمَاعَةٌ مِنَ **التُّجَّارِ بِمَارِدِينَ**، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ مِنَ الْجُفَالِ بسبب الغلاء قَاصِدِينَ بِلَادَ الشَّامِ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِمَرْحَلَتَيْنِ مِنْ **رَأْسِ الْعَيْنِ** لَحِقَهُمْ **سِتُّونَ فَارِسًا مِنَ التَّتَارِ**، فَمَالُوا عَلَيْهِمْ بِالنُّشَّابِ، وَقَتَلُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وكان جملة من قتل ستمائة من التجار وثلاثمائة من الجفال، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْجَمِيعِ سِوَى **رَجُلٍ وَاحِدٍ تُرْكُمَانِيٍّ** هَرَبَ، وَجَاءَ إِلَى رَأْسِ الْعَيْنِ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا رَأَى

وَشَـاهَدَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الْمُؤْلِمِ، فَاجْتَهَدَ مُتَسَلِّمُ دِيَارِ بَكْرٍ **سُوتَايْ** فِي طَلَبِ أُولَئِكَ **التَّتَرِ** حَتَّى أَهْلَكَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، لَا جَمَعَ اللهُ بِهِمْ شَمْلًا.

◉ فِي صَفَرٍ سنة (٧١٧هـ) جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ بِمَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ، أَهْلَكَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَخَرَّبَ دُورًا وَعَمَائِرَ كَثِيرَةً.

وذَلِـكَ أَنَّـهُ جَاءَهُمْ قَبْلَهُ رَعْدٌ وَبَـرْقٌ عَظِيمٌ، مَعَهُمَا مَطَـرٌ وَبَرَدٌ، فَسَـالَتِ الْأَوْدِيَةُ، ثُمَّ جَاءَهُمْ بَعْدَهُ سَـيْلٌ هَائِلٌ خَسَـفَ مِنْ سُـورِ الْبَلَدِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ بِشَـرْقٍ مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، مَعَ أَنَّ سُـمْكَ الْحَائِطِ خَمْسَـةُ أَذْرُعٍ، وَحَمَلَ بُرْجًا صَحِيحًا، وَمَعَهُ جَانِبَيْهِ فَحَمَلَهُ كَمَا هُوَ. ولَا يَمُرُّ عَلَى شَـيْءٍ إِلَّا أَتْلَفَهُ، فَأَتْلَفَ مَا يَزِيدُ عَلَى ثُلُثِهَا، وَدَخَلَ الْجَامِعَ فَأَتْلَفَ جَمِيعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَوَاصِلِ، وَالْكُتُبِ، وَالْمَصَاحِفِ، وَهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

وَغَرِقَ فِي الْجَامِعِ الشَّـيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّـيْخِ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيِّ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ مِـنَ الْفُقَرَاءِ، **وَيُقَـالُ**: جُمْلَةُ مَنْ هَلَكَ بِالْغَرَقِ مَنْ أَهْلِ بَعْلَبَكَّ **مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ نَفْسًـا سِـوَى الْغُرَبَاءِ**، وَجُمْلَـةُ الدُّورِ الَّتِي خَرَّبَهَـا وَالْحَوَانِيتِ الَّتِي أَتْلَفَهَا نَحْوٌ مَنْ سِـتِّمِائَةِ دَارٍ وَحَانُوتٍ، وَجُمْلَةُ الْبَسَـاتِينِ الَّتِي جَرَفَ أَشْجَارَهَا عِشْرُونَ بُسْتَانًا، وَمِنَ الطَّوَاحِينِ ثَمَانِيَةٌ سِوَى الْجَامِعِ وَالْأَمِينِيَّةِ، وَأَمَّا الْأَمَاكِنُ الَّتِي دَخَلَهَا وَأَتْلَفَ مَا فِيهَا وَلَمْ تَخْرَبْ فَكَثِيرٌ جِدًّا.

◉ وَفِي هَذِهِ السَّـنَةِ (٧١٧هـ) زَادَ النِّيلُ زِيَادَةً عَظِيمَةً لَمْ يُسْـمَعْ بِمِثْلِهَا مِنْ مُدَدٍ، وَغَرَّقَ بِـلَادًا كَثِيرَةً، وَهَلَـكَ فِيهَا نَاسٌ كَثِيرٌ أَيْضًا، وَغَرَّقَ **مُنْيَةَ الشِّـيرَجِ**، فَهَلَـكَ لِلنَّاسِ فِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وفي سـنة (٧٢٤هـ) كَانَتْ **فِتْنَةٌ بِأَصْبَهَـانَ** قُتِلَ بِسَـبَبِهَا أُلُوفٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَاسْـتَمَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ شُهُورًا.

◉ وفي سـنة (٧٢٤هـ) كَانَ غَلَاءٌ مُفْرِطٌ بِدِمَشْقَ، بَلَغَتِ **الْغِرَارَةُ** مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ، وَقَلَّتِ الْأَقْـوَاتُ، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ أَقَـامَ لِلنَّاسِ مَنْ يَحْمِلُ لَهُمُ الْغَلَّةَ مِنْ مِصْرَ؛ لَاشْـتَدَّ الْغَلَاءُ، وَزَادَ أَضْعَافَ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ مُدَّةَ شُهُورٍ.

⊙ وَفِي جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٢٥هـ) **وَقَعَ بِمِصْرَ مَطَرٌ** لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، بِحَيْثُ زَادَ النِّيلُ بِسَبَبِهِ أَرْبَعَ أَصَابِعَ، وَتَغَيَّرَ أَيَّامًا.

⊙ وَفِيهِ **زَادَتْ دِجْلَةُ بِبَغْدَادَ** حَتَّى غَرَّقَتْ مَا حَوْلَ بَغْدَادَ، وَانْحَصَرَ النَّاسُ بِهَا سِتَّةَ أَيَّامٍ لَمْ تُفْتَحْ أَبْوَابُهَا، **وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّفِينَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ**، وَغَرِقَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَلَّاحِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَتَلِفَ لِلنَّاسِ مَا لَا يَعْلَمُ قِيمَتَهُ إِلَّا اللهُ ، وَوَدَّعَ أَهْلُ الْبَلَدِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَجَئُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَحَمَلُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، وعمل النَّاسُ فِي سَدِّ الشقوق بِأَنْفُسِهِمْ، حَتَّى الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَكَانَ وَقْتًا عَجِيبًا.

ثُمَّ لَطَفَ اللهُ بِهِمْ، فَغِيضَ الْمَاءُ وَتَنَاقَصَ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمُ الْجَائِزَةِ وَغَيْرِ الْجَائِزَةِ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْأَضْحَى سنة (٧٢٧هـ) جَاءَ **سَيْلٌ عَظِيمٌ** إِلَى مَدِينَةِ بُلْبَيْسَ، فَهَرَبَ أَهْلُهَا مِنْهَا، وَتَعَطَّلَتِ الصَّلَاةُ وَالْأَضَاحِي فِيهَا، وَلَمْ يُرَ مِثْلُهُ مِنْ سِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ، وَخَرَّبَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ حَوَاصِلِهَا وَبَسَاتِينِهَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

⊙ فِي تَاسِعِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٣٢هـ) جَاءَ إِلَى حِمْصَ سَيْلٌ عَظِيمٌ غَرِقَ بِسَبَبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَهَلَكَ لِلنَّاسِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، وَمِمَّنْ مَاتَ فِيهِ نَحْوُ مِائَتَي امْرَأَةٍ بِحَمَّامِ النَّائِبِ، كُنْ مُجْتَمِعَاتٍ عَلَى عَرُوسٍ أَوْ عَرُوسَيْنِ فَهَلَكْنَ جَمِيعًا.

⊙ فِي شَعْبَانَ سنة (٧٣٢هـ) زَادَتِ الْفُرَاتُ زِيَادَةً عَظِيمَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا، وَاسْتَمَرَّتْ نَحْوًا مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، فَأَتْلَفَتْ بِالرُّحْبَةِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَكَسَرَتِ الْجِسْرَ الَّذِي عِنْدَ دَيْرِ بِشْرٍ، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ هُنَاكَ، فَشَرَعُوا فِي إِصْلَاحِ الْجِسْرِ، ثُمَّ انْكَسَرَ مَرَّةً ثَانِيَةً كسرة خفيفة.

❁ ❁ ❁

أخبار الحج

⊙ فِي سنة (٦٦٧هـ) **حَجَّ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ بيبرس**، وَفِي صُحْبَتِهِ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ الْخزَنْدَارُ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ صَدْرُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ الْحَنَفِيُّ، وَنَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَمْلُوكٍ، فَسَارَ عَلَى طَرِيقِ **الْكَرَكِ** وَنَظَرَ فِي أَحْوَالِهَا، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى **الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ** فَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا، وَنَظَرَ فِي أَحْوَالِهَا، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى **مَكَّةَ**، فَتَصَدَّقَ عَلَى الْمُجَاوِرِينَ، وَفُتِحَتْ لَهُ الْكَعْبَةُ فَغَسَلَهَا بِمَاءِ الْوَرْدِ، وَطَيَّبَهَا بِيَدِهِ، ثُمَّ وَقَفَ بِبَابِ الْكَعْبَةِ، فَتَنَاوَلَ أَيْدِي النَّاسِ لِيَدْخُلُوا الْكَعْبَةَ، وَهُوَ بَيْنَهُمْ كَأَحَدِهِمْ، ثُمَّ تَعَجَّلَ النَّفْرَ، فَعَادَ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

ثُمَّ سَارَ إِلَى الْكَرَكِ فَدَخَلَهَا فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٦٦٧هـ)، وَأَرْسَلَ الْبَشِيرَ إِلَى دِمَشْقَ بِقُدُومِهِ سَالِمًا، ثُمَّ سَاقَ مِنْ فَوْرِهِ حَتَّى دَخَلَ حَلَبَ فِي سَادِسِ الْمُحَرَّمِ (٦٦٨هـ) لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى حَمَاةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَالِثَ صَفَرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

⊙ وَفِي حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٦٧٥هـ) طِيفَ بِالْمَحْمَلِ وَبِكُسْوَةِ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ بِالْقَاهِرَةِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

⊙ وحَجَّ بِالنَّاسِ سنة (٦٨٩هـ) مِنَ الشَّامِ الْأَمِيرُ **بَدْرُ الدِّينِ بَكْتُوتُ الزُّوبَاسِيُّ**، وَحَجَّ قَاضِي الْقُضَاةِ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْخُوَيِّيِّ، وَشَمْسُ الدِّينِ بْنُ السَّلْعُوسِ، وَمُقَدَّمُ الرَّكْبِ الْأَمِيرُ عُتْبَةُ، **فَتَوَهَّمَ مِنْهُ أَبُو نُمَيٍّ صاحب مكة**، وَكَانَ بَيْنَهُمَا **عَدَاوَةٌ**، فَأَغْلَقَ أَبْوَابَ مَكَّةَ، وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ دُخُولِهَا، فَأُحْرِقَ الْبَابُ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ، وَنُهِبَتْ بَعْضُ الْأَمَاكِنِ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ فَظِيعَةٌ، ثُمَّ أَرْسَلُوا الْقَاضِيَ **ابْنَ الْخُوَيِّيِّ** لِيُصْلِحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ عِنْدَ أَبِي نُمَيٍّ رَحِيلُ الركب المصري، أَرْسَلَ أَبُو نُمَيٍّ القاضي **ابْنَ الْخُوَيِّيِّ** فلحق بِهِمْ سَالِمًا مكرمًا.

⊙ ودَخَلَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ فِي خَامِسِ صَفَرٍ سنة (٦٩٢هـ) عائداً من الحج، وَكَانَ أَمِيرَهُمُ الْبَاسِطِيُّ، وَنَالَهُمْ فِي **مَعَانَ** رِيحٌ شَدِيدَةٌ جِدًّا مَاتَ بِسَبَبِهَا جَمَاعَةٌ، وَحَمَلَتِ الرِّيحُ جِمَالًا عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَطَارَتِ الْعَمَائِمُ عَنِ الرُّءُوسِ، وَاشْتَغَلَ كُلُّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ. وَكَانَ مِمَّنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ **ابْنُ تَيْمِيَةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ.

⊙ وَحَجَّ فِي سنة (٦٩٤هـ) الْمَلِكُ الْمُجَاهِدُ **أَنَسُ بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتْبُغَا**، وَتَصَدَّقُوا بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْحَرَمَيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

⊙ وَحَجَّ الْأَمِيرُ **خَضِرُ بْنُ الظَّاهِرِ بيبرس** فِي سنة (٦٩٧هـ) مَعَ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ فِيهِمُ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ الْعَبَّاسِيُّ.

⊙ حَجَّ فِي سنة (٧٠٣هـ) **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ** سَلَّارُ نَائِبُ مِصْرَ، وَفِي صُحْبَتِهِ أَرْبَعُونَ أَمِيرًا، وَجَمِيعُ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ، وَحَجَّ مَعَهُمْ وَزِيرُ مِصْرَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ، وَخَرَجَ سَلَّارُ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا، وَأَمِيرُ رَكْبِ الْمِصْرِيِّينَ الْحَاجُّ أَنَاقُ الْحُسَامِيُّ.

⊙ فِي سنة (٧٠٦هـ)، عَمَرَ فِي حَرَمِ مَكَّةَ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفٍ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ مِنَ الشَّامِ الْأَمِيرُ **رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْمَجْنُونُ**.

⊙ وفِي سنة (٧٠٧هـ) خَرَجَ الْمَحْمَلُ وَأَمِيرُ الْحَجِّ **سَيْفُ الدِّينِ بَلَبَانُ الْبَدْرِيُّ** التَّتَرِيُّ، وحَجَّ الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ الْبَارِزِيُّ مِنْ حَمَاةَ.

⊙ وفِي سنة (٧٠٩هـ) لَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِسَبَبِ تَخْبِيطِ الدَّوْلَةِ، وَكَثْرَةِ الِاخْتِلَافِ.

⊙ وخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ إلى الحج فِي شَوَّالٍ سنة (٧١٠هـ) وَأَمِيرُهُمُ الْأَمِيرُ **زَيْنُ الدِّينِ كَتْبُغَا الْمَنْصُورِيُّ** الَّذِي كَانَ شَادَّ الدَّوَاوِينِ.

⊙ وخَرَجَ الْمَحْمَلُ فِي شَوَّالٍ سنة (٧١١هـ) وَأَمِيرُ الْحَاجِّ الْأَمِيرُ **عَلَاءُ الدِّينِ طَيْبُغَا** أَخُو بَهَادُرَآص.

⊙ وحج السُّلْطَانُ الناصر **محمد بن قلاوون** فِي أَرْبَعِينَ أَمِيرًا مِنْ خَوَاصِّهِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ

ثَانِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧١٢هـ) بعد أن فَرَّقَ الْعَسَاكِرَ وَالْجُيُوشَ بِالشَّامِ، وَتَرَكَ أَرْغُونَ بِدِمَشْقَ.

- وفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧١٣هـ) خَرَجَ **الرَّكْبُ** مِنْ دِمَشْقَ **وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ بَلَبَانُ** التَّتَرِيُّ، **وَحَجَّ** صَاحِبُ حَمَاةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَخَلْقٌ مِنَ الرُّومِ وَالْغُرَبَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

- وخَرَجَ الرَّكْبُ فِي ثَالِثِ شَوَّالٍ سنة (٧١٤هـ)، وَأَمِيرُهُ **سَيْفُ الدِّينِ سُنْقُرُ** الْإِبْرَاهِيمِيُّ، وَقَاضِيهِ مُحْيِي الدِّينِ قَاضِي الزَّبَدَانِيِّ.

- وفِي خَامِسِ شَوَّالٍ سنة (٧١٤هـ) كان الْمَلِكُ شَمْسُ الدِّينِ دُوبَاجُ بْنُ مَلِكْشَاهْ بْنِ رُسْتَمَ صَاحِبُ كَيْلَانَ قَدْ قَصَدَ الْحَجَّ، فَلَمَّا كَانَ **بِغَبَاغِبَ** أَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَحُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ. وَأَوْصَى أَنْ يَحُجَّ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، فَفُعِلَ ذَلِكَ.

- وفِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧١٥هـ) كَانَ خُرُوجُ الرَّكْبِ الشَّامِيِّ، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ طَقْتَمُرُ الْمُوسَاوِيُّ، وَقَاضِيهِ قَاضِي مَلَطْيَةَ، **وَحَجَّ فِيهِ قَاضِي حَمَاةَ، وَحَلَبَ، وَمَارِدِينَ**، وَمُحْيِي الدِّينِ كَاتِبُ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ تَنْكِزَ.

- وفِي تَاسِعِ شَوَّالٍ سنة (٧١٦هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ وَأَمِيرُهُمْ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ السِّلَحْدَارُ النَّاصِرِيُّ، وَحَجَّ مِنْ مِصْرَ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ الدَّوَادَارُ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ ابْنُ جَمَاعَةَ، وَقَدْ زَارَ الْقُدْسَ الشَّرِيفَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

- وخَرَجَ الْمَحْمَلُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ تَاسِعِ شَوَّالٍ سنة (٧١٧هـ)، وَأَمِيرُ الْحَجِّ سَيْفُ الدِّينِ كُجْكُنُ الْمَنْصُورِيُّ، وَمِمَّنْ حَجَّ قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ **بْنُ صَصْرَى**، وَابْنُ أَخِيهِ شَرَفُ الدِّينِ، وَكَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشِّيرَازِيِّ، وَالْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَالشَّيْخُ **شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، وَخَلْقٌ.

- وفِي سنة (٧١٧هـ) حَجَّ أَمِيرُ العرب **حُسَامُ الدِّينِ مُهَنَّا** وَوَلَدُهُ سُلَيْمَانُ، فِي سِتَّةِ

آلَافٍ، وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مُهَنَّا بِأَحَدٍ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَلَا الشَّامِيِّينَ.

◉ وخَرَجَ **الْمَحْمَلُ** فِي شَوَّالٍ سنة (٧١٨هـ) وَأَمِيرُ الرَّكْبِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ مَعْبَدٍ وَالِي الْبَرِّ، وَقَاضِيهِ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ قَاضِي الْخَلِيلِ الْحَاكِمِ بِحَلَب. **وَمِمَّنْ حَجَّ** فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ: الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ، وَكَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِيِّ وَوَلَدُهُ، وَبَدْرُ الدِّينِ بْنُ الْعَطَّارِ.

◉ وفِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ شوال سنة (٧١٩هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ وَأَمِيرُهُمْ **عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكَ الْمَنْصُورِيُّ** أَمِيرُ عَلَمٍ. وَحَجَّ فِيهَا صَدْرُ الدِّينِ قَاضِي الْقُضَاةِ الْحَنَفِيُّ، وَبُرْهَانُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ، وَشَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَنَجْمُ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ وَهُوَ قَاضِي الرَّكْبِ، وَرَضِيُّ الدِّينِ الْمِنْطِيقِيُّ، وَشَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْوَزِيرِ خَطِيبُ جَامِعِ الْقُبَيْبَاتِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَشِيقٍ الْمَالِكِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وحَجَّ سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَوَكِيلُهُ كَرِيمُ الدِّينِ، وَفَخْرُ الدِّينِ كَاتِبُ الْمَمَالِيكِ، وَكَاتِبُ السِّرِّ ابْنُ الْأَثِيرِ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ، وَصَاحِبُ حَمَاةَ الْمَلِكُ عِمَادُ الدِّينِ.

◉ وخَرَجَ الرَّكْبُ فِي حَادِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٠هـ) وَأَمِيرُهُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ بْنُ الْأَوْحَدِ، وَفِيهِ زَيْنُ الدِّينِ **كَتْبُغَا** الْحَاجِبُ، وَالشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ **الزَّمْلَكَانِيِّ**، وَالْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْعِزِّ، وَقَاضِي حَمَاةَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ الْبَارِزِيِّ، وَقُطْبُ الدِّينِ بْنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ، وَبَدْرُ الدِّينِ بْنُ الْعَطَّارِ، وَعَلَاءُ الدِّينِ بْنُ غَانِمٍ، وَنُورُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ، وَهُوَ قَاضِي الرَّكْبِ الشامي، وَمِنَ الْمِصْرِيِّينَ قَاضِي الْحَنَفِيَّةِ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ، وَقَاضِي الْحَنَابِلَةِ، وَمَجْدُ الدِّينِ حَرْمِيٌّ، وَالشَّرَفُ عِيسَى الْمَالِكِيُّ، وَهُوَ قَاضِي الرَّكْبِ المصري، ووَقَفَ النَّاسُ بِعَرَفَاتٍ مَوْقِفًا عَظِيمًا لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ، أَتَوْهُ مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَكَانَ مَعَ الْعِرَاقِيِّينَ **مَحَامِلُ** كَثِيرَةٌ، مِنْ جُمْلَتِهَا **مَحْمَلٌ**

قُوِّمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ، وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ.

⊙ وخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّـامِيُّ للحج يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِـرِ شَـوَّال (٧٢١)، وَأَمِيرُهُ شَمْسُ الدِّيـنِ حَمْـزَةُ التُّرْكُمَانِـيُّ، وَقَاضِيهِ نَجْـمُ الدِّينِ الدِّمَشْـقِيُّ. وَفِي هَذِهِ السَّـنَةِ حَجَّ تَنْكِزُ نَائِبُ الشَّـامِ وَفِي صُحْبَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِـهِ. **وَمِمَّنْ حَجَّ فِيهَا** الْخَطِيبُ جَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ، وَعِزُّ الدِّينِ حَمْزَةُ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ، وَابْنُ الْعِزِّ شَمْسُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَالْقَاضِي جَلَالُ الدِّينِ بْنُ حُسَـامِ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَبَهَاءُ الدِّينِ ابْنُ عُلَيْمَةَ، وَالشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ.

⊙ **وَخَرَجَ الرَّكْبُ** الشَّـامِيُّ إلى الحج يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَامِنَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٢هـ) وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ بُلْطَى **نَائِبُ الرَّحْبَةِ**، وَقَاضِيهِ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ النَّقِيبِ **قَاضِي حِمْصَ**.

⊙ وفِي رَمَضَانَ سـنة (٧٢٣هـ) قَـدِمَ جَمَاعَةٌ مِنْ حُجَّاجِ الشَّـرْقِ وَفِيهِمْ **بِنْتُ الْمَلِكِ أَبْغَا بْنِ هُولَاكُو، وَأُخْتُ أَرْغُونَ، وَعَمَّةُ قَازَانَ وَخَرْبَنْدَا**، فَأُكْرِمَتْ، وَأُنْزِلَتْ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهَا الْإِقَامَاتُ، وَالنَّفَقَاتُ إِلَى أَوَانِ الْحَجِّ.

وَخَرَجَ الرَّكْبُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ شَـوَّالٍ فِي سـنة (٧٢٣هـ)، وَأَمِيرُهُ **قُطْلِيجَا**، وَقَاضِي الرَّكْبِ شَمْسُ الدِّينِ قَاضِي الْقُضَاةِ **ابْنُ مُسَلَّمٍ الْحَنْبَلِيُّ**، وَحَجَّ مَعَهُمْ **جَمَالُ الدِّينِ الْمِزِّيُّ**، وَعِمَادُ الدِّينِ بْنُ الشِّيْرَجِيِّ، وَمِنَ الْمِصْرِيِّينَ **قَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ**، وَوَلَدُهُ عِزُّ الدِّينِ.

⊙ وخَرَجَ الرَّكْبُ فِي تَاسِـعِ شَـوَّالٍ سـنة (٧٢٤هـ) وَأَمِيـرُهُ كُوكَنْجِيَـارُ الْمُحَمَّدِيُّ، وَقَاضِيـهِ شِـهَابُ الدِّينِ الظَّاهِرِيُّ. وَمِمَّنْ خَرَجَ إِلَى الْحَـجِّ بُرْهَانُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ، وَشِهَابُ الدِّينِ قَرَطَاي النَّاصِرِيُّ نَائِبُ طَرَابُلُسَ.

⊙ وَخَرَجَ الرَّكْبُ فِي عَاشِـرِ شـوال سـنة (٧٢٥هـ) وَأَمِيرُهُ صَلَاحُ الدِّينِ بْـنُ أَيْبَكَ الطَّوِيلُ، وَفِي الرَّكْبِ صَلَاحُ الدِّينِ بْنُ الْأَوْحَدِ، وَالْمَنْكُورَسِـيُّ، وَقَاضِيهِ شِـهَابُ الدِّينِ الظَّاهِرِيُّ.

⊙ وَفِي عَاشِرِ شَوَّالٍ فِي سنة (٧٢٦هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ **جُوبَانُ**، وَحَجَّ عَامَئِذٍ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُسَلَّمٍ **قَاضِي الْحَنَابِلَةِ**، وَبَدْرُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، وَمَعَهُ تُحَفٌ وَهَدَايَا وَأُمُورٌ تَتَعَلَّقُ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ نَائِبِ مِصْرَ، فَإِنَّهُ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَمَعَهُ أَوْلَادُهُ وَزَوْجَتُهُ بِنْتُ السُّلْطَانِ.

وَممن حَجَّ فَخْرُ الدِّينِ ابْنُ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ، وَصَدْرُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ، وَفَخْرُ الدِّينِ الْبَعْلَبَكِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

⊙ وفِي ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧٢٧هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ إِلَى الْحِجَازِ، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ بَلَبَانُ الْمُحَمَّدِيُّ، وَقَاضِيهِ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَاضِي حَرَّانَ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِي شَوَّالٍ سنة (٧٢٨هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ وَأَمِيرُهُ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ الْحَلَبِيُّ أَحَدُ أُمَرَاءِ دِمَشْقَ، وَقَاضِيهِ قَاضِي قُضَاةِ الْحَنَابِلَةِ عِزُّ الدِّينِ بْنُ التَّقِيِّ سُلَيْمَانَ.

⊙ وَمِمَّنْ حَجَّ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ الْبَشْمَقْدَارُ، وَالْأَمِيرُ قَبْجَقُ، وَالْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ بْنُ النَّجِيبِيِّ، وَتَقِيُّ الدِّينِ بْنُ السَّلْعُوسِ، وَالشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ.

⊙ وَخَرَجَ الرَّكْبُ يَوْمَ السَّبْتِ تَاسِعَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٩هـ)، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ **بُلْطِيٌّ**، وَقَاضِيهِ شِهَابُ الدِّينِ **الْقَيْمُرِيُّ**، وَفِي الْحُجَّاجِ **زَوْجَةُ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ تَنْكِزَ**، وَفِي خِدْمَتِهَا الطَّوَاشِيُّ شِبْلُ الدَّوْلَةِ كَافُورُ، وَصَدْرُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ، وَجَمَاعَةٌ من العلماء

⊙ وخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ يَوْمَ السَّبْتِ حَادِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٣٠هـ)، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ الْمُوسَاوِيُّ صِهْرُ بِلَبَانَ الْبِيرِيِّ، وَقَاضِيهِ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْمَجْدِ عَبْدِ اللهِ مُدَرِّسُ الْإِقْبَالِيَّةِ.

⊙ **وَمِمَّنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ**: رَضِيُّ الدِّينِ الْمِنْطِيقِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَالشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ الْأَرْدُبِيلِيُّ شَيْخُ الْجَارُوخِيَّةِ، وَصَفِيُّ الدِّينِ بْنُ الْحَرِيرِيِّ وَغَيْرُهُمْ.

⊙ وخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّـامِيُّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ شَـوَّالٍ سـنة (٧٣١هـ) وَأَمِيرُهُ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ أَمِيرُ عَلَمَ، وَقَاضِيهِ شِهَابُ الدِّينِ الظَّاهِرِيُّ. **وَمِمَّنْ حَجَّ فِيهِ** شِهَابُ الدِّينِ بْنُ جَهْبَـلٍ، وَابْنُ أَبِـي الْيُسْـرِ، وَابْنُ جُمْلَـةَ، وَالْفَخْرُ الْمِصْـرِيُّ، وَالصَّـدْرُ الْمَالِكِيُّ، وَشَرَفُ الدِّينِ الْكَفْرِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَشَمْسُ الدِّينِ **بْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ**، وكاتبه إسماعيل **ابن كثير**، وآخرون. حَتَّى كَانَ الشَّـيْخُ ابْنُ أَبِي الْيُسْـرِ يَقُولُ: اجْتَمَعَ فِي رَكْبِنَا هَذَا أَرْبَعُمِائَةِ فَقِيهٍ، وَأَرْبَـعُ مَدَارِسَ، وَخَانِقَاهْ، وَدَارُ حَدِيثٍ. وَقَدْ كَانَ مَعَنَا مِنَ الْمُفْتِينَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَفْسًـا. وَكَانَ فِي الْمِصْرِيِّينَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، مِنْهُمْ: قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ تَقِـيُّ الدِّينِ الْأَخْنَائِيُّ، وَفَخْرُ الدِّينِ النُّوَيْـرِيُّ، وَأَمِيرُهم الوزير مُغْلَطَايْ الْجَمَّالِيُّ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مَرِيضًا. وَفِي رَكْبِ الْعِرَاقِ الشَّيْخُ أَسَدٌ الْمَرَاوِحِيُّ وَكَانَ مِنَ الْمَشَاهِيرِ، وَفِي الشَّامِيِّينَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الْوَاسِطِيُّ صُحْبَةَ ابْنِ التُّرْكُمَانِيِّ،

وَمَرَرْنَـا **بِعَيْـنِ تَبُـوكَ** وَقَـدْ أُصْلِحَتْ فِي هَـذِهِ السَّـنَةِ، وَصِينَـتْ مِـنْ دَوْسِ الْجِمَالِ وَالْجَمَّالِيـنَ، وَصَـارَ مَاؤُهَـا فِي غَايَـةِ الْحُسْـنِ وَالصَّفَاءِ وَالطِّيـبِ، وَكَانَـتِ الْوَقْفَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمُطِرْنَا بِالطَّوَافِ، وَكَانَتْ سَنَةً مُرْخَصَةً آمِنَةً.

⊙ وفِي يَوْمِ السَّـبْتِ تَاسِعِ شَوَّالٍ سـنة (٧٣٢هـ) خَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ، وَأَمِيرُهُ سَيْفُ الدِّينِ أَوْرَانُ، وَقَاضِيهِ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّرِيشِـيِّ، **وَحَجَّ السُّـلْطَانُ الناصر محمد بن قلاوون** فِي هَذِهِ السَّـنَةِ، وَفِي صُحْبَتِهِ قَاضِي الْقُضَـاةِ **الْقَزْوِينِيُّ**، وَعِزُّ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ، وَمُوَفَّقِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ، وَسَبْعُونَ أَمِيرًا.

⊙ وَخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ يَوْمَ الْخَمِيسِ عَاشِرَ شَوَّالٍ سنة (٧٣٣هـ)، وَأَمِيرُهُ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ مَعْبَدٍ، وَقَاضِيهِ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ مَنْصُورٍ مُدَرِّسُ الْحَنَفِيَّةِ بِالْقُدْسِ بِمَدْرَسَـةِ تَنْكِزَ، وَفِي الْحُجَّاجِ صَدْرُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ، وَشِـهَابُ الدِّينِ الظَّهِيرِيُّ، وَمُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْأَعْقَفِ، وَآخَرُونَ.

- وخَرَجَ الرَّكْبُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِرَ شَوَّالٍ سنة (٧٣٤هـ)، وَأَمِيرُهُ أُلْجَيْبُغَا، وَقَاضِيهِ مَجْدُ الدِّينِ بْنُ حَيَّانَ الْمِصْرِيُّ.

- وَخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ يَوْمَ الْخَمِيسِ تَاسِعَ شَوَّالٍ سنة (٧٣٥هـ)، وَأَمِيرُهُ عَلَاءُ الدِّينِ الْمُرْسِيُّ، وَقَاضِيهِ شِهَابُ الدِّينِ الظَّاهِرِيُّ

- وخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ شَوَّالٍ (٧٣٦هـ)، وَأَمِيرُهُ قَطْلُودَمُرُ الْخَلِيلِيُّ. **وَمِمَّنْ حَجَّ فِيهِ**؛ قَاضِي طَرَابُلُسَ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ جَهْبَلٍ، وَالْفَخْرُ الْمِصْرِيُّ، وَابْنُ قَاضِي الزَّبَدَانِيِّ، وَابْنُ الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ، وَابْنُ غَانِمٍ، وَالسَّخَاوِيُّ، وَابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ، وَنَاصِرُ الدِّينِ بْنُ الرَّبْوَةِ الْحَنَفِيُّ. و**حَصَلَتْ مَشَقَّةٌ** كَثِيرَةً لِلْحُجَّاجِ؛ مِنْ مَوْتِ الْجِمَالِ، وَإِلْقَاءِ الْأَحْمَالِ، وَمَشْيِ كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

- وَخَرَجَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِرَ شَوَّالٍ سنة (٧٣٧هـ)، وَأَمِيرُهُ **بَهَادِرُ قَبْجَقُ**، وَقَاضِيهِ مُحْيِي الدِّينِ الطَّرَابُلُسِيُّ مُدَرِّسُ الْحِمْصِيَّةِ، وَفِي الرَّكْبِ تَقِيُّ الدِّينِ شَيْخُ الشُّيُوخِ، وَعِمَادُ الدِّينِ بْنُ الشِّيرَازِيِّ، وَنَجْمُ الدِّينِ الطَّرَسُوسِيُّ، وَجَمَالُ الدِّينِ الْمَرْدَاوِيُّ، وَصَاحِبُهُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُفْلِحٍ، وَالصَّدْرُ الْمَالِكِيُّ، وَالشَّرَفُ بْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ.

وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أواخر ذي الحجة سنة (٧٤١هـ) وصُلِّيَ عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَدُفِنَ مَعَ أَبِيهِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ.

وَكَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ أَخَذَ الْعَهْدَ لِابْنِهِ **سَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ**، وَلَقَّبَهُ **بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ**.

وَلَمْ يَحْضُرْ **وَلَدُهُ دَفْنَهُ**، **وَلَمْ يَخْرُجْ** مِنَ **الْقَلْعَةِ** لِيَلْتَئِذٍ عَنْ مَشُورَةِ الْأُمَرَاءِ؛ لِئَلَّا يَتَخَبَّطَ النَّاسُ، وَجَلَسَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ سَيْفُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي، **أَبُو بَكْرِ بن محمد بن قلاوون** عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ.

مشاهير من توفي من الأعيان إلى سنة (٧٤١هـ)

١-**الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّجِيبِيُّ الدَّوَادَارُ، **وَالِي الْبَرِّ** بِدِمَشْقَ، وَأَحَدُ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهْ بِهَا، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٠١هـ).

٢-**الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ: عَلَمُ الدِّينِ أَرْجَوَاشُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَنْصُورِيُّ، نَائِبُ الْقَلْعَةِ بِالشَّامِ، كَانَ ذَا هَيْبَةٍ، وَهِمَّةٍ، وَشَهَامَةٍ، وَقَصْدٍ صَالِحٍ، قَدَّرَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ حِفْظَ مَعْقِلِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا مَلَكَتِ التَّتَارُ الشَّامَ أَيَّامَ قَازَانَ، وَعَصَتْ عَلَيْهِمُ الْقَلْعَةُ، وَمَنَعَهَا اللهُ مِنْهُمْ عَلَى يَدَيْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ الْتَزَمَ أَنْ لَا يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِمْ مَا دَامَ بِهَا عَيْنٌ تَطْرِفُ، وَاقْتَدَتْ بِهَا بَقِيَّةُ الْقِلَاعِ الشَّامِيَّةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْقَلْعَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٠١هـ)، وَأُخْرِجَ مِنْهَا ضَحْوَةَ يَوْمِ السَّبْتِ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ فَمَنْ دُونَهُ جِنَازَتَهُ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى سَفْحِ قَاسِيُونَ، فَدُفِنَ فِي تُرْبَتِهِ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

٣- **صَاحِبُ مَكَّةَ، الْأَمِيرُ الشَّرِيفُ أَبُو نُمَيٍّ** مُحَمَّدُ ابْنُ الْأَمِيرِ أَبِي سَعْدٍ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ قَتَادَةَ الْحَسَنِيُّ، صَاحِبُ مَكَّةَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا، ذَا رَأْيٍ وَسِيَاسَةٍ وَعَقْلٍ وَمُرُوءَةٍ، توفي سنة (٧٠١هـ).

٤-**ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ**، الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، الْحَافِظُ، قَاضِي الْقُضَاةِ: تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ الْقُشَيْرِيُّ الْمِصْرِيُّ، وُلِدَ يَوْمَ السَّبْتِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ (٦٢٥هـ) بِسَاحِلِ مَدِينَةِ **يَنْبُعَ** مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ، وَخَرَّجَ، وَصَنَّفَ فِيهِ - إِسْنَادًا وَمَتْنًا - مُصَنَّفَاتٍ عَدِيدَةً فَرِيدَةً مُفِيدَةً، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْعِلْمِ فِي زَمَانِهِ، وَفَاقَ أَقْرَانَهُ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ، وَدَرَّسَ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَمَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ، **وَكَانَ وَقُورًا قَلِيلَ الْكَلَامِ، غَزِيرَ الْفَوَائِدِ**، كَثِيرَ الْعُلُومِ فِي دِيَانَةٍ وَنَزَاهَةٍ، وَلَهُ شِعْرٌ رَائِقٌ، تُوُفِّيَ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَادِيَ عَشَـرَ شَهْرِ صَفَرٍ سنة (٧٠٢هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأُمَرَاءُ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ الصُّغْرَى، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥-**الْمَلِـكُ الْعَادِلُ زَيْنُ الدِّيـنِ كَتْبُغَا، كَانَ مِنْ كِبَـارِ الْأُمَرَاءِ الْمَنْصُورِيَّـةِ، وَقَدْ مَلَكَ الْبِلَادَ بَعْدَ مَقْتَلِ الْأَشْـرَفِ خَلِيلِ بْنِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ انْتَزَعَ الْمُلْكَ لَاجِينُ**، وَجَلَسَ فِي قَلْعَةِ دِمَشْـقَ، ثُـمَّ تَحَوَّلَ إِلَى صَرْخَـدَ، فَكَانَ بِهَا حَتَّى قُتِـلَ لَاجِينُ، وَأَخَذَ الْمُلْـكَ النَّاصِرُ بْنُ قَلَاوُونَ فَاسْـتَنَابَهُ بِحَمَاةَ حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ بها سـنة (٧٠٢هــ)، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ، وَأَعْدَلِهِمْ، وَأَكْثَرِهِمْ بِرًّا.

٦-**أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعَالِي الرَّقِّيُّ الْحَنْبَلِيُّ، **الشَّيْخُ الْقُدْوَةُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ الْوَرِعُ**، كَانَ أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ الشَّـرْقِ، وَمَوْلِدُهُ بِالرَّقَّةِ فِي سَـنَةِ سَـبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِـتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ، وَحَصَّلَ، وَسَمِعَ شَـيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ، فَسَكَنَ بِالْمِئْذَنَةِ الشَّـرْقِيَّةِ فِي أَسْـفَلِهَا بِأَهْلِـهِ إِلَى جَانِبِ الطَّهَـارَةِ بِالْجَامِـعِ، وَكَانَ مُعَظَّمًـا عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، خَشِـنَ الْعَيْشِ، حَسَنَ الْمُجَالَسَةِ، لَطِيْفَ الْمُفَاكَهَةِ، كَثِيـرَ التِّلَاوَةِ، مِـنْ أَفْرَادِ الْعَالَـمِ، عَارِفًا بِالتَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفِقْـهِ، وَالْأَصْلَيْنِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ وَخُطَبٌ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، تُوُفِّيَ بِمَنْزِلِهِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٠٣هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ عُقَيْبَ الْجُمُعَةِ.

٧- **الشَّـيْخُ شَـمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ السَّـلَامِ**، كَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، يَتَرَدَّدُ إِلَى عَكَّا أَيَّامَ كَانَتِ الْفِرَنْجُ فِي فِكَاكِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، وَعَتَقَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، توفي سنة (٧٠٣هـ).

٨- **ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ** بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَقِيلٍ السُّـلَمِيُّ، **خَطِيبُ بَعْلَبَكَّ** نَحْوًا مِنْ سِـتِّينَ سَنَةً بَعْدَ وَالِدِهِ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَتَفَرَّدَ عَنِ الْقَزْوِينِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا جَيِّدًا، حَسَنَ الْقِرَاءَةِ، مِنْ كِبَارِ الْعُدُولِ، توفي سنة (٧٠٣هـ).

٩- **زَيْنُ الدِّينِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْفَارِقِيُّ**، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَاشْتَغَلَ وَدَرَّسَ فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ، وَأَفْتَى مُدَّةً طَوِيلَةً، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ، وَشَهَامَةٌ، وَصَرَامَةٌ، وَكَانَ يُبَاشِرُ الْأَوْقَافَ جَيِّدًا، وَهُوَ الَّذِي عَمَّرَ دَارَ الْحَدِيثِ بَعْدَ خَرَابِهَا زَمَنَ قَازَانَ، وَقَدْ بَاشَرَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ بَعْدِ النَّوَوِيِّ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

باشر خَطَابَةَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَقَدِ انْتَقَلَ إِلَى دَارِ الْخَطَابَةِ، وَتُوُفِّيَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، سنة (٧٠٣هـ).

١٠- **والدي، أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ** كَثِيرِ بْنِ ضَوْءِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ ضَوْءِ بْنِ دِرْعٍ الْقُرَشِيُّ، مِنْ بَنِي حَصْلَةَ، وَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الشَّرَفِ، وَبِأَيْدِيهِمْ نَسَبٌ، وَقَفَ عَلَى بَعْضِهَا شَيْخُنَا الْمِزِّيُّ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، وَابْتَهَجَ بِهِ، فَصَارَ يَكْتُبُ فِي نَسَبِي بِسَبَبِ ذَلِكَ: الْقُرَشِيُّ، وُلِدَ فِي قَرْيَةِ الشَّرْكُوِينُ، غَرْبِيَّ بُصْرَى، فِي حُدُودِ سَنَةِ (٦٤٠هـ)، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عُقْبَةَ بِبُصْرَى، فَقَرَأَ «الْبِدَايَةَ» فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَحَفِظَ «جُمَلَ الزَّجَّاجِيِّ»، وَعُنِيَ بِالنَّحْوِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَاللُّغَةِ، وَحِفْظِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ، حَتَّى كَانَ يَقُولُ الشِّعْرَ الْجَيِّدَ الْفَائِقَ، وَقُرِّرَ فِي مَدَارِسِ بُصْرَى، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى خَطَابَةِ الْقَرْيَةِ شَرْقِيَّ بُصْرَى، وَتَمَذْهَبَ لِلشَّافِعِيِّ.

وَأَخَذَ عَنِ النَّوَاوِيِّ، وَالشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، وَكَانَ يُكْرِمُهُ، وَيَحْتَرِمُهُ فِيمَا أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى خَطَابَةِ **مُجَيْدِلِ** الْقَرْيَةِ الَّتِي مِنْهَا الْوَالِدَةُ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً فِي خَيْرٍ، وَكِفَايَةٍ، وَتِلَاوَةٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ يَخْطُبُ جَيِّدًا، وَلَهُ قَبُولٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَلِكَلَامِهِ وَقْعٌ لِدِيَانَتِهِ، وَفَصَاحَتِهِ، وَحَلَاوَتِهِ، وَكَانَ يُؤْثِرُ الْإِقَامَةَ فِي الْبِلَادِ لِمَا يَرَى فِيهَا مِنَ الرِّفْقِ وَوُجُودِ الْحَلَالِ لَهُ وَلِعِيَالِهِ.

وَقَدْ وُلِدَ لَهُ عِدَّةُ أَوْلَادٍ مِنَ الْوَالِدَةِ، وَمِنْ أُخْرَى قَبْلَهَا، **أَكْبَرُهُمْ إِسْمَاعِيلُ**، ثُمَّ **يُونُسُ وَإِدْرِيسُ**، ثُمَّ مِنَ الْوَالِدَةِ **عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ، وَمُحَمَّدٌ، وَأَخَوَاتٌ عِدَّةٌ**، ثُمَّ أَنَا

أَصْغَرُهُمْ، **وَسُمِّيتُ بِاسْمِ الْأَخِ إِسْمَاعِيلَ**؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ قَدِمَ دِمَشْقَ فَاشْتَغَلَ بِهَا بَعْدَ أَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ عَلَى وَالِدِهِ، وَقَرَأَ مُقَدِّمَةً فِي النَّحْوِ، وَحَفِظَ «التَّنْبِيهَ»، وَ«شَرْحَهُ» عَلَى الْعَلَّامَةِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، وَحَصَّلَ «الْمُنْتَخَبَ» فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، قَالَهُ لِي شَيْخُنَا ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ،، ثُمَّ إِنَّهُ سَقَطَ مِنْ سَطْحِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، **فَمَكَثَ أَيَّامًا وَمَاتَ**، فَوَجَدَ الْوَالِدُ عَلَيْهِ وَجْدًا كَثِيرًا، وَرَثَاهُ بِأَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَلَمَّا وُلِدْتُ أَنَا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ سَمَّانِي بِاسْمِهِ، فَأَكْبَرُ أَوْلَادِهِ إِسْمَاعِيلُ، وَآخِرُهُمْ وَأَصْغَرُهُمْ إِسْمَاعِيلُ، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ سَلَفَ، وَخَتَمَ بِخَيْرٍ لِمَنْ بَقِيَ.

وَكَانَتْ **وَفَاةُ الْوَالِدِ** فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ **(٧٠٣هـ)**، فِي قَرْيَةِ مُجَيْدِلٍ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَتِهَا الشَّمَالِيَّةِ عِنْدَ الزَّيْتُونَةِ، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ صَغِيرًا **ابْنَ ثَلَاثِ** سِنِينَ أَوْ نَحْوِهَا، لَا أُدْرِكُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ، ثُمَّ تَحَوَّلْنَا مِنْ بَعْدِهِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ إِلَى دِمَشْقَ صُحْبَةَ الْأَخِ كَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَقَدْ كَانَ لَنَا **شَقِيقًا، وَبِنَا رَفِيقًا شَفُوقًا**، وَقَدْ تَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ إِلَى سَنَةِ (٧٥٠هـ)، فَاشْتَغَلْتُ عَلَى يَدَيْهِ فِي الْعِلْمِ، فَيَسَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ مَا يَسَّرَ، وَسَهَّلَ مِنْهُ مَا تَعَسَّرَ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

ومن شعر الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَأَى النَّوْمُ عَنْ جَفْنِي فَبِتُّ مُسَهَّدَا ... أَخَا كَلَفٍ حِلْفَ الصَّبَابَةِ مُوجِدَا
سَمِيرَ الثُّرَيَّا وَالنُّجُومِ مُدَلَّهًا ... فَمِنْ وَلَهِي خِلْتُ الْكَوَاكِبَ رُكَّدَا
طَرِيحًا عَلَى فُرُشِ الصَّبَابَةِ وَالْأَسَى ... فَمَا ضَرَّكُمْ لَوْ كُنْتُمُ لِي عُوَّدَا
تُقَلِّبُنِي أَيْدِي الْغَرَامِ بِلَوْعَةٍ ... أَرَى النَّارَ مِنْ تِلْقَائِهَا لِي أَبْرَدَا
وَمَزَّقَ صَبْرِي بَعْدَ جِيرَانِ حَاجِرٍ ... سَعِيرُ غَرَامٍ بَاتَ فِي الْقَلْبِ مُوقَدَا
فَأَمْطَرْتُهُ دَمْعِي لَعَلَّ زَفِيرَهُ ... يَقِلُّ فَزَادَتْهُ الدُّمُوعُ تَوَقُّدَا
فَبِتُّ بِلَيْلٍ نَابِغِيٍّ وَلَا أَرَى ... عَلَى النَّأْيِ مَنْ بَعْدَ الْأَحِبَّةِ مُسْعِدَا
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَبَاعَدَ فَجْرُهُ ... عَلَيَّ إِلَى أَنْ خِلْتُهُ قَدْ تَخَلَّدَا

وَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا، وَاللهُ **يَغْفِرُ لَهُ مَا صَنَعَ مِنَ الشِّعْرِ**.

١١-**الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الرِّفَاعِيِّ**، شَيْخُ الْأَحْمَدِيَّةِ بِأُمِّ عُبَيْدَةَ مِنْ مُدَّةٍ عَدِيدَةٍ، وَعَنْهُ تُكْتَبُ **إِجَازَاتُ الْفُقَرَاءِ**، وَدُفِنَ هُنَاكَ عِنْدَ سِلَفِهِ بِالْبَطَائِحِ، سنة (٧٠٤هـ).

١٢-**الصَّدْرُ نَجْمُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ**، وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ، وَنَاظِرُ الْخِزَانَةِ، وَقَدْ وَلِيَ فِي وَقْتٍ نَظَرَ الْمَارَسْتَانِ النُّورِيِّ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ رَجُلًا جَيِّدًا، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَرَوَى أَيْضًا، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧٠٤هـ) وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِمْ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

١٣-**الصَّدْرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مَعَالِي الْأَنْصَارِيُّ الْحَرَّانِيُّ** الْحَاسِبُ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْوَزِيرِ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ، انْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ تُوُفِّيَ فِي أَوَاخِرِ سَنَة (٧٠٥هـ) فَجْأَةً، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، وَقَدْ أَخَذْتُ الْحِسَابَ عَنِ الْحَاضِرِيِّ، عَنْ عَلَاءِ الدِّينِ الطُّيُورِيِّ، عَنْهُ.

١٤-**الْخَطِيبُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ** الْفَزَارِيُّ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، أَخُو الْعَلَّامَةِ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٣٠هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَانْتَفَعَ من الْمَشَايِخِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، كَابْنِ الصَّلَاحِ، وَالسَّخَاوِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، وَتفَقَّهَ، وَأَفْتَى، وَنَاظَرَ.

وَكَانَ أُسْتَاذًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَاللُّغَةِ، وَالْقِرَاءَاتِ، وَإِيرَادِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَكَانَ فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، حُلْوَ الْمُحَاضِرَةِ، لَا تُمَلُّ مُجَالَسَتُهُ، وَقَدْ دَرَّسَ بِالطَّيِّبَةِ، وَبِالرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ مُدَّةً، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى خَطَابَةِ **جَامِعِ جِرَاحٍ**، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى خَطَابَةِ **جَامِعِ دِمَشْقَ** بَعْدَ الْفَارِقِيِّ فِي سَنَةِ (٧٠٣هـ)، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ عَشِيَّةَ التَّاسِعِ مِنْ شَوَّالٍ، سنة (٧٠٥هـ)، عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

١٥-**شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ** شَرَفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بن خلف **الدِّمْيَاطِيُّ**، **شَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ**، حَامِلُ لِوَائه فِي زَمَانِهِ، مَعَ كِبَرِ السِّنِّ وَالْقَدْرِ، وَعُلُوِّ الْإِسْنَادِ، وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَجَوْدَةِ الدِّرَايَةِ، وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ، وَانْتِشَارِ التَّوَالِيفِ، وَتَرَدُّدِ

الطَّلَبَةِ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ، مَوْلِدُهُ فِي آخِرِ سِنَةِ (٦١٣هـ) سَمِعَ الْكَثِيرَ عَلَى الْمَشَايِخِ، وَرَحَلَ، وَطَافَ، وَحَصَّلَ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى، وَلَكِنْ مَا مَنَعَ وَلَا بَخِلَ، بَلْ بَذَلَ، وَنَشَرَ الْعِلْمَ، وَوَلِيَ الْمَنَاصِبَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ كَثِيرًا.

وَجَمَعَ **مُعْجَمًا** لِمَشَايِخِهِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ بِالْحِجَازِ، وَبِالشَّامِ، وَالْجَزِيرَةِ، وَالْعِرَاقِ، وَدِيَارِ مِصْرَ، يَزِيدُونَ عَلَى **أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ شَيْخٍ**، وَهُوَ مُجَلَّدَانِ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي **الصَّلَاةِ الْوُسْطَى** مُفِيدٌ جِدًّا، وَمُصَنَّفٌ فِي صِيَامِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، أَفَادَ فِيهِ وَأَجَادَ، وَجَمَعَ مَا لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ.

وَلَهُ كِتَابُ «الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ»، وَكِتَابُ «التَّسَلِّي وَالِاغْتِبَاطِ بِثَوَابِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَفْرَاطِ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الْحِسَانِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي إِسْمَاعِ الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ **أَدْرَكَتْهُ وَفَاتُهُ وَهُوَ صَائِمٌ فِي مَجْلِسِ الْإِمْلَاءِ، غُشِيَ عَلَيْهِ**، فَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ يَوْمَ الْأَحَدِ خَامِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ بِالْقَاهِرَةِ سنة (٧٠٥هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِمَقَابِرِ بَابِ النَّصْرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً جِدًّا، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

١٦- **الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ صَالِحُ بْنُ ثَامِرِ بْنِ حَامِدِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَعْبَرِيُّ** الشَّافِعِيُّ، نَائِبُ الْحُكْمِ بِدِمَشْقَ، وَمُعِيدُ النَّاصِرِيَّةِ، كَانَ ثِقَةً دَيِّنًا، عَدْلًا مَرْضِيًّا زَاهِدًا، حَكَمَ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، لَهُ فَضَائِلُ وَعُلُومٌ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ وَالْهَيْئَةِ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٠٦هـ) عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالسَّفْحِ.

١٧- **الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّافِعِيُّ**، مُدَرِّسُ النَّجِيبِيَّةِ، شَارِحُ «الْحَاوِي»، وَ «مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ»، كَانَ شَيْخًا فَاضِلًا بَارِعًا، وَأَعَادَ فِي النَّاصِرِيَّةِ أَيْضًا، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ - بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنَ الْحَمَّامِ - التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٠٦هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ظَاهِرَ بَابِ النَّصْرِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ.

١٨- **الشَّيْخُ الْقُدْوَةُ الْعَابِدُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مُطَرِّفٍ**، تُوُفِّيَ بِمَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة

(٧٠٦هـ) عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَمَكَثَ مُجَاوِرًا سِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ يَطُوفُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ أُسْبُوعًا.

١٩- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ الصَّالِحُ**، شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ أَحْمَدَ الْخِلَاطِيُّ، **خَطِيبُ دِمَشْقَ**، وإِمَامُ الْكَلَّاسَةِ، كَانَ شَيْخًا حَسَنًا بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، عَلَيْهِ سُكُونٌ وَوَقَارٌ، بَاشَرَ إِمَامَةَ الْكَلَّاسَةِ قَرِيبًا مِنْ **أَرْبَعِينَ سَنَةً**، ثُمَّ طُلِبَ إِلَى أَنْ يَكُونَ خَطِيبًا بِدِمَشْقَ بِالْجَامِعِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ مِنْهُ وَلَا طَلَبٍ، فَبَاشَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا أَحْسَنَ مُبَاشَرَةٍ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، طَيِّبَ النَّغْمَةِ، مَعَ دِيَانَةٍ وَعِبَادَةٍ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، تُوُفِّيَ فَجْأَةً بِدَارِ الْخَطَابَةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَامِنِ شَوَّالٍ سنة (٧٠٦هـ) عَنْ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَقَدِ امْتَلَأَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ صُلِّيَ عَلَيْهِ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالْعَامَّةُ، وَقَدْ غُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى سَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٠- **الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْعَجَمِيُّ الصَّالِحِيُّ**، الْمَعْرُوفُ بِالْجَالِقْ، كَانَ رَأْسَ الْجَمْدَارِيَّةِ[1] فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَأَمَّرَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ، وَكَانَ مِنْ أَكَابِرِ الدَّوْلَةِ، كَثِيرَ الْأَمْوَالِ، تُوُفِّيَ بِالرَّمْلَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي قِسْمِ إِقْطَاعِهِ فِي نِصْفِ جُمَادَى الْأُولَى، وَنُقِلَ إِلَى الْقُدْسِ فَدُفِنَ بِهِ سنة (٧٠٧هـ).

٢١- **الشَّيْخُ صَالِحٌ الْأَحْمَدِيُّ الرِّفَاعِيُّ**، شَيْخُ الْمُنَيْبِعِ، كَانَ التَّتَرُ يُكْرِمُونَهُ لَمَّا قَدِمُوا دِمَشْقَ، وَلَمَّا جَاءَ قُطْلُوشَاهْ نَائِبُ التَّتَرِ نَزَلَ عِنْدَهُ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ بِالْقَصْرِ: نَحْنُ مَا يَنْفُقُ حَالُنَا إِلَّا عِنْدَ التَّتَرِ، وَأَمَّا عِنْدَ الشَّرْعِ فَلَا. توفي سنة (٧٠٧هـ).

٢٢- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ الْحَرَّانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، إِمَامُ مَسْجِدِ عَطِيَّةَ الحائك، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْمُقْرِئِ، رَوَى الْحَدِيثَ، وَكَانَ فَقِيهًا بِمَدَارِسِ الْحَنَابِلَةِ، وُلِدَ بِحَرَّانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٧٠٨هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

(١) الجمدار: هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه. صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩.

٢٣-السَّيِّدُ الشَّرِيفُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَدْنَانَ الْحُسَيْنِيُّ، نَقِيبُ الْأَشْرَافِ، كَانَ فَاضِلًا بَارِعًا فَصِيحًا مُتَكَلِّمًا، يَعْرِفُ طَرِيقَةَ الِاعْتِزَالِ، وَيُبَاحِثُ الْإِمَامِيَّةَ، وَيُنَاظِرُ عَلَى ذَلِكَ بِحَضْرَةِ الْقُضَاةِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ بَاشَرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِقَلِيلٍ نَظَرَ الْجَامِعِ الأموي وَنَظَرَ دِيوَانِ الْأَفْرَمِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَامِسِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٨هـ) عَنْ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِمْ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

٢٤-الشَّيْخُ ظَهِيرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابْنِ مَنَعَةَ الْبَغْدَادِيُّ، شَيْخُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِمَكَّةَ، بَعْدَ عَمِّهِ عَفِيفِ الدِّينِ مَنْصُورِ بْنِ مَنَعَةَ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ، فَتَوَلَّى مَشْيَخَةَ الْحَرَمِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا سنة (٧٠٨هـ).

٢٥- شَرَفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ يَحْيَ الْحَرَّانِيُّ، قَاضِي الْحَنَابِلَةِ بِمِصْرَ، وُلِدَ بِحَرَّانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَدِمَ مِصْرَ، فَبَاشَرَ نَظَرَ الْخِزَانَةِ وَتَدْرِيسِ الصَّالِحِيَّةِ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الْمَكَارِمِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سنة (٧٠٩هـ) وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ.

٢٦-الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّسْتُمِيُّ، شَادُّ الدَّوَاوِينِ (المفتش) بِدِمَشْقَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ وَالِيَ الْوُلَاةِ بِالصَّفْقَةِ الْقِبْلِيَّةِ بَعْدَ الشَّرِيفِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ سَطْوَةٌ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّانِي وَالعِشْرِينَ من جُمَادَى الْأُولَ سنة (٧٠٩هـ)، وَدُفِنَ ضَحْوَةً بِالْقُبَّةِ الَّتِي بَنَاهَا تُجَاهَ قُبَّةِ الشَّيْخِ رَسْلَانَ، وَكَانَ فِيهِ كِفَايَةٌ وَخِبْرَةٌ.

٢٧-الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ بْنِ نَصْرٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، رَئِيسُ الْمُؤَذِّنِينَ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٠٢)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَاشَرَ وَظِيفَةَ الْأَذَانِ مِنْ سَنَةِ (٦٤٥هـ) إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ خَامِسِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٠٩هـ)، وَكَانَ رَجُلًا جَيِّدًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

٢٨- الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ السَّرُوجِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ

الْحَنَفِيُّ، شَارِحُ «الْهِدَايَةِ»، كَانَ بَارِعًا فِي عُلُومٍ شَتَّى، وَوَلِيَ الْحُكْمَ بِمِصْرَ مُدَّةً، وَعُزِلَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ (٧١٠هـ)، وَدُفِنَ بِقُرْبِ الشَّافِعِيِّ، وَلَهُ اعْتِرَاضَاتٌ عَلَى الشَّيْخِ **تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، أَضْحَكَ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَقَدْ رَدَّ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلَيْهِ فِي مُجَلَّدَاتٍ، وَأَبْطَلَ حُجَّتَهُ.

٢٩- **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ، نَائِبُ حَلَبَ**، مَاتَ بِهَا وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِحَمَاةَ فِي ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧١٠هـ)، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا، وَقَدْ وَلِيَ نِيَابَةَ دِمَشْقَ فِي أَيَّامِ لَاجِينَ، ثُمَّ قَفَزَ إِلَى التَّتَرِ خَوْفًا مِنْ لَاجِينَ، ثُمَّ جَاءَ مَعَ التَّتَرِ، وَكَانَ عَلَى يَدَيْهِ فَرَجُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ قَازَانَ، ثُمَّ تَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَنْ مَاتَ بِحَلَبَ، ثُمَّ وَلِيَهَا بَعْدَهُ أَسَنْدَمُرُ.

٣٠- **ابْنُ الرِّفْعَةِ**، نَجْمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، شَارِحُ «التَّنْبِيهِ»، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ، كَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا، إِمَامًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ. توفي سنة (٧١٠هـ).

٣١- **الشَّيْخُ الرَّئِيسُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ رَئِيسِ الْأَطِبَّاءِ** أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخَانَ الْأَنْصَارِيُّ، مِنْ سُلَالَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، السُّوَيْدِيُّ، مِنْ سُوَيْدَاءِ حَوْرَانَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَرَعَ فِي الطِّبِّ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧١١هـ) بِبُسْتَانِهِ بِقُرْبِ الشِّبْلِيَّةِ، وَدُفِنَ فِي تُرْبَةٍ لَهُ فِي قُبَّةٍ فِيهَا عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

٣٢- **الشَّيْخُ نَاصِرُ الدِّينِ** يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُثْمَانِيُّ، **خَادِمُ الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً**، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَابِعِ رَمَضَانَ سنة (٧١١هـ)، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَكَانَ لِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ الْأَفْرَمِ فِيهِ اعْتِقَادٌ، وَوَصَلَهُ مِنْهُ افْتِقَادٌ، وَبَلَغَ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

٣٣- **ابْنُ الْوَحِيدِ الْكَاتِبُ**، هُوَ الصَّدْرُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفِ بْنِ يُوسُفَ الزُّرَعِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْوَحِيدِ، كَانَ مُوَقِّعًا بِالْقَاهِرَةِ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْإِنْشَاءِ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْكِتَابَةِ فِي زَمَانِهِ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، وَكَانَ فَاضِلًا مِقْدَامًا شُجَاعًا، تُوُفِّيَ بِالْمَارَسْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ بِمِصْرَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧١١هـ).

٣٤- **الْقَاضِي الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ سَعْدُ الدِّينِ** مَسْعُودُ الْحَارِثِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، الْحَاكِمُ بِمِصْرَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَجَمَعَ وَخَرَّجَ وَصَنَّفَ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي صناعة التصنيف، فِي الْأَسَانِيدِ وَالْمُتُونِ، وَشَرَحَ قِطْعَةً مَنْ «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَأَحْسَنَ الِانْتِقَادَ، وتوفي سنة (٧١١هـ).

٣٥-نَجْمُ الدِّينِ غَازِي بْنُ الْمُظَفَّرِ قَرَا أَرْسَلَانَ بْنِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ نَجْمِ الدِّينِ غَازِي الْأَرْتقِيُّ، **الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ مَارِدِينَ**، كَانَ شَيْخًا حَسَنًا مَهِيبًا، كَامِلَ الْخِلْقَةِ، بَدِينًا سَمِينًا، تُوُفِّيَ فِي تَاسِعِ رَبِيعٍ الْآخِرِ، سنة (٧١٢هـ) وَدُفِنَ فِي مَدْرَسَتِهِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ فَوْقَ السَّبْعِينَ، وَمَكَثَ فِي الْمُلْكِ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْمُلْكِ وَلَدُهُ الْعَادِلُ عَلِيٌّ، فَمَكَثَ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ مَلَكَ أَخُوهُ الصَّالِحُ بْنُ الْمَنْصُورِ.

٣٦- **قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دَاوُدَ بْنِ حَازِمٍ الْأَذْرَعِيُّ **الْحَنَفِيُّ**، كَانَ بَارِعًا فَاضِلًا، دَرَّسَ وَأَفْتَى، وَوَلِيَ قَضَاءَ الْحَنَفِيَّةِ بِدِمَشْقَ سَنَةً ثُمَّ عُزِلَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى تَدْرِيسِ **الشِّبْلِيَّةِ** مُدَّةً، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَامَ بِسَعِيدِ السُّعَدَاءِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عِشْرِينَ رَجَبٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

٣٧- **الشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ فَخْرُ الدِّينِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ** بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ التَّوْزَرِيُّ،(١) توفي بِمَكَّةَ يَوْمَ الْأَحَدِ حَادِيَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧١٣هـ)، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَأَجَازَهُ خَلْقٌ يَزِيدُونَ عَلَى **أَلْفِ شَيْخٍ**، وَقَرَأَ الْكُتُبَ الْكِبَارَ وَغَيْرَهَا، وَقَرَأَ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» أَكْثَرَ مِنْ **ثَلَاثِينَ** مَرَّةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٨-**الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الْمُقْرِئُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمِقْصَّاتِيُّ**، هُوَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْمُشَيَّعِ الْجَزَرِيُّ، نَائِبُ الْخَطَابَةِ، وَكَانَ يُقْرِئُ النَّاسَ الْقِرَاءَاتِ مِنْ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَكَانَ شَيْخًا عَارِفًا بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّوَاذِّ، وَلَهُ إِلْمَامٌ بِالنَّحْوِ، وَفِيهِ وَرَعٌ وَاجْتِهَادٌ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ حَادِي عِشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧١٣هـ)، وَدُفِنَ

---

(١) نسبة إلى توزر مدينة بأقصى أفريقية. معجم البلدان ١/ ٨٩٢.

مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٩- الشَّيْخُ رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ الْحَنَفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُعَلِّمِ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفْتِينَ، وَلَدَيْهِ عُلُومٌ شَتَّى، وَفَوَائِدُ، وَفَرَائِدُ، وَعِنْدَهُ زُهْدٌ وَانْقِطَاعٌ عَنِ النَّاسِ، وَقَدْ دَرَّسَ بِالْبَلْخِيَّةِ مُدَّةً ثُمَّ تَرَكَهَا لِوَلَدِهِ، وَسَارَ إِلَى مِصْرَ، فَأَقَامَ بِهَا، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ قَضَاءُ دِمَشْقَ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ مِنَ الْعُمْرِ، تُوُفِّيَ سَحَرَ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسِ رَجَبٍ سنة (٧١٤هـ)، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ، رَحِمهُ اللهُ تعَالَى.

٤٠- سُلَيْمَانُ التُّرْكُمَانِيُّ الْمُوَلَّهُ، الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَى مِصْطَبَةٍ بِالْعَلَبِيِّينَ، وَكَانَ لَا يَتَحَاشَى مِنَ النَّجَاسَاتِ وَلَا يَتَّقِيهَا، وَلَا يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ وَلَا يَأْتِيهَا، وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْهَمَجِ لَهُ فِيهِ عَقِيدَةٌ، وَهَذِهِ قَاعِدَةُ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ مِنَ الْمُوَلَّهِينَ وَالْمَجَانِينِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُكَاشِفُ، وَأَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ، تُوُفِّي فِي شَوَّالٍ سنة (٧١٤هـ).

٤١-الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ الْعَابِدَةُ النَّاسِكَةُ أُمُّ زَيْنَبَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبَّاسِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيَّةُ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَالِمَاتِ الْفَاضِلَاتِ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَقُومُ عَلَى **الْأَحْمَدِيَّةِ** فِي مُؤَاخَاتِهِمُ النِّسَاءَ وَالْمُرْدَانَ، وَتُنْكِرُ أَحْوَالَهُمْ، وَأَحْوَالَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَغَيْرِهِمْ، وَتَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ.

وَقَدْ كَانَتْ تَحْضُرُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ **تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، فَاسْتَفَادَتْ مِنْهُ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ.

وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ يُثْنِي عَلَيْهَا، وَيَصِفُهَا بِالْفَضِيلَةِ، وَالْعِلْمِ، وَيَذْكُرُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَحْضِرُ كَثِيرًا مِنَ «**الْمُغْنِي**» أَوْ أَكْثَرَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَعِدُّ لَهَا مِنْ كَثْرَةِ مَسَائِلِهَا، وَحُسْنِ سُؤَالَاتِهَا، وَسُرْعَةِ فَهْمِهَا، وقد خَتَّمَتْ كثيرٌ من النِسَاءَ الْقُرْآنَ على يديها، مِنْهُنَّ أُمُّ زَوْجَتِي عَائِشَةُ بِنْتُ صِدِّيقٍ، **زَوْجَةُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ**، وَهِيَ الَّتِي أَقْرَأَتِ ابْنَتَهَا **زَوْجَتِي أَمَةَ الرَّحِيمِ** زَيْنَبَ، â، وَأَكْرَمَهُنَّ بِرَحْمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، آمِينَ.

تُوُفِّيَتْ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ يَوْمِ **عَرَفَةَ** سنة (٧١٤هـ)، وَشَهِدَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ.

٤٢- **الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأُرْمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمُتَكَلِّمُ، **وُلِدَ بِالْهِنْدِ** سَنَةَ (٦٤٤هـ)، وَاشْتَغَلَ عَلَى جَدِّهِ لِأُمِّهِ، وَكَانَ فَاضِلًا، وَخَرَجَ مِنْ دِهْلَى (دلهي) فِي رَجَبٍ سَنَةَ (٦٦٧هـ)، فَحَجَّ وَجَاوَرَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ دَخَلَ **الْيَمَنَ**، فَأَعْطَاهُ مَلِكُهَا الْمُظَفَّرُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، **ثُمَّ دَخَلَ مِصْرَ** فَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى **الرُّومِ** عَلَى طَرِيقِ أَنْطَاكِيَةَ، فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً **بِقُونِيَةَ، وَبِسِيوَاسَ** خَمْسًا، **وَبِقَيْسَارِيَّةَ** سَنَةً، وَاجْتَمَعَ بِالْقَاضِي سِرَاجِ الدِّينِ فَأَكْرَمَهُ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى **دِمَشْقَ** فِي سَنَةِ (٦٨٥هـ) فَأَقَامَ بِهَا وَاسْتَوْطَنَهَا، **وَدَرَّسَ فِي الرَّوَاحِيَّةِ، وَالدَّوْلَعِيَّةِ، وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَالْأَتَابِكِيَّةِ**، وَصَنَّفَ فِي الْأُصُولِ وَالْكَلَامِ، وَتَصَدَّرَ لِلِاشْتِغَالِ وَالْإِفْتَاءِ، وَوَقَفَ كُتُبَهُ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، وَكَانَ فِيهِ بِرٌّ وَصِلَةٌ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعِ عِشْرِينَ صَفَرٍ سنة (٧١٥هـ)، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ.

٤٣- الْقَاضِي الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ، تَقِيُّ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، الْحَاكِمُ بِدِمَشْقَ، وُلِدَ فِي نِصْفِ رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ، وَوَلِيَ الْحُكْمَ، وَحَدَّثَ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا، وَأَكْثَرِهِمْ مُرُوءَةً، تُوُفِّيَ فَجْأَةً عَقِيبَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ حَادِي عِشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧١٥هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِتُرْبَةِ جَدِّهِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤٤- **بَهَاءُ الدِّينِ عَبْدُ السَّيِّدِ بْنُ الْمُهَذَّبِ** إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ، الطَّبِيبُ الْكَحَّالُ، الْمُتَشَرِّفُ بِالْإِسْلَامِ، **أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ لَمَّا بَيَّنَ لَهُ بُطْلَانَ دِينِهِمْ**، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمَا بَدَّلُوهُ مِنْ كِتَابِهِمْ، وَحَرَّفُوهُ مِنَ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ. ثُمَّ قَرَأَ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ؛ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ مُبَارَكًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ، **وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ دَيَّانَ الْيَهُودِ**، فَهَدَاهُ اللهُ تَعَالَى، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٥هـ)، وَدُفِنَ مِنْ يَوْمِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٤٥- **عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الْمُظَفَّرِ** بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكِنْدِيُّ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الْمُقْرِئُ، الْمُحَدِّثُ، النَّحْوِيُّ، الْأَدِيبُ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَزْيَدَ مِنْ مِائَتَيْ شَيْخٍ، وَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَ، وَحَصَّلَ عُلُومًا جَيِّدَةً، وَنَظَمَ الشِّعْرَ الْحَسَنَ الرَّائِقَ الْفَائِقَ، وَجَمَعَ كِتَابًا فِي نَحْوٍ مَنْ خَمْسِينَ مُجَلَّدًا، فِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ، أَكْثَرُهَا أَدَبِيَّاتٌ، **سَمَّاهُ «التَّذْكِرَةَ الْكِنْدِيَّةَ»** وَقَفَهَا.

وَكَتَبَ حَسَنًا، وَحَسَبَ جَيِّدًا، وَخَدَمَ فِي عِدَّةِ خِدَمٍ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ النَّفِيسِيَّةِ فِي مُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَرَأَ «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، وَأَسْمَعَ الْحَدِيثَ.

وَكَانَ **يَلُوذُ** بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَتُوُفِّيَ سنة (٧١٦هـ) بِبُسْتَانِهِ عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

٤٦- **الطَّوَاشِيُّ ظَهِيرُ الدِّينِ مُخْتَارٌ الْبُلْبَيْسِيُّ**، الْخِزِنْدَارُ بِالْقَلْعَةِ، **وَأَحَدُ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهْ بِدِمَشْقَ**، كَانَ زَكِيًّا، خَيِّرًا، فَاضِلًا، **يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَيُؤَدِّيهِ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ، وَوَقَفَ مَكْتَبًا** لِلْأَيْتَامِ عَلَى بَابِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَرَتَّبَ لَهُمُ الْكُسْوَةَ، وَالْجَامَكِيَّةَ، وَكَانَ يَمْتَحِنُهُمْ بِنَفْسِهِ، وَيَفْرَحُ بِهِمْ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ وَالْأَخْلَاقِ، عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ وَهَيْبَةٌ، وَلَهُ وَجَاهَةٌ فِي الدَّوْلَةِ، سَامَحَهُ اللهُ، توفي سنة (٧١٦هـ)، وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْخِزَانَةَ سَمِيُّهُ ظَهِيرُ الدِّينِ مُخْتَارٌ الزُّرَعِيُّ.

٤٧- **الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ، سِتُّ الْوُزَرَاءِ بِنْتُ عُمَرَ** بْنِ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنَجَّا، رَاوِيَةُ **«صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»**، وَغَيْرِهِ، جَاوَزَتِ التِّسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، تُوُفِّيَتْ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَامِنَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧١٦هـ) وَدُفِنَتْ بِتُرْبَتِهِمْ بِالْقُرْبِ مِنَ الْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ بِقَاسِيُونَ.

٤٨- **الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ الْمُعَمَّرَةُ، سِتُّ النِّعَمِ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدُوسٍ الْحَرَّانِيَّةُ، **وَالِدَةُ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، عَمَّرَتْ فَوْقَ السَّبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَلَدَتْ **تِسْعَةَ بَنِينَ، وَلَمْ تُرْزَقْ** بِنْتًا قَطُّ، تُوُفِّيَتْ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧١٦هـ)، وَدُفِنَتْ بِالصُّوفِيَّةِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، ۞.

٤٩-**الشَّـيْخُ نَجْمُ الدِّينِ مُوسَـى بْنُ عَلِيِّ** بْنِ مُحَمَّـدٍ الْحَلَبِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْـقِيُّ، الْكَاتِبُ الْفَاضِلُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبُصَيْصِ، شَـيْخُ **صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ** فِي زَمَانِهِ، لَا سِـيَّمَا فِي الْمُزَوَّجِ وَالْمُثَلَّثِ، وَقَدْ أَقَامَ يَكْتُبُ النَّاسَ خَمْسِـينَ سَـنَةً، **وَأَنَا مِمَّنْ كَتَبَ عَلَيْـهِ**، أَثَابَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَكَانَ شَـيْخًا حَسَـنًا بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، يَشْـعُرُ جَيِّدًا، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرِ ذِي الْقَعْدَةِ، سنة (٧١٦هـ)، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

٥٠-**الشَّـيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ**، أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي الْكَرَمِ، شَـيْخُ الْقِرَاءَةِ عِنْدَ مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ، وَشَيْخُ مِيعَادِ ابْنِ عَامِرٍ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَقَدِ انْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِـينَ سَـنَةً فِي التَّلْقِينِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَخَتَّمَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ يُقْصَدُ لِذَلِكَ، وَيَجْمَعُ تَصْدِيقَاتٍ يَقُولُهَا الصِّبْيَانُ لَيَالِيَ خَتْمِهِمْ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ خَيِّرًا دَيِّنًا، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ، سنة (٧١٦هـ)، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥١-**الشَّـيْخُ الصَّالِـحُ، الزَّاهِـدُ، الْمُقْـرِئُ، مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطِيبِ سَـلَامَةَ** بْنِ سَـالِمِ بْنِ الْحَسَـنِ بْنِ يَنْبُوبَ الْمَالِينِيُّ، **أَحَدُ الصُّلَحَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِجَامِعِ دِمَشْقَ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَأَقْرَأَ النَّاسَ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ يُفَصِّحُ الْأَوْلَادَ فِي الْحُرُوفِ الصَّعْبَةِ.

وَقَـدْ جَـاوَزَ الثَّمَانِينَ بِأَرْبَعِ سِـنِينَ، تُوُفِّـيَ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَانِي عِشْـرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٧١٦هـ).

٥٢-**الشَّـيْخُ صَدْرُ الدِّيـنِ بْنُ الْوَكِيلِ**، أَبُو عَبْـدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّـيْخِ عُمَرَ بْنِ مَكِّيٍّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُرَحِّلِ، **شَـيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ**، وَأَشْهُرُهُمْ فِي وَقْتِهِ بِكَثْرَةِ الِاشْتِغَالِ، وَالْمُطَالَعَةِ، وَالتَّحْصِيلِ، وَالِافْتِنَانِ فِي الْعُلُومِ الْعَدِيدَةِ.

وَكَانَتْ لَهُ مَحْفُوظَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْمَشَايِخِ، مِنْ ذَلِكَ " مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ " عَلَى ابْنِ عَلَّانَ، وَ " الْكُتُبُ السِّتَّةُ "، وَقُرِئَ عَلَيْهِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ "صَحِيحِ مُسْلِمٍ"

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْحَدِيثِ بِكَلَامٍ مَجْمُوعٍ مِنْ عُلُومٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الطِّبِّ وَالْفَلْسَفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ - **وَلَيْسَ ذَلِكَ بِعِلْمٍ** -، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ الشِّعْرَ جَيِّدًا.

وَقَدْ كَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، قَدْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فِيمَا يَتَعَاطَاهُ مِنَ الْقَاذُورَاتِ وَالْفَوَاحِشِ.

وَكَانَ **يَنْصِبُ الْعَدَاوَةَ لِلشَّيْخِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، وَيُنَاظِرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ، وَكَانَ يَعْتَرِفُ لِلشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بِالْعُلُومِ الْبَاهِرَةِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، ويَقُولُ: **كَانَ مُخَلِّطًا عَلَى نَفْسِهِ**، مُتَّبِعًا مُرَادَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ، يَمِيلُ إِلَى الشَّهْوَةِ وَالْمُحَاضَرَةِ.

وَقَدْ دَرَّسَ بِعِدَّةِ مَدَارِسَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ، فَدَرَّسَ بِدِمَشْقَ بِالشَّامِيَّتَيْنِ، وَالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَنْزِلُ بِمِصْرَ، وَدَرَّسَ فِيهَا بِمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا بُكْرَةَ نَهَارِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعِ عِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧١٦هـ).

٥٣- **الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ الرُّومِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ **الْمَرَاغِيُّ**، دَرَّسَ **بِالْمُعِينِيَّةِ**، وَأَمَّ بِمِحْرَابِ **الْحَنَفِيَّةِ** بِمَقْصُورَتِهِمُ الْغَرْبِيَّةِ، وَتَوَلَّى مَشْيَخَةَ **الْخَاتُونِيَّةِ**، وَكَانَ يَؤُمُّ بِنَائِبِ السُّلْطَانِ الْأَفْرَمِ، وَكَانَ يَقْرَأُ حَسَنًا بِصَوْتٍ مَلِيحٍ، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَهُ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ بِالْمُحَرَّمِ سنة (٧١٧هـ)، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، قَامَ وَلَدَاهُ فِي وَظَائِفِهِ.

٥٤- **قَاضِي الْقُضَاةِ** جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ سُومَرَ الزَّوَاوِيُّ، قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ بِدِمَشْقَ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، قَدِمَ مِصْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَاشْتَغَلَ بِهَا، وَأَخَذَ عَنْ مَشَايِخِهَا مِنْهُمُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ قَاضِيًا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَأَقَامَ شِعَارَ مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَعَمَّرَ الصَّمْصَامِيَّةَ فِي أَيَّامِهِ، وَجَدَّدَ عِمَارَةَ النُّورِيَّةِ، وَحَدَّثَ بِـ " صَحِيحِ مُسْلِمٍ "، وَ " مُوَطَّأِ مَالِكٍ "، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، وَكِتَابِ " الشِّفَا " لِلْقَاضِي عِيَاضٍ، وَعُزِلَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعِشْرِينَ يَوْمًا عَنِ الْقَضَاءِ، تُوُفِّيَ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّمْصَامِيَّةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧١٧هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ،

٥٥- **الْقَاضِي الصَّدْرُ، رَئِيسُ الْكُتَّابِ، شَرَفُ الدِّينِ أَبُو** مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْقُرَشِيُّ،

الْعَدَوِيُّ، الْعُمَرِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَخَدَمَ، وَارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ حَتَّى كَتَبَ الْإِنْشَاءَ بِمِصْرَ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى كِتَابَةِ السِّرِّ بِدِمَشْقَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي ثَامِنِ رَمَضَانَ سنة (٧١٧هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، وَقَدْ قَارَبَ التِّسْعِينَ وَهُوَ مُمَتَّعٌ بِحَوَاسِّهِ وَقُوَاهُ.

وَكَانَتْ لَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْعُلَمَاءِ، وَلَا سِيَّمَا فِي **ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، وَفِي الصُّلَحَاءِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥٦- **الْفَقِيهُ الْإِمَامُ، الْعَالَمُ الْمُنَاظِرُ**، شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْإِمَامِ كَمَالِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَلَّامٍ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ، وَبَرَعَ، وَحَصَّلَ، وَدَرَسَ بِالْجَارُوخِيَّةِ، وَالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَأَعَادَ بِالظَّاهِرِيَّةِ، وَأَفْتَى بِدَارِ الْعَدْلِ، وَكَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ، كَثِيرَ الْهِمَّةِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، مَشْكُورًا فِي فَهْمِهِ، وَخَطِّهِ، وَحِفْظِهِ، وَفَصَاحَتِهِ، وَمُنَاظَرَتِهِ، تُوُفِّيَ فِي رَابِعِ عِشْرِينَ رَمَضَانَ سنة (٧١٧هـ).

٥٧- **الصَّاحِبُ أَنِيسُ الْمُلُوكِ**، بَدْرُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِرْبَلِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ بِالْأَدَبِ فَحَصَلَ عَلَى جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْهُ، **وَارْتَزَقَ عِنْدَ الْمُلُوكِ بِهِ**، تُوُفِّيَ سنة (٧١٧هـ).

٥٨- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ**، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ قَوَامِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ قَوَامٍ **الْبَالِسِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ **بِبَالِسَ** (١)، وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا، بَشُوشَ الْوَجْهِ، حَسَنَ السَّمْتِ، مَقْصِدًا لِكُلِّ أَحَدٍ، كَثِيرَ الْوَقَارِ، عَلَيْهِ سِيمَا الْعِبَادَةِ وَالْخَيْرِ.

وَلَمْ يَكُنْ له مُرَتَّبٌ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَلَا وَقْفٌ، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَكَانَ لَدَيْهِ عِلْمٌ، وَفَضَائِلُ جَمَّةٌ، وَكَانَ فَهْمُهُ صَحِيحًا، وَكَانَ حَسَنَ الْعَقِيدَةِ، وَكَانَ مُحِبًّا لِلْحَدِيثِ، وَآثَارِ السَّلَفِ، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، وَقَدْ صَنَّفَ جُزْءًا فِيهِ أَخْبَارٌ جَيِّدَةٌ.

وَكَانَ يَوْمَ قَازَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ كَانَ مَعَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ **ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، لَمَّا تَكَلَّمَ مَعَ

(١) **بالس**: بلدة بالشام بين حلب والرقة، وكانت على ضفة الفرات الغربية، قال **ياقوت الحموي**: فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلا قليلا حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال. معجم البلدان - الفكر (١/ ٣٢٨).

قَازَانَ، فَحَكَى عَنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيِّ الدِّينِ لِقَازَانَ وَشَجَاعَتِهِ، وَجُرْأَتِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: **قُلْ لِقَازَانِ**: أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ وَمَعَكَ مُؤَذِّنُونَ، وَقَاضٍ، وَإِمَامٌ، وَشَيْخٌ، عَلَى مَا بَلَغَنَا، فَغَزَوْتَنَا، **وَدَخَلْتَ بِلَادَنَا عَلَى مَاذَا**؟ وَأَبُوكَ وَجَدُّكَ هُولَاكُو كَانَا كَافِرَيْنِ، وَمَا غَزَوَا بِلَادَ الْإِسْلَامِ، بَلْ عَاهَدَا فَوَفَّيَا، **وَأَنْتَ عَاهَدْتَ فَغَدَرْتَ، وَقُلْتَ فَمَا وَفَّيْتَ**.

قَالَ: وَجَرَتْ لَهُ مَعَ **قَازَانَ، وَقُطْلُوشَاهْ، وَبُولَايْ**، أُمُورٌ وَنُوبٌ، قَامَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِيهَا كُلِّهَا لِلَّهِ، وَقَالَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ ‌. قَالَ: وَقُرِّبَ إِلَى الْجَمَاعَةِ طَعَامٌ فَأَكَلُوا مِنْهُ إِلَّا ابْنَ تَيْمِيَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَأْكُلُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ آكُلُ مِنْ طَعَامِكُمْ وَكُلُّهُ مِمَّا نَهَبْتُمْ مِنْ أَغْنَامِ النَّاسِ، وَطَبَخْتُمُوهُ بِمَا قَطَعْتُمْ مِنْ أَشْجَارِ النَّاسِ؟ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ قَازَانَ طَلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا مَحْمُودٌ إِنَّمَا يُقَاتِلُ لِتَكُونَ كَلِمَتُكَ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لَكَ - فَانْصُرْهُ، وَأَيِّدْهُ، وَمَلِّكْهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ**، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَطَلَبًا لِلدُّنْيَا، وَلِتَكُونَ كَلِمَتُهُ هِيَ الْعُلْيَا، وَلِيُذِلَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، **فَاخْذُلْهُ، وَزَلْزِلْهُ، وَدَمِّرْهُ، وَاقْطَعْ دَابِرَهُ**. قَالَ: **وَقَازَانُ** يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ. قَالَ: فَجَعَلْنَا نَجْمَعُ ثِيَابَنَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تَتَلَوَّثَ بِدَمِهِ إِذَا أَمَرَ بِقَتْلِهِ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ ابْنُ صَصْرَى وَغَيْرُهُ: كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنَا، وَتُهْلِكَ نَفْسَكَ، وَاللهِ لَا نَصْحَبُكَ مِنْ هُنَا.

فَقَالَ: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَصْحَبُكُمْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا عُصْبَةً، وَتَأَخَّرَ هُوَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، **فَتَسَامَعَتْ بِهِ الْخَوَاتِينُ، وَالْأُمَرَاءُ، مِنْ أَصْحَابِ قَازَانَ، فَأَتَوْهُ يَتَبَرَّكُونَ بِدُعَائِهِ**، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى دِمَشْقَ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَاللهِ مَا وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَّا فِي نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ فِي رِكَابِهِ، وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ.

وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَصْحَبُوهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّتَرِ، فَشَلَّحُوهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ. هَذَا الْكَلَامُ أَوْ نَحْوُهُ، وَقَدْ سَمِعْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ مِنْ جَمَاعَةٍ غَيْرِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧١٨هـ)، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ وَدَفَنَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَكَانَ فِي جُمْلَةِ الْجَمْعِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهُ كَثِيرًا.

٥٩- **قَاضِي الْقُضَاةِ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مَخْلُوفٍ** النُّوَيْرِيُّ الْمَالِكِيُّ، الْحَاكِمُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ، وَحَصَّلَ، وَوَلِيَ الْحُكْمَ بَعْدَ ابْنِ شَاسٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ، وَطَالَتْ أَيَّامُهُ إِلَى هَذَا الْعَامِ، وَكَانَ غَزِيرَ الْمُرُوءَةِ وَالِاحْتِمَالِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالشُّهُودِ وَمَنْ يَقْصِدُهُ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ حَادِيَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧١٨هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ بِمِصْرَ.

٦٠- **الْإِمَامُ الزَّاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ** بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ خَلَفٍ التُّجِيبِيُّ الْقُرْطُبِيُّ ثُمَّ الْإِشْبِيلِيُّ، وُلِدَ بِإِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ (٦٣٨هـ)، وَقَدْ كَانَ أَهْلُهُ بَيْتَ الْعِلْمِ وَالْخَطَابَةِ وَالْقَضَاءِ بِمَدِينَةِ **قُرْطُبَةَ، فَلَمَّا أَخَذَهَا الْفِرَنْجُ انْتَقَلُوا إِلَى إِشْبِيلِيَةَ**، وَتَمَحَّقَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَكُتُبُهُمْ، وَصَادَرَ **ابْنُ الْأَحْمَرِ** جَدَّهُ الْقَاضِيَ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، **وَنَشَأَ يَتِيمًا**، ثُمَّ حَجَّ وَأَقْبَلَ إِلَى الشَّامِ، فَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مِنْ سَنَةِ (٦٨٤هـ)، وَسَمِعَ مِنِ ابْنِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَكَتَبَ بِيَدِهِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ مُجَلَّدٍ، إِعَانَةً لِوَلَدَيْهِ، أَبِي عُمَرٍو، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَى الِاشْتِغَالِ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقْتَ الْأَذَانِ ثَامِنَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٧١٨هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعَصْرِ.

٦١- **قَاضِي الْقُضَاةِ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ تَاجِ** الدِّينِ أَبِي الْخَيْرِ سَلَامَةَ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامَةَ الْإِسْكَنْدَرِيُّ الْمَالِكِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَبَرَعَ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَوَلِيَ نِيَابَةَ الْحُكْمِ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ، وَدِيَانَتُهُ، وَصَرَامَتُهُ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى قَضَاءِ الشَّامِ لِلْمَالِكِيَّةِ فِي سنة (٧١٧هـ)، فَبَاشَرَهَا أَحْسَنَ مُبَاشَرَةٍ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِالصِّمْصَامِيَّةِ، بُكْرَةَ الْأَرْبِعَاءِ مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧١٨هـ)

وَحضَرَ جِنازَتَهُ خلْقٌ كَثِيرٌ، وَشَكَرَهُ النَّاسُ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، رَحِمهُ اللهُ تَعالَى.

٦٢- **الشَّيْخُ الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكَفْرِيُّ الْحَنَفِيُّ**، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ "كِتَابَ التِّرْمِذِيِّ"، وَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ، وَتَفَرَّدَ بِهَا مُدَّةً يَشْتَغِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ السَّبْعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ طَالِبًا، وَكَانَ يَعْرِفُ النَّحْوَ، وَالْأَدَبَ، وَفُنُونًا كَثِيرَةً، وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ حَسَنَةً، وَلَهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، دَرَّسَ **بِالطَّرْخَانِيَّةِ** أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ عَنِ الْأَذْرَعِيِّ مُدَّةَ وِلَايَتِهِ، وَكَانَ خَيِّرًا مُبَارَكًا، وَأَضَرَّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، **وَانْقَطَعَ فِي بَيْتِهِ مُوَاظِبًا عَلَى التِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ وَإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ** إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧١٩هـ).

٦٣- **الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الرَّحْبِيُّ الْمَنْصُورِيُّ**، وَلِيَ دِمَشْقَ مُدَّةً طَوِيلَةً، كَانَ أَصْلُهُ مِنْ قُرَى إِرْبِلَ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَسُبِيَ وَأُبِيعَ مِنْ نَائِبِ الرَّحْبَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ فَأَعْتَقَهُ وَأَمَّرَهُ، وَتَوَلَّى الْوِلَايَةَ بِدِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى شَدِّ الدَّوَاوِينِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ حَادِي عِشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة (٧١٩هـ) وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، وَكَانَ مَحْبُوبًا إِلَى الْعَامَّةِ مُدَّةَ وِلَايَتِهِ.

٦٤- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** بْنِ مَعَالِي الْمَقْدِسِيُّ الصَّالِحِيُّ، رَاوِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" وَغَيْرِهِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ مِنْ مَشَايِخَ عِدَّةٍ، وَتَرْجَمَهُ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ فِي "تَارِيخِهِ"، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، سنة (٧١٩هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ.

٦٥- **الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الصَّائِغُ اللُّغَوِيُّ**، هُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سِبَاعِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْجُذَامِيُّ الْمِصْرِيُّ الدِّمَشْقِي، وُلِدَ سَنَةَ (٦٤٥هـ) بِمِصْرَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا بَارِعًا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَعِلْمِ الْعَرُوضِ، وَالْبَدِيعِ، وَالنَّحْوِ، وَاللُّغَةِ، وَقَدِ اخْتَصَرَ "صِحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ"، وَشَرَحَ "مَقْصُورَةَ ابْنِ دُرَيْدٍ"، **وَلَهُ قَصِيدَةٌ تَائِيَّةٌ، تَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفَيْ بَيْتٍ فَأَكْثَرَ**، ذَكَرَ فِيهَا الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ،

لَطِيفَ الْمُحَاوِرَةِ وَالْمُحَاضِرَةِ، تُوُفِّي بِدَارِهِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثِ شَعْبَانَ سنة (٧٢٠هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

٦٦- **الْمُقْرِئُ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ،** عَفِيفُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ الْمَخْزُومِيُّ، شَيْخُ الْحَرَمِ بِمَكَّةَ، **أَقَامَ فِيهِ أَزْيَدَ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً،** يُقْرِئُ النَّاسَ الْقُرْآنَ احْتِسَابًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٢١هـ) بِمَكَّةَ، **وَلَهُ أَزْيَدُ مِنْ تِسْعِينَ سَنَةً،** رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٧- **الْأَمِيرُ حَاجِبُ الْحُجَّابِ زَيْنُ الدِّينِ كَتْبُغَا الْمَنْصُورِيُّ،** حَاجِبُ دِمَشْقَ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ وَأَكْثَرِهِمْ بِرًّا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، يُحِبُّ الْخِتَمَ وَالْمَوَاعِيدَ، **وَالْمَوَالِدَ،** وَسَمَاعَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَيُكْرِمُ أَهْلَ ذَلِكَ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ كَثِيرًا، **وَكَانَ مُلَازِمًا لِشَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** كَثِيرًا، وَكَانَ يَحُجُّ وَيَتَصَدَّقُ، تُوُفِّي يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ النَّهَارِ، ثَامِنِ عِشْرِينَ شَوَّالٍ سنة (٧٢١هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِتُرْبَتِهِ قِبْلِيَّ الْقُبَيْبَاتِ، وَشَهِدَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦٨- **الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدٍ** الْأَذْرَعِيُّ الْحَنَفِيُّ، أَحَدُ **مَشَايِخِ الْحَنَفِيَّةِ** وَأَئِمَّتِهِمْ وَفُضَلَائِهِمْ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ مُتَعَدِّدَةٍ، حَكَمَ نِيَابَةً نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ سَدِيدَ الْأَحْكَامِ، مَحْمُودَ السِّيرَةِ، جَيِّدَ الطَّرِيقَةِ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَخَطَبَ بِجَامِعِ الْأَفْرَمِ مُدَّةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِهِ، وَدَرَّسَ بِالْمُعَظَّمِيَّةِ، وَالْيَغْمُورِيَّةِ، وَالْقِلِيجِيَّةِ، وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَكَانَ نَاظِرَ أَوْقَافِهَا، وَأَذِنَ لِلنَّاسِ بِالْإِفْتَاءِ، وَكَانَ كَبِيرًا مُعَظَّمًا مَهِيبًا، **تُوُفِّي بَعْدَ مَرْجِعِهِ مِنَ الْحَجِّ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ** يَوْمَ الْخَمِيسِ سَلْخَ الْمُحَرَّمِ (٧٢٢هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الظُّهْرِ بِجَامِعِ الْأَفْرَمِ، وَدُفِنَ عِنْدَ الْمُعَظَّمِيَّةِ عِنْدَ أَقَارِبِهِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَشَهِدَ لَهُ النَّاسُ بِالْخَيْرِ،

٦٩- **الْإِمَامُ الْعَالِمُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ، رَضِيُّ الدِّينِ أَبُو** إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ الْمَكِّيُّ الشَّافِعِيُّ، إِمَامُ الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ شُيُوخِ بَلَدِهِ

وَالْوَارِدَيْنِ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رِحْلَةٌ، وَكَانَ يُفْتِي النَّاسَ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، تُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ بَعْدَ الظُّهْرِ ثَامِنِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٢هـ) بِمَكَّةَ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ.

٧٠-**الشَّيْخُ الْفَقِيهُ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو الْهُدَى أَحْمَدُ ابْنُ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي شَامَةَ**، وُلِدَ سَنَةَ (٦٥٣هـ)، فَأَسْمَعَهُ أَبُوهُ عَلَى الْمَشَايِخِ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَاشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ، وَكَانَ يَنْسَخُ، وَيُكْثِرُ التِّلَاوَةَ، وَيَحْضُرُ الْمَدَارِسَ وَالسَّبْعَ الْكَبِيرَ، تُوُفِّيَ فِي سَابِعِ عِشْرِينَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٢هـ)، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِمَقَابِرِ بَابِ الْفَرَادِيسِ.

٧١-**الْإِمَامُ الْمُؤَرِّخُ** كَمَالُ الدِّينِ **عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ أَحْمَدَ** الشَّيْبَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفُوَطِيِّ، وَهُوَ جَدُّهُ لِأُمِّهِ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٤٢هـ) بِبَغْدَادَ، **وَأُسِرَ فِي وَاقِعَةِ التَّتَرِ**، ثُمَّ تَخَلَّصَ مِنَ الْأَسْرِ، فَكَانَ مشرفًا عَلَى الْكُتُبِ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ، وَقَدْ صَنَّفَ تَارِيخًا فِي خَمْسٍ وَخَمْسِينَ مُجَلَّدًا، وَآخَرَ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَشِعْرٌ حَسَنٌ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الْجَوْزِيِّ، تُوُفِّيَ ثَالِثَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٢٣هـ).

٧٢-**قَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ بْنُ صَصْرَى**، أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّغْلِبِيُّ الرَّبَعِيُّ الشَّافِعِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِالشَّامِ، وُلِدَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ، وَحَصَّلَ، وَكَتَبَ عَنِ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ بْنِ خَلِّكَانَ، وَتَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، وَكَانَ لَهُ يَدٌ فِي الْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ الْعِبَارَةِ، وَدَرَّسَ بِالْعَادِلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَبِالْأَمِينِيَّةِ، وَبِالْغَزَّالِيَّةِ، **وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْعَسَاكِرِ فِي دَوْلَةِ الْعَادِلِ كَتْبُغَا**، ثُمَّ تَوَلَّى قَضَاءَ الشَّامِ بَعْدَ ابْنِ جَمَاعَةَ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِ مَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ، **وَكُلُّهَا مَنَاصِبُ دُنْيَوِيَّةٌ**، انْسَلَخَ مِنْهَا، وَانْسَلَخَتْ مِنْهُ، وَمَضَى عَنْهَا، وَتَرَكَهَا لِغَيْرِهِ، **وَأَكْبَرُ أُمْنِيَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَوَلَّاهَا** وَهِيَ:

مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ.

وَقَدْ كَانَ رَئِيسًا مُحْتَشِمًا، وَقُورًا كَرِيمًا، جَمِيلَ الْأَخْلَاقِ، مُعَظَّمًا عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالدَّوْلَةِ، تُوُفِّيَ **فَجْأَةً بِبُسْتَانِهِ** لَيْلَةَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٣هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ

بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَالْقُضَاةُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالْأَعْيَانُ.

٧٣-عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَرَأَ "الْمُحَرَّرَ"، وَلَازَمَ الشَّيْخَ زَيْنَ الدِّينِ الْفَارِقِيَّ، وَدَرَّسَ بِالدَّوْلَعِيَّةِ وَالرُّكْنِيَّةِ، وَكَانَ نَاظِرَ بَيْتِ الْمَالِ، وَابْتَنَى دَارًا حَسَنَةً إِلَى جَانِبِ الرُّكْنِيَّةِ، وَمَاتَ وَتَرَكَهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ بِالدَّوْلَعِيَّةِ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ جُمْلَةَ، وَبِالرُّكْنِيَّةِ رُكْنُ الدِّينِ الْخُرَاسَانِيُّ.

٧٤-شَيْخُنَا الْجَلِيلُ الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ، بَهَاءُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ الْمُظَفَّرِ الدِّمَشْقِيُّ الطَّبِيبُ الْمُعَمَّرُ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ حُضُورًا وَسَمَاعًا عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَقَدْ خَرَّجَ لَهُ الْحَافِظُ عَلَمُ الدِّينِ الْبِرْزَالِيُّ مَشْيَخَةً سَمِعْنَاهَا عَلَيْهِ،

وَكَانَ قَدِ اشْتَغَلَ بِالطِّبِّ، وَكَانَ يُعَالِجُ النَّاسَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ، وَكَانَ يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْأَشْعَارِ، وَلَهُ نَظْمٌ، وَخَدَمَ فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ الْكِتَابَةَ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَإِسْمَاعَ الْحَدِيثِ، وَتَفَرَّدَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ سَهْلًا فِي التَّسْمِيعِ، وَوَقَفَ آخِرَ عُمْرِهِ دَارَهُ دَارَ حَدِيثٍ، وَخَصَّ الْحَافِظَ الْبِرْزَالِيَّ وَالْمِزِّيَّ بِشَيْءٍ مِنْ بِرِّهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَقْتَ الظُّهْرِ خَامِسِ عِشْرِينَ شَعْبَانَ سنة (٧٢٣هـ)، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧٥-الْوَزِيرُ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُصْرَاوِيُّ الْحَنَفِيُّ، دَرَّسَ بِبُصْرَى بَعْدَ عَمِّهِ الْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ الْحَنَفِيِّ، ثُمَّ وَلِيَ الْحِسْبَةَ بِدِمَشْقَ وَنَظَرَ الْخِزَانَةِ، ثُمَّ وَلِيَ الْوِزَارَةَ، ثُمَّ سَأَلَ الْإِقَالَةَ مِنْهَا، فَعُوِّضَ عَنْهَا بِإِقْطَاعٍ هَائِلٍ، وَعُومِلَ فِي ذَلِكَ مُعَامَلَةَ الْوُزَرَاءِ فِي حُرْمَتِهِ وَلُبْسَتِهِ، حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ بِبُصْرَى يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَامِنِ عِشْرِينَ شَعْبَانَ سنة (٧٢٣هـ) وَدُفِنَ هُنَاكَ، وَكَانَ كَرِيمًا مُمَدَّحًا وَهَّابًا كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، وَتَرَكَ مَالًا وَأَوْلَادًا، ثُمَّ تَفَانَوْا كُلُّهُمْ بَعْدَهُ، وَتَفَرَّقَتْ أَمْوَالُهُ، وَنُكِحَتْ نِسَاؤُهُ، وَسُكِنَتْ مَنَازِلُهُ.

٧٦-**الشَّيْخُ الْمُقْرِئُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ** بْنِ غُصْنٍ الْأَنْصَارِيُّ الْقَصْرِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَكَانَ شَيْخًا مَهِيبًا، أَحْمَرَ اللِّحْيَةِ مِنَ الْحِنَّاءِ، اجْتَمَعْتُ بِهِ، وَبَحَثْتُ مَعَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ حِينَ زُرْتُ الْقُدْسَ الشَّرِيفَ، وَهِيَ أَوَّلُ زِيَارَةٍ زُرْتُهُ، وَكَانَ مَالِكِيَّ الْمَذْهَبِ، قَدْ قَرَأَ "الْمُوَطَّأَ" فِي ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَالِثِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٢٣هـ) وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ.

٧٧-**شَيْخُنَا الْأَصِيلُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ** بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ الشِّيرَازِيُّ، مَوْلِدُهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَ، وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا خَيِّرًا مُبَارَكًا مُتَوَاضِعًا، يُذَهِّبُ الرَّبَعَاتِ، وَالْمَصَاحِفَ، لَهُ فِي ذَلِكَ يَدٌ طُولَى، وَلَمْ يَتَدَنَّسْ بِشَيْءٍ مِنَ الْوِلَايَاتِ، وَلَا تَدَنَّسَ بِشَيْءٍ مِنْ وَظَائِفِ الْمَدَارِسِ، وَلَا الشَّهَادَاتِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ بِبُسْتَانِهِ مِنَ الْمِزَّةِ سنة (٧٢٣هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِهَا، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهَا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧٨-**الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ** أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ سَعْدٍ الزُّرَعِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، **قَيِّمُ الْجَوْزِيَّةِ، وَالِدُ الْعَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ** صَاحِبِ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ النَّافِعَةِ الْكَافِيَةِ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا قَلِيلَ التَّكَلُّفِ، وَكَانَ فَاضِلًا، وَقَدْ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ "دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ" عَنِ الرَّشِيدِيِّ الْعَامِرِيِّ، تُوُفِّيَ فَجْأَةً لَيْلَةَ الْأَحَدِ تَاسِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٢٣هـ) بِالْمَدْرَسَةِ الْجَوْزِيَّةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَأَثْنَى عَلَيْهِ النَّاسُ خَيْرًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧٩- **شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ** بْنُ سَعْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْأَحَدِ الْحَرَّانِيُّ، الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ النَّجِيحِ**، الْفَقِيهُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ، تُوُفِّيَ فِي **وَادِي بَنِي سَالِمٍ**[١]، في الخامس عشر من ذي الحجة سنة (٧٢٣هـ) فَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَغُسِّلَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الرَّوْضَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ شَرْقِيَّ قَبْرِ عَقِيلٍ، فَغَبَطَهُ النَّاسُ بِهَذِهِ الْمَوْتَةِ وَهَذَا الْقَبْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ مِمَّنْ غَبَطَهُ

(١) لعله يقصد بني سالم بن عوف من الأنصار.

الشَّـيْخُ شَـمْسُ الدِّينِ بْنُ مُسَلَّمٍ قَاضِي الْحَنَابِلَةِ، فَمَاتَ بَعْدَهُ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَدُفِنَ عِنْدَهُ، اهـ. وغبطهم الشيخ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ بِتِلْكَ الْمَوْتَةِ، فَرُزِقَ مِثْلَهَا بِالْمَدِينَةِ.

وَقَدْ كَانَ شَرَفُ الدِّينِ **بْنُ نَجِيحٍ** هَذَا قَدْ صَحِبَ شَيْخَنَا الْعَلَّامَةَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، وَكَانَ مَعَهُ فِي مَوَاطِنَ كِبَارٍ صَعْبَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهَا إِلَّا الْأَبْطَالُ الْخُلَّصُ الْخَوَاصُّ، **وَسُجِنَ مَعَهُ، وَكَانَ مِنْ خُدَّامِهِ، وَخَوَاصِّ أَصْحَابِهِ، يَنَالُ فِيهِ الْأَذَى، وَأُوذِيَ بِسَبَبِهِ مَرَّاتٍ،** وَكُلُّ مَا لَهُ فِي ازْدِيَادٍ وَمَحَبَّةٍ فِيهِ وَصَبْرٍ عَلَى أَذَى أَعْدَائِهِ.

وَقَدْ كَانَ مَشْـكُورَ السِّـيرَةِ، جَيِّدَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، عَظِيمَ الدِّيَانَـةِ وَالزُّهْدِ، وَلِهَذَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ هَذِهِ الْمَوْتَةَ عَقِيبَ الْحَجِّ، فَخُتِمَ لَهُ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَتَمَنَّى أَنْ يَمُوتَ عَقِيبَ عَمَلٍ صَالِحٍ يَعْمَلُهُ.

٨٠- **الشَّـيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْـنِ فَرْعُوشَ**، وَيُقَالُ لَهُ: اللَّبَّادُ، وَيُعْـرَفُ بِالْمُوَلَّهِ، كَانَ يُقْرِئُ النَّاسَ بِالْجَامِعِ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ الصِّغَارَ الْحُرُوفَ الْمُشِقَّةَ، كَالرَّاءِ وَنَحْوِهَا، وَكَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، لَا يَقْتَنِي شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ بَيْتٌ وَلَا خِزَانَةٌ، إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ فِي السُّـوقِ وَيَنَامُ فِي الْجَامِعِ، تُوُفِّيَ فِي مُسْـتَهَلِّ صَفَرٍ سنة (٧٢٤هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَدُفِنَ فِي بَابِ الْفَرَادِيسِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٨١- **الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَعْقُوبَ الْمِصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ**، الْإِمَامُ الزَّاهِدُ، لَهُ تَصَانِيفُ، وَقَرَأَ "مُسْنَدَ الشَّافِعِيِّ" عَلَى وَزِيرَةَ بِنْتِ الْمُنَجَّا، ثُمَّ إِنَّهُ أَقَامَ بِمِصْرَ، وَقَدْ كَانَ فِي جُمْلَةِ **مَنْ يُنْكِرُ عَلَى شَـيْخِ الْإِسْـلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** لَمَّا كَانَ ابْنُ تَيْمِيَّـةَ مُقِيمًا بِمِصْرَ، فَأَرَادَ بَعْضُ الدَّوْلَةِ قَتْلَهُ فَهَرَبَ وَاخْتَفَى، وَقَدْ أَرَادَ السُّـلْطَانُ قَتْلَهُ، فَشَفَعَ فِيهِ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ، ثُمَّ أَنْكَرَ مَرَّةً شَـيْئًا عَلَى الدَّوْلَةِ فَنُفِيَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا: دَهْرُوطُ، فَكَانَ بِهَا حَتَّى تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَـابِعِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سـنة (٧٢٤هـ)، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ، وَكَانَ شَـيْخُهُ يُنْكِرُ عَلَيْهِ إِنْكَارَهُ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَيَقُولُ لَهُ: **أَنْتَ لَا تُحْسِنُ أَنْ تَتَكَلَّمَ.**

٨٢- **مُحْيِـي الدِّيـنِ أَبُو زَكَرِيَّـا يَحْيَى بْـنُ الْفَاضِلِ** جَمَالِ الدِّينِ إِسْـحَاقَ الشَّـيْبَانِيُّ

الشَّافِعِيُّ، شَيْخُنَا الْقَاضِي الْمُعَمَّرُ الْفَقِيهُ، **اشْتَغَلَ عَلَى النَّوَاوِيِّ**، وَلَازَمَ الْمَقْدِسِيَّ، وَوَلِيَ الْحُكْمَ بِزُرَعَ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَامَ بِدِمَشْقَ يَشْتَغِلُ فِي الْجَامِعِ، وَدَرَّسَ فِي الصَّارِمِيَّةِ، وَأَعَادَ فِي مَدَارِسَ عِدَّةٍ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي سَلْخِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٢٤هـ)، وَدُفِنَ بَقَاسِيُونَ، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَسَمِعَ كَثِيرًا، وَخَرَّجَ لَهُ **الذَّهَبِيُّ شَيْئًا**، **وَسَمِعْنَا عَلَيْهِ "الدَّارَقُطْنِيَّ"** وَغَيْرَهُ.

٨٣- **كَرِيمُ الدِّينِ، عَبْدُ الْكَرِيمِ** بْنُ هِبَةِ اللهِ الْمُسْلِمَانِيُّ، **الَّذِي كَانَ وَكِيلَ السُّلْطَانِ**، حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالتَّقَدُّمِ، وَالْمَكَانَةِ الْخَطِيرَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ فِي دَوْلَةِ الْأَتْرَاكِ، وَقَدْ وَقَفَ جامِعَيْنِ بِدِمَشْقَ، وَلَهُ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ، وَعَفَا عَنْهُ.

وَقَدْ مُسِكَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَصُودِرَ ثُمَّ نُفِيَ إِلَى الشَّوْبَكِ، ثُمَّ إِلَى الْقُدْسِ، ثُمَّ الصَّعِيدِ، **فَخَنَقَ نَفْسَهُ - كَمَا قِيلَ - فِي عِمَامَتِهِ بِمَدِينَةِ أُسْوَانَ**، وَذَلِكَ فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧٢٤هـ)، وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ، تَامَّ الْقَامَةِ، وَوُجِدَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ذَخَائِرُ كَثِيرَةٌ، سَامَحَهُ اللهُ.

٨٤- **الشيخ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ الْجَزَرِيُّ**، الْعَابِدُ الزَّاهِدُ، كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ، مُبَارَكًا خَيِّرًا، عَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، وَكَانَتْ لَهُ مُطَالَعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ فَهْمٌ جَيِّدٌ وَعَقْلٌ صَحِيحٌ، **وَكَانَ مِنَ الْمُلَازِمِينَ لِمَجَالِسِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، وَكَانَ يَنْقُلُ مِنْ كَلَامِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَيَفْهَمُهَا، يَعْجِزُ عَنْهَا كِبَارُ الْفُقَهَاءِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَادِسِ عِشْرِينَ صَفَرٍ، سنة (٧٢٥هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً مَحْمُودَةً.

٨٥- **شِهَابُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ مَحْمُودُ** بْنُ سَلْمَانَ بْنِ فَهْدٍ الْحَلَبِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، **الصَّدْرُ الْكَبِيرُ**، الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، **شَيْخُ صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ مِثْلُهُ فِي صَنْعَةِ الْإِنْشَاءِ**، وَلَهُ خَصَائِلُ لَيْسَتْ لِلْفَاضِلِ، مِنْ كَثْرَةِ النَّظْمِ وَالْقَصَائِدِ الْمُطَوَّلَةِ الْحَسَنَةِ الْبَلِيغَةِ،، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَعُنِيَ بِاللُّغَةِ

وَالْأَدَبِ وَالشِّعْرِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْفَضَائِلِ، بَارِعًا فِي عِلْمِ الْإِنْشَاءِ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَلَهُ فِي ذَلِكَ كُتُبٌ وَمُصَنَّفَاتٌ حَسَنَةٌ فَائِقَةٌ، وَقَدْ مَكَثَ فِي دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَمِلَ كِتَابَةَ السِّرِّ بِدِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي سِنِينَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ ثَانِي عِشْرِينَ شَعْبَانَ سنة (٧٢٥هـ) وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

٨٦- **الْبَدْرُ الْعَوَّامُ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَابَا الْحَلَبِيُّ**، وَكَانَ فَرْدًا فِي الْعَوْمِ، طِيبِ الْأَخْلَاقِ، انْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ فِي بَحْرِ الْيَمَنِ، **كَانَ مَعَهُمْ فَغَرِقَ بِهِمُ الْمَرْكَبُ**، فَلَجَئُوا إِلَى صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَكَانُوا عَلَيْهَا، فَخَلَّصَهُمُ اللهُ ، عَلَى يَدَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى السَّاحِلِ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ، ثُمَّ إِنَّهُ غَطَسَ فَاسْتَخْرَجَ لَهُمْ أَمْوَالًا مِنْ قَرَارِ الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ أَفْلَسُوا، وَكَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا، وَكَانَ **فِيهِ دِيَانَةٌ وَصِيَانَةٌ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَجَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ**، وَعَاشَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ يَسْمَعُ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَثِيرًا. وتُوُفِّيَ في رَمَضَانَ سنة (٧٢٥هـ).

٨٧- **بَدْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ** كَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَطَّارِ**، وُلِدَ سَنَةَ (٦٧٠هـ)، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَتَبَ الْخَطَّ الْمَنْسُوبَ، وَاشْتَغَلَ "بِالتَّنْبِيهِ"، وَنَظَمَ الشِّعْرَ، وَوَلِيَ كِتَابَةَ الدَّرَجِ، ثُمَّ نَظَرَ الْجَيْشِ وَنَظَرَ الْأَشْرَافِ، وَكَانَتْ لَهُ حُظْوَةٌ فِي أَيَّامِ الْأَفْرَمِ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ خُمُولٌ قَلِيلٌ، وَكَانَ مُتْرَفًا مُنَعَّمًا، لَهُ ثَرْوَةٌ، وَرِيَاسَةٌ، وَتَوَاضُعٌ، وَحُسْنُ سِيرَةٍ، تُوُفِّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٢٥هـ) وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ.

٨٨- **ابْنُ الْمُطَهَّرِ الشِّيعِيُّ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو مَنْصُورٍ** حَسَنُ بْنُ يُوسُفَ الْحِلِّيُّ الْعِرَاقِيُّ، شَيْخُ الرَّوَافِضِ بِتِلْكَ النَّوَاحِي، وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْكَثِيرَةُ، يُقَالُ: تَزِيدُ عَلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مُجَلَّدًا، وَعِدَّتُهَا خَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ مُصَنَّفًا، فِي الْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ، وَالْأُصُولِ، وَالْفَلْسَفَةِ، وَالرَّفْضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كِبَارٍ وَصِغَارٍ؛ فَمِنْ أَشْهَرِهَا بَيْنَ الطَّلَبَةِ "شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ" فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَلَيْسَ بِذَاكَ الْفَائِقِ، وَرَأَيْتُ لَهُ مُجَلَّدَيْنِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ

عَلَى طَرِيقَةِ "الْمَحْصُولِ" وَ "الْأَحْكَامِ"، وَلَا بَأْسَ بِهَا فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَقْلٍ كَثِيرٍ وَتَوَجُّهٍ جَيِّدٍ.

وَلَهُ كِتَابُ "**مِنْهَاجِ الِاسْتِقَامَةِ فِي إِثْبَاتِ الْإِمَامَةِ**" خَبَطَ فِيهِ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَتَوَجَّهُ، إِذْ خَرَجَ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ، وَقَدِ انْتَدَبَ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ **ابْنُ تَيْمِيَّةَ** فِي كتاب حافل سماه "**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**" أَتَى فِيهَا بِمَا يُبْهِرُ الْعُقُولَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَلِيحَةِ الْحَسَنَةِ.

وَكَانَ اشْتِغَالُهُ بِبَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَاشْتَغَلَ عَلَى النَّصِيرِ الطُّوسِيِّ وَعَلَى غَيْرِهِ، وَلَمَّا تَرَفَّضَ **الْمَلِكُ خَرْبَنْدَا**، حَظِيَ عِنْدَهُ ابْنُ الْمُطَهَّرِ وَسَادَ جِدًّا، وَأَقْطَعَهُ بِلَادًا كَثِيرَةً.

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ عِشْرِينَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٢٦هـ).

٨٩- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَمِينُ الدِّينِ سَالِمُ بْنُ أَبِي الدُّرِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، مُدَرِّسُ الشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، أَخَذَهَا مِنِ ابْنِ الْوَكِيلِ قَهْرًا، وَهُوَ إِمَامُ مَسْجِدِ ابْنِ هِشَامٍ، وَمُحَدِّثُ الْكُرْسِيِّ بِهِ، كَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ، وَحَصَّلَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَعَادَ، وَأَفْتَى، وَدَرَّسَ، وَكَانَ خَبِيرًا بِالْمُحَاكَمَاتِ، وَكَانَ فِيهِ مُرُوءَةٌ وَعَصَبِيَّةٌ لِمَنْ يَقْصِدُهُ، تُوُفِّيَ فِي شَعْبَانَ سنة (٧٢٦هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

٩٠- الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ **الزَّاهِدُ، حَمَّادُ الْحَلَبِيُّ الْقَطَّانُ**، كَانَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ، مُوَاظِبًا عَلَى الْإِقَامَةِ بِجَامِعِ التَّوْبَةِ بِالْعُقَيْبَةِ بِالزَّاوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، يُقْرِئُ الْقُرْآنَ، وَيُكْثِرُ الصِّيَامَ، وَيَتَرَدَّدُ النَّاسُ إِلَيْهِ لِلزِّيَارَةِ، مَاتَ وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ سَنَةً، لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ عِشْرِينَ شَعْبَانَ سنة (٧٢٦هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩١- **الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ الْيُونِينِيُّ**، أَبُو الْفَتْحِ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَى الْبَعْلَبَكِّيُّ الْيُونِينِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، **الْإِمَامُ الْعَالِمُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ**، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِدِمَشْقَ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَأَحْضَرَهُ وَالِدُهُ إِلَى الْمَشَايِخِ، وَاسْتَجَازَ لَهُ، وَبَحَثَ، **وَاخْتَصَرَ** "

مِرْآةَ الزَّمَانِ " **لِلسِّبْطِ، وَذَيَّلَ عَلَيْهَا ذَيْلًا حَسَنًا مُرَتَّبًا**، أَفَادَ فِيهِ وَأَجَادَ، بِعِبَارَةٍ حَسَنَةٍ سَهْلَةٍ، بِإِنْصَافٍ وَسَتْرٍ، وَأَتَى فِيهِ بِأَشْيَاءَ حَسَنَةٍ، وَأَشْيَاءَ فَائِقَةٍ رَائِقَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ، مُتَقَلِّلًا فِي مَلْبَسِهِ وَمَأْكَلِهِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٢٦هـ).

٩٢- ابْنُ قَاضِي شُهْبَةَ، كَمَالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْأَسَدِيُّ الشُّهْبِيُّ الشَّافِعِيُّ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ **الْعَالِمُ، شَيْخُ الطَّلَبَةِ وَمُفِيدُهُمْ**، وُلِدَ بِحَوْرَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ، وَاشْتَغَلَ عَلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ وَلَازَمَهُ، وَانْتَفَعَ بِهِ، وَأَعَادَ بِحَلْقَتِهِ، وَتَخَرَّجَ بِهِ، وَكَذَلِكَ لَازَمَ أَخَاهُ الشَّيْخَ شَرَفَ الدِّينِ، وَأَخَذَ عَنْهُ النَّحْوَ وَاللُّغَةَ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ، لَهُ حَلْقَةٌ يَشْتَغِلُ فِيهَا تُجَاهَ مِحْرَابِ الْحَنَابِلَةِ، **وَكَانَ يَعْتَكِفُ جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ**، وَكَانَ حَسَنَ الْهَيْئَةِ وَالشَّيْبَةِ، حَسَنَ الْعَيْشِ وَالْمَلْبَسِ، مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، لَهُ مَعْلُومٌ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ، وَتَصدر بِالْجَامِعِ، وَلَمْ يُدَرِّسْ قَطُّ وَلَا أَفْتَى، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَصْلُحُ أَنْ يَأْذَنَ فِي الْإِفْتَاءِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَرَّعُ عَنْ ذَلِكَ، وَتُوُفِّيَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُجَاهِدِيَّةِ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ حَادِي عِشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٢٦هـ).

٩٣- الْأَمِيرُ أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّا بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ الْهِنْتَاتِيُّ اللِّحْيَانِيُّ الْمَغْرِبِيُّ، أَمِيرُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وُلِدَ بِتُونُسَ قَبْلَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ وَالْعَرَبِيَّةَ، وَكَانَ مُلُوكُ تُونُسَ تُعَظِّمُهُ وَتُكْرِمُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ وَالْإِمْرَةِ وَالْوِزَارَةِ، ثُمَّ بَايَعَهُ أَهْلُ تُونُسَ عَلَى الْمُلْكِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَكَانَ شُجَاعًا مِقْدَامًا، وَهُوَ **أَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ ذِكْرَ ابْنِ التُّومَرْتِ** مِنَ الْخُطْبَةِ، مَعَ أَنَّ جَدَّهُ أَبَا حَفْصٍ الْهِنْتَاتِيَّ كَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِ ابْنِ التُّومَرْتِ، تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧٢٧هـ). بِمَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩٤- ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِزِّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ رَضِيِّ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ الْمُسَلَّمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ نَصْرٍ الدِّمَشْقِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَمَوِيِّ، الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ

النَّاسِكُ، كَانَ هُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ مِنَ الْكُتَّابِ الْمَشْهُورِينَ الْمَشْكُورِينَ، وَكَانَ هُوَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْبِرِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْأَغْنِيَاءِ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَخَرَّجَ لَهُ الْبِرْزَالِيُّ مَشْيَخَةً سَمِعْنَاهَا عَلَيْهِ، **وَكَانَ مِنْ صُدُورِ أَهْلِ دِمَشْقَ**، وَحَجَّ وَجَاوَرَ وَأَقَامَ بِالْقُدْسِ مُدَّةً.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ وَالِدَهُ حِينَ وُلِدَ لَهُ، فَتَحَ الْمُصْحَفَ يَتَفَاءَلُ فَإِذَا قَوْلُهُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] فَسَمَّاهُ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ آخَرُ فَسَمَّاهُ إِسْحَاقَ، وَهَذَا مِنَ الِاتِّفَاقِ الْحَسَنِ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَر سنة (٧٢٧هـ) وَلَهُ ثِنْتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ضَحْوَةَ يَوْمِ السَّبْتِ.

٩٥- **ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ**، كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْأَنْصَارِيُّ الشَّافِعِيُّ، ابْن خَطِيبِ زَمْلَكَا، شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ، **شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ** بِالشَّامِ وَغَيْرِهَا، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْمَذْهَبِ تَدْرِيسًا، وَإِفْتَاءً، وَمُنَاظَرَةً، وُلِدَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنِ شَوَّالٍ سَنَةَ (٦٦٦هـ)، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَاشْتَغَلَ عَلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، وغيره.

وَبَرَعَ، وَحَصَّلَ، وَسَادَ أَقْرَانَهُ مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ، **وَقَدْ دَرَّسَ بِعِدَّةِ مَدَارِسَ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ**، وَبَاشَرَ عِدَّةَ جِهَاتٍ كِبَارٍ كَنَظَرِ الْخِزَانَةِ، وَنَظَرِ الْمَارَسْتَانِ النُّورِيِّ، وَدِيوَانِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وَوَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَهُ تَعَالِيقُ مُفِيدَةٌ، وَاخْتِيَارَاتٌ سَدِيدَةٌ.

وَمِمَّا عَلَّقَهُ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ "شَرْحِ الْمِنْهَاجِ" لِلنَّوَوِيِّ، **وَمُجَلَّدٌ كَبِيرٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ** فِي مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا **دُرُوسُهُ**: فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَرَّسَ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَلَا أَجْلَى مِنْ عِبَارَتِهِ، وَحُسْنِ تَقْرِيرِهِ، وَقُوَّةِ قَرِيحَتِهِ، وَقَدْ دَرَّسَ بِالشَّامِيَّةِ **الْبَرَّانِيَّةِ، وَالْعَذْرَاوِيَّةِ، وغيرها**، فَكَانَ يُعْطِي كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَقَّهَا، ثُمَّ لَمَّا انْتَقَلَ إِلَى **قَضَاءِ حَلَبَ** وَمَا مَعَهُ مِنَ الْمَدَارِسِ الْعَدِيدَةِ عَامَلَهُ مُعَامَلَةَ مِثْلِهَا، وَأَوْسَعَ فِي الْفَضِيلَةِ جَمِيعَ أَهْلِهَا.

ثُمَّ طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِيُوَلَّى الشَّامِيَّةَ دَارَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَعَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا.

وَكَانَ مِنْ نِيَّتِهِ الْخَبِيثَةِ إِذَا رَجَعَ إِلَى الشَّامِ مُتَوَلِّيًا أَنْ يُؤْذِيَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ، فَدَعَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْلُغْ أَمَلَهُ وَمُرَادَهُ، فَتُوُفِّيَ فِي سَحَرِ يَوْمِ الْأَرْبعاءِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٢٧هـ) بِمَدِينَةِ بُلْبَيْسَ، وَحُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ.

٩٦- **الشَّمْسُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التَّدْمُرِيُّ**، كَانَتْ فِيهِ شَهَامَةٌ وَصَرَامَةٌ، وَكَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ كَالْمُنَفِّذِ لِمَا يأْمر به وَيَنْهَى عَنْهُ، وَيُرْسِلُهُ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ وَمُرُوءَةٌ، يُبَلِّغُ رِسَالَتَهُ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، تُوُفِّيَ فِي الْخَامِسِ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٢٨هـ)، وَدُفِنَ عِنْدَ الْجَامِعِ الْكَرِيمِيِّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

٩٧- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو بَكْرِ بْنُ شَرَفِ بْنِ مُحْسِنِ بْنِ مَعْنِ الصَّالِحِيُّ**، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، **وَسَمِعَ الْكَثِيرَ صُحْبَةَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، وَالْمِزِّيِّ**، وَكَانَ مِمَّنْ يُحِبُّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ، وَكَانَ مَعَهُمَا كَالْخَادِمِ لَهُمَا، وَكَانَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، وَأَقَامَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِحِمْصَ، وَكَانَ فَصِيحًا مُفَوَّهًا، لَهُ تَعَالِيقُ وَتَصَانِيفُ فِي الْأُصُولِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ لَهُ عِبَادَةٌ وَفِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ حِفْظِهِ، وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ صُحْبَةَ شَيْخِنَا الْمِزِّيِّ، فَكَانَ قَوِيَّ الْعِبَارَةِ فَصِيحَهَا، مُتَوَسِّطًا فِي الْعِلْمِ، لَهُ مَيْلٌ إِلَى التَّصَوُّفِ، وَالْكَلَامِ فِي **الْأَحْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْقُلُوبِ**، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَكَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، تُوُفِّيَ بِحِمْصَ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٢٨هـ)، وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ يُعْطِيهِ وَيَرْفِدُهُ.

٩٨- **ابْنُ الدَّوَالِيبِيِّ، عَفِيفُ الدِّينِ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْبَغْدَادِيُّ الْأَزَجِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ الرُّحْلَةُ الْمُسْنِدُ الْمُعَمِّرُ**، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَلَهُ إِجَازَاتٌ عَالِيَةٌ، وَاشْتَغَلَ بِحِفْظِ "

الْخِرَقِيِّ "، وَكَانَ فَاضِلًا فِي النَّحْوِ وَغَيْرِهِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، جَاوَزَ التِّسْعِينَ، وَصَارَ رُحْلَةَ الْعِرَاقِ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعَ عِشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٢٨هـ) وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَقَدْ أَجَازَنِي فِيمَنْ أَجَازَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

٩٩- **قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْحَرِيرِيِّ** مُحَمَّدُ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ الْأَنْصَارِيُّ الْحَنَفِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ، وَقَرَأَ " الْهِدَايَةَ "، وَكَانَ فَقِيهًا جَيِّدًا، وَدَرَّسَ بِأَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ **بِدِمَشْقَ**، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِهَا، ثُمَّ خُطِبَ إِلَى قَضَاءِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَبَاشَرَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، مَحْفُوظَ الْعِرْضِ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ هَدِيَّةً، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي الْحُكْمِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، **وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ لَمْ يَكُنِ ابْنُ تَيْمِيَةَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ فَمَنْ؟** وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَتُحِبُّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَحْبَبْتَ شَيْئًا مَلِيحًا.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٢٨هـ)، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ.

١٠٠- **ابْنُ الْعَاقُولِيِّ الْبَغْدَادِيُّ، الْعَلَّامَةُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ** الْوَاسِطِيُّ، الشَّافِعِيُّ، مُدَرِّسُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَبَاشَرَ نَظَرَ الْأَوْقَافِ، وَعُيِّنَ لِقَضَاءِ الْقُضَاةِ فِي وَقْتٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَبَرَعَ، وَاشْتَغَلَ، **وَأَفْتَى مُدَّةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَهَذَا شَيْءٌ غَرِيبٌ جِدًّا، وَكَانَ قَوِيَّ النَّفْسِ**، لَهُ وَجَاهَةٌ فِي الدَّوْلَةِ، **فَكَمْ كَشَفَ كُرْبَةً عَنِ النَّاسِ** بِسَعْيِهِ وَقَصْدِهِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧٢٨هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ سَنَةً، وَأَوْقَفَ داره عَلَى شَيْخٍ وَعَشَرَةِ صِبْيَانٍ، يُسَمِّعُونَ الْقُرْآنَ وَيَحْفَظُونَهُ، وَأَوْقَفَ عَلَيْهَا أَمْلَاكَهُ كُلَّهَا، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وَرَحِمَهُ.

١٠١- الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ التَّاجِرُ **الْبَارُّ، مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّلَامِيُّ** الْبَغْدَادِيُّ، **أَحَدُ ذَوِي الْيَسَارِ، وَلَهُ بِرٌّ تَامٌّ بِأَهْلِ الْعِلْمِ**، وَلَا سِيَّمَا **أَصْحَابِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ**، وَقَدْ أَوْقَفَ كُتُبًا كَثِيرَةً، وَحَجَّ مَرَّاتٍ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي

الْقِعْدَةِ سنة (٧٢٨هـ)، بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخ **تَقِيِّ الدِّينِ** بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

١٠٢- **مَرْيَمُ بِنْتُ فَرَجِ بْنِ مُفَرِّجِ بْنِ عَلِيٍّ**، أمي، وهي من قَرْيَةٍ **مَجِيدَلُ الْقَرْيَةِ** التي كَانَ والدي عمر بن كثير خَطِيبًا بِهَا، **وتوفيت والدتي** سنة (٧٢٨هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْجُمُعَةِ، وَدُفِنَتْ بِالصُّوفِيَّةِ شَرْقِيَّ قَبْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، ð تعَالَى.

١٠٣- **مُحَدِّثُ الْيَمَنِ** شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ فَقِيهِ زَبِيدَ أَبِي الْخَيْرِ بْنِ مَنْصُورٍ الشَّمَاخِيُّ الْمَذْحِجِيُّ، رَوَى عَنِ الْمَكِّيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَبَلَغَتْ شُيُوخُهُ خَمْسَمِائَةٍ أَوْ أَزْيَدَ، وَكَانَ رُحْلَةَ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَمُفِيدَهَا الْخَيْرَ، وَكَانَ فَاضِلًا فِي صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، تُوُفِّيَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٢٩هـ).

١٠٤- **شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ**، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الشَّافِعِيُّ، شَيْخُ الْمَذْهَبِ وَعَلَمُهُ، وَمُفِيدُ أَهْلِهِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، مُفْتِي الْفِرَقِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ، وُلِدَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ عَلَى أَبِيهِ، وَأَعَادَ فِي حَلْقَتِهِ، وَبَرَعَ وَسَادَ أَقْرَانَهُ وَسَائِرَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي دِرَايَةِ الْمَذْهَبِ وَنَقْلِهِ وَتَحْرِيرِهِ، ثُمَّ كَانَ فِي مَنْصِبِ أَبِيهِ فِي التَّدْرِيسِ بِالْبَادَرَائِيَّةِ، وَأَشْغَلَ الطَّلَبَةَ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَانْتَفَعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، **وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاصِبُ الْكِبَارُ فَأَبَاهَا**، وَكَانَ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، عَارِفًا بِزَمَانِهِ، مُسْتَغْرِقًا أَوْقَاتَهُ فِي الِاشْتِغَالِ وَالْعِبَادَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ وَإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ سَمَّعْنَا عَلَيْهِ " صَحِيحَ مُسْلِمٍ "، وَغَيْرَهُ، وَلَهُ تَعْلِيقٌ كَبِيرٌ عَلَى " التَّنْبِيهِ "، فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَيْسَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ، وَلَهُ تَعْلِيقٌ عَلَى " مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ " فِي أُصُولِ الْفِقْهِ،

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ أَرَ شَافِعِيًّا مِنْ مَشَايِخِنَا مِثْلَهُ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَسَنَ الشَّكْلِ، عَلَيْهِ الْبَهَاءُ، وَالْجَلَالَةُ، وَالْوَقَارُ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فِيهِ حِدَّةٌ ثُمَّ يَعُودُ قَرِيبًا، وَكَرَمُهُ زَائِدٌ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى

الطَّلَبَـةِ كَثِيرٌ، وَكَانَ لَا يَقْتَنِي شَـيْئًا، بَلْ يَصْـرِفُ مُرَتَّبَهُ وَجَامِكِيَّةَ مَدْرَسَـتِهِ فِي مَصَالِحِهَا، تُوُفِّي بُكْرَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٢٩هـ).

١٠٥-**قَاضِي الْقُضَاةِ**، عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ **عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُوسُفَ الْقُونَوِيُّ التِّبْرِيزِيُّ** الشَّـافِعِيُّ، وُلِدَ بِمَدِينَةِ قُونِيَّةَ فِي سَـنَةِ ثَمَانٍ وَسِـتِّينَ وَسِـتِّمِائَةٍ تَقْرِيبًا، وَاشْتَغَلَ هُنَاكَ، وَقَدِمَ دِمَشْـقَ وَهُـوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ، فَازْدَادَ بِهَا اشْـتِغَالًا، وَسَـمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَصَدَّرَ لِلِاشْـتِغَالِ بِجَامِعِهَا، وَدَرَّسَ بِالْإِقْبَالِيَّةِ، ثُمَّ سَـافَرَ إِلَـى مِصْرَ فَدَرَّسَ بِهَا فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ كِبَارٍ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الشُّيُوخِ بِهَا وَبِدِمَشْقَ.

وَلَـهُ تَصَانِيفُ فِي الْفِقْـهِ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ يُحْـرِزُ عُلُومًا كَثِيرَةً، مِنْهَا النَّحْـوُ وَالتَّصْرِيفُ، وَالْأَصْلَانِ، وَالْفِقْهُ، وَفَهْمُ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ إِنْصَافٌ كَثِيرٌ، وَأَوْصَافٌ حَسَنَةٌ، وَتَعْظِيمٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَخُرِّجَتْ لَهُ مَشْـيَخَةٌ سَـمَّعْنَاهَا عَلَيْهِ، **وَكَانَ يَتَوَاضَعُ لِشَيْخِنَا الْمِزِّيِّ كَثِيرًا**، تُوُفِّيَ بِبُسْتَانِهِ بِالسَّهْمِ رَابِعَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٢٩هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، سَامَحَهُ اللهُ.

١٠٦-**الْوَزِيرُ الْعَالِمُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْأَزْدِيُّ الْغِرْنَاطِيُّ** الْأَنْدَلُسِـيُّ، مِنْ بَيْتِ الرِّيَاسَـةِ وَالْحِشْـمَةِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، قَدِمَ عَلَيْنَا إِلَى دِمَشْقَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَـنَةَ (٧٢٤هـ) قافلاً من الْحَجِّ، سَـمِعْتُ بِقِرَاءَتِهِ "صَحِيحَ مُسْـلِمٍ" فِي تِسْـعَةِ مَجَالِسَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْقَاهِرَةِ فِي ثَانِي عِشْرِينَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٣٠هـ)، وَكَانَـتْ لَـهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي الْفِقْـهِ، وَالنَّحْوِ، وَالتَّارِيخِ، وَالْأُصُـولِ، وَكَانَ عَالِيَ الْهِمَّةِ، شَـرِيفَ النَّفْسِ، مُحْتَرَمًا بِبِلَادِهِ جِدًّا، **بِحَيْثُ إِنَّهُ يُوَلِّي الْمُلُوكَ وَيَعْزِلُهُمْ**، وَلَمْ يَلِ مُبَاشَـرَةً وَلَا أَهْلُ بَيْتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُلَقَّبُ بِالْوَزِيرِ مَجَازًا.

١٠٧-**شَـيْخُنَا شَـمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ** ابْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ غَيْلَانَ الْبَعْلَبَكِّيُّ الْحَنْبَلِيُّ، الصَّالِحُ الْعَابِدُ الْخَاشِـعُ، إِمَامُ مَسْجِدِ السَّلَالِينِ بِدَارِ الْبِطِّيخِ الْعَتِيقَةِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ، وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، وَعَلَيْهِ **خَتَمْتُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةِ**

إِحْدَى عَشَرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ، وَالْعُبَّادِ الْأَخْيَارِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسِ صَفَرٍ سنة (٧٣٠هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً.

١٠٨-**الْحَجَّارُ ابْنُ الشِّحْنَةِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ** بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ نِعْمَةَ بْنِ حَسَنٍ الصَّالِحِيُّ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ الرُّحْلَةُ، سَمَّعَ "الْبُخَارِيَّ" عَلَى **الزَّبِيْدِيِّ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِقَاسِيُونَ**، وَإِنَّمَا ظَهَرَ سَمَاعُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِمِائَةٍ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُحَدِّثُونَ وَأَكْثَرُوا السَّمَاعَ عَلَيْهِ، فَقُرِئَ "الْبُخَارِيُّ" عَلَيْهِ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ مَرَّةً، وَغَيْرَهُ.

وَسَمَّعْنَا عَلَيْهِ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ فِي أَيَّامِ الشِّتْوِيَّاتِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ جُزْءٍ بِالْإِجَازَاتِ وَالسَّمَاعِ، وَسَمَاعُهُ مِنَ **الزَّبِيْدِيِّ** وَابْنِ اللَّتِّيِّ، وَلَهُ إِجَازَةٌ مِنْ بَغْدَادَ فِيهَا مِائَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ شَيْخًا مِنَ الْعَوَالِي الْمُسْنِدِينَ، وَقَدْ سَمِعَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ بِيَدِهِ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ أُمَمٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، سَلِيمَ الصَّدْرِ، مُمَتَّعًا بِحَوَاسِّهِ وَقُوَاهُ، فَإِنَّهُ عَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ مُحَقَّقًا وَزَادَ عَلَيْهَا.

وَتُوُفِّيَ الْحَجَّارُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ خَامِسَ عِشْرِينَ صَفَرٍ سنة (٧٣٠هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ.

١٠٩-**الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ** سَيْفُ الدِّينِ **أُرْغُونُ** بْنُ عَبْدِ اللهِ الدَّوَادَارُ النَّاصِرِيُّ، وَقَدْ عَمِلَ عَلَى نِيَابَةِ مِصْرَ مُدَّةً طَوِيلَةً، **ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبَ**، فَمَكَثَ بِهَا مُدَّةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ بِهَا فِي سَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣١هـ).

وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ فَهْمٌ وَفِقْهٌ، وَفِيهِ دِيَانَةٌ، وَاتِّبَاعٌ لِلشَّرِيعَةِ، وَقَدْ سَمِعَ "الْبُخَارِيَّ" عَلَى الْحَجَّارِ، وَكَتَبَهُ جَمِيعَهُ بِخَطِّهِ، وَأَذِنَ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الْإِفْتَاءِ، **وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ وَهُوَ بِمِصْرَ**، تُوُفِّيَ وَلَمْ يُكْمِلِ الْخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَكْرَهُ اللَّهْوَ.

وَلَمَّا خَرَجَ يَلْتَقِي **نَهْرَ السَّاجُورِ** خَرَجَ فِي تَذَلُّلٍ وَمَسْكَنَةٍ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْأُمَرَاءُ كَذَلِكَ

مُشَاةً فِي تَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَحْمِيدٍ، وَمَنَعَ الْمَغَانِيَ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فِي ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١٠ - جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ** التَّمِيمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، ابْنُ الْقَلَانِسِيِّ، **قَاضِي الْعَسَاكِرِ، وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ، وَمُدَرِّسُ الْأَمِينِيَّةِ وَغَيْرِهَا،** حَفِظَ "التَّنْبِيهَ"، ثُمَّ "الْمُحَرَّرَ" لِلرَّافِعِيِّ، وَكَانَ يَسْتَحْضِرُهُ، وَاشْتَغَلَ عَلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ، وَتَقَدَّمَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَالرِّئَاسَةِ، وَبَاشَرَ جِهَاتٍ كِبَارًا، وَدَرَّسَ فِي أَمَاكِنَ، وَتَفَرَّدَ فِي وَقْتِهِ بِالرِّئَاسَةِ فِي الْبَيْتِ، وَالْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، **وَكَانَ فِيهِ تَوَاضُعٌ، وَحُسْنُ سَمْتٍ، وَتَوَدُّدٌ، وَإِحْسَانٌ، وَبِرٌّ** بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ، **وَهُوَ مِمَّنْ أُذِنَ لَهُ فِي الْإِفْتَاءِ، وَكَتَبَ إِنْشَاءَ ذَلِكَ وَأَنَا حَاضِرٌ عَلَى الْبَدِيهَةِ،** فَأَفَادَ وَأَجَادَ، وَأَحْسَنَ التَّعْبِيرَ، **وَعَظُمَ فِي عَيْنِي،** تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عِشْرِينَ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٣١هـ)، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَخَرَّجَ لَهُ فَخْرُ الدِّينِ الْبَعْلَبَكِّيُّ مَشْيَخَةً سَمَّعْنَاهَا عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ

١١١ - **الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حَمَاةَ** عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُظَفَّرِ مَحْمُودِ ابْنِ الْمَنْصُورِ الأيوبي، كَانَتْ لَهُ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْفِقْهِ، وَالْهَيْئَةِ، وَالطِّبِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، **وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ،** مِنْهَا تَارِيخٌ حَافِلٌ حَسَنٌ مُخْتَصَرٌ فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَلَهُ الْعُرُوضُ وَالْأَطْوَالُ وَالْكَلَامُ عَلَى الْبُلْدَانِ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ.

وَكَانَ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيُشَاكِلُهُمْ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ مِنْ **فُضَلَاءِ بَنِي أَيُّوبَ،** وَوَلِيَ مُلْكَ حَمَاةَ مِنْ سَنَةِ (٧٢١هـ) إلى سنة وفاته (٧٣٢هـ)، وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَوَلِيَ بَعْدَهُ فِي الْمُلْكِ وَلَدُهُ الْأَفْضَلُ عَلِيٌّ.

١١٢ - **الشَّيْخُ الْمُقْرِئُ شَيْخُ الْقُرَّاءِ بُرْهَانُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ الْجَعْبَرِيُّ** ثُمَّ الْخَلِيلِيُّ الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِهَا، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِقَلْعَةِ جَعْبَرٍ، وَاشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ، وَأَقَامَ بِبَلَدِ الْخَلِيلِ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُقْرِئُ النَّاسَ، وَشَرَحَ "الشَّاطِبِيَّةَ"، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَتْ لَهُ إِجَازَةٌ

مِنْ يُوسُفَ بْنِ خَلِيلٍ الْحَافِظِ، وَصَنَّفَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَالْعَرُوضِ، وَالْقِرَاءَاتِ، نَظْمًا وَنَثْرًا، وَكَانَ مِنَ الْمَشَايِخِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَضَائِلِ وَالرِّيَاسَةِ، وَالْخَيْرِ، وَالدِّيَانَةِ، وَالْعِفَّةِ، وَالصِّيَانَةِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ خَامِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ، سنة (٧٣٢هـ) وَدُفِنَ بِبَلَدِ الْخَلِيلِ، وَلَهُ ثِنْتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١٣- **قُطْبُ الدِّينِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ** ابْنِ شَيْخِ السَّلَامِيَّةِ، نَاظِرُ الْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ، كَانَتْ لَهُ ثَرْوَةٌ وَأَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ فَضْلٌ وَإِفْضَالٌ، وَكَرَمٌ وَإِحْسَانٌ إِلَى أَهْلِ الْخَيْرِ، وَكَانَ مَقْصِدًا فِي الْمُهِمَّاتِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ثَانِيَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٣٢هـ)، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَهُوَ وَالِدُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ عِزِّ الدِّينِ حَمْزَةَ مُدَرِّسِ الْحَنْبَلِيَّةِ.

١١٤- **الشَّيْخُ الْعَالِمُ تَقِيُّ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَحْمُودٍ الدَّقُوقِيُّ**، أَبُو الثَّنَاءِ الْبَغْدَادِيُّ، مُحَدِّثُ بَغْدَادَ **مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً**، يَقْرَأُ لَهُمُ الْحَدِيثَ، وَقَدْ وَلِيَ مَشْيَخَةَ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ، وَكَانَ ضَابِطًا مُحَصِّلًا بَارِعًا، وَكَانَ يَعِظُ **وَيَتَكَلَّمُ فِي الْأَعْزِيَةِ، وَالْأَهْنِيَةِ**، وَكَانَ فَرْدًا فِي زَمَانِهِ وَبِلَادِهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، تُوُفِّيَ فِي الْمُحَرَّمِ، سنة (٧٣٣هـ) وَلَهُ قَرِيبُ السَّبْعِينَ سَنَةً، وَشَهِدَ جَنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَلَهُ **قَصِيدَتَانِ رَثَى بِهِمَا الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ** ابْنَ تَيْمِيَةَ، كَتَبَ بِهِمَا إِلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ الْبِرْزَالِيِّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

١١٥- **قَاضِي الْقُضَاةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الشَّيْخِ** إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ اللهِ بْنِ جَمَاعَةَ الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ الْأَصْلِ، وُلِدَ لَيْلَةَ السَّبْتِ رَابِعَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِحَمَاةَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ فَحَصَّلَ فُنُونًا مُتَعَدِّدَةً، وَتَقَدَّمَ وَسَادَ أَقْرَانَهُ، وَبَاشَرَ تَدْرِيسَ **الْقَيْمَرِيَّةِ**، ثُمَّ وَلِيَ الْحُكْمَ وَالْخَطَابَةَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهُ إِلَى قَضَاءِ مِصْرَ فِي الْأَيَّامِ الْأَشْرَفِيَّةِ، مَعَ تَدَارِيسَ كِبَارٍ بِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ الشَّامِ، وَجُمِعَ لَهُ مَعَهُ الْخَطَابَةُ وَمَشْيَخَةُ الشُّيُوخِ، وَتَدْرِيسُ الْعَادِلِيَّةِ، وَغَيْرُهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، كُلُّ هَذَا مَعَ الرِّيَاسَةِ، وَالدِّيَانَةِ، وَالصِّيَانَةِ، وَالْوَرَعِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْفَائِقَةُ النَّافِعَةُ،

ثُمَّ نُقِلَ إِلَى قَضَاءِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **بَعْدَ** وَفَاةِ **ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ**، فَلَمْ يَزَلْ حَاكِمًا بِهَا إِلَى أَنْ أَضَرَّ وَكَبِرَ وَضَعُفَتْ أَحْوَالُهُ، فَاسْتَقَالَ فَأُقِيلَ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ عَشَاءِ الْآخِرَةِ حَادِيَ عِشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٣هـ)، وَقَدْ أَكْمَلَ أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً.

١١٦- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ جَهْبَلٍ الْحَلَبِيُّ الدِّمَشْقِيُّ** الشَّافِعِيُّ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، وَلَزِمَ الْمَشَايِخَ، وَدَرَّسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَتَحَوَّلَ إِلَى دِمَشْقَ، فَبَاشَرَ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ مُدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ مَشْيَخَةَ الْبَادَرَائِيَّةِ فَتَرَكَ الظَّاهِرِيَّةَ وَأَقَامَ فِي تَدْرِيسِ الْبَادَرَائِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ سنة (٧٣٣هـ)، وَلَمْ يَأْخُذْ مَعْلُومًا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا.

١١٧- **الْإِمَامُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَكْرِيُّ**، نِسْبَةً إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ لَطِيفَ الْمَعَانِي، نَاسِخًا مُطْبِقًا، يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ **ثَلَاثَ كَرَارِيسَ**، وَكَتَبَ "الْبُخَارِيَّ" ثَمَانِيَ مَرَّاتٍ، وَيُقَابِلُهُ، وَيُجَلِّدُهُ، وَيَبِيعُ النُّسْخَةَ مِنْ ذَلِكَ **بِأَلْفٍ وَنَحْوِهِ**.

وَقَدْ جَمَعَ تَارِيخًا فِي ثَلَاثِينَ مُجَلَّدًا، وَكَانَ يَنْسَخُهُ وَيَبِيعُهُ أَيْضًا بِأَزْيَدَ مِنْ أَلْفٍ، وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ نَادِرًا فِي وَقْتِهِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِشْرِينَ رَمَضَانَ، سنة (٧٣٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١٨- **الْخَطِيبُ الْإِمَامُ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ** ظَهِيرِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ النَّابُلُسِيُّ، **خَطِيبُ الْقُدْسِ**، وَقَاضِي **نَابُلُسَ** مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ خَطَابَةِ الْقُدْسِ وَقَضَائِهَا، وَلَهُ اشْتِغَالٌ، وَفِيهِ فَضِيلَةٌ، **وَشَرَحَ "صَحِيحَ مُسْلِمٍ" فِي مُجَلَّدَاتٍ**، وَكَانَ سَرِيعَ الْحِفْظِ، سَرِيعَ الْكِتَابَةِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٣٤هـ)، وَدُفِنَ بِمَامِلَّا، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١٩- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ** بْنُ مَحْمُودِ بْنِ عُبَيْدَانَ الْبَعْلَبَكِّيُّ الْحَنْبَلِيُّ، أَحَدُ فُضَلَاءِ الْحَنَابِلَةِ، وَمَنْ صَنَّفَ فِي الْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، وَالتَّصَوُّفِ، وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَانَ فَاضِلًا لَهُ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ لَهُ كَائِنَةٌ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ، أَنَّهُ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ أَوْ زَوَالِ فِكْرِهِ، **بِسَبَبِ الرِّيَاضَةِ الجسدية، فَاحْتَرَقَ بَاطِنُهُ مِنَ**

الْجُوعِ، فَرَأَى خَيَالَاتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، فَاعْتَقَدَ أَنَّهَا أَمْرٌ خَارِجِيٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ فِكْرِيٌّ فَاسِدٌ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي نِصْفِ صَفَرٍ بِبَعْلَبَكَّ سنة (٧٣٤هـ)، وَدُفِنَ بِبَابِ سَطْحَا، وَلَمْ يُكْمِلِ السِّتِّينَ.

١٢٠- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ أَمِينُ الدِّينِ** أَيْمَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّ **اسْمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى سَبْعَةَ عَشَرَ نَفَسًا**، كُلُّهُمُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَقَدْ جَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ مُدَّةَ سِنِينَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَامِنَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٤هـ)، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ صَلَاةُ الْغَائِبِ.

١٢١- **الْحَافِظُ الْعَلَّامَةُ فَتْحُ الدِّينِ** مُحَمَّدٌ **ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ**، الرَّبَعِيُّ الْيَعْمُرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ثُمَّ الْمِصْرِيُّ، وُلِدَ فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَأَجَازَ لَهُ الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ سَنَةَ (٦٩٠هـ)، وَسَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ الْكِنْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، فَبَرَعَ وَسَادَ أَقْرَانَهُ فِي عُلُومٍ شَتَّى مِنَ الْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ، وَعِلْمِ السِّيَرِ، وَالتَّوَارِيخِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُنُونِ.

وَقَدْ جَمَعَ سِيرَةً حَسَنَةً فِي مُجَلَّدَيْنِ، وَشَرَحَ قِطْعَةً صَالِحَةً مِنْ أَوَّلِ "جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ" رَأَيْتُ، وَلَهُ الشِّعْرُ الرَّائِقُ الْفَائِقُ، وَجَوْدَةُ الْبَدِيهَةِ، وَحُسْنُ الطَّوِيَّةِ، وَلَهُ الْعَقِيدَةُ السَّلَفِيَّةُ الْمَوْضُوعَةُ عَلَى الْآيِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، وَالِاقْتِفَاءِ بِالْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ.

وَكَانَ شَيْخَ الْحَدِيثِ بِالظَّاهِرِيَّةِ بِمِصْرَ، وَخَطِيبَ جَامِعِ الْخَنْدَقِ، وَلَمْ يَكُنْ بِمِصْرَ فِي مَجْمُوعِهِ مِثْلُهُ فِي حِفْظِ الْأَسَانِيدِ، وَالْمُتُونِ، وَالْعِلَلِ، وَالْفِقْهِ، وَالْمُلَحِ، وَالْأَشْعَارِ، وَالْحِكَايَاتِ، تُوُفِّيَ فَجْأَةً يَوْمَ السَّبْتِ حَادِيَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧٣٤هـ).

١٢٢- بَهَاءُ الدِّينِ **مَحْمُودُ بْنُ خَطِيبِ** بَعْلَبَكَّ مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ السُّلَمِيُّ، **الْكَاتِبُ الْمُطْبِقُ الْمُجَوِّدُ الْمُحَرِّرُ**، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاعْتَنَى بِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ فَبَرَعَ فِيهَا، وَتَقَدَّمَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ قَاطِبَةً فِي النَّسْخِ وَبَقِيَّةِ

الْأَقْلَامِ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ، طَيِّبَ الْأَخْلَاقِ، طَيِّبَ الصَّوْتِ، حَسَنَ التَّوَدُّدِ، تُوُفِّيَ فِي سَلْخِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٥هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَةِ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢٣ - **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ** عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ عَبْدِ النُّورِ، الْحَلَبِيُّ الْأَصْلِ، ثُمَّ الْمِصْرِيُّ، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْمُحَدِّثِينَ بِهَا، وَالْقَائِمِينَ بِحِفْظِ الْحَدِيثِ، وَرِوَايَتِهِ، وَتَدْوِينِهِ، وَشَرْحِهِ، وَالْكَلَامِ عَلَيْهِ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ "الشَّاطِبِيَّةَ" وَ"الْأَلْفِيَّةَ"، وَبَرَعَ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ، وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ، وَكَتَبَ كَثِيرًا، وَصَنَّفَ شَرْحًا لِأَكْثَرِ "الْبُخَارِيِّ"، وَجَمَعَ تَارِيخًا لِمِصْرَ، وَلَمْ يُكْمِلْهُمَا، وَتَكَلَّمَ عَلَى السِّيرَةِ الَّتِي جَمَعَهَا الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ، وَخَرَّجَ لِنَفْسِهِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مُتَبَايِنَةَ الْإِسْنَادِ، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، مُطَّرِحًا لِلْكُلْفَةِ، طَاهِرَ اللِّسَانِ، كَثِيرَ الْمُطَالَعَةِ وَالِاشْتِغَالِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَلْخَ رَجَبٍ سنة (٧٣٥هـ)، وَخَلَّفَ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢٤ - **الْأَمِيرُ سُلْطَانُ الْعَرَبِ حُسَامُ الدِّينِ مُهَنَّا بْنُ عِيسَى بْنِ مُهَنَّا**، أَمِيرُ الْعَرَبِ بِالشَّامِ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ، مِنْ ذُرِّيَّةِ الْوَلَدِ الَّذِي جَاءَ مِنَ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِ الرَّشِيدِ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ كَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ، مُحْتَرَمًا عِنْدَ الْمُلُوكِ كُلِّهِمْ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَالْعِرَاقِ، وَكَانَ دَيِّنًا خَيِّرًا، مُتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ، وَخَلَّفَ أَوْلَادًا وَوَرَثَةً وَأَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَقَدْ بَلَغَ سِنًّا عَالِيَةً، **وَكَانَ يُحِبُّ الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَةَ حُبًّا زَائِدًا، هُوَ وَذُرِّيَّتُهُ وَعَرَبُهُ، وَلَهُ عِنْدَهُمْ مَنْزِلَةٌ وَحُرْمَةٌ وَإِكْرَامٌ**، يَسْمَعُونَ قَوْلَهُ وَيَمْتَثِلُونَهُ، وَهُوَ الَّذِي نَهَاهُمْ أَنْ يُغِيرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ جَلِيلٌ، وَكَانَ وَفَاةُ مُهَنَّا هَذَا بِبِلَادِ سَلَمِيَّةَ فِي ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْقِعْدَةِ سنة (٧٣٥هـ)، وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

١٢٥ - **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ فَضْلُ بْنُ عِيسَى بْنِ قِنْدِيلٍ الْعَجْلُونِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، أَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ خَيْرَانَ، **كَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، يَلْبَسُ ثِيَابًا طِوَالًا**، وَعِمَامَةً هَائِلَةً وَهِيَ بِأَرْخَصِ

الْأَثْمَانِ، **وَكَانَ يَعْرِفُ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا**، وَيُقْصَدُ لِذَلِكَ، **وَكَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا**، وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ وَظَائِفُ بِجَوَامِكَ كَثِيرَةٍ وَأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَيَرْضَى بِالعيش الْهَنِيِّ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٣٥هـ)، وَلَهُ نَحْوُ تِسْعِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِالْقُرْبِ مِنْ قَبْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، ؒ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً جِدًّا.

١٢٦ - **قَاضِي قُضَاةِ بَغْدَادَ** قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الْفَضَائِلِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْفَضْلِ التِّبْرِيزِيُّ الشَّافِعِيُّ، سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، وَاشْتَغَلَ بِالْفِقْهِ، وَالْأُصُولِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَالْمَعَانِي، وَالْبَيَانِ، وَكَانَ بَارِعًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، وَدَرَّسَ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ بَعْدَ الْعَاقُولِيِّ، وَفِي مَدَارِسَ كِبَارٍ، وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ، **كَثِيرَ الْحُنُوِّ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ**، مُتَوَاضِعًا، يَكْتُبُ حَسَنًا أَيْضًا، تُوُفِّيَ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٣٦هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَةٍ لَهُ عِنْدَ دَارِهِ بِبَغْدَادَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢٧ - **عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدِ** بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ **الْقَلَانِسِيِّ**، قَاضِي الْعَسْكَرِ، وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ، وَمُوَقِّعُ الدَّسْتِ، وَمُدَرِّسُ الْأَمِينِيَّةِ وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَاصِبِ، ثُمَّ سُلِبَهَا كُلَّهَا سِوَى التَّدْرِيسِ، وَبَقِيَ مَعْزُولًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بُكْرَةَ السَّبْتِ خَامِسِ عِشْرِينَ صَفَرٍ سنة (٧٣٦هـ).

١٢٨ - **عِزُّ الدِّينِ أَحْمَدُ ابْنُ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعُقَيْلِيُّ**، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْقَلَانِسِيِّ، **مُحْتَسِبُ دِمَشْقَ**، وَنَاظِرُ **الْخِزَانَةِ**، كَانَ مَحْمُودَ الْمُبَاشَرَةِ، ثُمَّ عُزِلَ عَنِ الْحِسْبَةِ، وَاسْتَمَرَّ بِالْخِزَانَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٣٦هـ).

١٢٩ - **الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ غَانِمٍ**، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَقْدِسِيُّ، **أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَضَائِلِ**، وَحُسْنِ التَّرَسُّلِ، وَكَثْرَةِ الْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ، وَالْمُرُوءَةِ التَّامَّةِ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ، وَ" التَّنْبِيهَ "، وَبَاشَرَ الْجِهَاتِ، وَقَصَدَهُ النَّاسُ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّاتِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، تُوُفِّيَ مَرْجِعَهُ فِي الْحَجِّ فِي مَنْزِلَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ

الْمُحَرَّمِ سنة (٧٣٧هـ)، وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٠- **الشَّيْخُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ مُحِبُّ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ، وَكَتَبَ الطِّبَاقَ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُ وَعْظٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ وَغَيْرِهِ، وَلَهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ بِالْقِرَاءَةِ جِدًّا، وَعَلَيْهِ **رَوحٌ** وَسَكِينَةٌ وَوَقَارٌ، وَكَانَتْ مَوَاعِيدُهُ مُفِيدَةً يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ، وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ يُحِبُّهُ وَيُحِبُّ** قِرَاءَتَهُ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَابِعَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٣٧هـ)، عن خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

١٣١- **شَمْسُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَفِيفِ** مُحَمَّدٍ ابْنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ النَّابُلُسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، **شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْعَابِدُ**، إِمَامُ مَسْجِدِ الْحَنَابِلَةِ بِهَا، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، عَلَيْهِ الْبَهَاءُ وَالْوَقَارُ وَحُسْنُ الشَّكْلِ وَالسَّمْتِ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ - مَرْجِعَنَا مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ - كَثِيرًا مِنَ الْأَجْزَاءِ وَالْفَوَائِدِ، وَهُوَ وَالِدُ صَاحِبِنَا الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ أَحَدِ مُفْتِي الْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَالْمَشْهُورِينَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَانِيَ عِشْرِينَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٣٧هـ)، وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٢- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ** شَرَفُ الدِّينِ هِبَةُ اللهِ ابْنُ نَجْمِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ابْنِ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ الْجُهَنِيُّ الْحَمَوِيُّ، **الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَارِزِيِّ**، قَاضِي الْقُضَاةِ **بِحَمَاةَ**، صَاحِبُ **التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ الْمُفِيدَةِ** فِي الْفُنُونِ الْعَدِيدَةِ، وُلِدَ فِي خَامِسِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَحَصَّلَ فُنُونًا كَثِيرَةً، وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً جَمَّةً، وَكَانَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، كَرِيمَ الْمُحَاضَرَةِ، حَسَنَ الِاعْتِقَادِ فِي الصَّالِحِينَ، وَكَانَ مُعَظَّمًا عِنْدَ النَّاسِ، وَأَذِنَ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ فِي الْإِفْتَاءِ، وَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ (٧٣٨هـ)، بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْوِتْرَ، فَلَمْ تَفُتْهُ فَرِيضَةٌ وَلَا نَافِلَةٌ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣٣- **الْعَلَّامَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْكَتَّانِيِّ**، وَهُوَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَبِي الْحَرَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُونُسَ، **شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ**، وُلِدَ بِالْقَاهِرَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاشْتَغَلَ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَاسْتَوْطَنَهَا، وَتَوَلَّى بِهَا بَعْضَ الْأَقْضِيَةِ بِالْحُكْرِ، ثُمَّ نَابَ عَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ، فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ، وَدَرَّسَ بِمَدَارِسَ كِبَارٍ، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ دَارِ حَدِيثٍ بِالْقُبَّةِ الْمَنْصُورِيَّةِ، وَكَانَ بَارِعًا فَاضِلًا، عِنْدَهُ فَوَائِدُ جَمَّةٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، **غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ سَيِّئَ الْأَخْلَاقِ، مُنْقَبِضًا عَنِ النَّاسِ، لَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ**، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، يَأْكُلُ الطَّيِّبَاتِ، وَيَلْبَسُ اللَّيِّنَ مِنَ الثِّيَابِ، وَلَهُ فَوَائِدُ وَزَوَائِدُ عَلَى " الرَّوْضَةِ " وَغَيْرِهَا، وَكَانَ فِيهِ اسْتِهْتَارٌ بِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ، فَاللهُ يُسَامِحُهُ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ نِصْفَ رَمَضَانَ (٧٣٨هـ).

١٣٤- **قَاضِي الْقُضَاةِ جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَزْوِينِيُّ** الشَّافِعِيُّ، قَدِمَ هُوَ وَأَخُوهُ إمام الدين أَيَّامَ التَّتَرِ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ - وَهُمَا فَاضِلَانِ - بَعْدَ التِّسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَأَعَادَ جَلَالُ الدِّينِ بِالْبَادَرَائِيَّةِ عِنْدَ الشَّيْخِ بُرْهَانِ الدِّينِ ابْنِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ، ثُمَّ تَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَنْ وَلِيَ خَطَابَةَ دمشق سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِمِائَةٍ، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ مَعَ الْخَطَابَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، بَعْدَ أَنَّ عَجَزَ قَاضِي الْقُضَاةِ **بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ بِسَبَبِ الضَّرَرِ فِي عَيْنَيْهِ**، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ **تَغَضَّبَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ** بِسَبَبِ أُمُورٍ يَطُولُ شَرْحُهَا، وَنَفَاهُ إِلَى الشَّامِ، ثم رضي عنه ووَلَّاهُ **قَضَاءَ الشَّامِ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ**،

توفي سنة (٧٣٩هـ) وعُمُرُهُ قَرِيبًا مِنَ السَّبْعِينَ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَيُفْتِي كَثِيرًا، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ، منها: اخْتِصَار " الْمِفْتَاحَ " لِلسَّكَّاكِيِّ.

١٣٥- **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْحَافِظُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْبِرْزَالِيِّ**، مُؤَرِّخُ الشَّامِ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي شَامَةَ سَنَةَ (٦٦٥هـ)، وَقَدْ كَتَبَ تَارِيخًا ذَيَّلَ بِهِ عَلَى الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ، مِنْ حِينِ وَفَاتِهِ وَمَوْلِدِ الْبِرْزَالِيِّ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ فِي منزلة

خليص[١] سنة (٧٣٩هـ) وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَغُسِّلَ وَكُفِّنَ، وَلَمْ تُسْتَرْ رَأْسُهُ، وَحَمَلَهُ النَّاسُ عَلَى نَعْشِهِ وَهُمْ يُلَبُّونَ حَوْلَهُ، سَمِعَ مِنْ أَزِيدَ مِنْ أَلْفِ شَيْخٍ.

وَخَرَّجَ لَهُ الْمُحَدِّثُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ سَعْدٍ مَشْيَخَةً لَمْ يُكْمِلْهَا، وَقَرَأَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ لَهُ خَطٌّ حَسَنٌ، وَخُلُقٌ حَسَنٌ، وَهُوَ مَشْكُورٌ عِنْدَ الْقُضَاةِ وَمَشَايِخِ أَهْلِ الْعِلْمِ، سَمِعْتُ الْعَلَّامَةَ **ابْنَ تَيْمِيَةَ** يَقُولُ: **نَقْلُ الْبِرْزَالِيِّ نَقْرٌ فِي حَجَرٍ**.

وَكَانَ أَصْحَابُهُ مِنْ كُلِّ الطَّوَائِفِ يُحِبُّونَهُ وَيُكْرِمُونَهُ، وَكَتَبَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ «الْبُخَارِيَّ» فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ مُجَلَّدًا، فَقَابَلَهُ لَهَا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهِ عَلَى الْحَافِظِ الْمِزِّيِّ تَحْتَ الْقُبَّةِ، حَتَّى صَارَتْ نُسْخَتُهَا أَصْلًا مُعْتَمَدًا يَكْتُبُ مِنْهَا النَّاسُ، وَتولى مشيخة الحديث بِالنُّورِيَّةِ، وَفِيهَا وَقَفَ كُتُبَهُ، وَبِدَارِ الْحَدِيثِ النَّفِيسِيَّةِ، وَبِدَارِ الْحَدِيثِ الْقُوصِيَّةِ، وَكَانَ قَارِئَ الْحَدِيثِ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ عَلَى الْمِزِّيِّ، وَمَنْ قَبْلَهُ كَابْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَكَانَ يُعِيدُ فِي الْجَامِعِ وَغَيْرِهِ وَعَلَى كَرَاسِيِّ الْحَدِيثِ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا مُحَبَّبًا إِلَى النَّاسِ، مُتَوَدِّدًا إِلَيْهِمْ. تُوُفِّيَ عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣٦- **الْمُؤَرِّخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَزَرِيُّ**، جَمَعَ تَارِيخًا حَافِلًا كَتَبَ فِيهِ أَشْيَاءَ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْحَافِظُ؛ **كَالْمِزِّيِّ، وَالذَّهَبِيِّ، وَالْبِرْزَالِيِّ**، يَكْتُبُونَ عَنْهُ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى نَقْلِهِ، وَكَانَ شَيْخًا، توفي سنة (٧٣٩هـ) وقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَثَقُلَ سَمْعُهُ وَضَعُفَ خَطُّهُ.

١٣٧- **الشَّيْخُ الصَّالِحِ الْعَابِدِ الْقُدْوَةِ مُحَمَّدِ بْنِ تَمَّامٍ**، تُوُفِّيَ بِالصَّالِحِيَّةِ، توفي صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٤١هـ) نُودِيَ فِي الْبَلَدِ بِجِنَازَته، فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى جَنَازَتِهِ فِي الْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، فَضَاقَ الْجَامِعُ عَنْ أَنْ يَسَعَهُمْ، وَصَلَّى النَّاس فِي الطُّرُقَاتِ، وَأَرْجَاءِ الصَّالِحِيَّةِ، وَكَانَ الْجَمْعُ كَثِيرًا جِدًّا لَمْ يَشْهَدِ النَّاسُ جِنَازَةً بَعْدَ

(١) قال عاتق البلادي: وَادي زِرَاعِي عَلَى مِائَةِ كَيْلٍ مِنْ مَكَّةَ شَمَالاً عَلَى الْجَادَّةِ الْعُظْمَى. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣٢). قلت: خليص بلد معروف، وهو أحد محافظات منطقة مكة المكرمة الشمالية.

جِنَازَةِ الشَّـيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْـنِ تَيْمِيَةَ مِثْلَهَا؛ لِكَثْرَةِ مَنْ حَضَرَهَا مِنَ النَّاسِ رِجَالًا وَنِسَـاءً، وَفِيهِمُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَجُمْهُورُ النَّاسِ، يُقَارِبُونَ عِشْرِينَ أَلْفًا.

١٣٨ - **الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ قَارِئَةُ الْقُرْآنِ**، أُمُّ فَاطِمَةَ **عَائِشَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ صِدِّيقٍ**، زَوْجَةُ شَيْخِنَا الْحَافِظِ **جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ**، تُوُفِّيَتِ فِي أَوَّلِ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٤١هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهَا بِالْجَامِعِ، وكَانَتْ عَدِيمَةَ النَّظِيرِ فِي نِسَاءِ زَمَانِهَا؛ لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهَا، وَتِلَاوَتِهَا، وَإِقْرَائِهَـا الْقُـرْآنَ الْعَظِيمَ بِفَصَاحَـةٍ وَبَلَاغَةٍ، وَأَدَاءٍ صَحِيـحٍ يَعْجِزُ كَثِيرٌ مِـنَ الرِّجَالِ عَنْ تَجْوِيـدِهِ، وَخَتَّمَتْ نِسَـاءً كَثِيرًا، وَقَرَأَ عَلَيْهَا مِنَ النِّسَـاءِ خَلْقٌ، وَانْتَفَعْـنَ بِهَا وَبِصَلَاحِهَا، وَدِينِهَا، وَزُهْدِهَا فِي الدُّنْيَا، وَتُقَلُّلِهَا مِنْهَا مَعَ طُولِ الْعُمُرِ، **بَلَغَتْ ثَمَانِينَ سَـنَةً**، أَنْفَقَتْهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهَا صَلَاةً، وَتِلَاوَةً، وَكَانَ الشَّـيْخُ مُحْسِـنًا إِلَيْهَا مُطِيعًا، **لَا يَكَادُ يُخَالِفُهَا**؛ لِحُبِّهِ لَهَا طَبْعًا وَشَرْعًا، فَرَحِمَهَا اللهُ وَقَدَّسَ رُوحَهَا.

❁ ❁ ❁

عصر المماليك البحرية
القسم الثاني
(٧٤٢ ـ ٧٨٤)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تضاعف الحسنات...

أما بعد:

فهذا هو الجزء الأخير من تهذيب وترتيب كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد توقف في أثناء سنة (٧٦٨هـ)، ولم يذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة.

وحيث أن دولة المماليك البحرية استمرت إلى سنة (٧٨٤هـ) فقد أكملنا حوادث ووفيات السنوات من سنة (٧٦٨-٧٧٢هـ) من كتاب «وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام» للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ).

ثم أكملنا بقية الحوادث والوفيات من سنة (٧٧٣-٧٨٤هـ) من كتاب «إنباء الغمر بأبناء العمر» للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، فقد ذكر في مقدمة كتابه أنه يصلح أن يكون ذيلا على تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)، وقد ابتدأ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه من سنة (٧٧٣هـ)؛ مما احتجنا معه إلى إكمال السنوات الفائتة من كتاب السخاوي.

وقد ذُكر أن ابن كثير ذيل على كتابه وأكمل الحوادث إلى سنة وفاته (٧٧٤هـ)، وهذا ما تثبته النقول عنه في الكتابين المذكورين أعلاه، ولم يُلحق هذا الذيل بالأصل، ففقد، كما ذكرت المصادر أن لعبد الرحمن بن كثير ذيل على كتاب أبيه، ولكنه مفقود أيضا.

وهذا القسم ابتدأ من سنة (٧٤٢-٧٨٤هـ) أي أنه انتظم حوادث اثنتين وأربعين سنة، تولى فيها السلطنة اثنا عشر سلطانا، ولم يستقر بعضهم في السلطنة إلا سنة أو أقل، وبعضهم وُلّي السلطنة وهم أطفال لا تدبير لهم.

أما الخلفاء من العباسيين فكانوا ثلاثة، وخلافتهم صورية شرفية.

واتسم هذا القسم بكثرة **القلاقل والانقلابات**، وانعكس ذلك على الوضع الاجتماعي والاقتصادي، فكثرت على الناس **الضرائب والمكوس** والمصادرات، إلا أن **الوضع العلمي لازال نشيطا** ومستمرا، مع وجود التنافس على حيازة المدارس والمناصب الشرعية كالقضاء والحسبة للانتفاع بما عليها من أوقاف.

واهتم ابن كثير **بتاريخ الشام وخاصة دمشق** البلد الذي عاش فيه، فيذكر الوقائع والحوادث فيها بالتفصيل، وبما يشبه اليوميات، وقد عاصرها بنفسه، وربما شارك في بعضها، ورغم الظواهر السلبية في التدين والسلوك إلا أن **شعيرة الأمر بالمعروف** والنهي عن المنكر قائمة، ومحاكمات المنحرفين عن الشريعة حاضرة، ولعل هذا من آثار الإصلاح الذي قام به شيخ الإسلام ابن تيمية، وخلفه من بعده تلاميذه، ومن أبرزهم ابن القيم، وابن كثير، رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

واهتم الحافظ ابن كثير في هذا القسم **بالمظاهر الحضارية، والظواهر الكونية والأوبئة**، وغرائب الحوادث، مع الترجمة **لمشاهير الأعلام**، واقتفى أثره ابن حجر العسقلاني، والسخاوي، فيما أكملنا به تاريخ دولة المماليك البحرية.

ونسأل الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن ينفع بهذا التهذيب والترتيب الذي قصدنا منه تقريب كتاب البداية والنهاية للقراء الكرام، وأن يجزي مؤلف الأصل الجزاء الأوفى، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة – صفر –١٤٤٣هـ

دولة المماليك البحرية
(القسم الثاني)

(٧٤٢-٧٨٤)

(٤)

خلافة الحاكم بأمر اللّه

أحمد بن المستكفي باللّه سليمان

ابْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

(٧٤٢-٧٥٣هـ)

❍ بيعته

في اليوم الأول من شهر محرم سنة (٧٤٢هـ) **بُويِعَ** بِالْخِلَافَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ الْعَبَّاسِيُّ، وَلَبِسَ السَّوَادَ، وَجَلَسَ مَعَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرِ ابْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ** عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَأَلْبَسَهُ خِلْعَةً سَوْدَاءَ أَيْضًا، فَجَلَسَا وَعَلَيْهِمَا السَّوَادُ، وَخَطَبَ الْخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ خُطْبَةً بَلِيغَةً فَصِيحَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَخَلَعَ يَوْمَئِذٍ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

❍ وفاته

توفي أمير المؤمنين أبو العبّاس الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي العبّاسي في سنة (٧٥٣هـ) [(١)]

❁ ❁ ❁

(١) لم يذكر ابن كثير وفاته، واستدركت من كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ٢٩٦).

١٥ـ سلطنة المَلِكُ المَنْصُورُ أَبُو بَكْرِ بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١ـ٧٤٢هـ)

○ توليه السلطنة

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ (٧٤١هـ) بَايَعَهُ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ، وَقَدِمَ الْفَخْرِيُّ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ مِنَ الشَّامِيِّينَ، وَنَزَلَ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَبَايَعَ النَّاسُ لِلْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ابْنِ النَّاصِرِ ابْنِ الْمَنْصُورِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِدِمَشْقَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِالْمَلِكِ الْجَدِيدِ، وَتَرَحَّمُوا عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ محمد، وَدَعَوْا لَهُ، وَتَأَسَّفُوا عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

واسْتَهَلَّتْ سنة (٧٤٢هـ) بِيَوْمِ الْأَحَدِ، وَسُلْطَانُ الْإِسْلَامِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَمَا وَالَاهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ابْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيُّ.

○ القبض على بعض الأمراء المماليك

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَامِنِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٤٢هـ) مُسِكَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ بَشْتَكُ النَّاصِرِيُّ** آخِرَ النَّهَارِ، وَكَانَ قَدْ كُتِبَ تَقْلِيدُهُ بِنِيَابَةِ الشَّامِ وَخُلِعَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَبَرَزَ ثَقَلُهُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لِيُوَدِّعَهُ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَأَجْلَسَهُ، وَأَحْضَرَ طَعَامًا وَأَكَلَا، وَتَأَسَّفَ السُّلْطَانُ عَلَى فِرَاقِهِ، وَقَالَ: تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنِي وَحْدِي؟ ثُمَّ قَامَ لِتَوْدِيعِهِ، وَذَهَبَ بَشْتَكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ثَمَانِيَ خُطُوَاتٍ أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَقَطَعَ أَحَدُهُمْ سَيْفَهُ مِنْ سَوْطِهِ بِسِكِّينٍ، وَوَضَعَ الْآخَرُ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ، وَكَتَّفَهُ الْآخَرُ، وَقَيَّدُوهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ، **ثُمَّ غُيِّبَ فَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ إِلَى أَيْنَ صَارَ**، ثُمَّ قَالُوا لِمَمَالِيكِهِ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ فَائْتُوا بِمَرْكُوبِ الْأَمِيرِ غَدًا، فَهُوَ بَائِتٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ، وَأمر بالاحتياط عَلَى حَوَاصِلِهِ، وَأَمْوَالِهِ، وَأَمْلَاكِهِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ وُجِدَ عِنْدَهُ مِنَ الذَّهَبِ أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

كما **أَمَرَ بِمَسْكِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَتِسْعَةٍ مِنَ الْكِبَارِ**.

○ عزله

في يَـوْمَ الْأَرْبعَاءِ الثَّلَاثِينَ مِنْ صَفَرٍ سـنة (٧٤٢هـ)، قَدِمَ إلى دمشـق أَمِيـرٌ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمَعَهُ الْأَمْرُ بِالْبَيْعَةِ لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ **عَلَاءِ الدِّينِ كُجُكَ** ابْنِ النَّاصِرِ محمد.

وعَـزْلِ أَخِيـهِ **الْمَنْصُـورِ أبي بكر**؛ لِمَـا صَدَرَ عَنْـهُ مِنَ الْأَفْعَـالِ القبيحة؛ مِنْ شُـرْبِ الْمُسْكِرِ، وَغِشْـيَانِ الْمُنْكَرَاتِ، وَتَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَمُعَاشَرَةِ الْخَاصِّكِيَّةِ مِنَ الْمُرْدَانِ وَغَيْرِهِـمْ، **فَتَمَالأَ عَلَى خَلْعِـهِ كِبَارُ الْأُمَرَاءِ**، فَأَحْضَرُوا الْخَلِيفَةَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللهِ أحمد بن أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ، فَأُثْبِتَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا نُسِبَ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، فاسْتَبْدَلُوا مَكَانَهُ أخاه **عَلَاءِ الدِّينِ كُجُكَ**، ثم سَيَّرُوهُ إِذْ ذَاكَ إِلَى قُوص مُضَيَّقًا عَلَيْهِ، وَمَعَهُ إِخْوَةٌ لَهُ.

❁ ❁ ❁

١٦ـ علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٤٢ـ٧٤٢هـ)

○ توليه السلطنة

فِي آخر شهر صَفَرٍ سنة (٧٤٢هـ)، بويع لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ **عَلَاءِ الدِّينِ كُجُك** ابْنِ النَّاصِرِ محمد، بعد عَزْلِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ أبي بكر، وجلس الْمَلِك الْأَشْرَف عَلَى السَّرِيرِ، وَنَابَ لَهُ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ قُوصُونُ النَّاصِرِيُّ**، وَاسْتَمَرَّتِ الْأُمُورُ عَلَى السَّدَادِ، وَجَاءَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى الشَّامِ، فَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ، وَضُرِبَتِ الْبَشَائِرُ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ مُسْتَهَلَّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَخُطِبَ لَهُ بِدِمَشْق يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَعْيَانِ وَالْأُمَرَاءِ.

○ بدعة الذكر الجماعي على المنارة بعد الأذان

أَمَرَ الْقَاضِي **تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ** الْخَطِيبَ وَالْمُؤَذِّنِينَ بجامع دمشق بِزِيَادَةِ أَذْكَارٍ عَلَى الَّذِي كَانَ سَنَّهُ فِيهِمُ الْخَطِيبُ بَدْرُ الدِّينِ، مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ الْكَثِيرِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَزَادَهُمُ السُّبْكِيُّ قَبْلَ ذَلِكَ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ - ثَلَاثًا - اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وَكَانُوا قَبْلَ تِلْكَ السَّنَوَاتِ قَدْ زَادُوا بَعْدَ التَّأْذِينِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، الْآيَةَ، (١) وَالتَّسْلِيمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ.

○ الإفراج عن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية

فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثالث رَجَبٍ سنة (٧٤٢هـ) اسْتَدْعَى نائب دمشق الْفَخْرِيُّ، الْقَاضِيَ الشَّافِعِيَّ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي إِحْضَارِ كُتُبِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْمُعْتَقَلَةَ مِنَ الْقَلْعَةِ فِي أَيَّامِ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، فَأَحْضَرَهَا الْقَاضِي الشَّافِعِيَّ بَعْدَ جَهْدٍ وَمُدَافَعَةٍ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، فَقَبَضَهَا مِنْهُ الْفَخْرِيُّ بِالْقَصْرِ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الِانْصِرَافِ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ مُتَغَضِّبٌ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا هَمَّ بِعَزْلِهِ لِمُمَانَعَتِهِ إِيَّاهَا.

---

(١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَرُبَّمَا قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ فِيهَا كَلَامٌ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الزِّيَارَةِ، فَقَالَ **الْفَخْرِيُّ**: كَانَ الشَّيْخُ أَعْلَمَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْكُمْ. وَاسْتَبْشَرَ الْفَخْرِيُّ بِإِحْضَارِهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَدْعَى بِأَخِي الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبِالشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ - وَكَانَ لَهُ سَعْيٌ مَشْكُورٌ فِيهَا - فَهَنَّأَهُمَا بِإِحْضَارِهِ الْكُتُبَ، وَبَيَّتَ الْكُتُبَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي خِزَانَتِهِ لِلتَّبَرُّكِ، وَصَلَّى بِهِ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ أَخُو الشَّيْخِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ بِالْقَصْرِ، وَأَكْرَمَهُ الْفَخْرِيُّ إِكْرَامًا زَائِدًا؛ لِمَحَبَّتِهِ لِلشَّيْخِ تقي الدين، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○ عزل السلطان

جَاءَتِ الْكُتُبُ وَالْأَخْبَارُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِأَنَّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ عَاشِرَ شَوَّالٍ سنة (٧٤٢هـ) **كان خَلَعَ الْأَشْرَفَ كُجُكَ** بن الناصر محمد، وَوَلَّى أخاه أحمد النَّاصِرَ.

❁ ❁ ❁

١٧ـ السُّلْطَان الْمَلِك النَّاصِر شِهَاب الدِّين أَحْمَد بن الناصر محمد (٧٤٢ـ٧٤٣)

○ توليه السلطنة

في يَوْمِ الِاثْنَيْنِ عَاشِـرَ شَـوَّالٍ سـنة (٧٤٢هـ) كَانَ إِجْلَاسُ السُّـلْطَانِ **الْمَلِكِ النَّاصِرِ شِـهَابِ الدِّيـنِ أَحْمَـدَ بن الناصـر** محمد بن قـلاوون عَلَى سَـرِيرِ الْمَمْلَكَـةِ، صَعِدَ هُوَ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ أَبُو الْعَبَّاسِ **أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْـتَكْفِي** فَوْقَ الْمِنْبَرِ، وَهُمَا لَابِسَـانِ السَّـوَادَ، وَالْقُضَاةُ تَحْتَهُمَا عَلَى دَرَجِ الْمِنْبَرِ بِحَسَـبِ مَنَازِلِهِمْ، فَخَطَـبَ الْخَلِيفَةُ، **وَخَلَعَ الْأَشْرَفَ كُجُكَ**، وَوَلَّى أحمد النَّاصِرَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ عودة السلطان أحمد الناصر إلى الكرك

في يَـوْمِ الِاثْنَيْنِ سَـلْخَ ذِي الْقِعْدَةِ (٧٤٢هـ) خَرَجَ السُّـلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ شِـهَابُ الدِّيـنِ أَحْمَدُ بْـنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّـةِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ قَاصِدًا إِلَى الْكَرَكِ، وَمَعَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ، وَحَوَاصِلُ وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، فَدَخَلَهَا فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَصُحْبَتَهُ طَشْـتَمُرُ فِي مِحَفَّةٍ مُمَرَّضًا، **وَالْفَخْرِيُّ مُقَيَّدًا**، فَاعْتُقِلَا بِالْكَرَكِ، وَطَلَبَ السُّلْطَانُ آلَاتٍ مِنْ أَخْشَـابٍ وَنَحْوِهَا، وَحَدَّادِينَ، وَصُنَّاعًا وَنَحْوَهُمَا، لِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتٍ بِالْكَرَكِ، وَطَلَبَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ دِمَشْقَ، فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ.

واسْـتَهَلَّتْ سنة (٧٤٣هـ) وَسُلْطَانُ الْمُسْلِمِينَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَحْمَدُ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّـدِ ابْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْكَرَكِ، قَدْ حَازَ الْحَوَاصِلَ السُّـلْطَانِيَّةَ مِـنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى قَلْعَةِ الْكَرَكِ، وَنَائِبُهُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْأَمِيرُ سَـيْفُ الدِّينِ آقْ سُـنْقُرُ السَّـلَارِيُّ الَّـذِي كَانَ نَائِبًـا بِغَزَّةَ، وَقُضَـاةُ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ هُـمُ الْمَذْكُورُونَ فِي السَّـنَةِ الْمَاضِيَةِ، سِـوَى الْقَاضِي الْحَنَفِيِّ. وَأَمَّا دِمَشْقُ فَلَيْسَ لَهَا نَائِبٌ إِلَى حِينَئِذٍ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمِيرَ رُكْنَ الدِّينِ بِيبَرْسَ الْحَاجِبَ كَانَ اسْـتَنَابَهُ الْفَخْرِيُّ بِدِمَشْـقَ نَائِبَ غَيْبَةٍ، فَهُوَ الَّذِي يَسُـدُّ الْأُمُـورَ مَعَ الْحَاجِبِ أَلِلْمِشَ، وَتَمُرَ الْمَهْمَنْدَارِ، وَالْأَمِيرِ سَـيْفِ الدِّيـنِ الْمُلَقَّبِ بِحَلَاوَةَ

- وَالِـي الْبَـرِّ - وَالْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ بْـنِ بَكْتَاش مُتَوَلِّي الْبَلَدِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسُـدُّونَ الْأَشْـغَالَ وَالْأُمُورَ السُّـلْطَانِيَّةَ، وَالْقُضَاةُ هُمُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ فِي السَّنَةِ الْخَالِيَةِ، وَخَطِيبُ الْبَلَـدِ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، وَكَاتِبُ السِّـرِّ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللهِ.

○ خلعه

اجتمـع رأي الأمـراء الشـاميين والمصريين على خلع السـلطان أحمـد الناصر لما يَبْلُغُهُـمْ عَنْه من أَحْـوَال لَا تُرْضِيهِمْ مِنَ اللَّعِبِ وَالِاجْتِمَاعِ مَـعَ الْأَرَاذِلِ وَالْأَطْرَافِ بِبَلَدِ الْكَـرَكِ، وَتَقْرِيبِهِ النَّصَـارَى وَحُضُورِهِمْ عِنْدَهُ، مَـعَ قَتْلِهِ الأميرين؛ الْفَخْرِيَّ، وَطَشْـتَمُرَ قَتْلًا فَظِيعًا، وَسَـلْبِهِ لِمَا عَلَى الْحَرِيمِ مِنَ الثِّيَابِ وَالْحُلِيِّ، وَإِخْرَاجِهِمْ فِي أَسْـوَأِ حَالٍ مِنَ الْكَـرَكِ، فَبَادَرُوا إِلَى مَـا كَانُوا عَزَمُوا عَلَيْهِ، فَخَلَعُوا النَّاصِرَ أَحْمَدَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الْعِشْـرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٤٣هـ).

❁ ❁ ❁

١٨ـ السُّلْطَان الْمَلِك الصَّالح إِسْمَاعِيل ابْن النَّاصِر مُحَمَّد بْن الْمَنْصُور (٧٤٣ـ٧٤٦)

○ توليه السلطنة

بعد خلع الأمراء لأخيه أحمد الناصر، مَلَّكُوه عَلَيْهِمْ، وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٤٣هـ)، ولقبوه بالملك الصالح، وَجَاءَ كِتَابُهُ مُسَلِّمًا عَلَى أُمَرَاءَ الشَّامِ وَمُقَدَّمِيهِ، وَجَاءَتْ كُتُبُ الْأُمَرَاءِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالسَّلَامِ وَالْأَخْبَارِ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ وَأُمَرَاءُ الشَّامِ وَالْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا.

وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ يَوْمَئِذٍ، وَرُسِمَ بِتَزْيِينِ الْبَلَدِ، فَزَيَّنَ النَّاسُ صَبِيحَةَ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَلْخُ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٤٣هـ) خُطِبَ بِدِمَشْقَ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ عِمَادِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ.

○ ولاية الأمير أيدغمش على نيابة الشام

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَر سنة (٧٤٣هـ) وصل الْأَمِيرُ أَيْدُغْمُش نَائِبُ السَّلْطَنَةِ دِمَشْقَ، قَادِمًا مِنْ حَلَبَ، وَتَلَقَّاهُ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ، وَعَلَيْهِ خِلْعَةُ النِّيَابَةِ، وَاحْتَفَلَ النَّاسُ لَهُ، وَأَشْعَلُوا الشُّمُوعَ، وَخَرَجَ أَهْلُ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَدْعُونَ لَهُ وَمَعَهُمُ الشُّمُوعُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَصَلَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْمَقْصُورَةِ مِنَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَمَعَهُ الْأُمَرَاءُ وَالْقُضَاةُ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ هُنَاكَ عَلَى السُّدَّةِ وَعَلَيْهِ خِلْعَتُهُ.

○ تولية علم الدين الجاولي نيابة حماة

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٤٣هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ الْجَاوِلِيُّ دِمَشْقَ ذَاهِبًا إِلَى نِيَابَةِ حَمَاةَ، وَتَلَقَّاهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأُمَرَاءُ إِلَى مَسْجِدِ الْقَدَمِ، وَخَرَجَ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ إِلَيْهِ، وَسُمِّعَ عَلَيْهِ مِنْ «مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ» فَإِنَّهُ يَرْوِيهِ، وَلَهُ فِيهِ عَمَلٌ، وَرَتَّبَهُ تَرْتِيبًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ، وَشَرَحَهُ أَيْضًا، وَلَهُ أَوْقَافٌ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٤٣هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أُلْطُنْبُغَا الْمَارِدَانِيُّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ ذَاهِبًا إِلَى حَمَاةَ نَائِبًا عَلَيْهَا، وَرُسِمَ بِعَوْدِ الْجَاوِلِيِّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى قَاعِدَتِهِ وَعَادَتِهِ.

○ شفاء السلطان إسماعيل من مرضه

فِي ثَالِثَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سنة (٧٤٣هـ)، زُيِّنَتِ الْبَلَدُ لِعَافِيَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إسماعيل لِمَرَضٍ أَصَابَهُ، ثُمَّ شُفِيَ مِنْهُ.

○ تعيين سيف الدين الحموي نائبا على دمشق

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ بَعْدَ الْعَصْرِ الْخَامِسَ عَشَرَ شهر رجب سنة (٧٤٣هـ) دَخَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الجديد **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُقُزْدَمُرُ الْحَمَوِيُّ** قادما من حَلَبَ، فَتَلَقَّاهُ الْأُمَرَاءُ إِلَى طَرِيقِ الْقَابُونِ، وَدَعَا لَهُ النَّاسُ دُعَاءً كَثِيرًا، وَأَحَبُّوهُ لِبُغْضِهِمُ النَّائِبَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَهُوَ **عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدُغْمُشُ**، سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى، فَنَزَلَ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَحَضَرَ الْمَوْكِبَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ.

وَاجْتَمَعَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ وَسَأَلُوهُ أَنْ لَا يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ خَطِيبَهُمْ تَاجَ الدِّينِ عَبْدَ الرَّحِيمِ **بْنَ جَلَالِ الدِّينِ**، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ في أول الأمر، ثم أجابهم إلى ذلك فيما بعد.

○ حصار السلطان أحمد الناصر وقتله في الكرك

فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ **رَبِيعٍ الْأَوَّلِ** سنة (٧٤٣هـ) جَاءَ الْمَرْسُومُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِأَنْ تَخْرُجَ تَجْرِيدَةٌ مِنْ دِمَشْقَ بِصُحْبَةِ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ الْبَشْمَقْدَارِ **لِحِصَارِ الْكَرَكِ** الَّذِي تَحَصَّنَ فِيهِ **السُّلْطَانُ المخلوع أَحْمَدُ بن الناصر محمد**، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْخَزَائِنِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثِ ربيع الآخر خَرَجَتِ التَّجْرِيدَةُ مِنْ دِمَشْقَ سَحَرًا إِلَى مَدِينَةِ الْكَرَكِ، واسْتَهَلَّ جُمَادَى الْآخِرَةُ وَالتَّجْرِيدَةُ سائرة إِلَى الْكَرَكِ، وَالْجَيْشُ قَرِيبٌ مِنْ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.

وَاشْـتد الْحِصَار عَلَـى الْكَرَكِ، فخَرَجَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وقُتِلَ خَلْـقٌ كَثِيرٌ فِي الْحِصَارِ، فَنَزَلَ الْقَاضِي وَجَمَاعَةٌ وَمَعَهُمْ شَـيْءٌ مِنَ الْجَوْهَرِ، وَتَرَاضَوْا عَلَى أَنْ يُسَلِّمُوا الْبَلَدَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ الْحِصْنِ تَحَصَّنُوا، وَنَصَبُوا الْمَجَانِيقَ، وَاسْتَعَدُّوا.

وخرجـت جَمَاعَة مِنْ رِجَالِ الْكَرَكِ إِلَى الْجَيْشِ وَرَمَوْهُمْ **بِالنُّشَّـابِ**، فَخَرَجَ الْجَيْشُ لَهُمْ بِالسِّلَاحِ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِ الْكَرَكِ جَمَاعَةً مِنَ النَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، وَجُرِحَ مِنَ الْعَسْكَرِ خَلْقٌ، وَأُسِرَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرِ بْنُ بَهَادُرَآصْ، وَقُتِلَ أَمِيرُ الْعَرَبِ، وَأُسِرَ آخَرُونَ، وَجَرَتْ أُمُورٌ مُنْكَرَةٌ، فَرَجع الجيش إلى دمشق.

ثم خَرَجَتِ **التَّجْرِيدَةُ** عائدة إلى حصار الكرك، يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَـادِس **ذي القعدة** سنة (٧٤٣هـ)، وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْهَا الْأَمِيـرُ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيرِ، وَمَعَهُ مُقَـدَّمٌ آخَرُ وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ قَرَاسُنْقُرَ.

وَاسْـتَهَلَّتْ سـنة (٧٤٤هـ) وَالْجُيُـوشُ الْمِصْرِيَّةُ وَالشَّـامِيَّةُ مُحِيطَةٌ بِحِصْـنِ الْكَرَكِ يُحَاصِرُونَهُ، وَيُبَالِغُونَ فِي أَمْرِهِ، وَالْمَنْجَنِيقُ مَنْصُوبٌ، وَأَنْوَاعُ آلَاتِ الْحِصَارِ كَثِيرَةٌ.

وفِي أَوَاخِرِ شَـهْرِ شَوَّالٍ سـنة (٧٤٤هـ) خَرَجَتِ **التَّجَارِيدُ** إِلَى الْكَرَكِ، وَهُمَا أَمِيرَانِ مُقَدَّمَانِ؛ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ قَرَاسُـنْقُرُ، وَالْأَمِيرُ الْحَاجُّ بَيْدَمُرُ، وَاشْـتَهَرَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ **أَمْـرَ الْكَرَكِ قَدْ ضَعُفَ**، وَتَفَاقَمَ عَلَيْهِمُ الْأَمْـرُ، **وَضَاقَتِ الْأَرْزَاقُ عِنْدَهُمْ جِدًّا**، وَنَزَلَ مِنْهَا جَمَاعَاتٌ مِنْ رُؤَسَـائِهَا، واسـتهل شَـهْرُ الْمُحَرَّمِ سـنة (٧٤٥هـ) وَالْحِصَارُ وَاقِعٌ **بِقَلْعَةِ الْكَرَكِ**، وَأَمَّا الْبَلَدُ فَأُخِذَ، وَاسْـتُنِيبَ فِيهِ الْأَمِيرُ **سَـيْفُ الدِّينِ قُبْـلَايْ**، والْقَلْعَة محاصرة، وَالنَّاصِـرُ أَحْمَـدُ بْنُ النَّاصِـرِ مُمْتَنِعٌ مِنَ التَّسْـلِيمِ، وَمِـنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْإِنَابَـةِ، وَالدُّخُولِ فِي طَاعَةِ أَخِيهِ إسـماعيل، وَقَـدْ تَفَاقَمَتِ الْأُمُورُ، وَطَالَتِ الْحُـرُوبُ. وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْخَامِـسِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ صَفَـرٍ قَدِمَ الْبَرِيدُ مِـنَ الْكَرَكِ، فَأَخْبَـرَ بِفَتْحِ الْقَلْعَـةِ، وَأَنَّ بَابَهَا أُحْرِقَ، **وَخَرَجَ أَحْمَدُ مُقَيَّدًا، ثُمَّ** اشْـتَهَرَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ (٧٤٥هـ) **قَتْلُ السُّـلْطَانِ أَحْمَدَ**، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى أَخِيهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

ترتيب قضاء بلاد الشام

في شـهر مضان سنة (٧٤٣هـ) خَرَجَ قَضَاءُ حِمْصَ عَنْ نِيَابَةِ دِمَشْقَ بِمَرْسُومٍ سُلْطَانِيٍّ مُجَدَّدٍ لِلْقَاضِي شِهَابِ الدِّينِ الْبَارِزِيِّ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُنَاقَشَةٍ كَثِيرَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، وَانْتَصَرَ لَهُ بَعْضُ الدَّوْلَةِ، وَاسْتَخْرَجَ لَهُ الْمَرْسُومَ الْمَذْكُورَ.

كما أُفْرِدَ قَضَاءُ الْقُدْسِ الشَّـرِيفِ بِاسْـمِ الْقَاضِي شَـمْسِ الدِّينِ بْنِ سَـالِمٍ الَّذِي كَانَ مُبَاشِـرَهَا مُدَّةً طَوِيلَةً قَبْلَ ذَلِكَ نِيَابَةً، ثُمَّ عُزِلَ عَنْهَـا وَبَقِيَ مُقِيمًا بِبَلَدِهِ غَزَّةَ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهَا مُسْتَقِلًّا بِهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ.

قتل حَسَن ابْن مُحَمَّدٍ السَّكَاكِينِيِّ

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِن شهر جمادى الأولى سنة (٧٤٤هـ)، قُتِلَ بِسُـوقِ الْخَيْلِ حَسَـنٌ ابْنُ الشَّـيْخِ مُحَمَّدٍ السَّـكَاكِينِيِّ، عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الرَّفْضِ الـدَّالِّ عَلَى الْكُفْرِ الْمَحْضِ، شُـهِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْقَاضِي شَـرَفِ الدِّينِ الْمَالِكِيِّ بِشَـهَادَاتٍ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ، وَأَنَّهُ رَافِضِيٌّ جَلْدٌ، فَمِنْ ذَلِكَ تَكْفِيرُ الشَّيْخَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَذْفُهُ أُمَّيِ الْمُؤْمِنِينَ؛ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَزَعَمَ أَنَّ جِبْرِيلَ غَلِطَ فَأَوْحَى إِلَى مُحَمَّدٍ وَإِنَّمَا كَانَ مُرْسَلًا إِلَى عَلِيٍّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ الْقَبِيحَةِ، قَبَّحَهُ اللَّهُ.

وَأُخْبِرْتُ أَنَّ حَسَنًا هَذَا الْقَبِيحَ كَانَ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ أَبِيهِ لَمَّا أَظْهَرَ السُّنَّةَ.

شفاعة الشيخ أحمد الزرعي عند السلطان

فِي سـنة (٧٤٥هـ) دَخَلَ الشَّيْخُ **أَحْمَدُ الزُّرَعِيُّ** عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَشْـيَاءَ كَثِيرَةً؛ مِنْ تَبْطِيلِ مَظَالِمَ، وَمُكُوسَـاتٍ، وَإِطْلَاقِ طَبْلَخَانَاهْ لِلْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ بْـنِ بَكْتَاشَ، وَإِطْلَاقِ أُمَرَاءَ مَحْبُوسِـينَ بِقَلْعَةِ دِمَشْـقَ، وَغَيْرِ ذَلِـكَ، فَأَجَابَهُ، فَكَانَ جُمْلَةَ الْمَرَاسِيمِ الَّتِي أُجِيبُ فِيهَا - بِضْعٌ وَثَلَاثُون مَرْسُومًا.

وفِي آخِرُ شَـهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ قَدِمَتِ الْمَرَاسِـيمُ الَّتِي سَـأَلَهَا الشَّـيْخُ أَحْمَدُ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِـكِ الصَّالِـحِ، فَأُمْضِيَـتْ كُلُّهَا أَوْ كَثِيـرٌ مِنْهَا، وَأُفْرِجَ عَـنْ صَلَاحِ الدِّينِ ابْـنِ الْمَلِكِ

الْكَامِلِ، وَالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِلَوٍ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَلْخِ هَذَا الشَّهْرِ، ثُمَّ رُوجِعَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا، فَتَوَقَّفَ حَالُهَا.

❍ إصلاحات عامة

فِي شهر ربيع الآخر سنة (٧٤٥هـ):

- عُمِلَتْ مَنَارَةٌ خَارِجَ بَابِ الْفَرَجِ.
- وَفُتِحَتْ مَدْرَسَةٌ كَانَتْ دَارًا قَدِيمَةً فَجُعِلَتْ مَدْرَسَةً لِلْحَنَفِيَّةِ وَمَسْجِدًا.
- وَعُمِلَتْ طَهَّارَةٌ عَامَّةٌ، وَمُصَلًّى لِلنَّاسِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طَقْتَمُرُ الْخَلِيلِيِّ - أَمِيرُ حَاجِبٍ، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ الدَّارَ الْمَعْرُوفَةَ بِهِ الْيَوْمَ بِالْقَصَّاعِينَ.

❍ بناء جامع المزة وخطابة ابن كثير فيه

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسِ شَهْرِ مُحَرَّم سنة (٧٤٦هـ) كَمَلَتْ **عِمَارَةُ الْجَامِعِ** الَّذِي بِالْمِزَّةِ الْفَوْقَانِيَّةِ، الَّذِي جَدَّدَهُ وَأَنْشَأَهُ الْأَمِيرُ **بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ الْمَرْجَانِيِّ**، - وكان وَالِدُهُ بَنَى مَسْجِدَ الْخَيْفِ بِمِنًى، - وَهُوَ جَامِعٌ حَسَنٌ مُتَّسِعٌ فِيهِ رَوْحٌ وَانْشِرَاحٌ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْ بَانِيهِ، وَعُقِدَتْ فِيهِ الْجُمُعَةُ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ، وَجَمٍّ غَفِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْمِزَّةِ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، **وَكُنْتُ أَنَا الْخَطِيبَ** وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَوَقَعَ كَلَامٌ وَبَحْثٌ فِي **اشْتِرَاطِ الْمُحَلِّلِ فِي الْمُسَابَقَةِ**، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ صَنَّفَ فِيهِ مُصَنَّفًا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَنَصَرَ فِيهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ يُفْتَى بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرْكِ، وَلَا يَعْزُوهُ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، فَاعْتَقَدَ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ قَوْلُهُ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، فَحَصَلَ عَلَيْهِ إِنْكَارٌ فِي ذَلِكَ، وَطَلَبَهُ الْقَاضِي الشَّافِعِيُّ، وَحَصَلَ كَلَامٌ فِي ذَلِكَ.

وَانْفَصَلَ الْحَالُ عَلَى أَنْ أَظْهَرَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ **الْمُوَافَقَةَ لِلْجُمْهُورِ**.

○ وَفَاةُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ

فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَالِثِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٤٦هـ) أُظْهِرَ مَوْتُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ.

❁ ❁ ❁

أخبار الحج

◉ خَرَجَ الْمَحْمَلُ يَوْمَ الْخَمِيسِ خَامِسَ عَشَرَ رمضان، سنة (٧٤٣هـ).

◉ وَخَرَجَ الرَّكْبُ **للحج إِلَى الْحِجَازِ الشَّرِيفِ** يَوْمَ السَّبْتِ حَادِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٤٦هـ)، وَخَرَجَ نَاسٌ وَتُجَّارٌ كَثِيرٌ جِدًّا، وَوَقَعَ مَطَرٌ عَظِيمٌ جِدًّا، فَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ واسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَخَافُوا عَلَى الْحُجَّاجِ ضَرَرَهُ، وتَرَحَّلَ الْحُجَّاجُ فِي أَوْحَالٍ كَثِيرَةٍ وَزَلَقٍ كَثِيرٍ، وَاللهُ الْمُسَلِّمُ وَالْمُعِينُ وَالْحَامِي. وَكَانَ أَمِيرُ الْحَاجِّ سَيْفَ الدِّينِ مَلِكَ آصْ، وَقَاضِيهِ شِهَابَ بْنَ الشَّجَرَةِ الْحَاكِمَ بِمَدِينَةِ بِعْلَبَكَّ يَوْمَئِذٍ.

◉ فِي شَوَّالٍ سنة (٧٥١هـ) كَانَ فِي جُمْلَةِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ نَائِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمُدَبِّرُ مَمَالِكِهَا الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ بَيْبُغَا النَّاصِرِيُّ**، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ. وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، وَقَعَتْ كَائِنَةٌ غَرِيبَةٌ بِمِنًى، وَذَلِكَ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْأُمَرَاءُ الْمِصْرِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ مَعَ صَاحِبِ الْيَمَنِ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا قَرِيبًا مِنْ **وَادِي مُحَسِّرٍ**، ثُمَّ انْجَلَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ أَسْرِ صَاحِبِ الْيَمَنِ الْمُجَاهِدِ، فَحُمِلَ **مُقَيَّدًا** إِلَى مِصْرَ، كَذَلِكَ جَاءَتْ بِهَا كُتُبُ الْحُجَّاجِ عند عودتهم، وَهُمْ أَخْبَرُوا بِذَلِكَ.

◉ وَدَخَلَ الرَّكْبُ الشَّامِيُّ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٥٢هـ) عَلَى الْعَادَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ، وَالْقَاعِدَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ.

◉ وَوَرَدَتْ كُتُبُ الْحُجَّاجِ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ المحرم سنة (٧٦٠هـ) وَذَكَرُوا أَنَّ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ[1] عَدَا عَلَيْهِ فِدَاوِيَّانِ عِنْدَ لُبْسِهِ خِلْعَةَ السُّلْطَانِ، وَقْتَ

(١) هو فضل بن قاسم الحسيني، وقد كثر تظاهره بمذهبه، فَلَمَّا قدم الْحَاج وَلبس الخلعة على الْعَادة، وثب عَلَيْهِ فداويان قتلاه فِي أَوَاخِر ذِي الْحجَّة سنة (٧٥٩هـ)، فثارت الْفِتْنَة بعد قتله، وتأذى بهَا كثير من الْحجَّاج. انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك (٤/ ٢٣٩).

دُخُولِ الْمَحْمَلِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ سنة (٧٥٩هـ)، فَقَتَلَاهُ، فَعَدَتْ عَبِيدُهُ عَلَى الْحَجِيجِ الَّذِينَ هُمْ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ، فَنَهَبُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَخَرَجُوا، وَكَانُوا قَدْ أَغْلَقُوا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ دُونَ الْجَيْشِ فَأُحْرِقَ بَعْضُهَا، وَدَخَلَ الْجَيْشُ السُّلْطَانِيُّ، فَاسْتَنْقَذُوا النَّاسَ مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ.

وَعاد **الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ** إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عَلَى عَادَتِهِ، وَبَيْنَ يَدَي الْمَحْمَلِ الْفِدَاوِيَّانِ اللَّذَانِ قَتَلَا صَاحِبَ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ **ذُكِرَتْ عَنْهُ** أُمُورٌ شَنِيعَةٌ بَشِعَةٌ؛ مِنْ غُلُوِّهِ فِي الرَّفْضِ الْمُفْرِطِ، وَمِنْ قَوْلِهِ إِنَّهُ لَوْ تَمَكَّنَ لَأَخْرَجَ الشَّيْخَيْنِ مِنَ الْحُجْرَةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ عِبَارَاتٍ مُؤَدِّيَةٍ لِعَدَمِ إِيمَانِهِ، إِنْ صَحَّ عَنْهُ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَم

- جَاءَتْ كُتُبُ الْحُجَّاجِ عن حج سنة (٧٦٠هـ) وَأَخْبَرَتْ بِالْخِصْبِ، وَالرُّخْصِ، وَالْأَمْنِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

- وَدَخَلَ الْمَحْمَلُ دمشق بَعْدَ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ محرم سنة (٧٦١هـ)، وَقَدْ لَقُوا مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ عَنَاءً وَشِدَّةً، وَوَقَعَتْ جِمَالَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَسُبِيَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

- وفِي ثَالِثَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٦١هـ) خَرَجَ الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ، وَأَمِيرُهُ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ قَرَاسُنْقُرَ، وَقَاضِي الْحَجِيجِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَنَدٍ الْمُحَدِّثُ، أَحَدُ الْمُفْتِينَ.

- دَخَلَ محمل الحج السُّلْطَانِيُّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٢هـ)، ويُخْبِرُونَ بِالرُّخْصِ وَالْأَمْنِ.

وَمُسِكَ أَمِيرُ الْحَاجِّ جَرَكْتَمُرُ الْمَارِدَانِيُّ، الَّذِي كَانَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ، مِنْ سَاعَةِ وُصُولِهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَقُيِّدَ، وَسُيِّرَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى الْبَرِيدِ، وَبَلَغَنَا أَنَّ الْأَمِيرَ سَنْدًا - أَمِيرَ مَكَّةَ - غَرَّرَ بِجُنْدِ السُّلْطَانِ، وَكَبَسَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْ حَوَاشِيهِمْ، وَأَخَذَ خُيُولَهُمْ، وَأَنَّهُمْ سَارُوا جَرَائِدَ بِغَيْرِ شَيْءٍ؛ مَسْلُوبِينَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وَخرَجَ الْمَحْمَلُ يَوْمَ الْخَمِيسِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٦٢هـ) عَلَى الْعَادَةِ، وَالْأَمِيرُ مُصْطَفَى الْبِيزِيُّ. ثم قَدِمَ الْحُجَّاجُ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٣هـ)، وَدَخَلَ الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَلَمْ يُحْتَفَلْ لِدُخُولِهِ كَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا نَالَ الرَّكْبِ فِي الرَّجْعَةِ مِنْ زَيْزَاءَ إِلَى هُنَا مِنَ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ، وَلَكِنْ أَخْبَرُوا بِرُخْصٍ كَثِيرٍ، وَأَمْنٍ، وَبِمَوْتِ ثُقْبَةَ أَخِي عَجْلَانَ صَاحِبِ مَكَّةَ، وَقَدِ اسْتَبْشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ لِبَغْيِهِ عَلَى أَخِيهِ عَجْلَانَ الْعَادِلِ فِيهِمْ.

◉ خَرَجَ الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ من دمشق يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَانِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٦٣هـ)، وَأَمِيرُ الْحَاجِّ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ ابْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ بْنِ السَّعِيدِ ابْنِ الْعَادِلِ الْكَبِيرِ، وَقَاضِيهُ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ سَبُعٍ - مُدَرِّسُ الْأَمِينِيَّةِ بِبَعْلَبَكَّ. ودَخَلَ الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ عائداً من الحج يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٤هـ) بَعْدَ الْعَصْرِ خَوْفًا مِنَ الْمَطَرِ.

◉ خَرَجَ الْمَحْمَلُ صُحْبَةَ الْحَجِيجِ، وَهُمْ جَمٌّ غَفِيرٌ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ - يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٦٤هـ). وَقَدِمَ رَكْبُ **الحجاج الشَّامي** إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٥هـ)، وَهُمْ شَاكِرُونَ مُثْنُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَمْنًا وَرُخْصًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

◉ عاد الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ من حج سنة (٧٦٥هـ) إلى دمشق فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ من **المحرم** سنة (٧٦٦هـ)، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ نَالَهُمْ فِي الرَّجْعَةِ شِدَّةٌ شَدِيدَةٌ مِنَ الْغَلَاءِ، وَمَوْتِ الْجِمَالِ، وَهَرَبِ الْجَمَّالِينَ، وَقَدِمَ مَعَ الرَّكْبِ الشَّامِيِّ مِمَّنْ خَرَجَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاضِي الْقُضَاةِ **بَدْرُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ**، وَقَدْ سَبَقَهُ التَّقْلِيدُ بِقَضَاءِ الْقُضَاةِ.

◉ خَرَجَ الْمَحْمَلُ الشَّامِيُّ وَالْحَجِيجُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَانِيَ عَشَرَ شوال سنة (٧٦٦هـ)، وَأَمِيرُهُمُ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ عَلَمِ الدِّينِ الْهِلَالِيِّ أَحَدُ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاه.

وَدَخَلَ الْمَحْمَلُ السُّلْطَانِيُّ عائدا من الحج في شهر محرم سنة (٧٦٧هـ)، وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَذَلِكَ لِغَيْبَةِ النَّائِبِ فِي الرَّحْبَةِ مِمَّا يَلِي نَاحِيَةَ الْفُرَاتِ؛ لِيَكُونَ في مواجهة حَيَّارِ بْنِ مُهَنَّا مِنْ أَرْضِ السُّلْطَانِ أُوَيْسٍ مَلِكِ الْعِرَاقِ.

○ أخبار المدارس والوظائف السلطانية

⊙ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٤٢هـ)، حَضَرَ الدَّرْسَ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، عِوَضًا عَنْ شَيْخِنَا الْحَافِظِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ.

⊙ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَادِسِ صَفَرٍ سنة (٧٤٣هـ) دَرَّسَ **بِالصَّدْرِيَّةِ** صَاحِبُنَا الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ الزُّرَعِيُّ إِمَامُ الْجَوْزِيَّةِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْمُنَجَّا - الَّذِي نَزَلَ لَهُ عَنْهَا - وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَلْخِ صفر سنة (٧٤٣هـ) حَضَرَ الْقَاضِي فَخْرُ الدِّينِ الْمِصْرِيُّ، وَدَرَّسَ بِالْعَادِلِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَحَضَرَ النَّاسُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَادَةِ، وَأَخَذَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ [يوسف: ٦٥].

⊙ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّادِسَ عَشَرَهُ من جمادى الأولى سنة (٧٤٣هـ) وَرَدَ الْبَرِيدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِطَلَبِ **قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ** إِلَيْهَا حَاكِمًا بِهَا، فَذَهَبَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَلِتَوْدِيعِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَرْجَفَ النَّاسُ بِهِ كَثِيرًا، وَاشْتَهَرَ أَنَّهُ سَيَنْعَقِدُ لَهُ مَجْلِسٌ لِلدَّعْوَى عَلَيْهِ بِمَا دَفَعَهُ مِنْ مَالِ الْأَيْتَامِ إِلَى أُلْطُنْبُغَا وَإِلَى الْفَخْرِيِّ، وَكُتِبَتْ فَتْوَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي تَغْرِيمِهِ، وَدَارُوا بِهَا عَلَى الْمُفْتِينَ، فَلَمْ يَكْتُبْ لَهُمْ أَحَدٌ فِيهَا غَيْرَ الْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ بْنِ حُسَامِ الدِّينِ الْحَنَفِيِّ، رَأَيْتُ خَطَّهُ عَلَيْهَا وَحْدَهُ، وَسُئِلْتُ فِي الْإِفْتَاءِ عَلَيْهَا فَامْتَنَعْتُ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّشْوِيشِ عَلَى الْحُكَّامِ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَامِنِ شَهْرِ رَجَبٍ آخِرِ النَّهَارِ سنة (٧٤٣هـ) رَجَعَ قَاضِي الْقُضَاةِ

تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى الْقَضَاءِ، وَمَعَهُ تَقْلِيدٌ بِالْخَطَابَةِ أَيْضًا، وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ.

◉ وفي شهر مضان سنة (٧٤٣هـ) رَجَعَ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَعَهُ تَوْقِيعٌ بِالْمُرَتَّبِ الَّذِي كَانَ لَهُ أَوَّلًا؛ كُلُّ شَهْرٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ، وَأَقَامَ بِعِمَارَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِسَفْحِ قَاسِيُونَ شَرْقِيَّ الصَّالِحِيَّةِ بِقُرْبِ حَمَّامِ النَّحَاسِ.

◉ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٤٦هـ) دَرَّسَ الْقَاضِي **جَمَالُ الدِّينِ حُسَيْنٌ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ** الشَّافِعِيِّ بِالْمَدْرَسَةِ الشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ، نَزَلَ لَهُ أَبُوهُ عَنْهَا، وَاسْتَخْرَجَ لَهُ مَرْسُومًا سُلْطَانِيًّا بِذَلِكَ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، وَجَلَسَ بَيْنَ أَبِيهِ وَالْقَاضِي الْحَنَفِيِّ، وَأَخَذَ الدَّرْسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥] الْآيَاتِ. وَتَكَلَّمَ **الشَّرِيفُ مَجْدُ الدِّينِ الْمُتَكَلِّمُ** فِي الدَّرْسِ بِكَلَامٍ فِيهِ نَكَارَةٌ وَبَشَاعَةٌ، فَشَنَّعَ عَلَيْهِ الْحَاضِرُونَ، فَاسْتُتِيبَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الدَّرْسِ.

◉ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٤٨هـ) وَصَلَ تَقْلِيدُ قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ **لِلْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيِّ** الَّذِي كَانَ نَائِبًا لِلْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ قَبْلَهُ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ.

◉ فِي أَوَّلِ سنة (٧٥١هـ) جُدِّدَتْ وَأُكْمِلَتْ **دَارُ قُرْآنٍ** قِبْلِيَّ تُرْبَةِ امْرَأَةِ تَنْكِزَ، بِمَحَلَّةِ بَابِ الْخَوَّاصِينَ، حَوَّلَهَا الطَّوَاشِيُّ صَفِيُّ الدِّينِ عَنْبَرٌ، وَهُوَ أَحَدُ الْكِبَارِ الْأَجْوَادِ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ خَامِسِ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥١هـ) فُتِحَتِ **الْمَدْرَسَةُ الطَّيْبَانِيَّةُ** الَّتِي كَانَتْ دَارًا لِلْأَمِيرِ **سَيْفِ الدِّينِ طَيْبَانَ** بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، اشْتُرِيَتْ مِنْ ثُلْثِهِ الَّذِي وَصَّى بِهِ، وَفُتِحَتْ مَدْرَسَةً، وَحُوِّلَ لَهَا شُبَّاكٌ إِلَى الطَّرِيقِ فِي ضَفَّتِهَا الْقِبْلِيَّةِ مِنْهَا، وَحَضَرَ الدَّرْسَ بِهَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ ابْنِ عَمِّ

الشَّيْخ كَمَالِ الدِّين بْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ بِوَصِيَّةِ الْوَاقِفِ لَـهُ بِذَلِكَ، وَحضَـرَ عِنْدَهُ **قَاضِي الْقُضَاةِ السُّبْكِيُّ**، وَالْمَالِكِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، وَأَخذَ فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢] الْآيَةَ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ شَهْرِ شَعْبَانَ سنة (٧٥١هـ) قام بِالدَّرْس بِالصَّدْرِيَّةِ شَرَفُ الدِّينِ **عَبْدُ اللهِ ابْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ قَيِّم** الْجَوْزِيَّةِ، عِوَضًا عَنْ أَبِيهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَأَفَادَ، وَأَجَادَ، وَسَرَدَ طَرَفًا صَالِحًا فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ.

○ كوارث وغرائب

⊙ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابع ربيع الأول سنة (٧٤٤هـ) اجْتَمَعَ الصَّاحِبُ، وَمُشِدُّ الدَّوَاوِينِ، وَوَكِيـلُ بَيْتِ الْمَـالِ، وَمُشِـدُّ الْأَوْقَافِ، وَمُبَاشِـرُو الْجَامِـعِ، وَمَعَهُمُ الْعَمَّالُـونَ بِالنَّوْلِ وَالْمَعَاوِلِ؛ يَحْفُرُونَ إِلَى جَانِبِ السَّارِيَةِ عِنْدَ بَابِ مَشْهَدِ عَلِيٍّ تَحْتَ تِلْكَ الصَّخْرَةِ الَّتِي كَانَـتْ هُنَـاكَ، وَذَلِكَ عَنْ **قَوْلِ رَجُـلٍ جَاهِلٍ زَعَمَ أَنَّ هُنَاكَ مَالًا مَدْفُونًا**، فَشَـاوَرُوا نَائِبَ السَّلْطَنَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِالْحَفْرِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَالْعَامَّةُ، فَأَمَرَهُمْ فَأُخْرِجُوا، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ الْجَامِـعِ كُلُّهَا لِيَتَمَكَّنُوا مِـنَ الْحَفْرِ، ثُمَّ حَفَرُوا ثَانِيًا، وَثَالِثًا، فَلَمْ يَجِدُوا شَـيْئًا إِلَّا التُّرَابَ الْمَحْضَ، وَاشْتَهَرَ هَذَا الْحَفِيرُ فِي الْبَلَدِ، وَقَصَدَهُ النَّاسُ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَالتَّعَجُّبِ مِنْ أَمْرِهِ، **وَانْفَصَلَ الْحَالُ عَلَى أَنْ حُبِسَ هَذَا الزَّاعِمُ لِهَذَا الْمُحَالِ**، وَطُمَّ الْحَفِيرُ كَمَا كَانَ.

⊙ فِي مُسْـتَهَلِّ رَبِيعِ الْآخِرِ سـنة (٧٤٤هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِسَـفْحِ قَاسِيُونَ، احْتَرَقَ بِهِ سُـوقُ الصَّالِحِيَّةِ الَّـذِي بِالْقُرْبِ مِنْ جَامِعِ الْمُظَفَّـرِيِّ، وَكَانَتْ جُمْلَـةُ الدَّكَاكِينِ الَّتِي احْتَرَقَـتْ قَرِيبًا مِنْ مِائَةٍ وَعِشْـرِينَ دُكَّانًا، وَلَمْ يُرَ حَرِيقٌ مِنْ زَمَـانٍ أَكْبَرُ مِنْهُ وَلَا أَعْظَمُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

⊙ وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّـبْتِ الْخَامِسَ عَشَرَ من شعبان سنة (٧٤٤هـ) قَبْلَ الظُّهْرِ جَاءَتْ زَلْزَلَةٌ بِدِمَشْـقَ، وتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهَا شَـعَّثَتْ فِي بِلَادِ حَلَبَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْعُمْرَانِ

حَتَّى سَقَطَ بَعْضُ الْأَبْرَاجِ بِقَلْعَةِ حلَبَ، وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا، وَمَسَاجِدِهَا، وَمَشَاهِدِهَا، وَجُدْرَانِهَا، وَأَمَّا فِي الْقِلَاعِ حَوْلَهَا فَكَثِيرٌ جِدًّا، وَذَكَرُوا أَنَّ مَدِينَةَ مَنْبِجَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، وَأَنَّ عَامَّةَ السَّاكِنِينَ بِهَا هَلَكُوا تَحْتَ الرَّدْمِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

◉ وَفِي صَبِيحَةِ لَيْلَةِ الثُّلَاثَاءِ سَادِسِ رَمَضَانَ سنة (٧٤٥هـ) وَقَعَ **ثَلْجٌ عَظِيمٌ** لَمْ يُرَ مِثْلُهُ بِدِمَشْقَ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَكَانَ النَّاسُ مُحْتَاجِينَ إِلَى مَطَرٍ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَتَكَاثَفَ الثَّلْجُ عَلَى الْأَسْطِحَةِ، وَتَرَاكَمَ حَتَّى أَعْيَا النَّاسَ أَمْرُهُ، وَنَقَلُوهُ عَنِ الْأَسْطِحَةِ إِلَى الْأَزِقَّةِ، يُحْمَلُ، ثُمَّ نُودِيَ بِالْأَمْرِ بِإِزَالَتِهِ مِنَ الطُّرُقَاتِ؛ فَإِنَّهُ سَدَّهَا وَتَعَطَّلَتْ مَعَايِشُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَعَوَّضَ اللهُ الضُّعَفَاءَ بِعَمَلِهِمْ فِي الثَّلْجِ، وَلَحِقَ النَّاسَ كُلْفَةٌ كَبِيرَةٌ، وَغَرَامَةٌ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

◉ وَفِي أَوَّلِ شَوَّالٍ يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ تكرر وَقُوعَ **ثَلْج عَظِيم** بِحَيْثُ لَمْ يُمَكِّنِ الْخَطِيبَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَلَا خَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، بَلِ اجْتَمَعَ الْأُمَرَاءُ وَالْقُضَاةُ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَحَضَرَ الْخَطِيبُ فَصَلَّى بِهِمُ الْعِيدَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ صَلَّوُا الْعِيدَ فِي الْبُيُوتِ.

◉ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٤٥هـ) **اسْتُفْتِيَ فِي قَتْلِ كِلَابِ الْبَلَدِ**، فَكَتَبَ جَمَاعَةٌ فِي ذَلِكَ، فَرُسِمَ بِإِخْرَاجِ الكلاب مِنَ الْبَلَدِ إِلَى الْخَنْدَقِ ظَاهِرَ بَابِ الصَّغِيرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، **وَكَانَ الْأَوْلَى قَتْلَهَا بِالْكُلِّيَّةِ وَإِحْرَاقَها**؛ لِئَلَّا يَتَأَذَّى النَّاسُ بِنَتْنِ رِيحِها، عَلَى مَا أَفْتَى بِهِ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ مِنْ جَوَازِ قَتْلِ الْكِلَابِ بِبَلْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ لِلْمَصْلَحَةِ، إِذَا رَأَى الْإِمَامُ ذَلِكَ، وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ نهي النبي ﷺ عَنْ قَتْلِ أُمَّةِ الْكِلَابِ، بعد أمره بذلك،(١) وَلِهَذَا كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَأْمُرُ فِي خُطْبَتِهِ بِقَتْلِ الْكِلَابِ وَذَبْحِ الْحَمَامِ(٢).

◉ صَلَّى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٤٧هـ) بِالشَّامِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ صَبِيٌّ عُمْرُهُ **سِتُّ سِنِينَ**، وَقَدْ رَأَيْتُهُ وَامْتَحَنْتُهُ فَإِذَا هُوَ يُجِيدُ الْحِفْظَ وَالْأَدَاءَ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا يَكُونُ.

(١) انظر: صحيح مسلم برقم (١٥٧٢)، و (١٥٧٣).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧٢)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط (١/ ٥٤٣) إسناده ضعيف.

⊙ وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ تَاسِعَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٧٥٠هـ) أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ لِلْفَجْرِ قَبْلَ الْوَقْتِ بِقَرِيبٍ مِنْ سَاعَةٍ، فَصَلَّى النَّاسُ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَرْتِيبِ الْأَئِمَّةِ، ثُمَّ رَأَوُا الْوَقْتَ بَاقِيًا، فَأَعَادَ الْخَطِيبُ الْفَجْرَ بَعْدَ صَلَاةِ الْأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ثَانِيًا، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ مِثْلُهُ.

⊙ فِي سَحَرِ لَيْلَةِ الْخَمِيسِ خَامِسِ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥٢)، وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ فِي الْحَرَّانِيِّينَ فِي السُّوقِ الْكَبِيرِ، وَاحْتَرَقَتْ دَكَاكِينُ الْفَوَاخِرَةِ وَالْمَنَاخِلِيِّينَ، وَفُرْجَةُ الْغَرَابِيلِ، وَإِلَى دَرْبِ الْقَلْيِ، ثُمَّ إِلَى قَرِيبِ دَرْبِ الْعَمِيدِ، وَصَارَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةُ دَكًّا بَلْقَعًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَجَاءَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَرَسَمَ بِطَفْيِ النَّارِ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي طَفْيِ النَّارِ، وَلَوْ تَرَكُوهَا لَأَحْرَقَتْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَمْ يُفْقَدْ - فِيمَا بَلَغْنَا - أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَلَكَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِ، وَالْأَثَاثِ، وَالْأَمْلَاكِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

⊙ وَفِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥٧هـ)، وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ ظَاهِرَ بَابِ الْفَرَجِ، احْتَرَقَ بِسَبَبِهِ قَيَاسِيرُ كَثِيرَةٌ لِطَازْ وَيَلْبُغَا، وَقَيْسَرِيَّةُ الطَّوَاشِيِّ لِبِنْتِ تَنْكِزَ، وَأُخَرُ كَثِيرَةٌ، وَدُورٌ، وَدَكَاكِينُ، وَذَهَبَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْتِعَةِ، وَالنُّحَاسِ، وَالْبَضَائِعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُقَاوِمُ أَلْفَ أَلْفٍ وَأَكْثَرَ خَارِجًا عَنِ الْأَمْوَالِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الْقَيَاسِيرِ شَرٌّ كَثِيرٌ مِنَ الْفِسْقِ، وَالرِّبَا، وَالزَّغَلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

⊙ **قال ابن كثير**: والعجب أني وَقَفْتُ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٥٧هـ) عَلَى كِتَابٍ أَرْسَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ مِنْ بِلَادِ طَرَابُلُسَ، وَفِيهِ: وَالْمَخْدُومُ **يُعَرِّفُ الشَّيْخَ عِمَادَ** الدِّينِ بِمَا جَرَى فِي بِلَادِ السَّوَاحِلِ مِنَ الْحَرِيقِ، مِنْ بِلَادِ طَرَابُلُسَ إِلَى آخِرِ مُعَامَلَةِ بَيْرُوتَ إِلَى جَمِيعِ كَسْرُوانَ، **أَحْرَقَ الْجِبَالَ كُلَّهَا، وَمَاتَ الْوُحُوشُ كُلُّهَا مِثْلَ النُّمُورِ**، وَالدُّبِّ، وَالثَّعْلَبِ، وَالْخِنْزِيرِ؛ مِنَ الْحَرِيقِ، مَا بَقِيَ لِلْوُحُوشِ مَوْضِعٌ

يَهْرُبُونَ فِيهِ، وَبَقِيَ الْحَرِيقُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَهَرَبَ **النَّاسُ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مِنْ خَوْفِ النَّارِ**، وَاحْتَرَقَ زَيْتُونٌ كَثِيرٌ. فَلَمَّا نَزَلَ الْمَطَرُ أَطْفَأَهُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَغَالِبُ هَذِهِ الْبِلَادِ لِلدَّرْزِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ. نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ بَلْبَانَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَهُمَا عِنْدِي ثِقَتَانِ، فَيَاللهِ العجب.

⊙ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ سنة (٧٦٢هـ) تَوَاتَرَ **خَبَرُ الْفَنَاءِ الَّذِي بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ** بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ مِنْ فَيْضِ النِّيلِ عِنْدَهُمْ، عَلَى خِلَافِ الْمُعْتَادِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهُ يَمُوتُ مِنْ أَهْلِهَا كُلَّ يَوْمٍ **فَوْقَ الْأَلْفَيْنِ**، فَأَمَّا الْمَرَضُ فَكَثِيرٌ جِدًّا، وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ؛ لِقِلَّةِ مِنْ يَتَعَاطَى الْأَشْغَالَ، وَغَلَا السُّكَّرُ وَالْمِيَاهُ وَالْفَاكِهَةُ جِدًّا، وَتَبَرَّزَ السُّلْطَانُ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ، وَحَصَلَ لَهُ تَشْوِيشٌ، ثُمَّ عُوفِيَ بِحَمْدِ اللهِ.

⊙ وَبَلَغَنَا أنه في شهر ربيع الأول سنة (٧٦٢هـ) **سَقَطَتِ الْمَنَارَةُ** الَّتِي بُنِيَتْ لِلْمَدْرَسَةِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمِصْرَ، وَكَانَتْ مُسْتَجَدَّةً عَلَى صِفَةٍ غَرِيبَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا مَنَارَتَانِ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ فَوْقَ قَبْوِ الْبَابِ، فَلَمَّا سَقَطَتْ أَهْلَكَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصُّنَّاعِ بِالْمَدْرَسَةِ، وَالْمَارَّةِ، وَالصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي مَكْتَبِ الْمَدْرَسَةِ، وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ هَلَكَ بِسَبَبِهَا نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ نَفْسٍ.

⊙ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ خَامِسِ رَبِيعٍ الأول سنة (٧٦٥هـ) **احْتَرَقَتِ الْبَاشُورَةُ** الَّتِي ظَاهِرَ بَابِ الْفَرَجِ عَلَى الْجِسْرِ، وَنَالَ حِجَارَةَ الْبَابِ شَيْءٌ مِنْ حَرِيقِهَا فَاتَّسَعَتْ، وَقَدْ حَضَرَ طَفْأَهَا نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَالْحَاجِبُ الْكَبِيرُ، وَنَائِبُ الْقَلْعَةِ، وَالْوُلَاةُ، وَغَيْرُهُمْ.

⊙ وَفِي صَبِيحَةِ خَامِسِ رَبِيعٍ الأول سنة (٧٦٥هـ) **زَادَ النَّهْرُ** زِيَادَةً عَظِيمَةً بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ كَانُونَ الثَّانِي، وَرَكِبَ الْمَاءُ سُوقَ الْخَيْلِ بِكَمَالِهِ، وَوَصَلَ إِلَى ظَاهِرِ بَابِ الْفَرَادِيسِ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي، وَكَسَرَ جِسْرَ الْخَشَبِ الَّذِي عِنْدَ جَامِعِ يَلْبُغَا، وَجَاءَ فَصَدَمَ بِهِ جِسْرُ الزَّلَابِيَّةِ فَكَسَرَهُ أَيْضًا.

❁ ❁ ❁

١٩ـ الْمَلِكُ الْكَامِلُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الْفُتُوحِ شَعْبَانُ ابْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّد (٧٤٦ـ ٧٤٧)

○ توليه السلطنة

كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَدْ عَهِدَ بِالْأَمْرِ إِلَى **أَخِيهِ** الْمَلِكِ الْكَامِلِ **سَيْفِ الدِّينِ أَبِي الْفُتُوحِ شَعْبَانَ**، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٤٦هـ).

ثُمَّ قَدِمَ الْخَبَرُ إِلَى دِمَشْقَ، عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ ربيع الآخر، وَكَانَ الْبَرِيدُ قَدِ انْقَطَعَ عَنِ الشَّامِ نَحْوَ عِشْرِينَ يَوْمًا لِلشُّغْلِ بِمَرَضِ السُّلْطَانِ، فَقَدِمَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْغَرَا** لِلْبَيْعَةِ لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَزُيِّنَ الْبَلَدُ، وَخَطَبَ الْخُطَبَاءُ يَوْمَئِذٍ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ، جَعَلَهُ اللهُ وَجْهًا مُبَارَكًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

○ ولاية سيف الدين يلبغا نيابة دمشق

فِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٤٦هـ) خَرَجَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ لِتَلَقِّي **نَائِبِ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبُغَا**، فَدَخَلَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ جَاءَ فَنَزَلَ عِنْدَ بَابِ السِّرِّ، وَقَبَّلَ الْعَتَبَةَ عَلَى الْعَادَةِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ.

وفِي عَشِيَّةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ رَابِعَ عَشَرَ جمادى الأولى قَطَعَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ من وَجَبَ قَطْعُهُ مِنْ أَهْلِ الْحَبْسِ؛ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَأَضَافَ إِلَى قَطْعِ الْيَدِ قَطْعَ الرِّجْلِ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمْ؛ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ تَكَرَّرَتْ جِنَايَاتُهُمْ، وَصُلِبَ ثَلَاثَةٌ بِالْمَسَامِيرِ مِمَّنْ وَجَبَ قَتْلُهُ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ لِقَمْعِهِ الْمُفْسِدِينَ، وَأَهْلَ الشُّرُورِ، وَالْعَبَثِ، وَالْفَسَادِ.

○ افتتاح قيسارية الأمير يلبغا بظاهر باب الفرج

فِي أَوَّلِ سنة (٧٤٧هـ) فُتِحَتْ الْقَيْسَارِيَّةُ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَلْبُغَا نَائِبُ السَّلْطَنَةِ ظَاهِرَ بَابِ الْفَرَجِ، وَضُمِنَتْ ضَمَانًا بَاهِرًا بِنَحْوٍ مِنْ سَبْعَةِ آلَافٍ كُلَّ شَهْرٍ، وَدَاخِلَهَا قَيْسَارِيَّةُ تِجَارَةٍ فِي وَسَطِهَا بِرْكَةٌ وَمَسْجِدٌ، وَظَاهِرَهَا دَكَاكِينُ، وَأَعَالِيهَا بُيُوتٌ لِلسَّكَنِ.

○ تعزير النور الخراساني

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٤٧هـ) عُقِدَ مَجْلِسٌ بِمَشْهَدِ عُثْمَانَ **لِلنُّورِ الْخُرَاسَانِيِّ**، وَكَانَ **يُقْرِئُ الْقُرْآنَ فِي جَامِعِ تَنْكِزَ**، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ أَشْيَاءَ مِنْ فَرَائِضِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، **ادُّعِيَ عَلَيْهِ فِيهِ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي بَعْضِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ**، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَيُطْلِقُ عِبَارَاتٍ زَائِدَةً عَلَى مَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بَعْضُ الشُّهُودِ بِأَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ، فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنَّ عُزِّرَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى السِّجْنِ مُعْتَقَلًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ الثَّانِي عِشْرِينَ مِنْهُ شَفَعَ فِيهِ **الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُهَنَّا** مَلِكُ الْعَرَبِ عِنْدَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، فَاسْتَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَطْلَقَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ.

○ سعي نائب السلطنة بدمشق لخلع السلطان

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٤٧هـ) بلغ نَائِبَ السَّلْطَنَةِ **بدمشق الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ يَلْبُغَا** الْيَحْيَاوِيَّ النَّاصِرِيَّ، أَنَّ **نَائِبَ صَفَدَ** قَدْ رَكِبَ إِلَيْهِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ، فَانْزَعَجَ لِذَلِكَ، وَقَالَ: **لَا أَمُوتُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ أَفْرَاسِي، لَا عَلَى فِرَاشِي**.

فخرج إلى ظاهر البلد، وَخَرَجَ معه الْجُنْدُ وَالْأُمَرَاءُ، وَكان يَجْتَمِعُ بِهِم جَمَاعَةً وَفُرَادَى، وَيَسْتَمِيلُهُمْ إِلَى خَلْعِ **الْمَلِكِ الْكَامِلِ شَعْبَانَ**؛ لِأَنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ مَسْكِ الْأُمَرَاءِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَيَفْعَلُ أَفْعَالًا لَا تَلِيقُ بِمِثْلِهِ، وَأَنْ يُوَلُّوا **أَخَاهُ أَمِيرَ حَاجِّي بْنَ النَّاصِرِ**؛ لِجَمِيلِ فِعْلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يَفْتِلُ لَهُمْ فِي الذِّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى أَجَابُوهُ، وَوَافَقُوهُ، ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبَعْثِ إِلَى نُوَّابِ الْبِلَادِ، يَسْتَمِيلُهُمْ إِلَى مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ الدِّمَشْقِيُّونَ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.

وَشَرَعَ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ الْكُلِّيَّةِ، وَأَخْرَجَ بَعْضَ مَنْ كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ اعْتَقَلَهُ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَرَدَّ إِلَيْهِ إِقْطَاعَه، وَعَزَلَ وَوَلَّى، وَأَخَذَ وَأَعْطَى، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ عَلَى الْعَادَةِ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالسَّادَةُ، وَهَذَا كُلُّهُ وَهُوَ مُخَيِّمٌ بِالْمَكَانِ الْمَذْكُورِ، لَا يَحْصُرُهُ بَلَدٌ وَلَا يَحْوِيهِ سُورٌ.

وَحَاصِلُ الْقَضِيَّةِ: اجْتِمَاع المصريين مع الشاميين، وَدَعَوْا إِلَى **سَلْطَنَةِ أَمِيرِ حَاجِّي**، وَنَابَذُوا السُّلْطَانَ الْكَامِلَ، **وَعَدُّوا عَلَيْهِ مَسَاوِئَهُ. فَفَرَّ الْكَامِلُ وَأَنْصَارُهُ فَاحْتِيطَ عَلَيْهِ**.

٢٠ـ الْمَلِكُ المظفر أمير حاجي ابْنَ النَّاصِر مُحَمَّد (٧٤٧ـ٧٤٨هـ)

○ توليه السلطنة

بعد خلع الْكَامِلُ أحضر الأمراء أخاه **أَمِير حَاجِّي** ابن الناصر محمد، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ، وَلَقَّبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ **تاسع جُمَادَى الْآخِرَةِ** (٧٤٧هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ بَيْغَرَا** وَمَعَهُ **تَقْلِيدُ النِّيَابَةِ** مِنَ **السلطان الْمُظَفَّرِ أمير حاجي ابن الناصر محمد** إِلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ **يَلْبُغَا نَائِبِ السَّلْطَنَةِ**، وَكِتَابٌ إِلَى الْأُمَرَاءِ بِالسَّلَامِ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ وَبَايَعُوهُ، **وَانْتَظَمَتِ الْكَلِمَةُ**، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ حَادِيَ عَشَرَ **جُمَادَى الْآخِرَةِ** دَخَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى الْبَلَدِ، فِي تَجَمُّلٍ وَطَبْلَخَانَاهْ عَلَى عَادَةِ الْعَرْضِ، وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِلْفُرْجَةِ، وَخَرَجَ أَهْلُ الذِّمَّةِ بِالتَّوْرَاةِ، وَأُشْعِلَتِ الشُّمُوعُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

○ القبض على عدد من الأمراء

فِي سَلْخِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٤٨هـ) وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **بِمَسْكِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ**؛ كَالْحِجَازِيِّ، وَآقْ سُنْقُرُ النَّاصِرِيُّ، فَتَحَرَّكَ الْجُنْدُ بِالشَّامِ، وَوَقَعَتْ خَبْطَةٌ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جمادى الأولى **قَدِمَ أَمِيرٌ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى الْبَرِيدِ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ السُّلْطَانِ فِيهِ التَّصْرِيحُ **بِعَزْلِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ يَلْبُغَا** نَائِبِ الشَّامِ، فَقُرِئَ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ الْأُمَرَاءِ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، فَتَغَمَّمَ لِذَلِكَ وَسَاءَهُ، وَفِيهِ طَلَبُهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى الْبَرِيدِ لِيُوَلَّى نِيَابَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ خَدِيعَةً لَهُ، فَأَظْهَرَ الِامْتِنَاعَ، وَأَنَّهُ لَا يَذْهَبُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَبَدًا، وَقَالَ: إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ قَدِ اسْتَكْثَرَ عَلَيَّ وِلَايَةَ دِمَشْقَ، فَيُوَلِّينِي أَيَّ الْبِلَادِ شَاءَ، **فَأَنَا** رَاضٍ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ الثامن عشر من جمادى الأولى **قَدِمَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ إِيَاسُ** نَائِبُ **صَفَدَ** مِنْهَا للقبض على **يَلْبُغَا** نَائِبِ الشَّامِ، فَتَلَقَّاهُ الْأُمَرَاءُ وَالْمُقَدَّمُونَ، ثم سَاقَ وَرَاءَ **يَلْبُغَا** وَمَنْ مَعَهُ، وهرب يَلْبُغَا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، فَجَعَلَتِ **الْأَعْرَابُ** يَعْتَرِضُونَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَمَا زَالُوا يَكُفُّونَهُ حَتَّى سَارَ نَحْوَ حَمَاةَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نَائِبُهَا، وَقَدْ ضَعُفَ أَمْرُ يلبغا جِدًّا، فَأَلْقَى بِيَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَسُيُوفَ مَنْ مَعَهُ، وَاعْتُقِلُوا بِحَمَاةَ، وَقَدِمَ **يَلْبُغَا إلى دمشق مُقَيَّدًا** هُوَ وَأَبُوهُ، وَحَوْلَهُ الْأُمَرَاءُ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ، فَدَخَلُوا بِهِ بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ، ثم اسْتَمَرُّوا ذَاهِبِينَ نَحْوَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدِمَ الْبَرِيدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٤٨هـ)، فَأَخْبَرَ بِقَتْلِ يَلْبُغَا وأبيه، وَكَذَلِكَ الْأُمَرَاءُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ، وَهُمُ الْوَزِيرُ ابْنُ سَرْدِ بْنِ الْبَغْدَادِيِّ، وَالدَّوَادَارُ طُغَيْتَمُرَ، وَبَيْدَمُرُ الْبَدْرِيُّ أَحَدُ الْمُقَدَّمِينَ.

وَقَدِمَ أَمِيرَانِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْحَوْطَةِ عَلَى حَوَاصِلِ يَلْبُغَا وَطَوَاشِيٍّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، فَتَسَلَّمَ مَصَاغًا وَجَوَاهِرَ نَفِيسَةً جِدًّا، وَرُسِمَ بِبَيْعِ أَمْلَاكِهِ وَمَا كَانَ وَقَفَهُ عَلَى الْجَامِعِ الَّذِي كَانَ قَدْ شَرَعَ بِعِمَارَتِهِ بِسُوقِ الْخَيْلِ.

○ تولية سيف الدين أرغون نيابة دمشق

فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٤٨هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ شَاهْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةَ نَائِبًا عَلَيْهَا، فَدَخَلَهَا فِي أُبَّهَةِ النِّيَابَةِ، وَعَلَيْهِ خِلْعَةٌ وَعِمَامَةٌ، فَنَزَلَ دَارَ السَّعَادَةِ وَحَكَمَ بِهَا، وَفِيهِ صَرَامَةٌ وَشَهَامَةٌ.

○ مقتل السلطان المظفر

فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٧٤٨هـ) جَاءَ الْبَرِيدُ مِنْ نَائِبِ غَزَّةَ إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ بِقَتْلِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ أمير حَاجِّي بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ خلف، فَتَحَيَّزُوا عَنْهُ إِلَى قُبَّةِ النَّسْرِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ فَقُتِلَ فِي الْحَالِ، وَسُحِبَ إِلَى مَقْبَرَةٍ هُنَاكَ، وَيُقَالُ: قُطِّعَ قِطَعًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

٢١ـ سلْطَنة الناصر حسن ابْنِ الناصِر مُحَمَّدِ بْن قَلاوُونَ (الأولى) (٧٤٨ـ ٧٥٢)

○ توليه السلطنة

فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ سنة (٧٤٨هـ) وَرَدَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَمِيرٌ لِلْبَيْعَةِ لِلسُّلْطَانِ النَّاصِرِ حَسَنِ ابْنِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى انْتِظَامِ الْكَلِمَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْأُلْفَةِ.

○ وفاة شمس الدين الذهبي

فِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ ثَالِثِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٤٨هـ) تُوُفِّيَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ، مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ، وَشَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ، **بمدرسة تُرْبَةِ أُمِّ الصَّالِحِ**، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ صَلَاةَ الظُّهْرِ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ خُتِمَ بِهِ شُيُوخُ الْحَدِيثِ وَحُفَّاظُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ درس ابن كثير مكان الذهبي

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ حَضَرْتُ تُرْبَةَ أُمِّ الصَّالِحِ - رَحِمَ اللهُ وَاقِفَهَا - عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الذَّهَبِيِّ، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ وَبَعْضُ الْقُضَاةِ، وَكَانَ دَرْسًا مَشْهُودًا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - أَوْرَدْتُ فِيهِ حَدِيثَ أَحْمَدَ، عَنِ الشَّافِعِيِّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» [(١)].

○ تعزير قطاع الطرق

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٤٨هـ) أَمَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِجَمَاعَةٍ انْتَهَبُوا شَيْئًا مِنَ الْبَاعَةِ، فَقَطَعَ أَيْدِي أَحَدَ عَشَرَ مِنْهُمْ، وَسَمَّرَ سَبْعَةَ عَشَرَ تَسْمِيرًا؛ تَعْزِيرًا وَتَأْدِيبًا.

(١) سنن النسائي (٤/ ١٠٨)، وسنن ابن ماجه (٥/ ٣٣٧) وصححه الألباني. .

❍ أحوال السلطنة في سنة (٧٤٩هـ):

اسْتَهَلَّتْ هذه السنة:

⦿ وَنَائِبُ السلطان بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْأَمِيرُ سَيفُ الدِّينِ بَيْبُغَا.

⦿ وَوَزِيرُهُ مَنْجَكْ.

⦿ وَقُضَاتُهُ: عِزُّ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ الشَّافِعِيُّ، وَتَقِيُّ الدِّينِ الْأَخْنَائِيُّ الْمَالِكِيُّ، وَعَلَاءُ الدِّينِ بْنُ التُّرْكُمَانِيِّ الْحَنَفِيُّ، وَمُوَفَّقُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ.

⦿ وَكَاتِبُ سِرِّهِ الْقَاضِي عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللهِ الْعُمَرِيُّ.

⦿ وَنَائِبُ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ بِدِمَشْقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ شَاهْ النَّاصِرِيُّ.

⦿ وَحَاجِبُ الْحُجَّابِ الْأَمِيرُ طَيْدَمُرُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ.

⦿ وَالْقُضَاةُ بِدِمَشْقَ: قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيُّ الْمَالِكِيُّ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ مُنَجَّا الْحَنْبَلِيُّ.

⦿ وَكَاتِبُ سِرِّهِ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ الْحَلَبِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَهُوَ قَاضِي الْعَسَاكِرِ بِحَلَبَ، وَمُدَرِّسُ الْأَسَدِيَّةِ بِهَا أَيْضًا، مَعَ إِقَامَتِهِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ.

❍ وقوع الوباء وتضرع الناس إلى الله

في سنة (٧٤٩هـ) تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِوُقُوعِ الْوَبَاءِ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ، فَذُكِرَ عَنْ بِلَادِ الْقِرْمِ أَمْرٌ هَائِلٌ، وَمَوْتَانٌ فِيهِمْ كَثِيرٌ، ثُمَّ ذُكِرَ أَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بِلَادِ الْفِرَنْجِ حَتَّى قِيلَ: إِنَّ أَهْلَ قُبْرُصَ مَاتَ أَكْثَرُهُمْ، وَكَذَا وَقَعَ بِغَزَّةَ أَمْرٌ عَظِيمٌ حيث مات منهم في شهر واحد بضعة عشر ألفا.

وَقُرِئَ "**صحيح الْبُخَارِيُّ**" بدمشق يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ سَابِعَ **رَبِيعٍ الْأَوَّلِ** فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَحَضَرَ الْقُضَاةُ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَدَعَا النَّاسُ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ عَنِ الْبِلَادِ.

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعِ **رَبِيعٍ الْأَوَّلِ** اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمِحْرَابِ الصَّحَابَةِ، وَقَرَءُوا مُتَوَزِّعِينَ "**سُورَةَ نُوحٍ**" ثَلَاثَةَ آلَافِ مَرَّةٍ، وَثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةً وَسِتِّينَ مَرَّةً، عَنْ رُؤْيَا رَجُلٍ(١) أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرْشِدُهُ إِلَى قِرَاءَةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

وَفِي شهر **رَبِيعٍ الْأَوَّلِ** أَيْضًا كَثُرَ الْمَوْتُ فِي النَّاسِ **بِأَمْرَاضِ الطَّوَاعِينِ**، وَزَادَ الْأَمْوَاتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الْمِائَةِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَإِذَا وَقَعَ فِي أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ أَكْثَرُهُمْ.

وَشَرَعَ خَطِيبُ الجامع الأموي فِي الْقُنُوتِ فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ، وَالدُّعَاءِ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ بِذَلِكَ خُضُوعٌ، وَخُشُوعٌ، وَتَضَرُّعٌ، وَإِنَابَةٌ.

وَفِي يَوْمِ **الِاثْنَيْنِ** الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ نُودِيَ فِي الْبَلَدِ **أَنْ يَصُومَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**، وَأَنْ يَخْرُجُوا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ إِلَى عِنْدِ مَسْجِدِ الْقَدَمِ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللهِ، وَيَسْأَلُونَهُ فِي رَفْعِ الْوَبَاءِ عَنْهُمْ، فَصَامَ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَنَامَ النَّاسُ فِي الْجَامِعِ، وَأَحْيَوُا اللَّيْلَ كَمَا يَفْعَلُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ **خَرَجُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ**،(٢) وَالشُّيُوخُ، وَالْعَجَائِزُ، وَالصِّبْيَانُ، وَالْفُقَرَاءُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالْكُبَرَاءُ، وَالْقُضَاةُ، حتى الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَالسَّامِرَةُ، مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَمَا زَالُوا هُنَالِكَ يَدْعُونَ اللهَ تَعَالَى حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ جِدًّا.

وَفِي مُنْتَصَفِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٤٩هـ) قَوِيَ الْمَوْتُ وَتَزَايَدَ، وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ، وَمَاتَ خَلَائِقُ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّتَهُ، وَكَانَ يُصَلَّى فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ فِي الْجَامِعِ عَلَى أَزْيَدَ مِنْ مِائَةِ مَيِّتٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(١) قراءة القرآن عمل صالح؛ لكن هذه الصفة في العدد مبنية على رؤيا، والرؤيا ليست من مصادر التشريع، حتى تقرأ السورة بهذه الصفة.

(٢) الحافظ ابن كثير يحكي الواقع الذي حصل، وهو صورة من التضرع والدعاء وإظهار الضعف والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم يعلق ابن كثير على ذلك بشيء.

وَعُمِلَتِ الْمَوَاعِيدُ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، يَقُولُونَ: لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَلَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ فِيهِ عَلَى الْعَادَةِ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ؛ وَلِشُغْلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِمَرْضَاهُمْ وَمَوْتَاهُمْ.

فِي أول سنة (٧٥٠هـ) تَقَاصَرَ أَمْرُ الطَّاعُونِ جِدًّا- وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - وَنَزَلَ دِيوَانُ الْمَوَارِيثِ إِلَى الْعِشْرِينَ وَمَا حَوْلَهَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الْخَمْسَمِائَةِ فِي أَثْنَاءِ سَنَةِ (٧٤٩هـ).

○ ازدحام المسامرين وإغلاق الباب دونهم

اتَّفَقَ أنه فِي ليلة من شهر رجب سنة (٧٤٩هـ) تَأَخَّرَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ فِي **الْخِيَمِ** ظَاهِرَ الْبَلَدِ، فَجَاءُوا لِيَدْخُلُوا مِنْ **بَابِ النَّصْرِ** عَلَى عَادَتِهِمْ فِي ذَلِكَ، فازدحموا فَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَانْزَعَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، فَخَرَجَ فَوَجَدَهُمْ، فَأَمَرَ بِجَمْعِهِمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ أَمَرَ بِتَسْمِيرِهِمْ ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ، وَضَرَبَ مُتَوَلِّي الْبَلَدِ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَسَمَّرَ نَائِبَهُ فِي اللَّيْلِ، وَسَمَّرَ الْبَوَّابَ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَمْشِيَ أَحَدٌ بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ.

○ الغدر بأرغون نائب دمشق وقتله

فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٥٠هـ) مُسِكَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِدِمَشْقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ شَاهْ، وَكَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ بِأَهْلِهِ، فَمَا شَعَرَ وَسَطَ اللَّيْلِ إِلَّا وَنَائِبُ طَرَابُلُسَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ أُلْجَيْبُغَا الْمُظَفَّرِيُّ** فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْأُلُوفِ وَغَيْرِهِمْ، فَأَحَاطُوا بِهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَنْ دَخَلَ وَهُوَ مَعَ جَوَارِيهِ نَائِمٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَقَيَّدُوهُ، وَرَسَمُوا عَلَيْهِ، وَاحْتِيطَ عَلَى حَوَاصِلِ أَرْغُونَ شَاهْ، فَبَاتَ عَزِيزًا، وَأَصْبَحَ ذَلِيلًا، وَأَمْسَى عَلَيْنَا نَائِب لِلسَّلْطَنَةِ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْمَسْكَنَةُ، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ الْأَمْرُ مَالِكِ الْمُلْكِ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الرَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ أَصْبَحَ مَذْبُوحًا، فَأُثْبِتَ مَحْضَرٌ بِأَنَّهُ ذَبَحَ نَفْسَهُ، فَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ وَقَعَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ جَيْشِ دِمَشْقَ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ **سَيْفِ الدِّينِ أُلْجَيْبُغَا** نَائِبِ طَرَابُلُسَ، الَّذِي جَاءَ فَأَمْسَكَ نَائِبَ دِمَشْقَ وَقَتَلَهُ، وَأَقَامَ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ يَسْتَخْلِصُ أَمْوَالَهُ، وَحَوَاصِلَهُ، وَيَجْمَعُهَا عِنْدَهُ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ الْكِبَارُ، وَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْمِلَ الْأَمْوَالَ إِلَى قَلْعَةِ السُّلْطَانِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، **فَاتَّهَمُوهُ فِي أَمْرِهِ، وَشَكُّوا فِي الْكِتَابِ** الَّذِي عَلَى يَدِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِمَسْكِهِ وَقَتْلِهِ، وَرَكِبَ جيش دمشق مُلْبِسِينَ تَحْتَ الْقَلْعَةِ وَأَبْوَابِ الْمَيَادِينِ، وَرَكِبَ الأمير **سَيْف الدِّينِ أُلْجَيْبُغَا** فِي أَصْحَابِهِ وَهُمْ دُونَ الْمِائَةِ.

وجَعَلُوا يَحْمِلُونَ عَلَى الْجَيْشِ حَمْلَ الْمُسْتَقْتِلِينَ، والجيش يُدَافِعُهُمْ مُدَافَعَةَ الْمُتَبَرِّمِينَ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَرْسُومٌ بِقَتْلِهِمْ وَلَا قِتَالِهِمْ؛ فَلِهَذَا وَلَّى أَكْثَرُهُمْ مُنْهَزِمِينَ.

ثُمَّ انْفَصَلَ الْحَالُ عَلَى أَنْ أَخَذَ أُلْجَيْبُغَا الْمُظَفَّرِيُّ مِنْ خُيُولِ أَرْغُونَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَمَعَهُ الْأَمْوَالُ الَّتِي جَمَعَهَا مِنْ حَوَاصِلِ أَرْغُونَ شَاهْ، وَلَمْ يَتْبَعْهُ أَحَدٌ مِنَ الْجَيْشِ، وَصُحْبَتُهُ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ **إِيَاسُ** الَّذِي كَانَ حَاجِبًا، فَذَهَبَا بِمَنْ مَعَهُمَا إِلَى طَرَابُلُسَ.

وَكَتَبَ أُمَرَاءُ الشَّامِ إِلَى السُّلْطَانِ يُعْلِمُونَهُ بِصُورَةِ مَا وَقَعَ، فَجَاءَ الْبَرِيدُ بِأَنَّهُ **لَيْسَ عِنْدَ السُّلْطَانِ عَلْمٌ بِمَا وَقَعَ بِالْكُلِّيَّةِ**، وَأَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ عَلَى يَدَيْهِ مُفْتَعِلٌ، وَجَاءَ الْأَمْرُ لِجَيْشِ دِمَشْقَ أَنْ يَسِيرُوا وَرَاءَهُ لِيُمْسِكُوهُ، فَخَرَجُوا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ.

وَفِي لَيْلَةِ السَّبْتِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ، دَخَلَ الْجَيْشُ دمشق، وَمَعَهُمْ أُلْجَيْبُغَا الْمُظَفَّرِيِّ أَسِيرٌ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ، (١) وَكَذَلِكَ الْفَخْرُ إِيَاسُ الْحَاجِبُ مَأْسُورٌ مَعَهُمْ، فَأُودِعَا فِي الْقَلْعَةِ مُهَانَيْنِ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْهُ أخرجا مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى سُوقِ الْخَيْلِ، **فَوُسِّطَا** بِحَضْرَةِ الْجَيْشِ، وَعُلِّقَتْ جُثَّتُهُمَا عَلَى الْخُشُبِ؛ لِيَرَاهُمَا النَّاسُ، فَمَكَثَا أَيَّامًا ثُمَّ أُنْزِلَا فَدُفِنَا بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

---

(١) ارتكب الجيبغا المظفري جرما عظيما، وقتل نائب دمشق غيلة، بين أهله وحريمه، فانتقم الله منه سريعا، ولم يمتع بما أخذ من الأموال.

○ وفاة قُطْلِيشَا نائب حلب

فِي أَوَائِلِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٥٠هـ) جَاءَ الْخَبَرُ بِمَوْتِ **نَائِبِ حَلَبَ** سَيْفِ الدِّينِ قُطْلِيشَا، **فَفَرِحَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِمَوْتِهِ**، وَذَلِكَ لِسُوءِ أَعْمَالِهِ فِي نيابة حَمَاة زَمَنَ الطَّاعُونِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَحْتَاطُ عَلَى التَّرِكَةِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ غَيْرُهُ، وَيَأْخُذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ جَهْرَةً، حَتَّى حَصَلَ لَهُ مِنْهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، **ثُمَّ نُقِلَ إِلَى حَلَبَ**، فَلَمَّا صَارَ إِلَى حَلَبَ لَمْ يَقُمْ بِهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانَ حَصَّلَهَا، لَا فِي دُنْيَاهُ وَلَا فِي أُخْرَاهُ.[1]

○ الاتفاق بين السبكي وابن القيم على ترك الفتيا في الطلاق

وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٥٠هـ) حَصَلَ الصُّلْحُ بَيْنَ قَاضِي الْقُضَاةِ **تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ**، وَبَيْنَ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ **بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ**، عَلَى يَدَيِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ مَلِكِ الْعَرَبِ، فِي بُسْتَانِ قَاضِي الْقُضَاةِ، وَكَانَ قَدْ نَقَمَ عَلَيْهِ **إِكْثَارَهُ مِنَ الْفُتْيَا بِمَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ**.

○ تولية جمال الدين المرداوي قضاء الحنابلة

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ أول رَمَضَانَ سنة (٧٥٠هـ) اسْتُدْعِيَ الشَّيْخُ **جَمَالُ الدِّينِ الْمَرْدَاوِيُّ** مِنَ الصَّالِحِيَّةِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَكَانَ تَقْلِيدُ الْقَضَاءِ لِمَذْهَبِهِ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، فَأُحْضِرَتِ الْخِلْعَةُ بَيْنَ يَدَيِ النَّائِبِ وَالْقُضَاةِ الْبَاقِينَ، وَأُرِيدَ عَلَى لُبْسِهَا وَقَبُولِ الْوِلَايَةِ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فَصَمَّمَ، وَبَالَغَ فِي الِامْتِنَاعِ جِدًّا، وَخَرَجَ وَهُوَ مُغْضَبٌ، فَرَاحَ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ فَبَالَغَ النَّاسُ فِي تَعْظِيمِهِ، وَبَقِيَ الْقُضَاةُ فِي دَارِ السَّعَادَةِ، ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَحَضَرَ مِنَ الصَّالِحِيَّةِ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَبِلَ وَلَبِسَ الْخِلْعَةَ، وَخَرَجَ إِلَى الْجَامِعِ فَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ الْقُضَاةُ وَهَنَّأَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَفَرِحُوا بِهِ، لِدِيَانَتِهِ، وَصِيَانَتِهِ، وَفَضِيلَتِهِ، وَأَمَانَتِهِ.

---

(١) هذا نموذج من نقد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ للأوضاع التي عايشها، ومثل هذا كثير في كتابه.

وَبَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ بِأَيَّامٍ أناب عنه في الحكم الْفَقِيهُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ **بْنُ مُفْلِحٍ الْحَنْبَلِيُّ**، وَابْنُ مُفْلِحٍ زَوْجُ ابْنَتِهِ.

قيود على ألبسة النساء

فِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٥١هـ) نُودِيَ بِالْبَلَدِ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ السُّلْطَانِ عَنْ كِتَابٍ جَاءَهُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَنْ لَا تَلْبَسَ النِّسَاءُ الْأَكْمَامَ الطِّوَالَ الْعِرَاضَ، وَلَا الْبُرْدَ الْحَرِيرَ، وَلَا شَيْئًا مِنَ اللِّبَاسَاتِ وَالثِّيَابِ الثَّمِينَةِ، وَلَا الْأَقْمِشَةِ الْقِصَارِ، وَبَلَغَنَا أَنَّهُمْ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ شَدَّدُوا فِي ذَلِكَ جِدًّا، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمْ **غَرَّقُوا بَعْضَ النِّسَاءِ** بِسَبَبِ ذَلِكَ. فَاللهُ أَعْلَمُ.

إبطال الوقيد بجامع دمشق

في سنة (٧٥١هـ) أبطل الْوَقِيدُ بِجَامِعِ دِمَشْقَ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَلَمْ يَزِدْ فِي وَقِيدِهِ قِنْدِيلٌ وَاحِدٌ عَلَى عَادَةِ لَيَالِيهِ فِي سَائِرِ السَّنَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَفَرِحَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، وَأَهْلُ الدِّيَانَةِ، وَشَكَرُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى تَبْطِيلِ هَذِهِ الْبِدْعَةِ الشَّنِيعَةِ، الَّتِي كَانَ يَتَوَلَّدُ بِسَبَبِهَا شُرُورٌ كَثِيرَةٌ بِالْبَلَدِ، وَلَا سِيَّمَا بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ.

وَكَانَ ذَلِكَ بِمَرْسُومِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، وَكَانَ السَّاعِيَ فِي ذَلِكَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّجِيبِيِّ** -بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهُ-.

وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ عِنْدَهُ فُتْيَا عَلَيْهَا خَطُّ الشَّيْخِ **تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ**، وَالشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمْلَكَانِيِّ، وَغَيْرِهِمَا فِي إِبْطَالِ هَذِهِ الْبِدْعَةِ، فَأَنْفَذَ اللهُ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ قَدِ اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ أَظْهُرِ النَّاسِ مِنْ سَنَةِ (٤٥٠هـ)، وَإِلَى زَمَانِنَا هَذَا سنة (٧٥١هـ)، وَكَمْ سَعَى فِيهَا مِنْ فَقِيهٍ، وَقَاضٍ، وَمُفْتٍ، وَعَالِمٍ، وَعَابِدٍ، وَأَمِيرٍ، وَزَاهِدٍ، وَنَائِبِ سَلْطَنَةٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُيَسِّرِ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا فِي عَامِنَا هَذَا.

وكان الْجَهَلَةُ قد اسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِهِمْ مِنَ انَّهُ إِذَا أَبْطَلَ هَذَا الْوَقِيدُ فِي عَامٍ يَمُوتُ سُلْطَانُ الْوَقْتِ، وَكَانَ هَذَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الْوَهْمِ وَالْخَيَالِ.

أحوال البلاد سنة (٧٥٢هـ)

اسْتَهَلَّتْ هذه السنة:

- وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَا يُلْحَقُ بِذَلِكَ مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ - الْمَلِكُ النَّاصِرُ **حَسَنُ ابْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيُّ**.
- وَنَائِبُهُ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ بَيْبُغَا** الْمُلَقَّبُ بِحَارِسِ الطَّيْرِ.
- وَولي الْوِزَارَة الْقَاضِي عَلَمَ الدِّينِ بْنَ زُنْبُورٍ.
- وَأعيد إِلَى وَظِيفَةِ الدُّوَيْدَارِيَّةِ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ طَشْبُغَا النَّاصِرِيَّ، وَكَانَ أَمِيرًا بِالشَّامِ مُقِيمًا مُنْذُ عُزِلَ إِلَى أَنْ أُعِيدَ فِي أَوَاخِرِ السَّنَةِ.

نهاية نائب صفد

فِي أَوَائِلِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٥١هـ) **طُلِبَ نَائِبُ صَفَدَ** شِهَابَ الدِّينِ **أَحْمَدَ ابْنِ مُشِدِّ الشُّرْبَخَانَاهْ** إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **فَامْتَنَعَ** مِنْ إِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَقَضَ الْعَهْدَ، وَحَصَّنَ قَلْعَتَهَا، فَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِأَنْ يَرْكَبَ إِلَيْهِ، فَتَجَهَّزَ الْجَيْشُ لِذَلِكَ وَتَأَهَّبُوا، فَلَمَّا بَرَزَ بَعْض الجيش اسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى تَجْرِيدِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ إِلَيْهِ، فَعِنْدَمَا تَحَقَّقَ لنائب صفد **مَسْكُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْبُغَا آرُوسَ** خَضَعَ وَرَغِبَ إِلَى السَّلَامَةِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ. فاعتقل بالإسكندرية.

عزل السلطان الناصر حسن بن محمد

فِي شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٥٢هـ) عزل السُّلْطَان الْمَلِك النَّاصِر **حَسَنِ بْنِ النَّاصِرِ محمد بْنِ قَلَاوُونَ**؛ لِاخْتِلَافِ الْأُمَرَاءِ عَلَيْهِ.

❁ ❁ ❁

٢٢ـ السلطان صلاح الدين صالح بْنِ الناصر مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ (٧٥٢ـ٧٥٥)

○ توليه السلطنة

فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٥٢هـ) وَرَدَ الْبَرِيد مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِعَزْلِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ قَلَاوُونَ؛ لِاخْتِلَافِ الْأُمَرَاءِ عَلَيْهِ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى أَخِيهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ صَالِحٍ- وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً -

وَخُطِبَ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، وَحَضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْأُمَرَاءُ وَالْقُضَاةِ؛ لِلدُّعَاءِ لَهُ بِالْمَقْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ.

○ تولية أرغون الكاملي نيابة دمشق

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧٥٢هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **أَرْغُونُ الْكَامِلِيُّ** نائبا على دِمَشْقَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَخَرَجَ الْأُمَرَاءُ، وَالْمُقَدَّمُونَ، وَأَرْبَابُ الْوَظَائِفِ؛ لِتَلَقِّيهِ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ.

وَاسْتَبْشَرَ النَّاسُ بِهِ؛ لِصَرَامَتِهِ، وَشَهَامَتِهِ، وَحِدَّتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ لِينِ الَّذِي قَبْلَهُ وَرَخَاوَتِهِ، فَنَزَلَ دَارَ السَّعَادَةِ.

وخرج يوما فِي مَوْكِبٍ هَائِلٍ، لَمْ يُرَ مِثْلَهُ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَمَّا وصل إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ الْفَرَجِ اشْتَكَى إِلَيْهِ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ عَلَى أَمِيرٍ كَبِيرٍ يُقَالُ لَهُ: الطَّرْخَانِيُّ. فَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِ عَنْ فَرَسِهِ، فَأُنْزِلَ وَأُوقِفَ مَعَهُنَّ فِي الْحُكُومَةِ.

وَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ عَنِ أمر النَّائِبِ: **مَنْ وَجَدَ جُنْدِيًّا سَكْرَانَ فَلْيُنْزِلْهُ عَنْ فَرَسِهِ**، وَلْيَأْخُذْ ثِيَابَهُ، وَمَنْ أَحْضَرَهُ مِنَ الْجُنْدِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ فَلَهُ خُبْزُهُ. فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ.

وَأُصْلِحَتِ الْمَعَايِشُ مِنْ هَيْبَةِ النَّائِبِ، وَصَارَ لَهُ صِيتٌ حَسَنٌ، وَذِكْرٌ جَمِيلٌ فِي النَّاسِ بِالْعَدْلِ، وَجَوْدَةِ الْقَصْدِ، وَصِحَّةِ الْفَهْمِ.

❍ تولية أَحْمَد الشُّرْبَخَانَاهْ نيابة حماة

فِـي يَـوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَـرَ شَـعْبَانَ سَـنة (٧٥٢هـ) أُعْطِـيَ **الْأَمِيرُ أَحْمَدُ بْنُ شَـادِّ الشُّرْبَخَانَاهْ نِيَابَةَ حَمَاةَ**، فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي هَذَا الْيَوْمِ سَائِرًا إِلَى حَمَاة.

❍ تولية بيبغا نيابة حلب

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْحَادِي وَالْعِشْـرِينَ مِنْ شـعبان سـنة (٧٥٢هـ) دَخَلَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّيـنِ بَيْبُغَا**، الذي مُسِـكَ بِالْحِجَازِ وَأُودِعَ الْكَـرَكَ، ثُمَّ أُخْرِجَ فِي هَـذِهِ الدَّوْلَةِ، وَأُعْطِيَ نِيَابَةَ **حَلَبَ**، فَتَلَقَّاهُ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ، وَأُنْزِلَ دَارَ السَّـعَادَةِ حَتَّى أُضِيفَ، وَضُرِبَتْ لَهُ خَيْمَةٌ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ.

❁ ❁ ❁

(٥)

خلافة المعتضد بالله
أبوبكر بن المستكفي بالله
سليمان ابْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

(٧٥٣-٧٦٣هـ)

❍ نسبه

أَبُو بكر بن سُـلَيْمَان بن أَحْمد بن أبي عَليّ بن عَليّ بن أبي بكر بن مَنْصُور أَبُو الْفَتْح المعتضد بن المستكفي بن الْحَاكِم العباسي الْخَلِيفَة بالديار المصرية.

❍ بيعته

اسْتَقر فِي الْخلَافَة بعد أخيه الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي سليمان بعهد منه، سنة (٧٥٣هـ).

❍ وفاته

توفي في العشر الأوسط من جُمَادَى الأولى سنة (٧٦٣هـ) بالقاهرة، وصلي عليه يوم الخميس، وَكَانَ خيرا متواضعـًا محبا لأهل الْعلم.

❍ أحوال السلطنة سنة (٧٥٣)

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ:

- وَسُلْطَانُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ - الْمَلِكُ **صَالِحُ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ** مُحَمَّدِ ابْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ.
- وَالْخَلِيفَةُ الَّذِي يُدْعَى لَهُ **الْمُعْتَضِدُ بِأَمْرِ اللهِ**.
- وَنَائِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ قُبْلَايْ**.
- وَالْوَزِيرُ الْقَاضِي **ابْنُ زُنْبُورٍ**.
- وَأُولُـو الْأَمْـرِ الَّذِيـنَ يُدَبِّرُونَ الْمَمْلَكَـةَ لِصِغَرِ السُّـلْطَانِ الْمَذْكُـورِ - جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ثَلَاثَةٌ؛ سَيْفُ الدِّينِ شَيْخُونُ، وَطَازْ، وَصَرْغَتْمُشْ.
- وَنَائِبُ دِمَشْقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **أَرْغُونُ الْكَامِلِيُّ**.
- وَنَائِبُ الْبِلَادِ الْحَلَبِيَّةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **بَيْبُغَا آرُوسُ**.

- وَنَائِبُ طَرَابُلُسَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **بَكْلَمُشُ**.
- وَنَائِبُ حَمَاةَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُشِدِّ **الشُّرْبَخَانَةُ**.

احتراق باب جيرون

فِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٥٣هـ) وَقَعَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ عِنْدَ بَابِ جَيْرُونَ شَرْقِيَّهُ، فَأَحْرَقَ دُكَّانَ الْفَقَّاعِيِّ الْكَبِيرَةَ الْمُزَخْرَفَةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَاتَّسَعَ اتِّسَاعًا فَظِيعًا، وَاتَّصَلَ الْحَرِيقُ بِالْبَابِ الْأَصْفَرِ مِنَ النُّحَاسِ، وَهُوَ بَابُ شَرْقِيِّ جَامِعِ دِمَشْقَ، لَمْ يُرَ بَابٌ أَوْسَعُ وَلَا أَعْلَى مِنْهُ فِيمَا يُعْرَفُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُ غَلَقَانِ مِنْ نُحَاسٍ أَصْفَرَ بِمَسَامِيرَ مِنْ نُحَاسٍ بَارِزَةٍ، وهو **مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا** وَمَحَاسِنِ دِمَشْقَ وَمَعَالِمِهَا.

وَقَدْ ذَكَرَتْهُ الْعَرَبُ فِي أَشْعَارِهَا، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى مَلِكٍ يُقَالُ لَهُ: **جَيْرُونُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصَ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ**، وَهُوَ الَّذِي بَنَاهُ، وَكَانَ بِنَاؤُهُ لَهُ قَبْلَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ قَبْلَ ثَمُودَ وَهُودٍ أَيْضًا، عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي "تَارِيخِهِ" وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ فَوْقَهُ حِصْنٌ عَظِيمٌ، وَقَصْرٌ مُنِيفٌ، وَيَكُونُ لِهَذَا الْبَابِ مِنَ الْمُدَدِ الْمُتَطَاوِلَةِ مَا يُقَارِبُ خَمْسَةَ آلَافِ سَنَةٍ، ثُمَّ كَانَ انْجِعَافُ هَذَا الْبَابِ لَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ بِالْأَيْدِي الْعَادِيَةِ عَلَيْهِ؛ بِسَبَبِ مَا نَالَهُ مِنْ شَوْظِ حَرِيقٍ اتَّصَلَ إِلَيْهِ مِنْ حَرِيقٍ وَقَعَ إِلَى جَانِبِهِ، فَتَبَادَرَ دِيوَانُ الْجَامِعِ فَفَرَّقُوا شَمْلَهُ، وَفَضُّوا ثَمْلَهُ، وَعَرَّوْا جِلْدَهُ النُّحَاسَ عَنْ بَدَنِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَشَبِ الصَّنَوْبَرِ.

وَقَدْ شَاهَدْتُ الْفُئُوسَ تَعْمَلُ فِيهِ وَلَا تَكَادُ تُحِيلُ فِيهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ، بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَدِ الْمُتَطَاوِلَةِ، وَالْأُمَمِ الْمُتَدَاوِلَةِ، وَلَكِنْ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرعد: ٣٨].

عصيان بعض الأمراء على السلطان الصالح

فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٥٣هـ) اتَّفَقَ **نَائِبُ حَلَبَ** بَيْبُغَا آرُوس، مَعَ نَائِبِ طَرَابُلُسَ بَكْلَمُشْ، وَنَائِبِ حَمَاةَ أَمِيرَ أَحْمَدَ بْنِ مُشِدِّ الشُّرْبَخَانَهْ، عَلَى الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ

السُّلْطَانِ؛ حَتَّى يُمْسِكَ الأميرين شَيْخُونُ، وَطَازْ، وَهُمَا عَضُدَا الدَّوْلَةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَبَعَثُوا إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ الْأَمِير سَيْف الدِّينِ أَرْغُونُ الْكَامِلِيُّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَكَاتَبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ.

وفِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ سَابِعَ عَشَرَ **رَجَبٍ** جَاءَتِ الْجَبَلِيَّةُ قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ، لِأَجْلِ حِفْظِ ثَنِيَّةِ الْعُقَابِ مِنْ قُدُومِ الْعَسَاكِرِ الْحَلَبِيَّةِ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ طَرَابُلُس وَحَمَاةَ.

وَفِي بُكْرَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ مِنْهُ رَكِبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ، وَمَعَهُ الْجُيُوشُ الدِّمَشْقِيَّةُ قَاصِدِينَ نَاحِيَةَ الْكُسْوَةِ لِئَلَّا يُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ.

وَانْتَقَلَ النَّاسُ مِنَ الْبَسَاتِينِ وَمِنْ أَطْرَافِ الْعُقَيْبَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَكْثَرُ الْأُمَرَاءِ نُقِلَتْ حَوَاصِلُهُمْ وَأَهَالِيهُمْ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ دُخُولُ **الْأَمِيرِ بَيْبُغَا** - نائب حلب - بِمَنْ مَعَهُ انْزَعَجَ النَّاسُ، وَانْتَقَلَ أَهْلُ الْقُرَى الَّذِينَ فِي طَرِيقِهِ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ، وَخَلَتْ أَكْثَرُ الْمَحَالِّ مِنْ أَهَالِيهِمْ.

ودَخَلَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْبُغَا آرُوسَ** - نَائِبُ حَلَبَ - إِلَى دِمَشْقَ، وَفِي صُحْبَتِهِ نَائِبُ طَرَابُلُسَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَكْلَمُش، وَنَائِبُ حَمَاةَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ، وَنَائِبُ صَفَدَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ طَيْبُغَا - يُلَقَّبُ بُرْنَاقُ -

فَوَقَفَ **بَيْبُغَا آرُوسَ** فِي سُوقِ الْخَيْلِ مَكَانَ نُوَّابِ السُّلْطَانِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ، وَاسْتَعْرَضَ الْجُيُوشَ الَّذِينَ مَعَهُ هُنَاكَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمُخَيَّمِ الَّذِي ضُرِبَ لَهُ قَبْلَ مَسْجِدِ الْقَدَمِ عِنْدَ قُبَّةِ بَيْبُغَا.

وَعَذَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ صَاحِبَ دِمَشْقَ فِي ذَهَابِهِ بِمَنْ مَعَهُ لِئَلَّا يُقَاتِلَ هَؤُلَاءِ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ.

غَيْرَ أَنَّ الْعَسْكَرَ قَدْ عَاثُوا فِيمَا جَاوَرُوهُ مِنَ الْقَرَايَا، وَالْبَسَاتِينِ، وَالْكُرُومِ، وَالزُّرُوعِ، **فَيَأْخُذُونَ مَا يَأْكُلُونَ وَتَأْكُلُ دَوَابُّهُمْ**، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، **وَفَجَرُوا بِنِسَاءٍ وَبَنَاتٍ**، وَاشْتَدَّ

الْحَالُ جِدًّا، وَخَافَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعَارِ؛[١] لِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْهُمْ مِنَ الْفُجُورِ بِالنِّسَاءِ، وَجَعَلُوا يَدْعُونَ عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ عَلَيْهِمْ، وَنَائِبُ الْقَلْعَةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَيَاجِي النَّاصِرِيُّ فِي كُلِّ وَقْتٍ يُسَكِّنُ جَأْشَ النَّاسِ، وَيُقَوِّي عَزْمَهُمْ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِخُرُوجِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ، فَيَفْرَحُ النَّاسُ.

○ قدوم السلطان صَالِحِ ابْنُ النَّاصِرِ إلى دمشق

ثُمَّ جَاءَ السُّلْطَانُ - أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى - وَقَدْ تَرَجَّلَ الْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ لَابِسٌ قَبَاءً أَحْمَرَ، عَلَى فَرَسٍ أَصِيلَةٍ مُؤَدَّبَةٍ مُعَلَّمَةٍ الْمَشْيَ عَلَى الْقَوْسِ لَا تَحِيدُ عَنْهُ، وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ، مَقْبُولُ الطَّلْعَةِ، عَلَيْهِ بَهَاءُ الْمَمْلَكَةِ وَالرِّيَاسَةِ، **وَفَرِحَ النَّاسُ فَرَحًا شَدِيدًا**.

فَنَزَلَ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَقَدْ قَدِمَ مَعَهُ **الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُسْتَكْفِي** بِاللهِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ، وَكَانَ رَاكِبًا إِلَى جَانِبِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَسَارِ، وَنَزَلَ بِالْمَدْرَسَةِ الدِّمَاغِيَّةِ.

وَسَارَ الْأُمَرَاءِ مَعَ نَائِبِ الشَّامِ، وَمُقَدَّمُهُمْ طَازْ، وَشَيْخُونُ - فِي طَلَبِ بَيْبُغَا، وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْبُغَاةِ الْمُفْسِدِينَ، وَقَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ بِسُيُوفِ الْأُمَرَاءِ الْمَمْسُوكِينَ مِنْ أَصْحَابِ بَيْبُغَا، وقد فَاتَ تَدَارُكُ بَيْبُغَا وَقليل من أَصْحَابِهِ؛ لِدُخُولِهِمْ بِلَادَ التُّرْكُمَانِيِّ.

وقد صَلَّى السُّلْطَانُ صَلَاةَ **عِيدِ الْفِطْرِ** في هذه السنة بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَخَطَبَ بِهِمُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ الْمُنَاوِيُّ الْمِصْرِيُّ - قَاضِي الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ - بِمَرْسُومِ السُّلْطَانِ وَذَوِيهِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ.

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَالِثِ شَوَّالٍ أُحْضِرَ الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ قَدِمُوا بِهِمْ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ، فَجَعَلُوا يُوقِفُونَ الْأَمِيرَ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُشَاوِرُونَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُشْفَعُ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمَرُ بِتَوْسِيطِهِ، فَوُسِّطَ سَبْعَةٌ، وَشُفِعَ فِي الْبَاقِينَ، فَرُدُّوا إِلَى السِّجْنِ.

---

(١) هذا نموذج آخر من نقد ابن كثير للأوضاع التي عايشها، وبيان خطأ الأعمال التي ترتكب.

○ اجتماع ابن كثير بالخليفة

قال ابن كثير: فِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ شعبان سنة (٧٥٣هـ) اجْتَمَعْنَا **بِالْخَلِيفَةِ الْمُعْتَضِدِ بِاللهِ** أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ، وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ نَازِلٌ بِالْمَدْرَسَةِ الدِّمَاغِيَّةِ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَجِ، **وَقَرَأْتُ عِنْدَهُ جُزْءًا** فِيهِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ فِي "مُسْنَدِهِ".

وهو شَابٌّ حَسَنُ الشَّكْلِ، مَلِيحُ الْكَلَامِ، مُتَوَاضِعٌ، جَيِّدُ الْفَهْمِ، حُلْوُ الْعِبَارَةِ، رَحِمَ اللهُ سَلَفَهُ.

○ عودة السلطان الصالح إلى مصر

فِي سَابعِ شَوَّالٍ سنة (٧٥٣هـ) رَكِبَ السُّلْطَانُ فِي جَيْشِهِ مِنَ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ، فَرَكِبَ الْجَيْشُ، وَاسْتَقَلَّ ذَاهِبًا نَحْوَ الْكُسْوَةِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ.

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِوُصُولِ السُّلْطَانِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ سَالِمًا، وَدَخَلَهَا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَخَلَعَ عَلَى الْأُمَرَاءِ كُلِّهِمْ.

○ تولية علاء الدين نيابة دمشق

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ خَامِسِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٥٣هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلَى الْجَمَدَارِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ فِي أُبَّهَةٍ هَائِلَةٍ، وَمَوْكِبٍ حَافِلٍ نائبا لها، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ عَلَى الْعَادَةِ، فَدَخَلَ دَارَ السَّعَادَةِ فَنَزَلَهَا عَلَى عَادَةِ النُّوَّابِ قَبْلَهُ.

○ القبض على الأمراء الثلاثة وقتلهم

اسْتَهَلَّتْ سنة (٧٥٤هـ) وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْأُمَرَاءَ الثَّلَاثَةَ الهاربين: بَيْبُغَا، وَبَكْلَمُشَ، وَأَمِيرَ أَحْمَدَ، قَدْ حَصَلُوا فِي قَبْضَةِ نَائِبِ حَلَبَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ، وَهُمْ مَسْجُونُونَ بِقَلْعَتِهَا، يُنْتَظَرُ مَا يُرْسَمُ بِهِ فِيهِمْ.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ سَابِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ، قُطِعَتْ رُءُوسُهُمْ بِحَلَبَ بَيْنَ يَدَيْ نَائِبِهَا الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ الْكَامِلِيِّ، وَسُيِّرَتْ إِلَى مِصْرَ

○ أمر غريب جدا

قال ابن كثير: لَمَّا ذَهَبْتُ لِتَهْنِئَةِ الْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْأَقْوَشِ بِنِيَابَةِ بِعْلَبَكَّ سنة (٧٥٤هـ) وَجَدْتُ هُنَالِكَ شَابًّا، فَذَكَرَ لِي مَنْ حَضَرَ أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ **أُنْثَى** ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ **ذَكَرٌ**، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ قُبَّعَةٌ تُرْكِيَّةٌ اسْتَدْعَيْتُهُ إِلَيَّ، وَسَأَلْتُهُ بِحَضْرَةِ مَنْ حَضَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ؟ فَاسْتَحْيَى وَعَلَاهُ خَجَلٌ يُشْبِهُ النِّسَاءَ، فَقَالَ: كُنْتُ امْرَأَةً مُدَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَزَوَّجُونِي بِثَلَاثَةِ أَزْوَاجٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيَّ، وَكُلُّهُمْ يُطَلِّقُ، ثُمَّ اعْتَرَضَنِي حَالٌ غَرِيبٌ، فَغَارَتْ ثَدْيَايَ وَصَغُرَتْ، وَجَعَلَ النَّوْمُ يَعْتَرِينِي لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ جَعَلَ يَخْرُجُ مِنْ مَحَلِّ الْفَرْجِ شَيْءٌ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَيَتَزَايَدُ حَتَّى بَرَزَ شِبْهُ ذَكَرٍ وَأُنْثَيَانِ. فَسَأَلْتُهُ: أَهُوَ كَبِيرٌ أَمْ صَغِيرٌ؟ فَاسْتَحْيَى ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ صَغِيرٌ بِقَدْرِ الْأُصْبُعِ. فَسَأَلْتُهُ: هَلِ احْتَلَمَ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ احْتَلَمَ مَرَّتَيْنِ مُنْذُ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ. وَكَانَ لَهُ قَرِيبًا مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلَى حِينِ أَخْبَرَنِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ اسْمُكَ وَأَنْتَ عَلَى صِفَةِ النِّسَاءِ؟ فَقَالَ: نَفِيسَةُ. فَقُلْتُ: وَالْيَوْمَ؟ فَقَالَ: عَبْدُ اللهِ.

وَعِنْدِي أَنَّ ذَكَرَهُ كَانَ غَائِرًا فِي جُورَةٍ ظَنُّوهَا فَرْجًا، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَ ظَهَرَ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى تَكَامَلَ ظُهُورُهُ، فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُ كَانَ ذَكَرًا، وَذَكَرَ لِي أَنَّ ذَكَرَهُ بَرَزَ مَخْتُونًا، فَسُمِّيَ خِتَانَ الْقَمَرِ (١)، فَهَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ فتوى حول اعادة بناء الكنائس المهدومة

فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٥٤هـ) اتُّفِقَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُفْتِينَ أَفْتَوْا بِجَوَازِ **اسْتِعَادَةِ مَا اسْتُهْدِمَ مِنَ الْكَنَائِسِ**، وهو أَحَد قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، وَهُمَا وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا الشَّافِعِيَّةِ، فَتَغَضَّبَ عَلَيْهِمْ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، فَقَرَّعَهُمْ فِي ذَلِكَ،

(١) يولد بعض الناس مختونا كما ذكر الحافظ ابن كثير وهذا من خلق الله؛ ولكن تسمية العامة له بختان القمر نوع من الخرافة؛ إذ لا صلة للقمر بالختان.

وَمَنَعَهُمْ مِنَ الْإِفْتَاءِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفًا يَتَضَمَّنُ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ سَمَّاهُ «الدَّسَائِسَ فِي الْكَنَائِسِ». (١)

○ قتل الرافضي الزنديق

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥٥هـ) اجْتَازَ رَجُلٌ مِنَ الرَّوَافِضِ مِنْ أَهْلِ الْحِلَّةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَهُوَ **يَسُبُّ أَوَّلَ مَنْ ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ**، وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ لَا يَفْتُرُ، وَلَمْ يُصَلِّ مَعَ النَّاسِ، وَلَا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ الْحَاضِرَةِ، بَلِ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ يُكَرِّرُ ذَلِكَ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِهِ.

قال ابن كثير: فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الصَّلَاةِ نَبَّهْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ، فَأَخَذُوهُ **وَإِذَا قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّافِعِيُّ** فِي تِلْكَ الْجِنَازَةِ حَاضِرٌ مَعَ النَّاسِ، فَجِئْتُ إِلَيْهِ، **وَاسْتَنْطَقْتُهُ**: مَنِ الَّذِي ظَلَمَ آلَ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. ثُمَّ قَالَ جَهْرَةً وَالنَّاسُ يَسْمَعُونَ: لَعَنَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَمُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدَ. فَأَعَادَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، فَأَمَرَ بِهِ الْحَاكِمُ إِلَى السِّجْنِ.

ثُمَّ اسْتَحْضَرَهُ الْمَالِكِيُّ وَجَلَدَهُ بِالسِّيَاطِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَصْرُخُ بِالسَّبِّ وَاللَّعْنِ وَالْكَلَامِ الَّذِي لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ شَقِيٍّ، **وَاسْمُ هَذَا اللَّعِينِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ كَثِيرٍ**، ثُمَّ عُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَحَضَرَ الْقُضَاةُ الْأَرْبَعَةُ، وَطُلِبَ إِلَى هُنَالِكَ، فَقَدَّرَ اللهُ أَنْ حَكَمَ نَائِبُ الْمَالِكِيِّ بِقَتْلِهِ، فَأُخِذَ سَرِيعًا، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ، وَحَرَّقَهُ الْعَامَّةُ، وَطَافُوا بِرَأْسِهِ الْبَلَدَ، وَنَادَوْا عَلَيْهِ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قال ابن كثير: وَقَدْ نَاظَرْتُ هَذَا الْجَاهِلَ بِدَارِ الْقَاضِي الْمَالِكِيِّ، وَإِذَا عِنْدَهُ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُهُ الرَّافِضَةُ الْغُلَاةُ، وَقَدْ تَلَقَّى عَنْ أَصْحَابِ ابْنِ مُطَهَّرٍ أَشْيَاءَ فِي الْكُفْرِ وَالزَّنْدَقَةِ، قَبَّحَهُ اللهُ وَإِيَّاهُمْ.

---

(١) ينظر: فتاوى السبكي ٢/ ٣٦٩-٤١٧

أمر السلطان بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٧٥٥هـ) قُرِئَ بِجَامِعِ دِمَشْقَ بِالْمَقْصُورَةِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، والأمراء، وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْعَامَّةِ، كِتَابُ السُّلْطَانِ بِإِلْزَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ **بِالشُّرُوطِ الْعُمَرِيَّةِ، وَزِيَادَاتٍ أُخَرَ؛ مِنْهَا:**

- أَنْ لَا يُسْتَخْدَمُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْأُمَرَاءِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.
- وَأَنْ لَا تَزِيدَ عِمَامَةُ أَحَدِهِمْ عَلَى عَشَرَةِ أَذْرُعٍ.
- وَلَا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ وَلَا الْبِغَالَ، وَلَكِنَّ الْحَمِيرَ بِالْأُكُفِّ عَرْضًا.
- وَأَنْ لَا يَدْخُلُوا إِلَّا بِالْعَلَامَاتِ مِنْ جَرَسٍ، أَوْ بِخَاتَمِ نُحَاسٍ أَصْفَرَ أَوْ رَصَاصٍ.
- وَلَا تَدْخُلُ نِسَاؤُهُمْ مَعَ الْمُسْلِمَاتِ الْحَمَّامَاتِ، وَلْيَكُنْ لَهُنَّ حَمَّامَاتٌ تَخْتَصُّ بِهِنَّ.
- وَأَنْ يَكُونَ إِزَارُ النَّصْرَانِيَّةِ مِنْ كَتَّانٍ أَزْرَقَ، وَالْيَهُودِيَّةِ مِنْ كَتَّانٍ أَصْفَرَ، وَأَنْ يَكُونَ أَحَدُ خُفَّيْهَا أَسْوَدَ، وَالْآخَرُ أَبْيَضَ.
- وَأَنْ يُحْمَلَ حُكْمُ مَوَارِيثِهِمْ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

وعظ شمس الدين النقاش بدمشق

فِي مُسْتَهَلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٥٥هـ) عَمِلَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْبَارِعُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ النَّقَّاشِ الْمِصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، تُجَاهَ مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ مِيعَادًا لِلْوَعْظِ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ خَلْقٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْفُضَلَاءِ وَالْعَامَّةِ، وَشَكَرُوا كَلَامَهُ وَطَلَاقَةَ عِبَارَتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَلَعْثُمٍ وَلَا تَخْلِيطٍ وَلَا تَوَقُّفٍ، وَطَالَ ذَلِكَ إِلَى قَرِيبِ الْعَصْرِ.

❍ وفاة ابن قاضي القضاة السبكي

وَفِـي صَبِيحَـةِ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثِ رمضان سـنة (٧٥٥هـ) صُلِّيَ بِجَامِعِ دِمَشْـقَ عَلَى الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ حُسَـيْنٌ ابْنِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَحَضَرَ نَائِـبُ السَّـلْطَنَةِ الْأَمِيرُ عَـلَاءُ الدِّينِ عَلِـيٌّ، وَقُضَاةُ الْبَلَـدِ وَالْأَعْيَانِ وَالدَّوْلَـةِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّـةِ، وَكَانَـتْ جَنَازَتُهُ مَحْشُـودَةً، وَحَضَـرَ وَالِدُهُ قَاضِـي الْقُضَاةِ، وَهُوَ يُهَـادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ إِمَامًا، وَتَأَسَّـفَ النَّاسُ عَلَيْهِ؛ لِسَمَاحَةِ أَخْلَاقِهِ وَانْجِمَاعِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ يَحْكُمُ جَيِّدًا، نَظِيفَ الْعِرْضِ فِي ذَلِكَ.

وَكَانَ قَدْ دَرَسَ فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ، وَأَفْتَى، وَتَصَدَّرَ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ جَيِّدَةٌ بِالنَّحْوِ وَالْفِقْهِ وَالْفَرَائِضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُون.

❍ عزل السلطان الملك الصالح

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِيَ شَـهْرِ شَـوَّالٍ سـنة (٧٥٥هـ) اتَّفَـقَ جُمْهُورُ الْأُمَـرَاءِ مَعَ الْأَمِيرِ شَيْخُونَ وَصَرْغَتْمُشَ - فِي غَيْبَةِ طَازْ فِي الصَّيْدِ - عَلَى **خَلْعِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ صَالِحِ بْنِ النَّاصِرِ**، وَأُلْزِمَ بَيْتَهُ مُضَيَّقًا عَلَيْهِ، وَسُلِّمَ إِلَى أُمِّهِ خُونْدَةَ بِنْتِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكِزَ.

❁ ❁ ❁

٢٣ـ سلطنة الناصر حسن بْن الناصر مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ (الثانية) (٧٥٥ـ٧٦٢)

○ توليه السلطنة

في يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَانِيَ شَهْرِ شَوَّالٍ سنة (٧٥٥هـ) اتَّفَقَ جُمْهُورُ الْأُمَرَاءِ مَعَ الْأَمِيرِ شَيْخُونَ وَصَرْغَتْمُشَ على إِعَادَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنٍ إلى السلطنة.

وقدم البريد إلى دمشق يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ شوال بخبر ذلك، وَبَايَعَ النَّائِب الْأَمِير عِزّ الدِّينِ أَيْدَمُرَ، وَالْأُمَرَاءُ بِدَارِ السَّعَادَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، وَزُيِّنَ الْبَلَدُ، وَخَطَبَ لَهُ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ وَالْقُضَاةِ وَالدَّوْلَةِ.

○ ولايات الأقاليم

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ تَاسِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٥٥هـ) دَخَلَ دِمَشْقَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ مَنْجَكُ** عَلَى نِيَابَةِ **طَرَابُلُسَ**، وَنَزَلَ الْقَصْرَ الْأَبْلَقَ مَعَ **نائب دمشق** الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّين أَيْدَمُرَ، فَأَقَامَ أَيَّامًا عَدِيدَةً ثُمَّ سَارَ إِلَى بَلَدِهِ.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ شَوَّال دَخَلَ دمشق الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ طَازْ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُجْتَازًا إِلَى نِيَابَةِ **حَلَبَ** الْمَحْرُوسَةِ، فَتَلَقَّاهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَقَدْ كَانَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ نَظِيرَ الْأَمِيرِ شَيْخُونَ، وَلَكِنْ قَوِيَ عَلَيْهِ فَسَيَّرَهُ إِلَى بِلَادِ حَلَبَ، وَهُوَ مُحَبَّبٌ إِلَى الْعَامَّةِ لِمَا لَهُ مِنَ السَّعْيِ الْمَشْكُورِ فِي أُمُورٍ كِبَارٍ.

○ اعتقال الأمير أرغون الكاملي

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ تَاسِعِ صَفَرٍ (٧٥٦هـ) مُسِكَ **الْأَمِيرُ أَرْغُونُ الْكَامِلِيُّ** الَّذِي نَابَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً ثُمَّ بَعْدَهَا بِحَلَبَ، ثُمَّ طُلِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ حِينَ وَلِيَهَا طَازْ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ، وَأُرْسِلَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُعْتَقَلًا.

○ استرداد طرابلس الغرب

فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥٦هـ) اشْتُهِرَ **أَخْذُ الْفِرَنْجِ** الْمَخْذُولِينَ لِمَدِينَةِ

طَرَابُلُس الْمَغْرِب. وَقَرَأْتُ مِنْ كِتَابٍ لِقَاضِي قُضَاةِ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّ أَخْذَهُمْ إِيَّاهَا كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهَلِّ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

ثُمَّ بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا **اسْتَعَادَهَا الْمُسْلِمُونَ** وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَضْعَافَ مَا قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّة، وَأَرْسَلَت الدَّوْلَةُ إِلَى الشَّامِ يَطْلُبُونَ مِنْ أَمْوَالِ أَوْقَافِ الْأُسَارَى مَا يَسْتَنْقِذُونَ بِهِ مَنْ بَقِيَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

○ قتل النصراني الذي سب الرسول ﷺ

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ حَادِيَ عَشَرَ رَجَبٍ سنة (٧٥٦هـ) حَكَمَ الْقَاضِي الْمَالِكِيُّ - وَهُوَ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيُّ - **بِقَتْلِ نَصْرَانِيٍّ مِنْ قَرْيَةِ الرَّأْسِ** مِنْ مُعَامَلَةِ بَعْلَبَكَّ، اسْمُهُ دَاوُدُ بْنُ سَالِمٍ؛ ثَبَتَ عَلَيْهِ بِمَجْلِسِ الْحُكْمِ فِي بَعْلَبَكَّ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِمَا شَهِدَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ نُورِ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ غَازِي - مِنْ قَرْيَةِ اللَّبْوَةِ - مِنَ **الْكَلَامِ السَّيِّئِ الَّذِي نَالَ بِهِ مِنْ رَسُولِ** اللهِ ﷺ **وَسَبَّهُ وَقَذَفَهُ بِكَلَامٍ** لَا يَلِيقُ ذِكْرُهُ، فَقُتِلَ -لَعَنَهُ اللهُ- يَوْمَئِذٍ بَعْدَ أَذَانِ الْعَصْرِ بِسُوقِ الْخَيْلِ وَحَرَّقَهُ النَّاسُ، وَشَفَى اللهُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إِصْلَاحُ بَلَاطِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ

فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧٥٧هـ) تَكَامَلَ **إِصْلَاحُ بَلَاطِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ**، وَغَسْلُ فُصُوصِ الْمَقْصُورَةِ وَالْقُبَّةِ، وَبُسِطَ بَسْطًا حَسَنًا، وَبَيِّضَتْ أَطْبَاقُ الْقَنَادِيلِ، وَأَضَاءَ حَالُهُ جِدًّا، وَكَانَ الْمُسْتَحِثُّ عَلَى ذَلِكَ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ أَيْدُغْمُشَ أَحَدَ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهْ، بِمَرْسُومِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ.

○ النزاع في مسألة المناقلة في الوقف

وَوَقَعَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٥٧هـ) نِزَاعٌ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ فِي مَسْأَلَةِ **الْمُنَاقَلَةِ** فِي الوقف، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ **الْقَاضِيَ الْمَالِكِيَّ** - جَمَالُ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيُّ - أَذِنَ لِلشَّيْخِ

شَـرَفِ الدِّينِ ابْـنِ قَاضِـي الْجَبَـلِ الْحَنْبَلِـيِّ، أَنْ يَحْكُـمَ بِالْمُنَاقَلَـةِ فِـي قَـرَارِ دَارِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طَيْدَمُرَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، حَاجِبِ الْحُجَّابِ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى؛ يَجْعَلُهَا وَقْفًا عَلَى مَا كَانَتْ قَرَارُ دَارِهِ عَلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِطَرِيقِهِ، وَنَفَّذَهُ الْقُضَاةُ الثَّلَاثَةُ؛ الشَّافِعِيُّ، وَالْحَنَفِيُّ، وَالْمَالِكِيُّ، فَغَضِبَ الْقَاضِي الْحَنْبَلِيُّ جَمَالُ الدِّينِ الْمَرْدَاوِيُّ الْمَقْدِسِيُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَعَقْدَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مَجَالِسَ، وَتَطَاوُلَ الْكَلَامُ فِيهِ، وَادَّعَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَنَّ مَذْهَبَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْمُنَاقَلَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ، وَحَيْثُ لَا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِالْمَوْقُوفِ، فَأَمَّا **الْمُنَاقَلَةُ** لِمُجَرَّدِ الْمَصْلَحَةِ وَالْمَنْفَعَةِ الرَّاجِحَةِ فَلَا.

وَامْتَنَعُوا مِنْ قَبُولِ مَا قَرَّرَهُ الشَّـيْخُ **تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**[1] فِي ذَلِكَ، وَنَقَلَهُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَـدَ مِنْ وُجُـوهٍ كَثِيرَةٍ مِنْ طَرِيقِ ابْنِهِ صَالِحٍ، وَحَرْبٍ، وَأَبِـي دَاوُدَ، وَغَيْرِهِمْ أَنَّهَا تَجُوزُ **لِلْمَصْلَحَةِ الرَّاجِحَةِ**، وَصَنَّفَ شيخ الإسلام فِي ذَلِكَ مَسْأَلَةً مُفْرَدَةً، وَقَفْتُ عَلَيْهَا فَرَأَيْتُهَا فِي غَايَةِ الْحُسْـنِ وَالْإِفَادَةِ، بِحَيْثُ لَا يَتَخَالَجُ مَنِ اطَّلَعَ عَلَيْهَا مِمَّنْ يَذُوقُ طَعْمَ الْفِقْهِ أَنَّهَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فِـي رِوَايَـةِ ابْنِـهِ صَالِحٍ أن أَحْمَد احتـج فِي ذَلِكَ بِمَـا رَوَاهُ عَنْ يَزِيدَ بْـنِ هَارُونَ، عَنِ الْمَسْـعُودِيِّ، عَنِ الْقَاسِـمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنَّ **عُمَرَ** كَتَبَ إِلَى ابْنِ مَسْـعُودٍ أَنْ **يُحَوِّلَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ بِالْكُوفَةِ إِلَى مَوْضِعِ سُـوقِ التَّمَّارِينَ، وَيَجْعَلَ السُّوقَ فِي مَكَانِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ**، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

فَهَـذَا فِيـهِ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ عَلَى مَا اسْـتَدَلَّ بِهِ فِيهَا مِـنَ النَّقْلِ بِمُجَـرَّدِ الْمُصْلِحَةِ، فَإِنَّهُ لَا ضَرُورَةَ إِلَى جَعْلِ الْمَسْـجِدِ الْعَتِيقِ سُوقًا، عَلَى أَنَّ الْإِسْـنَادَ فِيهِ انْقِطَاعٌ بَيْنَ الْقَاسِمِ وَبَيْنَ عُمَرَ، وَبَيْنَ الْقَاسِـمِ وَابْنِ مَسْـعُودٍ، وَلَكِنْ قَدْ جَزَمَ بِهِ صَاحِـبُ « الْمَذْهَبِ »، وَاحْتَجَّ بِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢١٢) ومابعدها.

○ عدوان الفرنج على بعض المدن الشامية

فِي السَّـابِعِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سـنة (٧٥٧هــ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِـأَنَّ الْفِرَنْجَ اسْـتَحْوَذُوا عَلَى مَدِينَةِ **صَيْدًا**، قَدِمُوا فِي سَبْعَةِ مَرَاكِبَ، وَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْ أَهْلِهَا، وَأَسَرُوا وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا،

وَقَدْ قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَسَرُوا مَرْكَبًا مِنْ مَرَاكِبِهِمْ.

وَقَـدِمَ الْوَالِـي وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ إلى دمشـق، فَأَمَرَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ عِنْـدَ ذَلِكَ بِتَجْهِيزِ الْجَيْشِ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ، فَسَـارُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَتَحَدَّرَ إِلَيْهِمْ نَائِبُ صَفَدَ الْأَمِيرُ شِـهَابُ الدِّينِ بْنُ صُبْحٍ، فَسَبَقَ الْجَيْشَ الدِّمَشْقِيَّ، وَوَجَدَ الْفِرَنْجَ قَدْ بَرَزُوا بِمَا غَنِمُوا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأُسَارَى إِلَى جَزِيرَةٍ **تِلْقَاءَ صَيْدًا** فِي الْبَحْرِ، فَرَاسَلَهُمُ الْجَيْشُ فِي انْفِكَاكِ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَفَادَوْهُمْ عَنْ كُلِّ رَأْسٍ بِخَمْسِمِائَةٍ.

فَرَحَل الفرنج لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءَ مُنْشَمِرِينَ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ **قَدِمَ رُءُوسٌ مِنْ قَتْلَى الْفِرَنْجِ** عَلَى صَيْدًا، وَهِيَ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ رَأْسًا، **فَنُصِبَتْ عَلَى شُرُفَاتِ الْقَلْعَةِ**، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَجَاءَ الْخَبَرُ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِأَنَّ **بلدة إِيَاسَ** قَدْ أَحَاطَ بِهَا الْفِرَنْجَ، وَقَدْ أَخَذُوا الرُّبَضَ، وَهُمْ مُحَاصِرُونَ الْقَلْعَةَ، وَفِيهَا نَائِبُ الْبَلَدِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَذَهَبَ صَاحِبُ حَلَبَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ نَحْوَهُمْ.

○ الاحتساب على المنكرات

في يَـوْمُ الْأَرْبِعَـاءِ الرَّابِـعِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ رَجَبٍ سـنة (٧٥٨هــ) نَهَـدَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ **مُجَـاوِرِي الْجَامِعِ** بِدِمَشْـقَ، وَاتَّبَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَـرَاءِ وَالْمَغَارِبَةِ، وَجَاءُوا إِلَى أَمَاكِنَ مُتَّهَمَةٍ بِالْخَمْرِ وَبَيْعِ الْحَشِـيشِ، فَكَسَرُوا أَشْـيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ أَوَانِي الْخَمْرِ، وَأَرَاقُوا مَا فِيهَا، وَأَتْلَفُوا شَـيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَشِـيشِ، وَغَيْرِهِ، **فَثَـارَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرُّعَاعِ**، فَتَنَاوَشُـوا، وَجَرَتْ

بَيْنَهُمْ ضَرَبَاتٌ بِالْأَيْدِي، وَغَيْرِهَا، وَرُبَّمَا سَلَّ بَعْضُ الْفُسَّاقِ السُّيُوفَ عَلَيْهِمْ كَمَا ذُكِرَ.

وَقَدْ رَسَمَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ لِوَالِي الْمَدِينَةِ وَوَالِي الْبَرِّ؛ أَنْ يَكُونُوا عَضُدًا لَهُمْ، وَعَوْنًا عَلَى الْخَمَّارِينَ وَالْحَشَّاشَةِ، فَنَصَرُوهُمْ عَلَيْهِمْ.

وفِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ تَقَدَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ النُّقَبَاءِ وَالْخزَانْدارِيَّةِ، وَمَعَهُمْ جَنَازِيرُ، فَأَخَذُوا جَمَاعَةً مِنْ مُجَاوِرِي الْجَامِعِ وَغَيْرِهِمْ، وَضُرِبُوا بِالْمَقَارِعِ، وَطِيفَ بِهِمْ فِي الْبَلَدِ، وَنَادَوْا عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِمَا لَا يَعْنِيهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْكَرُوهُ.

○ وفاة أرغون الكاملي

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سنة (٧٥٨هـ) كَانَتْ وَفَاة الأرغون الكاملي بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَدُفِنَ بِتُرْبَةٍ أَنْشَأَهَا غَرْبِيَّ الْمَسْجِدِ بِشَمَالِهِ، وَقَدْ نَابَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً بَعْدَ حَلَبَ، ثُمَّ جَرَتِ الْكَائِنَةُ الَّتِي أَصْلُهَا بَيْبُغَا - قَبَّحَهُ اللهُ - فِي أَيَّامِهِ. ثُمَّ صَارَ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبَ، ثُمَّ سُجِنَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُدَّةً، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ فَأَقَامَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ إِلَى أَنْ كَانَتْ وَفَاتُهُ.

○ وفاة الأمير شيخون

جَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ **سَيْفَ الدِّينِ شَيْخُونَ** مُدَبِّرَ الْمَمَالِكِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ، ظَفِرَ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ضَرَبَاتٍ فَجَرَحَهُ فِي أَمَاكِنَ فِي جَسَدِهِ؛ مِنْهَا مَا هُوَ فِي وَجْهِهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي يَدِهِ، فَحُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَرِيعًا طَرِيحًا جَرِيحًا.

وفي لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ السَّادِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٥٨هـ)، كانت وفاته بمصر، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِتُرْبَتِهِ، وَقَدِ ابْتَنَى مَدْرَسَةً هَائِلَةً، وَجَعَلَ فِيهَا الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ، وَدَارًا لِلْحَدِيثِ، وَخَانَقَاهُ لِلصُّوفِيَّةِ، وَأَوْقَفَ عَلَيْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَرَّرَ فِيهَا مَعَالِيمَ وَافِرَةً دَارَّةً، وَتَرَكَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَحَوَاصِلَ كَثِيرَةً، وَدَوَاوِينَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ.

الأمر بالقبض على سيف الدين طاز نائب حلب

جاء الأمر السلطاني إلى **نائب دمشق** بالقبض على نائب حلب **سيف الدين طاز**، وإرساله إلى الديار المصرية، فبعث نائب دمشق يَوْمِ الِاثْنَيْنِ رَابِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٥٩هـ) أَرْبَعَةَ آلَافٍ مَعَ أَرْبَعَةِ مُقَدَّمِينَ إِلَى نَاحِيَةِ **حَلَبَ**، لِمَسْكِ سيف الدين طَازْ إِنِ امْتَنَعَ. فاستعد سيف الدين طاز للمواجهة، وجاء بجيشه إلى دمشق، فَانْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَأُخْلِيَتْ دَارُ السَّعَادَةِ مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْحَرِيمِ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَتَحَصَّنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ بِدُورِهِمْ دَاخِلَ الْبَلَدِ، وَأُغْلِقَ بَابُ النَّصْرِ.

وَقَدْ وَصَلَ طَازْ بِجُنُودِهِ إِلَى بَابِ الْقُطَيْفَةِ، ثُمَّ تَرَاسَلَ هُوَ وَالنَّائِبُ فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ طَازْ نَفْسَهُ، وَيَرْكَبُ فِي عَشَرَةِ سُرُوجٍ إِلَى السُّلْطَانِ، وَيَنْسَلِخَ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَيُكَاتِبَ فِيهِ النَّائِبِ، وَيَتَلَطَّفُوا بِأَمْرِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَبِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَرَكِبَ فِي عَشَرَةِ سُرُوجٍ، وَسَارَ نَحْوَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

بعث حاجب الحجاب إلى الديار المصرية

وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٥٩هـ) دَخَلَ حَاجِبُ الْحُجَّابِ **سَيْفُ الدِّينِ طَيْدَمُرُ** الَّذِي **سُجِنَ فِي قَلْعَةِ صَرْخَدَ** مَعَ الْبَرِيدِ إلى دمشق، وَتَلَقَّاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، وَتَصَدَّقَ بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي دَارِهِ، وَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَهُوَ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُعَظَّمًا مُكَرَّمًا عَلَى تَقْدِمَةِ أَلْفٍ وَوَظَائِفَ هُنَاكَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ **من صَفَرٍ** لَمْ يُفْجَأِ النَّاسُ إِلَّا وَقَدْ أُدخل قَلْعَةَ دمشق مُعْتَقَلًا بِهَا مُضَيَّقًا عَلَيْهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ **التَّرْحَةِ مِنْ تِلْكَ الْفَرْحَةِ**، فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ **خامس ربيع الأول** أُحْضِرَ الْحَاجِبُ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى دَارِ الْحَدِيثِ، وَاجْتَمَعَ الْقُضَاةُ هُنَاكَ بِسَبَبِ دَعَاوِي يَطْلُبُونَ مِنْهُ حَقَّ بَعْضِهِمْ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ **تَاسِعِ ربيع الأول** قَدِمَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُقَدَّمُ الْبَرِيدِيَّةِ بِطَلَبِ الْحَاجِبِ الْمَذْكُورِ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَرَكِبَ مِنْ يَوْمِهِ قَاصِدًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةَ مُكَرَّمًا، **وَهَذَا أَغْرَبُ مَا أُرِّخَ**، فَهَذَا الرَّجُلُ نَالَتْهُ شِدَّةٌ عَظِيمَةٌ بِسَبَبِ سَجْنِهِ بِصَرْخَدَ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ، ثُمَّ حُبِسَ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي نَحْوِ شَهْرٍ.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ من جمادى الأولى سنة (٧٥٩هـ) جاء الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ طَيْدَمُرُ الْحَاجِبُ** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَائِدًا إِلَى وَظِيفَةِ الْحُجُوبِيَّةِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِالشُّمُوعِ، وَدَعَوْا لَهُ، ثُمَّ رَكِبَ مِنْ يَوْمِهِ إِلَى خِدْمَةِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ، فَقَبَّلَ يَدَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ، وَاصْطَلَحَا.

○ تولية سيف الدين منجك نيابة دمشق

قدم فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٥٩هـ)، مِنْ نَاحِيَةِ حَلَبَ **سيف الدين منجك**، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْجَيْشُ عَلَى الْعَادَةِ، وَأُوقِدَتِ الشُّمُوعُ وَخَرَجَ النَّاسُ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الْأَسْطِحَةِ، وَكَانَ يَوْمًا هَائِلًا.

○ من إصلاحات نائب دمشق

⊙ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٥٩هـ) بَرَزَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ منجك إِلَى الرَّبْوَةِ، وَأَحْضَرَ الْقُضَاةَ، وَوُلَاةَ الْأُمُورِ، وَرَسَمَ بِإِحْضَارِ الْمُفْتِينَ - وَكُنْتُ فِيمَنْ طُلِبَ يَوْمَئِذٍ إِلَى الرَّبْوَةِ فَرَكِبْتُ إِلَيْهَا - وَكَانَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ عَزَمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى تَخْرِيبِ الْمَنَازِلِ الْمَبْنِيَّةِ بِالرَّبْوَةِ، وَغَلْقِ الْحَمَّامِ، وَهَذَا الْحَمَّامُ أَوْسَاخُهُ صَائِرَةٌ إِلَى النَّهْرِ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ، فَاتَّفَقَ الْحَالُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ عَلَى إِبْقَاءِ الْمَسَاكِنِ، وَرَدِّ الْمُرْتَفَقَاتِ الْمُسَلَّطَةِ عَلَى نهري **ثَوْرَا، وَبَانَاسَ**، وَيَتْرُكُ مَا هُوَ مُسَلَّطٌ عَلَى نهر **بَرَدَى**.

⊙ وَرُسِمَ يَوْمَئِذٍ بِتَضْيِيقِ أَكْمَامِ النِّسَاءِ، وَأَنْ تُزَالَ الْأَجْرَاسُ عَنِ الْحَمِيرِ الَّتِي لِلْمُكَارِيَّةِ.

⊙ وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ شَعْبَانَ رَكِبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ لِيَقِفَ عَلَى الْحَائِطِ الرُّومِيِّ الَّذِي

بِالرَّحْبَةِ، فأَمَرَ بِهَدْمِ الْحَائِطِ الْمَذْكُورِ، وَأَنْ يَنْقُلَ إِلَى الْعِمَارَةِ الَّتِي اسْتَجَدَّهَا خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ فِي دَارِ الصِّنَاعَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ دَارِ الْعَدْلِ.

○ عزل القضاة الثلاثة بدمشق ثم إعادتهم

فِي يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ تَاسِعُ شَعْبَانَ سنة (٧٥٩هـ) قَدِمَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَرِيد، وَأَخْبَرَ بِعَزْلِ الْقَاضِي الشَّافِعِيِّ، وَالْحَنَفِيِّ، وَالْمَالِكِيِّ، وَأَنَّهُ وَلِيَ قَضَاءَ **الشَّافِعِيَّةِ** الْقَاضِي بَهَاءُ الدِّينِ أَبُو الْبَقَاءِ **السُّبْكِيُّ**، وَقَضَاءَ **الْحَنَفِيَّةِ** الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ **بْنُ السَّرَّاجِ** الْحَنَفِيُّ،

وقضاء **المالكية** شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَسْكَرٍ الْعِرَاقِيُّ الْبَغْدَادِيُّ.

وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى السَّلَامِ عَلَيْهِمْ وَالتَّهْنِئَةِ لَهُمْ، وَاحْتَفَلُوا بِذَلِكَ.

ثم لَمَّا مُسِكَ **صَرْغَتْمُشُ** يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ رمضان سنة (٧٥٩هـ)، رَسَمَ السُّلْطَانُ **بِإِعَادَةِ الْقُضَاةِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ**، وَلَمَّا وَرَدَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ امْتَنَعَ الْقُضَاةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْحُكْمِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ حَضَرُوا لَيْلَةَ الْعِيدِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَرَكِبُوا مَعَ النَّائِبِ صَبِيحَةَ الْعِيدَ إِلَى الْمُصَلَّى عَلَى عَادَةِ الْقُضَاةِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ رَابِعُ شَوَّالٍ قَدِمَ الْبَرِيدُ، وَصُحْبَتَهُ تَقْلِيدُ الشَّافِعِيِّ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ السُّبْكِيِّ، وَتَقْلِيدُ الْحَنَفِيِّ قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفِ الدِّينِ الْكَفْرِيِّ، وَاسْتَمَرَّ قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ الْعِرَاقِيُّ عَلَى قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ تَذَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ شَافَهَهُ بِوِلَايَةِ الْقَضَاءِ بِالشَّامِ، وَسَيَّرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَحُمِدَتْ سِيرَتُهُ كَمَا حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَفَرِحَ النَّاسُ لَهُ بِذَلِكَ.

○ مسك الأمير صَرْغَتْمُشَ أتابك الأمراء بالديار المصرية

قُبِضَ عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ رمضان سنة (٧٥٩هـ)، ثُمَّ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي قَتْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ احْتِيطَ عَلَى حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَصُودِرَ أَصْحَابُهُ

وَأَتْبَاعُهُ، فَكَانَ فِيمَنْ ضُرِبَ وَعُصِرَ تَحْتَ الْمُصَادَرَةِ **الْقَاضِي ضِيَاءُ الدِّينِ** ابْنُ خَطِيبِ بَيْتِ الْآبَارِ، وَاشْتَهَرَ أَنَّهُ مَاتَ تَحْتَ الْعُقُوبَةِ، وَقَدْ كَانَ مَقْصِدًا لِلْوَارِدِينَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، لَا سِيَّمَا أَهْلُ بَلْدَةِ دِمَشْقَ، وَقَدْ بَاشَرَ عِدَّةَ وَظَائِفَ، وَكَانَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ قَدْ فُوِّضَ إِلَيْهِ نَظَرُ جَمِيعِ الْأَوْقَافِ بِبِلَادِ السُّلْطَانِ.

وَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ وَغَيْرِهِ، فَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ قَطْعُ أَرْزَاقِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الْكَتَبَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَالَأَ الْأَمِيرَ صَرْغَتْمُشَ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ، فَهَلَكَ بِسَبَبِهِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

○ نقل سيف الدين مَنْجَكَ إلى نيابة صفد

فِي يَوْمُ الْأَحَدِ ثَامِنُ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٥٩هـ) قَدِمَ أَمِيرٌ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَمَعَهُ تَقْلِيدُ نَائِبِ دِمَشْقَ؛ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَنْجَكُ بِنِيَابَةِ **صَفَدَ** الْمَحْرُوسَةِ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ - وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ - وَقَدِ انْتَقَلَ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ إِلَى سَطْحِ الْمِزَّةِ، قَاصِدًا إِلَى **صَفَدَ** الْمَحْرُوسَةِ، فَعَمِلَ الْعِيدَ بِسَطْحِ الْمِزَّةِ، ثُمَّ تَرَحَّلَ نَحْوَ صَفَدَ، وَطَمِعَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَالْخَمَّارِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَفَرِحُوا بِزَوَالِهِ عَنْهُمْ.

○ تولية علي المارداني نيابة دمشق

فِي يَوْمِ عِيدِ الأضحى سنة (٧٥٩هـ) قُرِئَ كِتَابُ السُّلْطَانِ بِدَارِ السَّعَادَةِ عَلَى الْأُمَرَاءِ، وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِاسْتِنَابَةِ أَمِيرِ علاء الدين **عَلِيِّ الْمَارِدَانِيِّ** عَلَيْهِمْ، وَعَوْدِهِ إِلَى دمشق، وَالْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٠هـ) دَخَلَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَمِيرُ عَلِيٍّ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ نِيَابَةِ حَلَبَ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ، وَتَلَقَّوْهُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَحَمَلَتْ لَهُ الْعَامَّةُ الشُّمُوعَ فِي طُرُقَاتِ الْبَلَدِ، وَلَبِسَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ صُبْحٍ خِلْعَةَ الْحِجَابَةِ الْكَبِيرَةِ بِدِمَشْقَ عِوَضًا عَنْ نِيَابَةِ صَفَدَ.

❍ القبض على مجموعة من الأمراء

⊙ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَادِسِ صَفَرٍ سنة (٧٦٠هـ) مُسِكَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ صُبْحٍ **حَاجِبُ الْحُجَّابِ**، وَوَلَدَاهُ الْأَمِيرَانِ، وَحُبِسُوا فِي الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، ثُمَّ سَافَرَ بِهِ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ جَارَبكَ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَفِي رِجْلِ ابْنِ صُبْحٍ قَيْدٌ، وَذُكِرَ أَنَّهُ فُكَّ مِنْ رِجْلِهِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ.

⊙ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٠هـ) قَدِمَ **نَائِبُ طَرَابُلُسَ** الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ عَبْدُ الْغَنِيِّ، فَأُدْخِلَ الْقَلْعَةَ، ثُمَّ سَافَرَ بِهِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُحْتَفِظًا بِهِ مُضَيِّقًا عَلَيْهِ.

⊙ وَجَاءَ الْخَبَرُ بِأَنَّ **مَنْجَكَ** سَافَرَ مِنْ **صَفَدَ** عَلَى الْبَرِيدِ مَطْلُوبًا إِلَى السُّلْطَانِ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ **غَزَّةَ** بَرِيدٌ وَاحِدٌ، دَخَلَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ خَدَمِهِ **التِّيهَ**، فَارًّا مِنَ السُّلْطَانِ، وَحِينَ وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى نَائِبِ غَزَّةَ اجْتَهَدَ فِي طَلَبِهِ فَأَعْجَزَهُ، وَتَفَارَطَ الْأَمْرُ.

⊙ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٧٦٠هـ) مُسِكَ نائب دمشق **علي المارداني**، فَحُمِلَ عَلَى سُرُوجٍ يَسِيرَةٍ، مُحْتَاطًا عَلَيْهِ إِلَى نَاحِيَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَتَبَاكَى النَّاسُ رَحْمَةً لَهُ، وَأَسَفَةً عَلَيْهِ؛ لِدِيَانَتِهِ، وَقِلَّةِ أَذِيَّتِهِ، وَأَذِيَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَى الْعُلَمَاءِ، وَالْفُقَرَاءِ، وَالْقُضَاةِ.

⊙ وفي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رجب سنة (٧٦٠هـ) احْتِيطَ عَلَى الْأُمَرَاءِ الثَّلَاثَةِ؛ وَهُمْ:

⊙ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَيْبُغَا حَاجِّي أَحَدُ مُقَدَّمِي الْأُلُوفِ،

⊙ وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْلِيجَا الدَّوَادَارُ أَحَدُ الْمُقَدَّمِينَ أَيْضًا.

⊙ وَالْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدُغْمُشُ الْمَارِدَانِيُّ أَحَدُ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاه.

وَكَانَ هَـؤُلَاءِ **جُلَسَـاء وَسُـمَّارُ** نَائِبَ السَّـلْطَنَةِ، وَالَّذِيـنَ بِسِـفَارَتِهِ أُعْطُـوا الْأَخْبَازَ، وَالطَّبْلَخَانَاهْ، وَالتَّقَادُمَ، فَرُفِعُوا إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ مُعْتَقَلِينَ بِهَا مَعَ مَنْ بِهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ، ثُـمَّ وَرَدَ الْخَبَـرُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ **عَلِي المارداني** رُدَّ مِنَ الطَّرِيقِ بَعْدَ مُجَاوَزَتِهِ **غَزَّةَ**، وَأُرْسِـلَ إِلَيْهِ **بِتَقْلِيدِ نِيَابَةِ صَفَدَ** الْمَحْرُوسَةِ، فَتَمَاثَلَ الْحَالُ، وَفَرِحَ بِذَلِكَ أَصْحَابُهُ وَأَحْبَابُهُ.

○ تولية سيف الدين أسندمر نيابة دمشق

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَـادِسَ عَشَـرَ شَهْرِ رَجَبٍ سـنة (٧٦٠هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَسَـنْدَمُرُ أَخُـو يَلْبُغَـا الْيَحْيَاوِيِّ، **نَائِبًا لِدِمَشْـقَ**، بَعْدَ أَنِ اسْـتَعْفَى مِنْ ذَلِكَ مِـرَارًا، وَبَاسَ الْأَرْضَ مِرَارًا، فَلَمْ يُعْفِهِ السُّلْطَانُ.

وفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَـرَ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ دُخُولُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّيـنِ **أَسَـنْدَمُرَ الْيَحْيَاوِيِّ** نَائِبًا عَلَى دِمَشْـقَ، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَاحْتَفَلُوا لَـهُ احْتِفَالًا زَائِدًا، وَشَـاهَدْتُهُ حِينَ تَرَجَّلَ لِتَقْبِيلِ الْعَتَبَةِ، فَاسْـتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَـجَدَ عَلَى الْعَتَبَةِ، وَقَدْ بُسِطَ لَهُ عِنْدَهَا مَفَارِشُ هَائِلَةٌ.

○ تولية سيف الدين بيدمر نيابة حلب

وَجَـاءَ تَقْلِيـدُ الْأَمِيرِ **سَـيْفِ الدِّيـنِ بَيْدَمُرَ** يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَـرَ شَـعْبَانَ مِنْ سـنة (٧٦٠هـ) لِنِيَابَةِ حَلَبَ الْمَحْرُوسَةِ.

○ نفي القاضي بهاء الدين إلى طرابلس

في يوم الثُّلَاثَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ ثاني عَشَرَ شَعْبَانَ مِنْ سنة (٧٦٠هـ)، وَرَدَ الْبَرِيدُ الْبَشِيرِيُّ، وَعَلَى يَدِهِ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ **بِنَفْيِ الْقَاضِي الشافعي بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْبَقَاءِ**، وَأَوْلَادِهِ، وَأَهْلِهِ إِلَـى **طَرَابُلُسَ** بِلَا وَظِيفَةٍ، فَشَـقَّ ذَلِـكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَهْلِيهِ، وَمَنْ يَلِيـهِ، وَتَغَمَّمَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَسَافَرَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي الِاسْتِنَابَةِ فِي جِهَاتِهِ، فَاسْتَنَابَ، وَلَدَهُ الْكَبِيرَ وَلِيَّ الدِّينِ.

وفي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٦١هـ) قَدِمَ الْقَاضِي بَهَاءُ الدِّينِ أَبُو الْبَقَاءِ مِنْ طَرَابُلُسَ بِمَرْسُومٍ شَرِيفٍ أَنْ يَعُودَ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى وَظَائِفِهِ الْمُبْقَاةِ عَلَيْهِ، فَتَلَقَّاهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَفَرِحُوا بِرُجُوعِهِ إِلَى وَطَنِهِ.

○ القبض على مزور المراسيم

فِي مُحَرَّمٍ سنة (٧٦١هـ) ظُهِرَ عَلَى رَجُلٍ يُزَوِّرُ الْمَرَاسِيمَ الشَّرِيفَةَ، وَأُخِذَ بِسَبَبِهِ مُدَرِّسُ الصَّارِمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ، وَكَذَلِكَ الشَّيْخ زَيْنِ الدِّينِ زَيْدٍ الْمَغْرِبِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ يَطْلُبُ مَرْسُومًا لِمَدْرَسَةِ الْأَكْزِيَّةِ، وَضُرِبَ أَيْضًا، وَرُسِمَ عَلَيْهِ فِي حَبْسِ السَّدِّ، وَكَذَلِكَ حُبِسَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ الَّذِي كَانَ مُتَوَلِّيَ الْبَلَدِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ كَتَبَ لَهُ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بِالْوِلَايَةِ.

فَلَمَّا فَهِمَ ذَلِكَ كَاتِبُ السِّرِّ أَطْلَعَ عَلَيْهِ نَائِبَ السَّلْطَنَةِ، وَحُبِسُوا كُلُّهُمْ بِالسَّدِّ

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ من محرم سنة (٧٦١هـ) قُطِعَتْ يَدُ الَّذِي زَوَّرَ الْمَرَاسِيمَ، وَاسْمُهُ **السَّرَّاجُ عُمَرُ الْقِفْطِيُّ الْمِصْرِيُّ**، وَهُوَ شَابٌّ كَاتِبٌ مِنْطِيقٌ - عَلَى مَا ذُكِرَ - وَحُمِلَ فِي قَفَصٍ عَلَى جَمَلٍ، وَهُوَ مَقْطُوعُ الْيَدِ، وَأُرْكِبَ مَعَهُ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ زِيدٌ عَلَى جَمَلٍ، وَهُوَ مَنْكُوسٌ وَجْهُهُ إِلَى نَاحِيَةِ دُبُرِ الْجَمَلِ، وَهُوَ عُرْيَانُ مَكْشُوفُ الرَّأْسِ، وَكَذَلِكَ الْبَدْرُ الْحِمْصِيُّ عَلَى جَمَلٍ آخَرَ، وَأُرْكِبَ الْوَالِي شِهَابُ الدِّينِ عَلَى جَمَلٍ آخَرَ، وَطِيفَ بِهِمْ فِي مَحَالِّ الْبَلَدِ، **وَنُودِيَ** عَلَيْهِمْ: **هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُزَوِّرُ عَلَى السُّلْطَانِ**، ثُمَّ أُودِعُوا حَبْسَ الْبَابِ الصَّغِيرِ.

○ مَسْكُ الأمير سيف الدين مَنْجَكَ

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ **الْمُحَرَّمِ** سنة (٧٦١هـ)، جَاءَ نَاصِحٌ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَسَنْدَمُرَ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ **مَنْجَكَ** فِي دَارٍ بِالشَّرَفِ الْأَعْلَى، فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ فِيهِ بَعْضَ الْحَجَبَةِ، فَأُحْضِرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ.

فَلَمَّا وَاجَهَهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَكْرَمَهُ، وَتَلَقَّاهُ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ، وَتَلَطَّفَ بِهِ، وَأَضَافَهُ، وَأَعْطَاهُ مِنْ مَلَابِسِهِ، وَقَيَّدَهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ لَيْلَتِهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْجُنْدِ وَبَعْضِ الْأُمَرَاءِ.

وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ جِدًّا، وَمَا كَانَ يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ عُدِمَ بِاغْتِيَالٍ أَوْ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، وَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ أَنَّهُ فِي وَسَطِ دِمَشْقَ، وَأَنَّهُ يَمْشِي بَيْنَهُمْ مُتَنَكِّرًا، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ الْجُمُعَاتِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَيَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ مُتَنَكِّرًا فِي لُبْسِهِ وَهَيْئَتِهِ، وَمَعَ هَذَا لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

ثُمَّ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِدُخُولِ مَنْجَكَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَعَفْوِهِ عَنْهُ، وَخِلْعَتِهِ الْكَامِلَةِ عَلَيْهِ، وَإِطْلَاقِهِ لَهُ الْحُسَامَ، وَالْخُيُولَ الْمُسَوَّمَةَ، وَالْأَلْبِسَةَ الْمُفْتَخَرَةَ، وَالْأَمْوَالَ.

وأرسله السلطان **الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون** في شهر **صفر** سنة (٧٦١هـ) إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، لِيَبْتَنِيَ لِلسُّلْطَانِ مَدْرَسَةً وَخَانَقَاهْ غَرْبِيَّ الْمَسْجِدِ الشَّرِيفِ، وَأُحْضِرَ **الطَّرْخَانُ**(١) الَّذِي كُتِبَ لَهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ إِلَى دِمَشْقَ، وَشَاهَدَهُ النَّاسُ.

قال ابن كثير: وَوَقَعْتُ عَلَى نُسْخَتِهِ، وَفِيهَا تَعْظِيمٌ زَائِدٌ وَمَدْحٌ وَثَنَاءٌ لَهُ، وَشُكْرٌ عَلَى مُتَقَدَّمِ خِدَمِهِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ، وَالْعَفْوُ عَمَّا مَضَى مِنْ زَلَّاتِهِ، وَذِكْرُ سِيرَتِهِ بِعِبَارَةٍ حَسَنَةٍ.

○ الاحتياط على كتبة الدواوين السلطانية بدمشق

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٦١هـ) وَرَدَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَمِيرٌ مَعَهُ مَرْسُومٌ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَى دَوَاوِينِ السُّلْطَانِ؛ بِسَبَبِ مَا أَكَلُوا مِنَ الْأَمْوَالِ الْمُرَتَّبَةِ لِلنَّاسِ مِنَ الصَّدَقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَرُسِمَ عَلَيْهِمْ بِدَارِ الْعَدْلِ، وَأُلْزِمُوا بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ كَثِيرَةٍ، بِحَيْثُ احْتَاجُوا إِلَى بَيْعِ أَثَاثِهِمْ، وَأَقْمِشَتِهِمْ، وَغَيْرِهَا.

ثُمَّ أُطْلِقَ بَعْضُهُمْ، وَهُمُ الضُّعَفَاءُ مِنْهُمْ وَالْفُقَرَاءُ الَّذِينَ لَا شَيْءَ مَعَهُمْ، وَبَقِيَتِ الْغَرَامَةُ عَلَى الْكُبَرَاءِ مِنْهُمْ كَالصَّاحِبِ، وَالْمُسْتَوْفِينَ، ثُمَّ شُدِّدَتْ عَلَيْهِمُ الْمُطَالَبَةُ، **وَضُرِبُوا ضَرْبًا** مُبَرِّحًا.

---

(١) إذن من السلطان لأحد الأمراء ليكون من خدمه الخاصة، وهو يشبه الشهادة.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ من ربيع الآخر مِن سنة (٧٦١هـ) وَرَدَ الْمَرْسُومُ السُّلْطَانِيُّ بِإِطْلَاقِ كتاب الدَّوَاوِينِ إِلَى دِيَارِهِمْ، وَأَهَالِيهِمْ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِسَبَبِ ذَلِكَ لِخَلَاصِهِمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَالْمُصَادَرَةِ الْبَلِيغَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَمِرَّ بِهِمْ فِي مُبَاشَرَاتِهِمْ.

○ موت فياض بن مهنا

وَرَدَ الْخَبَرُ بموت فياض بن مهنا يَوْمَ السَّبْتِ الثَّامِنَ عَشَرَ من ربيع الآخر مِن سنة (٧٦١هـ) وقد جَاوَزَ السَّبْعِينَ، فَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأُرْسِلَ إِلَى السُّلْطَانِ مُبَشِّرُونَ؛ **لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ**، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، وقد ذُكِرَتْ عَنْهُ أَشْيَاءُ مِنْ ظُلْمِ النَّاسِ، وَالْإِفْطَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِلَا عُذْرٍ، وَأَمْرِهِ أَصْحَابَهُ وَذَوِيهِ بِذَلِكَ فِي رَمَضَان الْمَاضِي، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ انقلاب حال ابن الدوادار

فِي أَوَاخِرِ ربيع الآخر مِن سنة (٧٦١هـ) تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الدَّوَادَارُ السُّكَّرِيُّ، كَانَ ذَا مَكَانَةٍ عِنْدَ أُسْتَاذِهِ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ، وَنَالَ مِنَ السَّعَادَةِ فِي وَظِيفَتِهِ أَقْصَاهَا، ثُمَّ قَلَبَ اللهُ قَلْبَ أُسْتَاذِهِ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ، وَصَادَرَهُ، وَعَزَلَهُ، وَسَجَنَهُ، وَنَزَلَ قَدْرُهُ عِنْدَ النَّاسِ.

وَآلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ كَانَ يَقِفُ عَلَى الْبَاعَةِ بِفَرَسِهِ وَيَشْتَرِي مِنْهُم، وَيَحْمِلُ حَاجَتَهُ مَعَهُ فِي سَرْجِهِ، وَصَارَ مُثْلَةً بَيْنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ فِيهِ الدُّوَادَرِيَّةُ مِنَ الْعِزِّ، وَالْجَاهِ، وَالْمَالِ، وَالرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ لَا يُرْفَعَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ.

○ غزو نائب حلب بلاد سيس

فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٦١هـ) رَكِبَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ نَائِبُ حَلَبَ لِقَصْدِ غَزْوِ بِلَادِ سِيسَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، لَقَّاهُ اللهُ النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ.

وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَابِعَ عَشْرِ جمادى الآخرة جَاءَ الخبر بأن الْأَمِير سَيْفِ الدِّينِ بَيْدَمُر، نَائِبِ حلَب، قَدْ فَتَحَ بَلَدَيْنِ مِنْ بِلَادِ سِيس، وَهُمَا: **طَرَسُوسُ، وَأَذَنَةُ**، وَأَرْسَلَ مَفَاتِيحَهُمَا إِلَى السُّلْطَانِ - أَيَّدَهُ اللهُ - ثُمَّ افْتَتَحَ حُصُونًا أُخَرَ كَثِيرَةً فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ، وَأَيْسَرِ كُلْفَةٍ، وَخَطَبَ هُنَاكَ الْقَاضِي **نَاصِرُ الدِّينِ كَاتِبُ السِّرِّ** خُطْبَةً بَلِيغَةً حَسَنَةً، وَبَلَغَنِي فِي كِتَابٍ أَنَّ أَبْوَابَ كَنِيسَةِ أَذَنَةَ حُمِلَتْ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْمَرَاكِبِ.

قال ابن كثير: وَهَذِهِ هِيَ أَبْوَابُ المدرسة النَّاصِرِيَّةِ الَّتِي بِسفْح قاسيون، أَخَذَهَا صَاحِبُ سِيسَ عَامَ قَازَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَاسْتُنْقِذَتْ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

○ هروب بعض أمراء الأعراب من القلعة

فِي مُسْتَهَلِّ جمادى الآخرة سنة (٧٦١هـ) أَصْبَحَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ وَقَدْ نَزَلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَعْرَابِ مِنْ أَعَالِي مَحْبَسِهِمْ - فِي عَمَائِمَ وَحِبَالٍ - إِلَى الْخَنْدَقِ، وَخَاضُوهُ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِ

جِسْرِ الزَّلَابِيَّةِ، فَانْطَلَقَ اثْنَانِ، وَأُمْسِكَ الثَّالِثُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يُمْسِكُ لَهُمُ الْحِبَالَ حَتَّى تَدَلَّوْا فِيهَا، فَاشْتَدَّ نَكِيرُ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ عَلَى نَائِبِ الْقَلْعَةِ.

وَكَاتَبَ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ إِلَى السُّلْطَانِ، فَوَرَدَ **الْمَرْسُومُ بِعَزْلِ نَائِبِ الْقَلْعَةِ** وَإِخْرَاجِهِ مِنْهَا، وَطَلَبِهِ لِمُحَاسَبَةِ مَا قَبَضَ مِنَ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي مُدَّةِ سِتِّ سِنِينَ مُبَاشَرَتِهِ، وَعَزْلِ ابْنِهِ عَنِ النِّقَابَةِ، وَابْنِهِ الْآخَرِ عَنِ اسْتَادَّارِيَّةِ السُّلْطَانِ، فَنَزَلُوا مِنْ **عِزِّهِمْ إِلَى عَزْلِهِمْ**.

○ طرد السلطان حسن لشيخه

وَفِي أَوَاخِرِ جمادى الآخرة سنة (٧٦١هـ) بَلَغَنَا أَنَّ الشَّيْخَ قُطْبَ الدِّينِ هِرْمَاسَ الَّذِي كَانَ شَيْخَ السُّلْطَانِ طُرِدَ عَنْ جَنَابِ مَخْدُومِهِ، وَضُرِبَ، وَصُودِرَ، وَخُرِّبَتْ دَارُهُ إِلَى الْأَسَاسِ، وَنُفِيَ إِلَى مِصْيَافٍ بالشام، فَاجْتَازَ بِدِمَشْقَ، وَنَزَلَ بِالْمَدْرَسَةِ الْحَلَبِيَّةِ ظَاهِرَ

بَابِ الْفَرَجِ، **وَزُرْتُهُ وَاجْتَمَعْتُ** بِهِ فَإِذَا هُوَ شَيْخٌ حَسَنٌ عِنْدَهُ مَا يُقَالُ، وَيُتَلَفَّظُ مُعْرِبًا جَيِّدًا، وَلَدَيْهِ فَضِيلَةٌ، وَعِنْدَهُ تَوَاضُعٌ وَتَصَوُّفٌ، فَاللهُ يُحْسِنُ عَاقِبَتَهُ.

○ طلب شرف الدين الحنبلي للتدريس بالقاهرة

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ سَابِعَ شَهْرِ رَجَبٍ سنة (٧٦١هـ) تَوَجَّهَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ ابْنُ قَاضِي الْجَبَلِ الْحَنْبَلِيُّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَطْلُوبًا عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى السُّلْطَانِ، لِتَدْرِيسِ الطَّائِفَةِ الْحَنْبَلِيَّةِ بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَاهَا السُّلْطَانُ بِالْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ، وَخَرَجَ لِتَوْدِيعِهِ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، كَتَبَ اللهُ سَلَامَتَهُ.

○ مسك نائب السلطنة أسندمر

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ سنة (٧٦١هـ) قُبِضَ عَلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ بدمشق **الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَسَنْدَمُرَ** الْيَحْيَاوِيِّ، عَنْ كِتَابٍ مِنَ السُّلْطَانِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ رَاكِبًا خارج البلد، فَلَمَّا رَجَعَ لَمْ يُمَكَّنْ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَرُسِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُنْدِ مَنْ أَوْصَلَهُ إِلَى طَرَابُلُسَ مُقِيمًا بِهَا بَطَّالًا، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

○ إخضاع الأمير حيار بن مهنا

فِي شَعْبَانَ سنة (٧٦١هـ) رُسِمَ للأمير سيف الدين بيدمر -قبل أن يصل إلى دمشق- أَنْ يَرْكَبَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ جَيْشِ حَلَبَ، وَيَقْصِدَ الْأَمِيرَ حَيَّارَ بْنَ مُهَنَّا؛ لِيُحْضِرَهُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ، وَكَذَلِكَ رُسِمَ لِنَائِبَيْ حَمَاةَ وَحِمْصَ أَنْ يَكُونَا عَوْنًا له.

فَلَمَّا الْتَقَوْا مَعَ حَيَّارٍ عِنْدَ سَلَمْيَةَ، كَانَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَاتٌ، وأحاط لْأَعْرَاب بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَكَانُوا نَحْوَ الثَّمَانِمِائَةِ، وَالتُّرْكُ مِنْ حَمَاةَ وَحِمْصَ وَحَلَبَ مِائَةً وَخَمْسِينَ، فَرَمَوُا الْأَعْرَابَ بِالنِّشَابِ، وَجَرَتْ فِتْنَةٌ وقتال.

ثم قَدِمَ الْأَمِيرُ عُمَرُ الْمُلَقَّبُ بِمُصَمَّعِ بْنِ مُوسَى **بْنِ مُهَنَّا** مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَفِي صُحْبَتِهِ

الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ رَمْلَةُ بْنُ جَمَّازٍ، **أَمِيرَانِ عَلَى الْأَعْرَابِ**، فَنَزَلَ مُصَمَّعٌ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَنَزَلَ الْأَمِيرُ رَمْلَةُ بِالنُّورِيَّةِ، ثُمَّ تَوَجَّهَا إِلَى نَاحِيَةِ **حَيَّارِ بْنِ مُهَنَّا** بِمَنْ مَعَهُمَا مِنْ عَرَبِ الطَّاعَةِ؛ لِتَحْصِيلِ الْأَمِيرِ حَيَّارٍ، وَإِحْضَارِهِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، فَاللهُ تَعَالَى يُحْسِنُ الْعَاقِبَةَ.

○ تولية سيف الدين بيدمر نيابة دمشق

في أوائل شَعْبَانَ سنة (٧٦١هـ) وَصَلَ تَقْلِيدُ الْأَمِيرِ **سَيْفِ الدِّينِ بَيْدَمُرَ** بِنِيَابَةِ دِمَشْقَ.

وفي يَوْمِ السَّبْتِ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ، أَقْبَلَ بِجَيْشِهِ مِنْ نَاحِيَةِ حَلَبَ، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ إِلَى حَمَاةَ وَدُونِهَا، ودَخَلَ دمشق فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَجَمُّلٍ حَافِلٍ، فَقَبَّلَ الْعَتَبَةَ عَلَى الْعَادَةِ، وَمَشَى إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ جَنَائِبُهُ فِي لُبُوسٍ هَائِلَةٍ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ لِشَهَامَتِهِ، وَصَرَامَتِهِ، وَأَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

○ معاقبة الزنادقة

- فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ رمضان سنة (٧٦١هـ) قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ **بِابْنِ دَبَادِبَ الدَّقَّاقُ** عَلَى مَا شَهِدَ عَلَيْهِ بِهِ جَمَاعَةٌ لَا يُمْكِنُ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ **شَتْمِ الرَّسُولِ** - ﷺ - فَرُفِعَ إِلَى الْحَاكِمِ الْمَالِكِيِّ، وَادُّعِيَ عَلَيْهِ، فَأَظْهَرَ التَّجَانُنَ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى أَنْ قُتِلَ، قَبَّحَهُ اللهُ وَأَبْعَدَهُ، وَلَا رَحِمَهُ.

- وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ من رمضان سنة (٧٦١هـ) قُتِلَ مُحَمَّدٌ الْمَدْعُو **زُبَالَةَ**؛ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُ مِنْ **سَبِّ النَّبِيِّ** - ﷺ - وَدَعْوَاهُ أَشْيَاءَ كُفْرِيَّةً، وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ، وَمَعَ هَذَا يَصْدُرُ مِنْهُ أَحْوَالٌ بَشِعَةٌ فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي حَقِّ النَّبِيِّ - ﷺ - فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ في سوق الخيل.

- وَفِي سنة (٧٦١هـ) أُخِذَ وسجن رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: **حَسَنٌ** - كَانَ خَيَّاطًا بِمَحَلَّةِ الشَّاغُورِ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ **يَنْتَصِرَ لِفِرْعَوْنَ** لَعَنَهُ اللهُ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّهُ فِي سُورَةِ "يُونُسَ" حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠

مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ [يونس: ٩٠]. **وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَى** قَوْلِهِ: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١]، وَلَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥]، وَلَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ **الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ فِرْعَوْنَ أَكْفَرُ الْكَافِرِينَ**، كَمَا هُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ تَاسِعَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٢هـ) أُحْضِرَ **حَسَنُ بْنُ الْخَيَّاطِ** إِلَى **مَجْلِسِ الْحُكْمِ** الْمَالِكِيِّ، وَنَاظَرَ فِي **إِيمَانِ فِرْعَوْنَ**، وَادُّعِيَ عَلَيْهِ بِدَعَاوَى لِانْتِصَارِهِ لِفِرْعَوْنَ، وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِاعْتِرَافِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِمُنَاظَرَتِهِ فِي ذَلِكَ ثَانِيًا، **وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ جَاهِلٌ** عَامِّيٌّ رَابِضٌ، لَا يُقِيمُ دَلِيلًا وَلَا يُحْسِنُهُ، وَإِنَّمَا قَامَ فِي مُخَيَّلَتِهِ شُبْهَةٌ يَحْتَجُّ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، وَأُحِيطَ بِهِ، وَرَأَى بَأْسَ اللهِ، وَعَايَنَ عَذَابَهُ الْأَلِيمَ، فَقَالَ حِينَ الْغَرَقِ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

ثُمَّ حَضَرَ فِي يَوْمٍ آخَرَ، وَهُوَ مُصَمِّمٌ عَلَى ضَلَالِهِ، فَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ، فَأَظْهَرَ التَّوْبَةَ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى السِّجْنِ، ثُمَّ أُحْضِرَ يَوْمًا ثَالِثًا، وَهُوَ يَسْتَهِلُّ بِالتَّوْبَةِ فِيمَا يُظْهِرُ، فَنُودِيَ عَلَيْهِ فِي الْبَلَدِ ثُمَّ أُطْلِقَ.

○ إلزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم

وَرَدَ كِتَابٌ مِنَ السُّلْطَانِ الناصر حسن بن الناصر محمد إِلَى دِمَشْقَ فِي يَوْمِ **الثُّلَاثَاءِ** خَامِسَ عَشَرَ **ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٦١هـ)** بِإِلْزَامِ القلندرية [1] بِزِيِّ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرْكِ زِيِّ الْأَعَاجِمِ وَالْمَجُوسِ، ويلزموا بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم، وَذَلِكَ مُحَرَّمٌ بِالْإِجْمَاعِ حَسَبَ مَا حَكَاهُ ابْنُ حَزْمٍ، وَذَكَرَهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكَرَاهِيَةِ.

(١) جماعة من الصوفية الغالية، ولشيخ الإسلام فتوى فيهم. انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٣).

ولَا يُمكَّنُ أَحدٌ مِنْهُم مِنَ الدُّخولِ إِلَى بِلَادِ السُّلطَانِ حَتَّى يَتْرُكَ هَذَا الزِّيَّ الْمُبْتَدَعَ، وَاللِّبَاسَ الْمُسْتَشْنَعَ، وَمَنْ لَا يَلْتَزِمُ بِذَلِكَ يُعَزَّرُ شَرْعًا، وَيُقْلَعُ مِنْ قَرَارِهِ قَلْعًا.

وَكَانَ **اللَّائِقُ** أَنْ يُؤْمَرُوا بِتَرْكِ أَكْلِ الْحَشِيشَةِ الْخَسِيسَةِ، وَإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ بِأَكْلِهَا، وَسُكْرِهَا، كَمَا أَفْتَى بِذَلِكَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، **وَالْمَقْصُودُ**: أَنَّهُ نُودِيَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبَلَدِ وَنَوَاحِيهِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

❍ عناية نائب السلطنة بالبيئة

وَخَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بدمشق يَوْمَ الِاثْنَيْنِ التَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنَ ربيع الأول سنة (٧٦٢هـ) الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ إِلَى **الْغَيْضَةِ**؛ لِإِصْلَاحِهَا وَإِزَالَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ الْمُؤْذِيَةِ وَالدَّغَلِ، وَخَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ الْجَيْشِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِهِ وَأَجْنَادِ الْحَلْقَةِ بِرُمَّتِهِمْ، وَكُلُّهُمْ يَعْمَلُونَ فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ، وَأُحْضِرَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ مِنْ فَلَّاحِي الْمَرْجِ وَالْغُوطَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجَعَ يَوْمَ السَّبْتِ خَامِسَ ربيع الثاني، وَقَدْ نَظَّفُوهَا مِنَ الدَّغَلِ وَالْقَشِّ.

❍ منع الواعظ علي ابن البنا لتعرضه لأبي حنيفة

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٦٢هـ) كَانَ **عَلِيَّ بْنَ الْبَنَّا**، يَتَكَلَّمُ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ عَلَى الْعَوَامِّ، بِشَيْءٍ مِنَ الْوَعْظِيَّاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ صَدْرِهِ، فَكَأَنَّهُ تَعَرَّضَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِ **لِأَبِي حَنِيفَةَ** - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَأُحْضِرَ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ فَاسْتُتِيبَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنَعَهُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى النَّاسِ، وَسَجَنَهُ، ثم أَطْلَقَهُ مِنْ يَوْمِهِ.

وَهَذَا الواعظ عِنْدَهُ زَهَادَةٌ وَتَقَشُّفٌ، وَهُوَ مِصْرِيٌّ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ وَيَقْرَؤُهُ، وَيَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَعْظِيَّاتِ، وَالرَّقَائِقِ، وَضَرْبِ أَمْثَالٍ، وَقَدْ مَالَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ، وَاسْتَحْلَوْهُ، وَكَلَامُهُ قَرِيبٌ إِلَى مَفْهُومِهِمْ، وَرُبَّمَا أَضْحَكَ فِي كَلَامِهِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ قَرِيبٌ إِلَى الْفَهْمِ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ فِي شَطْحَتِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي أَنْ تُذْكَرَ.

○ مقتل السلطان الناصر حسن

لَمَّا كَثُرَ طَمَعُ السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد، وَتَزَايَدَ شَرَهُهُ، وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ إِلَى رَعِيَّتِهِ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ، وَأَكْسَابِهِمْ، وَبَنَى الْبِنَايَاتِ الْجَبَّارَةَ الَّتِي لَا يُحْتَاجُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْهَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَمْلَاكِ بَيْتِ الْمَالِ وَأَمْوَالِهِ، وَاشْتَرَى مِنْهُ قَرَايَا كَثِيرَةً، وَمُدُنًا أَيْضًا، وَرَسَاتِيق، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ جِدًّا، **وَلَمْ يَتَجَاسَرْ أَحَدٌ مِنَ الْقُضَاةِ، وَلَا الْوُلَاةِ، وَلَا الْعُلَمَاءِ، وَلَا الصُّلَحَاءِ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ**، وَلَا النَّصِيحَةِ لَهُ بِمَا هُوَ مَصْلَحَةٌ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ **انْتَقَمَ اللهُ مِنْهُ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِ جُنْدَهُ**، وَقَلَّبَ قُلُوبَ رَعِيَّتِهِ؛ لِمَا قَطَعَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، وَمَعَالِيمِهِمْ، وَجَوَامِكِهِمْ، وَأَخْبَازِهِمْ، عِنْدَ ذَلِكَ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى هَلَاكَهُ عَلَى يَدِ أَحَدِ خَوَاصِّهِ؛ وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ يَلْبُغَا الْخَاصِّكِيُّ**.

وَذَلِكَ أن السُّلْطَانَ أَرَادَ مَسْكَهُ فامتنع من ذَلِكَ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ لِمَسْكِهِ، فَرَكِبَ هُوَ فِي جَيْشٍ، وَتَلَاقَيَا فِي ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ؛ حَيْثُ كَانُوا نُزُولًا فِي الْوِطَاقَاتِ (المخيمات)، فَهُزِمَ السُّلْطَانُ وَلَجَأَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، فَبَاتَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ مُحْدِقًا بِالْقَلْعَةِ، فَهَمَّ بِالْهَرَبِ فِي اللَّيْلِ عَلَى هُجُنٍ كَانَ قَدِ اعْتَدَّهَا لِيَهْرُبَ إِلَى الْكَرَكِ، فَلَمَّا بَرَزَ **مُسِكَ، وَاعْتُقِلَ**، وَدُخِلَ بِهِ إِلَى دَارِ **يَلْبُغَا الْخَاصِّكِيِّ**، وَكَانَ **آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ**.

وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٧٦٢هـ).

وعلق ابن كثير على ذلك بقوله: وَلِلَّهِ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] الْآيَةَ.

وَوُجِدَ عَلَى حَجَرٍ بِالْحِمْيَرِيَّةِ فَقُرِئَتْ لِلْمَأْمُونِ **فَإِذَا مَكْتُوبٌ**:

مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا ... دَارَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكِ
إِلَّا لِنَقْلِ النَّعِيمِ مِنْ مَلِكٍ ... قَدْ زَالَ سُلْطَانُهُ إِلَى مَلِكِ
وَمُلْكُ ذِي الْعَرْشِ دَائِمٌ أَبَدًا ... لَيْسَ بِفَانٍ وَلَا بِمُشْتَرَكِ

وَرُوِيَ عَنْ **سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ** بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ سَوِيَّ الْخَلْقِ حَسَنَهُ، وَقَدْ لَبِسَ حُلَّةً خَضْرَاءَ، وَهُوَ شَابٌّ مُمْتَلِئٌ شَبَابًا، وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ وَلِبَاسِهِ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى صَرْحَةِ الدَّارِ تَلَقَّتْهُ **جِنِّيَّةٌ** فِي صُورَةِ جَارِيَةٍ مِنْ حَظَايَاهُ، فَأَنْشَدَتْهُ:

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لَا حَيَاةَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ فِيكَ عَيْبٌ يُذْكَرُ ... غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي

فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ الَّذِي فِي **جَامِعِ دِمَشْقَ**، وَخَطَبَ النَّاسَ، وَكَانَ جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ، يُسْمِعُ أَهْلُ الْجَامِعِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَضَعُفَ صَوْتُهُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى لَمْ يَسْمَعْهُ أَهْلُ الْمَقْصُورَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ حُمِلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَاسْتَحْضَرَ تِلْكَ الْجَارِيَةِ الَّتِي تَبَدَّتْ تِلْكَ الْجِنِّيَّةُ عَلَى صُورَتِهَا، وَقَالَ: كَيْفَ أَنْشَدْتِينِي تَيْنِكِ الْبَيْتَيْنِ؟ فَقَالَتْ: مَا أَنْشَدْتُكَ شَيْئًا، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، نُعِيَتْ وَاللهِ إِلَيَّ نَفْسِي، فَأَوْصَى أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ **مِنْ بَعْدِهِ ابْنَ عَمِّهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ**، رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

٢٤ـ سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن حاجي بن الناصر (٧٦٢ـ٧٦٤ هـ)

❍ توليه السلطنة

بعد هزيمة السلطان **الناصر حسن بن الناصر محمد** والقبض عليه، فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة (٧٦٢هـ)، اتَّفَقَتِ الْآرَاءُ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ، وَانْعَقَدَتِ الْبَيْعَةُ لِلْمَلِكِ الْمَنْصُورِ **صَلَاحِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْمُظَفَّرِ حَاجِّي** بن الناصر محمد بن قلاوون، وَخَطَبَ الْخُطَبَاءُ، وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ، وَسَارَتِ الْبَرِيدِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ بِاسْمِهِ، وَهُوَ **ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ** سنة.

وَرُسِمَ بِعَوْدِ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ وَالِدِهِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، وَأَنْ يُبْطَلَ جَمِيعُ مَا كَانَ أَحدثه الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنٌ، وَأَنْ تُعَادَ الْمُرَتَّبَاتُ وَالْجَوَامِكُ الَّتِي كَانَ قَطَعَهَا، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ طَازْ، وَطَشْتَمُرَ الْقَاسِمِيِّ مِنْ سِجْنِ إِسْكَنْدَرِيَّةَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ لِيَكُونَا أَتَابَكًا.

❍ حادثة عجيبة فيها عبرة

اشْتَهَرَ فِي شَهرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنة (٧٦٢هـ)، أَنَّ بَقَرَةً كَانَتْ تَجِيءُ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْجَابِيَةِ تَقْصِدُ جِرَاءً لِكَلْبَةٍ، قَدْ مَاتَتْ أُمُّهُمْ، وَهِيَ فِي نَاحِيَةِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ فِي خَرَابَةٍ، فَتَجِيءُ إِلَيْهِمْ فَتَنْسَطِحُ عَلَى شِقِّهَا فَتَرْضَعُ أُولَئِكَ الْجِرَاءُ مِنْهَا، تَكَرَّرَ هَذَا مِنْهَا مِرَارًا، وَأَخْبَرَنِي الْمُحَدِّثُ الْمُفِيدُ التَّقِيُّ نُورُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْمَقْصُوصِ بِمُشَاهَدَتِهِ ذَلِكَ.

❍ إلزام النساء بالستر في لباسهن

فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنة (٧٦٢هـ)، نَادَى مُنَادٍ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ بدمشق؛ أَنَّ النِّسَاءَ **يَمْشِينَ فِي تَسَتُّرٍ**، وَيَلْبَسْنَ أُزُرَهُنَّ إِلَى أَسْفَلَ مِنْ سَائِرِ ثِيَابِهِنَّ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَةً وَلَا يَدًا، فَامْتَثَلْنَ ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إبطال نائب السلطنة بعض المكوس

- فِي أَوَاخِرِ رَجَبٍ سنة (٧٦٢هـ) أَطْلَقَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ بدمشق، مُكُوسَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَبْطَلَ مَا كَانَ يُؤْخَذُ مِنَ الْمُحْتَسِبِينَ زِيَادَةً عَلَى نِصْفِ دِرْهَمٍ، وَمَا يُؤْخَذُ مِنْ أُجْرَةِ عِدَّةِ الْمَوْتَى كُلُّ مَيِّتٍ بِثَلَاثَةٍ وَنِصْفٍ، وَجَعَلَ الْعِدَّةَ الَّتِي فِي الْقَيْسَارِيَّةِ لِلْحَاجَةِ مُسْبَلَةً لَا تَنْحَجِرُ عَلَى أَحَدٍ فِي تَغْسِيلِ مَيِّتٍ، وَهَذَا حَسَنٌ جِدًّا، وَكَذَلِكَ مَنَعَ التَّحَجُّرَ فِي بَيْعِ الثَّلْجِ الْمُخْتَصِّ بِهِ، فَرَخُصَ عَلَى النَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جِدًّا.

وَاستمر نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ يُبْطِلُ الْمُكُوسَاتِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ مِمَّا فِيهِ مَضَرَّةٌ بِالْمُسْلِمِينَ، وَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنَّ مِنْ عَزْمِهِ أَنْ يُبْطِلَ جَمِيعَ ذَلِكَ إِنْ أَمْكَنَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، آمِينَ.

- وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ سنة (٧٦٢هـ) أَبْطَلَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ الْمَكْسَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ الْمِلْحِ، وَأَبْطَلَ مَكْسَ الْأَفْرَاحِ، **وَأَبْطَلَ أَنَّ تُغَنِّيَ امْرَأَةٌ لِرِجَالٍ، وَلَا رَجُلٌ لِنِسَاءٍ**، وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّامِلِ نَفْعُهَا.

○ الجواب على استفتاء ورد لابن كثير

وَجَاءَتْنِي فِي شهر شعبان سنة (٧٦٢هـ) فُتْيَا صُورَتُهَا: مَا يَقُولُ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ فِي مَلِكٍ اشْتَرَى غُلَامًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ، وَقَدَّمَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ وَثَبَ عَلَى سَيِّدِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ مَالَهُ، وَمَنَعَ وَرَثَتَهُ مِنْهُ، وَتَصَرَّفَ فِي الْمَمْلَكَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نُوَّابِ الْبِلَادِ لِيُقْدَمَ عَلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ، فَهَلْ لَهُ الِامْتِنَاعُ مِنْهُ؟ وَهَلْ إِذَا قَاتَلَ دُونَ نَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يُقْتَلَ يَكُونُ شَهِيدًا أَمْ لَا؟ وَهَلْ يُثَابُ السَّاعِي فِي خَلَاصِ حَقِّ وَرَثَةِ الْمَلِكِ الْمَقْتُولِ مِنَ الْقِصَاصِ وَالْمَالِ؟ أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ.(١)

(١) هذا سؤال ملغم وعلى غير وجهه، أراد منه النائب أن يتقوى بفتوى العلماء على مواجهة أمر السلطان، فكان جواب ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ رد حكيم منتبه إلى مقصد السؤال.

فَقُلْتُ: لِلَّذِي جَاءَنِي بِهَا مِنْ جِهَةِ الْأَمِيرِ نائب السلطنة: إِنْ كَانَ مُرَادُهُ خَلَاصَ ذِمَّتِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ فِي الَّذِي يَقْصِدُهُ، وَلَا يَسْعَى فِي تَحْصِيلِ حَقٍّ مُعَيَّنٍ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ رَاجِحَةٌ عَلَى ذَلِكَ، فَيُؤَخِّرُ الطَّلَبَ إِلَى وَقْتِ إِمْكَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ بِهَذَا الِاسْتِفْتَاءِ أَنْ يَتَقَوَّى بِهَا فِي جَمْعِ الدَّوْلَةِ وَالْأُمَرَاءِ عَلَيْهِ فَلَا بُدَّ **أَنْ يَكْتُبَ عَلَيْهَا كِبَارُ الْقُضَاةِ** وَالْمَشَايِخِ أَوَّلًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَقِيَّةُ الْمُفْتِينَ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

○ امتناع نائب دمشق عن محاولة عزله

في شهر شعبان سنة (٧٦٢هـ) جمع نَائِبِ السَّلْطَنَةِ جَمِيع أُمَرَاءِ الشَّامِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ فِيهِمْ مِنْ نُوَّابِ السَّلْطَنَةِ سَبْعَةَ عَشَرَ أَمِيرًا، وَكُلُّهُمْ يَحْضُرُ مَعَهُ الْمَوَاكِبَ الْهَائِلَةَ، وَيَنْزِلُونَ مَعَهُ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَيَمُدُّ لَهُمُ الْأَسْمِطَةَ وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ.

وَقَدْ جَمَعَ، وَحَشَدَ، وَاسْتَخْدَمَ طَوَائِفَ، وَمَسَكَ عَلَى الْجَادَّةِ، فَلَا يَدَعُ أَحَدًا يَمُرُّ إِلَّا أَنَّ يُفَتِّشَ مَا مَعَهُ لِاحْتِمَالِ إِيصَالِ كُتُبٍ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَالْعدل ثَابت جِدًّا، وَالْأَمْنُ حَاصِلٌ هُنَاكَ، فَلَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ بِدِمَشْقَ وَضَوَاحِيهَا، لَا يُهَاجُ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ أَحْضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْقُضَاةَ الْأَرْبَعَةَ، وَالْأُمَرَاءَ كُلَّهُمْ، وَكَتَبُوا مَكْتُوبًا إلى السلطان: **أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِالسُّلْطَانِ، كَارِهُونَ لِيَلْبُغَا**، وَأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَهُ، وَلَا يُوَافِقُونَ عَلَى تَصَرُّفِهِ فِي الْمَمْلَكَةِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِمُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ.

وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الرِّكَابَ الشَّرِيفَ السُّلْطَانِيَّ وَصُحْبَتَهُ يَلْبُغَا فِي جَمِيعِ جَيْشِ مِصْرَ قَدْ عَدَّا غَزَّةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الصَّاحِبُ، وَكَاتِبُ السِّرِّ، وَالْقَاضِي الشَّافِعِيُّ، وَنَاظِرُ الْجَيْشِ، وَنُقَبَاؤُهُ، وَمُتَوَلِّي الْبَلَدِ، وَتَوَجَّهُوا تِلْقَاءَ حَمَاةَ لِتَلَقِّي الْأَمِيرِ عَلِيٍّ الَّذِي قَدْ جَاءَهُ **تَقْلِيدُ دِمَشْقَ**.

وَاستمر مَنْجَكُ وَأَسَنْدَمُرُ فِي تَحْصِينِ الْقَلْعَةِ، وَتَحْصِيلِ الْعُدَدِ وَالْأَقْوَاتِ فِيهَا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ **رمضان** سنة (٧٦٢هـ) وَصَلَ الْبَرِيدُ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ يَسْتَعْلِمُ طَاعَتَهُ أَوْ مُخَالَفَتَهُ، وَتَعَتَّبَ عَلَيْهِ فِيمَا اعْتَمَدَهُ مِنَ اسْتِحْوَاذِهِ عَلَى الْقَلْعَةِ وَتَحْصِينِهَا، وَادِّخَارِ الْآلَاتِ وَالْأَطْعِمَاتِ فِيهَا، وَنَصْبِ الْمَجَانِيقِ وَالسَّتَائِرِ عَلَيْهَا، وَكَيْفَ تَصَرَّفَ فِي الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ وَالْمُلُوكِ، **فَتَنَصَّلَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ** مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ قَلْعَةُ السُّلْطَانِ، وَإِنَّمَا لَهُ غَرِيمٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ الشَّرْعُ وَالْقُضَاةُ الْأَرْبَعَةُ - يَعْنِي بِذَلِكَ **يَلْبُغَا** - وَكَتَبَ بِالْجَوَابِ وَأَرْسَلَهُ صُحْبَةَ الْبَرِيدِيِّ.

○ توجه السلطان صلاح الدين محمد إلى دمشق

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رمضان سنة (٧٦٢هـ) اقترب السلطان **صَلَاحِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْمُظَفَّرِ حَاجِّي بن الناصر محمد بن قلاوون** من دمشق بعد خروجه من مصر، فأغلقت أَبْوَابُ دمشق كُلُّهَا سِوَى بَابَيِ النَّصْرِ وَالْفَرَجِ، وَضَاقَ النِّطَاقُ، وَانْحَصَرَ النَّاسُ جِدًّا، وَقَطَعَ الْمِصْرِيُّونَ نَهْرَ بَانَاسَ وَالْفَرْعَ الدَّاخِلَ إِلَيْهَا، وَإِلَى دَارِ السَّعَادَةِ مِنَ الْقَنَوَاتِ، ثُمَّ أُرْسِلَتِ الْقَنَوَاتُ وَقْتَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمَئِذٍ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - فَانْشَرَحَ النَّاسُ لِذَلِكَ،

فَأَرْسَلَ **يَلْبُغَا** مِنْ جِهَتِهِ أَرْبَعَةَ أُمَرَاءَ، وَكَسَرُوا أَقْفَالَ أَبْوَابِ الْبَلَدِ وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ، فَلَمَّا رَأَى نائب دمشق **بَيْدَمُرُ** ذَلِكَ أَرْسَلَ مَفَاتِيحَ الْبَلَدِ إِلَيْهِمْ.

ووصل السلطان يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ، فَنَزَلَ عِنْدَ الْمَصْطَبَةِ، وَجَاءَتِ الْأُمَرَاءُ وَنُوَّابُ الْبِلَادِ لِتَقْبِيلِ يَدِهِ وَالْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ **رمضان** خَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ **عَلِيٍّ** الْمَارِدَانِيِّ **بِنِيَابَةِ دِمَشْقَ**، وَأُعِيدَ إِلَيْهَا عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، للمرة الثَّالِثَةِ.

هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ بِيَدِ **بَيْدَمُرَ**، وَاحْتَمَى بِهَا هُوَ، وَمَنْجَكُ، وَأَسَنْدَمُرُ.

ولَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ رمضان **أُرْسِلَ قُضَاةُ الْقُضَاةِ**، وَمَعَهُمُ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الجَبَلِ الْحَنْبَلِيُّ، وَالشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ الْحَنَفِيُّ قَاضِي الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ لِلْحَنَفِيَّةِ - **إِلَى بَيْدَمُرَ** وَمَنْ مَعَهُ؛ **لِيَتَكَلَّمُوا مَعَهُمْ فِي الصُّلْحِ**، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ الْقُضَاةُ وَمَنْ مَعَهُمْ وَأَخْبَرُوهُ عَنِ السُّلْطَانِ، وَأَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ بِأَنَّهُمْ قَدْ كَتَبُوا لَهُ أَمَانًا إِنْ أَنَابَ إِلَى الْمُصَالَحَةِ، فَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ بِأَهْلِهِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَطَلَبَ أَنْ يُعْطَى **مَنْجَكُ** بِنَاحِيَةِ بِلَادِ سِيسَ لِيَسْتَرْزِقَ هُنَالِكَ، وَطَلَبَ **أَسَنْدَمُرُ** أَنْ يَكُونَ بَشْمَقْدَارُ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبُغَا الْخَاصِّكِيِّ، فَرَجَعَ الْقُضَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ، فَأَخْبَرُوه بِذَلِكَ، فَأُجِيبُوا إِلَى مَا طَلَبُوا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ خَرَجَ الْأُمَرَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْقَلْعَةِ وَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ، فَدَخَلَ الْقُضَاةُ، وَسَلَّمُوا الْقَلْعَةَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَوَاصِلِ إِلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَسَنْبُغَا بْنِ الْأَبُوبَكْرِيِّ.

فَرَجَعَ الْقُضَاةُ إِلَى الْوِطَاقِ (المخيم) الشَّرِيفِ، وَفِي صُحْبَتِهِمُ الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَلْعَةِ، وَقَدْ أُعْطُوا الْأَمَانَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَذَوِيهِمْ، فَدَخَلَ الْقُضَاةُ.

وَحُجِبَ الْأُمَرَاءُ الْمَذْكُورُونَ، وأُرْكِبُوا عَلَى خَيْلٍ ضَعِيفَةٍ، وَخَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وُشَاقِيٌّ، وَقَدْ أَحْدَقَ النَّاسُ بِالطَّرِيقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، يُقَارِبُونَ الْمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا، فَرَأَى النَّاسُ مَنْظَرًا فَظِيعًا، فَدَخَلَ بِهِمُ الْوُشَاقِيَّةُ إِلَى الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ الَّذِي فِيهِ الْقَصْرُ، فَأُجْلِسُوا هُنَالِكَ، وَظَنَّ كُلٌّ مِنْهُمْ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ فَاقِرَةٌ.

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَلْخَ الشَّهْرِ نُقِلَ الْأُمَرَاءُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَأُنْزِلُوا فِي أَبْرَاجِهَا مُهَانِينَ مُفَرَّقًا بَيْنَهُمْ، بَعْدَ مَا كَانُوا بِهَا آمِنِينَ حَاكِمِينَ، أَصْبَحُوا مُعْتَقَلِينَ خَائِفِينَ.

وَصَلَّى السُّلْطَانُ، وَأُمَرَاؤُهُ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ صَلَاةَ الْعِيدِ سنة (٧٦٢هـ) وَصَلَّى بِهِ خَطِيبًا الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ الْمُنَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ قَاضِي الْعَسَاكِرِ.

توفي صَبيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَالِثِ شَوَّالٍ **مُسِكَ** جَماعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ **الشَّامِيِّينَ**.

- وَفِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَابِعِ شَوَّالٍ **مُسِكَ** سِتَّةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ **الْعَرَبِ** بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ

- وَفِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ **حُمِلَ** تِسْعَةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ **الْأَتْرَاكِ وَالْعَرَبِ** عَلَى الْبَرِيدِ مُقَيَّدِينَ فِي الْأَغْلَالِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، مِنْهُمْ **بَيْدَمُرُ، وَمَنْجَكُ، وَأَسَنْدَمُر**، وَغَيْرُهُمْ، وَمَعَهُمْ نَحْوٌ مِنْ مِائَتَيْ فَارِسٍ مُلْبِسِينَ بِالسِّلَاحِ مُتَوَكِّلِينَ بِحِفْظِهِمْ، وَسَارُوا بِهِمْ نَحْوَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَاشِرُ شَهْرِ شَوَّالٍ حضرَ السُّلْطَانُ إِلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ قَبْلَ أَذَانِ الظُّهْرِ، فَصَلَّى فِي مَشْهَدِ عُثْمَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أُمَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ وَنَائِبُ الشَّامِ، وَخَرَجَ مِنْ فَوْرِهِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ متجهًا إلى الديار المصرية.

○ تولية الحسبة بدمشق

في يَوْمِ السَّبْتِ حَادِيَ عَشَرَ شَوَّالٍ سنة (٧٦٢هـ) خُلِعَ عَلَى الشَّيْخِ عَلَاءِ الدِّينِ الْأَنْصَارِيِّ بِإِعَادَةِ الْحِسْبَةِ إِلَيْهِ، وَعُزِلَ عنها عِمَادُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْرَجِيِّ.

○ من أخبار المدارس الوظائف السلطانية

- فِي يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شوال سنة (٧٦٢هـ) دَرَّسَ **الْقَاضِي نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ** ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْبَقَاءِ الشَّافِعِيُّ بِالْمَدْرَسَةِ **الْأَتَابَكِيَّةِ**، نَزَلَ لَهُ عَنْهَا وَالِدُهُ بِتَوْقِيعٍ سُلْطَانِيٍّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَأَخَذَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- وَفِي هَذَا الْيَوْمِ دَرَّسَ الْقَاضِي **نَجْمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ النَّابُلُسِيُّ** الشَّافِعِيُّ - الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجَابِي - بِالْمَدْرَسَةِ **الْعَصْرُونِيَّةِ**، اسْتَنْزَلَ لَهُ عَنْهَا الْقَاضِي أَمِينُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ فِي مُصَادَرَاتِهِ.

◉ وفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ دَرَّسَ الْقَاضِي **وَلِيُّ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ** ابْنُ الْقَاضِي بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْبَقَاءِ بِالْمَدْرَسَتَيْنِ **الرَّوَاحِيَّةِ ثُمَّ الْقَيْمَرِيَّةِ**؛ نَزَلَ لَهُ عَنْهُمَا وَالِدُهُ بِتَوْقِيعٍ سُلْطَانِيٍّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ فِيهِمَا الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ.

◉ وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٦٢هـ) خُلِعَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ **بَدْرِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ** بِقَضَاءِ الْعَسْكَرِ الَّذِي كَانَ مُتَوَفِّرًا عَنْ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ شَمَرْنُوخَ، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ، وَرَكِبَ الْبَغْلَةَ بِالزُّنَّارِيِّ مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ نِيَابَةِ الْحُكْمِ، **وَالتَّدْرِيسِ**.

◉ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٦٢هـ) أُعِيدَ تَدْرِيسُ **الرُّكْنِيَّةِ** بِالصَّالِحِيَّةِ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ **شَرَفِ الدِّينِ الْكَفْرِيِّ** الْحَنَفِيِّ؛ اسْتَرْجَعَهَا بِمَرْسُومٍ شَرِيفٍ سُلْطَانِيٍّ مِنْ يَدِ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ بْنِ الْعِزِّ، وَخُلِعَ عَلَى الْكَفْرِيِّ، وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِلتَّهْنِئَةِ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ.

◉ وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٦٣هـ) خُلِعَ **عَلَى الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْرَجِيِّ** بِعَوْدِ الْحِسْبَةِ إِلَيْهِ؛ بِسَبَبِ ضَعْفِ عَلَاءِ الدِّينِ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْقِيَامِ بِهَا؛ لِشُغْلِهِ بِالْمَرَضِ الْمُدْنِفِ، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ عَلَى الْعَادَةِ.

◉ وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٦٣هـ) كَانَ ابْتِدَاءُ حُضُورِ **قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجِ الدِّينِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ** ابْنِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي السُّبْكِيِّ الشَّافِعِيِّ تَدْرِيسَ **الْأَمِينِيَّةِ** عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ عَلَاءِ الدِّينِ الْمُحْتَسِبِ، بِحُكْمِ وَفَاتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ خَلْقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْأُمَرَاءِ، وَالْفُقَهَاءِ، وَالْعَامَّةِ، وَكَانَ دَرْسًا حَافِلًا.

◉ وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَرَ ربيع الآخر سنة (٧٦٣هـ) خُلِعَ عَلَى **الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ ابْنِ قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفِ الدِّينِ الْكَفْرِيِّ الْحَنَفِيِّ**، وَجُعِلَ مَعَ أَبِيهِ شَرِيكًا فِي الْقَضَاءِ، وَلُقِّبَ بِقَاضِي الْقُضَاةِ، فَلَبِسَ الْخِلْعَةَ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَجَاءَ

وَمَعَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ إِلَى النُّورِيَّةِ، فَقَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ، وَوُضِعَتِ الرَّبْعَةُ فَقُرِئَتْ، وَقُرِئَ الْقُرْآنُ، وَلَمْ يَكُنْ دَرْسًا، وَجَاءَتِ النَّاسُ لِلتَّهْنِئَةِ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْوِلَايَةِ لَهُ مَعَ أَبِيهِ. **وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى** كان نُزُول أَبِيهِ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَبِسَ الْخِلْعَةَ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَأُجْلِسَ تَحْتَ الْمَالِكِيِّ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَقْصُورَةِ مِنَ الْجَامِعِ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ هُنَالِكَ.

- فِي حَادِيَ عَشَرَ صَفَرٍ، سنة (٧٦٤هـ) قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِطَلَبِ الْأَمِيرِ **زَيْنِ الدِّينِ زُبَالَةَ** - أَحَدِ أُمَرَاءِ الْأُلُوفِ - إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُكَرَّمًا، وَقَدْ كَانَ عُزِلَ **عَنْ نِيَابَةِ الْقَلْعَةِ**.

- وَجَاءَ الْبَرِيدُ أَيْضًا وَمَعَهُ التَّوَاقِيعُ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي نَاسٍ كَثِيرٍ، زِيَادَاتٌ عَلَى الْجَامِعِ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ، وَأُقِرُّوا عَلَى مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ نَاظِرُ الْجَامِعِ الصَّاحِبُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ مَرَاجِلَ قَدْ سَعَى فِي رَفْعِ مَا زِيدَ بَعْدَ التَّذْكِرَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ صَرْغَتْمُشَ، فَلَمْ يَفِ ذَلِكَ.

- وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ **بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ السُّبْكِيِّ قَاضِي قُضَاةِ الشَّامِ** الشَّافِعِيُّ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٤هـ). وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَنَا عِنْدَ تَوْدِيعِهِ بِأَنَّ أَخَاهُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجَ الدِّينِ قَدْ لَبِسَ خِلْعَةَ الْقَضَاءِ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشَّامِ بعد وُصُولِي إِلَى دِيَارِ **مِصْرَ**. وَهَذَا مَسْرُورٌ جِدًّا بِذَهَابِهِ إِلَى مِصْرَ، وَذَكَرَ لَنَا أَنَّ أَخَاهُ كَارِهٌ لِلشَّامِ. وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ لِنَفْسِهِ، فِيمَا عَكَسَ عَلَى الْمُتَنَبِّي مِنْ قَوْله:

إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

بقوله:

دُخُولُ دِمَشْقَ يُكْسِبُنَا نُحُولا ... كَأَنَّ لَهَا دُخُولًا فِي الْبَرَايَا

إِذَا اعْتَادَ الْغَرِيبُ الْخَوْضَ فِيهَا ... فَأَيْسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْمَنَايَا

وَهَذَا شِعْرٌ قَوِيٌّ، وَعَكْسٌ جَلِيٌّ لَفْظًا وَمَعْنًى.

⊙ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٦٤هـ) دَرَّسَ قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّافِعِيُّ بِمَدَارِسِهِ، وَحَضَرَ دَرْسَ **النَّاصِرِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ** بِمُقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ الَّذِي أَثْبَتَهُ أَخُوهُ بَعْدَ مَوْتِ الْقَاضِي نَاصِرِ الدِّينِ كَاتِبِ السِّرِّ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَبَعْضُ الْقُضَاةِ، وَأَخَذَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، قُرِئَ عَلَيْهِ مِنْ تَفْسِيرِ وَالِدِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: ١].

⊙ وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٦٤هـ) قَدِمَ **الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ زُبَالَةَ** نَائِبُ الْقَلْعَةِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى الْبَرِيدِ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ هَائِلٍ، وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِالشُّمُوعِ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، وَنَزَلَ بِدَارِ الذَّهَبِ، وَرَاحَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَتَهْنِئَتِهِ بِالْعَوْدِ إِلَى نِيَابَةِ الْقَلْعَةِ عَلَى عَادَتِهِ، وَهَذِهِ ثَالِثُ مَرَّةٍ وَلِيَهَا؛ لِأَنَّهُ مَشْكُورُ السِّيرَةِ فِيهَا، وَلَهُ فِيهَا سَعْيٌ مَحْمُودٌ فِي أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

⊙ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ جمادى الأولى سنة (٧٦٤هـ) خَطَبَ **قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْكَفْرِيُّ الْحَنَفِيُّ** بِجَامِعِ يَلْبُغَا عِوَضًا عَنِ الشَّيْخِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْقُونَوِيِّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَحَضَرَ عِنْدَهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُشْتُمُرُ، وَصَلَّى مَعَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ بِالشُّبَّاكِ الْغَرْبِيِّ الْقِبْلِيِّ مِنْهُ، وَحَضَرَ خَلْقٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَخَطَبَ **ابْنُ نُبَاتَةَ** بِأَدَاءٍ حَسَنٍ، وَفَصَاحَةٍ بَلِيغَةٍ، هَذَا مَعَ عِلْمِ أَنَّ كُلَّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ.

⊙ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ مُسْتَهَلِّ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٦٤هـ) خُلِعَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجِ الدِّينِ السُّبْكِيِّ الشَّافِعِيِّ لِلْخَطَابَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ يَخْطُبُ بِنَفْسِهِ كُلَّ جُمُعَةٍ.

⊙ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَانِي ذي الحجة سنة (٧٦٤هـ) قَدِمَ الْقَاضِي **فَتْحُ الدِّينِ بْنُ الشَّهِيدِ**، وَلَبِسَ الْخِلْعَةَ، وَرَاحَ النَّاسُ لِتَهْنِئَتِهِ، وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رابع ذي الحجة

سنة (٧٦٤هـ) حَضَرَ مَشْيَخَةَ السُّمَيْسَاطِيَّةِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ أَيْضًا، وَحَضَرَ فِيهَا مِنَ الْغَدِ عَلَى الْعَادَةِ.

⦿ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سنة (٧٦٥هـ) قَدِمَ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُسْتَمِرًّا عَلَى الْقَضَاءِ، وَالْخَطَابَةِ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَهَنَّئُوهُ بِالْعَوْدِ وَالسَّلَامَةِ.

⦿ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ ربيع الأول سنة (٧٦٥هـ) لَبِسَ الْقَاضِي الصَّاحِبُ الْبَهْنَسِيُّ الْخِلْعَةَ لِنَظَرِ الدَّوَاوِينِ بِدِمَشْقَ، وَهَنَّأَهُ النَّاسُ، وَبَاشَرَ بِصَرَامَةٍ، وَاسْتَعْمَلَ فِي غَالِبِ الْجِهَاتِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

⦿ وَفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ ربيع الأول سنة (٧٦٥هـ) رَكِبَ قَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ لِتَوَلِّيهِ قَضَاءَ قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشْقَ عَنْ رِضًى مِنْ خَالَةِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجِ الدِّينِ، وَنُزُولِهِ عَنْ ذَلِكَ.

⦿ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِيَ عَشَرَ ربيع الأول سنة (٧٦٥هـ) صُرِفَ **حَاجِبُ الْحُجَّابِ** قُمَارِيُّ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَأُخِذَتِ الْقُضَاةُ مِنْ يَدِهِ، وَانْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فِي قُلٍّ مِنَ النَّاسِ، وَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَفْتَاتُ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

⦿ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ جمادى الآخرة سنة (٧٦٥هـ) عُقِدَ بِدَارِ السَّعَادَةِ مَجْلِسٌ حَافِلٌ اجْتَمَعَ فِيهِ الْقُضَاةُ الْأَرْبَعَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفْتِينَ، وَطُلِبْتُ فَحَضَرْتُ مَعَهُمْ بِسَبَبِ الْمَدْرَسَةِ التَّدْمُرِيَّةِ وَقَرَابَةِ الْوَاقِفِ، وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِمُ الثُّلُثَ، فَوَقَفَ الْحَنْبَلِيُّ فِي أَمْرِهِمْ، وَدَافَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الدِّفَاعِ.

⦿ وَرَدَ الْخَبَرُ مَعَ الْبَرِيدِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ جمادى الآخرة سنة (٧٦٦هـ)، بِأَنَّ قَاضِيَ الْقُضَاةِ **عِزَّ الدِّينِ عَبْدَ الْعَزِيزِ ابْنَ قَاضِي الْقُضَاةِ**

بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ - عَزَلَ نَفْسَهُ عَنِ الْقَضَاءِ وَصَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ، فَبَعَثَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ يَلْبُغَا إِلَيْهِ الْأُمَرَاءَ يَسْتَرْضُونَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَمَعَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، فَتَلَطَّفُوا بِهِ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَصَمَّمَ عَلَى الِانْعِزَالِ، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ: فَعَيِّنْ لَنَا مَنْ يَصْلُحُ بَعْدَكَ. قَالَ: وَلَا أَقُولُ لَكُمْ شَيْئًا فوَلُّوا مَنْ شِئْتُمْ. فَعَيَّنَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ بَهَاءَ الدِّينِ أَبَا الْبَقَاءِ السبكي، فَقِيلَ: إِنَّهُ أَظْهَرَ الِامْتِنَاعَ، ثُمَّ قَبِلَ وَلَبِسَ الْخِلْعَةَ.

- وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٦٧) خُلِعَ عَلَى قَاضِي الْقُضَاةِ **سَرِيِّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ الْمَالِكِيِّ** - قَدِمَ مِنْ حَمَاةَ عَلَى قَضَاءِ الْمَالِكِيَّةِ - عِوَضًا عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيِّ - عُزِلَ عَنِ الْمَنْصِبِ - وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِمَقْصُورَةِ الْمَالِكِيَّةِ مِنَ الْجَامِعِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ.

- فِي شوال سنة (٧٦٧هـ) أَقْرَأَنِي الْقَاضِي وَلِيُّ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ وَكِيلُ، بَيْتِ الْمَالِ كِتَابَ وَالِدِهِ قَاضِي الْقُضَاةِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْبَقَاءِ قَاضِي قُضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ أَنَّ **الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ يلبغا** جَدَّدَ دَرْسًا بِجَامِعِ **ابْنِ طُولُونَ** فِيهِ سَبْعَةُ مُدَرِّسِينَ لِلْحَنَفِيَّةِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ فَقِيهٍ مِنْهُمْ فِي الشَّهْرِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، وَإِرْدَبَّ قَمْحٍ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ غَيْرِ الْحَنَفِيَّةِ انْتَقَلُوا إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ لِيَنْزِلُوا فِي هَذَا الدَّرْسِ.

معاقبة الشيخ أسد الكردي

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ سَلْخِ شَوَّالٍ سنة (٧٦٢هـ) **شُهِّرَ الشَّيْخُ أَسَدٌ** ابْنُ الشَّيْخِ الْكُرْدِيِّ عَلَى جَمَلٍ، وَطِيفَ بِهِ فِي حَوَاضِرِ الْبَلَدِ، **وَنُودِيَ عَلَيْهِ**: هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُخَامِرُ عَلَى السُّلْطَانِ، وَيُفْسِدُ نُوَّابَ السُّلْطَانِ، ثُمَّ أُنْزِلَ عَنِ الْجَمَلِ، وَحُمِلَ عَلَى حِمَارٍ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، وَنُودِيَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، **ثُمَّ أُلْزِمَ السِّجْنَ**، وَطُلِبَ مِنْهُ مَالٌ جَزِيلٌ، وَقَدْ كَانَ الْمَذْكُورُ مِنْ أَعْوَانِ **بَيْدَمُرَ** وَأَنْصَارِهِ، وَكَانَ هُوَ الْمُتَسَلِّمَ لِلْقَلْعَةِ فِي أَيَّامِهِ.

❍ فتنة العصبية بين الفلاحين

فِي شَـهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٦٢هـ) اشْتَهَرَ وُقُوعُ فِتَنٍ بَيْنَ الْفَلَّاحِينَ بِنَاحِيَةِ **عَجْلُونَ**، وَأَنَّهُـمُ اقْتَتَلُـوا فَقُتِلَ مِـنَ الْفَرِيقَيْنِ -الْيَمَنِيِّ وَالْقَيْسِـيِّ- طَائِفَةٌ، وَأَنَّ **عَيْـنَ حِينَا** الَّتِي هِيَ شَرْقِيُّ عَجْلُونَ دُمِّرَتْ وَخُرِّبَتْ، وَقُطِعَ أَشْجَارُهَا، وَدُمِّرَتْ بِالْكُلِّيَّةِ.

❍ سكنى الأمير سيف الدين طاز بدمشق

فِي لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٦٢هـ) قَدِمَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّيـنِ طَازْ** مِنَ الْقُدْسِ فَنَزَلَ بِالْقَصْـرِ الْأَبْلَقِ، **وَقَدْ عَمِيَ مِنَ الْكُحْلِ** حِينَ كَانَ مَسْـجُونًا بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَأُطْلِقَ، وَنَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ مُدَّةً، ثُمَّ جَاءَهُ تَقْلِيدٌ بِأَنَّهُ يَكُونُ طَرْخَانًا يَنْزِلُ حَيْثُ شَـاءَ مِنْ بِلَادِ السُّـلْطَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ دِيَارَ مِصْرَ، فَجَاءَ فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَجَاءَ النَّاسُ إِلَيْهِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ؛ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ فَمَنْ دُونَهُ يُسَـلِّمُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يُبْصِرُ شَيْئًا، وَهُوَ عَلَى عَزْمٍ أَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَسْتَكْرِيَ لَهُ دَارًا بِدِمَشْقَ يَسْكُنُهَا.

❍ أحوال البلاد في أول سنة (٧٦٣هـ)

اسْتَهَلَّتْ سـنة (٧٦٣هـ) وَسُلْطَانُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالشَّامِيَّةِ، وَالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَا وَالَاهُمَا مِنَ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْمَلِـكِ الْمُظَفَّرِ أَمِيرِ حَاجِّ ابْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، وَهُوَ شَابٌّ دُونَ الْعِشْرِينَ.

- **وَمُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرُ يَلْبُغَا.**
- وَنَائِبُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ **قُشْتُمُرُ**.
- وَالْوَزِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَرَوِينَةُ، وَهُوَ مَرِيضٌ مُدْنِفٌ.
- **وَنَائِبُ الشَّامِ بِدِمَشْقَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ الْمَارِدَانِيُّ.**
- وَالْمُحْتَسِبُ عَلَاءُ الدِّينِ الْأَنْصَارِيُّ.

-وَحَاجِبُ الْحُجَّابِ قُمَارِيٌّ.

- وَكَاتِبُ السِّرِّ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْحَلَبِيُّ.

- وَنَاظِرُ الْجَامِعِ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ مَرَاجِلٍ.

- وَأَخْبَرَنِي قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ أَنَّهُ جُدِّدَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ قَاضٍ حَنَفِيٌّ بِمَدِينَةِ صَفَدَ الْمَحْرُوسَةِ مَعَ الشَّافِعِيِّ، فَصَارَ فِي كُلٍّ مِنْ حَمَاةَ وَطَرَابُلُسَ وَصَفَدَ قَاضِيَانِ؛ شَافِعِيٌّ، وَحَنَفِيٌّ.

○ تأديب نائب دمشق أهل قُرَيَر

وَفِي ثَانِي الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٣هـ) قَدِمَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بَعْدَ غَيْبَةِ نَحْوٍ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَدْ أَوْطَأَ بِلَادَ قُرَيَرَ بِالرُّعْبِ، وَأَخَذَ مِنْ مُقَدَّمِيهِمْ طَائِفَةً فَأَوْدَعَهُمُ الْحَبْسَ، وَكَانَ قَدِ اشْتَهَرَ أَنَّهُ قَصَدَ الْعَشِيرَاتِ الْمُوَاسِينَ بِبِلَادِ عَجْلُونَ، **فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ حِينَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ**، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَمْ يَتَعَدَّ نَاحِيَةَ قُرَيَرَ، وَأَنَّ الْعَشِيرَاتِ قَدِ اصْطَلَحُوا، وَاتَّفَقُوا، وَأَنَّ التَّجْرِيدَةَ عِنْدَهُمْ هُنَاكَ.

وَقَدْ كَبَسَ الْأَعْرَابُ مِنْ حَرَمِ التُّرْكِ فَهَزَمَهُمُ التُّرْكُ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ ظَهَرَ لِلْعَرَبِ كَمِينٌ فَلَجَأَ التُّرْكُ إِلَى وَادٍ حَرِجٍ فَحَصَرُوهُمْ هُنَالِكَ، ثُمَّ وَلَّتِ الْأَعْرَابُ فِرَارًا، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ التُّرْكِ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا جُرِحَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، وَقُتِلَ مِنَ الْأَعْرَابِ فَوْقَ الْخَمْسِينَ نَفْسًا.

❁ ❁ ❁

(٦)

خلافة المتوكل على اللّه
محمد بن المعتضد باللّه أبوبكر بن
المستكفي باللّه سليمان

(٧٦٣ـ٨٠٥هـ)

بيعته

بُويِعَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ **مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ** أَبِي بَكْرٍ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْمُسْتَكْفِي بِاللهِ أَبِي الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ، بعد وفاة أبيه المعتضد بالله سنة (٧٦٣هـ).

○ النزاع على تحويل جامع إلى زاوية للصوفية

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعِ رَجَبٍ سنة (٧٦٣هـ) ضَرَبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ قَبْرِ عَاتِكَةَ أَسَاءُوا الْأَدَبَ عَلَى النَّائِبِ وَمَمَالِيكِهِ، بِسَبَبِ جَامِعٍ بِنَاحِيَتِهِمْ، أَرَادَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ أَنْ يَأْخُذَ ذَلِكَ الْجَامِعَ، **وَيَجْعَلَهُ زَاوِيَةً لِلرَّقَّاصِينَ**، فَحَكَمَ الْقَاضِي الْحَنْبَلِيُّ بِجَعْلِهِ جَامِعًا.

وَقَدْ قَدِمَ شَيْخٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ عَلَى يَدَيْهِ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ، فَأَنِفَتْ أَنْفُسُ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ مِنْ عَوْدِهِ زَاوِيَةً بَعْدَ مَا كَانَ جَامِعًا، وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ، فَتَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ بِكَلَامٍ سَيِّئٍ فَاسْتَحْضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ طَائِفَةً مِنْهُمْ، وَضَرَبَهُمْ بِالْمَقَارِعِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنُودِيَ عَلَيْهِمْ فِي الْبَلَدِ.

○ القراءة في السيرة النبوية من كتاب ابن كثير

فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَجَبٍ سنة (٧٦٣هـ) حُدِّدَ مِيعَادُ حَدِيثٍ يُقْرَأُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ عَلَى الْكُرْسِيِّ الَّذِي يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْمُصْحَفُ، رَتَّبَهُ أَحَدُ أَوْلَادِ الْقَاضِي عِمَادِ الدِّينِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ، وَحَدَّثَ فِيهِ الشَّيْخُ **عِمَادُ الدِّينِ بْنُ السَّرَّاجِ**، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَقَرَأَ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ خَطِّي [(١)].

---

(١) هذا يدل على أن الحافظ ابن كثير قد أخرج النسخة الأولى من كتابه للناس، حتى أصبح يقرأ منها.

○ الحافظ الأعجوبة من بلاد تبريز

حَضَـرَ شَـابٌّ عَجَمِيٌّ مِـنْ بِـلَادِ تَبْرِيزَ وَخُرَاسَـانَ يَزْعُـمُ أَنَّـهُ يَحْفَـظُ «الْبُخَارِيَّ»، وَ«مُسْـلِمًا»، وَ «جَامِعَ الْمَسَـانِيدِ»، وَ«الْكَشَّافَ» لِلزَّمَخْشَـرِيِّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَحَافِيظَ فِي فُنُونٍ أُخَرَ، فَلَمَّا كَانَ **يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ** سَـلْخَ شَـهْرِ رَجَبٍ سـنة (٧٦٣هـ) قَرَأَ عَلَيَّ فِي الْجَامِـعِ الْأُمَوِيِّ، مِـنْ أَوَّلِ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» إِلَى أَثْنَاءِ كِتَـابِ الْعِلْمِ مِنْهُ، مِنْ حِفْظِهِ، وَأَنَـا أُقَابِلُ عَلَيْهِ مِنْ نُسْـخَةٍ بِيَدِي فَأَدَّى جَيِّدًا، غَيْرَ أَنَّهُ يُصَحِّـفُ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ لِعُجْمٍ فِيهِ، وَرُبَّمَا لَحَنَ أَيْضًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ،

وَاجْتَمَـعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّـةِ وَالْخَاصَّةِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحدِّثِيـنَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ جَمَاعَةً كَثِيرِينَ. ثُمَّ اجْتَمَعْنَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، وَحَضَرَ قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّافِعِيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِـنَ الْفُضَـلَاءِ، وَاجْتَمَعَ الْعَامَّةُ مُحْدِقِينَ، فَقَرَأَ عَلَى الْعَادَةِ غَيْـرَ أَنَّهُ لَمْ يُطَوِّلْ كَأَوَّلِ يَوْمٍ، وَسَـقَطَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ، وَصَحَّفَ، وَلَحَنَ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ، ثُمَّ جَاءَ الْقَاضِيَانِ -الْحَنَفِـيُّ وَالْمَالِكِيُّ- فَقَرَأَ بِحَضْرَتِهِمَا أَيْضًا بَعْضَ الشَّـيْءِ، هَـذَا وَالْعَامَّةُ مُحْتَفُونَ بِهِ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ أَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِتَقْبِيلِ يَدَيْهِ.

وَقد فَرِحَ هذا الحافظ بِكِتَابَتِي لَهُ بِالسَّـمَاعِ عَلَى الْإِجَـازَةِ، وَقَالَ: **أَنَا مَا خَرَجْتُ مِنْ بِلَادِي إِلَّا إِلَى الْقَصْدِ إِلَيْكَ**، وَأَنْ تُجِيزَنِي، وَذِكْرُكَ فِي بِلَادِنَا مَشْهُورٌ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصْرَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أكرمه الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ بِشَيْءٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ.

○ عزل علي المارداني نائب السلطنة بدمشق

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِيَ عَشَـرَ شَعْبَانَ سـنة (٧٦٣هـ) وَرَدَ الْبَرِيدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَعَلَى يَدَيْهِ مَرْسُـومٌ شَـرِيفٌ بِعَزْلِ الْأَمِيرِ **عَلِيٍّ المارداني** عَنْ **نِيَابَةِ دِمَشْـقَ**، وَخُلِعَ عَلَيْهِ خِلْعَـةٌ وَرَدَتْ مَعَ الْبَرِيدِ، وَرُسِـمَ لَهُ بِقَرْيَةِ **دُومَةَ**، وَأُخْرَى فِي بِلَادِ **طَرَابُلُسَ** عَلَى سَـبِيلِ

الرَّاتِبِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي أَيِّ الْبِلَادِ شَاءَ مِنْ دِمَشْقَ أَوِ الْقُدْسِ أَوِ الْحِجَازِ، فَانْتَقَلَ مِنْ يَوْمِهِ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ وَبِبَاقِي أَصْحَابِهِ وَمَمَالِيكِهِ، وَاسْتَقَرَّ نُزُولُهُ فِي دَارِ الْخَلِيلِيِّ بِالْقَصَّاعِينَ، وَهِيَ دَارٌ هَائِلَةٌ، وَرَاحَ النَّاسُ لِلتَّأَسُّفِ عَلَيْهِ.

○ عزل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي

وَرَدَ الْبَرِيدُ بِطَلَبِهِ يوم الْأَحَدِ الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حَاجِبُ الْحُجَّابِ **قُمَارِيٌّ**، وَهُوَ نَائِبُ الْغَيْبَةِ أَنْ يُسَافِرَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَنْظَرَهُمْ إِلَى الْغَدِ فَأُمْهِلَ، وَاللهُ الْمَسْئُولُ فِي حُسْنِ الْخَاتِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

○ مشاركة ابن كثير في اختبار الحافظ بدر الدين الشريشي

فِي يوم الثُّلَاثَاءِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٣هـ) دُعِيتُ إِلَى بُسْتَانِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ، وَحَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ **مِنْهُمْ**: الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الشِّيرَازِيُّ مِنْ ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَيْرُوزَابَادِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَوِيِّينَ، وَالْخَطِيبُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ صَدْرُ الدِّينِ بْنُ الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُضَلَاءِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الصَّارِمِ أَحَدُ الْقُرَّاءِ الْمُحَدِّثِينَ الْبُلَغَاءِ، وَأَحْضَرُوا نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ مُجَلَّدًا مِنْ كِتَابِ «الْمُنْتَهَى» فِي اللُّغَةِ لِلتَّمِيمِيِّ الْبَرْمَكِيِّ، وَقْفَ النَّاصِرِيَّةِ، وَحَضَرَ وَلَدُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ، وَهُوَ الْعَلَّامَةُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ، وَاجْتَمَعْنَا كُلُّنَا عَلَيْهِ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنَّا مُجَلَّدًا بِيَدِهِ مِنْ تِلْكَ الْمُجَلَّدَاتِ، ثُمَّ أَخَذْنَا نَسْأَلُهُ عَنْ بُيُوتِ الشِّعْرِ الْمُسْتَشْهَدِ عَلَيْهَا بِهَا، فَيَنْشُرُ كُلًّا مِنْهَا، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ مُبِينٍ مُفِيدٍ، فَجَزَمَ الْحَاضِرُونَ وَالسَّامِعُونَ أَنَّهُ يَحْفَظُ جَمِيعَ شَوَاهِدِ اللُّغَةِ، وَلَا يَشِذُّ عَنْهُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ الشَّاذُّ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ، وَأَبْلَغِ الْإِغْرَابِ.

○ ولاية سيف الدين قشتمر نيابة دمشق

فِـي يَوْمَ السَّـبْتِ مُسْـتَهَلِّ رَمَضَانَ سـنة (٧٦٣هـ)، قَدِمَ سـيف الدين قشـتمر نائبا لدمشـق وَالْحَجَبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْجَيْشُ بِكَمَالِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَى سُـوقِ الْخَيْلِ، فَأَوْكَبَ فِيهِ ثُمَّ جَاءَ، وَنَزَلَ عِنْدَ بَابِ النَّصْرِ، وَقَبَّلَ الْعَتَبَةَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَأَوَّلَ شَـيْءٍ حَكَمَ فِيـهِ أَنْ أَمَرَ بِصَلْبِ رجل **قَتَـلَ وَالِيَ الصَّالِحِيَّةِ**، وَهُـوَ ذَاهِبٌ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ هَرَبَ فَتَبِعَهُ النَّاسُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ آخَرَ، وَجَرَحَ آخَرِينَ، ثُمَّ مُسِكَ، وَلَمَّا صُلِبَ طَافُوا بِهِ عَلَى جَمَلٍ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ، فَمَاتَ هُنَاكَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقَاسَى أَمْرًا شَدِيدًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَقَدْ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، قَبَّحَهُ اللهُ.

○ تجديد عمارة بيمارستان بدمشق

فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٦٤هـ) تَكَامُلِ تَجْدِيدِ الْبِيمَارَسْتَانِ الدَّقَّاقِيِّ، مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ حَتَّى قَنَاطِرِهِ الْأَرْبَعِ بِالْحِجَارَةِ الْبُلْقِ، وَجُعِلَ فِي أَعَالِيهِ قَمَرِيَّاتٌ كِبَارٌ مُضِيئَةٌ، وَفَتَـقَ فِي قِبْلَتِهِ إِيوَانًا حَسَـنًا، زَادَ فِـي أَعْمَاقِهِ أَضْعَافَ مَا كَانَ، وَبَيَّضَـهُ جَمِيعَهُ بِالْجِصِّ الْحَسَـنِ الْمَلِيحِ، وَجُدِّدَتْ فِيهِ خَزَائِنُ، وَمَصَالِحُ، وَفُرُشٌ، وَلُحُفٌ جُدُدٌ، وَأَشْيَاءُ حَسَنَةٌ فَأَثَابَ اللهُ الناظر، وَأَحْسَنَ جَزَاءَهُ، آمِينَ.

○ وضع شطر المكس على الغنم

قـدم الصَّاحِب سَـعْد الدِّينِ مَاجِدِ بْنِ التَّاجِ إِسْـحَاقَ مِنَ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى نَظَرِ الدَّوَاوِيـنِ بِالشَّـامِ، عِوَضًـا عَنِ الْبَدْرِ حَسَـنِ بْنِ النَّابُلُسِـيِّ، فَفَـرِحَ النَّـاسُ بِوِلَايَةِ هَذَا وَقُدُومِهِ، وَبِعَزْلِ الْأَوَّلِ وَانْصِرَافِهِ عَنِ الْبَلَدِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَمَعَ الصاحب مَرْسُومٌ بِوَضْعِ نِصْـفِ مَكْـسِ الْغَنَمِ، وَقَدْ نُـودِيَ بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْعِشْـرِينَ مِنْ شَـهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٦٤هـ)، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى قُدُومَ وُفُودٍ بتجارات مُتَعَـدِّدَةٍ، وَأَخَذَ مِنْهَا الدِّيوَانُ السُّـلْطَانِيُّ فِي الزَّكَاةِ وَالْوِكَالَةِ، والْعُشْرِ أَضْعَافُ مَا أُطْلِقَ مِنَ الْمَكْسِ.

❍ زيادة المياه والأمطار في الشام

فِي شـهر جمادى الأولى سـنة (٧٦٤هـ) كَثُرَتِ الْمِيَاهُ، وَزَادَتِ الْأَنْهَارُ زِيَادَةً كَثِيرَةً جِـدًّا، بِحَيْثُ إِنَّـهُ فَاضَ الْمَاءُ فِي سُـوقِ الْخَيْلِ مِنْ نَهْرِ بَرَدَى حَتَّى عَـمَّ جَمِيعَ الْعَرْصَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمَوْقِفِ الْمَوْكِبِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ أُجْرِيَتْ فِيهِ الْمَرَاكِبُ **بِالْكِرَا**، وَرَكِبَتْ فِيهِ الْمَارَّةُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَاسْـتَمَرَّ ذَلِكَ جُمَعًا مُتَعَدِّدَةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ، **وَلَا رَأَيْتُهُ قَطُّ فِي مُدَّةِ عُمْرِي**، وَقَدْ سَـقَطَتْ بِسَـبَبِ ذَلِكَ بِنَايَاتٌ وَدُورٌ كَثِيرَةٌ، وَتَعَطَّلَتْ طَوَاحِينُ كَثِيرَةٌ غَمَرَهَا الْمَاءُ.

❍ انتشار الطاعون بمصر

وَرَدَتْ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ تُخْبِرُ بِشِـدَّةِ الْوَبَاءِ وَالطَّاعُونِ بِمِصْرَ سنة (٧٦٤هـ)، وَأَنَّهُ يُضْبَطُ مِنْ أَهْلِهَا فِي النَّهَارِ نَحْوَ الْأَلْفِ، وَأَنَّهُ مَاتَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ يُعْرَفُونَ كَوَلَدَيْ قَاضِي الْقُضَاةِ تَـاجِ الدِّينِ الْمُنَاوِيِّ، وَكَاتِبِ الْحَكَمِ بْنِ الْفُرَاتِ، وَأَهْـلِ بَيْتِهِ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَجَاءَ الْخَبَرُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَجَبٍ بِمَوْتِ جَمَاعَةٍ بِمِصْرَ؛ مِنْهُمْ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ السُّـبْكِيُّ الْمِصْرِيُّ بِمِصْرَ، وَهُوَ شَـابٌّ لَمْ يَسْـتَكْمِلِ الْعِشْـرِينَ، وَقَدْ دَرَّسَ بِعِدَّةِ جِهَاتٍ بِمِصْرَ وَخَطَبَ، فَفَقَدَهُ وَالِدُهُ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَعَزَّوْا فِيهِ عَمَّهُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجَ الدِّينِ السُّبْكِيَّ قَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِدِمَشْقَ.

وَجَـاءَ الْخَبَـرُ بِمَوْتِ قَاضِي الْقُضَاةِ شِـهَابِ الدِّيـنِ أَحْمَدَ الرَّبَاحِـيِّ الْمَالِكِيِّ، كَانَ بِحَلَـبَ، وَلِيَهَـا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ عُزِلَ، فَقَصَدَ مِصْرَ، وَاسْـتَوْطَنَهَا مُدَّةً لِيَتَمَكَّنَ مِنَ السَّـعْيِ فِي الْعَوْدَةِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْفَنَاءِ، وَوَلَدَانِ لَهُ مَعَهُ أَيْضًا.

○ معاقبة الأعراب في ناحية تدمر

فِي يَوْمِ السَّبْتِ سَادِسِ شَعْبَانَ سنة (٧٦٤هـ) تَوَجَّهَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ فِي صُحْبَةِ جُمْهُورِ الْأُمَرَاءِ إِلَى نَاحِيَةِ تَدْمُرَ؛ لِأَجْلِ الْأَعْرَابِ وَأَصْحَابِ **حَيَّارِ بْنِ مُهَنَّا** وَمَنِ الْتَفَّ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَقَدْ دَمَّرَ بَعْضُهُمْ بَلَدَ **تَدْمُرَ**، وَحَرَّقُوا كَثِيرًا مِنْ أَشْجَارِهَا وَزَرْعِهَا، وَانْتَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَخَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ، وَذَلِكَ **بِسَبَبِ قَطْعِ إِقْطَاعَاتِهِمْ، وَتَمَلُّكِ أَمْلَاكِهِمْ**، فَرَكِبَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِمَنْ مَعَهُ لِطَرْدِهِمْ عَنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَفِي صُحْبَتِهِمُ الْأَمِيرُ حَمْزَةُ بْنُ الْخَيَّاطِ أَحَدُ أُمَرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهْ، فَوَصَلُوا إِلَى تَدْمُرَ، وَهَرَبَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ نَائِبِ الشَّامِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَلَمْ يُوَاجِهُوهُ هَيْبَةً لَهُ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَحَرَّفُونَ عَلَى حَمْزَةَ بْنِ الْخَيَّاطِ، ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ بَيَّتُوا الْجَيْشَ، فَقَتَلُوا مِنْهُ طَائِفَةً، وَجَرَحُوا آخَرِينَ، وَأَسَرُوا آخَرِينَ.

وفِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَابِعِ شعبان سنة (٧٦٤هـ) اشْتَهَرَ الْخَبَرُ عَنِ الْجَيْشِ بِأَنَّ الْأَعْرَابَ اعْتَرَضُوا التَّجْرِيدَةَ الْقَاصِدِينَ إِلَى الرَّحْبَةِ، وَأَوْقَفُوهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ، وَنَهَبُوا، وَجَرَحُوا، وَقَدْ سَارَ الْبَرِيدُ خَلْفَ النَّائِبِ وَالْأُمَرَاءِ لِيَقْدَمُوا إِلَى الْبَلَدِ لِأَجْلِ الْبَيْعَةِ لِلسُّلْطَانِ الْجَدِيدِ، جَعَلَهُ اللهُ مُبَارَكًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَدِمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمُنْهَزِمِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي أَسْوَأِ حَالٍ وَذِلَّةٍ، ثُمَّ جَاءَ الْبَرِيدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِرَدِّهِمْ إِلَى الْعَسْكَرِ الَّذِي مَعَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ عَلَى تَدْمُرَ، مُتَوَعِّدِينَ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَقَطْعِ الْإِقْطَاعَاتِ.

○ عزل السلطان الملك المنصور صلاح الدين

قَالَ ابن كثير: أَخْبَرَنِي قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ وَالصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّينِ مَاجِدٌ نَاظِرُ الدَّوَاوِينِ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الثُّلَاثَاءِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٤هـ) عُزِلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صلاح الدين محمد بن حاجي، وَأُودِعَ مَنْزِلَهُ، وَأُجْلِسَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ نَاصِرُ الدِّينِ **شَعْبَانُ** بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، وَبُويِعَ لِذَلِكَ.

❁ ❁ ❁

٢٥ـ سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد (٧٦٤ـ٧٧٨هـ)

○ توليه السلطنة

بُويعَ لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، في النصف من شهر شَعْبَانَ سنة (٧٦٤هـ)، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ قَرِيبُ الْعَشْرِ، فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ.

○ وفاة الزقاق والكتبي

فِي يَوْمِ السَّبْتِ حَادِيَ عَشَرَ رمضان سنة (٧٦٤هـ) صَلَّيْنَا بَعْدَ الظُّهْرِ عَلَى الشَّيْخِ الْمُعَمَّرِ الصَّدْرِ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الزَّقَّاقِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَوْخِيِّ، وَعَلَى الشَّيْخِ صَلَاحِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاكِرِ الْكُتُبِيِّ، تَفَرَّدَ فِي صِنَاعَتِهِ، وَجَمَعَ تَارِيخًا مُفِيدًا نَحْوًا مِنْ عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ، وَكَانَ يَحْفَظُ وَيُذَاكِرُ وَيُفِيدُ، رَحِمَهُ اللهُ وَسَامَحَهُ.

○ عزل سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِيَ عَشَرَ شوال سنة (٧٦٤هـ) اسْتَقَرَّ عَزْلُ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ سَيْفِ الدِّينِ قُشْتُمُرَ عَنْ نِيَابَةِ دِمَشْقَ، وَأُمِرَ بِالْمَسِيرِ إِلَى **نِيَابَةِ صَفَدَ**، فَأَنْزَلَ أَهْلَهُ بِدَارِ طَيْبُغَا حَاجِّي مِنَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى، وَبَرَزَ هُوَ إِلَى سَطْحِ الْمِزَّةِ ذَاهِبًا إِلَى نَاحِيَةِ صَفَدَ.

○ شائعة منام كاذب

مِنْ غَرِيبِ مَا وَقَعَ فِي أَوَاخِرِ شهر شوال سنة (٧٦٤هـ) أَنَّهُ اشْتَهَرَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْعَوَامِّ أَنَّ رَجُلًا رَأَى مَنَامًا فِيهِ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ - ﷺ - عِنْدَ شَجَرَةِ تُوتَةٍ عِنْدَ مَسْجِدِ ضِرَارٍ خَارِجَ بَابِ شَرْقِيٍّ، فَتَبَادَرَ النِّسَاءُ إِلَى تَخْلِيقِ تِلْكَ التُّوتَةِ، وَأَخَذُوا أَوْرَاقَهَا لِلِاسْتِشْفَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ، وَلَكِنْ لَمْ يَظْهَرْ صِدْقُ ذَلِكَ الْمَنَامِ، وَلَا يَصِحُّ عَمَّنْ يَرْوِيهِ.

○ تولية منكلي بغا نيابة دمشق

فِـي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّـابِعِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سـنة (٧٦٤هـ) دَخَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ مَنْكَلِي بُغَا مِنْ حَلَبَ إِلَى دِمَشْقَ نَائِبًا عَلَيْهَا فِي تَجَمُّلٍ هَائِلٍ، وَلَكِنَّهُ مُسْتَمْرِضٌ فِـي بَدَنِهِ بِسَـبَبِ مَـا كَانَ نَالَهُ مِـنَ التَّعَبِ فِـي مُصَابَـرَةِ الْأَعْـرَابِ، فَنَزَلَ دَارَ السَّـعَادَةِ عَلَى الْعَادَةِ.

○ أحوال البلاد في سنة (٧٦٥هـ)

اسْتَهَلَّتْ هذه السنة:

⊙ **وخليفة المسلمين** هو الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَضِدِ.

⊙ **وَسُـلْطَانُ الدِّيَـارِ الْمِصْرِيَّـةِ**، وَالشَّـامِيَّةِ، وَالْحَرَمَيْـنِ، وَمَـا يَتْبَعُ ذَلِـكَ - الْمَلِكُ الْأَشْـرَفُ نَاصِرُ الدِّينِ شَـعْبَانُ ابْنُ حُسَيْنِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيُّ، وَهُوَ فِي عُمْرِ عَشْرِ سِنِينَ.

⊙ وَمُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ نِظَامُ الْمُلْكِ سَيْفُ الدِّينِ **يَلْبُغَا** الْخَاصِّكِيُّ،

⊙ وَوَزِيرُهَا فَخْرُ الدِّينِ بْنُ قَرْوِينَه.

⊙ وَنَائِبُ دِمَشْقَ **الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَنْكَلِي بُغَا الشَّمْسِيُّ**، وَهُوَ مَشْكُورِ السِّيرَةِ،

⊙ وَنَاظِرُ الدَّوَاوِينِ بِهَا الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّينِ مَاجِدٌ.

⊙ وَنَاظِرُ الْجَيْشِ عَلَمُ الدِّينِ دَاوُدُ.

⊙ وَكَاتِبُ السِّرِّ الْقَاضِي فَتْحُ الدِّينِ بْنُ الشَّهِيدِ.

⊙ وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الرَّهَاوِيِّ.

⊙ **واسْتَهَلَّتْ وَدَاءُ الْفَنَاءِ** مَوْجُودٌ فِي النَّاسِ، إِلَّا أَنَّهُ خَفَّ وَقَلَّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ طلب بعض مشايخ الشام إلى الديار المصرية

- فِي أول محرم سنة (٧٦٥هـ) تَوَجَّهَ قَاضِي الْقُضَاةِ بَهَاءَ الدِّينِ أَبَا الْبَقَاءِ السُّبْكِيَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَطْلُوبًا مِنْ جِهَةِ الْأَمِيرِ يَلْبُغَا، وَفِي الْكِتَابِ إِجَابَتُهُ لَهُ إِلَى مَا سَأَلَ.

- وَتَوَجَّهَ بَعْدَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ - الْحَاكِمُ بِدِمَشْقَ وَخَطِيبُهَا - يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ.

- وَتَوَجَّهَ بَعْدَهُمَا الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْجَبَلِ الْحَنْبَلِيُّ، مَطْلُوبًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

- وَكَذَلِكَ تَوَجَّهَ الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ الْمَنْفَلُوطِيُّ مَطْلُوبًا.

○ إلزام أهل الذمة بالشروط

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ خَامِسَ عَشَرَ المحرم سنة (٧٦٥هـ) نُودِيَ بدمشق عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ بِإِلْزَامِهِمْ بِالصِّغَارِ، وَتَصْغِيرِ الْعَمَائِمِ، وَأَنْ لَا يُسْتَخْدَمُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ، وَلَا الْبِغَالَ، وَيَرْكَبُونَ الْحَمِيرَ بِالْأُكُفِّ بِالْعَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي رِقَابِهِمْ وَرِقَابِ نِسَائِهِمْ فِي الْحَمَّامَاتِ الْأَجْرَاسُ، وَأَنْ يَكُونَ أَحَدُ النَّعْلَيْنِ أَسْوَدَ مُخَالِفًا لِلَوْنِ الْأُخْرَى، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَدَعَوْا لِلْآمِرِ بِذَلِكَ.

وفِي شهر ربيع الآخر سنة (٧٦٧هـ) نُودِيَ فِي الْبَلَدِ بِأَنَّ نِسَاءَ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَا تَدْخُلُ الْحَمَّامَاتِ مَعَ الْمُسَلَّمَاتِ، بَلْ تَدْخُلُ حَمَّامَاتٍ تَخْتَصُّ بِهِنَّ، وَمَنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الرِّجَالِ مَعَ الرِّجَالِ الْمُسْلِمِينَ يَكُونُ فِي رِقَابِ الْكُفَّارِ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا مِنْ أَجْرَاسٍ، وَخَوَاتِيمَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَمَرَ نِسَاءَ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِأَنْ تَلْبَسَ الْمَرْأَةُ خُفَّيْهَا مُخَالِفَيْنِ فِي اللَّوْنِ بِأَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَبْيَضَ، وَالْآخَرُ أَصْفَرَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

○ فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتي سنة

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٥هـ) اجْتَمَعَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ وَالْقُضَاةُ عِنْدَ بَابِ كَيْسَانَ، وَشَرَعَ الصُّنَّاعُ فِي فَتْحِهِ عَنْ مَرْسُومِ السُّلْطَانِ الْوَارِدِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَمْرِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَإِذْنِ الْقُضَاةِ فِي ذَلِكَ، وَاسْتَهَلَّ رَمَضَانُ وَهُمْ فِي الْعَمَلِ فِيهِ.

وَتَكَامَلَ **فَتْحُ الْبَابِ** وَسَمَّوْهُ الْبَابَ الْقِبْلِيَّ، وَدَخَلَتِ الْمَارَّةُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُشَاةِ وَالرُّكْبَانِ، وَجَاءَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَسَلَكَ النَّاسُ فِي حَارَاتِ الْيَهُودِ، وَانْكَشَفَ دَخَلُهُمْ، وَأَمِنَ النَّاسُ مِنْ دَخَنِهِمْ، وَمَكْرِهِمْ، وَانْفَرَجَ النَّاسُ بِهَذَا الْبَابِ الْمُبَارَكِ.

○ حديقة للحيوانات بدمشق

فِي رَابِعِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٦٥هـ) دُخِلَ **بِالْفِيلِ وَالزَّرَافَةِ** إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ مِنَ الْقَاهِرَةِ، فَأُنْزِلَا فِي الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ قَرِيبًا مِنَ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، **وَذَهَبَ النَّاسُ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِمَا** عَلَى الْعَادَةِ.

○ الخلاف على لفظة في صحيح البخاري

خُتِمَتِ **الْبُخَارِيَّاتُ** فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ سنة (٧٦٥هـ)، وَوَقَعَ بَيْنَ الشَّيْخِ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ **السَّرَّاجِ** قَارِئِ «الْبُخَارِيِّ» عِنْدَ مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ، وَبَيْنَ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ، **وَتَهَاتَرَا** عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ بِسَبَبِ لَفْظَةِ «**يَبْتَئِرْ**» بِمَعْنَى (يَدَّخِرُ)، وَفِي نُسْخَةٍ «**يَبْتَئِزْ**».[1]

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣١٤) حديث رقم (٦٤٨١) ونصه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ **الْخُدْرِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا -يَعْنِي أَعْطَاهُ- قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: **فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ** عِنْدَ اللهِ خَيْرًا -فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ- وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي -أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي- ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ -وَرَبِّي- فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ -أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ- فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ». =

فَحكَى ابْنُ السَّرَّاجِ عَنِ الْحَافِظِ الْمِزِّيِّ أَنَّ الصَّوَابَ «يَبْتَئِزُ» مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: مَنْ عَزَّ بَزَّ. وَصدَق فِي ذَلِكَ، فَكَأَنَّ مُنَازِعَهُ خَطَّأَ الْمِزِّيَّ، فَانْتَصرَ الْآخَرُ لِلْحَافِظِ الْمِزِّيِّ، فَنَالَ مِنْهُ بِالْقَوْلِ ثُمَّ قَامَ وَالِدُهُ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ، فَكَشَفَ رَأْسهُ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ، فَكَأَنَّ ابْنَ السَّرَّاجِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَتَدَافَعُوا إِلَى الْقَاضِي الشَّافِعِيِّ، فَانْتَصَرَ لِلْحَافِظِ الْمِزِّيِّ، وَجَرَتْ أُمُورٌ ثُمَّ اصْطَلَحُوا غَيْرَ مَرَّةٍ، وَعَزَمَ أُولَئِكَ عَلَى كَتْبِ مَحْضَرٍ عَلَى ابْنِ السَّرَّاجِ، ثُمَّ انْطَفَأَتْ تِلْكَ الشُّرُورُ.

○ الإذن بجمعة ثانية بدمشق داخل السور

لَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ فِيمَا أَعْلَمُ مُنْذُ فُتُوحِ الشَّامِ إلى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٦٥هـ) بِالْجَامِعِ الذي تسميه العامة بالشَّاذُورِيِّ،[(١)] الَّذِي جَدَّدَ بِنَاءَهُ نَائِبُ الشَّامِ سَيْفُ الدِّينِ مَنْكَلِي بُغَا، بِدَرْبِ الْبَلَاغَةِ قِبْلِيَّ مَسْجِدِ دَرْبِ الْحَجَرِ، دَاخِلَ بَابِ كَيْسَانَ، الْمُجَدَّدِ فَتْحُهُ فِي هَذَا الْحِينِ.

وَقَدْ كَانَ الْمَسْجِدُ رَثَّ الْهَيْئَةِ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ من دَهْرٍ، وَهُجِرَ فَلَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ، فَوَسَّعَهُ مِنْ قِبْلِيِّهِ، وَسَقَفَهُ جَدِيدًا، وَجَعَلَ لَهُ صَرْحَةً شَمَالِيَّةً مُبَلَّطَةً، وَرِوَاقَاتٍ عَلَى هَيْئَةِ الْجَوَامِعِ، وَالدَّاخِلُ بِأَبْوَابِهِ عَلَى الْعَادَةِ، وَدَاخِلُ ذَلِكَ رِوَاقٌ كَبِيرٌ لَهُ جَنَاحَانِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ بِأَعْمِدَةٍ وَقَنَاطِرَ، وَقَدْ كَانَ قَدِيمًا كَنِيسَةً، فَأُخِذَتْ مِنْهُمْ قَبْلَ الْخَمْسِمِائَةِ، وَعُمِلَتْ مَسْجِدًا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى هَذَا الْحِينِ، فَلَمَّا كَمَل سِيقَ إِلَيْهِ الْمَاءُ مِنَ الْقَنَوَاتِ، وَوُضِعَ فِيهِ مِنْبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ.

= وقَوْلُهُ (فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا) فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ، وَتَفْسِيرُ قَتَادَةَ صَحِيحٌ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَئِيرَةِ بِمَعْنَى الذَّخِيرَةِ وَالْخَبِيئَةِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ بَأَرْتُ الشَّيْءَ وَابْتَأَرْتُهُ أَبْأَرُهُ وَأَبْتَئِرُهُ إِذَا خَبَّأْتُهُ. وَقَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ (لَمْ يَبْتَئِرْ) أَوْ (لَمْ يَبْتَئِزْ) بِالشَّكِّ فِي الزَّايِ أَوِ الرَّاءِ.

قال القاضي عياض في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٧٥): وَوَقع فِي كتاب التَّوْحِيد من كتاب الْبُخَارِيّ للمروزي لم يبتئر أَو يبتئز بِالشَّكِّ فِي الزَّاي وَالرَّاء فَقَط.

(١) قال ابن كثير: واسمه مَسْجِدُ الشَّهْرَزُورِيِّ، كما فِي «تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرَ».

وركب نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ، وَقَدِ اسْتَكَفَّ النَّاسُ عِنْدَهُ مِنْ قُضَاةٍ، وَأَعْيَانٍ، وَخَاصَّةٍ، وَعَامَّةٍ، وَقَدْ عُيِّنَ لِخَطَابَتِهِ الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَنَفِيُّ مُدَرِّسُ التَّاجِيَّةِ، وَإِمَامُ الْحَنَفِيَّةِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَلَمَّا أُذِّنَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ.

فَخَطَبَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْحَنَفِيُّ الْكَفْرِيُّ.

○ تأديب أهل وادي التيم

فِي شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٦هـ) رَسَمَ **نَائِبُ السَّلْطَنَةِ** بدمشق الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَنْكَلِي بُغَا الشَّمْسِيُّ، بِتَخْرِيبِ قَرْيَتَيْنِ مِنْ وَادِي **التَّيْمِ**، وَهُمَا: مَشْغَرَا، وَتَلْفِيَّتَا، **وَسَبَبُ ذَلِكَ** أَنَّهُمَا عَاصِيَانِ، وَأَهْلُهُمَا مُفْسِدَانِ فِي الْأَرْضِ وَالْبَلَدَانِ، وهما حَصِينَانِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمَا إِلَّا بِكُلْفَةٍ كَثِيرَةٍ، لَا يَرْتَقِي إِلَيْهِمَا إِلَّا فَارِسٌ، فَخُرِّبَتَا، وَعُمِّرَ بَدَلَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْوَادِي، بِحَيْثُ يَصِلُ إِلَيْهِمَا حُكْمُ الْحَاكِمِ، وَالطَّلَبُ بِسُهُولَةٍ، فَأَخْبَرَنِي الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ بْنُ الْكَامِلِ أَنَّ بَلْدَةَ **تَلَفِيَّتَا** عَمِلَ فِيهَا أَلْفُ فَارِسٍ، وَنَقَلَ بَعْضَهَا إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي خَمْسَمِائَةِ حِمَارٍ عِدَّةَ أَيَّامٍ.

○ قتل الرافضي محمود الشيرازي

فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنَ عَشَرَ جمادى الآخرة سنة (٧٦٦هـ) أَوَّلَ النَّهَارِ وُجِدَ رَجُلٌ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ اسْمُهُ مَحْمُودُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشِّيرَازِيُّ وَهُوَ **يَسُبُّ الشَّيْخَيْنِ**، وَيُصَرِّحُ بِلَعْنَتِهِمَا، فَرُفِعَ إِلَى الْقَاضِي الْمَالِكِيِّ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ الْمَسَلَّاتِيِّ، فَاسْتَتَابَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَحْضَرَ الضَّرَّابَ، فَأَوَّلَ ضَرْبَةٍ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللهِ!**، وَلَمَّا ضُرِبَ الثَّانِيَةَ لَعَنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَالْتَهَمَهُ الْعَامَّةُ فَأَوْسَعُوهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا بِحَيْثُ كَادَ يَهْلِكُ، فَجَعَلَ الْقَاضِي يَسْتَكِفُّهُمْ عَنْهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ، فَجَعَلَ الرَّافِضِيُّ يَسُبُّ وَيَلْعَنُ الصَّحَابَةَ، وَقَالَ: كَانُوا عَلَى الضَّلَالَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حُمِلَ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: **بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الضَّلَالَةِ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ الْقَاضِي بِإِرَاقَةِ دَمِهِ**، فَأُخِذَ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأَحْرَقَتْهُ الْعَامَّةُ، قَبَّحَهُ اللهُ.

○ عزل متولي البلد وتولية علم الدين

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْـرِينَ مِنْ جمادى الآخرة سـنة (٧٦٦هـ) اسْتَحْضَرَ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ نَاصِرَ الدِّينِ بْـنَ الْعَاوِيِّ **مُتَوَلِّيَ الْبَلَدِ**، وَنَقَمَ عَلَيْهِ أَشْـيَاءَ، وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، فَضُرِبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ عَزَلَهُ، وَاسْتَدْعَى بِالْأَمِيرِ **عَلَمِ الدِّينِ سُلَيْمَانَ بن صَفِيِّ الدِّينِ** بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُصْـرَاوِيِّ أَحَـدِ الْأُمَـرَاءِ الْعَشْـرَاوَاتِ، وكَانَ قَـدْ وَلِيَ شَـدَّ الدَّوَاوِينِ، وَنَظَـرَ الْقُدْسِ وَالْخَلِيـلِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْوِلَايَاتِ الْكِبَارِ، فَوَلَّاهُ الْبَلَدَ عَلَى تَكَرُّهٍ مِنْهُ فَأَلْزَمَهُ بِهَا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ وَلِيَهَا قَبْلَ ذَلِكَ فَأَحْسَـنَ السِّـيرَةَ، وَشُكِرَ سَـعْيُهُ لِدِيَانَتِهِ، وَأَمَانَتِهِ، وَعِفَّتِهِ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ ختم صحيح البخاري على الحافظ ابن كثير

فِي سـنة (٧٦٦هـ) خُتِمَتِ الْبُخَارِيَّـاتُ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ وَغَيْرِهِ فِي عِـدَّةِ أَمَاكِنَ، مِنْ ذَلِكَ سِتَّةُ مَوَاعِيدَ تُقْرَأُ عَلَى **الشَّيْخِ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ كَثِيرٍ** فِي الْيَوْمِ:

أَوَّلُهَا بِمَسْـجِدِ ابْنِ هِشَـامٍ بُكْرَةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّـمْسِ تَحْتَ قبة النَّسْـرِ، **ثُمَّ** بِالْمَدْرَسَـةِ النُّورِيَّـةِ، **ثـم** بَعْدَ الظُّهْرِ بِجَامِـعِ تَنْكِزَ، **ثُمَّ** بِالْمَدْرَسَـةِ الْعِزِّيَّةِ، **ثُمَّ** بِالْكُوشْـكِ لِأُمِّ الزَّوْجَةِ السِّـتِّ أَسْـمَاءَ بِنْتِ الْوَزِيرِ ابْنِ السَّلْعُوسِ إِلَى أَذَانِ الْعَصْرِ، **ثُمَّ** مِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ بِدَارِ مَلِكِ الْأُمَرَاءِ أَمِيرِ عَلِيٍّ بِمَحَلَّةِ الْقَصَّاعِينَ إِلَى قَرِيبِ الْغُرُوبِ.

وَيُقْرَأُ «صَحِيحُ مُسْـلِمٍ» بِمِحْـرَابِ الْحَنَابِلَةِ دَاخِلَ بَابِ الزِّيَارَةِ بَعْدَ قُبَّةِ النَّسْـرِ، وَقَبْلَ النُّورِيَّةِ، وَاللهُ الْمَسْئُولُ، وَهُوَ الْمُعِينُ الْمُيَسِّرُ الْمُسَهِّلُ.

وَقَـدْ قُرِئَ الصحيحان فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ أُخَرَ مِـنْ دُورِ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلَ هَذَا فِي السِّنِينَ الْمَاضِيَةِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ إبطال مكس القطن

فِي أَوَاخِرِ شـهر ذي الحجة سـنة (٧٦٦هـ) جَاءَ الْمَرْسُـومُ الشَّـرِيفُ بِطَـرْحِ مَكْسِ الْقُطْنِ الْمَغْزُولِ الْبَلَدِيِّ وَالْجَلْبِ أَيْضًا، وَنُودِيَ بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ، **فَكَثُرَتِ الدَّعَوَاتُ** لِمَنْ

أَمَرَ بِذَلِكَ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

○ استيلاء الفرنج على الإسكندرية

فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٧هـ) احْتِيطَ عَلَى الْفِرَنْجِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ، وَأُودِعُوا فِي الْحُبُوسِ، وَاشْتَهَرَ أَنَّ **سَبَبَ ذَلِكَ**:

مُحَاصَرَةُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِعِدَّةِ شَوَانٍ للفرنج، ومَعَهُمْ صَاحِبُ قُبْرُسَ، وساعدهم أَمِيرٌ مِنَ التَّتَارِ يُقَالُ لَهُ: مَامِيَهْ، فَفَتَحُوهَا قَسْرًا، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا، وَاسْتَقَرَّ مَامَيْهِ التتري مَلِكًا عَلَيْهَا.

ثم وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ بِمَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ عدوان الْفِرِنْجِ عليها، فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا نَائِبًا، وَلَا جَيْشًا، وَلَا حَافِظًا لِلْبَحْرِ، وَلَا نَاصِرًا، فَدَخَلُوهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بُكْرَةَ النَّهَارِ بَعْدَ مَا حَرَقُوا أَبْوَابًا كَبِيرَةً مِنْهَا، وَعَاثُوا فِي أَهْلِهَا فَسَادًا؛ يَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ، وَيَأْسِرُونَ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

ولما قَدِمَ الجيش الْمِصْرِيُّ، أَقْلَعَتِ الْفِرَنْجُ عَنْهَا، وَقَدْ أَسَرُوا خَلْقًا كَثِيرًا، يُقَارِبُونَ الْأَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَأَخَذُوا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ.

وَقَدِمَ السُّلْطَانُ وَالْأَمِيرُ يَلْبُغَا يَوْمَئِذٍ، وَقَدْ تَفَارَطَ الْحَالُ، وَتَحَوَّلَتِ الْغَنَائِمُ كُلُّهَا إِلَى الشَّوَانِي بِالْبَحْرِ، فَسُمِعَ لِلْأَسَارَى مِنَ الْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ وَالشَّكْوَى مَا قَطَّعَ الْأَكْبَادَ، وَذَرَفَتْ لَهُ الْعُيُونُ.

وَلَمَّا بَلَغَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ جِدًّا، وَذَكَرَ ذَلِكَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنبَرِ، فَتَبَاكَى النَّاسُ كَثِيرًا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ مرسوم سلطاني بأخذ الربع من أموال النصارى قهرا

جَاءَ الْمَرْسُومُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ **بِمَسْكِ النَّصَارَى** مِنَ الشَّامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ **رُبُعَ أَمْوَالِهِمْ** لِعِمَارَةِ مَا خُرِّبَ مِنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَلِعِمَارَةِ

مَرَاكِبَ تَغْزُو الْفِرِنْجَ، فَأَهَانُوا النَّصَارَى، وَخَافُوا أَنْ يُقْتَلُوا، وَلَمْ يَفْهَمُوا مَا يُرَادُ بِهِمْ، فَهَرَبُوا كُلَّ مَهْرَبٍ.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ شَرْعِيَّةً، وَلَا يَجُوزُ اعْتِمَادُهَا شَرْعًا.

قال ابن كثير: **وَقَدْ طُلِبْتُ** يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ سنة (٧٦٧هـ) إِلَى الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ لِلِاجْتِمَاعِ بِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ، وَكَانَ اجْتِمَاعُنَا بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ **لَعِبِ الْكُرَةِ**، فَرَأَيْتُ مِنْهُ أُنْسًا كَثِيرًا، وَرَأَيْتُهُ كَامِلَ الرَّأْيِ وَالْفَهْمِ، حَسَنَ الْعِبَارَةِ، كَرِيمَ الْمُجَالَسَةِ، فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ هَذَا **لَا يَجُوزُ اعْتِمَادُهُ فِي النَّصَارَى**، فَقَالَ: إِنَّ بَعْضَ فُقَهَاءِ مِصْرَ أَفْتَى لِلْأَمِيرِ الْكَبِيرِ بِذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا مِمَّا لَا يَسُوغُ شَرْعًا، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ بِهَذَا، وَمَتَى كَانُوا بَاقِينَ عَلَى الذِّمَّةِ، يُؤَدُّونَ إِلَيْنَا الْجِزْيَةَ، مُلْتَزِمِينَ بِالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَأَحْكَامُ الْمِلَّةِ قَائِمَةٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمُ الدِّرْهَمُ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فَوْقَ مَا يَبْذُلُونَهُ مِنَ الْجِزْيَةِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَخْفَى عَلَى الْأَمِيرِ، فَقَالَ: **كَيْفَ أَصْنَعُ وَقَدْ وَرَدَ الْمَرْسُومُ بِذَلِكَ، وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُخَالِفَهُ**؟ وَذَكَرْتُ لَهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِمَّا يَنْبَغِي اعْتِمَادُهُ فِي حَقِّ أَهْلِ قُبْرُسَ مِنَ الْإِرْهَابِ، وَوَعِيدِ الْعِقَابِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا يَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ، **فَجَعَلَ يُعْجِبُهُ هَذَا جِدًّا**، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنِّي كَاشَفْتُهُ بِهَذَا، وَأَنَّهُ كَتَبَ بِهِ مُطَالَعَةً إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسَيَأْتِي جَوَابُهَا بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَتَجِيءُ حَتَّى تَقِفَ عَلَى الْجَوَابِ، وَظَهَرَ مِنْهُ إِحْسَانٌ، وَقَبُولٌ وَإِكْرَامٌ زَائِدٌ.

وَفِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ اجْتَمَعْتُ بِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ جَوَابِ الْمُطَالَعَةِ، فَذَكَرَ لِي أَنَّهُ جَاءَ الْمَرْسُومُ السُّلْطَانِيُّ بِعَمَلِ الشَّوَانِي وَالْمَرَاكِبِ؛ لِغَزْوِ قُبْرُسَ، وَقِتَالِ الْفِرِنْجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَأَمَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِتَجْهِيزِ الْقَطَّاعِينَ، وَالنَّشَّارِينَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْغَابَةِ الَّتِي بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْرُوتَ، وَأَنْ يُشْرَعَ فِي عَمَلِ الشَّوَانِي، ثُمَّ طَلَبَ النَّصَارَى الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي كَنِيسَتِهِمْ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ، فَحَلَّفَهُمْ: كَمْ أَمْوَالُهُمْ؟ **وَأَلْزَمَهُمْ بِأَدَاءِ الرُّبُعِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**.

وَقَدْ أُمِر الولاة بِإِحْضَارِ مَنْ فِي مُعَامَلَتِهِمْ من النصارى وَكذا وَالِي الْبَرِّ، وَجُرِّدَتْ أُمَرَاءُ إِلَى النَّوَاحِي لِاسْتِخْلَاصِ الْأَمْوَالِ مِنَ النَّصَارَى فِي الْقُدْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفِي أَوَائِلِ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٦٧هـ) وَرَدَ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ السُّلْطَانِيُّ بِالرَّدِّ عَلَى نِسَاءِ النَّصَارَى مَا كَانَ أُخِذَ مِنْهُنَّ مَعَ الْجِبَايَةِ الَّتِي كَانَ تَقَدَّمَ أَخْذُهَا مِنْهُنَّ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ ظُلْمًا، وَلَكِنِ الْأَخْذُ مِنَ النِّسَاءِ أَفْحَشُ وَأَبْلَغُ فِي الظُّلْمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

○ عَقْدُ مَجْلِسٍ بِدَارِ السَّعَادَةِ للقَاضِي السبكي

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عُقِدَ مَجْلِسٌ حَافِلٌ بِدَارِ السَّعَادَةِ؛ بِسَبَبِ مَا رُمِيَ بِهِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيِّ، وَكُنْتُ مِمَّنْ طُلِبَ إِلَيْهِ، **فَحَضَرْتُهُ** فِيمَنْ حَضَرَ، وَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ الْقُضَاةُ الثَّلَاثَةُ، وَخَلْقٌ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَآخَرُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ بِحَضْرَةِ نَائِبِ الشَّامِ **سَيْفِ الدِّينِ مَنْكَلِي بُغَا**، وذلك عن أمر السلطان لِيَسْأَلَ عَنْهُ النَّاسَ، وَكَانَ قَدْ كُتِبَ فِيهِ **مَحْضَرَانِ مُتَعَاكِسَانِ**؛ أَحَدُهُمَا لَهُ، وَالْآخَرُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَمَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِأَنْ يَمْتَازَ هَؤُلَاءِ عَنْ هَؤُلَاءِ فِي الْمَجَالِسِ، فَصَارَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ وَحْدَهَا، وَتَحَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَنَاضَلَ عَنِ السبكي نَائِبُهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ الْغَزِّيُّ، وَطَالَ الْمَجْلِسُ، فَانْفَصَلُوا عَلَى غير اتفاق.

فَأَشَارَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِالصُّلْحِ بَيْنَهُمْ، وأَشَارَ به الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْجَبَلِ وَأَشَرْتُ أَنَا أَيْضًا بِذَلِكَ، فَلَانَ الْمَالِكِيُّ، وَامْتَنَعَ الْحَنْبَلِيُّ، فَقُمْنَا وَالْأَمْرُ بَاقٍ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَ عَشَرَ ربيع الآخر سنة (٧٦٧هـ) طُلِبَ الْقُضَاةُ الثَّلَاثَةُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفْتِينَ؛ **فَاجْتَمَعْتُ مَعَ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ بِالْقَاعَةِ** الَّتِي فِي صَدْرِ إِيوَانِ دَارِ السَّعَادَةِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، **فَكَانَ أَوَّلَ** مَا قَالَ: **كُنَّا نَحْنُ التُّرْكَ وَغَيْرُنَا إِذَا اخْتَلَفْنَا وَاخْتَصَمْنَا نَجِيءُ بِالْعُلَمَاءِ فَيُصْلِحُونَ بَيْنَنَا، وإِذَا اخْتَلَفَتِ الْعُلَمَاءُ وَاخْتَصَمُوا، فَمَنْ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ؟!**

وذكر أن هَذَا يَشْفِي الْأَعْدَاءَ بِنَا، وَأَشَارَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ الْقُضَاةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَصَمَّمَ

بَعْضُهُمْ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَجَرَتْ مُنَاقَشَاتٌ مِنْ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ حَصَلَ بَحْثٌ فِي مَسَائِلَ، **ثُمَّ قَالَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ أَخِيرًا**: أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ [المائدة: ٩٥]. فَلَانَتِ الْقُلُوبُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ كَاتِبَ السِّرِّ أَنْ يَكْتُبَ مَضْمُونَ ذَلِكَ فِي مُطَالَعَةٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، ثُمَّ خَرَجْنَا عَلَى ذَلِكَ.

○ مصادرة الخمور التي يتاجر بها أهل الذمة

فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ ربيع الآخر سنة (٧٦٧هـ) أَمَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِكَبْسِ بَسَاتِينِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَوُجِدَ فِيهَا مِنَ الْخَمْرِ الْمُعْتَصَرِ مِنَ الْخَوَابِيِّ وَالْحِبَابِ، فَأُرِيقَتْ عَنْ آخِرِهَا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - بِحَيْثُ جَرَتْ فِي الْأَزِقَّةِ وَالطُّرُقَاتِ، وَأَمَرَ بِمُصَادَرَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الَّذِينَ وُجِدَ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَهُمْ تَحْتَ الْجِبَايَةِ.

○ العناية بأجور الجند وتدريبهم

فِي أَوَائِلِ جمادى الثانية سنة (٧٦٧هـ)، وَرَدَتِ الْمَرَاسِيمُ الشَّرِيفَةُ السُّلْطَانِيَّةُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِأَنْ يُجْعَلَ لِلْأَمِيرِ مِنْ إِقْطَاعِهِ النِّصْفُ خَاصًّا لَهُ، وَالنِّصْفُ الْآخَرُ يَكُونُ لِأَجْنَادِهِ، فَحَصَلَ بِهَذَا رِفْقٌ عَظِيمٌ بِالْجُنْدِ وَعَدْلٌ كَثِيرٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - وَأَنْ يَتَجَهَّزَ الْأَجْنَادُ وَيُحَرَّضُوا عَلَى السَّبْقِ، وَالرَّمْيِ بِالنُّشَّابِ، وَأَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ، مَتَى اسْتُنْفِرُوا نَفَرُوا، فَاسْتَعَدُّوا لِذَلِكَ، وَتَأَهَّبُوا لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الْآيَةَ [الأنفال: ٦٠]. وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»(١).

○ القتال بين الأمراء بالديار المصرية

فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٦٧هـ) وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ **يَلْبُغَا** الْخَاصِّكِيَّ خَرَجَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ مَعَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طَيْبُغَا الطَّوِيلِ،

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩١٧).

فَبَـرَزَ إِلَيْهِمْ إِلَى قُبَّةِ النَّصْـرِ، فَالْتَقَوْا مَعَهُ هُنَالِكَ، فَقَتَلَ جَمَاعَةً وَجَـرَحَ آخَرِينَ، وَانْفَصَلَ الْحَـالُ عَلَى مَسْـكِ **طَيْبُغَا الطَّوِيلِ** وَهُوَ جَرِيـحٌ، وَخَلْقٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْأُلُـوفِ وَالطَّبْلَخَانَاهْ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ اسْتَمَرَّ فِيهَا الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ يَلْبُغَا على حاله.

○ تجهيز الأمير بيدمر لغزو الفرنج وقبرس

فِي ثَانِي رَجَبٍ يَوْمِ السَّبْتِ سنة (٧٦٧هـ) تَوَجَّهَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ** الَّذِي كَانَ نَائِبَ دِمَشْـقَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِطَلَبِ **الْأَمِيرِ يَلْبُغَا**؛ لِيُؤَكِّدَ أَمْرَهُ فِي دُخُولِ الْبَحْرِ لِقِتَالِ الْفِرِنْجِ وَفَتْحِ قُبْرُسَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

وفِي يَوْمِ السَّبْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٧هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ **بَيْدَمُـرُ** مِـنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّـةِ عَلَى الْبَرِيدِ أَمِيرَ مِائَـةٍ مُقَدَّمَ أَلْفٍ، على إِمَـارَةِ الْبَحْرِ وَعَمَلِ الْمَرَاكِـبِ، **فَلَمَّا قَدِمَ أَمَرَ بِجَمْعِ جَمِيعِ النَّشَّـارِينَ، وَالنَّجَّارِيـنَ، وَالْحَدَّادِينَ، وَتَجْهِيزِهِمْ لِبَيْرُوتَ** لِقَطْعِ الْأَخْشَابِ، فَسُيِّرُوا يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي رَمَضَانَ.

ثُـمَّ أُتْبِعُوا بِآخَرِينَ مِنْ نَجَّارِينَ، وَحَدَّادِينَ، وَغَيْرِ ذَلِـكَ، وَجَعَلُوا كُلَّ مَنْ وَجَدُوهُ مِنْ رُكَّابِ الْحَمِيـرِ يُنْزِلُونَهُ وَيَرْكَبُوا إِلَى نَاحِيَةِ الْبِقَاعِ، وَسَـخَّرُوا لَهُمْ مِـنَ الصُّنَّاعِ وَغَيْرِهِمْ، وَجَرَتْ خبطَةٌ عَظِيمَةٌ، وَتَبَاكَى عَوَائِلُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْلِفُوا شَيْئًا مِنْ أُجُورِهِمْ، وَكَانَ مِنَ اللَّائِقِ أَنْ يُسْلِفُوهُم ما يَتْرُكُونهُ إِلَى أَوْلَادِهِمْ.

○ الفتنة ببغداد

أَخْبَرَنِـي الشَّـيْخُ عَبْـدُ الرَّحْمَنِ الْبَغْدَادِيُّ أَحَدُ رُؤَسَـاءِ بَغْدَادَ، وَالشَّـيْخُ شِـهَابُ الدِّينِ الْعَطَّـارُ، أَنَّ بَغْـدَادَ اسْـتَعَادَهَا **أُوَيْسٌ مَلِكُ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَـانَ** مِنْ يَدِ **الطَّوَاشِـيِّ مَرْجَانَ** فِي شـوال سـنة (٧٦٧هـ)، وَاسْـتَحْضَرَهُ فَأَكْرَمَهُ، وَأَطْلَقَ لَهُ، وَاتَّفَقَا أَنَّ أَصْلَ **الْفِتْنَةِ** مِنَ الْأَمِيرِ **أَحْمَدَ أَخِي الْوَزِيرِ**، فَأَحْضَرَهُ السُّلْطَانُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ فِي كَرِشِهِ فَشَقَّهُ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ فَقَتَلَهُ، فَانْتَصَرَ أَهْلُ السُّـنَّةِ لِذَلِكَ نُصْرَةً عَظِيمَةً، وَأَخَذَ جُثَّتَهُ أَهلُ بَابِ الْأَزَجِ فَأَحْرَقُوهُ، وَسَكَنَتِ الْأُمُورُ. وَدَخَلَ أُوَيْسٌ إِلَى بَغْدَادَ دُخُولًا هَائِلًا، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

حضور البترك بشارة النصراني لدى ابن كثير

حَضَـرَ عِنْدِي فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ تَاسِـعِ شَـوَّالٍ سـنة (٧٦٧هــ) الْبَتْرَكُ بِشَـارَةُ الْمُلَقَّبُ **بِمِيخَائِيلَ النَّصْرَانِيِّ الْمَلْكِيُّ**، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْمَطَارِنَةَ بِالشَّـامِ بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ جَعَلُوهُ بَتْرَكًا بِدِمَشْقَ عِوَضًا عَنِ الْبَتْرَكِ بِأَنْطَاكِيَّةَ، فَذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مُبْتَدَعٌ فِي دِينِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا تَكُونُ الْبَتَارِكَةُ إِلَّا أَرْبَعَةً؛ **بِالْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ، وَبِالْقُدْسِ، وَبِأَنْطَاكِيَّةَ، وَبِرُومِيَّةَ**، فَنُقِلَ بَتْرَكُ رُومِيَّةَ إِلَى إِسْطَنْبُولَ وَهِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ، فَهَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ! لَكِنِ اعْتَذَرَ بِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ عَنْ أَنْطَاكِيَّةَ.

وَإِنَّمَـا أُذِنَ لَهُ فِي الْمُقَامِ بِالشَّـامِ الشَّـرِيفِ؛ لِأَجْلِ أَنَّـهُ أَمَرَهُ نَائِبُ السَّـلْطَنَةِ أَنْ يَكْتُبَ عَنْـهُ، وَعَنْ أَهْلِ مِلَّتِهِـمْ إِلَى صَاحِبِ قُبْرُسَ، يَذْكُرُ لَهُ مَا حَلَّ بِهِـمْ مِنَ الْخِزْيِ، وَالنَّكَالِ، وَالْجِنَايَةِ بِسَبَبِ عُدْوَانِ صَاحِبِ قُبْرُسَ عَلَى **مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ**، وَأَحْضَرَ لِي الْكُتُبَ إِلَيْهِ وَإِلَى مَلِكِ إِسْطَنْبُولَ، وَقَرَأَهَا عَلَيَّ مِنْ لَفْظِهِ - لَعَنَهُ اللهُ وَلَعَنَ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا -

وَقَـدْ تَكَلَّمْـتُ مَعَهُ فِي دِينِهِـمْ وَنُصُوصِ مَا يَعْتَقِـدُهُ كُلٌّ مِنَ الطَّوَائِـفِ الثَّلَاثِ؛ وَهُمُ **الْمَلْكِيَّـةُ، وَالْيَعْقُوبِيَّـةُ** - وَمِنْهُـمُ الْإِفْرِنْـجُ وَالْقِبْطُ - **وَالنَّسْـطُورِيَّةُ**، فَإِذَا هُـوَ يَفْهَمُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنَّ حَاصِلَهُ أَنَّهُ حِمَارٌ مِنْ أَكْفَرِ الْكُفَّارِ، لَعَنَهُ اللهُ.

استسلام حيار بن مهنا وذهابه للديار المصرية

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ سَـابِعِ شَـوَّالٍ سـنة (٧٦٧هـ) قَدِمَ الْأَمِيرُ **حَيَّارُ بْنُ مُهَنَّا** إِلَى دِمَشْـقَ سَـامِعًا مُطِيعًا، بَعْـدَ أَنْ جَرَتْ بَيْنَـهُ وَبَيْنَ الْجُيُـوشِ حُرُوبٌ مُتَطَاوِلَـةٌ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَطَأَ الْبِسَـاطَ، فَأَبَى خَوْفًا مِنَ الْمَسْـكِ وَالْحَبْسِ أَوِ الْقَتْلِ، فَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدِمَ هَذَا الْيَوْمَ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ؛ **لِيَصْطَلِحَ** مَعَ الْأَمِيرِ **الْكَبِيرِ يَلْبُغَا**، فَتَلَقَّاهُ الْحَجَبَةُ، وَالْمَهْمَنْدَارِيَّةُ، وَالْخَلْـقُ، وَخَرَجَ النَّاسُ لِلْفُرْجَـةِ، فَنَزَلَ الْقَصْرَ الْأَبْلَقَ، وَقَدِمَ مَعَهُ نَائِبُ حَمَاةَ عُمَرُ شَـاهْ فَنَزَلَ مَعَهُ ثَانِيَ يَوْمٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

○ درس ابن كثير في التفسير بالجامع

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبعَاءِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ أَقَامَ **عِمَادُ الدِّينِ بْنُ كَثِيرٍ** دَرْسَ التَّفْسِيرِ، الَّذِي أَنْشَأَهُ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ مَنْكَلِي بُغَا**، مِنْ أَوْقَافِ الْجَامِعِ الَّتِي جَدَّدَهَا فِي حَالِ نَظَرِهِ عَلَيْهِ، أَثَابَهُ اللهُ، وَجَعَلَ مِنَ الطَّلَبَةِ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ خَمْسَةَ عَشَرَ طَالِبًا، لِكُلِّ طَالِبٍ فِي الشَّهْرِ **عَشَرَةُ دَرَاهِمَ**، وَلِلْمُعِيدِ **عِشْرُونَ**، وَلِكَاتِبِ الْغَيْبَةِ **عِشْرُونَ**، وَلِلْمُدَرِّسِ **ثَمَانُونَ**.

وَتَصَدَّقَ حِينَ **دَعَوْتُهُ** لِحُضُورِ الدَّرْسِ، فَحَضَرَ، وَاجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَأَخَذْتُ فِي أَوَّلِ تَفْسِيرِ «الْفَاتِحَةِ»، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

○ أحوال دمشق سنة (٧٦٨)

اسْتَهَلَّتْ سنة (٧٦٨هـ) :

- وَقَاضِي قُضَاةِ الْحَنَابِلَةِ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ ابْنِ قَاضِي الْجَبَلِ الْمَقْدِسِيُّ.
- وَنَاظِرُ الدَّوَاوِينِ سَعْدُ الدِّينِ بْنُ التَّاجِ إِسْحَاقَ.
- وَكَاتِبُ السِّرِّ فَتْحُ الدِّينِ بْنُ الشَّهِيدِ، وَهُوَ شَيْخُ الشُّيُوخِ أَيْضًا.
- وَنَاظِرُ الْجُيُوشِ الشَّامِيَّةِ بُرْهَانُ الدِّينِ بْنُ الْحِلِّيِّ.
- وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ الْقَاضِي وَلِيُّ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْبَقَاءِ.

○ تولية سيف الدين منكلي بغا نيابة حلب

فِي لَيْلَةِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٨هـ) قَدِمَ **طَشْتَمُرُ** دَوَادَارُ يَلْبُغَا عَلَى الْبَرِيدِ، فَنَزَلَ بِدَارِ السَّعَادَةِ، ثُمَّ رَكِبَ هُوَ وَنَائِبُ السَّلْطَنَةِ ذَاهِبِينَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَأَكْرَمَهُ **يَلْبُغَا** وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ بِبِلَادِ حَلَبَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَعَادَ فَنَزَلَ بِدَارِ

سَنْجَرَ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِهِ هُنَالِكَ، ثم ارْتَحَلَ مِنْهَا **إِلَى حَلَبَ**، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ. وَنَابَ فِي الْغَيْبَةِ بدمشق الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ زُبَالَةَ.

○ النداء للخروج إلى الجهاد

فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَالِثِ صَفَرٍ سنة (٧٦٨هـ) نُودِيَ فِي الْبَلَدِ أَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِنْ أَجْنَادِ الْحَلْقَةِ **عَنِ النَّفِيرِ** إِلَى **بَيْرُوتَ**، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَالْجَيْشُ مُلْبِسِينَ، وَخَرَجَ مَلِكُ الْأُمَرَاءِ **أَمِيرُ عَلِيٌّ** مِنْ دَارِهِ دَاخِلَ بَابِ الْجَابِيَةِ فِي جَمَاعَتِهِ مُلْبِسِينَ فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ.

وَقَدْ جَاءَ نَائِبُ الْغَيْبَةِ وَالْحَجَبَةُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَشَاوَرُوهُ فِي الْأَمْرِ، فَقَالَ: لَيْسَ لِي هَاهُنَا أَمْرٌ، وَلَكِنْ إِذَا حَضَرَ الْحَرْبُ وَالْقِتَالُ، فَلِي هُنَاكَ أَمْرٌ.

وَخَرَجَ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ مُتَبَرِّعِينَ، وَخَطَبَ قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ بِالنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ، وَقَدْ أَلْبَسَ جَمَاعَةً مِنْ غِلْمَانِهِ اللَّأْمَةَ وَالْخُوذَ، وَهُوَ عَلَى عَزْمِ الْمَسِيرِ مَعَ النَّاسِ إِلَى بَيْرُوتَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّ الْمَرَاكِبَ الَّتِي رُئِيَتْ فِي الْبَحْرِ إِنَّمَا هِيَ مَرَاكِبُ تُجَّارٍ لَا مَرَاكِبَ قِتَالٍ، فَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ، وَلَكِنْ ظَهَرَ مِنْهُمُ اسْتِعْدَادٌ عَظِيمٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

○ مقاطعة تجار الفرنج

فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٨)، نُودِيَ بِالْبُلْدَانِ أَنْ لَا يُعَامَلَ الْفِرِنْجُ الْبَنَادِقَةُ، وَالْجَنَوِيَّةُ، وَالْكَتْبَلَانُ.

○ إطلاق صاحب قبرس أسرى المسلمين

اجْتَمَعْتُ فِي آخِرِ يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ خَامِسَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٨) بِالْأَمِيرِ **زَيْنِ الدِّينِ زُبَالَةَ** نَائِبِ الْغَيْبَةِ، النَّازِلِ بِدَارِ الذَّهَبِ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْبَرِيدِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ **صَاحِبَ قُبْرُسَ** رَأَى فِي النُّجُومِ أَنَّ **قُبْرُسَ** مَأْخُوذَةٌ، فَجَهَّزَ مَرْكَبَيْنِ مِنَ الْأَسْرَى الَّذِينَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

إِلَى **يَلْبُغَا** نائب الديار المصرية، وَنَادَى فِي بِلَادِهِ أَنَّ مَنْ كَتَمَ مُسْلِمًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا قُتِلَ، وَكَانَ مِنْ عَزْمِهِ أَنْ لَا يُبْقِيَ أَحَدًا مِنَ الْأُسَارَى إِلَّا أَرْسَلَهُ.

○ تولية سيف الدين طيبغا نيابة حماة

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثامن عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٨)، دَخَلَ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ طَيْبُغَا** الطَّوِيلُ مِنَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ إِلَى دِمَشْقَ، فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ، وَرَحَلَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ إِلَى نِيَابَةِ حَمَاةَ - حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى - بِتَقْلِيدٍ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

○ تولية سيف الدين أَقْتَمُرُ نيابة دمشق

فِي ثامن عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٦٨) جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِتَوْلِيَةِ الْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ أَقْتَمُرُ عَبْدُ الْغَنِيِّ نيابة دِمَشْقَ، الَّذِي كَانَ حَاجِبَ الْحُجَّابِ بِمِصْرَ، وَعُوِّضَ عَنْهُ فِي الْحُجُوبِيَّةِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ طَيْبُغَا أُسْتَاذُ دَارِ يَلْبُغَا.

○ وصول مراكب الفرنج إلى الاسكندرية

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِيَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٦٨هـ) اشْتُهِرَ فِي الْبَلَدِ قَضِيَّةُ الْفِرِنْجِ بِمَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَقَدِمَ بَرِيدِيٌّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِذَلِكَ، وَاحْتِيطَ عَلَى مَنْ كَانَ بِدِمَشْقَ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَسُجِنُوا بِالْقَلْعَةِ، وَأُخِذَتْ حَوَاصِلُهُمْ.

وَأَخْبَرَنِي القاضي تَاجُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ: أَنَّ سَبْعَةَ مَرَاكِبَ مِنَ التُّجَّارِ مِنَ الْبَنَادِقَةِ مِنَ الْفِرَنْجِ قَدِمُوا إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَبَاعُوا بِهَا وَاشْتَرَوْا، وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى **الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ يَلْبُغَا** أَنَّ مَرْكَبًا مِنْ هَذِهِ السَّبْعَةِ لِصَاحِبِ قُبْرُسَ، **فَأَرْسَلَ إِلَى الْفِرَنْجِ** يطلب منهم أَنْ يُسَلِّمُوا هَذَا الْمَرْكَبَ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ، وَبَادَرُوا إِلَى مَرَاكِبِهِمْ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمْ سِتَّةَ شَوَانٍ مَشْحُونَةً بِالْمُقَاتِلَةِ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَالْفِرِنْجُ فِي الْبَحْرِ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ، وَلَكِنْ مِنَ الْفِرَنْجِ أَكْثَرُ، وَهَرَبُوا فَارِّينَ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْبَضَائِعِ.

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْفِرِنْجَ جَاءُوا **طَرَابُلُسَ** غُزَاةً، وَأَخَذُوا مَرْكَبًا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِينَا وَحَرَّقُوهُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهُمْ، وَلَا مَنْعَهُمْ، وَأَنَّ الْفِرَنْجَ كَرُّوا رَاجِعِينَ، وَقَدْ أَسَرُوا ثَلَاثَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

○ مقتل الأمير الكبير يلبغا

جَاءَ الْخَبَرُ بِقَتْلِهِ إِلَيْنَا بِدِمَشْقَ فِي لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٦٨هـ) مَعَ أَسِيرَيْنِ جَاءَا عَلَى الْبَرِيدِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَأَخْبَرَا بِمَقْتَلِهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ثَانِي عَشَرَ هَذَا الشَّهْرِ؛

حيث **تَمَالَأَ عَلَيْهِ مَمَالِيكُهُ حَتَّى قَتَلُوهُ**، وَتَغَيَّرَتِ الدَّوْلَةُ، وَمُسِكَ مِنْ أُمَرَاءِ الْأُلُوفِ وَالطَّبْلَخَانَاهْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَاخْتَبَطَتِ الْأُمُورُ جِدًّا، وَجَرَتْ أَحْوَالٌ صَعْبَةٌ، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْقَضِيَّةِ الْأَمِيرُ **سَيْفُ الدِّينِ طُغَيْتَمُرُ النِّظَامِيُّ**، وَقَوِيَ جَانِبُ السُّلْطَانِ وَرَشَدَ، وَفَرِحَ أَكْثَرُ الْأُمَرَاءِ بِمِصْرَ بِمَا وَقَعَ.

وَقَدِمَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ بَيْرُوتَ، فَأَمَرَ بِدَقِّ الْبَشَائِرِ وَتَزْيِينِ الْبَلَدِ، فَفُعِلَ ذَلِكَ، وَأُطْلِقَتِ الْفِرَنْجُ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، فَلَمْ يَهُنْ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ.

هَذَا آخِرُ مَا وُجِدَ مِنَ التَّارِيخِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَصَلَوَاتُهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

انتهيت من تهذيب وترتيب كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يوم الإثنين ٢٢/ ١/ ١٤٤٣هـ.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان

١- **شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي**، تمَرَّضَ أيَّامًا يَسِيرَةً مَرَضًا لَا يَشْغَلُهُ عَنْ شُهُودِ الْجَمَاعَةِ، وَحُضُورِ الدُّرُوسِ، وَإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ حَادِيَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٤٢هـ)، أَسْمَعَ الْحَدِيثَ إِلَى قَرِيبِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ لِيَتَوَضَّأَ وَيَذْهَبَ لِلصَّلَاةِ، فَاعْتَرَضَهُ فِي بَاطِنِهِ مَغَصٌ عَظِيمٌ، ظَنَنَّا أَنَّهُ قُولَنْجُ، وَمَا كَانَ **إِلَّا طَاعُونًا**، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى حُضُورِ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الصَّلَاةِ أُخْبِرْتُ بِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ يَرْتَعِدُ رِعْدَةً شَدِيدَةً، مِنْ قُوَّةِ الْأَلَمِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ **فَجَعَلَ يُكَرِّرُ: الْحَمْدُ للهِ**.

ثُمَّ اتَّصَلَ بِهِ هَذَا الْحَالُ إِلَى الْغَدِ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ لَمْ أَكُنْ حَاضِرَهُ إِذْ ذَاكَ، لَكِنْ أَخْبَرَتْنِي ابْنَتُهُ زَيْنَبُ زَوْجَتِي أَنَّهُ لَمَّا أَذَّنَ الظُّهْرُ تَغَيَّرَ ذِهْنُهُ قَلِيلًا، فَقَالَتْ: يَا أَبَتِ، أَذَّنَ الظُّهْرُ، فَذَكَرَ اللهَ، وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ. فَتَيَمَّمَ وَصَلَّى، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ حَتَّى جَعَلَ لَا يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ، ثُمَّ قُبِضَتْ رُوحُهُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِيَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٤٢هـ)، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَالِثَ عَشَرَ صَفَرٍ، غُسِّلَ صَبِيحَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَكُفِّنَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ.

وَحَضَرَ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، ونَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أُلْطُنْبُغَا، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وصلى عَلَيْهِ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَهُوَ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ فِي الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، فَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ زَوْجَتِهِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ الْحَافِظَةِ لِكِتَابِ اللهِ، عَائِشَةَ بِنْتِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ صِدِّيقٍ، غَرْبِيَّ قَبْرِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٢- مُظَفَّرُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ مُهَنَّا **مَلِكُ الْعَرَبِ**، تُوُفِّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٤٢هـ)، وَدُفِنَ بِتَدْمُرَ.

٣-**الْخَطِيبُ بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْقَاضِي جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ**، تُوُفِّيَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٤٢هـ)، بِدَارِ الْخَطَابَةِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَخَطَبَ جُمْعَةً وَاحِدَةً، وَصَلَّى بِالنَّاسِ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، ثُمَّ مَرِضَ، فَخَطَبَ عَنْهُ أَخُوهُ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ عَلَى الْعَادَةِ ثَلَاثَ جُمَعٍ وَهُوَ مَرِيضٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَئِذٍ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ؛ لِحُسْنِ شَكْلِهِ، وَصَبَاحَةِ وَجْهِهِ، وَحُسْنِ مُلْتَقَاهُ، وَتَوَاضُعِهِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وصَلَّى عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً جِدًّا، فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- **الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَيْهِينِيِّ الْبَسْطِيِّ**، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ التَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ سنة (٧٤٢هـ)، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَحُضُورِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ، لَهُ هِمَّةٌ وَصَوْلَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالصَّالِحِينَ وَلَيْسُوا مِنْهُمْ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ عَنِ ابْنِ الْبُخَارِيِّ «مُخْتَصَرَ الْمَشْيَخَةِ»، وَلَازَمَ مَجَالِسَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ

٥- الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ أَحْمَدُ **الْمُلَقَّبُ بِالْعَصِيدَةِ**، تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الرَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ **رَمَضَانَ** سنة (٧٤٢هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ تَنْكِزَ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ - تَغَمَّدَهُمَا اللهُ بِرَحْمَتِهِ - وَكَانَ فِيهِ صَلَاحٌ كَثِيرٌ، وَمُوَاظَبَةٌ عَلَى الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، مَشْهُورًا عِنْدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنْ خِدْمَةِ الْمَرْضَى بِالْمَارَسْتَانِ وَغَيْرِهِ، وَفِيهِ إِيثَارٌ وَقَنَاعَةٌ وَتَزَهُّدٌ كَثِيرٌ، وَلَهُ أَحْوَالٌ مَشْهُورَةٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِيَّانَا.

٦-**الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ الْمُقْرِئُ** الْمَالِكِيُّ، إِمَامُ الْمَالِكِيَّةِ، هُوَ وَأَخُوهُ أَبُو عَمْرٍو، بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِمِحْرَابِ الصَّحَابَةِ، تُوُفِّيَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ صَفَرٍ سنة (٧٤٣هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْمُصَلَّى، وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ بِمَقَابِرِ بَابِ

الصَّغِيرِ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْأَعْيَانُ، وَالْفُقَهَاءُ، وَالْقُضَاةُ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْمَعًا عَلَى دِيَانَتِهِ وَجَلَالَتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧-**الشَّابُّ الْمُؤَذِّنُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ فَرَجٍ،** الْمُؤَذِّنُ بِمِئْذَنَةِ الْعَرُوسِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ سَلْخَ ذِي القعدة سنة (٧٤٣هـ) وَكَانَ شَهِيرًا بِحُسْنِ الصَّوْتِ، ذَا حُظْوَةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي النَّفْسِ وَزِيَادَةٍ، فِي حُسْنِ الصَّوْتِ الرَّخِيمِ الْمُطْرِبِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرَّاءِ وَلَا فِي الْمُؤَذِّنِينَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَا مَنْ يُدَانِيهِ فِي وَقْتِهِ، وَكَانَ فِي آخِرِ وَقْتِهِ عَلَى طَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَانْقِطَاعٍ عَنِ النَّاسِ، وَإِقْبَالٍ عَلَى شَأْنِ نَفْسِهِ، فَرَحِمَهُ اللهُ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَئِذٍ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَخِيهِ بِمَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ.

٨-**السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِمَادُ الدِّينِ الْخَشَّابُ،** تُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ بِالْكُوشَكِ فِي دَرْبِ السِّيرْجِيِّ جِوَارَ الْمَدْرَسَةِ الْعِزِّيَّةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ضُحًى بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَ **رَجُلًا شَهْمًا، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا،** مِمَّنْ لازم الشَّيْخَ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَى صَيْدَنَايَا (١) مَعَ بَعْضِ الْقِسِّيسِينَ، فَلَوَّثَ يَدَهُ، وَضَرَبَ اللَّحْمَةَ الَّتِي يُعَظِّمُونَهَا هُنَاكَ، وَأَهَانَهَا غَايَةَ الْإِهَانَةِ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَشَجَاعَتِهِ، رَحِمَهُ اللهُ وَإِيَّانَا.

٩-**صَاحِبُنَا الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الشَّيْخِ عِمَادِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ** الْهَادِي الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى سنة (٧٤٤هـ)، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، مَرِضَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ بِقُرْحَةٍ وَحُمَّى سُلٍّ، ثُمَّ تَفَاقَمَ أَمْرُهُ، وَتزَايَدَ ضَعْفُهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَذَانِ الْعَصْرِ، فَأَخْبَرَنِي وَالِدُهُ **أَنَّ آخِرَ كَلَامِهِ** أَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ قُضَاةُ

---

(١) بلدة من أعمال دمشق. معجم البلدان٣/ ٤٤١.

الْبَلَـدِ وَأَعْيَانُ النَّاسِ مِـنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْأُمَـرَاءِ، وَالتُّجَّارِ، وَالْعَامَّةِ، وَكَانَـتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً مَلِيحَةً، وَدُفِنَ بِالرَّوْضَةِ.

وَكَانَ مَوْلِـدُهُ فِـي رَجَبٍ سَـنَةَ خَمْسٍ وَسَـبْعِمِائَةٍ، فَلَمْ يَبْلُـغِ الْأَرْبَعِيـنَ، وَحَصَّلَ مِنَ الْعُلُـومِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الشُّـيُوخُ الْكِبَارُ، وَتَفَنَّنَ فِي الْحَدِيثِ، وَالنَّحْـوِ، وَالتَّصْرِيفِ، وَالْفِقْهِ، وَالتَّفْسِـيرِ، وَالْأَصْلَيْنِ، وَالتَّارِيخِ، وَالْقِرَاءَاتِ، وَلَهُ مَجَامِيعُ، وَتَعَالِيقُ مُفِيدَةٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ حَافِظًا جَيِّدًا لِأَسْـمَاءِ الرِّجَالِ، وَطُرُقِ الْحَدِيثِ، عَارِفًا بِالْجَـرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، بَصِيرًا بِعِلَلِ الْحَدِيثِ، حَسَنَ الْفَهْمِ لَهُ، جَيِّدَ الْمُذَاكَرَةِ، صَحِيحَ الذِّهْنِ، مُسْتَقِيمًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُثَابِرًا عَلَى فِعْلِ الْخَيِّرَاتِ.

١٠ -**صَاحِبُنَـا الْأَمِيرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُـفُ التَّكْرِيتِيُّ** ابْنُ أَخِـي الصَّاحِبِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَوْبَةَ الْوَزِيرِ، تُوُفِّيَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ حَادِيَ عَشَـرَ شَعْبَانَ الْمُبَارَكِ سنة (٧٤٤هـ) - بِمَنْزِلِهِ بِالْقَصَّاعِينَ - كَانَ شَـابًّا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَرْبَعِينَ، ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ، وَكَلَامٍ وَبَصِيرَةٍ جَيِّدَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَحَبَّةِ إِلَى الشَّـيْخِ تَقِـيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَلِأَصْحَابِـهِ خُصُوصًا، وَلِكُلِّ مَنْ يَرَاهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عُمُومًا، وَكَانَ فِيهِ إِيثَارٌ وَإِحْسَـانٌ، وَمَحَبَّةُ الْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِمْ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١١ -**الْقَاضِي الْإِمَامُ بُرْهَانُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ**، **شَيْخُ الْحَنَفِيَّةِ**، وَقَاضِي الْقُضَاةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مُدَّةً طَوِيلَةً - بَعْدَ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ - ثُمَّ عُزِلَ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ، وَدَرَّسَ بِالْعَذْرَاوِيَّةِ، وَكَانَ مَوْتُ بُرْهَانِ الدِّينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِبُسْـتَانِهِ مِنْ أَرَاضِي الْأَرْزَةِ بِطَرِيقِ الصَّالِحِيَّةِ، توفي لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ وَالْعِشْـرِينَ مِنْ شَـهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سـنة (٧٤٤هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ قَاسِـيُونَ بِمَقْبَرَةِ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالْأَكَابِرُ. رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

١٢ - **صَاحِبُنَا الْمُحَدِّثُ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ صَدْرِ الدِّينِ** سُلَيْمَانَ الْجَعْبَرِيُّ، زَوْجُ بِنْتِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ الْمِزِّيِّ، وَوَالِدُ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ اللهِ، وَجَمَالِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ، وَغَيْرِهِمْ،

وَكَانَ فَقِيهًا بِالْمَدَارِسِ، وَشَاهِدًا تَحْتَ السَّاعَاتِ وَغَيْرِهَا، وَعِنْدَهُ فَضِيلَةٌ جَيِّدَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ، وَشَيْءٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَهُ نَظْمٌ مُسْتَحْسَنٌ، انْقَطَعَ يَوْمَيْنِ وَبَعْضَ الثَّالِثِ، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي بَقِيَّةِ لَيْلَتِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَيْلَةَ الاِثْنَيْنِ عَاشِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٤٥هـ)، وَكَانَ أَشْهَدَنِي عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُسْخِطُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى تَرْكِ الشُّهُودِ أَيْضًا، وَكُنْتُ عِنْدَهُ وَقْتَ الْعَشَاءِ الْآخِرَةِ لَيْلَتَئِذٍ، وَحَدَّثَنِي وَضَاحَكَنِي، وَكَانَ خَفِيفَ الرُّوحِ -رحمهُ اللهُ تَعَالَى -.

١٣ -**الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ الضَّرِيرُ الزُّرَعِيُّ**، تُوُفِّيَ يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَبِبَابِ النَّصْرِ، وَعِنْدَ مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، وَدُفِنَ بِهَا قَرِيبًا مِنَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ حَسَنَهَا وَصَحِيحَهَا، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، يُقْرِئُ النَّاسَ مِنْ دَهْرٍ طَوِيلٍ، وَيَقُومُ بِهِمُ الْعَشْرَ الْأَخِيرَ مِنْ رَمَضَانَ فِي مِحْرَابِ الْحَنَابِلَةِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، توفي سنة (٧٤٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤ - **الْقَاضِي الْإِمَامُ الْعَالِمُ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ** أَحْمَدُ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ حُسَامِ الدِّينِ الرُّومِيُّ الْحَنَفِيُّ، توفي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ عِشْرِينَ رَجَبٍ سنة (٧٤٥هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمْعَةِ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَحَضَرَهُ الْقُضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ قَضَاءَ قُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ فِي أَيَّامِ وِلَايَةِ أَبِيهِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَقَدِمَ الشَّامَ مَعَ أَبِيهِ فَأَقَامُوا بِهَا، ثُمَّ لَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لَاجِينُ وَلَّاه قَضَاءَ الشَّامِ، ثُمَّ إِنَّهُ عُزِلَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ثَلَاثِ مَدَارِسَ مِنْ خِيَارِ مَدَارِسِ الْحَنَفِيَّةِ، وَكَانَ **يذاكر** فِي الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٥ -**الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ الْوَرِعُ أَبُو عَمْرِو بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ الْمَالِكِيُّ**، إِمَامُ مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ الَّذِي لِلْمَالِكِيَّةِ، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَانِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ سنة سنة (٧٤٥هـ)، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَعَلَى صَلَاحِهِ وَفَتَاوِيهِ النَّافِعَةِ الْكَثِيرَةِ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ قَبْرِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ، قَرِيبًا مِنْ مَسْجِدِ

النَّارَنْجِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَوَلِـيَ مَكَانَهُ فِي الْمِحْـرَابِ وَلَدُهُ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، فَاسْـتُنِيبَ لَهُ إِلَى حِينِ صَلَاحِيَّتِهِ، جَبَرَهُ اللهُ وَرَحِمَ أَبَاهُ.

١٦-**الشَّـيْخ زَيْنِ الدِّينِ عَبْـدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ تَيْمِيَةَ**، أَخِي الشَّـيْخِ تَقِـيِّ الدِّينِ، توفي فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثِ ذِي الْقِعْدَةِ سـنة (٧٤٧هـ)، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالجامع، وتبعه القضاة والأعيان وخلق كثير إل المقبرة، فدفن قبلي قبر أخيه تقي الدين ابن تيمية بينهما قبر ابن عمتهما عز الدين ابن تيمية. رحمهم الله تعالى.

١٧-**قَاضِي الْقُضَاةِ شَـرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْهَمْدَانِيُّ** الْمَالِكِيُّ، تُوُفِّيَ ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ سـنة (٧٤٨هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْـهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِ بِمَيْدَانِ الْحصَا، وَتَأَسَّـفَ النَّاسُ عَلَيْهِ لِرِيَاسَتِهِ وَدماثَةِ أَخْلَاقِهِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٨-**زَيْـنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَـيْخِنَا الْحَافِـظِ الْمُزِّيِّ**، بِدَارِ الْحَدِيـثِ النُّورِيَّةِ، وَهُوَ شَيْخُهَا، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ مَعَ وَالِدِهِ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى. تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٤٩هـ).

١٩- **الصَّـدْرُ شَـمْسُ الدِّينِ بْنُ الصَّبَـابِ التَّاجِرُ السَّـفَّارُ**، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ السَّـابِعِ وَالْعِشْـرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سـنة (٧٤٩هـ)، وهو بَانِي الْمَدْرَسَـةِ الصَّابِيَّـةِ الَّتِي هِيَ دَارُ قُرْآنٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدْرَسَـةِ الظَّاهِرِيَّـةِ، وَهِيَ قِبْلِيُّ الْعَادِلِيَّةِ الْكَبِيـرَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُقْعَةُ بُرْهَـةً مِـنَ الزَّمَانِ خَرِبَةً شَـنِيعَةً، فَعَمَرَهَا هَـذَا الرَّجُـلُ، وَجَعَلَهَا دَارَ قُـرْآنٍ وَدَارَ حَدِيثٍ لِلْحَنَابِلَةِ، وَوَقَفَ هُوَ وَغَيْرُهُ عَلَيْهَا أَوْقَافًا جَيِّدَةً، رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

٢٠-**الشَّـيْخ عَلِـيٍّ الْمَغْرِبِيِّ**، أَحَدِ أَصْحَابِ الشَّـيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْـنِ تَيْمِيَّةَ، توفي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ رَجَبٍ سنة (٧٤٩هـ) وصلي عليه بِالْجَامِعِ الْأَفْرمِيِّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَدُفِنَ بِالسَّـفْحِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَتْ لَهُ عِبَادَةٌ، وَزَهَادَةٌ، وَتَقَشُّـفٌ، وَوَرَعٌ، وَلَـمْ يَتَوَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَظِيفَـةً بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، بَلْ كَانَ يُؤْتَى بِشَـيْءٍ مِنَ الْفُتُوحِ يَسْـتَنْفِقُهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَكَانَ يُعَانِي التَّصَوُّفَ، وَتَرَكَ زَوْجَةً وَثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢١-**الْقَاضِي زَيْنِ الدِّينِ بْنِ النَّجِيحِ نَائِبِ الْقَاضِي الْحَنْبَلِيِّ** - بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، تَوَفِّي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَرْبعَاءِ سَابِعِ رَجَبٍ سنة (٧٤٩هـ)، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَكَانَ مَشْكُورًا فِي الْقَضَاءِ، لَدَيْهِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، وَدِيَانَةٌ، وَعِبَادَةٌ، وَكَانَ مِنَ اصْحَابِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاضِي الشَّافِعِيِّ مُشَاجَرَاتٌ بِسَبَبِ أُمُورٍ، ثُمَّ اصْطَلَحَا فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

٢٢-**الْخَطِيبُ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ ابْنِ الْقَاضِي** جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَزْوِينِيِّ، بِدَارِ الْخَطَابَةِ، مَرِضَ يَوْمَيْنِ، وَأَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الطَّاعُونِ، وَكَذَلِكَ عَامَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ جَوَارِيهِ، وَأَوْلَادِهِ، وَتَبِعَهُ أَخُوهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ صَدْرُ الدِّينِ عَبْدُ الْكَرِيمِ، وَصُلِّي عَلَى الْخَطِيبِ تَاجِ الدِّينِ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ بَابِ الْخَطَابَةِ، فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ سَابِعِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، سنة (٧٤٩هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَتِهِمْ بِالصُّوفِيَّةِ عِنْدَ أَبِيهِ، وَأَخَوَيْهِ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ، وَجَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ اللهِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٢٣-**الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللهِ**، كَاتِبُ الْأَسْرَارِ الشَّرِيفَةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، عَمَرَ دَارًا هَائِلَةً بِسَفْحِ قَاسِيُونَ بِالْقُرْبِ مِنَ الرُّكْنِيَّةِ شَرْقِيَّهَا، لَيْسَ بِالسَّفْحِ مِثْلُهَا، وَقَدِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْإِنْشَاءِ، **وَكَانَ يُشَبَّهُ بِالْقَاضِي الْفَاضِلِ فِي زَمَانِهِ**، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ بِعِبَارَاتٍ سَعِيدَةٍ، وَكَانَ حَسَنَ الْمُذَاكَرَةِ، سَرِيعَ الِاسْتِحْضَارِ، جَيِّدَ الْحِفْظِ، فَصِيحَ اللِّسَانِ، جَمِيلَ الْأَخْلَاقِ، يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، وَلَمْ يُجَاوِزِ الْخَمْسِينَ، تُوفِّي بِدَارِهِمْ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ، يَوْمِ عَرَفَةَ سنة (٧٤٩هـ)، وَصُلِّي عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ بِالسَّفْحِ مَعَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ، سَامَحَهُ اللهُ، وَغَفَرَ لَهُ.

٢٤-**الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ رَشِيقٍ الْمَغْرِبِيُّ**، كَاتِبُ مُصَنَّفَاتِ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، كَانَ أَبْصَرَ بِخَطِّ الشَّيْخِ مِنْهُ، إِذَا عَزَبَ شَيْءٌ مِنْهُ عَلَى الشَّيْخِ اسْتَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ هَذَا، وَكَانَ سَرِيعَ الْكِتَابَةِ لَا بَأْسَ بِهِ، دَيِّنًا عَابِدًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، حَسَنَ الصَّلَاةِ، لَهُ عِيَالٌ وَعَلَيْهِ دُيُونٌ، توفي يَوْمِ عَرَفَةَ سنة (٧٤٩هـ)، رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ، آمِينَ.

٢٥- **صَاحِبُنَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ الصَّائِغِ** الشَّافِعِيُّ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَابِدُ الْخَاشِعُ، **مُدَرِّسُ الْعِمَادِيَّةِ**، كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَدَيْهِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَفِيهِ عِبَادَةٌ كَثِيرَةٌ، وَتِلَاوَةٌ، وَقِيَامُ لَيْلٍ، وَسُكُونٌ حَسَنٌ، وَخُلُقٌ حَسَنٌ، جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ بِنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٥٠هـ).

٢٦- **صَاحِبُنَا الْإِمَامُ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ الزُّرَعِيُّ**، إِمَامُ الْجَوْزِيَّةِ، وَابْنُ قَيِّمِهَا.

وُلِدَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ، فَبَرَعَ فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ وَالْأَصْلَيْنِ، وَلَمَّا عَادَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ لَازَمَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ الشَّيْخُ، فَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا مَعَ مَا سَلَفَ لَهُ مِنَ الِاشْتِغَالِ، فَصَارَ فَرِيدًا فِي بَابِهِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، **مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ**، وَكَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، **لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ**، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ.

وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَبِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، **وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ**، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الْحَسَنِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاقْتَنَى مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يَتَهَيَّأُ لِغَيْرِهِ تَحْصِيلُ عُشْرِهِ مِنْ كُتُبِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، **وَبِالْجُمْلَةِ** كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ، بَلْ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي مَجْمُوعِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَيْرُ وَالْأَخْلَاقُ الصَّالِحَةُ، سَامَحَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ.

وَقَدْ كَانَ **مُتَصَدِّيًا لِلْإِفْتَاءِ بِمَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ** الَّتِي اخْتَارَهَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَجَرَتْ لَهُ بِسَبَبِهَا فُصُولٌ يَطُولُ بَسْطُهَا مَعَ قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ وَغَيْرِهِ، تُوُفِّيَ

لَيْلَةِ الْخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ رَجَب سنة (٧٥١هـ)، وَقْتَ أَذَانِ الْعِشَاءِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنَ الْغَدِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدَتِهِ بِمَقَابِرِ الْبَابِ الصَّغِيرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ كَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً رَحِمَهُ اللَّهُ، شَهِدَهَا الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَالصَّالِحُونَ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى حَمْلِ نَعْشِهِ، وَكَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّونَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٧- **قَاضِي الْقُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ تَمَامٍ السُّبْكِيِّ** الْمِصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ، تُوُفِّيَ بِمِصْرَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ جمادى الآخرة سنة (٧٥٦هـ)، وَقَدْ أَكْمَلَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلِيَ الْحُكْمَ بِدِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ **سَبْعَ عَشْرَةَ** سَنَةً، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ ذَلِكَ لِوَلَدِهِ **قَاضِي الْقُضَاةِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ**، ثُمَّ رَحَلَ فِي مِحَفَّةٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وَلَمَّا وَصَلَ مِصْرَ أَقَامَ دُونَ الشَّهْرِ ثُمَّ تُوُفِّيَ، وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ وَمَرْسُومٌ بِاسْتِقْرَارِ وَلَدِهِ فِي مَدْرَسَتِهِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَالْقَيْمَرِيَّةِ، وَبِتَشْرِيفٍ؛ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهِ.

وَقَدْ سَمِعَ قَاضِي الْقُضَاةِ السُّبْكِيُّ الكبير تقي الدين علي، الْحَدِيثَ فِي شَبِيبَتِهِ بِدِيَارِ مِصْرَ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ وَكَتَبَ وَخَرَّجَ، وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مُنْتَشِرَةٌ، كَثِيرَةُ الْفَائِدَةِ، وَمَا زَالَ فِي مُدَّةِ الْقَضَاءِ يُصَنِّفُ وَيَكْتُبُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ التِّلَاوَةِ، والقيام.

٢٨- الشَّابُّ الْفَاضِلُ جَمَالُ الدِّينِ **عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْعَلَّامَةِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ قَيِّمِ** الْجَوْزِيَّةِ الْحَنْبَلِيِّ، توفي وَصُلِّي عليه بَعْدَ الظُّهْرِ فِي الرابع عشر من شعبان سنة (٧٥٦هـ)، وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِمَقَابِرَ بَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَكَانَتْ لَدَيْهِ عُلُومٌ جَيِّدَةٌ، وَذِهْنُهُ حَاضِرٌ خَارِقٌ، أَفْتَى، وَدَرَّسَ، وَأَعَادَ، وَنَاظَرَ، وَحَجَّ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ.

٢٩- **الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بُرَاقٍ أَمِيرِ آخُورَ**، توَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٥٧هـ) وصُلِّي عَليه بجامع تنكز، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، وَكَانَ مَشْكُورَ السِّيرَةِ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ، **مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ الشَّيْخِ**

تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، رَحِمهُ اللهُ تَعالَى، وَقَدْ رُسِمَ لِوَلَدَيْهِ **نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ، وَسَيْفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ**؛ كُلٍّ مِنْهُمَا بِعَشَرَةِ أَرْمَاحٍ، وَلِنَاصِرِ الدِّينِ بِمَكَانِ أَبِيهِ فِي الْوَظِيفَةِ بِإِصْطَبْلِ السُّلْطَانِ، وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى خُلِعَ عليهما، بِأَمِيرَيْنِ عَشَرَتَيْنِ.

٣٠-**الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُمَرَ الْحَمَوِيُّ**، أَحَدُ مَشَايِخِ الرُّوَاةِ، تُوُفِّيَ فِي لَيْلَةِ الثُّلَاثَاءِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٥٧هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَجمَعَ الْكَثِيرَ، وَتَفرَّدَ بِالرِّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَانْقَطَعَ بِمَوْتِهِ سَمَاعُ "السُّنَنِ الْكَبِيرِ" لِلْبَيْهَقِيِّ. رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣١-**الْمُحَدِّثُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الْحَنْبَلِيُّ**، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٥٩هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِالسَّفْحِ، وَقَدْ قَارَبَ السِّتِّينَ، وَكَتَبَ كَثِيرًا وَخَرَّجَ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِأَسْمَاءِ الْأَجْزَاءِ وَرُوَاتِهَا مِنَ الشُّيُوخِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَقَدْ كَتَبَ لِلْحَافِظِ الْبِرْزَالِيِّ قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنْ مَشَايِخِهِ، وَخَرَّجَ لَهُ عَنْ كُلٍّ حَدِيثًا أَوْ أَكْثَرَ، وَأَثْبَتَ لَهُ مَا سَمِعَهُ عَنْ كُلٍّ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَتِمَّ حَتَّى تُوُفِّيَ الْبِرْزَالِيُّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٢- **بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ الْمَرْجَانِيِّ**، بَانِي جَامِعِ الْفَوْقَانِيِّ، وَكَانَ مَسْجِدًا فِي الْأَصْلِ فَبَنَاهُ جَامِعًا، وَجَعَلَ فِيهِ خُطْبَةً، وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ فِيهِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَسَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، وَتُوُفِّيَ سنة (٧٥٩هـ).

٣٣-**الشَّيْخ صَلَاحِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ**، توفي بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ ثَالِثَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦١هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتٌّ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَكَانَ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِالْقُدْسِ مُدَرِّسًا بِالْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ وَشَيْخًا بِدَارِ الْحَدِيثِ السُّكَّرِيَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَدْ صَنَّفَ، وَأَلَّفَ، وَجَمَعَ، وَخَرَّجَ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طُولَى فِي مَعْرِفَتِهِ الْعَالِيَ، وَالنَّازِلَ، وَتَخْرِيجِ الْأَجْزَاءِ وَالْفَوَائِدِ، وَلَهُ مُشَارَكَةٌ قَوِيَّةٌ فِي الْفِقْهِ، وَاللُّغَةِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَالْأَدَبِ، وَفِي كِتَابَتِهِ ضَعْفٌ

لَكِنْ مَعَ صِحَّةٍ وَضَبْطٍ لِمَا يُشْكِلُ، وَلَهُ عِدَّةُ مُصَنَّفَاتٍ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ وَقَفَهَا عَلَى الْخَانِقَاهْ السُّمَيْسَاطِيَّةِ بِدِمَشْقَ.

٣٤- **الشَّيْخِ الصَّالِحِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الزُّرَعِيِّ**، بَلَغَنَا وَفَاته بِمَدِينَةِ خَيْرَانَ[1] يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ خَامِسَ ذِي الْحِجَّةِ سنة (٧٦١هـ) وَكَانَ مِنَ الْقَائمين بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْقِيَامِ فِي مَصَالِحِ النَّاسِ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالدَّوْلَةِ، وَلَهُ **وَجَاهَةٌ** عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٥- الشَّيْخُ الْحَافِظُ **عَلَاءُ الدِّينِ مُغْلَطَايْ** الْمِصْرِيُّ، توفي فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الرَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٢هـ)، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِالزَّيْدَانِيَّةِ، وَقَدْ كَتَبَ الْكَثِيرَ، وَصَنَّفَ، وَجَمَعَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٦- **الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ الْأَقْوَشِ**، تُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ سنة (٧٦٢هـ)، وَدُفِنَ بِالْقُبَيْبَاتِ، وَقَدْ نَابَ **بِبَعْلَبَكَّ وَبِحِمْصَ**، ثُمَّ قُطِعَ خُبْزُهُ هُوَ وَأَخُوهُ كُجْكُنُ، وَنُفُوا إِلَى بُلْدَانٍ شَتَّى، ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُمُ الْأَمِيرُ يَلْبُغَا، وَأَعَادَ عَلَيْهِمْ أَخبازًا بِطَبْلَخَانَاهْ، فَمَا لَبِثَ نَاصِرُ الدِّينِ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى تُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَثَّرَ آثَارًا حَسَنَةً كَثِيرَةً مِنْهَا عِنْدَ عَقَبَةِ الرُّمَّانَةِ خَانٌ مَلِيحٌ نَافِعٌ، وَلَهُ بِبَعْلَبَكَّ جَامِعٌ وَحَمَّامٌ وَخَانٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتٌّ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

٣٧- **الصَّدْرُ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ لُؤْلُؤٍ الْحَوْضِيُّ**، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ من ربيع الأول سنة (٧٦٣هـ) فِي دَارِهِ بِالْقَصَّاعِينَ، وَلَمْ يَمْرَضْ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَخَرَجُوا بِهِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ، فَخَرَجَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ، فَصَلَّى عَلَيْهِ إِمَامًا خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِهِ فَدَفَنُوهُ بِمَقَابِرِهِمْ بِبَابِ الصَّغِيرِ، فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وَكَانَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فِيهِ مُرُوءَةٌ، وَقِيَامٌ مَعَ النَّاسِ، وَلَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ، وَقَبُولٌ عِنْدَ نُوَّابِ السَّلْطَنَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَيُحِبُّ

(١) خيران بالفتح من قرى بيت المقدس نسب إليها بعض العلماء. انظر: معجم البلدان - الفكر (٢/ ٤١١).

الْعُلَمَاءَ وَأَهْلَ الْخَيْرِ، وَيُوَاظِبُ عَلَى سَمَاعِ مَوَاعِيدِ الْحَدِيثِ وَالْخَيْرِ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ، وَثَرْوَةٌ، وَمَعْرُوفٌ، وَقَارَبَ الثَّمَانِينَ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٨- **الشَّيْخ شَمْسِ الدِّين مُحَمَّدِ بْنِ النَّقَّاشِ الْمِصْرِيِّ**، توفي بالديار المصرية سنة (٧٦٣هـ) وَكَانَ وَاعِظًا بَاهِرًا، وَفَقِيهًا بَارِعًا، نَحْوِيًّا شَاعِرًا، لَهُ يَدٌ طُولَى فِي فُنُونٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقُدْرَةٌ عَلَى نَسْجِ الْكَلَامِ، وَدُخُولٌ عَلَى الدَّوْلَةِ وَتَحْصِيلُ الْأَمْوَالِ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَرْبَعِينَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٩- **الرَّئِيسُ أَمِينُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّدْرِ** جَمَالِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَلَانِسِيِّ، أَحَدُ مَنْ بَقِيَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْبَلَدِ وَكُبَرَائِهَا، وَقَدْ كَانَ بَاشَرَ مُبَاشَرَاتٍ كِبَارًا كَأَبِيهِ وَعَمِّهِ عَلَاءِ الدِّينِ، وَلَكِنْ فَاقَ هَذَا عَلَى أَسْلَافِهِ؛ فَإِنَّهُ بَاشَرَ **وَكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ مُدَّةً**، وَوَلِيَ **قَضَاءَ الْعَسَاكِرِ** أَيْضًا، ثُمَّ وَلِيَ **كِتَابَةَ السِّرِّ** مَعَ مَشْيَخَةِ الشُّيُوخِ، **وَتَدْرِيسِ النَّاصِرِيَّةِ**، وَالشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ دَرَّسَ فِي الْعَصْرُونِيَّةِ مِنْ قَبْلِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وسبعمائة.

ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ السُّلْطَانُ فِي سَنَةِ (٧٦٢هـ) عُزِلَ عَنْ مَنَاصِبِهِ الْكِبَارِ، وَصُودِرَ بِمَبْلَغٍ كَثِيرٍ يُقَارِبُ مِائَتَيْ أَلْفٍ، فَبَاعَ كَثِيرًا مِنْ أَمْلَاكِهِ، وَمَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْ وَظَائِفِهِ شَيْءٌ، وَبَقِيَ خَامِلًا مُدَّةً إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَتُوُفِّيَ بَغْتَةً وَكَانَ قَدْ تَشَوَّشَ قَلِيلًا لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ، فِي يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سنة (٧٦٣هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ الْعَصْرَ بِجَامِعِ دِمَشْقَ.

٤٠- **الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ الْخَاشِعُ فَتْحُ الدِّينِ ابْنُ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ الْفَارِقِيُّ**، إِمَامُ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ، وَخَازِنُ الْأَثَرِ بِهَا، وَمُؤَذِّنٌ فِي الْجَامِعِ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ تِسْعُونَ سَنَةً فِي خَيْرٍ وَصِيَانَةٍ وَتِلَاوَةٍ وَصَلَاةٍ كَثِيرَةٍ، وَانْجِمَاعٍ عَنِ النَّاسِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ تاسع عشر ربيع الآخر سنة (٧٦٣هـ)، وصُلِّيَ عَلَيْهِ صَبِيحَةَ يَوْمَئِذٍ، وَخُرِجَ بِهِ مِنْ بَابِ النَّصْرِ إِلَى نَحْوِ الصَّالِحِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤١- **الْقَاضِي الْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ مُفْلِحٍ الْمَقْدِسِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**، نَائِبُ مَشْيَخَةِ قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ، وَكَانَ بَارِعًا

فَاضِلًا مُتَفَنِّنًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا سِيَّمَا عِلْمُ الْفُرُوعِ، كَانَ غَايَةً فِي نَقْلِ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَجَمَعَ مُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةً؛ مِنْهَا عَلَى كِتَابِ "الْمُقْنِعِ" نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ مُجَلَّدًا، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالتَّعْلِيقَاتِ، تُوُفِّيَ فِي ثَانِي رَجَبٍ سنة (٧٦٣هـ) عَنْ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ حَضَرَهَا الْقُضَاةُ كُلُّهُمْ، وَخَلْقٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

٤٢ -**قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالِ الدِّينِ يُوسُفَ ابْنِ قَاضِي الْقُضَاةِ شَرَفِ الدِّينِ أحمد** بنِ الْحُسَيْنِ الْكَفْرِيِّ الْحَنَفِيِّ، توفي وصُلِّيَ عليه فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسِ صَفَرٍ سنة (٧٦٦هـ) بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ مَرَضٍ قَرِيبٍ مِنْ شَهْرٍ، وَقَدْ جَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ بِثَلَاثٍ مِنَ السِّنِينَ، وَلِيَ قَضَاءَ قُضَاةِ الْحَنَفِيَّةِ، وَخَطَبَ بِجَامِعِ يَلْبُغَا، وَحَضَرَ مَشْيَخَةَ النَّفِيسِيَّةِ، وَدَرَّسَ بِأَمَاكِنَ مِنْ مَدَارِسِ الْحَنَفِيَّةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِالْجَامِعِ الْمُسْتَجَدِّ دَاخِلَ بَابِ كَيْسَانَ بِحَضْرَةِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ.

٤٣ -**الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ عُمَرَ ابْنِ الْقَاضِي عَبْدِ الْمُحْيِي بْنِ إِدْرِيسَ الْحَنَفِيِّ** مُحْتَسِبِ بَغْدَادَ، وَقَاضِي الْحَنَابِلَةِ بِهَا، فَتَعَصَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّوَافِضُ حَتَّى ضُرِبَ بَيْنَ يَدَيِ الْوِزَارَةِ ضَرْبًا مُبَرِّحًا كَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ سَرِيعًا فِي صَفَرٍ سنة (٧٦٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ مِنَ الْقَائِمِينَ بِالْحَقِّ، الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، مِنْ أَكْبَرِ الْمُنْكِرِينَ عَلَى الرَّوَافِضِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ.

٤٤ -**الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ كَاتِبُ السِّرِّ**، وَشَيْخُ الشُّيُوخِ، وَمُدَرِّسُ النَّاصِرِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ، وَالشَّامِيَّةِ الْجَوَّانِيَّةِ بِدِمَشْقَ، وَمُدَرِّسُ الْأَسَدِيَّةِ بِحَلَبَ، وَقَدْ بَاشَرَ كِتَابَةَ السِّرِّ بِحَلَبَ أَيْضًا، وَقَضَاءَ الْعَسَاكِرِ، وَأَفْتَى مِنْ زَمَانٍ وِلَايَةِ الشَّيْخِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمَلْكَانِيِّ قَضَاءَ حَلَبَ، أُذِنَ لَهُ هُنَالِكَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَقَدْ قَرَأَ "التَّنْبِيهَ"، وَ"مُخْتَصَرَ ابْنِ الْحَاجِبِ" فِي الْأُصُولِ وَفِي الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ نَبَاهَةٌ وَمُمَارَسَةٌ لِلْعِلْمِ، وَفِيهِ جَوْدَةُ طِبَاعٍ وَإِحْسَانٌ بِحَسَبِ مَا يَقْدِرُ

عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يُتَوَسَّمُ مِنْهُ سُوءٌ، وَفِيهِ دِيَانَةٌ وَعِفَّةٌ، حَلَفَ لِي فِي وَقْتٍ بِالْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنْهُ فَاحِشَةُ اللِّوَاطِ، وَلَا خَطَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَزِنِ، وَلَمْ يَشْرَبْ مُسْكِرًا، وَلَا أَكَلَ حَشِيشَةً، فَرَحِمَهُ اللهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

تُوُفِّيَ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ سَادِسِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة (٧٦٣هـ)، وصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَئِذٍ، فَحَضَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةٍ لَهُمْ بِالصُّوفِيَّةِ، وَتَأَسَّفُوا عَلَيْهِ، وَتَرَحَّمُوا.

٤٥- **الشَّيْخُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُونَوِيُّ** الْحَنَفِيُّ، خَطِيبُ جَامِعِ يَلْبُغَا، وَقَدْ بَاشَرَ عِوَضَهُ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ، قَاضِي الْقُضَاةِ جَمَالُ الدِّينِ الْكَفْرِيُّ الْحَنَفِيِّن، وتُوُفِّيَ فِي العشرين من جمادى الأولى سنة (٧٦٤هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ عَقِيبَ صَلَاةِ الظُّهْرِ.

٤٦- **الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَيْبَكَ**، وَكِيْلُ بَيْتِ الْمَالِ وَمُوَقِّعُ الدَّسْتِ، تُوُفِّيَ فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ عَاشِرِ شوال سنة (٧٦٤هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ صَبِيحَةَ الْأَحَدِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَقَدْ كَتَبَ الْكَثِيرَ مِنَ التَّارِيخِ، وَاللُّغَةِ، وَالْأَدَبِ، وَلَهُ الْأَشْعَارُ الْفَائِقَةُ، وَالْفُنُونُ الْمُتَنَوِّعَةُ، وَجَمَعَ، وَصَنَّفَ، وَكَتَبَ مَا يُقَارِبُ مِئِينَ مِنَ الْمُجَلَّدَاتِ.

٤٧- **الصَّاحِبُ تَقِيُّ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ مَرَاجِلٍ**، نَاظِرُ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ بَاشَرَ نَظَرَ الْجَامِعِ فِي أَيَّامِ تَنكِزَ، وَعَمَرَ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنَ الْحَائِطِ الْقِبْلِيِّ، وَكَمَّلَ رُخَامَهُ كُلَّهُ، وَفَتَقَ مِحْرَابًا لِلْحَنَفِيَّةِ فِي الْحَائِطِ الْقِبْلِيِّ، وَمِحْرَابًا لِلْحَنَابِلَةِ فِيهِ أَيْضًا فِي غَرْبِيِّهِ، وَأَثَّرَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ، وَيُنْسَبُ إِلَى أَمَانَةٍ، وَصَرَامَةٍ، وَمُبَاشَرَةٍ مَشْكُورَةٍ مَشْهُورَةٍ، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ ذو القعدة سنة (٧٦٤هـ)، وَدُفِنَ بِتُرْبَةٍ أَنْشَأَهَا تُجَاهَ دَارِهِ بِالْقُبَيْبَاتِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

٤٨- **الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْإِخْمِيمِيُّ الْمِصْرِيُّ**، إِمَامُ مَسْجِدِ دَرْبِ الْحَجَرِ، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ ذو القعدة سنة (٧٦٤هـ) وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ بِقَصْرِ ابْنِ الْحَلَّاجِ عِنْدَ الطَّيُورِيِّينَ بِزَاوِيَةٍ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ الْخَزَنَةِ

هُنَاكَ، وَقَدْ كَانَ لَهُ يَدٌ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، وَصَنَّفَ فِي الْكَلَامِ كِتَابًا مُشْتَمِلًا عَلَى أَشْيَاءَ مَقْبُولَةٍ وَغَيْرِ مَقْبُولَةٍ.

٤٩- صَاحِبُنَا الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْعَطَّارِ الشَّافِعِيُّ، كَانَ لَدَيْهِ فَضِيلَةٌ، وَاشْتِغَالٌ، وَلَهُ فَهْمٌ، وَعَلَّقَ بِخَطِّهِ فَوَائِدَ جَيِّدَةً، وَكَانَ إِمَامًا بِالسِّجْنِ مَنَّ مَشْهَدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَمُصَدَّرًا بِالْجَامِعِ، وَفَقِيهًا بِالْمَدَارِسِ، وَلَهُ مَشْيَخَةُ الْحَدِيثِ الْوَادِعِيَّةِ.

وَتُوُفِّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سنة (٧٦٥هـ) وَجَاوَزَ الْخَمْسِينَ بِسَنَوَاتٍ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ.

٥٠- الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرِ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرِ بْنِ قَوَامٍ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ الْفُقَهَاءِ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، دَرَّسَ بِالنَّاصِرِيَّةِ الْبَرَّانِيَّةِ مُدَّةَ سِنِينَ بَعْدَ أَبِيهِ، وَبِالرِّبَاطِ الدَّوَيْدَارِيِّ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَجِ، وَكَانَ يَحْضُرُ الْمَدَارِسَ، **وَنَزَلَ عِنْدَنَا بِالْمَدْرَسَةِ النَّجِيبِيَّةِ،** وَكَانَ يُحِبُّ السُّنَّةَ وَيَفْهَمُهَا جَيِّدًا، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَابِعِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سنة (٧٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥١- الشَّرِيفُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ حَمْزَةَ الْحُسَيْنِيُّ، الْمُحَدِّثُ الْمُحَصِّلُ، الْمُؤَلِّفُ لِأَشْيَاءَ مُهِمَّةٍ فِي الْحَدِيثِ، قَرَأَ، وَسَمِعَ، وَجَمَعَ، وَكَتَبَ أَسْمَاءَ رِجَالٍ بِـ "مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ"، وَاخْتَصَرَ كِتَابًا فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ مُفِيدًا، وَوَلِيَ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ الَّتِي وَقَفَهَا فِي دَارِهِ بَهَاءُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ عَسَاكِرَ دَاخِلَ بَابِ تُومَاءَ، تُوُفِّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَعْبَانَ سنة (٧٦٥هـ)

٥٢- الشَّيْخُ عَلِيٌّ الْمُرَاوِحِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، وَكَانَ فِيهِ مُرُوءَةٌ كَبِيرَةٌ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَدْخُلُ عَلَى النُّوَّابِ، وَيُرْسِلُ إِلَى الْوُلَاةِ فَتُقْبَلُ رِسَالَتُهُ، وَلَهُ قَبُولٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَفِيهِ بِرٌّ، وَصَدَقَةٌ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَحَاوِيجِ، وَبِيَدِهِ مَالٌ جَيِّدٌ يُتَّجَرُ لَهُ فِيهِ، تَعَلَّلَ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ سَابِعِ رَجَبٍ فَصُلِّيَ عَلَيْهِ الظُّهْرُ بِالْجَامِعِ ثُمَّ حُمِلَ إِلَى سَفْحِ قَاسِيُونَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥٣-الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ الصَّارِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ الْكَرْكِيُّ الشُّوبَكِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، كَانَ مَعَنَا فِي الْمَقْرَأِ وَالْكُتَّابِ، وَخَتَمْتُ أَنَا وَهُوَ فِي سَنَةِ (٧١١هـ)، وَنَشَأَ فِي صِيَانَةٍ، وَعَفَافٍ، وَقَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ سَيْحَانَ لِلسَّبْعِ، وَلَمْ يُكْمِلْ عَلَيْهِ خَتْمَةً، وَاشْتَغَلَ فِي " الْمِنْهَاجِ " لِلنَّوَاوِيِّ، فَقَرَأَ كَثِيرًا مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَهُ، وَكَانَ يَنْقُلُ مِنْهُ وَيَسْتَحْضِرُ، وَكَانَ خَفِيفَ الرُّوحِ تُحِبُّهُ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَيَرْغَبُونَ فِي عِشْرَتِهِ لِذَلِكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَكَانَ يَسْتَحْضِرُ الْمُتَشَابِهَ فِي الْقُرْآنِ اسْتِحْضَارًا حَسَنًا مُتْقَنًا، كَثِيرَ التِّلَاوَةِ لَهُ، حَسَنَ الصَّلَاةِ، يَقُومُ اللَّيْلَ، **وَقَرَأَ عَلَيَّ " صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ " بِمَشْهَدِ ابْنِ هِشَامٍ عِدَّةَ سِنِينَ**، وَمَهَرَ فِيهِ، وَكَانَ صَوْتُهُ جَهْوَرِيًّا فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، ثُمَّ وَلِيَ مَشْيَخَةَ الْحَلَبِيَّةِ بِالْجَامِعِ، وَقَرَأَ فِي عِدَّةِ كَرَاسٍ بِالْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ، وَكَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَكَانَ يُدَاوِمُ عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الْأَخِيرِ فِي مِحْرَابِ الصَّحَابَةِ مَعَ عِدَّةِ قُرَّاءٍ، يَتَنَاوَبُونَ فِيهِ، وَيُحْيُونَ اللَّيْلَ، وَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدِ وَحْدَهُ بِالْمِحْرَابِ الْمَذْكُورِ، ثُمَّ مَرِضَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ عَاشِرَ شَوَّالٍ بِدَرْبِ الْعَمِيدِ سنة (٧٦٦هـ)، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ الْعَصْرَ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الْبَابِ الصَّغِيرِ عِنْدَ وَالِدِهِ فِي تُرْبَةٍ لَهُمْ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ، وَقَدْ قَارَبَ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، **وَتَرَكَ بِنْتًا سُبَاعِيَّةً اسْمُهَا عَائِشَةُ**، وَقَدْ أَقْرَأَهَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى "تَبَارَكَ"، وَحَفَّظَهَا "الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ"، جَبَرَهَا رَبُّهَا وَرَحِمَ أَبَاهَا، آمِينَ.

٥٤- الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ، تُوُفِّيَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَلْخِ شهر محرم سنة (٧٦٧هـ) بِبُسْتَانِهِ بِالْمِزَّةِ، وَنُقِلَ إِلَى عِنْدِ وَالِدِهِ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ بِجَامِعِ جَرَّاحٍ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ الْقُضَاةُ، وَالْأَعْيَانُ، وَخَلْقٌ مِنَ التُّجَّارِ وَالْعَامَّةِ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ **ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ** سَنَةً، وَكَانَ بَارِعًا فَاضِلًا فِي النَّحْوِ، وَالْفِقْهِ، وَفُنُونٍ أُخَرَ عَلَى طَرِيقَةِ وَالِدِهِ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِالصَّدْرِيَّةِ، وَالتَّدْمُرِيَّةِ، وَلَهُ تَصْدِيرٌ بِالْجَامِعِ، وَخَطَابَةٌ بِجَامِعِ ابْنِ خِلِّيخَانَ، وَتَرَكَ مَالًا جَزِيلًا يُقَارِبُ الْمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

٥٥- **الْمُعَلِّم دَاوُدَ**، كَانَ مُبَاشِرًا لِنِظَارَةِ الْجَيْشِ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ نَظَرُ الدَّوَاوِينِ فَاجْتَمَعَ لَهُ هَاتَانِ الْوَظِيفَتَانِ، وَلَمْ يَجْتَمِعَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ حسب علمي، وَكَانَ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِنَظَرِ الْجَيْشِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِأَسْمَاءِ رِجَالِهِ وَمَوَاضِعِ الْإِقْطَاعَاتِ، وَقَدْ كَانَ وَالِدُهُ نَائِبًا لِنُظَّارِ الْجُيُوشِ، وَكَانَ يَهُودِيًّا قَرَّائِيًّا، فَأَسْلَمَ وَلَدُهُ داود هَذَا قَبْلَ وَفاته بعَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَقَدْ كَانَ ظَاهِرُهُ جَيِّدًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسِرِّهِ وَسَرِيرَتِهِ، **وَقَدْ تَمَرَّضَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِشَهْرٍ أَوْ نَحْوِهِ، حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مُسْتَهَلِّ رَبِيعٍ الْآخِرِ سنة (٧٦٧هـ)** فَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ تُجَاهَ النَّسْرِ بَعْدَ الْعَصْرِ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى تُرْبَةٍ لَهُ أَعَدَّهَا فِي بُسْتَانِهِ بِجَوْبَرَ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ قَرِيبُ الْخَمْسِينَ.

٥٦- **قَاضِي الْقُضَاةِ عِزِّ الدِّينِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَمَاعَةَ**، توفي بِمَكَّةَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سنة (٧٦٧هـ)، وَدُفِنَ فِي مقبرة الْمُعَلَّى، وَذَكَرُوا أَنَّهُ تُوُفِّيَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَأَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ الرَّحْبِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كَثِيرًا: **أَشْتَهِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَعْزُولٌ، وَأَنْ تَكُونَ وَفَاتِي بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ**. فَأَعْطَاهُ اللهُ مَا تَمَنَّاهُ؛ عَزَلَ نَفْسَهُ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَهَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا فِي الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ، فَرَحِمَهُ اللهُ.

وَقَدْ كَانَ **مَوْلِدُهُ** فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وستمائة، فَتُوُفِّيَ عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ نَالَ الْعِزُّ عِزًّا فِي الدُّنْيَا، وَمَنَاصِبَ، وَتَدَارِيسَ كِبَارًا، ثُمَّ عَزَلَ نَفْسَهُ، وَتَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُجَاوَرَةِ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، فَيُقَالُ لَهُ: **مَا قُلْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَرَاثِي**:

فَكَأَنْ قَدْ أُعْلِمْتَ بِالْمَوْتِ حَتَّى قَدْ تَزَوَّدْتَ مِنْ خِيَارِ الزَّادِ

٥٧- **الشَّيْخ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ**، حَامِلِ لِوَاءِ شُعَرَاءِ زَمَانِهِ بِدِيَارِ مِصْرَ، توفي بِمَرِسْتَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ سَابِعَ صَفَرٍ سنة (٧٦٨)، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.[١]

(١) ذكره ابن كثير في حوادث سنة (٧٦٨هـ)، وهو آخر ماذكر في نسخ البداية والنهاية؛ حيث توقف عند هذه السنة ولم يكملها ولم يذكر تراجم فيها.

إكمال عصر المماليك البحرية
من سنة (٧٦٨ـ٧٧٢هـ)

من كتاب «وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام»
للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي
(ت: ٩٠٢هـ)

○ عدوان الفرنج على طرابلس

في يوم السبت ثاني عشر محرم سنة (٧٦٩هـ) طرق الفرنج طرابلس في مائة وثلاثين مركبًا، ونازلوها إلى أن ملكوها وهدموها؛ بل قيل إن بعضهم صعد المنبر وأحدث فيه، وراموا تخليص ابن أخي صاحب قبرس من سجنه، فبادر المسلمون لقتله، ثم تلاحق المسلمون وتكاثروا حتى كان جمعهم أزيد من خمسة عشر ألفًا، ثم ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة وهزمهم بعد أن قتل منهم أزيد من مائتين، ولكنهم مع ما حل بهم ساروا إلى أنطرسوس، فقتل منهم التركمان خلقاً آخرين، منهم صاحب رودس، وجرح نائب ملك قبرس.

○ فتنة المماليك الأجلاب

في صفر سنة (٧٦٩هـ) كانت الوقعة التي تواطأ فيها جماعة من الأمراء مع مماليك يلبغا الأجلاب، فأحاطوا بجيش السلطان من كل جانب؛ ولكن قُتّلوا تقتيلاً، وكفى الله شرهم، وطهر الله من كثير منهم، وكانوا قد عاثوا في البلاد وأفسدوا، **ونودي**: من قدر على أحد من مفسديهم فسلبه لمن قدر عليه، فاستؤصلوا وتكامل علو السلطان؛ حيث لم يبق له منازع، وطابت القلوب.

○ محنة القاضي تاج الدين السبكي

في جمادى الآخرة سنة (٧٦٩هـ) رسم على القاضي **تاج الدين السبكي** بالمدرسة العذراوية من دمشق، وضيق عليه، بحيث منع الناس من اجتماع به، وختم على منازله ومايتعلق به.

ولم يلبث أن ورد القاضي **السراج البلقيني** على خيل البريد مستقراً عوضًا عن السبكي في القضاء والخطابة ومشيخة دار الحديث، وباشر جميع ذلك.

ولما حضر دار الحديث حضر الحافظ **ابن كثير** عنده بطلب منه، قال: فتكلم في فنون كثيرة كلاما محررا مفيداً، بعبارة فصيحة بليغة، وصوت عال، وأسلوب عجيب، قريب من سمت ابن تيمية في سجية كلامه.

وانبهر الفضلاء ممن معه من المصريين، وفضلاء الشاميين، من حسن إيراده وإصداره، مع تأدب وتودد.

وعقد مجلس بدار السعادة عند النائب، وامتحن القاضي **تاج الدين السبكي** المنفصل، وادعي عليه بالكفر، بسبب قوله في غضون كلامه: **فبطل دين الإسلام**.

فحكم القاضي صلاح الدين ابن المنجّى نائب الحنبلي بإسلامه، ورفع التعزيز عنه، فغضب على القاضي بسبب ذلك، وعزل عن النيابة، بل حكم القاضي البلقيني بإبطال حكمه، وجرت أمور منكرة، ثم أفرج عن تاج الدين السبكي، وطُلب إلى القاهرة، فخلع عليه هناك، وأعيدت له الخطابة والتدريس.

○ قتل صاحب قبرس

في رجب سنة (٧٧٠هـ) كان هلاك صاحب قبرس، على يد جماعة فيهم أخوه، لكثرة ظلمه ومصادرته ومخالفته لما في إنجيلهم، وسألوا أخاه في استقراره عوضا عنه، فامتنع، وأشار بتمليك ولد المقتول، فبويع ولده وهو ابن إحدى عشر سنة، وقام عمه بتدبير الأمر.

وكتب لسلطان مصر بالخضوع له وأنهم تحت أوامره، مع إرسال أسارى وهدايا وتحف.

○ طلب العامة عزل الوالي

في ذي القعدة سنة (٧٧٠هـ) وقف جماعة من العوام تحت القلعة، وطلبوا أن يسلم لهم الشريف **بكتمر بن علي الحسيني**، والي القاهرة، وابن كلفك وغيرهما، وألحوا على ذلك، فأمر السلطان جماعة من الأمراء والمماليك، وقتلوا منهم جماعة وامسكوا آخرين، وانتشر بالقاهرة شر عظيم، حتى دخلوا بالخيل في جامع الحاكم، وقتلوا جماعة من أهل الخير والمستضعفين، وكانت حادثة قبيحة، ثم نودي له بالأذان، وعزل عنهم بكتمر، وولي حسين بن الكوراني.

○ احتفال السلطان شعبان بمولوده

في شهر رمضان سنة (٧٧١هـ) ولد للسلطان شعبان ولد ذكر، **سماه رمضان**، وزينت القاهرة لذلك، ودقت البشائر، وكان في السنة التي قبلها وُلِدَ له ولد، سماه احمد، ودقت له البشائر ثلاثة أيام.

○ الصلح مع الفرنج لإطلاق الأسرى

في صفر سنة (٧٧٢هـ) صولح الفرنج **بقبرص** وغيرها من جزائر **البحر الجنوية، والبنادقة، والكيتلان**، على أن توضع الجزية عنهم **عشرين سنة**، بشرط رد جميع الأسرى التي أخذوها من الإسكندرية وكذا الأموال، وحلفوا على ألا يغدروا، ولا يخونوا، وأخذت منهم رهائن بالقلعة، حتى جاءت الأسرى وتم الصلح، وفتحت كنيسة القمامة بالقدس، ثم أطلق من كان منهم بدمشق وغيرها، فتصرفوا وباعوا، وسر الناس عمومًا والتجار خصوصًا بهذه المصالحة.

○ احتجاج الأمير الجاي اليوسفي

في ذي الحجة سنة (٧٧٢هـ) ركب الأمير **الجاي اليوسفي** ومن وافقه من الأمراء عند قبة النصر، **ورشقوا** بعض السهام إلى ناحية القلعة بمصر، فأمر **السلطان** الأشرف شعبان قائده **منكلي بغا** بالركوب في العسكر إليهم، فرأى منكلي بغا أن المصلحة تركه خوفا من غائلة الاقتتال، ولم يلبث أن انحل أمر الجاي وتفرق عنه أصحابه، ثم رسم للجاي نيابة حلب، فأبى مع إذعانه للطاعة؛ ولكن قد سقطت منزلته سيما وقد أخذ السلطان من مماليكه طائفة، ونفى آخرين، وحبس طائفة أخرى.

○ من أخبار المدارس

⦿ في محرم سنة (٧٧٢هـ) درس تقي الدين علي بن التاج السبكي بالأمينية بدمشق، وهو ابن **سبع سنين**، عوضا عن والده، وحضر معه جماعة من العلماء والفضلاء والفقهاء، بل والأمراء.

⊙ وكـذا درس في المحـرم منهـا **ابـن كثير** بـدار الحديث الأشـرفية، والشـمس بن خطيب يبرود بالشامية البرانية، كلاهما عن التاج السبكي، ولم يلبث أن انتزع دار الحديث **الكمالُ المعري** قاضي الشام المستقر بعد التاج السبكي.

❍ ظواهر كونية وكوارث وأوبئة

⊙ اسـتهل شـهر رمضان سـنة (٧٦٩هـ) **والفناء** في الديار المصرية منتشـر؛ بحيث يموت في كل يوم زيادة على ألف إنسان، قاله ابن كثير، [(١)] وكذا المقريزي.

⊙ **قال السخاوي**: وهذا مما يستدرك به على شيخنا ابن حجر حيث أهمله فيما أرخه من الطواعين في كتابه "بذل الماعون في أخبار الطاعون" مع كونه ترجم غير واحد من أهل هذه السنة بأنه مات بالطاعون.

⊙ اسـتهلت سـنة (٧٧١هـ) **والطاعون في الشام مع الغلاء**، بدمشـق وما حولها، ثم ظهر في بعض الأماكن طاعون يسمى الخطاف؛ يخطف الرجل والمرأة في يوم أو يومين، وتكاثر الموت، وانحلت الأسعار في آخر السنة.

⊙ في جمادى الأولى سـنة (٧٧٢هـ) ظهرت في بعض لياليه حمرة عظيمة في السماء كأنها الجمر، ثم صارت في خلل النجوم كالعمد البيض، حتى سـد الأفق، وخفي بسـببه ضوء القمـر، فتباكى النـاس وتصارخوا، وصعـد المؤذنون إلـى المآذن، فذكـروا وقرأوا الآيـات، وتزايد ضجيج النـاس بالبكاء والدعاء والاسـتغفار في دمشق وحمص وحماة وحلب والقدس وغيرها.

❁ ❁ ❁

(١) وهذا يدل على استمرار الحافظ ابن كثير في كتابة تاريخه إلى هذه السنة وما بعدها كما سيأتي من النقول عنه.

من أخبار الحج

- سنة (٧٧٠هـ) حجت **خوند بركة** أم السلطان **الأشرف شعبان**، وفي خدمتها من مقدم الألوف بشتاك العمري، وبهادل الجمالي الاستادار، ومائة مملوك، ومعها كوسات وعصائب، وعِدة جِمال، تحمل الخضر المزدرعة، ونحوها مماهو شعار الملوك.

- في رابع عشر المحرم سنة (٧٧١هـ) برز السلطان الأشرف شعبان إلى بِرْكة الحاج، لتلقي أمه، وكان قدومها في سادس عشر المحرم (٧٧١هـ) ثم رجع إلى القلعة، وتأخر بمكة أمير الحاج علاء الدين علي بن كلفت، لعمارة منارة باب الحزْورة.

مشاهير من توفي من الأعيان

١-الإمام العلامة الزاهد شيخ وقته **العفيف أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي** اليمني المكي الشافعي، مصنف روض الرياحين وغيره، في الفقه والحديث والتصوف والعربية، توفي في جمادى الآخرة سنة (٧٦٨هـ) بمكة ودفن بالمعلا، تنسب له كرامات وكشوف.

٢- **القاضي الإمام محمد ابن قاضي القضاة الشمس محمد بن عيسى البعلي**، عرف بابن المجد، أفتى ودرس وحدث، وولي قضاء طرابلس وحمص وبعلبك، وكان عالمًا مناظرا متكلما في المجالس والمحافل، غير محمود السيرة، وتوفي في ذي الحجة سنة (٧٦٨هـ).

٣- **القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد الدمشقي الحنفي**، صاحب المنظومة التي ضمنها غرائب المسائل من مذهبه، وهي نظم جيد، وولى قضاء حماة وشكرت سيرته، وكانت وفاته بذي الحجة سنة (٧٦٨هـ).

٤-**أقبغاالأحمدي الجلب**، أحد خواص يلبغا، ثم كان ممن اتفق مع قتلته، واستقر بعده أتابكا، ثم وقع بينه وبين أسندمر، وآل أمره إلى أن مات في سجن الإسكندرية في ذي القعدة سنة (٧٦٨هـ).

٥-**أسندمر اليحياوي أخو يلبغا اليحياوي**، مات في ذي الحجة سنة (٧٦٨هـ) بطرابلس، وكان قدمها نائبا في الشهر الذي قبله، وشاع أن ولده قتله، وكان قد ولي نيابة الشام وقتًا، ثم صفد.

٦-العلامة النحوي البهاء أبو محمد **عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شارح الألفية** والتسهيل، بل وصنف في التفسير والفقه، وولي قضاء الشافعية بالديار المصرية، وأثنى عليه الأئمة.

وقال فيه **ابن كثير**: [١] أحد علماء الشافعية والعربية بمصر، ذو التصانيف الكثيرة المفيدة، وكانت فيه رياسة وحشمة، وتجمل، وله جوامك كثيرة، وتوسع في الملابس والمآكل.

وحج وكان بمكة في هيئته ونفقاته وأزيد.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ربيع الأول سنة (٧٦٩هـ) بالقاهرة.

٧- **العلامة أبو بكر محمد بن الكمال أحمد البكري الوائلي الشافعي**، مدرس البدرائية وغيرها، ومختصر الروضة، ومفرد زوائد الحاوي على المنهاج، وشارح المنهاج، وذو النظم الحسن، ولي قضاء حمص، وناب بدمشق مع حسن المحاضرة، ودماثة الأخلاق، **ويقال**: إن ابن تيمية حضر درسه وفضله على أبيه، مع صغر سنه إذ ذاك، وتوفي بدمشق في شهر شوال سنة (٧٦٩هـ).

٨- **قاضي القضاة بالديار المصرية أبو عبد الله بن علاء علي** بن عثمان المارديني الحنفي، ويعرف بابن التركماني، مدرس التفسير والحديث فضلا عن الفقه وغيره، وكان محسنا لطائفته، مقدما عند الملوك، عارفا بالأحكام، لين الجانب، شديدا على المفسدين، سادا لأبواب الرِّيَب؛ بحيث امتنع من استبدال الأوقاف، توفي بالطاعون في شعبان سنة (٧٦٩هـ).

٩- **العلامة البدر أبو البقاء محمد ابن التقي** الطرابلسي الحنفي **الشبلي**، نسبة إلى المدرسة الشبلية، لكون أبيه كان قيما عليها، مصنف كتاب: "آكام المرجان في أحكام الجان" وكان حسن المحاضرة ذا نظم ونثر وفنون، توفي في طرابلس في شهر صفر سنة (٧٦٩هـ).

١٠- **أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون اليعمري الأندلسي** المالكي، نزيل طيبة، حج زيادة على أربعين حجة، ومات في رجب سنة (٧٦٩هـ)، عن ست وسبعين سنة.

---

(١) نقل السخاوي هذا غير موجود في نسخ ابن كثير التي طبع عليها الكتاب، مما يدل على أنه كان ينقل من ذيل البداية والنهاية الذي وضعه ابن كثير نفسه، ويبدو أن الذيل كان يتداول وحده، ولذا فقد ولم يوجد مع الأصل.

١١-**أبو المحاسن يوسف بن محمد المقدسي المرداوي**، قاضي الحنابلة بدمشق، وكان ابن مفلح من أعيان تلامذته وزوج ابنته، وله مصنف في أحاديث الأحكام، ومحاسنه كثيرة في النزاهة والعفة والعبادة، وحسن الفهم وجودة الإدراك، توفي في ربيع الأول سنة (٧٦٩هـ).

١٢- **العز أبو يعلى حمزة بن موسى الدمشقي**، ابن شيخ السلامية، شارح أحكام المنتقى للمجد ابن تيمية، ولم يكمله. وله عناية بنصوص الإمام أحمد وفتاوى ابن تيمية، وكان يوالي فيه ويعادي، وعين للقضاء غير مرة، وتوفي في أواخر ذي الحجة سنة (٧٦٩هـ).

١٣- **العلامة البدر محمد ابن الجمال البكري الدمشقي الشافعي**، ويعرف بابن الشريشي، درس وأفتى، وكان آية في الحفظ، بحيث حفظ الكفاية لابن الرفعة، وجميع الفائق للزمخشري، والمنتهى، وغريب أبي عبيد، وغير ذلك، مع الديانة والصيانة، وعدم الاختلاط بالناس، توفي بدمشق في ربيع الآخر سنة (٧٧٠هـ)، عن ست وأربعين سنة.

١٤- **الجمال أبو المحاسن محمود بن أحمد القونوي الحنفي**، مختصر شرح الهداية، وشرح المغني، والعمدة، ومسند أبي حنيفة، وكان رأساً في مذهبه، وقوراً، ساكنا يرتل عبارة، توفي بدمشق في سلخ ذي الحجة سنة (٧٧٠هـ). وقد ناف على السبعين.

١٥-**القاضي بدر الدين الحسن بن قاضي القضاة محمد** بن قاضي القضاة التقي سليمان المقدسي الصالحي الحنبلي، ناب في الحكم ودرس في الفقه والحديث بدار الحديث الأشرفية وفي غيرها. وأثنى عليه **ابن كثير** وغيره، توفي في ربيع الأول سنة (٧٧٠هـ).

١٦- **القاضي صلاح الدين محمد بن محمد بن المنجّى** الدمشقي الحنبلي، درس بالمسمارية، والصدرية، وناب في الحكم وبرز، فحكم بإسلام تاج الدين السبكي، ورفع التعزيز عنه، فأنبه السراج البلقيني، ونسب إلى الافتئات على مستنيبه؛ حيث سبق أن حكم بالتوقف، واعتذر بعدم العلم بذلك، ولازالوا به حتى اعترف بخطأ ما

حكم به، وكتب خطه بذلك، وأشـهد عليه، فحكم السـراج البلقيني ببطلان ماحكم به، ثـم عزله عـن نظر الصدقات، كمـا عزله قاضيه عـن نيابته، فلا حول ولا قـوة إلا بالله، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة (٧٧٠هـ).

١٧-**قاضي القضاة شـرف الدين أبو العباس أحمد المقدسي** الحنبلي، ويعرف بابن شيخ الجبل، كان عالمـًا ذا يد في علوم متعددة، ومصنفات عديدة، وممن درس بأماكن، ولم تحمد سيرته في القضاء كما قاله **ابن كثير**، بل شمت به عدوه ولم يفرح به صديقه، وخلـف مالاً جمـًا، وكتبـًا وأملاكـًا وغيرها، توفي في رجب سـنة (٧٧١هـ)، وقد قارب الثمانين.

١٨-**قاضـي القضاة المالكـي جمال الدين محمـد** بن عبد الرحيم المسـلاتي، أقام بالشام نحو أربعين سنة ودرس فيها للمالكية بالجامع وغيره مدة طويلة. وبدار الحديث الظاهرية، وأفتى وكانت له فضائل، ويقترح أسئلة لا يقترحها غيره مع مودة إلى الناس.

توفي في ذي القعدة سنة (٧٧١هـ)، وقد قارب السبعين.

١٩-**قاضـي القضاة الشـافعية التاج أبو نصر عبد الوهاب** ابن شـيخ الإسـلام التقي علي السـبكي، صاحب التصانيف في الأصول والفـروع والحديث والتاريخ، وذو اليد الطولى في المناظرة، والبلاغة في النظم والنثر، توفي في سابع ذي الحجة سنة (٧٧١هـ)، عن ثمان وأربعين سـنة، بعد أن جرى عليه من المحن والشـدائد، مالم يجر على قاض قبلـه، **وقد رأيت محنته بخطـه في مجلد**، وحصل له من المناصب والوظائف بدمشـق ومصر مالم يجتمع لأحد قبله.

٢٠-**السري أبو الوليد إسماعيل بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي**، شارح التلقين، وقطعة من التسـهيل، درّس وأفتى، وولي قضاء حماة، فكان أول مالكي ولي القضاء بها، وكان محفوظه من القصائد والشواهد كثيراً جداً، وكان يستحضر سيرة ابن هشام.

بالـغ **ابن كثير** في الثنـاء عليه وكثرة عبادته، قال: ولم يكن فيه ما يعار به إلا اسـتنابته لولده مع سوء سيرته، توفي في ربيع الآخر سنة (٧٧١هـ).

٢١-**شهاب الدين أحمد بن علي ابن صبح**، تنقل في الولايات، وتقدم وناب بغزة، ثم بصفد، وبنى بها جامعًا، وعمل حجوبية دمشق، وكان صارمًا مهابًا، شجاعًا، عاقلاً، متواضعًا، محبباً إلى أهل الخير، مع بِرّ وصدقة، توفي في ربيع الآخر سنة (٧٧١هـ).

٢٢- **العلامة شيخ الشافعية الجمال عبد الرحمن بن حسن القرشي** الأموي الإسنوي، ثم القاهري، شارح المنهاجين ولم يكمله، وصاحب المهمات وغيرهما، والمدرس بالتفسير بجامع ابن طولون، والفقه في الفاضلية، وتورع عن تعاطي معلومها، وتخرج به خلق؛ بل صار أكثر علماء وقته من طلبته، وولي وكالة بيت المال، ثم الحسبة مكرهًا على ذلك، ثم صرف عنهما باختياره، كل ذلك مع لين الجانب، وكثرة الإحسان للطلبة، وملازمة الإقراء والتأليف.

وقد أفرد الزين العراقي ترجمته بالتصنيف، توفي في جمادى الأولى بالقاهرة سنة (٧٧٢هـ) ولم يكمل السبعين.

٢٣- **القاضي شهاب الدين أحمد العمري الحنفي**، أول حنفي ولي قضاء الاسكندرية، ويعرف بابن زُبَيبة، وكان كثير الحفظ للحكايات المضحكة، حلو النادرة، توفي سنة (٧٧٢هـ)، وقد قارب السبعين.

٢٥- **علي بن إسماعيل بن إبراهيم الفقيه المالكي**، أحد نوابهم في القضاء وموقّع الحكم؛ بل المقدم في عمل المناسخات، ويعرف بابن الظريف، توفي سنة (٧٧٢هـ).

٢٦-**الأمير علاء الدين أمير علي المارديني الناصري**، نائب السلطنة بالديار المصرية، وقد ولي نيابة دمشق مدة طويلة، ونيابة حلب يسيرا، وكان عادلاً عارفًا خبيراً بالأمور، محبا لأهل العلم، ذا سيرة حسنة، توفي بالمحرم سنة (٧٧٢هـ) عن بضع وستين سنة.

❁ ❁ ❁

إكمال عصر المماليك البحرية

(٧٧٣ـ ٧٨٤هـ)

من كتاب «إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر لابن حجر العسقلاني»

وقد **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على ذيل تاريخ الحافظ عماد الدين ابن كثير، فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على الوفيات، التي جمعها الحافظ تقي الدين ابن رافع، فإنها انتهت أيضاً إلى أوائل هذه السنة».[1]

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (١/ ٥).

❍ أحوال البلاد الإسلامية في سنة (٧٧٣هـ)

استهلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة:

- والخليفة **المتوكل** على الله **محمد بن المعتضد** أبو بكر بن المستكفي بن الحاكم العباسي.
- وسلطان الديار المصرية **الأشرف شعبان** بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون.
- ومدبر المملكة **منكلي بغا**، والدوادار الكبير طشتمر.
- ونائبه **بدمشق** منجك.
- ونائبه **بحلب** سَيْفُ الدِّينِ أَقْتَمُرُ، ثم نقل عن قريب لطرابلس واستقر أيدمر.
- وصاحب **مكة** عجلان بن رميثة الحسنى.
- وصاحب **المدينة** عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني.
- وصاحب البلاد **اليمنية** الأفضل عباس بن المجاهد علي ابن المؤيد ابن رسول.
- وصاحب **ماردين** الملك المظفر داود بن الصالح محمود بن المغان.
- وصاحب **حصن كيفا** الملك الصالح أبو بكر بن العادل غازي بن العادل.
- وصاحب **الروم** مراد بك بن عثمان التركماني.
- وصاحب **العراق** أويس بن الشيخ حسين بن آقبغاء، ونائبه على تبريز ولده السلطان حسين.
- وصاحب **أرزن الروم** القاهر علي بن المنصور جلال الدين ابن عماد الدين السلجوقي.
- وصاحب خراسان وبلاد العجم والشرق **تيمور** الملقب باللنك، وقد عاث فيها بالنهب والتخريب.
- وصاحب **فاس** أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني.

- وصاحب **الأندلس** ابن الأحمر.
- وصاحب **تلمسان** الحفصى.
- والقضاة **بمصر**؛ الشافعي البهاء أبو البقاء، والحنفي السراج الهندي، والمالكي البرهان الأخنائي، والحنبلي نصر الله.
- وكاتب السر البدر بن فضل الله.
- والوزير فخر الدين بن التاج موسى بن أبي شاكر.
- وقضاة **دمشق**؛ الشافعي الكمال العزى، والحنفي نجم الدين بن العز، والمالكي الزين بن الماروني، والحنبلي علاء الدين العسقلاني.

قتل مديم ترك الصلاة

في سنة (٧٧٣هـ) قُتِلَ **بعادة القبطى** مشرف المواريث الحشرية، ادعى عليه بأشياء منها أنه يديم ترك الصلاة، فحكم بعض المالكية بقتله، فقتل وطيف برأسه، وكان الرهوني قد تعصب له وأفتى بحقن دمه، فلم يقبل منه، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار:

أضحى بعادة يخفي — كفراً ويبدي عناده
ولو تشهد قالوا — والله ماذا بعاده

أمر السلطان الأشرف بتمييز الأشراف في اللباس

في سنة (٧٧٣هـ) أمر السلطان الأشراف أن يمتاز الأشراف عن الناس بعصائب خضر على العمائم، ففعل ذلك في مصر والشام وغيرهما.

وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب.

جعلوا لأبناء الرسول علامة — إن العلامة شأن من لم يشهر.
نور النبوة في كريم وجوههم — يغني الشريف عن الطراز الأخضر.

○ ألبسة الأمراء في عهد الملك الأشرف

في سنة (٧٧٣هـ) استجد الملك الأشرف عند طلوعه من **سرحة الأهرام** أن يلبس الأمراء الكبار أقبية حرير بسمور وأطرزة مزركشة عراض ومن دونهم بأقبية حرير بقاقم ومن دونهم بسنجاب والجميع بأطرزة متفاوتة، وألحق مقدم المماليك وهو يومئذ سابق الدين مثقال بكبار الخاصكية في ذلك وهو أول من وقع له ذلك من مقدمي المماليك.

○ هدايا نائب الشام إلى السلطان شعبان

- في أول يوم من جمادى الآخرة سنة (٧٧٣هـ) وصل **قود**[(١)] نائب الشام منجك؛ يشتمل على شيء كثير جداً حتى اتفق أهل المعرفة أنه لم يتقدمه بمثل ذلك نائب، ومن جملة ما كان فيه **أسدان، وضبع، وإبل**، ونحو الخمسين من **الكلاب المعلمة**، ونحو الخمسين من **البخاتي** بلبوسها، وخمسة من البخاتي كل منها بسنامين، ونحو الأربعين حملاً؛ يشتمل على قماش وحلوى، وفاكهة، ونحو الأربعين هجيناً، إلى غير ذلك.
- وفي سنة (٧٧٤هـ) وصل قود منجك نائب الشام، وكان شيئًا كثيراً إلى الغاية؛ وفيه سباع، وضبع، وأيل، وغير ذلك.

○ كيف كان ظهور تيمورلنك

في سنة (٧٧٣هـ) ملك **تيمورلنك** (ومعناه بالعربية حديد) بن ترغاي بن الغاي المغلي، وأصله من **كش** مدينة مشهورة، مما وراء النهر، بينها وبين سمرقند يوم واحد.

ويقال: إن أمه أو جدته من ذرية جنكز خان، ومولده: سنة (٧٢٨هـ)، وكان أبوه من الفلاحين، ونشأ خاملاً إلا أنه كان قوي القلب، شديد البطش ذكيًا فطنًا مطبوعًا على الشر، ولما بلغ أشده وترعرع سرق شاة، فرماه الراعي بسهم، فأصاب رجله فعرج منه، فمن حينئذ قيل له اللنك، ثم انضمت إليه طائفة فصار يقطع الطريق.

---

(١) القَوَد: ما يبعث به قبائل العرب إلى السلطان من الهدايا من الخيل والإبل والحيوانات العزيزة. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ١٢٦).

وكان قد اشتهر **بمعرفة الخيل** فطلبه صاحب خيل السلطان **حسين من ذرية جنكزخان** بسمرقند، فقرره في خدمته فحظي عنده، فاتفق أنه مات صاحب خيل السلطان، فقرره السلطان مكانه، فاستمر اللنك في خدمته إلى أن بدا منه إجرام على نفسه، فهرب وانضم إليه جمع، وعاد إلى قطع الطريق، فاهتم السلطان بأمره، وجهز إليه جيشاً فظفروا به، فلما أحضروه استوهبه بعض أقارب السلطان، فاستنابه وأقره في خدمته رغبة في شهامته.

ثم إنه خرج خارج بسجستان، فجهز إليه السلطان عسكرا، رأسهم اللنك، فأوقعوا به، واستولى اللنك منه على مال كثير، فقسمه بين العسكر الذين صحبته واستنواهم في الاستبداد بتلك البلد، وما حولها فأطاعوه، **وعصوا على السلطان.**

فاتفق في تلك الأيام موت السلطان حسين، وقام بعده ولده **غياث الدين** في المملكة، **فجهز إلى اللنك عسكراً كثيفاً**، فلم يكن له بهم طاقة، ففر منهم...

واتفق في تلك الأيام خروج طائفة من المغل على تمر خان **صاحب هراة،** فجمع لهم والتقوا فهزموه فبلغ ذلك اللنك، فسار إليهم وصاروا على كلمة واحدة.

فتوجه صاحب هراة إلى بلخ، وتوجه اللنك بمن معه إلى **سمرقند** فنازلها، فصالحه النائب بها، واسمه **علي شير** على أن تكون المملكة بينهما نصفين، فأقره بسمرقند، ثم لما استقرت قدمه فيها خطب **بنت ملك المغل** وهو **تمرخان** فزوجها له، وزادوا في اسمه كوركان، فلذلك كان يكتب عنه تيمور كوركان. ومعناه الصهر.

ثم توجه بعساكره إلى خوارزم وجرجان فصالحوه على مال ثم قصد هراة فنزل إليه ولد ملكها غياث الدين بالأمان، واستولى عليها، ثم قصد سجستان فخربها.

ولما استولى على هذه الممالك مع سعته وشدة فتكه بأهلها، توارد أمراء النواحي على الدخول في طاعته والوفادة عليه، ومنهم خجا علي بن مؤيد **بطوس**، وأمير محمد **بباورد**، وأمير حسين **بسرخس**، فأقرهم نواباً في ممالكهم.

وكان من جملة من راسله **شاه شجاع** صاحب شيراز وعراق العجم فبذل له الطاعة وسأله المصاهرة فزوج ابنته بابن اللنك، وهاداه وهادنه.

وإنما جمعت هذه الأخبار مع أنها لم تكن في سنة واحدة ليسهل معرفتها على من أراد أن يعرف **أولية اللنك**.

وفي سنة (٧٧٤هـ) راسل (تيمور لنك)، **شاه ولي صاحب مازندران** [١] يستدعيه إلى حضرته فأرسل إليه جماعة من أكابر مملكته، منهم إسكندر الجلالي، **فأكرمهم اللنك**.

وراسل شاه ولي، ملوك العراق بطلب نصرته على اللنك، ثم مالبث أن رحل اللنك بعساكره طالبًا مازندران فنازلها، فلم يثبت شاه ولي في الكفاية، فانهزم إلى الري، وكان بها أمير من جهته يقال له «محمد جوكان» فغدر به وقبض عليه، وأرسله إلى اللنك متقربًا إليه به، فأمر بقتله، ودخل «محمد جوكان» في طاعة اللنك، وغلب اللنك على تلك البلاد كلها.

○ تولية أشقتمر نيابة حلب

في سنة (٧٧٤هـ) ولي **أشقْتمِر** المارديني نيابة حلب بعد أيدمر المتوفي في العام الماضي.

○ الشدة والظلم في أخذ الجبايات

في سنة (٧٧٤هـ) أرسل **الجاي اليوسفي** أخاه طغيتمر الحنسي إلى دمشق؛ لعرض الأجناد بها، فحصل أموالاً عظيمة، حتى قيل: إن الذي خصه خمسون ألف دينار، وأخذ من ذخائر القلعة أشياء نفيسة، **وبالغ في الظلم**، فاستغاث الناس إلى منجك نائب الشام فكاتب فيه، ثم توجه المذكور إلى جهة حلب ففعل في بقية البلاد أشد مما فعل بدمشق، ولولا تلطف النائب وناظر الجيش بالناس لهلكوا معه.

---

(١) مازندران: بعد الزاي نون ساكنة، ودال مهملة وراء، وآخره نون، **اسم لولاية طبرستان**، وما أظن هذا إلا اسما محدثا لها؛ فإني لم أره مذكورا في كتب الأوائل. معجم البلدان - الفكر (٥/ ٤١)

○ التنافس على نقابة الأشراف

في سنة (٧٧٤هـ) عُزل **الشريف فخر الدين** من نقابة الأشراف؛ بسبب ما أنهاه الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتشى ممن ليس بشريف، فيلبسه العلامة الخضراء، فعقد له مجلس وعرض الجماعة وحصل للجماعة التعصب، وعزل الشريف، وقُرّر الشريف عاصمٌ نقيباً في تاسع شوال، فباشرها إلى العشرين من ذي الحجة، ثم أعيد فخر الدين.

○ الاختلاف في تعدد الجمع في بلدة واحدة

في سنة (٧٧٤هـ) عقد **الجاي اليوسفي** مجلساً بالعلماء في إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقيني، وابن الصائغ، وآخر بالجواز، وخالفهم الباقون، فانفصل المجلس على ما قاله الجمهور، **وصنف البلقيني كتاباً في الجواز**، وصنف شيخنا الحافظ **العراقي كتاباً في المنع**.

وقد سبق بالتصنيف في المنع **تقى الدين السبكي** فجمع فيه عدة تواليف صغار، ووقفت على أربعة منها، ووقفت بعد ذلك على جزء جمعه القاضي برهان الدين **بن جماعة** في المنع.

○ قتل ابن سويدات

في سنة (٧٧٤هـ) ضربت عنق **ابن سويدات** بسبب أمور تنافي الشريعة، فحكم البرهان الإخنائي بسفك دمه، وكان من أهل الحسينية ظاهر القاهرة.

○ حادثة غريبة

في سنة (٧٧٤هـ) قدم بعض **الشيوخ الزواكرة** إلى **دمشق** ومعه تمر، ومرسوم أن يباع ما معه من التمر، كل تمرة بدرهم، فشق ذلك على الباعة، وأكثروا الشناعة، ذكر ذلك ابن كثير[١].

(١) هذا يدل على استمرار ابن كثير في كتابة تاريخه إلى هذه السنة (٧٧٤هـ)، وهي سنة وفاته.

○ مقتل الجاي اليوسفي

في سنة (٧٧٥هـ) في المحرم قتل **الجاي اليوسفي**، وكان قدتنافر هو والسلطان الأشرف بسبب منازعة وقعت بينهما في تركة والدة السلطان، فركب الجاي واقتتل مع مماليك السلطان بسوق الخيل فكسروه، فانهزم إلى بركة الحبش ثم رجع من وراء الجبل الأحمر إلى قبة النصر، فهرب جماعة من أصحابه إلى السلطان وخامر **اينبك** عليه، ثم ثار له العسكر السلطاني فهرب فساقوا خلفه إلى الخرقانية من أعمال **قليوب**، فرمى بنفسه في بحر النيل **فغرق**، ثم اطلع من بحر النيل، ودفن في تربته، وكان أول أمره حاجباً في دولة يلبغا، ثم استقر **خزندارا**، ثم حبس في أيام **أسندمر**، ثم أفرج عنه بعد قتل أسندمر، واستقر أمير سلاح، **وتزوج أم السلطان**، وعلت كلمته إلى أن صار هو الحاكم في الدولة كلها، وكان تام الشكل، حسن التودد إلى العوام، مع هوج فيه، وذكر بعض خواصه أنه كان يتصدق في كل يوم اثنين وخميس بألف درهم دائماً،

○ ولاية منجك نيابة مصر

في شهر رمضان في سنة (٧٧٥هـ) حضر **منجك** نائب الشام إلى مصر، فاستقر نائب السلطنة بها، وفوضت إليه جميع أمور المملكة من الكلام في الوزارة والخاص والأوقاف والأحباس، وإخراج الأقطاع إلى ستمائة دينار والعزل والولاية لأرباب المناصب بما يقتضيه رأيه، وقرئ تقليده بذلك، وكان النائب قبله اقتمر عبد الغني فنفي إلى الشام في جمادى الأولى.

○ تعيين عدد من الولاة

في جمادى الآخرة سنة (٧٧٥هـ) استقر **بيدمر الخوارزمي** في نيابة السلطنة **بحلب**، ثم نقل عنها إلى نيابة دمشق في شهر رمضان، وأعيد **اشقتمر المارديني** إلى حلب، ونقل منجك إلى **القاهرة**، وكان دخول منجك إلى القاهرة في ذي القعدة، وخرج جميع العساكر لملتقاه، ولم يتأخر عنه إلا السلطان.

واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن فضل الله **كاتب السر** بدمشق عوضًا عن فتح الدين بن الشهيد.

وفيها وصل **حيار بن مهنا** أمير آل فضل إلى باب السلطان طائعًا، فخلع عليه واستقر في إمرة العرب.

○ من غرائب الحوادث

- في سنة (٧٧٥هـ) لازم شخص من العوام الصياح تحت القلعة: اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم، فأخذ وضرب بالمقارع وشهر.
- وفي سنة (٧٧٥هـ) كائنة جمعة البواب، وذلك أنه كان مقيمًا بتربة خارج باب النصر، وكان هو وامرأته يأخذان الأطفال اغتيالاً فيخنقانهم لأجل أثوابهم، فقبض عليهما فاعترفا فقتلا شنقًا.
- وفي سنة (٧٧٦هـ) حضر إلى الطاعة **أحمد بن يغمر التركماني**، أحد الشجعان وكان يقطع الطريق على تجار العراق، فطلبه السلطان الأشرف شعبان فهرب، فشدد عليه الطلب، فاستشفع بأم سالم الدوكاري التركماني، فحضرت صحبته إلى القاهرة وشفعت فيه عند السلطان فقبلها، وأقطعه أقطاعًا بمصر وأمره بالإقامة بها.
- وفي سنة (٧٧٦هـ) أحضر عيسى بن مانجك والى الأشمونين، وكان يسكن عند جامع آل ملك بالحسينية إلى الأمير منجك **بنتًا له عمرها خمس عشرة سنة**، فذكر أنها لم تزل بنتًا إلى هذه الغاية فانسد الفرج فظهر لها ذكر وانثيان واحتلمت، فشاهدوها وأمر بإلباسها لبس الرجال وسماها محمداً، وأمرها بلزوم خدمته وأقطعها أقطاعًا، وشاهدها جماعة من أصحابنا. رأيت بخط ابن دقماق: رأيته غير مرة وتكلمت معه. **وقصتها شبيهة بالقصة** التي ذكرها ابن كثير في أواخر

ذيل تاريخه[١] من وقوع نحو ذلك بدمشق[٢]، وأنه كلمها بعد أن صار رجلاً، ووجد في كلامها أنوثة ووفور الحياء الذي طبع عليه النساء باق.

قال ابن حجر: ووقع في عصرنا نظير ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثماني مائة.

⊙ وفي شعبان سنة (٧٧٧هـ) اتفقت **كائنة عجيبة** بدمشق، وهو أن بعض **الأشراف** كان ببرزة فوقع بينه **وبين خطيب الجامع مخاصمة**، فتوجه الشريف إلى الحاجب، واستدعى على الخطيب بأنه سبه وأخذ معه جندارية، فتوجه لإحضاره وأخذوا الخطيب وشددوا عليه وساروا به، والشريف يستطيل عليه، فاتفق أنه وقع ميتًا فجأة، فكتبوا بذلك محضرا، وأحضروه إلى الحاجب، فأطلق الخطيب، وكان في ذلك عبرة عظيمة.

⊙ قال **ابن حجي**: رئي هلال شوال سنة (٧٧٨هـ) بجميع بلاد الشام حتى السواحل ليلة الثلاثاء إلا **دمشق** فلم ير بها لغيم حال دونه فعيّدوا يوم الأربعاء.

⊙ وفي سنة (٧٨٢هـ) أمسك على امرأة تزوجت برجلين شرطت لأحدهما الليل، وللآخر النهار بحيلة احتالت بها عليهما، فاطلع عليها فجرست.

❍ قراءة صحيح البخاري بحضرة السلطان

⊙ في سنة (٧٧٥هـ) **ابتدأت قراءة البخاري** في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان، ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئًا، ثم أشرك معه شهاب الدين أحمد بن علي العرياني يومًا بيوم.

⊙ وفي سنة (٧٧٦هـ) لما قرأ البخاري أمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا، فحضر جماعة من الأكابر.

(١) انظر: البداية والنهاية ط هجر (١٨/ ٥٥٦).
(٢) المذكور في كتاب البداية والنهاية (بعلبك) بدل دمشق.

○ ارتفاع الأسعار ووقوع المجاعة

في سنة (٧٧٦هـ) طلع النيل على عادته وأوفى، في ربيع الأول رابع عشر مسرى [(١)]، واستهلت والغلاء قد تزايد جداً إلى أن بلغ الأردب بمائة وعشرة، ثم بلغ في شعبان مائة وخمسة وعشرين، وقيمتها بالذهب إذ ذاك خمسة مثاقيل وربع، وبيع إذ ذاك دجاجة واحدة بأربعة دراهم، وصار أكثر الناس لا يقدر إلا على النخالة، **وأكل الفقراء السلق والطين، وكادت الدواب أن تعدم لكثرة الموت بها، وأكلوا الميتات.**

وأمر السلطان الأشرف شعبان بتفرقة الفقراء على الأغنياء، فكان على الأمير المقدم على الألف مائة فقير، وعلى كل أمير بعدد مماليكه ونحو ذلك، وعلى الدواوين كل واحد بحسبه، وعلى التجار كذلك، ونودي في البلد بأن من سأل في الأسواق صلب، ومن تصدق عليه ضرب.

وفي عقب هذا الغلاء وزيادة النيل، **وقع الفناء**، فتزايد في الفقراء لا سيما لما دخل البرد، وزاد ذلك إلى أن بلغ في اليوم نحو خمسمائة، ثم بلغوا إلى نحو الألف، وتصدى الأمير ناصر الدين بن آقبغا آص، والأمير سودون الشيخوني؛ لدفن الطرحاء من أموالهما. وبلغ ثمن الفروج خمسة وأربعين، والسفرجلة خمسين، والرمانة عشرة، والبطخية سبعين، ثم ارتفع الفناء وتراجع السعر إلى أن بيع القمح في ذي القعدة سنة (٧٧٦هـ) سعر سبعين وفي آخرها إلى عشرين.

○ موت السلطان أويس صاحب تبريز وبغداد

في سنة (٧٧٦هـ) مات السلطان أويس **صاحب تبريز وبغداد**، استقر بعده في السلطنة ولده حسين، وكان له حسن وحسين وأحمد وعلي وغيرهم، **وأكبرهم** حسن، فقتله الأمراء خشية منه، وسلطنوا حسيناً لضعفه، فتشاغل باللهو واللعب، وصار يخطف النساء من الأعراس وغيرها، فقتلوه أيضاً وسلطنوا أحمد، فجاء أخوهم **شيخ علي**

(١) مسرى: هو الشهر الثاني عشر من شهور القبطية، ويوافقه شهر أغسطس الميلادي).

منكراً قتل أخيه حسن، فاجتمع لكل جماعة من الأمراء، فوقعت بينهم مقتلة بناحية أربل، فقتل شيخ علي في المعركة.

○ فتح سيس على يد أشتقتمر

في سنة (٧٧٦هـ) فتحت **سيس** على يد اشقتمر الماrديني نائب حلب، وكانت في يد الأرمن النصارى، وقد تجهز إليها بعسكر حلب، فنازلها شهرين إلى أن قلت عندهم الأقوات، فنصب عليها المجانيق وقدم في القتال التركمان من جميع الأصناف، وكان الذي نصب المنجنيق يقال له: **المعلم خليل الغساني**، وهو ممن اشتهر بالمعرفة فيه؛ فأبلى فيهم؛ فلما أحسوا بالبوار طلب صاحبها تكفور الأمان، وسلم القلعة، فعلت كلمة أهل التوحيد بتلك البقعة بعد دهر طويل

وجهز اشقتمر صاحب سيس وجنده إلى القاهرة، ودقت البشائر بسبب ذلك، ومدح الشعراء اشقتمر، فأكثروا؛ فمن ذلك قول أبي بكر بن زين الدين بن الوردي:

يا سيد الأمراء فتحك سيسا ... سر المسيح وأحزن القسيسا
وبك الإله أعز دين محمد ... وأذل قوماً تابعوا إبليسا
لله درك من مليك حازم ... ضحك الزمان به وكان عبوساً

وهي طويلة.

وفوض السلطان الأشرف شعبان **نيابة سيس** ليعقوب شاه، وهو **أول** من حكم فيها من ملوك **الترك**، ثم استقر عوضه في هذه السنة آقبغا عبد الله، واستقر نجم الدين بن الشهيد كاتب السر بها.

ثم جعلت مملكة برأسها وسميت: **الفتوحات الجاهانية**، وأضيفت إليها طرسوس، وأذنة وإياس، وغيرها، واستقر في إمرتها شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى وسكن فيها.

○ قضية الشيخ العامي محمد المقارعي

في سنة (٧٧٦هـ) كائنة الشيخ محمد المقارعي، كان عامياً يقول الشعر، ويدعى العرفان، ويجتمع إليه العوام بدمشق، فيتكلم بكلمات فظيعة، فثار عليه جماعة من الحنابلة، وادعى عليه عند صدر الدين بن العز قاضي الحنفية **بدمشق** بأشياء قبيحة، تشتمل على الاتحاد والطعن في القرآن، والشريعة، وإنكار البعث، وشهد عليه ببعضها فسجن، ثم سعى بعض من تعصب له، فنقل إلى القاضي أبي البقاء، وجددت عليه الدعوى، **فأجاب بأنه أشعري**، وأن **من شهد عليه حنبلي**، وأنهم تعصبوا عليه، وأحضروا كتاباً زعموا أنه من تأليفه وأنه يشتمل على زندقة، فتأمله القاضي، فذكر أنه ليس فيه شيء من ذلك ورده إلى السجن، ثم أخرج في المحرم سنة (٧٧٧هـ)، وجددت عليه الدعوى وشهد بعض الشهود، **ثم آل الأمر إلى أن حقن دمه وأطلق**.

○ ختان أبناء السلطان والإسراف في ذلك

في المحرم سنة (٧٧٧هـ) طهر السلطان الأشرف شعبان ولديه (أمير علي، وأمير حاجي) وعمل لهم **حفلاً** عظيماً، أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى، وظهرت فيه من الفواحش والقبائح ما لا مزيد عليه، واستمر ذلك سبعة أيام.

○ تولية آقتمر الحنبلي نيابة السلطنة بالقاهرة

في سنة (٧٧٧هـ) استقر آقتمر الحنبلي في نيابة السلطنة بالقاهرة بعد منجك.

○ تولية حيدر على نيابة سنجار

في سنة (٧٧٧هـ) تسلم نواب السلطان الأشرف شعبان **بلدة سنجار** من صاحبها الذي أحضر إلى القاهرة، **واستناب السلطان بها حيدر بن يونس** المعروف بابن العسكري.

○ هدايا صاحب اصطنبول للسلطان الأشرف

في سنة (٧٧٧هـ) وصلت هدايا صاحب اصطنبول من الروم، وفي جملة الهدية صندوق فيه شخوص لها حركات كلما مضت ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بأنواع الملاهي، وكلما مضت درجة سقطت بندقة.

○ التنافس على بلدة الموصل

في سنة (٧٧٧هـ) استولى الأمير **بيرما** التركماني على الموصل وكان صاحبها **بيرم خجا** قد وقع بينه وبين التركماني ببروان فكسروه، فلما بلغه استيلاء بيرما على الموصل استنجد بالصالح صاحب الحصن والمظفر صاحب ماردين، فأنجداه بعسكرين فحاصر الموصل، وانسلخت السنة وهم على ذلك.

○ إبطال السلطان ضمان المغاني والقراريط بعد احتجاج العلماء

في سنة (٧٧٨هـ) مرض السلطان الأشرف شعبان ثم تعافى ثم انتكس ثم تعافى، وفي أثناء ذلك كان **ابن آقبغا آص** تكلم في إعادة ضمان المغاني، فبلغ ذلك **برهان الدين بن جماعة** فغضب، وامتنع من الحكم، وتكلم الشيخ سراج الدين البلقيني وغيره مع السلطان في ذلك فأنكره السلطان وأمر بإبطال ذلك من مصر والشام.

وقبض بعد مدة يسيرة على **ابن آقبغا آص** ونفي إلى الشام، وصودر.

وكان **ضمان المغاني** من القبائح الشنيعة ما كان أحد يقدر يعمل عرساً حتى يغرم قدر عشرين إلى ثلاثين مثقالاً ذهباً، وكانوا بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها ولو إلى زيارة أهلها إلا أن أخذ الضامن منها رشوة، وأما بلاد الريف فكان للمغاني حارة مفردة يعمل فيها من الفساد جهراً ما يقبح ذكره.

ومن اجتاز بها غلطاً ألزم أن يزني بخاطئة، فإن لم يفعل فدى نفسه بشيء.

وأبطل الأشرف أيضاً **ضمان القراريط**، وكان مكساً يؤخذ من كل من باع داراً، ولو تكرر بيعها في الشهر الواحد مراراً لا بد أن يأخذ الضامن على ذلك مكساً معلوماً، ولا يستطيع أحد من الشهود أن يكتب خطه في مكتوب **بيع دار** حتى يرى الختم في المكتوب.

○ المؤامرة على السلطان الأشرف شعبان وقتله

في سنة (٧٧٨هـ) تجهز السلطان الملك **الأشرف شعبان** إلى الحج فأرسل أخوته وأولاد أعمامه جميعاً إلى الكرك، **فسجنوا بها**، وأرسل معهم **سودون الشيخوني** محتفظاً بهم.

وأرسل **آقتمر الحنبلي** إلى **الصعيد** في جماعة أمراء؛ لحفظ البلاد من العرب.

وأرسل عدة من الأمراء إلى سائر الثغور لحفظها أيضًا.

ثم خرج السلطان في تجمل زائد إلى الغاية للحج في الثاني والعشرين من شوال، فلما وصل **عقبة أيلة** في مستهل ذي القعدة **خامر عليه الأمراء الذين صحبته** وأكثر مماليكه، وكانوا طلبوا منه أن ينفق عليهم نفقة اخترعوها، فامتنع، فداروا على الأمراء، **فمن أجابهم ألزموه بالركوب معهم**، ومن امتنع تهددوه **بالقتل**، وركبوا بغتة فناوشهم الخاصكية (حراس السلطان) القتال إلى الليل، فلما بلغه ذلك هرب راجعًا إلى القاهرة.

وكان الذين خلفهم بالقلعة بمصر قد **تواعدوا مع الذين خامروا** عليه بالعقبة، **أنهم يسلطنون ولده عليًا**، وجاؤوا إلى **الزمام** (قائد العسكر) فأخبروه أن السلطان مات، وطلبوا منه أن يخرج لهم ولده عليًا، **فامتنع**، فهجموا عليه، وأمسكوه، **وأخرجوا الصبي قهراً** إلى الإيوان، **وأرسلوا إلى الأمراء الذين بالقاهرة**، فامتنعوا من الحضور.

وفي غضون ذلك وصل السلطان والأمراء الذين في صحبته، على الهجن، فكبسوا عليهم فقتلوهم، وهرب السلطان لما دهموه هو ويلبغا الناصري، ثم **استخفى السلطان** عند **آمنة بنت عبد الله**، امرأة ابن المستوفي المغنية، كان يعرفها قبل ذلك، فأخفته، ثم دلهم عليه بعض الناس، فكبسوا البيت فوجدوه فأمسكوه واطلعوه إلى القلعة.

فتولى **أينبك** تقريره على الذخائر، **وضربه تحت رجليه نحواً من سبعين ضربة بالعصي**، ثم خُنِق في خامس ذي القعدة حتى مات سنة (٧٧٨هـ)، ودفن بالقرب من الست نفيسة، ثم نقل إلى تربة أمه.

وكان **الأشرف** هينًا لينًا محبًا في أهل الخير والفقراء والصلحاء والعلماء، مذعنًا للأمور الشرعية، ملك أربع عشرة سنة وشهرين ونصفًا، وكانت الدنيا في زمانه طيبة آمنة.

❍ كوارث وأوبئة

⦿ في سنة (٧٧٣هـ) **زاد النيل زيادة** مفرطة وثبت إلى أيام من هاتور [١]، فاجتمع جماعة بالجامع الأزهر، وبجامع عمرو، وسألوا الله تعالى في هبوطه، وكرروا ذلك فهبط، وزرع الناس، وقال في ذلك شهاب الدين بن أبي حجلة مقامته المشهورة. [٢]

⦿ في سنة (٧٧٤هـ) **كان الوباء بدمشق** فدام قدر ستة أشهر، وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر.

⦿ وفيها في ربيع الأول الموافق لتشرين الأول **زادت الأنهار بدمشق** فسدت أبوابها فانكسر بعضها فانقلب على نهر بردى، فتلف بسبب ذلك شيء كثير وبطلت طواحين كثيرة وحمامات.

⦿ في سنة (٧٧٥هـ) **توقف النيل** عن الزيادة وأبطأ الوفاء إلى أن دخل توت أول السنة القبطية، **واستمر التوقف** إلى تاسع توت فاجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو بن العاص، واستسقوا، وكسر ذلك اليوم الخليج عن نقص أربعة أصابع من العادة، ثم توجهوا إلى الآثار وأخذوها إلى المقياس، فأقاموا من قبل العصر إلى آخر النهار، **يتوسلون إلى الله تعالى، ويبتهلون ويستسقون**، فلم يزدد الأمر إلا شدة، **ثم نودي بصيام ثلاثة أيام**، وخرجوا في ثالث ربيع الآخر إلى الصحراء مشاة، **وحضر غالب الأعيان، ومعظم العوام، وصبيان المكاتب، ونصب المنبر**، فخطب عليه شهاب الدين ابن القسطلاني، خطيب جامع عمرو، وصلى صلاة الاستسقاء، ودعا، وابتهل، وكشف رأسه، واستغاث الناس وتضرعوا، وكان يومًا مشهوداً.

---

(١) الشهر الثالث من الأشهر القبطية.

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن يحيي أبو حجلة التلمساني، له مقامات مشهورة، استقر بالقاهرة ومات سنة (٧٧٦هـ)، انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٧/ ٤٤٧).

- في سنة (٧٧٥هـ) كان **الغرق ببغداد،** زادت دجلة زيادة عظيمة وتهدمت دور كثيرة حتى قيل إن جملة ما تهدم من الدور ستون دار، وتلف للناس شيء كثير بسبب ذلك، ويقال إنه لم يبق من بغداد عامر إلا قدر الثلث، ودخل الماء الجامع الكبير والمدارس، وصارت السفن في الأزقة تنقل الناس من مكان إلى مكان ثم من تل إلى تل ثم يصل الماء إليهم فيغرقهم، وجرت في بغداد بسببه خطوب كثيرة، وخلا أكثر أهلها، ثم عاد من عاد فصار لا يعرف محلته فضلاً عن داره.

- في سنة (٧٧٦هـ) **كان الطاعون فاشيًا بدمشق** من رمضان من السنة الماضية، فتزايد في المحرم إلى أن بلغ خمسمائة، ثم تناقص بعد ذلك، ومات فيه جماعة من الأعيان، فذكر الشهاب بن حجي أن يعقوب الدلال بسوق الخيل أخبره أنه رأى الجن عيانًا على خيل كالجراد المنتشر بأيديهم رماح في بعض أزقة الصالحية وطاعنهم وطاعنوه، وصار يتحدث بذلك ويحلف، والناس ما بين مصدق ومكذب، فطعن هو ومات عن قرب، ورئي في بدنه أثر طعنات، قال: أخبرني بذلك من ولي غسله.

- في سنة (٧٧٧هـ) وقع الغلاء العظيم **بدمشق** فبلغت الغرارة خمسمائة بعد أن كانت في الرخص بخمسين، واستمرت الشدة حتى أكلوا الميتات.

- واستمر إلى آخر السنة فتناقص السعر، ووقع الغلاء بالقاهرة في اللحم خاصة، حتى بيع كل رطل بدرهم ونصف.

- **وكان الغلاء أيضًا في حلب** حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب، وباع كثير من المقلين أولادهم، وافتقر خلق كثير، ويقال: إن بعضهم أكل بعضًا حتى أكل بعضهم ولده.

ثم عقب بعد ذلك الوباء ففني خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في قبر بغير غسل ولا صلاة، ويقال: إنه **دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين،** لكن أشده كان في الأولى.

⦿ في سنة (٧٧٨هـ) غرقت الحسينية ظاهر القاهرة، وبلغ الماء جامع ابن شرف الدين، حيث انقطع من الخليج الحاكمي، فقيل: خربت بسبب ذلك نحو ألف دار.

⦿ وفي سنة (٧٧٨هـ) كان الغلاء الشديد بحلب وطرابلس حتى بيع المكوك بستمائة درهم وأكلت الكلاب وغيرها وبيع الشيء الذي كان يباع بدرهم بأربعين درهمًا.

❍ أخبار المدارس والقضاة

⦿ في سنة (٧٧٣هـ) استقر شمس الدين **بن الصائغ الحنفي** في قضاء العسكر وتدريس جامع ابن طولون؛ عوضًا عن بهاء الدين السبكي.

⦿ واستقر **كمال الدين السبكي** في إفتاء دار العدل؛ عوضًا عن بهاء الدين، واستقر في تدريس الشيخونية؛ عوضًا عنه الشيخ ضياء الدين القرمي العفيفي.

⦿ واستقر أيضًا القاضي **برهان الدين بن جماعة**[1] في قضاء الشافعية؛ عوضًا عن أبي البقاء السبكي.

⦿ وفي أواخر شهر رجب سنة (٧٧٣هـ) قُرِّرَ **القاضي بهاء الدين أبو البقاء** في قضاء الشام؛ عوضًا عن **كمال الدين المعري**، فلما بلغ المعري ذلك سافر إلى الحج، ثم استعفى أبو البقاء فأعفي، وأرسلت إلى المعري خلعة الاستمرار بعد أن وصل إلى بُصرى، فترك الحج ولاقى البريدي، ولبس الخلعة، واستمر في قضاء دمشق.

⦿ وفي شعبان سنة (٧٧٥هـ) استقر **بهاء الدين أبو البقاء قاضيًا بالشام**، ونقل قاضيها كمال الدين المعري إلى قضاء **حلب**؛ عوضًا عن فخر الدين الزرعي.

⦿ في سنة (٧٧٥هـ) فتحت مدرسة الجاي بعد موته، وكان بقي من عمارتها شيء فأكمله الأوصياء، واستقر في تدريس الشافعية بها الشيخ **سراج الدين البلقيني**، وفي تدريس الحنفية جمال الدين محمود القيسري.

---

(١) قال ابن كثير: وما سمعنا في هذه الأعصار بولاية أكمل منها، ولا أبعد عن تهمة الرشوة؛ بل قيل إن السلطان قام بوفاء ديونه، وعظّمه جدا. انظر: السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ١/ ١٨٦.

- وفي رابع عشرين ذي الحجة سنة (٧٧٦هـ) عزل القاضي **برهان الدين بن جماعة** نفسه من القضاء؛ بسبب تثقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين، فراسله السلطان فامتنع، فأرسل إليه **بهادر** أمير آخور، فحلف عنده بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق أنه إن لم يجب إلى العود نزل إلى بيته وألزمه به، ولم يزل به إلى أن ركب معه إلى القلعة، فاجتمع بالسلطان، فسأله أن يعود وألح عليه، فكان آخر كلامه الإمهال إلى أن يستخير الله تعالى في الليلة، فلما أصبح طلع إلى القلعة في الخامس والعشرين من ذي الحجة، واشترط شروطاً أجابه السلطان إليها، ونزل في أبهة عظيمة إلى الغاية، وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور.
- وفي سابع عشرين ذي القعدة سنة (٧٧٨هـ) قرر **عَلَم الدين البساطي** في قضاء المالكية، بعد عزل **بدر الدين الأخنائي**.
- وفي العشرين ذي القعدة سنة (٧٧٨هـ) ولي جمال الدين محمود القيسري **حسبة القاهرة** بعد عزل شمس الدين الدميري.

إصلاحات وإنجازات

- في سنة (٧٧٣هـ) كملت عمارة **حمام** منجك ببصرى، **ومدرسة** زين الدين الأسعردي بدمشق.
- وفيها أحدثت **خطبة** بخان السلطان العتيق بدمشق.
- وفيها شدد منجك نائب الشام على أهل **اللهو** وأمر بقطع الأشجار الصفصاف التي بين النهرين وبتخريب المكان الذي أحدث بالشرف الأعلى وأزال المنكرات من هذا المكان، وهدم الأبنية والحوانيت المستجدة هناك.
- في سنة (٧٧٤هـ) أمر الجاي اليوسفي المتحدث في المملكة، **ألا يزيد عدد الشهود في كل مركز على أربعة**، وألا يستنيب أحد من القضاة من غير مذهبه.
- في سنة (٧٧٤هـ) مات منكلي بغا الشمسي، فرسم السلطان لأجناده أن يمشوا في خدمة ولي العهد **أمير علي**، الذي تولى السلطنة بعده.

⦿ في صفر سنة (٧٧٥هـ) أبطل الملك **الأشرف** شعبان **ضمان المغاني**، ومكس القراريط، التي كانت في بيع الدور وقرئ بذلك مرسوم على المنابر، وكان ذلك بتحريك الشيخ سراج الدين البلقيني، وإعانة أكمل الدين، وبرهان الدين بن جماعة.

ويقال إن السلطان كان توعّك فأشاروا عليه بذلك، فاتفق أنه عوفي فأمضى ذلك واستمر.

❁ ❁ ❁

مشاهير من توفي من الأعيان

١- أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن عمرو بن الشيخ أبي عمر **المعروف بابن النجم، الحنبلي**، ولد سنة (٦٨٢هـ) وأحضر على الفخر على أمالي ابن شمعون وغيرها، وعلى التقى الواسطي الاربعين للحاكم وغير ذلك، وحدث، سمع منه القدماء وجماعة من اكابر رفقتنا، وأصاغر شيوخنا، مات في ثالث جمادى الآخرة سنة (٧٧٣هـ)، وهو ممن أجاز عاماً لكن لم أدخل في عموم إجازته.

٢- أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام **أبو حامد بهاء الدين السبكي،**

ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة، وحفظ القرآن صغيراً وتلا على التقى الصائغ ببعض القراءات، وأحضر على علي بن عمر الواني، وأسمع على الحجاز وغيره، وسمع بنفسه من جماعة واشتغل بالعلوم فمهر فيها فأفتى ودرس وله عشرون سنة، وولي وظائف أبيه بالقاهرة، وولي بهاء الدين درس الفقه **بجامع ابن طولون** والخطابة به والميعاد، ودرس الفقه بالمنصورية وقضاء العسكر، وافتاء دار العدل ودرس الشافعية بالشيخونية أول ما فتحت.

قال العماد ابن كثير [(١)] **في حقه**: كان قانتاً عابداً كثير الحج.

وكان مواظباً على التلاوة والعبادة، مات بمكة في شهر رجب سنة (٧٧٣هـ) وله ست وخمسون سنة.

وقرأت بخط القاضي تقى الدين الزبيري: لما مات بهاء الدين كان أرسل في مرض موته نجّابا إلى القاضي محب الدين ناظر الجيش، أن يدير وظائفه باسم أولاده، فنازعه مختص النقاشي.

(١) هذا يدل على استمرار ابن كثير في كتابة تاريخه إلى هذه السنة (٧٧٣هـ).

٣-**أحمد بن شرف الدين محمد بن هاشم** بن عبد الواحد بن أبي العشائر الحلبي شهاب الدين موقع الحكم، سمع صحيح البخاري من سنقر بفوت، وحدث وتفرد، مات في ثاني رجب سنة (٧٧٣هـ) وقد قارب الثمانين، وكان قد انقطع قبل موته بمنزله مدة يسيرة.

٤-**أبو بكر بن رسلان بن نصير البلقيني**، أخو شيخنا سراج الدين عمر البلقيني، كان على طريقة والده بزي أهل البَّر، وكان يتردد إلى أخيه بالقاهرة، وهو أسن منه بقليل، فقدر أنه قدم في سنة (٧٧٣هـ) ليزوج ولده جعفراً فمرض فمات عند الشيخ، فأسف عليه كثيراً؛ لأنه مات في غربة، وهو شقيقه، وصار يقول: ذهب أبو بكر فيذهب عمر، هذا أو معناه.

فعاش بعد أخيه اثنتين وثلاثين سنة.

وقد أنجب أبو بكر هذا أولاداً **نبغ منهم**: أبو الفتح بهاء الدين بن رسلان، فمهر وأفتى ودرس وناب في الحكم، وكان شكلاً حسناً كثير النفع للطلبة مع التواضع والتودد وهو أول أولاده وفاة.

٥-**الحسن بن أحمد بن عبد الله بن الحافظ الحنبلي**، إمام محراب الحنابلة بدمشق، سمع التقى سليمان وغيره وحدث، وكان بارعاً في العلم، مات في أواخر شعبان سنة (٧٧٣هـ).

٦-**عبد الله بن يعقوب بن محمد** بن علي بن مفرح البكري **المدني**، بدر الدين المعروف بابن قبال **ولد بالمدينة** سنة أربع عشرة وسبعمائة، وسمع من الجمال المطري، ومحمد بن إبراهيم المؤذن، وحدث بالمدينة، سمع منه شيخنا العراقي، وحدث أبو حامد بن ظهيرة عنه في معجمه بالإجازة، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة (٧٧٣هـ).

٧-**عبد الرحمن بن عبد الله الحيري**، أبو محمد المقرئ المؤدب، نزيل مكة، سمع بدمشق من المزي، وبمكة من الوادي آشي، والزين الطبري، وغيرهم، وحدث، سمع منه أبو حامد بن ظهيرة، ومات في صفر سنة (٧٧٣هـ).

٨- **عُبيد الله بن محمد بن عبد الله** بن أبي عمر المقدسي، شمس الدين أبو محمد، قرأ الروايات وسمع التقى سليمان وطبقته، وكان ينظم، ودرس وأفتى، ومات في جمادى الآخرة سنة (٧٧٣هـ)، وكانت جنازته حافلة.

٩-**عثمان بن محمد** بن أبي بكر بن حسين الحراني ثم الدمشقي فخر الدين بن المغربل، ويعرف قديماً **بابن سينا**، ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة، وسمع من القاسم بن مظفر وابن الشيرازي وغيرهما، ثم طلب بنفسه فحصل الكثير وحدث، مات بحلب في حادي عشر ذي القعدة أو ذي الحجة سنة (٧٧٣هـ)، ذكره ابن رافع وقال: رافقته في السماع، وذكره الذهبي في المعجم المختص وقال فيه: الفقيه فخر الدين بن القماح المغربل شاب حسن متواضع، تفقه قليلاً وحج كثيراً ودار مع المحدثين.

١٠- عمر بن إسحاق بن أحمد **الغزنوي**، سراج الدين الهندي، قاضي الحنفية بالقاهرة، تفقه على الوجيه الرازي بمدينة **دهلي** بالهند، والسراج الثقفي، والركن البدايوني وغيرهم من علماء الهند، وحج فسمع من الشيخ خضر، شيخ رباط السدرة بمكة [1].

وقرأت بخط القاضي تقى الدين الزبيري: كان عالماً فاضلاً، له وجاهة في كل دولة، وكان أول ما قدم، لازم درس القاضي زين الدين البسطامي وهو قاضي الحنفية في ذلك الوقت، ثم لازم القاضي علاء الدين التركماني فأذن له في العقود والفروض بالحانوت، ثم قويت شوكته لما مات علاء الدين وولي ولده جمال الدين، فاستنابه ولم يستنب غيره واستبد بجميع الأمور.

(١) وكان الرباط يقع جهة المسعى، بين باب السلام وباب النبي ﷺ.

وللهندي شرح المغني والهداية وبديع ابن الساعاتي، وتائية بن الفارض، وكان واسع العلم، كثير الإقدام والمهابة، وكان **يتعصب للصوفية الاتحادية**، وعزر ابن أبي حجلة لكلامه في **ابن الفارض**، مات في سابع شهر رجب سنة (٧٧٣هـ)، وكان يكتب بخطه: مولدي سنة أربع وسبعمائة.

١١- **محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي** اللوشي، بفتح اللام وسكون الواو بعدها شين معجمة، الغرناطي، سمع علي بن جعفر بن الزبير سنن النسائي الكبرى، والشفاء، والموطأ، وسمع على أبي الحسن فضل بن محمد المعافري، وكان عارفًا بالحديث، وضبط مشكله، وبالقراءات وطرقها، مشاركًا في الفقه وغيره، مات في جمادى الآخرة سنة (٧٧٣هـ).

١٢- **يحيى بن عبد الله الرهوني شرف الدين الفقيه المالكي**، أصله من المغرب، واشتغل ومهر ودرس بالشيخونية ودرس الحديث في الصرغتمشية وأفتى، وله تخاريج وتصانيف تخرج به المصريون، مات في ثالث شوال سنة (٧٧٣هـ)، ورثاه ابن الصائغ وأرخه بعضهم سنة أربع وسبعين في ذي القعدة.

١٣- **إبراهيم بن محمد** بن عيسى ابن **عثمان الحكمي اليمنى**، كان عالمًا صالحًا عارفًا بالفقه، درس وأفتى وحدث عن أبيه. وكان مقيمًا **بأبيات حسين** من سواحل اليمن، سمع من والده ومن محمد بن عثمان بن هاشم الحجري وغيرهما، حفظ وحدث، توفي سنة (٧٧٤هـ).

١٤- **أحمد بن رجب** بن الحسن ابن مسعود السلامي البغدادي، نزيل دمشق، **والد الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب**، ولد ببغداد ونشأ بها، وقرأ بالراويات وسمع من مشايخها، ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها، وبالحجاز والقدس، وجلس للإقراء بدمشق، وانتفع به، وكان ذا خير ودين وعفاف، ومات في هذه السنة (٧٧٤هـ) أو التي قبلها.

١٥- **أحمد بن عبد الوارث البكري**، الفقيه الشافعي، شهاب الدين، وهو والد الشيخ نور الدين الذي ولي الحسبة وأخو صاحبنا عبد الوارث المالكي وجد صاحبنا نجم الدين عبد الرحمن، مات في شهر رمضان سنة (٧٧٤هـ).

قال لي شيخنا ابن القطان: كان عارفًا بالفقه والأصل والعربية منصفًا في البحث، ولي تدريس مدرسة اطفيح، واعتزل الناس في آخر عمره.

١٦- **أحمد بن محمد بن علي بن سعيد الدمشقي**، صدر الدين أبو طاهر بن بهاء الدين ابن إمام المشهد، ولد سنة أربع وثلاثين أو بعد ذلك، وأحضر على زينب بنت الكمال وأحمد بن علي الجزري، وسمع من أصحاب الفخر فأكثر وبرع في الطلب، وكتب الطباق بخطه الحسن، ووقع على القضاة، ومات في ثامن شعبان سنة (٧٧٤هـ).

١٧- **أرغون ططر بن عبد الله التركي**، كان من مماليك حسن، وتقدم في دولة يلبغا، ثم ولي رأس نوبة ثم قبض بعد كائنة يلبغا سنة ثمان وستين وحبس بالإسكندرية ثم أفرج عنه، وولي إمرة حماة واستقر بها إلى أن مات في أوائل سنة (٧٧٤هـ).

١٨- **الحافظ** عماد الدين **إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير** بن ضوء بن درع البصروي ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة **سبعمائة، وقدم دمشق** وله نحو سبع سنين سنة ست وسبعمائة مع أخيه عبد الوهاب بعد موت أبيه، وحفظ التنبيه، وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه بالبرهان الفزاري، والكمال ابن قاضي شهبة، **وصحب ابن تيمية**، وقرأ في الأصول على الأصبهاني، وألف في صغره أحكام التنبيه، فيقال إن شيخه البرهان أعجبه وأثنى عليه.

واتفق قدوم **ابن جماعة** في الرحلة بولده عمر سنة عشر إلى دمشق، فاستقدمه معه **وانتفع به** في تخريج أحاديث الرافعي.

ورأيت نسخة من تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب لم يبيضها بخط تقي الدين

ابن رافع، وكان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، وكان يشارك في العربية، ويستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى آخر وقت، وينظم نظماً وسطا.

قال ابن حجي: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين.

وقد ذكره الذهبي في معجمه المختص فقال: **الإمام المحدث المفتي البارع**، ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة، منهم الحسيني، وشيخنا العراقي، وغيرهما، وسمع من الحجار والقاسم بن عساكر وغيرهما.

ولازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأكثر عنه، وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والأحكام.

وقال ابن حبيب فيه: إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.

مات بدمشق في خامس عشر شعبان سنة (٧٧٤هـ)، وقد أجاز لمن أدرك حياته، وهو القائل:

تمر بنا الأيام تترى وإنما ... نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذا المشيب المكدر

قلت: ولو كان قال: فلا عائد صفو الشاب إلى آخره، لكان أمتع.

ولما رتب الحافظ شمس الدين بن المحب المعروف بالصامت مسند أحمد على ترتيب حروف المعجم حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة أعجب ابن كثير فاستحسنه، ورأيت النسخة بدمشق بخط ولده عمر، فألحق ابن كثير ما استحسنه في الهوامش من الكتب الستة، ومسندي أبي يعلى، والبزار، ومعجمي الطبراني، ما ليس في المسند، وسمى الكتاب جامع المسانيد والسنن، وكتبت منه عدة نسخ نسبت إليه، وهو

الآن في أوقاف المدرسة المحمودية، المتن ترتيب ابن المحب، والإلحاقات بخط ابن كثير في الهوامش والعصافير، وقد كنت رأيت منه نسخة بيضها عمر بن العماد بن كثير مما في المتن والإلحاق، وكتب عليه الاسم المذكور.

١٩-**أبو بكر بن محمد بن يعقوب الشُقّاني**، المعروف بابن أبي حربة، كان فقيهاً عارفاً فاضلاً زاهداً صاحب كرامات شهيرة ببلاده، وهو من **شقان**؛ بضم المعجمة وتشديد القاف وآخره نون من السواحل بين **جدة وحلي**، توفي سنة (٧٧٤هـ).

٢٠-**بركة خاتون** بنت عبد الله المولدة، والدة الملك الأشرف، تزوجت الجائي في سلطنة ولدها، وماتت في عصمته في ذي القعدة سنة (٧٧٤هـ)، ولها مدرسة بالتبانة، وكان الأشرف كثير البر لها.

٢١-**الحسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب** بن علي بن سيدهم اللخمي المصري، كان جواداً وافر المروءة، كثير المكارم محبّاً في الصالحين، باشر ديوان طيبغا الطويل ودخل معه حلب لما وليها، ثم رجع، ولازم سماع الحديث من المتأخرين، وحدث بكتاب المدخل لابن الحاج بسماعه منه، وكتب عدة أجزاء بخطه، وهو عم صهري كريم الدين عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز، وكان قد ركبه الدين الكثير وهو لا يترك طريقته في العطايا والجود، فاتفق أن ماتت زوجته وتركت مالاً جزيلاً فمات عقبها، فوفى دينه قريبه.

قال الحافظ أبو المعالي ابن عشائر: حدث بحلب بالمائة المنتقاة من الصحيح لابن تيمية بسماعه من الحجار ووزيرة ولم يتحقق لنا سماعه لذلك؛ ولكن قرؤوا عليه بأخباره، توفي سنة (٧٧٤هـ).

٢٣-**سنقر بن عبد الله الواسطي**، ويقال له عبد الله، كان مولى الحسين الواسطي، سمع من المزي، ويحيى بن إسحاق الشيباني قاضي زرع من سنن الدارقطني، وحدث، وكان كثير الصدقة والتودد مواظباً على الجماعة، مات في ربيع الآخر سنة (٧٧٤هـ).

٢٤-طاهر بن أبي بكر بن محمد بن محمود بن سـعيد التبريزي ثم الدمشقي، سمع من الحجـار، والمزي، والجزري وغيرهم، وكان يكفن الموتى من ماله ثم افتقر ونزل صوفيا بالسميسـاطية، ومات في أواخر صفر سـنة (٧٧٤هـ). وقد جاوز الثمانين بأربع سنين؛ لأن مولده كان سنة أربعين وستمائة.

قال ابن كثير: (١) كان من أحاسـن الناس، وفيه حشـمة ورئاسـة وإحسان، وكان قد حظي عند تنكز، وولاه أنظاراً كباراً، ووظائف، وهو الذي كفن المزّي من ماله.

٢٥-عبد العزيز بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، أبو فارس المريني، لما مـات أبوه أبو الحسـن **اعتقل هو** إلى أن غلب الوزيـر عمر بن عبد الله بن علي على أمر المملكة.

ونصب **تاشفين بن أبي الحسن** أخا عبد العزيز هذا في السلطنة، وذلك في سابع عشر ذي القعدة سـنة (٧٦٢هـ)، وكانت لتاشفين حروب آلت إلى خروجه إلى مصر، فحج ورجع فمات، فقام أخوه عبد الرحمن **بسجلماسه**، ثم بويع لعبد العزيز هذا، فأخرج من الاعتقـال، ورحل من فاس فنـازل **صاحب مراكش**، فوقع الصلح بينه وبين أبي الفضل ومن معه، فرجعوا إلى فاس، فشـق على أبي فارس عبدالعزيز استبداد الوزير، وساء ما بينهما، فهمّ الوزير بخلعه وإقامة أخيه عمر، **فبادر**هو وقتله بغتة، واسـتولى على أمواله وتتبع أهله وحشمه، فقتل بعضـًا وأسر بعضـًا،

وتوجـه من فاس إلى مراكش فنازل أبا الفضـل حتى قتله ثم حارب عامر بن محمد المتغلب بفاس حتى هزمه، ثم ظفر به فقتله.

ثـم ملك تلمسـان في يوم عاشـوراء سـنة (٧٧٢هـ)، واستوسـق له ملـك المغرب الأوسط وثبت قدمه ودفع الثوار والخوارج واستمال العرب، ولم يزل إلى أن طرقه ما

(١) وهـذا النقـل يدل أيضا على اسـتمرار ابن كثير في كتابة تاريخه إلى هذه الغاية وهي السـنة التي توفي فيها (٧٧٤هـ).

لابد منه، فمات بمعسكره من تلمسان في شهر ربيع الآخر سنة (٧٧٤هـ)، واستقر في السلطنة بعده ولده **السعيد محمد**.

٢٦- محمد بن أحمد بن إبراهيم الديباجي المعروف بالمنفلوطي، الشافعي، سمع من الحجار وأسماء بنت صصرى وغيرهما **بدمشق**، ثم تجرد إلى **الروم** وأخذ عن جماعة من علمائها، ثم رجع إلى **دمشق**، وقدم القاهرة مراراً، ثم استوطنها ودرس بالمنصورية والسلطانية وغيرهما، وكان فاضلاً **متواضعًا جداً، قليل التكلف**، إذا لم يجد ما يركب مشى، كثير الإنصاف ولو على نفسه، خبيراً بدينه ودنياه، عارفًا بالتفسير والفقه والأصلين والتصوف، صنف عدة تواليف صغار، فيها مشكلات من تصوف الاتحادية.

وكان من ألطف الناس وأظفرهم شكلاً، **ويرقص في السماع**، ويجيد التدريس

مات في شهر ربيع الأول سنة (٧٧٤هـ) عن بضع وستين سنة، وكان الجمع في جنازته حافلاً متوفراً يقال بلغوا ثلاثين ألفًا.

٢٧-محمد بن رافع بن أبي محمد بن شافع بن محمد بن سلام السلامي، الحافظ تقي الدين الصميدي، نسبة إلى قرية من قرى دمشق، ولد سنة (٧٠٤هـ)، وسمع بإفادة أبيه من علي بن القيم، والحسن سبط زيادة، ونحوهما، وأجاز له الدمياطي، ثم طلب بنفسه بعد العشرين.

وتخرج بالقطب الحلبي، وأبي الفتح اليعمري، ورحل سنة ثلاث وعشرين إلى دمشق أيضًا، فسمع من القاسم بن عساكر، وأبي نصير بن الشيرازي، وابن الشحنة، ولازم المزي، والبرزالي، والذهبي مدة، وولي درس الحديث بالنورية بعد الذهبي سنة ثمان وعشرين.

وخرج لنفسه معجمًا حافلاً في أربع مجلدات، وجمع الوفيات التي ذيل بها على البرزالي، وجمع الذيل على تاريخ ابن النجار لبغداد، وكان ذا صلاح وورع ومعرفة بالفن فائقًا.

وكان الشيخ **تقي الدين السبكي يرجحه على العماد ابن كثير**.

قال ابن حبيب: إمام مقدام في علم الحديث ودرايته، ومميز بمعرفة أسماء ذوي إسناده وروايته، ورحل وطلب، وسمع بمصر ودمشق وحلب، **وعني بما روي عن سيد البشر، وجمع معجمه الذي يزيد على ألفي نفر**، وكان لا يعنى بملبس ولا مأكل، سكن دمشق وباشر التدريس في الحديث بالنورية وغيرها، ومات بها في شهر جمادى الأولى سنة (٧٧٤هـ) عن سبعين سنة.

قال ابن حجر: والإنصاف أن **ابن رافع** أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير، لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات دون ابن كثير، **وابن كثير** أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء، لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية، دون ابن رافع، **فيجمع منهما حافظ كامل**، وقل من جمعهما بعد أهل العصر الأول، كابن خزيمة، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي، وفي المتأخرين شيخنا العراقي.

وكان **ابن رافع** كثير الإتقان لما يكتبه، والتحرير والضبط لما يصنفه، وابتلي بالوسواس في الطهارة حتى انحل بدنه، وأفسد ذهنه وثيابه، وتأسف هو على ذلك، ولم يزل مبتلي به حتى مات.

قال **ابن حجي**: كان يحفظ المنهاج والألفية، ويكرر عليهما إلى أن مات.

٢٨- محمد بن عثمان بن موسى بن علي **بن الأقرب** الحلبي الحنفي، شمس الدين بن فخر الدين، كان فاضلاً متواضعًا، درس بالأتابكية والقليجية، مات في سنة (٧٧٤هـ) عن نيف وستين ذكره ابن حبيب.

قال ابن كثير: كان من أحاسن الناس، وفيه حشمة ورئاسة وإحسان، وأخوه شهاب الدين أحمد كان فاضلاً، رحل إلى مصر واشتغل بها ومهر في المعقول، وولي قضاء **عينتاب**، وأخوهما علاء الدين تلميذ للقوام الأبزاري، ومهر في الفتوى.

٢٩-محمد بن علي بن أحمد السمرقندي بن العطار، نزيل دمشق، كان زاهداً عابداً ديناً عالماً ملازماً للعلم والعمل، **أثنى عليه ابن كثير** ووصفه بالجمع بين العلم والعبادة، وكان يؤثر على نفسه حتى بقميصه، **ويغضب في إزالة المنكر لله**، وكان حسن الفهم للعلم على عجمة فيه، وكان يعظ على كرسي. توفي سنة (٧٧٤هـ).

٣٠-محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم البكري الفقيه، ناصر الدين الشافعي، ولد سنة سبعمائة، واشتغل كثيراً، وولي تدريس **الفيوم** مدة طويلة، وكان عارفاً بالأصلين والفقه والعربية والهيئة، وصنف تصانيف مفيدة، مات بدهروط في شهر رمضان سنة (٧٧٤هـ) وهو يصلي الصبح.

ورأيت بخط ابن القطان وأخبرنيه إجازة قال: سمعت الشيخ يحيى الجزولي المالكي يقول سمعت الشيخ شهاب الدين بن عبد الوارث البكري يقول: كان بيني وبين الشيخ ناصر الدين **وقفة**، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: اصطلح مع محمد البكري، فسافرت في البر واصطلحت معه، **قلت**: واتفق أن ماتا في شهر واحد.

٣١-محمد بن محمد بن أحمد بن الصفي الدمشقي، ناصر الدين الحنفي، **الحاسب**، كانت لأبيه رواية عن الحافظ الضياء، ونشأ هو في طلب العلم، فسمع الحديث، وتمهر في الفقه واشتغل، وبرع في الحساب، **وأتقن المساحة** إلى أن صار إليه المنتهى في ذلك، والمرجع إليه عند الاختلاف، ولم يكن في دمشق من يدانيه في ذلك، وكان يقصد للاشتغال عليه فيه، ثم إنه ترك ذلك بآخرة، وأقبل على التلاوة، وكان مأذوناً له بالإفتاء، ومات سنة (٧٧٤هـ).

٣٢-مرجان بن عبد الله الخادم، نائب السلطنة ببغداد لأويس، وكان قد تغلب عليها فقصده أويس من تبريز ثم حضر إليه فعفا عنه وذلك في سنة (٧٦٧هـ)، واستمر نائباً ببغداد إلى وفاته سنة (٧٧٤هـ). وكان شهماً شجاعاً، كانت الطرقات قد فسدت بسبب عزله، فلما أعيد أصلحها.

٣٣-**منكلي بغا بن عبد الله الشمسي**، أتابك العساكر بعد قتل أسندمر، وكان قبل ذلك نائب السلطنة بمصر، وولي إمرة دمشق وحلب وصفد وطرابلس في أوقات، وتزوج بنت الملك الناصر ثم بنت ابنه حسين أخت الملك الأشرف، وكان مشكور السيرة.

قال ابن كثير: آثر بدمشق آثاراً حسنة، وأحبه أهلها، وهو الذي فتح باب كيسان، ولم يفتح من عهد نور الدين الشهيد، وجدد خطبة في مسجد الشهر زوري.

قال ابن حجر: وبنى بحلب جامعاً أيضاً، وعمر الخان عند جسر المجامع والخان بقرية سعسع، وهو والد خوَنْد زوج **الملك الظاهر برقوق**. توفي سنة (٧٧٤هـ).

٣٤-**شاكر بن غبريل بن عبد الله بن البقري الكاتي**، ناظر الذخيرة، مات في شوال سنة (٧٧٥هـ)، نسبته إلى دار البقر من الغربية، وكان نصرانياً فأسلم على يد شرف الدين موسى الأزكشي، وباشر نظر الذخيرة في أيام السلطان حسن، وهو الذي بنى المدرسة البقرية بقرب جامع الحاكم، ولما احتضر أبعد من عنده من النصارى، وأرسل إلى كمال الدين الدميري وغيره من أهل العلم، فلقنوه الشهادة عند موته، ودفن بمدرسته.

٣٥-**عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله الحنفي**، أبو محمد القرشي، ولد سنة ست وتسعين وستمائة، وسمع وهو كبير، وأقدم سماع له على **ابن الصواف**، ومن الرشيد بن المعلم ثلاثيات البخاري، ومن حسن الكردي الموطأ، ومن عبد الله بن علي الصنهاجي، وزينب بنت أحمد بن شكر وغيرهم، ولازم الاشتغال **فبرع في الفقه ودرس وأفاد وصنف**، وشرح الهداية سماه العناية، وشرح معاني الآثار للطحاوي، وعمل الوفيات من سنة مولده إلى سنة ستين وسبعمائة، **وصنف البستان في فضائل النعمان**، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية وغير ذلك، مات في شهر ربيع الأول سنة (٧٧٥هـ) بعد أن تغير وأضر.

٣٦-**علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن الكلاي** البغدادي المقرئ الحنبلي، ولد سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأجاز له الدمياطي، ومسعود الحارثي، وعلي بن

عيسى بن القيم، وابن الصواف، والشريف موسى بن علي بن أبي طالب الموسوي وغيرهم.

قال ابن حبيب: كان كثير الخير والتلاوة، حج مراراً وجاور، وخرج له ابن حبيب مشيخة، توفي سنة (٧٧٥هـ).

٣٧-**محمد بن عبد الله الكركي**، تاج الدين، كان قاضياً ببلده ثم بالمدينة النبوية، ثم قدم القاهرة، وولي نيابة الحكم بمصر عن أبي البقاء، ثم عن ابن جماعة، وكان منفرداً بذلك فيها إلى أن مات في شعبان سنة (٧٧٥هـ) وكان فاضلاً مستحضراً مشكور السيرة.

٣٨-**محمد بن عمر بن علي بن عمر الحسيني القزويني**، ثم البغدادي، محب الدين، إمام الجامع ببغداد، وكان أبوه آخر المسندين بها، حدث عن أبيه وغيره، واشتغل بعد أبيه على كبر إلى أن صار مفيد البلد مع اللطافة والكياسة وحسن الخلق، **وصار يُسمع البخاري في كل سنة**، ويجتمع عنده الخلق الكثير، مات في سنة (٧٧٥هـ) عن نيف وستين سنة.

٣٩-**مارى حاطة بن منشا بن مغا بن منشا موسى** بن أبي بكر التكروري، **صاحب التكرور**، ملك بعد أبيه وهادى الملوك، وكان كثير التبذير والفسق فطرقه مرض النوم فصار سائباً مدة حتى مات في سنة (٧٧٥هـ)، وملك ابنه منشا موسى.

٤٠-**محمود بن قطلوشاه السراي الحنفي** أوحد الدين، قدم من بلاده وهو كبير فأقام بالشام مدة، فشغل وأفاد. وتخرج به جماعة، ثم أقدمه صرغتمش إلى القاهرة فولاه مدرسته، فلم يزل بها إلى أن مات.

وكان غاية في العلوم العقلية، والأصول، والعربية، والطب مع التودد، والسكون والانجماع، مع عظم قدره عند أهل الدولة، مات في شهر رجب سنة (٧٧٥هـ) عن ثمانين سنة أو أزيد.

٤١- **أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة بن عبد الله**، شرف الدين الدمشقي المعروف بابن الكفري، الحنفي، أخذ عن أبيه وغيره، وناب في الحكم مدة، واشتغل وتقدم، ثم استقل بالحكم مدة أولها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وكان قد ترك القضاء، نزل عنه لولده يوسف سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وأقبل هو على **الإفادة، والعبادة، وإقراء القرآن بالروايات**، حتى مات سنة (٧٧٦هـ) عن خمس وثمانين سنة، وقد كف بصره.

٤٢- **أحمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الأربدي الدمشقي**، تفقه على الشيخ شمس الدين بن خطيب يبرود وغيره، وكان حنبلياً ثم انتقل شافعياً، فمهر في الفقه والأصول والأدب، وكان محبباً إلى الناس، لطيف الأخلاق، قليل الشر، أخذ أيضاً عن الفخر المصري، وسمع من محمد ابن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم، وكان يذكر أنه سمع الألفية من أحمد بن غانم، وكانت له أسئلة حسنة في فنون من العلم، مات في ليلة الجمعة تاسع عشر صفر سنة (٧٧٦هـ).

٤٣- **أحمد بن محمد بن أحمد بن المحب عبد الله المقدسي الحنبلي**، أُحضر على الحجار وأُسمع من غيره، وتمهر وعمل المواعيد فأجاد فيها، وكان لوعظه وقع في القلوب، وكانت له عناية بالحديث وفضيلة، مات في ربيع الآخر سنة (٧٧٦هـ).

٤٤- **شهاب الدين، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد القسطلاني المكي**، الخطيب سمع الكثير على **الرضِي الطبري**، وكان خيراً متمولاً، مات بمكة سنة (٧٧٦هـ) عن ست وستين سنة.

٤٥- **أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني**، المعروف **بابن أبي حجلة**، وسمى بذلك لأن حجلة أتت إلى جده وباضت على كمه، **نزيل دمشق ثم القاهرة**، ولد بزاوية جده بتلمسان، واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر في الأدب، **ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها**، وكان حنفي

المذهـب، حنبلي المعتقد، وكان كثير الحط علـى الاتحادية، وصنف كتاباً عارض به قصائـد ابـن الفارض، كلها نبويـة، وكان يحط عليه لكونه لم يمـدح النبي ﷺ، ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم.

وقد **امتحن بسبب** ذلك على يد السراج الهندي.

قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه: كان **ابن أبي حجلة** يبالغ في الحط على ابن الفارض، حتـى أنه أمر عند موته فيما أخبرني به صاحبـه أبو زيد المغربي أن يوضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض وحط عليه فيه في نعشه ويدفن معه في قبره، ففعل به ذلك، وكان يقول للشافعية إنه شافعي، وللحنفية إنه حنفي، وللمحدثين إنه على طريقتهم.

قال: وكان **بارعـاً في الشـعر مع أنه لا يحسـن العروض**، وعارض المقامات فأنكروا عليه. قال: وكان كثير العشرة للظلمة، ومدمني الخمر.

وكان كثيـر النـوادر والنكـت ومكارم الأخـلاق، **ومن نوادره**: أنه لقـب ولده جناح الدين، وجمع مجاميع حسنة منها: ديوان الصبابة، ومنطق الطير، والسجع الجليل فيما جرى من النيل، وهو القائل:

نظمي علا وأصبحت ألفاظه منمقه
فكل بيت قلته في سطح داري طبقه

مات في مستهل ذي الحجة سنة (٧٧٦هـ) وله إحدى وخمسون سنة.

٤٦-أويس بن الشـيخ حسين بن حسن بن آقبغا المغلي ثم التبريزي، صاحب بغداد وتبريز وما معهما، بويع بالسـلطنة سـنة ستين وسبعمائة، **وكان محبـاً في الخير والعدل، شـهمـاً شـجاعـاً عادلاً خيراً**، دامت ولايته سبع عشرة سنة، وقد خطب له بمكة، راسل عجـلان بـن رميثة صاحب مكـة بمال جليـل، وقناديل ذهب، وفضـة للكعبة، فخطب باسـمه عدة سـنين، عاش بضعـاً وثلاثين سنة، **قيل**: إنه رأى في النوم أنه يموت في وقت

كذا، فخلع نفسه من الملك وقرر ولده حسين بن أويس، وصار هو يتشاغل بالصيد ويكثر العبادة، فاتفق موته في ذلك الوقت بعينه سنة (٧٧٦هـ).

وكتب **إليّ المؤرخ حسن بن إبراهيم** الحسيني الحصني أنه كان استدعى ولده لذلك، فاتفق موته قبل وصوله إلى بغداد، وكان جده حسين تزوج بغداد بنت النوين جوبان، فبلغ بو سعيد حسنها فانتزعها منه وأبعده، ولما مات بو سعيد افترقت مملكة المغل، وأخذ كل كبير ناحيةً فملك حسين بغداد، وجرت له حروب وخطوب مع طغاي بن سوتاي، ثم مع إبراهيم بن بارنباي بن سوتاي، ورزق النصر واستقام أمره، وكاتب ملوك مصر وهادنهم.

٤٧-**ايبك بن عبد الله التركي، عز الدين**، الكاتب المجود، كان مملوك طوغاي الجاشنكير الناصري فأعتقه، **وتعاني الخط** حتى فاق أقرانه، برع في الخط المنسوب، وقرر مكتباً في مدرسة أم السلطان الأشرف بالتبانة، مات سنة (٧٧٦هـ) وقد أسن، وكان خيراً، وشيخه في المنسوب فخر الدين السنباطي.

٤٨-**حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا** بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة، أمير عرب آل فضل بالشام، مات سنة (٧٧٦هـ) عن بضع وستين سنة، واستقر ولده بعده.

٤٩-**عبد الله بن ياقوت بن عبد الله الشافعي**، جمال الدين بن العنبري، اشتغل بالفقه والعربية، وتقدم في الفنون، ودرس وناظر، ثم صحب ابن الغنام فولاه نظر المواريث الحشرية، ولم يكن محمود السيرة، مات في ذي القعدة سنة (٧٧٦هـ) رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى.

٥٠-**عبد الرحمن بن علي بن محمد بن هارون الثعلبي المصري**، زين الدين المعروف بابن القارئ، سمع من أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، ومن ابن أبي الذكر، وابن الصواف، ومن والده وغيرهم، وحدث وعُمّر، خرج له الشيخ زين الدين العراقي مشيخة، وحدث بها مراراً، وكان يعمل المواعيد، وقد تفرد بسماع جزء ابن الطلاية من الأبرقوهي وهو في الخامسة، ومات في نصف ذي القعدة سنة (٧٧٦هـ)، وهو ممن

أجاز عمومًا لمن أدرك حياته خصوصًا المصريين رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى. وذكر ابن **دقماق** أنه سمع منه البخاري ومشيخته.

٥١- **عبد الوهاب بن أحمد بن عساف بن وهبة الجمحي الدمشقي**، شاهد القيمة، سمع من التقي سليمان ويحيى بن سعد والحجار وغيرهم وحدث، وكان **عابداً يحي الليل بالذكر والتلاوة**، مات في صفر سنة (٧٧٦هـ)، وكان يسمى وهبة.

٥٢- **علي بن محمد بن علي بن عبد الله الكناني العسقلاني الحنبلي**، علاء الدين، قاضي دمشق، ولد سنة بضع عشرة، وسمع من أحمد بن علي الجزري، وأجاز له ابن الشحنة، وناب أولاً **في الحكم بالقاهرة** عن موفق الدين، ثم ولي قضاء دمشق بعد موت ابن قاضي الجبل في ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، وكان فاضلاً متواضعًا دينًا عفيفًا، وكان أعرج، كثير الانجماع حتى يقال: إنه لم يسجل عليه حكم؛ وإنما كان نائبه يتصدى لذلك، مات في نصف شوال سنة (٧٧٦هـ) وقد نيف على الستين، وهو والد شيخنا جمال الدين عبد الله بن علاء الدين الجندي.

٥٣- **محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المعطي الخزرجي المكي**، جمال الدين، ولد سنة اثنتين وسبعمائة، وسمع الكثير من جَدّه، صفي الدين أحمد الطبري، وأخيه الرضي، والفخر التوزري، وجماعة، وكان عارفًا بالفرائض والفقه، وحدث بالكثير من مسموعاته وتفرد ببعضها، مات في تاسع عشر شهر رجب سنة (٧٧٦هـ)، وكان يقال له أحيانًا: ابن الصفي نسبة لجده لأمه.

٥٤- **محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي**، نزيل القاهرة، ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة، واشتغل ببلاده، ثم قدم الشام وتميز وأفاد ودرس، وكان بارعًا في الفقه والأصول، شرح مختصر ابن الحاجب، وجمع شيئًا في الرد على التناقض للأسنوي، واختصر الحلية، وكان منجمعًا على الناس، وله تفسير كبير، وخطه مليح، توفي سنة (٧٧٦هـ).

٥٥-**محمد بن حسن بن محمد بن عمار الحارثي الدمشقي**، شمس الدين بن قاضي الزبداني، ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة، وتفقه على كبر على برهان الدين بن الفركاح، وابن الزملكاني، وتميز وبرع وأفتى ودرس بالشامية والعادلية والنجيبية والظاهرية والعادلية الصغرى وبالجامع بدمشق، **وانتهت إليه رئاسة الفتوى بالشام**، حتى قيل: إنه لم يضبط عليه خطأ في فتوى، مات في مستهل المحرم سنة (٧٧٦هـ).

وكان **شيخه البرهان الفزاري يثني على ذكائه** وعلى كتابته المحررة في الفتوى، وكان مقصوداً لقضاء حوائج الناس عند القضاة، معظماً عندهم، مقبول القول، كثير التواضع، يخضع له الشيوخ.

قال العثماني قاضي صفد: انتهت إليه رئاسة العلم بالشام وغيرها، وسمي شيخ المذهب.

٥٦- **لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد** بن عبد الله بن سعيد اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي، كان أبوه **يخدم بني الأحمر** على مخازن الطعام، وكان بارعاً فاضلاً، وولد له ابنه هذا **محمد** فتأدب واختص بصحبة الحكيم يحيى بن هذيل، وتعلم منه **الفلسفة، وبرز في الطب**، ثم قال الشعر وترسل ففاق أقرانه، ومدح أبا الحجاج ملك غرناطة، فرقاه إلى خدمته واستكتبه، وأضاف إليه الوزارة فاستقل بجميع ذلك، **وجمع مالاً كثيراً**.

فلما **قتل أبو الحجاج** سنة خمس وخمسين وسبعمائة وقام بعده ابنه **محمد** أفرد ابن الخطيب بوزارته.

ثم وقع بينه وبين **عثمان** بن يحيى بن عمر **شيخ الغزاة** منافرة فلم يزل ذلك حتى **نُكِبَ عثمان** في شهر رمضان سنة أربع وسبعين وسبعمائة، **فانفرد ابن الخطيب** بتدبير المملكة، **فحسده أهل الدولة** وسعوا به إلى السلطان ليهلكه، فسعى في الخلاص من ذلك.

وراسل صاحب فاس المريني في اللحاق به، **وخرج من غرناطة** على أنه يتفقد الثغور الغربية حتى حاذى جبل الفتح، فركب إلى **سبتة**، ودخل **فاس** سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، فبالغ المريني في إكرامه وأجرى له الرواتب، فاستقرت قدمه واستكثر من شراء الضياع والبساتين، **فقام أعداؤه بالأندلس، وأثبتوا عليه عند القاضي كلمات منسوبة إليه، تقتضي الزندقة**، فأثبت ذلك، وحكم بزندقته.

وأرسل بها إلى صاحب **فاس** ليعمل بها ويقتله، فامتنع وقال: هلا فعلتم ذلك وهو عندكم! وأما أنا فلا يصل إليه أحد ما كان في جواري، فلما **مات السلطان المريني** اختص ابن الخطيب بعده بالوزير أبي بكر بن غازي، فلم يزل مكرماً إلى أن تسلطن **أبو العباس، فسجن**، فلما بلغ ذلك ابن الأحمر أرسل وزيره وادعى على ابن الخطيب في مجلس السلطان أبي العباس بالكلمات التي ثبتت عليه، وأقيمت البينة، فعزر بالكلام، ثم بالعقاب، ثم أعيد إلى السجن، واشتوروا في قتله، **فأفتى بعض الفقهاء بقتله**، وقتل في السجن ليلاً، وأخرج من الغد ودفن.

وكانت له من التصانيف **الإحاطة بتاريخ غرناطة**، وروضة التعريف بالحب الشريف، والغيرة على أهل الحيرة، وحمل الجمهور على السنن المشهور، والتاج على طريقة يتيمة الدهر، والإكليل الزاهر فيما ندر عن التاج من الجواهر، كالذيل عليه، وعائد الصلة في التاريخ، وغير ذلك، وكان قتله في سنة (٧٧٦هـ) عن ست وسبعين سنة.

واشتهر أنه نظم حين قُدِّم للقتل الأبيات المشهورة التي يقول فيها:

فقل للعدى ذهب ابن الخطيب ... وفات فسبحان من لا يفوت
فمن كان يشمت منكم به ... فقل يشمت اليوم من لا يموت

والصحيح في ذلك ما ذكره صديقه شيخنا **ولي الدين ابن خلدون** أنه نظم الأبيات المذكورة وهو في السجن؛ لما كان يستشعره من الفتك به.

٥٧-**شمس الدين بن الصائغ، محمد بن عبد الرحمن بن علي الزمردي، الحنفي النحوي**، ولد سنة ثمان وسبعمائة أو بعدها بقليل، وسمع من الحجار والدبوسي وغيرهما، واشتغل في عدة فنون، ولازم أبا حيان، ومهر في العربية وغيرها، ودرس بجامع ابن طولون للحنفية، وولي قضاء العسكر في سنة ثلاث وسبعين، وكان فاضلاً بارعًا، حسن النظم والنثر، كثير الاستحضار، قوي البادرة، دمث الأخلاق، **وهو القائل**:

لا تفخرن بما أوتيت من نعم ... على سواك وخف من كسر جبار
فأنت في الأصل بالفخار مشتبه ... ما أسرع الكسر في الدنيا لفخار

ومن تصانيفه: شرح الألفية رأيته بخطه في مجلدين، وشرح المشارق، وقفت عليه بخطه في ست مجلدات، وله فيه مباحث لطيفة، والتذكرة النحوية، والمباني في المعاني، والمنهج القويم في القرآن العظيم، والثمر الجني في الأدب السَّنِي، والغمز على الكنز، **والاستدراك على المغني لابن هشام استفتحه بقوله الحمد لله الذي لا مغني سواه**، أخبرني ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي إذنًا وكتبته من خطه قال أخبرني شمس الدين بن الصائغ أنه شاهد بمصر بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدراً يقرأ عليهم الناس العلوم.

قلت: وأدركت أنا في الجامع نحو هذا العدد؛ **لكنهم لا يحضرون أصلاً بل يأخذون المعلوم من وقف الجامع**، ثم قطعوا في آخر دولة الأشرف شعبان، ثم أعيد بعضهم في دولة الظاهر، مات في شعبان سنة (٧٧٦هـ).

٥٨- **ناصر الدين محمد بن مسلم بن حسين بن مسلم البالسي، ثم المصري**، أحد كبار التجار، أعجوبة عصره في كثرة المال؛ حتى كان يقال: إنه لا يعلم قدر ماله.

وذكر سبطه شهاب الدين بن يسير أن ماله حزر فجاء عشرة آلاف ألف دينار.

ويقال: إنه ما مات له عبد في الغُرْبة، كانوا يدورون في التجارات ولا يتفق موت الواحد منهم إلا بمصر، حتى أن واحداً منهم غاب عشرين سنة، وعاد فمات عنده،

وكان **موصوفًا بالإمساك** جداً؛ لكن يقال: إنه كان يتصدق سراً.

وكان لا يحبس أحداً، ولا ينكّل به، وأوصى بعمارة مدرسة بستة عشر ألف دينار، فعمرت بمصر هي مشهورة، وورثت أولاده أمواله بعده، وكانت وفاته في شوال في ليلة الجمعة ثاني عشره سنة (٧٧٦هـ).

ومن وجوه البر التي فعلها: **المطهرة الكبيرة جوار جامع عمرو بن العاص**، وقد حصل الانتفاع بها جداً، وكان جده وأبوه وعمه محمد من التجار حتى كان يقال لعمه شمس الدين: نصف الدنيا، وجده لأمه شمس الدين محمد بن يسير البالسي كان أيضًا من كبار التجار المشهورين.

٥٩-منجك بن عبد الله التركي، تنقل في الولايات بالبلاد، وولي الوزارة بالقاهرة، واستقر في الآخر نائب السلطنة بمصر وإليه أمور المملكة، وقد عمر خانات نافعة وجوامع وأصلح الجسور والطرقات، مات في تاسع عشرين ذي الحجة سنة (٧٧٦هـ)، وقد جاوز الستين.

ومن أحكامه أمره بكسر أواني الخمر ومنع عملها، ومنع النساء من الركوب بين الرجال، والخروج إلى مواضع النزه، والخروج في الليل، وتضييق الأكمام، ومنع تعليق الأجراس بأعناق الحمير، وألزم كل من يدخل الحمام بالتستر بالميازر وغيرها.

٦٠- جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد الحنبلي العقيلي الحنبلي، نزيل دمشق، ولد سنة ست وتسعين وستمائة بسر من رأى، وسمع ببغداد، وبدمشق، **وأخذ الفقه** عن سراج الدين حسين بن يوسف بن أبي السري التستري.

وبرع في العربية والفرائض، ونظم، وخرّج، وحدث، مات سنة (٧٧٦هـ) وجاز الثمانين، **وله من التصانيف**: عقد اللآلي في الأمالي، وغيث السحابة في فضل الصحابة، ونشر القلب الميت بفضل أهل البيت، وعجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق، والأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة، والثمانيات، وغير ذلك.

وقـد أخذ عنه ابن رافع مع تقدمه وذكـره في معجمه وحدث عنه ومات قبله، **وذكره الذهبي في المعجم المختص** فقال: قدم علينا سنة ست وأربعين، وقرأ علي، وله معرفة بالمذهب، وكان مشاركًا في العربية والفرائض.

ويقال: إن مصنفاته بلغت مائة وإنها في نيف وعشرين علمًا.

٦١- جمـال الديـن **يوسـف بـن يحيى بـن إبراهيم بن عبـد العزيز بن عبد السـلام السـلمي الدمشـقي**، ولد سـنة ثمان وثمانين وسـتمائة، وسـمع على ابن مشرف جزء أبـي موسـى المديني، وأجـاز له ابن الموازينـي، وابن القيم المصري، وكان يباشـر في الأوقـاف، وعلى ذهنـه حكايات ونوادر، مات في جمادى الأولى سـنة (٧٧٦هـ)، وله ثمان وثمانون سنة، ولو أسمع على قدر سنه لأدرك الإسناد العالي.

٦٢- برهـان الدين **إبراهيـم بن محمد بن أبي بكر الأخنائي**، كان شـافعي المذهب كأبيـه، وحفظ التنبيه، ثم تحول مالكيًا كعمه، وقد أسـمع علـى الحجار وغيره، وولي الحسـبة، ونظر الخزانة، وناب في الحكم، ثم ولي القضاء استقلالاً سنة ثلاث وثلاثين وسـبعمائة، واسـتمر إلى أن مات في رجب سـنة (٧٧٧هـ)، وكان **مهيبًا صارمًا قوالاً بالحق قائمًا بنصر الشرع** رادعًا للمفسدين، وقد صنف مختصراً في الأحكام.

٦٣-**حسـين الهيتي (قرية من قرى حوران) المقيم بمسـجد إسـحاق**، كان صالحًا معمراً، يقال: جاوز التسـعين، وكان قال لهم في مـرض موته: إن وجدتم معي أزيد من عشرة دراهم فلا تصلوا علي، فلم يجدوا معه سوى عشرة، وبيعت ثيابه بعشرين درهمًا فقسم ورثته ميراثه ثلاثين درهمًا عشرة عشرة، وكانوا ثلاثة أخوة، توفي سنة (٧٧٧هـ).

٦٤- **أبـو يعلى حمـزة بن علي بن محمد بن أبي بكر السـبكي المالكي**، سـمع من الدبوسـي، والواداشـي، والطبقة، وطلب، وكتب، ودرس، وناب في الحكم، ووقع في الدست وفي الأحباس، وله إلمام بالحديث.

وكان **يدعى أنه شريف**؛ فأخبرني الشيخ زين الدين العراقي أن الشيخ تقي الدين السبكي أنكر ذلك عليه، مات راجعاً من الحج، ودفن برابغ عن نحو من ثمانين سنة؛ لأن مولده سنة ثمان وتسعين وستمائة، وكان ابنه إبراهيم صحبته فمات بمكة، وكان لطيف الذات، حسن المعاشرة، فحزن أبوه عليه، وتضعف واستمر إلى أن مات سنة (٧٧٧هـ).

٦٥-**ذو النون بن أحمد بن يوسف السرماري**، نزيل عينتاب، يعرف بالفقيه، أخذ عن مشايخ أذربيجان، وديار بكر وغيرهم، وقدم عينتاب في حدود الستين وسبعمائة، فأقام بها يشغل الطلبة، وشرح مقدمة أبي الليث، وقصيدة البستي، وتصدر بجامع النجار بجوار ميدان عينتاب، وكان قائماً **بالأمر بالمعروف شديداً** في ذلك، مات في رمضان سنة (٧٧٧هـ).

٦٦- **علم الدين صالح بن أحمد بن عبد الله الأسنوي**، اشتغل قليلاً، ووقع في الحكم وناب في الحكم وتقدم عند السلطان إلى أن صار نافذ الكلمة عند كل أحد، وحصل له من الوظائف ما لا مزيد عليه، حتى يقال: إن معاليمه في الشهر كانت خمسمائة دينار، فكان مع ذلك **في غاية الجهل** حتى قيل فيه:

معيد لو كتبت له حروفاً ... وقلت أعد على تلك الحروف
لقصر في إعادته عليها ... فكيف يعيد في العلم الشريف

مات سنة (٧٧٧هـ).

٦٧-**عبد الله بن محمد بن أبي بكر عبد الله العسقلاني المكي، من ذرية ابن أبان بن عثمان بن عفان**، ولد في آخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وطلب العلم صغيراً بمكة، فسمع من الصفي، والرضي الطبريين، والتوزري وغيرهم، وارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر فاستوطنها، وكان قد **حفظ المحرر، ومهر في الفقه والعربية واللغة والحديث.**

وقد **بالغ الذهبي** في الثناء عليه في كتابه بيان **زغل العلم**، وفي غيره قال: وكان شيئاً عجيباً في الزهد والانجماع وقول الحق.

وقال في **المعجم الكبير**: المحدث القدوة، وقال: هو لون عجيب في الورع والدين والانقباض وحسن السمت، وهو جيد الفقه قوي المذاكرة كثير العلم.

وقال في **المعجم المختص**: هو الإمام القدوة الرباني، قرأ بالروايات، واتقن الحديث وعني به ورحل فيه، متين الديانة ثخين الورع، كبير القدر مؤثراً للانقطاع.

وقال الشيخ شهاب الدين بن النقيب: بمكة رجلان صالحان: أحدهما يؤثر الخمول وهو ابن خليل، والآخر يؤثر الظهور وهو اليافعي.

وقد تصدى للإسماع في أواخر زمانه، ومع ذلك فلم يحدث بجميع مسموعاته لكثرتها، وكان يرد على كبار المحدثين حال قراءتهم عليه ما يقضون العجب من استحضاره مع طول بعد العهد.

مات في جمادى الأولى سنة (٧٧٧هـ) بالقاهرة، وشهد جنازته خلق لا يحصون.

٦٨- **عجلان بن رميثة بن أبي نمي** بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني، **أمير مكة**، وليها شريكاً لأخيه **ثُقْبَة** سنة أربع وأربعين وسبعمائة، عوضاً عن أبيهما، ثم استولى عجلان على **حلي** سنة ثلاث وستين وسبعمائة. وكان ذا عقل وسياسة، واقتنى من العقار والعبيد شيئاً كثيراً، وكان **يحترم** أهل **السنة مع اعتقاده في الزيدية**، وفي أيامه عُوِّض عن المكس الذي كان يأخذه من المأكولات بمكة بألف إردب قمح، يُحْمل إليه من مصر، مات سنة (٧٧٧هـ).

٦٩- **علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني** (١) ثم المصري الكناني، ولد في حدود العشرين وسبعمائة، **وسمع من أبي الفتح بن سيد الناس وغيره**، واشتغل بالفقه والعربية، ومهر في الآداب، وقال الشعر فأجاد، ووقَّعَ في الحكم، وناب قليلاً عن ابن عقيل، ثم ترك، وأقبل على شأنه، **وأكثر الحج والمجاورة**، وله

(١) والد الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

عـدة دواوين، منها ديوان الحرم مدائح نبوية ومكية، في مجلدة، وكان موصوفًا بالعقل والمعرفة والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق ومحبة الصالحين.

ومن محفوظاته: الحاوي، وله استدراك على الأذكار للنووي، فيه مباحث حسنة، ولما قدم الشيخ جمال الدين **بن نُبَاتَة** أخيراً أنزله عنده ببيت من أملاكه في جواره، وطارحه، ومدحه بما هو مشهور في ديوانه، وهو القائل **ومن خطه نقلته**:

يا رب أعضاء السجود عتقتها ... من عبدك الجاني وأنت الواقي

والعتق يسري بالغنى يا ذا الغنى ... فامنن على الفاني بعتق الباقي

وكان مجازاً بالفتوى، وبالقراءات السبع، حافظًا لكتاب الله تعالى، مات يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر رجب سنة (٧٧٧هـ).

قال ابنه الحافظ أحمد بن علي ابن حجر: وتركني لم أكمل أربع سنين، وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه، وأحفظ منه أنه قال: كنية **ولدي** أحمد **أبو الفضل**، رحمة الله تعالى.

٧٠- **غازي بن قطلوبغا التركي**، شرف الدين المكتب، **جود الخط** على شمس الدين بن أبي رقيبة، محتسب مصر، **ثم نبغ في زمانه** وخالفه في طريقته واخترع طريقة مولدة من طريقة ابن العفيف وابن خطيب بعلبك ومهر فيها، وكتّبَ الناسَ احتسابًا بالمدرسة الظاهرية البيبرسية بالقاهرة، إلى أن مات في شهر رجب سنة (٧٧٧هـ).

٧١- **ابن خطيب يبرود، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان، شمس الدين**، ولد في سنة سبعمائة، واشتغل بالعلم وعني بالفقه والأصول والعربية ودرس وأفتى، أخذ عن ابن الزملكاني، وابن قاضي شهبة وغيرهم، وولي التدريس بأماكن كبار، كالشامية الكبرى بدمشق، ومدرسة الشافعية بالقرافة بمصر.

قال ابن حجي: كان من **أحسن الناس إلقاء للدروس**، ينقب ويحرر ويحقق، وكان الغالب عليه الأصول، مناظراً بحاثًا، وكانت له تنديرات على طريقة شيخه **القحفازي**.

وقال العثماني: كان يضرب بتواضعه المثل، وكان من أئمة المسلمين في كل فن، مجمع على جلالته، وكان مسدداً في فتاويه.

وولي قضاء المدينة النبوية، سمع الصحيح من الحجّار، وحدث عن ابن جهبل بمسند الشافعي، مات في شوال سنة (٧٧٧هـ).

٧٢-محمد بن أبي بكر بن ناصر القرشي العبدري الشيبي الحجبي، جمال الدين، **سادن الكعبة**، كان ذا حشمة ومروءة، ولي الحجابة نحو الثلاثين سنة من سنة (٧٤٩هـ) إلى أن مات سنة (٧٧٧هـ)؛ إلا أنه صُرِفَ عنها لغيبته بمصر، في سنة (٧٥٧هـ) ثم أعيد.

٧٣-محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني ثم المكي، جمال الدين، ولد في سنة ثمان وسبعمائة، وقدم مكة فاستقر **مؤذن المسجد الحرام**، وسمع من الرضي الطبري، وكان عارفًا بالميقات ونظم فيه، مات في شوال رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى سنة (٧٧٧هـ).

❁ ❁ ❁

٢٦ـ سلطنة الملك المنصور علي بن شعبان بن حسين بن الناصر (٧٧٨ - ٧٨٣هـ)

○ توليه السلطنة

تولى السلطنة بعد مقتل أبيه في خامس ذي القعدة سنة (٧٧٨هـ) وكان عمره إذ ذاك ثماني سنين، ولقب بالملك المنصور.

واستمر **آقتمر الحنبلي** نائب السلطنة، **وطشتمر** أتابك العساكر عوضاً عن أرغون شاه، وأقاموا خليفة من أولاد عم المتوكل لغيبة المتوكل بالعقبة؛ حيث خرج للحج ثم رجع إلى القاهرة، ولم يحج.

ثم جددت البيعة للملك المنصور في ثامن ذي القعدة سنة (٧٧٨هـ).

وقد ثار المماليك الذين أعانوا الأمراء على **قتل الأشرف شعبان** فطالبوهم بالنفقة التي وعدوهم بها وهي على ما قيل لكل نفر خمسمائة دينار، فماطلوهم، فجاهروهم بالسوء، فلما خشوا على أنفسهم أمروا بمصادرة المباشرين والتجار، ودام ذلك مدة، وأخذوا منهم شيئا كثيرا.

وعمد **قرطاي** إلى الخزائن فأنفدها في النفقات والهبات، وكان كثير السخاء، وأنفق على المماليك كل واحد خمسمائة دينار، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف من الأجلاب وغيرهم.

○ شكوى أهل بعلبك نائبهم

في سنة (٧٧٨هـ) شكى أهل بعلبك من نائبهم فولى نائب دمشق غيره فوصل من مصر **نائب غيره**، فقيل لهم إنه أخو الذي شكوا منه، وإنه أضمر لهم سوءاً، فباتوا منه وجلين، فمات في الطريق قبل أن يصل إليهم وفرّج عنهم.

○ الفتنة بين أينبك وصهره قرطاي

في سنة (٧٧٩هـ) وقعت الفتنة بين **أينبك وقرطاي**، وذلك أن **قرطاي** لما استقر أتابك العساكر **صاهره أينبك** فعظم قدره.

ثم غدر **أينبك** بصهره، وتمالأ مع جماعة من المماليك مثل **بركة، وبرقوق**، ووعد كلاً منهما بإمرة طبلخانات.

وأركب **أينبك** السلطانَ معه، وحضر الأمراء إلى الإصطبل، فأحس قرطاي بالغلبة فهرب، ثم أرسل يطلب نيابة حلب، فأجيب إلى ذلك.

واستقر أينبك، أتابك العساكر، وكان استقراره في ثاني عشرين صفر سنة (٧٧٩هـ).

ثم التمس من الخليفة أن يولي **أحمد بن يلبغا** السلطنة؛ لأن أم أحمد كانت تحت السلطان، فامتنع الخليفة، وقال: **ما اعزل ملك ابن ملك، وأولي ابن أمير!**، فقال له: إن أحمد ما هو إلا ابن السلطان حسن؛ فإن أمه كانت حاملاً به منه، لما قتل فأخذها يلبغا، ولم يشعر بذلك فولد أحمد على فراشه، **فقال الخليفة: هذا ما يثبت.**

فزبره أينبك وغضب منه وأمر بإمساكه ونفاه إلى **قوص**، وقرر قريبه **زكريا بن الواثق في الخلافة.**

ثم لم يلبث إلا نصف شهر حتى جاءت الأخبار من بلاد الشام بمخالفة النواب له، وأنهم جمعوا جمعًا كبيراً.

فتجهز أينبك إلى قتالهم وخرجت مقدمته في سادس عشرين شهر ربيع الأول، **وهم:** أخوة قطلوبغا، وأحمد بن أينبك، ويلبغا الناصري، وجماعة منهم **بركة، وبرقوق، وبوري** الأحمدي في آخرين، وأخرج معه السلطان ورضي على الخليفة المتوكل وأعاده إلى الخلافة واستصحبه معه وخرج ببقية العسكر في ربيع الآخر سنة (٧٧٩هـ).

واتفق أن ذلك كان وقت وفاء النيل فتفاءل المصريون على **أينبك** بالكسر؛ فإنه خرج في ليلة الكسر.

وكاد **يلبغا الناصري** له؛ حيث قال: يا **أخي أينبك! احترز على نفسك؛ فإن بركة وبرقوق يريدان قتلك**، فلم يكذبه وفر، ولما أدرك ضعف موقفه فر من القاهرة.

فاستدعى السلطان **طشتمر نائب الشام** وعينه أتابكًا بدلا من أينبك، فتحكم طشتمر بالأمور ولم تصلح الحال، فخرج عليه برقوق العثماني، وبركة الجوباني، من أمراء **الطبلخانة**، فهزماه وقبضا عليه، ثم سجنه السلطان في الاسكندرية.

واستقر بركة أمير مجلس وبرقوق أمير آخور أتابكا، وانتظم الحال على ذلك، واستبد **برقوق وبركة** بالحكم، وانصاع لهما **طشتمر** وذلك في ثالث جمادى الأولى.

❍ عودة الأمراء من أبناء الناصر إلى القاهرة

في العشرين من صفر سنة (٧٧٩هـ) أُحضر أولاد **الناصر** من الكرك، وكان الأشرف سيرهم إليها لما خرج للحج وهم: أولاد حسن وأولاد حسين وأولاد حاجي فنزلوا الدور بالقلعة على عادتهم.

❍ نهاية أينبك البدري وأخيه

في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة (٧٧٩هـ) حضر **أينبك** وحده إلى بلاط السلطان الصغير، فتوجه السلطان علي معه إلى **يلبغا الناصري**، فأُرسِل أينبك إلى سجن الإسكندرية، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار:

من بعد عز قد ذل أينبكا وانحط بعد السمو من فتكا
وراح يبكي الدماء منفردا والناس لا يعرفون أين بكا

وفي أول سنة (٧٨٠هـ) مات أينبك في السجن بالإسكندرية، وكان الوصول بخبر موته في يوم عاشوراء، وصودرت زوجته على مال عظيم جداً، وأهينت إلى الغاية.

في ليلة الرابع من رجب سنة (٧٧٩هـ) سكر **قطلقتمر** أخو أينبك وهو في السجن، وقام ليبول فسقط من طاق في المكان فمات سكرانًا، ودفن في صبيحة ذلك اليوم من غير غسل ولا صلاة، وكان هو **رأس هذه الفتنة كلها**؛ لأنه أكبر الأسباب في القيام على الأشرف.

عودة التنافر والتنافس بين الأمراء

في ذي الحجة سنة (٧٧٩هـ) وقعت الوحشة بين الأميرين: **برقوق وبركة**، وبين أتابك العساكر **طشتمر**، وكان يحب السلامة ويكره القتال، وكان يسلم للأميرين جميع ما يختارانه من ولاية وعزل وأمر ونهي وغير ذلك، **فطمعا فيه**، وصارا يقترحان عليه إبعاد أمرائه وخواصه، إلى أن أمراه بنفي **كمشبغا** رأس نوبته، فأراد تسليمه لهما فامتنع.

فاتفق أن جاءت في كمشبغا رأس نوبة طشتمر **نشابة** فنحرته، فحمل إلى طشتمر، وهو في السياق فقال له: انظر كيف قاتلت عنك حتى قتلت؟ فقال: قتلت نفسك ورحت إلى النار، وخربت بيتي، وفتحت باب فتنة كان قد أغلق، فمات كمشبغا من ساعته، وانكسر أصحاب طشتمر، فلما رأى ذلك جعل في رقبته منديلاً وركب من إصطبله إلى برقوق وهو إذ ذاك زوج ابنته بغير سلاح وسلم نفسه له **وقال: أنا أحب أن أكون فدى للمسلمين فاصنع بي ما شئت**، وقبض عليه، وعلى جماعة من حواشيه، وسيره إلى الإسكندرية.

واستقر برقوق في ثالث عشر ذي الحجة سنة (٧٧٩هـ) **أتابك العساكر**، ثم قبض **برقوق** على **يلبغا الناصري**، وسيره إلى الإسكندرية، وقرر **أينال اليوسفي** رأس نوبة مكان يلبغا الناصري، ثم أفرج **عنه** ونفي إلى الشام، ثم آل أمره إلى أن صار أمير طبلخانات.

اغتيال نائب حصن كيفا

في سنة (٧٧٩هـ) قتل **بدر الدين المنشي** الذي كان الصالح **صاحب حصن** كيفا فوض إليه أمر المملكة، وكان قتله وهو يصلي التراويح في شهر رمضان ليلة إحدى وعشرين، وكان قد ضعف عن تدبير المملكة وأشرفت البلاد على الخراب، فاتفق الجند على قتله؛ فقتلوه بغتة ثم أعلموا الصالح بذلك، فاستقر الرأي على تفويض المملكة **للملك العادل عز الدين سليمان**، وكان قد حج في تلك السنة فتأخر الأمر إلى حضوره في السنة التي تليها (٧٨٠هـ).

○ الاعتراض على قاضي حماة

في سنة (٧٧٩هـ) ولي قضاء المالكية **بحماة** رجل يقال له: **شمس الدين الأدمي**، كان نقيب الحكم عند القفصي، فثار عليه المالكية بدمشق، وعقدوا له مجلسًا عند النائب وحرروا أنه جاهل، وأنه شاهد زور، وأنه كاتب مكس، فكاتب النائب فيه، فتوجه القاضي شمس الدين الأدمي إلى مصر، ثم رجع بتوقيع بالاستمرار على ولايته، فباشر في السنة المقبلة (٧٨٠هـ)

○ معاقبة تكا السلحدار

في شوال **سُمّر** تكا السلحدار بأمر **برقوق**، وكان قد أخبر طشتمر بأنه يريد أن يقبض عليه، وأنكر **تكا** ذلك، وحلف ثم أمر بإطلاقه.

○ احتراق سوق الفاكهة

في سنة (٧٨٠هـ) كان الحريق العظيم بدار التفاح ظاهر باب زويلة، فعمل في الفاكهيين والنقليين والبراذعيين؛ ولولا أن السور منع النار النفوذ لاحترق أكثر المدينة، فاهتم بأمره بركة الجوباني، وركب بنفسه وركب معه دمرداش الأحمدي، وأيتمش وغيرهما، إلى أن خمد بعد ثلاثة أيام، وأقام الناس في شيل التراب ثلاثة أشهر.

○ معاقبة المعارضين ونفيهم

في سنة (٧٨٠هـ) قُبِض على **تمرباي** رأس نوبة تحيل عليه **بركة الجوباني** حتى أمسكه ونفاه إلى الإسكندرية، واستقر بركة في وظيفته، وباشر نظر المارستان، واستناب جمال الدين العجمي، عوضًا عن بدر الدين الأفقهسي، واستقر دمرداش في وظيفة بركة؛ وهي أمير مجلس، واستقر الطنبغا الجوباني على تقدمة تمرباي.

وتتبع **برقوق** العثماني مماليك الجاي وحواشيه، فنفاهم إلى قوص، وإلى الشام، وإلى الإسكندرية، وغير ذلك، وقد قيل كان عدد من نفاه منهم ثماني مائة نفس، وأهينوا

إلى الغاية، ووسّط [١] منهم جماعة، وسمّر آخرين، ثم قبض على جماعة من مماليك الأمراء أرادوا إثارة فتنة، ثم قبض على جماعة من الأشرفية فحبسوا.

وفي سادس ربيع الأول صودر **سيف الدين المقدم** على مائة ألف دينار، فأورد منها قدر النصف، ثم شفع فيه، واستمر.

وقبض على **محمد بن يوسف** المقدم فضرب بحضرته حتى مات.

○ نظارة وقف الأشراف بالقاهرة

في سنة (٧٨٠هـ) ولي الشريف **مرتضى** نظر الأشراف، فطلب من الشريف **شرف الدين علي بن فخر الدين** نقيب الأشراف **كتاب وقف الأشراف**، فامتنع من إرساله، فأهانه الأمير برقوق العثماني جداً، وعزله عن النقابة، وقرر فيها الشريف **عاصماً**.

○ كائنة الشيخ ابن الملقن

في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة (٧٨٠هـ) تكلم **برقوق** مع الشيخ سراج الدين بن الملقن -وكان ينوب في الحكم- فيمن يوليه قضاء الشافعية، عوضاً عن بدر الدين بن أبي البقاء؛ **لسوء سيرته**.

فذكر ذلك ابن الملقن لبعض أصحابه، فبلغ الخبر بدر الدين بن أبي البقاء؛ فسعى ببذل مال جزيل، فلم يلتفت **برقوق** لذلك، وصمم على ولاية **ابن الملقن**، فأشار على ابن الملقن بعض أصحابه أن يرضي **الأمير بركة**، لئلا يفسد عليه الأمر بسعي ابن أبي البقاء، فكتب بعض أصحاب ابن الملقن على لسانه ورقة بأربعة آلاف دينار لبركة.

فلما شاور برقوق الأمراء في تولية ابن الملقن، وأثنى عليه بالدين والفضل، فقال له

(١) التوسيط: شكل من أحكام الإعدام في العصر المملوكي، وطريقته بأن يعرَّي الشخص من الثياب، ثم يشدُّ إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرَّته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ٤٨).

بركة: يا آغا! اصبر علي حتى أقبض منه الذي وعدني به، فتغيظ برقوق من ذلك، وأخذ الورقة وأمر بإحضار ابن الملقن وجميع العلماء، فأخرج برقوق الورقة، وقال للشيخ سراج الدين: **هذا خطك**؟ فقال: لا، وصدق في ذلك، فإن الورقة لم تكن بخطه، وإنما كتبها الذي أشار عليه على لسانه، فازداد غيظه على ابن الملقن وأهانه وسلمه للمقدم محمد بن يوسف، وأمره أن يخلص منه المال الذي وعده به في الورقة.

فاتفق أن المقدم المذكور كان وقع في واقع فرفع أمره إلى ابن الملقن، فحكم بحقن دمه فرعى له ذلك، **فلما كان يوم الخميس رابع عشرين ربيع الآخر** اجتمع البلقيني والركراكي وطائفة من العلماء وسألوا الأمير برقوق في الشيخ سراج الدين، فوعدهم بأن يطلقه فصمم البلقيني، وقال: لا أتوجه إلا به، فسلمه له فنزل به.

وكان ابن الملقن قد دخل في رأسه دخان المنصب، فولي وعزل وعين جماعة لوظائف، فلم يتم له شيء من ذلك.

❍ اتهام القونوي بوقوعه في العلماء

في ربيع الآخر سنة (٧٨٠هـ) قام جماعة على الشيخ **شمس الدين الحنفي القونوي**، المقيم بالمزة، ورفعوا إلى السلطان أنه يقع في العلماء حتى في الصحابة؛ فرسم أن يعقد له مجلس بدمشق، فطلبه نائب دمشق، وادعي عليه فلم يثبت عليه شيء، فأطلق وعظم قدره بعد ذلك.

❍ عدوان الفرنج على طرابلس

في سنة (٧٨٠هـ) نازل **الفرنج طرابلس** في عدة مراكب، فالتقاهم يلبغا الناصري، فهزمهم، فإنه أمر العسكر أن يتأخروا فطمع فيهم الفرنج وتبعوهم، إلى أن بعدوا عن البحر فرجع عليهم بالعسكر، فهزمهم وقتل منهم جماعة، وكان فتحاً مباركاً، فقبض على أكثرهم، وفر من بقي إلى المراكب فاقلعوا بها هاربين.

○ الاستيلاء على الأوقاف

في شـهر رجب سنة (٧٨٠هـ) تحدث الأمير بركة في نظر الأوقاف، وتكلم معه فيها كمال الدين المحتسب، **وانتزعوا جميع الأوقاف** من **الشافعي** حتى جامع **ابن طولون**.

○ محاولة الأمير برقوق إبطال الأوقاف

في السـادس عشـر من ذي الحجة (٧٨٠هـ) كان قد تكلم **الأمراء** في إبطال الأوقاف مـن أراضـي الديـار المصرية؛ **بسـبب أن الواقفين** يشـترون الأرض بطريـق الحيلة ثم يوقفونها، فعقد لذلك مجلس حضره أهل العلم والأعيان.

فقال برقوق: **ما أضعف عسـكر المسـلمين إلا هذه الأوقاف**، والصواب استرجاعها. فأنكر الشـيخ أكمل الدين ذلـك وتكلم معه ومع بركة التركي إلـى أن نفر فيه بركة وأظهر الغضب، فبدر الشيخ سراج الدين البلقيني، وقال: أما أوقاف الجوامع والمدارس وجميع ما للعلماء والطلبة فلا سبيل إليه، ولا يحل لأحد نقضه لأن لهم في الخمس أكثر من ذلك.

وأما ما وقف على **عويشـة وفطيمة واشترى لأمثالهم من بيت المال بالحيلة**، فينبغي أن ينقض إذا تحقق أنه أخذ بغير حق.

فقال بدر الدين بن أبي البقاء القاضي: الأرض كلها للسـلطان، يفعل فيها ما يشـاء، فرد عليه بدر الدين ابن الشـيخ سراج الدين، وقال: **بل السلطان كآحاد الناس** لا يملك من الأرض شـيئاً إلا كما يملكـه غيره، فكثر اللغط، **وانفصلوا على غير شـيء**؛ إلا أن الشـيخ أكمل الدين بعد ذلك بالغ في الرد على من أراد إبطال شيء من الأوقاف، وقبح فعل ذلك، وساعده الشيخ ضياء الدين القرمي إلى أن سكن الحال.

○ النزاع على مشيخة سعيد السعداء

في شـعبان سـنة (٧٨٠هـ) سـعى **شـمس الدين ابن** أخي جارالله في مشـيخة سـعيد السـعداء، وكانت بيد الشـيخ برهان الدين الأبناسـي، فحج في السـنة الماضية وجاور بمكة، واسـتناب صديقه **الشـيخ زين الدين العراقـي**، فقام جماعة مـن أهلها، فرافعوا

الشيخ برهان الدين، وذكروا أنه يهمل أمرها، **وقال قوم منهم**: أعرض عنها، **فقرر الأمير بركةُ** شمسَ الدين المذكور عوضاً عنه، وسعى جماعة ممن يتعصب للشيخ برهان الدين في عقد مجلس،

وساعدهم الشيخ سراج الدين البلقيني فما أفاد، واستقر شمس الدين فيها.

○ القبض على أولاد الكنز من بني عبيد

في سنة (٧٨٠هـ) أغار قرط **أمير أسوان** على أولاد **الكنز** فأمسك منهم أحد عشر نفساً من أكابرهم وأحضرهم إلى القاهرة **فقتلوا**، وهو أول من تعرض لهم، وكانوا يسكنون خارجاً عنها، وهم من ذرية بعض عَبيد **بني عُبيد أصحاب القصر بالقاهرة**، وكاتب بذلك كبير الدولة، فعلقت الرؤوس بباب **زويلة**، وأرسل صحبتهم نحو المائتي نفس، فاسترِقوا وبيعوا؛ فانفتح منهم على أهل البلاد باب شر، وآل الأمر إلى أن خربت أسوان بأيديهم، وجلا عنها أهلها زماننا هذا، واستولى بقاياهم عليها.

○ تعديلات في المناصب والنيابات

- في سنة (٧٨٠هـ) استقر **موسى بن قرمان** كاشف الوجه القبلي وآمر تقدمة ألف، وكوتب بملك الأمراء، وهو أول من صنع له ذلك، وذلك بعد قتل مراد الكاشف من **عربان** البحيرة بدر بن سلام ومن معه.
- وفي سنة (٧٨٠هـ) استقر **تمرباي** الدمرداشي في نيابة **حماة** عوضاً عن كمشبغا.
- وفيها أفرج عن **قزدمر** من المرقب وعن ابن أخيه يلك وأقاما بطرابلس ثم نقلا إلى دمشق ثم عين قزدمر لنيابة حلب فلم يتم ذلك، ثم أعطى إقطاع حطط، ثم استقر حطط في نيابة حماة لما انتقل تمرباي إلى نيابة حلب.
- وفيها قبض على **اشقتمر** نائب حلب وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه ونقل إلى القدس بطالاً، واستقر في نيابة حلب **منكلي بغا الأحمدي**، ثم قبض عليه في رجب وسجن بالقلعة، ونقل **تمرباي** من نيابة حماة إلى نيابة حلب.

⊙ وفي سنة (٧٨٠هـ) جمادى الآخرة تكلم **تغرى برمش** الحاجب الكبير في **الوزير ابن مكانس**، وشدة عسفه، وظلمه، **فقال له بركة**: أصلح أنت نفسك! فغضب ورمى قباه، ولزم بيته، ثم نقل إلى حلب حاجبًا، فسار إليها.

⊙ وفي أواخر شوال سنة (٧٨٠هـ) قبض على الوزير فخر الدين **بن مكانس** وأخيه الوزير وأهينا وصودرا، ثم هربا، واستقر التاج الملكي في الوزارة، والشمس المقسي في نظر الخاص، وكان **ابن مكانس** في مباشرته أهوج، شديد الجور وإحداث المظالم، حتى أنه قبل القبض عليه بقليل توجه بنفسه إلى بركة الحاج وأمر المقومين أن يحضروا أوراق مكس الجمال التي معهم، ومن لم يحضر ورقه ألزم بإعادة المكس، فحصل بذلك للحجاج ضرر كبير، وهو أول من أحدث ذلك، فعوجل بالعقوبة.

وكان قبل ذلك بقليل بلغه أن **بقيسارية جركس** كثيراً من القماش بغير ختم، فأغلقها في ليالي العيد ثمانية أيام ففاتهم الموسم، وكثر دعاؤهم عليه.

○ السعي في هدم كنيسة أبي النمرس

في سنة (٧٨٠هـ) توجه **شخص من أهل الصلاح** يقال له: **عبد الله الزيلعي** إلى الجيزة، فبات بقرب أبو النمرس، فسمع حس الناقوس، فسأل عنه، فقيل له: إن بها كنيسة يعمل فيها ذلك كل ليلة حتى ليلة الجمعة وفي يومها والخطيب على المنبر، فسعى عند جمال الدين المحتسب في هدمها، فقام في ذلك قيامًا تامًا إلى أن هدمها وصيرها مسجداً.

○ برقوق والتركمان

في سنة (٧٨٠هـ) طغا **التركمان** وتجمعوا **بعد كسر** مبارك الطازي وقتله، فأرسل **برقوق** إلى **تمرباي** نائب **حلب** أن يرسل إليهم الجيوش، وجهز عسكر **دمشق** إليهم أيضًا، فتوجهوا إليهم، وكان **التركمان** لما أحسوا بالغلبة أرسلوا منهم أربعين نفسًا

بالتحف والهدايا، وأظهروا الطاعة والخضوع قبل الوقعة، والتزموا بدرك سائر الطوائف، فلم يقبل منهم ذلك، **وأمسكت رسلهم وأُخِذ ما معهم**، وكُبس في الحال على منازلهم، ونهبت أموالهم، وسبيت نساؤهم، فانتهكت محارمهم.

فلما ألح العسكر في اتباعهم، حمي التركمان واجتمعوا وأكمنوا لهم عند مضيق، يقال له: **غاز الملك** على شاطئ البحر، بالقرب من بلدة **أناس**، وطريقه لا يسلكها إلا جمل واحد، فلما مروا بهم أوقعوا بهم، فلم ينج منهم إلا الشارد، وهلك معظمهم، وجرح أكثرهم، ونهب ما معهم وهزموهم، وملك التركمان أبلستين واستعدوا لقصد حلب ونهبها، ويقال إن **تمرباي** نائب **حلب** أسر فلم يعرف، فتحيل حتى أطلق.

○ إبطال توكيل القضاة في قضائهم

في شوال سنة (٧٨٠هـ) أُمِر بتبطيل الوكلاء من دور القضاء.

○ قتال نائب الوجه القبلي مع الأعراب

في رابع عشرين المحرم سنة (٧٨١هـ) استقر قرط نائب السلطنة بالوجه القبلي وابنه حسين والي قوص، وأوقع قرط في ربيع الآخر بالعرب فكسروه وقتلوا عدداً من مماليكه ثم عاد فانتصر عليهم وقتل منهم مقتلة وأرسل رؤوساً إلى القاهرة فعلقت.

○ استخراج ذخائر السلطان الأشرف

في صفر سنة (٧٨١هـ) قبض على **مثقال الجمالي الزمّام الأشرفي**، وسئل عن ذخائر السلطان الأشرف بعد أن عرض على العقوبة، فدل على ذخيرة وجدوا فيها ثلاثين ألف دينار، ثم هدد فأقر بأخرى فيها نصف الأولى، وفيها برنية فصوص من جملتها فص عين هر، زنته ستة عش درهماً، ثم ضرب وسعط مراراً فلم يقر بشيء، ثم وجدت ورقة بخط الأشرف فيها فهرست ذخائره فاعتبرت، فتحققوا أنه ما بقي عند مثقال الجمالي شيء، فأطلق.

❍ أوامر الأمير بركة وقراراته

⦿ في سنة (٧٨١هـ) أمر الأمير بركة بكسر **جرار الخمر** بحارة الأسارى، فكسر منها شيء كثير على يد مأمور الحاجب الكبير.

⦿ في سنة (٧٨١هـ) ربيع الآخر أمر الأمير **بركة** بتسمير جماعة من **قطاع الطريق**، فسمروا وكانوا نحو الستة عشر نفساً.

⦿ وفيها شاع بين العامة أن **الأمير بركة** يريد أن يركب إليهم، فتحدثوا في ذلك، فأمر **بركة** والي القاهرة أن **يقبض** على **الزعر والعبيد**، فتتبعهم، واشتد خوف العامة، فأمر **برقوق** الوالي أن ينادي للعامة بالأمان فاطمأنوا.

⦿ في سنة (٧٨١هـ) عمر الأمير **بركة** الميضاة المنسوبة له بمكة المشرفة، وأمر بإصلاح بئر زمزم، وبإجراء الماء في القناة من عين الأزرق إلى الفساقي في باب المعلاة.

⦿ وفيها طلب بركة الوزراء المعزولين، فنفي ابن الرويهب إلى طرسوس، وابن الغنام إلى القدس، وضرب ابن مكانس بالمقارع، وهرب أخوه فخر الدين، ثم شفع يلبغا الناصري في ابن مكانس فأطلق.

❍ أوامر الأمير برقوق وإصلاحاته

⦿ في سنة (٧٨١هـ) **عُزِّر** جمال الدين عبد الرحيم بن الوراق، وعزل من نيابة الحكم للحنفية، وذلك أن امرأة أقرت عنده بانقضاء عدتها بسقط مخلق فحكم بذلك، ثم ادعت أنها حامل فكتب لها فرض حمل، فاستفتي عليه، فأفتى علماء مذهبه بأن ذلك مخالف لهم، فأمر **برقوق** بعزله وتعزيره.

⦿ وفي سنة (٧٨١هـ) أمر برقوق بعزل **زين الدين الإسكندري** نائب الحكم من الحكم أيضاً أو ذلك بشكوى مأمور الحاجب لبرقوق منه أنه يمنع منه الخصوم،

وأمر **برقوق** بشخص من العامة احتمى عند زين الدين المذكور من مأمور فضرب بالمقارع وجرس.

- وفي سنة (٧٨٢هـ) أبطل **برقوق ضمان المغاني** بحماة والكرك والشوبك ومنية بن خصيب وزفتا، وأبطل ضمان الملح بعينتاب وضمان الدقيق بالبيرة وضمان القمح بدمياط وفارسكور، وأبطل المقرر على أهل البرلس وبلطيم، وأمر بعمارة جسر الشريعة بطريق الشام، وجاء طوله مائة وعشرين ذراعًا، وانتفع الناس به.

- وفي الثالث من ذي الحجة سنة (٧٨٢هـ) **أفرد برقوق للذخيرة**، والمتجر، وخاص الخاص، والمستأجرات، والأملاك **ناظراً**، وهو **أول من أفرد ذلك**.

- وفي ربيع الآخر سنة (٧٨٢هـ) **ألزمت أهل الذمة** بدمشق **بركوب الحمير** بغير إرسال الرِجل، ووضع الخواتيم في أعناقهم؛ ليتميزوا عن المسلمين في الحمام.

- وفي جمادى الأولى سنة (٧٨٣هـ) **عقد الجسر بحجارة مقنطرة** على نهر بَرَدَى عند جامع يلبغا بدمشق، وكان قبل ذلك خشبًا، عمله الطنبغا دوادار قزدمر، ثم عمل نظيره مقابله على نهر الخندق، وحصل به رفق كبير.

جملة من الأحداث والوقائع

- في سنة (٧٨١هـ) قبض على **مملوكين بدمشق** كانا يأخذان النساء قهراً **فصلبا**، وذلك في ربيع الأول.

- وفي سنة (٧٨١هـ) ثار آقبغا عبد الله وجماعة معه على **نائب الشام**، وكان قد تجرد مع **نائب حلب** في عسكرَيْ البلدين بسبب **التركمان**، فوقعت بينهم وبين آقبغا ومن معه وقعة، فكسرهم نائب الشام، وهرب آقبغا إلى **نعير بن حيار بن مهنا** أمير عرب آل فضل، فاستجار به، وصادف موت عمه **قارا**، فأرسل نعير أخاه **صول بن حيار** إلى مصر، يطلب الأمان لآقبغا، ويخطب الإمرة لنفسه، ويلتزم الطاعة، فلم يقع ذلك الموقع، وسجن **صول بن حيار** المذكور.

⦿ وفي سنة (٧٨١هـ) أعيد **اشقتمر** المارديني إلى **نيابة حلب**، فسافر في ربيع الآخر أو جمادى الأولى، وأمر برفع المكس عن أهل عزاز، وأرسل الأمان إلى آقبغا، فأرسله **نعير بن حيار بن مهنا**، فوصل إلى حلب، ثم إلى دمشق، **ثم استقر نائب غزة**، فأقام بها.

⦿ وفيها قسمت الإمرة بين **نعير بن حيار** وبين ابن عمه **زامل بن موسى بن مهنا**.

⦿ وفي سنة (٧٨١هـ) أرسل **تمر باي، وبيدمر** إلى القدس بطالين في جمادى الأولى.

⦿ وفي ذي الحجة سنة (٧٨١هـ) حضر جماعة من الرجال والنساء وذكروا أنهم كانوا نصارى فأسلموا، ثم اختاروا الرجوع إلى دينهم، فأرادوا التقرب إلى ربهم بسفك دمائهم ندمًا على ما فعلوا، **فعرض** عليهم القاضي **علم الدين المالكي** الرجوع **إلى الإسلام** فامتنعوا، فأمر بعض نوابه بسفك دمائهم، فضربت أعناق الرجال عند **الصالحية**، وأعناق النساء تحت القلعة في **الرميلة**.

❍ التنافس على اختصاصات القضاء بين المذاهب

في سنة (٧٨١هـ) تكلم **جار الله** قاضي **الحنفية** في إعادة ما كان **السراج الهندي**، سعى فيه من إحداث مودع للحنفية، وفي استنابة القضاة في البر، وفي لبس الطرحة في المواكب، وكان ذلك مما جرت به العادة القديمة بانفراد **الشافعي** به.

فأجيب سؤال جار الله إلى ذلك، ولبس خلعة، وعين شخصًا يكون أمين الحكم، ومكانًا يكون مودعًا، فشق ذلك على **برهان الدين بن جماعة** الشافعي، وسعى في إبطاله وساعده الشيخ أكمل الدين وغيره من أرباب الدولة.

فعقد لذلك مجلس حافل عند **برقوق** في نصف جمادى الأولى، فتكلم أكمل الدين وبالغ في مساعدة الشافعي، وجرى بينه وبين جار الله مقالات كثيرة، وإساءات، وفي آخر الأمر قال أكمل الدين لبرقوق: إن في هذا الذي يطلبه جار الله شناعة عظيمة على

الحنفية، وإنهم يطلبون منك ذلك تحيلاً منهم على إبطال الزكاة، فنفر **برقوق** من ذلك، وأمر بإبطال ذلك.

وحصل للعجم من ذلك غم عظيم، وشنع العامة عليهم بما ذكره أكمل الدين من قصدهم إبطال الزكاة، حتى قال **ابن العطار**:

أمرت تركنا بمودع حكم ... حنفي لأجل منع الزكاة

رب خذهم فإنهم إن أقاموا ... نخش أن يأمروا بترك الصلاة

○ تدريس الحديث بالمنصورية

في جمادى الآخرة سنة (٧٨١هـ) عقد مجلس بسبب **عز الدين الرازي** حين ولي تدريس الحديث **بالمنصورية**، فقام في ذلك الشيخ **برهان الدين الأبناسي**، والشيخ زين الدين العراقي وغيرهما، وقالوا: إن هذا لا يعرف شيئًا من الحديث، فلما حضروا أعطي جزءاً من صحيح البخاري؛ ليقرأ فيه بالحاضر، فقرأ شيئًا فصحّف في مواضع واضحة، فافتضح، وانفصل الأمر على ذلك، فأراد **جمال الدين المحتسب** ستر القضية، فأخذ التدريس لنفسه من الناظر وخشي الشناعة، فأحضر بعض المحدثين إلى منزله، وقرأ عليه الحديث، **وواظب على سماع الحديث** على بعض المشايخ كالآمدي، والدجوي، فصاروا يحضرون إلى منزله، واستمر تدريس الحديث بيده، ثم استقر فيه ولده بعده إلى أن صار إلى **كاتبه** (أي ابن حجر العسقلاني).

○ طمع بركة في أموال الناس

سنة (٧٨١هـ) استنجز الأمير بركة مرسومًا من السلطان بالاستيلاء على **تركة بن الأنصاري قاضي دمنهور**، وعلى تركة **محمد بن سلام التاجر، فاجتمع به القاضي برهان الدين** بن جماعة فوعظه وسأله أن يترك ذلك لله تعالى، ووعده أن الله تعالى يعوضه خيراً من ذلك فأجاب سؤاله.

○ محنة الواعظ عمر بن مسلم القرشي

في أوائل ذي القعدة سنة (٧٨١هـ) ادعى على الشيخ زين الدين **عمر بن مسلم القرشي** الواعظ أنه مجسم، وشهد عليه جماعة بكلام قاله يتعلق بالصفات، فرسم عليه جمال الدين المحتسب، فقام القاضي **برهان الدين بن جماعة** في أمره، إلى أن أطلق بعد ستة أشهر.

○ خلاف أينال والقبض عليه

في سنة (٧٨١هـ) وقع **الخلف** بين الأمراء الثلاثة؛ فتواطأ **برقوق وبركة على أينال اليوسفي**، فبلغه ذلك فأضمر الشر، فاتفق أن خرج بركة في شعبان إلى البحيرة للصيد على العادة، فانقطع **أينال** في بيته وأظهر أنه ضعيف **فسلَّم عليه برقوق** مرة بعد مرة.

فلما ركب برقوق إلى المطعم بلغ ذلك أينال، فخالفه إلى الإصطبل يوم الاثنين رابع عشرين شعبان، فملك الإصطبل ونهب أصحابه بيت برقوق، واستولى على ما في خزائن برقوق، وألبس من وجده من مماليك برقوق السلاح، ووعدهم بالمال والإقطاعات، وأمر بضرب الكوسات، وطلب **أينال** من **الزمام** أن ينزل له **السلطان علي** إلى الإصطبل، فامتنع، فطار الزمام إلى **برقوق**، فأخبره، فجاء مسرعا ودخل القلعة على حين غفلة من **أصحاب أينال**؛ لاشتغالهم بالنهب، فأحرقوا باب السر، ودخلوا منه.

واجتمع معهم من العامة ما لا يحصى، فساعدوهم بالعصي والحجارة لما قاتلهم أصحاب أينال، **فانكسر أينال وأصحابه**، وانهزم إلى بيته، فأرسل برقوق في أثره، فأسر وأحضر إليه، فقرره وحلف له أنه ما كان غرضه إلا الذب عن نفسه، فأرسل به إلى الإسكندرية فسجنه.

واطمأن برقوق ونزع السلاح ونادى للعامة بالأمان، وكاتب **بركة** بما وقع فأسرع العود.

○ قتل الرافضي وصاحبه

في جمادى الأولى سنة (٧٨١هـ) **قُتِل** محمد بن مكي الرافضي بدمشق؛ بسبب ما شُهِد به عليه من الانحلال واعتقاد مذهب النصرانية، واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح، وضربت عنق رفيقه **عرفة** بطرابلس، وكان على معتقده.

○ الفتنة والصراع على السلطة

في سنة (٧٨٢هـ) عمل **برقوق** عقيقة ولده **محمد**، فلما طلع إليه جماعة من الأمراء أمسكهم، فلبس الباقون السلاح خوفاً على أنفسهم.

ثم بلغ **برقوق** في تاسع عشر صفر أن **بركة** يريد الركوب إليه، فأرسل برقوق القضاة والمشايخ إلى **بركة**، فسعوا بينهما في الصلح مرات إلى أن أذعن بركة، ونودي بالأمان، وخُلِع على من سعى في الصلح من القضاة وغيرهم، واجتمع الأمراء في الميدان ولعبوا بالكرة، واستقر الصلح.

ثم لم يستمر الصلح طويلاً؛ حيث وقع الخلاف والتآمر بينهما من جديد، **وأعلم برقوق أن بركة عزم على مسكه يوم الجمعة**، فأذن برقوق لأيتمش، ومن معه بالركوب إلى بركة.

ونادى في العوام بنهب دار بركة، فتوجهوا إلى باب بيته؛ فأحرقوا الباب، فخرج من الباب الآخر إلى جهة الشارع، وأخذ معه الوالي، حتى فتح له باب الفتوح؛ لأنه كان أغلق الأبواب أول ما ثارت الفتنة، وشق القاهرة متوجهاً إلى قبة النصر، واجتمع إليه أصحابه، فعسكر بهم هناك.

فخرج إليه **ايتمش** فوقعت بينهما وقعات كثيرة، كان غالب الظفر فيها لعسكر بركة، حتى حصن **برقوق** مدرسة حسن، ودار الضيافة، بالفرسان، **وعزل برقوق** والي القاهرة، وأعاد ابن **الحكوراني**، فبالغ في حفظ القاهرة، وفتح حوانيت أصحاب السلاح فأخذ ما فيها، ومنع من يخرج إلى أصحاب بركة بمأكول أو مشروب أو سلاح.

حتى اضطر بركة إلى أن استخفى عند الشيخ محمد القدسي، فدلوا عليه، فأمسك في يومه، وطلع به إلى القلعة **فنفاه برقوق** إلى **سجن** الإسكندرية.

ثم **قتل بركة** بسجن الإسكندرية؛ أمر بقتله نائبها **ابن عرام** بمقتضى مرسوم جاءه من القاهرة، ثم أنكر برقوق الأمر بقتل بركة.

وأمر بالكشف عن جثة **بركة**، فوجدت مدفونة في المكان الذي قتل فيه بثيابه، من غير غسل ولا صلاة عليه، ووجد في جسده ضربات إحداهن في رأسه، فغسل، وكفن، وصلي عليه.

ثم قبض على والي الإسكندرية ابن عرام وأرسل في **البحر** الملح، ثم في النيل؛ خشية من عرب بدر بن سلام أن يخلصوه، فأودع أول ما قدم في خزانة شمائل، ثم أمر بتسميره، وسلم للوالي فقرره على أمواله، ثم شنع عليه الأمراء فأمر برقوق بضربه بالمقارع ونودي عليه: هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن، فيقال: إنه أخرج ورقة من جيبه وقال: هذا خط الأمراء بالإذن في ذلك، فلم يلتفت إليه، ثم سمر وأنزل به، فضربه مماليك بركة بالسيوف، وعلقوا رأسه على باب زويلة.

○ تأديب عرب البحيرة

في سنة (٧٨٢هـ) كثر شر عرب البحيرة وكبيرهم بدر بن سلام فجرد لهم برقوق في جمادى الأولى العساكر، فوصلوا إلى قرب تروجة؛ فوقعت بينهم وقعة، قتل فيها من العرب أكثر من ألف، وانهزموا.

ثم سعى بدر بن سلام في الصلح وأن يتدرك بعمارة ما خرب من البلاد ويتدرك بتعويض ما نهبه العرب، وقام معه ابن عرام في ذلك فتوجه إليه بهادر المنجكي ومعه الأمان، وقرئ على المنبر بدمنهور، فأذعن بدر إلى الطاعة ولبس الخلعة، نودي بالأمان، وترافق بهادر مع بدر فحضر صحبته إلى قرب القاهرة وقدم بعد أن لبس خلعة السلطان ورجع إلى بلاده.

❍ القبض على بيدمر نائب دمشق

في سنة (٧٨٢هـ) أرسل **برقوق** بإمساك **بيدمر** نائب دمشق، فامتنع لأنه لم يرد بذلك كتاب، وألبس مماليكه، فحاربه الحاجب فانهزم فنهبت داره وقيد وسجن، وقتل في تلك المعركة نحو عشرين نفساً، ثم قبض على أمراء اتهموا بممالأة بيدمر.

❍ القبض على الوزير التاج الملكي

في سنة (٧٨٢هـ) قبض على الوزير التاج الملكي، وضرب، ثم خلع عليه بالاستمرار، ثم استعفى من الوزارة، ولبس الفقيري ولازم جامع عمرو بن العاصي، ثم أمسك في سابع عشرين شهر ربيع الآخر، وسلم لبهادر الأعسر المعروف بالشاطر الزردكاش، فصادره وعذبه بأنواع العذاب إلى أن مات تحت الضرب، **وأضيفت** الوزارة لشمس الدين المقسي مع نظر الخاص

❍ وصول والد برقوق إلى القاهرة

في يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة سنة (٧٨٢هـ) وصل **أنس بن عبد الله العثماني** والد برقوق إلى القاهرة، فخرج ولده والعسكر لملتقاه، فالتقاه بعكرشة، ووصل بصحبته قاضي حلب كمال الدين المعري، وقاضي دمشق، ولي الدين بن أبي البقاء، ونزل في ذلك بالخانقاه ومد له ولده سماطاً عظيما، وأقعده في صدره، وقعد عن يمينه أيدمر الشمسي، وعن يساره آقتمر عبد الغني، وقعد برقوق دون أيدمر.

وكان أنس **أعجمياً** لا يعرف بالعربي ولا بالتركي حرفاً، ثم ركب معه إلى القاهرة وأعطاه تقدمة ألف.

❍ إحداث السلام على النبي ﷺ بعد الأذان

في ربيع الآخر سنة (٧٨٢هـ) أحدث السلام على النبي ﷺ تسليماً عقب أذان العشاء ليلة الاثنين مضافاً إلى ليلة الجمعة بدمشق، ثم أحدث بعد عشر سنين عقب كل صلاة إلا المغرب.

○ ردة النصراني بعد إسلامه

في رمضان سنة (٧٨٢هـ) **ارتد نصراني** بدمشق، كان أسلم وتزوج مسلمة وأولدها، فرفع لنائب القاضي المالكي، فأنكر، فحكم بإسلامه فسجن، فسعى النصراني عند القاضي فأنكر على نائبه حكمه، وقال: **ما أذنت له في الحكم بذلك إلا بعد المشاورة**، وأطلق المذكور من السجن، فعزل النائب نفسه.

فبلغ **السلطان أمره، فرسم** بعقد مجلس، فجيء بالنصراني وعقد المجلس ثانيًا، فبادر إلى الإسلام، فحكم الحنبلي بصحة إسلامه وحقن دمه.

○ عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ

ادعي على القاضي المالكي أن نصرانيًا من القرينين رفع عليه أنه **يستهزئ بالنبي** ﷺ فحبسه نائب المالكي، فأطلقه المالكي.

فسئل القاضي عن ذلك، فاعترف وأبدا شبهًا، فطُلِب النصراني المذكور، فاستتيب فقال: لا أرجع عن ديني، **فحكم المالكي بقتله** إلا إن تاب، **فقال الحنبلي**: حكمت بقتله ولو تاب، فضربت عنقه وأحرقت جثته.

○ القبض على الوزير المقسي

في صفر سنة (٧٨٣هـ) قُبض على الوزير الشمس المقسي، وتسلمه بهادر المنجكي بخمسمائة ألف درهم وأطلق إلى منزله، واستقر في وظائفه كريم الدين بن مكانس، وكان **السبب** في ذلك أن **برقوق** لما استقر في تدبير المملكة أخرج كثيراً من البلاد المتعلقة بالدولة لجماعة من جهته، فضاق الحال على الوزير فاستعفى، فغضب منه برقوق، وولى غيره، وقبض على صهره علم الدين يحيى ناظر الدولة، وعلى شمس الدين بن غراب، وغيرهما.

وانتهز ابن مكانس الفرصة فالتزم **بالتكفية**، فقرر وزيراً، فباشر على هوج فيه.

○ وفاة السلطان المنصور علي بن الأشرف شعبان

في شهر ربيع الأول سنة (٧٨٣هـ) مات السلطان الملك المنصور **علي** بن الأشرف شعبان، **وكانت المملكة باسمه، وهو محجوب**، وعاش ثلاث عشرة سنة منها في المملكة خمس سنين وأربعة أشهر، وقرر مكانه أخوه حاجي بن الأشرف، وعمره ست سنين وأربعة أشهر، ولقب بالصالح.

۞ ۞ ۞

٢٧ـ سلطنة الملك الصالح حاجي بن شعبان بن حسين بن الناصر (٧٨٣-٧٨٤هـ)

○ توليه السلطنة

في شهر ربيع الأول سنة (٧٨٣هـ) بعد موت السلطان الملك المنصور **علي** بن الأشرف شعبان، قرر مكانه في السلطنة أخوه **حاجي بن الأشرف شعبان**، وعمره ست سنين وأربعة أشهر، ولقب بالصالح.

○ سفارة برهان الدين الدمياطي إلى ملك الحبشة

في **رجب** سنة (٧٨٣هـ) جُهّز **برهان الدين إبراهيم الدمياطي** نقيب الحكم عند المالكية، إلى الحبشة **رسولاً** من قبل السلطان، وكان السبب في ذلك أن بعض الحبشة وصلوا إلى قرب أسوان، وأفسدوا في نواحيها وخاف منهم أهلها، فطالعوا السلطان بذلك، فأرسل إلى بترك النصارى اليعاقبة متّى بن سمعان، فتهدده، فأرسل من جهته رسلاً؛ لكشف الخبر.

ثم كتب إلى ملك الحبشة ينكر عليه، ويأمره أن لا يحدث حادثًا، وجهز إبراهيم المذكور من جهة السلطان بالكتب.

○ تأديب المنجم

في سنة (٧٨٣هـ) حضر **شخص عجمي** عند **برقوق** وأخبره أن النيل يتوقف من مستهل جمادى الأولى، فلا يزيد بعد ذلك شيئًا، فأمر بحبسه، فاتفق أن النيل زاد في ذلك اليوم خمسة عشر إصبعًا، وفي اليوم الذي يليه ستة عشر، فأحضر العجمي وأمر بضربه، فضرب مائة عصى، وسجن، **فشفع فيه مأمور الحاجب فأطلق**، وأوفى النيل في عاشر الشهر المذكور ولله الحمد.

○ عزل جمال الدين المحتسب

في أوائل شعبان سنة (٧٨٣هـ) غضب **برقوق** على **جمال الدين المحتسب**، وأمر بنفيه، فخرج، ثم شُفع فيه، فأعيد إلى بيته بطالاً، **وكان السبب فيه**: أن برقوق تكلم

بالتركي في حق القضاة بسبب من الأسباب، ونقل له عن بعضهم فقال: ما هم مسلمين، فذكر ذلك جمال الدين لمحتسب **لصدر الدين بن منصور** قاضي الحنفية، فذكره ابن منصور لبرهان الدين بن جماعة، واستشاره في عزل نفسه، فسكّنه، وركب ابن جماعة إلى **برقوق** فذكر له ذلك، فغضب على **جمال الدين المحتسب**، وعزله، وقرر في الحسبة تاج الدين المليجي، ثم أعيد جمال الدين إليها في ذي القعدة سنة (٧٨٣هـ).

○ عزل الوزير بن مكانس

في سنة (٧٨٣هـ) أمسك الوزير **كريم الدين بن مكانس** وأخوته وأهينوا وصودروا، وكان **السبب** في ذلك أن ابن مكانس فتك في الناس، وبالغ في الظلم، وألزم المباشرين كلهم بجامكية شهرين، وظلم التجار وأخذ منهم أموالاً جمة؛ فاستغاثوا بأهل الدولة حتى رفعوا أمورهم للسلطان، فعزله في رمضان عن نظر الخاص، ثم عن الوزارة.

واستقر **علم الدين سن إبرة مكانه في الوزارة**.

○ قتال التركمان

في جمادى الأولى سنة (٧٨٣هـ) جردت العساكر إلى الشام بسبب التركمان ومقدم العساكر يونس دوادار برقوق، فكسروا التركمان على مرعش، وقتل منهم خلق كثير، بعد أن فر خليل بن دلغادر وأخوته، وهم كانوا السبب في هذه الحركة لأنهم كانوا جمعوا جموعًا كثيرة فوصلوا إلى **العمق**، وإلى **تيزين**[(١)]، وخاف أهل حلب منهم، وكاتب اينال اليوسفي، فجردت العساكر من دمشق، ومن جميع الممالك، ومشوا على التركمان من حلب إلى **عينتاب**، ثم إلى **مرعش**، ثم إلى **أبلستين**، ثم إلى **ملطْية**، والتركمان تفر منهم وتتحصن بالجبال المنيعة، حتى وصل هزمهم إلى أطراف بلاد الروم.

ولما بالغ **العسكر في نهب** ما قدروا عليه، وانتهوا إلى ملطية، فأذن لهم في الرجوع.

ثم كانت الوقعة بحلب بين **العسكر الحلبي والتركمان**، فانكسر العسكر، ثم أوقع بهم نائب حلب **اشقتمر** مرة أخرى، وانتصف منهم، ثم لما توجه يونس الدوادار إلى

(١) العمق وتيزين من نواحي حلب بالشام.

الشام بسلطنة الصالح أُمر العسكر الشامي بالتوجه إلى غزو التركمان، **فجمعوا العربان والجند** وتوجهوا إلى جهة **حلب**.

فلما كانوا **بمرعش** هبط جماعة من التركمان عليهم من مكان عال، فوقع بينهم وبين شرف الدين الهدباني ومن معه من الأكراد وعرب بني كلاب مقتلة، فانكسر التركمان وجرح الهدباني، وأسر، ثم أفلت.

ثم كانت الوقعة الكبرى، فاستظهر الترك (جيش الدولة) وانكسر التركمان، وانهزموا أقبح هزيمة، بعد أن قاسى العسكر شدة في سلوك المضايق والأوعار وشدة البرد.

وأما كبير التركمان سولى بن دلغادر فنجا وقطع الفرات إلى **خرت برت**، وانتهب العسكر من التركمان شيئًا كثيراً.

وأرسل **خليل بن دلغادر** التركماني ومن معه يطلبون الأمان.

- ثم كانت وقعة أخرى بالتركمان، وزعيمهم ابن دلغادر، أوقع بهم العسكر الشامي ومعهم نائبا حلب ودمشق، فانكسروا كسرة شنيعة، وقتل منهم جماعة، ثم رجع العسكر التركماني فهزموا العسكر الشامي، وجرح نائب ملطية منطاش، وتمزق الجيش الشامي، ووقع التركمان في النهب، **وقُتِل جوبان الجركسي**، وكان من أتباع الفخر إياس، وولي نيابة حمص، ثم قلعة دمشق، ثم الحجوبية بحلب.

○ قتل ابن قرنميط والكاشف

- في ذي الحجة سنة (٧٨٣هـ) شاع أن **ابن قرنميط**، وكان رأس ميسرة بالقاهرة، وقد فعل ما لا يحصى من الجرائم، فجاء تائباً إلى زاوية **الشيخ إسماعيل الأنبابي**، فبلغ **برقوق** فأرسل حسين الكوراني إليه فقبض عليه، وعلى اثنين من أتباعه، فسلخوا وحشوا تبنا، وعلقوا بباب زويلة.

- وفي حادي عشر ذي الحجة سنة (٧٨٣هـ) وُسّط **قرط (الكاشف)** أمير العرب وثلاثة معه، وعلقت رؤوسهم بباب زويلة.

○ سرقة ابن القماح القيسرية

في ذي الحجة سنة (٧٨٣هـ) كائنة ابن القماح البزاز **بقيسارية جركس**، وكان قد تعامل هو والبواب، فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه، فيفتح حوانيت الناس ويأخذ منها ما يريد إلى أن كثر ذلك وافتضح، فعثروا عليه، فأمسك وضرب بالمقارع هو وولده، وسجنا بخزانة شمائل، وكانت سلامته من القطع من العجائب.

وفي ذلك يقول **بدر الدين بن الصاحب** مضمنًا، وكان بلغه أن ابن القماح عثر فسقط فانكسرت يده:

قالوا بأن يد القماح قد كسرت   فأعلنت أختها بالويل والغِيَر
تأخر القطع عنها وهي سارقة   فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقد أخذ الشاعر ذلك برمته من البيتين السائرين في **تاريخ ابن خلكان**[(١)]:

إن العماد بن جبريل أخا علم   له يد أصبحت مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة   فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

○ رسل ابن أويس عند برقوق

في جمادى الأولى سنة (٧٨٣هـ) حضرت **رسل** حسين بن أويس **صاحب بغداد** وتبريز إلى برقوق، وهم: قاضي البلد الشيخ زين الدين علي ابن الشامي المقانعي الشافعي، وشرف الدين عطاء بن الحسين الواسطي الوزير، وشمس الدين محمد بن أحمد البرادعي، **فأكرموا غاية الإكرام**، وذكر المقانعي أنه غرم على سفرته **عشرة آلاف دينار**، وكان يكثر الثناء على أهل الشام، وتردد الكبار للسلام عليهم، حتى القضاة، ورتب لهم **برقوق** رواتب كثيرة، وطلبهم عنده، ومد لهم سماطًا حافلاً، وكان تسفيرهم في العشر الآخر من رجب.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٤.

○ تعزير ابن نهار لاعتراضه على القاضي

في شهر رمضان سنة (٧٨٣هـ) قام شخص يقال له **ابن نهار** إلى ابن جماعة، فأمسك بعنان بغلته، **وقال له: حكمت فيّ بغير حكم الشرع**، فرجع ابن جماعة إلى برقوق، فشكاه إليه، فاتفق أنه كان مفكراً في أمر من أمور المملكة، **وزاد ابن نهار في الإساءة على ابن جماعة بحضرة برقوق**، فلم يرد عليه، فرجع ابن جماعة إلى التربة فأقام بها وعزل نفسه من الحكم، فبلغ ذلك الأمير برقوق، فأنكر القصة واعتذر بالفكرة التي كان فيها.

فأرسل إلى **ابن نهار** فأحضره، وعقد له مجلس فأفتى البلقيني، ووافقه العلماء بتعزيره، فعزر وضرب بحضرة **برقوق** بالمقارع، ثم نفي.

وأرسل **قطلوبغا الكوكائي، وإياس الصرغتمشي** إلى ابن جماعة، **فترضياه**، وطلع معهما إلى برقوق، فقام إليه وترضاه، واعتذر إليه، وأعاده إلى القضاء وقال له: **من تكلم في حقك بكلمة ضربته بالمقارع**.

○ حادثة الشيخ شمس الدين القونوي

في شعبان سنة (٧٨٣هـ) كائنة الشيخ **شمس الدين القونوي**، وكان مقيماً بزاويته بالمزة، وللناس **فيه اعتقاد**، وكان شديد الإنكار على أهل الظلم، **ورسائله إلى الحكام لا ترد**، فاتفق أن الحاجب **يلو** نائب الغيبة بدمشق عزل ابن بلبان من ولاية البَرّ، وكتب فيه محضراً إلى مصر، **فجاء الجواب بالتنكيل به**، فبلغه ذلك، فهرب إلى زاوية الشيخ شمس الدين القونوي، فاستجار به، فأجاره ابن الشيخ، فبلغ الحاجب فغضب، وأرسل إليه **الجمادرة** ليحضروا الشيخ وابنه والوالي، **فمنعوا أنفسهم**، ووقع بينهم مقاتلة، فشج الشيخ في رأسه، ثم غُلِبوا، فأحضروا إلى الحاجب، فأحضر القضاة، وعرضوا عليهم أمرهم، وأحضروا السلاح الذي قاتلوا به، وأمر بكتب محضر بصورة الحال، فأنكر الشيخ أن يكون عرف بحضور ابن بلبان، **وإنما ابنه فعل ذلك**، فانفصل الحال على أن ضُرب الوالي بلبان، وابن الشيخ، وسجنا بالقلعة.

وتوجه الشيخ إلى منزله، وحصل له غم كثير، وأقام في زاويته بالمزة، وأقصر مما كان فيه من الإنكار، ومراسلة الأمراء.

فلما كان في جمادى الأولى سنة (٧٨٥هـ) وصل المرسوم السلطاني إلى الشيخ بالتعظيم والإكرام وبطلب الدعاء منه، **وتمكينه من تعزير الذين قاموا عليه**، فزال ما عنده من الانكسار، ورجع إلى حالته الأولى.

○ منع الشيخ محمد بن خليل الجزري من الفتوى

في رمضان سنة (٧٨٣هـ) كائنة الشيخ **شمس الدين محمد** بن خليل الجزري الحنبلي المنصفي، كان إمام مدرسة الضياء **بسبب فتواه بشيء من مسائل ابن تيمية**، فأحضره ولي الدين **قاضي دمشق**، وأراد ضربه، ثم سجنه، فشفع فيه القاضي الحنبلي، ومنعاه من الفتوى.

○ إعادة بيدمر إلى نيابة الشام

في صفر سنة (٧٨٤هـ) رضي **برقوق على بيدمر** ورده إلى **نيابة الشام**، وهي المرة السادسة، وكان الذي أحضره من الإسكندرية **بكلمش العلائي**، فوصل في الحادي والعشرين من المحرم، فخلع عليه بنيابة الشام.

ودخل بيدمر الشام في شهر ربيع الأول، فاحتفل به أهل الشام وفرحوا بولايته جداً، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وجاوزوا الحد في ذلك.

○ بناء طاحون على النيل

في سنة (٧٨٤هـ) عمل جركس الخليلي **طاحوناً** على النيل، تدور في الماء فاستأجرها منه بعض الطحانين، فحصل منها مالاً عظيماً لكثرة من كان يأتي إليه برسم الفرجة.

○ عزل برهان الدين ابن جماعة نفسه من القضاء

في صفر سنة (٧٨٤هـ) امتنع القاضي برهان الدين **بن جماعة** من الحكم، **وسبب ذلك**: أن تاجراً مات وخلف مالاً كثيراً، فثبت عند القاضي برهان الدين **بن جماعة** أن له ورثة، **فمنع القاضي والي المواريث** من التعرض للمال، فغضب **برقوق** من ذلك، وراسله في تسليم المال، فصمم القاضي، وبلغه أن برقوق طلب من يوليه القضاء، فوقف البرهان عن الحكم بين الناس.

وسعى القاضي **بدر الدين بن أبي البقاء** في العود إلى المنصب، وبذل مالاً، وألا يتعرض للتركة المذكورة، فأجيب واستقر في سلخ صفر.

وتوجه برهان الدين بن جماعة إلى القدس في ثالث عشر ربيع الأول.

ويقال: إن **برقوق** كان يعرف قوة نفس برهان الدين بن جماعة **فخشي أن لا يوافقه إذا رام أن يتسلطن، ويعارضه فلا ينتظم أمره**، فعمل على عزله وتولية من لا يخالفه؛ لكونه هو الذي أنشأ ولايته.

○ عزل همام الدين من قضاء الحنفية

في سنة (٧٨٤هـ) صرف **همام الدين ابن الشيخ الاتقاني** من قضاء **الحنفية** بدمشق، وأعيد **نجم الدين** بن الكشك، وكان قد وصل الخبر بعزل همام وولاية النجم، فامتنع النواب من الحكم، فأنكر عليهم الهمام، واستمر يحكم حتى قدم النجم، فتوجه الهمام إلى النائب، وكان غائباً عن البلد، ثم رجع معزولاً.

وكان الهمام من عجائب الدهر في الجهل، والخبط، وقلة الدين.

○ سفارة صاحب إشبيلية إلى برقوق

في سنة (٧٨٤هـ) حضر **رسل** صاحب إشبيلية من عند **ملك الكيتلان**، يسألون السلطان الشفاعة في **صاحب سيس**، فأرسله إليهم مكرماً.

○ طلب أهل سيس من برقوق أن يولي عليهم ملكا

في سنة (٧٨٤هـ) حضر رسول صاحب **سيس** ومعه كتاب يخبر فيه بأن الأرمن الذين هناك مات كبيرهم، فأمروا عليهم زوجته فحكمت فيهم مدة، ثم عزلت نفسها، فاتفق رأيهم على أن يفوضوا أمرهم **لصاحب مصر**، فيختار لهم من يوليه عليهم، فانتقى لهم **برقوق واحداً** من الأرمن الأسارى، الذين يسكنون بالكوم ظاهر القاهرة، **ويبيعون الخمور**، فأخذوه معهم فملكوه عليهم.

○ خلع السلطان الصالح حاجي بن شعبان

كان **برقوق** يعمل في تدبير نقل المملكة إليه من بعد مسك **بركة**، حتى **أفنى المماليك الأشرفية** نفياً وقتلاً، **وقرب الجراكسة**، **وأبعد الترك**، ثم طلب القضاة والعلماء والأمراء واستشارهم في أمر المملكة، وأن الأمور اضطربت لصغر سن السلطان، وطمع المفسدون في الأمر، فأجمعوا على طاعته.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة (٧٨٤هـ) خَلع **الأميرُ برقوقُ** الملكَ الصالح حاجي بن شعبان من السلطنة، وكانت مدة مملكته سنة ونصفاً ونصف شهر [١].

وبويع **برقوق بالسلطنة**، ولقب بالملك **الظاهر** وكني أبا سعيد، ولم تنتطح في ذلك عنزان.

وتوجه البريد إلى البلاد، فبويع له بدمشق، في يوم الخميس سابع عشر رمضان، وخطب له يوم الجمعة، وفي يوم سلطنته انحط سعر القمح فاستبشر الناس بذلك.

واستقر:

⊙ **أيتمش** أتابك العساكر.

⊙ **والجوباني** أمير مجلس.

(١) وبهذا انتهت دولة المماليك البحرية، وخلفتها دولة المماليك الجراكسة وأولهم السلطان برقوق.

- **وجركس** الخليلي أمير آخور.
- **وسودون** الشيخوني نائب السلطنة.
- **وقزدمر** الحسني رأس نوبة.
- **ويونس** في الدويدارية.

○ محاولة الفتك ببرقوق

في شعبان سنة (٧٨٤هـ) **أراد** جماعة من مماليك برقوق ومماليك أولاد السلاطين **الفتك ببرقوق**، وأنذره الشيخ الصفوي، فدخل أحدهم، فوثب برقوق فضربه ضربة انقلب منها، ثم نزل إلى باب الإصطبل، وطلب الأمراء الذين أرادوا الفتك به، فسجن منهم ونفى.

وغضب على **الأُبْغا العثماني** لأنه بلغه أنه اطلع على القضية وأخفاها عنه، فنفاه إلى طرابلس، وأعطى إمرته لشخص من أقاربه قدم عليه من الجراكسة.

○ الخلاف العقدي وآثاره

في سنة (٧٨٤هـ) كائنة الشيخ صدر الدين **علي ابن العز الحنفي** بدمشق، وأولها أن **الأديب علي بن أيبك الصفدي** عمل **قصيدة لامية** على وزن بانت سعاد، وعرضها على الأدباء والعلماء فقرظوها، ومنهم صدر الدين **علي بن علاء الدين بن العز الحنفي**، وانتقد فيها أشياء فوقف عليها علي ابن أيبك الصفدي، فساءه ذلك، **ودار بالورقة على بعض العلماء فأنكر غالب من وقف عليها ذلك**، فدار على المخالفين وألبهم عليه، وشاع الأمر إلى أن انتهى إلى مصر، فقام فيه بعض المتعصبين إلى أن انتهت القضية للسلطان **برقوق** فكتب مرسوماً طويلاً، **منه:**

بلغنا أن علي بن أيبك مدح النبي ﷺ بقصيدة وأن علي بن العز **اعترض عليه، وأنكر أموراً** منها: **التوسل بالنبي** ﷺ والقدح في عصمته وغير ذلك، وأن العلماء بالديار المصرية خصوصاً أهل مذهبه من الحنفية أنكروا ذلك.

فنتقدم بطلبه وطلب القضاة والعلماء من أهل المذاهب ونعمل معه ما يقتضيه الشرع من تعزير وغيره.

وفي المرسوم أيضًا: بلغنا أن جماعة بدمشق ينتحلون **مذهب ابن حزم** وداود ويدعون إليه، منهم القرشي وابن الجائي والحسباني والناسوفي، فتتقدم بطلبهم فإن ثبت عليهم منه شيء عمل بمقتضاه من ضرب ونفي **وقطع معلوم**، ويقرر في وظائفهم غيرهم من أهل السنة والجماعة.

وفيه: وبلغنا أن جماعة من الشافعية والحنابلة والمالكية يظهرون **البدع ومذهب ابن تيمية** فذكر نحو ما تقدم في الظاهرية، **فطلب النائب القضاة وغيرهم**، فحضر أول مرة القضاة ونوابهم، وبعض المفتين، **فقرأ عليهم المرسوم**، وأحضر خط ابن العز، فوجد فيه قوله: **حسبي الله، هذا لا يقال إلا لله**، وقوله: اشفع لي، **قال**: **لا يطلب منه الشفاعة**، ومنها: **توسلت بك**، قال: لا يتوسل به، وقوله: **المعصوم من الزلل**، **قال**: **إلا من زلة العتاب**، وقوله: يا خير خلق الله، الراجح تفضيل الملائكة، إلى غير ذلك.

فسئل فاعترف ثم قال: رجعت عن ذلك، وأنا الآن أعتقد غير ما قلت أولاً، فكتب ما قال، وانفصل المجلس.

ثم طلب بقية العلماء فحضروا المجلس الثاني وحضر القضاة أيضًا، وممن حضر: القاضي شمس الدين الصرخدي، والقاضي شرف الدين الشريشي، والقاضي شهاب الدين الزهري، وجمع كثير، فأعيد الكلام، فقال بعضهم: يعزر، **وقال بعضهم**: ما وقع معه من الكلام أولاً كاف في تعزير مثله، وانفصلوا.

ثم طلبوا ثالثًا وطلب من تأخر، **وكتب أسماؤهم في ورقة**، فحضر القاضي الشافعي، وحضر ممن لم يحضر أولاً: أمين الدين الأتقى، وبرهان الدين بن الصنهاجي، وشمس الدين بن عبيد الحنبلي وجماعة، ودار الكلام أيضًا بينهم، ثم انفصلوا، ثم طُلبوا، وشُدّد الأمر على من تأخر، فحضروا أيضًا، وممن حضر: سعد الدين النووي، وجمال الدين

الكردي، وشرف الدين الغزي، وزين الدين بن رجب، وتقي الدين بن مفلح، وأخوه، وشهاب الدين بن حجي، **فتواردوا على الإنكار على ابن العز** في أكثر ما قاله.

ثم سئلوا عن قضية الذين نسبوا إلى الظاهر، وإلى ابن تيمية، فأجابوا كلهم؛ أنهم لا يعلمون في المسمَّيْن من جهة الاعتقاد إلا خيراً، وتوقف ابن مفلح في بعضهم، ثم حضروا خامس مرة، واتفق رأيهم على أنه لا بد من تعزير ابن العز إلا القاضي الحنبلي.

فسئل ابن العز عما أراد بما كتب؟ فقال: ما أردت إلا تعظيم جناب النبي ﷺ وامتثال أمره ألا يعطى فوق حقه، فأفتى القاضي شهاب الدين الزهري بأن ذلك كاف في قبول قوله، وإن أساء في التعبير، وكتب خطه بذلك.

وأفتى ابن الشريشي وغيره **بتعزيره**، فحكم القاضي الشافعي بحبسه، فحبس بالعذراوية، ثم نقل إلى القلعة، ثم حكم برفع ما سوى الحبس من التعزيرات، ونفَّذه بقية القضاة، ثم كتبت نسخة بصورة ما وقع، وأخذ فيها خطوط القضاة والعلماء وأرسلت مع البريد إلى مصر، **فجاء المرسوم في ذي الحجة سنة (٧٨٤هـ) بإخراج وظائف ابن العز**.

واستمر ابن العز في الاعتقال إلى شهر ربيع الأول من سنة (٧٨٥هـ)

وأحدث من يومئذ عقب صلاة الصبح **التوسل بجاه النبي** ﷺ، أمر بذلك القاضي الشافعي المؤذنين، ففعلوه.

وفي الرابع من ذي القعدة سنة (٧٨٤هـ) طلب ابنُ الزهري **شمسَ الدين** محمد بن خليل الحريري المنصفي، **فعزره، بسبب فتواه** بمسألة الطلاق على رأي ابن تيمية، **وبسبب قوله**: الله في السماء، وكان الذي شكاه القرشي، فضربه بالدرة، وأمر بتطويفه على أبواب دور القضاة، ثم اعتذر ابن الزهري بعد ذلك، وقال: ما ظننته إلا من العوام.

وهذا العذر دال على أن ابن **الزهري تهور في أمره**، ولم يتثبت، فلله الأمر.

○ قدوم ابن خلدون إلى مصر

في سنة (٧٨٤هـ) قدم الشيخ أبو زيد بن خلدون (صاحب التاريخ والمقدمة) من المغرب، فأكرمه السلطان برقوق.

○ كوارث وأوبئة

⊙ وفي سنة (٧٨٢هـ) ابتدأ **الوباء** بالإسكندرية في شوال واستمر إلى آخر السنة، ويقال: إنه كان يموت بها كل يوم مائة وخمسون نفسًا.

⊙ وفي المحرم سنة (٧٨٤هـ) وقع **الطاعون بدمشق**، وتزايد في صفر حتى قارب الثلاثمائة (في اليوم الواحد)، ثم تناقص في ربيع الآخر إلى ثمانين.

⊙ في المحرم سنة (٧٨٤هـ) وقع الغلاء بمصر، وارتفع السعر إلى أن بيع الأردب من القمح بمائة درهم، وعدمت الأقوات، ثم فرج الله تعالى عن قريب، ودخل الشعير الجديد، وانحط القمح إلى أربعين. ولما كثر الغلاء أمر برقوق الحكام ألا يحبس أحد على دَيْن؛ لأجل الغلاء، وأفرج عن المحابيس.

○ أخبار المدارس والقضاة

⊙ وفي شعبان سنة (٧٧٩هـ) عزل **القاضي برهان الدين بن جماعة** نفسه عن القضاء لوقوع الفتن والاقتتال بين الأمراء، وكان قد انقطع عن حضور الموكب، وتوجه إلى **القدس** على الخطابة والتدريس كعادته.

⊙ وفي سنة (٧٧٩هـ) استقر **علم الدين القفصي** في قضاء المالكية بدمشق؛ عوضًا عن البرهان الصنهاجي، **وكمال الدين المعري** في الحكم بحلب، عوضًا عن جلال الدين بن نجم الدين الزرعي.

⊙ **وفي سنة (٧٨٢هـ)** استقر صدر الدين بن منصور في **قضاء الحنفية** عوضًا عن أخيه شرف الدين، وكان لما مات عرض برقوق القضاء على الشيخ جلال الدين

التبـاني فامتنع، فألح عليه، فأصر وأحضر معه مصحفـًا وكتاب الشـفاء، وتوسـل بهمـا إليه أن يعفيه من ولاية القضاء فأعفاه واستشـاره فيمـن يصلح، فعين له ابن جماعة صدر الدين، فأرسـل إليه فتشاغل بدمشـق بمرض أخيه شرف الدين إلى أن مـات في شـعبان، فتوجه بعده إلـى القاهرة فوصلها في رمضـان فولاه في ثامن رمضان.

◉ **وفي** نصـف رمضان **سـنة (٧٨٢هـ)** أمر أن يخفف من نـواب القضاة، وأن يكون لكل قاض أربعة نواب، إلا الحنبلي فلا يزيد على اثنين. فامتنع الحنبلي أن يجعل له نائبا.

◉ وفي سـنة (٧٨٤هـ) ولي القضـاء **بالقدس**، **خير الدين الحنفـي**، وهو أول حنفي قضى به، وولي القضاء **بغزة**، **موفق الدين** رسـول الحنفي، وهو أول حنفي قضى بها، وهذان من طلبه الحنفية بالشيخونية، وكان موفق الدين أولاً ينوب عن **الهمام الاتقاني** بدمشق.

❁ ❁ ❁

من أخبار الحج

⊙ في سنة (٧٧٣هـ) شكى الحاج من أمير الركب ابن أفجا الدمشقي لنائب الشام منجك، فرسم عليه، فدخل الحمام فجب ذكره وأنثييه بالموسى، فحمل مغشياً عليه، فلما رآه النائب أمر بإطلاقه إلى منزله فبقي مدة متمرضاً ثم أفاق وعاش.

⊙ في سنة (٧٧٤هـ) اشتد الحر بوادي الأخيضر [1] على الحاج الشامي وهم رجوع، فمات منهم جماعة عطشاً، وكان السبب في ذلك أن أمير الحاج في الذهاب ضرب الموكلين على الفساقي بسبب قلة ما بها من الماء، فلما عاد الحاج لم يجدوا أولئك ملؤا في الفساقي شيئاً أصلاً؛ حقداً منهم على ما صنع بهم، وكان في ظن الحاج أنهم يجدون الفساقي ملأى، فقدموا معتمدين على ذلك.

حتى أن بعضهم سقى بقية ما معه من الماء للجمال، ولما وصلوا فلم يجدوا الماء اقتتلوا على البئر، فمات منهم خلق كثير من الزحمة ومن العطش.

⊙ وفي سنة (٧٧٦هـ) صادف الحاج في الذهاب سيل عظيم بخليص، اتلف شيئاً كثيراً، ثم صادفهم في الرجعة هواء عاصف. وكان الشعير في الطلعة قد غلا جداً حتى بيع الكيل بمائة.

⊙ وفيها حج الصالح صاحب حصن كيفا وعزم على المجاورة والتخلي عن الملك، فأشار عليه من معه من أمرائه بتأخير ذلك لئلا تضيع المصلحة بأهله وقومه بالحصن، فرجع إلى مقر ملكه.

---

(١) وادي الأخيضر: يقع في وسط برية بين العلا وتبوك، والطريق شاق موحش عديم الماء إلا من بئر **بوادي الأخيضر** لا يسد رمق الركب المار بها. حتى إن ابن بطوطة وصف وادي الأخيضر بوادي جهنم. ونقل نقشا على أحد صخور الوادي يفيد «أنه أصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه، وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها»، الرحلات المغربية والأندلسية (ص: ٣٢٨).

⦿ وفي آخر سنة (٧٧٧هـ) نهب الحاج المصري في رجوعهم، وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار:

لقد نهب الحجاج في عام سبعة وسبعين جهراً بعد ذبح تمكنا
وصار أمير الركب بورى هارباً ولولا قليل كان بورى مكفنا

وجرى للحاج الشامي أشد مما جرى للمصري فإنهم جاءهم سيل **بخليص** تلف منهم بسببه شيء كثير، وفي الرجعة هبت عليهم ريح عاصف، ثم اشتد عليهم الغلاء في الطريق حتى بيعت الغرارة الشعير بمائة درهم.

⦿ وفي سنة (٧٨٠هـ) جهز **الأشرف صاحب اليمن** المحمل إلى مكة، ومعه كسوة للكعبة، فحال أمير الركب المصري بينهم وبين كسوة الكعبة وكادت تقع الفتنة ثم خمدت بلطف الله تعالى بعناية صاحب مكة، وحصل له بسبب ذلك من اليمنيين ذكر.

⦿ في سنة (٧٨١هـ) وصل الحجاج إلى **الأزلم**[1] فلم يجدوا بها الإقامة على العادة، فوقع فيهم الغلاء الشديد، وكان **السبب في تأخير الإقامة**: أن العرب الذين جرت عادتهم بحملها نقل لهم عن **عرب بَلِي**، أنهم أرادوا نهب الإقامة، فتأخروا بمغارة شعيب[2]، فوصل الحاج إلى **المويلح**،[3] فلم يجدوا شيئًا، ثم إلى عيون القصب، فلم يجدوا شيئًا؛ فغلا الشعير، ومات من الجمال شيء كثير، وقاسى الحجاج مشقة شديدة، وتأخروا عن العادة خمسة أيام.

(١) الأزلم: ويقال الأزنم، من منازل طريق الحاج المصري، وتقع جنوب مدينة ضبا، بخمس وأربعين كيلومتر، وفيها قلعة لنزل الحجاج مبنية من العصر المملوكي.
(٢) تقع شمال غربي تبوك، في محافظة البدع اليوم.
(٣) تقع على ساحل البحر الأحمر، شمال مدينة ضبا، بأربعين كيلو متر، وهي من محطات طريق الحاج المصري والشام.

- في سـنة (٧٨٤هـ) كان **الحاج بمكة كثيراً**؛ بحيث **مات من الزحام** بباب السـلام أربعون نفسـًا، أخبر الشيخ ناصر الدين بن عشائر أنه شاهد منهم سبعة عشر نفسـًا موتى بعد أن ارتفع الزحام، وأن شيوخ مكة ذكروا أنهم لم يروا الحاج أكثر منهم في تلك السنة. وكانت **الوقفة يوم الجمعة** بلا ارتياب عندهم.

- قال الحافظ ابن حجر العسـقلاني [1]: في سنة (٧٨٤هـ) حججت مع زكي الدين الخروبي، وكانت الوقفة يوم الجمعة، وجاورنا بمكة، **فصليت بالناس** في السـنة التـي تليهـا سـنة (٧٨٥هـ)، وقد كنـت ختمت القـرآن من أول السـنة الماضية، واشـتغلت بالإعـادة في هذه السـنة، فشـغلنا أمر الحـج إلى أن قـدر ذلك بمكة، وكانت فيه الخيرة.

❁ ❁ ❁

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ١٠٠).

مشاهير من توفي من الأعيان

١-**إبراهيم بن إسحاق بن يحيى بن إسحاق فخر الدين الآمدي** ثم الدمشقي، ولد بدمشق سنة خمس وتسعين وستمائة، وسمع من ابن مشرف والتقي سليمان وابن الموازيني وأبي يعلى بن القلانسي وغيرهم، وأجاز له من بغداد بن رويدة وغيره ومن دمشق بن عساكر وإسماعيل الفراء ومن الإسكندرية الغراقي.

وحدث بمصر ودمشق، وقد ولي نظر الأوقاف والأيتام، ثم نظر الجيش بدمشق والجامع وغير ذلك من المناصب الجليلة، وكان مشكور السيرة معظماً عند الناس، وحصل له في آخر عمره صمم، ومات في ربيع الأول سنة (٧٧٨هـ).

٢- **شهاب الدين أحمد بن سالم بن ياقوت المكي المؤذن**، ولد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، وسمع من الفخر التوزري، وتفرد بالسماع منه، ومن الصفي، والرضي الطبريين وغيرهما، وكان إليه أمر زمزم وسقاية العباس، مات سنة (٧٧٨هـ) عن ثمانين سنة وأشهر.

٣-**أحمد بن سليمان بن عبد الله الصَقِيلي**، أخذ عن الشيخ شمس الدين بن اللبان وغيره، ودرس وأفاد وكان خيراً صالحًا، ولي خطابة المدينة النبوية، ثم رجع إلى القاهرة، مات في ربيع الآخر سنة (٧٧٨هـ) بجامع الحاكم.

٤-**أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الحسيني**، كاتب الإنشاء بحلب، ونقيب الأشراف بها، وكان مشكور السيرة، مات بحلب في سنة (٧٧٨هـ)، وعاش أزيد من سبعين سنة.

٥- أبو البركات **أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد**- سبعة في نسق -ابن أبي بكر بن إبراهيم بن جماعة الزهري، ولد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسمع من الواني والدبوسي والختني والحجار وغيرهم وحدث، مات في شهر رجب سنة (٧٧٨هـ).

٦-**عباس بن علي بن داود ابن رسول اليماني الملك الأفضل** بن المجاهد بن المؤيد بن المظفر بن المنصور، **صاحب زبيد وتعز**، ولي سنة أربع وستين وسبعمائة.

وقام في إزالة المتغلبين من بني ميكائيل إلى أن استبد بالمملكة، وكان يحب الفضل والفضلاء، ألف كتاباً سماه **نزهة العيون**، وغير ذلك، وله مدرسة بتعز، وأخرى بمكة، مات في شهر ربيع الأول وقيل في شعبان سنة (٧٧٨هـ).

٧- علاء الدين **علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي**، ولد سنة عشر وسبعمائة، وسمع من ابن مشرف، ووزيرة، وهي ابنة عم جد والده، وحدث عنهما بالصحيح، وكان خيراً، مات في ربيع الآخر سنة (٧٧٨هـ).

قال ابن حجر: وهو **أخو شيختنا فاطمة** بنت المنجا التي أكثرت عنها، عاشت بعده بضعاً وعشرين سنة حتى كانت خاتمة المسندين بدمشق.

٨-**عمر بن حسن بن مزيد بن أميلة بن جمعة المراغي ثم الدمشقي ثم المزي**، ولد في رجب سنة (٦٨٢هـ)، وهذا هو المعتمد، وأسمع على الفخر ابن البخاري جامع الترمذي، وسنن أبي داود، والشمائل، وتفرد بالسنن، والجامع.

رحل الناس إليه، وأمّ بجامع المزة مدة، وحدث نحواً من خمسين سنة، وسمع من العز الفاروثي بعض «**الذرية الطاهرة**»، وسمع أيضاً من الصوري، وابن القواس، وابن عساكر، وجماعة، وخرج له الياسوفي مشيخة لطيفة حدث بها، وكان صبوراً على السماع، ربما أسمع غالب النهار ولا يعتب، وقارب المائة، مات في ربيع الآخر سنة (٧٧٨هـ)، وكان خيراً، ذُكر أنه قرأ القراءات على ابن نصحان، وكان عنده فضل ودين وخير، وله شعر وسط، وهو القائل:

ولي عصا من جريد النخل أحملها ... بها أقدم في نقل الخطى قدمي
ولي مآرب أخرى أن أهش بها ... على ثمانين عاماً لا على غنمي

٩-**عائشة خاتون بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون**، المعروفة بخوند، عمرت وكان المثل يضرب بكثرة أموالها، فلم تزل تسعى **في إتلافها إلى أن ماتت على مخدة من ليف** في جمادى الأولى سنة (٧٧٨هـ).

١٠- **محمد شاه بن دنيا**، جمال الدين الساقي، كانت أمه من حظايا الناصر، فقرره في ديوان المماليك السلطانية بأقطاع ثقيل، وكانت أمه تدَّعي أنه ابن الناصر؛ ولكن لم يعترف به أخوته، واستمر هو **طرخانا**[١]، **وأحب الاشتغال، فلازم موفق الدين الحنبلي**، وحبب إليه كلام **ابن تيمية**، فكان يتغالى في تحصيله، ويتعصب له مع أنه كان شافعي المذهب، مات في ذي الحجة سنة (٧٧٨هـ).

١١- **بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد، الأرتاحي الأصل المصري**، سمع الناسخ والمنسوخ من ابن مكرم، ومن الحجار، ووزيرة، صحيح البخاري، وولي وكالة بيت المال والحسبة بمصر مراراً، وبالقاهرة كذلك، وكان مشكور السيرة مهاباً في مباشرته، مات في رجب سنة (٧٧٨هـ) وله ثمانون.

١٢- **محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي**، ناظر الجيش، ولد في سنة (٦٩٧هـ)، واشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة، ولازم أبا حيان، والتاج التبريزي، والبرهان الرشيدي، وغيرهم، وحفظ المنهاج، والألفية، وبعض التسهيل، وتلا بالسبع على الصائغ، ومهر في **العربية** والتفسير، وغيرهما، **ودرس فيها**، وفي الحاوي، وكان قد سمع من الشريف موسى، ومن الشيخ علي بن هارون، والشيخ نصر المنبجي، وست الوزراء، وغيرهم،

وحدث وأفاد، وخرج له **الياسوفي** مشيخة، وشرح التسهيل إلا قليلاً واعتنى بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان، وشرح تلخيص المفتاح شرحاً مفيداً، وكانت له في الحساب يد طولى، ثم ولي نظر الجيش، وكان في أول أمره مقلاً.

---

(١) المتقاعد عن العمل.

وأول ما باشر **ناظر ديوان** عند الأمير جنكلي بن البابا، ثم ولي نظر البيوت في دولة السلطان حسن، **ورفع يلبغا منزلته وعظم قدره**، وكان عالي الهمة، نافذ الكلمة، كثير البذل والجود، والرفد للطلبة، والرفق بهم، والمبالغة في السعي في قضاء حوائجهم، وتزايدت مرتبته عند الملك الأشرف، وزادت مروءته، وعظمت همته، وشاع خيره وبره.

قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه أنه **بلغت مرتباته لأهل الخير** في الشهر ثلاثة آلاف، وكان كثير الظرف واللطف والنوادر.

قلت: لم ألق أحداً ممن لقيه إلا ويحكي عنه في المروءة والجود ما لا يحكيه الآخر، حتى من لم يكن بينه وبينه معرفة، وفي الجملة فكان من محاسن الدنيا مع الدين، والصيانة.

ولما تجهز السلطان إلى الحج كان هو وعك من أول شعبان، واستمر فجهز ولده تقي الدين عبد الرحمن في خدمة السلطان، فاستراح هو من الفتنة التي وقعت، ثم مات بعد قليل في ثاني عشر ذي الحجة سنة (٧٧٨هـ).

١٣-أحمد بن علي بن عبد الرحمن العسقلاني المصري، الشهير بالبلبيسي، الملقب سمكة، كان عارفاً بالفقه والعربية والقراءات، وكان الأسنوي يعظمه وهو من أكابر من أخذ عنه، واشتغل وبرع وأخذ عن علماء عصره، وسمع من الميدومي وغيره، ورافق شيخنا العراقي في سماع الحديث، وقرأ بالروايات، وكان خيراً متواضعاً. مات في المحرم سنة (٧٧٩هـ).

١٤-آقتمر الحنبلي الصالحي كان من مماليك الصالح إسماعيل، وولي رأس نوبة في دولة المنصور بن المظفر ثم خازن دار في دولة الأشرف ثم تقدم في سنة سبعين ثم نفاه الجاي إلى الشام ثم أعيد بطالاً ثم استقر رأس نوبة ثم نائب السلطنة بعد منجك، ثم عزل منها في أواخر دولة الأشرف لإنكاره على بعض خواصه ثم أعيد بعد الأشرف ثم نفاه أينبك إلى الشام ثم قرره في نيابة الشام بعد مجيء طشتمر إلى مصر.

وكان يرجع إلى دين وخير وعنده وسواس كثير في الطهارة وغيرها، **وكان يحب الأمر بالمعروف وإزالة المنكر**، ومات في جمادى الأولى سنة (٧٧٩هـ).

١٥ -**الحسـن بن عمر بن الحسن بن عمر** الدمشـقي الحلبي، أبو محمد بدر الدين، ولـد بحلب سـنة (٧١٠هـ)، ورحل فسـمع بالقاهرة جزء ابن عرفة علـى محمد ابن إبراهيم بن معضاد،

واشتغل وبرع إلى أن صار رأساً في الأدب **والشروط**.

ثـم انتقـى وخـرج وأرخ، وتعانى في تواليفه **السـجع**، وكتب الشـروط على القضاة، وناب في الحكم، ووقع في الإنشاء، ونسخ البخاري بخطه، وجمع مجاميع مفيدة ثم لزم منزله بآخرة مقبلاً على التصنيف والإفادة؛ فمنها: درة الأسلاك في دولة الأتراك، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، وكان دمث الأخلاق حسن المحاضرة حميد المذاكرة.

مات ضحى يوم الجمعة حادي عشـر شـهر ربيع الآخر بحلب **سـنة (٧٧٩هـ)** عن تسع وستين سنة وهو والد الشيخ زين الدين طاهر، وقد ذيل على تاريخ أبيه.

١٦ -**دنيا بنت الأقباعي**، المغنية الدمشقية، اشتهرت بالتقدم في صناعتها، فاستدعاها الملك الناصر حسن على البريد فأكرمها ثم وفدت على الملك الأشرف فحظيت عنده وهـي كانـت من أعظم الأسـباب في إسـقاط **مكس المغاني**، سـألت السـلطان في ذلك فأجاب إليه، ثم أراد ابن آقبغا آص إعادتها، فتكلم الشـيخ سراج الدين البلقيني والشيخ ضياء الدين مع الأشـرف وهو ضعيف فأنكر على ابن آقبغا آص ذلك واسـتمر إبطاله، **توفي سنة (٧٧٩هـ)**.

١٧ -**طشتمر اللفاف التركي**، تأمّر في آخر دولة الأشرف شعبان، ثم كان ممن قام مع قرطاي في الفتنة، واسـتقر أتابك العسـاكر، ثم سكن في بيت **أرغون** شاه، واستولى على جميـع موجوده، فلمـا ضعف وثقل في المـرض أوصى أن جميع موجـوده ملك ورثة أرغون شاه، ومات في ثالث المحرم سنة (٧٧٩هـ) مطعونـاً.

١٨ - جمال الدين **عبد الله بن العلامة محمد بن علي بن إبراهيم المصري** الشافعي، ولد بعد سـنة (٧٣٠هـ)، وأسمع على زينب بنت الكمال وجماعة، فطلب بنفسه وكتب، مات في شـعبان سـنة (٧٧٩هـ)، وكان رئيسـاً محتشـماً كريم النفس، خلف له أبوه مالاً كثيراً؛

فأذهبه في النفقات، وعني بالفقه على كبر، وكان عند موت أبيه مشتغلاً بالتجارة، فاستقر جمال الدين ابن قاضي الزبداني في تدريس الدولعية فباشرها نيابة عنه، وشغّله في المنهاج وغيره، إلى أن تأهل ودرس، وقد طلب الحديث بنفسه وقرأ وكتب واسمع أولاده.

١٩- **علي بن الجمال محمد بن أبي بكر العبدري الشيبي**، إمام مقام الحنفية بمكة، عني بالعلم ومات في أواخر ذي القعدة سنة (٧٧٩هـ) بخليص، وحمل إلى مكة ودفن بها.

٢٠- **قرطاي بن عبد الله التركي**، أكبر القائمين على الأشرف، وكان من مماليك طاز، ثم كان ممن خدم عند يلبغا، فلما قتل يلبغا أبعد إلى أن ولي طشتمر الدويدار، فأعاده، فاستقر رأس نوبة عند ولد السلطان، وقدمه الأشرف، ثم كفر نعمته وأزال دولته وقتله وفرق الخزائن فمزقها في أسرع وقت، ثم لم يتمتع بذلك بل مات بطرابلس قتيلاً، وكان قد اتفق مع جماعة على الخروج على نائب الشام؛ فعلم بذلك فأرسل من خنقه في رمضان سنة (٧٧٩هـ).

٢١- **محمد بن عبد الله الطرابلسي الحلبي**، الشافعي في الفروع، الحنبلي في الأصول، صاحب ابن القيم المصري، حمل عنه الكثير، وكان فاضلاً مشهوراً، وذهنه جيد، وله نظم حسن، وكان قصيراً جداً، ولم يكن يعاشر الفقهاء، ودرس بالظاهرية، مات في رمضان سنة (٧٧٩هـ).

٢٢- **بدر الدين محمد بن مكيال اليمني**، أمير حَرَض،[1] والمَهْجم،[2] وغيرهما من بلاد اليمن، زمن المجاهد، ثم خرج عليه وادعى أنه حسني، وخطب له بالسلطنة على المنابر، ومات المجاهد في غضون ذلك، فنهض الأفضل لحربه إلى أن فرّ، فلجأ إلى الإمام الزيدي **بصعدة** فأقام عنده حتى مات في (٧٧٩هـ).

(١) **حرض**: بفتحتين وهو في اللغة الذي أذابه الحزن، وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة، نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به. وهو اليوم منفذ تجاري بين المملكة واليمن. معجم البلدان – الفكر (٢/ ٢٤٣).

(٢) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام. معجم البلدان – الفكر (٥/ ٢٢٩).

٢٣-ضياء بن سعد الله بن محمد بن عثمان القزويني، ويقال له **القرمي**، ويعرف بقاضي القرم، أحد العلماء، تفقه في بلاده، وأخذ عن القاضي عضد الدين وغيره، ثم اشتغل على أبيه والبدر التستري، وتقدم في العلم قديماً حتى كان **سعد الدين التفتازاني** أحد من قرأ عليه، وحج قديماً فسمع من العفيف المطري بالمدينة.

وكان يستحضر المذهبين ويفتي فيهما، ويحسن إلى الطلبة بجاهه وماله، مع الدين المتين والتواضع الزائد، وكثرة الخير، وعدم الشر، **والعظمة الزائدة**، وكانت **لحيته طويلة** جداً؛ **بحيث تصل إلى قدميه، ولا ينام إلا وهي في كيس، وكان إذا ركب فرقها فرقتين**، وكان عوام مصر إذا رأوه قالوا: **سبحان الخالق! فكان يقول**: عوام مصر مؤمنون حقاً لأنهم يستدلون بالصنعة على الصانع.

وكان لا يمل من الاشتغال حتى في حال مشيه وركوبه، ويحل الكشاف والحاوي حلا إليه المنتهى، حتى يظن أنه يحفظهما أو يقدر على سردهما.

وكان يقول: أنا حنفي الأصول شافعي الفروع، وكان يدرس دائماً بغير مطالعة، وعظم قدره جداً في أيام دولة الأشرف، **مات في ثالث عشر ذي الحجة** سنة (٧٨٠هـ).

قرأت بخط قاضي القضاة تقي الدين الزبيري وهو فيما أجازنيه أن **سبب موته** أنه عقد عند **برقوق** مجلس بسبب الأوقاف، فتكلم الضياء بكلام قوي، فغضب منه برقوق، وأجابه بجواب خشن خاف منه على نفسه، فرجع إلى بيته، فمرض واستمر إلى أن مات.

٢٤-علي بن كلفت، والعامة تقول كلبك **شاد الدواوين**، كان مشهوراً بالعفة، ويقال إنه ما ارتشى قط لكنه كان ظالماً غشوماً، مات بالطريق بين حلب ودمشق في جمادى الآخرة فحمل إلى دمشق فدفن بها، ويقال إنه لما كان بحلب ظلم ظلماً كثيراً فطلبه منكلي بغا النائب وأهانه وضربه فكان ذلك سبب موته سنة (٧٨٠هـ) عفا الله تعالى عنه.

٢٥- صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، **مسند الدنيا في عصره**، ولد سنة (٦٨٤هـ)، وتفرد بالسماع من

الفخر بن البخاري، سمع منه مشيخته، وأكثر مسند أحمد، والشمائل، والمنتقي الكبير من الغيلانيات، **وسمع** من التقي الواسطي وأخيه محمد، في آخرين، وأجاز له في سنة (٦٨٥هـ) جماعة من أصحاب ابن طبرزد، والكندي، وخرج له الياسوفي مشيخة، **وحدث** بالإجازة عن النجم بن المجاور، وعبد الرحمن بن الزين، وزينب بنت مكي، وزينب بنت العلم، وأسمع الكثير،

ورحل الناس إليه وتزاحموا عليه وأكثروا عنه، وكان دينًا صالحًا حسن الإسماع، أمَّ بمدرسة جده، وأسمع الحديث أكثر من خمسين سنة، وكان أولاً يتعسر ثم سمح، وقد أجاز لأهل مصر خصوصًا من عموم فدخلنا في ذلك، مات في شوال سنة (٧٨٠هـ) عن ست وتسعين سنة وأشهر، ونزل الناس **بموته درجة**.

٢٦- محمد بن إسماعيل بن أحمد الدمشقي، الفراء الأشقر، الملقب بالقزل، سمع المزي، وإبراهيم بن الفريسة، والبرزالي، وجماعة من أصحاب ابن عبد الدائم، وحدث، وكان دمث الأخلاق، يحب أهل الحديث، وأصحاب ابن تيمية، حفظ القرآن على كِبَر، وقد حفظ عليه القرآن جماعة، مات في ربيع الآخر سنة (٧٨٠هـ).

٢٧- محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن علي الهندي الصغاني، ضياء الدين، نزيل المدينة، ثم مكة، كان فاضلاً صاحب فنون، ويدري الفقه والعربية والأصول، وله سماع من البدر الفارقي، والعفيف المطري، وكان يتعانى التجارة، مات في ذي الحجة سنة (٧٨٠هـ). وقد جاوز **الثمانين، وهو والد صاحبنا شهاب الدين** بن الضياء قاضي الحنفية الآن بمكة،

وقد ادعى والده أنهم من ذرية الصغاني وأن **الصغاني** من ذرية عمر بن الخطاب.

وقد سمع من الجمال المطري، والقطب بن مكرم، والبدر الفارقي، وكان سبب تحوله من المدينة أنه كان **كثير المال** فطلب منه حفيد جماز طفيل أمير المدينة شيئًا، **فامتنع فسجنه، ثم أفرج عنه**.

فتحـول إلى مكة واسـتمر مقيمـاً بمكة إلى أن مات سـنة (٧٨٠هــ)، وكان عارفاً بالفقه والعربية شديد التصعب للحنفية كثير الوقيعة في الشافعية.

٢٨- إبراهيـم بن عبد الله بن محمد بن عسـكر الطائي القيراطي، ولد في صفر سـنة (٧٢٦هــ) تفقـه واشـتغل، **وتعانى النظـم ففاق فيه**، وله ديوان جمعه لنفسـه؛ يشـتمل على نظم ونثر في غاية الإجادة، واشـتهرت مرثيته في الشـيخ تقي الدين السبكي، وبالغ الصفدي في تقريظه بسببها، وطارحه بأبيات طائية أجاد القيراطي فيها غاية الإجادة.

ولـه في محب الدين ناظـر الجيش وفي تاج الدين السـبكي **غرر المدائح**، ورسـالته التي كتبها للشـيخ جمال الدين بن نباتة في غاية الحسـن والطول، وكان مع تعانيه النظم والنثر عابداً فاضلاً، درس بالفارسـية، وكان مشهوراً بالوسوسة في الطهارة، **وقد حدث عن** ابن شـاهد الجيش بالصحيح، **وحدث عنه** من نظمه القاضي عز الدين بن جماعة، والقاضي تقي الدين بن رافع وغيرهما، ممن مات قبله، وسمع منه جماعة من شيوخنا، **وله في أبي مدائح حسـنة ومطارحات**، مات بمكة مجاوراً في ربيع الآخر سنة (٧٨١هـ) وله خمس وخمسون سنة إلا أشهراً.

٢٩- الشـيخ شـرف الديـن **أحمد بن عبد الرحمـن بن محمد بن عسـكر البغدادي المالكـي**، نزيـل القاهـرة، كان فاضـلاً، قدم دمشـق فولي قضـاء المالكية بهـا، ثم قدم القاهـرة في دولـة يلبغـا فعظمه وولاه قضاء العسـكر ونظـر خزانة الخـاص، وقد ولي قضاء دمياط مدة، وحدث عن أبيه وابن الطبال وغيرهما، ولم يكن بيده وظيفة إلا نظر الخزانـة فانتزعها منه علاء الدين بن عرب محتسـب القاهرة فتألم من ذلك ولزم منزله إلـى أن كف بصره، فكان جماعة من تجار بغداد يقومون بأمره إلى أن مات في سـادس عشر شعبان سنة (٧٨١هـ)، وله أربع وثمانون سنة، **سمع منه من شيوخنا** جماعة، ومن آخر من كان يروي عنه شمس الدين محمد بن البيطار الذي مات سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

٣٠-حسـن بن عبد الله الصبان الشـيخ أحد المشـايخ المعتقدين، كان يسكن ظاهر بـاب النصر وأقعد بآخره، وكان **أبي يعتقده**(١)، وذكر لي شـمس الدين الأسـيوطي أنه غضب عليه فرمى بسهم في الهوى، فقال: أصابه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات في ربيع الآخر سنة (٧٨١هـ).

٣١-خضر بن عبد الله الكردي المهلل، كان يدور في الأسواق بدمشق ومعه كعك في عصا يبيعه ويرفع صوته بالتهليل ويذكر بالذكر، المأثور وكان للناس فيه اعتقاد، وتظهر له كرامات، مات في شهر رمضان سنة (٧٨١هـ)، وكانت جنازته حافلة جداً.

٣٢-قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير عرب آل فضل، مات معتقلاً، وكان ينطوي على دين وشجاعة وسلامة باطن، جاوز السبعين، توفي سنة (٧٨١هـ).

٣٣- أبـو عبـد الله **محمـد بن أحمـد بن محمـد ابن مـرزوق التلمسـاني** المالكي، ولد بتلمسـان سـنة إحدى عشرة وسـبعمائة، وسـمع بالمغرب من منصور المشدالي، وإبراهيم بن عبد الرفيع.

ورحل قديمـًا فسمع **بمكة** من عيسى الحجي وغيره، **وبمصر** من أبي الفتح بن سيد الناس وأبي حيان وغيرهما، **وبدمشـق** من ابن الفركاح، **وبالمدينة** من الحسـن بن علي الواسطي خطيب المدينة، ومحمد بن محمد بن خلف المطري وغيرهما.

وكان يكتب خطًا حسـنًا، وله **شرح الشفاء** رأيته بخطه لم يكمله، **وشرح العمدة** في خمس مجلدات جمع فيه بين كلام ابن دقيق العيد وابن العطار والفاكهاني وغيرهم.

قال ابن الخطيب: كان مليح الترسل حسن اللقاء كثير التودد طيب الحديث ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالتنسـك، كثير المشـاركة غاص المنزل بالطلبة، مشارك في الفنون.

(١) يكثر في تراجم هذا العصر وصف بعضهم بأنه يعتقد فيه، أومن المعتقدين وأشباهها، وغالب من يوصف بذلك يكون قليل العلم أو من يتعانى التصوف والانفراد عن الناس وترك الجمع والجماعات.

وقد **عني بالحديث ولقاء المشايخ وتكثيرهم** حتى بلغ عدد شيوخه ألف شيخ.

وكان حسن الشكل جليل القدر، مات في ربيع الأول سنة (٧٨١هـ) رحمه الله تعالى.

٣٤- زين الدين **محمد بن أبي بكر بن علي بن محمود الجعفري الأسيوطي**، تفقه على الدمنهوري، وكتب الخط الحسن وشارك في الفضائل، وولي قضاء بلده وكان صارماً في أحكامه، وبنى بأسيوط مدرسة تنسب إليه، مات سنة (٧٨١هـ).

٣٥-محمود بن أحمد بن صالح شرف الدين الصرخدي، نزيل دمشق، تفقه على الفخر المصري، وأفاد ودرس، وكان ناسكاً خاشعاً عابداً يصفر بالحناء، وانقطع أخيراً عن حضور المدارس لضعف بصره، **قال ابن حجي**: أخبرني أبي قال كان أول ما قدم علينا كنا نشبه طريقه بطريق **النووي**، مات في مستهل ذي القعدة سنة (٧٨١هـ).

٣٦-ياقوت الحبشي الرسولي، شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوي، يلقب افتخار الدين، مات في رمضان سنة (٧٨١هـ)، وقد أقام في المشيخة إحدى وعشرين سنة.

٣٧-ابن الطحان، أحمد بن إبراهيم بن سالم بن داود بن محمد المنبجي، سمع البرزالي وابن السلعوس وغيرهما، وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان الناس يقصدونه لسماع صوته بالتنكزية، وكان إمامها، وكان أخذ القراءات عن الذهبي، وابن السلعوس وغيرهما.

و**كان مولده** في المحرم سنة ثلاث وسبعمائة، ومات بدمشق في صفر سنة (٧٨٢هـ).

والطحان الذي نسب إليه كان زوج أمه، وكان أبوه إسكافا، فمات وهو صغير، فرباه زوج أمه؛ فنسب إليه، وله نظم، فمنه ما سمعه منه الشهاب بن حجي وأخبرنا به إجازة:

طالب الدنيا كظام ... لم يجد إلا أجاجا
كلما أمعن فيه ... زاده ورداً وهاجا

٣٨-**أبو بكر بن أحمد بن أبي الفتح بن إدريس بن سـامة الدمشـقي**، عماد الدين بن السراج، ولد سنة خمس وسبعمائة، وسمع من الحجار، وتفقه على الشيخ شرف الدين البارزي وأذن له في الإفتاء، **وسـمع من المزي، والبرزالي وغيرهما**، وأثنى عليه الذهبي في المعجـم المختص بالمحدثين، وكان يعمل المواعيد، ويجيد الخط، مات في شـوال سنة (٧٨٢هـ) عن سبع وسبعين سنة، وهو آخر من ترجم له الذهبي في هذا المعجم.

وكان **يقـرأ البخاري** في كل سـنة بالجامـع في رمضان، ويجتمع عنـده الجم الغفير، وللناس فيه اعتقاد زائد.

٣٩- الأمير، **بركة بن عبد الله**، وكان أصله من جماعة **يلبغا**، وبقي مع مماليك يلبغا الأجلاب، ثم عاد في إمرة **طشتمر**، وكان أمير عشرة لما قُتل الأشرف، ثم كان ممن قام مع **اينبك**، ثم قام عليه هو **وبرقوق**، وكان من أمره ما مضى مفصلاً في الحوادث، **وكان شـجاعًا مفرط الشـجاعة** مشـهوراً بذلك، وكانت **مدة عظمته** ثلاث سنين إلا شهرين، منـذ ولـي أمير مجلس في جمادى الأولى سـنة (٧٧٩هـ) إلى أن قبـض عليه بالقاهرة، وقتل سنة سنة (٧٨٢هـ).

٤٠-**حجي بن موسى بن أحمد بن سعد الحسباني** الشافعي، نزيل دمشق، ولد في سنة (٧٢١هـ)، وقيل قبل ذلك، وسـمع من أحمد بن علـي الجزري، والبرزالي، وغيرهما، وأخذ الفقه أولاً بالقدس عن مشـايخها، **وحفظ كتبا**: التنبيه، وابن الحاجب، والعمدة، ثم أخذ بدمشـق لما قدمها عن الشـيخ شـمس الدين بن النقيب، وشـرف الدين خطيب جامع جراح، وشهد له بأنه فقيه المذهب، وتاج الدين السبكي وشهد له بالتقدم في الفقه.

وتقـدم في التدريـس والفتوى وأفاد الناس، وتخرج به أهل بلده بدمشـق، وكان كثير الاطلاع، صحيح النقل، غواصـًا، نقالاً، عارفـًا بحل المشكلات، صحيح الفهم، سريع الإدراك مع الرياضة وحسن الخلق.

انتهـت إليه رئاسـة المذهب بدمشـق، وكان متصديـًا للأشـغال، فارغـًا عن طلب المناصـب، مواظبـًا على الصلاة، مطرحـًا للتكلف، تاركـًا للتردد إلى الأكابر، سـاذجـًا

من أحوال الدنيا **لا يعرف صنجة عشرة من عشرين، ولا يحسن براية قلم، ولا تكوير عمامة**، ومات في صفر سنة (٧٨٢هـ) بعلة البطن، وقد جاوز السبعين.

٤١- **عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن بيرم بن بهرام بن السلار**، الدمشقي، عني بالعلم وأخذ عن التقي الصالح وجماعة، وكانت لديه معرفة بالفرائض والعربية، وله مشاركة في الفقه، وصنف في القراءات مؤلفات مفيدة، **وانتهت إليه رئاسة الإقراء بدمشق**، وله خطب جياد، وسمع من الحجار وغيره، وطلب الحديث بنفسه، وكتب الطباق [(١)] بدمشق.

وكان ثقة صحيح النقل، وله نظم، وألف مؤلفات محررة، مات في ثامن عشر شعبان سنة (٧٨٢هـ) عن خمس وثمانين سنة، ودخل بغداد والبصرة، وخرج له السرمري مشيخة قُرئت عليه، واستقر بعده في الإقراء بتربة أم الصالح شمس الدين بن الجزري لكونه أولى من بقي بذلك، وحضره الأعيان وأثنوا على درسه.

٤٢- **عمر بن حمزة بن يونس بن حمزة بن عباس العدوي الأربلي ثم الصالحي، ابن القطان**، نزيل صفد، سمع التقي سليمان وأحمد بن عبد الدائم وابن الزراد وابن شرف، وكان فاضلاً له مذاكرات حسنة، مقرئًا للسبع، طلب الحديث، وكتب الكثير، وحدث، سمع منه ابن رافع، وكتب عنه في ظهر معجمه، ومات قبله بمدة، وخرج له الياسوفي جزءاً، توفي سنة (٧٨٢هـ)، وعاش ستًا وثمانين سنة سواء.

٤٣- **شمس الدين، محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب** ابن ذؤيب الدمشقي الأسدي، **ابن قاضي شهبة** [(٢)]، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة في ربيع الأول، **وتفقه** على عمه كمال الدين، **وأخذ العربية** عن الشيخ شرف الدين الفزاري.

---

(١) الطباق: على زنة (فعال)، وهي جمع تكسير للكثرة، والمراد بِكَتْبِ الطِباق: هو كَتْبُ الحديث وجمعه في أجزاء حديثية أو كتب. انظر: تعليق المحقق على كتاب البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر للسيوطي، تحقيق: أبي أنس أنيس الأندونوسي (١/ ٢٥٩).

(٢) كانت وفاة أبيه بشهبة، وهي من قرى حوران، وكان قاضيها، وقضى بها أربعين سنة، فجاءه اللقب من هذا.

ولما مات عمه كمال الدين سنة (٧٢٦هـ) قعد مكانه للأشغال، واستمر على ذلك أكثر من خمسين سنة على طريقة واحدة؛ من إيثار الانجماع، وعدم الالتفات إلى المناصب، يخدم نفسه ويشتري حاجته ويحملها، **ثم ولي في آخر عمره تدريس الشامية** البرانية بغير سؤال، ثم تركها بعد سنة وثلاثة أشهر للشهاب الزهري، وسمع من ابن الموازيني الأموال لأبي عبيد وغير ذلك، وسمع من ست الأهل بنت علوان، وست الوزير، وطائفة.

وكانوا يثنون عليه بالورع حتى أن الشيخ شرف الدين الغزي ذكر أنه لما اجتمع بالشيخ جمال الدين الأسنوي سأله عن شيوخ دمشق، فوصف له ابن قاضي شهبة فقال: هذا مثل الشيخ مجد الدين الزنكلوني عندنا، وكان أقعد الشاميين في الفقه، وأقدمهم هجرة، حتى كان أكثر الفضلاء بها من تلامذته وتلامذة تلامذته، فمن الطبقة الأولى ممن حضر دروسه ابن خطيب يبرود، والعماد بن كثير، والشهاب الأذرعي.

وكتب **الأذرعي** بخطه على ظهر مجلد من شرح التوسط لابن الأستاذ هذه المجلدة لسيدي وشيخي شمس الدين ابن قاضي شهبة، **وقد حدث**، فسمع منه العراقي، والهيثمي، وابن رجب، والياسوفي، وابن ظهيرة، وابن حجي، والبرهان الحلبي، وآخرون.

مات في ثامن المحرم سنة (٧٨٢هـ) عن تسعين سنة.

واشتهر بمعرفة **التنبيه وشروحه**، وحسن تقريره، وكذا الجرجانية، **ولم يكن يحضر المحافل ولا يفتي**، وكان يستحضر الرافعي وينزله على **مسائل التنبيه** تنزيلاً عجيبًا، وعنده انجماع، وعدم معرفة بأمور الدنيا.

٤٤ -**محي الدين، يحيى بن يوسف بن محمد بن يحيى المكي**، الشاعر، المعروف بالمبشر مدح أمراء مكة، وكتب لهم الإنشاد، كان غاية في الذكاء وسرعة الحفظ، **فحفظ التنبيه** في أربعة أشهر، وكان سمع من نجم الدين الطبري، وعيسى الحجي وغيرهما، مات سنة (٧٨٢هـ) وعاش سبعين سنة.

٤٥- **أبو القاسم بن أحمد بن عبد الصمد اليماني المقرئ**، نزيل مكة، تصدى للقراءات وأتقنها، وأقرأ الناس حتى يقال: **إن الجن** كانوا يقرؤون عليه، مات سنة (٧٨٢هـ).

٤٦- **إبراهيم بن حسين بن الملك الناصر** أخو الملك الأشرف شعبان كان خيراً ديناً، وقد ذكر للسلطنة فلم يتم ذلك، مات في جمادى الآخرة سنة (٧٨٣هـ).

٤٧- **أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأذرعي**، نزيل حلب، ولد سنة سبع وسبعمائة، وتفقه بدمشق قليلاً، وناب في بعض النواحي في الحكم بها، ثم تحول إلى حلب فقطنها، وناب في الحكم بها، ثم ترك وأقبل على الاشتغال والتصنيف والفتوى والتدريس وجمع الكتب حتى اجتمع عنده منها ما لم يحصل عند غيره، وظفر من النقول ما لم يحصل لأهل عصره وذلك بين في تصانيفه، وتعقب المهات للأسنوي بقدر حجمها، والذي بيضه منها إلى النكاح في أربع مجلدات، وهو ثبت في النقل، وسط في التصرفات، قاصر في غير الفقه، وأجاز له القاسم بن عساكر والحجار وغيرهما، وتفقه بشيوخ عصره ومهر في الفن

وسأل السبكي أسئلة شهيرة اسمها **الحلبية**، وصنف شرحين على المنهاج، وجمع على الروضة كتاباً سماه التوسط والفتح بين الروضة والشرح، أكثر فيه من النقولات المفيدة، وانتهت إليه رئاسة العلم بحلب، مات في نصف جمادى الآخرة سنة (٧٨٣هـ)، بعد أن حصل له عرج وقليل صمم وضعف بصره.

٤٨- **أحمد بن محمد بن عبد المؤمن الحنفي**، يقال له: **قاضي قرم**، قدم القاهرة بعد أن حكم بالقرم ثلاثين سنة، فناب في الحكم، وولي إفتاء دار العدل، **ودرس بالجامع الأزهر** وغيره، وجمع شرحاً على البخاري، استمد فيه من شرح شيخنا ابن الملقن، رأيت بعضه، وكان يزن بالهنات، مات في شهر رجب سنة (٧٨٣هـ).

٤٩- **أنس بن عبد الله الجركسي**، والد برقوق، كان كثير البر والشفقة لا يمر به مقيد إلا ويطلقه ولا سيما إذا رأى الذين يعمرون في المدرسة التي ابتدأ ابنه بعمارتها، مات

في شـوال سـنة (٧٨٣هـ) ويقال: إنه جاوز التسـعين، وأعطى ولده الشيخ جلال الدين التباني **ثلاثين ألف درهم**، فحج عنه.

٥٠- **جويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحسـن بن مسـوك الهكاري**، تكنى أم أبيها، سمعت من ابن الصواف مسموعه من النسائي، ومسند الحميدي، ومن علي بن القيم، مـا عنده من صحيح الإسـماعيلي، وكانت خيرة دينة، أكثـر الطلبة عنها، ماتت في صفر سنة (٧٨٣).

٥١-**سيف بن عبد الله المقدم**، كان رأسًا في الظلم، مهينًا، مات تحت العقوبة.

٥٢-طشـتمر بن عبد الله الشعباني، كان حاجبًا صغيراً بدمشق، وناب في قلعة الروم سـنة سبع وسـتين، وولي الحجوبية بدمشق سـنة تسع وسـبعين وبعدها، ثم ولي نيابة حماة، ومات بعينتاب في رجب، وكان صارمًا شهمًا.

٥٣-**عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عتيق الأنصاري**، جمال الدين بن حديدة، ولد سـنة إحدى عشرة وسبعمائة، وسـمع على ابن شاهد الجيش، وإسماعيل التفليسـي، وابن الأخوة وغيرهـم، وعني بالحديث، وكتب الأجـزاء والطباق، وجمع كتابـًا سـماه: **المصباح المضيء في معرفة كتـاب النبي**، وكان خـازن الكتب بالخانقاه الصلاحية بالقاهرة، ومات في شعبان (٧٨٣).

٥٤-**عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الإسعردي**، الخواجا، **التاجر في المماليك**، هـو الـذي أحضر **والـد برقوق إلى القاهرة**، وهـو الذي أحضر برقوق مـن قبل في دولة الأشـرف، وكان قد سـعى في إبطال مكس الرمان بدمشـق، فأجيب إلى ذلك، وكان له جـاه وصيـت في البلاد، **وعمّر بدمشـق** قيسـارية مليحـة، مات في رجب سـنة (٧٨٣)، وأسف عليه **برقوق** وصلى عليه، وأكثر البكاء عليه.

٥٥-**عطيـة بن منصور بن جماز الحسـني**، أمير المدينة، مـات هو وأخوه نعير وابن أخيه هبة بن جماز بن منصور في سنة (٧٨٣).

٥٦- عز الدين **عمر بن إسماعيل بن عمر بن كثير**، عني بالفقه، وكتب تصانيف أبيه، وولي الحسبة مراراً، ونظر الأوقاف، ودرس بعدة أماكن، وعاش خمساً وأربعين سنة، مات في رجب سنة (٧٨٣).

٥٧-**عمر بن عثمان بن أبي القاسم عبد الله بن معمر المعري**، اشتغل قليلاً، وعني بالفقه، ثم ولي قضاء دمشق بعد تاج الدين السبكي إلى أن عزل منها سنة خمس وسبعين، ثم أعيد في سنة تسع وسبعين، ثم عزل، ثم أعيد إلى أن مات.

قال ابن حجي: سمعنا منه، وكان يحفظ الدرس جيداً، ويذاكر بأشياء حسنة، وخلف مالاً طائلاً، وقد حدث عن الحجار وغيره.

ولم يكن مشكوراً في الحكم ولا متورعاً فيه، بل **كان يأخذ الرشوة ظاهراً** على ما قيل، مع أنه كان يكثر الصوم والحج والعبادة.

ومن العجيب أنه ولي دار الحديث الأشرفية **انتزعها من الحافظ عماد الدين بن كثير** مع أن شرطها أن تكون مع أعلم أهل البلد بالحديث، فمقته الطلبة وعدوا عليه غلطات وفلتات، **وكان طلق الوجه**، كثير السكون، كثير المال والسعي، وكان يكتب خطاً حسناً، ونسخ بخطه كتباً، وكان يحفظ الدرس جداً، وكان عارفاً بالأحكام، والمصطلح.

عاش إحدى وسبعين سنة، مات في رجب سنة (٧٨٣).

٥٨-**محمد بن حسب الله، الزعيم**، التاجر، كان واسع الملاءة، كثير الثروة مشهوراً بمعرفة التجارة، إلا أنه كان كثير الربا، مات بمكة سنة (٧٨٣).

٥٩-**محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد** بن علي الجمالي السرائي الدمشقي، ولد بسراي في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وسبعمائة، وقدم الشام كثيراً، وعني بالحديث على كبر وطلبه وقتاً، وسمع من الميدومي بالقدس ونحوه.

وكتب بخطه وهو خط حسن، وكان ديناً خيراً، يكنى أبا حامد، وأبا المجد، وأبا الفياض، وكان فاضلاً، له نظم جيد، ومشاركة في العلم، وورع زائد.

ولم يكن يملك شيئًا إلا ما هو لابسه، وكان تارة يمشي بطاقية، ولا يتكلف هيئة مع التواضع والبشاشة، وحسن الخَلْق والخُلُق، وكان العلماء يترددون إليه، ولا يقوم لأحد، ولا يملك شيئًا ولا يقتنيه، توفي سنة (٧٨٣هـ).

٦٠- **يوسف بن ماجد بن أبي المجد بن عبد الخالق المرداوي**، ولي الدين الحنبلي، كان فاضلاً في الفقه، وامتحن مراراً بسبب **فتياه بمسألة ابن تيمية في الطلاق**، وكذا في عدة من مسائله، وقد حدث عن الحجار، وابن الرضي، والشرف بن الحافظ، وغيرهم، وكان شديد التعصب لمسائل ابن تيمية، وسجن بسبب ذلك، ولا يرجع.

وبلغه أن الشيخ شهاب الدين بن المصري، **حط على ابن تيمية** في درسه بالجامع فجاء إليه فضربه بيده، وأهانه، توفي تاسع عشر صفر سنة (٧٨٣هـ).

٦١- جمال الدين **يوسف بن أبي راجح محمد بن إدريس بن غانم بن مفرح** العبدري، الشيبي، **شيخ الحجبة**، مات بمكة سنة (٧٨٣هـ).

❁ ❁ ❁

تم الكتاب

والحمد لله أولا وآخرا

فهرس الموضوعات

عصر المماالك البحرية ـ القسم الأول (٦٤٨ ـ ٧٤١)

عصر المماليك البحرية ـ القسم الثاني (٧٤٢ ـ ٧٨٤)